# تأويلات القرآن

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

تحقيق
احمد وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

دار الميزان

# تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
احمد وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

الجزء الاول
الفاتحة - البقرة

إستانبول ٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

## [الفرق بين التأويل والتفسير][1]

[١ظ] /{قال الشيخ الإمام أبو منصور رضي الله عنه:} الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل: التفسير للصحابة، والتأويل للفقهاء. ومعنى ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد، وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن. فتفسير[هم] الآية أهم لما عاينوا وشهدوا، إذ هو حقيقة المراد؛ وهو كالمشاهدة لا تسع[2] إلا لمن علم. ومنه قيل: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ...»،[3] لأنه فيما يفسر يَشهد على الله به.

وأما التأويل فهو بيان منتهى الأمر، مأخوذ من "آل يؤول" أي يرجع. ومعناه كما قال أبو زيد:[4] لو كان هذا كلامَ غيره توجه إلى كذا وكذا من الوجوه. فهو توجيه الكلام إلى ما يتوجه إليه. ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير، إذ ليس فيه الشهادة على الله، لأنه لا يخبر عن المراد، ولا يقول: أراد الله به كذا، أو عنى. ولكن يقول: يتوجه[5] إلى كذا وكذا[6] من الوجوه؛ هذا مما تكلم به البشر، والله أعلم ما ضمنه[7] من الحكمة.[8]

---

[1] الكلام في الفرق بين التأويل والتفسير قد ورد في جميع نسخ *تأويلات القرآن* فيما نرى، سوى نسخة كوپريلي، وأغلب الاحتمال أن يكون هذا الكلام من أقوال الإمام الماتريدي أسناء تدريسه، لأن معناه موافق لرأي الإمام ومنهجه في التفسير.

[2] ع م: لا تسمع.

[3] هذا جزء من حديث، ولفظه كالآتي: «اتقوا الحديث علي إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (*صحيح البخاري*، العلم ٣٨؛ و*صحيح مسلم*، الزهد ٧٢؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١).

[4] هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت ٢١٥هـ/٨٣٠م)؛ أحد أئمة الأدب واللغة، وهو من أهل البصرة، وكانت وفاته بها. وقد كان يرى رأيَ القدرية واشتهر بين معاصريه، ثقة في الرواية. وله تصانيف غير قليلة ورد ذكرها في الكتب المترجمة له. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٧٧/٩؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٧٨/٢، ٣٧٩.

[5] ن م + هذا.

[6] ن – وكذا.

[7] ن ع م: ما صحته. والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ١ظ.

[8] أي ما ضمن كلام الله تعالى من الحكمة.

ومثاله أن أهل التفسير اختلفوا في قوله: **الحمد لله**. قال بعضهم: إن الله حمد نفسه؛ وقال بعضهم: أمر أن يُحمد.[1] فمن قال: عَنَى هذا دون هذا، فهو المفسر له. وأما التأويل فهو أن يقول: يتوجه[2] الحمد إلى الثناء والمدح له، وإلى الأمر بالشكر لله، والله أعلم بما أراد. فالتفسير ذو[3] وجه واحد، والتأويل ذو وجوه.

[1] ن - وقال بعضهم أمر أن يحمد.

[2] ن - يتوجه.

[3] ن ع م: ذا. والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ١ظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[١][1]

[البسملة وسورة الفاتحة]

[٢ظ س ه] *التسمية[2] هي آية من القرآن، وليست من[3] فاتحة القرآن.[4] دليل جعلها آية ما[5] روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبيّ بن كعب: «لأعلمنّك آية لم تنزل على أحد قبلي إلا على سليمان بن داود»، فأخرج إحدى قدميه،[6] ثم قال له: «بأيّ[7] آية يفتتح[8] القرآن؟» قال: ب[9]**بسم الله الرحمن الرحيم**، فقال: «هي هي».[10] ففي هذا [دليل على] أنها آية[11]

---

[1] ن + وبه ثقتي. ومن الجدير بالذكر أن الإمام الماتريدي لا يرى البسملة كأنها هي الآية الأولى من سورة الفاتحة، كما سيأتي قريبا. ولكن وضعنا رقم الآية الأولى للفاتحة آخر البسملة حفاظا على الاستعمال الشائع بين المسلمين في المصاحف.

[2] جميع النسخ: ثم التسمية.

* الحديث عن التسمية وصلتها بسورة الفاتحة ومكانة سورة الفاتحة في الإسلام جاء في جميع النسخ فاصلا بين تأويل قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾، وقوله: ﴿وإياك نستعين﴾. انظر: ورقة ٢ظ-٣و، فرأينا نقله إلى أول الكتاب رعاية للترتيب. ويمكن أن يحدث هذا الاضطراب من قبل الناسخين. ونرى في شرح *تأويلات القرآن* للسمرقندي أن هذا القسم في أول الكتاب في نسخة الحميدية، ورقة ٦و-٦ظ، وفي نسخة المدينة هو في آخر سورة الفاتحة، ورقة ٦ظ.

[3] ع م - من.

[4] ذكر السمرقندي أن الإمام الأشعري يرى أن البسملة من الفاتحة في أحد قوليه وأنها من رأس كل سورة، وأن الماتريدي يرد عليه بما قدم. انظر: شرح *التأويلات*، نسخة الحميدية ، ورقة ٦و-ظ.

[5] م - ما.

[6] أي من المسجد.

[7] ك: يا أبيّ.

[8] ن ع م + بها.

[9] ك ع - بـ.

[10] روى الطبراني في الأوسط عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تخرج من المسجد حتى أعلمك بآية...» (*المعجم الأوسط* للطبراني، ١/٣٦٧؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ١/٣٢٥).

[11] ع: آيتها آية؛ م: آيتها.

من القرآن،[1] وأنها لو كانت من السور لكان يعلِّمه[2] نيّفا ومائة آية لا آيةً واحدة؛ ولو كانت منها أيضا لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها من السور.

ثم الظاهر أن من لم يتكلف[3] تفسيرها عند ابتداء السور[4] ثبت [لديه] أنها ليست منها. وكذلك[5] تَرْك الأمة الجهر بها، على العلم بأنه[6] لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بها ثم يخفي ذلك على من معه، وأن يكونوا غفلوا،[7] ثم يضيعون[8] سنته[9] بلا نفع يحصل لهم، حتى توارثت الأمة تركها فيما يحتمل أن يكون الجهر سنته[10] ثم يخفي؛ فيكون في فعل الناس دليل واضح [على] أنها ليست من السور.[11]

ودليل آخر على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله[12] أنه قال: «قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: **الحمد لله** إلى قوله **مالك يوم الدين**، فقال: هذا لي –وهي ثلاث آيات– وقال بعد قوله **اهدنا** إلى آخرها: هذا لعبدي». ثبت أنها ثلاث آيات لتستويَ القسمة. «ثم قال في قوله **إياك نعبد وإياك نستعين**: هذا بيني وبين عبدي نصفين».[13] فثبت أنها آية واحدة. فصارت بغير التسمية سبعًا، وذلك قول الجميع:

---

[1] أي إن البسملة آية من القرآن في أول الفاتحة فقط، وليست آية من رأس كل سورة.
[2] أي لكان النبيّ يعلم أبيّ بن كعب.
[3] ع: يتكلف.
[4] ك: السورة.
[5] ن ع م: ولذلك.
[6] ن: بأنها.
[7] ن ع م: فعلوا.
[8] ن + ها.
[9] م: سنة.
[10] ن م: سنة.
[11] قال السمرقندي: «ولا يحتمل أن يعلموا كونه سنة ثم يضيعوها، لأن ذلك يؤدّي إلى تضليلهم، وذلك باطل. وكان عمل الأمة على الترك دليلا على أن الجهر بها ليس بسنة. وكان عملهم على ترك الجهر بها مع إجماعهم على الجهر بالفاتحة والسورة في الصلاة التي يجهر فيها دليلا واضحا على أنها ليست من الفاتحة ولا من رأس كل سورة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦و).
[12] ك – عن الله.
[13] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ٣٨، ٤٠. ونصه: «قال الله تعالى: قَسَمْت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال: مجّدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي. فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهدنا =

إنها سبع آيات.[١] مع ما لم يذكر في خبر القسمة، فثبت أنها دونها سبع آيات.

وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلم يكونوا يجهرون ب بسم الله الرحمن الرحيم".[٢] وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عمر، وجماعة،[٣] وهو / الأمر المعروف[٤] في الأمة. مع ما جاء في قصة السحر[٥] أن العُقَد كانت إحدى عشرة،[٦] [٣و] وقرأ[٧] عليها المعوذتين دون التسمية. فكذا غيرها[٨] من السور. مع ما إذ جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ.[٩] *والله الموفق.*

[مكانة سورة الفاتحة في الإسلام]

والأصل عندنا[١٠] أن المعنى الذي تضمنته[١١] فاتحة القرآن فرض على جميع البشر، إذ فيه الحمد لله،[١٢] والوصف له بالمجد، والتوحيد له، والاستعانة به، وطلب الهداية [منه]. وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر؛ إذ فيه معرفة الصانع على ما هو معروف،

---

= الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». وورد الحديث أيضا في *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٣٢؛ وغيرها.

[١] أي قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ آية واحدة، وقوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آيتان.

[٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٨؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٥٠، ٥٢؛ وسنن *النسائي*، الافتتاح ٢٢.

[٣] *تفسير ابن كثير*، ١/١٨؛ و*تفسير الآلوسي*، ١/٤٥.

[٤] ن: بالمعروف.

[٥] ع ن: الشجر. لعله يريد بها رواية سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل لبيد بن الأعصم. انظر: صحيح *البخاري*، الطب ٤٧، ٤٩-٥٠؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٤٣.

[٦] روى المفسر ابن كثير هذه القصة عن الثعلبي، عن ابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهما بطولها، ثم علق عليه بقوله: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم. وأخرج ابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس، والبيهقي في *الدلائل* عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه فيه وَتَرٌ فيه إحدى عشرة عقدة. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٤/٥٧٤.

[٧] ك: قرئ.

[٨] ع: خبرها.

[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، ١٦/٩٨).

[١٠] ع: عند.

[١١] جميع النسخ: تضمنه.

[١٢] ع م – لله.

والحمد له على ما يستحقه؛ إذ هو المبتدئ بنعمه على جميع خلقه، وإليه فقر كل عبد، وحاجة كل محتاج. فصارت لنفسها بما[1] جمعت[2] الخصال التي بيّنّا فريضة على عباد الله.

ثم ليست هي في حق الصلاة فريضة،[3] وذلك نحو التسبيحات بما فيها[4] من تنزيه الله، والتكبيرات بما فيها[5] من تعظيمه؛ [بل هي] فريضة لنفسها،[6] إذ ليس لأحد أن لا ينَزّه ربه ولا يعظّمه، من غير أن يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلاة وفي حق كل مجعولة هي فيه لا من طريق توضيح الفرضية،[7] من غير [ال]طريق الذي ذكرت.[8]

ثم ليست هي بفريضة في حق القراءة في الصلاة لوجوه. أحدها أن فرضية القراءة[9] [في الصلاة] عرفنا[ها] بقوله: فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ.[10] وفيها الدلالة من وجهين. أحدهما أنه قد يكون غيرها أيسر. والثاني أن فرضية القراءة في[11] هذه الآية من حيث الامتنان بالتخفيف علينا والتيسير، ولو لم تكن[12] فريضة لم يكن علينا[13] في التخفيف منّة إذ لنا الترك.[14] ثم لا تخيّر[15] في فاتحة القرآن،[16] والآية التي بها عرفنا الفرضية فيما تُخيّر[17] ما يختار من الأيسر؛ ثبت أنها رجعت إلى غيرها. **وبالله التوفيق.**

---

[1] ك: بها.

[2] ك: جعلت.

[3] في هذا رد على الشافعي، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦ظ.

[4] ن: فيه.

[5] ك: فيه.

[6] ن: في نفسها.

[7] ع: الفريضة.

[8] وهي كونها فريضة على عباد الله تعالى.

[9] ع: القرآن.

[10] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.

[11] ع: من.

[12] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ. أي لو لم تكن القراءة مطلقا.

[13] ع – فريضة لم يكن علينا.

[14] ك: إذا بالترك.

[15] ن: ثم لا نجيز، ع م: قد لا تجيز.

[16] أي لو لم تكن القراءة فريضة مطلقة. وقد قال علاء الدين السمرقندي في ذلك: «إن الآية سيقت لبيان الامتثال بالتخفيف عليه والتيسير في قراءة القرآن. ولو لم تجز الصلاة بقراءة غيرها لم يتحقق الامتثال بالتخفيف» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦ظ).

[17] ن: تجيز.

والثاني أن نبيَّ الله أخبر عن الله أنه جعل بها[١] في حق الثناء، وهو ما ذكر في خبر القسمة، فصارت تقرأ بذلك الحق، فلم يُخلَص لها حق القراءة، بل الحق بها حق الدعاء والثناء،[٢] وليس ذلك من فرائض الصلاة. **وبالله التوفيق.**

والثالث ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أحيا ليلة بقوله: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ،[٣] الآية، به كان يقوم،[٤] وبه كان[٥] يركع، وبه يسجد، وبه يقعد".[٦] فثبت أنه لا يتعين قراءتها في الصلاة.[٧] مع ما أيده الخبر الذى فيه أن «ارجِعْ فصل فإنك لم تصل»، إذ[٨] قال له وقت التعليم: «اقرأ ما تيسر عليك»،[٩] فثبت أن المفروض ذلك.

وأيضا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب».[١٠] ثم روي عنه بيان محلها: «إن كل صلاة لم تقرأ[١١] فيه بفاتحة الكتاب فهي خِداج، نقصان غير تمام»،[١٢] والفاسد لا يوصف بالنقصان، وإنما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان. **وبالله التوفيق.**

ثم خُصّ فاتحة القرآن بالتأمين بما سُمي بالذي ذَكره خبر القسمة.[١٣] وغير الفاتحة وإن كان فيه الدعاء فإنه لم يُخَصّ بهذا الاسم، لذلك لم يجهر به. فالسبيل فيه[١٤] ما ذكرنا

---

[١] ك: لها.

[٢] ك: والثبات.

[٣] ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المائدة، ١١٨/٥).

[٤] ك: كانت تقوم.

[٥] ك: كانت.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٩/٥؛ وسنن *النسائي*، الافتتاح ٧٩؛ وراجع: *تفسير ابن كثير*، ١٢٢/٢.

[٧] ك: فثبت أنه لا قراءة في حق القراءة.

[٨] ن ع م: إن.

[٩] روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فردَّ وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثا، إلى آخر الحديث؛ انظر: صحيح *البخاري*، الأذان ٩٥، ١٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٤٥.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٨/٢؛ وصحيح *البخاري*، الأذان ٩٥؛ وصحيح مسلم، الصلاة ٣٥-٣٦.

[١١] ك ن: لم يقرأ.

[١٢] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٢، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[١٣] أي إن القسم الأخير لحديث القسمة قد أشير في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بالعبارة التالية: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»، وهذا يشير إلى أن سورة الفاتحة سورة دعاء، فلذلك يقال في آخر السورة "آمين".

[١٤] ع: منه.

في التسمية،[١] مع ما كان هو أخلص بمعنى الدعاء منها.[٢]

ثم السنة في جميع الدعوات المخافتة.[٣] والأصل [فيه] أن كل ذكر يشترك فيه الإمام والقوم فسنته[٤] المخافتة إلا لحاجة الإعلام، وهذا يعم[٥] قوله **ولا الضالين** فيزول معناه،[٦] وسبيل[٧] مثله المخافتة، مع ما جاء به مرفوعًا ومتواترًا.[٨] وخبر الجهر[٩] يحتمل السبق،[١٠] كما كان يُسمعهم في صلاة النهار[١١] أحيانًا؛ ويحتمل [خبر]الإعلام أنه كان يقرأ به. ***وبالله التوفيق.***

* * *

ثم جَمعت هذه خصالاً من الخير، ثم كل خصلة منها تجمع جميع[١٢] خصال الخير.

منها أن في الحرف الأول[١٣] من قوله **الحمد لله رب العالمين** شكرًا لجميع النعم، وتوجيهًا لها إلى الله لا شريك له، ومدحا له بأعلى ما يحتمل المدح،[١٤] وهو ما ذكرنا من عموم نعمه وآلائه[١٥] جميع بريته. ثم فيه الإقرار بوحدانيته في إنشاء البرية كلها، وتحقيق الربوبية له عليها بقوله: **رب العالمين**. وكل واحد منها[١٦] يجمع خصال خير الدارين، ويوجب القائل به عن صدق القلب أمن[١٧] الدارين.

---

[١] ك: في القسمة.

[٢] أي كانت التسمية أخلص بمعنى الدعاء من الفاتحة.

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٥). انظر: صحيح *البخاري*، الدعوات ٥٠.

[٤] ع م: فسنة.

[٥] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ.

[٦] أي فيزول حاجة الإعلام.

[٧] ع م: وسئل.

[٨] جميع النسخ: ومتوارثا. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ.

[٩] روي في الجهر بالتأمين أحاديث كثيرة، من ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال ابن شهاب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «آمين». انظر: صحيح *البخاري*، الأذان ١١١؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧٢.

[١٠] أي في العهد المبكر عندما بدأت الصلاة بالجماعة في المجتمع حينذاك.

[١١] ع م: في صلاة في النهار.

[١٢] ن: بجمع جميع؛ ع م: يجمع.

[١٣] أي الجملة الأولى من سورة الفاتحة.

[١٤] ع م – المدح.

[١٥] ع: الآية.

[١٦] ن ع م + مما.

[١٧] جميع النسخ: درك. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦و.

ثم [فيها][1] الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى عن أن يكون لأحد من[2] معناهما حقيقةٌ، أو يجوزَ أن يكون منه [شيء] لاستحقاقه،[3] نحو الله والرحمن. ثم الوصف له بالرحمة التي بها[4] نجاة كل ناج، وسعادة كل سعيد، وبها يُتقى[5] المهالك كلها. مع ما من رحمته خلق الرحمة التي بها تعاطف [الخلق فيما] بينهم وتراحُمهم.

ثم الإيمان بالقيامة بقوله: **مالك يوم الدين** مع الوصف له[6] بالمجد وحسن الثناء عليه.

ثم [فيها] التوحيد وما[7] يلزم العباد من إخلاص العبادة له والصدق فيها؛ مع جعل كل رفعة وشرف منالا به عز وجلّ.[8] ثم رفعُ جميع الحوائج إليه، والاستعانةُ به على قضائها والظفر بها، على طُمَأنينة القلب وسكونه: أن لا خيبة[9] عند معونته، ولا زيغ عند عصمته. ثم الاستهداء إلى ما يُرضيه، والعصمة عما يُغويه[10] في حادث الوقت، على العلم بأنه لا ضلال لأحد مع هدايته في التحقيق؛ [وأن] الرجاء والخوف[11] من الله لا من غيره. وعلى ذلك جميع معاملات العباد ومكاسبهم: على الرجاء من الله تعالى أن يكون جَعَل ذلك سببًا به يصل إلى مقصوده ويظفر بمراده. ***ولا قوة إلا بالله***.* [٣و س ٣٨]

**﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢]**

قوله عز وجل: **الحمد لله**؛ احتمل أن يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود؟

---

[1] أي في سورة الفاتحة.
[2] ك - من.
[3] ك ن: لاستحقاق؛ ع: الاستحقاق.
[4] ك: هي.
[5] ع: تبقى.
[6] ع - له.
[7] ع م: ما.
[8] أي مع جعل كل رفعة وشرف وإصابة كل خير وكرامة إنما ينال به بعون الله ونصرته.
[9] ع: الأخيبة.
[10] أي يجعله سببا للغواية والضلال.
[11] ك: ولو حاءه الخوف.
* قد انتهى الجزء المنقول من بين تأويل قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ وتأويل قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾. انظر: ورقة ٢ظ-٣و.

قيل له: لوجهين. أحدهما أنه استحق الحمد بذاته لا بأحد، فيكون في ذلك تعريف الخلق لما يُزْلفهم لديه بما أثنى على نفسه ليُثنُوا عليه، وغيرُه إنما يكون ذلك له به جل وعز، فعليه توجيه الحمد إليه لا إلى نفسه، إذ نفسه لا تستوجبه[1] بها، بل بالله تعالى.

والثاني أن الله تعالى حقيق لذلك، إذ لا عيب يمسه، ولا آفة تَحِلّ به فيُدخل نقصانا في ذلك، ولا هو مأمور[2] بشيء. والعبد لا يخلو عن عيوب تمسه وآفات تحل به، ويُمدح بالائتمار، ويذم بتركه؛ وفي ذلك يمكن النقصان. وحقٌّ لمثله الفزع إلى الله تعالى والتضرع إليه، ليتغمده برحمته ويتجاوز عن صنيعه.

وعلى ذلك معنى التكبر؛[3] نحمد به ربنا ولا نحمد غيره. إذ ليس للعبد معنى يستقيم [معه] تكبره، إذ هم جميعًا أكفاء من طريق المحنة[4] والخلقة؛[5] وما أدرك أحد منهم من فضيلة أو رفعة فبالله أدركه لا بنفسه. فعليه[6] تنزيه الرب والفزع إليه بالشكر، لا بالتكبر على أمثاله. والله تعالى عن هذا الوصف متعال.

ويحتمل أن يكون قوله **الحمد لله** على إضمار الأمر، أي قولوا: **الحمد لله**؛ لأن الحمد يضاف إلى الله، فلا بد من أن يكون له علينا، فأمر بالحمد لذلك.

ثم يخرج[7] ذلك على وجهين. أحدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **الحمد لله**، أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه.[8] فيخرج تأويل الآية[9] -على هذا الترتيب- على الأمر بتوجيه الشكر إليه؛ وذلك يتضمن الأمر أيضًا بكل الممكن من الطاعة، على[10] ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى حتى[11] تورّمت قدماه؛ فقيل له: أليس قد غفر الله لك

---

[1] ك: لا يستوجبه.
[2] ك: خاص.
[3] ك: التكبير.
[4] ك: المحبة.
[5] ك: الخلقي.
[6] ن – فعليه.
[7] ن ع م: مخرج.
[8] *تفسير الطبري*، ١/١٣٥؛ و*فتح القدير* للشوكاني، ١/٢٠.
[9] جميع النسخ: لأنه. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ١ظ.
[10] ع – على.
[11] ع م – حتى.

ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».[١] فصيّر أنواع الطاعات شكرًا له، فمن أطاع الله تعالى فقد شكر له، فيخرج تأويل الآية على هذا.

والوجه الثاني أن[٢] يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل، / والمدح له، والوصف بما يستحقه، [٢و] والتنزيه عما لا يليق به من توجيه[٣] النعم إليه، وقطع الشركة عنه في الإنعام والإفضال على عباده. وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: **الحمد لله رب العالمين**، قال الله سبحانه وتعالى: حمدني عبدي»؛[٤] فجعل الحمد هذا الحرف وصيره منه ثناء لوجهين. أحدهما أنه نسب الربوبية إليه في جميع العالم وقطعها[٥] عن غيره. والثاني أنه سمي[٦] ذلك صلاة، والصلاة اسم[٧] للثناء والدعاء، وذلك خلاف الذم ونقيضه. وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء بغاية المدح والثناء. ولذلك يُفْرَق القول بين الشكر والحمد[٨]؛ إذ[٩] أُمرنا بالشكر للناس بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من لم يشكر الناس لم يشكر الله»،[١٠] صيره بمعنى المجازاة. والحمد بمعنى الوصف بما هو أهله، فلم يُستحَب[١١] الحمد إلا لله. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **رب العالمين**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "سيد العالمين".[١٢] والعالم كل من دَبَّ على وجه الأرض. وقد يتوجه "الرب" إلى الربوبية لا إلى السودد،

---

[١] ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح *البخاري*، الرقاق ٢٠، التفسير ٢/٤٨، التهجد ٦؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٧٩-٨١.

[٢] ك ع: أنه.

[٣] ع: التوجيه.

[٤] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[٥] ن: وقطعه.

[٦] ن ع: يجيء.

[٧] ن ع م: أتم.

[٨] ك: الحمد والشكر.

[٩] ك ن ع: إذا.

[١٠] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٥٨، ٢٩٥، ٣/٣٢، ٧٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١؛ وسنن *الترمذي*، البر ٣٥.

[١١] ع م: لم يستحب.

[١٢] تفسير *الطبري*، ١/١٤٣؛ وتفسير *ابن كثير*، ١/٢٣.

إذ يستقيم القول برب كل شيء من بني آدم وغيره، نحو رب السماوات والأرض[1] -من التربية-،[2] ورب العرش ونحوه، وغير مستقيم القول بسيد[3] السماوات ونحوه. وقد يتوجه اسم الرب إلى المالك، إذ كل من ينسب إليه الملك يسمى أنه مالكه، ولا يسمى أنه سيد إلا في بني آدم خاصة. واسم الرب مجمع[4] ذلك كله، لذلك كان التوجيه إلى المالك أقرب، وإن احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، إذ هو في الحقيقة سيد من ذُكِر وربهم. ***والله الموفق.***

ثم اختلف أهل التفسير في **العالمين**. فمنهم من رد إلى كل ذي روح دب على وجه الأرض. ومنهم من رد إلى كل ذي روح في الأرض وغيرها. ومنهم من قال: لله كذا كذا عالم.

والتأويل عندنا ما أجمع [عليه] أهل الكلام أن **العالمين** اسم لجميع الأنام والخلق جميعًا، وقول أهل التفسير يرجع إلى مثله إلا أنهم ذكروا أسماء الأعلام، و[قول] أهل الكلام [هو] ما يجمع ذلك وغيرهم.

ثم العالم اسم للجميع،[5] وكذلك الخلق. ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه إلى جمع الجمع، من غير أن يكون في التحقيق تفاوت.[6] وقد يتوجه إلى عالم كل زمان، وكذا خلق كل زمان على حكم تجدد العالم. ***وبالله التوفيق.***

وفي ذلك أن الله عزّ وجلّ ادعى لنفسه [أنه] رب[7] العالمين كلهم مَن تقدم [منهم] و[من] تأخر، ومن كان ويكون، [و] لم يقدر[8] أحد أن ينطق بالتكذيب، [أو] يدعي شيئًا

---

[1] ك: الأرضين.

[2] ك - من التربية.

[3] ن: لسيد.

[4] ن: يجمع؛ ع م: بجميع.

[5] قال السمرقندي: «العالم اسم لجميع المكونات من الأعراض كالألوان، والأكوان من الحركات والسكون، وكالطعوم والروائح، والإرادات والاعتقادات، والرطوبات واليبوسات وغيرها، ولجميع الأعيان من الجواهر والأجسام، فلا يبقى شيء مما سوى الله عز وجل من الموجودات - علويا كان كالسماوات أو سفليا كالأرضين، جمادا كان أو ناميًا، نباتًا كان أو حيوانًا، أعجمًا كان أو ناطقًا، ما يقوم بنفسه كالجواهر والأجسام، ولا يقوم بنفسه كالأعراض- إلا هو داخل تحت اسم العالم؛ فإنه سمي عالمًا لكونه علَمًا على ثبوت صانع له حي، سميع، بصير، عالم، قدير، متعال عن سمات الحدث وأمارات النقص، غير مشابه لشيء من أقسامه، ولا مماثل لجزء من أجزائه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣و).

[6] هذا محمل جواب عن تساؤل مفترض أوضحه صاحب شرح *التأويلات*، ورقة ٣ظ.

[7] ك ن ع - رب.

[8] جميع النسخ: يقدره.

من ذلك لنفسه. [ف]دلّ ذلك على[1] أن لا رب غيره، ولا خالق لشيء من دلك سواه، إذ لا يجوز أن يكون حكيمًا أو إلها يُنشئ ويبدع ولا يدَّعيه ولا يفصل ما كان منه عما[2] كان لغيره، وبنفسه قام ذلك لا بغيره. وعلى ذلك معنى قوله تعالى وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ؛[3] فهذا –مع ما في اتساق التدبير واجتماع التضاد، وتعلق[4] حوائج بعض ببعض، وقيام منافع بعض ببعض، [و]على تباعد بعض من بعض وتضادها– دليلٌ واضحٌ على أن مدبر ذلك كله واحد، وأنه لا يجوز كون مثل ذلك من[5] غير مدبر عليم.[6] *والله المستعان.*

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣]

وقوله: **الرحمن الرحيم**؛ اسمان مأخوذان من الرحمة، لكنه روي فيهما "رقيقان[7] أحدهما أرق[8] من الآخر".[9] وكأن الذى روي عنه هذا أراد به "لطيفان، أحدهما ألطف من الآخر". دليل ذلك وجهان. أحدهما مجيء الأثر في ذلك [ب]اللطيف في أسماء الله تعالى مع ما نطق به الكتاب، ولم يذكر في شيء من ذلك "رقيق". ومعنى اللطيف في استخراج الأمور الخفية وظهورها له،[10] كقوله: إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ –إلى قوله– لَطِيفٌ خَبِيرٌ.[11] *وبالله التوفيق.*

والثاني أن اللطف[12] حرف يدل على البر والعطف، والرقة [تدل] على رقة الشيء التي هي نقيض[13] الغِلَظ والكثافة. كما يقال: فلان رقيق القلب. وإذا قيل: فلان لطيف،

---

[1] م – على.
[2] ك: ما.
[3] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.
[4] ن: ويعلق.
[5] ك: عن.
[6] ع م: عليهم.
[7] ع: رفيقان.
[8] ع: أدق.
[9] ذكره القرطبي وابن كثير عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ٩٢/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٠/١.
[10] ن ع م: ما له.
[11] ﴿يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ (سورة لقمان، ١٦/٣١).
[12] جميع النسخ: اللطيف.
[13] ع: يقض.

فإنما يراد به بارٌّ عاطفٌ، فلذلك يجوز لطيف، ولا يجوز رقيق. وكذلك فسر من فسر **الرحمن** بالعاطف[1] على خلقه بالرزق. وذهب بعضهم[2] -وهم الأُوَل- إلى اللطافة؛ وذلك بعيد، وإنما هو من اللطف.

وقوله:[3] أحدهما أرقّ من الآخر، بمعنى اللطف؛ [وهو] يحتمل وجهين. أحدهما التحقيق بأن اللطف بأحد الحرفين[4] أحص وأليق وأوفر وأكمل، فلذلك رحمته بالمؤمنين، أنه يقال: رحيم بالمؤمنين، على تخصيصهم بالهداية لدينه، وكذا[5] ذكر أمته،[6] وإن أشركهم في الرزق فيما يراه[7] وغيرَهم؛[8] ألا يرى[9] أنه لا يقال: رحمنٌ بالمؤمنين، وجائز القول: رحيمٌ بهم. وكذلك لا يقال: رحيم بالكافر[ين] مطلقا. ***وبالله التوفيق***.

ووجه آخر أن أحدهما ألطف من الآخر،[10] كأنه وصف الغاية في اللطف حتى يتعذر وجه إدراك ما في كل واحد منهما[11] من اللطف، أو بوصف يقطع[12] الغاية عما يتضمنه كل حرف. ***وبالله التوفيق***.

ثم في هذا أن اسم **الرحمن** هو المخصوص به الله لا يسمى به غيره، **والرحيم** يجوز تسمية غيره به، فلذلك يوصف أن **الرحمن** اسم ذاتيّ، **والرحيم** [اسم] فعليّ،[13] وإن احتمل أن يكونا مشتقين من الرحمة. ودليل ذلك إنكار العرب **الرحمن**، ولا أحد منهم أنكر **الرحيم**، حيث قالوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمٰنُ أَ نَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا؟[14]

---

[1] ك ن ع: العاطف.
[2] ن ع م - بعضهم.
[3] أي قول ابن عباس رضي الله عنهما.
[4] أي الرحمن والرحيم؛ ولعل أحدهما هو "الرحيم".
[5] جميع النسخ: ولذا.
[6] يعني قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).
[7] جميع النسخ: يراهم.
[8] جميع النسخ: غيرهم.
[9] ك ن ع: ألا ترى.
[10] أي كل من الرحمن والرحيم أدل على معنى اللطف والرحمة من الآخر.
[11] ع - منهما.
[12] ك: يوصف بقطع.
[13] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.
[14] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

و[كـ]ـذلك[1] قوله: قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا،[2] يدل على أنه ذاتي لا فعلي؛ وإن كان / الفعل صفة الذات، إذ محال [أن تكون] صفته بغيره لما يوجب ذلك الحاجة إلى غيره [٢ظ] ليحدث له الثناء والمدح؛ وفي ذلك خلق الخلق لنفع الاستمداح،[3] وهو عن ذلك متعال، بل بنفسه مستحق لكل حمد ومدح.[4] *ولا قوة إلا بالله*.

وروي في خبر القسمة: «إن العبد إذا قال: **الرحمن الرحيم** قال الله تعالى: أثنى علي عبدي؛ وإذا قال: **مالك يوم الدين** قال: مَجَّدني عبدي».[5] وذكر أنه قال في الأول بالتمجيد وفي الثاني بالثناء؛ وذلك[6] واحد، لأن معنى الثناء الوصف بالمجد والكرم والجود، والتمجيد هو الوصف بذلك. *وبالله التوفيق*.

## ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]

ثم أُجمع [على] أن قوله: **مالك يوم الدين** أنه يوم الحساب والجزاء، وعلى ذلك القولُ: أَإِنَّا لَمَدِينُونَ،[7] وقوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ،[8] وهو الجزاء. ومن ذلك قول الناس: «كما تَدين تُدان».[9]

وجائز أن يكون **مالك يوم الدين** على جعل ذلك اليوم لما يُدان اليومَ،[10] إذ به يظهر حقيقته، وعظم مرتبته، وجليل موقعه عند ربه.

---

[1] جميع النسخ: وذلك.

[2] سورة الإسراء، ١٧/١١٠.

[3] ك: الامتداح.

[4] ن: مدح وحمد.

[5] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/ ٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[6] ن: وفي ذلك.

[7] انظر قوله تعالى: ﴿أإذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أإنا لمدينون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥٣).

[8] سورة النور، ٢٤/٢٥.

[9] حديث مرفوع، أخرجه عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البر لا يَبلى، والإثم لا يُنسى، والديّان لا يموت، مكن كما شئت، كما تدين تدان» (*المصنف* لعبد الرزاق الصنعاني، ١١/١٧٨-١٧٩؛ وتفسير *الطبري*، ١/١٥٥؛ وتفسير الآلوسي، ١/٨٤).

[10] أي يمكن أن يكون معناه مالك يوم الانقياد، فإن الدين يطلق ويراد به الانقياد. يقال: دانت له العرب، أي انقادت. سمي اليوم به لأنه ينقاد فيه الجبابرة للجبار. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.

وفي الآية دلالة وصف الرب بمُلك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيامة.[1] ثبت أن الله بجميع ما يستحق الوصف به يستحقه[2] بنفسه لا بغيره. ولذلك قلنا نحن: هو خالق لم يزل، ورحيم لم يزل، وجواد لم يزل، وسميع لم يزل، وإن كان ما عليه وقع ذلك لم يكن.[3] وكذلك نقول: هو رب كل شيء، وإله كل شيء في الأزل، وإن كانت الأشياء حادثة، كما قال: **مالك يوم الدين** اليومَ، وإن كان اليوم بعدُ غير حادث. ***وبالله التوفيق***.

**﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥]**

وقوله **إياك نعبد**، فهو -والله[4] أعلم- على إضمار الأمر، أي قل ذا.[5] ثم لم يَجعل له أن يستثني[6] في القول به، بل ألزمه القول بالقول فيه.

ثم هو[7] يتوجه وجهين. أحدهما يحال[8] القول به على الخبر عن حاله، فيجب أن لا يُستثنى[9] في التوحيد، وأن من يستثني فيه عن شك يستثني. والله تعالى وصف المؤمنين بقوله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا،[10] الآية. وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان لا شك فيه».[11] والثاني عن الأحوال[12] التي تردَّد[13] في ذلك.

---

[1] «أي وهذا دليل على قدم التكوين وسائر صفات الفعل، لأن الله تعالى وصف نفسه بكونه مالك يوم الدين. والملك عبارة عن التصرف بالمشيئة، وهو عبارة عن الفعل، فكان هذا إخبارًا من الله تعالى في الأزل أنه المتصرف يوم الدين لوقت وجوده وهو يوم القيامة، وهو معدوم في الأزل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤و).

[2] ع م: يستحق.

[3] أي وإن كان متعلق الخلق والرحمة والوجود والسمع معدوما، لما أنه يوصف به لوقت وجود ما يقع عليه. قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.

[4] ع م: الله.

[5] ن ع م – ذا.

[6] أي لا يجوز له أن يقول: "إن شاء الله"؛ وهي مسألة الاستثناء التي تناقش في عم الكلام.

[7] أي الاستثناء.

[8] ك: الحال. أي يرجع ويناط.

[9] جميع النسخ: يثنى.

[10] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.

[11] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغَزْو لا غُلول فيه، وحج مبرور». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٨/٢، ٤٤٢، ٤١١/٣-٤١٢؛ وسنن *الدارمي*، الصلاة ١٣٥، الرقاق ٢٨؛ وسنن *النسائي*، الإيمان ١، الزكاة ٤٩).

[12] ن: أحوال.

[13] م: ترد و.

لكنه إذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه، إذ المذاهب لا تعتقد لأوقات،[١] إنما تعتقد[٢] للأبد، لذلك لم يجز الثُّنيا فيه في الأبد. *وبالله التوفيق*.

ثم قوله: **إياك نعبد** يتوجه وجهين. أحدهما إلى التوحيد، وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كل عبادة في القرآن فهو توحيد".[٣] والوجه الآخر أن يكون على كل طاعة يعبد[٤] الله بها. وأصلهما[٥] يرجع إلى واحد، لما على العبد أن يوحد الله تعالى في كل عبادة، لا يشرك له[٦] فيها أحدًا، بل يخلصها، فيكون موحدا لله تعالى بالعبادة والدين جميعا.

وعلى ذلك قطعُ الطمع والخوف والحوائج كلها عن الخلق، وتوجيه ذلك إلى الله تعالى بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[٧] وعلى ذلك المؤمن لا يطمع في الحقيقة بأحد غير الله، ولا يرفع إليه الحوائج، ولا يخاف إلا من الوجه الذي يخشى أن الله جعله سببًا لوصول بلاء من بلاياه إليه على يديه، فعلى ذلك يخافه، أو يرجو أن يكون الله تعالى جعل سبب ما دفعه إليه على يديه، فبذلك يرجو ويطمع، فلا يكون بذلك[٨] من الضالين. فيكون في ذلك التعوذُ من جميع أنواع الذنوب، والاستهداء إلى كل أنواع البر.*

وقوله: **وإياك نستعين**. فذلك طلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع[١٠] حوائجه دينًا ودنيا. ويحتمل أن يكون هو على أثر الفزع إلى الله بقوله **إياك نعبد**، على طلب التوفيق لما أمر به، والعصمة عما حذره عنه، / وكذلك الأمر البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة من[١١] [٣ظ] الله، والعصمة عن المنهي عنه، جرت به سنة الأخيار. *والله الموفق*.

---

[١] ن ع م: لأدوات.
[٢] ن ع م: يعتقد.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٦٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥-٢٦.
[٤] جميع النسخ: أن يعبد.
[٥] جميع النسخ: وأصدها.
[٦] جميع النسخ - له؛ والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ٢ظ.
[٧] سورة فاطر، ١٥/٣٥.
[٨] جميع النسخ: فيكون ذلك؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤ظ.
* جاء في جميع النسخ بعد ذلك كلام عن البسملة ومكانة سورة الفاتحة في الإسلام، ففصل بين تأويل قوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾ وقوله ﴿وإياك نستعين﴾. وقد نقلنا هذا القسم إلى مكانه في أول الكلام على تأويل الفاتحة. انظر: ورقة ٢ظ-٣و.
[١٠] ن ع م: جميع قضاء.
[١١] جميع النسخ: عن؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤ظ.

ثم لا يصلح هذا على قول المعتزلة، لأن تلك المعونة على أداء ما كُلّف قد أُعطي. إذ هو[1] على قولهم لا يجوز أن يكون مكلفًا [و]قد بقي شيء مما به أداء ما كلف[2] عند الله. وطلب ما أُعطي كتمان العطية، وكتمان العطية[3] كفران، فيصير كأن الله أمر أن يَكفر نعمه ويكتمها ويطلبَها منه تعنتًا؛ وظن مثله بالله كفر.

ثم لا يخلو من أن يكون عند الله ما يطلب، فلم يعطه التمام إذًا، أو ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به، إذ من طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده[4] فهو هازئ به في العرف. مع ما كان الذي يطلب إما أن يكون لله أن لا يعطيه مع التكليف[5] فيبطل قولهم، إذ لا يحوز أن يكلِّف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي، أو ليس له أن لا يعطي؛ فكأنه قال: اللهم لا تَجُرْ.[6] ومن هذا عِلمه بربه فالإسلام أولى به. وهذا مع ما كان لا يدعو الله أحد بالمعونة إلا ويطمئن قلبه أنه لا يَذِلّ عند المعونة، ولا يزيغ[7] عند العصمة. وليس مثله بملك لله[8] عند المعتزلة. *ولا قوة إلا بالله*.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خبر القسمة:[9] «الله يقول: هذا بيني وبين عبدي نصفين». وذلك يحتمل أن يكون كل حرف من ذلك بما فيهما[10] جميعًا الفزع[11] إلى الله بالعبادة والاستعانة، ورفع الحاجة إليه، وإظهار غناه -جل وعلا- عنها،[12] فيتضمن ذلك الثناء عليه وطلب الحاجة إليه.

ويحتمل أن يكون الحرف الأول لله بما فيه عبادته وتوحيده، والثاني للعبد بما[13] فيه

---

[1] ن ع م - هو.
[2] ك: كل مكلف.
[3] ع م - وكتمان العطية.
[4] ك - فيكون طبه استهزاء به إذ من طبب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده.
[5] ك: التكلف.
[6] ن ع م: لا تجز.
[7] ن ع م: يرفع.
[8] ن ع م: الله.
[9] حديث القسمة تقدم ذكره.
[10] ك: فيها.
[11] ك: والفزع.
[12] جميع النسخ: عنه
[13] ك: مما.

طلب معونته وقضاء حاجته؛ ويؤيد ذلك بقية السورة، أنه أُخرج على الدعاء، فقال[١] الله عز وجل: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».[٢]

﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٦]

وقوله: **اهدنا الصراط**. قال ابن عباس رضي الله عنه: أرشدنا.[٣] والإرشاد والهداية واحد، بل الهداية في حق التوفيق أقرب إلى فهم الخلق من الإرشاد بما هي أعم في تعارفهم.

ثم القول بالهداية يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها البيان. ومعلوم أن البيان قد تقدم من الله، لا أحد يريد به ذلك، لمضيّ ما به البيان من كتاب وسنة؛ وإلى هذا تذهب المعتزلة.

والثاني[٤] التوفيق له،[٥] والعصمة عن زيغه. وذلك معنى قولهم [في القنوت]: «اللهم اهدنا فيمن هديت».[٦] وقوله: **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين**، وصفهم إلى آخر السورة. ولو كان على البيان على ما قالت المعتزلة فهو **والمغضوب عليهم** في ذلك سواء. ثبت أنه على ما قلنا،[٧] دون ما ذهبوا إليه.

والثالث أن يكون على طلب خلق الهداية لنا، إذ نسب إليه من جهة الفعل، وكل ما يفعله خلق، كأنه قال: اخلق لنا هدايتنا؛ وهو الاهتداء منا.[٨] *وبالله التوفيق*.

ثم تأويل طلب الهداية ممن قد هداه الله يتوجه وجهين. أحدهما طلب الثبات على ما هداه الله. وعلى هذا معنى زيادات الإيمان، أنها بمعنى الثبات عليه.[٩] وذلك كرجلين ينظران إلى شيء

---

[١] ن ع م: وقال.

[٢] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٨٥، ٢٤١، ٤٦٠؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٣٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[٣] *تفسير الطبري*، ١/١٧٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٥٠.

[٤] ك: وفي الثاني.

[٥] أي للعبد.

[٦] لعله يقصد به مذهب الشافعية، لأن دعاء القنوت عندهم ما رواه الحسن بن علي من أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه هذا الدعاء يقنت به في الصلاة: «اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وقنا شر ما قضيت... الخ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٩٩-٢٠٠؛ و*سنن ابن ماجة*، الإقامة ١١٧؛ و*سنن أبي داود*، الوتر ٥).

[٧] ك: عاما قلنا.

[٨] ع: آمنا.

[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).

فيرفع أحدهما[1] بصره عنه، جائزُ[2] القولُ بازدياد نظر الآخر. ووجه آخر، على[3] أن في كل حال يُخاف على المرء ضد الهدي، فيهديه مكانه أبدًا، فيكون له حكم الاهتداء[4]، إذ في[5] كل وقت إيمان منه دفع به ضده.[6] وعلى ذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[7] الآية، ونحو ذلك من الآيات. وقد يحتمل أيضًا معنى الزيادة هذا النوعُ. *وبالله التوفيق*.

وأما **الصراط** فهو الطريق والسبيل في جميع التآويل.[8] وهو قوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا،[9] الآية، وقوله: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي.[10]

ثم اختلفوا فيما يراد[11] به. فقال بعضهم: هو القرآن. وقال بعضهم: هو الإيمان. وأيهما كان فهو القائم الذي لا عوج له، والقيم الذي لا اختلاف فيه،[12] من لزمه وصل إلى ما ذكر.[13] *وبالله التوفيق*.

وقوله: **المستقيم**. قيل: هو القائمُ، بمعنى الثابت بالبراهين والأدلة، لا يزيله شيء، ولا ينقض حججه كيدُ الكائدين، ولا حِيَل المريبين. وقيل: **المستقيم** الذي يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخله[14] الجنة. وقيل: **المستقيم** بمعنى يستقام به، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[15]

---

[1] ع: إلى حدها.

[2] ع: جائزا.

[3] ع – على.

[4] ن ع: الابتداء.

[5] س ع: أن في.

[6] أي ضد الإيمان. وذلك «أن الإيمان يتجدد في كل زمان، والاهتداء يحدث في كل ساعة، والمؤمن خائف أن يحدث منه ضد الهدي مكانه، فطلب الهداية منه أن يخلق الله تعالى له في المستقبل في كل زمان الهداية والعصمة عن ضده.» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥ظ).

[7] سورة النساء ١٣٦/٤.

[8] ن ع م: التأويل.

[9] ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).

[10] ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (سورة يوسف، ١٠٨/١٢).

[11] ك: في ما يته.

[12] لعل الماتريدي يشير إلى قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما...﴾ (سورة الكهف، ١/١٨-٢)

[13] ع: دكره.

[14] ع م: ويدحل.

[15] سورة يونس، ٦٧/١٠.

أي يُبصَر به؛ يدل عليه قوله:[١] إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[٢] الآية. **فالمستقيم** هو المتبع له. ***وبالله التوفيق.***

**﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٧]**

ثم ذكر من ذكر من المنعَم[٣] عليهم. ولله على كل مؤمن نعم بالهداية. وما ذكر دليل على أن الصراط هو الدين، لأنه أنعم به على جميع المؤمنين. لكن تأويل من يَردُّ [**معنى الصراط**] إلى الخصوص يتوجه وجهين. أحدهما أنه أنعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين، فيكون على التأويل الثاني[٤] من القرآن والأدلة. والثاني أن يكون لهم خصوص في الدين، قدّمُوا [به] على جميع المؤمنين، كقول[٥] داود وسلميان اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛[٦] وعلى هذا الوجه يكون **اهدنا**.[٧]

ووجه آخر،[٨] وهو المخصوص الذي خَصّ به كثيرا من المؤمنين من بين غيرهم. لكن الثُّنيا يدل على صرف الإرادة[٩] إلى جملة المؤمنين،[١٠] إذ انصرف إلى **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**.

وقوله: **أنعمت عليهم**. على قول المعتزلة ليس لله على أحد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين، إذ لا نعمة من الله على أحد إلا [وهي] الأصلح في الدين والبيان للسبيل المرضي، وتلك قد كانت على جميع الكفرة، فيبطل على قولهم الثنيا. ***والله الموفق.***

---

[١] ك - قوله

[٢] سورة فصلت، ٣٠/٤١.

[٣] ن ع م: النعم.

[٤] أي التأويل الذي يردُّ معنى الصراط إلى الخصوص لا العموم.

[٥] ع: كقوله.

[٦] سورة النمل، ١٥/٢٧.

[٧] أي على هذا الوجه يرجع معنى "اهدنا".

[٨] أي يوجد هنا وجه ثالث وهو أن يراد من قوله تعالى ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أكثر المؤمنين. ويحتمل أن يكونوا هم الدين يجتبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم، كما أشير إليهم في سورة النجم، ٣٢/٥٣.

[٩] أي الإرادة الإلهية أو معنى المراد من ﴿الذين أنعمت عليهم﴾.

[١٠] أي قد وقع التخصيص بعد التعميم؛ ورغم دلك فالمراد هنا جملة المؤمنين، لأن دوام الآية الذي يقع موقع الاستثناء من قوله ﴿غير المغضوب عيهم ولا الضالين﴾ راجع إلى الكافرين، مما يعني أن عير الكفرة هم المؤمنون جميعا.

[٤و] ثم اختلف / في **المغضوب عليهم ولا الضالين**. منهم من قال: هو واحد، إذ كل ضال[1] قد استحق الغضب عليه، وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال. ومنهم من قال: **المغضوب عليهم** هم اليهود، وإنما خُصّوا بهذا بما كان منهم مِن فضل تمرُّد وعُتوّ، لم يكن ذلك من النصارى؛ نحو إنكارهم بعيسى وقصدهم قتله، مما لم يكن ذلك من النصارى؛ ثُمّ[2] قولهم[3] في الله: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[4] الآية، وقولهم: لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ [وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ][5] الآية، وقولِ[6] [الله تعالى فيهم]: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ [وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا][7] الآية، وكفرِهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم،[8] وشدة تعنتهم، وظهور النفاق [فيهم]، فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم، وإن كانوا شركاء غيرهم في اسم الضلال. *وبالله التوفيق*.

وفي هذا وجه آخر: أن يحمل الذنوب على وجهين. منها[9] ما يوجب الغضب وهو الكفر، ومنها ما يوجب اسم الضلال وهو ما دونه، كقول[10] موسى: فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا [مِنَ الضَّالِّينَ].[11]

و[في] رؤية الهداية لأهلها[12] والتعوذ[13] به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته وغضبه - وبالله النجاة والخلاص[14] - [رد على المعتزلة]. مع ما في خبر القسمة وعد جليل من رب العالمين في إجابة العبد مما يرفع إليه من الحوائج، إذ قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين [ولعبدي ما سأل]».[15]

---

[1] ن م - ضال.

[2] ع - ثم.

[3] عطف على "فضل تمرد".

[4] سورة المائدة، ٥/٦٤.

[5] سورة آل عمران، ٣/١٨١.

[6] جميع النسخ: وقولهم.

[7] سورة المائدة، ٥/٨٢.

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٩).

[9] ك ع: منهما.

[10] ك: كقوله.

[11] يقول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠).

[12] ك ع: لأصلها.

[13] م: أتعوذ.

[14] ع: الإخلاص.

[15] حديث القسمة سبق ذكره مخرجًا.

ثم صير آخرَ السورة لعبده، وليس في متلوها[١] سوى إظهار الفقر، ورفع[٢] الحاجة، وطلب المعونة والاستهداء[٣] إلى ما[٤] ذكر مع[٥] التعوذ عما وصف؛[٦] وليس ذلك مما يوصف به[٧] العبد أنه له. فثبت أن له في ذلك إجابةَ ربه فيما أمره به، ووَعَد ذلك وهو لا يخلف وعده. فأنى يحتمل ذلك[٨] بعد[٩] أمره العبد بالذي تضمنه أول السورة، فقام به العبد مع لومه [نفسه] وجفائه [عليها]، والله بكرمه وجوده لا ينجز له ما وعد؟ لا يكون هذا ألبتة. وقد قال: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ[١٠] وغير ذلك مما فيه الإنجاز، وأنه لا يخلف الميعاد.[١١]

ثم قد جعل -بما جاء من الحديث في تلاوته-[١٢] أن قدّمه على التوراة والإنجيل،[١٣] وعدله بثلثي[١٤] القرآن؛[١٥] وجعله شفاء من أنواع الأدواء للدين والنفس والدنيا؛[١٦] وجعله معاذاً من كل ضلال[١٧] وملجأ إلى كل نعمة. *وبالله نستعين.*

مع ما أوضح في الأسماء التي لقّب فيها فاتحة القرآن عظيم موقعه وجليل قدره، وهو أن سماه «فاتحة القرآن» بما به يفتتح القرآن. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] ن ع م: في صلاتها.

[٢] م: دفع.

[٣] ع: الإستهزاء.

[٤] م: من.

[٥] ع: من.

[٦] ك: ذكر.

[٧] م – به.

[٨] ع – ذلك.

[٩] ع م: بعده.

[١٠] سورة المؤمن، ٦٠/٤٠.

[١١] انظر مثلاً: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «خلف»، و«وعد».

[١٢] ك: تلاوة.

[١٣] لعله يشير إلى حديث رواه أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له: «ألا أخبرك بسورة لم يَنْزل في التوراة والإنجيل مثلها؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «فاتحة الكتاب؛ إنها السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». (*الموطأ* لمالك، الصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢١١/٤، ١١٤/٥؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ١/١، ٣/١٥، فضائل القرآن ٩).

[١٤] ن ع م: ثلثي.

[١٥] *كنز العمال* للهندي، ٢٧٨/١ك؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ١٠٦/٢.

[١٦] انظر حول كون سورة الفاتحة شفاءً: صحيح *البخاري*، فضائل القرآن ٩.

[١٧] ع – ضلال.

أنه كان يفتتح القراءة به.[1] وسُمِّي «فاتحة الكتاب» بما به يفتتح كتابة المصاحف والقرآن. وسمي «أم القرآن» لما يؤم غيره في القراءة.[2] وقيل: الأم بمعنى الأصل، وهو أن لا يحتمل شيء مما فيه النسخَ ولا الرفعَ، فصار أصلاً. وسمي «المثاني» لما يُثَنَّى في الركعات.[3] *ولا قوة إلا بالله*.

وفي قوله: **اهدنا** إلى آخره وجهان سوى ما ذكرنا، إذ قوله: **اهدنا الصراط المستقيم** دعاء كاف عما تضمن إلى آخر السورة، إذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة. أحدهما تذكير نعم الله على الذين يقبلون دينه في قلوبهم، والتوفيق لهم[4] بذلك، وإفضاله عليهم بما ليس لهم عليه.[5] والثاني تعوذهم عن كل زيغ ومقت وضلال وذنب، والتجاؤهم إليه في ذلك بقوله: **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**. *ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم*.[6]

---

[1] *صحيح البخاري*، الأذان ٨٩؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٢١-١٢٢؛ وسنن *النسائي*، الافتتاح ٢.

[2] أي في القراءة أثناء الصلاة.

[3] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني». (مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٤٨/٢).

[4] ع م: بهم.

[5] أي ليس للذين يقبلون دينه فيه حق على الله تعالى.

[6] ك ن ع - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين على القوم الكافرين.[١]

﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

قوله: الٓمٓ.[٢] قيل: فيه وجوه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله الٓمٓ أنا الله أعلم.[٣] وقيل: إنه قسم أقسم بها.[٤] وقيل: إن هذه الحروف المعجمة مفاتيح[٥] السور.[٦] وقيل: إن كل حرف من هذه الحروف كناية اسم من أسماء الله؛ الألف الله، واللام لطفه، والميم ملكه. وقيل: إن الألف آلاؤه، واللام لطفه،[٧] والميم مجده. وقيل: إن الألف هو الله، واللام جبريل، والميم محمد.[٨] وقيل: إنها من التشبيب،[٩] ليفصل بين المنظوم من الكلام والمنثور[١٠] من[١١] الشعر ونحوه.[١٢] وقيل: إن تفسير هذه الحروف المقطعة ما أُلحق ذكرها بها على إثرها، نحو قوله:

---

[١] ك - وبه نستعين على القوم الكافرين.

[٢] ع م - قوله الم.

[٣] *تفسير الطبري*، ١/٨٨.

[٤] ن: بما.

[٥] جميع النسخ: مفتاح.

[٦] ع: السورة.

[٧] جميع النسخ: إن اللام آلاؤه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٧و.

[٨] ك ن - محمد.

[٩] يقال: شبب الشاعر قصيدته، أي حسنها وزينها بذكر النساء. فالتشبيب: تحسين القصيدة وتزيينها (*لسان العرب* لابن منظور، «شبّ»).

[١٠] ك: ليفصل بين الكلام المنظوم والمنثور من نحو الشعر.

[١١] جميع النسخ + نحو.

[١٢] قال السمرقندي: «وقال بعضهم: إن هذه الحروف المعجمة خرجت على سبيل المقدمة لما بعده من الكلام، على ما هو المتعارف في المنظوم والمنثور، وفي الشاهد. فإن من نثر فصلاً من الفصحاء أو أنشأ قصيدة كان من دأبه أن يبتدئ بمقدمة يدرج بها إلى المقصود، نحو الغزل، أو وصف القلم، أو وصف الرّبع، أو نحو ذلك، لكي يحضر السامع فهمه وذهنه إلى كلامه، فيكون ذلك مدرجة له إلى تحصيل الغرض. فكذلك الحروف المعجمة، وهذا لأن الكفرة كانوا لا يسمعون، ويعرضون عنه، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧ظ).

**الٓمٓ ذلك الكتاب. ذلك الكتاب** هو تفسير **الٓمٓ**، و الٓمٓ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ،[1] و الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ،[2] و الٓرٰ كِتَابٌ،[3] و الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ؛[4] كل ملحق بها فهو تفسيرها. وقيل: إن فيها بيان غاية ملك هذه الأمة، من حساب الجُمَّل،[5] لكنهم عدّوا بعضها، وتركوا بعضها[6] وقيل: إنه من المتشابه الذي لم يُطْلِع الله خلقه علم ذلك، ولله أن يمتحن عباده بما شاء من المحن. وقيل: إنهم كانوا لا يستمعون لهذا[7] القرآن، كقولهم:[8] لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ،[9] وكقوله:[10] وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً،[11] فأنزل الله عز وجل هذه الحروف المعجمة ليستمعوا إليها فيلزمهم الحجة.

[و]الأصل في الحروف المقطعة أنه يجوز[12] أن تكون[13] على القسم[14] بها، على ما ذكرنا. وأريد بالقدر الذي ذُكر كليةُ الحروف بما كان من شأن العرب القَسَم بالذي جل قدره وعَظُم خطره، وهي[15] مما بها قوام الدارين، وبها يتصل إلى المنافع أجمع. مع ما دلت على نعمتين عظيمتين: اللسان والسمع، وهما مجرى كل أنواع الحكمة. فأقسم بها على معنى إضمار ربها، أو على[16] ما أَجلَّ قدرها في أعين الخلق، فيقسم بها، ولله ذلك. ***ولا قوة إلا بالله***.

[٤ظ] ويُحتمل أن يكون بمعنى الرمز / والتضمين في كل حرف منها أمرًا جليلاً يَعظُم خطره

[1] سورة آل عمران، ٣/١-٢.
[2] سورة الأعراف، ٧/١-٢.
[3] انظر: سورة هود، ١١/١؛ وسورة إبراهيم، ١٤/١.
[4] انظر: سورة لقمان، ٣١/١-٢.
[5] حساب الجُمَّل: الحروف المقطعة على نظام «أبجد هوز... الخ». قال ابن دريد: لا أحسبه حسابًا عربيًا. وقال بعضهم: الجُمَل بالتخفيف (*لسان العرب* لابن منظور، «جمل»).
[6] ن ع م: البعض.
[7] ن ع م: بهذا.
[8] م – كقولهم.
[9] سورة فصلت، ٤١/٢٦.
[10] ع: كقوله.
[11] سورة الأنفال، ٨/٣٥.
[12] ك – أنه يجوز.
[13] ن ع م: يكون.
[14] ن ع م: المقسم.
[15] أي الحروف.
[16] ك: ربها على.

على ما عند الناس من أمر[1] حساب الجُمَّل. ثم يخرج على الرمز بها عن أسماء الله وصفاته ونعمه على خلقه؛ أو على بيان منتهى هذه الأمة، أو عدد[2] أئمتها وملوكها، والبقاع التي ينتهي [إليها] أمرها. وذلك هو في نهاية الإيجاز، بل بالاكتفاء بالرمز عن الكلام، وبما هو بمعنى من الإشارة في الاكتفاء بها عن البسط[3] -*ولا قوة إلا بالله*- ليعلم الخلائق قدرة الله، وأن له أن يضمّن ما شاء فيما شاء،[4] على ما عليه أمر[5] الخلائق من لطيف[6] الأشياء التي كادت العقول وأسباب الإدراك تقصر عنها وكنهها[7] [و]التي [لا]يدركها كل أحد، ويُبيِّنَ[8] الأمرين، فعلى ذلك أمر تركيب الكلام. *ولا قوة إلا بالله*.

ويجوز أن يكون بمعنى أسماء[9] السور.[10] ولله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه. وعلى ذلك منتهى أسماء الأجناس خمسة أحرف، وكذلك أمر السور.[11] دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها إليها كأنه بنى بها. *ولا قوة إلا بالله*.

ويجوز أن يكون على التشبيب على ما ذكرنا، للفصل[12] بين المنظوم من الكلام[13] والمنثور. [و]في المتعارف أن المنظوم في الشاهد يشبَّب فيخرج عن المقصود بذلك الكلام،

---

[1] ن ع م: في أمر.
[2] ن: وعدد.
[3] «وقيل: إن كل حرف من الحروف المقطعة المذكورة في القرآن إشارة إلى أمر جسيل الخطر، عظيم القدر من بيان منتهى ملك هذه الأمة وظهور الحق فيهم أو عدد أئمتهم وخلفائهم أو عدد البقاع التي تبلغ دولة الإسلام انتهاء على نهاية الإيجاز واكتفاء بها عن البسط، ليعلم الخلائق قدرة الله تعالى في أن يضمن ما شاء فيما شاء. ألا ترى أنه أودع جواهر الأشياء من اللطائف ما تحيرت العقول وأسباب الإدراك عنها مثل القز في الدود والمسك في الظبي والعسل في النحل ونحو ذلك فكذلك مثله في تركيب الكلام. ولا قوة إلا بالله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧و).
[4] ن – في ما شاء.
[5] ع م: أثر.
[6] ع م – لطيف.
[7] ن: وكونها.
[8] جميع النسخ: وبين. أي لله أن يبين ظواهر الأمور وبواطنها.
[9] ع م: اسم.
[10] ك: السورة.
[11] يعني أن أسماء الأجناس المجردة عن الزيادة في اللغة العربية لا تكون أكثر من خمسة أحرف، فكذلك الحروف المقطعة نحو ﴿كهيعص﴾ و﴿حم عسق﴾ لا تزيد حروفها على الخمسة.
[12] جميع النسخ: لتفصيل.
[13] ع م: عن الكلام.

فعلى ذلك أمر الكلام المنزَّل. ألا ترى[1] أنه خرج على ما عليه فنون الكلام في الشاهد، إلا أنه على وجه ينقطع له المثال من كلامهم، فمثله أمر التشبيب. *ولا قوة إلا بالله*.

وجائز أن يكون الله أنزلها على ما أراد، ليمتحن عباده بالوقف[2] فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي له[3] نزول[4] ذلك، ويعترف أنه من المتشابه. وفيها جاء تعلق الملحدة. *ولا قوة إلا بالله*.

ويحتمل أن يكون –إذ[5] علم الله من تعنت قوم، وإعراضهم[6] عنه، وقولهم: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ–[7] أُنزل على وجه يبعثهم على التأمل في ذلك بما جاء بالعجيب[8] الذي لم يكونوا يعرفون ذلك؛ إما لما عندهم[9] أنه[10] كأحدهم، أو [هو سبب] لسبيل الطعن، إذ خرج عن[11] المعهود عندهم، فتلا عليهم ما يضطرهم إلى العلم بالنزول من عند من يملك تدبير الأشياء. ولذلك اعترضوا لهذه[12] الأحرف بالتأمل فيها من بين الجميع. *ولا قوة إلا بالله*.

وقيل: إنه دعا خلقه إلى ذلك. والله أعلم بما[13] أراد.

وقوله: **ذلك الكتاب**، أي هذا[14] الكتاب، إشارة إلى ما عنده.[15] وهذا[16] شائع في اللغة، جائز بمعنى هذا. وقيل ذلك بمعنى ذلك،[17] إشارة إلى ما في أيدي السفرة والبررة.[18]

---

[1] ك: الايدي.
[2] ن م: بالوقوف.
[3] ك: لم.
[4] ك ن ع: يزول.
[5] ن: إذا.
[6] م: إعراضهم.
[7] سورة فصلت، ٢٦/٤١.
[8] م: بالعجب.
[9] ن ع: إما لعندهم.
[10] يعني محمداً عليه السلام.
[11] ك: على.
[12] ع م: لهذا.
[13] ع – بما.
[14] ع م: ذلك.
[15] أي عند الله وهو اللوح المحفوظ.
[16] ن ع م: وذلك. أي هذا الاستعمال.
[17] أي على أصل معناها، فهي إشارة إلى البعيد.
[18] «قيل: ذلك إشارة إلى ما هو في اللوح المحفوظ. وقيل إشارة إلى ما في أيدي السفرة والبررة. [وقيل إشارة] إلى الكتاب الذي قد أخبركم أنه يأتي به رسول اسمه أحمد. قال الإمام: ومعنى هذه الأقاويل أن ذلك الكتاب هو هذا الذي نزل على رسول الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧ط).

وقوله: **لا ريب فيه**، قيل: فيه وجوه،[1] لكن الحاصل يرجع إلى وجهين، أي لا ترتابوا[2] فيه أنه من عند الله. وقيل: لا ريب فيه أنه منزل على أيدي الأمناء والثقات.

وقوله: **هدى**، قيل فيه بوجهين.[3] هدى، أي بيانًا ووضوحًا. فلو كان المراد هذا فالتَّقي وغير التقي سواء. والثاني هدى، أي راشدًا وحجة ودليلاً. ثم اختلفوا في الدليل، فقال الرِّوَنْدي:[4] الدليل إنما يكون دليلاً بالاستدلال،[5] لأنه فعل المستدل، مشتق من الاستدلال؛ كالضرب من الضارب وغيره. وقال غير هؤلاء:[6] الدليل بنفسه دليل وإن لم يستدل به، لأنه حجة[7] وإن لم يحتجّ بها. غير أن الدليل يكون دليلاً [للمرء] بالاستدلال، ومن لم يستدلّ به فلا يكون له دليلاً، وإن كان بنفسه دليلاً، بل يكون عليه عَمًى وحيرة، كقوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ، ثم قال:[8] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا.[9]

وقوله: **للمتقين**، قيل فيه بوجهين: يؤمنون[10] بالله غيبًا، ولم يطلبوا منه ما طلبت[11] الأمم السالفة من أنبيائهم، كقول بني إسرائيل لموسى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[12] والثاني يؤمنون بغيب القرآن، وبما[13] يخبرهم القرآن من الوعد والوعيد، والأمر والنهي،

---

[1] ك ن ع: وجوها.

[2] ن ع: لا يرتابوا.

[3] ع: وجهين.

[4] ن ع م: الدويدي. هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الروندي، أو الراوندي، أو ابن الراوندي (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م)؛ كان في البداية متكلمًا معتزليًا ثم اتّهم بالزندقة؛ غير أن أبا مصور الماتريدي قد ذكره من بين المقرّين بالنبوة ونقل عنه في ذلك في كتاب التوحيد. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، فهرس الأعلام، ص٦٧٨؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ١/٩٤-٩٥؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ١٤/٥٩-٦٢؛ و*البداية والنهاية* لابن كثير، ١٠/٣٤٦؛ و*شذرات الذهب* لابن العماد، ٤/٧.

[5] «أي يكون القرآن دليلاً للمتقين عند وجود الاستدلال منهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨و).

[6] وهم الإمام الماتريدي وأصحابه. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٨و.

[7] ن ع م + والحجة حجة.

[8] ع م – ثم قال.

[9] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

[10] ك: مؤمنون.

[11] ن م: ما طلب.

[12] يقول الله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٥).

[13] ك: ولا؛ ع: وما.

والبعث والجنة والنار. والإيمان إنما يكون بالغيب لأنه تصديق، والتصديق والتكذيب إنما يكونان عن الخبر، والخبر يكون عن غيب، لا عن مشاهدة.

والآية تنقض قول من يقول بأن جميع الطاعات إيمان، لأنه أثبت لهم اسم الإيمان دون إقامة الصلاة والزكاة بقوله: **الذين يؤمنون بالغيب**.

**﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣]**

وقوله: **ويقيمون الصلاة**، يحتمل وجهين؛ يحتمل الصلاة المعروفة، يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها، والخشوع والخضوع له فيها، وإخلاص القلب في النية على ما جاء في الخبر: «انظر مَن تُناجِي».[1] ويحتمل الحمد له والثناء عليه.[2] فإن كان المراد هذا[3] فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة.[4]

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون** من الأموال، يحتمل فرضًا ونفلاً. ويحتمل **ومما رزقناهم** من القوى في الأنفس وسلامة الجوارح **ينفقون** يعينون. ***والله أعلم***.

**﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٤]**

وقوله: **والذين يؤمنون بما أنزل إليك**، يحتمل وجهين؛ أي ما أنزل إليك من القرآن، ويحتمل ما أنزل إليك من الأحكام والشرائع التي ليس ذكرها في القرآن.

وقوله: **وما أنزل من قبلك**، يحتمل وجهين أيضًا؛ يعني الكتب التي أنزلت على سائر الأنبياء عليهم السلام، ويحتمل الشرائع والأخبار[5] سوى الكتاب.[6] ***والله أعلم***.

وقوله: **وبالآخرة هم يوقنون**، بمعنى[7] يؤمنون. والإيقان بالشيء هو العلم به، والإيمان هو التصديق؛ لكنه[8] إذا أيقن آمن به وصدق به لعلمه به، لأن طائفة من الكفار كانوا على ظن

---

[1] الخبر ورد بألفاظ مختلفة في *الموطأ* لمالك، الصلاة ٢٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٦/٢، ٣٧، ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، القدر ٧؛ وصحيح *مسلم*، الذكر والدعاء ٥١.

[2] أي إقامة الحمد لله تعالى والثناء عليه، من غير أن يقصد الأركان المعلومة للصلاة.

[3] أي المعنى الثاني، وهو الحمد والثناء.

[4] ك – ويحتمل الحمد له والثناء عليه. فإن كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة.

[5] ن: الأحكام.

[6] ن ع م: الكتب.

[7] ك: يعني.

[8] ك: لكن.

من البعث / كقوله: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ؛[1] فأخبر عز وجل عن حال هؤلاء [٥و] أنهم على يقين، ليسوا على الظن والشك كأولئك.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]

وقوله: **أولٰئك على هدى من ربهم.** قيل: على صواب[2] ورشد من ربهم. وقيل: إنهم على بيان من ربهم. لكن البيان ليس المؤمن أحق به من الكافر، لأنه يبين للكافر جميع[3] ما يحتاج إليه، إما من جهة العقل وإما من جهة السمع؛ فظهر بهذا أن الأول أقرب إلى الاحتمال من الثاني.

وقوله: **وأولٰئك هم المفلحون،** قيل فيه بوجوه.[4] قيل:[5] الباقون في نعم الله والخير. وقيل: الظافرون بحاجاتهم.[6] يقال: أفلح، أي ظفر بحاجته. وقيل: المفلحون هم السعداء. يقال: أفلح، أي سعد. وقيل: المفلحون [هم] الناجون. يقال:[7] أفلح، أي نجا. وكله يرجع إلى واحد، كقوله: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ.[8] وكل[9] واحد ممن[10] زحزح عن النار فقد فاز، ومن أُدخل الجنة فقد فاز.[11] فكذلك الأول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]

وقوله: **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون،** هذا -والله أعلم- في قوم خاصّ علم الله أنهم لا يؤمنون، فأخبر عز وجل رسوله بذلك، فكان كما قال؛ وفيه آية النبوة. ويحتمل أيضًا أنهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم،[12] كقوله: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

---

[1] سورة الجاثية، ٣٢/٤٥.
[2] ع: ما صواب.
[3] ن - جميع.
[4] ع: وجوه.
[5] ع - قيل.
[6] ن ع م: بحاجتهم.
[7] ع م: فقال.
[8] سورة آل عمران، ١٨٥/٣.
[9] ن ع م: كله.
[10] ع: من.
[11] ع م - ومن أدخل الجنة فقد فاز.
[12] «أي ويحتمل إجراء الآية على الإطلاق في صيغتها، وعلى هذا يكون تأويلها: إن الكفار لا يؤمنون ما داموا في كفرهم مختارين الكفر على الإسلام، وما دام يحلق فيهم اعتقاد الكفر وحبه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨ظ).

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[1] والكافرون[2] ما داموا كافرين ظالمون.[3]

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٧]

وقوله: **ختم الله على قلوبهم،** [فيه وجهان. الأول:] روي عن الحسن: إن للكافر حدًّا [في الغواية] إذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه أنه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن. وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين. أحدهما أن مذهبهم أن الكافر مكلف[4] وإن كان قلبه مطبوعًا عليه. والثاني أن الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في آخر عمره وبكل[5] من لا يؤمن أبدا، بلغ ذلك الحد أو لم يبلغ؛ فعلى ما يقوله الحسن إيهام أنه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك.[6] والمعتزلة يقولون: إن قوله **ختم وطبع**[7] يُعْلِم علامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل؛[8] ولكن عندنا خلْق ظلمة الكفر في قلبه.

والثاني،[9] خَلَق الختم والطبع على قلبه إذا[10] فعل فعلَ الكفر، لأن[11] فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا، فخلق ذلك الختم[12] عليه، وهو كقوله:[13] وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[14] أي خلق الأكنة، وغيره من الآيات.

---

[1] انظر: سورة البقرة، ٢٥٨/٢ وسورة آل عمران، ٨٦/٣.

[2] جميع النسخ: والكافرين.

[3] جميع النسخ: ظالمين.

[4] ك: إذًا مكلف.

[5] ع م: ولكل.

[6] ك – فعلى ما يقوله الحسن إيهام أنه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك؛ ن + الحد.

[7] ع م: وطبع، وختم.

[8] يقول علاء الدين السمرقندي موضحا قول الإمام: «وهو -يعني كلام الحسن- قول بعض المعتزلة، وهذا فاسد، لأنهم إن قالوا ذلك بأن الله ليس بعالم أنه لا يؤمن حتى يبلغ هذا الحد؛ فهذا قول بتجهيل الله تعالى وحدوث علمه، وهو باطل محال. وإن قالوا: إنه عالم أنه لا يؤمن، فما معنى قوله: يختم على قلبه إذا بلغ هذا الحدّ أنه لا يؤمن. وقال عامة المعتزلة: يعني قوله ختم الله، وطبع الله، أي أعلم بعلامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل. قال الفقيه: وهذا باطل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩و).

[9] ك ع:الثاني.

[10] م: إذ.

[11] م – فعل فعل الكفر لأن.

[12] ع – يعلم علامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه الثاني خلق الختم والطبع على قلبه إذا فعل فعل الكفر لأن فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا فخلق ذلك الختم.

[13] ك: قوله.

[14] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ (سورة الأنعام، ٢٥/٦)؛ وانظر كذلك: سورة الإسراء ٤٦/١٧.

والأصل في ذلك أنه ختم على قلوبهم لما تركوا التأمل والتفكر في قلوبهم فلم يقع،[١] وعلى سمعهم لِمَا لم يسمعوا قول الحق والعدل، خلق الثِقَل عليه، وخلق على أبصارهم الغطاء لما لم ينظروا في أنفسهم ولا في خلق[٢] الله ليعرفوا زوالها وفناءها وتغير الأحوال، [و]ليعلموا أن الذي خلق هذا دائم لا يزول أبدًا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٨]

وقوله: **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر**؛ إخبار عنهم[٣] أنهم قالوا ذلك بألسنتهم قولاً، وأظهروا خلاف ما في قلوبهم، فأخبر عز وجل نبيّه عليه الصلاة والسلام أنهم ليسوا بمؤمنين، أي بمصدقين بقلوبهم. وكذلك قوله: مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ،[٤] وكذلك قوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[٥] الآية. هذه الآيات كلها تنقض على الكرامية، لأنهم يقولون: الإيمان قول باللسان دون التصديق. فأخبر الله عز وجل عن جملة المنافقين أنهم ليسوا بمؤمنين لما لم يأتوا بالتصديق. وهذا يدل على أن الإيمان[٦] تصديق بالقلب. والكرّامية يقولون: بل هم مؤمنون.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٩]

وقوله: **يُخادعون الله** لا يقصد أحد قصد مخادعة الله، لكنهم كانوا يقصدون مخادعة المؤمنين وأولياء الله؛ فأضاف الله عز وجل ذلك إلى نفسه لعظم[٧] قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله. وهو كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[٨] والله لا يحتاج أن يُنصَر، ولكن[٩] كأنه قال: إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وهو كقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ،[١٠] والله لا يبايَع

---

[١] أي لم يقع التأمل والتفكر في قلوبهم.
[٢] ع: الخلق.
[٣] ن ع م: منهم.
[٤] سورة المائدة، ٤١/٥.
[٥] سورة النساء، ٦٥/٤.
[٦] ك: المراد.
[٧] ن ع م: لعظيم.
[٨] سورة محمد، ٧/٤٧.
[٩] ن: لكنه.
[١٠] سورة الفتح، ١٠/٤٨.

ولكن أضاف ذلك إلى نفسه لعظم[1] قدر نبيه وعلو منزلته عند الله[2] تعالى. فكذلك الأول أضاف مخادعتهم أولياءه إلى نفسه لعلوّ منزلتهم عند الله وقدرهم لديه. والمخادعة هو فعل اثنين، لخداع هؤلاء بحضور[3] المؤمنين، كذلك[4] معنى ذكر المفاعلة.[5] *والله أعلم*.

وقوله: **وما يخدعون إلا أنفسهم**، أي حاصل خداعهم ووباله يرجع إليهم. والثاني أنهم يظهرون[6] لهم الموافقة ليأمنوا، فلحقهم خوف دائم بذلك الخداع في الدنيا. **وما يشعرون**، أي ما يشعرون أن حاصل الخداع يرجع إليهم في الآخرة. والثاني ما يشعرون أن الله يُظهر ويُطلع نبيّه [على] ما أضمروه[7] في قلوبهم. *والله أعلم*.[8]

**﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١٠]**

وقوله: **في قلوبهم مرض**،[9] يقال: شك ونفاق. سَمّى عز وجل المنافقين[10] مرضى لاضطرابهم في الدين، لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف لهم بالقلب، فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحياة، إذ المريض يُشرِف -ربما- على الموت، ويرجو الإقبال منه ثانيًا، فهو مضطرب بين ذلك. فكذلك هم، لِما كانوا مضطربين في دينهم سماهم مرضى. وأما سائر الكفرة فإنهم لم يضطربوا في الدين، بل أظهروا بالقول [ما يدل] على ما أضمروا بالقلب، فسماهم موتى، لما لم ينتفعوا بحياتهم ولم يكتسبوا الحياة الدائمة؛ وسمى المؤمنين أحياء، لما انتفعوا بحياتهم واكتسبوا الحياة[11] الدائمة، لموافقتهم[12] باللسان والقلب جميعًا لدين الله عز وجل.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: لعظيم.
[2] ن - عند لله.
[3] ن ع: وبحضور؛ ك: والحضور.
[4] ن م: لذلك.
[5] ك: الفاعلية.
[6] ع م: يحضرون.
[7] جميع النسخ: ما أضمرواهم.
[8] ك ن ع - والله أعلم.
[9] ع م - مرض.
[10] ن - المنافقين.
[11] م: بالحياة.
[12] ع: موافقتهم.
[13] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنك لا تُسمع الموتى ولا تسمع الصمَّ الدعاءَ إذا وَلَّوا مدبرين =

/وقوله: **فزادهم الله مرضا**، اختلف في تأويله. قالت المعتزلة: هو التخلية بينهم وبين ما اختاروا. وأما عندنا فهو[١] على خلق أفعال زيادة الكفر والنفاق في قلوبهم. لما زادوهم في كل وقت من إظهار الموافقة للمؤمنين بالقول وإضمار الخلاف لهم بالقلب، خلق الله[٢] عز وجل تلك الزيادة من المرض[٣] في قلوبهم باختيارهم، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم في قوله: اِهْدِنَا.[٤] [٥ط]

وقوله: **وهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**، لأن عذاب[٥] الدنيا قد يكون ولا ألم فيه، فأخبر الله عز وجل أن عذاب الآخرة عذاب شديد عظيم، ليس كعذاب الدنيا.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[١١]**

وقوله: **وإذا قيل هم لا تفسدوا في الأرض**، بالمخادعة للمؤمنين، وإظهار الموافقة لهم بالقول، وإضمار الخلاف لهم بالقلب، والاستهزاء بهم عند الخلوة، والقول فيهم بما لا يليق[٦] بهم،[٧] وعبادة غير الله. وأي فساد أكبر من هذا؟

وقوله: **قالوا إنما نحن مصلحون**، بإظهار الموافقة بالقول.

**﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[١٢]**

وقوله: **ألا إنهم هم المفسدون**، أخبر تعالى[٨] أنهم هم المفسدون، لما أضمروا من الخلاف لهم، والمخادعة والاستهزاء بهم.

---

= وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠-٨١؛ وانظر: سورة الروم، ٣٠/٥٢-٥٣)، وقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/١٩-٢٢).

[١] ع م - فهو.

[٢] ن ع م - الله.

[٣] م: المرضى.

[٤] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (سورة الفاتحة، ١/٦).

[٥] ع: أن عذاب.

[٦] م: يليق.

[٧] ك - بهم.

[٨] ن ع م - من هذا وقوله قالوا إنما نحن مصلحون بإظهار الموافقة بالقول وقوله ألا إنهم هم المفسدون أخبر تعالى.

وقوله: **ولكن لا يشعرون**، أي لا يشعرون[1] أن حاصل ذلك يرجع[2] إليهم. والثاني لا يشعرون أن ما كانوا يفعلون[3] [هو] الفساد.[4] فإن كان هذا فهو ينقض قول من يقول بأن الحجة لا تلزم[5] إلا بالمعرفة -وهو قول الناس-[6] لأنه عز وجل أخبر بفساد[7] صنيعهم وإن لم يشعروا به. وهو كقوله أيضًا: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[8] أخبر بحبط الأعمال وإن كانوا لا يعلمون.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٣]

وقوله: **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس**، تحتمل[9] الآية أن تكون[10] في المنافقين، وتحتمل[11] [أن تكون] في أهل الكتاب. فإن كانت في المنافقين، فكأنّ قوله: آمنوا يا أهل النفاق في السر والعلانية كما آمن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية جميعًا. وهو كقوله: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا.[12] وإن كان في أهل الكتاب ففيه الأمر بالإيمان الذي هو إيمان، وهو التصديق. والإيمان عندنا هو التصديق بالقلب، دليله قول جميع أهل التأويل والأدب أنهم فسروا آمَنُوا: صدّقوا، في جميع القرآن.

وقوله: **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**، الآية؛[13] السفه هو ضد الحكمة، وهو العمل بالجهل

---

[1] ن - أي لا يشعرون.
[2] ع م: لا يرجع.
[3] م + يفعلونه.
[4] ك: إفساد.
[5] ع م: يلزم.
[6] ك ع م: الناشي. أي المعتزلة. يقول السمرقندي: «وهذه الآية حجة على المعتزلة في قولهم: إن التكليف لا يتوجه بدون العلم بالمكلف وبما كلف به، وإن الحجة لا تلزم بدون المعرفة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠ظ).
[7] ن ع م: لفساد.
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/٢).
[9] ن ع م: يحتمل.
[10] ع: يكون.
[11] ن ع م: يحتمل.
[12] سورة البقرة، ٢/١٣٧.
[13] ن - الآية.

على العلم أنه مبطل.[١] والجهل هو ضد[٢] العلم. والسفه هو الشتم، يقول الرجل لآخر: يا سفيه.

وقوله: **ألا إنهم هم السفهاء**، يقول بعض المتكلمين: إن هذا شتم من الله لهم جوابًا عن المؤمنين.[٣] ويستجيزون ذلك على الجواب، وإن لم يجز على الابتداء كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع ونحوه، فعلى ذلك هذا. وأما عندنا فهو غير جائز، لأن من يشتم[٤] آخر يُذم عليه، وهو عمل السفهاء. فأخبر عز وجل أنهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم أن دينهم الذي يدينون به باطل وأن الدين الذي يدين به المؤمنون حق.

وقوله: **ولكن لا يعلمون**، قيل فيه بوجهين. أحدهما، لا يعلمون أنهم هم السفهاء. والثاني، لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب لذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**[١٤]

وقوله: **وإذا لقوا الذين آمنوا** يعني أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم **قالوا آمنا**، أظهروا لهم[٥] الموافقة في العلانية، ويضمرون لهم الخلاف في السر.

**وإذا خلوا إلى شياطينهم**، قيل فيه بأوجه. قيل: إن شياطينهم يعني الكهنة، سموا بذلك لبعدهم عن الحق؛ يقال شَطَن أي بَعُد. وقيل: إن كل عاتٍ ومتمرد يسمى شيطانًا، لِعُتوّه وتمرده، كقوله: شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ؛[٦] سموا بذلك لعتوهم وتمردهم،[٧] إذ من قولهم: إن الشياطين أصلهم من الجن. وقيل: سموا بشياطين،[٨] لأنه كان مع كل كاهن شيطان يعمل بأمره، فسموا بأسمائهم، وذلك جائز، في اللغة جار. *والله أعلم*.

وقوله: **قالوا إنا معكم**؛ قيل: فيه وجهان: أي معكم في النصرة[٩] والمعونة. والثاني إنا معكم، أي على دينكم لا على دين أولٰئك. *والله أعلم*.

---

[١] ك ع م: يبطل.
[٢] ك: الضد.
[٣] ن: من المؤمنين.
[٤] جميع النسخ: شتم.
[٥] ع م: أنهم.
[٦] سورة الأنعام، ٦/١١٢.
[٧] شرح *التأويلات* ورقة ١١ظ.
[٨] ع م: شياطين.
[٩] ك ن م: النصر.

وقوله: **إنما نحن مستهزئون** بإظهار الموافقة لهم[1] في العلانية، وإظهار الخلاف لهم في السر.

**﴿اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٥]**

وقوله: **الله يستهزئ بهم**، قيل فيه بوجوه. قيل: أي يجزيهم جزاء الاستهزاء. وكذلك قوله: يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ،[2] أي يجزيهم جزاء المخادعة، وكذلك قوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ،[3] أي يجزيهم جزاء المكر؛ يُحمَل على الجزاء، لما لا يجوز إضافة المكر والخداع والاستهزاء مبتدأ إلى الله، لأنه مذموم من الخلق إلا على المجازاة، فكيف من الله.

وقال بعضهم: يجوز إضافة الاستهزاء إلى الله[4] وإن كان لا يجوز من الخلق أن يستهزئ[5] بعضهم [من] بعض؛[6] كالتكبر، يجوز لله ولا يجوز للخلق، لأن الخلق أشكالٌ بعضُهم لبعض وأمثال، والله عز وجل لا شكل له ولا مثل. وكذلك الاستهزاء، يجوز له ولا يجوز لغيره، لأن الاستهزاء هو الاستخفاف، فلا يجوز أن يَستخف[7] ممن[8] هو مثله في الخلقة وما خلق فيه[9] من الأحداث، والغِيَر.[10] والله تعالى يتعالى عن ذلك. والأول أقرب. ***والله أعلم***. أو أضاف[11] استهزاء المؤمنين بهم إلى نفسه، كما ذكرنا في المخادعة.

ثم اختلف في كيفية الاستهزاء. فقال الكلبي:[12] هو أن يُفتح لهم باب من الجنة فيدنون[13] منه، ثم يغلق دونهم، فإن ثبت ذا فهو كما قال.

---

[1] أي للمسلمين.
[2] ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).
[3] سورة آل عمران، ٥٤/٣.
[4] ك – لأنه مذموم من الخلق إلا على المجازاة فكيف من الله عز وجل وقال بعضهم يجوز إضافة الاستهزاء إلى الله.
[5] ع: يستهزئ.
[6] ك: بعضا.
[7] ن + عمن.
[8] ج: عمن.
[9] ع م: له.
[10] أي سمات النقص وآثار الحدث.
[11] م: وأضاف.
[12] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)؛ نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار، وأيام العرب، من أهل الكوفة، فيها مولده ووفاته. يقال: إنه كان من أصحاب عبد الله بن سبأ. انظر: *المعارف* لابن قتيبة، ٥٣٣؛ و*الفهرست* لابن النديم، ١٠٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٠٩/٤-٣١١؛ و*ميزان الاعتدال* للذهبي، ٥٥٦/٣-٥٥٩؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ١٥٨/٩.
[13] جميع النسخ: فيدنوا.

وقيل: إنه يُرفَع لأهل الجنة نور يمضون به، فيقصد أولٰئك المضيّ معهم بذلك النور، ثم يطفأ ذلك النور فيتحيرون، وهو قولهم: أُنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا.[١]

وقيل: أن يعطى لهم في الدنيا ما ينتفعون به من أنواع النعم ظاهرًا على ما أظهروا لهم / الموافقة في العلانية، ويحرم ذلك لهم في الآخرة بإضمارهم الخلاف لهم[٢] في السر. [٦و]

وقوله: **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** الآية، في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[٣] غير أن هذه في المنافقين والأولى في الكفرة. وهي تنقض على[٤] المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن الله لا يقدر أن يستنقذهم في حال الاختيار، وإنما يقدر [على] الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار، فأخبر عز وجل أنه يستنقذهم على فعل الطغيان.[٥]

وقوله: **ويمدهم [في طغيانهم يعمهون]**، أي يخلق فعل الطغيان فيهم. ويحتمل أن يخذلهم ويتركهم لما اختاروا من الطغيان إلى آخر عمرهم. ويحتمل أنه لم يهدهم[٦] و لم يوفقهم. [و]في هذا إضافة المد إلى الله وإضافة المد على الطغيان [إليه]، [و]لا يضاف إليه [شيء] إلا لمدح،[٧] والمدح يكون بالأوجه الثلاثة التي بيّنا.[٨] وفي هذا أنه إذا كان هو الذي يمدّهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الإيمان. فدل أن الله خالق فعل العباد، إذ من قولهم: إن القدرة التامة هي التي إذا قدر على شيء قدر على ضده. والعَمَه الحيرة في اللغة.

**﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١٦]**

قوله:[٩] **أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**، أي اختاروا الضلالة على المدعو إليه -وهو الهدى- من غير أن كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة. وهو كقوله:[١٠] يُخْرِجُهُمْ

---

١ سورة الحديد، ١٣/٥٧.
٢ ع م - لهم.
٣ سورة البقرة، ٦/٢.
٤ ع + عنى.
٥ أي باختيار منهم. ويبدو أن المؤلف يتحدث عن مشكلة أفعال العباد واستطاعتهم ويظهر وجهة نظره بمثال الاستنقاذ وإن كانت الآية في مد طغيان المنافقين.
٦ ع: لم يهديهم.
٧ ع م: المدح.
٨ انظر: ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾.
٩ ن ع: وقوله.
١٠ ن ع م: كقولهم.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[١] من غير أن[٢] كانوا فيه. فكذلك الأول، تركوا الهدى بالضلالة ابتداء.

وقيل: الضلالة الهلاك، أي اختاروا ما به يَهلِكون على ما به نجاتهم، وإن كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة. كقوله:[٣] فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[٤] لا يقدر أحد أن يصبر على النار، ولكن فما أصبَرَهم على عمل يستوجبون به النار. وكذلك قوله: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ،[٥] أي بئسما اختاروا ما به هلاك أنفسهم على ما به نجاتهم.

وفي هذه الآية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع،[٦] لأنهم ما كانوا[٧] يتلفظون باسم البيع، ولكن كانوا يتركون الهدى بالضلالة. وكل من ترك لآخر شيئًا له ببدل[٨] يأخذه[٩] منه فهو بيع، وإن[١٠] لم يتكلموا بكلام البيع. وكذلك قوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[١١] الآية. وهو على[١٢] بذل الأموال والأنفس له بالموعود الذي وعد لهم، وهو الجنة.

وقوله: **فما ربحت تجارتهم**، أي ما ربحوا بتجارتهم،[١٣] لأن التجارة لا تربح ولكن بالتجارة يُربَح،[١٤] وقد يسمى الشيء باسم سببه. وهو كقوله: جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[١٥] والنهار لا يُبصِر، ولكن بالنهار يُبصَر. وذلك شائع[١٦] في اللغة، جائز تسمية الشيء باسم سببه.

---

[١] ك: يخرجهم من الظلمات إلى النور ومن النور إلى الظلمات. سورة البقرة، ٢/٢٥٧.
[٢] ع م – أن.
[٣] ع: كقولهم.
[٤] سورة البقرة، ٢/١٧٥.
[٥] سورة البقرة، ٢/٩٠.
[٦] ك – بغير لفظة البيع.
[٧] ن ع: كانوا.
[٨] ن: يبذل؛ ع: ينذل.
[٩] ن م: بأخذ.
[١٠] ع م: فإن.
[١١] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[١٢] م – على.
[١٣] م: في تجارتهم.
[١٤] ع م – ولكن بالتجارة يربح.
[١٥] ك ن ع: وجعل النهار مبصرا. سورة يونس، ١٠/٦٧؛ وانظر كذلك؛ سورة المؤمن، ٤٠/٦١.
[١٦] ك: صائع.

ثم في قوله: **فما ربحت تجارتهم** نفي الربح دون نفي[١] الأصل في الظاهر. غير أن النفي على وجهين: نفي شيء يوجب إثبات ضده، وهو[٢] نفي الصفة، كقولك: "فلان عالم" نفيت الجهل عنه، و"فلان جاهل" نفيت العلم عنه. ونفي شيء[٣] لا يوجب إثبات ضده، وهو[٤] نفي[٥] الأعراض، لأنك إذا نفيت لونًا لم يوجب ضد ذلك اللون. وقوله: **فما ربحت تجارتهم** نفي الأصل، كأنه قال: بل خسرت تجارتهم، [و]أوجب إثبات ضده؛ دليله قوله: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ،[٦] ولَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[٧]

**﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١٧]**

وقوله: **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**، اختلف فيه. قيل: إنها نزلت في المنافقين، لأنها على إثر ذكر[٨] المنافقين، وهو قوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[٩] الآية. وقيل:[١٠] إنها نزلت في اليهود، لأنه سبق ذكر اليهود، وهو قوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[١١] الآية. ويحتمل نزولها في الفريقين جميعًا.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن هذا من المكتوم.[١٢] ولا[١٣] يحتمل ما قال، لأنه مَثل ضَرَبه[١٤] الله؛ والأمثال إنما تضرب لتُفهَم وتقرِّب إلى الفهم ما بعد منه، فلو حمل على ما قال لم يفهم مراده ولما[١٥] قرّب إلى الفهم شيئًا،[١٦] إلا أن يريد من المكتوم أنه لم يعلم فيمن نزل، فهو محتمل. *والله أعلم*.

---

[١] ع م – نفي.
[٢] ك ع: وهي.
[٣] م: الشئي
[٤] ك ع م: وهي.
[٥] ن + الصفة.
[٦] سورة البقرة، ٢/٩٠.
[٧] ن ع م: وبئسما ما كانوا يعملون؛ ك: وبئسما كانوا. سورة البقرة، ٢/١٠٢.
[٨] ك: ذلك.
[٩] سورة البقرة، ٢/١٤.
[١٠] ع م: قيل.
[١١] سورة البقرة، ٢/٦.
[١٢] يعني هذه الآية مكتومة، لا يمكن تفسيرها.
[١٣] ك ع م: فلا.
[١٤] ع: ضرب.
[١٥] ن ع م: وما.
[١٦] شرح *التأويلات*، ورقة ١٣و.

وقوله عز وجل: **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**، الآية، يحتمل أن يكون الإضافة إلى ما ذكر[١] من المنافقين بقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ،[٢] الآية، وقوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا،[٣] الآية، وذلك يخرج على وجوه. أحدها أنهم قصدوا قصد المخادعة بأولياء الله والاستهزاء بهم، ففضحهم الله بذلك في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا فبما[٤] هتك سترهم، وأطْلع على ذلك أولياءه،[٥] فعادت إليهم المخادعة، وعوقبوا بما أُطلع على ضميرهم وبما أرادوا بذلك الأمن، فأعقبهم الله خوفًا دائمًا، كما وصفهم الله: يَخْشَوْنَ النَّاسِ،[٦] الآية؛ وقال: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ،[٧] وقال: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[٨] وقال: فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ،[٩] الآية، وقال: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ،[١٠] الآية.

والثاني أن يكون[١١] طلبوا بإظهار الموافقة في الدين الشرفَ فيهم والعز، وكذلك عند الكفرة[١٢] بما أظهروا أنهم يخادعون بذلك[١٣] المؤمنين ويستهزئون بهم، فعلموا أنهم كذلك[١٤] يظهرون للمؤمنين ما لهم[١٥] معهم، فطردوا من بينهم، فقال الله: مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ،[١٦]

---

١ ع: من ذكر.
٢ سورة البقرة، ٢/٨.
٣ سورة البقرة، ٢/١٤.
٤ ك ن: بما؛ ع م: فيما.
٥ ن ع م: أولياؤه.
٦ يقول الله تعالى: ﴿فلما كُتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ (سورة النساء، ٤/٧٧).
٧ سورة المنافقون، ٦٣/٤.
٨ سورة محمد، ٤٧/٢٠.
٩ ﴿أشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٩).
١٠ ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٤).
١١ ك ع: أويكون؛ ن: أو أن يكون؛ م: أو يكونوا.
١٢ ن ع: الكفر.
١٣ ك: ذلك.
١٤ ك - بهم فعلموا أنهم كذلك.
١٥ ن ع: حالهم.
١٦ ﴿ألم تر إلى الذين تولّوا قومًا غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/١٤).

وقال: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾[١] الآية. فزال عنهم ما التمسوا من الشرف والعز وأُبدِل لهم به الهوان والذُّل. فمثلهم[٢] في ذلك مثل مستوقد نار ليستضيء بضوئها وينتفع بحرّها، فأذهب الله ضوءه،[٣] حتى ذهب ما كان يأمل من الاستنارة بها والانتفاع، وأعقبه الله تعالى خوف الاحتراق لو دَنا منها، وذهب عنه ما طلب بذلك من شرف / الوُقود في الأيام الشاتي[ة]، [٦ظ] أو ما يصلح بها من الأغذية بذهاب البصر. فيكون ذلك معنى قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾،[٤] و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛[٥] إذ عوقبوا بالخوف بما[٦] قصدوا به الأمن، والذّلِ بما طلبوا به العز، وكذلك مستوقد النار الذاهبُ نوره. **والله أعلم**.

وعلى ذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾،[٧] أي اختاروا الضلالة –لما رجعوا إلى شياطينهم– بالهدى الذي قد أظهروه عند المؤمنين. فيكون تحقيق[٨] استهزاء الله بهم ومخادعتُه إياهم فِعلَ أوليائه بهم بما أُخبروا من سرائرهم، وبما حَطُّوا أقدارهم، وذَلّوا في أعينهم؛ فأضيف ذلك إلى الله، إذ به فعلوا، كما أضيفت مخادعتهم المؤمنين إليه، إذ عن دينه خادعوهم. **والله أعلم**.

وعلى هذا التأويل أمكن أن يخرج قول من زعم أن الآية نزلت في الكافرين،[٩] أنهم كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما[١٠] وجدوا نعته في التوراة والإنجيل، أنه[١١] ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾،[١٢] الآية، وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾[١٣] إلى آخر السورة؛ وقال عز وجل:

---

[١] ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ (سورة النساء، ١٤٣/٤).

[٢] م – فمثلهم.

[٣] جميع النسخ: بضوئه.

[٤] ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).

[٥] سورة البقرة، ١٥/٢.

[٦] ك: عما.

[٧] سورة البقرة، ١٦/٢.

[٨] ع – تحقيق.

[٩] أي في اليهود والنصارى.

[١٠] ن ع م: بما.

[١١] ع: أن.

[١٢] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[١٣] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[1] وقوله: وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.[2] كانوا كمستوقد النار، أي طالب الوُقود ليستضيء به، فلما ظفر به أذهب الله نوره بعد معرفته[3] بمنفعة نور النار، فلم ينتفع به. فكذلك لِما كفروا عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدًا من أنفسهم وبغيًا؛ إذ كان من غيرهم أو خشية منهم على ملكهم ومأكلهم بعد العلم منهم بعظم[4] المنفعة فيه. ***ولا قوة إلا بالله.***

وأما في الآخرة [فـ]إنهم[5] قصدوا مخادعة المؤمنين وموالاتهم في الظاهر ومشاركتهم إياهم في المنافع نحو المغانم والتوارث والتناكح، وخالفوهم في الباطن. فكذلك الله أشركهم في المنافع الظاهرة[6] الحاضرة[7] في الدنيا، وخالفهم بمنافع دينه في الباطن الغائب وهي الآخرة؛ أراهم المشاركة مع المؤمنين في الدنيا، وصرفها عنهم[8] في الآخرة. فكما أروهم الموافقة في الظاهر مع المخالفة في الباطن، فكذلك[9] مستوقد النار أظهر من نفسه الرغبة في ضوئها بالإيقاد، وقد أذهب الله ضوء[10] بصره، فذهب عنه منفعته عند ظنه أنه يصل إليها؛ كالمنافقين في الآخرة، إذ ظنوا في الدنيا أنهم شركاؤهم في الآخرة[11] لو كانت، ولذلك قالوا: أُنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ،[12] وقوله: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[13] الآية. فذلك وجه الاستهزاء بهم والمخادعة،

[1] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وانظر أيضًا: سورة الأنعام، ٢٠/٦).

[2] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٨٩/٢).

[3] جميع النسخ: معرفتهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣ظ.

[4] ع م: بعضهم.

[5] ع م - إنهم.

[6] ن - الظاهرة.

[7] ك: الحاضرة الظاهرة.

[8] جميع النسخ: عنها.

[9] ك ن: وكذلك.

[10] جميع النسخ: بضوء.

[11] ع: الآخر.

[12] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).

[13] ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤)؛ وانظر كذلك: سورة الحديد، ١٤/٥٧.

أنه أشركهم في أحكام الدنيا وخالفهم[١] في أحكام الآخرة. وعلى[٢] ذلك اشتراء الضلالة بالهدى، على معنى اختيارهم ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم.

وعلى ذلك يخرج تأويل من صرف [الآية] إلى أهل الكتاب، لأنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، إذ آمنوا بكتبهم وقد كان فيها نعته الشريف.[٣] فلما وصلوا إلى منافع الإيمان بالبعث إليهم وشاهدوا كفروا به، فعوقبوا بحرمان منافع كتبهم وإيمانهم عند معاينة الجزاء، كما ردوا إيمانهم به عند المشاهدة. *والله أعلم*.

و[الثالث] روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ضم تأويل هذه الآية والتي[٤] تتلوها من قوله: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ، إلى قوله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ.[٥] وذلك –والله أعلم– أنهم قوم لا يعرفون الله حق المعرفة[٦] فيعبدونه بحق الربوبية له قِبَلَهم، ولا يؤمنون بالآخرة فيكون عملهم للعواقب، ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها، فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها. فإذا رأوا في دين الإسلام الغنائم والسَّلْوَة رأوا[٧] تجارتهم مربّحة فاطمأنوا بها، واجتهدوا بالسعي فيها. وإذا أصابتهم الشدة والبلايا رأوا تجارتهم مخسّرة فصرفوا إلى غير ذلك الدين. فمثلهم مثل المستوقد نارًا، إنه يجتهد في الإيقاد ما دام يطمع في نور النار ومنافع حرّها لمصالح[٨] الأطعمة. فإذا ذهب نور بصره أبغض النار بما يخشى من الاحتراق بالدنوّ منها، وما[٩] يذهب من منافع خفية إن لم يكن استوقد؛ كالمنافق فيما استقبله المكروه في الإسلام تمنى أن لم يكن أسلم قط. وذلك كقوله:[١٠] وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ،[١١] وقوله:

---

[١] ك: خالفهم.
[٢] ك ن ع – وعلى.
[٣] ك ن – الشريف.
[٤] ع: التي.
[٥] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[٦] م: معرفته.
[٧] ع م: أو.
[٨] ع: المصالح.
[٩] ع: ربما؛ ن م: بما.
[١٠] جميع النسخ: قوله.
[١١] ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يَوَدُّوا لو أنهم بادُون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٠/٣٣).

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا،[1] وقوله:[2] قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ،[3] وقوله: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا،[4] وكذلك البرق الذي يضيء يمشي المرء في ضوئه، وكذلك المنافق إذا رأى خيرًا في الإسلام مشى إليه، وإذا أظلم عليه قام متحيرًا حزينًا أن لا يكون اختار[5] السلوك. *والله الموفق*.

وقال[6] أبو بكر الأصم:[7] مَثَل من يظهر الإيمان فيما يتزين بنوره في الناس مثل مستوقد النار فيما يستضيء حول النار بنورها، ثم يُذهِب الله نوره في الآخرة، كما أذهب هو في السر [إيمانه]، وكذلك أذهب الله نور المستوقد، فيذهب به التزين بالنور حول النار. قال: وقيل: ذا لعنٌ [من الله]، كما يقال: أذهب الله نوره، أي الذي كان يظهره، فيبقى المنافق في ظلمات الآخرة، والمستوقد في ظلمات العَمَى والليل. ثم قال: جعل[8] الدعاء إلى الإسلام كالصيّب، وما فيه من الجهاد كظلمة[9] الليل، وما فيه من الغنيمة كالبرق، وجعل أصابعهم في الآذان[10] من سماع ما في الإسلام من الشدائد نحو جعل ذلك من الصواعق.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١٨]

[٧و س٢٥ *وقوله عز وجل: **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** يحتمل وجهين. أحدهما: صم،

---

[1] سورة آل عمران، ١٥٤/٣.
[2] جميع النسخ: وقولهم.
[3] ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ (سورة التوبة، ٥٠/٩).
[4] ﴿وإنّ منكم لَمن لَيُبَطِّئَنّ فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ (سورة النساء، ٧٢/٤).
[5] ع م: اختيار.
[6] ع: قال.
[7] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كَيْسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و «مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلّاف. وله أيضًا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣.
[8] ك – جعل.
[9] ن ع م: وكظلمة.
[10] ع: آذاهم.
* العبارة من هذه الآية وتأويلها حتى نهاية تأويل الآية رقم ١٩ قد وقعت في جميع النسخ بعد تأويل الآية رقم ٢٠، ربما لخلل في لوحات نسخة الأصل التي نُسخ منها النسخ التي بين أيدينا. فوضعناها مكانهما رعاية لترتيب الآي. انظر: نسخة م، ورقة ٧و/سطر٢٥ – ورقة ٧ظ/سطر٢٩.

لأنه ختم على آذانهم وعلى سمعهم وعلى قلوبهم، فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون. ويحتمل أنهم[1] صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم.

ثم اختلف في جواز إضافة لفظ الاستهزاء إلى الله تعالى. فأجازه قوم وإن كان ذلك قبيحًا من الخلق، لما قبح منهم بما لا أحد يستهزئ بأحد إما لجهله[2] أو لقبح[3] في الخلقة[4] إلا والمستهزئ [ب]نحو هذه قد يحتمل ذلك لولا إنعام الله عليه الذي قد أغفل عنه[5] باشتغاله بما ذكر، مع ما[6] لعل الإغفال من هذا أوحش وأقبح[7] من حال المستهزإ[8] به. ولذلك قال عز وجل: لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ،[9] الآية. وذلك نحو التكبر،[10] إنه قبيح من الخلق، بما لهم أشكال في الحدث وآثار الصنعة، واحتمال كل منهم بما احتمل غيره. وجائز إضافته إلى الله تعالى لتعاليه[11] عن الأشباه والأشكال،[12] وإحالة[13] احتمال ما احتمل غيره؛ وبه يقول الحسين[14] النجار.

وأبى قوم ذلك[15] إلا على إثر أحوالٍ تصرف[16] فهم السامع إلى معنى الاستهزاء، نحو أن يذكر على إثر فعل له جزاءً، فيفهم[17] منه جزاء الاستهزاء، كذكر السيئة في الجزاء والمكر ونحو ذلك.[18]

---

[1] ع م: أنه.
[2] ن ع م: إما بجهله.
[3] م: أو بقبح.
[4] ك + أو لزيادة في الخلق؛ ن + أو الزيادة في الخلق.
[5] ك + أو لدناءة في الخلق.
[6] ك ن: مما لعل.
[7] ن ع م + به.
[8] جميع النسخ: المستهزئ.
[9] سورة الحجرات، ١١/٤٩.
[10] ع: التكبير.
[11] ن ع: تبعا إليه.
[12] ن: عن الأشكال والأشباه.
[13] ع م: وإحاطة.
[14] جميع النسخ: حسين. هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجّار الرازي، (ت نحو ٢٢٠هـ/٨٣٥م): رأس الفرقة النجارية، وإليه نسبتها. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ٢١٦/١، ٥٣٤، ٥٤١؛ و*الفهرست* لابن النديم، ٢٢٩/١؛ و*التبصير في الدين* للإسفراييني، ١٠١/١؛ و*الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٧-٢١٨؛ و*الملل والنحل* للشهرستاني، ٧٥/١.
[15] أي أبى جواز إضافة لفظ الاستهزاء إلى الله تعالى.
[16] ن: التصرف.
[17] م: ففيهم.
[18] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ (سورة يونس، ٢٧/١٠)، وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة آل عمران، ٥٤/٣).

ثم يخرج ما نحن[1] فيه على أوجه. أحدها ما بيّنا. والثاني ما ينسب إليه فعل المأمور،[2] نحو قول المؤمنين للمنافقين في الآخرة:[3] اِرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ،[4] وقول أهل الجنة ودعائهم أهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبي، وقول الملائكة: فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ،[5] وغير ذلك.

**﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[١٩]

ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ظلمات كفرهم بقلوبهم، إذ[6] أظهروا الإيمان أولاً. والثاني المتشابه في القرآن، وهو الذي تعلق به كثير من المشركين، حتى نزل قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ،[7] الآية. والثالث ما في الإسلام من الشدائد / والأفزاع [٥٧ظ] من الجهاد والحدود وغير ذلك.

وأمكن صرف الأول والآخر إلى الفريقين –الكافر[8] والمنافق– وصرف تأويل المتشابه إلى الكافر. على أنا بيّنا أن لكل من ذلك حظا.[9] ويدل آخر الآية –وهو قوله: **والله محيط بالكافرين**– على أن المَثَل لهم،[10] لأن[11] المنافق[12] شريكهم في الكفر. ***والله الموفق.***

---

[1] جميع النسخ: فيما نحن.

[2] لعل الإمام رحمه الله يقصد فعل الذي يُسأل منه شيء ويُرجى، فيجيب بأسلوب السائل وكلماته؛ فيقول مثلا لمن سأل وأراد أن يقتبس من نوره: ارجع وراءك فالتمس نورا ولا تلتمسه مني.

[3] ع: الآخر.

[4] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات لذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).

[5] ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٩-٥٠).

[6] جميع النسخ: إن.

[7] ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (سورة آل عمران، ٣/٧).

[8] ع: والكافر.

[9] ن م: خطاء.

[10] أي للكل.

[11] ن ع: إلا أن.

[12] ك: المنافقين.

وجائز أن يكون المثل المضروب بالآية إنما هو للقوم الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا قبل بعثه صنفين. صنف ينتحل الكتاب الذي هو عندهم مما[1] جاء به[2] الرسل، لكن[3] أئمتهم قد غيروا ما في كتبهم من دين الله وأحكامه، حتى عطّلوا[4] ذلك، وأبدعوا غير الذي جاءت به الرسل من الدين والأحكام. بيّن ذلك قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا،[5] الآية، وقوله: قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ،[6] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ،[7] الآية. ومنهم من أبدع الكتاب ونسبه[8] إليهم،[9] كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ،[10] الآية، تُبيّن[11] ما ظهر من التفرق فيهم ومن القول في أنبيائهم وفي الله[12] سبحانه. ومعلوم أن دين الرسل واحد غير مختلف. وبما كان من الفترة اندرست الكتب، وذهبت الرسوم، فصاروا في ظلمة الضلالة وحيرة الزيغ، وتاهوا في سبيل الشيطان، وانقطع من بين أظهرهم[13] الأئمة الذين يوثق بهم في الدين، بما ليس لأحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الأنبياء والاعتصام بكتبهم، إذ كلهم يدّعي ذلك، وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض الذي لا تحتمله[14] الحكمة، ولا يصبر[15] عليه العقل.

---

[1] ع: بما.
[2] ع – به.
[3] ع م: لكنهم.
[4] ع م: غلطوا.
[5] ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولٰئك لهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ١٠٥/٣).
[6] ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (سورة المائدة، ١٥/٥).
[7] ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (سورة الأنعام، ١٥٩/٦).
[8] ن ع م: نسب.
[9] ع: إليكم. أي إلى الرسل.
[10] ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٧٨/٣).
[11] أي هذه الآيات.
[12] ع: والله.
[13] م: أظهر.
[14] ن ع: يحتمله.
[15] ع: يصير.

وصنف لا ينتحل[1] الكتاب، ولا يؤمن بنبي[2] من الأنبياء، بل يعبدون الأوثان والنيران والأحجار، وما يهوون مما لا يملك[3] الضرر ولا النفع. وليس[4] لهم شرع، بل هم حَيارَى، لا يعرفون معبودًا، ولا يبصرون طريقًا، وليس فيهم من إذا فزعوا إليه دلّهم على المحجة، وأطلعهم[5] على الحق، بل هم في الضلالة تائهون،[6] وفي الظلمات متحيرون.[7]

فأحوج الفريقين جميعًا ما حلّ بهم من الحيرة والتيه إلى من يَشفيهم من داء الضلالة بنور الهدى، ومن ظلمة الاختلاف بضياء[8] الائتلاف، ويخرجهم من سبيل الشيطان إلى سبيل الله، ويدلهم على معرفة المعبود الحق، لئلا يتخذوا من دونه أربابًا. فبعث إليهم عند شدة حاجتهم رسولاً، وأكرمهم بما أراهم من الآيات التي يُعْلمهم [بها] أنه أنعم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة إن هم أطاعوه وشكروا نعمة الله.

فكانوا كقوم بُلُوا بظلمات الليل والسحاب، فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم، وتعذر عليهم الوجه في وضع أقدامهم، فتاهوا، فدفعهم التيه[9] إلى استيقاد النار ليبلغوا حوائجهم ويأمنوا العطب في وضع الأقدام. وكقوم بُلوا في شدة الجوع والعطش لضيق الزمان وجَدْبِه، فاستغاثوا بمن يملك كشف ذلك عنهم، فأغاثهم بالمطر. ثم منهم من عرف نعمة من أنعم عليهم بالوُقود، وأغاثهم بالمطر، فتلقوا نعمه[10] بالشكر، فنجَوا بذلك، فما خَشُوا من الهلاك، ووصلوا إلى حوائجهم بالنار والمطر. وذلك مَثَلُ من اتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم، وعرف نعم الله فشكره.[11] ومنهم من تلقى نور النار بالكفران والجهل بالمنعِم به عليه، ونسي ما كان عليه،[12] وهو قوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ،[13]

---

[1] ن ع: لا يحمل.
[2] ن: برسول.
[3] ن: أحد.
[4] ن: ليس؛ ع – وليس؛ م: ولا.
[5] جميع النسخ: لا أطلعهم.
[6] ن ع م: تائهين.
[7] ن ع م: متحيرين.
[8] م: بصيت.
[9] ن: التة.
[10] ع: نعمة؛ م: نعمته.
[11] ن ع م: وشكره.
[12] ع م – ونسي ما كان عيه.
[13] ك: الضر. ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادًا ليضل عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٨).

آياتُ فيها ذكر ما بينت؛[١] وقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ،[٢] الآية، فأذهب الله نوره، فلم ينتفع بنور النار، ولا وصل إلى حاجته التي بها تقضَى. وذلك مثل الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لم ينتفعوا به، ولا قضوا حاجاتهم،[٣] بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة، كمستوقد النار إذا ذهب بصره. وكذلك قوم بُلوا بالسلوك[٤] في الطريق عند شدة الظلمة، ولم يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذي جُعل لهم لوضع أقدامهم[٥] بنور البرق، فأُذهب نوره وسكن لمعان البرق، فعاد الغياث له هلاكًا، والمطر الذي [هو] رحمة[٦] عليه بلاء. فمثله من كابر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرض[٧] عن الاستماع إليه. **ولا قوة إلا بالله**.* ٧ظ س٢٩

**﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٢٠]

**يكاد البرق يخطف أبصارهم**، أي ما في الإسلام من الغنيمة يدعوهم إليه. **وإذا أظلم / عليهم** بالشدائد قَامُوا وصُدّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. **ولو شاء الله لذهب** [٧و] بما ذكر، أي أصمّهم وأعماهم. وروي عن الضحاك[٨] عن ابن عباس رضي الله عنه: إن ضوء البرق والنار ليسا بدائمين، فشبه به إيمان المنافق أنه عن سريع يزول.

وقال القُتَبي:[٩] كان المنافق[١٠] في ظلمة الكفر فاهتدى بما أُعطي من النور، كمستوقد النار

---

[١] ع: ثبت؛ ن: يثبت.

[٢] ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٦٧).

[٣] ك: حاجتهم.

[٤] ع: في الشكوك؛ م: في السلوك.

[٥] ن – أقدامهم.

[٦] ك: وجهه.

[٧] ع م: اعترض.

[٨] ع م – عن الضحاك. هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م)؛ مفسّر، روى عن كثير من الصحابة، وقيل: لم يثبت سماعه لأحد من الصحابة. له كتاب في التفسير. انظر: *ميزان الاعتدال* للذهبي، ٢/٣٢٥-٣٢٦؛ و*سير أعلام النبلاء* له أيضا، ٤/٥٩٨-٦٠٠.

[٩] القُتَبي نسبة إلى قتيبة. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)؛ من أئمة الأدب ومن المصنفين في ميادين شتى. له مؤلفات في الأدب، والتفسير، والحديث، والسياسة، وغيرها من العلوم. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٨٥-٨٦؛ و*اللباب* لابن الأثير، ٣/١٥؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ٢/١٤٣-١٤٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣/٤٢-٤٤.

[١٠] م – المنافق؛ ع – أنه عن سريع يزول وقال القتبي كان المنافق.

[المستنير] بنوره في ظلمة الليل. وكذلك السالك في ظلمة الليل، فلما ذهب نوره أو سكن لمعان البرق رجع إلى ما فيه من الظلمة.[1]

والأصل في هذا الباب أن الله تعالى خلق هذه الدار لمحنة[2] أهلها وجعل لهم دارًا يجزيهم فيها، مما لولا هي لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثًا، إذ يكون خلق الخلق للفناء بلا عواقب لهم، وذلك عبث في العقول؛ لأن كل ساعٍ[3] فيما لا عاقبة له عابث، وفيما لا يريد معنى يكون[4] في العقل هازل. ولذلك قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[5] فإذا كان كذلك صارت هذه الدار دليل الأخرى؛ فعلى ذلك ضرب للأخرى مثلاً بالمعروف من هذه، إذ بهذه عرفت تلك، ولهذا خلق الله الممتحَنين بحيث يألمون ويتلذذون، ليعرفوا قدر الآلام التي بها أُوعدوا، واللذات التي فيها رُغّبوا.

فعلى ذلك ضرب الله مثَلَ من عَمِيَ عن الآخرة وصَمَّ عن سماع ما يرغَّب فيها أو عمى عن أمر الله ونهيه، بأن[6] ألحق بالأعمى والأصم والميت ونحو ذلك لذهاب منافع البصر والسمع والحياة، إذ هي مخلوقة لِيُعرَف بها ما غاب[7] عنها بالتأمل والتدبر. فإذا غفل[8] عن ذلك سمي بالذي ذكرنا، وبيّنا أنه لولا الآخرة ودار الجزاء لم يكن[9] لِخلْق[10] شيء من ذلك حكمة نعقلها نحن.

فعلى ذلك ضرب [المثل] لذهاب نور القلب الذي به يبصر العواقب وينتفع بها[11] بذهاب نور البصر في زوال منافع الدنيا مما يتصل بنوره. وكذلك أمر السمع وغيره. فكان على ذلك أمكن إخراج المَثَلَيْن جميعًا على الكفرة والمنافقين.

---

[1] *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٢.
[2] ك: لأجل محنة.
[3] ن ع: سارع.
[4] ن ع م: يكون معنى.
[5] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[6] جميع النسخ: أو.
[7] ن: غابت.
[8] ك ن ع: أغفل.
[9] ع: لم يحق كل.
[10] ن: يخلق.
[11] جميع النسخ: فيها.

أما المنافق فإذا ذهب نور حقيقته عنه، وهو نور البصر، لم ينتفع بنور النار[١] على قيام النار بنورها لكل ذي بصر، وكذلك سائر منافع النار. فمثْله إذا ذهب عنه نور بصر القلب وحياتُه لم ينتفع بنور الآخرة وجزائها. وكذلك الذي ذهب عنه ضوء البرق يبقى متحيرًا، إذ به يبصر الطريق، كمن يذهب عنه بصر القلب، إذ به يبصر عواقب الأشياء. بل الذي قصد[٢] السلوك[٣] بالبرق،[٤] والاستضاءة[٥] بنور النار، إذا[٦] ذهب[٧] كان أعظم حسرة وأشد خوفًا من النار وشدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء نفع النار أو البرق، ويكره المطر على شدة رغبته فيه، والنار بما ذهب منه. وكذلك المنافق في الآخرة إن لم يكن منه ما أظهر، إذ به يُرَدُّ إلى درك الأسفل [من النار].[٨] *ولا قوة إلا بالله*.

وكذلك الكافر لم يبصر بما أعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر، ولم[٩] يسمع بما أنعم عليه من السمع عواقب السمع، إذ حق ذلك أن يؤدي[١٠] ما أدركه إلى العقل ليعتبر به، أنه لم يُخلَق شيء من ذلك بالاستحقاق، ولا[١١] يحتمل عقله[١٢] الإحاطة بكنه ما فيه من الحكمة، فيعلم عظم نعمة الله وخروج مثله عن العبث،[١٣] فيقوم بأداء شكره، وبذلك يصير به إلى الجزاء في[١٤] العواقب. *ولا قوة إلا بالله*.* [٧و س٢٥]

---

[١] ك: النور.
[٢] ك + قصد.
[٣] ن ع: السلول.
[٤] ع: والبروق؛ م: بالبروق.
[٥] ك: أو الاستضاءة.
[٦] ك ن ع: وإذا.
[٧] أي كل من البرق وإضاءة النار.
[٨] لعل الماتريدي يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾ (سورة النساء، ١٤٥/٤).
[٩] جميع النسخ: ولا.
[١٠] ك ع م + ذلك.
[١١] ع م: لا.
[١٢] ك: بعقله.
[١٣] ع: من العبث.
[١٤] ك: به و.
* ورد تأويل الآية ١٨ والآية ١٩ في جميع النسخ هنا، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٧و/سطر ٢٥- ورقة ٧ظ/ سطر ٢٩.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢١]

وقوله: **يا أيها الناس اعبدوا ربكم**، فالخطاب[١] يحتمل الخصوص والعموم.[٢]

وقوله: **اعبدوا**، وحّدوا[٣] ربكم. جعل العبادة عبارة عن التوحيد، لأن العبادة التي هي لله لا تكون ولا تخلص[٤] له إلا بالتوحيد. ويقال: **اعبدوا**،[٥] أي[٦] اجعلوا عبادتكم لله، لا تعبدوا غيره. [والخطاب] في كلا التأويلين يرجع إلى الكفرة. ويقال: أُعْبُدُوا، أي أطيعوا له. والعبادة[٧] جعل العبد كليته لله قولاً وعملاً وعقداً، وذلك[٨] التوحيد والإسلام.[٩] والطاعة ترجع[١٠] إلى الائتمار، لأنه يجوز أن يطاع غير الله ولا يجوز أن يعبد غير الله، لأن كل من عمل بأمرِ آخرَ فقد أطاعه، كقوله: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ،[١١] ولا كل من عمل بأمر آخر فهو عابد له. ***وبالله نستعين.***

ثم بين الذي أمر بالتوحيد إياه[١٢] وبالعبادة[١٣] له خالصًا فقال: **الذي خلقكم والذين من قبلكم**. والذين تعبدونهم[١٤] لم يخلقوكم،[١٥] ولا خلقوا،[١٦] الذين من قبلكم،[١٧] فكيف تعبدونهم دون الذي خلقكم؟ ***وبالله***[١٨] ***التوفيق.***

---

[١] ك ن م: فالخطاب يا أيها الناس.

[٢] « فإن كان المراد من العبادة التوحيد يكون خطابا في حق الناس كافة. وإن كان المراد منها الأعمال المعروفة فذلك خطاب في حق المؤمنين البالغين الذين استجمعوا شرائط التكليف خاصة، إذ الكفار غير مخاطبين بالعبادات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤و).

[٣] ع – وحدوا.

[٤] ن ع م: يخلص.

[٥] ك م + أي أطيعوا له.

[٦] ع + أطيعوا له والعبادة جعل العبد أي.

[٧] ن + له.

[٨] ن ع م: كذلك.

[٩] ن – التوحيد والإسلام.

[١٠] ن ع م: يرجع.

[١١] سورة النساء، ٥٩/٤.

[١٢] ع م – إياه.

[١٣] ن ع م: العبادة.

[١٤] ن ع م: تعبدونه.

[١٥] ن ع م: لم يخلقكم.

[١٦] ن ع م: ولا خلق.

[١٧] ك – والذين تعبدونهم لم يخلقوكم ولا خلقوا الذين من قبلكم.

[١٨] ع م: بالله.

وقوله: **لعلكم تتقون** يحتمل وجهين. يحتمل: تتقون[١] المعاصي والمناهي والمحارم التي حرم الله عليكم؛ فإذا كان هذا[٢] هو المرادَ فذلك راجع إلى المؤمنين. ويحتمل قوله: **تتقون** الشرك وعبادة غير الله، فذلك راجع إلى الكفرة.

{قال الشيخ:[٣]} الأحسن في الأمر بالتقوى والتوحيد أن يجعل عامًا، وفي الحبر عن التقوى خاصًا.

**لعلكم** أي كي **تتقون.**

**﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٢]**

وقوله: **الذي جعل لكم الأرض فراشا**، بيّن ذات[٤] الذي أمر بالتوحيد له، وتوجيه العبادة /إليه، وإخلاص النية له،[٥] فقال: الذي فرش لكم الأرض لتنتفعوا[٦] بها وتقضوا حوائجكم فيها [٨ر] من أنواع المنافع: من المنام عليها واتخاذ المستقر والمسكن فيها. **والسماءَ بناء**، أي رفع السماء بناء.[٧] والسماء كل ما علا وارتفع، كما[٨] يقال لسقف البيت سماء، لارتفاعه. وسمي[٩] السماء بناء، وإن كان لا يشبه بناء[١٠] الخلق، حتى يعلم أن البناء ليس اسم ما يبني[١١] الناس خاصة.

ثم بين بقوله: **وأنزل من السماء ماء**، أي وجِّهوا العبادة إلى الذي ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم، ولا تعبدوا من تعلمون أنه لم يخلقكم ولا أنزل لكم من السماء ماء ولا أخرج لكم من ذلك الماء ثمرات تكون رزقًا لكم؛ بل هو الله الواحد الذي لا شريك له، ولأنه يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقًا تأكلونه، وماءً عذبًا تشربونه.

---

[١] ع م: يتقون.
[٢] ن - هذا.
[٣] ك - قال الشيخ.
[٤] ك: اتقاء؛ ن ع: أنه.
[٥] ك: إليه.
[٦] جميع النسخ: فتنتفعوا.
[٧] ع م - أي رفع السماء بناء.
[٨] م + كما.
[٩] ن ع: وسماء؛ م: وسما.
[١٠] ك: ببناء.
[١١] ك ع: يسمي.

وفي الآية دلالة أن المقصود في خلق السماء والأرض وإنزال الماء منها[1] وإخراج هذه الثمرات وأنواع المنافع بنو آدم، وهم الممتحَنون فيها،[2] بدلالة قوله **جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**، وما ذكر من المُخْرَج والمنزل منها، وما ذكر في آية[3] أخرى: وَسَخَّرَ لَكُمْ [مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ]مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ؛[4] ومنه سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،[5] وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ،[6] مما يكثر ذلك من الآيات، أضاف ذلك كله إلينا.

ثم جعل عز وجل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بعد ما بينهما من المسافة، حتى لا تُخرج[7] الأرض شيئًا إلا بما ينزل من السماء من الماء، ليعلم أن منشئ السماء هو[8] منشئ الأرض، لأنه لو كان منشئ هذا غير منشئ الآخر لكان لا معنى لاتصال منافع هذا بمنافع الآخر على بُعد ما بينهما، ولَتُوُهِّم كون الاختلاف من أحدهما للآخر. فإذا كان كذلك، دل على[9] أن[10] مُنشئهما واحد، لا شريك له ولا نِدّ.

ثم زعم قوم أن الأشياء كلها حِلّ لنا طِلْق، غير محظور علينا، حتى يجيء ما يُحظَر؛[11] فاستدلوا بظاهر هذه الآية بقوله: **[فأخرج به من الثمرات] رزقا لكم**، وبقوله: كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا.[12] وقال آخرون: لا يدل ذلك على الإباحة،[13] وذلك أن الأشياء لم تصر لنا من كل الوجوه، فهو على الحظر حتى تجيء الإباحة؛ ولأن الأشياء لا تحل إلا بأسباب تتقدم، فظهر الحظر قبل وجود الأسباب، فهو على ذلك، حتى يجيء[14] ما يُحل ويبيح. أو أن يقال: خلق هذه الأشياء لنا محنة امتُحنّا بها، أو فتنة فُتنا بها، كقوله:

---

[1] م: فيها.
[2] ع م - فيها.
[3] ع: آية.
[4] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[5] سورة إبراهيم، ٣٣/١٤؛ وسورة النحل، ١٢/١٦.
[6] سورة إبراهيم، ٣٢/١٤.
[7] ع م: يخرج.
[8] ع: من.
[9] ن - على.
[10] ع م - أن.
[11] قال السمرقندي: «وهو قول المعتزلة تعلقا بهذه الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤ظ).
[12] سورة البقرة، ١٦٨/٢.
[13] وقد نسب السمرقندي هذا القول إلى عامة متكلمي أهل الحديث وفقهائهم. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٥و.
[14] ع: تجيء.

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[1] وكقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[2] الآية. ولأن في العقل ما يدفع حمل الأشياء كلها على الإباحة، لما في ذلك فساد الخلق وتفانيهم. فبين لكل[3] منهم مِلكًا على حِدَة بسبب يكتسب به، لئلا يحملهم على التفاني والفساد. *وبالله نستعين*.

وقوله: **فلا تجعلوا لله أندادا**، أي أعدالاً وأشكالاً في العبادة، وكله واحد؛ نِدّ الشيء هو عِدله، وشكله هو مثله.

وقوله: **وأنتم تعلمون**، أن لا نِدّ [له] ولا عِدْل ولا شكل لما أراكم من إنشاء هذه الأشياء، ولم تروا [من] ذلك ممن تعبدونه شيئًا. والثاني **وأنتم تعلمون** لما أنشأ فيكم من الأشياء[4] ما لو تدبرتم وتفكرتم وتأملتم علمتم أنه لا ندّ له ولا شكل له، كقوله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[5]

**﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا من القرآن**، أنه مختلَق مفترًى، وأنه ليس منه[6] [تعالى]، كقولهم:[7] إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[8] وقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[9] وَمَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ.[10]

وقوله: **فأتوا بسورة من مثله، أي ائتوا**[11] أنتم بمثل ما أتى هو، إذ أنتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان، ليس[12] هو أولى بذلك منكم، أعني في الاختلاق.

---

[1] ك + فُتنا ها. سورة الأنفال، ٢٨/٨؛ وسورة التغابن، ١٥/٦٤.
[2] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).
[3] ن ع م: بكل.
[4] ك: الإنشاء.
[5] سورة الذاريات، ٢١/٥١.
[6] ن ع م: منهم.
[7] ع: كقوله.
[8] سورة ص، ٧/٣٨.
[9] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[10] سورة القصص، ٣٦/٢٨.
[11] ع: ائتوني.
[12] ع م – ليس.

وقوله: **وادعوا شهداءكم من دون الله [إن كنتم صادقين]**، أي استعينوا بآلهتكم الذين تعبدون من دون الله، حتى تعينكم[1] على إتيان مثله إن كنتم صادقين في مقالتكم أنه مختلق مفترى. ويقال: وادعوا شهداءكم، يعني شعراءكم وخطباءكم ليعينوكم على إتيان مثله. ويقال: وادعوا[2] شهداءكم [من أهل الكتاب ليشهدوا] من التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل السالفة [على] أنه مختلق مفترى.

**﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢٤]**

وقوله: **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**، يحتمل وجوهًا. يحتمل أنهم أقروا[3] على إثر ذلك[4] بالعجز[5] عن إتيان مثله من غير تكلف ولا اشتغال كان منهم، لما دفع عز وجل عن أطماعهم إتيان مثله نظمًا، لا اجتهدوا كل جهدهم و[لا]تكلفوا كلَّ طاقتهم على إطفاء النور، ليخرج قولهم على الصدق بأنه مختلق مفترى، ويظهرَ كذب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كلام[6] رب العالمين. فدل إقرارهم بالعجز عن إتيان مثله وترك اشتغالهم بذلك أنه كلام رب العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة**، الوَقود بالنصب هو الحطب، وبالرفع هو النار. أخبر عز وجل أن حطبها الناس، كلما احترقوا أعيدوا وبُدّلوا، كقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا.[7] والحجارة فيه وجهان. قيل: هي الكبريت. وقيل: الحجارة بعينها لصلابتها وشدتها، [فهي] أشد احتراقًا وأكثر إحماءً.

وقوله: **أعدت للكافرين**، في الآية دلالة أنها لم تُعدّ لغير الكافرين. وهي تنقض على المعتزلة قولهم، حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار و لم يطلقوا له اسم الكفر،[8] وفي زعمهم[9]

---

[1] جميع النسخ: تعين لكم.
[2] ن م: ادعوا.
[3] ك: أروا؛ م: افتروا.
[4] أي على إثر تحدي النبي صلى الله عليه وسلم إياهم بذلك.
[5] ن ع م: العجز.
[6] ك: ككلام.
[7] سورة النساء، ٥٦/٤.
[8] ن ع م: الكفرة.
[9] ع م: وفي رعمهم.

أنها أعدت / للكافرين أيضًا، وإن كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها، وأوزارٍ حملها، وفواحشَ [٨ظ] تَعاطاها. وذلك أن الله يعذب من يشاء بما شاء، وليس إلى الخلق الحكم في ذلك لقوله:[١] وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.[٢] فإن قالوا: إن[٣] أطفال المشركين في الجنة، والجنة لم تُعَدَّ لهم وإنما أعدت للمؤمنين، ثم جاز دخول غيرهم فيها وتخليدهم، وكذلك النار، وإن كانت[٤] معدة للكافرين، جاز لغير الكافر التعذيب والتخليد فيها، كقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ،[٥] الآية، شَرَط الكفر بعد الإيمان. ثم من نشأ[٦] على الكفر، والذي كفر بعد الإيمان سواءٌ في التخليد. فكذلك مرتكب الكبيرة والكافر سواءٌ في التخليد.

فيقال لهم: إن كل كافر تشهد[٧] خلقته على وحدانية[٨] ربه،[٩] فإذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتياد[١٠] فصار [حاله] ككفر بعد الإيمان لأنه لم يكن مؤمنًا ثم كفر. وأما قولهم في الأطفال فإنهم إنما أُخلِدوا [في] الجنة جزاءً لهم من ربهم. ولله أن يعطي الجزاء من شاء بلا فعل ولا صنع كان منه فضلاً وكرامةً، وذلك في العقل جائز: إعطاء الثواب بلا عمل[١١] على الإفضال والإكرام. وأما[١٢] التعذيب فإنه غير جائز في العقل بلا ذنب يرتكبه. ***والله أعلم.***

**﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٥]**

وقوله: **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، الآية تَنقض قول من جعل جميع الطاعات إيمانًا، لما أثبت لهم اسم الإيمان دون الأعمال الصالحات، غير أن البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم

---

١ ك ن ع: كقوله.
٢ سورة الكهف، ٢٦/١٨.
٣ ع – إن.
٤ ك: كان.
٥ سورة آل عمران، ١٠٦/٣.
٦ ع م: ينشأ.
٧ ن ع: يشهد.
٨ ك: وحدانيته.
٩ ن: الله.
١٠ ك: الاعتناد؛ ن: الاغتياد.
١١ ك ن: فعل؛ ع – عمل.
١٢ جميع النسخ: فأما.

إنما أثبت بالأعمال الصالحات. ويحتمل الأعمال الصالحات عملَ القلب، وهو أن يأتي بإيمان خالص لله، لا كإيمان المنافق بالقول دون القلب.

وقوله: **أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار** يعني بساتين.

وقوله: **من تحتها الأنهار**، قيل فيه بوجوه. قيل: إن البساتين ليست هي اسم الأرض والبقعة خاصة، ولكن ما يجمع من الأشجار، وما ينبت[1] فيها من ألوان الغروس[2] المثمرة، فعند[3] ذلك يسمى بستانًا.

وقوله: **جنات تجري من تحتها الأنهار**، أي من تحت أشجارها وأغراسها الأنهار. وقيل: **من تحتها** مما يقع البصر عليها، وذلك أنزه[4] عند الناس وأحلى[5] وأنبل.[6]

وقيل أيضًا: **من تحتها**، أي من تحت ما علا منها من القصور والغرف،[7] لا تحت الأرض مما يكون في الدنيا في بعض المواضع يكون الماء تحت الأرض. دليله ما روي[8] «إن[9] تحت كل شعرة جنابة»،[10] أي تحت ما علا منها،[11] لا تحت الجلد، فكذلك الأول من تحت ما علا من القصور والغرف. *والله أعلم*.

وقوله: **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**، قيل فيه[12] بوجوه. [قيل:] **رزقنا من قبل** في الدنيا. وقيل: **رزقنا من قبل**[13] أي هذا الذي وُعدنا في الدنيا أن[14] في الجنة هذا. وقيل: **رزقنا من قبل في**[15] الجنة قبل هذا.

---

[1] ن ع: نبت.
[2] ع: العروس.
[3] ع م: ضد.
[4] ع: ارة.
[5] ن ع: أحلى.
[6] ن ع: ابناث.
[7] ك ن – من القصور والغرف.
[8] م – دليله ما روي؛ + كقوله عليه السلام.
[9] ك م + كل.
[10] الحديث أخرجه أحمد بن حنبل، ١/٩٤، ١٠١، ١٣٣، و ٦/١١١، ٢٥٤؛ وابن ماجة، الطهارة ١٠٦؛ وأبو داود، الطهارة ٩٧؛ والترمذي، الطهارة ٧٨.
[11] ك م – منها؛ ع – منها من القصور والعرف لا تحت الأرض مما يكون في الدنيا في بعض المواضع يكون الماء تحت الأرض دليله ما روي ان تحت كل شعرة جنابة أي تحت ما علا منها.
[12] ع م: هو.
[13] ع م – وقيل رزقنا من قبل.
[14] ع م: أي.
[15] ن ع م + هم في.

وقوله: **وأتوا به متشابها**، قيل فيه بوجوه.[١] قيل: **متشابها**[٢] في المنظر، مختلفًا في الطعم. وقيل:[٣] **متشابها** في الطعم، مختلفًا في رأي العين والألوان، لأن من الفواكه ما يستلذ بالنظر إليها دون التناول منها. وقيل: **متشابها** في الحسن والبهاء.

وقوله: **ولهم فيها أزواج مطهرة**، قيل فيه بوجوه. مطهرة من سوء الخُلق والدناءة، ليس كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك. وقيل: **مطهرة** من الأمراض والأسقام وأنواع ما يبلى به في الدنيا من الدَّرَن والوسخ والحيض. وقيل: **مطهرة**، لصفاء جوهرها، كما يقال: «يُرى مُخ ساقَيها من كذا وكذا».[٤] وقيل: **مطهرة** مختارة مهذَّبة.

وقوله: **وهم فيها خالدون**، أي مقيمون[٥] أبدًا. فالآية ترد على الجهمية قولهم، لأنهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها؛ يذهبون إلى أن الله تعالى هو الأول والآخر والباقي، ولو كانت الجنة باقية غير فانية لكان ذلك[٦] تشبيهًا. لكن ذلك وهمٌ عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته والآخر بذاته والباقي بذاته،[٧] والجنة وما فيها باقية بغيرها. ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في العالِم والسميع والبصير تشبيه، ولكان[٨] في الخلق أيضًا في حال البقاء تشبيه. فإذا لم يكن[٩] فيما ذكرنا تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه. وأيضًا فإن الله تعالى جعل الجنة دارًا[١٠] مطهرة من المعايب كلها، لما سماها «دار قدس» و«دار سلام».[١١] ولو كان آخرها للفناء

---

[١] جميع النسخ: وجوها.

[٢] ع م – قيل متشابها.

[٣] ن ع م: قيل.

[٤] هذا القول مضمون حديث رواه البخاري ومسلم وسائر الكتب. ومن لفظ البخاري: «... ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن...». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٦/١؛ وصحيح *البخاري*، بدء الخلق ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ١٤. وقال السمرقندي في شرح *التأويلات*، ورقة ١٧ظ: «أي مصفى جوهرها حتى قيل يرى مخ ساقها من وراء حللها».

[٥] ك: يقيمون.

[٦] ك ن: في ذلك.

[٧] م – بذاته.

[٨] ن: ولو كان.

[٩] ن ع م: تكن.

[١٠] ن ع م: دار.

[١١] لا يوجد في القرآن بين أسماء الجنة اسم «دار قدس». ولكن ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... ولا يتركها (أي الخمر) من مخافتي إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٧/٥، ٢٦٨). وانظر لاسم «دار سلام»: سورة الأنعام، ١٢٧/٦؛ وسورة يونس، ٢٥/١٠.

كان فيها أعظم المعايب، إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نُغِّص[1] عليه بزواله؛ فلو كان آخره للزوال كان نعمة منغَّصة على أهلها. فلما نُزِّه عن العيوب كلها، وهذا أعظم العيوب، لذلك[2] كان التخليد لأهلها أولى بها.

**﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[٢٦]**

وقوله: **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها**، قيل:[3] هذا، والله أعلم، يخرج جوابًا على إثر قول قاله الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما ذكره بعض أهل التأويل،[4] فقالوا: أما[5] يستحيي ربك أن يذكر البعوض والذباب ونحوها مما يصغر[6] في نفسه، وملوك الأرض لا يذكرون ذلك ويستحيون؟ فقال عز وجل جوابًا لقولهم: **إن الله لا يستحيي**، الآية، لأن[7] ملوك الأرض إنما ينظرون إلى هذه الأشياء بالاستحقار لها والاستذلال، فيستحيون ذكرها على الإنكاف[8] والأنفة. والله عز وجل لا يستحيي عن ذلك، لأن الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق[9] الصغير من الجثة[10] والجسم أكبر من الكبار منها والعظام، لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب، وتركيب ما يحتاج إليه من[11] الفم، والأنف، والرجل، واليد، والمدخل، والمخرج ما قدروا. ولعلهم يقدرون [على] ذلك في العظام من الأجسام والكبار منها. فأولٰئك لم ينظروا إليها لما فيه [٩و] من الأعجوبة واللطافة، ولكن نظروا / للحقارة والخساسة أنفًا منهم وإنكافًا.

---

[1] نَغِص عليه، أي كدِّر عيشه. ونُغِّص عيه عيشه على البناء للمفعول كذلك (*لسان العرب*، «نغص»).

[2] ع م: كذلك.

[3] جميع النسخ: كان.

[4] ممن قال بذلك ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. وصوّبه ابن جرير. انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٧٧؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٦٥.

[5] ع: ما.

[6] ن ع م: ما يصعر.

[7] ع: أن.

[8] الإنكاف الانصراف والعدول عن الشيء.

[9] ع: الخلق.

[10] ع: الحنة.

[11] ن ع م – من.

ثم اختلف أهل الكلام في إضافة الحياء إلى الله تعالى. فقال قوم: يجوز ذلك بما روي في الخبر أن الله تعالى يستحيي أن يعذب مَن شَاب في الإسلام،[١] ولأنه يجوز كالتكبر والاستهزاء والمخادعة، وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم.[٢] وقال آخرون: لا يجوز إضافته إلى الله تعالى، لأن تحته الإنكاف والأنفة،[٣] وذلك عن الله تعالى منفي، ولكن الحياء هو الرضاء هاهنا؛ والحياء الترك، أي لا يترك ولا يدع.[٤]

وقوله: **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم،** أي علموا[٥] أن ضرب المثل بما ذكر من صغار الأجسام والجثة حق، لما نظروا إلى ما فيها من الأعجوبة والحكمة واللطافة.

وقوله:[٦] **وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا،** [لأنهم] لم ينظروا فيها لما فيها من الأعجوبة والحكمة، ولكن نظروا للخساسة والحقارة.

وقوله: **يضل به كثيرا [ويهدي به كثيرا]**، الآية تنقض على المعتزلة قولهم، لأنه جواب قولهم:[٧] **ماذا أراد الله بهذا مثلا،** فقال: أراد[٨] أن يضل بهذا المثل كثيرًا، وأراد أن يهدي به كثيرًا. أضل به من علم منه أنه يختار الضلالة، ويهدي به من علم أنه يختار الهدى، أراد من كل ما علم منه أنه يختار ويؤثر. ***والله أعلم***. وهم يقولون: بل[٩] أراد أن يهدي به الكل، ولكنهم لم يهتدوا. والثاني[١٠] **يضل به كثيرا،** أي خلق فعل الضلالة من الضال، وخلق فعل الاهتداء من المهتدي وقد ذكرنا[ه] فيما تقدم.[١١]

---

[١] روي عن أنس مرفوعًا: «إني لأستحيي من عبدي وأمَتي، يشيب رأسهما في الإسلام، ثم أعذبهما بعد ذلك...». وقال ابن حبان: باطل لا أصل له؛ وله طرق أوردها صاحب اللآلي، كلها هباء. انظر: *الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* للشوكاني، ٤٨٠.

[٢] قد تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥).

[٣] ن – الأنفة؛ م: الأنف.

[٤] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ١/١١٠.

[٥] ع: عملوا.

[٦] ن ع – وقوله.

[٧] أي قول الذين كفروا.

[٨] ع – الله بهذا مثلا فقال أراد.

[٩] ك – بل.

[١٠] يقول السمرقندي: «قال الفقيه: هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم في المسألتين: مسألة الإرادة، ومسألة خلق الأفعال، حيث قالوا: إن الله لا يريد فعل الضلال، وإنما يريد هداية الكل، لكن اهتدى البعض بحسن اختياره وضل البعض بسوء اختياره». انظر ذلك مفصلاً في شرح *التأويلات*، ورقة ١٧ظ.

[١١] قد تقدم عند تأويل قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (سورة الفاتحة، ١/٦).

وقوله: **وما يضل به إلا الفاسقين**، أي ما يضل بهذا المثل إلا الفاسق الذي لا ينظر إلى ما فيها من الأعجوبة واللطافة في الدلالة.

**﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٢٧]

قوله:[١] **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**؛ عهد الله يكون على وجهين: عَهدَ خلقة، لما يشهد خلقة كل أحد على وحدانية الرب، كقوله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ،[٢] وكقوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ،[٣] الآية، إنه إن نظر في نفسه وتأمل عرف أن له صانعًا، وأنه[٤] واحد لا شريك له؛ وعَهدَ رسالة على ألسنة[٥] الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[٦] الآية، وكقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[٧] الآية، فنقضوا العهدين جميعًا عهد الخلقة وعهد الرسالة.

وقوله: **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**، يحتمل وجهين: يقطعون الإيمان ببعض الرسل وقد أمروا بالوصل، كقوله، نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.[٨] وقيل: يقطعون ما أمر الله به[٩] أن يوصل من صلة الأرحام.

وقوله: **ويفسدون في الأرض**، قيل فيه[١٠] بوجهين: يفسدون بما يأمرون[١١] في الأرض بالفساد،[١٢] كقوله:[١٣] يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ.[١٤] وقيل: **ويفسدون**،

---

[١] ك ع م: وقوله.
[٢] سورة الذاريات، ٢١/٥١.
[٣] سورة الروم، ٨/٣٠.
[٤] ن: وأن له واحدا.
[٥] ع م – على ألسنة.
[٦] سورة المائدة، ١٢/٥.
[٧] سورة آل عمران، ١٨٧/٣.
[٨] سورة النساء، ١٥٠/٤.
[٩] ن ع م – به.
[١٠] ع م – فيه.
[١١] ن: يؤمرون.
[١٢] ك ع م – بالفساد.
[١٣] ك ع م: وكقوله.
[١٤] سورة التوبة، ٦٧/٩.

أي يتعاطون بأنفسهم في الأرض بالفساد، كقوله:[١] وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.[٢]

وقوله: **أولٰئك هم الخاسرون**، يحتمل أيضًا وجهين: خسروا لما فات[٣] عنهم وذهب[٤] من المني والأماني في الدنيا. وروي عن الحسن أنه قال في قوله: **هم الخاسرون**، أي قذفوا أنفسهم باختيارهم الكفر بين أطباق النار، فذلك هو الخسران المبين.

**﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢٨]**

وقوله: **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم**، يحتمل وجوهًا. **كيف**، من أين ظهرت لكم الحجة أن تعبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها [و]أنه حق، و لم يظهر لكم منها الإنشاء بعد الموت، ولا الإماتة بعد الإحياء؟[٥]

وقيل:[٦] **كيف تكفرون**[٧] بالبعث[٨] بعد الموت، **وكنتم أمواتا**، يعني نُطَفًا، **فأحياكم**؛ وأنتم لا تنكرون إنشاء الأول، فكيف تنكرون البعث والإحياء بعد الموت؟

وقيل: **كيف**[٩] **تكفرون** بالإحياء والبعث بعد الموت، وفي العقل[١٠] أن خلق الخلق للإفناء والإماتة من غير قصد العاقبة عبث ولعب، لأن كل بانٍ بني للنقض[١١] فهو عابث، وكذلك كل ساعٍ فيما لا عاقبة له[١٢] فهو عابث هازل،[١٣] فكيف تجعلون فعله عز وجل [عبثًا]، إذ لو[١٤] لم يجعل للخلق[١٥] دارًا للجزاء والعقاب كان في خلقه[١٦] إياهم عابثًا هازلاً خارجًا من الحكمة.

---

١ ع م: وكقوله.
٢ سورة المائدة، ٣٣/٥.
٣ ع م – فات.
٤ م: ذهب.
٥ ع – ولا الإماتة بعد الإحياء.
٦ ع + وقيل و.
٧ ع + بالإحياء.
٨ ع: والبعث.
٩ جميع النسخ: وكيف.
١٠ ع: الفصل.
١١ ن م: النقض.
١٢ ك ن – له.
١٣ ك: الأزل.
١٤ ك ن ع – لو.
١٥ ك: الخلق.
١٦ ك ن ع: خلقهم.

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقوله: **ثم إليه ترجعون**، أي تعلمون أنكم ترجعون إليه، وكذلك المصير والمآب. والثاني: ترجعون إلى ما أعد لكم من العذاب. احتج عليهم بما أخبرهم[1] أنه أنشأهم بعد الموتة الأولى، [و]أنه[2] يبعثهم بعد الموتة الأخرى؛ **ثم إليه ترجعون**، كأنه يقول: ثم اعلموا أنكم إليه ترجعون.

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢٩]**

قوله:[3] **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**، قيل: إنه صلة قوله: **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا**، أي كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الأرض: ما يدلكم على وحدانيته،[4] لأنه ليس شيء من الأرض إلا وفيه دلالة وحدانيته.[5] ويحتمل: كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الأرض نعيمًا من غير أن كان وجب لكم عليه حق من ذلك، لتشكروا له عليها. فكيف[6] وجهتم أنتم الشكر فيها إلى غيره؟ ويحتمل: **خلق لكم ما في الأرض** محنة يمتحنكم[7] بها في الدنيا، كقوله: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،[8] ثم لِتُجْزَوْن في دار أخرى، فكيف أنكرتم البعث؟ وفي[9] بيان حكمة خلق الخلق في الدنيا للفناء والإحياء للآخرة حكمة، وفي إنكارها ذهاب الحكمة.

وقوله: **ثم استوى إلى السماء**، قيل فيه بوجوه.[10] قيل: استوى الدخانُ، كقوله: اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.[11] وقيل: **استوى** تم، كقوله: بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[12] أي تم. وقيل: **استوى**، أي استولى.

---

[1] ع م + الله.
[2] ن ع: أن.
[3] ن ع + وقوله.
[4] ن: وحدانية الله.
[5] ع م – لأنه ليس شيء من الأرض إلا وفيه دلالة وحدانية.
[6] ع م – فكيف.
[7] ن: ممتحنكم.
[8] ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (سورة الملك، ٦٧/٢).
[9] ن: في.
[10] جميع النسخ: وجوها.
[11] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ٤١/١١).
[12] ﴿ولما بلغ أشُدَّه واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٤).

والأصل عندنا في قوله: **ثم استوى إلى السماء**، وإِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[١] وغيرها من الآيات من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[٢] الآية، وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[٣] الآية، من الآيات التي / ظنّت المشبهة أن فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به على التشابه. [و]في الحقيقة أنها تحتمل وجوهًا. أحدها أنْ نصفه[٤] بالذي جاء به التنزيل على ما جاء، ونعلم أنه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره، لأنك بالجملة تعتقد أن الله ليس كمثله شيء، وأنه لا يجوز أن يكون له مثل[٥] في شيء، إذ لا يوجد حدثه فيه، أو قدم ذلك الشيء من الوجه الذي أشبه الله. وذلك مدفوع بالعقل والسمع جميعًا. مع ما لم يجز أن يُقدَّر الصانع عند الوصف بالفعل كغيره، وأنه حي قدير سميع بصير [مع] ما[٦] عليه أمر الخلق لما يصير بذلك أحد الخلائق. وإذا بطل هذا بطل التشابه وانتفى، ولزم أمر السمع والتنزيل على ما أراد الله. *وبالله التوفيق*. [٩ظ]

والثاني أن يمكن فيه معان تُخَرّج الكلامَ مخرجَ الاختصار والاكتفاء بمواضع [فيها] إفهام[٧] على تمام البيان، وذلك نحو قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ،[٨] أي بالملك، وكقوله:[٩] إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ أي بربك فَقَاتِلَا،[١٠] إذ معلوم أنه يقاتل بربه، ففهم منه[١١] ذلك. وكذلك معلوم أن الملائكة يأتون، فكأنه بيّنَ ذلك؛ يدل عليه قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[١٢] وكذلك [قوله]: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[١٣] الآية.

---

[١] انظر: الأعراف، ٥٤/٧؛ وغيرها.

[٢] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).

[٣] سورة البقرة، ٢١٠/٢.

[٤] ن: يصفه.

[٥] ك ن ع: مثلا.

[٦] ن ع م: نفي ما.

[٧] جميع النسخ + في تلك المواضع.

[٨] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).

[٩] جميع النسخ + ذلك كقوله.

[١٠] ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (سورة المائدة، ٢٤/٥).

[١١] ك: من.

[١٢] سورة الأنبياء، ٢٧/٢١.

[١٣] ﴿هل ينظرون إلا ن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ (سورة البقرة، ٢١٠/٢).

ومما[1] يوضح أنه لم يكن أحد اعتقد أو تصور في وهمه[2] النظر لإتيان الرب ومجيئه، ولا كان بنزوله[3] وعد بنظر؛[4] و[أنه] كان بنزول[5] الملائكة،[6] كقوله تعالى: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى،[7] الآية، وقوله: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ،[8] [و]فيما ذكرنا [دلالة على] عظيم[9] أمرهم وجليل شأنهم.

ومثله في قوله: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[10] مع ما له وجهان.[11] أحدهما أن يكون معنى العرش المُلْك، والاستواءِ [الاستواءُ] التامُّ الذي لا يوصف بنقصان في ملك، أو الاستيلاء عليه،[12] وأن لا سلطان[13] لغيره ولا تدبير لأحد فيه. والثاني أن يكون العرش أعلى الخلق وأرفعه، وكذلك تقدّره الأوهام؛ فيكون موصوفًا بعلوه على التعالي عن الأمكنة، وأنه على ما كان قبل كون الأمكنة، وهو فوق كل شيء، أي بالغلبة والقدرة والجلال عن الأمكنة. *ولا قوة إلا بالله.*

وأصل[14] ما ذكرنا أن لا نقدّر فعله بفعل الخلق ولا وصفه[15] بوصف الخلق، لأنه أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[16]

وقوله: **فسواهن سبع سماوات**، مرةً قال: **فسواهن سبع سماوات** ، ومرةً[17] قال:

---

[1] ن: مما.
[2] ع م: وجه.
[3] ج س: بنزل.
[4] ن: بنظر.
[5] ن ع: بنزل.
[6] أي وكان بنزول الملائكة وعد.
[7] ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرًا محجورًا﴾ (سورة الفرقان، ٢٢/٢٥).
[8] سورة الحجر، ٨/١٥.
[9] ن: عظم.
[10] سورة طه، ٥/٢٠.
[11] ع: وجها.
[12] ك – عليه.
[13] ع: وأن سلطان.
[14] م: وأصله.
[15] ع: وصف.
[16] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[17] ع + وقال.

خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[١] ومرةً قال: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[٢] الآية،[٣] ومرةً قال: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ،[٤] وكله يرجع إلى واحد.

**[﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾][٣٠]**

{قال الشيخ رضي الله عنه:} القول[٥] فيما يتوجه إليه [الكلام] مما تضمن قصةَ آدم عليه السلام من سورة البقرة والكشفُ عما قال فيها أهل التفسير [هو ما يقال فيه] من غير شهادة لأحد منا لإصابة جميع ما فيه من الحكمة أو القطع على تحقيق شيء، و[من غير الحكم بما] وجَّهوا إليه بالإحاطة.[٦] ولكن الغالب مما يحتمله تدبير[٧] البشر، ويبلغه مبلغ علمنا مما يَجوز أن يوصف به أهل المحنة، وإن كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة أولى؛ بما[٨] وصفهم الله من[٩] الطاعة له بقوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[١٠] وقوله: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا إلى قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[١١] الآية، وقوله: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[١٢] الآية، وقوله: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ؛[١٣] وما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف[١٤] طاعتهم لله ومواظبتهم على العبادة،[١٥]

---

[١] سورة الطلاق، ١٢/٦٥؛ وسورة الملك، ٣/٦٧.
[٢] سورة فصلت، ١٢/٤١.
[٣] ن – الآية.
[٤] سورة البقرة، ١١٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦.
[٥] أي الرأي المصيب.
[٦] أي لا نشهد بأن أهل التفسير أولوا هذه الآيات بالإحاطة وفهموها كما هي.
[٧] ك: تذير.
[٨] ك: لما.
[٩] ن: عن.
[١٠] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[١١] ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٦/٢١-٢٧).
[١٢] سورة النحل، ٥٠/١٦.
[١٣] سورة الأنبياء، ١٩/٢١.
[١٤] ع م – وصف.
[١٥] ن: في العبادة. ومما روي في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أطّت السماء وحُقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد» (*مسند أحمد ابن حنبل*، ١٧٣/٥)؛ انظر حول الأحاديث =

وما لا يذكر عن أحد[1] من الرسل وصف ملك بالمعصية، بل إنما ذلك يذكر عن بعض السلف مما لا لوم في مخالفته في فروع الدين، فضلاً من أن يبسط اللسان في ملائكة الله سبحانه. *وبالله المعونة والعصمة*.[2]

قال الله تعالى لملائكته: **إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** الآية. زعم قوم أن هذا زلة منهم، لم يكن ينبغي لهم أن يقابلوا قوله: **إني جاعل في الأرض خليفة** بهذا، لما يخرج مخرج الاستعتاب[3] بقولهم: أ تفعل ونحن نفعل كذا؟ كالمنكرين لفعله. وأيدوا ذلك بقوله عز وجل: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أنه لولا كان في ذلك طرف من الجهل يُحذَّر عن مثله قائلُه لم يُتبع قولهم بهذا، ومعلوم عندهم أن يكون هو يعلم ما لا يعلمون. وأيد ذلك بما امتحنهم بالإنباء عن أسماء[4] الأشياء مقرونًا بقوله: إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ولولا أنه سبق منهم ما استحقوا[5] عليه التوعد[6] لم يكن لذلك الشرط -عند القول بـأَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ-[7] فائدة، مع ما يوضع موضع التوبيخ والتهديد.

ومنهم من قال: إن قوله: **أ تجعل فيها من يفسد فيها** قول إبليس، هو الذي تعرض بهذا القول، وإن كان الكلام مذكورًا باسم الجماعة، لأنه جائز خطاب الواحد على إرادة الجماعة وذكر الجماعة على إرادة الواحد، وإن كان خطاب الله تعالى لجملة[8] ملائكته حيث قال:[9] **وإذ قال ربك للملائكة**، الآية. [و]قوله: **أنبئوني** بكذا، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ذلك، ولا يحتمل أن يأمرهم بذلك وهم لا يعلمون. ولو تكلفوا الإخبار لَلَحقهم الكذب في ذلك؛

= الواردة في أوصاف الملائكة: *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي* لفنْسنْك، مادة «ملك». وأطَّ يَئِطُّ أطًّا وأطيطًا: بمعنى صوَّت. و «أطَّت السماء...»: أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أطيط (*لسان العرب*، «أطط»).

[1] ن ع: من أحد.

[2] ع: وبالمعونة والعصمة؛ م: بالمعونة والعصمة.

[3] الاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته (*لسان العرب* لابن منظور، «عتب»).

[4] ع م: من أسماء.

[5] ع م: لما استحقوا.

[6] ع م - التوعد.

[7] ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٣١/٢).

[8] ن ع م: بجملة.

[9] ع م + ربك.

ثبت أن ذلك على التوبيخ والتهديد لما فَرَط منهم. ويكشف عن ذلك أيضًا عند اعترافهم بأن لا علم لهم إلا ما علّمهم الله، [وبدليل قوله تعالى] أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[1] الآية؛ ولو لم يكن منهم ما استحقوا به التأديبَ والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك[2] كثير معنى، إذ لا يخفى على الله عز وجل علم[3] ما ذكر من الكفرة الأشقياء، فضلاً عن الكرام[4] البررة. ولكن قد يعاتَب الأخيار عند الهفوة والزلة بما يحل من خوف التنبيه والتوبيخ، نحو قوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[5] وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إِذًا
[١٠و] لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ،[6] / الآية، وللملائكته:[7] وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ.[8]

واستجازوا[9] إمكان العصيان عند المحنة. ودليل المحنة ما بيّنّا من الفعل بالأمن والخوف المذكور، وما مُدحوا بعبادتهم لله تعالى، وما أُوعدوا لو ادَّعَوا الألوهية، ولما لم يحتمل أن يُحمَدوا على العبادة والطاعة فيما كان فعلهم على الجبر والقسر،[10] ولا تعظم[11] المحنة فيما لا يمكن المعصية[12] ولا تحتملها[13] البنية، إذ الطاعة هي في اتقاء[14] المعصية. وقال أيضًا: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ،[15] ولا يقال مثله لمن لا يحتمل فعل[16] المعصية. فثبت أن المعاصي منهم ممكنة، ولذلك[17] خَطُر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم. والممتحَن مخوف منه الزلة والهفوة بل المعصية وكل بلاء

---

[1] سورة البقرة، ٣٣/٢.
[2] ن – لذلك.
[3] جميع النسخ: يعلم.
[4] ع م: من الكرام.
[5] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[6] ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرًا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٤-٧٥).
[7] ن ع م: وملائكته.
[8] ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ (سورة الأنبياء، ٢٩/٢١).
[9] ك ن م: استجاز. أي أجاز قوم إمكان معصية الملائكة. وانظر أيضا: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠و.
[10] ن ع م: الخير والشر.
[11] ن ع م: يعظم.
[12] ن ع م: للمعصية.
[13] ن ع م: يحتملها.
[14] ع م: اتقاء.
[15] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[16] ع: فعله.
[17] ع: كذلك.

إلا أن يعصمه الله تعالى ويحفظه، وذلك من الله إفضال وإحسان لا يُستحق [إلا من] قِبله ولا يَلزمه أحد من خلقه، فجائز الابتلاء به. مع ما في زلة أمثاهم من أعظم[1] الرجاء للخلق[2] وقطع الإياس، والحثِّ على الفراغ[3] إلى الله تعالى بالعصمة والمعونة؛ إذ[4] لم يقم لطاعته أحد -وإن جل قدره- [وهو] عند ما وُكِل إلى نفسه [مخوف عليه] بما يعلم الله أنه يختار في شيء الخلافَ، إلا[5] أنه[6] يفزع إليه ويتضرع إليه.[7] وعلى ذلك معنى زلات الرسل عليهم الصلاة والسلام.[8]

وزعم قوم أن ذلك ليس منهم بالزلة، بل الله تعالى عصمهم عنها. ولكن قوله: **أ تجعل فيها من يفسد فيها** يخرج على وجهين. أحدهما على السؤال بعد أن أعلمهم الله أنهم يفعلون،[9] فقالوا: كيف يفعلون[10] ذلك[11] وقد خلقتهم ورزقتهم وأكرمتهم بأنواع النعم، ونحن إذ[12] خلقتنا نسبحك بحمدك[13] ونقدس لك؟ أو كيف تحتمل[14] عقولهم عصيانًا مع عظم نعمتك عليهم، ونحن معاشرَ[15] الملائكة تأبى[16] علينا العقول ذلك؟ فقال الله عز وجل: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أي أمتحنهم مع ما رُكّب فيهم الشهوات التي لغلبتها على أنفسهم

---

[1] جميع النسخ: ترك.
[2] جميع النسخ: بالخلق.
[3] أي القصد والتوجه.
[4] ن: إذا.
[5] م: لا.
[6] ن م: إله.
[7] ك ن - إليه.
[8] يقول علاء الدين السمرقندي: «على أن في زلة أمثالهم من العاقبة الحميدة وهو أن في وجود الزلة منهم ثم التجاوز عنهم عند العذر من أعظم الرجاء لغيرهم من أصحاب الخطايا والزلات عند العذر أو بلا عذر وتوبة فضلا منه تعالى وإحسانا. وكذلك في ذلك الحث والتحريض على الفزع إلى الله تعالى بالعصمة عن الذنوب وطلب المعونة على فعل الخيرات وليعرف الخلق أن أحدا لا يقوم بطاعته وإن جل قدره إلا بمعونته وتوفيقه فيصير ذلك حاملا لكل عاقل على التضرع والفزع إلى الله تعالى في كل حال. والله الموفق. وعلى هذا معنى زلات الأنبياء عليهم السلام» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠و).
[9] أي بنو آدم يفعلون الإفساد.
[10] ن ع: تفعلون.
[11] م - ذلك.
[12] ك: إذا.
[13] ن ع م: بذلك.
[14] ن ع م: يحتمل.
[15] ك: معشر.
[16] ن ع: يأتي؛ م: يأبى.

تعتريهم[١] أنواع الغفلة ويَصعُب عليهم التيقظ لكثرة الأعداء لهم وعلبة[٢] الشهوات؛ فلِما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك. وهذا الوجه يخرج على سؤال الحكمة في خلق من يعصيه، فأخبر أنه يعدم ما لا يعلمون؛[٣] إذ بذلك بيان الأولياء والأعداء، وبيان أن الله لا يخلق من يخلق لحاجة[٤] له أو لمنفعة له، إذ لو كان كذلك لم يكن ليخلق[٥] من يخالفه[٦] في الفعل[٧] الذي أمر به. وإنما خلق الخلق [ليكون] بعضهم لبعض عبرًا وعظةً، فيكون في عقوبة العصاة ووعيدهم مَزجر[٨] لغيرهم وموعظة، ولغير ذلك من الوجوه.

والوجه الآخر أن يكون المعنى من قوله: **أ تجعل فيها** على الإيجاب،[٩] أي أنت تفعل ذلك، إذ ليس عليك في خلق من يعصيك ضرر، ولا لك في خلق من يطيعك نفع، جل ثناؤك من أن يكون فعلك لأحد هذين. وذلك كقوله: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ،[١٠] الآية، على إيجاب ذلك لا على الاستفهام.[١١] مع ما يحتمل أن الألف زائدة كقوله: [أَ تُرِيدُ] أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ،[١٢] وقوله: أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[١٣] بمعنى إنكم، وتريد،[١٤] وذلك يرجع إلى الأول.

{قال}:[١٥] ومعنى قوله: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أن الله قد كان أخبرهم عن الذين يفسدون، ولم يكن أعلمهم ما فيهم من الرسل والأخيار، فهو يعلم ما لا يعلمون[١٦]

---

١ ع م: تغيرهم على.
٢ ن ع م: وغبت.
٣ ك: تعلمون.
٤ ع م: لحاجته.
٥ ع م: لم يخلق.
٦ ع م: يخالف.
٧ ع م: القول.
٨ ع: من جر.
٩ ك: على في بجاب.
١٠ سورة النور، ٥٠/٢٤.
١١ جميع النسخ: استفهام.
١٢ سورة القصص، ١٩/٢٨.
١٣ سورة فصلت، ٩/٤١.
١٤ م: تريدون.
١٥ ك: وقال.
١٦ ن ع م – أن الله قد كان أخبرهم عن الذين يفسدون و لم يكن أعلمهم ما فيهم من الرسل والأخيار فهو يعلم ما لا يعلمون.

من الأخيار[١] فيهم، ولذلك ذكرهم عند سؤال الإنباء[٢] بما أعلمهم من عظيم[٣] امتنانه على آدم أن جعله بمعنى نبيّ إلى الملائكة بما علّمه[٤] الأسماء. و لم يكن بلغ توهمهم أن في البشر ما[٥] يحتاج [إليه] المخلوقون من النور الذي هو سبب رفع الأستار عن الأشياء وجَلاء[٦] الأشياء به، ثم يحتاجون في اقتباس العلم إلى من هو مِن جوهر[٧] التراب والماء الذي هو أصل الستر والظلمة. فأراهم الله بذلك ليعلموا أن ليس طريق المعرفة والعلم بالأشياء الخِلْقة، ولكن لطف[٨] الله وامتنانه. *ولا قوة إلا بالله*.

وقال قوم: كان منهم من استحق[٩] العتاب من طريق الخطر بالقلوب، لا من طريق[١٠] الزلة التي هي العصيان، ولكنهم يعاتَبون على أمثال ذلك وإن لم تبلغ بهم المعصية، لعلو شأنهم ولعظم قدرهم. كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في أشياء، وإن لم يكن ذلك من[١١] معصية، كقوله[١٢] تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ،[١٣] الآية، وقوله: وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ،[١٤] وقوله: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ،[١٥] الآية، ولم يكن إثم في ذلك، وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ،[١٦] الآية،[١٧] من غير أن كان منه عصيان، فمثل ذلك أمر الملائكة.

---

[١] ن ع: الاختيار.
[٢] ك: الأنبياء.
[٣] ن: عظم.
[٤] جميع النسخ: علمهم.
[٥] ك: من.
[٦] ك: وجنو.
[٧] ك ع: جوهر.
[٨] ك ن م: لطفه.
[٩] ك: يستحق.
[١٠] ك: ظهور.
[١١] ن: منهم؛ ع: منه.
[١٢] جميع النسخ: وكقوله.
[١٣] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).
[١٤] سورة النساء، ١٠٧/٤.
[١٥] ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ (سورة الأحزاب، ٣٧/٣٣).
[١٦] سورة التحريم، ١/٦٦.
[١٧] ن – الآية؛ ع: لانه.

ثم تكلموا في معنى ذلك. فمنهم من يقول: ظنوا أنهم أكرم الخلق على الله، وأنه لا يفضِّل أحدا عليهم. ومنهم من يقول: ظنوا أنهم أعلم من جميع من يُخلق من جوهر النار أو التراب، من حيث ذكرت من جوهرهم، أو لعظم[1] عبادتهم لله، وعلمهم بأن في الجن والإنس عصاة. فلهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود لإظهار علو البشر وشرفه وعظم ما أكرموا [به] من العلم. ومنهم من قال[2] بقوله: **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.**[3]

[١٠ظ س٦ *وقوله: **إني جاعل في الأرض خليفة.** قال[5] قوم: يريد به آدم عليه السلام، يخلف الملائكة في الأرض ومن[6] تقدمه من الجان. وذلك بعيد، لأنهم[7] قالوا: **أتجعل فيها من يفسد فيها،** و لم يكن آدم عليه السلام بالذي كان يفسد[8] في الأرض ويسفك الدماء، بل كان يسبح بحمده ويقدس[9] له. ولكن يحتمل أن يريد آدم وولده إلى يوم القيامة أن يجعل بعضهم خلفاء لبعض، كقوله: وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ،[10] أو يجعلهم خلفاء[11] من ذكروا، إن صح الذي قالوا. وجائز أن يكونوا على وجه الأرض، إذ هي مخلوقة لهم قرارًا ومهادًا ومعادًا، وهم جُعلوا سكانها وعمّارها، أن يكونوا خلفاء في إظهار أحكام الله تعالى ودينه، كقوله لداود عليه السلام: إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ،[12] فجعله كذلك ليحكم بين أهلها بحكم الله ولا يتبع[13] الهوى،وبذلك أمر بنو آدم.* ١٠ظ س١٢]

---

[1] ك: لعظيم.

[2] جميع النسخ: قالوا.

[3] أي ظن الملائكة أنهم أكرم الخلق على الله بسبب تسبيحهم وتقديسهم له.

* في النسخ التي بين أيدينا تقديم وتأخير في تأويل أجزاء الآية على خلاف الترتيب القرآني، حيث بدأ بذكر تأويل قوله تعالى: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، ثم أتبعه بتأويل قوله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، ثم تأويل قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء﴾. فأعدنا الترتيب وفق الترتيب القرآني دون إحداث أي تغيير في التفسير، كما ستراه في العبارات التالية.

[5] ك ن م: وقال.

[6] ن: أومن.

[7] ع: كأنهم.

[8] ع: يفسده.

[9] ع: نقدس.

[10] ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ (سورة النمل، ٦٢/٢٧).

[11] ع – أو يجعلهم خلفاء.

[12] سورة ص، ٢٦/٣٨.

[13] ن ع: تتبع.

[١٠و س٣٣] *[١]وقوله: **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**؛[٢] قيل: بأمرك؛ وقيل: بمعرفتك؛ وقيل: بالثناء عليك، إن كانوا أضافوا ذلك إلى أنفسهم دون أن يذكروا عظيم[٣] منة الله عليهم بذلك واختصاصه إياهم بالتوفيق له؛ أو[٤] كيف ذكروا من نعوت البشر شر ما فيهم دون[٥] أن يحمدوا الله بما وُفِّقوا له، أو يدعوا[٦] للبشر بالعصمة أو المغفرة مما ابتلوا. ولذلك[٧] -والله أعلم- صرفوا شغلهم من بعد إلى الاستغفار [لـ]من[٨] في الأرض،[٩] ونصر أولياء الله.[١٠] ***ولا قوة إلا بالله***.

ومن الناس من أخبر في ذلك أن إبليس سألهم لو فُضل آدم عليهم وأمروا بالطاعة له ما يصنعون؟ فأظهر الله عز وجل أنه علم ما كتم[١١] إبليس من العصيان، و[ما] أظهروا هم من الطاعة. وهذا شيء لا يعلم حقيقته، لأن المعاتبة كانت في جملة الملائكة، والمخاطبة بالإنباء

[١٠ظ] وما ألحق به؛ والأمر[١٢] بالسجود كان في غيره.[١٣] ولم يحتمل أن يكونوا يؤخذون[١٤] / بسؤال[١٥]

[١٠ظ س١] إبليس اللعين.[١٦] ولكنه يحتمل وجوه العتاب الإخبار فيما لم يبلغوا العصيان. ***والله الموفق***.*

---

[١] ن + ومنهم من قالوا بقوله ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.
[٢] ع – وقوله: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.
[٣] ن: عظم.
[٤] جميع النسخ: إذ.
[٥] ع – دون.
[٦] ع: ويدعوا.
[٧] ع: كذلك.
[٨] ك ع م: من؛ ن – لمن.
[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كلَّ شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧).
[١٠] يقول علاء الدين السمرقندي موضحا ما في المتن من الخلل: «وقيل: إنما امتحنوا بالإنباء عن أسماء هؤلاء بالسجود لآدم عليه السلام لأجل قولهم: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، أي لما أضافوا ذلك إلى أنفسهم دون أن يذكروا عظيم منة الله عليهم بما خصهم بالتوفيق [إلى] التسبيح والتحميد، وعصمهم عن ذلك. ومن الواجب عليهم أن يحمدوا الله لما وفقهم على الطاعة وعصمهم عن المعصية؛ أو لأجل ما ذكروا من صفات البشر شر ما فيهم، وعيّروهم بذلك. ومن رأى مبتلى بالمعصية فالحق عليه أن يدعو له بالعصمة أو بالمغفرة دون أن يعيّره بما فرط منه. ولذلك -والله أعلم- صرفوا شغلهم من بعد ذلك إلى الاستغفار لمن في الأرض، والنصر للأولياء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠ظ).
[١١] ن: كتم.
[١٢] ك ن ع: وأمر.
[١٣] أي في غير هذا الموضع من الآيات.
[١٤] ن: يؤاخذون.
[١٥] ك ن: بسوء.
[١٦] ن: عليه اللعنة.

**﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٣١]

*وقوله: **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة** يحتمل[1] أن يكون **علم**: ألهم.[2] [١٠ط س١٢
ويحتمل أن يكون **علم** بإرسال مَلَك من غير الذين[3] امتُحنوا به. وفي ذلك تثبيت[4] أحد وجهين: إما أن يكون العلم بأشياء[5] حقيقةً ضرورةً، يقع عند النظر في الأسباب التي هي أدلة وقوعه عند التأمل فيها، نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح العين؛ وإما أن كان الله تعالى خلق فعل التعلم الذي يُعلِّم المرءَ فيما يضاف فيه إلى الله تعالى أنه علَّم. وكذا قوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[6] وكذا قوله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ.[7] ولا يحتمل هذه الأسبابَ لما كانت له كلها،[8] ولم يكن[9] تعلُّم[10] حقيقة ليؤذنها،[11] وكذلك قول الملائكة: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا.[12] *والله الموفق*.* ١٠ظ س١٧]

*وقوله: **أنبئوني بأسماء هؤلاء**، ظاهره أمر، ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بيّنا، [١٠ظ س١
وذلك في القرآن كثير. وإن كان في الحقيقة أمرا[14] ففيه دلالة جواز الأمر فيما لا يعلمه المأمور، إذا كان بحيث يحتمل العلم به إلى ذي العلم،[15] يتبين[16] له إذا طلب واستوجب رتبة التعلم والبحث. ويحتمل أن يكونوا نُبِّهوا حتى لا يسبق إليهم -عند إعلام آدم-

---

[1] م: ويحتمل.
[2] م: لهم.
[3] ن: الذي.
[4] ع: تثبت.
[5] ع: بالأشياء.
[6] ن - علمه البيان. سورة الرحمن، ٥٥/٤.
[7] سورة يس، ٣٦/٦٩.
[8] أي لا يحتمل العلم الذي علمه الله تعالى آدم عليه السلام أن يكون من جنس ما يحصل بالحواس الخمس، أو بالبديهة، وهذا العلم مشترك بين آدم و بين الملائكة.
[9] أي القسم الأول من الوجهين المذكورين.
[10] ع: يعلم.
[11] جميع النسخ: ليؤذنه.
[12] سورة البقرة، ٢/٣٢.
[13] انتهى الجزء المنقول من مكانه.
[14] جميع النسخ: أمر.
[15] ك ن + به.
[16] جميع النسخ: تبين.

أن ذلك من حيث يدركونه لو تكلفوا، أو أراد أن يريهم آية عجيبة تدل على نبوته، ذكَرهم[١] عجزهم عن ذلك، وألزمهم الخضوع لآدم عليه السلام في إفادة ذلك العلم له، كما قال عز وجل: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،[٢] ذكَّره أولا حاله وحال عصاه، ليعلم[٣] [أن] ما[٤] أراه
[١٠ظ س٦] مما في يده من آية نبوته، على نبينا وعليه السلام.*

وقوله: **إن كنتم صادقين** في المعاني التي ذُكرتْ،[٥] أو إن[٦] كنتم –من خلقتكم–[٧] موصوفين بالصدق، أو على تحذير القول بلا علم؛ وكأنه قال: واصدُقوا واحذَروا القول بالجهل. وفي ذلك أنهم لم يُتكلفوا بالقول في شيء، ولم يعلّمهم الله تعالى.

قال أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان: هذا يبطل قول المنجمة والقافة[٨] بدعواهم على الغيب بلا تعليم ادعوه[٩] من الله تعالى.

## ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٣٢]

وقول الملائكة: **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** يشبه أن يكون السابق إلى وهمهم معنى[١٠] أو خَطَرَ فِعْلٍ[١١] مما كان بالله خرج من أن يعقلوا حكمته، إما بما لم يبلغهم العلم بها، أو يخطر ببالهم أنه تعالى كيف يأمرهم وهو يعلم أنهم لا يعلمون بها، أو خطر ببالهم[١٢] من غير تحقيق ذلك،[١٣] ولكن على ما يبلى به الأخيار،[١٤]

---

[١] م: ذكر.
[٢] سورة طه، ١٧/٢٠.
[٣] ع: يعلم.
[٤] ع: من.
[٥] جميع النسخ: ذكروا.
[٦] جميع النسخ: إذ.
[٧] ك ن: خلقتم؛ ع: خلقتهم.
[٨] القافة جمع قائف، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود. (*لسان العرب* لابن منظور، «قيف»).
[٩] جميع النسخ: ادعوهم.
[١٠] ع: مني.
[١١] يقول علاء الدين السمرقندي: «وإنما قال سبحانك في جواب قوله ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ لأحد وجوه. إما سبق إلى وهم الملائكة وخطر ببالهم بإيقاع الله تعالى أنه جل وعلا لما دا يأمرنا بالإخبار عن أسماء هؤلاء مع علمه أنا لا نعلم دلك، ولم يعقلوا حكمته... » (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١و).
[١٢] ع م – أنه تعالى كيف يأمرهم وهو يعلم أنهم لا يعلمون بها أو خطر ببالهم.
[١٣] أي من غير أن يعتقدوا دلك بقلوهم.
[١٤] أي مما يبلى به الأخيار من الوساوس.

كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى،[١] الآية؛ أو كما لا يخلو به الممتحن من[٢] الخواطر التي تبلغ المحنة بهم المجاهدة[٣] بها في دفعها، وإن لم يكن لهم[٤] بما يخطر ببالهم صنع. فقالوا: **سبحانك**، نزّهوه[٥] عما خطر ببالهم وسبق إلى وهمهم، ووصفوه[٦] بأنه **عليم** لا يخفى عليه شيء، حكيم لا يخطئ[٧] في شيء، ولا يخرج فعله عن الحكمة. ***وبالله التوفيق والعصمة.***

وفي الآية منع التكلم في الشيء إلا بعد العلم به، والفزعُ[٨] إلى الله عن القول به إلا بعلم، وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله. وبه أمر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، فقال: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ،[٩] الآية.

وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه عن الإرجاء ما بدؤه؟ فقال: فعل الملائكة، إذ سئلوا عن أمر لم يعلموا [فـ]فوّضوا ذلك إلى الله تعالى.[١٠]

ومعنى الإرجاء نوعان. أحدهما محمود، وهو إرجاء أصحاب[١١] الكبائر ليحكم الله تعالى فيهم بما يشاء، ولا يُنزلهم نارا ولا جنة، لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[١٢] والإرجاء المذموم هو الجبر،[١٣] [وهو] أن يُرجِئ[١٤] الأفعال إلى الله،

---

١ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ (سورة الحج، ٥٢/٢٢).
٢ ن ع م: عن.
٣ ع: المجاهد.
٤ ن: لهم.
٥ جميع النسخ : نزهوا.
٦ جميع النسخ: ووصفوا.
٧ جميع النسخ: لا يخطر.
٨ جميع النسخ + به.
٩ سورة الإسراء، ٣٦/١٧.
١٠ يقول علاء الدين السمرقندي: «كان أبو حنيفة يرجئ أمر الصحابة [مع] الكبائر، وهو تأخير الحكم إلى مشيئة الله تعالى فيقول: هم في مشيئته إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة بلا تعذيب، وإن شاء أدخلهم النار وعذّبهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة. ولا يقطع الحكم فيهم بالجنة وبمغفرة ذنوبهم بسبب الإيمان من غير عقوبة أصلاً كما قالت الجبرية -وهم المرجئة المبتدعة- ولا يقطع بالنار كما قالت القدرية بتخليدهم في النار. فسئل أبو حنيفة عمن أخذت هذا الإرجاء... الخ.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١و).
١١ ك ن ع: صاحب.
١٢ سورة النساء، ٤٨/٤، ١١٦.
١٣ ع: جبر.
١٤ ن ع م: يرجا.

لا يجعل لعبد فيه فعلا ولا تدبير شيء من[1] ذلك.[2] وعلى ذلك المروي حيث قال: «صنفان من أمتي لا ينالهم شفاعتي: القدرية، والمرجئة».[3]

والقدرية هي التي لم تر لله[4] في فعل الخلق تدبيرًا، ولا له عليه قدرة التقدير. والمرجئة هي التي لم تر لعبد فيما ينسب إليه من الطاعة والمعصية فعلاً ألبتة، فأبطلت الشفاعة لهما[5] وجعلتها[6] للمذهب الأوسط بينهما، وهو الذي يحقق[7] للعبد فعلاً ولله تقديرًا، ومن العبد تحركًا[8] بخير أو شر،[9] ومن الله خلقة،[10] وذلك على المعقول مما عليه طريق العدل والحق، إنه بين الإفراط[11] والتقصير. وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأمور أوساطها».[12] وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾،[13] الآية. **ولا قوة إلا بالله**.

**﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٣٣] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٤]**

وعن[14] ابن جريج[15] قال: سجود الملائكة لآدم إيماء، ولم يكن يحل[16] وضع الوجه بالأرض لأحد.

---

[1] ع – من.
[2] ن – من ذلك.
[3] الخبر قال فيه الشوكاني: رواه الجوزقاني عن أنس مرفوعا، وهو موضوع. انظر: *الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* لشوكاني، ٤٥٢.
[4] ن: الله.
[5] أي الرواية السابقة المنسوبة إلى النبي عليه السلام.
[6] ك ن ع: وجعلت.
[7] ع م: تحقق.
[8] جميع النسخ: تحرك.
[9] ك: وشر.
[10] م: خلقه.
[11] ن ع م: التفريط.
[12] ع م: أوسطها. الحديث رواه البيهقي معضلا، وذكره الشوكاني في *الأحاديث الموضوعة* بلفظ «خير الأمور أوسطها». انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٧٣/٣؛ و*الفوائد المجموعة* للشوكاني، ٢٥١.
[13] سورة البقرة، ١٤٣/٢.
[14] ك ع م: قال؛ ن – وعن.
[15] هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)؛ إمام أهل الحجاز وفقيه الحرم المكي في عصره، رومي الأصل. وهو أول من صنّف التصانيف في العلم بمكة. ولد وتوفي فيها. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٤٠٠/١٠-٤٠٧؛ و*صفوة الصفوة* لأبي الفرج، ٢١٦/٢؛ و*تذكرة الحفاظ* للذهبي، ١٢٧/١.
[16] ك: كل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان[١] سجود الملائكة سجود تحية و لم يكن سجود عبادة. وعن قتادة[٢] قال: كانت الطاعة لله والسجدة لآدم عليه السلام إكرامًا له به.[٣] ***والله أعلم***.

ثم اختلف في إبليس.[٤] قال بعضهم:[٥] هو من الملائكة. وقال آخرون: لم يكن من الملائكة، وهو قول الحسن والأصم. ذهبوا [في] ذلك إلى وجوه.[٦] أحدها ما ذكر عز وجل عن طاعة الملائكة له بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[٧] الآية، وقال: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[٨] الآية، وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[٩] الآية، وصف الله[١٠] عز وجل طاعتهم[١١] له وائتمارهم إياه، فلو كان اللعين الرجيم منهم لأطاعه[١٢] كما أطاعوه.[١٣] والثاني قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،[١٤] والملائكة إنما خلقوا من النور. والثالث قوله تعالى: كَانَ مِنَ الْجِنِّ،[١٥] ولم يقل من الملائكة، فدلت[١٦] هذه الآيات أنه لم يكن من الملائكة. ثم قال في قوله: **فسجدوا إلا إبليس؛** إنه قد يجوز الاستثناء من غير نوع المستثنى منه، نحو ما يقال: دخل أهل الكوفة هذه الدار إلا رجلًا من أهل المدينة، وذلك جائز في اللغة. ويستدل بالاستثناء أن الأمر كان عليهم

---

[١] ن - كان.

[٢] هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، السدوسي البصري (ت ١١٨هـ/٧٣٦م)؛ مفسر، حافظ، وضرير أكمه. وكان رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. كان يرى القدر، ويدلّس في الحديث. انظر: *معجم الأدباء* لياقوت الحموي، ١٧/٩-١٠؛ *ووفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤/٨٥-٨٦؛ *تذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/٩٢-٩٣.

[٣] ن م - به. *تفسير الطبري*، ١/٢٢٩.

[٤] ن + اللعين.

[٥] ك ن + كان.

[٦] انظر في ذلك: *تفسير الطبري*، ١/٢٢٦-٢٢٧؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٧٨، ٨٩.

[٧] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[٨] ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٧).

[٩] سورة الأنبياء، ٢١/١٩.

[١٠] ن - الله.

[١١] ن + طاعتهم.

[١٢] ع: لإطاعة.

[١٣] جميع النسخ + له.

[١٤] سورة الأعراف، ٧/١٢.

[١٥] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٠).

[١٦] ع: فدل.

جميعًا في الأصل، وكان الأمر بالسجود له وللملائكة[1] جميعًا، كقوله: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ.[2] دلّ أن كان هنالك أمر للناس بالإفاضة،[3] فكذلك[4] الأول.[5] **والله أعلم**.

وذهب من قال: إنه من الملائكة [إلى] أنه لما لم يذكر في قصة من القصص –مع كثرة التكرار لها في القرآن وغيره من الكتب السالفة– أنه ليس منهم، وليس فيما ذكر من الآيات ما يدل [على] أنه لم يكن منهم، لأن قوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[6] [دليل عليه]،

[١١ظ] ولو[7] لم يتوهم / منهم العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى. ألا ترى إلى قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[8] الآية، مع ما ذكرنا أنهم[9] يمتحنون[10] بأنواع المحن، وكل ممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه والخلاف لديه. وأما قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ،[11] يحتمل: أي صار من الجن.[12] وقيل: الجن أراد به الملائكة، سُمّوا جنًّا لاستتارهم عن[13] الأبصار، كقوله: وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.[14] وأما قوله: خلق الملائكة من النور وإبليس من النار، فهو واحد، لأنه أخبر عز وجل أنه خلقه من مارج من نار.[15] وقيل: المارج هو لهبها.[16] مع ما ليس في القرآن ولا في الخبر أنهم إنما خلقوا من النور و لم يخلقوا من غيره.

---

[1] ع: للملائكة.

[2] سورة البقرة، ١٩٩/٢.

[3] ع م: بالإضافة.

[4] ك ن ع: فكذا.

[5] يقول الماتريدي عند تأويل الآية ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾: «قيل: إن أهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات، ويقولون: نحن أهل حرم الله لا نفيض كغيرنا عن قصدنا، فأنزل الله فيهم يأمرهم بالوقوف بعرفات والإفاضة عنها من حيث أفاض غيرهم من الناس. وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومن كان على دينهم يقفون بالمردلفة ولا يقفون بعرفة، فأنزل الله: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾» (*تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ٤٥ظ). انظر كذلك: صحيح *البخاري*، الحج ٩١.

[6] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[7] ك ن: لو.

[8] سورة الأنبياء، ٢٩/٢١.

[9] أي الملائكة.

[10] ن ع م + المتحنون.

[11] سورة الكهف، ٥٠/١٨.

[12] ع م – يحتمل أي صار من الجن.

[13] ن: على.

[14] سورة النجم، ٣٢/٥٣.

[15] ﴿وخلق الجانّ من مارج من نار﴾ (سورة الرحمن، ١٥/٥٥).

[16] المارج الخلط، والمارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وقيل: المارج اللهب المختلط بسواد النار (*لسان العرب* لابن منظور، «مرج»).

ثم اختلف في إبليس أنه لِمَ كفر بالله؟ قيل: إنه كفر لما[1] لم ير الأمر بسجود مَن فوقه لمن هو دونه حكمة. وقيل: كفر لما[2] رأى[3] أن الله تعالى وضع الأمر في غير موضع الأمر، ورآه جورًا،[4] فكفر به. وقيل: كفر لما أبى الائتمار بالسجود واستكبر فكفر. وقيل: كفر لما أضمر إضلال الخلق. وقيل: أبى الطاعة فيما أمر[5] به، واستكبر[6] على آدم لما رأى لنفسه فضلا عليه بقوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[7]

وقوله: **وكان من الكافرين**، أي صار؛ كقوله: إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً،[8] وكقوله: فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ،[9] أي صار. وقيل: كان في علم الله تعالى أنه سيكفر.

وفي قصة آدم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ[10] أخبر نبينا[11] محمد صلى الله عليه وسلم[12] -بما عُلّم- بما[13] في غير القرآن من الكتب السماوية، من غير أن عُرِف بالاختلاف إليهم، أو معرفةِ الألسن التي بها ذكرت في كتبهم. ذكرَها على ما لم[14] يدَّع أحد -له العلمُ بها- النكيرَ عليه، ليُعلَم أنه بالله علم ذلك.

وفيها دلالة فضل آدم عليه السلام أبي البشر، إذ أحوج ملائكته إليه لاقتباس أصل الأشياء، وهو العلم الذي[15] كل خير له كالتابع، وبه تصلح[16] وتنفع.[17] ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ك م - لما.
[2] ك: بم.
[3] ن ع + في؛ ك: لما أبى في.
[4] ك ع: مأجورا.
[5] جميع النسخ: أمره.
[6] ك: فاستكبر.
[7] سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[8] ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ (سورة الأعراف، ١٧٥/٧).
[9] ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٥/٧).
[10] ك ع: إذا.
[11] ك - نبينا.
[12] ن - إذ أخبر نبينا محمد صلى الله عليه و سلم.
[13] ك - بما.
[14] ع - لم.
[15] ن + هو أحق شيء يحتمل الخير.
[16] م: به وتصلح.
[17] جميع النسخ: يصلح وينفع. أي بالعلم تصلح الأشياء وتنفع.

وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين. أحدهما تعلُّمهم العلم الذي هو أحق شيء يحتمل الحير، إذ قد يُلهَم المرءُ ربما من غير تكلف، وهم قد أمروا به مع ما تقدم[1] ما يخرج مخرج التهدد في القول، من قوله: **أنبئوني** وذلك -فيما لا محنة- فاسد، مع ما سبق من دليل المحنة. والثاني فيما أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام، حتى صيَّر من أبى كافرًا إبليسا. وفي ذلك أيضًا دليل فضل آدم عليه السلام، إذ جُعل موضعَ عبادة[2] خيار خلق الله لله. ***وبالله التوفيق.***

✓ وفي ذلك أن السجود ليس بنفسه عبادة، إذ قد يجوز السجود لأحد من الخلق، كما أمر به لآدم عليه السلام، كقوله: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ،[3] ولم يجز الأمر بالعبادة لآدم؛ واللهُ اسم المعبود، ولو جاز لأحد ذلك لكان غير الله آلهة. دليل ذلك تسمية العرب كل شيء يعبدونه إلهًا. ***ولا قوة إلا بالله.***

✓ ثم السجود[4] يحتمل الخضوع، كما قال الله تعالى: يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[5] الآية، وقوله: وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.[6] فإن كان المراد منه الخضوع له[7] والتعظيم، فذلك يحتمل وجهين. أحدهما أن الله تعالى إذ[8] فضله عليهم، بما أطلعه على علوم خصه بها أمرهم بالخضوع والتعظيم. وذلك [هو] الحق على كل محتاج[9] إلى آخر بما به رجاء النجاة، أو درك العلو والكرامة: أن يعظمه ويبجّله ويخضع له. والثاني أنه امتحنهم بوجه يُظهر قدرَ الطاعة، لأن الخضوع لمن يعلو أمره ويَجِلّ قدره أمر سهل، عليه طُبع الخلق، فإذا كان في تقدير المأمور بالخضوع أنه دونه في الرتبة أو شكلُه، أو لم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع. فامتحنهم الله به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم لحقه، والمتكبر في نفسه وهو إبليس. وعلى[10] ذلك[11] الغالبُ من أتباع الأنبياء عليهم السلام.

---

[1] ن: تقدمها؛ ع: قدم.
[2] ن ع: عباده.
[3] سورة البقرة، ٣٤/٢.
[4] أي سجود الملائكة لآدم.
[5] سورة الحج، ١٨/٢٢.
[6] سورة الرحمن، ٦/٥٥.
[7] أي لآدم.
[8] جميع النسخ: إذا.
[9] ن: يحتاج.
[10] ن ع: على.
[11] ع + على.

والذين يأبون ذلك [ف]إن الذي يحملهم على الإباء عِظَمُهم[١] في أنفسهم،[٢] وظنُّهم أنهم أحق بأن يكونوا متبوعين. **والله أعلم**.

✓ والوجه الثاني[٣] أن يكون المراد من ذكر السجود [حقيقة السجود][٤] فهو مخرَّج[٥] على وجهين. أحدهما أن يجعل السجود[٦] تحية أُلزم الملائكة تحية آدم به. وهو ابتداء ما أكرم به أصل الإنس، وإليه مرجع جملة[٧] المؤمنين في الجنة أن يأتيهم الملائكة بالتحيات والتحف، وإن اختلفت[٨] أنفس التحيات.[٩] وفي ذلك دليل بيِّن [على] أن السجود ليس بعبادة / في نفسه،[١٠] [١١ر] إذ قد يؤمر به للبشر ولا يجوز الأمر بعبادة غير الله، فيكون السجودُ لغيره من حيث الفعل، والعبادةُ به لله، كغيره من المعروف يصنع إلى الخلق.[١١] ومثله أمر سجود[١٢] يعقوب وأولاده ليوسف عليه السلام.[١٣] **والله أعلم**.

✓ والثاني أن يكون السجود له بمعنى التوجه إليه، وهو[١٤] في الحقيقة لله تعالى، نحو السجود -إلى [جهة] الكعبة- لله تعالى تعظيما له وتبجيلاً للكعبة وتخصيصاً من بين البقاع. كذلك أمر السجود لآدم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا [١٥] من بين سائر البشر، كلاهما سِيَّانِ.

---

[١] ع + في نفسه؛ ع + العالب من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والذين يأبون ذلك إن الذي يحملهم على الإباء عظمهم في نفسه.
[٢] ع: نفسهم.
[٣] أي الوجه الثاني من وجهي المراد بسجود الملائكة لآدم.
[٤] قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٢١ظ.
[٥] ك ن: يخرج.
[٦] ك - السجود.
[٧] ك - جملة.
[٨] ن ع م: إختلف.
[٩] فالآيات القرآنية كثيرة في هذا الباب. منها ما في سورة الرعد (١٣/٢٣-٢٤): ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾. انظر: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «سلام».
[١٠] ك: بنفسه.
[١١] أي يصنع للخلق ويقصد به التقرب إلى الله.
[١٢] ع: بسجوده؛ م: بسجود.
[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٠).
[١٤] جميع النسخ: وهي.
[١٥] ن - له وتبجيلا.

٧ ثم قد ثبت نسخ السجود[1] للخلق بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو كان يَحِلّ لأحد أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد[2] لزوجها»،[3] ولِمَا جعل السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافًا [بحقه] بعرف الأشرار بعبادة عظمائهم ومن يعبدونه من دون الله،[4] فيصير ذلك المعنى هو السابق في القلوب، وذلك مما لا يُحتمل لأحد دون الله، فنهى [عنه] لذلك،[5] وإن لم يكن بنفسه عبادة للمسجود له في الحقيقة؛ كما نهى عن أشياء بما يتصل بها من الوحشة [والقبح] وإن لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا[6] له، فكذلك الأمر الأول. [و]كما نهى عن سبّ من يعبد من دون الله خوفا لسب الله.[7] ويؤمر بأمور ليست بنفسها بقربة ليتوصل بها إلى القربة، كالسعي إلى الحج والجمعة[8] ونحو ذلك.

وفيه أن السنة تنسخ الكتاب، لأن السجود لآدم عليه السلام [ثبت] في الكتاب، ومثله السجدة[9] ليوسف، ثم نهى[10] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فحرم،[11] فدل أن السنة تنسخ الكتاب.

**﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣٥]**

وقوله: **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن الجنة

---

[1] ن – السجود.

[2] ع: يسجد.

[3] روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة، وفي سنن أبي داود: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق». (*مسند أحمد ابن حنبل*، ٣٨١/٤، ٢٢٨/٥، ٧٦/٦؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٤٤ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤١؛ وسنن *الترمذي*، الرضاع ١٠).

[4] «أي على هذا عرف الكفار والأشرار بعبادة عظمائهم والأصنام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٢و).

[5] ن ع م: كذلك.

[6] ع: يحتمل.

[7] لعله يقصد قوله تعالى: ﴿ولا تَسُبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدوًا بغير علم﴾ (سورة الأنعام، ١٠٨/٦).

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج، ٢٧/٢٢)، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذَرُوا البيع﴾ (سورة الجمعة، ٩/٦٢).

[9] ن ع: السجود.

[10] ع: نهى.

[11] ع: محرم.

هي اسم البقعة التي حُفَت بالأشجار والغروس وأنواع النبات. دليله قوله: **وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة**، وذلك[١] أيضًا ظاهر معروف عند الناس أن لا يسمى[٢] كل بقعة من الأرض بستانًا ولا جنة حتى يجتمع فيها[٣] ما ذكرنا.

ثم لا يُدرَى ما تلك الجنة التي أُمر آدم وحواء بالكون والمُقام فيها: أهي التي وُعد المتقون، أو جنة من جنات الدنيا؟ إذ ليس في الآية بيان ذلك. وفي الآية[٤] دلالة أن الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بلا[٥] ذكر، لأنه قال: أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى،[٦] ثم قد جاع وعرى حين عصى،[٧] فدل أن ترك المعصية كان شرطًا فيه.

ثم معنى الأمر من الله تعالى لآدم وزوجته بالسكنى في الجنة والمُقام فيها، وأمرِهما بالتناول من جميع ما فيها إلا شجرة نُهيا عن التناول منها وأُمرا بالاجتناب عنها بقوله:[٨] **ولا تقربا هذه الشجرة**، [يخرج على] صورة[٩] الممتحَن: أن يؤمر بشيء ويُنهى[١٠] عن شيء.

وقوله: **رغدا**، أي سَعة؛ يقال: أرغد فلان إذا وسع عيشه[١١] وكثر ماله.

وقوله: **ولا تقربا هذه الشجرة**، أي لا تأكلا. دليله قوله: وَكُلَا مِنْهَا؛ ولأنه بالقربان ما يوصل إلى التناول، واللغة لا تأبى[١٢] تسمية الشيء باسم سببه.

ثم اختلف في تلك الشجرة. فقال[١٣] بعضهم:[١٤] هي شجرة العنب، ولذلك[١٥] جعل للشيطان فيها حظا لما عصيا ربهما بها. وقيل: إنها كانت شجرة الحنطة، ولذلك جعل غذاء آدم

---

[١] ن ع: كذلك.
[٢] ك: تسمى.
[٣] ك م: في. وفيها: أي في البقعة.
[٤] ع م – بيان ذلك. وفي الآية.
[٥] ك: بما.
[٦] ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ (سورة طه، ١١٨/٢٠).
[٧] م – عصى.
[٨] ن ع: فقوله.
[٩] جميع النسخ: وذي صورة.
[١٠] ع: نهي.
[١١] ن ع م: عليه.
[١٢] ن ع: يأبى؛ م: يأتي.
[١٣] ن: فقيل.
[١٤] ك ن – بعضهم.
[١٥] ع م: كذلك.

وحواء عليهما السلام وغذاء أولادهما منها[1] إلى يوم القيامة، ليقاسوا[2] جزاء العصيان[3] والخلاف له. وقيل: إنها شجرة العلم، لما علما[4] من ظهور عورتهما، ولم يكونا يعلمان قبل ذلك، وهو قوله: بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا.[5] *والله أعلم*. والقول في ماهيتها[6] لا يجوز إلا من طريق الوحي، ولا وحي في تأويلها،[7] ولا يجوز القطع على شيء من ذلك.

[١٢ظ س٢٦ *وقوله تعالى: **فتكونا من الظالمين** أي تصيران منهم. وكذلك القول في إبليس: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[8] أي صار منهم. ويحتمل ممن يكونون[9] كذلك، إذ[10] في علم الله أنهم يصيرون ممن [هم] في علم الله كذلك، مع جواز القول بلا تحقيق آخر، كقوله: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[11] لا أن ثم[12] خالق غيره.* ١٢ظ س٢٨]

ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها. أحدها[14] إيثارًا لآخر[15] عليه؛ وقد يكون هذا أن ينهى الرجل عن التناول من[16] شيء إيثارا لآخر عليه. ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداء يكون فيه، لما يخاف الضرر به، لا على جهة الإيثار ولكن إشفاقًا عليه ورحمة. ويحتمل أيضًا النهي[17] عن التناول من الشيء على جهة الحرمة. فإذا كان ممكنًا هذا محتملا،

---

[1] ن ع: منه.
[2] ن: لينقاسوا.
[3] ن: الإساان.
[4] ن: علمنا؛ ع: علموا.
[5] ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (سورة الأعراف، ٢٢/٧).
[6] ن ع م: فيما بينا.
[7] ك ن ع: تلاوتهما.
[8] سورة البقرة، ٣٤/٢.
[9] ك: يكفرون.
[10] ع: إن.
[11] سورة المؤمنون، ١٤/٢٣.
[12] ن: ثمه.
* العبارة التي تبدأ من: «وقوله تعالى: ﴿فتكونا من الظالمين﴾» إلى «لا أن ثم خالق غيره.» ذكرت في أثناء تأويل الآية ٣٦ في أواسط ورقة ١٢ظ/سطر٢٦ فنقلناها إلى هنا.
[14] ك: إحداها.
[15] ك: لعير؛ ع: الصر.
[16] ك ن ع: عن.
[17] ك ع م – النهي؛ ن: نهى.

حَملَ آدمَ وحواء على التناول منها لما اشتبه عليهما، ولم يعرفا معنى النهي بأنه نهي حرمة، أو نهي إيثار غيره عليهما،[١] أو نهي داء، لأنهما لو كانا يعلمان أن[٢] ذلك النهي نهي حرمة[٣] لكانا[٤] لا يأتيان ولا يتناولان. *وبالله التوفيق.*

ثم في الآية دلالة على أن الحال التي يكون فيه الإنسان[٥] في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين، لأنه إنما تعرض لآدم وحواء بالوسوسة التي وسوس إليهما ليزيل تلك الحال عنهما. وإنما[٦] نُبلَى[٧] بالسعة والرخاء، ثم ما لحقنا[٨] من الشدائد والبلايا[٩] [إنما هو] مما كسبت أيدينا، لقوله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[١٠]

ثم[١١] الآية ترد على بعض المتقشفة[١٢] قولهم بتحريم الطيبات والزينة.

وقوله: **فتكونا من الظالمين**، أي الضارين،[١٣] لأن كل ظالم ضار نفسه في الدارين جميعًا.

**﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾**[٣٦]

وقوله: **فأزلهما الشيطان عنها**، أي دعاهما وزيّن لهما الطريق[١٤] إلى سبب الزلة والإخراج منها، لا[١٥] أن تولى إخراجهما وإزلالهما. وقد ذكرنا أن الأشياء تسمى[١٦] باسم أسبابها،[١٧] أو الأسبابَ باسم الأشياء، وذلك ظاهر معروف في اللغة، غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه.

---

[١] ع: عليها.
[٢] م – أن.
[٣] ع م – نهي حرمة.
[٤] ع م: لكان.
[٥] ن ع م: للإنسان.
[٦] ن + يبلى المرء أولا إنما.
[٧] ن ع: يبلى.
[٨] ن م: لحقته؛ ع: لما لحقته.
[٩] ك – ليزيل تلك الحال عنهما وإنما نبلي بالسعة والرخاء ثم ما لحقنا من الشدائد والبلايا.
[١٠] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[١١] ع – ثم.
[١٢] لعل الماتريدي رحمه الله تعالى يعني بالمتقشفة المتصوفة.
[١٣] جميع النسخ: ضارين.
[١٤] ن – الطريق.
[١٥] ن ع م: إلى.
[١٦] ك ن: تذكر؛ ع – تسمى.
[١٧] ك ن ع: أسبابهم بها.

ثم تكلموا فيما أصاب آدم من الشجرة،[1] وفي جهة النهي عنها. فقال قوم: أكل منها وهو ناسٍ لعهد الله نسيان ترك الذكر،[2] وأبى ذلك قوم. واحتج الحسن بأن نسيانه نسيان تضييع،[3] واتباع الهوى، لا نسيان الذكر بأوجه: أحدها ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر، وأن لا يلحق صاحبه اسم العصيان،[4] وقد عوقب هو به ونسب إلى العصيان[5] بقوله: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى،[6] مع ما تقدم القول فيه أن يكونا من الظالمين.

والثاني أن عدوه قد ذكّره[7] لو كان ناسيًا، حيث قال: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ،[8] الآية، وقوله: وَقَاسَمَهُمَا،[9] وقوله: فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ.[10] ولو كان نسيانَ الذكر لم يكونا لِيغْتَرّا[11] بالقَسَم والإغراء عن ذلك، ولا وُصفا بأن استزلهما الشيطان ونحو ذلك، فثبت أنه كان [١٢و] نسيان تضييع، / وذلك كقوله: وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى،[12] وقوله: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا،[13] وغير ذلك مما ذكر فيه النسيان، ومعناه التضييع. سمي به لما كان كل منسى متروكًا،[14] وترك اللازم تضييع.

[والثالث: أن يكون] بما[15] ينسى به ويغفل عن ما حل[16] به من نقمة الله، فسمي به،

[1] ك ن + وفيما بينهما.
[2] لعلهم قد استدلوا بقول الله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا﴾ (سورة طه، ١١٥/٢٠).
[3] ع م: تضيع.
[4] لعله يشير إلى حديث: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (*سنن ابن ماجة*، الصلاة ١٦).
[5] ع + وقد عوقب هو.
[6] سورة طه، ١٢١/٢٠.
[7] ع: ذكر.
[8] ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٢٠/٧).
[9] ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٢١/٧).
[10] سورة الأعراف، ٢٢/٧.
[11] ن ع : ليغيروا.
[12] ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه، ١٢٦/٢٠).
[13] سورة الأعراف، ٥١/٧.
[14] جميع النسخ: متروك.
[15] ك ن ع : أو بما.
[16] ن ع م: يحل.

كما وصف ذنب المؤمن[١] بجهالة[٢] لجهله[٣] بما يحل به لا بجهله[٤] بحقيقة فعله، أو سمي به من حيث لا يقصد بذلك عصيان الرب أو طاعة الشيطان. وإلى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا [إلى] حقيقته.[٥]

ومن يقول بأنه كان على النسيان فهو يخرّج النسيان على وجوه. أحدها أنه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراجع[٦] اشتغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكرِ[٧] في الأسباب التي بها نجاته والتخلص[٨] من مكائده حتى أنساه ذلك ذكر[٩] العهد. والسبب الذي يرفع[١٠] الأشياء عن الأوهام في الشاهد كثرة الاشتغال. وإنما كان النسيان عذرًا في الأمور وسببًا للعفو لأنه لا يخرج الأخذ به عن الحكمة، وذلك معلوم في الشاهد أن من أقبل على أمر[١١] وأخذ في تحفظه وتذكّره تسهُل عليه ذلك، وإذا أحب ذلك مع الاشتغال بغيره من الأمور صَعُب عليه، بل الغالب في مثله الخفاء.

وجائز معاتبة آدم مع ذلك وتسميته عصيانًا بأوجه. أحدها أنه لم يكن امتُحِن بأنواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك. وإنما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالإشارة إليها، فجائز أن لا يُعذَّر في مثله. وكذلك النسيان فيما يُعذر[١٢] في الشاهد، إنما يعذر[١٣] في النوع الذي يبلى به وتكثر[١٤] به النوازل. ألا ترى أنه يعذر بالسلام في الصلاة، وتركِ[١٥] التسمية في الذبيحة ونحو ذلك، ولا يعذر في الأكل في الصلاة، وفي الجماع في الحج ونحو ذلك؛ فمثله الأمر الذي نحن فيه.

---

[١] ك ن + كله.

[٢] لعله يريد قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم﴾ (سورة النساء، ١٧/٤). وانظر ايضًا: سورة الأنعام، ٥٤/٦؛ وسورة النحل، ١١٩/١٦.

[٣] ك ع م: الجهلة؛ ن: الجهاله.

[٤] ك ن: لجهله؛ ع: بجهلة.

[٥] ع: حقيقة.

[٦] ك: التواجع.

[٧] ك: والفك.

[٨] جميع النسخ: ويتخلص.

[٩] جميع النسخ: عن ذكر.

[١٠] م: يدفع.

[١١] ع – أمر؛ م: شيء.

[١٢] ن ع م: تعذر.

[١٣] ن ع م: تعذر.

[١٤] ن ع م: يكثر.

[١٥] ع: نزول.

والثاني أنه جائزٌ أخذ الأخيار ومُعاتبة الرسل[1] بالأمر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثل ذلك[2] غيرهم،[3] لكثرة نعم الله عليهم وعظم[4] مننه عندهم، كما أُوعِدوا التضاعف في العذاب على ما كان من غيرهم؛[5] وعلى ما ذكر في أمر يونس عليه السلام من العقوبة بما[6] لعل ذلك من عظيم خيرات غيره إذ[7] فارق قومه بما[8] عاين من المناكير فيهم، وفعل[9] مثله مِن أحمد[10] ما يوصف به غيره. وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه و سلم فيما خطر بباله تقريب أجِلّة الكفرة إشفاقا عليهم وحرصا على إسلامهم ومن يتبعهم على ذلك مما لعل[11] مَن دونه لا يعدل شيء من خيراته بالذي عوتب به. ***وبالله التوفيق.***

والثالث أنه لِمَا عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به، ولمثله خَلَقه، حيث قال للملائكته: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً،[12] لكنه[كان] بكرمه وبالذي عوّد خلقه من تقديم إحسانه وإنعامه في الابتداء على الشدائد والشرور،[13] وإن كان له التقديم بالثاني؛[14] وذلك في جملة[15] قوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[16] وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.[17] ***وبالله التوفيق.***

---

[1] جميع النسخ: الرسول.

[2] م – ذلك.

[3] جميع النسخ: غيره.

[4] ك: وعظيم.

[5] جميع النسخ: من غيره.

[6] ع م: بماء. لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المُدحَضِين فَالْتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يَقْطِين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٣٩-١٤٦).

[7] ن: إذا.

[8] ن ع: عما.

[9] م: وجعل.

[10] ن ع م: أحد.

[11] ع م – لعل.

[12] سورة البقرة، ٢/٣٠.

[13] ع: والسرور.

[14] يعني وإن وقع أحيانًا الابتداء بالشدائد والشرور.

[15] ن: حالة.

[16] ﴿وقطّعناهم في الأرض أمَما منهم الصالحون ومنهم من دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٨).

[17] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.

وعلى ما في[١] ذلك[٢] من مبالغة لغيره،[٣] والزجر[٤] عن المعاصي وتعظيم خطرها[٥] في القلوب، إذ جوزي أبو البشر وأول الرسل منهم -على ما فضله بما امتحن ملائكته بالتعلم منه والسجود- بذلك القدر من الزلة،[٦] ليعلم الخلق أنه ليس في أمره هوادة ولا في حكمه محاباةٌ، فيكونون أبدًا على حذر من عقوبته، والفزع إليه بالعصمة عما يوجب مقته، و[يرجون] أن لا يَكِلَهم إلى أنفسهم، إذ علموا بابتلاء مَن الذي ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة.[٧] **ولا قوة إلا بالله**.

والثاني:[٨] أن يكون حَفِظ النهي عنه،[٩] لكنه خطر بباله [أن] النهي على وجه[١٠] لا يلحقه فيه وصف العصيان، أو نسي قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. وقد ذكرنا [أن] النهي في وقت الفعل، ولكن يسمى الوصف بالفعل من الظلم.[١١] والنهي لعله سبق إلى وهمه[١٢] [أنه على] غير جهة التحريم؛ إذ يكون النهي على أوجه. أحدها للحرمة. والثاني نهيٌ[١٣] لما فيه من الداء، وعليه في أكله ضرر. وهذا معروف في الشاهد بما عليه الطباع [من] نهي قوم عن أشياء محلَّلَةٍ هي لهم، [فيها] ما يؤذي[١٤] ويضر. فيحتمل أن يسبق إلى وهمه ذلك، لما وَعد[١٥] له في ذلك من عظيم[١٦] النفع. [و]يحتمل[١٧] ما خُوّف به ليصل إلى ما وعد،[١٨]

---

١ ع م - في.
٢ أي وأيضا جاز معاتبة آدم بناء على ما في ذلك.
٣ ع: غيره.
٤ ن ع م: الزجر.
٥ جميع النسخ: خطره.
٦ ك: بالذلة.
٧ ك: الذلة.
٨ أي والوجه الثاني من الوجوه التي يخرّج النسيان عليها، في قول من يقول بأنه كان على النسيان. والوجه الأول منها هو الذي سبق ذكره عند قوله: «أحدها أنه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه... الخ.».
٩ ن: منه. أي عن القرب من الشجرة.
١٠ ع م - النهي على وجه؛ ك: عن وجه.
١١ ن ع م - الظلم.
١٢ ع: وهميته.
١٣ ك: ينهى؛ ن ع: منهي.
١٤ ن: يودي.
١٥ أي وعد إبليس.
١٦ ك ن: عظم.
١٧ ن ع: تحمل.
١٨ لعله يشير إلى قول الله تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠-٢١).

على ما[1] سبق وجه النهي إلى ما وُجّه من حيث الضرر والمشقة، ونسي قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ؛ أو ذَكَرا وعرفا أن الظلم قد يقع على الضرر،[2] كقوله: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[3] [أي] لم تنقص[4] منه، والنقصان في النفس ضرر. وعلى ذلك فسّر عامة أهل التفسير الظلم في القرآن أنه الضرر، واسم الضرر يأخذ ضرر[5] الداء وضرر[6] المأثم، وإن كانت[7] حقيقته وضع الشيء في غير موضعه. **ولا قوة إلا بالله**.

وقد[8] يحتمل النهي أن يخرج مخرج المنع، ليكون غيره هو الذي يبدأ به ويخصّ ذلك لغيره لا على التحريم، نحو الأمر [في] المعروف[9] فيما يمنع الرجل ولده عن التناول مما يريد به غيّره لا على التحريم. وإذا احتمل ذا، ثم بيّن له عظيمُ[10] ما في ذلك[11] من البركة، من غير أن عاين عدوّه[12] ليعلم أن ذلك صنيعه.

وجائز أن يسبق[13] إليه أن ذلك[14] إشارة مَلَك، أو إلهام[15] في النفس على ما يكون لكثير[16] من الأخيار، لا[17] أنه من وحي عدوه، فدعته نفسه إلى الأكل، فيكون كالناسي والجاهل بحقيقة وجه النهي، وإن كان تعمد أكله. **ولا قوة إلا بالله**.

والأصل في هذا أن فعله عليه السلام إن كان على نسيان العهد أو على الذكر له

---

[1] ن ع - ما.
[2] ك + الضرر والمشقة ونسي قوله فتكونا من الظالمين أو ذكرا وعرفا أن الظلم قد يقع على الضرر.
[3] سورة الكهف، ٣٣/١٨.
[4] جميع النسخ: لم ينقص.
[5] ك: ضرب.
[6] ك: وحزن.
[7] ع: كان.
[8] ك - قد.
[9] ك ن ع: بالمعروف.
[10] ن: عظم.
[11] لعل الإشارة هنا إلى الممنوع، وهو أكل الشجرة.
[12] أي الشيطان.
[13] ع م: سبق.
[14] أي الذي خطر على قلب آدم عليه السلام.
[15] ك: وإلهام.
[16] ع: لكثرة.
[17] جميع النسخ: إلا.

فإن الذي أصابه[١] عقوبة. وإن كان بالذي يكون به المحنة،[٢] فلولا أن الله / يعاقبه[٣] على ما فعله [١٢ظ]
لم يكن ليغيّر[٤] عليه نِعَمه [التي أنعمها عليه] بعذاب،[٥] وقد قال إنه لا يغير[٦] نعمه[٧] التي أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.[٨] وما لا يحتمل العقوبة بالتغيير[٩] لم يكن ليفعل بعد وعده ذلك. مع ما قد اعترفا بالظلم، إذ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا،[١٠] الآية. وقد قال الله تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى،[١١] وقد كان قال لهما:[١٢] فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.[١٣] فكان فيما بُلي به وجهان. أحدهما أن ذلك لم يُزل عنهما اسم الإيمان، ولادُعيا[١٤] إليه بعد لفعلهما ذلك. ثبت أنه لا كل ذنب يزيل اسم الإيمان، وأن الذنوب لا تحقق فيه الكذبَ فيما اعتقد أن لا يعصي الله في شيء. وفي ذلك فساد أهل الخوارج والمعتزلة، وبيان أن قوله: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا،[١٥] ليس على كل عصيان، ولا الوعيد بالظلم المطلق يُوَجَّه[١٦] [إلى] كل ظلم وكل عصيان وغواية، بل يلزم به تقسيم هذه الحروف على ما يليق به. ومن يريد بها الجمع في كل الآثام،[١٧] [فهو] خارج عن[١٨] المعروف من أحكام الله في أهل المآثم.

---

[١] ن: أصاب له.
[٢] ع: المحنة.
[٣] ك ن: أن يعاقبه.
[٤] ن: لتغير.
[٥] جاءت هذه العبارة في جميع النسخ كالآتي: «لم يكن ليغيّر عليه نعمه بعذاب أنعم عليه»، والتصحيح منا.
[٦] ك ن ع: يغيره.
[٧] ع: نعمة.
[٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد، ١١/١٣). وانظر: سورة الأنفال، ٥٣/٨.
[٩] ك: بالتغير.
[١٠] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٢٣/٧).
[١١] سورة طه، ١٢١/٢٠.
[١٢] ن: لهما قال.
[١٣] سورة البقرة، ٣٥/٢.
[١٤] ع: زعيا.
[١٥] ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين﴾ (سورة النساء، ١٤/٤).
[١٦] ن: توجه؛ ع: بوجه.
[١٧] ن ع م: الأيام.
[١٨] ك ن ع: على.

والثاني أنه قد عوقب بوجه لا يوجب[1] جزء منها بما يسميه المعتزلة كبيرة، بل يزيل[2] به[3] اسم الإيمان من نحو شرب قطرة من الخمر أو قذف[4] محصنة، أو أخذ عشرة دراهم من مالِ آخرَ، وكذلك فعل أولاد يعقوب.[5] ثم لم يجترئ[6] أحد على دعوى خروج من ذكرت[7] من دين الله؛ لزم[8] بطلان قولهم. مع ما كان من قولهم:[9] إن الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب عليها، ولا الكبيرة العفو عنها. وقد كان عذب آدم[10] عليه السلام بأنواع العذاب، لِمَا لو لم يكن سوى ما أظهر فعلهما على رؤوس الخلائق لكان عظيمًا.

ثم اختلف في الوجه الذي بُلي.[11] منهم من يقول: لِما كان من صلبه من الكفرة، وهم ليسوا بأهل الجنة.[12] وقيل: رحمة للخلق لئلا ييأسوا، ولا تزول[13] الولاية بكل ذنب.[14] وقيل بُلِيا لتنبئة[15] الخلق بهما أن لا يقومُ أحد[16] بتعاهد نفسه عما[17] يُذَمّ إليه إذا وُكل نفسَه؛[18] فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر إلى أنفسهم في شيء من الخير، والفزع[19] إليه [تعالى]

---

[1] ك ن: يجب.

[2] أي المعتزلة.

[3] ن ع م - به.

[4] م: وقذف.

[5] أي فعل أولاد يعقوب بيوسف حيث ألقوه في غيابة الجب. انظر: سورة يوسف، ١٢/١٥-١٧.

[6] ك: لم يجرؤ.

[7] ع م - من ذكرت.

[8] ن: لزمت.

[9] م - مع ما كان من قولهم.

[10] ك - آدم.

[11] ك: بُلّ.

[12] يقول السمرقندي: «إذ هي دار الأولياء فابتلي آدم بذلك ليظهر ما علم على ما علم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).

[13] ك ن ع: ولا يزيل.

[14] «وقال بعضهم: إن للذنوب قدرًا عظيمًا في القلوب، فابتلي الأنبياء بالوقوع في الزلات وبقي عليهم اسم الإيمان وحقيقته مع عظم قدر عصيانهم في القلوب لئلا ييأس العصاة بسبب غلبة الشهوات، مع قيام الخوف والرجاء، وثبوت الاعتقاد على رحمة الله تعالى، ولا توهموا أنهم صاروا من أعداء الله تعالى، فيكون سببًا للكفر، إذ اليأس عن رحمة الله تعالى كفر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).

[15] ع ن م: لتنبه.

[16] ك: أن لا أحد يقوم.

[17] ن: مما.

[18] جميع النسخ + إليه.

[19] أي ويكون سببا للفزع إليه.

بالعصمة عن كل شيء. وقيل[١] بُلي بحق[٢] المحنة، إذ هي ترد صاحبها بين اللذات والآلام، وبين أحوال مختلفة لا يحتمل أن[٣] يصير بحيث يأمن الزلل، وإنما ذلك بحفظ الله ومنّه، لا بتدبير أحد وجهده،[٤] وإن كان الله تعالى يوفق[٥] على قدر الجهد، ويعصم على قدر الرغبة إليه والاعتصام به.[٦] *ولا قوة إلا بالله*.

وليس بنا حاجة إلى ذكر حكمة الزلة، إذ[٧] كانت نفسه[٨] مجبولة على حبه باعثة إلى مثله، لولا نعمة الرب، كما قال يوسف عليه السلام: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[٩] الآية،[١٠] وقال: وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا.[١١]

ثم اختلف في ماهية الشجرة.[١٢] قيل بأنها شجرة العنب، وجعل للشيطان فيها نصيبًا لما[١٣] بُلي[١٤] به أبو البشر وأمهم. وقيل: حنطة؛ فيها[١٥] جعل غذاء ولده، ليبدل[١٦] بالراحة الكد، وبالنعمة[١٧] البؤس. وقيل: شجرة العلم، إذ بدت لهما سوآتهما، فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك، وفزعا إلى ما يستران به من الورق.[١٨]

---

[١] ك – وقيل.
[٢] ن: يحق.
[٣] ك: إذ.
[٤] ك: وجهد.
[٥] ك: وفق.
[٦] يقول السمرقندي: «إنما بلي بذلك تنبيها للخلق بأن أحدًا لا يقوم بحفظ نفسه عما يذم عليه إذا وَكَلَه الله تعالى مع نفسه ورفع عنه عصمته، حتى يكون الكل على قدر الرغبة إليه والاعتصام به، وينزجروا عن النظر إلى أنفسهم في شيء من الخيرات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).
[٧] ع: إذا.
[٨] أي نفس الإنسان.
[٩] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[١٠] ن – الآية.
[١١] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.
[١٢] هذا القسم من الكلام مكرر، إذ هو تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾.
[١٣] ن ع م: بما.
[١٤] ك: تل.
[١٥] جميع النسخ: فيما.
[١٦] ع: ليدل.
[١٧] ن ع م: وبالنعم.
[١٨] ك: من الرزق.

فالأصل[1] أن هذا نوعُ ما يعلم بالخبر من عند عالم الغيب، وليس بنا إلى تعرف حقيقته حاجة، وإنما علينا معرفة قدر المعصية[2] فنعتصم بالله عنها، والطاعةِ فنرغب[3] فيها. *وبالله العصمة.*

والأصل فيه أن الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء، إذ الجمع بينهما يزيل البلوى، ويكشف الغطاء؛ فجعل اللذيذ لا راحة فيه والمؤلم الذي لا تنغيص[4] فيه جزاء، والترددَ بينهما[5] محنة. *ولا قوة إلا بالله.**

ثم اختلف في الوجه الذي أوصل إبليس إليه الوسوسة. فقال الحسن: كان آدم عليه السلام في السماء وإبليس في الأرض، ولكنه أوصل إليه بالسبب الذي جعله[7] الله لذلك.[8] وقال قوم: كان خاطبه في رأس الحية. وقيل: كان تصوَّر بغير الصورة[9] [التي] كان [عليها] عند قوله: إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ،[10] الآية، فاغترّ به، ولو عرفه لما اغتر[11] به بعد أن حذّره الله منه.[12] والله أعلم كيف كان ذلك.

وعلى ذلك،[13] اختلف[14] في الوجوه التي يوسوس إلى بني آدم. منهم من يقول: يجري بين الجلد واللحم كما يجري الدم، فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه.[15] ومنهم من يقول: هو بحيث جعلت له قوة إيصال الخطر بباله، والقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له، وذلك لا يعلمه البشر. ومنهم من يقول: إن النفس كأنها سيالة في الجسد دائرة في جميع الآفاق،

---

[1] ك ن: والأصل.
[2] ن: المسببة.
[3] ن ع: فرغب.
[4] ك ن ع: نغيض؛ م: نقيض.
[5] ك: منهما؛ ن ع م: منها.
* العبارة التي تبدأ من «وقوله تعالى: ﴿فتكونا من الظالمين﴾» إلى «لا أن ثم خالق غيره.» (انظر: ورقة ١٢ظ / سطر ٢٦-٢٨) ذكرت هنا بعد عبارة «والتردد بينهما محنة. ولا قوة إلا بالله»، فنقلناها إلى تفسير الآية ٣٥/٢ مراعاة لمكانها من التأويل.
[7] ك ن ع: جعل.
[8] ك: كذلك.
[9] ن: صورة.
[10] ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (سورة طه، ١١٧/٢٠).
[11] ن: ما اغتر.
[12] ك ن ع: عنه.
[13] ع م - وعلى ذلك.
[14] ن : أخلف.
[15] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». (*صحيح البخاري*، الأحكام ٢١، وبدء الخلق ١١؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٢٣-٢٥).

لولا الجسد الذي يحبسه لكان له الانتشار، على ما يظهر[1] في حال النوم عند سكون جسده. ومن ذلك سلطان فكرة[2] الرجل [على] من في أقصى بقاع الأرض حتى يصير له كالمعايَن.[3] ففي ذلك يكون قدحه وقذفه.[4]

ونحن نقول، وبالله التوفيق: إنا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك، لكن الله تعالى جعل للحق أعلاما، وكذلك للباطل. وكل معنى يدعو[5] إلى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان، يجب التعوذ منه والفزع إليه، وإن لم يعلم حقيقة كيفية ذلك، قال الله تعالى: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[6] وقال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا.[7]

وقال الحسن في قوله: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا / مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ:[8] قد[9] علم آدم أن الملائكة أفضل، وقد علم أن لا خلود يكون معه، وقد أخبر أنه يموت، وقد علم أنه لا يكون ملكا، وقد خلق من طين والملائكة من نور، ولكن يكون على فضل الملائكة. وَقَاسَمَهُمَا[10] حلف لهما في وسوسته[11] أنه يقول ذلك عن نصيحة،[12] فتابعاه في الأكل، لا على القبول عنه ما ذكر، إذ لو كان عن قبول لكان[13] أعظم من الأكل، ولكن أكلا على الشهوة واتباع الهوى. ولو صدَّقاه في ذلك لكفرا وكان هذا أعظم من الأكل، ولم يقل لهما ذلك[14] فيها[15] لأجل ذلك الشيء.[16] وذلك كما يقول الرجل لآخر في شيء [١٣و]

---

[1] م: ظهر.
[2] ن ع: فكره.
[3] ع: المغاين.
[4] أي وسوسته، والضمير راجع إلى الشيطان.
[5] ك: يدعي.
[6] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[8] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[9] ن م: وقد.
[10] ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢١).
[11] م: وسوسة.
[12] ن ع م: نصحه.
[13] جميع النسخ: كان ذلك.
[14] لعله يشير إلى قول إبليس: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠).
[15] ع ن م: فيهما. أي في الوسوسة.
[16] ع م: شيئ. أي لأجل أن يصدقاه ويكونا من الظالمين.

يُقتل عليه أو يُقطع [له]: لو فعلت لا يُفعل[1] بك ذلك،[2] فيُقدِم عليه، إنه يقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك. وكذا من يذكِر أحدًا مثل امرأة بحبها[3] وإيثارها إياه، فيأتيها بشهوة لا بتصديق الآخر، فمثله أمر آدم فيما وسوس إليه الشيطان.

وهذا الذي يذكر الحسن يوجب أن يكون آدم كان يعلم أن ذلك كان من الشيطان عدوه.[4] وذلك[5] إقدام على إثر ما ذكر، على ما يصف أنه كان يعلم [أنه] أمر فظيع[6] يوجب فعله -على العلم بالنهي- أنه لا ينال[7] به خيرًا، ولا يصل بذلك إلى فضل، بل اتبع الشيطان بما هوى[8] واشتهى. وهذا لو كان شهده كان فظيعا[9] أن يدعيه على أبي البشر ومَن قد فضّله الله بالذي سبق ذكره.[10]

بل لو قيل له:[11] إنه لم[12] يكن علم أنه من عدوه، أو [ظن أنه] إلهام[13] على ما يكون للأخيار، أو كان أُسمع على[14] ما يكون للأخيار، أو كان أُسمع[15] على[16] غير الصورة التي أُراها[17] من قبل لكان[18] أقرب وأحقّ أن ينطق[19] به من أن يَذكر الذي ذَكر. ومتى يكون الإقدام

---

[1] ن ع م: تفعل.
[2] ن م: ولك. أي لو ارتكبت هذا الجرم لا يجرى عليك جزاؤه.
[3] ن ع: يحبها.
[4] ع: عدوة.
[5] ك ع+ الإقدام؛ ن + وذلك الأقدام.
[6] ن ع م: قطع.
[7] ع:ينال.
[8] ك: هو.
[9] ن ع: قطيعا.
[10] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤ظ.
[11] أي للحسن [البصري].
[12] ع م + لو.
[13] ذكر السمرقندي أن الماتريدي رحمه الله قال: «يحتمل أنه لم يكن علم أن المخبر عدوه، بل يحتمل أنه ظنه ملكا لما رآه على غير الصورة التي كان من قبل، أو لم يسمع كلامًا لكنه وقع في قلبه شيء فظنه أنه إلهام من الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤ظ).
[14] ك: عن.
[15] ن ع م – على ما يكون للأخيار أو كان أسمع.
[16] ك ن: عن.
[17] ك: أداها.
[18] جميع النسخ: كان.
[19] ن ع م: يظن.

لجهة بخير[١] لا على طمع في ذلك؟ بل لا يُنكِر أن يكون له ولكن على ما بينا، وليس من ذلك الوجه الوحشةُ في الدين.

ثم قد ذكر ملكين،[٢] والكلام في الفضل وغير الفضل -على قوله-[٣] لا معنى له؛ لأنه يجعل فعلهم جبرًا،[٤] ومَن فعْله جبر[٥] لا ترتفع[٦] درجته ولا يعلو قدره. ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة، فكيف كان يطمع في ذلك ولم يكن هو بخلقتهم. ولهذا أنكر[٧] أن يكون منهم عصيان، إذ خلقوا من نور. ومن لا[٨] يعصي بالخلقة فإنه لا يحمد. ولو كان يحب الحمد به[٩] لوجب[١٠] في كل موات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة، وذلك بعيد.[١١]

وجائز أن يكون آدم عليه السلام طمع أن يكونا ملكين، بأن يُجعل على ما عليه صنيعهم من العصمة أو الاكتفاء بذكر الله وطاعته عن جميع الشهوات. والله قادر على أن يجعل البشر على ذلك، وذلك على ما يوجد فيهم من معصوم ومخذول ليعلم أن الخلقة لا توجب شيئًا مما ذكر. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم الأصل أن معرفة موت[١٢] البشر وما عنه خَلْق كل شيء إنما هو سمعي، ليس هو حسيًا،[١٣]

---

[١] ن ع م: بخير.

[٢] أي ذكر الشيطان في قوله لآدم وزوجه: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠).

[٣] أي على قول الحسن.

[٤] ع م: خيرا.

[٥] ع م: خير.

[٦] ع م: يرتفع.

[٧] م: أنكرا.

[٨] ن: لا من.

[٩] ع م - به.

[١٠] جميع النسخ: ليجب.

[١١] يقول علاء الدين السمرقندي: «قال الشيخ: قوله في الفضل لا معنى له، لأنه جعل فضلهم من حيث إنهم خلقوا من نور، فيكون -على قوله: مع وجود الطاعة منهم عن طبع- جبرًا. ومن كان فعله عن جبر لا ترتفع درجته، ولا يعلو قدره، ولا يحمد عليه؛ إذ لو كان يجب الحمد به لوجب في كل موات وكل حيوان، إذ كل ذلك يوصف بالانقياد والسجود. قال الله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٩)؛ ولأن الفضل إذا كان عنده بالخلقة من النور، فكيف يصح عنده أن يطمعا في أن يجعلهما في معنى الملائكة بأن يجعل غذاءهما طاعته وعبادته، وأن يكون ذكره تعالى كفاية لهما من الغذاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤ظ).

[١٢] ك - موت.

[١٣] جميع النسخ: حسي.

ولا في الجوهر[١] دليل الفناء، ولله أن يميت[٢] من شاء ويبقى من شاء.[٣] فقول الحسن: إنه علم ذلك، ثبت بثبات الخبر عن الله ينتهي إليه أنه كان بلغه في ذلك الوقت. وكذلك أمر الملائكة وحال الغذاء[٤] ومحبة[٥] الذكر، وظهور العصمة تعرف بالمحبة والمشاهدة بمننها.[٦] *ولا قوة إلا بالله*.

ثم ذكر الحسن في خلال ذلك أن آدم عليه السلام قد علم أن الملائكة لا يموتون؛ لا أدري ما هذا؟ أ هو عقد اعتقده،[٧] أو جرى على لسانه، لأن[٨] مثله لا يُعلَم إلا بما لا يرتاب فيه[٩] أنه جاء عن الله. *ولا قوة إلا بالله*.[١٠]

وقوله: **[فأخرجهما] مما كانا فيه** من الخصب والسعة والنعم[١١] التي أنزلهما الله تعالى فيها وأباح[١٢] لهما التناول مما[١٣] فيه.

ثم اختلف في وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام فيم كان، ومن أين كان، ولماذا كان؟ قيل: إنه كان في السماء، فوسوس إليهما من رأس الحية، حسدًا منه لما رآهما يتقلبان في نعم الله ويتنعمان فيه، فاشتد ذلك عليه. وقيل: إنه كان في الدنيا، فوسوس لهما من بعد. *والله أعلم*.

ثم اختلف في الشيطان أ له[١٤] سلطان على القلوب أو يوسوس في صدورهم من بعد؟ فقال بعضهم: له سلطان على القلب على ما جاء أنه يجري في الإنسان بين الجلد واللحم مجرى الدم.[١٥] وقيل: إنه لا سلطان له على القلوب، ولكنه يقذف فيهم من البعد،

---

[١] ن: الجواهر.

[٢] ع: يمت.

[٣] ع م - ويبقى من شاء.

[٤] ك: الإغذاء؛ ن ع م: الأضداد.

[٥] م: محبة.

[٦] جميع النسخ: بمنها.

[٧] جميع النسخ: اعتقد.

[٨] ع م: لأنه.

[٩] جميع النسخ: في ذلك.

[١٠] ك + وقوله فأزلهما الشيطان عنها أي دعاهما وزين لهما إلى سبب الزلة والإخراج منها لا أن تولى هو إخراجهما وإزلالهما وقد ذكرنا أنه قد تسمي الأشياء باسم أسبابها والأسباب باسم الأشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه والله أعلم. هذه العبارة قد ذكرت في جميع النسخ ومنها نسخة كوبريلي هذه في بداية تأويل الآية رقم ٣٦.

[١١] ع م: والنعيم.

[١٢] ع: أبارح.

[١٣] ع: كما؛ م: فيما.

[١٤] ك: له.

[١٥] لعله يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (*صحيح البخاري*، الأحكام ٢١، الأدب ١٢١؛ و *صحيح مسلم*، السلام ٢٣-٢٥).

ويدعوهم إلى الشر بآثار[1] ترى في الإنسان من الأحوال، من حال الخير والشر، وكأن تلك الأحوال ظاهرة من أثر الخير والشر. فإذا رأى ذلك، فعند ذلك يوسوس ويدعوه إلى الشر. وعلى ذلك قوله عز وجل: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ،[2] أخبر أنه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا، وهو الأشبه.[3] *والله أعلم*.

ثم قيل فيمن عصى ربه: أليس قد أطاع الشيطان؟ قيل: بلى. فإن قيل: فإذا أطاع أ لا يكفر؟[4] قيل: [لا]، لأنه ليس يقصد قصد طاعة الشيطان، وإنما يكفر بقصد طاعة الشيطان، وإن كان في عصيان الرب طاعته.[5] وكذلك روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه سئل عن[6] ذلك، فأجاب بمثل هذا الجواب.[7]

والأصل أن الفعل الذي يبلى به[8] ليس هو لنفسه فعل الطاعة للشيطان ليصير به مطيعًا [له]، إنما يجعله طاعةً القصدُ بأن يجعله[9] طاعة له، وقد زال ذلك،[10] وإن سُرَّ هو به وفرح كما[11] سر بزوال السرور عنهما[12] واللذة، وإن كان ذلك بفعل من لا يجوز وصف مَن فَعَله[13] بطاعة الشيطان.[14] *ولا قوة إلا بالله*.

---

[1] ك: باباار.

[2] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِيّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[3] ع م: لا شبه.

[4] جميع النسخ: أن لا يكفر.

[5] ع: طاعة.

[6] ع: من.

[7] «والمؤمن إذا عصى الله تعالى ليس ما يكون بمعصيته تلك مطيعًا للشيطان، طالبًا لمرضاته بتعمد ذلك، وإن وافق عمله للشيطان طاعة ورضًا؛ ولا يكون لله عدوًا، وإن ركب جميع الذنوب بعد أن لا يدَّعَ التوحيد. وذلك بأن العدو يبغض عدوه ويتناول عدوه بالمنقصة. والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنب، والله تعالى في ذلك أحب إليه مما سواه؛ وذلك أنه لو خير بين أن يُحرَق بالنار أو يفتري على الله من قلبه لكان الاحتراق بالنار أحب إليه» (*الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة* لبياضي زاده، ١٠٦).

[8] جميع النسخ: له.

[9] ك: جعله.

[10] أي زال القصد عن فعل آدم.

[11] ن ع م: كلما.

[12] ك: منهما.

[13] جميع النسخ: من فعل ذلك.

[14] يقول السمرقندي: «ألا ترى أن الشيطان سُرَّ وفرح بإخراج آدم من الجنة وذلك حصل بإذن الله تعالى، ولا يجوز وصف فعل الله تعالى بأنه طاعة للشيطان وإن كان هو فعلا تعلق به السرور للشيطان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥و).

وقوله:[1] **وقلنا اهبطوا**، قيل الهبوط هو[2] النزول في موضع، كقوله تعالى: اِهْبِطُوا مِصْرًا،[3] أي أنزلوا فيه. ويحتمل الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع إلى المنحدر والدون من المكان.

و[4]قوله: **بعضكم لبعض عدو**؛ قيل: يعني إبليس وأولاده وآدم وأولاده،[5] بعضهم لبعض [١٣ظ] عدو؛ والعداوة فيما بيننا وبينهم ظاهرة. وقيل:[6] بيننا وبين الحية التي حملت إبليس حتى وسوس لهما من ذؤابتها.[7] فهذا لا يعلم إلا بالسمع، إذ ليس في الكتاب ذلك. غير أن العداوة[8] بيننا وبين الحيات عداوة طبع، والعداوة التي بيننا وبين إبليس عداوة اختيار[9] وأمر، إذ الطبع ينفر عن كل مؤذ ومضر.[10] *وبالله التوفيق*.

وقوله: **ولكم في الأرض مستقر** تَقِرّون فيها، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا.[11]

وقوله:[12] **ومتاع إلى حين**، أي **متاع**[13] لكم إلى انقضاء آجالكم. ويحتمل متاعًا لكم لانقضاء الدنيا وانقطاعها.

﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٣٧]

قوله:[14] **فتلقى آدم من ربه كلمات**، أي أخذ.

وقوله[15] تعالى: **من ربه كلمات فتاب عليه**، قيل: فيه وجوه.[16] قيل:[17] فتاب عليه أي

---

[1] ع: قوله.
[2] ع – هو.
[3] سورة البقرة، ٦١/٢.
[4] ع م – و.
[5] ك + إبليس وأولاده.
[6] ع م – بيننا وبينهم ظاهرة. وقيل.
[7] ن: رأسها.
[8] م – وبين الحية التي حملت إبليس حتى وسوس لهما من ذؤابتها فهذا لا يعلم إلا بالسمع إذ ليس في الكتاب ذلك غير أن العداوة.
[9] ع م: واختيار.
[10] ن: مضر.
[11] سورة المؤمن، ٦٤/٤٠.
[12] ن ع م: قوله.
[13] جميع النسخ: متاعا.
[14] ك ن م: وقوله.
[15] جميع النسخ: وقيل.
[16] جميع النسخ: وجوها.
[17] ك – قيل.

وفَّق له التوبة وهداه إليها فتاب، كقوله: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا،[١] أي وفَّق لهم التوبة فتابوا. وقيل: خلق فعل التوبة منه فتاب، كما قلنا في قوله:[٢] "هداه"،[٣] أي خلق فعل الاهتداء منه[٤] فاهتدى. وقيل: تاب عليه، أي تجاوز. وقيل: إن التوبة هي الرجوع؛ رجع آدم عن[٥] عصيانه، فرجع هو إلى الغفران والتجاوز. وبعضه[٦] قريب من بعض.

وفي الآية أنه إنما تاب عليه لكلمات تلقاها من ربه. والآية تنقض على المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن من ارتكب صغيرة فهي مغفور له، لا يحتاج إلى الدعاء ولا إلى التوبة. فآدم عليه السلام دعا بكلمات تلقاها[٧] منه[٨] فتاب عليه. ولو كان مغفورًا له ما ارتكب لكان الدعاء فضلا وتكلفا.[٩] *وبالله التوفيق.*

والكلمات هي ما ذكر[١٠] في سورة أخرى: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا،[١١] الآية.

وقوله: **إنه هو التواب الرحيم**، أي قابل التوبة. وقيل:[١٢] موفق التوبة وهاد لها،[١٣] كقوله: غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ،[١٤] وقد ذكرنا في قوله: **فتاب عليه** ما احتمل فيه. **الرحيم** بالمؤمنين، ورحيم بالتائبين.

**﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٣٨] **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٣٩]

وقوله: **قلنا اهبطوا منها جميعا**، ذكر هبوطهم جميعًا، فإذا هَبَطوا فرادى لم يخرجوا من الأمر،

---

١ سورة التوبة، ١١٨/٩.
٢ ك + اهدنا.
٣ ع م + إليها فتاب.
٤ ع − منه.
٥ ع م: من.
٦ ك: وبعض.
٧ ن: فتلقاها.
٨ ع م: عنه.
٩ ن ع م: فضل وتكلف.
١٠ ع م: ذكرت.
١١ سورة الأعراف، ٢٣/٧.
١٢ ك م + أي.
١٣ ن ع م − لها.
١٤ سورة المؤمن، ٣/٤٠.

بل كانوا في الأمر،[1] فدل أن الجمع في الأمر[2] والذكر لا يُصيِّر الجمع في الفعل شرطًا.

وقوله:[3] **فإما يأتينكم مني هدى،** أي ليأتينكم، وهذا جائز في اللغة.

**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون،** أي من تبع هداي ودام عليه حتى مات، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وكذلك قوله: فمن اتبع هداي فلا يضل –في الدنيا– ولا يشقى في الآخرة إذا مات عليه.[4]

وهذه الآية والتي تليها –وهو قوله:[5] **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**– تنقض[6] على الجهمية، لأنهم يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما. فلو كانت الجنة تفنى وينقطع[7] ما فيها لكان فيها خوف وحزن، لأن من[8] خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه وينغِّصه ذلك؛ ولهذا وصف الدنيا بالخوف والحزن لما يزول نعيمها[9] ولا يبقى؛ فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها، [أي] خوف النقمة،[10] ولا حزن، أي حزن فوات النعمة.

**ولا هم يحزنون،** دل أنها باقية وأن نعيمها دائم[11] لا يزول.

وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون وأن عذابها أليم شديد. فلو كان لهم رجاء النجاة منها لَخَفَّ ذلك العذاب عليهم وهان، لأن من عوقب في الدنيا بعقوبة وله رجاء النجاة منها[12] هان ذلك عليه وخَفَّ.[13] *وبالله التوفيق.*

---

[1] ن – بل كانوا في الأمر.

[2] ع م – فدل أن الجمع في الأمر.

[3] م: قوله.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (سورة طه، ١٢٣/٢٠).

[5] ع م – وهو قوله.

[6] ن ع م: ينقض.

[7] ن ع م: تنقطع.

[8] ن + كان فيها.

[9] ع م – نعيمها.

[10] ن – خوف النقمة؛ ع م : النبعة.

[11] جميع النسخ: دائمة.

[12] ن ع م – خف ذلك العذاب عليهم وهان لأن من عوقب في الدنيا بعقوبة وله رجاء النجاة منها.

[13] ع م – وخف.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤٠]

قوله:[١] **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**، يحتمل وجوهًا. يحتمل قوله: **اذكروا نعمتي التي** خَصَصتُ لكم دون غيركم، من نحو ما جعلت[٢] منكم الأنبياء والملوك، كقوله: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[٣] ويحتمل: **اذكروا نعمتي**، يعني النجاة من فرعون، حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم، [يقتل أبناءكم] ويستحيي نساءكم، كقوله تعالى: يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ،[٤] الآية. ويحتمل: **اذكروا نعمتي** من نحو ما أعطاهم –عز وجل– المنّ والسلوى وتظليل الغمام[٥] وغير ذلك من النعم ما لم يُؤتِ أحدا من العالمين، خُصّوا بذلك[٦] من دون غيرهم.

وقيل نعمته محمد صلى الله عليه وسلم بعث وقت اختلافهم في الدين وتفرقهم فيما كان عليه مَن مضى من النبيين، ليدلهم على الحق من ذلك ويؤلّف بينهم بالبينات، كما أحوجهم الاختلافُ إلى من يقوم[٧] بذلك، من وجه يعلم صدقه في ذلك؛ فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمةً منه عليهم، إذ بطاعته نجاتهم. *ولا قوة إلا بالله*.

ويحتمل **اذكروا نعمتي**، أي وجّهوا شكر نعمتي إليّ، ولا توجهوها إلى غيري. فإن كان هذا [هو] المراد فهم وغيرهم فيه سواء،[٨] إذ على[٩] كل منعَم عليه أن يوجّه شكر نعمه إلى ربه. وكان الأمر بذكر النعمة –والله أعلم– أمرا[١٠] بعرفانها في القلب أنها منه، لا الذكرَ باللسان؛

---

[١] ك ن ع: وقوله.

[٢] جميع النسخ: جعل.

[٣] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[٤] ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة الأعراف، ٨/١٤١).

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٠).

[٦] ع م – من النعم ما لم يؤت أحدا من العالمين، خصوا بذلك.

[٧] ع م: يقول.

[٨] ع – سواء.

[٩] ك – على.

[١٠] ن ع م: أمر.

إذ لا سبيل إلى ذكر كل ما أنعم [الله] عليه، سوى الاعتراف بالعجز عن أداء شكر واحدة منها طول عمره.

وقوله:[1] **وأوفوا بعهدي**، قد ذكرنا فيما تقدم[2] أن عهد الله على وجهين:[3] عهد خلقة،[4] لما جعل في خلقة[5] كل أحد دلائل تدل على معرفته وتوحيده، وأنه لم يخلقه للعبث، ولا يتركه سدى؛ وعهد رسالة على ألسن الرسل، كقوله تعالى: إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[6] الآية،[7] وكقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[8] الآية، وقوله: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ.[9]

وقوله:[10] **أوف بعهدكم** الذي وعدتكم، وهو الجنة، كقوله: لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ،[11] الآية.

ويقول:[12] **وأوفوا بعهدي**، أي أدّوا ما فرضت عليكم من فرائض، ووجهوا إليّ شكر نعمتي، ولا تشكروا غيري. ويكون[13] **وأوفوا بعهدي**، الذي أخذ على[14] النبيين بقوله:

---

[1] م: قوله.

[2] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧).

[3] ن: بوجهين؛ م: توجهين.

[4] ع: خلقه.

[5] ع: خلقه.

[6] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ٥/١٢).

[7] ع – الآية.

[8] يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٨٧).

[9] ع + الآية. ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٣). جاء ذكر الآيات الثلاثة في المخطوطات مضطربا بتقديم وتأخير في الآية الواحدة، و أسقطت آية البقرة حيث ألحأنا إلى هذا الترتيب.

[10] ع م: قوله.

[11] سورة المائدة، ٥/١٢.

[12] ع م: يقال.

[13] ع م – وأوفو بعهدي أي أدوا ما فرضت عيكم من فرائض ووجهوا إليّ شكر نعمتي ولا تشكروا غيري ويكون.

[14] ن – على.

وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ[١] الآية، [وقوله:] وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ،[٢] فيكون عهدُه تبليغ ما بيّن في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم والإقرار به، والنصرَ له إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله:[٣] **وإياي فارهبون**، أي اخشوا سلطاني وقدرتي. وقيل: اخشوا عذابي ونقمتي. وقيل: اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت محمد،[٤] نبيي[٥] صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾**[٤١]

وقوله: **وآمنوا بما أنزلت**، وآمنوا بما أنزلت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن. **مصدقا لما معكم**، أي موافقًا لما معكم من الكتب من التوراة والإنجيل وغيرهما. وهم قد عرفوا موافقته كتبهم، إذ لم يتكلفوا[٦] جمع هذا[٧] إلى كتبهم، ومقابلة بعضه[٨] ببعض.[٩] أو[١٠] يحتمل قوله: **مصدقا**، أي موافقًا لما معكم من الكتب، وليس كما قال صنف من الكفرة -وهم الصابؤن-: إن الإنجيل نزل بالرُّخَص، والتوراة نزلت بالشدائد،[١١] فقالوا باثنين لما لم يروا نزول الكتب -بعضها على الرخص وبعضها على الشدائد- من واحدٍ حكمةً. فقال عز وجل: مُصَدِّقًا، أي موافقًا للكتب، وأنها إنما نزلت[١٢] من واحد لا شريك له، وإن كان فيه شدائد ورخص؛

---

١ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ (سورة آل عمران، ٨١/٣).

٢ سورة آل عمران، ١٨٧/٣.

٣ ع: قوله.

٤ ك ن - محمد.

٥ ع: نبي محمد؛ م - نبي.

٦ م: لو يتكلفوا.

٧ أي جمع القرآن.

٨ ن ع م: بعض.

٩ «ولو كان مخالفا عندهم لفعلوا حيث يظهر الخلاف فيظهر الكذب في قول النبي صلى الله عليه وسلم فينجوا من تعرضه إياهم، فإذا لم يفعلوا دل أنهم قد عرفوا أن القرآن موافق لكتبهم. فكان في هذا الخطاب دلالة واضحة وحجة لائحة على حقية رسالة محمد عليه السلام وحقية كتابه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧ظ).

١٠ ع: إذ.

١١ م: بالشديد.

١٢ ن: نزل.

[١٤و] / إذ لله أن ينهى هذا عن شيء ويأمر آخر [به]، وينهى [عنه] في وقت ويأمر به في وقت.[١] وليس فيه خروج عن الحكمة. إنما الخروج عن الحكمة[٢] أن يأمر أحدًا وينهاه[٣] في وقت واحد، وفي[٤] حال واحدة، وفي شيء واحد.

ثم في الآية دلالة أن المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له، لأن من الأحكام والشرائع ما كانت في كتبهم، ثم نسخت لنا، فلو[٥] كان فيها خلاف،[٦] لظهر القول منهم أنه مخالف وأنه غير موافق. وكذلك في القرآن ناسخ ومنسوخ، فلم[٧] يكن بعضه مخالفًا لبعضه،[٨] كقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[٩]

وقوله: **ولا تكونوا أول كافر به**، قيل فيه بوجهين. قيل:[١٠] ولا[١١] تكونوا أول قُدوة يُقتدَي بكم في الكفر. وقيل: أي لا تكونوا أول كافر بما[١٢] آمنتم به، لأنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. وقيل: هم أول من التقوا[١٣] برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ظهر بين أظهرهم، فلو كفروا لكانوا[١٤] أول من يكفر به،[١٥] فيلحقهم ما يلحق مَن سَنَّ الكفر لقومه.[١٦] مع ما يكونون هم بمعنى الحجة لغيرهم، إذ كانوا[١٧] أعرف به، وأبصر بما معه من الأدلة والبراهين، فيَقتدي بهم من لم يشهد ولا علم. فيكون عليهم

[١] ع – ويأمر به في وقت.
[٢] ع م – إنما الخروج عن الحكمة.
[٣] ع م: أو ينهاه.
[٤] م: في.
[٥] ع + لا.
[٦] جميع النسخ: خلافا.
[٧] ع م: فلو لم.
[٨] ع م: لبعض.
[٩] سورة النساء، ٨٢/٤.
[١٠] ك + فيه.
[١١] ع م:لا.
[١٢] جميع النسخ: فيما.
[١٣] ك ن: لقوا.
[١٤] ك ن: فيكونوا.
[١٥] ع م – وقيل هم أول من التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ظهر بين أظهرهم فلو كفروا لكانوا أول من يكفر به.
[١٦] ع: السن القوم؛ ن م: السن لقوم.
[١٧] ك: لكانوا.

-لو كفروا- ما على أول من كفر. *ولا قوة إلا بالله*. مع ما يلحقهم فيه وصف التعنت والتمرد. *والله الموفق*.

وقوله: **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**، قيل: بحجتي. قال الحسن: الآيات في جميع القرآن هي الدين، كقوله: اِشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى.[١] وأما عندنا فهي الحجج، وقد ذكرنا أن اسم الشراء قد يقع من[٢] اختيار شيء بشيء،[٣] وإن لم[٤] يتلفظ بلفظ الشراء.[٥]

وقوله تعالى: **وإياي فاتقون**، أي اتقوا عذابي ونقمتي، ويحتمل سلطاني وقدرتي، وقد ذكرناه.[٦]

**﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤٢]**

وقوله: **ولا تلبسوا الحق بالباطل**[٧] يحتمل وجوهًا. يحتمل: لا تشتروا بالحق الباطلَ.[٨] ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تلبسوا[٩] تلبيس[١٠] الحق بالباطل. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تخلطوا.[١١] ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تشبّهوا[١٢] الحق بالباطل. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تكتموا. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تمحوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولا تثبتوا[١٣] غيره. وكله يرجع إلى واحد. ثم **الحق** يحتمل وجوهًا. يحتمل محمدًا صلى الله عليه وسلم، ونعته،[١٤] ويحتمل **الحق** القرآن، ويحتمل **الحق** الإيمان. والباطل هو الظلم والكفر. *والله أعلم*.

---

[١] انظر: سورة البقرة، ١٦/٢، ١٧٥.

[٢] ك - من.

[٣] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).

[٤] ع م: إن لم.

[٥] ك: الشيء.

[٦] انظر تأويل الآية السابقة من سورة البقرة، (٤٠/٢)، في قوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾، أي اخشوا سلطاني وقدرتي. وقيل: اخشوا عذابي ونقمتي. وقيل: اخشوا نقض عهدي وكتمان نعمة محمد، نبيي صلى الله عليه وسلم.

[٧] ن ع م - الحق بالباطل.

[٨] ع م: بالباطل.

[٩] ك ع م + هو.

[١٠] ك: إبليس.

[١١] ع م - ويحتمل لا تلبسوا أي لا تخلطوا.

[١٢] ع: يتشبهوا

[١٣] ع: يثبتوا.

[١٤] ك - ونعته. قال السمرقندي: «أي ولا تكتموا نعوته ولا تلبسوا بالتأويل الباطل أن المراد به عيسى دونه» (شرح *التأويلات* ورقة ٢٦و).

وقوله: **وأنتم تعلمون**، لما ذُكر هو ونعته في كتابهم أنه حق[1] إن كان محمدًا -عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات- أو القرآن، أو الإيمان، لكن تعاندون وتكابرون.[2]

**﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٤٣]**

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** يحتمل وجوهًا. يحتمل [أن يكون] الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أمرًا بقبول الصلاة[3] المعروفة[4] والزكاة المعروفة[5] المدعوة إليهما، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[6] ليس هو إخبارًا[7] عن إقامة فعلهما، ولكن القبول لهما والإيمان بهما. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون الأمر بإقامة الصلاة و[إيتاء] الزكاة أمرًا بكونهم على حال تكون صلاتهم صلاة، وزكاتهم زكاة؛ كأنه[8] قال: كونوا في حال تكون صلاتكم صلاة وزكاتكم زكاة[9] في الحقيقة، لأن الآية نزلت في بني إسرائيل، وهم كانوا أهل كتاب، وكانوا يصلون ويتصدقون،[10] ولكن صلاتهم وزكاتهم لم تكن لله، لما لم يأتوا بإيمانهم، فأمروا أن يأتوا بالإيمان لتكون[11] صلاتهم تلك صلاة في الحقيقة. ويحتمل [أن يكون] الأمر بإقامة الصلاة و[إيتاء] الزكاة أمرًا[12] بإقامتها بأسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس وإخلاص النية له. وذلك راجع إلى المؤمنين. ويحتمل [أن يكون] الأمر بالصلاة والزكاة أمرا[13] لمعنى فيهما، وهو الخضوع والطاعة له[14]

---

[1] م: أحق
[2] ع: تكابروا.
[3] ن م: الصلوات.
[4] ع: المعرفة.
[5] ع – والزكاة المعروفة.
[6] سورة التوبة، ٥/٩.
[7] جميع النسخ: إخبار.
[8] ك م – كأنه.
[9] ك – قال كونوا في حال تكون صلاتكم صلاة وزكاتكم زكاة.
[10] ع م: ويصدقون.
[11] ع: يكون؛ ن م: ليكون.
[12] ك ن ع: أمر.
[13] ع م – بإقامتها بأسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس وإخلاص النية له وذلك راجع إلى المؤمنين ويحتمل الأمر بالصلاة والزكاة أمرًا.
[14] ع م – له.

والثناء عليه، وذلك على أجمع المؤمنين؛[١] على[٢] كل أحد أن يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه. وكذلك الزكاة؛ على كل أحد[٣] أن يزكي نفسه عن جميع القاذورات، ويحفظها ويصونها[٤] عن جميع ما يضر[٥] به، وذلك فرض على كل واحد.[٦] *وبالله التوفيق*.

وقوله: **واركعوا مع الراكعين**، قيل فيه[٧] بوجوه. قيل: إن اليهود كانوا يصلون ولا يركعون، فأمروا أن يصلوا لله، ويركعوا فيها على ما يفعله المسلمون. وقيل: إنهم كانوا يصلون[٨] وُحْدانًا لغير الله، فأمروا[٩] بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالجماعة. وفيه أمر بحضور الجماعة.[١٠] وقيل: **واركعوا مع الراكعين**، أي كونوا من المصلين، يعني المسلمين، ولا تخالفوهم في الدين والمذهب، أي اعتقادًا.[١١]

**﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤٤]**

وقوله: **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**، قيل فيه بوجوه. قيل: **أتأمرون الناس**، يعني الأتباع[١٢] والسَّفَلة[١٣] باتّباعكم وتعظيمكم لعلمكم[١٤] وتلاوتكم الكتاب؛[١٥] **وتنسون أنفسكم**، ولا تأمرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لعلمه ولنبوته،[١٦] ولفضل[١٧]

---

[١] ن ع م – على أجمع المؤمنين.
[٢] ك – على.
[٣] ع م – أحد.
[٤] جميع النسخ: ويصون.
[٥] ك: يفوق؛ ن: بغرق؛ ع: يفرقه؛ م: يغرقه.
[٦] م: أحد.
[٧] ع م: هو.
[٨] ن ع م – ولا يركعون فأمروا أن يصلوا لله ويركعوا فيها على ما يفعله المسلمون وقيل إنهم كانوا يصلون.
[٩] ع: فأمر.
[١٠] ع – وفيه أمر بحضور الجماعة.
[١١] ك ن – أي اعتقادا.
[١٢] ن ع: لأتباعه.
[١٣] ك: والقلة؛ ع: الثفلة.
[١٤] ع: ولعلمكم.
[١٥] «فيكون هذا خطابا للرؤساء والقادة منهم؛ أي إنكم تأمرون الأتباع والسفلة باتباعكم وتعظيمكم لعلمكم وتلاوتكم الكتاب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦ظ).
[١٦] ع م: ونبوته.
[١٧] ع: كفضل.

منزلته عند الله. **وأنتم تتلون الكتاب**، أي تجدون في كتابكم أنه كذلك. **أ فلا تعقلون** أن ذا لا يصلح؟

وقيل: **أ تأمرون الناس**، يعني الفقراء والضعفة[1] بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولا تأمرون الأغنياء وأهل الثروة[2] بالإيمان به، لما تخافون فوت[3] المأكلة والبِر،[4] وانقطاعه عنكم. ويحتمل [أن] ذا[5] الخطاب لهم ولجميع المسلمين، أن لا يأمر أحدٌ أحدا بمعروف إلا[6] ويأمر نفسه بمثله،[7] بل الواجب أن يبدأ بنفسه ثم بغيره، فذلك أنفع وأسرع إلى القبول. [ويحتمل] **أفلا تعقلون** أن[8] ذلك[9] في العقل لازم، أن يجعل أول السعي في إصلاح نفسه، ثم الأمر لغيره. *والله أعلم*.

**﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤٥]**

وقوله: **واستعينوا بالصبر والصلاة**، يحتمل وجوهًا. يحتمل أن استعينوا[10] بالصبر على ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا، لأن الخطاب كان للرؤساء منهم بقوله: أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ إلى قوله: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ. *والله أعلم*. ويحتمل: أن اصبروا على ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له، لما بيّن لكم من الثواب في الآخرة لمن آمن به وأطاعه وترك الرياسة له.[11] ويحتمل أن اصبروا على المكاره وترك الشهوات، بأن الجنة لا تدرك إلا بذلك، لما جاء: «حُفت الجنة بالمكاره، والنارُ بالشهوات».[12] ويحتمل أن استعينوا بالصوم والصلاة على[13] أدائهما. لكن هذا يرجع إلى المؤمنين، والآية نزلت في رؤساء بني إسرائيل؛

[1] ن ع م: أو الضعفة.
[2] ك: المروءة.
[3] ك: خوف.
[4] أي العطية والمنفعة.
[5] ن - ذا؛ م: إذ.
[6] م: الأمر.
[7] ك: مثله.
[8] ع م + في.
[9] ن - ذلك.
[10] ن ع م: أي استعينوا.
[11] ن - له.
[12] مسند أحمد ابن حنبل، ٣٣٣/٢، ٣٥٤؛ وصحيح مسلم، الجنة ١؛ وسنن أبي داود، السنة ٢١.
[13] ن: وعلى.

دليله قوله: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، وإنما يصلح هذا التأويل في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا،[1] الآية.

وقوله عز وجل: **وإنها لكبيرة** يخرج -والله أعلم- على ما ذكرنا من ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا إنها لكبيرة عليهم إلا على الخاشعين، فإنها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم.[2] ويحتمل أن ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد له والخضوعَ لثقيلٌ / إلا على الخاشعين، [١٤ظ]
فإنه لا يثقل ذلك عليهم، ولا يكبر.[3] ويحتمل أن يقال: إن الصبر على الطاعة وأداء هذه الفرائض لكبيرةٌ على المنافقين، إلا على المؤمنين خاصة، فإنه لا يتعاظم ذلك عليهم. وقيل: إن تحويل القبلة إلى الكعبة لثقيلٌ على اليهود. **والله أعلم**.

وقوله: **إلا على الخاشعين**، قيل[4] فيه بوجوه. قيل: الخاشع هو الخائف بالقلب. وقيل: الخاشع المتواضع. وقيل: الخاشع هاهنا المؤمن. وقال الحسن: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب.[5]

**﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤٦]**

وقوله: **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم**، يعني يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقوا ربهم بكسبهم وصنيعهم. **وأنهم إليه راجعون**، أي سيعلمون يومئذ أنهم راجعون إليه. قال صاحب المنطق:[6] الظن[7] هو الوقوف[8] على أحد طرفي اليقين، والشك[9] هو الوقوف[10] بين طرفي الظن، والوهم[11] بين هذين.

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٣/٢).
[2] ع م – إلا على الخاشعين فإنها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم.
[3] ن: كبيرة؛ ع م + وقيل إن تحويل القبلة إلى الكعبة لثقيل.
[4] ع م – قيل.
[5] ن ع م: بالقلب.
[6] لعله يقصد علماء المنطق، لا منطقيا بعينه.
[7] «الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان» (*التعريفات* للجرجاني، ١٨٧).
[8] جميع النسخ: الوقف.
[9] «الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. وقيل: الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين» (*التعريفات* للجرجاني، ١٦٨).
[10] ع + على أحد طرفي اليقين والشك هو الوقوف على؛ ن م + على أحد.
[11] ن ع م: الهمة.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٤٧]

وقوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**،[١] يحتمل وجوهًا. يحتمل: **أنعمت عليكم** بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الناس كانوا على فترة من الرسل، وانقطاع من الوحي، واختلاف من الأديان والمذاهب، فبعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم ليجمعهم ويدعوهم إلى دين الله، ويؤلف بينهم ويخرجهم من الحيرة والتِّيه. وذلك من أعظم نعمه[٢] [التي] أنعمها عليهم.[٣] *وبالله التوفيق*.

وذلك أيضًا يحتمل فيما تقدم من الآيات، كقوله:[٤] يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي،[٥] الآية، وقوله: وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ،[٦] يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم. وعهدُه في الأرض رسولُه، كقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ إلى قوله: وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي،[٧] أي عهدي. وعلى ذلك قوله: وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ،[٨] يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ،[٩] يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم. وكذلك قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ؛[١٠] أمكن[١١] تخريج هذه الآيات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم.

ويحتمل أيضًا قوله: **نعمتي التي أنعمت عليكم** الوجوه[١٢] التي ذكرنا.[١٣] أحدها[١٤]

---

[١] ن + الآية.
[٢] جميع النسخ: نعمة.
[٣] ك ن: عليه.
[٤] ك ن م: وقوله.
[٥] سورة البقرة، ٢/٤٠.
[٦] سورة البقرة، ٢/٤١.
[٧] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ (سورة آل عمران، ٣/٨١).
[٨] سورة البقرة، ٢/٤١.
[٩] سورة البقرة، ٢/٤٣.
[١٠] سورة البقرة، ٢/٤٣.
[١١] ك – أمكن.
[١٢] ع: الوجود.
[١٣] انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٤١).
[١٤] ك ع: أحدهما.

أن جعل منكم الأنبياء[1] والملوك، كقوله: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا.[2] كما قيل: إن كل نبي من لدن يعقوب إلى زمن عيسى عليه السلام كان من بني إسرائيل. ويحتمل ما آتاهم عز وجل من أنواع النعم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، كقوله: وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ،[3] من المن والسلوى، وتظليل الغمام، وامتداد اللباس على قدر القامة والطول. كما قيل: إن ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر ما[4] تزداد قامتهم، وكانت لا تَبْلَى عليهم ولا تتوسخ، وذلك مما[5] لَمْ يُؤْتَ أحدًا سواهم. ويحتمل أيضًا قوله: **نعمتي**، أي النجاة من فرعون وآله، كقوله: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[6] الآية.

وقوله: **وأني فضلتكم على العالمين**، قيل: فُضِّلوا على جميع من على وجه الأرض: على الدواب بالجوهر، وعلى الجن بالرسل، وعلى البشر بالإيمان. ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوهًا أيضًا. [يحتمل] ما ذكرنا من بعث الأنبياء منهم، والنجاةَ من أيدي العدو وإهلاكَ العدو وهم يرونه، وفَرْق البحر بهم والنجاة منه وإهلاك العدو فيه، وذلك من أعظم النعم: أن ترى عدوك في الهلاك وأنت بمعزل منه، آمنٌ.

وقوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** إلى قوله: **فضلتكم على العالمين**، يحتمل فضل أوائلهم.[7]

وفي الآية وجهان على المعتزلة. أحدهما[8] قوله: **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**؛

---

[1] ك ع م: أنبياء.

[2] سورة المائدة، ٥/٢٠.

[3] ع + وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين؛ م + كقوله. سورة المائدة، ٥/٢٠.

[4] ع – تزداد وتمتد عليهم على قدر ما.

[5] ع: ما.

[6] ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٤٩).

[7] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهذا الخطاب وإن كان للموجودين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فالتفضل كان لآبائهم، فإن بني إسرائيل كانوا أفضل عالمي زمانهم في وقت موسى عليه السلام، لكن مثل هذا جائز في استعمال كلام العرب وهو متعارف عندهم» «ويحتمل أن الخطاب لبني إسرائيل الموجودين في زمن موسى عليه السلام لكن هذا إخبار لمحمد عن إخوانهم وعما خاطبهم بذلك حال كونهم ووجودهم ليخبرهم النبي عليه السلام بذلك ليكون ذلك دلالة رسالته » (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦ظ).

[8] ع: أحدها.

وعندهم أن جميع ما فَعل مما عليه الفعل؛[1] ولو فعل غيَره لكان يكون به[2] جائزًا.[3] فإذا كان تركه بفعله جائزًا،[4] ففعله[5] حق عليه.[6] ولا أحد يكون بفعلٍ[7] ما لا يجوز له الترك منعمًا على أحد؛ فثبت أن كان ثم منه معنى زائد[8] خصهم به،[9] وأن ليس التخصيص محاباة كما زعمت المعتزلة، ولا ترك الإنعام بخلاً[10] كما قالوا.

والثاني قوله: **فضلتكم على العالمين**؛ فلو لم يكن منه[11] إليهم فضلُ معنًى[12] لم يكن لهم تفضيل على غيرهم، فثبت أن كان فيهم ذلك. ومن قول المعتزلة: أن ليس لله أن يخص أحدًا بشيء إلا باستحقاق بفعله، وبذلك هم فَضَلوا أنفسهم على العالمين لا هو، فكيف يمنّ عليهم بذلك؟[13] *ولا قوة إلا بالله*. مع ما لا يخلو تفضيله إياهم على غيرهم من[14] أن يكون لهم الفضل في الدين أولاً. فإن لم يكن فليس ذلك بتفضيل.[15] وإن[16] كان،[17] ثبت أن ليس من الحق عليه التسويةُ بين الجميع في أسباب الدين.

**﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، الآية -والله أعلم-

[1] أي جميع ما فعل الله هو مما يجب عليه فعله.
[2] ع م - به.
[3] ك ن م: جايزا؛ ع: جائز.
[4] جميع النسخ: جايزا.
[5] ن : وفعله.
[6] أي واجب عليه.
[7] ن: يفعل.
[8] ن ع م: زائدًا.
[9] جميع النسخ: بهم.
[10] جميع النسخ: بخل.
[11] جميع النسخ: منهم.
[12] أي زيادة نعمة.
[13] أي بإخباره أنه فضله على العالمين.
[14] ع م: ومن.
[15] أي وإن قال المعتزلة: لم يكن ذلك الفضل، يصير الله تعالى كاذبًا في خبره أنه فضلهم على العالمين.
[16] ك ن م: فإن.
[17] ع م: كانت.

كأنها مؤخَّرة في المعنى وإن كانت في الذكر مقدَّمة؛ لأنه قال: وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، ثم ذكر الإفضال والمنن، فقال: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[١] الآية؛ وقال:[٢] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ،[٣] وقال:[٤] وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.[٥] ذكَّرهم عز وجل عظيم[٦] نعمه ومننه عليهم ليشكروا له وليعرفوا أنها منة وأنه فضل منه. ثم حذَّرهم عز وجل فقال: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، الآية، ليكونوا على حذر، [و]لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة من الهلاك وأنواع العذاب بعد الأمن والتوسيع[٧] عليهم، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلى قوله فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ،[٨] الآية.

ثم في الآية دليل لقول[٩] أبي حنيفة وأصحابه: إن الولد يصير مشتومًا مقذوفًا بشتم والديه، لِما عيَّرهم عز وجل بصنع آبائهم بقوله: ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ،[١٠] وهم لم يتخذوا العجل، وإنما اتخذ[١١] ذلك[١٢] آباؤهم. وكذلك ذكر عز وجل صنعه ومننه عليهم، من نحو النجاة من الغرق، وإخراجهم من أيدي / العدو، وفَرْق البحر بهم، وإهلاك العدو؛ وإنما كان ذلك لآبائهم دونهم،[١٣] [١٥و]
لكن ذكَّرهم عز وجل عظيم منته[١٤] على[١٥] آبائهم ليشكروا له على ذلك. وكذلك عيَّرهم بصنيع[١٦] آبائهم من اتّخاذ[١٧] العجل وإظهار الظلم ليكونوا على حذر من ذلك. *والله أعلم*.

---

[١] سورة البقرة، ٢/٤٩.
[٢] جميع النسخ: وقوله.
[٣] ع + وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم. سورة البقرة، ٢/٥٠.
[٤] جميع النسخ: وقوله.
[٥] فهي دوام الآية السابقة (سورة البقرة، ٢/٥٠).
[٦] ك: عظم.
[٧] جميع النسخ: والتوسع.
[٨] ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٣-٤٤).
[٩] ع: لقوله.
[١٠] ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥١).
[١١] ن ع م: اتخذوا.
[١٢] ن - ذلك.
[١٣] ع م - دونهم.
[١٤] ك: منته.
[١٥] ك: بمكان.
[١٦] ك: يصنع.
[١٧] ك: اتحاده.

وفي قوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**، أي بما[1] كان [من] إنعامي[2] عليهم باتّباعهم الرسول موسى عليه السلام، وطاعتهم له، فاتّبِعوا[3] الرسول محمدًا[4] صلى الله عليه وسلم وأطيعوا له، ولا تتركوا اتّباعه.

وقوله: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، قيل: أي لا تؤدي[5] نفس عن نفس شيئًا، كقوله، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ،[6] الآية.

وقوله: **ولا يقبل منها شفاعة**، قيل فيه بوجهين. قيل: لا يكون لهم شفعاء يشفعون [لهم]، كقوله:[7] فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[8] وكقوله: مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ.[9] وقيل: لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[10] أي لا يؤذن لهم بالشفاعة، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[11]

وقوله: **ولا يؤخذ منها عدل [ولا هم ينصرون]**؛ والعدل هو الفِداء، إما من المال وإما من النفس، وذلك أيضًا يحتمل وجهين. يحتمل[12] أن لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع. ويحتمل أن لو كان لا يقبل منهم، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ.[13]

ثم الوجوه التي تُخلّص المرء في الدنيا إذا أصابته نَكبة ثلاث:[14] إما بفداء يفدى عنه مالًا أو نفسًا، وإما بشفعاء يشفعون[15] له، وإما بأنصار ينصرون له، فيتخلص من ذلك.

---

[1] ك: مم.
[2] ك: العامر.
[3] جميع النسخ + اسم.
[4] ن ع م: محمد.
[5] ن ع م: يؤدي.
[6] سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٥.
[7] ك: كقولهم.
[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٠٠.
[9] سورة السجدة، ٣٢/٤.
[10] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.
[11] سورة الأنبياء، ٢١/٢٨.
[12] ع م - يحتمل.
[13] سورة المائدة، ٥/٣٦.
[14] جميع النسخ: بثلاث.
[15] ع: فيشفعون.

فقطع[١] عز وجل عنهم جميع وجوه التخلص في الآخرة. والآية نزلت -والله أعلم- في اليهود والنصارى، وهم كانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار، كقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾،[٢] وقوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾؛[٣] ولذلك ذكر اسم الفداء، والشفيع، وما ذكر. وأما من لم يؤمن بالآخرة فلا معنى لذكر ذلك.

**﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٤٩]**

وقوله: **وإذ نجيناكم من آل فرعون**، قيل: آل الرجل شيعته، ولذلك قيل: آل رسول الله قرابته. وقيل: كل مؤمن فهو من آله، وعلي ذلك الأمر بالصلاة عليه وعلى جميع من آمن به.

وقوله: **يسومونكم سوء العذاب**، قيل فيه بوجهين. قيل: يقصدونكم [ب]أشد العذاب، وذلك يرجع إلي الاستعباد والاستخدام بأنفسهم. وقيل: **يسومونكم**، يذيقونكم أشد العذاب. وذلك يرجع إلي ما يسوؤهم من تذبيح الأبناء وتقتيلهم، كقوله: **يذبحون أبناءكم**، أي يقتلون أبناءكم.

وقوله: **ويستحيون نساءكم**، يحتمل أيضا وجهين. يحتمل[٤] يستحيون من الحياء،[٥] أي استحيَوا قتل[٦] النساء لما لا يخافهن. ويحتمل [يستحيون] من الإحياء، أي تركوهن أحياءً، فلم يقتلوهن.[٧]

وقوله: **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**. قيل: البلاء -ممدود- هو النعمة، كأنه قال: فيما ننجيكم[٨] من فرعون وآله نعمة عظيمة. وقيل: البلا -مقصور-[٩] هو الابتلاء والامتحان،

---

[١] ن ع م: يقطع.
[٢] سورة البقرة، ١١١/٢.
[٣] سورة البقرة، ٨٠/٢.
[٤] ن ع م + أيضا.
[٥] «وقيل: إن الاستحياء هنا من الحياء الذي هو ضد القِحة، ومعناه أنهم يأتون النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء» (*تفسير أبي حيان*، ١٩٤/١).
[٦] ك: قبل.
[٧] ع م: تقتلوهن. أي واسترقوهن.
[٨] ك: نجيتكم؛ ن: تنحيكم؛ م: ينجيكم.
[٩] ومن الجدير بالذكر أن الإمام أبا منصور الماتريدي يجعل الاختلاف في المعنى مبنيا على الاسم «بلاء»؛ ممدودا ومقصورا. وبالرجوع إلي المعاجم اللغوية لا تفرق بين الممدود والمقصور، وإنما «البلاء والبلا» يعني الخير كما يعني الشر. ذهب المفسرون إلي التفريق بين الخير والشر في هذه الآية بقوله تعالي ﴿ذلكم﴾؛ فإذا كان المشار إليه هو تذبيح البنين واستحياء النساء كان البلاء مقصودا به الشر، وإذا كان المشار إليه هو التنحية من هذه المحن كان البلاء مقصودا به الخير. انظر: *تفسير الطبري*،٢٧٥/١؛ و*تفسير أبي حيان*، ١٩٤/١.

كأنه قال: في استعباده إياكم واستخدامه امتحان عظيم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[٥٠]

وقوله: **وإذ فرقنا بكم البحر**،[١] قيل: فرقنا أي جعلنا لكم البحر فِرَقًا، أي طرقًا تمرون فيه. وقيل: **فرقنا**،[٢] أي جاوزنا بكم[٣] البحر.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٥١]

و قوله عز و جل: **وإذ واعدنا موسى أربعين**، كان الوعد لهم -و الله أعلم- وعدين.[٤] أحدهما من الله عز و جل بصرف موسى إليهم مع التوراة، كقوله: أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا،[٥] أي صدقًا. ووعد[٦] آخر كان من موسى بانصرافه إليهم بالتوراة علي رأس أربعين ليلة، كقوله: فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي.[٧]

وقوله: **ثم اتخذتم العجل من بعده**، يحتمل وجهين.[٨] يحتمل[٩] **اتخذتم**، أي عبدتم؛ فاستوجبوا ذلك التعيير[١٠] واللائمة بعبادة العجل، لا باتخاذه نفسه. ويحتمل **اتخذتم العجل إلٰهًا**، فاستوجبوا ذلك باتخاذهم إلٰهًا، كقوله وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ،[١١] [وقوله:] فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى،[١٢] وهذا كأنه أقرب. وقيل: **اتخذتم، أي صنعتم. *والله أعلم*.**

وقوله: **وأنتم ظالمون**، قيل في الظلم بوجوه. قيل: إن كل فعل يستوجب به[١٣] الفاعل عقوبة

[١] ن + فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون.
[٢] ك م: وإذ فرقنا.
[٣] ك ن: جاوزناكم.
[٤] ك: وعدان؛ ع: دعوان.
[٥] ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا. قال ياقوم ألم يعد كم ربكم وعدًا حسنًا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ (سورة طه، ٨٦/٢٠).
[٦] م: وعد.
[٧] مهي دوام الآية السابقة (سورة طه، ٨٦/٢٠).
[٨] ن ع م - يحتمل وجهين.
[٩] ك - يحتمل.
[١٠] ن ع م: التغيير.
[١١] سورة الأعراف، ١٤٨/٧
[١٢] ﴿فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ (سورة طه، ٨٨/٢٠).
[١٣] ن ع م: له.

فهو ظلم. وقيل: إن كل عمل لم يُؤذَن له فهو ظلم.[١] وهاهنا –حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم– نسبهم إلى الظلم، لأنهم ظلموا أنفسهم. وقيل: إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه؛ فسُمُّوا بذلك لأنهم وضعوا الألوهية في غير موضعها. وهذا كأنه –والله أعلم– أقرب.

**﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك**؛ الآية[٢] تنقض على المعتزلة قولهم،[٣] لأنهم يزعمون أن الله إذا علم من أحد أنه يؤمن به[٤] في آخر عمره[٥] وإن طال، أو يكون من نسله من يؤمن إلى آخر الأبد، لم يكن له أن يميته، ولا له أن يقطع نسله. فإذا [٦] كان على الله أن يقيهم ولا يقطع نسلهم، لم يكن للامتنان عليهم ولا للإفضال وطلب الشكر منهم معنى، إذ فَعَل عز وجل ما عليه أن يفعل. وكل من فعل ما عليه أن يفعل[٧] لم يكن فعلُه فعلَ امتنانٍ ولا فعلَ إفضال، لأنه عز وجل منَّ عليهم بالعفو عنهم، حيث لم يستأصلهم، وتركهم حتى تناسلوا وتوالدوا. ثم وجه الإفضال والامتنان على هؤلاء، وإن كان ذلك العفو[٨] لآبائهم، لأنه لو أهلك آباءهم وقطع تناسلهم لانقرضوا[٩] وتفانوا، ولم يتوالدوا. فالمنّة عليهم حصلت، لذلك طلبهم بالشكر له. *والله أعلم*. فإذا كان هذا ما وصفنا دل أن ليس على الله أن يفعل الأصلح[١٠] لهم في الدين. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **لعلكم تشكرون**، أي لكي تشكروا؛ وكذلك قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[١١] أي لكي يوحدونِ. وذلك يحتمل وجوهًا. يحتمل[١٢] أن يشهد خلقةُ[١٣] كل أحد

---

[١] ع + وقيل إن كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم.
[٢] ن ع م: لأنه.
[٣] أي قولهم في وجوب الأصلح علي الله.
[٤] ن – به.
[٥] ن – عمره.
[٦] ج: فإن.
[٧] ع – وكل من فعل ما عليه أن يفعل.
[٨] ع م – عنهم حيث لم يستأصلهم وتركهم حتى تناسلوا وتوالدوا ثم وجه الإفضال والامتنان على هؤلاء وإن كان ذلك العفو.
[٩] جميع النسخ: انقرضوا.
[١٠] ع: الأصح.
[١١] سورة الداريات، ٥١/٥٢.
[١٢] ع م – يحتمل وجوهًا.
[١٣] ن ع م: حلقته.

على وحدانيته، وكذلك يشكر[1] خلقة[2] كل أحد له.

[١٥ظ] ويحتمل عبادة الاختيار[3] بوحدانيته، / والشكرَ له بما أنعم وأفضل عليهم،[4] وذلك يرجع إلى من يعبد ويوحّد.[5] ويحتمل أن خلَقهم ليأمرهم بالعبادة والشكر له من احتمل منهم الأمر[6] بذلك.

**﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥٣]**

وقوله: **وإذ آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة. والكتاب اسم كل مكتوب.

وقوله: **والفرقان**؛ قيل: سميت فرقانًا لما فرّق وبيّن فيها الحلال والحرام. وكل كتاب فُرق فيه بين الحلال والحرام فهو فرقان. وقيل: يسمى فرقانًا لما فرق فيه بين الحق والباطل، وهما واحد. وقيل: سميت التوراة فرقانًا لما فيها المخرج من الشبهات.

وقيل:[7] الآية[8] على الإضمار، كأنه قال: **وإذ آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم **الفرقان**، كقوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ.[9]

وقوله: **لعلكم تهتدون**؛[10] فالكلام فيه كالكلام[11] في قوله: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[12] وقد[13] ذكرنا فيه ما أمكن.[14] *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم [باتخاذكم العجل]**،

---

[1] ع م: نشكر.
[2] ك: لخلقة؛ ع: خلقه.
[3] ع: أخيار؛ م: الإخبار.
[4] ن: عليه.
[5] قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧ظ.
[6] ن ع م: لأمر.
[7] ع: قيل.
[8] ن ع م: لأنه.
[9] سورة الفرقان، ١/٢٥.
[10] ن + الآية.
[11] ن – فيه كالكلام.
[12] ن: تهتدون.
[13] ن: قد.
[14] تقدم قريبا.

قيل: أي ظلمتم أنفسكم[١] بعبادتكم[٢] العجل. وقيل: ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلٰهًا.

وقوله عز وجل: **فتوبوا إلى بارئكم،** قيل: ارجعوا عن[٣] عبادة[٤] العجل إلى عبادة ربكم. وقيل: ارجعوا عن[٥] اتخاذ العجل إلٰهًا إلى اتخاذ خالقكم إلٰهًا.

وقوله عز وجل: **فاقتلوا أنفسكم؛** {قال الفقيه أبو منصور رحمه الله:}[٦] لولا إجماع[٧] أهل التأويل والتفسير على صرف ما أمر الله تعالى إياهم بقتل أنفسهم على حقيقته،[٨] وإلا لم تكن[٩] نصرف[١٠] الأمر بقتل أنفسهم[١١] على حقيقة القتل، وذلك لأن الأمر بالقتل كان بعد التوبة[١٢] ورجوعهم إلى عبادة الله، والطاعة[١٣] له والخضوع. دليله قوله عز وجل: وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛[١٤] ظهر بهذا أنهم تابوا قبل أن يؤمروا بالقتل. وقد شرع على ألسن الرسل قتل[١٥] الكفرة حتى يسلموا، فلا يجوز ذلك إن أسلموا، فيحصل الإرسال للقتل خاصة، لا للدين.[١٦] *والله أعلم*. ولأن القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الإسلام، وخاصة قتل استئصال، على ما روي في الخبر أنْ قتل سبعون ألفا في يوم واحد.[١٧] وذلك استئصال وإهلاك، ولم يهلك الله قومًا إلا في حال الكفر والعناد؛

---

[١] ن – أي ظلمتم أنفسكم.
[٢] ك ن: باتخاذكم.
[٣] ع م – قيل أي ظلمتم أنفسكم بعبادتكم العجل وقيل ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلٰها وقوله عز وجل فتوبوا إلى بارئكم قيل ارجعوا عن.
[٤] ع م: بعبادتكم.
[٥] ك: من.
[٦] ك – قال الفقيه أبو منصور رحمه الله.
[٧] ن ع م: اجتماع.
[٨] جميع النسخ: حقيقة.
[٩] ن: تكن.
[١٠] ن: يصرف.
[١١] ع م – بقتل أنفسهم.
[١٢] ك: التورية.
[١٣] ك: في الطاعة.
[١٤] سرة الأعراف، ١٤٩/٧.
[١٥] ن م: قتال.
[١٦] ن ع م: الدين. أي لو كان المقصود بالقتل حقيقته لكان إرسال الرسل للقتل وليس للدعوة إلى الدين. وقد ذكر أبو حيان نحو هذا عن ابن عباس وإسحاق. انظر: *تفسير أبي حيان*، ٢٠٧/١.
[١٧] *تفسير الطبري*، ٢٨٦/١.

إذ الإسلام سبب درء القتل وإسقاطه، [و]لأن من يُقتل لكفره[1] إذا أسلم سقط القتل عنه وزال. وكذلك إذا أسلم وتاب[2] ومات عليه لم يعاقب في الآخرة لكفره في الدنيا. فعلى[3] ذلك يجب أن لا يعاقب هؤلاء في الدنيا بالقتل بعد التوبة والرجوع إلي عبادة الله وطاعته. ونصرف الأمر بالقتل، إلي إجهاد[4] أنفسهم بالعبادة لله والطاعة له، واحتمال الشدائد والمشقة، لتفريطهم في عصيان ربهم باتخاذهم العجل إلٰهًا، وبعبادتهم إياه دون الله. وذلك جار في الناس، يقال: فلان يقتل نفسه في كذا، لا يعنون حقيقة القتل،[5] ولكن إجهاده[6] نفسه في ذلك، وإتعابه إياها، واحتمال الشدائد والمشقة فيه. فعلى[7] ذلك يصرف الأمر بقتل أنفسهم إلي ما ذكر بالمعني الذي وصفنا. *والله أعلم*.

ثم صرف[8] ذلك إلى حقيقة القتل احتمل[9] وجهين.[10] أحدهما أن يجعل ذلك ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل، لا عقوبة لما سبق من العصيان؛ ولله أن يمتحنهم ابتداء بقتل أنفسهم، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[11] الآية، على تأويل كثير من المتأولين في ذلك، إذ له أن يميتهم بجميع[12] أنواع الإماتة. فعلى[13] ذلك له أن يأمر بقتل أنفسهم، وفيه إماتة. مع ما فيه الاستسلام لعظم[14] ما دُعوا إليه، من بذل النفس لله، مما في مثله جُعل وفاءُ إبراهيم الأمرَ بالذبح، وبذل ولده النفسَ له.[15]

[1] م: الكفرة.
[2] م – وتاب.
[3] ن ع م: فعل.
[4] ن ع م: اجتهاد.
[5] ع م: الأمر.
[6] ن ع:اجتهاده.
[7] ن ع م: فعل.
[8] ك:لصرف؛ ع م: اصرف.
[9] ن: إذ احتمل؛ ع م: إن احتمل.
[10] جميع النسخ: وجهان.
[11] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).
[12] ع م: في جميع.
[13] ن ع م: فعل.
[14] ع م: لعظيم.
[15] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٠٢-١٠٦).

فيكون في ذلك القدر[١] وفاء وتوبة، لا حقيقة القتل. **والله أعلم**.

والثاني يجوز ذلك، لأنه عقوبة الدنيا. وعقوبات الدنيا[٢] وثوابها محنة؛ فجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع إلى طاعة[٣] الله، لأنها دار محنة. وأما عقوبات الآخرة وثوابها فليستا[٤] بمحنة، لأنها ليست بدار امتحان؛ لذلك جاز التعذيب في الدنيا بعد التوبة، ولم يجز في الآخرة إذا مات على التوبة. **والله أعلم**.

ثم قيل في قوله: **فاقتلوا أنفسكم** بوجوه. قيل: أمروا ببذل الأنفس للقتل[٥] والتسليم له، فصاروا كأن قد قتلوا أنفسهم. ويجوز أن يكون الأمر بقتل أنفسهم أمرًا[٦] بمجاهدة الأعداء، وإن كان فيها تلفهم، على ما قال: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[٧] الآية، مذكور ذلك في التوراة. وكذا قوله: لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ،[٨] نهى عن القتل الذي فيه قتل أنفسهم. وقد قيل في قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[٩] بمعنى لا تقتلوا مَنْ تقتلون،[١٠] فكأنما قد[١١] قتلتم أنفسكم. وعلى هذا التأويل خرّج أبو بكر[١٢] قوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ.[١٣] **والله الموفق**.

---

[١] أي الاستسلام لعظم ما دعوا إليه من بذل النفس.

[٢] ع م – وعقوبات الدنيا.

[٣] م: على طاعة.

[٤] ك: ليستا؛ ن – ليست المحنة؛ ع – ليستا بمحنة لأنها؛ م: ليست.

[٥] ع م: بالقتل.

[٦] ك ن ع: أمر.

[٧] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

[٨] م – كأن قد قتلوا أنفسهم ويجوز أن يكون الأمر بقتل أنفسهم أمرًا بمجاهدة الأعداء وإن كان فيها تلفهم على ما قال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية مذكور ذلك في التوراة وكذا قوله لا تسفكون دماءكم.
﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ (سورة البقرة، ٨٤/٢).

[٩] ك ن ع + أي. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).

[١٠] ن: يقتلون.

[١١] ن ع م – قد.

[١٢] لعل الإمام يقصد بذلك أبا بكر الأصم.

[١٣] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا﴾ (سورة النساء، ٦٦/٤).

وقيل: أمر بعضًا بقتل بعض، كقوله: سَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً،[1] أي يسلم بعضهم على بعض. وقيل: أمر كل من عبد العجل بقتل نفسه.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **ذلكم خير لكم عند بارئكم**؛ قيل: إن التوبة خير لكم عند خالقكم. وقيل: قتلكم[3] أنفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل. ويحتمل: عبادة الرب[4] عز وجل خيرٌ لكم من عبادة العجل. *والله أعلم*.

وقوله: **فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**؛ وقد ذكرنا المعنى في ذلك فيما تقدم.[5]

وفي بذل أنفسهم للقتل والصبر عليه، وكف أيديهم عن الدفع، والممارسة فيه وجهان. أحدهما أنه كأنهم طبعوا[6] على أخلاق البهائم والدواب. وذلك أن موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون وآله، ونجّاهم من الشدائد التي كانت عليهم ولحوقِ الوعيد بهم، وأراهم الآيات[7] العجيبة، من آية[8] العصا، واليد البيضاء، وفرق[9] البحر، وإهلاك العدو فيه، وتفجير[10] الأنهار من حجر واحد،[11] وغير ذلك من الآيات ما يكثر ذكرها، أن لو كانت واحدةٌ منها لكفَتْهم ودلتهم على صدق نبوته.[12] ثم -مع ما أراهم من الآيات- إذا فارقهم[13] دعاهم السامري إلى عبادة العجل واتخاذه إلٰهًا، كقوله: هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ،[14] فأجابوه إلى ذلك وأطاعوه. وكان هارون -صلوات الله على نبينا وعليه- فيهم يقول: يَا قَوْمِ

[١٦و] / إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي،[15] فلم يجيبوه ولا صدقوه

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).
[2] ع م - نفسه.
[3] ع م: قتل.
[4] م + العجل.
[5] انظر عند قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عيه إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٣٧/٢).
[6] م: أطيعوا.
[7] جميع النسخ: من الآيات.
[8] ن: آلة.
[9] ن ع م: وخرق.
[10] ع: تعجيز.
[11] ك: واحدة.
[12] ك ن ع: صدقه ونبوته.
[13] ك: فارهم.
[14] ﴿فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ (سورة طه، ٨٨/٢٠).
[15] سورة طه، ٩٠/٢٠.

ولا اكترثوا[1] إليه، مع ما كان هارون من أحب الناس إليهم. فلولا أنهم كانوا مطبوعين على أخلاق البهائم والدواب، وإلا ما تركوا إجابته ولا عبدوا العجل، مع ما أُروا من الآيات التي ذكرنا. فإذا كان إلى هذا يرجع أخلاقهم لم يبالوا ببذل[2] أنفسهم للقتل. ***والله أعلم***. ونحو ذلك قوله: قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[3] وعلى ذلك جعلت آيات موسى كلها حسية لا عقلية، إذ عقولهم كادت تَقصُر عن[4] فهم المحسوس ودركه، فضلاً عن[5] المستدَل عليه.[6] ***والله أعلم***.

والثاني: يحتمل أنهم[7] أُرُوا[8] ثواب صبرهم على القتل[9] في الآخرة، وجزيل جزائهم، وكريمَ مآبهم، فهان ذلك عليهم وخفّ، كما روي أن امرأة فرعون لما علم فرعون -لعنه الله-[10] بعبادتها[11] ربها وطاعتها له أمر أن تعاقب[12] بأشد العقوبات، فَفُعِل بها، فضحكت في تلك الحال، لما أُريت[13] مقامها في الجنة وكريمَ مآبها، فهان ذلك عليها، وسهل. فعلى ذلك يحتمل بذل هؤلاء أنفسهم للقتل،[14] والصبر عليه[15] لذلك. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٥٥]**

وقوله: **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**؛ قال بعضهم: قال الذين

---

[1] ن ع م: اكثروا.
[2] ع م: إلى بذل.
[3] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلٰهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف، ١٣٨/٧).
[4] ع: من.
[5] ن ع م: من.
[6] أي فضلاً عن المعقول الذي يستدل عليه.
[7] جميع النسخ: أن.
[8] ع م: رأوا.
[9] ع م - على القتل.
[10] ع م - لما علم فرعون لعنه الله.
[11] ع م: بعبادة.
[12] ع: يعاقب.
[13] ع م :رأت.
[14] ع م - للقتل.
[15] ع م: عليهم.

اختارهم موسى [وكانوا] سبعين رجلاً:[1] لن نصدقك بالرسالة والتوراة حتى نرى الله جهرة، فيخبرنا[2] أنه أنزلها[3] عليك. ويحتمل: لن نؤمن لك أنه إله، ولا نعبده حتى نراه جهرة عيانًا. فاحتج بعض من ينفي الرؤية في الآخرة بهذه الآية،[4] حيث أخذتهم الصاعقة بما[5] سألوا الرؤية. قالوا: فلو كان يجوز أن يُرى لكان لا تأخذهم الصاعقة ولا[6] استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة.

وأما عندنا فإنه ليس[7] في الآية دليل نفي الرؤية، بل فيها إثباتها. وذلك أن موسى عليه السلام لما سُئل[8] الرؤية، لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم: لا تسألوا هذا. وكذلك سأل[9] هو ربه الرؤية، فلم ينهه عنها، بل قال: ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.[10] وذا حرف الوعد، [و]لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لأنه كفر، ومحال ترك النهي عنه.[11] وكذلك ما روي في الأخبار من سؤال[12] الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قالوا: أنرى[13] ربنا؟[14] لم يأت عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم، فلو[15] كان لا يكون لَنُهُوا عن ذلك ومُنعوا.

وإنما أخذ[16] هؤلاء الصاعقةُ بسؤالهم[17] الرؤية، لأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد،[18]

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٥٥).

[2] جميع النسخ: يخبرنا.

[3] ع م: أنزل.

[4] وهم المعتزلة على ما أوضح السمرقندي في شرحه، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ.

[5] ن ع م: لما.

[6] ك: لا.

[7] ع م: فليس.

[8] ك – لما سئل الرؤية؛ ن ع م: سألوا.

[9] ع م: سألوا.

[10] سورة الأعراف، ٧/١٤٣.

[11] ع: منه.

[12] ع: رسول؛ م: سئل.

[13] ع م: نرى.

[14] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك». (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ١٥؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٩-٣٠٣).

[15] ع: فلولا.

[16] ك ن ع: وأما ما أخذ.

[17] ن م: لسولهم؛ ع: ليسوا لهم.

[18] ك: استشهاد.

وإنما سألوا سؤال تعنّت. دليل التعنت فيما جاء من الآيات من وجه الكفاية لمن ينصف،[١] لذلك أخذهم الصاعقة. *والله أعلم*. أو أن يقال:[٢] [ إنما] أخذهم الصاعقة بقولهم: **لن نؤمن لك**، لا بقولهم: **حتى نرى الله جهرة**. وسنذكر هذه المسألة في موضعها إن شاء الله تعالى.

وقوله: **[فأخذتكم] الصاعقة**، قيل: الصاعقة كل عذاب فيه هلاك. لكن الهلاك على ضربين: هلاك الأبدان والأنفس، وهلاك العقل والذهن، كقوله: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا،[٣] قيل: مغشيًا، وفيه هلاك الذهن والعقل. وكذلك قوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٤] أي غُشي. *والله أعلم*. وقيل: الصعقة صياح شديد.

وقوله: **وأنتم تنظرون**، قيل فيه[٥] بوجهين. قيل: تعلمون[٦] أن الصاعقة قد أخذهم وأهلكتهم، بقولهم الذي[٧] قالوا، فكونوا أنتم على حذر من ذلك القول. وقيل: **وأنتم تنظرون**، الخطاب لأولئك الذين أخذهم الصاعقة، أي تنظرون إلى الصاعقة وقت أخذها[٨] لكم؛ أي لم تأخذكم فجأة[٩] ولا بغتة، ولكن عيانًا جهارًا. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٦] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٥٧]**

وقوله: **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** يذكّرهم[١٠] عز وجل عظيم[١١] مننه[١٢] عليهم وجزيل عطائه لهم، ببعثهم بعد الموت، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى من السماء لهم، وذلك مما خُصّوا به دون غيرهم. ثم ما كان لنا من الوعود[١٣] [في الآخرة و]في الجنة،

---

[١] أي حاجهم موسى عليه السلام بالآيات الحسيات التي لا تخفى ولا ينكرها إلا المتعنت.
[٢] ك + دليل التعنت.
[٣] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[٤] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (سورة الزمر، ٦٩/٣٩).
[٥] ن ع م - فيه.
[٦] ن ع م: يعلمون.
[٧] ك: الذين.
[٨] ن ع: أخذتها.
[٩] ك: فجاءة.
[١٠] ك: فذكرهم.
[١١] ن: عظم.
[١٢] ك: منته.
[١٣] م: الموعود.

فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة، من نحو البعث بعد الموت، ومن الظل[1] الممدود، والطير المشويّ، والثياب التي كانت لا تَبلى عليهم، ولا تتوسخ؛ فذلك كله مما وُعد لنا في الجنة، وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون.

مع ما كان لهم هذا لم يجيبوا إلى ما دُعوا، ولا ثبتوا على ما عاهدوا،[2] وذلك لقلة عقولهم، وغلظ أفهامهم، ونشوئهم[3] على أخلاق البهائم والدواب. *والله أعلم*.

وقوله: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، يحتمل وجهين. يحتمل ما لم يحل لهم الفضل على حاجتهم، فأباح لهم القدر الذي لهم إليه حاجة، وسماه طيبات. ويحتمل أنه سماه طيبات،[4] لما لا يشوبه[5] داء يؤذيهم، ولا أذًى يضرُّ[6] بهم، ليس[7] كطعام الدنيا مما لا يَسلم عن ذلك. *والله أعلم*. وقد قيل: الطيب هو المباح الذي يستطيبه الطبع وتتلذذ[8] به النفس.

وقوله: **وما ظلمونا**[9] **[ولكن كانوا أنفسهم يظلمون]**؛[10] قد[11] ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم.[12] وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو النقصان، كقوله: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[13] أي لم تنقص[14] منه. وحاصل[15] ما ذكرنا أن الظلم هو[16] وضع الشيء في غير موضعه، وكل ما ذكرنا يرجع[17] إلى واحد.

---

[1] ك: منته؛ ع م: الظلل.
[2] ك: عهدوا.
[3] ك: نشويم؛ ن ع: نشوهم؛ م: يشوهم.
[4] ن – ويحتمل أنه سماه طيبات.
[5] ع م: يشوهم.
[6] ع: يصير.
[7] م – ليس.
[8] ع م: يتلذذ.
[9] ن ع م: ظلمناهم الآية.
[10] الزيادة بين القوسين من حاشية ن.
[11] ك ن ع: وقد.
[12] انظر: تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥١).
[13] سورة الكهف، ١٨/٣٣.
[14] ن ع م: ينقص.
[15] جميع النسخ: وحاصله.
[16] ك – هو.
[17] ع م – يرجع.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**؛ اختلف في تلك القرية. قيل: إنها بيت المقدس، كقوله: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ[1] أمروا بالدخول فيها، والمُقام هنالك لسعة عيشهم فيها ورزقهم، إذ هو الموصوف بالسعة والخصب. وقيل: إن تلك القرية[2] التي أمروا بالدخول والمقام هنالك هي قرية على انقضاء التيه[3] والخروج منها. غير أنْ ليس لنا إلى معرفة تلك القرية حاجة، وإنما الحاجة إلى تعرف الخلاف الذي[4] كان منهم وما يلحقهم بترك الطاعة له والائتمار. *والله أعلم*.

وقوله: **فكلوا منها حيث شئتم رغدا**[5] قد ذكرنا فيما تقدم أنه سعة العيش وكثرة المال.[6]

وقوله: / **وادخلوا الباب سجدا**، يحتمل المراد من الباب حقيقة الباب؛ وهو باب القرية [١٦ظ] التي أمروا بالدخول فيها. ويحتمل المراد[7] من الباب القرية نفسها، لا حقيقة الباب، كقوله: **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**، ذكر القرية و لم يذكر الباب، وذلك في اللغة شائع[8] جائز. يقال: فلان دخل في باب كذا، لا يعنون حقيقة الباب، ولكن كونه في أمر هو فيه.[9]

وقوله: **سجدا**، يحتمل المراد من السجود حقيقة السجود، فيخرج على وجوه. يخرج على التحية لذلك المكان. ويحتمل على الشكر[10] له [تعالى] لما أهلك أعداءهم الذين كانوا فيها،

---

[1] سورة المائدة، ٥/٢١.

[2] ع م + حاجة.

[3] أي في آخر المفازة التي سميت «التيه» كانوا فيها، وهذه القرية تسمى «أريحا». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ.

[4] ن – الذي.

[5] ن ع م + والرغد.

[6] ن – المال. انظر: تأويل قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٥).

[7] ن ع م – المراد.

[8] ك: سائغ.

[9] يقول السمرقندي: «ويحتمل أن يكون المراد من الباب هو الأمر والحال، لا حقيقة الباب؛ يقال: فلان عالم في باب كذا، أي أمر كذا. ويذكر الدخول ويراد به الكون على ما فيه من الحال؛ يقال: فلان دخل في باب كذا، لا يعنون حقيقة دخول الباب، ولكن يراد به كونه في أمر هو فيه. فعلى هذا تقدير قوله: ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾، أي كونوا في الحال التي أنتم فيها من سعة العيش سجدًا، شكرا لما أنعم الله تعالى عليكم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).

[10] م: الفكر.

كقوله:[1] إِنَّ[2] فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ.[3] ويحتمل حقيقة السجود،[4] لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن بني إسرائيل أمروا بالدخول سجدًا، فدخلوا منحرفين».[5] فما أصابهم إنما أصاب بخلافهم أمر الله. ويحتمل الكناية عن الصلاة؛ إذ العرب قد تسمي السجود صلاة، كأنهم أمروا بالصلاة فيها.[6] ويحتمل [أن يكون] الأمر بالسجود لا حقيقة السجود والصلاة، ولكن الأمر[7] بالخضوع له والطاعة والشكر على أياديه التي أسدى[8] إليهم وبذل[9] من سعة العيش[10] والتصرف فيها في كل حال. *والله أعلم*.

وقوله: **وقولوا حطة**؛ قيل [فيه] بوجهين. قيل: الحطة هو قول لا إله إلا الله؛ سميت حطة لأنها تَحُطّ كل خطيئة كانت من الشرك وغيره، فكأنهم أمروا بالإيمان والإسلام. وقيل:[11] **وقولوا حطة**، أي اطلبوا[12] المغفرة والتجاوز عما ارتكبتموه[13] من المآثم والخطايا، والندامةَ على ما كان منكم.[14] فكأنهم أمروا أن يأتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب، وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك. ***والله أعلم***. وذلك يحتمل الشرك والكبائر وما دونهما.[15]

---

[1] ك: كقولهم.
[2] م - فيها كقوله إن.
[3] ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٢).
[4] ع - السجود؛ ك ع + فيخرج على وجوه يخرج على التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر له [تعالى] لما أهلك أعداءهم الذين كانوا فيها كقوله إن فيها قومًا جبارين ويحتمل حقيقة السجود.
[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم. فبدلوا، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبة في شعيرة» (صحيح *البخاري*، التفسير ٥).
[6] ك: بها.
[7] جميع النسخ: أمر.
[8] ن: أهدى؛ م: أسند.
[9] ك: وأذل؛ ن ع م: وأزل.
[10] ك: التعيش؛ م: الصلاة.
[11] ن: قيل.
[12] ع م: طلبوا.
[13] ك: ارتكبوا؛ ن ع م: ارتكبوه.
[14] جميع النسخ: منهم.
[15] ن ع م: دونها.

**[نغفر لكم خطاياكم]**؛ ذكر عز وجل مرة خَطَايَا،[١] ومرة خَطِيئَاتٍ،[٢] ومرة قال: أُدْخُلوا،[٣] ومرة قال: أُسْكُنُوا،[٤] ومرة قال: فَأَنْزَلْنَا [عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا]،[٥] ومرة قال: فَأَرْسَلْنَا،[٦] والقصة واحدة حتى يعلم أن ليس في اختلاف الألفاظ والألسن تغيير المعنى والمراد، [و]أن الأحكام والشرائع التي وضعت لم توضع للأسامي والألفاظ، ولكن للمعاني[٧] المدرجة والمودعة فيها.[٨] *والله أعلم*.

وقوله: **وسنزيد المحسنين**، يحتمل المراد من المحسنين المسلم[٩] الذي كان أسلم قبل ذلك. ويحتمل الذي أسلم بعد قوله: **وقولوا حطة**، وكان كافرًا إلى ذلك الوقت. والزيادة تحتمل[١٠] التوفيق بالإحسان من بعد،[١١] كقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،[١٢] الآية.[١٣] ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله: أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا،[١٤] الآية.

**﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٥٩]**

---

[١] ن: بخطايا.

[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدًا نغفر لكم خطيئاتكم﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦١).

[٣] يريد به الآية السابقة (سورة البقرة، ٢/٥٨).

[٤] يريد به الآية السابقة (سورة البقرة، ٢/٥٨).

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٩)

[٦] يقول الله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٢).

[٧] ع م: المعاني.

[٨] يقول السمرقندي: «فيكون هذا حجة لنا على الخصوم في مسائل ثلاث: منها جواز الصلاة بكل لفظ (أي من القراءات المشهورة) يؤدي معنى القرآن، والثانية نقل الحديث بالمعاني، والثالثة جواز القياس وتعدية الأحكام من ظواهر النصوص إلى غير المنصوص باعتبار المعاني» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).

[٩] ع م: المعلم.

[١٠] ن ع م: يحتمل.

[١١] لعل في عبارة السمرقندي زيادة وضوح، حيث يقول: «والمراد من قوله: سنزيد، يحتمل زيادة التوفيق للإحسان في المستقبل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).

[١٢] ﴿وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-٧).

[١٣] ع - الآية.

[١٤] ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥٤).

وقوله: **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**؛ قوله: **بدل**، يحتمل إحداث ظلم بعد أن لم يكن، والخلافَ لما أمرهم به عز وجل. ويحتمل نشوءهم على غير الذي قيل لهم. ولم يبيّن ما ذلك القول الذي بدّلوا، وليس لنا إلى معرفة ذلك القول حاجة؛ إنما الحاجة إلى معرفة ما يلزمهم[1] بالتبديل وترك[2] العمل بأمره وإظهار الخلاف له، فقد تولى الله بيان ذلك بفضله. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء**؛ قيل: الرجز هو العذاب المنزل من السماء على أيدي الملائكة، لأن من العذاب ما ينزل على أيدي الملائكة[3] كعذاب قوم لوط[4] وغيره. و[منه] عذاب[5] ينزل من السماء لا على أيدي أحد، من نحو الصاعقة والصيحة ونحوها.

وقوله: **بما كانوا يفسقون**؛ مرة ذكر **يفسقون**، ومرة ذكر يظلمون،[6] وهو واحد.

وفي هذه الآيات التي ذكرناها والأنباء التي وصفنا[ها] دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات نبوته. وذلك أن أهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الأنباء بكتبهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في كتابهم، ولم يكن ظهر منه اختلاف إليهم ولا درس كتابهم. فدلّ أنه[7] بالله عرف.[8] وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبر[9] عليه، لظهور الخلاف له من قومه وترك[10] طاعتهم إياه، وأن ذلك[11] ليس بأول خلاف كان له من قومه ولا أولِ تكذيب، بل كان من الأمم السالفة[12] لأنبيائهم ذلك،

[1] ع: يكونهم؛ م: يكون.
[2] ع: نزل.
[3] ع م – لأن من العذاب ما ينزل على أيدي الملائكة.
[4] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين. إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٣٣-٣٤).
[5] ع – عذاب.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٢).
[7] ن + ليس إلا أنه.
[8] ن: عرف بالله.
[9] ك: والتبصر؛ ن م: التصبير.
[10] ع: نزل.
[11] ع م – ذلك.
[12] ع م + لا.

فصبروا عليه، فاصبر أنت كما صبروا هم، كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[١] الآية.

**﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٦٠]**

وقوله: **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر،**[٢] يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم إليه، فأوحى الله تعالى إليه أن **اضرب بعصاك الحجر.**[٣] قد ذكرنا فيما تقدم أن الله عز وجل[٤] قد أراهم من عصاه آيات عجيبة،[٥] من نحو الثعبان الذي كان يتلقّف ما يأفكون، كقوله: فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ،[٦] وقوله: فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ،[٧] ومن ضربه[٨] البحر[٩] بها حتى انفلق، كقوله: فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ،[١٠] أو من[١١] ضربه[١٢] الحجر بها[١٣] وانفجار العيون منه، وغير ذلك من الآيات، مما[١٤] يكثر ذكرها، [فجعلها] عز وجل من آيات رسالته وآيات نبوته. وفيما أُرى منها من عجيب آياته دلالة حدث العالم وإبداعه لا من شيء، لأنه عز وجل قد أخرج بلطفه من حجر يصغر في نفسه -مما يحمل من مكان إلى مكان- من الماء ما يكفي خلقًا[١٥] لا يُحصِي عددَهم إلا الله،[١٦] وفجّر منه أنهارًا لكل فريق نهر على حِدَة.

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٢] ع - فقلنا اضرب بعصاك الحجر.
[٣] ك - يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم إليه فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك الحجر.
[٤] ك + إن الله.
[٥] راجع تفسير سورة البقرة، ٤٧/٢.
[٦] سورة الشعراء، ٤٥/٢٦.
[٧] سورة الأعراف، ١٠٧/٧؛ انظر كذلك: سورة الشعراء، ٣٢/٢٦.
[٨] ع م: ضربة.
[٩] ك: الحجر.
[١٠] ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (سورة الشعراء، ٦٣/٢٦).
[١١] ك ن: كذا ومن.
[١٢] ن ع: ضربة.
[١٣] ك - بها.
[١٤] م: ما.
[١٥] ك: لخلق؛ ن ع م: الخلق.
[١٦] ن ع م - إلا الله.

ثم لا يحتمل كون ذلك الماء بكليته فيه لصغره وخفته، ولا كان نبع[1] ذلك من أسفله.[2] فإذا كان هذا[3] كما ذكرنا ظهر[4] أن الله عز وجل كان ينشئ ذلك الماء فيه، ويُحدثه[5] من لا شيء، لأن ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من أصله. فإذا كان قادرًا على هذا [كان] قادرًا[6] على إنشاء العالم لا من شيء سبق ولا أصلٍ تقدم. وكذلك ما أراهم[7] عز وجل من العصا الثعبانَ والحيّةَ لم يكونا[8] من جوهرها[9] ولا من أصلها[10] ولا تولُّدهما[11] منها، بل أنشأ ذلك وأبدع بلطفه. *والله الموفق*.

وقوله: **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**؛ قيل: كانوا اثني عشر سبطًا، بقوله: إِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا،[12] وهم بنو يعقوب، فجعل لكل سبط نهرًا / على حدة، فانضم[13] كل فريق [منهم] إلى أبيهم[14] الذي كانوا منه، ولم ينضموا إلى أعمامهم وبني أعمامهم. [١٧و]

ففيه دلالة[15] أن المواريث لا تصرف إلى غير الآباء إلا بعد انقطاع أهل الاتصال بالآباء.[16] وفيه دلالة أن القوم في الصحارى والبوادي[17] ينزلون[18] مجموعين غير متفرقين،

---

[1] جميع النسخ: ينبغي.
[2] أي إذ النبع من أسفله على هذه الصورة من المحال.
[3] ع م - هذا.
[4] ع م: أظهر.
[5] جميع النسخ: و يحدث.
[6] ك ن م: لقادر؛ ع: القادر.
[7] ع م: راهم.
[8] ع م: لم يكن.
[9] ك: جوهرهما.
[10] ك: أصلهما.
[11] ع م: تولدها.
[12] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).
[13] م: فانقسم.
[14] ع م: أبيهم.
[15] م - دلالة.
[16] قال السمرقندي: «وفيه دلالة وجوب صلة الأرحام وحرمة القطع، فإن الاختلاف بين ذوي الأرحام والأقرباء سبب القطعية؛ فصانهم عن ذلك ببيان مورد كل واحد على حدة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩و).
[17] ن ع م: البراري.
[18] ع م: يتولون.

ولا متباعدين بعضهم عن[١] بعض بحيث يكون بعضهم[٢] عونا لبعض وظهيرًا؛ لأنهم[٣] نزلوا جميعًا في موضع واحد مجموعين، مع كثرتهم وازدحامهم، غير متفرقين ولا متباعدين، وإن كان ذلك أنفع لهم وأهون عليهم من جهة الرعي والرَّبع[٤] وسعة المنازل.[٥]

وقوله: **قد علم كل أناس مشربهم**، أي موردهم. وفيه دلالة قطع التنازع والاختلاف[٦] من بينهم، لما بيّن لكل فريق منهم موردًا على حدة. ولو كان مشتركًا لخيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم، وفي وقوع ذلك بينهم قطع الأنساب والأرحام. ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **كلوا**، يعني المن والسلوى. وقوله: **واشربوا**، من الماء الذي أخرج لكم[٧] من الحجر. وكلاهما **رزق الله** الذي ساقه إليهم،[٨] من غير تكلف ولا مشقة.

وقوله: **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**؛ قيل: لا تسعوا في الأرض بالفساد. ويحتمل **لا تعثوا**، أي لا تفسدوا، لان العَثْو هو الفساد نفسه؛ كأنه قال: لا تفسدوا في الأرض فتكونوا[٩] مفسدين.

**﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**[٦١]

قوله:[١٠] **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**؛ قيل فيه بوجوه.[١١] قيل:

---

[١] ن: من.
[٢] ع م - بحيث يكون بعضهم.
[٣] ك: لأنه.
[٤] يقال: ربعت الإبل، أي سرحت في المرعى وأكلت كيف شاءت وشربت (*لسان العرب* لابن منظور، «ربع»).
[٥] ن ع م + وفي الأول سبق المعنى الذي وصفنا والله أعلم.
[٦] ن ع م: رفع الاختلاف.
[٧] ك ن م: لهم.
[٨] ن - إليهم.
[٩] ن ع م: وتكونوا.
[١٠] ك ع م: وقوله.
[١١] أي أخبر في الآية السابقة أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ولكنهم سموا ذلك طعامًا واحدًا، فما التأويل فيه؟

أول ما أنزل[1] المن، فعند ذلك قالوا: لن نصبر على طعام واحد؛ ثم أنزل السلوى. وقيل: كانوا يتخذون من المن القرص فيأكلون مع السلوى، فهو طعام واحد، فقالوا: لن نصبر عليه. ويحتمل أن يكون طعامهم في اليوم مرة [واحدة]، فطلبوا الأطعمة المختلفة.[2] *والله أعلم.*

وقوله: **فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها.** {قال الشيخ}:[3] يبين لنا معنى إضافة خصوصية الأشياء إلى الله عز وجل، [وذلك] يخرج[4] مخرج التعظيم لذلك الشيء المخصوص.[5] من ذلك قوله:[6] بَيْتُ اللهِ[7] ورَسُولُ اللهِ[8] ونَاقَةُ اللهِ؛[9] هذا كله يخرج مخرج التعظيم[10] لهذه[11] الأشياء. وإضافة كلية الأشياء[12] إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم[13] الرب وإجلاله، نحو ما قال: رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ،[14] وخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[15] ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[16] و"خالق السماوات والأرض"،[17] ونحوه؛ هذا كله وصف تعظيم الرب وإجلاله.[18] وقد اختلف في الفوم؛ قيل: الفوم هو الثوم. وكذلك روي في قراءة عبد الله أنه قرأ ﴿وثومها﴾. وقيل: الثوم[19] هو البُرّ.

---

[1] ن + أنزل.

[2] أي الأطعمة المختلفة مرارًا.

[3] ن ع – الشيخ.

[4] ن ع م + لنا.

[5] قارن بما ورد في شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩و.

[6] م – قوله.

[7] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ٣٧/١٤.

[8] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٥٨/٧؛ وسورة التوبة، ٦١/٩؛ وسورة الفتح، ٢٩/٤٨.

[9] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١.

[10] ك – ذلك الشيء المخصوص من ذلك قوله بيت الله ورسول الله وناقة الله هذا كله يخرج مخرج التعظيم.

[11] ع م: بهذه.

[12] ع م – وإضافة كلية الأشياء.

[13] ن – لهذه الأشياء وإضافة كلية الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج التعظيم.

[14] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

[15] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.

[16] انظر: سورة الرعد، ١٦/١٣؛ و سورة الأنبياء، ٥٦/٢١.

[17] وهي لا توجد كآية في القرآن الكريم، ولكنه ورد بلفظ ﴿خلق السماوات والأرض﴾؛ انظر مثلاً: سورة الأنعام، ١/٦؛ وبلفظ ﴿فاطر السماوات والأرض﴾؛ انظر مثلا: سورة الأنعام، ١٤/٦؛ و سورة يوسف، ١٠١/١٢.

[18] ع م – نحو ما قال رب كل شيء وخالق كل شيء ورب السماوات والأرض وخالق السماوات والأرض ونحوه هذا كله وصف تعظيم الرب وإجلاله.

[19] ن ع م: لفوم.

وقوله: **[قال] أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**؛ قيل في **أدنى** بوجوه. قيل: أدنى في القيمة، وقيل: أدنى في الخطر والرغبة، وقيل: أدنى في المنافع، وقيل: أدنى لما لا يصل هذا إليهم إلا بالمؤنة والمشقة، وذلك لهم بلا مؤنة ولا مشقة، فهو خير. وكل يرجع إلى واحد. ***والله أعلم***. ويحتمل **أدنى**، أي أدون وأقل، ولا شك أن ما طلبوا وسألوا دون الذي كان لهم. ويحتمل **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**، قد[١] أُعْطُوا.[٢] ولو كان ذلك أصلح لهم في الدين لم يكن[٣] موسى ليلومهم عليه؛ ثبت أنه لم يكن،[٤] ثم أعطوا ذلك. ثبت أن الله تعالى قد يجوز له في الحكمة فعل ما كان غيره[٥] أصلح لهم في الدين. ***ولا قوة إلا بالله***.

قوله:[٦] **اهبطوا مصرا**، قيل:[٧] مصر[٨] المعروف، وقيل: مصر من الأمصار، لأن ما طلبوا لا يوجد إلا في الأمصار. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **فإن لكم ما سألتم**، من الأطعمة المختلفة إن كان المراد منه[٩] المرار،[١٠] وإن كان الأطعمة المختلفة فهو كما قال.

وقوله: **وضربت عليهم الذلة**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: الذلة ذلة احتمال المؤنة والشدائد لما سألوا من الأطعمة المختلفة. وقيل: الذلة ذلة الجزية والصغار بعصيانهم ربهم.[١١] وقيل: ذلة الكسب والعمل، لان الأول كان يأتيهم من غير كسب ولا مؤنة.

وقوله:[١٢] **والمسكنة**؛ قيل: هي[١٣] الفقر والحاجة. وقيل: [هي] قطع رجائهم عن الآخرة لما عصوا ربهم.

---

[١] ع: وقد.
[٢] أي أعطوا الذي هو أدنى.
[٣] ع – يكن.
[٤] أي لم يكن أصلح لهم في الدين.
[٥] م: غير.
[٦] ك ع م: قيل.
[٧] ك – قيل.
[٨] جميع النسخ: المصر.
[٩] أي المراد من الذين سألوا.
[١٠] ع م: المراد.
[١١] م: ذلهم.
[١٢] ن ع م – وقوله.
[١٣] ك ع م: دي؛ ن + دي.

وقوله: **وباؤوا بغضب من الله**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **باؤوا**، رجعوا. وقيل: استوجبوا. وقيل: أقروا.[1] وكله يرجع إلى واحد.

وقوله: **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن الآيات هي الحجج التي أعطى الرسل وأجراها على أيديهم.[2] وقال الحسن: هي دين الله.

وقوله: **ويقتلون النبيين بغير الحق**؛ يحتمل أن يكون هذا في غيرهم، لأنه لم يكن في زمن موسى نبي سوى هارون، وهم لم يقتلوه؛ إلا أن يقال: إن ذلك كان من أولادهم بعد موسى، أو كان ذلك من غيرهم سوى هؤلاء وأولادهم. على أن قتل الأنبياء في بني إسرائيل كان ظاهرًا، حتى قيل: قتل في يوم كذا كذا نبيًا. ولم يذكر قتل رسول من الرسل، وذلك والله أعلم لقوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[3] ولقوله:[4] إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ.[5] أخبر أنه لم ينصرهم وأنهم منصورون.[6] ومن كان الله ناصره فهو المنصور أبدًا؛[7] لأن[8] الرسل هم الذين أوتوا الآيات المعجزة؛[9] فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك للآيات[10] التي كانت معهم. وأما الأنبياء فلم يكن معهم تلك الآيات المعجزة،[11] وإنما كانوا يدعون الخلق إلى دين الله بالآيات[12] التي كانت معهم؛ لذلك[13] كان ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] ن: وقيل: أقروا، وقيل: استوجبوا.

[2] انظر تأويل الآية رقم ٤١ من سورة البقرة.

[3] سورة المؤمن، ١٥/٤٠.

[4] ع م: لقومه.

[5] سورة الصافات، ١٧٢/٣٧.

[6] أي لم ينصر الأنبياء ولكن نصر الرسل.

[7] هذا بداية أحد جوابين، رواهما الإمام الماتريدي عن العلماء ردًا على ما اعترض به الملحدة، «وقالوا: إنكم تقولون إن الله تعالى أخبر أن الكفار قتلوا النبيين عليهم السلام. وقد قال في موضع آخر: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾، وقال: ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾؛ ومن كان الله تعالى ناصره فهو المنصور، فما بالهم قتلوا في أيدي الكفار، وهذا تناقض. قال الإمام: ذكر العلماء الجواب عن هذا من طريقين. أحدهما أنه لم يثبت في الكتب ولا في المتواتر من السنة قتل رسول من الرسل عليهم السلام، وإنما ثبت قتل الأنبياء عليهم السلام، فلا تثبت المناقضة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ).

[8] ن ع م: ولأن.

[9] ع م: من المعجزة.

[10] ن ع م: الآيات.

[11] ك – فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك للآيات التي كانت معهم وأما الأنبياء فلم يكن معهم تلك الآيات المعجزة.

[12] ك + التي كانت للرسل والحجج.

[13] ع م: بذلك.

قال قوم: لم يقتل أحد من الرسل،[1] وإنما قتل الأنبياء أو رسل الرسل. فإن كان[2] كذلك، فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا من الآيات. وإن لم يكن فالنصر كان بالحجج والآيات،[3] فكانت تلك للكل. وعلى ذلك لا دلالة في كون الآيات مع الأنبياء وغيرِ كونِها، فإن لم يكن فَلِمَا لم يكن[4] لهم[5] ابتداءُ شرع ولا نسخ، بل على الدعاء[6] إلى ما سبق من الشرائع، وكانت آياتهم كآيات الرسل[7] أو دلالاتِ العصمة،[8] مع ما كان بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل.[9] والله أعلم بالحق في ذلك، ونعتصم بالله من[10] بسط اللسان في ذلك بالتدبر،[11] دون [الاعتماد على] شيء ظهر على ألسن الرسل، أو القول فيهم بشيء[12] أن كانت آيةٌ لكل أو لا؛ لكن الله تعالى / قد أقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام. [١٧ظ]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦٢]

وقوله: **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى**، الآية؛ قيل: إن اليهود[13] والنصارى؛ وهؤلاء جاز أن يكون لهم تعلق بظاهر هذه الآية، لأنهم كانوا[14] يقولون: إنا آمنا بالله

---

[1] ذكر السمرقندي أن الإمام الماتريدي روى هذا القول عن العلماء. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.
[2] ك – كان.
[3] انظر في ذلك شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.
[4] ن ع م – لم يكن فمما لم يكن. أي فإن لم يكن دلالة في كون الآيات مع الأنبياء فلسبب أنه لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ.
[5] ك: فإن لم يكن فمما لم يكن لهم.
[6] أي بل كان يقوم تبليغهم على الدعوة.
[7] أي كانت آياتهم عبارة عن آيات الرسل الذين عاشوا في زمانهم أو فيما قبل.
[8] أي وكانت آياتهم ما شوهد في الأنبياء من الأفعال الجميلة التي تشير إلى أنهم صادقون معصومون عن الكذب.
[9] أي ولهذا كان حفظ الكتب السماوية بلا تبديل بواسطة هؤلاء الأنبياء معجزة في حق بعضهم، وهو عزير عليه السلام، حتى سماه اليهود ابن الله لخروج ذلك عن طوق البشر لكثرتها. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.
[10] جميع النسخ: عن.
[11] ن – بالتدبر؛ ع م: بالتدبير.
[12] م: فشيء.
[13] ك ع م: لليهود.
[14] ن ع م – كانوا.

وآمنا باليوم الآخر، فليس علينا خوف ولا حزن.[1] لكن الجواب لهذا وجوه. أحدها: أنه ذكر المؤمنين بقوله: **إن الذين آمنوا**، وإيمانهم ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.[2] وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ؛[3] وفرقوا بين الكتب أيضًا، آمنوا ببعض وكفروا ببعض.[4] فهؤلاء الذين ذكرهم عز وجل في هذه الآية هم الذين آمنوا بجميع الرسل وآمنوا[5] بجميع الكتب[6] أيضًا؛[7] فإذا كان هذا إيمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن.

والثاني ذكر الإيمان بالله. والإيمان بالله[8] هو الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب؛ ولكنهم[9] لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه[10] في الحقيقة.

أو أن يقال:[11] ذكر عمل الصالحات؛ والكفر ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات. لذلك بطل[12] تعلقهم بهذا. ***والله أعلم***.

وقيل: ذلك[13] على التقديم والتأخير، كأنه قال: "إن الذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر[14] والذين آمنوا" الآية.[15]

---

[1] قال السمرقندي: «قال الإمام: تعلقت اليهود والنصارى والصابئة بهذه الآية، وقالوا: إنا آمنا بالله وباليوم الآخر وعملنا عملا صالحا، فليس عينا خوف ولا حزن بموجب هذه الآية وادعت التناقض علينا. وقالوا: إنكم ادعيتم أن في كتابنا أن اليهود والنصارى من أهل النار إذا ماتوا على الكفر، وفي كتابكم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ويمثل هذه الشبهة يتعمق الملاحدة في دعوى التناقض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠و).

[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٥.

[3] سورة النساء، ٤/١٥٠.

[4] ك - وفرقوا بين الكتب أيضًا آمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ ن + أحد من رسوله.

[5] م - آمنوا.

[6] ع م - الكتب.

[7] ن - أيضا.

[8] م - والإيمان بالله.

[9] ن: لكنهم.

[10] ن ع م: ولا يعرفون.

[11] هذا ابتداء الوجه الثالث من وجوه رد دعوى التناقض.

[12] ك: يطلق.

[13] ن ع م: في ذلك.

[14] ن + الآية.

[15] ك - الآية؛ ن - والذين آمنوا الآية.

وللمعتزلة تعلق أيضًا بظاهر قوله: **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**؛ [فقد قالوا:] وصاحب[١] الكبيرة عليه خوف وحزن،[٢] فلو كان مؤمنًا لكان لا[٣] خوف عليه ولا حزن، لأنه أخبر أن المؤمن لا خوف عليه ولا حزن. فدلّ أنه يخرج من إيمانه إذا ارتكب كبيرة. فيقال[٤] لهم: لم ينف عنهم[٥] الخوف والحزن في كل وقت،[٦] فيحتمل أن يكون عليه خوف في وقت ولا يكون عليه خوف[٧] في وقت آخر، لأن لكل[٨] مؤمن خوفَ البعث وفزعَه حتى الرسل بقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا،[٩] لشدة فزعهم من هول ذلك اليوم؛ فإذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب[١٠] الخوف والفزع عنهم. فعلى ذلك المؤمن يكون له خوف في وقت ولا يكون عليه خوف[١١] في وقت آخر. *والله أعلم*.

واختلف في **الصابئين**؛ قيل: الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور. وقيل: إنهم قوم يعبدون الكواكب. وقيل: هم قوم بين المجوس والنصارى. وقيل: هم قوم بين اليهود والمجوس.[١٢] وقيل: هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة، يقولون[١٣] باثنين؛ ولا[١٤] كتاب لهم ولا علم لنا بهم.

---

[١] م + وصاحب.
[٢] ن: حزنا.
[٣] ع - لا.
[٤] ع م: فقال.
[٥] أي عن المؤمنين.
[٦] ع م: الوقت. يقول علاء الدين السمرقندي: «إن نفي الخوف والحزن ليس عمن آمن مطلقًا، ولكنه متعلق بمن آمن وعمل صالحًا؛ ولأن ارتكاب الكبيرة ليس بعمل صالح، كان المؤمن صاحب الكبيرة خارجًا من متعلق نفي الخوف والحزن». وقال في الجواب الثاني: «إن الخوف والحزن عام لا يمكن العمل بعمومه؛ فظاهر الآية نفي جميع الخوف والحزن عن المؤمن. ولا شك أن جميع أنواع الخوف والحزن لا يرتفع بالإيمان المطلق، لأن لكل مؤمن خوف البعث وفزعه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠و).
[٧] ن ع م: لا خوف عليه.
[٨] م: كل.
[٩] سورة المائدة، ١٠٩/٥.
[١٠] ن ع م + ذلك.
[١١] ن ع م: ولا خوف عليه.
[١٢] ع م - هم قوم بين اليهود والمجوس.
[١٣] ك ن: يقول.
[١٤] ن م: لا.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[٦٣]

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن[١] ميثاق الله وعهده على وجهين:[٢] عهد خلقة وفطرة،[٣] وعهد رسالة ونبوة. فمعناه:[٤] وإذ أخذنا ميثاقهم[٥] في التوراة أن يعملوا بما فيها؛ فنقضوا ذلك العهد[٦] لما رأوا فيها [من] الحدود والأحكام والشرائع [و]كرهوا [ذلك] فرفع الله الجبل فوقهم، فقبلوا ذلك. ويحتمل ما ذكرنا من عهد خلقة وفطرة، فنقضوا ذلك.

وقوله: **خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ قيل: خذوا التوراة بالجد والمواظبة؛ وقيل: **بقوة**، يعني بالطاعة له والخضوع.

ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الآية على تقدم القدرة الفعلَ، لأنه أمرهم عز وجل بالقبول له والأخذ والعمل بما فيها. فلو لم[٧] يعطهم قوة الأخذ والقبول له قبل الأخذ له والفعل،[٨] لكان لا يأمرهم بذلك، لأنهم يقولون: لا قوة لنا على ذلك، فدلّ أنه قد أعطاهم قبل ذلك. لكنه غلط عندنا، لأنه لو كان[٩] أعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الأمر به، ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل، لكان الفعل بلا قوة، إذ من قولهم: إن القوة لا تبقى وقتين. فدلّ أنها تحدث بحدوث الفعل، لا تتقدم ولا تتأخر، ولكن تكون[١٠] معه.[١١] ولأنها سميت قدرة الفعل؛ فلو[١٢] كانت تتقدم الفعل، لم يكن لإضافة الفعل إليها معنى. *والله أعلم*.

---

[١] ع: وأن.
[٢] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧).
[٣] جميع النسخ: وعهد فطرة.
[٤] جميع النسخ: وقوله.
[٥] ك ن ع: ميثاقكم؛ ن + قد ذكرنا فيما تقدم.
[٦] ك ن – العهد.
[٧] ع: لا.
[٨] ن ع: الفعل؛ م – الفعل.
[٩] ن ع م – كان.
[١٠] ن ع م: لا يتقدم ولا يتأخر ولكن يكون.
[١١] جميع النسخ: معًا.
[١٢] ع + لا.

والأصل في ذلك[١] أن الله تعالى قال: **خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ ومعلوم أن المراد من ذلك الأخذ بقوة الأخذ.[٢]

ثم فيه وجهان. أحدهما أن للأخذ[٣] قوة غير التي[٤] للترك.[٥] والثاني أنه ذكر الأخذ بقوة؛[٦] فإذا لم تكن معه،[٧] لم يكن [وجود الفعل] بها، ألا[٨] يرى أن الوقت إذا تباعد لم يحتمل بما تقدم من القوة أوقاتا، فمثله وقت واحد.

وقوله: **واذكروا ما فيه [لعلكم تتقون]**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **اذكروا**[٩] واحفظوا ما فيه من أمره ونهيه ولا تضيعوه،[١٠] لعلكم تتقون المعاصي[١١] والمآثم. ويحتمل **اذكروا** ما فيه من التوحيد والإيمان لعلكم تتقون الشرك والكفر. ويحتمل **اذكروا** ما فيه من الأحكام والشرائع. ويحتمل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد. وكله واحد.

**﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٦٤]**

وقوله: **ثم توليتم من بعد ذلك**، يعني من بعد القبول؛ دلّ هذا على أنهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل أن يأتيهم موسى عليه السلام بها. فلما أتاهم [و]رأوا التشديد والمشقة[١٢] أبوا قبولها[١٣] وتركوا العمل بما فيها من الأحكام والشرائع، فخُوّفوا برفع الجبل فوقهم،[١٤] فقبلوا ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله: **فلولا فضل الله عليكم ورحمته**[١٥] **لكنتم من الخاسرين**. [قيل:] **فضل الله عليكم**

---

[١] م + في ذلك.
[٢] م - بقوة الأخذ.
[٣] ن ع م: الأخذ.
[٤] ن: الذي.
[٥] «فإن قوة الأخذ التوفيق، وقوة الترك الخذلان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠ظ).
[٦] ع م - بقوة.
[٧] أي مع الفعل.
[٨] جميع النسخ: أن.
[٩] ج: ذكروا.
[١٠] ع: لا تضيعون.
[١١] ن: المعاني.
[١٢] ع: المشقة.
[١٣] ع: قبوها
[١٤] ك ع - فوقهم.
[١٥] ن ع م + يحتمل وجوها.

الإسلام، **ورحمته** القرآن. وقيل:[1] **فضل**[2] **الله عليكم** محمد[3] صلى الله عليه وسلم بعث إليكم رسولاً ليجمعكم ويؤلف بينكم ويدعوكم إلى دين الله الحق، بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع من الدين والعمل. ويحتمل **فضل الله عليكم** لِما أنجى آباءكم من العذاب ولم يرسل عليهم الجبل، وإلا لما[4] توالدتم أنتم. وقيل: **فضل الله عليكم** لِما أعطاهم التوراة ووفقهم على قبولها، وإلا **لكنتم من الخاسرين**. وبعضه قريب من بعض.

**﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٦٥]**

[١٨و] وقوله: **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**؛ فيه دلالة إثبات رسالة / محمد صلى الله عليه وسلم. كأنه[5] قال: **ولقد علمتم** أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم **الذين اعتدوا منكم في السبت**، ولا كان [له] علم ما فُعل بهم. ثم علم ذلك، فإنما علم بالله عز وجل لأنه لم يكن قرأ كتابكم، ولا كان يختلف[6] إلى أحد ممن يعرف ذلك؛ فبالله عز وجل عرف ذلك، وبه علم، فدل أنه رسول الله إليكم.

ويحتمل قوله: **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**، أي علمتم[7] ما أصاب أولٰئك باعتدائهم يوم السبت بالاصطياد، وكنتم تقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾،[8] يعني [نحن] أبناء رسل الله وأحباؤه. فلو[9] كان كما تقولون لم يكن ليجعلهم قردة، وهي أقبح خلق الله وأوحشه، إذ مثل ذلك لا يفعل بالأحباء و[لا] بالأبناء.[10] أو أن يحمل على التحذير لهؤلاء، لئلا يكذّبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه في أمره، فيصيبهم[11] ما أصاب أولٰئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم أمره. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: قيل.
[2] ع – فضل.
[3] ن ع م: بمحمد.
[4] جميع النسخ: ما.
[5] ك – كأنه.
[6] ع م: تختلف.
[7] ك ع: علمت.
[8] سورة المائدة، ١٨/٥.
[9] ع + لا.
[10] ع م: والأبناء.
[11] جميع النسخ: فيصيبكم.

ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان -والله أعلم- لما قيل: إن موسى عليه السلام أراد أن يجعل يوما لله، خالصًا للطاعة[١] له والعبادة[٢] فيه، وهو يوم الجمعة، فخالفوا[٣] أمره،[٤] وقالوا: نجعل ذلك يوم السبت، لأنه لم يخلق لعمل. فحرم الاصطياد في ذلك اليوم لذلك، وحُوّلوا قردةً، عقوبةً لهم لما نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا. وعلى ذلك تأويل قوله: إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ،[٥] يعني يوم الجمعة. وقيل: اِخْتَلَفُوا فِيهِ، يعني في الله.

ثم[٦] اختلف في قوله: **كونوا قردة**. قال قوم: قوله: **كونوا قردة** من الأصل على ذهاب الإنسانية منهم. وقيل: حوّل جوهرهم إلى جوهر القردة على إبقاء الإنسانية فيهم من الفهم والعقل، لأنه قيل: إن الذين كانوا ينهونهم عن الاصطياد في ذلك اليوم دخلوا عليهم، فقالوا[٧] لهم: ألم ننهكم عن ذلك ونزجركم؟، فأوموا،[٨] أي نعم، ودموعهم تفيض على خدودهم. فلو كان التحويل على ذهاب جميع الإنسانية[٩] منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا على ما أصابهم؛ لأن كل ذي جوهر راض بجوهره الذي خلقه الله سبحانه [و]يُسَرّ به، ولأن تحويله إياهم قردةً عقوبةٌ لتمردهم في التكذيب وجرأتهم على الله، [فأبقى الله تعالى فيهم بعض الإنسانية] ليعلموا ذلك ويروا أنفسهم أقبح خلق الله وأوحشه.

وفيه نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس في خلق الله قبيح.[١٠] فلو لم يكن في خلق الله قبيح،[١١] لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الإنسان إلى أقبح صورة معنًى، ليروا قبح أنفسهم، عقوبةً لهم بما عصوا أمر الله ودخلوا في نهيه.

---

[١] ن - للطاعة.
[٢] ن + والطاعة.
[٣] ن ع م: فخالفوهم.
[٤] ن ع م + ونهية.
[٥] سورة النحل، ١٢٤/١٦.
[٦] ك - ثم.
[٧] جميع النسخ: فيقولون.
[٨] أَوْمَوْا لغة في أومأوا أي أشاروا إليه (*لسان العرب* لابن منظور، «ومي»).
[٩] ك: الأرمنة.
[١٠] يقول السمرقندي: «إن المعتزلة يقولون: ليس في خلق الله تعالى من الأجسام قبيح، وإنما القبيح بعض الأفعال، وهو الكفر والمعاصي، فلا يجوز نسبتها إلى الله تعالى، ففرقوا بين الأجسام والأفعال» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١و).
[١١] جميع النسخ: قبيحا.

[١٨و س٢١] *وقوله: **خاسئين**؛[٢] قيل: الخاسئ الصاغر، وقيل: الخاسئ الذليل، وقيل: البعيد. وكله يرجع إلى واحد. ***والله أعلم***.*

**﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦٦]**

وقوله: **فجعلناها نكالا**؛ قيل: الهاء[٣] راجعة إلى القرية التي كانوا فيها. وقوله: **لما بين يديها** [أي] من أهل القرية، **وما خلفها** [أي] حواليها. وقيل: أراد بالهاء القرية **لما بين يديها** من القرى،[٤] **وما خلفها** من القرى. وقيل: أراد بالهاء[٥] العقوبة والنكال، **لما بين يديها**، يعني لما مضى من الذنوب، **وما خلفها**، يعني ما بقي. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٦٧]**

وقوله: **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**؛ قيل: قتيل قُتل في بني إسرائيل وأُلقي على باب غيرهم، فتنازعوا[٦] فيه واختلفوا، فأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يذبحوا[٧] بقرة، فقال: **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**، فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيُحْيَى، فيقول من قتله.[٨]

**قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**. قال بعضهم: كفروا بهذا القول لأنهم سموه هازئا، ومن سمى رسولاً من الرسل هازئًا يكفر.[٩] ألا ترى أنهم قالوا في الأخير:[١٠] ﴿اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، دل أن ما قال لهم أول مرة ليس بحق عندهم. وليس هذا بشيء،

* إن العبارة التالية: «وقوله: خَاسِئِينَ؛ قيل... والله أعلم.» قد وردت في النص بين الآيتين ٦٦ و ٦٧ من سورة البقرة؛ غير أنها جزء من آية ٦٥، لذلك نقلناها هنا.

٢ ن ع م + يعني.

٣ ن: إلها.

٤ ن: القرية.

٥ ن: بها.

٦ ع: فسارعوا.

٧ ن: تذبحوا.

٨ جميع النسخ: من قتلني. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١و.

٩ م: لكفر.

١٠ ن ع م: الآخر.

ولا يحتمل ما قالوا.[1] ولكن يحمل على المجازاة، كأنهم قالوا: أ تجازينا بهذا لما مضى منا وسبق[2] من العصيان[3] والخلاف لك؟ لما لم يعلموا أنه من عند الله يأمر بذلك. وهذا وأمثاله[4] على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر، كله على المجازاة جائز.[5] وكقول[6] نوح لقومه:[7] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ،[8] على المجازاة،[9] فكذلك الأول.

وأما الاستهزاء فيما بين الخلق فهو جهل، يسخر بعضهم ببعض لجهل بأحوال أنفسهم، إذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح وتصوير الصورة[10] وتمثيلها. ألا ترى أن موسى أجاب لهم عن الهزء بالجهل، فقال: **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**؛ دل أن[11] الهزء في الخلق لجهل فيهم.[12] *وبالله التوفيق*.

ثم استدل قوم بهذه الآية على عموم الخطاب وقت قرع السمع، لأنه أمرهم بذبح بقرة لم يبيّن لهم كيفيتها ولا ماهيتها وقت الخطاب، إلا بعد البحث والسؤال عنها، فثبت أنه على العموم.

---

[1] قال السمرقندي: «إنهم كانوا معتقدين للتوحيد، مقرين برسالة موسى عليه السلام، فيجب حمل كلامهم على وجه لا يفضي إلى الكفر ما أمكن، وهو الواجب في كلام كل مسلم. وقد أمكن ذلك من وجهين...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١و).

[2] م: سبق.

[3] جميع النسخ + بك.

[4] م: مثاله.

[5] تقدم الكلام عن الاستهزاء والمخادعة والمكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ (سورة البقرة، ١٥/٢).

[6] ع م: كقوله.

[7] ع: ولقومه؛ م: لقوله.

[8] ﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ (سورة هود، ٣٨/١١).

[9] ع م + جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء.

[10] م: الصور.

[11] ع م: وأن.

[12] وقد ذكر السمرقندي وجها ثانيا لحمل كلامهم على وجه لا يفضي إلى الكفر فقال: «والثاني إن كان مرادهم الاستهزاء لا بحق المجازاة [فهو] لا يوجب الكفر، لأن قولهم: ﴿أتتخذنا هزوا﴾، هذا سؤال منهم واستفهام: إن ما أمر الله تعالى بذبح البقرة وضرب لحمها على القتيل ليحيي استهزاء، أم يكون ذلك حقيقة، واشتبه ذلك عليهم. وإن كان في اعتقادهم أن لله تعالى القدرة الكاملة لما أنه ورد الأمر بذبح بقرة مطلقة؛ وقد تقرر عندهم أن الآية تكون ناقضة للعادة بأن تكون في نفسها عجيبة، نحو خروج ناقة صالح من الحجر بلا أم تولد منها، فسألوا لإزالة الاشتباه والإشكال من غير أن اعتقدوا جواز الاستهزاء من الله تعالى ومن رسوله. والجهل بمثل هذا لا يكون كفرًا إذا وجد الإيمان بالجملة وكان إيمانه صحيحًا...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١و).

ألا ترى ما روي في الخبر: «لو عمدوا إلى أدنى بقرة لأجزأتهم،[1] لكنهم شدّدوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم».[2] لكن هذا لا يصح، لأنه دعوى على الله لحدوث شيء في أمره وبُدُوٍّ في حكمه، فذلك كفر لا يقوله مسلم، فضلاً عن أن يقوله رسول من الرسل.[3] [و]تأويل هذا أنه قال:[4] إنه يقول كذا؛ فلو كان الأول على غير ذلك لكان قد[5] بدا[6] له فيما عَمَّ، وفسّر بما لم يكن أراد. وذلك معنى البداء، بل[7] معنى الرجوع عن الأول مما أراد والتفسير[8] له بغيره.[9] **ولا قوة إلا بالله.**

ثم في الآية دليل خصوص الخطاب[10] من وجهين. أحدهما أخذ كل آية خرجت في الظاهر على العموم حتى [يأتي] الخصوص. والثاني جواز تأخير البيان على تقديم الأمر به، لما ذكرنا أنها لو حملت على العموم[11] -وهو مرادها- ثم ظهر الخصوص، فهو بدوّ وحدوث في الأحكام والشرائع؛ فذلك حال من جهل العواقب والنهايات، تعالى الله عن ذلك.[12]

---

[1] ن م: لجزئهم؛ ع: لجزئهم.

[2] روي عن مجاهد، أنه قال: لو أخذوا بقرة ما، كانت أجزأت عنهم. وقال ابن جريج: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليه، وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بين لهم آخر الأبد». ذكره ابن جريج، وهو مرسل لا تقوم به حجة. وذكر ابن كثير بنحوه، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. انظر: *تفسير الطبري*، ١/٣٤٨؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/١١١.

[3] ن – الرسل.

[4] ن م – أنه قال.

[5] م – قد.

[6] ع – بدا.

[7] ع م – معنى البداء بل.

[8] م: التفسير.

[9] وقد ذكر السمرقندي رأي الماتريدي في العموم، فقال: «وقلنا نحن في العموم الذي يمكن العمل بظاهره أنه يجب العمل به، ولا يعتقد فيه لا العموم ولا الخصوص لقيام الاحتمال. والمحتمل يجوز العمل به إذا ترجح، لكن لا يعتقد فيه بأحد الوجهين على اليقين تحرزًا عن الكذب على الله تعالى؛ ولأن هذا يؤدي إلى أن العموم مراد بظاهر الصيغة، ثم صار المقيد بالوصف مرادًا من غير أن تعلق بالأول غرض لضيق الزمان عن الاعتقاد، والتمكن من العمل كان بداءً من الله تعالى ورجوعًا عن الأمر الأول. وهذا فعل من يجهل العواقب، وإن جاز عند التراخي أن يكون نسخا ولا يكون بيانًا، وجاز أن يكون بيانًا. فدل أنه لا يجوز الاعتقاد لظاهر العموم عند النزول» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١ظ).

[10] ن: الكتاب؛ ن هـ: الخطاب.

[11] ن ع م – حتى الخصوص والثاني جوار تأخير البياد على تقدم الأمر به لما ذكرنا أنها لو حملت على العموم.

[12] ن + علوا كبيرا.

ومعنى سؤالهم / بدعاء الرب لهم البيان بما أريد جعل ذلك آية، فوقع عندهم أنْ لا كُلُّ [١٨ظ]
بقرةٍ تصلح للآيات،[١] ولذلك[٢] لم يسألوا موسى عن تفسيرها، إذ الله تعالى هو الذي يعلم الآيات. والحرف الثاني هو الأول[٣] الذي قلنا، إليه انصرف المراد في الابتداء لما يوجبه، وأن الأمر بالذبح في الابتداء كان على ما آل أمرها إليه وظهر. لكنهم أمروا بالسؤال عنها والبحث عن أحوالها ليصلوا إلى المراد فيه، لا[٤] أنه أحدث لهم ذلك بالسؤال. وعلى ذلك ما روي في الخبر أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[٥] أي[٦] لما علم من عبده أنه يصل رحمه جعل مدة عمره أكثر مما لو علم أنه لا يصل، لا أنه يجعل أجله إلى وقت، فإذا وصل رحمه[٧] زاد على ذلك، [و]لا على ما يقوله المعتزلة: إن الله تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وصل رحمه[٨] أماته في[٩] أبعد الأجلين، وإذا لم يصل[١٠] جعل أجله الأول. فهذا أمر من يجهل العواقب. فأما من كان عالمًا بالعواقب فلا، لأنه بدوٌّ ورجوع عما تقدم من الأمر.

ثم من[١١] استدل بهذه الآية بقبول قول أولياء المقتول[١٢] وَهِم لأوجه. أحدها أنه[١٣] لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح منه: إن فلانًا قتلني، [لا] في قطع حق الميراث، و[لا في حق] إغرام الدية.[١٤] والثاني أن ذلك كان آية عظيمة لهم، لم[١٥] يكن ذلك لغيرهم. والثالث أن أولياء المقتول قد كانوا قبل أن يحيي يدَّعون عليهم القتل، فلو[١٦] كان لهم حق القبول لم يُحْتَج إلى تلك الآية.

---

[١] ك: الآيات.
[٢] ع: كذلك.
[٣] أي البقرة المقيدة هي نفسها البقرة المطلقة المذكورة أولاً.
[٤] ن ع م: إلا.
[٥] مسند *أحمد ابن حنبل*، ١/١٩٠؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ١١؛ وسنن *أبي دواد*، الزكاة ٤٥.
[٦] ع م – أي.
[٧] ع – فإذا وصل.
[٨] ع م – رحمه.
[٩] ع – في.
[١٠] ع – يصل.
[١١] ن م – من.
[١٢] «أي قول من يستند في حكمه إلى أن الله حكم بقبول قول القتيل بعد الإحياء، والولي نائب عنه فيجب أن يقبل قوله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١ظ).
[١٣] جميع النسخ: ما.
[١٤] وكذلك حكم قول الولي النائب عنه.
[١٥] ع: ما.
[١٦] ع + لا.

والرابع أن قبول قول الميت أحق من قبول قول الولي، لأن الولي ينتفع بقوله، والميت لا ينتفع بقوله شيئًا.[١] ثم القتيل لا يقبل قوله في شريعتنا، فكذلك[٢] الولي. *والله الموفق*.

ثم وجه حكمة[٣] جعل البقرة آية دون غيرها من البهائم وجهان. أحدهما ما روي أن رجلاً كان بارًّا بوالديه، محسنًا[٤] إليهما، عاطفًا[٥] عليهما،[٦] وكانت له بقرة على تلك الصفة والشبه. فأراد الله عز وجل أن يوصل إليه في الدنيا جزاء ما كان منه بمكان والديه.[٧] والثاني أنهم كانوا يعبدون البُقُور[٨] والعَجَاجيل، وحُبِّب ذلك إليهم، كقوله: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ،[٩] ثم تابوا وعادوا إلى عبادة الله وطاعته، فأراد الله أن يمتحنهم بذبح ما حبب[١٠] إليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة، وانقلاع ما كان في قلوبهم من حب البقور[١١] والعجاجيل. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾[٦٨]**

وقوله: **لا فارض**، يقول: ليست بكبيرة؛ **ولا بكر**: ولا شابة،[١٢] **عوان بين ذلك**: بين الشابة والكبيرة.[١٣] وقيل: **لا فارض**: لا كبيرة[١٤] على ما ذكرنا، **ولا بكر**:[١٥] ولا ما تلد،

---

[١] ع - والميت لا ينتفع بقوله؛ م - والميت لا ينتفع بقوله شيئًا.
[٢] ع: فلذلك.
[٣] ك - حكمة.
[٤] جميع النسخ: محسن.
[٥] ك: معطفًا.
[٦] ع م: إليهما.
[٧] قال المفسر ابن كثير رحمه الله: «وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم في اختلاف. والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا نصدق ولا نكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم». (*تفسير ابن كثير*، ١/١١١).
[٨] ع: القبور.
[٩] ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (سورة البقرة، ٢/٩٣).
[١٠] ن: وحب.
[١١] ع: القبور.
[١٢] م: شبابة.
[١٣] م: الشبابة والكبيرة.
[١٤] ن ع: بكبره؛ م: بكبيرة.
[١٥] ن ع م + أي.

**عوان بين ذلك:**[١] أي[٢] ولدت بطنًا أو بطنين.[٣]

**﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾**[٦٩]

وقوله: **صفراء**؛ قيل: الصفراء[٤] الذي تضرب إلى السواد، وذلك لشدته. وقيل: الصفراء من الصفرة[٥] المعروف.

وقوله: **فاقع لونها**؛ قيل: صافٍ.[٦] **تسر الناظرين**، تعجب الناظرين. وقيل: **فاقع لونها**، صفراء الظِّلْف[٧] والقرن. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾**[٧٠]

*وقوله: **وإنا إن شاء الله لمهتدون**؛ إن[٩] قوم موسى، مع غلظ أفهامهم [١٨ظ س٢٥] ورقة عقولهم [كانوا] أعرف بالله[١٠] وأكمل[١١] توحيدًا من المعتزلة. لأنهم[١٢] قالوا: إن شاء الله لكنا من المهتدين. والمعتزلة يقولون: قد شاء الله أن يهتدوا وشاءوا هم أن لا يهتدوا، فغلبت مشيئتهم على مشيئة الله، على قولهم.[١٣] فنعوذ بالله من السرف في القول والجهل في الدين.* [١٨ظ س٢٨]

---

[١] م - ذلك.
[٢] ن ع: قد.
[٣] ع: وبطنين.
[٤] ن م: الصفر.
[٥] جميع النسخ: الصفر.
[٦] ن: صادق.
[٧] ن ع م: الظليف.
* تأويل هذه الآية من أول ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ إلى «والجهل في الدين» جاء بعد تأويل الآية التي بعدها (سورة البقرة ٧١/٢)، فنقلناه إلى هذا المكان كما فعل علاء الدين السمرقندي في شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢و.
[٩] جميع النسخ: وقوم.
[١٠] جميع النسخ: لله.
[١١] ك: وأجهل؛ ن ع م: أجمل.
[١٢] ك ن: لأن هؤلاء.
[١٣] ع م: قبولهم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[٧١]

وقوله : **لا ذلول تثير الأرض**؛ قيل: لم يذللها العمل،[١] أي لم يُزرع عليها، ولا هي مما يسقي[٢] عليها الحرث.[٣] وقيل: **لا ذلول تثير الأرض**، أي بقرة وحشية صعبة تثير الأرض، ولكن إثارة الأرض لم تذللها، لصعوبتها وشدتها.

وقوله: **وما كادوا يفعلون**؛ قيل فيه بوجوه. **ما كادوا يفعلون** خوفًا على أنفسهم أن يفتضحوا لظهور القاتل. وقيل: **وما كادوا يفعلون** لغلاء ثمنها. والأول أقرب. *والله أعلم*.

وقيل: إنهم استقصَوْا[٤] في[٥] تلك البقرة والسؤال عن أحوالها؛ والاستقصاء في الشيء ربما يكون للمدافعة.[٦] *والله الموفق*.

وفي قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً،[٧] دليل لأبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه أن من حلف لا يأكل لحم بقرة، فأكل[٨] لحم ثور حَنِث، لأن الله تعالى ذكر البقرة، ثم بيّن في آخره ما يدل أنه أراد به الثور، بقوله:[٩] **لا ذلول تثير الأرض**؛ والثور هو الذي يثير الأرض ويسقي الحرث، دون الأنثى منها. لذلك كان الجواب على ما ذكرنا؛[١٠] إلا أن يكونوا هم كانوا[١١] يحرثون بالأنثى منها، كما يحرث أهل الزمان بالذكر، فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا. *والله أعلم*.*

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٧٢]

في الآية دليل مراد الخصوص، وإن خرجت في الظاهر مخرج العموم،[١٣] لأنه قال عز وجل:

---

[١] ك ع : للعمل.
[٢] ن ع م: يبقى.
[٣] ن ع م + أي بقرة وحشية صعبة تثير الأرض ولا تسقي( ن – ولا تسقي) الحرث.
[٤] ع: استفضوا.
[٥] ك + صفة.
[٦] م: للموافقة. أي لمماطلة وعدم قضاءها.
[٧] سورة البقرة، ٦٧/٢.
[٨] ع: تأكل.
[٩] ن: لقوله.
[١٠] ك ن م: ذكر.
[١١] م – كانوا.
* في جميع النسخ جاء هنا تأويل الآية ٧٠، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ١٨ط/سطر٢٥–٢٨.
[١٣] ك: الخصوص العموم.

**قتلتم**، وإنما قتله واحد. و[كذلك] قال: **والله مخرج ما كنتم تكتمون**؛ وإنما كان كتمه الذي قتله. لذلك قلنا أن لا نصرف مراد الآية إلى العموم بلفظ العموم، ولا[1] إلى الخصوص بلفظ الخصوص، إلا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك.[2] ***والله الموفق.***

**﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٧٣]**

وقوله: **فقلنا اضربوه ببعضها**؛ قال بعضهم: يعني[3] بفخذها الأيمن، لكن هذا لا يعلم إلا بخبر عن الله تعالى، ولكن يقال: **ببعضها**[4] بقدر ما في الكتاب.

وقوله: **كذلك يحيي الله الموتى**، أي هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون إحياءه:[5] بضرب[6] بعض البقرة عليه. وكذلك قوله: وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ.[7] فكما أحيا الأرض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء، يقدر[8] على إحياء الموتى وبعثهم على الوجه الذي لا يظنون ولا يتوهمونه.[9] ***والله أعلم.*** ويحتمل إحياء ذلك القتيل هم لما لم يكونوا اطمأنوا على إحياء الموتى، فأراهم الله[10] عز وجل ذلك ليطمئنوا وليستقروا على ذلك / ولا يضطربوا فيه. ***والله أعلم.*** [١٩و]

**ويريكم آياته**؛ يحتمل يريكم آيات وحدانيته. ويحتمل يريكم آيات إحياء الموتى وآيات البعث. ويحتمل [يريكم] آياته فيما تحتاجون[11] إليه، كما أرى من تقدمكم عند حاجاتهم.[12] ويحتمل **ويريكم آياته**، آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو أخبر[13] عن[14] الغيب،

---

[1] ن: لا.
[2] ع – على ذلك.
[3] ك – يعني.
[4] ع – يقال ببعضها.
[5] م: إحياء.
[6] ن ع: يضرب.
[7] سورة فاطر، ٩/٣٥.
[8] ك: لقد.
[9] ن: لا يتوهمون.
[10] ك ن – الله.
[11] ع م: يحتاجون.
[12] ن: حاجته؛ ع: حاجتكم.
[13] ك ع م: خبر.
[14] ك: من.

وأوضحُ آيات الرسالة الخبر عن الغيب، وذكر القصة على الوجه الذي يعلم أن الاختراع لا يبلغ ذلك، ليعلموا أنه بالله علم؛ إذ[1] لم يذكر له خط كتاب ولا اختلاف إلى من عنده. على أنه لو كان مسموعًا منهم [لكان] يجري[2] على مثله القول بالزيادة والنقصان؛ ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك -إذ علموا صدقه- إشفاقًا على أنفسهم أن ينزل عليهم نقمة الله.

وقوله: **لعلكم تعقلون،** لكي تعقلوا آيات وحدانيته، وتعقلوا[3] أنه قادر على إحياء الموتى بعد الموت.

**﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[٧٤]

وقوله: **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة؛** ضرب الله لقلوبهم مثلاً بالحجارة، وشبهها بها لقساوتها[4] وشدة صلابتها وأنها أشد قسوة من الحجارة؛ وذلك أن من الحجارة مع صلابتها وشدتها [و]مع فقد أسباب الفهم والعقل عنها[5] وزوال الخطاب منها [ما] تخضع له وتتصدع، كقوله:[6] لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[7] وقوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ،[8] الآية. وقلب الكافر، مع وجود أسباب الفهم والعقل[9] وسعة سببية[10] القبول، لا يخضع له ولا يلين. وكذلك أخبر الله عز وجل عن الجبال أنها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؛[11]

[1] ع م: أنه إذا.
[2] ن ع م: ليجري.
[3] ك: تعقمون؛ ن ع م: يعقلون.
[4] ك ن ع: لتساويها.
[5] ع م - عنها.
[6] ع م - كقوله.
[7] سورة الحشر، ٢١/٥٩.
[8] ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).
[9] ك ن - والعقل.
[10] ك: هيئة؛ ن: مسببية؛ ع: سيئة.
[11] سورة القارعة، ٥/١٠١.

وقلب الكافر لا يلين أبدًا. أو أن يقال: إن الله عز وجل[١] جعل من الجبال منافع[٢] للخلق مع صلابتها وشدتها، حتى يتفجر منه الأنهار و[تنبع منه] المياه. وقلب الكافر، مع احتمال ذلك وإمكانه لا منفعة فيه[٣] لأحد. *وبالله التوفيق*.

ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلاً بالحجارة وتشبيهها بها، دون غيرها من الأشياء الصلبة من الحديد والصُّفر[٤] وغيرهما، وذلك -والله أعلم- أنّ الحديد تُلِينه[٥] النار، وكذلك الصُّفر حتى تضرب[٦] منهما الأواني. والحجر لا تلينه[٧] النار ولا شيء؛ لذلك شبه قلب الكافر بها. وهذا -والله أعلم- في قوم علم[٨] أنهم لا يؤمنون أبدًا.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون**، خرج[٩] على الوعيد [لهم] أبلغ الوعيد والوعظ، حين ذكّرهم علمه[١٠] بما يعملون.

**﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[٧٥]

وقوله: **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**؛ قيل: الآية وإن خرجت على عموم الخطاب، فالمراد منها[١١] الخصوص، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. وإلى هذا يذهب أكثر أهل التفسير. وقيل: إن المراد منها بعموم الخطاب العموم، يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وكأنها خرجت على النهي عن طمع الإيمان منهم، كأنه[١٢] قال: لا تطمعوا في إيمانهم، كقوله: أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ،[١٣]

---

١ ع م – الجبال أنها تين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقب الكافر لا يلين أبدا أو أن يقال إن الله عز وجل.
٢ ك ن ع: مافعا.
٣ ك ن م: منه.
٤ الصفر: النحاس الأصفر.
٥ ن ع: يلينه.
٦ ن ع: يضرب؛ م: بضرب.
٧ ن ع: يلينه.
٨ ن ع + الله.
٩ جميع النسخ: خرجت.
١٠ م: عمله.
١١ ن: منه.
١٢ ع – منهم كأنه.
١٣ ﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أ فأنت تنقذ من في النار﴾ (سورة الزمر، ٣٩/١٩).

أي لا تنقذ،[1] وكقوله: أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ،[2] أي لا تسمع الصُّمَ.[3]

وقوله: **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه،** الآية؛ لقائل أن يقول: أي شيء[4] فيما كان -فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه- ما يجب أن يدفع الطمع عن إيمان هؤلاء؟[5]

فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما أنهم كانوا أصحاب تقليد، كقوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ؛[6] فأخبر عز وجل أن هؤلاء، وإن رأوا الآيات العجيبة، فإنهم لا يؤمنون أبدًا، لأنهم[7] أصحاب تقليد، لا ينظرون إلى الحجج والآيات. والثاني أنهم -مع كثرة ما عاينوا من الآيات، وشاهدوا من العجائب في عهد رسول الله موسى[8] صلى الله عليه و سلم- لم يطمع في إيمانهم، فكيف تطمعون[9] أنتم في إيمان هؤلاء وهم أتباعهم؟ ***والله أعلم.***[10]

ولهذا وجهان آخران. أحدهما كأنه قال: لا تطمع [يا محمد] في إيمانهم، لأنهم في علم الله على[11] ما عليه مَن ذكر. والثاني لأن أولٰئك كانوا خيرًا من هؤلاء وأرغب في الحق منهم، ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج و[ما] يجب به الإيمان، فكيف تطمع في إيمان[12] هؤلاء؟

وقوله: **ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** أنه من عند الله، ويعلمون أنه رسول الله، وأنه حق.

---

[1] ع: ينقذ.

[2] ن ع م: الموتى. ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العُميَ ومن كان في ضلال مبين﴾ (سورة الزخرف، ٤٠/٤٣).

[3] جميع النسخ: الموتى.

[4] ن ع م: أيش.

[5] لعل عبارة علاء الدين السمرقندي يوضح مقصد الإمام الماتريدي رحمه الله، حيث يقول: «فإن قيل: [إذا كان] تحريف من كان منهم قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم، [ف]من أين يوجد دفع الطمع عن إيمان الموجودين في زمنه؟ قيل من وجهين...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢و).

[6] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.

[7] م: أنهم.

[8] ن ع م - موسى.

[9] جميع النسخ: طمعتم.

[10] ك: الموفق.

[11] م - على.

[12] ع: إيمانه.

**﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٧٦]**

وقوله تعالى: **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أنها في المنافقين نزلت.[١]

وقوله: **وإذا خلا بعضهم إلى بعض**، يحتمل وجهين. يحتمل خلا بعض المنافقين إلى بعض، **قالوا أتحدثونهم** بكذا؟ ويحتمل خلا المنافقون إلى اليهود.

وقوله: **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم**؛ قيل: **فتح الله**،[٢] قص الله. وقيل: **فتح الله** بيّن الله،[٣] وقيل: **فتح الله**، قضى الله، وقيل: مَنَّ الله عليكم في التوراة. وكله يرجع إلى واحد.

وقوله: **ليحاجوكم به عند ربكم**، أي باعترافكم عند هؤلاء. ويحتمل على إضمار رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: ليحاجوكم بإقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويحتمل على معنى **ليحآجوكم به عند ربكم**، أي في ربكم؛ إذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض. ويحتمل **عند ربكم** ، أي يوم القيامة، ويكون **ليحآجوكم** بما عند الله، أي بالذي جاءكم من عند الله. لكن لقائل أن يقول: ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم، والمحاجة يومئذ لا تكون[٤] إلا عنده، ولا تكون[٥] ليحاجوكم [إلا] بما[٦] عند الله، أي بالذي جاءكم من عند الله؟ قيل: لان ذلك أشد إظهارًا[٧] وأقل كتمانًا لما سبق منهم الإقرار بذلك؛ ولذلك[٨] نهوا عن ذلك، لانهم كانوا ينهون أولٰئك عن الإقرار بالإيمان عند المؤمنين، وإظهار ما في التوراة من نعت[٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته.[١٠]

---

١ انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ (سورة البقرة، ١٤/٢).
٢ م – الله.
٣ ع م – وقيل: فتح الله بين الله.
٤ ن ع: يكون.
٥ ن ع م: يكون.
٦ جميع النسخ: بها.
٧ ع: إطهارا.
٨ ك ن: لذلك.
٩ ك ع م: بعث.
١٠ «يقول رؤساء اليهود لمنافقين الذين هم من جملة علمائهم: إنكم تحدّثون عند أصحاب محمد أنّ في كتابكم أن محمدا حق بعثه وصفته ثم لا تتبعونه في دينه، فيحتجون عليكم باعترافكم عند ربكم يوم القيامة. فإن قيل: ما معنى تأويل عند ربكم أي يوم القيامة والحاجة في كل حال يكون عند الرب؟ قيل فيه: ولكن رؤساءهم ينهونهم عن الإقرار بما فتح الله عليهم لئلا يحتجوا بذلك عليهم، ويظهرَ كذبهم في دعاويهم. وظهور ذلك ولزوم العار والفضيحة عليهم في القيامة أشد لأنهم في الدنيا ربما ينكرون ما أقروا فلم يظهر كذبهم لا من حيث الحجة والدليل، وفي القيامة يظهر كذبهم بطريق العيان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢ط).

وقوله: **أفلا تعقلون** أن هذه حجة لهم[1] عليكم، حيث تعترفون[2] به وتظهرون نعته وصفته، ثم لا تبايعونه.[3] ويحتمل **أفلا تعقلون** أنه حق؟

**﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٧٧]**

وقوله: **أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**؛ قيل: **ما يسرون** في الخلوة من الكفر به والتكذيب له، **وما يعلنون**[4] لأصحابه من التصديق له والإيمان به. وقيل: **ما يسرون** من كتمان نعته وصفته، **وما يعلنون** من إظهار نعته وصفته الذي في التوراة. ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم،[5] من النهي عن إظهار ما في التوراة، وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من إظهار نعته وصفته. *والله أعلم*.

**﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٧٨]**

وقوله: **ومنهم أميون لا يعلمون**، يقول: من اليهود من لا يقرأ التوراة ولا يعرفها، إلا [١٩ظ] أن يحدثهم / العلماء والرؤساء عنها. والأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ عن كتابة،[6] لكنه[7] يقرأ لا عن[8] كتابة،[9] كالنبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتابة، كقوله تعالى: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[10] ويقال أيضًا: [الأمي] الذي لا يقرأ ولا يكتب لا[11] عن كتابة ولا[12] عن غير[13] كتابة.

---

[1] ع: لكم.
[2] ع: يعترفون.
[3] جميع النسخ: لا تبايعوه.
[4] ن ع م: تظهرون.
[5] أي ما يسر الأحبار لسائر اليهود.
[6] ن ع م: كتابه.
[7] ن ع م: لأنه.
[8] ك – عن.
[9] أي لكنه يقرأ عن حفظ.
[10] يقول الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨).
[11] ن: إلا.
[12] ع – لا عن كتابة ولا؛ م – لا عن كتابة و.
[13] ع: ولا غير.

وقوله: **إلا أماني**، قيل: أحاديث باطلة تُحَدَّث[1] لهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وقيل: **إلا أماني**،[2] يعني إلا كذبًا.[3] وقال الكسائي:[4] **إلا أماني**، إلا تلاوة، كقوله: إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ،[5] يعني في تلاوته.

وقوله: **وإن هم إلا يظنون**؛ يقول:[6] ما هم إلا [في] ظن، يظنون في غير يقين. وأصله: أي لا يعلمون علم الكتاب، إنما عندهم أماني النفس وشهواتها، كقوله: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ.[7]

**﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾**[٧٩]

وقوله: **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم**؛ قيل: الويل الشدة، وقيل: الويل وادٍ في جهنم، وقيل: الويل هو قول كل مكروب وملهوف، يقول:[8] ويل له بكذا.

وقوله: **يكتبون الكتاب بأيديهم**، يحتمل وجهين. يحتمل **يكتبون**، يمحون نعته وصفته من[9] التوراة. ويحتمل **يكتبون**، يُحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته، **ثم يقولون هذا من عند الله**، فيكون الكتابة في هذا إثباتًا،[10] كقوله: كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ،[11] والمثبَت هو ذلك الملحَق، ليظن أنه كذلك في الأصل.

وقوله: **ليشتروا به ثمنا قليلا**؛ قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[12]

---

[1] ك ع م: يحدث.
[2] ك: الأماني.
[3] *تفسير الطبري*، ١/٣٧٥.
[4] هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسدي الكسائي (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م)؛ إمام في اللغة والنحو والقراءة. أخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة. وله تصانيف غير قليلة. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٧٢-٧٣؛ *وتاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ١١/٤٠٣؛ *وإنباه الرواة* للقفطي، ٢/٢٥٦-٢٧٤.
[5] ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥٢).
[6] ع: بقولي.
[7] سورة النساء، ٤/١٢٣.
[8] ع م + له.
[9] جميع النسخ: عن.
[10] ك: إثبات؛ ن: إثبات الرسالة.
[11] ﴿أولٰئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٢٢).
[12] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً﴾ (سورة البقرة، ٢/٤١).

وقوله: **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**، ذكر لهم ثلاث ويلات: ويل بإحداث كتابة بنعت[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه[2] وتغييره. والثاني، بقولهم: هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ. والثالث **وويل لهم مما يكسبون** من المأكلة والهدايا.

**﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٠] ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨١]**

وقوله: **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة**؛ أجمع أهل التفسير والكلام على صرف الأيام المعدودة المذكورة في هذه الآية إلى أيام عبادة العجل. وذلك لا معنى له لوجهين. أحدهما أن هؤلاء[3] لم يعبدوا العجل، وإنما عبد[4] آباؤهم، فلا معنى لصرف ذلك إلى هؤلاء. والثاني، لو صرف ذلك إلى آبائهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل أيضًا، لأنهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك؛ فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع إلى عبادة الله، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[5] *والله أعلم*.

وتصْرف[6] الأيام المعدودة إلى العمر الذي عصوا [الله] فيه. [وإنما قالوا ذلك] لما لم يروا التعذيب إلا على قدر وقت العصيان والذنب،[7] أو لما لم يكونوا يرون التخليد في النار أبدًا، أو لما هم عند أنفسهم كما أخبر الله عنهم بقوله: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[8] وكقولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.[9] يقولون: إنا لا نُعَذَّب أبدًا، إنما نعذب تعذيبَ الأب ابنه، أو[10] الحبيب حبيبَه،[11] يعذب[ه] في وقت قليل، ثم يرضى [عنه] ويدخل الجنة.

[1] ع م: يبعث. أي على خلاف نعته صلى الله عليه وسلم.
[2] ن ع م: ونحوه.
[3] أي الذين قالوا هذه المقالة.
[4] ن: عبدوا.
[5] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[6] ن ع م: يصرف.
[7] ك - والذنب.
[8] سورة البقرة، ١١١/٢.
[9] سورة المائدة، ١٨/٥.
[10] م - أو.
[11] م - حبيبه.

ولكن عقوبة الكفر أبدًا، والتخليد فيها لا لوقت، وكذلك ثواب الإيمان للأبد لا لوقت، لأن من اعتقد دينًا إنما يعتقده للأبد، لا لوقت [دون وقت]. فعلى ذلك [يكون] جزاؤه[١] للأبد، لا للوقت.[٢] وأما من ارتكب ذنبًا من المسلمين بشهوة[٣] تغلبه في وقت فيرتكبه ثم يتركه، فإنما يعاقب -إن عوقب- على قدر ما ارتكب في وقت، لأنه لم يرتكبه للأبد، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

وقوله: **قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده**؛ والعهد يحتمل: هل عندكم خبر عن الله تعالى بأنكم لا تُعذبون أبدًا ولكن أيامًا معدودة؟ فإن كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده.[٤] والثاني،[٥] **أتخذتم عند الله عهدا**، أي [هل] لكم أعمال صالحة عند الله فوعدكم[٦] بها الجنة؟ فهو لا يخلف وعده؛ أي ليس لكم واحد من هذين، لا خَبر عن الله بأنه لا يعذبكم،[٧] ولا أعمال صالحة وعد لكم بها الجنة.

وقوله: **أم تقولون على الله ما لا تعلمون [بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون]**؛ هذا إكذاب من الله عز وجل إياهم بذلك القول، كأنه قال: بل تقولون على الله ما لا تعلمون. ألا ترى أنه قال: **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته**. يقول: **بلى من كسب سيئة** ، يعني شركا، **وأحاطت به [خطيئته]**، أي مات عليها. **فأولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون**، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها. وقيل: **وأحاطت به**، بقلبه.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨٢]**

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات**، الآية؛[٨] قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٩]

---

[١] ن ع م: جزاه.
[٢] ن ع م: لوقت.
[٣] ن: لشهوة.
[٤] ن: وعده.
[٥] ع + أي.
[٦] ن: لكم.
[٧] ك: لا يعذبهم.
[٨] ن م: لأنه.
[٩] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥).

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾**[٨٣]

وقوله تعالى: **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل**؛ قد ذكرنا عهد الله وميثاقه أنه يكون على وجهين: عهد خلقة وفطرة، وعهد رسالة ونبوة.[١]

وقوله: **لا تعبدون إلا الله**، يحتمل وجهين. يحتمل: لا تجعلون الألوهية إلا لله.[٢] ويحتمل نفس العبادة، أي لا تعبدون غير[٣] الله من[٤] الأصنام والأوثان وغيرها.

وقوله: **وبالوالدين إحسانا**، برًّا بهما وعطفًا عليهما وإلطافًا لهما وخفض الجناح ولِينَ القول لهما، كقوله : فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ،[٥] الآية؛ وكقوله: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا.[٦]

فإن قيل: إن الأمر بالإحسان فيما بين الخلق يخرج مخرج الإفضال والتبرع، لا على الوجوب واللزوم؟ غير أن الإحسان يجوز أن يكون الفعلَ الحسن نفسه، كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.[٧] استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالإحسان إلى الله تعالى، وفعْل الحسن فرضٌ واجب على كل أحد. والثاني، أن الإحسان إليهم يجوز أن يكون من حق الله عليهم، وحق الله عليهم لازم. وعلى ذلك صلة القرابة والمحارم، والإنفاق عليهم من حق الله عليهم، وهو لازم.[٨]

---

[١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢٧/٢)؛ وتأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (سورة البقرة، ٦٣/٢).

[٢] ن ع: الله.

[٣] ع م: إلا.

[٤] ع م: وتعبدوا.

[٥] سورة الإسراء، ٢٣/١٧-٢٤.

[٦] سورة لقمان، ١٥/٣١.

[٧] سورة الأعراف، ٥٦/٧.

[٨] يقول علاء الدين السمرقندي: «فإن قيل: العهد والميثاق سبب الوجوب فيكون البر بالإنفاق والإحسان واجبا على الابن وعليه إجماع الأمة؛ والأمر بالإحسان والبر فيما بين الخلق يكون بطريق الندب والاستحباب، إذ الإحسان من باب التبرع والإفضال، والإفضال لا يحتمل أن يصير لازما واجبا... قال الإمام: والجواب عن هذا من وجهين. أحدهما أن الله تعالى لما أوجب هذا لا يكون تبرعا وإفضالا والتبرع والإفضال إحسان لكن ليس كل إحسان يكون إفضالا، لأن الإحسان هي إتيان فعل الحسن نفسه قال الله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ والإحسان =

فهذا ينقض على الشافعي قوله: إنه لا يوجب النفقة إلا على الوالدين، ولا يتكلم في الآباء والأمهات بالقرابة،[1] ولا سُمُّوا بهذا[2] الاسم؛ فدل أنه أراد به غير الوالدين. *والله أعلم*.

وقوله: **واليتامى والمساكين**، يحتمل[3] النفل من الصدقة والفرض جميعًا.

وقوله: **وقولوا للناس حسنا**، / يحتمل وجوهًا. يحتمل: لا تكتموا صدق[4] محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته، ولكن أظهروها. ويحتمل الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. ويحتمل المراد به الكل، كل شيء وكل قول؛ أي لا تقولوا إلا حسنًا. *والله أعلم*. [٢٠و]

وقوله: **وأقيموا الصلاة**، يحتمل الإقرار بها والقبول لها.[5] ويحتمل إقامتها في مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها. ويحتمل أن كونوا في حال تكون[6] لكم الصلاة والتزكية.

وقوله: **وآتوا الزكاة**، يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلاة.

وقوله: **ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون**،[7] الآية ظاهرة.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٨٤]**

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم**؛ قد ذكرنا الميثاق والعهد في غير موضع.[8]

وقوله: **لا تسفكون دماءكم**، يحتمل وجهين؛ أي لا تسفكون دماء غيركم فيسفك دماءكم،

---

= الذي هو تبرع وإفضال لا يتحقق من العبد في الله وإنما استوجبوا ذلك بإتيان الفعل الحسن وهو مايقبله العقل ويوافقه. فالحسن هو القول لغة والواجب والتبرع من جنس واحد من حيث قبول العقل له وتعلق العاقبة الحميدة به على أن إتيان الفعل الحسن فرض واجب على كل واحد وإنما يرخص بالترك لعذر ولحصول ذلك بغيره. والجواب الثاني أن الإحسان إلى الأب وهؤلاء المذكورين في هذه الآية يجوز أن يكون واجبا حقا لله تعالى عليهم وحق الله لازم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٣و).

[1] ك: فبالقرابة.

[2] ع م: بهذه.

[3] جميع النسخ + على.

[4] جميع النسخ: صفة. والتصويب من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٣ظ.

[5] ع م – ويحتمل المراد به الكل كل شيء وكل قول أي لا تقولوا إلا حسنا والله أعلم وقوله وأقيموا الصلاة يحتمل الإقرار بها والقبول لها.

[6] ن ع م: يكون.

[7] ن ع م – وأنتم معرضون.

[8] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧)، وتأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٣).

فتصيرون كأنكم سفكتم دماءكم. ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض، كقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[1] أي يسلّم بعضكم على بعض. وذكر نقض العهد في هؤلاء[2] وإن كان في أوائلهم، لوجهين.[3] أحدهما لِما رضي هؤلاء بفعل[4] آبائهم. والثاني بقوله:[5] إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ،[6] الآية.

وقوله: **ولا تخرجون أنفسكم من دياركم**، يحتمل أيضًا وجهين. يحتمل ولا يخرج بعضكم بعضًا. ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم[7] فتُخرَجون من دياركم،[8] على ما ذكرنا في قوله: **لا تسفكون دماءكم**. *والله أعلم*.

وقوله: **ثم أقررتم وأنتم تشهدون**، يحتمل **ثم أقررتم**[9] بالعهد والميثاق، **وتشهدون** أنه[10] في التوراة.

**﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُم مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[٨٥]

وقوله تعالى: **ثم أنتم هؤلاء**، يعني يا هؤلاء، **تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم**،[11] يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله: لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ.

وقوله: **تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان**، أي تَعاوَنون عليهم، يعاون بعضكم بعضًا بالإخراج،

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).
[2] أي اليهود الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
[3] ع م: بوجهين.
[4] م: بقول.
[5] ن ع م: بقولهم.
[6] سورة الزخرف، ٢٢/٤٣.
[7] ع: دياركم؛ ن ع + على ما ذكرنا.
[8] ع - فتخرجون من دياركم.
[9] ع م + وأنتم معرضون.
[10] ع م - أنه.
[11] م - وتخرجون فريقا منكم من ديارهم.

وهو الظلم والعدوان. **وهو محرم عليكم إخراجهم،**[1] أي ذلك الإخراج محرم عليكم.

وقوله: **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم،** الآية، وإن كانت مؤخرة في الذكر فهي مقدمة، كأنه قال: لَا[2] تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ، **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم.**[3]

وقوله: **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض،** آمنوا بالمفاداة من الأسارى وكفروا بالإخراج وسفك الدماء. ويحتمل آمنوا[4] ببعض ما في التوراة وكفروا ببعضها، وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، إذ لم يكن على موافقة مرادهم. ويحتمل أن فادوا أُسَراهم[5] من غيرهم، وسَبَوا[6] ذَرارِي غيرهم.

وقوله: **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا؛** قيل: الخزي في الدنيا إجلاء بني النضير من ديارهم وإخراجهم إلى الشام. وقيل: مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم، وذلك لحرب وقع بينهم. ***والله أعلم.*** ويحتمل قوله: **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا،** ولكن لا تعاقبون في الدنيا، بل تردون إلى أشد العذاب في الآخرة، وإن استوجبوا ذلك في الدنيا؛ كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[7] الآية.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد، قد ذكرنا ذلك[8] فيما تقدم.[9]

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾**[٨٦]

وقوله: **أولٰئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة،** يحتمل أنهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه. فلما بعث على خلاف مرادهم[10] كفروا به.

---

[1] ع م – إخراجهم.

[2] ن ع م – لا.

[3] ومعنى ﴿تفادوهم﴾، أي تطلبون الفدية من الأسير الذي في أيديكم من أعدائكم، وكان هذا محرمًا عليهم. انظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٩١/١.

[4] جميع النسخ: الإيمان.

[5] م: أساراهم.

[6] ن ع م: وسبى.

[7] ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

[8] م – ذلك.

[9] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسًا فادّارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٧٢/٢).

[10] أي بأنه لم يكن من أولاد إسحاق.

فذلك اشتراء الحياة الدنيا بالآخرة. ويحتمل ابتداء اختيار الضلال على الهدى والحياة الدنيا على الآخرة من غير أن آمنوا به. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾**[٨٧]

وقوله:[١] **ولقد آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، وهو ظاهر.

وقوله: **وقفينا من بعده بالرسل**، قيل:[٢] **وقفينا**، أردفنا، وهو من القفا؛ قفا يقفو [قَفْوًا]. قيل أتبعنا رسولاً على أثر رسول،[٣] كقوله: فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا،[٤] واحدًا على أثر واحد.

وقوله: **وآتينا عيسى ابن مريم البينات**، قيل: **البينات** الحجج. وقيل: العجائب التي كانت تجري[٥] على يديه من خلق الطير،[٦] وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإنباء ما يأكلون وما يدخرون.[٧] وقيل: **البينات**: الحلال والحرام.[٨]

ثم الرسل حفظوا في أنفسهم[٩] حججًا،[١٠] فلم يحتج كل[١١] قول يقولون [أن يكون مستندًا] بدليل وبيان على صدقهم، لأنهم في أنفسهم حجة. وأما سائر الناس[١٢] فليسوا بحجج في أنفسهم،[١٣] فلا بد لكل قول يقولون أن يأتوا [معه] بدليل يدل على صدقهم [فيه]

---

[١] ك م: قوله.

[٢] جميع النسخ: وقيل.

[٣] ك: الرسول؛ ع م + الله.

[٤] ﴿ثم أرسلنا رسلنا تَتْرَى كلما جاء أمةً رسولُها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضًا وجعلناهم أحاديث فبعدًا لقوم لا يؤمنون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٤٤).

[٥] ع: يجري.

[٦] جميع النسخ: الطين.

[٧] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٩).

[٨] ن: الحرام والحلال.

[٩] ن ع م: في أنفسهم حفظوا.

[١٠] ن ع م: حجج.

[١١] جميع النسخ: إلى كل.

[١٢] ك: الرسل.

[١٣] أي يجوز الكذب عليهم، بخلاف الرسل.

وبيانٍ يُظهر الحق من الباطل، والصوابَ من الخطأ، والصدق من الكذب. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **وأيدناه**، قويناه، **بروح القدس**؛ اختلف فيه. قيل: **روح القدس**: جبريل. وفي الأصل القدس[١] القدوس، لكن طرحت الواو للتخفيف. وتأييده [به] هو أن عصمه وحفظه[٢] حتى لم يَدْنُ[٣] منه شيطان، فضلا أن يدنو[٤] بشيء. *والله أعلم*.

وقيل: **وأيدناه بروح القدس**، يعني بالروح، روح الله. ووجه إضافة روح عيسى إلى الله عز وجل [أن تكون] تعظيمًا له وتفضيلاً.[٥] وذلك أن كل خاص أضيف[٦] إلى الله أضيف[٧] تعظيمًا لذلك الشيء وتفضيلاً له، كما يقال لموسى «كليم الله»، ولعيسى «روح[٨] الله»، ولإبراهيم «خليل الله» على التعظيم[٩] والتفضيل. وإذا أضيف الجمل[١٠] إلى الله عز وجل، فإنما يضاف تعظيمًا له عز وجل وتنزيهًا، كقوله: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[١١]

وقوله: **أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**؛ في ظاهر هذه الآية أنهم كذبوا فريقًا من الرسل وقتلوا فريقًا منهم. ويقول بعض الناس: إنهم قتلوا الأنبياء ولم يقتلوا الرسل، بقوله إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[١٢] وبقوله: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ؛[١٣] أخبر أنه ينصرهم،[١٤] ومن كان الله ناصره فهو لا يُقتل. ومنهم[١٥] من يقول:

---

[١] ك ع م – القدس.
[٢] جميع النسخ: على حفظه.
[٣] ك ن: لم يدنوا؛ ع: لم يدنو.
[٤] جميع النسخ: يدنوا.
[٥] جميع النسخ: وتخصيصًا.
[٦] ن ع م: يضيف.
[٧] ع م – أضيف.
[٨] ك: نجى.
[٩] ك ن + له.
[١٠] ن ع: الحمل.
[١١] انظر لهذه الآية في سورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ١٠٢/١٧؛ وسورة الكهف، ١٤/١٨؛ وغير ذلك من الآيات الواردة في سور القرآن الكريم. حميع النسخ + أضيف جمل الأشياء إلى الله فهو يخرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له. ك ن + أضيف ذلك إليه تعطيما وتنزيها والله الموفق والأصل في ذلك أن حاصية الأشياء إذا أضيف إليه أضيف تعطيما لتلك الخاصية وإذا.
[١٢] ﴿إنا لنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).
[١٣] سورة الصافات، ١٧٢/٣٧.
[١٤] ك: ينصره.
[١٥] ع م – ومنهم.

إنهم قتلوا الرسل والأنبياء.[1] فنقول: يحتمل قوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا في رسول دون رسول، فمن نصره الله فهو لم يقتل. أو كان ما ذكر من النصر[2] لهم كان بالحجج والآيات.

[٢٠ظ] ثم في الآية ، دلالة رسالة محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ونبوتِه، لأنه[3] أخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم، فسكتوا عن ذلك، فلولا أنهم عرفوا أنه رسول[4] -عُرِف ذلك بالله- وإلا لم يسكتوا عن ذلك.

**﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨٨]**

وقوله: **وقالوا قلوبنا غلف**، يعني في أَكِنَّة عليها الغطاء،[5] فلا نفهم[6] ما تقول ولا نفقه ما تُحدِّث؛[7] يدَّعون زوال الخطاب عن أنفسهم كراهية [منهم] لما سمعوا، فأكذبهم[8] الله تعالى بقوله: **بل لعنهم الله**، أي طردهم الله[9] لكفرهم[10] وعُتُوِّهم وتفريطهم في تكذيب[11] الرسول واعتنادهم إياه، لا أن[12] قلوبهم بمحل لا يفقهون[13] [شيئًا] مما[14] يخاطبون [به] على ما[15] يزعمون، ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها.

وقيل في قوله:[16] **قلوبنا غلف**، يعني أوعية تفهم وتعي[17] ما يقال ويخاطب، ولكن

---

[1] سبق نقاش هذا الموضوع عند تأويل قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).
[2] ك ن ع: النصرة.
[3] ن ع: لأنهم.
[4] م: الرسل.
[5] ع: ألفاظا.
[6] ك: تفهم.
[7] ن: يحدث.
[8] ع م: وأكذبهم.
[9] م - الله.
[10] ن ع: بكفرهم.
[11] ع: من تكذيب.
[12] ن ع م: لأن.
[13] ك ن ع: لا يفهمون.
[14] جميع النسخ: على ما.
[15] ن ع م: كما.
[16] ع م - في قوله.
[17] ن: تعي.

لا نفهم[١] ما تقول ولا نفقه[٢] ما تحدث؛ فلو كان حقًا وصدقًا لفهمنا[٣] ولفقهنا[٤] عليه. يدّعون [بهذا] إبطال ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وذلك نحو ما قالوا لشعيب: مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ.[٥]

وقوله: **فقليلا ما يؤمنون**، قيل فيه بوجهين. قيل: **فقليلا**، أي بقليل ما يؤمنون من التوراة، لأنهم عرفوا نعته وصفته، وحرفوه فلم يؤمنوا به. وقيل: **فقليلا**،[٦] أي قليلاً منهم يؤمنون بالرسل عليهم السلام.

**﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٨٩]**

وقوله: **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم**؛ فلولا أنهم عرفوا أن هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب غير مخالف له، وإلا لأظهروا الخلاف لو عرفوا ذلك ولتكلفوا[٧] على إطفاء هذا النور ودفعه.[٨] فدل سكوتهم عن ذلك وترك اشتغالهم به[٩] أنهم عرفوا موافقته لما معهم من التوراة؛[١٠] ففيه آية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**؛ **يستفتحون**، يستنصرون،[١١] **على الذين كفروا**، قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم،[١٢] يقولون: اللهم انصرنا بحق نبيك الذي تبعثه. فلما لم يجئ[١٣] على هواهم[١٤] ومرادهم كفروا به؛ **فلعنة الله على الكافرين**.

---

[١] ك: تفهم؛ ع م: يفهم.
[٢] ك ع م: تفقه.
[٣] ك ن: لفهمت؛ ع م: ففهمت.
[٤] جميع النسخ: ولفقهت.
[٥] ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ (سورة هود، ٩١/١١).
[٦] ع م - أي بقليل ما يؤمنون من التوراة لأنهم عرفوا نعته وصفته وحرفوه فلم يؤمنوا به وقيل فقليلا.
[٧] ن ع م: وليكلفوا.
[٨] ن ع م: ورفعه.
[٩] جميع النسخ: بذلك.
[١٠] أي عرفوا أن الآتي به هو النبي الأمي الذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤و.
[١١] ن ع م: يستبصرون.
[١٢] ع + كفروا أن يبعث محمد صلى الله عليه و سلم.
[١٣] م: يجيئهم.
[١٤] م: هوائهم.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٩٠]

وقوله: **بئسما اشتروا به أنفسهم [أن يكفروا بما أنزل الله]**؛ يقول: اشتروا[١] ما به[٢] هلاكهم بما به نجاتهم. وذلك أنهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم،[٣] فكان إيمانهم به نجاتهم في الآخرة، فكفروا به، وذلك هلاكهم. ***وبالله التوفيق***. وقيل: **بئسما اشتروا به**،[٤] باعوا به أنفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذاب في الآخرة أبدًا.

وقوله: **بغيا**، قيل: حسدًا منهم، وذلك أنهم[٥] قد هووا أن يبعث محمد[٦] صلى الله عليه وسلم من أولاد إسرائيل، لأنهم[٧] كانوا أمته. فلما بعث من أولاد إسماعيل عليه السلام، والعرب كانت من أولاده[٨] كفروا به وكتموا نعته حسدًا منهم. **أن ينزل الله من فضله [على من يشاء من عباده]**،[٩] يعني النبوة والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **بغيا**، أي ظلمًا؛ ظلموا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم إياه. وقوله: **فباؤوا**، قد ذكرنا فيما تقدم.[١٠]

وقوله:[١١] **بغضب على غضب**، يحتمل وجهين. قيل: استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على أثر غضب [استوجبوه] بكفرهم بعيسى عليه السلام وبما جاء به. وقيل: إنما[١٢] استحقوا اللعنة على أثر اللعنة،[١٣] بعصيان بعد عصيان، وبذنب على أثر ذنب.[١٤] ***والله أعلم***.

---

[١] ع + به نقول ما اشتروا به ما هلاكهم؛ م + به يقول ما اشتروا به هلاكهم.
[٢] ن : به ما.
[٣] أي قبل مبعثه.
[٤] ن ع م – اشتروا به.
[٥] ع م – أنهم.
[٦] ن ع م: محمدا.
[٧] ع: أنهم.
[٨] ك: أمته.
[٩] ن هـ + على من يشاء من عباده.
[١٠] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد... وباؤوا بغضب من الله﴾ (سورة البقرة، ٦١/٢).
[١١] ع: قوله.
[١٢] ك ن – إنما.
[١٣] ن – على أثر اللعنة.
[١٤] ك: الذنب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٩١]

وقوله: **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله**، على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، **قالوا نؤمن بما أنزل علينا**، يعني التوراة؛ وهم لم يكونوا آمنوا بالتوراة، لأنهم لو كانوا آمنوا[١] بها لكان في الإيمان بها إيمان بمحمد[٢] صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، وإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام والرسل، وبجميع ما أنزل عليهم؛[٣] لأن فيها الأمر بالإيمان بجميع الرسل وبكتبهم، لأنه قال: **مصدقا لما معهم** وموافقًا له. فالإيمان بواحد منهم إيمان بجميع الكتب، إذ بعضها موافق لبعض.

وقوله: **ويكفرون بما وراءه**، قيل: وراء التوراة، كفروا بالإنجيل والفرقان. كأنه قال: كفروا بالذي وراءه **وهو الحق**، إذ هما موافقان لما معهم، غير مخالفَين[٤] له. ويحتمل **ويكفرون بما وراءه**،[٥] يعني وراء موسى؛ [أي يكفرون] بعيسى وبمحمد صلوات الله عليهم وسلامه، كأنه قال: من وراءه صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين**؛ فإن قالوا: إنا لم نقتل الأنبياء[٦] ونحن مؤمنون. قيل لهم: إنكم وإن لم تتولوا القتل [بأنفسكم] فقد رضيتم بصنيع أولٰئك واتبعتم لهم.[٧] مع ما قد هموا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارًا،[٨] ولذلك[٩] أضيف إليهم. وقيل: أخبر عز وجل نبيه سيدنا محمدًا[١٠] صلى الله عليه وسلم غاية سفههم، وعُتُوِّهم ومكابرتهم في تكذيبه.[١١] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى الإيمان به وبما أنزل عليه، فقالوا:[١٢]

---

[١] ع م – بالتوراة لأنهم لو كانوا آمنوا.
[٢] ع م: محمد.
[٣] ع م + عليهم السلام.
[٤] ك ن: مخالف.
[٥] ع م – وهو الحق إذ هما موافقان لما معهم غير مخالفين له ويحتمل ويكفرون بما وراءه.
[٦] أي وإنما قتلهم أسلافنا.
[٧] ك: له.
[٨] ع م – مرارًا.
[٩] ك ن: لذلك.
[١٠] ع م: محمد.
[١١] ن: تكذيب الرسول.
[١٢] ع – دعا اليهود إلى الإيمان به وبما أنزل عليه فقالوا.

ائتنا[1] بالآيات والقُربان،[2] كما كانت الأنبياء من قبل يأتون بها قومهم. يقول الله عز وجل: قد كانت الأنبياء من قبل تجيء[3] بما[4] تقولون إلى آبائكم من الآيات والقربان،[5] فكانوا يقتلونهم.[6] فيقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن[7] قل لهم: لم تقتلون؟[8] يقول: لم[9] قتل[10] آباؤكم أنبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاءوا بالآيات والقربان إن كنتم صادقين بأن الله تعالى عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار؛[11] وقد جاءوا به، فلم قتلوهم؟ فهو-والله أعلم- أنهم أخذوا هذه المحاجة من أوائلهم، وإن علموا بما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،[12] أنه مبعوث. وأنتم تقلدونهم، فتقلدونهم[13] لو أوتيتم كما قلدتموهم،[14] وإن علمتم بما عاينتم أن[15] لا حجة لكم. **والله أعلم.**

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٩٢]

وقوله: **ولقد جاءكم موسى بالبينات**، **والبينات** ما ذكرنا فيما تقدم[16] من الآيات المعجزة والحجج العجيبة والبراهين الظاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم إليه،

---

[1] ع: غاية.
[2] ك: والقرآن.
[3] ع: يجيء.
[4] ك: لها.
[5] ك: والقرآن.
[6] ك: يقبونهم.
[7] ع م - أن.
[8] ع: يقتبون.
[9] م - لم.
[10] ع: قبل.
[11] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ (سورة آل عمران، ١٨٣/٣).
[12] ن ع م: وأنه.
[13] جميع النسخ: فيقلدونهم.
[14] أي فتقلدون آباءكم رغم ما أوتيتم من البينات كما قلدتموهم قبل مجيئها.
[15] ك ن ع: إذ.
[16] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ (سورة البقرة، ٨٧/٢).

مما يدل كله أنه من عند الله. ثم مع ما[1] جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه إلٰهًا وكفروا بالله؛ يُعَزِّي نبيه عليه الصلاة والسلام لئلا يظن أنه أول مكذَّب من الرسل وأول[2] من كُفِر به حتى لا يضيق صدره بما يقولون ويستقبلونه / بما يكره. *وبالله التوفيق*. [وذلك] كقوله: وَكُلًّا [٢١و] نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ.[3]

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٩٣]**

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ قد ذكرنا هذا فيما تقدم ما فيه مقنع إن شاء الله تعالى.[4]

وقوله: **واسمعوا**، يحتمل وجهين. يحتمل **اسمعوا**، أي أجيبوا. ويحتمل **اسمعوا**، أطيعوا؛ لكن هذا فيما بين الخلق جائز: السمع والطاعة.[5] وأما إضافة الطاعة إلى الله عز وجل [فإنه] لا يجوز أن يقال: أطاع اللهُ. وأما السمع فإنه يجوز لقوله:[6] «سمع الله لمن حمده».[7]

**قَالُوا سمعنا** قولك، **وعصينا** أمرك؛[8] لكن قولهم:[9] **وعصينا**[10] لم يكن على أثر قولهم **سمعنا**، ولكن بعد ذلك بأوقات، لأنه[11] قيل: لما أبوا قبول التوراة لما فيها من الشدائد والأحكام، رفع الله الجبل فوقهم،[12] فقبلوا خوفًا من[13] أن يرسل عليهم الجبل، وقالوا: أطعنا؛

---

[1] ن – مع ما.
[2] جميع النسخ: لا أولا.
[3] سورة هود، ١١/١٢٠.
[4] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٣).
[5] أي جائز في حق الخلق استعمال السمع في الطاعة.
[6] أي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[7] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». (*صحيح البخاري*، الأذان ٥١؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٧٧).
[8] ع م – أمرك.
[9] ك ن م: قوله.
[10] ع – لكن قولهم وعصينا.
[11] ك: لأنهم.
[12] جميع النسخ: عليهم.
[13] جميع النسخ: عن.

فلما زال[1] الجبل وعاد إلى مكانه، فعند ذلك قالوا: **وعصينا**. وهو كقوله: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ؛[2] فالتولي منهم كان بعد ذلك بأوقات.

وقوله: **وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**، قيل: **أشربوا**، أي جُعل في قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم بالله عز وجل. وقيل: سُقوا حبَّ العجل.[3] قيل:[4] إن موسى لما أحرق العجل ونسفه في البحر جعلوا يشربون منه لحبهم العجل. وقيل: لما أحرق ونسف في البحر جعلوا يلحسون الماء حتى اصفرت وجوههم. وقيل: إنهم لما رأوا في[5] التوراة ما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك: عبادة العجل علينا[6] أهون مما فيها من الشرائع. وكله يرجع إلى واحد. وذلك كله[7] آثار الحب.

وقوله: **قل بئسما يأمركم به [إيمانكم إن كنتم مؤمنين]**. قيل: قل يا محمد، بئسما يأمركم[8] إيمانكم بالعجل: الكفرُ بالله عز وجل. وقيل: إن اليهود ادعوا[9] أنهم مؤمنون بالتوراة. فقال: **قل بئسما يأمركم [به إيمانكم]**، أي بالتوراة، إذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد وجدتم[10] فيها نعته وصفته.

**﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٩٤]

وقوله: **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت**، وذلك أن أعداء الله تعالى كانوا يقولون: إن الجنة لنا في الآخرة، بقولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[11] وكقولهم:[12] كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[13] وكقولهم:

[1] جميع النسخ: زايل.
[2] سورة البقرة، ٦٤/٢.
[3] ع م – بكفرهم بالله عز وجل وقيل سُقوا حبّ العجل.
[4] جميع النسخ: وقيل.
[5] ن – في.
[6] ع م – علينا.
[7] ك ن: كل.
[8] ع م + به.
[9] ع: وادعوا.
[10] جميع النسخ: وجدتموه.
[11] سورة البقرة، ١١١/٢.
[12] ك: كقولهم.
[13] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[1] فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: إن كانت لكم الدار الآخرة كما تزعمون، وأنكم أبناء الله وأحباؤه[2] كما تقولون.[3] **فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**. وذلك أن المرء لا يكره الانتقال إلى داره وإلى بستانه، بل يتمنى ذلك؛ وكذلك المرء لا يكره القدوم على أبيه[4] ولا على ابنه ولا على حبيبه، ولا يخاف نقمته ولا عذابه، بل يجد عنده الكرامات والأهدايا. فإن كان كما تقولون، **فتمنوا الموت** حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل الشدائد التي فيها **إن كنتم صادقين** في زعمكم بأن الآخرة لكم، وأنكم أبناء الله وأحباؤه.

فإن قيل: إنكم تقولون إن الآخرة للمؤمنين، ثم لا أحد[5] منهم يتمنى الموت إذا قيل له: تَمَنَّ[6] الموت. فما معنى[7] الاحتجاج[8] عليهم بذلك، وذلك على المؤمنين كهو عليهم؟

قيل: لوجهين؛ أحدهما أن المؤمنين لم يجعلوا لأنفسهم من الفضل والمنزلة عند الله[9] ما جعلوا هم لأنفسهم،[10] فكان في تمنيهم صدق ما ادعوا لأنفسهم، وفي الامتناع عن ذلك ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.[11] والثاني، ما ذكرنا أنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وفي تمنيهم الموت ردهم وصرفهم إلى الحبيب والأب الذي ادعوه، ولا أحد يرغب وينفر[12] عن حبيبه وأبيه؛ فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم في دعاويهم. ***وبالله نستعين***.

---

[1] سورة المائدة، ١٨/٥.

[2] ع م – فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم إن كانت لكم الدار الآخرة كما تزعمون وأنكم أبناء الله وأحباؤه.

[3] ع: يقولون.

[4] ع – على أبيه.

[5] ك: أخذ.

[6] ن ع م: تمنى.

[7] م – معنى.

[8] م: احتجاج.

[9] ك ن + على؛ ع: عندهم.

[10] يقول السمرقندي: «بل المؤمن غير الأنبياء عليهم السلام –وإن جل قدره– لا يزول عنه خوف الخاتمة. ومن كان قد ابتلى بشيء من الخطايا فهو مفتقر إلى زمان يتدارك فيه الذي فاته؛ فلهذا لا يتمنى المؤمنون الموت. وأما اليهود فقد ادعوا أنهم من أهل الجنة، وليس فيها شيء من الشدة، والدنيا دار شدة وبلية، فلا معنى لامتناعهم عن تمني الموت لو كانوا صادقين في دعواهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤ط).

[11] أي لأنه صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بذلك عندما صرحوا بدعواهم تلك.

[12] ع م – وينفر.

فإن سألونا عن قوله: **فتمنوا الموت**. أنهم[1] إذا تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون الأجل[2] الذي جعل لهم. وفي ذلك تقديم الآجال عن الوقت الذي كان له.[3] وقال[4] تعالى: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[5]

قيل: إن الله علم منهم[6] في سابق علمه وأزليته أهم لا يتمنون جعل أجلهم ذلك. ولو علم منهم أنهم يتمنون الموت لكان يجعل أجلهم ذلك في الابتداء. وكذلك [يقال] هذا الجواب لما روي أن «صلة الرحم تزيد في العمر»:[7] أنه كذلك يحتمل في الابتداء،[8] لا[9] أن يجعل أجله إلى وقت، ثم إذا وصل رحمه يزيد على ذلك الأجل أو ينقص.[10] فتمني[11] الموت [لا يؤخر العمر] عن الأجل المجعول المضروب له. *وبالله التوفيق*.

**﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٩٥]**

وقوله: **ولن يتمنوه أبدا**؛ فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أخبر [عن الله] عز وجل أهم لا يتمنون أبدًا، فكان كما قال. فدلّ أنه من عند الله علم ذلك.

وقوله: **بما قدمت أيديهم**، من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد له. وهم، والله أعلم، قد عرفوا من[12] صنيعهم وما لهم[13] عند الله من العذاب والجزاء،

---

[1] ع – إنهم.
[2] ك: أجلا.
[3] ن ع م: أجلا.
[4] ع + الله.
[5] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٤).
أي فيكون بين الآيتين مناقضة، ويؤدي إلى القول بأجلين على ما هو مذهب المعتزلة. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥و.
[6] جميع النسخ: إن عم الله منهم.
[7] صحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ و صحيح *مسلم*، البر والصلة ١٦، ١٧؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٩.
[8] أي يحتمل كذلك أن الله تعالى علم منه في سابق علمه أنه لا يصل رحمه فيجعل أجله قصيرًا، أو أنه يصل رحمه فيجعل أجله ممتدًا، فهو أجل واحد كذلك.
[9] ن: إلا.
[10] ع: ينقض.
[11] ك: فيتمني؛ ن ع م: يتمني.
[12] جميع النسخ: عن.
[13] ك + من.

لكنهم قالوا ذلك على التعنت والمكابرة والسفه؛ لذلك لم يتمنوا[1] [الموت]. *والله الموفق*.

وقوله: **والله عليم بالظالمين**، هو على الوعيد، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ [تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ].[2] ويحتمل **عليم بالظالمين**، بما يفضحهم بالحجج ويُظهر كذبهم في الدنيا. لئلا[3] يظن أحد أنه [خلقهم] عن غفلة بما يعملون، بل[4] خلقهم[5] على علم منه بما يعملون؛ خلقهم ليُعلَم أنه لا لنفع له بخلقهم،[6] وأن ذلك لا يضره.

**﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**[٩٦]

وقوله: **ولتجدنهم** يعني اليهود **أحرص الناس على حياة**، وعلى كراهية الموت؛ فدل حرصهم على حياة الدنيا انهم كَذَبَة فيما يزعمون ويدّعون.[7]

وقوله: **ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**، يعني المجوس، أي [و]هم أحرص الناس على حياة الدنيا من المجوس؛ لأن المجوس[8] لا يؤمنون بالبعث و[لا] بالقيامة. وهم يؤمنون بهما؛[9] فهم -مع إيمانهم بالبعث، وتصديقهم بالقيامة- أحرص على حياة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيامة. وقيل: إنه على الابتداء، ولا يتناف[10] بقول: **ومن الذين أشركوا** -يعني المجوس- **يود أحدهم لو يعمر ألف سنة**، لأنهم يقولون فيما بينهم: **ألف سنة** تأكل النيروز والمهرجان؛ ويقولون[11] بالفارسية:[12] / هزار سال بده.[13] فأخبر الله تعالى أن طول العمر في الدنيا لا ينجيه من العذاب في الآخرة، [٢١ظ]

---

[1] ن: لن يتمنوا.
[2] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[3] ك ن: ولئلا.
[4] ك ع م - بل.
[5] ن: خلقهم بل.
[6] جميع النسخ + خلقهم.
[7] ن ع م: يدعون ويزعمون.
[8] م - لأن المجوس.
[9] ك ن: بها.
[10] ك: والايتناف؛ ن: ينتاف؛ ع م: يتناف.
[11] ع: يقولون.
[12] أي وهم يقولون على سبيل الدعاء والتحية بينهم.
[13] جميع النسخ: بره.

ولا يباعده عنه؛ وهو قوله: **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**. وهو كقوله: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ.[1]

وقوله: **والله بصير بما يعملون**، هو على الوعيد أيضًا.[2]

**﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩٧]**

وقوله: **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا**؛ وذلك أن اليهود قالوا: لو كان الذي ينزل[3] على محمد بالوحي ميكائيل لتابعناه ولآمنا[4] به، لأن ميكائيل هو الذي ينزل بالغيث[5] والرحمة، وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد، فهو عدو لنا، لذلك لا نتبعه. وفي جهة العداوة بينهم وبين جبريل وجه آخر، وهو أن قالوا: إن جبريل أُرسل بالوحي والرسالة في أولاد إسرائيل، لكنه أنزلها في[6] أولاد إسماعيل عداوة لنا وبغضًا. لذلك نصبوا العداوة بينه وبينهم -والله أعلم بذلك- فأكذبهم الله تعالى في زعمهم؛[7] فقال: **نزله على قلبك بإذن الله**، لا كما تقول[8] اليهود؛ وما ينزّل من العذاب والشدائد إنما ينزّل بأمره، لا من تلقاء نفسه وذاته.

ثم كان إظهارهم عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة الله[9] عز وجل، لكنهم لم[10] يجترئوا[11] على عداوة الله بالتصريح،[12] فدل أنه على الكناية عن عداوة الله تبارك وتعالى. ويدل هذا على أن الروافض طعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث طعنوا.[13]

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٥-٢٠٧.
[2] م - أيضا.
[3] ن ع م: نزل.
[4] جميع النسخ: ونؤمن.
[5] ك ع: الغيث.
[6] م: على.
[7] جميع النسخ: بزعمهم.
[8] ن ع م: يقول.
[9] ع - الله.
[10] ع: لن.
[11] ك: يجرؤا.
[12] جميع النسخ: على التصريح.
[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهم -يعني اليهود- في هذا كالغرابية من الروافض، طعنوا في جبريل عليه السلام أنه أمر بإنزال الوحي إلى علي رضي الله عنه، فغلط جبريل عليه السلام، لأن عليًا كان يشبه محمدًا شبه الغراب بالغراب، فأنزله إلى محمد؛ فأبغضوه وطعنوا فيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك في الحقيقة لاعتقادهم عداوة الله وإنكار ربوبيته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥و).

وقوله: **فإنه نزله على قلبك بإذن الله**، تقول[١] الباطنية: إن القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحرف التي نقرأها، ولكنه إلهام نزل على قلبه ثم هو يصوره ويرسمه[٢] ذا الحروف ويعبر[٣] به بالمعربة التي نقرأها.[٤] فلو كان على ما يقولون[٥] لزال[٦] موضع الاحتجاج عليهم بما أتى به معجزًا؛ كقوله:[٧] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[٨] إذ[٩] كان لهم أن يقولوا: أنزل[١٠] على لسان العجمي[١١] لكنه غيّر ذلك إلى لسانه.[١٢] وكذلك قوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[١٣] مخافة النسيان والذهاب. وكذلك قوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ؛[١٤] فدلت هذه الآيات[١٥] كلها على بطلان قولهم وفساد مذهبهم[١٦] وبعدهم عن دين الله المستقيم.

وقوله: **وهدى وبشرى للمؤمنين**، هدى من الضلالة، وبشرى للمؤمنين بالجنة.

**﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٩٨]**

وقوله: **من كان عدوا لله وملآئكته ورسله وجبريل**، يحتمل وجهين.[١٧] يحتمل من كان

---

١ ن ع م: يقول.
٢ ن: يرسمه.
٣ ع م + يعربه. قال السمرقندي: «تعلقت الباطنية بقوله ﴿نزله على قلبك باذن الله﴾ وزعمت أن القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالأحرف التي نقرأها نحن ولكنه إلهام، فأما الحروف والألفاظ فإنها تسمع بالآذان وتفهم بالقلوب إلا أن محمدا عليه الصلاة والسلام يصوره بهذه الحروف ويغيره بالعربية التي نقرأها، فكان القرآن هو الباطن دون ظواهر الألفاظ. قال الإمام: قولهم فاسد من وجوه...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٥و-ظ).
٤ ع: تقرأها. أي مستدلين بقوله تعالى: ﴿نزّله على قلبك﴾.
٥ ن ع: تقولون؛ م: نقول.
٦ ع م: لزوال.
٧ ن: كقولهم.
٨ سورة النحل، ١٦/١٠٣.
٩ ك ع: إذا.
١٠ ك ع: نزل.
١١ ن: العجم.
١٢ جميع النسخ: بلسانه.
١٣ سورة القيامة، ٧٥/١٦.
١٤ سورة طه، ٢٠/١١٤.
١٥ ع: الآية.
١٦ ك: مذاهبهم.
١٧ ك - يحتمل وجهين.

عدوا لله أو ملائكته أو رسله.[1] ويحتمل[2] افتتاح العداوة به دون هؤلاء[3] على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن المآب لديه، كقوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ؛[4] معنى إضافة ذلك إليه على التعظيم له والإفضال،[5] لا[6] على جعل ذلك لله[7] مفردًا.[8] فعلى ذلك معنى[9] افتتاح العداوة به، على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[٩٩]

وقوله: **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات**، ما بيّن فيها من الحلال والحرام، وما يُؤْتى وما يُتّقَى، وما يُنْهَى وما يُؤْمَر. ويحتمل الآيات التي أنزلها عليه لينصر بها على المعاندين له والمكابرين. *والله أعلم*.

٢٢و س٢٦ * وقوله: **وما يكفر بها [إلا الفاسقون]**، أي وما[11] يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.[12]

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٠]

وقوله:[13] **أوكلما عاهدوا عهدا [نبذه فريق منهم]**، يقول: كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم.

---

[1] وبقية كلام الماتريدي موضح في الشرح: «صار كافرًا بالله، والله تعالى عدو للكافرين؛ لأن عداوة الله وحده كفر، واستعمال لفظة الواو مكان [أو] سائغ في اللغة. فإن قيل: إن في ذكر الملائكة غنية عن ذكر جبريل وميكائيل، فإنهما يدخلان تحت اسم الملائكة. قلنا: لا يقال ذلك، فإن في ذكرهما زيادة فائدة، وهو أنه ربما يشكل أن عداوة جميع الملائكة سبب الكفر، دون عداوة الواحد، ويندفع ذلك الإشكال بذكرهما، مع أن في التصريح بالذكر دلالة الخصوص، وفي التكرار دلالة التأكيد» (*شرح التأويلات* ورقة ٣٥ظ).

[2] ك - من كان عدوا لله أو ملائكته أو رسله ويحتمل.

[3] أي بالله تعالى دون الملائكة.

[4] ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤١).

[5] ن ع: لله.

[6] ك - لا.

[7] م - لله.

[8] أي لا على جعل ذلك حقًا لله إذ له ملك السماوات والأرض فكذا هذا.

[9] ن ع م - معنى.

* «وقوله: ﴿وما يكفر بها [إلا الفاسقون]﴾، أي وما يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.» هذه العبارة وردت في نهاية تأويل الآية ﴿أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾، فنقلناها إلى محلها.

[11] ن ع م: ما.

[12] ك - وقوله وما يكفر بها أي وما يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.

[13] ن: قوله.

يحتمل العهود التي أخذت عليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الإيمان.[١] أو أخذ[٢] عليهم[٣] أن لا يكتموا نعته وصفته الذي في التوراة لأحد، فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود التي أخذت عليهم.

ثم في الآية دلالة جعل القرآن حجة، لأنه قال: **نبذه فريق منهم**؛ ولو كان في كتبهم ما ادعوا من الحجة والاتباع،[٤] لأتوا به معارضًا لدفع ما احتج به عليهم. فثبت انهم كانوا كَذَبة في دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته.[٥]

**﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٠١]

وقوله:[٦] **ولما جاءهم رسول من عند الله**، يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ **مصدق لما معهم** من الكتاب، أي نعته الذي كان[٧] في التوراة موافق لمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: لَمّا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة، فخاصموه بها،[٨] فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة والقرآن وأخذوا بكتاب السحر الذي كتبه الشياطين. ويحتمل أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان موافقًا لما مضى من الرسل غير مخالف لهم، لأن الرسل كلهم آمنوا به وصدق بعضهم بعضًا.

وقوله: **نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم**،[٩] يحتمل كتاب الله[١٠] التوراة، على ما ذكرنا. ويحتمل كتاب الله القرآن العظيم.[١١] ***والله أعلم***.

وقوله: **كأنهم لا يعلمون**، أي يعلمون، ولكن تركوا العمل به والإيمان بما معهم،

---

١ لأنهم آمنوا بنبي منتظر قبل مبعثه.
٢ ع: وأخذ.
٣ أي ويحتمل أن أخذ عليهم.
٤ أي لو كان في كتبهم أن القرآن ليس بحجة، ولا هو كتاب الله تعالى.
٥ ك - في دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته.
٦ ك - وقوله.
٧ ع م - كان.
٨ م - بها.
٩ ن ع م - وراء ظهورهم.
١٠ ن - يحتمل كتاب الله.
١١ ك - العظيم.

[فصاروا] كأهم لا يعلمون؛ [أو] لَمَّا لم ينتفعوا بعلمهم خرج فعلهم [على نهج] فعل من لا يعلم. أخبر الهم نبذوا نَبْذَ من لا يعلم، لا أنهم[1] لم يعلموا، ولكن نبذوه سفهًا وتعنتًا. *والله أعلم*.

**﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١٠٢]**

وقوله: **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**، قيل: **ما تتلوا** ما كتبت الشياطين من السحر. وقيل: **تتلوا** من التلاوة. وقيل: **ما تتلو** ما تروي[2] الشياطين من السحر؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[3] وهو يرجع إلى واحد.

والآية[4] في موضع الاحتجاج على اليهود، لأنهم ادعوا أن الذي[5] هم عليه أُخذ عن سليمان عليه السلام؛ فإن كان كفرًا فقد كفر سليمان. فاخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن سليمان ما كفر، ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس من السحر. ويحتمل: لكن أتباع الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعملهم[6] به بتعليم الشياطين، فنسب[7] ذلك إلى الشياطين بما بهم كفروا، كما نسبت عبادة الأصنام إلى الشياطين بما بهم عُبِدوا. *والله أعلم*.

[٢٢و] وروي / عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان[8] يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه؛ فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا وكَذِبًا، فقالوا: هذا الذي كان يعمل به سليمان.

---

[1] ع: لأنهم.
[2] جميع النسخ: يروي.
[3] *تفسير البغوي*، ٩٨/١؛ و*تفسير أبي حيان*، ٣٢٦/١.
[4] ن ع م: ولأنه.
[5] ك: أن النبي صلى الله عليه وسلم.
[6] م: عنمهم.
[7] ن ع م: فنسبت.
[8] ن م: فكان؛ ع – وكان.

فأكفره جهال الناس وسَبُّوه، ووقف علماؤهم،[١] فلم يزل جُهَّالهم يسبونه حتى أنزل[٢] عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم: **واتبعوا ما تتلوا الشياطين**، الآية.[٣]

وقال بعضهم: إن الشياطين ابتدعت كتاباً من السحر والأمر العظيم، ثم أفشته في الناس وعلمته إياهم؛ فلما سمع بذلك سليمان تَتَبَّع تلك الكتب، فدفنها تحت كرسيه كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قُبض نبي الله[٤] سليمان عليه السلام، عمدت الشياطين إلى تلك الكتب فاستخرجتها من مكانها، وعلموها الناس، وأخبروهم أنه علمٌ كان سليمان يكتمه ويستأثره. فعذر الله نبيه سليمان،[٥] وبرأه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**،[٦] الآية.

وقيل: أيضاً: لما مات سليمان عليه السلام وقع في الناس أوصاب وأوجاع، فقال الناس: لو كان سليمان عليه السلام حيّاً[٧] لكان[٨] عنده من هذا[٩] فَرَج، فظهرت[١٠] الشياطين لهم،[١١] فقالوا: نحن ندلكم على ما كان[١٢] يعمل به سليمان عليه السلام، فكتبوا كتباً، فجعلوها في البيوت،

---

[١] أي اجتنبوا عما فعله جهال الناس.
[٢] ن ع + الله.
[٣] *تفسير الطبري*، ٤١٩/١؛ *وتفسير ابن عطية*، ٣٦٧/١.
[٤] ن: الله نبيه.
[٥] ع م – من مكانها وعلموها الناس وأخبروهم أنه علم كان سليمان يكتمه ويستأثره فعذر الله نبيه سليمان.
[٦] ن هـ، م هـ (مع بعض اختلاف): وقيل معنى السحر الإزالة وصرف الشيء عن وجهه. تقول العرب: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟ فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه. هذا أصله من حيث اللغة. وأما حقيقته فقد قيل: إنه عبارة عن التمويه والتخييل. ومذهب أهل السنة أن له وجوداً وحقيقة؛ والعمل به كفر. وذلك إذا اعتقد أن الكواكب هي المؤثرة في قلب الأعيان. وروي عن الشافعي رحمه الله أنه يخيل ويمرّض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قَتل به. وقيل: إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الإنسان على صورة الحمار، والحمار على صورة الكلب، وقد يطير الساحر في الهواء. وهذا القول ضعيف عند أهل السنة، لأنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لذلك، لا أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها. والأصح أن السحر تخييل، ويؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت. ويدل على ذلك أن للكلام تأثيراً في الطبائع، فقد يسمع الإنسان ما يكره فَيُحَمّ؛ وقد مات قوم بكلام سمعوه. فالسحر بمنزلة العلل في الأبدان. انظر: *لباب ابن خازن*، نسخة نور عثمانية، ورقة ٢٢ظ.
[٧] ن – حيا.
[٨] ع م – لكان.
[٩] ن ع م – من هذا.
[١٠] ن ع م: وظهرت.
[١١] ع م – لهم.
[١٢] ن – كان.

فاستخرجوا الكتب التي كتبت لهم الشياطين من السحر والسجع، فقالوا: هذا ما كان يعمل به سليمان عليه السلام ، فأنزل الله عز وجل: **وما كفر سليمان**.[1]

فلا ندري كيف كانت القصة؛ غير أن اليهود تركت كتب الأنبياء والرسل، واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم إليه من السحر والكفر. ***وبالله التوفيق***.

وفيه[2] دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما أخبرهم عن قصتهم على ما كان،[3] فدل أنه كان عرف ذلك بالله عز وجل. وفي ذلك أن قد نُسب إلى سليمان عليه السلام ما برّأه الله عنه[4] من غير أن يبين ماهيته.[5] ذكره الله عز وجل لوجهين: دلالةً لرسوله، وتكذيبًا للذين نحلوه[6] بما هو كفر.

وقوله: **على ملك سليمان**، أي في ملكه، إذ[7] كان ذلك الوقت هو وقت ظهورهم، ثم سخرهم الله[8] عز وجل لسليمان، فأمكن ذلك منهم، ألقاه على ألسن المعاندين لسليمان في السر، فرووه عنه بعد الوفاة،[9] فكذبهم الله عز وجل وبرأ نبيه عليه السلام عن ذلك، وبين كيف كان بدؤه. فإنما بينها للخلق لئلا يتبعوا في الرواية كلَّ من لقي النبي،[10] إذ قد يكون من أمثالهم اختراع الرواية، وإلزام السامعين الأمور المعتادة من الرسل، ورد ما لا يوافق ذلك من الرواية. ولذلك أبطل أصحابنا خبر الخاص فيما يبلى به العام.

وقوله: **وما أنزل على الملكين [ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر]**،[11] قيل: **وما أنزل** على النفي والجحد، معطوفًا على قوله: **وما كفر سليمان**. وقيل: **وما أنزل على الملكين ببابل**: والذي أنزل على الملكين ببابل.[12]

---

[1] ن ع م + الآية.
[2] أي وفي قول الله تعالى هذا.
[3] ن: دل.
[4] ع م – عنه.
[5] ع م: ما نيته.
[6] ك: يخلوه؛ ن ع: بخلوه.
[7] ن ع م: إذا.
[8] ع م – الله.
[9] ع م: الوفات.
[10] ن: السيئ؛ ع م: الشيء.
[11] ن ه: ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.
[12] ع م – والذي أنزل على الملكين ببابل.

وقيل: سميت[1] بابل لما تبلبلت به الألسن، يعني اختلفت.[2] فلا يعلم ذلك إلا بالسمع.

ثم اختلف في هاروت وماروت. فقال الحسن: لم يكونا ملكين، ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين.[3] وذلك أن الله عز وجل وصف ملائكته بالطاعة له والائتمار بأمره، بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[4] الآية، وكقوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[5] الآية. وكذلك يقول الحسن في إبليس:[6] إنه لم يكن من الملائكة. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما[7] تقدم.[8] ثم عارض نفسه بقولهما: **فلا تكفر**، فقال: إن المخبر بمثله[9] إذا عرف وُلوع السامع به،[10] وبما يعرض[11] مثله -على العلم منه أنه يفعل ولا يرتدع عن ذلك- يقال ذلك له[12] ترغيبا منه.[13] ***والله أعلم.***

ومنهم من يقول: كانا مَلَكين، لكنهما علما الاسم الأعظم فيقضان به الحوائج إلى أن حل بهما ما حل. وبهذا يحتج في بَلْعَم[14] بقوله: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ،[15] الآية.

---

[1] ن ع م: سمي.

[2] تَبَلْبَلت الألسن: اختلطت. والبَلْبَلة:اختلاط الألسنة (*لسان العرب*، «بلل»).

[3] وهذا يستند على قراءة «ملكين» بكسر اللام، يعني رجلين من بني آدم. انظر: *تفسير الطبري*، ١/٤٥٩؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٥٢؛ و *تفسير ابن كثير*، ١/١٣٨.

[4] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[5] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.

[6] ع م - إبليس.

[7] ع: بما.

[8] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٤).

[9] ك ن: عن مثله.

[10] ن م: له.

[11] ك: يعترض.

[12] ع م - له.

[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «تأول الحسن قولهما: ﴿فلا تكفر﴾ على أن ذلك منهما مبالغة في الاستدعاء إلى تعلم السحر، لا زجرًا ولا منعًا، جريًا على ما يفعله غلاة الأشرار، فإنهم متى علموا من إنسان ولوعه من قبيح من الأمور القبيحة، وميلانَ طبعه إليه جعلوا يمنعونه عن ذلك، ويقولون: لا تتبعنا فإنه سبب الفساد. قصدًا منهم بذلك إلى إغرائه عليه، فإن الممنوع عن الشيء وَلوع عليه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٦و).

[14] بلعم بن باعور، أو بلعم بن باعوراء، يروى أنه كان رجلا صالحا مجاب الدعوة ثم ارتد عن دين الحق، ففيه أنزلت قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ الآية. انظر: *تاريخ الطبري*، ١/٢٥٨-٢٥٩؛ و*تفسير الطبري*، ٩/١١٩؛ و Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi(DİA)، «Bel'am b. Bâûrâ»، ٥/٣٨٩-٣٩٠.

[15] ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧٥).

ثم اختلف بعد هذا على أوجه. قال بعضهم: لم يكن ذلك منهما سحرًا،[1] بل هو تعويذ[2] الفرقة[3] يُقدَّر عليه.[4] وقال قائلون: إن ما أنزل[5] على الملكين أنزل كلامًا حسنًا صوابًا، لكنه خُلط بالذي لقّنهم الشيطان فصار سحرًا. وقال آخرون: بلى كان هو في نفسه سحرًا[6] يعلّمان الناس ذلك، لكنه لا يُنهَى عن تعليمه ولا يكفر الذي[7] يتعلمه؛[8] إنما ينهى عن الاعتقاد له، فكان كالكفر. [فـ]الذي يُعلَّم لا ينهى عن ذلك، لأنه ما لم يُعلَّم لم يُعلَم قبحه وفساده، ولكن إنما ينهى عن الاعتقاد[9] في تعلمه. ***والله أعلم.***

ثم نقول: إن قولهما **لا تكفر**، على الاختيار[10] منهما،[11] وكلمة السحر جارية[12] عليهما[13] في اللسان،[14] من غير صنع لهما فيه. ***والله أعلم.***

وقوله: **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**، قيل: إلا بعلم الله وقضائه.[15] وقيل: بخذلانه وتخليته.[16] وقيل: بمشيئة الله وإرادته.[17] وأما ظاهر الإذن فهو يخرج على الإباحة، فالعقل يدفعه. وقيل: إنه لا يصل إلى هاروت وماروت أحد من بني آدم، وإنما يختلف بينهم شيطان في كل مسألة. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: سحر.
[2] لعله يريد: تعويذ ينشئ الفرقة.
[3] ع – الفرقة.
[4] أي يقدر عليه من يسعى لمباشرته.
[5] ع: وما أنزل؛ م: ما أنزل.
[6] جميع النسخ: سحر.
[7] ن ع م: التي.
[8] ك: تعلم؛ ن ع م: يعلم.
[9] ك + له، فكان كالكافر الذي.
[10] ج: اختيار.
[11] ع م – منهما.
[12] جميع النسخ: جار.
[13] ع م – عليهما.
[14] أي جارية على لسان الملكين.
[15] ع م: بقضائه.
[16] م: وتحيله.
[17] ذكره الواحدي منسوبًا إلى المفسرين، قالوا: الإذن هاهنا إرادة التكوين، أي لا يضرون بالسحر إلا من أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر. انظر: *تفسير الواحدي*، ١/١٢٢.

ثم السحر يكون على وجهين:[1] سحر يكفر به صاحبه؛[2] فإن كان ذلك منه بعد الإسلام يقتل[3] به صاحبه، لأنه ارتداد منه. وسحر لا يكفر به صاحبه،[4] فلا يقتل به إلا أن يسعى في الأرض بالفساد مِن قتل الناس وأخذ الأموال، فهو كقاطع الطريق يحكم بحكمهم[5] من القتل وسائر العقوبات؛ وإذا تاب قبلت توبته. ألا ترى أن سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله تعالى وتابوا توبة لا يُطمَع [في] مثل[6] تلك التوبة من المسلم الذي نشأ على الإسلام، حيث أوعدهم فرعون بقطع الأيدي[7] والأرجل والصلب وأنواع العذاب،[8] فقالوا: لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ.[9]

وذكر عن أبي حنيفة رضي الله عنه في الساحرة أنها لا تقتل،[10] مرة؛[11] وذكر عنه مرة أنها تقتل.[12]

[1] ع هـ، م هـ: والسحر على قسمين. أحدهما يكفر به صاحبه، وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه، وذلك هو المؤثر، أو يعتقد أن الكواكب هي المؤثرة الفعالة. فإذا انتهى به السحر إلى هذه الغاية صار كافرًا بالله، ويجب قتله، لما روي عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حد السحر ضربة بالسيف»، أخرجه الترمذي. والقسم الثاني من السحر هو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة، ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة، ولا أن الكواكب هي المؤثرة. ويعتقد أن القدرة لله تعالى، وأنه هو المؤثر. فبهذا القدر لا يكفر به صاحبه، ولكنه معصية، وهو من الكبائر، ويحرم فعله. فإن قتل بسحر قتل قصاصًا لما روي عن مالك، بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دونها، فأمرت بها فقتلت. أخرجه في *الموطأ*. انظر: *لباب ابن خازن*.

[2] يقول السمرقندي: «وهو ما يتضمن إنكار ركن من أركان الإسلام ورده» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[3] ن ع م: فقتل.

[4] «والسحر الذي لا يكفر به صاحبه هو ما يتحقق بدون ارتكاب شيء من الكفر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[5] ن: بحكم يحكمهم.

[6] ن - مثل.

[7] ن: الأيد؛ ع م: الأبد.

[8] ﴿وأُلْقِيَ السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لَأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢٠-١٢٦). وانظر كذلك: سورة طه، ٢٠/٧٠-٧٦؛ وسورة الشعراء، ٢٦/٤٧-٤٩.

[9] سورة الشعراء، ٢٦/٥٠.

[10] ع: تقبل.

[11] قال السمرقندي: «وهي محمولة على ما إذا لم يكن سحرها قاتلاً فلا تقتل، وإن كان سحرها موجبًا للكفر، لأن ردة الأنثى لا توجب القتل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[12] قال السمرقندي: «وهي محمولة على ما إذا قتلت بسحرها فتكون ساعية في الأرض بالفساد فتقتل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[٢٢ط] وقال في الساحر[1] بالقولين. فأما[2] ما روي عنه[3] / بالقتل بعمل السحر فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر، فهو كالساعي في الأرض بالفساد، لا بعين[4] السحر؛ أو كفر بسحره بعد الإسلام، فيقتل كالمرتد عن الإسلام. وما ذكر عنه أنه لا يقتل، فهو إذا لم يكن سحره سحر كفر، ولا[5] يسعى بالفساد[6] في الأرض، فلم[7] يقتله به.[8]

ثم قوله[9] في الساعي[10] في الأرض بالفساد:[11] إنه إذا تاب قبل أن يُقدَر عليه سقط عنه القتل، فكذا الساحر. وأما الذي هو لأجل الكفر فيلزم[12] القتل [فيه] قبل التوبة [و]بعد القدرة عليه. وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة أيضًا. ففيما قال: إنها لا تقتل، [فذلك] لما كان سحرها سحر كفر، والنساء لا يقتلن للكفر. وفيما قال: يقتلن، فلأنهن يقتلن للسعي في الأرض بالفساد كالرجل. **والله أعلم**.

وقال بعض الناس: لا تقبل[13] توبة الساحر، وهو غلط؛ وأحق من يقبل توبته الساحر، إذ هو أبلغ في تمييز[14] ما هو حجة مما ليس بحجة.[15] وهذا هو الأصل، أن المدعي لشيء على عهد الأنبياء إذا استقبلهم بمثله الأنبياء عليهم السلام، فهو أحق من يلزمهم الإيمان به لعلمهم بالحق منه. والعوامّ منهم[16] لا يعرفون إلا ظاهر ما يلزمهم من تصديق الحجج.[17] **والله أعلم**.

---

[1] ن: بالساحر.
[2] ع م: وأما.
[3] ن ع م + فيه.
[4] ع: بغير.
[5] ن: لا.
[6] جميع النسخ: بالقتل.
[7] ن ع: لم.
[8] ن - به.
[9] أي قول أبي حنيفة.
[10] ع: الساحر.
[11] م - لا بعين السحر أو كفر بسحره بعد الإسلام فيقتل كالمرتد عن الإسلام وما ذكر عنه أنه لا يقتل فهو إذا لم يكن سحره سحر كفر ولا يسعى بالفساد في الأرض فلم يقتله به ثم قوله في الساعي في الأرض بالفساد، صح هـ.
[12] ك ن م: يلزم.
[13] ع م: لا يقبل.
[14] ك ع م: تميز.
[15] جميع النسخ: لا حجة.
[16] م - منهم.
[17] م: الحج. «أي هم قَلّمَا يميزون بين الحجة وما ليس بحجة؛ ثم يصح منهم الإيمان ويقبل منهم، فهذا أولى. ألا ترى أن سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله تعالى، وتابوا توبة لا يُطمَع في مثلها من المسلم الذي نشأ على الإسلام، حيث أوعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب وأنواع العذاب، فقالوا: ﴿لا ضَير إنا إلى ربنا منقلبون﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

وقوله: **ويتعلمون ما يضرهم** في الدنيا **ولا ينفعهم** في آخرتهم.

وقوله: **ولقد علموا**، يعني اليهود في التوراة، **لمن اشتراه**، يعني اختاره للسحر.[١] وقيل **يتعلمون ما يضرهم** في آخرتهم، ولا ينفعهم إن[٢] علموه. **ولقد علموا لمن اشتراه**، يقول: لقد علمت اليهود أن في التوراة آية لِمن اختار السحر.[٣] **[ما له] في الآخرة من خلاق**، يقول: نصيب في الثواب. وقيل: **ما له في الآخرة**، أي ما له عند الله[٤] وجه.

وقوله:[٥] **ولبئس ما شروا به أنفسهم [لو كانوا يعلمون]**، أي بئس ما باعوا به أنفسهم،[٦] يعني اليهود الذين يعلمون الفرقة والسحر. وقيل: **ما شروا به**، يقول: ما باعوا به أنفسهم من السحر والكفر، يعني من لا يقرأ التوراة، أو يعني أن لو كانوا يعلمون ما باعوا به أنفسهم،[٧] ولكنهم لا يعلمون؛ أي لو علموا أنهم[٨] باعوا أنفسهم من العذاب الدائم لعلموا أنهم بئس ما باعوا به.

**﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[١٠٣]

[قوله]: **ولو أنهم آمنوا** بتوحيد الله، **واتقوا** الشركَ والسحر،[٩] **لمثوبة [من عند الله خير]**؛ يقول: لو كان ثوابهم[١٠] عند[١١] الله،[١٢] لكان[١٣] خيرًا[١٤] من السحر والكفر، **لو كانوا يعلمون**. ولكنهم لا يعلمون[١٥] علم الانتفاع به، وهو كقوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ.[١٦] ليسوا بصم ولا بكم

---

[١] ن ع م: في السحر.
[٢] ع: أي.
[٣] ن ع م + وقوله.
[٤] ن + ماله.
[٥] ك: قوله.
[٦] ع – أي بئس ما باعوا به أنفسهم.
[٧] ع م – من السحر والكفر يعني من لا يقرأ التوراة أو يعني أن لو كانوا يعلمون ما باعوا به أنفسهم.
[٨] ن ع م + هم.
[٩] ع م – والسحر.
[١٠] ع + يقول لو كان ثوابهم.
[١١] ن ع م: يقول.
[١٢] ن م – الله.
[١٣] ن م + ثوابهم عند الله.
[١٤] ع م: خير.
[١٥] ع – ولكنهم لا يعلمون.
[١٦] ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

ولا عمي في الحقيقة، ولكنهم صم من حيث لا ينتفعون به، إذ الحاجة من العلم والبصر والسمع الانتفاع به.[1] فإذا ذهبت المنافع بها،[2] فكان كمن لا علم معه، ولا بصر له، ولا سمع، حيث لا ينتفع ولا يعمل[3] به. *والله أعلم.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٠٤]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا.** قيل: كانت الأنصار في الجاهلية يقولون هذا[4] لرسول[5] الله صلى الله عليه وسلم، فنهاهم الله تعالى أن يقولوها. وقيل: كانت اليهود تقول[6] للنبي صلى الله عليه وسلم: **راعنا** من الرُّعونة، من قولك للرجل: يا أرْعَن،[7] وللمرأة: يا رَعْنَاء.[8] وكان الحسن يقرؤها رَاعِنًا بالتنوين.[9] وقال الكلبي: كان في[10] كلام اليهود رَاعِنًا سبًّا قبيحًا، يسب بعضهم بعضًا، وكانوا يأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فيقولون: رَاعِنًا، ويضحكون، فنهى[11] المؤمنين عن ذلك خلافًا لهم.

---

[1] ن ع م – به.
[2] ن م: بهما.
[3] جميع النسخ: ولا عمل.
[4] «كانت الأنصار يقولون في بداية الإسلام: "يا رسول الله رَاعِنا سَمْعَكَ"، وكان هذا كلاما للعرب فيما بينهم، يقول الرجل لصاحبه: "أرْعِنِي سَمْعَكَ". وكان "راعنا" بلسان اليهود سبا قبيحا يسب بعضهم بعضا يقول: "اسمع لا سمعتَ". فلما سمعته اليهود من الأنصار قال بعضهم لبعض: "كنا نسبّ محمدا سرا فيما بيننا فالآن أعلنوا له بالشتم". وكانوا يأتونه ويقولون: "يا محمد رَاعِنا سَمْعَكَ"، ويريدون به الشتم ويضحكون من ذلك. فسمعها منهم سعد بن معاذ الأنصاري، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: "يا أعداء الله! عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لإن سمعتُها من رجل يقولها لرسول الله بعد هذا المجلس لأضربَنّ عنقه". فقالت اليهود: أ ولستم تقولونها له"، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ أي لمحمد صلى الله عليه و سلم، فيصير كأنكم تقولون بلغة اليهود "اسمع لا سمعت" وإن لم يكن بلغة العرب سبا، صيانة له عليه السلام عن شبهة الشتم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).
[5] ن: الرسول.
[6] ك – تقول؛ ن: يقول.
[7] ع: راعن.
[8] ك ع: رعنى. وفي *لسان العرب* لابن منظور: رجل أرْعَنُ وامرأة رَعْناء بَيِّنا الرُّعُونة، أي الحمق والاسترخاء «رعن».
[9] يقول الطبري: «وقد حكي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه «راعنًا» بالتنوين، بمعنى "لا تقولوا راعنًا" من الرعونة، وهي الحمق والجهل، وهذه القراءة مخالفة لقراءة المسلمين، فغير جائز لأحد القراءةُ بها لشذودها وخروجها عن قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين» (*تفسير الطبري*، ٤٧٢/٢).
[10] ع: من.
[11] ن ع م: فيهى.

وقوله: **وقولوا انظرنا**، قيل: فهِّمنا؛ يقول: بيِّن لنا. وقال مقاتل:[١] أي اقصدنا.[٢]

وقيل: إن الأمر بالنظر[٣] يقع موقع التشفع[٤] لوجهين: بالصحبة مرة، وبالخطاب ثانيًا؛ فقولهم: **انظرنا**، لما لا يبلغ أفهامنا القدر الذي يعني ما يخاطبنا به.[٥] والثاني،[٦] قصور عقولهم[٧] عن ما تستحقه[٨] من الصحبة والإيجاب[٩] له صلى الله عليه وسلم. فأما الأمر[١٠] بـ**راعنا**، فهو استعمال في الظاهر بالمراعاة،[١١] وذلك يخرج على التكبر عليه وترك التواضع له[١٢] والخضوع.[١٣]

وقوله: **واسمعوا**، أي أجيبوا له.[١٤] وقيل: أطيعوا له. وقيل: **واسمعوا**، أي اسمعوا وَعُوا.

**﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[١٠٥]

وقوله: **ما يود**، أي ما يريد[١٥] وما يتمنى، **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب**، اليهود والنصارى، **ولا المشركين**؛ ما يود هؤلاء **أن ينزل عليكم من خير من ربكم**، يحتمل وجهين. أحدهما انهم كانوا يَهْوَوْن[١٦] ويحبون أن يُبعث الرسول من أولاد إسرائيل، وهم كانوا من نسله.

---

[١] ن + اتينا.

[٢] ع: قصدنا.

[٣] جميع النسخ: بالأنظار.

[٤] ك: المتشفع. جميع النسخ + في النظرة.

[٥] «وقيل وانظرنا من النظر خرج مخرج التشفع به عليه السلام، أي انظر إلينا بعين الرحمة فلا تخاطبنا بما لا تحتمله أفهامنا، بل بيّن لنا ومكّنا من الفهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و- ٣٨ظ).

[٦] ن ع م + على.

[٧] ك: عقلهم.

[٨] ك: يستخفه؛ ن ع: يستحقه.

[٩] «أي قولوا: لا تطلب منا في الصحبة والمعاملة – على قصور عقلنا- ما يستحقه العقل، بل أنت اختر منا ما في وسعنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧ظ).

[١٠] ع م: فالأمر.

[١١] ع م: بالمراعات.

[١٢] ع م – له.

[١٣] «وقيل: إنه من المراعاة، فكانوا يطالبون رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمراعاة لهم وصيانة حقوقه، فنهاهم عن ذلك لئلا يجعلوا لأنفسهم حقًا فيطالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراعاته. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَمُنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/١٧)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[١٤] ع م – له.

[١٥] ك: مايرد؛ ع: ما يود.

[١٦] ع: يهودوه.

فلما بعث من أولاد إسماعيل عليه السلام على خلاف ما أحبوا وهَوُوا لم تَطِب[1] أنفسهم بذلك، بل كرهت وأبت[2] أشد الإباء والكراهية. والثاني لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم والرياسة بخروجه صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

وقوله: **من خير**، قيل: الخير النبوة. وقيل: الخير الإسلام. وقيل: الخير الرسول هاهنا. ***والله أعلم***.

وقوله:[3] **والله يختص برحمته من يشاء**؛ الآية تنقض[4] على المعتزلة قولَهم، لأنهم يقولون: إن على الله تعالى أن يعطي لكلٍّ[5] الأصلحَ في الدين في كل وقت وكل زمان.[6] فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا وجه. والثاني، قال: **والله ذو الفضل العظيم**؛ والمُفْضِل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل ما ليس عليه، لا [من يعطي] ما عليه، لان من عليه شيء فأعطاه أو قضى ما عليه من الدين لا يوصف بالإفضال. فدل أنه استوجب ذلك الاختصاص وذلك الفضل، لما لم[7] يكن[8] عليه ذلك. ولو كان عليه لكان يقول: ذو العدل، لا ذو الفضل. *وبالله التوفيق*.

**﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[١٠٦]

وقوله: **ما ننسخ من آية أو ننسها**؛ قال بعض أهل الكلام: **ما ننسخ** من اللوح المحفوظ،[9] **أو ننسها**[10] نَدَعها[11] في اللوح. وقيل: **ما ننسخ من آية**، أي نرفع[12] بآية أخرى،

---

[1] ن م: يطب؛ ع: يغب.

[2] ع: أنت.

[3] ع - وقوله.

[4] ن ع: ينقض.

[5] م: الكل.

[6] «أي وسموا الاختصاص محاباة، وأوجبوا التسوية بين المكلفين في الألطاف وسائر ما يتوصل به إلى مصالح الدين، وجعلوا ترك ذلك ظلمًا وجورًا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧ظ).

[7] ك ن ع - لم.

[8] ن: يمكن.

[9] «﴿ما ننسخ من آية﴾ عن اللوح المحفوظ، أي نكتب وننقل فننزلها إليكم ﴿أو ننسها﴾ في السماء نتركها إليكم أو ندعها في اللوح المحفوظ ﴿نأت بخير منها﴾ أي الذي نقل إليكم مثل ذلك أو خير» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[10] ك: ننسيها.

[11] ع: تدعها.

[12] ع: ترفع.

أو نتركها[١] في الأخرى. وقيل: **ما ننسخ من آية**، فنرفع[٢] حكمها والعمل بها، **أو ننسها**،[٣] أي[٤] نترك قراءتها وتلاوتها. فيجوز رفع عينها؛ ويجوز رفع حكمها وإبقاء عينها لأوجه. أحدها ظهور النسخ.[٥] فبطل قول من[٦] أنكر النسخ، إذ وجد؛ ومن[٧] أنكر ذلك إنما[٨] أنكر لجهل[٩] بالنسخ،[١٠] لأن النسخ بيان الحكم إلى وقت، ليس على البداء[١١] على ما قالت اليهود.[١٢] والثاني أن للتلاوة فيها[١٣] فضلاً[١٤] كما للعمل، فيجوز رفع فضل العمل وبقاء فضل التلاوة.[١٥] والثالث على جعل الأول في حالة الاضطرار، والثاني في وقت السعة،[١٦] كقوله: / حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ.[١٧] [٢٣و]

---

[١] م: ونتركها.
[٢] ن ع: فترفع.
[٣] ك: ننسيها؛ ن ع م: ننساها.
[٤] ن ع – أي.
[٥] جميع النسخ: المنسوخ.
[٦] ع: عن.
[٧] ن م: وجدوا من؛ ع: وجد وأمن.
[٨] م: فإنما.
[٩] ن ع م: بجهل.
[١٠] جميع النسخ: بالمنسوخ.
[١١] ن: البدء.
[١٢] «قال الشيخ: لكن إنما قالت اليهود ذلك وأنكرت النسخ جهلا منهم بمعرفة تفسير النسخ وحدّه، ولو عرفوا ما النسخ ما نفوا نسخ الشرائع والأحكام. وأما النسخ [فهو] بيان منتهى الحكم إلى وقت لانتهاء المصلحة التي شرع الحكم لها وبيان حكم جديد لمصلحة أخرى في وقت آخر بعد انقضاء الأول مع بقاء الحكم الأول مشروعا ومصلحة في وقت كونه ووجوده، ليس على ما فهمت اليهود من البداء في الشاهد لمن بنا بناء ثم نقضه بما يبدوا ويظهر له أنه مخطئ وغالِط في الغرض الذي بناه على ذلك الوجه؛ وليس النسخ نظير ذلك، بل نظير النسخ في الشاهد أمرُ الطبيب مريضا غلبت عليه الصفراء والحرارة بشرب المبردات القاطعة للصفراء، ثم متى علم بسكون الحرارة والصفراء واعتدال طبعه نهاه عن ذلك وأمره بالمعتدل من الشراب؛ لم يكن ذلك بداء عما أمره في ذلك الوقت الأول وإبطالا ونقضا له، بل بيان المصلحة في ذلك الوقت، وفي الحالة الثانية هذا مع بقاء المبرد مصلحة له في تلك الحالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦ظ).
[١٣] أي في الآية.
[١٤] جميع النسخ: فضل.
[١٥] «أي لأن القرآن كما يتلى لحفظ حكمه للعمل، يتلى لكونه كلام الله تعالى، فيثاب عليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).
[١٦] الحكم الأول في الآية المستشهد بها هنا هو إباحة تناول الميتة، والحكم الثاني تناول الميتة ولحم الخنزير...
[١٧] ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به... فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).

ثم يجوز أن يرفع عينها فينسى ذكرها،[1] كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "كنا نعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة، حتى رفع[2] منها[3] آيات، منها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا[4] فارجموهما ألبتة»".[5]

وأما قوله: **نأت بخير منها [أو مثلها]**، فاختلف فيه، قيل: **نأت بخير منها**، أي أخف وأهون على الأبدان، كقوله: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ،[6] -إن الأمر بالصوم كان لوقت دون وقت- إذ رجع الحكم عن الإطاقة[7] إلى غير.[8] وكذا ما كان من الحكم في تحريم الأكل عند النوم والجماع،[9] وكذا تحريم الميتة، لو لم يرد فيهما[10] الإباحة والحل عند الضرورة لكنا[11] نعرفه بالحرمة، وذلك أخف وأهون. *والله أعلم*.

وقيل: **نأت بخير منها** في الثواب في العاقبة. وقيل: **نأت بخير منها** في المنفعة،[12] **أو مثلها** في المنفعة. وقيل: **نأت بخير منها**، وهو أن يظهر لكم به[13] الخير في حق الاتباع، والمثلُ في حق الأمر؛ فيشترك أصحاب المنكرين للنسخ [مع المثبتين] في حق الائتمار[14] بالمثل، ويَفضُلونهم بظهور الأخير.[15] وهو كالصلاة إلى بيت المقدس، كان لهم مثل ما لليهود في حق الائتمار،

---

[1] أي تنسخ تلاوتها وتبقى حكمها.

[2] ن: نرفع؛ م: يرفع.

[3] ع م – منها.

[4] ك – إذا زنيا.

[5] *صحيح البخاري*، الحدود ٢١، ٢٢، ٢٤؛ و*صحيح مسلم*، الحدود ١٢-٢٩؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ٢٣؛ وانظر كذلك: *تفسير القرطبي*، ٢٤٣/٦.

[6] ﴿أيامًا معدودات فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذي يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرًا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٨٤/٢).

[7] ك ن ع: الطاقة؛ م: عند الطاقة.

[8] وهو ﴿فدية طعام مسكين﴾.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (سورة البقرة، ١٨٧/٢).

[10] ع م: فيها. أي في تحريم الأكل والجماع في ليالي رمضان وتحريم الميتة.

[11] ك: لكن.

[12] ن – وقيل نأت بخير منها في المنفعة أو مثلها في المنفعة، صح هـ.

[13] ع م – به.

[14] ن + ما كان ظهر لهم الأخير في وقت.

[15] ع م – في حق الاتباع والمثل في حق الأمر فيشترك أصحاب المنكرين للنسخ في حق الائتمار بالمثل ويفضلونهم بظهور الأخير. وظهور الأخير هنا هو الخير في حق الاتباع.

و لم يكن[1] ظهر لهم الأخيرُ في وقت ظهور الأمر، وأبهم[2] الخير، وظهر عنده فيمن[3] أبى أن اتباعه لم يكن لأجل حق المتابعة، بل لما كان عنده الحجة. فأما من جعله خيرًا على البدل[4] فاستبدل[5] بها الآخر رخصة وإباحة، والإباحة ورودها للتخفيف.[6]

ومن استدل على أن النسخ أبدًا يَرِد على ما هو أغلظ عورض[7] بقوله: فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ،[8] فأبدل[9] بعقوبة أشد من الأول، وهو الرجم، بقوله: «خذوا عني، خذوا عني».[10]

ويحتمل قوله: **نأت بخير منها** وجهًا آخر، وهو آية،[11] والآيات هي الحجج،[12] فيكون معناه: ما نرفع من حجة فننفيها[13] عن الأبصار إلا نأت بخير منها،[14] يعني أقوى منها

---

[1] جميع النسخ: ما كان.
[2] ع: أيهم.
[3] ك: فمن.
[4] ن ع م: البدن.
[5] ن م: فاستدل.
[6] ك ن ع: التخفيف. قال السمرقندي: «قوله ﴿نأت بخير منها﴾ على هذا التأويل يحتمل نأت بما هو خير من الأول في المصلحة للعبد أو مثله، ويحتمل أن يكون مثل ذلك في الترغيب والزجر أو أبلغ. وقيل: ﴿نأت بخير منها﴾ في المنفعة ﴿أو مثلها﴾ بأن يكون الناسخ أخف على البدن أو مثله لقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾، فإن الصوم في حق القادر نسخ بالفداء بالطعام، وكذلك الأكل والجماع كان حراما في ليالي رمضان ثم نسخ. وكذلك الميتة حرام، ورد الإباحة في حق المضطر. وقالوا: إن طريق النسخ هو الأخذ بالرخصة إذ الحكم الأول هو العزيمة والرخص أخف من العزائم. قال الإمام: ولكن هذا ليس بصحيح بل يجوز أن يكون أخف، ويجوز أن يكون أشق، فإن الإيذاء باللسان كان هو الحد في الزنا فصار منسوخا بما هو أشد منه وهو الإمساك في البيوت، ثم صار ذلك منسوخا بالجَلْد على ما روي في الخبر «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهم سبيلا البكر بالبكر الحديث» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨و).
[7] ك ع م: فعورض.
[8] ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ (سورة النساء، ١٥/٤).
[9] أي أبدل الإمساك في البيوت.
[10] عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني، خذوا عني؛ قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (*صحيح البخاري*، الكفالة ١؛ و *صحيح مسلم*، الحدود ١٢-٢٩؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ٢٣؛ و*سنن الترمذي*، الحدود ٨).
[11] ن: أنه؛ ن + ذكر الآية.
[12] «وقيل: المراد هو نسخ الحجة، ورفع ما سبق من الآية الحسية الدالة على ثبوت الصانع وتوحيده وصفاته الحسنى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨و).
[13] ن: فنعيها.
[14] ع م – وجهًا آخر وهو آية والآيات هي الحجج فيكون معناه ما نرفع من حجة فننفيها عن الأبصار إلا نأت بخير منها.

في إلزام الحجة أو مثلها. ولا شك أن ما يعترض [من الآيات] هو أقوى حالات[١] الاعتراض في لزوم الحجة على ما غاب[٢] عن الأبصار، فيكون قوله: **نأت بخير منها** على هذا الوزن،[٣] أي[٤] نأت بحجة هي أقوى وأكثر من الأولى[٥] أو مثلها في القوة.

فإن قيل: ما الحكمة في النسخ وما وجهه؟[٦] قيل: [إن النسخ] محنة يمتحن بها الخلق، ولله أن يمتحن خلقه بما يشاء في أي وقت شاء، يأمر بأمر في وقت، ثم ينهى عن ذلك ويأمر بآخر.[٧] فليس[٨] في ذلك خروج عن الحكمة، ولا كان ذلك منه لبداء يبدو[٩] له، بل لم يزل عالمًا بما كان ويكون، حكيمًا يحكم بالحق والعدل. فنعوذ بالله من السرف في القول.[١٠]

وقوله: **أ لم تعلم أن الله على كل شيء قدير**، يحتمل أن يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم،[١١] والمراد بالخطاب [كل من] الذين سبق ذكرهم في قوله:[١٢] مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، الآية، إنه قادر على إنزال الخير على من يشاء، واختصاص بعض على بعض وتفضيل بعضهم[١٣] على بعض. ويحتمل أن يكون المراد في الخطاب له عليه الصلاة والسلام على حقيقية العلم،[١٤] على التذكير والتنبيه؛[١٥] أي أنت تعلم[١٦] أن الله على كل شيء قدير. وهو كقوله:

---

[١] جميع النسخ: حالة.
[٢] ن ع م: ما غابت.
[٣] «لا شك أن ما يعاين من الحجة بالأبصار أبلغ من التي غائبة عنها». (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).
[٤] م – أي.
[٥] ن: الأول.
[٦] ع: وجه. «أي وما وجهه في القرآن وفي الآيات الحسية بتبديل البعض بالبعض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[٧] م: آخر. قال السمرقندي موضحًا: «ويكون ذلك بيان مدة انتهاء قضية وابتداء أخرى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[٨] جميع النسخ: وليس.
[٩] ن ع: يبدوا.
[١٠] «إن الله تعالى بحكمه أسس الشرائع والأحكام على حكم متقنة وضعها لمصالح العباد عاجلها وآجلها. وجائز تغير المصالح في العقول على اختلاف الأوقات والأحوال والأشخاص، فجائز تغير حكمها. والله المعين. وأما وجه النسخ في الآيات الحسية فلما لله تعالى الاحتجاج بأنواع الآيات ليعلم أن في كل خلقه آيةً ودلالةً على وحدانيته، وإن اختلف خلقه. والآيات من حيث الدلالة تستوي في الحقيقة، وإن كان بعض تلك الآيات أظهر وآخذ للقلوب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[١١] ك ن: له عليه السلام.
[١٢] م: قول.
[١٣] م: بعض.
[١٤] أي رغم كونه عليه السلام عالمًا به.
[١٥] قال السمرقندي: «كأنه ذكر هذا عند ضيق درعه تسكينًا وتطبيعًا لقلبه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[١٦] ك ن ع: تعلم أنت.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ،[1] على حقيقة العلم له.[2] ويحتمل على الإعلام والإخبار لقومه،[3] وقد ذكرنا.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١٠٧]

وعلى ذلك يخرج قوله: **ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض**، أي من كان يملك ملك السماوات وملك[4] الأرض؛ يملك تخصيص بعض على بعض وتفضيلهم فيها ويحكم فيها بما[5] يشاء ويحدث من[6] الأمر ما أراد. ***والله أعلم***. ويحتمل نزوله على أثر نوازل لم تذكر فيه، وذلك في القرآن كثير. وإنما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينًا له. ومعنى تخصيص السماوات والأرض بالملك له لمنتهى علم الخلق بهما،[7] وإن كان له ملك الدنيا والآخرة. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**، يدل هذا على أنه خرج على أثر نوازل، وإن لم تذكر.[8]

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١٠٨]

وقوله: **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل**، سؤالَ تعنّت [كما في قوله]: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ -تعنتًا- حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[9] وقيل: إنهم سألوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سأل[10] قوم موسى[11] موسى.[12] وقيل: سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[2] ع م – له.
[3] ع م: لقوله.
[4] ك – ملك.
[5] م: ويحكم ما.
[6] م – من.
[7] ك: لهما.
[8] ع – وقوله تعالى ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل عى أنه خرج عى أثر نوازل وإن لم تذكر.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذقلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٥٥/٢).
[10] ع: سئل.
[11] ع – قوم موسى.
[12] ن ع + من قبل.

أن يجعل الصفا لهم ذهبًا إن كان ما يقوله[1] حقًا. وقيل سؤالهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا؛[2] وكانوا يسألون سؤال تعنت، لا سؤال استرشاد واهتداء.

وقوله: **ومن يتبدل الكفر بالإيمان**، قيل: اختار[3] الكفر بالإيمان. وقيل: ومن يختار شدة الآخرة على رخائها وسعتها. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: «ومن يشتري الكفر بالإيمان»، وذلك كله واحد.

وقوله: **فقد ضل سواء السبيل**، قيل: عدل [عن] عَدْل[4] الطريق. وقيل: عدل عن قصد الطريق. وقيل: أخطأ قصد طريق الهدى. وكله واحد.

**﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠٩]**

وقوله: **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا**؛ إنهم كانوا يجهدون كل جهدهم حتى يصرفوا أو[5] يردوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الله الإسلام إلى ما هم عليه، كقوله تعالى: وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ،[6] وكقوله: إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ،[7] وكقوله:[8] يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[9] الآية. وذلك -والله أعلم- لخوف[10] فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافعهم[11] التي [كانوا] ينالون من الأتباع والسفلة، فوَدّوا ردَّهم وصرفهم إلى دينهم.

---

[1] ع: يقول.
[2] ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعَتَوْ عتوًا كبيرًا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢١).
[3] م: اختيار.
[4] م - عدل.
[5] جميع النسخ: و.
[6] سورة آل عمران، ٣/٦٩.
[7] سورة آل عمران، ٣/١٠٠.
[8] ن م: وقوله.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٩).
[10] ع م: الخوف.
[11] جميع النسخ: منافع.

ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله: **حسدا من عند أنفسهم**، قالوا: دلت الآية على أن الحسد ليس من عند الله بما نفاه عز وجل عنه، وأضافه إلى أنفسهم بقوله: **حسدا من عند أنفسهم**.

قيل: صدقتم في زعمكم بأن الحسد ليس من عند الله، وكذلك نقول، ولا نجيز إضافة الحسد إليه بحال. ولكنا[١] نقول: / خَلَق فعل الحسد[٢] من الخلق. وكذلك يقال في الأنجاس [٢٣ظ] والأقذار والحيات والعقارب ونحوها أنه لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى فيقالَ: يا خالق الأنجاس والحيّات والعقارب،[٣] وإن كان ذلك كلُّه خلقَه، وهو خالق كل شيء. فعلى ذلك نقول: يخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد، ولا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى.

ثم يقولون[٤] في الطاعات والخيرات كلها إنها من عند الله غيرُ مخلوقة،[٥] فلو[٦] كانت العلة في الذي لا يكون مخلوقًا له[٧] أنه ليس هو[٨] من عنده، لوجب[٩] القول[١٠] بخلقه[١١] ما هو من عنده. ثم لم يقولوا به، فبان أن ما يقولون فاسد باطل ليس بشيء.[١٢]

ثم جهة الحسد ما ذكرنا أنهم أحبوا أن تكون الرسالة فيهم، أو[١٣] أن تكون[١٤] [في] من عنده سعةٌ، كقوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ،[١٥] وكقوله: لَوْلَا أُنْزِلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ

---

[١] جميع النسخ: ولكن.
[٢] ن – الحسد.
[٣] ن – والعقارب.
[٤] أي المعتزلة.
[٥] أي غير مخلوقة لله، بل هي مخلوقة لفاعليها.
[٦] ك: فيس؛ ن ع م: فلئن.
[٧] ك ع م – له.
[٨] ن – هو.
[٩] ك ن: ليجب.
[١٠] ع م – لوجب القول؛ ن + من عنده.
[١١] ع: يخلقه.
[١٢] يقول علاء الدين السمرقندي: «ثم ناقضت المعتزلة في الطاعات والخيرات حيث قالوا: إنها من عند الله، ثم لم يجعلوها مخلوقة لله تعالى، بل هي مخلوقة لفاعليها. فلو كانت علة [حكم] "المعاصي غير مخلوقة لله تعالى" أنها لا تضاف إلى الله تعالى ولا يجوز، فالطاعات التي يجوز إضافتها إلى الله تعالى يجب أن تكون مخلوقة له تعالى. فدل أن قولهم فاسد»(*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[١٣] ع م: وأن تكون.
[١٤] ن م: يكون.
[١٥] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ (سورة هود، ١١/١٢).

مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ؛[1] فلهذين الوجهين يخرج حسدهم.

قوله: **من عند أنفسهم**، أي من قِبلها، لا أن[2] الله تعالى أمرهم، وليس يضاف إلى الله تعالى بأنه مِن عنده بما يخلق، ولكن بما يأمر أو يُزم.[3] ألا ترى أن الأنجاس[4] كلها، والخبائث والشياطين كلهم مخلوقة، وإن لم يجز نسبتها إلى الله تعالى، بمعنى أنها[5] من عنده؟ كذلك ما ذكر من الحسد. على أنه معلوم أنهم[6] لم يكونوا يَدّعون من دون[7] الله خلقًا، فبذلك[8] الوجه[9] ينكر عليهم؛ بل كانوا يدعون الأمر في كل ما نسبوا[10] إلى الله تعالى. فعلى ذلك ورد العتاب. ***والله أعلم.***

وقوله: **من بعد ما تبين لهم الحق**، أي بين لهم في التوراة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي، وأن[11] دينه الإسلام، كقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ.[12]

وقوله:[13] **فاعفوا واصفحوا [حتى يأتي الله بأمره]**، يحتمل النهي عن [طلب] مكافأة[14] ما يؤذونه في الدنيا، ثم لم ينسخ. وقيل: فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي أمر الله في ذلك،[15] ثم جاء بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[16] الآية. وقيل: **حتى يأتي الله بأمره**، أي بعذابه. ***والله أعلم.***

وقوله: **إن الله على كل شيء قدير**، من التعذيب والانتقام وبكل شيء، و لم ينسخ هذا.[17]

---

[1] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[2] م: لأن.
[3] ك + يكرم؛ ع م + ويلزم.
[4] ك: الأنجاس.
[5] ج: أنه.
[6] أي أهل الكتاب.
[7] ن ع م: عند.
[8] ك: فذلك.
[9] ن + كلها.
[10] ك: نسب.
[11] ع: وأنه؛ م – وأن.
[12] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٦). وانظر كذلك: سورة الأنعام، ٦/٢٠.
[13] ن ع م – وقوله.
[14] ع: مكافات.
[15] م – ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي أمر الله في ذلك.
[16] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٩).
[17] ك ع – وقوله إن الله على كل شيء قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء و لم ينسخ هذا.

**﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١١٠]**

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**؛ كرر الله عز وجل الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في القرآن تكرارًا كثيرًا، حتى كانت لا تخلو سورة إلا وذكرهما فيها في[١] غير موضع، وذلك لعظم شأنهما وأمرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرهما. وعلى ذلك جعلهما شريعة في الرسل السالفة،[٢] صلوات الله عليهم وسلامه. ألا ترى إلى قول إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي،[٣] وقوله لموسى وهارون: أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا إلى قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[٤] وقول عيسى: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا،[٥] وقوله: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ.[٦]

وذلك، والله أعلم، أن الصلاة قربة فيما بين العبد وبين ربه، تجمع جميع أفعال الخير، وفيها غاية منتهى الخضوع له والطاعة، من القيام بين يديه والمناجاة فيها[٧] والركوع له والسجود على الأرض و[٨]تعفير[٩] الوجه فيها؛[١٠] حتى لو أن أحدًا ممن خلص دينُه لله لو أُعطي ما في الدنيا على[١١] أن يعفّر وجهه في الأرض[١٢] لأحد من الخلق ما فعل. *وبالله التوفيق*.

والزكاة فيما بين العبد وبين الخلق لتآلف القلوب واجتماعها، وفيها إظهار الشَّفَقة لهم والرحمة. لذلك عظّم الله شأنهما، وشرّف أمرهما، وأعلى منزلتهما؛ وعلى ذلك قرنهما

---

١ ع: من.
٢ ع م – السالفة.
٣ سورة إبراهيم، ٤٠/١٤.
٤ ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾ (سورة يونس، ٨٧/١٠).
٥ سورة مريم، ٣١/١٩.
٦ سورة المائدة، ١٢/٥.
٧ جميع النسخ: فيه.
٨ ع م – و.
٩ ن: تغفير.
١٠ ك – فيها.
١١ جميع النسخ – على.
١٢ م: بالأرض.

بالإيمان في المواضع كلها، وأثبت بين الخلق الأخوة بهما،[1] بقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.[2]

ثم هما تلزمان[3] بالعقل، لأن الصلاة تجمع جميع أنواع خيرات[4] الأفعال، وفيها غاية الخضوع له والخشوع، على ما ذكرنا؛ وذلك مما يوجبه العقل، وإن لم يرد فيه السمع. وكذلك الزكاة، فيها تزكية الأنفس وتطهيرها، وذلك مما في العقل واجب.

فإن قيل: ما الحكمة في وجوبهما؟[5] قيل: إظهار ما أنعم الله على العباد[6] من الأموال والسعة فيها وما أعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الآفات، يخرج مخرج الأمر بأداء شكر ما أنعم عليهم عز وجل.

فإن قيل: ما الحكمة[7] في وجوبهما[8] مما[9] أُعطي منهما،[10] يعني من النفس والمال[11] دون غيره؟[12] قيل: لأن الوجوب من غيره يخرج مخرج المعاوضة والمبادلة، لا مخرج أداء الشكر. **والله أعلم.**

ثم الحكمة في إيجاب الصلاة والزكاة[13] وغيرهما من العبادات أن الله تعالى إذ عمّهم بنعمه فيما فضّلهم بالجوهر، وسخر لهم جميع ما في الأرض، وبسط عليهم النعم، حتى صار كل منهم لا يبصر غير[14] نعمه من غير استحقاق منهم شيئًا، من ذلك لزمهم الشكر عليها.

---

[1] ك: بينهما.
[2] سورة التوبة، ٩/١١.
[3] جميع النسخ: تكرمان.
[4] ن: الخيرات.
[5] ك: وجوبها.
[6] ك ن: عليه؛ ع م: العبد.
[7] ع م - ما الحكمة.
[8] ك: وجبوها.
[9] جميع النسخ: فيما.
[10] ن: منها.
[11] ك: والعدالة.
[12] «أي فإن قيل: ما الحكمة في إيجاب الشكر باستعمال النفس في طاعة الله، فيكون إعطاء بعض ما وصل إليه من الله تعالى إليه، وفي الزكاة إعطاء بعض ما أُعطي لمعطِي، ومثل ذلك في الشاهد لا يكون شكرًا لمنعم، بل فيه شبهة رد النعمة، كمن وهب لغيره فرد -يعني المنعَم عليه- بعض ذلك بالهبة منه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩و).
[13] ع م - والزكاة.
[14] ع م: غير.

ثم كانت الصلاة تجمع استعمال جميع الجوارح فيما لله فيها[1] القيام بها[2] شكرًا له، مع ما فيها توفّر[3] أحوال نفسه بالاحتيار بما هي عليه بالاضطرار[4] والخلقة، و[شغل] القلب بالنية والخوف والرجاء، وإحضارُ الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل، فيكون[5] كل شيء منه في شكره لما له فيه من سبوغ النعمة.[6] **والله أعلم.**

وكذلك [أمر الشكر] بالأموال، [لأنهم] فُضّلوا في هذه الدنيا واستمتعوا بلذيذ العيش، فأمروا بالإخراج لله. مع ما إذ سخرت هذه الأرض بما فيها لجميع[7] البشر،[8] لزم[9] من ذلك صلة من لم يملك، ليستووا في الاستمتاع بالتسخير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين.[10] **ولا قوة إلا بالله.**

وقوله: **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله،** الآية تخرج[11] على خلاف قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من ارتكب كبيرة ثم أقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله وحج بيت الله الحرام وقدم خيرات كثيرة، فإنه لا يجد مما[12] قدم شيئًا، ولكن[13] يجد ما قدم من شر. وذلك ليس من فعل[14] الكريم والجواد، ولا كذلك وصف الله نفسه،

---

[1] ن - فيها.

[2] ع م - بها.

[3] ن: توفيرا؛ م: توفق. يقال: توفّر على كذا: صرف همته إليه. وتوفّر على صاحبه: رعي حرماته (*لسان العرب*، «وفر»).

[4] ع م: بالاضطراب.

[5] ن ع م : ليكون.

[6] «ثم الصلاة تجمع استعمال جميع الجوارح الظاهرة في القيام والركوع والسجود والقعود. ووضع اليد مواضعها، وحفظ العين، وكذلك الجوارح الباطنة من شغل القلب بالنية، وإشعاره بالخوف والرجاء، وإحضار الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون عمل كل عضو شكرًا لما أنعم عليه في ذلك، والقيام بحقه بقدر الوسع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩و).

[7] ن ع م: بجميع.

[8] لعله يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿ألم تَرَوْا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).

[9] جميع النسخ: ألزم.

[10] ع: الذين. «أي من الوجه الذي علم الله تعالى في ذلك صلاح الدارين، فينال الأغنياء بكونهم أسباب وصول الرزق إلى الفقراء الاحترامَ في الدنيا والثوابَ في الآخرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩و).

[11] ع: يخرج.

[12] جميع النسخ: ما.

[13] ن + ولكن.

[14] ن: فضل.

بل وصف نفسه على خلاف ما وصفوا هم،[1] فقال: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
[٢٤و] وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ؛[2] وهم يقولون: لا يتقبل[3] عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز / عن سيئاتهم، وذلك سرف في القول، فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله. *والله التوفيق*.

وقوله: **إن الله بما تعملون بصير**، بما قدمتم من الخير والشر؛ [وهذا] تنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر، وترغيب منه لهم بالخيرات. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[١١١]

وقوله:[4] **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن قالوا ذلك جميعًا لما أرادوا أن يُرُوا الناس الموافقة فيما بينهم ليرغّبوا في دينهم وينفّروا عن دين الإسلام، وإن كانوا هم في الباطن[5] على الخلاف والعداوة. ويحتمل أن يكون ذلك القول من كل فريق في نفسه، لا عن كل الفريقين جميعًا على الموافقة. دليله قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ؛[6] دلّت الآية أن ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعًا على الموافقة، ولكن كان من كل في نفسه على غير[7] موافقة منهم ولا مساعدة. *والله أعلم*.

ثم في الآية دليل لزوم[8] الدليل على النافي،[9] لأنهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم: **لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، فطولبوا بالبرهان بقوله: **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** أنه لا يدخل فيها سواكم.

فإن قيل: إنهم إذ[10] نفوا دخول غيرهم فيها ادعوا لأنفسهم الدخول، فإنما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا.

---

[1] ع م: وصفوهم.
[2] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[3] ع م: ولا يتقبل.
[4] ك – وقوله.
[5] ع: الباطل.
[6] سورة البقرة، ١١٣/٢.
[7] م – غير.
[8] ك م: لزم.
[9] ك: الثاني.
[10] جميع النسخ: إذا.

قيل:[١] لا يحتمل[٢] ذا، لأنهم لم يذكروا دخول أنفسهم تصريحًا، إنما نفوا دخول غيرهم، وهم[٣] كمن يقول: لا يدخل هذه الدار إلا فلان وفلان، ليس فيه: أن فلانًا وفلانًا يدخلان، ولكن[٤] فيه نفي دخول غيرهما. أو تقول:[٥] نفوا دخول غيرهم تصريحًا، وادعوا لأنفسهم الدخول مستدلًا، وإنما يطلب الحجة على مصرَّح قولهم لا على مستدَلِّهم. ألا ترى أن الجواب من الله عز وجل بالإكذاب والرد عليهم خرج على[٦] ما نفوا دخول غيرهم، وهو قوله: بَلَى يدخل الجنة مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ.[٧] ألا ترى إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نكاح إلا بشهود»،[٨] ليس فيه إثبات النكاح إذا كان ثَمَّ شهود، ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود تصريحًا. ألا ترى أن من قال: «لا نكاح إلا بشهود»، لا يُسأل أن: لم قلت إنه لا يجوز بغير شهود؟[٩] فعلى ذلك قوله: **لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، ليس فيه إثبات الدخول لهم تصريحًا، و[لكن] فيه نفي دخول غيرهم تصريحًا. ***والله أعلم***.

**﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[١١٢]

وقوله: **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**، قد قلنا: إنه خرج مخرج الرد عليهم والإنكار بحكمهم على الله، فقال: **بلى** -يدخلها- **من أسلم وجهه لله وهو محسن**.

ثم اختلف[١٠] في قوله: **أسلم وجهه لله**، قيل: أخلص لله[١١] دينه[١٢] وعمله. وقيل: أسلم نفسه لله. وقد يجوز أن يذكر الوجه على إرادة الذات، كقوله: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ،[١٣]

---

[١] ع م – قيل.
[٢] ع م + قيل.
[٣] م: وهو.
[٤] ع م: ولكنه.
[٥] ن م: أو نقول.
[٦] ع م – على.
[٧] سورة البقرة، ٢/١١٢.
[٨] *سنن الترمذي*، النكاح ١٥.
[٩] ن ع م: لم قلت إن النكاح يجوز بالشهود؛ ن ع م + ولكن يسأل أن لم قلت أن (د: أنه) لا يجوز بغير شهود.
[١٠] ع م: اختلفا.
[١١] ك ن: ديه.
[١٢] ك ن: لله.
[١٣] سورة القصص، ٢٨/٨٨.

أي[1] إلا هو. وقيل: **أسلم**، أي وجّه أمره إلى دينه فأخلص. وبعضه قريب من بعضه.[2] أسلم نفسه لله، أي بالعُبُودَة،[3] كقوله: وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ.[4] وذلك معنى الإسلام: أن تخلص نفسك لله، لا تجعل لأحد[5] شركًا من عبودة[6] ولا من[7] عبادة.

وقوله: **فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**؛ قد ذكرنا[8] متضمنها فيما تقدم.[9]

**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**[١١٣]

وقوله: **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب**؛ فإن قيل: كيف[10] عاتبهم بهذا القول، وقد أمر نبيه عليه السلام في آية أخرى أن يقول لهم ذلك: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ،[11] قيل: إنما[12] أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إنهم ليسوا على شيء إذا لم يقيموا التوراة؛ فأما إذا أقاموا التوراة، وفيها أمر لهم بالإسلام، وإتباع الرسول[13] محمد صلى الله عليه وسلم، فهم على شيء.[14] ومعنى هذا الكلام، والله أعلم، أن قال لهم: كيف قلتم ذلك،

---

[1] ن ع م: يعني.
[2] ن ع م: من بعض.
[3] ع م: بالعبودية.
[4] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).
[5] ع: أحد.
[6] ع م: عبودية.
[7] ن ع – من.
[8] م: ذكر.
[9] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعًا﴾ (سورة البقرة، ٣٨/٢).
[10] ك – كيف.
[11] ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٨).
[12] ن ع – إنما.
[13] ك ن – الرسول.
[14] «فلم يكن الأمر مطلقًا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول، بل مقيدا بحال لم يقيموا التوراة. وأما اليهود فقد أخبرت بأن النصارى ليست على شيء مطلقًا، وكذلك النصارى من غير تقييد بحال، وهم كانوا على حق حين كانوا في زمن موسى مقرين بموسى ومن بعده من الرسل، وإنما نطق به التوراة من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك النصارى كانوا على حق في زمن عيسى عليه السلام حين كانوا مقرين بموسى ومن قبله وبمحمد عليه السلام، فهم على الحق. فكان نفي كل واحد من الفريقين لصاحبه مطلقًا بلا تقييد خطأ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩ظ).

وعندكم [من] الكتاب ما يبيّن لكم ويميز الحق من الباطل ويرفع[١] من بينكم الاختلاف لو تأملتم فيه[٢] وتدبرتم؟

ويحتمل أن كل فريق منهم لما قال لفريق آخر ذلك، أنهم ليسوا على شيء أكذبهم الله تعالى ورد عليهم: **بلى من أسلم** منهم فهم على شيء، لأنه كان [من] أسلم من أوائلهم. ويحتمل أنهم ليسوا على شيء[٣] على نفس دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق، وهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضًا بما قالوا.

وقيل:[٤] لما قالت اليهود: ليست النصارى على شيء من الدين، فما لك يا محمد، اتبع ديننا،[٥] فإنهم ليسوا على شيء، وكذلك قول الفريق الآخر[٦] لأولٰئك.[٧]

ثم اختلف في الإسلام. قيل: الإسلام هو الخضوع. وقيل: الإسلام هو الإخلاص بالأفعال، وهو أن يُسلم نفسه لله، أو يسلم دينه، لا يشرك فيه.

وقوله: **كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم**؛ قيل: **[الذين] لا يعلمون**: الذين لا كتاب لهم، وهم مشركو العرب. وقيل: **الذين لا يعلمون**، هم الذين لا يقدرون على تلاوة القرآن[٨] والكتاب وتمييز ما فيه،[٩] وهم جهالهم.

سَوَّى عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم، لأن من علم منهم لم ينتفع بعلمه، فكان كالذي لم يعلم شيئًا؛ وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ أنه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالآيات والأسباب التي أعطاهم الله عز وجل.[١٠] *والله أعلم.*

---

[١] ك: ويدفع.
[٢] ع م – فيه.
[٣] ك – أكذبهم الله تعالى ورد عليهم بلى من أسلم منهم فهم على شيء لأنه كان أسلم من أوائلهم ويحتمل أنهم ليسوا على شيء.
[٤] ك: فقيل.
[٥] «وقيل: لما قالت اليهود: ليست النصارى على شيء من الدين ونحن على الحق، فاتبع ديننا يا محمد، وكذلك قالت النصارى. فأنزل الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠و).
[٦] ع: الآخرون.
[٧] ك: وذلك.
[٨] ك – القرآن.
[٩] جميع النسخ: وتمييزها فيه.
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٨/٢.

وقوله: **فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** بالعذاب، لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم[1] في الله بما لا يليق. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[١١٤]

وقوله: **ومن أظلم**، يقول: لا أحد أظلم لنفسه ولا أوضع لها، **ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه**، اختلف فيه؛ قيل: مساجد الله الأرض كلها، / لأن الأرض كلها[2] مساجد الله، كقوله صلى الله عليه وسلم: «جُعلت لي[3] الأرض[4] مسجدًا وطَهورًا».[5] منع أهل الكفر أهل الإسلام أن يذكروا فيها اسم الله، وأن يظهروا فيها دينه. [٢٤ظ]

وقوله تعالى: **وسعى في خرابها**، هو[6] كقوله: وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.[7] ويخرج قوله: **أولٰئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**، أي لا يدخلون البلدان والأمصار إلا بالخوف،[8] أو بالعهد، كقوله: إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ،[9] وهو العهد.

ويحتمل قوله: **ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**، ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه أن يدخلوا المساجد إلا خائفين وَجِلين، لما كانت هي بقاع اتخذت لعبادة الله، ونسبت إليه تعظيمًا لها، فدخلوا مخرّبين لها مانعين أهلها عن[10] عبادة الله فيها.

---

[1] ع: ويقال لهم.
[2] ع م - كلها.
[3] ك - لي.
[4] ع م - الأرض.
[5] *صحيح البخاري*، التيمم ١؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ١-٤.
[6] جميع النسخ: وهو.
[7] ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يُصَلَّبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض﴾ (سورة المائدة، ٥/٣٣). وانظر كذلك: سورة المائدة، ٥/٦٤.
[8] «ويخرج قوله تعالى: ﴿أولٰئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ على طريق النهي لا على طريق الإخبار؛ إذ لو حمل على الإخبار يقال: إنا نرى الكفار يدخلون في دار الإسلام ويكونون في الأرض آمنين فيكون خُلفًا في الخبر، بل يحمل على النهي؛ أي ما ينبغي لهم أن يدخلوها إلا خائفين وَجِلين من الله تعالى ؛ فإن الأرض اتخذت لعبادة الله تعالى فالدنيا دار عمل وعبادة ليتوسل بها إلى الآخرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠و).
[9] ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٢).
[10] ع م: من.

وقيل: **مساجد الله** المسجد[١] الحرام. وذلك أنهم حالوا بينه[٢] وبينه دخول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيه،[٣] حتى رجعوا من عامهم ذلك. ثم فتح الله عز وجل مكة لهم، فصار لا يدخلها[٤] مشرك[٥] إلا خائفًا، كقوله عز وجل: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا.[٦]

وقيل: أراد بمساجد الله بيت المقدس. قيل: إن النصارى استعانوا ببُخْتِنَصْر،[٧] وهو رئيس المجوس، حتى خربوا المساجد، وقتلوا من فيها من أهل الإسلام[٨] ثم بنى أهل الإسلام[٩] بعد ذلك بزمان مساجد، فكان[١٠] لا يدخل نصراني فيها إلا خائفًا مستخفيًا. ***والله أعلم.***

وقوله تعالى: **لهم في الدنيا خزي**، قيل: الخزي الجزية، ويحتمل القتال. **ولهم في الآخرة عذاب عظيم.**

**﴿وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١١٥]**

وقوله تعالى: **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**، قيل: إن رهطًا من[١١] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرًا، وذلك قبل أن تصرف[١٢] القبلة إلى الكعبة، فحضر وقت الصلاة، فاشتبه عليهم، فتحروا. فمنهم من صلى إلى المشرقِ، ومنهم من صلى إلى المغرب، صلّوا إلى جهات مختلفة؛ فلما بان لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عن ذلك، فنزلت الآية:[١٣] **فأينما تولوا فثم وجه الله.**

---

[١] جميع النسخ: مسجد.
[٢] ك: بينهما؛ ن: بينها.
[٣] ك ن م: فيها.
[٤] ن ع م: لا يدخل.
[٥] ن ع م + فيها.
[٦] سورة التوبة، ٢٨/٩.
[٧] هو ملك بابل الذي تولّى الحكم فيما بين ٦٠٥-٥٦٢ قبل الميلاد والذي أزال دولة اليهود ودمّر القدس ومعبد سليمان. انظر: *تاريخ الطبري*، ٣١٨/١؛ و(DİA)، «Buhtunnasr»، ٣٨٠/٦-٣٨١.
[٨] لعله يقصد أهل دين الحق، يعني دين التوحيد.
[٩] ع م – ثم بنى أهل الإسلام.
[١٠] ن ع م: وكان.
[١١] م – من.
[١٢] ن ع م: يصرف.
[١٣] ك ن + فيهم.

وهذا يرد على الشافعي قوله، لأنه يقول: إن صلى إلى جهة القبلة يجوز، وإلا فلا. وليس في الآية ذكر جهة دون جهة، بل فيها ذكر المشرق والمغرب؛ وكذلك في الخبر ذكر المشرق والمغرب،[1] فخرج قوله على ظاهر الآية. وهذا عندنا في الاشتباه والتحري، وأما عند القصد فهو قوله: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.[2]

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن قوله:[3] **ولله المشرق والمغرب**، الآية، نزلت في النوافل في الأسفار.[4] ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل. *والله أعلم*.

وقوله : **فثم وجه الله**، اختلف فيه. قيل: **ثم وجه الله**، يعني ثم ما قصدتم وجه الله. وقيل: ثَمَّ[5] قبلة الله. وقيل: ثَمَّ وَجْهُ اللهِ، ثَم الله،[6] على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على إرادة الذات،[7] أي ليس هو عنهم بغائب. وقيل: ثَم رضاء الله. وقيل: ثَم[8] ما ابتغيتم به وجه الله. وقيل فيه:[9] ثَم وجه الذي وجّهكم إليه إذا لم يجئ منكم التقصير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكل الناسي: «إنما أطعمك الله وسقاك».[10] وقيل فيه: ثَم بلوغكم مما قصدتم بفعل الصلاة من وجه الله ورضائه، أي ظفرتم به.

ثُم الفرض في القبلة ليس إصابة عينها، ولكن أغلب الظن وأكبر الرأي، لأنه ليس لنا إلى[11] إصابة عينها سبيل، إذ سبيل معرفتها بالاجتهاد لا[12] باليقين والإحاطة؛ ليس كالمياه والأثواب

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» (*سنن ابن ماجة*، الإقامة ٥٦؛ و*سنن الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٣٩).

[2] سورة البقرة ١٤٤/٢، ١٥٠.

[3] ك: قول.

[4] ذكره الطبري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنما نزلت هذه الآية، أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعًا. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعًا، يومئ برأسه نحو المدينة (*صحيح مسلم*، صلاة المسافر ٣١-٤١؛ و*سنن ابن ماجة*، الإقامة ٥٦؛ و*سنن الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٣٩).

[5] ع م: ثمة.

[6] ع – ثم الله.

[7] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ (سورة البقرة، ١١٢/٢).

[8] ع م – ثم.

[9] ك ن – فيه.

[10] *مسند أحمد ابن حنبل*، ٣٩٥/٢، ٤٢٥؛ و*صحيح البخاري*، الصوم ٢٦؛ و*صحيح مسلم*، الصيام ١٧١.

[11] ك: إلا.

[12] ع م: ولا.

وغيرها من الأشياء، لأن هذه الأشياء في الأصل طاهرة،[١] والنجاسة عارضة، فيظفر بأعينها على ما هي في الأصل. وأما أمر القبلة فإنما بني على الاجتهاد والقصد، دون إصابة عينها. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله واسع عليم**، قيل: الواسع الغني. وقيل: الواسع الجواد، حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله، وحيث وسّع عليهم أمر القبلة. **عليم** بما قصدوا ونووا.

**﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[١١٦]**

**وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه**، فيه تنزيه نزّه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق، وردٌّ عليهم.[٢] ومعناه، والله أعلم، أن اتخاذ الولد والتبني في الشاهد إنما يكون لأحد وجوه ثلاثة تُحوجه[٣] إلى ذلك: إما لشهوات[٤] تغلبه فيقضيها[٥] به، وإما لوحشة[٦] تأخذه فيحتاج إلى من يستأنس به، أو لدفع عدو يقهره فيحتاج إلى من يستنصر[٧] به ويستغيث. فإذا كان الله[٨] عز وجل يتعالى عن أن تمسه[٩] حاجة، أو تأخذه[١٠] وحشة، أو يقهره عدو، فلأي شيء يتخذ ولدًا؟[١١]

وقوله: **بل له ما في السماوات والأرض**، ردٌّ[١٢] على ما قالوا، بأن من مَلِك السماوات[١٣] وما فيها، وملك الأرض وما فيها لا تمسه[١٤] حاجة ولا يقهره عدو، إذ كل ذلك مُلْك له يجري فيهم تقديره ويمضي عليهم أمره وتدبيره؛ وإنما يرغب إلى مثله إذا اعترض له شيء مما ذكرنا. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

[١] ن ع: ظاهرة.

[٢] «الذين قالوا ذلك هم النسطورية من النصارى، حيث قالوا: إن الله اتخذ عيسى ولدًا، لا أنه ولده حقيقة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠ ظ).

[٣] ن ع م: يحوجه.

[٤] ن ع م: الشهوات.

[٥] ن: فتقضيها؛ ع: فقضيها.

[٦] ن ع م: الوحشة.

[٧] ن ع م: يستنصره.

[٨] ن ع م – الله.

[٩] ن ع م: يمسه.

[١٠] ن ع م: يأخذه.

[١١] ك: ولد.

[١٢] ك: ردا.

[١٣] ع م – والأرض رد على ما قالوا بأن من ملك السماوات.

[١٤] ن ع م: لا يمسه.

فإن عورض بالخُلة،[1] قيل: إن الخُلة تقع على غير جوهر مَن منه الخُلة، والولد لا يكون إلا من جوهره، وإلى هذا يذهب الحسين.[2] والثاني أن الخُلة تقع لأفعال تكتسب[3] وتسبق[4] منه،[5] فيعلو أمره وترتفع مرتبته، فيستوجب بذلك الخلةَ بمعنى الجزاء. وأما الولد فإنه لا يقع عن[6] أفعال تكتسب، بل بدون[7] ما به استحقاقه يكون مولده.[8] وقد نفى عن نفسه ما به يكون بقوله: أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ.[9] والثالث ما قاله الراوندي: إنه لا بد من أن يُدْعَى إلى التسمي أو إلى التحقيق، إذ في الخلة[10] تحقيق ما[11] به يسمى؛[12] ثم لم يحتمل في هذا تحقيق ما به يسمى،[13] والاسم لم يرد به الإذن.[14]

ويحتمل[15] قوله: **بل له ما في السماوات والأرض** وجهًا آخر، وهو أن يقال: إن ما في السماوات وما في الأرض كلهم عبيده وإماؤه؛ فأنتم، مع شدة حاجتكم إلى الأولاد،

---

[1] أي اتخاذ الخليل، فهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (سورة النساء، ١٢٥/٤). يقول السمرقندي: «فإن قالوا: لمّا جاز أن يتخذ الله إبراهيم خليلا كقوله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ واتخذ محمدا حبيبا، عليه إجماع الناس في استعمال اللفظ، لماذا لا يجوز أن يتخذ ولدا؟ وكما أن ذلك نسب إليه بطريق الكرامة لهما فكذلك نسبة عيسى إليه باسم الولد والابن كرامة لعيسى عليه السلام. قيل لهم: امتنع عامة أهل العلم عن إطلاق هذا الاسم مع تجويزهم إطلاق اسم الخليل والحبيب ونحوهما، فسقط قول من جوز تسميته ولدا وابنا بطريق المجاز منسوبا إلى الله تعالى لمخالفة عامة العلماء. فإن استدلوا بالخلة على جواز تسمية الولد حقيقة فهو فاسد لأنه ليس بمحل الاستدلال لما ذكرنا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠ظ).

[2] هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار (ت نحو ٢٢٠هـ/٨٣٥م) ويذكره الإمام بهذا الاسم في *كتاب التوحيد*. وهو رأس الفرقة النجارية. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٢٢٩/١؛ و *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٧؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ٧٥-٧٧.

[3] ع: تكسب.

[4] ن ع م: وتستو.

[5] أي من صاحب الأفعال.

[6] ن: من.

[7] جميع النسخ: بدو.

[8] ك: من ولده.

[9] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

[10] ك + إذ في الخلة.

[11] م - ما.

[12] م: تسمى.

[13] ن: تسمى.

[14] ع م - في هذا تحقيق ما به يسمى والاسم لم يرد به الإذن.

[15] ع م - ويحتمل.

لا تستحسنون أن تتخذوا عبيدكم وإماءكم أولادًا، فكيف تستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبونـ[ـه] إليه مع غناه[١] عنه؟ *وبالله التوفيق.*

وقوله: **كل له قانتون**، قيل فيه بوجوه. قيل:[٢] إن كل من في السماوات والأرض من الملائكة، وعيسى، وعزير، وغيرهم من الذين قلتم:[٣] إنه اتخذهم ولدًا، **قانتون** له مقرُّون[٤] بالربوبية له والعبودية لأنفسهم.[٥] وقيل: **قانتون**، مطيعون، أي كلهم[٦] مطيعون متواضعون. وقيل: / القانت هو القائم؛ لكن القائم[٧] يكون[٨] على وجهين: يكون القائمَ المنتصب على [٢٥و] الأقدام، ويكون القائمَ بالأمر والحفظ. ثم لا يحتمل أن يراد بالقانت هاهنا المنتصب بالقدم، فرجع إلى الطاعة له وحفظ ما عليه؛ وهو كقوله: هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[٩] من الحفظ والرزق. ويحتمل تنزيه الخلقة،[١٠] لأن خلقة كل أحد تُنَزِّه ربه عن جميع ما يقولون فيه؛[١١] أو أن يقال: **كل له قانتون** في الجملة، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ.[١٢]

**﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١١٧]**

وقوله: **بديع السماوات والأرض**، ابتدعهما و لم يكونا شيئًا. والبديع والمبدع والمبتدع[١٣] واحد، وهو الذي لم يسبقه أحد في إنشاء مثله، ولذلك[١٤] سمي صاحب الهوى مبتدعًا لما لم يسبقه

---

[١] ن ع: غنائه.
[٢] ن ع: وقيل.
[٣] ع: قتلتم.
[٤] ك ن ع + له.
[٥] جميع النسخ + له.
[٦] ع م – مطيعون أي كلهم.
[٧] ع م – لكن القائم.
[٨] ك – يكون.
[٩] يقول الله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم﴾ (سورة الرعد، ٣٣/١٣).
[١٠] ص – الخلقة.
[١١] قال السمرقندي: «فعلى هذا التأويل تجري لفظة كل على استغراق كل محدث لوجود شهادة الخلقة في الكل. وعلى التأويل الأول يراد بالكل الأكثر، فإن الدهرية والطبائعية ونحوهم غير مقرين بالله تعالى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠ط).
[١٢] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[١٣] ك م – والمبتدع.
[١٤] ن ع م: وكذلك.

في مثل فعله أحد. ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا: اِتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا.[1] يقول: إن من قدر على خلق السماوات والأرض من غير شيء ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب؟ والثاني أن يقال: إن من له القدرة على خلق ما يَصعُب ويَعظُم في أعينكم بأقل الأحرف[2] عندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب؟[3]

وقوله: **وإذا قضى أمرا**، قيل: وإذا حكم حكمًا **فإنما يقول له كن فيكون**. وقيل: **وإذا قضى أمرا**، يعني قضى بإهلاك قوم واستئصالهم **فإنما يقول له كن فيكون**. ثم قوله: **كن فيكون**، ليس هو قول من الله أن كُنْ - بالكاف والنون- ولكنه عبارة بأوجز كلام يؤدي المعنى التام المفهوم، إذ ليس في لغة العرب كلام التحقيق بحرفين يؤدي المعنى المفهوم أوجز من هذا؛ وما سوى هذا[4] فهو من الصِّلات والأدوات فلا يفهم معناها. ***والله أعلم***.

ثم الآية ترد على من يقول بأن خلق الشيء هو ذلك الشيء نفسُه، لأنه قال: **وإذا قضى أمرا**؛ ذكر **قضى**،[5] وذكر **أمرا**، وذكر **كن فيكون**. ولو كان التكوين والمكوَّن واحدًا لم يحتج إلى ذكر **كن** في موضع العبارة عن التكوين **فيكون**:[6] فالـ'**كن**' تكوينه، فيكون المكون، فيدل أنه غيره.[7]

ثم لا يخلو التكوين إما أن لم يكن فحدث،[8] أو كان في الأزل. فإن لم يكن فحدث،[9]

---

[1] انظر: الآية السابقة.

[2] أي بأن يقول له: كن.

[3] يقول علاءالدين السمرقندي: «الآية حجة ورد على الذين قالوا اتخذ الله [ولدا] ولذلك يقول: إن من قدر على خلق السماوات والأرض من غير أصل و[لا] مثال سبق ولا سبب تقدم وهو في أعينكم أصعب وأعظم من خلق عيسى ابن مريم من غير أب. فإذا كان قادرا عندكم على ذلك الأصعب فكيف تنكرون قدرته على ما هو دونه بكثير» (شرح التأويلات، ورقة ٤٠ظ-٤١و).

[4] ع م - هذا.

[5] ك - ذكر قَضَى.

[6] م - فيكون.

[7] يقول السمرقندي: «بيان وجه الرد عليه فإنه تعالى قال: ﴿وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾، أخبر أن وجود شيء من الأشياء عَلِمه في الأزل وحكم بوجوده في وقته، فإن وجوده بقوله ﴿كن﴾. فقوله ﴿كن﴾ عبارة عن الإيجاد، وقوله ﴿فيكون﴾ عبارة عن الموجود لإفهام السامعين. ولو كان التكوين والمكوَّن واحدًا -كما زعم- لكان يكتفي بلفظ واحد عبارة عنه، إذ المعبَّر به مع المعبَّر عنه شيء واحد؛ فدلت الآية على أن التكوين غير المكون» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١و).

[8] ع: محدث.

[9] ع: محدث.

فإما أن حدث بنفسه -ولو جاز ذلك في شيء لجاز في كل شيء-[١] أو بإحداثِ آخَرَ، فيكون إحداث بإحداث إلى ما لا نهاية له؛ وذلك فاسد. ثبت[٢] أن الإحداث والتكوين ليس بحادث، وأن الله تعالى موصوف في الأزل أنه محدِث مكوِّن، ليكون كل شيء في الوقت الذي أراد كونه فيه. *وبالله التوفيق*.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[١١٨]

وقوله: **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية**، قيل فيه بوجوه. قيل: **الذين لا يعلمون** يعلمون في الحقيقة، ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم. وقيل: **لا يعلمون** توحيد ربهم وهم مشركو العرب، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: هلّا يكلمنا الله، أو تأتينا آية فتخبرنا[٣] بأنك رسوله. وقيل: **الذين لا يعلمون**،[٤] أي لا يعلمون أنهم لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون تكليم الله إياهم. وقيل: **لا يعلمون** أنه[٥] قد كلمهم وأخبرهم بالوحي وإيتاء[٦] رسوله صلى الله عليه وسلم آيات على رسالته، لكنهم يعاندون.

وقوله: **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم**، قيل: **الذين من قبلهم** بنو إسرائيل، قالوا لموسى مثل ما قال مشركو العرب لمحمد[٧] صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا.[٨] وقيل: اليهود سألوا مثل سؤال النصارى. وقيل: النصارى سألوا مثل سؤال اليهود. *والله أعلم*.

---

[١] يقول السمرقندي: « والقول بأنه (أي التكوين) حدث بنفسه باطل، لأنه لو جاز حدوث شيء بلا إحداث محدث لجاز حدوث كل شيء، فيبطل القول بالصانع، لأن طريق معرفة الصانع هو وجود الحوادث. فإذا جاز وجود الحوادث بنفسها فلا ضرورة في ثبوت الصانع، إذ طريق معرفة الأشياء إما الحس، أو الخبر، أو الاستدلال؛ فإذا لم يثبت بطريق الاستدلال -وهو دلالة وجود المصنوع على الصانع- وطريق الخبر لم يوجد، والحس معدوم فبطل القول به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١و).

[٢] ك: يثبت.

[٣] ن: فيخبرنا؛ ع م: فيخبر.

[٤] جميع النسخ + لولا يكلمنا الله.

[٥] م: أنهم.

[٦] ن + مثل قولهم قيل الذين من قبلهم.

[٧] ع: محمد.

[٨] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.

وقوله: **تشابهت قلوبهم**، قيل: تشابهت قلوبهم بالكفر والسفه. وقيل: **تشابهت قلوبهم** في المقالة، يشبه بعضها بعضًا في السؤال، لأنهم سألوا سؤال تعنت، لا سؤال مسترشد.

وقوله تعالى: **كذلك قال الذين من قبلهم**، يحتمل وجهين؛ أحدهما هذا القول. والثاني أن سألوا[1] سؤال التعنت والعتو،[2] لا سؤال المسترشد،[3] إذ الله تعالى قد أثبت آيات الإرشاد لمن يبتغي الرشد. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله:[4] **قد بينا الآيات لقوم يوقنون**، قيل: بينا أمر محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات والحجج التي أقامها[5] أنه رسول لمن آمن به وصدقه ولم[6] يعانده.

**﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[١١٩]**

وقوله: **إنا أرسلناك بالحق**، قيل: **إنا أرسلناك** يا محمد لتدعوهم إلى الحق، وهو التوحيد. وقيل: **بالحق** بالقرآن. وقيل: **بالحق** بالحجج والآيات. **بشيرا** لمن أطاعه بالجنة، **ونذيرا** لمن عصاه وخالف أمره بالنار. وقيل: **بالحق** الذي لله على الخلق، والحق الذي لبعض على بعض لتدعوهم إليه وتدلهم عليه.

وقوله: **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**؛[7] وجائز أن يكون بمعنى لا تُسألُ بعد هذا عنهم، ولم يذكر[8] أنه سئل عنهم بعده، فيكون ذلك آية له[9] بما هو خبر عن علم الغيب.

---

[1] ك: يسألوا.
[2] ن - والعتو.
[3] جميع النسخ: مسترشد.
[4] ك: قوله.
[5] ك: أقمناها.
[6] ك: ولما.
[7] ن ه، ع ه، م ه + قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾، فيه لغتان: بنصب التاء وضمها. أما النصب فقد قيل: إن رسول الله صلى الله عيه وسم سأل عن أبويه ذات يوم فقال: ليت شعرى ما فعل أبواي؟ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾، بمعني النهي عن السؤال عن أصحاب الجحيم. وأما الضم فيحتمل وجهين. أحدهما، أي لا تُسأل أنت يا محمد عن ذنوب أصحاب الجحيم، وهو كقوله تعالى: ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (سورة البقرة، ١٣٤/٢، ١٤١)، وكقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (سورة الأنعام، ١٦٤/٦) ونحوه. والثاني، أي لا تُسأل بعد هذا عن أصحاب الجحيم، ولم يذكر أنه سئل عنهم بعده. فإن كان على هذا الوجه فهو أثر ودلالة على إثبات رسالة محمد صلى الله عيه وسلم، فإنه أخبر عن العيب، ولا يعرف العيب إلا بطريق الوحي. والله أعلم. انظر: نسخة نور عثمانية، ورقة ٢٥ظ؛ ونسخة عاطف أفندي، ورقة ٢٤ط.
[8] ع م: تذكر.
[9] لرسالته.

قيل: إن رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم قال: «ليت شعرى ما فعل أبواي»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[2]

وفيها لغتان: **لا تَسأل**، بنصب التاء، وهو ما ذكرنا. ويحتمل وجهًا آخر، أي لا تشتغل بأصحاب الجحيم، فإن ذلك تكلف منك وشغل. وفيها لغة أخرى برفع التاء **لَا تُسأل عن أصحاب الجحيم**، أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم؛[3] وهو كقوله: وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[4] وكقوله: عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[5] وكقوله: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى،[6] ونحوه.

**﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١٢٠]**

وقوله: **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**، اختلف في الملة؛ قيل: الملة السنة، كقوله: «باسم الله، وعلى ملة رسول الله»،[7] وكقوله: وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا.[8] وقيل: الملة الدين، كقوله عليه السلام: «لا يتوارث أهل الملتين».[9] وقيل: الملة هاهنا القبلة، وهو كقوله: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ.[10] آيس[11] عز وجل رسوله[12] صلى الله عليه وسلم / عن اتباع أولئك دينه وقبلته، [٢٥ظ]

---

[1] ن: إن النبي.

[2] انظر لنقل الرواية ونقدها: *تفسير الطبري*، ٥١٦/١؛ و*تفسير القرطبي*، ٩٢/٢.

[3] ن – أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم. ن هـ + أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم؛ ع م: عن ذنوب الجحيم.

[4] سورة البقرة، ١٣٤/٢، ١٤١.

[5] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

[6] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

[7] عن ابن عمر، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أدخل الميت القبر، قال: «باسم الله وعلى ملة رسول الله» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧/٢، ٤٠، ٥٩، ٦٩؛ و*سنن أبي داود*، الجنائز ٦٥؛ و*سنن الترمذي*، الجنائز ٥٤).

[8] سورة النساء، ١٢٥/٤؛ وسورة النحل، ١٢٣/١٦.

[9] «لا يتوارث أهل الملتين شيئًا» (*صحيح البخاري*، الحج ٤٤؛ و*سنن أبي داود*، الفرائض ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٥).

[10] سورة البقرة، ١٤٥/٢.

[11] ن: آمن؛ ع: أيس.

[12] ع: رسول الله.

لأنهم يختارون الدين والقبلة بهوى[1] أنفسهم، لا بطلب[2] الحق ولظهوره[3] ولزوم الحجة. وذلك أن النصارى إنما اختاروا قبلتهم المشرق، لأن مكان الجبل الذي كان فيه عيسى في ناحية المشرق[4] بقوله: إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا.[5] واليهود اختاروا قبلتهم ناحية المغرب، لأن موسى عليه السلام كان بناحية المغرب[6] لمَا أُعطى الرسالةَ وكلمه ربه، كقوله: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ.[7]

وأما أهل الإسلام فإنما اختاروا الكعبة شرّفها الله[8] قبلة بالأمر، لا اتباعًا لهواهم؛ والعقل يوجب أن تكون الكعبة قبلة، إذ هي مقصد الخلق من آفاق الدنيا. فلما احتيج في الصلاة إلى التوجه إلى وجه[9] كان أحقَّ ذلك الموضع الذي جعل[10] للخلق مقصدًا أحرى.[11]

ثم قوله تعالى: **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**، أخبر عز وجل رسوله أن ليس في وسعك إرضاء هؤلاء لاختلافهم في الدعاوي في الملل.[12]

فإن قيل: كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه أن لا يَتّبع؟

قيل: لان العصمة لا تزيل المحنة[13] ولا تدفعها، بل المحنة[14] إنما تقع في العصمة لوجهين. أحدهما أن عصمته لما مضى لا توجب عصمته في الحادث. والثاني أن أحق من ينهى عن الأشياء مَن أُكرم بالعصمة، إذ على زوال النهي يرتفع عنه جهة العصمة، لأنه يصير برفع[15] النهي مباحًا. فلهذا دل القول على النهي[16] [عن] ما فيه إرضاؤهم، وإن كان في الأصل

[1] ن: تهوي؛ ع: يهوي.
[2] ن: يطلب؛ ع: تطلب.
[3] ن ع م: وظهوره.
[4] ك: الشرق.
[5] سورة مريم، ١٦/١٩.
[6] ك ن: الغرب.
[7] سورة القصص، ٤٤/٢٨.
[8] ن – شرفها الله.
[9] ع م – إلى وجه.
[10] ن – جعل.
[11] ع: أجرى؛ م: آخر.
[12] ك: الملك.
[13] ن: العصمة.
[14] ع م – بل المحنة.
[15] ن: يرفع.
[16] جميع النسخ: على نهي.

معصوما عنه. *وبالله التوفيق*. وفي إزالة الأمر والنهي إزالة فائدة العصمة، لأن العصمة هو أن يعصم في الأمر حتى يؤديه، وفي النهي حتى ينتهي عنه. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **قل إن هدى الله هو الهدى**، قيل: إن دين الله الذي اختاره أهل الإسلام بالأمر واتباع الآيات والحجج هو الدين، لا كما اختار أولٰئك بهوى أنفسهم واستقبال الآيات والحجج بالرد والإنكار والمعاندة. ويحتمل أن يكون الخطاب في قوله: **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم** والبيان لأصحابه[١] ومن دخل في دينه وصدّقه، لا له.[٢] وذلك كثير في القرآن يخاطَب هو، والمراد[٣] غيره.

وقوله: **ما لك من الله من ولي ولا نصير**؛ ظاهره: [مَا لَكَ] **من ولي** يتولى الدفاع عنك، **ولا نصير** يمنعك من العذاب. ويحتمل: ينصرك فتغلب به سلطانَ الله فيما يريد تعذيبك.

**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[١٢١]

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب**، قيل:[٤] **الكتاب**، أراد به التوراة أو الإنجيل. وقيل: أراد به[٥] القرآن. ومن حمله على التوراة والإنجيل قال: فيه إضمار "واو"،[٦] كأنه قال: **الذين آتيناهم الكتاب [و]يتلونه حق تلاوته أولٰئك يؤمنون به**، أي إذا تلوا حق التلاوة فحينئذ يؤمنون به.[٧] وقيل: **يتلونه حق تلاوته**، يعني يعملون به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه. **أولٰئك يؤمنون به**، وهم الذين أسلموا منهم. وقيل: يتبعونه حق اتباعه، وهو[٨] واحد. ومن حمله على القرآن، فالذين يتلونه حق تلاوته، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] جميع النسخ: أصحابه. أي يحتمل أن يكون الخطاب لأصحاب النبي.
[٢] جميع النسخ: لا هو.
[٣] ع: المراد.
[٤] ك - قيل.
[٥] ع + التوراة أو الإنجيل وقيل أراد به؛ م + التوراة أو الإنجيل أراد.
[٦] ع م: أو.
[٧] ن - به.
[٨] ع م + اتباعه.

[﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٢٢] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾][١٢٣][1] ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١٢٤]

وقوله تعالى: **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**، قيل:[2] الابتلاء والامتحان في الشاهد استفادة علم خَفِيَ عليه[3] من الممتحَن والمبتلَى به ليقع فيه[4] علم ما كان متبسًا عليه. وفي الغائب لا يحتمل ذلك، إذ[5] الله عز وجل عالم[6] في الأزل بما كان وبما يكون في أوقاته أبدًا.

ثم يرجع الابتلاء منه إلى وجوه. أحدها أنه يخرج مخرج الأمر بالشيء أو النهي عنه، لكن الذي ذكر يظهر بالأمر والنهي فسمي ابتلاء من الله. والثاني ليكون ما قد علم الله أنه يوجد موجودًا،[7] وليكون ما قدم علم أنه سيكون كائنًا. وعلى[8] هذا يخرج قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ:[9] حتى نعلمه موجودًا؛ كما علم أنه يوجد، كما قال: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ؛[10] علم الغيب علمُ أنه موجَدٌ، وعلْم الشهادة علم به موجودًا؛ حتى يوجد الذي علم أنه يجاهد منهم مجاهدًا ويصير منهم صابرًا.

ثم اختلف في الكلمات التي ابتلاه بها. فقال بعضهم: الكلمات هي التي[11] ذكرت

[1] انظر لتأويل الآيتين: سورة البقرة، ٢/٤٧-٤٨.
[2] ك + قال.
[3] أي على الممتحِن.
[4] جميع النسخ: عنه.
[5] ع: أن.
[6] ع م – عالم.
[7] هذه العبارة جاءت في كل من النسخ على هيئات مختلفة. ك: ليوجد ما قد علم أنه يوجد موجودًا؛ ن: ليوجد مأخذ علم أنه يوجد موجودًا؛ ع م: ليوجد ما قدم علم الغيب والشهادة علم الله أنه يوجد موجودًا. يقول السمرقندي: «وهذا لأن الله تعالى عالم في الأزل أن يوجد من هذا الطاعةُ، وأن يوجد من هذا المعصيةُ، فأمر ونهى لوجود ما علم بوجوده فيعلمه موجودًا، كما كان قد علم أنه يوجد، فيصير معلومًا بعد الوجود كما هو معلوم قبل الوجود؛ إذ علم الله تعالى يتعلق بالموجود والمعدوم جميعًا لكي يتعلق به كما هو. إن كان معدومًا يعلمه معدومًا، وإن كان موجودًا يعلمه موجودًا...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢و).
[8] ع: علي.
[9] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).
[10] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة التوبة، ٩/٩٤، ١٠٥.
[11] ن – هي التي.

في سورة الأنعام، وهو قوله:[١] فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا،[٢] ورأى القمر بازغًا،[٣] ورأى الشمس بازغة؛[٤] وهي[٥] الحجج التي أقامها على قومه، بقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[٦] وقيل: ابتلاه بعشر ففعلهن، خمسة في الرأس، وخمسة في الجسد. لكن في هذا ليس كبير[٧] حكمة، إذ يفعل هذا كل واحد، ولكن الحكمة فيه هي ما قيل أن ابتلاه بالنار حيث ألقي فيها، فصبر حتى قال له جبريل: «أتستعين بي؟»، فقال:[٨] «أمّا منك فلا».[٩] وابتُلي بإسكان ذريته الوادي الذي لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس. وابتُلي بالهجرة من عندهم، وتركهم هنالك،[١٠] وهم صغار، ولا ماء معهم ولا زرع ولا غرس. وابتُلي بالهجرة إلى الشام. وابتلي بذبح ولده. [و]ابتلي بأشياء لم يُبتل أحد من الأنبياء بمثله، فصبر على ذلك. ففي مثل هذا يكون وجه الحكمة.

وفيه لغة أخرى: **وإذ ابتلى إبراهيمُ** -بالرفع- **ربَّه**، بنصب الباء؛ ومعناه، والله أعلم، أنه سأل ربه كلمات فأعطاهن. وهو تأويل مقاتل، وهو أن قال: اجعلني للناس إماما، قال: نعم، واجعل هذا المكان آمنا، قال: نعم، وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، قال: نعم.[١١] قال:[١٢] وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ،[١٣] قال: نعم،

---

[١] ع – هو قوله؛ م – هو.

[٢] يقول الله تعالى: ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (سورة الأنعام، ٧٦/٦).

[٣] ﴿فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ (سورة الأنعام، ٧٧/٦).

[٤] ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٧٨/٦).

[٥] ن ع م: هي.

[٦] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

[٧] ن: كثير.

[٨] ك: قال؛ ع م + له.

[٩] ذكر القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن إبراهيم حين قيّدوه ليلقوه في النار، قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك». قال: ثم رموا به في المَنْجَنِيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل، فقال: «يا إبراهيم، ألك حاجة؟» قال: «أما إليك فلا»، فقال جبريل: «فاسأل ربك». فقال: «حسبي من سؤالي علمه بحالي» (*تفسير القرطبي*، ٣٠٣/١١؛ و*تفسير البغوي*، ٢٥٠/٣).

[١٠] ك: هناك.

[١١] ك م – واجعل هذا المكان آمنا قال نعم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم.

[١٢] م – قال.

[١٣] سورة البقرة، ١٢٨/٢.

وَاجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا، قال نعم. قال: وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[1] قال: نعم؛ مثل هذا سأل ربه،[2] فأعطاهن إياه.

وقوله: **قال إني جاعلك للناس إماما**، يحتمل جعله رسولاً يقتدى به، لأن أهل الأديان [٢٦و] مع اختلافهم يدينون به، ويقرون بنبوته. ويحتمل / **إماما**، من الإمامة والخلافة.

وقوله: **قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**. فإن قيل: كيف كان قوله: **لا ينال عهدي الظالمين** جوابًا لقوله: **ومن ذريتي**، وكانت الرسالة في ذريته[3] لقوله: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.[4] قيل: يحتمل قوله: **ومن ذريتي** أحب أن تكون الرسالة تدوم في ذريته[5] أبدًا حتى لا تكون[6] بين الرسل فترات، فأخبر أن في ذريته من هو ظالم، فلا ينال الظالم عهده. ويحتمل أن يكون سؤاله جعْل الرسالة في أولاد إسماعيل، لأن العرب من أولاد إسماعيل عليه السلام. فأخبر أن في أولاده ظالم، فلا يناله. والعهد كما ذكرنا[7] هو الرسالة والوحي. وقال[8] الحسن: لا ينال الظالم في الآخرة العهد. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك: وذريتي، فأخبر أن فيهم من لا يصلح لذلك.[9] ويحتمل أن يريد به الإمامة[10] لا النبوة،

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٢٦.

[2] جميع النسخ + هذا.

[3] ع م + أبدًا حتى.

[4] ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٦-٢٨).

[5] ن ع م - لقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه قيل يحتمل قوله ومن ذريتي أحب أن تكون الرسالة تدوم في ذريته.

[6] ن ع م: يكون.

[7] جميع النسخ: ما ذكرنا.

[8] ن: قال.

[9] «وقوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ خرج جوابا لسؤاله على طريق الرد والإنكار، وهذا يقتضي أن كل من سأل الإمامة له من أولاده يكون موصوفا بالظلم ولا ينال الإمامة؛ هذا من حيث ظاهر اللفظ لغة... وقد كانت الرسالة في كثير من أولاده من إسحاق، وختمت بولده من إسماعيل وهو رسولنا صلى الله عليه و سلم وقال تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، فيكون هذا تناقضا من حيث الظاهر وخلفا في الخبر. قال الإمام: فهذه شبهة الملحدة، والقول في دفع هذه الشبهة من وجوه. منها قيل: يحتمل أن يكون هذا منه سؤالا لجميع ذريته. كأنه قال: ﴿وذريتي﴾ فإن كلمة «من» قد تذكر لبيان الجنس كما يذكر للتبعيض، قال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ والمراد الاجتناب من جميع الأوثان لا من البعض، فيكون قوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ردًا لسؤال الإمامة في جميع ذريته، وذريته لا تخلو من الظالم الذي لا يصلح لذلك فلا يتحقق الرسالة في جميعهم. فكان هذا ردًا للرسالة في الجميع لا في البعض. والرسالة إنما يتحقق في البعض دون الكل، فلا يكون هذا خلفا منه في الإخبار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢ظ).

[10] ك ع: الأمانة.

وقد كانت هي[1] في نسل كل الفرق، والنبوة[2] كانت فيهم.[3] ويحتمل أن يكون قصد خصوصًا من ذريته،[4] ممن علم الله أن فيهم من لا يصلح لذلك؛ ولا يحتمل[5] أن يريد به الإمامة[6] لا النبوة، وقد ذكر أو قال: الإنسان، [ف]قيل له: إنه من ذريتك لكن لا ينال من ذكر، ولهذا خَصّ بالدعاء من آمن منهم دون من كفر.[7]

**﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾**[١٢٥]

وقوله: **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**، قيل: المثابة المجمع. و[8]قيل: المثابة المرجع؛ يثوبون: يرجعون. وقيل: يحجون.

وقوله: **مثابة للناس وأمنا**، هو فعل العباد، لأنهم يأمنون ويثوبون؛ أخبر أنه جعل ذلك، ففيه دلالة خلق أفعال العباد.[9]

ثم بين فيه عز وجل شدة اشتياق الناس إليها[10] وتمنيهم الحضور بها، مع احتمال الشدائد والمشقة، وتحمل[11] المؤن مع بعد المسافة والخطرات. فدل أن الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك إلى قلوب الخلق، وأنه جعل[ه] من آيات الربوبية والوحدانية وتدبير سماوي، لا من تدبير البشر.

---

[1] ع م – هي.

[2] ن ع م: النبوة.

[3] م + منهم.

[4] «يحتمل أن يكون سؤاله الإمامة في أولاد إسماعيل بعد وفاته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).

[5] «نفي الاحتمال الأول، أي أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ومن ذريتي﴾ الذرية جميعًا بجعل ﴿من﴾ لبيان الجنس. ومع هذا الاحتمال يمكن أن يكون المراد بالعهد الإمامة، لا النبوة والرسالة. وفي هذا الاحتمال الثاني يرى أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ومن ذريتي﴾ الخصوص من ذريته، وليس الذرية جميعًا، بجعل ﴿من﴾ للتبعيض. ومع هذا الاحتمال يمكن أن يريد بالعهد الإمامة، لا النبوة والرسالة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢ظ، ٤٣و).

[6] ك ن ع – الأمانة.

[7] لعله يشير إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (سورة البقرة، ١٢٦/٢).

[8] م – قيل المثابة المجمع و.

[9] ع: العبادة.

[10] جميع النسخ: إليه. «جعل البيت مثابة. ويقرر ذلك ما يلي من قوله: وتمنيهم الحضور بها». ويرشح ذلك ما ذكره السمرقندي في كتابه شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣و.

[11] ع: ويحتمل.

وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أخبر عما قد[1] كان، فثبت أنه أخبر عن الله عز وجل.

وقوله تعالى: **وأمنا**، لمن دخله، من[2] عذاب الآخرة. وقيل: **أمنا** لكل مجترم[3] أوى[4] إليه من القتل وغيره، كقوله: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا،[5] عن كل ما ارتكب.

وأما عندنا فإنه إن قتل قتيلاً، ثم التجأ إليه، فإنه لا يقتل ما دام فيه،[6] لأنه لا يقتل للكفر[7] هنالك، فعلى ذلك القصاص، لقوله: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛[8] وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن مكة حرام بتحريم الله إياها يوم خلق الله[9] السماوات والأرض؛ لم تحل لأحد قبلي[10] ولا تحل لأحد[11] بعدي،[12] وإنما أحلت لي[13] ساعة من نهار. لا يختلى خلاها[14] ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها».[15] وما وري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لو ظفرت بقاتل عمر في الحرم ما قتلته».[16] وإذا قتل في الحرم يقتل به هنالك.

والوجه فيه أن إقامة مثله عليه فيما يرتكبه[17] في الحرم أحق، إذ هي كفارة لينزجر عما ارتكبه،[18] وأحق ما يقع فيه الزجر بمثله ما هو فيه من المكان. وإذا قتل في غير الحرم،[19]

---

[1] م – قد.
[2] جميع النسخ: عن.
[3] ن ع: مجترم؛ م: مجرم.
[4] ع + واوى؛ م + به اوى.
[5] ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا﴾ (سورة آل عمران، ٣/٩٧).
[6] لعل الماتريدي يشير إلى أن الآية حجة على الشافعي ومالك في إباحة دمه إذا التجأ إلى الحرم. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣و.
[7] ع – للكفر.
[8] ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩١).
[9] ك – الله.
[10] ك: قتل.
[11] ع م – قبلي ولا تحل لأحد.
[12] ك: تعين.
[13] م – لي.
[14] ن هـ: اختلى الخلال: أي قطع الحشيش، والخلى: الحشيش الرطب.
[15] *صحيح البخاري*، الحج ١٤٣ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥-٤٤٨.
[16] روى الطبري في تفسيره هذا الخبر عن طريق عطاء عن ابن عمر بلفظ «لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هِجْتُه». انظر: *تفسير الطبري*، ٤/١٣؛ وانظر أيضا: *نيل الأوطار* للشوكاني، ١٩٢/٧، ١٩٤. وما هِجْتُه: أي ما أزعجته.
[17] ع: ترتكبه.
[18] ن ع م: عما ارتكب.
[19] ع: المحرم.

ثم التحأ إلى الحرم؛ قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يخرج من[1] الحرم.[2] وأبو يوسف رضي الله عنه جعل ذلك للسلطان، ذهب إلى أنه [تعالى] قال: وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، كما قال: فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ[3] [فَاقْتُلُوهُمْ]،[4] فأوجب الإخراجَ من حيث أخرج، كما أوجب القتلَ من حيث[5] قَتَل. قيل: لا يُخرج[6] من الحرم إذا لم يَخرج منه، كما لا يُقتل[7] في الحرم إذا لم يَقتل فيه. أو نقول: الإخراج[8] للقتل قصد ما لم يَسُغ[9] فعله فيه؛ كان كالصيد يُخرَج،[10] يلزم فيه ما يجب بالقتل، فمثله في موضع الخطر.[11]

وبعد، فإنه لو أخرج لم يأمن بالحرم،[12] بل زيد[13] في عقوبته، إذ الإخراج عقوبة، فـ[يكون] قد زيد عليه، مع ما لم يجز في الكفار الذين نهوا عن قتلهم إخراجُهم للقتل، كذلك القاتل.

وذهب الآخر إلى أنه يُخرَج لإقامة الحد عند[14] أبي حنيفة رضي الله عنه، وإن لم يرتكب فيه. وإخراج المرتكب[15] أقل في الحكم من إقامته عليه. غير أنه غلط،[16] لأن إخراجه للقتل

---

[1] ع: في.

[2] «قال أبو حنيفة: لا يخرج من الحرم ليقتل خارج الحرم، لكن يمنع منه الطعام والشراب ولا يبايع ليضطر فيخرج بنفسه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).

[3] جميع النسخ + فيه.

[4] سورة البقرة، ١٩١/٢.

[5] ع م – أخرج كما أوجب القتل من حيث.

[6] جميع النسخ: لم يخرج.

[7] جميع النسخ: لم يقتل.

[8] جميع النسخ: بالإخراج.

[9] ن ع م: لم يسع.

[10] ن ع م: يخرج.

[11] «ولأن بالإجماع أن إقامة الحدود فيما دون النفس جائز وإن لم يرتكب أسبابها في الحرم. ولا شك أن الإخراج لإقامة الحدود دون إقامة الحدود ولكن أبو حنيفة يقول: إن القتل فيه حرام والإخراج قصد التحقيق لما هو حرام فيكون حراما. ألا ترى أن قتل الصيد لما كان حراما كان إخراجه من الحرم حراما حتى يلزمه الجزاء في الإخراج حيث ما يلزمه بالقتل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).

[12] لعله يشير إلى الآية التي نحن بصدد تأويله وإلى قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ (سورة آل عمران، ٩٧/٣).

[13] ع: يزيد.

[14] ع: عن.

[15] جميع النسخ + له.

[16] ك: علط.

أرفع[1] من الحد، لأنه[2] يوصل[3] إلى قتله؛ ولأن[4] في القتل عقوبة واحدة، وفي الإخراج عقوبتان. ثم [إذ] لم يلزمه العقوبة الواحدة وهي القتل -إذا لم يَقْتُل فيه- كان أحق[5] أن لا يلزمه العقوبتان.[6]

وقوله: **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**؛ اختلف في مقام إبراهيم؛ منهم من جعل الحرم كله مقامه، يصلي إليه لِمُقامه هناك[7] بأولاده. ومنهم من جعل المسجد مقامه، لأنه كان مكان[8] عبادته، فهو المصلى. ومنهم من جعل ما ظهر من مقامه، وهو موضع ركوبه ونزوله، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم مكة قام إلى الركن اليماني، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تتخذ[9] مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى: **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**.[10]

وعندنا القبلة البيت، لقوله[11] تعالى: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ،[12] وقوله: جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ،[13] أي مقامًا لقيام العبادات.

وقوله تعالى: **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**، فيه الأمر ببنائه.[14]

وقوله: **أن طهرا بيتي**، يحتمل التطهير وجهين.[15] أحدهما عن الأصنام والأوثان التي كانت هنالك، وعبادة غير الله و[التطهير عن] الأنجاس. ويحتمل التطهير عن كل أنواع الأقذار، وعن كل أنواع المكاسب، على ما روي في جملة المساجد.

---

[1] ك: ارتفع؛ ن ع م: ليرفع.
[2] ع: لأن.
[3] جميع النسخ: يصل.
[4] جميع النسخ: ولما.
[5] جميع النسخ: من.
[6] ع: العقوبات؛ جميع النسخ + أحق.
[7] ن ع م: هنالك.
[8] ن: مقام.
[9] ن: نتخذ.
[10] *صحيح البخاري*، التفسير ٩؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٣٨٨-٣٩٥؛ *وتفسير الطبري*، ٥٣٤/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ١٧٠/١.
[11] ن ع م: كقوله.
[12] ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (سورة البقرة، ١٤٤/٢). وانظر: سورة البقرة، ١٥٠/٢.
[13] سورة المائدة، ٩٧/٥.
[14] يقول السمرقندي: «وقيل هذا أمر بالبناء، ثم بالتطهير، إذ تطهير البيت قبل البناء لايتحقق؛ فكان الأمر بالتطهير أمرا بالبناء ضرورة واقتضاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣ط).
[15] جميع النسخ: لوجهين.

وقوله: **للطائفين والعاكفين [والرُكَّع السُجُود]**؛ قيل: **الطائف** هو القادم، سمي طائفًا لدخوله بطوافه. وقيل: لاستحباب[١] الطواف. لذلك قال أصحابنا: الطواف للقادم أفضل من الصلاة، والصلاة للمقيم أفضل. **والعاكف**: المقيم، **والركع السجود**، منهما جميعًا. وقيل: "العاكفون"[٢] المجاورون.

**﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٢٦]**

وقوله: **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا**؛ قد ذكرنا الوجه في قوله: / آمِنًا.[٣] [٢٦ظ]

وقوله: **وارزق أهله من الثمرات [من آمن منهم بالله واليوم الآخر]**، لما عَلم أن المكان ليس بمكان ثمر[٤] ولا عشب، دعا وسأل ربه أن يرزق أهله عطفًا على أهله وعلى كل من ينتاب إليه من الآفاق.

ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه. أحدها أنه لما أمرهما بتطهير البيت عن الأصنام والأوثان ظن أنه لا يجعل لسوى أهل الإيمان هنالك مقامًا، فخصهم[٥] بالدعاء وسؤال الرزق. والثاني أنه أراد أن يجعل[٦] آية من آيات الله ليرغب الكفار في[٧] دين الله، فيصيروا أمة واحدة؛ فكان كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ،[٨] الآية. ووجه آخر،

---

[١] ع م: الاستحباب
[٢] ن: العاكفين.
[٣] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة لناس وأمنًا﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢).
[٤] م: ثم.
[٥] جميع النسخ: فخص لهم.
[٦] أي أن يجعل الله.
[٧] جميع النسخ: إلى.
[٨] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣). «فلم يستجب دعاءه، كيلا يصيروا مضطرين في الدخول في الإسلام، فلا يبقى لإيمانهم قدر ولا خطر؛ لأن الإيمان النافع الموصل إلى نعيم الأبد هو الإيمان عن غيب لقوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ ولو جعل الغنى خاصة للمؤمنين، والفقر، والبؤس للكفار، لآمنوا جبرًا بميل طباعهم؛ وصار هذا نظير قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقف من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾. أخبر الله تعالى أنه لولا صيرورة الناس أمة واحدة تميل طباعهم إلى زخارف الدنيا ونعيمها لجعل لبيوت الكفار سقفًا من فضة وجعل لها معارج يظهرون عليها فكان الإيمان النافع المعتبر ما كان عن غيب اختيارًا مع منازعة النفس والهوى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣ظ).

قيل: لما كان قيل له: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فعله خشي أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان. وفي ذلك أن لا بأس ببيع الطعام من الكفرة، ولا يصير ذلك كالمعونة على ما هم عليه.[1] ويحتمل الدعاءُ المبهم[2] للكفرة القبحَ. إذ ذلك اسم[3] من يعبد غير الله.[4]

وقوله: [قال] **ومن كفر فأمتعه قليلا** بالنعم،[5] لأن الدنيا دار محنة لا توجب النظر إلى المستحق للنعم من غير المستحق، ولا إلى الولي من العدو في الدنيا؛ وأما[6] الآخرة فهي دار[7] جزاء ليست بدار محنة، فيوجب[8] النظر إلى المستحق للنعم[9] من غير المستحق.[10]

ومعنى قوله: **قليلا**، لأن الدنيا كلها[11] قليل.

ثم الامتحان على وجهين: امتحان بالنعم، وامتحان بالشدائد.

وقد قرئ: **فأَمْتِعْه**، على معنى دعاء إبراهيم عليه السلام: **ومن كفر فأَمْتِعْه**، بالجزم.

فإن قيل: لم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم؛ وإنما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل، ويعلم أن المؤمن هو المفضَّل بالعقل، كيف لا وقع فضل ما به يمتحن، وهو النعم؟

[قلنا:] لأن العقل الذي به يدرك الحق واحد، لا تفاضل فيه لأحد؛ ثم العقل الذي به يمتحن واحد، فهما متساويان، فيما به درك الحق، إلا[12] أن أحدهما يدركه فيتبعه، والآخر يدركه فيعانده؛ فهو من حيث معرفته ذو عقل، أعرض[13] عنه[14] فسمي[15] معاندًا، إذ من لا عقل له يسمى مجنونًا.

---

[1] م هـ + ولا يصير كالمعونة على ما يتم عليه،صح.

[2] أي إذا لم يختص بالدعاء من آمن بالله واليوم الآخر.

[3] ك – اسم؛ ع: هم.

[4] يقول علاء الدين السمرقندي: «وقيل: لما قيل لإبراهيم عليه السلام ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، وهو اسم من يعبد غير الله تعالى، فعله خشي أن لو سأل للكفار والمؤمن جميعًا أن يخرج ذلك منه مخرج سؤال المعونة لهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان، فامتنع عن ذكر الكفار» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣ظ).

[5] جميع النسخ: للنعم.

[6] ك + في.

[7] ج + القرار.

[8] ن: فوجب.

[9] ن: للمنعم.

[10] ع م – للنعم من غير المستحق.

[11] ع م: كله.

[12] ع م: لا.

[13] ن – أعرض.

[14] ع – عنه.

[15] ك: فيسمى.

وقوله: **ثم أضطره إلى عذاب النار**، ذكر الاضطرار، وهو كقوله: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[١] وهو السَّوق، وكقوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾،[٢] إنهم يساقون إليها ويُدَعّون،[٣] لا إنهم يأتونها طوعًا واختيارًا.

وقوله: **وبئس المصير**، أي بئس ما صاروا إليه.[٤]

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٢٧]

وقوله: **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل [منا]**؛ أُمِرَا برفع البيت وبنائه،[٥] ففعلا، ثم[٦] سألا ربهما أن يتقبل منهما. فهكذا الواجب على كل مأمور بعبادة أو قربة إذا فرغ منها وأداها: أن يتضرع إلى الله ويبتهل ليقبل منه، وأن لا يرد عليه ليضيع[٧] سعيه.[٨]

وقوله: **إنك أنت السميع** لدعائهم؛[٩] **العليم** بما[١٠] نووا وأضمروا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٢٨]

وقوله: **ربنا واجعلنا مسلمين لك**؛ والإسلام، قد ذكرنا فيما تقدم[١١] أنه يتوجه إلى وجوه. أحدها هو الخضوع له[١٢] والتذلل. والثاني هو الإخلاص. ثم اختلف أهل الكلام في الإسلام. فقال بعضهم: إنه[١٣] يتجدد في[١٤] كل وقت،[١٥] لذلك سألوا ذلك؛ وهو كقوله تعالى:

---

[١] سورة الدخان، ٤٧/٤٤.
[٢] ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا﴾ (سورة مريم، ٨٦/١٩).
[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم يدعُّون إلى نار جهنم دعًا﴾ (سورة الطور، ١٣/٥٢).
[٤] ك م – وقوله وبئس المصير أي بئس ما صاروا إليه.
[٥] ن ع: وبنائه.
[٦] ع: على.
[٧] ن: ليضع.
[٨] ك م + وقوله وبئس المصير أي بئس ما صاروا إليه.
[٩] ك – لدعائهم.
[١٠] ن: لما.
[١١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ (سورة البقرة، ١١٢/٢).
[١٢] ع م – له.
[١٣] ن – إنه.
[١٤] ع – في.
[١٥] قال السمرقندي: «قالوا ذلك، لأن العرض لا بقاء له عندهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣ ظ). ويبدو أن الإمام يقصد بهم أهل السنة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ؛[1] معناه: آمنوا بالله في حادث الوقت، لأنه تارك فعل[2] الكفر في كل وقت، فبترك[3] الكفر يتجدد[4] له الإيمان. وعلى ذلك يخرج تأويلنا في الزيادة بقوله:[5] زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[6] يتجدد له ويزداد في حادث الوقت. وقال آخرون:[7] كان سؤالهم الإسلام سؤال الثبات عليه والدوام. وقد ذكرنا أن العصمة لا ترفع خوف الزوال.[8] ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة يكون عبثًا، لأنه لا يملك إعطاء ما سألوا عندهم، بل هم الذين يملكون ذلك، فيخرج السؤال في هذا عندهم مخرج اللعب والعبث. فنعوذ بالله من السرف في القول[9] والزيغ عن الهدى. ثم الإيمان هو التصديق؛ والتصديق[10] بالقلب يتجدد في كل وقت، فلا وقت يخلو القلب عنه في حال سكون أو حال حركة. ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**، يحتمل أن الأمة المسمة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أنه لم يكن من أولاد إسماعيل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم، فسألا أن يجعل[11] من ذريتهما رسولاً وأمة مسلمة خالصة له. وإنما الرسل كانوا من أولاد إسحاق ومن نسله. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأرنا مناسكنا**، قيل:[12] في قوله: **وأرنا مناسكنا**، يريد الإراءة[13] إلى يوم القيامة؛ يدل عليه قراءة عبد الله: وَأَرِهِمْ [14] مَنَاسِكَهُمْ؛[15] وفي قراءة غيره[16] على ضم الرؤية

---

[1] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[2] ع: فيه.
[3] ن ع م: فيترك.
[4] ن: بتحدد.
[5] جميع النسخ: بقولهم.
[6] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[7] «هم عامة المعتزلة، فهم يقولون: إن الإسلام متى وجد يدوم ويبقى إلى أن يوجد ما يبطله ويرفعه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤ و).
[8] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٠).
[9] ع: بالقول.
[10] ع م – والتصديق.
[11] ن ع م: يجعلا.
[12] ك ن ع: وقيل.
[13] ع: الإرادة.
[14] ن: وأراهم.
[15] *تفسير الطبري*، ١/٥٥٥؛ و*تفسير أبي حيان*، ١/٣٩٠.
[16] م: غيرهم.

إلى نفسه.[١] والمنسك[٢] هو القربة؛ وأفعال[٣] الحج سمي مناسكا.

ثم لا يحتمل أن يسألا ذلك من غير أمر سبق منه عز وجل بذلك، لأنه ليس من الحكمة سؤال إيجاب فضل عبادة، أو قربة بغير أمر. فدل أنه قد سبق منه بذلك أمر، لكنه لم يبيِّن لهما فسألا تعليم ماهيتها وكيفيتها، فعلمهما جبريل ذلك. ففيه دلالة تأخير البيان عن[٤] وقت[٥] قرع الخطاب السمع؛[٦] ألا ترى[٧] أنه أمر بالنداء للحج ولم يعلِّم. والثاني، أن آدم والملائكة قد كانوا حجوا هذا البيت قبل إبراهيم عليه السلام، فدل أن[٨] الأمر به قد سبق. والثالث قوله في نفس الحج: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[٩]

ثم لا يحتمل لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب الحج، لما لم يؤمر[١٠] أحد[١١] بفعلٍ ما لَه إيجاب الحقوق والفرائض؛ لكنها أُوجِبت[١٢] شكرًا لما أنعم عليه.[١٣] فدل أن الحج كان واجبًا قبل الخروج،[١٤] وقد تأخر الإمكان، فمثله البيان. **والله أعلم.**

واحتج بقوله: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[١٥] أن ظاهره يوجب خضوعًا، لزم به ما أداه السمع على

---

١ وهي قراءة عامة أهل الحجاز والكوفة. انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥٣/١.
٢ ك ن: النسك.
٣ م: أفعال.
٤ ع م: من.
٥ ن: وقق.
٦ جميع النسخ: قرع السمع الخطاب.
٧ ك + إلى.
٨ ع: عن.
٩ سورة آل عمران، ٩٧/٣.
١٠ ن ع م: لم يأمر.
١١ ع م - أحد.
١٢ أي الزكاة.
١٣ «لأن الشرع لا يأمر بمباشرة سبب الوجوب أو شرطه ليوجب عيه؛ فإن من ليس له مال لا يؤمر باكتسابه لتجب عليه الزكاة. ولذلك لا يؤمر صاحب المال بأن يشتري أرضا ويزرع فيجب عيه العشر، لكن إذا كان له مال أو زرع تجب عليه الزكاة شكرًا لله لما أنعم عليه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤و).
١٤ «ثم يجب عليه الخروج ليتمكن من أداء ما عليه، وكان الوجوب بناء على قيام المكنة من السبب، وكان الإمكان من حيث الحقيقة عند وصوله إلى مكة، وإلى الأماكن التي أمر بالفعل فيها» (المرجع السابق، ٤٤و).
١٥ انظر مثلا: سورة البقرة، ٤٣/٢، ٨٣، ١١٠؛ وسورة المزمل، ٢٠/٧٣.

تأخر[1] ماهيته؛[2] وكذلك الزكاة. وكذا ظاهر قوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.[3] واحتج أيضًا بقول
[٢٧و] القائل وسؤاله[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلاة، ففعله في يومين،[5] / وقد[6] كان يمكن[7] تعليمه[8] وقت السؤال، لكنه أخر، فدل أن البيان يجوز تأخره عن وقت قرع[9] الخطاب السمع. ثم في تأخير البيان محنة المخاطب به [و]أمرٌ في تعلم العلم وطلب[10] مراد ما تضمن الخطاب.[11] **والله أعلم**.

وذكر في أمر الحج عند[12] كل مَنْسك[13] من المناسك معاني،[14] لكنها ذكرت لأحوال[15] كانت في شأن آدم وأمر إبراهيم وأمر[16] محمد صلى الله عليه وسلم،[17] وقد كان الحج قبلهم. وقد ذكر في أمر الرَمَل[18] أنه كان مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه ليعلم به قوّتهم،[19] حتى قال عمر رضي الله عنه: "عَلَامَ[20] أَهُزّ[21] كتفي، وليس أحد إزاءه؟[22]

---

[1] ك: عني تأخير.

[2] ك: ما بينه.

[3] سورة آل عمران، ٩٧/٣.

[4] م – وسؤاله.

[5] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين...». (*الموطأ* لمالك، وقوت الصلاة، ١؛ وصحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٦٦).

[6] ك – وقد.

[7] ن ع م: يمكنه.

[8] ع م: تعظيمه.

[9] ع: فزع.

[10] ع م – وطلب.

[11] «ثم الحكمة في تأخير البيان عن الخطاب المجمل هو ابتلاء المخاطب به ليطلب مراد الله تعالى بالتأمل والنظر في الدلائل إن كان من أهل الاجتهاد لينال فضيلة المجتهدين؛ أو يطلب ممن له علم بذلك، فينال فضيلة التعلم، وغير ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤و).

[12] ك: عن.

[13] ن ع: نسك.

[14] ك: معانيا لها؛ ن: معاينا؛ م: معانيا.

[15] ن ع م: الأحوال.

[16] ن ع م – وأمر.

[17] م: عليهما الصلاة والسلام.

[18] الرمل الهرولة، وهو فوق المشي ودون العدو، يكون أثناء السعي بين الصفا والمروة (*لسان العرب* «رمل»).

[19] انظر لحديث الرمل: صحيح *البخاري*، المغازي ٥٥؛ و سنن *الترمذي*، الحج ٣٩.

[20] ك ع م: على ما.

[21] ك: اهزه.

[22] ك: إزائه؛ ن: آرايه؛ م: أرائيه.

لكني أتبع رسول الله صلى الله عليه و سلم"،[١] أو كما قال رضي الله عنه. وقد ذكر ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام أنه رَمَل، ولم يكن في وقته من كان الفعل لأجله، وكذلك غيره من الأنبياء عليهم السلام. إلا أنا[٢] نقول: جعل الله كذلك، لعلمه بالحاجة إلى ذلك في وقت قد جعل ذلك نُسُكًا،[٣] فحقق ذلك على حق النسك، وإن لم يكن المعنى مقارنًا له في كل وقت؛ على ما قيل: إن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[٤] بمعنى جعل[٥] الله أجله ذلك بما علم أنه يصل الرحم، فيكون صرف العمر إلى تلك المدة لذلك.وكما يكتب شقيًا أو سعيدًا[٦] في الأزل للوقت الذي فيه يكون كذلك، ونحو ذلك. *والله الموفق*.

ثم الأصل أن الله جل ثناؤه جعل على عباده في كل الأحوال[٧] التي يتقلب[٨] فيها البشر للمعاش أو لأنواع[٩] اللذات عبادةً[١٠] لتكون العبادة منهم في كل نوع مقابلَ ما يختار صاحب[١١] ذلك شكرًا[١٢] لما مُكِّن[١٣] من[١٤] مثله لما يتلذذ به ويتعيش، إذ كل لذة وكل ما يُتعيش به[١٥] نعمة خص الله بها[١٦] صاحبها بلا تقدم سبب يستوجبها العبد، فلزمه في الحكمة الشكر

---

١ روي عن عمر رضي الله عنه، قال: «فيم الرَّمَلان اليوم، والكشف عن المناكب، وقد أطَّأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندَع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسم». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٥/١؛ وسنن *ابن ماجة*، المناسك ٢٩؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٥٠).

٢ ك: أن.

٣ «يحتمل أن الله تعالى شرع مناسك الحج كذلك، وسمى هذه الأمكنة بهذه الأسامي لعلمه تعالى من إظهار الجلادة ونحوها، فيكون ذلك سببًا لشرع هذه المناسك ولوضع هذه الأسامي، وإن لم تكن المعاني مقارنة لها في كل وقت» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤ ظ).

٤ صحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، البر والصلة ١٦، ١٧؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٩.

٥ ع م: جعله.

٦ ن ع م: وسعيدا.

٧ جميع النسخ: الأنواع.

٨ ن: تنقلب؛ ع م: تتقلب.

٩ ك ع: الأنواع.

١٠ جميع النسخ – عبادة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤ظ.

١١ ع م – صاحب.

١٢ ن ع م: شكر.

١٣ ك ع: أمكن.

١٤ ن م: عن.

١٥ ع م – به.

١٦ ع – بها.

لمن أسدى إليه تلك النعمة. وعلى ذلك نجد[1] التقلب من حال القيام إلى حال القعود والاضطجاع أمرًا عامًا[2] في البشر من أنواع اللذات، فمثله يكون العبادة بذلك النوع عامة، نحو الصلوات. وعلى ذلك معنى الرق والعبودة لازم لا يفارق. فمثله الاعتراف به والاعتقاد دائم لا محالة لا يخلو منه وقت.[3]

وعلى ذلك أمر إعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الأوقات عموم التقلب من حال إلى حال،[4] إذ لا يخلو عنها المرء وإن كانت مختلفة. فجعلت[5] عبادة[6] الصيام في خاص الأوقات. ثم لم يمتدّ ما بين الأوقات امتدادًا متراخيًا،[7] فعلى ذلك جعل العفو عن الصيام، لم يجعل كذلك [دائما] بل في كل سنة[8] [شهرا]؛ مع ما قد يدخل الصيام في كثير من الأمور.[9]

ثم للناس في الأموال معاش، وبها تَلَذّذ. لكن[10] منها [ما هو] قوت[11] لابد منه، فالارتفاق بمثله لازم، [و]لا يحتمل جعل القربة فيه سوى أن نجعل ذلك[12] لعينه[13] قربة، إذ فُرِض على المرء الاستمتاع به. ومنها [ما هو] فضلٌ فيه جعلت التصدق [منه] قربة،[14] لأنه له بحق التلذذ لا بحق ما لا بد منه. وكذلك نوع تقلب الأحوال في النفس التي هي بحق الضرورة،

---

[1] ن: تجد.

[2] جميع النسخ: أمر عام.

[3] ع م - وقت. يقول السمرقندي: «ولهذا قلنا إن الرق والعبودية لما كان لازمًا في البشر لا يتصور مفارقته عنه، لا جرم يجب الإيمان والاعتقاد لألوهيته دائمًا لا محالة، لا يسقط لعذر من الأعذار ولا يخلو عنه وقت من الأوقات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ ظ).

[4] أي من القيام والقعود والاضطجاع والانتقال، كما في *الشرح*، ورقة ٤٤ظ.

[5] ع م - فجعلت.

[6] ن: عادات.

[7] م: متراجيا.

[8] ك: بل كل في سنة. «فأما اقتضاء الشهوات عن المطاعم والمناكح ونحوها فلا يعم الأوقات عموم التقلب من حال إلى حال من القيام والقعود والاضطجاع والانتقال فإنه لا يخلو المرء عن حال فيها، وذلك حال منها لذة وراحة بحيث لو أجيز على الاستدامة على حال منها دون الانتقال عنها يصير ذلك عقوبة عليه، وإذا لم يكن إعطاء النفس شهواتها على طريق الدوام، فجعلت عادات الصيام في بعض الأوقات في كل سنة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ).

[9] أي في السنة، من نحو صيام الكفارات، والنذور، [والنوافل]، ونحوها؛ انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ.

[10] ع م - لكن.

[11] م: قوة.

[12] ع م - ذلك.

[13] ن ع م: بعينه.

[14] جميع النسخ: جعلت قرب التصدق.

لم يجعل لمثل ذلك فضل قربة يؤديها، سوى ما به حياته، وذلك يجعل بحكم الفرض عليه ولا بدّ منه.[١] وكذلك أمر الصيام لم يجعل عما لا بد من القوة، ولكن فضل قوة في الاحتمال.[٢] لكن الزكاة[٣] هي من حقوق ما يجوز أن يكون هي لغير من عليه، ففرض عليه البذل إلى غيره.[٤] وحقوق الأفعال لا تحتمل[٥] أن يصير السبب الذي[٦] به يجب أن تكون[٧] لغيره،[٨] فيجب عليه، فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه. وهي[٩] تجب للحول[١٠] لوجهين. أحدهما أن فيها[١١] حقوقًا[١٢] تَتَابُع[١٣] على نحو النفقات، فأخرت هي إلى الحول تخفيفًا؛ أو[١٤] لما هي تجب[١٥] فيما له حكم الفضل. والفضل ما يفضل عن الحاجة، والحاجات تتجدد[١٦] في أوقات، لا أنها[١٧] تَتَابَع، [فـ]لا يظهر[١٨] في مثله الفضل إلا بمدة بينة أكثرها حول.

---

[١] جميع النسخ: ولا بد به.

[٢] «وكذلك في أمر الصيام، إنما يجب بمقابلة فضل قوة فيها القوة التي لا بد منها، حتى إذا كان به مرض يضعف البدن ضعفًا بيِّنًا في حال الصوم فإنه لا يجب عيه. وكذلك إذا كان الصوم يفوت [به] قوة البدن على وجه يعجز عن أداء سائر العبادات، فإنه لا يجب عيه الصوم، فدل أن العبادات في هذا كلها سواء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ).

[٣] ن م: الزكوات؛ ع: الزكوة.

[٤] «ثم الفرق بين الزكاة وسائر العبادات من حيث أن الزكاة قد تتأدى بفعل النائب دون غيرها، لأن سبب وجوب الزكاة هو الحال وهذا السبب بعينه يجوز أن يكون لغيره فكان الواجب هو الأداء من المال وذلك لايتفاوت بين الأصيل والنائب. فأما سبب وجوب الصوم والصلاة هو نعمة البدن، والتي يكون لواحد لايتصور أن يكون لغيره فكان الواجب هو الفعل في نفسه لا في نفس غيره فلا يقوم نفس غيره مقامه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ-٤٥و).

[٥] ن: يحتمل.

[٦] ن ع م: له به؛ ك - به.

[٧] جميع النسخ: أن يكون.

[٨] ع م - لغيره.

[٩] أي الزكاة.

[١٠] جميع النسخ: للأحوال، والتصويب من *الشرح*، ورقة ٤٥و.

[١١] أي في الأموال.

[١٢] جميع النسخ: حقوق.

[١٣] ن ع م: شائع.

[١٤] أي والثاني من الوجهين.

[١٥] ك ع م: يجب.

[١٦] ن ع م: يتجدد.

[١٧] ع: لأنها.

[١٨] ن ع م: تطهر.

ثم فرض الحج جعل في العمر[1] مرة، لأنه في حق الأسفار المديدة التي لا يختار مثلها للذات[2] إلا في النوادر، فلم يوجب مثله إلا خاصًا، فأوجب في جميع العمر[3] مرة. وقد أوجب في الأموال في كل سنة، لأن أرباب[4] الأموال قد يتقلبون[5] في البلاد النائية رغبة في فضول اللذات، فلذلك يجوز فرض مثل ذلك.

وعلى ذلك[6] أمر الجهاد؛ على أن الجهاد[7] كالذي لابد من الأقوات، إذ في ترك ذلك خوف غلبة[8] الأعداء، وفيها تلف الأبدان والأديان والأموال؛[9] ففرض على قدر ما فرض من الأقوات لما بينتُ من الخلل.

ثم كانت أحوال أهل السفر تكون[10] على غير المعروف من أحوال المقيمين في حق الرزانة والوقار، وحق الانبساط والنشاط؛ فعلى ذلك فرائض الأمرين[11] -نحو الجهاد- فيه[12] أنواع ما عُدَّ[13] في غيره من اللعب؛ وكذلك أمر الحج؛ وعلى[14] مثل هذا يخرج رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك. فجعل ذلك[15] في حق الأسفار سنّة، وإن كان مثل ذلك عُدّ في غير ذلك عبثًا، إذ قد بَيّنا مخرج العبادات على ما عليه أحوال العباد بأنفسهم، لولا العبادات. **والله أعلم**.

ثم جعل ذلك في أمكنة متباعدة الأطراف، إذ هو بحق أمر الأسفار يجب في المعهود، فجعل في[16] النُسك بنفسه بالذي به يقطع الأسفار. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] ن ع م: في العمرة.
[2] ع: الذات.
[3] ن ع: العمرة.
[4] ع – الأموال في كل سنة لأن أرباب.
[5] ن: ينقلبون.
[6] ع م – وعلى ذلك.
[7] ع: الجبال.
[8] ك: عليه.
[9] ع م – والأموال.
[10] ن ع: يكون.
[11] أي الصلاة والصيام.
[12] أي في كل منها.
[13] ع م: وعد.
[14] ن + ذلك.
[15] لعله يقصد رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك.
[16] ن ع م – في.

ووجه آخر؛ من المعتبر[١] أن العبادات جعلت أنواعًا. منها ما يبلغ القيامُ بحقها العامَ[٢] فصاعدًا؛ [ف]لم يجز أن يجعل وقتها[٣] ينتقص[٤] عن احتمال فعلها.[٥] ولا وقتَ مِن[٦] طريق الإشارة أجمعَ لمختلف الأحوال بعد سقوط اعتبار العمر من السّنة. ثم فعل الحج قد يمتد[٧] [إلى] ذلك ويجاوز[ه، ف]لم يجعل ذلك وقتًا له، وإنما جعل العمر لما لا وقت يشار إليه إلا وجميع ما فيه مما يحتمل العام الآخر وما تقدمه وما تأخّره.[٨] ثم في العمر أحوال لا تحتمل[٩] إضافتها إلى الأعوام، لأن ما يضاف إلى عام فذلك لكل عام، وليس ما يضاف إلى العمر موجودًا[١٠] بحق الأعوام، فجعل ذلك وقته. *والله أعلم*.[١١]

ثم الزكاة[١٢] هي تجب للأموال صونًا لها[١٣] لكسب عدد وفضل غنى، ولكن على ذلك يُكتسب[١٤] لأحوال الحياة، لا لما يَخلف؛ فلم يمتد أمرها إلى العمر.على أنها جعلت حقًا للفقراء، ومتى أريد جعل الوقت له العمر يصير لغيره،[١٥] ويجب[١٦] فيه ما يجب في الأول، فتبطل الزكاة، وتبقى الفقراء بلا عيش؛ إذ الله بفضله قدر أقوات الخلق، ثم فضل الخلق في الأملاك، حتى كان بعضهم بحيث لا يملك شيئًا، وبعضهم يجاوز ما ينال أضعاف عمره.

---

[١] ع م: من المعتبرات.
[٢] ن – بحقها العام.
[٣] جميع النسخ: وقته.
[٤] ك ن: ينتقض.
[٥] جميع النسخ: فعله.
[٦] ع: في.
[٧] ع م: تمتد.
[٨] ن: وما يقدمه وما يأخره.
[٩] ن: يحتمل.
[١٠] ك ن: موجود.
[١١] ع م – وإنما جعل العمر لما لا وقت يشار إليه إلا وجميع ما فيه مما يحتمل العام الآخر وما تقدمه وما تأخره ثم في العمر أحوال لا تحتمل إضافتها إلى الأعوام لأن ما يضاف إلى عام فذلك لكل عام وليس ما يضاف إلى العمر موجودًا بحق الأعوام فجعل ذلك وقته والله أعلم.
[١٢] ك: الزكات؛ ن م: الزكوات؛ ع: الزكوة.
[١٣] ك ن ع: صوها.
[١٤] ك: يكتب.
[١٥] م: لغير.
[١٦] ع: يجب.

[٢٧ط] ثبت أن ذلك له بما[1] / يُقتضَى[2] به[3] كفاية الفقراء، فلا بد أن يجعل لدلك مدة يتوسع في ذلك الفريقان جميعًا.

ثم كانت الأقوات التي هي[4] مجعولة للخلق جميعا[5] تتجدد[6] في كل عام على ذلك، [و]إذ جعلت أقوات الفقراء في أموال الأغنياء جعلت في كل عام. على أنه إذ جعلت أقوات الخلق في بركات السماء والأرض، جعلها الله متجددة بتجدد[7] الأعوام. *ولا قوة إلا بالله*.

والصلاة والصيام عبادتان يلزم[8] [كل منهما] قوى الأبدان، فعلى ما تختلف[9] قواهما اختلفا في الأمر بهما والترك وفي أنواع الرخص.[10] لكن الصلاة ليس فيها مكابدة الشهوات[11] ولا مدافعة اللذات؛ إذ لا سبيل إلى مثلها متتابعًا، لما يصير اللذة ألَما والشهوة وجعًا، فيبطل حق التتابع. وقدر المفروض من الصلوات لا يَشْغَل[12] عما يقوم بها النفس. والصيام يُضادّ ذلك ويضر في البدن. فجعل عبادة الصلوات[13] في كل يوم، وعبادة[14] الصيام في أوقات متراخية، إذ هي تُضادّ[15] المعنى[16] المجعول له الأغذية بين إقامة الأبدان، وفي الصيام خوف فنائها؛

---

[1] جميع النسخ: بما.
[2] أي يطلب.
[3] ك: فيه.
[4] ع – هي.
[5] ع – جميعا.
[6] ن ع م: يتجدد.
[7] ن ع: يتجدد.
[8] ك: تلازم؛ م: يلازم.
[9] ن ع م: يختلف.
[10] يقول السمرقندي: «وهذا يختلف الأمر بهما والرخصة بالترك باختلاف القوى، حتى تختلف الصلاة باعتبار أحوال المرض، وكذلك الصوم. وإذا كان كذلك ينبغي أن يجب ما دام المكلف في حال السلامة والقوة، إلا أن الدوام غير ممكن لحاجة المرء إلى الصيام [ما] تقوم به النفس من كسب الأغذية وتناولها، فلا بد [من] التوقيت، فجعل عبادة الصيام في أوقات متراخية، وهو الشهر الواحد من كل سنة، والصلاة في كل يوم خمس مرات؛ وذلك لأن الصلاة ...الخ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٥ و).
[11] ع – الشهوات.
[12] جميع النسخ: لا يشتغل.
[13] ع: الصلوة.
[14] ع م: عبادة.
[15] ك م: قصاء؛ ن: متضاد.
[16] جميع النسخ: معنى.

لذلك[١] استعين بطول الاغتذاء على أوقات الصيام. *ولا قوة إلا بالله*.

وإن شئت قلت: إن الله أنعم على البشر بما هو[٢] غذاء[٣] وقوام، وبما هو له[٤] لذة وشهوة، ثم أنعم عليهم بما[٥] هو لهم به رفعة وجاه عند الخلق، وهى الأموال. فألزمهم في كل نوع من هده الأنواع عبادات. وعلى ذلك وقع[٦] كل نوع منها بفوت[٧] النعمة التي هي المرغوبة المختارة في الطبيعة، وإلى ما تدوم[٨] تلك يدعو[٩] العقل ببذل ما ينقطع منه. ثم جعلت قوى النفس بشهواتها، ونعمُ الأموال بأنواع الكد والجهد. فعلى ذلك خفف حقوق الأموال، فلم يجعل إلا في الفضل الذي لا اختيار[١٠] لهم أن لا يبلغوا بالجهد ذلك. ففي ذلك جعلت الحقوق، على ما يحتمل الوسع لهم من الترتيب؛ مع اليسر الذي أخبر الله أنه[١١] يريد بهم ذلك، لا العسر.[١٢] *والله أعلم*.

وقوله: **وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**، دل سؤال[١٣] التوبة أن الأنبياء عليهم السلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم. ثم فيه الدليل على أن العبد قد يسأل عن زلة لم يتعمدها و لم يقصدها، لأنهما سألا التوبة مجملاً. ولو كان سبق منهما شيء علما به وعرفاه لذكراه؛[١٤] فدل سؤالهما[١٥] التوبة مجملاً على أن العبد مسئول عن زلات لم يتعمدها.

**﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[١٢٩]

وقوله: **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**، يحتمل وجوهاً؛ يحتمل **رسولا منهم**، من المسلمين،

---

[١] ع: كذلك.
[٢] ن + له.
[٣] ك: لا غذاء.
[٤] ع م – له.
[٥] ك: مما.
[٦] ك: وضع.
[٧] ن م: لفوت؛ ع: لقوة.
[٨] ن ع م: ما يدوم.
[٩] ك: يدعوا.
[١٠] ج ك: الاختيار.
[١١] ك: أن.
[١٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٥).
[١٣] ن ع م: سؤاله.
[١٤] جميع النسخ: لأنهم سألوا التوبة مجملا ولو كان سبق منهم شيء عملوا به وعرفوه لذكروه.
[١٥] جميع النسخ: سؤالهم.

لأنه أخبر أن عهده لا يناله الظالم.[1] ويحتمل **رسولا منهم**،[2] من جنسهم من البشر، لأنه أقرب[3] إلى المعرفة والصدق ممن كان من غير جنسهم، كقوله تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[4] الآية. ويحتمل **رسولا منهم**، أي من قومهم، ومن جنسهم وبلسانهم، لا من غيرهم ولا بغير لسانهم- *والله أعلم*- كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ.[5]

وقوله: **يتلو عليهم آياتك**، قيل: الآيات هي[6] الحجج. وقيل: الآيات هي الدين؛ ويحتمل يدعوهم[7] إلى توحيدك. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **ويعلمهم الكتاب**، يعني القرآن، ما أمرهم فيه[8] ونهاهم عنه[9] ونحو ذلك. **والحكمة**، قيل: الفقه؛ يقول: يعلمهم الكتاب، وما فيه من الفقه. وقيل: **الحكمة** ما فيه من الأحكام من الحلال والحرام. وقيل: **الحكمة** هي السنة هاهنا.[10] وقيل: **الحكمة** هي الإصابة. وبعض هذا قريب من بعض. *وبالله التوفيق*. وقال الحسن:[11] **الحكمة** هي القرآن؛ أعاد القول به يعني تكرارًا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: **الحكمة** الفقه.

وقوله تعالى: **ويزكيهم**، قال ابن عباس رضي الله عنه: يأخذ زكاة أموالهم، فذلك يزكيهم، كقوله: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.[12] وقيل: **يزكيهم**، [يدعوهم] إلى ما به زكاة أنفسهم. وقيل: **يزكيهم**، بالعمل[13] الصالح.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم رَبُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهد الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٤).

[2] ع م – منهم، يحتمل وجوها يحتمل رسولا منهم من المسلمين لأنه أخبر أن عهده لا يناله الظالم ويحتمل رسولا منهم.

[3] ك: لأن أقرب؛ ن ع م: لأن الأقرب.

[4] سورة الأنعام، ٦/٩.

[5] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٨).

[6] م – هي.

[7] ن ع: تدعوهم.

[8] ن ع م: به.

[9] ع م: عنها.

[10] ع م – وقيل الحكمة هي السنة هاهنا.

[11] ع م – الحسن.

[12] سورة التوبة، ٩/١٠٣.

[13] جميع النسخ: بعمل؛ والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٣٩و.

فإن قال لنا قائل ممن ينتحل مذهب الاعتزال: أ ليس الله عز وجل أضاف التزكية والهداية إلى رسوله، و لم يكن منه حقيقةً فعلُ التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه؛ كيف لا قلتم أيضًا فيما أضاف ذلك إلى نفسه أن ليس فيه منه خلق ذلك،[1] ولاحقيقتَه[2] سوى الدعاء والبيان، على ما لم يكن في إضافة ذلك إلى رسوله سوى الدعاء والبيان؟

قيل: كذلك على ما قلتم إنه أضاف ذلك إلى رسوله بقوله: **ويزكيهم**، وبقوله: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[3] وقوله:[4] وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛[5] غير أنه جعل إلى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله[6] صلى الله عليه وسلم، وأثبت [له تعالى] زيادة تزكية لم يثبت[7] ذلك لرسوله عليه السلام، كقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[8] وكقوله: وَلَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ.[9] فدل إضافة تلك الزيادة إلى نفسه على أن له فضل فعل ليس ذلك لرسوله، وهو خلق فعل الاهتداء وفعل التزكية. ***وبالله التوفيق.***

وبعد، فإن الرسول لا يحتمل أن يملك قدرة فعل أحد يُقدره عليه لو أراده، بما أقدرهم الله على الفعل حتى قدروا فجاز[10] أن يكون له عليه قدرة. وفي تحقيقها[11] جواز خلق ذلك له [تعالى]؛ ومثله[12] في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل.[13] ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ع م – ذلك.

[2] ن ع م: ولا حقيقة.

[3] سورة الشورى، ٥٢/٤٢.

[4] ن ع م: وكقوله.

[5] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد، ٧/١٣).

[6] ع م: لرسول الله.

[7] ن: لم تثبت.

[8] سورة القصص، ٥٦/٢٨.

[9] سورة النور، ٢١/٢٤.

[10] ن: فجائز.

[11] ع م: وتحقيقها.

[12] م – ومثله.

[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «وأما الثاني فإن خلق فعل الزكاة لا يتحقق من النبي عليه السلام، لأنه ليس له قدرة تحصيل الفعل في غيره، لأن قدرة البشر حادثة لا تتعدى عن محل وجودها لاستحالة بقائها. ولا يتصور منه صلى الله عليه وسلم إيجاد الفعل في الغير [فكان] دلالة نفي الإضافة إليه في هذا النوع؛ فأما الله تعالى فله قدرة أزلية دائمة يجوز أن يخلق بها الأفعال في العباد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٥ط).

وقوله: **إنك أنت العزيز الحكيم**، أي لا شيء يعجزه. والعزيز بذاته، وكل شئ دونه غير عزيز ذليلٌ.[1] وقيل: **العزيز** المنيع. وقيل: **العزيز** المنتقم من أعدائه. **والحكيم**، هو المصيب في فعله، **والحكيم** في أمره ونهيه.[2] **والحكيم** هو الذي أحكم كل شيء، [و]جعله دليلاً على[3] وحدانيته.

ثم ذكر بعض المفسرين علل المناسك، فقال: سميت العرفات عرفات لما قيل له: عَرَفْتَ؛ ومِنى، لما قيل له: تَمَنَّه؛[4] ورمي الجمار لما استقبل لإبراهيم الشيطان فرمى. فهذه العلل لا تطمئن[5] بها القلوب وتنفِر عنها الطباع.ألا ترى أنه ذكر في قصة آدم فِعل ذلك جملة، فزال المعنى الذي ذكر في إبراهيم عليه السلام. ثم قد ذكر في الخبر أن الملائكة قالت لآدم: حججناها قبلك [٢٨و] بألفي عام،[6] / فثبت أنهم قد فعلوا هذا كله.

ثم يمكن نصب الحكمة فيه من طريق العقل؛ وهو أن الحج قصد زيارة[7] ذلك المكان، [ف]أمر بمختلف الأفعال الواقع به الزيارة؛[8] كالصلاة، إنها الخضوع لعينه، أمر فيها بإحضار الأفعال المختلفة من حال الخضوع. ثم المرء[9] قد يخضع مرة بالقيام ومرة بالركوع ومرة بالسجود، أمر بإحضار مختلف الأفعال التي فيها الزورة. غير أن الصلاة تخالف الحج، [لأن] أفعالها فعل المعاش، أُمر [فيها] بإحضار حالةٍ تذكّره الخضوع والوقوف[10] لله مفرقًا بين تلك الحالة وحالة المعاش؛ ولهذا تُقْضَى[11] في كل مكان. ثم أفعال الحج [تُقارب] في ظاهرها إلى أفعال المعاش وما إليه وقع القصد، لا عينها؛ غير أن فيه تكلف[12] المعاش، ولهذا[13] لا[14] يقضى في كل مكان.

---

[1] ك: ذليل.
[2] ن – والحكيم في أمره ونهيه.
[3] م + به.
[4] ن ع: تمنة.
[5] ك: لايطمئن.
[6] ذكر في كتاب مكة لفاكهي أنه حج آدم، فتبقته الملائكة، فقالوا: أَبَرَّ نسكك، فقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. انظر: *الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف* لابن حجر (على هامش *تفسير الكشاف* للزمخشري)، ١٨٩/١.
[7] جميع النسخ: لزيارة.
[8] ك : الزيادة.
[9] جميع النسخ: المرقد.
[10] ن ع م: الوقوف والخضوع.
[11] ن ع م: يقضى.
[12] ع م: يتكلف.
[13] ن: لهذا.
[14] ك ع + ما.

**﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٣٠]**

وقوله تعالى: **ومن يرغب عن ملة إبراهيم**؛ ثم اختلف في الملة. قيل: الملة الدين.[١] وقيل: الملة[٢] السنة. وقيل: الإسلام. وكله واحد؛ وقد ذكرنا[٣] هذا فيما تقدم.[٤]

وقوله: **إلا من سفه نفسه**، بما يعمل من عمل السفه. ويحتمل **إلا من سفه نفسه**، أي بنفسه، فكان انتصابه لانتزاع[٥] حرف الخافض. وقيل: جهل نفسه فيضعها في غير موضعها. **ولقد اصطفيناه في الدنيا** بالنبوة والرسالة والعصمة. ويحتمل ما جزاه[٦] في الدنيا بثناء حسن لم ينقص من جزائه[٧] في الآخرة. **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** في المنزلة والثواب.و يحتمل **لمن الصالحين**، لمن[٨] المرسلين. ويحتمل[٩] أن يكون بشَّره في الدنيا أنه كان من الصالحين في الآخرة، فيكون في ذلك وعد له بصلاح الخاتمة، كما وعد محمدًا صلى الله عليه وسلم مغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر. وفي ذلك أيضًا وعد بصلاح الخاتمة –والله اعلم– فأخبر بما كان بشَّره. ويجوز تفاضلهم في الآخرة على ما كانوا عليه.

**﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٣١]**

وقوله تعالى: **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**، قيل: أخلِص. ويحتمل [أنه] أمر[١٠] بابتداء الإسلام[١١] [على] ما ذكرنا من تجدده في كل وقت يهمه.[١٢] ثم يحتمل أن يكون وحيًا أوحى إليه، أن "قل كذا"، فقال به. فإن كان وحيًا فهو على أن يسلم نفسه لله.

---

[١] ع م: والدين.
[٢] ع م – وقيل الملة.
[٣] ن: وقد ذكر؛ ع م: وذكرنا.
[٤] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٠).
[٥] ك: انتزاع.
[٦] جميع النسخ: ما جزاهم.
[٧] جميع النسخ: جزائهم.
[٨] ك ن: من.
[٩] ع م – ويحتمل.
[١٠] ن: أمرا؛ ع م: أمر بالأمر.
[١١] جميع النسخ: إسلام.
[١٢] ك: يمهد.

ويحتمل أن يكون إسلام القلب باقتضاء[1] الخلقة بالإسلام؛ فإن كان على هذا فهو على الإسلام[2] دون توحيد. ويحتمل إسلامَ خلقة، كقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى،[3] بالخلقة.[4] وعلى ذلك يخرج قوله لإبراهيم: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ؛[5] فدعاهم، فأجابوه في أصلاب آبائهم إجابة الخلقة وقت كونهم. وقيل: يحتمل [أنه] أمر بابتداء الإسلام، كقوله: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا إلى آخره.[6] ثم قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا،[7] [ف]يكون جواب قوله: أسلم. *والله أعلم*.

**﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[١٣٢]

قوله:[8] **ووصى بها**، يعني بالملة؛ والملة[9] تحتمل[10] ما ذكرنا.[11] **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين**، وهو الإسلام، ردًا على قول أولٰئك الكفرة إن إبراهيم كان على دينهم، لأن اليهود زعمت أنه كان على[12] دينهم يهوديًا؛ وقالت النصارى: بل كان على النصرانية. وعلى ذلك قالوا[13] لغيرهم: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا.[14] فلما ادعى كل واحد من الفريقين أنه كان على دينهم أكذبهم الله عز وجل في قولهم،

---

[1] ك: بتقاضي؛ ن ع م: يتقاضى. يقول السمرقندي: «ويحتمل أن يكون ذلك أمرًا بالإسلام بدلالة الخلقة الداعية إلى التوحيد والإسلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٥ ظ).
[2] ع – فإن كان على هذا فهو على الإسلام.
[3] سورة الأعراف، ١٧٢/٧.
[4] ع م: بخلقة.
[5] ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فَجّ عميق﴾ (سورة الحج، ٢٧/٢٢).
[6] ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٧٦/٦-٧٨).
[7] سورة الأنعام،٧٩/٦.
[8] ن ع م: وقوله.
[9] م – والملة.
[10] ن ع م: يحتمل.
[11] انظر تأويل قوله تعالى:﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ (سورة البقرة، ١٣٠/٢).
[12] ك – على.
[13] ع م: كانوا.
[14] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

ورد[١] عليهم في[٢] ذلك، فقال: قل يا محمد: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.[٣]

فعلى ذلك قوله: [إن الله] **اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**؛ أخبر عز وجل أن دينه كان دين الإسلام، وهو الذي اصطفاه له، لا الدين[٤] الذي اختاروا هم من اليهودية والنصرانية، لقوله تعالى: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى،[٥] أي ليس له.

**﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٣٣]**

وقوله تعالى: **أم كنتم شهداء**، يقول: أ كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت؟ أي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت. قيل: ويحتمل أن يكون[٦] اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟، فأنزل الله تعالى: **أم كنتم شهداء**، أي أ كنتم[٧] شهداء وصية يعقوب بنيه؟ أي لم تشهدوا[٨] وصيته، فكيف قلتم ذلك؟

ثم أخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال: **ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك**، الآية. **ونحن له مسلمون**، يعني مخلصين بالتوحيد وبجميع الكتب والرسل، ليس كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ثم يدّعون أن ذلك[٩] دين إبراهيم ودين بنيه. ثم في الآية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن الأخبار التي قالوا من غير نظر منه[١٠] في كتبهم ولا سماع منهم ولا تعلّم،[١١] دل أنه بالله علم وعنه أخبر.

---

[١] ن ع: وردًا.
[٢] ن ع - في.
[٣] سورة آل عمران، ٦٧/٣.
[٤] ن ع م: له والدين.
[٥] سورة النجم، ٢٤/٥٣-٢٥.
[٦] ن - يكون؛ ع + أن.
[٧] ع م: كنتم.
[٨] ع م: يشهدوا.
[٩] ك ن: يدعون أن دليل؛ ع م: يدعون دليل.
[١٠] جميع النسخ: منهم.
[١١] ن ع: ولا يعلم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٤]

[٢٨ظ س٣ * وقوله: **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون**، كأنه[٢] -والله أعلم- لما ادَّعَوْا أن إبراهيم ومن[٣] ذكر من الأنبياء كانوا على دينهم، فقال عند ذلك: لا تسألون أنتم عن دينهم وأعمالهم، ولا هم يسألون عن دينكم وأعمالكم،

٢٨ظ س٦] بل كلٌّ يسأل عن دينه وما يعمل به.*

**﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٣٥]

وقوله تعالى: **وقالوا كونوا هودا أو نصارى هتدوا**، أخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى أهم دعوا غيرهم إلى دينهم، وادعوا أن من اختار دينهم فقد اهتدى من الضلالة. ثم أمر محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم دعواهم. وقوله:**قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**؛ بل اتبع ملة إبراهيم حنيفا. قيل: الحنيف هو المسلم المخلص.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٣٦]

وقوله: **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**، الآية؛ فالآية تنقض[٥] على من يستثني في إيمانه، لأنه أمرهم أن يقولوا قولاً باتًّا لا ثُنْيا[٦] فيه ولاشك. وكذلك قوله: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ،[٧] الآية. ثم يحتمل أن يكون هذا ردًا على أولٰئك الكفرة، حيث فرقوا بين الرسل؛[٨]

* قد جاء تأويل هذه الآية في جميع النسخ خلال تأويل قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ (سورة البقرة، ١٣٧/٢) فنقلناه إلى هنا رعاية لترتيب القرآن.

[٢] ع م + كأنه ولا تسألون عما كانوا يعمسون.

[٣] ع: من.

** لم يذكر في صلب *تأويلات القرآن* تأويل هذه الآية، غير أنه ذكرت الآية فقط بهامش نسخة نور عثمانية ورقة ٢٩و. وتأويل الآية منقول من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦و/ سطر ١١.

[٥] ع: ينقض.

[٦] الثُّنيا بالضم اسم من الاستثناء.

[٧] سورة البقرة، ١٣٧/٢.

[٨] ع م: الرحل.

آمنوا ببعضهم[١] وكفروا ببعض، وكذلك آمنوا ببعض الكتب و كفروا ببعضها. فأمر الله عز وجل المؤمنين ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعًا، لا يفرقون[٢] بين أحد منهم كما فرق أولٰئك الكفرة.[٣] ويحتمل أن يكون ابتداء تعليم الإيمان من الله عز و جل لهم[٤] بما ذكر من الجملة.

ثم اختلف في الحنيف. قيل: الحنيف[٥] المسلم. وقيل: الحنيف الحاج.[٦] وقيل: كل حنيف[٧] ذكر بعده[٨] مسلم فهو الحاج،[٩] وكل حنيف لم يذكر بعده مسلم فهو مسلم. وقيل:[١٠] الحنيف المائل إلى الحق والإسلام.

**﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[١٣٧]

وقوله: **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لا تقرأ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**، فإن الله ليس له مثل، ولكن اقرأ **فإن آمنوا** / بالذي **ما آمنتم به**، [٢٨ظ]
أو بـ**ما آمنتم به**.[١١] وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فإن آمنوا بما[١٢] آمنتم به، تصديقًا لذلك؛ وعلى ذلك قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛[١٣] إن الكاف زائدة، أي ليس مثله شيء،

---

[١] ع م: بعضهم.
[٢] ع: لانفرق.
[٣] ك ن - الكفرة.
[٤] ع م: بهم.
[٥] ع - قيل الحنيف.
[٦] جميع النسخ: الحجاج.
[٧] ع - وقيل كل حنيف.
[٨] ع: بعد.
[٩] ن ع م: الحجاج.
[١٠] ن ع: قال؛ ن + بعضهم.
[١١] يقول المفسر الطبري: «فكأن ابن عباس، في هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه يوجه تأويل قراءة من قرأ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾: فإن آمنوا بمثل الله وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل. وذلك إذا صرف إلى هذا الوجه شرك لا شك بالله العظيم، لأنه لا مثل لله تعالى ذكره فنؤمن أو نكفر به». (*تفسير الطبري*، ٥٦٩/١؛ و*الدر المنثور* *للسيوطي*، ٣٣٩/١).
[١٢] ن م: بمثل ما. يقول السمرقندي: «ولفظة مثل زائدة وهكذا في قراءة ابن مسعود: "فإن آمنوا بما آمنتم به". وقيل: معناه فإن آمنوا بمثل إيمانكم، لأن حرف ما لا تستعمل في حق الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦و).
[١٣] سورة الشورى، ١١/٤٢.

وهو في حرف ابن مسعود رضى الله عنه كذلك.ويحتمل **[فإن] آمنوا** بلساهم **بمثل ما آمنتم** بلسانكم من الرسل والكتب جميعًا **فقد اهتدوا**. ويحتمل **بمثل ما آمنتم به**، أي بلسان غير لساهم، **فقد اهتدوا**.[1]

*وقوله: **فإنما هم في شقاق**، قيل: الشقاق هو الخلاف. وقيل:[3] الشقاق هو الخلاف الدي فيه العداوة. *والله أعلم*.

وقوله: **فسيكفيكهم الله**؛ هذا وعيد من الله عز وجل لهم،[4] ووعد وعد[5] نبيه بالنصر[6] له، لأن أولٰئك كانوا يتناصرون،[7] بعضهم ببعض، فوعد[8] عز وجل النصر له بقتل[9] بعضهم وإجلاء آخرين إلى الشام وغيره.

**﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[١٣٨]**

وقوله: **صبغة الله**، قيل: دين الله. وقيل: فطرة الله، كقوله: «كل مولود يولد على الفطرة».[10] وقيل:[11] **صبغة الله** حجة الله التي أقامها على أولٰئك. وقيل: **صبغة الله** سنة الله.

ثم يرجع [إليها] قوله: **ومن أحسن من الله صبغة**، أي دينًا وسنة[12] وحجة تدرك بالدلائل التي نصبها[13] وأقامها فيه، ليس كدين أولٰئك الذين أسسوه[14] على الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل.[15] وقيل: إن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء ليطهروهم[16] بذلك،

---

[1] م – ويحتمل بمثل ما آمنتم به أي بلسان غير لساهم فقد اهتدوا.
* ورد هنا في جميع النسخ تأويل الآية ١٣٤، فنقلناه إلى مكانه. انظر: ورقة ٢٨/سطر٣-٦.
[3] ع م – قيل الشقاق هو الخلاف و.
[4] ن – لهم.
[5] ن م – وعد.
[6] جميع النسخ: بالصبر.
[7] ك ن م + يتناصرون بتناصر.
[8] ن + لهم؛ ك ع م + له.
[9] ع: يقتل.
[10] انظر لحديث الفطرة: صحيح *البخاري*، الجنائز ٨٠، ٩٣؛ و صحيح *مسلم*، القدر ٢٢-٢٥.
[11] م + فطرة الله وقيل.
[12] ك – وسنة.
[13] ع م: يصيبها.
[14] جميع النسخ: أسسوا.
[15] ك: دلائل.
[16] ن ع م: ليطهرهم.

فقال الله عز وجل: **صبغة الله**، يعني الإسلام هو الذي يطهرهم لا الماء.

وقوله: **ونحن له عابدون**، قيل: موحدون. وقيل: مسلمون مخلصون. ويحتمل: ونحن عبيده.

**﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾**[١٣٩]

وقوله تعالى: **قل أتحاجوننا في الله**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أولى بالله منكم. فأنزل الله في ذلك: **قل أتحاجوننا في الله**. وقيل: **في الله**، يعني في دين الله؛ أي أ تحاجون وتخاصمون في دين الله؟

وقوله: **وهو ربنا وربكم**، أي أ تحاجون في الله مع علمكم وإقراركم أنه ربنا وربكم، بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[١]

وقوله: **ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم**، قيل: لنا ديننا ولكم دينكم، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[٢] ويحتمل:[٣] [و]**لنا أعمالنا**، لا تُسألون[٤] أنتم عنها؛ **ولكم أعمالكم**، ولا نسأل نحن عن أعمالكم، كقوله: وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[٥] **ونحن له مخلصون**، دينًا وعملاً لا تشرك فيه غيره.

**﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[١٤٠]

وقوله: **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أ أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**، قيل: بل تقولون.[٦] وقيل: على الاستفهام في الظاهر: أ تقولون؛[٧] لكنه على الرد والإنكار عليهم. وذلك أن اليهود قالوا: إن إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه كانوا هودا أو نصارى. قال الله تعالى: قل يا محمد: أنتم أعلم بدينهم أم الله، مع إقراركم أنه ربكم، لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء؟

---

[١] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[٢] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[٣] ن: يحتمل.
[٤] ك + لاتسيلون.
[٥] ﴿تلك أمة قد خلت ها ما كسبت ولكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (سورة البقرة، ١٣٤/٢، ١٤١).
[٦] م: يقولون.
[٧] جميع النسخ: يقولون.

ومعنى الاستفهام هو تقرير ما قالوه،[1] كالرد عليهم والإنكار.

**ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**، قيل: الشهادة التي عنده علمهم أنهم كانوا مسلمين و لم يكونوا على دينهم. وقيل:الشهادة التي[2] عندهم بالإسلام أنه دين الله وأنه حق. وقيل: الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ بينه الله في كتابهم وأخذ عليهم المواثيق[3] والعهود، بقوله: لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ،[4] فكتموه وكذبوه. وقيل: **ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**، في قول اليهود لإبراهيم عليه السلام، وما ذكر من الأنبياء كانوا هودا أو نصارى. فيقول الله عز وجل: لا تكتموا الشهادة إن كان عندكم علم بذلك، وقد علم الله أنكم[5] كاذبون. وقيل: **الأسباط** بنو[6] يعقوب؛ سموا أسباطًا لأنه ولد لكل رجل منهم أمة.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون**؛ خرج على الوعيد، أي لا تحسبوا أنه غافل عما تعملون.[7] ويجوز أن يكون لم ينشئهم على غفلة عما[8] يعملون، بل على علم بما يعملون خلقهم، ليعلم أن ليس له في شئ من عمل الخلق له[9] حاجة ليخلقهم على رجاء النفع له. ***ولا قوة إلا بالله***. خلقهم وهو يعلم أنهم[10] يعصونه.

**﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٤١]

وقوله تعالى: **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**؛[11] قد ذكرنا هذا فيما تقدم.

---

[1] ع: قالوا.
[2] ع م – عنده عممهم أنهم كانوا مسمين و لم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة التي.
[3] ع: بالمواثيق.
[4] يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتبيننه لناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[5] ن ع م: أنهم.
[6] ك: بنوا.
[7] ن ع م: يعملون.
[8] جميع النسخ: مما.
[9] ن – له.
[10] ع – أنهم.
[11] ك + الآية.

[﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾][١٤٢]

وقوله: **سيقول السفهاءُ من الناس ما وَلَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**، هذا -والله أعلم-[١] وعْدٌ كان وَعَده عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه يحوله إلى الكعبة من بيت المقدس، وإخبارٌ عما يقوله[٢] اليهود قبل[٣] أن يحوّل، وقبل أن يقولوا له شيئًا. ألا ترى إلى قوله: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ،[٤] أنه لو لم يكن فيها وعدٌ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، لكان تقلُّب وجهه إلى السماء بذلك تخييرًا منه، وتحكما[٥] عليه. وليس لأحد على الله التخيير والتحكم عليه في الأحكام والشرائع، ولا في غيرها،[٦] فدل أنه على الوعد له ما فعل. ***والله أعلم***.

ثم فيه إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان أخبره على ما أخبر من التحويل إلى الكعبة والقول منهم، فدل أنه علم ذلك بالله.

ثم اختلف في قوله **سيقول السفهاء**. قيل: هم اليهود، وقالوا ذلك عند تحويل القبلة إلى الكعبة.[٧] وذلك أنهم لا يرون[٨] نسخ الشرائع والأحكام؛ لأنه كالبداء والرجوع عنها؛ وذلك فعل من يجهل عواقب الأمور، كبانٍ بنى بناء، ثم نقضه لجهل منه به. لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره، ولو عرفوا ما النسخ، ما نفوا نسخ الشرائع والأحكام.

وأما النسخ عندنا، فهو بيان منتهى الحكم إلى وقت ليس فيه بداء ولا نقض لما مضى،

---

[١] م + هذا.

[٢] جميع النسخ: يقول له.

[٣] ن: قيل.

[٤] ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلةً ترضاها﴾ (سورة البقرة، ١٤٤/٢).

[٥] جميع النسخ: تخيير منه وتحكم.

[٦] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال بعض المفسرين: إنه كان يقلب بصره إلى السماء لما كان يكره أن تكون قبلته قبلة اليهود، فحول الله القبلة إلى الكعبة، دفعا لكراهة قلبه وطلبا لرضاه. قال [أي الماتريدي]: لكن هذا بعيد، لأنه لا يظن برجل مسلم الكراهة فيما أمره الله تعالى به، وأن لا يرضى بحكمه، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مأمورا بالتوجه إلى بيت المقدس. ولو صح النقل عنه لهذا كان محمولا على كراهة الطبع والنفس دون كراهة الاختيار. وهذا لأن عامة المأمور به على خلاف الطبع، ولزم ترك المطبوع إلى ضده اختيارا طلبا لرضى الله تعالى فلم تكن كراهة الطبع منافيا للاختيار عقلا، وديانة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٧ظ).

[٧] ع م - والقول منهم فدل أنه علي ذلك بالله ثم اختلف في قوله سيقول السفهاء قيل هم اليهود وقالوا ذلك عند تحويل القبلة إلى الكعبة.

[٨] ك: لا يدرون.

بل تجديد حكم في وقت بعد انقضاء حكم على بقاء[1] الأول[2] لوقت كونه؛ ليس على ما فهمت
[٢٩و] اليهود من البداء والنقض لما مضى، كالبناء / الذي وصفوا. ***وبالله التوفيق.***

وإن كانت الآية في غير اليهود من أهل مكة، على ما يقول بعض أهل التفسير، فقالوا: لما رجع محمد إلى قبلتنا من القبلة الأولى،[3] يرجع إلى ديننا. قال الله عز وجل: **قل** يا محمد **لله المشرق والمغرب** والأمكنة كلها والنواحي. يأمر بالتوجه[4] إلى أي ناحية شاء، شرقا أو غربًا،[5] فالطاعة له في الائتمار لأمره، والقبول لدعائه، لا للتوجه نحو المشرق أو نحو المغرب[6] لهوًى[7] هوَوْا، وتمنٍّ[8] تمنوا؛ لأن اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم لا اتباعا لأمر أمروا به. وكذلك النصارى اتخذوا المشرق قبلة لهوى[9] أنفسهم. فأخبر الله تعالى عن[10] المؤمنين أنهم يأتمرون بأمر الله،[11] حيث ما أمروا توجهوا نحوه.

وقوله تعالى: **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.** هذا [حجة] على المعتزلة، لأنه[12] أخبر عز وجل: أنه **يهدي من يشاء**، ولا جائز أن يهدي[13] وهو لا يهتدي. وهم يقولون: شاء أن يهدي ولكن لم يهتدوا.[14] فدل[15] قوله: **من يشاء** على[16] أن مشيئة الهداية ليست للكل، على ما قالت المعتزلة: إن هدايته بيان. وذلك للجميع.[17]

---

[1] ع: بقائه.
[2] ن ع م: الأولى.
[3] ك: الأول.
[4] ك: التوجه.
[5] ع م: وغربا.
[6] جميع النسخ: نحو الشرق أو نحو الغرب.
[7] ع م: لهوا.
[8] ك ن: ولتمنى؛ ع: ويتمنى؛ م: وتمنى.
[9] ك: لهوى.
[10] ع: من.
[11] ع م: بالله.
[12] ع: لأنهم.
[13] ن ع: تهدي.
[14] ن ع م: يهتدون.
[15] ن ع م – فدل.
[16] ك: إلى.
[17] ع: الجميع. يقول السمرقندي: «فإن معنى قوله: ﴿يهدي من يشاء﴾ أي يخلق الهداية فيمن شاء، لأنه جائز أن يهدي ولا يهتدي، لأن الاهتداء ملازم الهداية ومطاوعة كالانكسار للكسر. وعلى أصلهم لجاز أن يهدي الله تعالى ولكن لا يهتدي، وهو أن يبين لهم الطريق. وحملوا الهداية على البيان لا على خلق الهداية؛ على أنه لا يمكن حمل الهداية هاهنا على البيان لأنه علق الهداية بالمشيئة؛ والبيان ثابت في حق الكل، فإن الله تعالى بين الحق وطريقه للكل بالحجج والآيات والرسل فلا معنى لتعلق ذلك بالمشيئة، دل أن المراد ما ذكرنا من الهداية، فدل أنه هو الخالق لأفعال العباد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٦ ط).

وفيه دليل نسخ السنة بالكتاب، لأن القبلة إلى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب، بل عملوا على سنة الأولين الماضين. وهذا[١] [حجة] على الشافعي؛ لأنه لا يرى نسخ السنة[٢] بالكتاب إلا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم به،[٣] فإذا عمل به صار سنة، فهو نسخ السنة بالسنة، لا نسخ السنة[٤] بالكتاب. فهذا منه[٥] قبيح فاحش، وفيه نبذ الكتاب وهجره -وقد نهينا عنه- والتحكم على الله عز وجل؛ لأنه[٦] لم يجعل للكتاب[٧] من القدر ما يقع به[٨] الزجر، على ما كان عليه آنفًا،[٩] لولا عمله[١٠] صلى الله عليه وسلم. فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى. ولكن لم يعرف[١١] ما النسخ؟ وما قدره؟ ولو علم لما قال بمثله.

وهو عندنا ما ذكر من بيان منتهى الحكم إلى وقته.[١٢] ولله جل جلاله نصبُ الأحكام والشرائع في كل وقت، يُبيّن[١٣] ذلك مرة بالكتاب، وتارة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم. *وبالله التوفيق*. ولما جعل له صلى الله عليه وسلم أن يعمل به فنسخ الكتابُ فيه[١٤] تلك الشريعةَ، فكذلك في غيره من الأحكام.[١٥] *والله أعلم*.

**﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١٤٣]

---

١ ن: هذا.
٢ ك: نسخ الكتاب بالسنة.
٣ ع م - به.
٤ ع م - السنة.
٥ أي من الشافعي.
٦ ك - لأنه. أي لأن الإمام الشافعي.
٧ ع م: الكتاب.
٨ ن ع م: فيه.
٩ ع: الفا.
١٠ م: علمه.
١١ ع م: نعرف.
١٢ ك ن: وقت.
١٣ ن ع م: بين.
١٤ ك - فيه.
١٥ جميع النسخ: من الناس.

وقوله: **وكذلك جعلناكم أمة وسطا. وكذلك** لا يتكلم[1] [بها] إلا على العطف على ما سبق من الخطاب، وهو -والله أعلم- معطوف على قوله: قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ،[2] الآية كأنه قال: كما وفقكم على الإيمان بما ذكر، وهداكم للإسلام،[3] كذلك جعلكم أمة وسطًا، يعني عدلا؛ **لتكونوا شهداء على الناس**. ثم اختلف في قوله: **على الناس**. قيل: على بمعنى اللام، أي[4] للناس. وهذا جائز في اللغة سائغ، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[5] أي للنصب. وقيل: على بمعنى على، [أي] أن تشهدوا على الأمم للأنبياء على تبليغ الرسالة، ويشهد الرسول لهم بالعدالة.

وفيه دليل قبول شهادة أهل الإسلام على أهل الكفر ورد شهادتهم علينا، لأنه لو[6] قبلت شهادتنا عليهم على التبليغ ثم شهد أولئك بأنهم لم يبلّغوا لكان فيه تناقض، فدل أن شهادتنا تقبل عليهم، ولا تقبل شهادتهم علينا. ***والله أعلم***.

وقوله: **لتكونوا شهداء على الناس**، [أي]: الذين أبوا إجابة[7] الرسل، **ويكون الرسول عليكم شهيدا** إن جحدتم الرسالة. وذلك قوله: **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** الآية. أضاف الله إليه[8] جَعْلهم أمة وسطا. ثبت أن لله[9] في فعل ذلك فعلَ [ما] به ذكر منه. ***والله أعلم***.[10]

قوله:[11] **وكذلك جعلناكم أمة وسطا**، فالوسط العدل. أخبر عز وجل أنه جعل هذه الأمة عدلا؛ فالعدل هو المستحق للشهادة والقبول لها. ففيه الدلالة على جعل هذه الإجماع حجة، لأنه وصفها بالعدالة، وصيّرها من أهل الشهادة. فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به

---

[1] ع م + رسول الله صى الله عيه وسلم.
[2] ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٦).
[3] ك: الإسلام.
[4] ك ن – اللام أي.
[5] سورة المائدة، ٥/٣.
[6] ك – لو.
[7] ع: إجاءة.
[8] أي إلى الرسول عليه السلام.
[9] ع: الله.
[10] ن – وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية أضاف الله إليه جعلهم أمة وسطا ثبت أن لله في فعل ذلك فعل به ذكر منه والله أعلم.
[11] ك ن ع: وقوله.

لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا.[١] والشهادة فيه أنه من عند الله وقع لهم ذلك. والثاني قال [تعالى]: اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ؛[٢] أخبر أن فيهم صداقة[٣] يلزم اتباعهم. والثالث ما قال عز وجل: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى،[٤] ولا يجوز الوعيد في مثله إذا لم يكن ذلك هو الحقّ عند الله. والرابع قوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ؛[٥] أمر عز وجل عند التنازع بالرد[٦] إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فدل أنه إذا لم يتنازع لم يجب الرد إلى ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله: **لتكونوا شهداء على الناس**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه[٧] أنه قال: يسأل الله تعالى يوم القيامة الأمم، عن[٨] تبليغ الأنبياء رسالته إليهم، فينكرون، ثم يأتي بهذه الأمة، يشهدون عليهم بالتبليغ. فذلك قوله: **لتكونوا شهداء على الناس**. ويشهد الرسول عليهم، يعني:[٩] لهم بالعدالة[١٠] والتزكية. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رضي الله عنه:} وفي قوله: **لتكونوا شهداء على الناس** وجهان. أحدهما على الكفرة. وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم عليهم؛ لما يتناقض فيزول منفعة الشهادة عليهم. والثاني ليكون من شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شهودًا[١١] على من يكون بعدهم.[١٢] وفي ذلك دليل نهي[١٣] من تأخر الصحابة

---

[١] يقول السمرقندي: «والآية على هذا التأويل دليل على أن إجماع الصحابة حجة، ولا يجوز لمن بعدهم مخالفة ذلك؛ لأنه لو لم يكن قولهم حجة، وقبول الشهادة منهم واجبا لم يظهر فائدة جعل الله تعالى إياهم شهداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧و).

[٢] سورة التوبة، ١١٩/٩.

[٣] جميع النسخ: صدقة.

[٤] ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا﴾ (سورة النساء، ١١٥/٤).

[٥] سورة النساء، ٥٩/٤.

[٦] جميع النسخ: الرد.

[٧] ك – فدل أنه إذا لم يتنازع لم يجب الرد إلى ما ذكر والله أعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

[٨] ك: عند.

[٩] ك ن: بمعنى.

[١٠] ن: على العدالة.

[١١] جميع النسخ: شهود.

[١٢] يقول علاءالدين السمرقندي: «ويحتمل ليكون من شهد رسول الله عليه السلام شهودا على من بعدهم ممن امتنعوا عن إجابة الرسالة من الكفرة، فكان الناس المشهود عليهم كفرةَ أمة محمد عليه السلام بعد وفاته، والمراد من الشهداء هم الصحابة، وعلى [هذا] يكون قوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ بإقامة المعجزات على إثبات الرسالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧و).

[١٣] ع – نهي.

رضوان الله عليهم،[1] عن الخلاف لهم. **ويكون الرسول عليكم شهيدا** إذا خالفتموه وعصيتموه.

وقوله تعالى: **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**. فهذا –والله أعلم– لما كانوا في المتابعة على قسمين: منهم من تبعه لما وافق هواه، [٢٩ظ] ومنهم من تبعه لما علم أنه الحق من عند الله. فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علم[2] ذلك عندهم: مَن المتَّبِعُ له بهواه، ومَن المتبِعُ له بالأمر والطاعة؟[3]

وقيل أيضا في قوله **إلا لنعلم من يتبع الرسول**؛ قيل: ليَعلَم من يتبع الرسول[4] ما قد علم أنه يكون كائنا، وليَعلم ما قد علم أنه يوجد موجودًا.[5] وقيل: إنه يجوز أن يراد بالعلم المعلوم. معناه –والله أعلم– إلا ليكون المتبع له والمنقلِب[6] على عقبيه.

ثم الأصل في هذا ونحوه –من قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ–[7] أنّا لا نصف الله تعالى بالعلم في الخلق على[8] غير الحال التي الخلق عليها؛ لأنّ وصفنا إياه بالعلم على غير الحال التي[9] عليها الخلق يومئ[10] إلى وصف بالجهل؛ لأنه لا يجوز أن يقال: يعلم[11] من الساكن في حال السكون حركة، أو السكونَ في حال الحركة. أو يعلم[12] من الجالس[13] قياما، أو القائم جلوسا. وكذلك لا يجوز أن يقال: يعلم من العدم موجودا، أو من الموجود معدوما في حال وجوده؛ لأنه وصف بعلم[14] ما ليس، وهو محال. *وبالله العصمة*.

وقيل: إن كل علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت للمحدَث[15] –بفتح الدال–

---

[1] ك ن – رضوان الله عليهم.
[2] ن: عليهم.
[3] ك ن + له.
[4] ن ع م – من يتبع الرسول.
[5] ع م – موجودا.
[6] ن: والمتقلب.
[7] ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).
[8] ع: قال.
[9] جميع النسخ: الذي.
[10] ن: نومئ.
[11] ن ع م: تعلم.
[12] ن ع م: تعلم.
[13] ع: المجالس.
[14] ع: يعلم.
[15] ن: للحدث.

أي يسند[1] علمه إلى المحدث بذكر الوقت،[2] لئلا يفهم بذكره قدم المعلوم في الأزل. وإذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه بالذي نصفه[3] به في الأزل، لتعاليه عن التغير والزوال وعن[4] الانتقال من حال إلى حال. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله**، يعني: تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه[5] دون[6] أمْرٍ أُمِرَ به، إلا على الذي يتبع أمر الله فيها ويعتقد طاعته،[7] فإنها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة.

وقوله: **وما كان الله ليضيع إيمانكم**. قال بعض أهل التفسير: إن قوما صلّوا إلى بيت المقدس ثم ماتوا على ذلك، فلما حولت القبلة إلى الكعبة قالوا: ضاعت صلاتهم التي صلوا إليها، إشفاقا عليهم. لكن هذا بعيد، لا يحتمل؛ لأن الذي اعتقد الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موقع أمر الله وأمر رسوله لا يجوز أن يخطر ببالهم هذا[8] حتى يَسْألوا[9] عن ذلك،[10] بل كانوا أعلم بالله من أن يجد عدوًا لله فيه[11] ذلك. ولأنهم قوم يأتمرون بأمر الله وطاعته ويموتون[12] على التصديق، وعلموا أنهم مؤمنون ثم يشكون في أحوالهم. لكن إن كان ثَمَّ سؤالٌ فهو من اليهود الذين اعتقدوا بطلان الناسخ[13] في الأحكام والشرائع، فكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ينهى عن التفرق[14] والاختلاف، ثم يدعوهم إلى ذلك. أو قوم من الكفرة[15] آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفرطوا في التكذيب له والخلاف والمعاداة،

---

[1] م: يستند.
[2] ك ن ع - بفتح الدال أي يسند علمه إلى المحدث بذكر الوقت.
[3] ن - بالذي نصفه.
[4] ن: من.
[5] ع: هواه.
[6] ع - دون.
[7] م: طاعة.
[8] ع م - هذا؛ ك ن + أو يعملون لو خطر ببالهم.
[9] ك: حتى ليسألوا.
[10] ع: من ذلك.
[11] جميع النسخ: فيهم.
[12] ك: ويموتين.
[13] ن ع م: التناسخ.
[14] ع م: التفريق.
[15] جميع النسخ: الكفر.

فأرادوا الإسلام، فظنوا أن ما كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع قبول الإسلام، فأنزل الله عز وجل: **وما كان الله ليضيع إيمانكم** لما كان منكم في حال الكفر؛ ألا ترى أن آخر[1] الآية يدل عليه.

وقوله: **إن الله بالناس لرؤوف رحيم**؛ أخبر أنه رحيم[2] يتجاوز عمن تاب، أو [هو في] قوم علموا أن لا[3] تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه،[4] فظنوا أن نسخ الأحكام وتبديلها يوجب اختلافا في الدين وتفرقا فيه.

فنقول: إن الإيمان في الأصل بالذي[5] لا يقع على اعتقاد الصلاة إلى جهة دون جهة، بل يقع على الائتمار. فالإيمان من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- الذين ماتوا كان[6] على اعتقاد الائتمار؛ فهم مؤمنون باعتقاد الائتمار إلى بيت المقدس، مؤمنون باعتقاد الائتمار إلى الكعبة، فلا تفرق ولا اختلاف في الإيمان؛ إذ في الأصل به وقع الاعتقاد للائتمار. *وبالله التوفيق*.

ثم قوله:[7] **وما كان الله ليضيع إيمانكم**، تأويله: أي لا يضيع إيمانكم بالصلاة إلى بيت المقدس. ولو كان على الصلاة فهو لوجهين. أحدهما أنها إنما قامت بالإيمان فهو سبب لها، وقد يذكر الشيء باسم سببه. والثاني أن اليهود عرفوها[8] إيمانا،[9] فورد الخطاب على ما عندهم معروف، كقوله:[10] ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾،[11] لا أن كان ثَمَّ آلهة لكن لما عندهم. وكذلك قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾،[12] لا[13] أن كان ثم خالق سواه، ولكن لما عرفوا كل صانع خالقا، فخرج الخطاب[14] على ما عرفوهم. فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

---

[1] م – آخر.
[2] ن – أخبر أنه رحيم.
[3] ك ن ع: إلا.
[4] ن: في الدين.
[5] لعل المؤلف يقصد: إن الإيمان بشيء لايقع...الخ.
[6] ع م – كان.
[7] ع: وقوله؛ م: ثم وقوله.
[8] ك ن م: عرفوه؛ ع: عرفوا.     أي عرفوا الصلاة.
[9] أي قالوا: إن إيمانهم ضاع بالتوجه إلى الكعبة.
[10] ع: كقولهم.
[11] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).
[12] سورة المؤمنون، ٢٣/١٤.
[13] ك: لأن؛ ن ع: إلا أن.
[14] ك + على الخطاب.

**﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾**[١٤٤]

وقوله: **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** قد ذكرنا أنه يخرج على الوعد له.[١]

وقوله: **قبلة ترضيها.** قال بعض المفسرين: إنه كان يقلّب بصره إلى السماء، لما كان يكره أن تكون[٢] قبلته قبلة اليهود. ولكن هذا بعيد، لأن مثل هذا لا يُظنّ بأحد من المسلمين، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم. إلا أن يقال: كره كراهة الطبع والنفس، وأما كراهة الاختيار فلا يحتمل. ويقال: إنه كان حُبّب إليه الصلاة، حتى لا يصبر[٣] عنها، وقد نهى عن الصلاة إلى بيت المقدس، ولم يؤمر بعد بالتوجه إلى غيرها، فكان تقلب وجهه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالتوجه إلى غيرها. أو أن يقال: **قبلة ترضاها،** لأنها كانت قبلة الأنبياء من قبل، فلا شك أنه كان يرضاها. وهذا جائز في الكلام. يقول الرجل لآخر: أعطيك[٤] شيئا ترضاه وإن لم تظهر منه الكراهة في ذلك ولا الرد.[٥]

وقوله: **فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره،** وقد ذكرنا القول في القبلة والاختلاف فيه فيما تقدم.[٦]

وقوله تعالى: **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم.** يحتمل قوله **أنه الحق** وجهين.[٧] أي علموا أن / تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حق، لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم. [٣٠و]
ويحتمل أن علموا بما[٨] بُيّن لهم في كتبهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول،[٩] وأنه حق.[١٠]

---

[١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبتهم التي كانوا عليها﴾ (سورة البقرة، ١٤٢/٢).
[٢] ن ع م: يكون.
[٣] ع: يصير.
[٤] ن: أعطيتك.
[٥] ع م: لا الرد.
[٦] جميع النسخ: ما تقدم؛ انظر تأويل قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾ (سورة البقرة، ١٤٢/٢).
[٧] ك: على وجهين.
[٨] ع: ما.
[٩] ك: أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[١٠] م + قوله.

وقوله:[1] **وما الله بغافل عما يعملون**. وهو على ما ذكرنا أنه على الوعيد والتهديد.[2] *والله أعلم*.

**﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[١٤٥]

وقوله: **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك**. الآية [نزلت] في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، ولا يتابعون محمدا صلى الله عليه وسلم في قبلته، حيث آيسه[3] عن متابعتهم إياه؛ لأنها لو كانت في أهل الكتاب كلهم لكان لهم الاحتجاج على[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه، لأن من أهل الكتاب من قد آمن. فدل أنهم لم يفهموا من عموم اللفظ عموم المراد، ولكن فهموا من عموم اللفظ خصوصا، وكان ظاهرًا في أهل الإسلام وأهل الكفر جميعا المعنى[5] الذي وصفنا لك. فظهر أنه لا يجوز أن يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد.[6]

وفيه دلالة إثبات رسالته[7] صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في موضع الإخبار بالإياس عن الاتباع له، ولا يوصل إلى مثله إلا بالوحي عن الله عز وجل. وفيه أن كثرة الآيات وعظمها في نفسها لا يعجز المعاند عن اتباع هواه، والاعتقاد لما[8] يخالف هواه.

وقوله: **وما أنت بتابع قبلتهم**، فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت وما يتلوه. ويحتمل[9] قوله: **وما أنت بتابع قبلتهم**، أي ومالك[10] أن تتابعهم في القبلة. وهذا التأويل كأنه أقرب

---

[1] ك ن ع – وقوله.
[2] ن: التهدد. انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٠).
[3] ع: لآيسه.
[4] ع: عن.
[5] جميع النسخ: لمعنى.
[6] يقول السمرقندي: «ثم الآية حجة لنا في وجوب التوقف في اعتقاد عموم المراد من عموم النفظ إلى دليل آخر وراء نفس الصيغة، وإن كان واجب العمل فيما يرجع إلى الأحكام بظاهره احتياطا، فإن قوله: ﴿الذين أتوا الكتاب﴾ عامّ من حيث الصيغة، و لم يفهموا من ظاهره العموم بل الخصوص» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٧ظ).
[7] ع م: رسالة محمد.
[8] ل – لما، صح هـ.
[9] ك: وما يحتمل.
[10] ك: وما ذلك.

لما خرج آخر الآية على الوعيد له، بقوله:[١] **ولئن اتبعت أهواء هم من بعد ما جاءك من العلم**، الآية. وقد ذكرنا أن العصمة لا تمنع النهي.[٢] ويحتمل أن يكون المراد من الخطاب غيره.[٣]

**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[١٤٦]

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون]**، لأن الأولاد إنما تعرف بالأعلام والأسباب المتقدمة.[٤] فعلى ذلك معرفة الرسل عليهم السلام إنما تكون[٥] بالدلائل[٦] والأعلام، وقد[٧] كانت تلك الدلائل والأسباب في رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة، لكنهم تعاندوا وتناكروا، وكتموا بعد معرفتهم به أنه الحق. دليله قوله:[٨] **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**. والكتمان أبدا إنما يكون بعد العلم بالشيء؛ لأن الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان. وروي عن عبد الله بن سلام أنه قال: أعرفه أكثر مما أعرف ولدي، لأني لا أدري[٩] ما أحدث النساء بعدي.[١٠] وفيه الدلالة [على] أن نعته وصفته[١١] كانت غير مغيّرة يومئذ، وإنما غيرت بعد، حيث أخبر أنهم كتموا ذلك.[١٢]

---

[١] ع: بقوة.
[٢] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ١٢٠/٢).
[٣] ع: وغيره.
[٤] جميع النسخ: وأسباب تتقدم؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨و.
[٥] ن: يكون.
[٦] ع: بالدلالة.
[٧] ع: وإن
[٨] ع م - قوله.
[٩] م: أدري.
[١٠] لعله يريد: في بُعْدي، أي في غيبتي.
[١١] أي التي كانت توجد في التوراة.
[١٢] جميع النسخ + قيل لا يعلمون لا يؤمنون وهو على ما بينا من نفي بذهاب نفعه. هذه العبارة قد أسقطت من المتن لأن مضمونها لا تتناسب مع السياق، كما أنها لا توجد في نسخ شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٥٣و.

وجائز أن يكونوا عرفوه بما وجدوه بنعته[١] في كتبهم، كما قال الله عز وجل: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ] الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ،[٢] الآية.

**﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[١٤٧]**

وقوله: [**الحق من ربك**] **فلا تكونن من الممترين**، يحتمل: أن يكون الخطاب له والمراد غيره. ويحتمل هو، وإن كان يعلم أنه لا يمتري لما ذكرنا[٣] في غير موضع: أن العصمة لا تمنع النهي عن الشيء.[٤]

**﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٤٨]**

وقوله: **ولكل وجهة هو موليها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **هو موليها**، يعني الله موليها[٥] ومحوّلها. وقيل: **هو** يعني المصلي[٦] **موليها**. وقيل: ولّى -أقبل وأدبر- **هو موليها**: هو مستقبلها.

ويقال في قوله: **ولكل وجهة هو موليها**: لكل ملة[٧] من المسلمين قبلكم[٨] جعلت قبلتها الكعبة.

وقوله: **فاستبقوا الخيرات**. قيل فيه بوجوه. قيل: بادروا الأمم السالفة بالخيرات والطاعات. وقيل: "استبقوا" هو اسم الازدحام. يقول: يُبادر[٩] بعضكم بعضا بالخيرات. ويحتمل: أي استبقوا في أمر القبلة والتوجه إليها غيركم من الكفرة. ***والله أعلم***.[١٠]

---

[١] ن: وبنعته.

[٢] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[٣] ع م: ذكر.

[٤] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ١٢٠/٢)؛ وانظر أيضا تأويل قوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾ (سورة البقرة، ١٤٥/٢).

[٥] ع م - يعني الله موليها.

[٦] جميع النسخ + هو.

[٧] ك ن: أمة.

[٨] ن + حيث.

[٩] ن ع م: تبادر.

[١٠] ع م + ورسوله.

وقوله: **أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا**. قيل: أين ما كنتم يقبض الله أرواحكم من البقاع البعيدة والأمكنة الحصينة.[١] وقيل: **أين ما تكونوا**، أي في أي حال كنتم -عظاما ناخرة أو بالية أو رُفاتًا- يجمعكم[٢] الله ويحييكم، ولا يتعذر عليه ذلك. وهو كقوله: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.[٣] أخبر أن شدة الحال عندكم لا يتعذر عليه، ولا تشتد[٤] من الإحياء والإماتة.

وقوله: **إن الله على كل شيء قدير**، من جمع ما ذكرنا من الأشياء المتفرقة وإحياء العظام البالية.

**﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[١٤٩]

وقوله: **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام**. يقول[٥] -والله أعلم- حيث ما كنت من المدائن والبلدان[٦] فول وجهك شطر المسجد الحرام. وشطره:[٧] تلقاؤه،[٨] ونحوه[٩] وجهته. وهذا يبطل قول من يقول: إن الحرم قبلة لمن نأى عن البيت وبَعُد من أهل الآفاق، حيث أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى شطر المسجد الحرام[١٠] حيث ما كان[١١] من البلدان. *وبالله العصمة والتوفيق*.

{قال الشيخ رحمه الله:} ذُكر المسجد، ومعناه: موضعًا[١٢] منه. يعرف[١٣] ذلك بالفحص عنه[١٤]

---

[١] م: الخفية.
[٢] ع: يجعلكم.
[٣] سورة الإسراء، ١٧/٤٩-٥١.
[٤] ن ع م: ولا يشتد. لعله يقصد: لا تقدر حالكم وقوتكم أن تمنع إحياء الله وإماتته.
[٥] ع ن: نقول.
[٦] ك ن: من البلدان والمدائن.
[٧] جميع النسخ. شطره.
[٨] جميع النسخ: تلقاه.
[٩] ع م: نحو.
[١٠] ك ن - الحرام.
[١١] م: كانت.
[١٢] أي فول وجهك موضعا من المسجد.
[١٣] جميع النسخ: عرف.
[١٤] ع م - عنه.

من البقاع البعيدة والأمكنة الخفية، لا بالظاهر، ولا ذكر وصل البيان به.

وقوله: **وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون**. قيل: **وإنه**: [أي] تحويل القبلة هو الحق من ربك. وقيل: **وإنه** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك.[1] ويحتمل: **وإنه**، يعني القرآن هو الحق من ربك.

**﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[١٥٠]

وقوله: **ومن حيث خرجت** على ما ذكرنا.

وقوله: **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**، خاطب الكل وأمرهم بالتوجه إليه حيثما كانوا حتى لا يكون هو المخصوص به دونهم.

[٣٠ظ] وقوله: **لئلا يكون / للناس عليكم حجة**؛ تأويل هذا الكلام -والله أعلم- أنه لما اختار اليهودُ ناحية المغرب قبلةً، والنصارى ناحيةَ المشرق بهواهم، فأنزل الله عز وجل: **قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ.**[2] **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.**[3] وقال: **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**،[4] ليقطع[5] عذرهم وحجاجهم بما بين[6] في كتب لهم أنه يحوّلهم.[7] وذلك معنى قوله: **لئلا يكون للناس عليكم حجة**.

---

[1] ن + وقيل.

[2] جميع النسخ + الآية.

[3] سورة البقرة، ١٤٢/٢.

[4] جاءت هذه الآية في جميع النسخ على هيئات مضطربة. سورة البقرة، ١١٥/٢.

[5] جميع النسخ: فيقطع.

[6] ك: في ما بين.

[7] ن ه: لهم في كتبهم أنه قولهم. (نسخة). يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قيل: لماذا قرن قوله: ﴿لئلا يكون لناس عيكم حجة﴾ عى قوله: ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾، فما معنى تعليل وجوب التوجيه إلى الكعبة بقطع عذر الكفرة وحجاجهم؟ قال الشيخ: والجواب عنه: أن اليهود لما كانوا اختاروا ناحية المغرب قبلة والنصارى ناحية المشرق قبلة بهواهم، وأراد كل فريق أن يتابعهم النبي عليه السلام في تلك الجهة، وادعوا أن ذلك هو الحق، فأمر النبي عليه السلام وأصحابه بالتوجه إلى الكعبة. وفي ذلك دفع احتجاج الكفرة وقطع عذرهم، أي أني أتبع أمر الله تعالى في التوجه إلى الكعبة، وأن الذي ترعمون أنه أمرهم بذلك هو أمرني وإياكم بالتحول إلى الكعبة، فعليكم الامتثال لأمره. ويصح أن يكون الجواب أيضا ما قيل: إن الله تعالى قد بين في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المتقدمة أن النبي المبعوث -في آخر الزمان- وأصحابه يؤمرون بالتوجه إلى بيت المقدس زمانا، ثم يحولون إلى الكعبة، وجعل الله ذلك دلالة رسالته لكونه إخبارا عن الغيب فحول الله تعالى القبلة إلى الكعبة بعد ما كانت إلى بيت المقدس لئلا يكون للناس عيكم حجة؛ أي لأهل الكتاب فيقولوا أليس هذا هو النبي المبعوث في آخر الزمان، حيث لم يحول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة بعد مضي المدة المعلومة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨و-ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٥٣و-ظ)

ثم اختلف في قوله: **للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا**. قيل: أراد بالناس أهل الكتاب، وأراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة. وتأويله: لئلا يكون لأهل[1] الكتاب عليكم[2] حجة ولا الذين ظلموا. وقيل: **لئلا يكون للناس**، يعني أهل الكتاب عليكم حجة[3] فيقولوا:[4] ليس هذا الوصف في كتبهم، أنه يصلى إلى بيت المقدس وقتا، ثم يتحول إلى الكعبة. **إلا الذين ظلموا منهم**؛ يقول:[5] إلا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة[6] ولا دليل.[7] ومثل هذا جائز في الكلام؛ تقول[8] لآخر: ليس لك عليّ حجة إلا أن[9] تظلمني بلا حجة. وقال الفراء: هذا كما يقول الرجل لآخر: الناس لك حامدون، إلا الظالم المتعدي عليك. صواب في المعنى خطأ في العربية،[10] وذكر بيتا يدل على الجواز:

ما بالمدينة دارٌ غيرُ واحدة     دارُ الخليفة إلا دارُ مَرْوانا[11]

بمعنى: ولا دارُ مروان.[12]

---

[1] ع: أهل.
[2] ع م – عيكم.
[3] ك – ولا الذين ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعني أهل الكتاب عليكم حجة.
[4] ن ع م: فتقولوا.
[5] ك + من؛ ن: يقولو.
[6] ع + تقول ليس هذا الوصف إلى.
[7] يقول السمرقندي: «﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ أي لأهل الكتاب، إلا من ظلم منهم عليكم في الكلام والمناظرة بلا حجة ولا دليل، فيتصور عنده الشبهة بصورة الحجة. لكن آثروا العناد والمكابرة لأغراض لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨ظ).
[8] ن ع م: يقول.
[9] ك – أن.
[10] *معاني القرآن* للفراء، ٨٩/١.
[11] جميع النسخ: مروان، والتصحيح من *معاني القرآن* للفراء، ٩٠/١.
[12] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال الشيخ: ثم قوله تعالى ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ ففي ظاهره إشكال من حيث هو استثناء الظالمين من جميع الناس، والاستثناء من النفي إثبات، فيصير تقدير ظاهره: لئلا يكون حجة لعامة الناس عليكم ويكون حجة للظالمين عليكم؛ ويتعالى الله عز وجل عن ذلك. وتكلموا في حل هذا الإشكال فقال بعضهم: إن كلمة "إلا" استعيرت للعطف هاهنا بمعنى حرف "لا"، معناه لئلا يكون للناس عيكم حجة ولا الذين ظلموا. وأراد بالناس أهل الكتاب، وأراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وإن كان جميع الكفرة ظلمة؛ إذ مشركو العرب في كونهم ظلمة في نهاية الكمال، لأنهم بنوا أمور دينهم على مجرد الهوى والطبيعة، بخلاف أهل الكتاب فإنهم سوا أمور دينهم على الوضع الإلهي في الجملة وإن غيروا هيئاتها وصفاتها بحيث خرج أكثرها عن الحقيقة. وقال الفراء: وهذا التأويل لا يصح، لأن ذكر لفظة الاستثناء إنما يجعل مجازا عن حرف النسق وهو حرف "لا" في الاستثناء بعد الاستثناء إذا كان المستثنى من خلاف جنس المستثنى الأول كما قيل: ***ما بالمدينة دار غير واحدة    دار الخليفة إلا دار مروانا***، أي ولا دار مروان. فهذا استثناء من الاستثناء، واستثناء "دار مروان" من "دار الخليفة" لا يتحقق، فكان المراد منها النسق والعطف. ولم يرد من العرب لفظة الاستثناء مجازا عن "لا" الذي هو حرف العطف في الابتداء فيكون خطأ في اللغة وإن لم يكن خطأ في المعنى» (شرح *التأويلات*، ورقة، ٤٨ظ).

وقيل أيضا: **إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم**، على القطع من الأول والابتداء بهذا. أي لا تخشوا الذين ظلموا في الضرر لكم، ولكن اخشوني في ترككم إياها. أو أن يقال:[1] لا تخشوهم بالقتال والغلبة؛ فذلك لهم منه[2] أمن من[3] الأعداء. وعلى هذا يخرج قوله: **ولأتم نعمتي عليكم** يعني الأمن[4] من[5] الأعداء. ولا نعمة أعظم من الأمن وإظهار الحق. كقوله: أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي.[6] قيل: هو الأمن من الأعداء،[7] أو أراد بالنعمة كل نعمة من الإسلام والنصر وغيره. **ولعلكم تهتدون** القبلة، وتهتدون الإرشاد والصواب.

**﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**[١٥١]

وقوله: **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم**. قوله[8] "كما" حرف لا يصح ذكره إلا على تقدم كلام، إذ هو حرف عطف ونَسَق. وهو -والله أعلم- **كما أرسلنا فيكم رسولا**، وأنعم عليكم بمعرفة وحدانيته، وبمعرفة[9] مُحاجّة الكفرة،[10] وأنعم[11] عليكم بإكرامه إياكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك يجب عليكم أن تذكروه وتشكروا له. ويحتمل على التقديم والتأخير على ما قاله أهل التفسير، كأنه قال: فاذكروني **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم**؛ وذلك في القرآن كثير. وقال[12] الفراء: يحتمل **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم... أَذْكُرْكُمْ**،[13] فيكون فيه جوابه؛ لذلك جُزِم. وهذا كقول الرجل: كما أحسنتَ فأَحسِن.[14]

---

[1] ع م: وأن يقال.
[2] ع م: منة.
[3] ك: وإظهار عن؛ ن: أمن عن؛ ع: أمن عنى.
[4] ن: لأمن من؛ ع م: لأمن.
[5] م - من.
[6] ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).
[7] ع م - ولا نعمة أعظم من الأمن وإظهار الحق كقوله أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي قيل هو الأمن من الأعداء.
[8] ك ع م - قوله.
[9] ك ع م: وبمعرفته.
[10] ك: للكفرة.
[11] ع - وأنعم.
[12] ع م: قال.
[13] أي ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وهي الآية التي تلي هذه الآية (سورة البقرة، ٢/١٥٢).
[14] *معاني القرآن* للفراء، ١/٩٢.

وقوله: **ويعلمكم الكتاب**، وهو القرآن. **والحكمة**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: الحكمة الفقه؛ وقيل: الحكمة الحلال والحرام؛ وقيل: الحكمة السنة؛ وقيل: الحكمة المواعظ؛ وقيل: الحكمة هي الإصابة، ومنه سُمّي الحكيم حكيمًا، لأنه مصيب. وقال الحسن: الكتاب والحكمة واحد، وهو على التكرار، كقوله: تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ،[١] وهما واحد.

وقوله: **ويزكيكم**؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: يأخذ زكاة أموالكم، ففيه زكاتهم. وقيل: يزكيهم: يدعوهم إلى ما به زكاة أنفسهم وصلاحها، وهو التوحيد. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٢]

وقوله: **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** من التوحيد والشرائع والمحاجة مع الكفرة، وما أكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما أنعم عليهم من أنواع النعم.[٣]

وقوله: **رسولا منكم**؛ خاطب العرب وذكّرهم بما أنعم[٤] عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم، وإنزال[٥] الكتاب بلسانهم،[٦] وهم كانوا يتمنّون ذلك، كقوله:[٧] أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ،[٨] فمنّ عليهم بذلك، وبه استوجبوا الفضيلة على غيرهم، وكفى به[٩] فضلا؛ وقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ،[١٠] الآية.

**﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١٥٢]**

وقوله: **فاذكروني [أذكركم]**؛ قيل: بالطاعة في الدنيا أذكركم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتكم. وقيل: اذكروني في الرخاء والسعة أذكركم في الضيق والشدة. وقيل: اذكروني

---

١ ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (سورة النمل، ١/٢٧).

٢ انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عيبهم آياتك﴾ (سورة البقرة ١٢٩/٢).

٣ ع: النعمة.

٤ ع: أنعمت.

٥ ع م: وأنزل.

٦ ع + بل أنهم.

٧ ن ع م: كقولهم.

٨ سورة الأنعام، ١٥٧/٦.

٩ ع م: هم.

١٠ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

في الخلوات أذكركم في ملأ الناس وأذكركم في ملأ من الملائكة.[1] ويحتمل: اذكروني بالشكر بما أنعمت عليكم أذكركم بالزيادة عليها. **والله أعلم**.

وقوله: **واشكروا لي ولا تكفرونِ**، أي وجّهوا شكر نعمتي إليّ[2] ولا تشكروا غيري. ويحتمل: اشكروا لي:[3] أي وجهوا العبادة إليّ[4] ولا تعبدوا غيري. **والله أعلم**.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٥٣]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين**[5] قد ذكرنا تأويل هذه الآية فيما تقدم.[6]

**﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[١٥٤]**

وقوله: **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: إن العرب كانت تعرّف الميت[7] [أنه] من انقطع ذِكْره، إذ[8] لم يبق له أحد يُذكَر به من نحو الولد وغيره؛ فيقولون عند موت[9] هؤلاء:[10] إنّ ذكرهم قد انقطع. فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم [أحياء] مذكورون في ملأ الملائكة. وقال الحسن: إن أرواح المؤمنين تعرض على الجنان، وتعرض أرواح الكفرة على النيران، فيكون[11] لأرواح الشهداء

---

[1] لعله يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ...» (*صحيح مسلم*، الذكر والدعاء ٢٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ١٣٢).

[2] ع – أني.

[3] ن: إلتي؛ ع: أني.

[4] ع: أني.

[5] ن م + الآية.

[6] ك – وقوله يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة قد ذكرنا تأويل هذه الآية فيما تقدم. انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (سورة البقرة، ٤٥/٢).

[7] جميع النسخ: الموتى.

[8] ك ن ع: إذا.

[9] ع م – موت.

[10] أي الشهداء.

[11] ك: وكون.

فضلُ لذةِ ما لا يكون لغيرهم من الأرواح، ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم بعرضها[1] على النار[2] ما لا يكون لغيرهم من الكفرة ذلك.[3] فاستوجبوا[4] اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من اللذة على غيرهم. أخبر عز وجل أن أرواحهم في [عالم] الغيب[5] تتلذذ مثل تلذذهم على ما كانوا عليه في الأجساد في دنياهم هذه.

[٣١و] وقيل: إن الشهيد حي عند ربه، كما عرف في اللغة أن الشهيد هو الحاضر. / أخبر عز وجل: أنهم حُضُور عند ربهم، وإن غابوا عنكم.[6] وقيل: إن الحياة والموت على ضروب. فمنها الحياة الطبيعية[7] والموت الطبيعي،[8] والحياة العرضية[9] والموت العرضي. فالحياة العرضية[10] هي[11] اليقظة وهي[12] الحياة بالدين، كقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ،[13] وكقولهم[14] في الحياة بالعلم: إنه ميت بالجهل. والحياة الطبيعية[15] هي التي بها[16] قوام النفس؛ والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس. والشهادة[17] هي التي بها[18] اكتَسَبَ[19] الحياة

[1] ن: يعرضها.
[2] ع – ما لا يكون لغيرهم من الأرواح ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم بعرضها على النار.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يُعْرَضُون عليها غُدوًا وعَشيًا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٥-٤٦).
[4] أي الشهداء.
[5] ك: المغيب.
[6] الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شيء؛ والشهيد: الحاضر؛ يقال: شهدت مجلس فلان، أي حضرته (*لسان العرب* لابن منظور، «شهد»).
[7] جميع النسخ: الطبيعي.
[8] ع م – والموت الطبيعي.
[9] ن ع م: العرضي؛ ك: العرض.
[10] جميع النسخ: العرضي.
[11] جميع النسخ: هو.
[12] جميع النسخ: وهو.
[13] ﴿أو من كان مَيْتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٢).
[14] ع م: وكقوله.
[15] جميع النسخ: الطبيعي.
[16] جميع النسخ: هو الذي به.
[17] أي عالم الشهادة.
[18] جميع النسخ: والشهادة هو الذي به.
[19] ن م: اكتساب.

في الآخرة سمي بها[1] حيا.[2] *والله أعلم.*

ويحتمل قوله: **ولا تقولوا ... أموات**، لما ينفر طبعكم عن الموت؛ ولكن قولوا: أحياء، لترغب أنفسكم في الجهاد، إذ هو يَرِد بحياة الدنيا والدين.[3] مع ما يحتمل أن يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا أحياء يعملون، فكأنهم أحياء فيما جعلت لهم حياة الدنيا. *والله أعلم.*

**﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١٥٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١٥٦]**

وقوله: **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع**، وما ذكر؛ فيه تذكير[4] من الله عز وجل للخلق[5] لئلا يجزعوا[6] على ما يصيبهم من أنواع ما ذكر من المصائب.[7] وفي كل[8] نوع من ذلك إضمار شيء: من نحو[9] **بشيء من الخوف**، و **بشيء من الجوع**. *والله أعلم*. لأن الله عز وجل أخبر في غير آي من القرآن أنه خلقهم للموت والفناء، وأن ما أعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والفوات، بقوله: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ،[10] الآية؛ وقال: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا، إلى قوله، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا.[11] أخبر أن الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف أن ذلك كله لما ذكرنا يَخِفّ عليه ما يصيبه من الأمراض

---

[1] جميع النسخ: به.

[2] «والشهادة لما كانت سببا لحياة في الآخرة -لكونها سبب المغفرة والثواب- كانت صورة معنوية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[3] أي الجهاد يأتي بحياة الدنيا والدين ويكون سببا لتنظيمها.

[4] ع: يذكر؛ م: تذكر.

[5] ك ع م: الخلق.

[6] ع: يخرعوا.

[7] ع + وفي كل نوع ما ذكر من المصائب. يقول علاء الدين السمرقندي: «إنما ذكر الابتلاء بهذه المصائب مضافا إلى نفسه لئلا يجزعوا عما يصيبهم من أنواع ما ذكر، وليعلموا أن نعم الدنيا ولذاتها ومحنها ومصائبها لا تبقى، بل هي موسومة بالفناء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[8] ك: ومن كل.

[9] ك - من نحو.

[10] ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (سورة الملك، ٦٧/٢).

[11] ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٧، ٨).

والأوجاع والنقص[١] في الأموال والأنفس وما ذكر، إذ ذلك كله[٢] دون ما ذكر. وليعلموا أن ما أعطاهم من الحياة والصحة والسلامة لم يكن أعطاهم بحق لهم، بل بالإفضال[٣] والإحسان؛ وقد جعل ذلك لمدة، لا للأبد، فكأنها في غير تلك المدة لغيرهم، لا لهم. فعرفوا به منّته لوقت، وحقّه وقت[٤] الأخذ.

ثم يحتمل ما ذكر **من الخوف** وجهين: خوف[٥] على جهة العبادة من نحو الأمر بمجاهدة العدو والقتال معه؛ ويحتمل لا على جهة العبادة. وكذلك[٦] **الجوع** يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم، ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط [مثل] ما أصاب أهل مكة سنين. وكذلك قوله: **ونقص من الأموال**، يمتحنهم بأداء الزكاة والصدقة، ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك **الأنفس** يحتمل الصرف على الوجهين الذين ذكرتهما وكذلك **الثمرات**.

ثم لا يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون غيره، لأنهم كلهم عبيده، له أن يمتحنهم بأجمعهم بجميع أنواع المحن. لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه لما عرّفهم أنّ كل ذلك إنما خلق للفناء، فالبعض منه كذلك، ليَخِفّ ذلك عليهم. ***والله أعلم***.

*{قال الشيخ رحمه الله:} قوله **ولنبلونكم بشيء من الخوف** يبلوهم[٨] بالذي كان به عالما، ليكون به[٩] ما علمه يكون بالأمر والنهي بحق المحنة. وهو كما يستخبر عما هو به[١٠] خبير. مع ما كانت المحنة في الشاهد لاستخراج الخفيات يكون بالأمر والنهي، فاستعملت في الأمر والنهي وإن كان لا يخفى عليه شيء، بل هو كما قال: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.[١١]

---

[١] ن: النقض.
[٢] ع م - لما ذكرنا يخف عليه ما يصيبه من الأمراض والأوجاع والنقص في الأموال والأنفس وما ذكر إذ ذلك كله.
[٣] ن: الإفضال.
[٤] ع - وحقه وقت.
[٥] ع م - خوف.
[٦] ع: وذلك.
* جاء هنا في جميع النسخ قسم من تأويل الآية التي نحن بصدده ونبذة من تأويل الآية ١٥٧ متقدما، فنقلناه إلى مكانه. انظر: ورقة ٣١و/سطر ٢٠-٣٣.
[٨] جميع النسخ: نبلوهم.
[٩] ك ن - به.
[١٠] ن - به.
[١١] ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (سورة الأنعام، ٦/٧٣).

ثم له جَعْل الغيب شاهدا، فجرت به المحنة ليعلم ما قد علمه غائبا شاهدا، إذ هو موصوف بذلك في الأزل.[1] *وبالله التوفيق*.

ثم كان العبد بجميع ما هو له من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة، لكنه[2] بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة من ليس له ما كان يطلب منه ويأمره به، فقال: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[3] الآية. وقال: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا،[4] الآية، ليكون ذلك أطيب [٣١ظ] لأنفسهم، وأرغب[5] لهم في البذل لما طلب / منهم، وإن كان [جائزا] له أخذ ذلك منهم بلا شيء يَعِدُهم عليه. فعلى ذلك قال عز وجل: **ولنبلونكم** بالذي ذكر، يدلهم[6] على أن ذلك منه ليعلموا[7] أنه فيما[8] كان وعد الاشتراء منهم، وطلب منهم البذل بجزيل العوض لهم، فيَخِفّ ذلك عليهم وتطيب[9] به أنفسهم. أو أن[10] يكون يذكرهم[11] أوّلاً أنه يبتليهم بالذي ذكر، ليُطيّبوا[12] أنفسهم به، ولا يتكلفوا ذلك من قلوبهم، فيضجرون عند الابتلاء[13] بذلك. وكذا كل خلاف للطبع، إذا[14] كان عن رياضته إياه وإشعاره به قبل[15] النزول كان ذلك أيسر عليه من أن يأتيه ذلك من حيث لم يعلم[16] به. مع ما كان في ذلك خطور[17] بالقلوب

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «إن الله تعالى قال: ونبوهم بكذا وكذا ولم يكن ذلك يومئذ ثم ظهر من بعد، وكذلك قوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤). ثم ابتوا بذلك ليُعلم أن رسول الله عليه السلام علم ذلك بالله، إذ لا يعلم الغيب إلا الله، وفيه دلالة لنبيه على ثبوت رسالته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

[2] ك: لكن.

[3] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[4] سورة المزمل، ٧٣/٢٠.

[5] ع: راغب.

[6] ن ع: بدلهم.

[7] م: يعلموا.

[8] ك - فيما.

[9] ك ن: ويطيب؛ ع م: ويطب.

[10] ع م: وأن.

[11] ع م: يذكر.

[12] م: ليطلبوا.

[13] م: الابتداء.

[14] ك: إذ.

[15] ع م + قيل.

[16] ع: لا يعلم.

[17] جميع النسخ: حطر. والخطور: الوقوع في القلب (*لسان العرب*، «خطر»).

نسبةَ مثله إلى الخلق والتشاؤم[١] بهم، فقدم الله في ذلك البيان ليعلموا أن ذلك بالذي جرى به الوعد، وذلك كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ،[٢] الآية. فبين أن ذلك مكتوب عليهم لتطيب[٣] الأنفس وتطمئن[٤] القلوب عليه.

والأصل في هذا أن جميع ما ذكر البلوى به في التحقيق ليس بحق للعبد، بل هو امتنان من الله وإفضال منه،[٥] وأنه لم ينشئه، ولا أحياه نشوء الأبدية ولا حياة السرمدية؛ فعلى ذلك جميع ما أنعم عليه. وإذا سكن العبد على هذا الذي جبل عليه أمْرُ نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت به نفسه، مع ما يعلم أنه أنعم عليه لوقت. ثم هو نعمة على غيره[٦] ولغيره، فيكون المأخوذ منه في الحقيقة لغيره، وإن كان الله عز وجل ذكره في الابتلاء والمصائب، فهو على ما أخبرت من كرمه[٧] فيما يعامل عبيده عز وجل. **ولا قوة إلا بالله**.

وقوله: **بشيء من الخوف والجوع**، فهو على إضمار الشيء في كل حرف، إذ هو بحق العطف على ما تقدم، فكأنه قال:[٨] بشيءٍ من الخوف، وبشيءٍ من الجوع... **ولا قوة إلا بالله**.

ثم يتوجه ما أخبر من البلوى إلى وجهين. أحدهما أن يبلوه بعبادة فيها ما ذكر.[٩] والثاني أن يبلوه بالذي ذكر لا على عبادة يدفع إليه، وذلك نحو أن يبلوه[١٠] بالجهاد -وفيه الخوف- أو يبلوه[١١] بأنواع أوْصَابٍ[١٢] تحل به، فيخاف عند ذلك على نفسه. **والجوع** أن يبلوه بالصيام الذي فيه ذلك،[١٣] أو بقلة الأنزال،[١٤] وغلاء الأسعار. **ونقص من الأموال** يكون في الجهاد

---

[١] جميع النسخ: والتشام.
[٢] ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٢).
[٣] ك ع م: ليطيب.
[٤] ك: لتطماءن.
[٥] ك - منه.
[٦] ع م - على غيره.
[٧] ع - من كرمه.
[٨] ع - قال.
[٩] أي أن يبلوهم بخوف على جهة العادة من نحو الأمر بمجاهدة الأعداء والقتال معهم (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).
[١٠] ع: أن تبوه.
[١١] ع: أو تبوه.
[١٢] جمع وصب: المرض والوجع الدائم وشدة التعب (*لسان العرب* لابن منظور، «وصب»).
[١٣] م - ذلك. أي الذي فيه الجوع.
[١٤] ن ع م: الاتراب. والأنزال: الأرزاق (*لسان العرب*، لابن منظور، «نزل»).

والحج والزكاة[1] والمُؤَن المجعولة في الأموال، ويكون في الخسران[2] في التجارات وما يلحق أنواع المكاسب من الحوائج. **والأنفس** يكون بالجهاد ومحاربة الأعداء، ويكون بأنواع الأمراض. **والثمرات** ترجع إلى قلة الإنزال،[3] وقصور الأيدي عما به ينال، أو مفارقة الأوطان للجهاد والحج ونحو ذلك، مما فيه.[4]

ثم الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يبلوهم بشيء مما ذكرنا، لا بالكل. دل أنه عز وجل لم يقطع عليهم كل المخارج، بل جعل لهم في كل نوع من ذلك مسلكا، وإن كان في ذلك نقص وضرر.[5] وجائز بلوغ ذلك تمامَ ما في كل نوع، لكنه بلطفه قرّب إليهم فيما خَوَّفهم وجه الرجاء. وعلى ذلك جميع أفعال ذي المحن، إنها مقرونة بالخوف والرجاء. وكذلك[6] هم في أنفسهم. *ولا قوة إلا بالله*.

ثم إن الله دلهم على ما عليهم من الحق فيما أخبر أنه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل الذي يَسْهُل بمثله البذلُ بمن لا حق له، فكيف ومن له كلية ذلك، فقال[7] تعالى: **وبشر الصابرين**، ثم وصف الصابرين فقال: **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.** هدى الله عبده إلى[8] الاعتماد بحرف التوحيد عند المصيبة، إذ جُل التوحيد[9] داخل في ذلك الحرف،[10] وفيه التبري من أن يكون له في حكم الله تدبير[11] أو رأي. و[فيه] بذل النفس له

---

[1] ن ع م: والزكوات.
[2] م: الخزان.
[3] أي إنزال المطر.
[4] يقول علاءالدين السمرقندي: «وكذلك نقص الأموال يحتمل أن يكون بما فيه جهة العبادة كما في الجهاد والحج والزكاة والعشور المجعولة في الأموال. ويحتمل لابطريق العبادة نحو الخسران في التجارات وما يحق في المكاسب من الحوائج. وكذا ابتلاء النفس يحتمل أن يكون بطريق العبادة كما في الجهاد ومحاربة الأعداء، ويحتمل لا بطريق العبادة كما في الأمراض ونحوها. وكذا الثمرات يحتمل بطريق العبادة نحو العشور ومفارقة الأوصان لنحج والجهاد، ويحتمل لابطريق العبادة نحو قلة الإنزال وقصور الأيدي عني الانتفاع لعوارض دنياوية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).
[5] جميع النسخ: نقصا وضررا.
[6] ك: ولذلك.
[7] ن ع م + الله.
[8] جميع النسخ: عىي.
[9] ع – عند المصيبة إذ جل التوحيد.
[10] أي في قولهم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.
[11] ع م – تدبير.

وما للنفس[١] ليحكم فيها بما شاء.

وقوله: **إنا لله** كأنه قال: ما لنا فيما ليس لنا[٢] حكم ولا تدبير، وأبدا يكون الحكم في كل ملك لمن يملكه. وبمثل هذا يقدر على كف الأنفس عن الجزع، وحملها على ما تكره.[٣]

وقوله: **وإنا إليه راجعون** فكأنه يقول:[٤] إذ إليه مرجعنا لا فرق أن نرجع إليه جملة أو بالتفاريق، بل في التفريق له[٥] علينا الإبقاء، وفضل القبول [بأخذه] منا البعض دون الكل. وفي ذلك تذكير النفس عاقبتها، ليكون كمن تُقدّم[٦] شيئا مما به قوامه إلى مكان قراره. وقد انتهى الخبر بالبلوغ. فمعلوم أن ذلك أطيب لنفسه، وأسكن لقلبه[٧] من أن يكون جميع ذلك معه. ***وبالله التوفيق.***

وجملة ذلك أن هذه الدنيا أنشئت لالها،[٨] ولكن ليكتسب بها الآخرة، وجعل كل شيء منها زائلا فانيا؛[٩] لينال به الدائم الباقي. فهذا، لأن حق كل فيما يصيبه أن يرى الذي [له] أنشئ وما له يسعى، فيعلم أنه بلغ في تجارته غايتها من الربح، وأنه باع الشئ الفاني بالباقي. مع ما كان كل شئ من الدنيا مؤفا[١٠] بآفات[١١] الفناء والهلاك، فأبدل الموف[١٢] بالذي لا آفة[١٣] فيه. فيجب في التدبير أن لا يَعدّ ذا مصيبة، بل هو[١٤] أعلى[١٥] السرور وأرفع الربح، لكن البشر جبل على طباع نافرة عن كل آلام، جاهلة[١٦] بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل أحد، لا أن ينفر عنها. ***والله المستعان.***

---

[١] ع م – وما للنفس.
[٢] م – لنا.
[٣] جميع النسخ: يكره.
[٤] م – يقول.
[٥] م – له.
[٦] ك ن: يقدم.
[٧] ع م: بقلبه.
[٨] ع م: لأنها.
[٩] ك: فائتا.
[١٠] جميع النسخ: ماوف.
[١١] ن ع م: آفاق.
[١٢] ع: الماوف؛ م: الماؤف.
[١٣] ك: لا أبد.
[١٤] ك – هو.
[١٥] ك: على.
[١٦] جميع النسح: جاهل.

فإن قال[1] قائل: هذا الاسترجاع خُصّ به هذه الأمة، إذ[2] قال يعقوب: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[3] الآية.[4]

فهو[5] -والله أعلم- إن كان[6] فهو موضع التلقين والتعليم، أن قولوا ذلك، لا أن هذا المعنى مما يحتمل أن يكون يعقوب لا يحققه، بل حققه بقوله:[7] فَصَبْرٌ جَمِيلٌ،[8] الآية، وقوله إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ.[9] وهو مع ذلك قد كان بما أخبره يوسف وبما أوحي إليه[10] علم أنه لم يهلك بعد، ولم يوجد منه إلى حيث يرجع هو إليه من البعث بعد الموت.[11] **ولا قوة إلا بالله.**

٣٩و س٢٠ * ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر الذين صبروا على المصائب التي امتحنهم بها

---

[1] ك: قنت.

[2] م: إذا.

[3] يقول الله تعالى: ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

[4] أي و لم يقل ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

[5] ن ع م – فهو.

[6] أي إن ثبت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال: «لم يعطَ الاسترجاعُ مَن كان قبلكم»، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[7] ن: لقوله.

[8] ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ (سورة يوسف، ١٨/١٢)؛ وانظر: الآية ٨٣، من سورة يوسف كذلك.

[9] ﴿قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يوسف، ٨٦/١٢).

[10] جميع النسخ + أنه قد.

[11] يقول السمرقندي: «قال بعضهم: إن حرف الاسترجاع خص به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، لأنه لم يذكر هذا الحرف عن الأمم السالفة. ألا ترى أن يعقوب عليه السلام على كثرة ما أصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف عليه السلام لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال: ﴿يا أسفا على يوسف﴾ فدل أنه مخصوص بهذه الأمة. يؤكد ما قلنا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال: «لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم». قال أبو منصور: ولكنا نقول: هذا النقل لا يصح، فإنه لا يحتمل أن يكون يعقوب عليه السلام أن لا يحقق الاسترجاع فإنه من باب الإيمان. ألا ترى أنه قال: ﴿فصبر جميل﴾ وقال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ وهو تفسير الاسترجاع على أنه كان عالما لحياة يوسف بما أوحي إليه، وبما علم أن يوسف عليه السلام رأى في المنام أنه سجد له الشمس والقمر والكواكب و لم يخرج بعد تأويله، لكن إنما خص هذه الأمة بالتلقين والتعليم أن قيل لهم قولوا: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وبالله العصمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

* تقدم هذا القسم من تأويل الآية ونبذة من تأويل الآية التي بعدها في غير موضعه، فنقلناه هنا. انظر: ورقة ٣١و/ سطر ٢٠-٣٣.

عز وجل، ولم يجزعوا[١] عليها، وأن يقولوا:[٢] **إنا لله وإنا إليه راجعون**، [لأن] فيه الإقرار بوحدانيته عز وجل وبالبعث بعد الموت. وقيل: إن هذا الحرف[٣] خص به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، لأنه لم يذكر هذا الحرف عن الأمم السافلة.[٤] ألا ترى أن يعقوب عليه السلام، على كثرة ما أصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف لم يُذكر هذا الحرف عنه، ولكن قال: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ.[٥] ولو كان لهم هذا لظهر منهم، على ما ظهر غيره. فدل أنه مخصوص لهذه[٦] الأمة. ***والله أعلم***. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[٧] قال: من استرجع جبَرَ الله مصيبته،[٨] وأحسن عقباه، وجعل له خَلَفا صالحا يَرضَى به.[٩]

ثم الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت، إذ هو[١٠] كله لله عز وجل[، وهو] مستعار[١١] عند الخلق، والجزع على فوت ما لغيره محال. ألا ترى إلى قوله عز وجل: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ،[١٢] نهانا أن نحزن على ما يفوت عنا. إذ هو في الحقيقة ليس لنا،[١٣] وأن نفرح بما آتانا إذ هو في الحقيقة لغيرنا. ***والله الموفق***.

**﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١٥٧]**

وقوله: **أولٰئك عليهم صلوات من ربهم**، قيل: الصلاة من الله عز وجل يحتمل وجوها. يحتمل الرحمة والمغفرة. ويحتمل الصلاة منه مباهاته الملائكة جوابا لهم لما قالوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا

---

[١] ع: لم يخرعوا.
[٢] جميع النسخ: وقالوا.
[٣] أي قول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.
[٤] ع + الذي.
[٥] سورة يوسف، ٨٣/١٢.
[٦] م: هذه.
[٧] ع م – أنه.
[٨] جبر الله مصيبته: أي ردّ عليه ما ذهب منه أو عوّضه عنه (*لسان العرب*، «جبر»).
[٩] *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢/٣٣٠-٣٣١.
[١٠] ك – هو. إذ هو: أي ما فات.
[١١] ع م: مستعاد.
[١٢] سورة الحديد، ٢٣/٥٧.
[١٣] «وإنما أذن لنا بالانتفاع بذلك مدة مقدرة. فعند الهلاك يكون تمام المدة، فلا يبقى للحزن والجزع وجه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا،[1] [كأنه يقول]: كيف قلتم هذا وفيهم من يقول كذا؟ وقيل: الصلاة منه الثناء عليهم؛ وأيُّ كرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم؟

وقوله: **ورحمة**، قال بعضهم: الرحمة والصلاة واحد، وهو على التكرار. وقيل: الرحمة: النعمة وهي الجنة.[2]

وقوله: **وأولٰئك هم المهتدون**. شهد الله عز وجل بالاهتداء لمن فوض أمره إلى الله، وسلّم[3] لقضائه وتقديره السابق، وهو كائن لا محالة، كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
[٣١و س٣٣] أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.[4]*

ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم [به] إذا خضعوا[5] لحكمه[6] ورضوا بقضائه،[7] مع ما دل
[٣٢و] عليه أيضا بقوله / وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ،[8] الآية، فقال: **أولٰئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولٰئك هم المهتدون**، وقال في موضع آخر: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[9] فكان من فضله أن سمي ما وعدهم على الصبر أجرا؛ ومعلوم أن كان ذلك حقا لله عليهم بالسابق من نعمه، مع عظم[10] مننه،[11] ولكنه[12] سمى ما أفضل به عليهم[13] أجرا لهم.[14] مع ما كان العبد يعمل لنفسه، ولا يحتمل أن يستحق به الأجر لولا الإنعام[15] منه جل ثناؤه.

---

[1] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٣٠/٢).

[2] ع م – وقوله ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلاة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعمة وهي الجنة.

[3] جميع النسخ: ويسلم.

[4] سورة الحديد، ٢٢/٥٧.

[5] جميع النسخ: إذخضوا.

[6] ك: بحكمة؛ ن ع م: الحكمة. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[7] ن ع م: لقضائه.

[8] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[9] سورة الزمر، ١٠/٣٩.

[10] ك: عظيم.

[11] ك ن: منته.

[12] ع م: لكنه.

[13] ك ن: عليه؛ ع م – عليهم.

[14] جميع النسخ: له.

[15] ن: إنعام.

ثم وعد له في حال فعله بخصال ثلاث.[1]

أ) أحدها أن عليه صلاتَه. وصلاته تحتمل[2] مباهاته للملائكة تعظيما لما بذل عبده [نفسه وماله] له، وخضع لحكمه عليه، وهو أن قالوا: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ،[3] الآية، فيخبرهم أن هذا قد سبّح [عند] حضرة المصيبة، وخضع لحكمه عليه[4] بالاسترجاع.[5] وتحتمل:[6] مغفرته وإيجاب الثواب الجزيل لهم، بقوله: وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ،[7] الآية. وقوله: يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[8] وقوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ،[9] إلى ما ذكر من الإفضال. *والله الموفق*. ويحتمل: ثناءه[10] وذكرهم[11] في أخيار عباده كقوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ،[12] الآية، وقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ،[13] الآية. مع ما يرجى له من زيادة الهدى في الدنيا، بقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا،[14] الآية. وقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى.[15]

ب) والرحمة،[16] قد ترجع[17] إلى ما ذكرنا. وجائز أن تكون[18] رحمته هي التي أكرمها[19]

---

[1] ك ع م: ثلاثة.
[2] ع: يحتمل.
[3] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٣٠/٢).
[4] ع م – عليه.
[5] «فكيف قتتم هذا، وهم يقولون عند حضرة المصيبة: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وأنتم تسبحونني في غير حال المصيبة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).
[6] ع م: يحتمل.
[7] ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ (سورة آل عمران، ١٥٧/٣).
[8] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ (سورة آل عمران، ١٦٩/٣–١٧٠).
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ (سورة الصف، ١٠/٦١).
[10] جميع النسخ: ثناؤه.
[11] ك: وذكره؛ ن: وذكر.
[12] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (سورة البقرة، ١٥٤/٢).
[13] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران، ١٦٩/٣).
[14] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩).
[15] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ١٧/٤٧).
[16] م: رحمة.
[17] ن ع م: يرجع.
[18] ع م – إلى ما ذكرنا وجائز أن تكون.
[19] جميع النسخ: أكرمته.

بدلك الاسترجاع. وتحتمل[1] النعمة أو محبة[2] يلقيها في قلوب العباد حتى يحبونه بها، أو خلفًا[3] يعطيه في الدنيا.

ج) ثم شهد الله لهم بالهداية. وذلك يحتمل أن يكونوا[4] اهتدوا لدينه ولِمَا منّ[5] عليهم في المصيبة من التسليم لله. ويحتمل الاهتداء لطريق الجنة، على ما بينه[6] أنه وعد الشهداء – **ولا قوة إلا بالله** – وقولَه: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ،[7] [أي] للاسترجاع. وقد روي عن نبي الله، أنه قال: «لم يُعطَ[8] الاسترجاعُ مَن كان قبلكم»،[9] فهو على ما بينا من القول به. وأمّا حق التسليم فقد[10] كان في توقيت وقت الصبر. ثم روي عن[11] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصبر عند الصدمة الأولى».[12] وقد[13] روي عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[14] قال: «ما من مصيبة، وإن طال عهدها، فيجدد لها العبد بالاسترجاع إلا جدد الله ثوابها كلما استرجع».[15] فلعل هذا لِمَنْ أحسن القبول وقت المصيبة، أو رجع عما كان فرط منه وتاب. والأول في غير ذلك. **والله الموفق**.

ثم في الآية وجوه معتبرة.[16] أحدها [بيان] ما يلزم العبد من المصائب، وما يستوجبه

---

[1] ن ع م: ويحتمل.
[2] جميع النسخ: رحمة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.
[3] جميع النسخ: خلف.
[4] ن: يكون.
[5] ك – من.
[6] ن: على مائيته.
[7] سورة التغابن، ١١/٦٤.
[8] ن: تعط.
[9] قد سبق ذكره.
[10] جميع النسخ: قد.
[11] ع م – عن.
[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٣٠/٣، ١٤٣، ٢١٧؛ وصحيح *البخاري*، الجنائز ٣٢، ٤٢، الأحكام ١١؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ١٥.
[13] ع م: قد.
[14] ع م + أنه.
[15] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٧٣/١، ١٧٧، ١٨٢؛ وصحيح *البخاري*، المرضى ٦، ٧؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ٣–٥.
[16] جميع النسخ: من المعتبر.

إذا وَفَى بما عليه. والثاني في ذلك[1] بيان أن الصحة والأمن وحفظ المقدّر[2] لأحد ليس بلازم[3] [عليه تعالى] في الحكمة، لكنها[4] إنعام من الله، وله الابتلاء بأخذه؛ إذ لو كان عليه الأول لم يكن يلزمه الشكر في ذلك. *والله الموفق*. والثالث أن الله تعالى ذكر أنه بَلَا العباد بالذي ذكر، ومعلوم أن ذلك يجري على أيدي العباد بهم، فأضاف ذلك إلى نفسه. ثبت أن له في ذلك تدبيرًا، حتى يبلوهم به، *والله أعلم*.

وفيه أن الله تعالى قال: **ولنبلونكم** بكذا، ولم يكن كان يومئذ، ثم كان ذلك [من بعد]؛ وكذلك قوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ،[5] الآية، ثم بُلُوا بذلك ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالله. وفيه[6] أيضًا أنه بموضع البِشارة بما يعظم على الخلق[7] ويقتضي الفرار في الطبع، لم يحتمل أن يختبرهم[8] به، لولا[9] الأمر به وطاعة الله في ذلك. وأيضا أنه ذكر الخوف،[10] فيعلم أن الخوف من الخلق لا يوهن[11] الاعتقاد، وهو كقوله:[12] إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا،[13] وعلى[14] ذلك الرجاء والطمع.

وجملته أن أمر الدنيا محمول كله على أسباب، لا أنها توجَب، ولكن الله تعالى أجرى أحكامه عليها، فيكون الخوف والرجاء في التحقيق من الله تعالى، أن يكون جعل ذلك سببًا. *والله الموفق*.

و[فيه] أيضا أن يعلم أن المصائب في الدنيا ليست كلها عقيب الآثام،[15] بل لله تعالى

---

[1] ن - ذلك، صح هـ.
[2] ع: لنقدر؛ م: القدر.
[3] ع: بلازم.
[4] ك: لكنهما.
[5] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤).
[6] ك: وبين؛ ن ع م: وتبين.
[7] ن: عن الخلق.
[8] ك ن ع: يخبرهم؛ م: يجيزهم.
[9] م + لولا.
[10] أي بقوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف...﴾
[11] ك: يومن.
[12] جميع النسخ: وكذلك قوله. وما أثبتناه من السمرقندي انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.
[13] ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ (سورة النساء، ٤/١٠١).
[14] جميع النسخ: فعلى.
[15] ن ع م: الأيام.

الابتلاء بالحسنات والسيئات؛ فإنها[1] لا تدل[2] على وهن عقد المصاب[3] ولا [على] زلة بُلي بها. وعلى[4] ذلك أمر الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولكن على وجهين. أحدهما أن يكون الله يريد [به] أن يحمي وليّه لَذّات الدنيا لينالها موفورة[5] في الآخرة. والثاني أن يكون لهم[6] -لعله[7]- زلاتٌ لا يسلم عنها البشر، فيُبتَلوا [بها] فيبعثوا يوم القيامة ولا زلة بقيت [عليهم]، مما يجزيهم تلك، *ولا قوة إلا بالله*، وإنما جعلت كذلك محنة وابتلاء.[8]

**﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾**[١٥٨]

وقوله: **إنّ الصفا والمروة من شعآئر الله**، إن صعودهما من اللازم في نسكه، وكذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، وقال: «نبدأ بما بدأ الله».[9] وقد قال الله تبارك وتعالى: **فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما**،[10] ولم يقل بينهما؛ فمن لم يصعد الصفا والمروة لم يطف[11] بهما؛ مع ما قال الله تعالى: لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ،[12] وفي ترك صعودها إحلال[13] شعائر الله، إذ بين الله أنهما من شعائره؛ وما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته.[14] ومعلوم أن الناقة[15] لا تصعدهما،[16] فهو عندنا[17] للعذر فعل ذلك؛

---

[1] ك: وأيضا؛ ن ع م: أيضا.
[2] ن ع م: لا يدل.
[3] ن: المصائب.
[4] ن: على.
[5] ك م: موفرة.
[6] ن: بهم.
[7] ك: لعل؛ ع م: بعده.
[8] جميع النسخ: وإنما كذلك جعلت لمحنة قال دل.
[9] صحيح *البخاري*، الصلاة ٨، والحج ٦٢، ٧٤، ٧٩، ٨٠، والعمرة ١٠- ١١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٨٩، ٢٥٩، ٢٦٤.
[10] ع م + الآية.
[11] جميع النسخ: فلم يطف.
[12] سورة المائدة، ٥/٢.
[13] ن: إحلال.
[14] صحيح *مسلم*، الحج ٢٥٣-٢٥٨.
[15] ع م: ناقته.
[16] ن ع م: لا يصعدهما.
[17] ع: فعندنا.

وإلا فإنه قد روي عن[١] النبي صلى الله عليه وسلم أنه صعدهما واستقبل البيت وقال: «نبدأ بما بدأ الله». دليل ذلك ما روي عن ابن جبير[٢] عن ابن عباس رضي الله عنه [عن النبي عليه السلام][٣] أنه طاف[٤] بينهما على ناقته وبالبيت، لعذر به. ولا يحتمل أيضا أن يكون[٥] بغير عذر، وهو الملقب بالسعي لما فيه من فعل السعي، والراكب لا يسعى.

وقال الشافعي: روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وبين الصفا والمروة على ناقته ليُرِي الناس، وقال: خبر جابر أولى من خبر ابن جبير. فكأنه وقع عنده أنه عن ابن[٦] جبير.[٧] وذلك عن ابن جبير / عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو أولى؛[٨] لأن العذر كامن[٩] لا يعرف بالنظر من بُعْد، وإنما يعرف بالتأمل أو بالخبر من عند ذي العذر. وعلى هذا خرج خبر ابن عباس رضي الله عنه. على أن خبر جابر، لو صح على ما يروي، فهو لما ذكر أنه يُرِي الناس، فكأنه أراد أن يعلّمهم. وذلك عذر له صلى الله عليه وسلم، إذ خرج مخرج التبليغ، وذلك كالتعليم منه. والتعليم عليه لازم، فهو بتركه يلام عليه، فذلك عذر. ***والله أعلم***. [٣٢ظ]

والثاني أنه يجوز أن يكون فعْله ذلك ليس هو فعل ما كان عليه، إذ قد ذكر الذي كان عليه[١٠] أنه كيف كان يفعله، فكان ذلك لمكان الدلالة للخلق بذلك، [و]هو الأمر المتوارث من صنيع[١١] الحج والعمرة: أن الأدلاء[١٢] يفعلون ما يفعل الحاج، لا على فعل الحج ولكن على التعليم، فعلى[١٣] ذلك أمر المروي عنه صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.

---

١ ك ن: عنه.
٢ ك ع م – عن ابن جبير.
٣ زيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و.
٤ ك – أنه طاف.
٥ ك: أن يكون أيضا.
٦ ن: من ابن.
٧ أي فرأى أنه خبر مرفوع.
٨ «وحديث جبير عن ابن عباس أولى من حديث جابر؛ لأن ابن عباس نص على العذر، وجابر ذكر ذلك مطلقا، فعله لم يقف على العذر. وهو الظاهر لأن العذر كمن لا يعرف بالنظر من بعد وإنما يعرف بالتأمل عن قريب أو بالخبر عن المعذور. فكان خبر ابن عباس فيه بيان حقيقة الحال فهو أولى من خبر جابر الذي فيه بيان الظاهر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و).
٩ ن: كاين لا محالة؛ م: كان من.
١٠ ع م – إذ قد ذكر الذي كان عليه.
١١ ك: صنع.
١٢ م: الأولى.
١٣ ع م: فعل.

[٣٢ظ س٣٨ *وقوله: **إن الصفا والمروة من شعائر الله**، فيه دلالة أن الصعود[٢] على الصفا والمروة
[٣٣و] من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة، على ما قاله قوم. / دليله قوله: **فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما**، و لم يقل: أن يطّوف بينهما، ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نبدأ بما بدأ الله» ثم صعد الصفا.[٣]

فإن عورض بما روي: أنه طاف بينهما على ناقته و لم يصعد.[٤]

قيل له: يحتمل أنه لم يصعد لما كانت الناقة لا تقدر [على] الارتفاع بهما ولا الصعود. أو كان به[٥] عذر فترك الصعود للعذر، وقد تباح[٦] الأشياء في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال.

ثم اختلف في الطواف بينهما، بعد ما قيل: إن الجناح فيه لوجهين. أحدهما ما قيل: كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا[٧] [في الصعود عليهما والطواف] لمكانهما [احترازا عن التشبه بأفعال الجاهلية].[٨] وقيل: كان بينهما أصنام، لذلك كان تحرُّجهم.[٩] ثم قال الشافعي: إن السعي بينهما مفروض، حتى لو ترك[١٠] الحاج خطوة منه وأتى أقصى بلاد المسلمين أمر بالعود ليضع قدمه موضعها ويخطو تلك الخطوة. واحتج بما روت صفية بنت فلان [بنت شيبة][١١] أنها سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «إن الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا».[١٢] وهو[١٣] يأبى مرة قبول المراسيل لتوهم الغلط،

---

* في جميع النسخ التي تحت أيدينا جاء خلال تفسير الآية ١٥٨ نُبَذ من تأويل الآيات من سورة البقرة الآية ١٦٥، والآية ١٧٢، والآية ١٧٣؛ ثم ذكر تكملة تأويل قوله ﴿إن الصفا والمروة ...﴾، ولا يوجد هذا التكرار المتقدم في شرح *التأويلات* للسمرقندي. انظر: ورقة ٣٢ظ / سطر ٧-٣٨.

[٢] ع: دلالة الصعود.

[٣] الحديث سبق ذكره.

[٤] الحديث سبق ذكره.

[٥] م - به.

[٦] ن ع م: يباح.

[٧] ك: فتحرجوا.

[٨] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠و.

[٩] ك: تحرجهم؛ ن ع: يخرجهم؛ م: يحرجهم. *الموطأ* لمالك، الحج ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٧٩، ٨٠، والعمرة ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٢٥٩، ٢٦٤.

[١٠] ع م: نزل.

[١١] *الأم* للشافعي، ٢/٢١٠؛ و*الإصابة* لابن حجر، ٢/٢١٣.

[١٢] *الأم* للشافعي، ٢/٢١٠؛ ومسند *أحمد ابن حنبل*، ١/٣٤٧؛ ومجمع *الزوائد* للهيثمي، ٣/٢٤٧.

[١٣] أي الشافعي.

ومرة يحتج بامرأة لا تُعرف،[١] ولا يذكر اسمها.

والوجه[٢] فيه إن ثبت[٣] وصح[٤] أن الكتاب يحتمل غير ما قاله، وهو أن يقال: "كتب": أي حكم، كقوله: فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ.[٥] [وقوله]: كِتَابَ[٦] اللهِ عَلَيْكُمْ،[٧] قيل: به حَكَمَ الله عليكم.

وقال آخرون: ليس بفرض ولا لازم؛ واحتجوا بما ذكر في حرف أُبَيّ:[٨] فلا جناح عليه أن لا يَطَّوّف بهما.[٩] ولا يذكر ذلك في شيء واجب. والثاني أن هذه اللفظة لفظة رُخْصة، ولا يرخص بترك ما فرض، أو [ما هو] لازم.

ثم الجواب عن الحرف [من وجهين]. الأول أن اللاآت[١٠] ربما تزاد وتنقص،[١١] ولا يوجب زيادتها ولا نقصانها[١٢] تغيّر[١٣] حكمها، كقوله: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا،[١٤] أي [أن] لا تضلوا. ومثل هذا كثير في القرآن. والثاني ما ذكرنا أن المسلمين كانوا يتحرجون[١٥] عن الطواف بينهما لمكان[١٦] الأصنام، فبيّن عز وجل أن لا حرج عليهم في ذلك، لا أن ليس الجناح يدفع الحرج في تركه.

---

[١] ن ع م: يعرف.

[٢] ع: الوجه.

[٣] ن – ان ثبت.

[٤] ن: وضح.

[٥] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).

[٦] ن ع م: في كتاب.

[٧] ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم﴾ (سورة النساء، ٤/٢٤).

[٨] ع: أبي.

[٩] ك: بينهما.

[١٠] ن: ان الزاد؛ ع م: ان الذات.

[١١] أي «عند ظهور المراد وعدم الاشتباه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و).

[١٢] ع: ونقصانها.

[١٣] ن ع م: بغير.

[١٤] سورة النساء، ١٧٦/٤.

[١٥] ك ع م: يتخرجون.

[١٦] ع: لكان.

وأما عندنا فهو لازم، لأنه نوع ما لا يتبرع به. والأصل عندنا[1] أن ما لا يتبرع به يخرج الأمر به مخرج الوجوب واللزوم، كالطواف، وسجدة التلاوة، وكالوتر، والأضحية، وغيره. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما تم حج امرئ قط إلا بالسعي.[2] فهو وصف بالنقصان، لا وصف بالفساد. وفرقٌ بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد.

وقوله: **فإن الله شاكر عليم**. عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه عباده[3] معاملة من لا حق له في أموالهم وأنفسهم -حيث وعد قبول اليسير من العمل، وإعطاء الجزيل من الثواب، وحيث طلب منهم الإقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء- كمن لا حق له فيها، بقوله: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا،[4] وحيث خرج القول منه في الابتلاء والامتحان[5] مخرج الاعتذار لهم، كأن لا حق له فيه، بقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[6] الآية. ثم بشرهم[7] بالجنة بما صبروا على أخذ ما لَه أخذه، وذلك من غاية اللطف والكرم.

قيل: **شاكر**[8] أي يجزيهم الجزاء[9] الخطير بعمل اليسير.

وقيل: يقبل القليل[10] ويعطي الجزيل. وهو واحد.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[١٥٩]**

وقوله: **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات**؛ قيل: البينات هي الحجج، أي كتموا

---

[1] م - فهو لازم لأنه نوع ما لا يتبرع به والأصل عندنا.
[2] صحيح *البخاري*، الحج ٧٩-٨٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٢٥٩، ٢٦٤.
[3] ع: عبادة.
[4] ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا﴾ (سورة المزمل، ٢٠/٧٣).
[5] ع: وامتحان.
[6] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).
[7] جميع النسخ: بشر لهم.
[8] ك ن ع: شاكرا.
[9] جميع النسخ: جزاء.
[10] ك: اليسير.

ما أنزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم. وقيل: كتموا ما بيّن في كتبهم من نعت[١] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته. وجائز أن تكون[٢] البينات ما بيّن للخلق مما عليهم أن يأتوا ويتقوا من الأحكام من الحلال[٣] والحرام.

وقوله: **والهدى**؛ قيل: الصواب والرشد. وقيل: [٤] **الهدى** ما جاءت به أنبياؤهم من شأن محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، وأمروهم به من تصديقه. وقيل: كتموا الإسلام، وهو دين الله، وكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم[٥] وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.

وقوله: **من بعد ما بيناه للناس في الكتاب**؛ اختلف في الناس. قيل: هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم. وقيل:[٦] بيّنا للمؤمنين ما كتمهم اليهود من نعته ودينه. ويحتمل البيان بالحجج والبراهين. ويحتمل البيان بالخبر، أخبر المؤمنين بذلك.

وقوله: **أولٰئك يلعنهم الله**؛ قال بعض أهل الكلام: اللعن هو الشتم من الله تعالى. لكنا لا نستحسن[٧] إضافة لفظ[٨] الشتم إليه، لأن المضاف إليه الشتم[٩] يكون مذموما به في المعروف مما جبل عليه الخلق. ونقول: اللعن هو الطرد في اللغة؛ طردهم عز وجل عن أبواب الخير.

وقوله تعالى: **ويلعنهم اللاعنون**. يعني الداعين عليهم باللعن، سموا بذلك "اللاعنين." ويحتمل: يستبعدهم[١٠] عن الخيرات، وأنواع البر. وقيل: هم البهائم، إذا قَحَطت السماء وأسْنَتت[١١] الأرض قالت البهائم: مُنِعنا القطر بذنوب بني آدم، لعن الله عصاة بني آدم.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[١٦٠]

وقوله: **إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا**؛ قيل: **تابوا** عن الشرك، **وأصلحوا** أعمالهم

[١] ك ن: بعث.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] ن: من حلال.
[٤] م: قيل.
[٥] ع م – ودينه وأمروا هم به من تصديقه وقيل كتموا الإسلام وهو دين الله وكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم.
[٦] ع م – هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم وقيل.
[٧] م: نستحسن.
[٨] م – لفظ.
[٩] م: المشتم.
[١٠] ن ع م: تستعدهم. أي يستعبدهم الله.
[١١] جميع النسخ: أسنت. يقال: أسنت الأرض: أجدبت. وعام مُسِيت: مُجْدِب (*لسان العرب*، «سنت»).

فيما بينهم وبين ربهم، **وبينوا** صفة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **إلا الذين تابوا** عن الكتمان، **وأصلحوا** ما أفسدوا بالكتمان، **وبينوا** ما كتموا. **فأولٰئك أتوب عليهم**؛ قيل: يتوب عليهم: يقبل توبة من يتوب. وقيل: يتوب عليهم، أي يوفقهم إلى التوبة.[1]

وقوله:[2] **الرحيم**، قيل:[3] هو المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع. وقيل: الكاشف عن كُرَبهم.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**[١٦١]

وقوله تعالى: **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولٰئك عليهم لعنة الله**؛ قيل: **لعنة الله** هو إدخاله إياهم النار وإخلادهم فيها؛ ولعنة الملائكة قوله: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ،[4] جوابا لمَّا سألوهم من تخفيف العذاب، كقوله: اُدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ،[5] وكقوله: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا،[6] الآية. فتقول[7] لهم الملائكة: اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ.[8] هذا ما قيل من لعنة الملائكة.

وقيل: لعنة الناس أجمعين أنهم لما طلبوا من أهل الجنة الماء، بقوله: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ،[9] هذا لعنة الناس. ***والله أعلم.***

**﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾**[١٦٢]

وقوله: **ولا هم ينظرون**. قيل: لا يقالون[10] ولا يُرَدّون إلى ما تمنّوا، كقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ

---

[1] جميع النسخ: على التوبة.

[2] ن ع م: وقيل.

[3] ن ع م - قيل.

[4] ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المومن، ٤٠/٥٠).

[5] يقول الله تعالى: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ (سورة المومن، ٤٠/٤٩).

[6] ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ (سورة المومنون، ٢٣/١٠٧).

[7] ك: فيقول.

[8] ﴿قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ (سورة المومنون، ٢٣/١٠٨).

[9] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[10] أقال الله عثرته: أي صفح عنه وتجاوز. فهم لا يقالون: أي لا يُتجاوز عنهم ولا يصفح (*لسان العرب*، «قيل»).

غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.[١] وقيل: لا يُنْظَرُون: لا يؤجلون.[٢] [و]قيل: / لا يناظرهم[٣] خُزّان النار [٣٣ظ] بالعذاب.

﴿وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾[١٦٣]

وقوله: **وإلٰهكم إلٰه واحد**؛ ذكر هذا الاسم لأن كل معبود يعبد عند العرب يسمونه[٤] إلٰهًا، كقوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٥] وكقوله: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ.[٦] لهذا ذكر أن إلٰهكم الذي يستحق الألوهية والعبادة واحد بذاته، لا واحد من جهة العدد كالخلق، [فإنهم] ذووا[٧] أعداد وأزواج وأشكال. بل [هو] واحد بذاته وبجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحّده عن شِبْه الخلق، و[عن] جميع[٨] معانيهم.[٩] يقال: فلان واحد زمانه، يراد [به] ارتفاع[١٠] أمره وعلو مرتبته، لا بحيث[١١] العدد، إذ من حيث[١٢] العدد مثله[١٣] كثير.

وقوله: **وإلٰهكم إلٰه واحد**؛ فيه إثبات إلٰه واحد. وفي قوله: **لا إلٰه إلا هو** نفي غيره من الآلهة.[١٤]

فإن قيل: لم كان هذا دليلا وهو في الظاهر دعوى؟

قيل له: دليل وحدانيته في قوله:[١٥] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

---

[١] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).
[٢] ع م: ولا يؤجلون.
[٣] م: لا ينظاهرهم.
[٤] جميع النسخ: يسمون.
[٥] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
[٦] ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه أ فأنت تكون عليه وكيلاً﴾ (سورة الفرقان، ٤٣/٢٥).
[٧] جميع النسخ: ذو.
[٨] ك: وجمع.
[٩] ن ع م: معاييهم. و[عن] جميع معانيهم: أي صفاتهم اللائقة بهم.
[١٠] جميع النسخ: لارتفاع؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.
[١١] ع: من حيث.
[١٢] جميع النسخ: بحيث.
[١٣] ن ع: ومثله.
[١٤] ك: الإله.
[١٥] جميع النسخ: في قوله.

**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٦٤]**

خَلَقَ السماوات وجَعلَ فيها منافع،[١] وخلق الأرض وجعل فيها منافع[٢] للخلق، ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض، مع بعد[٣] ما بينهما؛ إذ لا منفعة للخلق في منافع إحداهما[٤] إلا باتصال منافع الأخرى بها، من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الأرض بالكواكب، وإنضاج الأعناب والثمار ويَنْعِها بالشمس والقمر، وجعل إحياء الأرض[٥] إذ أخرج[٦] ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس بالأمطار. فدل اتصال منافع إحداهما[٧] بالأخرى[٨] وتعلقها بها[٩] على أن منشئهما[١٠] واحد؛ لأنه لو كان من اثنين لكان إذا قطع هذا وصل الآخر، وإذا وصل هذا قطع الآخر، فإذا لم يكن ولكنه اتصل دل أنه فعلُ واحدٍ، فهو ينقض على الثنوية[١١] والزنادقة[١٢] قولهم.

---

[١] ن ع م: منافعا.
[٢] ن ع م: منافعا.
[٣] ن ع م: لبعد.
[٤] م: إحديهما.
[٥] ك – مع بعد ما بينهما إذ لا منفعة للخلق في منافع إحداهما إلا باتصال منافع الأخرى بها من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الأرض بالكواكب وإنضاج الأعناب والثمار وينعها بالشمس والقمر وجعل إحياء الأرض.
[٦] ك ع م: وإخراج.
[٧] ك: أصحابهما؛ ن ع م: أحدهما. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.
[٨] جميع النسخ: بالآخر. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.
[٩] ك ع م: به.
[١٠] ع: منشئها.
[١١] الثنوية: جماعة تقول بإلهين اثنين يقوم بهما العالم: إله الخير، وإله الشر. وهم فرق منها: المانوية، والديصانية، والمزدكية والمرقيونية. وقد تتبع الإمام الماتريدي في *التأويلات*، وفي *كتاب التوحيد* أقاويلهم وبيّن فسادها انظر: *كتاب التوحيد*، ٥٧، ١٧٥، ٢٣٩، ٢٦٧؛ و*الملل والنحل* للشهرستاني، ٢٦٨/٢، ٢٧٨-٢٧٩.
[١٢] الزنادقة: جمع زنديق فهو الذي لا يؤمن بالله و بالآخرة، وهو المنافق الذي يظهر غير ما يبطن. ويقول البعض بأن الزنديق من «زن» و «دين»، أي من له دين النساء. ولعل الأصح أن الكلمة معرب «زندي»، أي المؤمن بكتاب زند، وهو كتاب زردشت المجوسي القائل بوجود إلهين. والزنديق كافر مع اعترافه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. والزنادقة فرقة مشبهة معطلة ويتصلون بالمجاديث. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٤٠.

وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على أن خالقهما واحد؛ لأنه لو كان خالقهما[١] اثنين[٢] لكان إذا أتى هذا بالليل منع الآخر بالنهار،[٣] وإذا أتى أحدهما بالنهار منع الآخر بالليل؛[٤] وفيه ذهاب عيش الخلق، وفي ذهابه تفانيهم وفسادهم؛ فدل أنه واحد. والثاني:[٥] أنه جعل للخلق في الليل والنهار منافع،[٦] وجعل بعضها متصلة ببعض، متعلقة مع تضادهما، كقوله: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.[٧] فدل اتصال منافع أحدهما بالآخر مع اختلافهما وتضادهما [على] أن محدثهما واحد.

وفيه دلالة حدث[٨] العالم، لما ذكرنا من تغيرها[٩] وزوالها من حال إلى حال. فدل تغيرها وزوالها على أنها حدث، ودل [أيضا] جهل[١٠] هذه الأشياء بابتداءها وعجزها عن قدرة[١١] مثلها على أن لها[١٢] محدثا.[١٣] والثاني أن كل واحد منهما -أعني الليل والنهار- يصير بمجيء الآخر مغلوبا. فلولا أن كان[١٤] ثَمّ لغيرٍ فيه تدبير، وإلا ما احتمل أن يصير[١٥] مغلوبا بعد ما كان غالبا. فدل أن لهما محدثا،[١٦] وأنه واحد.

وفيه[١٧] دلالة البعث والحياة بعد الموت؛ لان الليل يأتي على النهار فيُتلفه ويُذهب به حتى لا يبقى فيه من أثر النهار شيء، وكذلك النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من أثر الليل شيء.

---

١ ع م – خالقهما.
٢ جميع النسخ: اثنان.
٣ ك: النهار.
٤ ك: اليل.
٥ لعل الوجه الأول هو الاستدلال السابق باختلاف اليل والنهار على وحدانية الله تعالى.
٦ ك ن ع: منافعا؛ م: ومنافعا.
٧ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧٣).
٨ ن: حدوث.
٩ ك م: تعيرها؛ ن ع: تفسيرها. من تغيرها: أي من تغير ما في العالم من الأشياء.
١٠ ن ع م:أنه جهل.
١١ جميع النسخ: عنى قدرة.
١٢ ن م: بها؛ ع: لهما.
١٣ جميع النسخ: محدث.
١٤ ن: فلو كان؛ ع م: فلو أن كان.
١٥ ك ن: أن يكون.
١٦ ن ع: محدث.
١٧ ع م: فيه.

ثم يوجد[1] بعد ذلك كل واحد منهما على [حسب] ما وجد في البدء[2] من غير نقصان ولا تفاوت. فدل أنه قادر على إنشاء ما أماته وأتلفه وإن لم يَبق له أثر، على ما قدَرَ من إيجاد ما أتلف وإنشاء ما أذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وإن لم يبق له أثر.

وقوله:[3] **واختلافِ الليل والنهار**. قيل[4] اختلافهما لما جعل أحدهما مظلما والآخر مضيئًا. وقيل: اختلافهما لنقصانهما وزيادتهما، إذ ما ينتقص من أحدهما يزداد في الآخر. فدل انتقاصهما وزيادتهما على أن منشئهما[5] واحد؛ لأنه لو كان من اثنين لمنع[6] كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان -*وبالله التوفيق*- ولتغيّر التدبير، ولم يجر[7] كلَّ عام الأمر[8] على ما جرى عليه في العام الأول.

وقوله تعالى: **والفلكِ التي تجري في البحر بما ينفع الناس**. فالآية[9] تنقض على المعتزلة قولهم؛[10] لأنه عز وجل جعل الفلك التي تجري في البحر من آياته، والمعتزلة جعلوها من آيات النجارين؛[11] لأن الفلك قبل أن يعمل فيها وتنحت[12] لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا، فلو لم يكن عمل العباد وفعلهم فيها من مصنوعه [عز وجل] ومخلوقه لزال[13] به موضع الحِجَاج وتسميته باسم الآيات، فدل أن[14] له فيها صنعا[15] وتقديرا حيث صار من عجيب آياته.

ثم فيه أعجوبة، وهي[16] أن الطباع تنفر من معالجة[17] البحر بالاطلاع على أمواجه وأهواله،

---

[1] جميع النسخ: وجد.
[2] ك ن: البدو.
[3] ن: قوله.
[4] ع م: وقيل.
[5] ع: مشيتهما.
[6] ن ع م: يمنع.
[7] جميع النسخ: ولا يجري.
[8] جميع النسخ + فيه.
[9] ن: الآية.
[10] أي في مسألة خلق أفعال العباد.
[11] جميع النسخ: البحارين. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و.
[12] جميع النسخ: وينحت.
[13] ع م: لزوال.
[14] ك: أنه.
[15] ك: صيعا.
[16] جميع النسخ: وهو.
[17] جميع النسخ: معافحة. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

فأراهم من عظيم آياته ما[1] يجري بهم[2] على البحر في الحفظ والأمن الواقع لهم،[3] فدل أنه من عند قادر لطيف خبير. وفيه أيضا دلالة وحدانيته، وذلك أن أهل البَرّ لهم الانتفاع بأهل البحر، ولأهل البحر الانتفاع بأهل البر على بعد ما بينهما وتضادهما، فدل أن محدثهما واحد.

ثم فيه دلالة[4] إباحة التجارات مع الخطرات، على احتمال المشقات وتحمّل المؤونات. وفي ذلك دلالة النبوة؛ لأن العلم باتخاذ[5] السفن وبما فيه من المنافع لا يقوم له تدبير البشر.[6] ثبت أنه علم ذلك ممن[7] علم جواهر الأشياء وما يُصلح الأشياء وما لا يصلح، وفي الحاجة إلى ذلك إيجاب القول بالرسالة للبشر.

وقوله: **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض،** فيه دلالة فضل العُلْويّ على السفلي؛ لأن ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبا، وما يخرج من الأرض يخرج مختلفا؛ منه ما هو عذب، ومنه ما هو أُجاج، وما هو مُرّ. فدل ذا [على] فضل العلوى على السفلى.

وقوله: **فأحيا به الأرض بعد موتها.** قد ذكرنا أن هذا فيه[8] دلالة البعث.

وقوله: **وبث فيها.** قيل: خلق، وقيل: بسط، وقيل: فرّق. **من كل دابة.** قيل: جعل فيها من كل جوهر الدابة؛ منها ما جعل مأكولا منتفعا بها من كل / أنواع المنافع، [٣٤و]

---

[1] ك ن م: مما؛ ع: بما.

[2] ك ع م: به.

[3] جميع النسخ: وأراهم من عظم آياته مما يجريه في البحر على الحفظ والأمر الواقع لهم، وما أثبتناها عبارة السمرقندي انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

[4] م – دلالة.

[5] جميع النسخ: لأن يعلم أن اتخاذ. والعبارة بذلك تكون مضطربة، غير واضحة الدلالة. وما أثبتناه، يزيل هذا الاضطراب والإغلاق.

[6] يقول السمرقندي: «من المعلوم قطعا أن من اعترف بالصانع [علم] أن الصانع –جل وعلا– خلق الخلق، ولم يجعل على ما عليه العادة بقاءهم إلا بالأغذية. ثم الله تعالى كما خلق ما به يحصل لهم البقاء من الأغذية، وما به تحفظ عليهم الصحة، ويزيل عنهم العلل العارضة من الأدوية خلق من جنس جواهر تلك الأغذية والأدوية السمومَ القاتلة والجواهرَ المتلفة، وليس في قوة الحواس وفي حيلة العقول الوقوف على ما يمتاز به البعض من البعض، والاطلاع على ما يوجب التفرقة بين كل ذلك. ولا يطلق العقل التجربة بنفسه لما فيه من خطر الهلاك، ولا بمن تحت يده لما فيه من تعريض الغير على التَّوَى والتلف...فمم يبين الصانع جل وعلا الأغذية من الأدوية والسموم، ولم يتجاسر العقلاء على التجربة لما بينا... فدعت الحاجة إلى إيجاب القول بالرسالة ليتبين النافع من الضار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و).

[7] ن ع: بمن.

[8] ك ن م: هذا أن فيه.

ليدلهم وليرغبهم على ما وعد لهم في الجنة. ومنها ما جعل غير مأكول[1] ولا منتفع بها، بل جعلها أعداء لهم، ليدلهم[2] على تحذير ما أُوعِدوا وحذروا في النار.

وقوله: **وتصريف الرياح**، يحتمل وجهين. يحتمل تصريفها[3] مرة للعذاب ومرة للمنافع؛ لأنه جعل فيها منافع كثيرة للخلق، بها تجري السفن في البحار، وبها ينتشر[4] السحاب في الهواء، وبها تنتقي[5] الأشياء، وبها يتميز[6] ما للخلق مما للدواب،[7] مما يكثر ذلك. ثم يعلم [أن] من عظيم[8] لطفه أنه جعل الهواء بحال لا يقر فيها شيء وإن لطف، **والسحابِ** مع غلظه وكثافته جعل الهواء -مع لطافته ورقته[9]- مقرًا للسحاب، حتى يُعلم أن ليس لغير الله فيه[10] تدبير. ويحتمل: **تصريف الرياح** صرفَه إياها مرة صَبا ومرة دَبورا،[11] ومرة جنوبا، ومرة نسيما، ومرة يمينا، ومرة شمالا للمنافع.

ثم[12] فيه دلالة أنها[13] من الأجسام، لا من الأعراض؛[14] لأنه جل وعز جعلها ماسة.مانعة، لا صارعة من قام في ناحيتها،[15] وذلك صفة الأجسام لا صفة الأعراض،[16] لكن لا تُرى للطافتها، فدل أنها من الأجسام. ثم من الأجسام[17] ما لايرى[18] ولا يمس كالهواء، لا يرى ولا يمس،

---

[1] جميع النسخ: مأكولة.
[2] ك - ليدهم.
[3] جميع النسخ: تصرفها.
[4] ك: ينشر؛ ن ع م: تنتشر.
[5] ك م: ينقى؛ ن: تنقى؛ ع: يتنقى.
[6] ك: يميز؛ ن: تميز.
[7] أي تمييز الحبوب من التبن. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و.
[8] جميع النسخ: عظم.
[9] جميع النسخ: لطافتها ورقتها. لأن الضمير يعود إلى الهواء.
[10] ك: أن لغير فيه.
[11] الصبا الريح التي تهب من مطلع الشمس، والدبور تهب من جهة المعرب. فهي تقابل الصبا (*لسان العرب*، «صبو»، «دبر»).
[12] ع - ثم.
[13] أي الريح.
[14] ن: ولا من الأعراض.
[15] ن: جهتها.
[16] ك - لأنه جل وعز جعلها ماسة مانعة لا صارعة من قام في ناحيتها ودلك صفة الأجسام لا صفة الأعراض.
[17] ع م - ثم من الأجسام.
[18] ك ع: ما يرى.

وهو من الأجسام، وكالذرة التي في الشمس ترى ولا تمس.

ثم دلّهم عز وجل [على] أن الذي سخر السحاب بالرياح التي جعلها في الهواء وبما[١] فيها من المنافع التي تقدم ذكرها أن[٢] مدبرهما واحد؛ إذ لو كان التدبير من عند اثنين لأوجب التناقضَ في التدبير والصنعة؛[٣] إذ يجعل كلٌّ منهما على خلاف ما جعله الآخر،[٤] ويدبر[٥] كل منهما لينقض تدبير الآخر. وفي اتساق[٦] التدبير وإتقان الصنعة وإحكامها دليل أن إلٰهكم هو الواحد الذي دعتكم هذه الأشياء إلى الإقرار بوحدانيته، وألزمتكم العبودية له بما أودع له في كل هذه المصنوعات من أدلة وحدانيته وآيات ربوبيّته.

ولهذا قال: **لآياتٍ لقوم يعقلون**، ليعتبروا ما فيها من الأدلة والحجج؛ إذ من لا يعقل جهة الحكمة[٧] في خلق هذه الأشياء "لم[٨] خلقت، ولماذا خلقت، وما الحكمة فيها؟" يستوي[٩] عليه خلقها وغير خلقها.

ثم فيه دلالة أن ما خلق من السماوات[١٠] والأرض، والليل والنهار، والرياح[١١] والسحاب خلقها[١٢] ليدلهم على وحدانيته وربوبيته، وجعلها مسخرة مذللة لهم. ***وبالله التوفيق***.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾**[١٦٥]

وقوله: **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **يتخذ** يعبد **من دون الله أندادا**. وقيل: **يتخذ من دون الله**، لله[١٣] **أندادا** في التسمية. ومعنى **يتخذ** [أي يتخذ]

---

١ ن ع م: وبما.
٢ جميع النسخ + عنى أن.
٣ ك ن - والصنعة؛ ع: والتدبير الصنعة.
٤ ع م: لآخر.
٥ جميع النسخ: ويتدبر.
٦ ع م: في تساق.
٧ م - الحكم.
٨ جميع النسخ: ثم.
٩ ك: لاستوى؛ ن ع م: لا يستوي.
١٠ م: خلق السماوات.
١١ ك - والرياح.
١٢ ع + وغير خلقها ثم فيه دلالة أن ما خلق من السماوات والأرض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها.
١٣ ع - أندادا وقيل يتخذ من دون الله لله؛ م - لله.

الجواهر التي تصاغ[1] أو تنحت، ونحو ذلك مما يتعلق كونهم بصنيعهم. يسفّههم[2] بهذا أنهم تركوا عبادة من به[3] قام[4] لهم كل نعمة، وسَلِم لهم كل خير، وعبدوا ما قد اتخذوه بالمعالجات. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **يحبونهم كحب الله**. قيل: يحبون عبادة الأنداد وطاعتَهم كحبهم لعبادة[5] الله وطاعته؛[6] لأنهم يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[7] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[8] وقيل: يحبون عبادة الأنداد كحب المؤمنين عبادة ربهم. وقيل: يحبون آلهتهم كما يحب الذين آمنوا ربهم.

ثم قال: **والذين آمنوا أشد حبا لله**،[9] أي أشد حبا لأجل الله. وقيل: **والذين آمنوا أشد حبا لله**، أي أشد اختيارا لطاعته وأكثر ائتمارا وإعظاما وإجلالا لأمره من إعظامهم وإجلالهم آلهتهم. *والله أعلم*. ثم المحبة محبة الشهوة والميل إليه، وهو[10] في الخلق ولا يحتمل[11] في الله، ومحبة[12] الطاعة وإيثار الأمر والإعظام، فهو في الله يحتمل.[13]

---

[1] ع: تضاع.
[2] ك: بسفههم؛ ع: بسفيهم.
[3] ك: فيه.
[4] جميع النسخ: قامت.
[5] ك: عبادة؛ ن ع م: كعبادة.
[6] ع – وطاعته.
[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[8] سورة يونس، ١٨/١٠.
[9] ك م + منهم لآلهتهم قيل والذين آمنوا أشد حبا لله؛ ن + منهم لآلهتهم قيل؛ ع + منهم لآلهتهم وقيل والذين آمنوا أشد حبا لله.
[10] ك ن: فهو.
[11] ك ن م: لايحتمل.
[12] ع – لطاعته وأكثر ائتمارا وإعظاما وإجلالا لأمره من إعظامهم وإجلالهم آلهتهم والله أعلم ثم المحبة محبة الشهوة والميل إليه وهو في الخلق ولا يحتمل في الله ومحبة.
[13] يقول السمرقندي: «الحب يخرج على الثناء، وعلى العبادة والطاعة، وعلى التعظيم والتبجيل. وحب المؤمنين لله عز وجل من هذه الوجوه. وقد يخرج على ميل القبول وشهوة الطبع، وحب الكفرة من هذا النوع، وهو الحب الحسداني الذي تولده الشهوة ويستحسنه البصر. وحب المؤمن لله تعالى من هذين الوجهين فاسد لا يحتمل، لأن الله عز وجل متعال عن تقدير العقول وتصوير الأوهام متقدس عن الصورة والأوهام. فيكون حبه في الحقيقة في تعظيم جلاله والانقياد لأوامره وحسن صحبة رسوله ومعرفة حقوقه ولزوم طاعته. ولذلك أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يقول لهم: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ (سورة آل عمران، ٣١/٣) بين أن بين محبة الله تعالى في تعظيم رسول الله عليه السلام والإجابة لما يدعو إليه. والانقياد والطاعة لأمره والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

وقوله: **ولو يرى الذين ظلموا [إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا]**، قرئ بالياء والتاء جميعا. ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: ولو ترى الذين ظلموا يا محمد شهدوا لك [فأقروا] أن القوة لله جميعا.[١] ومن قرأ بالياء يقول: **ولو يرى الذين ظلموا**، لو يعلم الذين ظلموا[٢] في الدنيا إذا[٣] رأوا العذاب يعلمون أن القوة لله جميعا. ويحتمل: لو علم الذين ظلموا إذا علموا عذاب[٤] الآخرة، يعلمون أن القوة لله جميعا. ويحتمل: [أن يكون] المراد من قوله: **يرى**: أي يدخل، كقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى،[٥] أي لمن يدخلها ويصلاها.

**﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[١٦٦]**

وقوله تعالى: **إذ تبرأ الذين اتبعوا**، يعني الرؤساء، **من الذين اتبعوا**، يعني الأتباع والسفلة. تبرأ بعضهم من بعض. القادة من الأتباع، والأتباع[٦] من القادة، وهو كقوله: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[٧] الآية، وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ،[٨] الآية؛ وكقوله: قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا... وَ[قَالَ] الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، مثل هذا،[٩] وكقوله: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[١٠] الآية.

---

[١] «أي لعلموا أنه خالقهم والمنعم إليهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

[٢] ع م - لو يعلم الذين ظلموا.

[٣] ن ع: إذ.

[٤] ع: العذاب.

[٥] سورة النازعات، ٣٦/٧٩.

[٦] ع م - والأتباع.

[٧] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفًا من النار قال لكلٍّ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[٨] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٣٩/٧).

[٩] ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (سورة سبأ، ٣٢/٣٤-٣٤).

[١٠] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

وقيل: **إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا**، يعني الشياطين، **من الذين اتَّبَعوا**، يعني[1] الإنس. وقيل: يُري[2] الله كُلًّا غدا أن أوثانهم لن تغني عنهم شيئا، ولا شركاءهم[3] الذين أضلوهم، ولا أشرافهم، [لأنهم] شغلوا عنهم حين عاينوا النار.

وقوله: **وتقطعت بهم الأسباب**. قيل: الأرحام والأنساب، كقوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ،[4] وكقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[5] الآية. وقيل: **تقطعت بهم الأسباب** يعني العهود والأيمان التي كانت بينهم في الدنيا. وقيل: تواصلهم في الدنيا وتوادّهم لم ينفعهم شيئا؛ لأنهم كانوا يتواصلون ويتوادون في الدنيا رجاء أن ينفع بعضهم بعضا، كقوله: اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.[6]

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[١٦٧]**

[وقوله تعالى: **وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا**، فيقول الأتباع: لو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ من الرؤساء كما تبرؤوا منا في الآخرة.][7]

[٣٤ظ] وقوله: **كذلك**[8] **يريهم الله أعمالهم**. قيل: يريهم الله أعمالهم[9] التي / لم يريدوا بها الله **حسراتٍ عليهم**، أي حسرة عليهم وندامة.[10] وقيل: كل عمل عملوه أرادوا به غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيامة. وقيل:[11] أعمالهم التي عملوها في الدنيا تصير حسرات عليهم حين يرفع الله[12] لهم الجنة، فينظرون إلى مساكنهم التي كانت لهم فيرونها لغيرهم، وبأسماء غيرهم.[13]

---

[1] ك ع م – يعني.
[2] جميع النسخ: يرى.
[3] جميع النسخ: ولا شركاؤهم.
[4] ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[5] ﴿وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٧).
[6] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[7] ما بين القوسين المعقوفين ساقط في جميع النسخ، ونقلناه من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ.
[8] جميع النسخ: وكذلك قوله.
[9] ع م – قيل يريهم الله أعمالهم.
[10] ك: حسرة وندامة عليهم.
[11] ك: أو قيل.
[12] ك – الله.
[13] جميع النسخ: التي كانت لهم وبأسمائهم لغيرهم وبأسمائهم غيرهم لهم. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ ظ.

{قال:} وهذا عندي لا يصح: أن يجعل الله لأحد نصيبا في الجنة ثم يحرمه.[١] ولكن هذا على أصل الوعد، وعد من أطاع الله الجنة، ومن عصاه النار. فهو على أن هؤلاء لو أطاعوا كان لهم نصيب[٢] في الجنة، وهؤلاء لو عصوا كان لهم نصيب[٣] في النار. أو يكون ذكر النصيب لهؤلاء في الجنة هو الذي ادعوه لأنفسهم، كما قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٤] فيحرمون، ويورث[٥] عنهم ما ذكروا أنه لهم في الجنة، كما قال الله تعالى: وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا.[٦]

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[١٦٨]

قيل فيه بوجوه. قيل: إنهم كانوا يحرمون التناول من أشياء والانتفاع من نحو البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي؛[٧] فيقولون: حرم الانتفاع بها، فأنزل الله تعالى قوله:[٨] **كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**، وانتفعوا بها، فإن الله لم يحرمها عليكم، كقوله: مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ،[٩] الآية.

---

١ «قال الإمام: لأنه عالم في الأزل من يختم على الإيمان والسعادة فيكون له الجنة، ومن يختم على الكفر فيحرم منها» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

٢ جميع النسخ: نصيبا.

٣ جميع النسخ: نصيبا.

٤ سورة البقرة، ٢/١١١.

٥ ن ع: تورث؛ م: نورث.

٦ ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾ (سورة مريم، ١٩/٧٧-٨٠).

٧ قال الإمام في تفسير هذه الكلمات ما نصه: «قال القتبي: **البحيرة**: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، والخامس ذكر، بَحَرُوه، فأكله الرجال والنساء. وإذا كان الخامس أنثى بَحَروا أذنها، أي شَقُّوها. وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلّت للنساء. **والسائبة**: البعير يُسَيَّب بنَذْر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك. **والوصيلة**: من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا، فإن كان السابع ذكرا ذُبح، فأكل منه الرجال والنساء. وإن كان أنثى تُركت في الغنم. وإن كان ذكرا وأنثى قالوا: قد وَصَلَت أخاها، فلم تذبح لمكانها. وكانت لحومها حرام على النساء ولبن الأنثى حراما على النساء إلا أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء. **والحامي**: الفحل الذي ركب ولد ولده. ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن. قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلإ ولا ماء» (*تأويلات القرآن*، ورقة ٢٠٠و).

٨ جميع النسخ: فقال.

٩ ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ٥/١٠٣).

وقيل: خلق الله[1] في الأرض ما هو حلال وما هو حرام، فأباح التناول من الحلال، ونهى عن الحرام.

وقيل: إن قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام،[2] والرفيع من الملبوس، ويتناولون من الدُّون والرِّثَّة،[3] فنهوا عن ذلك.

ولا يحتمل أن يراد بالطيبات الحلال منها، ولكن ما تطيب النفس بالتناول[4] [منه؛] لأن النفس لا تتلذذ[5] بالتناول من كل حلال، ولكن إنما تطيب بما[6] هو لها[7] ألذ وأوفق. ***والله أعلم.*** وعلى ذلك قوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ،[8] الآية. فيكون[9] الذي[10] في الأرض حلالا وحراما. ثم مما حل طَيِّبٌ ودونٌ. فأمر بأكل ما طاب من ذلك إذا قدر عليه، لأنه على قدر طيبه[11] يعظم[12] محله في القلب، وعلى ذلك يرغب نفسه بالشكر لمن أنعم به عليه، والتعظِيم لمن أكرمه بالذي طابت له به النفس. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولا تتبعوا خطوات الشيطان.** قيل: آثار الشيطان، وقيل: وساوس الشيطان، وقيل سُبُل الشيطان، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[13] فهو يرجع إلى واحد.

وقوله: **إنه لكم عدو مبين.** وذكر[ه] في موضع آخر وسماه وليًا، بقوله: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ.[14]

---

[1] ن ع م – الله.
[2] ع – من الحلال ونهى عن الحرام وقيل إن قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام.
[3] الرَّثُّ، والرِّثَّة: رديء المتاع، وسَقَط البيت (*لسان العرب*، «رث»).
[4] جميع النسخ: من التناول.
[5] ع م: لا يتلذذ.
[6] ن ع م: مما.
[7] ك – لها.
[8] ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٢/٧).
[9] جميع النسخ + كان.
[10] ك: الذين.
[11] ن – لأنه على قدر طيبه.
[12] ك ن: بعظم.
[13] يقول الله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[14] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).

فالوجه فيه[1] أنه[2] يريهم في الظاهر الموالاة، ولكنه يريد في الباطن إهلاكهم. فإذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو.[3] وجائز أن يكون "أولياؤهم" أي هو أولى بهم، إذ عملوا ما عملوا بأمره.[4] أو أولياؤهم[5] بما وَاتَوْهم[6] في الفعل وشارَكوهم[7] في الشر، وكانوا في الحقيقة لهم أعداء إذ ذلك هلاكهم. **ولا قوة إلا بالله**. وقوله: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا؛[8] لأنه يوسوس ويدعو، فإن أطاعه، وإلا ليس له عليه سلطان سوى ذلك، فهو ضعيف؛[9] لأن من لا ينفذ على رعيته[10] سوى قوله فهو[11] ضعيف، يوصف بالضعف.[12] **والله أعلم**. ويكون ضعيفا على من تأمل مكائده، وتحفظ [عن] أقواله.[13]

---

[1] ع م – فيه. يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قيل: سمي الشيطان عدوا للناس كافة في هذه الآية ثم قال في موضع آخر: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾، سماه وليا لكفرة فيكون فيه خلافا من حيث الظاهر؟ قيل: لا تناقض، والمراد من قوله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيان حقيقة العداوة للناس، فإنه بسبب عداوته آدم عيه السلام يعادي ذريته، يريد هلاكهم كما هلك هو فيكونون معه في النار. والمراد من قوله ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ من حيث الظاهر، فإنه يريهم في الظاهر الموالاة، ويزين لهم أعمالهم، ويطمعهم في المنافع، ويريد بذلك هلاكهم في الباطن ليكونوا معه في النار. وهذا هو النهاية في العداوة. ولا تناقض بين الحقيقة والإراءة في الظاهر، إذ المناقضة احتماع المتناقضين في محل واحد في وقت واحد، وأما في محلين فلا. والباطن والظاهر محلان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[2] ع: أنهم.

[3] ك: عدوا.

[4] يقول السمرقندي: «لم يرد من قوله: ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ من الموالاة، والولاية -بفتح الواو- التي هي عبارة عن المحبة والصداقة، فيكون ضدا للعداوة فيقع التناقض. وإنما المراد -والله أعلم- الأولياء من الولاية-بكسر الواو- وهي عبارة عن التولية والتفويض، يقال: ولي اليتيم لكونه أولى بالتصرف عليه. فسمي الطاغوت والشياطين أولياء الكفرة، إذ هم أولى لهم في التصرف عليهم، إذ عملهم بأمر الشيطان ودعوته. ولا تناقض، إذ العدو قد يلي عدوا له ليوقعه في الهلاك، وإن كان يريه في الظاهر أنه يتولى أموره» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[5] ع: بأمره أولياؤهم.

[6] ك: والوهم؛ م: أوتوهم. يقال: واتَيْته على الأمر مُواتاةً وَوِتاء: طاوَعْتُه (*لسان العرب*، «وتي»).

[7] جميع النسخ: وشاركهم.

[8] ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (سورة الأنعام، ٤/٧٦).

[9] يقول السمرقندي: «قيل لهم: ليس بينهما اختلاف فإن المراد منه أنه ضعيف على من يتأمل مكائده ويتحفظ أقواله، لأنه يوسوس ويدعو إلى الشهوات وزخارف الدنيا. فإن تأمل المتأمل أن ذلك وسوسة الشيطان ظهر له حقيقة ضعف ذلك بأنه خيال، وأنه كترائى السراب ماء، إذ يحسبه الظمآن ماء. فإذا تأمل ذلك و لم يطعه لم يظهر سلطانه عليه، كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ (سورة الحجر، ١٥/٤٢)» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[10] ع: رغبته.

[11] ع – فهو.

[12] ك: بالضعيف.

[13] جميع النسخ: أحواله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢و.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٦٩]

قوله:[١] **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء.** قيل: يحتمل أن يكون السوء هو الفحشاء، والفحشاء هو السوء، لما أن كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الآثام. ويحتمل أن يكون السوء ما خفي من المعاصي، والفحشاء ما ظهر منها. وقيل: السوء ما لا حدَّ فيه، والفحشاء ما فيه حد من نحو الزنا، وشرب الخمر، وغيره. وقيل: الفحشاء ما فُحش في العقل، والسوء ما يَنتهي بالنهي عنه.

وقوله: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، يخرج على الأول، وهو السوء والفحشاء؛ يأمرهم [الشيطان] بذلك، فيقولون:[٢] اَللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[٣]

ويحتمل قوله: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، ما قالوا: إن الله حرم هذه الأشياء، أو القول على الله ما لا يعلمون بما لا يليق[٤] به من الولد، وإشراك غيره في عبادته. ***والله أعلم.***

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَ وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١٧٠]

قوله:[٥] **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن آباءهم كانوا أوصَوا لهم[٦] أن لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه، فقالوا عند ذلك: لا نَدَع وصية[٧] آبائنا، كقوله: أَ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ؛[٨] أو كانوا[٩] قوما سفهاء أصحاب تقليد[١٠] فقالوا: إنا قلّدنا آباءنا فلا نقلد غيرهم.

وقوله: **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**، يخرج هذا الكلام على وجهين.

---

[١] م: وقوله.
[٢] ك ن م: فيقولوا؛ ع: فيقول.
[٣] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أ تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٤] ع: بما يبيق.
[٥] م: وقوله.
[٦] ك: أوصى لهم؛ م: أوصيهم.
[٧] ن: وصيته.
[٨] سورة الذاريات، ٥٣/٥١.
[٩] م: وكانوا.
[١٠] ع م: التقليد.

أي تقلدون أنتم آباءكم وإن كانوا لا يعقلون شيئا؟ ويحتمل **أولو كان**، أي وقد كان آباؤكم[١] لا يعقلون شيئا،[٢] فكيف تقلدونهم؟ وهو كقوله: قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ،[٣] أي وقد جئتكم. أو أن يقال: من جعل آباءكم قدوةً يقتدى بهم؟

**﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٧١]**

قوله: **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء**. قيل فيه بوجهين. قيل:[٤] مثلنا **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق** أي يَصُوت **بما لا يسمع إلا دعاء ونداء**، يسمعون الصوت ولا يفقهون ما فيه. وقيل: **يَنْعِق** بمعنى يُنْعَق،[٥] ذكر الفاعل على إرادة المفعول، كقوله: فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ،[٦] أي مرضية، فعلى ذلك الأولى، وهو في اللغة جائز جار.[٧]

وقوله: **صم بكم عمي فهم لا يعقلون**، سماهم بذلك وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك، لما لم ينتفعوا بها، إذ الحاجة[٨] من هذه الأشياء الانتفاع بها؛ ولذلك سماهم سفهاء، لما لم ينتفعوا بعلمهم وعقلهم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١٧٢]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**، دل أن الذي كان لهم الأكل [منه] وأمرهم بالتناول منه هو الحلالَ.[٩] ثم فيه الدليل / على أن من الرزق[١٠] ما هو طيب [٣٥و]
حلال، وما هو خبيث حرام، إذ لو لم يكن منه طيب وخبيث[١١] لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب، بل يقول: كلوا مما رزقناكم.

---

[١] ع: آباؤهم.
[٢] ع – ويحتمل أو لو كان أي وقد كان آباؤكم لا يعقلون شيئا.
[٣] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[٤] ع م + ما.
[٥] ن – ينعق.
[٦] سورة الحاقة، ٢١/٦٩.
[٧] ع: جاز.
[٨] أي الغرض.
[٩] ع م: الحال.
[١٠] ع: أن الرزق.
[١١] جميع النسخ: طيبا وخبيثا.

فإن قيل: فما وجه الحكمة في الامتحان بجعل الخبيث رزقا لهم؟

قيل: هذا أصل المحنة في كل شيء؛ يجعل لهم الغذاء فيما[1] يأمرهم بالامتناع عنه، ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم، ويأمرهم[2] بالكف [عنه]، وهو الظاهر من المحن.

وقوله: **واشكروا لله**، على ما أباح لكم من الطيبات،[3] **إن كنتم إياه تعبدون**؛ أي إن كنتم منه ترون ذلك. ويحتمل **إن كنتم إياه تعبدون**، أي إياه توحدون. ويحتمل: إن كنتم بمن[4] تعبدونه إياه تقصدون؛ فاجعلوا عبادتكم له خالصة، لا تعبدوا غيره ليكون له. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقيل: **إن** بمعنى إذ،[5] [أي إذ] آثرتم عبادته فاشكروا له.

ويحتمل قوله: **واشكروا لله**، على[6] جميع ما أنعم عليكم من الدين والنبي والقرآن وغير ذلك من النعم؛ أي كونوا له شاكرين.

**﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٧٣]**

قوله: **إنما حرم عليكم الميتة [والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله]**. ذكر الميتة، فمعناه: حرم عليكم الأكل من الميتة والتناول منه. فإذا كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يؤكل والانتفاع به من نحو الصوف والشعر والعظم ونحوه. ألا ترى أن هذا إذا أزيل[7] من الشاة، وهي حية، وأبين منها لم تصر ميتة، يجوز[8] الانتفاع به. وغيره من اللحم إذا أُبين منها صار ميتة؛ لما روي في الخبر: «ما أُبين من الحي فهو ميت»؛[9] ولأن الصوف واللبن وغيرهما

---

[1] جميع النسخ: فما.

[2] جميع النسخ: يأمرهم.

[3] ك: لكم الطيبات.

[4] م: ممن.

[5] ع م: ان.

[6] م: على ما.

[7] ن ع م: أريد.

[8] ن ع م: لا يجوز. والتصحيح مستفاد من *الشرح*. يقول السمرقندي: «ثم الآية حجة لنا على الشافعي في إباحة الانتفاع بصوف الميتة وشعرها وعظمها ولبنها ونحو ذلك» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢ ط).

[9] ك - لا يجوز الانتفاع به وغيره من اللحم إذا أبين منها صار ميتة لما روي في الخبر ما أبين من الحي فهو ميت. *مسند أحمد بن حنبل*، ٢١٨/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الصيد ٨؛ وسنن *الترمذي*، الأطعمة، ٤؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ١٤٦/٨.

ليسوا بذوي الروح فتموت[1] باستخراج الروح منها كالحيوان، على ما ذكرنا من الخبر. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الإِنْفَحَة[2] استخرجت من الميتة، فقال: أ فيها دم؟ فقيل: لا. فقال:[3] لا بأس، كلوا، فإن اللبن على ذكاة فيه، أو كلام نحو هذا.[4] وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لا بأس.[5]

فإن قيل: ألا فسد بنجاسة الضَّرع، كالوعاء النجس يكون فيه اللبن، يفسد بفساده؟

قيل: إن الشيء إذا كان موضعا للشيء ومَغْدِنه في الأصل، فإن فساد ذلك الموضع لا يوجب فساد ما فيه. ألا ترى أن الدم الذي يجري بين الجلد واللحم، إذا ذبح [الحيوان] لا يفسد اللحم، لما كان ذلك موضعه ومَظَانّه، فعلى ذلك اللبن في الضَّرْع. وأما الإهاب فإنه إذا دبغ فقد طهر، لما[6] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما إهاب دُبغ فقد طهر».[7]

والدم المذكور في هذه الآية هو الدم المسفوح. دليله قوله تعالى: أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا،[8] فالمحرم من الدماء هو[9] السائل. ألا ترى أن الشاة إذا ماتت صارت ميتة بهلاك[10] ذلك المحرم من الدم فيه.

وقوله: **فمن اضطُرَّ غَير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم**. اختلف فيه على أوجه. قيل: قوله **غير باغ ولا عاد**، هو[11] تفسير قوله:[12] **فمن اضطر**، وهو كقوله:

---

[1] جميع النسخ: فيموت.

[2] م: الانفخة. الإنفحة والإنفحّة: مادة خاصة تستخرج من الجزء الباطني من معدة الرضيع من العجول أو الجِداء أو نحوها، بها خميرة تُجبِّن اللبن. والجمع: أنافح (*المعجم الوسيط*، «نفح»).

[3] ع – لا فقال.

[4] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٤٩.

[5] ك ن + به. *أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٤٧–١٤٨.

[6] ع: ولما.

[7] *الموطأ* لمالك، الصيد ١٦–١٨؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ١٠٠–١٠٧.

[8] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرما على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزيرٍ فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ٦/١٤٥).

[9] جميع النسخ: وهو.

[10] ك ن: لهلاك.

[11] ع م: وهو.

[12] ن – قوله.

مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ،[1] فصار قوله: غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ تفسير قوله:[2] مُحْصَنَاتٍ، لأنها إن كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة[3] الأخدان. فعلى ذلك إن كان مضطرا كان غير باغ ولا عاد. **والله أعلم**.

وقيل: **فمن اضطر غير باغ**، أي غير مستحل لتناوله،[4] ولا عاد يعدو على أكله للجوع.

وقيل: قوله **فمن اضطر غير باغ**:[5] غير متجاوزٍ حده، **ولا عاد**: ولا مقصرٍ[6] نهايته.

ثم اختلف في حرمة عين الميتة في حال الاضطرار وحِلِّها. قال بعضهم: عينها حلال ليس بمحرم. وقال آخرون: عينها محرمة،[7] لكن التناول منها مباح؛ وهو قول أصحابنا رحمهم الله. فمن قال بحل[8] عينها للضرورة ذهب إلى أن الحظر والإباحة لا تقع[9] في الأصل لعين الشيء، ولا يتكلم فيها بحل ولا حرمة بحيث العين، بل الحل والحرمة[10] هي الواردة عليها، موجبة حق [الحل و]الحرمة.[11] ثم الحرمة ترتفع بالضرورة، فيبقى عينه على ما كان في الأصل. ومن قال بحرمة عينها وبحل[12] التناول منها ذهب إلى أن الحرمة حدثت لما كانت ميتة ومُهَلًّا لغير وجه الله. فحدوث الحل[13] للضرورة يدل على أن العلة كانت هي الضرورة في حق[14] رفع حرمة التناول، ولم ترفع حرمة عينها، إلا أنه أبيح التناول منها للضرورة، على بقاء الحرمة.

ولكن يجب أن لا يتكلم في هذا ومثله بحرمة العين وحلها، بعد أن تكون[15] الإباحة للضرورة؛

---

[1] سورة النساء، ٢٥/٤.

[2] ك: لقوله.

[3] ع – أخدان فصار قوله غير مسافحات ولا متخذات أخدان تفسير قوله محصنات لأنها إن كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة.

[4] ن: التناول.

[5] ك ن + يعني.

[6] ن ع م: مقتصر.

[7] ك: حرام.

[8] ن ع م: يحل.

[9] ن ع م: لا يقع.

[10] م: الحرمة والحل.

[11] ك: من حيه حل الحرمة.

[12] ع: ويحل.

[13] ن – فحدوث الحل.

[14] ك – حق.

[15] جميع النسخ: يكون.

إذ لله أن يُحلّ عينا محرمة في حال الاضطرار، وله أن يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار، فالتكلم فيه فضل وتكلف. *وبالله التوفيق*.

ثم المسألة في الباغي والعادي، يحرم عليه التناول منها في حال الاضطرار أم لا؟ قال بعض أهل العلم: يحرم[١] ذلك عليه لأوجه. أحدها لأنه ظالم، وفي المنع عن التناول منها زجر عن الظلم. وفي الإباحة عن التناول منها إعانة على الظلم، لذلك حرم عليه. والثاني أن القاتل عوقب عندما يَأوِي إلى الحرم بترك المؤاكلة والمشاربة والمجالسة إلى أن يضطر فيخرج عقوبة له، فكذا هذا يحرم عليه التناول منه عقوبة له إلى أن ينزجر. و[الثالث أنه] قال:[٢] إنه قد استحق بالبغي على أهل الإسلام العقوبة العظيمة، ويعاقب بهذا أيضا. ثم من قول هذا الرجل في الباغي أنه إذا أتلف أموال أهل العدل لا يتعرض له بها ولا يغرم، وكذلك العادل إذا أتلف أموال أهل[٣] البغي لا غرامة عليه. والغرامة[٤] نوع من العقوبات.

فإذا استويا في سقوط الغرامة -وإن كان أحدهما ظالما- كيف لا استويا أيضا في هذا؟ وما الذي يوجب التفرقة بينهما؟ ثم / نقول لهذا المخالف[٥] لنا: إن الباغي المقيم يمسح يوما [٣٥ظ]
وليلة، وإذا سافر لم تُرخص له بالمسح،[٦] وهو في الحضر رخصة كهي في السفر. فما باله حرم إحدى الرخصتين على إباحة الأخرى مع وجود الظلم والبغي؟ فقال: لأن الضرورة طريق التناول، فيه رخصة، [ف]لا ترخص للظالم،[٧] إذ هو تخفيف.

والأصل في المسألة أن الباغي على أهل الإسلام لا يأتمر بأحكام أهل الإسلام، إذ لو ائتمر أمر بالكف عن بغيه. وإذا لم يأتمر في ذا لا شك أنه لا يأتمر في الثاني. ولا يؤمر بما[٨] فيه العبث، ولا يزجره التحريم عن التناول، إذ -على العلم[٩] بحرمة البغي- بَغَى ما اشتهت نفسه، فكيف ينتهي للحرمة فيما اضطرّت إليه نفسه، ولم يملك الغلبة عليها في شهوتها إيثارا لها،

---

[١] جميع النسخ: محرم.
[٢] أي وقال من ذهب إلى الإباحة، لعله يقصد الشافعي.
[٣] ع م - أهل.
[٤] ع: والغرمات.
[٥] ع: المخايف.
[٦] جميع النسخ: المسح.
[٧] جميع النسخ: الظالم.
[٨] ع م - بما.
[٩] ك: الحلم.

كذلك إنظارا لها للكف. [فـ]ـلا معنى لإحداث الحرمة عليه ببغيه.

وأصله قوله عز وجل: وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ،[1] وقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.[2] حرّم عليهم[3] إلقاء أنفسهم إلى المهالك، وقتلهم الأنفس. وفي دفع هذه الرخصة عنه إباحة محرم، وهو أعظم منه عليه، فلا يفعل.[4]

وأما من[5] قال بأن من قتل فأوى إلى الحرم، فإن أهله نهوا عن مؤاكلته ومشاربته، ولم يُنْهَ هو[6] في نفسه [عن] الأكل والشرب؛ إذ[7] لا يقدر[8] أحد [على] منعه عن ذلك. فالقول في مثله تكلف، فكذا الأول. *والله أعلم*.

ثم المسألة في القدر الذي يجوز أن يتناول منها. فعندنا أن الإباحة كانت للاضطرار، فهو على القدر الذي له الدفع والإزالة، وذلك بدون ما فيه شدة المجاعة. وذلك الأصل في انتفاء الضرورة.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[١٧٤]

وقوله: **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**، أي في الكتاب، يحتمل وجهين. يحتمل أن كتموا ما في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصفته. ويحتمل ما كتموا من الأحكام والشرائع، من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الأحكام. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[9]

وقوله: **ويشترون به ثمنا قليلا**، قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم.[10]

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).

[2] ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (سورة البقرة، ١٩٥/٢).

[3] ك: عليكم.

[4] جميع النسخ: فلم يفعل.

[5] ك ع م – من؛ ن: ما.

[6] ع م – هو.

[7] ع: إذا.

[8] ع + عليه.

[9] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ (سورة البقرة، ١٤٠/٢)، وتأويل قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ (سورة البقرة، ١٠٩/٢).

[10] انظر ما ذكر عند قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (سورة البقرة، ٨/٢).

وقوله: **أولٰئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار**، يحتمل وجهين. أي **ما يأكلون** في دنياهم إلا [ما] أوجب ذلك لهم في الآخرة أكل النار. ويحتمل[1] ما يأكلون في دنياهم إلا أكلوا في الآخرة عين النار.

وقوله: **ولا يكلمهم الله**، قيل: لا يكلمهم بكلام خير، ولكن يكلمهم بغيره. كقوله: اِخْسَؤُا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ.[2] وقيل: لا يكلمهم غضبا عليهم، يقال: فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه.

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[١٧٥]

وقوله تعالى: **أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى [والعذاب بالمغفرة]**. قيل: استحبوا الضلالة على الهدى.[3] وقيل: اختاروا العذاب على المغفرة. وما قاله الكلبي فهو أحسن:[4] إنهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل عذابا بالإيمان الذي يحصل مغفرة. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم أيضا.[5]

وقوله: **فما أصبرهم على النار**، قيل: فما أدومهم في النار. وقيل: **فما أصبرهم** على العمل[6] الذي يوجب لهم النار. وقيل: فما أجرأهم على عمل أهل النار. وقيل: ما أعملهم بأعمال أهل النار. وقال الحسن: فما لهم عليها[7] [من] صبر، ولكن ما أجرأهم على النار.[8] وقد يقال لمن يطول حبسه: ما أصبرك[9] على الحبس، لا على حقيقة الصبر، لكن على وجوده فيه.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[١٧٦]

وقوله: **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** أي خالفوا؛ وإلا[10] قد اختلف أهل الإيمان والكفر، ولكن أراد -والله أعلم- بالاختلاف الخلاف.[11] أي خالفوا الكتاب و لم يعملوا به.

---

[1] م: يحتمل.
[2] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.
[3] ع - قيل استحبوا الضلالة على الهدى.
[4] ك ن: حسن.
[5] انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).
[6] جميع النسخ: على عمل.
[7] ع - عليها.
[8] ع - على النار. *تفسير الطبري*، ١٢٣/٢؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٢٤٢/١.
[9] ن ع م: فما أصبرك.
[10] ع: ولا.
[11] ك - أي خالفوا وإلا قد اختلف أهل الإيمان والكفر ولكن أراد والله أعلم بالاختلاف الخلاف.

**لفي شقاق بعيد**، قيل: لفي خلاف بعيد، وقيل: لفي ضلال طويل،[1] وقيل: لفي عداوة بعيدة.

قيل: حرف البعيد في الوعيد إياس، كأنه قال: لا انقطاع له.[2]

**﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١٧٧]**

وقوله: **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**؛ قيل: **ليس البر** في نفس التوجه إلى ما ذكر دون الإيمان. ويحتمل: **ليس البر** في ذلك، **ولكن البر** لما يقصد إليه، إذ قد يقع ذلك لحوائج تعرض،[3] [و]تخرج[4] عن القربة.[5] ويحتمل: **ليس البر** في التوجه إلى كذا، ولكن في الائتمار لأمره والطاعة له. والبر هو[6] الطاعة في الحقيقة. وقيل: **ليس البر** تحويل الوجه إلى المشرق والمغرب، **ولكن البرّ** ما ثبت في القلب من طاعة الله وصدّقته الجوارح. وقيل: **ليس البرّ** أن تصلوا، ولا أن تعملوا غير الصلاة. كل ذلك يرجع إلى واحد.

وجملته أن يقال: ليس البر كله ذلك، لكن ما ذكر؛ إذ ذلك الوجه استعظموا هم،[7] حتى قال الله تعالى: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ.[8] والثاني: أن يكون ذلك بنفسه ليس ببر،[9] وإنما صار برًّا بالأمر به، أو بما ذكر من الإيمان والخيرات، فلما[10] زال عنه الوجهان سقط فعله أن يكون برًّا.

---

[1] ك – وقيل لفي ضلال طويل.

[2] ذكره أبو حيان، قال: «كنى به عن الطول أي في معاداة طويلة لا تنقطع». (*البحر المحيط* لأبي حيان، ٤٩٦/١).

[3] ك ن: تعترض.

[4] ك: يخرج.

[5] ع: القرية.

[6] ن: وهو.

[7] م: استعظموهم. يقول السمرقندي: «قال الشيخ: وجملته أن يقال: ليس البرّ كله في التوجه إلى المشرق والمغرب؛ لأنهم كانوا يستعظمون التوجه إلى المشرق والمعرب، ويزعمون أنه هو البر كله. لكن كل البر ما ذكر في الآية...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).

[8] سورة البقرة، ١٤٥/٢.

[9] ن ع: بر.

[10] ن ع م: فلا.

وقوله: **ولكن البر من آمن بالله،** بأنه واحد، لا شريك له.[١] يعني صدق بالله، وبأنه[٢] واحد لا شريك له.[٣] **واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.** وصدق بالبعث الذي [فيه] جزاء الأعمال، وصدق بالكتب والملائكة[٤] والنبيين.

وللبر[٥] تأويلان. أحدهما ما قيل. والثاني على الإضمار؛ كأنه قال: ليس البر بِرُّ من يولّي وجهه، ولكن[٦] البرّ برُّ من آمن بالله، كما قال: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ،[٧] كإيمان من آمن بالله؟[٨] وقيل: أجعلتم صاحب السقاية كمن آمن بالله؟ وقيل: إن البر بمعنى البارّ. يقول:[٩] ليس البارّ[١٠] من يحوِّل وجهه قِبَل كذا، ولكن البارّ من آمن بالله، الآية.

وقوله تعالى: **وآتى المال على حبه؛** قيل: أعطى على حاجته، وقيل على عاقلته.[١١] آثر غيره على نفسه، كقوله: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.[١٢]

وقيل: [**على**]**حبه** أي ذوي قرابته. وفيه دلالة أن الأفضل أن يبدأ[١٣] بالصلة قرابتَه، ثم باليتامى؛ لأن على جميع المسلمين حفظَهم، ولأنهم أضعف، فيبدأ بهم قبل المساكين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس المسكين الذي تَرُدّه[١٤] اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان». قيل: فما المسكين يا رسول الله؟ / قال: «الذي لا يجد ما يغنيه، [٣٦و]

---

[١] ك ن - بأنه واحد لا شريك له.
[٢] جميع النسخ: بأنه.
[٣] ع + يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له.
[٤] ك ن + والكتاب.
[٥] ن ع م: البر.
[٦] ع - البر بر من يولي وجهه ولكن.
[٧] ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة التوبة، ١٩/٩).
[٨] ك ن - بالله.
[٩] ن: ويقول.
[١٠] ع م - يقول ليس البار.
[١١] ع م: قنته.
[١٢] ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩).
[١٣] ع: أي يبدأ.
[١٤] ن ع م: يرده.

ولا يسأل الناس، ولا يُفطَن[1] به فيُتصدقَ عليه».[2]

**وابنَ السبيل**. قيل: هو الضيف[3] ينزل [الرجل]. وقيل: هو المنقطع[4] حاجا أو غازيا.[5] وقيل:[6] هو المجتاز.[7] وهو واحد. **وفي الرقاب**، قيل: هم المكاتَبون. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة**، ظاهر. **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا**، يحتمل العهود التي بينهم وبين الناس، ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين ربهم. وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو، فيما مضى.[8] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "والموفين" على النَسَق على الأول.[9] قيل: إذا عاهدت عهدا بلسانك تفي به بعملك وفعلك.

ثم ليس في القرآن آية أجمع لشرائط الإيمان من هذه. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الإيمان، فقرأ هذه الآية.[10] وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه سئل عن الإيمان[11] فتلا هذه الآية.[12]

وقوله: **والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**، قيل: في الآية تقديم وتأخير: والسائلين وفي الرقاب والصابرين.[13] وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] ن: يعطن.

[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٨٤/١، ٤٤٦؛ وصحيح *البخاري*، الزكاة ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٠١-١٠٢.

[3] م: الضعيف.

[4] قال السمرقندي: «المنقطع عن ماله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).

[5] جميع النسخ: حاج أو غاز.

[6] ع م - قيل.

[7] ع: المختار. والمجتاز: العابر من مكان إلى مكان، بجتاب الطريق ويجيزه (*لسان العرب*، «جوز»).

[8] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢.

[9] *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٢٣٤/١؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٧/٢.

[10] الحديث رواه ابن كثير عن أبي حاتم -بإسناده- عن مجاهد، عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان؟ فتلا عليه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ إلى آخر الآية. قال: ثم سأله أيضا فتلاها عليه، ثم سأله فقال: «إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك». ثم قال: وهذا منقطع، فإن مجاهدا لم يدرك أبا ذر، فإنه مات قديما. ورواه القرطبي عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر، فأنزل الله هذه الآية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٣٧/٢-٢٣٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٦/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٩/١.

[11] ك ن - عن الإيمان.

[12] ك - الآية. *الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٩/١-١٧٠.

[13] ذكر الفراء هذا القول ورده، وذكره ابن جرير كذلك وخطأه. انظر: *معاني القرآن* للفراء، ٢٤٧/١؛ و*تفسير الطبري*، ١٣٧/٢.

والموفين[١] بعهدهم. وقوله: **البأساءِ**، من البأس،[٢] وهو الفقر. **والضراءِ**، قيل: هو المرض. **وحين البأس**، قيل: عند القتال.

وقوله: **أولٰئك الذين صدقوا**، في إيمانهم أنهم مؤمنون، وصبروا[٣] على طاعة ربهم. **وأولٰئك هم المتقون**. وقيل: **الذين صدقوا** في إيمانهم **وأولٰئك هم المتقون**.[٤]

روي عن عمرو بن شُرَحْبِيل[٥] انه قال: من عمل بهذه الآية فهو مستكمل الإيمان.[٦]

{قال الفقيه:} تمام كل شيء[٧] باجتماع ما يَزِينه، ألا ترى[٨] أن المصلي إذا اقتصر على فرائضها لم تتم[٩] له؟[١٠]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[١٧٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**، الآية، قيل: نزلت الآية في جَيْشين من العرب كان وقع بينهما حرب وقتال، وكان لإحداهما فضل وشرف على الأخرى،

---

[١] ن ع م: الموفون.
[٢] ك: البوس.
[٣] ن - وصبروا.
[٤] ع - وقيل الذين صدقوا في إيمانهم وأولٰئك هم المتقون.
[٥] عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي، أبو ميسرة. ذكر أبو موسى أنه أدرك الجاهلية، وفضله أبو وائل على مسروق. روى عن عمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وسلمان وعائشة وغيرهم. روى عنه أبو وائل وأبو إسحاق السبيعي ومحمد بن المنتشر والقاسم بن مُخَيْمَرة وآخرون. وقال ابن حبان في *الثقات*: كان من العُبّاد. مات سنة ثلاث وستين، قبل موت أبي جحافة. وذكر الذهبي عن ابن سعد أنه توفي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣٥/٤-١٣٦؛ و*الإصابة* لابن حجر، ١١٣/٥.
[٦] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٠/١.
[٧] ع - شيء.
[٨] ك: يرى.
[٩] جميع النسخ: لم يتم.
[١٠] «قال الشيخ: ألا ترى أن المصلي إذا اقتصر على فرائضها دون سننها وآدابها لم تتم صلاته. وهذا لأن الإيمان نفسه هو التصديق، والتصديق مع الإقرار عند بعض أصحابنا. فأما الأعمال فمن أجزاء الإيمان، حتى قلنا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولكنه إنما يعنى بهذا من حيث الذات، وأما من حيث الوصف فإنما يتزين ويتم بالأعمال؛ كذات الآدمي، تمامه من حيث العين بتمام أجزائه، وجماله وكماله من حيث الوصف بصفاته من الحمرة في الوجه والبياض والكحل في العين، ونحو ذلك مثله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).

فأرادوا بالعبد منهم الحر[1] من أولٰئك، وبالأنثى منهم الذكر، فانزل الله تعالى: **الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**. وهي منسوخة، لان فيها قتل غير القاتل؛ نسخها[2] قوله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ.[3] قيل: لا تُسرف: أي[4] لا تقتل غير قاتل وليك. وقيل: لا تسرف: أي لا تَمْثُلْ في القتل.[5] وقيل: لا تسرف في القتل:[6] أي لا تقتل أنت،[7] إذ هو منصور. فثبت بهذا[8] نسخها؛ إذ لم يوذن[9] بقتل غير القاتل. وقوله أيضا: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،[10] ولا يحتمل نفسًا[11] غير القاتل يُقتَل بنفس؛ دليله قوله: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،[12] ولا يتصدق على غير القاتل؛ ثبت أنها منسوخة بما ذكرنا. والثاني قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ،[13] لِمَا إذا هَمَّ بقتل آخر يذكر[14] قتل نفسه به[15] فيرتدع عن قتله فيَحيَى به النفسان جميعا، فلو لزم قتل غير القاتل لم يكن فيه حياة، إذ لا يخشى تلف نفسه.

ثم هذا يدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم، إذ لو لم يُجعَل بينهما قصاص لم يرتدع أحد عن قتلهم، إذ لا يخشى تلف نفسه بهم؛ فدل أنهم يُقتلون بهم.[16] *والله أعلم.*

---

[1] ع: الحرب.
[2] ك: ينسخها.
[3] سورة الإسراء، ١٧/٣٣.
[4] ك – أي.
[5] ك ن – في القتل. مَثَل بالرجل يمثُل مَثْلا ومُثلة: نكّل به وجدع أنفه وأذنه أوشيأ من أطرافه (*لسان العرب*، «مثل»).
[6] ع – وقيل لا تسرف في القتل.
[7] أي لا تسرف أيها القاتل في القتل، لأن ولي المقتول منصور.
[8] أي بتأويل لا تقتل غير قاتل وليك.
[9] ع م: إذا لم يوذن.
[10] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[11] ن + نفس.
[12] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[13] سورة البقرة، ٢/١٧٩.
[14] ك: تفكر؛ ن: يفكر؛ ع م: ينكر.
[15] م – به.
[16] ع – بهم.

هذا فيما يجعل الآية ابتداء، لا في الحيَّيْن اللذين ذكرا به. ثم يقال: ليس في ذكر شكل بشكل[١] تخصيص الحكم فيه، وجعله شرطا، ونفيه في غير شكله. دليله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا؛ البِكر بالبكر جَلد مائة وتغريب عام، والثيّب[٢] بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة».[٣] ثم إذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم. فدل أن ليس في ذكر شكل بشكل[٤] تخصيص في الحكم، ولكن فيه إيجاب الحكم في كل شكل إذا ارتكب ذلك. وهو أن يقتل الحر إذا قتل آخر، والحرية لا تمنع الاقتصاص لفضله. وكذلك العبد إذا قتل آخر يقتل به، والرق لا يمنع ذلك للذل الذي فيه. وكذلك الأنثى تقتل إذا قتلت أخرى، ولا يمنع ما فيها من الضعف في وجوب القصاص. *وبالله التوفيق*.

وله وجه آخر وهو أنه قال: **الأنثى بالأنثى**، ومن الإناث إماء، وقد أمر بالاقتصاص بينهن. فلئن وجب تخصيص ما ذكر خاصا، وجب أن يذكر عاما ما ذكر[٥] فيه العموم.

فإن قيل: على عموم الاسم في أحدهما، وخصوص القول في الآخر.

قيل: ليس هكذا، لو كان في ذكر الوفاق في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور -إذ ذكر في الخلاف- لم يدخل فيما ذكر في الوفاق[٦] ما ليس منه، فإذا دخل علم أن ذكر الوفاق في الخلاف في حق إدخال ما ليس من شكله بمحل واحد.

ثم يقال: إن نفس العبد للعبد في حق الجناية لا للمولى، إنما للمولى[٧] في نفسه الملك والمالية. ألا ترى أن العبد لو أقر على نفسه بالقصاص أخذ به، ولو أقر عليه مولاه لم يؤخذ به. فدل أن نفسه له لا للمولى، فكان كنفس الحر للحر، فيجب أن يُقتَل الحر به، إذ هو ساوى الحرَّ في حق النفس، فيجب أن يسوِّي بينهما في حق القصاص.

وقال[٨] بعض الناس: لا يقتل الحر بالعبد، لأنه أفضل منه. ثم هو يقول: إنه يُقتَل الذكر بالأنثى،

---

١ ع م: مشكل.
٢ م: وثيب.
٣ *مسند أحمد ابن حنبل*، ٨/١، ٨٩؛ وصحيح *البخاري*، الحدود ٢١-٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ١٢-٣٤.
٤ ك م: مشكل؛ ن: لشكل.
٥ م:عاما ذكر.
٦ ك – في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور إذ ذكر في الخلاف لم يدخل فيما ذكر في الوفاق.
٧ م – إنما للمولى.
٨ ن: وما قال.

وهو أفضل. وقال: إن القصاص إنما ذكر في المؤمنين؛ ثم قال بالعموم وألزم قتل الكافر بالمؤمن -ولم يُذكر في القصاص الكافر- وترك الاقتصاصَ للكافر[1] من المؤمن، على عموم إيجاب القصاص على المؤمنين. فإذا جاز ترك القصاص على ما ذكر فيه القصاص[2] وإدخالُ من لم يذكر في حق الاقتصاص، فبماذا يجب[3] إنكار مثله في الذي ذكر عقيب ذكر الحق وهم بأجمعهم تحت الإيجاب مذكورون؟[4] ثم الإناث بالإناث مع اختلاف / الأحوال يلزم [فيه] القصاص، [٣٦ظ] كيف لا لزم مثله في الأحرار؟ والأصل في هذا أن لا يعتبر في الأنفس المساواة. ألا ترى أن الأنفس تقتل بنفس واحدة، وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قتل رجالا[5] بامرأة. وروي أنه قتل سبعة نفر بامرأة. وقال: لو تمالأ[6] له[7] أهل صنعاء لقتلتهم.[8]

وقال:[9] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقتل مسلم بكافر».[10]

ثم قال صاحب هذا القول: لو أن كافرا قتل كافرا ثم أسلم القاتل[11] يقتل به، فهو قتل مسلما نقيا برا بكافر؛ إذ الإسلام يطهّره، ولم يقتل مسلما فاسقا ارتكب الكبيرة بالكافر؛ إذ القتل يفسّقه؛ والمسلم أحق أن يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم. وذلك[12] أن المسلم هتك حرمة الإسلام بقتل الكافر؛ لأنه اعتقد باعتقاد دين الإسلام حرمة دم الذمي، وهو بقتله كمستخف بمذهبه. وأما الذمي فإنه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء أهل الإسلام، فهو ليس بقتل المسلم كمستخف بمذهبه،[13] والمسلم كمستخف بمذهبه[14] على ما ذكرنا.

---

[1] ع – وترك الاقتصاص للكافر.
[2] ع – على ما ذكر فيه القصاص.
[3] جميع النسخ: ما يجب.
[4] ك ع م: مذكورين.
[5] ع م: رجلا.
[6] أي تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا (*النهاية* لابن الأثير، «ملأ»).
[7] ك: فيه.
[8] جميع النسخ: لقتلهم. روي أن عمر بن الخطاب قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة، وقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا. انظر: *الموطأ* لمالك، كتاب العقول ١٩؛ وانظر أيضا: *تفسير القرطبي*، ٢/٢٥١.
[9] أي من قال بأن الحر لا يقتل بالعبد.
[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٧٩، ١١٩، ١٢٢؛ و*صحيح البخاري*، الديات ٣١؛ و*سنن ابن ماجة*، الديات ٢١.
[11] ك: هذا الكافر.
[12] ن ع م: ونحو ذلك.
[13] ن: بدينه.
[14] ن ع م: بدينه.

لذلك كان أحق بالقصاص من الكافر. ألا ترى أن من قَتل في الحرم قُتل به، لأنه هتك حرمة الحرم كالمستخف به، وإذا قتل خارجا منه ثم التجأ إليه لم يقتل به[١] حتى يخرج منه، لأنه ليس كمستخف به[٢] والأول مستخف، لذلك افترقا[٣] فكذلك الأول. *والله أعلم*.

والخبر عندنا يحتمل وجهين. أحدهما قيل: إن قوما قتل بعضهم بعضا في الجاهلية، فأسلم بعضهم، فأراد أولئك أن يأخذوا من أسلم منهم بالقصاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقتل مسلم بكافر»، كما قال: «كل دم كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا».[٤] والثاني أنه أراد بالكافر المستأمَن؛ لأنه قال: «لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده». فنسق قوله: "ذو عهد"، على المسلم؛ فكان معناه: لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد به، فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده[٥] لم يقتل به المسلم. والذمي[٦] يقتل به ذو العهد، لذلك يقتل به المسلم. والمسلم إذا قَتل مستأمنا لم يقتل[٧] به، وكذلك الذمي. فدل بما ذكرنا أنه أراد بالكافر المستأمن لا الذمي. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: هو القاتل إذا عفي له، معناه: عنه،[٨] فليتبع[٩] الولي بأخذ الدية بالمعروف، شاء القاتل أو أبى؛ احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم إليه في قاتل أخيه، فقال: «أ تعفو عنه؟» قال: لا. قال: «أ تأخذ الدية؟» قال: لا. قال: «أ تقتله؟» قال: نعم.[١٠] عرض عليه الدية،

---

[١] ك ن م – به؛ ع: إليه.
[٢] جميع النسخ: له.
[٣] ن ع: أفرقا.
[٤] *صحيح البخاري*، الديات ٣١؛ و*صحيح مسلم*، القسامة ٣٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٥-١٧٦.
[٥] ك – فنسق قوله ذو عهد على المسلم فكان معناه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده.
[٦] ن ع م: فالذمي.
[٧] ع: لم يقبل.
[٨] أي إذا عفي عنه ... الخ.
[٩] ن م: فيتبع.
[١٠] عن وائل بن حُجْر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جيء برجلٍ قاتلٍ في عنقه النِّسْعَة، قال: فدعا وليّ المقتول، فقال: «أ تعفو؟» قال: لا. قال: «أ فتأخذ الدية؟» قال: لا. قال: «أ فتقتل؟» قال:نعم. قال: «اذهب به»، فلما ولى، قال: «أ تعفو؟» قال: لا. قال: «أ فتأخذ الدية؟» قال: لا. «أ فتقتل؟» قال: نعم. قال: «اذهب به»، فلما كان في الرابعة، قال: «أما إنك إن عفوت عنه يبوء بإثمه وإثم صاحبه». قال: فعفا عنه. قال: فأنا رأيته يجر النسعة (*صحيح مسلم*، القسامة ٣٢؛ و*سنن أبي داود*، الديات ٣). قال ابن الأثير: النسعة –بالكسر– سير مضفور، يجعل زماما للبعير وغيره. وقد تُنسَجُ عَريضة، تجعل على صدر البعير. والجمع: نُسْع، ونِسَع، وأنساع (*النهاية* لابن الأثير، ٥/٤٨).

ولو كان غير حقه لم يعرض عليه. وقال في بعض الأخبار: «وليُّ القتيل بين خِيرتين: بين قتل، وأخذ دية».[1]

وأما عندنا فتأويل[2] قوله: **فمن عفي له من أخيه شيء**، ليس هو القاتَل، لأنه يكون معفوا عنه، ولأنه لا يتّبع أحدا، وهو المتَّبَع؛ بل هو الولي، لأنه هو المعفُوُّ له لا القاتل، حيث أُمر بالاتباع بالمعروف. كأنه قال: من بُذل له وأُعطي من أخيه شيء فاتباع بالمعروف.[3] وذلك[4] جائز في اللغة: العفو بمعنى البذل والإعطاء.[5] على ما قيل: خذ ما آتاك عفوا صفوا، أي فضلا. وكذلك روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: **فمن عفي له**، أي أُعطي له. والحق عندنا هو القود،[6] لا غير،[7] على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العمد قود إلا أن يعفى».[8] وقد روي في بعض الأخبار: «إلا أن تفادى».[9] والمفاداة هو فعل اثنين، فلا يأخذه إلا عن تراض واصطلاح منهما جميعا.

وفي الآية دلالة أن الحق هو القصاص لا غير، بقوله **كتب عليكم القصاص**. أخبر أن المكتوب عليه والمحكوم القصاصُ؛ فلو كان له الخيار من القصاص والعفو وأخذ الدية، شاء أو أبى، لكان لا يكون مكتوبا عليه القصاص، ويذهب فائدة قوله: **كتب عليكم القصاص**،

---

[1] صحيح *البخاري*، الديات ٨؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٣٢.

[2] جميع النسخ: تأويل.

[3] «وقال بعضهم: تأويل قوله:﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ هو الولي دون القاتل، لأنه قال: ﴿فمن عفى﴾، فالقاتل المعفو عنه. فأما المعفو له فهو الولي، ولأنه قال: ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي فليتبع. وهذا أمر داخل كلمة ﴿فمن﴾، والقاتل لا يتبع أحدا بل هو المتبع، وإنما الولي يتبع. فدل أن المراد من الداخل تحت كلمة ﴿فمن﴾ هو... من بذل له وأعطى من أخيه شيء بطريق الفضل والسهولة فاتباع بالمعروف» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤و).

[4] ع: وكذلك.

[5] يقال: عفا له بماله: أعطاه مما زاد على نفقته. وعفا الشيءُ: أي كثر، وعفوت الرجل: أي سألته (*لسان العرب*، «عفا»).

[6] القود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل (*لسان العرب*، «قود»).

[7] وعبارة *الشرح* هكذا: «قال الإمام أبو منصور: وهذا التأويل هو الصحيح عندنا، فالواجب هو القود بطريق التعين في قتل العمد ...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤و).

[8] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٣٦/٥؛ *وسنن الدارقطني*، ٩٤/٣؛ *والدراية* لابن حجر، ٢٦٠/٢.

[9] ك: يفادى. ذكر الجصاص: أن الأوزاعي قد روى حديث أبي هريرة عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: «من قتل له قتيل، فهو بخير النظرين، إما أن يقتل، وإما أن يفادي». والمفاداة إنما تكون بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة ونحو ذلك. فدل أن مراده في سائر الأخبار أخذ الدية. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١٩٢/١.

إنما كان يكون عليه أحدهما، كما لا يقال في الكفارة بأن المكتوب عليه العتق، بل أحد الثلاثة.[١] فلما قال: **كتب عليكم القصاص**، دل أن أخذ الدية كان كالخَلَف[٢] عنه. وما روي عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال لولي القتيل: «أ تعفو عنه؟» قال: لا. فقال: «أ تأخذ الدية؟» قال: لا.[٣] إنما عرض عليه الدية لما علم أن القاتل يرضى بذلك؛ على ما روي أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بُغْضَ زوجها. فقال لها: «أ تَرُدِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم وزيادة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما[٤] الزيادة فلا».[٥] وإنما قال لها ذلك لما[٦] علم رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم أنه يرضى بطلاقها إذا ردت عليه حديقته، فعلى ذلك الأول. ولو كانت لفظة العفو تعبّر عن إلزام الدية ما أحوجه إلى ذكر الإشارة إلى العفو مرة، وإلى أخذ الدية ثانيا. فثبت أن[٨] ليس للذي يعفو أن يأخذ الدية بالعفو.

وقيل في قوله: **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**، أصلها[٩] أنها نزلت في دم بين نفر يعفو أحدهم عن القاتل، ويتبع الآخرون بالمعروف في نصيبهم، لأنه ذكر الشيء،[١٠] والشيء هو العفو عن بعض الحق، فألزم الاتباعَ للآخرين عند عفو البعض[١١] حقَّه. ثبت أن العفو لا يُلزم الدية. وروي عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كان لمومن أن يقتل مومنا إلا خطأ ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يَصّدّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله كان الله عليما حكيما﴾ (سورة النساء، ٩٢/٤).

[٢] ن ع: كالخلف.

[٣] الحديث سبق تخريجه.

[٤] ع: إنما.

[٥] عن ابن عباس، قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شَمَّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إني ما أَعْتِب عليه في خُلُق و لا دِين، ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ تردين عليه حديقته؟» قالت: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» (*صحيح البخاري*، الطلاق ١٢؛ وسنن *ابن ماجة*، الطلاق ٢١-٢٣؛ وسنن *الترمذي*، الطلاق ١٠-١١).

[٦] ع - لما.

[٧] ك ن - رسول الله.

[٨] ك ن: أنه.

[٩] ن - أصلها.

[١٠] يريد قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾.

[١١] جميع النسخ: بعض.

أنهم أوجبوا في عفو بعض[1] الأولياء للذين لم يعفوا الدية، على ترك السؤال عمن عفا:[2] إنك[3] عفوت بدية؟ ولو كان ثَمّ حقٌّ ذكروه له.[4] فدل أن العفو لا يوجب الدية. *والله أعلم*.

ثم لا يخلو إما أن يكون حقه القصاص، ثم له تركه[5] بالدية، فهو إلزام [الدية] بدلَ حق [٣٧و] / قتل آخر من غير رضاه، وذلك مما لم يعقل في شيء، أو كلاهما،[6] فهو أيضا كذلك؛ [ف]لا يكون لأحدهما[7] إلا باجتماعهما، أو أحدهما وهو مجهول، فالعفو عنه يبطل حقه، إذ العفو ترك.

وقال:[8] إن في أخذ الدية إحياء النفس التي أمر الله بإحيائها، وفي الامتناع عن أداء الدية إليه والبذل له إذنٌ بالقتل.

ومن قول الجميع: إن أحدًا لو قال لآخر:[9] اقتلني، إنه لا يعمل إذنه.[10] فإذا كان معنى الامتناع عن أداء الدية هو إذنٌ بالقتل لم يؤذن له.

يقال له: أبعدت القياس والتشبيه، لأن فيما نحن فيه إذنًا[11] بالقتل، وظهر الأمر به، وفيما[12] ذكرت لم يظهر، حيث قال: **كتب عليكم القصاص**، فأنّى يشبّه هذا بذلك ويقاس عليه؟ أو أن يقال: لو كان الأمر كما ذكرت لكان يجيء. أن يكون الصلح على كلّ[13] ماله -وفيه تلف نفسه- أن ليس له منعه، ومن قول الجميع أن له المنع، وجائز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله. ثبت أن ما يقوله[14] وهم. وبعد، فإن الذي ذكرت تدبير الحق عليه أن يفعل،

---

[1] جميع النسخ: بعض عفو. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٤و.
[2] ن ع م: عفي.
[3] ع م: عنك.
[4] ك – له. يقول السمرقندي: «وعن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أنهم أوجبوا في عفو بعض الأولياء للذين لم يعفوا نصيبهم من الدية، ولم يسألوا من عفا: أعفوت بدية أو بغير شيء؟ ولو كان له العفو بدية لما أبطلوا نصيبه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤و).
[5] ع: ترك.
[6] ن: وكلاهما. أي إلزام الدية لمن ترك القصاص وحق القصاص للآخر.
[7] ع م: أحدهما. أي لا يمكن لأحد وَلِيَّي المقتول حق القصاص أو الدية إلا باتفاقهما كليهما.
[8] أي صاحب هذا الرأي.
[9] ع: أن لو أحدا اقتلني.
[10] ع: أنه.
[11] جميع النسخ: إذن.
[12] م: فيما.
[13] ع م + شيء.
[14] ع م: يقوم له.

لا تدبير الإلزام، ولو كان ذلك لازما لكان يقتله ببذله نفسه، فيغرّم فاعل ذلك، وهذا كما يُفْتَى الرجلَ بشراء ما به قوام نفسه عند الضرورة، لا أن يُلزَم[1] لو أبى ذلك. فمثله ديته، بمعنى أن في ذلك[2] تلف نفسٍ تلك قيمته، فمثله الأول.

وما روي في التخيير بين أخذ الدية وما ذكر،[3] فهو -والله أعلم- على بيان الحل والرخصة؛ على ما قيل: إن من حكم التوراة القتل، ولا يجوز لهم العفو ولا أخذ الدية؛ ومن حكم أهل الإنجيل العفو، لا يقتل بالقصاص، ولا تؤخذ الدية؛ فحَكَّم الله عز وجل على أهل القرآن أن جعل لهم القتل مرة، والعفو ثانيا، وأخذ الدية تارة. فدل أنه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة إذا طابت به نفس من عليه ذلك، ببذله إذا طلب، ولا يوجب قطع الخيار من الآخر. ولهذا ما نقول في قوله: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[4] وقولِه في التخيير في الكفارة، إن ذلك إلى من عليه، لا إلى من[5] يأخذ؛ إذ الحق هاهنا من جانب واحد، فيجعل الخيار إلى من عليه. [و]إذا كان من كلا[6] الجانبين يعتبر رضاهما جميعا. *والله أعلم*.

وقوله: **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**، لما ذكر من إباحة العفو في حكم القرآن -ولم يكن في حكم غيره من الكتب- وأخذِ الدية، أو القتل، ولم يكن في حكم التوراة والإنجيل إلا واحد. ويحتمل أن كان في التوراة هذا أو هذا،[7] كما قال: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ.[8] واحتمل أنه ذكر القود شرعا لنا [ولغيرنا]، وقوله: **فمن تصدق**، لنا خاصة.[9]

---

[1] ع م: إلا أن يلزم.
[2] ن: في ما ذلك.
[3] الحديث تقدم تخريجه.
[4] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحْصِرْتُم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك﴾ (سورة البقرة، ١٩٦/٢).
[5] ك: على من.
[6] ك - كلا؛ ن ع: كلما.
[7] أي يحتمل أن يكون في التوراة العفو والقتل مشروعين كليهما.
[8] ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ (سورة المائدة، ٤٥/٥).
[9] يقول علاءالدين السمرقندي: «فيه إباحة أخذ المال بطريق الصلح خلاف ما هو في حكم التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفو بغير بدل. ويحتمل أن كان في التوراة العفو مشروعا والقتل مشروعا عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابنا بقوله: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ إلى قوله: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾، أي من عفا. دل أن العفو كان مشروعا في التوراة. ويحتمل أن الأمر كما قيل: إن العفو فيها غير مشروع، ويكون قوله: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ إخبارا أن القود شرع لنا ولغيرنا، وتم الإخبار إلى قوله: ﴿والجروحَ قصاص﴾؛ ويكون قوله: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ بيان ابتداء شرع العفو في شريعتنا على الخصوص لا بناء عن الإخبار عن شريعتهم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و).

وقوله: **ورحمة**، فيه دلالة أن لا يُقطَع صاحب الكبيرة عن رحمة الله؛ لأنه أخبر أن التخفيف رحمة في الدنيا، فإذا لم يُؤْيِسْهم في الدنيا عن رحمته فلا يؤيسهم في الآخرة عنها.

وقوله: **فمن عفي له من أخيه شيء**، [فيه] دلالة أن لا يزول اسم الإيمان بارتكابه[1] الكبيرة [لأن القاتل سمى أخا] من غير أخوة نسب. دل أنه أخوة[2] الدين؛ لأنه سماه أخا، وذلك كقوله:[3] وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[4] أبقى لهم اسم الإيمان بعد البغي والقتل. دل أن ارتكاب الكبيرة لا يخرجهم[5] عن[6] الإيمان. وهذا يرد على المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن من ارتكب كبيرة أخرجته[7] من الإيمان. وما ذكر من التخليد في قتل العمد،[8] يخرج على وجهين. أحدهما لاستحلاله[9] قتله، أو بتعمد[10] دِينِه،[11] وإلا فيخرج الآيتان على التناقض في الظاهر لو لم يجعل على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **فمن اعتدى بعد ذلك [فله عذاب أليم]**. قيل: من اعتدى على القاتل بعد ما عفا[12] عنه، أو بعد ما أخذ الدية. وقيل:[13] **بعد ذلك**، أي من بعد النهي عن قتله. وقيل: إذا أرى من نفسه العفو ثم أخذ الدية ثم أراد قتله فهو الاعتداء.

ثم اختلف بعد هذا بوجهين. قال قوم: إذا فعل ذلك[14] يُترك القصاص فيه للعذاب المذكور في الآخرة. وقال غيرهم:[15] إذا اقتُصَّ [منه] ارتفع عنه العذاب الأليم، وإن لم يُقتصَّ[16] فلا.

---

[1] م: بارتكاب.
[2] ع م + في.
[3] جميع النسخ: وكذلك قوله.
[4] سورة الحجرات، ٤٩/٩.
[5] ك: لا تخرجهم؛ ن ع م: لا يخرجه.
[6] ن ع م: من.
[7] ن ع م: أخرجه.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٩٣).
[9] ن ع م: لاستحلال.
[10] ن ع م: يتعمد.
[11] ن + أو يتعمد دينه.
[12] ن ع م: عفي.
[13] ك: وقتل.
[14] ن + أي من بعد النهي عن قتله وقيل إذا أرى من نفسه العفو ثم أخذ الدية ثم أراد قتله فهو الاعتداء ثم اختلف بعد هذا بوجهين قال قوم إذا فعل ذلك. أي إذا عفا عن القصاص أو صالح ثم قتل القاتل.
[15] ع م – وقال غيرهم.
[16] ك – يقتص.

وجائز عندنا أن يكون العذاب الأليم في الدنيا،[١] إذ[٢] لم يخل[٣] شيء[٤] من العذاب، إذ القتل هو الغاية من الألم والوجع. *والله أعلم*.

**﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٧٩]**

وقوله: **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**، قيل فيه بوجهين، وإلا فظاهر القصاص لا يكون حياة. لكن قيل: من تفكر[٥] في نفسه قتلها إذا قُتل آخر ارتدع عن قتله فتحيا[٦] النفسان جميعا. والثاني من نظر فرأى آخر يُقتل بغيره امتنع عن قتل آخر،[٧] ففيه حياة[٨] للأنفس جميعا.[٩] ولهذا نقول بوجوب القصاص في الأنفس كلها، وإن اختلف أحوالها؛[١٠] إذ لو لم يجعل بين الأنفس على اختلاف الأحوال قصاص لم يكن في القصاص حياة. فأحق ما جعل[١١] فيه القصاص عند مختلف الأحوال، لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله، فجعل القصاص أو لما يستخف به. وأما الوارث فلما[١٢] يطمع [في] وصوله إلى مال[١٣] مورثه، فيحمله [ذلك] على قتله؛ فسبب القتل ليس ما يذكر،[١٤] لكنه شدة الغضب؛[١٥] وفي المواريث زيادة وهو ما يصل إلى ماله -وفي الكافر من استخفافه[١٦] بدينه[١٧] من المقتول- فطلب فيه المعنى الذي فيه الإحياء،

---

[١] أي القتل قصاصا.

[٢] ع م: إذا.

[٣] جميع النسخ: لم يخلو. ولم يخل: أي لم يبق.

[٤] ك ن + منه. ومنه: أي من العذاب.

[٥] ع م: من تفكره.

[٦] ك: فيحي.

[٧] ع م: كل.

[٨] ك: عن قتل نفسه حياته.

[٩] يقول السمرقندي رحمه الله: «والثاني أن قتل العمد يقصد [فيه] أولياء القتيل قتل القاتل طلبا لثأرهم، ويصير أولياء القاتل حربا عليهم ذبا عن صاحبهم طبعا وعادة، فتهيج الفتنة منهم وتقوم المحاربة، فإذا استوفى القصاص سكنت الفتنة، وفي سكونها إبقاء القبيلتين معا؛ إذ هي سبب التفاني» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[١٠] أي كالحر بالعبد، والمسلم بالذمي.

[١١] ك ع م: من يجعل؛ ن: أن يجعل. وما أثبتناه من *الشرح*، ورقة ٥٤ظ. وعبارة «عند مختلف الأحوال» خبر للمبتدإ.

[١٢] جميع النسخ: لما.

[١٣] ع م - مال.

[١٤] ن: ما نذكر.

[١٥] ك ن ع + إلى.

[١٦] ن: استحقاقه.

[١٧] ن ع: بذنبه.

وهو حرمان الميراث.[1] فعلى هذا التقدير يقتل المسلم بالكافر؛ لأن المسلم قد يستخف بالكافر في دار سِلْمه، فيحمله استخفافه[2] إياه على قتله، ففيه معنى يدعو إلى الفناء، فيجب أن يقتص من المسلم بالكافر لتحقيق معنى الحياة. وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد، لأن الحر يستخف بالعبد، فيدعوه استخفافه به على قتله، فهو يقتل به.[3]

[٣٧ظ] أو نقول: يقتل الولد / بالوالد؛ لما يستعجل الوصول إلى ملكه فيحمله على قتله، فلزم حفظ ما لأجله الحياة. ثم في الوالد شفقة ومحبة تمنع الوالد عن قتل ولده؛ لذلك انتفى[4] عنه القصاص. وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقاد والد بولده».[5] ***وبالله التوفيق.***

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الوالد يحب ولده لولده،[6] لأنه يرغب أن يكون له ولد.[7] وأما الولد فإنما يحب والده[8] لنفسه ومنافع له، فإذا كان [حب] الولد له لم يقتص منه.

**﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[١٨٠]**

**وقوله: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين.** تكلموا فيه بأوجه. قيل: إنه منسوخ بما بيّن عز وجل في آية أخرى من حق[9] الميراث.[10] ومنهم من قال: لم ينسخ.[11] ثم قيل فيه بوجهين. قيل: إنه قد كان ذلك لأن الناس كانوا حديثي[12] عهد

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «ولهذا نقول: إن الوارث يحرم عن الميراث لأن الطمع في الوصول إلى مال مورثه موهوم فيحمله ذلك على قتله لو لم يحرم عن ميراثه فصار الحرمان عن الإرث إحياء في الأقارب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[2] ن: استحقاقه.

[3] ع م - به.

[4] ع م: انتهى.

[5] ع: عن ولده. *سنن الترمذي*، الديات ٩؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٨؛ و*أحكام القرآن* لابن العربي، ١/٦٥؛ وتفسير القرطبي، ٢/٢٥٠-٢٥١.

[6] ع م - لولده.

[7] ن: ولده.

[8] ن م + له.

[9] ع: في حق.

[10] *تفسير الطبري*، ٢/١١٧؛ وتفسير *ابن أبي حاتم*، ١/٢٩٩-٣٠٠؛ وتفسير *ابن كثير*، ١/٢١٢.

[11] ك: لم تنسخ.

[12] جميع النسخ: حديث.

في الإسلام، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه، فقوله: **كتب** إنما وقع على من كان لا يرث. ومنهم من يقول بأنها كانت للوارث ولم تنسخ،[١] وإنما يقع الأمر في غير من يرث ممن ذكر.[٢] لكن في ذلك ذكر **كتب**، وذلك إيجاب. ولا يحتمل أن يفرض عليهم صلتهم[٣] مع التحذير عن اتخاذهم أولياء، بقوله: لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ؛[٤] وقوله:[٥] لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ،[٦] الآية. وفي إلزام الفرضية من حيث المعروف إبقاء الموالاة وإلزام المحبة، وقد حذر وجود ذلك. فثبت أن الآية فيمن يتوارثون اليوم، لكنها نسخت. ***والله أعلم.***

ومنهم من يقول: لا، ولكنه وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث، بقوله: **كتب عليكم**، فهو كان مكتوبا عليهم مفروضا في حق الوصاية.

ثم من رأى نسخه استدل بقوله: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ،[٧] ذكر فيه الوصاية على بيان كل ذي حق حقه، فليس الذي أوصى الله يمنع وصايته التي[٨] كتب عليهم.[٩] لكن في الآية دليل أنه[١٠] لم ينسخ بهذا لوجهين.[١١] أحدهما قوله: يُوصِيكُمُ اللهُ، فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الأول؛

---

[١] جميع النسخ: ولم ينسخ؛ ن + إلى.

[٢] يقول الشارح السمرقندي رحمه الله: «قيل: إن الآية غير منسوخة، لأن الآية نزلت بالوصية في حق من ليس بأهل لاستحقاق الميراث بسبب الكفر، لأنهم حديث عهد في الإسلام، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته، والإسلام قطع الإرث. فشرع الوصية لقضاء حق القرابة من طريق الاستحباب. ولفظة "كتب" لم يُرد بها فرض بل أريد حقيقة الكتابة أو الحكم. وعلى هذا الوجه هذا الحكم غير منسوخ حتى يجوز الوصية لهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[٣] ك: صلاتهم.

[٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة التوبة، ٢٣/٩).

[٥] ك ع م: قوله.

[٦] ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ (سورة المجادلة، ٢٢/٥٨).

[٧] سورة النساء، ١١/٤.

[٨] ك: الذي.

[٩] يقول السمرقندي: «وقيل: الآية نزلت في الوصية للوالدين والأقربين بين المسلمين، وكان في ابتداء الإسلام الوصية فرضا في حق هؤلاء وكان التقدير إلى الموصِي ثم صارت منسوخة بقوله: ﴿يوصكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، ذكر فيه الوصاية وبين مقدار حق كل ذي حق بنفسه وفي الوصية الأولى كان التقدير إلى الموصي. وبعد بيان التقدير من الله تعالى لا يملك الموصي تقدير زيادة ولا نقصان على ما قدر الله تعالى. فلا يمكن الجمع بين الأمرين، فنسخت الأولى بالثانية» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤ظ-٥٥و).

[١٠] ع م - أنه.

[١١] ن: بهذين؛ ع م: بهذه.

ففيه جعل حق كالحق[1] المجعول لهم، إذ[2] لم يَذكر ذلك الوصية مع الميراث ثم نفاه. والوجه الآخر أنه قال: مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ،[3] فجعل حكم الإرث على ذكر الوصية، والإرث بعد الوصية، فبان أن لها حكم البقاء.[4]

ثم قيل فيه[5] بوجهين. قال قائلون: قوله: يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ، لم يكن ميراثا له[6] ولا هو من أهل الميراث، فحدوث الإرث لا يمنع حق القطع عنه بالمكتوب الأول.

ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا، فورود البيان من بعد يقطع عنه المكتوب له.

ثم من الناس من ادعى نسخ هذا بقوله: لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ [وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ] مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا،[7] ولو جعل الوصية له مع[8] ما جعل الله لهم فيه من النصيب لَخُصّ[9] به الكثير دون القليل. فثبت أن ذلك الكتاب رفع عنهم بما[10] جعل لهم الحق في الذي قل أو كثر.

ثم الوجه فيه عندنا[11] أنه إن لم يكن نسخ بهذه الآيات على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».[12]

---

[1] م – الحق.

[2] ع م: إذا.

[3] سورة النساء، ٤/١٢.

[4] يقول السمرقندي: «أحدهما أن في الآية الأولى أن الله تعالى فرض على الموصي الوصية للوالدين والأقربين، وفي الآية الثانية بيان أنه تعالى أوصى لهم من غير أن نفى الوصية من الموصي، ولا نهاهم عنها. فيجب أن يجمع بينهما بقدر الإمكان، حتى لا ينسخ الحكم الثابت بالكتاب من غير ضرورة؛ لأن ما لا تنصيص من الله تعالى في نسخه من نفي أو نهي فإنما يحكم بنسخه لضرورة التناقض بين الحكمين. وهاهنا إن لم يمكن الجمع بين الوصيتين في جميع المال أمكن الجمع بينهما بأن تصرف الأولى إلى ثلث المال، والثانية إلى الباقي كما في الأجانب، أن الوصية بقيت مشروعة في حقهم بعد شرع المواريث في الأقارب بالطريق الذي قلنا. والوجه الثاني أن الله تعالى قال: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ جعل الإرث بعد الوصية مطلقة من غير فصل بين الأجانب والأقارب، فدل أنه يمكن تخريج الآيتين على التوافق، فلا يجب التخريج على التناسخ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥و).

[5] أي في عدم صحة دعوى النسخ.

[6] ع م – له.

[7] سورة النساء، ٤/٧.

[8] ع م – مع.

[9] جميع النسخ: حص.

[10] ع م: مما.

[11] جميع النسخ + فهو.

[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٨٦؛ وسنن *الدارمي*، الوصايا ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الوصايا ٥؛ وسنن *الترمذي*، الوصايا ٥.

فبين أنه قد كان أعطى ذا حق حقه، على رفع ما كانت لهم من الوصاية فيه.

ثم اختلفوا في الخبر الذي روي: «إن الله تبارك وتعالى قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث». قال قائلون: لا يجوز ورود النسخ[١] على الآية، إذ السنة لا تَرِد على نسخ الكتاب. وقال آخرون: لا،[٢] ولكنه من أخبار الآحاد. وأخبار الآحاد[٣] على قولكم لا ترد على نسخ خبر مثله، فكيف على كتاب رب العالمين؟

فأما الأول في أن السنة لا تعمل في نسخ الكتاب، فقد سبق القول فيه.[٤] إن الذي حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ، وإلا لو علموه ما أنكروه. وهو ما قلنا: إن النسخ بيان منتهى الحكم إلى الوقت المجعول[٥] له. فأما[٦] من قال بأنه من أخبار الآحاد، فإن الأصل في هذا أن يقال: إنه من حيث الرواية من الآحاد، ومن حيث علم العمل به متواتر.[٧] ومن أصلنا أن المتواتر بالعمل هو أرفع خبر يعمل [به]، إذ المتواتر المتعارف قَرْنًا بقرنٍ مما عمل الناس به لم يعملوا به[٨] إلا لظهوره، وظهوره يغني الناس عن روايته لما علموا خلوه عن الخفاء. ولهذا نقول[٩] في الخبر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه نهى عن كل ذي ناب من السباع،[١٠] فنرد[١١] به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [نعم] إنه من أخبار الآحاد هو من حيث الرواية من الآحاد، ولكنه من حيث تواتَرَ الناسُ العملَ به

[١] ك: السمح.
[٢] أي لا تمنع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة.
[٣] ع ن – وأخبار الآحاد.
[٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٠٦/٢.
[٥] ع م: المجعولة.
[٦] ك ن: وأما.
[٧] «يشير بهذا إلى أن المتواتر ضربان: أحدهما المتواتر من حيث الرواية. والثاني التواتر من حيث ظهور العمل به قرنا فقرنا من غير ظهور المنع والنكير عليهم في العمل. وقد وجد هنا التواتر من حيث الفعل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥و).
[٨] ع – لم يعملوا به.
[٩] جميع النسخ: يقول.
[١٠] عن ابن عباس، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٧/١، ٢٤٤، ٢٨٩؛ وصحيح *البخاري*، الذبائح ٢٨، ٢٩؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ١١-١٢؛ وانظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٩٠/٤؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ١٩٢/٤).
[١١] ع م: فترد.

صار بحيث يوجب علمُه[1] العملَ؛ لما لم يجز[2] أن تجتمع[3] الأمة على شيء علم كلهم[4] من كتاب أو سنة غير ما ورد؛ فيكونوا قد اجتمعوا على تضييع كتاب أو سنة؛ فكذا هذا، لا يجوز أن يجتمع الناس على ترك الوصية للوارث وثَمّ[5] كتاب نسخه، أو سنة أخرى يلزم العمل به، فلهذا قضينا[6] بنسخه،[7] *والله أعلم*.

**﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٨١]**

وقوله: **فمن بدله بعد ما سمعه**، قيل فيه بوجهين: فمن بدل هذه[8] الوصية[9] المكتوبة للوالدين، إن كان هذا أراد،[10] بقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[11] الآية، **فإنما إثمه** عليه. ويحتمل: من بدل الوصية **بعد ما سمعه** من الموصِي، **فإنما إثمه على الذين يبدلونه**.[12]

ثم[13] يحتمل بعد هذا وجهين. يحتمل أنه أراد تبديل[14] الوصي بعد موت الموصي. ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره.[15]

---

[1] جميع النسخ: علم.
[2] ن ع م: فما لم يجز.
[3] ن ع م: يجتمع.
[4] جميع النسخ: علموا كله.
[5] ع م: ثم.
[6] ع: قضيتنا.
[7] ع: ينسخه.
[8] ع: هذا.
[9] جميع النسخ: الوصاية. وما أثبتناه يناسب ما جاءت به الآية ويتفق مع عبارة السمرقندي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و.
[10] أي إن كان الموصي قد أوصى بعد ما نزلت الآية وسمعها، و لم يعتقد العمل بها فبدلها انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و.
[11] الآية السابقة.
[12] ك ن: الذي بدله.
[13] ك - ثم.
[14] ن: بتبديل.
[15] ع - يحتمل أنه أراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره. يقول علاءالدين السمرقندي: «ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمع من الموصي وغيره بزيادة أو نقصان بطريق الظلم والعدوان. ويحتمل التبديل ممن حضر وقت وصية الموصي من الشهود فلم يشهدوا على حسب ما سمعوا منه بل بدلوه إلى زيادة أو نقصان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و).

وقوله: **إن الله سميع عليم،** أي سميع لمقالته ووصايته، وعليم بجوره وظلمه؛ أو عليم بتبديله. *والله أعلم.*[١]

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٨٢]

وقوله:[٢] **فمن خاف من موص جنفا أو إثما [فأصلح بينهم فلا إثم عليه]**، قيل فيه بوجهين:[٣] **فمن خاف،**[٤] أي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث **فلا إثم عليه** في تبديله ومنعه ورده إلى الثلث وقت وصاية الموصي. ويحتمل **فمن خاف،** أي علم[٥] من الموصي خطأ وجورا -بعد وفاته- بالوصية، **فلا إثم عليه** في تبديله ورده إلى ما يجوز من ذلك ويصح. وهو الواجب على الأوصياء[٦] أن يعملوا بما يجوز في الحكم، وإن كان[٧] الموصي أوصى بخلاف ما يجيزه الحكم ويوجبه.

{قال الشيخ رحمه الله:} وكان صرف الخوف إلى العلم أولى، إذ هو تبديل / الوصية، [٣٨و] وقد نهى عنه[٨] وأذن به للجور؛ فإذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر. وقد يحق[٩] للخوف حق العلم إذا غلب الوجه فيه،[١٠] كما أذن للإكراه إظهار الكفر. وذلك في حقيقته خوف عما في التحقيق على العلم بغلبة[١١] وجه الوفاء في ذلك.[١٢]

وقوله: **فأصلح بينهم،** يعني بين الورثة بعد موت الموصي، وردَّ ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر أنصبائهم.

---

[١] م – وقوله إن الله سميع عليم أي سميع لمقالته ووصايته وعليم بجوره وظلمه أو عليم بتبديله والله أعلم. وقد جاء التأويل الذي ما بين النجمتين متأخرا عن مكانه في نسخة ك ن قبل تأويل: ﴿فأصلح بينهم﴾.
[٢] ع – وقوله.
[٣] ع – قوله فمن خاف من موص جنفا أو إثما قيل فيه بوجهين.
[٤] ك: خافه.
[٥] ع: أو علم.
[٦] ع: الأوصيائه.
[٧] ن + وإن كان.
[٨] ن + أذن.
[٩] ع م: يخف.
[١٠] الخوف: الفزع. والخوف: العلم، وبه فسّر اللحياني قوله تعالى: ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾ (*لسان العرب*، «خاف»).
[١١] ك: فعليه.
[١٢] بعد ذلك جاء تأويل قوله تعالى: ﴿إن الله سميع عليم﴾ في نسخة ك ن ع، وقد أشرنا إليه في موضعه.

وقوله: **إن الله غفور رحيم**، لجور الموصي وظلمه، إذا بدل الوصي ذلك ورده إلى الحق. ويحتمل: **غفور رحيم** لمن رد على الموصي جنفه وميله في حال وصايته. ***والله أعلم***.

والأصل في أمر الوصاية للوارث أن آيات المواريث لم تكن نزلت[1] في أول ما [كانت] بهم حاجة إلى معرفة ذلك، فيجوز أن يكون في الابتداء كانت الوصايا بالحق الذي اليوم هو ميراث. يبين ذلك ما روي عن رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم في ابنتي سعد [الذي] قتل بأُحد. وقد كان استولى عمهما على ميراثه فسألت أمهما[3] عن ذلك فقال: «لم ينزل في ذلك شيء»،[4] ثم دعاهم وأعطاهم ما بين الله في كتابه في قوله: **يُوصِيكُمُ اللهُ**، الآية.[5] وكذلك كان للنساء[6] [نفقة] الحول في تركة الأزواج وصية لهن.[7] فعلى ذلك كان الأمر بالوصية، فقال الله[8] عز وجل: **يُوصِيكُمُ اللهُ**، كالمبيّن لما كان[9] قد أوجب التبيين على الميت؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قد[10] أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».[11]

ومما يبين ذلك أنه معلوم أن تكون الوصية للوارث ليست تثبت فيما هي له؛ لأنه اليوم، فيكون حصول الوصية له[12] بنصيب[13] بعض الورثة.[14] وعلى ذلك الوجه لا يجوز وصية الميت لأحد،

---

[1] ن: لم نزلت.

[2] ع: أن رسول الله.

[3] ن ع م: أبيهما.

[4] ع م: لم ينزل في شيء.

[5] سورة النساء، ٤/١١. *سنن ابن ماجة*، الفرائض ١٦؛ *وسنن أبي داود*، الرضاع ١١؛ *تفسير ابن كثير*، ١/٤٥٧.

[6] م: النساء.

[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٠).

[8] ك ن – الله.

[9] ك م: بما كان.

[10] م – قد.

[11] الحديث تقدم تخريجه.

[12] ن ع م – له.

[13] ك: بنصب.

[14] يقول الشارح: «... فنزل قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ كالمبين لما كان واجبا على الميت من التقدير. وكان قوله عليه السلام: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»، أي لما تولى الله تعالى بيانه بنفسه في حق الورثة فلا يصح تقدير بعد ذلك من الموصي لمورث بزيادة أو نقصان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و).

فكذلك للورثة. وهذا يبين أنها كانت في وقت لم يبين الميراث، فلا تكون[١] الوصية لمن تثبت له وصية بنصيب[٢] غيره في التحقيق. فكان يجوز، ثم بطل ببيان السنة، إذ ليس في متلو القرآن حقيقة ذلك. وإنما يكون ذلك بحق الانتزاع منه[٣] والنسخ، ومعناه بالانتزاع أبعد عن الاحتمال منه بالسنة. *ولا قوة إلا بالله*.

ثم حق التواتر عندنا يقع بظهور العمل بالشيء على غير ظهور المنع منهم، والنكير[٤] عليهم في الفعل.[٥] وفي هذا وجود ذلك من طريق الفعل. ثم القول أيضا من الأئمة بالفتوى[٦] به بلا تنازع ظهر فيهم. مع ما قد ذكر الله في المواريث: غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ،[٧] وتخصيص الورثة قصد مضارة بغيره، واستعمال الرأي فيما قد تولى قسمه على غير[٨] الذي قسم. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٨٣]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**، هؤلاء الآيات فيهن فرضيته[٩] بقوله: **كُتب**. وأيد ذلك الإبدالُ فيها [عند] الإفطار لعذر والأمر[١٠] بالقضاء. وذلك ليس بشرط الآداب،[١١] مع الامتنان علينا بقوله عز وجل: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ،[١٢] أي يريد بكم الإذن لكم في الفطر للعذر. ولو كان غير فرض بدؤه لم يكن للفطر[١٣] للعذر بموضع الرخصة

---

[١] ن ع م: يكون.
[٢] ع: ينصب.
[٣] ن – منه.
[٤] ن ع م: والتكثير.
[٥] م: العقل.
[٦] ع: والفتوى.
[٧] سورة النساء، ٤/١٢.
[٨] ع: الغير.
[٩] م: فرضية.
[١٠] ع: وإلا.
[١١] ع: الأدب.
[١٢] ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٥).
[١٣] جميع النسخ: الفطر.

-مع شرطه إكمالَ العدة في القضاء- معنىً. وفي ذلك لزوم حفظ[1] المتروك لئلا يدخل التقصير في القضاء، وعلى ذلك إجماع الأمة.

ثم بين عز وجل أنه لم تكن[2] هذه الأمة بمخصوصة في الصيام، بل هي أحق من فيهم استعمل العفو والصفح بما خصهم، بأن جعلهم خير أمة أخرجت للناس،[3] وأخبر أنه لم يُجْعل عليهم في الدين حرج،[4] ولا ألزمهم العبادات الشاقة، فضلا منه عليهم، وتخصيصا لهم؛ إذ جعلهم شهداء على الناس[5] فقال عز وجل: **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم.** لكن **كما**[6] يحتمل وجهين. يحتمل العَدَد[7] الذي كتب عليهم. ويحتمل الفرضية في الجملة، لا عين ما فرض عليهم من حيث الإشارة إلى ذلك. ولذلك[8] اختلف في الكاف في قوله **كما**، إنها زائدة أو حقيقة.[9]

ثم اختلف في ماهية[10] ذلك الصيام. فمن الصحابة[11] رضوان الله عليهم أجمعين من جعله صوم[12] عاشوراء، وأيام البِيض، ثم استعملوا نسخ ذلك بصيام الشهر. وقد روي مرفوعا: «إن صوم شهر رمضان نسخ كل صيام كان».[13] وروي[14] عن جماعة في أمر صوم عاشوراء:

---

[1] ع: الحفظ.

[2] ن ع م: لم يكن.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).

[4] يقول الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج، ٢٢/٧٨).

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣)؛ وانظر: سورة الحج، ٢٢/٧٨.

[6] ع م - كما.

[7] ن ع م: العذر.

[8] ع: وذلك.

[9] ع م: وحقيقة.

[10] جميع النسخ: مائية.

[11] ع: من الصحابة.

[12] ك: يوم.

[13] روي عن ابن عباس ومعاذ وابن مسعود وعطاء وقتادة والضحاك ابن مزاحم قالوا: إن الصيام كان أولا كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام؛ وزاد مزاحم: لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان. انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٤١٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٣١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١/١٧٧؛ وانظر أيضا: *أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٤.

[14] ن: روي.

إنا كانا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا به ولا ينهانا.[١] وأصل هذا أنه كان يصام لو كان ابتداء الآية عليه بحق الفرض، فأبدل ذلك بصوم الشهر، فارتفع عنه الفرضية، على ما إذا كان يخرج منه بالفداء لم يكن معه فرضية القضاء، وبقي الفضل فيه؛ إذ النسخ لم يكن من حيث نفس الصوم، إذ مثله من النسخ يكون[٢] بغير الصوم لا بالصوم.[٣] فثبت أنه في نسخ الفرضية، فبقي فيه حق الأدب والفضل. وتبين[٤] النسخ[٥] وأن ذلك غير صوم الشهر المذكور[٦] في صوم الشهر. بقوله: فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا، الآية، إذ ذلك كان غير موضع الشهر؛[٧] ولو كان الكل واحدًا لكان الذكر في موضع منه كافيا عن الإعادة، فثبت أنه على تناسخ الصيام. وقد روى معاذ رضي الله عنه أنه قال: أُحِيلَ الصِّيامُ ثلاثةَ أحوال. وبين الخبر على وجهه في ذلك.[٨]

ويحتمل أن يكون المراد منه صوم الشهر، ويكون تكرار الذكر في الرخصة لمكان دفع[٩] الفداء، أو لمكان[١٠] ذكر حق الامتنان بالتيسير، أو التحريض على حفظ العدد.[١١] ***والله الموفق.*** وأي ذلك كان، فليس بنا حاجة إلى معرفة حقيقة ذلك؛ لأن كيفية الابتداء لم تُكلَّف،[١٢] وإنما كلفنا ما أبقي فرضه، وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك.

**ثم قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد آمن بقوله: يا أيها الذين آمنوا، فكان فيما خاطب وجهان.**

---

[١] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٤٢٤؛ و*صحيح البخاري*، الحج ٤٧، والصوم ٤١ و*صحيح مسلم*، الصيام ١١٣-١١٤.

[٢] ك: بكون.

[٣] ك ن: لا بصوم؛ ع: ولا بصوم؛ م: ولا بصوم. «وإنما كلفنا ما استقر الشرع عليه، وهو صيام شهر رمضان الذي لم يختلف فيه. ثم الصيام أيام البيض ويوم عاشوراء مشروع أيضا؛ لأنه لو كان يصام ذلك في الابتداء لحق الفرض، وأبدل بصوم شهر رمضان لارتفع عنه الفرضية، وبقي الأصل، لأنه نقل إلى جنس الصوم، ولو كان المراد هو انتساخ أصل الصوم لأبدل عنه بغير الصوم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥ظ).

[٤] ك: وبين.

[٥] ع + الصوم أن مثله؛ م: الصوم إذ مثله.

[٦] جميع النسخ: الذكر.

[٧] ن ع م – إذ ذلك كان غير موضع الشهر.

[٨] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٣٦-٢٣٧؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٢٨؛ و*المستدرك للحاكم*، ٢/٢٧٤؛ و*تفسير الطبري*، ٣/٤١٤؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٣-١٧٧.

[٩] ن ع م: رفع.

[١٠] ك: ولمكان.

[١١] ك: العباد.

[١٢] م: لم نكلف.

أحدهما أنه خاطب[1] المؤمنين، فعرف المخاطبون أن الاسم يأخذهم؛[2] إذ لم يذكر عن أحد أنه
[٣٨ظ] ظن خروجه من حكم الآية[3] من حيث لم يكن وفاء / بما به يستحق الاسم، وكذلك سائر عبادات الأفعال.[4] وهذا من أوضح ما يجب به العلم أن الإيمان ليس باسم[5] لجميع القُرَب، بل تحقيقه يصيِّر أفعال القرب قربا.[6] وفيه -إذ لم يقل: يا أيها الذين قلتم[7] نحن مؤمنون إن شاء الله[8]- دلالة ظاهرة على هجر هذا القول، وأنه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم،[9] كما يبطل كلَّ عقد يستعمله فيه صاحبه؛[10] مما أراد إلزامه العقد.[11] ***والله أعلم.***

والثاني: أن الله خص بالعبادات المؤمنين،[12] وأهن[13] لا يُلزَمن غيرهم، وإنما يلزم غيرهم[14] فيها الاعتقاد، لا الأفعال التي هي تقوم بالاعتقاد، وليس الاعتقاد[15] بواجب لمكان تلك الأفعال[16] حتى يكون كالأسباب التي توجب بإيجاب أفعال بها تقوم، بل له أوجب غيره.[17]

---

[1] ع م + من.
[2] ك: يذكرهم.
[3] ع م - الآية.
[4] يقول السمرقندي: «لما خاطبهم بالصوم باسم الإيمان دخل تحت هذا الخطاب كل من وجد منه التصديق والإقرار بوحدانية الله تعالى سواء ابتلي بكبيرة أم لا. وفهم الناس كلهم أن من تناوله اسم الإيمان يدخل تحته. ولم يذكر عن أحد أنه ظن خروج صاحب الكبيرة عن الآية، حتى اتفقوا على ثبوت حكم الآية على العموم، باشرَ الكبيرة أم لا، وكذلك سائر العبادات الواجبة على المؤمنين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٦و).
[5] ع - باسم.
[6] ع: قرنا.
[7] م: قتلتم. الخطاب موجه هنا للمعتزلة.
[8] ن ع م - إن شاء الله؛ ن ع م + به صلى الله عليه وسلم.
[9] أي عقد الإيمان.
[10] أي كما يبطل كل عقد يباشره صاحبه، إذا استعمل فيه الاستثناء من البيع والنكاح والطلاق ونحو ذلك. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٦و.
[11] ك: العقوبة؛ ن + به.
[12] أي خص المؤمنين بالخطاب بسائر العبادات.
[13] ن: فإنهن.
[14] ع م - وإنما يلزم غيرهم.
[15] م - وليس الاعتقاد.
[16] ع + التي.
[17] يقول الشارح رحمه الله: «إن العبادات لا صحة لها دون الإيمان. فلا يخلو إما أن يقال بأن الكفار كلفوا بأدائها بشرط تقدم الإيمان، فيرد بأن فيه جعل الإيمان سببا إلى إيجاب العبادات، فيكون الإيمان بمنزلة الطهارة عن الحدث [التي هي] شرط وجوب الصلاة. وفيه جعل الإيمان تابعا لغيره، والإيمان هو الأصل في الباب، حتى لا يتحقق =

ألا ترى أنه لا يجوز أن يرتفع ذلك[١] عن الخلائق بحال من الأحوال في الدنيا والآخرة، مع ارتفاع غير ذلك من العبادات. ثبت أن الأمر بذلك بحيث نفسه لا لغيره، ثم لا قيام لغيره مع عدمه. ثبت أن [الإيمان هو] المعنى الذي به يصير المرء أهلا لاحتمال فعل العبادات؛ لذلك لا يجوز الأمر بشيء منها دون ذلك.

وله وجهان يحيلان[٢] الأمر أيضا. أحدهما العقل؛ إنه من البعيد أن يكون من لم يقبل[٣] العبودة ولا أقر بالرسالة يُؤمر[٤] بالعبادة وباتباع الرسول بحق الرسالة، بل يقول: ألزِمونا الأول حتى يكون الثاني. وهو كما أحال[٥] الناس المناظرة في [إثبات] الرسل مع منكري الصانع والمرسِل،[٦] فمثله الأول؛ بل يجب كل قربة[٧] به، إذ لا يكون إلا به.[٨] *والله أعلم*. والثاني: القول بأن من أسلم بعد أوقات العبادات لا يلزمه القضاء.[٩]

ثم لذلك[١٠] وجهان من المعتبر. أحدهما أنهم إذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء،[١١] فكذلك خطاب الابتداء، إذ هو الذي به لزم القضاء في الإسلام.[١٢] *والله أعلم*.

---

= سائر العبادات بدونه، به يكون قربة وطاعة، ولذلك كانت العبادات توابع الإيمان. ولذلك لا يجوز أن يرتفع الإيمان عن الخلائق بحال من أحوال الدنيا والآخرة مع ارتفاع غيره من العبادات، فكان هو عبادة بنفسه لا بغيره، ولا قوام لغيره مع عدمه. فكان القول بإيجاب سائر العبادات بناء على تقديم وجوبه بمنزلة وجوب الصلاة على تقديم وجوب الوضوء. فكان إلحاقا له بالتوابع، وهذا تغيير وضع الشرع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦و).

[١] أي الإيمان.

[٢] ك: تحيلان.

[٣] ع: لم يقل.

[٤] ك ع: تؤمر.

[٥] ع م: حال.

[٦] ن: والرسل.

[٧] ن: قرية.

[٨] أي إذ لا يتحقق أي قربة إلا بالإيمان بالله تعالى.

[٩] «لأن القضاء يعتمد وجوبه على احتمال أداء الأصل ليكون بدلا عنه. وههنا بعدم الإسلام يسقط وجوب الأصل عندكم، فامتنع دخولهم في خطاب القضاء، فكذلك يمتنع دخولهم في خطاب الأداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦ظ).

[١٠] أي لذلك الوجه الثاني.

[١١] ن – ثم لذلك وجهان من المعتبر أحدهما أنهم إذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء.

[١٢] ن – في الإسلام.

والثاني أنه لا يلزم القضاء بعد الإسلام، ولا يجوز الابتداء في حاله. فكان ذا تكليفا[1] [مما] لم يجعل الله للمكلف وجه القيام [به]، وقد تبرأ الله عن هذا الوجه من التكليف بقوله عز وجل: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا؛[2] مع ما بين الله تعالى بقوله: وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ،[3] أن[4] ما للكافر للتمتع[5] في الدنيا، لا للعبادات في ذلك.[6] *والله الموفق.*

فثبت بالآية التي ذكرنا، دخول جميع المؤمنين في الخطاب، إذ بيّن الرخصة لذي[7] العذر في الإفطار على وجوب القضاء. فإذا لم يحتمل خروج من له العذر في الفطر عن أن يتضمنه الخطاب بوجه إلزام[8] القضاء ثبت أن من لا عذر له داخل فيه، ولا يسعه الفطر.

وعلى هذا جاء فيمن[9] ابتلى[10] بالجماع نهارا أنه صلى الله عليه وسلم أكد عليه الأمر، وألزمه الكفارة على غير سؤال عن أحوال سوى ما علم من حاله أنه ليس بمريض ولا مسافر.[11] فكان في ذلك دليل تأكيد الفرض، وفي ذلك إيجاب الكفارة لتعديه[12] على الصيام على حال لا يحتمل الإرخاص؛ إذ قد كان مثل[13] تلك البلية في الليالي، فلم يؤمروا[14] بها من حيث كانوا يملكون إبقاء الرخصة لأنفسهم لولا النوم. وفي ذلك أن فرض الصيام يعم المؤمنين.

ثم قال الله[15] عز وجل: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.[16] والشهر اسم للكل،

---

[1] جميع النسخ: تكليف.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[3] سورة البقرة، ٢/١٢٦.
[4] ك – أن.
[5] ن: المتمتع؛ م: التمتع.
[6] ن – في ذلك.
[7] م: الذي.
[8] جميع النسخ: وجه ألزم.
[9] ك ن ع: ممن؛ م: من.
[10] ع: ابتلا.
[11] *الموطأ* لمالك، الصيام ٢٨–٢٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٦/١٤٠؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٠–٣١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٨١، ٨٧.
[12] ع م: ليعديه.
[13] ع م – مثل.
[14] ع م: يأمروا.
[15] ك ن – الله.
[16] سورة البقرة، ٢/١٨٥.

ولو كان المراد راجعًا إليه لكان الصيام في غيره، لأنه عند هجوم غيره يتم شهوده.[١] ثم يتناقض، لأنه قال: فَلْيَصُمْهُ، ومحال أن يصوم في غيره ابتداء؛ فرجع[٢] التأويل إلى أن من شهد منكم شيئًا من الشهر[٣] فليصمه،[٤] فمن اعترضه[٥] الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه الخطاب. ويجوز في حالة الفرض أيضًا؛ إذ لو شهد ليلة الصيام بعقله[٦] فعزم على الصيام يجوز له فرضه، فدخل في حق الخطاب. ثم اعترضه في سائر الليالي عذرٌ منع النية، لا عذر منع الصيام، فيقضيه؛[٧] إذ هو أهل لحكم[٨] الآية التي ذكرنا، وللقيام بذلك الفرض على ما وصفنا، ففاته بفوت النية، كمن كان [له] فوت لعذر المرض والسفر والحيض ونحو ذلك، بعد أن علم أنه ممن تضمنه الآية، فعليه قضاؤه.[٩] وعلى ذلك [نقول] في الصبي والكافر: لم يدخلا في معنى الآية، ولا كانا يحتملان في حالٍ قضاءَ فرض الصيام، فالقضاء في غيره عن ذلك لا يعمل في حق الفرض؛ لذلك لم يلزم. وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا أن من أدرك [الشهر] مجنونا[١٠] ثم أفاق في بعض الشهر أنه لا يقضي ما مضى على[١١] ما ذكرت. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه في هذا أنه يقضي إن كان[١٢] في أول الشهر بالغًا، لما أخبرتُ أن صيامه[١٣] لم يجز لعدم النية. والصبي[١٤]

---

[١] أي إلى مطلق الشهر.
[٢] ن: خرج؛ ن هـ: رجع.
[٣] ع م: شهر.
[٤] جميع النسخ: فليصم.
[٥] ع م: ممن اعترض.
[٦] ن: يعقله؛ ع م – بعقله.
[٧] ن ع م: فيقتضيه.
[٨] ع م: الحكم.
[٩] قال السمرقندي: «وعلى هذا من كان عاقلا في أول ليلة من رمضان فاعترضه الجنون، ثم أفاق بعد ذلك، أو كان مفيقا في أول الشهر، ثم جن باقي الشهر، فإنه يجب عليه قضاء ما فات عندنا، ولا يقضي عند الشافعي. لنا أنه ممن قد تضمنه الخطاب بشهود شيء من الشهر بعقله،وهو أهل لحكم الآية، وهو وجوب أدلة الصوم؛ لأنه كان عاقلا في أول شهر رمضان فنوى الصوم في أول الليل واعترضه الجنون في اليوم، أنه يجوز صومه ذلك، فكان الجنون بعد ذلك عذرا مانعا من تحصيل النية، لا عذرا مانعا من تحصيل الصوم. فصار كمن فاته لعذر المرض والسفر والحيض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨و).
[١٠] ع: مجنون.
[١١] ع – ما مضى على.
[١٢] ن: أنه كان.
[١٣] ن – أن صيامه.
[١٤] ع م – والصبي.

أو الكافر[1] [ليس مكلفا] بنفسه. ومن فوّته لعدم النية فهو داخل في حكم فرضه، فعليه القضاء. **والله الموفق**. ومن جُنَّ الشهر كلَّه لا يقضي، لشرط الشهود، وهو لم يشهد شيئًا منه؛ مع إمكان الإسقاط بدليل آخر، وإن كان حق الخطاب في الظاهر قد اقتضاه،[2] على مثل المريض الذي لا يصح، والمسافر الذي لا يقيم. **والله الموفق**.

[٣٨ظ س ٣٧ *وقوله: **لعلكم تتقون**، ما حرّم عليكم من أنواع اللذات بكف الأنفس عن الذي به تدعو[3] إليها من الأغذية، أو تتقون نقمة الله في الآخرة ومخالفته في الفعل في الدنيا. وقد جعل الله جل ثناؤه
[٣٩و] عباداته أعوانا للمعتادين بها على الكف عن المعاصي والخلاف لله / في الشهوات، فقال: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ،[4] وقال: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[5] وغير ذلك، **والله الموفق**.

والأصل أن العبادات تذكّر أصحابها عظم[6] أحوالهم في أوقات فيها من المُقام بين يدي الجبار، وتُطْلعهم على الموعود لهم في المعاد. وهما أمران عظيمان، أحدهما في الزجر بما يعلم من عظم[7] المقام، واطلاع الواحد القهار عليه. والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه من لذيذ الموعود ما يضمحل[8]
٣٩و س ٤] لديه كل لذة دونه، وتنقطع[9] شهواته التي تَخَلَّى[10] بينه[11] وبين ما وُعِد.[12] **والله أعلم**.*

[٣٩ظ س ٣٧ *وقوله عز وجل: **لعلكم تتقون**، قيل: **تتقون** الأكل والشرب والجماع. ويحتمل: **تتقون**[14] المعاصي، لأن النفس إذا جاعت شبعت عن جميع ما تَهْوَى وتشتهي، وإذا شبعت تمنّت
٣٩ظ س ٣٩] الشهوات، وتمنت[15] ما تهوى. ويحتمل: **تتقون** عذاب الله وعقابه. **والله أعلم**.*

---

[1] جميع النسخ: والكافر.
[2] ن: اقتضى.
[3] جميع النسخ: يدعو. أي تدعو الأنفس إلى اللذات، وهي الأغذية.
[4] سورة البقرة، ٢/٤٥.
[5] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.
[6] ك: عظيم.
[7] ك: عظيم.
[8] ك: وما يضمحل.
[9] ك: وينقطع.
[10] ع م – تخلى.
[11] ع: دينه.
[12] ع: عد.
* جاءت العبارة التي بين النجمتين والتي تتعلق بتأويل الآية السابقة متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى مكانها. انظر: ورقة ٣٨ظ / س٣٧.
[14] ع: يتقون.
[15] جميع النسخ: وتمنى.
* جاءت العبارة التي بين النجمتين والتي تتعلق بتأويل الآية السابقة متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى مكانها. انظر: ورقة ٣٩ظ / س٣٧.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٨٤]

وفي قوله: **أيامًا معدودات**، دلالة أن ابتداء الآية في غير صوم الشهر؛ إذ صوم الشهر يحفظ بالأهلة لا بالأيام. لكن الله تعالى [قال: **أياما معدودات**] إذ علم الأمر الظاهر في الخلق أنهم يعدونه[١] بالأيام وإن كان لهم عن ذلك غني. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا»،[٢] بأصابع يديه كلتيهما[٣] وعقد إصبعا منها في آخر المرات.[٤] وجاء عن غير واحد أنهم قالوا: كنا[٥] نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرين أكثر مما نصوم ثلاثين.[٦] فجائز ذكر قوله: **أيامًا معدودات**، يعني يعدها الخلق. *والله الموفق*.[٧]

ثم قال: **فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر**، الآية،[٨] من غير أن ذكر فطرا؛[٩] فلا أشار[١٠] إلى ما ذكر[١١] من السفر والمرض اللذين جُعلا له [سببا] [لـ]تأخير الصيام إلى أيام أُخَر، ولا أشار إلى أعين[١٢] تلك الأيام. وكذلك[١٣] قال مثلَه فيما[١٤] عرّف الوقت

[١] ن: يعبدونه.
[٢] م - وهكذا.
[٣] جميع النسخ: كلتاهما.
[٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب يديه، فقال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا»، ثم عقد إبهامه في الثالثة، «فصوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن غُمِّي عليكم فاقدروا له ثلاثين» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٨٤؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥-٦).
[٥] جميع النسخ: ما كنا.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٨٤، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٥٨؛ وسنن *الترمذي*، الصوم ٦؛ وسنن *أبي داود*، الصوم ٤، ٧.
[٧] ورد هناك قسم من تأويل الآية السابقة، فنقلناها هناك رعاية للترتيب. انظر: ورقة ٣٨ظ/سطر٣٧ - ورقة ٣٩و/سطر٤.
[٨] ك - الآية.
[٩] ن: فطر.
[١٠] ك: ولا باشار؛ ن: اولا أشار.
[١١] ع: ذكرنا.
[١٢] ن: عين.
[١٣] ك: ولذلك.
[١٤] جميع النسخ + كان.

لابتداء الصيام،[1] على إثر المعرّف[2] له بقوله عز وجل: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.[3] لكن الفطر يعرف أنه مضمر فيه بالسمع والعقل.[4] فأما السمع فما جاء من الآثار في الإذن بالإفطار للسفر والمرض، دل أن في ذكر العدة من أيام أخر إضمار فطر فيه.[5] ***والله أعلم.*** و[أما] العقل فإن[6] الله تعالى جعل المرض والسفر سببي الرخص، فلا يجوز أن يصيرا سببي زيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما. على أن قوله: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ،[7] دليل [على] أنه لو كان يلزم القضاء مع فرض فعل الصوم لكان ذلك عسرًا وحرجا في الدين، وقد أخبر الله تعالى أنه لم يجعل[8] علينا الحرج في الدين.[9] وعلى ذلك قال بعض الناس: يلزمهما[10] القضاء إن أفطرا[11] أوّلا، محتجا بما[12] لم يذكر[13] في القرآن الإفطار، وذكر: "عدة من أيام أخر"، كأنه جعل الوقت لهما غير الذي هو[14] لغيرهما. يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر».[15] ومعلوم أن على المفطر في الحضر القضاء، فكذلك الصائم في السفر.[16] ولكن الآية عندنا على الإضمار،[17]

[1] جميع النسخ + بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر.
[2] ك: المعترف؛ ن: العرف. أي بعد ما عرّف الله تعالى بعض أحكام الصيام بقوله: ﴿أياما معدودات...﴾ إلخ.
[3] سورة البقرة، ١٨٥/٢.
[4] ك ع م: بالعقل والسمع.
[5] ع م – فيه.
[6] ك ع: أن.
[7] سورة البقرة، ١٨٥/٢.
[8] ن ع: يجعل؛ م: ما يجعل.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عيكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج، ٧٨/٢٢).
[10] ك ع: يلزمها.
[11] ع: فطرا.
[12] ك: مما.
[13] ع: لم تذكر.
[14] م – هو.
[15] *سنن ابن ماجة*، الصيام ١١؛ و*سنن النسائي*، الصيام ٤٦، ٦٢، ٧٤؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢١٤/١؛ و*نصب الراية* للزيلعي، ٤٦١/٢.
[16] ك – كالمفطر في الحضر ومعلوم أن على المفطر في الحضر القضاء فكذلك الصائم في السفر.
[17] «أي على إضمار الإفطار، كأنه قال: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

وعلى ذلك يجري[1] ذكر الرخص على أثر ذكر[2] الحظر. كقوله عز وجل: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ إلى قوله: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ،[3] الآية، من غير ذكر الأكل أنه على إباحته. وقال الله[4] عز وجل: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ،[5] ثم قال الله[6] عز وجل: فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ، و لم يذكر منه الإحلال، لكنه معلوم أنه على النُّسُك[7] ما لم يوجد،[8] إذ لا يكون العذر سبب الزيادة في الفرض، وكذلك قوله عز وجل: وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ. ثم قال عز وجل: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، الآية. وذلك على إطلاق[9] الحلق،[10] ثم يلزمه الفداء؛ لا أن[11] الأذى والمرض يلزمانه، فمثله الأول.

ثم الأصل أنه لا أحد[12] يُلْزَم[13] فرض صيام الشهر في غيره إذا لم يدرك الشهر، وقد أمر مَن نحن في ذكره. فبان أنه[14] لزمه بإدراك الشهر، لإدراك وقت الإمكان بلا عذر، وقال: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ،[15] وقال: وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ،[16] ليعلم أن الذي يلزمه يلزمه[17] بالشهر في أوقات الإمكان. وذلك على ما يلزم الأحداث [من] الطهارة لأوقات عبادة لا تقوم دونها،

[1] ك ن: يجرى.
[2] ك: ذلك.
[3] ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ١٧٣/٢). وانظر: سورة المائدة، ٣/٥؛ وسورة الأنعام، ١٤٥/٦؛ وسورة النحل، ١١٥/١٦.
[4] ك ن – الله.
[5] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحصِرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسكٍ﴾ (سورة البقرة، ١٩٦/٢).
[6] ك ن – الله.
[7] ع: الشك.
[8] أي فإن أحصرتم وأحللتم من الإحرام.
[9] ن: الإطلاق.
[10] جميع النسخ: الخلق. والتصحيح من شرح *التأويلات*. أي من حلّق ورفع الأذى من رأسه ففدية من صيام (ورقة ٥٦ظ).
[11] ن ع م: لأن.
[12] ع: لأحد.
[13] ن – يلزم.
[14] ع – أنه.
[15] جزء من الآية التالية.
[16] جزء من الآية التالية.
[17] ن ع م – يلزمه.

وفعل[1] الجنايات[2] لأوقات الحلول وإن تأخرت، فمثله أمر الشهر. دليله ما بينا، وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته[3] [من] فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا،[4] ثبت أن الصوم يجوز.[5] على أن المرض والسفر إذ هما لأنفسهما لا يناقضان الصيام بما جاز معهما، وقد أمر به المتمتع وهو مسافر؛ إذ ليس[6] ذلك على حاضري المسجد الحرام.[7] وذابح الصيد والمتأذي بهما لا يضادان الصيام. ثم كان[8] القضاء عن الشهر بظاهر التلاوة، فبان أنه يجوز فيهما، وإذا جاز ثبت أن التأخير رخصة، والفضل في الفعل. *والله أعلم*. والخبر[9] على من يجهده الصيام حتى خيف[10] عليه. وكذلك ما جاء[11] من الأثر أنْ: «ليس من البر الصيام في السفر».[12] *والله أعلم*.

وعلى هذا يخرج قول أصحابنا في المكره على الفطر،[13] إنه إن كان مريضا أو مسافرا لا يسعه أن لا يفطر، لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر في حال الضرورة. ويسعه [الإفطار] لو كان صحيحا مقيما لما[14] لم يذكر له الرخصة، ويلزمه فيه القضاء. مع ما فيه،

---

[1] م: فعل.

[2] أي أثناء مناسك الحج.

[3] ع: وسلم عن صحابته.

[4] أي يجوز الصوم مع المرض والسفر.

[5] عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول لله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، في حر شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن رواحة. وجاء في الصحيحين كذلك عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: يا رسول الله إني كثير الصيام، أ فأصوم في السفر؟ فقال: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٢، ٢٣٢؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٣-٣٤، الجهاد والسير ٧١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢-٥٤).

[6] م: أن ليس.

[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦).

[8] ع – المتمتع وهو مسافر إذ ليس ذلك على حاضري المسجد الحرام وذابح الصيد والمتأذي بهما لا يضادان الصيام ثم كان.

[9] يعني قوله عليه السلام: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر». وقد سبق تخريجه.

[10] ن: حنف؛ ع: خف.

[11] ع – ما جاء.

[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٢؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢/١٥٥؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٤/٢٣٥.

[13] أي إفطار صوم شهر رمضان.

[14] ع – لما.

إذ[1] لم يكن ظهر الإذن في تلك الحال كان كفه عنه تعظيما لأمر دينه من غير أن ذكر له في الدين النهي عنه، فهو في سعة، وليس كالمكره على أكل الميتة، ما ليس ذلك بذي بدل. وقد فرق بين ذي بدل وما لا بدل[2] له، نحو إتلاف مال آخر، وأكل الميتة؛ ولأن علته الاضطرار، وليست علة[3] الفطر في السفر تلك، إذ قد يجوز [ولكن] لا له؛ فهو عذر النفس لا ضرورة النفس، فكأنه غير معقول العلة. وفيه تعظيم الدين،[4] وليس في أكل الميتة وما ذكر أنه لم يختص بالمكان[5] الخاص، وهو المفاوز،[6] فإنه يرخص في الأمصار في حالة السفر.[7] ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم السفر الذي له الرخص[8] أجمع أنه لم يُرَد به المكان، لما جاء الفطر في الأمصار.[9] ثبت أنه لنفس السفر. ثم كان السفر حقيقته الظهور والخروج[10] عن الأوطان، وقد يكون[11] مثله في الخروج[12] إلى الضياع[13] ونحوه، و لم يؤذن في الفطر. ثبت أنه راجع إلى الحد.[14] وعلى ذلك متفق القول.

ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج على قصد سفر ثلاثة أيام، لخصال[15] ثلاث. أحدها الإجماع على أن هذا الحد مرخَّص، ودونه[16] متنازع[17] فيه،[18] والتنازع يوجب النظر

---

[1] ن – إذ.
[2] ك: بذل؛ ع: يدل.
[3] ع م: عته.
[4] ع: الذين.
[5] ن هـ: المكان.
[6] ع هـ: المفاز.
[7] جميع النسخ – أنه لم يختص بالمكان الخاص وهو المفاوز فإنه يرخص في الأمصار في حالة السفر، وقد ذكر على هامش ع و ن.
[8] ع م: المرخص. أي السفر الذي يتعلق به الرخصة في الشرع.
[9] أي لأنه يترخص في الأمصار بالفطر.
[10] ع م: الخروج..
[11] ن ع م: تكون.
[12] ع + وقد تكون مثله في الخروج عن الأوطان.
[13] ع م: أن الضياع.
[14] أي السفر المرخص هو السفر المقدر بتقدير معلوم.
[15] ن: بخصال.
[16] ن: دونه.
[17] ك: لتنازع؛ ن ع م: تنازع.
[18] ن ع م – فيه.

لا الفتوى[1] بالرخص. وفي ذلك أمر بفعل الصيام.

والثانية[2] مجيء الخبر من وجهين. أحدهما في تقدير مسح السفر بثلاثة أيام.[3] ومعلوم أنه[4] جعل السفر حدا ووقتا لفعل رخصة المسح، وأوقات الأفعال على اختلافها يتفق على أنها لا تقصر عن احتمال الأفعال على الوفاء، وليس بما لم يدخل الليالي في حق السفر عبرة؛ لأن الأسفار وإن كانت

[٣٩ظ] مؤسَّسَة على قطع الطرق والسير فيها، / فإن دوام السير يُجحف بصاحبه[5] ويهلكه؛ وفي ذلك منع السفر.[6] ثبت أن أوقات الراحة فيما بين[7] أوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر؛ لذلك صارت الليالي كالمعفوة [حالة السفر]، فتكون[8] محيطة بما فيها من فعل المسح. والثاني ما جاء من الأثر في النهي عن[9] سفر [النساء] ثلاثة أيام إلا بمحرم،[10] وهو المنهي لما جاء به[11] النهي. وفيما دونه تنازع لم يوجب الرخصة للإشكال في حق التمام، لما له الرخصة على ما كان لما له النهي. ***والله أعلم***.

والخصلة الثالثة أن السفر عذر، والنهايات في الأعذار الثلاث فكذلك بالأيام، إذ بها يسافر، قال الله تعالى: ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا،[12] وقال:[13] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[14] وقال موسى عليه السلام:

---

[1] ن ع م: لأن الفتوى.

[2] ك ن ع: والثاني.

[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا: يا رسول الله، ما الطهور عى الخفين؟ قال: «للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة» (*الموطأ* لمالك، الصلاة ٤١-٤٦؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٤، ٢٠، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٤٤؛ وصحيح *مسلم*، الوضوء ٣٣، ٣٥، ٤٨).

[4] ع: ومعلوانه.

[5] جميع النسخ: صاحبه. أجحف به: اشتد في الإضرار به، وأجحف هم فلان: كلفهم ما لا يطيقون (*لسان العرب*، «جحف»).

[6] أي وذلك ما يمنع عن النفع، لكن المسافر مرة يسعى ومرة يمسك ويكف عن السير للاستراحة فيما بين أوقات السعي والسير، وهذه تعد من باب السفر تقديرا وإن لم يوجد فيها السفر حقيقة (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[7] ع م - أوقات الراحة فيما بين.

[8] ع: فيكون.

[9] ع - السفر ثبت أن أوقات الراحة فيما بين أوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فتكون محيطة بما فيها من فعل المسح والثاني ما جاء من الأثر في النهي عن.

[10] جميع النسخ: إلا لمحرم. عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «ولا تسافر المرأة ثلاث ليال مع غير ذي محرم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٧٩، ١١٩، ١٢٢؛ و*صحيح البخاري*، الديات ٣١؛ و*سنن ابن ماجة*، الديات ٢١).

[11] م - به.

[12] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ (سورة مريم، ١٩/١٠).

[13] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤١).

[14] جميع النسخ - قال الله تعالى ثلاث ليال سويا وقال ثلاثة أيام إلا رمزا، والزيادة من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و.

إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا.[١]

وأما المرض فلم يجز أن يكون اسمه سببا للرخصة، إذ ربما كان المرض يخفّف الصيام، ويسهل عليه سبيل فعله، ومن البعيد الترخيص بما يسهل فيه الفعل، والتضييق[٢] لما يشتد، فثبت أنه ليس لاسم[٣] المرض.[٤] وعلى ذلك الإجماع، فهو -والله أعلم- لما يخاف أن يزداد له[٥] بترك الأكل الداءُ، ويقبح على المرء اكتساب الداء وتعاطي الضارِّية،[٦] فرخص له الفطر بذلك. وذلك معنى اليُسْريَّة،[٧] إذ به تخفيف ما به[٨] أو منع[٩] ما يعتريه من الضرر.[١٠] ولهذا ما رخّص أصحابنا لمن به رمدٌ يخاف الزيادة فيه. وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يفطر المريض والحبلى إذا خافت أن تضع ولدها، والمرضع إذا خافت الفساد على ولدها».[١١] ثبت أن الرخصة لما يخاف من فساد ينزل. ***ولا قوة إلا بالله.*** وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من مات من[١٢] طعام أو شراب وهو يقدر فله النار».[١٣] ***وبالله المعونة.***

**وعلى الذين يطيقونه**؛ قال قائلون: يطيقون الفِداء، وذلك في الأمر الأول في المسافر والمريض أَنَّ له أن يقضي في أيام أخر وأن[١٤] يَفْدِيَ. وفيه: **وأن تصوموا خير لكم**،

---

[١] سورة الكهف، ٧٦/١٨.

[٢] ك: والنفيس.

[٣] ع: الاسم.

[٤] ع: لمرض. يقول الشارح: «وأما المرض فمطلقه ليس سبب الرخصة لأن المرض متنوع في نفسه مرض يكون الصوم مخففا له ويكون الصوم على المريض سهل من الأكل بل الأكل يشتد مرضه والإفطار يثبت رخصته بسبب المرض ومن البعيد الترخص بما يسهل على مريض تحصمه. والتضييق بما يشتد عليه فثبت أن الرخصة لم تتعلق بمطلق المرض» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[٥] ك - له.

[٦] ن: الضاربة.

[٧] ن ع م: البشرية.

[٨] «إذ بالإفطار تخفيف ما به من المرض، أو منع ما يتوهم من أعراض الضرر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[٩] ع + أو منع؛ م + أو.

[١٠] ن: الضرورة.

[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٤/٣، ٣٤٧/٤، ٤١٨، ٢٩/٥؛ وصحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٢٥؛ وسنن *الترمذي*، الصوم ٢١.

[١٢] ن: على.

[١٣] لم نقف على أصل هذا الخبر.

[١٤] ع: اون.

أي تقضوا الصيام. *والله أعلم*. وقد[1] يحتمل أيضا أن كانت الرخصة من قبلُ فيمن عليه الصيام[2] بالخيار[3] بين أن يصوم وبين أن يفدي، والصوم خير، على ما ذكر في الآية؛ ثم نسخ ذلك إن كان على التأويل الأول، بقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ،[4] الآية، أنه ألزم القضاء على كل حال. وإن كان الثاني فقوله:[5] فَلْيَصُمْهُ، أنه ألزم الفعل على حال. وبمثل ذلك خبر معاذ في إحالة الصيام، أنه كان للمرء خيار بين الفطر والفداء، وبين الصيام ثم نسخ.[6] وفي قوله:[7] **وأن تصوموا خير لكم**، على أثر ذكر السفر والمرض دلالة جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والفداء[8] أو القضاء[9] في غيره وإن احتمل الذي ذكرت. *والله أعلم*.

ثم الدلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على أن المطلق لم يكن له الخروج من ذلك بالفداء،[10] فبذلك عرف النسخ. مع ما ثبت من قطع الآية على القضاء في أحد الوجهين، وفعل الصيام في الآخر. وعلى ذلك معتبر القوم في الشيخ الفاني الذي لا يقوم للقضاء أن له الفطر والفداء، لأن الصوم قد ثبت أنه يحتمل الوفاء بالفداء، لكن[11] نسخ الصيام،[12] فإذا ارتفع الصيام بالعجز عمن يحتمل الخطاب بعبادات[13] الأموال -وهم المشايخ- جاز أن يخاطبوا بالصيام ليخرجوا عنه بالفِداء. وعلى ذلك ما جاء من الأثر،[14] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصيام عن الميت،[15] أنه الصيام[16] الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: وإذ قد.
[2] ع – الصيام.
[3] ك – بالخيار.
[4] سورة البقرة، ٢/١٨٥.
[5] ك: بقوله.
[6] خبر معاذ، قال: «أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال». تقدم تخريجه.
[7] ن: فقوله؛ ع م: في قوله.
[8] ك – وفي قوله وأن تصوموا خير لكم على أثر ذكر السفر والمرض دلالة جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والفداء.
[9] ع: والقضاء؛ م – أو القضاء.
[10] ن: الفداء.
[11] ك ن: ولكن.
[12] جميع النسخ: بالصيام.
[13] ع: بعبارات.
[14] ن ع م: عن الأثر.
[15] عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، أ فأقضيها عنها؟ قال: «نعم»، قال: «فدين الله أحق أن يقضى» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢١٦، ٢٢٤؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ١٥٣–١٥٨).
[16] ك – ليخرجوا عنه بالفداء وعلى ذلك ما جاء من الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصيام عن الميت أنه الصيام.

وقد قرئ:[١] يُطَوَّقُونَهُ، بمعنى يُكلَّفونه ولا يطيقونه؛ لكن في الآية: **وأن تصوموا خير لكم**، ولو كان[٢] لا يطيقونه لا يرغبون فيه إلا أن يشترط فيه طاقة الجهد. ***والله أعلم***.

وقوله: **فمن تطوع خيرًا [فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون]**، من زيادة فداء، أو ما[٣] يستزيد من الخيرات التي لم تفرض[٤] ليعود به الخير،[٥] أو تطوع[٦] فيما أذن له في الفداء بالصوم. ***والله أعلم***. وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسموا شهر رمضان رمضان[٧] فإنما هو اسم من أسماء الله تعالى، انسبوه إلى ما نسبه لكم القرآن».[٨]

وقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، أضاف عز وجل الفعل إلى الشهر بقوله: فَلْيَصُمْهُ، فلذلك إذا قصد به صوم الشهر جاز[٩] الصوم وإن لم ينو الفرض، سوى ما ذكرنا؛ وكذلك سائر الفرائض نحو الظهر والعصر، ينوي ذلك فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض، وإن لم ينو الفرض. ***ولا قوة إلا بالله***. وعلى ذلك من نوى بالصيام غير صيام الشهر [فهو] جائز عن صيام[١٠] الشهر، لما أمرنا[١١] بصيام الشهر ولم نؤمر[١٢] بأن نجعل ذلك لشيء سواه، والشهر موجود لنفسه، لا يحتاج صاحبه إلى أن يوجده،[١٣] كان من ذلك على كل حال.

---

[١] ك - قرئ.
[٢] م: كانوا.
[٣] ع م: وما.
[٤] ع م: لم يعترض.
[٥] م: الخبر.
[٦] ك: يطوع.
[٧] ع - رمضان.
[٨] قال ابن حجر العسقلاني: حديث ضعيف، رواه أبو معشر نجيح المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، مرفوعا: وقال ابن كثير: أبو نجيح بن عبد الرحمن المدني إمام المغازي والسير، ولكن فيه ضعف. وقد رواه ابنه محمد عنه، فجعله مرفوعا، وكذا قال القرطبي عن أبي هريرة، وقد أنكر عليه الحافظ بن عدي، وهو جدير الإنكار؛ فإنه متروك، وقد وهم في رفع الحديث. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢١٧/١؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٩٢/٢؛ و*فتح الباري* لابن حجر، ١٣٥/٤.
[٩] جميع النسخ: جايز.
[١٠] ن: من صيام.
[١١] ك: فامرنا.
[١٢] ك: وإن لم نؤمر.
[١٣] ع: يأخذه.

وكذلك كل حق معين في شيء لم يُزل عنه نيته إلى غيره، كمن يأمر إنسانا بشراء[١] شيء[٢] بعينه، لم يتحول عنه بالنية. على أن ذلك كالظهر والعصر، ونحو ذلك، فمحال على تحقيق ذلك قصد غيره.[٣] وبعد، فإن كلا يُجمِع أن لا يجوز غير. فثبت أن استحقاق الشهر بصومه لا يستحق[٤] عليه غيره من الصيام، فجاز عنه. وعلى ذلك أجاز أبو حنيفة في السفر غيره،[٥] من حيث أذن له في تأخير هذا وغيره[٦] فرض عليه، نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له[٧] في تأخيره، فجاز فيه؛ إذ هو وقت صيام حُوّل إلى وقت غيره، فصار هذا الوقت بالحكم لغيره؛ وليس كنية المتطوع لأنه في موضع الرخصة. وفي العمل به قد يكون له مقدار[٨] التطوع من الفضل على[٩] غيره، فهو أولى به؛ ولما قد يجوز النفل بلا نية نفل،[١٠] فكأنه لم ينو النفل، فهو رجل لم يعمل برخصة الله، بل عمل بوجه العزم. ***ولا قوة إلا بالله.****[١١]

[٤٠و] وقوله: **فمن كان منكم مريضًا / أو على سفرٍ فعدة من أيامٍ أخر**؛ ألزم بعضُ الناس[١٢] المريضَ والمسافر قضاء عدة الأيام وإن صاموا. فاستدلوا بظاهر الآية، فقالوا: أوجب عليهم القضاء، على غير[١٣] ذكر الإفطار فيها. واحتجوا أيضا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»،[١٤] فقد حقق له حكم الإفطار في أن لا صوم له، فدل أنه لم يجز، فكان كتقديم[١٥] الصوم عن وقته.[١٦]

---

[١] جميع النسخ: بشرى.
[٢] ع – شيء.
[٣] ك ع م: غير.
[٤] ن + الشهر بصومه لا يستحق.
[٥] أي: أجاز أبو حنيفة في السفر غير رمضان، لأنه مأذون له في تأخير صيام رمضان وصيام غير رمضان فرض عليه، مثل صيام كفارة الظهار.
[٦] ع م: أو غيره.
[٧] جميع النسخ + في تأخير هذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل (ع: القتلى) ولا رخصة له.
[٨] ع م: مقدارا.
[٩] ع – على.
[١٠] ن: نقل.
[١١] ورد هنا قسم من تأويل الآية السابقة، فنقلناها هناك رعاية للترتيب. انظر: ورقة ٣٩ظ/ سطر٣٧.
[١٢] جميع النسخ + على.
[١٣] ك – غير.
[١٤] تقدم ذكره.
[١٥] ك ن ع: كالتقديم.
[١٦] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٢٦٦.

وأما عندنا فهو على إضمار الإفطار، كأنه قال: **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر**. وهو كما ذكر عز وجل في المتأذي: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ،[1] أي من كان به أذى فرفع من رأسه[2] ففدية، وكما قال في المضطر:[3] فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ،[4] ومثله كثير في القرآن، فلا يجوز لأحد أن يأتي ذلك؛ ولأن المرض والسفر أعذار رُخِّص الإفطار فيها تخفيفا وتوسيعا[5] على أربابها،[6] فلو كان على ما قال هو لكان فيه تضييق عليهم؛ ولأنه إذا قضي في عدة من الأيام إنما يقضي عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل في ذلك الوقت وفي تلك الحال لكان لا يؤمر[7] بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال، فدل أنه على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وأصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صام في السفر،[8] وروي أنه أفطر.[9] وروي عن الصحابة أنهم صاموا في السفر.[10] ولو كان لا يجوز لكان لا معنى[11] لصومهم. وأما قوله: « الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»،[12] فهو عندنا إذا كان الصوم أجهده وضعفه لزمه أن يفطر، فصار[13] كالذي أفطر في الحضر. ***والله أعلم***. وروي عن أنس رضي الله عنه،

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٩٦.

[2] قال السمرقندي: «من كان به أذى من رأسه ففدية، أي من حلق ورفع الأذى عن رأسه ففدية من صيام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦ظ).

[3] ك: المفطر.

[4] ﴿إنما حرم عيكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٣).

[5] ك: وتوسعا.

[6] ك: أربابهما.

[7] ن ع م: لا يأمر.

[8] صحيح *مسلم*، الصيام ٩٥.

[9] عن أم الفضل بنت الحارث: «أن ناسا تماروا عندنا يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة، فشربه» (صحيح *مسلم*، الصيام ١١٠).

[10] روي في ذلك أحاديث كثيرة. منها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك، قال: كنا نسافر مع النبي صلى الله عيه وسلم، فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. انظر: صحيح *البخاري*، الصوم ؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٨٨-١٠٩.

[11] ع: لكان معنى.

[12] سبق ذكر هذا الحديث.

[13] جميع النسخ: صار.

أنه قال: الصوم أفضل والفطر رخصة.[1]

وقوله تعالى:[2] **وعلى الذين يطيقونه**، قرأ بعضهم: **وعلى الذين يُطَوَّقُونَهُ**[3] فمعناه يُكلَّفونه. وقال بعضهم: لا يطيقونه. لكن هذا لا يحتمل، وذلك أنه قال: **وأن تصوموا خير لكم**، دل أن قوله: لا يطيقونه لا يحتمل. وقيل: كان أولَ ما نزل[4] الصوم، كان من شاء صام ومن شاء[5] أفطر وأطعم مسكينا كل يوم. فلما نزل[6] شَهْرُ رَمَضَانَ،[7] نسخ ما كان قبله عمن يطيق الصوم،[8] وأثبت[9] الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفاني والحبلى والمرضع إذا خافت على ولدها.

ثم الأصل في هذا أن من عجز عن قضائه جعل له الخروج بالفداء بعجزه[10] عن ابتدائه، من نحو الشيخ الفاني وغيره. ومن لم يعجز عن قضائه لم يجعل له الخروج بالفداء، من نحو المرضع والحبلى والمريض والمسافر؛ لأنهم لم يعجزوا عن عين[11] المفروض، والبدل أبدًا إنما يجب إذا عجزوا[12] عن إتيان الأصل. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن تطوع خيرًا**، يحتمل وجهين. يحتمل: **تطوع** بالفداء، يُضَعِّفه [عن] صومه. ويحتمل: **فمن تطوع** بالصوم في أصله فصام. وهو كقوله: **ومن تطوع خيرًا**، يحتمل[13] زيادة الطواف، ويحتمل نفس الحج،[14] ويحتمل[15] أصل التطوع أنَّ كل ما يتطوع به فهو خير له إذ التطوع[16] في الأصل خير.

[1] *تفسير الطبري*، ٢/١٥٣.
[2] ك: وتعالى.
[3] ن م: يطيقونه؛ ع – يطوقونه.
[4] ع م: ترك.
[5] ع – ومن شاء.
[6] م – صوم.
[7] يشير إلى الآية التالية.
[8] ع + كان.
[9] جميع النسخ: ويثبت؛ ن + الصوم.
[10] ع: يعجزه.
[11] ك ع م: غير.
[12] ع م: عجز.
[13] ع م – وجهين يحتمل تطوع بالفداء يصعه صومه ويحتمل من تطوع بالصوم في أهل فصام وهو كقوله ومن تطوع خيرا يحتمل.
[14] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٨).
[15] ع – نفس الحج ويحتمل.
[16] ع م: إذا تطوع.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٨٥]

وقوله عز وجل: **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس [وبينات من الهدى والفرقان]**.[١] قال ابن عباس رضي الله عنه: نَزَل إلى سماء الدنيا[٢] من اللوح جملة في شهر رمضان، في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع[٣] النجوم رَسَلاً[٤] في الشهور والأيام على قدر الحاجات.[٥]

وقوله عز وجل: **هدى للناس**، يهتدون به الطريق المستقيم. وقيل: بيان للناس من الضلالة. **وبيناتٍ [من الهدى]**، قيل: حُجَجٍ للناس إذا تأملوه. وقيل: البينات، أي فيه الحلال والحرام والأحكام والشرائع.[٦]

وقوله تعالى: **والفرقان**، يفرّق بين الحق والباطل. وقيل: الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

وقوله عز وجل: **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**، يحتمل قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، وهو مقيم صحيح فليصمه، ثم رخص للمريض والمسافر الإفطار بقوله عز وجل: **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**. ويحتمل قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، أي من شهد منكم بعقله الشهر فليصمه، فلا يدخل في الخطاب المجانين ولا الصبيان؛ ألا ترى أن أول[٧] الخطاب خرج للمؤمنين[٨] بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ،[٩]

---

[١] ع م + وقوله عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

[٢] جميع النسخ: السماء الدنيا.

[٣] ع: موقع.

[٤] رَسَلاً: متتابعا، والرَّسَل: الجماعات المتتابعة، والرَّسَل التتابع، جمعه: أرسال (*لسان العرب* لابن منظور، «رسل»).

[٥] عن ابن عباس، قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي شك من قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقد أنزل الله في شوال وذي القعدة وغيره. قال: إنما أنزل في ليلة القدر، وليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رَسَلا في الأيام والشهور. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٦/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢١٧/١.

[٦] ن – والشرائع.

[٧] ك: إلى أن أول.

[٨] ع م: المؤمنين.

[٩] سورة البقرة، ١٨٣/٢.

فهؤلاء لم يدخلوا[1] فيه، فدل أن قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، أي شهد منكم[2] بعقله فليصمه.[3]

ثم يحتمل أن يكون فرضية[4] الصوم بقوله عز وجل:[5] **فليصمه**. ويحتمل لا بهذا ولكن بقوله:[6] **ولتكملوا العدة**، إذ لا يجب إكمال العدة لما مضى إلا على حق الفرضية. والثاني قال: **يريد الله بكم اليسر** بما رخص للمريض والمسافر الإفطار.[7] ولو كان غير فرض لم يكن لما ذكر من الامتنان علينا بالتيسير[8] معنى؛ لأن المنة لا تذكر[9] فيما له تركه، فدل أنه فرض. ويحتمل أن يكون فرضيته بقوله عز وجل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ؛[10] لأن قوله: كُتِبَ:[11] فُرِض. فدلت هذه الآية[12] على أنه فرض.

ثم اختلف[13] في قضاء ما فات منه برخصة الإفطار في السفر أو في المرض. قال بعضهم: لا يجوز إلا متتابعا. وكذلك روي في حرف أُبَيّ بن كعب في قوله: **فعدة من أيام أخر** متتابعات. وأما عندنا فإنه يجوز متتابعا ومتفرقا؛ اتباعا لما[14] روي عن خمسة من أصحاب
[٤٠ظ] رسول الله صلى الله عليه وسلم / أنهم قالوا: إن شاء[15] تابع وإن شاء[16] فرق، سوى أن عليا رضي الله عنه قال: يتابع لكنه إن فرق جاز.[17] ثم [روي] عن علي[18] وعبد الله بن عباس،

---

[1] ع م: لم يدخلون.
[2] ع + الشهر أي شهد منكم.
[3] ك: فليصم.
[4] جميع النسخ: فريضة.
[5] ع + بقوله.
[6] ن: تقوله؛ ع: نقوله.
[7] ك: والإفطار.
[8] ن ع م: بالتبشير.
[9] م: لا يذكر.
[10] سورة البقرة، ٢/١٨٣.
[11] جميع النسخ + قيل.
[12] جميع النسخ: الآيات.
[13] ك: واختلف.
[14] ن ع م: بما.
[15] ك + الله.
[16] ك + الله.
[17] عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: اقض رمضان متتابعا، فإن فرقته أجزأك. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٠٨/١.
[18] ن ع م: من علي.

وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وآخر لست أذكره،[١] أنهم قالوا بجواز[٢] ذلك. ولا يحتمل أن كان[٣] التتابع شرطا فيه خفي ذلك على هؤلاء أو تركوه إن عرفوه. فدل أنه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه، وليس كذكر[٤] التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف ابن مسعود رضي الله عنه، لأنه لم يخالفه أحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في ذلك، فصار كالمتلو. وههنا قد خالفوا أُبَيًّا في حرفه فلم يصر كالمتلو، لذلك افترقا. **والله أعلم.**[٥]

وقراءة أبي إن ثبتت[٦] عنه فهو على الندب،[٧] لما ذكر[٨] من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وبما أنه وجب بوقت،[٩] وكل ذي وقت فليس التتابع بشرط فيه في غير ذلك الوقت. ولو كان التتابع شرطا لكان حق الإفطار يلزم الكل، حتى يكون القضاء موصولا أو الابتداء. فأما إذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء وبعضٍ له حكم[١٠] القضاء لجاز في غيره من الأبعاض؛ إذ كل ذلك له في الابتداء جاز الفعل[١١] والترك، فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره، إذ كذلك حقه في الترك: القضاء، وفي الفعل[١٢] في الابتداء.[١٣] **ولا قوة إلا بالله.**

---

[١] لعله عائشة رضي الله تعالى عنها، انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٠٨/١؛ وشرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و؛ وتفسير *القرطبي*، ٢٨٢/٢.

[٢] ع: يجوز.

[٣] ع م - كان.

[٤] ك ن ع: كالذكر.

[٥] ع + وافترقا.

[٦] جميع النسخ: إن ثبت.

[٧] ك ن: الأدب؛ ع م: الأرب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٧و.

[٨] ن: ذكرت.

[٩] ع: موقت؛ م: بموقت.

[١٠] ع - الابتداء وبعض له حكم.

[١١] ك ن: الفضل.

[١٢] ع + والترك فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره إذ كذلك حقه في الترك القضاء وفي الفعل.

[١٣] يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قالوا: إن القضاء يجب على حسب الأداء، والأداء وجب متتابعا فكذلك القضاء. قيل لهم: إن التتابع في الأداء ما وجب لعين الصوم، وإنما وجب لأجل الوقت، فإنه يجب عليه صوم شهر معين، ولا يتمكن من أداء الصوم في الشهر كله إلا بصفة التتابع، فكأن التتابع لضرورة تحصيل الصوم في هذا الوقت، لأن التتابع كان شرطا لعين الفعل. والأصل في هذا أن كل صوم يؤمر فيه بالتتابع لأجل الصوم يكون التتابع شرطا فيه حيثما دار الصوم، وكل صوم يؤمر فيه بالتتابع لأجل الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع فإن بقي الفعل واجب القضاء. فإن من قال: لله علي أن أصوم شعبان يلزمه أن يصوم شعبان، لكنه إذا فات منه شيء يقضي إن شاء متفرقا وإن شاء متتابعا، لأن التتابع ههنا لمكان الوقت، فسقط التتابع بسقوطه. ولو قال: لله علي أن أصوم شهرا متتابعا، يلزمه أن يصوم متتابعا، لا يخرج عن نذره إلا به، ولو أفطر يوما في وسط الشهر يلزمه الاستقبال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و).

وما ذكر من المسائل فهي[1] مبنية على هذا الذي ذكرت، أن التتابع للفعل[2] لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق على إمكان الجمع، ثبت أن الجمع شرط فيه. وما نحن فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد، [و]أن يؤخر فعله في الشهر بالرخصة عن غيره، كذلك القضاء. *والله أعلم*.

وبعد، لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله: **فَعِدَّةٌ من أيام أخر** وقوله عز وجل: **ولتكملوا العدة** كبيرَ فائدة، لأن في التتابع شرطَ الجملة، لا أن يكلف[3] له العدد، وعلى الرجل أن يتم المدة التي للقضاء، لا أن يحفظ الحساب لإكمال العدة. *والله أعلم*.

والأصل أن كل صوم يؤمر بالتتابع بحيث الفعل يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان الفعل، وكل صوم يكون التتابع فيه بحيث الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع.

ولهم على هذا مسائل. إذا قال: لله عليّ أن أصوم شعبان، لزمه[4] أن يصوم متتابعا، لكنه إذا فات شيء منه يقضي إن شاء متتابعا وإن شاء متفرقًا، لأن التتابع بحيث الوقت يسقط[5] لسقوطه. ولو قال: لله علي أن أصوم شهرا متتابعا، يلزمه أن يصوم متتابعا، لا يخرج من نذره إلا به، لأن التتابع ذكر للصوم، فهو لا يسقط عنه أبدا. والثاني ما قال عز وجل: **يريد الله بكم اليسر**، واليسر رخصة[6] لم يجز أن يجعل فيه ما هو عسر وضيق وهو التتابع. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**، دلالة أنه إذا صام عن غيره لم يجز، لأنه أضاف عز وجل الصوم إلى الشهر، وأشار إليه بقوله عز وجل: **فليصمه**. فلو جاز له[7] أن يصوم[8] عن غيره،[9] لكان فيه صرف إلى غير ما جعله الله، وفي ذلك خوف[10] اعتراض لأمره وإشراك في حكمه. ونسأل الله العصمة من الزيغ[11] عن الحق.

---

[1] ن ع: فهو.
[2] م: الفعل.
[3] ك ن ع: يتكلف.
[4] جميع النسخ: فلزمه.
[5] ن ع م: تسقط.
[6] ن: الرخصة.
[7] م – له.
[8] م: لأن يصوم.
[9] ع م: من غيره.
[10] ع: حرف.
[11] ن: عن الزيغ.

وأما قوله عز وجل: **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**. قالت المعتزلة: من صام في السفر أو في المرض[١] فَعَل ما لم يرد[٢] الله؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه لم يرد العسر وإنما أراد[٣] اليسر، فإذا صام في المرض أو في السفر[٤] أراد العسر، والله تعالى أخبر أنه لم يرد، فدل أنه فعل ما لم يرد الله.[٥]

لكن الوجه عندنا أن قوله: **يريد الله**، معناه أراد الله بكم اليسر لما رخّص لكم الإفطار في السفر، لأنهم أجمعوا على أن الصوم في السفر أفضل والإفطار[٦] رخصة.[٧] ولا جائز أن يقال: لم يرد الله ما هو أفضل وأراد ما هو دونه على قولهم، ولكن يقال: أراد لمن أفطر اليسر، وأراد لمن ترك الإفطار العسر، وإرادته[٨] نافذة، فلا جائز أن تنفذ[٩] في وجه ولا تنفذ[١٠] في وجه[١١] آخر.

وقوله عز وجل: **يريد الله بكم اليسر**، أي يريد أن يُيَسِّر[١٢] عليكم بالإذن في الفطر، لا أن يُعسّر عليكم بالنهي عنه. وقد يحتمل الفعل، لكنه لم يذكر عن أحد أن الله تعالى أراد به اليسر فصام، فثبت أن الإرادة موجبة. مع ما لا يحتمل على قولهم أن يكون الصائم في السفر غير مراد وقد قضى به فرض الله، وأطاع الله فيه. والمعتزلة يقولون بالإرادة في كل فعل الطاعة فضلا عن الفريضة.

وقوله: **ولتكبّروا الله على ما هداكم**. قيل: يعني تعظّمون الله على ما هداكم لأمر دينه. ويجوز أن يريد بالتعظيم الأمر بالشكر لما أنعم عليهم من أنواع النعم من التوحيد والإسلام وغيره.

---

١ م: وفي المرض.
٢ ع: ما يرد.
٣ م – أراد.
٤ م: وفي السفر.
٥ ع – لأن الله عز وجل أخبر أنه لم يرد العسر وإنما أراد اليسر فإذا صام في المرض أو في السفر أراد العسر والله تعالى أخبر أنه لم يرد فدل أنه فعل ما لم يرد الله.
٦ ع: وفي الإفطار.
٧ ع م: الرخصة.
٨ ن ع م: وأراد به.
٩ ن ع م: أن ينفذ.
١٠ ن ع م: ولا ينفذ.
١١ ن – ولا تنفذ في وجه.
١٢ ن ع م: تيسّر.

**ولعلكم تشكرون**، ربكم بهذه النعم التي أنعمها عليكم. ويحتمل أنه أمر بالتعظيم له والشكر، لما رخّص لهم الإفطار في السفر والمرض. *والله أعلم.*

**﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾**[١٨٦]

وقوله: **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**، هو على الإضمار -والله أعلم- كأنه قال: **وإذا سألك عبادي** أين أنا عن إجابتهم، فقل لهم:[١] إني قريب. ويحتمل[٢] قوله:[٣] **فإني قريب** وجوها. يحتمل **قريب**[٤] الإحسان والبر والكرامة لمن أطاعني. ويحتمل **إني قريب**، قرب العلم والإجابة،[٥] لا قرب المكان و[٦]الذات،[٧] كقرب بعضهم من بعض في المكان، لأنه كان ولا مكان ويكون على ما كان. وكذلك قوله: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[٨] الآية. وكقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ،[٩] [وقوله:] وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ.[١٠] كل ذلك يرجع إلى قرب العلم والإحاطة وارتفاع الجهات، لا قرب الذات، على ما ذكرنا.

وإن كانت القصة على ما قاله بعض أهل التفسير بأن اليهود قالوا: كيف يسمع ربك دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، فنزل[١١] قوله: **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب.**[١٢] هذا لما[١٣] لم يعرفوا الصانع.

---

[١] ن: لهم.
[٢] ك ن م: يحتمل.
[٣] م - قوله.
[٤] ع - ويحتمل قوله فإني قريب وجوها يحتمل قريب.
[٥] ك: ولا حاجة.
[٦] ك - المكان و.
[٧] ن: الذات.
[٨] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).
[٩] سورة ق، ٥٠/١٦.
[١٠] سورة الواقعة، ٥٦/٨٥.
[١١] ن: فنزلت.
[١٢] *تفسير القرطبي*، ٢/٣٠٨.
[١٣] ن: لمن.

ألا تراهم [أنهم] جعلوا له الولد وجعلوا له شركاء؟ فخرج سؤالهم -إن كان- مخرج[١] سؤال المتعنت،[٢] لا سؤال المسترشد.

وقوله: **أجيب**، أي أقبل **دعوة / الداع**، يعني توحيد الموحّد. وكذلك قال ابن عباس [٤١و] رضي الله عنه في قوله: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ،[٣] أي وحدوني أغفر لكم.[٤]

وقيل: **أجيب دعوة الداع**،[٥] على حقيقة الإجابة.

وقوله: **فليستجيبوا لي [وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون]**، أي إلى ما دعوتهم.[٦] يحتمل على ما ذكرنا في قوله: **أجيب**، لكم إذا استجبتم لي بالطاعة والائتمار. ويحتمل **أجيب** لكم إذا أخلصتم الدعاء لي. ويحتمل على ابتداء الأمر بالتوحيد،[٧] كأنه قال: وحدوني. ألا ترى أنه قال: **وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**، إذا فعلوا ذلك.

**﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**[١٨٧]

وقوله: **أحل لكم ليلة الصيام**، سماه ليلة الصيام، الليل مضاف إلى يومه، كأنه قال: ليلة يوم الصوم، وإن لم يكن فيها صوم في الحقيقة، لانتظار الصيام فيها بالنهار؛ على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه[٨] قال: «مُنتظِر الصلاة في الصلاة[٩] ما دام ينتظرها».[١٠]

---

[١] ن: يخرج.
[٢] ع: التعنت.
[٣] ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٦٠).
[٤] *تفسير الطبري*، ٧٨/٢٤؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٤٧/٢.
[٥] ك: الداعي.
[٦] ن: أي ما دعوتهم.
[٧] ن – بالتوحيد، صح هـ.
[٨] ع: إذ.
[٩] ع م – في الصلاة.
[١٠] م + في الصلاة.      عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، حتى ينصرف، أو يُحْدِث» (*الموطأ* لمالك، =

وكذلك قوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ،[1] أضاف الصوم إلى الشهر، يدخل فيه الليل والنهار، لأن اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا.

وقوله: **الرفثُ إلى نسائكم**. قيل: **الرفث** الجماع، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[2] وقيل: **الرفث** هو حاجات الرجال إلى النساء، من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره.

وقوله: **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**. قيل: هن يستر لكم عما لا يحل، وأنتم يستر لهن أيضا يُعَفُّ الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل. وقيل: سَكَنٌ لكم، وأنتم سكن لهن؛ يسكن الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج. وهو كقوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا،[3] أي سَكَنًا و[قوله]: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ.[4] ويحتمل أن يكون أحدهما لباس الآخر بالليالي. ***والله أعلم***.

وقوله: **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم [فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن]**. تختانون وتخونون واحد. قيل: نزلت الآية في شأن عمر رضي الله عنه، وذلك أن الناس [كانوا في ابتداء الإسلام] إذا صاموا ثم نام أحد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يُفطر من الغد، فواقع عمر رضي الله عنه امرأته يوما بعد ما نام أو نامت، فغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فنزل قوله: **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم**[5] أي تظلمون، لأن كل خائن ظالم لنفسه[6] فتاب الله عليه وعفا[7] عنه.

ثم رخص لهم المباشرة بقوله: **فالآن باشروهن**، على الرخصة والإباحة،[8] لا على الأمر به.

وقوله: **وابتغوا**[9] **ما كتب الله لكم**. قيل فيه بوجوه. قيل: ما كتب الله لكم من الولد. وقيل: ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة. وقيل: **ابتغوا**[10] ما كتب الله لكم

---

= الصلاة ٤٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١/١٤٤، ٢/٢٣٥؛ ٣/٣، ٤٤٢؛ ٥/٤٥١-٤٥٣؛ وصحيح *البخاري*، الصلاة ٣٨، الأذان ٣٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢٧١-٢٨٢).

[1] سورة البقرة، ٢/١٨٥.

[2] *تفسير الطبري*، ٢/١٦١؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٤٠٧؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٨.

[3] سورة النبأ، ٧٨/١٠.

[4] ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٦١).

[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٤٦٠؛ و*تفسير الطبري*، ٢/١٦٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٣١٥.

[6] جميع النسخ: نفسه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨ظ.

[7] ك ع م: عفا.

[8] جميع النسخ: هو على الإباحة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨ظ.

[9] ع + أي ابتغوا.

[10] ك ن + أي ابتغوا.

من الرخصة والإباحة في الجماع في ليلة الصيام، والأكل بعد النوم.[١] وهو كما جاء: «من لم يقبل رُخَصَنا[٢] كما يقبل عزائمنا فليس منا».[٣]

وقوله: **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.** ذكر عن عدي بن حاتِم أنه قال: كنت أضع خيطين تحت وسادتي بعد نزول هذه الآية، أحدهما أبيض والآخر أسود، فكنت أنظر فيه متى ما تبين لي، إلى أن أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «إن وسادتك لعريض»، يعني إن الفجر هو[٤] المعترض في الأفق.[٥] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يغرّنّكم الفجر المستطيل، إنما الفجر المستطير في الأفق».[٦] وروي أنه قال: «الفجر فجران، فجر[٧] مستطيل في السماء، وفجر مستطير في الأفق، هو[٨] الذي يحرّم الطعام على الصائم، ويُحلّ الصلاة».[٩] وروي أنه قال: «لا يغرنكم أذان بلال، فإنه إنما يؤذّن بالليل لِيُوقِظ نائِمَكم، ويَرْجِع قائِمَكم».[١٠] وفي بعض الأخبار، قال: «لا يغرنكم أذان بلال عن سحركم، فإنه إنما يؤذن بليل»، أو كلام نحو هذا.[١١]

---

[١] ع م: اليوم.

[٢] ن: رخصته.

[٣] روى أحمد عن ابن عمر، قال: جاء رجل فقال: إني أقوى على الصوم في السفر. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٨١/٣؛ و*فيض القدير* للمناوي، ٢٢٥/٢).

[٤] ك - هو.

[٥] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قال عدي بن حاتم: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٧/٤؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٣-٣٥).

[٦] عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق» (*تفسير الطبري*، ١٧١/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٢٣/١).

[٧] ن - فجر.

[٨] ك ن: فهو.

[٩] صحيح *البخاري*، الأذان ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٨.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٦/١؛ وصحيح *البخاري*، الأذان ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٨-٤٠.

[١١] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغرنكم أذان بلال فإن في بصره شيئا». فدل ذلك على أن بلالا كان يريد الفجر فيخطيه لضعف بصره. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعملوا على أذانه، إذ كان من عاداته الخطأ، لضعف بصره. انظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٤٠/١.

والأصل في هذا أن الله عز وجل جعل حدَّ الصيام من وقت تَبيّن[1] النهار إلى وقت غيبوبة الشمس. وأباح من وقت غيبوبة الشمس[2] إلى وقت تبيّن النهار الطعام والشراب والجماع، تخفيفا[3] منه.

وقوله عز وجل: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**. اختلف في المباشرة. قيل: المباشرة عني بها[4] الجماع وما دون الجماع، فإنما نهوا عنها. وقيل: المباشرة كناية عن الجماع.

ثم قوله: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**، فيه أدلة على أوجه[5] [من الأحكام]. فالآية[6] كأنها نزلت في نازلة[7] بُلُوا بها، لا أن كانوا يباشرون نساءهم في المساجد، لأن المساجد[8] كانت[9] أجلّ عندهم من أن يجعلوها مكانا لوطء النساء. ولكنه -والله أعلم- أن الاعتكاف هو اللبث في مكان يأخذ الحق في نفسه عند عكوفه [في] المسجد وخروجه منه. فذكر أن العكوف نفسَه يحرّم الجماع في الأحوال كلها، ليس كالصوم الذي يَحرم حالا دون حال في الوقت الذي لم يكونوا فيها، ليعلموا أن حكم المُقام في المساجد آخِذ لهم وليسوا هم فيها. ولو لم يكن شرطا في ذلك لكان قوله: **وأنتم عاكفون** كافيا، إذ لم يكونوا في المساجد وقت لحوق النهي للمباشرة. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ن ع م + وقت.
[2] ع م - وأباح من وقت غيبوبة الشمس.
[3] ن ع: تحقيقا.
[4] ك ع م: به.
[5] ك ع م: من أوجه؛ ن: من وجهين؛ ن هـ: أوجه.
[6] جميع النسخ: الآية.
[7] ع م - نازلة.
[8] ن - لأن المساجد.
[9] جميع النسخ: كان.
[10] يقول علاءالدين السمرقندي: «ثم دلت على وجوه من الأحكام، أحدها أن الجماع محظور [في] الاعتكاف، حتى يفسد الاعتكاف به ليلا كان أو نهارا، في المسجد أو خارجا منه، لأنه حرم لمكان المسجد[وما لحقه]، وإن كان ظاهر النهي ذلك بقوله: ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾، لأن الآية نزلت في قوم كانوا معتكفين في المساجد، وكانوا يخرجون ويقضون حاجتهم، ويغتسلون [ويعودون] إلى معتكفهم، لا أنهم كانوا يجامعون في المساجد لينتهوا عن ذلك. فثبت أن النهي ورد عن المباشرة في حال الاعتكاف مطلقا. وإنما ذكر المساجد لأن الاعتكاف قربة منع النفس عن حظوظها أو حقوقها بملازمة المسجد الذي هو بيت الله تعالى، والإعراض عن الدنيا؛ ولهذا حرم عليه الخروج من المسجد الذي هو ضد العكوف، ولكن أبيح بقدر ما فيه تحقيق هذه القربة؛ لأنه لا يتمكن من أداء هذه القربة إلا بالبقاء، ولا بقاء بدون الوقف، ولا بد لذلك من الاستفراغ عن الأمر المعتاد، ونحو ذلك. فكان المعتكف في حال خروجه إلى حوائجه الضرورية بمنزلة كونه في المسجد، فلهذا سماهم عاكفين في المساجد حتى يكون ذلك آكدَ في الزجر عن المباشرة تعظيما للمسجد لصحة الاعتكاف؛ فإنه وصفهم بكونهم عاكفين في المساجد مع أنهم لم يباشروا الجماع في المساجد لينتهوا عن ذلك، فدل أن الاعتكاف مقيد بهذا الشرط» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨ظ).

وفيه دليل: أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، حيث خص المساجد دون غيرها من الأمكنة.

وفيه دليل: أن المعتكف قد يخرج من معتكَفه، لكنه لا يخرج[1] إلا لما[2] لا بد منه، على ما جاء عن[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يخرج إلا لحاجة إنسان.[4] وحاجة الإنسان تحتمل[5] وجهين. تحتمل ما يرفع[6] إليه من الحوائج.[7] وتحتمل[8] حاجة الإنسان الحاجة[9] المعروفة التي لا يحتمل قضاؤها في المسجد.

ثم الضرورة تقع بالخروج في العكوف بوجهين. مرة في نفسه، ومرة في أفعال يكتسبها. ولهذا[10] يقول أصحابنا رحمهم الله بفرضية[11] الخروج إلى الجُمَع؛ لأن من اعتكف على أن لا يشهد الجمعة لا يؤذن له في ذلك، لما لا جائز أن يؤذن بإيجاب قربة[12] هي ليست عليه بتضييع أخرى هي عليه، لذلك كان ما ذكرنا.

فإن قيل: روي [عن علي][13] أنه كان يخرج[14] لاتباع الجنازة وعيادة المريض.[15] قيل: إن ثبت هذا، / فهو إذ خرج لوجه أذن له[16] بالخروج لذلك الوجه، فخرج، ثم عاد مريضا [٤١ظ]

[1] ن – من معتكفه لكنه لا يخرج.
[2] ع: لماء.
[3] ع م: من.
[4] عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يُدْنِي إليّ رأسه فأُرَجّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان. (*الموطأ* لمالك، الاعتكاف ١–٢؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١٠٤/٦، ١٨١، ٢٣٥؛ وصحيح *البخاري*، الاعتكاف، ٢، ٣؛ و صحيح *مسلم*، الصيام ٦).
[5] ن ع م: يحتمل.
[6] جميع النسخ: لما يرفع.
[7] أي ما لا يتمكن من قضائها إلا بالخروج. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩و.
[8] ع م: ويحتمل.
[9] ع – الحاجة.
[10] جميع النسخ: وهذا.
[11] جميع النسخ: في فرضية.
[12] ع: قرية.
[13] زيادة من شرح السمرقندي، ورقة ٥٩و.
[14] ع م – يخرج.
[15] عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المعتكف يتبع الجنازة، ويعود المريض، وإذا خرج من المسجد قنع رأسه، حتى يعود إليه»(*أحكام القرآن* للجصاص، ٣١٠/١).
[16] ع م – له.

أو شهد جنازة،[1] وذلك جائز.[2] ولو كان يؤذن لذلك لكان يؤذن لكل قربة؛[3] إذ الجنازة إذا شيّعها الكافي سقط فرض التشييع. فإذًا[4] لم يؤذن في غير هذا. وهذا في مثل[5] ذلك أو دونه، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي ذلك دليل أن الخبر على ما بينت. *والله أعلم*.

وروي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: من السنة أن لا يخرج المعتكف من معتكفه.[6] دل هذا من عائشة رضي الله عنها أن خبر[7] علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما ذكرنا، إن ثبت.[8]

وفي قوله: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** دليل[9] أن الاعتكاف يكون في جميع[10] المساجد، لأنه عم المساجد. وما روي أن لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام،[11] إن ثبت فهو على التناسخ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد المدينة، فدل فعله أنه منسوخ. *والله أعلم*.

وقوله: **تلك حدود الله فلا تقربوها**. قيل: تلك المباشرة معصية فلا تقربوها في الاعتكاف، فحدّ الأمر أن لا تقربوها.[12] وقيل: إنه جعل لكل طاعة وأمر ونهي حدًّا[13] وغاية،[14]

---

[1] ك + أو شهد جنازة.

[2] ك – وذلك جائز.

[3] ع: قرية.

[4] ك ع: فإذ.

[5] ن ع: مثل.

[6] عن عائشة قالت: إن من السنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجة الإنسان، ولا يتبع الجنازة ولا يعود مريضا، ولا يمس امرأة ولا يباشرها. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١.

[7] ع: أخبر.

[8] ذكر الجصاص من رواية أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه، قال: المعتكف يشهد الجمعة، ويعود المريض، ويتبع الجنازة. وروي مثله عن الحسن وعامر وسعيد بن جبير. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١.

[9] جميع النسخ + فيه.

[10] م: الجميع.

[11] ذكره الجصاص عن علي، قال: لا إعتكاف إلا في المسجد الحرام أو مسجد النبي عليه السلام. وقال الرازي: إن المنقول عن علي رضي الله تعالى عنه أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام. وما ذكره الرازي يتفق مع ما ذكره الماتريدي. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٢/١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ١١٤/٥.

[12] ك: لا يقربوها؛ ن: لا تقربها.

[13] م – حدا.

[14] م: أو غاية.

فلا يجاوَز ولا يُقصَّر عنه. وقيل: تلك فرائض الله. وقيل: تلك سنن الله. وكان الأول أقرب.

**﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٨٨]**

وقوله: **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام،** [فيه وجهان]: قيل: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تدلوا بها إلى الحكام. وقراءة أُبَيّ: ولا[١] تدلوا بها إلى الحكام.[٢] على إضمار "لا"، كقوله: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ،[٣] أي: ولا تكتموا. وقيل: **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** بما تلبسون[٤] على الحكام، وتقيمون[٥] على ذلك حججا باطلة؛ على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أَلْحَنَ بحجته من بعض، فمن قضيتُ له بحق أخيه المسلم فكأنما قضيت له بقطعة من النار».[٦]

وقوله: **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل،** جعل مال أخيه كماله، ونفس أخيه كنفسه، لقوله[٧] تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[٨] فإذا أكل مال أخيه بالباطل لزمه مثله؛ جعله[٩] كآكل ماله بباطل، وجعل قتل نفس أخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل، لأنه إذا قتله بباطل قتل به.

ثم من الناس من استدل بهذا على أبي حنيفة رضي الله عنه فيما يقول: يمضي العقد إذا شهد الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به، ثم ظهر أن الشهود شهود زور؛ حيث قال: **ولا تأكلوا.** وبما[١٠] روي من الوعيد للآخذ مكان ما أخذ قطعة من نار. فإذا لم يحل ذلك لم يمض العقد. غير أن الأصل عندنا في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب جعل ذلك لهما،

[١] ن ع م: فلا.
[٢] جميع النسخ + وجهان.
[٣] سورة البقرة، ٤٢/٢.
[٤] ك ن ع: تلبسوا.
[٥] ك ن ع: وتقيموا.
[٦] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٩٠/٦؛ وصحيح *مسلم*، الأقضية ٤؛ وسنن *النسائي*، آداب القضاء ١٣، ٢٣.
[٧] ك: بقوله.
[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).
[٩] جميع النسخ: جعل.
[١٠] جميع النسخ: وما.

فإذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ.[1]

وقوله: **لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** يعني طائفة من أموال الناس.

**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٨٩]**

وقوله: **يسألونك عن الأهلة [قل هي مواقيت للناس والحج]**. يحتمل قوله: **يسألونك**: أي سألوك عن الأهلة. ويحتمل: **يسألونك** أنهم يسألونك[2] من بعد. فإن كان على هذا ففيه دليل[3] رسالته، لأنه كان كما أخبر من السؤال له.[4]

ثم معنى[5] السؤال[6] عن الأهلة -والله أعلم- هو أنهم لما رأوا الشمس تطلع دائما على حالة واحدة، ورأوا القمر مختلفَ الأحوال من الزيادة والنقصان، فحملهم ذلك على السؤال عن حال القمر. فأخبر عز وجل أنه جعل الهلال[7] معرِّفا للخلق[8] الأوقات والآجال والمُدد ومعرفة وقت الحج؛ لأنه لو جعل معرفة ذلك بالأيام لاشتد حساب ذلك عليهم ولتعذر معرفة السنين والأوقات بالأيام، فجعل عز وجل بلطفه وبرحمته الأهلة ليعرفوا[9] بذلك الأوقات والآجال، ويعرفوا وقت الحج ووقت الزكاة، طلبا للتخفيف والتيسير عليهم.

ثم قال: **هي مواقيت للناس والحج**، جعل الأهلة كلها وقتا للحج. ولهذا ما قال أصحابنا: إنه يجوز الإحرام في الأوقات كلها، على ما يجوز بقاء الإحرام في الأوقات كلها. وأما أفعال الحج فإنها[10] لا تجوز إلا في وقت فعل الحج، وهو قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾،

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال الإمام: إلا أن أبا حنيفة قال ذلك في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب جعل ذلك لهما ولهما ولاية ذلك شرعا. فإذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ، كأنهما باشراه. والآية والحديث في القضاء بغير سبب، وبه نقول» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٩و).

[2] ع م – أنهم يسألونك.

[3] ك: دلالة.

[4] ع – له.

[5] ك: بمعنى.

[6] ع – ثم معنى السؤال.

[7] ن: الهلاك.

[8] ن ع: الخلق.

[9] م: ليعرفون.

[10] ك: فإنه.

فإنما هي على أفعال فيه؛ دليله قوله: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ،[١] ولا يُفرض[٢] من الحج في غير الإحرام. دل أنه عنى به أفعال الحج.[٣] وقد جاء أنه سمى الإحرام على الانفراد حجا، وسمى[٤] الطواف بالبيت حجا، والوقوف حجا، وقال: «الحج عرفة»،[٥] وسمي الذبح حجا؛ حيث قال: «أفضل الحج العج به والثج».[٦] وإنما سمي كلا منها حجا، لما جعل لها أوقاتا[٧] معلومة تؤدى[٨] فيها. وأما الإحرام، فإنه جعل الأشهر كلها وقتا[٩] له، بقوله:[١٠] **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج.**

وقوله: **وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها [ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها]**. لا معنى لعطف هذا على الأول إلا على إضمار[١١] السؤال، كأنهم سألوه عن الأهلة،

---

[١] يقول الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (سورة البقرة، ١٩٧/٢).

[٢] ن ع م: ولا تفرض.

[٣] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهذه الآية حجة لنا على الشافعي في جواز تقديم إحرام الحج على شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة خلافا له، لأنه تعالى قال: ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ جعل الأشهر كلها وقتا له. فظاهر الآية يقتضي جواز جميع أفعال الحج في الأوقات كلها إلا أنا عرفنا تعيين شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة لسائر الأفعال بدليل آخر وهو أن الله تعالى قال: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ فعلمنا بالنصين بقدر الإمكان فقلنا: المراد بما ذكرنا من النص هو الإحرام الذي هو شرط. وفي النص الثاني دليل عليه فإنه قال: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث﴾ أي من أدّى فيهن. وأداء أفعال الحج لا يكون بدون الآخر، دل أنه على ما قلنا. ولأن اسم الحج ينطلق على الإحرام فإنه سمي الإحرام حجا كما يسمى الطواف والوقوف حجا قال عليه السلام: «الحج عرفة»، وسمي الذبح والإحرام حجا قال عليه السلام: «أفضل الحج العج والثج»، العج هو رفع الصوت بالإحرام فيجب حمل الحج فيما تلونا من الآية على الإحرام. وفي الآية الثانية على سائر الأفعال جميعا بينهما بقدر الإمكان. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩و).

[٤] ن ع م: سمي.

[٥] روي أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة، فسألوه، فأمر مناديا ينادي: «الحج عرفة، من جاء ليلة جَمْع قبل طلوع الفجر فقد أدرك. أيام منى ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه». وأردف رجلا ينادي بهن. انظر: *الموطأ* لمالك، الحج ٥٥، ١٦٩-١٧٠؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٣٩١/١.

[٦] سنن *الدارمي*، المناسك ٨؛ وسنن *ابن ماجة*، المناسك ٦، ١٦. والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: سيلان دماء الهدي، كناية عن الذبح (*لسان العرب* لابن منظور، «عجج»، «ثجج»).

[٧] ع: أوقاتها.

[٨] ن ع م: يؤدي.

[٩] ك: حجا.

[١٠] ن – بقوله.

[١١] ع م: الإضمار.

وعن إتيان البيوت من ظهورها،[1] فأخبر أن ليس البرّ في إتيان البيوت من ظهورها، ولكن البر في التقى.

ثم اختلف في قصة هذا الكلام. قال بعضهم: إن بعض العرب إذا أحرم أحدهم لم يدخل بيته من بابه، ولكن يدخل من ظهر البيت، مخافة تغطية الرأس إذا دخل من بابه.

وقيل: إن بعض العرب إذا خرج أحدهم لحاجة، فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه، ولكن كان يدخل من وراء ظهره، يكره دخول بيت غير مُنْجِح،[2] يتطيرون به ويتفاءلون قضاها ثانيا؛ فقال الله عز وجل: **ليس البر فيما تصنعون، ولكن البر من اتقى** واتبع أمر الله وانتهى عما نهى عنه، ويأتي البيوت من أبوابها.

ويحتمل أن يكون على التمثيل والرمز، ليس على التحقيق، كقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[3]
[٤٢و] وكقوله نَبَذَ فَرِيقٌ / مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛[4] فهو ليس على حقيقة الطرح وراء الظهر، ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله، ولا يعبؤون به، وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمعونه، ولا يكترثون إليه، فأخبر أنه كالمنبوذ والمطروح وراء الظهر، لما يعلموا[5] به.فعلى ذلك الأول، أخبر أن ليس البرّ في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والائتمار بأمره، أي ليس فعل البر مخالفة محمد عليه الصلاة والسلام فيما يأمره،[6] ولكن البر في الإتباع له والائتمار بأمره.

وقال القرامطة:[7] إن المراد من الأبواب هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

[1] ع + لا معنى لعطف هذا على الأول إلا على إضمار السوال كأنهم سألوه عن الأهلة وعن إتيان البيوت من ظهورها.

[2] البيت غير المنجح، الذي لا يحقق الحاجة. يقال: أنجح البيت: صار ذا نجح، وأنجح الله طَلِبته: أظفره بها (*لسان العرب*، «نجح»).

[3] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[4] ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٠١/٢).

[5] جميع النسخ: لم يعلموا.

[6] ع م – فيما يأمره.

[7] القرامطة: فرقة من غلاة الشيعة، تنسب إلى حمدان القَرْمَط. وهو رجل من أهل الكوفة. وقد ظهر أصل هذا المذهب بعد وفات الخلفاء الراشدين، على أيدي طائفة من المجوس الذين نهضوا للتلبيس على المسلمين، والدعوة إلى الكفر. ويدور مذهبهم على القول بأن لكل كلام بطنا وظهرا، والادعاء بأنهم يعلمون الباطن، وتأويل القرآن بناء على هذا. وتسمى هذه الفرقة أيضا بالسبعية. انظر: *أصول الدين* للإمام أبي اليسر البزدوي، ٢٣٧–٢٤٠؛ و*كشاف اصطلاحات الفنون*، «قرامطة»، و«سبعية»؛ و (DİA)، «Karmatîler».

والبيوتِ هو[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أمروا بإتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند علي رضي الله عنه، على ما جاء أنه قال: «أنا مدينة الحكمة[٢] وعلي بابها، فمن أراد الدخول[٣] في البيت لا بد من أن يأتي الباب فيدخل من الباب».[٤]

لكن الجواب لقولهم على قدر[٥] ما تأولوا أنه[٦] ذكر البيوت وذكر الأبواب أيضا، فالبيوت[٧] كثيرة والأبواب كذلك أيضا. فعلي وغيره من الصحابة، من نحو أبي بكر وعمر[٨] وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين فيه شرع سواء. ألا ترى أنه قال: «أنا مدينة الحكمة»، والمدينة[٩] لا يعرف لها باب واحد، بل يكون لها أبواب. فدل أن تأويلهم في علي رضي الله عنه خاصة لا يصح.[١٠] *وبالله العصمة.*

وقوله: **واتقوا الله** أي اتقوه ولا تعصوه، ولا تتركوا أمره، وانتهوا عن مناهيه.

**﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١٩٠]**

وقوله: **وقاتلوا في سبيل الله**. سبيل الله[١١] دينه وطاعته، أي في[١٢] إظهار دينه. قيل: هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال. وقيل: أول آية نزلت في الأمر بالقتال[١٣] قوله: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ

---

[١] ك - هو.
[٢] ع م: العلم.
[٣] ع: لدخول.
[٤] ذكره الشوكاني في كتابه *الفوائد المجموعة*، قال: «"أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بالباب"، رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا. ورواه الطبراني وابن عدي والعقيلي وابن حبان عن ابن عباس أيضا مرفوعا. وفي إسناد الخطيب جعفر بن محمد البغدادي، وهو متهم. وفي إسناد الطبراني أبو الصلت الهروي وعبد السلام بن صالح، قيل: هو الذي وضعه. وفي إسناد ابن عدي أحمد بن سلمة الجرجاني، وهو يحدث عن الثقات بالأباطيل. وفي إسناد العقيلي عمر بن إسماعيل بن مجالد، وهو كذاب. وفي إسناد ابن حبان إسماعيل بن محمد بن يوسف، ولا يحتج به. وقد رواه ابن مردويه عن علي مرفوعا، وفي إسناده من لا يجوز الاحتجاج به» (*الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* للشوكاني، ٣٤٨).
[٥] ن - قدر.
[٦] ع م - أنه. وأنه: أي الله تعالى.
[٧] ع م: والبيوت.
[٨] م: من نحو ابي وعمر.
[٩] ن - والمدينة.
[١٠] ك: ولا يصح.
[١١] م - سبيل الله.
[١٢] ع - في.
[١٣] م - وقيل أول آية نزلت في الأمر بالقتال.

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا.[1] ويحتمل أنه أخبر، كأنهم نُهوا أولا، ثم أُذن لهم فقاتلوا فأُنكر عليهم، فأنزل الله أنه أذن لهم إخبارًا. فلا يدرى أيهما أول، ولكن فيه الأمر بالقتال.[2] والنهي عن الاعتداء ههنا؛ قيل: هو نهي عن قتل الذراري.[3] والنساء والشيخ الفاني، على ما جاء أنه بعث سرية أوصى لهم أن لا يقتلوا وليدا، ولا شيخا.[4] وقيل: نهاهم أن يقاتلوهم في الشهر الحرام إلا أن يبدؤهم المشركون بالقتال. *والله أعلم.*

وقوله: **إن الله لا يحب المعتدين،** لأنه[5] لا يحب الاعتداء، لم يحب من اعتدى.

**﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**[١٩١]

وقوله: **واقتلوهم حيث ثقفتموهم.** قيل: لفظ حيث[6] يعبر عن المكان. ففيه إذن بقتلهم في جميع[7] الأمكنة، وفي تعميم الأمكنة تعميم الأوقات. فهو على عموم المكان إلا فيما استثنى من المسجد الحرام مطلقا. وأما قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ،[8] فالاستثناء[9] فيه مقيد، فلا يخرج عن ذلك العام. *والله أعلم.*

---

[1] ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (سورة الحج، ٣٩/٢٢).

[2] يقول علاء الدين السمرقندي: «قيل هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال. وقيل إن أول آية نزلت في القتال قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أو يحتمل أن قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ نزل بعد قوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾. وذلك أنهم نهوا عن القتال مع الكفرة أولا ثم أذن لهم في القتال مع الكفرة وأمروا به بقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾. فلما قدموا على ذلك أنكر عليهم الكفرة محتجين عليهم بأن القتال حرام في شريعتكم فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ إخبارا على أنه قد أمرهم بذلك وأذن لهم به. قال: فلا تدرى على الحقيقة أيهما أول ولا حاجة بنا إلى ذلك إنما الحاجة بنا العمل بموجب ذلك وهو الأمر بالقتال والنهي عن الاعتداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ).

[3] ع: الذار.

[4] *الموطأ* لمالك، الجهاد ١١؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٠/١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٢-٧.

[5] ن ع م: انه.

[6] جميع النسخ: الحيث. والتصويب مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ.

[7] ك: جمع.

[8] ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ (سورة البقرة، ٢١٧/٢).

[9] أي استثناء المسجد الحرام.

ثم منهم من جعل لهم القتل في الحرم وفي أشهر الحج، بظاهر هذه الآية. ومنهم من قال: لا يقتل فيهما جميعا.

وقال أصحابنا رحمهم الله: يقتل في أشهر الحرم، ولا يقتل في الحرم، إلا أن يبدؤوا هم بالقتال، فحينئذ نقتلهم.[١] وكذلك يقولون فيمن قتل آخر ثم التجأ إلى الحرم، لم يقتل فيه، ولكن لا يؤاكل ولا يشارب ولا يجالس، حتى يضطر فيخرج[٢] فيقتل،[٣] وإذا قَتل في الحرم يُقتل. فعلى ذلك لا يقاتل[٤] في الحرم، إلا أن يبدؤوا هم[٥] بالقتال، فعند ذلك يحل القتل.

وإنما[٦] لم يحل القتال في الحرم إلا أن يبدؤوا هم[٧] به، وإن كان ظاهر قوله: **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** يبيح القتل في الأمكنة كلها، لقوله:[٨] **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه**، استثنى الحرم دون غيره من الأماكن. وأما قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ.[٩] ظاهر هذه الآية يحرم القتال في أشهر الحج، لكن فيه دليل حِلّ القتال، بقوله: **والفتنة أكبر من القتل**، يعني بالفتنة الشركَ. جعل القتل فيه كبيرا، ثم أخبر أن الشرك فيه أكبر وأعظم من القتل.

فالأصل عندنا أن الابتلاء إذا[١٠] كان من وجهين يختار الأيسر منهما والأخف؛ فلذلك قلنا: إنه يختار القتل في الحرم على بقاء الفتنة -وهو الشرك- إذ هو أكبر وأعظم. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**. يحتمل قوله: **وأخرجوهم** من مكة كما أخرجوكم عام الحديبية. ويحتمل: أنه[١١] أمرهم بأن يُضيِّقوا عليهم ويضطروهم إلى الخروج، كما فعل أهل مكة بهم. ويحتمل الإخراج[١٢] على ما جاء: «ألا لا يَحُجَّنَّ مشرك بعد عامي هذا».[١٣]

---

[١] ك: تقتلهم؛ ن ع م: يقتلهم.
[٢] ن ع م: فتخرج.
[٣] ن – فيقتل؛ ع م: فتقتل.
[٤] ك: لا تقاتل.
[٥] ن م: يبدوهم.
[٦] ع: إنما.
[٧] ن م: يبدوهم؛ ع + بالقتال فعند ذلك يحل القتل وإنما لم يحل القتال في الحرم إلا أن يبدوهم.
[٨] ع – لقوله؛ ك ن م: بقوله. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ.
[٩] سورة البقرة، ٢١٧/٢.
[١٠] ع: إذ.
[١١] ك ن ع: أن.
[١٢] ع + بأن يضيقوا عليهم ويضطروهم إلى الخروج كما فعل أهل مكة بهم ويحتمل الإخراج.
[١٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/١، ٧٩؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٦٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥.

ويحتمل أن يمنعوهم عن الدخول فيه، كقوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ،[1] وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[2] [سَمَّى] المنع عن الشرك إخراجا.

وقوله: **والفتنة أشد من القتل**، أي الشرك أعظم جرما عند الله من القتل فيه.

وقوله: **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم.** قد[3] ذكرنا أن هذا وقوله: **واقتلوهم** كله يخرج على المجازاة لهم. وفيه لغة أخرى: ولا تَقْتُلُوهم عند المسجد الحرام حتى يَقْتُلُوكُمْ.

[فإن قيل] فإذا[4] قتلونا لا سبيل لنا أن نقتلهم، فما معنى هذا؟

قيل يحتمل قوله: ولا تقتلوهم [عند المسجد الحرام] حتى يقتلوكم، أي إذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلوهم. أو لا تقتلوهم حتى يبدؤوا هم[5] بقتلكم.[6] أو أن نقول:[7] لا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم، فإذا فعلو ذلك فحينئذ تقتلونهم. *والله أعلم*.

وقوله: **كذلك جزاء الكافرين**، أي هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله، و لم يستقبلها بالشكر. ويحتمل: كذلك جزاء من بدأ بالقتال في الحرم: أن يقتل.[8]

**﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٩٢]**

وقوله: **فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم**، يحتمل وجهين. يحتمل:[9] **فإن انتهوا** عن الشرك وأسلموا يتغمدهم الله برحمته.[10] ويحتمل:[11] **فإن انتهوا** عن[12] بدء[13] القتال وأسلموا

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٢٨/٩).

[2] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.

[3] ع م: كما.

[4] ك: فإن.

[5] ن م: يبدوهم؛ ع: بدؤهم.

[6] ك: بالقتل.

[7] ن ع م: يقول.

[8] ك: أي يقتل.

[9] ع – يحتمل.

[10] ك – يحتمل فإن انتهوا عن الشرك وأسدموا يتغمدهم الله برحمته.

[11] ك: يحتمل.

[12] ع: ممن.

[13] ك: بدو.

**فإن الله غفور**[١] يرحمهم ويغفر ذنوبهم.

**﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**[١٩٣]

وقوله: **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة.** إنا أمرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا.

/ فإن قيل: أيْش[٢] الحكمة في قتل الكفرة، وهو في الظاهر غير مستحسن في العقل؟ [٤٢ظ]

قيل: إنا نقاتلهم[٣] ليسلموا، ولا نقتلهم إلا أن يأبوا[٤] الإسلام، فإذا أبوا ذلك ثم لم نقتلهم لا يسلمون أبدا؛ لذلك قتلناهم، إذ في القتل ذهاب الفتنة.

ويحتمل: **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** على وجه الأرض، أي تظهر[٥] من الشرك.

وقال قوم: الفتنة ههنا العذاب، أي قاتلوا حتى لا يقدر الكفار على عذاب المسلمين.[٦]

وقوله: **ويكون الدين لله.** أي ليكون الدين دين الله في الأرض، لا الشرك.[٧] والدين الحكم.

وقوله: **فلا عدوان إلا على الظالمين.** فإن قيل: فإذا صار الدين كله لله، فلا ظالم هنالك، فما معنى هذا الكلام؟ قيل: يحتمل: لا عدوان إلا على الظالم[٨] الذي أحدث الظلم من بعد. ويحتمل: أن لا عدوان إلا على من بقي منهم مع الظلم.

فإن قيل: فلم سمي عدوانا، والعدوان هو ما لا يحل؟

قيل: لأنه جزاء العدوان وإن لم يكن هو في الحقيقة عدوانا،[٩] فسمي باسمه، كما سمي[١٠] جزاء السيئة سيئة وإن لم يكن هو سيئة، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[١١] وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء،[١٢] وإن لم يكن في الحقيقة اعتداء؛ فكذلك الأول.

---

[١] ن ع م – غفور.
[٢] أيْش: منحوت من "أيّ شيء" بمعناه. وقد تكلمت به العرب (*المعجم الوسيط*، «أيش»).
[٣] ك: نقاتلوهم.
[٤] ن ع م: يأتوا.
[٥] ك: يظهر.
[٦] ن ع م: لا يقدروا عليه كفار؛ ك: لايقدروا عليه؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠و.
[٧] ن – لا الشرك؛ ع: الشر.
[٨] ن: ظالم.
[٩] جميع النسخ: عدوان.
[١٠] ك: يسمى.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
[١٢] يشير إلى الآية من سورة البقرة التي ستأتي.

**﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١٩٤]**

وقوله: **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص**. قيل: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام يريد مكة، فصده[١] المشركون عن دخولها، فجاء من عام[٢] قابل في الشهر الحرام فدخلها وأقام ثلاثا، وقضى عمرته التي فاتته في العام الأول، فسميت عمرةَ القضاء، فذلك تأويل قوله: **والحرمات قصاص**؛ هذه الثانية صارت قصاصا بالأول.

وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا يعظّمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه، فلما أن ظهر الإسلام عظمه[٣] أهل الإسلام أيضا ولم يقاتلوا فيه، حتى جعل الكفار يُغِيرون على أهل الإسلام ويستنصرون عليهم، حتى نسخ ذلك وأمروا بالقتال[٤] فيه بقوله: وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ،[٥] كأنه قال: ما هَتَكْتُم من حرمة الشهر قصاص لما هتكوا.

وقوله: **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**. قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٦]

وقوله: **واتقوا الله**، يحتمل: اتقوا مخالفة الله، أو اتقوا عذاب الله.

وقوله: **واعلموا أن الله مع المتقين**، يعني مع المؤمنين جملة. ويحتمل: اتقوا القتال في الحرم قبل أن يبدؤوا هم،[٧] فإن الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم.[٨]

**﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٩٥]**

وقوله: **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**. قيل فيه بوجوه. قيل:

---

[١] ع: وصده.
[٢] ع: في عام.
[٣] جميع النسخ: عظم.
[٤] ن: بالتناول.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢١٧.
[٦] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٩٠.
[٧] ك: يبداواهم؛ ع م: يبدوهم.
[٨] ك – لهم.

أمر[١] بالإنفاق ترغيبا في الخروج[٢] إلى الجهاد، وإلا فكلٌّ منفق[٣] على نفسه بما[٤] يعلم حاجته إليه، ولا يلقي نفسه في الهلاك من حيث منع[٥] الإنفاق.

وقيل في قوله: **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**، هو أن يذنب[٦] ذنبا ثم ييأس[٧] من العفو[٨] عنه. وقيل: **وأنفقوا** أي لا تَضَنّوا[٩] بالإنفاق مخافة الفوت في الوقت الثاني، فإنه يُخلف لكم ما أنفقتم. وقيل: **أنفقوا**،[١٠] أي أعينوا أصحابكم ولا تلقوهم[١١] إلى التهلكة بترك المعونة لهم، بالإنفاق والتجهيز لهم. وقيل: تصدقوا فإن فيه حياة أبدانكم وأنفسكم.

وقوله: **وأحسنوا [إن الله يحب المحسنين]**. قيل: أحسنوا إلى أصحابكم بالإعانة والتصدق. وقيل: أحسنوا الظن بالله في الإنفاق.[١٢] وقيل: أحسنوا الظن بربكم في الخروج إلى الغزو. ويحتمل: **وأحسنوا** أي أسلموا. وعلى ذلك يخرج قوله: **إن الله يحب المحسنين**، يعني المؤمنين.

**﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٩٦]**

وقوله: **وأتموا الحج والعمرة لله**. اختلفوا في تأويله وفي قراءته.[١٣] قال بعض الناس:

---

[١] ع م – أمر.
[٢] ك ن: على الخروج؛ ع م: بالخروج.
[٣] ك: ينفق.
[٤] ك: مما.
[٥] ع: مع.
[٦] ك ع: يذهب.
[٧] ن ع: يايس.
[٨] جميع النسخ: عن العفو.
[٩] جميع النسخ: لا تظنوا. والتصحيح يوافق ما جاء في شرح السمرقندي. انظر: شرح التأويلات، ورقة ٦٠و. ضَنَّ بالشيء يَضَنّ ضِنًّا و ضَنَانَةً: بخل (*لسان العرب*، «ضنن»).
[١٠] ك – أي لا تضنوا بالإنفاق مخافة الفوت في الوقت الثاني فإنه يخلف لكم ما أنفقتم وقيل أنفقوا.
[١١] ع – ولا تلقوا.
[١٢] ك: بالإنفاق.
[١٣] ع: في قراءته.

العمرة فريضة بهذه الآية، لأنه أمر بإتمامها، كما أمر بإتمام الحج. وقيل هي الحِجّة الصغرى. وأما عندنا فهي ليست بفريضة، وليس في قوله: **وأتموا الحج والعمرة لله** دليل فرضية؛[1] لأنا لم نعرف فرضية الحج[2] بهذه الآية، ولكن[3] إنما عرفناه بقوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[4]

ثم في الأمر[5] بالإتمام وجوه. أحدها أنهم كانوا[6] يفتتحون الحج بالعمرة، فأمروا بإتمامها، على ما روي عن عمر[7] رضي الله عنه، قال: "متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنْهَى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء".[8] والثاني أنهم كانوا لا يجعلون العمرة لله، فأمروا بجعلها لله.[9] وعلى ذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: **وأتموا الحجَّ، والعمرةُ لله**، بالرفع، على الابتداء.[10] ويحتمل الأمر بالإتمام ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما سئلا عن قول الله: **وأتموا الحج والعمرة لله**،[11] قالا: من تمامها[12] أن تُحرم من دُوَيْرَة أهلك.[13]

واحتج أصحابنا رحمهم الله أيضا بما روي عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، العمرة واجبة هي؟ قال: «لا، وأن تعتمر خير لك».[14] وروي أيضا عن رسول الله[15] صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الحج مكتوب، والعمرة تطوع».[16] وفي بعضها قال:

---

[1] ن: فرضيته.

[2] ع – الصغرى وأما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله وأتموا الحج والعمرة لله دليل فرضية لأنا لم نعرف فرضية الحج.

[3] ع: لكن.

[4] سورة آل عمران، ٣/٩٧.

[5] ع: سبيلا فالأمر.

[6] ك – كانوا.

[7] ك: عن ابن عمر.

[8] رواه الجصاص من طريق الضحاك عن عمر بن الخطاب، ومن طريق جري بن كليب عن عثمان. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٦٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٣٩٢.

[9] «هل كانوا يفعلون الحج والعمرة للصنم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠و).

[10] *الكشاف* للزمخشري، ١/١٨١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣/١٥١.

[11] ع م – بالرفع على الابتداء ويحتمل الأمر بالإتمام ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما سئلا عن قول الله وأتموا الحج والعمرة لله.

[12] م: تمامها.

[13] *تفسير الطبري*، ٢/٢٠٧؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٣٦٥؛ و*نصب الراية* للزيلعي، ٣/١٦؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٥/٢٧.

[14] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٥٧؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٨٨؛ و *تفسير القرطبي*، ٢/٣٦٨.

[15] ك: وروي عنه.

[16] *تفسير الطبري*، ٢/٢١٢؛ و*الأم* للشافعي، ٢/١٣٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٣٠-٣٣١.

«الحج جهاد، والعمرة تطوع».[١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «الحج فريضة، والعمرة تطوع»،[٢] وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله أ كلّ أهلك يرجع بحِجّة وعمرة غيري؟ قال: «انفري، فإنه يكفيك».[٣] إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا.

والأصل، احتج[٤] أصحابنا أيضا بشيء من النظر، وذلك أن الله فرض الصلاة والزكاة والصيام في أوقات خصها بها. وأجمع أهل العلم أن المتطوع بالصدقة والصلاة والصيام يفعل ذلك متى شاء. ثم أجمعوا أن العمرة لا وقت لها. فدل ذلك على أنها تطوع، إذ لو كانت فريضة كان لها وقت مخصوص[٥] تفعل[٦] فيه كغيرها من الفرائض.

فإن قيل: إن الحج التطوع مخصوص بوقت كخصوص[٧] المفروض منه، فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة، لا يدل[٨] أنها تطوع.

قيل: وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت، ووجدنا التطوع على ضربين. منه ما هو مخصوص[٩] كالحج، ومنه ما هو غير مخصوص كالصلاة والصيام والصدقة. فلما لم نجد في الفرض ما ليس / بمخصوص بوقت جعلنا كل ما ليس بمخصوص بوقت[١٠] تطوعا غير فرض. واحتجوا [٤٣و] أيضا بأنا وجدنا العمرة تفعل في أشهر الحج، ولم نجد صلاتين يفعلان في وقت واحد فريضتين، ولكن تفعل[١١] الصلاة التطوع في وقت الفريضة. فثبت –لِما جاز أن يجمع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد– أنها تطوع كالصلاة التي تفعل في وقت الظهر وغيرها.

واحتج من جعلها فرضا بأن قال: لم نجد شيئا يتطوع به إلا وله أصل في الفرض.[١٢]

---

[١] ع – وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع.

[٢] ك – وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال الحج فريضة والعمرة تطوع.

[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٩٧/١–١٩٨؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٣١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١١١، ١١٣، ١٥.

[٤] ك: واحتج.

[٥] ك: وقتا مخصوصا؛ ن ع م: وقت مخصوصا.

[٦] ن ع م: يفعل.

[٧] ن ع م: كمخصوص.

[٨] ن: لا يدرك.

[٩] ع + بوقت كمخصوص المفروض منه فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك.

[١٠] ع – جعلنا كل ما ليس بمخصوص بوقت.

[١١] ن ع م: يفعل.

[١٢] ك: في القرآن.

فلو كانت العمرة تطوعا كان لها أصل[1] في الفرض.

قيل: العمرة إنما هي الطواف والسعي، ولذلك[2] أصل في الفرض، [أي] فرض الحج. مع ما أنا وجدنا الاعتكاف [شرع] تطوعا، وليس له أصل في الفرض، فعلى ذلك العمرة.

والأصل أن[3] كل ما يبتدئ الله إيجابه على عباده فإنه يوجب فعلها بأوقات أو يجعل[4] لأدائها أوقاتا،[5] والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لأدائها. ثبت أنها ليست مما[6] أوجبها الله.

وقوله: **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي [ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك]**. الآية على الإضمار، كأنه قال -والله أعلم- **فإن أحصرتم** عن الحج فأردتم أن تَحِلّوا، فاذبحوا ما استيسر[7] من الهدي، إذ الإحصار نفسه لا يوجب الهدي، لكنه إذا أراد الخروج منه يخرج بهدي. وعلى ذلك يخرج قوله: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ،[8] كأنه قال -والله أعلم-: من كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر، وكقوله: **أو به أذى من رأسه ففدية من صيام**، معناه -والله أعلم-: **أو به أذى فأزاله[9] من رأسه ففدية**. وإلّا [فـ]كون[10] الأذى في رأسه لا يوجب عليه الفداء حتى يزيل،[11] كقوله:[12] فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ،[13] أي من اضطر فأكل منها غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه، لأن الاضطرار[14] نفسه لا يوجب الإثم.

---

[1] جميع النسخ: أصلا.
[2] أي وللطواف والسعي.
[3] ن ع م: بأن.
[4] ع: إذ يجعل.
[5] جميع النسخ: أوقات.
[6] ع: بما استيسر.
[7] ع: بما.
[8] سورة البقرة، ١٨٤/٢.
[9] ك: فأزال؛ ن ع م - فأزال. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ ظ.
[10] ع: والأكوان.
[11] ن ع م: تزيل.
[12] ك: وكقوله.
[13] سورة البقرة، ١٧٣/٢. ع م + الفداء.
[14] جميع السخ: والاضطرار.

ثم اختلف أهل العلم في الإحصار ما هو، وبم[1] يكون، وهل يحل [المحصَر، وبماذا يحل]؟[2] روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه[3] قال: "إذا أُحصر الرجل من مرض أو حبس أو كسر أو شبه ذلك بعث بهدي[4] وواعد[5] يوم النحر، مكث على إحرامه على أن يبلغ[6] الهدي محله"،[7] وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل.[8] وعن ابن الزبير وعروة بن الزبير قالا:[9] المحصَر من كل شيء يحبسه عدو ومرض.[10] وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] قال: «من كُسِرَ أو عُرِّجَ فقد حل وعليه الحج من قابل».[12] ومعنى قوله: «فقد حل»، أي جاز له أن يَحل لا أن يَحل[13] بغير دم، لأن الله تعالى أذن له في الإحلال بدم. وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر [الصائم]»؛[14] فمعناه: فقد حل له الإفطار؛ فعلى ذلك الأول، حل له أن يحل.

---

[1] ك: ثم.

[2] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ظ.

[3] ن - أنه.

[4] ك: فهدي؛ ن ع: لهدي؛ م: الهدي.

[5] ك: واوعد.

[6] ك: على يبلغ.

[7] "وواعد يوم النحر، مكث على إحرامه على أن يبلغ الهدي محله": معناه غير واضح؛ وفي شرح السمرقندي: «بعث بهدي وواعد فينحر فيه ويمكث على إحرامه حتى يذبح في محله، فيَحِلّ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٠ظ).

[8] وفي تفسير عبد الرزاق ما نصه: «عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ قال: إذا أُحصر الرجل من مرض أو كسر أو شبه ذلك بعث بهديه، ومكث على إحرامه حتى يبلغ الهدي محله وينحر، ثم قد حل، ويرجع إلى أهله، وعليه الحج والعمرة جميعا وهدى أيضا؛ قال: فإن وصل إلى البيت من جهة ذلك فليس عليه إلا الحج من قابل» (*تفسير عبد الرزاق*، ٣١٧/١).

[9] م: قال.

[10] *تفسير ابن كثير*، ٢٣٢/١.

[11] ك ن - أنه.

[12] *الموطأ* لمالك، الحج ١٠٣-١٠٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٤٥٠/٣؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٩٦؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٤٤.

[13] ع م - لا أن يحل.

[14] *الموطأ* لمالك، الصيام ٨؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٤٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢- ٥٤.

ثم قال بعض أهل اللغة من نحو الكسائي[1] وأبي معاذ،[2] قالوا: إن الإحصار من المرض، والحصرَ من العدو.[3]

فإن قيل: روي عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنه أنهما قالا: لا حصر إلا عن حصار[4] العدو. ولكن في هذا نسخ الكتاب بقولهما، إن ثبت، وهو[5] لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا أن يراه بقول واحد من الصحابة رضي الله عنهم. مع ما ترك قولهما، لأنه رَوَى عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ذهب الحصر.[6]

ثم يقال للشافعي رحمه الله: إذا جاز أن تجعل[7] المرأة بمنزلة المحصَر من غير أن تخاف[8] عدوا، لكنها لِما منعها مَن له أن يمنعها، جعلتها محصَرة، فهلا جعلتَ المريض مثلها، وإن كان النص في القرآن جاء في المحصر من العدو على زعمك؟ فقال: لأن المرأة حبسها من له أن يحبسها، فهي أشد حالا ممن حبسه عدو، وليس[9] له أن يحبسه. فيقال[10] له: المريض أمْرَضه مَن له أن يُمرضه،

---

[1] أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات. له مع سيبويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات. وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما. توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م بالري. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٩٥/٣.

[2] لعله أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء -بفتح الهاء، وتشديد الراء- النحوي الكوفي، من موالي محمد بن كعب القرظي. قرأ عليه الكسائي وروى عنه. وحكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة، وصنف في النحو كثيرا، و لم يظهر له شيء من التصنيفات، وكان يتشيع. كان معاذ صديقا للكميت بن زيد الشاعر. توفي سنة ١٩٠ هـ/٨٠٥م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢١٨/٥-٢٢١.

[3] اختلف أهل اللغة في الفرق بين الإحصار والحصر على ثلاثة أقوال. الأول -وهو قول الكسائي وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج وابن قتيبة وأكثر أهل اللغة- أن الإحصار المنع بالمرض، أو ذهاب النفقة؛ وأما الحصر فيكون بحبس العدو. الثاني، وبه قال الفراء، يجوز كل واحد منهما مكان الآخر. الثالث أن الإحصار مختص بالمنع الحاصل من العدو، وهو قول الشافعي رضي الله عنه، والمروي عن ابن عباس وابن عمر، فإنهما قالا: لا حصر إلا حصر العدو. وأكثر أهل اللغة يردون هذا القول على الإمام الشافعي رضي الله عنه. انظر: *مفاتيح الغيب* لفخرالدين الرازي، ٢٠٣/٣-٢٠٤.

[4] ك: حصر.

[5] وهو، أي الإمام الشافعي. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٦٠ظ.

[6] وفي مسند الشافعي ما نصه: «أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس، وعن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو. وزاد أحدهما: ذهب الحصر الآن» (*مسند الشافعي*، ٣٦٧/١؛ وسنن *الكبرى* لبيهقي، ٢١٩/٥).

[7] ع م: أن يجعل.

[8] ن ع م: يخاف.

[9] ك: ليس.

[10] ك: فقال.

فاجعله أشد حالا من الذي حبسه عدو وليس[١] له أن يحبسه، أو فرّق بين المرأة[٢] والمريض. فقال: بل بينهما فرق؛ وذلك أن الخائف بعدو يخاف القتل على نفسه، وقد أباح الله للخائف في القتال أن يتحيز إلى فئة،[٣] فينتقل بذلك من الخوف إلى الأمن. قيل له: كما رخص للخائف في ذلك فقد رخّص للمريض أن لا يحضر القتال،[٤] فالرخصة له أكثر من الرخصة للخائف. فإن قال: إن المريض لا يبرأ بالعقود، والخائف يأمن. قيل له: إن الرخص التي جعلت للأعذار لا تجعل لترفعها، ولكن الرخصة لترفيه[٥] المشقة.

ويقال[٦] له أيضا: قد جعلت المرأة محصرة إذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها، فبطلت علته وانتقضت. فإن قال: إنكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا، وهو ممنوع من المضيّ على حجه،[٧] فما الفرق بينه وبين[٨] المريض؟ فيقال: لو جعلنا الضال عن الطريق محصرا لم يجز له أن يحل[٩] من إحرامه إلا بدم يوجّهه إلى الحرم فيذبح عنه. وإذا وجد من يذهب إلى الحرم فيذبح هديه فليس بضال، لأنه قد وجد دليلا[١٠] يدله على طريقه، لذلك افترقا. وبعد، فإن المرض أحق أن يكون عذرا في ذلك من العدو وغيره، لأنه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الإحصار، والمرض لا سبيل له إلى دفعه. دل أنه أحق أن يجعل عذرا.[١١] وقال بعضهم: يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة، لأن الحج مما يحتمل الفوت، والعمرة لا.

---

[١] ك ن: ليس.

[٢] ن م: من المرأة؛ ع: في المرأة.

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال، ١٦/٨).

[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور الرحيم﴾ (سورة التوبة، ٩١/٩؛ وانظر: سورة الفتح، ١٧/٤٨).

[٥] ك: لترفية؛ ن: الترفية. وعبارة السمرقندي هكذا: «قيل: إن الرخصة التي جعلت للأعذار [وفي نسختي الشرح: للأعداء] لم تجعل لرفعها، بل جعلت للترفيه والتيسير، والحاجة إلى ذلك قائمة في حق الكل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٦٨ظ).

[٦] ك ن ع: فيقال.

[٧] ع: على حجة.

[٨] ع م: بين.

[٩] ع – عن الطريق محصرا لم يجز له أن يحل.

[١٠] ع: وقد دليلا.

[١١] ن – في ذلك من العدو وغيره لأنه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الإحصار والمرض لا سبيل له إلى دفعه دل أنه أحق أن يجعل عذرا.

وأما عندنا فإنه يكون محصرا منهما جميعا؛ لأن الله عز وجل ذكر الإحصار على أثر ذكر العمرة بقوله: **وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**. وروي في الخبر، [٤٣ظ] يرويه ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا، / فحال كفار قريش بينه وبين البيت الشريف فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية.[1]

وقوله: **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**. فيه دلالة أن المحصر يبقى حراما على حاله، لا يحل حتى يُنحَر عنه الهدي. واختلف أهل العلم أين يذبح الهدي. فعندنا أنه لا يجوز أن يذبح إلا في الحرم. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يبعث بهدي ويواعدهم[2] يوما، فإذا نُحر[3] عنه حل.[4] وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك. وعن ابن الزبير رضي الله عنه، وعروة بن الزبير رضي الله عنه أن المحصر يبعث بالهدي،[5] فإذا نُحر عنه حلق.[6] وظاهر القرآن يدل على ما روي عن هؤلاء،[7] لأن الله تعالى قال: **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**، فجعل للهدي[8] محلا يبلغه، وبيّن موضع محله فقال: هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ،[9] فكانت[10] الكعبة[11] محلا لجزاء الصيد، ولدم[12] المحصَر.[13]

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الْمَحِلّ اسم الموضع الذي يحل فيه، ولو كان كل موضع له محلا لم يكن لذكر المحل[14] فائدة.[15] واحتج من خالف أصحابنا رحمهم الله بما روي

---

[1] *صحيح البخاري*، المحصر ٤؛ وسنن *النسائي*، مناسك الحج ٦٠؛ و*تفسير الطبري*، ٣٧/٤.
[2] ك: وتواعدهم.
[3] ع: ينحر.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٢٢/٢.
[5] ك: الهدي.
[6] *صحيح البخاري*، المحصر ٤؛ وسنن *النسائي*، مناسك الحج ١٠٠.
[7] ن: من هؤلاء.
[8] م: الهدي.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة﴾ (سورة المائدة، ٩٥/٥).
[10] ع: وكانت.
[11] م - فكانت الكعبة.
[12] ع م: والدم.
[13] ن - وبين موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة فكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد ولدم المحصر.
[14] ن - المحل، صح هـ.
[15] ع - فائدة.

أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية،[١] ثم قالوا: لم يبلغنا[٢] أنه نحره في الحرم. قيل: روي أنه نحر هديه يوم الحديبية[٣] في الحرم، يرويه مروان بن الحكم.[٤] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية، فحال المشركون بينه وبين دخول مكة، وجاء سهيل بن عمرو يعرض عليهم الصلح، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يسوقوا البُدْنَ، حتى ينحر حيث شاء.[٥] ولا يُتوهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يهدي الهدي في الحل وقد أطلق له المشركون أن ينحرها حيث شاء،[٦] وهو بقرب الحرم، بل هو فيه. وروي عن مروان والمسور بن مخرمة قالا:[٧] نزل[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل، وكان يصلي في الحرم.[٩] هذا يبين أنه كان قادرا[١٠] أن ينحر هديه في الحرم، حيث[١١] كان يصلي، ولا يحتمل أن يترك نحر الهدي في الحرم وهو على ذلك قادر؛ ولأن الحديبية مكان يجمع[١٢] الحل والحرم جميعا، فإنما ذبح في الحرم لا في الحل لما ذكرنا أنه لا يحتمل أن يذبح في الحل، وله[١٣] سبيل الذبح في الحرم.

فإن قيل: حل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من إحصاره بغير هَدي، لان الهدي الذي نحره كان هديا ساقه لعمرته لا لإحصاره، فنحر هديه على السنة الأولى وحل من إحصاره بغير[١٤] دم.

---

[١] يشير إلى الحديث الذي ذكر قريبا.

[٢] ك ن: قال و لم يبلغنا.

[٣] ع م – ثم قالوا لم يبلغنا أنه نحره في الحرم قيل روي أنه نحر هديه يوم الحديبية.

[٤] *تفسير الطبري*، ٤/٤٥؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٢٧.

[٥] صحيح *البخاري*، المحصر ٢؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٥٤–١٥٥.

[٦] ك + ولا يتوهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم.

[٧] م: قال.

[٨] ك: ترك.

[٩] صحيح *البخاري*، الشروط ١٥.

[١٠] ع + على.

[١١] ع م + يصي.

[١٢] ن ع م: مجمع.

[١٣] ع: وليس.

[١٤] ع م – هدي لان الهدي الذي نحره كان هديا ساقه لعمرته لا لإحصاره فنحر هديه على السنة الأولى وحل من إحصاره بغير.

قلنا: ليس الأمر عندنا هكذا، لأنه لا يتوهم على النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون حل بغير دم، وقد أمر الله المحصر بالدم.

فإن قال:[1] وليس في حديث صلح الحديبية أنه نحر دمين، وإنما نحر دما واحدا، فما وجه ذلك عندكم؟

قيل: وجه ذلك عندنا –والله أعلم– أن الهدي الذي ساقه كان هدي[2] متعة أو قِرانٍ فلما منع عن البيت سقط عنه دم القِران، فجاز له أن يجعله من دم الإحصار.

فإن قيل: فكيف[3] قلت:[4] إن النبي صلى الله عليه وسلم أزال الهدي عن سبيله، وأنت تزعم أن من باع هديه فهو مسيء؟

قيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به إليه، وإنما صرف النية إلى ما هو أفضل منها وأوجب، فكان ذلك في فعله متبعا. والذي باعه صرفه عن سبيله، وترك أن ينحره بعد أن كان نوى به القربة، فكان مسيئا. ومما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الهدي لإحصاره ما روي[5] أنه لم يَحلِق حتى نحر هديه وقال: «يا أيها الناس انْحَرُوا وحَلُّوا».[6]

ثم المسألة ما يجب على المحصَر بالحج والعمرة من القضاء إذا حل. فعلى قول أصحابنا إذا كان محرِما بالحج يلزمه الحج مكان الأول، وعمرة بتفويت الحج.

قال الله تعالى: **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج**؛ اختلف أهل العلم في تأويل ذلك. فروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يكون الرجل به محصَرا، أنه قال: **فإذا أمنتم** من الخوف أو المرض،[7] **فمن تمتع بالعمرة**، أي اعتمر في أشهر الحج، كأنه يقول: إن عليه[8] لإحلاله بغير الطواف عمرة، فإن أخرها حتى يقضيها مع[9] الحج في أشهره فعليه –لجمعه بينهما– دم.

---

[1] جميع النسخ + كذلك قال. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و.

[2] ن ع: هديا.

[3] ك: وكيف.

[4] جميع النسخ: قلنا.

[5] جميع النسخ: لما روي.

[6] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٧٤/٢؛ وصحيح *البخاري*، الشروط ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٩٧؛ وتفسير *الطبري*، ٤٥/٤.

[7] ع م: والمرض.

[8] ع: عليهم.

[9] م: منع.

وعن ابن عباس[١] رضي الله عنه، قال في رجُلٍ أهلّ بعمرة فأحصر:[٢] يبعث بهديه، فإذا بلغ الهدي محله حل، فإن اعتمر من وجهه ذلك إذا برئ[٣] فليس عليه هدي،[٤] وإن اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدي، فإن وصلها بحج[٥] من قابل،[٦] فعليه هدي.

والحاج إذا أُحصر فإنه يبعث بهدي،[٧] فإذا بلغ[٨] مَحِله حل. وإن اعتمر[٩] من وجهه ذلك إذا برئ[١٠] فإنه يحج من قابل وليس عليه هدي، وإن لم يزر البيت حتى يحج وجعلها سفرا واحدا كان عليه هدي آخر؛ سفران وهدي أو هديان وسفر. وقال قوم: عليه حج واحد. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أمر الله بالقصاص، أفيأخذ منكم العَدد؛ أي حِجةٌ بحِجة، وعُمرة بعمرة. وروي في خبر عمر رضي الله عنه عن النبي[١١] صلى الله عليه وسلم أنه[١٢] قال:[١٣] «فقد حل وعليه الحج من قابل».[١٤] هذا يدل على قول ابن عباس رضي الله عنه، لأنه قال: وعليه الحج من قابل، ولم يذكر عمرة؛ إلا أنه قد يجوز أن يكون عليه العمرة وإن لم تذكر[١٥] في الحديث كما أن الدم عليه[١٦] واجب وإن لم يذكر في الحديث.[١٧]

---

[١] ك ن: مسعود.
[٢] ع م: وأحصر.
[٣] جميع النسخ: بدا.
[٤] ع: الهدي.
[٥] ك - بحج.
[٦] ك + بعد حج.
[٧] ع: بهديه.
[٨] ع + الهدي.
[٩] ك: فإن اعتمر.
[١٠] جميع النسخ: برا.
[١١] ع م: وعن النبي.
[١٢] جميع النسخ: لما.
[١٣] ع: قول.
[١٤] روى البخاري بإسناده، قال: أخبرني سالم قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: أليس حَسْبكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن حُبس أحدكم عن الحج طاف بالبيت والصفا والمروة، ثم حلّ من كل شيء، حتى يحج عاما قابلا فيهدي أو يصوم إن لم يجد هديا. (صحيح *البخاري*، المحصر ٤). وعبارة السمرقندي هكذا: «وفي خبر عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المحصر: «فقد وجب عليه الحج من قابل ولم يذكر العمرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و).
[١٥] ن ع م: لم يذكر.
[١٦] ع م - عليه.
[١٧] ع + كما أن الدم عليه واجب.

فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وإن لم تذكر[1] في الحديث.[2] أما إيجابهم العمرة لفسخ الحج بغير طواف، و[تجب] حِجة مكان حجته، فإن كان التأويل في قوله: **فمن تمتع بالعمرة**، أي بالعمرة التي لزمته بإحلاله، كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، فكفى به حُجة. وإن كان تأويل الآية غير ذلك، فإنا وجدنا من يفوته الحج يلزمه أن يطوف بالبيت، ثم يجب بعد ذلك قضاء الحج، فأوجبوا[3] على المحصَر عمرة مكان الطواف الذي يجب على من يفوته الحج، وأوجبوا الحج لما دخل فيه.

فإن قيل: يجب[4] أن تسقط[5] عنه العمرة التي تجب على من يفوته الحج،[6] لأن الذي [٤٤و] يفوته / الحج[7] لا يحل منه بدم، وإنما يحل بالطواف؛ والمحصر قد حل بالدم، فقام الدم الذي لزمه يحل به مقام الطواف في الذي يفوته[8] الحج.

قيل له: إن المحصر لو لم يَذبح عنه هديا احتاج أن يقوم على إحرامه حتى يصل إلى البيت فيطوف به، ولو إلى سنين، ثم يحج بعد ذلك مكان الحِجة التي دخل فيها. فجعل له أن يتعجل إلى الخروج من إحرامه، ويؤخر الطواف الذي لزمه بدم يُهريقه. فبالدم جاز له أن يحل، ولم يُبْطِل الطواف عنه، وإذا لم يُبطل الدمُ عنه الطواف ولم يجعل بدلا منه فعليه أن يأتي به بإحرام جديد، فيكون ذلك عمرة.

فإن قيل: ما الدليل على أن الدم الذي[9] يحل به المحصر جعل عليه ليتعجل به الإحلال، ولم يجعل بدلا عن الطواف؟

قيل: لأن أهل العلم أجمعوا على أن الذي يفوته الحج ليس له أن يفسخ الطواف الذي لزمه بدم يهريقه يجعله بدلا عن[10] الطواف؛ فدل أنه إنما يهريق الدم ليتعجل به إلى الإحلال، لا بدلا عن الطواف. *والله أعلم*.

---

[1] ن ع م: لم يذكر.
[2] ن ع م – في الحديث.
[3] ع م: فارجعوا.
[4] ع م: تجب.
[5] ن ع: أن يسقط.
[6] ن – الحج.
[7] ع – لأن الذي يفوته الحج.
[8] م: يطوفه.
[9] ك – الذي.
[10] ك: من.

وقوله: **فما استيسر من الهدي**، روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: شاة. وأصحابنا رحمهم الله يرون الشاة مجزية[١] في المتعة والإحصار والفدية. والحُجَّة لهم في ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال لكعب بن عُجْرة: «النُّسُك شاة».[٢] وإجماع الناس على أنها مجزية في الأضحية.

ثم المسألة في المحرم إذا حلق[٣] رأسه من أذى. رخص الله تعالى للمتأذي حلق[٤] رأسه بفدي، لقوله[٥] **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**. روي في الخبر عن كعب بن عُجْرَة أنه[٦] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا كعب،[٧] أ يؤذيك[٨] هوام رأسك؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «فاحلقه واذبح شاة، أو أطعم ستة مساكين» وقال كعب: فيّ نزلت هذه الآية.[٩]

ثم اختلف أهل العلم في الذبح، أين يذبح؟ قال أصحابنا رضي الله عنهم: لا يجوز أن يذبح الفدية إلا[١٠] بمكة. وأما الصدقة والصوم فإنه يأتي به حيث شاء. وذلك عندهم بمنزلة هدي المتعة؛ لأن هدي المتعة إنما وجب بجمعه[١١] بين الحج والعمرة في سفر واحد، ولأنه لو شاء أن يُفرد لكل واحد منهما سفرا فَعَل، فَبِأخذه[١٢] بالرخصة لزمه دم. وكذلك دم الفدية،

---

[١] جميع النسخ: مجزيا.

[٢] عن كعب بن عجرة. قال: لَفِيَّ نزلت وإياي عني بها: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بالحديبية، وهو عند الشجرة، وأنا محرم: «أ يؤذيك هوامه؟»»، قلت: نعم -أو كلمة لا أحفظها عني بها ذاك- فأنزل الله جل وعز: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾، والنسك شاة. انظر: *صحيح البخاري*، المحصر ٨، وتفسير القرآن ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٨٠-٨٦؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٤٢؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٢.

[٣] ع: خلق.

[٤] ع: خلق.

[٥] ك ع م: بقوله؛ ن: يقوله.

[٦] ك ن – أنه.

[٧] ك – يا كعب.

[٨] ع: أتوذيك.

[٩] تقدم تخريجه.

[١٠] ع: إلى.

[١١] ك ن: لجمعه.

[١٢] ك ن ع: فيأخذه.

إنما[1] وجب لأخذه بالرخصة في حلق[2] رأسه، فصار سبيل الدمين سواء، يجبان بمكة. وكذلك[3] دم الإحصار، إنما وجب لأنه أخذ بالرخصة في حلق[4] رأسه[5] فحل من إحرامه، ولا يجوز أن يذبح إلا بمكة؛ فدم الفدية أينما كان إنما وجب، لأنه رخص له في حلق[6] مثل ذلك.

والصدقة ثلاثة أصوع على ستة مساكين، على ما ذكر في خبر كعب رضي الله عنه.[7]

فأما الصوم، فإن المتمتع[8] إذا لم يجد هديا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله،[9] فأجمعوا على أن له أن يصوم[10] السبعة بمكة وفي غيرها. فصوم الفدية كذلك. وكذلك الثلاثة الأيام[11] إذا صامها بعد إحرامه بالعمرة عندنا، وبعد إحرامه بالحج عند مخالفينا بمكة أو بغيرها فهي مجزية.وكذلك صيام الفدية يجزيه[12] حيث صامه قياسا على صوم المتمتع.

فأما الصدقة فإن الشافعي رحمه الله ذكر أنها لا تجزي إلا بمكة، وقال: لأن أهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون[13] بالهدي. فيقال له: أ رأيت إن ذبح[14] الهدي بغير مكة ثم تصدق به على أهل الحرم هل يجزيه ذلك؟ فإن قال: لا، قيل له: قد بطلت علتك[15] حيث لم تَجْزِ[16] التصدق على أهل الحرم.[17] وبان[18] أن الدم خص بأن[19] يهراق في الحرم، لأن الله تعالى قال:

---

[1] ن: بما.
[2] ع: خلق.
[3] ن – وكذلك.
[4] ع: خلق.
[5] ك ن – في حلق رأسه.
[6] ع: خلق.
[7] تقدم ذكره.
[8] ع: التمتع.
[9] ع – إلى أهله.
[10] ن ع م: على أنه أن يصوم.
[11] ك: أيام.
[12] ن ع م: تجزيه.
[13] م – بها كما ينتفعون.
[14] ع م: أذبح.
[15] ع: عليك.
[16] ن ع م: لم يجز.
[17] ك + حص.
[18] ك: بان.
[19] ك – حص بأن.

**حتى يبلغ الهدي محله.** فأما[1] الصدقة فهي مجزية حيث كانت.

ثم اختلف في الذي يحلق[2] قبل أن يذبح بغير أذى. فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يجب عليه دم. والحجة له أن الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق[3] حتى يبلغ الهدي مَحِلَّه، فإن حلق رأسه لأذى فعليه دم آخر، لأن الآية الكريمة في الحلق في المحصر. فإذا كان الذي[4] يصيبه الأذى في رأسه قبل الوقت الذي أذن له فيه فدية، [فكذا تجب على كل من حلق رأسه قبل الوقت الذي أذن فيه بالحلق فدية]؛[5] بل الذي[6] يحلق رأسه بغير أذى أحرى[7] أن يكون عليه الفدية. وأبو حنيفة رضي الله عنه يزيد في التغليظ عليه فيقول:[8] لا يجزيه غير الدم. ويخيّر صاحب الأذى بين الدم والصدقة والإطعام، كما أخبر[9] الله تعالى؛ فدليل القرآن شهد لمذهبه. وخالفه جماعة من أهل العلم، فيمن حلق[10] قبل أن يذبح وليس بمحصَر، ووافقوه في المحصر؛ واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما سئل عن رجل حلق قبل أن يذبح[11] فقال: «اذبح ولا حرج».[12] لكن قوله: «افعل ولا حرج»، يرجع إلى الإثم، دون الكفارة. افعل: أي لو فعلت لم يكن عليك حرج، لأن الكفارة قد تجب في أشياء يفعلها[13] الرجل خطأ وعلى جهة[14] الجهل، إنما يجب في ذلك؛ فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث في زوال الكفارة.

---

[1] ع – أما.
[2] ع: يحلق.
[3] ع: الحلق.
[4] م – الذي.
[5] ما بين المعقوفين زيادة من *شرح التأويلات*، ليستقيم المعنى؛ ورقة ٦١ظ.
[6] ع: الذين.
[7] ع: أخرى.
[8] ع م: يقول.
[9] ك ن: أخبره.
[10] ع: خلق.
[11] ك – وليس بمحصر ووافقوه في المحصر واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما سئل عن رجل حلق قبل أن يذبح.
[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٧٦/١؛ وصحيح *البخاري*، الحج ١٢٥، ١٣٠، ١٣١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٣٢٧، ٣٣٤.
[13] م: يفعل بها.
[14] م: جهته.

وأصله في ذلك أن أحوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره، لم يجز إيجاب ذلك الحكم في غير أحوال[1] الضرورة والعذر. وعلى هذا يخرج قولهم في جميع الأصول: إن الحكم في حال الاضطرار والعذر خلاف ما هو في حال الاختيار. ولهم على هذا مسائل مما يكثر عددها.

وفي الآية دليل لزوم الفداء على المتدهن؛[2] لأن الله[3] تعالى قال: **فمن كان منكم مريضا**، وقد ذكرنا أن فيه إضمارا.[4] ثم معروف حاجة المريض في حال مرضه إلى الدهن، فصار كأنه مذكور في الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي**.

وقد ذكرنا هذا وأقاويلهم.[5]

وقوله: **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج**. اختلف أهل التأويل فيه. قال بعضهم: مِن حين يُحرم، وآخرها[6] يوم عرفة. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ولا[7] يصومهن[8] حتى يحرم. وعن ابن عباس رضي الله عنه[9] قال: ما بين الهلال[10] ويوم عرفة.[11] وعن علي رضي الله عنه قال: **فصيام ثلاثة أيام** / **في الحج**: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة.[12] [٤٤ظ] فإن فات ذلك صام[13] ثلاثة أيام[14] بعد أيام التشريق.

أما تأخيره الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة، فلما[15] لعله يجد الهدي. ومثال ذلك

[1] ع: الأحوال إلى.
[2] ن: المقدمين.
[3] ك ن:لأنه.
[4] ن: إضمار.
[5] ن – وقوله فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي وقد ذكرنا هذا وأقاويلهم.
[6] جميع النسخ: آخرها.
[7] ن: لا.
[8] ن ع: تصومهن.
[9] ن + رضي الله عنه.
[10] ن: الهلاك.
[11] ك – وعن ابن عمر رضي الله عنه قال ولا يصومهن حتى يحرم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ما بين الهلال ويوم عرفة.
[12] *تفسير الطبري*، ٤/٩٤-١٩٧؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٢٩٣-٢٩٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٢٥.
[13] ع م: صيام.
[14] ن – في الحج قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فإن فات ذلك صام ثلاثة أيام.
[15] جميع النسخ: لما.

ما أمر المتيمم عن تأخير الصلاة[١] رجاء أن يجد الماء فيغنيه عن التيمم؛ فعلى ذلك يؤخر الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة رجاء أن يجد[٢] الهدي.[٣]

وأما ما اختلفوا فيه من صيامهن حلالا بعد العمرة، فإن من لم يُجز ذلك ذهب إلى أن الله تعالى قال: **ثلاثةَ أيامٍ في الحج**، فتأول ذلك على الإحرام. وقد يجوز أن يكون الأمر كما قال، ويجوز أن يكون معناه في أشهر الحج. ألا ترى أن الله يقول: اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ،[٤] ومعناه -والله أعلم- أن الحج يُفعل في هذه الأشهر، ولفعله[٥] أشهُرٌ معلومات. فلما احتملت الآية ما ذكرنا وجدنا السنة في المتمتع[٦] أن يحرم بالحج عشية التروية؛ كذلك روي عن جابر بن عبد الله قال: قدمنا مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهلِّين بالحج لأربع ليال مَضَين من ذي الحجة، فطاف بالبيت وسعى[٧] بين الصفا والمروة، ولم يُحلّ؛ لأنه كان ساق الهدي، وأمر من لم يَسُق الهدي أن يطوف ويسعى ويُقصّر ثم يُحلّ، فلما كان يوم التروية أمرهم أن يُلَبّوا بالحج.[٨] فإذا كنا نأمر المتمتع أن يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الأيام[٩] بعد ذلك، وإنما بقي له يوم واحد؟ فدل ما وصفنا أنه[١٠] يجوز له أن يصومهن حلالا بعد العمرة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وسبعةٍ إذا رجعتم**، اختلف فيه. قيل: إذا رجع من مِنَى. وقيل: إذا أتى وقت الرجوع. وقيل: **إذا رجعتم** إلى أهليكم.

وقوله: **تلك عشرة كاملة**. قيل: تلك العشرة وإن كانت متفرقة فهي كالموصولة في حق الحج. وقيل: **تلك عشرة كاملة** عن الهدي، وافية أن يكمل بها حق الدم. وقيل: **تلك عشرة كاملة** في حق الثواب، أي ثوابها كثواب الهدي. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م – حتى يكون آخره يوم عرفة فمما لعله يجد الهدي ومثال ذلك ما أمر المتيمم بحق تأخير الصلاة.
[٢] ك: عرفة لما لعله يجد.
[٣] ع م: الهوى.
[٤] سورة البقرة، ١٩٧/٢.
[٥] ك: لفعله.
[٦] م: الحجة.
[٧] جميع النسخ: يسعى.
[٨] *صحيح البخاري*، الحج ٤٢٤؛ و*صحيح مسلم*، الحج ١٣٤-١٣٨.
[٩] ك ع: أيام.
[١٠] ع: أن.

وقوله: **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام**. جعل الحكم الذي ذكره في المتمتِّع والمحصَر لمن لا يحضر أهله المسجد الحرام. عن ابن عباس قال: ليس على أهل مكة هدي في المتعة.[1] ولأن أهل مكة لو كانوا كغيرهم لم يكن للخصوص[2] معنى. وإذا كان المعتمر في أشهر الحج إذا رجع إلى أهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدي عليه. فالمكي مقيم[3] في منزله[4] بعد عمرته، فهو أحرى[5] أن لا يجب عليه دم المتعة إن حج من عامه ذلك. ولكنه إن تمتّع فعليه دم الحلال، لأنه منهي[6] عن التمتع.

ثم اختلف في: **حاضري [المسجد الحرام]**[7] مَن هم؟ قال أصحابنا رحمهم الله: كل من كان من أهل المواقيت فما دونها إلى مكة فلهم أن يدخلوها بغير إحرام، فلهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام. وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه خرج من مكة يريد المدينة، فلما بلغ قُدَيْدًا[8] بلغه أن بالمدينة جيشين من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير إحرام.[9] وعندنا إذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الإحرام. وقال آخرون: ليس **حاضري المسجد الحرام**، إلا أهل الحرام.[10] وأما الدليل[11] لأصحابنا رحمهم الله [فهو] ما ذكرنا. وأما قولنا: ليس عليهم إحصار؛ لأن الإحصار هو الحبس[12] والحيلولة بينهم وبين دخولهم مكة، فإذا كانوا فيها فهم قادرون[13] على الطواف بالبيت في كل وقت؛ لذلك[14] بطل الإحصار.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٤/١١٠-١١١؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٤-٢٣٥.
[2] ع: المخصوص؛ م: المحصوص.
[3] ن - مقيم.
[4] ع: منزلة.
[5] ن: أخرى.
[6] ع: منتهى.
[7] ع م + منهم.
[8] ن هـ: قديد والكديد من منازل طريق مكة إلى المدينة، شرح.
[9] *الموطأ* لمالك، الحج ٢٣٨؛ وسنن *الدارمي*، المناسك ٨٨؛ وصحيح *البخاري*، جزاء الصيد ١٨.
[10] ع م - إلا أهل الحرام.
[11] ع م - الدليل.
[12] ع: الجيش.
[13] جميع النسخ: فإذا كانوا هم فيها قادرون.
[14] م: كذلك.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١٩٧]

وقوله: **الحج أشهر معلومات**. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **الحج أشهر معلومات**: شوال، وذو القَعْدة، وعشر من[١] ذي الحجة.[٢] وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله،[٣] وعن الحسن مثله، والشعبي ومجاهد، وجبير،[٤] وإبراهيم[٥] مثله. وعن عبد الله[٦] قال: شوال،[٧] وذو[٨] القعدة، وذو[٩] الحجة.[١٠]

ونرى[١١] أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أراد ما أراده الأولون، لأنه لا يبقى بعد أيام منى من مناسك الحج شيء،[١٢] فكيف تكون[١٣] الأيام التي بعد[١٤] النَّفْر من أيام الحج ولا عمل فيها للحُجّاج.

ثم المسألة فيمن يُحرم بالحج قبل[١٥] أشهر الحج: ما عليه، وهل يجوز إحرامه؟ عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: من سنة الحج أن لا يُحرم بالحج إلا في أشهر الحج.[١٦] وعن جابر رضي الله عنه، قال: لا يحرم بالحج قبل أشهر الحج.[١٧]

---

[١] ن – من.
[٢] *تفسير الطبري*، ٤/١١٥-١١٧؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ١/٢٩٩؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٢٣٦.
[٣] ع م – مثله. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، لفيروزآبادي ٣١.
[٤] ك ن: جويبر؛ ع: جوير؛ م: جرير. وفي *الشرح*: جويبر (ورقة ٦١ظ). ولعله جبير. وفي *الإصابة* لابن حجر ذكر بعض من سمي باسم جبير. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١/٦٤٣.
[٥] هو أبو عمران (أبو عمار) إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة، تابعي. توفي سنة ٩٦هـ/٧١٤م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ١/٢٥-٢٦.
[٦] أي عبد الله بن مسعود.
[٧] ن – شوال.
[٨] ع: وذي.
[٩] ع م: وذي.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٤/١١٤؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية، ١/٥٥٢؛ *وتفسير القرطبي*، ٢/٢٦٩.
[١١] ن: وترى.
[١٢] ع م – شيء.
[١٣] ن ع م: يكون.
[١٤] ن: يعد.
[١٥] ع: قيل.
[١٦] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: للحج أشهر معروفات يحرم فيها بالحج: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. انظر: *تنوير المقباس* لفيروز آبادي، ٣١.
[١٧] ذكر ابن كثير هذا القول منسوبا إلى ابن عباس وجابر وعطاء وطاووس ومجاهد. وهو مذهب الشافعي. انظر: *تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٥.

فأصحابنا رحمهم الله يكرهون الإحرام قبل أشهر الحج، واتبعوا في كراهيتهم ما روي عن السلف النهي عن ذلك. لكنهم يقولون: إن أحرم يجوز. واحتج بعض أصحابنا في ذلك بأن قال: للحج ميقات ووقت، وأجمعوا أن من أحرم بالحج قبل الميقات فإحرامه صحيح، فعلى ذلك من أحرم قبل وقته فإحرامه صحيح.[1]

وقال بعضهم: **الحج أشهر معلومات**: الأشهر كلها، كقوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَى عَشَرَ شَهْرًا،[2] وهي الأشهر كلها وهي معلومة. وهي كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.[3] فإن كان هذا[4] تأويل الآية ففيه دليل جواز الإحرام بالحج في الأشهر كلها.

وقال آخرون: **الحج أشهر معلومات**، أي في[5] أشهر معلومات. وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف، قالوا: شوال، وذو[6] القعدة، وعشر من ذي الحجة. غير أنه يتوجه وجهين. أحدهما أن لفعل[7] الحج أشهرًا[8] معلومات. دليله قوله: **فمن فرض فيهن الحج**، سماه حجا بعد سبب الإلزام، فثبت أن ما بعد الإحرام حج.

والوجه الثاني أن[9] للحج أشهرًا[10] معلومات لا يدخل فيها غيره، ثم أدخل فيها العمرة رخصة. دليله قوله : «دخلت العمرة في الحج هكذا»،[11] فيكون معناه: أن للحج أشهرًا،[12] أي لفعله أشهر معلومات. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م – فعلى ذلك من أحرم قبل وقته فإحرامه صحيح.
[2] سورة التوبة، ٣٦/٩.
[3] سورة البقرة، ١٨٩/٢.
[4] ن ع + على.
[5] م – في.
[6] ع: وذي.
[7] ع: الفعل.
[8] ن ع م: أشهر.
[9] جميع النسخ: بأن.
[10] جميع النسخ: أشهر.
[11] الحديث رواه البخاري، ومسلم، وقد ذكره القرطبي، قال: واحتج أحمد بالحديث الصحيح –حديث جابر الطويل في الحج– وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جُعشُم، فقال: يا رسول الله أ لعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج –مرتين– لا، بل لأبد أبد». (*صحيح البخاري*، الحج ٣٤؛ و*صحيح مسلم*، الحج ١٥٨–١٥٩؛ و*تفسير الطبري*، ٢٦٢/٢).
[12] م: أشهر.

وقوله: **فمن فرض فيهن الحج**. اختلف فيما به يفرض[١] الحج. قال بعضهم: إذا نوى الحج صار محرما لبّى أو لم يُلبِّ. وقال آخرون: إذا نوى أن يعمل بجميع ما أمر،[٢] وأن ينتهي عن جميع ما نهي، صار بذلك محرما. وأما عندنا فإن تأويل قوله: **فمن فرض فيهن الحج،** أي لبّى فيهن بالحج.[٣] دليله[٤] ما روي عن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضوان الله عليهم أجمعين أنهم قالوا: **فمن فرض فيهن الحج،** أي لبّى.[٥] وأما بالنية مجردا فإنه لا يكون محرما؛ وما روي أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها وقد رآها حزينة: «ما لكِ؟» فقالت: أنا قضيت عمرتي وألقاني الحج عاركا،[٦] فقال: «ذاك شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم فحُجِّي، وقُولي ما يقول المسلمون في حجهم».[٧] / فبين قول [٤٥و] رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها «حُجّي، وقولي ما يقول المسلمون في حجهم»، أن التلبية واجبة، إذ كان المسلمون يفعلونها، وأمر عائشة رضي الله عنها[٨] باتباعهم فيها. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يُحرم إلا من أهلَّ أو لبّى.[٩] فدلت[١٠] هذه الأحاديث النبوية على[١١] أن التلبية فرض الحج. و[ثبت الأمر] عن هؤلاء الأئمة وأمثالهم الذين نأخذ منهم الدين، فلا تجوز[١٢] مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم.

وقال أصحابنا رحمهم الله: إن خرج رجل مع بَدَنته وقلّدها ونوى[١٣] الإحرام فهو محرم، ويقوم ذلك الفعل منه مقام التلبية. والحجة لذلك[١٤] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

---

[١] ن ع م: كفرض.
[٢] ن: أمروا.
[٣] ع – أي لبى فيهن بالحج.
[٤] ن – دليله، صح هـ.
[٥] *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٦/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٣٦/١.
[٦] أي حائضا (*لسان العرب*، «عرك»).
[٧] *صحيح البخاري*، العمرة ٥–٧، الحيض ١، ٧؛ و*صحيح مسلم*، الحج ١١١–١١٢.
[٨] ع م – حجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم أن التلبية واجبة إذ كان المسلمون يفعلونها وأمر عائشة رضي الله عنها.
[٩] *الموطأ* لمالك، الحج ٥٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٧/١؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٨٦/٢.
[١٠] ن: فدل.
[١١] ن – النبوية على.
[١٢] ن: فلا يجوز.
[١٣] ك: وسوى.
[١٤] ع: ولدلك.

لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين في حِجَّته لما أمرهم بأن يَحِلّوا العمرة، فقالوا[1] له: إنك لم تحل، قال: إني قلّدت الهَدي فلا أَحِلّ من إحرامي إلى يوم النحر، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت[2] الهدي».[3] فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي منعه من الحل تقليده الهدي وأن ذلك قام مقام الإحرام لوجوده بعد الطواف. وروي عن علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم، قالوا: إذا قلّد فقد أحرم.[4] وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا قلد وهو يريد[5] الحج والعمرة[6] فقد أحرم. وما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت:[7] لا يحرم إلا من أهل أو لبّى،[8] فذلك عندنا في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما. ألا ترى ما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم، فلا يَحْرم عليه شيء.[9]

وقوله: **فلا رَفَثَ**. قيل: الرفث جميع حاجات الرجال إلى النساء. وقال ابن عباس رضي الله عنه: الرفث الجماع،[10] وابن عمر رضي الله عنه مثله.[11] وأجمع[12] أهل العلم أن المحرم لا يجوز له أن يقبّل امرأته ولا يمسّها بشهوة، ويوجبون على من فعل ذلك دما. روي[13] عن ابن عمر رضي الله عنه: إذا باشر المحرم امرأته أهراق دما.[14] وعن علي رضي الله عنه قال:[15] إذا قبّل المحرم امرأته فعليه دم.[16] وسئلت عائشة رضي الله عنها عما يحل

[1] ك: قالوا.
[2] ن: شئت.
[3] *صحيح البخاري*، الحج ٣٣؛ وصحيح مسلم، الحج ١٣٠.
[4] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١/٢١٨-٢١٩.
[5] ع م: ويريد.
[6] ك ن: أو العمرة.
[7] ن ع م – قالت.
[8] الحديث تقدم تخريجه.
[9] *صحيح البخاري*، الحج ١٠٦-١٠٨؛ وصحيح مسلم، الحج ٢٠٥، ٣٦٢؛ وسنن *أبي داود*، الحج ١٣-١٦.
[10] *تنوير المقباس*، ٣١.
[11] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٧؛ *ومعالم التنزيل* للبغوي، ١/١٢٤.
[12] ن: أجمع.
[13] ن: ذلك وما روي.
[14] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٨.
[15] ع م – قال؛ ن: أنه قال.
[16] المرجع السابق.

للمحرم من امرأته،[١] فقالت: يحرم عليه كل شيء سوى الكلام.[٢]

وقوله: **ولا فسوق**. قيل: الفسوق السب. وقيل: هو كل[٣] فسق. والفسق حقيقة الخروج عن أمر الله،[٤] قال الله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ،[٥] أي خرج.

وقوله: **ولا جدال في الحج**. قيل: المراء. وذلك أن العرب كانت تؤخر الأشهر[٦] الحرم وتعجل، وفي ذلك نزل: إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ،[٧] فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «إن السَّنة قد استدارت كهيئتها يومَ خلق السماوات والأرض»؛[٨] فعلى ذلك استدار وقت الحج إلى حيث جعل، لا يتقدم أبدا ولا يتأخر، فلا تماروا فيه. وعن ابن عباس[٩] قال: لا تجادل صاحبك حتى تغضبه.[١٠]

وأشبه الأمور –والله أعلم– بتأويل الآية أن الله سبحانه وتعالى أمر[١١] بحفظ اللسان والفرج في الإحرام عن كل ما يذكر من فسوق[١٢] ومعصية ومجادلة ومخاصمة،[١٣] وعن الرفث بالفعل والقول؛ لأنه يروى أن الفضل بن عباس كان رِدْف النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن، وجعل النبي يصرف وجهه بيده من خلفه،

---

[١] ن – من امرأته.

[٢] حديث عائشة ذكر مضمونه الجصاص من طرق عدة، وبألفاظ مختلفة. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٥/١-٣٠٩.

[٣] ع: وكل.

[٤] ك ن ع: من أمر الله.

[٥] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (سورة الكهف، ٥٠/١٨).

[٦] ن ع: لأشهر.

[٧] سورة التوبة، ٣٧/٩.

[٨] عن محمد بن سرين أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادي وشعبان» (*مسند أحمد*، ٧٢/٥؛ وصحيح *البخاري*، بدء الخلق ٤٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٢٤/٤؛ *وتفسير ابن كثير*، ٣٥٣/٢).

[٩] ك + وعن ابن عباس.

[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٣٤/٢؛ *وتفسير القرطبي*، ١٤/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢١٢/١.

[١١] ع – أمر.

[١٢] م: فسق.

[١٣] ن: ومخاصمة ومجادلة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا يومٌ من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له»[١] أو كما قال. وروي[٢] عنه أنه قال:[٣] «من حج فلم يَرْفُث و لم يَفسُق، رجع كيوم ولدته أمه».[٤]

وقوله: **وما تفعلوا من خير يعلمه الله**، ويجزيه. وفيه[٥] ترغيب منه في كل خير.

وقوله: **وتزوّدوا [فإن خير الزاد التقوى]**. قيل: تزودوا للحج والعمرة ما تَكُفُّون به وجوهكم عن المسألة، ولا تخرجوا بلا زاد لتكونوا عيالا على الناس. ويحتمل أن يكون الأمر بالتزود للمعاد. يدل عليه قوله: **فإن خير الزاد التقوى**، يقول: إن[٦] تقوى الله خير زادًا[٧] من زاد الدنيا.

وقوله: **واتقون يا أولي الألباب**، يحتمل: واتقون [في] المعاصي والمناهي وكل فسق. ويحتمل على التقديم والتأخير، كأنه قال: تزودوا يا أولي الألباب،[٨] واتقون في المسألة من الناس.

**﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[١٩٨]**

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**. قيل: التجارة. وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة، فلما أن كان الإسلام امتنع[٩] أهل الإسلام عن التجارة،[١٠] وأحبوا أن يكون خروجهم للحج خاصة، دون أن يختلط [به] غيره[١١] من الأعمال؛ فرخص الله عز وجل التجارة[١٢] للحاج وطلبَ الفضل. وروي عن ابن عمر رضي الله عنه

---

١ صحيح *البخاري*، الحج ٤؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٤٧.
٢ ع م + ولسانه غفر له أو كما قال وروي.
٣ ن: – قال، صح هـ.
٤ صحيح *البخاري*، المحصر ٩-١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٨؛ و*تفسير الطبري*، ٤/١٥٠-١٥٣.
٥ ع م – وفيه.
٦ ع + ان يقول.
٧ جميع النسخ: زاد.
٨ ع + يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على التقدم والتأخير كأنه قال تزودوا يا أولي الألباب.
٩ ن: وامتنع.
١٠ ع: على التجارة.
١١ ن: غيرهم.
١٢ ع م – التجارة.

أن رجلا سأله فقال: إنا قومٌ نُكْرَى،[١] ويزعمون[٢] أنه ليس لنا حج. فقال: ألستم تُحرمون وتقفون؟ فقال: بلى. قال:[٣] فأنتم حجاج. قال: فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتَني عنه،[٤] فنزلت هذه الآية: **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم.**[٥] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله.[٦] وأصحابنا رحمهم الله يرون حج الأجير والتاجر تاما؛[٧] وظاهر القرآن يدل على ذلك. وكان عند القوم أن الاستئجار[٨] على الطاعة لا يجوز أمرًا ظاهرًا[٩] حتى سألوا في هذا. وأصله أن الحج لا يمنع أفعال غيره، فأشبه الصوم، ويجوز فيه الإجارة، كذا في هذا. وأما الصلاة فهي مانعة لما سواها من الأفعال، فاختلفا.

وقوله: **فإذا أفضتم من عرفات.** قيل: إن أهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس، فأمر أهل الإسلام بالخلاف في الحالين[١٠] جميعا: أن يجعلوا[١١] الإفاضة من عرفة بعد الغروب، ومن المزدلفة قبل طلوع[١٢] الشمس.[١٣] *والله أعلم*. وفي الخبر: خالفوهم في الرجعتين جميعا.[١٤] والإفاضة هو الإسراع في المشي

---

[١] ن: تكرى. وهو من الإكراء. يقال: أكرى فلانا دابته أو داره: آجره إياها. إنا قوم نكرى: أي نحن قوم نؤاجر ونستعمل لبعض أعمال الحج ونأتي إلى أمكنة الحج (*لسان العرب*، «كرى»).

[٢] ك: ونزعمون.

[٣] ع – قال.

[٤] ع م + مثله.

[٥] انظر: سنن *أبي داود*، المناسك ٦٥٤؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ١٩٤/٤؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ١٢٥/١.

[٦] ع م – فنزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٥/٤؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ١٢٥/١؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٧٤/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٣٩/١.

[٧] *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١-٣١٠.

[٨] ك ن: الاستيجار.

[٩] أي وكان عند القوم عدم جواز الاستئجار على الطاعة أمرا ظاهرا.

[١٠] ك – في الحالين.

[١١] ك ن ع: يجعلون.

[١٢] ك ن: الطلوع.

[١٣] ك ن – الشمس.

[١٤] عن المسور بن مخرمة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن هذا اليوم الحج الأكبر، ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس إذا كانت الشمس في رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها. وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس، مخالفا هدينا هدي أهل الشرك» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٠١/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٣١/١).

في اللغة. وقيل: الإفاضة الانحدار.[1]

وقوله: **فاذكروا الله عند المشعر الحرام**، يعني المزدلفة. ويحتمل قوله: **فاذكروا الله**، وجهين. يحتمل صلاة المغرب والعشاء.[2] ويحتمل الدعاء فيهما جميعا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: [٤٥ظ] / المشعر الحرام[3] الجبيل[4] وما حوله،[5] وهو الجبل الذي يوقف عليه، يقال له: قُزَح، وسمي جَمْعًا أيضا، لأنه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء. وقيل: سمي جمعا[6] لأنه[7] اجتمع فيه آدم وحواء.[8] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سمي العرفات[9] عرفات لأن جبريل صلوات الله عليه لما علّم إبراهيم المناسك كان يقول له: عرفت، عرفت.[10] والله أعلم بذلك.

وقوله: **واذكروه كما هداكم [وإن كنتم من قبله لمن الضالين]**. يحتمل وجوها. يحتمل الأمر بالذكر؛ أَمَر بالشكر له على ما أنعم عليهم من أنواع النعم. ويحتمل: اذكروه كما هداكم وأرشدكم لأمر المناسك. ويحتمل الأمر بالتوحيد له،[11] كأنه قال: وحّدوه كما وفقكم لدينه. وعلى هذا يخرج قوله: **وإن كنتم من قبله لمن الضالين**، عن الهدي وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر. *والله أعلم*.

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الهدى[12] على وجهين. هَدَى: عرّف ليوحّدوه،[13] وهَدَى: وفّق لطاعته.

---

[1] فاض الماء: سال. وأفاض القوم في الحديث: انتشروا واندفعوا وفاضوا وأكثروا. والإفاضة: الدفع بكثرة (*لسان العرب*، «فاض»).

[2] ع م – ويحتمل قوله فاذكروا الله وجهين يحتمل صلاة المغرب والعشاء.

[3] ن – المشعر الحرام.

[4] ن: الجبل.

[5] *تفسير الطبري*، ١٧٦/٣.

[6] ع م – لأنه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وقيل سمي جمعا.

[7] ع: أنه.

[8] يقول ابن منظور: جَمْع: المزدلفة، معرفة كعرفات. وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس بها. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: بعثني رسول الله في الثَّقَل من جَمْع بليل؛ جمع علم للمزدلفة، سميت بذلك لأن آدم وحواء لما هبطا اجتمعا بها (*لسان العرب*، «جمع»).

[9] ن: عرفات.

[10] *تفسير الطبري*، ١٧٤/٤؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٥٩/١.

[11] ع – له.

[12] ك – الهدى.

[13] ن + وعرف.

**﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٩٩]

وقوله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.** قيل: إن أهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون: نحن أهل حرم الله، لا نُفيض كغيرنا ممن قَصَدنا، فأنزل الله فيهم، يأمرهم بالوقوف بعرفات، والإفاضةِ منها من حيث أفاض غيرهم من الناس. وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومن كان على دينها[١] يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة، فأنزل الله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.**[٢] وفيه دليل أن الوقوف بعرفة فرض، وعلى ذلك جاءت الآثار. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة»،[٣] و«من أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجَمْع فقد تم حجه».[٤]

ويحتمل في قوله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** معنى آخر، وهو أنهم رأوا[٥] غيرهم من أهل الآفاق[٦] إذا[٧] قصدوا على الإحرام [قصدوا] من وراء الحرم، وهم أمروا بالإحرام في الحرم،[٨] فلما خُصّوا هم بذلك ظنوا أن قضاء غيره من المناسك في الحرم. *والله أعلم.*

{قال الشيخ أبو منصور رحمةُ الله عليه:} أمر بالإفاضة بحرف "ثم"، بعد ذكر المزدلفة، والإفاضة من عرفات[٩] يتقدم[١٠] المزدلفة، فبان أن حرف "ثم" مما قد يبتدأ به أيضا.[١١]

**﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾**[٢٠٠] **﴿وِمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**[٢٠١]

وقوله: **[فإذا قضيتم مناسككم] فاذكروا الله كذكركم آباءكم [أو أشد ذكرا].**

---

[١] جميع النسخ: ديننا.
[٢] صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٥١-١٥٣؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨٤/٣.
[٣] *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٤/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٨٢/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤٠/١.
[٤] *أحكام القرآن* للجصاص، ٣١١/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٧٦/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤١/١.
[٥] ع: اراو.
[٦] ع: الإنفاق.
[٧] ع م: فإذا.
[٨] ع - في الحرم.
[٩] ن - من عرفات.
[١٠] ع م: بتقديم.
[١١] أي يمكن أن يأتي حرف "ثم" لغير العطف، مثل أن يكون ابتدائيا.

قيل فيه بوجهين. قيل: إنهم في الجاهلية كانوا إذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون آباءهم ومناقبهم، يفتخرون بذلك، فلما أن أسلموا أمرهم أن يذكروا ربهم في الإسلام كذكرهم آباءهم[1] في الجاهلية أو أشد[2] ذكرا، فإنه أولى بذلك من الآباء. وقيل: إن يكونوا يذكرون آباءهم [فهو] بما أنعم[3] عليهم[4] آباؤهم[5] وأحسنوا[6] إليهم، فقال: ادكروني[7] فيما تذكرون آباءكم[8] مكان آبائكم، فإني أنا[9] الذي[10] أنعمت عليكم وعلى آبائكم، فاجعلوا ذلك لي دون آبائكم.

وقوله: **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق [ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار]**. الآية في قوم لا يؤمنون بالبعث والإحياء بعد الموت، [طلبوا] خيرات الدنيا و لم يطلبوا الخيرات في الآخرة، فأُعطوا ما سألوا من حسنات الدنيا. وهو كقوله: وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ،[11] فأعطوا ما سألوا من نصيب؛[12] مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ،[13] أي يُؤتى حرث الدنيا والآخرة. فلما[14] كان ركونهم إلى الدنيا وميلهم إليها لم يركنوا إلى دعاء غيرها. وأما من آمن بالبعث والإحياء بعد الموت فإنهم سألوا خيرات الدنيا والآخرة جميعا، بقوله: **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**؛ طلبوا حسنات الدنيا، لأن الدنيا [إنما] جعلها محل الزاد للآخرة،

---

[1] م: آباءكم.
[2] ع: واشد.
[3] جميع النسخ: ما أنعم.
[4] ع – عليهم.
[5] ع م – آباؤهم.
[6] م: وأحسن.
[7] ن: اذكروا لي؛ ع: ادكروا إلي.
[8] ع م: آباءهم.
[9] ع م – فإني أنا.
[10] ع: الذين.
[11] ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٢٠).
[12] ك ن – فأعطوا ما سألوا من نصيب.
[13] صدر الآية التي ذكرت قريبا.
[14] ع: فمن.

لا أنه[١] جعلها لهم، إنما خلقهم للآخرة كقوله: وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.[٢]

ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي حسنة[٣] الآخرة. قيل: حسنة الدنيا العلم والعبادة، وحسنة الآخرة الجنة والمغفرة. وقيل: حسنة الدنيا النصر والرزق، وحسنة الآخرة الرحمة والرضوان. وكله واحد. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله عبادًا يَحْيَوْن في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية». قيل: يا رسول الله بم؟ قال: «بكثرة قولهم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».[٤]

**﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢٠٢]**

وقوله: **والله سريع الحساب**. قيل فيه بوجوه. [قيل:] فيه تقديم وتأخير، كأنه قال: حسابه سريع. [و]قيل: **سريع** لما أن الإبطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ عُقَد الأصابع أو لشغل شغله؛ فالله[٥] يتعالى عن ذلك: أن يوصف به، أو يَشغله شيء.[٦] وقيل: **سريع** أي قريب كأن قد جاء، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[٧] وكقوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ،[٨] وكقوله: أَتٰى أَمْرُ اللّٰهِ،[٩] أي قرب. وقيل: كناية عن[١٠] عذاب شديد، أي شديد العقاب والعذاب.

---

[١] ن + إنما؛ ع م: لأنه.

[٢] انظر: سورة البقرة، ١٩٧/٢.

[٣] ع: الحسنة.

[٤] ذكر الرازي عن الضحاك عن ابن عباس، أن رجلا دعا ربه، فقال: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أعلم أن هذا الرجل سأل الله شيئا من أمر الدنيا». فقال بعض الصحابة: بل، يا رسول الله، إنه قال: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه يقول: آتنا في الدنيا عملا صالحا». وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ (سورة الفرقان، ٧٤/٢٥)، وتلك القرة هي أن يشاهدوا أولادهم وأزواجهم مطيعين مؤمنين مواظبين على العبودية. انظر: : *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٧؛ وانظر أيضا: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٢١٧/٣.

[٥] ك ن: والله.

[٦] ع: بشيء.

[٧] ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (سورة القمر، ١/٥٤).

[٨] ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٩٧/٢١).

[٩] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[١٠] ع: من.

وهو كقوله:[1] «من نوقش الحسابَ عُذِّب».[2]

**﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٠٣]**

قوله:[3] **واذكروا الله في أيام معدودات**. قيل: إنه يحتمل وجهين. قيل: إنه أراد بالأيام المعدودات أيام النحر والذبح؛ أي اذكروا الله بالنحر والذبح في أيامكم. فهو عند أبي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده. وقيل: أراد بالأيام المعدودات أيام رمي الجمار؛ دليله قوله: **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه**، وهي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد النحر. وروي عن علي رضي الله عنه أنه[4] قال: الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده، اذبح في أيها شئت[5] وأفضلها أولها.[6] وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه [ومن تأخر فلا إثم عليه]**.

[٤٦ر] قيل: من تعجل في يومين[8] بعد يوم النحر بيومين [أي][9] مِن / نَفْر[10] من مِنى قبل غروب الشمس فلا إثم عليه، ومن لم ينفر حتى غربت الشمس، وأقام[11] إلى الغد يوم الثالث، فيرمي الجمار[12] ثم ينفر فلا إثم عليه.[13]

---

[1] ك + أتى أمر الله أي.

[2] عن عبد الله بن مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حوسب عُذِّب». قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٨) قالت: فقال: «إنما ذلك العرض» -وفي رواية مسلم: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض- ولكن من نوقش الحسابَ عُذِّب»، وفي رواية: «يهلك» (*صحيح البخاري*، العلم ٣٥، الرقاق ٤٩؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٧٩-٨٠).

[3] ن ع م: وقوله.

[4] ك ن - أنه.

[5] ك ع م: شيئت.

[6] *تفسير الطبري*، ٢٣٤/٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٠٩/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٤٥/١؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢١٥/١؛

[7] انظر التعليق السابق.

[8] ن - فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه قيل من تعجل في يومين.

[9] جميع النسخ + يقول. والتصحيح من الشرح ليستقيم المعنى. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢ ظ.

[10] ع - من نفر.

[11] ك: فأقام.

[12] ك: الجمرات.

[13] ك + ومن لم ينفر حتى.

وقيل: **فمن تعجل في يومين** من أيام التشريق **فلا إثم عليه، ومن تأخر** إلى اليوم الثالث من أيام التشريق **فلا إثم عليه.**

ثم لا يحتمل قوله **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه،** أن يكونا جميعا على الرخصة -التعجل والتأخر[1] جميعا- فلا يلحقه الإثم بكليهما؛ لأنه إذا كان التعجل[2] هو الرخصة فالتأخر[3] لا يكون رخصة، وإذا كان التأخر هو الرخصة فالتعجل ليس برخصة. لكن الوجه فيه -والله أعلم- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **فمن تعجل في يومين** غفر له، **ومن تأخر** غفر له ما كان له من الإثم والذنب في اليوم الذي أخّر.[4] *والله أعلم*. ويحتمل: أنه خيّره؛[5] أي إن فعل ذا أو ذا فلا إثم عليه. و عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال في قوله فلا إثم عليه: رجع مغفورا له.[6]

وقوله: **لمن اتقى [واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون]**. قيل فيه بوجوه. قيل: **لمن اتقى** قتل الصيد في الإحرام. وعلى ذلك قوله: **واتقوا الله** فلا[7] تستحلوا قتل[8] الصيد في الإحرام. وقال ابن عباس رضي الله عنه: من اتقى[9] معاصي[10] الله جملة. وقيل: **لمن اتقى** جميع ما يحرم عليه[11] الإحرام من الرفث والفسوق[12] والجدال وغيره.[13]

وعلى ذلك قوله: **واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون**. خوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت كلّ معصية. خرج الخطاب في الظاهر للمؤمنين. ويحتمل أن يكون للكفار أيضا؛ يأمرهم أن يتقوا الشرك، وإشراك غيره في أفعالهم، لما أو عدهم بالحشر[14] والجزاء لأعمالهم.

---

[1] ك: التعجيل والتأخير.
[2] ك: التعجيل.
[3] ك: فالتأخير.
[4] *تفسير الطبري*، ٤/٢١٧.
[5] م: خيرة.
[6] *تفسير الطبري*، ٤/٣١٧.
[7] ك: ولا.
[8] ع: قيل.
[9] ك: لمن اتقى.
[10] ك – معاصي.
[11] م + من.
[12] ك: والفسق.
[13] م: وغير.
[14] ك: الحشر.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾**[٢٠٤]

وقوله: **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا [ويشهد الله على ما في قلبه]**. قيل: إن رجلا من الكفار كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره أنه يحبه، وكان يَعدُ له الإيمان والمبايعة[١] له في دينه ويحلف على ذلك.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه[٢] في المجلس، وفي قلبه خلاف[٣] ذلك، فأنزل الله عز وجل: **ومن الناس من يعجبك قوله**، الآية. وقيل: إنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يُرُون من أنفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون أنهم على دينه ومذهبه، ويضمرون الخلاف له في السر[٤] والعداوة،[٥] ويحلفون على ذلك، فأنزل الله: **ومن الناس من يعجبك قوله**، الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **وهو أَلَدّ الخصام**. قيل:[٦] أشد الخصام. وقيل: أجدل بالباطل. وقيل: أظلم في الخصومة، لا يستقيم أبدا.

**﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**[٢٠٥]

وقوله: **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**. قيل فيه بوجوه.[٧] قيل: **ويهلك الحرث**، أي يقتل[٨] النساء؛ وهن حرث، كقوله: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ،[٩] وفي إهلاك النساء إهلاك النسل.[١٠] وقيل: أراد بالحرث الحرث نفسه وهو الزرع، والنسل الدواب؛ يحرق الحرث ويَعقِر[١١] الدواب وكل حيوان. وقيل:

[١] ك: والمبالغة؛ ع م: والمتابعة.
[٢] ع: ويدينه.
[٣] م – خلاف.
[٤] ع: السير؛ م: السبر.
[٥] ع: والعدوان.
[٦] ن + ألد الخصام.
[٧] ك: بأوجه.
[٨] م: بقتل.
[٩] ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ (سورة البقرة، ٢٢٣/٢).
[١٠] ع م – الحرث.
[١١] ع: ويعقرب؛ م: ويعفر.

إنهم كانوا يسعون بالفساد، ويعملون[١] بالمعاصي، فيمسك الله عنهم المطر، فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم.

ويحتمل قوله: **ويهلك الحرث**، قتل ولد آدم، وفي إهلاكهم إهلاك كل[٢] حرث؛ لأنهم هم الذين يحرثون ويتناسلون، *والله أعلم*.

وقوله: **والله لا يحب الفساد**، ظاهر.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٢٠٦]**

وقوله: **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم**. [إذا] قيل له: **اتق الله** عن صنيعك -وهو السعي في الأرض بالفساد- حملته الحمية على الإثم تكبرًا منه. قال الله تعالى لرسوله[٣] صلى الله عليه وسلم **فحسبه جهنم**. يقول -والله أعلم- أعرض عنه واتركه وصنيعَه، فإن جهنم مصيره ومأواه. وروي[٤] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن أبغض الناس من يقال له اتق الله، فيقول عليك نفسَك.[٥]

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢٠٧]**

وقوله: **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**. يحتمل **يشري نفسه ابتغاء**، أي يبيع نفسه، [بالجهد] في عبادة الله وطاعته، فذلك شراؤه[٦] إياها. ويحتمل **يشري نفسه ابتغاء**، أي يبذل نفسه للجهاد في سبيل الله. وهو كقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٧] فهؤلاء بذلوا أنفسهم، لذلك يتفضل[٨] الله عز وجل ببذل الجنة لهم، فهو الشرى. *والله أعلم*. وهو ما روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ألقى نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما همّ المشركون بقتله.[٩]

---

[١] ع: ويعلمون.
[٢] ن + شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد آدم وفي إهلاكهم إهلاك كل.
[٣] ع: لرسول الله.
[٤] ع م: وما روي.
[٥] *معالم التنزيل* للبغوي، ١٣١/١؛ *وتفسير القرطبي*، ١٥/٣؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ١١٧/٢.
[٦] ك + شراؤه.
[٧] ع م + وهو كقوله إن الله اشترى. سورة التوبة، ١١١/٩.
[٨] ن ع م: بتفضيل.
[٩] جميع النسخ: قتله. *سيرة ابن هشام*، ٢٩٥/١-٣٠١.

وفيه دلالة أن أبا بكر رضي الله عنه كان أشجع الصحابة وأصلبهم، وإن كان ضعيفا في نفسه، لما لم يتجاسر أحد من الصحابة على مثله. وما روي أيضا أنه خرج لمقاتلة أهل الردة وحده. فدل هذا كله أنه كان أشجعهم وأصلبهم في الدين. وقيل: إن الآية نزلت في صُهَيْب[1] ابتاع دينه بأهله وماله[2] على[3] ذلك.

وقوله: **والله رؤوف بالعباد**، يحتمل أنه أراد[4] كل العباد؛ وهو أن الكافر إذا أسلم وأخلص دينه لله يتغمده في رحمته ويقبل منه ذلك، ويتجاوز عنه عما كان منه في الشرك والكفر. *والله أعلم*. ويحتمل أنه أراد[5] بالعباد المؤمنين خاصة. [أي] رحيم بهم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[٢٠٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**. فيه لغتان: **السلم** بالكسر والنصب، فمن قرأ بالكسر فهو الإسلام، ومن قرأ بالنصب فهو الصلح، كقوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[6] إلى آخر الآية.

فإن قيل: كيف أمر بالدخول وهم فيه، لأنه خاطب المؤمنين بقوله: **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا**.

قيل: لوجوه.[7] أحدها أنه يحتمل أن قوله:[8] **يا أيها الذين آمنوا** بألسنتهم آمنوا بقلوبكم.

---

[1] صهيب بن سنان بن مالك الرومي، قيل له ذلك لان الروم سبوه صغيرا. روى ابن سعد أنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فسئل، فقال: يا معشر قريش إني من أرماكم، ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه فرضوا، فعادهم ودلهم، فرجعوا فأخذوا ماله. فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ربح البيع، فأنزل الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾. ولما مات عمر رضى الله عنه أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. مات صهيب سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن سبعين. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٣٦٤/٣-٣٦٦.

[2] ع – وماله.

[3] ع: وعلى ما.

[4] جميع النسخ: أن أراد.

[5] ك – أنه؛ ن م: أن.

[6] سورة الحجرات، ٩/٤٩.

[7] ع م: بوجوه.

[8] ن ع م: قوله.

/ ويحتمل: **يا أيها الذين آمنوا** ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء، [٤٦ظ] آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: أمرُه إياهم بالدخول أمرٌ بالثبات عليه. وقيل: إنه تعالى إنما أمرهم بالدخول[1] فيه لأن[2] للإيمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت؛ لأنه فعل، والأفعال تنقضي[3] ولا تبقى؛ كأنه قال: **يا أيها الذين آمنوا** فيما مضى من الأوقات آمنوا في حادث الأوقات. وعلى هذا يخرج تأويل قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ.[4]

وقوله: **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.** قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[5]

**﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٠٩]**

وقوله: **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات**؛ أي مِلْتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق. **فاعلموا أن الله عزيز حكيم.** قيل: **عزيز**، أي منتقم بميلكم وترككم الحق بعد الظهور. ويحتمل **عزيز**، أي غني عن طاعتكم له[6] وعبادتكم إياه. وقيل: **عزيز** من أن يقهر أو يُذلَّل، أو يغلب، لأن العزيز نقيض الذليل. وقيل: **عزيز** لا يقدر أحد أن يصل إليه أو يقهره،[7] كما يقال: عزيز لا يرام.

**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٢١٠]**

وقوله: **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة.** قيل فيه بوجوه. قيل: **أن يأتيهم الله** بأمره وهو قول الحسن.[8] وقيل: **يأتيهم الله**، أي أمر الله، وهو كقوله: أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ،[9] أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ،[10] على إضمار[11] الأمر فيه.

---

[1] ع م – بالدخول.
[2] ع: لا.
[3] ك: تقضي.
[4] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[5] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٦٨/٢.
[6] ن – له.
[7] ك + الأذل بفسه؛ ن + بنفسه؛ ع م + الإذلال بنفسه. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣و.
[8] *معالم التنزيل* للبغوي، ١٣٤/١.
[9] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ (سورة النحل، ٣٣/١٦).
[10] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ (سورة الأنعام، ١٠٨/٦).
[11] ك: الإضمار.

وقيل: قوله **في ظلل الفي**[١] بمعنى الباء؛ كأنه قال: يأتيهم الله بظلل من الغمام، وذلك جائز استعمال **الفي**[٢] مكان الباء، لأنهما جميعا من حروف الخفض، والعرب تفعل ذلك ولا تأبى.[٣]

والأصل في هذا ونحوه أن إضافة هذه الأشياء إلى الله عز وجل لا توجب حقيقة وجود تلك الأشياء منه على ما يوجد من الأجسام، لما يجوز إضافته إلى مالا يوجد منه. تحقيق ذلك نحو ما يقال: جاءنا[٤] أمر فظيع، وجاء الحق وزهق الباطل، وجاء فلان بأمر كذا، وجاءكم رسول؛ فذكر المجيء والإتيان لا على تحقيق وجود ذلك منه؛ فعلى ذلك يخرج ما أضاف عز وجل إلى نفسه من المجيء والإتيان والاستواء،[٥] ليس على تحقيق الإتيان، والمجيء، والاستواء منه على[٦] ما يكون من الأجسام. وفي الشاهد أن ملوك الأرض يضيفون إلى أنفسهم ما عُمل بأمرهم من غير أن يتولوها بأنفسهم، كذلك أضاف جل ذكره أمر القيامة إلى نفسه لفضل ذلك الأمر.

ثم الأصل أن الإتيان والانتقال والزوال في الشاهد إنما يكون لخلتين. إما لحاجة بدت، فيحتاج إلى الانتقال من حال إلى حال والزوال من مكان إلى مكان ليقضيها، أو لسآمة ووحشة تأخذه، فينتقل من مكان إلى مكان لينفي عن نفسه ذلك. وهذان[٧] الوجهان في ذي المكان؛ والله سبحانه[٨] يتعالى عن المكان،[٩] كان ولا مكان، فهو على ما كان. فالله يتعالى عن أن يمسه حاجة، أو يأخذه سآمة؛[١٠] فبطل الوصف بالإتيان، والمجيء، والانتقال من حال إلى حال، أو مكان[١١] إلى مكان. ***وبالله التوفيق.***

وقيل: إن النص قد ورد بالاستواء والمجيء، وورد[١٢] الخبر بالنزول والرؤية. ثم قد ورد السمع

---

[١] ك: الفاء.
[٢] ك: الفاء.
[٣] ن: ولا يأبى.
[٤] ن ع م: جاء لي .
[٥] ع: والاستوار.
[٦] ع م + تحقيق.
[٧] ك: وهذا أن.
[٨] ك – سبحانه؛ ع م: تعالى.
[٩] ع م: من المكان.
[١٠] ك: سآمة؛ ن: سآميه.
[١١] ن: ومكان.
[١٢] ك ن: وورود؛ ع – بالاستواء والمجيء وورد؛ م – ورد.

بأن ليس كمثله شيء، فلزم[1] نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته، ولزم الإقرار بما جاء من عمده، من غير طلب الكيفية له والتفسير. فالسبيل فيه الإيمان بالتنزيل، والكف عن التفسير. *والله أعلم*.

وفي الشاهد الإتيان في العَرَض ظهوره، وفي الجسم بنقله[2] من مكان إلى مكان. وهو [عزّ] ذكره جلّ أن يوصف[3] بجسم أو عرض. كذلك إتيانه لا يشبه إتيان الأجسام والأعراض، ويكون إتيانا[4] لا يُعْرف كيفيته. وكما[5] جاز أن يكون هو مثبتا بدليل لا يشبه عرضًا ولا جسمًا.[6] *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لزم.
[2] ك ن ع: ينقله.
[3] جميع النسخ: جل ذكره أن يوصف.
[4] جميع النسخ: إتيان.
[5] ع: ومما.
[6] يقول الشارح: «وكما وجب أن يقال بثبوت ذاته من غير أن يكون شبيها بالأعراض والأجسام يجب أن يوصف بالإتيان من غير أن يكون له شبه بالإتيان المضاف إلى الأعراض والأجسام، بل نعتقد له وصف الإتيان من غير أن نعرف كيفيته كما نعتقد أنه ثابت الذات من غير كيفية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣و-ظ).

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[٢١١]

/وقوله: **سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة**، يحتمل وجوها. يحتمل أن يكون أمر [٤٦ظ] عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بسؤاله إياهم عما آتاهم من الآيات على أثر سؤال كان منهم بطلب الآيات، فقال: سل هم يا محمد كم آتينا آباءهم وأجدادهم من الآيات على يدي موسى، فكفروا به ولم يؤمنوا، فأنتم، وإن آتيناكم آيات، لا تؤمنون أيضا. يخبر[١] نبيه عليه السلام أن سؤالهم -إن كان- سؤالُ تعنت لا سؤال قبول وتصديق. ***والله أعلم.***

ويحتمل أن يكون لا على أثر سؤال كان منهم، ولكن على الابتداء: أنْ **سل علماء بني إسرائيل** وأئمتهم **كم آتيناهم من آية بينة فرفضوها**[٢] وكتموها،[٣] كقوله: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ،[٤] الآية. ويحتمل: **سل**، لا على الأمر به في التحقيق،

---

[١] ك: بخبر؛ ن: مخبر.

[٢] ك ن: فأخفوها.

[٣] ك + وهو.

[٤] ع م – وأئمتهم كم آتيناهم من آية بينة فرفضوها وكتموها كقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل. شورة الشعراء، ١٩٧/٢٦.

لكن[1] عنى التبين؛[2] أنك لو سألتهم لأخبروك؛ أو يكون[3] المراد من ذلك في الذين تضيق صدورهم عند الإخبار أنهم لو جاءتهم الآيات التي سألوا عنها لا يؤمنون؛ ليخبروا بذلك، فتطمئن[4] لذلك قلوبهم، فيزول عنها الخطرات وأنواع الوساوس.[5] ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته**. قيل: **نعمة الله** دين الله، مَن بدّله بعد ظهوره وبيانه. وقيل: **نعمة الله**، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، أي من كفر به بعد ما علم أنه رسول الله. ويحتمل: **نعمة الله** النعم المعروفة التي كان آتاهم من المن والسلوى والغمام وغيره، مما لم يؤتِ أحدًا من العالمين مثله. **فإن الله شديد العقاب**. خوفهم[6] عز وجل وحذرهم من تبديل[7] ذلك وتركه والكفر بنبيه صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم أنه حق. ***والله أعلم***. ويكون تبديل[8] نعمة الله بتوجيه الشكر إلى غيره، وهو أن يعبد غيره. ***والله أعلم***.

**﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢١٢]**

وقوله: **زين للذين كفروا الحياة الدنيا**، قال الحسن: زين لهم الشيطان ذلك،[9] وكذلك قوله: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.[10] ولكن معناه -والله أعلم- أن[11] الله[12] زين لهم التزين.

[1] ن: لا.
[2] ع م: عنى التحقيق والتبين.
[3] ع: أن يكون.
[4] جميع النسخ: فيطمئن.
[5] يقول علاءالدين السمرقندي: «ويحتمل أن يكون المراد من ذلك أن النبي عليه السلام لما أخبر أنهم لو جاءتهم الآيات التي سألوها لا يؤمنون فضاق صدر بعض المؤمنين وخطر عنى قنوبهم أنه لو ظهرت هذه الآيات التي سألوها لا يؤمنون من غير أن اعتقدوا ذلك بقنوبهم لكن من وسواس الشيطان، فأمر بأن يسأل من علماء بني إسرائيل ممن أسلموا كعبد الله بن سلام ونحوه عما أتاهم من الآيات المقترحة و لم يؤمنوا ليطمئن قنوب من وقع وسواس الشيطان فيزول عنها الوسواس والشبهات» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣ظ).
[6] ك: فخوفهم.
[7] جميع النسخ: على تبديل.
[8] ك: بتبديل.
[9] انظر: مجمع *البيان* لنطبرسي، ٥٤١/١.
[10] ﴿وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾ (سورة النمل، ٢٤/٢٧)، وانظر كذلك: سورة العنكبوت، ٣٨/٢٩.
[11] ك: أي.
[12] جميع النسخ - الله. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣ظ.

ثم التزيين[1] يكون بوجوه.[2] يزينه[3] الطبع لقرب الشهوات، والعقل لقيام الأدلة، ويكون[4] التزيين[5] بالثواب. وأما ما زين للذين كفروا الحياة الدنيا[6] فلما[7] رُكّب فيهم من الشهوات / وميل الطبع إليه، وأما الوجهان الآخران منها[8] فللمؤمنين.[9] [٤٧و]

وقوله: **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة**، يحتمل وجهين. يحتمل فوقهم في الحجة، يقول الله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً.[10] ويحتمل **فوقهم**[11] في الجزاء والثواب.

وقوله: **والله يرزق من يشاء بغير حساب**، يحتمل وجوها. يحتمل **بغير حساب**، بغير تبعة. ويحتمل **بغير حساب**، لا على قدر الأعمال، ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها؛ لأن رزق الجنة على ما ينتهي إليه الشهوات، ورزق الدنيا مقدر[12] على قدر الحاجة والقوت؛ إذ لا أحد يبلغ مُناه في الدنيا وحاجته. وفي الآخرة[13] كلٌّ[14] ينال فوق مناه؛ ولأن أكل الشهوة في الدنيا هو المؤذي. ويحتمل **بغير حساب**، أي من غير أن ينقص ذلك من ملكه[15] وخزائنه وإن عظم عطاياه وكثر مناله، ليس كخزائن المخلوقين تنتقص[16] بالدفع وتَنفَد،[17] *والله أعلم*.

---

[1] ك ن: التزين؛ ع م – ثم التزيين. والتصحيح من الشرح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣ ظ.
[2] ك: من وجهين؛ ن م: بوجهين؛ ع: وجهين.
[3] ع: بزينة.
[4] جميع النسخ: فيكون.
[5] جميع النسخ: التزين.
[6] ع م – الدنيا.
[7] جميع النسخ: لما.
[8] جميع النسخ: منهما.
[9] جميع النسخ: للمؤمنين.
[10] سورة النساء، ٤/١٤١.
[11] ع: فولهم.
[12] ع: تقدر.
[13] ع م: في الآخرة.
[14] ن: كلها.
[15] جميع النسخ: عن ملكه.
[16] ع. ينتقص؛ م: تنقص.
[17] ع: وتنفد.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢١٣]

وقوله: **كان الناس أمة واحدة [فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين]**. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وآخر معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، قالا: **كان الناس أمة واحدة** كلهم كفارا،[١] إلى أن بعث الله عز وجل فيهم النبيين.[٢] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **كان الناس أمة واحدة** مؤمنين كلهم زمن نوح عليه السلام الذين كانوا في السفينة، إلى أن اختلفوا من بعد، فبُعث فيهم النبيون.[٣] وقال بعضهم: **كان الناس أمة واحدة** زمن آدم مؤمنين، إلى أن أنزل الكتاب[٤] عليهم، وبعث فيهم الرسل.

ولو قيل بغير هذا كان أقرب [وهو أن] قوله **كان الناس أمة واحدة**، يعني صنفا واحدا. ومعنى[٥] الأمة[٦] معنى الصنف، كقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ،[٧] يعني أصنافا. ثم خص الله تعالى صنفا ببعث[٨] الرسل إليهم، وإنزال[٩] الكتب عليهم من[١٠] بين غيرها من الأصناف، تفضيلا[١١] لهم وإكراما. بعث كل رسول إلى قومه، فيهم كفار وفيهم مؤمنون؛ لأن الأرض لا تخلو من ولي أو نبي، كقوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ،[١٢] ليعلموا أن سائر أصناف[١٣] الخلق خلقوا لهم ولحاجاتهم، وهو قول الحسن.

---

[١] ع م: كفار.
[٢] لعل الآخر ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٢٧٨؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/٣١؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥٠.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٢٧٥؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥٠.
[٤] ك – الكتاب.
[٥] م: معنى.
[٦] ك: الآية.
[٧] سورة الأنعام: ٦/٣٨.
[٨] ع: يبعث.
[٩] م: وأنزل.
[١٠] ك + من.
[١١] ن: مفضلا؛ ع م: تفضلا.
[١٢] سورة لإسراء: ١٧/٧٠.
[١٣] ك + أصناف.

وكذلك قول أبي حنيفة رضي الله عنه: إن الأرض لا تخلو عن نبي[١] أو ولي. ***والله أعلم***.

وقوله: **فبعث الله النبيين مبشرين** لمن أطاعه **ومنذرين** لمن عصاه. وجائز أن تكون البشارة و النذارة جملة له[٢] [معبرًا] عن الوقوع[٣] بما به يقعان[٤] مختلفًا،[٥] كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[٦] وقوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.[٧]

وقوله: **[وأنزل معهم الكتاب بالحق] ليحكم بين الناس**. يحتمل قوله:[٨] **ليحكم**، وجهين. يحتمل:[٩] **ليحكم** الكتاب المنزلُ عليهم بالحق فيما بينهم،[١٠] وهو كقوله: لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا.[١١] قرأ بعضهم بالياء، وقرأ آخرون بالتاء. فمن قرأه بالياء جعل الكتاب هو المنذر، ومن قرأ بالتاء[١٢] صيَّر الرسول هو المنذر. فكذلك في هذا: **ليحكم**[١٣] الكتاب بينهم **بالحق**، وليحكم الرسول بالكتاب فيما بينهم **بالحق**.

وقوله: **فيما اختلفوا فيه**. يحتمل قوله: **فيه** وجوها. يحتمل **فيه**: في محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتمل: في دينه. ويحتمل **فيما اختلفوا فيه**: في كتابه.

وقوله: **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات**، أي ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات؛[١٤] والعلم إما من جهة العقل، وإما من جهة السمع، و[هي] الكتب والخبر، وإما من جهة المعاينة والمشاهدة. لكنهم[١٥] عاندوا[١٦] وكابروا وكفروا به.

---

[١] ن: من نبي.
[٢] أي للإنسان نفسه.
[٣] ع: الوقوف.
[٤] أي البشارة والنذارة.
[٥] جميع النسخ: مختلف.
[٦] ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[٧] ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ١/٢٥).
[٨] ع + بما به يقعان مختلف كقوله إنما تنذر.
[٩] ك – يحتمل.
[١٠] م + وهو كقوله فيما بينهم.
[١١] ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ (سورة الأحقاف، ١٢/٤٦).
[١٢] ع + فمن قرأه بالياء جعل الكتاب ومن.
[١٣] ن ع م: الحكم.
[١٤] ع – أي ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات.
[١٥] ع: ولكنهم
[١٦] ك ن ع: تعاندوا.

**بغيا بينهم.** قيل: حسدًا بينهم، وقيل: ظلما منهم؛ ظلموا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه.** تأويله –والله أعلم– أي هدى الله الذين آمنوا و لم يختلفوا، من بين الذين اختلفوا. ويحتمل: هدى الله من أنصف و لم يعاند، و لم يهد[1] الذي عاند و لم ينصف.[2]

وقوله: **بإذنه**، قيل: بأمره، وقيل: بفضله. لكن قوله بأمره لا يُحْتَمل، ولكن بإذنه،[3] أي بمشيئته وإرادته.

وقوله: **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.** فيه دلالة أنه من[4] يشاء[5] أن يهتدي فإنه يهتدي[6] ومن لم يشأ[7] أن يهتدي لم يهتد؛ لأنه[8] لو كان شاء أن يهتدوا جميعا –على ما يقوله المعتزلة– لكان[9] يقول: والله يهدي إلى صراط مستقيم، ولم يقل: من يشاء، فدل قوله: **من يشاء**[10] على أنه شاء[11] إيمان من آمن، ولم يشأ إيمان من لم يؤمن. فالآية تنقض على المعتزلة قولهم: إنه شاء أن يؤمنوا، لكن آمن بعضهم و لم يؤمن البعض.

وفي قوله: **فبعث الله النبيين** دلالة على أن لا يُفهَم من البعث والإتيان والمجيء الانتقال من مكان إلى مكان، ولا الزوال من موضع إلى موضع؛ لأنه ذكر البعث، وهم كانوا بين ظَهْرَانَيْهم، فدل أنه يراد الوجود، لا غير.

**﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[٢١٤]**

وقوله: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة.** قيل: معنى قوله: **أم حسبتم** على إسقاط الميم.[12]

[1] ع م: يهدي.
[2] ن ع م: الذين عاندوا و لم ينصفوا.
[3] ن: بأمره.
[4] ك: فمن.
[5] ك ع م: شاء.
[6] ك ن م: فاهتدى.
[7] ع م: ومن يشاء.
[8] ع: ولأنه.
[9] ك: لكن.
[10] ع – فدل قوله من يشاء.
[11] م – فدل قوله من يشاء على أنه شاء.
[12] أي أ حسبتم.

وقيل: **أم** بمعنى بل **حسبتم**.

وقوله: **ولما يأتكم مثل الذين**. قيل: شِبْه الذين.[١] وقيل: **مثل الذين**: خبر الذين خلوا من قبلكم. وقيل: سنن الذين خلوا من قبلكم من البلاء والمحن التي أصابت الماضين من المؤمنين.

وقوله: **أم حسبتم**، الآية: أ حسبتم[٢] **أن تدخلوا الجنة** قبل أن تُبْتَلُوا كما أُبْتلي مَن قَبلكم؟ أي لا تظنوا ذلك جملة،[٣] وإن كان فيهم من قد يدخل -والله أعلم- كقوله: الم. أَحَسِبَ النَّاسُ،[٤] إلى آخر الآية.

وقيل: إن القصة فيه أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لم تقتلون أنفسكم وتهلكون أموالكم، فإنه لو كان محمد نبيا لم يسلَّط عليه؟ فقال المؤمنون لهم: إن من قتل منا دخل الجنة. **فقالوا**: لم تَمُنّون الباطل والبلايا؟ فأنزل الله تعالى: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**، من غير أن تبتلوا وتصيبكم[٥] الشدائد، ولما يأتكم خبر الذين خلوا[٦] من قبلكم مستهم البأساء والضراء.

وقوله: **وزلزلوا**، قيل: حركوا، / وقيل: جُهدوا. [٤٧ظ]

وقوله: **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه**، يعني: قال الرسول: **متى نصر الله**. قيل فيه بوجهين. قيل: يقول[٧] الرسول[٨] والمؤمنون جميعا: متى نصر الله؟ ثم يقول الله لهم: **ألا إن نصر الله قريب**. وقيل: يقول المؤمنون: متى نصر الله؟ ثم يقول لهم[٩] الرسول: **ألا إن نصر الله قريب**. ويحتمل هذا في كل رسول بعثه[١٠] الله[١١] إلى أمته،[١٢] يقول هذا وأمته يقولون أيضا.

---

[١] ك ع م + من.
[٢] ع: أم حسبتم.
[٣] ك: دلكم عملة.
[٤] ﴿الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١ - ٣).
[٥] جميع النسخ: ويصيبكم.
[٦] ك - خلوا.
[٧] ع م - يقول.
[٨] ن - والذين آمنوا معه يعني قال الرسول متى نصر الله قيل فيه بوجهين قيل يقول الرسول.
[٩] ع م - لهم.
[١٠] ع: بعث.
[١١] ك: رسول الله بعث.
[١٢] ع: من أمته.

ويحتمل أن كان هذا في رسول دون رسول، على ما قاله بعض[1] أهل التأويل: إنه فلان. وليس لنا إلى معرفة ذلك سبيل إلا من جهة السمع، ولا حاجة لنا إلى معرفته.

[٤٧ظ س١٤ *وفي[2] قوله: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** الآية،[3] وجه آخر، وهو أنهم -والله أعلم- ظنوا لما أتوا بالإيمان أن يدخلوا الجنة ولا يُبتلون بشيء من المحن والفتن وأنواع الشدائد، فأخبر عز وجل أن في الإيمان المحن والشدائدَ لا بد منها، كقوله [صلى الله عليه وسلم]: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره والنار بالشهوات»[4] -والله أعلم-، وكقوله: الٓمٓ. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ.[5] ولأن الإيمان من حيث نفسُه ليس بشديد؛ لأنه معرفة حق وقول صدقٍ،[6] ولا فرق بين قول[7] الصدق والكذب ومعرفة الحق والباطل في احتمال المؤمن، والإيمان مخالفة الهوى والطبع وذلك في أنواع المحن.* ٤٧ظ س٢٠]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٢١٥]

قوله:[9] **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير**. فظاهر هذا السؤال[10] لم يخرج له الجواب، لأن السؤال عما ينفق، فخرج الجواب على من يُنفَق [عليه]. غير أنه يحتمل أن يكون **ماذا** بمعنى مَنْ، وذلك مستعمل في اللغة غير ممتنع.[11] ويحتمل أن يكون[12] سألوا سؤالين،

---

[1] ن - بعض.
[2] جميع النسخ + وفي قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ (سورة آل عمران، ١٤٢/٣).
[3] ع م - الآية.
[4] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٣٣/٢؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ١؛ وسنن *الترمذي*، السنة ٢٢.
[5] سورة العنكبوت، ٢٩/١-٢.
[6] ع: وصدق.
[7] م: أقوال.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٤٧ظ/ سطر ١٤-٢٠.
[9] ك م: وقوله.
[10] ع م: القول.
[11] وقد سار على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ماذا ينفقون﴾ عنى من يتصرفونه؟ انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٣٣.
[12] ع م: يكونوا.

أحدهما عما يُنفَق، والثاني على من يُنفَق، فخرج لأحدهما[١] الجواب، على ما كان من السؤال على من ينفَق، و لم يخرج جواب ما كان من السؤال عما ينفَق. وهذا أيضا جائز كثير في القرآن: أن تكثر[٢] الأسئلة،[٣] ويخرج الجواب لبعض، ولا[٤] يخرج[٥] لبعض؛ ويكون جوابَ سؤال: مم[٦] ينفَق، في قوله: قُلِ الْعَفْوَ،[٧] فيكون على ما ذكر. *والله أعلم*. ويدل لما قلنا أنه كان[٨] ثَمَّ سؤالان، أحدهما عما يُنفق والآخر على من ينفق ما روي عن عمرو بن الجَمُوح الأنصاري رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله كم ننفق؟[٩] وعلى من[١٠] ننفق؟[١١] فأنزل الله: **يسألونك ماذا ينفقون**، الآية.[١٢]

ثم اختلف في هذه النفقة. قال بعضهم: هذه النفقة كانت نفقة[١٣] تطوع فنسخت[١٤] بالزكاة. وقيل: هذه النفقة صدقة يتصدقون بها على الوالدين والأقربين الذين يرثون، فنسختها آية المواريث. وقيل:فيه الأمر بالإنفاق[١٥] على الوالدين والأقربين[١٦] عند الحاجة، وكان هذا أقرب. *والله أعلم*. وفيه دلالة لزوم نفقة الوالدين والمحارم.*

**﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٢١٦]

وقوله: **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**، الآية.

---

[١] ع – لأحدهما.
[٢] ن م: يكثر.
[٣] ن ع م: الأسوله.
[٤] جميع النسخ: و لم.
[٥] ع: تخرج.
[٦] ك: ثم.
[٧] ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٩).
[٨] ن + يا رسول الله كم تنفق كان.
[٩] ك: ينفق؛ م: تنفق.
[١٠] م: على من.
[١١] ك: ينفق؛ ع م: تنفق.
[١٢] انظر: *معالم التنزيل* للبغوي، ١/١٣٧؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/٢٧.
[١٣] ع – نفقة.
[١٤] ك: فيستحب.
[١٥] ع + بين.
[١٦] ع – على الوالدين والأقربين.
* ورد هنا في جميع النسخ مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٤٧ظ / سطر ١٤–٢٠.

فالكراهة المذكورة هاهنا،[1] كراهة الطباع والنفس، لا كراهة الاختيار، ولا يكون في كراهة الطباع خطاب، لأن طبع كل أحد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو؛ لا أنهم[2] كرهوا ذلك كراهة اختيار، لأنه لا يحتمل أن يكون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرون بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون ما[3] أمروا [به] اختيارا منهم، لأن ذلك دأب أهل النار. فثبت أنه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدائد والمشقة وكراهيته.

وقوله: **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم.** يحتمل هذا في القتال خاصة، وهو أن يكونوا كرهوا القتال لما فيه من المشقة والشدة، **وهو خيرٌ لكم**[4] لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش ومناله الثواب والدرجات في الآخرة. **وعسى أن تحبوا شيئا**، يعني القعود عن الجهاد، **وهو شر لكم**، لما فيه[5] من اجتراء[6] العدو والأسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب في الآخرة، هذا يحتمل.[7] ويحتمل هذا في كل أمر؛ يُحِبّ في الابتداء ويكون[8] عاقبته شرا له، ويَكْرَه أمرا فيكون عاقبته خيرًا له. هذا لجهلنا بعواقب الأمور وخواتيمها، ليعلم أن ليس لنا[9] من التدبير[10] شيء. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله يعلم وأنتم لا تعلمون**، أي والله يعلم ما هو خير لكم في العواقب مما هو شر لكم، وأنتم لا تعلمون.

**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٢١٧]

---

[1] جميع النسخ + والمحبة، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤ظ.
[2] ن: لأنهم.
[3] ك ن م: عما.
[4] ك ن: لهم.
[5] ع م + من الفتوح والظفر.
[6] ن: إجمال.
[7] ع م – يحتمل.
[8] ك: ويكون (غير منقوطة).
[9] ن م: إلينا.
[10] ك ع + في.

وقوله: **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير**، معناه -والله أعلم-: **يسألونك** عن القتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام، **قل قتال فيه كبير**، لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفر به وإخراج أهله، لكن إذا فعلوا ذلك لم يكن القتال بجنبه كبيرا، بل الكفر فيه **أكبر من القتل**. فكأنه -والله أعلم- ذكر هذه الأحرف[1] وعني[2] بها[3] الكناية عن الكفر، ثم جعل الكفر أكبر من هذا كله، مع معرفة[4] أن الذي يوازيه أقل منه، ثم ألزمهم اختيار الأيسر عند البلوى بما بيّن. والقتال بنفسه كبير، لأن فيه تفاني الخلق، ولم يخلقوا للفناء.

ثم فيه[5] نقض على المعتزلة بوجهين. أحدهما أنه ذكر القتل وجعل الكفر أكبر منه. ولو أوجب القتلُ التخليدَ [مثل] ما أوجب الكفر لكان فيه التساوي، ولا يكون الكفر أكبر من القتل. فبان أن الكبيرة لا توجب التخليد [مثل] ما أوجب الكفر. ***والله أعلم***.

والثاني قال: والكفر أكبر منه، فصيره أكبر، ثم لا يخلو[6] كِبَرُه من أن يكون بنفسه، أو بالكافر، أو بالله. ولا يحتمل أن يكون بالكافر، لأن فعل الكفر أصغر عنده من فعل الزنا والقتل، لأنه يدين بالكفر ويستحسنه، ويستقبح ذلك. فبان أنه يَكبر بنفسه أو بالله. فإن قالوا: / بنفسه.قيل لهم: لَمّا جاز أن يكون كبره بغير من ينشئه[7] لِمَ لا جاز تخلّقه بغير من يفعله؟[8] [٤٨و]
أو يكون بالله، وهو قولنا.

وقوله: **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم**، فيه دلالة إثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنهم يفعلون كذا، فكان كما قال، فدل أنه إنما عرف ذلك بالله عز وجل.

وقوله: **إن استطاعوا**، ولكن لا يستطيعون أن يردوكم عن دينكم. ففيه إياس الكفرة عن رد هؤلاء إلى دينهم، وأمن هؤلاء عن الرجوع إلى دينهم. وقيل: **إنْ** بمعنى لو قدروا

---

[1] أي الصد عن سبيل الله، والكفر بالله، والكفر بالمسجد الحرام، وإخراج أهله منه.
[2] ك ن ع: معنى.
[3] جميع النسخ: به.
[4] ك ن م: المعرفة.
[5] ن ع - فيه.
[6] ن ع م - يخلو.
[7] م: ينشيه.
[8] «فيقضي إلى القول بإنكار الصانع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤ ط).

أن يردوكم عن دينكم إلى دينهم لفعلوا. أخبر عز وجل عما وَدُّوا إن استطاعوا، لكن الله بما أكرمهم وبشرهم من النصر وإظهار الدين لا يستطيعون على ذلك،[1] أظهره[2] بقوله: ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ،[3] الآية.

وقوله: **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم**؛ ذُكر إحباط الأعمال بالموت على الكفر، والعمل يَحبَط بالكفر دون الموت. والوجه فيه أنه لا يحتمل أن يكون الموت هو سبب إحباط الأعمال،[4] بل الكفر نفسه[5] إذا وجد؛ إذ الموت لا صنع فيه للعباد،[6] والكفر فيه لهم اختيار؛ لم يجز[7] جعل العمل محبطا[8] بما لا صنع له فيه. دل أن الكفر هو المحبِط لا الموت، ولكن ذكر الموت في هذا[9] لما فيه تمام الإحباط[10] والإبطال، وما لم يمت يرجى له المنفعة بحسناته؛ لأنه إذا كفر جحد تلك الحسنات فأبطلها، فإذا أسلم بعد ذلك ندم على جعل ذلك[11] باطلا، فصار مقابلا لسيئاته بحسناتٍ، فهو حالة الانتفاع به، كما قال: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[12]

وقوله: **فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**. أما في الدنيا فذهاب التعظيم والإجلال والثناء الحسن الذي يستوجب[13] بالخير والدين[14] عند الناس. فإذا ارتد عن الإسلام حبط ذلك كله، وصار على أعين الناس أخف من الكلب والخنزير. وأما حبطه في الآخرة

---

[1] ع: عن ذلك.
[2] جميع النسخ: أظهر.
[3] سورة المائدة، ٥/٣.
[4] ن - بالموت على الكفر والعمل يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه أنه لا يحتمل أن يكون الموت هو سبب إحباط الأعمال.
[5] ن ع م: بنفسه.
[6] ع: للعبادة.
[7] ن: يبر.
[8] جميع النسخ: حبطا.
[9] ك - في هذا.
[10] جميع النسخ: الحبط.
[11] ن - ندم على جعل ذلك.
[12] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧٠).
[13] ك: لا يستوجب.
[14] ع: والدين.

فذهاب ثواب أعماله. وكأن ما يستوجب المرء[1] من[2] الثواب إنما يستوجب بما يأتي من الأعمال ويُحضرها عند الله لا بالعمل نفسه، ألا ترى إلى قوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ،[3] كذا، وقوله: وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا،[4] فله كذا؛ دل هذا أن الثواب[5] إنما يستوجب بإحضاره وإتيانه به عند الله، لا بالعمل نفسه. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٢١٨]

وقوله: **إن الذين آمنوا**؛ تضمن[6] قوله:[7] **آمنوا**، الإيمان بالله والإيمان بجميع الرسل والكتب التي أنزلها على رسله، والإيمان[8] بجميع ما جاء به[9] الرسل من الرسالات[10] وغيرها.

وقوله: **والذين هاجروا**؛ الهجرة تكون[11] على وجهين: الهجرة المعروفة التي كانت إلى رسول الله[12] صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو كقوله: وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ،[13] الآية؛ ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا هجرة بعد فتح مكة».[14] والهجرة الثانية هجرة الآثام والأجرام، فهي لا ترتفع أبدا. وقال الحسن في قوله: وَمَنْ يُهَاجِرْ؛ أي بالعداوة منه لمن كفر بالله.

---

[1] ك: المؤمن.
[2] ك – من.
[3] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[4] ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٥-٧٦).
[5] ع: دل على أن الثواب.
[6] م: متضمن.
[7] ك + الذين.
[8] ع م – بجميع الرسل والكتب التي أنزلها على رسله والإيمان.
[9] ك – به.
[10] ن – من الرسالات.
[11] ن ع م: يكون.
[12] م: رسوله.
[13] ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/١٠٠).
[14] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٠١، ٥/٢٩٠؛ وصحيح *البخاري*، الجهاد ١، ٢٦، الجزية ٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٨٣-٨٦.

وقال أبو بكر[1] [الكيساني الأصم]: أن يهجر قومه وداره، ويخرج لله.

وقوله: **وجاهدوا في سبيل الله.** المجاهدة تكون[2] على وجوه: مجاهدة العدو، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. **أولئك يرجون رحمة الله،** فيه دلالة على أن الذي يحق رجاؤه يعمل ما ذكر لله.

وقوله: **رحمةَ الله،** يحتمل وجهين. يحتمل[3] الرحمة الجنة. و[يحتمل] الرحمة المغفرة.[4]

وقوله: **والله غفور رحيم** لما كان منهم[5] من التقصير فيما ذكر من المجاهدة والمهاجرة.

**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢١٩] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٢٠]**

وقوله: **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس.** قيل: **فيهما إثم كبير**[6] بعد الحرمة، **ومنافع للناس** قبل الحرمة. **وإثمهما** بعد الحرمة **أكبر من نفعهما** قبل التحريم. والمنفعة في الميسر بعضهم ينتفع به وبعضهم يخسر، وهو[7] القِمار. وذلك أن نفرًا كانوا يشترون الجَزور،[8] فيجعلون لكل رجل منهم سهمًا ثم يقترعون، فمن خرج سهمه برئ من الثمن، حتى يبقى آخر رجل،[9] فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حقَّ له في الجزور، ويقسم[10] الجزور بينهم،[11] وقيل: يقسم بين الفقراء؛ فذلك الميسر. ثم قال: **فيهما إثم كبير،**

---

[1] ع م + رضي الله عنه. لعل هذه الزيادة من أخطاء الناسخين. وقال السمرقندي في شرحه: «قال أبو بكر الكسائي» (ورقة ٦٥و)، لعل الصواب: أبو بكر الكيساني، وهو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، الذي ينقل عنه الماتريدي في مواضع كثيرة من تفسيره.

[2] ن: يكون.

[3] ع م – يحتمل.

[4] ن: يحتمل وجهين اجنة والرحمة المغفر.

[5] ك: فيهم.

[6] ع – قيل فيهما إثم كبير.

[7] ن: وهم.

[8] الجزور: الناقة التي تُنحر، يقع على الذكر والأنثى، وهو يؤنث (*لسان العرب* لابن منظور، «جزر»).

[9] ك: آخرهم رجلا؛ ن ع م: آخر رجلا.

[10] ن: وتقسيم؛ ع م: وتقسم.

[11] ن: نقيتهم.

في ركوبهما؛[١] لأن فيهما ترك الصلاة وترك ذكر الله، وركوبَ المحارم والفواحش. ثم قال: **ومنافع للناس**، يعني التجارة واللذة والربح.

ثم اختلف فيه. قال قوم: إن الخمر محرَّمة بهذه الآية، حيث قال: **إثم كبير**، والإثم محرَّم، بقوله: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ.[٢] وقال قوم: لم تحرَّم بهذه الآية؛ إذ فيها ذكر النفع، ولكن حرمت بقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ،[٣] والرجس مُحرَّم، وقال: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وعمل الشيطان محرَّم، ثم أخبر في آخرها[٤] أنه يوقع بينكم العداوة والبغضاء، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة،[٥] وذلك كله مُحرَّم.

والأصل عندنا في هذا أنهم أجمعوا على حرمة الميسر، مع ما كان فيه من المنافع للفقراء وأهل الحاجة والمعونة لهم، لأنهم يقسّمونه[٦] على الفقراء. فإذا حرَّم الله هذا مع هذا[٧] ثبت أن المقرون به أحق في الحرمة مع ما فيه من الضرر الذي ذكرنا. ***والله أعلم.***

{وقال الشيخ رحمه الله} في قوله: **يسألونك عن الخمر والميسر**: لم يبين[٨] في السؤال أنه عن أي أمرهما كان السؤال.[٩] وأمكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب[١٠] بقوله: **قل فيهما إثم كبير**، كأن السؤال كان عما فيهما. فقال: **فيهما** كذلك.[١١] وعلى ذلك قوله: وَيَسْأَلُونَكَ /عَنِ الْيَتَامَى،[١٢] كأن السؤال عما يعمل في أموالهم من المخالطة وأنواع المصالح. [٤٨ظ]

---

[١] م: ركوبها.

[٢] سورة الأعراف، ٧/٣٣.

[٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٠).

[٤] ع م - في آخرها.

[٥] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (سورة المائدة، ٥/٩١).

[٦] جميع النسخ: يقسمون.

[٧] ع م - مع هذا.

[٨] جميع النسخ: ولم يبين.

[٩] ع - أنه عن أي أمرهما كان السؤال.

[١٠] ن: من الجواب.

[١١] ع م + وعلى ذلك قوله يسألونك عن اليتامى كان السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما إثم كبير (ع + كان السؤال) كان عما فيهما فقال فيهما كذلك.

[١٢] ﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٠).

وكذلك [قوله: وَيَسْأَلُونَكَ] عَنِ الْمَحِيضِ،[1] كأنه قال:[2] عن غِشْيان [النساء] في المحيض، إذ في ذلك جرى الجواب، لم يبين في السؤال؛ لما [كان] في الجواب دليله، أو لما كان الذين[3] سألوا معروفين، يوصِل بهم إلى حقيقة ذلك. ***والله أعلم***.

وقيل: هذه الآية تدل على حرمتهما بما قال: **فيهما إثم كبير**، وقد قال الله[4] تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ إلى قوله: وَالْإِثْمَ،[5] ثبت أن الإثم محرّم. وأكثر السلف على أن الحرمة فيهما ليست بهذه الآية، ولكن بقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ.[6]

وقوله: **قل فيهما إثم كبير**، يبلغ أمر الشرب والميسر إلى ما يكون فيهما إثم كبير من نحو ما بيّن عند السكر والميسر في سورة المائدة من وقوع العداوة والبغضاء والصدّ عما ذكر. وفيهما منافع في ذلك الوقت بوجوه. أما في الخمر فإلى[7] أن يُسكر في التجارة[8] فيها، وفي الميسر لما كان يفرّق ما فيه ذلك على الفقراء، وما فيه من التجارة[9] ونحو ذلك. وعلى التأويل الأول يخرج قوله: **قل فيهما إثم كبير**، أي في الشرب والعمل[10] إذ حرما، **ومنافع** كثيرة[11] قبل أن يحرما. ***والله أعلم***.

ثم الذي علينا أن نعرف حرمتهما اليوم –إن كانت في هذه الآية أو لم تكن[12]– فينتهى[13] [عن] الانتفاع بهما ويحذّر ذلك. وقد بين الله الكافي من ذلك في سورة المائدة، وجاءت الآثار في تحريمهما،[14] على ما في الميسر من الخطر والجهالة التي جاءت الآثار على كون أمثالها

[1] ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٢).
[2] ك ن: كان.
[3] ك: الذي.
[4] ك ن ع – الله.
[5] سورة الأعراف، ٧/٣٣.
[6] سورة المائدة، ٥/٩٠.
[7] جميع النسخ: إلى.
[8] جميع النسخ: وفي التجارة.
[9] ع م: على التجارة.
[10] أي في شرب الخمر والعمل بالميسر.
[11] ن ع: كثير.
[12] ع م: إذ لم تكن.
[13] ن: فيهى؛ ع م: فهي.
[14] ك: تحريمها.

في حكم الربا.[١] وفي الخمر ما لا يتخذ للمنافع، وإنما يتخذ لِلَّهو والطرب، وكل ذلك مما نُهينا عنه. مع ما في ذلك من ذهاب العقل الذي هو أعز ما في البشر وغلبةُ السفه في أهله، فحقيق لمن عقل اتقاؤه لو كان حلالا، لما في ذلك من التبذير؛ فكيف وقد ظهرت الحرمة. ثم كان معلوما علة حرمة الخمر إذا سكر منها الشارب، ثم جاء به القرآن وليست تلك العلة في شرب القليل منه، فلم يلحق بحق القليل [من] غيرها [بها]، وألحق بالكثير كل شراب يعمل ذلك العمل،[٢] لما فيه المعنى الذي ذكر، إذ كانت الخمر لا تُتخذ[٣] في المتعارف للمصالح وأنواع المنافع، بل تتخذ[٤] لما ذكرت من اللهو والطرب، ولا يَستعملُ شربَها إلا المعروفون بالفسق، فيكون حرمة الخمر لعينها، لما ذكرت[٥] من قصد العواقب بها. وكل جوهر[٦] لا[٧] يقصد باتخاذ ذلك فهو غير محرم لعينه.[٨] ***والله أعلم.***

وقوله: **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**، وهو الفضل عن القوت. وذلك أن أهل الزروع[٩] كانوا يتصدقون بما يفضل[١٠] عن قوت سنة، وأهل الغَلَّات يتصدقون بما يفضل[١١] عن قوت الشهور،

---

[١] روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله نهى عن بيع حَبَل الْحَبَلَة. وكان بيعا يتبايعه أهل الجاهلية؛ كان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تُنتج الناقة، ثم تنتج التي في بطنها. (*صحيح البخاري*، البيوع ٦١، ٧٥؛ وصحيح *مسلم*، البيوع ٤-٦).

[٢] ع - ذلك العمل.

[٣] ع م: يتخذ.

[٤] جميع النسخ: يتخذ.

[٥] جميع النسخ: لا لما ذكرت.

[٦] ن ع م + لا يتخذ.

[٧] ن + يتخذ.

[٨] ن ع: بعينه. يقول علاءالدين السمرقندي رحمه الله: «ثم كان معلوما علة حرمتها إذا سكر، بما جاء به القرآن، وهو قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ الآية. ثم عرف حرمة القليل منها بالنص على اسم الخمر، فلا يمكن إلحاق القليل من غير الخمر بها لانعدام الاسم، وألحق الكثير من كل شراب يعمل ذلك العمل بالكثير من الخمر لاستوائهما في المعنى؛ إذ كانت الخمر لا تتخذ في المتعارف إلا اللهو والطرب ولا يشتغل بشربها إلا المعروفون بالفسق فيكون حرمة الخمر لعينها بما يقصد بها من العواقب فكان اللهو واللعب والطرب فيها باعتبار عاقبتها لا في نفس الثبوت فيها. فكان الخمر عينها حراما لما تعلق بها من العاقبة الوخيمة. فكل جوهر يقصد باتخاذه ذلك يلحق بها وإلا فلا. والمثلث لا يقصد باتخاذه اللهو والطرب وإنما يتخذ لتقوية البدن واستمراء الطعام ونحوه. ولهذا لا يستعمل شربه الفسقة فلم يكن محرم العين، وإنما الحرام هو الإسكار والمسكر منه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥ظ). والمثلث كون الشراب: الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه (*لسان العرب* لابن منظور، «ثلث»).

[٩] م: الزرع.

[١٠] جميع النسخ: ما يفضل.

[١١] جميع النسخ: ما يفضل.

وأهل الحِرَف والأعمال يتصدقون بما يفضل عن قوت يوم؛ ثم نسخ ذلك بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الزكاة نسخت كل صدقة كانت، وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم كان، والأضحية نسخت كل دم كانت».[2] فإن ثبت هذا فهو ما ذكرنا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان[3] هذا قبل أن تفرض[4] الصدقة.[5] دليل ذلك ظهور أموال كثيرة لأهلها في الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا لم يخرجوها[6] من أملاكهم، ولا تصدقوا بها، ولا أنكر عليهم، فثبت أن الأمر في ذلك منسوخ، أو هو على الأدب.

وقوله: **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة**. قيل:[7] أما في الدنيا[8] فيعلمون أنها دار بلاء وفناء. وأما الآخرة فهي[9] دار جزاء وبقاء[10] فيعرفون[11] بالباقية منهما.[12] وقال الحسن: إي واللهِ، ومن تفكر فيهما ليعلمنَّ أن الدنيا دار بلاء، وأن الآخرة دار بقاء.[13] وعن[14] ابن عباس رضي الله عنه: **لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة**، يعني في زوالها وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها.[15] فإن من علم[16] بالتفكر أن الدنيا للزوال علم أنها إنما جعلت هي للتزود لدار القرار، فيصرف سعيه في تقديمها،[17] وجهدَه في فكاك رقبته وإعتاقها. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ك ن – بن مالك رضي الله عنه.

[2] أخرجه الدارقطني والبيهقي وضعفاه. قال الدارقطني: المسيب بن شريك، وعتبة بن اليقظان متروكان. ورواه عبد الرزاق موقوفا على علي. انظر: *نصب الراية* للزيعي، ٤/٢٠٨؛ وانظر أيضا: *سنن الدارقطني*، ٤/٢٨١؛ *وسنن البيهقي الكبرى*، ٩/٢٦٢.

[3] ن – كان.

[4] ع م: يفرض.

[5] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*: ٢٤؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٤/٣٤٥.

[6] ك ن: لم يخرجوا.

[7] ع: وقيل.

[8] ع: إنما في الدنيا.

[9] ع – فهي.

[10] ع: بقاء وجزاء.

[11] ك ع: فيعرفوا.

[12] ك: منها. «فيتوسلون بالفانية منهما إلى الباقية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥ظ).

[13] انظر: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٣/٣٢٤؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢/١٦٠؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٢٥٦.

[14] جميع النسخ: عن.

[15] انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٣٤-٣٥؛ *وتفسير الطبري*، ٤/٣٤٨.

[16] ك ن: وبقائها بل ليعلم؛ ع م: وبقائها بل يعلم.

[17] جميع النسخ: إلى التقديم.

وفي قوله: **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون**، دلالة جواز تأخير البيان، لأنه أمر بالتفكر والتدبر، وجعل لهم عند التفكر[١] الوصول إلى المراد في الخطاب؛ فدل أنه يتأخر عن وقت قرع الخطاب السمع.

وقوله: **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير**. كأن في السؤال إضمارا؛[٢] لأنه قال: **يسألونك عن اليتامى**، ولم يبيّن في أي حكم. وإضماره -والله أعلم- أن يقال: يسألونك عن مخالطة اليتامى؛ يبين ذلك قوله: **وإن تخالطوهم [فإخوانكم]**. دل قوله:[٣] **وإن تخالطوهم** أن السؤال كان عن المخالطة.[٤] وكذلك قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ،[٥] ولم يبين في أي حكم، فكأنه قال: يسألونك عن شرب الخمر، والعملِ بالقِمار والميسر. ثم قال: قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ، دل قوله: فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ أن السؤال كان عن شرب[٦] الخمر والعمل بالميسر. وهذا جائز في اللغة، وفي القرآن كثير: أن يكون في الجواب بيان السؤال أنه مم كان، وإن لم يذكر في السؤال، كقوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ،[٧] دل ما ذكر من الفتيا[٨] أن الاستفتاء كان عن الميراث. وكذلك قوله: وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ إلى قوله: وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى.[٩] دل قوله: وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى أن السؤال كان عن النساء[١٠] اليتامى؛ وهذا[١١] جائز، وربما يخرج الجواب على إثر نوازل، فيعرف مراده بالنوازل دون ذكر السؤال.

---

١ جميع النسخ: الفكر.
٢ ع م: إضمار.
٣ م - وإن تخالطوهم دل قوله.
٤ ك: على المخالطة.
٥ وهي الآية السابقة.
٦ ع: بشرب.
٧ سورة النساء، ١٧٦/٤.
٨ ع: في الفتيا.
٩ ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ (سورة النساء، ١٢٧/٤).
١٠ ك ن ع: نساء.
١١ ع: وهو.

[٤٩و س ٢١] *وقوله: **فإخوانكم**، في الدين. رغبهم عز وجل بما أخبر أنهم إخوانكم في الدين بطلب[1] الصلاح والنظر والنفع لهم؛ إذ يستوجب بعضهم قِبلَ بعض المعونةَ لهم والحفظَ والصلاحَ، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ؛[2] ودل[3] قوله: **فإخوانكم**، في الدين على أن الصغير قد يتبع[4] والديه في أمر الدين، ويجوز منهم التدين إذا عقلوه وإن لم يكونوا[5] بلغوا. ***والله أعلم***.*

ثم السؤال يحتمل وجهين. يحتمل أن يكون[7] عن مخالطة الأموال والأنفس جميعًا بقوله: **قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم**، فإنما حملهم –والله أعلم– على سؤال المخالطة ما قيل لَمَّا نزل قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إلى قوله: سَعِيرًا،[8] وقوله:
[٤٩ظ] فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ / أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا،[9] أشفق المسلمون من خلطة اليتامى، فعزلوا لهم بيتًا، وعزلوا طعامهم وخدمهم وثيابهم، فشق ذلك عليهم جميعًا، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية: **يسألونك عن اليتامى**، الآية.

وفي الآية دليل[10] جواز المناهدات[11] والمؤاكلات في الأسفار وغيرها، حيث أباح لهم المخالطة بأموال اليتامى. فإذا احتمل ذلك مال الصغار من اليتامى فاحتماله في مال الكبير أشد، إذ مال الكبير يحتمل الإباحة والإذن، ومال الصغير لا.[12]

---

[1] جميع النسخ: في طلب.
[2] سورة الحجرات، ٤٩/١٠.
[3] جميع النسخ: دل.
[4] ع م: يقع.
[5] ك: ولم يكونوا.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٤٩و/سطر ٢١-٢٤.
[7] ن – أن يكون.
[8] يقول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (سورة النساء، ٤/١٠).
[9] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾ (سورة النساء، ٤/٦).
[10] ك: دلالة.
[11] التناهد: إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه (*لسان العرب* لابن منظور، «نهد»).
[12] جميع النسخ + «وفي الآية دليل جواز القليل من المعروف واليسير منه في ملك الصغير واحتماله ذلك لأنه عز وجل أباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم في الاستيفاء مبلغ الكبير بل يقصر عنه. وهو - كما يبدو - تكرار متقدم لما سيأتي مباشرة. وعلى ذلك سار السمرقندي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥ط.

وفيه دليل أن علة الربا ليس هو الأكلَ على ما قاله بعض الناس،[١] ولكن هو الكيل والوزن، لأنه أباح لهم المخالطة في المأكول[٢] من[٣] الطعام والمشروب من الشراب على غير كيل ولا وزن، على العلم من قصور[٤] الصغير[٥] عن الاستيفاء قدر الكبير وبلوغه مبلغه، فلو كان علته[٦] الأكل لكان لا يبيح لهم أكل[٧] الربا؛ فدل أن علته ليس الأكل، ولكن هي الفضل عن الكيل أو الوزن في الجنس. وفيه دليل جواز بيع التمرة بالتمرتين، لخروجه عن الكيل. وهكذا كل شيء خرج عن الكيل أو الوزن؛ لترك الناس مكايلته وموازنته، وإن كان كيليا يجوز بيع واحد باثنين. *والله أعلم*.

وفيه دليل أن لا بأس بأن يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له، وذلك كما يؤدب ولده، وأن يعلمه بما فيه الاعتياد بمحاسن[٨] الأخلاق والتوسيع [على الناس]، كما أُمر بأمر الصلاة[٩] إذا بلغ سبعا، والضرب عليها إذا بلغ عشرا [تأدبا] واعتيادا.[١٠] ألا ترى أنه روي في الخبر: «شر الناس الذي يأكل وحده ويشرب وحده»،[١١] وفي المخالطة التخلق بالأخلاق[١٢] الحسنة وفي تركها التخلق بالأخلاق[١٣] السيئة، والاعتياد بعادة السوء.

---

[١] وهو الإمام الشافعي على ما قال الشارح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥ظ.

[٢] ع: والمأكول.

[٣] ع: والطعام.

[٤] ع م: على العلم قصور.

[٥] ن ع م: الصغر.

[٦] جميع النسخ: عليه. أي فلو كان علة تحريم الربا الأكل.

[٧] ن: الأكل.

[٨] جميع النسخ: لمحاسن.

[٩] جميع النسخ: بالصلاة.

[١٠] لعل المؤلف يشير إلى حديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع». (*سنن أبي داود*، الصلاة ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الصلاة ١٨٢- ١٨٣).

[١١] ع م – وحده. الخبر ورد بلفظ: «ألا أنبئك بشر الناس؟ من أكل وحده، ومنع رِفْده، وسافر وحده، وضرب عبده. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من يبغض الناس ويبغضونه. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من يخشى شره، ولا يرجى خيره. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من باع آخرته بدنيا غيره. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من أكل الدنيا بالدين». قال المناوي: أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن معاذ بن جبل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس، وضعفه المنذري. (انظر: *نوادر الأصول* للحكيم الترمذي، ٧٢/٣؛ و*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ٢١٩/٣؛ و*كنز العمال* للمتقي الهندي، ٢٣/١٦؛ و*فيض القدير* للمناوي، ١١٤/٣).

[١٢] ك: بأخلاق.

[١٣] ك: بأخلاق.

وقوله: **قل إصلاح لهم خير**، فيه دليل إضمار، وهو طلب الصلاح لهم؛ إما بالتولي لهم في أموالهم والنظر لهم بما يُعقب نفعًا لهم،[1] أو طلب[2] التخلق بالأخلاق[3] الحسنة والاعتياد بالعادة[4] المحمودة، فذلك إصلاح لهم[5] خير، بطلبكم الصلاح لهم، أو [بطلب] خير لهم بما يعود نفع ذلك إليهم. وإلا فظاهر الصلاح حسن لكل أحد، فلا وجه لتخصيصهم به؛ فدل أنه على طلب النفع والنظر لهم. ***والله أعلم***.

ثم أوعدهم عز وجل بقوله: **والله يعلم المفسد من المصلح**، أي -والله أعلم- يعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد والإسراف في أموالهم.

وقوله:[6] **ولو شاء الله لأعنتكم**. قيل: لضيّق[7] عليكم، ولم يأذن لكم بالمخالطة معهم. وقيل: **لأعنتكم**، فلم يرض لكم في الخلطة. وقيل: لأحرجكم. وهو واحد. وأصل العَنَت: الإثم، كقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ،[8] يعني: أثمتم.

وقوله: **إن الله عزيز حكيم**. فيه[9] وعيد لهم على ما ذكرنا.[10] ***والله أعلم***.

**﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٢١]**

وقوله: **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**، اختلف في تأويل الآية. فقال قائلون: الحظر على كل مشرك ومشركة، كتابيا كان[11] أو غير كتابي، ثم نسخ بقوله: **وَالْمُحْصَنَاتُ**

---

[1] م: لهم نفعا.
[2] ك: إذ طلب.
[3] ك: باخلاق.
[4] جميع النسخ: بعادة.
[5] ع م - لهم.
[6] ع م - وقوله.
[7] ن ع: يضيق.
[8] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٢٨/٩).
[9] ك - فيه.
[10] انظر: تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٠٩/٢.
[11] ع م - كان.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.[١] فالإماء على الحظر، لأنه إنما استثنى الحرائر[٢] دون الإماء بقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.[٣]

وقال آخرون: هو على المشركات خاصة دون الكتابيات. والكتابيات مستثناة، فدخل كل كتابية، حرةً كانت أو أمة؛ لأن الاستثناء إذا كان عن جملة الأديان سوى دين الكتابيات[٤] لم يحتمل دخول بعض أهل ذلك الدين دون بعض. والذي يدل عليه قوله:[٥] **ولأمة مؤمنة خير من مشركة،** فجعل الأمة المؤمنة خيرًا بالنكاح من المشركة؛[٦] ومَنْ قوله أنه[٧] بالقدرة على طَوْل الحرة الكافرة لا يباح له نكاح الأمة المؤمنة، فبان أن موقع الآية ليس على التناسخ على ما يقوله.

على[٨] أن الإماء يدخلن تحت قوله عز وجل: وَالْمُحْصَنَاتُ [مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ]،[٩] دليله قوله: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[١٠] فثبت أنهن قد يتعففن فيستوجبن اسم الإحصان، وقد جعل شرط الحِل هو ذكر الإحصان، وقوله أيضا: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا؛[١١] وقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ؛ استثنى[١٢] الإماء من جملة المحصنات، دل أنهن دخلن في الخطاب. وقد أجمع[١٣] على أنهن تحل لنا بالسَّبْي، وكل مذكور في الكتاب يستوي الحل فيه، إلا من جهة العدد.[١٤] فإذا أبيح لنا تزويج المَسْبِيّات منهن كالحرائر ثبت أنه[١٥]

---

[١] سورة المائدة، ٥/٥.
[٢] ن – الحرائر.
[٣] ك – فالإماء على الحظر لأنه إنما استثنى الحرائر دون الإماء بقوله والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب.
[٤] ن – والكتابيات مستثناة فدخل كل كتابية حرة كانت أو أمة لأن الاستثناء إدا كان عن جملة الأديان سوى دين الكتابيات.
[٥] ن: وقوله.
[٦] ع: والمشركة.
[٧] ن ع م: اية.
[٨] ك – على.
[٩] سورة النساء، ٢٤/٤.
[١٠] سورة النساء، ٢٥/٤.
[١١] سورة النور، ٣٣/٢٤.
[١٢] ع م: مستثنى.
[١٣] ع م: قد أجمع.
[١٤] ن: العدو.
[١٥] ك: أنهن.

محكوم بحكمهن في النكاح، فبطل قول من أبطل نكاح الإماء، إذ ثبت[1] أن الآية بخلاف ما قال. *وبالله التوفيق*.

ثم الآية تضمنت أحكاما. منها أن من قول أصحابنا رحمهم الله أن المناهي بحيث [صيغة][2] النهي لا توجب الحرمة. والثاني أن الآية كيف كان حملها على الخصوص في بعضٍ أحقَّ والعموم في بعض ومخرج الخطابين واحد؟[3] والثالث أن في الآية ذكر المنع لعلة، وهو الدعوة إلى النار، فكيف لم يلزم حفظ ما لأجله وجب الحرمة على وجوده، وهذا هو الأصل: أن تُحفظ الأحكام المعلقة بالعلل ما دامت / توجد العلل؟ والرابع البيان في تولى النكاح، إذ [٤٩ظ] للأولياء خرج الخطاب، بقوله: **ولا تُنكحوا المشركين**.

ا) وأما قولنا في النهي، فإن النهي يوجب الانتهاء، ولكن لا يوجب الحرمة إلا بدليل يقوم على مراد الحرمة في النهي، لما رأينا من المناهي [مناهيَ] كثيرةً لم توجب الحرمة. فلو كان نفس النهي موجبًا ذلك لوجب أن يوجب في كلِّ ذلك، فلمّا لم يوجب ذلك دل أن نفسه لا يوجب[4] الحرمة، ولكن الدليل هو الموجب للحرمة.

ب) وأما قولهم وسؤالهم[5] عن الخصوص والعموم، فذلك جائز عندنا: خروج الآية على العموم يُعقَل بها الخصوص، وهو كثير في القرآن مما لا يحتاج إلى ذكره وشرحه. من ذلك قوله:[6] لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[7] عُقِل إيجاب تعظيم الرسل والأنبياء للكل،[8] وبعضها للخاص. وكذا قوله: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا [بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ]،[9] فالتخلف غير موجود في بعض الأحايين،[10]

---

[1] ع: إذا ثبت.

[2] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ ظ.

[3] ن – واحد.

[4] جميع النسخ: لا توجب.

[5] ن: وسبوالهم.

[6] ع – قوله.

[7] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).

[8] جميع النسخ: الكل.

[9] سورة التوبة، ١٢٠/٩.

[10] ك: الأحيان.

وإن حق النهي عن الرغبة عن نفسه أخذ الحميع، فعلى ذلك هاهنا يجوز خروجه عاما يُخص بالمعقول.[١]

ج) وأما قولهم: وجوب الحكم لعلة، وهو الدعاء إلى النار، فله وجهان. أحدهما أن الكتابيَّ أقر بكتاب يقدر على إلزام الدين بالدعاء إليه، ففيه رجاء الإسلام، وغيرهم من أهل الشرك لا طمع فيهم[٢] بمثله. والثاني أن علة الحَظْر قوله: **أولٰئك يدعون إلى النار**، والزوجات لا يدعون أزواجهن إلى ذلك، بل الأزواج هم الأصل في الدعاء، وهم الأمراء على الزوجات، والزوجات هن الأتباع للأزواج والمذلَّلات في أيديهم؛ لذلك أبيح.

ثم الأصل أن النكاح[٣] جعل لأمرين:[٤] إما لإبقاء النسل، وإما للتحصن والتعفف عن السفاح. ثم قد ينكح من لا نسل[٥] فيه، فما بقي إلا وجه المنع عن السفاح. ثم الدعاء إلى النار أعظم[٦] من السفاح، لهذا[٧] لم يبح النكاح.

ثم الدلالة على تخصيصها وجهان. أحدهما قول الخصوم بالنسخ، أنه ورد على بعض دون بعض، وما ذلك إلا الخصوص.[٨] والثاني أن ذكر ذلك في الكتابيات لم يجز بحيث إظهار ما يَحلّ وما يَحرم؛ إذ شرط نكاحهن إنما هو عند العجز عن الحرائر، فجرى الذكر فيهن، إذ هُنَّ الأصل في عقود النكاح، وأن الإماء دخيلات في حق النكاح. وإنما جرى الذكر في حِلِّهن بملك اليمين، لذلك ترك ذكرهن. مع ما يجوز دخول الإماء في قوله:

---

[١] يقول علاءالدين السمرقندي: «جائز خروج آية واحدة في أمرين يختلف موقعهما من الخصوص والعموم، فيكون صدر الآية خاصا وآخرها عاما، وكذا على العكس، قال الله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ نهى عن التخلف عن النبي في الجهاد، وعن أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه عيه في الحفظ، والصيانة، ونحو ذلك بسبب الرغبة في أنفسهم. ثم التخلف قد يجوز لعذر، فصار المراد منه في الأحوال وكان خاصا، ولا يجوز الرغبة عنه بحال، فكان هذا عاما. وقوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ عقل إيجاب تعظيم الرسل والإيمان هم على العموم، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حق البعض دون البعض، فكذلك هاهنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦و–ظ).

[٢] ع م – فيهم.

[٣] جميع النسخ: بأن النكاح.

[٤] ن م: الأمرين.

[٥] ع: لا نسك؛ م: لانسل.

[٦] ن – أعظم.

[٧] ع م: هذا.

[٨] ع: لخصوص.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[1] لما أوجب[2] لهن العفة والتحصن بقوله:[3] فَإِذَا أُحْصِنَّ [فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ] فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ -وبقوله- مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ.[4]

وأما قولهم:[5] خاطب الأولياء في النهي بقوله: **ولا تُنكحوا المشركين**، وخاطب الأولياء أيضا في الأمر[6] بإنكاح الأيامى بقوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ،[7] فدل أن الولي شرط في جواز النكاح.

فجوابنا أنه إنما خاطب الأولياء في النهي عن النكاح، وفي الأمر بالنكاح لما العرف في الأمة[8] أن لا يتولى[9] النساءُ النكاحَ[10] بأنفسهن، بل الأولياء هم الذين يتولون عليهن النكاح برضاهن وأمرهن وتدبيرهن؛ لذلك خرج الخطاب للأولياء. مع ما ليس في تخصيص الأولياء[11] بالخطاب دليل إخراج النساء عن ولاية النكاح؛ ألا ترى أنه ذكر في الآية الصلاح بقوله: وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ،[12] لم يصر ذلك شرطًا[13] في الجواز، فعلى ذلك الأول. وهذا يدل أيضًا على أن ليس في تخصيص المحصنات من الكتابيات حظر[14] نكاح الإماء منهن.

والثاني[15] أن قوله: **ولا تَنكحوا المشركات**، يحتمل أن يكون في الصغار خاصة،

---

[1] ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل هم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥).

[2] م: لا أوجب.

[3] ع – بقوله.

[4] سورة النساء، ٢٥/٤.

[5] أي قول الشافعي ومن نحا نحوه.

[6] م: أمر.

[7] ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ (سورة النور، ٣٢/٢٤).

[8] ع: الآية.

[9] جميع النسخ: أن يتولى.

[10] م – النكاح.

[11] ع م – الأولياء.

[12] سورة النور، ٣٤/٢٤. تقدم ذكر الآية كاملة.

[13] ع: شرط.

[14] ن: حطر.

[15] أي الجواب الثاني عن اشتراط الولي في النكاح.

نهى الأولياء عن تزويج الصغار من المسلمين، والمشركات من غير[1] الكتابيات، فإذا كان محتملا ما ذكرنا[2] لم يكن لمخالفنا[3] الاحتجاج به علينا في إبطال إنكاح[4] المرأة نفسها دون وليها. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن**؛ اختلف في تأويله. قال قوم: هو في غير الكتابيات؛ يبين ذلك قوله: ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ إلى قوله: وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ،[5] فنسَقَ الكتابيات بالإحلال على ما لم يختلف فيه أحوال الحل من أول الإسلام إلى الأبد، ولا من قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام[6] من طعام[7] المؤمنين، وأهل الكتاب ونحو[8] المحصنات من المؤمنات، فمثله الكتابيات؛ إذ نسق[9] نكاحهن على من ذكر. ولو كان التأويل هذا كانت[10] الآية نطقت بأن لا تنكحوا[11] المشركات غير الكتابيات؛ فلا يكون في الآية تحريم الإماء من أهل الكتاب ولا النهي عن ذلك، وإنما يعرف أن كان يجوز أو لا بدليل آخر سوى هذه الآية.

فإن قيل: على ذلك لم لا كانت آية الإحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا على حرمة نكاح[12] الإماء.

قيل: لأوجه. أحدها أن ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها، كذلك ذكر الحل في صنف لا يدل على الحرمة[13] في غيره،[14] ولو كان ذا يدلّ لكان يجيء أن يكون حكم ما لا يرد فيه السمع مخالفًا لما يرد فيه، وذلك فاسد؛ إذ السمع هو دليل الحكم

---

[1] ك – غير.
[2] ك ن: لما ذكرنا.
[3] ع: مخالفنا.
[4] جميع النسخ: نكاح.
[5] سورة المائدة، ٥/٥.
[6] م – من الطعام.
[7] ع: طعام.
[8] ن: وأهل.
[9] ن ع م: يسبق.
[10] ك ن: كان.
[11] ك: لا ينكحوا.
[12] ك: النكاح.
[13] م: حرمة.
[14] ع – كذلك ذكر الحل في صنف لا يدل على الحرمة في غيره.

فيما لا سمع فيه بالمعنى الذي ضمن فيه. *والله أعلم*. وأيد ذلك قوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[1] ثم هن يحللن وإن لم يؤتين أجورهن فمثله الأول. والثاني أنه منسوق على مثله في المؤمنات، ثم لم يكن ذلك في المؤمنات على تحريم الإماء، فمثله في الكتابيات.

فإن قيل: لِمَا بَيّن في إماء المؤمنات؟

قيل: لم يزعم أحد أن ذلك على نسخ هذه الآية، فثبت أنه ليس في الذكر في المحصنات تحريم الغير، فكذلك في المنسوق على ذلك. مع ما لو كان في مثل هذا الاستدلال على

[٥٠و] الحرمة لكان في قوله: / **ولا تنكحوا المشركات** -إذ وقع على غير الكتابيات- دليل على الإحلال، فيكون ذكر الحرمة[2] في نوعٍ دليلَ الحل[3] في غيرٍ، على مثل ذكر الحل في نوع. وفي ذلك تناقض الأدلة. *والله أعلم*.

ووجه آخر أن المحصنات يحتمل أن يريد به العفائف وأهل الصلاح، والإماء قد يستحققن هذا الاسم، كقوله: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ،[4] وقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ،[5] وقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ،[6] الآية. وإذا استحققن الاسم فهن في الآية حتى يظهر الإخراج. *والله أعلم*.

وبعد، فإنا نقول: أكثر ما في ذلك أن يكون في ذلك النهي عن تزوج الإماء من أهل الكتاب، فإن النهي في ذلك لا يدل على الحرمة؛ لأنه معلوم المعنى الذي له يقع النهي عن نكاح الإماء، إنه لمكان رق الأولاد، ولمكان مخالطة الإماء الرجال، وخلوتهن بالموالي، وذلك مما ينفر عنه الطباع. ثم كان النساء الزانيات جميعُ ذلك فيهن موجود، والنهي قائم، وقد يلحق أولادَهن أعظم الشَّين[7] الذي يضعَّف على الرق، ثم لم يمنع النهي جواز[8] نكاحهن بما هو نهي نفار الطباع، لا معنى في ذلك له تكون[9] الحرمة، فمثله أمر الإماء. *والله الموفق*.

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥.

[2] ع: حرمة.

[3] ع: الحلة.

[4] سورة النساء، ٤/٢٥.

[5] سورة النساء، ٤/٢٥.

[6] سورة النساء، ٤/٢٤.

[7] ن ع م: الشيء.

[8] ع: على النهي.

[9] جميع النسخ: يكون.

ثم دليل حلهن أن كل امرأة حَرُمت لنفسها،[1] فسواء وجه الحل بهن في ملك اليمين والنكاح؛ وكل امرأة كان حرمتها بالحق، فيختلف فيها المِلْكان، فإذا كانت هذه محللةً بملك اليمين،[2] ثبت أنها لم تحرم لنفسها، فهي تحل بالنكاح كما تحل بملك اليمين. على هذا الأصل أمر المجوسيات والمحارم ونحوها. *والله أعلم.*

وقال قوم: الآية في جميع المشركات والكتابيات، ثم نسخت الكتابيات بالآية التي في سورة المائدة،[3] وكان النسخ بشرط الإحصان، فبقيت الإماء على الحرمة. دليل ذلك وجوه.[4] أحدها[5] قوله: **ولا تُنكحوا المشركين**، أنه يدخل في ذلك الكتابي وغيره، فكذا في الأول. والثاني قوله: **أولٰئك يدعون إلى النار**، الآية. [والحكم متى تعلق بعلة يجب إجراؤه حيثما وجدت العلة.][6] والثالث أن الكتابي مشرك في الحقيقة؛ إذ هو بما لا يغفر له[7] والكتابي[8] -في الدعاء إليها- وغيره[9] سواء؛[10] فلذلك كان على ما ذكرت.

فنحن نقول في ذلك -وبالله التوفيق-: ليس[11] فيما ذكر دليل على ما ادعي؛ لأنه جائز خروج آية واحدة في أمرين يختلف[12] موقعهما من الخصوص والعموم بالدليل، نحو قوله:[13] مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ،[14] الآية، أنه قد يجوز التخلف عنه [عليه السلام] لعذر،

---

[1] ع + فهي تحل بالنكاح كما تحل بملك اليمين ثبت أنها لم تحرم لنفسها.

[2] ن - والنكاح وكل امرأة كان حرمتها بالحق فيختلف فيها الملكان فإذا كانت هذه محللة بملك اليمين.

[3] سورة المائدة، ٥/٥.

[4] جميع النسخ: وجهان.

[5] جميع النسخ: أحدهما.

[6] زدنا هذه العبارة من الشرح إتماما للبحث؛ انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ ظ.

[7] ن + والدعاء؛ ع م - له.

[8] ن - والكتابي.

[9] ع: وغير.

[10] يقول علاءالدين السمرقندي: «والثالث أن الكتابي مشرك في الحقيقة، لأن المشرك من يشرك في الإلٰهية، وهم يقولون بأن لله ولدا؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾، والكتابي ممن لا يغفر له» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ظ).

[11] ك - ليس.

[12] ك - يختلف.

[13] ع م - نحو قوله.

[14] ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٠).

ولا يجوز الرغبة عنه بحال. وقال في قوله: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ،[1] الآية، أن ليس كل ذلك مما يقتضي عموم الخلق، وإن كان الظاهر في الكل بالمخرج واحد. ثم ما ذكرت من الآية دليل الفصل.

والثاني أنه يجوز أن تكون[2] الآية في غير أهل الكتاب. دليل ذلك الأمر المعروف[3] من التفريق في التسمية، وإن كانوا في الشرك مجتمعين. قال الله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ،[4] وقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،[5] الآية، وغير ذلك مما قد فصل[6] الله [به] بينهم في النسبة، وإن كانوا في حقيقة الشرك مجتمعين؛ فجائز أن تكون[7] الآية على ذلك. ثم حرم تزويج المسلمات من أهل الكتاب لا بهذه[8] الآية، لكن بغيرها من الأدلة. ألا ترى أنا لا نترك مماليك أهل الإسلام تحت أيديهم لا بهذه الآية، فمثله أمر الإنكاح.[9] *والله أعلم*.

ثم في الآية دليل ذلك، وهو قوله: **ولأمة مؤمنة خير من مشركة**، الآية. وكلٌّ يُجمع [على] أن لا يحل نكاح الأمة المؤمنة على الحرة الكتابية، فلو كانت هي مرادة في هذه الآية لكان نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه، حتى إن الذي يقول بهذا التأويل يحرم لطَوْل الكتابية[10] فضلا عن نكاحها. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله: **أولٰئك يدعون إلى النار**، دليل [على] أن الإماء غير داخلات في الخطاب؛ لأنهن لا يَدعون، بل الغالب عليهن أن يتبعن ويُجِبْن لمن هن تحتهم فيما دُعين إليه، لا أن يدعون. هذا [هو] الأمر المتعارف. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).

[2] ن ع م: يكون.

[3] ن ع: بالمعروف.

[4] سورة البقرة، ١٠٥/٢.

[5] سورة البينة، ٦/٩٨.

[6] ع: فضل.

[7] ن ع: يكون.

[8] ع: الكتاب بهذه.

[9] ع: النكاح.

[10] م: الكتابيات.

ثم نقول: إجْعل كأن الآية نزلت في الكتابيات، فقال: ولا تنكحوا الكتابيات،[١] فإن الكتاب في جميع ما جرى به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والأحكام تَضمّن خطاب الأحرار خاصة فيما أُبهم؛ وعرف أمر الحرمة في الإماء والعبيد بالأدلة العقلية، مما دلت عليه أحكام السمع. فكذا[٢] هذا. **والله الموفق**.

وقوله: **ولا تَنكحوا**، محمول على التحريم باتفاق الأمة، وإن احتمل ما هو بهذا المخرج على غير التحريم، على أن الله قد بيّن بقوله: إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ إلى قوله: لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ،[٣] الآية أن النكاح قد انفسخ حيث أباح لغير الأزواج التزوج.[٤] وفي قوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[٥] أنه الاستمتاع[٦] بذوات الأزواج إذا سُبِين، وقال: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ،[٧] ذكر جملة النساء، ونهى الرجل[٨] عن التمسك بعصمتهن، واسم الشرك اسم لفريق [من الذين لم يؤمنوا] بالإطلاق، واسم الكفر للجملة، على ما قال: وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[٩] الآية، وقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،[١٠] الآية، وغير ذلك مما جمع في اسم الكفر، وفرق بأسماء المذاهب، وجعل اسم الشرك في التفريق، فدلت هذه الآيات[١١] على الحرمة في قوله: **ولا تَنكحوا**، الآية. ويدل[١٢] قوله في آخر الآية: **أولٰئك يدعون إلى النار** على ذلك. ومعلوم أن أول دعائهم إلى النكاح، فصير ذلك سببا للنار، وما يوجبها حرام.

---

[١] ع – فقال ولا تنكحوا الكتابيات.

[٢] ع م: هكذا.

[٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ (سورة الممتحنة، ١٠/٦٠).

[٤] ك: والتزوج.

[٥] سورة النساء، ٢٤/٤.

[٦] ك: لاستمتاع.

[٧] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.

[٨] م: الرسل.

[٩] ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طآئفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورآئكم ولتأت طآئفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ (سورة النساء، ١٠٢/٤).

[١٠] ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها﴾ (سورة البينة، ٦/٩٨).

[١١] ع: الآية.

[١٢] ك: ودل.

ثم فيها دلالة عموم الآية في الذكور، لأنه في تعارف الخلق أن الرجال هم الذين
[٥٠ظ] يَدْعون، / لا النساء،[١] والنساء[٢] تتبعهم، وذلك المعنى في رجال أهل الكتاب وغيرهم سواء، فتكون[٣] الحرمة فيهم سواء. وعلى ذلك المرويّ من الخبر أن رجلا أسلم وتحته ثماني نسوة، وأختان ونحو ذلك، فأسلمن.[٤] دل أنهن يتبعن الرجال، لا أنهن[٥] يدعون إلى ما يخترن من الدين. *والله أعلم*.

ثم الدليل على أن النهي أيضا نهيُ تحريم[٦] في قوله: **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ**، أنه لو لا خبث فيهن في الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع لكان لا ينهى عن التناكح، وذلك من أبلغ أسباب دعوتهم إلى الإسلام، بما ذكرت من الفَرْق في طاعتهن الأزواج فيما يختارون من الدين في المتعارف بمن رويت فيهن الخبر، وبخاصة[٧] ذلك في المشركات أحق في الحل منه في الكتابيات،[٨] إذ هنَّ إنما أخذن دينَهن عن آبائهن بالاعتياد والتقليد. ومعلوم اعتيادهن[٩] ما فيه رضاء الأزواج، وإيثار[١٠] ذلك على ما فيه رضاء الآباء، حتى يؤثرونهم عليهم بما جعل الله بينهم[١١] مودة ورحمة.[١٢] والكتابيات أخذن دينهن بما أُعلمن أنه دين الرسل، وأنهم أمروا بالتمسك به. فإذا نهوا عن نكاح المشركات وأبيحوا نكاح الكتابيات -والإسلام فيهن بالنكاح أرجى- ثبت أن ذلك كان لخبث[١٣] نهوا [عنه] وقد حرم الله الخبائث. *والله أعلم*.

---

[١] ع: إلى لنساء.
[٢] ع - والنساء.
[٣] ن ع م: فيكون.
[٤] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٤/٢؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٤٠؛ وسنن *أبي داود*، الطلاق ٢٥. وانظر أيضا: *وتفسير القرطبي*، ١٣/٥؛ *وتفسير ابن كثير*، ٤٥١/١.
[٥] ع - يتبعن الرجال لا أنهن.
[٦] ك ن: التحريم.
[٧] ن ع م: خاصة.
[٨] ع: من الكائينات؛ م: كتابيات.
[٩] ك: اعتبارهن.
[١٠] جميع النسخ: إيثار.
[١١] ك: منهم.
[١٢] لعل المؤلف يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ (سورة الروم، ٢١/٣٠).
[١٣] م: لخبث.

ثم الله سبحانه وتعالى أخبر أنه حرم الخبائث وأحل الطيبات.[١] فلولا أنّ فيما حَرّم خبثا[٢] يُحتمل الوقوفُ عليه، وفيما أحل طِيبا[٣] لَسَوِيَ[٤] الحرمة والحل[٥] ولكان[٦] كذلك لم يحتمل التسمية في وصف التحريم والتحليل [إلا] هو [هو] لا غير.[٧] وهذا كما وصف المؤمن بالحياة والسمع والبصر والكافر بضد ذلك،[٨] بما في كل ذلك معنى ذلك لا أنه اسم لقب، دون أن يكون له حقيقة،[٩] يسمى [بها] فمثله الذي ذكرت.

ثم[١٠] الخبث يكون من وجهين: من حيث[١١] الأحوال، ومن حيث[١٢] الأفعال. وله سمي الكفر رجسا، وكذا الخمر والميسر؛ وذلك كله من[١٣] حيث[١٤] الأفعال.[١٥] وعلى ذلك

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[٢] جميع النسخ: خبث.

[٣] جميع النسخ: طيب.

[٤] ك ع: لسوء؛ ن: السواء؛ م:لسواء.

[٥] جميع النسخ + له.

[٦] جميع النسخ: كان.

[٧] ن: هؤلاء غير. يقول علاءالدين السمرقندي: «ثم الله تعالى أخبر أنه حرم الخبائث بقوله: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ وأنه أحل الطيبات. ولو لا أن فيما حرم خبثا يحتمل الوقوف عليه وفيما أحل طيبا لَسَوِيَ الحرمة والحل وصار التحريم والتحليل هو هو لا غير، كأنه قال: وحرم عليهم المحرمات وأحل لهم الطيبات. ولا يظهر به البيان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ظ).

[٨] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (سورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢)؛ وقوله: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٧١/٢).

[٩] ك ع + له.

[١٠] جميع النسخ + كان.

[١١] جميع النسخ: خبث.

[١٢] جميع النسخ: خبث.

[١٣] جميع النسخ – من.

[١٤] ك ن: خبث؛ ع م: بخبث.

[١٥] يقول علاءالدين السمرقندي: «ثم بيان ذلك الخبث يكون من وجهين. أحدهما من حيث الأحوال، والثاني من حيث الأفعال. أما من حيث الأحوال فأن يكون ما يتعلق به من الفساد قد يكون في بعض الأحوال. وأما من حيث الأفعال أعني أن ما يتعلق بعاقبته من الفساد يكون لازما فيكون الخبث والحرمة وصفا لذلك المحرم، سواء كان المحرم عينا كالخمر والميسر وحرمات النكاح، أو فعلا كالكفر، فإن الفعل يسمى رجسا لما يعاقبه من العذاب المؤلم وما فيه من القبائح، وهو نسبة الخالق إلى ما لا يليق به. وكذا حرمة الخمر والميسر لما تعلق بهما من الفعل الخبيث وهو الصدّ عن ذكر الله وعن العبادات وسبب المشاجرة والمنازعة. وعلى هذا يجوز أن يكون تحريم تزويج المسلمات على المشركين إلخ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ظ).

يجوز أن يكون تحريم[1] تزويج المسلمات المشركين لخبث الفعل، وهو خوف وقوع [المسلمة في] الكفر؛[2] إذ هن يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الأفعال ويقلدنهم[3] [في] الدين، فيكون التحريم لهذا الخوف، إذ هو الوجه الذي عليه جرى[4] حرمات النكاح.

من ذلك نحو نكاح ما كثر عددهن، بقوله: وإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا،[5] فمنع عن الخَمس[6] وأكثر لخوف[7] وقوع الجور الذي هو في العقل خبيث؛ ونكاح الأمة بعد الحرة، إذ الطبع ينفر عن مناكحة من يخالط الرجال ويخلو بهن، لا يؤمن عليه السفاح، فما يؤثر مثلها عند الغناء بالحرة عنده عنها إلا لأمر حدث بينهما مما يبعث ذلك على الجور، فنهوا عن ذلك.

وكذلك نكاح المحارم، بما[8] قد يجري[9] من الأمور في النكاح، مما يحمل على تضييع الحدود وأنواع النشوز الذي يمنع ذلك القيام بحق الرحم وصلته، فيكون في ذلك تضييع الغرض. وكذلك [نكاح] محارم المرأة. وعلى هذا يجب[10] تحريم المسلمة على الكتابي وغيره، لخوف وقوع فعل الخبث بينهما[11] وهو الكفر. ولم يقع النهي عن نكاح الزانية والزاني على ذلك؛[12] لأنه ليس في الطباع احتمال اتباع[13] أحدهما الآخر في ذلك الوجه، بل ينفر عن ذلك أشد النفار، فلا يخاف فيه هذا. فهو على الأدب بما يلحق الولد الطعن؛ وصاحبه يشتم به، لا أن يلحقه وصفه مواقعة[14] مأثم إلا لمكان[15] الآخر [حتى] يكون النهي نهي تحريم،

---

[1] م – تحريم.
[2] ك: الفعل.
[3] جميع النسخ: ويقلدوهن؛ ن + من الأفعال.
[4] ك + عليه.
[5] ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ (سورة النساء، ٣/٤).
[6] م: الحس.
[7] ع م: الخوف.
[8] ع: لما.
[9] ع: وقد يجري.
[10] ن – يجب.
[11] ك: منهما.
[12] ن: وعلى ذلك.
[13] ن – اتباع.
[14] ن ع: موافقة؛ م: موافعة.
[15] م: المكان.

بل كان على الإرشاد بما[1] يلحق به[2] من الطعن، دون ما أن يحدث من تعدى حقٍّ أو جور[3] في الفعل. وعلى ذلك أمر نكاح الأمة. *والله أعلم*.

ثم وجه التفصيل بين الكتابية والمشركة –والله أعلم– في إباحة التناكح أن المشركة آثرت الفعل[4] البهيمي في الدين على الفعل[5] البشرى، والكتابية آثرت الفعل[6] البشرى، وهو ما يدعو إليه العقل لا الطباع؛ لأنهن يرجعن إلى الأخبار في الإيمان[7] بالرسل، لكن أَنْهَى إليهن[8] [الأخبار] أنهم نَهَوا عن الإيمان بمن يدعوهن إليه، فاعتقدن على ذلك بالآثار عندهن من الحجج،[9] كما اعتقدنا نحن بأن لا نبي بعد نبينا[10] محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، لكن خبرنا صحيح وخبرهم فاسد، وإلا فوجه الاعتقاد على ما في العقل ذلك. وأما المشركة فلم تختر[11] ذلك بحجة، إنما كان بوجود الآباء على ذلك من غير الإنهاء إلى من في العقل اتباعه، كما قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ،[12] الآية، فحُرِّم علينا نكاحها لخبث اختيارها[13] واتباع الفعل البهيمي وإيثاره على الفعل البشري. *والله أعلم*. وعلى ذلك لو أسلمت لم يَعظُم درجة إسلامها؛ لولا أنا نرجو[14] من رحمة الله أن الله –إذا قبلت هي الإسلام بالاعتياد– لَيُنير قلبها حتى ينشرح صدرها للحق لكان لا يكون لإسلامها فضل حمد،[15] *والله الموفق*.

---

[1] م: مما.
[2] ك ن ع – به..
[3] ك: جود.
[4] جميع النسخ: فعل.
[5] جميع النسخ: فعل.
[6] جميع النسخ: فعل.
[7] جميع النسخ: يرجعن إلى الاختيار إلى الإيمان.
[8] أي أبلغ وأخبر (*لسان العرب* لابن منظور، «نهى»).
[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «لأنهن يرجعن إلى الأخبار في الإيمان بالرسل، لكن أنهى إليهن الإخبار عمن اعتقدن برسالته على طريق التسيس أنهم نهوا عن الإيمان بمن يدعوهن إليه وهو رسولنا صلى الله عيه وسم، فاعتقدن على ذلك فدخل الفساد في خبرهم لا على ما في العقل من اتباع الرسل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦ظ).
[10] ك ن – نبينا.
[11] جميع السخ: لم تختر.
[12] ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون﴾ (سورة الزخرف، ٢٢/٤٣).
[13] ع م: اختيار.
[14] جميع السخ: نرجوا.
[15] ك: جهد.

ووجه آخر أن الكتابية لَمّا آمنت بكتب الأنبياء عليهم السلام في الجملة، فقد آمنت بذلك بالرسل جميعًا، لكنها كذّبت من كذبت[1] بما وقع[2] الخبر عندها بخلاف الحقيقة، فأمكن أن تنبه عن حقيقة ذلك بالكتاب الذي آمنت به، ليكون إيمانها في الحقيقة إيمانًا[3] بمن كذبته،[4] بما ظنت أن في ذلك الكتاب تصديقا.[5] والمشركة احتيج فيها إلى ابتداء الإلزام، لا أن كان معها ما به اللزوم مما قد وجد إيمانها به. *والله أعلم*. وعلى هذا[6] لا يُسلَّم للمرتد حق الكتابيّ[7] إذا اختاره؛ لأنا نعلم أنه يُظهر ذلك، لا أنه في الحقيقة مختار؛ إذ كتابنا مصدِّق كتابهم، فلم يجز أن يظهر[8] له[9] -بما به التصديق- الكتذيب ليرجع إلى رد هذا بقبول الآخر، فلذلك لم تحل ذبائحهم. *والله أعلم*. ودليل النهي عن النكاح والإنكاح حتى يكون الإيمان [هو] أن الإيمان معروف عندهم، يعلمون به حقيقة الشرط.[10] *والله أعلم*. ومخاطبات [٥١و] / الأولياء في قوله:[11] **ولا تُنكحوا**، يُخَرَّج على الأمر المعروف من التولّي، أو على الوقت[12] الذي إليهم حق التولية، أو على أن الحق لهن عليهم في التزويج إذا أردن؛[13] فنهوا عن ذلك، ليعلم أن لا حق[14] يجب لهم في ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **يدعون إلى النار**، يحتمل وجهين. أحدهما الخبر عما يدعو بعضهم بعضًا

---

[1] م – من كذبت.
[2] ن ع م: مما وقع.
[3] جميع النسخ: إيمان.
[4] م: من كذبته.
[5] جميع النسخ: تصديق.
[6] ع – وعلى هذا.
[7] جميع النسخ: الكتاب.
[8] ن ع م: تظهر.
[9] ن – له. أي لكتابهم.
[10] يقول علاءالدين السمرقندي: «على أن الإيمان كان معلوما عند أولئك المخاطبين فإنه نهاهم عن النكاح والإنكاح حتى يكون الإيمان موجودا، فدل أن الإيمان معروف عندهم يعلمون به حقيقة وجوده وهو التصديق أو الإقرار والتصديق، فيبطل به قول من جعل الأعمال من الإيمان فلا يكون هذا الشرط الموضوع لمحل معلوما» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٧و).
[11] ن: قوله.
[12] ن: وعلى الوقت.
[13] ك: أردت.
[14] ك: الأحق.

إلى عبادة غير الله، وذلك دعاء إلى النار، كما قال: إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ[١] بما يوجب الفعل الذي دعَوا إليه ذلك، فكأنما دعوا إلى ذلك، إذ هو المقصود من الثاني. وعلى ذلك تسمية الجزاء باسم العمل الذي له الجزاء. *والله أعلم*. ويحتمل **يدعون** إلى التناكح[٢] للهو واستكثار الأتباع في معاداة الله تعالى ومعاداة أوليائه بالتناكح. **والله** تعالى **يدعو**[٣] إلى التعفف واستكثار الأتباع، على ما ينال به مغفرته ورحمته. *والله الموفق*.

وقوله: **أولئك يدعون إلى النار**، يعني يدعون إلى عمل الذي يستوجب به النار. **والله يدعو إلى الجنة [والمغفرة]**، يعني يدعو إلى عمل الذين[٤] يوجب لهم الجنة والمغفرة.

وقوله: **بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون.**

**﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[٢٢٢]

وقوله: **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا [النساء في المحيض]**. دل جوابه على أن السؤال كان عن قِربان النساء في الحيض أو كان عن موضع الحيض فأخبر أنه أذى. والعرب تفعل ذلك؛ ربما [تقصد] أن يفهم من الجواب مراد السؤال، وربما تُبيّن المراد في السؤال. وإذا جاز أن يَتْبع غيرُ وقت الأذى وقتَ الأذى بالاتصال -وهو بعد انقطاع الدم قبل أن يغتسل- يجوز أن يتبع غير مكان الأذى مكان الأذى بالاتصال.[٥] *والله أعلم*. ولا يحتمل أن يكون الأمر بالاعتزال يقع على اعتزال[٦] الأبدان والأشخاص بالاتفاق؛ إذ كل يجمع [على] أن له أن يمسّها باليد، وأن يقبّلها وغيرَ ذلك، إلا أنهم اختلفوا في موضع الاستمتاع. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: يستمتع بها ما فوق السرة وما تحت الركبة، ويجتنب غير ذلك. وقال محمد رحمه الله: يجتنب شعارَ الدم، على ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

---

[١] يقول الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٦).

[٢] جميع النسخ: في التناكح.

[٣] ك ن ع + له.

[٤] جميع النسخ: الذي.

[٥] ع – وهو بعد انقطاع الدم قبل أن يغتسل يجوز أن يتبع غير مكان الأذى مكان الأذى بالاتصال.

[٦] ع: الاعتزال.

«يتقي[1] شعار الدم وله ما سوى ذلك».[2] ثم دل هذا الخبر على أن النهي في الموضع الذي فيه الأذى، دليله أول الآية: **قل هو أذى**.[3]

وحجة أبي حنيفة رضي الله عنه ما روي أنه قال: «لها ما تحت السرة، وله ما فوقها»،[4] وما روي أن أزواج رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم إذا حِضْن أمرهن أن يتّزرن ثم يُضَاجعهن.[6] وأما محمد رحمه الله فإنه ذهب إلى ما ذكرنا أنه إنما ينهى عن قربان ذلك الموضع للأذى، وأما الموضع الذي لا أذى فيه فلا بأس. ويجوز أن ينهى عن قربان هذه الأعضاء من نحو الفخذ وغيرها، لاتصالها بالموضع الذي فيه الأذى. ويحتمل أن يكون ذكر الإزار كناية عن الموضع. وعلى ذلك روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها سئلت عما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، فقالت: «يحل له كل شيء إلا النكاح».[7] وسئلت عما يحل للمُحرِم من امرأته،[8] فقالت: «لا يحل له شيء[9] إلا الكلام».[10]

وقوله: **ولا تقربوهن**، أي لا تجامعوهن، **حتى يطهرن فإذا تطهرن**. فيه لغتان؛ في حرف بعضهم بالتشديد، وفي حرف آخرين بالتخفيف.[11] فمن قرأ بالتخفيف فهو عبارة عن انقطاع الدم،

---

[1] ك ن: تنقي؛ ع: تنفي.

[2] عن مسروق، قال: سألت عائشة: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ فقالت: «كل شيء إلا الفرج» (*تفسير الطبري*، ٣٨٣/٢؛ و*المحلى* لابن حزم، ١٨٢/٢؛ و*تفسير القرطبي*، ٥٨/٣؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٣٤٩/١.

[3] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «فدل [ما روي عن عائشة] أن النهي لمكان الدم، فيمتنع عن الموضع الذي فيه الدم وهو الفرج، والآية دليل عليه، فإنه قال: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾، فدل أن المحرم موضع الأذى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٧ظ).

[4] ذكر الطحاوي بإسناده عن عاصم بن عمرو الشامي، عن أحد النفر الذين أتوا عمر بن الخطاب، وكانوا ثلاثة، فسألوه: ما للرجل من امرأته إذا أحدثت؟ يعنون الحيض. فقال: سألتموني عن شيء ما سألني عنه أحد منذ سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «له منها ما فوق الإزار من التقبيل والضم، ولا يطلع ما تحته» (*شرح معاني الآثار* للطحاوي، ٣٧/٣؛ وانظر أيضا: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢١/٢).

[5] م: الرسول صلى.

[6] *تفسير الطبري*، ٣٨٥/٢؛ وشرح *معاني الآثار* لطحاوي، ٣٧/٣؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢١/٢.

[7] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٤٦/٣؛ و*صحيح مسلم*، الحيض ١٦؛ و*سنن ابن ماجة*، الطهارة ١٢٤.

[8] ك – من امرأته.

[9] ك – شيء.

[10] *المحلى* لابن حزم، ٢٥٥/٧.

[11] قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء؛ والباقون بتخفيفهما. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ١٧١/٢.

[ومن قرأ بالتشديد فالمراد هو الاغتسال].[1] ثم من قول أصحابنا رحمهم الله أن المرأة إذا كانت أيامها عشرا يحل[2] لزوجها أن يقربها قبل أن تغتسل، وإذا كان أيامها دون العشر لم يحل له أن يقربها إلا بعد الاغتسال. ويحتمل أن تكون[3] الآية فيما كانت أيامها دون العشر في اللغتين جميعا،[4] إذ الغالب كان على أن[5] الحيض لا يحيط بكل وقت، على ما روي أن [النساء] تحيض[6] في علم الله من الشهر ستا أو سبعا.[7] فعلى ذلك أنه إنما يحل قربانها بالاغتسال.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **ولا تقربوهن حتى يطهرن**: إنه على ما دون العشر من المدة بما[8] الغالب كان على أن لا يمتد إلى أكثر الوقت، ولا يقصر عن الأقل، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال في النساء: «هن ناقصات العقل والدين»،[9] ووصف نقصان دينهن[10] أن يتحيض إحداهن في الشهر ستا أو سبعا، وَصَفَهُنّ جملة بنقصان الدين، ثم بيّن ما ذَكر[11] في التفسير عن الجملة. ثبت أن ذلك كان الغالب في الجملة، حتى خرج عليه الجواب، أنه لا يمتد إلى الأكثر ولا يقتصر على الأقل. ***والله أعلم***.

---

[1] والزيادة من شرح *السمرقندي*، ورقة ٦٧ ظ.

[2] م: تحل.

[3] ن ع م: يكون.

[4] م – جميعا.

[5] ع – أن.

[6] ن ع م: يتحيض.

[7] عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش، قالت في حديث طويل: كنت أُستَحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره ... فقال: «إنما [هذه] رَكْضَة من رَكَضَات الشيطان، فَتَحَيَّضِي ستة أيام أو سبعة في علم الله، ثم اغتسلي، حتى إذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت فصلِّي ثلاثا وعشرين ليلة أو أربعا وعشرين ليلة وأيامها، وصومي، فإن ذلك يجزيك، وكذلك فافعلي في كل شهر كما تحيض النساء وكما يطهرن ميقات حيضهن وطهرهن...» (*سنن ابن ماجة*، الطهارة ١١٧؛ وسنن *أبي داود*، الطهارة ١٠٩؛ وسنن *الترمذي*، الطهارة ٩٥).

[8] ع م – بما.

[9] عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن، فإني أُرِيتُكُنَّ أكثرَ أهل النار»، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تُكثرن اللعن، وتَكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن». قلن: وما نقصان ديننا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة امرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٥٨/١، ٣٧٢، ٣٢٧؛ وصحيح *البخاري*، الحيض ٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٣٢).

[10] ع: بيتهن.

[11] م: ثم ذكر ما بين.

وأيد هذا ما أخبر في ابتداء[1] الآية أنه الأذى، وأمر بالاعتزال، ثم جعل لها بعد الانقطاع قبل الاغتسال حكم الأذى، فلم يجز أن يجعل الحكم لما ليس بحقيقة حكم الأذى، فيجعل للطهر الذي هو ضده ذلك الحكم. **والله أعلم**. وبما ليس لذلك[2] حكم الأذى في العشر إن كان الوقت يضيق عنه في رفع الصلاة، فكذا في أمر القِربان. **والله أعلم**. وعلى ما ذكرت من العرف ينصرف أمر الوقت أنها لو أخرت[3] الاغتسال عن وقت الصلاة كان للزوج أن يقربها بما لزمها من قضاء الصلاة، وهذا النوع من الأذى[4] لا يمنع لزوم القضاء.[5] وحصل الخطاب على الوقت بالعرف أنهن لا يؤخرن، وبما ذكرت من لزوم[6] القضاء الذي يمنعه حكم الأذى؛ وبذلك صار غسل الحيض كغسل غيره من الأحداث، وهو لا يمنع القربان. **والله أعلم**.

وحرم[7] إتيان الأدبار بما عليه اتفاق الآثار، وبما خص المكان بالأمر بالقربان، وبما أمر بالاعتزال للحيض. ولو كان يحل غشيانهن في الأدبار لم يكن للأمر بالاعتزال معنى؛ إذ قد بقي أحد الموضعين من المقصود بالغشيان لو احتمل. **والله أعلم**.

[٥١ظ] والأصل في ذلك أن الحل في الابتداء لم يتعلق بقضاء الشهوات، / ولا كانت هذا لها.[8] وإنما [خلقت] لقضاء الشهوات خاصة الجنة.[9] فأما الدنيا فإنما[10] جعلت لقضاء الحاجات؛ إذ بها يكون بقاء النسل والأبدان، وبها يكون قوام الأبدان ودوام الحياة إلى انقضاء الأعمار،

---

[1] جميع النسخ: عن ابتداء.
[2] ن: كذلك.
[3] م: أمرت.
[4] ع م: عن الأذاء.
[5] يقول الشارح رحمه الله: «يقرر ما ذكرنا أن الله تعالى أخبر في ابتداء الآية أن الحيض هو الأذى بقوله: ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ وأمر بالاعتزال لهذا المعنى وهي بعد الانقطاع قبل الاغتسال طاهرة حقيقة؛ لأنه قد قام الدليل عندنا على أنه لا مزيد للحيض على العشرة، فلم يجز أن يجعل لطهر الذي هو ضد الأذى حقيقة حكم حقيقة الأذى فيؤدي إلى التناقض. وأما فيما دون العشر فلا يمكن اعتبار بيقين الانقطاع لما ذكرنا من احتمال العود. فلا يمكن الحكم بالانقطاع مع احتمال العود فرجحنا جانب الانقطاع بالإجماع من الصحابة، وهم إنما أجمعوا بعد الاغتسال أو مضي وقت يقوم مقام الاغتسال، وهو وقت صلاة كامل؛ فلهذا افترقا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٧ ظ).
[6] ع: عن لزوم.
[7] ك ن: حرم.
[8] «والأصل في ذلك أن الحل في الدنيا لم يوضع لقضاء الشهوات، ولا كانت الدنيا خلقت لها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٨ و).
[9] ع – الجنة.
[10] ك: إنما.

وركبت فيهم الشهوات لتبعثهم على قضاء تلك الحاجات؛ إذ لولا الشهوات لكان كل أمر من ذلك على الطباع يكون كالأدوية الكريهة والمحنة الشديدة. فخلق الله فيهم الشهوات ليدوم ما به جرى تدبيره في أمر العالم. ولا تتعلق[١] الحاجات بإتيان الأدبار. ولو أحلت لكان الحل لحق الشهوة خاصة، والدنيا لم تخلق لها، فلذلك لم يجعل بها حل. مع ما لو كان يحتمل ذلك لاحتمل التناكح في نوع،[٢] فإذا لم يحتمل بان أن ذلك إنما جعل للنسل. *والله الموفق.*

وقال بشر:[٣] إذ حرم الغشيان للحيض بما هو أذى، وهو يكون على ما يتقذر، فالذي الدبر مجراه والذي منه يخرج من الأذى أوحش وأخبث، وذلك قائم في كل الأوقات كقيام الحيض في أوقاته؛ فالحرمة لذلك أشد. ذكر بوجه أمكن أن يبسط ما قال على الذي وصفته. *والله أعلم.*

وقوله: **فأتوهن من حيث أمركم الله**، قيل فيه بوجوه. قيل: معنى قوله: **من حيث أمركم الله**: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا مصليات. ويحتمل: لا تأتوهن حُيَّضًا، ولكن فأتوهن أطهارا.[٤] وقيل: **فأتوهن**[٥] في الموضع الذي أباح لكم إتيانها، وهو القبل، ولا تأتوهن في أدبارهن.

ويشبه -إذ حيث يعبر به عن المكان- أن يكون **من حيث أمركم الله** أن تبتغوا الولد، بقوله: وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ.[٦]

وقوله: **إن الله يحب التوابين [ويحب المتطهرين**، قيل: **التوابين**] من الذنوب، **والمتطهرين**[٧] من الأحداث والأذى.

والثاني:[٨] ممن[٩] فعل هذا قبل النزول، المطهرين[١٠] أنفسهم بالتكفير. والتواب هو الرجّاع

---

[١] جميع النسخ: يتعلق.

[٢] أي بين الرجل والرجل، وكذا في النساء.

[٣] هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، العدوي بالولاء، فقيه معتزلي، عارف بالفلسفة. وهو رأس الطائفة «المريسية» القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها. توفي سنة ٢١٨ هـ. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٥٦/٧؛ *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٧٧/١-٢٧٨؛ *ميزان الاعتدال* للذهبي، ٣٢٢/١-٣٢٣.

[٤] جميع النسخ: طهرا.

[٥] ع - طهرا وقيل فأتوهن.

[٦] ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ (سورة البقرة، ١٨٧/٢).

[٧] ك ن ع: متطهرين؛ م: مطهرين.

[٨] أي والقول الثاني في معنى التوابين والمتطهرين إن الله يحب التوابين ممن فعل هذا قبل نزول الآية، ومن المطهرين أنفسهم بأداء الكفارة.

[٩] ن: من.

[١٠] ك. المتطهرين.

عما ارتكب والتارك عن العود إلى ذلك، غير مصر على الذنب. ويحتمل التواب: الذي لا يرتكب الذنب.

**﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٢٢٣]

وقوله: **نساؤكم حرث لكم**، وهو المزرع،[١] وفيه دليل النهي عن الاعتزال عنها، لأن المزرع إذا ترك سُدًى يضيع[٢] ويخرب. وفيه دليل أن الإباحة في إتيان النساء لطلب[٣] التناسل والتوالد لا لقضاء[٤] الشهوة؛ لأنه سمى ذلك حرثا، والحرث ما يحرث فيتولد من ذلك [الزرع، وهو] الولد. وفيه دليل أن الإتيان في غير موضع الحرث محرّم منهي[٥] [عنه]، وعلى ذلك جاءت الآثار أنها سميت اللوطية الصغرى،[٦] وما جاء أنه نهى عن إتيان النساء في مَحَاشِّهن، يعني في أدبارهن.[٧] وفي بعض الأخبار: إتيان النساء في أدبارهن كفر.[٨]

وقوله: **فأتوا حرثكم أنى شئتم**، يعني على أي جهة شئتم، بعد أن يكون ذلك في المزرع. ولا بأس بالاعتزال عنها إذا أذنت، لما ذكرنا أن الأمر بذلك أمر بطلب النسل لا قضاء الشهوة؛ فإذا كان كذلك فلها أن لا تتحمل[٩] مشقة تربية الولد.[١٠] وأما الزوج فإنما عليه المئونة،

---

[١] ك: المزورع.

[٢] ك ن ع: فيضيع.

[٣] ك ن ع: طلب.

[٤] ك ن ع: قضاء.

[٥] ك: منهن.

[٦] روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تلك اللوطية الصغرى» (*تفسير القرطبي*، ٩٥/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٣٤/١؛ *ونيل الأوطار* للشوكاني، ٣٥٢/٦؛ وانظر أيضا: *شرح معاني الآثار* للطحاوي، ٤٤/٣، ٤٦؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ٤١/٢).

[٧] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يستحي من الحق -ثلاث مرات- لا تأتوا النساء في أدبارهن» (*سنن ابن ماجة*، النكاح ٢٩؛ *وسنن الترمذي*، النكاح ١٢؛ وانظر أيضا: *شرح معاني الآثار* للطحاوي، ٤٣/٣).

[٨] عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى حائضا أو امرأة في دبرها، أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم». وروي عن طريق أبي الدرداء أنه قال: «وهل يفعل ذلك إلا كافر» انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٧٦/٢؛ *وسنن الدارمي*، الوضوء ١١٤؛ *وسنن ابن ماجة*، الوضوء ١٢٢.

[٩] ع م – يتحمل.

[١٠] ع م – الولد.

وذلك مما ضَمِنَ الله لكل ذي روح بقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا،[١] لذلك نهي هو عن الاعتزال دون إذنها، و لم تُنه هي عن الإذن في ذلك.[٢] *والله أعلم*. وأما الاعتزال عن الإماء وملك اليمين. فإنه لا بأس [به]؛ لأنه لا يُطلب النسل من الإماء في المتعارف، لذلك لم يكره. ولأن في إحبالهن إتلاف [أملاكهم]،[٣] وللرجل أن لا يتلف ملكه، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

والأصل أن الشهوات مجعولة لما بها إمكان قضاء الحاجات التي بقضائها[٤] جرى تدبير العالم، وبه يكون دوام النسل وبقاء الأبدان. والحاجة لا تحتمل[٥] الوقوع في الأدبار لذلك لم يجعل فيها.

وقوله: **وقدموا لأنفسكم**، قيل فيه بوجهين. قيل: **وقدموا** العمل الصالح. وقيل:[٦] **وقدموا لأنفسكم** من الولد تحفظونه[٧] عند الزيغ عما لا يجب.[٨]

وقوله: [**واتقوا الله**] **واعلموا أنكم ملاقوه**، [أي] ما قدمتم من العمل الصالح فيجزون على ذلك، كقوله: وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ.[٩] ويحتمل قوله **أنكم ملاقوه**: أي ملاقو ربكم بوعده ووعيده.

**﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢٢٤]

وقوله: **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم**، الآية. قيل: كان الرجل يحلف أن لا يصنع المعروف ولا يَبَرّ ولا يُصلح بين الناس، فإذا[١٠] أمر بذلك قال: إني حلفت[١١] على ذلك، فنهوا عن ذلك. يقول: لا تحلفوا على أمر هو لي معصية: أن لا تصلوا القرابة، وأن لا تَبَرُّوا،

---

١ سورة هود، ٦/١١.

٢ ك ن ع: عن ذلك.

٣ والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٨و.

٤ ك ن ع: تقضي بها؛ م: يقضي بها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، انظر: ورقة ٦٨ و.

٥ م: لا يحتمل.

٦ ع: قيل.

٧ ن ع م: يحفظونه.

٨ «فيكون ولدا صالحا يدعو لك بالخير ويدعو الناس بالخيرات بسبب صلاحه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٨و).

٩ سورة البقرة، ١١٠/٢.

١٠ ع م: وإذا.

١١ ع: حلقت.

وأن لا تُصلحوا بين الناس، بل الإصلاح بين الناس[1] وصِلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين في معصية الله تعالى. والعُرضة[2] العلة؛ يقول: لا تُعلِّلوا، أي لا يمنعْكم أن تبرّوا، أو ما ذكر.[3]

وقوله: **والله سميع عليم**، حرفان يخرجان على الوعيد. [أي] سميع بمقالتكم وإيمانكم؛ عليم بإرادتكم في حلفكم.

**﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢٢٥]**

{وقال الشيخ رحمه الله في قوله:} **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**، وكسب القلوب لا يكون عقدا ولا حنثا،[4] إنما هو تعمد الكذب، كقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ،[5] فعلى ذلك أمر يمين اللغو والتعمد.[6] وهذا يبين أن اليمين يكون في موجود، لا فيما [سوف] يوجد؛ إذ فيه وصف المأثم، وفيما [سوف] يكون لم يكسب قلبه ما يأثم فيه، فعلى ذلك أمر اللغو، فهو في الماضي، ولا يأثم بالخطأ، ويأثم في غير اللغو بالتعمد. ثم قال: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ،[7] وبَيَّنَ أن المؤاخذة تكون[8] في هذا[9] بالكفارة، وفي الأول[10] بالمأثم، وفي اللغو لا يؤاخذ بهما؛ فلزم تسليم البيان لما جاء في كل ذلك.[11]

---

[1] ع م – بل الإصلاح بين الناس.

[2] ع: الفرصة.

[3] ع: وما ذكروا.

[4] جميع النسخ: عقد ولا حنث.

[5] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.

[6] اليمين اللغو: أن يحلف على أمر يظنه كما حلف عليه، فإذا هو على غير ذلك، أو يجري اليمين على لسانه من غير قصد له. واليمين التعمد، وهو اليمين الغموس: اليمين الفاجرة، وهي أن يحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب، وهو بذلك تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. انظر: *معجم لغة الفقهاء* لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، ٥١٥.

[7] سورة المائدة، ٨٩/٥.

[8] ن ع م: يكون.

[9] أي في اليمين المعقودة.

[10] أي في يمين الغموس.

[11] يقول السمرقندي: «نفى المؤاخذة في اللغو، وهو اليمين على أمر في الماضي من غير قصد، وأثبتها في الغموس، وهو اليمين على أمر في الماضي عن قصد. ثم ذكر في آية أخرى فقال: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته...﴾ (سورة المائدة، ٨٩/٥) بيّن أن المؤاخذة في اليمين المعقودة بالكفارة، وفي يمين الغموس بالمأثم، وفي اللغو لا مؤاخذة أصلا، فلزم تسليم البيان والعمل بكل نص على حده دون صرف النصوص بعضها في بعض وتقييد البعض بالبعض، وأنه لا يجوز من غير دليل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٨ط).

ثم جميع المؤاخذات في كسب القلب بالمأثم، ولزوم التوبة[1] فكذا في هذا.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر اللعان، أنه قال: «إن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب؟».[2] ومعلوم كذب أحدهما، ولزوم التوبة مع ما في تركه الوعيد الشديد من الغضب أو اللعن. ولو كانت فيه / كفارة لكان لا سبيل إلى العلم بها إلا بالبيان، [٥٢و]
فهي أحق أن تُبَيَّن[3] لو كانت واجبة. دل ما لم يبين أنها غير واجبة؛ على أنها تجب للحنث، والحنث عقيب العقد يدفعه، وكان هاهنا ملاقيا له، فهو يمنعه، على نحو جميع الحرمات التي تفسخ الأُشياء، فهي عند الابتداء تمنع.[4] وليس ذلك كالطلاق ونحوه، لما قد يكون بلا شرط، واليمين لا يصح إلا به ولم يكن، فانفرد قوله: وَاللهِ.[5]

وقد يخرج مخرج الاستخفاف الحلفُ بالله كاذبا والجرأةِ على الله،[6] فيجيء أن يكون كفرا، لولا أن المؤمن يخطر بباله ما يحمله على ذلك، دون قصد الاستخفاف به. وعلى ذلك أمر اللعان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل: أحدكما كافر،[7] فهل منكما من يؤمن؛ لأنهما لم يقصدا ذلك القصد.[8] فكذا كل حالف على تعمد الكذب. ***والله الموفق.***

وقوله: **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم**، قال سعيد بن جبير:[9] هذا محمول على قوله:

---

[1] أي في الآية التي نحن بصدد تفسيرها.

[2] صحيح *البخاري*، تفسير القرآن، سورة النور: ٣؛ وصحيح *مسلم*، اللعان ٦-٧.

[3] ن ع م: يبين.

[4] «لأن الحنث نفسه يسقط اليمين، فإذا قارنها ولاقاها يمنع ثبوتها، نظيرَ الردة وغيرها. وهذا لأن اليمين شيئان: المقسم والمقسم به، فالمقسم هو الشرط، والمقسم به ما يكون مانعا له عن تحصيل الشرط أو داعيا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٩و).

[5] يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قيل: أليس أن اليمين بالطلاق والعتاق والحج على أمر في الماضي يصح في حق لزوم ما ذكر من الآخرة، فكذلك في اليمين بالله تعالى أن يصح في حق لزوم الكفارة؟ قيل: لأن الطلاق والعتاق والحج يلزم كل واحد من ذلك بشرط وبغير شرط، فإنه إذا قال: لله علي حِجّةٌ يلزمه، ولو قال: أنت طالق، وأنت حر يصح، فإذا لم يصلح ما ذكر من الفعل في الماضي شرطا يكون تخييرا. أما في اليمين بالله تعالى إذا لم يصلح الفعل في الماضي شرطا يبقى مجرد قوله "والله" أن لا يكون يمينا، ولا ذكر سببا لوجوب الكفارة فلذلك افترقا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٩و).

[6] ك + كاذبا. ويبدو أنه وقع التقديم والتأخير في العبارة، لعل الصواب هكذا: وقد يخرج الحلف بالله كاذبا مخرج الاستخفاف والجرأة على الله.

[7] يشير بذلك إلى ما جاء في حديث اللعان الذي سبق ذكره.

[8] م: ذا القصد.

[9] هو أبو عبد الله، وقيل أبو محمد- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، مولى بني والبة ابن الحارث، بطن من بني أسد بن خزيمة؛ كوفي، أحد أعلام التابعين. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ/٧١٤م بواسط. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٧١/٢-٣٧٤؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٢١/٤؛ و*طبقات المفسرين* للداودي، ٣٤١/٤.

وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ، أي لا يؤاخذكم بنقض أيمانكم التي حلفتم بها، لأنها معصية الله، ولكن يؤاخذكم بحفظها والمضيّ عليها.

ثم اختلفوا في اللغو ما هو؟ قال بعضهم: هو الإثم، وقيل: هو الغلط. ثم اللغو المذكور الذي أخبر أن لا مؤاخذة على صاحبه، يحتمل أن لا يؤاخذه بالإثم، ويحتمل أن لا يؤاخذه بالكفارة، بل إنما يؤاخذ بالكفارة بما يعقد. ثم ذكر[1] في الآية الثانية: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ؛[2] ولو حمل على أنه لا يؤاخذ في هذا أيضا بالإثم وقع الكلام بحيث لا يفيد في حد التكرار.

والأصل عندهم بأن حمله على ما يفيد أحق من حمله على ما لا يفيد، فثبت أن الأول في نفي الإثم، والثاني في نفي الكفارة. وعلى هذا القولُ في الغموس أنه لعظم الوزر والإثم لم يلزم أن يكفِّر، فليس فيه الكفارة.[3]

وله وجه آخر، وهو أن سبب الحنث في اللغو، والغموسُ يلاقي[4] العقد فلم يصح به اليمين؛[5] لأن الحنث[6] نفسه يسقط اليمين، فإذا لاقى الحنثُ اليمينَ منع صحتها ووجوبها، فإذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد لم تلزم[7] الكفارة لخروجها عن الشرط، ثم لم يزل عنه في الغموس[8] الإثمُ لتعمده الكذب.

{قال الفقيه رحمه الله:} والقياس عندي في التعمد بالحلف على الكذب أن يُكفَّر،[9] ولهذا ما لحقه الوزر؛ لما أن الأيمان جعلت للتعظيم لله تعالى بالحلف فيها، والحالف بالغموس مجترئ على الله تعالى مستخف به؛ ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن[10] الحلف

---

[1] ك: يذكر؛ ن: ذكره.
[2] سورة المائدة، ٥/٨٩.
[3] ن − الكفارة.
[4] ن ع: تلاقي.
[5] ع م + لأن اليمين. يقول السمرقندي: «لأن سبب الحنث في الغموس يلاقي العقد ويقارنه، فلم يصح معه اليمين؛ لأن الحنث نفسه يسقط اليمين، فإذا قارنها ولاقاها يمنع ثبوتها، نظير الردة وغيرها». (انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٩و).
[6] ع: أن الحنث.
[7] جميع النسخ: فلم تلزم.
[8] م: في معموس.
[9] أي أن ينسب الحالف إلى الكفر.
[10] ن: من.

بالآباء والطواغيت،[١] لان في ذلك تعظيما لهم وتبجيلاً؛[٢] فالحالف بالغموس في الذي هو[٣] مجترئ مستخف،[٤] فالوزر له بالجراءة لازم. ثم المتعمد مجترئ مستخف بالله تعالى، على المعرفة أنه لا يسع. فسبيله سبيل أهل النفاق: إظهارهم الإيمان بما فيه استخفاف، وإن كان سببًا للتعظيم. فللاستخفاف[٥] لزمهم العقوبة بذلك، كذا الأول، ولكنه بالحلف خرج[٦] فعله على الجرأة[٧] للوصول إلى مناه وشهوته، لا للقصد إليه.[٨] وعلى ذلك يخرج قول أبي حنيفة رضي الله عنه في سؤال السائل: إن العاصي مطيع للشيطان، ومن أطاع الشيطان كفر، كيف لا كفر العاصي؟ فقال: لأنه خرج فعله في الظاهر مخرج الطاعة له، لا أن قصده[٩] يكون طاعته، وإنما يكفر بالقصد، لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الأول. ***والله أعلم.***

وعلى ذلك جاء في أمر اللعان من القول بأن أحدكما كاذب فهل منكما تائب.[١٠] ففيه وجهان. [أحدهما] أنه لم يأمر بالإيمان، ولا قال: أحدكما كافر، فثبت[١١] أنه لا يكفر به. والثاني أنه أمر بالتوبة، وقد[١٢] يُعْلَم من كذب أنّ عليه ذلك؛ مع ما في القرآن من اللعن والغضب، ولم يأمر بالكفارة، وهي لا تُعلم إلا بالبيان، فهي أحق أن تبيَّن لو كانت واجبة. ***والله أعلم.***

---

[١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم» (*صحيح البخاري*، الأدب ٧٤، والتوحيد ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الأيمان ١-٣، ٦).

[٢] جميع النسخ: تعظيم لهم وتبجيل.

[٣] ن ع - هو. أي كائنا في حاله هذه.

[٤] ن ع م: ومستحف. والعبارة غير واضحة، وقد أسقطها السمرقندي، ثم قال: «فالوزر له بالجراءة أعظم؛ لأن المتعمد بالحلف كاذبا -على المعرفة بأن الله يسمع له استشهاده بالله تعالى كاذبا- مجترئ عى الله تعالى، مستخف به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٩و).

[٥] جميع النسخ: للاستخفاف.

[٦] ن ع: خروج.

[٧] ن ع: الجراءة.

[٨] «وسبيل هذا سبيل أهل النفاق؛ إظهارهم الإيمان استخفاف بالله تعالى لما كان اعتقادهم بخلاف ذلك وإن كان ذلك القول تعظيما في نفسه وصدقا على الحقيقة، فلزمهم العقوبة لما فيه من الاستخفاف. فكذلك الأول. ولكن نقول: لا يكفر بهذه الآية وإن خرج فعله على الجرأة على الله والاستخفاف به من حيث الظاهر، ولكن عرضه الوصول إلى مناه وشهوته، لا القصد. وعلى ذلك يخرج قول أبي حنيفة...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٩و).

[٩] ك ن م: لا ان القصد؛ ع: لا ان يقصد.

[١٠] يشير بذلك إلى ما جاء به الحديث النبوي، من خبر هلال بن أمية، وقد سبق ذكره مخرجا.

[١١] م: ثبت.

[١٢] ن: فقد.

والأصل عندنا في اليمين الغموس أنه آثم وعليه التوبة، والتوبة كفارة. وهكذا في كل يمين في عقدها معصية أن يلزمه الكفارة، وهي التوبة. وأما الكفارة التي تلزم في المال فهو لا يلزم إلا بالحنث، لأنه بالحنث يأثم، والحنث نفسه إثم؛ لذلك لم يجز إلا بالحنث. وما رويت من الأخبار من قوله: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفّر يمينه، ثم ليأت الذي هو خير»،[1] إنه إذا كانت يمينه بمعصية يصير باليمين آثما، فيكلف بالتوبة.

فإن قيل: الحلف بالطلاق والعتاق والحج بالماضي[2] يلزم، كيف لا لزمته الكفارة؟

قيل: لأن الطلاق والعتاق والحج يلزم دون ذكر ما ذكر إذا قال: عليَّ حِجة،[3] أو أنتِ طالق، أو هو حرّ. ولو قال: والله، ألف مرة، دون ذكر ذلك الفعل لا يكون يمينًا، ولا يلزمه شيء، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

**﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٢٢٦]

[وقوله: **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر**].

{قال الشيخ رحمه الله:} الإيلاء معلوم في اللغة أنه اليمين، وكذلك كان ابن عباس رضي الله عنه يقرأ: **للذين يُقسمون [من نسائهم]**.[4] وما هو لليمين من الحكم لا يجب لغيرها، نحو الكفارة التي[5] تجب[6] للحنث فيها. ثم يجب له على كل حال وعلى[7] أي وصف كانت اليمين، فكذلك حكم الإيلاء. وهو قول عبد الله[8] وابن عباس رضي الله عنه. وروي عن علي رضي الله عنه التفريق بين الغضب والرضا، ثم أوجب التربص للمُولي. فمن كانت يمينه بدون أربعة أشهر فهو بعد[9] المدة ليس بمولٍ،[10] فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله للإيلاء.

---

[1] صحيح *البخاري*، الكفارات ٩-١٠؛ وصحيح *مسلم*، الأيمان ٧-٩، ١٤-١٩.

[2] أي بصيغة الماضي.

[3] ك: حج.

[4] انظر: *الكشاف* للزمخشري، ٣٦٣/١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٨٠/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠٢/٣؛ و*بحر المحيط* لأبي حيان، ١٨٠/٢).

[5] ع: إلى.

[6] ن ع م: يجب.

[7] جميع النسخ: على.

[8] أي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٩و.

[9] ك: تعد.

[10] جميع النسخ: بمولي.

ألا ترى أنه في المدة[1] ذكر الفيء، وهو لو وجد منه لم يجب عليه ما في الفيء من الكفارة، فكذا بمضيّ المدة لا يلزمه الطلاق. وبه يقول علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. يقول: يلزمه حكم يمين يومٍ.[2] وابن عباس رضي الله عنه يقول:[3] الإيلاء يمين الأبد. / وذلك [٥٢ظ] عندنا على إرادة الإتمام، ولو جعله شرطا لكان الحكم يلزمه بمضي الأربعة الأشهر، فلا وجه للزيادة عليه، وهو قول عبد الله:[4] يلزمه بدونه.[5]

ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم في الوقف بعد الأربعة الأشهر على اتفاقهم على لزوم طلاق أو حقه بمضي المدة. ثم لا يجوز أن يحلف بحق الطلاق فيلزم، ويجوز أن يحلف بالطلاق فيلزم؛ لذلك كان الطلاق أحق. مع ما في[6] ذلك [من] زيادة في المدة للتربص، وجميع المدد التي جعلت بين الزوجين لم تحتمل[7] الزيادة عليها لما جعلت له المدة، فمثله مدة الطلاق. وهذا على أن الله تعالى حذّر نقضَ اليمين بقوله: وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا،[8] وأطلق في هذا أربعة أشهر، بما روي في قراءة أبيّ "فإن فاؤا فيهن"،[9] ففي غير ذلك حكم النهي له آخذ. ***والله أعلم***.

[٥٢ظ س ٢٢] *وقوله: **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر**. والإيلاء هو اليمين[10] في اللغة، يدل على ذلك حرف ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما حيث قرآ: للذين يقسمون من نسائهم.[11] ثم اختلف فيه[12] على وجوه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: الإيلاء على يوم فقط، وأما التربص فأربعة[13] أشهر؛ لأنه لم يذكر في الكتاب للإيلاء مدة، وإنما ذكر المدة للتربص،

---

[1] ع: المرة.
[2] م – يوم.
[3] ن + في.
[4] أي عبد الله بن مسعود.
[5] ن + ثم جعله.
[6] جميع النسخ – في.
[7] ن ع م: لم يحتمل.
[8] ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾ (سورة النحل، ٩١/١٦).
[9] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٣٠٣/١.
[10] ع: عن اليمين.
[11] انظر: *الكشاف* للزمخشري، ٣٦٣/١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٨٠/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠٢/٣؛ و*بحر المحيط* لأبي حيان، ١٨٠/٢.
[12] أي في الإيلاء.
[13] ك ن ع: بأربعة.

إلى هذا ذهب ابن مسعود.[1] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيلاء على الأبد. ذهب في ذلك إلى أن[2] الإيلاء كان طلاق القوم، والطلاق يقع على الأبد. وقال آخرون: من ترك القِرْبان[3] في حال الغضب فهو مول[4] وإن لم يحلف. لكن هذا ليس بشيء؛ لأن الله تعالى ذكر الإيلاء، والإيلاء هي اليمين، دليله ما ذكرنا من حرف ابن مسعود وابن عباس للذين يقسمون. فدل هذا أن حكم الإيلاء لا يلزم إلا باليمين على ترك القربان.[5] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رجلا سأله أنه حلف أن لا يقرب امرأته سنتين؛ فقال: هو إيلاء، وإنها تَبِين إذا مضت أربعة أشهر. فقال: إنما حلفت ذلك لمكان ولدي.[6] فقال: لا يكون إيلاء.[7] فرأى[8] في ذلك إيلاء إذا كان عاصيا، وإذا كان إيلاؤه وتركُ قربانه إياها بمكان الولد لم ير ذلك إيلاء.

ثم لا يجوز أن يُحمَل ما حمل هؤلاء. أما ما حمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتباره بالعصيان وغير العصيان، فالإيلاء هو اليمين، والأيمان لا يختلف وجوبها ووجوب أحكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة، فعلى ذلك حكم الإيلاء. ولو حمل على ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الإيلاء بعد مضي اليوم، فإذا لم يكن يمين بعد اليوم لم يبق حكمها.[9] ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة لذكر التربص. فإذا بطل ما ذكرنا ثبت قولنا: إن مدة الإيلاء إذا قصرت عن أربعة أشهر لم يلزمه حكم الإيلاء، ولو كان على الأبد لكان لا[10] فائدة في ذكر المدة؛ وأنْ لا يعتبرُ العصيان ولا الطاعة ولا الغضب ولا الرضا على ما ذكرنا.

---

[1] انظر: *موسوعة فقه عبد الله بن مسعود* للدكتور محمد رواس قلعجي، ١٠٧.

[2] ك: إلا لك.

[3] أي المجامعة.

[4] م ن ع: مولى.

[5] ع م – من حرف ابن مسعود وابن عباس لنذين يقسمون فدل هذا أن حكم الإيلاء لا يلزم إلا باليمين عنى ترك القربان.

[6] أي لئلا يرى ولدي ضررا في رضاعه بكون أمه حاملا.

[7] انظر: *تفسير الطبري*، ٤١٩/٢؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠٦/٣.

[8] ك: فراءى.

[9] ن – ولو حمل ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الإيلاء بعد مضي اليوم فإذا لم يكن يمين بعد اليوم لم يبق حكمها.

[10] ع: لكان فائدة.

وروي في بعض الأخبار أنه[١] قال: الإيلاء ليس بشيء. معناه ما قيل: إن الإيلاء كان طلاق القوم. فقوله: "ليس بشيء" يقع للحال دون مضي المدة.

ثم اختلفوا أيضا بعد[٢] مضيّ المدة[٣] قبل أن يفيء[٤] إليها[٥] في المدة. قال أصحابنا رحمهم الله: إذا مضت أربعة أشهر وقع الطلاق. وقال قوم: يوقف، فإن فاء إليها، وإلا تُطلَّق عليه. واحتجوا في ذلك إلى أن الله تعالى ذكر الفيء بعد تربص[٦] أربعة اشهر بقوله: **تَرَبُّصُ أربعةِ أشهر فإن فاؤا**؛ لذلك كان له الفيء بعد مضي الأشهر. / وروي في بعض الأخبار الوقف[٧] فيه. وروي عن عمر وعلي وعثمان وعائشة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم في المُولى: إذا مضت أربعة أشهر فإما أن يفيء وإما أن يطلّق،[٨] إلى هذا يذهبون. لكن هذا[٩] يحتمل أن يكون[١٠] من الراوي، دون أن يكون ما قالت الصحابة. [٥٣و]

وأما عندنا فإن قولهم:[١١] "ذكر الفيء بعد[١٢] تربص أربعة أشهر"،[١٣] فذلك لا يوجب الفيء بعد مضيها، ألا ترى إلى قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ،[١٤] ليس أنه يمسكها بعد مضي الأجل، ولكن معناه: إذا قرب انقضاء أجلهن فأمسكوهن. فعلى ذلك جعل لهم الفيء إذا قرب انقضاء أربعة أشهر. وأما ما روي من الوقف، فليس فيه الوقف بعد مضي أربعة أشهر، [بل] يحتمل الوقف في الأربعة الأشهر. وأما عندنا فإنها تَبِين إذا مضت أربعة أشهر، لما روي عن سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ثمانية[١٥] أنهم قالوا:

---

[١] يبدو أنه يقصد بذلك عليا رضي الله عنه.
[٢] ن – بعد.
[٣] م – ثم اختلف أيضا بعد مضي المدة.
[٤] ك: يفي.
[٥] ك: قيل إن يفي إلها؛ ن – إليها.
[٦] ع م – تربص.
[٧] م – الوقف.
[٨] *تفسير الطبري*، ٤٣٧/٢؛ و*تفسير القرطبي*، ١١١/٣؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٤٧/٧.
[٩] ك – هذا.
[١٠] ك + المراد.
[١١] جميع النسخ: ان قولهم.
[١٢] ع – بعد.
[١٣] يشير إلى ما جاء في الآية الكريمة: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر...﴾ الآية.
[١٤] ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ (سورة الطلاق، ٢/٦٥).
[١٥] ع م: وثمانية.

إذا مضت أربعة أشهر[١] بانت منه، من نحو عمر وعلي وعثمان[٢] وابن مسعود وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فاتبعناهم.

ثم اختلف في الطلاق إذا وقع. قال قوم: هو رجعي، وهي قول أهل المدينة. فهو على قولهم لَفْت؛[٣] لأن الزوج يقدم إلى الحاكم فيطلِّق عليه الحاكم، ثم كان له حق المراجعة، فيكلِّفون الحاكِمَ العبث. وأما عندنا فهي[٤] بائن. وعلى ذلك جاءت الأخبار. روي[٥] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا مضت أربعة أشهر فهي تطليقة بائنة.[٦] وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله.[٧] وروي عن أبيّ في قوله: **فإن فاؤا** فيهن، يعني في الأربعة الأشهر[٨] **فإن الله غفور رحيم**، فثبت أنه جعل الرحمة والمغفرة فيها. والثاني قوله: وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا،[٩] ولو لم يجعل له القِربان والنقض في المدة لكان لا سبيل له إلى نقضها بعد مضي المدة، إذ هي تتأكد. فثبت أنه لا بما اعتبروا يلزم.

ثم قوله: **فإن الله غفور رحيم**، يحتمل وجهين. يحتمل: بما جعل له الخروج مما ضيّق على نفسه لأن لا تطول[١٠] عليه المدة. ويحتمل أن المغفرة كانت بما ارتكب ما إذا مضى عليه أربعة
٥٣و س١٧] أشهر[١١] وجد ذاته مستحقا للعقوبة، فغَفَر له صنيعه ورَحِمَه بأن تجاوز[١٢] عنه ما فعل.*

[٥٣و س١٩ *والفيء الجماع، وهو الرجوع في الحاصل؛ لأنه حلف أن لا يقربها، فإذا قربها رجع[١٤] عن
٥٣و س٢١] ذلك. وهكذا روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، أنهما قالا: الفيء الجماع.[١٥]*

---

[١] ك - ما روي عن سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ثمانية أنهم قالوا إذا مضت أربعة أشهر.
[٢] ع - وعثمان.
[٣] «يقال: فلان يَلفِت الكلام لَفْتا: أي يرسله ولا يبالي كيف جاء» (*لسان العرب*، «لفت»).
[٤] جميع النسخ: فهو.
[٥] ن: وروي.
[٦] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٣٠/٢؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية، ٣٠٣/١؛ ونصب الراية للزيلعي، ٢٤٢/٣.
[٧] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ٣٠٣/١؛ وموسوعة *فقه عبد الله بن مسعود* لدكتور محمد رواس قلعجي، ١٠٧.
[٨] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ٣٠٣/١.
[٩] ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾ (سورة النحل، ٩١/١٦).
[١٠] ك: يطول. | [١١] ن ع - أربعة أشهر. | [١٢] ن ع م: يجاوز.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٥٢ظ/سطر ٢٢-ورقة ٥٣و/سطر ١٧.
[١٤] م: مرجع.
[١٥] *تفسير الطبري*، ٤٢٢/٢؛ *والمغني* لابن قدامة، ٤٣٢/٧؛ *ونيل الأوطار* للشوكاني، ٤٩/٧.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر ورقة ٥٣و/سطر ١٩-٢١.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٢٧]

*وقوله: **وإن عزموا الطلاق** كقوله: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.[١] [٥٢ظ س٧
وليس[٢] ذلك على إحداثه بعد مضي المدة، كذلك الأول. ***والله أعلم.***

وقوله: **سميع** لإيلائه **عليم** بتحقيق حكمه أنه لم يفئ[٣] إليها مع ما كان كذلك بذاته، كأنه قال: عن علم بما يكون من خلقه، وبما به صلاحهم، وما إليه مرجعهم خلقهم، وهو السميع بجميع ما به تناجوا وأسرّوا وجهروا. ***والله الموفق.****  ٥٢ظ س١٠]

وقوله: **وإن عزموا الطلاق**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: عزيمةُ الطلاق مُضيُّ أربعة أشهر،[٥] وقد[٦] ذكرنا قول الصحابة رضي الله عنهم أن عزيمة الطلاق انقضاء[٧] أربعة أشهر.

وقوله: **فإن الله سميع** بالإيلاء **عليم** بترك الفيء، أو **عليم** بما أراد بالإيلاء. ***والله أعلم.***

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٢٨]

وقوله: **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**. اختلف الناس في الأقراء. قال بعضهم هي الأطهار، وقال آخرون: هي الحيض وهو قولنا. وعلى ذلك اختلف الصحابة. قال عمر وعلي وعبد الله[٨] رضي الله عنهم: هي الحيض. وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم: هي الأطهار.[٩] وبه اخذ أهل المدينة، وقالوا: قلنا ذلك بالسنة، والأخبار عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واللسان، والمناقضة.

---

[١] ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣١).

[٢] ع: ولكن.

[٣] جميع النسخ: لم يف.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٥٢ظ/سطر ٧- ١٠.

[٥] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٣٦.

[٦] ك: فقد.

[٧] ن ع م: انقضاء.

[٨] أي عبد الله بن مسعود.

[٩] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢/٥٥؛ وتفسير *القرطبي*، ٣/١١٣؛ وفتح *القدير* للشوكاني، ١/٢٣٥.

أ) أما السنة فقوله لعمر: «مُرْ ابنك فليراجعها، ثم ليطلّقها وهي طاهر أو حامل من غير جماع، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلّق[1] لها[2] النساء».[3] فدل أن العدة التي تطلق لها النساء هي الأطهار. ولكن[4] الجواب لهذا من وجهين. أحدهما أنه جعل ذلك عدة للطلاق، لا عدة عن الطلاق، والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق، وكذا نقول في الطهر الذي تطلق فيه[5] النساء: إنها عدة للطلاق، لا عنه.[6] والثاني أن من قول الرجل: إن له الإيقاع في آخر أجزاء الطهر.[7] وقد ذكر في الخبر الطلاق لِقُبُل عدتهن.[8] ولو كان المعنيّ به الطهرَ لكان الطلاق في آخر أجزاء الطهر قبل الحيض[9] لا[10] في القُبُل، فثبت أن القول بجعل الطهر عدةً عن الطلاق بعيد.

ب) وأما اللسان،[11] وهو قول الناس، [ففيه]: قرأ[12] الماء في حوضه، وقرأ[13] الطعام في شِدْقه:[14] أي حبس. والطهر سبب حبس الدم. لكن عندنا الطهر جِبِلّة وأصل، وعليها خلقت وأنشئت،[15] والحيض عارض. فإذا كان في الرحم دم خرج، وإلا كانت على أصل[16] خلقتها طاهرة،[17] لا أن[18] الطهر يحبس الدم. فإذا كان هذا ما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان.

---

[1] ك: يطلق.
[2] ن: بها.
[3] م: للنساء. صحيح *البخاري*، تفسير القرآن سورة ٦٥/١؛ وصحيح *مسلم*، الرضاع ٦٦-٨١؛ وسنن *أبي داود*، الطلاق ٤.
[4] ن ع م: لكن.
[5] ن ع: فيها.
[6] جميع النسخ: لا عنها. أي عن الطلاق. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٧٠و.
[7] ع + لا في القبل فثبت أن القول؛ م + لا في القبل.
[8] لعله يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله: «مر ابنك فليراجعها...» الخ الحديث.
[9] ك ن م + في آخر أجزاء الطهر.
[10] ك ع - لا.
[11] جميع النسخ: وقال بالسان.
[12] ك: قرئ.
[13] ك: قرئ.
[14] أي في جانب فمه.
[15] ك ع: أنشيت.
[16] ع: أصلها.
[17] جميع النسخ: طاهرا.
[18] جميع النسخ: لأن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٧٠و.

ج) وأما المناقضة فهو[١] أن يقول: جعلتم المرأة[٢] معتدة مع زوال الأذى عنها ما لم تغتسل في إبقاء حق الرجعة. فأما دعوى[٣] المناقضة فهو بعيد؛ لأن الكتاب جعلها باقية [في الحيض] ما[٤] لم تغتسل على حكم الأذى،[٥] فإن[٦] كان فيه طعن فعلى الكتاب.[٧]

وقال:[٨] ذكر الله تعالى ثلاثة قروء باسم التذكير لا باسم التأنيث، فدل أنه أراد به[٩] الأطهار؛[١٠] يقال: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة. فإذا أدخل فيه الهاء عُقِل أنه أراد الطهر.

قيل: إن اللغة لا تمتنع عن تسمية شيء واحد باسم التذكير والتأنيث، كالبُرّ والحنطة ونحو ذلك، إذا لم يكن من ذي روح، فإذا كان كذلك فلا دلالة فيه على جعل ذلك طهرا.

وقال: القرء هو الانتقال، يقال: قرأ النجم إذا غاب ونحوه. لكن هذا ليس بشيء؛ لأنه لو كان القرء هو الانتقال[١١] من حال إلى حال لكان يقال للنجم إذا طلع: قرأ، فيكون الاسم للظهور لا للغيبوبة، أو لهما جميعًا؛ فلا دلالة في ذلك.

وأما الأصل عندنا، فقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾،[١٢] فأمر / بالإمساك عند بلوغ أجلهن. ثم لا يخلو بلوغُ الأجل من أن يكون بالإشراف على أول أجزاء [٥٣ظ] الطهر، أو عند انتهائه. فإن كان على انتهاء الطهر فلا غاية له ينتهى إليها[١٣] ليقطع عليه الحكم،

---

[١] ك: هي؛ ن ع م: هو.
[٢] جميع النسخ: هي.
[٣] جميع النسخ: دعوة.
[٤] م - ما.
[٥] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٢).
[٦] ك: فإذا.
[٧] أي فإذا كان في هذا القول طعن فهو موجه إلى كتاب الله تعال، وكتاب الله منزه عن التناقض. وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم إنما يتراءى التناقض أن لو قلنا ببقاء حق الرجعة، وجعلنا ذلك الطهر عدة، لكنا نقول: إنها بقيت حائضا ما لم تغتسل مع انقطاع الدم، والانقطاع لا ينافي الحيض بالإجماع، فإن الدم لا يَدُرّ في جميع الأوقات، فدل أنه لا تناقض» (انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٧٠و).
[٨] أي وقال من يدعي بأن الأقراء هي الأطهار.
[٩] ن ع م - به.
[١٠] ن: بالأطهار.
[١١] م - عى جعل دلك طهرا وقال القرء هو الانتقال يقال قرأ النجم إذا غاب ونحوه لكن هذا ليس بشي لأنه لو كان القرء هو الانتقال.
[١٢] ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٢).
[١٣] جميع النسخ: إليه.

وإن كان على الإشراف[1] عليه [فالحكم] أيضا كذلك. ثم لو حمل على الانتهاء أيضا يبعد بما يعرف ذلك بالحيض الذي يقطع جهة الإمساك؛ فحمل على ما يعرف، لا على ما لا يعرف. *والله أعلم.*

والثاني قوله: وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ،[2] كذا، اتفقوا فيه أنه مذكور على البدل، ولم يعرف ذكر الأبدال في الأشياء إلا على أثر الأصول حيث ما[3] ذكر، فبان أن المبدل من ذلك إنما هي الحِيَض المجعولة[4] أصولا في تقضي العدة.[5]

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «عدة الأَمَة حيضتان»،[6] ثبت أن أصل ما به تنقضي العدة هو الحيض.[7] وقال الشافعي: قوله: «عدة الأمة[8] حيضتان» أي قَرْءان،[9] والقرءان هما الطهران. فيقال له: أبلغت في الغفلة وأفرطت في الحِجاج، حيث فهمت من الحيض القرء، وهو أوضح عند أهل اللسان بالسماع من المفهوم له به، مع ما في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان، وهو أفصح العرب وأعلم البشر، حيث عبر[10] عن الطهر بالحيض.

ووجه آخر ما اتفقوا أنه لو طلق في بعض الطهر، فالبقية منه عدة. ومثله من الاعتداد قرءان ونصف، والكتاب أوجب الاعتداد بالثلاث، فثبت أن الأمر بالاعتداد أمر[11] بالحيض

---

[1] ع + على أول.

[2] سورة الطلاق، ٦٥/٤.

[3] ع م – ما.

[4] ك: المجبولة.

[5] ع م + هو الحيض. يقول علاءالدين السمرقندي: «أمر بالاعتداد بثلاثة قروء، وإنما يتحقق الاعتداد بثلاثة أقراء إذا كان القرء اسما للحيض هاهنا دون الطهر؛ لأنه إذا طلق في آخر الطهر فذلك الباقي محسوب من القرء الكامل عنده لما جعل القروء اسما للطهر، ثم إذا انقضى طهران بعد ذلك تنقضي العدة، فيكون الاعتداد بالقرءين وبعض الثالث. وعلى ما قلنا إذا طلق في آخر الحيض فذلك غير محسوب من العدة، فيكون إعتدادا بثلاث حيض، والثلاث اسم لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه؛ إذ لكل عدد اسم خاص، فيكون ما قالوا ترك العمل بالنص» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٠ظ).

[6] *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٣٠؛ *وسنن أبي داود*، الطلاق ٦؛ *وسنن الترمذي*، الطلاق ٧.

[7] «وقد قام دليل الإجماع أن عدة الأمة على النصف من عدة الحرة، لا خلاف أن لا تفاوت فيهما في العدة فيما يقع به الانقضاء. ثم ثبت النص عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عدتها بالحيض، فكذلك في الحرة أن يكون عدتها بالحيض الثلاث، وثبت أن الأصل أن ما تنقضي به العدة هو الحيض، إذ الرق في تنقيص بعض العدة التي في حق الحرة، لا في تغيير أصل العدة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٠ ظ).

[8] م – الأمة.

[9] ن: قرؤتان.

[10] ع: عير.

[11] ع: وأمر.

لا بالأطهار للمعنى الذي وصفنا، وإن كان القرء اسما[1] للطهر والحيض جميعا[2] في اللغة.

ثم الأصل في المسئلة أن ابتداء[3] الحِلّ لزوجها ولغيره بالطهر، وكذلك نهاية الحل إنما جعلت بالأطهار. ثم الأصل أن[4] ابتداء حرمتها على الزوج[5] الأول بالطهر، فيجعل انتهاء الحرمة في مثله بالطهر.

وحاصل هذا أنه جعل نهاية الحل فيه وفي غيره بما به ابتداء الحل، فكذا يجعل نهاية الحرمة فيه وفي غيره بما به ابتداؤه. وإذا ثبت أن المنظور في الحل والحرمة في الابتداء بالابتداء، وجب أن يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء.

*ثم الدليل على أن المراد من قوله **ثلاثة قُروء** –وإن احتمل الطهر– يرجع إلى الحيض [٥٢ظ س ١٠] وجوهٌ. أحدها أن ثلاثة اسم لتمام العدد، فيصير كأنه قال: "ثلاثة أطهار" لو أراد به الطهر، أو "ثلاث حيض"[6] لو أراد به الحيض. ثم هم –على اختلافهم– اتفقوا أنه بالحيض ثلاثة، وبالطهر طهران وبعض الأول؛ ثبت أن الحيض أولى. مع ما كان فيه الاحتياط؛ إذ احتمل الوجهان[7] أن يدخلا جميعا في الحق لا يزال –بعد أن ثبت– إلا بالبيان. ويبين ذا أن في الخبر: «تلك العدة التي أمر الله أن تُطَلّق لها النساء».[8] أنه الحيض حتى يكون قبلَه[9] الطهر، مع ما يحتمل عدة فعل الطلاق، لا الانقضاء.[10] يبين ذلك ما روي أن عدة الأمة حيضتان،[11] وهي بعض عدة الحرة، ووقت طلاقها وقت طلاق الحرة؛ فبان أن العدة اثنتان.[12]

---

[1] ن ع م: اسم.
[2] ن م – جميعا.
[3] ك ن: أول ابتداء.
[4] ك – أن.
[5] ع: من الزوج.
[6] ن – حيض.
[7] ن ع: الوجهين.
[8] روي عن ابن عمر رضي الله عنها أنه طلق امرأته وهي حائضة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْه فليراجعها، ثم ليُمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعدُ، وإن شاء طلّق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تُطَلَّق لها النساء» (*صحيح البخاري*، تفسير القرآن سورة ٦٥/١؛ وصحيح *مسلم*، الرضاع ٦٦-٨١).
[9] ك: قبلة.
[10] ك: في الانقضاء.
[11] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلاق الأمة اثنتان، وعدتها حيضتان» (*سنن ابن ماجة*، الطلاق ٣٠؛ وسنن *أبي داود*، الطلاق ٦؛ وسنن *الترمذي*، الطلاق ٧).
[12] ن ع م: اثنان.

والثاني ذكر الحيض عند ذكر البدل، وذلك حكم الأبدال: أن يذكر أصولها عند ذكرها.

والثالث قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ،[1] والبلوغ اسم للتمام؛ وفاسد المراجعة من بعد الإشراف[2] عليه، وهو بالطهر لا يَعلم حتى يرى[3] الدم، لأن الطهر لا غاية له، وذلك يمنع – على قولهم- الرجعةَ؛ فثبت أنه الحيض، لأن له الغاية، وإن لم ينقطع الدم[4] وقت[5] ابتداء الحرمة، وذلك طهر، ووقت تقضّي العدة وقتُ تمام ذلك، فهو الطهر. مع ما ينقضي[6] صلب الملك بالطلاق، ووقته الطهر، وبقية الملك بتقضّي[7] العدة، فيجب أن يكون وقته الطهر

٥٢ظ س٢٢] على إلحاق[8] جميع الفروع مع الأصول، وإلحاق التوابع بالمتبوعين. ***ولا قوة إلا بالله***.*

ثم في قوله: **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**، وفي قوله: فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ،[10] وفي قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ،[11] في هذه الآيات: دلالة [جواز] تأخير[12] البيان، حيث لم يبين ما الأقراء، ولم يبين الاعتزال من أي موضع ومن أي مكان، ولم يبين المخالطة في ماذا وفي أي شيء؟ فالاختلاف فيه باق إلى يوم التناد. فبطل قول من ينكر تأخير[13] البيان، وثبت قول من أقرّ به. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر**. ففي الآية دلائل. أحدها أن ذكر حرمة الكتمان فيمن آمن ليس بشرط فيه دون غيره، إذ قد يلزم ذلك من هو غير[14] مؤمن، إذ هو غير مستحسن في العقل. ففيه الدليل على

---

[1] ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٢).

[2] ن ع م: الإسراف.

[3] ن ع: ترى.

[4] م: وبما كان الطلاق.

[5] جميع النسخ + وبما كان الطلاق وقت.

[6] ك: تنقضي.

[7] ن ع م: ينقضي.

[8] جميع النسخ: على حق.

* ورد ما بين النجمتين متقدما على موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٥٢ظ/سطر ١٠-٢٢.

[10] ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٢).

[11] ﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٠).

[12] جميع النسخ: تأخر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، انظر: روقة ٧٠ ط.

[13] جميع النسخ: تأخر.

[14] ك + غير.

أن الحكم الموجب لعلة يجوز لزومه فيما ارتفعت[١] عنه تلك العلة وعُدمت، وهو كقوله: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ إلى قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.[٢] وقد يلزم صلاح ذات البين في غير الإيمان. وكذا قوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[٣] وقد يلزم ترك الربا للمعاهد، وقد يجوز ذلك للمسلم في غير داره. فدل أن الحكم إذا ذكر لعلة في أحد لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور.

{قال الشيخ رحمه الله:} فيه دليل على أن إضافة الحكم إلى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه. وفيه دليل أن لا يحل ذلك لمن قد آمن من في الخلق؛ لأن حقه التصديق وإظهار الحق، وفي الكتمان والتكذيب ترك ما فيه من الشرط. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في قوله: **ما خلق الله في أرحامهن**. قال بعضهم: الحبل والحيض. وكذلك روي عن علي وعبد الله[٤] وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا: **ما خلق الله في ارحامهن**[٥] الحبل والحيض.[٦] فثبت أن موضع الحيض الرحم. ثم الرحم يَشغله الحبل عن خروج الدم، فبان أن الحامل لا تحيض. وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما ذاك دم عرق انقطع»،[٧] وهو الأمر الظاهر المتعارف في النساء، أن الحبل يحبس[٨] الدم.

وقال بعض أهل التأويل **ما خلق الله في أرحامهن** الحبل خاصة دون الحيض، لوجهين. أحدهما أنهن في الجاهلية [كنّ] يكتمن ذلك فيُلحقن بغير الآباء، فأُوعِدن على ذلك بعد الإسلام،

---

[١] جميع النسخ: ارتفع.

[٢] ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة الأنفال، ٨/١).

[٣] سورة البقرة، ٢/٢٧٨.

[٤] قال السمرقندي: وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ولم يذكر ابن عباس. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٧٠ظ-٧١و.

[٥] ن - في أرحامهن.

[٦] وقد ذكر هذا القول ابن أبي حاتم منسوبا إلى ابن عمر وابن عباس؛ وذكره الطبرسي منسوبا إلى ابن عباس والحسن؛ والماوردي ذكره منسوبا إلى عمر ومجاهد. انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٢/٤١٥-٤١٦؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ١/٢٩٢؛ و*مجمع البيان* للطبرسي، ١/٥٧٤.

[٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جائت فاطمة بنت أبي حُبَيْش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إني امرأة أُستَحاض فلا أَطْهُرُ، أ فأدع الصلاة؟ فقال: «لا، إنما ذلك عرق، وليس بالحَيْضَة، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلّي» (*صحيح البخاري*، الوضوء ٦٣، الحيض ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ٦٢-٦٣).

[٨] ن ع م: تحبس.

فثبت أن الحيض لا يحتمل.[1] والثاني أن الحيض لا ينسب بكونه في الرحم، فإذا كان غير منسوب إليه لم يحتمل كونه فيه.[2] *والله أعلم*.

لكن الوجه فيه ما ذكرنا من قول الصحابة، وما فيه من الدلالة أنهن[3] مؤتمنات فيما يخبرن لوجهين. أحدهما ما جاء من أن الأمانة[4] أن تؤتمن[5] المرأة على فرجها.[6] والثاني لولا أنها ممن تقبل[7] خبرها فيما تخبر لما[8] أوعدت[9] على الكتمان.[10]

ثم يحتمل الكتمان من وجهين. أحدهما أن يكتمن ذلك ليستوجبن به الإنفاق من عند أزواجهن بقولهن:[11] العدة باقية،[12] وذلك يحتمل الحيض والحبل جميعا. ويحتمل[13] ما قاله بعض أهل التأويل من إبقاء حق الرجعة. ويحتمل قولَ أبي حنيفة -رحمه الله- في كتمانها، إذ قال[14] في المرأة إذا جاءت بولد في العدة فشهدت امرأة على الولادة -والحبلُ لم يكن ظاهرًا- أن [لا][15] يقبل قولها؛ إذ هي أمرت بالإظهار، فالكتمان[16] أورث تهمة في القبول. ويحتمل أن لا يحل لهن أن يكتمن الحبل فيلحقن[17] بغيرهم من الأزواج. **والله أعلم**.

---

[1] ك: لا تحمل.

[2] يقول السمرقندي: «والثاني أن الدم لا يسمى حيضا ما دام في الرحم، وإنما يسمى بعد الخروج. والحكم يتعلق به بعد الخروج. فالحيض هو الدم الخارج من الرحم، وإذا لم يكن له حكم حال كونه في الرحم فلا معنى لاعتباره» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧١ و).

[3] ن ع: أنه.

[4] ك ن: أن من الأمانة.

[5] م: تومن.

[6] ك: على زوجها.

[7] ن ع م: يقبل.

[8] م: خبر فيها لما فيها لما.

[9] جميع النسخ: أوعد.

[10] يقول السمرقندي: «والثاني أن الله تعالى وعظها بترك الكتمان، ونهاها عن كتمان ما خلق الله في أرحامهن. وكلمة "ما" للعموم، والحيض والحبل جميعا مما خلق الله في أرحامهن، فدل الوعيد على الكتمان على قبول خبرها جميعا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧١و).

[11] ك ن: لقولهن.

[12] جميع النسخ: باق.

[13] أي والوجه الثاني.

[14] ع م: إذا قال.

[15] والتصحيح مستفاد من الشرح وموافق لسياق العبارة. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٧١و.

[16] ع م: والكتمان.

[17] ن: فيلحق.

[٥٤و] وقوله: **وبعولتهن / أحق بردّهن في ذلك**، يحتمل وجهين. يحتمل أنهن لا يملكن الرجعة ولا منع أزواجهن عن المراجعة، بل ذلك إلى بعولتهن. ويحتمل **أحق بردّهن** في نكاح في العدة، لا في حق الرجعة؛ إذ الزوج يملك نكاحها في العدة، وغيره من الناس لا يملك، كقوله: وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ[1] حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.[2]

وقوله: **وبعولتهن**، فيه دليل أن قوله: **والمطلّقات يتربصن**، إنما عني به المطلِّق طلاقا لم يقطع على نفسه جهة العود.

وقوله: **في ذلك إن أرادوا إصلاحا**، يحتمل إصلاح ما بينهن. ويحتمل: **إن أرادوا** إمساكهن بالمعروف، كقوله: وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا،[3] فهو ممسك لها وإن كان مضرًّا.

ثم الاصل في هذا أنه -وإن قال:[4] فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ-[5] ليس على أن يصير ممسكا لها بغير المعروف. وأصل هذا أن ليس في القول: بـ"أن لا تفعلوا" دليل الجواز والفساد إذا فعل ذلك. ثم اختلف في قوله: **في ذلك**، [قيل:] أي في الوقت الذي تعتدّ[6] به، أو في ذلك القرء. *والله أعلم.*

وقوله: **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**.[7] وقال آخرون: لهن من الكفاف[8] [مثل] ما عليهن من الخدمة. وقال غيرهم: لهن من الحق في المهور بتسليم الأزواج إليهن، [مثل] ما عليهن[9] من تسليم الأبضاع إلى الأزواج.

---

[1] ك - لا في حق الرجعة إذ الزوج يملك نكاحها في العدة وغيره من الناس لا يملك كقوله ولا تعزموا عقدة النكاح.

[2] ﴿ولا جناح عيكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم عم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٥).

[3] ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو سرحوهن بمعروفٍ ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣١).

[4] ك: ان قال.

[5] ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريح بإحسان﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٩).

[6] ك: تعبد؛ ع م: يعيد؛ ن: في الوقت تعتد.

[7] *تفسير الطبري*، ٢/٤٥٣؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/١٢٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢/١٨٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٨٢.

[8] ع: من الكفار.

[9] ن - ما عليهن.

فيدل هذا على أن الخلوة والتسليم منها يحل محل قبض الحق منها لزوجها. وقيل: **ولهن مثل الذي عليهن**، [هو] الحقوق، ما يلزمهن من حقوق الأزواج يلزم مثلها على الأزواج[1] لهن وإن كانت[2] مختلفة.

وقوله: **وللرجال عليهن درجة**، قيل: هو الطلاق بيد الرجل وليس بيدها. وقيل: هي الإمارة والأمر. وقيل: ما فضل الله به [الرجل] عليها من الجهاد والميراث وغيره. وقيل: [ما]لهم من الفضيلة من الولايات والشهادات والعقل، وذلك ليس لهن. وقيل: [هي] فضيلة في الحق وبما ساق إليها من المهر.

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله} في قوله: **ولهن مثل الذي عليهن**: أي من الحقوق على الأزواج. ثم يحتمل حقوقهن المهر والنفقة؛ ويحتمل ما أُتبع من قوله: فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.[3] ويحتمل قضاء ما لها من الحوائج[4] خارج البيت مما به قوام دينها ووقايتها عن النار،[5] و[ما] عليها من الحقوق. مقابل الأول البذل له، وأن لا يوطئن فروشهن أحدًا. ومقابل الثاني أن يحسنّ إليهم في البر باللسان والقول المعروف الذي فيه يطيب نفسه به. كما وصف[6] [صلى الله عليه وسلم] الحميدة منهن بقوله: «مَن إذا نظرتَ إليها سَرّتك،[7] وإذا دعوتها أجابتك، وتحفظك[8] في النفس والمال».[9] ومقابل الثالث أن لا تلقاه[10] بمكروه، ولا تقابله بما يضجره ويغضبه، مع الخدمة وكفاية الداخل مما به قوام دينه. *والله أعلم*.

---

[1] ع – يلزم مثلها على الأزواج.
[2] جميع النسخ: كان.
[3] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.
[4] ع: الخوارج.
[5] ع: من النار.
[6] ك ن: وصفت.
[7] ع: شريك.
[8] ن ع م: يحفظك.
[9] عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (*سنن ابن ماجة*، النكاح ٥؛ و*فيض القدير* للمناوي، ٣/٤٨٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٥/٦٠؛ و*تفسير القرطبي*، ٥/١٦٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٤٩٢).
[10] ن ع م: تتقاه.

والدرجة التي [للرجل] ما له من الملك فيها والفضل في الحقوق عليها، وما جعله[١] قوّامًا عليها، وغير ذلك. *والله أعلم*.

ويحتمل: ما لهن من قوله: فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ؛ **وعليهن**: بذل حقهم المعروف، والإحسان إليهم فيما يبغون من الخدمة، والقيام بكفاية داخل البيت، مع حفظ ماله عندها. *والله أعلم*.

**﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[٢٢٩]

وقوله: **الطلاق مرتان**، فيه دلالة أنه يطلق بنيتين بمرتين.

وقوله: **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**، [فيه] أن له الرجعة بعد طلاقين بذكره مرتين. وفيه أن المطلِّق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلِّقٌ للسنة،[٢] لما خير بين الإمساك والتسريح[٣] من غير مراجعة. وهو [يرد] على مالك، لأنه يقول: ليس[٤] له أن يزيد على تطليقة واحدة إلا أن يراجع، والتسريح بإحسان[٥] هو التطليقة الثالثة؛ كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن التسريح بإحسان، فقال: «هو التطليقة الثالثة».[٦]

فإن قيل: أيشِ الحكمةُ في ذكر المعروف في الإمساك والإحسانِ في التسريح؟

قيل: وذلك أن في التسريح قطع الحقوق التي أوجبها النكاح، فأمر عند قطعها عنها بالإحسان إليها مبتدئا. والإحسان أبدا[٧] إنما يكون[٨] عند ابتداء[٩] الفعل، لا عند المكافأة.

---

[١] جميع النسخ: وماجعل.

[٢] ك: للسفه.

[٣] ع: أوالتسريح.

[٤] ن – ليس.

[٥] ن + فقال.

[٦] *سنن الدارقطني*، ٤٤/٤ و *سنن البيهقي*، ٣٤٠/٧؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٤٥٨/٢؛ *وتفسير القرطبي*، ١٢٨/٣.

[٧] ن: بدا.

[٨] ك: اكما يكون.

[٩] ك + كما يكون عند ابتداء.

وأما المعروف في الإمساك فالنكاح أوجب ذلك، كقوله: وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا.[1] قيل: الميثاق الغليظ الحقوق التي أوجب النكاح. وهذا -والله أعلم- وجه الحكمة. والمعروف ما عرفا في النكاح.[2] والإحسان هو ما يبتدئ مما[3] لم يعرفا.

وقوله: **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به.** فظاهر هذه الآية الكريمة[4] يوجب ابتداء الخطاب للأزواج،[5] ثم آخرها يوجب الخطاب لهما جميعا. وأيضا[6] آخرها[7] يوجب الخطاب لغير الأزواج [بأن] يحفظ عليهما حدود الصحبة. فيشبه أن يكون في الآية الإضمار؛[8] [فيكون المراد][9] الحكمين، فيكون كقوله: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا،[10] فيكونان هما اللذان يحفظان عليهما الحد المحدود. ويحتمل أن يكون الخطاب في قوله: **فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله** للحُكّام؛ لأنهم هم الذين يتولون النظر في أمور الناس، ليقوموا هم[11] على حفظ حدود الله.

ثم القول عندنا في قوله: **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا**، إذا كان النشوز واقعا من قِبل الزوج، فإنه لا يحل [له] أخذ شيء على الخلع، استدلالاً بقوله: وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ / زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا.[12] وأما إذا كان النشوز من قِبلها [٥٤ظ]

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعضٍ وأخذن منكم ميثاقا غيظا﴾ (سورة النساء، ٤/٢٠-٢١).

[2] م: نكاح.

[3] م: ما.

[4] ك ن - الكريمة.

[5] يقول السمرقندي: «وهو النهي عن أخذ شيء مما أعطاها إلا على الشرط المذكور، وهو خوف ترك إقامة حدود الله تعالى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٢و).

[6] جميع النسخ: ثم.

[7] م: آخر.

[8] م - الإضمار.

[9] جميع النسخ + فهما.

[10] ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ (سورة النساء، ٤/٣٥).

[11] ك ن ع: ليقوموهم.

[12] سورة النساء، ٤/٢٠.

فإنه لا بأس أن يأخذ قدر المهر، ويكره الزيادة، ويجوز.[١] وأما[٢] قدر المهر فإنه لا بأس إذا كان النشوز من قبلها، استدلالاً بقوله: **فلا جناح عليهما فيما افتدت به**، ذكر رفع الحرج عن الذي فدى[٣] فيما عنه نهي في غير هذا، وهو المؤتى.[٤] لذلك قلنا: إنه يجوز -إذا كان النشوز من قبلها- قدر المهر، وأما الزيادة فإنه يكره استدلالا بما روي في الخبر أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت بُغْض زوجها فقال: «أتردّين عليه حديقته؟» فقالت: نعم، وزيادة. فقال: «أما الزيادة، فلا»،[٥] ففيه الدلالة [على] أن النشوز إذا كان من قِبَلها فإنه يجوز قدر المهر.

وقال ابن داوود:[٦] خالف الشافعي ظاهرَ الكتاب فيما جعل له أخذ ما فدى والزيادة. والكتابُ رفعَ الحرج عن أخذ ما فدى، لم يجعل له غيره بقوله: **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله**. قال[٧] ابن شريح:[٨] ما ذلك الأخذ في الطلاق، إنما ذلك في غير[٩] الطلاق كرها، لأنه ليس في الآية ذكر الطلاق.[١٠] واستدل بقوله فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا،[١١] فجعل له كل ما أخذ بالوصف الذي ذكره.

---

[١] ن - ويجوز.

[٢] ك ع م: أما.

[٣] أي عن الزوج الذي أعطى المهر.

[٤] لعله يشير إلى قوله: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيا﴾.

[٥] *الموطأ* لمالك، الطلاق ٣١-٣٣؛ ومسند *أحمد*، ٣/٤؛ وصحيح *البخاري*، الطلاق ١٢.

[٦] لعله يريد به أبا سليمان داوود بن علي بن خلف الأصبهاني، الظاهري. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. ومولده في الكوفة. سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها، وتوفي فيها سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٤م. انظر: *طبقات الفقهاء* للشرازي، ١٠٢/١؛ *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٥٥/٢؛ *وشذرات الذهب* لابن عماد، ٢٩٧/٣-٣٠٠؛ *والأعلام* للزركلي ٣٣٣/٢.

[٧] ع: وقال.

[٨] هو أبو عمرو الحارث بن شريح النقال، الخوارزمي. روى عنه الشافعي، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن زريع، وغيرهم. مات سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٢٠٨/٨؛ *وطبقات الحنابلة* لمحمد بن أبي يعلى، ١٤٧/١؛ *وطبقات الشافعية* لابن قاضي شهبة، ١١٢/٢-١١٣.

[٩] ع م - غير.

[١٠] يقول السمرقندي -موضحا-: «قال ابن شريح: إن هذه الآية ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا...﴾ إلى آخرها، ليس في الطلاق، وإنما هي حال قيام الزوجية بطريق الجبر والكره، لأنه ليس في الآية ذكر الطلاق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٣و).

[١١] يقول الله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ (سورة النساء، ٥/٤).

ثم كان له أخذ ما تبذل في غير الطلاق، فعلى ذلك الطلاق،[1] وفي الطلاق أحق. *والله أعلم*.

والأصل عندنا جواز ما بذلت أَخْذَه مما احتجّ به الرجل:[2] أن كان له ذلك في غير الطلاق وهو في الطلاق[3] أجوز، لأنها تنتفع [به]، غير أنه يكره له الفضل لما ذكرنا من الآية والخبر. ثم هو يجوز[4] لأنه تبادل، فكان كالعقود التي تكره لربح ما لم يضمن على الجواز، فكذا هذا. والأصل أن الطلاق[5] بالبذل يُبِينُها، وهو لو لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه بما شرط، فثبت أنه يملك. وأصله أنه بالطلاق، ويصرف إليها ما ملك عليها بالعقد، فانتفعت بإزاء ما بذلت، لذلك سلم للزوج ما أخذ. *والله أعلم*.

{قال:} ويكره له[6] أخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح [بالخلع]، فيصير آخذا[7] ما يأخذ بالذي أعطى، فما يفضل عليه ليس بإزائه بدل،[8] وذلك وصف الربا.[9] *والله أعلم*.[10]

ثم اختلف في قوله **إلا أن يخافا**، قيل: عَلِمَا، يعني الرجل والمرأة. وقيل: عَلم الحَكَمان **أن لا يقيما حدود الله**.

وعلى ذلك قوله: **فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله**، قيل: علمتم. وقيل: الخوف هو الخوف؛ فكأنه أقرب، لأن العلم يكون فيما مضى من الحال أنهما أقاما حدودًا أو لم يقيما. وأما الخوف في حادث الوقت [فهو] أمكن، لأنه لا يعلم[11] باليقين، لذلك كان ما ذكرنا؛ وهو كقوله: إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.[12]

---

[1] جميع النسخ: في الطلاق.

[2] أي ابن شريح.

[3] ع م: وهو الطلاق.

[4] ع م: ثم يجوز هو.

[5] جميع النسخ: بأن الطلاق.

[6] م – له.

[7] م: اخذ. أي آخذا منها.

[8] ك: بذل.

[9] يقول السمرقندي: «ولكنه جائز؛ لأنه تبادل مال عن الطلاق وإسقاط ما عليها من الملك، ودفع الملك بدلا عما ليس بمال جائز إذا كان ذلك مما يرغب فيه؛ ألا ترى أنه جاز العتق على قليل المال وكثيره، ويصير المال بدلا عن إسقاط الرق والملك» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٣و).

[10] ع – قال ويكره له أخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح فيصير آخذا بالذي أعطى فما يفضل عليه ليس بإزائه بدل وذلك وصف الربا والله أعلم.

[11] م: يعلم.

[12] سورة الأنعام، ١٥/٦، وانظر أيضا: سورة يونس، ١٥/١٠.

وقوله: **فلا جناح عليهما فيما افتدت به**، اختلف فيه. قال بعضهم: أراد بقوله **عليهما**: عليه خاصة. وهذا جائز في اللغة: إضافة الشيء إلى الاثنين[١] والمراد[٢] واحد منهما، كقوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[٣] وإنما يخرج من أحدهما، ومثله كثير. وقال آخرون: أريدا جميعًا؛ المرأة بالفداء، والزوج بالأخذ؛ لأن الزوج نهي عن أخذ شيء مما آتاها بقوله: **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا**، ثم أبيح،[٤] ورفع الحرج عنه[٥] بالأخذ على الشرط. وقيل: أراد بذلك الزوج خاصة، وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله: **تلك حدود الله فلا تعتدوها**. قيل: إذا لم يفهم بحد من حدود الله تعالى ما يفهم من حد الخلق، كيف فهم من استواء الرب ومجيئه من قوله: اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٦] وَجَاءَ رَبُّكَ،[٧] ما فهم من استواء الخلق ومجيئهم؟ والاستواء والمجيء إلى احتمال معان[٨] تنفى[٩] عنه التشبيه أكثر من احتمال الحدود التي في الشاهد، فإذا لم يفهم من هذا ذلك لم يجز أن يفهم من الأول ما فهموا، وقد قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١٠]

وقوله: **حدود الله**، قيل: أحكام الله وسننه، وقيل: أوامره ونواهيه، وقيل: آدابه. وهو واحد.

وقوله: **ومن يتعدّ حدود الله [فأولئك هم الظالمون]**. يحتمل وجهين. يحتمل **يتعد حدود الله** مستحلًا لها، فيكفر بتعديه ذلك، فهو ظالم ظلمَ كفر. ويحتمل **يتعد**: يجاوز أمر الله وما نهاه عنه غير مستحل لها، فهو ظالم نفسه غير كافر.

---

١ ك: واحد.
٢ ك + به.
٣ سورة الرحمن، ٥٥/٢٢.
٤ جميع النسخ: أباح.
٥ ك ع ن: منه.
٦ يقول الله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٤).
٧ ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).
٨ ع م + أن.
٩ ن ع م: ينفي.
١٠ سورة الشورى، ٤٢/١١. «والاستواء والمجيء إلى احتمال معان ينفي التشبيه عن الله تعالى أكثر من الحدود، وفي الشاهد إذا لم يفهم من الحدود ما يوجب التشبيه لم يجز أن يفهم من الأول ما فهموا مع قول الله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء﴾، والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٣و).

**﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[٢٣٠]

وقوله: **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره.** هذه الآية رجعت إلى الأولى،[١] [وهي] قوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ، **فإن طلقها** بعد التطليقتين تطليقة آخرى **فلا تحل له [من بعد] حتى تنكح زوجا غيره.** وقوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ،[٢] قيل: التطليقة الثالثة. وعلى ذلك جاء[٣] الخبر.[٤] وهو واحد عندنا. يدل عليه أيضا قوله تعالى: **حتى تنكح زوجا غيره**، يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثاني، إذ ليس في الآية ذكر الدخول بها. وأما عندنا فهو على فعل الجماع في النكاح الثاني؛ يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا، حتى تذوق[٥] عُسَيْلته،[٦] ويذوق من[٧] عسيلتها»،[٨] فيكون النكاح مضمرا. وهو أولى؛ لأن الآية في عقوبة الأول، ولا يشتد عليه[٩] النكاح حتى يتصل به الوطء.[١٠] وفيه دلالة على كراهة التطليقة الثالثة إذ هي لا تحل له بعدها إلا بعد دخول زوج آخر بها، وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه.

وقوله: **فلا جناح عليهما أن يتراجعا.** فيه دليل على أن في التراجع إيجاب عقد بهما جميعا، فدل على قطع رجعة الثاني المُحِلّ للزوج الأول،[١١] وذلك أن لا رجعة فيه لغيره. وقوله تعالى: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ،[١٢] أضاف الرد إلى الأزواج، فدل أنهم ينفردون به دونهنّ.

---

[١] ع م: الأول.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.
[٣] ع: جايز.
[٤] انظر: *سنن الدارقطني*، ٤/٤؛ و*سنن البيهقي*، ٧/٣٤٠؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢/٤٥٨؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/١٢٨.
[٥] ن ع م + من.
[٦] ن + لنا.
[٧] ن ع م + من.
[٨] عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل يتزوج المرأة، فيطلقها قبل أن يدخل بها ألبتة، فتتزوج زوجا آخر، فيطلقها قبل أن يدخل بها: أ ترجع إلى الأول؟ قال: «لا، حتى تذوق عُسَيْلَته، ويذوق عُسَيْلَتَها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٤٢؛ و*تفسير الطبري*، ٢/٤٧٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٧٨).
[٩] م: عليها.
[١٠] ك: الأول.
[١١] ع + الأول.
[١٢] ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٨).

ثم ذكر الكتاب: **فلا تحل له [من بعد] حتى تنكح زوجا غيره**، جعل سبب الحل للزوج[١] الأول نكاح الثاني، فلم يجز[٢] أن ينهى عنه، وقد جعل هو سبب رفع الحرمة؛ إذ مثل[٣] هذا في أحكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم، وهو كالوضوء فيما جعل سببا لإقامة الصلاة، لم يجز أن يجعل سببا لها،[٤] / ثم يكره الإقدام عليه وينهى عنه؛ وكالتحريم، إذ جعل سببا للدخول [٥٥و] بها في الصلاة لم يجز النهي عنها، وبها قوامها. كذا هذا، لما جعل سببا لرفع[٥] الحرمة به، لا جائز أن ينهى عنه.

ثم فيه دلالة جواز نكاح المُحلِّل. فإن سئلنا عن قوله [صلى الله عليه وسلم]: «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له».[٦] قيل: لحوق اللعن لأجل النكاح على قصد الفراق والطلاق، ليس لأجل التحليل على الأول ورفع الحرمة عنه، دليله قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يحب كل ذوّاق[٧] مطلاق»،[٨] وذلك لقصده الفراق بالنكاح؛ إذ النكاح بُني في الأصل على البقاء والدوام عليه، وفيه التعفف، وفي الطلاق زوال ما به يقصد؛ فلهذا لحقه ما لحقه من اللعن.

ثم المحلَّل له لما طلب بنكاح الزوج الثاني ما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عودها إليه بعد مضاجعة غيره[٩] إياها واستمتاعه بها مُنع لهذا المعنى عن إيقاع الثالثة. لكن إذا تفكر [في] حرمتها عليه إلا بنكاح آخر انزجر عن ذلك. ثم العقد نفسه لا ينفر عنه الطباع ولا يكرهه،[١٠] ثبت أن الدخول شرط فيه ليكون زجرًا ومنعا عن ارتكابه.

وقوله: **فلا جناح عليهما أن يتراجعا**، يخرج على الترخيص. وذلك -والله أعلم-

---

[١] جميع النسخ: على.
[٢] جميع النسخ: لم يجز.
[٣] ع م: في.
[٤] ن: بها.
[٥] ن: لدفع.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٨٣/١، ٨٧-٨٨؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢٨؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ١٣.
[٧] أي إذا كان كثير النكاح كثير الطلاق، *لسان العرب* لابن منظور، «ذوق، طلق».
[٨] روي الحديث عن أبي موسى مرفوعا: «لا تُطَلِّق النساء إلا من ريبة، إن الله -تبارك وتعالى- لا يحب الذَّوَّاقين ولا الذواقات». قال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني في الكبير، والأوسط، وأحد أسانيد البزار فيه عمران القطان، وثّقه أحمد وابن حبان، وضعفه يحيى بن سعيد وغيره. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٣٥/٤؛ و*مسند البزار*، ٧٠/٨-٧١؛ و*تفسير الطبري*، ٥٣٩/٢؛ و*المعجم الأوسط* للطبراني، ٢٤/٨.
[٩] ع م: غير.
[١٠] ع: ولا يكره.

أن الطلاق يُحرِمها عليه ويُبِينها منه، كما تحرم عليه هي بأنواع الحرم، فأخبر عز وجل -و[قد] أباح له النكاح بعد وقوع الحرمة- أن هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرم التي لا ترتفع أبدًا. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٢٣١]

وقوله: **وإذا طلقتم النساء فبلغهن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف**، وقال: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ؛[١] ذكر في الآية الأولى الإمساك، والإمساك المعروف هو إمساكها على ما كان من الملك، وذكر في الآية الأخيرة الرد، والرد لا يكون إلا بعد الخروج من الملك. هذا هو الظاهر في الآية. لكن بعض أهل العلم يقولون: إنه[٢] يمسكها على الملك الأول، ويردها من الحرمة إلى الحل؛ لأن من مذهبهم أن الطلاق يوجب الحرمة ولا يخرجها[٣] من ملكه. وهذا جائز أن تحرم المرأة على زوجها، وهي بعد في ملكه، فإذا كان كذلك فأمر بالإمساك على الملك الأول، وبالرد[٤] من الحرمة إلى الحل، وهو قول أهل المدينة؛ أي بردها من العدة إلى ما لا عدة، ويمسكها بلا عدة.

وأما عندنا فهو واحد يحدث الإمساك، دليله قوله: **ولا تمسكوهن ضرارا**، ولو لم يكن الإمساك سوى القصد إليه لكان لم يكن بالقصد إليها مضرًا.[٥] وهو فيما أمر بالإمساك بالمعروف، فيه وجهان. أحدهما هو أن يمسكها على ما كان يمسكها[٦] من قبل؛ من مراعاة الحقوق

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[٢] ع: ان.
[٣] ع: لا يخرجها.
[٤] ن: بالرد.
[٥] «وأما عندنا فالملك قائم والحل قائم، إلا أنه انعقد سبب الزوال عند انقضاء العدة وهو الطلاق، والرجعةُ رد الطلاق وفسخٌ له في حق الحكم عند انقضاء العدة، أعني يمنعه عن أن يصير شيئا عند انقضاء العدة في حق زوال الملك ... يدل عليه أنه قال: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا﴾ ولو لم يكن الإمساك سوى القصد إليها بالإضرار فهو لا يصير بالقصد مضرا بها، فثبت أنه أمر وراء ذلك، وهو ما ذكرنا من المراجعة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٤و).
[٦] م – على ما كان يمسكها.

ومحافظة الحدود. ويحتمل ما قيل أن لا يطول عليها العدة على ما ذكر في القصة من تطويل العدة عليها، وفيه نزلت الآية. وفيه دلالة أن الزوج يملك جعل الطلاق بائنا بعد ما وقع رجعيا؛ لأنه يصير بائنا بتركه المراجعة، فعلى ذلك يملك إلحاق الصفة من بعد وقوعه، فيصير بائنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا.** {قال الشيخ رحمة الله:} الأصل عندنا في المناهي أنها لا تدل على فساد الفعل ولا يُستدل[1] [منها] بالنهي على الفساد، كقوله: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ،[2] وعلى ذلك قوله: **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا**، أنه يصير ممسكا لها وإن كان فيه ضِرارٌ لها. وهكذا هذا[3] في كل ما يشبه هذا من قوله: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا،[4] أنه أذن بالفعل في حال، فهو وإن أوجب نهيا في الفعل، فذلك لا يدل على الفساد في حال أخرى.

وقوله: **ولا تتخذوا آيات الله هزوا**، معناه -والله أعلم- أي لا تعملوا بآيات الله عمل من يخرج فعله بها مخرج فعل الهازئ، لأنه معقول أن أهل الإيمان والتوحيد لا يتخذون آيات الله هزوًا، ولا يقصدون إلى ذلك. وقيل: إنهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق، ويمسكونهن[5] بعد الطلاق والعتاق على ما كانوا يمسكون قبل الطلاق وقبل العتاق، فنهوا عن ذلك بعد الإسلام والتوحيد.

ثم اختلف **في آيات الله**، قيل: حجج الله، وقيل: أحكام الله، وقيل: دين الله. ويحتمل **آيات الله** الآيات المعروفة.

وقوله: **واذكروا نعمة الله عليكم**، يحتمل وجوها. يحتمل النعمة هاهنا محمدا صلى الله عليه وسلم، وهو من أعظم النعم. ويحتمل النعمة: الإسلام وشرائعه. ويحتمل النعمة التي أنعمها على خلقه جملة. [ثم] النعمة على ثلاثة أوجه: النعمة بالإسلام يقتضي منه المحافظة، والنعمة[6] الخاصة[7] تقتضي[8] الشكر، والنعم جملة يقتضى منه التوحيد.

---

[1] ن: لاتستدل؛ ع م: ولا تستدل.

[2] الآية السابقة.

[3] م - هذا.

[4] ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ (سورة النساء، ٤/٢٥).

[5] جميع النسخ: ويمسكوهم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٤ظ.

[6] جميع النسخ: ونعمة.

[7] ن ع م: الخاص.

[8] جميع النسخ: يقتضي؛ ن + أن يكون.

وقوله تعالى: **وما أنزل عليكم من الكتاب**، وهو القرآن. ففيه دلالة أن الكتاب هو[1] منزل ليس كما يقول القرامطة، لأنهم يقولون بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم ألَّف القرآن، وإنما كان يوحى إليه كما يتوهم الرجل شيئا، فيجعله كلاما.

وقوله: **والحكمةِ**، اختلف فيه؛ قيل: الفقه، وقيل: الحلال والحرام، وقيل: الحكمة هي الإصابة، إصابة موضع كل شيء منه. وقيل: الحكمة المواعظ، وقيل: الحكمة القرآن. وهو من الإحكام والإتقان، كأنه قال عز وجل: اذكروا ما أعطاكم[2] من الفقه والإصابة، والكتاب المحكم والمتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقوله: **يعظكم به**، قيل: بالقرآن. **واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم**، فيه تخويف وتحذير ليعلموا أن كل شيء في علمه، وأنه لا يَعْزُب عنه شيء. ***وبالله العصمة.***

**﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٢٣٢]

وقوله: **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**، اختلف في تأويله. قال قائلون: فيه دليل[3] فساد النكاح دون الأولياء، واحتجوا بأن قالوا: قال الله تعالى: **فلا تعضلوهن**، ولا يُنهَى عن القول من غير أن [٥٥ظ] يعمل، إذ القول فيما / لا يُعمل غير ضار[4] به؛ فثبت أنه عامل وأن لهم[5] فيه حقا[6] إلى أن نهوا. ثبت أن قولَه "لا تعضل" مَنْعٌ، إذ لو لم يجعل منعا لم يكن[7] ضارًا به. وقال آخرون: فيه دليل جواز نكاحهن دون الأولياء؛ لأنه تعالى قال: **يَنكِحْنَ**، واستدلوا بأن النكاح على وجود العَضْل يجوز، ولو كان العضل سبب المنع في الجواز لم يحتمل جوازه إذا فات ذلك،[8]

---

[1] ك – هو.
[2] ك: أتاكم.
[3] ع م – دليل.
[4] جميع النسخ + لعضلها.
[5] جميع النسخ: له. لهم: أي للأولياء.
[6] جميع النسخ: حق.
[7] ع: ولم يكن.
[8] ع م – ذلك.

وفيه أن العضل إذا لم يكن جاز للنساء تولي النكاح.[1] واحتجوا أيضا بما أضاف النكاح إليهن بقوله: **أَنْ يَنْكِحْنَ أزواجهن**، وقولِه: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ.[2] وأضاف الإنكاح إلى الأولياء على إرادة إدخال الصغار. والثاني على وجوب الحق لهن عليهم،[3] لا أن[4] يجب لهم عليهن.

ثم الأصل أن[5] كل نكاح أريد بالذكر[6] أو أضيف[7] الإنكاح إلى الأولياء [فهو للصغار]، كقوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ،[8] وقوله: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ... وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ؛[9] مع ما احتمل دخول البالغين في هذا. دليله قوله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ،[10] والفدية لا تصح من الصغار، وقوله: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ،[11] والصغار لا يخاطبن[12] بإقامة حدود الله، وقوله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[13] وإن كان متأخرا في الذكر.[14] لهذا قيل:[15] إن وقوع الإنكاح بالإضافة في الصغار[16] إلى الأولياء، وفي الكبار إليهن. ثم ذكر الكفاءة والمهر،

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «إن هذا خطاب للأولياء بالنهي من العضل إذا تراضيا الزوجان، والنهي يقتضي الحرمة. فإذا كان حراما على الولي أن يمنعها عن النكاح نفسها فكيف يكون له حق منعها عن ذلك، وكيف ثبت للولي ولاية تثبت له حق المنع وهذا خلاف ظاهر الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٤ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٨٥ظ).

[2] ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٤).

[3] ك: عليكم.

[4] ن: لأن.

[5] جميع النسخ: بأن.

[6] جميع النسخ + الصغار.

[7] جميع النسخ: وأضيف.

[8] ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٢).

[9] ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢١).

[10] ﴿فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٩).

[11] سورة البقرة، ٢/٢٣٠.

[12] ك: لا تخاطبن.

[13] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.

[14] ك: بالدكر.

[15] ك + قيل.

[16] ك: إلى الصعار.

وجرى إضافته إلى الأولياء؛ لذلك كان لهم التعرض في فسخه. ثم قوله: **إذا تراضوا بينهم بالمعروف**، راجع ذلك إلى المهر؛ لأن التراضي فعل اثنين، والمهر يتعرف بهما، لأن القصة في امرأة بعينها وكانت ظهرت كفاءة زوجها لها، وقال في الكفاءة: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ.[1] ووجود الكفاءة إنما تكون من أحد[2] الجانبين، فذكر ذلك مضافا إلى الأولياء لم يجز دونهم.

والأصل في مسألة النكاح أن الحق في النكاح لها على الولي، لا للولي عليها. دليله ما يزوّج على الولي إذا عُدم،[3] ويجبر عليه إذا وجد، وزُوّج عليه إذا أبى، وهي لا تُجبَر بإرادة الولي إذا أبت، فبان أن الحق لها قِبَله. ومن ترك حق نفسه في عقد له قِبَل[4] آخر لم يوجب ذلك فساده. *والله أعلم*.

وقوله: **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن**، فيه دليل على أن النهي عن العَضْل إنما كان [في] الأزواج كان لهن، دليله قوله: **أزواجهن**، ولا يسمى الأزواج إلا بعد النكاح؛ ويدل أيضا قوله: **وإذا طلقتم النساء**، ذكر[5] الطلاق، فدل أنه كان في أزواج كان لهن. ويحتمل أن يكون في الابتداء من غير أن كان ثَمّ نكاح. وجائز تسمية الشيء باسم ما يؤول الأمر إليه لقرب حالهن بهم.

وأما أهل التفسير بأجمعهم قالوا: إن الآية نزلت في أخت مَعْقِل بن يَسَار،[6] أن زوجها قد طلقها وانقضت عدتها، ثم أراد الزوج أن يتزوجها ثانية، وتهوى المرأة ذلك،[7] فيقول الولي: لا أزوجها[8] إياه، فنزل قوله: **ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن**.[9] وهو محتمل[10] للمعنى الذي ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[2] ن ع م: من أحدي.
[3] ك: علم.
[4] ك: قتل.
[5] ك + قوله.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٢/٤٨٤-٤٨٥؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ١/٢١٠؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/١٥٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٨٣.
[7] ع – ذلك.
[8] ع: أزوجها.
[9] ن – ثانية وتهوى المرأة ذلك فيقول الولي لا أروجها إياه فنزل قوله ولا تعضلوهن أن يكحن أزواجهن.
[10] ن ع م: يحتمل.

وقوله: **ذلك يوعظ به**، قيل: ينهاه به، كقوله: يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا،[١] أي ينهاكم. وقيل: **يوعظ به**، أي يؤمر به.

وقوله: **ذلكم أزكى لكم وأطهر**، قيل: وَضْعُهن أنفسهن حيث هَوَيْن أزكى وأطهر لكم من العضل عن ذلك،[٢] ولعل العضل يحملهن على الفساد والرِّيبة. وقيل: المراجعة خير لكم من الفُرقة، وأطهر لقلوبكم من الريبة.

وقوله: **والله يعلم**، من حب كل واحد منهما[٣] صاحبه، **وأنتم لا تعلمون** ذلك. ويحتمل[٤] قوله: **والله يعلم** فيم صلاحكم، **وأنتم لا تعلمون** ذلك.[٥]

**﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٢٣٣]

وقوله عز وجل: **والوالدات يرضعن أولادهن [حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف]**. قال بعضهم: هن المطلقات يرضعن أولادهن، وهو كقوله: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[٦] ذكر هاهنا الأجر، وذكر هناك الرزق والكسوة، وهما واحد. وقال آخرون: لا، ولكن قوله: **والوالدات يرضعن أولادهن**،[٧] هنّ المنكوحات،[٨] وقوله: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، هن المطلقات. دليل ذلك ذكر الأجر في إحدَيهما[٩] والرزق والكسوة في الأخرى. على أن المنكوحة

---

[١] سورة النور، ١٧/٢٤.
[٢] ع م: من ذلك.
[٣] م: منها.
[٤] ك - يحتمل.
[٥] ك - ذلك.
[٦] سورة الطلاق، ٦/٦٥.
[٧] ك ن + وهو كقوله فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ذكر هاهنا الأجر وذكر هناك الرزق والكسوة وهما واحد وقال آخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن أولادهن.
[٨] ن م: من المنكوحات؛ ع: في المنكوحات.
[٩] ع م: أحدهما.

إذا استؤجرت على رضاع ولدها منه لم تستوجب[١] الأجر قِبَل الزوج،[٢] وتستوجب[٣] قِبَل الزوج[٤] الرزقَ[٥] والكسوةَ. فدل هذا على أن ذكر[٦] الأجر في المطلقات، وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات.

فإن قيل: ما فائدة ذكر الرزق والكسوة في المنكوحة في الرضاع، وقد تستوجب[٧] ذلك في غير الرضاع؟

قيل: فائدة ذكر الرزق والكسوة فيه -والله أعلم- لأنها تحتاج[٨] إلى فضل طعام وفضل كسوة لمكان الرضاع،[٩] ألا ترى أن لها أن تفطر[١٠] لذلك؟ فثبت أن لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع لها[١١] تلك الحاجة في غير حال الرضاع، فخرج ذكر الرزق والكسوة فيه لتلك الزيادة[١٢] والفضل. *والله أعلم*.

وفي القرآن دليل أن مؤنة الرضاع على الأب من أوجه. أحدها قوله: وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى،[١٣] والثاني قوله: **وعلى المولود له رزقهن**، والثالث قوله: **لمن أراد أن يتم الرضاعة**، فثبت أنه حق على الوالد، إلى أن ذكر فيه إيتاء الأجر.[١٤] وفيه دلالة على أن شرط الطعام والكسوة للظِئْر[١٥] يجوز، بقوله: **وعلى المولود له رزقهن[١٦] وكسوتهن،**

---

[١] جميع النسخ: لم يستوجب.
[٢] ن ع م - قبل الزوج.
[٣] ن ع م: ويستوجب.
[٤] ك - وتستوجب قبل الزوج.
[٥] ع م: والرزق.
[٦] ع: عى ذكر.
[٧] جميع النسخ: يستوجب.
[٨] ع: لاتحتاج؛ م: يحتاج.
[٩] ك - قيل فائدة ذكر الرزق والكسوة فيه والله أعلم لأنها تحتاج إلى فضل طعام وفضل كسوة لمكان الرضاع.
[١٠] ك ن ع: ان تقطر.
[١١] ك - لها.
[١٢] جميع النسخ: والكسوة فيه والله أعلم ذكر تلك الزيادة.
[١٣] سورة الطلاق، ٦٥/٦.
[١٤] جميع النسخ: الأجر.
[١٥] الظِئْرُ: العاطفةُ على ولَد غيرِها، المُرْضِعةُ له (*لسان العرب لابن منظور*، «ظأر»).
[١٦] ع - والثالث قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة فثبت أنه حق على الوالد إلى أن ذكر فيه إيتاء الأجر وفيه دلالة على أن شرط الطعام والكسوة للظئر يجوز بقوله وعلى المولود له رزقهن.

غير أن الكسوة لا تجوز إلا بإعلام الجنس،[١] والطعام يجوز؛ لأن الظئر لا تُكْسى كسوة الأهل، وتُطعَم طعامَهم، فلا بد في الكسوة من إعلام جنسها؛[٢] إذ لا يجوز أن تكون[٣] كسوة واحدة لها وللأهل،[٤] ويجوز في الطعام ذلك؛ لأن الكسوة ليست بذي غاية تعرف،[٥] فاحتيج إلى ذكر الجنس ليقع في حد قرب المعرفة والعلم. وأما الطعام فهو ذو غاية عند الناس، غير متفاوت ولا متفاضل / عندهم؛ لذلك [٥٦و] جاز هذا،[٦] ولم يجز الآخر إلا أن يعلم الجنس، فإذا أعلم الجنس[٧] فحينئذ يصير عندهم كالطعام. *والله أعلم*. {قال الشيخ رحمه الله:} يدل على جوازه قوله: **وعلى الوارث مثل ذلك**، أي –والله أعلم– مثل ما على المولود له، ويكون ذلك بعد موته، لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام في الرضاع.

وقوله: **حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**، ليس فيه جعل الحولين شرطًا في الرضاع لوجوه. أحدها قوله: **لمن أراد أن يتم الرضاعة**، فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله: **لمن أراد** معنى.[٨]

والثاني أن الإرادة[٩] والقدرة ربما تذكران[١٠] على غير إرادة وقدرة في الحقيقة، ولكن على إرادة[١١] حقيقة[١٢] الفعل، دليله قوله صلى الله عليه وسلم: «من أراد الحج فليفعل كذا»،[١٣] و«من استطاع أن يفعل كذا فليفعل»،[١٤] ليس ذلك على إرادة القدرة والإرادة،

---

١ أي جنس الثياب (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٦ و).
٢ جميع النسخ: جنسه. أي جنس الكسوة.
٣ ن ع م: أن يكون.
٤ ن: والأهل.
٥ أي ليس لها علامة واضحة تعرف بها.
٦ ع: هذا جائز.
٧ ع – فإذا أعلم الجنس.
٨ «لا يخلو الحولين من أن يقدر بالأهلة، فقد ينتقص عن الحولين من حيث الأيام، وأن يقدر بالأيام فيزداد على المعروف من الوقت، وقد ذكر الحولين مطلقا. دل أنه مما يحتمل الزيادة والنقصان على الحولين، وأن ذلك ليس بشرط لازم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٥ظ).
٩ م: الارادة.
١٠ ع م: يذكر.
١١ ع: اراد.
١٢ ك + إرادة.
١٣ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يَمرَضُ الْمَرِيضُ وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وتَعْرِضُ الْحَاجَةُ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢١٤، ٢٢٥، ٣٢٣؛ و*سنن ابن ماجة*، المناسك ١).
١٤ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء» (*صحيح البخاري*، النكاح ٢ ٣؛ و*صحيح مسلم*، النكاح ٢).

ولكن هذا -والله أعلم- على معنى: من فعل كذا فليفعل كذا. فكذلك الأول، ليس على حقيقة الإرادة، ولكن يُذكر ذلك لما لم يكن الفعل إلا بقدرة وإرادة. *والله أعلم*.

والثالث لا يخلو الحولين من أن يقدر بالأهلة، فقد ينتقص[1] عن سنتين، أو أن يقدر بالأيام، فقد يزداد[2] على المعروف من الوقت. فثبت أنه[3] بحيث الاحتمال[4] لما ذكرنا؛ إذ يحتمل: **لمن أراد** أن يزيد حتى يتم، أو **لمن أراد** أن يقتصر على التمام.

على أن الآية ليست في حق[5] الحرمة لكنها في حق الفعل؛ إذ قد يجب الحرمة لا بحولين.[6] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا،[7] و وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ.[8] قال: إن كان[9] الحمل ستة أشهر ففصاله في عامين، وإن كان تسعة أشهر فبقدر الباقي. فدل هذا على أن الحولين ليس بشرط في الفِطام، ولا وقت له لا يجوز الزيادة عليه ولا النقصان. *والله أعلم*.

وقوله: **وعلى المولود له رزقهن**، قد ذكرنا أنه قيل فيه[10] بوجهين.[11] قيل: إنه في المطلقة، وقيل إنه في المنكوحة، وقد دللنا على أنه في المنكوحة. *والله أعلم*.

وقوله: **لا تُكَلَّف نفس إلا وُسْعَها**، قال قوم: قوله: **إلا وسعها**: إلا ما يسع ويحل. لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان بالأمر يحل ويسع، فكان كأنه قال: **لا تكلف** إلا ما تكلف، وذلك لا يكون. وقال قوم قوله: **إلا وسعها**، يعني طاقتها وقدرتها. وهذا أشبه. ومعناه: لا يكلف الزوج بالإنفاق عليها والكسوة [لها] إلا ما يحتمل ملكه، وإن كانت حاجتها[12]

---

[1] ك ع: ينقض.

[2] ك: تزداد.

[3] ن ع: بأنه.

[4] ك: لاحتمال.

[5] ك: جعل.

[6] يقول السمرقندي رحمه الله: «لأن الحولين ليس بشرط لثبوت الحرمة بالرضاع، بل تثبت بالرضاع فيما دون الحولين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٥ظ)

[7] سورة الأحقاف، ١٥/٤٦.

[8] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهنٍ وفصاله في عامين﴾ (سورة لقمان، ١٤/٣١).

[9] ن: إنه كان.

[10] ع م – فيه.

[11] ن: لوجهين.

[12] جميع النسخ: حاجتهم.

تفضل عما[1] يحتمله ملكه لم يفرض عليه إلا ما احتمله ملكه -والله أعلم- كقوله: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا.[2]

ثم اختلف في تحريم الرضاع في حال الكبر. قال قوم يحرِّم.[3] ورووا في ذلك أحاديث.[4] وقال أصحابنا رحمهم الله: لا يحرّم. ذهبوا في ذلك إلى آثار رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه عليه السلام سئل عن الرضاع، فقال: «ما أنبت اللحم وأنشر العَظْم».[5] وفي بعضها: «الرضاع»، وفي بعض عنه: «لا رضاع بعد الفصال».[6] وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: «لا رضاع بعد الحولين».[7] وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، أنهما قالا: «لا رضاع بعد الفطام، أو الفصال»،[8] الشك منا. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فرأى معها رجلا، فرأت عائشة رضي الله عنها الكراهة في وجهه، فقالت: إنه أخي من الرضاعة[9] أو عمي. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظرن ما الرضاعة؟ إنما الرضاعة من المجاعة».[10] وروي عن أبي موسى الأشعري أن رجلا قال له: إن امرأتي أرضعتني، أتحرم عليَّ؟ فقال: نعم. فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فأتاه فقال: أنت تُفتي بكذا؟ فقال: نعم. فقال: كذبت -أو كلام نحو هذا- إنما الرضاعة من المجاعة.[11]

---

[1] ن: عما ما.

[2] يقول الله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسرٍ يسرا﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٧).

[3] روى هذا القول عن عائشة رضي الله عنها، وعطاء بن أبي رباح والليث بن سعد.وكان أبو موسى الأشعري يرى رضاع الكبير محرما، وروي أنه رجع عن هذا القول. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١١٣/٢-١١٤؛ *وتفسير القرطبي*، ١٦٣/٣، ١١٥/٥؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٨٤/١.

[4] ع: أحاديثا.

[5] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: «لا رضاع إلا ما شَدّ العظم، وأنبت اللحم» (*سنن أبي داود*، النكاح ٨؛ *وسنن الدارقطني*، ١٧٣/٤؛ *وسنن البيهقي الكبرى*، ٤٦١/٧؛ *وشرح الزرقاني*، ٣١٣/٣).

[6] انظر: *مصنف عبد الرزاق* للصنعاني، ٤١٦/٦، ٤٦٤/٧-٤٦٥؛ *وسنن ابن ماجة*، النكاح ٣٧؛ *والمحلى* لابن حزم، ٢١/١٥؛ *ونصب الراية* للزيلعي، ٢١٩/٣؛ *والدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ٦٨/٢.

[7] *تفسير الطبري*، ٣٤/٥-٣٧؛ *ومفاتيح الغيب* للرازي ٤١٤/٣؛ *وتفسير القرطبي*، ١٠٧/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٨٣/١.

[8] ك: الفصال أو الفصام. *أحكام القرآن* للجصاص، ٤١٢/١؛ *ومفاتيح الغيب* للرازي، ٤١٤/٣.

[9] ك: الرضاع.

[10] *صحيح مسلم*، الرضاع ٨.

[11] *أحكام القرآن* للجصاص، ٤١٠/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٧٢/٥-٧٣.

إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا رحمهم الله في نفي تحريم الرضاع بعد الفطام وبعد الكبر. وأصله أن ينظر، فإن كان غذاؤه باللبن أو أغلب غذائه فهو يحرِّم، وإن كان[1] بالطعام أو غالب غذائه به فهو لا يحرِّم.

وأصله ما ذكر في الخبر: «ما أنبت اللحم، وأنشر العظم[2] فهو يحرم».[3] فإذا كان غذاؤه بالطعام سوى اللبن فالطعام هو الذي ينبت اللحم وينشر العظم، فلم يحرِّم.

ثم الأصل أن كل[4] مذكور على الكمال والتمام لا يمتنع عن احتمال الزيادة والنقصان. دليله قوله صلى الله عليه وسلم: «من أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه»،[5] وقوله: «إذا فعلت هذا فقد تممت حجك»،[6] وقوله: «إذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك»، وصفهما بالتمام، والحرمة باقية.[7]

ثم قدّر أبو حنيفة رضي الله عنه الزيادة بستة[8] أشهر، ذهب في ذلك إلى أن الفطام ربما يعترض[9] في حال -وهو حال الحر والبرد- ما لو منع الرضاع منه لأورث هلاك[10] الصبي وتَلَفَه،[11] لما لم يُعوَّد بغيره من الطعام، ففيه خوف هلاكه، فإذا كان فيه خوف هلاكه لما ذكرنا استحسن أبو حنيفة رضي الله عنه إبقاءها بعد الحولين لستة أشهر، إذ على هذين الحالين يدور السَّنَة. ***والله أعلم***. وقال زفر بزيادة سنة. ذهب في ذلك إلى أنه لما جاز

---

[1] ك: وإذا كان.

[2] ع م: العظام.

[3] تقدم تخريجه.

[4] جميع النسخ: بأن كل.

[5] *سنن أبي داود*، المناسك ٦٩؛ و*سنن الترمذي*، الحج ١٧.

[6] ك ن - وقوله إذا فعلت هذا فقد تمت حجك(ع: حجه).

[7] «والأصل أن كل مذكور على التمام والكمال لا يمنع عن احتمال الزيادة والنقصان. دليله قوله عليه السلام: "من أدرك عرفة فقد تم حجه". وقال: "وإذا قلت هذا وفعلت هذا فقد تمت صلاتك". وهذا لا يمنع زيادة الفرض عليها. على أن الآية ليست في حق الحرمة، فإن الحولين ليس بشرط لثبوت الحرمة بالرضاع بل يثبت بالرضاع فيما دون الحولين، والكلام في حق الحرمة ووصف الحولين بالكمال في الرضاع لا ينفي به الحرمة الثابتة بعده. ألا ترى أنه عليه السلام وصف الحج بالتمام عند الوقوف بعرفة ووصف الصلاة بالتمام عند القعود قدر التشهد، ومع ذلك حرمة الحج والصلاة باقية» (*شرح التأويلات*، ورقة ٧٥ظ).

[8] ن ع: لستة.

[9] ك ن ع + ويعترى.

[10] ك: هلاكه.

[11] ع: وتلفة.

أن يزاد بالاجتهاد على حولين بستة[١] أشهر جاز أن يزاد بالاجتهاد[٢] على الحولين بسنة.[٣]
{قال الشيخ رحمه الله:} وعلى ما زيد على المذكور من الحبل مثل أقل وقت الرضاع، يزاد على المذكور من الرضاع مثل أقل الحبل. أو لما احتمل الأقل الانتقال إلى الوسط، يحتمل الوسط الانتقال إلى الأكثر، وذلك في قوله: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا.[٤]

وقوله: **لا تضار والدة بولدها**، يحتمل وجهين: لا تضار الوالدة في ترك الإنفاق / عليها. [٥٦ظ]
ويحتمل: **لا تضار والدة بولدها** في انتزاع الولد منها، وهي تريد إمساكه.

وقوله: **ولا مولود له بولده**، كذلك يحتمل وجهين. يحتمل: لا يضار الوالد بولده في ردها الولد عليه ورميه إليه بعد ما ألف الولد الأم. ويحتمل: لا تضار الوالدة الولد[٥] في تحميل فضل[٦] النفقة عليه وملكُه لا يحتمل ذلك، بل إنما يحمل عليه ما احتمله ملكه.

وقوله: **ولا مولود له بولده**، فيه دليل أنه إنما يسمى[٧] والدا[٨] على المجاز ليس على التحقيق؛ لأنه لم يلد هو، إنما وُلد له. فثبت أن الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره، وكل معمول له يستحق اسم الفاعل وإن لم يعمل هو، نحو[٩] ما سمي والدا وإن لم يلد هو، وإنما وُلد له،[١٠] ففيه دلالة أن من حلف لا يعتق ولا يُطلّق،[١١] فأمر غيره ففعل حنث، وجعل كأنه هو الفاعل. *والله أعلم*.

وقوله: **وعلى الوارث مثل ذلك**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: هو معطوف على قوله: **لا تُضَارَّ والدة بولدها**، معناه أن لا يُضارَّ الوارث أيضا باليتيم. وقال آخرون: هو معطوف على الكل: على النفقة والكسوة والمضارة. وقال غيرهم: هو راجع إلى النفقة والكسوة دون المضارة. وهو قولنا لوجهين. أحدهما أن نسق الكلام إنما هو على قوله:

---

[١] ن: لستة؛ ع – بستة.
[٢] ن ع م + بالاجتهاد.
[٣] ن ع م: لسنة.
[٤] سورة الأحقاف، ١٥/٤٦.
[٥] ن: الوالد؛ ع م – الولد.
[٦] ك: فقيل.
[٧] م: إنما سمي.
[٨] جميع النسخ: والد.
[٩] م: بحق.
[١٠] ن ع م – له.
[١١] ك ن: لا يطلق ولا يعتق.

**وعلى المولود له رزقهن**، فنَسْق[1] **على** على[2] حرف **على** أولى من نَسْقه على حرف **لا** ليصح،[3] إذ لو حمل[4] على قوله **لا تضار** لكان ما يوازيه من الكلام إنما هو[5] الوارث مثل ذلك.[6] والثاني أنه لو حمل على إضرار من الوارث بالولد في الميراث لقال: وعلى المورث بحق الميراث، فلا ضرر يقع فيه، بل يقع[7] الإنفاق، فثبت أن حمله عليه أحق.

ثم اختلف[8] في قوله: **وعلى الوارث**، قال بعضهم: أراد بالوارث الوالدَ والأمَّ،[9] والجدَّ، ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه. ذهبوا في ذلك إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه قال ذلك.[10]

وأما أصحابنا رحمهم الله فإنهم[11] ذهبوا[12] إلى ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أوجب النفقة على العم، وقال: لو لم يبق من العشيرة إلا واحد لأوجبت[13] عليه النفقة.[14] وروي أيضا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال في قوله: **وعلى الوارث مثل ذلك**: النفقة على كل ذي الرحم المحرم على قدر مواريثهم.[15] فاتبعنا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في ذلك. وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم، [وهو مثل] قوله: أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ، إلى قوله: أَوْ صَدِيقِكُمْ،[16]

---

[1] م: فنسقه.
[2] ع م – على.
[3] أي فعطف "عى" من قوله ﴿وعلى الوارث﴾ على الحرف "على" في قوله: ﴿وعلى المولود له﴾.
[4] ع م: إذ حمل.
[5] ك: إنما هو ولاء؛ ن: إنما هو لآء.
[6] أي لو عطف ﴿وعلى الوارث﴾ على قوله ﴿لا تضار﴾ لكان عطف الاسم عى الفعل ولكان من حق الكلام أن يقول: ولا الوارث مثل ذلك. ولما قال: ﴿وعلى﴾ دل أنه معطوف على قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾.
[7] ك ن: يمنع.
[8] ع م – اختلف.
[9] ن – والأم.
[10] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٣٧؛ *وتفسير القرطبي*، ١١١/٣-١١٢؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢١٦/٢-٢١٧.
[11] م – فإنهم.
[12] ك + إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ذلك وأما أصحابنا فإنهم.
[13] ع م: لأوجب.
[14] ن – عليه النفقة. انظر: *تفسير الطبري*، ٥٧/٥-٥٨؛ *وتفسير القرطبي*، ١١١/٣؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢١٦/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٨٤/١.
[15] *تفسير الطبري*، ٥٠١/٢؛ *وتفسير القرطبي*، ١٦٨/٣؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢١٦/٢.
[16] ﴿ليس على الأعمى حرج ولا عى الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

فإنما يأكل بحق لا بالرضا،[1] ألا ترى أنه يأكل من بيت الأجنبي إذا بذل ورضي. فلو لم يكن أكله من بيت هؤلاء بحق لم يكن للتخصيص فائدة.[2] فإن عورض بالصَّديق أنه لا يفرض عليه. قيل: لما أنه لو فرض عليه[3] لانقطعت الصداقة بينهما.

ثم لقائل أن يقول: كيف لا أوجبتَ النفقة على كل وارث على ظاهر الآية؟

قيل: الآية مخصوصة بالإنفاق، لأن المرأة وارثة، ولا يفرض عليها نفقة الزوج. دل أنه أراد وارثا دون وارث، وهو الوارث من الرحم المحرم. ***والله أعلم.***

وقوله: **فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما.** قيل: فإن أراد الأبوان فصال الصبي وفطامه بدون الحولين، ليس لهما إلا بتراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك. وأما بعد تمام الحولين، فإنه إذا أراد أحدهما الفصال دون الآخر يفصل. وأصله واحد، بأن الفصال بعد الحولين فصال على التمام والكمال؛ فجاز أن يفصل إذا أراد أحدهما.[4] وأما الفصال قبل الحولين [فهو] فصال[5] على غير تمام، [على ما] ذكره الكتاب فلا يفصل إلا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك.[6] وما بعد الحولين هو على تمام النص، فجاز ذلك لرأي واحد منهما. وما قبله لا يجوز إلا لرأيهما جميعا. وأصله أنه بالحولين قد ظهر التمام والكفاية ثم بالنص. وما دونه يعلم[7] بالاجتهاد، وعند التنازع يزول موضع بيان الصواب، فيرد إلى الحد المذكور. مع ما في القرآن للتمام ذكر إرادة الفرد، وللفصل[8] التشاور.[9] ***والله أعلم.***

---

[1] ن ع: بالرضاء.

[2] يقول علاءالدين السمرقندي: «ولهذا الإجماع أخذ أصحابنا، فحملوا الوارث على المحارم من الأرحام، [مستدلا بقوله] تعالى: ﴿لا جناح عليكم أن تأكلو من بيوتكم﴾ إلى آخر الآية، فالمراد رفع الجناح عن الأكل من بيوت هؤلاء بسبب قيام الحق، لا بالرضا والبذل. ألا ترى...». (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٦ظ).

[3] م – قيل لما أنه لو فرض عليه.

[4] ع م – الفصال دون الآخر يفصل وأصله واحد بأن الفصال بعد الحولين فصال على التمام والكمال فجاز أن يفصل إذا أراد أحدهما.

[5] ن – على التمام والكمال فجاز أن يفصل إذا أراد أحدهما وأما الفصال قبل الحولين فصال.

[6] يقول السمرقندي: «ولهذا كان لا يجوز للوصيين الانفراد بتصرف يجري فيه الرأي والمشورة، وتختلف المصلحة بتفاوت الرأي والتدبير لما قلنا، فهذا مثله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧و).

[7] ك – يعلم.

[8] ع: للفصل؛ م: والفصل.

[9] «وإن شئت قلت: إنه في الحولين قد ظهر التمام والكمال بالنص، وما دونه يعلم بالاجتهاد والرأي؛ وعند التنازع والاختلاف يزول موضع بيان الصواب، ويشتبه الحق من الباطل، فيجب الرد إلى الحد المذكور في النص لو رفع التنازع بالاتفاق على ذلك وقع الفرق بين الأمرين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧و).

ثم إن الزوجين يحكمان على أنفسهما برضاع ولدهما، لذلك [لم] يحتج إلى نظر[1] غيرهما ولا إلى رأي آخر، لما لا يجوز أن يعدم شفقتهما جميعا على ولدهما.[2] وأما[3] إذا كان الحكم لغيرهما أو على غيرهما[4] فلا بد من أن يحكم غيره. دليله قوله: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ،[5] وكقوله: فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا.[6] فهذا الحكم على غيرهما، ولذلك[7] احتيج إلى غيرهما. وذلك الزوجان يحكمان على أنفسهما وينظران لولدهما، لذلك[8] افترقا. ***والله أعلم***.

والجُناح والحَرَج واحد، وهو الضيق. ومعناه: أي لا ضيق ولا تَبِعَة عليهما، ولا إثم إذا أرادا فطامه بدون الحولين.

وقوله: **وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم**، فيه دلالة جواز الرضاع بعد الحولين وحرمته، لأنه ذكر في قوله: **فإن أرادا فصالا** بتراضيهما بدون الحولين. ثم قوله: **وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم** يصير استرضاعا بعد الحولين؛[9] إذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله: **لمن أراد أن يتم الرضاعة**، وذكر الفصال بدون الحولين بقوله: **فإن أرادا فصالا عن تراض منهما**، فجعل قوله: **وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم** بعد الحولين. وهذا يدل لأبي حنيفة رضي الله عنه، ويقوي مذهبه. ويحتمل أن تكون الآية في جواز استرضاع غير الأمهات إذا أبت الأم رضاعه، وهو كقوله: وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى.[10]

وقوله: **إذا سلَّمتم**، يعني: إذا سلمتم الأجر،[11] **ما آتيتم**، أي قبلتم؛ ليس هو على الإيتاء ولكن على القبول، دليل ذلك قوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[12]

---

[1] ن: لا نظر.
[2] جميع النسخ: عن ولدها.
[3] ن: أما.
[4] ن – أوعلى غيرهما.
[5] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمدا فجزاءٌ مثلُ ما قَتل من النَّعَم يحكم به ذوا عدلٍ منكم﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٥).
[6] سورة النساء، ٤/٣٥.
[7] ك ن: لذلك.
[8] ك – لذلك.
[9] ع م – ثم قوله وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم يصير استرضاعا بعد الحولين.
[10] ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروفٍ وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٦).
[11] ك ن م: الأمر لله؛ ع: الأمر الله؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٧و.
[12] سورة التوبة، ٩/٥.

ليس هو الإيتاء نفسه ولكنه على القبول، كأنه قال: فإن تابوا وقبلوا إقامة الصلاة، وعهدوا إيتاء الزكاة فخلوا سبيلهم،[١] فعلى ذلك الأول. وآتيتم، أي قبلتم إيتاء ما عهدتم،[٢] وهو الأجر. وقد يكون **ما آتيتم**: أي[٣] عقدتم عقد[٤] الإيتاء، إذ الإيتاء هو الإعطاء والعطية؛ عقدتم التسليم عليه، وذلك دليل لقول من يفرق / بين قوله "أعطيتني كذا فلم أقبضه" و[بين] "سلمتني فلم أقبضه".[٥] ***والله أعلم***. [٥٧و]

**واتقوا الله**، فيما أمركم من الإنفاق والكسوة، ونهاكم من الإضرار بالولد،[٦] وإضرار أحدهما صاحبه.

وقوله: **واعلموا ان الله بما تعملون بصير**، هو وعيد على ما سبق من الأمر والنهي.

**﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[٢٣٤]

وقوله: **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا**، قيل: هي ناسخة لقوله: مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ،[٧] إنها وإن كانت مقدمة في الذكر، وتلك مؤخرةً، فأَ**رْبَعَةَ أشهرٍ وعشرا** ناسخة لتلك، إلى هذا يذهب عامة أهل التأويل.[٨] ألا ترى إلى ما جاء أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي معتدة، فاستأذنته في الكُحل والتدهّن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[٩] «إن إحداكن كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج عند رأس الحول فترمي ببعرة».[١٠]

---

[١] ع م – ليس هو الإيتاء نفسه ولكنه على القبول كأنه قال فإن تابوا وقبلوا إقامة الصلاة وعهدوا إيتاء الزكاة فخلوا سبيلهم.
[٢] جميع النسخ: ما عهدوا.
[٣] ن ع م – أي.
[٤] م – عقد.
[٥] ع – وسمتني فلم أقبضه. لعله يشير إلى أنه يجوز التعبير الأول ولا يجوز الثاني، لأن في التسلم قبضا.
[٦] ع م – الإضرار بالولد.
[٧] ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٠).
[٨] انظر: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٦/١٥٨.
[٩] ع م – وهي معتدة فاستأذنته في الكحل والتدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[١٠] عن أم سلمة رضي الله عنها، أن امرأة توفي عنها زوجها فخافوا على عَيْنِها، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنوه في الكحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد كانت إحداكن تكون في شَرِّ بيتها، في أحلاسها -أو في شر أحلاسها في بيتها- حولا، فإذا مرّ كلب رمت ببَعَرة فخرجت. أفلا أربعة أشهر وعشر» (*الموطأ* لمالك، الطلاق ١٠٣؛ وصحيح *البخاري*، الطلاق ٤٦-٥٠؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ١٢٤-١٢٥).

فثبت أن ما كان ذلك[1] مما تقدم الأمر به نسخ بالثاني.[2]

وقال آخرون:[3] إنه قد أثبت في الآية متاعا ووصية، ثم ورد النسخ على كل وصية كانت للوارث بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»،[4] وإلا كان الاعتداد الواجب اللازم هو أربعة أشهر وعشرًا. وأمكن أن يستدل بقوله: فَإِنْ خَرَجْنَ،[5] إذ كان على أثر قوله: غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ، كان النهي عن الإخراج،[6] دون الخروج.[7] وهذا أصل في الوصايا بالمتاع: أن لا يمنع الرد وأن أجبر على التسليم.[8]

وفي الآية دلالة جواز الوصية بالسكنى إذا بطلت بحق الميراث، لا بحق الوصية - **والله الموفق** - وهو جائز فيمن لم ينسخ له الوصية. وأمكن الاستدلال بالآية على عدة الوفاة بالحبل إن ثبت ما روي: «أنه يكون أربعين يوما نطفة، وأربعين يوما عَلَقة، وأربعين يوما مُضْغَة، ثم يُنْفَخ فيه الروح في العشر»،[9] فإذا كان ما ذكرنا أمرت بتربص أربعة أشهر وعشر ليتبين الحبل إن كان بها. وإذا كان هذا[10] معنى المدة، فإذا[11] ولدت بدونه انقضت العدة. **والله أعلم**.

فإن قيل: الأَمَة أليس لا تختلف [عن] الحرة في تبين[12] الحبل، ثم لم يجعل عدتها أربعة أشهر وعشرا، فإذا لم يجعل ذلك كيف لا بانَ[13] أن[14] الأمر بتربص أربعة أشهر وعشر لا لهذا المعنى.[15]

---

[1] ن - ذلك.

[2] أي «فثبت أن ذلك كان متقدما على الثاني فنسخ به، وإن كانت هذه الآية مقدمة في الذكر وتلك متأخرة، ولكن هذه مقدمة في التنزيل، وعدة الشهور متأخرة؛ لأن نظام التلاوة والكتابة ليس هو على نظام التنزيل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧ظ).

[3] ك: آخر من؛ ن: آخر.

[4] ع: لوارث. مسند *أحمد بن حنبل*، ٤/١٨٦-١٨٧؛ وسنن *أبي داود*، الوصايا ٦؛ وسنن *الترمذي*، الوصايا ٥؛ وسنن *النسائي*، الوصايا ٥.

[5] سورة البقرة، ٢/٢٤٠.

[6] جميع النسخ: على الإخراج.

[7] «أي لأن الخروج منهن رد للوصية، وامتناع عن قبولها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧ظ).

[8] أي أن لا يمنع الموصى له من الرد وإن يجبر الموصى عى التسليم.

[9] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٣٧٤، ٣٨٢؛ وصحيح *البخاري*، الأنبياء ٢؛ وصحيح *مسلم*، القدر ١-٢.

[10] ع م: بهذا.

[11] ن: وإذا.

[12] ن ع: تبيين.

[13] ك: إلا بان.

[14] ن - أن.

[15] «فدل أن تقدير العدة بأربعة أشهر وعشرا تعبد غير معلول بهذا المعنى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧ظ).

قيل لوجوه.[١] أحدهما أن الحرائر هن الأصول في النكاح، وفيهن تجري الأنكحة، فيخرج[٢] الخطاب لهن. والثاني أنها حق أخذت الحرة، والحقوق التي تأخذ الحرائر[٣] إذا صرف ذلك إلى الإماء يأخذن[٤] نصف[٥] ما تأخذ[٦] الحرائر. والثالث أنه لا يقصد إحبالهن لما فيه رق الولد واكتساب الذل والدناءة.[٧] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: تعتد[٨] أبعد الأجلين احتياطا؛[٩] ذهب في ذلك إلى أن الاعتداد[١٠] بوضع الحبل إنما ذكر[١١] في الطلاق و لم يذكر في الوفاة؛ فيحتمل أن يكون ذلك في الوفاة كهو في الطلاق، ويحتمل أن لا يكون؛ فأمرها[١٢] بذلك احتياطًا.

وأما عندنا فما روي[١٣] عن عمر وعبد الله،[١٤] وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا: إذا وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها.[١٥] وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة مات عنها زوجها وكانت حاملا، فوضعت بعد ذلك بايام فأذن لها بالنكاح.[١٦]

ثم الأمر بالإحداد أربعة أشهر وعشرا [ففيه] ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٧]

---

[١] جميع النسخ: لوجهين.
[٢] ع م: فتخرج.
[٣] ع + هن الأصول في النكاح.
[٤] جمع النسخ: يأخذ.
[٥] ع – الإماء يأخذ نصف.
[٦] ك: أخذت؛ ع: يأخذ.
[٧] «أي إن نكاح الإماء في الأصل لم يقصد فيه إحبالهن لما فيه رق الولد واكتساب الذل والدناءة، وإنما يضطر فيه لقضاء الشهوة أو لإقامة أمور البيت، فلم يكن ما ذكرنا موجودا بطريق الأغلب، فلم تقدر العدة في حقها بما يقدر في حق الحرائر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٧ظ).
[٨] ك: يعتد.
[٩] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١١٩/٢.
[١٠] ن: الاحتياط اعتداد.
[١١] ع م – الحبل إنما ذكر.
[١٢] ع: أمرها.
[١٣] جميع النسخ: ما روي.
[١٤] أي عبد الله بن مسعود.
[١٥] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١١٩/٢.
[١٦] *الموطأ* لمالك، الطلاق ٢٩، ٨٣-٨٦؛ وصحيح *البخاري*، الطلاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ١٢٣.
[١٧] م – أن امرأة مات عنها روحها وكانت حاملا فوضعت بعد ذلك بايام فأذن لها بالنكاح ثم الأمر بالإحداد أربعة أشهر وعشرا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أنه قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تَحِدّ على ميت فوق ثلاثة أيام إلا المرأة على زوجها، فإنها تحد أربعة أشهر وعشرا».[1]

فإن قيل: أليس وجب ذلك على المطلقة، والخبر إنما جاء في الموت؟

قيل: ليس للموت[2] ما وجب، ولكن لمعنى في الموت؛[3] وهو فوت النعمة في الدين. وذلك الفوت في الطلاق كهو في الموت. ألا ترى أنه لم يجب ذلك في موت أبيها ولا في موت ولدها؟ دل أنه لم يجب للموت نفسه، ولكن لفوت النعمة في الدين. ألا ترى أنه روي في الخبر: «أن المرأة الصالحة مفتاح الجنة»،[4] فامرت بإظهار الحزن على ما فات منها من النعمة بترك الزينة والتشوق،[5] إذ النكاح نعمة.

ثم المدخول[6] بها في الموت[7] وغير المدخول[8] بها[9] سواء في وجوب المهر والعدة وترك الزينة وإظهار الحزن على فوت النعمة. وأما المطلقة قبل الدخول بها فلم يلزم[10] [فيها] ذلك؛ لأن العدة لم تلزمها فيتجدد لها النعمة، لما لها أن تنكح للحال فتكسب[11] نعمة. *والله أعلم*. ألا ترى أن الصبي الصغير إذا مات عن امرأته يلزمها أربعة أشهر وعشرا، دل على[12] أن وجوبها لفوت النعمة. *والله أعلم*.

وقوله: [**فلا جناح عليكم**] **فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف**. قيل: لا تبعة عليكم ولا إثم. **فيما فعلن**، قيل: تَزيّن بعد انقضاء عدة. وقيل: المعروف هو وضعهن أنفسهن[13] في الأكفاء بمهر مثلهن. وقد ذكرنا[14] هذا فيما تقدم.[15]

---

[1] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٨٥، ٦/٣٧، ١٨٤؛ وصحيح *البخاري*، الجنائز ٣١؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٢٤، ١٢٥، ١٢٨-١٣٤.

[2] ن: في الموت.

[3] ع م - قيل ليس للموت ما وجب ولكن لمعنى في الموت.

[4] نجد نص هذا الحديث، ولكن روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (*صحيح مسلم*، الرضاع ٥٩؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٩؛ وسنن *النسائي*، النكاح ١٥).

[5] ع م: والتشوف.

[6] جميع النسخ: الدخول.

[7] ع م - في الموت.

[8] ك: الدخول.

[9] ع م - وغير المدخول.

[10] جميع النسخ: لم يلزم.

[11] ع: فتكتسب.

[12] ك ن - على.

[13] ع م - قيل لا تبعة عليكم ولا إثم فيما فعلن قيل ترين بعد انقضاء عدة وقيل المعروف هو وضعهن أنفسهن.

[14] ن ع م: قد ذكرنا.

[15] انظر: سورة البقرة، ٢/٢٢٨.

**﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**[٢٣٥]

وقوله: **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء**، قيل: التعريض هو أن يُرِي من نفسه الرغبة فيما يَكنِي به من الكلام. على ما ذكر في الخبر أن فاطمة بنت قيس لما استشارت[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: «إذا انقضت عدتك فآذِنِيني»، فاستأذنته في رجلين كانا خطباها، فقال لها: «أما فلان فإنه[٢] لا يرفع العصا عن عاتقه،[٣] وأما فلان فإنه[٤] صُعْلُوك لا شيء له، فعليك بأسامة بن زيد».[٥] فكان قوله: "فآذِنِيني" كناية خطاب، إلى أن أشار[٦] على أسامة؛ دون ما ذكره أهل التأويل: إنك لجميلة، وإنك لتعجبيني، وما أجاوزك[٧] إلى غيرك، أو إنك[٨] لنافعة. مثل هذا لا يحل أن يُشافه لامرأة أجنبية، لا يحل له[٩] نكاحها [للحال].[١٠]

وفي الآية دلالة أن لا بأس للمتوفى عنها زوجها [في] الخروج بالنهار؛[١١] لما ذكر من التعريض؛ لأن الرجل لا يأتيها منزلها فيعرّض لها، ولكن المرأة قد تخرج من منزلها فتصير في مكان احتمال التعريض، فعند ذلك يقول لها ما ذكرنا؛ وعلى ذلك جاءت الآثار. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة مات زوجها فأتته فاستأذنته للاكتحال. لم يأت أنه نهاها عن الخروج.[١٢] ولما روي[١٣] عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما بالإذن لهن بالخروج بالنهار،

---

[١] ك – قيس لما استشارت، صح هـ.
[٢] م: فلأنه.
[٣] جميع النسخ: عاتقك.
[٤] م – فإنه.
[٥] انظر: *الموطأ* لمالك، الطلاق ٦٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٧٣/٦؛ وصحيح *البخاري*، الطلاق ٤١-٤٢؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ١٠١-١٢٠.
[٦] ع: إشارة.
[٧] جميع النسخ: وما أجاوز.
[٨] ك: وإنك.
[٩] م – له.
[١٠] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٧٨و.
[١١] ع م + هذا لا يحل أن يشافه لامرأة أجنبية لا يحل له نكاحها.
[١٢] م: من الخروج. انظر: *الموطأ* لمالك، الطلاق ١٠٣؛ وصحيح *البخاري*، الطلاق ٤٦؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٥٨.
[١٣] ك ن م: وأما ما روي؛ ع: وأما روي.

[٥٧ظ] والنهي / عن البيتوتة في غير منزلهن.[١] ولأن المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها، فلا بدّ[٢] لها من الخروج. وأما المطلقة فإن مؤنتها على زوجها، والزوج هو الذي يكفي مؤنتها ويزيح علتها، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

ثم التعريض لا يجوز في المطلقة لوجهين. أحدهما ما ذكرنا أن لا يباح لها الخروج من منزلها ليلا ولا نهارًا، والمتوفى عنها زوجها يباح لها الخروج. وإنما ذكر الله سبحانه التعريض في المتوفى عنها زوجها، ولم يذكره[٣] في المطلقة.

والثاني أن في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينها[٤] وبين زوجها، إذ العدة من حقه. دليله أنه إذا لم يدخل بها لم تلزمها[٥] العدة، وأما المتوفى عنها زوجها فتلزمها[٦] العدة وإن لم يدخل بها؛ لذلك يجوز التعريض في المتوفى عنها زوجها ولا يجوز[٧] في المطلقة.

{قال الشيخ رحمه الله:} ولأن زوجها في الطلاق حي يعلم ما يُحدث بينهما [من] الضغن والمكروه في الحال، وليس ذلك في الوفاة.

وقوله: **أو أكننتم في انفسكم**، يعني:[٨] أخفيتم تزويجها[٩] في السر. **علم الله أنكم ستذكرونهن** سرًّا وعلانية. وقيل: يعني الخِطبة في العدة.

وقوله: **ولكن لا تواعدوهن سرًا**. قيل فيه بأوجه، قيل: لا تأخذوا[١٠] منهن عهدا أن لا يتزوجن غيركم. وقيل: **لا تواعدوهن سرا**، يعني الزنا، والسر الزنا في اللغة. وقيل: السر الجماع؛ يقول:[١١] آتيك بالأربعة[١٢] والخمسة، ونحوه. ثم قال: **إلا أن تقولوا قولا معروفا**؛ يقول لها قولا لينا حسنا؛ ولا يقول لها قولا يحملها على الزنا، أو على ما يُظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر في الآية:

---

[١] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢/١٢٤.
[٢] ك: فالا بد.
[٣] ع م: لم يذكره.
[٤] جميع النسخ: بينه؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٨و.
[٥] ك: لم يلزمها؛ ع: تلزمها.
[٦] جميع النسخ: لزمتها.
[٧] ع م - ولا يجوز.
[٨] ك: أي.
[٩] ن ع: تزوجها.
[١٠] ع: لابقاء حذوا.
[١١] ن ع م: تقول.
[١٢] جميع النسخ: الأربعة؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٨ظ.

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ،[١] أو أن[٢] يعدها[٣] عِدة حسنة، او أن يَبَرّها[٤] ويحسن إليها[٥] لترغب[٦] فيه، ولا يقول لها ما لا يحل ولا يجوز. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **ولا تعزموا عقدة النكاح**، قيل: هو على الإضمار، كأنه قال: لا تعزموا على عقدة النكاح. وقيل: **لا تعزموا**: لا تعقدوا النكاح. **حتى يبلغ الكتاب أجله**، يعني بالكتاب ما كتب عليها من العدّة حتى ينقضي ذلك. وفيه دليل حرمتها على الأزواج، لبقية الملك؛ فالخطاب للأجنبيين لا للأزواج؛ إذ للأزواج الإقدام على النكاح وإن كن في عدة منهم.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **ولا تعزموا عقدة النكاح**، حمل على التحريم، وإن احتمل الذي هو بهذا المخرج[٧] غير التحريم، لاتفاق الأمة على صرف المراد إليه، ولقوله: **حتى يَبلغَ الكتابُ أجلَه**، أي ما كتب عليها من التربص.[٨] ولما كان النهي عن ذلك بما لزمتها[٩] العدة للزوج الأول، فهي باقية بها على ما سبق من النكاح المحرّم لها[١٠] على غيره؛ فلذلك بقيت الحرمة. ولهذا جاز لمن له العدة[١١] النكاح فيها، إذ لا يجوز أن يمنع حقه.[١٢] *والله أعلم*.

وقوله: **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه**، وهو حرف وعيد، أي **يعلم** ما تضمرون في القلوب، وتظهرون باللسان من التعريض، **فاحذروه** ولا تخالفوا أمره ونهيه. **واعلموا أن الله غفور حليم**، فيه إطماع المغفرة وإمهال العقوبة لمن[١٣] ارتكب النهى، وخالف أمره. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٢/٣٣).

[٢] ع م: وأن.

[٣] جميع النسخ: يعدلها.

[٤] ع: يبر.

[٥] م: يرد بحسن إليها.

[٦] ع: لترغيب.

[٧] م: للخرج.

[٨] ن: التعريض.

[٩] جميع النسخ: لزمها.

[١٠] ن - لها.

[١١] ع م + للزوج الأول فهي باقية بها.

[١٢] ك + حقه.

[١٣] جميع النسخ: من.

**واعلموا**، الآية، حذرهم[1] علمه بما في أنفسهم ليكونوا مراقبين له فيما أسروا وأعلنوا،[2] وليعلموا أنهم مؤاخذون بما أضمروا من المعاصي والخلاف له، وأن الذي لا يؤاخذ به العبد هو الخطر بالبال، لا بالعزم عليه والاعتقاد. ثم أخبر[3] أنه **غفور حليم**، ليعلموا أن استتار ذلك مما غفره، وأنهم قد استوجبوا بفعلهم الخزي، لكن الله بفضله ستره عليهم، ليشكروا عظيم نعمه، أو لئلا ييأسوا من رحمته فيستغفروه. وذكر **حليم**، لئلا يغتروا بما لم يؤاخذوا بجزاء[4] ما أضمروا في ذلك الوقت، فيظنون الغفلة عنهم، كقوله عز وجل: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ.[5]

**﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٣٦]**

قوله[6] تعالى: **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن**، فيه دليل رخصة طلاقِ غير المدخولات بهن في الأوقات كلها؛ إذ [الغالب] أن[7] لا يتكلم بنفي الجناح إلا في موضع الرخصة، ولم يخص وقتا دون وقت. وأما المدخولات بهن[8] فإنه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله تعالى: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ؛[9] لذلك قال أصحابنا رحمهم الله أن لا بأس للرجل أن يطلّق امرأته في حال الحيض إذا كان لم يدخل بها. ووجهه أنه إذا كان دخل بها يعرف[10] وقت طهرها مما سبق من الدخول بها؛ فأمر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون أدعى [له] إلى المراجعة إذا ندم على طلاقها. وأما التي لم يدخل بها [فإنه] لا يعرف وقت طهرها، لما لم يسبق منه ما به يعرف ذلك الوقت، فلم يؤمر بحفظ ذلك الوقت؛ ولأنه إذا لم يدخل بها

---

[1] ع م: حذره.
[2] ع م – وأعلنوا.
[3] ن – أخبر.
[4] م: الجزاء.
[5] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[6] ن م: وقوله.
[7] ع م – أن.
[8] ن – في الأوقات كلها إذ أن لا يتكلم بنفي الجناح إلا في موضع الرخصة ولم يخص وقتا دون وقت أما المدخولات بهن.
[9] ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ (سورة الطلاق، ١/٦٥).
[10] جميع النسخ: تعرف.

فإن الطلاق يُبينها منه، فجعل كل الأوقات[١] وقتا للطلاق؛ لما لم يجعل له حق المراجعة قبلها، ليكون بعض الأوقات[٢] أدعى له[٣] إلى ذلك. **والله أعلم**.

والثاني أن المدخول بها يتوهم علوقها منه؛ فجعل لطلاقها وقتا ليستبين حالها: أحامل أم لا، لئلا يندم على طلاقها؛ لأن الرجل إذا طلق امرأته ثم علم أنها حامل يندم على طلاقها؛ لذلك كان الجواب ما ذكر. **والله أعلم**.

وفيه دليل رخصة طلاق المبين منه إذا لم يملك[٤] إمساكها عند الندامة؛ لأن الطلاق قبل الدخول يبين[٥] المرأة من زوجها. والأصل في الأمرين جعل الطلاق في وقت حلها للأزواج، وكل الأوقات في غير المد خول بها وقت الحل.

وقوله: **أو تفرضوا لهن فريضة**، معناه: ولم تفرضوا[٦] لهن فريضة، كأنه عطف على قوله تعالى: **لا جناح عليكم** إلى قوله / عز وجل **ما لم تمسوهن**. دليله قوله تعالى: **ومتعوهن**. دل الأمر بالمتعة أن قوله تعالى: **أو تفرضوا لهن**، معناه: ولم تفرضوا لهن. ودل قوله عز وجل: فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ،[٧] أن ذلك في غير المفروض لها،[٨] حيث أوجب في المفروض [لها] نصف المفروض،[٩] وأوجب ثَمَّ المتعة. ثم يجيء[١٠] في القياس أن يوجب في غير المفروض نصفَ مهر المثل لا المتعةِ؛[١١] لأنه إذا دخل بها أوجب كل مهر المثل، كما أوجب[١٢] كل المفروض عند الدخول بها، ونصف المفروض عند عدم الدخول بها.[١٣] لكن أوجب المتعة لوجهين. أحدهما أن مهر المثل إنما يقدر لها[١٤] إذا دخل بها، فإذا لم يدخل بها لم يعرف الزوج ما قدر مهر مثلها، [٥٨و]

---

[١] جميع النسخ + له.
[٢] جميع النسخ + له.
[٣] جميع النسخ – له.
[٤] ن + منه.
[٥] ن ع: تبين.
[٦] جميع النسخ: ولم يفرضوا.
[٧] جزء من الآية القادمة: ٢٣٦/٢.
[٨] ع م: بها.
[٩] ع م: أوجب.
[١٠] ن ع: يجي.
[١١] ع م: إلا المتعة؛ ن + لأنهن.
[١٢] ع م – أوجب كل مهر المثل كما أوجب.
[١٣] ن – أوجب كل مهر المثل كما أوجب كل المفروض عند الدخول بها ونصف المفروض عند عدم الدخول بها.
[١٤] ن ع م: بها.

فإذا لم يعرف ما قدر مهر مثلها لم يعرف النصف من ذلك. والثاني أنهم أوجبوا المتعة تخفيفا وتيسيرا، لأن الحاكم يلحقه فضل كلفة وعَناء[1] في تعرف حالها وحال نسائها؛ إذ مهر المثل إنما يعتبر بنسائها، وليس ذلك في المتعة. *والله أعلم*.

ثم قدر المتعة يعتبر شأنه اعتبارًا بقدرها؛ لأنه لو اعتبر شأنه دون قدر ما أوجب لها غِناها[2] وغناء[3] أهلها ومهر المثل لا يبلغ ذلك، فكان في ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل. وقد[4] ذكرنا أن المتعة أُوجِبت[5] تخفيفا، ولو نظر إلى قدرها دون قدره لكلف الزوج ما لا طاقة له به ولا وسع. لذلك وجب النظر إلى قدره اعتبارا بقدرها. *والله أعلم*.

وقوله: **أو تفرضوا لهن فريضة**، [كلمة] أو نَسَق على قوله: **ما لم تمسوهن فهو على** [معنى] ما لم تفرضوا[6] لهن فريضة، وعلى ذلك قوله: إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ،[7] الآية. وعلى هذا إجماع القول في جواز النكاح بغير تسمية. وفي ذلك دليل أن قوله تعالى: أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ،[8] الآية، هو ما يبتغي من النكاح بالمال لا بتسمية المال؛ فيكون النكاح موجبا له، به يوصل إلى حق الاستمتاع لا بالتسمية؛[9] ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلّم إليها ما منع عن الملك إلا مهر[10] به، مسمًّى أو غير مسمى؛ كقوله تعالى: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ إلى قوله عز وجل: إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ،[11] وقوله تعالى: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ،[12] الآية.

---

[1] ك ن ع: وغناء.
[2] ن: غناءها؛ م: غناؤها.
[3] ك: وغنا.
[4] ع: وقدر.
[5] ن ع: أوجب.
[6] ع: فهو عنى تفرضوا.
[7] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدةٍ تعتدونها فمتعوهن وسرّحوهن سراحا جميلا﴾ (سورة الأحزاب، ٤٩/٣٣).
[8] ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤).
[9] ك: التسمية.
[10] ك – مهر.
[11] ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ (سورة المائدة، ٥/٥).
[12] ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ (سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣).

وإذا جاز النكاح بلا تسمية لم يفسده فساد التسمية؛ بل الذي فسد[١] في أعلى أحواله كأنه لم يكن. وعلى ذلك [حصل] اتفاق فيما يتزوج المرأةَ على ما لا يحل من خمر أو ميتة أو نحو ذلك أنْ يجوز، فيكون في ذلك أمران. أحدهما أن ما لا يتعلق جوازه بالشرط ففساد الشرط لا يُفسد. والثاني أن تتبين[٢] موضع النهي عن الشِغار[٣] أنه غير مفسد للعقد[٤] لأنه في جعل ذلك بدلا للبضع، والله لم يجعل التسمية شرطا لجوازه ليفسد بفسادها. *والله أعلم*.

ثم جعل الطلاق قبل المماسة سببا لإسقاط بعض ما أوجبه العقد. فهو -والله أعلم- لما لم يوصل[٥] إليه كمال ما له قصد النكاح؛ إذ هو مجعول للتعفف، وحقيقته في إمكان الاستمتاع، لا بالعقد، ولولا ذلك لما جعل النكاح ولم يبطل كل المهر لما هو[٦] تقلب في الملك الذي له البدل، إذ هو في الحقيقة للملك لا للاستمتاع. دليل ذلك أن المهر[٧] لا يزداد لكثرة الاستمتاع. فثبت أنه بدل الملك، فالتقلب فيه[٨] إذ[٩] ليس هو سببا[١٠] لفسخ السبب[١١] الموجب للملك الذي له وجب البدل، بل هو تقلب فيه لم يرفع عنه البدل كله -والله أعلم- فأوجب عز وجل نصف المهر وأسقط نصفه بما[١٢] فقد أحد القصدين، ووجد الآخر. *والله أعلم*.

ثم إذا لم تكن التسمية جعل الله تبارك وتعالى المتعة مقابِلَة نصفِ المسمى عند التسمية.

---

١ ن ع: أفسد.
٢ ك: أن نتبي؛ ن ع: تبين.
٣ الشِغار نكاح كان في الجاهلية، وهو أن تُزوِّج الرجلَ امرأةً ما كانت، على أن يزوّجك أُخرى بغير مهر. وخص بعضهم به القرائب فقال: لا يكون الشِغارُ إلا أن تنكحه وليّتك، على أن ينكحك وليّته. وقال الفراء: الشِغارُ شِغارُ المتناكحين. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشِغارِ. قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من العماء: الشِغارُ المنهي عنه أن يزوّج الرجلُ الرجلَ حريمتَه على أن يزوّجه المزوَّج حريمة له أخرى، ويكون مهر كل واحدة منهما بُضْعَ الأُخرى، كأنهما رفعا المهر وأخليا البضع عنه (*لسان العرب*، «شغر»).
٤ ك ن: مفسد العقد؛ ع م: مفيد العقل.
٥ ن ع: لما يوصل.
٦ ع م - هو. أي الطلاق.
٧ جميع النسخ: ذلك ما لا يزداد.
٨ أي بالطلاق.
٩ ك + هو.
١٠ ك ن م: سبب؛ ع: سبب.
١١ ن - السبب.
١٢ ك + قد.

وإن كان –لو تُركنا[1] والتدبيرَ– بعد بيان الواجب فيما لم يُسَمَّ من مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمي لكان الذي يغلب على الوهم أنا لا ندرك تدبيرنا غير نصف مهر المثل؛ فتولى الله سبحانه بيانّ دلك ليعلم الناس –والله أعلم– أن الله بيّن كل ما بالخلق إليه حاجة، على قدر ما يحتمله وسعهم وتبلغه[2] عقولهم، وأن الذي لا يحيط به تدبرهم بُيّن لهم بالإشارة إليه، تفضلا منه على عباده، ليؤلف به بينهم ويمنعهم عن التنازع. ***والله أعلم.***

ثم بين[3] لنا ماهية المتعة بالإشارة إليه. ومعلوم أن قدر الذي يبين[4] فيما عَلم قصورَ التدبير عن الإحاطة بدرك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يبين،[5] فهو –والله أعلم– بما علم أن العقول تبلغه، وأنه بالتدبير فيما يتبين[6] وجه الوصول إليه. ***ولا قوة إلا بالله.***

ثم قد بين أن الحق أوكد عند التسمية منه فيما لم يكن التسمية[7] بوجهين. أحدهما بقوله تعالى: **على المُوسِع قَدَره وعلى المُقْتِر قدره،** فيما كان الطلاق قبل المماسة. وعند التسمية أوجب نصف المسمى، احتمله وُسعه أو لا. ومعلوم أن الاحتمال على قدر الوُسع أخف مما كان يجب احتماله عند الخروج عن الوسع.[8] ***والله أعلم.***

والثاني بما علم من وقوع الاختلاف يكون بين الأمة فيما لا تسمية [له]، إذا مات أحد الزوجين في حق إكماله المهر، وارتفاع ذلك بما كان ثَمَّ تسمية، فهو الدليل على أن الحق في أحد الوجهين أوكد منه في الآخر. على أن العقود والفسوخ كلها تثبت[9] لها عند التسمية[10] البدل، ولا يجب شيء من ذلك بنفس العقد[11] حتى يستوفي[12] بعض ذلك، ولا يجب شيء في البعض على كل حال، فثبت به ما ذكرت. فأوجب ما ذكرت

[1] ك: لو تركا.
[2] جميع النسخ: ويبلغه.
[3] جميع النسخ: لم يبين.
[4] ن: يتبين؛ م: تبين.
[5] ع: لم يتبين.
[6] ك ن: يبين.
[7] ع م – التسمية.
[8] جميع النسخ: من الوسع.
[9] ك: ثبتت.
[10] م: تسمية.
[11] جميع النسخ + البدل.
[12] جميع النسخ + في.

أن لا يراد[١] بالمتعة نصف مهر المثل؛ إذ قد ثبت بالبيان الأول أن التدبير لا يوجب الزيادة عليه، وبالبيان الثاني أن الأمر فيه محمول على التيسير والتخفيف. ومن البعيد المجاوزة بالأمر المؤسس على التخفيف إلى[٢] المؤسس[٣] على التغليظ[٤] ولم يبين لنا ماهية المتعة. / ومعروف أن [٥٨ط]
المتعة هي التي يُتمتع بها، وأن مهر المثل مما قد يُتمتع به؛ فجعلنا نصف مهر المثل نهاية المتعة بما هو النهاية فيما كان مبنيا على التغليظ[٥] فلا يجاوز[٦] بها ذلك.

مع ما فيه وجهان. أحدهما إحالة وجوبها أكثر من مهر مثلها؛ فيكون الدخول بها سببا لإسقاط الحق، وقد جعله الله سببا لمنع السقوط، فثبت أن مهر المثل معتبر في المتعة. والثاني أنها بحكم البدل عن ذلك. دليله وجهان. أحدهما أن المطالبة كانت بمهر المثل، والطلاق سبب إسقاط حقوق النكاح لا إيجابها.[٧] فثبت أن المتعة كانت[٨] مكان ما فيه المطالبة،[٩] لا أن حدث الوجوب بالطلاق.

والثاني أنه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها،[١٠] نحو أن يدخل بها. ثبت[١١] أنها كانت بدلا،[١٢] فلا يزاد البدل على ما له البدل. مع ما كان التحويل إلى غير نوع مهر المثل إنما هو - والله أعلم- لما قد يتعذر تعرّفه، أو أن لم يعرف ذلك [إلا] بالاجتهاد والفحص عن أحوالها ومحلها ومحل قومها، وفي ذلك مؤن وتكلف. ثم بعد العلم بذلك لا بد من الاجتهاد في الوسط من ذلك،[١٣] ثم في أمرها منهم. فجعل الله بفضله[١٤] من الوجه الذي للمرء سبيل[١٥] العلم به عن ذلك التكلف،

---

[١] ك: أن الايراد.

[٢] ك ن: على.

[٣] ع م - على التخفيف إلى المؤسس.

[٤] ك ن ع: بالتغليض؛ ك ع م + في التغليظ.

[٥] ع م - على التغليض.

[٦] ع: لا يجاوز.

[٧] جميع النسخ: لايجابها.

[٨] ك + بمهر المثل والطلاق سبب إسقاط حقوق.

[٩] أي حال قيام النكاح وهو مهر المثل.

[١٠] أي بالمتعة.

[١١] ك: يثبت.

[١٢] أي كانت بدلا عن نصف مهر المثل.

[١٣] أي من محل قومها.

[١٤] ن ع: تفضله. «فجعل الله تعالى من فضله ورحمته -وهو المتعة التي للحاكم- سبيل العلم بها، وأمكنه الوصول إليها بدون ما ذكرت من النظر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٩ظ).

[١٥] ع: سبب.

أو لو رفع هو إلى الحاكم أمكنه الوصول إلى العلم به بدون ما ذكرت من النظر.[1] فكان ذلك –والله أعلم– نحو ما فرض الله من زكات الإبل، لا فيها،[2] إذا صار بحيث[3] لو كانت فيها لكانت جزء يتعذر أخذ مثله ثم التسليم إلى الفقراء.[4] فجعل في ذلك بدلا؛ على أن الذي عليه لو خرج بتسليم العين جاز. فمثله ما نحن فيه. وهذا هو وجه جعل الله[5] متعة. على أنها كانت واجبة بحق[6] الإمساك لو رام ذلك؛ إذ عليه النفقة والكسوة، فإذا طلقها فجعلت هي مكان مهر المثل، إذ فات السبب الذي كانت تجب بحقها، فجعلت واجبة بحق غيرها؛ حتى لا يقع في الطلاق وجوب أمر لم يكن فيما تقدم لو أريد به الإمساك. ومن البعيد أن يزداد كسوة المرأة على مهرها أو نصف مهرها في الحق. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم ليس في ظاهر الآية إبطال المهر فيما لم يُسمَّ ولا النصف فيما سُمّي. وإنما في الأول الأمر بالمتعة، وفي الثاني بيان أن لها نصف الفرض. والقول بأن نصف هذا العبد لفلان. أو لفلان كذا من الحق لا يبطل عنه الحقوق جملة أو عن النصف[7] الآخر بذلك القول، بل فيه بيان ذلك، أنه له وغيره متروك لدليله. ***ولا قوة إلا بالله***. وكذلك قوله تعالى: فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا،[8] ليس في ذلك أن لا عدة عليهن، ولكن فيه أن لا عدة لهم. ويجوز أن يكون عليها، لا له. وكذلك عندنا العدة التي هي عقيب الخلوة لا يملك هو فيها إمساكها، ويلزمه المؤن؛ فكأنها عليه لا له في المعتبر، فلما ذكرت يبطل قول من ادعى أن القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف الظاهر.[9] ***والله أعلم***. مع ما لو كان في الظاهر ذلك لأمكن أن يكون [المراد] من المسيس الإمكان لا حقيقة.[10] دليل ذلك أنه لو وجدت[11] القُبلة

[1] «بل بمعرفة غنى الرجل، وحالها في نفسها من الغنى والشرف، فكان أسهل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧٩ظ).
[2] أي لم يجعل الله زكاة الإبل من جنس الإبل، بل هي من الشياه.
[3] ك – بحيث.
[4] جميع النسخ: إلى الشراء.
[5] ك – الله؛ ن + جعل الله.
[6] ن ع: نحو.
[7] ع: من النصف.
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ (سورة الأحزاب، ٤٩/٣٣).
[9] ك – في المعتبر فلما ذكرت يبطل قول من ادعى أن القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف الظاهر.
[10] م – لا حقيقة.
[11] ع: جدت.

أو المعانقة في ملأ من الخلق لوجد المسيس[1] في الحقيقة، و لم يجب به ذلك.[2] فثبت أن المراد من ذلك معنى في المسيس، لا ما لحق اسمه.

ثم الذي يؤيد أنه الإمكان والاجتماع وجهان.[3] أحدهما قوله تعالى: وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ،[4] الآية، فأعظمَ عليه أخذَ شيء مما آتاها بما كان من إفضاء بعض إلى بعض.[5] والإفضاء في اللغة معروف أنه الانضمام، لا المجامعة. مع ما كانت المجامعة إلى الأزواج يضاف فعلها، وفي هذا إضافة الإفضاء إلى كل واحد منهما، ثبت أنه في معنى ذلك من كل واحد منهما، نحو الذي من الآخر، وذلك يكون في الاجتماع خاصة. **والله أعلم**.

والثاني وجود القول من خمسة من نجباء الصحابة الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين، فمن دونهم ممن لا يحتمل خفاء الآيات عليهم، ومن شهد الخطاب أحق بفهم الحقيقة من المراد وأن يسألوا عن ذلك من أن يطلعهم على حقيقته، إذا كان بحيث احتمال الخفاء، وبخاصة[6] النجباء الذين يعلمون أنهم[7] أئمة الخلق، وعلى الاقتداء بهم حُثّت[8] الأمة.[9] مع ما في ذلك عدول عن الظاهر، وقول بالذي لا يحتمل فهمه عنه. ثبت أن كان ذلك منهم[10] عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن دليل شهوده أظهر المراد. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] ك – الإمكان لا حقيقة دليل ذلك أنه لو وجدت القبلة أو المعانقة في ملأ من الخلق لوجد المسيس.

[2] أي و لم يجب به كمال المهر والعدة.

[3] يقول علاء الدين السمرقندي: «والدليل أن المراد من المسيس هو الخلوة، وهو اجتماعهما في مكان مع إمكان الجماع وجهان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٢و).

[4] ﴿وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أ تأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ (سورة النساء، ٢١/٤).

[5] «والاستدلال بالآية من وجهين. أحدهما ما قال الفراء: دخل بها أو لم يدخل. وقوله حجة في اللغة. ومأخذ اللغة دليل على أن المراد هو الخلوة الصحيحة، فإن الإفضاء مأخوذ من الفضاء في الأرض، وهو الموضع الذي لا بناء فيه ولا حاجز يمنع من إدراك ما فيه، فكان هاهنا من الإفضاء الخلوة على هذا الوصف، وهي التي لا حائل فيها ولا مانع من التسليم والاستمتاع عملا بمقتضى اللفظ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٢و).

[6] ن: بخاصة؛ ع م: والخاصة.

[7] ن – أنهم.

[8] م: حث.

[9] لعل المؤلف يشير إلى حديث عِرْباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا. وسترون مِن بعدي اختلافًا شديدًا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عَضوا عليها بالنواجذ. وإيّاكُم والأمور المحدَثَات. فان كل بدعة ضلالة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٦/٤؛ وسنن *أبي داود*، السنة ٥؛ و*ابن ماجة*، المقدمة ٦).

[10] ع – أن كان ذلك منهم.

على أن الآية[1] لو كان فيها[2] تصريح جماع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى ما ذكرت. أحدهما جرى أحكام الكتاب والسنة في البدل[3] لأشياءَ مقصودةٍ اسما وتحقيقا يستوجب حق الوفاء بها، نحو[4] شرط الله القبضَ في الرهان،[5] والقتالَ في المغانم،[6] والإيتاء في الأجور والمهور،[7] والخروجِ لأمر الهجرة،[8] وأمرِ رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أسلما لأمر الله.[9] فعلى ذلك أمر المهور والعدة في الخلوة، إذ هي سلمت نفسها لذلك. وعلى ذلك أمر[10] الخروج من الأمانات بقوله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا،[11] ولو كان لا يخرج إلا بإدخال في الأيدي في الحقيقة لكان لا سبيل إلى القيام بما كلف الله. وعلى ذلك إجماع القول في الإجارات إذا أمكن الانتفاع بها. *والله أعلم*.

والثاني: أن النساء لا يملكن من تسليم ما عليهن من الحق بأكثر من ذلك. [ومعلوم أن المهر بإزاء ما عليهن من الحق،][12] ومحال أن يلزمهن[13] من الحق أكثر مما[14] مكّن[15] الله تعالى وُسْعهن.[16]

---

[1] جميع النسخ: على أن في الآية.
[2] ك ن – فيها؛ ع م: في.
[3] ك ن ع: البذل.
[4] ع م: بحق.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإن كنتم على سفر و لم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ (سورة البقرة، ٢٨٣/٢).
[6] ك: في الغنايم. لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾ (سورة الأنفال، ٦٩/٨).
[7] ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤).
[8] ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة النساء، ١٠٠/٤).
[9] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿فلما أسلما وتَلَّهُ للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا﴾ (سورة الصافات، ١٠٣/٣٧–١٠٥). «فإن التسليم والتمكين يقوم مقام حقيقة هذه الأشياء؛ فإن إبراهيم عيه السلام لما اشتغل بالذبح، وولده لما أسلم لأمر الله تعالى وسلم نفسه إلى ذلك سماه الله تعالى مصدقا للرؤيا؛ قال الله تعالى: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ وما ذبح حقيقة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٢ظ).
[10] ع م – أمر المهور والعدة في الخلوة إذ هي سلمت نفسها لذلك وعلى ذلك أمر.
[11] سورة النساء، ٥٨/٤.
[12] زيادة من *الشرح*، ورقة ٨٢ظ.
[13] ك: يلزمن.
[14] ع م + ذكر.
[15] ن: ذكر.
[16] يقول السمرقندي: «يقرر هذا أن العقد صحيح، وإنما يصح العقد إذا كان يقع على ما تقدر المرأة على التسليم إلى الزواج، وإنها تقدر على تسليم النفس دون الاستمتاع وإقباضه. ولو كان العقد واقعا عيه لكان يبطل، فإنه من باع ما لا يقدر على تسليمه إلى المشتري لا يصح» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٢ظ).

فثبت أن ليس عليهن غير الذي فعلن، فاستوجبن ما لهن. وعلى ذلك قوله تعالى: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ.[١]

ثم قد أجمع على وجوب المهر في موت أحدهما، فإن الموت[٢] لا يسقطه، وإن لم يكن ثَمَّ دخول. فهو –والله أعلم– أن المقصود بالنكاح الملك وقيام الزوجية إلى موت أحدهما، وإن كان ذلك للاستمتاع[٣] فقد[٤] وُجد تمامه، وقد بينا أن المهر للملك لا لنفس الاستمتاع، فوجب كماله –وإن مات أحدهما– لما بلغ الملك نهايته.[٥] وعلى هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها المهر، إذ[٦] مهر المثل إنما هو بَدَل الملك، دليله أنه يوجب لها المطالبة به عند قيامه وإن لم يسم به. وأصله ما بينا / من تعلق هذا الملك بالبدل حكما، وإن لم يكن تَعَلّق به شرطا، وقد وجد [٥٩و]
ثَمَّ. وعلى هذا ما روي[٧] عن ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك؛ وقام معقل بن سنان[٨] وقال: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بَرْوَع بنت واشِق[٩] بمثل الذي قضيت أنت، فسُرَّ به عبد الله لموافقة رأيه ما روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٠] وإذا ثبت ذلك فالحكم[١١] [على] ذلك؛ إذ المعقود[١٢] بالنكاح أن تبذل المرأة نفسها له ليستمتع بها،

---

[١] ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٨).

[٢] جميع النسخ: وإن الموت.

[٣] جميع النسخ: الاستمتاع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٨٢ظ.

[٤] جميع النسخ: وقد.

[٥] «فعلى هذا، المقصود بالنكاح أن تبذل المرأة نفسها له: أن يستمتع بها، فإذا جاءت الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح، على ما وجد في موت أحدهما، فيجب كمال المهر كما وجب بالأول، ويستوي في ذلك مهر المثل والمسماة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٢ظ).

[٦] ن – إذ.

[٧] ن: على هذا روي؛ ع – ما روي.

[٨] م: يسار. اختلفت الروايات في الاسم بين معقل بن سنان الأشجعي، ومعقل بن يسار المزني. وصوب القرطبي أنه معقل بن سنان، لأن معقل بن يسار رجل من مزينة، وهذا الحديث روي في امرأة من أشجع، لا من مزينة. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣/١٩٩.

[٩] قال ابن حجر في التعريف بها: هي بَرْوَعُ بنت واشِق الرؤاسية، الكلابية، أو الأشجعية، زوج هلال بن مرة. (انظر: *الإصابة*، ٨/٤٩).

[١٠] ذكر القرطبي من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات. فقال ابن مسعود: لها مثل صداق نسائها، ولا وكس، ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث. فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق –امرأة منا– مثل الذي قضيت، ففرح بها ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣/١٩٨-١٩٩.

[١١] جميع النسخ: فعلى.

[١٢] ع م: إذ المعقول.

فإذا جاءت الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد في موت أحدهما، فيجب كمال المهر كما وجب بالأول، ويستوي في ذلك مهر المثل والمسمّى. *والله أعلم*. وعلى ذلك فيما لم يوجب جعله بذل[1] المتفعة، إذ هو قيمة البضع،[2] وتجب[3] قيمة الأشياء بإتلافها ولم يوجد هنا.[4] وعندنا أنه وإن كانت قيمة ذلك فهي بدل ملك ذلك، لا بدل الانتفاع نفسه، إذ لا يجب في الزنا. ثبت أنه للملك يجب، أو لشبهته،[5] وقد وجد في الأول على تمام ما رجع إليه المقصود؛[6] فوجب[7] على ما مرّ بيانه. *والله أعلم*.

وأوجب قوم في المسماة بعد النكاح نصفَ المسمى إذا طلق قبل الدخول، استدلالا بظاهر الآية. ولكن التسمية عند الناس إنما تكون[8] في العقد[9] حتى لا يعرف لها وجود غيرها، وهي التسمية في العقد فهي المرادة بالخطاب؛ إذ هي المعروفة من الغرض، ثم غيرها بحق الاستدلال؛ فإن ألزم الدليل لها حق التسمية في العقد لزم، وإلا لا.

ثم وجود[10] جميع الأسباب التي تحتمل الاعتياض جعل ذكر العوض[11] بعد السبب كَلَّا[12] ذكرَ، فمثله أمر النكاح، فأوجب ذلك فسادَ التسمية، فلم يجب المسمى من بعد إلا حيث يوجبه الدليل، وقد قام دليل الوجوب عند وجود ما له حكم الدخول بها، [ف]يجب عند ذلك، وإلا فلا.[13]

ثم وجه لزوم القول بهذا[14] يخرج على أحوال. إحداها أن[15] التسمية إذا جازت

---

[1] ن: بدل.

[2] «يبطل قولهم: إن المهر قيمة البضع، وقيم الأشياء إنما تجب بإتلافها، ولم يوجد إتلاف؛ لأنا نقول: وإن كانت قيمة ذلك فهي بدل ملكه، لا بذل نفس الاستمتاع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٢ظ).

[3] ع م: ويجب.

[4] جميع النسخ: هاهنا.

[5] ك: بشبهته.

[6] أي وقد وجب الملك مع الإمكان من تحصيل المقصود.

[7] جميع النسخ: وجب.

[8] ع: يكون.

[9] ك: عند العقد.

[10] ن ع م: وجد.

[11] جميع النسخ: الغرض.

[12] م: كلما.

[13] ن ع م: لا.

[14] ك ن: بها؛ ع: بما؛ م: مما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨١و.

[15] ن ع م: إن لهذا التسمية.

جازت[1] بحق مهر المثل؛ إذ كل[2] سبب ليس له عوض بالحكم لم يجز.[3] ثم كان مهر المثل يسقط قبل الدخول بها، كذلك الواجب به. *والله أعلم*.

وأيضا[4] إن الحكم يوجب تبيين[5] مهر المثل ليدفع إليها، إذ لها حق الامتناع إلا به،[6] فاصطلاحها على ما سميا من بعد،[7] له حق ما في ذلك الحكم،[8] وهو التبيين. ولو بيّنه الحاكم لكان يسقط.[9] فمثله هذا.[10] *والله أعلم*.

والثالث أنه معلوم أنه لو كان الذي في علم الله تعالى من طلاقها[11] [قبل الدخول] ظاهرا وقت التسمية لكان حقها عليه المتعة، ولم يكن يجب النظر إلى مهر مثلها إلا من وجه تحديد المتعة. فكذلك إذا ظهر [الطلاق قبل الدخول من بعد]. *والله أعلم*.

وأمكن أن يقال: الأصل في ذلك أن المتعة ليس يوجبها الطلاق، ولكن النكاح يوجب. ثم كان الواجب بالنكاح مجهولا لا يدرى: أ هو مهر المثل، أو المتعة؛ إذ لا يجوز أن يجبا[12] [جميعا] ولا أن يوجب الطلاق أحدهما [ابتداء]، لما هو بيان ذلك. فثبت أن الواجب في الحقيقة أحدهما، لكن لها [حق] مطالبة مهر المثل في الظاهر، ولها التسمية عنه، بما العرف في النكاح أنه للدوام، ثم هو للاستمتاع، فحمل[13] الأمر على ذلك[14] الظاهر وبه أجيزت التسمية.

---

[1] ن – جازت.

[2] جميع النسخ: إذ في كل.

[3] «لم يجز فيه التسمية بعد وجود ذلك السبب، كالطلاق والعتاق والعفو عن القصاص ونحوه، فإنه إذا جعل لذلك عوض وفرض بعد تحقق السبب لم يصح؛ لأن هذه الأشياء ليس لها عوض بالحكم. ولما جازت التسمية هاهنا دل أن العوض هاهنا ثابت حكما –وهو مهر المثل– ويكون الفرض بعد العقد بيانا وتقديرا لذلك الواجب، ولأنه لا يجوز إيجاب الفرض مع وجوب مهر المثل، فيجب بدلان بمقابلة مبدل واحد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨١و).

[4] أي والحال الثاني.

[5] ك ع م: تبين.

[6] أي إلا بدفع مهر المثل إليها.

[7] أي من بعد العقد.

[8] جميع النسخ: في الحكم ذلك.

[9] أي لكان يسقط بالطلاق قبل الدخول، ولا يجب نصفه.

[10] أي فمثله إذا وجد التقرير والتبيين من الزوجين.

[11] جميع النسخ + لو كان.

[12] جميع النسخ: ان يجبان.

[13] ع: محل.

[14] ن + على ذلك.

فلما ورد الطلاق قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب، فبطل الذي كان بحق المهر، لما ظهر أن الواجب في علم الله المتعة. *والله أعلم*. وعلى أصل هذا المعتبر أمر المفروض الظاهر أنه نوع الأثمان،[1] وذلك مما يزداد[2] ولا ينقتص[3] فيجب بالطلاق نصف مهورهن.[4] ثم إذا كان [المهر] من نوع ما يزاد وينقص،[5] فيحدث أحد الوجهين، فليس في الكتاب تسمية ذلك النوع على المعروف، ولا القضاء فيه بشيء.[6] ومعلوم أن ذلك[7] لو كان في يدي الزوج لوجب[8] نصف ذلك فيما كان الطلاق قبل الدخول بها، فيصير بحكم المفروض، وإن لم يكن بما كان حدث من الحق، أو بما كان في حكم[9] الله أن الحق في ذلك النصف، إذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول بها على حق المنصوص، فيكون الذي حدث من النصف حقه، أو بما كان ذلك مهرا، والحادث محتمل جعله مهرا، فهو فيه على ما عليه معتبر الحقوق من لحوق الفروع الأصول.[10] فإذا[11] كان ذلك بعد القبض فقد انقضى[12] أمر الحق، وحدث ما حدث على ملكها، إذ على ذلك يحدث. فقلنا: لو نقص المهر في العين لكان يصير[13] النصف له بحق بعض القبض فيه، ثم بعض العقد. وإذا كان كذلك؛ [ف]لا يخلو أمر الزيادة من أن يرد إليه،[14]

---

[1] جميع النسخ: الايمان.
[2] جميع النسخ: مما لا يزداد.
[3] ك: ولا ينقص.
[4] يقول علاء الدين السمرقندي: «لأن ظاهر الآية ينصرف إلى المفروض المتعارف، وهو أنواع الأثمان مما تزداد ولا تنتقص، فيجب بالطلاق نصف مهورهن» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨١ظ).
[5] ك: وينتقض؛ ع: وينقض.
[6] أي من حيث عرف الاستعمال.
[7] ع: كان. أي حدوث الزيادة.
[8] جميع النسخ: ليجب.
[9] ك: علم.
[10] يقول علاء الدين السمرقندي: «وإذا ورد الطلاق قبل الدخول بها بأحد الطريقين، إما لأن الطلاق قبل الدخول في معنى نقض النكاح في حق المهر على معنى أن المعقود عليه عاد سليما إلى المرأة، وما هو المعقود بالعقد لم يحصل للرجل الذي يقابله البدل -وهو الاستمتاع- فيجب القول بسقوط المهر وانتقاض الملك، إلا أن الشرع أثبت للمرأة المتعة، وجعل ملك المتعة مقدرة بنصف المفروض الذي كان، والزيادة قد صارت مهرا، وأمكن جعلها مهرا على ما عليه معتبر الحقوق، من إلحاق الفروع الأصول» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨١ظ).
[11] ع: إذا.
[12] ك: انتهى.
[13] ع: يصيف؛ م: يصف.
[14] ع م: عليه.

فيرجع بشيء لم يسلَّم إليها، وذلك فضل على ما أخذ من الحق بأخذه بالحكم، فيكون رِبًا، لأنه لم يسمِّه؛ ولا سلم[1] إليه؛ فزال المعنى الذي هو لها فيه، فيكون أخذه بلا عوض في عقد التبادل، فيصير ربا.[2] ولو أبقي له على فسخ القبض في المهر والعقد، فيصير ذلك لما فضل من أصل قد[3] فسخ العقد فيه مما[4] لم يكن لها إلا ببدل بلا بدل، وذلك وصف الربا وقد حرم الله الربا؛ فيجب بالضرورة جعل المفروض كالهالك؛[5] فيجب نصف القيمة، ليزول معنى الربا. ***والله أعلم***. وعلى ما ذكرت يخرج قول أبي يوسف رحمه الله في الغَلَّة[6] والهبة أنه يظهر الواجب في الحكم. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه ذلك في حق النقص يصير كذلك. دليله ما لم يكن يجوز فيه تقلب الزوج لو كان منه. ثم النقص لا يَرِد على ما ليس له حكم المهر؛ فيبقى ذلك للمرأة على ما كان لها قبل الطلاق، إذ الطلاق نقص الملك في المهر، وليس ذلك بمهر. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله:} والمذكور من المتعة فيما فيه الدخول يحتمل ما عليه في حال النكاح من الكسوة والنفقة إلى تمام العدة. فتكون[7] الآية في ذكر النفقة بعد الفراق؛ إذ لا يجوز / أن يكون الطلاق سببا لإيجاب حق غير واجب قبله. ويحتمل أن يكون في حق [٥٩ظ] المتبرع شُرط عليه ليكون تسريحا بالإحسان،[8] على ما رُغّب في غير المدخول من الإتمام؛ إذ لا يجوز أن يكون ذلك بدلا؛ فيكون لملكٍ واحد بدلان.[9] مع ما جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق على الزوج ورفع المؤنة، وردّ الأمر إلى الغني بالآخر، بقوله تعالى:

---

[1] ع م: ولا يسلم.

[2] «لا وجه لهذا الاحتمال؛ لأن هذه الزيادة لم تكن في أصل العقد بالتسمية، ولا سلم إليها ليصير لها حكم المهر بوجود ما له شبه بالعقد، وهو التسليم والفسخ، إنما يكون على البدل الذي أعطاه العقد، فيحصل للزوج من جهة المرأة مال بمقابلة ما يملكها من البضع أويسقط الملك عنها، وهو عقد التبادل، فيكون هذا أخذ مال بلا عوض في عقد التبادل، فيكون ربا، وهو حرام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨١ظ).

[3] ن: وقد.

[4] م: بما.

[5] «فإذا لم يمكن القول بتنصيف المفروض، لما يؤدي إلى الربا فيجعل المفروض كالهالك؛ لأن في حق كونه معجوز التسليم إلى الزوج بمنزلة الهالك، فيجب نصف القيمة، ليزول معنى الربا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨١ظ).

[6] الغَلَّة: الدَّخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض. (*لسان العرب*، «غلل»).

[7] ن ع م: فيكون.

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٩).

[9] جميع النسخ: بدلين.

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ،[1] لم يحتمل به الوجوب فيصير سببا لإلزام المؤنة. **ولا قوة إلا بالله**.

وقوله: **حقا على المحسنين**، فيه دليل لأبي حنيفة رضي الله عنه حيث قال: إن الذمي إذا تزوج امرأة، ولم يسم لها صداقا، ثم طلقها قبل أن يدخل بها لا متعة لها؛ لأن الله تعالى إنما أوجب المتعة على المحسنين، والذمي ليس بمحسن.

[٦٠و س٧ *{قال الشيخ رضي الله عنه:} وقوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ،[2] قيل: يريد به المؤمنين، فيكون في هذا التأويل دلالةٌ على ما قاله أبو حنيفة رضي الله عنه أن لا يلزم الذميّ المتعة. وقيل: [حَقًّا] على من قَصْدُهم الإحسان إلى الأزواج ويتقون الخلاف لما كان عليه النكاح
٦٠و س٩] من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. **والله الموفق**.*

والدليل على أن المتعة إنما[4] أوجبت تخفيفا، ومهر المثل لا؛ لأن[5] مهر المثل أوجب على المرء احتمله ملكه أو لم يحتمل، والمتعة لم تلزم إلا ما احتمله ملكه، فبان أنها أوجبت تخفيفا. فإذا كان تخفيفا[6] لم تزد[7] على مهر المثل. والثاني أن المتعة أوجبت بدلا من نصف[8] مهر المثل. ثم لا جائز أن يراد بالبدل المبدل، كما قيل في سائر الأبدال. **والله أعلم**. وهي ثلاثة أثواب؛ لأنه يخرجها من المنزل، وأقل ما تَخرج المرأة من المنزل إنما تخرج بثلاثة أثواب.

فإن قال لنا قائل: إن الكتاب ذكر المتعة للمطلقة قبل المماسة، إذا لم يَفرِض لها[9] فرضا،[10] وذكر أنه[11] نصف المفروض[12] إذا طلقها قبل المماسة، وأنتم أوجبتم كل المسمّى وكل مهر المثل إذا خلا بها ولم يمسها.

قيل: في الآية بيان وجوب نصف المهر في حال، وبيان وجوب المتعة في حال، وليس في بيان وجوب النصف نفي وجوب الكل؛ لأنه إذا قيل: لفلان نصف هذا الشيء

---

[1] سورة النساء، ٤/١٣٠.

[2] جزء من الآية السابقة، ٢/٢٣٦.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر ورقة ٦٠و/ سطر ٧-٩.

[4] ن ع م – إنما. | [5] جميع النسخ: أن.

[6] ن م – فإذا كان تخفيفا.

[7] جميع النسخ: لم يزد.

[8] ن ع م: عن نصف.

[9] م – لها.

[10] ع م: فرض.

[11] ن ع م + في.

[12] م: المفرد.

فليس[١] فيه دليل[٢] أن النصف الآخر ليس له.

فإذا كان ما ذكرنا فليس[٣] لمخالفنا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا النسبة إلى مخالفة الآية. فصار معرفة ذلك بتدبير آخر، لا من جهة[٤] الكتاب. مع ما أنه لا يوجب المهر كله لعين المسيس، فكأنا نحن وهو اتفقنا جميعا على إيجابه لا بالكتاب. **والله أعلم**. وإن شئت قلت: إن الخلوة لا توجب كمال الصداق، وإنما يوجبه صحة العقد. دليله مطالبة المرأة الزوج بكماله بعد صحة النكاح. فدل أن وجوبه لا بالخلوة، ولكن بصحة العقد. فالكلام إنما وقع في إسقاط البعض، فيسقط إذا قام دليل الإسقاط. **والله أعلم**. وإن شئت قلت: إن المرأة لا تملك سوى تسليم نفسها إليه؛ فالعقد إنما وقع على[٥] ما تقدر[٦] على تسليمها[٧] إليه ليس على ما لا تقدر؛[٨] لأنها لا تقدر على تسليم الاستمتاع إليه، إذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل؛ لأن من باع ما لا يقدر على تسليمه إلى المشتري لبطل العقد بأصله. فعلى هذا إذا جعل عقد النكاح[٩] واقعا على تسليم الاستمتاع إليه لكان[١٠] باطلا كالبيع، للمعنى الذي وصفنا. **والله أعلم**.

ثم اختلف في المرأة التي مات عنها زوجها[١١] ولم يدخل بها ولا فرض لها مهرا. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لها مهر مثلها. ورَوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قضى البَرْوَع بنت واشق بمهر مثلها.[١٢] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لها المتعة بكتاب الله تعالى، وقال: لا ندع كتاب الله تعالى بقول أعرابي.[١٣]

---

[١] جميع النسخ: ليس.
[٢] ع م – دليل.
[٣] جميع النسخ: ليس.
[٤] ع م: آخر من جهة.
[٥] ع – على.
[٦] ن ع م: يقدر.
[٧] جميع النسخ: على تسليمه.
[٨] ن ع م: لا يقدر.
[٩] جميع النسخ: فعلى عقد النكاح إذا جعل.
[١٠] ن ع م: كان.
[١١] ك ن: زوجها عنها.
[١٢] انظر: *تفسير القرطبي*، ٣/١٩٨–١٩٩.
[١٣] روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لكل مطلقة متعة. وكان يقول في حديث بَرْوَع بنت واشق: لا ندع كتاب الله –عز وجل– بقول أعرابي، بوّال على عقبيه. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢/١٣٦؛ *والمبسوط* للسرخسي، ٥/٦٣؛ *ونيل الأوطار* للشوكاني، ٦/٣١٨؛ وانظر أيضا: *شرح التأويلات*، ورقة ٨٠ظ.

ذهب -والله أعلم- إلى أن الكتاب ذكر المتعة في الطلاق، ثم كان ذلك الحكم في غير الطلاق كهو في الطلاق. فعلى ذلك الفرقة التي وقعت بالموت توجب المتعة[1] كوجوبها[2] في الفرقة الواقعة في[3] الطلاق، كقوله: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ،[4] ذكر المطلقات؛ ثم كانت التي وقعت الفرقة عليها بغير طلاق يلزمها ما يلزم المطلقة. ومثل ذلك كثير مما يكثر ذكره. **والله أعلم**.

وأما عندنا فإنه لا يلزم المتعة ولكن يلزم مهر المثل لوجوه. أحدها قوله: وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ،[5] ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف المفروض، وفي الدخول كلَّ المفروض، فعلى ذلك ما أوجب من الحكم في التي لم يدخل بها و لم يسم لها مهرا، دون ما أوجب في حكم الدخول.[6] **والله أعلم**.

والثاني: أن المقصود بالنكاح إنما يكون إلى موت أحد الزوجين. فإذا كان كذلك لزم كل المسمّى أو كل مهر المثل. **والله أعلم**.[7]

والثالث الخبر الذي ذكرنا أنه قضى بمهر المثل،[8] وخبر أمثال هؤلاء مقبول إذا كانت البلية في مثله بلية خاصة، إذ بمثل هذا لا يبلى إلا الخواص من الناس؛[9] لذلك كان ما ذكر.

**﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢٣٧]**

وقوله: **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم،** ذهب قوم إلى ظاهر الآية أنه ذكر فيها نصف ما فرضتم، ولم يخص المفروض في العقد

---

[1] ك ن ع + فيه.
[2] جميع النسخ: كوجوبه.
[3] جميع النسخ + في غير الطلاق.
[4] سورة البقرة، ٢٢٨/٢.
[5] سورة البقرة، ٢٣٧/٢.
[6] قال السمرقندي: «ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف المفروض وفي الدخول كل المفروض، ثم وجب في الموت كل المفروض. دل أنه في معنى الدخول، فلا يكون لهم حجة في الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٠ظ).
[7] ك + والثاني أن المقصود بالنكاح إنما يكون إلى موت أحد الزوجين.
[8] يشير إلى ما رواه معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوّج بنت واشق، وقد سبق ذكر الحديث.
[9] «وإنما يُرَدُّ خبر الواحد فيما إذا كانت البلية عامة، فكان تفرده بالرواية دون غيره يوجب رده في حديثه، كيف وقد روى أن جماعة من أشجع رووا هذا القصة مثله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٠ظ).

دون المفروض بعد العقد، فكله مفروض، فلها نصف المفروض، سواء كان المفروض في العقد أو بعد العقد.[١] وعلى ذلك قال قوم: إن الرجل إذا تزوج امرأة على جارية، ودفعها إليها، فزادت في بدنها خيرا[٢] ثم طلقها قبل الدخول بها، إن لها[٣] نصف الجارية؛ لأن الله تعالى قال: **فنصف ما فرضتم**، وأنتم لا تجعلون له نصف ما فرض، فخالفتم ظاهر الكتاب.[٤]

أما الجواب لمن جعل المفروض بعد العقد كهو في العقد فيما جعل لها نصف ما فرض، فإن الخطاب من الله تعالى إنما خرج في المفروض في العقد، لا في المفروض[٥] بعد العقد، لأنه لم يتعارف الفرض بعد العقد، فإذا لم يتعارف في الناس الفرض بعد العقد[٦] إنما يتعارف في العقد،[٧] خرج الخطاب على هذا المتعارف فيهم، وهو المفروض في العقد فيجعل لها نصف ذلك. وما يفرض بعد العقد[٨] إنما[٩] يفرض بحق مهر المثل، / فإذا وجد الدخول وجب ذلك، وإلا لم يجب. [٦٠و]

وأما جواب من قال بإنه إذا تزوجها على جارية، ودفعها إليها فولدت ولدًا إن لها[١٠] نصف ما فرض. فإنا نقول: إن الآية ليست في الفرض الذي معه آخر [سواء كان] ولدًا أو غيره. ألا ترى أن الجارية إذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فإن لها نصف الجارية ونصف الولد، والولد لم يكن في الفرض وقت العقد. فعلى ذلك الآية ليست في الجارية التي ولدت عندها، ولكن في الفرض الذي لا زيادة معه. ثم لا يخلو إما أن يجعل[١١] نصف الجارية لها دون الولد، فقد فسخ العقد في الأصل، فيبقى الولد بلا أصل فذلك ربا أو يجعل لها[١٢] نصف الجارية

---

[١] نسب علاء الدين السمرقندي هذا القول إلى مالك والشافعي وبه قال أبو يوسف ثم رجع عنه أخيرًا. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٨١و.

[٢] جميع النسخ: فولدت عندها ولدا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٨١ظ.

[٣] جميع النسخ: ان له.

[٤] نسبه السمرقندي إلى محمد بن الحسن الشيباني. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٨١ظ.

[٥] ع م – في العقد لا في المفروض.

[٦] ن – لأنه لم يتعارف الفرض بعد العقد فإذا لم يتعارف في الناس الفرض بعد العقد.

[٧] ك ن: لأنه لم يتعارف الفرض؛ ك ن + بعد العقد فإذا لم يتعارف في الناس الفرض بعد العقد إنما يتعارف في العقد.

[٨] م – لأنه لم يتعارف الفرض بعد العقد فإذا لم يتعارف في الناس الفرض بعد العقد إنما يتعارف في العقد حرج الخطاب على هذا المتعارف فيهم وهو المفروض في العقد فيجعل لها نصف ذلك وما يفرض بعد العقد.

[٩] ع م: وإنما.

[١٠] جميع النسخ: له.

[١١] ك ن ع + له.

[١٢] جميع النسخ: له.

مع نصف الولد، وهو غير مفروض. والله تبارك وتعالى إنما جعل لها[1] نصف ما فرض؛ فبطل قول من قال ذلك. **والله أعلم**.

واعتل قوم في حق العدّة وكمال[2] المهر أنه ذكر فيه الطلاق، لا على تخصيص الحكم له، بل بكل ما يكون به تسريحها، فمثله يجوز:[3] ذكر المماسة لا على التخصيص،[4] ولكن بكل ما يكون به تحقيقها. **ولا قوة إلا بالله**.

{قال:} وقدرت المتعة في الاختيار بالقدر الذي كان يمتعها بالإمساك؛ إذ لا بد من كسوتها ليُعلِم أن ليس للفرار عن ذلك الحق يُطلِّق، أو بما به يُخرجها من منزله، فأمر أن يمتّعها بما به[5] تخرج من المنازل، وأقل ذلك ثلاثة أثواب. **والله أعلم**.

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الشيء التافه لا يحتمل أن يكون مهرا؛[6] لما أوجب [الله] عند العدم [أي] فيما لا تسمية فيه الشيء الخطير، وهو الذي يمتعها.[7] وأقل ما تُمتَّع هي له فيه[8] ثلاثة أثواب. وفيما سمي أمر عند ذلك بالعفو. وحَبّة لا يُحَث على العفو عنها، ولا يُرغّب بين الزوجين إلى الأخذ[9] بالفضل[10] بمثله. دلّ أن لذلك حدا[11] قد يجري بمثله التنازع، فيرغبون في إبقاء ذلك واختيار ما به التآلف.[12]

على أن الله جل ثناؤه قد[13] جعل بناء النكاح بالأموال، وبها أحل. وقال في ذي العذر:

---

[1] ن ع م: له.

[2] ع: كمال.

[3] ع م: يكون.

[4] ن ع: تخصيص.

[5] جميع النسخ +التي.

[6] ن + المثل.

[7] يقول السمرقندي: «ثم في هذه الآيات التي تلوناها دلالة واضحة على أن الشيء التافة لايحتمل أن يكون مهرا، فإن الله تعالى لِما أوجب عند عدم التسمية الشيء الخطر وهو المتعة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٢ظ-٨٣و).

[8] ن - فيه.

[9] ك ن: الا الاخذ.

[10] ع م: إلى الفضل.

[11] ن ع م: حد.

[12] يقول علاء الدين السمرقندي: «وكذلك أمر بالعفو عن النصف الذي سمّي بقوله ﴿فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون﴾ والحب والترغيب إنما يكون في الشيء الخطر، فإن حبته ونحوها مما لا يحب العفو عنها ولا يرغب بين الزوجين إلى الأخذ بالفضل بمثه، لقوله: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ دل أن لذلك حدا معلوما قد يجري بمثل التنازع فيرغبون في بقاء ذلك واحتيار ما به التآلف» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٣و).

[13] ع م: وقد.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً،[١] الآية. ولو كان بحبّة طَوْلُ حُرّةٍ، لكان لا أحد يعجز عنها، فيشترط ذلك في تزويج المملوكة، وبخاصة على قول من لا يبيح [نكاح الأمة] إلا بالضرورة، فمن ذا[٢] يضطر إلى حبة[٣] [-وهو] يَتُوق[٤] إلى الاستمتاع- فضلا من أن يتخير. ثم على ذلك قال في الإماء: وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[٥] والحبّة معلوم أنها أنكر من المنكر، فثبت أن مهر الحرائر يرجع إلى قدرٍ وحَدٍّ[٦] يظهر في أهل الحاجة، وأن القول بجعل الحبّة مهرا تاما ووصفَ ملكها بملك الطَّول قول مهجور،[٧] لا معنى له.

وبعد[٨] فإن الناس أجمعوا على أنها لا تملك المعروف ببضعها، والبذل للزوج بلا بدل[٩] يلزمه. فصار كمتولي العقد على ما ليس لها. وحط[١٠] القليل في مثله والكثير في المنع واحد. فقياس[١١] ذلك أن لا يكون[١٢] الحط من مهر مثلها. والحبة لا تكون مهر مثل أخبث امرأة في العالم، فلا يجيء أن يجوز [للزوج] الحط. ولكن أجيز [إلى] العشرة بالاتفاق، ولم يُجوّز الأكثر للتنازع. وقد بينا الفساد من طريق التدبير. ***والله أعلم.***

وقوله تعالى: **إلا أن يَعفون.** قيل: المرأة. **أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح.** اختلف فيه. قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: هو الزوج.[١٣] وقال قوم: هو الولي. وأمكن أن يكون قول من قال[١٤] بأنه[١٥] الولي، لما أن المهور في الابتداء كانت للأولياء. دليل ذلك قول شعيب لموسى:

---

[١] ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (سورة النساء، ٢٥/٤).

[٢] جميع النسخ: فمن رأى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٨٣و.

[٣] ع: جبة.

[٤] تاقَت نفْسي إلى الشيء تَتُوق تَوْقًا وتُؤوقًا: نزَعَت واشتاقت (*لسان العرب*، «توق»).

[٥] سورة النساء، ٢٥/٤.

[٦] جميع النسخ: يرجع بين ويظهر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٣و.

[٧] ع م: قولا مهجورا.

[٨] ن: ووبعد.

[٩] ك: بلا بذل.

[١٠] م: وحظ.

[١١] م: فقاس.

[١٢] ن + لها.

[١٣] ع م – هو الزوج. انظر: *تنوير المقباس*، ٤٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٣٦/٢.

[١٤] ع م – من قال.

[١٥] م: بأن.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ،[1] شَرَط المهر لنفسه. وكما روي من الشِّغار،[2] ثم نسخ من بعد وصار ذلك للنساء، بقوله: [وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً] فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا،[3] [وقوله:] فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا.[4] ولأنهم أجمعوا أن لا يجوز لأحد المعروف في ملك الآخر إلا بإذنه؛ فعلى ذلك لماّ ثبت أن المهر لها لا يجوز للولي المعروف فيه.

وقوله: **إلا أن يعفون**، يعني المرأة تترك له[5] النصف ولا تأخذ منه شيئا. **أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح**، يعني الزوج يجعل لها كل الصداق؛ يقول: كانت في حِبالتي،[6] ومنعتها من الأزواج. وتترك المرأة له[7] النصف فتقول: لم ينظر إلى عورتي، ولا تمتّع بي. وهو على الإفضال. وعلى ذلك يخرج قوله: **ولا تَنسَوا الفضل بينكم**: أن يتفضل أحدهما على الآخر بترك النصف، أو بإتمام الكل. ومعنى قوله: **ولا تنسوا الفضل بينكم**،[8] أي لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء الأمر؛ لأن أمر النكاح في الابتداء مبني على التشفع[9] والإفضال، فرغّبهما عز وجل في ختم[10] ذلك على الإفضال، على ما بني عليه. *والله أعلم*. وفيه دلالة على أن العفو هو الفضل[11] في اللغة، وهو البذل. تقول العرب: عفوت لك [بمالي]، أي بذلته.[12] فإن كان العفو هو البذل.[13] فكان[14] قوله: "عُفِي له"[15] ترك له[16] وبذل، فاتباع بالمعروف.

---

[1] سورة القصص، ٢٧/٢٨.
[2] هو: نكاح كان في الجاهلية.
[3] سورة النساء، ٤/٤.
[4] جميع النسخ + وقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة. ﴿وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ (سورة النساء، ٢٠/٤).
[5] ن ع م: تترك النصف.
[6] الحبالة: ما يصاد بها من أي شيء كان (*لسان العرب*، «حبل»). لعله يعني به هنا: كانت في عصمتي وحبسي.
[7] جميع النسخ: لها.
[8] ع م – أن يتفضل أحدهما على الآخر بترك النصف أو بإتمام الكل ومعنى قوله ولا تنسوا الفضل بينكم.
[9] ك: الشفع.
[10] جميع النسخ: على ختم.
[11] ن: البذل.
[12] يقال: عفا فلان لفلان بماله إذا أفضل له، وعفا له عما له عليه إذا تركه (*لسان العرب*، «عفا»).
[13] ن – في اللغة وهو البذل تقول العرب عفوت لك أي بذلته فإن كان العفو هو البذل.
[14] ن: وكان.
[15] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).
[16] م – له.

يكون فيه دليل[١] لقول أصحابنا في ذلك.

وقوله: **وأن تعفوا أقرب للتقوى**، معناه -والله أعلم- حق على المتقي أن يَرْغَب فيه، وكذلك قوله: حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ،[٢] أن يرغب فيه. ثم لإضافة[٣] ذلك إلى الرجال وجهان. أحدهما لما أنهم هم الذين تركوا حقهم، ومِن عندهم[٤] جاء هذا التقصير. والثاني: أن في تسليم ذلك من الرجال الكمال، وهم في الأصل موصوفون بالكمال، ومِن عندهم يستوفي ما فيه الكمال.

{قال الشيخ رحمه الله:} وقوله: **وأن تعفوا أقرب للتقوى**، يحتمل اشتراك الزوجين / في [٦٠ظ] ذلك على معنى[٥] [أن] الأخذ بالعفو والفضل أولى بمن[٦] يريد اتقاء دناءة الأخلاق، أو أولى الفضل ممن أُكرم باتقاء الخلاف لله. ويحتمل الأزواج[٧] بما قد ضمنوا الإمساك بالمعروف، والتسريح بالإحسان؛ فهو أقرب إلى وفاء ذلك واتقاء الخلاف له. على أن سبب الفراق جاء منه، فذلك أقرب لاتقاء الجفاء[٨] منهم، وأظهر للعذر لهم فيما اختاروا. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الله بما تعملون بصير**، حرف وعيد عما فيه التعدي ومجاوزة الحدود والخلاف لأمره.

**﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٢٣٨]**

وقوله تعالى: **حافظوا على الصلوات**، والمحافظة هو المفاعلة، والمفاعلة هو فعل اثنين.[٩]

---

[١] جميع النسخ: دليلا.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٣٦.
[٣] ن: الاضافة.
[٤] ع: وعندهم.
[٥] ع م: لا معنى.
[٦] جميع النسخ: لمن.
[٧] أي أزواج النساء.
[٨] ع م: اجفا.
[٩] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «تكلم في قوله: ﴿حافظوا على الصلوات﴾. قيل: هذا خطاب للناس على الاشتراك في حفظ الصلوات ومراعاتها. إذ المحافظة من المفاعلة و أنها تقتضي وجود الفعل من الجانبين على الشركة كالمقاتلة والمواكلة، فيكون في الآية ترغيب في أداء الصلوة على الاشتراك، وذلك بالجماعة. فدل على فضيلة الجماعة وعلى وجوب العمل بها. ويحتمل أن يكون المراد تأكيد وجوب الصلوات الخمس بذكر المحافظة عيها، فإنه أدخل الألف واللام على الصلوات فينصرف إلى المعهود ما أمكن، والصلوات الخمس هي المعهودات في اليوم والليلة. والآية يقتضي القيام بها واستيفاء فروضها وحفظ حدودها وفعلها في مواقيتها وترك التقصير فيها، إذ المحافظة هو الترغيب في أدائها على المسارعة على ما خرج الأمر بالمسارعة إلى الخيرات والمسابقة بها بقوله: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٣)، وكلا يحتمل ظاهر الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٣ط).

فهو –والله أعلم– أنه إذا حفظها على وقتها و لم يَسْهَ[1] عنها حفظته. وهو كما ذكر في آية أخرى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[2] وفي[3] حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر.[4] فعلى ذلك: إذا حفظها على أوقاتها مع أحكامها وسننها، و لم يدخل فيها[5] ما ليس منها[6] من الكلام والالتفات وغير ذلك مما نهي عنه – حفظته.[7] وكذلك قوله: وَسَارِعُوا،[8] و سَابِقُوا،[9] من المفاعلة، فإذا بادر إليها بدرت إليه. ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **والصلاةِ الوسطى**. اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **والصلاة الوسطى**، أراد كل الصلاة، لا صلاة دون صلاة. وهو –والله أعلم– أن الصلاة هي الوسطى[10] من الدين. وهو على ما جاء «الإيمان كذا كذا بضعةً، أعلاها كذا،[11] وأدناها كذا».[12] فعلى ذلك قوله:[13] والصلاة هي[14] الوسطى من الدين، ليست بأعلاها ولا بأدناها، ولكنها الوسطى من الدين. وقال آخرون: **والصلاةِ الوسطى**، هي صلاة العصر. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي العصر».[15] وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها أيضا أنها هي صلاة[16] العصر.[17]

[1] جميع النسخ: لم يسهو.
[2] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.
[3] ع م: في.
[4] ك: وتنهى عن المنكر. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٦٥/٦.
[5] ع م – فيها.
[6] جميع النسخ: فيها.
[7] أي حفظت الصلاة من أقامها عن الفحشاء والمنكر.
[8] ﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾ (سورة آل عمران، ١٣٣/٣).
[9] ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض﴾ (سورة الحديد، ٢١/٥٧).
[10] ن + شيء؛ ع م + هي.
[11] ع م + كذا.
[12] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٩/٢، ٤١٤؛ وصحيح *البخاري*، الإيمان ٣؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٥٧-٥٨).
[13] أي قول هذا البعض.
[14] ع – هي.
[15] عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الوسطى صلاة العصر» (*تفسير الطبري*، ٥٥٦/٢-٥٦٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٣/١).
[16] ك ن – صلاة.
[17] انظر: *كتاب المصاحف* لسجستاني، ٨٥.

وقال قائلون: هي الفجر، ذهبوا في ذلك إلى أن النهار يجمع الصلاتين، والليل بطرفيه كذلك، فالفجر أوسطها. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: هي الفجر.[1] وقال آخرون: هي الظهر؛ ذهبوا في ذلك إلى أنها إنما تقام وسط النهار، فسميت بذلك. وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: هي صلاة[2] الظهر.[3] ومن قال: هي العصر، ذهب في ذلك إلى ما روي من الخبر، وإلى أن العصر هي الواسطة من صلاتي النهار وصلاتي الليل، لأن[4] صلاتين بالنهار قبلها وصلاتين بعدها بالليل فهي الواسطة. والقياس أن تكون[5] هي المغرب، لأن الظهر سميت أُولى،[6] والعصر يكون[7] الثانية، فالمغرب هي الواسطة لكن لم يقولوا به. وفيه دلالة أن الصلوات[8] وتر، لأن الشفع مما لا وسطى له.

ثم جهة الخصوصية أنها[9] كانت.[10] فإن كانت عصرا فهو ما ذكر أن الكفرة حملوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة العصر،[11] فلم يتهيأ لهم إقامتها، فقالوا: احفظوا عليهم صلاة هي أكرم عليهم من أنفسهم وأموالهم وأهاليهم.[12] فظهر بهذا أن لها فضلا[13] وخصوصية من عند الله ورسوله. ولما[14] روي في الخبر أيضا [من] قوله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٦٤/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩١/١.

[2] ك ن – صلاة.

[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٦١/٢؛ *تفسير القرطبي*، ١٤٨/٢-١٤٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩١/١.

[4] ع: أن.

[5] ن ع م: أن يكون.

[6] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير بذلك إلى مضمون حديث روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشِّراك الخ...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٣٣/١-٣٥٤؛ و*الموطأ* لمالك، وقوت الصلاة، ١؛ وصحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٦٦،١٦٧).

[7] ك: تكون.

[8] ك ع م: الصلوة.

[9] ن ع: أيها.

[10] أي الصلاة الوسطى وجدت بالنص القرآني.

[11] جميع النسخ: الظهر. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٤و.

[12] ن ع م – وأهاليهم. عن عبد الله بن مسعود قال: شغل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى اصفرت –أو احمرت– فقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، ملأ الله أجوافهم، وقبورهم نارا» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٨١/١؛ وصحيح *مسلم*، مساجد ٢٠٢-٢٠٦؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٥٥٧/٢؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٤٠/٢).

[13] جميع النسخ: فضل.

[14] جميع النسخ: وما.

«من فَاتَتْه[1] العصرُ [فكأنما] وُتِر أهلَه ومالَه».[2]

فإن كانت فجرا؛ فلأن الكتاب ذكرها بقوله: إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا،[3] ولما قيل: إن ملكي الليل والنهار يشهدونها؛[4] فظهر[5] لها الخصوصية والفضل. ومن قال: إنها [ال]ظهر، ذهب إلى أن خصوصيتها وفضيلتها [ترجع إلى] ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر أربعا إذا زالت الشمس، وقال: «إن أبواب السماء تفتح في ذلك الوقت».[6]

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **والصلاةِ الوسطى**. تكلم فيه بوجهين. أحدهما أن الصلاة هي الوسطى من أمر الدين، فهي على أن الأرفع[7] من أمر الدين[8] هو التوحيد والإيمان. وذلك هو الذي لا يرتفع بعذر ولا يسقط[9] بسقوط المحنة؛[10] إذ ذلك في الدارين جميعا. وهو الإخلاص، ونفي جميع معاني[11] الخلق به عمن يوحده ويؤمن به. وسائر العبادات قد تقوم[12] مع وجود أمور الدنيا والمعاش معها، وفي حالها بالذي به قوامها، والتوحيد لا.[13] ثم الصلاة مما بها ترك جميع ما ذكرت في حال فعلها، فيما [يقوم] به فعلها، فهي تشبه الإيمان من هذا الوجه، ثم هي[14] تسقط للأعذار ولا تجب في غير دار المحنة، على ما عليه أمر غيرها من العبادات؛

---

[1] ك: فاته؛ ك م + صلاة.

[2] صحيح *البخاري*، المواقيت ١٤، المناقب ٢٥؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢٠٠، ٢٠١، فتن ١١. وتره حقه وماله: نقصه إياه. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي نقص أهله وماله وبقي فردا (*لسان العرب*، «وتر»).

[3] ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٨).

[4] *تفسير الطبري*، ١٥/١٤٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٣٠٧، ١٥/١٣٩.

[5] ك: فظهرت؛ ن ع م: فذكرت.

[6] سنن *أبي داود*، الصلاة ٢١؛ وسنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٠٥.

[7] ك: لارفع.

[8] ك: المؤمنين.

[9] ن: ولا تسقط.

[10] أي ولا يسقط بسقوط المحنة والتكليف في الآخرة.

[11] ن: المعاني.

[12] ن: يقوم؛ ع م: يقدم.

[13] «تشابه أمور الدنيا فيما به قوامها وأركانها؛ فإن أداء الزكاة إلى الفقير نظير قضاء الدين إلى مستحقه ظاهرا، والجهاد مع الكفار يشابه المقاتلة مع الأعداء بسبب طلب الثأر، وقصد قهر العدو فيما بين المسلمين. والتوحيد والإيمان لا يشابه فعلا من الأفعال فيما يقوم به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٣ظ).

[14] ن ع م – هي.

فصارت بذلك الوسطى من أمر الدين. **وهو الموفق.**

والثاني أن تكون هي صلاة من جملتها، فتذكر[١] بحرف التخصيص لها من الجملة لوجهين. أحدهما لبيان جملة الفرائض أنها وتر لا شفع؛[٢] إذ لا وسطى للشفع، فيكون في ذلك بطلان قول[٣] قوم أنكروا العدد لها، و[قول] قوم زعموا أنها صلاتان في الجملة. **والله أعلم.** والثاني[٤] أن يراد بذلك التفضيل لصلاة[٥] من الصلوات[٦] في الحث على فعلها والترغيب في المحافظة عليها.[٧] ويجيء أن تكون[٨] تلك معروفة عند الذين خوطبوا إما بالاسم أو بالحال من النوازل، لأنه لا يحتمل أن يرغّب في فعل لا يعلم حقيقة ذلك. **والله أعلم.**

ثم يكون الاختلاف[٩] ممن[١٠] لم يشهد النوازل التي عرفت المراد، فقال كلٌّ بمبلغ[١١] جهده فيما أدى إليه رأيه من الترغيب في الفعل: إنها[١٢] على ذلك. لكنهم اختلفوا؛ فمنهم من اعتبر بالركعات، فقال: أكثرها أربع، وأقلها ركعتان، والوسطى منها ثلاث؛ فصرف التأويل إلى المغرب، واستدل في الترغيب بما جاء: «إن الله وتر يحب الوتر»،[١٣] وبما جاء من الترغيب[١٤] في تعجيلها والمبادرة في فعلها،[١٥] حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند هجوم وقتها لنافلة ولا لحاجة.[١٦]

---

[١] ن ع م: فيذكر.

[٢] جميع النسخ: لاالشفع.

[٣] ن: قوله.

[٤] ع م – والثاني.

[٥] ن: الصلوات؛ ع م: الصلاة.

[٦] م: من الصلاة.

[٧] جميع النسخ: في محافظتها.

[٨] ن ع م: يكون.

[٩] ن ع م: لاختلاف.

[١٠] ع م: من.

[١١] جميع النسخ: مبلغ.

[١٢] ن ع م: أنه. وإنها: أي الصلاة الوسطى.

[١٣] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٩/٢، ٢٥٨؛ وصحيح *البخاري*، الدعوات ٦٨؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ١.

[١٤] ع م – بما جاء إن الله وتر يحب الوتر وبما جاء من الترغيب.

[١٥] لعل المؤلف يشير إلى ما روي عن رافع بن خديج، قال: كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف أحدنا وإنه ليُبصر مواقع نَبْله. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢١٠/٢، ٢٢٣، ٢٣٢؛ وصحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ١٨؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢١٦، ٢١٧.

[١٦] ع م: ولحاجة.

على أن سميت الظهر أُولى،[1] فعلى ذلك[2] يكون[3] المغرب الوسطى.

وقوله: **وقوموا لله قانتين**، قيل: خاشعين خاضعين فيها، لا يدخل فيها ما ليس منها. وعلى ذلك[4] [ما] روي[5] عن زيد بن أرقم أنه قال: كنا نتكلم[6] في الصلاة، فلما نَزَل قوله: **وقوموا لله قانتين**،[7] أمرنا بالسكوت[8] ونهينا عن الكلام.[9] وعلى ذلك سمي الدعاء قنوتا. وقال آخرون: **قانتين** مطيعين. وذلك ما قيل: إن أهل الأديان يقومون في صلاتهم عاصين[10] ساهين، فأمر أهل الإسلام أن يقوموا مطيعين. والقنوت هو القيام، على ما روي أنه سئل عن أفضل الصلاة، فقال: «طول القنوت».[11]

وأصل القنوت ما ذكرنا هو القيام؛ غير أن الذي يقوم لآخر يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت، وليس في الآية أنه أمر بذلك في الصلاة، غير أن أهل التأويل صرفوه[12] إلى ذلك، لأنها ذكرت على أثر ذكر الصلاة.

**﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٢٣٩]**

وكذلك قوله: **فإن خفتم فرجالا أو ركبانا**، ليس فيه أن ذلك في الصلاة، لكنهم صرفوا إليها ذلك لما ذكر على إثر الصلاة.[13] ثم اختلف فيه. قالوا: **ركبانا** على الدواب،

---

[1] يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّني جبريل عيه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشِراك إلخ...» (*الموطأ* لمالك، وقوت الصلاة، ٤؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٣٣/١-٣٥٤؛ و*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٤؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ١٦٧، ١٦٦).

[2] ك + ذلك.

[3] ك: تكون.

[4] م - ذلك.

[5] م + روي.

[6] ع: يتكلم.

[7] ع + مطيعين.

[8] ع م + في صلاتهم خاضعين ساهين.

[9] عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عيه وسلم في الصلاة، يكلّم الرجل منا صاحبه إلى جنبه، حتى نزلت: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٥/١؛ و*صحيح البخاري*، العمل في الصلاة ٢، ٤؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣٣، ٣٤، ٣٧).

[10] ن م: خاضعين؛ ع: خاضين.

[11] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٢/٣، ٣١٤؛ و*صحيح مسلم*، صلاة المسافر ١٦٤، ١٦٥؛ و*سنن الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٦٨.

[12] جميع النسخ: صرفوا.

[13] ك ن: لكنهم صرفوا إليها ذلك في الصلاة إثر الصلاة؛ ع م: لكنهم إليها ذلك في الصلاة لكنهم صرفوا إليها (ع + ذلك) في الصلاة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٤و.

على أن سميت الظهر أُولى،[١] فعلى ذلك[٢] يكون[٣] المغرب الوسطى.

وقوله: **وقوموا لله قانتين**، قيل: خاشعين خاضعين فيها، لا يدخل فيها ما ليس منها. وعلى ذلك[٤] [ما] روي[٥] عن زيد بن أرقم أنه قال: كنا نتكلم[٦] في الصلاة، فلما نَزَل قوله: **وقوموا لله قانتين**،[٧] أمرنا بالسكوت[٨] ونهينا عن الكلام.[٩] وعلى ذلك سمي الدعاء قنوتا. وقال آخرون: **قانتين** مطيعين. وذلك ما قيل: إن أهل الأديان يقومون في صلاتهم عاصين[١٠] ساهين، فأمر أهل الإسلام أن يقوموا مطيعين. والقنوت هو القيام، على ما روي أنه سئل عن أفضل الصلاة، فقال: «طول القنوت».[١١]

وأصل القنوت ما ذكرنا هو القيام؛ غير أن الذي يقوم لآخر يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت، وليس في الآية أنه أمر بذلك في الصلاة، غير أن أهل التأويل صرفوه[١٢] إلى ذلك، لأنها ذكرت على أثر ذكر الصلاة.

**﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**[٢٣٩]

وكذلك قوله: **فإن خفتم فرجالا أو ركبانا**، ليس فيه أن ذلك في الصلاة، لكنهم صرفوا إليها ذلك لما ذكر على إثر الصلاة.[١٣] ثم اختلف فيه. قالوا: **ركبانا** على الدواب،

---

[١] يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّني جبريل عيه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشِراك إلخ...» (*الموطأ* لمالك، وقوت الصلاة، ٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٣٣/١-٣٥٤؛ وصحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ٤؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٦٧، ١٦٦).

[٢] ك + ذلك.

[٣] ك: تكون.

[٤] م – ذلك.

[٥] م + روي.

[٦] ع: يتكلم.

[٧] ع + مطيعين.

[٨] ع م + في صلاقم خاضعين ساهين.

[٩] عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عيه وسم في الصلاة، يكلّم الرجل منا صاحبه إلى جنبه، حتى نزلت: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٥/١؛ وصحيح *البخاري*، العمل في الصلاة ٢، ٤؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣٣، ٣٤، ٣٧).

[١٠] ن م: خاضعين؛ ع: خاضين.

[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٢/٣، ٣١٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافر ١٦٤، ١٦٥؛ وسنن *الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٦٨.

[١٢] جميع النسخ: صرفوا.

[١٣] ك ن: لكنهم صرفوا إليها ذلك في الصلاة إثر الصلاة؛ ع م: لكنهم إليها ذلك في الصلاة لكنهم صرفوا إليها (ع + ذلك) في الصلاة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٤و.

حيث ما توجهت بهم الدواب يصلون عليها في حال السير والوقوف. وعلى ذلك جاءت الآثار من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم،[1] وفعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في النوافل، فتكون[2] الفرائض عند العذر مرادة بالآية[3] على ما ظهر [من] فعل النوافل في غيره بالسنة.

وأما قوله: **فَرِجالا**، فمما اختلف فيه. قال قائلون:[4] **فرجالا**، فمشاة، وهو من الترجل؛ وترجل: مشى راجلا.[5] وأما عندنا فهو على المعروف من الصلاة على الأرجل والأقدام قياما وقعودا، لا يزال عن الظاهر والمعروف الذي عرف الفعل به، على ما عرف من الصلاة على الأرجل. وقوله: **ركبانا**، على ما عرف من الركوب وهو في حال السير، ولم نر[6] الصلاة تقوم مع المشي فيها.

فإن قيل: صلاة الخوف فيها مشي.[7] قيل: إن المشي ليس[8] في فعل الصلاة، لأنهم في الوقت الذي يمشون لا يفعلون فعل الصلاة، وهو كما يقال:[9] إن الصلاة لا تقوم مع الحدث، فإذا أحدث فيها فذهب ليتوضأ ليس هو في وقت الحدث مصليا،[10] وإن بقي[11] في حكم الصلاة. فعلى ذلك المشي في صلاة [الخوف] ليس هو في فعل[12] الصلاة وإن كان باقيا على حكم الصلاة. *والله أعلم*.

**وقوله: فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم[13] ما لم تكونوا تعلمون.**

وقوله: **فاذكروا**، يحتمل أن يصرف إلى الصلاة؛ أي صلوا كما علمكم أن تصلوا

---

[1] انظر: صحيح *البخاري*، صلاة الخوف، ١-٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافر ٣٠٥-٣١٢.
[2] ن م: فيكون.
[3] ك ن ع + بل.
[4] م: ما يكون.
[5] ك – وترجل مشى راجلا. رَجل يرجَل رَجَلا وارتجل وترجّل: مشى على رجليه. (*لسان العرب*، «رجل»).
[6] ن: ولم ير.
[7] جميع النسخ + فقامت.
[8] ع م – ليس.
[9] ع م: يقول.
[10] جميع النسخ: مصلى.
[11] جميع النسخ: أبقي.
[12] ع: فعل.
[13] جميع النسخ + يحتمل قوله.

في حال الأمن.[١] ويحتمل أن يصرف إلى غيرها[٢] من الأذكار، كقوله: وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ.[٣] ويحتمل أن يصرف إلى الشكر، أي اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واشكروها لي، كقوله: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.[٤] *والله أعلم*.

وفي قوله: **كما علّمكم**،[٥] وقوله:[٦] عَلَّمَ الْإِنْسَانَ،[٧] وعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وعَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[٨] دليل أن لله صنعا[٩] في فعل العباد، حيث أضاف التعليم إلى نفسه، وهو أنْ خلق فعل التعليم منه؛ إذ لو لم يكن منه فيه[١٠] صنع لكان أضيف [إلى] ذلك المعلم[١١] دون البيان.[١٢] فدل إضافته إليه على أن له فيه فعلا[١٣] نعوذ بالله من السرف في القول، والزيغ عن الهدى.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **فاذكروا الله كما علمكم**، أي صلوا له كما علمكم[١٤] من الصلاة في حال الأمن، إذ معلوم تقدم الأمر بالصلاة وتعليم حدودها، وقوموا[١٥] في الرخصة في التخفيف بحال العذر. ويحتمل: **فاذكروا الله**، بالشكر[١٦] بما أمنكم،[١٧] كما علمكم من الشكر له في النعم. وأي ذلك كان[١٨] فهو الذي علمهم[١٩] بعد أن كانوا غير عالمين به. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: الأمر؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٤ظ.

[٢] جميع النسخ: غيره. أي يصرف إلى غير الصلاة من الأذكار.

[٣] ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩).

[٤] سورة البقرة، ١٥٢/٢.

[٥] ع – وفي قوله كما علمكم.

[٦] م – كما علمكم وقوله.

[٧] ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (سورة العلق، ٥/٩٦).

[٨] سورة الرحمن، ٢/٥٥، ٤.

[٩] ن ع: صنع.

[١٠] ن ع – فيه.

[١١] ن + روي.

[١٢] لعله يقصد: دون ما بين في هذه الآيات من أن التعليم منه تعالى.

[١٣] جميع النسخ: فعل.

[١٤] ع م – أي صلوا له كما علمكم.

[١٥] ن ع م: قوموا.

[١٦] جميع النسخ: بشكر.

[١٧] جميع النسخ: امما امسكم.

[١٨] ن – كان.

[١٩] م: علمتم.

ودل إضافة التعليم في هذا إليه، وكذلك في قوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[1] وقوله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ،[2] على وجود[3] الأسباب[4] من الله له في الأمرين،[5] على أن كان من الله في أحد الأمرين ما ليس منه في الآخر، ومعنى الأسباب فيهما واحد. ثبت أنه على خلق فعل التعليم ونفيه. **والله أعلم**.

**﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٤٠]**

وقوله: **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن**، الآية. قد ذكرنا فيما تقدم[6] أنها تخرج على وجهين: على النسخ[7] بقوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.[8] ويحتمل على نسخ الوصية خاصة، دون نسخ العدة، وأن الأمر بالاعتداد في الآيتين أمر واحد، [وهو] أربعة أشهر وعشرا، ونسخ الوصية بآية الميراث[9] وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا وصية لوارث».[10] وفيه دلالة أن للموصَى له خيارًا[11] بين قبول الوصية وبين ردها، وفيه أن له أن يردها إذا قبل، بقوله: **غيرَ إخراج فإن خرجن**، إذ في الخروج ردُّها، وذلك بعد القبول.

[٦١ظ] وقوله: **فلا جناح / عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم**. قد ذكرنا[12] أنها تحتمل[13] وجهين. تحتمل ما فعلن في أنفسهن من التشويف[14] والتزيين،

[1] سورة الرحمن، ٥٥/٤.
[2] سورة يس، ٣٦/٦٩.
[3] ع: على وجوده.
[4] ن - الأسباب.
[5] أي في إثبات التعليم، ونفيه.
[6] انظر: سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[7] «أي على نسخ العدة المقدرة بالسنة في عدة الوفاة بالتقدير بأربعة أشهر وعشرا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٤ظ).
[8] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[9] انظر: سورة النساء، ٤/١١-١٢؛ و ٤/١٧٦.
[10] عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله تعالى أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٨٦-١٨٧؛ و*سنن الدارمي*، الوصايا ٣٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الوصايا ٥).
[11] جميع النسخ: خيار.
[12] انظر: سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[13] ع: يحتمل.
[14] المشوفَّة من النساء: التي تظهر نفسها ليراها الناس (*لسان العرب*، «شوف»).

كذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: لا جناح عليهن أن يتشوّفن، ويتزيّن، ويلتمسن الأزواج. ويحتمل وضعهن أنفسهن في كفء بمهر المثل. **والله أعلم.**

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٢٤١]

وقوله: **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين.** تحتمل[١] الآية أن تكون[٢] في المطلقات المدخولات بهن، وقد فرض لهن أن يؤمر الأزواج بالمتعة أدبا لا وجوبا،[٣] على ما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه متّع بعشرة آلاف،[٤] وعلى ما[٥] روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما،[٦] أنهما قالا: إن كنت من المتقين أو من المحسنين فمتعها؛[٧] فهو أمر أدب لا أمر إيجاب يجبر على ذلك. وإن كانت في المطلقة التي لم يدخل بها، ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله، وهي واجبة يجبر على ذلك. فتخرج هذه الآية والتي قبلها، [وهي] قوله: وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ،[٨] على مخرج واحد، غير أن في إحديهما بيان قدر المتعة،[٩] وليس في الأخرى سوى ما ذكر.[١٠]

وتحتمل[١١] وجها[١٢] آخر،[١٣] وهو أن الأمر بالمتعة أمر بالإنفاق عليها والكسوة لها إذا دخل بها ما دامت في العدة.[١٤] أو على الاختيار على ما ذكرنا،[١٥] لا على الإيجاب؛

---

[١] ن م: يحتمل.

[٢] م: أن يكون.

[٣] م: أو بالأدب وجوبا.

[٤] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٢/٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٣٣/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٨٩/١.

[٥] ن ع م: على ما.

[٦] ع م + أنه متع بعشرة آلاف على ما روي عن ابن عباس إلى.

[٧] وقد جاء في تنوير المقباس: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ بالإحسان والفضل...وليس بواجب؛ لأنه فضل على المهر على وجه الإحسان. ونسبه الماوردي إلى شريح. انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٤؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٣٠٦/١.

[٨] ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾ (سورة البقرة، ٢٣٦/٢).

[٩] «أي بحال الرجل من الإيسار والإعسار» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٤ظ).

[١٠] أي سوى ذكر المتعة.

[١١] ن ع م: ويحتمل.

[١٢] ك ن م: وجه.

[١٣] «أي إن كان المراد هي المطلقة بعد الدخول» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٤ظ).

[١٤] أي ويكون استعمال كلمة "المتعة" في معناها اللغوي على وجه الإطلاق.

[١٥] أي على الندب، وذلك إذا أريد بالمتعة المعنى المقيد في الاستعمال وهو المتعة المعروفة.

إذ لو كان على الوجوب لكان في ذلك إيجاب بدلين: الصداق والمتعة، و لم يعرف عقد من العقود أوجب بدلين، فكذلك هذا. *والله أعلم*. والثاني أن الطلاق سبب إسقاط لا سبب إيجاب؛ فإذا كان كذلك لم يجز أن يوجب بالسبب[1] الذي هو سبب الإسقاط، لذلك لم يجب. *والله أعلم*.

**﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٤٢]**

وقوله: **كذلك يبين الله لكم آياته**، [أي] ما سبق ذكره من الأحكام من الأمر بالاعتداد، والإنفاق عليهن، والتمتيع[2] وغير ذلك، **لعلكم تعقلون**، أمره ونهيه.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **كذلك يبين الله لكم آياته**: أي كما بين[3] في هذا يبين في جميع ما يَعلم لكم إلى بيان ذلك حاجة، على قدر ما أراد من البيان من بيان كفاية أو مبالغة، ليُعلَم أن جميع ما بالخلق إليه حاجة[4] داخل تحت البيان،[5] يوصل إلى ذلك بقدر ما تحتمله[6] العقول، على ما يكرم الله المجاهدين فيه في طلب مرضاته.[7] *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٢٤٣]**

قوله:[8] **ألم تر**، حرف تعجيب وتنبيه ليتأمل فيما يلقى إليه مما أريد الإنباء عنه،[9] أو فيما قد كان سبق الإنباء عنه ليتجدد بالنظر فيه عهدا. وعلى ذلك المعروف من استعمال هذه الكلمة؛ ولذلك[10] وُجّه تأويله إلى الخبر مرة، وإلى العلم به ثانيا، وإلى النظر فيه ثالثًا، على اختلاف ما قيل.[11] وفيه كل ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: السبب.
[2] م: والتمتع.
[3] ع م: يبين.
[4] جميع النسخ: ما إليه بالخلق حاجة.
[5] ع + أن.
[6] ن م: يحتمله.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩).
[8] ن ع م: وقوله.
[9] ن – عنه.
[10] ع م: وكذلك.
[11] أي قيل في معنى "ألم تر": ألم تخبر، ألم تعلم، ألم تنظر.

قوله[1] تعالى: **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**. قوله: **ألم تر**: ألم تُخبَر، أو ألم تَنْظر.[2] مثل هذا إنما يقال عن أعجوبة بالقصة[3] فيه. [ثم هذا] –والله أعلم– جواب قوله: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا.[4] أخبرهم الله[5] عز وجل من قصة[6] هؤلاء أنّ جهلهم بآجال أولٰئك حَمَلهم على هذا القول، مثل جهل بني إسرائيل بآجالهم حَمَلهم على الخروج [من ديارهم] حذر الموت، ثم لم ينفعهم ذلك، بل أميتوا، كذا هذا.

ثم اختلف في قصة هذا. قال بعضهم: خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله. وقال آخرون: وقع الطاعون في قريتهم، فخرج أناس وبقي أناس. فمن خرج أكثر ممن بقي، فنجا[7] الخارجون وهلك الباقون. فلما كانت الثانية خرجوا بأجمعهم إلا قليلاً، فأماتهم الله ثم أحياهم. فلا ندري كيف كانت القصة. فإن كانت القصة في الفرار[8] من الجهاد في سبيل الله فله[9] نظير في الآيات، [مثل] قوله: قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[10] وقوله: لَنْ يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ،[11] الآية، وقوله: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ.[12] ومثله كثير في القرآن. وإن كانت في الطاعون، فقد جاء[13] الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا كنتم في أرض وفيها وباء فلا تخرجوا منها وإذا لم تكونوا فيها

[1] ن ع م: وقوله.

[2] ك: ولم تخبر ولم تنظر؛ ن ع م: أو لم تخبر ولم تنظر.

[3] ك: فالقصد؛ ن ع م: فالقصة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٤ظ.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ (سورة آل عمران، ١٥٦/٣).

[5] ك ن – الله.

[6] ن ع: عن قصة.

[7] ن ع م: فنجى.

[8] ع م: في الظهر.

[9] جميع النسخ: وله.

[10] سورة آل عمران، ١٥٤/٣.

[11] ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تُمَتَّعون إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ١٦/٣٣).

[12] سورة الجمعة، ٨/٦٢.

[13] ع: قد جاء.

فلا تدخلوها».[1] ومعناه –والله أعلم– أنهم إذا كانوا فيها يخرج مخرج الفرار من الموت إن تحولوا؛[2] أو إن الفرار أنجاهم، [و]إن لم يكونوا فيها فدخلوا فأصابهم فأماتهم[3] الله؛ يظنون أنهم إذا لم يكونوا فيها لم يصبهم ذلك. ففي الوجهين نسيان القضاء، وقد جاء: «أن لا عَدْوَى ولا هَامَةَ».[4]

فإن قيل: روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مر على حائط مائل أسرع المشي،[5] [ف]كيف نهى عن الخروج عن أرض فيها وباء وطاعون؟

قيل: إن كل ما كان مخرجه مخرج آية وفيها إهلاكهم فذلك لا يكون إلا بأمر سبق منهم،[6] فحق مثله الفرار إلى الله لا إلى غيره. وأما انكسار الحائط فليس لأمر سبق منه،[7] فجائز أن يأخذ[8] منه حذره. هذا هو[9] الفرق بينهما. **والله أعلم**.

{قال الشيخ رحمه الله:} ويجوز أن يكون فعله صلى الله عليه وسلم ليُعلِّم [أمته] أن مثله من الخوف لا يعد نقصانا في الدين، وذلك كالعُدَّة تتخذ للحرب، والأغذية للبدن،

---

[1] عن عبد الرحمن بن عوفقال: سمعت رسول الله صى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا تَقْدَموا عليها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٧٣/١، ١٧٥-١٧٧؛ وصحيح *البخاري*، الطب ٣٠-٣١؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٩٢، ٩٨-١٠٠).

[2] ع م – وإذا لم تكونوا فيها فلا تدخلوها ومعناه والله أعلم أنهم إذا كانوا فيها يخرج مخرج الفرار من الموت إن تحولوا.   أي إنهم إذا كانوا فيها فتحولوا عنها خرج هذا التحول مخرج الفرار من الموت.

[3] ك ن – فأماتهم.

[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ولا هَامَة، ولا صَفَرَ، وفِرَّ من المجذوب كما تَفِرّ من الأسد» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧٨/١، ٢٣٣؛ وصحيح *البخاري*، الطب ١٩؛ وصحيح *مسلم*، السلام ١٢٦).   **عدوى:** اسم من الإعداء، وهو أن يُصيبه مثلُ ما بصاحب الداء. وقيل هي البُومَة. **طِيَرَة:** التشاؤم بالشيء. **هامة:** الرَّأسُ، واسْمُ طائرٍ. وهو المُرادُ في الحديث وذلك أنهم كانوا يَتَشاءَمُون بها وهي من طَيرِ اللَّيل. **صَفَر:** كانت العرب تزعُم أن في البَطْن حيَّةً يقال لها الصَّفَر، تُصِيب الإنسان إذا جَاعَ وتُؤْذِيه، وأنها تُعْدِي، فأبطَل الإسلامُ ذلك. وقيل: أرادَ به النَّسِيء الذي كانوا يَفْعلُونه في الجاهليَّة، وهو تأخيرُ المُحرَّم إلى صَفَر، ويجعَلُون صَفَر هو الشهرَ الحرامَ، فأبطَله. (*النهاية* لابن الأثير، «عدا»، «طير»، «هوم»، «صفر»).

[5] الحديث ذكره القرطبي بلفظ: «كان إذا مر بصَدَف مائل أسرع المشي». وقال: قال أبو عبيدة: الصدف والهدف كل بناء عظيم مرتفع. انظر: *تفسير القرطبي*، ٦١/١١؛ وانظر أيضا: *نيل الأوطار* للشوكاني، ١٢٩/٣.

[6] «إن كل ما كان مخرجه مخرج آية من آيات الله تعالى لإهلاك قوم فذلك لا يكون إلا بأمر سبق منهم من الإصرار على المعصية والعناد ونحو ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٥و).

[7] أي من المار.

[8] ك: يخرج.

[9] ع م – هو.

لا على ظنٍّ بالله أنه لا يملك الحياةَ [بـ]ـدونها أو قهر العدو [بدون العدة]، ولكن على التأهب والائتمار، إذ قد جعل [الله تعالى] الذي خيف فيه والذي رجي [منه].[1] *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله لذو فضل على الناس**. حيث[2] أحياهم بعد ما أماتهم، وذلك فضل منه، وذو فضل على الناس بكل نعمة أنعمها عليهم، ليستحق[3] الشكر من الخلق بذلك.

هذه الآية [حجة] على المعتزلة؛ إذ قالوا:[4] ليس لله أن يفعل بخلقه إلا الأصلح لهم في الدين، ولو فعل غير ذلك كان جائرا.[5] فإذا كان هذا عليه فأنى يكون الإفضال؟ وإنما يقال: ذو فضل وذو منٍّ إذا أعطى ما ليس عليه. وأما من أعطى ما كان عليه [فـ]ـلا يقال إنه تفضل أو منّ، كمن يقضي دينا عليه لآخر لا يستوجب الشكر بذلك، لأنه قضى / ما كان عليه قضاؤه. فكذلك الله تعالى إذا أخبر [٦٢و]
أنه ذو فضل وذو منّ،[6] لم يكن ذلك عليه، فاستوجب الشكر على الخلق بذلك. *وبالله التوفيق*.

ثم الكلام في أن أولئك ماتوا بآجالهم أو لا بآجالهم.[7] قالت المعتزلة: لم تكن[8] آجالهم ذلك، بل ذلك استعجال عن آجالهم.[9] ومن قولهم: إن لكل أحد أجلين؛ إن قتل فأجله كذا، وإن مات فكذا. قيل: ذلك تأجيل من لا يعلم أنه يُقتَل أو يموت، فإذا علم الله أنه يموت،[10] لم يكتب له أجل القتل.[11] وكذلك ما روي: «إن صلة الرَّحِم تزيد في العمر»،[12] إذا كان في علم الله في الأزل أنه يصل الرحم يكتب[13] عمره أزيد ممن يعلم في الأزل أنه يقطع ولا يصل؛

[1] «أي في اتخاذ العدة. والأسباب معتبرة، والعبد مأمور باكتسابها. فكان ذلك أمرا بالعمل بالأسباب، مع الاعتقاد أن الحكم لله تعالى ومن عنده يظهر بسبب وغير سبب» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٥و).
[2] جميع النسخ: حين.
[3] ك: يستحق.
[4] ك: قال.
[5] جميع النسخ: جايرا.
[6] ك ن + ما.
[7] ن - بآجالهم؛ ع - أو لا بآجالهم.
[8] جميع النسخ: يكن.
[9] ع - ذلك استعجال عن آجالهم؛ م - آجالهم ذلك بل ذلك استعجال عن آجالهم. «أي فإن المذهب عندهم المقتول ليس بميت بأجله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٥و).
[10] ن + فإذا علم الله أنه يموت.
[11] «أي فأما الله تعالى عالم أنه يموت أو يقتل فيكتب ذلك، إذ يبعد أن يكتب له أجل القتل وهو عالم أنه يموت» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٥و-ظ).
[12] انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٢٩، ٤١؛ و*أسنى المطالب* لمحمد بن درويش، ١٧٣.
[13] جميع النسخ: مكتب.

إذ لو حمل ذلك على ما يقولونه[1] لخرج فعله [مخرج] فعل من يجهل العواقب.

فإن قيل: فلم يلام القاتل إذا قتل غيره بغير حق؟

قيل له: لأنه كتب أجل المقتول بقتل هو معصية، بما علم الله أنه[2] ينقضي[3] به، وكتاب الآجال هو بيان النهايات والأعمار.

**﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٤٤] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢٤٥]**

قوله: **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**، عامل الله تعالى بلطفه وكرمه الخلق[4] معاملة[5] من لا حق له[6] في أموالهم، لا كمعاملة العباد بعضهم بعضا وإن كان العبيد وأموالهم كلهم له، حيث طلب منهم الإقراض كبعضهم من بعض، ثم وعد لهم الثواب على ذلك؛ فقال: **فيضاعفه له أضعافا كثيرة.**

ثم لما سمع اليهود ذلك قالوا: إن إله محمد فقير، وهو قوله: لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[7] ومرة قالوا لما رأوا الشدة على بعض الناس، فقالوا: إنما يفعل ذلك لبخله، حيث قالوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[8] فرأوا المنع إما للبخل وإما للفقر.[9] فأكذبهم الله تعالى في قولهم ذلك فقال: **والله يقبض ويبسط**. قيل: يَقْتُر، **ويبسط**: ويوسع. وقيل: **يقبض** ما أعطى، أي يأخذ، **ويبسط**: ويترك ما أعطى ولا يأخذ منه شيئا.[10]

وقيل: إنها نزلت في أبي الدَّحْداح.[11] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم[12] قال:

---

[1] جميع النسخ: يقولون هم. أي على ما يقولونه من أن لكل أحد أجلين.
[2] أي أجله.
[3] م: يقضي.
[4] ع م – الخلق.
[5] ع: عامة.
[6] ع م – له.
[7] سورة آل عمران، ٣/١٨١.
[8] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٤).
[9] ع: للفقير.
[10] ك – شيئا.
[11] أبو الدحداح الأنصاري: حليف لهم. قال أبو عمر: لم أقف على اسمه ولا نسبه أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم. وقال البغوي: أبو الدحداح الأنصاري، ولم يرد. ثم ذكر ابن حجر أن أبا الدحداح عاش إلى زمن معاوية. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٧/١٠٠-١٠١.
[12] ن ع م + أنه.

«من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة». فقال أبو الدحداح: إن تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة؟ فقال: «نعم». قال: وأم الدحداح معي؟ قال: «نعم». قال: والصِّبية معي؟ قال: «نعم». فرجع أبو الدحداح، فوجد أم الدحداح والصبية فيها، فقام على باب الحديقة فنادى: يا أم الدحداح، إني جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها[1] في الجنة، وأم الدحداح والصبية فيها معي. قالت: بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت، أزبَيت. فخرجوا منها، فتركوا ما كانوا اجتنَوا منها، وسلّموا الحديقة للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزل قوله: **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**، الآية.[2]

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**، الآية: في توجيه الآية أقوال.[3] فمنهم من يوجهها إلى جميع المحاسن، [من] يؤثرها ويختارها لله فله أضعاف ذلك في الموعود آجلا وعاجلا. فالآجل ما وعد، والعاجل ثناء الناس وجلالة القدر له في القلوب؛ متعارف ذلك للأخبار. وسماه قرضا بما هو اسم المعروف، ليذكّره عظم نعمه عليه: أنْ قبله قبول[4] المعروف بالشكر له في ذلك، وإن كان ذلك حقا له عليه.[5] *والله أعلم*.

والثاني ليعرف الخلق كيفية الصحبة والمعاشرة بينهم أن الله تعالى عامل عبده فيما[6] هو له معاملة من يستحق الشكر منه بما يُسدي إليه من النعم، ولله[7] حقيقة ذلك،

---

[1] جميع النسخ: مثليها. والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٨٦و.

[2] روي عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أوَ إن الله يريد منا القرض؟ قال: «نعم، يا أبا الدحداح!» قال: يَدَك. قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط، وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك، قال: أخرجي قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة. انظر: *تفسير الطبري*، ٥٩٣/٢؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٣٧/٣-٢٣٨؛ وانظر أيضا: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٣/٣-١١٤؛ *والإصابة* لابن حجر، ١٠٠/٧-١٠١. ويقال لبستان النخيل: حائط، إذا كان محاطا بجدار، فإذا لم يكن جدار يحيط به سمي: ضاحية.

[3] جميع النسخ: إليه.

[4] جميع النسخ: قول.

[5] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وإنما سماه قرضا، لأن القرض اسم المعروف. طلب منه المعروف والبر وإن كان ذلك حقا له ليذكره عظيم نعمه عليه، حيث قبل منه ما هو خالص حق قبول المعروف والبر، ويشكر بذلك نعمه عليه. عاملهم الله بلطفه معاملة الخلق بعضهم بعضا في الإحسان والبر تحريضا لهم على الإحسان وتذكيرا لهم الشكر على النعم عيهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٥ط).

[6] ك: نعما.

[7] ن: والله.

ليعقل الحكماء أن مثل ذلك في معاملة الإخوان وفيما كان نعمه[1] في الحقيقة أوجب وأحق، وليعظّموا[2] المعروفين بالمعروف بما أكرمهم الله تعالى بالأسماء الجليلة. **ولا قوة إلا بالله**.

ومنهم من يوجهها إلى الصدقات خاصة؛ سماها قرضا لوجوه. أحدها أن جعل معاملة الفقراء والتصدق عليهم معاملة الله تفضيلا لهم؛ على ما نسب مخادعة المؤمنين إلى الله تعظيما لهم،[3] فمثله الصدقة. ثم وعد فيه العوض لتصير الصدقة بمعنى الإقراض؛ إذ يرجع في عوضه،[4] فيزول وجه الامتنان عن الفقير بما يأخذ منه البدل. **وبالله التوفيق**.

والثاني سمي ذلك قرضا بما هو له[5] على ما لم يزل الله تعالى عوّد به[6] عباده بالذي عرفوا به كرمه وجوده، حتى سمي تسليم الذي له[7] في الحقيقة قرضا كالتسليم إلى من لا حق له في الحقيقة. وعلى ذلك أمر الشراء، بقوله: إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[8] الآية. **والله أعلم**.

والثالث أنه ذكرهم وجه القصد في الصدقات والموقع لها ليكون[9] ذلك تبيينا لعظم[10] مِنَّة الفقر عليه، إذ وصل به إلى الله؛ ذكره الله[11] وأجلَّ محله عنده، فيصير عنده[12] أحد الأعوان له، والأنصار على عظيم الموعود وجليل القدر عند الله؛ فيحمده على ذلك ويشكر له دون أن يمن عليه أو يؤذيه. **والله الموفق**.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**[٢٤٦]

---

[1] ك: نعمة.
[2] ع م: ليعظموا.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (سورة النساء، ٤/١٤٢).
[4] لما كان يحصل للمتصدق العوض.
[5] ن ع – له.
[6] ك – به.
[7] ن – له.
[8] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[9] ع: فيكون.
[10] ك: لعظيم.
[11] م – الله.
[12] م – فيصير عنده.

وقوله: **ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله**. في هذه الآية وفي الآية[1] التي قبلها [وهي] قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ،[2] دلالة إثبات رسالة نبينا[3] محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، لأن القصة فيهم، [وإن] كانت ظاهرة في أهل الكتاب، ورسول[4] الله صلى الله عليه وسلم لم يختلف إلى أحد منهم ولا نظر في كتبهم،[5] ثم أخبر على ما كان؛ دل أنه إنما عرف ذلك بالله[6] عز وجل. ثم فيه دلالة أن كل نبي منهم[7] كان إنما يشاور الأشراف من قومه، والرؤساء منهم، وإليهم يصرف تدبير الأمور، لا[8] إلى السفلة منهم والرذلة.[9] وفيه دلالة[10] أيضا أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال بأنفسهم ولكن الملوك هم الذين يتولون ذلك.

ثم الملوك هم الراجعون إلى تدبير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أمر الدين / والآخرة، حيث سألوا مَلِكا يقاتلون معه عدوَّهم. ذكر أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنيهم [٦٢ظ] فقتلوهم وسَبَوْهم وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم، فمضوا زمانا ليس لهم مَلِكٌ يقاتل عدوّهم، فقالوا لنبي لهم -وهو من نسل هارون بن عمران أخي موسى-: ابعث لنا مَلِكا نقاتل عدونا. فقال لهم نبيهم: **هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال**، استخبار عن سؤالهم الذي سألوا: أحق هو أم شيء أَجْرَوْه على ألسنتهم من غير تحقيق، لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك إذا أجيبوا وأُعْطُوا ما سألوا وتمنّوا، لما عرف من شدة القتال مع العدو والجهاد في سبيل الله وكراهية ذلك في كل قوم. إلى أن بينوا أنهم عن حق سألوه، لما بيّنوا العلة التي حملتهم على ذلك وغاية رغبتهم فيها، ومما لأجله كان السؤال أن قالوا: **وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا**، من القتل وأخذ الأموال وسبي الذراري.

---

[1] ع م – وفي الآية.
[2] سورة البقرة، ٢٤٣/٢.
[3] ك ع م – نبينا.
[4] م: رسول.
[5] ع: إلى كتبهم.
[6] ع م – بالله.
[7] ك ن – منهم. أي من الأنبياء.
[8] ع م: ولا.
[9] ك: والرذالة.
[10] ع + وفيه دلالة؛ ع م + أن كل نبي كان إنما يشاور الأشراف من قومه.

**فلما كتب عليهم القتال**، أي فُرِض، **تولَّوا إلا قليلا منهم**. فيه دلالة على أنه قد كان فيهم ما كان في هذه الأمة[1] من قوله: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ،[2] من كراهية القتال والجهاد في سبيل الله. وقيل: **تولوا إلا قليلا منهم**، وهم ثلثمائة وثلاثة عشر نفرا، لم يتولوا عما سألوا.

**﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢٤٧]

[قوله:][3] **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا**، قيل: سمي طالوتا لطُوله وقوته.

وقوله: **أنى يكون له الملك علينا**؛ يتوجه مثل هذا الكلام وجهين. أحدهما على الإنكار، فلا يحمل على الإنكار لأنه كفر. والثاني على الاسترشاد وطلب العلم لهم منه في ذلك عن جهة جعله إياه[4] ملكا؛ لما قد عرفوا أن لا يستوجب[5] الملك، ولا يُولَّى[6] إلا أحد رجلين: إما بالوراثة من الآباء، أو بالسعة في المال. لذلك قالوا: **ونحن أحق بالملك منه ولم يُؤْتَ سَعَةً من المال**، لأنهم[7] كانوا أبناء الملوك وأرباب الأموال.

ثم بين لهم عز وجل أن جهة الاختيار ليس إليهم، وأن سبب الملك ليس ما ذكروا[8] [من] دون غيره، بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك بأسباب سوى ما ذكروا، بفضل علم وبفضل قوة، حيث قال: **إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**، قرر عندهم أن الملك يحتاج إلى فضل علم وفضل قوة.

ثم يحتمل قوله: **بسطة في العلم** علم الحرب والقتال. ويحتمل علم الأشياء الأخر [نحو] علم[9] حفظ الرعية وغيره.

---

[1] ع م – الأمة.
[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ (سورة الصف، ٦١/٢).
[3] جميع النسخ: ثم قال.
[4] ع: جعل له؛ م: جعله له.
[5] ع م: لا يستوجب.
[6] ع: لا يولي.
[7] ع: أنهم.
[8] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٦و.
[9] جميع النسخ: على. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٦و.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه**: فهو -والله أعلم- لأي[1] معنى جُعل له الملك علينا؟ أو كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الأسباب التي تحقق الملك أملك، فنكون بها[2] أحق بالملك منه؟ فبين أن المعنى الذي له صار أحق بالملك منهم[3] في ذلك الأمر. ***والله أعلم***.

والحرف،[4] وإن كان بما يتعارف في الإنكار، فليس هو كذلك في الحقيقة، إذ قد أخبرهم من هو نبي عندهم. ومن تقرر عنده[5] نبوة أحد لا يحتمل تكذيبه إياه في هذا. ***والله أعلم***.

وقد يحتمل[6] كون أهل النفاق فيهم، فيكون منهم الإنكار أيضا، كما كان أمثال ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. يؤيد ذلك[7] سؤالهم الآية، حتى قال:[8] إنّ آيَةَ مُلْكِهِ،[9] كذا. ***والله أعلم***. ويؤيد ذلك كثرة مخالفتهم إياه، لما امتحنوا بالنهر.[10] ***والله الموفق***.

وفي هذا[11] ونحو ذلك دلالة جري[12] الآيات لغير الرسل إذا كان فيها تصديق الرسل.[13] وكذلك قصة مريم،[14] وكذلك عمل صاحب سليمان[15] وغير ذلك مما جاء به الكتاب،

---

[1] ك: الآتي.
[2] م - منه.
[3] م: منه.
[4] أي وكلمة "أَنَّى".
[5] ع: منه؛ م: عند.
[6] ع م: ويحتمل.
[7] ع م - ذلك.
[8] ن - قال.
[9] وهي الآية التالية.
[10] ك: بالنهي.
[11] أي وفي مجيء الآية مع طالوت.
[12] جميع النسخ: جواز.
[13] فيكون في الحقيقة كالآيات للرسل ظهرت على ألسن غيرهم أو جرت على أيدي غيرهم، فتكون كرامة وفضيلة لمن ظهرت على يديه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٦ظ).
[14] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ وإلى قوله: ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ (سورة مريم، ٢٥/١٩، ٢٩-٣٠).
[15] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ (سورة النمل، ٤٠/٢٧).

لكن ذلك [إنما] يجوز إذا كان منهم تصديق الرسل؛[1] فيكون في التحقيق كآيات لهم ظهرت على ألسن غيرهم أو أيديهم. ومن أراد بها ادعاء الرسالة[2] لنفسه، يعجز[3] عن ذلك، بل لا يكرم الله بها من يعلم[4] أنه يدعو إلى تصديق الكذب ومضاهاة[5] الرسل. وبهذا يجاب[6] لمن يعارض بمن يتعلم القرآن ثم يأتي موضعا لا يعرف، فيحتج به في نبوته.[7] مع ما في ذلك[8] [من] أوجه تمنع الاحتجاج به. من ذلك ما فيه من الإخبار عن الأسئلة[9] والإنباء عن أمور لا توجد هنالك. *والله أعلم*. وبما لا يعلم أهله[10] أنه عن تعلم تقدم منه إلى من هو حجة له،[11] أو عن وحي إليه، إذ لم يكن امتحن من قبل.[12] والحجة[13] ما يخرج عن المعتاد وعمل الطبيعة، يكرَم بها وقت الدعوة بلا سبب سبق منه في مثله ولا عناية.[14] ***ولا قوة إلا بالله***.

وبعد: فإنه[15] قد ظهر في جميع مَنْ لسانه[16] ذلك اللسان ممن لا يطاق الدفع لمثله ولا إنكار[ه]،

---

[1] ن ع م – وكذلك قصة مريم وكذلك عمل صاحب سليمان وغير ذلك مما جاء به الكتاب لكن ذلك يجوز إذا كان منهم تصديق الرسل.

[2] ع: الرسل.

[3] جميع النسخ: فيعجز.

[4] م: عن تعلم.

[5] ن ع م: ومضاهات.

[6] ن ع: إيجاب.

[7] «أي ولا يعرف أهل هذا الموضع ما هو صحيح به، ويعجزون عن إتيان مثله. أي لا يسع أهل ذلك الموضع أن يصدقوه فيما ادعى؛ لأنا نقول: إنه يعجز عن قراءة القرآن عليهم، وإجرائه على اللسان» انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٨٦ظ.

[8] أي مع ما في القرآن.

[9] ع م: عن الأسولة. «أي من نحو قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر...﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٩)، وقوله: ﴿... ويسألونك ماذا ينفقون...﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٩)، وقوله: ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٥). وأهل هذا الموضع لم يسألوه شيئا، فعرفوا أنه كان شيئا سبق القول به؛ فيظهر كذبه في دعواه أنه بعث إليهم، وأنه أنزل عليه القرآن» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٦ظ).

[10] ن ع م: أوله.

[11] ع م – له.

[12] أي إذا لم يكن أهل هذا الموضع قد امتحنوه من قبل ولا عرفوا صيانته ولا صدقه قبل ذلك.

[13] أي من نوع الكرامة والمعجزة.

[14] «فأما النبي صلى الله عليه وسلم فمعروف بينهم بالصدق، والأمانة، حتى كانوا يسمونه محمدا الأمين قبل مبعثه، وأنه لم يختلف إلى أحد للتعلم؛ فدل على التفرق بين الأمرين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٦ظ).

[15] أي القرآن الكريم.

[16] ن: في جميع لسانه.

وانتشر أمر الآتي به، فيظهر بذلك كذبه، ويفتضح عند الدعوى قبل المحنة والتأمل فيما جاء به. إلا أن يأتي به من ليس دلك لسانه. فلا معنى[١] للاحتجاج به في أمثالهم.[٢] *والله الموفق*.

وقوله: **والله واسع عليم**. أي غني يغني من يشاء ويعطيه، **عليم** بمن يصلح للملك.

**﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[٢٤٨]

وقوله: **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت**، كأنهم سألوا نبيهم: ما آية ملكه؟ فقال: **إن آية ملكه**[٣] **أن يأتيكم التابوت... تحمله الملائكة**. ذكر في القصة أن التابوت كان[٤] مع الأنبياء، إذا حضروا قتالا قدّموا التابوت بين[٥] أيديهم إلى العدو ويستنصرون به على عدوهم، وفيه سكينة كأنها رأس هر.[٦] فإذا أنَّ ذلك الرأسُ سُمع [من] التابوت أنين ذلك الرأس، [و]دَفَّ[٧] نحو العدو، وهم يمضون معه ما مضى، فإذا استقر ثبتوا خلفه. فلما كفرت[٨] بنو إسرائيل وعصوا الأنبياء، سلط الله عليهم عدوهم، وأخذوا منهم التابوت لما سئموا وملّوا منه، ثم رُدّ عليهم بعد زمان طويل، وجعل ذلك آية من آيات ملك طالوت. فلا ندري كيف كانت القصة؟

ثم اختلف في قوله: **فيه سكينة من ربكم**. قيل: السكينة ريح هَفَّافة،[٩] فيها صورة كوجه الإنسان. وقيل: السكينة لها وجه كوجه الهر،[١٠] لها جناحان، فإذا تصوتت عرفوا النصر. وقيل: السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء. وقيل: **فيه**[١١] أي في التابوت **سكينة**،

---

[١] جميع النسخ: ولا معنى.

[٢] ع: أمثالهم.

[٣] ع م – فقال إن آية ملكه.

[٤] ك: يكون؛ ن – كان؛ ع م: تكون؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٦ظ.

[٥] ن ع م: من بين.

[٦] ع م: هرة.

[٧] ك م: دق. يقال: دفَّ الطائر يدف دفيفا: حرك جناحيه ورجلاه في الأرض، أو ضرب جنبيه بجناحيه (*لسان العرب*، «دفف»).

[٨] جميع النسخ: هربت؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٦ظ.

[٩] أي سريعة المر، صائفة يسمع صوت هبوبها (*لسان العرب*، «هفف»). لعله يريد: تخرج الريح الهفافة من صورة كوجه الإنسان.

[١٠] ع م: هرة.

[١١] ع - قلوب الأنبياء وقيل فيه.

[٦٣و] أي طمأنينة **من ربكم**. كان / التابوت في أي مكان كان اطمأنوا إليه وسكنوا. فلا ندري ما السكينة سوى أنا عرفنا أن قلوبهم كانت تسكن إليه وتطمئن؛ فليس لنا إلى معرفة السكينة وكيفيتها حاجة.

وقوله تعالى: **وبقيّةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون**؛ قيل: البقية فيه رُضاض الألواح،[١] وهو كسرها، وثياب موسى وهارون. وقيل:[٢] عصا موسى وعصا هارون. وقيل: البقية قفيز من مَنٍّ،[٣] وهو الترنجين[٤] الذي كان[٥] يأكله بنو إسرائيل في أرض التيه. وقيل:[٦] فيه سنة موسى وهارون وعلمهما. والله أعلم بذلك.

وفي الآية دليل جري الآية على أيدي الأولياء؛ لما أعطي طالوت[٧] آية لملكه تشبه[٨] آيات الأنبياء، حيث أخبر أنه كان تحمله الملائكة حتى ألقوه في داره، وهم كانوا لم يروا ذلك وقت حمل الملائكة[٩] إياه. لكن تلك الآيات في الحاصل تكون للأنبياء، يجريها الله تعالى على أيدي الأولياء، لا أن يكون[١٠] للأولياء ذلك.

ثم من ادعى من الأولياء بتلك الآيات النبوةَ لنفسه يعجزه الله تعالى عن ذلك،[١١] ويخرج الآية من أن تصير آية له، نحو من أتى مدينة من المدائن التي لم يبلغ أهلها هذا القرآنُ ولا عرفوه ولا سمعوا ذلك من أحد قط، فجعل يقرأ ذلك عليهم عن ظهر قلبه، وادعى بذلك رسالة لنفسه. أيسع أهل ذلك البلد أن يصدقوه فيما ادعى أم لا؟ فإن لأصحابنا في ذلك[١٢] جوابين.[١٣]

---

[١] م: ألواح.
[٢] ع: قيل.
[٣] ن: قفزمن من؛ ع: قفيز ممن؛ م: قفيز بمن.
[٤] ولعله الترنج. قال الفيروزآبادي: الأُترجّ، والأُترجة، والتُّرنج، والتُّرنجة. وقال الفيومي: الأُتْرُجّ فاكهة معروفة، الواحدة: أترجة. وفي لغة ضعيفة: ترنج. قال الأزهري: والأولى هي التي تكلم بها الفصحاء، وارتضاها النحويون. وجاء في المعجم الوسيط: الأترج: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء. (*القاموس المحيط*، و*المصباح المنير*، «ترج»، و*المعجم الوسيط*، «أترج»).
[٥] ك + فيه.
[٦] ع م: ويقال.
[٧] جميع النسخ: الطالوت.
[٨] ن ع م: يشبه.
[٩] ع م – حتى ألقوه في داره وهم كانوا لم يروا ذلك وقت حمل الملائكة.
[١٠] ن م: إلا أن يكون.
[١١] ن: لذلك.
[١٢] ع م – في ذلك.
[١٣] جميع النسخ: جوابان.

أحدهما بأن في القرآن ما يظهر به كذب هذا المدعي في دعواه،[١] من نحو قوله: يسألونك عن كذا، ومن نحو الأخبار والحكايات والقصص التي فيها مما لا يحتمل كونها إلا بتقدم أسباب، فيكذبه ذلك، فلم يلزمهم[٢] تصديقه. *وبالله العصمة*. والثاني قالوا: إذا ادعى ذلك به،[٣] يعجزه الله تعالى عن تلاوته وإجرائه على لسانه وادعاء[٤] ما ادعى بذلك. وكان هذا أقرب. *والله أعلم*.

**﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[٢٤٩]

وقوله: **فلما فصل طالوت بالجنود**، أي[٥] من المدينة. قيل: هم سبعون ألفا وقيل: كانوا مائة ألف. سار بهم[٦] في حر شديد، فنزلوا في قَفْرة من الأرض فأصابهم عطش شديد فسألوا طالوت الماء، فقال لهم طالوت: **إن الله مبتليكم بنهر**. وقيل: إنما قال لهم: **إن الله مبتليكم بنهر** نبيهم.

وقوله: **فمن شرب منه**، غرفة كفاه، ومن شرب[٧] أكثر منه لم يَرْوَه لأنهم عصوه. وقيل:[٨] **من شرب منه فليس مني**، أي ليس معي على عدوي، أي لا يخرج معي. ويجوز: ليس مني، أي[٩] ليس[١٠] من أتباعي[١١] وشيعتي. وجائز أن يكون به ظهور النفاق والصدق،

---

[١] ن ع م: في دعوته.
[٢] ع: فلم يلزم.
[٣] أي إذا ادعى الرسالة بما معه من القرآن.
[٤] ك: وادعا.
[٥] ن – أي.
[٦] ع: سارتهم.
[٧] ن + منه.
[٨] ع م – إنما قال لهم إن الله مبتليكم بنهر نبيهم وقوله فمن شرب منه غرفة كفاه ومن شرب منه أكثر لم يروه لأنهم عصوه وقيل.
[٩] م – أي.
[١٠] ك ع م – ليس.
[١١] م: ومن أتباعي.

[أي ليس] مني في الدين. **ومن لم يطعمه فإنه مني**، يقول: معي على عدوي. وفيه دليل أن يسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه.

وقوله: **إلا من اغترف غرفة بيده**، استثنى الغرفة، كأنه قال: فمن شرب منه فليس مني إلا غرفة. ففيه جواز الثنيا من الكلام[1] المتقدم، وإن كان دخل بين[2] حرف الثنيا وحرف الأول[3] شيء آخر. وهو يدل لأصحابنا رحمهم الله؛ حيث قالوا فيمن أقر فقال: لفلان عليّ كُرّ حنطة، وكر شعير إلا نصف كر حنطة، إنه يصدّق، ويلزمه من الحنطة نصف كر. ويحتمل أن يكون الثنيا على ما يليه، [وهو] قوله: **ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة**، وقيل: شرب شربَ[4] الدواب، والغرفة هي شرب.

وقوله: **فشربوا منه إلا قليلا منهم**. وقيل: القليل هم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، اغترفوا غرفة واحدة بأيديهم، وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه ودوابه. وقيل: إنما[5] استثنى الغرفة باليد لئلا يَكْرَعوا كَرْعَ[6] الدواب، ففعل بعضهم ذلك. فرد طالوت العصاةَ منهم، فلم يقطعوا معه،[7] وقطع معه الثلاثمائة وثلاثة[8] عشر رجلا. وهو قوله: **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده**. قيل: هو قول بعضهم لبعض: **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده**، لأنهم[9] أكثر منا؛ وكانوا[10] مائة ألف، وهم ثلاثمائة[11] وثلاثة عشر. والله أعلم بذلك العدد.

وقوله: **قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة**. قيل: [قال] الذين يعلمون ويقرون بالبعث: **كم من فئة قليلة** عددهم **غلبت فئة كثيرة**.[12] وقيل:

---

[1] ع م: الكلام.
[2] ن ع م: من بين.
[3] أي المستثنى منه.
[4] ن ع م: شراب.
[5] ن - إنما.
[6] ع م: كراع.
[7] أي فلم يفصلوا معه. يقال: فصل القوم عن البلد: خرجوا، وفصلهم: قطعهم (*لسان العرب*، «فصل»).
[8] جميع النسخ: والثلاثة.
[9] ع م: ولأنهم.
[10] ع م: وكان.
[11] ن + وهم ثلاثمائة.
[12] ك ن + عددهم؛ ع م - غلبت فئة كثيرة.

**الذين يظنون**، يعني يخشون أنهم يُقتَلون، لأنهم وطَّنوا[١] أنفسهم على الموت، فطابت أنفسهم بالموت [وقالوا:] **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة.**

وقوله: **بإذن الله**، قال بعضهم: **بإذن الله**، أي بأمر الله. لكنه لا يحتمل الغلبة بالأمر. ولكن **بإذن الله** عندنا: بنصر الله. **والله مع الصابرين** بالنصر[٢] والمعونة لهم.

**﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٢٥٠] **﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٢٥١]

وقوله: **ولما برزوا لجالوت وجنوده**، يعني لقتالهم، **قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا.**

يقال:[٣] اصبُبْ،[٤] ويقال: أتمِم **علينا صبرا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.** وهكذا الواجب على كل من لقي العدو أن يدعو بمثل هذا. وعلى قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء، لأنه قد كان فعل بهم[٥] الأصلح. فاستجاب الله دعاءهم، وهزموا[٦] عدوهم، وهو قوله: **فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت.** قال بعضهم: **بإذن الله**، بأمر الله. لكنه لا يحتمل، لأنهم كانوا يقاتلون بالأمر، ولا يَهزمون بالأمر. وقال آخرون: بعلم الله، كان في علمه في الأزل أنهم يهزمونهم.[٧] وقيل: **بإذن الله**:[٨] بنصر الله، وهو أقرب.[٩] *والله أعلم.*

وقيل في القصة: إن داوود عليه السلام كان راعيا، وكان له سبعة إخوة مع طالوت خرجوا معه للقتال ولما أبطأ خبر إخوته على أبيهم أرسل داوودَ إليهم ينظر ما أمرهم ويأتيه بخبرهم. قال: فأتاهم وهم في الصفوف، فبرز جالوت فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا بني إسرائيل،

---

[١] ن: وظنوا.
[٢] ن - بالنصر.
[٣] ك ن: يقول.
[٤] ك: احسب.
[٥] ع م - هم.
[٦] ن ع م: وهزم.
[٧] م: يهزمون.
[٨] جميع النسخ: بأمر الله، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٨٧و.
[٩] م - وهو أقرب.

لو كنتم على حق لخرج إليّ بعضُكم. فقال داوود لإخوته: أما فيكم أحد يخرج إلى هذا الأقلف؟[1] قال: فقالوا: اسكت. قال:[2] فذهب داوود إلى ناحية من الصف، ليس فيها إخوته. قال: فمر طالوت به وهو يحرّض الناس. قال: فقال له داوود[3] ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف؟ قال طالوت: أنكحه ابنتي[4] وأجعل له نصف ملكي. فقال داوود لطالوتَ: فأنا أخرج إليه. قال: فأعطاه طالوت درعه وسيفه. قال: فلما خرج في الدرع جرّها في

[٦٣ظ] الأرض؛ / لأن طالوت كان أطول منه. قال: فلما قال داوود أنا[5] أخرج إليه،[6] قال له طالوت: من أنت؟ قال: أنا داوود بن فلان. فعرفه طالوت ورأى أنه أجلد إخوته. قال: فأخذ داوود العصا ثم خرج إلى جالوت، فمر بثلاثة أحجار فقلن: يا داوود خذنا معك، ففينا مِيتة جالوتَ، فأخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بَيْضة هي ثلاثمائة رطل، فقال له جالوت: إما أن ترميني وإما أن أرميك؟[7]

فقال له داوود: بل[8] أنا أرميك، فرماه بها فأصابه في آخرها[9] فوقعت في صدره، فنفذته فقتلته وقتلَ الحجرُ بعد ما نفذ أناسا[10] كثيرة، وهزم الله جنوده. وهو قوله: **فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت**. والقصة طويلة، فلا ندري كيف كانت، وليس لنا إلى معرفتها حاجة.

وقوله: **وآتاه الله الملك والحكمة**، فالملك يحتمل علم الحرب[11] وسياسة القتال، إذ لم يكونوا يقاتلون إلا تحت أيدي الملوك. وهو كقوله: وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ.[12] ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة، كقوله: إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ.[13]

---

[1] القلفة: جلدة الذكر التي ألبستها الحشفة. والأقلف: الذي لم يُختَن (*لسان العرب*، «قلف»).
[2] م – قال.
[3] ع م – إلى ناحية من الصف ليس فيها إخوته قال فمر طالوت به وهو يحرص الناس قال فقال له داوود.
[4] م: بنتي.
[5] م – أنا.
[6] ع + وسيفه قال فلما.
[7] ك: وأنا أرميك.
[8] ك – بل.
[9] أي في آخر الأحجار الثلاثة.
[10] ع: أناة؛ م: أناس.
[11] ك: الحرث.
[12] سورة ص، ٣٨/٢٠.
[13] سورة ص، ٣٨/٢٦.

وذكر[أن] آتاه[١] الله الأمرين، لما كان[٢] من قرب زمانه، على ما عليه ابتداء الآية،[٣] أن المَلِك يكون غير نبي؛ فجُمعا جميعا له. فيكون على ذلك،[٤] تأويل الحكمة أنها النبوة. **والحكمة**، قيل: هي الفقه، وقيل: هي النبوة. وقد تقدم ذكره.[٥]

وقوله: **وعلّمه مما يشاء**. قيل: صنعة الدروع،[٦] كقوله: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ.[٧] وقيل: كلام الطير وتسبيح الجبال، وذلك مما خص به داوود دون غيره من الأنبياء عليهم السلام. ويحتمل **وعلّمه مما يشاء** أشياء[٨] أخر.

وقوله: **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**، اختلف فيه. قال بعضهم: دفع بالكفار -بعضهم ببعض- شرّهم عن المسلمين لِما شغل[٩] بعضهم ببعض، وجعل بعضهم لبعض[١٠] أعداء، إلى أن لم يتفرغوا عن أنفسهم للمسلمين، وإلا كان في ذلك[١١] فساد الأرض. وقال آخرون: دفع بالرسل والأنبياء شرّهم عن المسلمين وكفاهم بهم. وقال غيرهم: دفع بالمؤمنين[١٢] بعضهم عن بعض؛ دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد، وإلا لغلب المشركون على الأرض. وقيل: يدفع بالمصلي عمن لا يصلي، وبالمزكّي عمن لا يزكي، وبالحاج عمن لا يحج، وبالصائم[١٣] عمن لا يصوم.[١٤]

ثم اختلف في قوله: **لفسدت الأرض**. قيل: لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضا،

---

[١] ع: آتا.
[٢] م - لما كان.
[٣] م - الآية.
[٤] ن: على هذا.
[٥] انظر: سورة البقرة، ١٢٩/٢، ١٥١، ٢٣١.
[٦] م: الدرع.
[٧] سورة سبأ، ١٠/٣٤.
[٨] م - أشياء.
[٩] ن ع م: سفك.
[١٠] ع: ببعض؛ ع + وجعل بعضهم لبعض.
[١١] م: ذلك.
[١٢] ع: المؤمنين.
[١٣] ك ع: وبالصيام.
[١٤] لعله يشير إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يدفع بمن يصلي من أمتي عمن لا يصلي، وبمن يزكي عمن لا يزكي، وبمن يصوم عمن لا يصوم، وبمن يحج عمن لا يحج، وبمن يجاهد عمن لا يجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء لما أنظرهم الله طرفة عين» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ١٦٣/٦).

وأهلك[1] فريق فريقا، وفي ذلك تفانيهم وفسادهم، وفي ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: لو لم يدفع **لفسدت الأرض**، وأراد بفساد الأرض فساد أهلها؛ لأنه لو لم يدفع لغلب المشركون على أراضي الإسلام وأهلها، فإن غلبوا فسد أهلها؛ وقال: **لفسدت الأرض**،[2] إذا غلب المشركون عليها هُدِّمت المساجد والصوامع، ففيه فساد الأرض. *والله أعلم*.

وقوله: **ولكن الله ذو فضل على العالمين**، يدفع ذلك كله عن المسلمين. وعلى قول المعتزلة ليس[3] هو بذي فضل على أحد؛ لأن عليه أن يفعل ذلك، وأن يدفع ذلك كله[4] عن المسلمين على قولهم؛[5] فإذا كان عليه ذلك لا يصير هو بما يدفع مُفْضِلا، ولا مُمْتَنًّا. نعوذ بالله من السرف في القول.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢٥٢]

وقوله: **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**؛ يحتمل قوله: **آيات الله**، ما ذكر[6] من قتل داوود جالوت بأحجار [على ما] ذكر في القصة، مع ضعف داوود وقوة جالوت، على ما قيل: إنّ[7] قامته كانت[8] قدر ميل، وإن بَيضته كانت ثلاثمائة رطل. ويحتمل ما ذكر[9] من قيام القليل للكثير؛ لأنه قيل إن جنود جالوت [كان] مائة ألف وجنود طالوت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا،[10] وذلك من الآيات. ويحتمل جميع ما قصّ الله عليه في القرآن من خبر الأمم السالفة. *والله أعلم*. وفي قتل داوود جالوت وقتل القليل الكثير دليل أنهم لم يقتلوا[11] بقوة[12] أنفسهم، ولكنهم [قتلوا] بالله وبنصره إياهم.

---

[1] جميع النسخ: وأهل، والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٨٧و.
[2] ن - وأراد بفساد الأرض فساد أهلها لأنه لو لم يدفع لغلب المشركون على أراضي الإسلام وأهلها فإن غلبوا فسد أهلها وقال لفسدت الأرض.
[3] م - ليس.
[4] ن - كله.
[5] ع م: عن قولهم.
[6] ع: ماذكره.
[7] م - إن.
[8] جميع النسخ: كان.
[9] ك: ما ذكرت؛ ن: ذكره.
[10] ن ع م - رجلا.
[11] م: لم يصلوا.
[12] ع م: القوة.

{قال الشيخ رحمه الله:} من آيات وحدانيته قتل داوود جالوت مع ضعف داوود، وقوة عدوه.

**﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**[٢٥٣]

وقوله: **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**، الآية، يحتمل تفضيل[١] بعضهم على بعض كما ذكر[٢] **منهم من كلم الله**، ومنهم من اتخذه خليلا،[٣] ومنهم من سُخّرت له الريح[٤] والطير،[٥] مما كان[٦] في الأنبياء مثله.[٧] ويحتمل [تفضيل] بعضهم على بعض في الحِجاج والحجج على القوم، لأن فيهم من كان أكثر محاجّة لقومه وأعظم حُججا، وهو إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه، وموسى. ويحتمل التفضيل التمكين في الأرض، مكن لبعضهم ما لم يمكّن للباقين. ويحتمل ذلك في الآخرة،[٨] في الشفاعة، ورفع الدرجات. ويحتمل [تفضيل] بعضهم على بعض في الرسالة، لأن[٩] منهم من أرسل إلى الإنس والجن جميعا، ومنهم من أرسل إلى الإنس خاصة، ومنهم من أرسل إلى قومه خاصة، ومنهم من أُرسل[١٠] إلى نفر. ***والله أعلم***.

وقد ذكرنا أن لا يكونُ من الله تفضيل لبعض[١١] الرسل على بعض، على قول المعتزلة، لأنه فعل ما عليه أن يفعل، وكل من فعل ما عليه أن يفعل،[١٢] فإنه لا يوصف بالفضل والإفضال.[١٣]

---

[١] ك: يفضل؛ ن ع م: تفضل؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٧ظ.

[٢] جميع النسخ: ما ذكر.

[٣] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (سورة النساء، ١٢٥/٤).

[٤] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ (سورة سبأ، ١٢/٣٤).

[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).

[٦] جميع النسخ: ما كان.

[٧] أي خص كل منهم بما لم يكن لغيره من الأنبياء.

[٨] ع م – في الآخرة.

[٩] م – لأن.

[١٠] ع م – إلى قومه خاصة ومنهم من أرسل.

[١١] م: بعض.

[١٢] ع – وكل من فعل ما عليه أن يفعل.

[١٣] انظر: سورة البقرة، ٢٥١/٢.

دل أنه ليس على ما يقولون ويذهبون إليه.

وقوله: **وأيدناه بروح القدس**، قد ذكرناه فيما تقدم.[1]

وقوله: **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات**؛ هذه الآية والآيتان من بعدها -قوله: **ولو شاء الله ما اقتتلوا**، وقوله: **ولكن الله يفعل ما يريد**-[2] [رد] على المعتزلة، لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا[3] ما اقتتلوا. وهم يقولون: شاء أن لا يقتتلوا،[4] ولكن اقتتلوا.[5] والاقتتال هو فعل اثنين، وفيهم من اقتتل ظالما، وفيهم من اقتتل غير ظالم.[6] دليله[7] قوله: **ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر**، ثم قال: **ولو شاء الله ما اقتتلوا**،
[٦٤و] أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا[8] وأخبر أنه يفعل ما يريد. / ثبت الفعل في الإرادة، وهم[9] يقولون: لا يفعل ما يريد.

وكذلك قوله: ولو شاء الله ما اختلفوا،[10] أخبر أنه لو شاء ما اختلفوا. وهم يقولون شاء أن لا يختلفوا، ولكن اختلفوا. ثم لا يجوز صرف الآية إلى مشيئة القسر والجبر؛[11] لأن المشيئة التي ذكرها الله تعالى معروفة في الناس، فلا يجوز صرفها إلى غير المشيئة المعروفة، إلا بعد تقدم ذكر، أو بيان أنها هي المرادة.

وقوله: **ما اقتتلوا**، ولا اختلفوا فجعلهم على أمر واحد ودين واحد، كقوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً.[12] والمعتزلة يقولون: شاء أن يصيروا أمة واحدة ولكن لم يصيروا.[13]

---

[1] انظر: سورة البقرة، ٨٧/٢.
[2] يلاحظ أن المؤلف رحمه الله يريد بهذه العبارة القسمين الأخيرين لنفس الآية.
[3] ع: أن لا يقتلوا.
[4] م: أن لا يقتلوا.
[5] ن – ولكن اقتتلوا.
[6] ع م – وفيهم من اقتتل غير ظالم.
[7] أي دليل الرد على المعتزلة.
[8] ع م – ما اقتتلوا.
[9] ع م: ومنهم.
[10] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (سورة هود، ١١/١١٨-١١٩).
[11] «إن مشيئة الله تعالى مشيئتان: مشيئة الجبر والقسر، ومشيئة الاختيار، وإن المعتزلة يصرفون المشيئة في الآية إلى مشيئة الجبر والقسر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٧ظ).
[12] سورة هود، ١١/١١٨.
[13] ك: لم يصبروا؛ م – ولكن لم يصيروا.

فنعوذ بالله من السرف في القول والقول[1] في الله[2] بما لا يليق به.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٥٤]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم**، يحتمل الأمرُ بالإنفاق أمرًا[3] بتقديم الطاعات والمسارعة إلى الخيرات قبل أن يأتي يوم يمنعه ويعجزه عن ذلك وهو الموت. ويحتمل أمرَه بالإنفاق من الأموال في طاعة الله، **من قبل أن يأتي يوم**، وهو يوم القيامة. **لا بيعٌ فيه**، قيل: لا فداء. **ولا خلة ولا شفاعة**، يحتمل قوله: **ولا خلة**، أي لا ينفع خليلٌ خليله كما ينفع في الدنيا. وكذلك لا شفيع تنفع[4] شفاعته كما تنفع[5] في الدنيا. ويحتمل **لا خلة ولا شفاعة**، أي لا ينفع أحدٌ أحدا، ولا يُخَالُّ[6] أحد أحدا ولا يشفع أحد أحدًا. ويحتمل **يومٌ لا بيعٌ فيه**، أنهم يملكون بيع أنفسهم من الله تعالى ما داموا أحياء، فإذا ماتوا لم يملكوا، كقوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[7] الآية. فأول الآية وإن خرج الخطاب للمؤمنين فالوصف فيها وصف الكافرين، لكنْ فيها زجر للمؤمنين عن صنيعٍ مثلَ صنيع الكفار.[8]

**﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٢٥٥]**

وقوله: **الله لا إله إلا هو**. قيل: الله هو اسم المعبود. وكذلك تسمي العرب كل معبود إلهًا.

---

[1] ع – والقول.
[2] ن – في الله؛ م – والقول.
[3] ك ن ع: أمر.
[4] ن ع م: ينفع.
[5] ن ع م: ينفع.
[6] المخالّة: المصادقة. وقد خالَّ الرجلَ والمرأةُ مخالَّة وخِلالا. يقال: خالَلْتُ الرجل خلالا. والخِلّ: الوُدّ والصديق (*لسان العرب*، «خلل»).
[7] سورة التوبة، ٩/١١١.
[8] م: الكافر. «فإن قال قائل: فيه نفي الشفاعة للمؤمنين فإن الخطاب للمؤمنين، ولأنه نفى الشفاعةَ على الإطلاق، فيدخل المؤمن والكافر بإطلاقه. فنقول: إن كان صدر الآية خرج للمؤمنين لكن فيها وصف القيامة في حق الكفرة؛ عرفنا ذلك بدلائل أخر، ولذلك قال: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾، لكن المراد من الخطاب لمؤمنين زجر المؤمنين عن مثل صنيع الكفرة لئلا يجازوا بمثل جزائهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٨و).

ومعناه[1] -والله أعلم- أن الذي يستحق العبادة ويحق أن يُعبَد هو الله الذي لا إله إلا هو، لا الذي تعبدونه أنتم من الأوثان والأصنام التي لا تنفعكم عبادتكم إياها ولا يضركم ترككم العبادة لها.

ويحتمل أن يكون على الإضمار، أن قل: الله الذي لا إله إلا هو؛ لأنهم كانوا يقرون بالخالق ويقرون بالإله، كقوله عز وجل: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[2] وكقوله: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ،[3] الآية، و[قوله]: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ [وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ.[4] فإذا كانوا يقرون به فأخبرهم أن الذي يقرون به ويسمونه [الله]، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم.

ويحتمل أن يكون لقوم من أهل الإسلام، عرفوا الله تعالى وآمنوا به، ولم يعرفوا نعته وصفته فعلّمهم نعته وصفته،[5] أنه **الحي القيوم** إلى آخره.

وقوله: **الحي القيوم**. قيل: هو الحي بذاته، لا بحياة هي[6] غيره، كالخلق، هم أحياء بحياة هي غيرهم حلت فيهم، لا بد من الموت؛ والله عز وجل يتعالى عن أن يحل فيه الموت، لأنه حي بذاته، وجميع الخلائق أحياء لا بذاتهم. تعالى الله عز وجل عما يقول[7] فيه الملحدون علوا كبيرا.

والأصل أن كل من وُصف في الشاهد بالحياة وصف ذلك للعظمة[8] له، والجلال والرفعة؛ يقال: فلان حي، وكذلك الأرض سماها الله تعالى حية، إذا اهتزت وأنبتت[9] لرفعتها على أعين الخلق. فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى حي للعظمة[10] والرفعة، ولكثرة ما[11] يذكر في المواطن كلها،[12]

---

[1] م: معناه.

[2] سورة لقمان، ٣١/٢٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/٣٨.

[3] ﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله﴾ (سورة المؤمنون: ٢٣/٨٦-٨٧).

[4] ك + الآية. ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ (سورة المؤمنون: ٢٣/٨٨-٨٩).

[5] ع م - فعلمهم نعته وصفته.

[6] ن - هي.

[7] ع: يقولون.

[8] ن: لعظمة.

[9] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).

[10] ع م + وكذلك الأرض سماها الله تعالى حية لعظمة.

[11] ع م + يكون.

[12] أي يذكر الله تعالى في كل وقت من أوقات الناس وفي كل حال.

كما سمي الشهداء أحياء،[1] لأنهم مذكورون في الملأ من الخلق.

ويحتمل أنه [تعالى] يسمّى حيا، لما لا يغفل[2] عن شيء ولا يسهو، ولا يذهب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. *وبالله العصمة*.

وقوله: **القيوم**: القائم على مصالح أعمال الخلق وأرزاقهم.

وقيل: **القيوم** هو القائم على كل شيء يحفظه ويعاهده، كما يقال: فلان قائم على أمر فلان، يعنون أنه يحفظ[3] أموره، حتى لا يذهب عنه شيء.

وقيل: **هو الحي القيوم**، أي لا يغفل عن أحوال الخلق.

وقوله: **لا تأخذه سنة ولا نوم**. قيل: السنة النُّعاس. وقيل: السنة بين النوم واليقظة، وسمي وَسْنان. وقيل: هي ريح تجيء من[4] قِبل الرأس، فتغشى العينين، فهو وَسْنان بين النائم واليقظان.

ويحتمل قوله: **لا تأخذه سنة ولا نوم** [أنها] على نفي الغفلة والسهو عنه؛ إذ لو أخذه صار مغلوبا مقهورا، فيزول عنه وصفه [أنه] **الحي القيوم**، [وهذا] كقوله: لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ،[5] على نفي الغفلة.

ويحتمل أنه نفى عن نفسه ذلك؛ لأن الخلق إنما ينامون وينعَسون[6] طلبا للراحة والمنفعة، أو[7] لدفع حزن أو وحشة؛ فأخبر أنه ليس بالذي يحتاج إلى راحة، ولا[8] إلى دفع حزن أو وحشة.

وقيل: لا يَفتُر ولا ينام.

{قال الشيخ رحمه الله:} والنوم والسِّنة حالان تدلان على غفلة من حَلّا به، وعلى حاجته إلى ما فيه راحته، وعلى عجزه، إذ هما يغلبان ويقهران؛ فوصف الرب نفسه بالعلوّ عن الذي دلّا عليه من الوجوه.[9] وهو العالي على ذلك،[10] القاهر له، لا تأخذه سنة ولا وحشة،

---

[1] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (سورة البقرة، ٢/ ١٥٤؛ وانظر: سورة آل عمران، ٣/١٦٩-١٧١).

[2] م: لا يفعل.

[3] جميع النسخ: يتحفظ.

[4] ع م - من.

[5] ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال درة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣).

[6] ع: ينعشون.

[7] جميع النسخ: إما. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة، ٨٨و.

[8] ن ع م - لا.

[9] جميع النسخ + وقوله ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾؛ أسقطناها لأنها تكرار لما سوف يأتي، ولأنها تفصل بين جملة تعليل وصف الرب نفسه بالعلو.

[10] أي على كل حال من أحوال الخلق.

ولا معنى [فيه] يدل على العجز والحاجة. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **له ما في السماوات وما في الأرض.** أخبر أن له ما في السماوات وما في الأرض، [كلهم] عبيده وإماؤه، ليس كما قالوا: فلان ابن الله،[1] والملائكة بنات الله،[2] بل كلهم عبيده وإماؤه، والناس لا يتخذون ولدا من عبيدهم وإمائهم، فالله أحق أن لا يتخذ. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[3]

وقوله: **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه.** أي لا أحد يجترئ[4] على الشفاعة إلا بإذنه.

[٦٤ظ] ثم اختلف في الشفاعة. قالت المعتزلة: لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات / خاصة الذين لا ذنب لهم، أو كان لهم ذنب فتابوا عنه. ذهبوا في ذلك إلى ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ [وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ]﴾.[5] أخبر أنهم يستغفرون للذين آمنوا وتابوا[6] واتبعوا. فإذا كان الاستغفار في الدنيا إنما يكون للذين آمنوا وتابوا، فعلى ذلك الشفاعة إنما تكون في الآخرة لهؤلاء.

وأما عندنا، فإن الشفاعة إنما[7] تكون لأهل الذنوب؛ لأن من لا ذنب له لا يحتاج[8] إلى الشفاعة. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ يكون لهم ذنوب في أحوال التوبة، فإنما يغفر لهم الذنوب[9] التي كانت لهم. فقد ظهر [أن] الاستغفار لأهل الذنوب، فعلى ذلك الشفاعة.[10]

فإن قيل: أرأيت رجلا قال لعبده: إن عملت عملا تستوجب به الشفاعة فأنت حر؛

---

[1] لعل الماتريدي رحمه الله يشير إلي قوله تعالي: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله...﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[2] ﴿فاستفتهم أ لربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون. ألا إنهم من إفكهم ليقولون: ولد الله، وإنهم لكاذبون. أصطفى البنات على البنين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٤٩-١٥٣).

[3] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٦).

[4] ك: يتجرئ.

[5] سورة المؤمن، ٤٠/٧.

[6] ن: تابوا وآمنوا.

[7] ن ع م - إنما.

[8] ك ن: لا حاجة له؛ ع - لا يحتاج.

[9] ن ع: ذنوب. فإنما يغفر لهم الذنوب: أي باستغفار الملائكة.

[10] يقول علاء الدين السمرقندي: «وقوله ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ فهم يستغفرون لذين آمنوا وتابوا عن الكفر واتبعوا سبيله، ثم أقدموا على بعض الذنوب... فكذا الشفاعة» شرح *التأويلات*، ورقة ٨٨ط.

فأيّ عمل يعمله يستوجب به الشفاعة حتى يُعتَق:[١] الطاعة، أو المعصية؟[٢] قيل:[٣] الطاعة. فعلى ذلك الشفاعة لا تكون إلا لأهل الطاعة والخير، لا لأهل المعصية.

قيل: إن الشفاعة التي يستوجبها أهل الذنوب، إنما يستوجبون[ها] بالطاعات التي كانت لهم حالة الشفاعة؛ لأن أهل الإيمان وإن ارتكبوا مآثم[٤] ومعاصي، فإن لهم طاعات. فبتلك الطاعات[٥] يستوجبون الشفاعة، كقوله: خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا،[٦] فالشفاعة في شرّه[٧] تَجْبُره.[٨]

وقالوا: لا شفاعة[٩] في الشاهد لأحد في الآخر؛[١٠] لأن الشفاعة هو أن يذكر عن[١١] مناقب أحد عند أحد وخيراتِه، ليس سواه. كذا في الآخرة.

والجواب لهم من وجهين. أحدهما أنه إنما يذكر في الدنيا خيرات المشفَّع له، لجهالة هذا[١٢] بأحواله، فيذكر خيراته ليعرفه بها فيُشَفِّعَ فيه، والله تعالى عارف لا بتعريف.[١٣]

والثاني أن ذكر خيراته لحاجة يقع[١٤] للمذكور له[١٥] مثلها،[١٦] [وهذا] لا تكون[١٧] في الآخرة خاصة. والله يتعالى عن الحاجة عما بالعباد، لذلك[١٨] اختلفا.[١٩] **والله أعلم.**

---

[١] جميع النسخ + عبده، والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٨٨ظ.
[٢] ع م: والمعصية.
[٣] أي لا بد أن يقال.
[٤] جميع النسخ: مآثما.
[٥] ك ن م + ما.
[٦] ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٠٢/٩).
[٧] ع م – في شره.
[٨] ك: تخيره؛ ن ع: يخيره. أي فالشفاعة للمؤمن المذنب في ذنبه تجبر عمله السيئ وتصلحه. فالجبر هنا بمعنى الإصلاح وكفاية الحاجة.
[٩] أي كما تدعون من إسقاط الذنوب.
[١٠] جميع النسخ: في الآخرة؛ والتصحيح من *نسخة برلين*، ورقة ٤٤و.
[١١] ع: من.
[١٢] أي المشفَّع عنه.
[١٣] ك: لا يتعرف.
[١٤] جميع النسخ: تقع.
[١٥] ع م – له.
[١٦] جميع النسخ: في مثلها.
[١٧] ك: لا لكونه.
[١٨] ك ع: ولذلك.
[١٩] يقول علاء الدين السمرقندي في شرح *التأويلات*: «فإن قالوا إن الشفاعة في الشاهد تكون بذكر مناقب وخيرات تكون في المشفع له لاحتمال جهالة المشفع [عنه] بأحواله ليعرفه فيشفع فيه. والله [يتعالى] عن أن يكون عالما =

فإن قال لنا قائل: إن جميع ما ذكر في هذه الآية من أولها إلي آخرها كلها دعوى.[1] فما[2] الدليل على ذلك الدعوى؟

قيل: يحتمل أن يكون دليله ما تقدم ذكره من قوله: [وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،[3] الآية. والثاني، من أنكر الصانع فيتكلم أولاً معه في حدث العالم، وحاجته إلى محدث، فإذا ثبت حدث العالم فحينئذ يتكلم في إثبات الصانع ووحدانيته. *وبالله التوفيق*.

وقوله:[4] وَاحِدٌ،[5] ليس من حيث العدد؛ لأن كل ذي عدد يحتمل الزيادة والنقصان، ويحتمل الطُّول والعَرْض، والقِصَر والكَسْر. ولكن يقال: ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعةُ، كما يقال: فلان واحد زمانه وواحد قومه، يعنون رفعته وجلاله[6] في قومه، وسلطانه عليهم، جائز القول؛ فهم لا يعنون من جهة العدد، لأن مثله فيهم[7] كثير من حيث العدد. *والله أعلم*.

[*وقوله عزَّ وجلَّ: **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**. يحتمل قوله: **ما بين أيديهم** قبل أن يُخلَقوا، **وما خلفهم** بعد ما خُلقوا وكانوا. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم** ما قدَّموا من الأعمال، **وما خلفهم** [ما تركوا وخلفوا] من بعدهم. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم** كنايةً عن الخيرات، أي يعلم ما يعملون من الخيرات، **وما خلفهم** [كناية] عن[8] الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم. وجائز أن يكون المراد من البين والخلف الأحوال كلَّها، أي عالم بجميع أحوالهم وبكل شيء يكون منهم؛ وهو كقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ،[9]

= بتعليم أحد وتذكيره؛ ولاحتمال حاجة المشفع عنه في [مثل] تلك الخيرات فيشفع له طمعا منه إقامة نفعها في حقه. والله يتعالى عن الحوائج، فبطل الاستدلال من الشاهد على الغائب». (ورقة، ٨٨ظ).

[1] وما ذكر في هذه الآية هي عقيدة التوحيد، كما يتبين من تفسير آية سورة البقرة ١٦٣/٢ وما بعدها.

[2] ك ن: ما؛ ع م: عما.

[3] انظر: البقرة: ١٦٣/٢-١٦٤.

[4] ع م: وفي قوله.

[5] م – واحد. يتبين أن المؤلف يريد هنا تفسير الآية من سورة البقرة التي مر ذكرها آنفا (١٦٣/٢). وانظر أيضا تفسير هذه الآية في موضعه.

[6] ن ع م: جلالته.

[7] م – فيهم.

[8] جميع النسخ: من.

[9] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

أي لا يأتيه الباطل ألبتة، لأنه ليس للقرآن بَينٌ ولا خَلفٌ ولكن المراد ما ذكرنا، فعلى ذلك الأول. وجائز أن يكون المراد منه ليس البين ولا الخلف ولكن إخبار عن إحاطة علمه بهم. *والله أعلم.**]

وقوله: **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.** هذا [رد] على المعتزلة؛ لأنهم لا يصفونه بالعلم، وقد أخبر أن له العلم.[1]

ثم احتمل[2] **علمه**[3] علم الغيب. وقال آخرون: علمَ الأشياء كلها، [لأنهم] لا يعلمون إلا ما يعلّمهم الله من ذلك، كقول الملائكة: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا.[4] ومن قال: علم الغيب، فهو الذي قال [كما قال تعالى] فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ.[5]

وقوله: **وسع كرسيه السماوات والأرض.** قال بعضهم: **وسع** علمه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[6] وقال آخرون: **كرسيه** قدرته، وهو وصف بالقدرة والعظمة.

وقيل: **وسع كرسيه.** والكرسي [في اللغة] هو أصل الشيء؛ يقال: كَرِس كذا.[7] والمراد منه أنه المعتمد والمفزع للخلق، وذلك وصف[8] بالعظمة والقوة. ويقال: **وسع كرسيه**، وهو خلق من خلقه.

وقيل: إن الكرسي هو الكرسي، لكنه خَلَقه ليكرم به من شاء[9] من خلقه.

---

* لا يوجد تفسير ما بين الحجمتين من آية الكرسي في نسخ *التأويلات* التي استطعنا الاطلاع عليها ولا في شرحها. فقد يكون السبب في هذا سهوًا أو غفلة من الناسخين منذ البداية. كما أنه من الممكن صدور مثل هذه الأخطاء عن المؤلف نفسه، لا سيما وأننا نعلم أن الإمام الماتريدي قد ألف هذا الكتاب على طريقة الإملاء والتقرير في الدرس. فمن المعلوم وجود بعض التقديم والتأخير والتكرار في *تأويلات القرآن*. فقد رأينا مناسبًا أن ننقل هنا تفسير المقطع الذي يتكون من نفس الكلمات من سورة طه (٢٠/١١٠)، وذلك ليكون تفسير آية الكرسي كاملًا تاما. (مكتبة سليمانية، مهرشاه ٨، ورقة ٤٧٨ظ).

[1] يشير المؤلف رحمه الله إلى صفات المعاني التي تردها المعتزلة (انظر: *البداية في أصول الدين* لنور الدين الصابوني، ص. ٢٥-٢٧).

[2] ع: قد أخبر.

[3] ك: عليه.

[4] انظر: سورة البقرة: ٢/٣٢.

[5] انظر: سورة الجن: ٧٢/٢٦-٢٧.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٩؛ و*تفسير الواحدي*، ١/ ١٨٣.

[7] كِرْس كل شيء: أصله. يقال: إنه لكريم الكِرْس وكريم القِنْس، وهما الأصل. والكرسيّ في اللغة والكُرَّاسة إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «كرس».

[8] ع م - وصف.

[9] م: يشاء.

ثم لا يجوز[1] أن يفهم من إضافته إليه ما يفهم من [الإضافة إلى] الخلق، كما لم يفهم من قوله: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ،[2] ونور الله،[3] وبيت الله[4] ونحوه ما فهم من إضافته إلى خلقه.[5] فعلى ذلك لا يفهم من قوله: **وسع كرسيه** وغيره من الآيات ما يفهم من [الإضافة إلى] الخلق، بقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[6]

وقوله: **ولا يؤده حفظهما**. قيل: لا يشق عليه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وروي عنه أيضا، أنه قال: "لا يثقل عليه".[7] وقيل: لا يجهده؛ وقيل: لا يعالج بحفظ شيء مثل[8] الخلق.

وقوله: **وهو العلي العظيم**؛ **العلي** عن كل موهوم يحتاج إلى عرش أو كرسي، **العظيم** عن أن يحاط به.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: **وسع كرسيه**، قال: **علمه**،[9] إلى قوله **ولا يؤده حفظهما**: كل شيء في علمه لا يؤده حفظه.[10] *والله أعلم*.

{قال الشيخ رحمه الله:} **العلي** عن جميع أحوال[11] الخلق وشبههم، **والعلي** القاهر والغالب.

**﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٥٦]**

[قوله:] **لا إكراه في الدين**، أي لا يكره [أحد] على الدين. فإن كان التأويل هذا فهو على بعض دون بعض.

---

[1] ن: ولا يجوز.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).

[3] يقول الله تعالى: ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة، ٣٢/٩).

[4] يقول الله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢).

[5] ع – ثم لا يجوز أن يفهم من إضافته إليه ما يفهم من الخلق كما لم يفهم من قوله تلك حدود الله ونور الله وبيت الله ونحوه ما فهم من إضافته إلى خلقه.

[6] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[7] انظر: تفسير الطبري، ١٢/٣.

[8] ك ن م: مثال.

[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٣، و*تفسير الواحدي*، ١٨٣/١.

[10] ن ع م: حفظ شيء.

[11] ك: أقوال.

وقوله: **لا إكراه في الدين.** قال بعضهم: نزلت[١] في المجوس وأهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه يقبل منهم الجزية ولا يُكرهون على الإسلام، ليس كمشركي العرب؛ إذ لا يقبل[٢] منهم إلا الإسلام أو السيف، ولا يقبل منهم الجزية، فإن أسلموا وإلا قتلوا. وعلى ذلك ما روي[٣] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى المنذر بن فلان:[٤] «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية».[٥] وعلى ذلك نطق[٦] الكتاب: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[٧]

وقال قوم قوله: **لا إكراه في الدين،** أي لا دين يقبل بإكراه بل ليس ذلك بإيمان.

[٦٥ر] / والثاني أن الرشد قد تبين من الغي، وتبين[٨] ذلك لكل أحد، حتى إذا قبل الدين قبل[٩] عن بيان وظهور، لا عن إكراه.[١٠] وقال آخرون: قوله: **لا إكراه في الدين،** أي لا إكراه على هذه الطاعات بعد الإسلام؛ لأن الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين، فلا يكرهون على ذلك. ومعناه أن في الأمم المتقدمة الشدائد والمشقة، وقد رفع الله عز وجل تلك الشدائد عن هذه الأمة وخففها[١١] عليهم. دليله قوله:[١٢] رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ،[١٣] وقوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.[١٤] ومثل ذلك كثير، كانت على الأمم السالفة ثقيلة

---

[١] ع: نزل.

[٢] ن ع م: ان لا يقبل.

[٣] ك ع م: روي.

[٤] لعل المؤلف يقصد المنذر بن ساوي بن الأخنس التميمي الدارمي. كان عامل النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين. مات بالقرب من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٤٠٩/٤.

[٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٣.

[٦] جميع النسخ + به.

[٧] ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدْعَون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ١٦/٤٨).

[٨] ن ع: وبين.

[٩] م: قيل.

[١٠] ن: لا إكراه.

[١١] ع م: وحفظها.

[١٢] ك ن: قولهم.

[١٣] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.

[١٤] سورة الأعراف، ١٥٧/٧.

وعلى هذه الأمة مخففة.[1] فإذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون[2] على[3] ذلك.

وقال آخرون: هو منسوخ بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا لله، فإذا قالوها عصموا مني[4] دماءهم وأموالهم إلا بحقها».[5]

وقال آخرون: إن قوما من الأنصار كانت تُرضع لهم اليهود، فلما جاء الإسلام أسلم الأنصار وبقي مَن عند اليهود مِن ولد الأنصار على دينهم، فأرادوا أن يكرهوهم، فنزلت الآية: **لا إكراه في الدين**.

{قال الشيخ رحمه الله:} ويحتمل الإكراه في الدين ما قال في قوله: **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**.[6]

وقوله: **قد تبين الرشد من الغي**، يعني قد تبين الإسلام من الكفر بالله، فلا يكرهون[7] على ذلك.

وقوله: **فمن يكفر بالطاغوت**، اختلف فيه. قيل: الطاغوت الشياطين. وقيل: كل ما يعبد من دون الله[8] فهو طاغوت، من الأصنام والأوثان التي تعبد دون الله.[9] وقيل: الطاغوت الكهنة الذين[10] يدعون الناس إلى عبادة غير الله، بكفر هؤلاء وتكذيبهم.

{قال الشيخ رحمه الله:} وجملته[11] ومن يكفر بالذي يدعو[12] إلى عبادة غير الله ويكذبه في ذلك، ويؤمن بالذي يدعو إلى عبادة الله ويصدقه [ف]إنه داع إلى حق.

وقوله: **ويؤمن بالله**، فيه دلالة أن الإيمان بالله هو إيمان بالأنبياء والرسل والكتب جميعا،

---

[1] ك: خفيفة.

[2] ع: لا يكرهوا.

[3] ن: لا يكرهون ذلك.

[4] ع: عني.

[5] صحيح *البخاري*، الإيمان ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢-٣٦.

[6] يقول الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج، ٢٢/٧٨).

[7] ن: فلم تكرهوا؛ ع م: فلا تكرهون.

[8] ك ن: دون الله.

[9] ن: يعبدون الله؛ م: تعبدون.

[10] جميع النسخ: التي. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩و.

[11] ع م: ومن جملته.

[12] ن: يدعون.

إذ لم يذكر معه غيره، والكفر بالذي ذكرت يمنع حقيقة الإيمان بالله؛ لأن من آمن بالله آمن[١] به وبأمره ونهيه وشرائعه، لكن الذي قال: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ،[٢] [فيه رد] لقول قوم، حيث قالوا: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ،[٣] وإلا كان في الإيمان بالله إيمان بجميع ذلك.[٤]

وقوله: **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع، [و]لا تقوم الحجة بنقضه.[٥] ويحتمل **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، [فقد استمسك] بنصره إياه بالحجج والبراهين النيّرة التي من اعتصم بها **لا انفصام لها** عنه ولا الزوال.

ثم فيه نقض على المعتزلة؛ لأنه أخبر عز وجل: أن من آمن بالله فقد استمسك بكذا، والمعتزلة يقولون: صاحب الكبيرة يخلّد في النار، وهو مؤمن بالله. فأي عروة أَوْهَى من هذا على قولهم؛ وإن له زوالا وانقطاعا[٦] من ثوابه الذي وعد له عز وجل بإيمانه بالله وتصديقه به. ***وبالله العصمة.***

وقوله: **سميع** لقولهم، **عليم** بثوابهم؛ أو **سميع** بإيمانهم، **عليم** بجزاء إيمانهم. ***والله أعلم.***

**﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٥٧]**

وقوله: **الله ولي الذين آمنوا**، قيل: الولي الحافظ، وقيل: الولي الناصر، وهو ناصر المؤمنين وحافظهم. وقيل: سمي وليا، لأنه يلي[٧] أمور الخلق من النصر والحفظ والرزق وغيره. وعلى ذلك يسمى الوالي[٨] واليا لما يلي أمور الناس.

---

١ ع م - بالله آمن.
٢ سورة البقرة، ٢/٢٨٥.
٣ ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ (سورة النساء، ٤/١٥٠).
٤ يقول علاء الدين السمرقندي: «... إلا أن في آخر هذه السورة ذكر ﴿... والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٨٥) على طريق التفصيل ردًّا لقول قوم قالوا: ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ (سورة النساء، ٤/١٥٠) وإلا كان الإيمان بالله إيمانا بجميع ذلك على طريق الجملة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩و).
٥ جميع النسخ: ببعضه.
٦ جميع النسخ: زوال وانقطاع.
٧ ع: قيل؛ م: قبل.
٨ ك ن ع: الولي.

وقيل قوله: **الله ولي الذين آمنوا**، أي أولى بهم؛ إليه[1] رجاؤهم[2] وطمعهم، وهو الذي يكرمهم، وإن الطاغوت أولى بالكافرين، كما قال الله:[3] فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ،[4] أي أولى بهم. ***والله أعلم***.

وقوله:[5] **يخرجهم من الظلمات إلى النور**، قوله: **يخرجهم**، بمعنى أخرجهم، وجائز هذا في اللغة –يَفْعل بمعنى فَعل، وفعل[6] بمعنى يفعل[7]– جار فيها غير ممتنع عنه.[8]

وقوله: **يخرجهم من الظلمات إلى النور و يخرجونهم من النور إلى الظلمات**، هو ابتداء نشوئهم عليه، ليس أن كانوا فيه، ثم أخرجهم؛ كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا،[9] رفعها ابتداء، ليس أن كانت موضوعة ثم رفعها، فعلى ذلك الأول.

والآية[10] تنقض على المعتزلة قولهم؛ إذ من قولهم أن جميع ما أعطى المؤمن من الإخراج من الكفر أعطى مثله الكافر، فكأنهم يقولون: أخرجهم جميعا من الظلمة. وعليه إخراج الكافر أيضا من الظلمات، إذ ذلك هو الأصلح لهم،[11] وعليه أن يعطي الخلق ما هو الأصلح[12] لهم في الدين. فإذا كان هذا قولهم فهو ولي الكفرة والمؤمنين جميعا على قولهم، إذ هو بالسبب الذي ذكر الولاية[13] للمؤمنين فيعطي أيضا الكفرة.[14]

فإن قالوا: إنه أضاف الكفر إلى الطاغوت، وأنتم تضيفونه إلى الله عز وجل. قيل: هو ظاهر الكذب، [ف]إنا لا نضيف ذلك إليه،[15] إنما نقول:[16] إنه خلق فعل الكفر من الكافر[17]

---

[1] ن – إليه.
[2] ن ع: رجايهم.
[3] ك ع م – الله.
[4] ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ (سورة فصلت، ٢٤/٤١).
[5] ن: قوله.
[6] ك – فعل.
[7] ع + بمعنى يفعل.
[8] ن – وقوله يخرجهم من الظلمات إلى النور قوله يخرجهم بمعنى أخرجهم وجائز هذا في اللغة يفعل بمعنى فعل وفعل بمعنى يفعل جار فيها غير ممتنع عنه.
[9] سورة الرعد، ٢/١٣.
[10] ن – والآية.
[11] جميع النسخ: له. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩و.
[12] ك: أصلح.
[13] «إذ هو سبب في إضافة ولايته إلى المؤمنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩و).
[14] ك ن: للكفرة؛ ع: لكفرة.
[15] ك ن ع + الكفر.
[16] ع: إنما تقول.
[17] ن: الكفر، صح هـ.

كفرا،[١] وخلق فعل النور من المؤمن نورًا.[٢] على أنه إن كان هذا في الكفرة فما القول في الفصل الأول من قولكم: إنه منعم على المؤمن، ثم لا نعمة فيه على المؤمن إلا بالأمر [بالإيمان] والإقدار.[٣] والإقدار منه موجود للكافر في كفره على قولكم؟[٤] ثم لا نعمة تقع في الأمر والدعاء للمؤمن[٥] إلا ويقع مثله للكافر؛ إذ هو في الأمر والدعاء كالمؤمن سواء. *ولا قوة إلا بالله*. وليس في القول بأنه خالق[٦] فعل كل أحد على ما عليه إضافة الكفر إليه، بل إنما يضيف الخير إليه بما منه فيه من الإفضال على الشكر له. فدل أن له عز وجل في المؤمن فضل صنع ليس ذلك له في الكافر.

والكفر في اللغة الستر، وكذلك الظلمة هي الستر. / يقال: كَفَرْتُ الشيء أي سترته، [٦٥ظ]
وكذلك يقال: ليل مظلم، لأنه يستر ضوء النهار ونوره، فيستر الأشياء عن أبصار الخلق.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله تعالى: **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم**، الآية. دلت هذه الآية[٧] على أنه[٨] كان من الله إلى الذين آمنوا معنىً لم يكن منه إلى الذين كفروا به، كان إيمانهم.[٩] ولو لم يكن إلا الأمر والإقدار والبيان،[١٠] على ما قالت المعتزلة لكان كل ذلك عندهم إلى الكفرة، فلا وجه لتخصيص المؤمنين مما ذكر، وجَعْلِ الطاغوت أولى بالكافرين، وصنعُ الله إلى كلٍّ واحدٌ، ولم يكن من الله تلك الزيادة. فإذا كان الذي ذكر لهم في أنفسهم[١١] فلا وجه للامتنان بذلك؛ ومن البعيد ذكر الامتنان فيما به الإلزام والأمر. وما ذكرت المعتزلة إنما هي أسباب الإلزام، ولولا ذلك [ل]كان أيسر عليهم وأقل لائمة، فكيف بمن بها؟ ثبت أن كان منه فضل ليس ذلك في أعدائه.

---

[١] أي باختياره.
[٢] ك: فعلا. أي وفعل الإيمان من المؤمن إيمانا. *شرح التأويلات*، ورقة ٨٩ظ.
[٣] ع م – والإقدار.
[٤] «فأنى تظهر فائدة اختصاص المؤمن بالإنعام والامتنان، وبطل القول بإثبات المغايرة بين المؤمن والكافر في الإنعام» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٩ظ).
[٥] م: للمؤمنين.
[٦] م – خالق؛ ع + بأنه خالق.
[٧] ن – دلت هذه الآية.
[٨] ك ن ع: على أن.
[٩] أي حصل بسبب هذا المعنى إيمانهم.
[١٠] ك ع: أو البيان؛ ن: أو للبيان.
[١١] أي فإذا كان الذي ذكر للمؤمنين موجودًا في أنفسهم كما لغيرهم من الكفار.

فبه[1] استوجب الحمد منهم.[2]

ولهذا يضاف إليه الخيرات على التشكر[3] له، وتوجيه الحمد إليه، ولا يضاف إليه الشرور بما ليس في ذلك تشكر، إنما منه الخذلان، بما علم من إيثار الكافر عداوته، واختياره الكفر به؛[4] فلذلك لم تجز[5] الإضافة إليه.[6] والإضافة إلى الله[7] جل ثناؤه لا باسم الخلق يخرج[8] مخرج التعظيم له، والخضوع من العبد بالحمد له والشكر، ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك.[9] على ما لا يضاف إليه الأنجاس والخبائث والجواهر القبيحة، وإن كانت[10] من طريق الخلقة جرى عليها تدبيره وخرجت على تقديره. فعلى ذلك أفعال الخلق، وعلى ذلك القول بأنه رب كل شيء، وإله كل شيء. ثم على[11] الإشارة لا يوصف بذلك في الأشياء الخاملة المستخف بها،[12] فمثله الأول. ***والله أعلم***.*

وقوله: **أولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون**. ذكر أن الكفرة هم أصحاب النار، وذكر في آية أخرى أن الملائكة أصحاب النار، بقوله: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً.[14] لكنه ذكر الملائكة[15] أصحاب النار لما يتولون تعذيب الكفرة فيها، فسماهم بذلك،

---

[1] ن ع م: فيه.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «ولولاه (أي الإلزام) لكان أيسر عليهم وأقل لائمة. ومن البعيد ذكر الامتنان فيما هذا سبيله. دل أنه كان من الله تعالى إلى المؤمن زيادة فضل ولطف وليس ذلك في أعدائه؛ لذلك كان منعما عليهم، ومانًّا. وبذلك استوجب الحمد والشكر عيهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩ظ)

[3] ن ع م: الشكر.

[4] ك: فيه.

[5] ع: لم يجز.

[6] يقول السمرقندي: «ثم إنما أضاف الخيرات إلى الله تعالى دون الشرور، وإن كان خالق الكل؛ لأن الخيرات إنعام من الله تعالى، وإفضال عيهم، وأنه سبب استحقاق الشكر، والحمد؛ فأضيف إليه ليعلموا أن توجيه الشكر إليه. وليس في الشرور إنعام وإفضال يستوجب به الشكر وإنما منه الخذلان؛ لما علم من إيثار الكافر عداوته واختياره الكفر به، فبهذا افترقا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨٩ظ).

[7] ن ع م: إليه. أي ولأن إضافة الأشياء إلى الله.

[8] م – يخرج.

[9] أي الشرور والقبائح.

[10] ع: كان.

[11] ع: ثم الإشارة.

[12] أي فلا يقال: إله الأنجاس، ولا رب القردة، والخنازير.

* وقع هنا قسم من تأويل آخر الآية التالية، فنقلناه إلى هنالك. انظر: نسخة مهرشاه، ورقة ٦٥ط/س١٣-١٦.

[14] سورة المدثر، ٧٤/٣١.

[15] م – الملائكة.

وذكر الكفرة أصحاب النار لأنهم هم المعذَّبون فيها، والملائكة معذِّبُوهم[١] بها.[٢] *والله أعلم.*

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[٢٥٨]

وقوله: **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه**؛ قد ذكرنا أن قوله: **ألم تر**، إنما يفتتح به لأعجوبة،[٣] كقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[٤] وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ.[٥] وفيه إباحةُ التكلم في [علم] الكلام والمناظرة فيه والحجاج، بقوله: **حاجَّ إبراهيمَ في ربه**، وردٌّ على من يمنع التكلم فيه. وهو[٦] كذلك لأنا أُمِرنا بدعاء الكفرة جميعا إلى وحدانية الله تعالى والإقرار له بذلك والمعرفة له أنه كذلك. وكذلك الأنبياء بأجمعهم أُمِرُوا ونُدِبُوا إلى دعاء الكفرة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فإن دعوناهم إلى ذلك [فـ]لا بد من[٧] أن يطلبوا منا الدليل على ذلك والبيان عليه والوصف له[٨] كما هو، والتقرير عندهم أنه كذا؛ فلا يكون ذلك إلا بعد المناظرة والحجاج فيه؛ لذلك قلنا أن لا بأس بالتكلم والمناظرة فيه. وفيه دلالة على إباحة المحاجّة في التوحيد. وفيه الإذن بالنظر في النظر، لأنه حاجّه لينظر.[٩] *والله أعلم.*

وقوله: **أن آتاه الله الملك**. قال أهل[١٠] الاعتزال: قوله: **أن آتاه الله الملك**، هو إبراهيم عليه السلام لا ذلك الكافر؛ لقوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ،[١١] أخبر أن عهده لا يناله الظالم،

[١] ع: معذبوها.
[٢] ن – بها.
[٣] ك: الأعجوبة. أي لبيان أعجوبة.
[٤] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.
[٥] سورة الفيل، ١٠٥/١.
[٦] ع م – هو.
[٧] ك – من.
[٨] ن + هو.
[٩] م: لنظر.
[١٠] ع – أهل.
[١١] سورة البقرة، ٢/١٢٤.

والملك عهده.[1] لكنه غلط عندنا لوجوه.[2] أحدها أن إبراهيم صلوات الله وسلامه ما عرف بالملك.

والثاني أن الآية ذُكِرَت في محاجة ذلك الكافرِ إبراهيمَ، ولو كان غيرَ مَلِك وكان إبراهيم عليه السلام هو[3] الملك[4] لم يقدر المحاجة مع إبراهيم[5] عليه السلام،[6] إذ لا محاجة إلا من ملك.[7] دل أنه هو الذي كان الملك.

والثالث **قال أنا أحيي وأميت**، ثم قيل: إنه جاء برجلين فقَتل[8] أحدَهما وترك الآخرَ. فلو لم يكن ملكا لم يَتَأَتِّ له ذلك بين يدي إبراهيم، إذ كان إبراهيم صلوات الله عليه هو الذي آتاه الله الملك. فدل أن المراد به ذلك الكافر. ثم الملك يكون في الخلق بأحد أمرين: إما لفضل الشرف[9] والعز والسلطان والدين، وإما من جهة الأموال والطَّول عليها، والقهر والغلبة. فإن لم يكن له[10] الملك من جهة الأول، لكان له ذلك بفضول الأموال؛[11] لذلك كان ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

{قال الشيخ رحمه الله:} أُعطِي الملْكَ ليمتحن به، كما يُعْطى الغناء والصحةَ فيمتحن بهما.

وقوله: **إذ قال إبراهيم ربيَ الذي يحي ويميت**. وكان هذا من إبراهيم عليه السلام -والله أعلم- عن سؤال سبق منه، أن قال له ذلك الكافر: من ربك الذي تدعوني إليه؟ فقال: **ربي الذي يحيي ويميت**. وإلا فلا يحتمل[12] ابتداء الكلام بهذا على غير سبق سؤال[13] كان منه،

---

[1] «أي والملك عهد منه، لكن الكافر إنما يُحَصِّل الملك لنفسه بفعله عن اختيار وتحصيل المال لنفسه والغنى عن اختيار، فأما الله تعالى فإنه لا يعطي من غير صنع العبد إلا ما هو الأصلح لهم في الدين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨٩ظ).

[2] ك: عند بالوجوه.

[3] ع م: وهو؛ ن - والثاني أن الآية ذكرت في محاجة ذلك الكافر إبراهيم ولو كان غير ملك وكان إبراهيم عيه السلام هو.

[4] ن: بالملك.

[5] ع - مع إبراهيم.

[6] ع + وترك.

[7] ن ع م: عن ملك.

[8] ك: فقتيل.

[9] جميع النسخ: الفضل والشرف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٠و.

[10] لمن حاج إبراهيم، وهو الكافر.

[11] أي بكثرة الخدم والأتباع وكمال القوة والشجاعة والرأي والتدبير ووجوه الحيل والمكائد. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و.

[12] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و.

[13] ن - سؤال، صح هـ.

وهو [ك]ما ذكر في قصة فرعون، حيث دعاه موسى إلى الإيمان بربه: قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى،[1] فعلى ذلك الأول.

وقوله: **أنا أحيي وأميت،** [فأتى برَجُلين] فقتل أحدهما وترك[2] الآخر، على ما قيل في القصة.

**قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.** قال بعض الجدليين:[3] هذا من إبراهيم / عليه السلام صرف المحاجة إلى غير ما كان ابتداؤها، ومثله في الظاهر انقطاع [٦٦و] وحَيْدٌ[4] عن الجواب؛ لأن من حاجَّ آخر في شيء وناظره فيه لعلة ضمن وفاء تلك[5] العلة وإتمامها إلى آخرها، فإذا اشتغل بغيرها كان منه انقطاعا عما ضمن وفاءها؛[6] فإبراهيم عليه السلام اشتغل بغيرها، وترك الأول، وهو في الظاهر انقطاع؛[7] لأن جوابه أن يقول: أنا أفعل كما فعلت، أو[8] أن[9] يقول له: إن هذا الحي كان حيا، ولكن أحْيي[10] هذا الميت. لكنه صلوات الله عليه فعل هذا ليظهر عجزه على الناس؛ لأن ذلك كان منه تمويها وتلبيسًا على قومه، أخذ به[11] قلوبهم. فأراد إبراهيم صلوات الله عليه، أن يظهر عليه من الحجة ما هو أظهر وأعجز له، وآخذ للقلوب. والثاني أراد أن يُريه[12] أن هذا مما قدر عليه بغيره؛ إذ الذي لم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه؛[13] ثم لما ثبت عجزه في أحدهما يظهر عجزه في الآخر.[14] *والله أعلم*.

وقيل: إن هذا[15] من إبراهيم انتقال من حجة[16] إلى حجة ليس بانقطاع، وهو جائز.

---

[1] سورة طه، ٢٠/٤٩-٥٠.
[2] ك: وتركه.
[3] م: الجدلين.
[4] أي ميلان وانحراف.
[5] ن: لتلك.
[6] ن: وفاؤها.
[7] ع م - لأن من حاج آخر في شيء وناظره فيه لعلة ضمن وفاء تلك العلة وإتمامها إلى آخرها فإذا اشتغل بغيرها كان منه انقطاعا عما ضمن وفاءها وإبراهيم عليه السلام اشتغل بغيرها وترك الأول وهو في الظاهر انقطاع.
[8] ن - أن يقول أنا أفعل كما فعلت أو.
[9] ك: وأن.
[10] ع م: احيى.
[11] ع م - به.
[12] ع: أن يريد.
[13] أي الإتيان بالشمس من المغرب.
[14] ع: الآخرة.
[15] ك ن م: بأن هذا.
[16] م: حجته.

وقوله: **فبُهت الذي كفر**، قيل: انقطع وتحير.

وقوله: **والله لا يهدي القوم الظالمين**. ذكر الظالم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه[1] حيث وضع[2] هذا اللعينُ الحجاج[3] في غير موضعه.

[٦٥ظ س١٣ *وقوله: **والله لا يهدي القوم الظالمين** و الكافرين. ونحو ذلك يخرج على وجوه. أحدها أنه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك؛ ويكون على أن لا يخلق منهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال. ويحتمل من في علمه أنه لا يهتدي، فيرجع المراد به[4] إلى الخاص. ويحتمل لا يهدي طريق الجنة في الآخرة من كفر بالله في الدنيا.[5] ويحتمل لا يجعلهم في حكمهم، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ،[6] الآية.* ٦٥ظ س١٦]

**﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٢٠٩]

وقوله: **أو كالذي مر على قرية**. قيل: هو نَسَق على قوله: **ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم**. وقيل: نَسَق على قوله: **أنا أحيي وأميت**، لأنه بذلك أنكر البعث.

ثم اختلف في المارِّ على القرية. قال بعضهم: كافر قال ذلك. وقال آخرون: لا، ولكن قال ذلك[8] مسلم. وقال أكثر أهل التأويل: هو عزير.[9] فإن كان قائل ذلك كافرا

[1] ن ع م: محله.
[2] ك ع – وضع.
[3] م: المحاج.
[4] ن م – به.
[5] لعل تأويل الهداية هذا مستمدمن قوله تعالى: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٤-٦).
[6] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢١).
* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه؛ فنقلناه إلى هنا. انظر: نسخة مهرشاه، ورقة ٦٥ظ / سطر ١٣-١٦.
[8] ن – ذلك.
[9] ك ع: عزيز.

فهو على إنكار البعث والإحياء؛ وإن كان مسلما فهو على معرفة كيفية الإحياء، ليس على الإنكار، وهو كقول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.[١] وليس لنا إلى معرفة قائله حاجة، وإنما[٢] الحاجة إلى معرفة ما ذكر في الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **وهي خاوية على عروشها**. قيل: خالية عن سكانها،[٣] وقيل: **خاوية**: ساقطة[٤] سقوفها على حيطانها، وحيطانها[٥] على سقوفها.

وقوله:[٦] **أنى يحيي هذه الله بعد موتها**، هو على ما ذكرنا.[٧]

وقوله: **فأماته الله مائة عام ثم بعثه**، أراد[٨] –والله أعلم– أن يَرَى الآية في نفسه، والآية هي آية البعث. ويحتمل أن تكون آية في المتأخرين.[٩]

وقوله: **كم لبثتَ**، سؤال[١٠] منه جل وعلا [ليفيد جِلّ] الاجتهاد بظاهر الحال الذي ظهر عنده ليظهر أنه اجتهد بدليل أو بغيره[١١] على ما يدركه وسعه؛ فبان أن المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك في ظاهر الحال، وإن كان حكم ما فيه الاجتهاد غيبا.[١٢]

{قال الشيخ رحمه الله:} وأراد بقوله: **كم لبثت** التنبية، كقوله لموسى: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،[١٣] ليُريه[١٤] الآية من الوجه الذي هو أقرب إلى الفهم.[١٥]

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٦٠.
[٢] ن ع م: إنما.
[٣] ع: على سكانها.
[٤] ن + على عروشها ساقطة.
[٥] ع – وحيطانها.
[٦] جميع النسخ: فقال.
[٧] «على ما ذكرنا من القول: إما إنكار البعث، أو السؤال عن إبانة كيفية الإحياء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٠ظ).
[٨] م – أراد.
[٩] «أي آية لهم على البعث والإحياء بعد الموت، وذلك قوله تعالى: ﴿ولنجعلك آية للناس﴾» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٠ظ).
[١٠] ك ن: سأل.
[١١] ع: غيره.
[١٢] ك: بالمغيب؛ ن ع م: بالغيب؛ والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٩١و.
[١٣] سورة طه، ٢٠/١٧.
[١٤] ن: لنريه.
[١٥] «لأن موسى عليه السلام إذا لم يكن على علم بطريق التيقن بتلك العصا، ربما يعترض عليه شبهة أن هذا الذي ظهر ليس هو عصاي. فكذلك هنا يراد بالسؤال تقرير ما عنده أنه كم لبث حتى إذا ظهر له من شأن الحمار ما ظهر، تيقن أن ذلك آية من آيات الله تعالى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩١و).

ثم جهة[1] الأعجوبة فيه بوجهين. مرة بإماتة[2] الحمار، إذ من طبعه الدوام،[3] ومرة بإبقاء طعامه، ومن طبعه التغير والفساد عن سريع. جعل[4] في إبقاء طعامه وحفظه من الفساد -ومن طبعه الفساد السريع- آيةً،[5] و[كذا] في إحياء حماره بعد إماتته وطبعُه البقاء، ليعلم ما نازعته نفسه في كيفية الإحياء، [فقد] أدرك[6] ذلك، وهو قوله: **قال أعلم أن الله على كل شيء قدير.**

ثم قيل في وجهة ما أراه[7] بأوجه. قيل: إنه أحيا عينيه وقلبه، فأدرك بهما[8] كيفية الإحياء في بقية نفسه. وقيل: أحيا نفسه فأراه ذلك في حماره. وقيل: إنه أراه ذلك في ولده، لأنه أتى شابا ووُلْدُه شُيُوخ، وذلك آية.[9]

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **ثم بعثه قال كم لبثت**، الآية: فإن قال قائل: كيف سأله عن لبثه، وقد علم الله[10] أنه لم يكن علم به، وأيد ذلك إخباره[11] بقوله: **لبثتُ يوما أو بعض يوم قال بل لبثتَ مائة عام؟**

قيل: القول **كم لبثت** يحتمل وجهين، وكذلك القول بقوله: **بل لبثت مائة عام.** أحدهما على قول ألقي إليه، ونطقٍ أُسْمِع هو. والثاني[12] أن يكون على أَنْ حدّثته[13] نفسه بمدة[14] لبثه في حال نومه. فتأمل في ذلك أحوال نومه وأخبر[15] عما عاين من أحوال الوقت الذي كان فيه، مما كان ابتداءَ[16] وقت نومه فقال بالذي ذكر. ثم لما تأمل شأن الحمار

---

[1] ع م: متوجهة.
[2] ك: بإماتته؛ ع: فابانة.
[3] أي مدة طويلة.
[4] ن: لجعل.
[5] جميع النسخ: جعل (ن: لجعل) في بقاء طعامه وحفظه من الفساد آية من طبعه الفساد.
[6] جميع النسخ: درك.
[7] ع: رآه.
[8] م – بهما.
[9] ع – آية.
[10] ك ع م – الله.
[11] م: بإخباره.
[12] ن + على.
[13] ع: على حدثته؛ م: على ما حدثته.
[14] ك: تمدة.
[15] ك ن: أو أخبر.
[16] ع م: ابتداؤه.

واستخبر عن الأحوال قالت له نفسه: **بل لبثتَ مائة عام**، ثم أمعن[١] نظره في حماره وما رأى من تغير أحواله وإنشاء[٢] الله تعالى على ما ذكر. وكل ذلك خبر عما حدثته نفسه حتى بعثه[٣] على التفكر في أحواله، والنظر فيما عاين من أمر الحمار. أو كان عَلِمَ أن ذلك موت فيه، لكنه استقل ذلك بما شهد نفسه، بما عاينها على ما كانت عليها، فلما تأمل شأن حماره علم أنه دفع[٤] إلى آيات عجيبة، ففزع[٥] إلى الله فأنبأه الله تعالى بالذي وصف في القرآن. ***والله الموفق.***

ولو كان على القول، فإن في السؤال عما يعلم السائلُ جهلَ[٦] المسئول وجهين.[٧] أحدهما الامتحان بما به[٨] ظهور أحوال الممتحَن، من الاجتهاد في تعرف[٩] الحقائق بالاستدلال، أو الخضوع له بالاعتراف بقصوره عن الإحاطة[١٠] به، كفعل الملائكة عند قوله: أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ، بقولهم: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا.[١١] والأول كما فعل صاحب هذا، أنه قال: **يوما أو بعض يوم**، ومثله: أمر أصحاب الكهف،[١٢] ***والله أعلم.***

والثاني أن يراد بالسؤال التقرير عنده[١٣] ليكون[١٤] متيقظا لما يراد به من الاطلاع على الآية، كما قال لموسى: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،[١٥] الآية. وهذا فيما كان السؤال في الظاهر خارجا[١٦]

---

[١] ك ن ع: أنعم.
[٢] ك: ابقاه؛ ن: انشاه؛ ع: إن شاء.
[٣] ع: هي بعثه؛ م: هي.
[٤] م: رفع.
[٥] ك ن ع: فزع.
[٦] ك ن: جهله.
[٧] ن: لوجهين.
[٨] ك ن ع: على ما به.
[٩] ع م: في تعريف.
[١٠] م: من الإحاطة.
[١١] ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾(سورة البقرة، ٢/٣١-٣٢).
[١٢] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بوَرِقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزقٍ منه وليتلطّف ولا يُشعرنَّ بكم أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٩).
[١٣] أي عند المسئول.
[١٤] ع – ليكون.
[١٥] سورة طه، ٢٠/١٧.
[١٦] ك ن ع: خارج.

في الحقيقة مخرج المحنة، نحو ما ذكرنا في أمر الملائكة وأمر موسى عليه السلام. فأما السؤال الذي هو في حق السؤال إنما هو في حق الاستخبار،[1] ليعلم ما عليه حقيقة الحال بالسؤال، لكن الذي ذكرت فيما كان سبيله أن يكون مَن له الامتحان.[2] *ولا قوة إلا بالله*.

[٦٦ظ] وقوله: / **فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّهْ**؛ قيل: لم يأت عليه السِّنون،[3] أي كأنه لم يأت عليه السنون. وقيل: **لم يتسنه**: لم يتغير ولم يُنْتِن. والأول أشبه، لأنه يقال من التغير والتنتّن: لم يتسنّن.[4]

وقوله: **وانظر إلى العظام كيف نُنشِزُها**،[5] بالزاي وهو من الارتفاع والنصب. وفيه لغة أخرى: **نُنشِرُها**، وهو من الإحياء، ونَنشُرُها من النشر.[6]

وقوله: **فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**، بالنصب والخفض.[7] فمن قرأ[8] بالنصب صرف قوله: **أنى يحيي هذه** إلى المُسْلِم، ومن قرأ بالخفض صرف إلى الكافر؛ [أي] يقول الله له: **اعلم أن الله على كل شيء قدير**. ويحتمل أيضا صرفه[9] إلى المسلم. وأعلم على الإخبار، كأنه قال: أعلم مشاهدةً ما كنت أعلمه غيبا.[10]

وفي هذه الآيات إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن هذه القِصص

---

[1] ن: الاستخيار.

[2] «إذ السؤال في الحقيقة هو طلب الخبر والعلم؛ فمن كان عالما بالشيء لا يكون سؤاله لطلب العلم في الشاهد، لكن يكون للامتحان والتجربة لبيان جهالة ذلك المسئول، ولإظهار فضيلة السائل عليه. فإذا كان من الله تعالى فإن الامتحان لا يكون على هذا الوجه، ولكن ليظهر ما علم على ما علم، وفيه الأمر بالتعلم والاجتهاد في الأشياء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩١و).

[3] أي أنه قد أتى عليه السنون حقيقة، ولكن لم يكن فاسدا مثل ما لم يأت عليه السنون.

[4] المسنون: المُنْتن. وقوله تعالى: ﴿من حمإٍ مسنون﴾: أي متغيّر منتن. سُنّ الماء فهو مسنون: أي تغير (*لسان العرب*، «سنن»).

[5] م + وهو من الإحياء وننشرها.

[6] قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿كيف نُنشِرُها﴾ بالراء. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿كيف نُنشِزُها﴾ بالزاي. (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ١٥١).

[7] ن: بالخفض والنصب. أي في همزة "اعلم"؛ فالنصب على قطع الهمزة: "أَعْلَمُ" بطريق الإخبار، والخفض على وصل الهمزة "اِعلم" بطريق الأمر.

[8] ك: ممن قرأ؛ ع م – والخفض فمن قرأ. قال ابن مهران: قرأ حمزة والكسائي: ﴿قال اعلم﴾ بالوصل والجزم على الأمر. وقرأ الباقون: ﴿قال أعلمُ﴾ بالقطع والرفع، على الخبر. (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ١٥٠).

[9] ن – صرفه.

[10] جميع النسخ: ما كنت أعلمه غيبا مشاهدة.

كانت ظاهرة بينهم، ولم يكن له اختلاف إليهم، ولا نظر[١] في كتبهم، ثم أخبر على ما كان، ليعلم أنه إنما علم ذلك بالله جل ثناؤه.

**﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٦٠]**

وقوله: **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**. قال بعضهم: كان إبراهيم عليه السلام موقنا بأن الله يحيي الموتى، ولكن أحب أن يعاين ذلك؛ لأن الخبر لا يكون عند ابن آدم كالعِيان، على ما قيل: «ليس الخبر كالمعاينة».[٢]

وقيل: يحتمل سؤاله عما سأل[٣] لما نازعته نفسه وحدثته في كيفية الإحياء، وقد تُنازعُ النفس وتتحدث[٤] بما لا حاجة لها إليه من حيث نفسُه ليقع له فضل علم ومعرفة.

وقيل: **ليطمئن قلبي**، أي[٥] ليسكن قلبي[٦] وأعلم أنك قد استجبت لي فيما دعوتك، وأعطيتني الذي سألتك.

وقيل: **أولم تؤمن**، أي أو لم توقن[٧] بالخُلّة التي خاللتُك؟ **قال بلى**. سأل ربه عن الخلة.[٨]

وقيل: **أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** بأنك أريتني الذي أردت.

ويحتمل[٩] أن يكون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أراد بسؤاله ذلك[١٠] أن يكون له آية حسية.

---

[١] جميع النسخ: ولا النظر.

[٢] الحديث أخرجه الهيثمي عن ابن عباس فقال: رواه أحمد والبزاز والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حبان. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٨٧/١؛ وانظر أيضا: *تفسير القرطبي*، ٢٩٨/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤٩/٢.

[٣] جميع النسخ: يسأل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩١ظ.

[٤] ع م: ويتحدث.

[٥] ع م – أي.

[٦] ع م – ليسكن قلبي.

[٧] ك ن: أي لم توقن.

[٨] جميع النسخ: على الخلة. قال السمرقندي: «كأنه سأل آية الخة. قيل: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩١ظ).

[٩] م: تحتمل.

[١٠] ع – ذلك.

لأن آيات إبراهيم كلها[1] كانت عقلية، وآيات سائر الأنبياء كانت عقلية وحسية، فأحب صلوات الله عليه أن يكون له آية[2] حسية على ما لهم، كسؤال زكريا ربه حيث قال: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[3] جعل له آية حسية. فعلى ذلك سؤال إبراهيم عليه السلام.

وقوله: **فخذ أربعة من الطير فصُرْهُنّ إليك.** معناه وجّههن[4] إليك، كقول الرجل: صُرْ وجهك إليّ، أي حول وجهك. وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فصِرْهن إليك،[5] قيل: هو التقطيع.[6] وقيل:[7] **فصُرهن إليك:**[8] اضممهن.

**﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٦١]**

وقوله: **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة،** الآية. يحتمل ضربُ مثل النفقة في سبيل الله[9] بالحبة[10] التي ذكر وجهين.[11] أحدهما أن يبارك في تلك النفقة،[12] فيزداد وينمو، على ما بارك[13] في حبة واحدة فصارت سبعمائة وأكثر. والثاني قال: يُرْبِي الصَّدَقَاتِ؛[14] ورأوا[15] الصدقة تتلف[16] وتتلاشى في أيدي الفقراء،

---

[1] ع م – كلها.
[2] ع م – آية.
[3] سورة آل عمران، ٤١/٣.
[4] ن ع م: وجهن.
[5] ع – إليك.
[6] جميع النسخ: التقطع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩١ظ. «﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾ الآية. قيل: شققهن وقطعهن، بالنبطية على قراءة من قرأها بالكسرة، من صار يصير، وهي قراءة حمزة. وقيل: أملهن إليك، يقال: صار عنقه إليّ، أي أمال. وكذلك في حرف ابن مسعود. وقرئ برفع ﴿فصرهن إليك﴾ من صار يصور، أي قطع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩١ظ).
[7] ع: فقيل.
[8] ك ن ع – إليك.
[9] ع – الله.
[10] ع: بالجنة.
[11] جميع النسخ: وجهان.
[12] ن: المنفعة.
[13] ع: على بارك.
[14] ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ (سورة البقرة، ٢٧٦/٢).
[15] م: واراء. أي ورأي الكفار.
[16] ن: يتلف.

فقالوا: كيف تُربَى[1] وهي تالفة؟ فقال: يُرِبي[2] كما أُربى الحبة في الأرض بعد[3] ما تلفت فيها وفسدت، فصارت مائة وزيادة، فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله والنفقة فيها يُربَى، وإن كانت[4] تالفة.

وقيل: إنها منسوخة بالفرائض. لكن هذا لا يحتمل؛ لأنه نسخ[5] [في ثواب] وعد في الآخرة، والوعد لا يحتمل النسخ، إلا أن يعنوا[6] نسخَ عين الصدقة بغيرها، فأما الوعد فهو [على] حاله.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **والله واسع عليم**. قيل: غنيّ، وقيل: جواد يوسع على من يشاء.

**﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٢٦٢]

وقوله: **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله**؛ قال المفسرون: **[في سبيل الله]** للجهاد. خصّوا الجهاد بهذا -والله أعلم- لأن العدو إذا خرجوا لقتال المسلمين خرجوا للشيطان، ويسلكون سبيله وطريقه. والمؤمنون إنما يخرجون ليسلكوا طريق الله تعالى، وينصروا دينه وأولياءه. لذلك كان التخصيص له؛[8] وإلا كان يجيء أن تسمى[9] الطاعات كلها والخيرات سبيل الله؛ لأنها[10] سبيل الله وطاعته، كقوله: ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ،[11] الآية.

وقوله: **ثم لا يُتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى**، قيل: **منا** على الله **وأذى** للفقير.[12] وقيل:

---

[1] ك: يربى.
[2] م: تربي.
[3] م - بعد.
[4] م - كانت.
[5] ع م - نسخ.
[6] ك ن م: يعنون؛ ع: الا يعنون.
[7] ن: خالد.
[8] جميع النسخ + لقولهم.
[9] جميع النسخ: يسمى.
[10] ك ع م: لأنه؛ ن: لأن.
[11] سورة النساء، ٧٦/٤.
[12] ع: لفقراء.

**منا** على الفقير[1] **وأذى** له. ثم قيل: مَنه[2] على الفقير[3] عَدُّ ما أنفق عليه وتصدق، وأذاه توبيخه[4] عليه بذلك. وأما مَنه[5] على الله تعالى، فكقوله[6]: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.[7]

وقوله: **لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليه ولا هم يحزنون**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[8]

**﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾**[٢٦٣]

وقوله: **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**؛ قيل: **قول معروف**، كلام حسن، يدعو الرجل لأخيه بظَهر الغيب. وقيل: **قول معروف**، يستغفر اللهَ ذنوبه في السر؛ **ومغفرة** له، يغفر له ويتجاوز عن مظلمته. وقيل: **قول معروف**، الأمر بالمعروف. **خير**، ثوابا عند الله، **من صدقة** فيها أذى ومَنّ.

فإن قيل: كيف جمع بين قول المعروف والمغفرة وبين الأذى والمن فقال خير من كذا، وأحدهما خير والآخر شر، وإنما يفعل هذا إذا كانا[9] جميعا[10] خيرين فيقال: أيهما أخير؟

قيل: معناه –والله أعلم– هذا خير لكم من ذلك، وهو كقوله: قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ،[11] أي خير لكم في الآخرة من اللهو والتجارة[12] في دنياكم، وإن لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله، فعلى ذلك الأول. وتحتمل[13] [أن تكون] الآية على الابتداء، لا على الجمع: [أي] هذا خير وهذا شر.

[1] ع: على الفقراء.
[2] ك ن ع: منة؛ م: منته.
[3] ك + على الفقير.
[4] ع: ويوبخه؛ م: يوبخه.
[5] ع: منة.
[6] ك ن ع: كقوله؛ م – كقوله.
[7] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[8] انظر: سورة البقرة، ٣٨/٢، ٦٢، ١١٢.
[9] ع: كان.
[10] ع – جميعا.
[11] سورة الجمعة، ١١/٦٢.
[12] ع م – أي خير لكم في الآخرة من اللهو والتجارة.
[13] ن ع: يحتمل.

{قال الشيخ رحمه الله:} ووجه ذلك أن الصدقة قربة وهي خير، فإذا أتبعها الأذى أبطلها، / فيكون: **قول معروف** أي رد جميل للسائل، **خير** من إجابة بالبذل[١] ثم الردِ بالأذى؛ لأن هذا يبقى وإن كان لا ينتفع[٢] به[٣] الآخر، والصدقة لا[٤] وإن كان ينتفع بها الفقير. *والله أعلم*. [٦٧و]

وقوله: **والله غني**، عن صدقاتكم **حليم** لا يعجل بالعقوبة عليكم بالمن والأذى. وقال بعضهم: المن والأذى أن تقول[٥] للسائل: خذه لا بارك الله فيه لك.

*وفي قوله: **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**،[٦] وجه آخر، هو أن يحتمل قوله: **قول معروف** هذه التسبيحات والثناء والحمد. والمغفرةُ ستر ما ارتكب من المآثم.[٧] وقوله: **خير**، أي أخف[٨] على البدن[٩] من صدقة يتبعها أذى. ***والله أعلم***.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٢٦٤]**

وقوله: **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**، والمن والأذى[١١] ما ذكرنا. ثم جهة البطلان -والله أعلم- أن الله عز وجل وعد لمن تصدق الثواب عليها، بقوله: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً،[١٢] وقال: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ،[١٣] وقال في آية أخرى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

---

[١] جميع النسخ: في البذل.
[٢] م: لا ينقطع.
[٣] م - به.
[٤] ك - لا. أي والصدقة المتبوعة بالأذى لا تبقى.
[٥] ن ع م: يقول.
[٦] جميع النسخ + وله.
[٧] «والمغفرة الستر على نفسه والكف عن إظهار ما ارتكب من المآثم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٢و).
[٨] جميع النسخ: أحب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٩٢و.
[٩] ك: البذل.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه هنا. انظر: نسخة مهرشاه، ورقة ٦٧و / سطر ٢١-٢٣.
[١١] ن ع م - والمن والأذى.
[١٢] سورة البقرة، ٢/٢٤٥.
[١٣] ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/٢٠).

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ،[1] الآية. وإن كانت تلك الأموال في الحقيقة له، أعطاهم[2] الثواب على ذلك فأخبر أن من أعطى آخر شيئا ببذل لا يمن عليه، كالمبادلات التي تجري بين الناس أن لا يكون لبعض على بعض جهةُ المن إذا أخذ بدل ما أعطاه. أو أن يقال: إن الأموال[3] كلها لله تعالى، فإنما أعطى ماله،[4] وكل من أعطى آخر ماله،[5] لا يستوجب بذلك[6] حمدا ولا منا.

ثم اختلف في قوله: **كالذي ينفق ماله رئاء الناس**، قال بعضهم: هم منافقون كانوا ينفقون أموالهم رئاءً، دليله قوله: **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**. شبه الصدقة التي[7] فيها منٌّ وأذى بالصدقة التي فيها رياء.[8] وذلك -والله أعلم- أن الصدقة التي فيها مَنٌّ وأذى لم يَبتغ[9] بها وجه الله، فكانت كالصدقة التي ينفقها للرياء[10] ولا يبتغي بها وجه الله. وقال آخرون: كل صدقة فيها رياء[11] فذلك حكمها،[12] كافرا كان منفقها أو مسلما، لأنها لم يبتغ بها وجه الله تعالى[13] والدار الآخرة.

ثم ضرب المثل للصدقة المبتغى بها الرياء[14] والصدقة التي فيها المَنُّ والأذى بالصفوان الذي عليه تراب -وهو الحجر الأملس- فقال: **كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا**، قيل: الوابل هو المطر الشديد عظيم القدر. وفي ضرب الأمثال تعريف ما غاب عن الأبصار بما هو محسوس، وذلك أن الصفوان الذي به ضرب المثل والتراب محسوس، ومن التراب جُعل الأغذية للخلق والدواب. ثم الثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب،

---

[1] سورة التوبة، ١١١/٩.
[2] ن ع م: إعطاؤهم.
[3] ك: الأمور.
[4] أي فإنما أعطى المتصدق بالإنفاق أو الإقراض مال الله تعالى.
[5] ك: وكل من أعطى ماله آخر.
[6] جميع النسخ: ذلك.
[7] ع: الذي.
[8] ك: ربا.
[9] ع: لم يتبع.
[10] جميع النسخ: للزيادة.
[11] ك: رباء.
[12] ك - حكمها.
[13] ع م - وقال آخرون كل صدقة فيها رياء فدلك حكمها كافرا كان منفقها أو مسلما لأنها لم يبتغ بها وجه الله تعالى.
[14] ك: الرباء.

فعرّف الغائب بالمحسوس فقال: لما كان التراب الذي به تكون[١] الأغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له أثر، فكذلك الثواب الذي يكون للصدقة يذهب ويتلاشى حتى لا يظفر بها بالمن والأذى والرياء،[٢] كما أذهب المطر التراب الذي على الصفوان فصار صلدا، لا شيء عليه من التراب.

وقوله: **والله لا يهدي القوم الكافرين**؛ قالت المعتزلة: **لا يهدي القوم الكافرين** بكفرهم الذي اختاروا. وقلنا نحن: لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر، ويهديهم وقت اختيارهم[٣] الإيمان.*

**﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٢٦٥]

وقوله: **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم**، الآية. في الأمثال التي ضربها الله تعالى وذكرها في القرآن وجوه. أحدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن المنصوص بالمنصوص [عليه]، إذا جمعهما معنى واحد.

والثاني أن علوم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقائق، وهي الأصول التي بها يُستدل ويوصل إلى معرفة الغائب.

والثالث فيها إثبات رسالة محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، وذلك أن العرب كانت[٥] لا تضرب الأمثال ولا كانت تعرفها في أمر التوحيد وتعريف ما غاب عن حواسهم من أمر القيامة ونحو ذلك. ثم بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم،[٦] وأنزل عليه القرآن، وذكر فيه الأمثال ليذكرهم تلك الأمثال، ليعلموا أنه إنما عرفها بالله عز وجل، لا أنه أنشأ هذا القرآن من تلقاء نفسه؛ وذلك من آيات[٧] نبوته ورسالته. وعلى ذلك جعل عدمَ الكتابة له وإنشادِ الشعر من آيات نبوته ورسالته؛[٨] لأن من عادة العرب إنشادَ الشعر والكتابة،

---

[١] ن ع م: يكون.
[٢] ك: والربا.
[٣] ع م - وقت اختيارهم.
* وقع هنا قسم من تأويل الآية ٢٦٣، فنقلناه هنالك. نسخة مهرشاه، ورقة ٦٧و / سطر ٢١-٢٣.
[٥] ع م - كانت.
[٦] ك + وذلك أن العرب كانت لا تضرب الأمثال ولا كانت تعرفها.
[٧] ع: عن آيات.
[٨] ن - ورسالته.

ويفضلون أربابها على غيرهم، لئلا يُعرَف هو بها ويقولون: إنه أخذ من الكتب، أو اختلق من نفسه، كقوله تعالى: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ.[1]

والرابع فيها دلالة أن الله جل وعلا خالق الدنيا وما فيها من المحاسن والخبائث، والأعالي والخسائس، حيث ضرب مثل الرفيع بالرفيع، والخسيس بالخسيس، فدل أن خالق هذه الأشياء كلها هو الله تعالى، لا شريك له ولا شبيه.[2]

ثم شبّه الصدقة التي هي لله عز وجل مرة بالربوة من الأرض –وهي المرتفعة منها– ومرة بالحبة التي تنبت كذا كذا سنبلة وفي كل سنبلة كذا كذا حبة، ومرة بالأضعاف المضاعفة؛ لقوله فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً،[3] فهو –والله أعلم– لمّا علِم عز وجل رغبة الناس مرة في العدد في الدنيا، ومرة في البساتين المرتفعة أرضها وتربتها ليشرّفوا على غيرهم من الخلائق والبقاع، ومرة في الكثير من الأشياء والعظيم منها؛ رغبهم عز وجل في الصدقة بما ذكرنا من الأشياء لعلمه برغبتهم فيها، ليرغبوا في ذلك. *والله أعلم*. وعلى ذلك حرّم الله تعالى هذه[4] الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يُرغِّب الناس في الصدقة، لئلا يظنوا فيه ظنّ السوء، ويقولون: إنه إنما يرغبهم فيها لينتفع هو بها.

[٦٧ظ] وقوله: **وتثبيتا من أنفسهم**، قيل: تصديقا، / كقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.[5] وقيل: **وتثبيتا**: أي تيقنا[6] بالإسلام. وقيل: يتثبتون في مواضع الصدقة. وقيل: **وتثبيتا** في الصدقة: إذا كانت لله أمضى وتصدق بها، وإن خالطه شيء أمسك. *والله أعلم*.

وقوله: **كمثل جنة بربوة**، قيل: **الربوة** المرتفع من الأرض. وقيل: الظاهر المستوى من المكان.[7]

وقوله: **فآتت أُكُلَها**، يعني الجنة[8] أضعفت في ثمرها وحملها[9] ضعفين حين أصابها وابل،

[1] يقول الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).

[2] ك ن – ولا شبيه.

[3] ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ (سورة البقرة، ٢٤٥/٢).

[4] ع – هذه.

[5] سورة الليل، ٥/٩٢–٦.

[6] ك ن ع: تيقينا.

[7] ك – وقوله كمثل جنة بربوة قيل الربوة المرتفع من الأرض وقيل الظاهر المستوي من المكان.

[8] ن: الحبة.

[9] جميع النسخ: في الحمل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٢ظ.

كذلك الذي ينفق ماله لله تعالى في غير منة يمنّ بها، يضاعف نفقتَه،[١] كثرت النفقة أو قلت. وقيل: يضاعف الله للمنفق[٢] الأجرَ مرتين.

وقوله: **فأصابها وابل**، والوابل قد ذكرنا أنه المطر الشديد العظيم القطر.

وقوله: **فَطَلٌّ**، والطَّلُّ هو المطر الضعيف. وقيل: هو: الطَّش من المطر، وهو الرَّذاذ،[٣] مثل النَّدَى. [أي] لا تزال الجنة[٤] خضراء دائما ثمرها، قلَّ أو كثُر.

**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[٢٦٦]

وقوله: **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب**، الآية. ليس لهذا الخطاب جواب، لأن جوابه أن يقول: يودّ، أو لا يود. لكن الخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه ثلاثة. خطاب يفهم مراده وقت قرعه السمع، وخطاب لا يفهم مراده إلا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر، وهو كقوله: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ،[٥] الآية، وكقوله عز وجل: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ،[٦] ويَعْقِلُونَ؛[٧] وخطاب لا يفهم مراده إلا بالسؤال عن[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عمن[٩] له علم بذلك،[١٠] كقوله تعالى: فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا،[١١] وكقوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.[١٢] فإذا كان ما ذكرنا

---

[١] ع م: نفقتها.
[٢] جميع النسخ: المنفق.
[٣] ع م: الرزاز. الرذاذ: المطر. وقيل: الساكن الدئم الصغار القطر كأنه غبار (*لسان العرب*، «رذذ»).
[٤] جميع النسخ: الجبة.
[٥] سورة محمد، ٢٤/٤٧.
[٦] سورة الحشر، ٢١/٥٩.
[٧] الآيات التي ختمت بقوله: ﴿يعقلون﴾ كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة الروم، ٢٤/٣٠). ع - وخطاب لا يفهم مراده إلا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو كقوله أ فلا يتدبرون القرآن الآية وكقوله عز وجل وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون.
[٨] ك ن ع: عنه.
[٩] جميع النسخ: من.
[١٠] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٢ظ.
[١١] سورة الفرقان، ٥٩/٢٥.
[١٢] سورة النحل، ٤٣/١٦.

فيحتمل أن ما تُرك من الجواب للخطاب إنما ترك للطلب والبحث[1] عنه والتفحص.

ثم إن هذا الخطاب يحتمل أن يكون في أهل النفاق؛ وذلك أن المنافق يرى من نفسه الموافقة لأهل الإسلام في الظاهر وهو مخالف لهم في السر، وعنده أنه يستحق الثواب بذلك وقت الثواب، كان كصاحب[2] الضيعة التي ذُكرت في الآية أن صاحبها[3] يغرس فيها الغرس، وينبت فيها النبات في حال شبابه وقوته، رجاء[4] أن يصل إلى الانتفاع بها في وقت الحاجة والضعف، فإذا بلغ [إلى] ذلك واحتاج حِيلَ بينه وبين الانتفاع بما[5] فيها. فكذلك المنافق الذي كان دينه لمنافع في الدنيا وسعة بها،[6] إذا بلغ إلى وقت الحاجة حُرِم ذلك.

وكذلك هذا في الكافر؛ لأنه رأى لنفسه النفع بعلمه لوقت تأميله[7] كصاحب الضيعة، ثم عند بلوغه الحاجة حرم من ذلك،[8] لاعتراض ما اعترض من الآفة، وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً،[9] الآية؛ لأن الكافر بما يدين من الدين إنما يدين لنفعٍ يؤمله[10] في الدنيا، والمؤمن إنما يدين بما يدين لنفع يؤمله،[11] ويطمع [فيه] في الآخرة. فرجاء الكافر في غير موضعه، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

ثم الأمثال التي ضربت ينتفع بها المؤمنون؛ لأنهم ينظرون[12] [إلى] ما في الأمثال من المعنى المدرج والمودع فيها، ولم ينظروا[13] إلى أعينها. وأما الكافرون[14] فإنما[15] ينظرون إلى أعين الأمثال

[1] ك: والحث.
[2] م: الصاحب.
[3] م: في الآية صاحبها.
[4] م: حاء.
[5] ع م - بما.
[6] ك ع م: لها.
[7] جميع النسخ: تأمله. أمَلَه يأمُله أملا وأمَّله تأميلا: رجاه (*لسان العرب*، «أمل»).
[8] جميع النسخ: عنه ذلك.
[9] ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[10] جميع النسخ: يتأمله.
[11] جميع النسخ: يتأمله.
[12] جميع النسخ: لأن نظرهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣و.
[13] جميع النسخ: لم ينظروا.
[14] جميع النسخ: وأما الكافر.
[15] ن ع م: إنما.

لا إلى ما فيها، فاستحقروها واستبعدت عقولهم ذلك؛ لذلك قال: لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ،[١] و يَعْقِلُونَ.[٢]

ووجه ضرب هذا المثل هو[٣] أن الكافر يُحرَم أجرَه عند [ما يكون] أفقر وأحوج ما يكون إليه، كما حرم هذا نفع[٤] بستانه عند [ما كان] أفقر وأحوج ما يكون إليه، حين كبرت سنه وضعفت قوته، ولا حِيلة له يومئذ.

وقوله: **إعصارا**، قال ابن عباس: الإعصار: ريح فيها سَموم.[٥] وقيل: الإعصار ريح فيها نار تحرق الأشجار. وقيل: هي الريح تسطع إلى السماء، وهي أشد.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **أيودّ أحدكم أن تكون له جنة**، الآية: فمعناه -والله أعلم- أن يكون أنه[٦] لا يود أحدكم[٧] أن تكون[٨] له جنة ينال منافعها في وقت قوته وغناه بِقَوْتِهِ[٩] عنها وبغيرها من وجوه المعاش ثم يُحرَم نفعَها لوقت الحاجة إليها بضعف بدنه وارتكاب[١٠] مُؤَن الذرية. فلذلك[١١] لا ترضوا من أنفسكم في وقت[١٢] قوتها وغناها الغفلة عنها، لوقت حاجتها إلى الأعمال والاضطرار إلى ثوابها. ***والله أعلم***.

أو أن يكون[١٣] المعنى في ذلك[١٤] أن لا تغتروا[١٥] بظاهر أحوالكم في الدنيا وبما تنالون من المنافع بالذي أظهرتم من موافقة المؤمنين، كاغترار من ذكر[١٦] بجنته[١٧] في حاضر ما عليه حاله

---

١ سورة الرعد، ٣/١٣.
٢ سورة البقرة، ١٦٤/٢.
٣ جميع النسخ: وهو.
٤ م - نفع.
٥ انظر: *تفسير الطبري*، ٧٩/٣؛ *وتفسير القرطبي*، ٣١٩/٣.
٦ ك ن ع: إذ؛ م: ان.
٧ ع ن: أحد؛ م - أحدكم.
٨ ع م: يكون.
٩ قاته يقوت قوتا واقتاته: أطعمه، أو يأكله فيجعله قُوتا لنفسه (*لسان العرب*، «قوت»).
١٠ ارتكبته مؤن الذرية: ركبته وعنته. يقال: ركبته ركوبا: علاه، كارتكبه. (*القاموس المحيط*، «ركب»).
١١ ك ن ع: فكذلك.
١٢ ك - وقت.
١٣ ك ع م: وأن يكون.
١٤ جميع النسخ: من دلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣و.
١٥ جميع النسخ: أي لا تغتروا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣و.
١٦ جميع النسخ: من دكرت.
١٧ ك: بحبه؛ ن ع م: بجنسه.

إلى أن صار[1] إلى[2] ما أراه الله من عاقبته؛ إنه يود عند نهاية ذلك أن لم يكن منه[3] الاغترار في ذلك، ولكن كان قيامه على ما[4] يضيع عنه ذلك بتلك الحال. فيخرج ذا على ضرب المثل للمنافق.

ويحتمل أن يكون ذلك مثلاً[5] لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يؤمن بالبعث، أن الذي ينال بالكفر به[6] من الرياسة والعز كالذي ذكر من صاحب الجنة أنه لا يود ذلك [في] الابتداء بما يعلم تلك العاقبة. فكذا[7] ما ينبغي لهم –إذ بين لهم عواقب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم– أن يؤثروا الذي نالوا بعد علمهم بشدة تلك العاقبة. **والله أعلم**.

والمثل خرج على غير ذكر الجواب فيه بما[8] قد جرى له البيان لعلمه بالمبعوث مبينا؛ أو بما في الحال التي لها[9] نزول[10] الآية دليل التعريف؛ أو بما أراد الله امتحان السامعين بالتأمل في الآية، لينال كل ذي عقل فضلَه، وليكرَم به أهل التدبر في آياته في صرف وجوه مَن دونهم إليهم، في الصدور عن آرائهم والاعتماد على إشارتهم. **والله أعلم**.

وجملة ذلك أن أفعال ذوي الاختيار تكون[11] للعواقب، وما إليه مرجع الفاعل مقصود[12] في الابتداء؛ فتبين[13] لمن أُغفل عنها[14] بالذي عرف من حيرة المسرور بجنته لما[15] انكشفت له عاقبتها، حتى لعله يود أن لم يكن له تلك ليكون سروره بما يحمد عاقبته. / فعلى هذا أمر[16] [٦٨و] الأفعال التي يَغفل[17] عن عواقبها إذا صار إليها صاحبها. **والله الموفق**.

---

[1] ع – صار.
[2] م – صار إلى.
[3] ع: من.
[4] ك ن م + لا.
[5] جميع النسخ: مثل.
[6] أي بالكفر بمحمد.
[7] ك: فعلى.
[8] جميع النسخ: لما. والتصحيح من شرح *السمرقندي*، ورقة ٩٣و.
[9] ن – لها.
[10] م: يزول.
[11] ن ع م: يكون.
[12] جميع النسخ: مقصودا.
[13] ن: وتبين.
[14] جميع النسخ: عنه. أي أعقل عن العواقب.
[15] م: فما.
[16] م: الأمر.
[17] ن ع م: تعقل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢٦٧]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**، فيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة، بقوله: **ما كسبتم**؛ لأن أموال التجارة هي التي تكتسب، وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكاة في أموال التجارة في غير هذا الموضع. وليس فيه[١] سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ذكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم القول به، فيحتمل أن يكون من قالوا،[٢] قالوا[٣] بهذه الآية. وأما[٤] زكاة الفضة والذهب والمواشي فيما لها ذكر في الكتاب والسنة فالزكاة[٥] تجب فيها لعينها، اكتسب فيها أو لم يكتسب. وأما أموال التجارة فإن الزكاة تجب فيها بالاكتساب. وفيه دليل أن النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة؛ لأنه قال: **إلا أن تُغمضوا فيه**، ذكر الإغماض، والإغماض[٦] لا يذكر في المعروف، إنما يذكر في اللازم والواجب الذي لا مخرج له عنه[٧] إلا بالأداء، إلا عن عفو وصفح والرضاء بدون الحق، ثبت أنه على اللزوم. وفيه دليل وجوب الحق في الرطاب والخضراوات؛ لأنه ذكر في الآية المُخرَج [من الأرض]، والرطابُ هي التي[٨] تخرج من الأرض. وأما الحبوب فإنما[٩] تخرج من الأصل الذي يخرج من الأرض؛[١٠] لذلك كان الرطاب والخضراوات[١١] أولى[١٢] بوجوب الحق [فيها] من غيرها[١٣] بظاهر الآية.

---

[١] أي في وجوب الزكاة.
[٢] جميع النسخ: ما قالوا.
[٣] ن ع م – قالوا.
[٤] ك: وان ما؛ ن: أما.
[٥] ن: والزكاة.
[٦] ع – والاغماض.
[٧] ن – عنه.
[٨] ن ع م – التي.
[٩] جميع النسخ: إنما.
[١٠] ع م – الأرض.
[١١] ن ع م: الخضر.
[١٢] ك – أولى.
[١٣] جميع النسخ: من غيره.

{قال الشيخ رحمه الله:} والوجوب في الحبوب بما[1] كانت تخرج من[2] الحقوق، والحقوق[3] بظاهر[4] هذه الوجوب[5] هي[6] التي[7] تخرج من الأرض. وأما أبو يوسف ومحمد رحمهما الله فإنهما قالا: يحتمل قوله: **أخرجنا لكم من الأرض**، يعني من الأصل الذي يخرج لكم من الأرض، كقوله: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي،[8] ولا ينزل من السماء اللباس كما هو، ولكن أراد الأصل الذي به يكون اللباس. وكذلك قوله: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[9] وهو لم يخلقنا من التراب،[10] وإنما خلق[11] الأصل من التراب -وهو آدم عليه السلام- فعلى ذلك الأول.[12] *والله أعلم*.

والوجه فيه[13] أنه مَنَّ الله علينا بما أخرج لنا من الأرض من أنواع ما أخرج بحبّة تلقى في الأرض فتفسد[14] فيها، فيخرج منها[15] النبات بلطفه، لا صنع لأحد فيها، وتلك المنة لا تكون على أربابها خاصة دون الفقراء، بل هي على الفقراء[16] كهي على أربابها؛[17] لأنه أخرجه رزقا للكل، ففيه حق الفقراء والأغنياء جميعا. ومن ثم جاز وجوب العُشر على الصغير؛[18] ألا ترى إلى قوله: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ،[19] قيل:

---

[1] ن: إنما.
[2] ك ن ع: عن.
[3] ن - والحقوق.
[4] ك: فبظاهر.
[5] ك ن: الوجوه.
[6] ك ن م: في؛ ع - هي.
[7] ع: والتي.
[8] ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا﴾ (سورة الأعراف، ٢٦/٧).
[9] ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (سورة الروم، ٢٠/٣٠. وانظر أيضا: سورة فاطر، ١١/٣٥، وسورة المؤمن، ٦٧/٤٠)
[10] ن - اللباس كما هو ولكن أراد الأصل الذي به يكون اللباس وكذلك قوله خلقكم من تراب وهو لم يخلقنا من التراب.
[11] ع م - خلق.
[12] «أي وهو المتعارف من إطلاق الاسم فيحمل عليه، لكن أبو حنيفة اعتبر الحقيقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣و).
[13] جميع النسخ: منه.
[14] ن ع م: فيفسد.
[15] ن ع م: منه.
[16] ع م - بل هي على الفقراء.
[17] أي على الأغنياء.
[18] ك ع: الصغر؛ ن: العصر.
[19] سورة الواقعة، ٦٣/٥٦-٦٤.

أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون؟[١] وأما ما بعد[٢] النبات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره؛ لذلك كان ما ذكرنا.[٣] *والله أعلم*.

وفي قوله: **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه**، دلالةٌ على أن لا يتصدق[٤] بالرديء عن الجيد، فإذا تصدق به يلزمه[٥] فضل ما بين الرديء إلى الجيد، على قول محمد رحمه الله، بظاهر قوله: **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه**. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يجوز، ولا يختار له[٦] ذلك.[٧] وذلك أن الله تعالى أطمع الناس [في] قبول ذلك إذا تغامضوا، فهو أحق أن يطمع فيه بالقبول[٨] لكرمه ولطفه؛ ولأنه ليس لصفة ما يكال أو يوزن[٩] من نوعه قيمة، فإذا لم يكن له قيمة لا يلزمه[١٠] فضل الصفة.

**﴿اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢٦٨]

وقوله: **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**؛ قيل:[١١] **يعدكم الفقر** في الدنيا بالتصدق والإنفاق، **ويأمركم بالفحشاء** بترك الصدقة. ويحتمل: **يعدكم الفقر** في الدنيا بطول الأمل وفناء المال، **ويأمركم بالفحشاء** بسوء الظن بربكم.[١٢]

**والله يعدكم مغفرة** بالصدقة، **وفضلا**، وذكرا في الدنيا. ويحتمل قوله: **والله يعدكم مغفرة** في الآخرة، **وفضلا** في الدنيا، يعني خلفا. وقيل: **مغفرة** لكم لفحشائكم، **وفضلا** لفقركم.

---

[١] أي وهذا دليل على أن الإنبات بمحض صنع الله تعالى، ولا صنع لأحد فيه.
[٢] م: وأما سوى.
[٣] أي كان الصرف إلى النبات أحق من الصرف إلى الحبوب.
[٤] ن - يتصدق.
[٥] ك: يلزم.
[٦] ن - له.
[٧] أي ولا يختار له أداء الفضل.
[٨] جميع النسخ: القبول.
[٩] ع م: ويوزن.
[١٠] ك: لا يلزم.
[١١] ك ن م: قوله؛ ع: بقوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣ظ.
[١٢] جميع النسخ: بربه.

وقوله: **والله واسع عليم** أي غني يقدر[1] [على] إخلاف ما أنفقتم، **عليم** بجزاء صدقاتكم؛ ويحتمل: [**عليم**] ما تنفقونه[2] من الصدقة والحسنة.[3]

وفي قوله: **والله واسع عليم** و غَنِيٌّ حَمِيدٌ،[4] ونحوه [دليل] ليعلموا أنه إنما رغب الناس على الصدقات والنفقات ابتلاءً[5] ومحنةً منه، لا حاجةً وفقرًا.

**﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**[٢٦٩]

وقوله: **يؤتي الحكمة من يشاء**، قيل: **الحكمة** في هذا الموضع معرفة القرآن وتفسيره، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[6] وكذا[7] روي مرفوعا.[8] وقيل: **الحكمة** الفهم في القرآن، وقيل: **الحكمة** الفقه، وقيل: النبوة، وقيل: **الحكمة** هي الإصابة. وفيه دليل جواز الاجتهاد وأنه[9] مصيب في اجتهاده.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **يؤتي الحكمة من يشاء**، اختلف في تأويل الحكمة في هذا. قال قوم: هي القرآن، وهو على[10] ما وصفه نورا،[11] وهدى،[12] وروحا،[13] وشفاء.[14] والنور هو الذي يُبصِر به حقائق الأشياء، وبالهدى يدرك كل خير[15] ويتقى كل تلف،

---

[1] ن + ما.

[2] جميع النسخ: ما تنفقون.

[3] ن ع م: والحبة.

[4] سورة البقرة، ٢٦٧/٢.

[5] ك: ابتلا.

[6] انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٠؛ و*تفسير الطبري*، ٣٣٠/٣.

[7] ك – وكذلك.

[8] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٢٣/١.

[9] أي من يؤتى الحكمة.

[10] ن – على.

[11] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ (سورة النساء، ١٧٤/٤).

[12] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢).

[13] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[14] ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (سورة يونس، ٥٧/١٠).

[15] ع م – خير.

وبالروح يحيى كل ذي روح، وبالشفاء يبرأ كل سقيم ويزال كل آفة. والذي هذا وصفه فهو الخير. *وبالله المعونة*. وقال قوم: **الحكمة** هي الإصابة لحقيقة كل شيء، وبها يتقي كل شر وينال كل خير، وذلك هو الخير الكثير.[1] *وبالله العصمة*. وقال بعضهم: **الحكمة** هي السنة، كأنه أكرم رسوله صلى الله عليه وسلم بالذي من سلكه نجا، ومن حاد عنه[2] غوى.

وفي الأصل قيل: **الحكمة** في التحقيق وضع كل شيء موضعه، ودفع كل حق إلى محقه. ولهذا قال بعض الفلاسفة في حد الحكمة: إنه العلم، والعمل بالعلم في وضع الأشياء مواضعها، والعمل في إيصال كل ذي حق إلى محقه.[3] وقيل: هي من إحكام الأمور وإتقانها. وذلك متقارب[4] لما تضاد[5] الحكمة السفه، وهو التفاوت في الفعل والاضطراب / في الأمور. *والله أعلم*. [٦٨ظ]

وقال قوم: الحكمة في القرآن هي فهم الحدود والسرائر، وهو الذي به تدرك الموافقة والمخالفة من طريق الحقائق، لا من طريق[6] الظواهر، وذلك عمل الحكماء ورعاة الدين. *ولا قوة إلا بالله*. وقال قوم: هي الفقه. والفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره، وهو الذي به يوصل إلى معرفة الغائب بالشاهد، والغامض بالظاهر، والفرع بالأصل. *ولا قوة إلا بالله*.

وأي هذه الوجوه كانت الحكمة فذلك الوجه[7] يجمع خير الدارين لو حفظ حقه. والذي هذا وصفه فهو الخير الكثير. *وبالله المعونة*.

وفي الآية دلالة أن الله لا يؤتي كلًّا[8] الحكمة، وأن الحكمة وإن كانت فعلا للحكيم فبإعطاء الله تعالى نالها، وأنه لا يجوز أن يعطيها أحدا ثم لا ينالها المعطَى. وهذه الوجوه كلها تخالف رأي المعتزلة.[9]

---

[1] ن ع م: الكبير.

[2] ن: خادعه.

[3] ع م – ولهذا قال بعض الفلاسفة في حد الحكمة إنه العلم والعمل بالعلم في وضع الأشياء مواضعها والعمل في إيصال كل ذي حق إلى محقه.

[4] جميع النسخ: مقارب. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣ظ.

[5] جميع النسخ: يضاد.

[6] ك ن: جهة.

[7] ع م – الوجه.

[8] ن – كلا.

[9] «أما الوجه الأول فيرد عليهم قولهم: إن على الله أن يؤتي الأصلح في الدين، وإلا لكان عليه أن يؤتي الحكمة جميع الناس، ويبطل التفضيل. وأما الوجه الثاني والثالث فيرد عليهم قولهم: إن كل أحد يخلق الحكمة بنفسه دون إعطاء الله إياه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣ظ).

وقوله: **فقد أوتي خيرا كثيرا**، من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الآفات وفي الآخرة عن الوقوع في العقوبات.[1]

**وما يَذّكر إلا أولو الألباب**، يعني وما يتعظ[2] بما ذكر إلا ذو الفهم والعقل.

وفي الآية نقض قول المعتزلة؛ لأنه قال: **يؤتي الحكمة من يشاء**، ثم قال: **ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**، ولا كلَّ أحد يؤتي[3] الحكمة إنما يؤتي[4] بعضا دون بعض؛ فلو كان على الله تعالى أن يعطي الأصلح في الدين لكان قد آتى الكل، وبطل التفضيل.[5] ومن قال: يؤتي غيرها فكان خلاف ما في الكتاب.

**﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢٧٠]**

وقوله: **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر**، يحتمل نفقة المحارم، ويحتمل المفروض من الصدقات، ويحتمل غيرها. ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **أو نذرتم من نذر**، قال: «من نذر[6] نذرا لم يُسمِّه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا أطاقه فَليفِ[7] به».[8] فيه[9] تنبيه وتذكير أن الله يعلم صدقتهم[10] ونذرهم، ليحسنوا[11] في النفقة ويخلصوا في النذر[12] ويوفوا[13] به.

وقوله: **فإن الله يعلمه**، قيل: يقبله، وقيل: يأمر بوفائه. ويحتمل قوله **يعلمه**: أي يعلم ما وفيتم منه فيجزيكم على ذلك. ويحتمل: **يعلمه**: [يعلم] ما أردتم بصدقاتكم ونذوركم.

---

[1] جميع النسخ: عن دفع العقوبات. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٣ظ.
[2] ن: ما يتعظ.
[3] م: تؤتي.
[4] م – الحكمة إنما يؤتي.
[5] ك: التفضل؛ ن ع م: الفضل.
[6] ع م – من نذر.
[7] ن ع م: فكيف.
[8] سنن *ابن ماجة*، الكفارات ١٧؛ وسنن *أبي داود*، الأيمان والنذر ٢٥.
[9] ن – فيه.
[10] ك: صدقهم.
[11] جميع النسخ: ليحتسبوا، والتصحيح من شرح *السمرقندي*، ورقة ٩٣ظ.
[12] ك: وفي النذر.
[13] ك: يوفوا.

وقوله: **وما للظالمين من أنصار**، في الآخرة يعني [من] مجير يجيرهم من العذاب. وقيل: ما للظالمين من[1] شفيع يشفع لهم ولا نصير ينصرهم، لأنه ما من ظالم إلا وله في الدنيا ظهير.

**﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[٢٧١]

وقوله: **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**، قال بعضهم: هي الفريضة، وقال آخرون: هو تطوع، وهو أوجه، وقال غيرهم: قوله: **إن تبدوا والصدقات**، هي الفريضة، **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء**، هي التطوع.

{قال الشيخ رحمه الله:} لا يحتمل الإخفاء في التطوع والإبداء في الفرض، لما أخبر في الإخفاء أنه خير، ولا يكون التطوع خيرا من الفريضة. ومن حمله على الفريضة يَسْتحب أن يظهروا الزكاة المفروضة ليقتدوا[2] به ويرغّبوا الناس عليها. ومنهم من يستحب الإخفاء أيضا ويقولون: في الإبداء شيئان، الصدقة نفسها والاقتداء، وفي الإخفاء وجوه. أحدها الصدقة، والآخر ترك المراءاة[3] وسلامتها، والثالث الكف عن المن والأذى. ومنهم من حمل قوله: **إن تبدوا الصدقات** على الفريضة، **وإن تخفوها** على التطوع. وذهب إلى أن الفريضة ليس فيها الرياء، لأنه شيء عليه، فسواء فيها الإبداء[4] والإخفاء. وأما التطوع ففيه الرياء، لأنه معروف ليس عليه،[5] والإخفاء له أسلم. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله بما تعملون خبير**، فيه وعيد وتحذير أنه يعلم ما تُسِرّون وما تعلنون في الصدقة. ويحتمل: [بما] **تعملون خبير**، من جزائكم للصدقة.

قال[6] ابن عباس رضي الله عنه، في قوله: **إن تبدوا الصدقات**، الآية: جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تَفْضُل علانيتها بسبعين ضعفا، وجعل صدقة[7] الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا، وكذلك جميع[8] الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.[9]

---

[1] م – من.
[2] ع م: ليقتدروا.
[3] ع م: المرآة.
[4] ك: الإظهار والإبداء؛ ن ع م: الإبداء والإظهار.
[5] أي ليس واجبا عليه.
[6] ك: وقال.
[7] ع: الصدقة.
[8] ن ع م: جمع.
[9] انظر. *تفسير الطبري*، ٩٢/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٢٤/١.

وفي بعض الأخبار، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصنائع المعروف تدفع مصارع السوء، وصلة الرحم تزيد في العمر».[1] عن الحسن،[2] قال: الإبقاء على العمل أشد من العمل، وذلك أن العبد ليعمل العمل سرا فيكتب[3] له عمل السر، فلا يزال به الشيطان حتى ينسخ من عمل السر إلى عمل العلانية، ثم لا يزال به الشيطان، حتى يحب أن يحمد، حتى يكتب من عمل العلانية في الرياء.

وقوله: **ويُكفّر عنكم من سيئاتكم**، فيه دليل أن من السيئات ما يكفّرها الصدقة ومنها ما لا يكفرها.[4] وقيل: إن من هاهنا صلة، ففيه إطماع تكفير السيئات كلها بالصدقة، كقوله: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.[5] وهو نقض[6] على المعتزلة، لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها، ولا التعذيب على الصغائر. فأما إن كانت الآية في الكبائر فيبطل[7] قولهم: لا تكفَّر[8] بغير التوبة، أو في الصغائر فيبطل قولهم: إنها مغفورة، إذ وعدت[9] بالصدقة؛ ولأنهم[10] يُخلِّدون صاحب الكبائر في النار، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة. *والله الموفق*.

**﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢٧٢]**

وقوله: **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**، أخبر أنه ليس عليه هداهم وعليه[11] البيان والتبليغ؛ فدل أن هناك فضلَ هدًى لا يملك هو ذلك، وهو التوفيق على الهدى والتخليق[12] له.

[1] قال الهيثمي: رواه الطبراني في *الأوسط* وفيه معروف، وبقية رجاله وثقوا، وفيهم خلاف. انظر: *المعجم الأوسط* للطبراني، ٢٨٩/١؛ و انظر أيضا: *مسند الشهاب* لقضاعي، ٩٤/١؛ *ومجمع الزوائد* للهيثمي، ١٩٤/٨.

[2] ن: وعن الحسن.

[3] جميع النسخ: فكتب، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.

[4] جميع النسخ: لا يكفر.

[5] سورة هود، ١١٤/١١.

[6] ك ن - نقض.

[7] جميع النسخ: فبطل، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.

[8] جميع النسخ: لا يكفر.

[9] ع: وعد. أي وعدهم الله المغفرة بالصدقة.

[10] جميع النسخ: لأنهم.

[11] ع - وعليه.

[12] جميع النسخ: والتحقيق، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.

وهذا يرد على المعتزلة ويكذبهم أن كل الهدى / البيان؛ إذ لو[١] كان كل الهدى بيانا لكان [٦٩و] رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ذلك، إذ عليه البيان. فدل أنه لا يملك الهدى المراد في الآية، فهو على ما ذكرنا[٢] من التوفيق.

ويحتمل قوله: **ليس عليك هداهم**، أي حساب ترك اهتدائهم، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَيْءٍ،[٣] و[قوله:] فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ.[٤]

وقوله: **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم**، [قيل:] **من خير**، أي مال، **فلأنفسكم**، يعني فلأنفسكم الثواب. وقيل:[٥] قوله: **فلأنفسكم**، يعني: منفعته لكم. وفي قوله: **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** دلالة على أنهم كانوا يتحرجون من التصدق[٦] على أقربائهم من الكفار خشية ما يقع من التعاون على ما اعتقدوا[٧] من الدين، إذ المكاسب لأهل كل دين[٨] إنما تقع[٩] من العقلاء مكان ما ينفقونه[١٠] لأجل الدين؛ فبين جل وعلا أن ذلك يقع لكم ولأنفسكم وتكفير ما ارتكبتم. ثم في الآية دلالة جواز الصدقة على الكفار، ودليل جواز دفع الكفارات إليهم، بقوله: **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم**، فهو دليل لأصحابنا لأنه جعل هذه الصدقة مكفِّرة.

وقوله: **يُوَفَّ إليكم**، يعني يوفر عليكم ثواب صدقاتكم، وإن [كان] التصدق على الكفرة.

وقوله: **وأنتم لا تظلمون** في حرمان الثواب والجزاء.

**﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٢٧٣]**

وقوله: **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله**، قيل: **في سبيل الله**، أي عن سبيل[١١] الله،

---

[١] ع م: ولو.
[٢] ك ن: فهو ما ذكرنا.
[٣] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[٤] ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (سورة الرعد، ٤٠/١٣).
[٥] ع م: قيل.
[٦] جميع النسخ: بالتصدق، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.
[٧] جميع النسخ: ما اعتدوا، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.
[٨] جميع النسخ: لكل أهل دين، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.
[٩] ن ع م: يقع.
[١٠] جميع النسخ: ما ينفقون به.
[١١] جميع النسخ: من سبيل، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤و.

يعني حُبسوا بالفقر عن الجهاد، كقوله:[1] وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ؛[2] والعرب تستعمل[3] حروف الخفض بعضها في[4] موضع بعض. ويحتمل قوله: **أحصروا في سبيل الله**، أي حبسوا أنفسهم في طاعة الله، لا يجدون ما يَتّجرون ولا ما يحترفون ولا ما يكتسبون.[5]

وقوله: **لا يستطيعون ضربا في الأرض**، للتجارة.

وقوله: **لا يسألون الناس إلحافا**، يحتمل وجهين. أي لا يظهرون السؤال، أي لا يسألون، كقوله: وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ،[6] أي لا يُشفع لهم. فإن كان على السؤال فإنهم إذا سألوا لم يُلحفوا، دليله قوله صلى الله عليه وسلم: «من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين[7] بابا من الفقر»؛[8] ثم ذكر في الخبر: «من استغنى أغناه الله، ومن استعفّ أعفّه الله».[9] وإن كان على التعريض ففيه إباحة التعريض بين يدي أهل الجود والسخاء.

وقوله: **تعرفهم بسيماهم**، يعني سيما التخشع، وقيل:[10] سيما الفقر. **لا يسألون الناس إلحافا**، يعني إلحاحا.[11] وقيل: **تعرفهم بسيماهم**، أي بتجملهم، **لا يسألون الناس إلحافا**، أي إلحاحا ولا غير إلحاح.

**﴿اَلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٢٧٤]

وقوله: **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم**، كذا. قيل:

---

[1] ن ع م: وكقوله.

[2] ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيلٍ والله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٩١).

[3] ن: يستعمل.

[4] ك – في.

[5] ك: يكسبون.

[6] سورة البقرة، ٢/١٢٣.

[7] ع م – سبعين.

[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣١/٤؛ *وسنن الترمذي*، الزهد ١٧.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣؛ *وشرح معاني الآثار* للطحاوي، ٣٧٢/٤.

[10] ن: وما قيل.

[11] ع م – يعني إلحاحا.

هي النفقة على الخيل المحتبَسَة[1] للجهاد، ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا إضمار.[2] وعن علي وأبي أمامة رضي الله عنهما هي النفقة على الخيل في سبيل الله؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: في علف الخيل والنفقة عليها.[3] وقيل: نزلت في نفقة عبد الرحمن بن عوف في جيش[4] العسرة. وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لم يكن يملك من المال غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا[5] وبدرهم علانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الذي حملك على هذا»؟ قال: حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني، فنزلت فيه هذه الآية. وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شَمّاس الأنصاري. فلا ندري فمن نزلت، وليس لنا إلى معرفة المنزلة[6] [في] شأنه حاجة، سوى أنه [تعالى] وصفهم بالجود والسخاء، و[وصف] نفقتهم على الناس ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا مَنّ ولا أذى. وفيه نفي الرياء عن نفقتهم، لأن من عَوّد نفسه الفعل في جميع الأوقات لم يراء.

وقوله: **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**، لأن نعيم الدنيا مشوب[7] بالحزن والخوف، فأخبر أن نعيم الآخرة لا يشوبه حزن ولا خوف، لذلك كان ما ذكر.[8] ***والله أعلم.***

**﴿اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهٰى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٧٥]**

وقوله: **الذين يأكلون الربا**، قال بعضهم: ليس على حقيقة الأكل ولكنه كان على الأخذ، كقوله: وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ.[9] فإذا كان هذا على الأخذ فقوله تعالى:

---

[1] ك + معا.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «... لا رياء فيها، خلاف من ينفق عليها للتزين والتجمل فيها وللسباق في المضمار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤ظ). وتضمير الفرس: أن تفعله حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يوما، ويكون هذا للسباق (*لسان العرب*، «ضمر»). ويستعمل الكلمة من التضمير، لا من الإضمار.

[3] انظر: *تفسير القرطبي*، ٣/٣٤٦؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢/٣٣٠.

[4] ن: حبس.

[5] ع – وبدرهم سرا.

[6] جميع النسخ: المنزل، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤ظ.

[7] جميع النسخ: مشوبة، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤ظ.

[8] ع: ذكروا.

[9] ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ (سورة النساء، ٤/١٦١).

**لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس**، هو على التمثيل ليس على التحقيق. وقال آخرون:[1] هو على نفس الأكل. وما ذكر من العقوبة لما أكلوا من الربا: **لا يقومون**[2] يوم القيامة **إلا كما يقوم [الذي يتخبطه الشيطان من المس**، أي][3] المجنون المُخَنَّق. وقال غيرهم: ذلك لاستحلالهم[4] الربا، وتخطئتهم[5] الله جل وعلا في الحكم في تحريمهم الربا بقولهم: **قالوا إنما البيع مثل الربا**.

ثم قوله: **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا**، فيه دليل جواز القياس في العقل؛ لأنه لو لم يكن في العقل جوازه لم يكن لقولهم: **إنما البيع مثل الربا** معنى، لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة.

ثم المماثلة[6] على وجهين: مماثلة أسباب، ومماثلة أحوال. فالمماثلة التي هي مماثلة أحوال هي ابتداء محنة في الفعل، لا يقاس على غيره، نحو أن يقال: اقعد أو أن يقال: قم؛ لا يقاس القيام[7] على القعود ولا القعود على القيام، إنما هو[8] محنة لا يلزم غير المخاطب به. وأما مماثلة الأسباب فهي مماثلة الإيجاب،[9] نحو أن يقال: حرم السكر في الخمر، فحيث ما وجد السكر يحرم، لأنه يجنى على العقل، فكل شيء يجنى[10] عليه فهو محرم التناول منه.

وقوله: **إنما البيع مثل الربا**، يقولون: لما جاز أن يباع ثوب[11] يساوي عشرة بأحد[12] عشر كيف لا جاز أن يباع عشرة بأحد[13] عشر؟ / وقيل: كان الرجل منهم إذا حل ماله[14] على صاحبه طلبه،[15] فيقول المطلوب للطالب: زدني في الأجل وأزيدك على مالك، [٦٩ظ]

[1] م: الآخر.
[2] جميع النسخ: لا يقوم.
[3] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٩٤ظ.
[4] ع: استحلالهم.
[5] ك: وتخييطهم؛ ن ع م: تخبيطهم، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٤ظ.
[6] ع – ثم المماثلة.
[7] ع – القيام.
[8] ع + وإنما هو.
[9] ع م: الأحول.
[10] ن: يجيء.
[11] جميع النسخ: ثوبا.
[12] ع م: بإحدى.
[13] ع م: بإحدى.
[14] حل الدَّين: وجب أدؤه.
[15] ن – طلبه؛ ع: فطلبه.

فيفضلان[١] ذلك ويعملان به. فإذا قيل لهم: هذا ربا، قالوا: هما سواء، الزيادة في البيع والزيادة عند محل البيع. فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال: ليس هكذا.

ويحتمل فيه ابتداء حرمة [الربا وتحليل البيع]،[٢] أي أحل[٣] ما هو بيع لا ما هو ربا.

ثم قوله تعالى: **وأحل الله البيع وحرم الربا**، فلقائل أن يقول: إن ما يحرم منه قدر الربا، وأما العقد فإنه يجوز لما ليس فيه ربا. لكن الأصل عندنا فيه: أن الدرهم الزائد يأخذ كلُّ درهم من العشرة قسطا منه، وجزء من أجزاء كل درهم منه، فلا سبيل إلى إمضاء العقد، لأخذ أجزائه كل درهم من الذي فيه العقد، وهو ربا.[٤] وفيه وجه آخر، وهو أنه ختم الكلام بقوله:[٥] وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ،[٦] ولا يُرَدّ[٧] [إلى] رأس المال في عقد[٨] قد مضى.[٩] ثم معرفة الربا من غير الربا ما ليس بإزائه[١٠] بدل.

ثم فيه دلالة أن حرمة الربا كان ظاهرا عندهم حتى حكّوا،[١١] وكانت[١٢] حرمته فيما بينهم كهي[١٣] فيما بين[١٤] أهل الإسلام؛ لذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه أن لا يجوز بيع الربا فيما بين أهل الإسلام وبين أهل الذمة؛ وعلى ذلك خرج الخطاب منه عز وجل بقوله: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.[١٥]

---

[١] ع م + على.
[٢] والزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و.
[٣] جميع النسخ: أن حل، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و.
[٤] «ولأن الأصل عندنا أن مقابلة أحد البدلين بالآخر من حيث الأجزاء إذا كان في أحدهما فضل، فإنه ما من جزء من هذا البدل وإن قلّ إلى درجة عدم التجزي إلا وبإزائه شيء من الفضل الذي في الجانب الآخر، ولا سبيل إلى إمضاء العقد في كل جزء وإن قلّ لما فيه من الفضل، فكذلك فسد العقد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و).
[٥] ك ع م: على قوله؛ ن: قوله.
[٦] سورة البقرة، ٢٧٩/٢.
[٧] ن ع: نزد؛ م: يزاد.
[٨] ع: العقد.
[٩] «لأنه تعالى ختم الآية بقوله: ﴿وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم﴾ أمر بردهم إلى رؤوس أموالهم وهي التي سلموها لا مثلها وذلك يكون في العقد الفاسد. على أنه لو بطل الفضل خاصة لبقي البيع على غير التراضي، لأن صاحبه إنما رضي بناء على أخذ الزيادة، وقد شرط الله تعالى في التجارة التراضي، لذلك فسد الكل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٥و).
[١٠] ع م: بإرادة.
[١١] لأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا.
[١٢] جميع النسخ: وكان.
[١٣] ك ع: كهو.
[١٤] ن + من.
[١٥] سورة آل عمران، ١٣٠/٣.

وقوله:[١] **فمن جاءه موعظة من ربه،** قيل: بيان تحريم الربا، وقيل: **فمن**[٢] **جاءه** نهي في القرآن من ربه في تحريم الربا[٣] فانتهى عن الربا. ويحتمل الموعظة هي التذكير لما سبق منه، فيتذكر فيرجع عن صنيعه.

وقوله **فله ما سلف،** قيل فيه[٤] بوجهين. قيل: **ما سلف** له في الجاهلية صار مغفورا له، وهو كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[٥] ويحتمل قوله: **ما سلف**[٦] أن الكافر إذا تاب ورجع عن صنيعه وعزم أن لا يعود[٧] إلى فعله أبدا، وندم[٨] على كل سيئة ارتكبها، **فيجعل الله** كل سيئة[٩] كانت منه حسنة، وهو كقوله: فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[١٠]

وقوله: **وأمره إلى الله،** في حادث الوقت أن يعصمه.

وقوله: **ومن عاد فأولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون** [ألحق الوعيد على من رجع إلى ما كان عليه قبل التوبة].[١١] [ثم] إن بعض[١٢] المعتزلة استدلوا على الوعيد لأهل الإسلام بما ذكر فيه من العَوْد.[١٣] لكن بدء[١٤] الآية على الاستحلال،[١٥] فعلى ذلك العود إليه على جهة الاستحلال؛ يدل عليه قوله: وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ،[١٦] فأثبت له الكفر بالذي كان منه في الابتداء، وهو الاستحلال، فكذلك العود إليه.[١٧]

---

[١] ك: قوله.
[٢] ك: ممن.
[٣] ن – وقيل فمن جاءه نهي في القرآن من ربه في تحريم الربا.
[٤] ك – فيه.
[٥] سورة الأنفال، ٨/٣٨.
[٦] جميع النسخ + وذلك.
[٧] جميع النسخ: ورجع عن صنيعه يرجع لا أن يعود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٩٦و.
[٨] ك ن: ويندم؛ ع: يتندم؛ م: يندم.
[٩] م + ارتكبها فيجعل الله كل سيئة.
[١٠] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولٰئك يبدل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧٠).
[١١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٩٦و.
[١٢] ع م – بعض.
[١٣] «إن المعتزلة استدلوا على استحقاق الخلود في النار لصاحب الكبيرة من هذه الآية بأن الله تعالى أثبت الخلود في حق العائد إلى أخذ الربا بعد التوبة عنه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٦و).
[١٤] جميع النسخ: بدو.
[١٥] «أي لكنا نقول بأن ابتداء الآية على استحلال الربا، لا على الأكل والأخذ نفسه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٦و).
[١٦] ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفارٍ أثيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٦).
[١٧] ع م – إليه.

﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٢٧٦]

وقوله: **يمحق الله الربا ويربي الصدقات**، قيل: **يمحق**:[١] يُهْلِك، وقيل: يبطل. ولكن أصل الْمَحْق هو رفع البركة.[٢] وذلك أن الناس يقصدون بجمع الأموال والشُّح عليها لينتفع بها[٣] أولادهم من بعدهم إشفاقا عليهم، ولذلك[٤] يمتنعون[٥] عن التصدق على الناس. فأخبر الله تعالى أن[٦] الأموال التي[٧] جمعت من جهة الربا[٨] لا ينتفع أولادهم بها -وهو الأمر الظاهر في الناس- وأخبر أن الصدقات التي لا يمتنعون عن الإنفاق عنها تُرْبِي،[٩] وتخلف أولادهم إذا تصدقوا؛ ويمحق الربا ويرفع البركة عنها حتى لا ينتفع أولادهم[١٠] بها؛ وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدَقا وبيّنا بُورك لهما فيه، وإن كذَبا وكتَما مُحِقَت عنهما البركة».[١١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٧٧]

قوله تعالى: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، الآية ظاهرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢٧٨]

وقوله: **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين**، قيل فيه بوجهين. قيل: قوله: **وذروا ما بقي**، من عمركم، الربا إذا صرتم مؤمنين. وقيل:

---

[١] ع م + الله.

[٢] مَحَقه يمحَقه مَحْقا: أي أبطله ومحاه. قال الله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾، أي يستأصل الله الربا فيذهب رَيْعه وبركته (*لسان العرب*، «محق»).

[٣] ن ع م - بها.

[٤] :جميع النسخ: وكذلك، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦و.

[٥] ن - يمتنعون.

[٦] ع م - أن.

[٧] ك + أن.

[٨] جميع النسخ: أن، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦و.

[٩] جميع النسخ: يربى.

[١٠] ع م: أولادها.

[١١] *الموطأ* لمالك، البيوع ٧٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٥٦/٢؛ وصحيح *البخاري*، البيوع ١٩؛ وصحيح *مسلم*، البيوع ٤٣-٤٧.

**وذروا ما بقي من الربا** الذي [لم] تقبضوا[1] **إن كنتم مؤمنين**.

وفي الآية دلالة على أن الربا الذي[2] لم يقبض إذا ورد عليه حرمة القبض أفسدته. لذلك قال أصحابنا رحمهم الله: إن فوت القبض في المبيع[3] يوجب فساد العقد، كما كان فوت قبض الربا في ذلك العقد أوجب منع قبض الربا. والذي يدل عليه قوله:[4] **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم**، فأوجب الفسخ فيه حتى أوجب رد رأس المال.

وفي الآية دليل من وجه[5] آخر، وهو أنه جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع به العقد[6] في فساد العقد، فعلى ذلك يجعل حدوث شيء في عقد معقود قبل[7] القبض كالمعقود عليه في استيجاب[8] حصته[9] من الثمن.

وقوله: **وذروا ما بقي من الربا**، وقوله: وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ،[10] فيه دلالة أن ما جرت بين أهل الإسلام وأهل الحرب من المداينات والمقارضات ثم أسلموا يُرَدّ، وما أخذوا قهرا لا يردون. وذلك أن الربا الذي قبضوا [إنما] قبضوا[11] لئلا يرد، فلم يؤمروا[12] برده. فعلى ذلك ما أخذوا قهرا [إنما] أخذوا[13] لئلا يرد، فلم[14] يجب رده. وأما رأس المال فإنما أخذوا للرد.[15]

---

[1] ع م: يقبضوا.
[2] م – الذي.
[3] جميع النسخ: عن المبيع.
[4] ن – قوله.
[5] ع م: دليل وجه.
[6] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وفيها دلالة أن الزوائد التي تحدث في المعقود عليه قبل القبض بمنزلة الحادث قبل العقد القائم عنده في كونها مستحقة حق المبيع، ويجري فيها أحكام العقد؛ لأنه جعل ما قبل القبض بمنزلة العقد في حرمة الربا حتى فسد العقد باعتراض الحرمة، كما فسد بالقرآن. فكذلك في الزوائد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦ظ).
[7] م: وقبل.
[8] ن ع م: استحار.
[9] ن + من العقد في فساد العقد فعلى ذلك يجعل حدوث شيء في عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه في استيجار حصته.
[10] جزء من الآية التالية.
[11] ع م – قبضوا.
[12] جميع النسخ: فلم يؤمر.
[13] م – أخذوا.
[14] جميع النسخ: لم.
[15] ن: الرد.

فعلى ذلك إذا أخذ[١] بعضهم من بعض دينا أو قرضا وجب رده. ففيه دليل لقول[٢] أصحابنا رحمهم الله على ما ذكرنا.[٣] *والله أعلم*.

**﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾**[٢٧٩]

وقوله: **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فمن كان مقيما على الربا مستحلا له لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع عنه وإلا ضرب عنقه.[٤]

وقوله: **فأذنوا**، فيه لغتان: بالقطع والوصل؛ فمن قرأ بالقطع،[٥] فهو على الأمر بالإعلام[٦] لمستحلّيه أنهم يصيرون[٧] حرباله[٨] [ولرسوله]. ومن قرأ بالوصل[٩] فهو على العلم، كأنه[١٠] قال للمؤمنين: إنهم[١١] حرب لنا.

وقوله: **لا تَظلمون ولا تُظلمون**. عن ابن عباس رضي الله عنه: **قوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**، أي لا تَظلمون فتربون، ولا تُظلمون فتنقصون؛ وقتادة رضي الله عنه يقول: بطل الربا وبقيت رؤوس الأموال.[١٢]

**﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[٢٨٠]

وقوله: **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**. عن ابن عباس رضي الله عنه: **إلى ميسرة**،

---

[١] جميع النسخ: ما أخذ؛ م: - أخذ.
[٢] ع: يقول.
[٣] أي إن الكفار إذا أخذوا أموال المسلمين قهرا ثم أسلموا لم يردوا ما أخذوا، لأنهم ما أخذوا ليردوا. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦ظ.
[٤] *تفسير القرطبي*، ٣/٣٦٣.
[٥] الذين قرأوا بالقطع هم عامة قراء الكوفة وعاصم وحمزة، قرأوا: ﴿فآذِنوا﴾ بمد الألف وكسر الذال، بمعنى. فآذِنوا غيركم، أي أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم. *تفسير الطبري*، ٣/١٠٧.
[٦] ك: على الأمر بالإعلام المستحلية.
[٧] جميع النسخ: أنه يصير، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦ظ.
[٨] جميع النسخ + بالاستحلال.
[٩] الذين قرأوا بالوصل هم عامة أهل المدينة، قرأوا: ﴿فأذَنوا﴾ بقصر الألف وفتح الذال، بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه، وكونوا على علم وإذن من الله تعالى. *تفسير الطبري*، ٣/١٠٧.
[١٠] ك: وكأنه.
[١١] جميع النسخ: إنه.
[١٢] *تفسير الطبري*، ٣/١٠٩.

قال: هو المطلوب، وهو في الربا.[1] وفيه دلالة جواز التقلب في البيع الفاسد؛ لأنه جعل لأرباب
[٧٠و] الأموال النَّظِرَة إلى ميسرة مَن عليه / المال، فلو كان له حق أخذه حيث ما وجده بعدما تناسخت الأيدي[2] أو كان له حق تضمين من هو أغنى لم يكن لإنظار المعسر إلى وقت الميسرة معنى؛ ولكن يختار[3] تضمين أيسرهم وأغناهم. إذا كان يقدر فله خصومته،[4] وإذا كان بشرط[5] سقطت الخصومة، كما تقول في الذي يكفل عن معسر أو عمن أجّل.

ثم النظرة إنما تكون[6] بالاختيار ممن له الحق، لا أنه يكون هكذا شاء هو أو أبى.[7] دليله قوله صلى الله عليه وسلم: «لصاحب الحق اليد واللسان».[8] أما اللسان[9] فيتقاضاه، وأما اليد فيلازمه بها ويحبسه. لكنه إذا أَجَّلَ قطع على نفسه حق اللسان واليد، إلى أن يمضي[10] ذلك الوقت، فإذا مضى ذلك الوقت[11] ثبت له حق اللسان واليد.

وقوله: **وأن تَصَدَّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**، يعني برؤوس الأموال إذا ظهر إعساره. وعن الضحاك قال في قوله: **وأن تصدقوا خير لكم**، قال: أَخذ رأس المال حسن وتركه أحسن، وإنما الصدقة على المعسر، فأما على الموسر فلا.[12] وفيه دليل جواز الصدقة بالدين[13] وهبته ممن عليه دين،[14] وهو الأجير له إذا ظهر إعساره وفقره. **والله أعلم**.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٣/١١٠؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/٣٧٢.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «وفي الآية دليل جواز التصرف في البيع الفاسد لأنه جعل لأرباب الأموال إلى ميسرة من عليه المال. ولو كان التصرف لا يجوز في المقبوض بحكم العقد الفاسد لكان لهم أخذه حيث ما وجدوه بعد ما تناسخت الأيدي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦ظ).

[3] م: يحتاج.

[4] ع: فلا خصومته؛ م: خصومة؛ ن + حق تضمين من هو أغنا.

[5] ك: يشرط؛ ع م: شرط.

[6] ع م – إنما تكون.

[7] ع: وأبي.

[8] قال الزيلعي: رواه الدارقطني في سننه بإسناده عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لصاحب الحق اليد واللسان» انتهى. وهو مرسل... وأخرج البخاري في الإستقراض، ومسلم في البيوع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يتقاضاه فأغلظ له فهَمّ به أصحابه، فقال: دعوه، «فإن لصاحب الحق مقالا» انتهى. (*نصب الراية*، ٤/١٦٦).

[9] ن – أما اللسان.

[10] ك: بمعنى.

[11] ع م – فإذا مضى ذلك الوقت.

[12] *تفسير الطبري*، ٣/١١٤.

[13] جميع النسخ: صدقة الدين، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٦ط.

[14] ك ن – دين.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢٨١]

وقوله: **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**، الآية. قال عامة أهل التأويل: إن هذه الآية آخر ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[١] فإن كان ما ذكروا فهو -والله أعلم- أنه رغّبهم في ذكر ذلك اليوم، لما في ترك ذكره يطول الأمل، وطول الأمل[٢] يورث الحرص، والحرص يورث البخل، ويشغله عن إقامة العبادات والطاعات. فإذا كان كذلك فأحق[٣] ما يختم به[٤] القرآن هذا، لئلا يتركو[٥] ذكر ذلك اليوم فيسقطوا عن منزلة الثواب[٦] والجزاء. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله:} ويصير كأنه قال: اتقوا وعيد الله[٧] تعالى في جميع ما تَعبّدكم به[٨] وما ألزمكم من الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢٨٢]

وقوله تعالى: **[يا أيها الذين آمنوا] إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى**، فيه دليل جواز السَّلَم،

---

[١] *تفسير الطبري*، ٣/١١٤-١١٥.

[٢] ع م - الأمل.

[٣] ع م + أن.

[٤] ع م - به.

[٥] ع: لئلا ويتركوا.

[٦] ع م - الثواب.

[٧] ع م: وعيده.

[٨] جميع النسخ: في جميع ما يعدكم، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٩٧و.

من قوله: **إذا تداينتم بدين،** لأن المداينة هو[1] فعل اثنين، وهو السلم نفسه لأنه دَين من الجانبين جميعا. وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أشهد[2] أن السلم المضمون مما أجازه الله في كتابه الكريم،[3] ثم تلا هذه الآية.[4] فأما الخبر الذي جاء أنه [صلى الله عليه وسلم] نهى عن الدين[5] [بالدين] فإن ذلك على فوت القبض فيه.[6] دليله جواز ما كان دينا بدين،[7] إذا قبض أحد[8] الجانبين.[9]

وقال آخرون: قوله **إذا تداينتم بدين:** هو بيع العين بالدين[10] إلى أجل مسمى، فهو يسمى التداين[11] كما يسمى البائع والمشتري المتبائعين،[12] لأن كل واحد منهما[13] بائع في وجه ومشتر في وجه؛[14] فعلى ذلك المداينة والتداين. *والله أعلم.*

وقوله: **إلى أجل مسمى؛** فالعرف في الإسلاف[15] عند الناس: أن لا يُخلَى عن الأجل، فصار الأجل بالعرف شرطا في جواز السَّلَم وإن لم يؤجّل، لأن الرجل لا يسلم السَّلَف، ليؤديه حالة[16] الإسلاف؛ لأن الحاجة هي التي تحمله على الإسلاف، فهو إنما يسلف ليؤديه في وقت ثان؛[17] لأنه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج إلى غيره،[18] ولكنه يبيعه فيصل إلى حاجته،

---

[1] ك + هو.

[2] ع: اشهدوا.

[3] ك ن – الكريم.

[4] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٣٥/١.

[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أما الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فهو الطعام، أن يباع حتى يقبض. ثم قال ابن عباس: ولا أحسب كل شيء إلا مثله. (*صحيح البخاري*، البيوع ٥١، ٥٥؛ و*صحيح مسلم*، البيوع ٢٩–٣٠، ٣٢).

[6] أي في أحدهما.

[7] ك – فأما الخبر الذي جاء أنه نهى عن الدين فإن ذلك على فوت القبض فيه دليله جواز ما كان دينا بدين.

[8] ع: احدى.

[9] أي إذا قبض أحد البدلين في المجلس، من الصرف ونحوه.

[10] جميع النسخ: كل دين. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٩٧و.

[11] وإن كان الدين أحد البدلين.

[12] جميع النسخ: المتبايعان.

[13] ك: لأن كلا منهما.

[14] ع – ومشتر في وجه.

[15] ع م: الإسلام. أي الإقراض.

[16] ع: حاله.

[17] ك: بان.

[18] أي إلى غير البيع.

ولا يتحمل المؤنة العظيمة؛ فصار بالعرف كأنه بأجل يفسد لترك بيان الأجل.[١] *والله أعلم*.
وعلى ذلك روي[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم».[٣]

ثم أمر عز وجل بالكتابة في التداين بقوله **فاكتبوه**. وذلك -والله أعلم- لأنه وصل إلى حاجته بقبض رأس المال والآخر لم يصل؛ فلعل ذلك يحمله على إنكار الحق والجحود؛ فأمر عز وجل بالكتابة احترازا عن الإنكار وجحود الحق له؛[٤] لأنه إذا تذكر أنه كتب وأشهد عليه يرتدع عن الإنكار والجحود. فهو كما ذكرنا في قوله: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[٥] لأنه إذا ذكر أنه يقتل ارتدع عن قتل غيره. فكذلك إذا ذكر أنه مكتوب عليه يمتنع عن الإنكار والجحود، لما يخاف ظهور[٦] كذبه وفضيحته على الناس. *والله أعلم*. ولا كذلك بيع[٧] العين بالعين، لأن كل واحد منهما لا يصل إلى حاجته إلا[٨] بما يصل به الآخر، فليس هنالك للإنكار معنى. لذلك لم يؤمر بالكتابة في بيع الأعيان، وأمر في المداينات. *والله أعلم*.
ويحتمل الأمر بالكتابة في التداين وجها[٩] آخر، وهو أنه[١٠] يجوز أن ينس فينكر[١١] ذلك، أو ينسى بعضه[١٢] ويذكر بعضه، فأمر بالكتابة لئلا يبطل حق الآخر بترك الكتابة. ولا كذلك بيع العين، لذلك افترقا.[١٣]

---

[١] يقول علاء الدين السمرقندي: «ولكن يبيعه فيصل إلى حاجته، ولا يتحمل المؤنة العظيمة فضلا بالعرف، كأنه أجل صريحا؛ إذ الثابت عرفا كالثابت شرطا. ولو أسلم إلى أجل صريحا من غير بيان القدر كان الأجل فاسدا. وكذا إذا صار الأجل ثابتا بحكم العرف من غير بيان يكون السلم فاسدا؛ فتكون الآية حجة لأصحابنا في سلم الحال أنه فاسد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٧و).

[٢] ع م – روي.

[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢١٧/١، ٢٢٢؛ وصحيح *البخاري*، السلم ١-٣، ٧؛ وصحيح *مسلم*، المساقاة والمزارعة ١٢٧-١٢٨.

[٤] ن – له.

[٥] سورة البقرة، ١٧٩/٢.

[٦] ن ع: ظهر.

[٧] ن ع م: مع.

[٨] ع: لا.

[٩] جميع النسخ: وجه.

[١٠] ك – أنه.

[١١] ن: فيكم.

[١٢] ك ن ع: بعض.

[١٣] ن – افترقا.

{قال الشيخ رحمه الله:} والنسيانُ يُعقِب التنازع، والمنازعةُ توجب التخالف، وفيه الفساد، فأمر بالكتابة لدفع ذلك وللوفاء بالحق ودفع الخصومات. *والله أعلم*.*

ثم اختلف في الكتابة. قال بعضهم: هي واجبة لازمة، واستدلوا على وجوبها بقوله: **إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها**، أخبر برفع الجُناح في التجارة الحاضرة، ولو[2] كانت في المداينة غيرَ واجبة لم يكن لرفع[3] الجناح فيها معنًى، فدل أنها لازمة في المداينة حيث رفع الجناح في الحاضرة[4] منها. وأما عندنا فهي ليست بواجبة؛ لأنه قال عز وجل: وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ، ثم[5] قال: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ؛[6] ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم ذكر ترك الرهن بالائتمان؛ فإذا كان له[7] ترك الرهن[8] بالائتمان،[9] وهو بدل الكتابة، فعلى ذلك له ترك
[٧٠ظ] الكتابة بالائتمان، إذ[10] لو[11] كان[12] أصله مفروضا لم يحتمل / ترك بدله بالائتمان. فإذا كان[13] ذلك له[14] دل أنه ليس بمفروض ولا لازم. *والله أعلم*.
[٧٠و س٣٢] *ولا يحتمل أن يفرض الكتابة، لأن أكثر[15] ما فيها[16] أن يحفظ الحق، ومن[17] له تركه

* وقع هنا قسم من تأويل الآية متقدما عن موضعه، فنقلناه هنالك. انظر: نسخة مهرشاه، ورقة ٧٠و / سطر ٣٢-٣٤.
[2] ك ع م: فلو.
[3] ك ع م: لدفع.
[4] ع م - في الحاضرة.
[5] ع م + أمر.
[6] سورة البقرة، ٢٨٣/٢.
[7] م - له.
[8] ن ع م: الارتهان.
[9] «أي ثم أباح ترك الرهن إذا كان على أمان ممن عليه الدين عن الإنكار والجحود للدين، وأمر من عليه الدين بأداء الدين إلى من ائتمنه، ولم يأخذ منه الرهن» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٧ظ).
[10] ك ع م: إذا.
[11] ك ن - لو.
[12] ع - كان.
[13] ع م - كان.
[14] ن - له.
[15] ك ن: وأكثر؛ ع م: أو أكثر.
[16] جميع النسخ: فيه.
[17] جميع النسخ: ولمن.

كذلك له[1] أن لا يقبضه. مع ما ليست هي[2] في عقد أو فسخ فيكلمَ فيها[3] بوجوب واختيار، إنما هي احتياط[4] للمحق،[5] فله فعل ذلك. *والله أعلم.** [٧٠و س٣٤]

وقوله: **وليكتب بينكم كاتب بالعدل**، فهذا لأن الكاتب مأمون عليه، فيؤدي حق ما اؤتمن[7] فيه، لا يزيد على ما أملي عليه [ولا ينقص منه] بالنصيحة وأداء الأمانة. وهكذا الواجب على كل مُحكَّم بين اثنين أن يحكم بالعدل والنصيحة وأداء الأمانة، كقوله: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ،[8] وكقوله: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ،[9] وكقوله: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ.[10]

وقوله:[11] **ولا يَأْبَ كاتب أن يكتب كما علّمه الله فليكتب**. قال بعضهم:[12] وذلك أن الكتبة كانوا في صدر الإسلام قليلا فنهوا عن ترك الكتابة، إذ في ذلك بطلان حقوق الناس وذهابها. وأما اليوم فلا بأس بالإباء[13] عليها لما يجد من يكتب له[14] بالأجر فلا يبطل حقه. وفيه وجه[15] آخر وهو أن قوله: **ولا يأب كاتب أن يكتب**، أي لا يأب[16] الكاتب إذا كتب أن يكتب بالعدل، أي له ترك الكتابة، ولكنه[17] إذا كتب لا يكتب إلا بالعدل. *والله أعلم.*

---

[1] ع م - له.
[2] ع م - هي. أي الكتابة.
[3] ع - فيها.
[4] ع م - احتياط.
[5] ن م: للحق.
* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: نسخة مهرشاه، ورقة ٧٠و/سطر ٣٢-٣٤.
[7] ع: ايتمن.
[8] سورة النساء، ٥٨/٤.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النَّعَم يحكم به ذوا عدل منكم﴾ (سورة المائدة، ٩٥/٥).
[10] سورة الطلاق، ٢/٦٥.
[11] ن - وقوله.
[12] جميع النسخ + هذا.
[13] ك: بالإيبا؛ ن: بالايتا؛ ع: بالأنبياء؛ م: بالايتاء.
[14] م - له.
[15] ن: أوجه.
[16] ع م - كاتب أن يكتب أي لا ياب.
[17] جميع النسخ: لكنه.

وقوله: **كما علمه الله**، هو نقض[1] على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: يكتب وإن لم يعلِّمه الله،[2] والله عز وجل أخبر أنه يكتب بتعليم الله إياه. ولو كان التعليم من الله إيتاءَ الأسباب لم يكن لقوله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ،[3] معنًى، لأنه [صلى الله عليه وسلم] قد أُعطي أسبابَه. والعدل ما ذكرنا أن لا يزيد على الحق ولا ينقص[4] منه. وأصل العدل هو وضع الشيء موضعه.

وقوله: **وليملل الذي عليه الحق ما عليه. وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا**، أي لا يملي على الكتاب أقل منه حقه ولا ينقص منه شيئا.[5] فيه دلالة على أن القول[6] قوله في قدر الحق، حيث أوعد فيما يملي على الكاتب أن لا ينقص من حق الطالب شيئا.

وقوله: **فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع**، قال قائلون: هذا كله واحد: السفيه والضعيف والذي لا يستطيع أن يملي. وقال آخرون: بل هو[7] مختلف؛ السفيه هو[8] الصغير يُمْلِل[9] وليه. والضعيف هو المريض الذي لا يقدر أن يملي. والذي لا يستطيع هو الجاهل الذي لا يعرف أن يملي.

ثم اختلف في الولي. قال بعضهم: الوليّ هو صاحب الحق، يملي بالعدل بين يدي من عليه الحق، لئلا يزيد على ذلك شيئا، فإن زاده أو نقصه أنكر عليه صاحبه. وقال آخرون: الولي هو وصي الصغير أو ذو النسب منه.

ثم المسألة في الحَجْر.[10] قال أبو حنيفة رضي الله عنه: الحجر لا يمنع عقوده.[11]

---

[1] ك ن – نقض.

[2] «أي لأنه هو الذي جعل لنفسه علما، لا أنه عَلِم بتعليم الله تعالى، وهو خلق العلم فيه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٧ظ).

[3] سورة يس، ٣٦/٦٩.

[4] ع: ولا ينقض.

[5] ع م – أي لا يملي على الكاتب أقل منه حقه ولا ينقص منه شيئا.

[6] ك ن: دلالة أن القول.

[7] ع م – هو.

[8] م – هو.

[9] ع م: يملك.

[10] «ثم تعلُّق الحجر بهذه المسئلة فيه خلاف على وجهين. أحدهما يستدل بهذه الآية عى جواز الحجر على الصغير وتحول ولاية العقد عنه ونفاذ قول غيره عليه؛ لأن الله تعالى جعل ولاية الإملاء إلى الولي في حق السفيه كما في الصبي، ولو كان يجوز إملاؤه بنفسه لما حول إلى غيره. والوجه الثاني يستدل بابتداء هذه الآية على جواز تصرف السفيه، وعلى قيام ولاية التصرفات له في نفسه وفي أمواله، وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها...﴾ فأجاز تداينه على ما ذكر من سفهه في الإملاء، فثبت أن السفه لا يمنع التداين والعقود» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٧ظ).

[11] أي عقود المحجور.

وقال محمد بن الحسن: لا يجوز عقوده ولكن الولي هو الذي يتولى ذلك، استدلالا بظاهر قوله: **فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل،** فإنما[1] جعل الإملاء إلى الولي لا إليه، ولو كان يجوز[2] إملاؤه لكان لا معنى لجعل ذلك إلى غيره؛ دل أنه لا يجوز. وأما أبو حنيفة رضي الله عنه، فإنه ذهب إلى أنه يجوز، بقوله: **إذا تداينتم بدين،** أجاز تداينه، فدل أن الحجر[3] لا يمنع العقد منه[4] ولا تداينه؛ ولأن السفيه لم يستفد الإذن من السلطان،[5] إنما استفاده من الله[6] تعالى، ولا يجوز حجرُ مَنْ لم يستفد الإذن منه.

وقوله: **واستشهدوا شهيدين من رجالكم.** لم يجعل الإشهاد شرطا في جواز البيع، ولكنه معطوف على قوله: **فاكتبوه.** أمر عز وجل بالإشهاد في البيع والتداين للمعنى الذي ذكرنا [من] أن ترك الإشهاد والكتابة يحمله على الإنكار وجحود[7] الحق.[8] فإذا كان هنالك شهود وكتاب يمتنع عن الإنكار لخوف[9] ظهور الكذب. ولم يصر شرطا في جواز التداين لأن الإشهاد إنما ذكر بعد المداينة والمبايعة.[10] وكذلك الكتابة، فهي[11] لما ذكرنا أن الإنسان من طبعه النسيان والسهو، فأمر بالإشهاد والكتابة لئلا ينسى أو يحمله ترك الإشهاد والكتابة على الإنكار.

وأما الأمر بالإشهاد في النكاح ففي عقد[12] النكاح نفسه. دليله: قوله: «لا نكاح إلا بشهود»،[13]

---

[1] ك – فإنما.
[2] ك + لنا.
[3] ع: الحج.
[4] جميع النسخ: عنه.
[5] أي إن السفيه لم تجب له الولاية على نفسه بالأئمة، ولا استفادها منهم.
[6] جميع النسخ: عن الله.
[7] ن: والجحود.
[8] ن – الحق.
[9] ع م: ولخوف.
[10] ك: والمبالغة.
[11] جميع النسخ: فهو.
[12] جميع النسخ: في عقد.
[13] قال الزيلعي: قلت: غريب بهذا اللفظ، وفي الباب أحاديث منها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي، وشاهدي عدل، وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل، فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له» انتهى. أخرجه في النوع الثامن والتسعين من القسم الأول، ثم قال: لم يقل فيه "وشاهدي عدل" إلا ثلاثة أنفس: سعيد بن يحيى الأموي عن حفص بن غياث، وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبي عن خالد بن الحارث، وعبد الرحمن بن يونس الرقي عن عيسى بن يونس، ولا يصح في ذكر الشاهدين غير هذا الخبر، انتهى كلامه. (*نصب الراية* للزيلعي، ١٦٧/٣؛ وانظر أيضا: *الدراية في تخريج أحاديث الهداية* للعسقلاني، ٥٥/٢؛ *ونيل الأوطار* للشوكاني، ٢٦٠/٦).

ولذلك[1] صار شرطا في عقد النكاح، ولم يصر شرطا في المبايعة. ووجه آخر، وهو[2] أن الشهادة في النكاح تدفع تهمة الزنا عنهما، وقد يُحوِج[3] إليه في أول أحواله. والحاجة إلى الشهادة في البيع إلى ما يتعقب فيه من توهم وقوع التنازع؛ إذ له بذل ملكه للآخر من غير عقد بيع، وليس لها بذل[4] فرجها له[5] من غير عقد النكاح؛ لذلك صار[6] الإشهاد شرطا في جواز النكاح و لم يكن شرطا في البيع. ***والله أعلم***.

وقوله: **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان**. في الآية دلالة[7] أن من قضى بالشاهد واليمين،[8] قضى بخلاف ظاهر الكتاب، وهو أيضا خلاف السنة؛ لأن قوله: **واستشهدوا** ليس هو الإشهاد إنما هو الإحضار للشهادة، إذ العجز لا يقع في الإشهاد، إنما يقع عند الاستحضار.[9] ولو كان بيمينه[10] غُنْيَة، لم يأمر المرأتين بهتك[11] سترهما.[12] ولأن الآية ذكرت حق القضاء في المبايعات الواقعة والأحكام التي[13] سبيلها لزوم الفصل[14] بالقضاء بين أربابها. فمن جعل[15] فصل[16] القضاء بالشاهد واليمين جعل على خلاف ما جعله من له نَصب[17] الشرائع والحجج، وقال الله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.[18]

---

[1] ع م: لذلك.
[2] م – وهو.
[3] ع: يخرج.
[4] ن: بدل.
[5] ن – له.
[6] ع – صار.
[7] ك: دلا.
[8] ك: في اليمين.
[9] لأن الله تعالى جعل المرأتين في حال عدم الرجل.
[10] ن + ولو كان بيمينه.
[11] جميع النسخ: هتك.
[12] أي الخروج من بيوتهن لأداء الشهادة.
[13] جميع النسخ: إلى.
[14] ك: الفضل.
[15] ع م – جعل.
[16] ن: الفصل.
[17] ع م: نصيب.
[18] سورة الكهف، ٢٦/١٨.

وأما مخالفة السنة، فقوله صلى الله عليه وسلم: «البينة على المدَّعِي واليمين على المدَّعَى عليه»[١] فإذا أتى بشاهد واحد لم يخرج الآخر من أن يكون مدعى عليه، فإذا كان كذلك -وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة المدَّعَى عليه اليمين ولم يجعله[٢] حجة المدَّعِي- فلذلك[٣] قلنا: إنه المخالف[٤] لظاهر الكتاب والسنة.[٥] ولأن الله تعالى جعل المرأتين في حال الضرورة -وهو حال عدم الرجل- مقام ذلك الرجل.[٦] فلو كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لم يحتج إلى أن يكلف النساء[٧] الخروج إلى أبواب القضاة / والسلاطين لأداء الشهادة، وفي [٧١و] ذلك هتك الستر عليهن، وكشف عورتهن، وتكلف القضاة فضل التفحص[٨] في أحوالهن[٩] ومعرفتهن. لذلك بطل القضاء بالشاهد واليمين. *والله أعلم*.

فإن قيل: روي عن رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم: أنه قضى به.[١١]

قيل: إنه لم يرو أنه فيم قضى: في الأموال أو في غير الأموال؟[١٢] فإن ثبت أنه فيم قضى لكنا نقضي به. ثم قال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: إنه قضى بالشاهد واليمين في الأمان ونحن نقضي [في] بعض أحكام الأمان بالشاهد الواحد إذا كان[١٣] عدلا. واليمين باب ما يحتاط فيه إذا شهد شاهد أنه آمنه لم يقبل، ولكن يسترق. وأما الأموال

---

[١] *صحيح البخاري*، الرهن ٦؛ و*سنن ابن ماجة*، الأحكام ٧؛ و*سنن الترمذي*، الأحكام ١٢. وانظر أيضا: *نصب الراية* للزيلعي، ٣٩٠/٤.

[٢] جميع النسخ: ولم يجعل اليمين.

[٣] جميع النسخ: فذلك.

[٤] ك: لمخالف.؛ ن: ان المخالف.

[٥] وعبارة السمرقندي هكذا: «جعل حجة المدعي البينة وجعل حجة المدعى عيه اليمين، وهو بعد إحضار واحد لم يخرج عن كونه مدعيا، ولم يدخل في قسم المدعى عيه، فجعل حجة المدعى عليه حجةً له خلاف السنة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٨و).

[٦] ع م – مقام ذلك الرجل.

[٧] جميع النسخ + من.

[٨] ع: التفخص.

[٩] ك ع م: حالهن.

[١٠] ك: عنه.

[١١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤٨/١، ٣١٥؛ وصحيح *مسلم*، الأقضية ٣؛ وسنن *أبي داود*، الأقضية ٢١.

[١٢] ع م – أو في غير الأموال.

[١٣] ع: فإذا كان.

فإن الاحتياط في ذلك ترك القضاء إلى[1] أن تقوم[2] الحجة التي تُزيل[3] الشبهة من جميع الوجوه. *وبالله التوفيق*.

وأما شهادة النساء فإنها جائزة في الأموال وفي غير الأموال إلا في الحدود خاصة، فإنها غير مقبولة. أما جوازها في غير الحدود فلأن[4] الله تعالى ذكر التداين، وذكر في التداين الأجل، والأجل ليس بمال، ثم أجاز شهادتهن في التداين وفي الأجل الذي ليس هو بمال. دل أن علة جواز شهادتهن ليس هو المالية نفسَها، وأجيزت شهادتهن فيما لا مالية[5] فيه[6] وهو الأجل. فظهر[7] أن علتها ليست مالية. وأما بطلان شهادتهن في الحدود فلأن شهادتهن إنما أجيزت بحكم البدل عن شهادة الرجال، والأبدال في الحدود غير مقبولة، نحو الوكالات[8] والكفالات. فعلى ذلك شهادتهن، لما كان[9] جوازها بحكم البدل لم تقبل. ولأنهن جبلن[10] على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين؛ لقوله [صلى الله عليه وسلم]: «إنهن ناقصات العقل والدين».[11] فإذا كان كذلك أورث ذلك شبهة في الحدود، والحدود مما ينبغي[12] فيها الدرء،[13] لذلك لم يقبل. *والله أعلم*. ولأن شهادتهن إنما ذكرت فيما يبتغي[14] به الإعلام والإعلان لا الإسرار؛[15] فعلى ذلك تقبل شهادتهن فيما يبتغي به[16] ذلك المعنى. وأما الحدود

---

[1] ك: إلا.

[2] جميع النسخ: يقوم.

[3] ن ع م: تزيله.

[4] جميع النسخ: لأنه.

[5] ك: في لا مالية؛ ن ع: في الا مالية؛ م: في المالية.

[6] ع م: وفيه.

[7] جميع النسخ: فظهرت.

[8] ع + والوكالات.

[9] جميع النسخ: لما كانت.

[10] ع م: جعلن.

[11] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٣٤، ٢٩٨؛ وصحيح *البخاري*، الإيمان ٢١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٣٢.

[12] ع م − ينبغي.

[13] لعله يشير إلى حديث «ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة» (*سنن أبي داود*، الصلاة ١١٤؛ و*سنن الترمذي*، الحدود ٢).

[14] ك − فيما يبتغي.

[15] ن: والإسرار.

[16] جميع النسخ − به.

وما يلزم بها ذلك إنما ينبغي[1] فيه[2] الإسرار والستر، لذلك قلنا: بأن شهادتهن تجوز في النكاح والطلاق والعتاق، لأن النكاح يبتغي فيه[3] الإعلان على ما جاء: «أعلنوا النكاح»،[4] لذلك قُبلت. *والله أعلم*.

ومعنى آخر، أن الخصم أجاز شهادة النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا الحدود والقصاص، لذلك قبل بالرجال؛ ولأن شهادة النساء أجيزت في الأصل توسيعا، فلا يجوز أن تُردَّ فيما يتوسع، وتقبل فيما يضيّق. وأمر النكاح والطلاق في الشهادة أوسع، فهو أحق أن تقبل.[5]

وقوله: **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان**. فإن قال قائل:[6] كيف جاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين؟[7] [قيل:] فهو[8] -والله أعلم-[9] أمرٌ باستحضار الرجلين عند الحاكم للشهادة،[10] لا أمر بالإشهاد عليها؛[11] لذلك قال عز وجل: **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان**، أي لا تُكلَّف النساء حضورَ أبواب القضاة ومجالسهم[12] لأداء الشهادة إلا عند العجز عن وجود الرجال، لما في ذلك هتك أستارهن وكشف عورتهن. *والله أعلم*. والثاني أن الله تعالى ذكر امرأتين وأقامهما مقام رجل فائت،

---

[1] ك ن ع: يبتغي.

[2] جميع النسخ: في ذلك.

[3] ك: ينبغي في.

[4] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعلنوا هذا النكاح، واضربوا عليه بالغربال» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٤، ٧٧؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٢٠؛وسنن *النسائي*، النكاح ٧٢).

[5] جميع النسخ: ان يقبل.

[6] ع م - قائل.

[7] أي مع أن الآية الكريمة تقرر أن الله تعالى أجاز استشهاد المرأتين عند عدم الرجلين، بقوله تعالى: ﴿... فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان...﴾.

[8] ع - فهو.

[9] م - أعلم.

[10] ك: بشهادة.

[11] يقول علاؤ الدين السمرقندي رحمه الله: «فإن قال قائل: إن الله تعالى أجاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين بقوله: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ (سورة البقرة، ٢٨٢/٢)، وقد أجاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين حتى لو كان المدعي رجلين وامرأتين فإن القضاء يقع بشهادة الكل حتى لو رجعوا يجب الضمان عليهم جميعا. قيل: هذا أمر باستشهاد الرجلين عند الحاكم لأداء الشهادة لا أنه أمر بالاستشهاد على ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٨ظ).

[12] جميع النسخ: ومجلسهم.

والرجل الذي قامت امرأتان مقامه هو فائت أبدا غير موجود، إذ له[1] أن يُشهد عددا على ذلك الحق؛ لذلك جازت شهادتهن وإن كان[2] هناك رجلان. **والله أعلم.**

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر رجلين، دون ذكر العدد، أو ذكر واحد؟[3]

قيل: لوجوه. أحدها [أنه] ذكر [العدد] على قدر [خطر] الأشياء ومراتبها عند الناس إذا كان أمرا عظيما فظيعا لا تقبل فيه إلا شهادة[4] عدد [أربعة]،[5] نحو الزنا، كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾،[6] الآية. وإذا كان خسيسا سهلا عند الناس قبل [فيه] قول الفرد، حرا كان أو عبدا، من نحو الاستئذان للدخول على آخر ونحوه. ثم الأموال وغيرها هي المتوسطة المترددة بين هذين،[7] فقبل الوسط من الشهادة ولم يقبل دونهما.[8] **والله أعلم.**

ووجه آخر،[9] قيل: إنه ذكر ذلك عبادة، لا للمعنى[10] المودع فيه ولكن سمعا، فهو على ما ذكر لا يطلب معناه.[11]

والثالث أن الواحد[12] لم تقبل شهادته في الحقوق بالانفراد؛ لأنه[13] ينتفع بها، لأن من صدق في قوله يتلذذ بتصديقهم إياه. فعلى ذلك لم يقبل قول المدَّعِي في دعواه وإن كان عدلا، لما ينتفع بالتصديق وقبول قوله فيه، فإذا كانا اثنين صار تلذذ كل واحد منهما وانتفاعه بصاحبه،[14] فحصلت الشهادة خالصة صافية فقبلت. **والله أعلم.**

---

[1] ن: أن له. وله: أي لصاحب الحق.

[2] ن ع م: كانت.

[3] «دون ذكر عدد أكثر منه أو ذكر رجل واحد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٨ظ).

[4] ع: فيه الأشهاد.

[5] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٩٨ظ.

[6] ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولٰئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور، ٤/٢٤).

[7] ن ع م: من هذين.

[8] ك: دونها.

[9] أي والوجه الثاني.

[10] جميع النسخ: لمعنى.

[11] «ووجه أخر، وهو أن ذكر العدد من الرجلين وأكثر على طريق التعبد، دون أن يعقل فيه المعنى المودع، فيبنى الأمر فيه على السمع والنص، لا يطلب المعنى فيه بالعقل؛ لقصوره عن دركه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٨ظ).

[12] ن: إذ الواحد.

[13] ع: ولأنه.

[14] ع م: لصاحبه. أي صار تلذذ كل واحد منهما مضافا إلى قول صاحبه.

والرابع أن الإنسان مطبوع على السهو والغفلة، فإذا كان فردا يُخاف عليه النسيان، فأمر[١] بضم آخر إليه ليذكّر كل واحد منهما صاحبه إذا نسيه. وعلى ذلك يخرج قوله: **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان [ممن ترضن من الشهداء] أن تَضِلَّ إحداهما فتُذكِّر إحداهما الأخرى،** لما ذكرنا[٢] أنهن جبلن وطبعن[٣] على فضل السهو والغفلة، [لذلك] أمر بضم غيرها إليها [لتذكرها] إذا سهت وغفلت عنها.

ثم اختلف في قوله: **شهيدين من رجالكم.** قال أصحابنا رحمهم الله: يرجع الخطاب إلى الأحرار خاصة، دون العبيد والكفرة. أما الكفرة فلأن الخطاب في الابتداء للمؤمنين، بقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين،** الآية، فخرج الخطاب من خطاب الآية، لذلك لم تقبل شهادتهم على أهل الإسلام. وأما العبيد فلم يدخلوا / تحت هذا الخطاب لوجوه. أحدها ما [٧١ظ] ذكرنا أن ظاهر الخطاب للأحرار دون العبيد، لما [أنهم] لا يملكون[٤] التداين والتبايع، فعلى ذلك خطاب الشهادة. فإن قيل: أ ليس العبيد يملكون التبايع والتداين؟ قيل: يملكون[٥] بالإذن والتولية، لا بملك أنفسهم، فذلك القدر من التداين وغيره يملكه[٦] الكفار، ثم لم يجب قبول شهادتهم، ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب، فكذلك العبيد.

والثاني ما قاله عز وجل: **ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا،** ثم لا يملك العبيد الإجابة لكل ما دعوا، لحق السادات. فعلى ذلك ليس عليهم الإجابة في الشهادة، لحق السادات. ***والله أعلم.***

والثالث أن الله تعالى قسم الشهادة قسمة الميراث، بقوله **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان،** وقال في الميراث: لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[٧] ثم لا حظّ للعبيد في الميراث، فعلى ذلك لا حظ لهم[٨] في الشهادة.

والرابع أن الشهادات تجري مجرى الولايات[٩] والتمليكات، ثم لا ولاية[١٠] تكون للعبد

---

[١] جميع النسخ: أمر.
[٢] ن ع: لما ذكرن؛ م: لما ذكرت.
[٣] ن: طبعن.
[٤] ك ن م + هم.
[٥] ع - التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة فإن قيل أ ليس العبيد يملكون التبايع والتداين قيل يملكون.
[٦] ك: يملك.
[٧] سورة النساء، ١١/٤.
[٨] جميع النسخ: له.
[٩] م: الشهادات.
[١٠] ع م: دلالة.

على غيره ولا تمليك. فعلى ذلك الشهادة، إذ فيها ولاية وتمليك الحاكم الحكم. *والله أعلم*. وعلى هذا[1] بطلت شهادة الكفار على أهل الإسلام، لما لا ولاية لهم عليهم.

والخامس أن الشهود بين حالين، بين أن يصدقوا فتمضى شهادتهم وبين أن يكذّبوا فيضمنوا. ولمّا كان العبيد إذا كذِبوا في شهادتهم[2] لم يضمنوا، لأن ضمان الشهادة ضمان[3] معروف، لأنه لا بدل له بإزائه.[4] فمن لم يكن من أهل المعروف[5] لم يكن من أهل الشهادة؛[6] دل أنهم ليسوا من أهل الشهادة.

وعلى ذلك قلنا: إن النكاح يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف وإنهما من أهل الشهادة فيه؛ لأنهما من أهل الضّمان، وإن كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في سائر الحقوق. وأما العبد فليس هو من أهل الشهادة بحال[7] للمعنى الذي وصفنا –والله أعلم– وإلا فالقياس[8] أن تجوز شهادة العبيد؛ لأنها من حق الله، دليله قوله: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ،[9] وقوله: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ.[10] فإذا كانت من حق الله –وحقوقُ الله لا يختلفُ العبيدُ والأحرارُ فيها– فيجب أن تقبل شهادتهم،[11] لكنها لم تقبل للوجوه التي[12] ذكرناها. *والله أعلم*.

وقوله: **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** إلى أن قال:[13] **فتُذَكِّر إحداهما الأخرى**. قد ذكرنا فيما تقدم أنهن لَمّا جبلن وطبعن على فضل سهو وغفلة ضمت[14] إليها أخرى لتذكرها[15] الشهادة إذا نسيت. وفي الآية دلالة أن الرجل إذا نسي الشهادة ثم ذُكِّر فتذكر يجوز أن يشهد.

---

[1] ك: ذلك.
[2] ع + وبين أن يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد إذا كذبوا في شهادتهم.
[3] ع م – ضمان.
[4] ع م: بإزاه. أي والعبيد ليسوا من أهل المعروف والصلة.
[5] ع م: الشهادة.
[6] ع م – لم يكن من أهل الشهادة.
[7] م: لبحال.
[8] جميع النسخ: القياس.
[9] سورة الطلاق، ٦٥/٢.
[10] سورة المائدة، ٥/٨.
[11] ك – فإذا كانت من حق الله وحقوق الله لا يختلف العبيد والأحرار فيها فيجب أن تقبل شهادتهم.
[12] ن: الذي.
[13] ن ع م: أي أن قال.
[14] ن: ضمت.
[15] ع م: لتذكر.

وأما إذا أُخبر بالشهادة و لم يتذكر لم يجز له أن يشهد؛ لقوله:[١] **فتُذَكِّرَ إحداهما الأخرى**، إذ لم يقل: فتخبر[٢] إحداهما الأخرى.

وقوله: **ممن ترضون من الشهداء**، فيه دلالة أن من المسلمين مَنْ لا يكون مَرضيًا، وكذلك فيهم من يكون عدلا ومن لا يكون عدلا. دليله قوله:[٣] وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[٤] لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي[٥] لكان يقول: وأشهدوا رجلين منكم، و لم يشترط[٦] فيه العدالة والرضا. وهو [حجة] على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: المسلم لا يكون غيرَ عدل ولا غير مرضي. وفي الآية التي ذكرنا دلالة ما قلنا.

وفي قوله: **ممن ترضون من الشهداء**، دلالة[٧] أن الشهود إذا شهدوا على المدعى عليه بالحق، وهم مرضيون عنده، يجب أن يؤدي إليه[٨] حقه، لأنا قلنا: إن قوله: **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** أمر باستحضارهم عند الحاكم، فإذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا**، اختلف فيه. قيل: **لا يأب الشهداء إذا ما دعوا** للإشهاد.[٩] وقيل: ولا يأبوا إذا ما دعوا للأداء، وهذا أشبه؛ لأن للشهود أن يقولوا: أحضر الخصم هاهنا لنشاهدنا عليه، فإنا لا نحضر المكان الذي هو فيه. وليس [لهم] هذا القول في الأداء، إذ الأداء لا يكون إلا عند الحاكم، لذلك كان أولى؛ كقوله: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ،[١٠] ولا يجد من يشهد له[١١] غيرهم.[١٢] ***والله أعلم***.

---

[١] ن: بقوله.
[٢] ع: فيتخبر.
[٣] م + فتذكر.
[٤] سورة الطلاق، ٦٥/٢.
[٥] ع: غير مرضي.
[٦] ك: يشرط.
[٧] م – فيه العدالة والرضا وهو على المعتزلة لأنهم يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الآية التي ذكرنا دلالة ما قلنا والله أعلم وقوله ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ دلالة، صح هـ.
[٨] أي إلى المدعي.
[٩] أي لتحمل الشهادة.
[١٠] جزء من الآية التالية.
[١١] ك: ولا تجد من يشهدهم؛ ن ع م: ولا يجد من يشهدهم؛ ك + ولا تجد من يشهد له؛ ن ع م + ولا يجد من يشهد له.
[١٢] «أي وصاحب الحق لا يجد من يشهد له عند الحاكم غيرهم، فأما المستشهد –أي الذي يطلب من يتحمل الشهادة– فقد يجد من يشهد على الحادثة غير هؤلاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٩و).

وقوله: **ولا تَسْأَموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله**، فيه دلالة جواز السَّلَم في الثياب؛ لأن ما يكال ويوزن لا يقال فيه الصغير والكبير، ولا يكتب صغيرة وكبيرة،[1] إنما يقال ذلك في العددي [والذرعي].

وقوله: **ذلكم أقسط عند الله**، يقول: أعدل عند الله، **وأقوم للشهادة** في الحجة.

وقوله: **وأدنى أن لا ترتابوا**، أقرب إلى رفع[2] الظنون والشكوك التي[3] تحملكم على التناكر والتنازع الذي عاقبته[4] الفسخ. ولهذا ما أمر عز وجل بالكتابة فيه والإشهاد، وذكر كل صغير وكبير، لئلا يقع بينهم[5] في العاقبة تنازع وتناكر، فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما. وعلى ذلك يصير[6] الأجل فيه شرطا لقطع وقوع التنازع والتناكر[7] الذي حكمه الفسخ في الآخرة.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **إلا أن تكون تجارة حاضرة**، الآية. استثنى عز وجل التجارةَ الحاضرة بترك الكتابة والإشهاد والرهن وغيره؛ وذلك لما ذكرنا آنفا أن الديون والقروض تنسى وتشتبه على الناس؛ فلذلك أمر بالكتابة فيها والإشهاد، ولا كذلك[9] التجارات الحاضرة. وعلى ذلك الأمر الظاهر[10] بين الناس أنهم يكتبون ويشهدون في الديون والقروض، ولم يعملوا[11] ذلك في التجارات الحاضرات الجاريات فيما بينهم، لارتفاع ما يخاف وقوعه في الديون والقروض، وخلائها عن ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ن: الصغيرة ولا كبيرة.
[2] ع م: دفع.
[3] ك: الذي.
[4] ع م: عاقبه.
[5] ن: يفهم.
[6] ك ع م: نصبوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٩٩و.
[7] ن – فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى ذلك يصير الأجل فيه شرطا لقطع وقوع التنازع والتناكر.
[8] «أي لأنه إذا أسلم حالا وهو معدم عاجز عن تسليم السلم في الحال والآخر يطالبه بالتسليم يقع التنازع ويقع الحاجة إلى الفسخ. وفيه إلحاق الضرر بالآخر، حيث سلم رأس المال ودفع به حاجته وصار مالكا، فلم يصل إلى المسلم فيه ولا إلى رأس المال؛ فشرط الأجل حتى لا يكون له حق المطالبة إلا بعد محل الأجل، فيصير قادرا على أداء المسلم فيه من حيث الظاهر فلا يؤدي إلى المنازعة المفضية إلى الفسخ، ولا إلى إلحاق الضرر به لوصول إلى المسلم فيه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩٩و).
[9] ع: ذلك.
[10] جميع النسخ: أمر ظاهر.
[11] ك: يعلموا

وقوله: **تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألّا تكتبوها**، يقول: يدا بيد.[١] وهو يدل على إيجاب القبض في المجلس.[٢]

وقوله: **وأشهدوا إذا تبايعتم**. أمر عز وجل بالإشهاد في التجارة الحاضرة ولم يأمر بالكتابة، وأمر في التداين بالكتابة والإشهاد[٣] جميعا. فالأمر بالكتابة لمحافظة الحقوق ومعاهدة كل قليل وكثير فيه. / والأمر بالإشهاد للأدب. والأمر[٤] بالرهن أمر بالوفاء. والرهن والكتابة [٧٢و] والإشهاد كل ذلك يمنع صاحبه عن الإنكار والجحود، ويُذكّر عند النسيان والسهو. وذلك[٥] كله لقطع التنازع الواقع فيما بينهما في المتعقَّب. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا يُضَارَّ كاتب ولا شهيد**، اختلف فيه. قال بعضهم: لا يُضارَّ الكاتب والشهيد، لا يَشغل الكاتب ولا الشهيدَ فيقول[٦] له: اكتب لي كذا واشهد لي على كذا، وهو يجد غيره.[٧] وقال آخرون:[٨] **لا يُضارَّ كاتبٌ** صاحبَ[٩] الحق، فيكتب ما لا ينبغي أن يكتب بالزيادة والنقصان، وكذلك[١٠] الشاهد لا يزيد على الحق ولا ينقص من الحق شيئا، ولا يكتم الشهادة أيضا.[١١] وهذا[١٢] أقرب. *والله أعلم*.

فإن قيل: إذا كان المعنى راجعا[١٣] إلى ما ذكرت: أن لا يزيد الكاتب ولا ينقص

---

[١] لعله يشير إلى حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُرّ بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مِثْلاً بِمِثْلٍ سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد» (*صحيح البخاري*، البيوع ٧٩؛ وصحيح *مسلم*، البيوع ٨٦، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤).

[٢] جميع النسخ: وليس فيها إيجاب القبض على المجلس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٩٩و.

[٣] ع م – في التجارة الحاضرة و لم يأمر بالكتابة وأمر في التداين بالكتابة والإشهاد.

[٤] ك ن: وأما الأمر.

[٥] ع: عند ذلك؛ م: عد ذلك.

[٦] ع م: يقول.

[٧] «أي لا ينبغي لصاحب الحق أي يشغل الكاتب ولا الشهيدَ بالكتابة والشهادة عن أشغال أنفسهما ولا يمنعهما عن ذلك فيقول له: اكتب، واشهد لي، وهو يجد غيرهما، فيتضرران بذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٩٩ظ).

[٨] ك ن + قوله.

[٩] ن: ولا صاحب؛ ع م: وصاحب.

[١٠] ع: وكذا.

[١١] ك – أيضا.

[١٢] ع م: فهذا.

[١٣] جميع النسخ: راجع.

أ لا قال: لا يضارَّ[1] بالرفع؟[2]

قيل: إنه لا يُضارِرُه،[3] فطرحت إحداهما،[4] فإذا طرحت انتصبت[5] علامةً للطرح، إذ هكذا عمل الإضمار. وعن ابن عباس رضي الله عنه،[6] قال: الإضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني: إن الله أمرك أن لا تأبى إذا ما دُعيت، فيُضارُّه بذلك.[7]

وقوله: **وإن تفعلوا**، أي تُضارّوا، **فإنه فسوق بكم**. هذا يدل على أن التأويل هو[8] ما ذكرنا من النهي[9] عن الزيادة،[10] والنقصان والتحريف والكتمان، إذ في ذلك خروج عن الأمر. والفسق هو الخروج عن الأمر، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.[11]*

وقوله: **واتقوا الله**، في المضَّارّة من الزيادة والنقصان والكتمان. **ويعلّمكم الله** الحكم والأدب، وما يحل وما لا يحل. وهو [حجة] على المعتزلة. **والله بكل شيء عليم**، حرف وعيد.

**﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢٨٣]**

وقوله: **وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة**. قد ذكرنا فيما تقدم في الأمر بالكتابة والإشهاد أنهما[13] -والله أعلم- لحفظ الحقوق ما جلَّ منها وما دقَّ،

---

[1] ك: يضاره.

[2] أي على الإخبار في اللفظ، والنهي في المعنى وجعلِ (لا) نافية، وليست ناهية، وهي قراءة ابن محيصن. قال أبو حيان: ومجيء النهي في صورة النفي مستحسن، لأن النهي إنما يكون عما يمكن وقوعه، فإذا برز في صورة النفي كان أبلغ، لأنه مما لا يقع ولا ينبغي أن يقع (*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢/٢١٥-٢١٦، ٣٥٤).

[3] ع م: لا يضاره.

[4] ك ن ع: إحديهما.

[5] ع: انتقضيت؛ م: انتقصت.

[6] ع م + أنه.

[7] *تفسير الطبري*، ١٣٦/٣.

[8] ك - هو.

[9] ن: على النهي.

[10] ن: على الزيادة.

[11] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (سورة الكهف، ٥٠/١٨). جميع النسخ + وهو على المعتزلة.

* يبدو أنه متعلق بما سيأتي في تأويل قوله: ﴿ويعلمكم الله﴾، فنقلناه إلى مكانه.

[13] م: أنها.

وأن لا يحملهم على الإنكار والجحود، وأن يُذكِّرهم ذلك حتى لا ينسون.[1] فعلى ذلك الأمر بالرهان لئلا يؤخروا قضاء الدين ويذكروه ولا ينسون. *والله أعلم*.

ثم فيه دلالة أن لا يجوز الرهن إلا مقبوضا، لأن الرهن يقبض لأمرين. [الأول] لأنه إذا كان مقبوضا محبوسا عن صاحبه عن جميع أنواع[2] منافعه ذكره وتقاضاه[3] لقضاء دينه. وإذا كان في يديه لم يتقاضاه على ذلك.[4] لذلك قلنا: إنه لا يجوز إلا مقبوضا. والثاني أنه[5] إنما يقبضه[6] ليستوفى منه الدين،[7] ولا يستوفى إلا بعد القبض؛ أو يأخذه[8] ليأخذ الدين منه من غير بخس فيه[9] ولا منع عنه.

ووجه آخر فيما لا يجوز الرهن إلا مقبوضا لأنه جعل وثيقة، فلا يجوز[10] أن يكون وثيقة[11] وهو في يدي الراهن، غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه. فدل ما ذكرنا من طلب الناس بعضهم من بعض الرهون أنهم طلبوا وثيقة. فإذا كان وثيقة فهو إنما يكون وثيقة إذا كان في يدي المرتهن محبوسا عن صاحبه. ألا ترى أن الكاتب أُمر بأداء الأمانة إذا أَمِن بعضهم بعضا بغير رهن، فلو كان الرهن يكون رهنا في يدي[12] الراهن لذكر فيه أداء الأمانة في الرهن، و لم يكن لذكر القبض وجه. لذلك قلنا: إن الرهن لا يجوز إلا أن يكون مقبوضا محبوسا عن منافع صاحبه.

وقوله: **فإن أَمِن بعضكم بعضا فَلْيُؤَدِّ الذي اؤْتُمِن أمانته**، فيه دلالة ضمان الرهن، ودلالة استيفاء الدين من الرهن؛ لأنه إنما ذكر الأداء فيما أمن بعضهم بعضا بلا رهن،

---

[1] انظر: تفسير الآية السابقة.

[2] ع م: أنواعه.

[3] ع م: وتقضاه. تقاضاه: طلبه منه.

[4] أي لم يعمل على قضاء دينه ليتقاضى رهنه.

[5] ع – أنه.

[6] جميع النسخ: إنما يقبض.

[7] أي عند العجز عن الاستيفاء من غيره، كما إذا مات الراهن و لم يبق إلا الرهن وعليه ديون أخر، فإن المرتهن أحق من غيره باستيفاء الدين منه. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٩٩ظ.

[8] جميع النسخ: يأخذ.

[9] ن – فيه.

[10] ك ن م: فلا جائز.

[11] ع – فلا يجوز أن يكون وثيقة.

[12] ك: يد.

ولم يذكر الأداء فيما فيه الرهن. فلولا أنه[1] جعل في الرهن استيفاء الحق والدين وإلا لذكر الأداء فيه كما ذكر في الرهن.[2] فدل أنه مضمون به إذا هلك هلك[3] به.[4] *والله أعلم.*

وأيضا قوله: **فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه**، فيه[5] دليل لقولهم في الشركات: إنه يكتب، اشتركا على تقوى الله وأداء الأمانة؛ لأن[6] كل واحد منهما أمين في ذلك، لذلك ذكر فيه[7] تقوى الله وأداء الأمانة،[8] كما ذكر عز وجل تقوى الله وأداء الأمانة[9] فيما اؤتمن.[10]

وقوله: **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**، ذكر إثم القلب؛ والإثم موضعه القلب، لكنه يشيع[11] في الجوارح ويظهر، على ما روي: «إن في النفس مضغةً إذا صَلَحت صَلَح البدن وإذا فسدت فسد البدن».[12]

{قال الشيخ رحمه الله}: وفيه دلالة أن المآثم تَعمِد القلوب بأي شيء كان، فلذلك وصف القلب بأنه آثم، وهو كقوله: وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ،[13] وكذا قوله: وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ،[14] الآية.

---

[1] جميع النسخ: أن.
[2] ن: فيما لا رهن؛ ع: في لا رهن.
[3] ن – هلك.
[4] «لأن الأصل أن حبس كل أمانة عن صاحبها يوجب الضمان. والرهن معقود على شرط الحبس والقبض الذي هو سبب الضمان، فيكون منافيا للأمانة موجبا للضمان. ولو كان الرهن أمانة لا يبقى الضمان، كما إذا أودع عنده أو أعاره منه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٠و).
[5] أي في قوله تعالى: ﴿وليتق الله ربه﴾.
[6] ع م: لأنه.
[7] ع: في.
[8] م – لأن كل واحد منهما أمين في ذلك لذلك ذكر فيه تقوى الله وأداء الأمانة.
[9] ن + كما ذكر عز وجل تقوى الله وأداء الأمانة.
[10] ن ع: ايتمن.
[11] ن ع م: يشفع.
[12] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث وفي آخره: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحت صَلَح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٣٩؛ و*صحيح مسلم*، المساقاة ١٠٧–١٠٨).
[13] ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ (سورة البقرة، ٢٢٥/٢).
[14] ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الأحزاب، ٥/٣٣).

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٨٤]

وقوله: **لله ما في السماوات وما في الأرض**، هو ظاهر؛ إذ ما في السماوات والأرض كلهم عبيده وإماؤه؛ ردا على قولهم: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، و الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[١] والملائكة بنات الله.[٢] وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم في غير موضع.[٣]

وقوله: **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله.** من الناس[٤] من استدل على نسخها بقوله: **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**، لكنه لا تحتمل الآية وعدا وخبرا[٥] بالمحاسبة.[٦] والوعد لا يحتمل النسخ؛ لأنه خلف وبداء، وذلك [فعل] من يجهل العواقب.[٧] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[٨]

ثم اختلف فيه. قال الحسن: هو على ما عزم [عليه]، لا على ما خطر بالنفس.[٩] وكذا قوله [صلى الله عليه وسلم]: «من همّ».[١٠] ويحتمل على التقديم والتأخير [واستعارة حرف أو عن الواو. أي][١١] إن تخفوا ما في أنفسكم وتبدوه[١٢] يحاسبكم به الله.[١٣] ويحتمل أيضا:

---

[١] ك: وعيسى ولد الله. يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[٢] لعل المؤلف يشير إلى نحو قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٧).

[٣] انظر مثلاً: سورة البقرة، ٢/٢٢.

[٤] ك + من الناس؛ ع م – من الناس.

[٥] جميع النسخ: وعد وخبر.

[٦] لعله يقصد: لا تحتمل الآية الواحدة وعدًا بالمغفرة مع الإخبار بالمحاسبة والمؤاخذة.

[٧] جميع النسخ: بالعواقب.

[٨] ك ن – علوا كبيرا. يقول السمرقندي رحمه الله: «والأخبار لا يجري فيها النسخ؛ لأن النسخ فيها يرجع إلى تغير أحوال المخبر من البداء والغلط أو الكذب. والله يتعالى عن تغير الأحوال. وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي، لأن التغير إنما يكون في حق المأمور، وحق المأمور به من الحظر والإباحة، ونحو ذلك» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٠و).

[٩] انظر: *معالم التنزيل* لبغوي، ١/٢٧٢.

[١٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٣٤؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٣١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٠١–٢٠٨).

[١١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٠٠و.

[١٢] جميع النسخ: أو تبدوه.

[١٣] «وحديث النفس إذا اتصل به الفعل أو القول يؤاخذ به» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٠و).

**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه**، وعزمتم عليه واعتقدتم، لا على الخَطْر فيه أو حديث النفس، على ما روي: «من هم بحسنة فله كذا، ومن هم بسيئة فكذا».[1] ليس على ما يخطر[2] فيه،[3] / وتحدّث النفس به، ولكن على العزم عليه والاعتقاد. وكذلك قوله: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا،[4] همت[5] هي به همّ عزمٍ، وهو همّ بها همّ خَطْر. والمرء غير مؤاخذ بما يخطر في القلب وتحدّث النفس به، إنما يؤاخذ على ما عزم واعتقد عليه. ***والله أعلم.*** [٧٢ظ]

وقوله: **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**، فيه دليل لما قلنا: إنه على العزم والاعتقاد عليه، لما ذكرنا من العفو عنه[6] والعقوبة عليه.

**﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٢٨٥]**

وقوله:[7] **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته.**

قوله: **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون**، يحتمل وجهين. يحتمل: آمن بنفس المنزل[8] أنه من عند الله، وكذلك المؤمنون أيضا آمنوا بما أنزل إليه أنه من عند الله. ويحتمل قوله: **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**، أي آمن الرسول[9] بما في المنزل إليه، وكان فيه ما ذكرنا: **آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** إلى قوله: **وإليك المصير**. وكذلك المؤمنون آمنوا بجميع ما في المنزل. وهو ما ذكرنا.

وفيه دليل [على] أن الإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمان بجميع الرسل والكتب كلها، والملائكة، والبعث، والجنة، والنار. وفيه دلالة نقض قول من يَشك في إيمانه ويستثني؛ لأنه عز وجل شهد لهم بالإيمان. فلا يخلو الاستثناء إما أن يكون لشكهم في إتيان[10]

---

[1] قد تقدم تخريجه قريبا.
[2] ن: ليس علينا نخطر.
[3] م + أو حدثت النفس عى ما روي.
[4] سورة يوسف، ٢٤/١٢.
[5] ن: سميت.
[6] ك ن: منه؛ ع م – منه.
[7] ع: قوله.
[8] جميع النسخ: آمن بنفس المنزل بما أنزل إليه.
[9] م: أنه من عند الله.
[10] ك: إيمان.

ما أمروا [من الإيمان]، أو [لشكهم] في الذي أخبر الله عنه بما كان؛ ففيه[1] الويل لهم. وفيه دلالة نقض قول المعتزلة؛[2] لأنه [تعالى] شهد لهم بالإيمان،[3] وهم نفوا عنهم الاسم[4] الذي شهد الله لهم به[5] بالإيمان به وبالذي ذكر. وكل[6] صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر، وقد سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به. *والله الموفق*.

فإن قيل: قد ذكر الطاعة في آخرها.[7]

قيل: ذكر الطاعة في الإجابة، وبتلك الإجابة شهد لهم،[8] فيلزمهم[9] ما شهد الله لهم جل وعلا بما أجابوا.

وقوله: **لا نفرق بين أحد من رسله**. يحتمل[10] أن يكون هذا خبرا أخبر الله عز وجل به[11] عن المؤمنين بأنهم[12] قالوا: **لا نفرق بين أحد من رسله**، كما فرق اليهود والنصارى.

وقوله: **وقالوا سمعنا وأطعنا**. يحتمل: سمعنا[13] قولك ودعاءك، وأطعناك في الإجابة. ويحتمل: سمعنا القرآن، وأطعناك فيما فيه.[14] *والله أعلم*.

وقوله: **غفرانك ربنا** أي اغفر لنا ربنا.[15] **وإليك المصير** أي المرجع.

وهذه الآية[16] جمعت[17] جميع شرائط الإيمان، لذلك قلنا: إن الإيمان بالقرآن

---

[1] أي ففي كل من هذين الوجهين.
[2] أي في مسألة صاحب الكبيرة.
[3] أي شهد بالإيمان لكل من وجد منه الإيمان به وبما ذكر في الآية. وكل صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر.
[4] ك: لأبهيم. أي اسم الإيمان.
[5] ك - به.
[6] ن: فكل.
[7] أي في آخر الآية، بقوله: "سمعنا وأطعنا".
[8] «وقد شهد بالإيمان لمن وجد منه التصديق بما ذكر، وبالإجابة وقبول الطاعة لأوامره ونواهيه، وذلك موجود في حق أصحاب الكبائر». أنظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.
[9] أي فيلزم المؤمنين.
[10] ع م: ويحتمل.
[11] ك ع م - به؛ ن: أخبر الله به عز وجل.
[12] ك ن م: أنهم.
[13] م + وأطعنا.
[14] جميع النسخ: ما فيه.
[15] ك - أي اغفر لنا ربنا.
[16] ن ع م - الآية.
[17] جميع النسخ: جمع.

إيمان بجميع الكتب، والأنبياء والبعث، وغيره. *وبالله العصمة والنجاة.*

**﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٢٨٦]

قوله: **لا يكلف الله نفسا إلا وُسعها**، اختلف فيه. قال الحسن: قوله: **إلا وسعها**: إلا ما يحل ويسع. لكن بعض الناس يقولون: هذا بعيد لا تحتمله[١] الآية، [لأنه] إذا كلِّف [شيئا] حل ووسع.[٢] فإذا كان كذلك لم يكن لقوله معنى.[٣] قيل له:[٤] هو كقوله:[٥] **أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**،[٦] [أي المحلَّلات، لأنه] إذا أُحِلَّ[٧] طُيِّب، وإذا طُيِّب أُحِل،[٨] فكذا الأول،[٩] وقد ذكر الأمرين جميعا.[١٠]

وتأويل ثان:[١١] **إلا وسعها** إلا طاقتها؛ وكذلك قول المعتزلة، غير أنا اختلفنا [معهم] في تقدم استطاعة الأفعال. نفينا نحن تقدمها، وقلنا: لا تكون[١٢] إلا مع الفعل.[١٣] وقالت المعتزلة:[١٤] يتقدم الفعل.[١٥]

---

[١] ك: تحتمل؛ ن ع م: يحتمل.

[٢] «أي لأن المأمور به مطلق التحصيل، فكأنه قال: لا يطلق الله تعالى إلا بما يطلق، أو لا يأمر إلا بما يؤمر، وهذا لا معنى له». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.

[٣] ذكره الطبرسي من غير نسبة، وخطأه، قال: قال بعضهم إن معناه إلا ما يسعها ويحل لها، وهذا خطأ؛ لأن من قال لعبده: لا آمرك إلا بما أطلق لك أن تفعله لكان ذلك غيًا منه وخطأ، لأن نفس أمره إطلاق فكأنه قال: لا أطلق لك ولا آمرك إلا بما آمرك. انظر: مجمع *البيان* للطبرسي، ١/ ٦٩٠.

[٤] أي يقال للحسن.

[٥] أي كما قالوا في قوله تعالى.

[٦] ﴿يسألونك ما ذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ (سورة المائدة، ٥/٤).

[٧] ع م: حل. أي قالوا: إنه لا يصح؛ لأن ما أحل الله صار طيبا شرعا، وكل ما طيبه يكون حلالا.

[٨] م: حل. يقول الإمام الماتريدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «ثم اختلفوا في قوله تعالى: ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾، هن المحلَّلات. لكنه بعيد، لأنه قال: أحل لكم المحللات، على هذا التأويل. لكنه يحتمل وجهين غير هذا...» (*تأويلات القرآن*، ورقة ١٧٤ظ.)

[٩] أي لا يكلف الله نفسا إلا ما يحل ويسع.

[١٠] أي التكليف والإحلال.

[١١] – ك: ثاني. وقال السمرقندي: «و التأويل الصحيح: "إلا وسعها": إلا طاقتها وقدرتها؛ لأن التكليف لا يرد إلا بفعل مقدور عليه لتمكن تحصيله وتركه حقيقة، ثم تثبت الإباحة والحل بالتكليف». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.

[١٢] ك ن: يكون.

[١٣] أي إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل.

[١٤] ع م – غير أنا اختلفنا [معهم] في تقدم استطاعة الأفعال نفينا نحن تقدمها وقلنا لا تكون إلا مع الفعل وقالت المعتزلة.

[١٥] ع: بتقديم. أي إن الاستطاعة تكون قبل الفعل. فالاختلاف بيننا وبينهم في حقيقة القدرة التي يوجد بها الفعل، ولا يوجد بدونها. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.

وأما عندنا فإنها على وجهين: استطاعة الأحوال والأسباب، واستطاعة الأفعال. أما استطاعة الأحوال والأسباب فإنها تتقدمها،[1] وعلى ذلك يقع الخطاب. دليله قوله عز وجل: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا،[2] قيل: يا رسول الله، وما الاستطاعة؟ قال: «الزاد والراحلة».[3] ثم كل يجمع أن من كان بأقصى بلاد المسلمين قد يلزمه[4] فرض الحج، على علم كل منهم أن تلك الاستطاعة لو صرفت إلى استطاعة الأفعال لم تبق[5] إلى وقت[6] وجود الأفعال، ثم قد لزمه ذلك. فبان أن الكلفة[7] [والخطاب] إنما تقع على استطاعة الأحوال والأسباب. وكذلك الكلفة في جميع الطاعات.

فإن قيل: قد يقع هذا على الخروج،[8] فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج.

قيل: لو كان كذا، لكان لا يلزم [عليه] فرض الحج إلا بالخروج؛ وله ترك الخروج، إذ باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج، فلا يلزم عليه فرض الحج.[9] فثبت أنه لا يحتمله،[10] بل هو على ما قاله أصحابنا رحمهم الله: إنها[11] استطاعة الأحوال، وتلك تتقدم، لما ذكرنا. **والله أعلم**.

وأما استطاعة الأفعال فإنها تحدث[12] بحدوث الأفعال وتتلوها،[13] كالأوقات التي لا تبقى في وقت ثان، فهي[14] كالوقت الذي لا يبقى في وقت ثان،[15] **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: يتقدمها. أي تتقدم الأفعال.

[2] سورة آل عمران، ٣/٩٧.

[3] الحديث ذكره الحاكم، والبيهقي، من طريق سعيد بن أبي عروة، عن قتادة، عن أنس مرفوعا، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجن: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة.» انظر: *نيل الأوطار*، ٥/١٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٤/١٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

[4] ع م: تلزمه.

[5] ن ع م: لم يبق.

[6] ع - وقت.

[7] الكلفة بضم الكاف وسكون اللام: ما تكلفت من أمر في نائبة أو حق. انظر: *لسان العرب*، «كلف».

[8] أي قد يقع الخطاب والكلفة على الخروج من بلده بنية الحج.

[9] «والله تعالى لم يكلف اكتساب ما يجب به الفرض، فإنه لا يجب على المكلف اكتساب المال لتجب عليه الزكاة والحج». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.

[10] أي وقوع الخطاب وكون الطاعات فرضا لا يثبت بقول المعتزلة في الاستطاعة.

[11] أي الاستطاعة التي ينبني عليها التكليف والخطاب.

[12] ع: يحدث.

[13] جميع النسخ: تتلو. أي تتلو الأفعال استطاعتها وتقع معها.

[14] أي استطاعة الأفعال.

[15] ع: تارة.

فإن سئلنا عن التكليف، أ يكون فيما لا يطاق؟ فجوابنا أنه فيما مُنعنا عنه فلا، وفيما لم نُمنع وضَيّعنا شُغْلنا[1] بغيرٍ فَبَلَى.[2] ثم الكافر بما أعطي من القوة والاستطاعة شغل نفسه بغير،[3] وضيع ما أعطي من القوة، فإذا ضيع [ما أعطي من القوة] لم يكن تكليف ما لا يطاق.

ثم ننظر أيّنا أحق بالقول بتكليف ما لا يطاق؟ فمن قول المعتزلة: إن القوة على الفعل لتوجده[4] في الوقت الثاني [من القدرة]؛ ثم في الوقت الثاني[5] جعلوه غير قادر عليه بقدرة توجد [قبل]،[6] ثم جعلوه أيضا غير قادر[7] على الترك للفعل.

والمتعارف[8] من الأمر في الظاهر بشيء يفعله في وقت[ه] أن لا يقع الأمر به وقت ما يسمعه ويقرع الخطابُ السمعَ، بل في ثان من الوقت.[9] فحصل عندهم الأمر على الوقت الذي

---

[1] جميع النسخ: بشغلنا.

[2] يقول علاءالدين السمرقندي في هذه المسألة: «قيل: إن هذا عندنا على قسمين: قسم منه لا يجوز -أي تكليف ما لا يطاق- في الحكمة، ولا كان من الله تعالى، وهو تكليف من منع عنه القدرة [فهو] بمنزلة تكليف الزَّمِن بالمشي، وتكليف الأعمى بالبصر، ونحو ذلك. والقسم الثاني: يجوز، [وهو] تكليف من له آلات سليمة، وهو متمكن من الفعل بأسبابه، فإنه إذا كان على هذا الوصف، فإن الله تعالى أجرى [عليه] العادة المستمرة؛ على أنه متى أراد الفعل [منه] يحدث فيه قدرة ذلك الفعل، فتوجد مع الفعل؛ فمتى امتنع عن الفعل بالاشتغال بضد ذلك الفعل لم يحدث له القدرة، وكذلك الفعل لو ضُيّع تلك القدرة بصرفها إلى ضده، على اختلاف الطريقين بين أهل الحق فلم يكن المضيع معذورا، فيؤاخذ بذلك». انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ.

[3] أي بغير الفعل الذي كلف به.

[4] جميع النسخ: ليوجده. أي لتوجد القوة الفعل.

[5] ع - الثاني.

[6] «ثم قوم منهم -وهم البغداديون مثل الكعبي وغيره- يقولون: إن القدرة عرض لا يبقى إلى الوقت الثاني الذي هو وقت وجود الفعل؛ والقدرة التي في وقت الفعل لم تكن لوجود هذا الفعل بها، ولكن ليوجد بها الفعل في الوقت الثاني من وجود هذه القدرة؛ ولأن الوقت الثاني [من] القدرة وهو وقت الفعل عندهم إن كان قادرا على الفعل فهو غير قادر على ترك ذلك الفعل. والقدرة -خصوصا عندهم- ما يكون القادر بها متمكنا من الفعل والترك؛ بصرفها إلى أي الأمرين شاء. وليس هو على هذا الوصف في الوقت الثاني من القدرة عندهم، بل هو قادر على الفعل دون الترك. دل أنه في الزمان الثاني من القدرة غير قادر على الفعل». انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ١٠٠ظ-١٠١و.

[7] ك: غير قادر أيضا.

[8] هذا هو الدليل الثاني على أن المعتزلة أحق بالقول بتكليف ما لا يطاق.

[9] «ثم الأمر المتعارف في الظاهر أن من أمر بفعل في وقت مُستأنَف -بأن قال المولى لعبده: ادفع لفلان غدا درهما- فإن هذا ليس أمرا بفعل الدفع حال ما يقرع الكلام سمعه، ولكن في الوقت الذي جعله المولى ظرفا للدفع، فعلى هذا التأريخ يكون الأمر الصادر من الله تعالى في زمان وجود القدرة ليفعل في الزمان الثاني تكليفا في الزمان الثاني، لا في حال [عدم] وجود القدرة لذلك الفعل، وهو في ذلك الوقت غير قادر على ما ذكرت، فيكون ذلك تكليف ما لا يطاق ضرورة». انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ١٠١و.

هو غير قادر فيه. فأي تكليف على فقد[1] الطوق[2] والوسع أبين مما قالوا؟ **وبالله التوفيق**.

ثم أفحش من هذا ما قالوا: إن القدرة تتقدم الفعل. والفعل هو الذي يدل على[3] وجود الولاية [أو العداوة] وهو في وقت إيجاد الفعل إن كان كفرا مُعادٍ،[4] وإن كان إيمانا موالٍ.[5] فحصل القول على أن الموالاة والمعاداة[6] أبدا تقع في غير وقت الانتهاء والائتمار.[7]

ثم قولهم في قوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا:[8] إنه على الجبر.[9] ولا يحتمل ذلك، لأنه قد أوجب لكلٍّ ذلك / مرة بالجبر في الخلقة، وهو قوله: وَلَهُ أَسْلَمَ [٧٣و] مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا.[10] فقد ألزمهم الإسلام بالخلقة. بان أن الثاني على الاختيار.[11]

---

[1] ن – فقد؛ ع: وقوله.

[2] ع م: الطرق.

[3] ك ن: يلزم.

[4] ك ن ع: معادى؛ م: يعادى.

[5] ك ن ع: موالى؛ م: يوالى.

[6] ن: الموالاة والمعادات؛ م: الموالات والمعادات.

[7] لعل في كلام السمرقندي ما يوضح مراد المؤلف، حيث يقول: «وأفحش من هذا ما قالوه: إن القدرة تتقدم الفعل، وهو الذي يلزم الوفاء به، وهو في وقت وجود الفعل، وكذلك العداوة. فإن كان [الفعل] كفرا يثبت العداوة، وإن كان إيمانا يثبت الولاية. فحصل القول بأن الموالاة والمعاداة أبدا تقع في غير وقت الأمر والنهي؛ لأن ذلك في حال وجود القدرة، لذلك شرطوا سبق القدرة على الفعل، وهذا فاسد». انظر *شرح التأويلات*، ورقة ١٠١و.

[8] سورة يونس، ٩٩/١٠.

[9] يقول علاء الدين السمرقندي: «قالت المعتزلة: المراد من المشيئة [هنا] هي مشيئة القهر والجبر. أي لو شاء منهم الإيمان جبرا أجبرهم على الإيمان بأن خلق فيهم الإيمان جبرا وقهرا لآمنوا وعملوا بالله ضرورة. ولكن قد شاء أن يؤمنوا مشيئة الاختيار، أي يؤمنون عن اختيار، فلم يؤمنوا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٦ظ).

[10] ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾ (سورة آل عمران، ٨٣/٣).

[11] «فإن كل كافر مؤمن بخلقته، إذ خلقة كل أحد يشهد على وحدانية الله تعالى، ولو صاروا مؤمنين بمشيئة الجبر لكان إيمانهم في أنه لا منفعة لهم فيه من الثواب، وذلك الإيمان سواء. وكذلك في حق الشهادة على الله سيان، إلا أن في إحدى الحالين الشهادة بطريق الدلالة وفي الحال الثانية بطريق الإفصاح، فإما من حيث إن في الحالين الشهادة بطريق الاضطرار دون الاختيار سواء. فإذا كانوا مؤمنين بالخلقة لم يستقم تعليق ذلك الإيمان أو مثله بالمشيئة إنما يستقيم تعليق ما لم يكن حاصلا منهم، فدل أن الحمل على مشيئته بالجبر فاسد. ولكن تأويله عندنا هو أن عند الله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن إذا علم منهم أنهم لا يؤمنون لم يعطهم، وهو التوفيق والعصمة، وإذا علم أنهم لم يؤمنوا شاء أن لا يؤمنوا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٦ظ).

ثم قولهم في استطاعة واحدة لفعلين[1] خطأ، لأن من قولهم: إن الاستطاعة لا تبقى. ثم وجود الفعلين معا في وقت باستطاعة واحدة[2] محال. ووجود تلك الاستطاعة لأحد الفعلين بعدم الآخر مستحيل، لعدم البقاء. ووجود[ها][3] عندهم على البدل محال؛ إذ جعلوا عين ما هو الأصل لأحدهما للآخر. فثبت أنه خطأ.

وفي قوله: **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** دلالة أن الله تعالى إنما يأمر عبيده وينهى،[4] لمنافع لهم، ولضرر يلحقهم؛ لا لمنافع تكون له بالأمر فيأمر، أو لضر[5] يلحقه فينهى عن ذلك، فيكون في الأمر جارّ منفعةٍ، وفي النهي دافع مضرة؛ كما يكون في الشاهد أن من أمر آخر بشيء إنما يأمر لمنفعة تُؤَمّل[6] فيه، وينهى عن شيء لدفع ضرر يخافه. وتعالى الله عن ذلك.

وقوله: [**ربنا**] **لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**، قيل فيه بوجهين. [الأول] قيل: **إن نسينا** يعني تركنا، كقوله: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[7] وكقوله وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ،[8] أي ترك. وقوله تعالى: **أخطأنا**، يعني ارتكبنا ما نهينا[9] [عنه]. و[الثاني] قيل: إنه على حقيقة النسيان والخطأ، كأنه على الإضمار، أن قولوا: **لا تؤاخذنا** الآية.[10]

ثم اختلف بعد هذا. قالت المعتزلة: أَمَرَ بالدعاء بهذا تعبدا وتقربا[11] إليه، وكذلك قوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا،[12] الآية، وكذلك قوله: قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[13] ونحوه. خرج الدعاء به

[1] لعله يقصد بالفعلين حال وقوع الخطاب الإلهي وحال تحقيق الفعل بعده. واستطاعة كلا الفعلين واحدة عند المعتزلة، لأنهم يقولون بكون القدرة قبل الفعل. ويلاحظ أن الماتريدي – في استدلاله هذا– يشير إلى أن الحالة الأولى، وهي وقت وقوع الخطاب، تجري مجرى الفعل.

[2] ك – واحدة.

[3] جميع النسخ: ووجوده. أي وجود الاستطاعة.

[4] ك + إنما يأمر وينهى.

[5] ك: بضر.

[6] ك: يتأمل؛ ن ع م: تتأمل.

[7] ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (سورة التوبة، ٦٧/٩).

[8] سورة طه، ١١٥/٢٠.

[9] ك: نهيتنا؛ ن ع م: انتهينا.

[10] ن م – الآية.

[11] ن ع: أو تقربا.

[12] ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ (سورة آل عمران، ١٩٤/٣).

[13] سورة الأنبياء، ١١٢/٢١.

مخرج التعبد والتقرب، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن لا نؤاخذ[١] بالنسيان والخطأ[٢] وأنه[٣] لا يخلف الميعاد.[٤] وكذلك معلوم أنه [عز وجل] لا يحكم إلا بالحق.[٥] وكذلك:[٦] قوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ،[٧] وقد أخبر أنه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،[٨] ولكنه على ما ذكرنا.[٩] إلى[١٠] هذا يذهب المعتزلة.

وأما الأصل عندنا في هذا أنه جائز في الحكمة أن يعاتب على النسيان والخطأ ليجتهدوا في حفظ حقوقه وحدوده وحرماته [و]لئلا ينسَوا. ألا ترى أن الله أوجب على قاتل[١١] الخطأ الكفارة، ثم قال: تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ،[١٢] ولو لم يجز أن يعاقب عليه[١٣] لم يكن لوجوب الكفارة عليه والتوبة معنى. دلَّ أنه جائز في الحكمة المؤاخذة به.

والثاني: قوله عز وجل وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ،[١٤] وفعل الشيطان مما يتقى ويحذر؛ لذلك كان ما ذكر.[١٥] *والله أعلم*. لأنه لو اجتهد [التحفظ] عن فعل السهو والنسيان سلم عنه.

---

[١] جميع النسخ: تؤاخذنا.

[٢] إشارة إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي سوف يرد قريبا.

[٣] ك: وأخبر أنه؛ ع م: أنه.

[٤] لعله يشير إلى ما جاء في القرآن من أنه تعالى لا يخلف الميعاد. انظر *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «خلف».

[٥] أي إن الدعاء في قوله: ﴿قال رب احكم بالحق﴾ خرج مخرج التعبد والتقرب، لا على حقيقة الدعاء؛ إذ هو سبحانه وتعالى لا يحكم إلا بالحق.

[٦] ع: لذلك.

[٧] ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ (سورة المؤمن، ٥٥/٤٠؛ وانظر: سورة محمد، ١٩/٤٧).

[٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١-٢).

[٩] أي عنى أن الأمر بالدعاء يخرج مخرج التعبد والتقرب.

[١٠] ن ع م: وإلى.

[١١] ن م: قايل.

[١٢] ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يَصّدّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فَدِيَةٌ مسلَّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما﴾ (سورة النساء، ٩٢/٤).

[١٣] ع م – لم يجز أن يعاقب عليه.

[١٤] سورة الكهف، ٦٣/١٨.

[١٥] ك: ما ذكرنا.

فجائز أن يسأل السلامة عنهما، إذ بالجهد يسلم عنه، وبالغفلة يقع فيه.

والثالث ما ذكرنا أن النسيان هو الترك، والخطأ هو ارتكاب[1] المنهي. والتارك لأمر الله والمرتكب لنهيه يستوجب العقاب عليه. *والله أعلم*. فيصح الدعاء على ذلك ولئلا يلحقهم العذاب بترك ذلك الأمر وارتكاب[2] المنهي.

فإن قيل: ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «رفع عن أمتي[3] الخطأ والنسيان[4] وما استُكْرِهوا عليه»؟[5]

قيل: إنما جاء هذا في الكفر خاصة، لا في غيره. وذلك أن القوم كانوا حديثي[6] العهد[7] بالإسلام، يجري على ألسنتهم الكفر على [طريق] النسيان والخطأ،[8] وكذلك [كانوا] يُكرهون على الكفر، فيجرون ذلك[9] على ألسنتهم مخافة[10] القتل، فأخبرهم النبي[11] صلى الله عليه وسلم أن ذلك مرفوع[12] عنهم.

{قال الشيخ رحمه الله:} وبعد، فإن في[13] الخبر العفوَ، فيكون في ذلك دليلُ جواز الأخذ.[14] ولعل الوعد بالعفو مقرون[15] بشرط الدعاء، فلذلك[16] يدعون. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا، فأجيب،[17] لا أن[18] يؤمر أحد أن يدعو ابتداء.[19] *والله أعلم*.

---

[1] ك م: وارتكابه.
[2] ك ع: وارتكابه.
[3] ن ع - عن أمتي.
[4] جميع النسخ: رفع النسيان والخطأ.
[5] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٤٣٣-٤٣٤.
[6] جميع النسخ: حديث.
[7] ع: العبيد.
[8] ن - الخطأ.
[9] م - ذلك.
[10] ن: الآفة.
[11] ك ن - النبي.
[12] جميع النسخ: مرفوعا.
[13] ك - في.
[14] أي فإن الرفع والعفو إنما يكون بعد الوجود، فيكون في ذلك دليل جواز المؤاخذة والعقوبة.
[15] ك ن ع: مقرونا.
[16] ك: ولذلك.
[17] ع: فأوجب.
[18] ن ع: أن لا.
[19] قال علاء الدين السمرقندي: «ومن مشايخنا من قال: إنه جائز المؤاخذة عقلا، وإنما المؤاخذة عليها صارت ساقطة، =

وأما قوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ،[1] ففيه وجهان. أحدهما أنه وعد الرسل و[2]المؤمنين جملةً الجنة، فسؤال كل منهم أن يجعله من تلك الجملة التي وعدهم الجنة.[3] والثاني يسأل [بهذا الدعاء] الختم على ما به يَستوجب الموعود.[4]

وأما الأمر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين. أحدهما [على] ما روي: «المؤذن يُغفر له مَدَّ صوته».[5] فهو على استيجاب أولٰئك المغفرةَ به،[6] فعلى ذلك استغفاره [صلى الله عليه وسلم] ليغفر به لبعض[7] أمته. والثاني أن المغفرة في اللغة هي التغطية والستر؛ فكأنه سأل الستر عليه بعد التجاوز عنه.

{قال الشيخ رحمه الله:} ثم الأصل أن الاستغفار هو طلب المغفرة. فلو كان لا يجوز له[8] التعذيب فيكون التعذيب جورا،[9] فيصير السؤال في التحقيق سؤال أن لا يجور؛[10] وذلك مما لا يسع المحنة.[11] وكذلك لو كان مغفورا له لكان[12] الحق فيه الشكر لما أنعم [الله] عليه. وفي ذلك[13] كتمان النعمة و[إبطال] المحنة؛ فكتمان[14] نعم الله وكفرانها محال.

---

– والعفو عن ذلك قد تحقق بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وقد أجيب في دعائه، لا أنه هذا أمر له أو لأمته بالدعاء على ذلك ابتداء». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠١ظ. وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٣/١٣٢-١٣٣.

[1] سورة آل عمران، ١٩٤/٣.

[2] ع – وعد الرسول و.

[3] «بأن يوفقهم للطاعات التي بها وعد استحقاق الجنة؛ فيكون هذا دعاء توفيق الطاعة والعصمة عن المعاصي». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠١ظ.

[4] «فإن الموعود بناء على بقاء الإيمان بعد الموت. وهذا ليس بسؤال مما هو ثابت، أو فيكون لا محالة ولكن فيه خطر وتردد، وفي مثل هذا يرد الدعاء والسؤال». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠١ظ.

[5] «المؤذن يغفر له مَدّ صوته ويصدقه من يسمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معه». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٣٦/٢، ٢٦٦؛ وانظر *صحيح البخاري*، الأذان ٥؛ *وسنن أبي داود*، الصلاة ٣١؛ قارن معناه: *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «مد» و«مدى».

[6] أي يغفر لمن كان في حدود مدّ صوته بسبب المؤذن وأذانه.

[7] جميع النسخ: بعض.

[8] أي للخطإ أو النسيان.

[9] ن: معفورا؛ م – جورا؛ ع – فيكون التعذيب جورا.

[10] ك ن م: لا تجروا ذلك؛ ع: أن يجروا ذلك؛ والتصحيح من السمرقندي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠١ظ.

[11] أي مما لا يسع المحنة والتكليف.

[12] جميع النسخ: كان.

[13] أي وفي طلب المغفرة.

[14] جميع النسخ: بكتمان.

لذلك[1] لا بد أن تكون[2] في الآيات مما يتمكن معه المحنة من[3] المعنى.[4] *والله أعلم*.

وأما قوله عز وجل: قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ.[5] قيل: الحق ههنا هو العذاب، كأنه أمره:[6] أن يسأل بإنزال العذاب عليهم. وقيل: احكم بحكمك الذي هو الحق. فإذا كان ما ذكر محتملاً دل أنه ليس على ما ذهب إليه أولئك.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **[ربنا] ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا**. قيل: الإصر[8] هو العهد. يقول:[9] لا تَحْمِلْ علينا عهدًا تعذبنا بتركه ونقضه، كما حملته على الذين من قبلنا. وكان من قبلهم [من الأمم] إذا أخطؤوا[10] خطيئة حرم الله عليهم على نحوها[11] مما أحل لهم [من] الطيبات، كقوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،[12] وكأصحاب[13] الأخدود وغيرهم. فخاف المسلمون ذلك فقالوا: **ربنا ولا تحمل** [٧٣ظ] / **علينا إصرا** في جرم أجرمناه،[14] فتحرم علينا الطيبات. وأصل الإصر الثقل والشدائد التي كانت عليهم من[15] نحو ما كان توبتهم إلا أمرًا[16] بقتل بعضهم بعضا، كقوله: أَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ.[17]

---

[1] ع: كذلك.

[2] ن ع م: يمكن. أي أن تكون المحنة.

[3] ع: في.

[4] أي بما كان ممكنا.

[5] ﴿قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ (سورة الأنبياء، ١١٢/٢١).

[6] ك: أمر.

[7] ن - أولئك. أي دل أن الوهم الذي ذهب إليه الخصم لا يلزم.

[8] ك: الأمر.

[9] ع م + ويقول.

[10] ع م: خطوا.

[11] أي على قدرها.

[12] سورة النساء، ١٦٠/٤.

[13] ع: وكان أصحاب.

[14] م: أجرمنا.

[15] ك ن ع - من.

[16] ك ن م: الأمر؛ ع: أمر.

[17] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٥٤/٢).

وقوله:[1] [ربنا] **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**، يحتمل وجهين. يحتمل أن لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به من القتل والهلاك؛ إذ في ذلك إفناؤهم، وفي الفناء ذهاب طاقتهم. {قال الشيخ رحمه الله:} أي [لا تحمّلنا] ما نشتغل[2] بما نختار[3] [منه] عما أمرتنا؛ فيكون كالدعاء بالعصمة. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يراد به طاقة الفعل، وهي لا تتقدم عندنا الفعل. ***والله أعلم***.

وقوله: **واعف عنا**. قيل: اتركنا على ما نحن عليه،[4] ولا تعذبنا.

وقوله: **واغفر لنا وارحمنا**، أي استر لنا. والغَفر الستر؛ ولذلك سمي المغفر[5] مغفرًا لأنه يستر. وستر الذنب هو أعظم النعم.

وقوله: **أنت مولانا**، قيل: أنت أولى بنا؛ وقيل: أنت حافظنا؛ وقيل: أنت ولينا وناصرنا. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[6]

وقوله: **فانصرنا على القوم الكافرين**، يحتمل الكفار[7] المعروفين، ويحتمل الشياطين. أي انصرنا عليهم. ***ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم***.

---

[1] ن م: قوله.
[2] ن: لاتشتغل.
[3] ع م - بما نختار.
[4] «بلا عذاب ولا ظهور ذلك على الناس». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٠١ظ.
[5] ع: المغفرة.
[6] انظر: تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٠).
[7] ع م - الكفار.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة آل عمران[1]

بسم الله الرحمن الرحيم. وبه ثقتي، وهو حسبي.[2]

**﴿الم﴾[١] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٢]**

قوله:[3] **الم الله [لا إله إلا هو]**، قال بعضهم: تفسيره[4] ما وُصل به، كقوله:[5] الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ،[6] ذلك الكتاب[7] هو تفسير: الم، و **الم الله لا إله إلا هو**، **[الله لا إله إلا هو]** تفسير **الم**؛ و[نحوه قول:] المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ،[8] و[9][كذلك] جميع ما وُصل به الحروف المقطعة فهو[10] تفسيرها. ولله أن يسمي نفسه بما شاء؛ سمي[11] نفسه[12] مجيدًا كقوله: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ،[13] وسمى القرآن مجيدًا كقوله: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ.[14]

وقال بعضهم: الحروف[15] المقطعة هي مفتاح السورة. وقال آخرون: إن[16] كل حرف منها اسم من أسماء الله تعالى. ومنهم من يقول بأنها من المتشابه[17] التي لا يوقف عليها.

---

[1] ن – سورة آل عمران.
[2] ك م – وبه ثقتي وهو حسبي؛ ع: وبه ثقتي.
[3] ع: وقوله.
[4] ع: يفسره.
[5] جميع النسخ: من قوله.
[6] ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/١-٢).
[7] ع م – ذلك الكتاب.
[8] ﴿المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١-٢).
[9] ك: هو.
[10] ن + فهو.
[11] ع م – سمي.
[12] م – نفسه.
[13] سورة البروج، ٨٥/١٥.
[14] سورة البروج، ٨٥/٢١.
[15] ك ن ع: حروف.
[16] ن – ان.
[17] ع: التشابه.

ومنهم من يقول: هو[1] على[2] التشبيب،[3] إذ من عادة العرب ذلك. وقد مضى الكلام فيه في قوله: الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ،[4] بما يكفي.

**الحي القيوم**، هو الحي بذاته، وكل حي سواه حي بحياة هي غيره. فإذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغير[5] والزوال. ولما كان كل[6] حي سواه حيا[7] بغيره احتمل التغير[8] والزوال. وكان الحياة عبارة يوصف بها من عظُم شأنه، وشرُف أمرُه عند الخلق. ألا ترى أن الله تعالى وصف الأرض بالحياة عند نباتها،[9] لما يعظم قدرها، وتشرُف[10] منزلتها عند الخلق عند النبات. وكذلك سُمِّي[11] المؤمنُ حيا لعلو قدره عند الناس، والكافرُ مَيْتًا لدون[12] منزلته عند الناس. فكذلك الله[13] سبحانه وتعالى سُمِّي حيا، لعظمته وجلاله وكبريائه. وعلى هذا يخرج قوله في الشهداء حيث قال: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ،[14] أي مكرمون معظّمون[15] مشرَّفون عند ربهم.

وقوله: **القيوم**. قال بعضهم: **القيوم**[16] هو القائم على كل نفس بما كسبت. وقال آخرون: **القيوم** الحافظ. وفي حرف ابن مسعود: هو القَيَّام؛[17] كله[18] يرجع إلى واحد: القائم والقَيُّوم والقَيَّام.

---

[1] ع م – هو.
[2] ن: من؛ ع م – على.
[3] التشبيب: تحسين القصيدة وتزيينها بذكر النساء خاصة (*لسان العرب*، «شبب»).
[4] سورة البقرة، ٢/١-٢.
[5] جميع النسخ: بالتغاير.
[6] ك ع – كل.
[7] جميع النسخ: حي.
[8] جميع النسخ: التغاير.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾ (سورة يس، ٣٦/٣٣).
[10] جميع النسخ: يشرف.
[11] ع م – سمي.
[12] م: لداون. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٢٢). وانظر أيضا: سورة الأنعام، ٦/١٢٢).
[13] ع – الله.
[14] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٤).
[15] ن – معظمون.
[16] ك ع م – القيوم.
[17] انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٥٩. قال ابن الأعرابي: القَيُّوم والقَيَّام والمُدبِّر واحد. وقال الزجاج: القيُّوم والقيّام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكِنتهم (*لسان العرب*، «قوم»).
[18] ك ن م: كله.

يقال: فلان قائم على أمر فلان، أي يحفظه حتى لا يغيب عنه من أمره شيء.[١] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن اسم الله الأعظم هو[٢] الحي القيوم.[٣]

**﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٣] ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[٤]**

وقوله: **نزل عليك الكتاب**، ظاهر. **بالحق**، قيل فيه بوجوه. يحتمل **بالحق**، أي دعاء[٤] الخلق إلى الحق. ويحتمل **بالحق**، أي[٥] هو الحق نفسه، حجة[٦] مجعولة وآية معجزة، أيس العرب عن أن يعارضوه ويأتوا[٧] بمثله، وتحقق[٨] عند كلٍّ أنه[٩] آية[١٠] من عند الله إلا من أعرض عنه وكابر وعاند. وقيل: **بالحق**، أي بالصدق والعدل. وقيل: **بالحق** الذي لله عليهم، وما يكون لبعضهم على بعض.[١١]

ثم قال: **مصدقا لما بين يديه**، أي موافقًا لما قبله من الكتب السماوية، وهي غير مختلفة ولا متفاوتة. وفيه دلالة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنه موافق[١٢] لتلك الكتب غير مخالف لها، ولو كان على خلاف ذلك لتكلفوا إظهار موضع الخلاف، فإذ لم يفعلوا ذلك دل أنهم عرفوا أنه من الله، وأن محمدًا رسوله،[١٣] لكنهم كابروا وعاندوا.

---

[١] ع م - شيء.
[٢] ع - هو.
[٣] ذكره القرطبي من غير نسبة، وفي ابن ماجة: عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾، وفاتحة سورة آل عمران». انظر: *سنن ابن ماجة*، دعاء ٩؛ و*تفسير القرطبي*، ٣/٢٧١.
[٤] ن ع م: دعا.
[٥] ع - أي دعاء الخلق إلى الحق ويحتمل بالحق أي.
[٦] ع - حجة.
[٧] ك ع م: أو يأتوا.
[٨] ن ع م: ويحقق.
[٩] ع م - أنه.
[١٠] ك ن - آية.
[١١] ك - على بعض.
[١٢] ن ع: موافقا.
[١٣] ن: رسول الله.

وقوله: **وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدي للناس وأنزل الفرقان**، من بعد. وقال بعضهم: **هدي للناس**، أي بيانًا لهم وحجةً لمن اهتدي، وإلزاما[1] وحجة على من عَمِي [وضل]؛ إذ لا يحتمل أن يكون له هدى وعليه حجة فيه الهلاك، إنما يكون حجة له وهدى إذا اهتدى، وعليه إذا ترك[2] الاهتداء. فبان أنه بخلاف ما يقوله المعتزلة.[3]

وقوله: **وأنزل الفرقان**. قد ذكرنا فيما تقدم[4] أنه إنما سمي فرقانًا لوجهين. أحدهما لما فُرّق آياته، وفرق إنزاله. والثاني لما يفرّق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام،[5] وبين ما يُتّقى ويؤتّى. فعلى هذا كل كتاب بُيّن[6] فيه الحلال والحرام،[7] وبيّن ما يتقى ويؤتى. والإنجيل قد سمي[8] إنجيلا لما يجلّي، وهو الإظهار[9] في اللغة.[10] وقيل: سمي التوراة توراة من أوريت الزَّند،[11] وهو كذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الذين كفروا بآيات الله**، قيل: بحجج الله. وقيل: **كفروا بآيات الله**، أي بالله، لأنهم إذا كفروا بآياته[12] كفروا به، وكذلك الكفرُ[13] بدينه كفرٌ به، والبراءةُ من دينه براءةٌ منه، والبراءةُ من رسوله براءةٌ منه.

وقوله: **والله عزيز ذو انتقام**، قيل فيه بوجوه.[14] قيل: **ذو انتقام** لأوليائه من أعدائه. وقيل: **ذو انتقام**، ذو انتصار على الأعداء. وقيل: ذو بطش شديد.

---

[1] ك ع ن – وإلزاما.

[2] ع م: نزل.

[3] «وعلى ما يفسر المعتزلة الهداية [بالبيان] يكون هدى في حق الكل، وهو محال» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٢و).

[4] انظر: سورة البقرة، ١٨٥/٢.

[5] ك م: الحرام والحلال؛ ع:الحرام والباطل.

[6] ك ن ع: مبينا؛ م: ومتينا.

[7] ن: الحرام والحلال؛ م – والحرام.

[8] ك ن ع: فيه إنجيلا.

[9] ن ع م: من الإظهار.

[10] يقول ابن منظور: «الإنجيل: مثل الإكليل والإخريط. وقيل: اشتقاقه من النَّجْل الذي هو الأصل والطبع... وهو اسم عبراني أو سرياني، وقيل: هو عربي» (*لسان العرب*، «نجل»). يبدو أنه في رأي اشتقاق الإنجيل للماتريدي وابن منظور خطأ. وفي *المنجد*: «الإنجيل كلمة يونانية معناها: البُشرى، لأن الإنجيل يتضمن بشرى الخلاص» (*المنجد*، «الإنجيل»). وعبارة *المعجم الوسيط* قريبة من هذا، «الإنجيل».

[11] «وسمي التوراة توراة من وَرِي الزندُ، أي تَوَرّ» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٢و). وَرِي الزند: خرجت ناره؛ الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به النار (*لسان العرب*، «زند»).

[12] م: بآيات.

[13] م – الكفر.

[14] جميع النسخ: بوجهين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[٥]

قوله: **إن الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء**، هو وعيد، / كأنه -والله أعلم- [٧٤و] قال: لا يخفى عليه ما في السماوات وما في الأرض[١] من الأمور المستورة الخفية على الخلق،[٢] فكيف يخفى عليه أعمالكم وأفعالكم التي هي[٣] ظاهرة عندكم؟ ويحتمل إذ[٤] لم يَخْفَ عليه ما بطن وخفي في الأصلاب والضمائر والأرحام، فكيف يخفى عليه أقوالكم وأفعالكم وهي ظاهرة. ألا ترى[٥] أنه قال: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ،[٦] إذ علم [ما] في الأرحام، وصوّرها على ما شاء وكيف شاء، وهم في ظلمات ثلاث.[٧]

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦]

وقوله تعالى: **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**، فيه دليل نقض قول من يقول بالقائف؛[٨] لأنه جعل علم التصوير[٩] في الأرحام لنفسه، [و] لم يجعل[ه] لغيره. [ف]كيف عرف القائف تصوير الأول حتى قال: إنه على صورته وعلى[١٠] تصويره، وإنه من مائه.[١١] ثم اختلف في خلق الأشياء. قال بعضهم: يخلق الفروع من الأصول وهي[١٢] أسباب للفروع. وقال آخرون: يكون بأسباب وبغير أسباب. فإن كان بعض الأشياء يكون بأسباب، من نحو [خلق] الإنسان من النطفة، إلا أن[١٣] النطفة تتلف، فتكون علقة، ثم مضغة؛ فدل أنه يخلق الخلق كيف شاء؛ من شئ ولا من شئ، بسبب وبغير[١٤] سبب، وهو القادر على ذلك. ***وبالله التوفيق***.

---

[١] ك: والأرض.
[٢] ع م - على الخلق.
[٣] م - هي.
[٤] م: إن.
[٥] ك: ألا يرى.
[٦] الآية التالية.
[٧] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[٨] القائف الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه (*لسان العرب*، «قوف»).
[٩] ك م: علم التصور؛ ن: على التصوير.
[١٠] م - صورته وعلى.
[١١] م: مائية.
[١٢] ن ع م: وهن.
[١٣] ع - أن.
[١٤] م: وبغيره.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٧]

وقوله: **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات،** أختلف فيه. قيل: المحكمات هن الناسخات المعمولات بهن، والمتشابهات هن[١] المنسوخات غير المعمول[٢] بهن، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٣] وقال آخرون: المحكمات هن ثلاث آيات في آخر[٤] سورة الأنعام، قوله: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ، إلى قوله: تَتَّقُونَ،[٥] وما ذكر في سورة بني إسرائيل من قوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[٦] إلى آخر هذه الآيات. سميت محكمة لأن فيها توحيدًا وإيمانا بالله. وغيره من المتشابه. ثم قيل بعد هذا بوجوه. قيل: المحكمات هي التي يعرفها كل[٧] أحد، إذا نظر فيها وتأمل فيها. والمتشابه هو المبهم الذي يعرف عند البحث فيه والطلب. وقيل: المحكمات ما يوقف [عليه] ويفهم مراده. والمتشابه[٨] هو الذي لا يوقف [عليه] ألبتة بعد ما قضى حوائج الخلق من البيان في المحكم منه [من نحو الحروف المقطعة وغيرها مما لا يفهم مرادها]،[٩] ولكن يلزم الإيمان به، وهو من الله محنة على عباده؛ ولله أن يمتحن خلقه بما شاء من أنواع المحن،[١٠] لأنها دار محنة.[١١]

---

[١] ع م: من.
[٢] ك ن ع: معمول.
[٣] انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/١٤٤.
[٤] ع م - آخر.
[٥] ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥١-١٥٣).
[٦] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٣).
[٧] ن ع م - كل.
[٨] م: والتشابه.
[٩] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ١٠٢ظ.
[١٠] «إذ جعل العلوم قسمين. قسم منها ابتلانا بتحصيله وتعلمه؛ وقسم منها عجزنا من تعلمه وطلبه. وأمرنا بالإمساك عنه كما جعل الأفعال قسمين، ابتلانا في قسم منها بالتحصيل، وفي قسم بالترك. والدار دار ابتلاء ومحنة، ولله أن يمتحن عباده بما شاء من أنواع المحن» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٢ظ).
[١١] جميع النسخ + وغيرها مالا يفهم مرادها؛ ن: مراده.

ويحتمل أن يكون المحكمات هن ما ظهر لكل[١] أحد من أهل الإسلام، حتى لم يختلفوا فيها. والمتشابه هو الذي اشتبه على الناس لاختلاف الألسن، فاختلفوا فيها، أو لما[٢] يؤدي ظاهره إلى غير ما يؤدي [إليه] باطنه. فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به، وتعلق آخرون بالباطن، لما رأوا ظاهره جورًا وظلمًا، أو تشبيهًا،[٣] على اتفاقهم على نفي الجور والظلم [والتشبيه] عنه.[٤] ويجوز أن يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم. وقال آخرون: المحكم هو الواضح المبين. فلو كان على ما قالوا لم يكن [مجال] لاختلاف الناس فيه وادعاءِ كلٍ أن الذي هو عليه هو المحكم، لأنه لو كان ظاهرًا مبينًا لتمسكوا به و لم يقع بينهم اختلاف.

وفيه دليل ونقض على المعتزلة، لأنهم يقولون بالأصلح في الدين، أنه لا يفعل إلا ذلك. ثم لم يبين[٥] لهم المحكم من غير المحكم ولو بين كان أصلح لهم في الدين. فدل أن الله عز وجل قد يجوز أن يفعل بهم ما ليس بأصلح لهم في الدين امتحانًا وابتلاء منه[٦] -والله أعلم- لكن لا يخرج من الحكمة.[٧] ثم ما قالوه في الأمر حق: أن[٨] لا يأمر إلا بالطاعة له،[٩] لما[١٠] فيه الأصلح؛ وقد يفعل بهم[١١] ما هو حكمة في حق المحنة وإن كان غير ذلك أصلح لهم:[١٢] أن يفعل بهم ما ليس بأصلح لهم[١٣] في الدين،[١٤] بمعنى أقرب وأدعى إليه. **والله الموفق**.

---

١ ع: كل.
٢ ع م: ولما.
٣ ح: وتشبيها.
٤ «من نحو الاختلاف بين أهل الحق والمجسمة في قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ونحوه، فتعلقت المجسمة بظاهره، وعدل أهل الحق عن الظاهر إلى الباطن؛ لأن في التمسك بالظاهر تشبيها لله بالخلق، تعالى الله عن ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٢ظ).
٥ ن ع م: لم يتبين.
٦ ك ن + لهم.
٧ يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وإن كانت قد تقصر عقولنا عن دركها؛ فإن الأمر والنهي من الله تعالى لا يكون إلا بما يكون الطاعة فيه أصلح للعباد من المخالفة والمعصية؛ ولذلك جميع ما شرع من الأحكام، فإنها لمصالحهم ولا يكون مصلحة لهم في خلاف ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٢ظ).
٨ ك: حق أنه؛ ع: حق لك؛ م: حق لأن.
٩ ن - له.
١٠ ك ن - لما.
١١ ك ن - بهم.
١٢ م - بالطاعة له لما فيه الأصلح وقد يفعل بهم ما هو حكمة في حق المحنة وإن كان غير ذلك أصلح لهم.
١٣ ك ن - أن يفعل بهم ما ليس بأصلح لهم.
١٤ ع + امتحانا وابتلاء منه لكن لا يخرج من الحكمة ثم ما قالوه في الأمر حق أن لا يأمر بالطاعة له فيه الأصحح وقد يفعل ما هو حكمة في حق المحنة وإن كان غير ذلك أصلح لهم في الدين.

وقال قوم: المحكم ما في العقل بيانه، والمتشابه ما لا يدرك في العقل[١] وإنما يعرف بمعونة السمع. وقال قوم: لا متشابه فيما فيه أحكام من أمر ونهي وحلال وحرام، وإنما ذلك فيما ليس بالناس حاجة إلى العلم به نحو الإنباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك،[٢] وعن الإحاطة بحقيقة الموعود، ونحو ذلك، *ولا قوة إلا بالله*. لكن أمكن أن يكون سمي متشابها[٣] بما تشابه على أولئك القوم حقيقة ما راموا من الوجه الذي طلبوا.[٤] وقد بينا[٥] الحق في أمر المتشابه وما يجب في ذلك من القول. *وبالله العصمة والنجاة*.

وقوله: **هن أم الكتاب**، يحتمل وجهين. يحتمل **أم الكتاب**، أي أصل الكتاب، ويحتمل **أم الكتاب**، أي المتقدم على غيرها. وعلى هذا يخرج أم القرى -أعني مكة- لأنها هي المتقدمة على غيرها من القرى. ويحتمل هي[٦] أصل القرى، كما سمي فاتحة الكتاب أم القرآن، لأنها أصل، أو لأنها[٧] هي المتقدمة على غيرها[٨] من السور. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **هن أم الكتاب**، أي مقصود الكتاب، يعني المحكمات. والمتشابه[٩] ما[١٠] فيه شبه[١١] من غيره فيتشابه[١٢] فهو متشابه، كقولهم: إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا،[١٣] وكذلك المشكل سمي مشكلاً لما يدخل فيه شكل من غيره، فسمي مشكلاً، فكذلك المتشابه يدخل فيه شبه غيره فصار متشابهًا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأما الذين في قلوبهم زيغ**، قيل: ميل عن الحق. وقيل: الزيغ هو الريب والشك.

---

١ ن + بيانه والمتشابه ما لا يدرك في العقل.
٢ ن: مملوك.
٣ ك ن ع: متشابه؛ م: تشابه.
٤ ن + وقد طلبوا.
٥ أي هنا.
٦ م - هي.
٧ م: ولأنها.
٨ ن - من القرى ويحتمل هي أصل القرى كما سمي فاتحة الكتاب أم القرآن لأنها أصل أو أنها هي المتقدمة على غيرها.
٩ ك: والمتشابهات.
١٠ ك ن ع: ومما.
١١ ك: شبهة.
١٢ ع م - فيتشابه.
١٣ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٠).

**فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة،** فلو[١] كان ثَمَّ اتباع لَعُذِروا، إذ الاتباع للشيء اتباع ما فيه من المراد. وعلى هذا يقولون في قوله: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ،[٢] أي يتبعونه حق اتباعه، وكذلك قوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[٣] والمتشابه قد أنزل إلينا من ربنا، فيحمد متبعه في الحقيقة. فثبت أن لم يكن ثَمّ اتباع في الحقيقة، وأنه لو كان لَعُذروا. ولكنه كان -والله أعلم- اتباع الآراء في التأويل بالآراء / الفاسدة. ألا ترى أنهم طَلبوا بالتأويل منتهى مُلك هذه الأمة، [٧٤ظ] وفي الوقوف عليه وقوف على علم الساعة وسبب القيامة،[٤] وذلك علم لم يُطْلع الله الرسل على ذلك، فضلاً أن يطلع عليه غيرهم. {قال الشيخ رحمه الله:} ويحتمل[٥] أن يكون اتباعُهم نظرَهم فيما تقصر[٦] أفهامهم عن الإدراك في الوقوف عليه. ولو كان نظرهم في المحكم من ذلك لكان لهم في ذلك بلاغ وكفاية فيما إليهم به حاجة. ***ولا قوة إلا بالله.***

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **فأما الذين في قلوبهم زيغ،** أي ميل عن الحق، وذلك همتهم،[٧] أو كان ذلك اعتقادهم. فإن كان المراد من ذلك في الكفرة فهو الأول، وإن كان في أصحاب الهوى[٨] من الذين يدينون دين الإسلام فهو[٩] الثاني. وكذلك تجد كل ذي مذهب في الدين، ممن اعتقد حقيقة الأمر في قوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] وقوله: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ،[١١] الآية، وقوله: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١٢] الآية. [فمن] تعلق[١٣] بظاهر الآية يدعي أنها محكمة بما عنده أنه الحق، بعد أن أجهد نفسه في طلب الحق ويسوّي غير ذلك[١٤] عليه. فإن كان على ذلك فحقه التسليم

---

[١] ع م: ولو.
[٢] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢١).
[٣] سورة الأعراف، ٧/٣.
[٤] ع: القيمة.
[٥] ك + ويحتمل.
[٦] جميع النسخ: يقصر.
[٧] أي همتهم وقصدهم.
[٨] ع: اهواء.
[٩] ع: فهي.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/٣.
[١١] سورة الإسراء، ١٧/٩.
[١٢] سورة النمل، ٢٧/٧٦.
[١٣] جميع النسخ: يتعلق.
[١٤] وفي شرح السمرقندي بدل «ويسوي غير ذلك عليه»، «ويبني المتشابه عليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٣و).

لما عليه توارث[1] الأمة ظاهرًا، على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن تفرق الأمة، ثم أشار [إلى] التمسك بما[2] عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم.[3] فعلى ذلك[4] أمر المتوارث، فيجب جعله محكمًا وبيانًا اختلف عليه. *ولا قوة إلا بالله*. ويكون المبتدع في ابتغاء تأويله يريد التلبيس على من لزم تلك الجملة. وكذلك لأهل [الحق] جملٌ في الدين، من فزع إليها[5] لدى[6] التنازع، وترك الاشتغال بتأويل ما اعترضه لكان متبعَ المحكم عند الأمة، معطيًا المتشابه حقَّه. *ولا قوة إلا بالله*. وإن كان هو الأول فقد ذكر أن ذلك في استخراج منتهى مُلْك هذه الأمة، وأن نهايته الساعة. والعلم به لم يُطلع عليه الرسل فضلاً عمن دونهم.[7] أو كان[8] ذلك في أشياء[9] تقصر عقول الضعفاء[10] عن الإحاطة بها،[11] يريدون بذلك التلبيس على العوام وأهل الغباوة. فأخبر عز وجل بما ذكر أنه لا يعلمه إلا الله، كان ذلك فيما يعلمه غيره أولا. فإن كان اطلعه فبالله علم، لا أن في العقول بلوغَ ذلك. ومعنى الاتباع ما قد بين.[12]

وقوله: **فيتبعون ما تشابه منه [ابتغاء الفتنة]**، أي[13] من القرآن، بقول ما اشتبه [في] حسابهم، **ابتغاء الفتنة**. وقيل: **الفتنة** الكفر. ويحتمل **الفتنة** المحنة، أي يمتحنون أهل الإسلام.

---

[1] ن: إرث.

[2] جميع النسخ: إلى ما.

[3] يشير بذلك إلى ما روي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى -أو اثنتين- وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى -أو اثنتين- وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»؛ وإلى ما روي عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: «ألا إن مَنْ قبلكم من أهل الكتاب افترقوا ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/ ٣٣٢، ٣/١٢٠، ١٤٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ١٧؛ وسنن *أبي داود*، السنة ١؛ وسنن *الترمذي*، الإيمان ١٨، ٢٠.

[4] ن + فعلى ذلك.

[5] ك ن: إليه؛ ع م: عليه.

[6] ن ع م: كذا.

[7] ك ن ع: من دونهم.

[8] ك: وكان.

[9] ع: في الأشياء.

[10] ك: الضعفة.

[11] جميع النسخ: بذلك.

[12] ع: يبين.

[13] ن - أي.

وقوله: **وابتغاء تأويله**، يقول: وابتغاء تأويل[١] منتهى ما كتب الله عز وجل لهذه[٢] الأمة من المدة لهم والوقت. وأصل التأويل هو المنتهى.قال الله تعالى:**وما يعلم تأويله إلا الله**، أي ما يعلم منتهى ملك[٣] الأمة إلا الله.

ثم المتشابه إن كان مما يوقف فيه فهو، وإن كان مما يعرفه أهل المعرفة ويعلمه بالواضح فهو هو. وأصل هذا أن كل ذي مذهب في الإسلام يدّعي على خصمه -بما ذهب إليه من الحجاج بالآيات- الوقوعَ في المتشابه، ولنفسه الوقوعَ في الواضح، وعنده أن ما ذهب إليه هو الحق. فلا فرق بين أن يدعى عليه ذهابه إلى غير الحق، أو تعديه إلى المتشابه وترك الواضح. فسبيل مثله الفحص والبحث عما ذهب إليه: إن جاء بشيء يضطر العقلَ إلى قبوله سُلِّم له ما جاء به، وإلا فخصمه منه في دعوى مثله بالوقوع له في المتشابه بمحل دعواه.

وقوله: **وما يعلم تأويله إلا الله [والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا]**. قال قوم: موضع الوقف على قوله: **والراسخون في العلم**، ثم ابتدأ فقال: **يقولون آمنا به كل من عند ربنا**. **يقولون**، بمعنى قالوا: **آمنا به**، بما عرفنا. وذلك جائز في اللغة، يقول بمعنى قال. وقال آخرون موضع الوقف على قوله: **إلا الله**، ثم استأنف الكلام فقال: **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**، المحكم[٤] والمتشابه وغيره. قيل: **الراسخون** هم المتدارسون. وقيل: المتثابتون، رسخ بمعنى ثبت. وقيل: **الراسخون** الناتخون،[٥] يقال نتخ[٦] في العلم ورسخ[٧] فيه.

فإن قيل: ما الحكمة في إنزال المتشابه؟ قيل: إذا كان مما يعلم فهو يحتمل وجهين. يحتمل ليعلم فضل العالم على غير العالم. ويحتمل أنْ جعل عليهم طلبَ المراد منه،[٨] والفحص عما[٩] أودع فيه. وإن كان مما لا يعلم، [ف]يحتمل المحنة. امتحنهم في ذلك بالوقف فيه، إذ الدار دار محنة، ولله أن يمتحن عباده بجميع أنواع المحن.

---

[١] ك م: تأويه.
[٢] ن ع م: بهذه.
[٣] م: تلك.
[٤] ع: والمحكم.
[٥] ن ع م: الناتجون.
[٦] ن ع م: رسخ. النَّتخ: النزع، والقلع. والنتخ: إزالة الشيء عن موضعه. وقيل: النتخ: الاستخراج عامة. قال ابن الأثير: ويروى تقديم النون على التاء، أي رسخوا (*لسان العرب*، «نتخ»).
[٧] ن ع م: نتح.
[٨] جميع النسخ: فيه.
[٩] ع: مما.

وقوله: **وما يذكر إلا أولو الألباب**. أي ما يتعظ إلا أولو الحِجَى[1] والعقل.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٨]

وقوله: **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**. فيه وجهان على المعتزلة. أحدهما أنه أضاف الزيغ إلى نفسه، وهو حرف مذموم عند الخلق، إذا قيل: فلان أزاغ فلانًا عن الحق؛ فإذا أضاف الله عز وجل إلى نفسه حرف الزيغ دل أن فيه معنى سوى ظاهره، حتى جاز إضافته إليه، وهو أنْ خلق منهم فعل الزيغ. وكذلك هذا في الضلال. وأضاف أيضًا الهداية إلى نفسه بقوله: **بعد إذ هديتنا**. فلو كان الهدى البيان على ما يقوله المعتزلة، لجاز أن يضاف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ هو يملك البيان، لأنه بُعث مبينًا معلمًا، فإذ لم يجز ذلك دل أن فيه معنى سوى البيان، وهو[2] التوفيق والعصمة، حتى جاز إضافته إليه، ولا يجوز إلى غيره. *والله الموفق*.

[٧٥و] والثاني أنهم سألوا العصمة عن الزيغ والضلال، فلو كان عليه / أن يفعل وأن يبذل لهم العصمة لم يكن للسؤال[3] عن ذلك معنى. دل أنه [تعالى] مُفْضِلٌ[4] فيه ببذل[5] ذلك لهم. *والله أعلم*.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله **ربنا لا تزغ قلوبنا**، الآية: فيه وجهان. أحدهما أنه لو لم يكن له[6] إلا الأصلح في الدين فتركه جَوْر، فالقول: **ربنا لا تزغ قلوبنا**، لا يخلو من أن تكون الإزاغة أصلح له فهو[7] يدعو بأنه[8] يجور،[9] أو لا يكون أصلح فهو يدعو بأنه لا يجور.[10] ومحال الدعاء به[11] على خوف الجور، ومن خاف جور الخالق فهو غير عارف به.

---

[1] ك م: الحجح.
[2] م – البيان وهو.
[3] ع: سؤال.
[4] أفضل الرجل على فلان، وتفضل، بمعنىً، إذا أناله من فضله، وأحسن إليه (*لسان العرب*، «فضل»).
[5] ك: يبذل؛ م: فيبذل.
[6] ع م – له.
[7] جميع النسخ: وهو.
[8] م: بأن.
[9] ن ع م: يجوز.
[10] جميع النسخ: لا يجوز.
[11] م – به.

والثاني أن الداعي فيما جُبِل عليه الخلق يدعو على أمنٍ أنه لو أجابه لكان لا يَزيغ قلبه، وكذلك سؤال العصمة والهداية؛ ولهذا يؤمر به أيضًا. ولو كان يكون معه زيغ لكان لا فضل في الأمر بين الدعاء بالإزاغة وأن لا تُزِغْ، إذ الخوف مع الأمرين قائم. *والله الموفق*.

وفي ذلك أيضًا وجهان آخران. أحدهما[1] أن الإزاغة إذا أضيفت إلى أحد خرجت مخرج الشتم له والتعيير. ثبت أن فيما أضيفت إلى الله تبارك وتعالى معنىً ليس فيما أضيفت إلى[2] غيره. وهو -والله أعلم- أن الإزاغة من كل أحد فعل هو زيغ بنفسه، فيه ذم، ومن الله ليست. فيكون فيه أنّ خلق فعل الزيغ ليس بزيغ وإن كان فعله زيغًا.[3] *والله أعلم*. وفيه أنّ خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء وأنه يكون من الله ما يوصف بالإزاغة، ويصير لديه الآخر زائغًا، ولا شيء يوجد من الله تعالى[4] سوى خلق فعل الإزاغة من العبد. *والله الموفق*.

والثاني قوله: **بعد إذ هديتنا**، ولو لم يكن من الله في الهداية سوى البيان لكان يصح ذلك لكل كافر. وتجوز الإضافة إلى الرسل، فإذ[5] لم يصح ذلك ولم يجز ثبت أن ثَمّ[6] فضل، وهو خلق فعل الهداية و التوفيق[7] الذي معه الاهتداء لا محالة. *وبالله التوفيق والمعونة*.

وقوله: **وهب لنا من لدنك رحمة**، الرحمة[8] تحتمل[9] وجوها.[10] تحتمل[11] الهدى والإسلام، إذ به يستفاد.[12] وتحتمل[13] الجنة. وتحتمل[14] أنهم سألوه كل رحمة. قال أبو بكر الأصم: الرحمة السعة في الدنيا، والثواب في الآخرة.

---

[1] م: إحديهما.
[2] ك + أحد حز.
[3] جميع النسخ: زيغ.
[4] جميع النسخ: يكون كذلك، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٣و.
[5] ن: فإذا.
[6] ن: ثمه.
[7] ك ن ع: أو التوفيق.
[8] ك ع: والرحمة؛ ن م - الرحمة.
[9] ن ع م: يحتمل.
[10] جميع النسخ: وجوه.
[11] ع م: يحتمل.
[12] ك: تستفاد. «إذ به يستفاد آثار الرحمة من المغفرة والعفو والنجاة من العذاب، والوصول إلى النعيم الدائم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٣ظ).
[13] ن ع م: يحتمل.
[14] ك ن ع: ويحتمل؛ م - وتحتمل.

*ويحتمل: **هب لنا**، ما يستوجب به الرحمة، وهو عمل الخير، كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.[1]*

وقوله: **إنك أنت الوهاب.** فهو على قول المعتزلة ليس بوهاب، لأن الوهاب هو المُفْضِل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه [فعله]. وهو على[3] قولهم عليه أن يعطى الخلق كل ما هو أصلح لهم في الدين. فالآية تكذبهم وترد عليهم قولَهم الوَحْش في الله. تعالى[4] الله[5] عن ذلك علوًّا كبيرًا.[6]

**﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٩]**

وقوله: **ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه**، فيه إقرار بالإيمان والبعث بعد الموت.

وقوله: **إن الله لا يخلف الميعاد**، في هذا خاصة أن يكون[7] يراد به القيامة والبعث. ويحتمل **لا يخلف الميعاد**، في كل شئ مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والحزن والأسف. يقولون:[8] إنه كان بوعده ووعيده، وإنه كان مكتوبًا عليهم ولهم، وإنه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبًا عليهم، ليصبروا على الشدائد والمصائب، فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا، وليشكروا على الآلاء والنعماء، ولا يفرحوا بها.[9] وهو كقوله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ.[10]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[١٠]**

وقوله: **إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**، وذلك أنهم كانوا يستنصرون بأولادهم وأموالهم في الدنيا، ويستعينون بهما على غيرهم.

---

[1] سورة الأعراف، ٧/٥٦.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٥و/سطر١٨.
[3] ك: وعلى.
[4] ك ن م: يتعالى.
[5] ك ن ع - الله.
[6] ك ن - علوا كبيرا.
[7] ع م: أن يراد.
[8] أي والراسخون في العلم يقولون.
[9] جميع النسخ: عليها.
[10] سورة الحديد، ٥٧/٢٣.

فظنوا أنهم يستنصرون بهم في الآخرة [أيضا]، ويدفعون بهم عن أنفسهم العذاب؛ وهو كقولهم: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[١] فأخبرهم الله عز وجل أن أموالكم وأولادكم لا تغني عنكم من عذاب الله شيئًا.

وقوله: **وأولئك هم وقود النار**، أي حطب النار. فهو -والله أعلم- أن الإنسان إذا وقع في النار في هذه الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد، فقال الله عز وجل: إنهم يحترقون في النار في الآخرة احتراقَ الحطب، لا احتراق[٢] الإنسان في الدنيا، لأنها أشد بطشًا، وأسرع أخذًا، وأطول احتراقًا. وعلى[٣] هذا يخرج قوله: وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ،[٤] ليس كعذاب الدنيا أنه على الانقضاء والنفاد، ولكن على الدوام فيها والخلود أبدَ الآبدين. فنعوذ بالله منها.

**﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[١١]

وقوله: **كدأب آل فرعون**، قيل: كأشباه آل فرعون. وقيل: كعمل آل فرعون وكصنيعهم، وكله واحد. ثم يحتمل بعد هذا وجهين. يحتمل: صنيع هؤلاء وعملهم[٥] كصنيع آل فرعون -ومن كان قبلهم-[٦] بموسى في التكذيب والتعنت. ويحتمل: صنيع[٧] هؤلاء بما يلحقهم من العذاب بالتكذيب والتعنت [كصنيع أولئك]. فألحق أولئك من العذاب بتكذيب الرسل وتعنتهم عليهم. **والله شديد العقاب**. قد ذكرناه.[٨]

**﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[١٢]

وقوله: **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**، هذا[٩] -والله أعلم- في قوم قد علم الله[١٠] عز وجل أنهم لا يؤمنون أبدًا، لذلك قال[١١] تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

---

١ سورة سبأ، ٣٤/٣٥.
٢ ع: لاحتراق.
٣ م: على.
٤ جزء من الآية التالية.
٥ جميع النسخ + بل.
٦ أي كصنيع من كان قبل آل فرعون من الكافرين برسلهم.
٧ جميع النسخ: بصنيع؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٣ظ.
٨ انظر: سورة البقرة، ٢/٢١١.
٩ ع: وهذا.
١٠ ن ع م - الله.
١١ ع + الله.

أن قل لهم: **ستغلبون وتحشرون إلى جهنم**، الآية. وإلا فلا يلحقه[م] ذلك الوعيد [على الإطلاق] -والله أعلم- لأن[1] من الكفار من يسلم ومن لا يسلم.

**﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[١٣]

وقوله: **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة [تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة]**.

فإن قال قائل: ما [هي الآية] في فئة قليلة وهي فئة أهل الإسلام[2] في غلبة[3] فئة كثيرة وهي فئة المشركين حيث غلبت فئةُ المسلمين وهم قليل فئةَ المشركين وهم كثير يوم بدر؟ وقد يكون لأهل الكفر -إذا كانوا قليلاً[4] فغلبوا على أهل الإسلام- آية.

قيل: ليست الآية في الغلبة خاصة، لكن الآية فيها -والله أعلم- في غيره[5] من وجوه.

[٧٥ظ] أحدها أن غلبة المسلمين -مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم / وخروجهم لا على وجه الحرب والقتال- المشركينَ مع قوة أبدانهم وكثرة عددهم واستعدادهم[6] للحرب وخروجهم على [وجه] الحرب[7] والقتال آيةٌ. و[قد] علم العدو[8] أن ليس لهم[9] فئة، ولا لهم رجاء المدد، وأن لا غِياث لهم من البشر، وذلك آية الجرأة[10] وعلامة[11] الشجاعة، ومعه أمن.[12] *والله أعلم*.

والثاني ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من تراب فرماه على وجوههم، وقال:[13] «شاهت الوجوه»[14]، فامتلأت أعينهم من ذلك، وعَمُوا حتى انهزموا، فصار آية.

---

[1] ع: أن.
[2] ع - فئة أهل الإسلام.
[3] ع م - في غلبة.
[4] ك ن ع: قليل.
[5] ع - في غيره.
[6] ع م: فاستعدادهم.
[7] ك ن: ذلك؛ ع - الحرب.
[8] ك: العدة.
[9] أي للمسلمين.
[10] ع: الجرآة.
[11] ن + الجرأة و.
[12] أي ومع ذلك فيهم أمن، أو مع النبي أمن.
[13] ع: وقالت.
[14] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/ ٣٠٨، ٣٦٨؛ ٥/٢٨٦، ٣١٠؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد، ٨١. شاهَت الوجوهُ تَشُوهُ شَوْهًا: قَبُحت. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنه رَمى المشركينَ يومَ حُنَيْنٍ بكفٍ مِن حَصًى وقال: شاهَت الوجوه، فهَزَمَهم الله تعالى (*لسان العرب*، «شوه»).

والثالث ما قيل: إن أبا جهل قام فدعا، فقال: [اللهم] أينا أحق دينًا وأوصلُ رَحِمًا فانصره، واجعل الغلبة [له] والهزيمة على الآخر.[1] فاستجيب فكانت الغلبة والهزيمة عليهم، فكان آية.

والرابع ما أعان الملائكةُ المسلمين، وبعثهم الله عز وجل مددا لنصرة المؤمنين على الكافرين يوم بدر، فذلك آية.

ووجه آخر ما ذكرنا،[2] أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا خرجوا شِبه العير بغير سلاح، غير مستعدين للقتال، على علم منهم بذلك، وأولئك خرجوا مستعدين لذلك، فكان[3] ما ذكر. **والله أعلم.**

{قال الشيخ رحمه الله:} في ذكر القليل في الأعين من الجانبين آية عظيمة؛ إذ هي حسية، والحواس تؤدى عن المحسوسات حقائقَها، فجعلها الله بحيث لا تؤدى،[4] لما قال: لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا،[5] فيحتمل أن يكون المراد مما ذكر من الآية في أمر الفئتين هذا. **والله أعلم.**

وقوله: **يرونهم مثليهم رأي العين،** وفي بعض القراءات: ترونهم بالتاء.[6] يري المؤمنون أولئك مثلَي أنفسهم لا أكثر،[7] وهم[8] كانوا ثلاثة أمثالهم على ما روي في القصة.[9]

---

[1] *البداية والنهاية* لابن كثير، ٣/ ٢٨٣.

[2] ن ع + وهو.

[3] ع: وكان.

[4] ع م: لا يؤدى.

[5] ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنه عليم بذات الصدور. وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجعوا الأمور﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٣-٤٤).

[6] قال ابن الجزري: «واختلفوا في ﴿ترونهم﴾ فقرأ المدنيان، ويعقوب بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/١٧٩).

[7] ك: لا أكبر.

[8] ع م: هم.

[9] روى البخاري عن البراء، قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة. وذكر الطبري عن علي كرم الله وجهه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحبر عن بدر. فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين، منهم رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط. فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير، شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله فقال له: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير شديد بأسهم. فجهد النبي أن يخبره كم هم؟ فأبى. ثم إن رسول الله سأله: كم ينحرون من الجزر؟ فقال: عشرا كل يوم. قال رسول الله: القوم ألف» (*صحيح البخاري*، المغازي ٦؛ و*تاريخ الطبري*، ٢/٢٢).

وهذا لمّا جعل الحق عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم، مع ضعفهم لجهدهم في العبادات وبلوغهم الغاية من احتمال الشدائد والمشقات،[1] أخبر عز وجل بمعرفتهم أمر أهل الحرب وشدة رغبتهم في تعلمهم ما يحتاجون في الحرب والقتال. ولهذا قالوا: إن الله عز وجل علّم المؤمنين جميع ما يحتاجون في الحرب من الآداب[2] وغيرها في الكتاب، كقوله: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا،[3] أمرهم بالتثبت، ثم قال: فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ،[4] وقال: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا،[5] فجعل التنازع الواقع بينهم على خلاف بعضهم بعضًا سبب الهزيمة. ففيه أمر بالاجتماع، وجَعْلِ التدبير واحدًا والطاعة[6] لإمامهم.

وقوله: **إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار**، وإنما كان عبرة لما ذكرنا من خروج المؤمنين بقلة عددهم، وضعف أبدانهم بلا استعداد للحرب والقتال، إنما هو خروج[7] شبه العِير، وخروج أولئك بالعُدّة، مع قوة أبدانهم وكثرة عددهم وطمع المدد له[م]، ولم يكن للمسلمين ذلك. ففي مثل غلبة المؤمنين الكافرين والظفر بهم والنصر لهم عليهم على الوصف الذي وصفناهم عبرة وآية[8] لأولي الأبصار والعبر.

**﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[١٤]**

وقوله: **زين للناس حب الشهوات**[9] **من النساء والبنين**، وما ذكر إلى آخره. قال الحسن: والله ما زينها إلا الشيطان، إذ لا أحدَ أذمَّ لها[10] ولأهلها[11] من الله تعالى.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٦).

[2] ع م: الأدب.

[3] سورة الأنفال، ٨/٤٥.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار﴾ (سورة الأنفال، ٨/١٥).

[5] ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٦).

[6] م: إذ الطاعة.

[7] ن - خروج.

[8] ك ع: وأنه.

[9] ك + أي حب الشهوات؛ ن + أي حب الشهيات؛ ع - أي حب الشهوات؛ م: أي الشهوات.

[10] ع م: بها.

[11] ن ع م: ولأمثلها.

وإليه يذهب المعتزلة.[١] لكن الأصل [عندنا] في هذا وفي أمثاله أن الله عز وجل زيّن هذه الأشياء. والتزيين من الله سبحانه وتعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة أيضًا[٢] تقع[٣] لوجهين: تزيين[٤] في الطباع، -والطبع[٥] يرغب فيما يتلذذ ويشتهي وإن لم يكن في نفسه حسنًا-[٦] وتزيين[٧] في العقل؛ فلا يتزين في العقل إلا ما[٨] ثبت حسنه بنفسه أو الأمر [به]، أو حمدُ العاقبة، ونحو ذلك. ثم جعل العقل مانعًا له، رادًا عما يرغب إليه الطبع ويميل، لأن الطبع[٩] أبدًا يميل ويرغب[١٠] إلى ما هو ألذ، وأشهى وأخف عليه، وينفِر عما[١١] يضرّه ويؤلمه. والعقل لا ينفر إلا عما هو[١٢] القبيح في نفسه، ويرغب فيما هو الحسن في نفسه. وعلى ذلك يخرج قوله صلى الله علي وسلم: «حُفَّت[١٣] الجنة بالمكاره و[حُفت] النار بالشهوات»،[١٤] ليس على كراهة العقل ولا على شهوة العقل، ولكن[١٥] على كراهة الطبع وشهوته. وكذلك قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ،[١٦] ليس على كراهة الاختيار، ولكن كراهة الطبع؛ لأن كراهةَ العقل كراهةُ الاختيار، وكذلك رغبة العقول رغبةُ[١٧] الاختيار. وفيها تجري الكلفة

---

[١] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «قال الحسن: ما زينها إلا الشيطان إذ لا أحد أذم لها ولأهلها من الله تعالى. فقوله: ﴿زين لناس﴾ فعل ما لم يسم فاعله، فأقسم الحسن على أن فاعله هو الشيطان لا الله، إذ الله تعالى قدم ذم الدنيا وأهلها في كثير من المواضع. فأنى يستقيم إضافة التزيين إليه إذ بعيد أن يزين شيأ ثم يذمه ويستقبحه. فإلى هذا القول يذهب المعتزلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٤/و).

[٢] م: أنها.

[٣] ع: يقع.

[٤] ك ع م: تزين؛ ن - تزيين.

[٥] ع - والطبع.

[٦] جميع النسخ: حسن.

[٧] جميع النسخ: تزين.

[٨] جميع النسخ: فيما.

[٩] ع - ويميل لأن الطبع.

[١٠] ك - ويرغب.

[١١] ن: مما.

[١٢] م - هو.

[١٣] ن ع: حفت.

[١٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٦٠، ٣/١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ٢١؛ و*سنن أبي داود*، السنة ٢٢.

[١٥] ك ع م: لكن.

[١٦] سورة البقرة، ٢/٢١٦.

[١٧] ع م - العقول رغبة.

أعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع بما يميل ويرغب في الألذ، وينفر عن المضار.[1] دليله قوله:[2] فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،[3] أخبر أنهم لا يؤمنون ما وجدوا في قضائه حرجًا. فدلت الآية أن الخطاب والكُلفة إنما يكون[4] على اختيار العقل وكراهيته، لا على اختيار الطبع. لذلك قلنا: إنه يجوز التزيين[5] في الطبع من الله تعالى، وكذلك الكراهية[6] في الطبع تكون[7] من الله تعالى.

فأما قولهم: إن الشيطان هو الذي زينها. فإن عنوا أنه يزينها لهم، أي يرغّبهم[8] ويدعوهم إليها ويريهم زينتها فنعم. وإن عنوا أنه يزينها بحيث نفسها لهم فلا، لأن[9] الله تعالى وصف الشيطان بالضعف ونفى عنه هذه القدرة، بقوله: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا.[10] فلو جعلنا التزيين[11] لهم على ما قالوا لم يكن كيده على ما وصفه عز وجل بالضعف، ولكن كان قويًا. ولكنه يدعوهم إليها ويرغبهم فيها ويريهم المزيَّن لهم. ثم دعاؤه إياهم وحجته في ذلك وقوته من حيث ما لا يُطَّلع عليه بقوله: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[12] فالعدو الذي يَرَى هو من يعاديه ولا يُرى هو كان يجب أن يكون أحذر منه وأخوف ممن يُرى.

ووجه أخر، [وهو] أن الشهوات التي أضاف التزيين[13] إليها لا خلاف بينهم [وبيننا] في أنها مخلوقة لله تعالى، فما بقي للشيطان إلا الدعاء إليها، / والترغيب فيها. وفيه وجه أخر، [٧٦و] [وهو] أنه لو لم يُجعل هذا مزيّنًا[14] من الله تعالى [لـ]زال موضع الاستدلال بالشاهد[15] على الغائب،

---

[1] ع: الضار.
[2] ن ع م – قوله.
[3] سورة النساء، ٤/٦٥.
[4] ك: تكون.
[5] جميع النسخ: التزين.
[6] جميع النسخ: الكراهة.
[7] ك ن ع: مكره؛ م: تكره.
[8] م – أي يرغبهم.
[9] ن: أن.
[10] سورة النساء، ٤/٧٦.
[11] جميع النسخ: التزين.
[12] سورة الأعراف، ٧/٢٧.
[13] جميع النسخ: التزين.
[14] ك: مرئيا؛ م: مرتبا.
[15] جميع النسخ: استدلال الشاهد.

وبالدنيا[١] على الآخرة. وقد[٢] جعل ما في الدنيا[٣] نوعين: مستحسنًا ومستقبَحا، وجعل ذلك عِيارا لما أوعد ووعد. فلما لم يكونا منه [في الدنيا] لم يصح[٤] موضع الاعتبار،[٥] لأنه جل وعلا بلطفه سخر كل مرغوب في الدنيا ومدعو[٦] إليه من جوهره في الآخرة، وحسَّنه[٧] ليرغِّب الناسَ هذا إلى ما في الجنة بحسنه ولطفه وزينته،[٨] ويدعوهم إلى ترك ما في الدنيا من الفاني إلى نعيم دائم أبدًا. فلو جعل هذا من تزيين[٩] الشيطان –لعنه الله– ومَصْنوعه لهم لذهب[١٠] عظيم موضع الاستدلال الذي ذكرنا. فدل أنه مزين منه عز وجل. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ثم امتحنهم الله عز وجل بترك ما زُيِّن لهم في الطباع بما ركّب لهم من العقول الوافرة، ليختاروا ما حسن في العقول وتزين. وعلى[١١] ذلك جرت الكُلْفة والخطاب، لا بما مالت إليه الطباع ونفرت عنه العقول. *وبالله التوفيق*.

**والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة**، *ثم في الآية دلالة وجوب الحق في كل ما ذكر في الآية من المال، وكذلك الخيل. وأما في النساء والبنين فلما مَتَّعوا بهم أوجب[١٢] عليهم النفقة.* وكذلك[١٤] أوجب في النساء عليهم النفقة وكذلك البنين، وأوجب في الذهب والفضة حقا. ثم ذَكَر الخيل المسومة أن كان المراد منه جَعْلَها سائمة؛[١٥] لذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه:

---

[١] ك: بالدنيا.
[٢] م: قد.
[٣] ع – قد جعل ما في الدنيا.
[٤] م: لا يصح.
[٥] ك ع: التعيير؛ ن: التغيير؛ م: التعبير.
[٦] جميع النسخ: ومدعوا.
[٧] ن ع: وحسنة.
[٨] ع: وريشته.
[٩] ك ن ع: تزين.
[١٠] ك ن ع: يذهب.
[١١] ع م: على.
[١٢] ن: وجب.
* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ قبل ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾.
[١٤] جميع النسخ: كذلك.
[١٥] يقول السمرقندي ما يقوله الإمام: «ثم [في] الآية إيجاب الحق والصدقة في الخيل السائمة؛ لأن الله تعالى أوجب الحق في كل ما ذكر في الآية من النساء، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة. فإنه أوجب عليهم في النساء والبنين النفقة، وأوجب في الذهب والفضة حقا هو الزكاة، وكذلك أوجب في الحرث والأنعام حقا وهو العشر والصدقة. فكذا يجب أن يكون في الخيل المسومة حقا وهو الزكاة. فيكون الآية بظاهرها حجة لأبي حنيفة في إيجاب الصدقة في الخيل المسومة» (شرح *السمرقندي*، ورقة ١٠٤ ظ).

إن في الخيل صدقة.[1] ثم اختلف في **المسومة**، قال بعضهم: هي[2] المسيَّبة الراعية.[3] وقال آخرون: هي الْمُعْلِمة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: المسوَّمة الراعية.[4] وقال غيرهم: المطهَّمة[5] وهي المحسَّنة.[6]*

ثم اختلف **في القناطير المقنطرة**، مهم من قال: ألف ومائتا[8] أُوقِيَة. ومنهم من قال: اثنا[9] عشر ألفا. ومنهم من يقول: سبعون ألف دينار. ومنهم من يقول: هو بلسان الرومية ملء مَسْكِ[10] ثورٍ ذهبًا[11] أو فضة. ومنهم من يقول: كل مائةِ قنطارٍ من كل شيء. وهو اسم المال العظيم الكثير، لا ندري ما مقداره، وليس[12] لنا إلى معرفة قدره حاجة ولا فائدة، إنما الحاجة إلى معرفة الرغبة فيما كثر من المال؛ إذ ليس قدر أحقَّ بأن يحمل عليه الرغبة من الآخر.[13] ***والله أعلم***.

* ثم أخبر أن ما ذكر في الآية هو متاع الحياة[14] الدنيا. أمرهم بترك ذلك، وأخبر[15] أن لهم عنده [٧٦و س ١٣
حسنَ المآب إن هم تركوا ما امتحنوا[16] [به]. ثم قال: إن من اتقى في الدنيا له خير[17] من ذلك،

---

[1] انظر: *المبسوط* للشيباني، ٢/٦٤؛ *شرح معاني الآثار* للطحاوي، ٢/٢٩؛ و*تحفة الأحوذي* للمباركفوري، ٣/٢١٦.
[2] م: وهو.
[3] ن - الراعية.
[4] *تفسير الطبري*، ٣/٢٠٢
[5] م: المطهرة.
[6] ك: المخسنة. والسُّومَةُ والسِّيمةُ والسِّيماء والسِّيمياءُ: العلامة. وسَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيمة. وقوله عز وجل: حجارةً من طينٍ **مُسَوَّمَةً** عند ربك للمُسْرفين؛ قال الزجاج: روي عن الحسن أنها **مُعَلَّمة** ببياض وحمرة، وقال غيره: **مُسَوَّمة** بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذَّبَ اللهُ بها؛ الجوهري: **مُسَوَّمة** أي عليها أمثال الخواتيم. الجوهري: السُّومة، بالضم، العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا. قال ابن الأعرابي: إبل هَمْلى مُهْمَلة، وإبل هَوامِل **مُسَيَّبة** لا راعي لها. **المُطَهَّمُ** من الناس والخيل: الحَسَنُ التامُّ كلُّ شيء منه على حدته فهو بارِعُ الجمالِ. فرسٌ مُطَهَّم ورجل مُطَهَّم (*لسان العرب*، «سوم»، «سيب»، «طهم»).
* ورد هنا مقطع من تفسير الآية مقدما، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٦و/سطر١٣-١٥.
[8] جميع النسخ: مائتي.
[9] جميع النسخ: اثني.
[10] المَسْك: الجلد (*لسان العرب*، «مسك»).
[11] جميع النسخ: ذهب.
[12] ع م: ليس.
[13] ع م: من الأمر.
[14] ع م - الحياة.
[15] م: أخبر.
[16] جميع النسخ: مما امتحنوا.
[17] جميع النسخ: خير له.

بقوله: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ[1] إلى آخره.* ٧٦و س ١٥]

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[١٥]

[٧٦و س ٢٤] *وقوله: **للذين اتقوا**، يحتمل: **اتقوا** الشرك. ويحتمل **للذين اتقوا**، الفواحش والمعاصي كلها.*

وقوله: **خالدين فيها وأزواج مطهرة**. قيل: مطهرة[4] من الآفات كلها، من الأخلاق السيئة والأقذار والعيوب كلها. وقد ذكرنا فيما تقدم في صدر السورة؛[5] قال: وكل أهل الجنة مطهرة من جميع المعايب، لأن العيوب في الأشياء عَلَم الفناء، وهم خلقوا للبقاء؛ إلا أن الذكر جرى للنساء بما[6] ظهر في الدنيا من فضل المعايب والأذى.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١٦]

وقوله: **الذين يقولون ربنا إننا آمنا**، الآية، قد رضي عنهم[7] بهذا القول، وفيه تزكية لهم. ولو كان الإيمان جميع الطاعات لم يرض منهم التزكية بها.[8] وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن للذين[9] اتقوا عند ربهم في الجنة خيرا[10] من هذا الذي زين[11] للناس في الدنيا من النساء وما ذكر إلى آخره.[12]*

---

[1] الآية التالية.

* ورد ما بين النجمتين مقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٦و/سطر١٣-١٥.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٦و/سطر٢٤-٢٥.

[4] ع م - قيل مطهرة.

[5] انظر: سورة البقرة، ٢/٢٥.

[6] جميع النسخ: لما، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٥و.

[7] ك - عنهم؛ ع م: منهم.

[8] يقول علاء الدين السمرقندي: «الله تعالى مدحهم بهذا القول ورضي عنهم هذا القول. وفيه تزكية أنفسهم بإتيان الإيمان. والله تعالى نهى عن تزكية الأنفس -ووصفها [أي التزكية] بالطاعة لله تعالى والعبادة له- وقال: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٣٢). ولو كان الإيمان اسما لجميع الطاعات لم يرض منهم التزكية بالإيمان، كما لم يرض التزكية بسائر الطاعات. فتكون الآية حجة على من جعل الطاعات من الإيمان» (شرح *التأويلات*، نسخة حميدية، ورقة ١٠٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ١١٩ظ).

[9] ن: الذين.

[10] ن ع م: خير.

[11] ك - التزكية بها وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن للذين اتقوا عند ربهم في الجنة خيرا من هذا الذي زين.

[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى الآيتين السابقتين.

* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٦و/سطر٢٤-٢٥.

﴿اَلصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[١٧]

وقوله: **الصابرين**، قيل: **الصابرين** على طاعة الله. وقيل: **الصابرين**[١] على أداء الفرائض. وقيل: **الصابرين** على الرزايا[٢] والمصائب والشدائد. والصبر هو حبس النفس عن جميع ما تهوَى وتشتهي.

وقوله: **والصادقين**، قيل: في إيمانهم. وقيل: **الصادقين** بما وعدوا، وقيل: **الصادقين** في جميع ما يقولون ويخبرون.* **والقانتين**، قيل: القانت الخاضع، وقيل: القانت المطيع، وقيل: الخاشع، وكله يرجع إلى واحد؛ وأصله القيام، وكل من قام لآخر كان مطيعًا وخاشعًا وخاضعًا ومقرًّا. وقيل: القانت المقر. كقوله: كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ،[٣] أي مقرون.* **والمنفقين**، يحتمل الإنفاق ما لزم في أموالهم[٥] من الزكوات والصدقات. ويحتمل **المنفقين** المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة والصلة. وقال قتادة:* **الصابرين**: الذين صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه، **والصادقين**: الذين صدقت نيّاتهم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا في السر والعلانية. **والقانتين**: المطيعين،[٦] **والمنفقين**، يعني نفقة أموالهم في سبيل الله.

**والمستغفرين بالأسحار**، قيل:[٧] المصلين بالأسحار. وقيل: المصلين في أول الليل، والمستغفرين في آخره. وأصل الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب من المآثم على ندامة القلب، والعزيمةُ على ترك العَود إلى مثله أبدًا. ليس كقول[٨] الناس: أستغفر الله،[٩] على غير ندامة القلب. وأصل الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة بأسبابها، ليس أن يقول بلسانه: اغفر لي، كقول[١٠] نوح عليه السلام لقومه:[١١] إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[١٢] أمرهم بالتوحيد. ثم أخبر عز وجل أن الجنة هي للصابرين[١٣] والصادقين إلى أخر ما ذكرنا.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ك - الصابرين.

[٢] ك ن: على المراذي؛ ع: المرازي؛ م: المرادي. والرزايا جمع الرزية، وهي المصيبة العظيمة (*لسان العرب*، «رزأ»).

[٣] سورة البقرة، ٢/١١٦.

* ورد ما بين النجمتين بعد تأويل قوله تعالى: ﴿والمنفقين﴾ في جميع النسخ، فنقلناها إلى هنا، انظر: ورقة ٧٦و/سطر ٢٩.

[٥] م: من أموالهم.

[٦] جميع النسخ + والمستغفرين بالأسحار.

[٧] ن: وقيل.

[٨] ع: كقوله.

[٩] ك ن ع: نستغفر الله.

[١٠] ع: كقوله.

[١١] ع م - لقومه.

[١٢] ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ (سورة نوح، ٧١/١٠).

[١٣] ع: الصابرين.

[١٤] ع: ذكرنا.

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٨]

وقوله: **شهد الله أنه لا إله إلا هو**، قيل فيه بوجوه. قيل: **شهد الله** شهادة ذاتية، أي هو بذاته **لا إله إلا هو**، إذ في ذاته ما تليق[١] الشهادة بمثله له من الألوهية والربوبية، وليس ذلك في ذات غيره. ***وبالله العصمة***. وقيل: **شهد الله**، بما خلق من الخلائق، **أنه لا إله إلا هو**، أي خلق من الخلائق ما يشهد خلق[٢] كل أحد على وحدانيته[٣] / وإلٰهيته[٤] لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها. وكذلك الملائكة وأولوا العلم شهدوا أنه لا إله إلا هو على تأويل [القول] الأول. [٥٧٦ظ]
وعلى التأويل الثاني[٥] أن خلقة الملائكة وأولو العلم يشهد على وحدانيته، فشهدوا على ذلك إلا الجهال، فإنهم لم يتأملوا في أنفسهم ولا تفكروا[٦] فيها،[٧] فلم يشهدوا به؛ لأنه أمر الرسل والأنبياء عليهم السلام بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فقوله وأمرُه به شهادةٌ منه. ويحتمل شهادةَ القول كقوله: إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.[٨] وذلك[٩] من الله الربوبية، ومن الخلق العبودية له، فيجب أن يعرف الربوبية من العبودية. ففيه دلالة خلق الإيمان، فمن قال: إنه غير مخلوق لم يعرف ذا من ذاك.[١٠] ***وبالله التوفيق***. وقيل: **شهد الله**، أي علم الله، **أنه لا إله إلا هو**، وكذلك عَلِم **الملائكةُ وأولو العلم**، أنه لا إله إلا هو.

فإن قال لنا ملحد: كيف صح وهو دعوى؟

قيل: لأن دعوى من ظهر صدقه[١١] في شهادته إذا شهد[١٢] مقبولٌ. وهو بما ادعى من الألوهية والربوبية إذا لم يستقبله أحد ظهر صدقه[١٣] وقهرُ كل مكذِّب له في دعواه. ***وبالله النجاة***.

---

[١] ك ع: يليق.
[٢] جميع النسخ: خلقه.
[٣] ع: وحدانية؛ م: أحد وحدانيته.
[٤] ك: وإلاهيته؛ ع: وإلهية.
[٥] ع – الأول وعلى تأويل الثاني.
[٦] ع م: ولا يتفكروا.
[٧] جميع النسخ: في أنفسهم.
[٨] سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣.
[٩] أي الشهادة لله بأن لا إله إلا هو.
[١٠] أي لم يعرف الشهادة من الله والشهادة من الخلق و لم يميّز بينهما.
[١١] ع م: صدقة.
[١٢] ع م + وهو.
[١٣] ع: صدقة.

وقوله:[1] **قائما بالقسط**، أي [هو] حافظ ومتولّ،[2] كقوله: قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[3] أي حافظ لها ومتول. كما يقال: فلان قائم على أمر فلان، أي حافظ لأمره[4] ومتعاهد لأسبابه.

{قال[5] الشيخ رحمه الله:} وقيل: [**قائما بالقسط**] هو[6] عادل، أي لا يجور، لا أن ثَمَّ معنى القيام، كقوله: قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ،[7] [أي] مقسطين، لا أن ثَمَّ للقيام فيه معنى يسبق الوهم إليه. ***والله أعلم***.

*وقوله: **قائما بالقسط**. قيل: هو عادل لا يجور،[8] لا أن[9] للقيام معنى في ذلك، كقوله:[10] كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ،[11] بمعنى كونوا عادلين مقسطين.[12] ***والله أعلم***. وقيل: [هو] قيامُ تولّ[13] وحفظ، أو كفاية وتدبير، كما يقال: فلان قائم بأمر كذا، لا على توهم الانتصاب،[14] وعلى ذلك قوله: أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.[15]*

[٧٦ظ س ٣٤] * قوله عز وجل: **شهد الله أنه لا إله إلا هو**، هي[18] شهادة ربوبية لا يتوهم له كيفية، ولا يخطر بالبال له ماهية،[19] ولا يحتمل الوصول إلى حقيقة ذلك بالتفكر، ولا أن يحتمل بلوغ العقل الوقوف على ذلك. إذ هو[20] خَلْق قصر عن الإحاطة بماهية[21] نفسه، وعن إدراك وجه قيامه بالمحل الذي[22]

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: ومتولي.
[3] ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ (سورة الرعد، ٣٣/١٣).
[4] ع: الأمر؛ م: لأمر.
[5] ع م: وقال.
[6] ع م - هو.
[7] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[8] ن ع م: لا يجوز.
[9] ك: لأن.
[10] ن ع م: لقوله.
[11] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[12] ع: بالقسط.
[13] ن ع م: تولي.
[14] جميع النسخ: انتصاب. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٦و.
[15] ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء﴾ (سورة الرعد، ٣٣/١٣).
* ورد ما بين النجمتين في غير موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٧و/سطر ٣١-٣٣.
* وردت عدة صفحات من تفسير الآية فقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٧٦ظ/سطر ٣٤-٧٧و/سطر ٢٥.
[18] ك ن ع: هو؛ م - هي.
[19] جميع النسخ: المائية.
[20] أي الإنسان.
[21] جميع النسخ: بمائية.
[22] جميع النسخ: بالذي، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٥/و.

ركب [فيه] أو تحديدِ[1] نفسه. وهو تحت جميع ما ذكرت، إذ هو خلْق وحَدَث، جرى عليه التدبير ودخل تحت التقدير. فالربوبية أحق أن ينحسر[2] عنها الأوهام وتَكِلَّ[3] عن توهم إدراكها الأفهام.

وعلى ذلك أمر تكوين الله الأشياء – على ما شُهدت الأشياء التي هي تحت التكوين – في العبارة[4] لا على توهم في التكوين معنىً[5] تحتمله[6] الأفهام، وتبلغه[7] / العقول. و إنما هو عبارة بها [٧٧و] جعل لا يقف على العبارات عن المتعالي[8] عن صفات الخلق المحقَّقِ له الجلالُ عن جهاتهم إلا من[9] حيث المفهوم في الخلق للتقريب إلى الأفهام دون تحقيق المفهوم مما عن العبارة عنه قدرت العبارات في الإخبار عن الله. سبحانه وتعالى عن ذلك.[10] وعلى هذا القول "الله" و"الرحمن" وجميع ما يتعارف الخلق من الأسماء على ما يقرّب إلى الأفهام،[11] المراد بها، لا تحقيقُ الحروف أو إدخال تحت تركيب الكلام وتأليف العبارة. وهذا معنى معرفة وحدانيته[12] من جهة ضروراتٍ توجب المعرفة على الوصف بالسبحانية له عن معاني جميع المعروفين. *وبالله العصمة والمعونة*.[13]

---

[1] جميع النسخ + من حيث.

[2] ع: يتحسر؛ م: يخبر. حسِر البصر يحسَر حُسورا: كَلَّ وضعف (*لسان العرب*، «حسر»).

[3] ك ع م: يكل.

[4] ك: في العبادة.

[5] ك: ومعنى.

[6] ن ع م: يحتمله.

[7] ك: ويبلغه؛ ع م: أو تبلغه.

[8] ن: التعالي.

[9] ع: لا من.

[10] ع م – عن ذلك.

[11] ع م: من الأفهام.

[12] م: وحدانية.

[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «وعلى ذلك أمر تكوين الله تعالى الأشياء وخلقه إياها، لا على توهم معنى تحتمله الأفهام وتدركه العقول في الشاهد من التكوين والفعل الموجود من الخلق، بل هو ربوبية تتعالى عن صفات الحدث. لكن يعبَّر بعبارة قُدِّرت لتحقيق المعنى في الشهادة على ما يليق بهم، لحاجتنا إلى عبارة نفهم بها هذه الصفة عن الله تعالى في التقريب أو في أفهام الخلق، دون المشابهة في تحقيق المفهوم؛ فأنّى يشابه الحدث القديم؟ و لم توجد عبارة في الإخبار عن صفات الله تعالى الأزلية المتعالية عن شبه الخلق سوى العبارات الموضوعة في الخلق، فعبر بأنها على اعتقاد نفي التشابه والإقرار بالمخالفة. وكذلك نقول في سائر صفاته من العلم والقدرة والسمع والبصر، وكذا في جميع أسمائه من الله تعالى، والرحمن، والرحيم وجميع ما يتعارف الخلق من أسمائه العُلَى، على ما يقرب المراد بها إلى الأفهام بلا تحقيق الحروف أو الإدخال تحت تركيب الكلام وتأليف العبارة. وهذا لأنه قام دلالات ضرورية توجب القول بثبوت ذاته بصفاته العُلَى وأسمائه الحسنى، وهي ما نشاهده من العالَم المتقَن المحكم بما فيه من البدائع والعجائب، لكن على الوصف بالسبحانية والتنزيه عن معاني جميع العالم، حتى لا يتحقق بأجزاء العالم بتحقق المشابهة والأوصاف، فيجب القول بتعطيل الدلائل الضرورية مع قيامها حقيقة. فكان ما قلنا هو التوحيد المحض. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٥و–ظ).

ثم قد يحتمل[١] أن يُؤذَن في العبارة عن ذلك بما هو ألطف وأدفع للتوهم، توهّمِ ما لعل للقلب عند ذكر الشهادة فضل خِبْرة[٢] ليس عند تلك العبارة. وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال لما يسعه[٣] عقولنا، دون القطع على شيء مما وقع[٤] عندنا [بما] يمكن الرجوع إليه. ***والله سبحانه أعلم***.

من ذلك شهادة[٥] الخلائق كلهم [ب]ما فيها من آثار الصنعة ودلالة الربوبية وشهادة الألوهية، لتكون شهادة بالذي ذكر بأن[٦] لا إله إلا هو، إذ في كل شئ سواه هذه الشهادة بالصنعة التي جعلها هو فيه له.[٧] ***والله أعلم***.

والثاني أن يكون بذاته متعاليا[٨] عن جميع معاني مَن سواه مِن المعاني التي أدخلتها [تحت] اسمِ المربوب،[٩] وصيرت[١٠] كل شيء في الحقيقة له [عبدا][١١] عند توهم المعبود،[١٢] ولا يستحق[١٣] غيره[١٤] آثار أحديته[١٥] والجهات[١٦] المدخلة تحت القدرة والتدبير. وهو بذاته متعال عن كلية الجهات والمعاني التي بها كانت[١٧] بعد أن لم تكن، وبها صارت مربوبة عبدا. وهو متعال أيضا عن الوصف بالجهات[١٨] والمعاني،[١٩] بل هو خلقها[٢٠] للخلق.[٢١] ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[١] ن: ثم يحتمل.
[٢] ك م: حيرة. والخبرة: علم الشيء بحقيقته وكنهه، أو علم الشيء عن تجربة. انظر: *لسان العرب*، «خبر».
[٣] ن: يسع.
[٤] ك: بما وقع.
[٥] ع م: بشهادة.
[٦] ك – بأن.
[٧] ن – له.
[٨] جميع النسخ: متعالى.
[٩] جميع النسخ: مربوب.
[١٠] جميع النسخ: وظهر.
[١١] الزيادات والتصحيحات مستفادة من *الشرح*، ورقة ١٠٥ظ.
[١٢] ع + له.
[١٣] ك ن ع: لا يستحق.
[١٤] جميع النسخ + غير.
[١٥] جميع النسخ: الحدية.
[١٦] جميع النسخ: وجهان.
[١٧] ك: كانت بها.
[١٨] ع: والجهات.
[١٩] ن + التي بها كانت.
[٢٠] جميع النسخ: حلق.
[٢١] جميع النسخ: وللحلق.

ويحتمل **شهد**، عَلِم.[١] وكذا كل[٢] من شهد الشيء فقد علم. يخبر[٣] خلقته بـ[أنه] إله العالم،[٤] وأنه واحد لا شريك له، إله الكل وخالقهم؛ ليعلموا أن ما أَعْلَمهم أنه كما أخبر. وفي ذلك نقض[٥] قول كثير ممن ينفون[٦] عن الله تعالى أنه عالمٌ وشاهدٌ كل شيء. *والله الموفق*.

ويحتمل: **شهد** على الخلائق[٧] أن يكون عليهم القول والاعتقاد بأنه[٨] لا إله غيره، بمعنى قضى وأمر. *والله الموفق*.[٩]

وليس فيما جمعه الله بشهادة من ذَكر توهُّم معنى [زائد] لشهادة[١٠] من ذَكر. مع ما قد يُحتمل -لَمَّا جمع إلى شهادته[١١] شهادة من ذكر- وجهان. أحدهما [بيان] فضل من ذكر، بما ذكر[١٢] شهادتَه عند ذكر شهادتهم، على نحو قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ،[١٣] الآية، أنه ذكر ما له وإن كان له الخلق كلُّه بوجهين. أحدهما بما جعل ذلك[١٤] لوجوه العبادة، كما أضاف إليه المساجد[١٥] على أنها وغيرها له، و[كما] ذكر في الملائكة الذين عنده،[١٦] وفي أمر القيامة: وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[١٧] ونحو ذلك. [وهو] إما مخصوص لما ذكر من الأوقات في فضل، أو غيره[١٨] جعله له.[١٩] أو لما كان ذلك[٢٠] لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنسب إليه،

---

١ ع: عليهم.
٢ ك: وكذلك.
٣ ك م: يخبره.
٤ أي يخبر خلقة الكون بأن الله إله العالم.
٥ جميع النسخ: وذلك في نقض.
٦ ك: تنفون.
٧ ع: عن الخلائق.
٨ ك ع م: أنه؛ ن: وأنه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٥/ظ.
٩ ك – ويحتمل شهد على الخلائق أن يكون عليهم القول والاعتقاد بأنه لا إله غيره بمعنى قضى وأمر والله الموفق.
١٠ جميع النسخ: لشهادته.
١١ ع م: لشهادته.
١٢ ع م – بما ذكر.
١٣ ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤١).
١٤ أي تقسيم الغنيمة.
١٥ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/١٨).
١٦ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾ (سورة النساء، ٤/١٧٢).
١٧ انظر مثلا: سورة المائدة، ٥/١٨.
١٨ جميع النسخ: أو غير.
١٩ جميع النسخ: جعل له.
٢٠ ك – ذلك.

أو كان لكلية[1] المعاني للعبادة. فمثله أمر شهادات[2] من ذكر، قرنها[3] بشهادة الله تفضيلا لأولئك وتخصيصا[4] من بين الخلائق. *والله أعلم*.

والثاني على كون الشهادة من الإخبار بحق الأمر؛[5] نسبه إليه [كما نسب إليه تعالى] كتابة الألواح،[6] ونفخ جبريل الروح بما كان منه أمر به؛[7] فكذا فعله في الإضافة إليه. *والله أعلم*.

ثم حق ذلك فيما على التحقيق أن يفهم ما عن الله [شهادة] ربوبية وعن العبد [شهادة] عبودية. وعلى[8] [ذلك] جميع ما يضاف إلى الله أنه يفهم من غير الوجه الذي يضاف إلى الخلق

٧٧و س٢٥] فمثله أمر الشهادة. *والله أعلم*.*

**﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١٩]**

وقوله: **إن الدين عند الله الإسلام**، قال قائلون: **إن الدين**[10] الذي هو حق من بين[11] الأديان، هو **الإسلام**؛ لأن كل أحد منهم مما دان دينا يدعي أنه هو دين الله الذي أمر[12] به. وقال قوم: إن الدين الذي أمر به الآمر من عند الله هو دين[13] الإسلام؛[14] لأنهم كانوا مع اختلافهم مقرين[15] بالإيمان، لكن بعضهم لا يقرون بالإسلام؛ فأخبر عز وجل أن الدين الذي أمر به، وفيه التوحيد،

---

[1] ك: بكلية.
[2] ع: أمر الشهادات.
[3] م: من ذكرهما.
[4] م + لأولئك وتخصيصا.
[5] أي يمكن أن يكون: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ بمعنى: اشهدوا أنه لا إله إلا هو.
[6] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ (سورة الأعراف، ١٤٥/٧).
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).
[8] جميع النسخ: على.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٦ظ/سطر٣٤ - ٧٧و / سطر٢٥.
[10] م - الدين.
[11] ك: بين.
[12] ع: أمره.
[13] ن - دين.
[14] ع م - هو دين الإسلام.
[15] ك: مقرون.

هو دين[١] الإسلام لا غيره.[٢] ألا يُرى أنه قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا،[٣] أخبر عز وجل أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ليس على دين سوى دين الإسلام. والإسلام[٤] هو الإخلاص على ما ذكرنا فيما تقدم.[٥] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ شهدوا وَأُولُو الْعِلْمِ،[٦] أن الدين عند الله الإسلام، وأنه قائم بالقسط.[٧] والقسط هو العدل في جميع القرآن.

وقوله تعالى: **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب [إلا من بعد ما جاءهم العلم]**، يحتمل وجهين. يحتمل الاختلاف التفرق؛ أي تفرقوا في الكفر، كقوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا،[٨] الآية. ويحتمل الاختلافُ نفسَ الاختلاف في الدين، كقوله: وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَنْ كَفَرَ،[٩] أخبر أنهم لم يختلفوا عن جهل[١٠] ولكن عن علم وبيان، كقوله: **إلا من بعد ما جاءهم العلم.**[١١]

ثم يحتمل[١٢] قوله: **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، وجهين؛[١٣] أي لم يختلفوا إلا من بعد ما علموا وعرفوا. ويحتمل أي[١٤] لم يختلفوا إلا من بعد ما أوتوا من أسباب، ما لو تفكروا [فيه] وتدبروا لوقع العلمُ لهم بذلك والبيانُ، لكنهم تعنّتوا وكابروا فاختلفوا.

ثم في الآية دليل أنه لا يجوز[١٥] أن يفسر قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[١٦] وقوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[١٧]

---

[١] ن ع م – دين.
[٢] ع م: وغيره.
[٣] سورة آل عمران، ٦٧/٣.
[٤] ع: وبالإسلام.
[٥] انظر: سورة البقرة، ١١٢/٢.
[٦] الآية التالية.
[٧] انظر: *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٧.
[٨] ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ١٠٥/٣).
[٩] سورة البقرة، ٢٥٣/٢.
[١٠] ن ع م: من جهل.
[١١] ن + وجهين.
[١٢] ع: يختلفوا.
[١٣] ع – وجهين.
[١٤] ع م – أي.
[١٥] جميع النسخ: أن لا يجوز.
[١٦] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[١٧] سورة البقرة، ٢١٠/٢.

ونحوه بالانتقال[1] من حال إلى حال، ومن مكان[2] إلى مكان، لأنه ذكر مجيء العلم، والعلم لا يوصف بالمجيء ولا [ال]ذهاب. وكذلك قوله: قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[3] ذكر مجيء الحق وزَهْق الباطل،[4] وهما[5] لا يوصفان بمجيء الأجسام وذهابهم، [ولا] بالانتقال والتحول من مكان إلى مكان، ولا يعرف ذلك ولا يصرف إليه. فعلى ذلك لا جائز أن يصرف قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[6] و اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[7] ونحوه إلى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم، لتعاليه عن ذلك.

{قال:} والمجيء لا يكون عن الانتقال خاصة، بل يكون مرة ذاك وأخرى غيره،[8] وكذلك الإتيان. ***والله أعلم.***

وقوله: **بغيا بينهم**، قيل:[9] حسدا بينهم؛ لأنهم طمعوا أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل على ما بعث سائر الرسل بعد إسرائيل منهم، فلما بعث من غير بني إسرائيل حسدوه وخالفوا دينه الإسلام. ويحتمل **بغيا** من البغي، وهو الجور.

وقوله: **ومن يكفر بآيات الله**، أي من المختلفين، **فإن الله سريع الحساب**، كأنه على الإضمار، أي[10] قل يا محمد: **ومن يكفر بآيات الله** من بعد ما جاءهم العلم والبيان، **فإن الله سريع الحساب**؛[11] لأن ظاهر الجواب على غير إضمار أن يكون: **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**، أي العذاب -والله أعلم-[12] وله[13] ثلاثة[14] أوجه.[15]

---

[1] ك ع م: الانتقال؛ ن: والانتقال. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٦ظ.
[2] ك: أو من مكان.
[3] سورة الإسراء، ٨١/١٧.
[4] ن ع - ذكر مجيء الحق وزهق الباطل.
[5] جميع النسخ: فهما، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٦ظ.
[6] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[7] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[8] «لكن يحمل على ما يحتمله بطريق المجاز» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٦ظ).
[9] ن - قيل.
[10] جميع النسخ: أن. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ١٠٦ظ.
[11] جميع النسخ + وله ثلاثة أوجه.
[12] ع - أي العذاب والله أعلم.
[13] أي لقوله: ﴿سريع الحساب﴾.
[14] ع + أي العذاب والله أعلم.
[15] ك ن - وله ثلاثة أوجه.

ا) [الوجه الأول: أي سريع العذاب] سمي به لأن بعد الحساب عذابا،[1] لقوله صلى الله عليه وسلم[2] «من نُوقِش الحسابَ عُذِّب»،[3] فجعل الحساب عذابا. ب) ثم أخبر أنه سريع الحساب، [أي] لا كحساب الذي يكون بين الخلق؛ لأن الخلق يشغلهم أسباب، ويمنعهم أشياء، يحتاجون إلى التفكر والتدبر. والله يتعالى عن أن يشغله شيء، أو يمنعه[4] معنى، جل الله عن ذلك. ج) وقيل: على التقريب، [أي] حسابه سريع، كأنه[5] قد جاء لقربه.[6] *والله أعلم*.*

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: شَهِدَ اللهُ،[8] إلى قوله: **إن الدين عند الله الإسلام**، على معنى جعل "أَنَّهُ" صلةً في الكلام. وحقيقته: شهد الله الذي[9] لا إله إلا هو والملائكة ومن ذكر أن الدين عند الله الإسلام.[10]

والإسلام في الحقيقة جعل كلية الأشياء لله سالمة،[11] لا شريك له فيها في ملك ولا إنشاء ولا تقدير. والإيمان [هو] التصديق بشهادة كلية الأشياء لله[12] تعالى بأنه ربها وخالقها على ما هي عليها [من آثار الحدثية]، جلَّ عن الشركاء. وقد قيل: الإسلام خضوع، وقيل:

[1] ك ن ع: عذاب.

[2] م – لأن ظاهر الجواب على غير إضمار أن يكون ومن يكفر بآيات الله فإنه سريع الحساب أي العذاب والله أعلم وله ثلاثة أوجه سمى به لأن بعد الحساب عذابا لقوله صلى الله عليه وسلم.

[3] صحيح *البخاري*، العلم ٣٥، الرقاق، ٤٩؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٧٩-٨٠.

[4] ع م: ويمنعه.

[5] جميع النسخ: كأن.

[6] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله تعالى: ﴿ومن يكفر بآيات الله﴾ أي من المختلفين، كأنه على الإضمار. أي قل يا محمد: من يكفر بآيات الله من بعد ما جاءه العلم والبيان ﴿فإن الله سريع الحساب﴾ أي فإن الله سريع العذاب. يسمى به –والله أعلم– لأن بعد الحساب عذابا وهذا كقوله عليه السلام: «من نوقش في الحساب عذب» أي المناقشة في الحساب دليل على العذاب بعده. ويحتمل ﴿سريع الحساب﴾ أي حسابه ليس كحساب يكون بين الخلق، لأن الخلق يشغلهم أسباب ويمنعهم موانع يحتاجون إلى التفكر والتأويل، والله يتعالى عن أن يشغله شيء أو يمنعه معنى. ويحتمل حسابه سريع على التقريب، أي كأنه قد جاء وقت الحساب لقربه. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦ظ).

* وردت هنا عدة صفحات من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٦ظ/سطر ٣٤-٧٧و/سطر ٢٥.

[8] الآية السابقة.

[9] ع – الذي.

[10] قال القرطبي: وقرأ ابن عباس فيما حكى الكسائي: شهد الله "إنه" بالكسر، و"أن الدين" بالفتح. والتقدير: شهد الله أن الدين الإسلام، ثم ابتدأ فقال: إنه لا إله إلا هو (*تفسير القرطبي*، ٤/٤٣).

[11] ك: لمة. سالمة لله: أي خالصة له.

[12] ع م – بحالة لا شريك له فيها في ملك ولا إنشاء ولا تقدير والإيمان التصديق بشهادة كلية الأشياء لله.

[هو] الإخلاص، وهو يرجع إلى ما بينا، وذلك كقوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ.[1] والإيمان هو التصديق بالله[2] تعالى بما أخبر أنه رب كل شيء،[3] وأنه[4] له الخلق والأمر.[5] وقيل: هو التصديق بما جاءت به الرسل، وذلك يرجع إلى ما بينا أيضا. *والله أعلم.**

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢٠]

وقوله: **فإن حاجوك**، ولم يقل فيماذا يحاجوك. فيحتمل -والله أعلم- أن يكون هذا بعد ما علم الله أنهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة أمَره بترك المحاجة بقوله: **فقل أسلمت وجهي لله**، وكذلك من اتبعني أسلموا أنفسهم لله، كقوله: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ،[7] [وقوله]: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ.[8] آيسه[9] من إيمانهم،[10] وأمره بترك المحاجة معهم.

وقوله: **فقل أسلمت وجهي لله**، أي أخلصت. ثم يحتمل قوله: **وجهي لله**، أي نفسي لله، لا أشرك فيها أحدا، ولا أجعل لغير الله فيها حقا[11] على ما جعل الكفار في أنفسهم شركاء أربابا.[12]

{قال الشيخ رحمه الله:} وقيل الإسلام أن يجعل نفسه بكليتها[13] لله سالمة لا شركة[14] فيها لأحد،[15]

---

[1] سورة الزمر، ٢٩/٣٩. سلما لرجل: أي منقادا وخالصا له.
[2] ن ع م: لله.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء﴾ (سورة الأنعام، ١٦٤/٦).
[4] ك ن: وأن.
[5] ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (سورة الأعراف، ٥٤/٧).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٧و/سطر ٣١-٣٣.
[7] ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ (سورة الصافات، ١٧١/٣٧-١٧٥).
[8] ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ (سورة النساء، ٦٣/٤).
[9] ن ع م: أياسة.
[10] جميع النسخ: عن إيمانهم.
[11] م - حقا.
[12] ك ع م: وأربابا.
[13] ع م: لكليتها.
[14] ك: لا شريك.
[15] م: أحد.

كما قال: وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ.[1] والإيمان هو التصديق شهود[2] الربوبية لله من نفسه وغيره، لأنه ما من شئ إلا وفيه شهادة الربوبية لله.[3]

وقوله: **ومن اتبعنِ**، أي من اتبع ديني، فقد أسلموا / أنفسهم لله تعالى أيضا، لم يشركوا [٧٧ط] فيها شركاء وأربابا. ويحتمل قوله: **وجهي لله**، أي أسلمت أمر ديني وعملي لله، وكذلك من اتبعني واتبع ديني فقد اسلموا أعمالهم وأمورهم لله، كقوله تعالى: وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ.[4] وفي حرف ابن مسعود* رضي الله عنه: ومن اتبعني أي ومن معي.

وقوله: **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين**، قيل: الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى. **والأميين** العرب الذين لا يقرئون الكتاب ولا لهم كتاب.

**أ أسلمتم** أنتم لله، كما أسلمت أنا وجهي لله ومن اتبعني؟ **فإن أسلموا فقد اهتدوا**، وأخلصوا وجوههم لله وأعمالهم. **وإن تولوا فإنما عليك البلاغ**، أي إن[5] أبوا أن يسلموا فليس عليك إلا البلاغ، كقوله تعالى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[6] وكقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[7] وكقوله:[8] عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.[9]

وقوله تعالى: **والله بصير بالعباد**، هو حرفُ وعيد. قيل: **بصير** غير غافل، وقيل: **بصير**، بجزاء أعمالهم، وقيل: **بصير**، بما أسرّوا وأعلنوا. وفي كل وجه وعد ووعيد.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله: **فإن حاجوك**: ولم يبين[10] فيماذا. وقد يجوز ترك الإخبار عن القصة بوجهين. أحدهما لعلم[11] أهله. والثاني بما في الجواب دليله، كقوله:[12]

---

[1] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجلٍ هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٢٩).
[2] جميع النسخ: لشهود.
[3] ع م – لله.
[4] سورة المؤمن، ٤٠/٤٤.
[5] ك: فإن؛ ن – إن.
[6] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[7] سورة الشورى، ٤٢/٤٨.
[8] ع – وكقوله.
[9] ﴿وإن ما نُرينك بعض الذي نَعِدهم أو نتوفّينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (سورة الرعد، ١٣/٤٠).
[10] ع: فلم يبين.
[11] ن ع م: بعلم.
[12] جميع النسخ: قوله.

يَسْتَفْتُونَكَ،[1] و يَسْأَلُونَكَ،[2] في غير موضع على غير البيان؛ أنه عماذا؟ وهو[3] -والله أعلم- داخل تحت ذَيْنك[4] الوجهين.

ثم يحتمل أن تكون[5] المحاجة قد كثرت فيما قال: **فإن حاجوك**. والحجة قد ظهرت فيه، فكانوا يعودون[6] إليها مرة بعد مرة[7] عَوْدَ تعنت وعناد، فاكرم الله رسوله بالإعراض عن محاجتهم [في] ذلك بما ظهر تعنتهم[8] فقال: **فقل أسلمتُ وجهيَ لله**، على الإعراض عن محاجتهم. *والله أعلم*. وعلى ذلك يخرج معنى الأمر بالتولي عنهم في غير موضع. ويحتمل أن تكون المحاجة في عبادة الواحد القهار والأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله، فبين جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه على ذلك، نحو قوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[9] وقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم،[10] الآية، ونحو ذلك. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٢١]

وقوله: **إن الذين يكفرون بآيات الله**، قيل: **بآيات الله** التي في كتابهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته. وقيل: **بآيات الله**[11] بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

[٧٧ظ س٣٢] *{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **إن الذين يكفرون بآيات الله**، فالآيات أعلام وحجج. وهي[12] أنواع، منها حسيات، نحو الخلائق في الدلالة على وحدانية الله تعالى،

[1] ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ (سورة النساء، ١٧٦/٤).
[2] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (سورة البقرة، ١٨٩/٢).
[3] م – وهو.
[4] جميع النسخ: ذانك.
[5] ع: أن يكون.
[6] ن: يقودون.
[7] ك – بعد مرة.
[8] ن: نفسهم.
[9] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[10] ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم. الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).
[11] ن – الله.
[12] ن ع م: وهن.

والخارجة منها عن احتمال وسع البشر، يظهر عند ادعاء[1] الرسل الرسالة، يشهد على أن الذي أرسلهم هو الذي تولاها، ليُعْلِم بها حججهم،[2] ويوضح[3] بها رسالتهم. ومنها السمعيات، وهي التي جاءت بها[4] الرسل من الأنباء عما لا سبيل إلى الوقوف عليها إلا بالتعلم بلا تقدم تعليم، أو ما لا يَعلم[5] حقيقةَ ذلك إلا الله، ليعلم أن الله هو الذي أَطْلعهم عليها لتكون[6] آية لهم. *والله أعلم*. ومنها العقليات، وهي التي تعرف بالمحن[7] والبحث عنها، مما بها يوصل إلى معرفة[8] التوحيد والرسالة ونحوها. ثم قد جعلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن يكفر بها [فكفره] يخرج على وجهين. أحدهما على الكفران بحقيقة[9] الآيات، أن تكون[10] هن آيات لما أقيمت له، وهن من الوجوه التي ذكرت، فقضى الله لمن يكفر بها بما ذكر،[11] لتعنتهم / ومعاندتهم. [٧٨و] *والله أعلم*. والثاني أن يريد بالكفر بالآيات الكفر بمن له الآيات، فنسب إلى الآيات لما بها يعلم[12] الحقيقة، كما تنسب[13] الأشياء إلى أسبابها التي بها يوصل إليها. فذلك معنى الكفر بالآيات.

ثم كانت الكتب السماوية وما فيها من النعوت وما أعجزهم عن إتيان مثل القرآن وغير ذلك من الحسيات.[14] *والله أعلم*. فعلى ما ذكرنا،[15] يخرج معنى الكفر بالآيات،

---

[1] ع م: أداء.
[2] جميع النسخ: حججه.
[3] ع: حججهم.
[4] ع: به.
[5] ع: ما يعدم.
[6] ن ع م: ليكون.
[7] ك: بالمحن.
[8] ن: إلى معرفتها.
[9] ع: أن حقيقة.
[10] جميع النسخ: أن يكون.
[11] جميع النسخ: ذكرت. أي بما سيذكر في الآية التالية من حبط أعمالهم في الدنيا والآخرة.
[12] م: لأنها يعدم.
[13] ن ع م: ينسب.
[14] ك: من الحسنات.
[15] ع: ما ذكر.

لأنها بحيث تأخذها[1] الحواس، وتحيط[2] بها الأوهام والعقول، ولكن على أنهن آيات للذي
٧٨و س٥] دلهم[3] عليه. أو على [معنى] الكفر بالذي له آيات توجب تحقيقه. *والله أعلم*.*

**ويقتلون**، يحتمل قوله: **ويقتلون**، أي يَهُمّون ويريدون[5] قتلهم، كقوله: فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛[6] فلو كان على حقيقة القتل فإذا قتلونا لم نقدر على قتلهم؛ وكقوله: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[7] أي إذا أردت أن تقرأ القرآن، وكقوله: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا،[8] كذا، أي إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة، لأنه إذا قام إلى الصلاة لم يقدر[9] على الغسل، فكذلك الأول. ويحتمل أن يريد[10] الرضا[11] بقتل آبائهم الأنبياءَ، فأضاف ذلك إليهم. وقيل: إنه أراد آباءهم الذين قتلوا الأنبياء. وقيل: جاء أنهم كانوا يقتلون[12] ألف نبي كل يوم.

{قال} لا أعرف هذا، فأن صح فهو [يئوّل] على أنهم تمنوا ذلك، أو قتلوا نبيا [واحدا] وأنصاره، فسموا أنبياء، لما كان ينبئ بعضهم بعضا. *والله أعلم*.

وقوله: **فبشرهم بعذاب أليم**. لو كان أراد آباءهم كيف يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالبشارة وهم موتى. دل هذا على أن التأويل هو الأول، أن هموا بقتلهم ورضُوا بصنع آبائهم. *والله أعلم*. والبشارة المطلقة إنما تستعمل في السرور والخيرات خاصة، إلا أن تكون[13] مقيدة، فحينئذ تجوز[14] في غيرها، كقوله: **فبشرهم بعذاب أليم**، قيدها هنا.[15]

[1] جميع النسخ: يأخذها.
[2] ن ع م: ويحيط.
[3] ع م: ذلكم.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٧ظ / سطر٣٢ – ٧٨و / سطر٥.
[5] ع م: ويؤيدون.
[6] سورة البقرة، ١٩١/٢.
[7] سورة النحل، ٩٨/١٦.
[8] سورة المائدة، ٦/٥.
[9] ن: لم يفعل.
[10] ك: أن يكون.
[11] ك: الرضاة؛ ن ع م: الرضاء.
[12] ع م: يقتسوا.
[13] ك م: أن يكون.
[14] ك م: يجوز.
[15] ن ع: قيد هذا هنا؛ م: قيد هذا.

لذلك قال أصحابنا رحمهم الله أن ليست الحقائق أولى من المجاز ولا الظاهر أولى من الباطن إلا بدليل، على ما صُرفت أشياء كثيرة عن حقائقها بالعرف من نحو الإيمان وغيره.[١]

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٢٢]

وقوله: **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**، يحتمل وجوها. يحتمل **أعمالهم**[٢] التي فعلوا قبل[٣] أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم، فلما بعث كفروا به، فبطلت تلك الأعمال. ويحتمل ما كان لهم من الأعمال من صلة المحارم والقربات[٤] والصدقات، فبطلت لما لا قوام لها إلا بالإيمان، فلما لم يأتوا به بطلت.

وقوله: **في الدنيا والآخرة**، أما في الآخرة[٥] فثوابها، وأما في الدنيا فحمدها وثناؤها. ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا، كقوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.[٦] *والله أعلم*.*

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٢٣]

[٧٨و س١٣] *وقوله: **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب**. وقوله: **ألم تر**، إنما يتكلم به لأحد معنيين، إما للتعجب[٨] من الأمر العظيم؛ يقول الرجل لآخر: ألم تر فلانا يقول كذا، أو يعمل كذا، يقول ذلك له لعظيم ما وقع عنده؛ وإما للتنبيه. فأيهما كان ففيه تحذير للمؤمنين، ليحذر المؤمنون عن مثل صنيعهم، كقوله: وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ،[٩] الآية. حذر المؤمنين أن يكونوا مثل أولئك الذين أوتوا الكتاب،[١٠] ولا يخالفوا كتابهم، كما خالفوا هم.

---

[١] جميع النسخ: وغيرها.
[٢] ن ع م: إيمالهم.
[٣] ن: قيل.
[٤] ك: والقرابات.
[٥] ن - أما في الآخرة.
[٦] ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا﴾ (سورة النساء، ١٣٤/٤).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٧ظ/سطر٣٢-٧٨و/سطر٥.
[٨] ك ن: على التعجب.
[٩] ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (سورة الحديد، ١٦/٥٧).
[١٠] ن - الآية حذر المؤمنين أن يكونوا مثل أولئك الذين أوتوا الكتاب.

وقوله: **يُدعون إلى كتاب الله**، يحتمل أن يكون أراد بالكتاب التوراة، على ما قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «أسلموا تهتدوا ولا تتكبروا»، فقالوا: نحن أهدى وأحق بالهدى منك، وما أرسل الله رسولا بعد موسى عليه السلام. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «بيني وبينكم التوراة والإنجيل، فإنه مكتوب فيهما نعتي، وأني رسول الله». فأبوا ذلك خوفا وإشفاقا على ظهور كذبهم.[1] وقيل: أراد بالكتاب القرآن؛ دُعُوا إليه لأنه مصدِّق لما معهم من الكتاب، فأبوا ذلك.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢٤]**

وقوله:[2] **ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**، الأيام التي عَبَدَ آباؤهم العِجْل، فظنوا أنهم إنما يُعذَّبون بقدر ما عَبَدَ آباؤهم العجل، وأنهم لا يُخلَّدون في النار، لأنهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه.[3] ويحتمل أن يكون آباؤهم قالوا لهم: إنكم لا تعذبون في النار إلا قدر عبادتنا العجل. فأخبر عز وجل أن **قد غرهم في دينهم ما كانوا يفترون**؛
٧٨و س٢٣] ثم خوفهم فقال: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.*

**﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢٥]**

[٧٨و س٥ *وقوله: **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه**. وقال في [الكتاب:] ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ،[5] وقد ارتاب فيه[6] أكثر أهل الأرض. قيل قوله: **لا ريب فيه**، [يخرج على وجوه الأول أنه] قد يتكلم به على تثبيت المقول به عند قائله، لا على نفي الشك عن كل من سمعه إرادة التأكيد؛ فعلى ذلك أمكن أن يخرج معناه، إذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم. وكذلك قولهم: "أبدا" على دوامه وامتداده لا على حقيقة الأبدية، وكذلك يقولون:

---

[1] ذكر الطبري، قال ابن عباس: هذه الآية نزلت بسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت الْمِدْرَاس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني على ملة إبراهيم. فقالا: فإن إبراهيم كان يهوديا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فهَلُمّوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه فنزلت الآية. (*تفسير الطبري*، ٥٠/٤).

[2] ك - وقوله.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٨و/سطر١٣-٧٨و/سطر٢٣.

[5] ع - وقال في ذلك الكتاب لا ريب فيه. سورة البقرة، ٢/٢.

[6] جميع النسخ: فيها.

هٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ،[1] وأمر قديم، لا على حقيقة القدم التي تخرج[2] على الكون[3] بعد أن لم يكن. **والله الموفق.**

والثاني على أنه لا يرتاب فيه المتأمل المنصف، بما جعل الله لذلك من الآيات و[ما] عليه من الأدلة التي مَنْ تدبر فيها ظهرت[4] له، حتى يصير كالمعايَن. **ولا قوة إلا بالله.**

والثالث أن يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوم مخصوصين مما كانوا يتنازعون[5] فيه بعد علمهم بصدقه، ليعرف به[6] تعنتهم، ويؤيسه[7] عن الطمع فيهم. **ولا قوة إلا بالله.*** [٧٨و س١٣]

**﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٦]**

وقوله: **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء**، الآية. يحتمل قوله: **مالك الملك**، وجهين. أحدهما **مالكَ الملك**، كل ملك في الدنيا له[9] حقيقة الملك.[10]

والثاني أن الملك له، يؤتي من يشاء من ملكه، وينزع ممن يشاء الملك،[11] وهو المالك لذلك، والقادر عليه. والآية ترد على القدرية قولهم لأنهم يقولون:[12] إن الله لا يعطي الكافر الملك، وهو قد أخبر عز وجل أنه يؤتي[13] من يشاء الملك، وقد يؤتي[14] الكافر[15] الملك.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١١).

[2] ن: يخرج.

[3] ن ع: عن الكون.

[4] جميع النسخ: أظهرته.

[5] ك ن: ينازعونه؛ ع م: ينازعون.

[6] ع: منهم.

[7] ع م: ويؤتيه.

* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هناك. انظر: ورقة ٧٨و/سطر٥-١٣.

[9] ع م - له.

[10] «مالك الملك، أي جميع الملك في الدنيا والآخرة، فإن كل ملك في الدنيا فهو في الحقيقة له» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٧ظ)

[11] ن - الملك.

[12] ك: يقون.

[13] ك: يعطي.

[14] ن ع: وقد يرى؛ م: وقد روي.

[15] جميع النسخ + له.

فإن قالوا:[1] أراد بالملك الدين. قيل: إن أراد الدين[2] فقد أخبر[3] عز وجل أيضا أنه ينزع [الملك]، فكيف يستقيم –على قولكم في الأصلح– هذا؟

ثم في الآية تقوية لمن قرأ:[4] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[5] بالألف لأنه[6] أعم وأجمع، لأنه قال: **مالك الملك**، وهو أعم. والثاني لأن[7] الملك إنما يعبر [به] عن الولاية والسلطان. والمالك إنما يعبر [به] عن حقيقة[8] الملك. ومن له في الشيء حقيقة الملك[9] فله ولاية التغلب والتصرف فيه وولاية[10] السلطان. وليس كل[11] من له ولاية السلطان يكون له ولاية التغلب،[12] لذلك كان بالألف أقرب. ومن قرأ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، بغير ألف ذهب إلى أن[13] هذا كقوله: ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.[14] ومن المُلْك يقال: مَلِك، لا يقال: مالك؛ لذلك، كان ما ذكر. ***والله أعلم***. والمالك على الإطلاق لا يقال إلا لله.[15] وكذلك الرب على الإطلاق لا يقال إلا لله.[16] وأما العبد فإنه يُقرَن الشيء إليه فيقال: رب الدار ومالكها، ورب الدابة[17] ومالكها. ***والله أعلم***.

وقوله: **قل اللهم مالك الملك**؛ قال قائلون:[18] الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. وقال آخرون: الخطاب بذلك لكل عاقل، وهو كقوله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،[19] إلى آخره،[20]

---

[1] ع: فإن قال.
[2] ك – قيل ان أراد الدين.
[3] ن: فقد أخبره؛ ع: قد أخبر.
[4] ع: إقراء.
[5] سورة الفاتحة، ٤/١.
[6] م – لأنه.
[7] ك ن ع: أن؛ م – أن.
[8] ع: من حقيقة.
[9] ن – ومن له في الشيء حقيقة الملك.
[10] م: ولاية.
[11] جميع النسخ: ولا كل.
[12] ن ع م + فيه.
[13] ع م – أن.
[14] ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ (سورة الحج، ٥٦/٢٢).
[15] م: على الله.
[16] م: على الله.
[17] ك: الدار.
[18] ن: القائلون.
[19] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[20] ع م: إلى آخر الآية.

ذلك الخطاب لكل أحد، لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة.

{وقال الشيخ رضي الله عنه:} ليس[١] هو خطابا،[٢] ولكنه أمر [له] بالبلاغ ليقوله كل أحد؛ لأنه لو خوطب به لم يَذْكر[٣] "قل" عند قراءته.

وقوله: **اللهم**، قال قائلون: **اللهم**،[٤] يعني: يا إلهنا.[٥] وقال آخرون: [يا] الله – على القطع– أُمَّنا: اقصدنا بالخير. *والله أعلم*.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **قل اللهم مالك الملك**، الآية: فكأنه[٦] عز وجل امتحن من رغب في الملك أو نال حظا منه أن يصرفوا وجه الرغبة إليه أو يروا حقيقة ما نالوه منه، فيوجهوا إليه الشكر ويخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما أمرهم به؛ لينالوا شرفه ويدوم لهم[٧] عزه، وذلك[٨] كقوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا / وَالْآخِرَةِ،[٩] ليريهم أن الذي [٧٨ظ] يملك هذا النوع الذي رغبت فيه أنفسكم ومنعتكم عن القيام بحقه هو الذي يملك ذلك، فإليه فاصرفوا سعيكم، وبشكره استديموا الذي له اخترتم جُلَّ كدحكم،[١٠] فإنه [هو الذي] يملك ذلك دون غيره. وجملة ذلك في قوله: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ.[١١] ومعقول فيما عليه طبع البشر، وإليه دعاهم عقولهم أن كل شيء تُؤْثِره[١٢] أنفسهم [وتميل إليه طبائعهم] كان الذي يحق عليهم طلبَه [مِن] عند مَن به[١٣] يوصَل إليه، و[الواجب عليهم][١٤] اختيارهم ما به يبلغون ما يأملون،[١٥]

---

[١] ع م – ليس.
[٢] جميع النسخ: خطاب.
[٣] ع م: ولم يذكر.
[٤] ع + قال قائلون اللهم.
[٥] جميع النسخ: يا الهتهم. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٧ظ.
[٦] ع م: فكان الله.
[٧] ن ع: له.
[٨] م: ذلك.
[٩] سورة النساء، ٤/١٣٤.
[١٠] ك: كدديكم، غير منقوطة. الكَدْح: العمل والسعي والكسب وعمل الإنسان لنفسه من خير أو شر (*لسان العرب*، «كدح»).
[١١] ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٣).
[١٢] ك: يوثره؛ م: يؤثر.
[١٣] ن – به.
[١٤] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٠٨و.
[١٥] ن ع م: ويؤملون.

من أنواع الحيل التي تقرّبهم إلى ذلك. فمثله يلزم أمر الملك ولذّات الدنيا. و[قد] تقرر في قلوبهم وجود ذلك لقوم لو كان يُنال [هو] بالتدبير أو بحسن السياسة و[أنّ] طلبَ ذلك من الوجوه التي يَطلب بها البشر، لم يكن[1] الذين لهم ذلك بأحق[2] من غيرهم. بل كان فيمن حُرِموا [منه] مَنْ هم[3] أولى بذلك وأحق أن يكون في [استحقاق] ذلك متبوعا -لا تابعا- من الذين نالوه؛[4] ليُعْلَم أنَّ الذي يملك دفع ذلك[5] إلى أحد أو تمليكه[6] أحدا غير الذين صرفوا [إلى طلبه] كَدْحَهم، وقصروا[7] له سعيهم [وشغلهم].[8] فيكون لله في كل أمر مما عليه أمر البشر آيةٌ عظيمة وعلامة لطيفة على تفرده بملك ذلك وتوحده[9] بالتدبير فيه، لمن له بصيرة ولمن به يمتحن عباده.

وعلى ذلك -إذ ثبتت[10] في ذلك أدلَّة التوحيد ولزوم الاعتبار به ليُعرَف من له الحق- ثبت القول ببطلان ما يذكره[11] كثير من المعتزلة: أن الملكَ الذي ناله الجبابرة والسعةَ التي تصل[12] إلى الكفرة لم يكن نالوه بتقدير الله، ولا وصلوا إليه بتدبيره.[13] إذ حقه ما ذكرت من عظيم[14] ما فيه من النعم،

---

[1] ك: فلم يكن.
[2] ع: بحق.
[3] ع م: منهم.
[4] ع: قالوه.
[5] أي الملك ولذات الدنيا.
[6] ن: تمليك.
[7] ك: وحصلوا؛ ن ع م: وجعلوا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٠٨و.
[8] بعض الزيادات هنا مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٠٨و.
[9] ع م: وتوحيده.
[10] م: يثبت.
[11] ك ن م: ما ينكره؛ ع: وينكره.
[12] ك: يصل.
[13] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وبهذا يبطل قول المعتزلة: إن الملك الذي ناله الجبابرة والسعة التي تصل إلى الكفرة لم يكن نالوه بتقدير الله ولا وصلوا إليه بتدبيره فرارا عن المناقضة في مسألة الأصلح. لأنهم يقولون: إن الأصلح في الدين واجب على الله تعالى من حيث الحكمة. فيلزمهم أن الله تعالى أعطى الملك الجبابرة والكفرة وذلك مفسدة لهم في الدين لا مصلحة. فأنكروا ذلك وقالوا: إن الله تعالى ما أعطاهم ذلك بل هم الذين اكتسبوا الملك بأنفسهم بطريق الباطل. ولو كان ذلك لا بالله فكان يجب أن يُحْرَم منه الأحمق الضعيف ولكان لا يناله إلا من له يد بيضاء في القوة والتدبير. وما عليه تجارب الأمر بخلافه. وظهر بطلان قولهم على أن قولهم هذا خلاف النص وهو قوله: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٨و).
[14] م: من عظم.

ليلزمهم به[١] أرفع المحن وأعلى الشكر. وله أن يبلو بالحسنات والسيئات كما وعد[٢] عز وجل.[٣]

وجملته أن الدنيا، إذ هي دار محنة ومكان ابتلاء، فليس الذي يُعطَى منها[٤] على الاستحقاق، ولا الذي[٥] يمنع [منها] على العقوبة،[٦] وإن احتمل الدفع والمنع ذلك،[٧] ولكن له وللمحن. والمحنة أكثرها على مخالفة الأهواء[٨] وتحمل[٩] المكاره، و[قد] يكون ذلك على إعطاء ما يعظم في أنفسهم، أو [على] التمكين ليمتحنوا فيتبين الإيثارُ والترك لوجه الله والرغبة فيمن إليه حقيقة ملك كل شيء، أو الميل إلى من إليه أنواع التغرير والمخادعات من غير تحقيق. **ولا قوة إلا بالله**. وعلى ذلك قوله: أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ،[١٠] يبين ذلك احتجاجه على إبراهيم عليه السلام بالذي ذكر وإغضاء إبراهيم عنه. ولو كان الذي آتاه[١١] الملكَ إبراهيم عليه السلام لم يكن ليجترئ على تلك المقالة بقوله: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ. **ولا قوة إلا بالله**.

ثم على قول المعتزلة أن الله[١٢] تعالى إنما يشاء أن يؤتي الملك أولياءه، وينزع [الملك] عن أعدائه في الجملة، فكيف ادعى لنفسه هذا السلطان والملك، وكان الوجود على ضد ذلك؟ أيظن المعتزلة أن الملاحدة[١٣] تظفر بما[١٤] هو يوجب الشبهة في حجج التوحيد بأوضح مما أعطاهم المعتزلة بهذا القول؟ أو [بما] يمكنهم[١٥] من الطعن في نقض ما ادعت[١٦] الموحدة

---

[١] ع م – به.
[٢] ن + هم.
[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[٤] جميع النسخ: منه.
[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٠٨و.
[٦] «بل النعم التي يعطى للابتلاء بين الشكر فيثاب وبين الترك ليعاقب، والنعم والبلايا التي تقع للابتلاء بين الصبر فيثاب والجزع ليعاقب، وإن احتمل المنع والدفع ذلك...» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٨و).
[٧] جميع النسخ: لذلك.
[٨] ع: على الأهواء.
[٩] ن: ويحتمل.
[١٠] ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢٥٨/٢).
[١١] ن ع + الله.
[١٢] ك ن: إذ الله.
[١٣] ن: أن الملحدة.
[١٤] ن ع م: ما.
[١٥] م: ويمكنهم. وعبارة السمرقندي هكذا: «أتظن المعتزلة أن المعتزلة تظفر بما يوجب الشبه في حجج التوحيد بأوضح مما أعطتهم المعتزلة بهذا القول، لأن الكفرة هم الذين يحدثون الملك والسطة لأنفسهم لا الله تعالى، وقد أراد بزعمهم عن ذلك أن الأصلح في الدين هذا وقد تحقق مراد الكفرة و لم يتم من الله تعالى، أو يمكنهم...» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٨ظ).
[١٦] ك: دعت.

من علو الرب وقدرته وجلاله بأبلغ مما لقنتهم[1] المعتزلة بما لبست ثوب التوحيد واستترت بستره[2] في الظاهر، ثم أعطت الملحدةَ هذا ليظنوا أنهم بلغوا ما به نقض التوحيد ودفع حجج أهله. جل الله عما وصفته الملحدة[3] وتعالى. *وبه[4] العصمة والنجاة*. وما[5] أعطتهم المعتزلة في الجملة سبقهم[6] به إبليس، حتى كانوا[7] بمثله يحتجون فيظنون أنهم أحق بالنبوة منهم[8] بما أُعطوا من الملك والثروة في الدنيا، فظنوا أنهم[9] أجل عند الله تعالى وأرفع في المنزلة منهم، [وأنه] لم يكن ليؤثرهم بالرسالة عليهم. لكن أولئك حققوا حقائق النعم لله ونيل ما نالوا من الملك والشرف به.[10] والمعتزلة رامت إزالة ذلك عن الله ليزيلوا عنهم ما لزمهم من الشكر له،[11] والطاعة لمن بعثه الله [إليهم]. ونسأل الله تعالى تمام نعمه في الدين والدنيا.

**﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٧]**

وقوله: **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل**، وقوله: **وتخرج الحي من الميت**، ونحو ذلك، [فيه] وجوه من الأدلة. أحدها أن يعلم أن الله عز وجل فيما يخلق لا يخلق على معونة الأسباب وتوليد الطبائع؛ لأن الأسباب تكون بموضع الأشكال [والأجناس]، وكذلك الطبائع تولّد الذي في جوهره، نحو الحار يولد الحرارة، والبارد يولد البرودة. فبين الله تعالى الإنشاء على أحوال التضاد ليعلم أنه القادر على اجتماع ما شاء مما[12] شاء، بلا معونة من ذلك ولا توليد. *ولا قوة إلا بالله*.

---

[1] ن ع م: لقنهم.
[2] جميع النسخ: بسترة؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ١٠٨ظ.
[3] م: الملاحدة.
[4] ك: فيه.
[5] جميع النسخ: ولما.
[6] ع م: سبقتهم.
[7] م + به.
[8] أي من الرسل.
[9] ن + فظنوا أنهم.
[10] «فيتبين بهذه الجملة أنه يجب القول بتحقيق حقائق النعم لله تعالى في أن كل من نال الملك والعز والشرف به نال ومنه أصاب، ليظهر الشكر له فيما أصاب وتريد الرغبة فيما يطمع من الزيادة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠٨ظ).
[11] ع – له.
[12] ن ع م: ثم.

والوجه الثاني أنه جرى تقدير ذلك على ما لا تفاوت له، ولا اختلاف مع[1] اختلاف الأعوام [والأزمان]، ليعلم أنها مُسَوّاة[2] على التدبير. أحكمه على ذلك العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر، وليعلم أن الذي قدر[3] على ذلك واحد، إذ لم يختلف ولم يتناقض. *ولا قوة إلا بالله*.

وأيضا إنه قد صير كل جوهر بإحداث[4] الآخر، كأنه لم يكن قط ولا كان بقي له أثر، ثم ردّه بالوصف [الأول] الذي كان، حتى لا يفوت منه شيء، حتى لا سبيل إلى العلم بالتفضيل بينها؛ ليعلم[5] قدرته على البعث بعد[6] أن يَفنى كل الأجزاء والآثار.[7] *ولا قوة إلا بالله*.

وأيضا إنه إذ بنى الأمر على ما فيه من عظيم[8] الحكمة وعجيب التدبير لم يجز أن يكون فعله خارجا على العبث. ثم في رفع المحنة [والتكليف]، وإبطال الرسالة في تعليم ما في ذلك من الحكمة وما يلزم لمكان[9] ذلك التدبير من الشكر والمعرفة ثم من الترغيب فيما يملك من النعمة والترهيب عما عنده من النقمة إبطالُ الحكمة[10] وتقرير العالم مع ما ذكرت على العبث. وذلك فاسد في العقول، وموجود في الجواهر[11] عظم[12] حكمة منشئها. ثبت بذلك العبادة والرسالة والجزاء [جميعا]. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ،[13] إلى آخره، يحتمل وجهين.[14]

---

[1] ك ن: في؛ ع – مع اختلاف.
[2] ك ع: مسواه.
[3] م: قد.
[4] ع م: إحداث.
[5] ن ع م + أن.
[6] ك: يعني.
[7] ك + على ما كان؛ ن + بالفصل بينهما. «كالنطفة إذا صارت علقة لم يبق عن آثار النطفة فيها شيء ونحو ذلك. وكذلك الليل والنهار يذهب أحدهما بمجيء الآخر بحيث لا يبقى أثر الأول. ثم يرده إلى الوصف الأول الذي كان، حتى كأنه لا يفوت منه شيء...» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٨ظ).
[8] ن ع م: عظم.
[9] جميع النسخ: بمكان. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٨ظ.
[10] أي في رفع المحنة والتكليف... إبطال الحكمة.
[11] أي في نفوس الناس وفطرهم.
[12] ك: عظيم.
[13] الآية السابقة.
[14] ن – يحتمل وجهين.

[٧٩و] يحتمل أن تُؤْتِي ابتداء من غير أن كان / آتاهم مرة. وكذلك تَنْزِعُ، أي تمنع ابتداء من غير أن كان آتاهم[١] ثم ينزع،[٢] كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ،[٣] رفع ابتداء، من غير أن كانت موضوعة فرفعها؛ وكقوله:[٤] يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[٥] إخراج ابتداء،[٦] لا[٧] أن كانوا فيها ثم أخرجهم؛ فعلى ذلك هذا.[٨] وعلى ذلك قوله: **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل**، إيلاج ابتداء،[٩] لا أن كان أحدهما في الآخر، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،[١٠] وَالنَّهَارَ سَرْمَدًا؛[١١] أخبر[١٢] أنه لم يجعل واحدا منهما[١٣] مؤبدا. وكذلك قوله: **تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي**، إخراج ابتداء:[١٤] أن يخلق الحي من الميت ابتداء، ويخلق الميت من الحي، من غير أن كان فيه. ويحتمل هذا كلُّه أن كان يؤتي الملك بعد أن لم يكن، ويُعزّ بعد الذل، وينزع الملك بعد أن كان، ويذل بعد أن كان العز. وكذا قوله: **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل** أن يُدخل بعض[١٥] هذا في هذا،[١٦] وهذا في هذا.

وقوله: **تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي**، قيل: أن يُخرج حي الأقوال من ميت الأفعال وميت الأفعال من حي الأقوال، ويخرج[١٧] المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن،

[١] ن + مرة وكذلك تنزع أي تمنع.
[٢] ن ع م: تنزع.
[٣] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر﴾ (سورة الرعد، ٢/١٣).
[٤] ع: بقوله.
[٥] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.
[٦] جميع النسخ: الابتداء.
[٧] ك: إلا.
[٨] ع م: فعلى هذا ذلك.
[٩] ع م: الابتداء.
[١٠] ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ (سورة القصص، ٧١/٢٧).
[١١] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ (سورة القصص، ٧٢/٢٧).
[١٢] م: أخبره.
[١٣] ع م: منها.
[١٤] ع م: الابتداء.
[١٥] ع م: بعد.
[١٦] ك – وكذا قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل أن يدخل بعض هذا في هذا.
[١٧] جميع النسخ: يخرج.

على ما سمّى الله تعالى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القرآن.[١] وقيل: يخرج حي الجوهر من ميت الجوهر وميت الجوهر من حي الجوهر. وقيل: يخرج الحي من المنيّ، ويخرج المنيّ من الحي. وقيل: يخرج[٢] البيضة من الحي والحي من البيضة. وقيل: [يخرج] النخلة من النَّواة والنواة من النخلة، والحَبّة من السُّنبُلة والسنبلة من الحبة.

وقوله: **وترزق من تشاء بغير حساب**، قيل: بغير حساب[٣] يعرف الخلق عدده ومقداره. وقيل: بغير تَبِعة ولا طِلْبَة،[٤] أي لا يحاسبهم فيما أعطاهم من بعد ما أعطاهم. ويحتمل **بغير حساب**، أي لا يعطيهم بحساب أعمالهم، ولكن يتفضل، خلافا للمعتزلة.[٥] ويحتمل: **بغير حساب**، في الآخرة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: بغير[٦] هنداز،[٧] فارسية معربة. وعن مقاتل: لا يقدر ذلك غيره، يقول: ليس فوقي مَلِكٌ يحاسبني، أنا المَلِكُ أُعطي مَن شئتُ بغير حساب، لا أخاف من أحد يحاسبني.[٨] *والله أعلم*.

**﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾**[٢٨]

وقوله: **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**، يحتمل وجهين. يحتمل **لا يتخذ**، أي لا يكونون أولياء لهم[٩] وإن اتُّخذوا أولياء، بل هم لهم أعداء، كقوله: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[١٠] إلى آخر[١١] الآية. ويحتمل على النهي، أي لا تتخذوا أولياء، كقوله: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[١٢] وكقوله: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.[١٣]

---

[١] ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمعٍ من في القبور﴾ (سورة فاطر، ٢٢/٣٥).
[٢] ك ع م – يخرج.
[٣] ع م – قيل بغير حساب.
[٤] الطلبة: ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به (*لسان العرب*، «طلب»).
[٥] ن + لمعدل؛ ع م: لمعدل.
[٦] ع – بغير.
[٧] الهِنْدازُ: معرّب، وأصله بالفارسية أَنْدازَه، يقال: أعطاه بلاحساب ولا هِنْدازٍ (*لسان العرب*، «هندز»).
[٨] م – أنا الملك أعطي من شئت بغير حساب لا أخاف من أحد يحاسبني.
[٩] ع م – لهم.
[١٠] ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحونَ﴾ (سورة المجادلة، ٢٢/٥٨).
[١١] ع م – إلى آخر.
[١٢] سورة الممتحنة، ١/٦٠.
[١٣] سورة المائدة، ٥١/٥.

وقوله: **إلا أن تتقوا منهم تقاة**، اختلف فيه. قيل: إلا أن تكون[1] بينكم وبينهم قرابة ورَحِم، فَيَصِلُون أرحامهم من غير أن يتولَّوهم[2] في دينهم؛ على ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات أبوه أبو طالب: إن عمك الضال توفي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذهب فَوَارِه».[3] ويحتمل قوله: **إلا أن تتقوا**، على أنفسكم، **منهم تقاة**، إلا أن[4] تخافوا منهم، فتُظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك، وقلوبُكم على غير ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنه: التقيّة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان.[5]

وقوله: **ويحذّركم الله نفسه**. قيل: عقوبته، وقيل: نقمته. يقول الرجل لآخر: أحذّرك[6] فلانا، إنما يريد نقمته وبوائقه. فعلى ذلك قوله: **ويحذركم الله نفسه**، عقوبته[7] وبوائقه التي تكون[8] من نفسه، لما يكون ذلك به لا بغيره.[9] *والله أعلم.*

**﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٩]**

وقوله: **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه [يعلمه الله]**، يحتمل: ما تخفوا من ولاية الكفار و[ما] تبدوه يعلمه الله. فيه إخبار أن في قلوبهم شيئا.[10] ويحتمل أن يكون أراد جميع ما يخفون[11] ويبدون.[12] **ويعلم ما في السماوات وما في الأرض**، الآية.

**﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٣٠]**

وقوله: **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**، قيل: تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا،

---

[1] ن ع م: يكون.
[2] ن: أن تولوهم.
[3] انظر: *نصب الراية* للزيعي، ٢/٢٨١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢/٣٩٥.
[4] ك – أن.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٢٢٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٣٥٨.
[6] جميع النسخ: احذر.
[7] ك – وقيل نقمته يقول الرجل لآخر أحذر فلانا إنما يريد نقمته وبوائقه فعلى ذلك قوله ويحذركم الله نفسه عقوبته.
[8] ع م: يكون.
[9] أي تكون العقوبة والتعذيب بالنفس والذات في أفهام الناس، فبين الله عقوبته بذلك تقريبا لأفهامهم.
[10] أي من ولايتهم.
[11] ك: تخفون.
[12] ك: تبدون.

لأن عمله إنما كان للثواب[1] لا لنفس العمل.

**وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**، يحتمل **ما عملت من سوء** تجده[2] مكتوبا، يتجاوز عنه، لأن الله عز وجل وعد المؤمنين وأطمع لهم قبول حسناتهم والتجاوز عن سيئاتهم، بقوله:[3] أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[4] فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا، ويتجاوز عن مساوئه. وأما الكافر فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا، كقوله: وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا،[5] فلا يتجاوز عنهم، ويُبطل خيراتهم. وقوله: **أمدا بعيدا**، قيل: بعيدا من حيث لا يرى. وقيل: بعيدا تود[6] أن لم يكن. ما من نفس مؤمنة ولا كافرة إلا ودت[7] البعد عن ذنبها،[8] وأنه[9] لم يكن. **ويحذركم الله نفسه**، قد ذكرناه.[10]

وقوله: **والله رؤف بالعباد**، إن أراد رأفة الآخرة يعني بالمؤمنين خاصة، وإن أرد رأفة الدنيا فهو بالكل.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **والله رؤف بالعباد**: فالرحمة من الله جل ثناؤه والرأفة نوعان. أحدهما في حق الابتداء، أن خلق خلقا ركّب فيهم ما يميزون به بين مختلف الأمور ويجمعون بين المؤتلف. ثم لم يأخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة، بل رحم وأمهل للتوبة[11] والرجوع إليه. وهذه الرحمة رحمة عامة لا يخلو عنها عبد.

و[الثاني:] رحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وإيجاب الثواب للفعل. فهذه لا ينالها أعداؤه، لما يوجب التجهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق، ولما يكون [في ذلك]

---

[1] م: الثواب.

[2] م: تجد.

[3] جميع النسخ: كقوله.

[4] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).

[5] ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ (سورة الكهف، ٤٩/١٨).

[6] جميع النسخ + ليت.

[7] جميع النسخ: ود.

[8] جميع النسخ: ذنبه.

[9] م: وان.

[10] انظر عند تأويل قوله تعالى: من سورة آل عمران ٢٨/٣.

[11] ع م: التوبة.

وضع الإحسان في غير أهله، والإكرامُ لمن لا يعرف المكرِم به، ولما في الحكمة تعذيبهم تخويفا وزجرا عما يختارون. وينالها من عرفه[1] واعتقد موالاته،[2] وكان هو أعظمَ في قلوبهم [من كل شيء]، وطاعته [أعظم] من جميع لذات الدارين، وإن كانوا يُبتلَوْن بالمعاصي على الجهالة،
[٧٩ظ] أو على رجاء / الرحمة والعفو، إذ هو كذلك في شرطهم الذي به وَالَوه، وبالغلبة.[3] فهذه[4] رحمة خاصة،[5] بالمؤمنين وبالعباد الذين بذلوا أنفسهم له بالعبودية بحق الاختيار، وإن كانوا يُغلبون على ذلك في أحوال. *والله الموفق.*

﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣١]

وقوله: **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**، قيل: إن ناسا كانوا يقولون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نحب الله حبا شديدا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية وبيّن فيها لمحبته[6] عَلَما.[7] وقيل: إن اليهود لما قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[8] فأنزل الله تبارك وتعالى: **قل يا محمد:**[9] **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.**[10] وذلك أن من أحب[11] ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في أمره ويؤثر طاعته لحبه.[12] فإذا أظهرتم أنتم بغضكم لرسولي،[13] وتركتم اتباعه في أمره وإيثار[14] طاعته ظهر أنكم تكذبون في مقالتكم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، لأن من أحب آخر يحب المتصلين به[15] ورسله وحشمه. والمحبة هاهنا الإيثار بالفعل طاعة من يحبه فيما أحبه، وكرْهَه [فيما يكرهه]، والطاعة له في جميع أمره. *والله أعلم.*

---

[1] ك ن ع: تعرف؛ م: تفرق.
[2] جميع النسخ: الموالات؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٠٩و.
[3] «وإن كانوا يبتلون بالمعاصي على الجهالة أو على الغلبة، غلبة شهوة أو غبة حمية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٩و).
[4] جميع النسخ: فهي؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٩و.
[5] جميع النسخ + أي هي.
[6] ن: لمحبته.
[7] «وهو اتباع الرسول وطاعته» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٩و).
[8] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[9] ع + قل.
[10] ن – يحببكم الله.
[11] خ – أحب.
[12] «وقد عرفتم أني رسوله بما وجدتم نعتي في كتابكم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٩و).
[13] ع: الرسولي.
[14] جميع السح: وإيثاره؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٠٩و.
[15] ع م – به.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٣٢]

وقوله: **قل أطيعوا الله والرسول**، الآية، قد تقدم ذكرها.[١]

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٣]

وقوله: **إن الله اصطفى آدم**، اختلف فيه. قيل: اصطفى آدم ونوحا ومن ذكر لرسالته[٢] ونبوته.[٣] وقيل: اختارهم لدينه، وهو الإسلام. وقيل: اختارهم في النية والعمل الصالح والإخلاص لله.[٤]

{قال الشيخ رحمه الله:}[٥] الاصطفاء أن يجعلهم صافِين من غير تكدر بالدنيا.

وغيرُهم اختارهم لأمرين: لأمر الآخرة ولأمر المعاش. ألا ترى إلى قوله: «إنا معاشرَ الأنبياء لا نُورّث، نموت موت العبد لسيده».[٦]

{وقال الشيخ رحمه الله} أيضا في قوله: **إن الله اصطفى** من ذكر، فهو -والله أعلم- ذَكَّر الله أولياءه وأهل صفوته، ثم أعداءه وأهل الشقاء ترغيبا فيما استوجبوا [به] الصفوةَ، وتحذيرا عما به صاروا أهل الشقاء؛ إذ هما أمران يتولدان عن اختيار البشر، ويقوم بأسبابها[٧] أهل المحن [والتكليف]، لا بنفس الخلقة والجوهر. فصار الذكر للمعنى الذي ذكرت. وعلى هذا وجه ذكر[٨] عواقب الفريقين في الدنيا وما إليه يصير أمرهم في المعاد. وعلى هذا ما ضربه[٩] الله من الأمثال بأنواع الجواهر الطيبة والخبيثة في العقول والطبائع ترغيبا وترهيبا. وعلى هذا جميع أمور الدنيا أنها كلها عِبَر ومواعظ، وإن كان فيها شهوات ولذات،[١٠] وآلام وأوجاع، ليعلم أنها خلقت لا لها، لكن لأمر عظيم كان ذلك هو المقصودَ من مدبر العالم؛ إذ[١١] بالعواقب يذم أهل الاختيار ويحمدون.

---

[١] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة: ٢/٢٨٥؛ و من سورة آل عمران: ٣/٢٠.

[٢] ع م: الرسالة.

[٣] جميع النسخ: ولنبوته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٠٩و.

[٤] ع م – لله.

[٥] ك + في.

[٦] رواه البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة، أقربها إلى ما ذكره الماتريدي ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نوَرّث ما تركنا صدقة» (*صحيح البخاري*، الخمس ١؛ و صحيح *مسلم*، الجهاد ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٦).

[٧] جميع النسخ: ويقومان بأسبابهما.

[٨] ك: ذكر وجه.

[٩] ن ع: ضرب.

[١٠] ن – ولذات.

[١١] ك – إذ.

فجعل الله عواقبَ الحكماء وأهلِ الإحسان حميدةً لذيذة ترغيبا فيها، وعواقب السفهاء وأهل الإساءة ذميمة[1] وخيمة تزهيدا فيها. فخرج جميع فعل الله على الحكمة[2] والإحسان، وإن كانت مختلفة[3] في اللذة والكراهة؛ لأنه كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء المحنة؛ إلا أن المحنة تكون مختلفة، والجزاء نوع لما هو كذلك في الحكمة والإحسان، إذ كذلك[4] سبق من أهله الاختيار، و[في] الجزاء – على ما اختاره من له وعليه– حكمة وإحسان. أعني[5] بالإحسان فيما يجوز الامتحان بلا جزاء بحق الشكر لما أولى وأبلى،[6] والحكمة فيما[7] كان[8] لازما ذلك في التدبير. **ولا قوة إلا بالله**.

**﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣٤]**

وقوله: **ذرية بعضها من بعض**، قيل: **بعضها من بعض** في النسب، من ذرية آدم، ثم من ذرية نوح،[9] ثم من ذرية إبراهيم عليهم السلام. وقيل: بعضهم من ذرية بعض، وقيل: بعضهم من جوهر بعض، فلا تتكبروا، كقوله: وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ،[10] منع الحرَّ عن التعظّم[11] على العبد. واختلف في الذرية. قال بعضهم: الذرية الأولاد والآباء، كقوله: ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ،[12] وكانوا الأولاد والآباء. والذرية مأخوذة من ذَرَأَ يَذْرَأُ، وهو الخلقة. وقيل: الذرية الأولاد خاصة، يقال: ذرية فلان، إنما يراد بذلك أولاده خاصة، دليله قوله: هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[13] وقوله: إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ.[14]

---

[1] ك: جهة.
[2] ع: عن الحكمة.
[3] ن – مختلفة.
[4] ن: وكذلك.
[5] ن: عني.
[6] لعل المؤلف يريد بأنه لو كان الامتحان بلا جزاء لكان ذلك عدلا بحق الشكر لما أولاه من النعمة، ولكن الله تعالى يجزي عبده إذا امتحنه بالبلايا إحسانا منه.
[7] م: فيماذا.
[8] ع – كان.
[9] ع – ثم من ذرية نوح.
[10] ﴿ومن لم يستطع منكم طَوْلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعضٍ﴾ (سورة النساء، ٢٥/٤).
[11] جميع النسخ: التعظيم.
[12] سورة الإسراء، ٣/١٧. | [13] سورة آل عمران، ٣٨.
[14] ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ (سورة آل عمران، ٣٦/٣).

واختلف في الآل. قيل: آل الرجل المتصلون به، وقيل: آل الرجل أتباعه، وقيل: أقرباؤه. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:[١] «كل تَقِيّ فهو من آلي».[٢] وقيل: إن عمران من ولد سليمان بن داوود عليهم السلام.

**﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٥]**

وقوله: **إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا**؛ لما أخبر عز وجل أنه اصطفى آل عمران واختارهم على سائر العالمين، وكان أقل ما في صفوته واختياره أن جعلت امرأة عمران ما في بطنها محررا. والمحرر هو العتيق عن المعاش بالعبادة. وقيل: المحرر هو الذي يعبد الله خالصا مطيعا له[٣] لا يَشغله شيء عن عبادته، فارغا لذلك. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٤] وقيل: المحرر هو الذي يكون لله صافيا. وقيل: المحرر هو من خدم المسجد. وقوله: **إني نذرت لك ما في بطني محررا**، جعلتْ ما في بطنها لله خالصا، لم تطلب منه الاستئناس به ولا ما يطمع الناس من أولادهم، وذلك من الصفوة التي ذكر عز وجل.

وهكذا الواجب على كل أحد أنه إذا طلب ولدا أن يطلبه للوجه الذي طلبت امرأةُ عمران وزكريا، حيث قال: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[٥] وما سأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام [حيث قال:] هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ،[٦] وكقوله: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا،[٧] الآية. هكذا الواجب أن يطلب الولد، لا ما يطلبون من الاستئناس والاستنصار والاستعانة في أمر[٨] المعاش بهم.

---

[١] ك ن: روي أنه قال.

[٢] أخرج الهيثمي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آل محمد؟ فقال:«كل تقي»، وقال: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾. رواه الطبراني في الصغير والأوسط. وفيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٢٦٩؛ وانظر أيضا: *تفسير القرطبي*، ١٦/٨١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢/٣٠٧.

[٣] ع م – له.

[٤] ذكره ابن كثير في تفسيره من غير نسبة؛ انظر: *تفسير ابن كثير*، ١/٣٦٠.

[٥] ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (سورة آل عمران، ٣/٣٨).

[٦] ﴿رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٠٠-١٠١).

[٧] ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧٤).

[٨] جميع النسخ: بأمر.

وقوله: **فتقبل مني إنك أنت السميع العليم**، أي تقبل مني قرباني، وما جعلت لك خالصا. **إنك أنت السميع**[١] لنذري، **العليم** بقصدي في التحرير. وقيل: **السميع**: المجيب لدعائي، **العليم** بنيتي.

**﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣٦]**

قوله تعالى: **فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى**، ومعنى قولها **إني وضعتها** / [٨٠و] **أنثى** مع علمها أن الله[٢] عالم بما في بطنها وبما وضعتها [فيه] وجهان. أحدهما [أن يكون] اعتذارا لما لم يكن يُحرَّر[٣] في ذلك الزمان إلا الذكور من الأولاد، فاعتذرت أن[٤] ما وضعت لا يصلح للوجه الذي ذكرت.[٥] والثاني أن الإنسان إذا رأى شيئا عجيبا قد ينطق بذلك، وإن كان قد[٦] يعلم أن غيره علم[٧] ما علم هو وأنه رأى مثل ما رأى هو. أو يحتمل أن طلبت ردّها إلى منافعها إذ وضعت الأنثى، لما رأت أن الأنثى[٨] لا تصلح لذلك.

ويحتمل قوله: **إني وضعتها أنثى**، التعريض لإجابة الله تعالى لها[٩] فيما قصدت من طاعته بالنذر، وإن لم تكن صلحت لما قصدت، وقد أجيبت[١٠] في ذلك[١١] بقوله: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ،[١٢] نحو ما يتقبل لو كان ذكرا في الاختيار والإكرام، وجعلها خير نساء العالمين.

وقوله: **وليس الذكر كالأنثى**، اختلف فيه. قيل: إن ذلك قولها، قالت: **وليس الذكر كالأنثى**، على أثر قولها: **إني وضعتها أنثى**، لما تحتاج إلى فضل حفظ وتعاهد والقيام بأسبابها مالا يحتاج الذكر.

---

[١] ع + العليم.
[٢] ع م + هو.
[٣] ع م: تحرير.
[٤] جميع النسخ: أني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٠٩ظ.
[٥] ك: جعلت.
[٦] ن – قد.
[٧] ك ع م – علم.
[٨] ع م – أن الأنثى.
[٩] م – لها.
[١٠] م: قد أجيبت.
[١١] ع م: في قولك.
[١٢] الآية التالية.

وقيل: إن[1] ذلك قولٌ قاله عز وجل لمّا قالت: **إني وضعتها أنثى**، جوابا لها[2] **وليس الذكر كالأنثى** فيما قصدت. *والله أعلم*.

وقوله: **وإني سميتها مريم**، فيه دلالة أن تسمية[3] الأولاد إلى الأمهات في الإناث دون الآباء. ثم التجأت إلى الله تعالى حيث أعاذتها به **وذرّيّتها من الشيطان الرجيم**. وفيه دلالة أن الذكور يكونون من ذرية الإناث، لأنه لم يكن منها إلا عيسى عليه السلام.

**﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٧]**

وقوله: **فتقبلها ربها بقبول حسن**. يحتمل قوله: **فتقبلها ربها بقبول حسن** أن أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم على ما سألت. ويحتمل أن جعلها تصلح للتحرير ولما جعلت وإن كانت أنثى.

وقوله: **وأنبتها نباتا حسنا**، يحتمل[4] **نباتا حسنا**، أن لم يجعل للشيطان إليها سبيلا. ويحتمل أن رباها تربية حسنة، أن لم يجعل رزقها وكفايتها بيد أحد من الخلق، بل هو[5] الذي يتولى ذلك، لما يبعث إليها من ألوان الرزق، كقوله: **وجد عندها رزقا**، وكقوله: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا.[6]

وقوله: **وكفّلها زكريا**؛ فيه لغتان، إحداهما[7] بالتخفيف، والأخرى بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: ضمها زكريا إلى نفسه. ومن قرأ بالتشديد فمعناه أن[8] الله عز وجل ضمها إلى زكريا.

**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**، قيل: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

---

[1] ع - إن.
[2] ع م - لها.
[3] ع م: تسميته.
[4] جميع النسخ + أيضا.
[5] ك + بل هو.
[6] سورة مريم، ٢٥/١٩.
[7] ن ع: أحدهما.
[8] ن ع: أي.

**قال يا مريم**[1] **أَنّىٰ لكِ هذا.** قيل فيه بوجهين. قيل: استخبار عن موضعه، أو كيف لك هذا؟ على الاستيصاف، إنكارا عليها واتّهاما؛[2] لما لا يدخل عليها غيرُه، ولا يقوم بكفايتها سواه، فوقع في قلبه أن أحدا من البشر يأتيها بذلك. وقيل: إنه قال ذلك تعجبا[3] منه لما رأى من الفاكهة والطعام في غير حينه غير متغير، فقال: **أنّىٰ لكِ هذا؟** تعجبا منه لذلك.

ثم: **قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب،** أي يرزق من حيث لا يحتسب.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣٨]

وقوله: **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة.** قيل: فعند ذلك دعا زكريا ربه، لما كانت نفسه الخاشية تحدِّث بالولد أن يهب [ربه] له من لدنه[4] ذرية طيبة،[5] لكنه لم يدع[6] لما رأى نفسه متغيرة عن الحال التي يطمع منها الولد، فرأى أن السؤال[7] في مثل ذلك لا يصلح.[8] فلما رأى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غير متغيرة عن حالها علم عند ذلك أن السؤال يصلح، وأنه يجاب للدعاء في غير حينه، فذلك معنى قوله: **هنالك دعا ذكريا ربه.** ***والله أعلم.*** ويحتمل أنه لما رأى ما أُكرمت امرأة عمران في قبول دعوتها، وتبليغ ابنتها في الكرامة المبلغَ الذي رأى فيها، مما لعل أطماع الأنفس لا تبلغ ذلك دعا الله جل جلاله أن يكرمه بمن[9] يبقى له الأثر به والذكر، وإن كانت تلك الحال حالا[10] لا تطمع الأنفس[11] فيما رغب عليه السلام.

---

[1] جميع النسخ: قال زكريا.

[2] ع: وأنها.

[3] ك ع م: تعجيبا.

[4] ع م: لدنك.

[5] ك ن – من لدنه ذرية طيبة؛ ع م + قيل فعند ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه.

[6] ك: لم يدعوا؛ ن ع م: لم يدعو.

[7] ع م + أن السؤال.

[8] «لكنه لم يدع مراعاة للأدب؛ إذ الأدب أن لا يدعو المرء من الله تعالى إلا ما هو معتاد الوجود فيما بين الناس دون ما هو نادر أو خلاف المعتاد، وإن كان إحداث الكل تحت قدرة الله. وهو من أعلم الناس بقدرة الله تعالى، وهو نبي كان يرى نفسه متغيرة الحالة التي يطمع من مثله الولد، وامرأته على الحالة التي لا يطمع من مثلها الولد، لم يكن يقدر على الدعاء والسؤال» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٠ظ).

[9] ن ع: ممن.

[10] ن ع م: حال.

[11] ن – الأنفس.

مع ما كان[١] يعلم[٢] قدرة الله عز وجل على ما شاء من غير أن كان يجسر[٣] على طلب الإكرام بكل ما تبلغه قدرته،[٤] حتى رأى ما هو في الأعجوبة قريبا مما كانت نفسه تتمنى.[٥] والله أعلم بالمعنى الذي سأل.

وقوله: **رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**، أي مجيب الدعاء.

**﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣٩]**

وقوله: **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**، دل هذا أن المحراب هو[٦] موضع[٧] الصلاة. **أن الله يبشرك بيحيى**، فيه دلالة لقول أصحابنا رحمهم الله: إن الرجل إذا حلف أن لا يبشّر فلانا فأرسل إليه غيره يبشره حنث في يمينه، لأنه هو البشير وإن كان المؤدى غيره. ألا ترى[٨] أن البشارة هاهنا أضيفت إلى الله تعالى، فكان هو البشير،[٩] فكذلك هذا.

وقوله: **مصدّقا بكلمة من الله**، قيل: عيسى عليه السلام كان بكلمة من الله، فيحيى صدّقه برسالته وشهد أنه كلمة الله. وقيل: أول من صدق عيسى يحيى بن زكريا. ولهذا وقع على النصارى شبهة، حيث قالوا: عيسى ابن الله بقوله: بِكَلِمَةٍ مِنْهُ،[١٠] وَرُوحٌ مِنْهُ.[١١] ظنوا أنه في معنىً فيه. لكن ذلك إنما يذكر إكراما له[١٢] وإجلالا، ولا يوجب ذلك ما قالوا. ألا ترى أن الله عز وجل قال: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ،[١٣] ونحو ذلك، لم يكن فيه أن النعمة منه في شيء، فعلى ذلك الأول.

---

[١] ن – فيما رغب عيه السلام مع ما كان.
[٢] م – يعلم.
[٣] ع م: يحسر.
[٤] جميع النسخ: قدره.
[٥] ك: نتمنى؛ ع م: يتمنى.
[٦] ن – هو.
[٧] ن: بموضع.
[٨] ك: يرى.
[٩] ع – البشير.
[١٠] جميع النسخ: من الله. ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٥).
[١١] ﴿يا أهل الكتاب لا تعنوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (سورة النساء، ٤/١٧١).
[١٢] جميع النسخ: لهم.
[١٣] سورة النحل، ١٦/٥٣.

وقوله: **وسيدا**. قيل: **سيدا** في العلم والعبادة. وقيل: السيد الحليم هاهنا. وقيل: السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه، فكذلك كان صلوات الله عليه. وقيل: السيد الحسن الخلق، وقيل: السيد التقي.

وقيل: اشتق يحيى من أسماء الله تعالى من الحي،[1] والله عز وجل هو الذي سماه يحيى.

[٨٠ظ] وكذلك / عيسى[2] هو الذي سماه مسيحا، بقوله: يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ،[3] عليهما السلام، وذلك إكراما لهما وإجلالا؛ على ما سمى إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله، وموسى كليم الله، إكراما لهم وإجلالا، فكذلك الأول. وجائز أن يكون يحيى مما حَيِيَ به الدين.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله **يحيى**: قيل: سماه به، لما حيي به الدين والمروءة، أو حيي[4] به العلم والحكمة، أو حيي به الأخلاق الفاضلة والأفعال المرضية. ولهذا -والله أعلم- سُمِّي سيدا، لأن السودد[5] في الخلق يكسب[6] بهذا النوع من الأحوال. *وحقيقة السودد أنه يكتسب بالأخلاق الحسنة والأفعال المرضية. وجائز أن يكون عليه السلام جمعهما فيه، فسمى به. ***والله أعلم***.* وسمي [عيسى] مسيحا بما مسح بالبركة. أو [لأنه] يُبَارك في كل شئ يمسحه بيده، نحو أن يبرأ به [المريض] ويحيى. ***والله أعلم***. والأصل في هذا ونحوه أن الأسماء[8] إذ جعلت للمعارف، وليعلم بها المقصود، فالكف[9] عن التكلف في [تحديد] المعنى الذي له سُمُّوا به[10] أسلم، وإن كان في الجملة يختار ما يحسن منه في الأسماء، دون ما يقبح على المقال أو على الرغبة في ذكره، على ما يختار من كل شيء. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: من حي.
[2] ن ع م + الله.
[3] ﴿إذ قالت الملآئكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٥).
[4] م: وحيي.
[5] ك: السيود؛ ع: السود؛ م: السؤد.
[6] ك ن: يكتسب.
* في جميع النسخ ما بين النجمتين وقع قبل «والأصل في هذا ونحوه...»فنقلناه إلى هنا.
[8] ك: لا سيما.
[9] ع: في الكف.
[10] ك ن ع: له.

وقوله: **وحَصُورًا**. قيل: الحصور الذي لا ماء له[١] ولا شهوة. وقيل: هو المأخوذ من النساء والممنوع منهن. وقيل: هو الذي لا يشتهي النساء.[٢] وكله واحد. ***والله أعلم***.

**ونبيا من الصالحين**. ذكر أنه من الصالحين –وإن كان كل نبي لا يكون إلا صالحا– على ما سمى بعض النبيين[٣] صديقا، وإن كان [كل نبي] لا يكون إلا صديقا. ووجه ذكره صالحا أنه كان يتحقق فيه ذلك؛ لأن غيره من الخلق وإن كان يستحق ذلك الاسم[٤] إنما يستحقه[٥] بجهة، والأنبياء صلوات الله عليهم يتحقق ذلك فيهم من الوجوه كلها. والثاني دعاء[٦] أن يلحق بالصالحين في الآخرة. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله:} ما ذكر في كل نبي أنه كان من الصالحين يخرج على أوجه. على جميع الصلاح [فيهم]، وعلى البشارة لهم في الآخرة أنهم يلحقون بأهل الصلاح، وعلى أنهم منهم لولا النبوة، ليعلم أن النبوة إنما تختار[٧] في الدين لمن[٨] لهم وصف الصلاح، وعلى الوصف به أنهم كذلك على ألسن الناس وأن الذين ردوا عليهم ردوا[٩] بعد علمهم بصلاحهم. أو على الوصف به كالوصف بالصديق وإن كان كل نبي كذلك. مع ما لعل لذلك[١٠] حدا[١١] عند الله –[فهو] أراد ذلك–[١٢] [و]لم يكن أطلَع غيره عليه. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون [سماه] يحيى بما حَيِيَ به الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية، ولذلك سمي سيدا. وجملته أن لله أن يسميَ من شاء بما شاء، وليس لنا تكلف طلب المعنى فيما سمى الله الجواهر به؛ إذ الأسماء للتعريف، لكن يختار الأسماء الحسنة في السمع على التفاؤل. ***والله أعلم***.

---

[١] أي لا منيّ له.

[٢] «وقيل: الحصور هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة. وهو الأصح؛ لأنه ليس في الامتناع الضروري لعدم صلاح الآلة وعدم الشهوة مدح. وإنما المدح مستحق بالامتناع عن اختيار، وذلك عند سلامة الآلة وأسباب القدرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٠ظ).

[٣] جميع النسخ: كل نبي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١٠ظ.

[٤] ن – الاسم.

[٥] جميع النسخ: إنما يستحق.

[٦] ع: دعاه؛ م: دعا.

[٧] ن ع م: يختار.

[٨] جميع النسخ: ثم.

[٩] ع – ردوا.

[١٠] أي للصلاح.

[١١] ك ن ع: حد؛ م: أحد.

[١٢] جميع النسخ: ذلك أراد.

وقوله: وروح الله،[1] وكلمته،[2] كقوله: خليل الله،[3] وحبيبه، وذبيح الله، وكليم الله،[4] ليس على توهم معنى يزيل معنى الخلقة، ويوجب معنى الربوبية أو البنوة.[5] وذلك على ما قيل من بيوت[6] الله، وعلى ما قيل لدينه نور الله، وقيل لفرائضه حدود الله، لا على معنى يخرج عن جملة خلقه، بل على تخصيص لذلك في الفضل على أشكاله. وذلك كما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ،[7] وقال في الجملة: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ.[8] لا على ما توهمته النصارى في المسيح، فمثله الأول. **ولا قوة إلا بالله**.*

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٤٠]

**قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر**. يحتمل هذا الكلام وجوها. أحدها على الإنكار، أي لا يكون. لكن هاهنا لا يحتمل، لأنه كان أعلم بالله وقدرته أن ينطق به أو يخطر بباله. والثاني، **أنى يكون لي غلام**، أي كيف وجهه وسببه؟ وكذلك قوله: أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا،[10] وقوله: أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا،[11] [وقوله:] أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا،[12] أي كيف وجهه وما سببه؟ والثالث: **أنى يكون لي غلام** في الحال التي أنا عليها؟ أو أُردُّ إلى الشباب، فيكون لي الولد. هذان الوجهان محتملان. وأما الأول فإنه لا يحتمل.

---

[1] هكذا في جميع النسخ. و لم يرد في القرآن إلا "روح منه". وذلك قوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (سورة النساء، ١٧١/٤).

[2] يشير بذلك إلى ما جاء في الآية السابقة من سورة النساء.

[3] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (سورة النساء، ١٢٥/٤).

[4] ك – الله. لم يرد في القرآن الكريم نصوص تصرح بالإضافات: حبيب الله، ذبيح الله، كليم الله. ولعلها ذكرت وفق الاستعمال العام.

[5] ن: النبوة.

[6] ك ن ع: ثبوت؛ م: بتوت.

[7] سورة الضحى، ١١/٩٣.

[8] سورة النحل، ٥٣/١٦.

* وقع هنا قطعة من تفسير الآية ٤٦ من سورة آل عمران. فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٠ط/سطر ٢٤-٢٨.

[10] سورة آل عمران، ٣٧/٣.

[11] ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه﴾ (سورة البقرة، ٢٥٩/٢).

[12] ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه و لم يؤت سعة من المال﴾ (سورة البقرة، ٢٤٧/٢).

وقوله تعالى: **وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر**، وذكر في سورة مريم: قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عتيا،[1] ذكر على التقديم والتأخير. وكذلك قوله ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[2] و[قوله:] ثَلَاثَ لَيَالٍ،[3] والقصة واحدة، [لكنه] ذكر على التقديم والتأخير، وعلى اختلاف الألفاظ. دل أن ليس على الخلق حفظُ اللفظ واللسان، وإنما عليهم حفظ المعاني المدرجة المودعة فيها. *وبالله التوفيق*. ويعلم [من ذلك] أنه لم يكن على كلا القولين، ولم يكن بهذا اللسان.

وقوله: **قال كذلك الله يفعل ما يشاء**، وقوله: قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ،[4] واحدٌ وإن اختلف في اللسان.

**﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[٤١]**

وقوله: **قال رب اجعل لي آية**، طلب من ربه آية، لما لعله لم يعرف أن تلك البِشارة بشارة الملائكة أو وساوس. فطلب آيةً ليعرف أن تلك البشارة بشارة الملائكة من الله عز وجل لا بشارةُ إبليس، لأنه لا يقدر أن يفتعل في الآية، لأن فيها تغيير[5] الخلقة والجوهر، وهم لا يقدرون على ذلك ولعلهم يقدرون على[6] الافتعال في البشارة. ألا ترى / أن إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه لما [٨١و]
نزل به الملائكة لم يعرفهم[7] بالكلام وهابهم[8] حتى قال: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ،[9] حتى قالوا: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ،[10] فذهب ذلك الروع منه بعد ما أخبروه أنهم ملائكة رسل الله أرسلهم إليه.

*وقيل في قوله: **اجعل لي آية** أنه طلب آية؛ لجهله بعلوق الولد، وحبلها[11] ليعرف متى يأتيه.[12]*

---

[1] سورة مريم، ٨/١٩.
[2] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (سورة آل عمران، ٤١/٣).
[3] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويا﴾ (سورة مريم، ١٠/١٩).
[4] سورة مريم، ٢١/١٩.
[5] جميع النسخ: تغير.
[6] ك ن – على.
[7] ع: لم يعرفها.
[8] جميع النسخ: وهابوه.
[9] سورة الحجر، ٦٢/١٥.
[10] سورة هود، ٧٠/١١.
[11] ك ع م: وجعلها. وحبلها: أي وحبل امرأته.
[12] جميع النسخ: يأتيها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١١و.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٨١و/سطر٧-٨.

وقوله: **قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا**، قال بعض أهل التفسير: حبس لسانه عقوبة له بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾[1] لكن ذلك خطأ، والوجه فيه منعه من تكليم الناس ولم يمنعه عن الكلام في نفسه. ألا ترى أنه أمره أن يذكر ربه ويسبح بالعشي والأبكار، كقوله: **واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار**. ويحتمل أن يكون أراه آية في نفسه من نوع ما كان سؤاله، إذ[2] كان عن العلم بالولد في غير حينه، فأراه[3] بمنع اللسان عن النطق وأعلى أحوال الاحتمال ليكون آية للأول.[4]*

وقوله: **إلا رمزا**، قيل: الرمز هو[6] تحريك الشفتين، وقيل: هو الإيماء بشفتيه، وقيل: هو الإشارة بالرأس، وقيل: هو الإشارة باليد. والله أعلم بذلك.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **وإذ قالت الملائكة يا مريم**، قال أهل التفسير: هو جبريل عليه السلام. لكن ذلك لا يعلم إلا بالخبر، فإن صح الخبر فهو كذلك، وإلا لم نقل[7] من كان من الملائكة قال ذلك.[8]

وقوله: **إن الله اصطفاك**، [أي] إنه اصطفاها[9] لعبادة نفسه، وخصها له،[10] بما[11] لم يكن ذلك لأحد من النساء، فيكون ذلك صفوتها. وقيل: اصطفاها بولادة عيسى عليه السلام، إذ أخرج منها نبيا مباركا تقيا على خلاف ولادة البشر.

---

[1] إشارة إلى الآية السابقة.

[2] م: إذا.

[3] ك: فأذاه.

[4] يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «إنما جعل الله المنع عن التكلم مع الناس في أعلى أحوال القدرة، فإن الطفل مع صلاح آلاته لا يعتاد منه الكلام، أما من الكبير في حال سلامة الآلة فالكلام هو المعتاد، والامتناع على طريق نقض العادة. فأراه الآية المناقضة للعادة على حسب سؤاله الولد في غير حينه المناقض للعادة، ليتأكد ما بشر به ويطمئن قلبه كذلك. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١١ظ).

* وقع هنا مقدار سطر من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ٨١و/سطر٧-٨.

[6] ع م - هو.

[7] ع م: لم يقل.

[8] أي لم نجزم فيمن قال هذا القول من الملائكة لمريم أ هو جبريل أم غيره.

[9] جميع النسخ: صفاها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١١ظ.

[10] ن: لنفسه.

[11] ك ن ع: ما.

وقوله: **وطهرك**، قيل:[١] من الآثام والفواحش. وقيل: **وطهرك** من مس الذكور وما قُذفت به.[٢] **واصطفاك على نساء العالمين**، هو ما ذكرنا من صفوتها أن جعلها لعبادة نفسه خالصة.[٣] أو ما قد وَلَدت[٤] من غير أب على خلاف سائر البشر. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة خطوط ثم قال: «هل تدرون ما هذه؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية امرأة فرعون»،[٥] وكذلك روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:[٦] «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عِمران، وآسية بنت مُزاحم، وخديجة بنت خُويلد، وفاطمة[٧] بنت محمد صلى الله عليه وسلم».[٨]

**﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٤٣]**

وقوله: **يا مريم اقنتي لربك**، يحتمل وجهين. الأمرَ بالقنوت: [أريد به][٩] القيام، ثم الأمر بالسجود: أي الصلاة، ثم الأمر بالركوع مع الراكعين، وهو الصلاة بجماعة.[١٠] ففيه الأمر بالصلاة بالجماعة على ما هو علينا، لأنه قال: **واركعي مع الراكعين**. وعلى ذلك روي في الخبر أنه سئل عن أفضل الصلوات، فقال: «طول القنوت».[١١] ويحتمل أنه الأمر بالركوع ثم بالسجود،[١٢] فيدل أن السجود وإن كان مقدما ذكره على الركوع فإنه ليس في تقديم ذكر شيء على شيء ولا تأخير شيء عن شيء[١٣] في الذكر دلالة وجوب الحكم كذلك.

---

[١] ن – قيل.
[٢] ك – به.
[٣] ن ع: خالصا.
[٤] ك ن + من ولد.
[٥] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/ ٢٩٣، ٣١٦، ٣٢٢.
[٦] ع م – قال أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون وكذلك روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال.
[٧] ع + الزهراء.
[٨] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٣٥/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢٦٣/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٦٣/١.
[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١١ظ.
[١٠] ن: لجماعة.
[١١] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٢/٣، ٣٩١، ٣٨٥/٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين، ١٦٤-١٦٥.
[١٢] ع: السجود.
[١٣] ع – عن شيء.

وقيل:[1] القنوت هو الخضوع والطاعة، كقوله: وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ،[2] أي خاضعين مطيعين.

فإن قيل: كيف أُمِرتْ بالركوع مع الراكعين؟ قيل: كانوا –والله أعلم– ذوى قرابة منها ورحم. ألا ترى أنهم كيف اختصموا[3] في ضمها وإمساكها حتى أراد كل واحد منهم ضمها إلى نفسه وأنه الأحق بذلك، دلّ أن بينهم وبينها رحما وقرابة.

وقيل في قوله: **اقنتي**: أطيلي الركوع[4] في الصلاة. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله:} ويحتمل **مع الراكعين**، أي ممن يركع ويخضع له بالعبادة، لا على الاجتماع. والله أعلم كيف كان الأمر في ذلك.

**﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤٤]**

قوله تعالى: **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**، أي من أخبار الغيب، لم تشهده أنت يا محمد، ولم تحضره،[5] بل نحن أخبرناك وذكرناك عن[6] ذلك.

ثم في ذلك وجوه [من] الدلالة. أحدها أراد [الله] أن يخبره عن صفوة هؤلاء وصنيعهم ليكون على علم من ذلك. والثاني دلالة إثبات رسالته، لأنه أخبر[7] على ما كان من غير أن اختلف إلى أحد، أو أعلمه أحد من البشر على علم منهم بذلك،[8] دل أنه إنما علم ذلك بالله عز وجل. والثالث أن يتأمل وجه الصفوة لهم أنهم بم نالوه، فيجهدَ[9] في ذلك. ***والله أعلم***.

وفي ذلك تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى أن ظهر ذلك بإلقاء الأقلام.

وقوله: **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**، الآية. قيل: إنهم ألقوا أقلامهم على جِرْيَة الماء، فذهبت الأقلام كلها مع الجرية إلا قلم زكريا، فإنه وقف على وجه الماء.

---

[1] يحتمل أن يكون هذا هو الوجه الثاني من الوجهين.

[2] ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٨).

[3] ع م: اختصوا.

[4] م – الركوع.

[5] جميع النسخ: ولم تحضر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١١ظ.

[6] ن ع: عند.

[7] م: أخبره.

[8] ك ع م: ذلك.

[9] جميع النسخ: فيجهدوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١١ظ.

وقيل: طرحوا أقلامهم في الماء، وكان من شرطهم أن من صعد قلمه عاليا[١] به مع الجرية فهو أحق بها، ومن سَفَل قلمه مع الجِرية فهو المقروع؛ فصعد قلم زكريا وتسفّلت أقلامهم، فعند ذلك ضمها زكريا إلى نفسه.

ثم من الناس من احتج لجواز[٢] القرعة والعمل بها بهذه الآية، حيث ضم[٣] زكريا مريم إلى نفسه لما[٤] خرجت القرعة له.[٥] لكن [هذا الاحتجاج باطل لأن][٦] القرعة في الأنبياء لتبيين[٧] الأحق من غيره لوجهين: لحق الوحي؛ والثاني لظهور إعلام في نفس القرعة عن ما يعلم[٨] أنه كان بالله ذلك لا بنفسه، كارتفاع القلم على الماء، ومثل ذلك لا يكون للقلم.[٩] و[إظهار] المحق من المبطل فيما[١٠] بين سائر الخلق لدفع[١١] التهم، فهي لا تدفع [بالقرعة] أبدا.[١٢] ويحتمل استعمال القرعة فيها لتطييب الأنفس بذلك، أو علموا ذلك بالوحي، فليس اليوم وحي؛ لذلك بطل الاستدلال لجواز[١٣] العمل بالقرعة اليوم. *والله أعلم*. أو كان ذلك آية، والآية لا يقاس عليها غيرها، نحو قبول[١٤] قول قتيل بني إسرائيل، [فإنه كان] آية، ليس به معتبر في جواز قول قتيل آخر قبل الموت.[١٥]

---

[١] ك ن ع: مغالبا.
[٢] ن ع: بجواز.
[٣] ك ن م: ضمها.
[٤] ن: إلى.
[٥] م – له. انظر لهذه المسألة: *تفسير القرطبي*، ٤/٨٧.
[٦] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٢و.
[٧] ع: التبيين؛ م: لتبين.
[٨] جميع النسخ: ما يعلم.
[٩] «ومثل ذلك لا يكون فعل القلم، وإنما هو فعل الله تعالى» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٢و).
[١٠] جميع النسخ: وفيما.
[١١] جميع النسخ: لدفعهم.
[١٢] والتصحيح مع الزيادة مستفاد من الشرح. ويقول الشارح في آخر قوله: «إنما الخلاف في القرعة لإظهار الحق. وهي لا تظهر الحق بنفسها أبدا، فإنها تارة يخرج على هذا وتارة لا، والمختلف لا يصلح دليلا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٢و).
[١٣] ك ن ع: بجواز.
[١٤] م – قبول.
[١٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٢-٧٣). وإنما قال: «قبل الموت»، لأنه لا يمكن لمن ليس نبي أن يحيي الميت فيخبر مَن قتله.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٤٥]

وقوله: **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرِكِ بكلمة منه اسمه المسيح**، يحتمل **بكلمة**
[٨١ظ] **منه**، أن قال: كن، فكان من غير أب / ولا سبب. وسائرُ البشر لم يكونوا إلا بالآباء والأسباب من النطفة، ثم من العلقة، ثم من مضغة مخلَّقه على ما وصف عز وجل في كتابه،[١] وكان أمر عيسى عليه السلام على خلاف ذلك. ويحتمل **بكلمة منه** ما ذكر أنه كلم الناس في المهد إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[٢] الآية. وذلك مما خص به عيسى، وهو بكلمة من الله قال ذلك.

[٨١ظ س٧ *وقوله **اسمه المسيح**. قال ابن عباس رضي الله عنه: **المسيح** المبارك، أي مسح[٣] بالبركة.[٤] وقيل: سمي مسيحا لأنه كان يمسح عين[٥] الأعمى والأعور فيبصر. وقيل: **المسيح** العظيم. لكنه -والله أعلم- بلسانهم، فيسأل ما المسيح بلسانهم؟

وقوله: **وجيها في الدنيا**، بالمنزلة ومكينا في الآخرة.[٦]

وقوله: **ومن المقرَّبين**، في الدرجة والرفعة. ومن كان وجيها في الدنيا والآخرة[٧] فهو
٨١ظ س١٠] مقرب فيهما.[٨]*

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤٦]

وقوله: **ويكلم الناس في المهد وكهلا**، بشارة ببقائه إلى أن يصير كهلا. وفيه وجه آخر، وهو أن[١٠] في ذلك بيان أن كلامه في المهد كلام مختار،[١١] إذ ذلك وصف كلام الكهل ليعلم أن قوله:

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغة مخلَّقةٍ وغير مخلقة لنبين لكم﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٢] ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ (سورة مريم، ٣٠/١٩).

[٣] ع م: مسيح.

[٤] تفسير الطبري، ٢٧٠/٣.

[٥] ك: بعين.

[٦] ك + ما ذكر.

[٧] ن – وقوله ومن المقربين في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والآخرة.

[٨] ك ن م: فيها.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٨١ظ/سطر٧-١٠.

[١٠] م + قوله.

[١١] أي كلام حاصل من الحروف والكلمات.

إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ،[1] إلى آخره إنما هو حقيقة الخضوع لله والإنباء عنه، لا على تَخلُّقه كنطق الجوارح في الآخرة.[2] **والله أعلم**. أو ليكون آية له دائمة، إذ لم يكن على ما عليه أمرا لبشر من التغيير.[3] على أن الآيات[4] الجوهرية تزول[5] عند الغَناء، نحو العصا[6] فيما تعود إلى حالها واليد ونحو ذلك،[7] لِيُخَصَّ هو[8] بنوع من الآيات الحسية بالدوام. **ولا قوة إلا بالله**.

فإن قيل ما معنى قوله: **ويكلم الناس في المهد وكهلا**، والكهل مما يكلم [فيه] الناس؟

قيل: لأن كلامه في المهد آية والآية لا تدوم، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ،[9] الآية، وإنما يكون ذلك مرة، لا أنها تشهد وتنطق أبدا. فأخبر أن تكليمه الناس في المهد -وإن كانت آية- فإنه ليس بالذي لا يدوم ولا يكون إلا مرة. والثاني [أنه] أمنٌ من الله لمريم وبشارة لها[10] ببقاء ولدها[11] إلى وقت كهولته. **والله أعلم**.*

**﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٤٧]**

وقوله: **قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر**، عرفت مريم أن الولد يكون بمس البشر، وعلمت أيضا أنها لا تتزوج ولا يمسها بشر أبدا، لأنها قالت: **أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر**، فإن لم يكن مسها[13] أحد قبل ذلك فلعله[14] يمسها في حادث الوقت فيكون لها منه الولد.

---

[1] ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ (سورة مريم، ٣٠/١٩).

[2] وهو كلام غير مختار، كأنه حاصل بالخلقة ولسان الحال.

[3] لأن كلام الصبي إنما يحصل بعد زمان ويكون في هذه المدة تغير وتطور فيه.

[4] ك ن م: آيات.

[5] ك ع م: نزول.

[6] ك م: العصاء.

[7] أي المعجزات الجوهرية الحاصلة بالعصا واليد وغيرها تزول بعد الاستغناء عنها وبعد وقوعها بمرأى من الناس فتعود إلى حالها الأولى.

[8] أي كلام عيسى عليه السلام حال كونه صبيا في المهد.

[9] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

[10] ع م: بها.

[11] جميع النسخ: عند وفاته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١٢و.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٨١ط/سطر٧-١٠.

[13] ع: منها.

[14] م: فلم.

فلما لم يقل لها: يمسّك،[1] ولكن قال: **كذلكِ الله يخلق ما يشاء**، دل ذلك أنها علمت أنها لا تتزوج أبدا لأنها كانت محررة لله، مخلَصة له في العبادة. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **أنى يكون لي ولد**، أي من أي وجه يكون لي ولد، بالهبة؟ لأنها بشرت أن يهب لها ولدا، فقالت: من أي وجه يكون لي ولد،[2] بالهبة، ولم يمسسني بشر؟[3]

ثم قال: **كذلكِ الله يخلق ما يشاء**، تأويله ما ذكر في سورة مريم، حيث قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ، الآية، ثم قال: كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ،[4] أي خلْقُ الخلق عليّ هين بأب وبغير أب وبمس بشر وبغير[5] مس بشر،[6] وبسبب وبغير سبب. على ما خلق آدم بغير أب ولا أم، فعلى ذلك يخلق بتوالد بعض من بعض، وبغير توالد بعض من بعض،[7] كخلق الليل والنهار، يخلق بلا توالد أحدهما من الآخر. فكذلك يخلق لك ولدا من غير أب ولا مس بشر. ***وبالله الحول والقوة***.

وقوله:[8] **إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**، أي إذا قضى أمرا بتكوين أحد أو بتكوين شيء، **فإنما يقول له كن فيكون**؛ لا يثقل عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم، كقوله: مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[9] أي خلق الخلق كلهم ابتداء وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة أن يقول: كن فيكون. وإنما يثقل ذلك على الخلق ويصعب، لموانع تمنعهم[10] وأشغالٍ تشغلهم. فأما الله سبحانه وتعالى فيتعالى عن أن يشغله شغل أو يمنعه مانع أو يحجب عليه حجاب.

وقوله: **فإنما يقول له كن فيكون**. ذكر –والله أعلم– هذا الحرف لأنه ليس في كلام العرب حرف أو جزء[11] منه يعبر [به] فيفهم معناه، لا[12] أن كان منه عز وجل كافٌ أو نون

---

[1] م: يمسسك.
[2] ك م – ولد.
[3] أي أ يكون لي ولد بأن يؤذن لي بالتزوج؟ انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١١٢و.
[4] ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ (سورة مريم، ١٩/٢٠-٢١).
[5] ع: أو بغير.
[6] م – بشر.
[7] ك – وبسبب وبغير سبب على ما حلق آدم بغير أب ولا أم فعلى ذلك يخلق بتوالد بعض من بعض وبغير توالد بعض من بعض.
[8] ع – وقوله.
[9] سورة لقمان، ٣١/٢٨.
[10] م – تمنعهم.
[11] م: جز.
[12] ن ع م: إلا.

أو حرف هجاء[1] أو صوت[2] يفهم ويعرف حقيقته، أو يوصف هو بمعنى من معاني كلام[3] الخلق أو صفاتهم، أو يكون لتكوينه وقت أو مدة أو حال، أو يكون تكوين بعد تكوين على ما يكون من الخلق. إنما هو أوجز[4] حرف يفهم معناه بالعبارة [و]إخبار منه عز وجل الخلقَ عن سرعة نفاذ أمره ومشيئته.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٤٨]

وقوله: **ويعلمه الكتاب**، بشارة منه لها أيضا أنه يعلمه الكتاب. ثم اختلف في الكتاب. قيل: **الكتاب** هو الخط هاهنا يخط بيده. ويحتمل **الكتاب** الكتاب[5] نفسه، التوراة والإنجيل. ويحتمل **الكتاب** كتب النبيين. **والحكمة**؛ قيل:[6] الحكم بين الخلق، وقيل: الفقه، وقيل: الحلال والحرام، وقيل: السنة. **والحكمة** هي الإصابة. وقد ذكرنا فيما تقدم.[7]

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤٩]

وقوله: **ورسولا إلى بني إسرائيل**، أي جعله رسولا إلى بني إسرائيل.[8] وهذا أيضا بشارة لها منه. وكان عيسى -صلوات الله على نبينا وعليه- من أول أمره إلى آخره آية؛ لأنه وُلد من غير أب على خلاف ما كان سائر البشر، وكلّم[9] الناس في المهد وأقر بالعبودية له،[10] ولم يكن لأحد من البشر ذلك. وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وإنباء ما كانوا[11] يأكلون ويدخرون.

---

[1] ع: أو هجاء.
[2] جميع النسخ: صفة.
[3] ك - كلام.
[4] م: أجز.
[5] م - الكتاب.
[6] ع م: وقيل.
[7] انظر سورة البقرة، ١٢٩/٢.
[8] ك - أي جعله رسولا إلى بني إسرائيل.
[9] ن ع م: يكلم.
[10] ن: وأقر بالعبودة؛ ع: وأقرب بالعبودة.
[11] ع: مما كانوا.

وما كان[1] له مأوى يَأْوِي إليه، ولا عيش يتعيش هو به، والبشر لا يخلو عن ذلك. ثم أُلقي شِبْهه على غيره فقتل به ورفع هو[2] إلى السماء، وذلك كله آية. وكانت آياته كلها حسية يعلمها كل أحد.

وآيات رسول الله –عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات– كانت حسية وعقلية. أما الحسية فهو انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وكلام الشاة المسمومة، وقطع مسيرة شهر في ليلة، وغير ذلك من الآيات، مما يكثر عددها. هذه كلها كانت حسية. وأما العقلية فهذا القرآن الذي نزل عليه،[3] وهو بين أظهرهم وفيهم[4] فصحاء وبلغاء وحكماء، يتلى[5] عليهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[6] الآية، وقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.[7] فلو كان بهم طاقة أو قدرة أن يأتوا بمثله لجهدوا كل الجهد وتكلفوا كل تكلف حتى يطفئوا هذا النور، ليتخلصوا عن قتلهم وسبي ذراريهم واستحياء نسائهم. فلما لم يفعلوا ذلك دل أنه كان آية معجزة عجزوا جميعا عن إتيان مثله. فأي[8] آية[9] أعظم من هذا؟ *وبالله النجاة*.

[٨٢و] وقوله: / **أَنِّي قد جئتكم بآية من ربكم**، أي بعلامة أني رسول منه إليكم. ثم فسر الآية فقال: **أَنِّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**. قوله: **أني أخلق لكم**، هو على المجاز لا على التخليق والتكوين،[10] لأن الخلق ليس هو من فعل المخلوق، وإنما هو من فعل الله عز وجل، لأن التخليق هو الإخراج من العدم إلى الوجود، وذلك فعل الله سبحانه وتعالى لا يقدر المخلوق على ذلك، فهو على المجاز. ألا ترى أنه قال في آخره: وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ،[11] وليس إلى الخلق تحليل شئ أو تحريمه، إنما ذلك إلى الله عز وجل؛

---

[1] ك ن: ولا كان.
[2] م – هو.
[3] ع: عنه.
[4] م: وهم.
[5] ن: تتمى.
[6] ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا عبى عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).
[7] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.
[8] ك ن ع: فأية.
[9] ن ع + تكون.
[10] ك ن – والتكوين.
[11] ﴿ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٥٠).

فمعناه: أي أُظهر لكم حِلَّ بعض ما حُرِّم عليكم. فعلى ذلك قوله: **أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير**، أي أُظهر لكم بيدي ما خلق الله من الطين طائرا، فيكون آية لرسالتي إليكم. وكذلك الآيات ليس مما ينشئها[1] الأنبياء، ولكن تَظهر[2] على أيديهم. وإنما لم يجز إضافة التخليق إلى الخلق لما ذكرنا أنه إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وذلك[3] ليس إلى الخلق. والثاني: أن التخليق هو إخراج الفعل على التقدير، وفعل العبد إنما يخرج على تقدير الله، لا يخرج على تقديره، لذلك لم يجز إضافة ذلك إلى[4] الخلق إلا على المجاز. *والله أعلم*.

{قال الشيخ رحمه الله:} الخلق اسم[5] المجاز والحقيقة، والتخليق فعل حقيقة خاصة.

وآيات الأنبياء عليهم السلام هي التي تخرج على خلاف الأمر المعتاد فيما بينهم، يجريها الله سبحانه وتعالى على أيديهم ليعلموا[6] أن ذلك لم يكن بهم، إنما كان ذلك بالمرسِل الذي أرسلهم، ليدل على صدقهم. *ولا قوة إلا بالله*. وإبراء الأكمه والأبرص هو من آيات النبوة، لخروجها عن الأمر المعتاد فيما بينهم.

فإن قيل: إن[7] إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص من آيات النبوة لعجزهم عن إتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم،[8] ولكن إنباء ما يأكلون وما يدخرون لِمَ كان من آيات النبوة، ويجوز أن يكون ذلك من منجم؟[9]

قيل: له جوابان إن كان[10] يكون مثل ذلك بالنجوم. أحدهما أنه مضموم إلى[11] الآيات، فصار آية بما ضُمّ إليها. والثاني أن هذا وإن كان يعلم بالنجوم،[12] فعيسى صلوات الله عليه

---

[1] ع م: ينشئ.
[2] ك: يظهر.
[3] ع: وكذلك.
[4] ع – إلى.
[5] ع م – الخلق اسم؛ ع م + هم.
[6] ع م – ليعلموا.
[7] ع: من.
[8] ن – فإن قيل إن إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص من آيات النبوة لعجزهم عن إتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم.
[9] ك – لعجزهم عن إتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم ولكن إنباء ما يأكون وما يدخرون لم كان من آيات النبوة.
[10] ع: كن.
[11] ع: من.
[12] ع م: النجوم.

لما علِم قومُه أنه لم يختلف إلى أحد في تعلم علم النجوم، ثم عرَف ذلك وأنبأهم بذلك، دل أنه إنما علم ذلك بالله، فكان آية. *وبالله التوفيق*. مع ما كان في قومه أطباء وحكماء وبصراء، و لم يدَّع أحدٌ شيئا من هذه الآيات التي جاء بها[1] عيسى عليه السلام. دل تركُ اشتغالهم بذلك[2] على إقرارهم[3] بأنها آية سماوية، لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به.

[4]وقوله تعالى: **بإذن الله**، قيل: بأمر الله، وقيل: بمشيئة الله.

واختلف في **الأكمه**، عن مجاهد[5] قال: **الأكمه** الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل.[6] وعن ابن عباس رضي الله عنه: **الأكمه** الأعمى الممسوح العين.[7] وقيل: هو الذي ولد من أمه أعمى، لا يتكلف أحد من الأطباء إبراء مثله ولا يشتغل[8] بدوائه. دل أنه عرف ذلك بالله تعالى، والأطباء [إنما] يتكلفون في دفع العلل العارضة الحادثة، وأما ما كان خِلقة وجبلة[9] فلا.

وقوله: **إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**، قيل: قال[10] [عيسى عليه السلام]: إن هذه[11] آية لكم إن كنتم صدَّقتم أني رسول الله إليكم. وقيل: قال: **إن في ذلك لآية لكم** في رسالتي **إن كنتم مؤمنين** بالمرسِل.[12] ويحتمل: **إن كنتم مؤمنين** أي بالآيات أنها تُعرَف [وتظهر] ما[13] جعلن له. *والله أعلم*.

**﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾** [٥٠]

وقوله: **وجئتكم بآية من ربكم** [تفسير][14] الآية ما ذكر.

---

[1] ن ع م: به.
[2] جميع النسخ: في ذلك.
[3] ك م: إقرار.
[4] جميع النسخ + قال الشيخ رحمه الله: الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة.
[5] ن +أنه.
[6] *تفسير الطبري*، ٣/٢٧٦.
[7] تفسير الطبري، ٣/٢٧٧.
[8] جميع النسخ: اشتغل.
[9] ك ع م: من جبلة.
[10] ن: كان.
[11] جميع النسخ: هذا.
[12] ع م: بالرسل.
[13] ن ع: بما
[14] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٣و.

وقوله: **فاتقوا الله**، يحتمل: **فاتقوا الله** في تكذيبي في الآيات **وأطيعونِ** في تصديقي.

**﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٥١]**

قوله تعالى: **إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**، ظاهر، قد ذكرنا فيما تقدم.[١]

**﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٥٢]**

قوله تعالى: **فلما أحس عيسى منهم الكفر**. قيل: **أحس**، علم، وقيل: **أحس**، رأى، وهو كقوله تعالى هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ.[٢] وقيل: **أحس**، أي وجد، وهو قول الكسائي.[٣] وقيل: عرف. وهو كله واحد. ثم قوله: **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله**، يحتمل -والله أعلم- أن قومه لما سألوه أن يسال ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية لرسالته وصدقه، ففعل الله عز وجل ذلك وأنزل عليهم المائدة. ثم أخبر أن من كفر منهم بعد إنزال المائدة يعذبه[٤] عذابا لا يعذبه أحدا.[٥] فكفروا به، فعلم أن العذاب ينزل عليهم، فأحب أن يخرج بمن آمن به لئلا يأخذهم العذاب، فقال: **من أنصاري إلى الله؟** يؤيد ذلك قوله: فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ،[٦] الآية. ويحتمل أن يكونوا أظهروا الإسلام له وكانوا في الحقيقة على خلاف ذلك. فلما علم ذلك[٧] منهم، وقد هموا بقتله،[٨] قال عند ذلك: **من أنصاري إلى الله؟** أحب أن يكون معه أنصار مع الله ينصرونه

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة الفاتحة، ١/ ٦-٧، ومن سورة البقرة، ٢١/٢.

[٢] ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزا﴾ (سورة مريم، ٩٨/١٩).

[٣] ذكره القرطبي منسوبا إلى الزجاج، وذكره أبو حيان منسوبا إلى الفراء. (*تفسير القرطبي*، ٩٧/٤؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٤٧١/٢).

[٤] ن: أعذبه.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ١١٢/٥-١١٥).

[٦] سورة الصف، ١٤/٦١.

[٧] ن - فلما علم ذلك.

[٨] جميع النسخ: عمى قتله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١٣و.

فيظهر[1] المؤمنون من غيرهم، فتصرهم الله على أعدائهم؛[2] وهو قوله: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.[3] ومن الناس من يقول: إنه لم يكن في سنّة[4] عيسى عليه السلام الأمر بالقتال؛ وفي الآية إشارة إلى ذلك بقوله: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ. أخبر أنهم أصبحوا ظاهرين على عدوهم؛ فلا يخلو إما أن يكون قتالا، أو غلبة بحجة أو بشيء[5] مما[6] يقهرهم. *والله أعلم*.

وقوله: **قال الحواريون نحن أنصار الله،** اختلف في الحواريين. قال بعضهم: هم القصّارون الغسّالون للثياب ومبيّضوها. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنما سُمّوا الحواريين لبياض ثيابهم،[7] وكانوا يصيدون السمك. وقيل: الحواري الوزير والناصر والخاص، على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حواريين، وحواري فلان وفلان».[8] ذكر

[٨٢ظ] / نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وإنما أراد –والله أعلم– الناصر والوزير. ويحتمل أن يكونوا سموا بذلك لصفاء قلوبهم، وهم أصفياء عيسى عليه السلام، كذلك روي[9] عن ابن عباس رضي الله عنه.[10] والله أعلم بهم.

وقوله: **نحن أنصار الله؛** إن الله يتعالى عن أن يُنصر.[11] ولكن يحتمل **نحن أنصار الله،** أي أنصار دين الله و أنصار[12] نبيه، أو أنصار أوليائه تعظيما. وكذلك قوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ.[13] إن الله لا يُنصر، ولكن يُنصر دينُه أو رسُله[14] أو أولياؤه. وهو كقوله:

---

[1] ع: فينصر.
[2] جميع النسخ + ليظهر المؤمنون من غيرهم.
[3] سورة الصف، ٦١/١٤.
[4] ن: في صفة.
[5] ك ع: شيء.
[6] ن – مما.
[7] انظر: *تفسير القرطبي*، ٤/٩٧.
[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٨٩، ١٠٢–١٠٣؛ ٣/٣٠٧، ٣١٤؛ *وصحيح البخاري*، الجهاد والسير، ٤٠–٤١، ١٣٥، *فضائل أصحاب النبي*، ١٣، المغازي، ٢٩؛ *وصحيح مسلم*، فضائل الصحابة، ٤٨.
[9] ع – روي.
[10] انظر: *التفسير الوجيز* لابن الجوزي، ١/٣٩٤؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢/٤٧١.
[11] ك م: من أن ينصر.
[12] ك ن ع: أو أنصار.
[13] سورة محمد، ٤٧/٧.
[14] ع: أو أرسله.

يُخَادِعُونَ اللهَ،[1] إن الله لا يُخادَع ولا يمكر،[2] ولكن لما خادعوا أولياءه أو دينه أضاف ذلك إلى نفسه. فعلى ذلك لما نصروا دينَ الله ونبيَّه ووليَّه أضاف إلى نفسه.

وقوله: **آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون.** الآية تنقض[3] قول من[4] يجعل الإيمان غير الإسلام؛ لأنهم أخبَروا أنهم آمنوا، وأنهم مسلمون، [و]لم يفرقوا بينهما. وكذلك قوله: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[5] لم يَفصِل بينهما وجعلهما واحدا. وكذلك قول[6] موسى لقومه: يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ،[7] لم يجعل[8] بين الإيمان والإسلام فرقا. وهو قولنا: إن العمل فيهما واحد؛ لأن الإيمان أن تصدق[9] بأنك عبد الله، والإسلام أن تجعل[10] نفسك لله سالما. وقيل: الإيمان اسم ما بطن، والإسلام اسم ما ظهر. ألا ترى أنه أجاب[11] في الإسلام [ب]الشهادة، وفي الإيمان [ب]التصديق.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٥٣]

وقوله: **ربنا آمنا بما أنزلت.** يعني -والله أعلم- **بما أنزلت** من الكتب السماوية[12] التي أنزلتها[13] على الرسل جميعا. فإن أرادوا **بما أنزلت** على عيسى عليه السلام فالإيمان بواحد من الكتب أو بواحد من الرسل إيمانٌ بالكتب كلها وبالرسل جميعا. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[14]

---

[1] ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٩/٢).
[2] ع: ولا يمكن. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة آل عمران، ٥٤/٣).
[3] ع م: ينقض.
[4] ك: على من.
[5] سورة الذاريات، ٣٥/٥١-٣٦.
[6] ع: قال.
[7] سورة يونس، ٨٤/١٠.
[8] ع - لم يجعل.
[9] جميع النسخ: بأن تصدق.
[10] م: وأن تجعل.
[11] جميع النسخ: أجاز؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١١٣/ظ. لعله يشير إلى حديث جبريل.
[12] ن ع م - السماوية.
[13] جميع النسخ: أنزلها.
[14] انظر سورة البقرة، ٢٨٥/٢.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٥٤]

وقوله: **ومكروا ومكر الله**، مكروا بنبي الله عيسى عليه السلام، حيث كذبوه وهموا بقتله. **ومكر الله**: أي يجزيهم جزاء مكرهم. وإلا فحرف[1] المكر مذموم عند الخلق، فلا يجوز أن يسمى الله به إلا في موضع الجزاء، على ما ذكره عز وجل في موضع الجزاء، كقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ]،[2] والاعتداء منهي [عنه] غير جائز، لقوله:[3] وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.[4] فكان قوله: فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ، هو جزاءَ الاعتداء، فيجوز؛ فعلى ذلك المكر والخداع والاستهزاء، لا يجوز أن يسمى [الله تعالى] به فيقال: يا ماكر ويا خادع ويا مستهزئ؛ لأنها حروف مذمومة عند الناس، فيشتم بعضهم بعضا بذلك، لذلك لا يجوز أن يسمى الله به إلا في موضع الجزاء. *وبالله العصمة.*

وقوله: **والله خير الماكرين**، أي خير المجازين أهلّ الجور بالعدل، وأهل الخير بالفضل. وقيل: **ومكروا**،حيث كذبوه وهموا بقتله، **ومكر الله**، حيث رفع الله عيسى عليه السلام وألقى شِبْهه على رجل منهم حتى[5] قتلوه، فذلك خير لعيسى عليه السلام من مكرهم. وقيل: **ومكروا**، أي قالوا. **ومكر الله**:[6] قال الله. وقولهم الشرك، وقال لهم قولوا[7] التوحيد.[8] **والله خير الماكرين**، أي خير القائلين.

{قال الشيخ رحمه الله:} **والله خير الماكرين**، بما بالحق يمكر ويأخذ من استحق الأخذ، وهم لا.[9] *والله أعلم.*

والمكر هو الأخذ بالغفلة، والله يأخذهم بالحق من حيث لا يعلمون؛ فسُمِّي مكرا لذلك، كما يقال امتحنه الله –وهو الاستظهار– ولكن لا يراد[10] به هذا في الله.

---

[1] جميع النسخ: حرف.
[2] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[3] جميع النسخ: كقوله.
[4] سورة البقرة، ١٩٠/٢.
[5] م – حتى.
[6] ن + حيث رفع عيسى.
[7] ع: قالوا.
[8] «وقيل: ومكروا، أي قالوا قول الشرك. ومكر الله، أي قال لهم: قولوا التوحيد» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٣ظ).
[9] م: وهو.
[10] م: ولكن يراد.

**﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٥٥]**

وقوله: **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك**، اختلف فيه. قيل: هو على التقدم والتأخير: ورافعك إليّ، ثم متوفيك بعد نزولك من السماء. ولكن كان[1] التقديم والتأخير أو لم يكن[2] في الذكر فهو سواء؛ لأنا قد ذكرنا أن ليس في تقديم الذكر ولا في تأخيره ما يوجب الحكم كذلك، لأنه كم من مقدم في الذكر هو مؤخّر في الحكم، وكم من مؤخر في الذكر[3] هو مقدم في الحكم.[4] فإذا كان كذلك لم يكن في تقديم ذكر الشيء ولا في تأخيره ما يدل على إيجاب الحكم كذلك، كقوله: اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا،[5] فإنما هو قبض الأرواح؛ فيحتمل الأول ذلك.[6] ويحتمل توفي الجسم؛ أي متوفيك من الدنيا، أي قابضك، وليس بوفاة موت. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **إني متوفيك**، أي مميتك.[7] وهو ما ذكرنا؛ ليعلم أن[8] ليس بمعبود.

[٨٣و س٩] *{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **إني متوفيك ورافعك إليّ**: قوله **متوفيك**، يحتمل توفّي الموت، بما يقبض روحه كفعله بجميع[9] البشر، تكذيبًا لمن ظن أنه الله أو ابنه لا يحتمل أن يموت. وقد ألزمهم هذا[10] أيضا بوجهين ظاهرين وإن كان فيما عليه خلقتُه وجوهره ثم تقلّبه[11] من حال إلى حال في نفسه و[من] مكان إلى مكان في حق القرار[12] والحاجة كفايةٌ لمن يعقل الحقائق وبُلْغةٌ لمن تأمل الأشياء عِبرا. أحدهما بقوله: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ،[13]

[1] جميع النسخ: هو.
[2] ن ع م: ولم يكن.
[3] ع: في الحكم وكم من مؤخر في الحكم؛ م: في الحكم وكم من مؤخر في الذكر.
[4] م – في الحكم.
[5] سورة الزمر، ٤٢/٣٩.
[6] جميع النسخ: كذلك.
[7] *تفسير الطبري*، ١٠٠/٤.
[8] ع: أنه.
[9] م: لجميع.
[10] ع + ألزمهم هذا.
[11] ن: يغلبه؛ ع م: يقلبه.
[12] ع – في القرار.
[13] ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ (سورة المائدة، ٧٥/٥).

وقوله: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ،[1] حتى أنطق[2] به لسان كل منهم. ومعلوم إحالة ابن بشر إلها أو ولدا لإله إذ هو يكون أصغر منهما، وذلك آية حدثه. وكذلك قوله في المهد: إِنِّي عَبْدُ اللهِ،[3] إلى آخر ما ذكر. مع ما لو احتمل ذلك لكان آدمُ عليه السلام الذي[4] هو الأصل وهو المقدم وهو الذي لا يعرف له والدان أحقَّ،[5] إذ هو بجوهره، فهو ولده لا غير، إذ[6] ذلك وصف الأولاد.[7] *والله أعلم*. والثاني[8] قوله: كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ،[9] فأخبر عن حاجته وغلبة الجوع عليه، وفقر نفسه إلى ما يقيمها من الأغذية. ثم في ذلك حاجته إلى الخلاء، واختياره الأمكنة القذرة لقضاء حاجته. *وبالله التوفيق*.

والثاني[10] [يحتمل **متوفيك**] على قبضه بنفسه من بين أظهر أعدائه، ورفعه إلى ما به شرفه، وتطهيره مما كان يحس منهم من الكفر وأنواع الفساد، وختمه من بين البشر على وجه آية يكون[11] له عليهم من أول أحوال ظهوره إلى آخر أحواله، كمُقامه[12] فيهم، ليكون أوضح لمتبعيه

٨٣و س ٢١] في الآيات، و[دليلا ظاهرا] على مخالفيه في قطع العذر. *ولا قوة إلا بالله*.*

وقوله: **ورافعك إليَّ**، هو على تعظيم عيسى عليه الصلاة والسلام، ليس على ما قالت المشبهة بإثبات المكان له [تعالى]؛ لأنه لو كان في قوله: **رافعك إلي** [ما] يوجب ذلك لوجب[14] أن يكون أهل الشام أقرب إليه، لأن إبراهيم صلى الله عليه قال: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ.[15]

---

[1] قد جاء في آيات كثيرة. انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «عيسى».

[2] م: نطق.

[3] ﴿قال إني عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٣٠).

[4] ع م – الذي.

[5] جميع النسخ + أو هو.

[6] ع م: أو.

[7] «مع ما لو احتمل لكان آدم عليه السلام الذي هو الأصل للبشر وهو المتقدم لهذا الجنس و لم يعرف له والدان أحق. وأيضا فإن عيسى عليه السلام من جوهر آدم عليه السلام، فهو ولده فيكون على وصفه، إذ الأولاد على صفة الآباء» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٣ظ).

[8] أي الوجه الثاني من وجهي الإلزام.

[9] سورة المائدة، ٥/٧٥.

[10] أي الاحتمال الثاني لتأويل قوله: ﴿إني متوفيك﴾.

[11] م: ليكون.

[12] ن ع م: مقامه.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٣و/سطر ٩-٢١.

[14] ك: يجب؛ ن: يوجب؛ ع م: يجب.

[15] سورة الصافات، ٣٧/٩٩.

و[لكان] الكفرة إليه قريبا[1] منه، كقوله: **ثم إليّ مرجعكم**. دل هذا أن ما قالوا خيال فاسد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ولكن [هو] على التبجيل والتعظيم، أعني المضاف إليه. والأصل في هذا أن الخاص إذا أضيف إلى الله فإنما يراد به تعظيم ذلك الخاص، نحو ما قال: بيت الله[2] على تعظيم البيت،[3] وناقة الله،[4] فهو على تعظيم الناقة، ونحوه مما يكثر وقوعه.[5] وإذا أضيف الجماعة إليه فهو على إرادة تعظيم الرب جل ثناؤه، نحو رَبِّ الْعَالَمِينَ،[6] و لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[7] ونحوه، كله على إرادة تعظيم الرب جل ثناؤه.[8]

وقوله: **ومطهرك من الذين كفروا**، قيل فيه بوجوه. قيل: **مطهرك** من أذى الكفرة ومن[9] بين أظهر المخالفين لك. وقيل: **ومطهرك** من الكفر والفواحش. ويحتمل **ومطهرك** مما قالوا فيك.

وقوله: **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا**، يحتمل بجعله [إياهم] فوق الذين كفروا[10] بالقهر والغلبة والقتل، ويحتمل بالحجة، ويحتمل بالمنزلة[11] والدرجة في الآخرة. ويحتمل[12] **ومطهرك** بقتل الكفرة من وجه الأرض، على ما ذكر في بعض القصة أنه ينزل / من السماء فلا يبقى على وجه [٨٣و]
الأرض كافر إلا وهو يقتله مع الذين اتبعوه فذلك تطهيره وجعلُ الذين اتبعوه فوق الذين كفروا.

وقوله: **ثم إليّ مرجعكم**، ذكر هذا -والله أعلم- وإن كان مرجع الكل[13] إليه في كل حال؛ لأنهم يقرون ويعترفون في ذلك اليوم أن المرجع إليه، وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا، وهو كقوله: ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[14] الملك كان له في ذلك اليوم وفي غير ذلك اليوم.

---

[1] جميع النسخ: قريبا. أي لكان الكفرة من أهل الشام أقرب إلى الله من إبراهيم.
[2] لعله يشير إلى آية في القرآن أضيف فيها البيت إلى الضمير راجعا إلى الله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢).
[3] ع: التعظيم البيت؛ م: التعظيم.
[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله﴾ (سورة الأعراف، ٧٣/٧).
[5] ك ن – وقوعه؛ ك (هـ) وقوعه.
[6] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ٢/١؛ وسورة البقرة، ١٣١/٢.
[7] انظر مثلا: سورة البقرة، ١٠٧/٢؛ وسورة المائدة، ٤٠/٥.
[8] ك + نحو رب العالمين وله ملك السماوات والأرض ونحوه كله على إرادة تعظيم الرب جل ثناؤه.
[9] ع م: من.
[10] ك – يحتمل بجعله فوق الذين كفروا.
[11] ك ن ع: في المنزلة.
[12] ك ن + قوله.
[13] جميع النسخ: المرجع للكل.
[14] سورة الحج، ٥٦/٢٢.

ولكن معناه لا ينازعه أحد يومئذ في ملكه ويقرون له بالملك، [وكانوا] في الدنيا أنكروا ملكه. وهو كقوله: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[1] كلهم بارزون لله[2] في كل وقت، لكنهم أنكروا بروزهم في الدنيا له، فيقرون يومئذ بالبروز له، فكذلك الأول. **والله أعلم.**

وقوله: **فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**، يحتمل أحكم بينكم من المُحِق منكم ومَن المبطل. ويحتمل **أحكم بينكم**، أي أجزيكم على قدر أعمالكم. *ويحتمل **أحكم بينكم**: أي أجزي كلا[3] بعمله على ما يستوجبونه.[4]*

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٥٦]**

**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٥٧]**

وقوله:[6] **في الدنيا**، قيل: القتل والجزية، وفي الآخرة[7] العذاب.*

**﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[٥٨]**

وقوله: **ذلك نتلوه عليك**، قيل: **ذلك** الذي ذكر في هذه الآية **نتلوه عليك** يا محمد من الآيات.[9] **والذكر الحكيم**؛ قيل: **الحكيم**[10] هو المحكم. وقيل: **الحكيم**، أي من نظر فيه وتفكر يصير حكيما، كما قال: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[11] أي يبصر فيه. **والله أعلم.**

**﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥٩]**

وقوله: **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب.** قيل في القصة: إن نصارى

---

[1] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[2] ع – لله.
[3] م: كل.
[4] جميع النسخ: يستوجبون.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه مقدار سطر، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٣و/سطر٧-٨.
[6] م – وقوله.
[7] م: في الآخرة.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٥٥، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٨٣و/س٩-٢١. ووقع بعدها مقطع من تفسير الآية ٦١ متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٨٣و/س٢١-٣٧.
[9] ك – ذلك الذي ذكر في هذه الآية نتلوه عليك يا محمد من الآيات.
[10] م – قيل الحكيم.
[11] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

/ من أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له:[١] إن تشتم صاحبنا [٨٣ط] عيسى ابن مريم عليه السلام [و]تزعم أنه عبد، وهو [كان] يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين طيرا فأرنا فيما[٢] خلق الله عبدًا مثلَه يعمل هذا.

والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية. أما التشبيه[٣] فإنما حَمَلهم[٤] على ذلك ظنُّهم في قول إبراهيم صلوات الله عليه، حيث قال: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،[٥] فظنوا[٦] أن عيسى لما قال: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ،[٧] أنه رب وإله؛ لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أخبر أن ربه [هو] الذي يحيي ويميت،[٨] فسموا عيسى إلها بهذا. وهم كانوا يرون عيسى يأكل ويشرب وينام؛ فلو لا أنهم عرفوا الله عز وجل كذلك[٩] وإلا ما شبهوه به. تعالى الله عن ذلك.

وأما القدرية [فلأنهم] لما[١٠] لم يروا لله[١١] في أفعال العباد[١٢] صنعا،[١٣] إنما رأوا ذلك للخلق[١٤] خاصة. فلما رأوا ذلك من عيسى عليه السلام، ظنوا أنه رب، لِما لم يروا ذلك من غيره. ولو كانوا[١٥] عرفوا الله حق المعرفة لعلموا أن لم يكن من عيسى إلا تصوير ذلك الطير وتمثيله، ويكونُ مثلهُ من كل أحد. وإنما الإحياء كان من الله عز وجل أجراه[١٦] على يدي عيسى عليه السلام وأظهره، وإنما كان من عيسى عليه السلام[١٧] تصويره فقط. وكذلك ما كان من إبراء الأكمه والأبرص،

---

[١] ع م – له.
[٢] ك: فيم.
[٣] ع – أما التشبيه.
[٤] ن ع: عملهم.
[٥] ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢٥٨).
[٦] ك ن م: ظنوا؛ ع: وظنوا.
[٧] سورة آل عمران، ٣/ ٤٩.
[٨] ك + ظنوا أن عيسى لما قال أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير أنه رب وإله لأن إبراهيم أخبر أن ربه الذي يحيي ويميت.
[٩] ع م – كذلك.
[١٠] جميع النسخ: فلما.
[١١] ن – لله.
[١٢] ن + لله.
[١٣] ع م: للحق.
[١٤] ع م: صنعا.
[١٥] ع: ولوكان.
[١٦] م: جراه.
[١٧] ع م – وأظهره وإنما كان من عيسى عليه السلام.

وغير ذلك [كان] من الله عز وجل، أجراه على يديه آياتٍ لنبوته. ولأنهم ادعوا له الربوبية من وجهين: لكونه من غير أب، ولآياته.[1]

ثم قوله: **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**، يحتمل وجهين -والله أعلم- أحدهما أن الله عز وجل صور صورة آدم من طين، ثم جعل فيه الروح، لم يجز أن يقال: صار آدم حيا[2] من نفسه لوجود صورته. كيف جاز لكم أن تقولوا: إن عيسى لما صوَّر ذلك الطير من الطين صار محييا[3] له بتصويره إياه دون إحياء الله تعالى إياه. ***والله أعلم***.

والثاني أن آدم عليه السلام خلق لا من أب وأم، ثم لم تقولوا: إنه رب، أو إله[4] فكيف[5] قلتم في عيسى: إنه إله، وإنه[6] خلق لا من أب؛ إذا عدم الأبوة في آدم لم توجب أن يكون ربا، فكيف[7] أوجب عدم الأبوة في عيسى كونه ربا وإلها؟ ***والله الموفق***. وإنما[8] كان عيسى بقوله: كن، كما كان آدم أيضا بكن من غير أب.

وقوله: **كن**. قد ذكرنا[9] أنه أوجز[10] كلام في لسان العرب، يُعبّر فيؤدي المعنى فيفهم المراد. لا أن[11] كان من الله عز وجل كاف ونون أو وقت أو حرف، أو يوصف كلامه بشيء مما يوصف به كلام الخلق. تعالى الله عن ذلك.

وقوله: **فيكون**، يحتمل وجهين. يحتمل يكون بمعنى كان، والعرب تستعمل ذلك، ولا تأبى.[12] والثاني أن يكون الكائنات بأسبابها في أوقاتها التي أراد كونها على ما أراد. وأصل ذلك [أنه] إذا ذكر الله ووصف يذكر بلا ذكر وقت في الأزل، وإذا ذكر الخلق معه يذكر[13] الوقت،

---

[1] ع: ولآية.
[2] ن - حيا.
[3] ع: بحييا.
[4] ك: ولا إله.
[5] ن ع: كيف.
[6] ك ن ع: وأن.
[7] ن ع م: كيف؛ ك - كيف؛ ك (هـ): كيف.
[8] م: إنما.
[9] سورة البقرة، ٢/١١٧.
[10] ن + في.
[11] ن م: إلا أن؛ ع: وإلا أن.
[12] ع: ولا يأبى.
[13] ن ع: بذكر.

والوقت يكون للخلق. يقول:[١] خالق لم يزل، وخالقه[٢] في وقت خلقه.[٣]

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٦٠]

وقوله: **الحق من ربك فلا تكن من الممترين.** يحتمل هذا وجوها. يحتمل أن يكون الخطاب لكل أحد قال في عيسى ما قالوا، أي لا تكن من الممترين في عيسى أنه عبد الله خالصا، وأنه نبيه ورسوله إليكم. ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره. وهكذا عادة ملوك الأرض أنهم إذا أرادوا أن يعرِّفوا رعيتهم شيئا يخاطبون أعقلهم وأفضلهم وأرفعهم منزلة وقدرا عندهم، استكبارا منهم مخاطبة كل وضيع وسفيه، فكذلك الله عز وجل خاطب نبيه إعظاما له وإجلالا. ***والله أعلم.*** ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم[٤] أن العصمة لا تمنع الأمر ولا النهي[٥] بل تزيد أمرا ونهيا، وإن كان يعلم أنه لا يكون من الممترين أبدا.[٦]

*وقوله: **الحق من ربك،** يحتمل: خبرَ الحقِ في أمر عيسى عليه السلام، أنه كان عبدا بشرا [٨٣ظ س ٣٠
نبيا. **فلا تكن من الممترين،** أي لا يحملنك شدة لجاجتهم،[٧] وكثرتُهم في القول فيه بهذا الوصف على الشك[٨] في الخبر الذي جاءك عن الله؛ كقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ،[٩] إلى آخره، على الموعظة، لا على أنه يكون كذلك، أو على ما سبق ذكره. ***والله أعلم.*** ويحتمل: **الحق من ربك،** أي كلّ حق فهو عن الله، جائز إضافته إليه على الوجوه التي تضاف إليه. و[أما] الباطل[١٠] من الوجه[١١] الذي هو باطل فلا يجوز إضافته إليه مطلقا.[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] ن: بقول.
[٢] م: وخالق.
[٣] يقول الإمام الماتريدي رحمه الله في *كتاب التوحيد*: «والأصل أن الله تعالى إذا أطلق الوصف له [و]وصف بما يوصف من الفعل والعلم ونحوه يلزم الوصف به في الأزل. وإذا ذكر معه الذي هو تحت وصف به من المعلوم والمقدور عليه والمراد والمكوَّن يذكر فيه أوقات تلك الأشياء لئلا يتوهم قدم تلك الأشياء» (*كتاب التوحيد*، ٧٤).
[٤] سورة البقرة، ١٢٠/٢.
[٥] ك ن ع: النهي ولا الأمر.
[٦] ع م – أبدا.
[٧] اللجاجة: التمادي على أمر والإباء عن الانصراف عنه (*لسان العرب*، «لج»).
[٨] ك: على الشكر؛ ك (هـ): على الشك.
[٩] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ (سورة هود، ١٢/١١).
[١٠] م: الباطل.
[١١] ك ن: لا من.
[١٢] جميع النسخ: فلا تكونن في ذلك من الممترين. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١١٤ظ.

٨٣ط س٣٥] وجائز أن يقول: جعل الله ذلك الفعل ممن فعله باطلا، ولا يقال الباطل من الله. *والله أعلم*.*

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٦١]

وقوله: **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم،** الآية. دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة، والمباهلة[٢] في لغة العرب الملاعنة. دعاهم إلى الدعاء باللعنة على الكاذبين، فامتنعوا عن ذلك خوفا منهم لحوق اللعنة. فدل امتناعهم عن ذلك أنهم عرفوا كذبهم، لكنهم تعاندوا[٣] وكابروا، فلم يقروا بالحق.

[٨٣و س٢١ *وفي الدعاء إلى المباهلة[٤] دلالة ظهور التعنت والعناد [منهم]. وفي تخلفهم عن ذلك دليل علمهم بتعنتهم وخوفهم مما قد وُعِدوا بالنزول عليهم. ثم لزموا مع ذلك ما كانوا عليه من السفه والعناد، ليعلم أن الحيل عمن[٥] اعتاد المعاندة منقطعة. ومعلوم أن الدعاء إلى المباهلة لا يكون في أول أحوال الدعوة، وإنما يكون بعد توفير الحجة وقطع الشبهة. ففي ذلك بيان أنه كانت ثَمّ محاجات[٦] حتى بلغ الأمر [إلى] هذا.[٧] وعلى ذلك[٨] أمر القتال أنه لم يوضع في أول أحوال الإرسال وفي الحال التي للقول وللحق وجه القبول من طريق النَّصَف[٩] والعقل، وإنما كان عند ما ظهرت[١٠] معاندتهم وكثر[١١] سفههم، حتى هموا بالقتل وأكثروا الأذى وأكرهوا[١٢] أقواما[١٣] على الكفر، وأخرجوا رسول[١٤] رب العزة من بين أظهرهم، بما راموا قتله وطردوا أصحابه من بلادهم،

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٣ظ/سطر٣٠-٣٥.
[٢] ك ع: فالمباهلة.
[٣] ك - منهم لحوق اللعنة فدل امتناعهم عن ذلك أنهم عرفوا كذبهم لكنهم تعاندوا.
[٤] ع: ان المباهلة.
[٥] ك: عمل؛ ن: عما.
[٦] ع: محاجاة.
[٧] م - هذا.
[٨] م: على ذلك.
[٩] النَّصَفُ والنَّصَفةُ والإنصاف: إعطاء الحق (*لسان العرب*، «نصف»).
[١٠] ع م: عند ظهرت.
[١١] ن: وكثرة.
[١٢] م: وأكرهو.
[١٣] م: قواما.
[١٤] ك - رسول.

حتى تحصنوا بالغيران،[١] فأذن الله عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح، لتكون[٢] آيته في كل وجوه الآيات ظاهرة، وحجته بينة.

وفي ذلك جواز محاجّة الكفرة في التوحيد والرسالة، لكن على ما قال الله تعالى: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٣] [وقال:] فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا.[٤] نهي عن التعمق والخوض فيما يقصر عنه الأفهام،[٥] وإن كان معلوما أن لله حججا ظاهرة وغامضة. **ولا قوة إلا بالله**. وفي ذلك تعليم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه يكون ذلك باللطف والرفق. فيُرى[٦] المقصود بذلك[٧] [فساد ما عليه] ويقرر عنده[٨] عنده الحجة، ويزيل عنه الشبهة من الوجه الذي يحتمله عقله، ويبلغه فهمه. فإن رآه يتعامى[٩] في ذلك،[١٠] يوعده ويخوفه بالذي في ذاك من الوعيد. فإن رآه[١١] يكابر عرف[١٢] شؤم طبعه وسوء عنصره، فيداويه[١٣] بما جاء به التعليم من الضرب، والحبس. فإن نفع ذلك، وإلا يكفّ[١٤] شره[١٥] عن غيره ويطهر[١٦] الأرض عنه[١٧] فإنه النهاية في القمع والغاية فيما يحق من معاملة السفهاء. *والله أعلم*. لكنه على منازل لا يحتمل انتهاء كل أنواع المآثم إلى هذه الغاية، بل فيها ما كان أعظمها دون هذا بكثير.[١٨] *والله أعلم*. لذلك يلزم تعرف مقادير الآثام أولا، ليعرف بها ما يحتمل كل إثم من العقوبة فيه والزجر به. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[١] وهي جمع غار.
[٢] ن: ليكون.
[٣] سورة النحل، ١٦/١٢٥.
[٤] سورة الكهف، ١٨/٢٢.
[٥] ع: والأفهام.
[٦] جميع النسخ: يرى.
[٧] جميع النسخ: به.
[٨] ك ع م: ليقرر به عنده؛ ن: ليقرر عنده. والتصحيحات والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٥و.
[٩] م: يتعاهد.
[١٠] ن ع: عن ذلك.
[١١] جميع النسخ: فإن رأيته.
[١٢] جميع النسخ: عرفت.
[١٣] ن: اقتدلوه؛ ع م: فقداوه؛ ك: فتداوه. والتصحيحات من *الشرح*، ورقة ١١٥و.
[١٤] جميع النسخ: كف.
[١٥] ع: شرة.
[١٦] جميع النسخ: وتطهير؛ والتصحيحات من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٧] ع م - عنه.
[١٨] ن: تكثير.

[٨٣و س٣٧] وقوله: **والله لا يحب الظالمين**، لأنه لا يحب الظلم.*

**﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[٦٣]**

وقوله: **إن هذا لهو القصص الحق**، يعني الخبر الحق.

وقوله: **وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم. [فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين]**، ظاهر، وقد ذكرناه[٢] فيما تقدم.[٣] *والله أعلم.**

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٦٤]**

وقوله: **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**، يعني كلمة الإخلاص والتوحيد. **سواءٍ بيننا وبينكم**، أي عَدْلٍ، أي تلك الكلمة عدل بيننا وبينكم. لأنهم كانوا يقرون أن خالق السماوات والأرض الله، بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ؛[٥] وكذلك يقرون أن خالقهم الله، بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[٦] لكن منهم من يعبد دون الله[٧] أوثانا ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[٨] ومنهم من يجعل له شركاء وأندادا يشركهم في عبادته. فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
[٨٤و] أن لا يجعلوا[٩] عبادتهم إلى غير الذي أنعم عليهم، إذ العبادة لا تكون[١٠] إلا لله[١١] الذي / أقروا جميعا أنه خالق السماوات والأرض وأنه ربهم، وأن لا يصرفوا عبادتهم إلى غير الذي أنعم عليهم؛ إذ العبادة هي تشكر وجزاء ما أنعم عليهم.

---

* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٣و/سطر ٢١-٣٧.
[٢] ن ع: قد ذكرناه.
[٣] سورة البقرة، ١٢٩/٢.
* ورد هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٠، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٨٣ظ/سطر ٣٠-٣٥.
[٥] سورة لقمان، ٢٥/٣١.
[٦] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[٧] ع: ما يعبدون من دون الله.
[٨] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٩] ك ن ع: إلى أن يجعلوا.
[١٠] ك ن - إلى غير الذي أنعم عليهم إد العبادة لا تكون؛ ع - لا تكون.
[١١] ع م: الله.

**ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**، لأن العبادة لواحد أهون وأخف من العبادة لعدد، وإنّ صرف العبادة إلى[1] من أنعم عليكم أولى من صرفها إلى الذي لم ينعم عليكم، إذ ذاك جور وظلم في العقل: أن يُنعم أحد على آخرَ فيُشرك غيرَه.

{قال الشيخ رحمه الله:} العدل في اللغة وضع الشيء في موضعه.[2] وفي إخلاص العبادة لله والتوحيدِ ذلك، وهذا معنى سَوَاءٍ. وجائز أن يكون[3] كلمةً يستوي فيها أنها عدلُ ما شهد لنا بهذا كلُّ أنواع الحجج.[4]

وقوله: **فإن تولوا**، يحتمل تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة إليه فقولوا[5] كذا. ويحتمل: **فإن تولوا** عن المباهلة والملاعنة، **فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**، أي مخلصون العبادةَ له صارفون الشكر إلى ما[6] أنعم علينا. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله} : **فإن تولوا**، عن قبول ما دعوتَهم إليه من الاجتماع على الكلمة.

[٨٤ظ س٣٤] *وقوله: **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، الآية. قيل: فيها بأوجه. أحدها أنها[7] العدل وهي كلمة التوحيد، وكانت عدلا باتفاق الألسن إذا[8] سئلوا[9] عمن خلق السماوات والأرض في الفزع إليها بالإجابة وشهادة الخلقة على وحدانية من له الخلق والأمر. ***والله أعلم***. ومن هذا الوجه أمكن أن يحاجّ[10] جميع الخلق، وإن خُصّ به أهل الكتاب. ***والله أعلم***.

والثاني[11] أن [يكون **تعالوا إلى كلمة سواء**] يستوي فيها أنه حق وعدل، وهي عبادة الواحد الذي لم يُختلف في أنه معبود، وأن كل من عبد غيره فعلى أن يكون له العبادة يعبده،[12]

---

[1] ع – إلى.
[2] ك ن: موضعه.
[3] أي جائز أن يكون قوله تعالى: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾ كلمة...
[4] ع: من الحجج.
[5] جميع النسخ: فقل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٥و.
[6] م: التي ما.
[7] م: أن.
[8] ك ن م: إذ؛ ع: أو.
[9] ع: يسئلو.
[10] ع: لا يحاج.
[11] جميع النسخ: وأخرى.
[12] ن: يعيد.

فيرجع إلى حقيقته[1] دون أن يكون بيننا وبينه من يعلم أنه لا يستحق العبادة.[2] وهذا المعنى يلزم الجميع[3] أيضا.

والثالث أن يكون [تعالوا] إلى كلمة ظهر أنها عدل في كتابهم، بما جاءت [بها] رسلهم

٨٤ظ س٣٩] ونزلت بها كتبهم. *ولا قوة إلا بالله*.*

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦٥]

وقوله: **يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم**، قيل: وذلك أن اليهود قالوا: إن إبراهيم كان على ديننا اليهودية، والنصارى ادعت[5] أنه كان على دينهم ومذهبهم وليس[6] على دين الإسلام، فنزل قوله: **لم تحاجون في إبراهيم**، يعني في دين إبراهيم صلوات الله عليه. **وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**، يعني من بعد إبراهيم. وهو يحتمل وجهين. يحتمل أن التوراة والإنجيل إنما نزلا من بعده، وأنتم لم تشهدوه، يعني إبراهيم حتى تعلموا أنه كان على دينكم؛ فلم تقولون[7] بالجهل أنه كان على دينكم؟ ويحتمل **وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**، أي إن التوراة والإنجيل إنما[8] نزلا من بعد موته، وكان فيهما أنه كان حنيفا مسلما. **أ فلا تعقلون**، أنه كان حنيفا مسلما. ثم أكذبهم الله عز وجل، فقال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[9]

{قال الشيخ رحمه الله:} وفي هذه الآية دلالة أنهم علموا أنه كان مسلما، لكن ادعوا ما ادعوا متعنتين، حيث لم يقابلوا بكتابهم[10] الذي[11] ادعوا من نعته،[12] بخلاف[13] ما ادعى عليهم

---

[1] ك ن ع: إلى حقيقة. أي فيرجع عبادة من يعبد غير الله إليه عز وجل.
[2] أي لا يوجد من يظن أن الله لا يستحق العبادة.
[3] ع م: الجمع.
* ورد ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٤ظ/سطر٣٤-٣٩.
[5] م: ادعته.
[6] ك ن ع: ليس.
[7] ك ن ع: لم تقولون.
[8] ك: ما.
[9] سورة آل عمران، ٦٧/٣.
[10] ع: بكتابكم.
[11] جميع النسخ: بالذي.
[12] أي من نعت إبراهيم عليه السلام بأنه كان يهوديا أو نصرانيا.
[13] جميع النسخ: وبخلاف.

رسول الله صلى الله عليه وسلم [من] نعته.[١] وفيه دلالة الرسالة؛ إذ في دعواهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعته بهم،[٢] لما ادعوا هم غير الذي ادعى. فثبت أنه عرف بالله، وذلك علم الغيب. *والله الموفق*.

**﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٦٦] **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٦٧]

وقوله: **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم**، وهو ما ذكرنا. وفيه دلالة جواز المحاجّة في الدين على العلم به. وإنما نهى هؤلاء عن المحاجة فيما لا علم لهم.[٣] ألا ترى أن الرسل عليهم السلام حاجوا قومهم. حاج إبراهيمُ عليه السلام قومه في الله، وذلك قوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[٤] وموسى عليه السلام حاج قومه. وما من نبي إلا وقد حاج قومه في الدين، فذلك يبطل[٥] قول من يأبى المحاجة في الدين.

{قال الشيخ رحمه الله:} وأيد الحقَّ أنه كذلك عجزُ البشر عن إيراد[٦] مثله وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا[٧] أنهم عرفوه بالله.

**﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٦٨]

وقوله: **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا**. وهكذا يكون في العقل أن من اتبع آخر وأطاعه[٨] فهو أولى به، وإنما الحاجة إلى السمع بمعرفة المتبع له والمطيع أنه ذا أو ذا. فأخبر عز وجل أن الذين آمنوا والنبي صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له فهم أولى به.

---

[١] وعبارة السمرقندي هكذا: «وفي هذه الآية دلالة أنهم عدموا أنه كان مسلما لكن ادعوا متعنتين حيث لم يقابلوا بكتابهم ما ادعى النبي عليه السلام من نعت إبراهيم في كتابهم بأنه كان حنيفا مسلما خوفا من ظهور صدق النبي عليه السلام لعدمهم يقينا أن الأمر كما قال عليه السلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٥و- ظ.)

[٢] أي بسببهم وبطريقهم.

[٣] ن - لهم.

[٤] ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ (سورة الأنعام، ٨٣/٦).

[٥] ع م - يبطل.

[٦] ع: يراد.

[٧] ن ع + ما ادعوا.

[٨] ع: واطاعة.

وقوله: **والله ولي المؤمنين**، اختلف فيه. قيل: الولي الحافظ، وقيل: الولي الناصر، وقيل: هو أولى بالمؤمنين. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١] وقد يكون وليّهم بما دفع عنهم سفه أعدائهم في إبراهيم وأظهر الحق في قولهم.

{قال الشيخ رحمه الله:} في قوله تعالى: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[٢] الآية، وفي قوله:[٣] لِمَ تُحَاجُّونَ،[٤] وفي قوله: لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ،[٥] الآية، ونوعِ ذلك من الآيات التي خص بالخطاب بها أهل الكتاب وجوه من المعتبر. أحدها أن الذين خوطبوا بهذا الاسم كانوا[٦] معروفين، وأنه لم يخطر ببال مسلم أنه[٧] قصد به غير أهل التوراة والإنجيل، ولا ذُكرت تلاوتها في حق المحاجة على غيرهم. ثبت أن المجوس ليسوا بأهل الكتاب، وأن المراد من ذكر أهل الكتاب غيرهم، وأن أخذ الجزية من المجوس ليس مما تضمنه[٨] قوله: مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ،[٩] لكن بدليل آخر، وهو ما روى عن نبي الله أنه قال: «سُنُّوا بهم سنةَ أهل الكتاب غيرَ ناكحي نسائهم، ولا آكلي ذبائحهم».[١٠] يدل على صحة ما قلنا[١١] قوله: أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[١٢] ليعلم أن الكتاب في المعروف[١٣] وأهلِه هؤلاء، وإن كانت ثَمّ[١٤] كتب وصحف. *والله أعلم*.[١٥]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٠٧، ١٢٠، ٢٥٧.

[٢] سورة آل عمران، ٣/٦٤.

[٣] جميع النسخ: وفي قولهم.

[٤] سورة آل عمران، ٣/٦٥.

[٥] ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٧١).

[٦] ك ن ع – كانوا.

[٧] ع – م يخطر ببال مسلم أنه.

[٨] ك ن ع: تضمنهم.

[٩] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٩).

[١٠] انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/١٧٠.

[١١] جميع النسخ: وعلى ذلك أيد. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١١٥ظ.

[١٢] سورة الأنعام، ٦/١٥٦.

[١٣] ك: أن أهل الكتاب.

[١٤] أي عند المجوس.

[١٥] «ليعلم أن المراد كتاب معروف وهو التوراة والإنجيل وإن كان ثم كتب وصحف، وكان المراد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى لتعارف هذا الاسم في حقهم وإن كان غيرهم قد يكون من أهل الكتاب. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٥ظ).

والثاني أن الله خص أهل الكتاب[1] بأنواع الحجج، وجعل المحاجة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح أنه وإن كان مرسلا إلى جميع البشر كان له التخصيص في المحاجة. وعلى ذلك عامة سورة الأنعام في محاجة أهل الشرك. على أن أهل المدينة كانوا أهل كتاب،[2] وأهل مكة كانوا أهل شرك.[3] فحاجّ كلًّا بالذي هو أحق أن يكلَّم فيه، وإن كانت الحجة تلزم الفريقين؛ لأن محاجة أهل الشرك أكثرها في التوحيد وأمر البعث، وعلى وجودهما في أهل الكتاب[4] [يوجد] بعض المشاركة لهم. ومحاجة أهل الكتاب بما في كتبهم.

وفيه وجهان. أحدهما العلم بما قد غاب عنه[5] السبب الذي يوصل إليه / بالكسب، ليعلم [٨٤ظ] أنه وصل إليه بالوحي، فيكون من ذلك الوجه حجةً على الفرقين. والثاني ظهور سفه أهل الكتاب بوجه يُسقط عند التأمل الرِّيبةَ والمحل الذي كان يمنعهم ذلك عن اتباعه، وذلك فيما فيه[6] مدح كتبهم، وشهادة[7] لها بالصدق والحق، وإظهارُ الإيمان برسلهم؛[8] ليعلم أنه ليس بين الرسل والكتب اختلاف في الدعاء إلى عبادة الله وتوحيده وأن أولئك إنما كذّبوا لتسلم[9] لهم الرياسة. ثم مع ذلك ظاهروا أهل الشرك المكذّبين لكتبهم ورسلهم. ليعلَم كلُّ ذي عقل شُبههم وتمردهم في الباطل، إذ ظاهروا أعداءهم في الدين على من أظهر[10] مُوالاته في الدين[11] فيكون في ذلك أبلغ الزجر لمتعنّتيهم، وأعظم الحجة عليهم فيما آثروا من السفه[12] وتركوا الحق. ***والله أعلم***.

وفي ذلك وجه آخر، [وهو] أن أهل الشرك قد عرفوا حاجاتهم إلى أهل الكتاب في أمور الدين وما عليه أمر السياسة، فيصير ما يلزم أولئك من الحجة لازمة لهم[13] في محاجته

---

[1] ن – أهل الكتاب.
[2] لعله يريد قبائل اليهود، وقد تأثر منهم الأوس والخزرج.
[3] جميع النسخ: أهل الشرك.
[4] ك ن: وعلى وجوده في أهل الكتاب؛ ع م: وعلى وجوده فيه في أهل الكتاب.
[5] م: عن.
[6] ك ن ع: فيها؛ م – فيه. أي في الوحي أو في القرآن.
[7] جميع النسخ: وشهد.
[8] م: رسلهم.
[9] ك: ليسلم.
[10] جميع النسخ: من الذي أظهروا.
[11] جميع النسخ + ولى له.
[12] م: من السنة.
[13] أي يصير ما يلزم أهل الكتاب من الحجة لازمة لأهل الشرك.

بالذي في كتبهم لزومَ الحجة. مع ما عليهم في ذلك -بما قد أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[1] الآية- أبلغُ الحجة في محاجة أهل الكتاب، إذ تمنوا أن يكون منهم نذير فكان.

وقد بلغ [أمر النبي عليه السلام] المبلغَ الذي ظهر له [بسببه] ما خُصّوا[2] من الحجج. وشاركوا أولئك[3] في جميع ما به كان افتخارهم عليهم، وادّعوا[4] الفضل. **والله أعلم**. مع ما لم يكن له اللسان الذي به ظهر كتبهم أخبرهم[5] جميع ما في كتبهم[6] بغير[7] لسانهم، ليعلموا أنه أدرك[8] ذلك بمن له حقيقة كتبهم. **والله أعلم**.

وفي ذلك وجه آخر أنه حاجهم بوجهين. أحدهما بالموجود في كتابهم والمعروف عند أئمتهم من العلم، بالكلمة التي دعاهم إليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والأمر وإخبار ما في كتبهم من أنواع البشارات به،[9] ومن موافقة [كتابه] الكتب.[10] وعلى ذلك أمر إبراهيم عليه السلام وغيرهم ليكون أعظم في الحجة وأقطع للشغَب.[11] **والله أعلم**. والثاني مما قد حرفوا من كتبهم، وبدلوا من أحكامهم، وحرفوا من صفته ونعته[12] ونعت أمته، ليعلم كل متأمل أنه لا وجه لتعلم ذلك بهم. إذ لا يحتمل أن يكون منهم هتك أستارهم والاطلاع على أسرارهم، بما لا يتهيأ لهم دفع ذلك ولا المقابلة في ذلك، ليعلم كل الخلائق -مَن انقاد لهم أولا- أن ذلك لا يدركه [النبي] إلا بمن له العلم بكل سر ونجوى. **ولا قوة إلا بالله**.

مع ما في ذلك وجهان من المعتبر. أحدهما أن ذلك الزمان لم يكن زمان حِجاج ونظر في أمر الدين، إنما كان ذلك الزمان زمان تقليد[13] في أمر الدين، وتباهٍ[14] في أمر الدنيا،

---

[1] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).

[2] ك ن ع: وقد بلغ المبلغ الذي له ظهر بما خصوا؛ م: وقد بلغ المبلغ الذي ظهر بما خصوا.

[3] أي شارك النبي عليه السلام ومن آمن به من أهل الكتاب.

[4] جميع النسخ: ودعوا.

[5] ك ن + به.

[6] ع م - أخبرهم جميع ما في كتبهم.

[7] ن: لغير.

[8] ك ن ع: أدركه.

[9] ن - به.

[10] ك: الكتاب.

[11] الشغْب والشغَب: تهييج الشر (*لسان العرب*، «شغب»).

[12] م - ونعته.

[13] م - زمان تقليد.

[14] جميع النسخ: وتباهى. أي تفاخر.

وتفاخر بكثرة الأموال والمواشي، فبعث الله تعالى رسولا صلى الله عليه وسلم نشأ من بين أظهرهم؛ دعاهم إلى ترك التقليد في الدين، واتباع الحجج التي لا يبلغها أهل الحِجاج بعقولهم دون أن يكون لهم المعونة من علم الوحي وما فيه من حكمة[1] الربوبية. فكيف والقوم أصحاب التقليد: إما ثقةً بأئمتهم الذين ادعوا[2] علم الكتب المنزلة، وإما ثقة [و]أمنًا بآبائهم فيما نشئوا[3] عليه أن الحق لا يشذ عنهم. على ما في ذلك من الاختلاف الذي يمنعهم الأمرين جميعا. لكنهم[4] إذ[5] لم يكونوا أهل نظر في الدين ومحاجة فيه لم يعرفوا أن ذلك يمنعهم [من] التقليد، فأظهر لهم الحجج، وأنبأهم بالمودع من حِجاج أنبيائهم في كتبهم، وألزمهم أن في آبائهم من يلزم التقليد كانوا أحق بذلك بما كان عندهم أن آباءهم كانوا على دينهم بما بين من تغييرهم وتبديلهم[6] وترك الواجب عليهم من حق الاتباع.[7] *والله أعلم*.

والثاني[8] إذ[9] ظهر فيهم الاختلاف في أئمتهم على ادعاء كل منهم أن ذلك هو الذي كان عليه الأنبياء والرسل في أهل الكتاب، وحاجات غيرهم بما ليس عندهم إلا آراء آباءٍ ليس عندهم فضل على القول [بها]. ثم كان معلوما[10] الاختلاف والتفرق، فصارت الحاجة قد عمتهم، والعلم بهم في لزوم الأحكام إلى من يدلهم على الحجة ويُعرّفهم الحق قد تقرر عندهم. فبعث الله بفضله من أظهر لهم بما أنطق به لسانه من الحجاج، وأراهم من علمه بما[11] غيّر وحفظ مما كان عليه[12] أوائلهم.

---

[1] ك: من علم.
[2] ع: دعوا.
[3] فيما نشاؤا؛ والنون غير منقوطة.
[4] ك: لكن.
[5] جميع النسخ: إذا.
[6] م - وتبديلهم.
[7] «وألزمهم أنهم لو كانوا يقلدون الآباء لكان تقليد أولئك الآباء حقا؛ لما كان عندهم أن آباءهم على دين أولئك الذين كانوا على الحق. لكن بين لهم أن هؤلاء حرفوا تلك الكتب، وتركوا طريقة آبائهم المتقدمة، فكان اتباع أولئك أحق؛ وبيّن أن كتابه موافق لكتبهم، فألزمهم بموجب اعتقادهم التقليد الاتباعَ له، بما يدعوهم إلى ما كان عليه آباؤهم المتقدمة دون هؤلاء المتأخرين الذين ثبت عنهم التحريف. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٦ظ).
[8] ن ع: الثاني.
[9] ع م: إذا.
[10] جميع النسخ + عند.
[11] جميع النسخ: مما.
[12] ن ع م: عليهم.

فكان ذلك أظهر البيان وأولى ما يعرف من إفضال الله عليهم بالإغاثة، والامتنان عليهم بالفَرَج، مما قد مسّتهم[1] إليه الحاجة، ودفعتهم إلى العلم به الفاقة.[2] *والله الموفق*.

وفي الفصل الأول بقي حرف لم نذكره، وهو أنه[3] دعاهم[4] إلى الزهد في الدنيا بعد الركون إليها، وإلى الأخوّة[5] في الدين بعد ظهور التفاخر بينهم بتكثير العشائر، وتقابل القبائل، و[إلى] السخاء[6] بجميع ما طُبعوا[7] عليه بما أظهر لهم[8] ما إليه ترجع[9] عواقب أمرهم. وقام بذلك على قهر العادة ومخالفة الطبيعة التي يعلم أن ذلك في مثل ذلك العصر آية[10] سماوية خارجة عن وسع البشر، ليكون أقطع لعذرهم وأسكن لقلوبهم إليه. فلله الحمد على ذلك.*

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٦٩]

[٨٥و] / وقوله: **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم**. ذكر في القصة أن المشركين أخذوا عمارا وحذيفة فقالوا لهم: ديننا أفضل من دينكم وأفضل من الأديان كلها، فنزلت هذه[12] الآية.[13]

---

[1] جميع النسخ: مسهم.

[2] م: القافة. «والثاني أنه لما كان أمرهم على التقليد لأئمتهم بين عليه السلام أنه قد ظهر الاختلاف في أئمتهم على ادعاء كل واحد منهم أن ذلك هو الذي كان عليه الأنبياء والرسل في أهل الكتاب، وعند الاختلاف والتفرق لا بد من رجحان قول البعض على البعض، وليس بعضهم أولى بالتقليد، وقد عمتهم الحاجات في الحوادث [وأحوجهم] إلى الأحكام، فلا بد من تبرزهم على المحجة وتعرّفهم الحق. فبعث الله عز وجل بفضله من أظهر لهم بما أنطق به لسانه من الحجاج، وأراهم علمه بما غيّر وحفظ مما كان عليه أوائلهم، فكان ذلك أظهر لبيان وأولى ما تعرف من إفضال الله عليهم بالإغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مستهم الحاجة، ودفعتهم إلى العلم به الفاقة. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٦ظ).

[3] جميع النسخ: أن.

[4] م: دعايهم.

[5] ع م: الآخرة.

[6] ك: والسخا.

[7] م: طموا.

[8] جميع النسخ: بما قدر عندهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١١٦ظ.

[9] ك ن: يرجع.

[10] جميع النسخ: أنه، والتصحيح من *شرح التأويلات* ورقة ١١٦ظ.

* ورد هنا جزء من تفسير الآية ٦٤، فنقلناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٨٤ظ/سطر ٣٤-٣٩.

[12] ك ن: هذا.

[13] ك ن - الآية. قال البغوي والقرطبي: نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود من بني النضير وقريظة وقينقاع إلى دينهم. *معالم التنزيل* للبغوي، ١/٣١٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٤/١١٠. وقال ابن الجوزي: سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية. *زاد المسير*، ١/٤٠٤.

والأشبه أن يكون مثل هذا من رؤساء أهل الكتاب وعلمائهم، هم[1] الذين يتولون مثل هذا العمل، وأما الجهال منهم والرُّذالة[2] فإنهم لا يفعلون هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم**، الإضلال قيل فيه بوجوه قيل: الإضلال هو الإحمال،[3] أرادوا أن يَخمُل ذكرهم، ولا يُذكرون بعدهم أبدا، كما يخمل ذكر أولئك. وقيل الإضلال هو الإهلاك. وقيل: الإضلال هو التحيير،[4] وكل ضالّ طريقا فهو متحير، تائه. **وما يضلون إلا أنفسهم**، أي ما يهلكون إلا أنفسهم أو[5] ما يُخملون[6] إلا ذكر أنفسهم. **وما يشعرون**، أي وما يشعرون أنهم يهلكون أنفسهم، أو يحيّرون. **وما يشعرون** ماذا عليهم فيما وَدّوا من أليم العقاب. *والله أعلم*. ويقال نزلت في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٧٠]**

وقوله: **يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون**، قوله: **وأنتم تشهدون**، يحتمل وجوها. يحتمل: **وأنتم تشهدون**، تلك الآيات وتعاينونها، وتعلمون أنها آيات، لكن تُكابرون وتعاندون[7] ولا تؤمنون بها.[8] ويحتمل **وأنتم تشهدون**، أي وأنتم تعلمون ما في التوراة والإنجيل من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته أنه رسول الله عليه أفضل[9] الصلوات وأكمل التحيات وأنه حق ولكن لا تتبعونه. وقيل: **وأنتم تشهدون**، أي تعلمون أنها آيات. والآيات تحتمل القرآن، وتحتمل رسول الله محمدا.[10] وتحتمل غيرها من الآيات التي جاء بها. وقال[11] بعضهم: **لم تكفرون** بدين الله وأنتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبكم أن دين الله وتوحيده حق.

---

[1] م – هم.
[2] ن ع م: والرذلة.
[3] ك: الإخلال؛ ع: لاحمال.   وخمَل يَخمُل خُمولا ذكره أو صوته: خفي وضعف وسقط (*لسان العرب*، «خمل»).
[4] جميع النسخ: التحير.
[5] ع م – ما يهكون إلا أنفسهم أو.
[6] ك: وما يحملون.
[7] م: تعاندون وتكابرون.
[8] ع – يحتمل وأنتم تشهدون تلك الآيات وتعاينونها وتعلمون أنها آيات لكن تكابرون وتعاندون ولا تؤمنون بها.
[9] م: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل.
[10] ن – محمدا؛ ع م – وأنه حق ولكن لا تتبعونه وقيل وأنتم تشهدون أي تعلمون أنها آيات والآيات تحتمل القرآن وتحتمل رسول الله محمدا.
[11] ن: قال.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٧١]

وقوله: **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**، في الآية دلالة جواز هتك السر وإفشاء المكنون والمكتوم[١] من الأمر إذا[٢] كان في ذلك تحذير[٣] لغيرهم عن مثله، وترغيب[٤] لهم في المحمود من الفعل. ثم فيه دلالة إثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يخبرهم عما كانوا يكتمون ويُسرّون فيما بينهم، وذلك من إطلاع الله إياه على ذلك. **وأنتم تعلمون** ذلك. ألا ترى أنهم لم يتعرضوا له بشيء من ذلك فيقولوا:[٥] متى كتمنا الحق، ومتى لَبَسْنا الحق بالباطل.[٦] فدل أنهم علموا أنه حق وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك إنما عَلم بالله عز وجل،[٧] وذلك قوله: **وأنتم تعلمون**.[٨] ثُم عِلْم ذلك يكون بأن كان ذلك في كتابهم، أو علموا بالآيات المعجزة. ويحتمل قوله **وأنتم تعلمون** ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه. *والله أعلم*. ويحتمل **وأنتم تعلمون**، أنكم تلبسون الحق بالباطل.

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٧٢]

وقوله: **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره**، قيل فيه بوجوه. قيل: قوله: **آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره**، يعني بأول أمر محمد صلى الله عليه وسلم، لا النهار نفسه. وذلك ما روى في القصة أن بعضهم كان يقول لبعض: إن محمدًا كان على قبلتنا -وقبلته بيت المقدس- ويصلي إليها فآمنوا أنتم به. **واكفروا آخره**، يعني آخر أمره، يَعنون قبلة البيت الحرام، الكعبة. **أي** اكفروا[٩] بقبلته[١٠] التي يصلي إليها الآن وهي[١١] الكعبة. وقيل: إن بعضهم [كان] يقول لبعض:

---

[١] ع - والمكتوم.
[٢] ك: إذ.
[٣] ك: تحذيرا.
[٤] ك: وترغيبا.
[٥] جميع النسخ: فيقولون.
[٦] ع م - بالباطل.
[٧] ع م - وأن ذلك إنما علم بالله عز وجل.
[٨] م + ذلك.
[٩] ع: كفروا.
[١٠] م: بقبلة.
[١١] جميع النسخ: وهو.

آمنوا بمحمد في أول أمره حتى يؤمن به[1] جميع العرب، ثم اكفروا به في آخر أمره فيقولوا[2] لنا: لم كفرتم به ورجعتم عن دينه؟ فنقول لهم: إنا وجدنا في التوراة نعت نبي وصفته فحسبنا أنه هذا فآمنا به، ثم نظرنا فإذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا به؛ حتى يرجعوا جميعا عن دينه. فذلك قوله: **آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره**.

وقيل أيضا: إن رءوس اليهود قالوا للسفلة: صدّقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن[3] **وجة النهار**، يعني أول النهار يعني صلاة الغداة، فإذا كان صلاة العصر اكفروا به، فقولوا لهم: إن قبلة بيت القدس كانت حقا، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ليرجعوا عن دينهم. فلا ندري كيف كانت القصة، ولكن فيه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لما ذكرنا أنه كان يخبرهم بما يضمرون في أنفسهم ويسرّون، فذلك من إطلاع الله تعالى إياه.

ويحتمل قوله: **آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار**، أي أظهروا لهم[4] الإسلام والموافقة ولا تؤمنوا[5] به في الحقيقة. يدل على ذلك قوله: وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ،[6] في الحقيقة، أي آمنوا به ظاهرا،[7] وأما في الحقيقة[8] فلا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم.

{وقال الشيخ رحمه الله} في قوله: **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين**، الآية، يحتمل وجهين. **أحدهما** حقيقة النهار. ثم [هو] يتوجه وجهين. أحدهما أمر القبلة خاصة، فيريدون بذلك المحاجة بالموافقة في إحدى القبلتين[9] عليهم فيما خالفوا في ذلك، وإن علموا أن ذلك حق ليشبّهوا على الضعفة أنه لا يزال ينتقل[10] من دين إلى دين ومذهب إلى مذهب، وأن من لزم الدين الأول والمذهب الأول أحق للموافقة فيه مرة،

---

[1] ع م – به.
[2] جميع النسخ: فيقولون.
[3] ن ع م: بالقرآن وبمحمد.
[4] ل: بهم.
[5] ع م: ولا يؤمنوا.
[6] جزء من الآية التالية.
[7] ن: ظاهرة.
[8] ع: وأما الحقيقة.
[9] جميع النسخ: في أحد القبلتين، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٦ظ.
[10] ع – تنتقل.

ولما لا يؤمَن[1] البقاء على الثاني،[2] وهو كقوله:[3] سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا.[4] وعلى ذلك أنكروا جواز نسخ الشرائع سفها منهم، إذ ليس معنى التناسخ[5] إلا اختلاف العبادات، لا اختلاف الأوقات، وذلك المعنى قائم. وما التناسخ إلا ما عليه تناسخ الأحوال في كل.[6] على أن العبادات فيها[7] المصلحة. ومن تعبَّدهم[8] عالمٌ بالذي به الأصلح في كل وقت، فله ذلك.

[٨٥ظ] / **والثاني** أن يكون الذي [أنزل] أولَ النهار لعله أنزل بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان، أو وصف[9] أوائلهم في رعاية الحق وتعاهد الدين.[10] فأمروا بالإيمان بذلك ليُروا قومهم أن قد ثبت وصف من تقدم [من أوائلهم] بما ذكروا أنهم [على الحق، وأنهم][11] على ذلك. ومنه جاء فيما أخبر مِن تبديل مَن بدل مِن أوائلهم وتحريفهم، لا[12] أن كانوا[13] كذلك، ليلزموهم التقليد في الأمرين. *والله أعلم*.[14]

---

[1] ع: ولما يؤمن.

[2] «قال بعضهم لبعض: ﴿آمِنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ أي بالقبلة إلى بيت المقدس واكفروا بالقبلة إلى الكعبة. يريدون بذلك المحاجة الموافقة في إحدى القبلتين يعني أن بيت المقدس إن كان حقا فما ذا بعد الحق إلا الضلال وإن علموا أن الكعبة حق وأن التحويل بأمر الله تعالى ليشبهوا ويلبسوا على الضعفة، لأنه لا يزال ينتقل من دين إلى دين ومذهب إلى مذهب، وأن من لزم الدين الأول أحق لأنه قد وافقنا فيه مرة، ولأنه لائق من البقاء على الثاني بالانتقال إلى الثالث فيجب التمسك بالأول. فهذا غرض أهل الكتاب وهو المحاجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٦ظ).

[3] ن: وكقوله.

[4] سورة البقرة، ١٤٢/٢.

[5] ن – التناسخ.

[6] ن: إلا ما عليه تناسخ الأحوال في كل أحوال.

[7] ن – فيها.

[8] ع: يقيدهم. أي الله عز وجلّ.

[9] ن: ووصف.

[10] ن: الذين.

[11] والزيادات مستفادة من *الشرح*، ورقة ١١٦ظ.

[12] ن ع م: إلا.

[13] ن: أن تكونوا.

[14] «والثاني أن يكون الذي أنزل أول النهار لعله أنزل بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان أو وصف أوليائهم في دعائه الحق وتعاهد الدين، فأمروا بالإيمان بذلك ليُروا قومهم أن قد ثبت وصف من تقدم من أوائلهم بالثبات على الحق وأنهم على ذلك والذي أنزل في آخر النهار لعلة جاء فيما أخبر من تبديل من بدل من أوائلهم وتحريفهم، فأمروا بالكفر بما أنزل في آخره أي بالجحود والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلزموا الضعفة بالتقليد لأوائلهم بما ثبت الاتفاق بذلك. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٦ظ-١١٧و).

وحقه أنه إذ[1] عرف حال الأوائل لا بهم فعلى ذلك أمر الآخِر، ومن به كانت المعرفة ألزمهم التصديق في الأمرين جميعا.[2] مع ما[3] أن القرآن[4] وُصِف بتصديق كتبهم، فحققهم فيما هوّوا مقابلة كتب أنبيائهم [بالقرآن] لتكون هي[5] القاضية والمثبتةَ للحق أنه على ما[6] ادَّعَوا، أو [على ما] ادَّعَى عليهم. وقد ظهر[7] تعنتهم بمظاهرتهم للمنكرين لكتبهم المكذبين برسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه إياهم، وشهادة كتابه بذلك. ليعلم المتأمل عنادهم بغيا وحسدًا، كما أخبر الله تعالى عنهم.[8]

والوجه الآخر من تأويل الآية[9] أن يراد بما أخبر عنهم أول أمره وآخره لا حقيقة بياض النهار. ثم ذلك يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون دُعاؤه[10] في أول الأمر إلى التوحيد والإيمان بالكتب المتقدمة، وهم يَدْعون إلى ذلك، وعلى ذلك كانوا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم. وآخر ذلك بما تبين من تحريفهم[11] وتعنتهم،[12] لما أخذهم البغي وغلبهم الحسد، وخافوا على رياستهم وأشفقوا على ملكهم، و[بسبب] جراء[13] الشُّحّ وإظهارِ كثير[14] مما قد كتم أوائلهم، فكذبوه في هذا. *والله أعلم*.

و[الثاني] يحتمل أن يكون[15] ذلك من أئمتهم اصطلاحا[16] على الإيمان بذلك حتى يعلم محلهم وحرصهم على قبول الحق، ثم يكفرون به ليكون الأول ذريعة لهم في الثاني:

---

[1] جميع النسخ: إذا.
[2] ن - جميعا.
[3] م: ومع ما.
[4] ك م: أن في القرآن.
[5] أي المقابلة.
[6] ك ن ع + ذا على ما.
[7] جميع النسخ: ظهرت.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾(سورة البقرة، ١٠٩/٢).
[9] ع: الآخر.
[10] ك ع م: دعاه.
[11] م: من تحويفهم.
[12] ك: وبعيهم.
[13] ك ن م: جزاء.
[14] م: كبير. أي وبسبب إظهار القرآن كثيرًا مما قد كتم أوائلهم.
[15] م + من.
[16] ك ع م: اصطلاح؛ ن: اصلاح.

أنهم إذ ظنوا أنه على الحق أذعنوا[1] له، فلما تبين لهم[2] باطله رجعوا عن ذلك. فأطلع الله نبيه عليه السلام على ما أسرّوا ليصير ما ظنوا أنه حجةٌ لهم حجةً عليهم.

وجملة ذلك أنا لا ندري ما السبب الذي كان منهم القول وفيم[3] كان، ولكنه قد بان أن ذلك كان منهم إسرارا[4] أطْلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم [عليه] ليكون حجة له وزجرا لهم عن كل[5] أنواع التبديل في شأن رسوله عليه أفضل الصلوات بما يهتك عليهم [سِترهم]، فيفتضحون عند من راموا سَتر أمرهم، ويسقط رئاستهم. *والله الموفق*.

**﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٧٣] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٧٤]**

وقوله: **قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**، اختلف فيه.[6] قيل: هو على التقديم والتأخير. فقوله:[7] **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**، كان على أثر قوله: **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**، يقول بعضهم لبعض: ما أنزل الله كتابا مثل كتابكم، ولا بعث نبيا مثل نبيكم. قالوا ذلك حسدًا منهم. وقيل: إن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين لما نزل قوله: **قل إن الهدى هدى الله**، قال لهم: **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**؛ يقول: دينُ الله الإسلامُ هو الدين. **أن يؤتى**، يقول: لن يؤتى **أحد**[8] **مثل ما أوتيتم** من دين الإسلام والكتاب الذي فيه الحلال والحرام. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قال: لم يؤت[9] أحد من الأنبياء قبلي[10] من الآيات مثل ما أوتيت أنا؛ لأن آياتهم كانت كلها حسية يفهمها كل أحد، وآياتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت حسية وعقلية، لا يفهمها كل أحد[11] إلا الخواص من الناس وخِيَرَتُهم.

[1] ك: اذعقوا؛ ن ع م: إذ عفوا.
[2] ن - لهم.
[3] ن ع م: وفيما.
[4] جميع النسخ: إسرار.
[5] ن: من كل.
[6] ن - فيه.
[7] جميع النسخ: قوله.
[8] م + أحد.
[9] جميع النسخ: لن يؤتى.
[10] ك: قبل.
[11] ن - كل أحد.

وقوله: **أو يحاجّوكم عند ربكم،** راجع إلى قوله: **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم،** فيحاجوكم به عند ربكم أنهم قد آمنوا به مرة وأقروا له، وهو[١] كقوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ؛[٢] إنهم كانوا يظهرون لهم الإسلام والإيمان، ثم إذا خلوا قالوا: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ.[٣] فقال بعضهم لبعض: لا[٤] تظهروا لهم الإسلام فيحاجوكم عند ربكم في الآخرة.

وقوله: **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.** هذه الآيات على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: إن الفضل ليس بيد الله، وكذلك الاختصاص إنما ذلك بيد الخلق؛ لأن من قولهم أن ليس على الله أن يفعل بالخلق إلا ما هو أصلح لهم في الدين، ليس له أن يؤتِيَ أحدا فضلا، ولا له أن يختصّ[٥] أحدا برسالة إلا من هو مستحق لذلك مستوجب له. فذلك الفضل والاختصاص إنما استوجبو[ه] بأنفسهم، لا بالله على قولهم. ففي الحقيقة الفضل عندهم كان بيدهم لا بيد الله. فأكذبهم الله بذلك، إذ الفضل عند الخلق هو فعل ما ليس عليه، لا ما عليه. فنعوذ بالله من السَّرَف في القول والزيغ عن الرشد.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم.** يحتمل أن يكون في السر وإن أعطيتم لهم الظاهر. ويحتمل أن يكون بعد ما أظهرتم اكفروا آخره. ويحتمل **لا تؤمنوا**[٦] بما جاء به إلا لأجل من تبع دينكم، فيكون عندهم قدوة يتقرر عندهم بالذي فعلتم[٧] أنكم أهل الحق، فيتبعكم كيفما تصيرون إليه. ويحتمل **لا تؤمنوا،** لا تصدقوا فيما يخبركم[٨] عن أوائلكم **إلا لمن تبع دينكم،** على المنع عن تصديق الرسول فيما[٩] يخبرهم من التحريف والتبديل.

---

[١] ن – وهو.
[٢] سورة البقرة، ٧٦/٢.
[٣] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (سورة البقرة، ١٤/٢).
[٤] م – لا.
[٥] ن ع: أن يخص.
[٦] ن: اكفروا.
[٧] ن: فعله.
[٨] ن: نخبركم.
[٩] ك: بما.

وقوله: **إن الهدى هدى الله**، يحتمل وجهين. أحدهما البيان هو ما بيّن الله، إذ هو الحق وكل ما فيه الصرف عنه فهو[1] تلبيس وتمويه. ويحتمل أن يكون الدين، [و]هو الذي دعا إليه بما أوضحه وأنار برهانه، لا الدين الذي دعا إليه أولئك المحرفون.

[٨٦و] **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**، / أي لن يؤتى -والله أعلم- من الكتاب والحجج. ويحتمل أن يكون صلة قوله: **إن الهدى هدى الله**، وهو دينه، أو القرآن، أو ما دعا إليه؛ ثم يقول: **أن يؤتى**، بمعنى لن يؤتى[2] **أحد مثل ما أوتيتم** -أهل الإسلام- من الحجج والبينات التي توضح أن الحق في أيديكم.

وقوله: **أو يحاجوكم عند ربكم**، فإن كان هو صلة الأول[3] فـ**أو** بمعنى ليحاجوكم أو حتى يحاجوكم،[4] إذا آمنتم بما دعوا إليه[5] فيحاجوكم بذلك عند ربكم، أي إنما آمنتم بالذي جاءكم من عند ربكم، فيصير ذلك لهم حجة عليكم. فإن كان صلة الثاني[6] فهو على أنهم لا يؤتون مثل ما أوتيتم من الحجج ليحاجوكم بها[7] عند ربكم في أن الذي هو عليه حق، لما قد ظهر تعنتهم وتحريفهم. ***والله أعلم***. ثم بين السبب الذي هو نيل كل خير وفضل. ***والله أعلم***.

وقوله: **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، وقوله: **والله يختص برحمته من يشاء**، ينقض على المعتزلة قولهم بوجهين. أحدهما أنهم لا يرون لله أن يختص أحدا بشيء فيه صلاح غيره [وقد] صرفه عن[8] ذلك الغير، بل إن فعل ذلك كان محابيا[9] عندهم وبخيلا.[10] بل في الابتداء لم يكن له ذلك وإنما يعطي بالاستحقاق، وذلك حق يلزمه، وقد ذكر بحرف الامتنان. وعندهم أيضا ليس له أن لا يشاء،[11] أو لا يعطي؛ فلا معنى لذكره الذي ذكر، مع ما صار ذلك بيد غيره، إذ يلزمه ذلك.[12] ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: هو.
[2] ع - بمعنى لن يؤتى.
[3] يعني صلة قوله تعالى: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾.
[4] ع م: ليحاجوكم.
[5] ن - إليه.
[6] يعني صلة قوله تعالى: ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾.
[7] ن - بها.
[8] ع - عن.
[9] حابَى الرجلَ حِباءً: نصره واختصه ومال إليه (*لسان العرب*، «حبا»).
[10] ن ع م: وتخيلا.
[11] ع: أن الأشياء.
[12] ع م - بيد غيره إذ يلزمه ذلك.

والثاني أن الذي يحق عليه أن يبذل كلًّا الأصلحَ[١] في الدين، فإنه[٢] إن قصر أحدا عن ذلك كان جائرا.[٣] ثم لا إفضال [لله] على العبد[٤] بشيء مما أعطى حتى يطيعه[٥] فيما أمره؛ فيكون الفضل في الحقيقة في يد العبد، يؤتي نفسه إن شاء ويمنع إن شاء.[٦] *والله الموفق*.

**﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧٥]**

وقوله: **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك**، والقنطار ما تقدم ذكره. **ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**؛ وصف عز جل[٧] أهل الكتاب بعضهم بأداء الأمانة وبعضهم بالخيانة. وليس المراد من الآية -والله أعلم- القنطار نفسه أو الدينار،[٨] لكن[٩] وصفهم بأن فيهم أمانة وخيانة، قَلّت الخيانة أو عظمت، وكذلك الأمانة. ألا ترى أنه يستحق الذم بدون القنطار والدينار إذا خان، وكذلك يستحق الحمد إذا أدّى بدون ذلك. دل أنه لم يُرَد به التقدير، ولكن على التمثيل. وهو كقوله عز وجل: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،[١٠] ليس على إرادة الذرة ولكن على التمثيل أن[١١] لعمل الخير والشر جزاء وإن قلّ، فكذلك الأول.

وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لما[١٢] ذكرنا أنه لم يرد القدر الذي ذكره، ولكن لمعنى فيه بالاجتهاد يعرف لا بالنصوص.[١٣] و[فيه دلالة] على الشافعي رضي الله عنه أن الدينار عنده[١٤] مستكثر،

[١] ك + له.
[٢] جميع النسخ: وإنه.
[٣] ن ع م: جائزا.
[٤] جميع النسخ: ثم الأفضل للعبد.
[٥] ع م: يعطيه.
[٦] ع م - ويمنع إن شاء.
[٧] جميع النسخ + عن.
[٨] ن ع: أو الدنيا.
[٩] ن ع م: ولكن.
[١٠] سورة الزلزال، ٩٩/ ٧.
[١١] ع م - أن.
[١٢] ك ع م: ولما.
[١٣] «وفي الآية دلالة جواز الاجتهاد والاستدلال دون القصر على المنصوص عليه. بما ذكرنا أنه لا يريد به القدر الذي ذكره من القنطار والدينار، ولكن أراد بها إثبات وصف الأمانة والخيانة فيهم يعرف ذلك بالاجتهاد» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٧ظ).
[١٤] ع: عنده؛ م - عنده.

يحلف عليه مدعيه عند الرد،[1] والله تعالى جعله مستقلا.[2]

وفيه أيضا دلالة[3] جواز شهادة بعضهم لبعض، وعلى بعض إن كانت فيهم نزلت، على ما قاله بعض أهل التأويل، لأنه وصف عز وجل بعضهم بالأمانة في المال وإن كانت الأمانة لهم في الدَّيْن، والشهادة أمانة [لا في باب الدين].[4] *والله أعلم.*

ويحتمل أن تكون[5] الآية فيمن أسلم منهم وصف بالأمانة، ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة، على ما ذكر عز وجل في آية أخرى: وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ،[6] وصف عز وجل من آمن منهم بالعدالة والهدى، ووصف الكفار بالخيانة في غير آي من القرآن. ويحتمل أن تكون[7] الآية فيمن أؤتمنوا [بالإيداع عندهم]،[8] أو فيما جرى بينهم وبين المسلمين من المداينة من غير[9] رهن ولا كفالة، وهو كقوله: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ،[10] أمرهم بأداء الأمانة فيما أؤتمنوا.

وقوله: **إلا ما دُمْتَ عليه قائما**، قيل: ملازما مواظبا، ملحّا، دائما، متقاضيا. ومن عامل من المسلمين الناس هذه المعاملة يخاف دخوله في هذا النهي والوعيد.[11]

وقوله: **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**، قالوا ذلك لأنهم كانوا يستحلون[12] أموال المسلمين ظلما، يقولون: لم يجعل علينا في كتابنا لأموالهم[13] حرمة [كحرمة][14] أموالنا علينا،

---

[1] جميع النسخ: المنير.

[2] «وفي هذا دلالة على بطلان قول الشافعي: إن الدينار في حد الكثرة، حتى قال: إنه يحلف مدعيه عند الرد كما في الأموال الكثيرة، والله تعالى ذكره في حد القلة وقابله بالقنطار، وأراد بذلك الكثير، وبالدينار القليل؛ فيكون هذا حجة عليه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٧ظ).

[3] ع م: دلالة أيضا.

[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٧ظ.

[5] ع م: يكون.

[6] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.

[7] ع م: أن يكون.

[8] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٧ظ.

[9] ع: وغير.

[10] سورة البقرة، ٢٨٣/٢.

[11] ك: والوعد.

[12] ن: يستجلبون.

[13] ن: لأموالنا.

[14] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٧ظ.

يقولون: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.[١] وأرادوا بالأميين العرب إذ ليس لهم كتاب. وقيل: ذلك الاستحلال بأن قالوا: ليس علينا لله فيهم سبيل، وأرادوا: بالأميين المسلمين، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «نحن أمة أمية لا نحسُب ولا نكتُب».[٢]

وقيل: قالوا: لا حرج علينا –في حبس أموالهم– في التوراة، فأكذبهم الله عز وجل بقوله: **ويقولون على الله الكذب**، بأن ليس في كتابهم حرمة أموالهم، ولا لهم عليهم سبيل. **وهم يعلمون**، أنهم يكذبون على الله عز وجل.

**﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٧٦]**

وقوله: **بلى من أوفى بعهده**، يحتمل قوله **بلى** ردا على قولهم: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ،[٣] [أي] بل عليكم سبيل فيهم. ثم ابتدأ الكلام، فقال: **من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين**، أي هؤلاء الذين يحبهم الله، لا أنتم. ويحتمل قوله: **بلى من أوفى بعهده**، الذي عليه في التوراة [من] أمر بأداء الأمانة، وإظهار نعته صلى الله عليه وسلم وصفته التي فيها، واتقاء[٤] محارمه وظلم الناس في ترك الوفاء وفي نقض العهد، وصَدَّق اللهَ ورسله و لم يكتم نعته[٥] وصفته فإن الله يحبهم. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٧]**

وقوله: **إن الذين يشترون بعهد الله**، قيل: عهد الله أمره ونهيه. يحتمل [أن يكون] هذا العهد فيما عُهدوا في التوراة [في شأن محمد صلى الله عليه وسلم] أن لا يكتموا نعته وصفته، ولكن يظهرون ذلك للناس ويقرون به. **وأيمانهم ثمنا قليلا**، أيمانهم التي حلفوا[٦] كذبا أن ليس نعته وصفته. فيه مخافة ذهاب / منافعهم. ويحتمل أن حلفوا[٧] كذبا فأخذوا [٨٦ظ] أموال الناس بالباطل والظلم. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

---

[١] سورة المائدة، ١٨/٥.

[٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٦/١، ٤٣/٢؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ١٥.

[٣] الآية السابقة.

[٤] جميع النسخ: واتقى.

[٥] ن: نفسه.

[٦] ع: حلفوا.

[٧] ع: أن حلفوا.

«من حلف على يمين ليقطَع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان»[1] وتلا هذه الآية: **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم**، الآية. والعهد والأيمان يكون سواء. أ لا ترى إلى قوله عز وجل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ،[2] الآية. ويحتمل: **عهد الله**، ما قبلوا عن الله[3] وما ألزمهم الله. **والأيمان**: ما حلفوا. ***والله أعلم***.

وقوله: **أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**، أي[4] لا نصيب لهم في الآخرة مما ذكروا أن لهم عند الله من الخيرات والحسنات، كقوله:[5] حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.[6]

وقوله: **ولا يكلمهم الله**، يحتمل وجهين. يحتمل[7] أنه أراد بذلك كلام الملائكة الذين يأتون المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم، كقوله:[8] وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم،[9] [وقولِه: سَلامٌ عَلَيْكُمُ] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ،[10] الآية.[11] فلا تكلمهم[12] الملائكة على ما تكلم المؤمنين. [ولكن الله تعالى] أضاف ذلك[13] إلى نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم[14] من إضافة النصر إليه،[15] على إرادة أوليائه، فكذلك هذا. أو أن يكون الله عز وجل كان قد كلمهم بتكليم[16] الملائكة إياهم؛ لأنهم رسله، فكان كقوله: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ

---

[1] صحيح *البخاري*، الشرب ٤، التوحيد، ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان، ٢١٨.
[2] ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾ (سورة النحل، ٩١/١٦).
[3] ك – إلى قوله عز وجل وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان الآية ويحتمل عهد الله ما قبلوا عن الله.
[4] ع م – أي.
[5] ك: لقوله.
[6] ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، ٢١٧/٢).
[7] ع – يحتمل.
[8] ع م: لقوله.
[9] ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ٢٣/١٣- ٢٤).
[10] ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (سورة النحل، ٣٢/١٦).
[11] جميع النسخ + وقوله.
[12] ك ن: ولا تكلمهم؛ ع م: لا تكلمهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١٨و.
[13] أي كلام الملائكة.
[14] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة ٢١٤/٢.
[15] جميع النسخ: النصرانية. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١١٨و.
[16] ع: يتكلم.

إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا،[١] صيره ببعث الرسل كأن قد كلمهم هو، فكذلك الأول. ويحتمل أن يكون الله عز وجل يكرِّم المؤمنين في الجنة بكلامه،[٢] على ما كرّم[٣] موسى في الدنيا،[٤] فلا يكلمهم كما يكلم[٥] المؤمنين. ويحتمل لا يكلمهم بالرحمة، سوى أن يقول لهم:[٦] اِخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ،[٧] وكقوله: **ولا ينظر إليهم يوم القيامة.**

وقوله عز وجل: **ولا ينظر إليهم** نظرَ رحمةٍ، كما ينظر إلى المؤمنين بالرحمة.

وقوله تعالى: **ولا يزكيهم،** أي لا يجعل لخيراتهم ثوابا. ويحتمل أن يكون هذا في قوم علم الله[٨] أنهم لا يؤمنون أبدا، فقال: **ولا يزكيهم،** أي لا يزكي[٩] أعمالهم.

**﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[٧٨]

وقوله: **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب،** أي كانوا يحركون[١٠] ألسنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل؛ **لتحسبوه من الكتاب،** أي كانوا يحرفون نعته عليه أفضل الصلوات وصفته، ثم يتلونه على التعظيم والتبجيل؛ **لتحسبوه**[١١] **من الكتاب** المنزل من السماء.

**وما هو من الكتاب،** الذي أنزل من السماء.

**ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله،** بل هم كتبوا بأيديهم. وهو كقوله عز وجل: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ.[١٢]

---

[١] ﴿وما كان لبشرٍ أن يكلِّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥١).

[٢] ع: بكلامهم.

[٣] جميع النسخ: كلم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١١٨و.

[٤] إشارة إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٤).

[٥] ن ع م: كلم.

[٦] ع – لهم.

[٧] ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠٨).

[٨] ك + منهم.

[٩] ن ع م: لا يزكوا.

[١٠] ك م: يحرفون.

[١١] جميع النسخ: ليحسبوه.

[١٢] ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٩).

**ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**، أنهم يكذبون على الله وأن ذلك ليس هو من عند الله.

**﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٧٩]**

وقوله: **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**، أي ما كان **لبشر** اختاره الله للذي قال. يبين[١] أنهم إنما أضافوا دينهم الذي فيه عبادة غير الله إلى أنبيائهم كَذِبَةً،[٢] وأن الله يجعل رسالته عند من يعصمه عن مثله، بقوله: اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ،[٣] لا يجعلها حيث يُخان ويُكتم. *والله الموفق*.

وهذه الآية تنقض[٤] على الباطنية قولَهم، لأنهم يقولون: إن الله لا يؤتي النفس البشرية الكتاب ولا النبوة، إنما يؤتي النفس البسيطة وهي الروحانية التي[٥] تُخَيِّل في قلوب الأنبياء ويؤيدهم حتى يؤلفوا، كقوله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ،[٦] فإذا ثبت ذلك في قلوب الرسل ألّفوا هم الكتب والصحف، لا يقدر غير الرسل على ذلك، ثم الناس يأخذون ذلك منهم.[٧]

فالآية[٨] تكذبهم وترد عليهم قولهم، حيث أخبر أنه[٩] يؤتي البشر الكتاب والحكم والنبوة، بقوله: **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**، وكذلك قال عيسى عليه السلام في المهد: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.[١٠]

---

[١] ك: ويبين؛ ن ع م: وتبين.

[٢] «أخبر الله عز وجل أن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا يدعون الناس إلى عبادة غير الله تعالى، وما أضاف الكفرة من دينهم الذي فيه عبادة غيرهم إلى أنبيائهم، فهو كذب وبهتان من الكفرة على أنبيائهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٨و).

[٣] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.

[٤] ن: ينقض.

[٥] جميع النسخ: ليأتي؛ ك هـ: التي.

[٦] سورة الشعراء، ٢٦/ ١٩٣-١٩٥.

[٧] «يقول الباطنية: إن الله تعالى لا يؤتي النفس البشرية الكتاب ولا النبوة، ولكن تفسير الوحي والنبوة عندهم أن الله تعالى -الذي سموه العلة الأولى- أنطق العقل؛ فتستمد الفهم والعلم منه، يعني النفس الروحانية -وهي النفس الناطقة التي هي الروح عند الناس تستمد من العقل. ثم العقل يُخَيِّل في قلوب الأنبياء، ويزيدهم على الفهم والعلم- كقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ (سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٥). ثم الأنبياء والرسل عبّروا ذلك بعباراتهم، وألّفوا كتبا وصحفا بالعبرانية والسريانية والعربية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٨و).

[٨] ك + فالآية.

[٩] ع م - أنه.

[١٠] ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ (سورة مريم، ٢٩/١٩-٣٠).

وفي الآية دليل عصمة الرسل والأنبياء عليهم السلام عن الكفر، بقوله: **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله**. وخاصة في عصمة رسولنا محمد[١] صلى الله عليه وسلم، [مثل] قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[٢] ثم قال:[٣] وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا،[٤] شرط في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به الأذى و لم يشترط في النبي صلى الله عليه وسلم. دل أنه لا يكون منه اكتساب ما يستوجب به الأذى، ويكون من المؤمنين، بشرطه فيهم ذلك. *والله أعلم*.

وقوله:[٥] **ولكن كونوا**، معناه أي ولكن يقول لهم: **كونوا ربانيين**، وكأنه على الابتداء والاستئناف، ويقول لهم: **كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون**.

ثم اختلف في **ربانيين**. قيل: متعبدين لله بالذي[٦] يعلمون [من] الكتاب وبالذي يَدْرُسون. وقيل: **ربانيين**[٧] علماء حكماء،[٨] وقيل: حكماء علماء، وقيل: علماء فقهاء؛ وهو واحد.

ثم فيه دلالة أن الرجل قد يُدرّس ويعلّم آخر بما لا يفقه ولا يعلم معناه، لا كل[٩] من يدرس شيئا أو يعلم آخر يكون فقيها فيه،[١٠] ويعرف[١١] ما أودع فيه من المعنى.

وفيه دلالة جواز الاجتهاد، لأنه إنما يوصل إلى ما فيه من المعنى والفقه بالاجتهاد. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٨٠]**

وقوله: **ولا يأمرَكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا**، اختلف فيه. قيل: **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة [والنبيين] أربابا**، لأنهم يقولون: إن الله أمرهم بذلك، كقوله:

---

١ ك ن - محمد.

٢ سورة الأحزاب، ٣٣/٥٧.

٣ جميع النسخ: وقال.

٤ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥٨).

٥ ك: قوله.

٦ ع: بالذين.

٧ جميع النسخ: الربانيين.

٨ جميع النسخ: العلماء الحكماء.

٩ ن ع م: إلا كل.

١٠ ن - فيه.

١١ جميع النسخ: وتعرف.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا.[1] وقيل:[2] إن عيسى وعُزَيْرا ومن
[٨٧و] ذكر لا يأمركم أن تتخذوا / الملائكة والنبيين أربابا من دون الله، وقد عصمهم الله[3] بالنبوة.

وقوله: **أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**، يحتمل وجوها. يحتمل: أيأمركم الله بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون له بالخلقة، لما تشهد[4] خلقة كل واحد[5] على وحدانيته، كقوله: وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[6] ويحتمل **بعد إذ أنتم مسلمون**، أي أسلَموا له، وأقَروا به مرةً، ثم كفروا به بعد ما كانوا مخلصين له بالتوحيد.[7] ويحتمل قوله: **بعد إذ أنتم مسلمون**، بعد إذ دعاكم إلى الإسلام فأجاب بعضكم.

**﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٨١]**

وقوله: **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة**، الآية. قال مجاهد: هذا خطأ من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ميثاق الذين أوتوا الكتاب[8] على ما ذكر في آية أخرى: وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[9] لأن الميثاق لا يؤخذ على النبيين أن يُصدِّقوا. لكنه يجوز هذا [أيضا].[10]

ثم اختلف فيه؛ قيل: ميثاق الأول من الأنبياء لَيُصدِّقَنّ بما جاء به الآخِرُ منهم لو أدركه.[11]

[1] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[2] ك: قيل.
[3] ن ع م – الله.
[4] ك ع م: يشهد؛ ن: شهد.
[5] جميع النسخ: أحد.
[6] ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾ (سورة آل عمران، ٨٣/٣).
[7] ع م – بالتوحيد.
[8] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٣١/٣؛ و*تفسير القرطبي*، ١٢٤/٤؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٥٠٨/٢.
[9] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[10] م – هذا. «قال مجاهد: قوله ﴿النبيين﴾ خطأ من الكتّاب والصحيح ما ذكر في قراءة ابن مسعود ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم من كتاب وحكمة وهو ما ذكر في آية أخرى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣)، وهذا لأن الميثاق لا يؤخذ على النبيين ليصدقوا. وقال غير مجاهد بأن القراءة المعروفة صحيحة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٨ط).
[11] ك ع م: لو أدرك.

وقيل: أخذ الله ميثاقا على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا، وأن يبلّغوا كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، ففعلوا.[١] ثم أخذوا مواثيق قومهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه. وقيل: أخذ الله على النبيين ميثاقا على أن يبلّغوا الرسالة إلى قومهم ويدعوا الناس إلى دين الله.

قال [أبو بكر] الكيساني:[٢] فيه بوجهين. أحدهما، يقول: ميثاق الذين منهم النبيون، وهم بنو إسرائيل، وكل ميثاق ذكره الله تعالى في القرآن في أهل الكتاب فإنما يراد به بنو إسرائيل.

والثاني ذَكَره كما ذكرنا من تصديق بعضهم بعضا وتبليغ كتب الله إلى قومهم.

وقوله: **ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم**، أخذ عليهم الميثاق ليأخذوا على قومهم المواثيق: أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا خرج وينصروه.

وقوله: **قال أ أقررتم**، قال الله تعالى للأنبياء: أ أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري. قيل: هو عهدي؛ والإصر، قيل: هو العهد. **قالوا أقررنا**، بالعهد لنؤمنن به[٣] ولننصرنه[٤] وأخذنا[٥] على قومنا ليؤمنن به ولينصرنه.

وقال الله: **فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**. يقول الله: وأنا على إقراركم بمحمد عليه الصلاة والسلام من الشاهدين. وقيل: قال الله: **فاشهدوا** أني قد أخذت عليكم العهد،[٦] **وأنا معكم من الشاهدين**، أنكم قد أقررتم بالعهد.

**﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٨٢]**

يقول الله: **فمن تولى بعد ذلك** العهد والإقرار بنقض[٧] العهد والرجوع عن الإقرار **فأولئك هم الفاسقون**.

**﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٨٣]**

وقوله: **أ فغير دين الله يبغون**. الدين كأنه يتوجه إلى وجوه. يرجع إلى اعتقاد المذهب في الأصل،

---

[١] م – ففعلوا.
[٢] جميع النسخ: الكسائي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٨ظ. وهو المعروف بالأصم.
[٣] ع م – به.
[٤] ن – ولننصرنه.
[٥] ع م: وإذ أخذنا.
[٦] جميع النسخ: بالعهد.
[٧] ن ع: ينقض.

ويرجع إلى الحكم والخضوع، كقوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ،[1] ويرجع إلى الجزاء. ثم قوله: **أفغير دين الله يبغون**. كان كل منهم يبغي دينا هو دين الله، ويَدَّعي أن الدين الذي هو عليه دين الله. لكن هذا –والله أعلم– كلٌّ منهم في الابتداء، يبغي[2] دين الله في نفسه، لكن بَانَ له من بعدُ وظَهَرَ بالآيات والحجج أنه ليس على دين الله، وأن دين الله[3] هو الإسلام، فلم يرجع إليه ولا اعتقده، ولزم غيره، بالاعتناد[4] والمكابرة، فهو باغٍ غيرَ دين الله.[5] ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **أفغير دين الله يبغون**، أي أفغير ما في دين الله[6] من الأحكام والتوحيد.[7] ويحتمل: **أفغير دين الله** يدينون. وليس على الاستفهام، ولكن على الإيجاب أنهم في صنيعهم يبغون غير الذي هو دين الله. كقوله: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،[8] الآية، وكقوله: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ،[9] الآية.

وقوله: **وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها**، يحتمل وجوها. يحتمل: **أسلم** أي استسلم وخضع له بالخلقة، إذ في خلقة كلٍّ دلالاتُ وحدانيته. ويحتمل: **وله أسلم من في السماوات** يعني الملائكة، **ومن في الأرض** [يعني] المؤمنين الذين أسلموا؛ **طوعا وكرها**،[10]

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥٠.

[2] ع م: أيبغي.

[3] ع م – وأن دين الله.

[4] ن: بالعناد. الاعتناد: المبالغة في العناد، وركوب الخلاف والعصيان (*لسان العرب*، «عند»).

[5] «فإن قالوا: ما معنى قوله: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾، وكل كافر له عقل وبصر يبغي دينا هو دين الله، ويدعي أن الذي هو عليه دين الله تعالى؟ قيل من وجهين. أحدهما أن كل عاقل يبغي دين الله تعالى، لكن لما كان بنوع تقصير في الطلب والاستدلال والاشتغال بلذات الدنيا وحطامها مُنع عن الوصول إلى الدين الحق، فجعل في المعنى كأنه باغٍ غيرَ دين الله تعالى، إذ لو كان باغيا دين الله تعالى لطلب لوجهه الذي وضع، فيصل إليه على ما قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩). فدل أنه لم يكن باغيا له من حيث المعنى، وإن كان باغيا من حيث الصورة. والثاني أن كلا منهم يبغي في نفسه دين الله تعالى، لكن قد بان للبعض في الانتهاء ما هو دين الحق لظهور الآيات والحجج، وأنه على غير دين الله تعالى، فلم يرجع عن ذلك إلى الإسلام، وبقي على ما عليه على طريق العناد والمكابرة، وهو باغٍ غير دين الله تعالى، فكانت الآية في المعاندين» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٨ظ– ١١٩و).

[6] ع – والله أعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله أفغير دين الله يبغون اي أ فغير ما في دين الله.

[7] ع + ويحتمل أ فغير دين الله يبغون أي أفغير ما في دين الله من الأحكام والتوحيد.

[8] سورة البقرة، ٢/٣٠.

[9] سورة النور، ٢٤/٥٠.

[10] ع – يحتمل وجوها يحتمل أسلم أي استسلم وخضع له بالحقة إذ في خلقة كل دلالات وحدانيته ويحتمل وله أسلم من في السماوات يعني الملائكة ومن في الأرض المؤمنين الذين أسلموا طوعا وكرها.

يعني أهل الأديان يقرون أن الله ربهم وهو خلقهم، كقوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[1] فذلك[2] إسلامهم وهم في ذلك [الحال] مشركون.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من في السماوات أسلموا طوعا، وأما أهل الأرض فمنهم مس أسلم طوعا ومنهم من أسلم كَرْها مخافةَ السيف.[3] وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضا قال: طوعا من وُلد في الإسلام، وكل من أسلم ولم يولَد في الإسلام فهو كَرْه.[4]

وقيل: منهم من أسلم طوعا، ومنهم من جُبِروا عليه. والإسلام هو تسليم النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره، كقوله تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ،[5] الآية. دلت الآية أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

والإسلام[6] هو اسم الخضوع، وكل منهم قد خضعوا، ولم يجترئ أحد أن يخرج عليه.

**﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[٨٤]

وقوله: **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم**، الآية -هذا والله أعلم- وذلك أن اليهود والنصارى لما آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، كقوله:[7] نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ،[8] أمر الله تعالى[9] المؤمنين أن يؤمنوا بالرسل جميعا، فآمنوا بهم جميعا، وقالوا: **لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**. والإسلام ما ذكرنا.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.

[2] ن: وذلك.

[3] *تنوير القباس من تفسير ابن عباس*، ٦٧.

[4] المرجع السابق، ٦٧.

[5] سورة الزمر، ٢٩/٣٩.

[6] ع - والإسلام.

[7] جميع النسخ: كقولهم.

[8] ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ (سورة النساء، ١٥٠/٤).

[9] ن + إلى.

[10] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة آل عمران، ١٩/٣.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٨٥]

وقوله: **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**، اختلف فيه. [قيل]: **فلن يقبل**[١] حسناتُ مَنْ يبغي غير دين الإسلام في الدنيا، وهو كقوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ، أي بالمؤمَن به[٢] فَقَدْ [٨٧ظ] حَبِطَ عَمَلُهُ.[٣] ويحتمل: من أتى بدين / سوى دين الإسلام فلن يقبل منه. وقيل: إنها نزلت في نفر ارتدّوا عن الإسلام بعد ما أسلموا، ثم تاب بعضهم، فنزل قوله: **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**[٤] **وهو في الآخرة من الخاسرين**.[٥]

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**: يحتمل يبتغي يطلب. **فلن يُقبَل منه**، كأنه نهى عن ذلك، إذ[٦] يُقصَد بالتدين التقرب إلى الله تعالى. فأخبر أن ذلك[٧] لا يقبله ليصرف[٨] الطلب إلى غير ذلك؛ وذلك كما دانوا من عبادة الأوثان[٩] وغيرها لتُقرّبهم إلى الله زلفى، فأخبر أنه لا يُقرّب؛ ليصرف[١٠] الطلب إلى حقيقة ذلك الدين. على أن[١١] الأديان كانت معروفة، تأبى أنفسُ الكفرة قبولَ[١٢] اسم الإسلام لدينهم، وادعوا أن دينهم هو دين الله. فأخبر الله تعالى أن دينه هو الإسلام، وأن من يبتغي الدينِ ليَدين اللهَ به غيرَه[١٣] فالله لا يقبل منه. ***والله أعلم***.

ويحتمل الابتغاء الإرادة، فيكون فيه تحقيق الدين؛ إذ هي تجامع الفعل، فكأنه قال: من دان غير دين الإسلام فلن يقبل منه، وإن قصد به الله.[١٤] ***والله الموفق***. أيّد ذلك قوله:[١٥] **وهو في الآخرة من الخاسرين**، أنه فيمن أتى بغيره. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ + منه.
[٢] ك - به، صح هـ.
[٣] سورة المائدة، ٥/٥.
[٤] ع م - وقيل إنها نزلت في نفر ارتدوا عن الإسلام بعد ما أسلموا ثم تاب بعضهم فنزل قوله ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.
[٥] *روح المعاني* للآلوسي، ٣/٢١٥.
[٦] ع م: أن.
[٧] ع: عن ذلك.
[٨] ن ع م: لتصرف.
[٩] م - الأوثان.
[١٠] ن ع م: لتصرف.
[١١] جميع النسخ - أن؛ ك: صح هـ.
[١٢] جميع النسخ: عن قبول.
[١٣] أي غير الإسلام.
[١٤] جميع النسخ + بالدين؛ ع - الله.
[١٥] ن - أيد ذلك قوله.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٨٦]

وقوله: **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق**، الآية. فالآية تحتمل[١] وجوها. تحتمل[٢] أن[٣] لا يهدي الله قومًا هم معاندون مكابرون فيه، غير خاضعين له[٤] ولا متواضعين. إنما يهدي من خضع له وتواضع، فأما من عاند وكابر فلا يهديه.

وتحتمل[٥] أن هذا في قوم مخصوصين، علم الله منهم أنهم لا يؤمنون أبدًا؛ فأخبر الله تعالى أنه لا يهديهم. وأما من علم أنه يؤمن ويتوب[٦] فإنه يهديهم، بقوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا [مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ] وَأَصْلَحُوا،[٧] الآية؛ أطمع [الله] من[٨] تاب وأصلح أن يهديه ويغفر له.

ويحتمل أن[٩] لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا على كفرهم، كقوله:[١٠] وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ.[١١]

{قال الشيخ رحمه الله:} ويحتمل لا يهديهم في وقت اختيارهم الضلالة. وقيل: بما اختاروا من الضلالة لا يهديهم، أي لا يسميهم.[١٢]

{قال الشيخ رحمه الله:} ودل قوله: **كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم، أن** دين الإسلام هو الإيمان، وأن الكفر مقابله[١٣] من الأضداد.

---

[١] ع م: يحتمل.
[٢] ع م: يحتمل.
[٣] م – أن.
[٤] ن ع م – له.
[٥] ن ع م: ويحتمل.
[٦] جميع النسخ: وتاب.
[٧] ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (سورة آل عمران، ٨٩/٣).
[٨] ع – من.
[٩] م: أنه.
[١٠] ع: لقولهم.
[١١] ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة النساء، ١٦٨/٤-١٦٩).
[١٢] جميع النسخ + والله لا يهدي القوم الظالمين. أي «لا يسميهم مهتدين بل ضالين». شرح *التأويلات*، ورقة ١١٩و.
[١٣] ل ع م: مقابلة.

**وكيف يهدي**، قيل: بكفرهم،[1] وقيل: وقت[2] اختيارهم [الضلالة]. وقيل: ذلك في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، وكانت همتهم التعنت والمخالفة. *والله أعلم*.[3]

وقوله تعالى: **والله لا يهدي القوم الظالمين**. الآية ترد على المعتزلة قولهم؛ لأنهم قالوا:[4] إن الهدى البيان، والبيان للكل.[5] [و]قالوا بتقدم[6] الفعل؛[7] فلو كان متقدما لكان في ذلك[8] إعطاء الهدى للظالم. فأخبر عز وجل أنه لا يهدي الظالمين. وهم يقولون: لا، بل يهدي الظالم، فذلك خروج عليه. وأما على قولنا، فإن التوفيق والقدرة إنما تكون[9] معه، فكان قولنا موافقًا للآية.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **والله لا يهدي**:[10] فلو لم يكن الهدى غيرَ البيان فلقد هداهم إذًا على قول المعتزلة.

---

[1] ن ع: كفرهم.
[2] جميع النسخ: في وقت.
[3] «أي لا يهدي الله قوما هم معاندون مكابرون فيه غير خاضعين له فلا يخلق فيهم الاهتداء ولا يوفق لهم لاكتساب الاهتداء. وإنما يخلق الاهتداء ويوفقهم على كسب ذلك ويقدرهم عليه إذا كانوا خاضعين متواضعين له على ما بينا غير مرة أن الهداية من الله تعالى على أقسام ثلاثة. خلق الاهتداء وإعطاء القدرة، والتوفيق على كسب الاهتداء وتحصيله، وبيان الطريق؛ والثالث عام الوجود في حق الكافر والمؤمن، دل أن المراد منه غير بيان الطرق. ويحتمل أن هذا في قوم مخصوصين علم الله منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فأخبر أنه لا يهديهم. فأما من علم منه أنه يؤمن في مستأنف الوقت فإنه يهديهم أي يخلق فيهم الاهتداء ويوفقه على تحصيله واكتسابه. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾ في سياق الآية أطمع الله أن من تاب عن الكفر وأصلح أنه يخلق فيه الاهتداء إلى الإيمان والقدرة على الإيمان ويغفر له. ويحتمل أي لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا على كفرهم، لقوله: ﴿ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم﴾ وهذا تأويل الجبائي. وقيل: لا يهديهم، أي لا يسميهم مهتدين بل ضالين بما اختاروا من الضلالة وباشروها بأنفسهم وهو تأويل المعتزلة أيضا. ويحتمل لا يهديهم في وقت اختيارهم الضلالة أي لا يعطيهم قدرة تحصيل الاهتداء ولم يخلق فيهم ذلك، لأن قدرة الاهتداء في حال الضلالة لا يتحقق لأن القدرة مع الفعل عندنا، وكذلك خلق الاهتداء لا يجامع خلق الضلالة والكفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٩و).
[4] ك ن ع – قالوا؛ ك (هـ): قالوا.
[5] «يقولون: إن الهدى من الله تعالى، هو بيان الحجة والطريق لا غير، وهذا البيان شامل للكفرة والمسلمين. فيرد عليهم بأن الله تعالى خص الظالمين بالحرمان من الهداية، فيكون خلاف النص» (شرح *التأويلات*، ورقة ١١٩و).
[6] ن: يتقدم.
[7] «ويقولون: إن التوفيق يتقدم الفعل والقدرة على الإيمان» (المرجع السابق).
[8] ع – في ذلك.
[9] ن: يكون.
[10] ك ن + من ذكر.

**﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٨٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٨٨]**

وقوله: **أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله**. قيل:[١] **لعنة الله**[٢] عذاب الله.[٣] وقيل: **لعنة الله** هي[٤] الإياس من رحمته وعفوه. واللعن هو الطرد في اللغة. ولعنة الملائكة ما قيل في آية أخرى، قوله: أُدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا،[٥] الآية. وقيل: لعنة الملائكة قولهم لهم [في قوله تعالى]: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ،[٦] إلى آخره. وقيل: يدعون[٧] عليهم باللعن.

وقيل لعنة المؤمنين [هي ما جاء في] قوله: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ،[٨] فذلك لعنهم عليهم.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٨٩]**

وقوله: **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**، ملحق على قوله: كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ،[٩] ذَكَرَ[١٠] الكفرَ بعد الإيمان، ثم ذكر التوبة فقال: **إلا الذين تابوا**، الآية، أطمع لهم المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله: **فإن الله غفور رحيم**. وما قيل في القصة أيضًا: إن نفرًا ارتدوا عن دين الإسلام، ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض، فنزل قوله: **إلا الذين تابوا**، الآية.

وفي الآية[١١] دلالة قبول توبة المرتدين، لأن قوله: **إلا الذين تابوا من بعد ذلك**، الآية، قيل في القصة.

---

[١] م: وقيل.
[٢] ك – قيل لعنة.
[٣] ع – قيل لعنة الله عذاب الله.
[٤] ك – هي.
[٥] ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب. قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٩–٥٠).
[٦] سورة الزخرف، ٤٣/٧٧.
[٧] ن ع م: يدعوا.
[٨] سورة الأعراف، ٧/٥٠.
[٩] سورة آل عمران، ٣/٨٦.
[١٠] ك: ذلك، صح هـ.
[١١] ع – وفي الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[٩٠]

وقوله: **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم.**[1] اختلف فيه. قيل قوله: **كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا،**[2] أي ماتوا على ذلك، فذلك زيادتهم الكفر. وقيل: إنهم[3] الذين كفروا بعيسى بعد الإيمان بالرسل جميعًا، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

**لن تقبل توبتهم.** قيل: **لن تقبل توبتهم** التي تابوا مرة ثم تركوها. وقيل: **لن تقبل توبتهم** التي أظهروا باللسان ولَمّا كان[4] ذلك في قلوبهم. أي ليست لهم توبة، لا أن[5] تكون منهم توبة،[6] فترد، كقوله: لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ.[7]

وقيل: هم قوم عَلِم الله أنهم لا يؤمنون[8] أبدًا، فأخبر أنه لا تقبل[9] توبتهم، كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[10]

وقيل: لا تقبل توبتهم عند الموت، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ،[11] وكقوله: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ،[12] وكقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ.[13] أخبر أنه لا ينفع الإيمان في ذلك الوقت، فعلى ذلك قوله: **لن تقبل توبتهم،** في ذلك الوقت إذا داموا على الكفر إلى ذلك الوقت.

---

[1] ن + الآية.
[2] ك – لن تقبل توبتهم اختلف فيه قيل كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا.
[3] ك ن ع: إن.
[4] أي و لم يكن.
[5] ن ع م: إلا أن.
[6] ك: لأن؛ ك هـ: إلا أن.
[7] ﴿وكم من مَلَكٍ في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ (سورة النجم، ٢٦/٥٣).
[8] ن ع: لا يتوبون.
[9] ن: لا يقبل.
[10] ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (سورة البقرة، ٦/٢).
[11] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠–٨٥).
[12] سورة النساء، ١٥٩/٤.
[13] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **إن الذين كفروا بعد إيمانهم [ثم ازدادوا كفرًا] لن تقبل توبتهم**: دلك في قوم مخصوصين، أي لا يكون[١] منهم توبة،[٢] كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ،[٣] أي لا شافع لهم.[٤] ويحتمل عند رؤية بأس[٥] الله، وجزاء فعله عند القيامة، ومعاينة[٦] الموت. / يدل على ذلك الآية التي تقدمت. [٨٨و]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾[٩١]

وقوله: **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به**. يقول: لو كان معهم فافتدوا به أنفسهم[٧] ما قبل منهم، ولكن لا يكون، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ،[٨] أي لا يكون لهم شفيع، لا[٩] أن كان لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم، ولكن لا يكون لهم. فهذا يدل على أن قوله: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ،[١٠] أي لا يتوبون. *والله أعلم*.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم[١١] قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك مِلْءُ الأرض ذهبًا أ كنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم يا ربِّ! فيقال له: قد سُئِلْتَ أيسرَ من ذلك، [فذلك قوله عز وجل: **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا**]».[١٢]

---

[١] ن: لما يكون.

[٢] ع م - توبة.

[٣] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٤٨).

[٤] م + شفاعة لهم.

[٥] ن ع م: فعل.

[٦] ن: أو معاينة.

[٧] ك: لافتدوا فيه أنفسهم؛ ن ع: لافتدوا به أنفسهم؛ م: لافتدوا بأنفسهم.

[٨] سورة البقرة، ٢/٤٨.

[٩] ن ع: إلا.

[١٠] جزء من الآية السابقة.

[١١] ن م + أنه.

[١٢] *مسند أحمد بن حبل*، ٣/٢١٨؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤٩؛ وصحيح *مسلم*، المنافقين، ٥٢.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**. يحتمل أن تكون[1] الآية -والله أعلم- في كفارٍ مَنَعَهم عن الإسلام الزكاةُ والصدقاتُ التي تجب في الأموال، كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، الآية إلى قوله: بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ.[2] أخبر عز وجل [أنهم] لن ينالوا[3] الإسلام حتى ينفقوا[4] مما يحبون[5] من الأموال. و[هو] كقوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.[6]

ويحتمل [أن تكون] الآية في المؤمنين، رَغَّبهم عز وجل في إنفاق ما يحبون، كقوله: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ،[7] الآية، أخبر أن البر ما ذكر من الإيمان به، وإيتاء المال في حبه.

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: **لن تنالوا البر[8] حتى تنفقوا مما تحبون**، قال أبو طلحة: يا رسول الله! حائطي الذي في مكان كذا وكذا فهو لله، ولو استطعت أن أُسِرَّه ما أعلنته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعله في قرابتك أو أقربائك».[9] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه لما نزل هذا أعتق جارية له.[10]

---

[1] ع م: أن يكون.

[2] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يَلْقَونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ (سورة التوبة، ٩/ ٧٥-٧٧).

[3] جميع النسخ: لن تنالوا.

[4] جميع النسخ: حتى تنفقوا.

[5] جميع النسخ: تحبون.

[6] سورة فصلت، ٤١/٧.

[7] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٧).

[8] ع م + الآية.

[9] جميع النسخ: أو قراباتك. مسند أحمد بن حنبل، ٣/١١٥، ١٤١، وصحيح البخاري، الزكاة ٤٤، الوكالة ١٥، الوصايا ١٠، ١٤، ١٧؛ وصحيح مسلم، الزكاة ٤٣-٤٤.

[10] ك ع م - له. تفسير القرطبي، ٣/ ١٣٣.

ثم اختلف في البرّ، قيل: البر هو الجنة هاهنا،[1] وقيل: البر هو الإسلام إن كان [قوله تعالى] في الكافرين،[2] وقيل: لن تنالوا درجات الجنة وما عند الله من الثواب إلا بإنفاق ما تحبون.

وقوله تعالى: **وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**، ففيه دليل قبول القليل من الصدقة؛ لأنهم كانوا[3] يمتنعون عن قليل التصدق استحقارًا؛ فأخبر أنه بذلك عليم، وإن قَلَّ بعد أن يكون ذلك لله عز وجل. *والله أعلم.*

**﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٩٣] ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٩٤]**

وقوله: **كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**، الآية. قال ابن عباس رضي الله عنه: وكان الطعام كله حلالا لهم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير.[4] **إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه**، يعني يعقوب حرم على نفسه لحم الإبل وألبانها، وكان من أحب الطعام إليه. إن ثبت ما ذكر في القصة[5] أن يعقوب عليه السلام أقبل يريد بيت المقدس، فلقيه مَلَك، فظن يعقوب أنه لص[6] فعالجه يصارعه، حتى أضاء له الفجر، فلما أضاء لهما الفجر، غمز الملك فخذ يعقوب فتهيج[7] عليه عِرق النَّساء، فكان يبيت[8] الليل ساهرًا[9] من وجعه، **فأقسم** لئن شفاه الله ليُحرِمنّ أحبَّ الطعام والشراب إليه على نفسه فشفاه الله من ذلك فحرّم لحم الإبل وألبانها،[10] لأنهما من أحب الطعام والشراب إليه؛[11] فإن ثبت هذا فهو إنما حرم ذلك على نفسه بالإذن من الله عز وجل والأمر منه.

---

[1] ك: هذا هنا.
[2] ع: في الكافر.
[3] ع - كانوا.
[4] لم نجده فيما تيسر لنا من المراجع.
[5] ك + ذكر في القصة.
[6] ع م: لهن.
[7] ع م: فيهيج.
[8] م: بيت.
[9] م: سائرا.
[10] روح المعاني للآلوسي، ٢/٤.
[11] ع م - على نفسه فشفاه الله من ذلك فحرم لحم الإبل وألبانها لأنهما من أحب الطعام والشراب إليه.

ثم[1] إن اليهود قالوا: إنما كان تحريم ذلك من الله في التوراة،[2] فأمر الله تعالى نبيه[3] أن قل لهم: **فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**، أن ذلك التحريم من الله في التوراة.

ويحتمل أن يكون التحريم كان بظلم، منهم، كقوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ،[4] الآية، ثم[5] أنكروا تحريم ذلك بظلمهم فدُعُوا بإحضار التوراة ليظهر كَذِبهم، فأبوا ذلك. فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه إثبات دلالة رسالة رسولنا[6] محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر عما أسرّوا، وأظهر ما كتموا.

قال أبو زيد:[7] إنما قَدَر أهل الكتاب على تغيير كتابهم والزيادة فيه والنقصان، ولم يكن لأحد تغيير القرآن عن وجهه، أو زيادة فيه،[8] أو نقصان منه؛ لأن كتبهم تشبه كلام غيره من الحكماء، فغيروه[9] بغيره من كلام الحكماء. وأما القرآن فهو آية معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله، وإن عَلِم أنه كان كما ذُكر،[10] وإلا فهو -والله أعلم- لَيَهْتِك عليهم أستارَهم، ولَيُظهر منهم ما كتموا. وفيه إثبات رسالة[11] محمد صلى الله عليه وسلم.

[**فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون**، أي من اختلق على الله الكذب من بعد البيان في كتابهم فأولئك هم الظالمون].[12]

**﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٩٥]**

وقوله: **قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا**، الآية، قد ذكرناه فيما تقدم.[13]

---

[1] ع - ثم.
[2] ع + ويحتمل.
[3] ك: بنبيه.
[4] ﴿فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٠).
[5] م - ثم.
[6] ك - رسولنا.
[7] م: أبو يزيد.
[8] م - فيه.
[9] جميع النسخ: فغيروا.
[10] أي لو كان القرآن يشبه كتب أهل الكتاب لاجترأ المحرف على تغيير القرآن بزيادة فيه أو نقصان منه.
[11] م: لرسالة.
[12] ما بين القوسين مأخوذ من *الشرح*، ورقة ١٢٠و.
[13] ك - وقوله قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا الآية قد ذكرناه فيما تقدم. «يحتمل **صدق الله**، أن الطعام كله كان حِلاً لبني إسرائيل قبل تحريم إسرائيل على نفسه، فصار ما حرم حراما على قومه إلى وقت نزول التوراة =

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَلَمِينَ﴾[٩٦]

وقوله: **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا.** قيل فيه بوجوه.[١] قيل: إن أول بيت مبارك وضع للناس هو بكة. وقيل: أول مسجد وضع للناس ببكة.[٢] وقيل: يريد ببكة البُقعة، أي أول بقعة خلق الله هو بكة، ومنها دُحيت الأرض. وقيل: إن آدم عليه السلام لما أُمر بالحج فيه، قال جبريل عليه السلام: قد حج فيه الملائكة قبلك بألفي عام.[٣] وقيل: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي عام.[٤]

ثم اختلف في قوله: بكة، قيل: البكة[٥] الزّحام.[٦] وقيل: البكة موضع البيت، ومكة[٧] سائر القرية.[٨] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مكة من فج إلى التنعيم إلى المنحر، وبكة من البيت إلى البطحاء.[٩] وقيل: بكة الكعبة، حيث يَبُكّ الناس؛ أي يزدحم بعضهم بعضًا، ومكة[١٠] ما وراءها.

وقوله: **مباركا،** قيل: يُغْفَر فيه الذنوب والخطايا، **وهدى للعالمين.**

---

= ثم صار حلالا ما صار حراما بتحريمه. ويحتمل صدق الله فيما أخبر أن تحريم ذلك عليهم بظلمهم بعد التوراة ردا على اليهود في دعواهم حرمة ذلك عليهم ابتداء لا بسبب ظلمهم. والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا﴾ أي فاتبعوا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ملة أبيكم يعني دين إبراهيم، فكلوا لحوم الإبل وألبانها وكلوا الشحوم والثروب. فأحل الله تعالى لأمة محمد عليه ما كان حلالا على إبراهيم عليه السلام وحرم عليهم ما كان حراما عليه وهو تفسير الاتباع. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٠و). وانظر أيضا عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/١٢٠، ١٣٠.

[١] ن + إن أول بيت وضع للناس لذي ببكة مباركا قيل فيه بوجوه.

[٢] جميع النسخ: مكة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٠و.

[٣] أخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان، (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٦٧/٧؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ٤٣٥/٣؛ وسنن *الكبرى* له، ١٧٧/٥) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان موضع البيت في زمن آدم عليه السلام شبرا أو أكثر علما، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم، ثم حج فاستقبلته الملائكة قالوا: يا آدم من أين جئت؟ قال: حججت البيت. فقالوا: قد حجته الملائكة قبلك بألفي عام» (*الدر المنثور* لسيوطي، ٣١٧/١-٣١٨).

[٤] ع م + في.

[٥] ع م – قيل البكة.

[٦] م: الرخام.

[٧] ع م: موضع البيت وسائر القرية.

[٨] وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا﴾، قيل: إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة. فأما اشتقاقه في اللغة فيصلح أن يكون الاسم اشتق من بَكَّ الناسُ بعضهم بعضا في الطواف، أي دفع بعضهم بعضا. وقيل: بكة اسم بطن مكة، سمي بذلك لازدحام الناس. وفي حديث مجاهد: من أسماء مكة بَكّة. قيل: بكة، موضع البيت، ومكة: سائر البلد، وقيل: هما أسماء البلدة. والباء والميم يتعاقبان (*لسان العرب*، «بكك»).

[٩] *الدر المنثور* لسيوطي، ٢٦٧/٢.

[١٠] ع م – ومكة.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٩٧]

[٨٨ظ] **فيه آيات بينات**، يحتمل قوله: **فيه آيات بينات**: / ما لو تأملوا لهداهم، وذلك أن الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال في أرض مَلْساء، قليلة الأنزال والرَّيْع، لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة ولا ما يرغب الخلق إلى مثله، ثم جعل قلوب الناس تميل وتهوي[١] إليه أفئدتهم من غير أن كان فيه[٢] ما يرغّبهم من النزهة، فلو لا أن كان ذلك من آيات الله ولطفه، وإلا ما رغب[٣] الناس إلى مثله. ويحتمل قوله: **فيه**[٤] **آيات بينات**، ما ذكر [من] **مقام إبراهيم**، [وما ذكر من قوله][٥] **ومن دخله كان آمنا**، وذلك آياته. ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن دخله كان آمنا**، ظاهره[٦] فيمن يجني ثم دخل الحرم أمن، لأن من لم يجن فهو آمن أين دخل من الحرم[٧] وغيره. وإنما الآية على ما يخص بالأمن[٨] إذا دخل الحرم دون غيره. وقد روي عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أصاب الرجل الحد في الحرم أقيم عليه، وإن أصابه في غير[٩] الحرم ثم لجأ إليه لا يحدَّث ولا يجالس ولا يؤاكل ولا يبايع حتى يخرج منه، فيؤخذ فيقام عليه الحد.[١٠] وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: لو وجدنا قاتل أبينا في الحرم لم نقتله.[١١]

وروي عن الحسن رحمه الله أنه قال في قوله: **ومن دخله كان آمنا**، كان هذا في الجاهلية، فأما الإسلام فلم يزده إلا شدةً، من أصاب الحد في غيره ثم لجأ إليه أقيم عليه الحد.[١٢]

---

[١] ك: تهوى وتميل.
[٢] ن: فيهم.
[٣] ن: رغبت.
[٤] ع م – ما يرغبهم من النزهة فلو لا أن كان ذلك من آيات الله ولطفه وإلا ما رغب الناس إلى مثه ويحتمل قوله فيه.
[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٠و.
[٦] ن: ظاهرة.
[٧] ع: عبى الحرم.
[٨] م: بالأرض.
[٩] م: غير.
[١٠] *تفسير الطبري*، ١١/٤؛ وتفسير *القرطبي*، ١٤١/٤.
[١١] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٢.
[١٢] *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٤٧٦/١.

يقال للحسن: إن الصيد كان يأمن في الجاهلية ثم [في] الإسلام لم يرفع ذلك الأمن، بل كان أمن الصيد في حال الإسلام كهو في حال الجاهلية، فعلى ذلك الأمن الذي كان في الجاهلية هو باق، غير زائل في الإسلام.

وأصحابنا رحمه الله يذهبون إلى ما روي عن ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهما. ولما روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن[1] الله تعالى حرم مكة يوم خلقها، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد[2] بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار. لا يُختَلى خلَاها، ولا يُعْضَد شجرها، ولا يُنَفَّر صيدها، ولا يُحتش حشيشها».[3] أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مكة بعد الإسلام حرام كما كانت قبله،[4] وأنها لم تحل له إلا ساعة من نهار، فإذا كان الملتجئ إليها آمنا[5] قبل الإسلام فالواجب أن يكون آمنًا بعد الإسلام حتى يخرج منها.

وحجة أخرى[6] وهو أن الله تعالى أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم قتل المشركين جميعًا، بل فرض[7] ذلك عليه إلا أهل مكة فإنه لم يُحل له قتلَهم إلا ساعة من نهار. ففضل مكة على غيرها بما خصها به من التحريم. فلا يبعد أن لا يقام [الحد أو القصاص] على من التجأ إليها في الإسلام، إذا كانت جنايته أقل مِن كفر أهلها، ولم يحل قتالهم إلا ساعة من نهار.

وفي الفرق [بين] من قَتل فيها وفي غيرها ثم لجأ إليه وجه آخر، [وهو] قول الله تعالى: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ،[8] أباح لهم القتل عند المسجد الحرام إذا قاتلونا[9] فعلى ذلك يقام الحد إذا أصاب وهو فيه، وإذا أصاب وهو في غيره ثم[10] لجأ إليه لم يقم، كما لم يُقاتَلوا إذا لم يُقاتِلوا.[11] وهذا فرق حسن واضح بحمد الله وعونه.[12]

---

[1] ع: إنما.
[2] ع – قبلي ولا تحل لأحد.
[3] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٣، ٢٥٩؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٤٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥-٤٤٨.
[4] ن ع: قبلة.
[5] ع م – آمنا.
[6] ك – أخرى، صح هـ.
[7] ن – فرض، صح هـ.
[8] ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩١).
[9] ع م: قتلونا.
[10] ن: لم.
[11] ن ع – إذا لم يقاتلوا.
[12] ك: والله أعلم.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله عز وجل **ومن دخله كان آمنًا**: يحتمل أن يكون خبرًا عن الحرم.[1] في قديم[2] الدهر أنه كان – على ما بُيّن– الخلقُ من القتال والحرب يأمنون بالحرم إذا التجئوا إليه. وذلك كقوله: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ،[3] فيكون ذلك[4] من عظيم آيات الله تعالى، لأن[5] أهل[6] الجاهلية –على عظيم ما بدلوا من الأمور وغيروا من الدين– منعهم الله تعالى عن هذا التعيير حتى بقيت لكل من شهده آية [على] أن الله له هذا السلطان، وبه قام هذا التدبير العظيم [و]له العلم بحقائق الأشياء، ووضع كل شيء[7] موضعه. وعلى ذلك قال بعض أهل التأويل في قوله: ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ،[8] قد جعل[9] جل ثناؤه ذلك[10] كالمأمن في الشرع والطبع. فأما الشرع[11] فما جاءت به[12] الرسل، وأما الطبع فما تنافر الناس [عنه] حتى سار[13] ذلك إلى الصيد الذي يؤذيه الآخذ، وإلى أنواع الأشياء التي قامت بجوهر[14] تلك البقعة من النبات، لا[15] بأسباب تكسب. ولهذا كره بيع رِباع[16] مكة، ورُخص في بيع ما يحدث فيها من النبات. ***والله أعلم***. ودل قوله: جَعَلْنَا،[17] كذا على لزوم ذلك الحق؛ لأنه مذكور بحرف الامتنان والاحتجاج به،[18] ولا يجوز تغيير الذي هذا وصفه. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: من الحرم.
[2] ع: في قد.
[3] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٧.
[4] ن – ذلك.
[5] جميع النسخ: أن.
[6] م – أهل.
[7] ع: بي.
[8] ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٧).
[9] ك ن: وقد جعل.
[10] ك ع: وذلك. ذلك: أي الحرم.
[11] ن ع: فما الشرع.
[12] ع م – به.
[13] ن: صار.
[14] ع: بالجوهر.
[15] ع: إلا.
[16] جمع الرَّبْع، وهو المنزل والدار بعينها والوطن متى كان، وبأي مكان كان. وهو مشتق من ذلك. وجمعه أَرْبُعٌ، ورِباع ورُبوع وأرباع وربع القوم: محتلهم. وفي حديث عائشة: أرادت بيع رباعها، أي منازلها (*لسان العرب*، «ربع»).
[17] ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٧).
[18] جميع النسخ: له.

ويحتمل **كان**: صار **آمنًا**، أي أوجب له الأمان [بالدخول في الحرم]. ومعلوم أن الذي لم يلزمه القتل كان آمنًا دون دخوله، فثبت أن ذلك فيمن لزمه. وأيد ذلك قوله: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،[١] فهم قوم قد سبق منهم الكفر[٢] وقت شرع القتل بالكفر، لم يأخذهم بحق[٣] الشرع على ما سبق من الكفر في وقت لم يكن ذلك جزاؤه في الدنيا إلا أن يحدث القتال. فعلى ذلك من لزمه لا[٤] فيه فهو يأمن به إلا أن يكون أحدثه فيه. ***والله أعلم***.

وأصله أنه أضاف الأمان إلى نفسه بقوله: **كان آمنًا**. فكل[٥] حق يُتلف نفسه فله أمان[٦] بالدخول فيه؛ وكل حق في إقامته إحياء ما جعلت الحياة [به] ليقع مثله فهو يقام، ليكون زجرًا له وتكفيرًا على بقاء الأمن ليقي نفسه، ولرده[٧] إلى ما لا يدري[٨] أنه التجأ إليه للهرب عن حكم الله تعالى، أو للأمان بالله ليصل إلى إقامة أحكام الله تعالى آمنًا، وفي إقامته هذا أيضًا. ***والله أعلم***.

وقوله[٩] عز وجل: **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا**، فرض الله تعالى الحج بهذه الآية / على من استطاع إليه سبيلًا ولم يبين ما السبيل، وبين ذلك رسولُ الله صلى الله [٨٩و]
عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال: «الزاد والراحلة».[١٠] وهكذا يقول علماؤنا: إن الاستطاعة[١١] والسبيل هو الزاد والراحلة، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال[١٢] بعض الناس: إذا كان بينه وبين الحج بحر لم يلزمه الحج، فكأنه ذهب إلى ظاهر الآية **من استطاع إليه سبيلًا**، فجعل البحر وأشباهه مزيلًا للاستطاعة، فخالف ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال: «الزاد والراحلة»، فلم يجز لأحد أن يزيد شرائط الاستطاعة مع الزاد والراحلة.[١٣]

---

[١] سورة البقرة، ٢/١٩١.
[٢] ك: القتل؛ صح هـ.
[٣] جميع النسخ: حق.
[٤] ن ع: إلا.
[٥] م: وكل.
[٦] م: الأمان.
[٧] جميع النسخ: ورده.
[٨] جميع النسخ: لا يدرا.
[٩] ن - وقوله.
[١٠] *سنن الترمذي*، الحج ٤؛ و*سنن ابن ماجة*، المناسك ٦.
[١١] ع: الاستطاع.
[١٢] ع م: وكان.
[١٣] ع م - فلم يجز لأحد أن يزيد شرائط الاستطاعة مع الزاد والراحلة.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبيّن عن الله، فعلينا اتباعه في قوله وفعله وتفسيره الآية. ولكنا نجعل من يحول بينه وبين البيت [عدوٌّ][1] معذورًا في التأخير، ولا يأثم إن شاء الله إذا لم يقدر على الوصول إلى البيت بعلة على ما[2] جعل التأخير في غيره[3] من العبادات[4] عند[5] الأعذار والعلل، ولا يأثم في ذلك.

ثم في الآية دلالة أن لا يلزم المرأةَ الحجُّ إلا بالمحرم؛ لأن المرأة وإن وجدت الزاد والراحلة فإنها تحتاج إلى من يُركبها ويُنزلها، و لا تقدر على ذلك إلا بغيرها، وهكذا العرف فيهن؛ فإذا كان كذلك جعل كأنها غير واجدة للراحلة. **والله أعلم**.

وفيه دلالة أن العبد إذا حجّ ثم أُعتق لزمه حِجّة الإسلام؛ لأنه لا يملك الزاد والراحلة، فإذا لم يملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك عن حجة[6] الإسلام. وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما عبد حج ولو عَشْرَ حِجَجٍ فعليه إذا أُعتق حِجَّة الإسلام».[7] وليس كالحر الفقير يَحُجّ ثم أيسرَ جاز ذلك من حِجة[8] الإسلام، ففرقوا بينهما وإن كانا[9] في زوال الحج في الابتداء سواء. وذلك أن الفقير إذا بلغ ذلك المكان صار غنيًا ولزمه الفرض، لأنه لا يحتاج حينئذ إلى زاد وراحلة، وأما العبد [فإنه] إذا حضر ذلك المكان لم يُعتَق، لذلك افترقا. وفي ذلك حجة أخرى، ما أجمع [عليه] أهل العلم أن فقيرًا لو حضر القتال ضرب له بسهم كامل، كما يضرب لمن كان فَرْض الجهاد لازمًا له. ولو أن عبدًا شهد الوقعة رُضِخ[10] له و لم يُكمل له سهم الحرّ. فافترق[11] حال الفقير والعبد في الجهاد والضرب في السهام،[12] فعلى ذلك يفترق حالهما في الحج. **والله أعلم**.

---

[1] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ١٢١و.
[2] م – ما.
[3] جميع النسخ: في غيرها.
[4] م + هذا.
[5] م – عند.
[6] جميع النسخ: من حجة.
[7] قال الزيلعي: رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. (*نصب الراية*، ٦/٣). وانظر أيضا: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٥٥/٣.
[8] ن: من جهة.
[9] ك: كان، صح هـ.
[10] رضخ له من ماله يَرْضَخُ رَضْخًا: أعطاه. يقال: رضخت له من مالي رضيخة: وهو القليل (*لسان العرب*، «رضخ»).
[11] ك: فافترقت.
[12] ن: في السهمان.

وقال بعض أهل العلم: إن الشيخ الذي لا يستمسك على الراحلة إذا وجد غيره يحج عنه يلزمه فرض الحج، فما ينكر[1] ممن قال في المرأة بمثله، فاحتج بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن[2] أبي شيخ [فقد] أدركته فريضة الحج وهو لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة أفيُجْزِئ[3] أن أحج عنه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيت لو كان على أبيك دَين فقضيته عنه أكان يقبل منك؟» قال نعم. قال: «فالله أولى بحج أبيك»، أو كلام نحوه.[4] ولكن ليس في الخبر أن فريضة الحج إنما أدركته في الحال التي لا يستمسك [فيها] على الراحلة فيجوز[5] أنه[6] أدركته[7] فريضة الحج قبل ذلك. فكذلك يقول علماؤنا: إن الحج إذا وجب فأَخر أداءه حتى أعسر لم يسقط عنه الحج. وكذلك إذا وجب عليه الحج، فلم يحج حتى كَبِر، فصار لا يستمسك على الراحلة،[8] عليه أن يوصي ليُحَجّ عنه. ويحتمل أيضًا[9] أنه رغّبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج عنه تبرعًا،[10] لا أنه ألزمه الحج في ذلك الوقت الذي لا يثبت على الراحلة.

وعندنا أنه لا يلزمه لأنه إذا لم يستمسك على الراحلة فلا راحلة له.

ثم من قول هذا القائل أن من لزمه فرض الحج فله التأخير، وفي التأخير خوف[11] إدراك المنية. ومن قوله أنه لو أخر حتى مات يصير فاسقًا، فإذا مات مات فاسقًا.[12] يجعل له رخصة التأخير ثم يفسقه،

---

[1] م: فما يذكر.

[2] ن - إن.

[3] ك - وقال بعض أهل العلم إن الشيخ الذي لا يستمسك على الراحلة إذا وجد غيره يحج عنه يلزمه فرض الحج فما ينكر ممن قال في المرأة بمثله فاحتج بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صى الله عيه وسم فقال يا رسول الله إن أبي شيخ أدركته فريضة الحج وهو لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة أفيجزئ.

[4] صحيح *البخاري*، الحج ١، الجهاد ١٥٤، ١٦٢، ١٩٢، أدب ٦٨؛ وصحيح *مسلم*، حج ٤٠٧؛ فضائل الصحابة ١٣٥، ١٣٧.

[5] ع - وهو لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة أ فيجزئ أن أحج عنه فقال رسول الله صى الله عيه وسلم أ رأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يقبل منك قال نعم قال فالله أولى بحج أبيك أو كلام نحوه ولكن ليس في الخبر أن فريضة الحج إنما أدركته في الحال التي لا يستمسك على الراحلة فيجوز.

[6] ك ن: انه؛ ع: انما.

[7] م - في الحال التي لا يستمسك على الراحلة فيجوز أنه أدركته.

[8] ع: الراحىة.

[9] ع + عنه ويحتمل أيضا.

[10] ن ع: متبرعا.

[11] ع: فوت؛ م: فوات.

[12] م - فإذا مات مات فاسقًا.

فكأنه يجعل[1] له الرخصة في الفسق، فذلك قبيح وحشو من القول[2] سَمِج.

وأما عندنا فإنه لا يسع له التأخير في أول أحوال الإمكان على تمام شرط الاختيار، كغيره من العبادات التي لزمت من نحو الصلاة والصيام وغيرهما لا يسع التأخير، فعلى ذلك الحج.

ثم من قول الشافعي رحمه الله: إن على الكافر الحج والصلاة والصيامَ في حال كفره، فإذا أسلم سقط ذلك عنه. فذلك عندنا لعب وعبث في دين الله تعالى وتبارك، غير جائز أن يلزمه فرض في حال لا يجوز له فعله، فإذا جاء سبب الجواز يسقط عنه ذلك. وفي الآية دلالة أن الحج إنما كان فرضًا على المؤمنين خاصة، بقوله: **وَمَن كَفَرَ فإن الله غني عن العالمين**، فلو كان هو على الكافر،[3] كما هو على المسلم لم يكن لقوله [**ومن كفر**] معنى، دل أنه غير لازم. والله أمر بالعبادات باسم المؤمنين.

ثم المسألة بينا وبين المعتزلة[4] في الاستطاعة.[5] قالت المعتزلة:[6] [الاستطاعة] تكون[7] قبل الفعل؛ لأن الله تعالى فرض الحج، وأمر بالخروج إليه إذا قدر على الزاد والراحلة على ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا لم يقدر لم يلزمه، فدل أنها تتقدم.

وأما عندنا فهي على وجهين. أحدهما استطاعة الأسباب والأحوال. والثاني استطاعة الأفعال. فأما[8] استطاعة الأحوال والأسباب فيجوز تقدمها من نحو الزاد والراحلة والجوارح السليمة. وأما استطاعة الأفعال فإنها[9] لا تكون إلا مع الفعل؛ لأنها استطاعة الفعل وسببه، فلا تكون[10] إلا معه.

والوقت في الحج [شرط] لفعل الحج، لا للإيجاب،[11] لأنه لو كان للإيجاب لكان له أن لا يخرج ولا يأتي ذلك المكان فيجب عليه الحج؛ ولأنه لو لم يلزمه إلا بالوقت، ثم لا يتمكن فعله به دون المكان، فيجيء أن لا يلزمه إلا بحضور ذلك، فلا يلزمه الخروج / أبدا، [٨٩ظ]

[1] ن: يحتمل.
[2] ع – من.
[3] ك: الكافر، صح هـ.
[4] ن – المعتزلة.
[5] ع – في الاستطاعة.
[6] ع – قالت المعتزلة.
[7] جميع النسخ: يكون.
[8] ن – فأما.
[9] ن – فإنها.
[10] جميع النسخ: فلا يكون.
[11] ع: لا لإيجاب.

إذ الحج[1] غير لازم إلا بالوقت.[2] ولأنه ليس على[3] العبد[4] أن يتكلف في اكتساب[5] إيجاب العبادات،[6] و[لكن] عليه أن يجهد في أداء الواجب عليه.[7]

ثم الأوقات على أقسام ثلاثة: وقت الإيجاب والأداء جميعًا نحو الصلاة والصيام ونحوهما؛ ووقت الإيجاب نحو الزكاة؛[8] ووقت الأداء وهو الحج، إنما وجوبه بالزاد والراحلة، وأما الوقت فهو[9] للأداء خاصة. فإذا كان في أقصى بلاد المسلمين[10] فهو لم يعطَ قدرة فعل الحج، لأنه لا يقدر على فعله إذا كان فيما ذكرنا. دل أن قدرة الفعل لا تتقدم[11] الفعل، وقدرة الأحوال تتقدم لما ذكرنا. *والله أعلم*.*

[وفي] قوله:[13] **ولله على الناس حج البيت** دلالتان.[14] إحداهما في الوجوب بقوله: **ولله على الناس**،[15] وأيد ذلك قوله: **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**، وما جاء من الآثار[16] واتفاق القول.[17]

---

[1] ك: إذا كان بحج.

[2] ك ن ع: إلا بالوقت. يقول السمرقندي: «حتى يحضر ذلك الوقت، وإذا حضر الوقت لا يمكن القبول بالوجوب ما لم يحج إلى المكان الذي يوقع فيه الفعل، وهو بعيد منه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢١و).

[3] ع - على.

[4] ع: العند.

[5] ع م: باكتساب.

[6] ع: العباداة.

[7] «ولأن المرء لا يكلف تحصيل أسباب الوجوب، فإنه لا يجب على المرء تحصيل المال باكتساب أسبابها من التجارة ونحوها ليجب عليه الحقوق الواجبة بسبب المال من الحج والزكاة وصدقة الفطر ونحوها. وبالإجماع الحج واجب على من نأى عن الكعبة، دل أنه إنما يجب الاستطاعة من حيث الأسباب» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢١و).

[8] ع - ووقت الإيجاب نحو الزكاة.

[9] ن - فهو.

[10] ع - فهو للأداء خاصة فإذا كان في أقصى بلاد المسلمين.

[11] ن: لا يتقدم.

* ورد هنا قسم من تفسير الآية متقدما فنقلناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٨٩ظ/سطر٥-١١.

[13] ع م - قوله.

[14] ن + دلالتان.

[15] أي في كون الحج واجبا بدلالة، كلمة "على"، لأنها مستعملة في الوجوب. شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٢و.

[16] جميع النسخ: من الأثر.

[17] أي إجماع الأمة. شرح *التأويلات*، ١٢٢و.

والثانية[1] جعلُ البيت شرطًا للقيام، لما هو في قوله: **على الناس** ذلك، فيكون[2] دليل لزوم الطواف تفسيره في قوله: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[3] وكذلك أيده قوله: فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ،[4] وأيده[5] أيضا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال[6] في امرأة[7] نُفِست: «أحَابِسَتُنا هي؟» قيل: إنها أفاضت.[8] وعلى ذلك اتفاق القول بلزوم الطواف. *والله أعلم*.
فلما دل أن الطواف[9] لازم لم يخل إما أن يكون الطواف[10] المبدَأ به في الحج أو الذي يختم به. والذي يبدأ به لا يلزم كلَّ الناس؛ ثبت أن الفرض هو الذي يختم به.

وقوله:[11] **من استطاع إليه سبيلا**، أوجب جعل السبيل إليه والإمكانِ شرطًا للوجوب، إذ الآية في ذكر الوجوب[12] لا الفعل. وعلى ذلك جميع العبادات جُعِل الإمكان في وجوبها شرطًا بالسمع، بقوله: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا،[13] وغير ذلك مما ذكر في كل نوع من العبادات من الاستطاعة.

وكذا حق هذا بالعقل،[14] وذلك يخرج على وجهين. [الأول] استطاعة الفعل بمعنى القدرة[15] التي تحدث لا محالة ما سلمت الأسباب، إلا أن تكون[16] ممن[17] منه الفعل الإعراض عنها[18]

---

[1] ن ع: والثاني.
[2] ن ع + فيه.
[3] ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ (سورة الحج، ٢٩/٢٢).
[4] ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (سورة البقرة، ١٥٨/٢).
[5] جميع النسخ: وأيد.
[6] ن – قال.
[7] ن + قال.
[8] روى مسلم عن عروة أن عائشة قالت: حاضت صفية بنت حُيَيّ بعد ما أفاضت. قالت عائشة: فذكرت حيضتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحابستنا هي؟» قالت قلت: يا رسول الله إنها قد كانت أفاضت، وطافت بالبيت ثم حاضت بعد الإفاضة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَلْتَنْفِر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨/٦-٣٩، ٨٢، ٨٥؛ وصحيح *البخاري*، الحج ١٢٩، الطلاق ٤٣؛ وصحيح مسلم، الحج ١٢٨).
[9] ن + والله أعلم فلما دل أن الطواف.
[10] ن – الطواف.
[11] م: وهو قوله.
[12] ع – إذ الآية في ذكر الوجوب، صح هـ.
[13] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.
[14] م: بالفعل.
[15] م: من القدرة.
[16] جميع النسخ: أن يكون.
[17] ك م: فمن.
[18] م: عنهما. أي إلا أن توجد الإعراض من المكلف والفاعل عن القدرة.

بالشغل بغير ذلك [من] الأفعال، أو استثقالِ ذلك بالفعل؛ فيكون فوت الاستطاعة بتضييعه، ولا عذر بفوت[١] ما كان المكلف يفوته، كفوت العلم به على الإمكان، وإن كان لا يقوم دونه. والذي يؤيد أن هذه الاستطاعة ليست[٢] بشرط في الإيجاب أنها لا تبقي. ثم محال وجودها في حالةٍ -لو أريد إقامة الحج- لا يتهيأ، وذلك نحو أن يكون في أقصى البلاد من مكة؛ ومعلوم أن القدرة التي بها يكون الفعل ليست معه، ومحال تكليف السبب الذي به يجب الفعل؛ فلذلك لم يجز تكليف[٣] بالخروج ولا أمر بالحج، فكأنه يؤمر بتكليف سبب الإيجاب، ثبت أن قد يجب الحج لا بتلك القوة. وكذلك يجوز في الكفارات استعمال الأبدال في حال العجز، وإن كان لا يعلم أن [حقيقة][٤] العجز يمتد إلى آخر ما يقدر على[٥] الأصل، بل على ظهور أن لا يمتد بمضي[٦] البدل؛ ثبت أن لا عبرة لفقد قدرة الفعل ووجودها في التكليف. ***والله أعلم***.

والثاني يراد بالاستطاعة سلامة الأسباب. ولا يجوز التكليف دونها بالفعل، لأنه ممنوع، ومحال أمر الممنوع عن الفعل به كالأعمى والمُقعَد ونحو ذلك. فإلى[٧] مثل هذا انصرف شرط الاستطاعة -وهو[٨] اللازم في العقل- لأن[٩] القُرَب [تكون] بحق الشكر لما أنعم على المأمور، فإذا منع عنه السبب الذي هو النعمة[١٠] لم يحتمل أن يؤمر بالشكر ولا نعمةَ. ***والله أعلم***.

وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك، فقال «الزاد والراحلة».[١١] ***والله الموفق***. وعلى ما ذكرت يخرج قول أبي حنيفة رضي الله عنه [في] وجوب الحج، وإن لم يدرك الوقت الذي فيه يقوم الحج على ما لزمه، وإن لم يكن أصاب المكان الذي فيه يقام. ***والله أعلم***. فظاهر[١٢] الآية، مع ما ذكرنا من بيان الأثر.

---

[١] ك ع: يفوت.
[٢] م: ليس.
[٣] ع - السبب الذي به يجب الفعل فلذلك لم يجز تكليف، صح هـ.
[٤] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢١و.
[٥] جميع النسخ: ما يقوم به.
[٦] ك ع م: بمعنى. وعبارة السمرقندي هكذا: «بل على اعتبار أن لا يمتد من حيث الظاهر». ورقة، ١٢١و.
[٧] ك ن ع: وإلى.
[٨] ع: هو.
[٩] ك ن ع: لما.
[١٠] «وهو سلامة البدن أو المال» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢١و).
[١١] الحديث تقدم تخريجه.
[١٢] ن ع: فيظاهر.

وأصله أن الوقت في الحج جعل [شرطا] لجواز الفعل، إذ هو لو فات لا يحتمل في غيره. وكل فعل يجوز في غير وقته فما يقرب من الوقت به كان أحق بالجواز. فإذا لم يجز هذا وجاز في مثله من [العام] القابل ثبت أنه للجواز لا للوجوب. وأيد ذلك ما لا يوصف بالقضاء متى أدِّي. ولو كان في [العام] الأول واجبًا لوقت الأول لكان يكون في الثاني قاضيًا، فإذا لم يكن ثبت أن ليس لوجوبه وقت.[1] *والله أعلم*.

[٨٩ظ س ه] *وقوله: **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.** في الآية دلالة أن الله عز وجل إذا أمر عباده بأمر ليس يأمره لحاجة نفسه، [بل] يأمر[2] لحاجة[3] العبد، لأنه غني بذاته لا حاجة تمسه. وأما الأمر فيما بين الخلق فإنما هو لحاجة بعضهم لبعض؛ إما لجر[4] منفعة، أو لدفع[5] مكروه، فذلك معنى قوله: **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.**

ثم اختلف في قوله: **ومن كفر،** عن ابن عباس رضي الله عنه، **ومن كفر،** قال: من زعم أنه لم ينزل[6] [آية وجوب الحج]. وعن الحسن، **ومن كفر،** قال: من زعم أن الحج ليس بواجب.[7] وقيل: **ومن كفر،**[8] قال: هو الذي إن حجّ لم يَرْجُ[9] ثوابه، وإن جلس لم يَخْشَ[10] عقابه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **من استطاع إليه سبيلا،** والسبيل أن يصح بدن[11] العبد وأن يكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُجْحف[12] [به]. ثم قال: **ومن كفر،** يقول:

---

[1] «...متى لم يؤد الحج في العام الأول فإنه لا يسمى قضاء متى أدى بعد ذلك. ولو كان الوقت [واجبا] لوجود الأداء فيه فبمضي ذلك الوقت دون الأداء يكون الفعل في غيره قضاء لا أداء، كما في الصوم والصلاة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٢و).
[2] ك ن م: ويأمر.
[3] ع – نفسه يأمر لحاجة.
[4] جميع النسخ: جر.
[5] جميع النسخ: دفع.
[6] عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿ومن كفر﴾: من زعم أنه ليس بفرض عليه. (*تفسير الطبري*، ١٩/٤). وعنه أيضا: ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجبا (*تفسير القرطبي*، ١٥٣/٤).
[7] روي عن الحسن في قوله ﴿ومن كفر﴾: من لم يره واجبا عليه. وروى عنه: من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر. *تفسير الطبري*، ١٩/٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥٣/٤.
[8] جميع النسخ + بالله.
[9] جميع النسخ: ولم يرج.
[10] م: لم يكر ؛ ع – لم يخش.
[11] م: بدون.
[12] جميع النسخ: يححف. وهو في *تفسير الطبري*، ١٥/٤؛ و*تفسير السيوطي*، ٢٧٤/٢: من غير جحف. أي من غير أن يضيق عليه ويكلف ما لا يطيق. انظر: *لسان العرب*، «جحف».

ومن كفر بالحج فلم ير حجه بِرًّا[1] ولا تَرْكَه مَأْثَمًا. *والله أعلم.** [٨٩ظ س ١١]

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾[٩٨]**

وقوله: **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله**، وآيات الله[3] ما ذكرنا فيما تقدم[4] بمحمد صلى الله عليه وسلم و بالقرآن والحجج. **والله شهيد على ما تعملون**، هو حرف وعيد وتنبيه ينبههم[5] عن صنيعهم[6] ليكونوا على حذر من ذلك.

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٩٩]**

وقوله: **لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا**، يحتمل قوله: **لم تصدون عن سبيل الله من آمن** من الأتباع الذين كان إيمانهم إيمان تقليد، لا إيمانا[7] بالعقل، لأن من كان إيمانه إيمانًا[8] بالعقل فهو لا يُصَدُّ ولا يُصرف عنه أبدًا، لما عرف حُسْن الإيمان وحقيقته / بالعقل، فهو [٩٠و] لا يترك[ه] أبدًا. وأما من كان إيمانه إيمانَ تقليد فلم يكن إيمانه إيمان حقيقة، فمثله يُصَدّ عنه، إلا أن[9] يَمُنَّ الله عليه فيَشرح صدره، حتى يكون على نور منه. وذلك أحد وجوه اللطف. والمقلد غير معذور، لما معه ما[10] لو استعمله لأوضح له الطريق وأراه قبحَ ما آثر من التقليد.[11] *والله الموفق.*

ويحتمل قوله: **لم تصدون عن سبيل الله من آمن**، أي لم تقصدون[12] قصد صدهم عن سبيل الله، وهم لا يرجعون إلى دينكم؟ [وهو] إياس منه [تعالى] إياهم عن أن يرجعوا عن دينهم الذي [هم] عليه، كقوله: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي،[13]

---

[1] م: براء.
* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٨٩ظ/سطر٥-١١.
[3] ك: وآياته.
[4] انظر عند تأويل قوله تعالى في هذه السورة، ٢١/٣.
[5] ك ع: ينبهم؛ م: ينبئهم.
[6] م: إلى صنيعهم.
[7] ن: لا إيمان.
[8] ن ع: إيمان.
[9] جميع النسخ + من. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٢و.
[10] ك - ما، صح هـ.
[11] ع - من.
[12] ن + أي.
[13] ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).

فيه إياس الكفرة عن رجوع المسلمين إلى دينهم. وقيل: كانوا يصرفون المؤمنين عن الحج.

وقوله: **تبغونها عِوَجًا**، والعوج هو غير[1] طريق الحق، وهو الزيغ والتعوج عن الحق.

وقوله: **وأنتم شهداء** وقوله[2] وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ[3] واحد. وفي حرف حفصة رضي الله عنها:[4] **وأنتم شهداء** على الناس.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون**، هو حرف وعيد وتنبيه، لأن من علم أن عليه رقيبًا وحافظا[5] يكون أحذر وأخوف ممن[6] لم يكن عليه ذلك.

{قال الشيخ رحمه الله:} وفيه أنه لا [عن] غفلة بالذي يكون منكم خلَقكم،[7] ولكن على علم، لتعلموا أنه لا للحاجة خلقكم بل لإظهار الغنى والسلطان. جلّ جلاله وعمّ نواله.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[١٠٠]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**،الآية[8] تحتمل[9] وجوها. أحدها، معلوم أن المؤمنين لا يطيعون الكفار بحال في الكفر، ولكن معناه -والله أعلم- أن يدعوهم إلى شيء لا يعلمون أن في ذلك[10] كفرا.[11] نهاهم أن يطيعوهم في كل ما يدعون،[12] لعل ما[13] يدعونكم[14] إليه كفر وأنتم لا تعلمون.

---

[1] ع - هو غير.
[2] ن ع - وقوله. «أي علماء بما في كتابكم أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأن دينه الإسلام هو الحق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٢ظ).
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ (سورة آل عمران، ٧٠/٣).
[4] ع: عنه.
[5] جميع النسخ: رقيب وحافظ.
[6] جميع النسخ: من؛ ك هـ: ممن.
[7] م + خللكم.
[8] ك م + الآية.
[9] ن ع م: يحتمل.
[10] ن: أن ذلك.
[11] جميع النسخ: كفر.
[12] ن: يدعون؛ ع م: يدعوكم.
[13] ك ع م - لعل ما.
[14] ع م - يدعونكم؛ ن: يدعوكم.

ويحتمل[١] النهي عن طاعتهم، نهاهم[٢] عن أن يطيعوهم وإن كان يعلم أنهم لا يطيعونهم، كما نهى الرسولَ صلى الله عليه وسلم في غير آي من القرآن، كقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[٣] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[٤] فكذلك هذا.

{قال الشيخ رحمه الله:} ويشبه أن تكون الآية في عرض أمور عظام ترغب[٥] فيها النفس[٦] ليكفر بها. فحذر [الله] عن ذلك بما بين من الاعتناء[٧] والخسار في آية أخرى ليعلموا[٨] أن ذلك تجارة مُخسِّرة، وقد كان لهم ولأهل كل دين ومذهب هذا الاعتناء.[٩] *والله أعلم*. وعلى ذلك قوله: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ،[١٠] على أن الذي أراكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ألذّ للعقول وأروح للأبدان مما وعدوه، مع سوء المآب. *والله أعلم*.

**﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[١٠١]

وقوله: **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله**، هو[١١] على وجه التعجب [في] ظاهره،[١٢] ولكنه على طلب الحجة في كفرهم. **وفيكم رسوله**، يدفع عنكم الشبهة التي عَرضت لكم بإلقاء الكفار إليكم.

---

[١] ك: وتحتمل.
[٢] ك: كافهم، صح هـ.
[٣] انظر مثلا: ﴿قل أغيرَ الله أتّخذُ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم قل إني أُمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكوننّ من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ١٤/٦).
[٤] انظر مثلا: ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (سورة البقرة، ١٤٧/٢).
[٥] ك: يرغب.
[٦] ع م - النفس.
[٧] ن ع م: الاعتناد.      والاعتناء: الاهتمام والمشقة.
[٨] ن ع م: لتعلموا.
[٩] ك: الاستثناء، صح هـ؛ ن م: الاعتناد.      «يحتمل أن تكون الآية في قوم من أهل الكتاب كانوا عرضوا على قوم من المؤمنين الملك والنعم العظيمة التي ترغب فيها النفوس، وتميل إليها الطباع ليتركوا دينهم طمعا لنيل ما عرضوا عليهم، فحذر الله تعالى عن ذلك بما بين من الخسار في آي كثير ليعلموا أن ذلك تجارة مخسرة. وميل الطبع ورغبة النفس ثابت لكل أهل دين ومذهب، ولكن مَن رُزق العقل القويم وتوفيقَ الهدي يترك ما في طبعه إلى ما في عقله فيؤثر الآخرة على العاجلة. وكل أمر ونهي في الشرع ليترك ما في الطباع إلى ما في العقول. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٢ظ).
[١٠] جزء من الآية التالية.
[١١] جميع النسخ: وهو.
[١٢] ك: ظاهرة.

**ومن يعتصم بالله**، أي من جعل الله عر وجل ملجأ له ومفزعا إليه عند [اعتراض][1] الشبه والإشكال، **فقد هدي إلى صراط مستقيم**، أي يحفظه عن الشبه ويُرشده إلى صراط مستقيم. *والله أعلم*. ويحتمل **ومن يعتصم بالله**، يتمسك بالذي جاء من القرآن، **فقد هدي إلى صراط مستقيم**.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٠٢]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **حقَّ تقاته** أن يُطاع[2] فلا يُعصى، ويُشكر فلا يكفَر -أي لا يغفل-[3] ويذكر فلا يُنسى.[4]

وأراد [بقوله:] **حقَّ تقاته**، مما يحتمل وسعَ الخلق. وروي في حرف حفصة **اتقوا الله حق تقاته:**[5] اعبدوا الله حق عبادته. وهذا اعتقاد التوحيد.[6] وروي عن أنس رضي الله عنه يقول: لا يتقى الله أحد حق تقاته حتى يَخزُن من لسانه، ويَعُدَّ كلامه[7] من عمله.[8] وقيل:[9] **اتقوا الله**، أطيعوا الله حق طاعته. وقيل: إن هذا نسخها قوله: **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**،[10] الآية، لكن [هذا لا يصح؛ لأنه] لا يحتمل أن يأمر [الله][11] الخلق بشيء ليس في وسعهم القيام به ثم ينسخ[12] ذلك بما يستطاع.

ولكن أصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إن لله على عباده حقًا ولعباده عليه حقًا؛ وحق الله على عبده أن يعبد الله ولا يشرك غيره فيه، وحق العبد على الله

---

[1] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٢ظ.
[2] ع: أي يطاع.
[3] ع م - أي لا يغفل.
[4] *تفسير القرطبي*، ١٥٧/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٢/٢.
[5] جميع النسخ + أي.
[6] ع م - وروي في حرف حفصة اتقوا الله حق تقاته اعبدوا الله حق عبادته وهذا اعتقاد التوحيد. «إذ عامة ما يذكر من العبادات في القرآن يراد بها التوحيد» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٢ظ).
[7] ع: من كلامه.
[8] ذكر السيوطي عن أنس رضي الله عنه: لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن من لسانه. وروى ابن كثير: حتى يخزن لسانه (*تفسير ابن كثير*، ٣٨٩/١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/ ٢٨٤، ٦٨٣). حتى يخزن لسانه: أي يحبسه ويحفظه (*لسان العرب*، «خزن»).
[9] ع م - وقيل.
[10] سورة التغابن، ١٦/٦٤.
[11] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٢٢ظ.
[12] ن ع: تنسخ.

أن يُدخله الجنة إذا عبده و لم يُشرك[1] فيه أحدا».[2] فيكون هذا [الحديث] تأويلا للآية،[3] أي: **اتقوا الله** ولا تكفروه؛ فيكون فيه الأمر بالإيمان والنهي عن الكفر، لأنه ليس في وسع أحد أن يتقي الله حق تقاته في كل العبادة. ألا ترى إلى ما روي من أمر الملائكة مع ما وصفوا من عبادتهم أنهم لا يَفْتُرون،[4] ولا يسأمون،[5] ثم يقولون: «ما عبدناك حق عبادتك».[6] وإذا كان أحد [من البشر] لا يبلغ ذلك فلا يحتمل تكليف مثله. وجملته أن ذلك ليس بذي حد وغاية. فلذلك كان[7] -والله أعلم- الأمر فيه يرجع[8] إلى الإسلام أو في نفي حق الإشراك خاصة، لا في جميع الأحوال والأفعال. دليله ما ختم به الآية، وفي وسع الخلق أن لا يشركوا أحدًا في عبادته، ألا ترى[9] أنه قال: **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**.

وفي ظاهر الآية النهي عن الموت إلا مسلمًا، وليس في الموت صنع للخلق. و[لكن] المعنى -والله أعلم- أي كونوا في حال إذا أدرككم الموت كنتم مسلمين. فالنهي فيه نهي عن الكفر وأمر[10] بالإسلام، حتى إذا أدركه الموت أدركه[11] وهو مسلم. *والله أعلم*. وقد يكون على بيان أن لا عذر عند الموت، وإن اشتد أمره بإتيان[12] [ما] ليس بإسلام. وروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: أكثر ما يُسلب الإيمانُ عند الموت، كأن الشيطان يُطمعه[13] في أمر لو أعطاه ما طلب.[14]

---

[1] ك ن ع + غيره.

[2] *صحيح البخاري*، الجهاد ٤٦؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٤٩.

[3] ك ن ع + أو قوله؛ م: ان قولوا.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٠).

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٨).

[6] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا فيه ملك قائم أو ملك ساجد. فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا." (*شعب الإيمان* للبيهقي، ١/١٨٣؛ و*المعجم الأوسط* لطبراني، ٤/٤٤؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١/٥١، ١٠/٣٥٨).

[7] ع م - كان.

[8] جميع النسخ: راجع.

[9] ك: ألا يرى.

[10] جميع النسخ: والأمر.

[11] ع - الموت أدركه.

[12] جميع النسخ: بالدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٣.

[13] ك ن ع: يطعمه، ك: صح ﻫ.

[14] قال الشارح: «فإن حالة الموت حالة عظيمة يحصرها الشياطين ويطمعونه إلى ما يحتاج إليه من الشراب لدفع العطش ونحوه، كأنهم يعطونه لو أعطاهم ما طلبوا من الموافقة لهم في الدين» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٣و).

ويحتمل قوله: **اتقوا الله حق تقاته**، أي احذروا عذاب الله حق حذره، واحذروا نقمته كقوله: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ[1] بمعنى نقمته.

**﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٠٣]**

وقوله: **واعتصموا بحبل الله جميعا**، اختلف فيه. قيل: **حبل الله**، يعني القرآن. وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.[2] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **حبل الله** الجماعة، وإنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها.[3] أمر بالكون مع الجماعة ونهى عن التفرق، لأن أهل / الإسلام هم [٩٠ظ]
الجماعة؛ ألا ترى أنه قال[4] في آية أخرى: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ،[5] وصف أهل دين الإسلام بالجماعة، وأهل الأديان[6] غيره[7] بالتفرق. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا، قال: **حبل الله** الجماعة.[8]

وروي في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[9] قال: «من فارق الجماعة قَيْد شِبْرٍ فقد خلع رِبْقَة[10] الإسلام من[11] عنقه»،[12] يعني حبل الإسلام. وروي عنه أيضا:[13] «إن الشيطان ذئب[14] كذئب الغنم يأخذ [الشاة] الشاذة والقاصية والناحيةَ. فإياكم[15] والشِّعابَ،

---

[1] سورة آل عمران، ٣/٣٠.
[2] *تفسير الطبري*، ٤/٣٠؛ و*تفسير القرطبي*، ٤/١٥٩.
[3] *تفسير القرطبي*، ٤/١٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢٨٦.
[4] ع + الله تعالى.
[5] سورة الأنعام، ٦/١٥٣.
[6] جميع النسخ: أديان.
[7] جميع النسخ: غيرها.
[8] *تفسير القرطبي*، ٤/١٥٩.
[9] ع + أن.
[10] جميع النسخ: رتبة.
[11] جميع النسخ: عن.
[12] *مسند أحمد بن حنبل* ٣/٣٣٢، ٤/١٣، ٢٢، ٥/١٦٠؛ و*سنن أبي داود*، السنة ٢٨؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٧٨.
[13] ك ن + قال.
[14] جميع النسخ: إن للشيطان ذئبا. والتصحيح مستفاد من مراجع الحديث.
[15] ع م: وإياكم.

وعليكم بالجماعة والعامة[1] وهذا المسجد».[2] وروي[3] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دعاني النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً ثلاث مرات، ثم قال: «يكون في أمتي اختلاف». قلت:[4] كيف نصنع يا رسول الله إذا كان كذلك؟ قال: «عليكم بكتاب الله، فإن فيه نبأ من قبلكم، وخبرَ مَن بعدكم، وهو[5] حُكْم فيما بينكم. مَنْ يَدَعْه من جبَّار[6] يَقْصِمه الله، ومن ابتغى[7] الهدى[8] في غيره يضله الله. وهو حبل الله المتينُ وأمره الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو[9] الذي لا يختلف فيه الألسنة، ولا يَخْلَقه كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه».[10]

وقيل: **حبل الله** دين الله. والحبل: هو العهد؛ كأنه أمر بالتمسك بالعهود التي في القرآن والقيام بوفائها والحفظ لها، ونهي عن التفرق كما تفرق الأمم الخالية واختلفت[11] في الأديان.

وقوله: **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم**، [قيل: **فألف بين قلوبكم**][12] بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: **فألف بين قلوبكم**، بالإسلام، وقيل: بالقرآن.

---

[1] ع – والعامة.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٣٣، ٢٤٣؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٥/٢١٩.

[3] ع م – روي.

[4] ع – قلت.

[5] ع: وفي.

[6] ن: من جار.

[7] جميع النسخ: ومن ترك.

[8] م: طلب.

[9] ع: فهو.

[10] عن الحارث الأعور قال: مررت المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث. قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أمَا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ستكون فتن». قلت: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُق عن كثرة الردّ،– أي لا يبلى بسبب كثرة التكرار وإعادة قراءته– ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تَنْته الجن إذ سمعَتْه حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾(سورة الجن، ٧٢/١) من قال به صَدَق ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. *سنن الترمذي*، ثواب القرآن ١٤. وانظر: *سنن الدارمي*، فضائل القرآن ١.

[11] ن ع: بما اختلفت.

[12] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٣و.

و لم يكن ذلك للدين نفسه، ولكن بلطف من الله منَّ به على أهل دينه وأخبر أن التأليف بين قلوبهم نعمة؛ لأن التفرق يوجب التباغض، والتباغض يوجب التقاتل، وفي ذلك التفاني.

وعلى قول المعتزلة، ليس من الله على المسلم من النعمة إلا ومثلها يكون على الكافر؛ لأن الهدى والتوفيق عندهم البيان، فذلك البيان للكافر كهو للمسلم. فعلى قولهم[1] لا يكون من الله على أحد نعمة؛ لأنهم لا يجعلون لله في الهداية فعلاً، إنما ذلك من الخلق. وأما عندنا فإنما يكون الإسلام بهدايته إياهم،[2] فذلك من أعظم النعم عليهم.[3]

وقوله: **فأصبحتم بنعمته إخوانًا**، أي صرتم بنعمته إخوانًا.

وقوله: **وكنتم على شفا حفرة من النار**، أي كنتم أشفيتم [على] حفرة من النار –وهو القرب[4] منها– لولا أنه منَّ بالإسلام. ويحتمل أن يكون على الكون فيها والوقوع، لا القرب،[5] كقوله: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ،[6] ليس على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها، وكقوله: فَذُوقُوا الْعَذَابَ،[7] ليس على البعد منها ولكن على الكون فيها. ومثله كثير يترجم عن الوقوع[8] فيها.

وقوله: **لحفرةٍ** كأنه قال: كنتم على شفا درك من دركات النار فأنقذكم منها. وهذا أيضًا على المعتزلة، لأن على قولهم[9] هم الذين[10] ينقذون أنفسهم، لا الله،[11] على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رحمه الله:} يقول: إذا كان الله تعالى عندهم قد جمع بين الكفرة والبررة في بذل الأصلح لهم في الدين وليس منه غير ذلك فلا يجيء أن يَمُنّ عليهم به،[12] بتأليفهم[13] بنعمته التي[14] منه،

---

[1] ن ع: وعلى قولهم.
[2] جميع النسخ: إياه.
[3] جميع النسخ: عليه.
[4] ن ع م: القريب.
[5] ع: لنقرب.
[6] سورة التكاثر، ١٠٢/٦.
[7] ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (سورة آل عمران، ١٠٦/٣؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ٣٩/٧؛ وسورة الأحقاف، ٣٤/٤٦).
[8] ع م: على الوقوع.
[9] م: لأن قولهم.
[10] ع: من الذين.
[11] ن: إلا الله.
[12] م – به.
[13] جميع النسخ: بتألف.
[14] جميع النسخ: والتي.

[إذ هو] موجود مع التفرق، بل أولئك تألفوا بنعمتهم. وبعد فإن النعمة لو كانت دينا فما الذي كان منه حتى يمنَّ، وذلك فعلهم بلا فضل منه فيه.[١] *والله أعلم*.

وفي قوله: **وكنتم على شفا حفرة**، الآية، أن قد يلزم خطاب الإيمان حين الفترة، لأنهم في ذلك الوقت كانوا قد أُنقِذوا.[٢] *والله الموفق*.

وقوله: **كذلك يبين الله لكم آياته**، إذ كنتم أعداء في الجاهلية والكفر[٣] متفرقين، وصرتم إخوانا في الإسلام وكَلِمَتكم[٤] واحدة. **لعلكم تهتدون**، لكي تعرفوا[٥] نعمته ومننه.[٦]

{قال الشيخ رحمه الله:} وقد يكون **كذلك يبين الله لكم آياته**، في حادث الأوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم، فيكون في ذلك وعد التوفيق والبِشارة بالثبات [على الدين الحق].[٧] *والله أعلم*.

**﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٠٤]**

وقوله: **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**. قوله:[٨] **ولتكن منكم أمة**، يحتمل أن يكون هذا خبرًا في الحقيقة، وإن كان في الظاهر أمرًا؛ فإن كان خبرًا ففيه دلالة أن جماعة منهم إذا قاموا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط ذلك عن الآخرين،

---

١ «وفي هذه الآية حجة على المعتزلة في الأصلح لهم في الدين، لأن التوفيق والهدي من الله تعالى عندهم البيان، وهو يعم الكافر والمسلم؛ فلا يجيء على أصلهم أن يكون لله تعالى على المسلم نعمة لا يكون على الكافر فلا يتحقق المنة ولا يكون التألّف في حق المسلمين بتأليف الله تعالى إذ هو موجود في حق الكفرة مع قيام التفرق بل هم تألفوا بنعمتهم. وبعد فإن النعمة لو كانت عبارة عن الدين وما كان الدين من الله تعالى حتى يمن عندهم عليهم، بل ذلك فعل منهم حصل بتحقيقهم، فلا فعل من الله تعالى في ذلك، والله تعالى أضاف التأليف إلى نعمته لقوله: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ فدل أن هذا لازم على المعتزلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٣و).

٢ «وفي الآية دلالة أن خطاب الإيمان لازم في زمان الفترة، لأنهم كانوا في زمان الفترة فأنقذهم الله تعالى بإرسال النبي عليه السلام إليهم حتى دعا هم إلى الإيمان فزال عنهم استحقاق العذاب. فتكون الآية حجة على من ينكر وجوب العقل بالإيمان دون السمع» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٣و).

٣ م: والكفرة.

٤ ك ن ع: كلمتهم.

٥ ن ع م: لكي يعرفوا.

٦ ك ع م: ومنته.

٧ والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٣ظ.

٨ ع م: وقوله.

لأنه ذكر فيه حرف التبعيض، وهو قوله: **منكم أمة**، الآية. ويحتمل أن يكون على الأمر في الظاهر والحقيقة جميعًا، ويكون قوله: **منكم** صلةً. فإن كان على هذا ففيه دلالة[1] أن على كل أحد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وذلك واجب، كأنه[2] قال: كونوا أمة ... **يأمرون بالمعروف**، الآية، لأنه ذكر عز وجلّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر في آي كثيرة من كتابه،[3] منها هذا: **ولتكن منكم أمة**، الآية، ومنها قوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ،[4] وذَمّ من تركهما بقوله: كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.[5]

وروي عن عكرمة[6] أن ابن[7] عباس رضي الله عنهما قال له: قد أعياني أن أعلم ما يُفعل[8] بمن أمسك عن الوعظ. فقلت:[9] أنا أعلّمك ذلك، اقرأ الآية الثانية: أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ،[10] فقال لي: أصبت.[11] فاستدل ابن عباس رضي الله عنه بهذه الآية على[12] أن الله أهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه ممن يعلمه. فجعل -والله أعلم- الممسكين عن نهي الظالمين مع الظالمين في العذاب.[13] وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

---

[1] جميع النسخ - دلالة؛ صح ك هـ.

[2] م: لأنه.

[3] ع: في كتابه.

[4] سورة آل عمران، ٣/١١٠.

[5] سورة المائدة، ٥/٧٩.

[6] هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني (ت١٠٥هـ/٧٢٣م)، مولى عبد الله بن عباس، تابعي. كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عنده ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة. وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي "الصفرية"، وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة هو وكُثَيِّر عِزّة، في يوم واحد، فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. *الأعلام* للزركلي، ٤/٢٤٤.

[7] ع: عن ابن.

[8] جميع النسخ: فعل.

[9] ن + يا رسول الله.

[10] ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تَعظون قوما الله مُهلكهم أو معذّبهم عذابا شديدا قالوا مَعْذِرَةً إلى ربكم ولعلهم يتقون. فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به أنجينا الذين يَنهون عن السُّوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يفسقون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٤-١٦٥).

[11] *أحكام القرآن* للجصاص، ٢/٣١٩.

[12] م - على.

[13] ع: والعذاب.

يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ،[1] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «[إن الناس] إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا /* على يده أَوْشَكَ أن يَعُمَّهم الله بعقاب».[3] وعن جرير قال سمعت رسول الله [١٠١و] صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليكون[4] في القوم ويعمل فيهم بمعاصي الرحمن وهم أكثر[5] منه وأعز، ولو شاءوا أن يأخذوا على يده لأخذوا على يده فيُدهنوا[6] له فيعذبهم الله به».[7] وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهون[8] عن المنكر أو لَيَعُمَّكم الله بعقاب من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم».[9] وعن أبي سعيد الخدري يذكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت منكرا أن تُنكره.[10] فإن[11] الله لقَّن[12] عبدًا حجته،[13] فقال: أي رب وَثِقتُ بك، وفَرِقت من الناس».[14] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله[15]

---

[1] سورة المائدة، ١٠٥/٥.

* وقع هنا اضطراب من المجلدين باختلاط عشر أوراق من سورة النساء إلى سورة آل عمران من نسخة مهرشاه بين ورقة ٩١و-١٠٠و.

[3] مسند أحمد بن حنبل، ٢/١، ٥، ٧؛ وسنن أبي داود، الملاحم ١٧؛ وسنن الترمذي، التفسير ٥، ١٧؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٩٨/٧.

[4] ك - ليكون؛ صح هـ.

[5] ن: أكبر.

[6] جميع النسخ: فيرهبوا.

[7] ن - به. قال الهيثمي: وفيه عبد العزيز بن عبيد الله، وهو ضعيف. *مجمع الزوائد*، ٧/ ٢٦٨؛ وانظر أيضا: *المعجم الكبير* للطبراني، ٢١٥/١٠.

[8] ن: وتنهون.

[9] *سنن الترمذي*، الفتن ٩؛ وانظر أيضا: *سنن البيهقي الكبرى*، ١٠/ ٩٣.

[10] ن: تكره.

[11] جميع النسخ: فإذ؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٣ظ.

[12] جميع النسخ: لقي؛ صح ك هـ.

[13] ع: محبة.

[14] الحديث أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم ليسأل يوم القيامة حتى يكون فيما يسأل عنه أن يقال: ما منعك أن تنكر المنكر إذ رأيته. قال: فمن لقّنه الله حجته قال: رب رجوتك وخفت الناس».(*المسند*، ٢٧/٣).

[15] ك - فقالوا يا رسول الله.

أ رأيت إن قلنا بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف إلا[1] عملنا به وانتهينا عن المنكر حتى لا يبقى، أَيَسَعُنا أن لا نأمر[2] بالمعروف ولا ننهى عن المنكر؟ فقال: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهُوا[3] عنه».[4] ولا ينبغي[5] للرجل أن يقول: لست ممن يعمل[6] بالمعروف كله وينتهى[7] عن المنكر كله، حتى آمر[8] غيري وأنهاه، فإنّ فعلَه المعروفَ واجبٌ عليه، فلا يجب إذا قصّر في واجب أن يُقصِر في غيره.

**﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[١٠٥]

* وقوله: **ولا تكونوا كالذين تفرقوا**، لأن التفرق هو سبيل الشيطان، بقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ.[10]

*ويحتمل: **تفرقوا** عما نهج لهم الله وأوضح لهم الرسل، فأبدعوا لأنفسهم الأديان بالأهواء؛ فحذّرنا ذلك وعرّفنا أن الخير كله في الاتباع: اتباع[11] من جعله الله حجة له ودليلا عليه وداعيا إليه. *ولا قوة إلا بالله*.*

**من بعد ما جاءهم البينات**، والبينات هي الحجج التي أتي بها. ويحتمل بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا[13] محمد صلى الله عليه وسلم ونعته الشريف.[14]

---

[1] ع م: إلا ما.
[2] ع م: أن لا يأمر.
[3] ك: وإن لم تنهوا.
[4] رواه الطبراني في *الصغير والأوسط* من طريق عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب عن أبيه، وهما ضعيفان. *مجمع الزوائد* للبيهقي، ٧/ ٢٧٧.
[5] م: ولا يبقى.
[6] ك: يأمر.
[7] ك: وينهى.
[8] ن ع م: فأمر.
* وقع هنا في جميع النسخ مقطع من تفسير الآية ١١٥ متقدما على موصعه، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ١٠١و/سطر ١١-١٨.
[10] ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).
[11] م – اتباع.
* وقع هذا القسم في جميع النسخ بعد قوله: ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ وتأويله.
[13] ك ن – رسولنا.
[14] ك ن – الشريف.

**وأولئك لهم عذاب عظيم**. دل هذا أن السبل هي التي يدعو[١] الشيطان إليها.[٢]

**﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[١٠٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٠٧]**

وقوله: **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**، الآية. وصف الله عز وجل وجوه أهل الجنة بالبياض؛ لأن البياض هو غاية ما يكون به الصفاء، لأن كل الألوان يظهر[٣] في البياض. ووصف عز وجل وجوه أهل النار بالسواد؛ لأن السواد[٤] هو نهاية ما تكون به الظلمة، إذ الألوان لا تظهر في السواد،[٥] فهو شبيه[٦] بالظلمة. وقد يحتمل أن يكون المراد من وصف البياض والسواد ليس نفس البياض والسواد، ولكن البياض هو كناية عن شدة السرور والفرح، والسواد كناية عن شدة الحزن والأسف، كقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ؛[٧] وصف وجوه أهل الجنة بالضحك وليس على حقيقة الضحك، ولكن وصف بغاية السرور والفرح، وكذلك وجوه أهل النار وصفها بالغَبَر والقَتَر وهو وصف بشدة الحزن. ***والله أعلم***.

وقوله: **أكفرتم بعد إيمانكم**، يحتمل وجوها. يحتمل: **أكفرتم** بألسنتكم بعد ما شهدت خلقتكم بوحدانية الله تعالى، لأن خلقة كل أحد تشهد على وحدانيته. ويحتمل أي **أكفرتم**[٨] بعد ما آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعَث بوجودكم نعتَه وصفته في كتابكم. وعلى هذا قال بعض أهل التأويل [في قوله تعالى]: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ،[٩] أي على استجابة كثير منهم من الأجلّة والكبراء[١٠] الذين لا يعرفون بالتعنت[١١] في الدين ولا بالتقليد. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: يدعوا.
[٢] أي السبيل [السبل] التي في آية سورة الأنعام (١٥٣/٦) والتي استدل بها المؤلف في تفسير الآية هذه.
[٣] ك ن: تظهر.
[٤] ع – لأن السواد.
[٥] ع م – هو نهاية ما تكون به الظلمة إذ الألوان لا تظهر في السواد.
[٦] م: تشبيه.
[٧] ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾ (سورة عبس، ٣٨/٨٠-٤٠).
[٨] ع م - بألسنتكم بعد ما شهدت خلقتكم بوحدانية الله تعالى لأن خلقة كل أحد تشهد على وحدانيته ويحتمل أي أكفرتم.
[٩] ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ (سورة الشورى، ١٦/٤٢).
[١٠] ع: والكبر.
[١١] م: بالنعت.

ويحتمل قوله: **أكفرتم** أنتم بعد ما[1] آمن منكم فرق؛ لأن منهم من قد آمن ومنهم من كفر، فقال لمن كفر: **أكفرتم** أنتم وقد آمن منكم نفر، ألا ترى[2] أنه قال: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ.[3] *والله أعلم*. وكقوله: فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ.[4] وقيل: أراد بالإيمان الذين[5] قالوا [بالإيمان وأقرّوا] حين أُخرجوا من ظهر آدم.[6]

وفي الآية[7] رد قول المعتزلة بتخليد أهل الكبائر في النار وإخراجهم إياهم من الإيمان من غير أن أدخلوهم في الكفر، لأنه عز وجل لم يجعل [الخلق] إلا فريقين: بِيض[8] الوجوه وسُود[9] الوجوه. فبيض[10] الوجوه هم المؤمنون، وسود[11] الوجوه هم الكافرون، لأنه قال: **أكفرتم [بعد إيمانكم]**، وأصحاب[12] الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة. ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة، وهم جعلوا فرقة ثالثة.[13] وكذلك قال عز وجل: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[14] لم يجعل الخلق إلا فريقين، وهم جعلوا فِرَقا، وكقوله: فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ.[15]

فإن قيل: ذكر في الآية الكفر بعد الإيمان،[16] ثم لم يكن[17] فيه منع دخول من لم يكفر [١٠١ظ] / بعد الإيمان، فامتنع أن لا يكون فيه منع دخول صاحب الكبيرة.

---

[1] ن – ما.
[2] ك: ألا يرى.
[3] ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٩/٧).
[4] سورة الصف، ١٤/٦١.
[5] جميع النسخ: الذي.
[6] م – وقيل أراد بالإيمان الذين قالوا حين أخرجوا من ظهر آدم.
[7] م: ففي الآية.
[8] جميع النسخ: بياض.
[9] جميع النسخ: وسواد.
[10] جميع النسخ: فبياض.
[11] جميع النسخ: سواد. وجميع التصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٣ظ.
[12] ك ن م: فأصحاب؛ ع: في أصحاب.
[13] ن ع م – وهم جعلوا فرقة ثالثة.
[14] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[15] ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾ (سورة التغابن، ٢/٦٤).
[16] يشير القائل إلى قوله تعالى: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾.
[17] ن: لم يذكر.

فجوابنا ما سبق أن خلقة كل كافر تشهد[١] على وحدانية الله تعالى. لكنهم كفروا بألسنتهم، وذلك كفر بعد الإيمان، فلم يجز أن يدخل في الآية من لم يكن كافرا في حكم الكافر.[٢] *وبالله التوفيق*.

وقوله: **فذوقوا العذاب**. [هذا] في الظاهر أمر، لكنه في الحقيقة ليس بأمر؛ لأن العذاب لا يذاق، وإنما يذوق هو، فكأنه قال: اعلموا أن عليكم العذاب.

**﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾**[١٠٨]

وقوله: **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**، الآية؛[٣] يحتمل **آيات الله** حجج الله وبراهينه، ويحتمل **آيات الله** القرآن. **بالحق**؛ ببيان[٤] الحق. ويحتمل **بالحق**: بالدين. والدين هو الحق. ويحتمل أن الآيات هي الحق.[٥] {قال الشيخ رحمه الله:} أي بالأمر بالدعاء إلى الحق. ويحتمل **بالحق** الذي لله على عباده، ولبعضهم على بعض.

وقوله: **وما الله يريد ظلما للعالمين**، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. فإذا كان ما في السماوات وما في الأرض كله له -ومن وصف في الخلق بالظلم إنما وصف لأنه يضع حق بعض في بعض ويمنع حق بعض فيجعله[٦] لغير المحق- فالله يتعالى عن ذلك. وقوله: **وما الله يريد ظلما للعالمين**، أي لا يريد أن يظلمهم. وإن شئت قلت: الإرادة صفة لكل فاعل في الحقيقة، فكأنه قال: لا يظلمهم، وكيف[٧] يظلم وإنما يُظلَم بنفع تَشْرَه إليه النفس، أو ضرر يدفع به [عنها]، فالغني بذاته متعال عن ذلك.[٨]

---

[١] ن: شهد.

[٢] «قيل: جوابنا ما سبق أن كل كافر مؤمن بخلقته على وحدانية الله تعالى مصدق شهادة خلقته وهو ثبوت الصانع وتوحيده. لكنهم كفروا بعد وجود هذا التصديق والإيمان منهم اضطرارا من حيث الخلقة باختيارهم فامتنعوا عن الإيمان والتصديق الاختياري وذلك هو الكافر بعد الإيمان. فكان الداخل تحت الآية الكافر والمؤمن فلم يجز أن يدخل من لم يكن كافرا في حكم الكافر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٤و).

[٣] ن - الآية.

[٤] ن: بيان.

[٥] ع م - ويحتمل أن الآيات هي الحق.

[٦] جميع النسخ: فيجعل.

[٧] ع م: فكيف.

[٨] «لا يحتمل أن يَظلم، لأن كل ما في السماوات والأرض ملكه ملكَ تخليق، فلا يتحقق أن يوصف فعله بالظلم؛ ولأن الظلم في الشاهد إنما يكون لجلب نفع تشره إليه النفس أو لدفع ضرر عنها، فالغني بذاته متعال عن ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٤و).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[١٠٩]

وقوله: **وإلى الله ترجع الأمور**، أي إليه يرجع أمر كل أحد فلا يحتمل[١] وجود[٢] الظلم منه.[٣]

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١١٠]

[١٠١و س١١ *وقوله: **كنتم خير أمة أخرجت للناس**، يحتمل وجوها. يحتمل **كنتم**، أي صرتم **خير أمة** أظهرت للناس بما تدعو الخلق إلى النجاة والخير. ويحتمل **كنتم خير أمة**، في الكتب السالفة، بأنكم **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**. ويحتمل تكونون خير أمة إن أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر. ويحتمل **كنتم**، صرتم **خير أمة**، وكانوا كذلك، هم خير ممن تقدمهم من الأمم بما بذلوا مُهَجهم[٤] لله في نصر دينه وإظهار كلمته والإشفاق على رسوله، حتى كان أحب إليهم من أنفسهم، ويرونه أولى بها.[٥] *والله الموفق*.

ثم اختلف في المعروف والمنكر. قيل:[٦] كل مستحسن في العقل فهو معروف، وكل مستقبح فيه فهو منكر. ويحتمل الأمر بالمعروف هو الأمر بالإيمان، والنهي عن المنكر هو النهي عن الكفر. دليله قوله: **وتؤمنون بالله**، الآية، يؤمنون هم، ويأمرون غيرهم بالإيمان،

١٠١و س١٨] وينهون عن المنكر.[٧]*

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: **كنتم خير أمة أخرجت للناس**، قال: خير الناس أنفعهم للناس.[٩] **وتأمرون بالمعروف**، أي تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله والإقرار بما أنزل الله وتقاتلون عليه؛ ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف. والمنكر هو التكذيب فهو[١٠] أنكر المنكر.[١١]

---

[١] ن ع م + الظلم.
[٢] ك – وجود.
[٣] ك – منه؛ ك هـ: وجود الظلم منه.
[٤] م: منجهم.
[٥] ع م – بها.
[٦] جميع النسخ + المعروف.
[٧] ك ع: الكفر.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٠١و/سطر١١–١٨.
[٩] *تفسير ابن كثير*، ٣٩١/١.
[١٠] ع: هو.
[١١] *تفسير الطبري*، ٤٥/٤.

وعن علي رضي الله عنه[١] قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ ما لم يُعْطَ أحد من الأنبياء». قلنا يا رسول الله وما هو؟ قال: «نُصرتُ بالرُّعب وأُعْطيتُ مفاتيحَ الأرض، وسُميتُ أحمدَ، وجعلتِ التراب لي طَهورا، وجعلت أمتي خير الأمم».[٢]

{قال الشيخ رحمه الله:} **كنتم خير أمة أخرجت**، له وجهان. أي كنتم على ألسن الرسل في الكتب المتقدمة خير أمة. ويحتمل **كنتم**، أي صرتم[٣] بإيمانكم برسول[٤] الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خيرَ أمة على وجه الأرض، لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقوله: **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**، يتوجه إلى وجوه ثلاثة. المعروف هو المعروف في العقول أي الذي يستحسنه العقول، والمنكر هو الذي قبّحته العقول وأنكرته. ويحتمل أن يكون **المعروف** هو الذي عُرِف بالآيات والبراهين أنه حسن، والمنكر ما عرف بالحجج أنه قبيح. ويحتمل أن **المعروف** هو الذي جرى على ألسن الرسل أنه حسن، والمنكر هو الذي أنكروه فنَهَوا[٥] عنه. فعلى هذه الوجوه يخرج تأويل الآية. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**، لا شك أن الإيمان خير لهم من الكفر. ولكن معناه –والله أعلم– أنهم إنما أبَوا الإيمان وتمسكوا بالكفر لوجهين. أحدهما أنهم كانوا أهل عز وشرف فيما بينهم، وأهلَ دراسة[٦] الكتب، ينتاب الناس إليهم،[٧] ويختلفون إليهم بحوائجهم، فخافوا ذهاب ذلك عنهم إذا آمنوا. فأخبرهم الله عز وجل: أنهم إن آمنوا لكان لهم من الذكر والشرف والعز في أهل الإيمان أكثر مما لهم في أهل الكفر. ألا ترى أن من آمن منهم مِن دَرَسة[٨] الكتب[٩] وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف في الإيمان[١٠] ما لم يكن لأحد منهم مات[١١] على الكفر،

---

[١] ع + أنه.

[٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/ ٩٨، ١٥٨، ٢٢٣، ٢٢٨؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣.

[٣] جميع النسخ: أي كنتم صرتم.

[٤] م: رسول.

[٥] ن ع: ونهوا.

[٦] ن ع م: دراية.

[٧] ع م: إليهم الناس.

[٨] ع م: درية.

[٩] ك ع م: الكتاب.

[١٠] ن – أكثر مما لهم في أهل الكفر ألا ترى أن من آمن منهم من درسة الكتب وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف في الإيمان.

[١١] جميع النسخ: مات منهم.

نحو عبد الله بن سلام و[1]كعب وغيرهما[2] من الأحبار. وإنما كانوا من علمائهم ولم يكونوا[3] من علماء أهل الإيمان، ونالوا بالإيمان[4] من الذكر والعز والشرف ما لم ينل أحد منهم مات على الكفر، بل خَمَلَ ذكرهم وانْبَتَرَ[5] في أهلهم فضلا في أهل الإيمان والإسلام. ***والله أعلم.***

والثاني أنهم كانوا أَبَوا الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، واختاروا الْمُقام على الكفر، خوفا وإشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال أن يذهب ذلك عنهم بالإسلام. فأخبر عز وجل أنهم لو آمنوا لكان خيرا لهم في الآخرة؛ إذ ذلك ينقطع ويذهب عن قريب، والذي لأهل الإيمان في الآخرة باق دائم لا يزول أبدًا.

لَمَّا كان الذي يُنال[6] بالإيمان غيبا[7] -وكذلك ما يَحِلّ بالكفار من جزاء الكفر غيب- اشتد عليهم الفكر والتدبر، لما يمنعهم[8] عن الشهوات وينقص عليهم اللذات، فآثروا ما هوته أنفسهم وتلذذوا به على التدبر. مع ما كان إدراك الغائب بالشاهد أمرا عسيرا[9] لا يوصل إليه إلا بفضل الله، ولم يكن عليه ذلك إذ يسقط[10] معنى الإفضال والإنعام،[11] ويصير حقا. مع ما كان منهم تقديم[12] الصفاء[13] وإيثار زهرة الدنيا وبهجة الغني على الموعود. ***والله أعلم.***

وقوله: **منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**. كذلك[14] كانوا، كان المؤمنون **أقل** والكفار أكثر. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ + من أسلم منهم نحو.
[2] جميع النسخ: غيره.
[3] جميع النسخ: لم يكونوا.
[4] ك ن م: فنالوا بالإيمان؛ ع - ونالوا بالإيمان.
[5] ع م: وانتشر. الأبتر والمنبتر: الذي لا ولد له والذي انقطع من الخير أثره (*لسان العرب*، «بتر»).
[6] ن ع م: تنال.
[7] جميع النسخ: غيب.
[8] ع م: فلا يمنعهم.
[9] جميع النسخ: أمر عسير.
[10] جميع النسخ: لا يسقط.
[11] جميع النسخ: والأنام. وقول الشارح رحمه الله هكذا: «ولم يكن عليه ذلك، لأن إعطاء الفضل ليس بواجب ولا حتم، إذ يسقط بالوجوب معنى الإفضال والإنعام» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٤ظ).
[12] ن ع م: بقديم.
[13] جميع النسخ: الجفاء. والصفاء: نقيض الكدر.
[14] ع: وكذلك.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[١١١]

وقوله: **لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولّوكم الأدبار**، الآية، فيه بشارة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين بالأمن[1] لهم عن أذى المشركين وضررهم إلا أذى باللسان. وهو كقوله: لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[2] وقوله: لَئِنْ أُخرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا / لَا يَنْصُرُونَهُمْ،[3] الآية، ونحوه من الآيات التي فيها بشارة لأهل الإيمان بالنصر لهم على عدوّهم. [١٠٢و]

وفي قوله: **لن يضروكم إلا أذى**، الآية، دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر بذلك قبل أن يكون فكان على ما أخبر، فدلّ أنه إنما علم ذلك بالله عز وجل.

**﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[١١٢]**

وقوله: **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله.** وفي[4] حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ضربت عليهم المسكنة، وليس فيه [ذكر] الذلة. وفي حرف حفصة: ضربت عليهم المسكنة والذلة. ثم اختلف في الذلة. قيل: هي الجزية التي ضربت عليهم، وهي ذلة، كقوله: عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ،[5] لأنهم كانوا يأنفون عنها.

وقوله: **أينما ثقفوا**، أي وُجدوا، **إلا بحبل من الله وحبل من الناس**، يعني بعهد من الله وعهد من الناس يكونون[6] تحت قوم يؤدون الجزية. وكذلك تأويل[7] ابن عباس رضي الله عنه:

---

[1] جميع النسخ: والأمن.

[2] ن – عن أذى المشركين وضررهم إلا أذى باللسان وهو كقوله لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب. ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ (سورة آل عمران، ١٨٦/٣).

[3] ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم لَيُوَلُّنّ الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة الحشر، ١١/٥٩-١٣).

[4] ك: وفي ل؛ ع: وهو.

[5] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).

[6] جميع النسخ: يكون.

[7] جميع النسخ: تأول؛ والتصحيحان من الشرح، ورقة ١٢٤ظ.

**بحبل من الله وحبل من الناس**، أي بعهد من الله وعهد من الناس.[1] وقال[2] مقاتل رضي الله تعالى عنه: **والناس** في هذا الموضع[3] النبيُّ صلى الله عليه وسلم خاصة.[4]

ويحتمل قوله: **ضربت عليهم الذلة** بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا أهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم. **أينما ثقفوا**، أي لا يوجدون **إلا بحبل من الله وحبل من الناس**، بالإسلام، أي لا يظفرون بهم ولا يوجدون إلا أن يُسلموا لخوفهم على أنفسهم.

وقوله: **وباءوا بغضب من الله**، قيل: استوجبوا غضبا من الله بكفرهم، وقيل: رجعوا، وقيل: وجب عليهم الغضب. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[5] *والله أعلم*.

وقوله: **وضربت عليهم المسكنة**، وهي الحاجة والفقر، وهو ما ذكرنا أنهم ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم من رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم وبعدهم من المشركين، فأذلهم الله تعالى بذلك وجعلهم أهل حاجة وضَعَةٍ فيما بين المسلمين، بعد ما كانوا أهل عز وشرف فيما بينهم، وهو كقوله: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ،[7] الآية.

{قال الشيخ رحمه الله:} وقد يحتمل رجوع الآية إلى خاص منهم[8] وهم الذين ذكر[هم] الله في قوله: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ،[9] الآية، وغير ذلك مما نُصر[10] فيه المسلمون. يعرف[11] حقيقة المراد من شهد النوازل وعرف الأسباب التي لها[12] جاءت البِشارات.

---

[1] ع – يكونون تحت قوم يؤدون الجزية وكذلك تأويل ابن عباس رضي الله عنه بحبل من الله وحبل من الناس أي بعهد من الله وعهد من الناس. انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٤٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢٩٦؛ و*فتح القدير* للشوكاني، ١/٣٧٨.

[2] ع + ابن.

[3] م: الموضوع.

[4] ذكره القرطبي ولم ينسبه أحدا. *تفسير القرطبي*، ٤/١٧٤.

[5] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/٦١.

[6] جميع النسخ: برسول الله.

[7] ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٢٦).

[8] م – منهم.

[9] سبقت قريبا.

[10] جميع النسخ: يصير. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٢٤ظ.

[11] ن ع م: تعرف.

[12] ع م – لها.

ويحتمل أن الله تعالى جعل كل حاجتهم إلى ما يفني، وهي[١] الدنيا التي لا بقاء لها ولا منفعة في الحقيقة، فهي حاجة، ثم بما فيهم بالجهل أن ذلك فيهم حاجة.[٢] ويحتمل أن الله تعالى مع ما وسّع عليهم[٣] الدنيا جعل في قلوبهم خوف الفقر وأعظم الحاجات، فهي المسكنة.

وقوله: **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**، وآيات الله ما ذكرنا في غير موضع.[٤]

وقوله: **ويقتلون الأنبياء بغير حق**، يحتمل وجوها. يحتمل أن أوائلهم قد قتلوا الأنبياء بغير حق وهؤلاء رضوا بذلك، وإن كانوا لم يتولوا هم [القتل] بأنفسهم، فأضاف الله تعالى ذلك إليهم؛ لأنهم شَرِكوهم[٥] في صنيعهم برضاهم، وهو كقوله: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ [أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ] فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا.[٦] ويحتمل أن يكونوا قَصدوا[٧] قتل محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا قصدوا ذلك فكأنهم قصدوا الأنبياء كلهم، كما ذكرنا في قوله: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، الآية. ويحتمل أن يكونوا هموا [ب]قتل محمد صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن يكون عيّرهم بآبائهم إذ هم قلدوهم في الدين، فبين سوء صنيعهم بالأنبياء عليهم السلام ليعرفوا به سفههم وسفه كل من قصد تقليدهم.[٨] *والله أعلم*. ويحتمل أن يكونوا قتلوا[٩] أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فأضاف[ه] إليهم؛[١٠] وهو كما أضاف[١١] مخادعتهم المؤمنين إلى نفسه،[١٢] وكما أضاف نصر أوليائه إليه،[١٣] وإن كان الله لا يخادع ولا ينصر. فعلى ذلك إضافة القتل إليهم[١٤] لقتلهم الأتباع. *والله أعلم*.[١٥]

---

[١] جميع النسخ: وهو.
[٢] «إذ الدنيا إنما تكون وسيلة إلى الآخرة، فكل ما يتوسل به إلى الآخرة فهو والعدم سواء» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٤ظ).
[٣] ن: عليها.
[٤] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/٤١، ٦١.
[٥] ك ع م – هم.
[٦] سورة المائدة، ٥/٣٢.
[٧] ع م – قصدوا.
[٨] ك: قلدهم.
[٩] ع: قتل.
[١٠] جميع النسخ: إليه. إليهم: أي إلى الأنبياء لأنهم أهل الدين الحق مثلهم.
[١١] ع م + وهو كما أضاف إليه.
[١٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ٤/١٤٢).
[١٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).
[١٤] جمع النسخ: إليه. أي إلى أهل الكتاب الذين عاشوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
[١٥] ك – أعلم، صح هـ.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[١١٣]

وقوله: **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله**، الآية، أي لا مساواة[١] بين من آمن منهم، يعني من أهل الكتاب، ومن لم يؤمن منهم، لأن منهم من قد آمن فصاروا أمة قائمة. قيل: [**أمةٌ قائمة**]، عَدْلة، كقوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.[٢] وقيل: **أمةٌ قائمةٌ**، على حدود الله وفرائضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه. وقيل: **أمة قائمة**، مهتدية، وهم الذين آمنوا منهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل**، قال:[٣] أمة محمد صلى الله عليه وسلم يصلّون، ولم يكن هذا للأمم السالفة.[٤]

وفي حرف حفصة: ليس أهل الكتاب سواءً[٥] منهم أمة قائمة.[٦] كقوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ، كذا. وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ،[٧] الآية.

وقوله: **وهم يسجدون**، يحتمل قوله: **وهم يسجدون**، أي يصلون، ويحتمل: **يسجدون**، يخضعون، والسجود هو الخضوع.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١١٤]

[وقوله:] **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف**، أي يؤمنون بأنفسهم ويأمرون غيرهم بالإيمان ويدعون إليه، **وينهون عن المنكر** يعني الكفر. ويحتمل **يأمرون بالمعروف** كل معروف، **وينهون عن المنكر** كل منكر. وقد ذكرنا هذا.[٨]

---

[١] جميع النسخ: سواء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٤ظ.

[٢] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.

[٣] ع م - قال.

[٤] عن ابن مسعود في قوله ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد. ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾. قال: صلاة العتمة هم يصلونها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلونها (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٧/٢).

[٥] ن ع م: ليسوا.

[٦] يبدو أن الرواية من مصحف حفصة قد انتهى هنا. وباقي العبارة تأويل من المؤلف.

[٧] سورة السجدة، ١٨/٣٢-٢٠.

[٨] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة آل عمران، ١١٠/٣.

**ويسارعون في الخيرات،** في الخيرات[1] كلها. **وأولئك من الصالحين،** قيل:[2] مع الصالحين في الجنة. {قال الشيخ رحمه الله:} أي ومَنْ ذلك فعلُه فهو صالح.

**﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١١٥]**

وقوله: **وما يفعلوا من خير فلن يكفروه،** أي لن يُرَدَّ ذلك عليهم،[3] بل يقبل، بل يُجْزَون[4] به في الآخرة. {قال الشيخ رحمه الله:} أي كيف يَكفره[5] وهو الشكور الذي يقبل اليسير ويعطي الجزيل؟ وهو في حرف حفصة: فلن يُتْرَكُوه.[6] / أي لن يتركوه[7] دون أن يُجزَوا[8] عليه وإن قلّ ذلك، كقوله: وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا،[9] معناه -والله أعلم- ما ذكر، [وقوله:] وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ،[10] قيل:[11] لن يظلمكم، وقيل: لن ينقصكم. وقيل [**فلن يكفروه**]: فلن يُضَلَّ عنهم،[12] بل يُشكَر[13] ذلك لهم، يعني فلن يُضَيَّع ذلك[14] عند الله. ***والله أعلم.*** [١٠٢ظ]

**والله عليم بالمتقين،** ظاهر.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١١٦]**

وقوله: **إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا.** {قال الشيخ رحمه الله:} فهو -والله أعلم- أن بمثله يكون التناصر في الدنيا، لكن الذي كان فيها لا ينفع في الآخرة،

---

[1] ن ع م - في الخيرات.
[2] جميع النسخ: وقيل.
[3] جميع النسخ: عليكم.
[4] جميع النسخ: بل تجزون.
[5] ن ع: تكفره.
[6] ن ع: فلن تكفروه؛ ك م: فلن تتركوه.
[7] ك ن ع: لن تتركوه.
[8] ك ن ع: أن يجزوا.
[9] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٤٠).
[10] ﴿فلا تَهِنُوا وتَدْعُوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣٥).
[11] جميع النسخ: وقيل.
[12] جميع النسخ: عنكم.
[13] ن ع: تشكر.
[14] ن ع م - ذلك.

بل يكون[1] كما قال الله عز وجل: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ،[2] الآية؛ ثم لا مال له ثَمّ ولا لو[3] كان ينفع.[4] وذلك أنهم ظنوا أن كثرة الأموال والأولاد تمنعهم من عذاب الله، كما أخبر عنهم في قوله:[5] نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[6] فأخبر الله عزّ وجلّ أن كثرة الأموال والأولاد لا تغني عنهم من عذاب الله شيئًا.

**﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١١٧]**

وقوله عز وجل: **مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم.** ضرب مثل نفقة الكفار التي أنفقوها بريح فيها صرّ أصابت حرث قوم، وذلك -والله أعلم- أنهم كانوا ينفقون ويعملون جميع الأعمال من عبادة الأصنام والأوثان ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ.[7] ظنوا أن تلك الأعمال والنفقات التي أنفقوها في صد[8] الناس [عن سبيل الله][9] تنفعهم في الآخرة وتقربهم إلى الله؛ فأخبر أنها لا تنفع، فكانت[10] كالريح التي فيها صر وبرد، ظنوا أن فيها رحمة وشيئا ينفع زروعهم وينمو بها، فإذا فيها نار أحرقت حرثهم، كما طمعوا من أعمالهم ونفقاتهم التي في الدنيا بالآخرة قربة وزلفةً إليه، فإذا هي مَهْلَكة لأبدانهم كالريح التي فيها صر، كانت مهلكة محرقة لزروعهم وحرثهم. *والله أعلم.*

**والصِرّ** هو البرد الشديد. وقيل: **الصِرّ** الصوت، كقوله: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا،[11] قيل: هي الصوت.[12]

---

[1] ع: يكونوا.
[2] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٧).
[3] ن: ولو لا.
[4] ن ع م: فينفع.
[5] جميع النسخ: كقولهم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٢٥و.
[6] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[8] م - صد.
[9] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٥و.
[10] جميع النسخ: فكان.
[11] سورة الذاريات، ٢٩/٥١.
[12] قال الأنباري في قوله تعالى ﴿كمثل ريح فيها صِرٌّ﴾: فيها ثلاثة أقوال. أحدها ﴿فيها صِرٌّ﴾ أي برد. والثاني فيها تصويت وحركة. وروي عن ابن عباس قول آخر: ﴿فيها﴾، قال فيها نار (*لسان العرب*، «صرر»).

وقيل: **مثل ما ينفقون** في الصد عن سبيل الله، وفي قتال[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا،[٢] الآية، أي يتأسفون على ما أنفقوا تأسف صاحب الزرع على ما كان أنفق فيه. *والله أعلم*.

وقوله: **وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون**، والظلم [على] -ما ذكرنا-[٣] هو وضع الشيء في غير موضعه. فهو -والله أعلم- قال: هم الذين وضعوا أنفسهم في غير موضعها، لا أن وضع الله أنفسهم ذلك الموضع؛[٤] لأنهم عبدوا غير الله و لم يجعلوا أنفسهم خالصين سالمين لله؛ فهم الذين ظلموا أنفسهم حيث أسلموها لغير الله وعبدوا دونه. فذلك[٥] وضعها في غير موضعها، لأن وضعها موضعها هو أن يجعلوها خالصة لله سالمة له. وقيل: ما ضرّوا الله بعبادتهم غيرّه وبكفرهم به، إنما ضرّوا أنفسهم، إذ لا حاجة له إلى عبادتهم. *والله الموفق*. {قال الشيخ رحمه الله:} [فيه] تقديم وتأخير، وأصل ذلك أن الله قد وضع كل نفس بالخلقة[٦] بموضع العبودية[٧] [له] فجعلوها عبدة غيره.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[١١٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**، اختلف فيه. قيل:[٨] نهى الله المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يُؤاخُوهم أو يَتولَّوهم دون المؤمنين. وقيل: في حرف حفصة: لا تتخذوا بطانة من دون أنفسكم، يعني من دون المؤمنين. وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: نهى الله المؤمنين أن يتخذوا[٩] اليهود والنصارى[١٠] والمنافقين بطانة دون إخوانهم من المؤمنين فيحدثونهم ويفشون إليهم سرهم دون المؤمنين.[١١]

---

[١] م: وقتال.
[٢] ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٦).
[٣] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/٥١-٥٧.
[٤] ن ع م: الوضع.
[٥] ع + في.
[٦] جميع النسخ: الخلقة.
[٧] جميع النسخ: العبودة.
[٨] ن: قال بعضهم.
[٩] ع: أن تتحدوا.
[١٠] ك ن - والنصارى.
[١١] *تفسير الطبري*، ٤/٦١؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٣/٣٨.

والبطانة، قيل: هم[١] الإخوان، يجعلونهم[٢] موضع إنشاء سرهم.

{قال الشيخ رحمه الله:} والنهي عن اتخاذ الكفار بطانة لوجهين. أحدهما العُرْف[٣] به، إذ كلٌّ يُعرَف بمن يصحبه. والثاني الميل إليه بما[٤] يريه عدوه أنه حسن العشرة وحسن الصحبة، مع ما فيه الإسقاط عما به يستعان على أمر الدين والإغفالُ عن حقه.

وقوله: **لا يألونكم خبالا**، يقول:[٥] لا يتركون جهدهم[٦] في إفساد[٧] أمركم.

وقوله: **وَدُّوا ما عَنِتّم**، أي يودون ويتمنون ما أثمتم. {قال الشيخ رحمه الله:} أي ودوا أن تشاركوهم في أشياء تؤثمكم،[٨] وتبعثكم[٩] عليه. وقيل: العنت الضيق؛ أي ذلك قصدهم، كالآية التي تتلوها.[١٠]

وقوله: **قد بدت البغضاء من أفواههم**، من قال: إن أول الآية في المنافقين يقول: قوله: **قد بدت البغضاء من أفواههم** ما ذكر في آية أخرى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ،[١١] إنهم كانوا يعرفون المنافق في لحن كلامه.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **قد بدت البغضاء من أفواههم**: ما كان[١٢] من التخويف،[١٣] بقوله: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ،[١٤] وإظهار السرور بنَكْبتهم،[١٥] كقوله:[١٦] وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ،[١٧] الآية.

---

[١] ن + المؤمنون.

[٢] جميع النسخ: ويجعلونهم.

[٣] العرف والعارفة والمعروف واحد: ضدّ النُكْر، وهو كل ما تعرف النفس (*لسان العرب*، «عرف»). العرف به: أي كون المؤمن معروفا بالكافر ومصحوبا به.

[٤] ك: مما، صح هـ.

[٥] جميع النسخ: يقولون.

[٦] ك: جهدكم؛ ن ع م: عهدهم.

[٧] جميع النسخ: في فساد.

[٨] جميع النسخ: يؤثمكم.

[٩] جميع النسخ: ويبعثكم.

[١٠] جميع النسخ: تتلوهم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٢٥ظ.

[١١] ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣٠).

[١٢] م: بما كان.

[١٣] جميع النسخ: التفريق؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٢٥ظ.

[١٤] ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٧٣).

[١٥] م: بكتبهم.

[١٦] ع م - كقوله.

[١٧] ﴿وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/٧٢).

وقوله: **وما تخفي صدورهم أكبر**. وذلك أنهم[1] كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين،[2] ويضمرون العداوة والخلاف لهم والسعي في هلاكهم؛ فما كانوا يضمرون أكثر مما كانوا[3] يظهرون. ومن قال بأن الآية في الكفار فهو ظاهر.

فقوله تعالى: **قد بدت البغضاء من أفواههم** من الشَّتيمة والعداوة، ويضمرون أكثر من ذلك من الفساد والشرور. *والله أعلم*.

وقوله: **قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**. يحتمل قوله: **إن كنتم تعقلون** الآيات. ويحتمل:[4] إن كنتم تنتفعون بعقولكم؛ لأنه عز وجل ذكر في غير آي من القرآن أنهم لا يعقلون، قد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا بعقولهم، فإذا لم ينتفعوا[5] نفى عنهم العقل رأسا.

**﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١١٩]**

وقوله: **هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم**. من قال إن أول الآية[6] في المنافقين، فهذا يدل له ويشهد؛ لأنه قال: **وإذا لقوكم قالوا آمنا**، الآية. / يقول: **هاأنتم يا هؤلاء** المسلمين [١٠٣و] **تحبونهم** -يعني المنافقين- **ولا يحبونكم** على دينكم. {قال الشيخ رحمه الله:} وفي الآية بيان أن أولئك قوم يحبهم المؤمنون إما بظاهر الإيمان أو بظاهر الحال. منهم من طلب مودتهم فأَطْلع الله المؤمنين على سرهم، لئلا يغتروا بظاهرهم وليكون حجة لهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلعه[7] الله على ما أسروا. *والله أعلم*. ومن قال: إن أول الآية في الكفار يجعل قوله: **هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم** على الابتداء والقطع من الأول، لأنه وصفهم بصفة المنافقين ووسمهم بسمتهم وليس في الأول ذلك.

وقوله: **عَضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم**، هو على التمثيل؛ يقال عند شدة الغضب: فلان يَعَضُّ أنامله على فلان، وذلك إذا بلغ الغضب[8] غايته.

---

[1] ع م – أنهم.
[2] جميع النسخ: لهم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٢٥ظ.
[3] ك ن ع – كانوا.
[4] ع م: يحتمل.
[5] ع م – بعقوله فإذا لم ينتفعوا.
[6] أي الآية السابقة.
[7] م: أطنع.
[8] ن – العصب.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **قل موتوا بغيظكم**، إنما كان يَغيظهم[1] ما كان للمسلمين من السعة والنصر والتكثر والعز، فيكون في ذلك دعاء لهم[2] بتمام ذلك حتى لا يروا فيهم الغير. ***والله أعلم.***

وفي حرف حفصة: قل موتوا بغيظكم لن تضرونا شيئا.

**إن الله عليم بذات الصدور**، على الوعيد.

**﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١٢٠]**

وقوله: **إن تمسسكم حسنة تسؤهم.** {قال:} ليس هذا وصف المنافقين في الظاهر، **لأنهم** كانوا يطمئنون عند الخيرات. لكنه يحتمل أنهم كانوا يطمئنون بخيرات تكون لهم، لا للمؤمنين.

**وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها.** ذكر في القصة أنهم إذا رأوا للمسلمين الظفر على عدوهم والغنيمة يسوؤهم ذلك، وإذا رأوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويُسَرُّون. وقيل: إذا رأوا للمؤمنين الخِصب والسَّعة ساءهم، وإذا رأوا لهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به. لكن هذا يحتمل في كل خير رأوا لهم اهتموا لذلك، وفي كل مصيبة ونكبة رأوا لهم فرحوا بها.

وقوله: **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا.**[3] أخبر أن المؤمنين إذا اتقوا وصبروا أنْ لا يضرُّهم كيدهم شيئا[4] حتى يُعلَمَ أن ما يصيب المؤمنين إنما يصيب[5] بما كسبت أيديهم.

وقوله: **إن الله بما يعملون محيط** على الوعيد.

**﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٢١]**

وقوله: **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال.** قوله: **تبوئ**، قيل: **تهيئ** للمؤمنين أمكنة القتال، وقيل: **تبوئ**، تُنزل المؤمنين، وقيل: **تبوئ المؤمنين**، تتخذ للمؤمنين[6] مقاعد[7] لقتال[8] المشركين، وقيل: **تبوئ**، توطن، وقيل تستعد للقتال؛ كله يرجع إلى واحد.

---

[1] ن ع م: تغيضهم.
[2] أي يكون في قوله تعالى: ﴿قل موتوا بغيضكم﴾ دعاء للمؤمنين.
[3] ك ع م + وعد النصر بشرط لا يضركم كيدهم شيئا.
[4] ن – أخبر أن المؤمنين إذا اتقوا وصبروا أن لا يضرهم كيدهم شيئا.
[5] ن – المؤمنين إنما يصيب.
[6] ع م: المؤمنين.
[7] جميع النسخ: مقاعدا.
[8] ن ع: للقتال.

ثم اختلف في أي حرب كان وأي يوم؟ قال أكثر أهل التفسير: كان ذلك يوم أحد،[1] وقيل: إنه كان يوم الخندق، وقيل كان يوم بدر.[2] فلا يعلم ذلك إلا بخبر يصح أنه كان يوم كذا. لكن في ذلك أن الأئمة هم الذين يتولون أمر العساكر، ويختارون[3] لهم المقاعد [والمواطن للحرب]، وعليهم تعاهد[4] أحوالهم[5] ودفع الخلل والضياع عنهم ما احتمل وسعهم. وعليهم طاعة الأئمة وقبول الإشارة من الإمام. وذلك في قوله تعالى: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.[6]

ذكّر مقاعد القتال[7] في هذه الآية، لكن الذي[8] لزم من ذلك في آية أخرى ذِكْرُ الصف، بقوله عز وجل: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ.[9] وذكر في آية أخرى الثبات، بقوله عز وجل: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا.[10] والأصل أنهم أمروا بالثبات. فالأحسن أن [يكون لهم أمير] يختار لهم أمكنة [يكون][11] لهم بها معونة على الثبات. **والله أعلم**.

ويحتمل[12] أن يكون أراد بالمقاعد القعود، وذلك أثبتُ للقتال وأدفع للعدو. وفيما ذكر الصف ذكر للحملة عليه،[13] بقوله عز وجل: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ.[14]

---

[1] ذكر الطبري أدلته على أن ذلك كان يوم أحد مستندا على ما رواه قتادة، والربيع، وعكرمة، وابن عباس، والحسن، وجابر، وابن إسحاق، وابن زيد، والسدي رضي الله تعالى عنهم. قال السدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم. فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم قتالا، ولئن أطعتنا لترجعن معنا. وقال الله عز وجل: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ -وهم بنو سلمة وبنو حارثة- هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة. *تفسير الطبري*، ٧٣/٤؛ وانظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ٥٧/٤.

[2] جميع النسخ: الأحزاب. ويوم الأحزاب هو يوم الخندق.

[3] ك ع م: ويختار؛ ن: وتختار.

[4] ع م: وتعاهد.

[5] ن: وأحوالهم.

[6] سورة النساء، ٥٩/٤.

[7] ع: مقاعدا للقتال.

[8] ع م: الذين.

[9] سورة الصف، ٤/٦١.

[10] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأنفال، ٤٥/٨).

[11] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٢٦و.

[12] ك: يحتمل؛ ن: فيحتمل.

[13] ع م – ويحتمل أن يكون أراد بالمقاعد القعود وذلك أثبت لقتال وأدفع للعدو ثم في ذكر الصف ذكره للحملة عليه.

[14] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال، ١٥/٨-١٦).

فيه رخصة الحملة[1] على العدو وإباحتها[2] وإن كان[3] فيها تولي الأدبار. ويحتمل أن يكون أراد بالمقاعد الأماكن والمواطن للقتال والحرب. *والله أعلم*.

وقوله: **والله سميع عليم**، يحتمل: **سميع** لمقالتكم، **عليم** بسرائركم. ويحتمل: **سميع** بذكركم الله والدعاء له؛ لأنهم أمروا بالذكر لله والثبات للعدو، بقوله عز وجل: فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا.[4] أو[5] **عليم** بثوابكم.[6] ويحتمل قوله: **سميع عليم** البشارةَ من الله عز وجل بالنصر لهم والأمن من ضرر[7] يلحقهم، كقوله عز وجل لموسى وهارون: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا، الآية، فقالا: إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى،[8] ثم قال عز وجل: قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.[9] آمنهما من عدوهما بقوله عز وجل: أَسْمَعُ وَأَرَى. فعلى ذلك يحتمل ذا في قوله عز وجل: **سميع عليم**. ويكون **سميع** أي أسمع دعاءكم، بمعنى أجيب، وأعلم ما به نصركم وظفركم. *والله أعلم*.[10]

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١٢٢]

وقوله: **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا**، قوله: **همت** يحتمل أن هَمّوا همَّ خطر، ويحتمل أن هَمّوا هَمَّ عزم. وكذلك هذا التأويل في قوله: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا.[11] **همت** هي به هم عزم، وهَمَّ هو[12] بها هَمَّ[13] خطر. وهَمُّ الخطر يقع من غير صنع من صاحبه، وهَمُّ العزم يكون بالعزيمة والقصد.

[1] ن: الجملة.
[2] م: وباجتهاد.
[3] م: إن كان.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٥).
[5] ك ن ع: و.
[6] م: بثباتكم.
[7] جميع النسخ: عن ضرر.
[8] ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى. قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ (سورة طه، ٢٠/٤٤-٤٥).
[9] سورة طه، ٢٠/ ٤٦.
[10] ك – أعلم، صح هـ.
[11] سورة يوسف، ١٢/٢٤.
[12] م – هو.
[13] ك – هم، صح هـ.

وقوله: **إذ همت [طائفتان منكم] أن تفشلا**، والفشل ليس مما ينهى عنه، لأنه يقع من غير فعله، لكنه -والله أعلم- هموا أن يفعلوا فعل الفشل والجبن.[١] وذكر في القصة[٢] أن الطائفتين إحداهما كانت من بني كذا، والأخرى من بني كذا،[٣] فلا يجب أن يُذكَروا إلا أن يقروا هم بذلك. وقيل: إنهم كانوا أقروا بذلك، وكانوا يقولون:[٤] نحن كنا فعلنا وما نحب[٥] أن لا يكون [لأنه] في قوله: **والله وليهما** ظهر لنا ولاية الله ولو لم يكن / [ذلك] لم يظهر.[٦] [١٠٣ظ]

وقوله: **والله وليهما**، قد ذكرنا هذا في غير موضع[٧] أن الولي قيل: هو الناصر، وقيل: إنه[٨] هو الحافظ، وقيل إنه أولى بهم.

*وقوله: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، حق على المؤمنين أن لا يثقوا[٩] إلا على الله عز وجل.*

{قال الشيخ رحمه الله:} المؤمن يعلم علم اليقين أنّ مَنْ نصره الله[١١] لا يغلبه شيء ومن يخذله الله لا ينصره شيء.[١٢] فتوكل [على الله] أي اعتمدَ على ما وعد [الله]،[١٣] واجتهدَ في الوفاء بما عهده،[١٤]

---

[١] ع م - والجبن.

[٢] قيل: إنه كان يوم الأحزاب، وقيل: إنه كان يوم الأحد، وقد ساق الطبري أدلته على أن ذلك كان يوم أحد مستندا ما رواه قتادة، والربيع، وعكرمة، وابن عباس، والحسن، وجابر، وابن إسحاق، وابن زيد، والسدي رضي الله تعالى عنهم. قال السدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم قتالا، ولئن أطعتنا لترجعن معنا. وقال الله عزوجل: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ -وهم بنو سلمة وبنو حارثة- هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة. *تفسير الطبري*، ٤/ ٧٣.

[٣] ع - والأخرى من بني كذا. كما جاء في القصة السابقة، هم بنو سلمة وبنو حارثة.

[٤] ك ن: وقالوا.

[٥] ن ع م: وما يجب.

[٦] في عبارة الماتريدي غموض لعله نشأ عن سقوط بعض كلامه. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقالوا: نحن كنا فعلنا، وما نحب أن لا يكون فعل الفشل منا -كما ظهر لنا بسبب ذلك ولاية الله تعالى بقوله: ﴿والله وليهما﴾- ولو لم يكن ذلك الفشل منا لم يظهر لنا ولاية الله» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٦و).

[٧] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/ ١٢٠، ٢٥٧، وفي سورة آل عمران، ٣/ ٦٨.

[٨] ع م - إنه.

[٩] ع: أن لا يتوكلوا؛ م - ولا يثقوا.

* وقع ما بين النجمتين بعد الجملة التالية، فقدمناه إلى هنا كما هو في *الشرح* (ورقة ١٢٦و)، ورقة ١٠٣ظ/سطر ٢-٣.

[١١] م: والله.

[١٢] جميع النسخ + قال الشيخ رحمه الله.

[١٣] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٢٦و.

[١٤] ن ع م: بما عهد.

وفوَّضَ كل أمره إلى الله، إذ علم أنه بكليته لله وإليه مرجعه. وبهذه الجملة عهد[1] أن ينصر دينه، ولا يولي عدوه دبره. *والله أعلم.*

**﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[١٢٣]

وقوله: **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**، يذكّرهم عز وجل أن لا يَكِلوا[2] إلى أنفسهم لكثرتهم ولقوتهم ولعُدّتهم ولا يَثِقوا[3] بأحد سواه، بل على الله يتوكلون وإليه يكلون وبه يثقون؛[4] لأنه أخبر أنهم كانوا[5] أذلة[6] ضعفاء فنصرهم وأمدّهم[7] بالملائكة حتى قهر عدوَّهم مع ضعفهم[8] وقلة عددهم يوم بدر. ويوم أحد كانوا أقوياء كثيري[9] العدد فوكلوا إلى أنفسهم فكانت الهزيمة عليهم.

وقوله: **فاتقوا الله**، يعني اتقوا معاصيه، **لعلكم تشكرون**،[10] فيه دليل:[11] أن الشكر إنما يكون في طاعته[12] واتقاء معاصيه، وأن المحنة إنما تكون في الشكر لما أنعم عليه، أو لتكفير[13] ما[14] سبق منه من الجفاء والغفلة.[15] *والله أعلم.*

**﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾**[١٢٤] **﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾**[١٢٥] **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**[١٢٦]

---

[1] أي بكل هده الأمور عهد المؤمن أن ينصر دين الله.
[2] ن م: أن لا يتكلوا؛ ع: يتوكلوا.
[3] ن ع م: ولا تتقوا.
[4] ع: يتقون.
[5] ع + لكثرتهم ولقوتهم ولعدتهم ولا تتقوا بأحد سواه بل على الله كانوا.
[6] ع م – أذلة.
[7] جميع النسخ: وأمد لهم.
[8] ع: من ضعفهم.
[9] جميع النسخ: كثيرة.
[10] ع + كثيرة العدد فوكلوا.
[11] ك: دلالة.
[12] ع م + معا.
[13] جميع النسخ: والتكفير.
[14] جميع النسخ: لما.
[15] «فيه دليل على أن الشكر إنما يكون في طاعته واتقاء معاصيه، وأن امتحان الله عبده بالعادات لشكر ما أنعم عليه، أو ليكفّر ما جاء منه من التفريط والغفلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٦و).

وقوله: **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**، وذكر في سورة[١] الأنفال: بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ،[٢] فاختلف فيه. قيل: كانوا عشرة آلاف؛ لأنه ذكر مرة ثلاثة آلاف ومرة خمسة آلاف ومرة ألفًا[٣] مُرْدِفِين[٤] فيكون ألفين،[٥] فذلك عشرة آلاف. وقيل: كانوا تسعة آلاف: ثلاثة آلاف، وخمسةَ آلاف، وألفا.[٦] وقيل: كانوا كلهم خمسة آلاف: ثلاثة آلاف وألفين[٧] مددا لهم.

ثم اختلف فيه. قال بعضهم: كان يوم أحد، وقال آخرون: يوم بدر.[٨]

و[قيل:] قوله: فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يوم بدر، [وما ذكر في هذه السورة كان يوم أحد].[٩] ولا ندري كيف كانت القصة، وليس لنا إلى معرفة القصة حاجة، سوى أن فيه بِشارةً للمؤمنين بالنصر لهم والمعونة، بقوله: **وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به**، جعل في ذلك تسكين قلوب المسلمين.

ثم اختلف في قتال الملائكة. قال بعضهم: قاتل الملائكة الكفار؛ وقال آخرون:[١٠] لم يقاتلوا ولكن جاءوا بتسكين قلوبهم [على] ما ذكر في الآية. ولا يحتمل القتال؛ لأنه ذكر في الآية: وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ،[١١] ولو كانوا يقاتلون لم يكن للتقليل[١٢] معنى، ولأن الواحد منهم كاف لجميع[١٣] المشركين؛ ألا ترى أن جبريل عليه السلام كيف رفع قُرَيَات لوط

---

[١] ك ن - سورة.
[٢] ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمِدّكم بألفٍ من الملآئكة مردفين﴾ (سورة الأنفال، ٩/٨).
[٣] جميع النسخ: ألف.
[٤] مردفين، أي متتابعين يَرْدَف بعضهم بعضا. قال الزجاج: مردفين: معناه يأتون فرقة بعد فرقة. وقال الفراء: مردفين: متتابعين (*لسان العرب*، «ردف»).
[٥] جميع النسخ: ألفان.
[٦] جميع النسخ: وألف.
[٧] جميع النسخ: ألفان.
[٨] قد ذكرنا (في تفسير الآية السابقة برقم ١٢٢) مع أدلته بأنه كان يوم أحد مستندا على ما ساقه الطبري في تفسيره، ٧٣/٤.
[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٦و.
[١٠] ن: بعضهم.
[١١] ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعيكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة الأنفال، ٤٤/٨).
[١٢] جميع النسخ: لما تقلل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٦ظ.
[١٣] ن ع م: بجميع.

إلى السماء فقلّبها؛[1] فدل أنه لما ذكرنا. *والله أعلم*. وقيل: قاتلوا يوم بدر و لم يقاتلوا يوم أحد. فلا ندري كيف كان الأمر.

وقوله: **مسوِّمين**. قيل: مُنْزَلين ومسومين سواء، وهو الإرسال.[2] وقيل: معلَّمين بعلامة. وذلك -والله أعلم- ليعلَم المؤمنين حاجتهم إلى العلامة، لا أن الملائكة يحتاجون إلى العلامة. وكذلك روي عن نبي الله[3] صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر: «تَسَوَّموا[4] فإن الملائكة قد تسومت».[5]

وقوله: **وما النصر إلا من عند الله [العزيز الحكيم]**، ليعلم أن في النصر لطفا[6] من الله لا يوصل إليه بشيء من خلقه؛ لأنه نفاه عنهم مع مدد الملائكة، ليعلم أن كل منصور على آخر إنما كان ذلك من الله عز وجل.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾[١٢٧]

وقوله: **ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**. قال قتادة: كان يوم بدر، قتل صناديدهم وقادتهم في الشر.[7] وقيل: **طرفا من الذين كفروا**، جماعة، وقيل: **طرفا من الذين كفروا**[8] يعني أهل مكة.

وقوله: **أو يَكْبِتَهم**، قيل: يخزيهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الكَبْت الهزيمة،[9] وقيل: الكَبْت[10] هو الصَّرْع على وجهه.

---

[1] انظر: مثل قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذَرعًا وقال هذا يوم عصيب﴾ إلى أن قال: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوَّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (سورة هود، ١١/٧٧، ٨٢-٨٣). في هذه الآيات وأمثالها لا يذكر جبريل عليه السلام. ولعل المؤلف قصد ما روي أن لوطا عليه السلام سرى بمن معه قبل الفجر، وطوى الله تعالى له الأرض حتى وصل إلى إبراهيم عليه السلام. ثم إن جبريل عليه السلام اقتلع المدائن بيده -وفي رواية- أدخل جناحه تحت المدائن فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها. *تفسير الآلوسي*، ١٢/١١٢.

[2] جميع النسخ: من الإرسال من التسويم.

[3] م: عن نبي أنه.

[4] ع: تسومون.

[5] *تفسير الطبري*، ٤/٨٢، ٨٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٣١٠.

[6] جميع النسخ: لطف.

[7] *تفسير الطبري*، ٤/٨٥.

[8] ع م - جماعة وقيل طرفا من الذين كفروا.

[9] *البحر المحيط* لأبي حيان، ٣/٥٢.

[10] ن - الهزيمة وقيل الكبت.

وقوله: **فينقلبوا خائبين؛**[١] والخائب هو الذي لم يظفر بحاجته، أي رجعوا [و] لم يصيبوا ما أمّلوا.

{قال الشيخ رحمه الله:} ما ذكر من حضور الملائكة الحرب فهو –والله أعلم– في حق محنة الملائكة. ولله أن يمتحنهم بما شاء من الحضور،[٢] والمعونة والكف عن ذلك، أو الدعاء لأوليائه بالنصر، وبما شاء الله من الوجوه التي يمتحن بها عباده. وفيهم من قد امتحنه على الأرزاق والأرواح والأمطار والأعمال وأنواع الأذكار والأفعال؛ إذ هم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يأمرهم، ليَجِلّ به قدرهم ويُغلى رتبتهم. ثم لو أذن لهم بالمعونة أعانوا المؤمنين على قدر الإذن لهم، إذ هم على ما وصفهم الله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[٣] وقوله: يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ،[٤] وغير ذلك مما[٥] وصفهم بالطاعة له[٦] والاتباع لأمره، وما أكرمهم من هيبة جلاله وخوف عقابه. صلوات الله عليهم أجمعين.

ثم كان للمؤمنين في حضورهم[٧] أنواع البشارات فيما لم يكن أذن لهم بالقتال وأنواعُ الآيات فيما قد أذن لهم، على ما ذكر من أمر بدر وغيره، مما أخبر الله عز وجل من إرسال جنوده وهزيمة أعدائه بمنه وفضله. أ) من ذلك ما[٨] قال الله عز وجل: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[٩] الآية، بأن[١٠] يكون الله يؤيدهم[١١] بما به تشجيع قلوب المؤمنين على ما قد أمْكن أعداءه[١٢] من أنواع الوساوس التي لديها تضطرب[١٣] قلوبهم، وتَزِلّ أقدامهم.

---

[١] ن + والخائبين.
[٢] ن – من الحضور.
[٣] سورة الأنبياء، ٢٧/٢١.
[٤] سورة فصلت، ٣٨/٤١.
[٥] جميع النسخ: ما.
[٦] ن – له.
[٧] أي الملائكة.
[٨] ك – ما، صح هـ.
[٩] سورة الأنفال، ١٢/٨.
[١٠] جميع النسخ: أن.
[١١] أي الملائكة.
[١٢] ع م: أعداء.
[١٣] ن ع: يضطرب.

[١٠٤و] فمثلَهُ يمكن أولياءَه[1] ، في تشجيع المؤمنين ليَسْكن قلوبهم ويَثبت أقدامهم. **والله أعلم.**
ب) والثاني أن يكون الذي جُبِل عليه الخلق: أن يكون كل أحد عند معاينة الحاجة إلى دعائه،[2] و[في] ما يحتمل وسعُه من معونة،[3] عليه أقبلَ وبه أرغبَ. فيكون للمؤمنين بحضورهم رجاءُ النصر بدعائهم. ويخرج [عليه] قوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[4] الآية، وقوله تعالى: وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ.[5] **والله أعلم.** وكان[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصرهم يبشرهم بحضورهم،[7] فيكون لهم بذلك فضل ثبات وقرار حياة[8] منهم، لما[9] أُعْلِموا[10] اطلاعهم على ذلك.
ج) أو يكون لهم فضل قوة بذلك وإقبالٌ على الأمر على ما جبل [عليه] الخلق من الإقبال على الأمور المهمة إذا كثروا. وعلى[11] ذلك قوله: إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ.[12] د) ولعلهم أيضا بما يطمعون[13] أنهم لو أطاعوا الله وثبتوا لأعدائه أن لهم النصر والدفعَ، فكان ذلك بعض ما يستبشرون. وعلى ذلك أكثر ما بُلي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهزيمة إنما كان يصرف قلوبهم إلى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والإعجاب بالكثرة ونحو ذلك.

ثم من أعظم الإعلام في ذلك ما قاله الله عز وجل: وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ.[14] فتكون البشارة والطمأنينة بالذي جبل[15] عليه البشر على ما بينت.[16] ويكون النصر من عند الله الذي متى أراد نصر أحد لن يُغلَب قَلَّتْ أعوانه أو كثرت.

---

[1] وهم الملائكة هنا.
[2] ع م: إلى رعاية.
[3] أي وفي الأمور التي ترجى معونة الله فيها على عبده.
[4] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).
[5] ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾ (سورة آل عمران، ١٢٦/٣).
[6] ع: أو كان.
[7] ن: في حضورهم.
[8] ك ع: حيا؛ ك (هـ): حياة.
[9] جميع النسخ: بما.
[10] م: أعملوا.
[11] ع م: على ذلك.
[12] ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ (سورة التوبة، ٢٥/٩).
[13] ع: يطعمون.
[14] الآية السابقة.
[15] ك: طبع.
[16] ن ع م: يثبت.

وذلك لطف من الله العزيز العليم، يريهم النصر من الوجه الذي لا يُعلَم[1] مأتاه.[2] و[يريهم النصر أيضا] في حال الإياس[3] من أنفسهم أن يقوم لعدوهم،[4] ليعلموا عظم[5] لطفه الذي بمثله ارتفعت درجات الأخيار، وشرُفت منازلهم. ولو كان لهم[6] بالإذن على ما ذكر من قوة جبريل عليه السلام في قلب قَرَيات لوط بجناح واحد[7] لم يكن يقوم لمثله أهل الأرض فضلا من عدد يسير منهم، ولكنهم لا يتقدمون بين يدي الله،[8] والله لم يكن أذن لهم في القتال[9] عند كل مشهد. ***والله أعلم***.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **ليس لك من الأمر شيء**، إنما أنت عبد مأمور، فليس لك من الأمر شيء،[10] إنما ذلك إلى الواحد القهار الذي لا شريك له ولا ند، كقوله: يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ.[11]

وقوله: **أو يتوب عليهم أو يعذبهم**، الآية.[12] فيه [دلالة] أنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم معنىً -قولا وفعلا[13]- حتى تزل[14] قوله: **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم**،[15] ولكنا لا نعلم ذلك المعنى. غير[16] أنه قيل في بعض القصة: إن النبي صلى الله عليه وسلم شُجّ يوم[17] أحد[18] وجهه وكسرت رَباعِيَته، فدعا عليهم، فنزل قوله: **ليس لك من الأمر شيء**.

---

[1] ن ع م: لا يعلمه.
[2] ع م: إلا هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٦ظ.
[3] جميع النسخ: الأنفس. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٦ظ.
[4] أي أن يقوم كل أحد بشخصه لأخذ الثأر عن عدوه. والنفس يستعمل مذكرا إذا كان بمعنى الشخص.
[5] ع: أعظم.
[6] أي للملائكة.
[7] قد سبق إيضاحه في هامش تفسير الآية السابقة.
[8] ن + وحده.
[9] م: بالقتال.
[10] ع - إنما أنت عبد مأمور فليس لك من الأمر شيء.
[11] سورة آل عمران، ١٥٤/٣.
[12] ك الآية.
[13] ك م: فعلا.
[14] ع م: ترك.
[15] ك + الآية.
[16] م - غير.
[17] ن: في يوم.
[18] جميع النسخ + في.

وقيل: إن سرية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى قتال المشركين يقاتلونهم حتى قُتلوا جميعا فشَق على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قتلهم،[1] فدعا عليهم باللعنة -يعني على المشركين- أربعين يومًا في صلاة الغداة، فنزل قوله: **ليس لك من الأمر شيء.** وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه[2] قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن فلانا، حتى لعن[3] نفرا منهم، فنزل قوله: **ليس لك من الأمر شيء**، الآية.[4] وقيل:[5] إن نفرا من المسلمين انهزموا، فشَق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: **ليس لك من الأمر شيء**، فأمره بكف الدعاء عنهم. والله أعلم بالقصة في ذلك.

وقوله: **أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم**، فإن كانت القصة في الكفار فكأنه[6] طلب التوبة والهدي [لهم] وأفرط[7] في الشفقة [عليهم] فقال:[8] **ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم** فيهديهم لدينه، **أو يعذبهم** على كفرهم، **فإنهم ظالمون**، كقوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[9] وإن كانت[10] في المؤمنين فقوله: **أو يتوبَ [عليهم]** عن ذنبهم[11] الذي ارتكبوا **أو يعذبَهم** بذنبهم ولا يعفو عنهم. والله أعلم بذلك.

[١٠٤و س٣١ *[وفي قوله: **ليس لك من الأمر شيء**،[12] جواز[13] العمل بالاجتهاد، لأنه صلى الله عليه وسلم عمل[14] بالاجتهاد لا بالأمر حتى منع عنه. {قال الشيخ رحمه الله} قوله:[15] **ليس لك من الأمر شيء**،

[1] جميع النسخ: بقتلهم.
[2] ن ع – أنه.
[3] ن: أمن.
[4] انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٨٨؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٣١٢.
[5] ذكر الآلوسي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله تعالى عن ذلك، وتاب عليهم، ونزلت هذه الآية. *روح المعاني*، ٤/٤٩.
[6] أي النبي صلى الله عليه وسلم.
[7] ن: فأفرط.
[8] ع: وقال.
[9] سورة القصص، ٢٨/٥٦.
[10] جميع النسخ: فإن كان.
[11] ع: عن دينهم.
[12] ن – إنما الأمر إلى الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض هو الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي قوله ليس لك من الأمر شيء.
[13] ع م: لجواز.
[14] ع – عمل.
[15] ك ن – قوله.

يحتمل أن يكون على أثر أمرٍ مما جُبل عليه البشر ما[١] رأى في صلاح الخلق ومما عليه التدبير بحيث الإطلاق.[٢] فقيل [له]: هذا وإن كان[٣] على ما رأيت فليس لك من أمر هذا شيء، وإنما الذي إليك الصفح عن ذلك والإعراض. والله أعلم ما كان.

ويحتمل أن يكون يبتدئ القول به من[٤] غير أن يسبق[٥] منه ما يعاتَب عليه أو يمنع[٦] منه؛ ليكون أبدا مقبلا نحو الإذن له في كل شيء والأمر ولا[٧] يطمعَ نفسُه في شيء لم يسبق له البِشارة به. على أن النهي والوعيد أمران جائزان، وإن كان قد عُصم عن ركوب المنهي ووجوب الوعيد، إذ هناك[٨] يظهر رتبة العصمة. ***ولا قوة إلا بالله***.

والظاهر أن يكون على أثر أمر استعجل ذلك من دعاء الهلاك أو الهداية[٩] لقبول الحق والخضوع له فيقول:[١٠] ليس لك شيء من ذلك في أحد على الإشارة إليه،[١١] إنما ذلك إلى الله يضع فيهم ما عنده من الثواب أو التعذيب على قدر ما يعلم من إقبالهم على الطاعة له / أو نِفارهم[١٢] عنها. ***والله أعلم***.]* [١٠٤ظ س١]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢٩]

وقوله: **ولله ما في السماوات وما في الأرض**، الآية. فيه دلالة ما ذكرنا في قوله: لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ؛ إنما الأمر إلى الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، هو الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

---

[١] ك م: مما.

[٢] يقول الشارح: «لأنه صلى الله عليه وسلم إنما عمل بالاجتهاد من الدعاء بالهلاك والهداية لا بأمر من الله تعالى تنصيصا؛ إذ لو كان بطريق النص لما منع عنه بقوله: ﴿ليس لك﴾ وما فعله النبي لا يكون إلا مطلقا مباحا، وإن كان قد يمنع عن فعل بمعنى وحكمة استأثر الله تعالى بعلم ذلك، لما يقرر عندنا من السمع والعقل على عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتكاب المحظور الذي هو المعصية» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٧و).

[٣] ع م: يكون.

[٤] م – من.

[٥] ن ع: سبق.

[٦] م: ويمنع.

[٧] ن: لا.

[٨] ن ع: هنالك.

[٩] م: والهداية.

[١٠] م: فقيل؛ ن ع: فنقول.

[١١] ع م – إليه.

[١٢] جميع النسخ: أو نفادهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٠٤و/سطر٣١-١٠٤ظ/سطر١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٣٠]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**. قوله: **لا تأكلوا الربا**، كقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا،[١] ففيه نهي عن الأخذ، كقوله: وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ،[٢] فعلى ذلك قوله: **لا تأكلوا الربا**، أي لا تأخذوا.

وقوله: **أضعافا مضاعفة**. فإن قيل: ما معنى النهي عن المضاعفة، وغير المضاعفة حرام؟ قيل:[٣] يحتمل هذا وجوها. يحتمل أن يكون هذا قبل تحريم[٤] الربا، فنهوا عن أخذ المضاعفة. ويحتمل قوله: **لا تأكلوا الربا**، أي لا تكثِّروا[٥] أموالكم بأخذ المضاعفة. ويحتمل **أضعافا مضاعفة**، أي لا تُصرّوا[٦] على استحلال الربا فَتَبْقون عليه آخرَ الأبد. ويحتمل **أضعافا مضاعفة** تضعيف العذاب. ويحتمل ما قيل: كان أحدهم يبايع الرجل إلى أجل، فإذا حل[٧] الأجل زاد في الربح وزاد الآخر في الأجل، وذلك كان ربا الجاهلية.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **لا تأكلوا الربا**، يحتمل الأكل، لأنه نهاية كل كسب، ويحتمل الأخذ، كقوله: وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ،[٨] وقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.[٩]

وقوله: **أضعافا مضاعفة** في الأخذ، أي لا تأخذوا[١٠] لتكثِّروا[١١] أموالكم،[١٢] وتقصدوا[١٣] بذلك تضاعف أموالكم إلى غير حد. وليس فيه أن القليل ليس بمحرم، ولكن[١٤] ذلك هو مقصود أهله، فنهوا عن ذلك، وحرمة القليل بغير ذلك من الآيات. ويحتمل أن يكون في نازلة،

---

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٨).
٢ ﴿وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكْلِهم أموالَ الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦١).
٣ جميع النسخ: لكنه.
٤ ع: التحريم.
٥ ع م: لا تكثرون.
٦ م: لا تصرون.
٧ ع: أجل.
٨ سورة النساء، ٤/١٦١.
٩ سورة البقرة، ٢/٢٧٨.
١٠ ن ع م: لا يأخذوا.
١١ جميع النسخ: ليكثروا.
١٢ جميع النسخ: أموالهم.
١٣ ك: أو تقصدوا؛ ن: ويقصدون.
١٤ ك ن ع: لكن.

عليها خرج النهي لا على الإذن بدون ذلك. ولو كان على حقيقة الأكل فهو على النهي[١] عن التوسع بالربا، أو الأمر بالعود إلى ما لا ربا فيه وإن كان في ذلك ضيق. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون في الآية إضمار فيقول:[٢] لا تأكلوا الربا فإنكم[٣] إن أكلتموه بعد العلم بالتحريم تضاعفت عليكم المآثم والعقوبات.

وقد جعل الله للربا أعلاما دلت على[٤] غِلَظ شأنها نحو ما وصف من لا يتقيه بالخروج بحرب الله وحرب رسوله عليه الصلاة والسلام.[٥] وبالتخبط يوم القيامة،[٦] وانتفاخ البطن،[٧] وما جرى في معاقبة اليهود بتحريم أشياء لمكان[٨] ذلك؛[٩] وقوم شعيب[١٠] ما[١١] حل بهم بلزومهم بتعاطي الربا [وتطفيف الكيل والوزن].[١٢]

**واتقوا الله**، [في أخذ الربا][١٣] فلا[١٤] تأخذوا الربا ولا تستحلّوه، **لعلكم تفلحون**.

**﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١٣١]**

وقوله: **واتقوا النار التي أعدت للكافرين**. فيه دلالة أنها إنما أعدت للكافرين، لم تُعَد لغيرهم.

---

[١] ع: عن النهي.
[٢] ن: فنقول.
[٣] ك: لأنكم.
[٤] ن ع + ما.
[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٨-٢٧٩).
[٦] ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المَسّ﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٥).
[٧] قال القرطبي: ويقال: إنهم يُبعثون يوم القيامة قد انتفخت بطونهم كالحبالى، وكلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم. وقال بعض العلماء: إنما ذلك شعار لهم يعرفون به يوم القيامة (*تفسير القرطبي*، ٣/٣٥٤).
[٨] ن ع م: بمكان.
[٩] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلّت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٠-١٦١).
[١٠] «وذلك مثل ما جرى في معاقبة قوم شعيب عليه السلام» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٧ظ).
[١١] م: وما.
[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٧و. انظر مثلا قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُه ولا تَنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تَبخسوا الناس أشياءهم ولا تَعثَوا في الأرض مفسدين﴾ (سورة هود، ٨٤-٨٥).
[١٣] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٧ظ.
[١٤] جميع النسخ: ولا.

فذلك يرد على المعتزلة، حيث[1] خلّدوا صاحب الكبيرة في النار، والله تعالى يقول: إنها **أعدت للكافرين**، وهم يقولون: و لغير الكافرين.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ:[2] يحتمل للذين اتقوا الشرك، كقوله: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[3] ويحتمل للذين اتقوا جميع أنواع المعاصي.

فإن كان التأويل هو الأول فكل[4] من لم يستحق بفعله اسم الكفر فهو [داخل] في الآية، إذ قال في النار: **أعدت للكافرين**، لم يجز أن تكون[5] هي أبدا لغيرهم لوجهين. أحدهما إذ لا يجوز أن تكون الجنة المتخذة[6] للمؤمنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدّة للكافرين. وهذا أولى لجواز[7] القول في إيجاب الجنة لمن يكون[8] منه الإيمان نحو الذرة[9] وفسادِ القول فيهم بالنار. ***والله أعلم***. والثاني أنها إذا جعلت لغيرهم أو أعدت لغيرهم[10] لكان لا يكون للكفر فضل هيبةٍ و لفعله فضل[11] فزع في القلوب بوجود ذلك. ومعلوم أن ذلك[12] بالعواقب لا بنفس الفعل. ثبت أنه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يكون لمن أعدت له -لا لغيره-[13] أثر وتحذير، لا تحقيقُ ذلك كلِّه.[14] ***والله أعلم***.

وإن كان التأويل هو الثاني: من اتقاء جميع المعاصي فيكون لذلك بعدُ عبارتان.

**إحداهما**[15] أنْ قد ظهر أهل الجنة وأهل النار، وبينهم قوم لم تبلغ بهم الذنوب الشرك

---

[1] ع - حيث.

[2] سورة آل عمران، ١٣٣/٣.

[3] ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (سورة البقرة، ١/٢-٢).

[4] جميع النسخ: وكل.

[5] جميع النسخ: أن يكون.

[6] ك: متخذة.

[7] جميع النسخ: بجواز.

[8] جميع النسخ: لا يكون.

[9] جميع النسخ: الذرية. لعل المؤلف رحمه الله يريد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة رجل في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال ذرة من إيمان» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٤١٦/١؛ قارن: صحيح *البخاري*، الإيمان ٤٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٤٧، ٣٠٢).

[10] ن - أو أعدت لغيرهم.

[11] ع - فضل.

[12] أي الهيبة والفزع.

[13] جميع النسخ: له ولغيره.

[14] أي لا يجب ولا يجوز تحقيق الخلود لمن كان كافرا ولمن لم يكن.

[15] ن ع: أحدهما.

فيدخلون في الوعيد بالنار المعدة لهم،[١] ولا اتقوا جميع المعاصي فيكونون[٢] في الوعد المطلق فيمن أعدت له الجنة. فحقه الوقف فيه حتى يظهر ذلك في قوله: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[٣] وفي قوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[٤] وقوله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ،[٥] الآية، وغيرِ ذلك من آيات[٦] العفو والمغفرة. ولو كان[٧] ذلك واجبا في الحكمة لكان[٨] القائم به يستحق وصف العدل، لا العفو والمغفرة؛ ثبت أن ذلك فيما قد وجب.

أو يكون فيمن يجزيهم جزاءهم ويُدخلهم الجنة؛ إذ أخبر أنه لا يجزي السيئة إلا بمثلها،[٩] وبالتخليد مضاعفة ذلك من وجهين. أحدهما أنه عذاب الكفر، وهذا دونه. والثاني منع لذة الحسنة بكليتها، بل حق ذلك أن يكون كقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،[١٠] الآية، أي يجزي بالأمرين جميعا. ***ولا قوة إلا بالله***.

**والثانية**[١١] أنه قد جاء بمقابل السيئة من الحسنات ومقابل كل أنواع من المعاصي من الطاعات، وقد وعد [الله] على الحسنة عشر أمثالها، فمحال أن يقابِل مثلُ الذي دون الشرك من السيئات الشركَ في إحباط العمل، ولا يقابل مثلُ الذي دون الإيمان الإيمانَ[١٢] في إحباط الذنوب وتجب له الجنة. ثم [هو] مع ذلك الإيمان الذي لا أرفعَ منه، وهو الذي بعثه على الخوف والرجاء وقت الإساءة؛ وعلى أنه لو خشي على نفسه كل بلاء ورَجاءَ كل نفع في الكفر بربه لم يُؤْثِر ذلك.

---

[١] أي لأهل الشرك.
[٢] م: فيكون.
[٣] ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (سورة النساء، ٤/٤٨).
[٤] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٦).
[٥] ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٢).
[٦] جميع النسخ: من الآيات.
[٧] ك ع: وما كان.
[٨] جميع النسخ: فيكون.
[٩] يشير إلى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مثلَها وهم لا يُظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[١٠] ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ (سورة الزلزال، ٩٩/٧-٨).
[١١] ع: والثاني.
[١٢] ن ع م – الإيمان.

مع ما وَعد على الحسنة عشرَ أمثالها ثم يُبطل[1] لذة ذلك كله ويُلزِم الخلق[2] القول فيه بالكرم والعفو والرحمة. *ولا قوة إلا بالله*.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٣٢]

[١٠٥و] وقوله: **وأطيعوا الله والرسول**. ذكر -والله أعلم- طاعة[3] الرسول لأن من الناس / من لا يرى طاعة الرسول؛ فأمر عز وجل بطاعة[4] رسول الله[5] لئلا يخالفوا أمر الله ولا أمر رسوله، وأن من أطاع الله و لم ير طاعة رسوله فهو لم يطع الله في الحقيقة. ويحتمل: أطيعوا الله في أمره[6] ونهيه،[7] وأطيعوا الرسول فيما بين في سننه أودعا أو بلّغ. والقصد في الآية إلى فرض طاعة الرسول؛ [أي] وأطيعوا الرسول في أمره ونهيه كما أطعتم الله في أمره ونهيه.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٣٣]

وقوله: **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**، يحتمل أن يكون هذا موصولا بقوله عز وجل: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً،[8] أي لا تأخذوا الربا أضعافا مضاعفة[9] فتكثِّروا[10] أموالكم. وحقيقته: وسارعوا إلى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالإجابة له إلى ما دعا والقيام به بحق الوفاء. وقولِه عز وجل: وَاتَّقُوا اللهَ،[11] في استحلال الربا لأن من استحل محرما فقد كفر. وحقيقته: اتقوا ما أوعدكم ربكم عليه النارَ. وأصل الطاعة الائتمار بأمر المطاع في كل أمر، فمن أطاع الله فيما أمر وأطاع رسوله رحمه ربه. وفي الطاعة رحمة الخلق، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن تدخلوا الجنة حتى[12] تَراحمُوا». قالوا: كلنا نرحم يا رسول الله.

---

[1] ن: تبطل. أي يبطل الله تعالى.

[2] ع: الخنف؛ م: خلف.

[3] ك: إطاعة.

[4] ك ن ع: طاعة.

[5] ك ن: رسوله.

[6] ن + في أمره.

[7] ع م - في أمره ونهيه.

[8] سورة آل عمران، ١٣٠/٣.

[9] ن ع م - أي لا تأخذوا الربا أضعافا مضاعفة.

[10] ن ع م: فيكثروا.

[11] سورة آل عمران، ١٣٠/٣. أي يحتمل أن يكون قوله: ﴿وسارعوا...﴾ موصولا بقوله: ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

[12] ع م - حتى.

قال: «ليس رحمة الرجل ولده، ولكنه رحمة عامة».[١] وقوله: وَأَطِيعُوا اللهَ في تحريم الربا، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ في تبليغه إليكم تحريم الربا والنهي عن أخذه. لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أي ارحموا الناس وتَرحمونهم[٢] في ترك أخذ الربا تُرْحَمُوا[٣] أنتم وتنجوا[٤] من النار ومن عذاب[٥] الله. ثم قال: **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**، أي بادروا بالتوبة والرجوع عن استحلال الربا، وبالترك[٦] عن أخذه. والمغفرة هي فعل الله، لكنه –والله أعلم– كأنه قال: بادروا إلى الأسباب التي بها[٧] تستوجبون المغفرة من ربكم. والمغفرة هي الستر في اللغة. ثم يحتمل وجهين. يحتمل أن لا يهتك أستاركم في الآخرة إذا تبتم. ويحتمل أن ينسيكم[٨] سيآتكم[٩] في الجنة، لأن ذكر المساوئ في الجنة ينغّص[١٠] عليهم[١١] نعمه، فأخبر عز وجل أنه ينسيهم مساوئهم في الجنة لئلا ينغص ذلك عليهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وجنةٍ عرضها السماوات والأرض**: وبادروا أيضا بالتوبة عن استحلال الربا إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فمعنى ضَرْب مثل[١٢] الجنة بضرب السماوات والأرض[١٣] وذلك –والله أعلم– ذكرُ هو أن للسماوات[١٤] والأرض أحوالا ليست تلك الأحوال لغيرهما[١٥] من الخلائق، بقوله عز وجل: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ،[١٦]

---

١ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لن تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أدلّكم على ما تحابّون عليه؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفشُوا السلام بينكم تحابّوا، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا» قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: «إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة» (*المستدرك* للحاكم، ١٨٥/٤؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٠/٨).

٢ جميع النسخ: وترحموهم.

٣ جميع النسخ: ترحمون.

٤ جميع النسخ: وتنجون.

٥ ك ن ع: وعذاب.

٦ جميع النسخ: والترك.

٧ ع – بها.

٨ جميع النسخ: ينسي عليكم.

٩ ك: نسياتكم.

١٠ ك: تنغص؛ ن: ينغض؛ ع: ينغض.

١١ ع م: عليه.

١٢ م – مثل.

١٣ ع م – والأرض.

١٤ ك: السماوات.

١٥ ع: لغيرها.

١٦ ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة المؤمن، ٥٧/٤٠).

وذلك أنهما عندهم من أشد الخلائق وأقواها. فقال: إن الذي قَدَر على إيجاد[1] ما هو أشد وأقوى وأصلب لَقادرٌ على إنشاء ما هو دونه، وهو هذا العالم الصغير. ووَصَفَ أيضا السماوات والأرض بالغلظ والكثافة والشدة بقوله[2] عز وجل: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[3] شِدَادا[4] وغلاظا.[5] ثم أخبر عز وجل أنها مع غلظها وكثافتها تكاد أن تَنشق لعظيم ما قالوا بأن الله ولدا[6] وشريكا بقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا.[7] ليعلموا عظم[8] [ذلك] القول وقبحه، لئلا يقولوا في الله ما لا يليق به. ووصف أيضا السماوات والأرض بالدوام[9] إلى وقت يبعد[10] فنائهما في أوهام الخلق، وإن كانا فانيين،[11] بقوله عز وجل: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.[12]

فلما[13] كان للسماوات والأرض ما ذكرنا من الأحوال عند الخلق، ليست تلك الأحوال لغيرهما[14] من الخلائق من شدتها[15] وقوتها وصلابتها وكثافتها وسعتها شَبّه عرض[16] جنته وسعتها بسعة السماوات والأرض وعرضهما؛[17] لما هما عند الخلق ليسا بذوي نهاية،

---

[1] ك: اتخاذه؛ ن ع م: اتخاذ.
[2] ن ع م: لقوله.
[3] ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ١٢/٤١).
[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ (سورة النبأ، ١٢/٧٨).
[5] لم يرد في القرآن الكريم وصف السماوات بالغلظ. لعله هو تفسير الشداد، كما أشار السمرقندي إلى ذلك، فقال: «وكذا وصف السماوات والأرض بالغلظ والكثافة والشدة بقوله: ﴿سبعا شدادا﴾» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٧و).
[6] م: ولد.
[7] سورة مريم، ٩٠/١٩-٩١.
[8] ك: أعظم.
[9] ع: وبالدوام.
[10] م: ببعد.
[11] جميع النسخ: فانيان.
[12] ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ (سورة هود، ١٠٧/١١).
[13] ن ع: فإذا.
[14] ع: لغيرها.
[15] ك: بشدتها.
[16] ع م: وعرض.
[17] م: وعرضها.

وإن كانا ذوي[1] نهاية وغاية، كما وصف أهل الجنة وأهل النار بالدوام فيهما[2] بدوام السماوات والأرض، وإن كانا فانيين[3] غير دائمين أبدا لبعد فنائهما عن أوهام الخلق، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وفيه دلالة أن الجنة ذات[4] نهاية المكان والعَرْض، وإن لم تكن[5] بذات[6] نهاية الوقت وغايته، لأنه ذكر العرض لها، وكل ذي عرض يحتمل نهاية عرضه. *والله أعلم*. ولو لم تكن[7] ذات[8] نهاية من حيث العرض لكان[9] الله غير موصوف بالقدرة على الزيادة، ومن زال عنه وصف ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجاء.

وبعد، فإن ثم[10] دارا[11] أخرى سوى الجنة، فأوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض،[12] إذ كان غير الجنة دارا[13] أخرى مثلها في ارتفاع نهاية الوقت. وجائز وجود أمرين مختلفين على اتفاق في الوقت، ومحال وجودهما في مكان واحد.[14] لذلك لزم نهايتهما وإن زالت عنهما نهاية الوقت.

وقوله عز وجل: **أُعِدّت للمتقين**، والاتقاء هو[15] الطاعة في كل أمره ونهيه وترك مخالفته في ذلك كله. ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلاثة. بذكر[16] عظمته وجلاله ورفعته [فيزجره][17]

---

[1] ع: ذو.
[2] ن ع م: فيها.
[3] جميع النسخ: فانيان.
[4] جميع النسخ: ذو.
[5] ن م: وإن لم يكن.
[6] جميع النسخ: بذي.
[7] جميع النسخ: لم يكن.
[8] جميع النسخ: ذو.
[9] ك: فكان؛ ن ع م: وكان.
[10] ن: ثمه.
[11] ع: دار.
[12] «لأنه لا يتصور وجود غيرين في حيز واحد وإن كانا من حيث الزمان بلا نهاية وغاية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٧ظ-١٢٨و).
[13] ن ع م: دار.
[14] جميع النسخ + واتفاق بمكان.
[15] جميع النسخ + من.
[16] ع – بذكر.
[17] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٨و.

عن مخالفة أمره ونهيه؛ فيذلّله ذلك ويحقره، فيمنعه[1] عن مخالفته. أو بذكر نعمته وإحسانه، فيمنعه ذلك عن ارتكاب ما نَهى عنه حياء منه.[2] والثالث بذكر نقمته وعذابه في مخالفة أمره ونهيه، فيتقى بذلك عذاب الله ونقمته.

[١٠٥ظ] {قال الشيخ رحمه الله} و قوله[3] عز وجل: / **أعدت للمتقين**، ثم فسر الذين يتقون إلى آخر ذلك. فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون المراد مِن[4] **أعدت** [الجنة] له من جميع الذي ذكر.[5] والثاني[6] أن يريد بـ**أعدت للمتقين** الذين اتقوا الشرك، بالذي أخبر عز وجل بقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[7] ثم وصفهم بالذي[8] ذكر[9] من الأفعال المحمودة. لا أن ذلك بكليته شرط لأن يُعَدّ له الجنة، حتى يُحْرَمَ من لم يبلغ ذلك.

فإن كان على الأول فكأنه وَصْف النهاية[10] لمن[11] أعدت [له] الجنة. وقد يجوز أن يكون لهم اتباع في الشركة وإن[12] لم يبلغوا تلك الرتبة،[13] أو بفضل الله أو بما أعطى من ذكر فيهم من الشفاعة، أو بما شاركوا أولئك [المتقين] في أصل الاعتقاد بقبول ذلك، وإن كان منهم تقصير.

على أنه قد يذكر في كل أمر من الأمور العظيمة النهاية[14] في ذلك على مشاركة من دونهم لهم في ذلك. وعلى ذلك ما ذكر من بعث الرسل إلى الفراعنة على دخول من دونه في ذلك، وعلى مخاطبة[15] أهل الجلال في ذلك ودخول من دونهم في الحق. وكذلك ذكر الخطاب في أهل الرفعة والعلو على تضمن من دون ذلك، فكذلك الأول. وكذلك الله سبحانه

---

[1] م: ويمنعه.
[2] ع م: منهم.
[3] ع: في قوله.
[4] ك ن: ممن.
[5] أي بسبب اتصافه بما ذكر في الآيات بعدها.
[6] ن - والثاني.
[7] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨).
[8] ن + وصفهم.
[9] ن ع م + هم.
[10] ع: نهاية. أي وصف النهاية في الاتقاء الذي أشير إليه بقوله: ﴿أُعدّت للمتقين﴾ وبين أوصافها بعد هذه الآية.
[11] جميع النسخ: ممن.
[12] ع م: فإن.
[13] أي في اشتراك الأوصاف الجميلة التي بين بقوله تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء...﴾.
[14] ن ع م: والنهاية.
[15] م: وعلى من طب.

ذكر في القرآن من الكفرة الذين جمعوا مع الكفر العناد والتمرد، وذكر أهل الإيمان الذين[1] لهم مع ذلك الخيرات مَنًّا منه أن ذكر هؤلاء بأعلى ما استحقوا من الثناء، و الأول بأعلى ما[2] به يصيرون[3] لمقته، من غير تخصيص في أصل له الوعد والوعيد إلا من حيث التشديد والتفصيل،[4] فمثله الأول. [و]أيد ذلك قسمته أهل الجنة قسمين: السابقين[5] وأصحاب اليمين.[6] ثم قال في الذين[7] ذكر: الذين خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.[8]

وقد بُين في آخر ذلك ما يدل على ذلك. وهم من ذكر من الذين يأتون الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا.[9] ويكون في ذلك وجهان. أ) أحدهما أن الله[10] تعالى بمنه يوفقه لما يرضيه في آخر أمره ليختمه به إذا كان - في وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر- معتقدا جلال ربه خائفا عظمته راجيا رحمته متعرضا لما عرفه من الكرم[11] والعفو، فيكون هو شريك من ذكر بالخاتمة[12] وإن كان منه تخلف عنهم[13] في الابتداء. **والله أعلم**.

ب) أو أن يكون يجزيه بما[14] قصر وفرط، حتى يطهّره مما كان [منه] من الخلط،

---

[1] ع م - الذين.

[2] ك - استحقوا من الثناء والأول بأعلى ما، صح هـ.

[3] ن ع م: يصير.

[4] ن - والتفصيل.

[5] ن ع م: التابعين.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/١٠-١٢)، ثم قال: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ (الآية ٢٧ وما بعدها).

[7] جميع النسخ + من.

[8] ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٠) وقال: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٢).

[9] أي قد ذكر بعد الآية التي نحن بصدد تأويلها الذين هم صاحب الرفعة والعلو بقوله: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾، وذكر بعدهم مَن دونهم بقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يُصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٤-١٣٥).

[10] ن - الله.

[11] م: الكريم.

[12] ع م: في الخاتمة.

[13] ن ع: عنه.

[14] ع م: لما.

فيرجع إلى ما وافق[1] الأول في جملة الاعتقاد. فتكون[2] معدة لمن جمع[3] ذلك. والجمع يكون بالذي[4] ذكر[5] أو بالعفو والجود، إذ جعل الجزاءَ طريقَه[6] الجود والكرم، لا الاستحقاق. *والله أعلم*.

وإن كان على المعنى[7] الثاني فالآية[8] تخرج مخرج الترغيب في جميع تلك الأوصاف، وتكون الجنة في الإطلاق معدَّة للمتقين الذين اتقوا الشرك. والدرجات وما فيها من الفضائل والمراتب على قدر ما يتقي من أنواع الخلاف في الأفعال ويتوسل إلى الله تعالى بالمبادرة والمسارعة إلى ما فيه الرغائب. وعلى ذلك أمر الوعد بتفضيل[9] الدرجات في الجنة، وتفريق الدركات في النار على ما أعدت النار في الجملة للكفرة، ويتفاوت أهلها بتفاوت الأفعال من الخلاف والتمرد. *والله الموفق*.

[١٠٦و س٦] *ثم الأصل في قوله: **أعدت للمتقين**، أن من لم يبلغ بما يرتكب من المعاصي الكفرَ لم يمتنع من احتمال التسمية [بـ]المتقين، على إرادة خصوص التقوى. وهو ممتنع عن احتمال التسمية بالكفر على[10] صرف الآية في إعداد النار إلى خصوص أو عموم. فثبت به خروج صاحب الكبائر عن أهل الاسم الذي له أعدت النار، ولم يثبت خروجه عن أهل الاسم الذي له أعدت الجنة.

فالقول فيه بالقطع [بأنه] في النار –وإنما ذلك في الجنة– فاسد بأوجه. أحدها مع الإشكال فيما[11] يُحرَم الجنةَ[12] والإحاطةِ بأن النار لم تُذكَر أنها أعدت له أدخل فيها، فيكون في ذلك إسقاطُ شهادة ثبتت[13] بيقين بالشك، وإيجابُ شهادة لم تجب بالخيال.[14]

---

[1] ع: واقف.
[2] أي الجنة.
[3] م: جميع.
[4] ع م: للذي.
[5] أي بين أهل الرفعة والعلو وبين من دونهم.
[6] ن: طريقة.
[7] ع م: معنى.
[8] ع م: والآية.
[9] ع م: تفضيل.
[10] ع م: على ما.
[11] ن + له.
[12] ك – فالقول فيه بالقطع في النار وإنما ذلك في الجنة فاسد بأوجه أحدها مع الإشكال فيمن يحرم الجنة.
[13] ن: تثبت؛ ع م: ثبت.
[14] قال الشارح: «أعني أنه امتنع عن الشهادة بأنه ليس ممن أعدت له النار مع اليقين بأنه غير داخل في النص لانعدام الكفر، وأقدمَ على الشهادة بأنه ليس من أهل الجنة مع الشك والخيال. وذلك فاسد محال» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٩و).

والثاني أن يكون في ذلك إسقاط[1] اسم العفو والرحمة؛ إذ لو لم يجعل [العفو والرحمة] لمثله[2] لبطل أن يكون له موضع لما في غيره استحقاق.[3] *والله أعلم*.

والثالث ما فيه إسقاط الموازنة وإفساد المقابلة، مع مجيء الآيات بالكتب التي تقرأ والموازين[4] التي توزن.[5] [و]مع ما في ذلك مخالفة التوهم بالكريم الذي أمرنا أن نسميه[6] بها. مع ما قد جاء من التجاوز عن السيئات والتقبل للحسنات من واحد. وفي ذلك قلب ذلك.[7] *والله أعلم*.* [١٠٦و س١٥]

ثم السبب الذي به يستعان على التقوى ثلاثة. أحدها أن يذكر المرء عظمته[9] وجلاله وقدرته عليه في كل أحواله، فيتقي مخالفته بالهيبة والإجلال. والثاني أن يذكر عظم منته عليه ونعمه[10] عنده وأياديه التي فيها يتقلب وبها يتمتع، فيتقيه حياء منه. والثالث أن يُذكِّر نفسَه عِظم[11] نقمته الموعودة وعذابه المعدّة لأهل الخلاف له فيتقيه[12] إشفاقا على نفسه. *والله الموفق*.

وجملة ذلك أن من تأمل ما إليه مرجعه والذي منه بدؤه، وما فيه متقلّبه من أول أحواله إلى منتهى آجاله حتى صَيَّر ذلك كلّه كالعيان لقلبه، سَهُل عليه وجه التقوى، لما عند ذلك تذهب[13] شهواته وتضمحل[14] أمانيه. *والله الموفق*.

---

[1] ك – شهادة ثبتت بيقين بالشك وإيجاب شهادة لم تجب بالخيال والثاني أن يكون في ذلك إسقاط.

[2] أي لصاحب الكبيرة.

[3] «أي إن العفو عن صاحب الصغيرة واجب عند المعتزلة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٩و).

[4] ع م: الموازين.

[5] أي قد ورد في القرآن الكريم آيات تخبر عن قراءة العباد كتب أعمالهم ووضع الموازين القسط يوم القيامة لوزن الأعمال؛ مثل قوله تعالى: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٣-١٤)، وقوله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقالَ حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٤٧).

[6] ع: أن يسميه.

[7] ن – ذلك. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعدَ الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٦).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية ١٣٤ فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٠٦و/سطر٦-١٥.

[9] أي عظمة الله تعالى.

[10] ن: ونعمته.

[11] ك: عظيم.

[12] ع: ويتقيه.

[13] ك: يذهب.

[14] جميع النسخ: ويضمحل.

**﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١٣٤]

وقوله عز وجل: **الذين ينفقون في السراء**. قيل: **السراء** الرخاء، **والضراء** الشدة، وقيل: **السراء** السعة، **والضراء** الضيق، وهو واحد. وقيل: **السراء** ما يسره[١] الإنفاق [عليه] من نحو الولد وغيره؛ يسره الإنفاق عليه، والأجنبي يضره. وعلى التأويل[٢] الأول أن[٣] الإنفاق في حال الرخاء والسعة أيسر وأهون[٤] على المرء من الإنفاق في حال الضيق والفقر، فإذا أنفق في [جميع][٥] الأحوال استوجب[٦] بذلك[٧] المدح. *والله أعلم*.

والسبب الذي ييسر[٨] عليه الأمر[٩] وجهان. أحدهما علمه بأن الذي في يده [هو] في الحقيقة في يد الله،[١٠] فهو يصرف ذلك حيث يصرفه لم يخرجه [إلا] من يد من[١١] يده[١٢] في يده، كأنه يُعَدّ في يده[١٣] [تعالى].

والثاني بعلمه[١٤] بجود ربه وقدرته، حيث يكون ذلك فيما به قضاء حاجته والوصولُ إلى منفعته. مع ما يعلم بالجود وكثرة الانتفاع بما لا ملك للمنتفع به، وحرمان ذي الملك[١٥] فيه.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله: **الذين ينفقون في السراء والضراء**، يحتمل فيما يسرهم ويضرهم، أو في حال يسر وعسر، أو حال بلاء ونعمة.

---

[١] جميع النسخ: ما يسرهم.
[٢] جميع النسخ: وعلى تأويل.
[٣] ن – أن.
[٤] ك: أهون وأيسر.
[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٩و.
[٦] م: يستوجب.
[٧] ع: ذلك.
[٨] جميع النسخ: تيسر.
[٩] أي «يسهل سبيل الإنفاق في جميع الأحوال» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٢٩و).
[١٠] م: في يدك.
[١١] ع: من يده.
[١٢] ع – يده.
[١٣] م – كأنه يعد في يده.
[١٤] ن: يعلمه؛ ع: يعلم.
[١٥] ك ن ع + ذلك.

ثم السبب الذي يُسهّل سبيل الإنفاق في تلك الأحوال - وإن كان بالذي ذكر في تسهيل التقوى هذا[1] - وجوه ثلاثة. أحدها أن ترى [أن] ما في يدك [هو] لمن له يدك، [وهو] امتحنك بحق ذلك وحفظه، وأنك إذا بذلته [لغيرك] ارتفعت عنك مؤنة الحفظ ومراعاة الحق. على ما لم يكن زال عنك نفعه الذي كان له وقت كونه في يدك، إذ هو بعد البذل [يكون] في يد من يدك قبله في يده [وهو الله تعالى].[2] فكأنه لم يخرج من يدك بحيث النفعُ، وإنما سقطت عنك ما ذكرتُ من المؤنة؛ إذ معلوم وجود مالك[3] في الظاهر لا منتفِعٌ به، ومن لا ملك له في الشيء منتفعٌ به، / على العلم باستواء الأمر على من له بُذلت. *والله أعلم*. [١٠٦و]

والثاني أن يَشعُرَ[4] قلبك جوده بمن[5] آثره على ما عنده، وقدرتَه على إعطائه إياه من خزائنه التي لا تنفَد ولا يتعذر عليه. فتُيقّن بذلك وتعلم أنه تعالى على الإيصال إليك ما لم يكن يوصله وعلى ما أعطاك وأوصلك[6] في القدرة واحد، فيهون عليه ذلك. *والله أعلم*.

والثالث أن يعلم[7] [العبد] أن الذي عليه جبل[8] وإليه دفع ليس للوقت الذي [هو] فيه، ولكن ليتزود لمعاده[9] ويكتسب به الحياة الدائمة والمنفعة التي لا تنفد، فيصيرَ كبائع الشيء بأضعاف ثمنه، أو باذلِ ما فيه فِكاكُ[10] رقبته، أو كمقدم ما يمتهن إلى مكان مهنته، أو كمن يَعدّ الشيء في مسكنه لوقت حاجته، فإن مثله آثرُ شيءٍ[11] في الطبيعة[12] وآلف[13] شيء في العقل. *ولا قوة إلا بالله*.*

---

[1] «وإن كان هو السبب في تسهيل التقوى» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٢٩و).
[2] والزيادات من *الشرح*، ورقة ١٢٩و.
[3] ع: هالك.
[4] جميع النسخ: أن تشعر.
[5] ك ن م: من.
[6] جميع النسخ: وتعلم أنه لك على الإيصال إليه فيما لم يكن أوصله على ذلك فيما أعطاه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٢٩و.
[7] ن ع م: أن تعلم.
[8] ن: جبل عليه.
[9] ن ع: لمعادة.
[10] م: فكأن.
[11] ع م: الشيء.
[12] ن: على الطبيعة.
[13] ع م: والذي.
* وقع هنا قسم من تفسير الآية ١٣٣ فقدمناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ١٠٦و/سطر٦-١٥.

وقوله عز وجل: **والكاظمين الغيظ**. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[1] قال: «من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا وإيمانا».[2] فالغيظ[3] كأنه متردد بين الحزن والغضب، الحزن[4] على من فوقه والغضب على من دونه، والغيظ بين ذلك. مدحهم عز وجل بترديد حزنهم وغيظهم في أجوافهم.

وقوله عز وجل: **والعافين عن الناس**، أي عمن ظلمهم.[5] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[6] قال: «ما عفا رجل عمن ظلمه إلا زاده الله بها[7] عزا».[8] ومن عفا عن الناس عن مظلمة فقد أحسن بذلك، كما يقال: فلان يحسن [بـ]كذا و[فلان] لا يحسن.

وقوله عز وجل: **والله يحب المحسنين**. والإحسان يحتمل وجهين. يحتمل العلم والمعرفة. ويحتمل أن يفعل[9] فعلا ليس عليه من نحو المعروف والأيادي الذي ليس عليه، إنما فعله [على] الإفضال.

ذكر هاهنا المحسنين وحبه [إياهم] وأخبر في الآية الأولى أن الجنة أعدت للمتقين، بقوله عز وجل: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، ثم قال: أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ،[10] وأخبر: أن النار أعدت للكافرين.[11]

ثم اختلفوا فيه، قال بعضهم: من لم يكن من المتقين لم تُعَدّ الجنة له، فهو ممن أعدت له النار. وهو قول الخوارج والبغاة. وقال آخرون: إنه أخبر أن النار أعدت للكافرين، فهو إذًا لم يكن كافرًا ممن أعدت له النار، فهو ممن أعدت[12] له الجنة. وقال غيرهم: أخبر أن النار أعدت للكافرين وأخبر أن الجنة أعدت للمتقين. فوصف المتقين بأنهم[13] الذين اتقوا معاصيه[14] وتركوا مخالفة أمره ونهيه.

---

[1] ن ع – أنه.
[2] *تفسير الصنعاني* لعبد الرزاق، ١٣٢/١؛ و*تفسير الطبري*، ٩٤/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣١٦/٢.
[3] جميع النسخ: والغيظ.
[4] جميع النسخ: والحزن.
[5] ع: ظلمه.
[6] ك ن – أنه.
[7] ن – بها.
[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٣/١؛ ٢، ٢٣٥، ٤٣٨؛ و*سنن الترمذي*، البر ٨٢.
[9] ع: أن يفعله.
[10] الآية السابقة.
[11] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[12] ع – لهم النار فهو ممن أعدت.
[13] جميع النسخ: فهم.
[14] ع + فوصف المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه.

فإذا كان قوم لهم مساوئ لم يدخلوا في إطلاق قوله عز وجل: أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، ولا دخلوا في قوله: أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، فيكون لهم موضع[1] بالنار.

وأما عندنا فإنه يرجى دخول من ارتكب المساوئ من المؤمنين في قوله عز وجل: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا، كذا، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ،[2] بقوله عز وجل:[3] وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، ذكر خلط عمل الصالح بعمل السيئ، ثم وعد لهم التوبة بقوله عز وجل: عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،[4] و«عسى»[5] من الله واجب. والثاني قوله عز وجل: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[6] أخبر أنه يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم،[7] فإذا تجاوز لم يبق لهم مساوئ فصاروا من أهل هذه الآية: أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.[8]

**﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٣٥] ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١٣٦]**

وقوله:[9] **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم،** [و]قالوا: **ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.** أخبر أنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم [ذكروا الله]. وقد ذكرنا فيما تقدم[10] أنهم لأي معنى ظلموا أنفسهم، حيث لم يُسلموا أنفسهم لله[11] خالصين. والظلم هو وضع الشيء في غير[12] موضعه؛

---

[1] جميع النسخ: موضعا.
[2] الآية السابقة.
[3] ن + وجنة عرضها كذا أعدت للمتقين بقوله عز وجل.
[4] ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٠٢/٩).
[5] جميع النسخ: والعسى.
[6] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[7] ك ع م - أخبر أنه يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.
[8] ع م + وقوله للمتقين.
[9] جميع النسخ + أيضا.
[10] انظر عند تأويل قوله تعالى من هذه السورة ١١٧/٣.
[11] ع م - لله.
[12] ع: غير.

فإذا لم يسلموا [أنفسهم] له [فقد] وضعوا أنفسهم في غير موضعها، لذلك صاروا ظلمة أنفسهم.

**ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم [ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا]**، أي طلبوا لذنوبهم مغفرة، وأقروا أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، و لم يصروا على ذنوبهم. والإصرار هو الدوام عليه. ثم أخبر أن جزاء هؤلاء المغفرةُ من ربهم، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، إلى آخر ما ذكر.

دلت هذه الآيات على تأييد قولنا: إن أهل المساوئ والفواحش إذا تابوا صاروا ممن [١٠٦ظ] أعدت لهم الجنة وإن لم يكونوا من المتقين من قبل. فمثله / إذا تجاوز الله عن سيئاتهم وعفا عنهم[١] بما هو عفو غفور. ***والله أعلم.***

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله عز وجل: **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم،** الآية. يحتمل أن يكون الظلم غير الفاحشة، ويحتمل أن يكونا واحدا في المراد؛ إذ قد يكون في المعنى أن كل عاص ظالم لنفسه، بمعنى [أنه] ضرّها، وبَخَس[٢] لِحَظّها، إذ فعل ما[٣] ليس له فعله،[٤] ووضع اختياره في غير موضعه، وهما معنيا الظلم. وكذلك من تعدى حد الله، أو آثر ما يزجره العقل والشرع فقد فَحش فعلُه، وذلك معنى الظلم الذي وصفت، إذ فَعَل ما ليس له [فعله]، واختار[٥] غير الذي له، [و]هو الذي يزجره العقل والشرع. ***والله أعلم.***

ويحتمل التفريق، وهو أن الظلم [اسم لما][٦] يجمع كل وجوه الخلاف عظم أو صغر. ولذلك قد نسب ذلك إلى زلات الأخيار، نحو ما قيل لآدم عليه السلام وحواء في أكل الشجرة: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[٧] وقيل في الشرك: وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.[٨] والفواحش ما يظهر ويتبين قبحه

---

[١] م: وعفاهم.
[٢] ن ع م: ويحسن.
[٣] ن ع م + هو.
[٤] جميع النسخ: الفعل.
[٥] جميع النسخ: واختاره.
[٦] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٢٩ظ.
[٧] ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٥).
[٨] ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

-لا ما قلّ أو كثر- من الذنوب.[١] وعلى ذلك سمي[٢] النقصان ظلما بقوله عز وجل: وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا.[٣] وقد يوصف العيب والنقصان بالفحش، لكنه إذا كثر وظهر [صار هذا] فمثله في الزلات.[٤] ويكون كالطيّب في المحلّلات من المباح ونحوه في الدرجة.[٥] *والله أعلم*.

ثم ليس بنا حاجة إلى معرفة المقصود بالذكر في الآية؛ لما فيها الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة. وكل أنواع المآثم بالتوبة يغفر، بما وعد الله في الشرك والزنا والقتل [و]فيما دونه، بقوله: يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٦] إلى تمام[٧] الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **إذا فعلوا فاحشة**، تحتمل[٨] الفاحشة ما فحش في العقل وقبح. وقال آخرون: كل محرم منهي [عنه] فهو فاحشة. والأول كأنه أقرب؛ لأن الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غايته فإنه لا يقال فاحشة، وإذا بلغ الغاية فحينئذ [يقال له]، كالطيّب أنه إنما يقال[٩] ذلك إذا بلغ غايته في الحل واللذة. فأما أن يقال لكل حل في الإطلاق طيبا فلا. فعلى ذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرّم، إنما يقال [لـ]ما بلغ في القبح والفحش غايته، فأما أن يقال ذلك لكل محرم منهي [عنه] فلا. *وبالله التوفيق*. والطيب ما استطابه الطبع، فإذا بلغ طِيبه غايتَه في الطبع فهو طيّب. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهم يعلمون**، أنها معصية فلا يقيمون[١٠] عليها ولكن يتوبون [عنها]، فمن تاب من ذنبه فجزاؤه ما ذكر.[١١]

---

[١] جميع النسخ: في الذنوب.
[٢] م - سمي.
[٣] ﴿كلتا الجنتين آتت أُكُلَها ولم تظلم منه شيئا وفجّرنا خلالهما نهرا﴾ (سورة الكهف، ٣٣/١٨).
[٤] أي الزلات إذا كثرت وظهرت توصف بالظلم.
[٥] «كما قيل في المحللات إذا بلغ غايته: طيبا، ولا يقال لمطلق المباح ذلك. فكذا هذا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٠و).
[٦] ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٦٨/٢٥-٧٠).
[٧] ك: آخر.
[٨] ع: يحتمل.
[٩] ع م - إنما يقال.
[١٠] ك ن: فلا يقيموا.
[١١] ك - ما ذكر؛ ع م - وقوله عز وجل وهم يعلمون أنها معصية فلا يقيمون عليها ولكن يتوبون فمن تاب من ذنبه فجزاؤه ما ذكر.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١٣٧]

وقوله عز وجل: **قد خلت من قبلكم سنن**، يحتمل أحكاما. والأحكام تكون على وجهين. حكم يجب لهم، وهو الثواب عند الطاعة واتباع الحق. [والآخر يجب عليهم] و[هو يقتضي ا]لعذاب [الذي] يحل بهم عند الخلاف والمعصية. ويحتمل السنن الأحكام المشروعة.

**فسيروا في الأرض** حتى تروا آثار من كذّب الرسل وما حلّ بهم من العذاب بالتكذيب. أو سيروا في الأرض، أي سَلُوا من يعلم ما الذي حل بهم حتى يخبروكم[١] [بـ]ـما[٢] مضى من الهلاك في الأمم الخالية. فهذا تنبيه من الله عز وجل إياهم أنكم إن كذّبتم[٣] الرسول فسيحل[٤] بكم ما قد[٥] حل بمن كان قبلكم، وإن أطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلكم من الثواب ما لهم. فاعتبروا به كيف كان جزاؤهم بالتكذيب. وما في القرآن مثل[٦] هذا فمعناه لو سألت لأخبروك. وقيل: **سيروا في الأرض**؛ أي تفكروا في القرآن يخبركم عن الأمم الماضية، فكأنكم سرتم في الأرض. وما في القرآن مثل هذا فمعناه لو سالت لأخبروك؛ فإن فيه خبرَ من كان قبلكم من الأمم، وما لهم من الثواب بالتصديق والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب. ***والله أعلم***.

وقوله[٧] عز وجل: **قد خلت من قبلكم سنن**، يحتمل في المكذبين بالرسل والمصدقين. **فسيروا في الأرض**. يحتمل: لو سرتم فيها لرأيتم آثارهم ولعرفتم بذلك ما إليه يرجع عواقب الفريقين. ويحتمل الأمر بالتأمل في آثارهم والنظر في الأنباء عنهم، ليكون لكم[٨] به العبر وعما هم عليه مَزْجَر. ويحتمل السنن الموضوعَ من الأحكام وبما به امتحنَ من قبلَهم، ليعلموا أن الذي بُلُوا به ليس ببديع بل [كان] على ذلك أمر من تقدمهم، كقوله: مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ،[٩] وكقوله عز وجل: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ.[١٠] ***والله أعلم***.

---

[١] ك: يخرجوكم.
[٢] ع م: وما.
[٣] ن ع: كذبت.
[٤] جميع النسخ: فيحل.
[٥] ع: قل؛ م – قد.
[٦] ك + مثل.
[٧] جميع النسخ: وفي قوله.
[٨] جميع النسخ: له.
[٩] ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يُفْعَل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾ (سورة الأحقاف، ٩/٤٦).
[١٠] سورة آل عمران، ١٤٤/٣.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٣٨]

وقوله عز وجل: **هذا بيان للناس**، يحتمل قوله: **هذا بيان**، يعني القرآن، هو **بيان للناس**، **وهدى** من الضلالة، **وموعظة للمتقين**، أي يتعظ به المتقون. ويحتمل: **بيان للناس**، ما ذكر من السنن التي [قد خلت] في الأمم الخالية.*

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٣٩]

وقوله: **ولا تهنوا** ولا تضعفوا في محاربة العدو، **ولا تحزنوا** بما يصيبكم من الجراحات والقروح، كقوله تعالى: إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ.[٢] ويحتمل قوله عز وجل: **ولا تهنوا**، في الحرب وأنتم تعملون[٣] لله؛ إذ هم لا يضعفون فيها وهم يعملون للشيطان.

وقوله عز وجل: **ولا تحزنوا**، على ما فاتكم من إخوانكم الذين قُتِلوا. ويحتمل: [على] ما أصابكم من القروح،[٤] أي تلك القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو، ولكم الأجر والشهادة.

[١٠٧و] وقوله عز وجل: **وأنتم الأعلون**، / قيل فيه بوجوه. قيل: **وأنتم الأعلون** في الآخرة، وقيل: **الأعلون**[٥] المحقُّون بالحجج، وقيل: **وأنتم الأعلون** في النصر، أي ترجع[٦] عاقبة الأمر إليكم. ويحتمل أن النصر لكم إن لم تضعفوا في الحرب ولم تعصوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم. ويحتمل: **وأنتم الأعلون**، لكم الشهادة إذا قتلتم، و[تكونون] أحياء عند الله وهم أموات.

وقوله عز وجل: **إن كنتم مؤمنين**، إذ كنتم مؤمنين. ليس على الشرط ولكن على الخبر، كقوله عز وجل: وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ،[٧] أي إذ كن يؤمن بالله.[٨] و **إن كنتم مؤمنين**، بالوعد والخبر.[٩]

---

* ورد هنا جزء من تفسير الآية ١٤٠، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ١٠٦ظ/سطر ٢٣-٣٥.
[٢] جزء من الآية التالية.
[٣] ك م: تعلمون.
[٤] ن + والجراحات.
[٥] م - في الآخرة وقيل الأعلون.
[٦] ك: يرجع.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[٨] ك - بالله.
[٩] ك: والخير؛ ن: بالخبر والوعد.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١٤٠]

وقوله: **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**، اختلف فيه. قيل: **إن يمسسكم قرح** في آخر الأمر[١] -يعني في أُحُد- **فقد مس** المشركين **قرح مثله** يومَ بدر. يذكر هذا -والله أعلم- على التسكين ليعلموا أنهم لم يُخَصّوا بذلك.

وقوله: **وتلك الأيام نداولها بين الناس**، يحتمل الآية وجوها. [يحتمل]:[٢] يوما للمؤمنين ويوما عليهم. وذلك أن الأمر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة من الله عز وجل إياهم[٣] يمتحنهم ويبتليهم، مرة بالظفر لهم والنصر على عدوهم، ومرة بالظفر للعدو[٤] عليهم، كقوله عز وجل: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[٥] وكقوله تعالى: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[٦] يمتحن عباده[٧] بجميع أنواع المحن: بالخير مرة، وبالشر ثانيا. ويحتمل المداولة أيضا[٨] وجها آخر، وهو أن الظفر والنصر لو كان أبدا للمؤمنين لكان الكفار إذا أسلموا لم يسلموا[٩] إسلام اختيار، ولكن إنما آمنوا إيمان قهرٍ وكره وجبر، لما يخافون على أنفسهم من الهلاك إذا رأوا الدولة والظفر للمؤمنين [أبدًا]. ولو كان[١٠] الظفر والنصر أبدا للكفار فلعلهم يظنون أنهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الإسلام. ويحتمل أن ما يصيب[١١] للمؤمنين إنما يصيب بمعصية سبقت منهم أو خلاف كان منهم من ترك أمر أو ارتكاب نهي. *والله أعلم*.

فإن طعن طاعن من الملحدة في قوله عز وجل: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ،[١٢] وقوله عز وجل: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[١٣] [قائلا]: أليس [الله] وعد أنكم إن نصرتم دينه ينصركم،

[١] ك: الآية؛ ك (هـ): الأمر.
[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٠و.
[٣] ع م - إياهم.
[٤] ك: بالنصر، صح هـ.
[٥] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[٦] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[٧] ك - عليهم كقوله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات يمتحن عباده.
[٨] ع + وكقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات.
[٩] ع - لم يسلموا.
[١٠] ك ع: وإن كان.
[١١] ن - ولو كان الظفر والنصر أبدا للكفار فلعلهم يظنون أنهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الإسلام ويحتمل أن ما يصيب؛ ع - ما يصيب.
[١٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٧/٤٧).
[١٣] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.

وأخبر أيضا أنه إن نَصَركم فلا غالب لكم، فإذا نصرتم دينه فلم ينصركم أليس يكون خلفا في الوعد، وإن نصركم[1] فغلبتم يكون كذبا في الخبر؟

قيل: لهذا جواب من أوجه. قيل: يحتمل قوله عز وجل [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ]،[2] إن تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم في الآخرة [ويحتمل: إن تنصروا دين الله ينصركم في الدنيا][3] بالحجج،[4] كقوله عز وجل: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا،[5] الآية، وكقوله عز وجل: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً.[6] وقيل: إن تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيه ينصركم فلا غالب لكم. وقيل: يحتمل إن تنصروا دين الله جملة ينصركم، [وهو] كقوله صلى الله عليه وسلم: «لن يغلب اثنا[7] عشر ألفا من قلة، كلمتهم واحدة»،[8] وكقوله عز وجل: وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ.[9] وقيل: إن تنصروا دين الله ينصركم، أي يجعل الظفر والنصر في العاقبة لكم. وكذلك كان[10] وإن كان في ابتداء الأمر الغلبة على المؤمنين، فإن العاقبة لهم في الحروب كلها. ومقدار ما كان عليهم إنما كان لأمر سبق منهم: إما إعجابا بالكثرة، كقوله تعالى: إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا،[11] وإما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.[12]

وفي قوله عز وجل: **وتلك الأيام نداولها بين الناس**، دلالةُ أَنْ كان من الله معنى لديه تكون الغلبة لهم، بقوله عز وجل: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[13] و[إلا] لكان هو يجعل أبدا الدولة لأحد الفريقين -وقد أخبر أنه يجعل لهما- ومعلوم أن كانت الدولة بالغلبة.

---

[1] ك ن: أو إن نصركم.

[2] سورة محمد، ٧/٤٧.

[3] والزيادات من *الشرح*، ورقة ١٣٠و.

[4] «وبالحجج وإظهار ما عمى الكفرة، والغلبة والإلزام عليهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٠و).

[5] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).

[6] سورة النساء، ١٤١/٤.

[7] جميع النسخ: اثني.

[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٤/١، ٢٩٩؛ *وسنن ابن ماجة*، الجهاد ٢٥؛ *وسنن أبي داود*، الجهاد ٨٢.

[9] ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (سورة إبراهيم، ٣٤/١٤).

[10] م - كان.

[11] ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ (سورة التوبة، ٢٥/٩).

[12] «كما في حرب أحد، حيث خالفه الرماة ولم يثبتوا في المكان الذي أمرهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٠و).

[13] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.

فثبت أنه[1] من الله في صنع العباد صنعا،[2] له[3] أضيف إليه صنعهم.[4] *والله أعلم*.

[١٠٦ظ س٣٣ *[و]دل [أيضا] قوله عز وجل: **وتلك الأيام نداولها بين الناس** أن لله في صرف الدولة إلى أهل الشرك فعلا وتدبيرا،[5] إذ أضاف[6] إليه ما به الدولة. ثم ذلك معصية وقهر وتذليل، فثبت جواز كون ما هو فعلُ معصيةٍ [مضافا] إلى الله من طريق التخليق والتقدير. والله أعلم

١٠٦ظ س٣٥] أن ذلك لهم بما هم عصاة به.[7] *والله اعلم*.*[8]

ثم معلوم أن الغلبة لو كانت للمسلمين [ل]كان ذلك ألزم للحجة وأظهر للدعوة وأدعى إلى الإجابة،[10] وفيها كل صلاح؛ فثبت أن ليس في المحنة شرط إعطاء الأصلح. *والله أعلم*.
وفي قوله عز وجل: **وتلك الأيام نداولها بين الناس** رد قول الأصلح، حيث قالوا: إن الله لا يفعل إلا الأصلح في الدين. يقال لهم: أيّ صلاح للمؤمنين في مداولة الكافرين على المؤمنين؟

وقوله عز وجل: **وليعلم الله الذين آمنوا**، أي ليعلم - ما قد علم بالغيب أنه يؤمن بالامتحان- مؤمنا شاهدا، وليعلم ما قد علم أنه يكون كائنا. وجائز[11] أن يراد بالعلم المعلوم، كقولهم:[12] الصلاة أمر الله، أي بأمر الله.[13]

وقوله[14] عز وجل: **وليعلم الله الذين آمنوا**، الآية، تخرج على أوجه. أحدها أن ما وصفتَ الله به إذا ذكرتَ معه الخلق تذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم قدمه، فإذا[15] وصفت الله تعالى

---

[1] جميع النسخ: أن.
[2] جميع النسخ: صنع.
[3] ع: لهم. أي لهذا السبب.
[4] ع م: صنيعهم.
[5] جميع النسخ: فعل وتدبير.
[6] جميع النسخ + ذلك.
[7] ع م – به. أي والله تعالى يعلم أن غلبة المشركين على المؤمنين فعل لهم، وهم يصيرون عصاة بهذا الفعل.
[8] «وهذه الآية حجة أيضا على أن الله تعالى يخلق المعصية لما ذكرنا، وأن إضافة إثبات الدولة إلى الله تعالى دليل على أن له في صرف الدولة إلى أهل الشرك فعلا وتدبيرا. والدولة إنما تكون لغلبة المشركين؛ ومعلوم أن ذلك منهم معصية. فدل على جواز إضافة ما هو فعل معصية إلى الله تعالى من حيث التخليق والتقدير» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٠و).
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٠٦ظ/سطر٣٣-٣٥.
[10] ك: للإجابة.
[11] ك ع: وجائزا.
[12] جميع النسخ: كقوله.
[13] أي وتكون هي شيئا مأمورا من طرف الله.
[14] ك ع: وفي قوله.
[15] جميع النسخ: وإذا.

بلا ذكر الخلق وصفته به في الأزل، نحو أن تقول: عالم، قادر، سميع في الأزل. فإذ ذكرت المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه، لتزيل توهم القدم عن الآخر.[١] وعلى هذا عندنا القول بخالق، ورازق[٢] ونحو ذلك. *والله أعلم*.

والثاني على تسمية معلومه علما في مجاز اللغة، وذلك كما سُمّي عذاب الله في القرآن أمرَه،[٣] وسَمّى الناس الصلاة وغيرها من العبادات أمره على معنى أنها تفعل بأمره، وكذلك ما سميت الجنة رحمته[٤] على أن كان بها؛ فيكون **ليعلم الله الذين آمنوا**، أي ليكون الذين آمنوا على ما علمه يكون. *والله أعلم*.

والثالث: **ليعلم الله / الذين آمنوا** في الغيب شهودا، إذ هو[٥] عالم الغيب والشهادة، وتحقيق [١٠٧ظ] ذلك لا يكون بحادث العلم.[٦] وذلك نحو[٧] من [يريد أن] يعلم الغد يكون يعلمه[٨] بعد الغد،[٩] و لم[١٠] يكن له حدوث العلم قد كان.[١١] وعلى[١٢] هذا قيل: ليعلمه كائنا لوقت كونه ما قد علمه يكون قبل كونه. *والله أعلم*. وقال بعض أهل التأويل: ليكون الذي علمه يكون بالمحنة ظاهرا موجودا، وهو يرجع إلى ما بينا. وقال بعضهم: [معناه] ليراه. وهذا –من صاحبه– ظَنٌّ [يظن هو] أن الكلام في الرؤية لعله أيسر وعن الشُّبه[١٣] أبعد.[١٤] وعند[١٥] من يعرف الله حق المعرفة هما واحد.

---

[١] ع: عي الآخر.

[٢] ك ن ع: رازق؛ م: ورزاق.

[٣] انظر مثلا: سورة هود، ١١/٤٣، ٧٦؛ وسورة النحل، ١٦/٣٣.

[٤] انظر مثلا: سورة آل عمران، ٣/١٠٧؛ وسورة النساء، ٤/١٧٥؛ وسورة الأعراف، ٧/١٥١؛ وسورة الجاثية، ٤٥/٣٠.

[٥] ن – هو؛ ك: بذي، ك هـ: هو.

[٦] «والثالث أي وليعلم الله الذين آمنوا بالغيب شهودا إذ هو عالم الغيب والشهادة. وتحقيق ذلك لا يكون بحادث العلم بل الحدوث عى المعلوم. فإنه في الأزل حكم عى المعدوم أن يكونه، ثم إذا حدث ذلك المعدوم عىمه موجودا كائنا بذلك العلم الذي عىمه أن يكون في حادث الوقت. والتغير والحدوث على المعلوم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٠ظ).

[٧] ن + ذلك.

[٨] ن ع م: بعىمه.

[٩] أي وقت دخول الغد.

[١٠] جميع النسخ: وإن لم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٠ظ.

[١١] لعله يريد أن يقول: و لم يكن بحدوث العلم له غدا أنه قد كان يعلمه قبل الغد. فبهذا المثال يريد أن يفصل بين علم الخالق وبين علم المخلوق.

[١٢] ع: عى.

[١٣] م: وعن التشبيه.

[١٤] أي معنى قوله تعالى: ﴿وليَعلَم الله الذين آمنوا﴾: وليرى الله الذين آمنوا. ويظن صاحب هذا القول أن تأويل العلم هنا بالرؤية يمكن أن يكون أيسر للفهم وأقرب إلى مراد الله تعالى، مع كونه أبعد عن الشبه.

[١٥] ع م: وعنه.

والأصل في هذا ونحوه من الإضافات[١] إلى الله أنها كانت بالأحرف المجعولة المتعارف في الخلق. ثم هي تؤدي[٢] عن كل ما[٣] يضاف إليه ويشار إليه ما كان عُرف من حال ذلك قبل الإضافة، لا أن نقدّر[٤] عند[٥] الإضافة معنى لا نعرفه[٦] به لولا ذلك،[٧] على ما عُرف من الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى، فعلى ذلك أمر الإضافة إلى الله تعالى. ويوضّح ذلك ما لم يَفهم أحد من قوله عز وجل: وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ،[٨] ما فهم من إضافة الحدود إلى غيره. وكذلك بيوت الله،[٩] وعباد الله،[١٠] وروح الله، وكلمته،[١١] ونحو ذلك، فمثله الذي نحن فيه.

وجائز في الجملة أن يوصف الله بأنه لم يزل عالما[١٢] بكون[١٣] كل ما يكون كيف يكون، وفي وقت كونه كائنا، وبعد[١٤] كونه قد مضى كونه، على تحقيق التغير في أحوال الذي يكون، لا في الله سبحانه وتعالى؛ إذ تغير الأحوال واستحالتها من آيات الحدث[١٥] وأمارات الصنعة.

---

[١] جميع النسخ: في الإضافات.

[٢] ع: يودي؛ م: توذي.

[٣] جميع النسخ – ما؛ ك: صح هـ.

[٤] جميع النسخ: لا أن يقدر.

[٥] ع م: وعنه.

[٦] ن ع م: لا يعرفه.

[٧] أي لولا ذلك الإضافة والإشارة.

[٨] ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٠؛ وانظر أيضا سورة المجادلة، ٤/٥٨).

[٩] لا تضاف البيوت بصيغة الجمع إلى الله تعالى في القرآن الكريم؛ ولكن فيه إضافات بالمفرد، كما في قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٧؛ وانظر أيضا: سورة البقرة، ٢/١٢٥؛ وسورة الحج، ٢٢/٢٦.

[١٠] ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٤٠؛ وانظر أيضا: الآية، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٩؛ وسورة الدخان، ٤٤/١٨؛ وسورة الإنسان، ٧٦/٦).

[١١] ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (سورة النساء، ٤/١٧١)؛ وانظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «روح»).

[١٢] جميع النسخ: عالم.

[١٣] ع م: يكون.

[١٤] ع م: بعد.

[١٥] ع: الله.

*وقوله عز وجل: **ويتخذ منكم شهداء**، أي يُستَشهدون في سبيل الله بأيدي عدوهم. ويحتمل: **ويتخذ منكم شهداء** على الناس، كقوله عز وجل: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ.[٢] وفيه دلالة أنهم لا يستوجبون بنفس الإيمان الشهادة على الناس حتى تظهر[٣] الصيانة والعدالة في أنفسهم.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[١٤١]

وقوله عز وجل: **وليمحص الله الذين آمنوا**، أي يمحص ذنوبهم وسيئاتهم.

وقوله عز وجل: **ويمحق الكافرين**، أي يهلكهم ويستأصلهم.

وقوله عز وجل: **وليمحص الله الذين آمنوا**، [هو] ما ذكرنا من تمحيص الذنوب على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السيف مَحَّاءٌ للذنوب».[٤] **ويمحق الكافرين**، أي يهلكهم، ولا يكون السيف تمحيصا لهم من الكفر، بل يهلكهم في النار.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[١٤٢]

وقوله عز وجل: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**، قيل: بل حسبتم أن تدخلوا الجنة. **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**، قيل فيه بوجهين. قيل: **ولما يعلم الله**، أي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم، أي لم يجاهدوا. وقيل: **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**؛ **ولما** بمعنى إلا يعلم، بمعنى لا يدخلون[٥] الجنة إلا أن يعلم الله الذين جاهدوا منكم، وهو كقوله عز وجل: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ،[٦] من قرأ بالتشديد فكان معناه: إلّا عليها حافظ. ومن قرأ بالتخفيف فمعناه: لَعَلَيْها حافظ، و ما صلة.*

*{قال الشيخ رحمه الله} في قوله عز وجل: **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**: قيل فيه بوجهين. أحدهما و لم يَعلَم، وهو يخرج على وجهين. أحدهما على إثبات أنه علم أنهم[٧] لم يجاهدوا،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية الآتية برقم ١٤٢ متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ١٠٧ظ / سطر١٢-٢٢.

[٢] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣).

[٣] ن ع م: يظهر.

[٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٨٥؛ و*سنن الدارمي*، الجهاد ١٩.

[٥] ك ن: لا يدخلوا؛ ك: صح هـ.

[٦] سورة الطارق، ٨٦/٤.

[٧] ع م – أنهم.

كقول الناس: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛[1] أي ما شاء أن لا يكون لا يكون.[2] والثاني أنه عالم بكل شيء فلو كان منكم جهاد لكان يعلمه، وإنما لم يعلمه لأنه لم يكن. وعلى ذلك قوله عز وجل: فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[3] أي ليس لهم [شافع ما].[4]

والثاني قوله عز وجل: **ولما يعلم**، بمعنى إلا. كقوله: لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ،[5] -بالتشديد- بمعنى إلا عليها حافظ، فيكون معنى الآية: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**، لا تدخلوها إلا[6] أن يعلم الله مجاهدتكم، أي حتى تجاهدوا فيعلم الله ذلك منكم موجودا. ***والله أعلم***. وكذلك قوله عز وجل: **ويَعلَم الصابرين**، أي ليعلم ما قد علم أنه يصير صابرا،[7] وكذلك قوله: فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ،[8] أي لَيعلمنّ الذين قد علم أنهم يَصدقون صادقين، ولَيعلمن[9] الذين قد علم أنهم يكذبون كاذبين، وكذلك قوله عز وجل: حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ،[10] أي حتى يعلم ما قد علم أنهم يجاهدون مجاهدين. وأصله قوله عز وجل: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[11] [أي] ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا. ***والله أعلم***.*

وفي قوله عز وجل أيضا: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**، أي ظننتم ذلك، **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**. وقال في موضع[13] آخر: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ،[14] الآية، بمعنى:

---

[1] ك: وما لا يشاء لا يكون. لعله يشير إلى حديث رواه أبو داود عن عبد الحميد مولى بني هاشم عن أمه وكانت تخدم بعض بنات النبي أن ابنة النبي حدثتها أن النبي يعلمها فيقول: «قولي حين تُصبحين: سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فإنه من قالهن حين يصبح حُفظ حتى يموتَ، ومن قالهن حين يُمسي حُفظ حتى يصبح» (*سنن أبي داود*، الأدب ١٠١).

[2] ع م - لا يكون.

[3] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٠ ظ.

[5] سورة الطارق، ٤/٨٦.

[6] ن - كقوله لما عليها حافظ بالتشديد بمعنى إلا عليها حافظ فيكون معنى الآية أم حسبتم أن تدخلوا الجنة لا تدخلوها إلا.

[7] جميع النسخ + وهو.

[8] ﴿ولقد فتنا الدين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (سورة العنكبوت، ٣/٢٩).

[9] ن ع م: وليعدم.

[10] ﴿ولَنبلونكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونَبلوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).

[11] سورة الأنعام، ٧٣/٦.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ١٠٧ظ/سطر ١٢-٢٢.

[13] ك: في مواضع.

[14] ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾ (سورة آل عمران، ١٦٥/٣).

و لم يجاهدوا،[1] و لم يصبكم مثل الذي ذكر.

ففي ذلك وعد أن يصيب أولئك الذين خاطبهم به ما أصاب من تقدمهم، وأن الله قد يعلم أنهم يجاهدون قبل الموت. وعلى هذا قال قوم في تأويل قوله عز وجل: صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ:[2] [وعدهم] أن يدخلوا الجنة إذا أصابهم[3] مثل الذي أصاب من تقدمهم. *والله أعلم*. فيكون تأويل قوله: ولما، و لم، والألف صلة.

وقيل: يحتمل بالتشديد فيه: **لَمّا**،[4] كما قيل في تأويل[5] قوله عز وجل: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ،[6] بالتشديد: إلّا عليها حافظ، فيكون بمعنى الإضمار، أي لا تدخلوا إلا أن يعلم الله الذين جاهدوا منكم.

وقد بينا ما في العلم في الحرف الأول،[7] على أن له[8] وجهين[9] أيضا. أحدهما أن الله لم يعلم[10] بذلك، وهو العالم بكل شيء، فلو كان لكان يعلمه. والثاني أن يعلموا أن يكونوا / لم يجاهدوا[11] بعد، وسيجاهدون على ما بينا. *والله أعلم*. [١٠٨و]

**﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[١٤٣]**

وقوله: **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه**، قيل فيه[12] بوجهين. قيل: قوله عز وجل: **تمنون** ما فيه الموت، وهو القتال، وقيل: **تمنون الموت**، نفس الموت. ثم يحتمل وجوها. يحتمل: **تمنون**[13] **[الموت]** إشفاقا على دينهم الإسلام، لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذي هم[14] عليه.

---

[1] ك ع: و لم تجاهدوا.
[2] ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٣/٣٣).
[3] جميع النسخ: إذا أصاب.
[4] جميع النسخ: إلا.
[5] ع م – أصاب من تقدمهم والله أعلم فيكون تأويل قوله ولما و لم والألف صلة وقيل يحتمل بالتشديد فيه لما كما قيل في تأويل.
[6] سورة الطارق، ٤/٨٦.
[7] أي في تأويلنا المتقدم.
[8] م: لها.
[9] ك ن م: وجهان؛ ع: وجها.
[10] ع – يعلم.
[11] ع م: لم تجاهدوا.
[12] ن – فيه.
[13] جميع النسخ: يتمون.
[14] جميع النسخ: هو؛ ك: صح هـ.

ويحتمل أن يكونوا تمنوا الموت لينجوا ويتخلصوا من تعذيب الكفار إياهم وتغييرهم، على ما قيل: إن أهل مكة كانوا يعذبونهم، فطلبوا النجاة منهم والخلاص. *والله أعلم*. وقيل يتمنون الموت، أي يتمنون الشهادة، لمّا سمعوا لها من عظيم الثواب وجزيل الأجر تمنوا أن يكونوا شهداء لله عز وجل، أحياء عند ربهم.[1] *والله أعلم*. وقيل في قوله عز وجل: **تمنون الموت**: وذلك حين أخبر الله عز وجل عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير، فتمنوا يوما مثل يوم بدر،[2] فأراهم الله يوم أُحُد، فانهزموا فعوتبوا على ذلك[3] بقوله:[4] [**ولقد كنتم**] **تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه**، يعني يوم أحد.

وقوله عز وجل: **فقد رأيتموه**، يحتمل أيضا وجوها. يحتمل:[5] فقد رأيتم أسباب الموت وأهواله، ويحتمل: فقد رأيتم أصحابكم الذين قتلوا بين أيديكم، على تأويل من صرف قوله عز وجل: **تمنون الموت** إلى القتال. *والله أعلم*.

وقوله: **وأنتم تنظرون**، يحتمل: **وأنتم تنظرون** إلى الموت، يعني إلى موت أصحابكم أو إلى القتال. ويحتمل: **وأنتم تنظرون**، أي تعلمون أنكم كنتم تمنون الموت. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١٤٤]**

وقوله عز وجل: **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل -والله أعلم- أن يقول لهم: إنكم لما آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم يوم بعث[6] [إليكم] لم تؤمنوا به لأنه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن آمنتم بالذي أرسله إليكم، والمرسِل حي، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل أو مات على زعمكم فكيف انقلبتم على أعقابكم؟

{قال الشيخ رحمه الله:} وفي الآية خبر بانقلاب مَن علم الله أنه يرتدّ بموت رسول الله صلى الله عليه سلم، كقوله عز وجل: مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ.[7] والشاكرون [هم] الذين جاهدوهم.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ (سورة آل عمران، ١٦٩/٣).
[2] ن ع: البدر.
[3] ع م: بذلك.
[4] ع م - بقوله.
[5] ع: ويحتمل.
[6] جميع النسخ: قبل أن يبعث. والتصحيح مع الزيادة مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣١و.
[7] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).

قد أخبر الله تعالى أنه يحبهم ويحبونه. وقال الحسن: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان -والله- إمام الشاكرين.[١]

ويحتمل وجها آخر، وهو أن من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى عليهما السلام كانوا يكذبون رسلهم ما داموا أحياء،[٢] حتى قال لهم موسى عليه السلام: يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، وكذلك قال عيسى عليه السلام: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا،[٣] الآية، فإذا ماتوا ادّعوا أنهم على دينهم وأنهم صدّقوهم فيما دعوهم إليه، وإن لم يكونوا على ذلك، فلم ينقلبوا على أعقابهم فكيف تنقلبون أنتم على أعقابكم إن مات محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو قتل؟

والانقلاب على الأعقاب على الكناية والتمثيل، ليس على التصريح. وهو الرجوع إلى ما كانوا عليه[٤] من الدين.

وقوله عز وجل: **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا**، أي من ارتد بعد الإسلام فلن يضر الله شيئا؛ لأنه لم يستعملهم لنفسه، ولكن إنما استعملهم لأنفسهم، ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الآخرة، فإنما يضرون بذلك أنفسهم، لا الله تعالى. والثاني أنه إنما يأمرهم ويكلفهم لحاجة أنفسهم لا أنه يأمر لحاجة نفسه. ومن أمر آخر في الشاهد إنما يأمر لحاجة نفس الآمر، فإذا لم يأتمر لَحِق ضرر ذلك[٥] نفس[٦] الآمر. فإذا كان الله سبحانه يتعالى عن أن يأمر لحاجته وإنما يأمر لحاجة المأمور، فإذا ترك أمره ضر نفسه. ***وبالله التوفيق.***

**وسيجزي الله الشاكرين**، قيل: الموحدين لله، وقيل: الذين آمنوا وجاهدوا يجزيهم في الآخرة. وكل متمسك بأمر الله ومؤتمر بأمره فهو شاكر.

---

[١] «كان علي رضي الله عنه يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبّهم إلى الله» (*تفسير الطبري*، ١١١/٤ ؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٨/٢).

[٢] جميع النسخ: حيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣١و.

[٣] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (سورة الصف، ٥/٦١-٦).

[٤] جميع النسخ + من قبل.

[٥] ع - ذلك.

[٦] ك ن - نفس؛ ع + ذلك.

**﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[١٤٥]**

وقوله: **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله**، يحتمل قوله: **إلا بإذن الله**، أي لا تموت[١] إلا بقبض المسلَّط على قبض الأرواح روحه، كقوله: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ،[٢] إن مات أو قتل.

ويحتمل: **إلا بإذن الله**، إلا بعلم الله. **كتابا مؤجلا**. قيل: وقتا مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر، مات أو قتل، ما لم تستوف رزقها وأجلَها. وقيل: **كتابا مؤجلا**، أي مبيّنا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه.[٣]

وقوله: **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها**، أي من أراد بمحاسن أعماله الدنيا نؤته منها. **ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها**، أي من يرد بأعماله الصالحات ومحاسنه الآخرةَ نؤته منها. **وسنجزي الشاكرين**، وهو كقوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، على قدر ما قدّر، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ،[٤] فكذلك هذا أيضا. *والله أعلم*.

**﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١٤٦]**

وقوله: **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير**، قيل فيه لغات. أحدها: **قاتل معه**، بالألف. وتأويله: وكم من نبي قاتل [كائنا] معه ربيون كثير، فقيل على الإضمار.[٥] والثاني: **وكم من نبي قُتِلَ** معه ربيون كثير، برفع القاف. والثالث: وكم من نبي قَتَل معه ربيون كثير،[٦] بالنصب.[٧]

---

[١] ن ع م: لا يموت.

[٢] ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم تُرجَعون﴾ (سورة السجدة، ١١/٣٢).

[٣] «ثم قال ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾ يحتمل أن يكون جوابا لقولهم: ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾(سورة آل عمران، ١٥٦/٣)، فأخبر الله عز وجل أن الذي كتب عليهم القتل إن خرج إلى القتال أو لم يخرج فلا ينتقل حكمه إلى الموت حتف أنفه، بل يُقتَل في أهله أو في الحرب. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣١ظ).

[٤] سورة الشورى، ٢٠/٤٢.

[٥] أي مضمر فيه مثل «فما بالكم يخطر ببالكم عن أعقابكم...» كما سيجيء.

[٦] ن ع م + فقيل على الإضمار.

[٧] م - بالنصب؛ م + والرابع وكم من نبي قتل بالنصب.

ومعنى الآية -والله أعلم- كم من نبي قُتل فلم ينقلب أتباعه على أعقابهم، بل كانوا بعد وفاتهم / أشد اتباعا لهم من حال حياتهم، حتى قالوا: لن يبعث الله من بعده رسولا، فما بالكم يخطر ببالكم الانقلاب على أعقابكم إذا أُخبرتم أنه قُتل نبيكم أو مات. [١٠٨ظ]

وفي إنباء هذه الأمة قصصَ الأمم الخالية وأخبارَهم وجهان. أحدهما دلالة إثبات رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم علموا أنه لم يختلف إلى أحد منهم ممن يعلم هذا ثم أخبر بذلك فكان ما أخبر، فدل أنه علم ذلك بالله.

والثاني العمل بشرائعهم وسننهم إلا ما ظهر نسخه بشريعتنا. ألا ترى أنه ذكر محاسنهم وخيراتهم. وإنما ذكر [ها] لنتبعهم[١] في ذلك[٢] ونقتدي[٣] بهم؛ وذكر مساوئهم وما لحقهم بها لننتهي[٤] عنها، ونكون[٥] على حذر مما أصابهم بذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **ربيون كثير**، اختلف فيه. عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: عالم كثير. وعنه أيضا:[٦] الجموع الكثير[ة]. وعن الحسن رحمه الله مثله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه، **قال**: الألوف.[٧] وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير**، يقول: قاتل. ألا ترى[٨] أنه يقول: **فما وهنوا لما أصابهم**.[٩]

ثم اختلف في قوله: **فما وَهَنوا ... وما ضَعُفوا**. قيل: **فما وهنوا** في الدين، **وما ضعفوا** في أنفسهم في قتال عدوهم بذهاب النبي صلى الله عليه وسلم، من بينهم، فما بالكم تضعفون أنتم؟ ويحتمل قوله: **فما وهنوا**، يعني: فما عجزوا لما نزل بهم مِن قتل أنبيائهم. **وما ضعفوا** في أنفسهم لِما أصابهم في سبيل الله من البلايا. وقيل: قوله عز وجل: **فما وهنوا** يرجع في[١٠] **قاتل** إلى المقاتلين، وفي "قُتل" إلى الباقين.

---

[١] ن ع م: ليتبعهم.
[٢] م - في ذلك.
[٣] ن ع م: ويقتدي.
[٤] ن: لينتهي؛ ع: ليتمنى؛ م: لينفي.
[٥] ن ع م: ويكون.
[٦] ع م - أيضا.
[٧] *تفسير الطبري*، ١١٧/٤؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٧٤/٣.
[٨] ك: ألا يرى.
[٩] *تفسير القرطبي*، ٢٣٠/٤. قال السمين: ورجح بعضهم قراءة «قاتل» لقوله بعد ذلك: ﴿فما وهنوا﴾ قال: وإذا قُتلوا فكيف يوصفون بذلك؟ إنما يوصف بهذا الأحياء (*الدر المصون* للسمين الحلبي، ٤٣٠/٣).
[١٠] جميع النسخ: إلى.

وقوله: **وما استكانوا**. قيل: لم يَذِلّوا لعدوهم،[1] و لم يَخْضَعُوا لقتل نبيهم، بل قاتلوا بعده على ما قاتلوا معه، فهلا قاتلتم أنتم[2] على ما قاتل عليه نبيكم كما قاتلت القرون من قبلكم إذا أصيب أنبياؤهم؟ *والله أعلم*.

**والله يحب الصابرين** على قتال عدوهم وعلى كل[3] مصيبة تصيبهم.

**﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[١٤٧]

وقوله: **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا**. قيل: وما كان قول الأمم السالفة عند قتل نبيهم **إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا**، الآية.[4] يعلّم الله هذه الأمة ويعاتبهم: هلا قلتم أنتم حين نُعِي[5] إليكم نبيكم كما قال[6] القوم في الأمة السابقة؟ وقوله: **ربنا اغفر لنا ذنوبنا**. قيل: الذنوب هي المعاصي؛ وقوله: **وإسرافَنا في أمرنا**، والإسراف[7] هو[8] المجاوزة في الحد والتعدي عن أمره. وقيل: هما واحد.

وقوله: **وثبت أقدامنا**، يحتمل وجهين. يحتمل:[9] ثَبِّتنا على الإيمان ودين الإسلام. والقَدَم كناية [عن الثبوت]،[10] كقوله: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا،[11] أي تكفروا[12] بعد الإيمان، كقوله: يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.[13] وذكر القدم لِمَا بالقدم يثبت. ويحتمل قوله: **وثبت أقدامنا** في قتال العدو.

[1] جميع النسخ: في عدو لهم.
[2] ن م – أنتم.
[3] ك م – كل.
[4] ك ن + يقول؛ ع م + تقول.
[5] ع: بغى.
[6] ع: قالوا.
[7] ك م: الإسراف.
[8] جميع النسخ: هي.
[9] ع م – يحتمل.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣١ظ.
[11] ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دَخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ٩٤/١٦).
[12] جميع النسخ: تكفر.
[13] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٩/٣).

وفَزَعوا إلى الله عز وجل بعد ذهاب نبيهم من بينهم[١] ليحفظهم على ما كان يحفظهم في حياة نبيهم.

وقوله: **وانصرنا على القوم الكافرين،** يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين، ويحتمل النصر بالغلبة والهزيمة عليهم.

**﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١٤٨]

وقوله: **فآتاهم الله ثواب الدنيا.** يحتمل: **ثواب الدنيا**[٢] الذكر والثناء الحسن[٣] وهم كذلك اليوم: نتبعهم ونقتدي[٤] آثارهم، وهم موتى. ويحتمل -على ما قيل- النصر والغنيمة.

وقوله: **وحسن ثواب الآخرة،**: [أي النعيم] الدائم.[٥] وذكر في ثواب الآخرة الحسن ولم يذكر في ثواب الدنيا الحسن؛ لأن ثواب الآخرة دائم لا يزول أبدا، وثواب الدنيا قد يزول؛ أو أن يشوب في ثواب الدنيا آفات وأحزان فيُنغِّص ذلك، وليس ثواب الآخرة كذلك. ***والله أعلم.***

وقوله: **والله يحب المحسنين،** الإحسان يحتمل وجوها ثلاثة. يحتمل المحسن العارف، كما يقال: فلان يُحْسن ولا يُحْسن. ويحتمل المعروف من الفعل، مما ليس عليه، يصنع إلى آخر تفضلا منه وإحسانا. ويحتمل اختيار الحسن من الفعل على القبيح من الفعل والسوء،[٦] وكان كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ؛[٧] هذا يختار المحاسن من الأفعال على المساوئ. ***والله أعلم.***

ويحتمل: **المحسنين** إلى أنفسهم باستعمالها فيما به نجاتها.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾**[١٤٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم،** يحتمل الطاعة لهم طاعة الدين أي تطيعونهم[٨] في كفرهم. ويحتمل الطاعة لهم في ترك الجهاد مع عدوهم، كقوله:

---

[١] م – من بينهم.

[٢] ن ع م – يحتمل ثواب الدنيا.

[٣] ع م – الحسن.

[٤] جميع النسخ: يتبعهم ويقتدي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣١ظ.

[٥] م: القائم.

[٦] ع: والسواء.

[٧] سورة الأعراف، ٥٦/٧.

[٨] ك: يطيعونهم؛ ع م: تطيعوا لهم.

وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً،[1] الآية. وقوله: **يردوكم على أعقابكم**. قد ذكرنا،[2] أي يردوكم على دينكم الأول. وهو على التمثيل والكناية. **والله أعلم**.

**﴿بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[١٥٠]**

وقوله: **بل الله مولاكم**، أي أولى بكم، أو ناصركم، أو حافظكم، أو وليكم. **وهو خير الناصرين**، أي خير من ينصر من نصره فلا يُغلَب، كقوله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ.[3]

**﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[١٥١]**

وقوله: **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**، الآية، هذه بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر له، حيث أخبر أنه يلقي في قلوبهم الرعب. وكذلك[4] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصرت بالرُّعب مسيرةً شهر»،[5] فكان كما ذكر؛[6] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بعد ذلك ويقصدهم، لا أنهم[7] يأتونه،[8] وكانوا قبل ذلك يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصدونه.

**بما أشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سلطانا**، أي [كان] بالشرك ما قذف في قلوبهم من الرعب، من غير أن كان لهم بما أشركوا حجة أو برهان[9] أو كتاب[10] أو عذر. قال ابن عباس / رضي الله عنه: السلطان في القرآن الحجة.[11] [١٠٩و]

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ (سورة آل عمران، ١٥٦/٣).

[2] انظر تأويل قوله تعالى في سورة آل عمران، ١٤٤/٣، ١٤٧.

[3] سورة آل عمران، ١٥٩/٣.

[4] ك + قوله.

[5] جميع النسخ: شهرين. مسند *أحمد بن حنبل*، ٩٨/١، ٣٠١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١، الصلاة ٥٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣، ٥–٨؛ وسنن *النسائي*، الغسل ٢٦.

[6] جميع النسخ: وكان ما ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٢و.

[7] ن – أنهم، صح هـ.

[8] جميع النسخ: أتوه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٣و.

[9] ع: أو حجة.

[10] ع م: أو كتاب أو برهان.

[11] ك ن ع: حجة. *تفسير ابن كثير*، ٥٧١/١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٠/٦.

وقوله: **ومأواهم النار**، أي مقامهم النار.[١] **وبئس مثوى الظالمين**، أي النار بئس مقام الظالمين.

**﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٥٢]

وقوله: **ولقد صدقكم الله وعده**، أي أنجز الله وعده، حيث أخبر أنه يلقي في قلوبهم الرعب، وقد فعل. **إذ تحسونهم بإذنه**، قال أهل التفسير: إذ تقتلونهم.[٢]

وقوله: **حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر**، هو على التقديم والتأخير، [أي] حتى إذا تنازعتم فشلتم، إذ التنازع هو سبب الفشل والجبن،[٣] كقوله: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا.[٤]

وقوله عز وجل: **وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**، قيل في القصة: إن نفرًا من [ال]رماة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوم أحد] أن يكونوا في مكان، وأن لا يَدَّعوا موقفهم، فتركوه ووقعوا في غنائمه، فعوقبوا على ذلك.[٥]

وقوله عز وجل: **من بعد ما أراكم ما تحبون**،[٦] يحتمل: **ما أراكم ما تحبون** من الهزيمة[٧] والغنيمة، ويحتمل: ما أراكم من النصر لكم على عدوكم وإنجاز الوعد لكم.

وقوله:[٨] **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما كنا نعرف أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل قوله: **منكم من يريد الدنيا**.[٩]

وقوله: **ثم صرفكم عنهم**، روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **ثم صرفكم عنهم**، يعني[١٠] هُزِم المسلمون. يقول: صُرِفوا عن المشركين منهزمين بعد أن كانوا هزموهم،

---

[١] جميع النسخ: في النار.
[٢] ن ع م: تضلونهم.
[٣] ك - والجبن.
[٤] ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٤٦/٨).
[٥] انظر: *سيرة ابن هشام*، ٦٥/١-٦٦.
[٦] ك - قيل في القصة إن نفرا من رماة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكونوا في مكان وأن لا يدعوا موقفهم فتركوه ووقعوا في غنائمه فعوقبوا على ذلك وقوله عز وجل من بعد ما أراكم ما تحبون.
[٧] أي هزيمة مشركي قريش.
[٨] ن: قوله.
[٩] *تفسير الطبري*، ١٣٠/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٩/٢.
[١٠] ك ن + حيث.

لكن لما عصوا وتركوا المركز صرفهم الله عن عدوهم.

[وقوله:] **ليبتليكم**، أي ذلك الصرف كان لكم من الله ابتلاء ومحنة. وقيل: ذلك العصيان الذي كان منكم كان[1] من الله ابتلاء، ليعلم [الله] من قد علم أنه يعصي عاصيا.[2] *والله أعلم*.

ودل قوله عز وجل:[3] **ثم صرفكم عنهم**، وإن كان الانصراف فعلهم، [على] أن الله لفعلهم على ما[4] عليه فعلهم خالق؛[5] وأن خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء؛ إذ ذلك الشيء[6] –إذا كان انصرافا عن العدو– معصية،[7] وقد تبرأ الله تعالى عن أن يضاف إليه المعاصي، وقد أضاف انصرافهم إلى فعله، وهو الصرف، ثبت: أنه غير[8] فعلهم.[9] *والله أعلم*.

**ولقد عفا عنكم**، يحتمل وجهين. يحتمل: **عفا عنكم** حيث لم يستأصلكم بالقتل. ويحتمل: **عفا عنكم**، حيث قبل رجوعكم وتوبتكم عن العصيان.

وهذه الآية [أي] قوله عز وجل: **ثم صرفكم**، وقوله: وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ،[10] يرد[11] على المعتزلة، وكذلك قوله تعالى: لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ،[12] الآية؛ لأنهم يقولون: هم الذين صرفوا أنفسهم[13] لا الله، وهم الذين كَتَبوا عليهم القتل لا الله، وهم الذين يداولون لا الله، وقد أضاف عز وجل ذلك إلى نفسه. فعلى ذلك لا يضيف إليه إلا عن فعل وصنع له فيه،

---

[1] جميع النسخ: كان ذلك العصيان الذي منكم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٢و.

[2] أي ليعلم الله من قد علمه في الأزل أنه يعصي حال كونه عاصيا. وكلمة «عاصيا» في كلام المؤلف مفعول ثانٍ لكلمة «ليعلم»، أو حال من كلمة «من».

[3] ك: وجز.

[4] م: عاما.

[5] ع م: خالقهم.

[6] ع م – الشيء.

[7] ن: ومعصية.

[8] ن ع: عن؛ م: على.

[9] «﴿ثم صرفكم عنهم﴾ أضاف الصرف إلى نفسه، وإن كان الانصراف فعلهم، على أن خالق فعل الانصراف هو الله تعالى. ودل أيضا على أن خلق الشيء غير ذلك الشيء لأن انصرافهم عن العدو معصية، وأنه فرار عن الزحف. وقد أضاف انصرافهم إلى فعله، وقد تبرأ الله تعالى عن أن يضاف إليه المعاصي، ثبت أنه غير فعلهم. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٢و).

[10] ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٠/٣).

[11] ك ن – يرد.

[12] ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ (سورة آل عمران، ١٥٤/٣).

[13] م – أنفسهم.

لأنهم[1] يقولون: لا يفعل إلا الأصلح لهم في الدين. فأي صلاح كان لهم في صرفه إياهم عن عدوهم، وأي صلاح لهم فيما كتب عليهم القتل؟ فدل أن الله قد يفعل بعباده ما ليس ذلك بأصلح لهم في الدين. *والله أعلم.*

وقوله: **والله ذو فضل على المؤمنين**، بالعفو عنهم وقبول التوبة، حيث عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أمره. وعلى قول المعتزلة عليه أن يفعل ذلك، فعلى قولهم: ليس هو بذي فضل على أحد. نعوذ بالله من السرف في القول.

{قال الشيخ رحمه الله:} الفائدة في تخصيص المؤمنين بالفضل[2] عليهم، دون جملةِ مَن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم -مع ما ذكر منته بالبعث من أنفسهم[3] وقد بينا وجه المنة في البعث من جوهر البشر[4]- وجهان. أحدهما أن من لم يؤمن به لم يكن عرفه نعمة من الله تعالى وإن كان في الحقيقة نعمة منه[5] لهم ورحمة لهم وللعالمين؛[6] فخص من عرفه ليشكروا له بما ذكرهم،[7] وهو كقوله عز وجل: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ،[8] أي هم يقبلون ويعرفون حق الإنذار.

والثاني أنه صار لهم حجة على جميع[9] الأعداء، إنهم لا يطيعونه لمعنى كان منهم إلا وللمؤمنين عليهم وجه دفع ذلك، بما كان عليه مما عرفوه[10] قبل الرسالة كما فيه لزوم القول بصدقه، فيكون ذلك منة لهم وسرورا ونعمة عظيمة، فاستأداهم الله شكرها.[11] ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ن: ولأنهم.
[2] جميع النسخ: بالامتنان، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٢ظ.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (سورة آل عمران، ١٦٤/٣).
[4] انظر: عند تأويل الآية التي أشيرت إليها في الحاشية السابقة.
[5] ن: من الله.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة لعالمين﴾(سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١).
[7] أي حص الله تعالى بالذكر من عرف نبوة محمد عليه السلام وآمن به ليشكروا الله بما ذكره تعالى من كون النبي هدى ورحمة.
[8] ﴿إنما تندر من اتبع الذكر وحشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرةٍ وأجرٍ كريمٍ﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[9] ع + الحجة.
[10] ك ن + به.
[11] «والثاني أنه صار للمسلمين حجة على جميع الأعداء حيث كان أهل مكة عرفوه قبل الرسالة بالصدق والأمانة حتى كانوا يسمونه محمد الأمين. فبعد البعث لما طعنوا فيه بأنه شاعر أو ساحر أو كذاب اندفع طعنهم بما عرفوه منزها عن هذا الوصف. فيكون ذلك منة لهم من الله تعالى وسرورا ونعمة عظيمة فاستأداهم شكرها» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٢ظ).

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٥٣]

وقوله: **إذ تصعدون ولا تلوون**، فيه لغتان. تَصْعَدون -بفتح التاء- وهو من الصعود: أنْ صعدوا الجبل؛ وتُصعِدون -بالرفع- وهو[1] أن أصعدوا[2] أصحابهم نحو الوادي، لأن المنهزم الأول إذا التفت فرأى منهزما آخر اشتدّ. وقيل: الإصعاد هو الإبعاد في الأرض.[3] وقيل: تَصعَدون من صعود الجبل، وتُصعدون في الوادي من الجبل.

وقوله: **ولا تلوون على أحد**، أي لا تلتفتون على أحد ولا ترجعون. **والرسول يدعوكم في أخراكم**، أي الرسول يدعوكم وينادي وراءكم: «إليّ أنا الرسول!».[4] وقيل: يناديكم من بَعدكم [وخلفكم]:[5] «إليّ أنا رسول الله يا معشر المؤمنين!».[6] وكان يصل[7] نداؤه في أُخراهم[8] بأولاهم،[9] بعضِهم ببعض، فلم يرجعوا إليه.

وقوله عز وجل: **فأثابكم غما بغم**، اختلف فيه. قيل: [ال]غم الأول الهزيمة والنَّكْبة التي أصابتهم، والغم الآخر الصوت الذي سمعوا: قُتل محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، فذلك غم على غم. ويحتمل: **غما** بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،[10] والغم الآخر [اغتمّوا] أن كيف يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز وعصيانهم
[١٠٩ظ] إياه والخلاف له. وقيل قوله عز وجل: / **فأثابكم غما بغم**، أي مرة بعد المرة الأولى.[11] وقيل: **غما بغم**، أي هزيمة بعد هزيمة؛ أصابتهم هزيمة بعد هزيمة من قتل إخوانهم وإصابتهم الجراحات.

---

[1] ن: هو.
[2] ن: صعدوا.
[3] قال الأخفش: أَصْعَد في البلاد: سار ومضى وذهب. وأصعد في الوادي: انحدر فيه. وأما صعد فهو ارتقى. وفي التنزيل: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾، قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار والمخارج، تقول: أَصْعَدْنا من مكة، وأصعدنا من الكوفة إلى خراسان وأشباه ذلك. فإذا صَعدتَ في السلّم وفي الدرجة وأشباهه تقول: صعدتُ، و لم تقل: أصعدت (*لسان العرب*، «صعد»).
[4] ك: رسول الله.
[5] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٢ظ.
[6] ذكره السيوطي بلفظ: «يا معشر المسلمين! إليّ عبادَ الله، أنا رسول الله!». *الدر المنثور*، ١٦٠/٤. وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٤/ ١٢٢، ١٣٣، ١٣٤؛ *وزاد المسير* لابن الجوزي، ٤٧٧/١؛ *وتفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٢.
[7] ع م: يصعد.
[8] ن ع: في أخريهم.
[9] جميع النسخ: بأولهم.
[10] جميع النسخ + اغتموا.
[11] ك: فرة بعد الفرة الأولى؛ ن: فترة بعد الفترة الأولى.

وقيل: **فأثابكم غما** بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم **بغم** [وهو] الذي[١] أدخلتم[٢] على رسول الله بترككم[٣] المركز والطاعة له.[٤]

وقوله[٥] عز وجل: **فأثابكم غما بغم**، وهو غم الهزيمة والنَّكْبة بالغم الذي أدخلتم[٦] على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصيانكم[٧] إياه، وإهمالكم[٨] المقعد الذي أمركم[٩] بالْمُقام فيه. وقيل: غما بالغم الذي له تركوا المركز، وهو أن غمهم اغتمام أصحابهم. وقيل: غم الاعتذار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالغم الذي جفوه به، حيث مالوا إلى الدنيا وعصوه فيما أمرهم. وقيل: غما على أَثَر غم، نحو القتل والهزيمة والإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحقيقته أن يكون أحد الغمين ابتداء، والآخر جزاء،[١٠] وفي ذلك تحقيق الذلة والجزاء. وذلك كقوله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.[١١]

وقوله: **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**، يعني [ما فاتكم] من الفتح والغنيمة، **ولا ما أصابكم** من القتل والهزيمة. ويحتمل قوله: **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم** من الدنيا، **ولا ما أصابكم** فيها من أنواع الشدائد بما أدخلتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغم بعصيانكم إياه. **والله خبير بما تعملون**، على الوعيد.

**﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١٥٤]**

---

[١] ع – بغم الذي.
[٢] جميع النسخ: أدخلوا.
[٣] م: وبترككم.
[٤] ع م – له.
[٥] جميع النسخ: وفي قوله.
[٦] جميع النسخ: أدخلوا.
[٧] جميع النسخ: في عصيانهم.
[٨] جميع النسخ: وإهمالهم.
[٩] جميع النسخ: أمرهم.
[١٠] جميع النسخ: أحد الغمين جزاء والآخر ابتداء.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٣٠.

**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم،** قيل فيه بوجهين. قيل: الطائفة التي أتاهم النعاس هم المؤمنون، سمعوا بانصراف العدو عنهم فصَدّقوا الخبر [فأمنوا،][1] فناموا، لأن الخوف إذا غلب يمنع النوم. وأما الطائفة التي[2] قد أهمتهم أنفسهم هم المنافقون، لم يصدّقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم يَنْعَسُوا. وذلك كقوله عز وجل: يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا،[3] الآية. وقيل: كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين، لكن إحداهما[4] قد أتاها النعاس لما أمنوا من العدو والأخرى لا، لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم أمره، منع ذلك النومَ عنهم أن كيف يلقون[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يعتذرون[6] إليه؟ *والله أعلم.*

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: النعاس في الصلاة من الشيطان، وفي القتال أَمَنَة من الله.[7]

وقوله عز وجل: **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.** قيل: **يظنون بالله** أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ذا في غير المؤمنين. وقيل: **يظنون بالله غير الحق** ظنونا كاذبة إنما هم أهل شرك وريبة في أمر الله، يقولون: **لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا.**

وقوله: **يقولون هل لنا من الأمر من شيء،** قيل: يقول[8] بعضهم لبعض: **هل لنا من الأمر من شيء،** يعني بالأمر النصر والغنيمة. وقيل: قالوا ذلك للمؤمنين.

**قل إن الأمر كله لله،** يعني النصر والفتح كله بيد الله.

**يُخْفُون في أنفسهم ما لا يُبدون لك،** والذي يخفون قولهم: لو أقمنا في منازلنا ما قُتلنا هاهنا. وقيل: **يقولون لو كان لنا من الأمر شيء،** قالوا ليس لنا من الأمر من شيء، إنما الأمر إلى محمد، ولو كان الأمر لنا[9] ما خرجنا إلى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا.

---

[1] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٢ظ.

[2] م – التي.

[3] ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٠/٣٣).

[4] ك: إحديهما؛ ن ع م: احدهما.

[5] ن ع م: تلقون.

[6] ن ع: تعتذرون؛ م: تقدرون.

[7] *تفسير الطبري*، ١٤١/٤، ٩/ ١٩٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤١٩/١، ٢٩٢/٢.

[8] ع م: يقولون.

[9] م – لنا.

قال الله عز وجل: **قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**، قيل: **لو كنتم في بيوتكم**، كما تقولون:[١] **لبرز** يعني لخرج من البيوت **الذين كُتب عليهم القتل** لِيُقتَلوا.[٢] وقيل: من كُتب عليه القتل يظهر[٣] الذي كتب عليه حيث كان. وقيل: إذا كتب على أحد القتل لأتاه ولو كان في البيت، كقوله:[٤] أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ.[٥] وقيل: متى[٦] كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا أبدا؟[٧]

وفي هذا بيان أن[٨] الآجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الأعمار[٩] إن كان قتلا فقتل وإن كان موتا فموتٌ، لا على ما قالت المعتزلة: إن القتل تعجيل عن أجله المكتوب[١٠] له وعليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وَلِيَبْتَلِيَ الله ما في صدوركم**، والابتلاء هو الإظهار،[١١] كقوله عز وجل: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[١٢] تُبدى وتُظهر. وذلك يكون بوجهين: يظهر بالجزاء مرة، ومرة بالكتاب. فيعلم[١٣] الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء، وكذلك إذا كانت سيئة، أو يعلم ذلك بالكتاب.

وقوله تعالى: **وليبتلي الله ما في صدوركم**، أي ليظهر الله للخلق ما في صدورهم بما مضى وليجعله ظاهرا لهم. **وليُمحص ما في قلوبكم**، من الذنوب. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الابتلاء والتمحيص هما واحد.[١٤]

وقوله عز وجل: **والله عليم بذات الصدور**. يقول: هو عالم بما في صدورهم من سرائرهم، ولكن يجعلها ظاهرة عندكم. ويحتمل [أن يكون] الابتلاء هاهنا الأمر بالجهاد، ليعلموا المنافق منهم من المؤمن. *والله أعلم*.

---

١ ع م: يقولون.
٢ ع م – ليقتلوا.
٣ ع م: لظهر.
٤ ع م: وكقوله.
٥ سورة النساء، ٧٨/٤.
٦ م: إذا.
٧ «أي من كتب عليه القتل يموت بسبب القتل ولا يموت حتف أنفه» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٣و).
٨ ع م – أن.
٩ ع م: الأعمال.
١٠ م: المكتوبة.
١١ جميع النسخ: الاستظهار.
١٢ سورة الطارق، ٩/٨٦.
١٣ جميع النسخ: يعلم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٣و.
١٤ *تفسير أبي حيان*، ٦٣/٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٥٥]

وقوله: **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان**، يعني إن الذين انصرفوا عن عدوهم مدبرين منهم منهزمين، **يوم التقى الجمعان**، جمع المؤمنين وجمعُ المشركين.

وقوله: **إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**، أي إنما انهزموا و لم يثبتوا خوفا أن يُقتَلوا بالثبات فيلقوا الله وعليهم عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم. [ف]كرهوا أن يقتلوا وعليهم معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، خوفا من الله عز وجل.

[١١٠و] **ولقد عفا الله عنهم**، بما خافوا الله بعصيانهم رسول الله صلى الله / عليه وسلم. ويحتمل قوله عز وجل: **إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**، أن اللعين لما رآهم أجابوه إلى ما دعاهم من اشتغالهم بالغنيمة وتركهم[١] المركز وعصيانِهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعاهم إلى الهزيمة فانهزموا وتولوا عدوهم.

ويحتمل قوله: **ببعض ما كسبوا**، أي بكسبهم، قال الله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٢] فكذلك هذا. *والله أعلم*.

**إن الله غفور حليم**، [أي غفور، حيث][٣] قبل توبتكم وعفا عنكم؛ **حليم** لم يأخذكم[٤] وقت عصيانكم ولا عاقبكم، أو **حليم**[٥] بتأخير العذاب عنكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١٥٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى**، الآية، اختلف في قوله تعالى: **كالذين كفروا**. قال بعضهم: نهى المؤمنين أن يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية. **وقالوا لإخوانهم**، يعني المنافقين

---

[١] ع م: وترك.
[٢] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/ ٣٠).
[٣] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٣و.
[٤] ع م: لم يأخذ.
[٥] ع م: وحليم.

**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**. وقيل: **لا تكونوا**[١] كالمنافقين[٢] قالوا **لإخوانهم**، يعني لبعضهم: **لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**. وقيل: **قالوا لإخوانهم** يعني المؤمنين الذين تولوا، وهم كانوا إخوانهم في النسب وإن لم يكونوا إخوانهم في الدين والمذهب. لا حاجة لنا إلى معرفة قائله من كان، ولكن المعنى أن لا يقولوا[٣] مثل قولهم لمن قُتل.

وقوله: **إذا ضربوا في الأرض** تجارا، [**أوكانوا**] **غُزًّى**[٤] أي غزاة. وقيل: قوله **إذا ضربوا في الأرض**، وكانوا غزاة على إسقاط الألف.[٥]

وقوله: **ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**، أي ليجعل الله ذلك[٦] القول الذي قالوا **حسرةً** تتردد[٧] في أجوافهم. ويحتمل[٨] قوله: **ليجعل الله ذلك حسرة** يوم القيامة، كقوله: [كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ] أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ.[٩]

وقوله: **والله يحيي ويميت**، أي والله يحيي من ضرب في الأرض وغزا ويميت من أقام ولم يخرج غازيا، أي لا يتقدم الموت بالخروج في الغزو ولا يتأخر بالْمُقام وترك الخروج. دعاهم إلى التسليم. إنما هي أنفاس معدودة وأرزاق مقسومة وآجال مضروبة، ما لم يُفنها ويَسْتَوْفها ويَنْقَضِ[١٠] أجلُها لا يأتيها.

**والله بما تعملون بصير** وعيد.

**﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[١٥٧]

وقوله: **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير**، أي[١١] إن الموت

---

[١] ك: لا يكونوا.
[٢] م + عنه.
[٣] ك: لا تقولوا.
[٤] ع: غزا.
[٥] «بين "أو" ويكون المراد من حرف "أو" هو حرف الواو» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٣و).
[٦] ع + حسرة في قلوبهم أي ليجعل الله ذلك.
[٧] جميع النسخ: يتردد.
[٨] ع: ويجعل.
[٩] ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ١٦٧/٢).
[١٠] جميع النسخ: لم يفناها واستوفاها وانقضى.
[١١] ع م − أي.

إن كان لا بد نازلا[1] بكم فقتلكم[2] أو موتكم في طاعة الله[3] وجهادِه خيرٌ من أن يَنزل بكم في غير طاعة الله وسبيله. **لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** من الأموال.

**﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾[١٥٨]**

**ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون**، أي إن[4] متم على فراشكم، أو قتلتم في سبيل الله فإليه تحشرون. فمعناه –والله أعلم– أي إن لم تقدروا على أن لا تُحشروا[5] إليه [فـ]كيف تقدرون [على] أن لا يَنزل[6] بكم الموتُ وإن أقمتم في بيوتكم؟[7] ***والله أعلم***.

**﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١٥٩]**

وقوله عز وجل: **فبما رحمة من الله لنت لهم**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: فبرحمة من الله عليك لنت لهم، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[8]

ويحتمل قوله: **فبما رحمة من الله**، أي فبرحمة من الله على العالمين لنت لهم[9] فيجب أن يكون الإنسان رحيما[10] على خلقه على ما جاء في الخبر، قال لأصحابه: «لن تدخلوا الجنة حتى تَراحَمُوا»، فقيل: كلنا[11] نرحم يا رسول الله، فقال: «ليس[12] تراحم الرجل ولده أو أخاه

---

[1] جميع النسخ: نازل.
[2] ع: فقتتكم؛ م: بقتلكم.
[3] ع م: في طاعته.
[4] م – إن.
[5] جميع النسخ: لم تحشروا.
[6] م + على فراشكم.
[7] «بل كما اضطُررتم وجُبرتم على أن تُحشروا إليه فكذلك اضطررتم في أن يَنزل بكم الموت في أي مكان شاء، شئتم أو أبيتم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٣و).
[8] سورة الحج، ١٠٧/٢٢.
[9] ن ع م – كقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ويحتمل قوله فبما رحمة من الله أي فبرحمة من الله على العالمين لنت لهم.
[10] ن + كقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ويحتمل قوله فبما رحمة من الله أي فبرحمة من الله على العالمين لنت لهم فيجب أن يكون الإنسان رحيما.
[11] جميع النسخ: كنا.
[12] ن – ليس.

ولكن يتراحم بعضهم بعضا».[١] أو كلام نحو هذا، وما جاء: «من لم يرحم صغيرنا ولم يوقِر كبيرنا فليس منا»،[٢] وما جاء: «من لم يرحم أهل الأرض لم يرحمه أهل السماء».[٣] كما قال الله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ،[٤] الآية. وقد أمر الله عباده أن يعامل بعضهم بعضا بالرحمة واللين، إلا عند المعاندة والمكابرة فحينئذ أمر بالقتال، كقوله لموسى وهارون حيث أرسلهما إلى فرعون فقال: فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.[٥] وكان اللَّيِّن من القول أنفذ في القلوب وأسرع إلى الإجابة وأدعى إلى الطاعة من الخشن من القول، وذلك [أمر] ظاهر في الناس؛ لذلك أمر الله عز وجل رسله[٦] باللّين من المعاملة والرحمة على خلقه، وجعله سبب تأليف القلوب وجمعها، وجعل الخشن من القول والغليظ[٧] سببَ الفُرقة، بقوله: **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**، أي لو كنت في الابتداء فظا غليظا لتفرقوا ولم يجتمعوا عندك.

وقوله: **فاعف عنهم**، بأذاهم إياك ولا تكافئهم.[٨] **واستغفر لهم** فيما بينهم وبين ربهم. ويحتمل قوله: **فاعف عنهم واستغفر لهم**، بما عصوك ولا تنتصر منهم. وكذلك أمر الله المؤمنين جملة أن يعفوا[٩] عنهم وأن لا ينتصروا منهم، بقوله: فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ.[١٠]

وكان أرجى الآية للمؤمنين قوله: **واستغفر لهم**، كما قال الله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون،[١١] الآية، وقوله أيضا: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛[١٢]

---

[١] عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكن رحمة العامة»، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (*المستدرك على الصحيحين* للنيسابوري، ١٨٥/٤؛ وانظر أيضا: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٠/٨، ١٨٦).

[٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/ ٢٥٧، ٢/ ٢٠٧؛ و*سنن الترمذي*، البر ١٥.

[٣] *فيض القدير* للمناوي، ٢٣٩/٦؛ و*كشف الخفاء* لعجلوني، ١١٩/١.

[٤] ﴿قل لذين آمنوا يغفروا لذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الجاثية، ١٤/٤٥).

[٥] سورة طه، ٤٤/٢٠.

[٦] جميع النسخ: رسلهم.

[٧] ن ع م: واللفظ.

[٨] جميع النسخ: ولا تكافهم.

[٩] ن ع م: أن يعفو.

[١٠] سورة البقرة، ١٠٩/٢.

[١١] سورة الجاثية، ١٤/٤٥.

[١٢] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم مُتقلّبكم ومثواكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).

لا جائز أن يؤمر بالاستغفار لهم ثم لا يَفعل وإذا فعل لا يجاب؛[1] فدل أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*.
وكذلك دعاء إبراهيم صلوات الله عليه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ،[2] ودعاء نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[3] لا يجوز أن يدعو هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم لا يجاب لهم.

وقوله عز وجل: **وشاورْهم في الأمر**. أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمر. ففيه وجوه ثلاثة. أحدها أنه لا يجوز[4] / أن يأمره بالمشاورة فيما فيه النص [١١٠ظ]
وإنما يأمر بها[5] فيما لا نص فيه، ففيه دليل جواز العمل بالاجتهاد.

والثاني لا يخلو أمره بالمشاورة إما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله، أو لفضل العقل ورجحان اللب، فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم أن يُسَوّوا[6] أنفسهم بهم،[7] ولا جائز أيضا أن يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ثم لا يعمل برأيهم. دل أنهم إذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم.

وقال بعضهم: إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم في أمر الحرب والقتال. وعن الحسن رضي الله عنه: لما أنزل الله تعالى: **وشاورهم في الأمر**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم، ولكنه أراد أن يكون سنة لأمتي».[8] وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان يقرأ: وشاورهم في بعض الأمر.[9]

وقيل: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور [كلها][10] وهو يأتيه وحي السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا[11] بذلك وجه الله

---

[1] ن ع م: الإيجاب.
[2] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.
[3] سورة الجن، ٢٨/٧٢.
[4] ك + له.
[5] م: بهما.
[6] ن ع م: يسوؤا.
[7] ن – بهم.
[8] ن: لأمته. لم أجده. ولكن فخر الدين الرازي يقول: قال الحسن وسفيان بن عيينة: «إنما أمر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٦٩/٩).
[9] *زاد المسير* لابن الجوزي، ٤٨٩/١.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٣ط.
[11] جميع النسخ: فأرادوا.

عزم الله لهم على أَرْشِده. وقيل: إن العرب في الجاهلية كانوا إذا أراد سيدها أن يقطع[١] أمرا دونهم ولا يشاورهم في الأمر شق عليهم، فأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم[٢] في الأمر إذا أراد، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم. وفي بعض الأخبار قيل: يا رسول الله ما الحزم؟ قال: «أن تستشير ذا الرأي ثم تطيعه».[٣] وكان يقال: ما هلك امرؤ عن مشورة، ولا سَعِد بَتُور. قيل: البتور الذي لا يستشير[٤] ويعمل برأيه.

وقوله عز وجل: **فإذا عزمت فتوكل على الله**، أي لا تتكلنَّ إلى نفسك ولا تعتمدنَّ على أحد، ولكن اعتمد على الله وَكِلِ الأمر إليه. وقيل: فإذا فَرَق ذلك الأمرُ بعد المشاورة [وتميّز الحق من الباطل][٥] فامض لأمرك. وإن[٦] كان في أمر الحرب على ما قيل فمعناه[٧] -والله أعلم- لا تعجبن بالكثرة، ولا تَرَيِنَّ النصر بها،[٨] ولكن اعتمد بالنصر على الله، كقوله: إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا،[٩] والله أعلم بما أراد بذلك، وكقوله: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ.[١٠]

**﴿إِنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[١٦٠]

وقوله عز وجل: **إن ينصركم الله فلا غالب لكم**. صدق الله، من كان الله[١١] ناصره فلا يغلبه العدو من بعد. **وإن يخذلكم**، أي يترككم، **فمن ذا الذي ينصركم**. والنصر يحتمل وجهين. يحتمل[١٢] المعونة، ويحتمل المنع، كقوله تعالى: وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.[١٣] وقوله عز وجل:

---

[١] ن: أن يقطعوا، صح هـ.

[٢] م: أن يشاؤهم.

[٣] *المراسيل* لأبي داود، ٣٣٤/١؛ وسنن *البيهقي الكبرى*، ١١٢/١٠؛ وفتح *الباري* لابن حجر، ١٩٠/١٣.

[٤] م: لا يشير.

[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٣ظ.

[٦] جميع النسخ: فإن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٣ظ.

[٧] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٣ظ.

[٨] ك ن م: به؛ ع - بها.

[٩] ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم وَلَّيتم مدبرين﴾ (سورة التوبة، ٢٥/٩).

[١٠] ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ١٢٦/٣).

[١١] ع م - الله.

[١٢] ع + وجهين يحتمل.

[١٣] ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يُضل وما لهم من ناصرين﴾ (سورة النحل، ٣٧/١٦).

**إن ينصركم الله**، أي [إن] أعانكم الله فلا يغلبكم العدو، **وإن يخذلكم**، فلم يُعنكم[1] فمن ذا الذي يعينكم[2] سواه؟ ومن المنع:[3] أي إن منع الله عنكم العدو فلا غالب لكم، وإن يخذلكم ولم يمنعكم[4] فمن الذي يمنعكم من بعده؟ والخِذلان في الحقيقة هو ترك المأمول[5] منه لما[6] أُمِل منه، واستعمل في هذا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقته.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، هو على الأمر في الحقيقة، كأنه قال: وعلى الله[7] فتوكلوا أيها المؤمنون. والتوكل هو الاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه، لا بالكثرة والأسباب التي يقوم بها[8] من نحو القوة والعُدّة، والنصر والغلبة. وفي الشاهد إنما يكون [النصر] عند الخلق بثلاث، إما بالكثرة، وإما بفضل قوة بطش، وإما بفضل تدبير ورأي في أمر الحرب. وجميع نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته[9] على عدوه إنما كان لا بذلك، ولكن بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه؛ دلّ أن ذلك كان بالله عز وجل، وذلك من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[١٦١]

وقوله عز وجل: **وما كان لنبي أن يغلّ**، فيه قراءتان:[10] يغلّ بنصب الياء، وبرفع الياء ونصب الغين. ومن قرأ بنصب الياء فذلك يحتمل وجهين. يحتمل: **وما كان لنبي أن يَغُلّ**،

---

[1] م – فلم يعنكم.
[2] جميع النسخ: أعانكم.
[3] أي والمعنى الثاني مأخوذ من المنع.
[4] ع: ولم يعنكم.
[5] ع م: المأمور.
[6] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٤و.
[7] ن – وعلى الله.
[8] ك ن: بها يقوم.
[9] م: وغلبة.
[10] قال أبو حيان: «قرأ ابن عباس وابن كثير وأبو عمرو وعاصم أن يَغُلّ مِن غلّ مبنيا للفاعل... وقرأ ابن مسعود وباقي السبعة أن يُغَلّ بضم الياء وفتح الغين مبنيا للمفعول» (*البحر المحيط*، ٣/١٠١). قال ابن خالَوَيْه: «فالحجة لمن فتح الياء أنه جعله من الغُلول، ومعناه أن يخون أصحابه بأخذ شيء من الغنيمة خُفية. والحجة لمن ضم الياء أنه أراد أحد وجهين، إما من الغُلول. ومعناه أن يُخَوَّن؛ لأن بعض المنافقين قال يوم بدر – وقد فُقدت قطيفة حمراء من الغنيمة–: خانا محمد وغلّنا، فأكذبه الله عز وجل. وإما من الغُلّ وهو قبض اليد إلى العنق» (*الحجة في القراآت السبع* لابن خالويه، ١١٦).

أي لم يكن نبي من الأنبياء غلّ قط، وهو أحق مَنْ لا تتهموه،[١] لعلمكم[٢] به، فكيف اتهمتموه[٣] بالغُلول. وقيل: إن ناسا من المنافقين خَشُوا أن لا يَقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم، فطلبوا القسمة فنزلت هذه[٤] الآية. وقيل: قالوا: اعدل يا محمد في القسمة، فنزل هذا. ويحتمل قوله: **وما كان لنبي أن يغل**، أي قد كنتم عرفتموه من قبل أن يُرسَل، فما عرفتموه خان قط أو غل، فكيف يحتمل الخيانة بعد ما أرسل؟ هذا لا يحتمل.

ومن قرأ بالرفع فهو أيضا يحتمل وجهين. أي يُتَّهم بالغلول في الغنيمة، فهو يرجع إلى [ال]تأويل الأول. ويحتمل قوله أن يُغَلّ: أن يخان في الغنيمة، لا يجوز[٥] ولا يحل أن يخان النبي في الغنيمة، فإنه يَطّلع على ذلك، يُطلع الله رسوله، على ما جاء في بعض الأخبار أنه مر بقبر فقال: «إنه في عذاب». قيل: بماذا يا رسول الله؟ فقال: «إنه كان أخذ من الغنيمة قدر درهمين أو نحوه».[٦]

ويحتمل تخصيص[٧] الغنيمة، بما يَتأوّل[٨] الغالّ حِلّه بما لا يُعرَف له صاحب،[٩] كالمال الذي لا مالك له وربما يباح التناول منه للحاجة والأخذ بغير البدل بوجه لا يحتمل بتلك[١٠] الحل من ذلك.[١١]

وقوله عز وجل: **[ومن يغلل] يأت بما غل يوم القيامة**، أي يؤخذ به يوم القيامة، وهكذا كل من أخذ من مال غيره بغير إذنه فإنه يؤخذ به. وقال بعض الناس: وإنما خص الغنيمة بفضل وعيد، لأن الغلول فيها يُجحِف[١٢] بحق الفقراء وأهل الحاجة، أو يضر ذلك أصناف الخلق.

---

[١] ع م: لا يتهموه.
[٢] ن ع م: لعلكم.
[٣] جميع النسخ + هذا.
[٤] ك – هذه.
[٥] ك ع م: لا يخون؛ ن – لا يخون.
[٦] لم نجده بهذا اللفظ. ولكن روي عن عبد الله بن عمرو، قال: «كان على ثَقَل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كِرْكِرَة فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو في النار». فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلّها» (*صحيح البخاري*، الجهاد ١٩٠). «الثَّقَل: متاع المسافر» (*النهاية* لابن الأثير، ٢١٧/١).
[٧] جميع النسخ: خصوص. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٤و.
[٨] ك ن م: يتناول؛ ك (هـ): يتأول.
[٩] ع – له صاحب.
[١٠] ك: بذلك؛ ن ع م + أكل.
[١١] «ثم تخصيص الغلول في الغنيمة – وإن كان ذلك حراما في سائر الأمور – أن الغال ربما يتأول حله بأن كان لا يعرف له صاحب معين بمنزلة المال الذي لا مالك له، وأنه يباح التناول فيه بقدر الحاجة لقُوته وعَلَف دوابه. فأكد في الوعيد ليتحرز عن هذا الوهم فلا يفضي إلى استحلال الحرام فيجرّه إلى الكفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٤و).
[١٢] أي يذهب ويستأصل.

وسائر الأموال ليس كذا. وقيل: إنما جاء الوعيد في هذا لأنهم[1] كانوا أهل نفاق يستحلون الغُلول في الغنيمة / والأخذ منها، وهذا كأنه أشبه. [١١١و]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[2] بعث رسول الله[3] صلى الله عليه وسلم جيشا فغَلّوا رأس ذهب، فنزلت الآية: **وما كان لنبي أن يغل**. وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضا قال: فُقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال الناس: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها لنفسه، فأنزل الله تعالى: **وما كان لنبي أن يغل**.[4]

**﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٦٢]**

وقوله عز وجل: **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله**، قيل: أفمن لم يَغُلَّ و لم يأخذ من الغنيمة شيئا كمن غل وأخذ منها؟ ليسا سواء، رجع أحدهما برضوان الله والآخر بسخطه. ويحتمل: **أفمن اتبع رضوان الله**: أفمن أطاع الله واتبع أمره كمن عصى الله واتبع هواه؟ ليسا بسواء.

**﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[١٦٣]**

وقوله عز وجل: **هم درجات عند الله**. والدرجات -والله أعلم- ما يقصدها أهلها، والدركات ما يدركهم من غير أن يقصدوها كالدرك في العقول[5] يدرك من غير قصد. وقيل: الدرجات ما يعلو، والدركات ما يَسفُل.[6] *والله أعلم*. فلهذا[7] في التسمية المعروفة[8] سميت النار دركات والجنة درجات، وحقيقة ذلك واحد، والآية تدل[9] على الأمرين.

**﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١٦٤]**

وقوله عز وجل: **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم**.

---

[1] جميع النسخ: أنهم.
[2] ع م – قال.
[3] ك: النبي.
[4] *تفسير الطبري*، ٤/١٥٤-١٥٥؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٤٢٢.
[5] جميع النسخ: في العقود. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٤و.
[6] ك: يسفك.
[7] جميع النسخ: فهذا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٤و.
[8] جميع النسخ + أن.
[9] ع: يدل.

المنة[1] فيما بعث الرسلَ عليهم من البشر و لم يرسلهم من الملائكة ولا من الجن [لها] وجوه. أحدها أن كل جوهر يألف بجوهره وينضمّ إليه ما لا يألف[2] بجوهر غيره، ولا ينضم إلى جنس آخر، فإذا كان كذلك والرسل إنما بعثوا لتأليف[3] قلوب الخلق وجمعهم، والدعاءِ إلى دين يوجب الجمع[4] بينهم، ويدفع الاختلاف من بينهم، فإذا كان ما[5] وَصَفْنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليألفوا بهم وينضموا إليهم.[6] ***والله أعلم.***

والثاني أن الرسل لا بد لهم من أن يقيموا آيات وبراهين[7] لرسالتهم. فإذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم لا يَظهر لهم الآيات والبراهين لما يقع عندهم أنهم إنما يأتون ذلك بطباعهم دون أن يأتوها بغيرِ أعطاهم[8] إياها ذلك.

والثالث أن ليس في وسع البشر معرفة غير جوهرهم وغير جنسهم من نحو الملائكة والجن، ألا ترى أن البشر لا يرونهم. فإذا كان كذلك بعثوا منهم ليعرفوهم وليظهر لهم الحجة. ***والله أعلم.***

ثم [بيان][9] المنة الثانية حيث بعثهم من نسبهم[10] وجنسهم وحسبهم[11] [و] لم يبعثهم من غيرهم. وذلك أنهم إذا بُعثوا من غير قبيلتهم وجنسهم لم يظهر لهم صدقهم ولا أمانتهم فيما ادعوا من الرسالة؛ فبعثهم منهم[12] ليظهر صدقهم وأمانتهم،[13] لما ظهر صدقهم وأمانتهم في غير ذلك؛ فيدل ذلك لهم أنهم لمّا لم يكذّبوا بشيء قط ولا خانوا في أمانة لا يكذّبون على الله تعالى. والثاني أنهم إذا كانوا من غير نسبهم، فلعلهم إذا أتوا بآيات[14] أو براهين يقولون:

[1] جميع النسخ: وجه المنة.
[2] جميع النسخ: لم يألف.
[3] ع: التاليف.
[4] م: تجمع.
[5] م – ما.
[6] «فيتحقق معنى الداعي إلى البعث والإرسال» (*شرح التأويلات*، ورقة ١١٤و).
[7] جميع النسخ: وبراهينا.
[8] ن ع م: اعطائهم.
[9] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٤ظ.
[10] ك: بسيهم.
[11] ن ع م – وحسبهم.
[12] ك: منه.
[13] ن – فيما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر صدقهم وأماناتهم.
[14] جميع النسخ: بآية.

إنما كان ذلك بتعلمهم[1] من أحد أو اختلاف[2] إلى أحد ممن يفتعل بمثل هذا. [لذلك] بعثهم الله منهم ليعلموا أنهم -إذا لم يتعلموا من أحد، ولا اختلفوا فيه[3]- إنما علموا ذلك بالله تعالى لا بأحد من البشر. *والله أعلم*. ألا ترى أن[4] ما أتى به موسى صلوات الله عليه من الآيات من نحو العصا واليد البيضاء[5] وغير ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من أعظم آيات رسالته، لأنه لم يُعرف أنه اختلف إلى أحد في تعلم السحر قط، وقد نشأ بين أظهرهم، فيكف و لم يكن سحرا؟ فدل[6] أن لله على خلقه منة عظيمة فيما بعث الرسل من نسبهم وقرابتهم، وممن نشأ بين أظهرهم للمعنى[7] الذي وصفنا. *والله أعلم*.

وقيل قوله: **رسولا من أنفسهم**، أي من العرب، معروف النسب، أمّيا، ليعلموا أنه إنما أتى[8] بما أتى[9] به[10] سماويا ووحيا،[11] وأن لا يرتابوا[12] في رسالته و فيما يقوله. [وهو] كقوله: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ،[13] الآية.

وقوله عز وجل: **يتلو عليهم آياته**، يحتمل أعلامَ رسالته ونبوته، وتحتمل[14] الآيات الحججَ والبراهينَ، وهما[15] واحد. وتحتمل آيات القرآن.

وقوله: **ويزكيهم**، يحتمل التزكية من الزكاء والنماء، وهو أن أظهر ذكرهم وأفشى شرفهم ومذاهبهم، حتى صاروا أئمة يذكرون ويقتدى[16] بهم بعد موتهم، كقوله تعالى:

---

[1] ك ع م: بتعليم.
[2] جميع النسخ: واختلاف.
[3] جميع النسخ + أنهم.
[4] ك - أن.
[5] ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٠٧-١٠٨).
[6] ك: فدلت.
[7] جميع النسخ: لمعنى.
[8] م + به.
[9] ك ع - بما أتى؛ م: ما أتى.
[10] ك ن + به ما أتى؛ ع + ما أتى.
[11] ن م: وحيا.
[12] ك ن ع: وأن يرتابوا.
[13] ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[14] ن ع: يحتمل.
[15] ن ع م: هما.
[16] جميع النسخ: ويقتدون.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، أظهرها،[١] و لم يَخْمُل ذكرهم،[٢] ألا ترى أنه قال: وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا،[٣] أي أخفاها وأخملها. ويحتمل **يزكيهم**، أي يطهرهم بالتوحيد. وقيل: **يزكيهم**، أي يأخذ منهم[٤] الزكاة ليطهرهم.[٥]

وقوله عز وجل: **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، إنه[٦] ينصرف إلى وجوه، وقد ذكرناه[٧] في غير موضع.[٨]

وقوله عز وجل: **وإن كانوا**، وقد كانوا،[٩] **من قبلُ لفي ضلال مبين**. وقد ذكرنا[١٠] الضلال أنه يتوجه إلى وجوه: إلى الهلاك، وإلى الحيرة، وإلى خمول الذكر وغيره.

**﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[١٦٥]

وقوله عز وجل: **أولما أصابتكم مصيبة**. [قيل: قتل][١١] يوم أحد سبعون من المؤمنين -و[كان قد] قتل يوم بدر سبعون من المشركين وأُسِر سبعون- فنزل قوله: **أولما أصابتكم مصيبة**، حيث قتل منكم سبعون، فقد أصبتم مثليها يوم بدر، فقتلتم سبعين وأسرتم سبعين. وقيل: إن ذلك كله يوم أحد، كانت الدَّبْرَة[١٢] والهزيمة على المشركين في ابتدائه،[١٣] ثم هُزم المؤمنون. يقول:[١٤] إن أصابكم في آخره ما أصاب فقد أصابهم أيضا مثلاها.[١٥] يذكر هذا لهم -والله أعلم-

---

[١] ن ع م: أظهره.

[٢] ك: ذكرها.

[٣] سورة الشمس، ٩١/٩-١٠.

[٤] م: هم.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتُزكيهم بها وصل عليهم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٣).

[٦] م: أن.

[٧] ك ع م: ذكرنا.

[٨] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة البقرة، ٢/١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١؛ وفي سورة آل عمران، ٣/٤٨.

[٩] ع: أو قد كانوا.

[١٠] انظر عند تأويل قوله تعالى في سورة آل عمران، ٣/٦٩.

[١١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٤ظ.

[١٢] الدَّبْرَةُ الهزيمة في القتال، وهو اسم من الإدبار. يقال: جعل الله عليهم الدَّبْرَة، أي الهزيمة، وجعل لهم الدَّبْرَةَ على فلان، أي الظَّفَر والنُّصْرَة. وقال أبو جهل لابن مسعود يوم بدر وهو مُثْبَتٌ جريح صَرِيعٌ: لِمَنِ الدَّبْرَةُ؟ فقال: ولرسوله يا عدوَّ الله (*لسان العرب*، «دبر»).

[١٣] ك: في ابتدائهم.

[١٤] ك: يقولون.

[١٥] جميع النسخ: مثليها.

على التسلية[1] بما أصيبوا ليتسلَّوا[2] بذلك عنها،[3] أو يُذكّرهم نعمه[4] عليهم بما أصيب المشركون مثلي ذلك، ليشكروا له عليها وليعلموا أنهم لم يُخَصُّوا[5] بذلك.

[١١١ظ] وقوله[6] عز وجل: **قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم**، كأنه يعاتبهم / –والله أعلم– بقولهم: **أنى هذا؟** فقال: **قل هو من عند أنفسكم**، يعاتبهم[7] بتركهم الاشتغال بالتوبة عما ارتكبوا من عصيان ربهم والخلاف لنبيهم صلى الله عليه وسلم؛ إذ مثل ذلك الكلام لا يكون إلا ممن[8] كان متبرءًا عن ارتكاب المنهي والخلافِ لأمره. فأما من كان منه ارتكاب المناهي والخلاف لربه فلا يسعه[9] ذلك. أو كان ما أصابهم إنما أصاب محنةً منه، ولله أن يمتحن عباده بأنواع المحن على يدَي من شاء إذ كلهم عبيده، فعاتبهم لما لم يعرفوا [أنه] محنة.

**وقلتم أنى هذا**، ونحن مسلمون نقاتل[10] في سبيل الله وهم مشركون؟ فقال: **هو من عند أنفسكم**،[11] بمعصيتكم الرسول صلى الله عليه وسلم وبترككم ما أمركم به من حفظ المركز وغيره، كقوله: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.[12]

{قال الشيخ رحمه} في قوله: **قلتم أنى هذا**: يخرج –إن كان من أهل النفاق– مخرج الاستهزاء. أي لو كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم من [أن] النصر له و[أن] الرسالة[13] حق[14] فمن أين بُلي[15] بهذا؟ وذلك كقولهم: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا،[16]

---

[1] جميع النسخ: التسلى. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٤ظ.
[2] ك م: ليتسلى.
[3] جميع النسخ: ذلك عنهم.
[4] ع م: نعمة.
[5] ك: لم يخصوا هم؛ ن ع م: لم يخصوهم.
[6] ن – وقوله.
[7] ك + والله أعلم بقولهم أنى هذا فقال قل هو من عند أنفسكم يعاتبهم؛ ع م – والله أعلم بقولهم أنى هذا فقال قل هو من عند أنفسكم يعاتبهم.
[8] جميع النسخ: من.
[9] ن ع م: فلا يسع.
[10] ك – نقاتل.
[11] جميع النسخ + يقول.
[12] سورة النساء، ٤/٧٩.
[13] ك ن ع: أو الرسالة.
[14] جميع النسخ: حقا.
[15] م: بل.
[16] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.

وقولهم يوم الخندق: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا،[١] وغير ذلك مما عليه معتمدهم في إظهار الإسلام. *والله أعلم*.

وإن كان ذلك من أهل الإيمان، فهو سؤال تعريف الوجه الذي بُلُوا به، وهم أنصار دين الله، وقد[٢] وَعَد [الله] لأنصار دينه النصرَ وأن الذي ينصره الله لا يغلبه شيء. وكانوا[٣] قد وُعدوا[٤] إلقاءَ الرعب في قلوب[٥] أعدائهم،[٦] أو بما كانوا [قد] رأوا الدَّبْرَة عليهم والهزيمة من الأعداء، فيقولون: بم انقلب علينا الأمر؟ فبين [الله] أنه بما قد عصوا ومالوا عن الله وإن كان ذلك عن بعضهم لا عن كلهم.[٧] فجائز ذلك بحق المحنة، إذ قد يجوز الابتلاء[٨] به، مع ما يكون ذلك عن المعاصي أزجر[٩] وللاجتماع على الطاعة أدعى، إذ المحنة بمثله تدعو كُلًّا إلى اتقاء الخلاف ومنع إخوانه أيضا عن ذلك؛ فيكون به التآلف وصلاح ذات البين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الله على كل شيء قدير** من النصر والهزيمة، ولكن ما أصابكم إنما أصاب بمعصيتكم ربكم وخلافكم رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أصابكم[١٠] محنة منه إياكم.

**﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٦٦] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَا تَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[١٦٧]**

وقوله: **وما أصابكم يوم التقى الجمعان**، جمع المؤمنين وجمعُ المشركين. **فبإذن الله**، قيل: فبمشيئة الله وإرادته. وقيل: **فبإذن الله**، فبتخلية[١١] الله إياكم لما لعلهم[١٢] رأوا النصر والغلبة بالكثرة

---

[١] ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ (سورة الأحزاب، ١٢/٣٣).
[٢] م – وقد.
[٣] جميع النسخ: وكان.
[٤] ع: وعدو.
[٥] ع – قلوب.
[٦] لعله يشير مثل قوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ (سورة آل عمران، ١٥١/٣؛ قارن: سورة الأنفال، ١٢/٨).
[٧] ك: عن جلهم.
[٨] م: الابتداء.
[٩] ن: زجر.
[١٠] م: وأصابكم.
[١١] ع: فبتجلية.
[١٢] ن ع م: لعلمهم.

أو بالقوة والعُدَّة، فخلّى[1] الله بينهم وبين عدوهم ليعلموا أن أمثالهم[2] مع قلتهم وضعفهم لا ينتصرون على أمثال[3] هؤلاء،[4] مع كثرة عددهم وقوة أبدانهم[5] وعُدّتهم في سلاحهم، ولكن بالله[6] ينتصرون منهم، ويغلبون[7] عليهم. وقيل: **فبإذن الله**: فبعلم الله، أي بعلم الله ما يصيبكم من خير أو شر، ليس عن سهو[8] وغفلة منه يصيبكم.

وقوله: **وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا**، كما[9] ذكرنا فيما تقدم[10] ليعلم ما قد علم أنهم يؤمنون ويصبرون على البلايا والقتال مؤمنين صابرين محتسبين، وكذلك ليعلم ما قد علم أنهم ينافقون ولا يصبرون[11] منافقين غير صابرين ولا محتسبين.[12]

وقوله: **وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**، [أي قاتلوا في سبيل الله على الحقيقة، على ترك النفاق والرجوع إلى الإسلام].[13] قوله: **أو ادفعوا**، يحتمل وجوها.[14] يحتمل **أو ادفعوا**، أي كثّروا السواد، لأن المشركين إذا رأوا سواد المؤمنين كثيرا[15] يُرهبهم ذلك ويُخوّفهم، كقوله عز وجل: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ.[16] ويحتمل **أو ادفعوا** العدو عن[17] أنفسكم لِما لعلهم يقصدون[18] أنفس المؤمنين المقاتلين،[19]

[1] ك ن م: فخلاهم؛ ع: فخلاتهم.
[2] أي المسلمين.
[3] ك ن م: من أمثال.
[4] ك: أولئك.
[5] ك: أمالهم؛ صح هـ: أبدانهم.
[6] ن – ينتصرون على أمثال هؤلاء مع كثرة عددهم وقوة أبدانهم وعدتهم في سلاحهم ولكن بالله.
[7] ك ع: ويتغلبون.
[8] ع: من سهو.
[9] جميع النسخ: لما.
[10] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى في سورة آل عمران، ٣/١٤٠.
[11] ك: ولا يصيرون.
[12] «ليظهر ما قد علم على ما علم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٥و).
[13] شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٥و.
[14] م – يحتمل وجوها.
[15] ك – كثيرا.
[16] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[17] ن + دينكم إذا قصدوا دينكم.
[18] ن – أنفسكم لما لعلهم يقصدون.
[19] ن: المقابلين.

[لأنهم لا يفصلون بين المؤمنين والمنافقين لإظهاركم الإيمان باللسان]. **أو ادفعوا** عن أموالكم وذراريكم ويقصدون ذلك. **أو ادفعوا** عن دينكم [الذي تدينون به][1] إذا قصدوا دينكم،[2] وقد يقصدون ذلك. أو أن يكون قوله عز وجل: **قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**، واحدا،[3] أي **قاتلوا في سبيل الله وادفعوا**.[4] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم**، يعني المنافقين. قيل: قال المنافقون الذين تخلفوا في المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم [ذلك]. وقيل: قال ذلك غيرهم.[5]

وقوله[6] عز وجل: **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**، يعني المنافقين. أخبر أنهم إلى الكفر أقرب منهم من الإيمان للكفر، و"إلى الكفر" و"من الكفر"،[7] كل ذلك لغة. وفي حرف حفصة: هم[8] إلى الكفر أقرب.[9]

وتأويله –والله[10] أعلم– أن المنافقين كانوا لا يعرفون الله عز وجل ولا كانوا يعبدونه، فإنما هم عُبّاد النعمة يميلون إلى حيث مالت[11] النعمة إن كانت مع المؤمنين فيظهرون من أنفسهم الوفاق لهم، وإن كانت مع المشركين فمعهم، كقوله عز وجل: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[12] الآية، وكقوله عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[13] الآية.

---

[1] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٣٥و.
[2] ن ع – إذا قصدوا دينكم.
[3] ك: ذاجد؛ ع: واحد.
[4] «وحرف أو بمعنى الواو [هنا]، وهو مستعمل في الكلام» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٣٥و).
[5] ع م – وقوله عز وجل قالوا لو نعم قتالا لاتبعناكم يعني المنافقين قيل قال المنافقون الذين تخلفوا في المدينة لرسول الله صىى الله عليه وسدم وقيل قال ذلك غيرهم.
[6] م: قوله.
[7] م: من الكفر.
[8] ع م – هم.
[9] ع م + هم إلى الكفر.
[10] م: وأنه.
[11] م: ماله.
[12] ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤).
[13] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

وأما الكفار فإنهم كانوا يعرفون الله، لكنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان لوجهين. أحدهما لما اتخذوها أربابا.[1] والثاني يطلبون بذلك تقربهم إلى الله زلفى، كقوله:[2] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[3] لكنهم إذا أصابتهم الشدة ولم يروا فيما عبدوا الفَرَج عن ذلك فزعوا إلى الله عز وجل، كقوله عز وجل: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[4] فإذا ذهب ذلك عنهم عادوا إلى دينهم الأول، وقوله عز وجل: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[5] الآية.

وأما المؤمنون فهم في جميع أحوالهم - في حال[6] الرخاء والشدة والضراء والسراء- مخلصون[7] لله، صابرون[8] على مصائبهم وشدائدهم قائلون: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.[9]

وقوله عز وجل: **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**. يحتمل هذا وجوها. قيل: إنما كانوا
[١١٢و] كذا؛ / لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[10] ذكروا كونهم مع المؤمنين،[11] وذكروا في الكافرين استحواذهم عليهم ومنعَهم من المؤمنين،[12] فذلك آية الأقرب منهم. ويحتمل **أقرب منهم للإيمان**، لأن ما أظهروا[13] من الإيمان كذب، والكفر نفسه كذب، فما أظهروا من الإيمان فهو كذب[14] [فهم] إلى الكذب الذي هم عليه أقرب، وهو الكفر. وعن ابن عباس رضي الله عنه:

---

[1] م - أربابا.
[2] ك ن م: كقولهم.
[3] ع - كقوله ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. سورة الزمر، ٣٩/٣.
[4] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[5] ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوّله نعمةً منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٨).
[6] م - في حال.
[7] جميع النسخ: مخلصين.
[8] جميع النسخ: صابرين.
[9] ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٦).
[10] ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ (سورة النساء، ٤/١٤١).
[11] ع - ذكروا كونهم مع المؤمنين.
[12] ك ن: عن المؤمنين؛ ع م: على المؤمنين.
[13] ن: ظهروا.
[14] ع - فما أظهروا من الإيمان فهو كذب.

**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**، قال: هم يومئذ يُسِرّون[١] الكفر ويظهرون الإيمان، وسر العبد أولى من علانيته وفعله أولى به[٢] من قوله: **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**، وهو قولهم. وقيل: وهم منهم[٣] أقرب لأنهم كانوا في الحقيقة كفارا على دينهم.

وقوله[٤] تعالى: **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**. يحتمل ألزم،[٥] وأقبل،[٦] كقوله عز وجل: وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا،[٧] فيكون الوصف بالقرب على الوقوع والوجوب، كقوله عز وجل: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ،[٨] أي هي لهم. ***وبالله التوفيق.*** وذلك لأنهم كانوا أهل نفاق، والكفر لم يكن يفارق قلوبهم، وما كان من إيمانهم كان بظاهر اللسان، ثم[٩] قد يفارقها[١٠] في أكثر أوقاتهم. ***والله أعلم.*** وقد يكون على القرب من حيث كانوا شاكّين في الأمر،[١١] والشاك[١٢] في أمر الكفر والإيمان تارك[١٣] للإيمان؛[١٤] إذ حقيقته[١٥] تصديق عن معرفة ولم يكن لهم معرفة،[١٦] والكفر قد يكون بالتكذيب -كان له بما يكذب عِلْمٌ بالكذب أو لا- فلذلك كان الكفر أقرب إليهم. ويحتمل **أقرب منهم**،[١٧] أولى بهم، وهم به أحق أن يُعرَفوا بما جعل الله لهم من أعلام ذلك في لحن القول ثم في أفعال الخير ثم في أحوال الجهاد وما[١٨] يظهر منهم من آثار الكفر في الأقوال والأفعال، مما جاء به القرآن. ***والله أعلم.***

---

[١] ع م: يرون.
[٢] ك - به.
[٣] أي من الكفرة.
[٤] ن: في قوله؛ ع م: وفي قوله.
[٥] م: ألذم.
[٦] م: وقيل.
[٧] ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٤/٣٣).
[٨] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[٩] ك ع - ثم.
[١٠] أي يفارق إيمانهم لسانهم. قال اللحياني: اللسان في الكلام يذكّر ويؤنث (*لسان العرب*، «لسن»).
[١١] م - في الأمر.
[١٢] ن ع: والشان؛ م - والشاك.
[١٣] م: تاركوا
[١٤] م - للإيمان.
[١٥] م: حقيقة.
[١٦] ع - ولم يكن لهم معرفة.
[١٧] ك م: إليهم؛ ن ع - ويحتمل أقرب إليهم.
[١٨] جميع النسخ: ومما.

فإن قيل في قوله: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ،[1] كيف عمّ هؤلاء بالعقوبة، وإنما كان العصيان والخلاف في الأمر من بعضهم لا من الكل؟

قيل: لما خرج لهم[2] ذلك[3] مخرج الامتحان والابتلاء لا مخرج الجزاء لفعلهم، ولله أن يمتحن عباده ابتداء بأنواع المحن من غير أن يسبق منهم خلاف في الأمر أو عصيان.[4] وكل عقوبة خرجت مخرج جزاءِ عصيانٍ أو خلاف[5] في أمر لم يُؤاخذ غير مرتكبها، لقوله[6] عز وجل: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.[7] وما خرج مخرج الامتحان جاز أن يعمّهم، لما ذكرنا أن له ابتداءً امتحانا.[8] وإن كان[9] ما كان منهم بمعونة غيرهم فعمهم لذلك بذلك، كقطّاع الطريق والسّرّاق[10] إذ تعمهم[11] العقوبة جميعا: مَنْ أخذ ومن لم يأخذ ومن تولى ومن لم يتول،[12] فكذلك هذا. وكانوا[13] جميعا كنفس واحدة فعمهم بذلك. *والله أعلم*.

**﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[١٦٨]

وقوله عز وجل: **الذين قالوا لإخوانهم**، قيل: **لإخوانهم**[14] في الدين ومعارفهم من المنافقين، **لو أطاعونا** ولم يخرجوا إلى الجهاد **ما قتلوا**.[15] وقيل: **قالوا لإخوانهم** في النسب والقرابة وليسوا بإخوانهم في الدين والولاية، كقوله عز وجل: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا،[16]

---

[1] سورة آل عمران، ١٦٥/٣.
[2] ك – لهم.
[3] ك + لهم؛ ن – ذلك.
[4] م: وعصيان.
[5] م: وخلاف.
[6] ك ن: كقوله.
[7] سورة فاطر، ١٨/٣٥.
[8] ع م – امتحان.
[9] جميع النسخ: أو إن كان.
[10] جميع النسخ: وكسراق.
[11] ع: إذ يعمهم؛ ن م: أن تعمهم.
[12] ن ع م: لم يتول.
[13] ك ن ع: أوكانوا.
[14] م – قيل لإخوانهم.
[15] ع م: وما قتلوا.
[16] سورة الأعراف، ٧٣/٧.

ليس بأخيهم في الدين والولاية،[1] ولكن كان أخوهم في النسب والقرابة؛ **لو أطاعونا** وقعدوا عن الخروج في الجهاد **ما قُتلوا** في الغزو.

ثم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم أَنْ **قل** لهم: **فادرءوا عن أنفسكم الموت،** أي ادفعوا عن أنفسكم الموت **إن كنتم صادقين،** بأنهم لو قعدوا في بيوتهم ما قتلوا. فمعناه –والله أعلم– أن من قتل في سبيل الله فمكتوب ذلك عليه، ومن مات في بيته[2] فمكتوب[3] عليه، فإذا لم تقدروا[4] [على] دفع ما كتب عليكم من الموت [في البيت] كيف زعمتم أنهم لو قعدوا ما قتلوا وهو مكتوب عليهم كالموت؟

وهذه[5] الآية ترد على المعتزلة قولهم، لأنهم[6] يقولون: إن من قُتل مات قبل أجله أو قبل[7] أن يستوفي أجلَه، فهم واليهودُ[8] –فيما أنكر[9] الله عليهم قولَهم **لو أطاعونا**، وقَعدوا **ما قُتلوا**– سواءٌ، بقوله: **فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.**

**﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[١٦٩] **﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[١٧٠]

وقوله عز وجل: **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا.** قيل فيه بوجوه. قيل:[10] إن المنافقين قالوا للذين قتلوا بأُحد وبِبَدر: إنهم ماتوا، فأنزل الله عز وجل: **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله،** –بأحد وببدر–[11] **أمواتا،** كسائر الموتى، **بل هم،**[12] **أحياءٌ عند ربهم.**

---

[1] ك: في الولاية؛ ع م + كقوله عز وجل.
[2] م: في بيت.
[3] ك + ذلك.
[4] ع م: لم يقدروا.
[5] ع م: وفي هذه.
[6] م: أنهم.
[7] ع م: وقبل.
[8] لعل الإمام الماتريدي رحمه الله يرى أن منافقي اليهود داخلون في قوله تعالى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾.
[9] ن ع م: أنكروا.
[10] ع: وقيل.
[11] ن ع م – إنهم ماتوا فأنزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله بأحد وببدر.
[12] ن ع م – هم.

وقيل: قالوا إن من قتل لا يحيى أبدا ولا يُبعث، فقال عز وجل: بل يَحيوْن ويُبعثون، كما يحيى ويبعث غيرهم من الموتى.[1] وقيل: إن العرب كانت تسمِّي "الميت" من انقطع ذِكْره إذا مات ولم يُذكر، بأن[2] لم يَبق له أحد يذكر به، فقالوا إذا قتل هؤلاء: ماتوا، أي لا يذكرون. فأخبر الله[3] عز وجل أنهم مذكورون في الملأ،[4] ملأ[5] الملائكة وملأ البشر، وهو الظاهر المعروف في الخلق أن الشهداء مذكورون عندهم.

وقيل: قوله عز وجل: **بل أحياء عند ربهم**، أي يجزى أعمالهم بعد قتلهم كما كانوا يجزى في حال حياتهم، فهم كالأحياء فيما يجزى لهم ثواب أعمالهم،[6] ليسوا بأموات. وقيل: إن حياتهم[7] حياة كلفة، وذلك أنهم أمروا بإحياء أنفسهم في الآخرة [بالخيرات في الدنيا]، ففعل المؤمنون ذلك [و]أحيَوا أنفسهم في الآخرة فسموا أحياء لذلك. والكفار لم يحيوا أنفسهم بل أماتوها، فسمي أولئك أحياءً و الكفار موتى. وقيل سمي هؤلاء أحياء لأنهم انتفعوا بحياتهم، وسمي الكفار [١١٢ظ] أمواتا لما لم ينتفعوا بحياتهم، ألا ترى[8] أنه عز وجل سماهم مرة صُمٌّ / بُكْمٌ عُمْيٌ،[9] لما لم ينتفعوا بسمعهم ولا ببصرهم ولا بلسانهم، و لم يسم بذلك المؤمنين لما انتفعوا بذلك كله.[10] فعلى ذلك سمي هؤلاء أحياء لما انتفعوا بحياتهم، وأولئك الكفرة موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم. *والله أعلم*.

وقال الحسن: إن أرواح المؤمنين يعرضون على الجنات[11] وأرواح الكفار على النار، فيكون لأرواح الشهداء فضل[12] لذة ما لا يكون لأرواح غيرهم من المؤمنين ذلك، ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم وشدة ما لا يكون لأرواح غيرهم من الكفرة[13] ذلك،

---

[1] ع: في الموتى.
[2] ن ع م: أي.
[3] ك – الله.
[4] ع – الملأ.
[5] م – ملأ.
[6] جميع النسخ + وجزائهم.
[7] أي حياة الناس كلهم.
[8] ك: ألا يرى.
[9] سورة البقرة، ١٨/٢.
[10] ن – كله.
[11] ن م: الجنان.
[12] ع م: أفضل.
[13] ن ع م – من المؤمنين ذلك ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم وشدة ما لا يكون لأرواح غيرهم من الكفرة.

فاستوجبوا بفضل[1] الله[2] على غيرهم اسم الحياة. ألا ترى أنه قال تعالى: **يُرزَقون فَرِحين بما آتاهم الله من فضله**. وقيل: إن الناس كانوا يقولون فيما بينهم في قتلى[3] بدر وأحد: مات فلان ومات فلان، فقال[4] عز وجل: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ.[5]

وقوله عز وجل: **يُرْزَقون فَرِحين بما آتاهم الله من فضله**. روي عن مسروق قال: سألت عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله**، الآية، قال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أرواحهم عند الله في حواصلِ طيرٍ خُضْر لها قناديلُ معلقة بالعرش تسرح[6] في الجنة في أيها شاءت، ثم تَأْوِي[7] إلى قناديلها»[8] والحديث[9] طويل.

وقوله عز وجل: **ويستبشرون بالذين لم يَلحقوا بهم مِن خلفهم**، الآية. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تنزل[10] عليهم صحف مكتوب فيها من يلحق بهم من الشهداء، فبذلك يستبشرون.[11] وقيل يستبشرون لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم بما قَدِموا عليه من الكرامة والفضل والنعم الذي أعطاهم الله. وقيل: **يستبشرون**، يعني يفرحون، **بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**، يعني من بعدهم من إخوانهم[12] في الدنيا رأوا قتالا، استُشهِدوا فَلَحقوا. وقيل: **لم يلحقوا**[13] **بهم من خلفهم**، [أي] الذين يدخلون في الإسلام من بعدهم. والاستبشار هو الفرح أو طلب[14] البشارة، كأنهم طلبوا البشارة لقومهم ليعلموا بكرامتهم عند الله ومنزلتهم،

---

[1] م: لفضل.
[2] جميع النسخ: اللذة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٥ظ.
[3] ك ع: من قتلى؛ ن م: من قتل.
[4] ك ع + الله.
[5] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٤).
[6] ع م: يسرح.
[7] ع: تأدى.
[8] *صحيح مسلم*، الإمارة ١٢١؛ وانظر أيضا: *سنن ابن ماجة*، الجنائز ٤، الجهاد ٢٥؛ و*سنن أبي داود*، الجهاد ٢٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٩.
[9] ع: الحديث.
[10] ن ع م: ينزل.
[11] انظر: *بحر العلوم* للسمرقندي، ٣١٤/١؛ و*تفسير الألوسي*، ١٢١/٤.
[12] ع: وإخوانهم.
[13] م – وقيل لم يلحقوا.
[14] ع: طلبوا.

كقوله:[1] ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.[2]

وقيل: إن الحياة على ضربين: الحياة[3] الطبيعي والحياة[4] العرضي، وكذلك الموت على وجهين: الموت[5] الطبيعي والموت[6] العرضي. ثم الحياة[7] العرضي[8] على وجوه. أحدها الحياة بالدين[9] والطاعة، كقوله عز وجل: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾.[10] و[الثاني] الحياة بالعلم[11] والبصيرة واليقظة، [كما] سمي العالم حيا والجاهل ميتا. و[الثالث] الحياة[12] [من حيث] الزينة والشرف، على ما سمى الله تعالى الأرض ميتة في حال يبوستها، وحية في حال خروج النبات منها، بقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾.[13] و[الرابع] الحياة[14] [من حيث] الذكر واللذة. فجائز أن يكون الله[15] تعالى لمّا أخبر أنهم أحياء عند ربهم [كان يريد به][16] أن يكون لهم الحياة[17] من أحد[18] الوجوه التي ذكرنا:[19] حياةِ ذكر ولذة، أو حياة زينة وشرف، أو حياة العلم لهم بأهل الدنيا على ما كان لهم قبل ذلك، أو حياة[20] دين وعبادة؛

[1] ك ن م: كقول من.
[2] سورة يس، ٣٦/٢٦-٢٧.
[3] جميع النسخ: حياة.
[4] جميع النسخ: وحياة.
[5] جميع النسخ: موت.
[6] جميع النسخ: وموت.
[7] ك ن م: حياة.
[8] ع – ثم الحياة العرضي.
[9] جميع النسخ: حياة الدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٦و.
[10] ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٢).
[11] جميع النسخ: وحياة العسم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٦و.
[12] ك ن م: وحياة.
[13] ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٩).
[14] ك ن م: وحياة.
[15] ك + من الله.
[16] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٦و.
[17] ك ن م: حياة.
[18] م – أحد.
[19] ع م: ذكر.
[20] ن: وحياة.

إذ يجرى[١] عليهم أعمالهم على ما كان لهم قبل الشهادة وإن كانت أجسادهم في الحقيقة ميتة في أحكام الدنيا عند أهل الدنيا.[٢]

وهذا يُقَوِّي قولنا في المرتد: إنه إذا لحق بدار الحرب يُحكَم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء الديون وغيرها، وإن كان هو في الحقيقة حيا،[٣] على ما حكم في أموال الشهداء وأنفسهم بحكم الموتى في حكم الدنيا لما لا يعودون إلى الدنيا وإن كانوا عند ربهم أحياء. فعلى ذلك يحكم في نفس المرتد وأمواله بحكم الموتى لما لا يعود إلى دارنا، وإن كان هو في الحقيقة حيا[٤] عند الله.[٥] لَمّا جاز أن يكون حيا عند الله ميتا عندنا جاز أن يكون حيا[٦] عندنا ميتا[٧] عند الله. ***والله أعلم***. والحياة[٨] الطبيعي هو حياة جوهر وما به تقوم[٩] النفس، والموت[١٠] الطبيعي هو هلاكه وفوته. ***والله أعلم***. والموت[١١] العرضي هو جهله. ***والله أعلم***.

**﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٧١]

وقوله: **يستبشرون بنعمة من الله وفضل**، يحتمل **بنعمة من الله وفضل**، أي بدين من الله، كقوله تعالى: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[١٢] قيل: بدينه. ويحتمل **بنعمة من الله** الجنة، **وفضلٍ** زيادات لهم وكراماتٍ من الله عز وجل.

وقوله عز وجل: **وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**، أي لا يضيع من حسناتهم وخيراتهم [شيئا] وإن قلّ وصغر، كقوله عز وجل: نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[١٣] [وقوله:]

---

[١] ن ع: أن يجزي.
[٢] ع – عند أهل الدنيا.
[٣] جميع النسخ: حي.
[٤] ك ع م: حي.
[٥] ن – حي عند الله.
[٦] جميع النسخ: ميتا.
[٧] جميع النسخ: حيا.
[٨] جميع النسخ: وحياة.
[٩] جميع النسخ: يقوم.
[١٠] جميع النسخ: وموت.
[١١] جميع النسخ: وموت.
[١٢] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٣).
[١٣] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٦).

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،[1] [و]كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[2] الآية.

**﴿اَلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[١٧٢]

وقوله: **الذين استجابوا لله والرسول**، قيل: أجابوا الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما دعاهم إليه وأطاعوا فيما أمرهم به. **من بعد ما أصابهم القرح**، أي الجراحة. قيل: دعاهم إلى بدرٍ الصغرى بعد ما أصابهم بأُحدٍ القروح والجراحاتُ، فأجابوه، فذلك قوله تعالى: **الذين استجابوا لله والرسول**، الآية.

وقوله: **للذين أحسنوا منهم** في الإجابة له بعد ما أصابتهم الجراحة وشهدوا القتال معه، **واتَّقوْا** الخلاف له وترك الإجابة. ويحتمل **اتقَوا** النار وعقوبته. **أجرٌ عظيم** في الجنة، وثواب جزيل. ***والله أعلم***.

**﴿اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**[١٧٣]

وقوله عز وجل: **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**،[3] قيل: إن المنافقين قالوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انهزم كفار مكة وولَّوا دُبُرَهم: **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**؛ يخوفونهم حتى لا يتبعوا[4] إثرهم، فتلك[5] عادتهم
[١١٣و] لم تَزَلْ، كقوله تعالى: مَا زَادُوكُمْ إِلَّا / خَبَالًا،[6] أي فسادا. وقيل: إنه إنما قال ذلك لهم رجل يقال له[7] نُعَيم بن مسعود.[8] ولا ندري كيف كانت القصة؟

---

[1] سورة الزلزال، ٧/٩٩.
[2] سورة النساء، ٤٠/٤.
[3] ن ع + الآية.
[4] ك ن ع: لا يتبعونهم عنى؛ م: لا يتبعون عنى.
[5] جميع النسخ: فذلك.
[6] ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾ (سورة التوبة، ٤٧/٩).
[7] ع م: لهم.
[8] هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي (ت نحو ٣٠ هـ/٦٥٠ م). صحابي من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا أيام الخندق واجتماع الاحزاب، فأسلم وكتم إسلامه، وعاد إلى الاحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قُريظة وغَطَفان وقريش، في حديث طويل، فتفرقوا. سكن المدينة. وكان رسولَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى "ابن ذي اللحية". انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٤٦١/٦؛ *والاستيعاب* لابن عبد البر، ١٥٠٨/٤؛ *والأعلام* للزركلي، ٤١/٨.

وقوله عز وجل: **فزادهم إيمانا،** لما وجدوا الأمر على ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم، لا على ما قال أولئك؛ **فزادهم** ذلك **إيمانا**، أي [زادهم] تصديقا.[١] قيل: [أي زادهم] جرأة[٢] وقوة وصلابة[٣] على ما كانوا من قبل في الحرب والقتال. ويحتمل: زادهم ذلك في إيمانهم قوة وصلابة وتصديقا. وقيل قوله عز وجل: **زادهم إيمانا**، أي تصديقا ويقينا بجرأتهم على عدوهم ويقينهم بربهم واستجابتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: ما معنى قوله سبحانه وتعالى: **فزادهم إيمانا** على إثر قوله عز وجل: **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا**، وذلك[٤] قول لا يحتمل أن يزيد الإيمان، وليس[٥] كقوله عز وجل: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[٦] لأنها حجج، والحجج تزيد التصديق أو تحدث [به]، أو تدعو إلى الثبات على ذلك، فيزيد الإيمان. فقولهم: **فاخشوهم** كيف يزيد [الإيمان]؟

قيل: يخرج ذلك -والله أعلم- على وجوه. أحدها أنهم إذ علموا أنهم أهل النفاق وأنهم يُخَوِّفون بذلك، وقد كان وَعَدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصنيعهم، فكذبوهم بذلك وأقبلوا نحو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] إجابةً لأمره وتصديقا بوعده ومجانبة عن الاغترار[٨] بأخبار أعدائه والنزول على قولهم؛ فكان ذلك منهم عند[٩] ذلك زيادة[١٠] في إيمانهم، مع ما في تكذيبهم ذلك، نحو قوله عزّ وجلّ: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،[١١] الآية، أنه إذا زاد بتكذيب آيات الله رجسا فمثله تكذيب المكذِّب بالآيات، لذلك يزيد إيمانا. ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ: أي تصديقا زادهم.
[٢] ك: جراءة.
[٣] ك ن ع: وصلابة وقوة.
[٤] م: وقول ذلك.
[٥] ع: ليس.
[٦] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[٧] ع – فكذبوهم بذلك وأقبلوا نحو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[٨] جميع النسخ: لاغترارهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٦و.
[٩] م – عند.
[١٠] جميع النسخ: زائدا.
[١١] ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٥).

والثاني أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهم بتفرق أعداء الله وتشتت[1] أمرهم، وأخبرهم المنافقون بالاجتماع، فصاروا إلى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوا الأمر على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك من أنباء الغيب، والإنباء عن الغيب[2] من أعظم آيات النبوة، فزادهم ذلك إيمانا. *والله أعلم*. وذلك[3] قوله عز وجل: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ،[4] الآية.

والثالث أنهم[5] لما لم يغتروا[6] بقول المنافقين ولا قعدوا[7] لذلك ولا ضعفوا، فأنزل الله تعالى سكينته على قلوبهم ليزيدهم[8] بذلك إيمانا، كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ،[9] الآية. *وبالله التوفيق*.

ثم معنى زيادة الإيمان يخرج[10] على وجوه. أحدها بحق الابتداء في حادث الوقت، إذ له حكم التجدد في حق الأفعال بما هو للكفر به تارك، وعلى ذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا،[11] الآية. فيكون ذلك بحق الزيادة على ما مضى، وإن كان بحق التجدد في حق الحادث والفرد.[12]

والثاني أن يكون به[13] الثبات عليه، إذ حجج الشيء توجب[14] لزومه والدوام عليه، فسمي ذلك زيادة.

---

[1] ن ع: وتثبت.

[2] ك: وإنباء الغيب.

[3] م – وذلك.

[4] ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة آل عمران، ١٦٢/٣).

[5] ع م – أنهم.

[6] ن ع م: لما يغتروا.

[7] جميع النسخ: ولا قصدوا؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٦ظ.

[8] جميع النسخ: ليزيد لهم.

[9] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾ (سورة الفتح، ٤/٤٨).

[10] جميع النسخ: تخرج.

[11] ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ (سورة النساء، ١٣٦/٤).

[12] «أحدها بحق الابتداء في حادث الوقت إذ الإيمان له حكم التجدد، فإنه فعل يتجدد ساعة فساعة وبه يكون المرء تارك الكفر في كل ساعة، فيكون المراد هو زيادة وجود فعل الإيمان بزيادة الوقت. ولا شك أن من كان أكثر عمرا كان أزيد تصديقا إذ حصول ذلك منه أكثر وأزيد، وعلى هذا خرج قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾ أي الذين وُجد منكم التصديق فيما مضى فجدّدوا التصديق في المستأنف من الأوقات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٦ظ).

[13] جميع النسخ: له.

[14] ن ع م: يوجب.

و[الثالث] يحتمل أن يكون يزداد[1] له في أمره بصيرةً، وعلى ما رَغِب فيه إقبالا ولحقوقه مراعاة؛ فيكون في ذلك زيادة في قوته أو في نوره أو بزينته وتمامه، وذلك أمر معروف.

و[الرابع] يحتمل أن يكون ذلك داعيا[2] إلى محافظة حقوقه[3] والتمسك بأدلته والوفاء بشرائطه، فيزيد ذلك فضله، كما عدت صلاة واحدة في التحقيق ألفا،[4] وبما في ذلك من حفظ الحقوق ومراعاتها. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**، فزعوا إلى الله تعالى بما رأوا من صدق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، وظهور كذب قول المنافقين: **إن الناس قد جمعوا لكم**، الآية؛ أو قالوا[5] ذلك عند قول المنافقين إياهم: **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**، فوضوا أمرهم إلى الله[6] تعالى، وسلّموا لما رأوا النصرَ منه رضاء منهم بكل ما يصيبهم [في طاعته]، كقوله عز وجل: **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ**،[7] مدحهم الله[8] عز وجل بما رأوا أنفسهم لله، فكذلك هذا.

**﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾**[١٧٤]

*وقوله عز وجل: **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل**، تحتمل[10] النعمة نعمةَ[11] الدين على ما ذكرنا. وقيل: انقلبوا بنصر من الله والغنيمة.[12] وتحتمل[13] النعمة من الله[14] الأمنَ[15] من العدو،

---

[1] م: يزاد.
[2] جميع النسخ: داع.
[3] جميع النسخ: حقوق.
[4] لعله يشير إلى حديث: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» (*الموطأ* لمالك، القبلة ٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١٦/٢، ٢٩؛ وصحيح *البخاري*، مسجد مكة ١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٥٠٥-٥١٠).
[5] م: وقالوا.
[6] ك ن: إليه.
[7] سورة البقرة، ١٥٦/٢.
[8] ك ن - الله.
* وقع هنا جزء من تفسير آخر هذه الآية فأخرناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ١١٣و/سطر ٣٠-٣١.
[10] جميع النسخ: يحتمل.
[11] ن - نعمة.
[12] ع - وبالغنيمة.
[13] جميع النسخ: ويحتمل.
[14] ع - وتحتمل النعمة من الله.
[15] م - الأمن.

لأن[1] المنافقين كانوا يُخوِّفونهم بقولهم: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[2] وتحتمل[3] النعمة الجنة. **وفضلٍ**، الزيادة على ذلك. وقيل: انصرفوا بأجر من الله، **وفضل**، وهو ما تشوّقوا به من الشوق، لم يمسسهم سوء ولا قتل ولا هزيمة.

ويحتمل قوله:[4] **بنعمة من الله وفضل**، الزيادة في الإيمان، وهو الصلابة والقوة فيه.

وقوله: **لم يمسسهم سوء**، مما كانوا يخوفونهم [به]، بقوله: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ.

ويحتمل قوله تعالى: **فانقلبوا بنعمة من الله**، أي رجعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[١١٣و س٣٤] *وقوله عز وجل: **واتبعوا رضوان الله**، أي اتبعوا العمل الذي به [ينال] رضوان الله،[5] ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم. وقيل:[6] **اتبعوا** طاعته ورضاه.*

[١١٣و س٣٠] *وقوله عز وجل: **والله ذو فضل عظيم**، أي ذو مَنّ عظيم، يدفع المشركين عن المؤمنين.]*

**﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٧٥]**

وقوله عز وجل: **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون**. يخوّف أولياءه وأعداءه لكن أعداءه لا يخافونه، وأولياءه[9] يخافونه،[10] كقوله تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ.[11]

---

[1] م: ولأن.
[2] الآية السابقة.
[3] جميع النسخ: ويحتمل.
[4] ع م – قوله.
[5] ع م – أي اتبعوا العمل الذي به رضوان الله.
[6] ك ن: ويحتمل.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ١١٣و/سطر٣٤.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ١١٣و/سطر٣٠-٣١.
[9] جميع النسخ: وأولياؤه.
[10] ع – وأولياءه يخافونه.
[11] ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ (سورة يس، ١١/٣٦). «والإشكال أن الشيطان كيف يخوف أولياءه وهم أتباعه وإنما كان يخوف أعداءه وهم المؤمنون فلماذا قال يخوف أولياءه؟ قيل فيه بوجوه. أحدها أن الشيطان قد يخوف أولياءه كما يخوف أعداءه ولكن أعداءه لا يخافونه وأولياءه يخافونه و لم يظهر أثر تخويف في حق أعدائه وهم المؤمنون ويظهر في حق أوليائه. فكأنه يخوف أولياءه لا أعداءه، ولذلك قال: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ وذلك كقوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾. وأنه كان ينذر المؤمن والكافر جميعا لكن من اتبع الذكر كان يقبل إنذاره ومن لم يتبع الذكر لا يقبل فكأنه لم ينذر إلا من اتبع الذكر. فمعنى ذلك الشيطان كان يخوف أولياءه وأعداءه جميعا لكن لما كان لا يخاف منه أعداؤه لما ثبت لهم الوعد من الله تعالى وصدقوا وعده بقوله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه [والذين هم به مشركون]﴾ (سورة النحل، ٩٩/١٦-١٠٠)، فصار كأنه لم يخوف إلا أولياءه» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٦ظ).

[فإنه] كان ينذر من اتبع الذكر[١] ومن لم يتبع، لكن من اتبع الذكر[٢] كان / يقبل إنذاره، ومن [١١٣ط]
لم يتبع الذكر لا، مع أنه[٣] كان ينذر الفريقين جميعا. فعلى ذلك الشيطان كان يخوف أولياءه وأعداءه جميعا، لكن أعداءه لا يخافونه، وأولياءه يخافونه. ويحتمل قوله: **يخوف أولياءه**، أي بأوليائه. وجائز هذا في الكلام، كقوله: وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ،[٤] أي بيوم الجمع، ألا ترى أنه قال: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[٥] فعلى ذلك قوله: **يخوف أولياءه**، أي بأوليائه. ***والله أعلم***. وعن ابن عباس رضي الله عنه: يخوفكم أولياءه.[٦] وهذا يؤيد تأويل من يتأول: يخوف بأوليائه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**، أي لا تخافوه[م] لمخالفتكم إياه[م]، **وخافون**، أي خافوا مخالفتكم أمري، كقوله: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[٧] أخبر أنه[٨] ليس له سلطان على الذين آمنوا إنما سلطانه على أوليائه،[٩] لذلك قال: **فلا تخافوهم** لما ليس لهم[١٠] عليكم سلطان، وخافوني لما لي[١١] عليكم سلطان. ***وبالله العصمة***.

**﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[١٧٦]

وقوله عز وجل: **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**. تحتمل[١٢] الآية وجهين. تحتمل:[١٣] **ولا يحزنك** [يا محمد] **الذين** ظاهروا غيرهم من المشركين عليكم، وقد ظاهر[١٤] أهل مكة غيرهم

---

[١] ع م – كان من اتبع الذكر.
[٢] ع م – الذكر.
[٣] جميع النسخ: وإلا.
[٤] ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٧).
[٥] سورة الأنعام، ٦/١٢١.
[٦] *تفسير القرطبي*، ٤/٢٨٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٣٩١.
[٧] سورة النحل، ١٦/٩٩-١٠٠.
[٨] ك م: أن.
[٩] ك: على الذين يتولونه.
[١٠] جميع النسخ: له.
[١١] ك – لي.
[١٢] ع: يحتمل.
[١٣] ع: يحتمل.
[١٤] ك: ظاهروا.

من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال[1] الله لرسوله: **لا يحزنك** مظاهرتهم المشركين[2] عليك فإن الله ينصرك. فيخرج هذا مخرج البِشارة له بالنصر على أعدائه والغلبة عليهم.

ويحتمل أيضا[3] وجها آخر، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشتد عليه[4] كفرهم بالله ويحزن لذلك، كقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.[5] فيخرج قوله: **لا يحزنك**، مخرج تسكين الحزن ودفعه عنه والتسلي على ذلك لا مخرج النهي؛ إذ الحزن يأخذ الإنسان ويأتيه من غير تكلف ولا صنع، وكقوله[6] تعالى: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا،[7] هو على مخرج التسكين والدفع عنه لا على النهي، فكذلك الأول. ***والله أعلم***، وكقوله تعالى لأم موسى عليه السلام: وَلَا تَحْزَنِي.[8]

وقوله عز وجل: **إنهم لن يضروا الله شيئا**، يحتمل قوله: **لن يضروا الله شيئا، أي** لن يضروا أولياء الله عز وجل، إنما ضرر ذلك عليهم، كقوله تعالى: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ.[9] ويحتمل **لن يضروا الله شيئا**، لأنه ليس لله في فعلهم وعملهم نفع، ولا في ترك ذلك عليه[10] ضرر، إنما المنفعة في عملهم لهم، والضرر في ترك عملهم عليهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة**. هذه الآية تنقض على المعتزلة قولَهم، لأن الله تعالى يقول: أراد أن لا يجعل لهم في الآخرة حظا، والمعتزلة يقولون: بل أراد أن يجعل لهم حظا في الآخرة؛ إذ يقولون: أراد لهم الإيمان –وبالإيمان يكون لهم الحظ في الآخرة– فثبت بالآية أنه لم يكن أراد لهم الإيمان. و الآية في قوم خاص علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون أبدا،

---

[1] ك ن: فيقول.

[2] ع م – على رسول الله صلى الله عيه وسلم فقال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم لا يحزنك مظاهرتهم المشركين.

[3] ن – أيضا.

[4] ن: عليهم.

[5] سورة الشعراء، ٢٦/٣.

[6] ك ن: كقوله.

[7] ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٠).

[8] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧).

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (سورة المائدة، ٥/١٠٥).

[10] ن: عليهم.

فأراد أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة. ولو كان على ما تقوله[1] المعتزلة[2] بأنه أراد أن يجعل لهم حظا في الآخرة،[3] لِمَا أراد لهم أن يؤمنوا ولكن لم يؤمنوا لكان حاصل قولهم: أراد الله أن لا يجعل لمن أراد أن يؤمن [حظا] في الآخرة، وذلك جور عندهم. *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل: **ولهم عذاب عظيم**. وذكر مرةً أَلِيمٌ،[4] ومرةً شَدِيدٌ،[5] لان التعذيب بالنار أشد العذاب في الشاهد وأعظمه. لذلك أوعد بها في الغائب، وجعل شرابهم وطعامهم ولباسهم منها. فنعوذ بالله من ذلك.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[١٧٧]

وقوله عز وجل: **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان**، قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم.[6]

**لن يضروا الله شيئا**، ما ذكرنا أنه على الوجهين اللذين وصفتهما. *والله أعلم*.

**﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**[١٧٨]

وقوله عز وجل: **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم**، الآية. اختلف في قراءتها؛[7] قرأ بعضهم بالياء، وبعضهم بالتاء. فمن قرا بالتاء[8] صرف الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،[9] فقال: لا تحسبن يا محمد أنما نملي لهم خير لهم، إنما نملي لهم ليزدادوا شرا. ومن قرأ بالياء صرف الخطاب إلى الكفرة، فقال: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم يكون خيرا لهم، بل إنما نملي لهم ليكون شرا[10] وإثما لهم.

---

[1] ك: يقوله؛ ن: يقولون.
[2] ن – المعتزلة.
[3] ع – ولو كان على ما تقوله المعتزلة بأنه أراد أن يجعل لهم حظا في الآخرة.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم﴾ (سورة البقرة، ١٠٤/٢).
[5] ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد﴾ (سورة آل عمران، ٤/٣).
[6] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة، ١٦/٢.
[7] قرأ حمزة بالتاء، والباقون بالياء (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ١٧٥).
[8] ن – فمن قرأ بالتاء.
[9] ن + إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[10] ع م – ومن قرأ بالياء صرف الخطاب إلى الكفرة فقال ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم يكون خيرا لهم بل إنما نملي لهم ليكون شرا.

فالآية على المعتزلة، لكنهم تأولوا [ها] بوجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، كأنه قال: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثما، إنما نملي لهم خير لأنفسهم. فيقال لهم: لو جاز جعل الآية وصرفها على ما حملتم عليه وصرفتم إليه [لـ]ـجاز حمل جميع الآيات التي فيها وعدٌ للمؤمنين وصرفها إلى الكافرين، و[صرف] ما كان فيها وعيد للكافرين إلى المؤمنين؛ إذ لا فرق بين هذا وبين جعلكم الخير مكان الإثم والإثم مكان الخير، وبين جعل الوعد[1] في موضع الوعيد،[2] والوعيد[3] في موضع الوعد.[4]

والوجه الثاني قالوا: أخبر الله تعالى عما يئول أمرهم [إليه] في العاقبة، لا أن كان في الابتداء كذلك، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾،[5] ومعلوم أنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا، ولكنه[6] إخبار عن ما آل أمره [إليه] في العاقبة أن صار لهم عدوا وحزنا. وكذلك يقال للرجل: سرقت لتُقطع [يدك]، وقتلت لتقتل، وهو لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل، ولكنه إخبار عما آل أمره وحاله [إليه] في العاقبة، فكذلك هذا.

[١١٤و] لكن / الإخبار عما يئول الأمر يخرج مخرج التنبيه عن السهو والغفلة في الابتداء. فالله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك؛ فخرج ذلك مخرج التحقيق في الابتداء، لا مخرج الإخبار عن ما يئول الأمر في العاقبة. ***وبالله التوفيق.***

والثاني أن من أراد أمرا يعلم أنه لا يكون فهو لجهل يريد ذلك أو لعبث، فالله سبحانه يتعالى عن الجهل بالعواقب أو العبث في الفعل، دل أنه كان على ما أراد لا ما لم يرد.[7] ولو كان الله سبحانه وتعالى لا يفعل بخلقه إلا ما هو أصلح لهم في الدين وأخير، لم يكن لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإعجاب بما أعطي الكفرة من الأموال والأولاد [معنى]، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾،[8] الآية؛ دلّ أنه قد يعطى ما ليس هو بأصلح في الدين ولا أخير. ***والله أعلم.***

---

[1] ن ع م: الوعيد.

[2] م: الوعد.

[3] م: الوعد.

[4] م: الوعيد.

[5] سورة القصص، ٨/٢٨.

[6] جميع النسخ: ولكن.

[7] م: لا ما يرد.

[8] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).

{وقال الشيخ رحمه الله} في قوله: **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما**، وقوله عز وجل: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا، الآية، وقوله تعالى: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[1] ونحو ذلك من الآيات: فيها وجهان على المعتزلة. أحدهما قولهم في الأصلح: إن الله تعالى لو فعل بالخلق شيئا غيرُه أصلح لهم في الدين في حال المحنة كان ذلك جورا. ومعلوم أن الفعل بهم ليزدادوا إثما لا يبلغ في الصلاح في الدين الفعل بهم ليزدادوا به[2] برا.[3] ومعلوم أنه لو كان كذلك لم يكن ليجوز أن يحذّر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيقول:[4] لا يعجبك كذا؛ فكأنه قال: لا يعجبك الذي هو صلاح في الدين[5]، ثم يؤكد ذلك بأنه جعل[6] لهم ذلك ليعذّبهم بها، ثم شهد على من حسب ما حسبته المعتزلة بأنهم لا يشعرون. فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق رأيه رأيَ أولئك الكفرة أنهم لا يشعرون.[7]

ومعلوم أن الجبابرة والفراعنة لو لم يجعل الله تعالى لهم[8] تلك الحواشي والملك والقوة لم يكونوا[9] ليجترئوا[10] على دعوى الربوبية ويبلغوا[11] في المآثم ما بلغوا، فيكون فوت ذلك أصلح لهم في الدين. وقد قال الله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ،[12] الآية. ثم كان معلوم أنه إذا كان بما يجعل ذلك للكفرة يكفرون، فلو جعل للمؤمنين يؤمنون، ثم لم يجعل كذلك. *والله أعلم*. وأيد ذلك قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا،[13] الآية.

---

[1] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٥-٥٦.
[2] ن: بهم.
[3] ن + ومعلوم أن الفعل بهم ليزدادوا إثما لا يبلغ في الصلاح في الدين الفعل بهم ليزدادوا به برا.
[4] ع م: فنقول.
[5] ن: الدين.
[6] ع م – جعل.
[7] ن – فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق رأيه رأي أولئك الكفرة أنهم لا يشعرون.
[8] ن – لهم.
[9] جميع النسخ: لم يكن.
[10] ن: ليعجزوا.
[11] ن: و لم يبلغوا.
[12] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومَعارجَ عليها يَظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣).
[13] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٥).

والثاني أن الإرادة إذ هي صفة لكل فاعل مختار في الحقيقة، وقد أخبر لأي وجه أعطى،[1] ثبت أنه أراد ذلك. مع ما كان المتعالَمُ من فعل كل أحد [أنه] لا يخرج [إلا] على ما أراده، ولا يبلغ به ما لو فعل أنه يكون من جهل[2] أو سفه. فالأول يكون فعله على ظنٍّ أن يكون ذلك فلا يكون، والثاني إذا علم أنْ لا يكون، فيكون له به عابثا سفيها. جل الله تعالى عن الوجهين. ثبت أن فعله [يحصل] لما علم أنه يكون، لا لغيره فيلحقه[3] به وصف جهل أو سفه، وبهما سقوط الربوبية.

ثم[4] وجهت المعتزلة الآية إلى وجهين. **أحدهما** على التقديم والتأخير، بمعنى: ولا يحسبن[5] الذين كفروا أنما لهم ليزدادوا إثما، إنما نملي لهم ليزدادوا خيرا. وذلك فاسد[6] لوجهين. أحدهما لو كان تجعل الخير شرا والشر خيرا بالتأويل وصَرْفُ الآية عن سياقها ونظمها لجاز ذلك في كل وعد ووعيد، وأمر ونهي، وتحليل وتحريم، فتصير[7] كل أمور الدنيا مقلوبة.[8] والثاني أنه لو كان كذلك لكان يجب أن يَعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ [كان] على [كل ما فيه صلاح الدين] معجبا،[9] ولكانوا -فيما حسبوا أن ذلك خير لهم- يشعرون، لا أن لا يشعروا.[10] مع ما قيل: **ولا يحسبن** بالياء في بعض القراءة. ومتى كان يحسب الكفرة ذلك شرا حتى يعاتَبوا على الحِسبان؟ ***والله الموفق***.

**والثاني** قالوا: ذلك خبر[11] عما يئول الأمر إليه، كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[12] وهم لا لذلك التقطوه. و[هو] كمن يقول للسارق: سرقت لتُقطع يدك،

---

[1] أي وقد أخبر الله تعالى أنه أنما يملي للكافرين ليزدادوا إثما.
[2] ك: على جهل.
[3] جميع النسخ: ليلحقه.
[4] م - ثم.
[5] ن ع م: ولا تحسبن.
[6] ع: فاسدا.
[7] جميع النسخ: فيصير.
[8] جميع النسخ: مقلوبا.
[9] جميع النسخ: إذ على ذلك معجبا. والتصحيح مع الزيادة مأخوذ من *الشرح*، ورقة ١٣٧ظ.
[10] ك ن م: لا أن لا يشعرون؛ ع - لا أن لا يشعروا.
[11] ن: خير.
[12] ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ (سورة القصص، ٨/٢٨).

وكما يقال: لِدُوا للموت وابنُوا للخراب.[١] والذي قالوه إنما هو تنبيه وإيقاظ لقوم لا يذكرون عواقب الأمور، فيحرصون عليها عن غفلة بالعواقب. فأما الله سبحانه وتعالى فمحال أن يكون أمره على ذلك، ليكون فيما يذكره ذلك. ألا ترى أن أحدا لا يقول: وُلدتُ للموت، أو بَنيتُ للخراب، لأنه لا لذلك يفعل وإن كان إليه يئول، وإنما هو قول الواعظ لهم بما ذكرت. لذلك[٢] بطل هذا. و[أما] أمر قوم فرعون، لم يقل [الله تعالى]: ليكون لهم [عدوا وحزنا] عندهم، إنما هو ليكون لهم[٣] [كذلك] عند الله تعالى وبما أراد الله، وكان كذلك. ***ولا قوة إلا بالله***. وقد بينا ما في الحكمة من حقيقة[٤] طريق الاعتبار. ***ولا قوة إلا بالله***.

والأصل في ذلك[٥] أن الله تعالى عالم بمن يؤثر عداوته ويعاند آياته. فإرادته [منه الإيمان مع علمه] لا يكون[٦] منه[٧] ذلك [إيجابُ] حاجةٍ له إليه[٨] في موالاته، أو إيجاب غلبته عليه في بعض ما يريد.[٩] جلّ الله عن هذا الوصف.

**﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[١٧٩]

وقوله عز وجل: **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**، قيل فيه بوجوه، قيل: لا يترك الله المؤمنين على ما أنتم عليه أيها المنافقون،

---

[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عيه وسلم قال: «إن ملكا بباب من أبواب السماء يقول: من يُقرض اليوم يُجزَ غدًا، وملك آخر ينادي: اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا، وملك بباب آخر ينادي: يا أيها الناس هَلُمّوا إلى ربكم، ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، أي أبطل، وملك بباب آخر ينادي: يا بني آدم لِدُوا للموت وَابنُوا للخراب» (*كتاب العظمة* للإصفهاني، ٩٩٦/٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ١٨٣/٢؛ وانظر أيضا: *تفسير القرطبي*، ١٦٥/١٣).

[٢] ع م: كذلك.

[٣] ع م – عندهم إنما هو ليكون لهم.

[٤] جميع النسخ: بحقيقة.

[٥] ع م: وأصل ذلك.

[٦] ع م: لا تكون.

[٧] أي من عدوه.

[٨] أي إيجاب حاجة الله إلى عدوه.

[٩] الزيادة من *الشرح*. يقول السمرقندي في آخر قوله: «ومن أراد في الشاهد أن يصير مغلوبا من جهة عدوه أو أراد أن يصير محتاجا إليه في موالاته يكون خارجا عن وصف الحكمة»(ورقة ١٣٧ظ).

[١١٤ظ] ولكن يمتحنكم بالجهاد وبأنواع المحن ليُظهر[١] المنافق لهم من المؤمن. وقيل: / ليظهر الكافر لهم من المؤمن المصدق. وقيل فيه بوجه آخر. وذلك أن المنافقين كانوا يطعنون في أصحاب[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزءون بهم[٣] سرا؛ فقال الله عز وجل: لا يدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم، ولكن يمتحنكم بأنواع المحن، لتفتضحوا وليُظهر نفاقُكم عندهم. ويحتمل وجها آخر، وهو أن قوله: **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب،** أي لا يَدَع المؤمنين على ما أنتم عليه من النفاق والكفر في دار واحدة، ولكن يجعل لكم دارا أخرى يَميز فيها الخبيثَ من الطيب، [ف]يجعل الخبيث في النار والطيب في الجنة، كقوله عز وجل:[٤] لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ،[٥] الآية.

وقوله عز وجل: **وما كان الله لِيُطلعكم على الغيب،** قيل فيه بوجهين. قيل: إنهم كانوا يقولون: لا نؤمن حتى نُؤتَى مثلَ ما أوتي الأنبياءُ، كقوله:[٦] لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ،[٧] ومثل قوله: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا،[٨] فعلى ذلك قوله: **وما كان الله لِيُطْلِعكم على الغيب**، إلا من اجتباه لوحيه، وجعله موضعا لرسالته؛ أي لا يجعلكم رسلا، إذ علم الغيب آية من آيات رسالته. ***والله أعلم***.

وقيل: إن الشياطين كانوا يَصعَدون إلى السماء، فيسترقون فيأتون بأخبارها إلى الكهنة قبل أن يُبعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن الكهنة يخبرون بها غيرهم من الكفرة، فأنزل الله سبحانه وتعالى: **وما كان الله ليطلعكم على الغيب،** بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا كما كنتم تَطّلعون على أخبار السماء قبل بعثه.

**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء،** أي يصطفي من يشاء، فيجعله رسولا فيوحي إليه ذلك؛ أي ليس الوحي من السماء إلى غير الأنبياء عليهم السلام. ويحتمل[٩] قوله تعالى:

---

[١] جميع النسخ: لظهر.
[٢] جميع النسخ: لأصحاب.
[٣] ن - بهم.
[٤] ك - يجعل الخبيث في النار والطيب في الجنة كقوله عز وجل.
[٥] سورة الأنفال، ٣٧/٨.
[٦] جميع النسخ: كقولهم.
[٧] ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ (سورة الأنفال، ١٢٤/٦).
[٨] سورة المدثر، ٥٢/٧٤-٥٣.
[٩] ع م: يحتمل.

**يجتبي من رسله من يشاء**، أي لا يُطلع أحدا منكم[١] على الغيب إلا من اجتباه منكم لرسالته. ويحتمل قوله: **يجتبي من رسله من يشاء**، أي لا يَنسخُ شرائعه وأحكامه برسول آخر، نحو ما بين موسى إلى عيسى عليهما الصلاة والسلام، إن كان فيما بينهما نبي، لم يجعل له أحكاما[٢] سوى أحكام موسى عليه السلام، ولكنه[٣] أبقى تلك الأحكام والشرائع. وكذلك ما بين عيسى إلى محمد عليهما الصلاة والسلام، فاجتبى هؤلاء لإبقاء شرائعهم وأحكامهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فآمِنوا بالله ورسله**، ظاهر. **وإن تؤمنوا** برسله كلهم **وتتقوا** المعاصي، **فلكم أجر عظيم**. ويحتمل: **وإن تؤمنوا وتتقوا**، الشرك، فلكم كذا.

**﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[١٨٠]

وقوله عز وجل: **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم**، قيل: نزلت الآية في علماء أهل الكتاب. يقول: ولا يحسبن الذين[٤] أوتوا العلم والكتاب[٥] أن ما يؤتون من المال وينالون من النيل بكتمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وصفته وتحريفها يكون ذلك خيرا[٦] لهم، بل هو شر لهم[٧] في الدنيا والآخرة، ولو لم يكتموا لكان[٨] خيرا لهم في الدنيا ذكرا وشرفا، وفي الآخرة ثوابا وجزاء. وقيل: نزلت في مانعي[٩] الزكاة بخلا منهم وشحا، فذلك وعيد لهم. والأول أشبه. ***والله أعلم***. وإن كان في الزكاة قيل:[١٠] [يحمل المنع على][١١] الجحود بها، كقوله تعالى: اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.[١٢]

---

[١] ك: منكم أحدا.
[٢] جميع النسخ: أحكام.
[٣] ع م – ولكنه.
[٤] ع م – قيل نزلت الآية في علماء أهل الكتاب يقول ولا يحسبن الذين.
[٥] ن ع م: بالكتاب.
[٦] م: خير.
[٧] ك – قيل نزلت الآية في علماء أهل الكتاب يقول ولا يحسبن الذين أوتوا العلم والكتاب أن ما يؤتون من المال وينالون من النيل بكتمان بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وتحريفها يكون ذلك خيرا لهم بل هو شر لهم.
[٨] ك ع: كان.
[٩] ك ع: يفي.
[١٠] م: مثل.
[١١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٨و.
[١٢] سورة فصلت، ٧/٤١.

وقوله عز وجل: **سيُطَوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة**، فإن كان على التأويل الأول من كتمان نعته وصفته فهو -والله أعلم- يطوق ذلك في عنقه يوم القيامة ليعرفه كل أحد، كقوله عز وجل: وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ.[1] وإن كان على التأويل الثاني قيل: إن الزكاة التي منعها تصير[2] حية ذكرا شجاعا أقرع ذا[3] زبيبتين[4] يعني نابين، فيُطَوَّق بها في عنقه، فتنهشه بنابَيْها فيتقيها بذراعيه حتى يقضى بين الناس فلا يزال معه حتى يساق إلى النار.[5] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ولله ميراث السماوات والأرض.** في الآية دلالة أن أهل السماوات يموتون، ليس على ما يقوله القرامطة،[6] إنهم لا يموتون؛ لأنه أخبر أن له ميراث السماوات والأرض، والوارث هو الذي يَخلُف المُورث. دل أنه ما ذكرنا، وإن كانوا هم وجميع ما في أيديهم لله[7] عز وجل مُلكٌ وعبيدٌ. ألا ترى[8] أنه روي في الخبر: «لا يرث الكافرُ المسلم ولا المسلم الكافرَ إلا المولى من عبده»،[9] سمي ما يكون للمولى من عبده ميراثا، وإن كان العبد وما في يده ملكا[10] للمولى.

---

[1] ﴿وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٣).

[2] ع: يصير.

[3] جميع النسخ: ذو.

[4] ك: نبيبتين.

[5] عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّل له ماله شُجاعا أقرع له زبيبتان يُطَوَّقه يوم القيامة يأخذ بلِهْزِمَتيه يعني بشِدْقَيه. يقول: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ إلى آخر الآية» (*صحيح البخاري*، الزكاة ٣. وانظر: *تفسير الطبري*، ٤/١٩١-١٩٢؛ وتفسير القرطبي، ٤/٢٩١).

[6] القرامطة: فرقة من غلاة الشيعة، تنسب إلى حمدان القِرمِط. وهو رجل من أهل الكوفة. وقد ظهر أصل هذا المذهب بعد وفات الخلفاء الراشدين، على أيدي طائفة من المجوس الذين نهضوا لتلبيس على المسلمين، والدعوة إلى الكفر. ويدور مذهبهم على القول بأن لكل كلام بطنا وظهرا، والادعاء بأنهم يعممون الباطن وتأويل القرآن بناء على هذا. وتسمى هذه الفرقة أيضا بالسبعية. انظر: *أصول الدين* لأبي اليسر محمد البزدوي، ٢٣٧-٢٤٠؛ و*كشاف اصطلاحات الفنون* للتهانوي، «القرامطة»، و«السبعية»؛ و(DİA)، «Karmatîler».

[7] ن - لله.

[8] ك: ألا يري.

[9] رُوي الحديث بدون قوله: «المولى من عبده» في *صحيح البخاري*، الفرائض ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الفرائض ١؛ و*السنن الكبرى* للنسائي، ٤/٨٣؛ و*المستدرك* للحاكم، ٤/٣٨٣. وفي *السنن الكبرى* للبيهقي، (٦/٢١٨) عن جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: «لا يرث المسلم النصراني إلا أن يكون عبده أو أمته». ونقل البيهقي عن الدارقطني أن المحفوظ في هذا الحديث الوقف. وقد روي عن علي وجابر رضي الله عنهما موقوفا. انظر: مصنف *ابن أبي شيبة*، ٦/٢٨٤.

[10] جميع النسخ: ملك.

فعلى ذلك الأول، سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له وإن كانوا[1] هم عبيده وما في[2] أيديهم ملكا[3] له. *والله أعلم*.

{قال الشيخ رحمه الله:} وقوله[4] تعالى: **ولله ميراث السماوات والأرض**، وكانت له لا بحق الميراث لوجهين. أحدهما على الإخبار عن ذهاب أهلها وبقائه عز وجل دائما، إذ ذلك وصف المواريث أن تكون[5] لمن له البقاء بعد فناء من تقدم. والله عز وجل هو الباقي بعد فناء الكل. مع ما يجوز القول بما هو له في الحقيقة من قبله بالميراث؛ من حيث ملكُ غيره الانتفاعُ بذلك. وعلى ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر إلا المولى من عبده»؛ وليس ذلك في الحقيقة / ميراثا،[6] إذ كان له في حال [١١٥و] حياته، ولكن كان [للعبد] ولاية الانتفاع به فزالت.[7] وعلى مثل هذا وراثة المسلمين الجنة، لا على انتقال من غيرهم إليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول أمرها لهم، أو على وراثة ما لو كان من لم يؤمن [قد] آمن، وما ادّعوا أنها لهم بقولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[8] فصار ميراثا لغيرهم ما ادعوا أنها لهم. *والله أعلم*.

والثاني أن يعلم كلٌّ بالموت حقيقتها أنها له، فأضيفت إليه بالميراث عنهم. كما قال الله تعالى: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[9] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[10] والمرجع[11] ونحو ذلك، من غير غيبة [لأحد] عنه،[12] ولكن مما يعلم كل إذ ذاك ذلك، وكذلك قوله عز وجل: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.[13] وهو في الحقيقة في كل يوم له. *ولا قوة إلا بالله*.

---

[1] ع: وإن كان.
[2] ع م + يده.
[3] جميع النسخ: ملك.
[4] ك – وقوله.
[5] ن ع م: أن يكون.
[6] جميع النسخ: ميراث.
[7] جميع النسخ: فزال.
[8] ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/١١١).
[9] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تَبعا فهل أنتم مُغنُون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزِعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢١).
[10] سورة المائدة، ٥/١٨.
[11] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إليه مرجعكم جميعا﴾ (سورة يونس، ١٠/٤).
[12] ن – عنه.
[13] ﴿يومَ لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٩).

وفي الذكر والإخبار أنها له ميراثٌ تحريضٌ على الإنفاق والتزود؛ إذ هي في الحقيقة لغير[1] أهلها، وإنما لهم ما ينفقون و[ما] يتزودون، دون ما يمسكون. وفيه منع [عن] الإمساك، وذلك كقوله[2] تعالى: وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[3] الآية.

**والله بما تعملون خبير**، وعيد منه عز وجل إياهم.

**﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**[١٨١]

وقوله عز وجل: **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**، قيل لما نزلت: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[4] الآية، قالت اليهود: ربكم[5] يستقرض منكم ونحن أغنياء. وليس في الآية بيان أن ذلك القول إنما قاله اليهود أو غيرهم من الكفرة، ولكن فيه أنهم قالوا ذلك. فلا ندري من قال ذلك، ولا يجوز أن يشار إلى أحد بعينه إلا ببيان.

ثم يحتمل ذلك القول منهم وجوها. يحتمل أن يكون قال ذلك أوائلهم، على ما قيل[6] في قتل الأنبياء عليهم السلام، وهؤلاء لم يقتلوا ولكن إنما قتلهم أوائلهم، أضيف ذلك إليهم رضا منهم بصنيعهم.[7] فعلى ذلك القول الذي قالوا يحتمل ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون هؤلاء قالوا ذلك بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمشهدهم، أو قالوا ذلك في سر.

فإن قال ذلك أوائلهم فإنه يحتمل وجهين. يحتمل أن يكون الله تعالى أعلم ذلك رسوله تصبيرا منه[8] إياه وتسكينا ليصبر على أذى الكفار، حيث قالوا في الله ما قالوا، فكيف فيه؟ *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون أعلم[9] ذلك ليكون آية من آيات رسالته.

---

[1] ن: بغير.
[2] ن م: لقوله.
[3] سورة الحديد، ٥٧/١٠.
[4] ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥).
[5] م: وربكم.
[6] ك ع م: قال.
[7] ع: صنيعهم.
[8] ن ع م - منه.
[9] ع م - ويحتمل أن يكون أعلم.

وإن كانوا قالوا ذلك بحضرة أصحابه صلى الله عليه وسلم ففيه أيضا وجهان. أحدهما [على] ما ذكرنا من التسكين والتصبير على أذاهم. والثاني ليعلموا أن جميع ما يقولون محفوظ عليهم، ليس بغائب عنه ولا غافل،[١] كقوله عز وجل: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[٢] الآية. لكن يؤخر ذلك إلى وقت.

وإن كانوا قالوا ذلك سرا، ففيه أيضا وجهان. أحدهما ما ذكرنا أن يكون آية من آيات رسالته[٣] ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله، على علم منهم أنه لم يكن فيما بينهم من يُنهي الخبر إليه. والثاني خرج على التعزية له[٤] والتصبير على أذاهم.

ثم معنى قوله تعالى أَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا،[٥] و[قوله:] مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا،[٦] يحتمل وجوها.[٧] أحدهما لئلا يَمُنّوا على الفقراء بما يتصدقون عليهم إذ يعلمون أنه [عز وجل] ليس بفقير ولا محتاج[٨] فيستقرض لفقره ولحاجته. وكل من أقرض آخر [في الشاهد] لا لحاجة له في ذلك القرض ولا فقر، ولكن ليكون ماله عنده محفوظا في الشاهد، فإنه لا يَمنّ المقرِضُ عليه، بل تكون المنة للذي عنده القرض على المقرض، حيث يحفظ ماله في السَّفاتِج.[٩] فعلى ذلك المال الذي يقرضون ويتصدقون على الفقراء، يكون محفوظا عند الله ليوم حاجتهم إليه، فلا منة تكون[١٠] على الفقير. ***والله أعلم.***

والثاني [هذا] إنباء عن جوده وكرمه، لأن العبد وما في يده له، فلو أراد أن يأخذ جميع ما في يده لكان له ذلك، ثم يطلب منه ببدل يضاعِف على ذلك.

والثالث أن المولى في الشاهد إذا طلب من عبده[١١] القرض يكون في ذلك شرف للعبد وعِظم.

---

[١] ك ن: ليس بغائت عنه ولا غافل عنه؛ ع م: ليس بغائت (ع (ه): بغائب) ولا غافل عنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٨ظ.

[٢] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

[٣] ع م: النبوة.

[٤] م – له.

[٥] ﴿إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يُضاعَفُ لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).

[٦] سورة البقرة، ٢٤٥/٢.

[٧] جميع النسخ: وجهين.

[٨] ع + إلى غيرهم.

[٩] جمع السُّفْتَجَة. وهو أن يعطي مالاً لآخر، وللآخر مال في بلد المعطِي، بصيغة اسم الفاعل، فيُوفّيه إياه ثَمّ، أي هناك، فيستفيد أمن الطريق (*القاموس المحيط*، «سفتجة»).

[١٠] ن ع: يكون.

[١١] ع: منه.

فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى إذا طلب من عبده القرض على علم منه[1] أنه غني بذاته لا يجب أن يبخل عليه، إذ في ذلك شرفه وعظمه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير**. قال أهل التفسير: قالت [ذلك] اليهود. وذلك تنبيه لصنيعهم[2] وشدة سفههم حتى زعموا أن يد الله مغلولة.[3] لكن ليس في الآية بيان القائلين، ولا في النسبة إلى أحد نفع سوى خوف الكذب لو لم يكن ذلك منه، لكنهم قالوه. والأغلب على مثله أن يكونوا قالوه سرا يكون في إظهاره آية الرسالة. أو كانت الأوائل يقولونه،[4] فيكون في ذلك ذلك، إذ[5] لا يحتمل أن يصير لمثله يقال بحضرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلا أن يكون في وقت أمروا بالكف [عنهم]، فيكون في ذلك بيان قدر طاعتهم لله، مع عظم[6] ما سمعوا من القول.

وجملة ذلك[7] أن في ذكر ذلك دعاءً إلى الصبر على أذاهم وسوء قولهم؛ إذ هم مع تقلبهم في نعم الله تعالى وعلمهم بأنهم لم ينالوا خيرا إلا بالله تعالى اجترءوا[8] عليه بمثل هذا القول وبلغ عتوّهم هذا، والله جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه يَحْلُم[9] عنهم ليوم وعدهم فيه الجزاء. فمن ليس منه إليهم نعمة ولا تقدّم عليهم منه كبير[10] مِنّة أحق بالصبر لأذاهم والإعراض[11] عن مكافأتهم. وعلى ذلك قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ،[12]
[١١٥ظ] الآية، وقول[13] الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: فَاعْفُ عَنْهُمْ / وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.[14]

---

[1] جميع النسخ + في.
[2] ك: بصنيعهم؛ ن: على صنيعهم.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٦).
[4] ك ع م: إن كانت الأوائل يقولون فيكون في ذلك ذلك؛ ن: إن كانت الأوائل يقولون فيكون في ذلك.
[5] م: أن.
[6] ك: عظيم.
[7] ع - ذلك.
[8] ك: اجتراوا؛ ن ع م: اجتراء.
[9] ك: يحكم.
[10] ك: كثير.
[11] ن ع: وإعراض.
[12] ﴿قل للذين آمنوا يغفروا لذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الجاثية، ١٤/٤٥).
[13] ع: وقال.
[14] ﴿ولا تزال تَطّلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ (سورة المائدة، ١٣/٥).

وقوله عز وجل: **سنكتب ما قالوا**، قيل: سنجزيهم جزاء ما قالوا، وقيل: سنحفظ ما قالوا وسنُثبت وسنُلزم،[١] كقوله عز وجل: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ.[٢] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقَتْلَهم الأنبياءَ بغير حق**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم أنه يحتمل أن قَتَلَ أوائلهم فأضيف إليهم لرضاهم بفعلهم،[٣] كقوله عز وجل: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا،[٤] لرضاه بقتله.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: **وقَتْلَهم الأنبياءَ بغير حق**، والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يرتكبون ما يجب به قتلُهم، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ،[٥] الآية، أطلق القول فيه من غير ذكر اكتساب شيء يستوجب به ذلك، وشَرَط في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به،[٦] كقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا،[٧] الآية. فكيف ذكر هاهنا القتل[٨] بغير حق، وهم لا يكتسبون[٩] ما يستوجبون[١٠] به القتل؟

قيل:[١١] يحتمل قوله **بغير حق**، أي بغير حاجة، لأنهم كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم في قتلهم، على ما قيل: إنهم كانوا يقتلون[١٢] كذا كذا نبيا ثم يهيج لهم سوء[١٣] النَقْر.[١٤]

---

[١] جميع النسخ: وسألزم.

[٢] ﴿وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ (سورة الإسراء، ١٣/١٧).

[٣] م - كقوله عز وجل وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه والله أعلم وقوله عز وجل وقتلهم الأنبياء بغير حق قد ذكرنا هذا فيما تقدم انه يحتمل أن قتل أوائلهم فأضيف إليهم لرضاهم بفعلهم.

[٤] سورة المائدة، ٣٢/٥.

[٥] ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣).

[٦] م - به.

[٧] ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٨/٣٣).

[٨] ع م - القتل.

[٩] ك: لا يستوجبون؛ ك (هـ): لا يكتسبون.

[١٠] ك - ما يستوجبون.

[١١] ن: فيه.

[١٢] ع - يقتلون.

[١٣] جميع النسخ: سوق.

[١٤] ك ن: البقر؛ ع م - النقر. والنَّقَر: الفقر والحاجة (*لسان العرب*، «نقر»). وعبارة السمرقندي هكذا: «يحتمل قوله: ﴿بغير حق﴾ أي بغير حاجة، لأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بلا منفعة لهم في قتلهم، لأن للكفرة شوكة وقوة ولم يكونوا تحت تصرف الأنبياء وقهرهم، على ما قيل: إنهم كانوا يقتلون كذا وكذا نبيا ثم يقول [لعله يهيج] لهم سوء النقر. فإذا كان كذلك فصار معنى قوله ﴿بغير حق﴾ أي بغير حاجة. وهذا مستعمل في الكلام، قال الله تعالى في قصة لوط خبرًا عن لوط وقومه...» (شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ١٥٨و).

فإذا كان كذلك يحتمل قوله: **بغير حق**، أي بغير حاجة، كقول لوط عليه السلام: هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ، فقالوا: مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ،[1] أي من حاجة. ***والله أعلم***.

ويحتمل قوله عز وجل: **وقَتْلَهم الأنبياء**، أي قصدوا قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأَنْ قد قتلوه، أو قتلوا[2] أصحابه رضي الله عنهم فأضيف إليهم[3]. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ونقول ذوقوا عذاب الحريق**، أي المحرق، وقد ذكرنا هذا.[4]

**﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١٨٢]**

وقوله عز وجل: **ذلك بما قدمت أيديكم**، ذكر الأيدي لما بالأيدي يُقدَّم، وإن لم يكن هذا مقدما باليد في الحقيقة، وكذلك قوله: فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[5] لما باليد يُكتَسب.[6] ***والله أعلم***.

**﴿اَلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٨٣]**

وقوله عز وجل: **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان**، قيل: إنهم لما دُعوا إلى الإسلام –يعني اليهود– قالوا: **إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار**، وكان ذلك آية في بني إسرائيل، فسأل اليهود من نبينا محمد[7] صلى الله عليه وسلم ذلك.[8] وقيل كان مِن قبلنا في الأمم الخالية ذلك، فسألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك. ولكن[9] لم يكن القربان من آيات النبوة والرسالة، إن كان فهو من آيات التقوى، كقوله عز وجل: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.[10] كان القربان من آيات التقوى،

---

[1] ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ (سورة هود، ١١/٧٨-٧٩).

[2] ن: وقتلوا.

[3] ك ن ع: إليه.

[4] انظر عند تأويل قوله تعالى في هذه السورة، ٣/١٠٦.

[5] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٣٠).

[6] ن: يكسب؛ م: يكتب.

[7] ك: من محمد ذلك.

[8] ك – دلك.

[9] ك + لما.

[10] سورة المائدة، ٥/٢٧.

ألا ترى أنه قال: يا محمد **قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم**، يعني القربان، **فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين** أن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول إلا بكذا.[١] أي إن كان دلك من آيات النبوة لم قتلتم الأنبياء الذين أتوا به؟ أو لم قَتل أوائلكم الأنبياء إذا أتوا بالقربان إن كنتم صادقين أنه[٢] من آيات[٣] النبوة، أو إن كنتم صادقين أنه عهد إليكم أن لا تؤمنوا به حتى يأتي بقربان. *والله أعلم*.

وفي قوله عز وجل أيضا:[٤] **قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**، [وجه آخر] فهو - والله أعلم-[٥] أن أوائلهم ادعوا الذي ذكروا من العهد، وهم تبعوا أولئك. فعرّفهم صنع من يّدعون[٦] [أنّ] بهم احتجوا ليكون لهم فيه آية: إما يكذّبهم[٧] بما احتجوا بوصية المتقدمين في ذلك فبطل عذرهم؛ إذ هم قتلوهم، فلا يجوز تصديقهم على العهد الذي ادعوا وذلك صنيعهم؛ أو يقرّ[٨] أنهم أُخبروا بالعهد من غير أن كان[٩] كذبا وباطلا، فبطل حِجاجهم [أيضا].[١٠] على أن في الآية: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،[١١] جعل[١٢] ذلك آية التقى لا آية النبوة.

والأصل فيه أنا لما عرفنا آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يذكر فيها القرابين، ثبت أن هذا الذي ادعوا ليس هو بعهد جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكنه حيل السفهاء بتلقين الشياطين ووحيهم؛ لذلك لم يجب الذي ذكروا. *والله أعلم*.

---

[١] ك - إلا بكذا؛ ك + حتى يأتينا بقربان تأكله النار.
[٢] ع: آية.
[٣] ع - آيات.
[٤] ك ن: أيضا عزوجل.
[٥] جميع النسخ + ادعوا.
[٦] ك: بدعويهم؛ ن ع م: يدعوا.
[٧] جميع النسخ: إما تكذيبهم.
[٨] جميع النسخ: أو يقروا.
[٩] ع - كان.
[١٠] أي يبطل ادعاؤهم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي، لأنه أخبر مما كان من العهد في الأزمنة القديمة، وذلك إخبار من الغيب وآية للنبوة.
[١١] ﴿واتل عليهم نبأ ابنَيْ آدم بالحق إذ قرّبا قربانا فتُقُبِّل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٧).
[١٢] جميع النسخ: فجعل.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[١٨٤]

وقوله عز وجل: **فإن كذّبوك** يا محمد في القول وما جئت من آيات تدل وتوضح أنك رسول الله وأنك صادق في قولك، **فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات**، يُعزِّي نبيه صلى الله عليه وسلم ويُصبِّره، ليصبر على أذاهم وتكذيبهم إياه، كما صبر أولئك على أذاهم وتكذيبهم،[١] كقوله عز وجل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[٢] الآية.

وفي قوله تعالى أيضا: **فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك**، وجوها. أحدها أن يصبّره على ذلك بما له فيه إخوان[٣] صبروا على عظم ذلك عليهم، وذلك [كما] في قوله عز وجل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٤]

والثاني على رفع العذر عنه في ترك الإبلاغ، إن ذلك لم يمنع من تقدمه.

والثالث على الإنباء أنهم أصحاب تقليد في التكذيب، لا أن يكذبوا[٥] عن محنة[٦] وظهور.[٧] فذلك أقل للتأذي به ولتوهم الارتياب في الإنباء؛ [و]ليستقين من حضره وصدّقه أن ذلك منهم [جري][٨] على الاعتياد والتقليد دون المحنة والظهور. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **بالبينات**، قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع.[٩] وقوله: **والزبر**، قيل: أحاديث الأنبياء عليهم السلام من قبلهم بالنبوءة[١٠] على ما يكون. وقيل: **الزبر** هي الكتب، أي **جاءوا بالبينات والزبر** يعني الكتب. **والكتاب المنير**، قيل: **الزبر والكتاب** واحد. وقيل: **الكتاب**[١١] هو الذي فيه الحلال والحرام والأحكام المكتوبة عليهم، و**المنير** هو الذي أنار قلب كل من تمسك بالهدى، كما قيل في الفرقان: إنه يَفصل ويفرّق بين الحق والباطل. ***والله أعلم***.

---

[١] م – إياه كما صبر أولئك على أذاهم وتكذيبهم.

[٢] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[٣] م: أجران.

[٤] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[٥] جميع النسخ: يكذبون.

[٦] م: من محنة.

[٧] أي ليس تكذيبهم بسبب المحنة وظهور آراء خاصة لهم وإن كانت باطلة.

[٨] والزيادة مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٩و.

[٩] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة آل عمران، ٩٧/٣، ١٠٥.

[١٠] جميع النسخ: بالنبوة.

[١١] جميع السخ + المنير.

وتسمى[١] كتب الله[٢] كلها فرقانا / ومنيرا، بما تُفرق[٣] بين الحق والباطل، وتبين[٤] السبيلين جميعا. [١١٦و]
*والله أعلم*.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١٨٥]

وقوله عز وجل: **كل نفس ذائقة الموت**، فيه دلائل. **١)** أحدها دليل إثبات الرسالة، لأنه ليس في العقل أن لا تبقى هذه الأنفس أبدا ولا تدوم، ولا [توجد] فيها آثار فنائها وموتها.[٥] ثم وجود العلم من كل منهم بالموت والتسليم له والإقرار منهم أن كل نفس تموت يدل [على] أنهم إنما عرفوا ذلك وأيقنوا به من خبر السماء بالوحي. *والله أعلم*.

**٢)** ثم إن كل حي يتلذذ بحياته وحُبِّب ذلك إليه، ويتكرّه الموت[٦] ويبغضه.[٧] دل أن هذا العالم لم يكن بالطباع ولكن كان بغيره؛ لما يتلذذ[٨] طبع كل منهم بالحياة ويتكره بالموت ويبغضه،[٩] إذ لو كان به لكان يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يتكره به. فدل[١٠] أن غيرا فعل ذلك وخلق، لما ذكر: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ،[١١] الآية.[١٢] وفي ذلك بطلان قول أصحاب الطبائع.[١٣] وأيضا إن كل نفس يجتمع فيها الطبائع المختلفة المتضادة التي من طبعها التنافر،

---

[١] ن ع م: ويسمى.
[٢] م – الله.
[٣] جميع النسخ: يفرق.
[٤] ع م: ويبين.
[٥] ع م – وموتها. «لأنه ليس في العقل ما ينفي بقاء هذه الأنفس أبدا، ولا ما فيه يوجب فناءها وعدمها وتعقب موتها؛ ووجود الموت في حق البعض لا يوجب الوجود في الباقين» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٣٩ظ).
[٦] ع م – الموت.
[٧] م: ويقبضه.
[٨] ع م + به.
[٩] ك: ويتنغض به؛ ن ع: ويتبغض.
[١٠] ع: ودل.
[١١] ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (سورة الملك، ٦٧/٢).
[١٢] ن – الآية.
[١٣] فهم الطبيعيون، ويسمون أيضا بالطبائعيين أو الطبائعية. فهم قوم قالوا بأن أصل الوجود مبني على الطبائع الأربع، فهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. فقد ذهبوا إلى أن العالم مركب منها، فهي قديمة في نظرهم، كما أن الأفلاك والكواكب قديمة أيضا. *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٤٠؛ *والتبصير في الدين* للإسفراييني، ١٥٠؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ٣٥٩-٣٦٣.

لم يجز أن تكون[1] بنفسها[2] تجتمع،[3] دل أن له جامعا.[4] وأيضا إن العالم لو كان بنفسه وطبعه لاختار كل لنفسه أحوالا[5] أحسن الأحوال[6] وألذَّها، فيبطل به الشرور والقبائح؛ فدل وجود ذلك على كونه بغيره.

٣) ثم فيه أن ذلك الغير الذي كان به العالم واحد لا عدد؛[7] إذ لو كان بعدد لم يحتمل وجود العالم على الطبائع المختلفة والهمم المتفرقة، ما[8] جمع هذا فرّق الآخر، وما أثبت هذا نفى الآخر، وفي ذلك[9] فساد الربوبية. فدل وجوده على ما ذكرنا أنه واحد لا عدد، فاتسق تدبيره ونفذ[10] أمره. مع ما كان الأمر المعتاد بين الملوك في الشاهد أن من فعل هذا نقضه[11] الآخر، وما رام هذا إيجاده يريد الآخر إعدامه، وما أبقى هذا أراد الآخر[12] إفناءه،[13] وفي ذلك تناقض وتناف. فدل الوجود على أن الذي به كان واحد لا عدد. ثم لا[14] يحتمل على الاصطلاح بينهم،[15] لأنه يدل على العجز والجهل؛[16] إذ[17] العجز والجهل هو الذي حملهم على الاصطلاح، والعاجز والجاهل لا يصلح أن يكون إلها وربا. *وبالله التوفيق*.

٤) ثم الدلالة على حكمته وعلمه؛ إذ[18] لم يعاين شيء ولا يشاهَد إلا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن إدراك ماهيته وكيفية خروجه على ما خرج.

---

[1] ن ع: أن يكون.
[2] جميع النسخ: بنفسه.
[3] جميع النسخ: يجتمع.
[4] جميع النسخ: جامع.
[5] م: أموالا.
[6] م: الأموال.
[7] ك: عدة.
[8] جميع النسخ: لما.
[9] ع م + هنا.
[10] ن: وتقدير.
[11] جميع النسخ: نقض.
[12] م: الآخرة.
[13] ع: إعدامه.
[14] ع م – لا.
[15] ك ع: منهم.
[16] ك: على الجهل والعجز.
[17] ع م: ان.
[18] ن ع: ما.

وعلم كل أحد منهم بقصور[1] علمه –على ما عنده من الحكمة والعلم– عن إدراك كنه ذلك فيما ذكرنا. وفي خروج[2] الفعل متقنا محكما دلالة حكمة مبدعه وخالقه. *وبالله التوفيق*.

٥) ثم الدلالة أنه لم يَخلق الخلق للفناء خاصة، ولكن خَلق للعواقب: يُؤمَل[3] ويرجى ويخاف ويحذر. وخروج[4] فعل كل أحد في الشاهد عن الحكمة[5] إذا بُني للفناء والنقض [مسلَّم]. فإذا كانت الحكمة التي هي جزء [من فعل الحكماء] تخرج[6] عن الحكمة –إذا كان ذلك للفناء والهلاك خاصة– فخروج[7] الكل[8] عن ذلك[9] أحرى وأولى أن يكون سفها، لا حكمة. *والله الموفق*.

{قال [الشيخ][10]:} دلت طمأنينة القلوب بموت كل نفس [على] ترك[11] حكماء البشر الاحتيالَ في دفعه. على [رغم] ما ليس في الجوهر دليله ولا في العقل امتناعه،[12] [فظهر] أنه عُرف ذلك بمن له التدبير فيها بالوحي إليهم.[13] وفي ذلك إيجاب القول بالرسل.[14]

ثم دل قهر جميع الحكماء به[15] –على حب الحياة إليهم وبغض الموت عندهم– على خروج جميع الأحياء عن تدبيرهم. وفي خروجهم [دليل] خروج الأموات، إذ هم تحت تدبير الأحياء. ثم في طمأنينة[16] كل قلب على الموت دلالةُ التدبير للواحد؛ إذ لو كان لأكثرَ لجاز[17] التمانع

---

[1] ع م: بتصور.
[2] جميع النسخ: وخروج؛ ك هـ: وفي حروج.
[3] ك ن ع: يتأمل؛ م: يأمل.
[4] ك ن: خروج.
[5] جميع النسخ: من الحكمة.
[6] ن ع م: يحرج؛ جميع النسخ + فعله.
[7] جميع النسخ: وخروج.
[8] ع م: كل.
[9] ك ن م + لذلك.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ.
[11] جميع النسخ: وترك.
[12] أي لا يوجد في جوهر الإنسان وبنيته دليل وجوب الموت، ولا يوجد أيضا في العقل امتناع عدم الموت.
[13] ع م: إليه.
[14] ع م: بالرسول.
[15] أي دل كون جميع الحكماء مغلوبا ومقهورا بسبب وقوع الموت.
[16] م: ثم طمأنينة.
[17] جميع النسخ: ليجوز.

وإبطال الوارد من الوحي، وفي ذلك ارتياب. مع ما كانت كل نفس تحت أمورٍ تَقهرها[١] وتُحوجها[٢] إلى أمورٍ تَعلم أن مدبرها هيّأها على ذلك وطَبَعَها، وأنه العليم بما به صلاحها وقوامها، وإليه حاجتها، وعلى ذلك جبَلها؛ ليظهر عظم[٣] حكمته وتعاليه عن الشرك في التدبير أو المعونة في التقدير.

ثم لا يحتمل نشوء مثله على ما جرى عليه من حكمة في موت كل أنه كان للموت أُنشِئ لا لغير[ه]، إذ تدبير فعلٍ واحد للفناء خاصة من حكماء البشر يخرج عن معنى الحكمة ويدل على قصور صاحب ذلك وسفهه. فجملة العالم -الذي كانت حكمة الحكماء جزءًا[٤] منها وعقل العقلاء بعضا[٥] منها- أحقُّ وأولى، فثبت أنها أنشئت: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[٦] و ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[٧] وذلك قوله تعالى: **كل نفس ذائقة الموت،** الآية.

وقوله عز وجل: **وإنما تُوَفَّوْن أجورَكم يومَ القيامة،** لما ذكرنا أنهم لها خلقوا، **يعني**[٨] الآخرة للجزاء والثواب.

وقوله عز وجل: **فمن زحزح عن النار،** قيل: بعّد، ونُجِّي عنها. **وأُدْخِل الجنةَ فقد فاز،** قيل: **فاز** نجا، وقيل: سَعَد، وقيل: الفائز السابق، وقيل: **فاز** غَنِم. وأصل الفوز النجاة، أي نجا مما يخاف ويحذر ويظفر بما يأمُل.[٩]

وقوله[١٠] عز وجل: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور،** حياة الدنيا[١١] غرور، كقوله عز وجل: [اِعْلَمُوا] أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ،[١٢]

---

[١] ع م: يقهرها.
[٢] ن ع م: ويحوجها.
[٣] ك: عظيم.
[٤] جميع النسخ: جزء.
[٥] جميع النسخ: بعض.
[٦] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٦).
[٧] سورة المؤمن، ٤٠/١٧.
[٨] ن ع م: أعني.
[٩] جميع النسخ: يتأمل.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ك + للدنيا.
[١٢] سورة الحديد، ٥٧/٢٠.

حياة[١] الدنيا[٢] لعب ولهو وغرور، والآخرة ليست بلعب ولا لهو ولا غرور. وأصل الغرور هو أن يتراءى الشيءُ في ظاهره حسنا مموَّها[٣] يغتر بها كل ناظر إليها ظاهرا، فإذا نظر في باطنها وجدها قاتلة مهلكة. نعوذ بالله من الاغترار بها. وقيل: الحياة الدنيا على ما عند أولئك الكفرة لعب / ولهو، وعند المؤمنين حكمة. [١١٦ط]

**﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**[١٨٦]

وقوله عز وجل: **لتبلون في أموالكم وأنفسكم**، يحتمل الابتلاء في الأموال والأنفس أن يُبلُوا بالنقصان فيها، كقوله عز وجل: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ،[٤] الآية. ويحتمل أن يُبلُوا بما جُعل فيها من العبادات، من نحو الزكاة في الأموال والصدقات والحقوق التي جعل فيها. وفي الأنفس من العبادات[٥] من [نحو] الصلاة والجهاد والحج وغيرها من العبادات. *والله أعلم*.

وقوله: **ولَتسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب**، يعني الذين لهم علم بالكتاب، ومن غيرهم، **أذى كثيرا**، أي تسمعون أنتم من هؤلاء **أذى كثيرا** على ما سمع إخوانك الذين كانوا من قبلك من أقوامهم **أذى كثيرا**،[٦] كقوله عز وجل: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ.[٧]

وقوله عز وجل: **وإن تصبروا** على أذاهم **وتتقوا** مكافأتهم، على ما صبر أولئك واتقوا مكافأتهم، **فإن ذلك من عزم الأمور**، قيل: من خير الأمور، هذا يحتمل.

وقيل: **ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب**، من قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله،[٨] **ومن الذين أشركوا**، يعني العرب، **أذى كثيرا**، نَصْب الحروب فيما بينهم والقتال والسب[٩] وغير ذلك.

---

١ ع: وحياة.
٢ ك ن ع + للدنيا.
٣ م: مموها.
٤ ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).
٥ ك – من نحو الزكاة في الأموال والأنفس والصدقات والحقوق التي جعل فيها وفي الأنفس من العبادات.
٦ ك – أي تسمعون أنتم من هؤلاء أذى كثيرا على ما سمع إخوانك الذين كانوا من قبلك من أقوامهم أذى كثيرا.
٧ سورة آل عمران، ٣/١٨٤.
٨ يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).
٩ ع م: والسيف.

**وإن تصبروا** على ذلك والطاعة له[1] وتتقوا معاصي الرب، **فإن ذلك من عزم الأمور،** يعني من حزم الأمور.

**﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾**[١٨٧]

وقوله عز وجل: **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب،** أي الذين أوتوا العلم بالكتاب. وإذ أخذ الميثاق ليبينوا، أي يبينوا للناس ما في الكتاب من الأمر والنهي، وما يحل وما يحرم، وغير ذلك من الأحكام ولا يكتموا[2] ذلك. ويحتمل أنْ أَخذَ عليهم الميثاق أن بيّنوا للناس بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، ولا تكتموه بالتحريف وترك[3] البيان.

وقوله عز وجل: **فنبذوه وراء ظهورهم،** أي لم يعملوا[4] بما فيه ولا بينوا للناس، **فهو** كالمنبوذ وراء ظهورهم. **واشتروا به ثمنا قليلا،** الآية قد ذكرنا معناه في غير موضع.[5] وعن علي رضي الله عنه، قال: ما أخذ الله ميثاقا على أهل الجهل بطلب العلم حتى أخذ ميثاقا من أهل العلم ببيان العلم،[6] لأن العلم كان قبل الجهل.

**﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[١٨٨]

وقوله عز وجل: **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا،** قيل: بما غيروا من نعت محمد عليه أفضل الصلوات وصفته في كتابهم وكتموه، وبتبديلهم[7] الكتاب وإعجاب الناس ذلك وحمدِهم على ذلك. وقيل: إن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك، وليس ذلك في قلوبهم. فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ فقالوا:[8] عرفناه وصدقناه. فقال[9] المسلمون: أحسنتم بارك الله فيكم،

---

[1] ع م – له.
[2] ن ع م: ولا تكتموا.
[3] ك: وبترك.
[4] ك م: لم يعلموا.
[5] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة، ٢/١٢، ٦١٦؛ وسورة آل عمران، ٣/٧٧.
[6] ع م – ببيان العلم. *زاد المسير* لابن الجوزي، ١/٥٢١؛ *وتفسير الألوسي*، ٤/١٥٠.
[7] جميع النسخ + وتبديلهم.
[8] جميع النسخ: فيقولون.
[9] جميع النسخ: فيقول.

فحمدهم[1] المسلمون على ما أظهروا من الإيمان، وهم يحبون أن يُحمَدوا على ذلك. فذلك تأويل قوله:[2] **ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**. وقيل: إنهم قالوا: نحن أهل الكتاب الأول والعلم، وأهل الصلاة والزكاة، و لم يكونوا كذلك، وأحبوا أن يحمدوا على ذلك. والله أعلم بالقصة.

وفي قوله أيضا: **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**، الآية،[3] دليل ما ذم الله [به] عباده وأوعدهم عليه أليمَ عقابه فيما أحبوا الحمد على ما لم يفعلوا. تعالى الرب عن قول المعتزلة في قولهم: ليس لله في الإيمان تدبير سوى الأمر ولا صنع؛ وقد أحب أن يُحْمَد عليه بقوله عز وجل: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[4] وبقوله عز وجل: بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[5] وقوله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ،[6] في غير موضع من القرآن. ***ولا قوة إلا بالله***.

*وقوله عز وجل: **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**، قيل: ببعيد من العذاب، بل لهم [١١٧و س٣٢] عذاب أليم.[7] وقيل: **بمفازة**، أي بمنجاة من العذاب، وهو ما ذكرنا[8] من الفوز أنه نجاة مما[9] يخاف ويحذر، أي ليسوا هم بمنجاة[10] من العذاب، بل لهم عذاب أليم.[11]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٨٩]

وقوله عز وجل: **ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير**، يشبه –والله أعلم– أن يكون هذا جوابا لقوله:[12] لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[13]

---

[1] جميع النسخ: يحمدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠و.
[2] ع م – على ذلك فذلك تأويل قوله.
[3] جميع النسخ: دل.
[4] سورة الفاتحة، ١/٧.
[5] ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/١٧).
[6] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ٤/٨٣؛ وانظر أيضا: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «فضل»).
[7] م – قيل ببعيد من العذاب بل لهم عذاب أليم؛ ن ع – بل لهم عذاب أليم.
[8] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة آل عمران، ٣/١٨٥.
[9] ن ع م: على ما.
[10] ع: بنجاة.
[11] ك – وقيل بمفازة أي بمنجاة من العذاب وهو ما ذكرنا من الفوز أنه نجاة مما يخاف ويحذر أي ليسوا هم بمنجاة من العذاب بل لهم عذاب أليم.
[12] جميع النسخ: لقولهم.
[13] سورة آل عمران، ٣/١٨١.

أي كيف جاز نسبة الفقر إليه والحاجة وله[1] ملك ما في السماوات وما[2] في الأرض ونسبةُ الغنى إلى أنفسكم وأنتم عبيده وإماؤه وما في يد العبد يكون لمولاه؟ أو أن يكون جوابا لقوله:[3] وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ،[4] أي كيف يجوز أن يتخذ ولدا وله ملك ما في السماوات وما[5] في الأرض، كلهم عبيده وإماؤه. والولد في الشاهد إنما يتخذ لأحد وجوه أربعة:[6] إما لوحشة أصابته فيستأنس به، أو لحاجة تبدو له فيدفعها[7] به، أو لقهر وغلبة يخاف من عدو[8] فيستنصر به على أعدائه، أو ليرث[9] ملكه إذا مات. فإذا كان الله له ملك السماوات والأرض [١١٧ظ] [فالحق أنه] يتعالى عن أن يصيبه شيء / من ذلك. فكيف[10] جاز لكم أن تقولوا: اتخذ الله[11] ولدا؟ وإذا كان الخلق كلهم عبيده وإماءه –وأنتم لا تتخذون الأولاد من عبيدكم وإمائكم– كيف زعمتم أنه اتخذ ولدا من عبيده؟

وقوله عز وجل: **والله على كل شيء قدير**، وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: لا يقدر على خلق فعل العبد، وعلى قولهم: غير قادر على أكثر الأشياء، وهو قد أخبر أنه على كل شيء [١١٧ظ س٤] قدير.* وقال الله تعالى: **والله على كل شيء قدير**، امتدح جل ثناؤه بإدخال كلية الأشياء تحت قدرته، وبه خوّف من عاند نعمته[13] وأطمع من خضع له عظيم ثوابه. فلئن جاز إخراج شيء تحت القدرة عن قدرته لاضمحلّ[14] الخوف عما خوّفه والرجاءُ فيما أطمعه؛ إذ لم يظهر على ذلك قدرته إلا بقوله: **وهو على كل شيء قدير**، لأنه[15] لا صنع لأحد في شيء إلا بإقداره،

---

[1] م: له.
[2] ع م – وما.
[3] جميع النسخ: لقولهم.
[4] ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات وما في الأرض كل له قانتون﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٦).
[5] ع م – وما.
[6] جميع النسخ: ثلاثة. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٤٠ظ.
[7] جميع النسخ: فيدفع.
[8] ن ع: من عدوه.
[9] جميع النسخ: ويرث.
[10] ن ع: كيف.
[11] ك م – الله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ١١٧و/سطر٣٢-١١٧ظ/سطر٤.
[13] ن: ونعمته. أي أنكرها ورد الحق وهو يعرفه.
[14] ن: لا اضمحل.
[15] جميع النسخ: وما.

ومحال أن يقدر [عبده] على ما لا يقدر هو عليه، أو تزول[١] به قدرته لما فيه ما ذكرت. فلذلك قلنا في بطلان قول المعتزلة بإخراج أفعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه عن تدبيره. *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١٩٠]**

قال الله عز وجل: **إن في خلق السماوات والأرض**، إلى قوله عز وجل: **لآيات لأولي الألباب.**

نقول وبالله نستعين: أخبر الله عز وجل أن فيما ذكر آياتٍ لمن ذكر. ومعلوم أن الآيات إنما احتيج إليها لمعرفة[٢] أمور غابت عن الحواس يوصل إليها بالتأمل والبحث[٣] عن الوجوه التي لها جعلت تلك الأشياء المحسوسة، التي يُغْنِي[٤] من له اللبُّ دخولُها تحت الحواس عن تكلف العلم بها بالتدبر.[٥] بل علم الحواس هو علم الضرورات وأوائل علوم البشر الذي منه يرتقى[٦] إلى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك. فبطل به قول من قال: العلوم كلها ضرورات لا تقع بالأسباب، ولا يلزم الخطاب دون تولي الرب إنشاء العلم في القلوب بحقيقة ما فيه[٧] الخطاب؛ إذ ذلك يرفع حق الطلب، ويستوي فيه الموصوف باللب وغير الموصوف، والمتفكر في الأمر وغير المتفكر، وقد قال الله تعالى: وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٨] الآية. وفي ذلك دليل أن المقصود بما أظهر ليس هو [نفس] ما أظهر، إذ ألزم التفكر بالذي أظهر ليوصِلَ به إلى العلم بالذي له إنشاء الذي أظهر[٩] ويعلمَ ما جعل في الذي دليله وعلمه. وهذا لكل أنواع العلوم. / إن منها[١٠] ظاهرا[١١] مستغنيا[١٢] بظهوره [١١٧و]
عن الطلب، وخفِيّا[١٣] يُطلَب بما له في الذي ظهر من أثر ينبئ عنه التأمل.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: يزول.
[٢] ن: المعرفة.
[٣] ن: في البحث.
[٤] جميع النسخ: تعني.
[٥] ك ن م: بالتدبير؛ ع: التدبير.
[٦] ع م: ترتقى.
[٧] م: ما في.
[٨] الآية التالية.
[٩] ع م – ليس هو ما أظهر إذ ألزم التفكر بالذي أظهر ليوصل به إلى العلم بالذي له إنشاء الذي أظهر.
[١٠] م + أن منها.
[١١] جميع النسخ: ظاهر.
[١٢] جميع النسخ: مستغنى.
[١٣] جميع النسخ: وخفي.
[١٤] ك ن: المتأمل.

وفي ذلك دليل لزوم التوحيد باللب؛ إذ صيرها آيات لمن له ذلك، وأول درجات الآيات أن يعرف منشئها وجاعلها آياتٍ. *والله أعلم*. ثم دل [على هذا] اتصال منافع السماء والأرض على تباعد ما بينهما، حتى قام بها وحَيِيَ جميع من دب على وجه الأرض وانتفع بشيء.

ثم في اتصال الليل بالنهار في منافع كل حي -على تضادّ ما بينهما- حتى صارا[1] كالشكلين، والسماء والأرض كالقرينين [دلالة][2] على أن منشئ ذلك كله واحد؛ وأنه لو اختلف الإنشاء لتناقض التدبير وبطل وجوه النفع؛ وأن الذي أنشأ ذلك عليم،[3] عَلِم كيف يدبر إيصال[4] المنافع واجتماعها بغيرها على اختلاف ما بينها؛ وأنه حكيم وَضَع كل شيء [موضعه] على ما لو تدبر الحكماء فيه لم يكن يعرف اتصالا أقرب في المنافع -على اختلاف في الجواهر وتضاد في الأحوال- [و]أبلغ من ذلك. بل تقصر[5] حكمتهم عن الإحاطة بوجه الحكمة أو الظفر[6] بطرف منها إلا بمعونة من دَبَّر ذلك سبحانه.

وذلك هو الدليل على قدرته وعلو[7] سلطانه، إذ سخر ذلك كله[8] لبذل[9] ما فيها من المنافع لمن جعلها له. وجعل لبعض على بعض سلطانا وقهرا[10] لِيُعلَم أن التدبير يرجع إلى غير ذلك؛ ويُعْلَم أن من قدر على ذلك وَعلِم قبل خلق المنتفعين بما خلق على أي تدبير يَخلق ذلك، وبأي وجه يصل[11] كل خلق في ذلك إلى منافعه بها، وما الذي به[12] سوّى معاشهم، وعلى أي تدبير[13] دلّهم عليه لَقادرٌ[14] على إعادة مثله والزيادة منه على أنواع ذلك؛

---

[1] ع: صار.
[2] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[3] ن ع: علم؛ م - عليم.
[4] جميع النسخ: لإيصال.
[5] جميع النسخ: يقصر.
[6] ن: والظفر.
[7] ع م: وهو.
[8] ن ع: كلها.
[9] ع م: البذل.
[10] جميع النسخ: سلطان وقهر.
[11] ن ع: تصل.
[12] ع م - به.
[13] ك - يخلق ذلك وبأي وجه يصل كل خلق في ذلك إلى منافعه بها وما الذي سوى معاشهم وعلى أي تدبير.
[14] "لقادر" هو خبر أن، أي "ويُعْلَمَ أن من قدر على ذلك ... لقادر".

إذ كل أمر له[١] حق الابتداء كان ذلك أبعدَ عن التدبير مما له حق الاحتذاء بغيره أو الإعادة.[٢] مع ما كان في إعادة الليل والنهار وجَعْلِ كلٍّ مِن ذلك كالذي[٣] مضى -وإن كان الذي مضى [ذهب] مرة- دلالة كافيةٌ للبعث والقدرة عليه. *والله الموفق.*

ومنها أنها جُعلت على تدبير يُعرَف صاحبها ومنشئها، وأنه دبّرها على ما فيها من وجوه الحكمة التي صارت الحكمة جزءً منها. وفنون العلم التي تنال بالتأمل فيها مما يوضّح أن الذي أبرمها حكيم عليم، مع ما فيها من آثار الإحكام والإتقان الكافية في الإنباء عن الإنشاء للحكمة، وأن الذي أبدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه.

ثم معلوم أن الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة، ثبت أن ذلك غير مقصود، فصار المقصود من ذلك وجها يبقى؛ فثبت أن مع هذه دارا أخرى تبقى فهي المقصود جعلت بحق الجزاء. وفي ذلك لزوم المحنة والقول بالرسالة، ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة. مع ما لم يخل شيء من أن يكون فيه آثار النعمة من غير أن كان منه ما يستحق ذلك، فثبت أنه في حق الابتداء.

[ثم] لازمٌ[٤] شكر المنعِم في العقول، فيجب به وجهان. أحدهما القول بالرسل لبيان وجوه الشكر إذ النعم مختلفة. وأصل الشكر يتفاضل على قدر المنعِمين، وكذلك النعم تتفاضل[٥] على قدر تفاضل متوليها. [فـ]لا بد من بيان ذلك ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وجلالةَ حق المنعم. *وبالله التوفيق.* فكان فيها آيات الرسالة والتوحيد وحكمته وقدرته وعلمه وجلاله عن الأشباه والشركاء، وبها جل عن احتمال الشرك في صنعه، أو الشِّبْه في فعله.[٦] على أن كلية كل من سواه تحت القدرة، وهو المتعالي عن ذلك.

وفيه دلالة البعث؛ لما ذكرت، ولما إذا[٧] لزم الشكر بما ذكرت لزمت[٨] عقوبة الكفران،

---

[١] ك + له.

[٢] أي خلق الشيء ابتداء أعسر من خلق مثله أو إعادة عينه. ويمكن أن نقول: إحياء شيء أيسر من إنشائها أول مرة، كما قال عز وجل: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ (سورة يس، ٧٩/٣٦)، وقال أيضا: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

[٣] ك - كالذي، ك هـ: كالذي.

[٤] ك ن: أو لازم؛ ع م: ولازم.

[٥] ع م: يتفاضل.

[٦] ع م - في فعله.

[٧] ن: ولما دا إذ.

[٨] ع م - ولما إذا لزم الشكر بما ذكرت لزمت.

وقد يخرج المعروف به[1] سليما غريقا في النعم، وفي الحكمة والعقل عقوبته، [فـ]لزم أن يكون ثَمَّ دار أخرى. مع ما كان خلق الخلق لا لمن يعرف الحكمة من السفه،[2] والولاية من العداوة، والخير من الشر، والرغبة من الرهبة لا معنى له، بما فيه تضييع الحكمة وجمعُ بين الذي حقه التفريق في الحكمة والعقل، وذلك آية السفه. ومحال كونه ممن[3] الحكمةُ صفته والعدلُ نعته، فلزم به خلق الممتحَن بالذي ذكرت، فصار جميع الخلائق للمحن.

ثم لا بد من ترغيب وترهيب، إذ على مثله جُبل محتملو المحن؛ فلزم به القول بالدار الأخرى وهو البعث، لتكون[4] إحداهما بحق ابتداء النعم،[5] والأخرى بحق استحقاق الجزاء، وإن كان لله التكليفُ لإجراء سابق[6] النعم. *ولا قوة إلا بالله*. والمعاقبة واجبة في الحكمة للجفاء والكفران. *وبالله التوفيق*.*

وقوله عز وجل: **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**، في الآية وجوه. أحدها أنه خلق السماوات والأرض للبشر ولمنافعهم، لا أنه خلقهما لأنفسهما، [لأنه] لا منفعة[8] لهما بخلقه إياهما حتى يكون خلقهما لأنفسهما؛ إذ خلق الشيء لا لمنفعة[9] أحد أو للفناء خاصة عبث. فإذا كان ما ذكرنا أنه لا منفعة لهما في خلقهما دل أنه إنما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم. ثم جعل منافع السماء مع بعدها من الأرض متصلة بمنافع الأرض، حتى لا تقومُ[10] منافع[11] هذا إلا بمنافع الآخر، فيُصيّرهما كالمتصلَين لاتصال المنافع مع بعد ما بينهما، فدلّ هذا أن الذي أنشأهما واحد.

---

[1] المعروف به: أي الذي أنعم عليه.

[2] أي إيجاد الخلق لمن لا يميّز الحكمة من السفه ... فعل لا معنى له ولا حكمة.

[3] جميع النسخ: من، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١و.

[4] جميع النسخ: ليكون.

[5] م: والنعم.

[6] جميع النسخ: بلا جزاء السابق؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١و.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٨٨ و١٨٩، فقدمناها إلى موضعها؛ انظر: ورقة ١١٧و/سطر ٣٢–١١٧ظ/سطر ٤.

[8] م: لا لمنفعة.

[9] ع: لا منفعة.

[10] ن ع م: لا يقوم.

[11] ع م + الأرض.

وكذلك اختلاف الليل والنهار، هما مختلفان، أحدهما ظلام والآخر نور. يُفنيان[١] الأعمار ويقرّبان[٢] الآجال، وليس بينهما[٣] في رأي العين تشابه[٤] ولا تشاكل، إذ أحدهما ظلام والآخر نور،[٥] وهما متضادان. لكن خلقهما لمنافع البشر، والمقصود بخلقهما[٦] بنو آدم، لا أنفسهما[٧] على ما ذكرنا أن لا منفعة لهما[٨] في خلقهما.[٩] ثم صيرهما مع اختلافهما وتضادهما كالشكلين لاتصال منافع بعضها ببعض. فدل[١٠] أن منشئهما واحد، وأنه عليم حكيم؛ حيث جمع بين[١١] المتضادين المختلفين وصيرهما[١٢] كالشكلين، وهما لعلم وحكمة وتدبير صارا كذلك.

وفيهما[١٣] دلالة البعث، لأنهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل أثر، حتى يجيء النهار فيذهب النهار أيضا[١٤] حتى لا يبقى من النهار أثر، فيجيء آخر لا يزالان كذلك. فإذا كان[١٥] قادرا على خلق الليل وإنشائه من غير أثر يبقى من النهار، وكذلك[١٦] [هو] قادر على إنشاء النهار من غير أن يبقى من الليل أثر ظلام [فهو] لَقادرٌ على أن ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وإن فَنُوا وهلكوا ولم يبق منهم[١٧] أثر. فإذا كان ما ذكرنا[١٨] من خلق السماوات والأرض وما فيهما لمنافع البشر، وهم[١٩] المقصود من خلقهما[٢٠] لا غيرهم من الخلائق،

---

١ جميع النسخ: تفنيان.
٢ جميع النسخ: وتقربان.
٣ ع م – وليس بينهما.
٤ م: لا تشابه.
٥ ن ع م: إذ أحدهما نور والآخر ظلام.
٦ جميع النسخ: بخلقهم.
٧ جميع النسخ: أنفسهم.
٨ جميع النسخ: لهم.
٩ جميع النسخ: في خلقهم.
١٠ ن ع: دل.
١١ ع م: من.
١٢ م: وغيرهما.
١٣ ن ع: وفيها.
١٤ ن: وأيضا.
١٥ ع م + كذلك.
١٦ ن ع: فكذلك.
١٧ ك – منهم؛ ك هـ: منهم.
١٨ ع م – ما ذكرنا.
١٩ جميع النسخ: وهو.
٢٠ جميع النسخ: في خلقهما.

لما رَكّب فيهم من العقول والأبصار التي بها[1] يميزون بين المنافع والمضار، وبين الخبيث والطيب، وبين الحسن والقبيح، ولم يركّب ذلك في غيرهم من الخلائق، [فـ]ـلا بد من أمر ونهي؛ يأمر بأشياء وينهى عن أشياء، يمتحنهم على ذلك، إذ هم أهل التمييز والفهم والبصر. فإذا كان ما ذكرنا [فـ]ـلا بد أيضا من دار أخرى للجزاء، يكرم المطيع له فيها والولي، ويعاقب العدو فيها والعاصي. *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**[١٩١]

وقوله عز وجل: **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**، يحتمل هذا لِما جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الأحوال، نحوَ أن جعل القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال، وجعل القعود راحة له عند الإعياء، وكذلك الاضطجاع؛ فاستأداهم بالشكر له في كل نعمة على حال من تلك الأحوال، ومدحهم على ذلك إذا فعلوا.

ويحتمل أن يكون تعالى أمرهم أن يذكروه في كل حال، في حال الرخاء والشدة، وفي الضراء والسراء، لا في حال[2] دون حال على ما يفعله بعض خلقه: يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء[3] واليسر، ويذكرونه[4] في حال الرخاء واليسر[5] ولا يذكرونه[6] في حال الشدة والبلاء. فمدح المؤمنين أنهم يذكرونه في كل[7] حال، لا على ما يفعله أهل الشرك، [لا][8] على[9] إرادة نفس القيام ونفس القعود والاضطجاع، ولكن على كل حال، وفي كل وقت. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: والبصر (م: والضر) الذي بهما.
[2] م - حال.
[3] ع - والشدة وفي الضراء والسراء لا في حال دون حال على ما يفعله بعض خلقه يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء.
[4] م: ولا يذكرونه.
[5] م - واليسر.
[6] ع م: ويذكرونه.
[7] ك ن: على كل.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤١و.
[9] ك ن + غير.

وقيل: إنه جاء في رخصة صلاة المريض، يصلي قائما إن استطاع، وإلا فقاعدا إن لم يستطع، وإلا فمضطجعا. وكذلك [روي] عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال ذلك.[1]

وقوله عز وجل: **ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**، إذ في خلقهما دليل وحدانيته، وشهادة ربوبيته. **ربنا ما خلقت هذا باطلا**، أي عبثا، ولكن خلقتهما[2] دليلا على وحدانيتك وشاهدا على ربوبيتك.

وقوله عز وجل: **سبحانك**، هو التنزيه،[3] والتنزيه هو إبعاده[4] عن العيب وتبرئته[5] منه وتطهيره[6] عما يقول الكفار. وهو حرف يُقدَّم[7] عند حاجات ترفع إليه ودعواتٍ يُدعى بها.

**﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[١٩٢]**

وقوله عز وجل: **ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**، قيل: أذللته وفَضَحته وأهنته.

**وما للظالمين من أنصار**، أي مانع يمنع عنهم العذاب ويدفع. ويحتمل الأنصار الأعوان، أي ليس لهم أعوان يعينونهم في الآخرة.

**﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[١٩٣]**

وقوله عز وجل: **ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على حقيقة السمع؛ أن سمعوا مناديا يدعوهم إلى الإيمان، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن، كلاهما يدعوان الخلق إلى الإيمان بالله. ويحتمل قوله: / **سمعنا**، أي عقلنا. وعقل كل أحد يدعوه[8] إلى التوحيد [١١٨و]
والإيمان به. وقيل: سمعوا دعوة الله فأجابوها وصبروا عليها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: المنادي محمد صلى الله عليه وسلم،[9] ثم قرأ: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ،[10] الآية. وعن غيره: المنادي هو القرآن يدعوهم.

---

[1] *تفسير الألوسي*، ٤/ ١٠٨.

[2] جميع النسخ: خلقهم.

[3] ك: للتبريه.

[4] ع: إبعاد.

[5] جميع النسخ: وتبرئة.

[6] جميع النسخ: وتطهير.

[7] ن ع م: تقدم.

[8] ك: يدعي؛ ن ع: يدعوا؛ م: يدعو.

[9] *زاد المسير* لابن الجوزي، ١/٥٢٨.

[10] ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٦/ ١٩).

**أن آمنوا بربكم فآمنا رَبَّنَا**. فيه دلالة أن الإيمان ليس هو جميع الطاعات على ما يقول بعض الناس، ولكنه إقرار وتصديق؛ لأنه لما قال لهم: **آمنوا بربكم**، لم يطلبوا التفسير ولا قالوا: كم أشياء تكون؟ ولكن[1] أجابوه إجابة موجزة، فقالوا: **فآمنا ربنا**.[2] ثم فيه دلالة أن لا ثُنْيا[3] في الإيمان، لأنهم أطلقوا القول في الإخبار عن إيمانهم من غير ذكر حرف الثنيا، فدل أن الإيمان مما لا يحتمل الثنيا.

وقوله عز وجل: **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**، قيل قولهم: **فاغفر لنا ذنوبنا**، التي كانت فيما مضى من عمرنا. **وكفر عنا سيئاتنا**، أي اعصمنا فيما بقي من عمرنا، أو وفقنا للحسنات التي تكفر سيئاتنا؛ لما قد يلزم العبد التكفير لما أساء. وقيل: المغفرة والتكفير كلاهما سواء؛ لأن المغفرة هي[4] الستر، وكذلك التكفير. ولذلك سمي الحراثون كفارا لسترهم البَذْر في الأرض، وكذلك الكافر سمي كافرا لستره الحق بالباطل، ولستره جميع ما أنعم الله عليه بتوجيه الشكر إلى غيره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وتوفنا مع الأبرار**، يحتمل قوله: **توفنا مع الأبرار**، أي توفنا واجعلنا مع الأبرار. ويحتمل: **وتوفنا** من الأبرار،[5] وفي الأبرار.[6] ثم اختلف في البَرّ، قيل: هو الذي لا يؤذي أحدا، وقيل: الأبرار الأخيار. ويحتمل: **توفنا** على ما عليه تُوُفِّيت الأبرار، **وتوفنا** وإنا أبرار. والبِرّ الطاعة، والتقوى ترك المعصية.

**﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[١٩٤]**

وقوله عز وجل: **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك**، قيل فيه بوجهين. قيل: **وآتنا ما وعدتنا** على ألسن رسلك، على إضمار "ألسن" كقوله عز وجل: **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا**.[7] وقيل: **ما وعدتنا على رسلك**، أي ما جعلت عليهم من الاستغفار للمؤمنين،

---

[1] ع - ولكن.

[2] ك - فيه دلالة أن الإيمان ليس هو جميع الطاعات على ما يقول بعض الناس ولكنه إقرار وتصديق لأنه لما قال لهم آمنوا بربكم لم يطلبوا التفسير ولا قالوا كم أشياء تكون ولكن أجابوه إجابة موجزة فقالوا فآمنا ربنا.

[3] ع: يثنا. الثُّنْيا بالضم اسم من الاستِثناء. والاستثناء في الإيمان أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

[4] جميع النسخ: هو.

[5] ن: مع الأبرار.

[6] ع: والأبرار.

[7] سورة الأحزاب، ٤٧/٣٣.

كقوله تعالى: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[١] وكقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[٢] الآية، وكقول نوح عليه السلام: رَبِّ اغْفِرْلِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[٣]

ثم بيننا وبين المعتزلة كلام في الآية. قالت المعتزلة: يجوز الدعاء والسؤال عنه بما قد أعطى وما عليه أن يعطي، نحو ما ذكر من السؤال بما وعد. وما وعد لا شك أنه يعطي وأنه لا يخلف الميعاد، ونحو قوله عز وجل: قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[٤] وهو لا يحكم بالجور.

وأما[٥] عندنا أن السؤال عما عليه أن يعطي يخرج مخرج الدعاء له: ربنا لا تَجُرْ ولا تَظلم. وإن هذا لا يقال إلا لمن يُخاف الجور منه والظلم؛ إذ يَعلم أن ذلك عليه؛ والسؤال عما قد أعطي محال، لأنه يخرج مخرج كتمان ما أعطى؛ أو ليس[٦] عنده ما يعطيهم،[٧] فيخرج مخرج السخرية به. لذلك بطل السؤال. *والله أعلم*.

ثم تأويل الآية عندنا على وجوه. أحدها قوله: **وآتنا ما وعدتنا على رسلك**، يحتمل: أن يكون الوعد منه لرسله باستغفار الرسل إذا كان من المؤمنين استغفار وسؤال،[٨] كقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ،[٩] الآية. وعدهم المغفرة[١٠] باستغفار الرسول إذا كان منهم[١١] استغفار وسؤال عن التوبة، فعلى ذلك الوعد منه باستغفار الرسل إذا كان منهم استغفار وسؤال.[١٢] يقول: اجعل دعائي دعاء من جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستغفرا فاستَغْفَر له؛ وكقوله أيضا: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُولاً.[١٣]

---

[١] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومثواكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[٢] ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (سورة إبراهيم، ٤١/١٤).
[٣] سورة نوح، ٢٨/٧١.
[٤] ﴿قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ (سورة الأنبياء، ١١٢/٢١).
[٥] ك م: وما.
[٦] جميع النسخ: وليس.
[٧] «ويخرج مخرج سؤال شيء ليس عنده» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤١ظ).
[٨] م: سؤال.
[٩] ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (سورة النساء، ٦٤/٤).
[١٠] جميع النسخ + لهم.
[١١] ك: بينهم؛ ك هـ: منهم.
[١٢] ع م – عن التوبة فعلى ذلك الوعد منه باستغفار الرسل إذا كان منهم استغفار وسؤال.
[١٣] سورة الفرقان، ١٦/٢٥.

والثاني يحتمل أن يكون الوعد لهم إذا ماتوا على ذلك، فالدعاء كان منهم، والسؤال أنه إذا أماتهم يميتهم على الإيمان على ما كانوا أحياء. والمغفرة والرحمة حينئذ تكون لهم. ألا ترى أنه قال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ،[1] كذا، ولم يقل: من وُعد[2] بها فله كذا، ولكن ذكر مجيئه بها[3] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*. ثم يحتمل ما ذكرنا -والله أعلم- وفيما ذكر[4] من تأويل الآية في الابتداء كفاية من ذلك. *والله أعلم*.

والثالث [أنهم] يدعون[5] ليجعلهم [الله تعالى][6] من الجملة الذين كان لهم الوعد، إذ الوعد غير مبين لمن هو، فسألوا أن يجعلهم في تلك الجملة. *والله أعلم*.

**﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[١٩٥]**

وقوله عز وجل: **فاستجاب لهم ربهم**، هذا يدل على أن الوعد لهم[7] كان مقرونا بشرط السؤال؛ لأنه قال: **فاستجاب لهم**، والاستجابة تكون على أثر السؤال، كقوله عز وجل: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[8] الآية.

وقوله عز وجل: **أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**، قيل: من الخلق كلهم، لكن جعل جزاء أعمال الكفرة في الدنيا، كقوله تعالى: نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ،[9] وأما المؤمنون [ف]في الدنيا والآخرة. أما[10] الكفار فإنما يعطيهم ابتداء ليس بجزاء. وقوله عز وجل: نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، أي نردها عليهم،[11]

[1] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ ﴿سورة النمل، ٨٩/٢٧﴾.
[2] جميع النسخ: عمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.
[3] ع م – بها.
[4] م: ذكرنا.
[5] جميع النسخ: يدعوا.
[6] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.
[7] ن – لهم.
[8] سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[9] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ (سورة هود، ١٥/١١).
[10] جميع النسخ: وأما.
[11] ع – أي نردها عيهم.

وهم لا يُبْخَسون أرزاقهم. وقيل: قوله **منكم**، إشارة إلى المؤمنين خاصة، كقوله عز وجل: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[١] الآية.

وقوله عز وجل: **فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم / وأُوذُوا في سبيلي**، الآية، **فالذين هاجروا** إلى الله تعالى ورسوله طوعا، **وأخرجوا من ديارهم**، أي اضطرّوهم حتى خرجوا من ديارهم فهاجروا، **وأوذوا في سبيلي**، أي في طاعتي، **وقاتلوا** حتى قتلوا. ويحتمل هذا كلّه أن هاجر بعضٌ طوعا، وبعض أُخرجوا منْ ديارهم حتى هاجروا، وقاتل بعض حتى قُتلوا، وقاتل بعض ولم يُقتَلوا، وقُتل بعض. [١١٨ظ]

وقوله عز وجل: **ولأُدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار**، الآية، تأويلها ظاهر.

**﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[١٩٦] ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[١٩٧]**

وقوله عز وجل: **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل**، يحتمل[٢] تقلبهم وجوها. [أحدها] ذلك[٣] نعمة من الله عليهم، لتركهم يتّجرون في البلدان مع كفرهم بربهم. والثاني أعطاهم أموالا يتنعمون فيها ويتلذذون. والثالث ما أخر عنهم العذاب والهلاك إلى وقت. يقول: **لا يغرنك** يا محمد ذلك، إنما هو متاع يسير، مصيرهم إلى النار، كقوله تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،[٤] الآية، وكقوله: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[٥] الآية.

{قال [الشيخ أبو منصور رحمه الله:][٦]} وليس الاغترار في نفس التقلب لأنه جهد ومشقة، ولكن لما فيه من الأمن والسعة والقوة، دليله قوله تعالى: **متاع قليل**، ثم قال: لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[٧] منهم سعيهم[٨] للآخرة، لهم متاع لا ينقطع.

---

[١] سورة التوبة، ٧١/٩.
[٢] ن: تحتمل.
[٣] جميع النسخ: وذلك.
[٤] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).
[٥] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.
[٦] والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٢و.
[٧] الآية التالية.
[٨] جميع النسخ: وسعيهم.

**﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾**[١٩٨]

وقوله عز وجل: **لكن الذين اتقوا ربهم**، يعني الشرك، **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**، إلى آخر ما ذكر، ثوابا **من عند الله**.

يحتمل أن يكون الأمر ما ذكر في بعض القصة أن بعض المؤمنين قالوا: إن الكفار في خصب ورخاء ونحن في جهد وشدة، فنزل: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُهُمْ في ذلك، إنما هو متاع قليل، وذلك ثوابهم في الدنيا، وأما ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار، إلى آخر ما ذكر.

**﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[١٩٩]

وقوله عز وجل: **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم**، يعني القرآن، **وما أنزل إليهم**، يعني التوراة. ثم اختلف في نزوله، قال بعضهم:[١] نزل[٢] في شأن عبد الله بن سلام وأصحابه، أقروا بأنه واحد لا شريك له، وصدّقوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أنزل عليه.[٣] وقيل: نزل[٤] في شأن النجاشي. وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا صلى على النجاشي قال أناس[٥] من المنافقين: يصلي على حبشي مات في أرض الحبشة. فأنزل الله عز وجل: **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله**،[٦] الآية. وعن الحسن[٧] قال: لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استغفروا لأخيكم. قالوا: يا رسول الله لذلك العِلْج؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: **وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله**، الآية.[٨] وقيل: لما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المنافقون: صلى على من ليس من أهل دينه، فأنزل الله تعالى الآية. وعن الزهري، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

[١] ن - بعضهم.
[٢] جميع النسخ: نزلت.
[٣] ك ع م + الآية.
[٤] جميع النسخ: نزلت.
[٥] ك ن ع: ناس.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢١٨/٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٤٤/١؛ و*تفسير الألوسي*، ١٧٣/٤.
[٧] م: عن الحسن.
[٨] *تفسير الحسن البصري*، ٢٥٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٤٤/١.

إن نبي الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي، فكبّر الله أربع تكبيرات، وصففنا في المصلى خلفه، وكان مات بالحبشة.[١]

{قال:} والنوازل على وجهين: من نزل[٢] بسببه خير أو سعة فله فيه فضل، لأنه كان مفتاح الخير. ومن نزل[٣] بسببه ضيق فعليه فضل لوم،[٤] لأنه كان[٥] مفتاح الضيق. وأما الأحكام فإنه ينظر إلى ما فيه نزل،[٦] فيشترك فيه الخلق. ولا يجوز أن يقال: نزل في شأن فلان، إنما [يقال:] نزل[٧] لما في شأن فلان، لا في شأنه.[٨]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٠٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اصبروا**، قيل: على أداء الفرائض والعبادات. وقيل: **اصبروا** على البلايا والمصائب والشدائد. **وصابروا** في الجهاد لعدوكم. وقيل: **اصبروا** على أمر الله وفرائضه، **وصابروا** مع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[٩] في المواطن. وعن الحسن [أنه] قال: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضى الله لهم وهو الإسلام، ولا يَدَعوا دينهم لشدة ولا لرخاء ولا ضراء ولا سراء حتى يموتوا ويكونوا يصابروا الكفار حتى يكونوا هم[١٠] يميلون[١١] عن دينهم، وأمروا أن يرابطوا المشركين.[١٢] وقيل: **اصبروا** على الجهاد، **وصابروا** لعدوكم، **ورابطوا**، أي داوموا على دينكم، **واتقوا الله لعلكم تفلحون**.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢١٨/٤؛ و*تفسير الآلوسي*، ١٧٣/٤.
[٢] جميع النسخ: ترك.
[٣] جميع النسخ: ترك.
[٤] ع م: يوم.
[٥] ك ن ع: كأنه؛ ك ع هـ: لأنه كان.
[٦] ك ن: ترك.
[٧] ك: ترك؛ م: أنزل.
[٨] قال الشارح: «وأما الأحكام فإنه ينظر إلى ما فيه نزل، فإن كان مما يشترك فيه الخلق نحو آية الظهار واللعان والقذف ونحو ذلك، لا يجوز أن يقال: إنه نزل في شأن فلان، إنما [يقال:] نزل لأجل حادثة وجدت من فلان، لا في شأنه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٢و).
[٩] ك ن - وصحبه.
[١٠] ن ع م - هم.
[١١] جميع النسخ: يميلوا.
[١٢] *تفسير الحسن البصري*، ٢٥٤؛ و*تفسير الطبري*، ٢٢١/٤.

{قال:} والصبر في نفسه خاصة في طاعة يَصبر عليها، ومعصية يَصبر عنها، وفي بلوى. والمصابرة مع غيره. وقد يكون كل واحد على المعنيين، لأنه لا يخلو عن مصابرة عدو فيما يطيع ربه.

وقيل: **رابطوا** على عدوكم ما أقاموا، **واتقوا الله** فيما أمركم به، فلا تَدَعوا ذلك مع نبيكم،[1] وذَرُوا ما نهاكم عنه.

[1] أي لا تتركوا الرباط ولا تحيلوه إلى نبيكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم.[1]

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١]**

قوله[2] عز وجل: **يا أيها الناس اتقوا ربكم**؛ في كل ما كان الخطاب للكفرة ذكر الله سبحانه وتعالى على إثره[3] حجج وحدانيته ودلائل ربوبيته،[4] لأنهم لم يعرفوا ربهم، من نحو ما ذكر: **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**، الآية، وكقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ،[5] الآية، وكقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[6] ونحوه[7] كثير. ذَكَرَ[8] الحجج والدلائل التي بها يوصل إلى معرفة الصانع وتوحيده، لينظروا فيها[9] وليتفكروا،[10] فيعرفوا بها خالقهم وإلههم. وفي كل ما كان الخطاب للمؤمنين لم يذكر حجج الوحدانية ولا دلائل / الربوبية، [١١٩و]
لأنهم قد عرفوا ربهم قبل الخطاب، ولكن ذكر على إثره نعمه التي أنعمها عليهم، وثوابه الذي وعد لهم، نحو قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

---

[1] ع + وبه نستعين.
[2] ع: وقوله.
[3] ن: على اثر.
[4] ن: ربوبية.
[5] سورة البقرة، ٢/٢١.
[6] سورة فاطر، ٣٥/٥.
[7] ع: ونحو.
[8] ك: ذلك.
[9] م - لينظروا فيها.
[10] م: ليتفكروا.

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا،[1] إلى آخر ما ذكر[2] [مِن] نعمه التي أنعمها عليهم، وكقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ،[3] كذا إلى ما ذكر. على هذا يخرج الخطاب في الأغلب.

وقوله عز وجل: **اتقوا ربكم**؛ قيل: اتقوا عذابه ونقمته؛ وقيل: اتقوا عصيانه[4] في أمره ونهيه؛ وقيل: اتقوا الله بحقه في أمره ونهيه.

وقوله عز وجل: **الذي خلقكم من نفس واحدة**؛ أضاف خلقنا إلى آدم،[5] فدلت[6] إضافة خلْقنا إلى آدم[7] وإن لم تكن أنفسنا مستخرجة منه على أمرين. أحدهما[8] جواز إضافة الشيء إلى الأصل الذي إليه المرجع، وإن بعد ذلك عن الراجع إليه، على التوالد والتتابع. والثاني أنا لم نكن بأبداننا فيه وإن أضيف خلقنا إليه، إذ لو كنا فيه لكنا منه بحق الإخراج لا بحق الخلق.[9] وذلك يبطل قول من يجعل صورة الإنسان في النطفة، مع الإحالة أن يكون مَغْتَانا[10] في التراب أو النطفة، إذ هما من الموات الخارج من احتمال الدَّرْكِ، ونحن أحياء دَرَّاكُونَ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**؛ أي فرق ونشر وأظهر منهما أولادا كثيرا ذكورا وإناثا.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**؛ قوله: **تساءلون به** أي اتقوا الله الذي تساءلون:[11] بعضكم من بعض، أي يسأل بعضكم من بعض الحوائج والحقوق به، يقول: أسألك بوجه الله وبحق الله وبالله.[12] ويسأل بعضكم من بعض بالرحم، يقول الرجل لآخر: أسألك بالرحم وبالقرابة أن تعطيني.

---

[1] سورة آل عمران، ١٠٢/٣-١٠٣.

[2] ك ن + ذكر.

[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفْلَين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ (سورة الحديد، ٢٨/٥٧).

[4] ع: عصيانهم.

[5] جميع النسخ+ إذ الإنسان في النطفة.

[6] ك ع م: قال دلت؛ ن: قالت دلت. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ.

[7] جميع النسخ: من آدم.

[8] ن: أحدها.

[9] ك ع م: الخلق منه.

[10] أي أصلنا وحقيقتنا.

[11] ك ع: تسألون.

[12] ن ع م: وبآدم.

وقوله: **والأرحام**، روي عن ابن عباس رضي الله عنه يقول: اتقوا الله الذي تساءلون[١] به، واتقوا في الأرحام وَصِلُوها.[٢] وقرئ بالنصب والخفض: والأرحامَ، والأرحامِ؛[٣] فمن قرأ بالنصب يقول: اتقوا الله فلا تعصوه، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها.[٤] ومن قرأ بالخفض يقول: اتقوا الله الذي تسألون[٥] به والأرحام. وروي[٦] في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الله وصلوا الأرحام، فإنه أبقى[٧] لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة».[٨] والآية في الظاهر على العظة والتنبيه.

وكذلك قوله:[٩] **إن الله كان عليكم رقيبا**، هو على التنبيه والإيقاظ.

**﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **وآتوا اليتامى أموالهم**؛ يحتمل هذا وجهين. أحدهما[١٠] احفظوا أموالهم إلى أن يخرجوا من اليُتْم،[١١] فإذا خرجوا من اليتم[١٢] أعطوهم أموالهم. ويحتمل قوله عز وجل: **وآتوا اليتامى** أي أنفقوا عليهم من أموالهم[١٣] ووسّعوا[١٤] عليهم النفقة، ولا تضيقوها لينظروا إلى أموال[١٥] غيرهم. **وآتوا** بمعنى آتوا لوقت[١٦] الخروج من اليتم، أي احفظوا لتؤتوا.

---

[١] ك ع: تسألون.
[٢] *تفسير الطبري*، ٢٢٧/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٢٤/٢.
[٣] ن ع م - والأرحامِ.
[٤] ك: فلا تعصوها.
[٥] ن م: تساءلون.
[٦] ن: روي.
[٧] ك: أيقى؛ ن ع: أتقى؛ م: أنقى. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ، ومن المصادر المذكورة في الحاشية التالية.
[٨] *مسند عبد بن حميد*، ٢٠٠/١؛ *وتفسير الطبري*، ٢٢٧/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٢٤/٢.
[٩] ع: وقوله.
[١٠] ك + أحدهما.
[١١] ن م: من اليتيم.
[١٢] ن: من اليتيم.
[١٣] ن: أي أنفقوا أموالهم عليهم.
[١٤] م: وسعوا.
[١٥] ع م: أموالهم.
[١٦] ن: الوقت.

وقوله عز وجل: **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**؛ أي لا تأخذوا الخبيث[1] فتتركوا لهم ما وعد لكم في الآخرة بحفظ أموالهم. وقيل: لا تأخذوا الجياد من ماله وتعطوا[2] الرديء منها له،[3] فذلك تبديل الخبيث بالطيب. وقيل: لا تأكلوا الخبيث وهو أموال اليتامى، وتذروا الطيب وهو أموالكم، إشفاقا على أموالكم أن تفنى.[4] وقيل: لا تأكلوا الحرام مكان الحلال، لأن أكل مال اليتيم حرام وأكل ماله حلال، فنهى أن يبدلوا[5] الخبيث بالطيب. ويحتمل: لا تأخذ ماله وهو خبيث ليؤخذ منك الذي لك وهو طيب. ويحتمل: لا تأكلوا ذلك إبقاء لأموالكم التي طيبها الله تعالى لكم بما جعله[6] الله لكم خبيثا. ويحتمل: لا تأكلوا أموالهم في الدنيا فتكون[7] هي نارا تأكلونها، فتتركون الموعود لكم في إبقاء الخبيث، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا،[8] الآية.[9]

وقوله: **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**؛ يحتمل هذا -والله أعلم-[10] وجهين. يحتمل قوله: **أموالهم إلى أموالكم** أي مع أموالكم، أي لا تخلطوا أموالهم مع أموالكم فتأكلوها، ففيه نهي عن الخلط والجمع. ويحتمل **أموالهم إلى أموالكم** أي بأموالكم،[11] ففيه النهي عن أكل أموالهم بأموال أنفسهم تبعا، كقوله عز وجل: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.[12] وقوله عز وجل: **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** بمعنى: لا تجمعوها[13] إليها فتأكلوها[14] معا. ويحتمل: مع أموالكم. ***والله أعلم***.[15]

---

[1] أي وهو مال اليتيم في الدنيا.
[2] ك ع م: وتعطي.
[3] ك ن ع: الرديء من ماله.
[4] جميع النسخ: أن تبقى. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ.
[5] م: تبدلوا.
[6] جميع النسخ: بما جعل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ.
[7] ك: فيكون.
[8] ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (سورة النساء، ١٠/٤).
[9] ك ن - الآية.
[10] ع - أعلم.
[11] ن ع - أي بأموالكم.
[12] سورة الأنعام، ١٥٢/٦؛ وسورة الإسراء، ٣٤/١٧.
[13] م: لا تجمعوا.
[14] جميع النسخ: فتأكلوها.
[15] ك - أعلم.

وقوله: **إنه كان حوبا كبيرا**؛ قيل: جورا، وقيل: الحوب الإثم، وهو واحد. وقيل: خطأ، وقيل: ذنبا كبيرا،[١] وقيل: إثما، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[٢]

**﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**؛ اختلف في تأويله. قيل: إنهم كانوا يخافون من أموال اليتامى ويتحرجون منها لكثرة ما جاء من الوعيد فيها، فنزل هذا: فإن خفتم وتحرجتم من أموال[٣] اليتامى فكذلك تحرجوا[٤] من الزنا، **وانكحوا ما طاب لكم من النساء**، الآية.[٥]

وعن عائشة[٦] رضي الله عنها أنها قالت: نزلت في يتامى من يتامى[٧] النساء كن عند الرجال، فتكون[٨] اليتيمة الشوهاء عند الرجل وهي ذات مال، فلا ينكحها لشوهتها، ولا يُنكحها[٩] ضنًّا بمالها، لتموت فيرثها، وإن نكحها أمسكها على غير عدل منه في أداء حقها إليها، ولا ولي[١٠] لها سواه / يطالبه بحقها، فأنزل الله تعالى: **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى** فذروهن ولا تنكحوهن **وانكحوا ما طاب لكم من النساء**.[١١] [١١٩ظ]

وروي عنها أيضا أنها سئلت عن هذه الآية فقالت: نزلت في اليتيمة تكون في حِجْر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، وينقص من صَداقها، فنُهُوا عن نكاحهن إلا أن يُقسطوا في إكمال الصداق،

---

[١] ع: كثيرا.
[٢] *تفسير الطبري*، ٤/٢٣١؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٢٦.
[٣] م: من من أموال.
[٤] ك ن ع: فكذا فتحرجوا؛ م: فكذا فتحزجوا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ.
[٥] روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد تفسيرا للآية وليس كسبب نزول. انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٢٣٥؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٢٨. قال الشارح: «ظاهر الآية مشكل فإن فيه أمرا بالنكاح إذا خافوا الحوب في أموال اليتامى. ومن خاف على نفسه الحوب في أموال اليتامى لماذا يتزوج؟ وجوابها أن أهل التأويل اختلفوا في تأويله...» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٢ظ).
[٦] م: عن عائشة.
[٧] ك – من يتامى.
[٨] ن ع م: فيكون.
[٩] ع م – ولا ينكحها.
[١٠] ع م: الا ولي.
[١١] *صحيح مسلم*، التفسير ٧؛ ٩٠ و*تفسير الطبري*، ٤/٢٣٥.

وأمروا بنكاح من سواهن من النساء. قالت عائشة رضي الله عنها: واستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك،[1] فأنزل الله تعالى: وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ -إلى قوله- وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ؛[2] فأنزل الله تعالى لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فيها في نكاحها ونسبتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبا عنها في شوهتها[3] وقلة مالها تركوها وأخذوا غيرها من النساء. قالت: فكما يتركونها[4] حتى يرغبون[5] عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا[6] لها، ويعطوها[7] حقها الأوفر من الصداق.[8]

وقيل: لما أنزل الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا،[9] الآية، ترك المؤمنون مخالطة اليتامى وتنزهوا عنها، فشق ذلك عليهم، فاستفتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مخالطتهم،[10] وكان يكون عند الرجل عدد من النساء ثم لا يعدل بينهن، فأنزل الله تعالى: **فإن خفتم** الجور في مخالطة اليتامى، فكذلك خافوا جمع النساء وترك التسوية بينهن في النفقة والجماع.[11]

ثم من الناس من يبيح نكاح التسع[12] بقوله تعالى: **مثنى وثلاث ورباع**، فذلك تسعة. وأما عندنا فإنه لا يحتمل ذلك، لأن معنى قوله تعالى: **مثنى وثلاث ورباع** مثنى أو ثلاث أو رباع؛ لأنه قال: **فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة**، استثنى الواحدة إذا خاف أن لا يعدل بينهن،

---

[1] ك - بعد ذلك.

[2] ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يُتلَى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كُتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾ (سورة النساء، ١٢٧/٤).

[3] ك: في شهوتها.

[4] جميع النسخ: تتركولها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣و.

[5] جميع النسخ: ترغبون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣و.

[6] ن: أن تقسطوا.

[7] ن ع م: وتعطوها.

[8] *صحيح البخاري*، التفسير ٤١/٤؛ وصحيح مسلم، التفسير ٦.

[9] سورة النساء، ١٠/٤.

[10] ك: في مخالطتهن.

[11] ورد ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما، ولكن بدون ذكر لقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٣/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٢٨/٢.

[12] م - التسع.

فلو كان ما ذكر لكان لا معنى لاستثناء واحدة منهن، ولكن يقول: وإن خفتم أن لا تعدلوا بين التسع فثمانٍ أو سبعٌ أو ست، فلما لم يستثن إلا واحدة دل أن التأويل ما ذكرنا:[١] مثنى أو ثلاث أو رباع على الانفراد. والثاني ما ذكر في القصة، أنه كان عند الرجل عدد من النساء عشر أو أكثر أو أقل،[٢] فخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد، وذلك أربعة. وروي أن رجلا أسلم وتحته ثماني نسوة فأسلمن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختر منهن أربعا وفارق البواقي».[٣] والخبر في[٤] بيان منتهى ما يحل من العدد دون وجه الحل، فاحتمل أن يختار أربعا على استقبال[٥] النكاح.

وقوله عز وجل: **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**، الآية؛ قيل فيه بوجوه. أحدها أنه قال: إذا خفتم الجور في كفالة اليتامى فاتقيتموها، فخافوا في كفالة النساء فلا تكثروا منهن.

والثاني أنه[٦] إذا خفتم في أموال اليتامى فتحرجتم ضم أموالهم إليكم، إشفاقا على أنفسكم أن تأكلوا منها، فخافوا النساء، مواقعتهن من وجه يحرم عليكم، فانكحوهن.

والثالث أنه إذا خفتم الجور في يتامى النساء لو تزوجتموهن من حيث ليس معهن من يمنعكم من ظلمهن، فانكحوهن من غيرهن، مِمَّن[٧] إذا جُرْتم فيهن مُنعتم من ذلك. لكنه معلوم أن الحد في عدد النساء لخوف الجور. وبما[٨] علم الله من عجز البشر على ما جُبِلَ[٩] عليه أخبر أنه لا يقوم بوفاء[١٠] الحق في أكثر مما ذكر.

وقوله عز وجل: **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ليس على الحكم والحتم[١١] ولكنه أدب؛

---

[١] ع: ما ذكر.
[٢] ع م: وأقل. وقد ورد عن ابن عباس وغيره أن الرجل في الجاهلية كان يتزوج العشر من النساء فما دون ذلك. انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٢٣٣، ٢٣٤.
[٣] سنن *ابن ماجة*، النكاح ٤٠؛ وسنن *أبي داود*، الطلاق ٢٥.
[٤] م – في.
[٥] م: على استبقاء. وفي شرح *التأويلات* ما يزيد ذلك بيانا حيث يقول: «... دون وجه الحل أعني أن يختار الأربع استبقاء على النكاح الأول أو على استقبال النكاح» (ورقة ١٤٣و).
[٦] ع م: أنهم.
[٧] ع م: فيمن.
[٨] ع: بما.
[٩] ع: خيل؛ م: حبل.
[١٠] ك: لوفاء.
[١١] ن ع: والحتم.

لأنه وإن خاف أن لا يعدل[1] فتزوج أربعا[2] جاز. وهو مثل الذي نهى في الإضرار[3] في المراجعة وأمر بالقصد فيها والعدل،[4] فإن فعل ذلك أثم ورجعته صحيحة. وكذلك كالأمر بالطلاق في العدة والنهي في غير العدة،[5] ثم إذا طلق في غير العدة وقع، فكذلك الأول.

وقوله: **فإن خفتم ألا تعدلوا** في القَسْم والجماع والنفقة[6] **فواحدةً أو ما ملكت أيمانكم**[7] إن خفتم ألا تعدلوا في واحدة، لأنه ليس للإماء قِبَل سادتهن حق الجماع والقسم، ينكح ما شاء. كأنه قال: هذا أو هذا،[8] لما ليس لأكثرهن[9] غاية، فله أن يجمع ما شاء من الإماء في ملكه، وليس له أن يجمع بالنكاح أكثر من أربع، ولو كان التأويل ما ذهب إليه لم يكن لقوله: **أو ما ملكت أيمانكم** وجه.*

*وقوله: **فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة**، ليس بشرط، لمتفق[11] القول على ذلك.[12] ولأنه [١٢٠و س٤]
لا وجه[13] لمعرفة حد الخوف[14] الذي يجعل شرطا للجواز،[15] وكل عدل يخاف أدنى خوف،

---

[1] ع: لا يفدل.

[2] ع: أربعا.

[3] ع م – في الإضرار.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف ولا تُمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣١).

[5] ن ع – والنهي في غير العدة. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لِعِدّتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/١).

[6] م: والنقة.

[7] ك – فكذلك الأول وقوله ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ في القسم والجماع والنفقة ﴿فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾.

[8] ع: وهذا؛ م – أو هذا. يقول الشارح السمرقندي: «فكأنه قال: هذا أو هذا، أي الزيادة على الواحدة إلى الأربع عند القدر على المعادلة. وعند خوف الجور في ذلك الواحدة من الحرائر، وعند خوف الجور في نكاح الواحدة هو شري الجواري والتسري فلذلك قوله ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ ذكر مطلقًا عن العدد لأنه لا غاية لأكثرهن، إذ ليس ثمة خوف الجور لما ليس لهن حق الجماع على الموالي» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣و).

[9] ع م: لأكثر من.

* وردت هنا عبارة متعلقة بتفسير نفس الآية متقدما على موضعه المتعلق به، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ١١٩ظ/سطر ٣٢-٣٣.

[11] جميع النسخ: لمنفق. والتصحيح من نسخة جرلولي ورقة ٩٤ظ.

[12] جميع النسخ – على ذلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣ظ. والمعنى: لاتفاق العلماء على ذلك.

[13] ع م: لا حاجة.

[14] م: القذف.

[15] م – للجواز.

بل جميع أمور الدين هو على الخوف والرجاء. ولأنه يوجب جهل النساء بمن يحل لهن النكاح ويحرم، إذ لا يعرفن ذلك، ومتى حرم عليه حرم عليها، ولا يحتمل أن يَجعل للحل شرطا لا يوصَل إلى حقيقته.[1] ولظهور الجور في الأُمّة على الإبقاء على النكاح[2] فضلا من خوف،[3] مع ما في قوله:[4] وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا،[5] الآية، دلالة ظاهرة، وكذلك في قوله: وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا،[6] الآية، وقوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا،[7] وقوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ.[8]* ١٢٠و س٩]

وقوله عز وجل: **ذلك أدنى أن لا تعولوا.**[10] قال بعض أهل العلم: إن قوله تعالى: **أن لا تعولوا** من كثرة العيال، وهو قول الشافعي رحمه الله.[11] ولكن[12] هذا لا يستقيم في اللغة، لأنه يقال من كثرة العيال: أعال يعيل إعالة فهو معيل، ولا يقال: عال يعول، وإنما يقال[13] ذلك في الجور.[14]

*وفيه[15] إذن بتكثير العيال، مع ما أن كثرة العيال معدودة من الكرم إذا أحسن إليهم، [١١٩ظ س٣٢
لم يحتمل أن يُزَهَّدَ فيه.* ١١٩ظ س٣٣]

---

[1] ع م: إلى حقيقة.

[2] ن: في النكاح.

[3] أي لو كان العدل شرطا للجواز لفسد النكاح مع الجور، وليس الأمر كذلك في حياة عامة المسلمين.

[4] م: ما قوله.

[5] ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرَصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذَروها كالمعلّقة وإن تُصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/١٢٩).

[6] ﴿وإنِ امرأةٌ خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جُناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأُحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (سورة النساء، ٤/١٢٨).

[7] ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حَكَما من أهله وحَكَما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ (سورة النساء، ٤/٣٥).

[8] ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يَحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يَخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٩).

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية؛ فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٢٠و/سطر ٤-٩.

[10] ن ع + الآية.

[11] *الأم* للشافعي، ٥/١٠٦.

[12] ك ن ع: لكن.

[13] ك: يقول.

[14] ع م: الجواز. ذكر بعض اللغويين أن عال تأتي أيضا بمعنى كثر عياله وفي ذلك خلاف (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عول»؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «عول»).

[15] ع: فيه.

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير نص الآية متقدما عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١١٩ظ/سطر ٣٢-٣٣.

فإن قيل: روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ابدأ بمن تعول».[1] لكن تأويله -والله أعلم-[2] ابدأ بمن يلزمك نفقته، أي ابدأ بمن تصير جائرا[3] بترك النفقة عليه. وكذلك يقال: عال يعول عَوْلا إذا أنفق على عياله، وليس من كثرة العيال في شيء؛ ألا ترى[4] أن على الرجل أن يبدأ بمن يعول، فلو كان قوله: **ذلك أدنى أن لا تعولوا** من العيال، [١٢٠و] لكان المتزوج واحدة ذا عيال، فأين قول[5] الله تعالى **أن لا تعولوا**، والمتزوج واحدة / يعولها. فدل بما ذكرنا أن قوله: **أن لا تعولوا** أي [أن] لا تجوروا[6] ولا تميلوا على ما قيل. وعن عائشة رضي الله عنها: **أن لا تعولوا**: أن لا تميلوا.[7] وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله.[8] والعول هو المجاوزة عن الحد، ولذلك سمي الحساب الذي ازداد على أصله عولا لمجاوزته[9] الحد، فعلى ذلك العول هاهنا هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له، وهو الجور.*

[١٢٠و س٣٥ ***مسألة في العبد. لا يتزوج أكثر من اثنين:**[10]

روي عن عبد الله بن عتبة رضي الله عنه أنه[11] قال: قال[12] عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينكح العبد اثنتين ويطلق اثنتين[13] وتعتدّ[14] الأمة حيضتين،[15] فإن لم تحض فشهر ونصف.[16]

[1] صحيح *البخاري*، الزكاة ١٨؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ٩٥،٩٧.

[2] ن - ابدأ بمن تعول لكن تأويله والله أعلم.

[3] ن: تصيره جابرا؛ ع م: تصيره جابرا.

[4] ك: يرى.

[5] جميع النسخ: وأن قول. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣ظ.

[6] م: أي لا تجورا.

[7] ك: أي لا تميوا. وقد روي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ذلك أدنى أن لا تعولوا﴾ قال: «أن لا تجوروا». قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث خطأ، والصحيح عن عائشة موقوف (*صحيح ابن حبان*، ٣٣٨/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٠/٢).

[8] *تفسير الطبري*، ٢٤٠/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٠/٢.

[9] ع: بمجاوزته.

* وردت هنا عبارة متعلقة بتفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناها إلى هناك. انظر: ورقة ١٢٠و/سطر ٤-٩.

[10] ك - مسألة في العبد لا يتزوج أكثر من اثنين، صح هـ.

[11] ك ن - أنه.

[12] م - قال.

[13] م - ويطلق اثنتين.

[14] ن: وتعتد.

[15] ك: محيضتين.

[16] مصنف عبد *الرزاق*، ٢٧٤/٧؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٥٨/٧.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: لا يحل للعبد أن ينكح فوق اثنتين.[١] وعن عبد الرحمن ابن عوف أنه قال: يتزوج العبد اثنتين.[٢] وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن مسعود[٣] رضي الله عنه: ما يحل للعبد من النساء؟ قال: اثنتين، قال عمر رضي الله عنه: ذلك أرى.[٤] وعن الحكم[٥] قال: اجتمع أصحاب / رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن العبد لا يجمع [١٢٠ظ] من النساء فوق اثنتين.[٦] فهؤلاء ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعلي وابن مسعود والفضل بن عباس[٧] والأنصاري[٨] رضوان الله عليهم أجمعين اتفقوا على أن العبد يتزوج اثنتين ولا يتزوج أكثر من ذلك.[٩] وأيضا عن ابن عمر رضي الله عنه أنه[١٠] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان».[١١] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأمة تُطلَّق تطليقتين وتعتدّ حيضتين».[١٢]

---

١ *مصنف عبد الرزاق*، ٢٧٤/٧؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٦٤/٣.

٢ *مصنف عبد الرزاق*، ٢٧٤/٧.

٣ ع: ابن مسعود.

٤ لم أجده. ولكن روي أن عمر بن الخطاب سأل الناس: كم ينكح العبد؟ فاتفقوا على أن لا يزيد على اثنتين (*مصنف عبد الرزاق*، ٢٧٤/٧؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٦٥/٣).

٥ هو الحكم بن عُتيبة الكوفي، من التابعين. وكان ثقة عالما عاليا رفيعا كثير الحديث. توفي بالكوفة ١١٥هـ/٧٣٣م. انظر: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٣٣١/٦؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٣٧٢/٢.

٦ ع: اثنين. والأثر في *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٦٥/٣.

٧ هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي. ابن عم رسول الله صلى الله عيه وسلم وأكبر ولد العباس. مات في طاعون عمواس ١٨هـ/٦٣٩م في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: *الكاشف* للذهبي، ١٢٢/٢؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٤٦.

٨ ورد في شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٣ظ: «وزيد بن ثابت الأنصاري». لكن لم أجد رواية عنه في هذه المسألة.

٩ لم أجد رواية عن ابن مسعود والفضل بن عباس في هذه المسألة. وفي *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٧٣/٣: «حديث الحكم بن عتيبة: أجمع الصحابة على أن لا ينكح العبد أكثر من اثنتين، أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريقه. وروى الشافعي عن عمر قال: ينكح العبد امرأتين. ورواه عن علي وعبد الرحمن بن عوف. قال الشافعي: ولا يعرف لهم من الصحابة مخالف. وأخرجه بن أبي شيبة عن عطاء والشعبي والحسن وغيرهم».

١٠ ك ع م – أنه.

١١ *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٣٠.

١٢ *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٣٠؛ و*سنن أبي داود*، الطلاق ٦؛ و*سنن الترمذي*، الطلاق ٧.

فإن احتج محتج[1] بعموم[2] الآية أن الله تعالى قال: **مثنى وثلاث ورباع** ولم يذكر عبدا ولا حرا، فهو على عمومه.

قيل: في الآية دليل أن الخطاب للأحرار، وهو قوله سبحانه وتعالى: **فانكحوا ما طاب لكم من النساء**، فهو على من له النكاح بنفسه، والعبد يكون له النكاح بغيره بقوله عز وجل: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ،[3] فكان المخاطب بنكاح العبيد مواليهم، ليس له أن ينكح المرأة إلا بإذن مولاه، ومولاه يزوجه[4] إذا شاء بغير أمره، فإنما الخطاب لمن له أن يتزوج إذا شاء،[5] والعبد من ذلك خارج. ألا ترى أنه قال عز وجل: **أو ما ملكت أيمانكم**، والعبد لا يملك ملك اليمين، فدل أن الخطاب راجع إلى الأحرار دون العبيد.

فإن قيل: فقد جعلتم للعبد أن يطلق[6] الحرة ثلاثا، فجعلتم له من الطلاق مثل الذي جعلتموه للحر، فيجب أن تجعلوا له من تزوج النساء مثل الذي يجوز للحر.

قيل: الفرق بينهما أن الطلاق عندنا بالنساء، لأن الحر يطلق امرأته الأمة[7] تطليقتين فتحرم عليه، والتزويج بالرجال، لا ينظر فيه إلى النساء، فللعبد أن يتزوج النصف من تزويج الحر، كما أن عدة الأمة وطلاقها على النصف من[8] عدة الحرة، على ما روينا من الخبر عن رسول الله

١٢٠ظ س١٦] صلى الله عليه وسلم، حتى يكون[9] للعبد في امرأتين شيء[10] نصف ما للحر من الأربع.*

**﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وآتوا النساء صدُقاتهن نِحلةً**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه: **نحلة** قال: المهر.[11]

---

[1] ن: مجتمع.
[2] م: لعموم.
[3] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[4] ع: تزوجه.
[5] م: إن شاء.
[6] ن + أن يطلق.
[7] ن – الأمة.
[8] ع – عدة الأمة وطلاقها على النصف من.
[9] م: حتى تكون.
[10] جميع النسخ: شيئا.
* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية الرابعة. والموضوع متعلق بالآية الثالثة، فوضعناه هنا. انظر: ورقة ١٢٠و/ سطر٣٥ – ورقة ١٢٠ظ/سطر١٦.
[11] *تفسير الطبري*، ٢٤١/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٣١/٢.

وقيل: النحلة الفريضة، أي آتوهن فريضتهن. وقيل: **نحلة أي عطية**، أي تُعطَى[1] هي لا وليها،[2] وهو من النُّحلَى.[3] وقيل: **نحلة**، من نحلة[4] الدين، أي من الدين أن تؤتوا النساء صدقاتهن، ليس[5] على ما كانوا يفعلون في الجاهلية، يتزوجون النساء بغير مهورهن. ففيه أن لأهل الكفر النكاح بغير مهر.

وقوله عز وجل: **فإن طبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا**؛ وفي الآية دلالة جواز هبة المرأة لزوجها،[6] وفساد قول من لا يجيز هبة المرأة بمالها حتى تلد[7] أوتبقى في بيته سنة فيجوز[8] أمرها. وفي الآية أيضا دليلُ أن المهر لها، حيث أضاف الإحلال والهبة[9] إليهن بقوله: **فإن طبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا**. وفيه دليل أيضا أن هبة الديون والبراءة[10] منها جائزة، كما جازت هبة المرأة مهرها وهو دين.

وقيل فيه بوجه[11] آخر. وهو أن الآباء في الجاهلية والأولياء كانوا[12] يأخذون مهور نسائهم، فأمرهم عز وجل أن لا يأخذوا ذلك، وحكم بأن المهر للمرأة[13] دون وليها، إلا أن تهبه لوليها[14] فيحل حينئذ.

وقوله عز وجل: **فكلوه هنيئًا**: لا داء فيه، **ومريئًا**: لا إثم فيه. وقيل:[15] الهنيء هو اللذيذ الشهيّ الذي يَلَذّ[16] عند تناوله ويسره، والمريء الذي يحمد عاقبته. ثم الحكمة

---

[1] ع م: عطية تعطى.
[2] ن: لأوليائها.
[3] م: النحبى. والنُّحلَى العطية على فُعْلَى (*لسان العرب* لابن منظور، «نحل»).
[4] م: نحلة من نحنة.
[5] ن: وليس.
[6] جميع النسخ: من زوجها. وقد قال المطرزي: «يقال: وهب له مالا وهبا وهبة وموهبة. وقد يقال: وهبه مالا. ولا يقال: وهب منه» (*المغرب* للمطرزي، «وهب»).
[7] ع م: بمالها تلد.
[8] أي فينفذ.
[9] م: الهبة.
[10] م: البرآة.
[11] ن: وجها؛ ع م: وجه.
[12] ع م: كان.
[13] م – للمرأة.
[14] ن ع – إلا أن تهبه لوليها.
[15] ن + المعنى.
[16] ن ع م – يلذ.

في ذكر الهنيء والمريء هنا وجهان. أحدهما ما ذكر في الآيات من الوعيد بأخذه[1] منها، يقول عز وجل: لَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا -إلى قوله- بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ،[2] لئلا يمتنعوا عن قبول ذلك للوعيد الذي ذكر في الآيات. والثاني أن الامتناع[3] عن قبول ما بذلت الزوجة يحمل[4] على حدوث المكروه ويورث الضغائن، وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما.

وقيل: قوله عز وجل: **وآتوا النساء صدُقاتهن نِحلةً**، يعني بطيبة أنفسكم، يقول: لا تعطوهن مهورهن وأنتم كارهون، ولكن آتوهن وأنفسكم به طيبة، إذ كان[5] المهور لهن دونكم. وقوله عز وجل: **فإن طبن لكم** أي ما طابت به أنفسهن من غير كره فهو حلال. وعن علقمة[6] أنه قال لامرأته:[7] أطعميني من الهنيء المريء.[8] وعن علي رضي الله عنه قال: إذا اشتكى أحدكم شيئا[9] فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، ثم يشتري بها عسلا، ثم يشربه بماء السماء، فيجمع الله تعالى الهنيء المريء والشفاء والماء المبارك.[10]

وفي قوله أيضا[11] جل وعز: **فكلوه هنيئًا مريئًا** أن النفقة وإن كانت عليه فهي إذا قامت بها في نفسها لا يُخرِجُ هو، لأن نفقتها عليها ليست بأعظم من نفقته[12] من مالها إذا تطيب.[13]

---

[1] ن ع: يأخذه.

[2] ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أ تأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (سورة النساء، ٤/٢٠-٢١).

[3] ع: أو الامتناع؛ م: إذ الامتناع.

[4] م: يحتمل.

[5] م: إذا كان.

[6] علقمة بن قيس النخعي الكوفي أبو شبل الفقيه. ثقة ثبت عابد. روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وعنه ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد وابن أخته إبراهيم النخعي وآخرون. كان أشبه الناس بعبد الله بن مسعود هديا. مات بعد ٦٠هـ/٦٧٩م، وقيل: بعد ٧٠هـ/٦٨٩م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٢/٣٤؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ٣٩٧.

[7] ك – لامرأته.

[8] *تفسير الطبري*، ٤/٢٤٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٢.

[9] ع م – شيئا.

[10] *تفسير القرطبي*، ٥/٢٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٢.

[11] م – أيضا.

[12] ع – وإن كانت عليه فهي إذا قامت بها في نفسها لا يخرج هو لأن نفقتها عيها ليست بأعظم من نفقته؛ م – من نفقته.

[13] ك ن ع: تطيبت.

ووصف بالهنيء المريء بما[١] ربما يستثقل الطبع عن مالها كراهة الامتنان، أو بما كان عليه كفايتها، أو بما جرى من الوعيد الشديد في منع مهرها، أو بما قد تحتشمه[٢] فتبذل له، أو بما يوهم الطمع في مالها والرغبة في النكاح لذلك، فطيبه الله تعالى حتى وصفه بغاية ما يحتمل المال من الطيب.[٣] وفيه بيان جواز معروفها، وترغيب في حسن المعاشرة بينهما، حتى أبقى ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل: إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ،[٤] الآية؛ وذلك أَخذُ ما يورث المحبة والمودة أو يديمها، إذ جعلها[٥] الله بينهما بقوله:[٦] وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا.[٧]*

**﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾**[٥]

وروي عن الحسن[٨] أنه قال في قوله تعالى: **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم**: يعني الكفار.[٩] وقيل: لا تؤتوا السفهاء أموالكم[١٠] فيكونوا قِيَاما عليكم، ولكن كونوا أنتم قِيَاما عليهم. وقيل: لا تؤتوهم[١١] أموالكم فيكونوا أربابا عليكم، وكونوا[١٢] أربابا بأموالكم عليهم.

---

[١] ع م: بماء.

[٢] م: تحشتمه. ومعنى تحتشم: تستحيي (*لسان العرب* لابن منظور، «حشم»).

[٣] ع م – من الطيب.

[٤] ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عُقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٧).

[٥] ك ن: اذ جعل؛ ع م: ان جعل.

[٦] ع م – بقوله.

[٧] ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢١).

* وردت هنا مسألة أن العبد لا يتزوج أكثر من اثنتين، والموضوع متعلق بالآية الثالثة فوضعناه هناك. انظر: ورقة ١٢٠و/سطر ٣٥ – ورقة ١٢٠ظ/سطر ١٦.

[٨] جميع النسخ: وروى الحسن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٤و.

[٩] لم أجد هذا القول مرويا عن الحسن، بل روي عنه أن السفهاء هم الصغار والنساء. انظر: *تفسير الطبري*، ٤/٢٤٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٣. وحكى القرطبي هذا القول ولم ينسبه إلى أحد. انظر: *تفسير القرطبي*، ٥/٢٨.

[١٠] ك ع – يعني الكفار وقيل لا تؤتوا السفهاء أموالكم.

[١١] ن: لا تؤتوا.

[١٢] ع – أربابا عيكم وكونوا.

ومن صرف التأويل إلى اليتامى جعل[1] معنى قوله عز وجل: **أموالكم** كقوله: لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[2] وكقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[3] يريد من ترونه[4] في البيوت، فعلى ذلك إضافة أموال اليتامى إلى الأولياء.[5]

وقوله[6] عز وجل: **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم**، الآية؛ فالسفيه في الحقيقة من يعمل عمل الجهال، كان جاهلا في الحقيقة أو لا، لما قد يلقب العالم به إذا ضيع الحدود وتعاطى الأفعال الذميمة، وعلى ذلك ما جاء الكتاب بتسفيه علماء أهل الكتاب.[7] ثم قد يسمى الجهال به لما الجهل هو السبب الباعث على فعل السفه، فقوله تعالى: **لا تؤتوا السفهاء أموالكم** يحتمل ذلك الوجهين. وأي الأمرين كان ففيه التحذير للمعنى الذي يتبين[8] من قوله: **التي جعل الله لكم قِيامًا**، فإما أن كانت قياما للمعاش أو للمعاد أو لهما. وطريق الإنفاق في الوجهين والإمساك لهما التدبير[9] ومراعاة الشرع وتعاهد الأسباب. والوجهان[10] جميعا يمنعان الوفاء بما جعلت له الأموال، فحُذِّرَ من أُنعم بها[11] عن تضييع ذلك بالتسليم إلى من ذُكر، مع ما يكون في ذلك اتباع من يستحق أن يكون متبوعا لمن حقه أن يُجعل تابعا، وذلك خارج عن حد الحكمة وما يحمده العقل.

ثم قد صُرفت الآية إلى النساء بما جَعله[12] [كذلك] مَن إليه التدبير،[13] وهو الذي أنشأهن

---

[1] ع: اجعل.
[2] سورة النساء، ٢٩/٤.
[3] سورة النور، ٦١/٢٤.
[4] ع م: يريد ترونه.
[5] قال في شرح *التأويلات*: «وإنما أضاف أموال اليتامى إلى الأولياء لكونهم تحت أيديهم وتصرفهم. فهو كقوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلِّموا على أنفسكم﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤)؛ أراد من كان في البيوت من المتصلين بهم وجعلهم من أنفسهم. وكقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤)؛ المراد هو أصحابكم. فهذا مثله» (ورقة ١٤٤و).
[6] ن: ثم قوله.
[7] كما ورد في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٣/٢)، وقوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (سورة البقرة، ١٤٢/٢).
[8] جميع النسخ: بين.
[9] جميع النسخ: التدبر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٤ظ.
[10] أي سفه الجاهل وسفه العالم الذي يضيع الحدود.
[11] ن ع م: أنعم لهما.
[12] جميع النسخ: مما جعل.
[13] أي جعل الله تدبير الأموال وتصريفها للرجال.

تحت أيدي الرجال في الأمور، مع وصف الرجال أنهم قوامون على النساء. وصرفت[١] أيضا إلى الصغار بما ضَمِن حفظ أموال[٢] مثلهم الكبارُ وجُعلوا مكفولين عند البالغين، فأموال البالغين أحق بذلك. وحقيقة السفه ما ذكرت.

وجائز أن يكون المقصود بالذكر من ذكر الصغار والنساء بما خاطب[٣] من حذّر بالدفع إلى مَن ذَكر رزقَ أولئك وكسوتَهم، ولا يجب رزق الجهال والسفهاء في الأفعال[٤] على غيرهم، فيكون ما[٥] ذكروا أولى بمراد الآية، وإن كان للمعنى الذي قصد بالآية التي ذكرتُهم قد استحقوا. ولمّا غلبت تلك الأحوال على هؤلاء جعل من ذكرتُ قواما عليهم.

وقد ذكرت[٦] عن الحسن أنه صرف الآية إلى الكفار. فكأنه تأول في القيام القيام بأمر الدين، والكفار لا يجوز الاستعانة بهم فيه،[٧] وله جعْل المال عنده. مع ما كره العلماء تسليط الكفار[٨] العقود، لجهلهم بحق شرع الإسلام[٩] فيها، فمثله دفع الأموال إليهم.

وقوله عز وجل: **التي جعل الله لكم قياما**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه: **التي جعل الله لكم قياما**، يعني قوام أمركم ومعيشتكم.[١٠] وهو هكذا،[١١] جعل الله هذه الأموال أغذية للخلق، بها يقوم[١٢] دينهم وأبدانهم.

وقوله عز وجل: **وارزقوهم فيها واكسوهم** يقول: لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم أنتم واكسوهم. وقيل: يقول: أنفقوا عليهم منها وأطعموهم. وقيل: لما أضاف الأموال إلى الدافعين لا إلى المدفوعة إليهم دل على وجوب نفقة الولد وكسوته[١٣] على الرجل.

---

[١] ع م: صرفت.
[٢] ع: أموالهم.
[٣] ع: بما يخاطب.
[٤] ع م – في الأفعال. أي الذين عُدُّوا سفهاء بتضييع الحدود وتعاطي الأفعال الذميمة.
[٥] ك: فيكون مما.
[٦] ك ن: وقد ذكر.
[٧] م – فيه.
[٨] جميع النسخ: الكفر.
[٩] م: الشرع في الإسلام.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٤/٢٤٩؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٤/٢٣٢.
[١١] م: كذا.
[١٢] ع: تقوم.
[١٣] م: وكسوتهم.

[١٢١و] وقوله عز وجل: / **وقولوا لهم قولا معروفا**؛ قيل: عِدَةً حسنة جميلة: سأفعل وسأكسو؛ وقيل:[1] مروهم بالمعروف وانهوا عن المنكر؛ وقيل: علموهم الأدب والدين وقولوا[2] لهم كلام البِرّ واللِّين واللطف.

**﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح**، اختلف فيه.[3] قال بعضهم: قوله عز وجل: **حتى إذا**؛ حرف[4] حتى صلة، وتأويله: وابتلوا اليتامى[5] إذا بلغوا النكاح، وهو قول الشافعي رحمه الله،[6] يجعل[7] الابتلاء بعد البلوغ. ويحتمل أن يكون المراد بالابتلاء[8] قبل[9] البلوغ لوجهين. أحدهما أن يبتلى الأيتام قبل بلوغهم[10] بأنواع العبادات والآداب[11] ليعتادوا بها ويتأدبوا،[12] ليعرفوا[13] حقوق الأموال وقدرها ويحفظوها إذا بلغوا، لأنهم إذا ابْتُلُوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرائض وقت البلوغ، وكان في ذلك تضييع حقوق الله وفرائضه، إذ لا سبيل لهم إلى القيام بها حتى البلوغ. فأمر الأولياء والأوصياء[14] أن يبتلوهم قبل البلوغ، حتى إذا بلغوا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق، حافظين لها.

---

[1] ن م: وسأكسوه قيل.
[2] ك: وقوا.
[3] ع: اختلف فيهم.
[4] جميع النسخ: صرف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٤ظ. وكذلك بدلالة قول المؤلف بعد سطور: «وقوله: إن حرف حتى صلة...».
[5] ع + حتى.
[6] *الأم* للشافعي، ٣/٢١٥، ٢١٩.
[7] ن: يحتمل.
[8] م – بالابتلاء.
[9] ع: قيل.
[10] ع م: بلوغ.
[11] ع م – والآداب.
[12] م: وويتأدبوا.
[13] ن – ليعرفوا.
[14] م – والأوصياء.

ألا ترى إلى ما روي في الخبر أنه أمر الأب أن يأمر ولده بالصلاة إذا كان ابن سبع، وأمر بالضرب والتأديب[١] إذا كان ابن تسع، وبالتفريق في المضاجع.[٢] وهو من حقوق الخلق. فهذا ليعتادوا ويأخذوا[٣] الأدب[٤] قبل البلوغ، حتى إذا بلغوا عرفوا ما عليهم[٥] وهان القيام بها. وإذا[٦] لم يُعَوَّدوا قبل ذلك يشتد عليهم القيام بإقامة العبادات وأداء الحقوق، فعلى ذلك الأول.

ووجه آخر أن يبتلى عقولهم بشيء من أموالهم يتحرون بها ويتقلبون فيها، لينظروا هل يقدرون على حفظ أموالهم عند حدوث الحوادث والنوائب. ففيه دليل جواز الإذن في التجارة في[٧] حال الصغر، لأنه لا يظهر ذلك إلا بالتجارة. وإن كان المراد بالابتلاء بعد البلوغ والكبر فهو أيضا يحتمل وجهين. يحتمل العلم بها نفسه ويحتمل العمل بها والعلم[٨] ولا يضعوها[٩] في غير موضعها.

وقوله: إن حرف حتى صلة، إنه لو جاز له أن يجعل[١٠] هذا صلة لجاز لغيره أن يجعل الرشد صلة فيه، إذ لا فرق بين هذا وبين الأول أن يجعل صلة.[١١]

ثم اختلف في قوله تعالى: **فإن آنستم منهم رُشدا فادفعوا إليهم أموالهم**، قال بعضهم: هو أن يصير[١٢] من أهل الشهادة، فحينئذ يدفع إليه المال. فعلى قوله يجيء أن ينتزع الأموال

---

[١] ك: والتأدب.

[٢] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٠/٢؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٢٦)؛ وأخرج البزار عن أبي رافع رضي الله عنه قال: وجدنا صحيفة في قِراب سيف رسول الله بعد وفاته، فيها مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم. فرقوا بين مضاجع الغلمان والجواري، والإخوة والأخوات لسبع سنين. واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا – أظنه – تسعا» (*مسند البزار*، ٣٢٩/٩).

[٣] ع + يأخذوا.

[٤] ن ع: الآداب.

[٥] ك: عرض اما عيهم.

[٦] ن – إذا.

[٧] م – في.

[٨] ع م: ويحتمل بها العلم والعمل.

[٩] ن ع م: ولا تضعوها.

[١٠] ن: لو جار له يجعل.

[١١] قال الشارح: «وقولهم إن حرف حتى صلة وحشو كلام فاسد. لأنه لو جاز أن يجعل حرف حتى صلة وحشوا جاز أن يجعل الرشد حشوا وصلة. إذ لا فرق بين هذا وبين ذاك. فيؤدي إلى تعطيل الكتاب بأحكامه. وإنه أمر قبيح مما يفضي إليه مثله» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٤ظ، ونسخة مدينة، ورقة ١٦٤ظ).

[١٢] جميع النسخ+ هو؛ ن – أن يصير، صح هـ.

من أيدي الفساق، لأنه لا شهادة لهم. ومن قوله: إن اليتيم من أهل الكفر لا يدفع إليه المال إلا بعد استئناس الرشد منه. فلو كان شرط الرشد هو شهادة لكان الكافر لا يدفع إليه عنده،[1] لما لا يقبل شهادته[2] -ما لزم الكفر- على أحد. دل أن الرشد[3] ليس ما ذكر، ولكن ما قيل من العقل والحفظ لماله والاصلاح[4] فيها. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **فإن آنستم منهم رُشدا** قال: إذا أدرك[5] بحلم[6] وعقل ووقار.[7] وهو يقول أيضا في قوله تعالى: **منهم رُشدا**: إن الله سبحانه وتعالى يقول: اختبروا اليتامى من عند الحلم، فإن عرفتم منهم رشدا في حالهم والإصلاح في أموالهم فادفعوا إليهم أموالهم.[8] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فإن أَحَسْتُمْ[9] منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم. وفي حرف حفصة: وابتلوا اليتامى في أموالهم حتى إذا بلغوا النكاح بعد كبرهم.

ثم لا يخلو منع الأموال منهم من أوجه ثلاثة. إما أن يمنع لفرط[10] البذل والإنفاق جودا[11] وسخاوة وحسن الظن بالله أنه عز وجل يرزقهم ويعطيهم خَلَف نفقتهم؛ وهذا[12] لا يحتمل، لأن هذا من أخلاق الأنبياء[13] صلوات الله عليهم وسيرتهم، فلا يحتمل النهي عن ذلك؛ أو يمنع لغلبة شهوتهم ولقضاء وطرهم وحاجتهم، ينفقون الأموال ليصلوا إلى ذلك،[14]

[1] ع م – عنده.
[2] جميع النسخ: الشهادة.
[3] ن: أن الرسل.
[4] ن ع م: والاصطلاح.
[5] م: إذا درك.
[6] ن: يحلم.
[7] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٥.
[8] *تفسير الطبري*، ٤/٢٥١، ٢٥٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٥.
[9] ع م: حسبتم. قال الطبري: «وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله: فإن أحسيتم منهم رشدا، بمعنى أحسستم، أي وجدتم» (*تفسير الطبري*، ٤/٢٥٢). وقال الآلوسي: «وقرأ ابن مسعود: أَحَسْتُمْ بحاء مفتوحة وسين ساكنة، وأصله: أَحْسَسْتُمْ بسينين نُقِلَت حركةُ الأولى إلى الحاء وحُذفت لإلتقاء الساكنين إحداهما على غير القياس» (*روح المعاني* للآلوسي، ٤/٢٠٥). ولعل ما في تفسير الطبري تحريف من الناسخين.
[10] ك: لفرظ.
[11] م: جورا.
[12] ك: وهنا.
[13] ن – لأن هذا من أخلاق الأنبياء، صح هـ.
[14] ن + لأن هذا من أخلاق الأنبياء.

فإن هم منعوا[1] عن أموالهم يتناولون من أموال غيرهم ويتعاطون ما لا يحل ولا يحسن،[2] فلا يحتمل أن يمنعوا لذلك؛ أو أن يمنع عنهم الأموال لآفة في عقلهم ونقص[3] في لبهم، فإن كان لهذا ما يمنع أموالهم عنهم فيجب أن يمنع أبدا لا وقت في ذلك ولا مدة، إلا بعد ارتفاع ذلك وزواله عنهم، وهو الوجه [الذي] يمنع منه حتى يؤنس منه الرشد.

ثم جعل إدراكه وبلوغه بالاحتلام، لأن كل جارحة من جوارح الإنسان يجوز استعمالها إلا الجارحتين منها، فإنه لا يقدر على استعمالهما[4] إلا هو، إحداهما الذكر والأخرى اللسان، فإن هاتين الجارحتين لا يمكن استعمالهما إلا[5] صاحبهما. فجعل الاحتلام عَلَما لبلوغه وإدراكه[6] لذلك،[7] ولهذا لم[8] يَعمل الإكراه عليهما، نحو من أكره بالزنا فزنا،[9] فإن عليه الحد، لأن الإكراه لا يعمل عليه، فإنما كان بفعل[10] منه، إلا الوالي[11] فإنه إذا أكره آخر بالزنا ففعل لم يقم عليه الحد، لما جعلنا ذلك كالعَلَم بالسبب الذي يحل.[12] وكذلك لو أكره حتى وطئ امرأة لزمه العُقْر،[13] ولا يرجع على المكرِه. ولو أكره على إتلاف مال من أمواله ففعل لرجع[14] على المكره، للمعنى الذي وصفنا. ولهذا ما وقع طلاق المكره[15] ونكاحه وعتاقه، لأن هذه الأشياء إنما تقع باللسان، واللسان مما لا يعمل عليه الإكراه، لذلك جاز. *والله أعلم*. وأما البيوع والأشربة[16] والعقود كلها،

---

[1] م: فإنهم إن منعوا؛ ن ع: فإنهم منعوا.
[2] ع م: يحل ويحسن.
[3] ع: ونقض.
[4] ك م: على استعمالها.
[5] ع م – هو إحداهما الذكر والأخرى اللسان فإن هاتين الجارحتين لا يمكن استعمالهما إلا.
[6] ك: واحراكه.
[7] م – لذلك.
[8] جميع النسخ: ما لم.
[9] ك: لزنا.
[10] ن ع م: يفعل.
[11] م: إلا الولي.
[12] وعبارة السمرقندي هكذا: «إلا من السلطان، فصار أمر السلطان جعل كالعلم على السبب الذي يحل فيورث الشبهة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٥ظ).
[13] هو ما تعطاه المرأة كالمهر على وطء الشبهة (*لسان العرب* لابن منظور، «عقر»).
[14] ع م: ليرجع.
[15] أي ولهذا السبب يقع طلاق المكره...
[16] ك: والأشربة.

سوى هؤلاء، يكون بالتسليم[1] والقبض دون النطق باللسان والتكلم بها، فالإكراه مما يعمل[2] عليها لما أمكن استعمالها لغيره،[3] لذلك افترقا.

[١٢١ظ] ولهذا ما قلنا: إن / الإيمان يكون بالقلب دون اللسان، لأنه إذا أكره حتى يكفر فأجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه مطمئنا بالإيمان لم يكفر، فإذا اطمأن قلبه بالكفر كفر،[4] لأن الإكراه لا يعمل على القلب، ولا يصير المكرِه مستعملا له، إنما المستعمِل هو لا غير، لذلك كان الجواب[5] ما ذكرنا.

ومعنى جعل[6] الاحتلام بلوغا هو إمكان استعمال سائر الجوارح دونه يعني الفرج إلا بعد الكبر، وما كان المعروف من الآباء والأولاد، وما كان مما يجري الأمر بابتغاء المكتوب من الولد يكون[7] بعد[8] البلوغ، وبعيد[9] ذلك إلا في الوقت الذي لو ابتغى لوجد ولقدر[10] عليه، وليس[11] ذلك إلا في خروج الماء للشهوة. ثم يكون في المتعارف الاحتلام عن ذلك فجعل عَلَما له،[12] ولذلك قيل: **حتى إذا بلغوا النكاح**.

ثم [قد يوجد] فَرْقٌ في حق الكتاب بين اللسان وغيره، من حيث لا يملك أحد

---

[1] ن ع م: التسليم.

[2] ع: مما يعلم.

[3] جميع النسخ: غيره.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٦).

[5] ع م: لذلك كالجواب.

[6] ع م – جعل.

[7] ن – يكون.

[8] ع: عند.

[9] ك: ويفيد.

[10] ع م: ولعذر.

[11] م: وكذلك.

[12] يقول علاء الدين السمرقندي موضحا كلام الإمام الماتريدي رحمهما الله: «إن الله تعالى أمر بابتغاء الولد بقوله: ﴿فالآن باشِروهن وابتغوا ما كَتب الله لكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٧). أمر بابتغاء الولد وأخبر أن ذلك مكتوب علينا. ولا يتوجه التكليف إلا على كامل الحال، وهو عبارة عن البلوغ. ولا شك أن التكليف بذلك يبعد إلا في الوقت الذي لو ابتغى الولد لوجد ولقدر عليه. وإلا فيكون تكليف ما ليس له إلى ذلك سبيل، وهو تكليف ما ليس في الوسع. وذلك ليس إلا في حال خروج الماء لشهوة. لم يكن ذلك في حق الصبيان [إلا] بالاحتلام بالمتعارف فجعل علما له» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٥و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٦٥و).

قهر لسانِ آخَرَ حتى ينطقه بدون[١] [رأي] صاحبه؛ فيه[٢] يظهر سبب جري القلم من الإقرار بالبلوغ، وهذا معنى ما جُعل سببُه بما لا يعلمه[٣] غيره، ليكون أول أحوال البلوغ وقوعَ قوله بحيث البلوغ. مع ما كان النطق فعلَ من يجري في جنسه الخطاب. وكأنه اتصل أمرُه بالسبب الذي خُصَّ به الممتحن من العقل؛ إذ كان[٤] العقلِ قد يُعرَف بالمحنة، وبالاحتلام[٥] لا؛ فأمرنا[٦] بالابتلاء من حيث العقول، ولم نؤمر[٧] من حيث الاحتلام،[٨] بل يقبل قوله في ذلك. ودل قبول قول[٩] من بلغ بالإخبار عن احتلامه، وبه يجري القلم عليه ويلزم الحقوقَ أن تقبله،[١٠] بجواز[١١] في ذلك الوقت، وبخاصة[١٢] على قول من يرى الابتلاء بعد الإدراك أنه لو لم يُقبَل فبم نبتليه؟ ثم إذ جاز قوله لزم كل أمر علق به، وعلى ما ذكرت من أول ما علق به[١٣] القولُ في حق البلوغ، [ففيه] دليل اتصال حكم القول بالعقل، وتمامِ العقل بالبلوغ إذ به يجري القلم. ودل ما ذكرت من امتناع اللسان عن سلطان غير صاحبه[١٤] عليه على لزوم كل حق معلق به على الإكراه، إذ لا يلزم بغيره وهو لا يجري عليه. ثم كل أمر يكون لا به[١٥] [لا] يصير اللسان سببا فيه[١٦] كالمُغلِم عنه، وهو مما يجري عليه القهر ويُعلم فوتُه به فيَبطل. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا تأكلوها إسرافًا وبِدارًا**، قيل:[١٧] الإسراف هو كل ما نهي عنه،

---

[١] جميع النسخ: ينطق دون.
[٢] جميع النسخ: فيه.
[٣] ع: لا يغلمه.
[٤] م: ان كان.
[٥] جميع النسخ: والاحتلام.
[٦] م: لأنا أمرنا.
[٧] ع: ولم تؤمر.
[٨] ع – الاحتلام.
[٩] ن – قول.
[١٠] ك ع م: أن يقبله.
[١١] جميع النسخ: يجوز.
[١٢] ن: وبخاسة.
[١٣] ن – وعلى ما ذكرت من أول ما علق به.
[١٤] أي صاحب اللسان والنطق.
[١٥] ن ع م: لأنه.
[١٦] ك ع + سببا فيه به.
[١٧] ع م – قيل.

وقيل: الإسراف هو أكل في غير حق. وكأن الإسراف هو المجاوزة عن الحد، وهو كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا؛[1] وكان القَتْر مذموما، فعلى ذلك الإسراف في النفقة في مال اليتيم. وقوله تعالى: **إسرافا وبدارا**، قيل: البدار هو[2] المبادرة، وكلاهما لغتان كالجدال والمجادلة، وهو أن يبادر بأكل مال اليتيم خشية أن يَكْبَرَ[3] فيحولَ[4] بينه وبين ماله، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[5] وفي[6] حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ولا تأكلوها إسرافا وبدارا خشية أن يكبروا.

وقوله تعالى: **ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف**، أطلق الله تعالى لولي[7] اليتيم بظاهر الآية إذا كان فقيرا أن يأكل بالمعروف من غير إسراف، وذلك هو الوسط منها. وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: ليس لي مال ولي يتيم. فقال: «كُلْ مال[8] يتيمك غيرَ مسرف ولا مُتَأَثِّلٍ مالَك بماله».[9] وفيه دليل أن الغني لا يجوز له أن يأكل مال اليتيم، وأن الفقير إذا أكل منه أنفق نفقة[10] لا إسراف فيها. وعن عمر رضي الله عنه قال: إني أنزلت[11] نفسي[12] من مال الله منزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت وإن احتجت[13] أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت.[14]

[1] ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يَقْتُرُوا وكان بين ذلك قَواما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٧).
[2] ع: وهو.
[3] م: أن يتكبر.
[4] ن – فيحول.
[5] *تفسير الطبري*، ٤/٢٥٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٣٥.
[6] ع: وهو.
[7] ن: تولي.
[8] ع: ما.
[9] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا أجد شيئا وليس لي مال ولي يتيم له مال. قال: «كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالا». قال: وأحسبه قال: «ولا تقِ مالك بماله» (*سنن ابن ماجة*، الوصايا ٩). «ولا متأثل» أي ولا جامع (*لسان العرب* لابن منظور، «أثل»).
[10] م: نفسه.
[11] ك: نزلت.
[12] جميع النسخ: من نفسي. والتصحيح من مصادر الرواية و*الشرح*، ورقة ١٤٥ظ.
[13] ع: وإن احتجت.
[14] *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٣/٢٧٦؛ و*تفسير الطبري*، ٤/٢٥٥؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٣٦. قال الشارح: «قال ذلك في مال بيت المال» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٥ظ).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الوصي إذا احتاج وضع يده مع أيديهم، ولا يكتسي عمامة.[١] وعن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: **ومن كان فقيرًا فليأكلْ بالمعروف**؛ وقالت: يأكل والي اليتيم من مال اليتيم[٢] إذا كان يقوم له على ماله ويُصلحه،[٣] إذا كان محتاجا.[٤] وقيل: يأكل قرضا ثم يرد عليه إذا أيسر، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٥]

وقيل: يأكل **بالمعروف**، أي من مال نفسه حتى لا يفضي[٦] إلى مال اليتيم،[٧] وقيل: يأكل إذا كان يعمل له ويقوم عليه، وقيل: يأكل قرضا، ألا ترى إلى قوله[٨] تعالى: **فأشهدوا عليهم**، أمر بالإشهاد عليهم عند الدفع، ولو كان أمانة في يده لم يحتج إلى الإشهاد في الدفع، ولكن يجوز أن يومر[٩] بالإشهاد لا لمكان[١٠] الوصي نفسه ولكن لما يجوز أن يحدث بينه وبين ورثة الوصي خصومة فيشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم.[١١] وقيل: الأكل بالمعروف هو ما يَسُدّ به جوعه ويواري عورتَه.

وقوله عز وجل: **وكفى بالله حسيبا**، قيل: شهيدا بما أخذ من ماله وأنفق، ويحتمل قوله: **حسيبا**، يحاسبه في الآخرة إذا لم يحاسبه اليتيم في الدنيا.

**﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[٧]**

قوله[١٢] عز وجل: **للرجال نصيبٌ مِمّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب**، الآية؛

---

[١] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٦/٢. قال علاء الدين السمرقندي: «أراد به يأكل مع اليتيم من طعام صنع له من ماله، ولكن لا يلبس ثيابه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٥ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٦٥ظ).

[٢] ع – من مال اليتيم.

[٣] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٥ظ.

[٤] *صحيح البخاري*، التفسير ٢/٤؛ *وتفسير الطبري*، ٢٦٠/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٥/٢.

[٥] *تفسير الطبري*، ٢٥٥/٤، ٢٥٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٦/٢.

[٦] ع: لا يقضى.

[٧] قال الشارح: «فإنه متى أكل مال نفسه بطريق الإسراف فيفنى ماله فيحتاج إلى مال اليتيم. فأمر بالأكل بالمعروف من مال نفسه حتى لا يفضي إلى مال اليتيم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٥ظ).

[٨] ك ن: إلى قول الله.

[٩] د ع م: أن يأمر.

[١٠] ع: ولا لمكان.

[١١] ن – عنهم.

[١٢] ك ع م: وقوله.

يحتمل أن تكون[1] الآية -والله أعلم- نزلت بسبب ما لم يكن يورث أهل الجاهلية الإناث والنساء والصغار، ويجعلون المواريث لذوي الأسنان[2] من الرجال الذين يصحون للحرب ويحرزون[3] الغنيمة، فنزلت الآية بتوريث الرجال والنساء جميعا.[4] ويقال: إن الآية نزلت في شأن رجل يقال له[5] أوس بن[6] ثابت الأنصاري، تُوُفي وترك بناتٍ[7] وامرأةً، فقام رجلان
[١٢٢و] من بني عمه وهما وصيان، / فأخذا ماله ولم يعطيا[8] امرأته ولا بناته شيئا، فجاءت امرأة أوس بن ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت وأخبرت بالقصة، فقال لها: «ارجعي في بيتك حتى أنظر ما يحدث الله في ذلك»، فانصرفت، فنزل قوله تعالى: **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون**، الآية.[9] وقيل: نزلت الآية[10] في شأن امرأة سعد،[11] أن سعدًا استشهد بأُحد وترك ابنتين وامرأة،[12] فاحتوى أخو سعد[13] على مال سعد[14] ولم يعط المرأة[15] ولا الابنتين شيئا، فاختصمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بالقصة، فقال لها: «لم ينزل الله عليّ فيكم شيئا». ثم نزلت الآية، فأخذ من عمهما ثلثي المال ورده إليهما، ودفع الثُمُن إلى المرأة،[16]

[1] ع م: أن يكون.
[2] ع م: لذي الأسنان. الأسنان جمع سن بمعنى العمر (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «سن»؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «سن»). فالمقصود بذوي الأسنان أي ذوي الأعمار من الرجال الذين خرجوا عن حد الطفولة. ويوضحه قوله بعده: الذين يصلحون للحرب ويحرزون الغنيمة.
[3] ن: ويجرزون.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٦٢/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٩/٢.
[5] ع م - له.
[6] ك: بل.
[7] ن ع: بناتا؛ م: بناة.
[8] ع: و لم يعطيان.
[9] *الإصابة* لابن حجر، ١٤٤/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٨/٢.
[10] ك + وقيل نزلت الآية.
[11] جميع النسخ: امرأة ابن سعد؛ والصحيح: امرأة سعد؛ لأن الرواية المذكورة ليس فيها أي شيء يتعلق بامرأة ابن سعد. وسعد هو سعد بن الربيع. انظر: الحاشية المتعلقة بتخريج هذا الحديث.
[12] ن: وامرة.
[13] جميع النسخ: أخ سعد.
[14] ع: عبى ما سعد.
[15] ع: المراءة.
[16] ع: المراءة.

وترك البقية للعم.[1] والله أعلم أنْ فيم كان نزولها. وفي هذا الخبر دليل أن للاثنتين[2] الثلثين[3] كما للثلاث فصاعدا، ليس كما قال بعض الناس: إن لهما النصفَ، لأن الله[4] تعالى إنما جعل الثلثين[5] للثلاثة.

ثم تحتمل[6] الآية وجهين بعد هذا؛ يحتمل أن يكون المراد الأولاد خاصة لا غير، فيدخل كلُّ ولدٍ، ولد البنات وولد البنين،[7] لأنهم كلهم أولاده؛ ويحتمل أن يكون المراد منها[8] الرجال والنساء، فيدخل ذوو الأرحام[9] في ذلك، فلما لم يدخل بنات البنات في ذلك، وهم أولاد، دل أنه أراد النساء والرجال جميعا لا الأولاد خاصة.

وفيه دلالة نسخ الوصية للوارث، لأنه قال عز وجل: **للرجال نصيب ... وللنساء نصيب** -إلى قوله- **مفروضا**، أي معلوما بما أوجب في كل قليل [وكثير].

ثم قال في قوله: **نصيبا مفروضا**، قيل: ذا يرجع إلى ما بيّن فرضه[10] وهو أصحاب الفرائض دون العصبات، فيكون على ما أشار إلى حقه من حيث الاسم في القرآن. ويحتمل ما بيّن وقد جرى فيه ذكر حقين. أحدهما حق العصبة كما ذكر في الأب والإخوة والأولاد، و[الثاني] حق أصحاب الفرائض؛ ولو كان على ذلك فقد يتضمن الفرض ما يعلم بالإشارة إليه والدلالة،

---

[1] رويت هذه القصة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم...﴾ (سورة النساء، ١١/٤)، فانظر: الحاشية المتعلقة بذلك والآتية قريبا. لكن روى الطبري وغيره عن عكرمة قال: نزلت في أم كُحّة وابنة كُحّة وثعبة وأوس بن سُويد وهم من الأنصار، كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها، فقالت: يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث. فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ عدوا، يكسب عليها ولا تكتسب. فنزلت: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثُر نصيبا مفروضا﴾ (*تفسير الطبري*، ٢٦٢/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٩/٢).

[2] ع: أن للاثنتين؛ ك: أن للأنثيين؛ ن: أن للاثنين.

[3] جميع النسخ: الثلثان.

[4] ع: أن الله.

[5] ع: الثلاثين.

[6] ع م: ثم يحتمل.

[7] ن – ثم تحتمل الآية وجهين بعد هذا يحتمل أن يكون المراد الأولاد خاصة لا غير فيدخل كل ولد ولد البنات وولد البنين؛ ع م: البنين.

[8] ن + الرجال منها.

[9] ك: ذوا الأرحام؛ ن: ذو الأرحام؛ ع م: ذوي الأرحام. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و.

[10] ع: فرضه.

لأن أكثر من يستحق الميراث[1] بحق العصبة هو ما لا نص فيه، والذي فيه النص هو في الأولاد والإخوة خاصة والوالد. وقيل: يتضمن كل الأقرباء على اختلاف الدرجات، فيكون منصوصا[2] أيضا ومدلولا[3] عليه؛ ويؤيد هذا التأويل قوله: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[4] ثم بين:[5] مِن المؤمنين والذين هاجروا، أولئك[6] هم البُعَداء الذين لهم أُخُوّة الدين والهجرة. فإذ بقي من الرحم[7] أحد لم يصرف ذلك إلى المؤمنين، وقد قدم حقهم على المؤمنين والمهاجرين بالرحم، لذلك هم أولى. مع ما للإمام صرف ذلك بحق الإيمان إليهم، وفي جواز الدفع إلى المؤمنين غير الرحم[8] شك[9] عند قيامهم،[10] فالدفع إليهم[11] أولى لوجهين. أحدهما عموم الكتاب على تحقيق حق كُلّ[12] آية منها دون إدخال حكمِ آية[13] في حكم[14] أخرى[15] بلا ضرورة. والثاني الإجماع من الوجه الذي ذكرت مع اتفاق أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والفتوى إلى يومنا هذا.[16]

---

[1] جميع النسخ: من يوصي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٦٦و.
[2] ع: منصوبا.
[3] م: وأيضا مدلولا.
[4] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).
[5] ع – بين.
[6] في جميع النسخ: وأولئك.
[7] في جميع النسخ: فإذا بقي في الرحم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[8] جميع النسخ: فيصير الدفع إليهم بحق الجواز وإلى غيرهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[9] م: منك.
[10] أي قيام ذوي الأرحام.
[11] أي إلى ذوي الأرحام.
[12] جميع النسخ: لكل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[13] ن ع م: انه.
[14] ك ن: في حق.
[15] جميع النسخ: آخرين. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[16] قال الشارح: «وفيما قالوا يجب صرف هذا النص إلى ما ذكرنا من قوله: ﴿يوصيكم الله...﴾ (سورة النساء، ١١/٤)، فيكون المراد منه ما هو المراد من ذلك النص، كأن ذلك ورد مبينا لهذا العام المطلق. ولا شك أنه مهما أمكن العمل بالنصوص على الانفراد من غير ضرب بعض في بعض وحمل بعض على بعض كان أولى. لأن في حمل البعض على البعض لا يخلو عن ترك العمل بالبعض من وجه آخر. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦و).

**﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾[٨]**

قوله[١] عز وجل: **وإذا حضر القسمة أولو القربى**، قيل فيه بوجهين. قيل: أراد بالقسمة قسمة المواريث بين الورثة بعد موت الميت. وقيل: أراد به قسمة[٢] الوصية وقت[٣] الإيصاء، [يعني][٤] يوصي ويَبِرّ[٥] لمن ذكر من الأقرباء واليتامى والمساكين بشيء، فالخطاب للموصي؛ ومن قال بقسمة المواريث فالخطاب للورثة، إن كانوا كبارا يعطون لهؤلاء شيئا ويبرونهم بشيء،[٦] وإن كانوا صغارا يقول لهم الوصي[٧] قولا معروفا، أي يَعِد لهم عِدَة[٨] حسنة، [وقيل: إن كانت التركة من المنقولات يعطِي لهم شيئا منها، وإن كانت عقارا وضياعا يقول لهم قولا معروفا، أي يعد لهم عدة حسنة][٩] إلى وقت خروج الأنزال[١٠] أو إلى وقت البيع إن باعوها.

ثم اختلف المتأولون فيها؛ قال بعضهم: هي منسوخة، وقال آخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[١١] ومن قال هي منسوخة قال: نسخها آية المواريث، [وهي] قوله عز وجل: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ،[١٢] الآية؛ لأنهم[١٣] كانوا يوصون الأولاد والآباء والأمهات كقوله جل وعز: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ،[١٤] الآية،[١٥] فنسخت[١٦] آيةُ المواريث وصيةَ الموصِي. ومن قال هي محكمة متقنة،

---

[١] ن ع م: وقوله.
[٢] ع: القسمة.
[٣] جميع النسخ: الموصي وهو. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[٤] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٤٦و.
[٥] ك: بين.
[٦] ن – بشيء.
[٧] م – الوصي.
[٨] ع م – عدة.
[٩] ما بين القوسين من *شرح التأويلات*، ورقة ١٤٦و. وهو ساقط من جميع النسخ، لكن لا يستقيم المعنى بدونه.
[١٠] ك: ولا يزال. والأنزال جمع نُزُل بمعنى ريع ما يزرع وزكائه ونمائه (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).
[١١] *صحيح البخاري*، التفسير ٤/٢.
[١٢] سورة النساء، ١١/٤.
[١٣] ن: كأنهم.
[١٤] سورة البقرة، ١٨٠/٢.
[١٥] ع م – الآية.
[١٦] م: نسخت.

وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم،[1] لأنه المعروف والبر والإحسان، وذلك مما[2] لا يحتمل النسخ. وقيل: إن عبد الله بن عبد الرحمن[3] قسم ميراث أبيه وعائشةُ حية فلم يَدَع في الدار مسكينا ولا ذا قرابة[4] إلا قسم له من ميراث[5] أبيه وتلا هذه الآية: **وإذا حضر القسمة**، الآية،[6] فذُكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه فقال: ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك في الوصية يريد الميت أن يوصِي لهم.[7]

وقوله عز وجل: **فارزقوهم منه واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**، قيل: إذا كان المال[8] كثيرا رَضَخ[9] وأعطى لهم[10] شيئا،[11] وإذا[12] كان قليلا اعتذر إليهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[13] وقيل: أمر من يرث أن يَرْضَخ ويعطي لمن لا يرث شيئا، وهو قول الحسن،[14] ويقول[15] لهم قولا معروفا. والقول المعروف يحتمل[16] ما ذكرنا. [يعني] أن يعطي لهم[17] إن كانوا كبارا أعني الورثة، ويَعِد[18] لهم عِدَة إن كان المال ضياعا إلى وقت خروج الأنزال والغَلّات أو إلى وقت خروج الثمر؛[19] أو يعطي الورثة إن كانوا كبارا ويعتذر[20] إليهم الوصي إن كانوا صغارا.

[1] *تفسير الطبري*، ٢٦٣/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٩/٢.
[2] ع م: ما.
[3] هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق التيمي. روى عن أبيه وخالته أم سلمة، وعنه ابنه طلحة والقاسم. ثقة. مات بعد ٧٠هـ/٦٨٩م. انظر: *الكاشف* لذهبي ٥٦٧/١؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ٣١٠.
[4] ك: ترابة؛ ع – قرابة؛ م: القرابة.
[5] ن: له ميراث.
[6] ك: إلى آخره.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٦٥/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٤١/٢.
[8] ن – المال، صح هـ.
[9] الرَّضْخ: العطية القليلة (*لسان العرب* لابن منظور، «رضخ»).
[10] م – لهم.
[11] ع – إذا كان المال كثيرا رضخ وأعطى لهم شيئا.
[12] ع: إذا.
[13] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٤٠/٢.
[14] *تفسير الطبري*، ٢٦٣/٤، ٢٦٤، ٢٦٧؛ *وتفسير القرطبي*، ٤٩/٥.
[15] جميع النسخ: ويقال.
[16] ن – يحتمل.
[17] ن: هم.
[18] ك ن ع: ويعدوا.
[19] ن ع م: الثمن.
[20] ن ع م: أو يعتذر.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وَلْيَخْشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضِعافًا خافوا عليهم**؛ قيل: هو الرجل يحضره الموت وله ولد صغار، فيقول له آخر: / أَوْصِ[١] بكذا أو أَعْتِق كذا أو افعل كذا، ولو كان هو الميتَ لأحبَّ أن يترك لولده، فخوَّف هذا القائل بقوله: **فليتقوا الله**، وأمر أن يقول له مثل ما يحب[٢] أن يقال له في ولده بالعدل[٣] بقوله عز وجل: **وليقولوا قولا سديدا**، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٤] وقيل: هو الرجل [الذي] يحضره الموت فيقول له من يحضره: اتق الله وأمسك عليك [مالك][٥] لأولادك[٦] الصغار والضعفاء،[٧] ليس أحد أحق بمالك منهم، ولا توص من مالِك[٨] شيئا فنَهَى أن يقول[٩] له ذلك [ويمنعه عن أعمال الخير، لما أنه لو كان هو الذي يحضره الموت ويريد أن يوصي بأعمال البر لأحب أن لا يقال له ذلك ولا يمنع منه. فكذلك هو لا يقوله[١٠] لغيره].[١١] والأول أشبه. [١٢٢ظ]

وقوله عز وجل: **وليقولوا قولا سديدا**، قيل: عدلا، يأمر أن يوصي بما عليه من الدين والوصية ولا يجور[١٢] في الوصية. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نَهى من حضر منهم مريضا عند الموت أن يأمره أن ينفق ماله في العتق والصدقة أو في سبيل[١٣] الله، ولكن يأمره[١٤]

---

[١] ن ع: أوصي.
[٢] ن ع: ما يجب.
[٣] ع + يقول له مثل ما يحب أن يقال له في ولده بالعدل.
[٤] *تفسير الطبري*، ٤/٢٦٩-٢٧٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٤٢.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦ظ.
[٦] جميع النسخ: لولدك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦ظ.
[٧] ن - والضعفاء.
[٨] ن ع م: ممالك؛ ك: بمالك.
[٩] جميع النسخ: أن يقال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦ظ.
[١٠] جميع النسخ: لا يقول.
[١١] جميع النسخ: فنهى أن يقول له ذلك لما لو كان هو الموصي وله ورثة صغار ضعفاء أحب بأن لا يقال له ذلك، فكذلك لا يقول هو له. وما بين القوسين من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦ظ.
[١٢] ن ع م: ولا يجوز.
[١٣] م: أفي سبيل.
[١٤] م + أن يأمره.

أن يبين ما له وما عليه من دين أو حق.[1]

[١٢٢ظ س١٥ *وقيل في قوله: **فليتقوا الله وليقولوا** للميت إذا جلس إليه **قولا سديدا** أي عدلاً في وصيته[2] ولا يجور،[3] ومَن[4] عدَلَ في وصيته[5] عند موته فكأنما وجّه ماله في سبيل الله. فقام[6] سعد بن[7] أبي وقاص فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم يوصي[8] الرجل من ماله؟ فقال:[9] «الثلث، والثلث كثير، لأن تَدَعَ عيالك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس».[10] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى تصَدَّق عليكم بثلث أموالكم زيادة ١٢٢ظ س١٩] في أعمالكم عند وفاتكم».[11]*

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا**، أي استحلالا، فإذا استحل كفر، فذلك الوعيد له. وقيل: ظلما أي غصبا.[12] والأكل هو عبارة عن الأخذ، كقوله:

[1] ع م: دين أحق. *تفسير الطبري*، ٤/٢٧٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٤٢.
[2] م: في وصية.
[3] ع: ولا يجوز.
[4] ن ع م: من.
[5] م: في وصية.
[6] م: فقال.
[7] ن: ابن.
[8] م: يوص.
[9] ك ن: قال.
[10] *صحيح البخاري*، الوصايا ٢؛ وصحيح *مسلم*، الوصية ٥. ولفظ مسلم: عن سعد بن أبي وقاص قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا». قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «لا، الثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك». قال: قلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي؟ قال: «إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة». قال: رثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن توفي بمكة.
[11] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٤٤٠؛ وسنن *ابن ماجة*، الوصايا ٥.
* ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد الآية العاشرة وهو متعلق بالآية التاسعة فوضعناه هنا. انظر: ورقة ١٢٢ظ/سطر ١٥-١٩.
[12] ع: أي عضبا.

لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً،[1] إنما هو نهي عن أخذه، وكذلك قوله: اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا،[2] وقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا،[3] إنما هو نهي عن قبض الربا، فعلى ذلك الأكل في هذه الآية عبارة عن الأخذ والاستحلال. ومن حمل الآية على الغصب جعل الوعيد عليه إلا أن يتوب، إذ لله أن يعذب من شاء من ارتكب من عباده جرما، كما جعل الوعيد على المستحل إلا أن يتوب. وقيل: إنه على التمثيل، أن الذي يأكل من مال اليتيم[4] كأنه يأكل نارا لخبثه[5] ولشدته. وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان[6] يقول: «اتقوا الله في الضعيفين». قيل:[7] ومن هما يا رسول الله؟ قال: «اليتيم والمرأة، فإن الله أيتمه وأوصى به وابتلاه وابتلى به».[8]*

**﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**،[9] قيل: قوله: **يوصيكم الله**، أي يفرض عليكم[10] الله. وقد سمى الله تعالى الميراث فريضة[11] في غير آي من القرآن،

[1] سورة آل عمران، ١٣٠/٣.
[2] سورة البقرة، ٢٧٥/٢.
[3] سورة البقرة، ٢٧٨/٢.
[4] ع + والمرأة.
[5] ع: لخبثة.
[6] ك – كان.
[7] ع م: وقيل.
[8] ن – وابتلى به. والخبر رواه عبد بن حميد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٤٣/٢. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم اني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٩/٢؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٦).
* وردت فقرة من تفسير الآية التاسعة هنا في جميع النسخ، فوضعناه موضعه. انظر: ورقة ١٢٢ظ/سطر١٥-١٩.
[9] ع – وقوله عز وجل يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين.
[10] ك ن م: أي يفرضكم؛ ع: أن يفرصكم.
[11] ن: فرايضة.

بقوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ -ثم قال- نَصِيبًا مَفْرُوضًا،[1] وقال[2] أيضا في آخر هذه الآية: فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، ولأنه شيء تولى الله إيجابه من غير اكتساب أهله، فهو كالفرائض التي أوجبها الله على عباده من غير اكتساب أهلها، فعلى ذلك سمى هذه فريضة، لأن الله تعالى أوجبه. *والله أعلم*. وقيل: قوله: **يوصيكم الله في أولادكم** أي يبين الله في أولادكم إلى آخر ما ذكر.

وفيه نسخ الوصية للوالدين والأقربين في قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ.[3] ودليل نسخه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث».[4]

ثم قيل: إن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون[5] النساء ولا الصغار من الأولاد والإناث، وإنما كانوا يورثون الرجال[6] ومن يحوز[7] الغنيمة، فنزل قوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ،[8] الآية، فالآية[9] في بيان الحق للإناث في الميراث؛ وكذلك قوله: **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** فيه بيان حق الميراث للذكور والإناث جميعا. وقيل: تأويل هذه الآية ما بين في القرآن[10] في ذوي الأرحام وإن كانوا مختلفين في سبب ذلك، وأن الآيات التي بعدها من قوله: **يوصيكم الله في أولادكم** إلى آخر الآيات التي فيها ذكر المواريث فَسَّرَ بها مبلغ النصيب الذي أوجبه الله للنساء والرجال في الآية الأولى مجملا. وأجمعوا أن الرجل إذا مات وترك ولدا ذكورا وإناثا فالمال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

ويحتمل قوله: **في أولادكم** أولاد موتاكم، وهذا جائز في اللغة، لأنه لا يجوز أن يفرض على الرجل قسمة الميراث في أولاده وهو[11] حي، دل أنه أراد أولاد الموتى؛ أو يحتمل[12] ما ذكرنا

[1] سورة النساء، ٧/٤.
[2] ن: قال.
[3] سورة البقرة، ١٨٠/٢.
[4] *سنن ابن ماجة*، الوصايا ٦؛ و*سنن أبي داود*، الوصايا ٦.
[5] ن ع م: لا يرثون.
[6] م: الرجل.
[7] ن ع: ومن يجوز؛ م: ومن يجور.
[8] سورة النساء، ٧/٤.
[9] ن – فالآية.
[10] ع م – في القرآن.
[11] ن ع م: وهي.
[12] ك: أيحتمل.

أنهم كانوا لا يورثون[1] الإناث من الأولاد والصغار منهم، فخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا الإناث من الأولاد والصغار. وفي قوله أيضا: **يوصيكم الله في أولادكم** أي في أولاد من مات منكم، إذ لا يحتمل خطاب الحي ما ذكر في ولده. فهذا إن كان تأويل «يوصي» يَفرض أو يأمر؛ وإن كان تأويل ذلك يبين فذلك جائز:[2] أن يخبر[3] الحيَّ ما بين[4] الله في أولاده بعد موته في ماله. وذلك يمنع الوصية لأنه يزيل حق البيان، ولما يمكن[5] رفع القسمة وتحصيل الوصية على بعض لبعض، وذلك بعيد إذ لا يملك في غيرهم.[6]

ثم من الناس من رأى نسخ الوصية للوارث بقوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ،[7] الآية،[8] لأن الآية[9] أوجبت[10] الميراث فيما قل أو كثر، فلو كانت / الوصية تجب للوالدين [١٢٣و]
بقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ [لِلْوَالِدَيْنِ]،[11] الآية، لكان الميراث لا يجب فيما قل أوكثر[12] منه وإنما يجب فيما يفضل منه، لكن الآية إذا لم تمنع الوصية للأجنبي، وهي[13] تصرف السهم المفروض إلى ما يفضل من الوصية، فمثله للوارث.

---

[1] م: لا يرثون.
[2] م ع + بعد.
[3] ن م: أن يخبر؛ ع: أن يجبر.
[4] ع م: يبين.
[5] ن: يكون، وفوقها مكتوب: يمكن.
[6] قال الشارح: «وفي الآية نسخ الوصية لوارث الذي في قوله: ﴿كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية لوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٠)؛ لأن الله تعالى بين نصيب أصحاب المواريث في هذه الآية وقدر ذلك بمقادير معلومة وتولى قسمتها بنفسه. فلو جاز الوصية لوارث لكان يزيد نصيب البعض وينتقص نصيب البعض ضرورة، فيؤدي إلى إبطال قسمة الله تعالى وتقديره، فيكون فاسدا. بخلاف الوصية للأجانب، فإن ذلك لا يؤدي إلى زيادة ونقصان في السهام المقدرة، بل يجري تلك السهام بعد الوصية. فأما الوصية لبعض الورثة يوجب نقصان نصيب الباقي وزيادة نصيب الموصى له فلذلك افترق الأمران. ولأن في ذلك تحصيل الوصية لبعض على بعض. إذ لما بين الله حقوق الورثة في مال المورث فهو بالإيصاء يملك نصيب غيره من الموصى له. وهذا لا يصح في حق الأجانب. لولا أن النص الوارد بالوصية في الثلث لكنا لا نجيزه. ولا نص في حق الورثة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٦ظ).
[7] سورة النساء، ٤/٧.
[8] ن: والآية.
[9] ع م: كان الآية.
[10] ع م: أوجب.
[11] سورة البقرة، ٢/١٨٠.
[12] جميع النسخ – أو كثر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٧و.
[13] ن ع م: وهو.

لكن في الآية دلالة على رفع الكتاب، إذ في الأولى أنها كتبت، فلما أوجب الحق في كل قليل وكثيرٍ لم يبق معه الفرض والوجوب ولكن يحب الفضل. ثم كان حق الوالدين ومن ذكر بحق اللزوم وقد سقط ذلك، وبه كان يجوز، فلما سقط الحق جاء في الخبر أن لا وصية للوارث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث»،[1] فسقط الحق بالآية من الوجه الذي يثبت، والنقل يقول:[2] «لا وصية»، فمن هذا الوجه الذي[3] ذكرت يسقط حق الوصية بالقرآن. لكن قد ذكر للمرأة لا بحرف الوجوب بقوله: مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ،[4] ثم سقط أيضا بالخبر الذي ذكر،[5] إذ ليس في الآية ذكر المرأة بما ذكر فيها ميراث الأولاد والأقربين، وقد بقي حق المتاع، إذ له أن يوصي لغير الورثة؛ لكن ذكر في ميراث[6] المرأة وصية[7] كقوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً،[8] والوصية منه مكتوبة على ما للوالدين والأقربين، ثم أشرك الزوجين في ميراث[9] الوالدين والأقربين مما قل[10] أو كثر، كقوله النصف والربع والثمن مما ترك، وقد بينا أن الآية نسخت ما ذكرت، فصارت ناسخة للأمرين جميعا. فهذا من جهة الاستخراج في حق النسخ، على أنه على مذهبنا السنة كافية في بيان نسخ الحكم الذي[11] بينه الكتاب، إذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت، وقد جعل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحيث البيان مما في القرآن.[12]

---

[1] سبق تخريجه قريبا.

[2] ك: والتنقل بقوله؛ ن: وانقل بقوله.

[3] ع – الذي.

[4] ﴿والذين يُتوفون منكم ويذَرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٠).

[5] ك ن – الذي ذكر؛ ع – ذكر.

[6] ع: الميراث.

[7] ن – وصية.

[8] سورة البقرة، ٢/٢٤٠.

[9] ك: مال.

[10] ك: فيما قل.

[11] ك ن ع – الذي.

[12] لإيضاح ما سبق قال الشارح: «يمكن أن يقال: في هده الآية دلالة نسخ فرضية الوصية للورثة، لأن الآية الأولى سيقت للوصية وهي قوله: ﴿كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٠). فلما وجب الحق بهذه الآية في كل قليل وكثير لم يبق معه الفرضية والوجوب. ولكن لا يبقى شرعية الوصية على طريق الندب كما في حق الأجانب، لأنه انتسخ جواز الوصية بالخبر المشهور، وهو قوله: "إن الله تعالى أعطى كل ذي حق حقه فلا =

وقوله عز وجل: **للذكر مثل حظ الأنثيين**؛ فيه دلالة أن المال كله للذكر من الولد إذا لم يكن ثمة[1] أنثى، لأنه جعل للذكر مثلَي[2] ما جعل للأنثى، وجعل للأنثى[3] النصف إذا لم يكن معها ذكر بقوله تعالى: **وإن كانت واحدة فلها النصف**، فدل أن للذكر من الولد -إذا جعل[4] له- مثلَي ما جعل[5] للأنثى عند الجمع،[6] إنما جعل[7] له ذلك بحق الكل، ففي حال الانفراد له الكل.

وقوله عز وجل: **فإن كن نساءً فوقَ اثنتين فلهن ثُلُثا ما ترك**، قال بعضهم: بين الحق لما فوق اثنتين[8] ولم يبين للاثنتين، ولهما النصف الذي ذكر للواحدة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[9] وأما عندنا فإن للاثنتين[10] ما للثلاث فصاعدا، فيكون[11] بيان الحق للثلاث

- وصية لوارث". فصار انتساخ الوصية بالكتاب وانتساخ الشرعية بالسنة. والله أعلم. ولا يقال بأنه ذكر الوصية في حق الزوجة لا بحرف الوجوب بقوله: ﴿والذين يُتوفون منكم ويذَرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٠). ثم صار منسوخا بقوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان...﴾ (سورة النساء، ٧/٤)، إلى آخر ما ذكر. وليس في الآية التي فيها فرضية الوصية للوارث ذكر الزوجة وهي قوله: ﴿كُتب عليكم...﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٠). دل أن هذا نسخ للجواز في حق الزوجة، لأنا نقول: لا، بل تلك الوصية واجبة فإنه قال: ﴿متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤١)، يعني حق المتاع. وسماه وصية، دل أنها مكتوبة كما في حق الوالدين والأقربين. ثم أشرك الزوجين في ميراث الوالدين والأقربين مما قل منه أو بقوله النصف والربع والثمن، فصارت ناسخة لفرضية الوصية في حق الزوجة كما في حق الوالدين والأقربين. وهذا التكلف إنما يحتاج إليه من لا يرى نسخ الكتاب بالسنة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٦٧و)

[1] ك ن: ثم.
[2] ن: مثل.
[3] ع م – وجعل للأنثى.
[4] ع: إذا لم جعل.
[5] ع م – له مثلي ما جعل.
[6] ن – عند الجمع.
[7] ع م – إنما جعل.
[8] ك ن: اثنتين.
[9] لم أجد رواية صريحة عن ابن عباس رضي الله عنه تؤيد ما نسب اليه في التفاسير المأثورة. ولم يحك الطبري في ذلك خلافا، بل قال: «فإن قال قائل: فهذا فرض الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين فأين فريضة الاثنتين؟ قيل: فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك» (*تفسير الطبري*، ٢٧٧/٤). وقد قال ابن المنذر: «وأجمعوا على أن للاثنتين من البنات الثلثين» (*الإجماع* لابن المنذر، ٦٦/١). ولم يذكر في ذلك خلافا. وقال ابن تيمية: «وهذا إجماع لا يصح فيه خلاف عن ابن عباس» (*مجموع فتاوى ابن تيمية*، ٣٥٠/٣١). ولكن حكي ذلك عن ابن عباس في *أحكام القرآن* للجصاص، ٩/٣؛ و*تفسير الثعالبي*، ٣٥٣/١؛ و*المغني* لابن قدامة، ١٦٥/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ٦٣/٥؛ وغير ذلك من المصادر. فالله أعلم بمدى صحته.
[10] ع: الاثنتين.
[11] ك ن: ويكون.

بيانا[1] للاثنتين،[2] لأن الله تعالى جعل حق ميراث الواحدة من الأخوات النصف بقوله تعالى: وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ،[3] كما جعل حق الابنة[4] النصف إذا لم يكن معها ذكر بقوله: **وإن كانت واحدةً فلها النصف ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدُس**، ثم جعل للأختين الثلثين بقوله: فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ.[5] فإذا نزلت الأخوات منزلة البنات في استحقاق النصف إذا كانت واحدة، واستحقاقِ الثلثين إذا كانتا اثنتين فصاعدا، فعلى ذلك نزل بيان الحكم في الأختين منزلة بيان الحكم في الابنتين. قيل بفوق اثنتين: اثنتان[6] فما فوقهما؛ وقيل: يبين الكتاب الاستواء بين الابنة[7] الواحدة والأخت الواحدة ليعلم استواء حق الولد وولد الأب. ثم بين في الأخوات لِلثِّنْتَيْنِ[8] الثُّلُثَانِ[9] وفي البنات لما فوقهما،[10] ليكون الذكْر في الأختين دليلا على الابنتين،[11] وفيما كثر[12] من البنات [دليلا] على ما كثر[13] من الأخوات. وأيد ذلك أمر الاجتماع بين البنتين والبنات وإن كثرن[14] بالإخوة والأخوات وإن كثروا، مع ما كان معلوما أن بنات الرجل أحق من بنات أبيه؛ أيد ذلك أن بنات ابنه قد يرثن وبنات ابن أبيه لا، فلا يجوز أن يكون الأختان[15] أكثر حقا من الابنتين، وفي الأغلب أن جعل[16] لهن ميراث هؤلاء. وأيد ذلك أنه ما دام يوجد في الأولاد من له فرض أو فضل

[1] جميع النسخ: بيان.
[2] ن: للأنثيين؛ ع م: للاثنين.
[3] ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أنْ تَضلوا والله بكل شيء عليم﴾ (سورة النساء، ١٧٦/٤).
[4] ك: البنت.
[5] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[6] ن: ثنتان.
[7] ك: من البنت.
[8] ع: للثنتين. والثنتين لغة في الاثنتين (*لسان العرب* لابن منظور، «ثني»).
[9] في قوله تعالى: ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾ (سورة النساء، ١٧٦/٤).
[10] أي في الآية التي نحن بصدد تفسيرها: ﴿فإن كُنَّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾.
[11] ك: على الاثنتين.
[12] ع: وفيما ذكر.
[13] ع م: على ما ذكر.
[14] ك ن ع: وإن كثروا.
[15] جميع النسخ: الأختين.
[16] ع م: أن يجعل.

لم يصرف[1] إلى أولاد الأب، ثبت أنهم بمعنى الخلف من هؤلاء.[2] وعلى ما ذكرت[3] جاءت الآثار واجتمع عليه أهل الفتوى.[4]

وقوله[5] عز وجل: **ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدُس مِمَّا ترك إن كان له وَلَد،** اختلف فيه. قال بعضهم: أراد بالولد الذكور[6] خاصة؛ لأنه جعل للأبوين لكل واحد منهما السدس إذا كان الولد ذكرا، أما إذا كان الولد أنثى فللأب يكون الثلث. وأما عندنا فإن اسم الولد يجمع الذكور والإناث جميعا. وبعد[7] فإنه إن كان الولد هاهنا ذكرا وأنثى[8] فينظر؛ إن كان ذكرا يكون لكل واحد من الأبوين السدس والباقي للولد، وإن كان أنثى فلها النصف وللأبوين السدسان والباقي للأب، على ما جاء في الخبر: «ما أَبْقَتِ الفرائضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ».[9] وقالت الروافض: الباقي للابنة.[10] ذهبوا في ذلك إلى أن الذي يقابل الابنة[11] هو الابن والذي يقابل الأب هي الأم، فالذي يقابل الابنة[12] هو أولى بإحراز الميراث من الذي يقابل الأم وهو الأب، فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهي الابنة[13] أولى بذلك من الذي يقابل الأم وهو الأب. وأما عندنا / فإن الأب أولى بذلك من الابنة؛[14] لأن للأب حقين:[15] حق فريضة [١٢٣ظ] وحق عصبة. أما حق الفريضة بقوله: **ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدُس،** وأما حق العصبة بقوله عز وجل: **وورثه أبواه فلأمه الثلُث** جعل الباقي له، فذو حقين أولى بذلك من ذي حق واحد،

---

[1] ن: لم يعرف.
[2] ك: في هؤلاء.
[3] م: وعلى ما ذكر.
[4] انظر: الحديث الذي ذكره المصنف بعد عدة سطور وتخريجه.
[5] ن − وقوله.
[6] م: الذكر.
[7] م − وبعد.
[8] ع: أو أنثى.
[9] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر» (*صحيح البخاري*، الفرائض ٥، ١٥ وصحيح *مسلم*، الفرائض ٣).
[10] ك: لبنت.
[11] ك: البت.
[12] ك: البت.
[13] ك: البت.
[14] ك: من البت.
[15] ك: حقان.

والابنة[1] ليس لها إلا حق الفريضة،[2] لذلك كان الأب أولى.

وفي الخبر دلالة أن حكم الابنتين وما فوقهما سواء، وهو الثلثان. روي[3] عن جابر بن عبد الله قال:[4] جاءت امرأة ثابت بن قيس بابنتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:[5] يا رسول الله! هاتان ابنتا ثابت،[6] أصيب معك يوم أحد، وقد أخذ عمهما[7] مالهما وميراثهما، ولم يدع لهما شيئا إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تُنكحان إلا ولهما مال. فنزل قوله تعالى: **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم الجاريتين: «أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، ولك ما بقي».[8]

ثم في الآية[9] دلائل. أحدها[10] يخرج الخطاب على العموم والمراد منه خاص؛ لأنه ذكر الأولاد، والولد قد يكون على غير دينه فلا يرث، وقد يكون مملوكا فلا يرث،[11] على ما روي في الخبر: «لا يتوارث[12] أهل ملتين»،[13] وما روي: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم إلا العبد مولاه»،[14] وذلك في الحقيقة ليس بميراث، ولكن ما للعبد[15] يكون لمولاه.

---

[1] ك: والبنت.

[2] ك ن: الفرضية.

[3] جميع النسخ: ما روي.

[4] ن: قالت.

[5] ك: فقال.

[6] ع م + بن قيس.

[7] م: عمها.

[8] سنن *ابن ماجة*، الفرائض ٢؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ٣. قال أبو داود: إنما هما ابنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة... عن جابر بن عبد الله أن امرأة سعد بن الربيع قالت: يا رسول الله إن سعدا هلك وترك ابنتين...، وساق نحوه. قال أبو داود: وهذا هو أصح. انظر: سنن *أبي داود*، الفرائض ٤.

[9] ع: ثم الآية.

[10] ك: أحدهما.

[11] ع + وقد يكون على غير دينه فلا يرث.

[12] ع م: لا يتوارثون.

[13] سنن *أبي داود*، الفرائض ١٠؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ١٦.

[14] رُوي الحديث بدون قوله: «إلا العبد مولاه» في صحيح *البخاري*، الفرائض ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الفرائض ١؛ و*السنن الكبرى* للنسائي، ٨٣/٤؛ و*المستدرك* للحاكم، ٣٨٣/٤. وفي *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢١٨/٦ عن جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: «لا يرث المسلم النصراني إلا أن يكون عبده أو أمته». ونقل البيهقي عن الدارقطني أن المحفوظ في هذا الحديث الوقف. وقد روي عن علي وجابر رضي الله عنهما موقوفا. انظر: مصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٨٤/٦.

[15] ك: مال العبد.

وفي هذا دليل جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثني العبد، وذلك في الحقيقة ليس بميراث.

وفي الآية دليل جواز[١] القياس والفكر فيها والاعتبار؛ لأن ميراث الابنتين مستدَلّ عليهما غير منصوص، وكذلك ميراث الذكور من الأولاد بالانفراد مستدل عليه غير منصوص، وما يحرز الأب من الميراث بحق[٢] العصبة مستدل عليه لا منصوص، وما يستحق بالفريضة فهو منصوص عليه، وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه، فدل أن ما ترك ذكره إنما[٣] ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار.

وفيه دليل أنه يجوز أن لا يُطْلِعَ الله عباده على الأشياء، بقوله تعالى: آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا، إذ لم يبين أيهم[٤] أقرب نفعا.

[و]دل قوله: **وورثه أبواه فلأمه الثلث** [على بعض الأمور]، إذ ذكر وراثتهما و لم يبين حق الأب أنه جعله عصبة يُرد إليه الفضل؛ فيظهر للأب بهذه الآية من قوله سبحانه وتعالى: **يوصيكم الله** إلى آخرها أمران. أحدهما حق العصبة، والثاني حق الفرض بقوله: **لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد.**

ثم بعد هذا فيه أمران. أحدهما أنه إذا ثبت له حق العصبة وقد بين الله تعالى نصيب الابنة[٥] أنه النصف، ونصيب الأب مع الولد أن له السدس، فزعمت الشيعة أن الفضل يرد إلى الابنة،[٦] لأنها ولد و لم يذكر[٧] له مع الولد إلا السدس. وعندنا يرد إلى الأب، لأنه لم يذكر للابنة[٨] إلا النصف. ثم قد جعل الأب عصبة فيما له حق الفضل[٩] عن المفروض،[١٠] ولم يجعل الابنة؛[١١] لذلك كان الرد إلى الأب أحق، مع ما يحتمل إن كان له ولد ذكر. ثم حرمت الأم بالابنة،[١٢]

---

[١] ك + الاستثناء من غير نوعه حيث استثني.
[٢] ن ع م: لحق.
[٣] ع – ترك ذكره إنما.
[٤] جميع النسخ: أهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٩و.
[٥] ك: البنت.
[٦] ك: إلى البنت.
[٧] ع: لم يذكر.
[٨] ك: لبنت.
[٩] ن: من الفضل.
[١٠] ن: من المفروض.
[١١] ك: الابت.
[١٢] ك: بالبت.

إذ هي تحرم[1] بالأخوات فالبنات[2] أحق، إذ هن أقرب.

والثاني أنه إذا جعل[3] للأب السهم من وجهين، ثم الذي له في أحد[4] الوجهين صار للجد دون أولاده، وبيّن لأولاد الأب الحق، وأبقى[5] حق الجد لما بيّن لولده؛ فعلى ذلك مَا لَه[6] من الوجه الثاني، وهو أولى؛ لأن حق العصبات[7] يَخرج على إلحاق الأبعدين فيه بالأقربين، وحق الفرائض لا، حتى يُبيَّن.[8] ثم صار الجد أبا في حقه من الفرض إذا لم يكن هو، فمثله في حق العصبة.

ثم فيه وجه آخر، أنه أتبع ذلك الذِّكرَ ذكرَ الزوجين، وذَكَرهما مع الولد ولم يُذكَر معهما الولدان، فثبت أن أمرهما يدخل في حالهما فيما كان، لا في حالهما، أي الزوجين. وأيد ذلك قوله: إنه بقي حالهما مع الزوجين مع الولد على ما كان عليه دون الزوجين معه، فعلى ذلك حالهما بلا ولد. وفي ذلك وجوب صرف حقهما إلى ما فضل، كما ذكر في قوله: **وورثه أبواه**، فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل لولا الزوجان.[9]

وقوله: **فإن كان له إخوة فلأمه السدُس**، اختلف في حكم الآية من أوجه ثلاثة.

قال بعضهم: لا يحجب[10] الأمَّ[11] عن الثلث أخوان ولا أُختان حتى يكون[12] ثلاثة؛[13] لأن الله تعالى قال: **إخوة**، وأقل الإخوة ثلاثة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[14] وقال آخرون:

---

[1] م: محرم.
[2] ن: والبنات.
[3] ع م: إذ جعل.
[4] ع: في إحدى.
[5] ن ع م: وإبقاء.
[6] ن – ما له.
[7] ك م: العصاب.
[8] ع م: حتى تبين.
[9] قال الشارح: «والثالث من الفائدة أنه ذكر الزوجين عقيب ذكر الأبوين وذكر معهما الولد وبين نصيبهما مع الولد ولم يذكر معهما الوالدين. فدل أن نصيبهما في حال وجود الوالدين وعدمهما سواء. فهذا يدل على أن ما فضل من الزوجين يصرف إلى الوالدين ويكون بينهما على ما عليه الكل لولا الزوجان. ويؤيد ما قلنا أن حال الوالدين مع الولد وهو استحقاق السدس تبقى مع الزوجين على حسب ما كان عند عدمهما. فكذلك هذا» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٧ظ).
[10] ن ع م: لا تحجب.
[11] ك: للأم.
[12] ع م: حتى تكون.
[13] ن: ثلاثة.
[14] *تفسير الطبري*، ٤/٢٧٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٤٧.

تحجب الأمَّ عن الثلث الذكور منهم[١] ولا تحجب الإناث؛ لأن الله تعالى ذكر الإخوة، والإخوة اسم للذكور منهم دون الإناث، إذ للإناث[٢] اسم على حدة وهو الأخوات، لذلك[٣] حجب الذكورُ ولم يحجب الإناث. وأما عندنا فإن الإخوة اسم للذكور والإناث جميعا في الحكم وإن لم يكن اسمًا لهما[٤] جميعا في الحقيقة. ألا ترى أن الله تعالى ذكر الإخوة ثم جعل بالتفسير اسمًا لهما[٥] جميعا بقوله: وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً،[٦] دل أن اسم الإخوة يجمع / الذكور [١٢٤و] والإناث جميعا في الحكم، لذلك حجب الأم عن الثلث ذكورا كانوا أو إناثا. وأما قولنا بأن الاثنين يحجبالها عن الثلث[٧] ما روي عن علي وعبد الله وزيد بن ثابت أنهم قالوا: يحجب[٨] الأخوان الأم عن الثلث كما يحجبها الثلاثة،[٩] وجعلوا الأخوين إخوة. و[أحكام]الفرائض على اختلافها اتفقت في أن حكم الاثنين حكم الأكثر، فكذلك في حق الحجاب. *والله أعلم*.[١٠]

وحجة أخرى، وهي أن الله تعالى حكم في الكلالة إذا كان واحدا أن له السدس، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ،[١١] فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث، فوجب أن يكون حكم الاثنين والثلاثة من الإخوة في حجب[١٢] الأم عن الثلث سواء. وحجة أخرى، وهي أن الله تبارك وتعالى جعل للأختين من الأب والأم الثلثين، وسوَّى بين حكم الأختين والثلاثة[١٣] في الميراث، فعلى ذلك يجب أن يستوي حكم الأخوين والثلاث[١٤] في حجاب الأم عن الثلث.

---

[١] ع م – منهم.
[٢] ن ع م: إذ الإناث.
[٣] ع: لذكر.
[٤] ك: لهما اسم؛ ن ع م: اسم لهما.
[٥] جميع النسخ: اسم لهما.
[٦] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[٧] ن – عن الثلث، صح هـ.
[٨] ن ع م: تحجب.
[٩] ن – كما يحجبها الثلاثة. *زاد المسير* لابن الجوزي، ٢٧/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٤٧/٢.
[١٠] ع – أعلم. وعبارة السمرقندي هكذا: «فلأن حكم الاثنين من الإخوة والأخوات حكم الثلاث في حق الميراث، وكذلك في البنات، فكذلك في حق الحجب يجب أن يكون مثله» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٧ظ).
[١١] سورة النساء، ١٢/٤.
[١٢] ع: في تجب.
[١٣] جميع النسخ: والثلث.
[١٤] م: والثلث.

ثم المسألة بيننا وبين الروافض؛ زعمت الروافض[١] أن الإخوة من الأم لا تحجب الأم عن الثلث؛ لأنهم منها، فمن البعيد أن يحجبوها ويمنعوا ذلك عنها ويجعلون ذلك لغيرها، يضرون بالأم وينفعون غيرها، وقد قال: آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ. والثاني أن الحجاب قد يجوز أن يقع بمن يحصل له ما حجب عنها، نحو الإخوة من الأب والأم إذا حجبوا الأم عن الثلث وقع لهم ذلك، وأما الإخوة من الأم[٢] فإن وقع لهم الحجاب لم يُجْعل لهم[٣] ذلك المحجوب[٤] عنها،[٥] فلا يحتمل الحجاب بهم.

وأما عندنا فإنه ليس لهم بحق القرب والبعد ما يحجبون، ولكن بحق الميت، فإذا كان ما ذكرنا[٦] فسواء كانوا من قبل الأم أو من قبل الأب في حق الحجاب. والثاني أن المواريث جعلت بحق الابتداء، لا بحق المورثين، لما[٧] لا يحتمل أن يختار المورِث من هو أبعد على من هو أقرب، نحو من يموت عن ابنة[٨] وابن عم لا يحتمل أن يختار ابن العم على الابنة[٩] في النصف الباقي، دل أنه على الابتداء. ونقول في الإخوة من الأم:[١٠] إنهم في الحجاب كالإخوة من الأب والأم وإن كان الحق لغيرهم؛ لما أن الإخوة لما تفرقت حقوقهم ذُكرت، وكذلك الأولاد. فلو كان الحجاب يتفرق لكانت[١١] الحاجة إلى الذكر لازمة؛[١٢] إذ بعيد ترك[١٣] الأمر للنظر فيما لا أصل له في الأثر، ولا أصل له في هذا[١٤] بالتفريق، بل قد جمع[١٥] ذلك بين الإخوة والأخوات

[١] ع م – زعمت الروافض.
[٢] ن: عن الأم.
[٣] ن – لهم.
[٤] ك: المحجوبون.
[٥] ع م: منها.
[٦] ن: فإنه ما ذكرنا.
[٧] ع م – لما.
[٨] ك: عن بنت.
[٩] ك: على البنت.
[١٠] جميع النسخ: في الأم.
[١١] ن: اكانت
[١٢] جميع النسخ: لازم.
[١٣] ن: نزل.
[١٤] ن: في هذا ما.
[١٥] ن: بل جمع.

على ما في ذلك من اختلاف الحقوق، ثبت[١] أن غير الحجاب من الحقوق[٢] ليس بأصل له. والأصل أن ذلك لو كان على اعتبار الحق فهو بحق الميت، لا بحق الأبوين؛ لأنه لم يُعرَف إيجاب حق ممن لا حق له، ولا حق لهم مع الأب، فبان أنه بمعتبرِ[٣] حق الميت يقع الحجاب، والمعنى منه واحد، ولو كان حجاب الإخوة من الأب بالأب لكان الأب إذًا حجب[٤] الأم، فإذا كان هو لا يحجب[٥] بان أن ولدها لا يحجبونها به؛[٦] إذ هو بحق الميت.

وقوله: **من بعد وصيةٍ يوصِي بها أو دين**؛ ذكر الله تعالى الوصية قبل[٧] الدين، وأجمع أهل العلم أن الدين يُبدأ به قبل الوصية والميراث. وروي عن علي رضي الله عنه قال: تقرؤن[٨] الوصية قبل الدين، وقضى محمد[٩] عليه الصلاة والسلام بالدين قبل الوصية.[١٠] وروي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين قبل الوصية،[١١] والوصية قبل الميراث، ولا وصية لوارث».[١٢]

وأجمعوا أنه إذا قُضِيَ الدين دُفِعَ[١٣] إلى أهل الوصايا[١٤] وصاياهم، إلا أن يجاوز[١٥] الثلث فيرد إلى الثلث إن لم يُجز الورثة، ويقسم الثلثان بين الورثة على فرائض الله تعالى. وليس معنى قول الله سبحانه وتعالى: **من بعد وصيةٍ يوصِي بها أو دين**؛ أن يخرج[١٦] الثلث فيبدأ بدفعه إلى الموصى له[١٧]

---

[١] ك – ثبت.
[٢] ن – من الحقوق.
[٣] م: أنه ليس بمعتبر.
[٤] ن: حجبنا.
[٥] ن: هؤلاء يحجب.
[٦] م – به.
[٧] ك: قيل.
[٨] ن ع م: يقرؤن.
[٩] ن: رسول الله.
[١٠] *سنن ابن ماجة*، الوصايا ٧؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ٥.
[١١] ن – وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصية.
[١٢] عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين قبل الوصية وليس لوارث وصية» (*سنن الدارقطني*، ٤/٩٧). وقد مضى قريبا تخريج قوله صلى الله عليه وسلم: «لا وصية لوارث».
[١٣] ع م – دفع.
[١٤] ك: الوصا.
[١٥] ع: وصاياهم أن يجاوز؛ م: ووصاياهم إن جاوز.
[١٦] ن: ويخرج؛ م: أو دين يخرج.
[١٧] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨و.

ثم يُدفع الثلثان إلى الورثة؛ لأن الموصى له شريك الورثة، إن هلك من المال شيء قبل القسمة ذهب من الورثة[1] والموصى له جميعا، ويبقى سائر المال بالشركة بينهم، ولكن معناه من بعد وصية إعلام أن الميراث يجري في المال بعد وضع الوصية من جملته إذا كان الثلث أو دونه، وإن لم يكن دفع ذلك إلى أصحاب الوصايا.

ثم لم يذكر في الآية قدر الدين والوصية. ومن قولهم: إن الدين إذا أحاط بالتركة منع الميراث والوصية، وإذا لم يُحِطْ لم يمنع. والوصية تجوز[2] قدر الثلث، ولا تجوز[3] أكثر من الثلث إلا أن يجيز[4] الورثة. والآية لم تخص قدرا من الدين دون قدر، وكذلك الوصية، لكن تفسيره ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الثلث، والثلث[5] كثير».[6] وما روي في خبر آخر: «إن الله تعالى تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في أعمالكم».[7] لم يجعل له أكثرَ من ذلك، وما روي في خبر آخر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان رضي الله عنهما: الخمس اقتصاد، والربع جهد،[8] والثلث جَنَف.[9]

ثم الوصية جوازها[10] الاستحسان والإفضال من الله تعالى،[11] والقياس يبطلها. وذلك أن الله تعالى لم يُمَلِّك الخلق[12] أعين الأموال، وإنما جعل الانتفاع لهم بها. ألا ترى أنهم نهوا عن

[١٢٤ظ] إضاعتها؟ ولو كان أعين المال لهم لكان لا معنى للنهي / عن إضاعتها. دل أنه إنما جعل لهم

[1] ن: إلى الورثة.
[2] ع م: يجوز.
[3] ن ع م: ولا يجوز.
[4] ك: إلا أن تجيز.
[5] م – والثلث.
[6] صحيح *البخاري*، الوصايا ٢؛ وصحيح *مسلم*، الوصية ٥.
[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٤٠/٦؛ وسنن *ابن ماجة*، الوصايا ٥.
[8] الجهد بالضم: الوسع والطاقة وبالفتح: المشقة (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، ٣٢٠/١).
[9] الجنف: الميل والجور (*لسان العرب* لابن منظور، «جنف»). ولم أجد هذا الأثر. لكن أخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال: ذُكر عند عمر الثلث في الوصية. قال: الثلث وسَط لا بَخْس ولا شَطَط. وأخرج ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب قال: لأنْ أُوصي بالخمس أحب إليّ من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، ومن أوصى بالثلث لم يترك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٢/٢-٤٥٣).
[10] ع م: جواز.
[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم جواز الوصية بالاستحسان إفضالا من الله على عباده» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨و).
[12] ن – الخلق، صح هـ.

الانتفاع فيها إلى وقت موتهم، وبالموت ينقطع الانتفاع بها، فينظر مَن الأحق بها بعد الموت: الغريم صاحب الدين أو الوارث، وإلا جواز الوصية الإفضال من الله تعالى على عباده، بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم».[١] دل هذا الخبر أن[٢] جوازها الإفضال والاستحسان منه إلى عباده. ***والله أعلم***.[٣]

وقوله تعالى: **من بعد وصيةٍ يوصِي بها أو دين** يدل على أن ما ليس بدَين ولم يوصِ به الميت فإنه لا يُخرَج من ماله. ويدخل عندنا في هذا الجنس الحج يكون على الرجل والنذرُ والزكاة وأشباه ذلك، ليس بشيء[٤] منها دين، فإذا لم يوص الميت بها فلا يجب أن تؤدى[٥] من التركة، إلا أن ينفذها الورثة.

فإن قال قائل: هي دين كسائر الديون. قيل له: أرأيت إن كان عليه دين وزكاة يُبدأ بالدين أو تُقسم[٦] التركة[٧] بالحِصَص إذا لم يف بذلك[٨] كله؟ فإن قال: يُبدأ بالدين، قيل له: لو كانت الزكاة دينا كديون الناس كانت أُسْوَتَها[٩] في القضاء، فإن قال: أجعل الزكاة أسوة في القضاء مع الديون، قيل له: ما تقول في رجل أفلس وعليه ديون، هل يُقسَم[١٠] ماله بين غرمائه؟ فإن قال: نعم، قيل: فإن كانت عليه زكاة، هل تضرب[١١] لها بسهم؟ فإن قال: لا، قيل: كيف ضربت لها بسهم بعد الموت لمّا قسمت ماله ولم تضرب لها بسهم في الحياة؟ إن كانت كسائر الديون بعد الموت فيجب أن يكون[١٢] كسائر الديون[١٣] في الحياة،

---

[١] سبق تخريجه قريبا.

[٢] ن - أن.

[٣] قال في الشرح موضحا: «وكان الصرف إلى الورثة أولى من الصرف إلى الأجنبي، إلا أن الله أجاز الوصية من الثلث إفضالا منه على عباده على ما ذكرنا من الأحاديث» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨و).

[٤] ك ن: شيء.

[٥] ع م: أن يؤدى.

[٦] ك: أو يقسم.

[٧] ن: بالتركة.

[٨] ن + بذلك.

[٩] الأُسوة والإسوة القدوة. ويقال ائْتَسِ به أي اقتد به وكن مثله. والقوم أُسوة في هذا الأمر أي حالهم فيه واحدة (*لسان العرب* لابن منظور، «أسو»).

[١٠] ك: هل تقسم.

[١١] ك: هل يضرب.

[١٢] ن + أن يكون.

[١٣] ن: لدين.

إلا أن الزكاة حالة[1] واجبة على من كان عنده مال فحال عليه الحول فاستهلكه، وليس يجوز له[2] تأخير قضاء الدين؛ وفي إقرارك أنك تبدأ بالدين قبل الزكاة في الحياة دليل على أنه يجب أن يُبدأ بالدين قبل الزكاة بعد الموت.

فإن قيل: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي سألت هل تحج عن أبيها: «أرأيتِ لو كان على أبيكِ دين فقضيتِهِ[3] ألم يُجزِ عنه؟»،[4] يدل على أن الحج دين.

قيل له: ليس[5] فيه دلالة الوجوب عليها، إنما فيه دليل جواز الحج عن الميت وقبوله، إذا كان قضاء ما هو أوكد منه من ديون العباد قضاء صحيحا فالحج الذي هو دون ذلك[6] في التأكيد أحرى[7] أن يقبل، كأنه أراد هذا. ***والله أعلم.***

ودليل آخر أن الزكاة لا تجوز[8] أن تودى[9] عن الميت إذا لم يوص بها؛ لأن الزكاة لا تؤدى إلا بنية المزكي، والنية عمل القلب، ولا خلاف[10] في أنه لا يصلَّى عن الميت ولا يصام عنه، فلما لم يجز أن يقضى عن الميت عمل الأبدان لم يجز أن يقوم نية الورثة في أداء الزكاة مقام نية الميت.

{قال الشيخ رحمه الله} في قوله عز وجل: **من بعد وصيةٍ يوصِي بها أو دين**: ظاهره أن يقدم[11] الوصية على الميراث، لكن أجمع أن الابتداء[12] من حق[13] الميراث. ولكن يوزع

---

[1] ك: خالصة.

[2] ك: يجوله.

[3] ك: فقضيتيه.

[4] سنن *ابن ماجة*، المناسك ١٠. ورواه البخاري ومسلم بدون قوله: «فإنه لو كان عليه دين قضيتيه» (*صحيح البخاري*، الحج ٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٠٧). وهناك روايات أخرى قريبة المعنى، منها روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حجي عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء» (صحيح *البخاري*، الحج ٢٢).

[5] ن – له ليس.

[6] ن – ذلك.

[7] ن: ما أحرى.

[8] ع: لا يجوز.

[9] ع م: أن يؤدى.

[10] ن: في لا خلاف.

[11] ك: أنه يقدم.

[12] ك ن: الابتداء به.

[13] ك ن: عن حق؛ ع: عن حق حق؛ م: عن حق حد.

فيخرج التأويل على وجوه. أحدها أن قوله سبحانه: **يوصيكم الله** -إلى قوله- **من بعد وصيةٍ**؛ كأنه سِوَى،[١] أي سوى[٢] ما لكم أن توصوه [من الثلث][٣] أوصاكم الله فيه بكذا. والثاني أن يكون **من بعد وصيةٍ**، أي من بعد ما أوصيتم، ويكون الميراث بعد الإيصاء. ويحتمل مِن بعدِ أَنْ كان عليكم الإيصاء والدَّيْن أمركم بالمواريث، فيكون فيه نسخ [الوصية وجوبا].[٤]*

وقوله عز وجل: **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**، اختلف فيه. قال بعضهم: هذا في الدنيا، وهو أن يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة، والقيام بأمره، والأب يلزم أن ينفق على ولده في حال صغره وعند الحاجة إليه، والقيام بحفظه وتعاهده، فإذا كان ما ذكرنا لم يدر أيهما أقرب نفعا، نفع هذا لهذا أو هذا لهذا.[٥] ويحتمل أن يكون قال: لا تدرون أنتم أيُّ نفع أقرب إليكم، نفع الآباء أو نفع الأبناء. فإن كان التأويل ما ذكرنا ففيه دلالة بطلان[٦] شهادة الوالد لولده[٧] وشهادة[٨] الولد لوالده،[٩] إذ أخبر[١٠] أن لهذا[١١] نفعا في مال هذا ولهذا[١٢] في مال هذا، فإذا ثبت النفع لم تقبل شهادة من ينتفع بشهادته. ولهذا[١٣] قال أبو حنيفة رضي الله عنه أَنْ: لا يجوزُ للوكيل بالبيع والشراء[١٤] أن يبيع من أبيه[١٥] أو ابنه أو والدته،[١٦] لما ينتفع ببيعه منه

---

[١] لعله يفسر ﴿من بعد﴾.

[٢] ن ع م: أي سواء.

[٣] جميع النسخ: أن توصوا. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨ظ.

[٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨ظ.

* ورد قسم كبير من تفسير قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصَى بها أو دينٍ غيرَ مضارٍّ﴾ من الآية الثانية عشرة هنا في جميع النسخ. انظر: ورقة ١٢٤ظ/سطر ٢٣ — ورقة ١٢٥و/سطر ٣٠. لكنه ورد في شرح *التأويلات* في مكانه الصحيح فأوردناه هناك. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨ظ، ١٤٩ظ.

[٥] ن ع م – أو هذا لهذا.

[٦] ن: ببطلان.

[٧] ع م – شهادة الوالد لولده.

[٨] ع م: شهادة.

[٩] ك: الوالد لولده.

[١٠] ن ع م: إذا أخبر.

[١١] ع م: أن هذا.

[١٢] ك + نفعا.

[١٣] ع: وهذا.

[١٤] ك ن: أو الشراء.

[١٥] م: من أبيع.

[١٦] ك ن ع: ووالدته.

وبالشري منه،[1] وكذلك قالوا: إذا اشترى من هؤلاء ليس له أن يبيع مرابحة إلا أن يبين، لأنه ينتفع به.

وقيل: هذا في الآخرة. وروي[2] عن ابن عباس رضي الله عنه: **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**، يقول: أطوعكم لله من الآباء والأبناء وأرفعكم[3] درجة عند الله يوم [١٢٥ظ] القيامة؛ لأن الله[4] سبحانه وتعالى / يُشفع المؤمنين بعضهم في بعض.[5]

وقيل: قوله: **لا تدرون**، أنتم في الدنيا **أيهم أقرب لكم نفعا**، يقول:[6] أخص لكم نفعا[7] في الآخرة، في الدرجات الوالدُ لولده، أو الولدُ لوالده، إذ هم في الدنيا لا يدرون[8] أيهم[9] أقرب لصاحبه نفعا في الآخرة حتى يرجعوا في الآخرة. قال: فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى إليه ولده في درجته لِتَقِرّ بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع[10] درجة من والده رفع الله تعالى الوالدين[11] إلى الولد في درجتهم لتقر بذلك أعينهم، برفع[12] الأسفل إلى الأعلى والأدون إلى الأفضل، وهو كقوله سبحانه وتعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ، يعني بإيمان الآباء، أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ، يعني الآباء، مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[13]

ويحتمل أن يكون هذا في الشفاعة، أو لا يُدرى ما ذلك النفع وما مقداره، أو يحتمل قوله: **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**، ليس على حقيقة القرب ولكن على الكبر والعظم. وقد يتكلم بهذا كقوله:[14] وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[15] ليس على أن آية

---

[1] ن: وبالشراء منه.
[2] ك ن: روي.
[3] م: أرفعكم.
[4] ن: لأنه.
[5] *تفسير الطبري*، ٢٨١/٤؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٤٤٧/٢.
[6] ن: يكون.
[7] ع م – يقول أخص لكم نفعا.
[8] ن م: لا تدرون؛ ع: لا تذرون.
[9] ن – أيهم.
[10] ع: رفع.
[11] ك: إلى الوالدين.
[12] ع: يرفع.
[13] ﴿والذين آمنوا واتَّبعتْهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألَتناهم من عملهم من شيء كلّ امرئ بما كسب رهين﴾ (سورة الطور، ٢١/٥٢).
[14] ع م: قوله.
[15] سورة الزخرف، ٤٨/٤٣.

هي[1] أكبر من أحرى ولكن على وصف الكل منها بالكبر والعظم، فعلى ذلك قوله: **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**، على وصف كل منهم بالنفع[2] على الإعظام والإكبار. **والله أعلم**.

ويحتمل قوله: **أقرب لكم نفعا**، أي أوجب، كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ؛[3] أي واجب للمحسنين؛ وغيره من الآيات.

وقوله عز وجل: **فريضةً من الله**؛ سمى الله تعالى المواريث فرائض لما ذكرنا،[4] لأنه كان بإيجاب الله تعالى لا باكتساب من الخلق،[5] إذ لم يملك الخلق أعين[6] هذه الأموال، ولكنه إنما مَلَّكَهم[7] المنافع منها إلى وقت وفاتهم، فإذا ماتوا[8] صار ذلك المال للذي جعل الله[9] له، لذلك سمي فرائض.

وقوله: **إن الله كان عليما حكيما**، ببدو[10] حالهم وبمعاشهم[11] ومصالحهم وما يصلح لهم وما لا يصلح، حكيمًا فيما فرض من قسمتها[12] وبيّنها. والحكيم هو المصيب، واضع كل شيء موضعه، والظالم هو واضع الشيء في غير موضعه.

**﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[١٢]**

---

[1] ن ع م – هي.
[2] ن: بالنغ.
[3] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[4] في تفسير قوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثُر نصيبا مفروضا﴾ (سورة النساء، ٧/٤).
[5] ع م – من الخلق.
[6] ن: عين.
[7] م: املكهم.
[8] م: إذا ماتوا.
[9] ك – الله.
[10] ك ع: يبدو.
[11] ع: ومعاشهم.
[12] ن: من قيمتها، صح هـ.

وقوله عز وجل: **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ وَلد فإن كان لهنّ وَلد،** إلى آخر ما ذكر، فيه مراد[1] الخصوص وإن كان مخرج الخطاب عاما،[2] لأن الزوج أو الزوجة إدا لم يكن على دِين صاحبه وعلى وصفه لم يجز بينهما التوارث. دل أن ليس لأحد الاحتجاج بعموم المخرج على ما ذكرنا في الولد والوالد والأم وغيرهم،[3] أنه إذا لم يكن بعضهم على وصف بعض لم يجز بينهما التوارث، دل أن عموم مخرج الخطاب لا يدل على عموم المراد.

ثم الآية معطوفة على ما سبق من الآيات، لأنها ذُكرت بحرف العطف والنسق بقوله: **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ وَلد،** والرُّبع إن كان لهن ولد، **ولهنّ الربُع مِمَّا تَركتم إن لم يكن لكم وَلد،** والثمن إن كان لكم ولد. بين في الآية الأولى ميراث الأب والأم وميراث الأولاد و لم يبين ميراث الأزواج، ثم بين في هذه الآية فنَسَق على الأول. دل أن الأزواج والزوجات إذا كانوا معهم فإن الحكم لا يختلف فيهم، يكون للأم الثلث إذا لم يكن هنالك ولد[4] ولا اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدا، والسدس إن كان له ولد أو اثنان من الإخوة والأخوات، يكون لها مع هؤلاء ثلث ما بقي،[5] حيث نسق هذه على الأولى.

وقوله[6] عز وجل: **وإن كان رجلُ يورَثُ كَلالةً**؛ اختلف في الكلالة، قال بعضهم: الكلالة[7] الميت الذي لا ولد له ولا والد.[8] وعن الحسن رحمه الله أنه قال:[9] الكلالة الإخوة والأخوات من الأب والأم[10] أو الإخوة والأخوات من الأب. ذهب في ذلك إلى ما ذكر في آية أخرى، قوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ... فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ،[11] إلى آخر ما ذكر. والنصف إنما يكون للأخت من الأب والأم أو الأخت من الأب، وذلك تفسير الكلالة،

---

[1] م: يراد.
[2] جميع النسخ: عام.
[3] انظر تفسير الآية ١١ من سورة النساء.
[4] ن: وله؛ ع م - ولد.
[5] ع: ما يبقى.
[6] ن - وقوله.
[7] ع - قال بعضهم الكلالة.
[8] ن: ولا ولد.
[9] ن + أنه قال.
[10] ع + أو الإخوة والأخوات من الأب والأم؛ م + أو الإخوة والأخوات من الأم.
[11] سورة النساء، ١٧٦/٤.

دل أنها الإخوة والأخوات من الأب والأم أو من الأب. وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد.[١] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لقد أتى عليّ زمان وما أدري ما الكلالة، ألا وإن الكلالة ما لم يكن له ولد ولا والد.[٢] وعن[٣] ابن عباس[٤] رضي الله عنه قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد.[٥] وروي عن أبي بكر[٦] الصديق رضي الله عنه أنه[٧] قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزلها الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها في الزوج والمرأة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة من الأب والأم، والآية التي في سورة الأنفال في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله[٨] مما جَرَّت الرحم[٩] من العصبة.[١٠] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا كانت الكلالة بعضهم أقرب من بعض بأب فهو أحق بالمال.[١١] وحديث عمر رضي الله عنه هذا يبين[١٢] أن الكلالة[١٣] اسم يقع على الإخوة من الأم[١٤] ويقع[١٥] على الإخوة من الأب ويقع على الإخوة من الأب والأم، وهو ما ذكرنا في قول أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما أن الكلالة ما عدا الوالد والولد.[١٦] فكانوا يذهبون –والله أعلم– أن الأعمام وبني الأعمام يرجعون في النسب مع الميت إلى جده وقد تكللهم الجد،

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٦/٢.

[٢] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٦/٢.

[٣] ن: وروي عن.

[٤] ع: ابن عباسن.

[٥] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٦/٢.

[٦] ك: أن أبا بكر.

[٧] ك ع م – أنه.

[٨] ع م – الله. يقول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة الأنفال، ٧٥/٨).

[٩] جميع النسخ: في الرحم. والتصويب من *تفسير الطبري*، ٤١/٦.

[١٠] ن: من المعصية. والأثر في *تفسير الطبري*، ٤١/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٩/٢.

[١١] م أحده.

[١٢] جميع النسخ + هذا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٩و.

[١٣] ع م – بعضهم أقرب من بعض بأب فهو أحق بالمال وحديث عمر رضي الله عنه هذا يبين أن الكلالة.

[١٤] ع م – يقع على الإخوة من الأم.

[١٥] ع م: يقع.

[١٦] ن م: الولد والوالد.

وكذلك الأخوال والخالات وأولادهم يرجعون مع الميت إلى جده أبي أمه[1] وقد تكللهم أبو
[١٢٦و] الأم،[2] فسبيلهم في ذلك سبيل الإخوة / والأخوات الذين تكللهم الأب والأم، إلا أنهم لما كانوا أبعد في النسب من الإخوة والأخوات لم يرثوا معهم.

فأجمعوا أن معنى قول الله سبحانه وتعالى: إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ،[3] هو[4] في الأخت[5] من الأب والأم أو من الأب، إذا مات الرجل ولا ولد له ذكر ولا أنثى يعطى الأخت النصف تسمية. فقال قوم من الشيعة: الآية تدل[6] على أنه إن ترك ابنة[7] وأختا أن المال كله للابنة[8] ولا شيء للأخت، لأن الله تعالى جعل لها الميراث إذا لم يكن له ولد فسوّى الذكر والأنثى من الأولاد. وليس الأمر كما قالوا، لأنا إذا جعلنا للابنة[9] النصف وجعلنا ما بقي للأخت فلم نعطها[10] ما أعطيناها بالتسمية. ألا ترى أنه لو كانتا أختين كان لهما عندنا ما بقي، ولو جعلنا ذلك لهما تسمية أعطيناهما الثلثين، لأن الله تعالى جعل لهما الثلثين بالتسمية. وليس سبيل ما تأخذه الأخت بالتسمية، ولا ينقص[11] منها شيئا ما تأخذه من الباقي بغير تسمية؛ ألا ترى أن الله تعالى جعل للأبوين السدسين مع الولد فإن كانت ابنة[12] وأبا فلها[13] النصف وما بقي للأب، فقد أعطينا الأب أكثر مما سمى الله تعالى له،[14] ولكنا لم نعطه الزيادة بالتسمية، فلم يلزمنا الخلاف في زيادته. فإن خالفونا في ذلك قيل: قد سبق لذلك جواب ما يدل على أن الأب بالباقي أولى من الابنة،[15]

[1] ن ع م – وقد تكللهم الجد وكذلك الأخوال والخالات وأولادهم يرجعون مع الميت إلى جده أبي أمه.
[2] ن ع م: أب الأم.
[3] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[4] م – هو.
[5] ن – هو في الأخت.
[6] ع: يدل.
[7] ك: ابنتا.
[8] ك: للبنت.
[9] ك: للنت.
[10] ك: فسم يعطها.
[11] ك ع م: لا ينقص.
[12] ك: ستا.
[13] ن م: فلهما.
[14] ع م – له.
[15] ك: من النت.

لذلك لم نذكره في هذا الموضع.[١] فإن قال: الابنة[٢] أولى بما زاد على النصف، لأن الله تعالى قال: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[٣] فكانت الابنة[٤] أحق بذلك من غيرها. قيل له: إن قول الله تعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ، إنما أوجب[٥] أنهم أولى ببعض من الأجنبيين، بين ذلك قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ؛[٦] لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة، فنسخ الله ذلك وجعل الميراث لذوي القرابة، وليس في الآية دليل على أن القريب[٧] أولى بالميراث ممن هو أبعد منه في القرابة. وقال الله: وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ،[٨] يقول -والله أعلم- الأخ من الأب يرث الأخت المال كله إن لم يكن لها ولد، وترث من الأخ النصف إذا كان هو الميت. وقال الله سبحانه وتعالى: فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ،[٩] فأجمعوا أن الأختين وما زاد في الميراث سواء. وقال الله تعالى: وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[١٠] فأجمعوا أن الرجل والمرأة إذا مات أحدهما وترك أخا وأختا فما زاد على ذلك من الذكور والإناث كان الميراث بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين. فهذا ما نص الله تعالى عليه في فرائض المواريث.

وقد تكلم أهل العلم في الرَّدِّ[١١] والعَوْلِ[١٢] وميراث ذوي الأرحام. فأما ميراث ذوي الأرحام فإن الله تعالى قال: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[١٣] فمن زعم أن المال لبيت المال

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/٤.
[٢] ك: البنت.
[٣] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[٤] ك: البنت.
[٥] ع + أوجب.
[٦] ﴿النبي أولى بالمومنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).
[٧] ع: أن القرب.
[٨] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[٩] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[١٠] ع م – فأجمعوا أن الأختين وما زاد في الميراث سواء وقال الله تعالى وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فمذكر مثل حظ الأنثيين. والآية في سورة النساء، ١٧٦/٤.
[١١] الرد هو صرف ما فضل عن فروض ذوي الفروض ولا مستحق له من العصبات إليهم بقدر حقوقهم (*التعريفات* للجرجاني، ١٤٧).
[١٢] العول شرعا: زيادة السهام على الفريضة، فتعول المسألة إلى سهام الفريضة فيدخل النقص عليهم بقدر حصصهم، فالعول نقيض الرد (*التوقيف على مهمات التعاريف* للمناوي، ٥٣٠).
[١٣] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.

فلم يجعل بعض الأرحام أولى ببعض، بل جعل الغرباء أولى[1] بالميت من أولي الأرحام، فكان قول المورثين عندنا أولى، وهو قول عمر وعلي وعبد الله بن مسعود[2] وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلا زيد بن ثابت رضي الله عنه فإنه جعل ذلك لبيت المال.[3]

فإن قيل: إن[4] قول الله سبحانه وتعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ إنما هو فيمن سماه الله لهم سهاما.

قيل: في الخبر دليل [على] أنه في غير الذين سمى الله لهم سهاما، [وهو] ما روي عن عمر بن الخطاب[5] رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله[6] ورسوله ولي من لا ولي له، والخال[7] وارث من لا وارث له».[8] وروي أيضا أن عمر[9] رضي الله عنه قضى للخالة بالثلث وللعمة بالثلثين. وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ[10] عن عمر رضي الله عنه أنه قسم الميراث بين العمة والخالة. وعن عبد الله رضي الله عنه قال: الخالة والدة. وعن علي رضي الله عنه أنه قال في العمة والخالة: للعمة الثلثان وللخالة الثلث.[11] فأخذ علماؤنا في ذلك[12] بما روي[13] عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الأجلة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان ذلك موافقا لظاهر الآية وعمومها،

---

[1] ع م – أولى.

[2] ك ن – بن مسعود.

[3] *الدر المنثور* للسيوطي، ١١٨/٤.

[4] م – إن.

[5] ك ن – بن الخطاب.

[6] م – الله.

[7] ك + والخال.

[8] عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له» (*سنن ابن ماجة*، الفرائض ٩؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٢).

[9] ك: عن عمر.

[10] م: حبيس.

[11] للروايات السابقة أو ما في معناها انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١١٨/٤. وأما رواية «الخالة والدة»، فقد رويت مرفوعة بهذا اللفظ عند الطبراني وغيره. انظر: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٢/٤. ورويت بلفظ: «الخالة بمنزلة الأم» (*صحيح البخاري*، المغازي ٤٣).

[12] ع: علماؤنا ذلك.

[13] ن: لما روي.

وكان اتباع ذلك عندهم[١] أولى من غيره.

فأما الكلام في العَوْل، فإن ابن عباس رضي الله عنه كان ينكره ويقول: لا تعول[٢] الفريضة. وكان علي وعبد الله وزيد بن ثابت يقولون بعول[٣] الفرائض.[٤] وروي عن الحارث[٥] قال: ما رأيت أحدا قط أحسبَ[٦] مِن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أتاه آت فقال: يا أمير المؤمنين! رجل مات وترك ابنتيه وأبويه وامرأته، ما لامرأته؟ قال: صار ثُمُنُهَا تُسْعًا.[٧] وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره أن ينقص الأب من السدس وقد سمى[٨] الله تعالى له السدس، ثم لم يمض على هذا الأصل لأنه قال في الابنتين وأبوين وامرأة:[٩] للمرأة الثمن وللأبوين السدسان وما بقي فللابنتين، فنقص الابنتين مما سمى الله تعالى لهما، فلم كانتا[١٠] أولى بالنقصان كله من غيرهما؟ وسائر الصحابة أدخلوا النقصان على كل وارث بقدر[١١] نصيبه لئلا يلحق النقصان على بعض ويأخذ البقية كمال نصيبهم، وجعلوا ذلك كقوم أوصى لهم رجل بوصايا[١٢] تتجاوز[١٣] الثلث إذا جمعت، فالحكم أن يقسم الثلث بينهم بالحِصَص، وكقوم صح لهم دَين على ميت وتركته لا تفي بذلك، فهم جميعا أسوة، يلحق كل واحد منهم النقصانُ بقدر حصته.

وأما الرد، فإن / عليا رضي الله عنه وعبد الله رضي الله عنه قالا به[١٤] على اختلافهما [١٢٦ظ]

---

[١] ن: عنه وهم.
[٢] ن: لا يقول؛ ع: لا نقول.
[٣] ن ع: بقول.
[٤] *تفسير القرطبي*، ٥/٧٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٥١.
[٥] هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي أبو زهير. روى عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وعنه عمرو بن مرة والشعبي. وهو شيعي. وفي حديثه ضعف. وقال ابن أبي داود: كان أفقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس. مات في خلافة ابن الزبير قبل ٧٣هـ/٦٩٢م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ١/٣٠٣؛ وتقريب *التهذيب* لابن حجر ١٤٦.
[٦] أي أعلم بالحساب.
[٧] رواه أبو عبيد والطحاوي والبيهقي. انظر: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ٣/٩٠.
[٨] ع م: وقد يسمي.
[٩] ع م: وامرأته.
[١٠] ع م: كانت.
[١١] ن: يقدر.
[١٢] ع: بوصا.
[١٣] ك ع م: يتجاوز.
[١٤] ع: مالآية.

فيمن يُردّ عليه.[١] وسبيل ذلك سبيل[٢] ذوي الأرحام،[٣] لأن ذا الرحم بباقي المال أولى[٤] من الأجنبيين بقول[٥] الله تعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[٦] فمن لا رحم له فلا حق له غير سهمه. وليس في الزوج والزوجة خلاف بين أهل العلم أنه لا يُردّ عليهما، ولأن في الآية دليل[٧] الرد على غير[٨] الزوجين[٩] من أهل السهام ومنع الرد عليهما، لأنه عز وجل ذكر للأبوين السدسين إذا كان له ولد، وسمى للأم الثلث إذا لم يكن[١٠] ولد، ولم يسم للأب شيئا فيُرَدّ الباقي عليه. وكذلك سمى للذكور من الأولاد مع الإناث نصيبا بقوله: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[١١] ولم يسم لهم شيئا في حال الانفراد، فيرد الكل عليهم. ولم يترك[١٢] للزوجين ذكر تسمية سهامهما[١٣] في حال، بل ذكر سهامهما[١٤] في الأحوال كلها[١٥] في حال الولد وفي حال الذي لا ولد له، فلذلك منع دليل الرد عليهما.

[١٢٤ظ س٢٣] /* قوله: **من بعد وصيةٍ يوصَى بها أو دينٍ غيرَ مضارٍّ وصيةً من الله**؛ فدلت هذه الآية على حجر بعض الوصايا بقوله عز وجل: **غير مُضارّ**، لكن يحتمل أن تكون[١٦] المضارّة تبطل[١٧] الفضل، ويحتمل أن لا تبطل،[١٨] كقوله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا،[١٩] في الرجعة،

---

[١] *الدر المنثور* لسيوطي، ١١٨/٤.
[٢] ن – سبيل.
[٣] ع م: فيمن يرد عليه وسبيل ذوي الأرحام.
[٤] ن – أولى.
[٥] ن ع: يقول.
[٦] سورة الأنفال، ٧٥/٨؛ وسورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[٧] ع م – دليل.
[٨] م: على غيره.
[٩] ع م – الزوجين.
[١٠] ك ن: لم يكن له.
[١١] سورة النساء، ١١/٤.
[١٢] ن ع م: ولم ينزل.
[١٣] ك: سهامها.
[١٤] ك: سهامها؛ ن – في حال بل ذكر سهامهما؛ ع + في حال بل ذكر سهامهما.
[١٥] ع + في حال الانفراد فيرد الكل عليهم ولم يترك للزوجين ذكر تسمية سهامهما بل ذكر سهامهما في الأحوال كلها.
[١٦] ك ن م: أن يكون.
[١٧] ع م: يبطل.
[١٨] ع: أن لا يبطل.
[١٩] ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ (سورة البقرة، ٢٣١/٢).

على إمضاء الرجعة على ذلك، لكن الإضرار في الرجعة مقصود، وفي هذا مفعول،[١] فيمكن التفريق بين الأمرين. فقال عز وجل: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ،[٢] الآيتين، وأوعد[٣] جهنم على تعدي هذه الحدود،[٤] وذلك لا يحتمل[٥] مع جواز الفضل.[٦] وأيد ذلك قوله: فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ،[٧] الآية، ولو كان يجوز لكان[٨] لا يملك معه الإصلاح،[٩] فثبت أن من الوصايا ما يُبطَل، مع ما كان الله ذكر في المواريث: فَرِيضَةً مِنَ اللهِ،[١٠] فلا يملك إبطال فريضة الله، وبالإذن منه يجوز فعله، لذلك يبطل بعض وصاياه.

والأصل في ذلك أن الأموال أنشئت للأحياء وخلقت لمنافع الأحياء، فكأنهم مُلِّكوا منافعها إلى انقضاء آجالهم،[١١] ثم صارت إلى من به ملكوها،[١٢] يجعلها لمن يشاء ويضعها عند من يشاء،[١٣] وقد بين عز وجل أنها لمن ومن أحق بها، فصار الموصِي كأنه أوصى بحَقِّ مَن بيّن أن مُحِقَّهُ[١٤] فيه غيره، فإنْ تفضل الله عليه في ذلك من شيء، وإلا فذلك كسائر الأملاك[١٥] التي بُينت[١٦] أربابها لم يكن لغيرهم فيها[١٧] حق إلا بجعل[١٨] الله أو جعْلٍ من له. فعلى ذلك هذا.

---

[١] ك ن ع: مفصول؛ م: مفضول. والتصحيح من *الشرح*، حيث يقول: «الإضرار في باب الرجعة مقصود وفي هذا مفعول، أعني أن ثمة قصد الإضرار وهاهنا نفس الفعل إضرار» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٩ظ).

[٢] سورة النساء، ٤/١٣-١٤.

[٣] ك ن: فأوعد.

[٤] ك ن: هذا الحد.

[٥] ن - لا يحتمل.

[٦] ك ن ع: الفعل.

[٧] ﴿فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٢).

[٨] ن - لكان.

[٩] ك: الاصطلاح.

[١٠] سورة النساء، ٤/١١.

[١١] ع م: أجمهم.

[١٢] ك: ملوكها.

[١٣] لعل عبارة السمرقندي تزيد ذلك وضوحا حيث يقول: «ثم صارت إلى من مكنوها منه بتمليكه وهو الله تعالى فيجعلها لمن شاء ويضعها عند من شاء» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤٩ظ).

[١٤] ك: أنه محقه.

[١٥] ع: الأملال.

[١٦] ن: ينبت؛ ع: ينتت؛ م: سيت.

[١٧] ن: فيها فيها.

[١٨] ع: إلا يجعل.

[ثم] قد جاء عن الله بيان حده بعد أن بينت[1] هذه الآيات، جعل الحق له إلى الثلث، فذلك له صدقة من الله تعالى. وفي الفضل[2] إن أجاز[3] المجعول له جاز، وإلا لا. *والله أعلم*.

فجَعَلَتْ[4] للوصية حدا ولم يُجْعَلْ للدين، لأن الدين مما يتصل بحوائجه في حال حياته، إذ هو يلزم بالأسباب التي بها معاشه وغذاؤه، فصار مقدما على المتروك في الحكم، وإنما جعلت المواريث في المتروك؛ مع ما كان الغرماء أحق[5] بملكه في حياته،[6] يعجز عن كثير من
[١٢٥و] المعروف في مرضه بهم، ولو لم يكن[7] لهم الحق لامتنعوا من المداينات / إلا بوثائق يكونون هم أحق بها بعد الوفاة من الورثة، أو يمتنعون من المداينات، وفي ذلك تقصير القوت[8] والأغذية[9] عن مضيّ الأجل، وهو به مأمور،[10] فجعلت الديون كأنها استحقت الأملاك في حال الحياة، فلم تجئ[11] منهم التركة. وليست كالعبادات، لأنها تجب في الفضول عن الحاجاتِ، والديونُ في الأصول. فليست العبادات بالتي تمنع الوفاء بالآجال، ولا كان بأربابها إليها تلك[12] الضرورات، فإنما هي بحق القُرَب، وهي عمل الأحياء، فإذا ماتوا زال الإمكان. وجرت في الأموال المواريث. وكذا المعروف من الدَّين المذكور في القرآن من قوله: **من بعد وصيةٍ يُوصَى بها أو دَينٍ**، أن العبادات لا توصف بالديون، ولا تفهم[13] من إطلاق القول بالديون، فصارت بمعنى الفضل عن الوصايا والديون إلى أن يؤجل. وفي الحقيقة[14]

[1] ن ع م: أن بنيت.
[2] ك ن ع: وفي الفصل.
[3] ن: إذا جاز.
[4] أي الآية.
[5] ن: ما أحق.
[6] ن – في حياته.
[7] م: فلو لم يكن.
[8] ك: الفوت.
[9] ن: والأغذات.
[10] قال الشارح: «وفي ذلك إلحاق الضرر بالناس وإيقاعهم في الهلاك في بعض الأحوال، إذ لا علم لهم بانقضاء آجالهم، والأمر بالكسب قائم في حال الحياة» (شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ١٧٠و). وهذه العبارة ساقطة من نسخة الحميدية، ورقة ١٤٩ظ.
[11] ك: فلم يجئ.
[12] م: بأربابها تلك.
[13] ن ع م: ولا يفهم.
[14] ك ن ع: وهو الحقيقة؛ م: وهو في الحقيقة.

أن لا يكون للمولى على عبده دين،[1] فيكون المذكور دينا في الأفعال، كما ذكرت العِدَاتُ دَينا في الأخلاق، لا في حقيقة الذِمَم. مع ما كانت هي لله،[2] وقد جعل الله له فريضة لأقوام[3] بأعيانهم لا يمنع عنهم إلا بالوصية كما جعل للموصي. وعلى أن العبادات[4] لا تقوم إلا بالنيات،[5] ولا تؤدّى[6] عن أحد في حياته إلا بأمره وإن احتمل قيام بعض منها عن بعض، وسائر الديون تجوز دونه، فعلى ذلك بعد الوفاة، وإن كان كل[7] ما يؤدى به فهو الذي حدث به الوصية وقد جاء الحد لها؛[8] مع ما كانت العبادات لا تحتمل[9] لحوق الأموات ولا الإيجاب عليهم في أموالهم، ثبت أنها حقوق الحياة خاصة، والديون محتمل، فهي حقوقهم في الحالين.

ثم قد ذكر في الدين **غَيْرَ مُضَارٍّ**، بل الدين أقرب إلى حرف الثُّنْيَا. ومعلوم أنه لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة مضارةٌ بالورثة، إن كان يقع يقع[10] في الغرماء، إذ يؤخذ منه بلا إيصاء؛ ولا يحتمل النهي من حيث الغرماء، لما فيه إلزام المكاسب في أوقات العجز لقضاء الديون.[11] فثبت أن ذلك فيما[12] لا يُعرَف من الديون، وإنما يُرجَع فيها إلى قوله. فبطل بالذي ذكرته جواز إقراره على[13] كل حال لكل أحد، إذ لا ضرر يقع من حيث فعله فيُرَدّ.

---

[1] وعبارة السمرقندي هكذا: «ولأنه في الحقيقة لا يكون لمولى على عبده دين، فإن العبد وما في يده مال المولى حقيقة، فإنما الواجب عليه الفعل والخدمة كما في الشاهد، فكان تسمية الدين في الأفعال يراد بها الوجوب بطريق التأكيد. وهذا كما ذُكِرَت العِداتُ دَيْنًا، يقال: وعد الكريم دين، لما أن ذلك الفعل من الكريم في الوجود بمنزلة قضاء الدين لا أن ذلك واجب في دمته حقيقة» (شرح *التأويلات*، ورقة، ١٤٩ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٠و).

[2] ع: الله.

[3] ك: الأقوام؛ ن: لأقوامهم.

[4] ن: وعلى العبادات.

[5] جميع النسخ: إلا بالبينات.

[6] ع م: ولا يؤدى.

[7] ن: وإن كان.

[8] قال في الشرح موضحا: «وبعد الوفاة خرج من أن يكون من أهل النية، ولم يوجد الأمر والاختيار، حتى إذا وجد الأمر بالإيصاء فتعلق بالمال، لكن بقدر الثلث» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٩ظ).

[9] ن: لا يحتمل.

[10] م – يقع.

[11] يقول السمرقندي: «ولأنه لا يحتمل النهي عن قضاء حق الغرماء من امال الدي في يده، لأن في ذلك إلزام الكسب عليه في حال العجز لقضاء الديون» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٠ظ).

[12] ع م – فيما.

[13] ع م: إلى.

وقد بينا أن المضارّة في هذا تمنع الجواز، فثبت أن من الإقرار ما لا يجوز. فقال أصحابنا رحمهم الله: لا يجوز إقراره لبعض[1] الورثة وقت الإياس من نفسه، لأنه وقت الإيثار[2] والسخاء بما[3] عنده من المال وما أبطل[4] وصيته للوارث بما يخرج مخرج الإيثار. فنحن إذا أجزنا إقراره فيهن لِنظره لمن يُمنَع[5] الوصيةَ لا ينتفع [الوارث بذلك] بل يذهب الكل، وفي الأول لم يكن يذهب.[6] *والله أعلم*.

ثم الأصل أنه إخبار[7] في الكل بحق الأمانة، ووصيته[8] بحق الملك، ثم جعل في وارثه[9] كمن لا ملك له، إذ قد يقصد به التفضيل والتخصيص، لا القربة،[10] فعلى ذلك فيما خان في الأمانة يجعل كمن لا أمانة له، لما[11] يخرج على ما بينا، وإسقاط الأخبار لتوهّم من الأمناء أوجد[12] في الأحكام من[13] إسقاط المعروف عن الأملاك.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ن: بعض.
[2] ن – من نفسه لأنه وقت الإيثار.
[3] ع م: مما.
[4] ك: ولوقت السخاء ما. والمعنى: وبسبب أن النص أبطل.
[5] جميع النسخ: لم يمنع.
[6] قال الشارح موضحا: «فلو جوزنا الإقرار لمن لا يجوز له الوصية لم يظهر نفع بطلان الوصية، لأنه متى علم أنه لا يجوز الوصية يقدم على الإقرار اختيارا للإيثار، وبالوصية يذهب بعض المال، وبالإقرار يذهب الكل، إذ يجوز من جميع المال، وكان إبطال الوصية للورثة إبطالا للإقرار بالطريق الأول» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٠و).
[7] ك ن م: أنه أجيز؛ ع: أنه أخبر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و.
[8] م: وصيته.
[9] ع م: في وراثة.
[10] ع م: إلى القربة.
[11] ن: له من، لما.
[12] قصد بأوجد أي أعم وجودا، ولكن لا يصاغ أفعل التفضيل من وجد لأن الوجود صفة لا تتفاوت، فالأولى أن يقال: أعم وجودا، وقد استعمله الشارح كذلك. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و.
[13] ع م: ومن.
[14] ن: عن الاملال. قال الشارح موضحا ما سبق: «ثم الأصل أن الإقرار إخبار بحق الأمانة، لأنه يخبر أنه مال الغير في يده وأنه يجب عليه تسليمه إليه. والوصية تصرف بحكم الملك. فإنه يُمَلِّكُ مالَه مِن الموصَى له بعد الموت. ثم جعل المال القائم في يده المملوك له حقيقة كالعدم في حق الوارث حتى لا يملك الوصية له، إذ قصده بهذا تفضيل هذا الوارث وتخصيصه من سائرهم دون تحصيل الثواب بالإيصاء. فعلى ذلك فيما كان جوازه بطريق الأمانة يجعل كأنه لا أمانة له، لما يخرج إقراره مخرج الإيثار بالطريق الأولى. لأن إسقاط الأخبار وردها لأجل التُّهَم أعم وجودا في الأحكام من إبطال المعروف والتصرف في الأموال. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٠و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٠ظ).

وعلى ذلك فيما كانت عليه ديون ظاهرة، قد يبغي[١] الضرر بأهلها،[٢] لبعض من له بشأنه عناية، وفيما بينهما حقوق توجب البعث على المعروف والصلة له وقت السخاء بمالِه، وللعلم بأنه عن الانتماع به عاجز فيقر لهم ذلك؛ لذلك[٣] يُتَّهَمُ في الحقوق التي ظهرت.[٤]

ثم كانت عبادات الأموال[٥] قد يقام عن الأموات بالأمر ولا يقام عبادات[٦] الأفعال لوجهين. أحدهما[٧] جواز بعض عن بعض في أحد النوعين فيما للعباد بالأمر[٨] في الحياة، ولا يجوز في الآخر،[٩] فمثله العبادات[١٠] بالأمر.

والثاني أن السبب الذي به يجب عبادات الأموال قد يجوز أن يوجب على نفر[١١] بالتحول من ملك إلى ملك، وما لَه يجب عبادات الأفعال[١٢] لا يجوز فعل ذلك حق القيام بالأفعال، وعلى ذلك النيات، إذ ليست من الحقوق التي تتصل[١٣] بالأموال في شيء من الأمور، لم يقم بها أحد عن أحد، لذلك لم يُجَوَّزْ إلا بأمر،[١٤] فيكون الآمر بالأمر[١٥]

---

[١] ن ع: قد يبقى.

[٢] ن – بأهلها.

[٣] ك: يتهم لك؛ ع م – لذلك.

[٤] قال الشارح: «وعلى ذلك إذا كانت عليه ديون ظاهرة في حالة الصحة فأقر في حال المرض لا يصح، لما فيه من بغي الضرر بأصحاب الديون الظاهرة، لما يحتمل أن له عناية في حق شخص وميلان طبع، أو فيما بينهما حقوق توجب البعث على المعروف والصلة وقت السخاء بماله، وهو عاجز عن ذلك شرعا بما حرم عليه الإيصاء، فيقر بذلك. فيتهم في حق أصحاب الحقوق التي ظهرت. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٠ظ).

[٥] ع م: الأحوال.

[٦] د – الأموال قد يقام عن الأموات بالأمر ولا يقام عبادات.

[٧] ن – أحدهما.

[٨] جميع النسخ: بلا أمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و.

[٩] ن: في الامر.

[١٠] ن – العبادات، صح هـ.

[١١] ن: على فقر.

[١٢] ع م – قد يجوز أن يوجب على نفر بالتحول من ملك إلى ملك، وما لَه يجب عبادات الأفعال.

[١٣] ع: التي تتصل.

[١٤] د: إلا بالامر.

[١٥] ن – فيكون الآمر بالأمر.

١٢٥و س٣٠] لما أَمَرنا به ناويا.[1] *والله أعلم*.[2]*

وقوله عز وجل: **غيرَ مُضَارٍ وصيةً من الله**، ومرة: فَرِيضَةً مِنَ اللهِ،[3] حتى يعلم أنهما واحد. ثم ذكر المضارّة في ميراث الإخوة والأخوات ولم يذكر في الولد والوالد والزوج والزوجة، فهو- والله أعلم- يحتمل وجهين. يحتمل أنه ذكر في هذا، لأنه بهم ختم المواريث فيكون تلك المضارّة كانت كالمذكورة[4] في الأولاد والوالدين[5] والأزواج، إذ بذلك ختم.

ويحتمل أنه ذكر هاهنا المضارّة ولم يذكر فيما ذكرنا، لما في الطبع يقصد الرجل إلى مضارّة الأخ والأخت ومَن بَعد منه، ولا يقصد في المتعارف إلى مضارّة الآباء والأولاد ومن ذكرنا، فإذا جاء النهي في مضارّة من يقصد في الطبع[6] مضارّته[7] فَلَأَنْ يُنهى عنها فيما لا يُقصد بالطبع أحق.

---

[1] ك ن ع: ناو؛ م – ناو.

[2] قال السمرقندي: «إن السبب الذي يجب به العبادات المالية قد يجوز أن يوجب على نفر كثيرة بالتحول من ملك إلى ملك، لأن ملك المال الذي يجب به الزكاة ويتعلق به الحج في حق الأول لمعنى يتحقق ذلك المعنى في حق غيره إذا تحول إليه، وهو التنعم والارتفاق الزائد على قدر الحاجة، وذا سبب الشكر، فيجب عليه تسليم جزء منه إلى المحتاجين تحقيقا للشكر، وذلك يحصل بفعل النائب بأمره. فأما عبادات الأفعال إنما تجب على المرء بسبب نعمة البدن، وهي الصحة والسلامة، وذلك مما لا يتحقق تعديها إلى محل آخر، فلا يتصور أن يجب بسبب واحد على أناس كثيرة، فكذلك لا يحتمل النيابة، إذ يجب على الأصل بشكر النعمة بتحمل المشقة بنفسه في إزالة بعض تلك المنافع التي يمكن منها عن نفسه والصرف إلى خدمة ربه، فلا يقوم فيه غيره مقامه. وكيف يقوم الغير وإن ذلك واجب على ذلك الغير بطريق الأصالة خدمة لله تعالى وعبادة له، وكيف ينيب نفسه مناب غيره،؟ والله أعلم. إلا أنه لا بد من الأمر والإيصاء في العبادات المالية، بخلاف حقوق العباد من الديون، لأن هذه الحقوق لا تستغني عن النية، فيصير الآمر بالأمر ناويا، فيصير فعل النائب عبادة بقصده واختياره، كأنه فعل بنفسه لحصول المقصود به، وهو إزالة الملك والصرف إلى الفقراء، وفي سائر الديون لا حاجة إلى النية، والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٠ظ).

* ورد ما بين النجمتين من قول المؤلف «قوله: من بعد وصيةٍ يوصَى بها أو دينٍ غيرَ مضارٍ وصيةً من الله؛ فدلت هذه الآية على حجر بعض الوصايا...» قبل بضع صفحات، إلى هنا، في جميع النسخ عند تفسير قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصِي بها أو دين﴾ من الآية الحادية عشرة. انظر: ورقة ١٢٤ظ/سطر ٢٣ – ورقة ١٢٥و/ سطر ٣٠. لكنه ورد في شرح *التأويلات* في مكانه الصحيح فأوردناه هنا. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٤٨ظ، ١٤٩ظ.

[3] سورة النساء، ١١/٤.

[4] ك: كالمذكور.

[5] ن ع م: أو الوالدين.

[6] ع م + يقصد الرجل.

[7] ع: مضاربة.

ثم بيان المضارّة في الوصية ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الثلث، والثلث كثير -وقوله- إنك أن تَدَع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالَةً يَتَكَفَّفُونَ»؛[١] وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه[٢] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل عمل[٣] الخير ستين سنة، فإذا أوصى حاف[٤] في وصيته، فيختم[٥] له بشر عمله، فيدخل النار؛ وإن الرجل ليعمل عمل أهل[٦] الشر[٧] ستين[٨] سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير[٩] عمله، فيدخل الجنة». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ -إلى قوله- عَذَابٌ مُهِينٌ».[١٠] وما روي: الثلث حَتَف.[١١] وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الإضرار[١٢] في الوصية من الكبائر،[١٣] ثم قرأ: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ،[١٤] إلى آخره، قال: في الوصية.[١٥] وقوله عز وجل: فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ.[١٦]

ثم الإضرار قد يكون أيضا إذا أوصى لوارث ولم يوص للباقين، لأنه أضر[١٧] بالوصية لبعض ورثته الباقين، فلا فرق[١٨] بين أن يضر بعض الورثة وبين أن يضر الورثة كلهم،

---

[١] صحيح *البخاري*، الوصايا ٢؛ وصحيح *مسلم*، الوصية ٥.
[٢] ك ع م – أنه.
[٣] ن – عمل، صح هـ.
[٤] ن ع: حاف. وحاف من الحيف أي جار وظلم (*لسان العرب* لابن منظور، «حيف»).
[٥] ع: فنختم.
[٦] ك – أهل.
[٧] ن – الشر.
[٨] ع م – ستين.
[٩] م – بخير.
[١٠] سورة النساء، ٤/١٣-١٤. مصنف *عبد الرزاق*، ٩/٨٨؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٧٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الوصايا ٣؛ وسنن *أبي داود*، الوصايا ٣.
[١١] لم أجده.
[١٢] ع م: لاضرار.
[١٣] م: من الكبار.
[١٤] سورة النساء، ٤/١٣.
[١٥] *تفسير الطبري*، ٤/٢٨٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٥٢.
[١٦] سورة البقرة، ٢/١٨٢.
[١٧] جميع النسخ: أضر به.
[١٨] ك: بلا فرق.

ففيه دليل بطلان الوصية لبعض الورثة دون بعض. ثم الإضرار قد يكون بالدَّين على ما يكون بالوصية، لأنه إذا أقر المريض لبعض الورثة بدين فإن إقراره لا يجوز كما لا يجوز وصيته. والإقرار بالدين أحق أن لا يجوز من الوصية، لأن الإقرار في المرض جوازه بحق الأمانة، إذ يجوز جوازَ الشهادة، والشهادة أمانة، والوصية جوازها بحق الملك، فإذا بطل الوصية لوارثه[1] فإقراره له في المرض أحق أن يبطل. وعلى ذلك إذا كان عليه دين في الصحة فأقر بدين في المرض[2] فغرماء الصحة أولى بدينهم من غرماء[3] المرض، لأن في ذلك إضرارا[4] بغرماء الصحة، لأن دينهم قد تعين في ماله وتحول من الذمة إلى التركة؛ ألا ترى أنه ليس له أن يقضي غريما دون غريم، فإذا كان ما ذكرنا لم يكن له قسمة المال بين غرماء الصحة وبين من أقر لهم بالدين في المرض، إذ فيه الإضرار بهم، إذ قد تعين حقهم، فلا فرق [بين] أن يكسب الضرر على الوارث وبين أن يكسب الضرر على الغرماء. وإذا باع شيئا بقيمته في المرض أو استقرض[5] فإنه يجوز ويُبدأ به، لأنه يعمل للغرماء، إذ يقضي[6] ديونهم مما أخذ.[7] وإذا تزوج أو استأجر فتكون[8] [المرأة والأجير][9] أسوة الغرماء،[10] لأنه لم يعمل لهم، إنما يعمل لنفسه، وليس فيه اكتساب الضرر على الغرماء، فيكون أسوة. ثم إذا أضر لم يجز،[11] ويرد[12] ذلك الضرر ويفسخ.

فإن قيل: إن الرجل قد يُنهى عن الإضرار في نفسه وماله، ولو فعل[13] فيجوز.

قيل: إن الإضرار إذا حصل في ملكه أو في نفسه[14] يُنهى ويجوز، لأنه لم يضرّ غيره،

---

[1] ع: لوارثة؛ م: لوراثة.
[2] ع م – في المرض.
[3] ك: ثم غرماء.
[4] ن: إضرار.
[5] ن: واستقرض.
[6] م: أن يقضي.
[7] ن: مما أخذوا.
[8] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.
[9] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.
[10] جميع النسخ: الغرماء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.
[11] ع: ثم يجز.
[12] ن: وير.
[13] ك: وإن فعل.
[14] ك ن: أو نفسه.

وإذا حصل في ملك غيره لم يجز وردّ، وهاهنا[١] إنما حصل في ملك الورثة والغرماء، لذلك بطل. ولا يوصى[٢] بأكثر من الثلث، ولا يوصى[٣] لوارث،[٤] ولا يُقِرّ[٥] بحق ليس عليه مضارةً لورثة.

وقوله عز وجل: **وصيةً**[٦] **من الله**؛ يحتمل قوله: **وصيةً من الله** أي الذي نُهي عن المضارة وصية، ويحتمل: الذي فُرِض[٧] عليكم من المواريث وصية من الله، وفريضة منه. ***والله أعلم.***

وقوله: **والله عليم**، بمن ضارّ الوارث وزاد[٨] على الثلث وبمن لم يُضَارّ،[٩] **حليم**، لا يَعْجَل بالعقوبة على من ضارّ. ويحتمل الحليم[١٠] والحكيم[١١] أن يكونا سواء، لأن ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم.

**﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **تلك حدود الله**؛ قيل: / فرائض الله التي أمركم بها من قسمة الميراث. [١٢٧و]

ويحتمل **حدود الله**، ما حد لنا حتى لا يجوز مجاوزتها، وقد تقدم ذكرها في سورة البقرة.[١٢]

ثم ذكر **حدود الله**، وقد يجوز أن يكون للخلق حدود، يقال: حَدّ فلان. فإذا لم يَفهم من حدود الله[١٣] ما فَهم[١٤] من حد الخلق كيف فَهم من قوله: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[١٥]

[١] ن: هاهنا.

[٢] ن: لا يوصى.

[٣] ن ع: ولا يواصى.

[٤] ن – لوارث.

[٥] ن: ولا يضر.

[٦] ك: للورثة ووصية.

[٧] ن: ويحتمل فرض.

[٨] ن: ويزاد.

[٩] م: لا يضار.

[١٠] جميع النسخ: العليم. لكن قول المؤلف: «لأن ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم»، يقتضي أن يكون الصواب: الحليم. على أنه قال في *الشرح*: «ويحتمل أن يكون العليم الحليم بمعنى واحد، لأن ضد الحلم السفه وكذلك ضد العلم السفه أيضا فهو نوع جهل» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ). ولكن ذلك لا يناسب قول المؤلف المذكور.

[١١] ع م: والحليم.

[١٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٨٧/٢.

[١٣] ع م – وقد تقدم ذكرها في سورة البقرة ثم ذكر حدود الله وقد يجوز أن يكون للخلق حدود يقال حد فلان فإذا لم يفهم من حدود الله.

[١٤] م: لا ما فهم.

[١٥] ورد في مواضع كثيرة منها سورة الأعراف، ٥٤/٧.

واسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[1] ما فهم من[2] استواء الخلق! فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز أن يفهم من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق، وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق، ولا يفهم من مجيئه مجيء الخلق،[3] ولا من نزوله نزول الخلق،[4] على ما لم يفهم من قوله تعالى: **حدود الله**، حدود الخلق، إذ لا فرق بين هذا وبين الأول.

وقوله عز وجل: **تلك حدود الله**، يحتمل وجهين. أحدهما أوامره ونواهيه وما حرم وأحل، ويحتمل[5] حدود [كل][6] شيء من ذلك فيرجع تأويل الأول إلى أَنْفُسِ العبادات، والثاني إلى نهايات العبادات. والمعروف من الحدود التي تنسب إلى الخلق وجهان. أحدهما نهاية المنسوب إليه، وذلك حق حد الأعيان، والثاني[7] الأثر الذي يضاف إليه، وذلك حد الصفات، إذ يقال:[8] حد العقل[9] فعل كذا، وحد البصر والسمع يراد به الأثر الذي به يعرف أن هنالك[10] ما ذكر. ثم لم تكن[11] الحدود التي أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى على واحد من الوجهين اللذين يضافان[12] إلى الخلق، إذ قد ثبت بضرورة العقل وحجج السمع تعاليه عن المعاني التي هن معاني خلقه، فعلى ذلك ما أضيف إليه من طريق الفعل[13] من الاستواء والمجيء والرؤية، لم يجز في ذلك تصوير المعنى الذي يكون في إضافة ذلك إلى الخلق،[14] بما في ضرورة العقل والسمع جلاله وكبرياؤه عن ذلك المعنى. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **ومن يطع الله ورسوله**؛ قيل: من يطع الله في أداء فرائضه ورسوله في سنته،[15]

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٩.

[2] ع: ما فهم.

[3] ك: المخلوق.

[4] ك: المخلوق.

[5] ن: يحتمل.

[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.

[7] جميع النسخ: والباقي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.

[8] ك ن ع: أن يقال.

[9] ع م: الفعل.

[10] ك ن: إذ هنالك؛ ع م: أو هنالك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.

[11] ك: ثم لم يكن؛ ن ع: ثم لم تكن.

[12] جميع النسخ: يضاف.

[13] جميع النسخ: العقل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.

[14] جميع النسخ: في إضافة ذلك إلى الخلق يكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.

[15] ع م: وسنة رسوله.

**يدخله جنات**، إلى آخر ما ذكر. وقيل: **ومن يطع الله**[١] فيما أمر ونهى وأطاع رسوله في أمره ونهيه فله ما ذكر. وقيل: إذا أطاع الله فقد أطاع رسوله وإذا أطاع[٢] رسوله فقد أطاع[٣] الله تعالى، وهو واحد كقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٤] وقوله: **ومن يطع الله**، فيما أمر ونهى وحرم وأحل، **ورسوله**، فيما بلّغ وبين. وقيل: ذا[٥] ليس بتفريق، لكن من الذي يطيع[٦] الله هو الذي يطيع رسوله، لأنه إلى طاعة الله تعالى دعا،[٧] وعلى عبادته رغّب، فتكون[٨] طاعته طاعته،[٩] كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[١٠] وكقوله سبحانه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي﴾[١١] الآية.

**﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١٤]**

وقوله تعالى: **ومن يعصِ الله ورسوله ويتعدَّ حدوده**؛ وهذا كذلك أيضا إذا عصى الله فقد تعدى حدوده، ومن تعدى حدوده فقد عصى الله. ويحتمل قوله:[١٢] **ومن يعصِ الله ورسوله**، فيما لم ير أمره أمرا ونهيه نهيا، **ويتعدَّ حدوده**، يعني أحكامه وشرائعه، أي لم يرها حقا، **يدخله نارا خالدا فيها**، وله ما ذكر.

**﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[١٥] ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[١٦]**

قوله[١٣] عز وجل: **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعةً منكم...**

---

[١] ن – الله.
[٢] م: فقد أطاع.
[٣] ع – أطاع.
[٤] سورة النساء، ٤/٨٠.
[٥] جميع النسخ: ذي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٠ظ.
[٦] ك ن ع: الذي يطع.
[٧] م: دعاه.
[٨] ع م: فيكون.
[٩] ن ع – طاعته.
[١٠] سورة النساء، ٤/٨٠.
[١١] سورة آل عمران، ٣/٣١.
[١٢] ع م – ويحتمل قوله.
[١٣] ن ع م: وقوله.

**واللذان يأتيانها منكم فآذوهما**؛ قيل: كان هذان الحكمان في أول الإسلام، الأول منهما للمرأة، والثاني للرجل. وقيل: إن آية الأذى كانت[1] في الرجل والمرأة،[2] وآية الحبس كانت في حبس المرأة.[3] ويحتمل أن يكون آية الأذى كانت[4] في البكر في الرجل والمرأة جميعا، وآية الحبس في الثيب في الرجل والمرأة جميعا.[5] ويحتمل أن يكون آية[6] الأذى في الرجال خاصة فيما يأتي الذكر ذكرا على ما كان من فعل قوم لوط، وآية الحبس في الرجال والنساء جميعا.

فإن كان آية الأذى في الرجال خاصة ففيها حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه، حيث لم يوجب على من عمل عمل قوم لوط الحد، ولكن أوجب التعزير[7] والأذى،[8] وهو منسوخ إن كان[9] في هذا، وإن كانت في الأول فهي منسوخة.

ثم اختلف بما به نسخ، فقال قوم: نسخ بقوله: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ،[10] لكن عندنا هذا يجوز أن يجمع بين حكميهما،[11] فكيف يكون[12] به النسخ! ولكن نسخ عندنا بالخبر الذي[13] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خذوا عني خذوا عني! قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر والثيب[14] بالثيب، البكر يُجلَد ويُنفَى، والثيب[15] يجلد ويُرجَم»،[16] ففيه دليل حكم نسخ القرآن بالسنة.

---

[1] ع – كانت + في البكر.
[2] ع + جميعا.
[3] م + ويحتمل أن يكون آية الأذى كانت في الرجل والمرأة وآية الحبس كانت في حبس المرأة.
[4] ن ع م – كانت.
[5] ع – ويحتمل أن يكون آية الأذى كانت في البكر في الرجل والمرأة جميعا، وآية الحبس في الثيب في الرجل والمرأة جميعا.
[6] ن – آية.
[7] ع: التعذير.
[8] ن – والأذى.
[9] ن: – كان، صح هـ.
[10] سورة النور، ٢٤/٢.
[11] ك: بين حكميها. وعبارة الشرح هكذا: «لأنه يجوز الجمع بين حكم الآيتين...» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و).
[12] ن: فيكون.
[13] ن ع م – الذي.
[14] ع: الثيب.
[15] ع: والمثيب.
[16] صحيح *مسلم*، الحدود ١٢-١٤.

فإن قيل: في الآية دليل وعد النسخ بقوله: **أو يجعلَ الله لهن سبيلا**، فإنما صار منسوخا بما وعد[1] في الآية من النسخ، لا بالسنة.[2]

قيل:[3] ما من آية أو سنة[4] كان من حكم الله [أن يرد فيها][5] النسخ[6] إلا والوعد فيه النسخ، وإن لم يكن مذكورا، لأن الله عز وجل لا يجعل الحكم في الشيء للأبد ثم ينسخ لأنه بُدُو،[7] وذلك فعل البشرية،[8] لا فعل الربوبية. فإذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين أن ينسخه بوحي يكون قرآنا يتلى، وبين أن ينسخه بوحي لا يكون قرآنا.[9]

وفيه أخبار كثيرة. روي أنه رجم ماعزا لما أقر بالزنا مرارا.[10] ورجم أيضا غيره؛[11]

---

[1] ن: منسوخا وعد؛ م: وعد له.

[2] ع: الا بالنسبة.

[3] م: وقيل.

[4] ن: اسنة.

[5] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و.

[6] ك ن + بقوله أو يجعل الله لهن سبيلا فإنما صار منسوخا بما وعد في الآية من النسخ لا بالسنة.

[7] ك: بدوا.

[8] ع م: البشر.

[9] ع م – وبين أن ينسخه بوحي لا يكون قرآنا. قال الشارح: «فإن قيل في الآية دليل وعد النسخ بقوله: ﴿أو يجعلَ الله لهن سبيلا﴾، في الآية وعد السبيل لهن، لكنه مجمل صار معنوما ببيان الرسول، والتفسير متى التحق بالمجمل يكون الحكم مضافا إلى المفسَّر لا إلى التفسير، فيكون نسخ الكتاب بالكتاب. قيل: في الآية وعد انتساخ الحكم الثابت بالكتاب لا غير. فإن إثبات السبيل عبارة عن نسخ هذا الحكم بغيره، وليس فيها بيان الناسخ. وما من آية أو سنة كان من حكم الله أن يرد فيها السخ إلا والنسخ فيها موعود، لكنه غير مذكور صريحا. لأن الله تعالى لا يجعل الحكم في شيء مؤبدا ثم ينسخه لأن ذلك بداء. وإنه متعال عن ذلك فإنه فعل البشرية لا فعل الربوبية. فلا بد من أن يكون مع فناء إلى غاية. ثم بيان ذلك الوقت بوحي يكون قرآنا يتلى وقد يكون بوحي لا يكون قرآنا يتلى. وأي فرق بين الأمرين؟» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧١ظ).

[10] ك ن: غيره أيضا.

[11] ورد هذا الحديث في مواضع كثيرة جدا عن طريق عدد كبير من الصحابة وبألفاظ مختلفة، ولم يرد في بعضها تسمية ماعز. انظر: *صحيح البخاري*، الحدود ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٢٩؛ و*صحيح مسلم*، الحدود ١٦-٢٣. ففي *صحيح مسلم* عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه». قال فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه». قال فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله: «فيم أطهرك؟» فقال: من الزنا. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبه جنون؟» فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: «أشرب خمرا؟» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أزنيت؟» فقال: نعم، فأمر به فرجم. فكان الناس فيه فرقتين. قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته؛ =

[كما] روي[1] أن عسيف الرجل زنا بامرأته[2] وقال:[3] «سأقضي بينكما بكتاب الله تعالى -وقال- واغْدُ[4] يا أُنَيس على امرأة[5] هذا، فإن هي اعترفت[6] فارجمها».[7] وعن عمر رضي الله عنه قال: خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائله: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحصن / الرجل وقامت البينة أو اعترف، وقد [١٢٧ظ] قرأناها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما[8] البتة نكالا من الله؛ رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده.[9]

= وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز بن مالك». قال فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لوسعتهم». قال ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك، ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه». فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز ابن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت: إنها حبلى من الزنا، فقال: «آنت؟» قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك». قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: «إذًا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه». فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال فرجمها (*صحيح مسلم*، الحدود ٢٢).

[1] جميع النسخ: ما روي.

[2] م: بامرأة.

[3] أي قال النبي صلى الله عليه وسلم.

[4] م: واعد.

[5] ن: على امرة.

[6] ن: فإن اعترفت، صح هـ.

[7] ع: فارجمها. وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا: إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه: نعم، فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل». قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته، وإني أُخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها». قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت (*صحيح البخاري*، الحدود ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٤٦؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٢٥).

[8] ن - فارجموهما.

[9] صحيح *البخاري*، الحدود ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ١٥. لكن لم يرد ذكر قوله: «الشيخ والشيخة...» في الصحيحين بل ورد في *الموطأ* لمالك، الحدود ١٠؛ وسنن *ابن ماجة*، الحدود ٩.

وقال قوم: الرجم بين اليهود والنصارى كهو بين المسلمين كالجلد بالآية،[١] ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم يهوديين.[٢] قيل: إنما رجم بحكم التوراة؛ ألا ترى أنه روي أنه دعا بالتوراة ودعا علماءهم[٣] فأمرهم أن يقرؤا عليه، فوضعوا أيديهم على الموضع الذي فيه ذكر الرجم فقرؤا غيره، فقال ابن سلام: إنهم كتموه يا رسول الله، ثم قرأ هو، فأمر برجمهم.[٤] ولا شك أن القرآن نسخ حكم التوراة، لذلك لم يُقَمْ عليهم الرجمُ.[٥]

فإن قال قائل: إن الحد يقام على من عمل عمل قوم لوط بقوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ.[٦]

قيل: لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك، لأنه مختلف حكم هذا من هذا في الحرمة ووجوب المهر وغير ذلك، فلا يحتمل أن يعرف حكم شيء لما يخالفه في جميع أحكامه وجميع الوجوه.

وقوله عز وجل: **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم**، في الآية دليل جواز القياس، لأنه ذكر الحكم في النساء ولم يذكر في الرجال ذلك الحكم، وهما لا يختلفان في هذا الحكم، ما يلزم المرأة في ذلك الفعل يلزم الرجل مثله، دل أن ما ترك[٧] ذكره في المنصوص إنما ترك[٨] للاستدلال عليه والاستنباط من المنصوص[٩] والانتزاع منه.

وقال قوم: إن على الثيب الجلد والرجم جميعا، ذهبوا في ذلك إلى ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خذوا عني خذوا عني![١٠] قد جعل الله لهن سبيلا،

---

[١] قال الشارح موضحا: «وقال قوم: الرجم مشروع في حق اليهود والنصارى كالجلد وهو قول الشافعي» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و).

[٢] ن: يهودي؛ ع م: يهوديا. صحيح *البخاري*، الحدود ٢٤، ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٢٦، ٢٧.

[٣] ع: علماؤهم.

[٤] ع: يرجمهم. صحيح *البخاري*، الحدود ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٢٦.

[٥] يقول السمرقندي: «ولأن القرآن نسخ حكم التوراة، فإن الحبس والإيذاء ثبتا بالقرآن. فينسخ بالقرآن ما ثبت بحكم التوراة. ثم الرجم من بعد ثبت بالحديث. وذلك ثابت في حق أهل الإسلام لا في حق أهل الذمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧١ظ).

[٦] سورة النور، ٢٤/٢.

[٧] ن: ما نزل.

[٨] ن: إنما نزل.

[٩] ع م – إنما ترك للاستدلال عليه والاستنباط من المنصوص.

[١٠] ع م – خذوا عني.

البكر بالبكر يجلد وينفى، والثيب بالثيب يجلد ويرجم».[1] أوجب الجلد والرجم على الثيب. وأما عندنا فإنه لا يوجب مع الرجم الحد، لما روينا من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم ماعزا،[2] ولم يذكر أنه جلده، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُغْدُ[3] يا أُنَيْس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها».[4] لم يذكر هنالك جلد، والأخبار كثيرة في هذا. وروي أنه قال: «من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الذي ستره عليه، فإن من أبدا[5] لنا صَفْحَته[6] أقمنا عليه حد الله».[7] ثم يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم: «الثيب بالثيب يجلد ويرجم»،[8] في اختلاف الأحوال، يجلد في حال ويرجم في حال، أو يجلد ثيب ويرجم آخر، لأنه لا كل ثيب يرجم،[9] لأنه إذا كان ثيبا غير محصَن[10] لا يرجم، دل أنه على ما ذكرنا. أو يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم: «البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب» أي البكر مع البكر والثيب مع الثيب، فيكون ثيبا يجلد وثيب آخر يرجم.

ثم اختلف أهل العلم في نفي البكر، قال قوم: النفي ثابت واجب، وعندنا إن كان فهو[11] منسوخ.

---

[1] صحيح مسلم، الحدود ١٢-١٤.

[2] سبق تخريجه قريبا.

[3] ن ع: اغدوا.

[4] ع: فارجمها. والحديث سبق تخريجه قريبا.

[5] ع: من أبد.

[6] م: صفحة. وصفحة الرجل عرض وجهه. يقال أبدى له صفحته، أي أظهر له فعله الذي كان يخفيه (*لسان العرب* لابن منظور، «صفح»، «بدو»).

[7] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد أن رجم الأسلمي فقال: «اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن أَلَمَّ فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله تعالى عز وجل» (*المستدرك* للحاكم، ٤٢٥/٤). وروى الإمام مالك عن زيد بن أسلم: أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط، فأتي بسوط مكسور، فقال: «فوق هذا». فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته، فقال: «دون هذا». فأتي بسوط قد ركب به ولان، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد، ثم قال: «أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله» (*الموطأ* لمالك، الحدود ١٢).

[8] سبق تخريجه قريبا.

[9] ن – يرجم.

[10] ل – محصن، صح هـ.

[11] ع: هو.

ودليل نسخه ما روي في خبر زيد بن خالد،[١] وكان الرجل بكرا لم يذكر[٢] أنه نفي.[٣] وما روي عن عمر بن الخطاب[٤] رضي الله عنه أنه نفى رجلا، فارتد ولحق بالروم فقال: لا أنفي بعد هذا أبدا. وما روي أنه قال: كفى بالنفي فتنة.[٥] أو إن كان[٦] فهو عقوبة وليس بحد، كحبس[٧] الدَّعَّار[٨] وغيره. والدليل على أن النفي ليس بحد أن الله سبحانه وتعالى قال في الإماء: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[٩] والأَمَة لا تُنفَى[١٠] لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[١١] قال: «إذا زنت أَمَة أحدكم فليجلدها،[١٢] ثم إذا زنت فليجلدها،[١٣] ثم إذا زنت فليبعها ولو بضفير»،[١٤] أمر بجلدها[١٥] ولم يأمر بالنفي، ولو كان حدا[١٦] لأمر به كما أمر بالجلد، دل أنه ليس بحد[١٧] في الحر.

---

[١] سبق تخريجه قريبا. وقد ذكره المصنف بلفظ: أن عسيف الرجل زنا بامرأته وقال: «سأقضي بينكما بكتاب الله تعالى –وقال– واغدُ يا أُنَيس على امرأة هذا، فإن هي اعترفت فارجمها».

[٢] ع م: بكرا يذكر.

[٣] بل ذكر ذلك في حديث زيد بن خالد المار قريبا. ولكنه لم يذكر في بعض الأحاديث الأخرى. انظر: سنن *أبي داود*، الحدود ٣١، ٣٤.

[٤] ك ن – بن الخطاب.

[٥] روى عبد الرزاق في *المصنف* ومحمد بن الحسن في *كتاب الآثار* عن إبراهيم النَّخَعي قال: قال عبد الله بن مسعود في البكر يزني بالبكر قال: يُجلدان مائة ويُنفيان سنة. قال: وقال علي: حَسْبُهُمَا من الفتنة أَنْ يُنْفَيَا. وروى محمد بن الحسن عن إبراهيم النخعي قال: كفى بالنفي فتنة. وروى عبد الرزاق عن ابن المسيب قال: غَرَّب عُمر ربيعةَ بن أُميّة بن خَلَف في الشراب إلى خيبر، فلحق بِهِرَقْل فتنصّر. فقال عمر: لا أُغرِّب بعده مسلما (*نصب الراية* للزيلعي، ٣/٣٣٠).

[٦] ع م: وإن كان.

[٧] ن ع: لحبس.

[٨] جميع النسخ: الدعارة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١و. والدعار: الفاسق الفاجر (*لسان العرب* لابن منظور، «دعر»).

[٩] سورة النساء، ٤/٢٥.

[١٠] ن: لا تبقى.

[١١] ك ن – أنه.

[١٢] ع: فليحدها.

[١٣] ع: فليلحدها.

[١٤] صحيح *البخاري*، الحدود ٣٥، ٣٦؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٣٠–٣٢. والضفير: حبل من الشعر المفتول، وحزام الرَّحْل (*لسان العرب* لابن منظور، «ضفر»؛ و*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «ضفر»).

[١٥] ع: يجلدها.

[١٦] ك: جدا.

[١٧] ك: بجد.

ولأنه أوجب على الإماء نصف ما أوجب على الحرائر، ولا نصف للنفي، دل أنه ليس بحد ولا يجب ذلك. أو إن كان فهو حبس، وفي الحبس[1] نفي؛[2] فيحبس، أو يُنفيان ليُنسِيا ما أصابا، لأن كل من رآهما[3] يذكر فعلهما، فيُنفيان لذلك، لا أنه حد،[4] ولكن[5] ليُنسِيا ذلك ولا يُذكَر.

وقوله أيضا: **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** -إلى قوله تعالى- **فإن تابا وأصلحا،** يخرج على وجهين لو كانت الآيتان في الزنا.أحدهما أن يكون في جميع الإناث الحبس وفي الذكور الإيذاء، ولذلك جمع بين الجميع[6] في الخبر الذي به النسخ فارتفع الحبس والأذى جميعا، وذلك معقول، تأنيب[7] الرجل به أزجر له، وحبس المرأة أقطع لوجوه الزنا.أو أن تكون الآية الأولى في المحصنات على تضمن المحصَنين بالمعنى، والآية الثانية في الذكور على تضمن[8] الإناث بالمعنى، لكن جرى الذكر على ما ظهر من فضل صيانة الأبكار في الإناث،[9] إما تدينا أو حياء [لخوف] الافتضاح أو بما[10] الغالب عليهن الصون من المحارم والحفظ عن قرب الذكور، ليس بشيء[11] من ذلك في الذكور[12] ولا في الثيبات[13] من الناس، على أنه بعيد[14] بلوغ النساء[15] في قلة الحياء إلى أن يُعْلِنَّ[16] حتى يشهده أربع، والغالب عليهن أن لا يخالطن هذا القدر من العدد. ثم الدلالة على دخول الكل قول[17] رسول الله[18] صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ن: وفي الخبر.

[2] ك: نفر.

[3] م: من رآها.

[4] ع: لذلك أنه حد.

[5] ك – لينسيا ما أصابا لأن كل من رآهما يذكر فعلهما فيُنفيان لذلك لا أنه حد ولكن.

[6] ن: من الجميع؛ ع م: جميع من الجميع.

[7] م: تأديب.

[8] ك: تضمين.

[9] ك ن ع: وفي الإناث.

[10] ع: أو بماء.

[11] ك ن: شيء.

[12] ك: في الرجال.

[13] ن: ولا في الثياب.

[14] ع: أنه يعبد.

[15] ك: بلوغ من النساء؛ ن: بلوغ الرجل من النساء.

[16] ع: إلى أن يعلن.

[17] ك ن: قوله.

[18] ك ن – رسول الله.

«خذوا عني خذوا عني![1] قد جعل الله لهن سبيلا»،[2] ذكر لهن على ما جرى به الذكر في القرآن، ثم جمع في التفسير بين الكل، ثبت أن الذكر قد تضمن[3] الكل. وذلك يبطل تأويل من يصرف[4] الآية إلى الأبكار / من الإناث والذكور. ومتى يحتمل وجود مثل ذلك بعد النكاح على إثر [١٢٨و] خلوة الأزواج بهن، والاطلاع على ما فيه المَسَبَّةُ[5] الدائمة والعار اللازم له، ثم كشف ذلك لجميع[6] محارمها، ثم خوف الانتشار به ظاهرا؟ وكيف يحتمل في مثل تلك الحال إلى تَمَكُّنِ من ذُكِر بحضرة من ذُكِر دون أن ينضم إلى زوجها؟[7] فتأويل مَن وجّه الآية إلى الأبكار خارج عن المعروف، ثم المروي من السنة،[8] ثم مما أجمع[9] عليه أهل التأويل. حَمَلَ[10] صاحبَه على هذا جهلُه بأن لا يجوز بيان نسخ حكمٍ بيّنه الكتاب بالسنة،[11] وتحكّمُ[12] على الله تعالى وعلى رسوله بحجر هذا النوع.[13]

وقوله عز وجل: **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعةً منكم فإن شهدوا**، الآية؛ ومعلوم أن عقوبة الزُّناة يتولاها الأئمة، فكان الخطاب عليهم خرج،

---

[1] ك م – خذوا عني.
[2] صحيح مسلم، الحدود ١٢-١٤.
[3] ن ع م: قد يضمن.
[4] ك ن ع: من تصرف.
[5] ن ع: المسببة.
[6] ن: بجميع.
[7] قال الشارح: «وإنما خص المحصنات الثيبات بالذكر بقوله: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾، وخص الذكور بقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾، وإن كان المراد بالآيتين الكل، لأن وجود الزنا من حيث الغالب يكون من الرجال والثيبات من النساء دون الأبكار منهن، لما في الأبكار من النساء فضل امتناع عن الزنا، إما تدينا، أو حياء لخوف الافتضاح بعد النكاح على إثر خلوة الأزواج بهن واطلاعهم على ذلك، مع ما فيه المسبة الدائمة والعار اللازم، ثم كشف ذلك لجميع محارمها، ثم الظهور والانتشار لجميع الناس» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٢و).
[8] ع: بالسنة.
[9] ع م: ثم أجمع.
[10] جميع النسخ: عمل.
[11] م: والسنة.
[12] ن ع م: ويحكم.
[13] قال الشارح: «ومن أنكر النسخ به فإنما أنكر لجهله بجواز نسخ الكتاب بالسنة. والنسخ هو البيان في الحقيقة. فقد تحكم على الله تعالى في إطلاق رسوله أحد نوعي بيان الكتاب وهو بيان الكتاب بطريق التخصيص، وحجره عن البيان الثاني وهو بطريق النسخ. والتحكم على الله في غاية القبح» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥١ظ).

ثم قد أثبت الفاحشة منهن، ولم يأذن في إقامة عقوبتها حتى يستحضر أربعة فيشهدون بها. فعلى هذا[١] أَنْ ليس للأئمة تولِّي حد الزناة بعلمهم حتى يكون ثَمَّ شهود. وفي ذلك لزوم حق الستر إلى أقصى ما ينتهي إليه من إعلان الفعل[٢] من الزناة، إذ ذلك أمر معلوم فيما يَحِلُّ أن لا يُفعل إلا في أحوال الخلوات التي تُعلَم حقيقةُ[٣] ذلك بالولد يكون. فأما من حيث الكونُ دونه فإنما هو غالب الظن، فالذي لا يحل من ذلك أن يكون بحيث لا تعلم[٤] حقيقته أبدا. يدل على ذلك جميع الأمور التي منها المباح والمحظور؛ إن المحظور منه أبعد من الظهور والعِلم به[٥] من المباح،[٦] فعلى ذلك[٧] أمر هذا.

مع ما أَيَّدَ ما جعل فيه من حد[٨] الرامي[٩] وجهين. أحدهما الزجر عن هتك هذا النوع من السِتر[١٠] حتى جُرِحَتْ[١١] شهادة من رمى بذلك بما هتك ستر الله.

والثاني فُحْشُ الشَّيْنِ[١٢] بفاعل ذلك ولزوم المَسَبَّةِ في صاحب ذلك، وذلك غاية معنى لزوم الشَّيْن. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بسِتر[١٣] الله، فإنه من أبدى[١٤] لنا صَفْحته[١٥] أقمنا عليه حد الله».[١٦]

---

[١] ع: فعلى ذلك.

[٢] ع م: الفعلان.

[٣] ع م: حقيقته.

[٤] ن ع م: لا يعلم.

[٥] ع م: والعلم.

[٦] قال الشارح: «ولأن وقوع هذا الفعل في الأصل يكون على غاية من الستر والخفاء، فإن الحلال منه لا يفعل إلا في أحوال الخلوات، بحيث لا يوقف عليه إلا بأثره، وهو حصول الولد، أو من حيث ظاهر الحال وغالب الظن، فأما وجود عين ذلك الفعل فمما لا يظهر لغيرهما يقينا، هذا هو المعتاد في الحلال منه، فالحرام منه أحق أن يكون بحيث لا يعلم حقيقته أبدا» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥١ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٢ظ).

[٧] ن: فعلى هذا.

[٨] ن ع م: من هذا.

[٩] م: الرمي. وحد الرامي: أي حد القاذف.

[١٠] ك: من السير.

[١١] ك: حتى جرحت؛ ن ع م: حتى خرجت. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥١ظ.

[١٢] م: الشئن.

[١٣] ك: يستره.

[١٤] ع: من أبد.

[١٥] ن: صفحة.

[١٦] *الموطأ* لمالك، الحدود ٢؛ و*المستدرك* للحاكم، ٤/٤٢٥.

فإذا بلغ العمل الذي حده ما ذكرت من العقوبة[1] من نهاية السَتر النهايةَ من الإعلان، حتى ظهر ذلك[2] للجماعة،[3] يفعل من يَشينه[4] فعلُه ما ذكرت، استحق ما ذكرت[5] من العقوبة -بجرأته[6] على ذلك [هو] مَحلّه وبقلة حيائه[7] حيث أظهر الذي حقه ذلك[8] الستر- عقوبةَ ذلك الفعل، فألزم من إليه ذلك[9] القيامَ به لله.[10]

ثم جعل الله في ذلك الفعل[11] عقوبات مختلفة، على اختلاف أوقات[12] الفعل وأهله، على ما علم من مصلحة الخلق بها، وزجرهم وتكفيرهم بها.

ثم إن الله سبحانه وتعالى جعل أول عقوبة الزنا في نوع من الخلق في [ابتداء] الإسلام الحبس في البيوت،[13] فهو -والله أعلم- يخرج على أوجه. أحدها أنه كان الزنا في الابتداء في نوع من الخلق[14] ظاهرا يكتسبون به عرض الدنيا، وذلك[15] في الإماء، حتى قال الله سبحانه وتعالى: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ،[16] الآية، وحتى كانوا يَدّعُونَ الأنساب في أولاد الزنا من الإماء، وحتى[17] بلغ من ظهور ذلك إلى أن يُمَازَح به الحرائر في الطرق،

---

[1] ك ن - من العقوبة.
[2] م ن + ذلك.
[3] ع م: الجماعة.
[4] ن: من يشبه.
[5] ن + من نهاية الستر النهاية من الإعلان.
[6] ن: بجراءته.
[7] ن: حياته.
[8] جميع النسخ: ذلك حقه.
[9] م - ذلك.
[10] أي ألزم الإمام الذي هو مأمور بإقامة عقوبة الزنا.
[11] ن ع م - الفعل.
[12] ك + أوقات.
[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «فجعل أول عقوبة الزنا في نوع من احتق الحبس في البيوت في ابتداء الإسلام والإيذاء باللسان في نوع ثم الجلد في نوع، والرجم في نوع، ولم يشرع في الابتداء ما هو نهاية في العقوبة، وإنما كان شرع على هذه المراتب» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥١ظ).
[14] ع م - في ابتداء الإسلام الحبس في البيوت فهو والله أعلم يخرج على أوجه أحدها أنه كان الزنا في الابتداء في نوع من الخلق.
[15] جميع النسخ: وفي ذلك. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥١ظ.
[16] ﴿ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تَحَصُّنًا لتبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٣).
[17] م: حتى.

تَعَامِيًا عن حالهن،[1] فنزل قوله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.[2] وإذا كان[3] هذا حالهم في ذلك الوقت غلب[4] عليهم خوف مواقعة الزنا، وكذلك على الحرائر،[5] لكثرة ما يُرَيْن[6] أو يُسْمَعن، وذلك معنى يبعث من شَرِهَتْ نفسه وقل[7] تفكره في أمر عاقبته مما ينزل به أو يشينه. وقد رُكِّبَتْ هذه الشهوة في كل البشر، فخفف الله عقوبته في الابتداء أن جعل في الحبس والإمساك في البيوت. ثم صار ذلك إلى الضرب لما أن تَحَرَّجَ[8] الناس وعَظُمَ ذلك في أعينهم، وجعل في الشتم به الحدَّ ليعرفوا عِظَمَ[9] موقعه عند الله، وانتهوا عن فعله. وقد جعل في ذلك في بعض الأحوال الرجم،[10] وهي الحال التي يزول فيها كل وجوه العذر ويرتفع جميع معاني الشُّبَهِ، لِعِظَمِ[11] أمره.

والثاني أن السبب الباعث على ذلك قرب بعض ببعض ومخالطة بعض ببعض[12] على عِظَمِ الشهوة، فغلب عليهم الأمر واسْتَعْدَتْهُمُ الشهوة حتى واقعوا[13] ذلك. ثم في الحبس وجهان. أحدهما الكف عن المعنى الذي يدعو[14] إليه من الاختلاط[15] وتلاقي الأبصار.

---

[1] ن: من حالهن.

[2] سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣. أخرج الطبري عن أبي صالح قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل. فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن. وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل. فأنزل الله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن﴾، يقنعن بالحباب حتى تعرف الأمة من الحرة. وهناك روايات أخرى قريبة المعنى. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٦/٢٢؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٦٥٩/٦.

[3] ع م: وإن كان.

[4] ع م – غلب.

[5] ك: وذلك الحرائر.

[6] ن ع م: ما يدين.

[7] ع: وقبة؛ م: وقلت.

[8] ن: لما أن تحرج؛ ع: لما أن تخرج.

[9] ك: عظيم.

[10] ع: الرحم.

[11] ك: لعظيم.

[12] ك: لبعض.

[13] ع: حتى وقعوا.

[14] ك ع: يدعوا.

[15] ك: من الاحتلاف.

والثاني ما فيه من فضل ضَجَرٍ وتضييق الحال، إذ جعل ذلك إلى الموت، فيكون في ذلك عقوبةٌ من حيث الضَّجَر ومعونةٌ على الكف عنه بالحبس حتى لا يقع بصر دكر على أنثى وأنثى على ذكر.

والثالث أن يكون في الحبس ترغيب الأرحام في الحفظ وإلزام القرابة بعض ما[١] يزجر عن تضييع حقوق الرحم[٢] ويدعو[٣] إلى القيام بالكفاية، إذ ضيق على الفاعل ذلك، وذلك يوجب قبل المواقعة[٤] الاستعلام عن الأحوال والجهد في الحفظ، إذ في ذلك بعض عقوبة أهل الاتصال من تكليف الإمساك[٥] والقيام بالكفاية، فيكون أبلغ في العفاف وأقرب إلى الصلاح، وعلى مثل ذلك جعل أمر المَعَاقِل[٦] ليقوم أهل الصلاح في كل[٧] قبيلة في كف أهل الفساد عن الفساد.[٨] ***والله أعلم.***

ثم لما انقطعت العادة[٩] وقام الناس بالتعاهد، وتفرق الفريقان[١٠] حتى لا يؤذن بالاجتماع إلا أن يكون ثَمَّ من جُبِلَ على الإياس من ذلك، / وأُنْشِئَ[١١] على قطع الشهوة فيهن،[١٢] فجُعِلَ في ذلك حد، وجَعَلَ في ذلك[١٣] لهن سبيلا. وذلك -والله أعلم- يخرج على أوجه. يجب التأمل في الوجه الذي سُمِّيَ ما نُسِخَ به اللازمُ في ذلك، وذُكِر فيما ذُكِر حدٌّ مرة ورجمٌ ثانيا. ومعلوم أن المجعول له السبيل من الرجم[١٤] والحد أشد عليهم من الحبس، وقد روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١٥] «خذوا عني خذوا عني! قد جعل الله لهن سبيلا، [١٢٨ظ]

---

[١] ن ع م: بعدما.
[٢] ع م: الرجم.
[٣] ك ع م: ويدعوا.
[٤] ن: الموافقة.
[٥] أي من كونهم مكلفين بالإمساك.
[٦] جمع مَعْقُلَة، وهي الدية التي تؤديها عصبة القاتل (*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»).
[٧] ن + في كل.
[٨] ن ع م – عن الفساد.
[٩] ن: العبادة. والمقصود بالعادة عادة الجاهلية.
[١٠] أي الرجال والنساء.
[١١] ع م: وأنشى.
[١٢] ك: فهين.
[١٣] ع م: حد وفي ذلك.
[١٤] جميع النسخ: السبيل والرجم.
[١٥] ع م – أنه قال.

البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب يجلد ويرجم».[1] فهو -والله أعلم-[2] أنه[3] بهذه الشريعة خلّى سبيلهن، لا أن أوجب على المحبوسات إقامة ذلك بما قد حبس بالزنا، ولكن في هذا تخلية السبيل- على أهن إذا زنين فُعل بهن ذلك[4]- على رفع الحبس عنهن إذا حُبسن[5] بما لم يُبَيَّنْ حد ذلك، فإذا بين زال ذلك، ولا حد حتى يكون منها ذلك، فالسبيل المجعول لهن تخلية السبيل، ثم بين الحكم في الحادث.[6]

ووجه آخر أن السبيل في الحقيقة مجعول لمن كُلِّفَ إمساكَهن، وإن أضيف إليهن بما فيهن ضيّق عليهم الأمر، وذلك كقوله تعالى: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[7] والإماء لا يؤتَين[8] الأجر، لكن بما [اتصل] بمعنى فيهن ذُكر الأجر فأضيف إليهن؛ وعلى نحو ما أضيف أهل القرى إلى القرى بالتسمية، فأخرجت على تسمية القرى، وإذا كان المراد أهل ذلك في حق تسمية[9] الأهل التذكيرُ، والقرية[10] التأنيث؛[11] فكأنه جعل للمأمورين بالإمساك سبيلا في أن يقيموا الحد ويزول عنهم مؤنة[12] الإمساك والقيام بالكفاية.[13]

---

[1] صحيح مسلم، الحدود ١٢-١٤. قال الشارح: «فإن قيل: إن الله تعالى قال: ﴿فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾، أخبر أن الحبس مشروع إلى أن يجعل لهن سبيلا. ثم أخبر صاحب الشرع مبينا للسبيل بقوله: "خذوا عني خذوا عني! قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب يجلد ويرجم". ولا شك أن الذي جعل له السبيل يكون أمره أيسر وأهون من الذي لم يجعل له السبيل. ثم الذي سمّى سبيلا الذي نَسخ به الحبس والإيذاء وهو الجلد والرجم أشد عليهم من الحبس والإيذاء. فكيف يكون هذا؟» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٢و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٣و).

[2] ع - أعلم.

[3] جميع النسخ: أن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٢و.

[4] ن - ذلك.

[5] ع م: إذا حبس.

[6] قال الشارح موضحا: «لا يراد بالسبيل إقامة الجلد والرجم، وإنما يراد به تخلية المحبوسات بسبب الزنا... فيكون الجلد والرجم مشروعا في حق من وجد منه الزنا في المستقبل» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٢و).

[7] سورة النساء، ٢٥/٤.

[8] ن ع م: لا يأتين.

[9] ع م: في تسمية.

[10] ك: والقربة؛ م + والقرية.

[11] يشير إلى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ (سورة يوسف، ٨٢/١٢).

[12] ك: مؤونة.

[13] قال الشارح: «والإماء لا يؤتين الأجر والمهر، وإنما يؤتى الموالي، ولكن لما كان سبب إيتاء المهر هو وطء الإماء أضيف إليهن. وكقوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ (سورة يوسف، ٨٢/١٢)، أي أهل القرية لكونهم ساكنيها. وحق تسمية الأهل التذكير، ومع ذلك ذكر بلفظ التأنيث بقوله: ﴿التي كنا فيها﴾، بناء على ظاهر اللفظ. =

والثالث أن يكون في طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين المحبوس والشهوات كلها، وقطع بينه وبين الأحباب؛ وتحمل مثله بمرة أيسر على النفس، وأهون من دوام الذل والقهر. ثم لا مَخْلَصَ عن ذلك إلا بما في الأول يكون بمرة،[1] فلذلك سمى [لهذا الناسخ][2] –والله أعلم– ذلك سبيلا لهن.

ثم دل الخبر الذي[3] ذكرت على أمرين. أحدهما أن الحبس وإن كان مذكورا في النساء خاصة فهو في جميع الزناة، لأنه قال رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني خذوا عني! قد جعل الله لهن سبيلا».[5] ثم ذكر ما به جعل لهن السبيل في الذكور والإناث، في المحصَنين[6] وغيرهم جميعا، ليعلم أن الحكم يجمع الكل، وإن كان الذكر فيهن. وذلك كما ذكر حد[7] المماليك في الإماء، وحدَّ الرماة[8] في قذف المحصنات،[9] والحكم يجمع الذكر والأنثى من حيث اتفاق المعنى الذي له جعل، فمثله فيما نحن فيه.

والثاني بيان نسخ المذكور من الحكم في الكتاب بالسنة؛ وذلك لوجهين. أحدهما أنه لم يوجد على الترتيب الذي ذكر في القرآن، مع ما ذكر تخلية السبيل، وليس بمذكور في شيء من القرآن، ثبت أن ذلك كان بوحي[10] غير القرآن. والثاني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «خذوا عني خذوا عني!»، ثم أخبر عن جعل الله لهن السبيل، فدل قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني خذوا عني!» [على] أنه بيان جعل الله عنه،[11] وهكذا معنى النسخ،

= فكذلك هاهنا ذكر بلفظ التأنيث وهو قوله: ﴿لهن سبيلا﴾، بناء على ظاهر اللفظ وإن كان المراد: لكم سبيلا. لأنه كأنه جعل للمأمورين بالإمساك في البيوت سبيلا في أن تزول عنهم بسبب شرع الجلد والرجم مؤنة الإمساك والقيام بالكفاية» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٢و).

[1] ن ع م: ثمرة.

[2] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥٢ظ.

[3] ن – الذي.

[4] ك ن – رسول الله.

[5] صحيح *مسلم*، الحدود ١٢-١٤.

[6] ك ن: وفي المحصنين.

[7] ن: حد.

[8] جميع النسخ: الزناة.

[9] يقول الله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصَنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور، ٢٤/٤).

[10] ك ع: يوحى.

[11] ك ن ع: أنه عنه بيان جعل الله.

فإنه بين[1] جعل الله مدة حكم الأول مما يحدث فيه الحكم [الآخر]. وليس لقول[2] من يقول: في هذا في القرآن وعد بقوله عز وجل: **أو يجعلَ الله لهن سبيلا**، معنى، لأن كل شيء في حكم الله أنه ينسخه فالوعد[3] في حكمه قائم، إلا أن يقول قائل: لا يُصَدِّقُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم ببيان[4] وعد الحكم، وإنما يُصَدِّقُ ببيان وعد الشرط، فيحتاج أن يُحْدِثَ منه إيمانا. *والله الموفق*. مع ما إذا جاز أن يُعَدَّ[5] النسخ المذكور في القرآن حقيقةً[6] لا فيه يجوز أن ينسخ[7] المذكور حقيقته لا فيه.[8] وبعد فإن من يقول هذا بَعَثه عليه جهلُه بمعنى النسخ أنه البيان عن منتهى حكم المذكور من الوقت، ولا ريب أن لرسول الله[9] صلى الله عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع، فمثله الوقت.

ثم إذ كان هذا أولَ عقوبة في الإسلام، فثبت به نسخ الحكم بالتوراة، والعملُ إذًا كان فيها الرجم. وقد ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما رجم بحكم التوراة وقال: «أنا أول من أحيا سنة أماتوها».[10] وإذا ثبت أن ذلك حكم التوراة ثم ثبت نسخ حكمه

---

[1] جميع النسخ: أن بيان. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥٢ظ.

[2] جميع النسخ: قول.

[3] ع: فالواعد.

[4] ع: لبيان.

[5] م: أن بعد.

[6] ع: حقيقته.

[7] ك: لنسخ.

[8] قال السمرقندي: «كل شيء في حكم الله تعالى أنه ينسخه فوعد النسخ من الله تعالى قائم من حيث الدلالة. لأن الله تعالى لا ينسخ حكما ثبت مؤبدا، وإنما ينسخ حكما مؤقتا. لكن التأقيت قد يكون صريحا مشروطا، وقد يكون بطريق الدلالة. يعرف ذلك بورود النسخ. إلا أن يقول قائل: لا نصدق الرسول ببيان وعد الله تعالى المعلوم له من حيث الوحي الذي ليس بمتلو، وإنما نصدقه في بيان وعد عمه بوحي متلو صريحا. ومن اعتقد [هذا] فيحتاج إلى أن يحدث منه إيمانا. نعوذ بالله من قول هذا عقباه. والله الموفق. مع ما لو جاز نسخ حكم في القرآن بما ليس في القرآن وهو السنة وإن كان في القرآن وعد نسخ ذلك الحكم يجب القول بجواز نسخه بالسنة وإن لم يكن في القرآن وعد نسخه، إذ في الحالين نسخ حكم الكتاب بالسنة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٢ظ).

[9] ع: الا الرسول.

[10] عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي مُحَمَّمًا مجلودا. فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم فقال: «أُنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. =

فلا يقام عليهم الرجم إلا بعد البيان، مع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أشرك بالله فليس بمحصن»،[١] وأنه أخبر بالرجم في الزاني[٢] المحصن.[٣]

وقال قوم: عقوبة الحبس في الإناث[٤] خاصة، وأما في الذكور ففيهم الأذى باللسان والتعزير بقوله تعالى: **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما**، الآية، وهذا قريب،[٥] من حيث كانت النساء مكانهن البيوت، وأمكن حفظهن عن الزنا، وتسليمهن إلى الأزواج مرة، والمحارم ثانيا؛ والرجال إذا حبسوا تحولت مؤنهم[٦] إلى غيرهم، فيكون عقوبة فعلهم تلزم غيرهم، والراحة تكون لهم، وأما النساء فمؤنهن في الأصل على[٧] غيرهن، فليس في حبسهن زيادة على غيرهن، فذلك عقوبة لهم. مع ما كان الرجال بحيث يمكن تعييرهم،[٨] وذلك أبلغ ما يزجر العقلاء.

وقد يحتمل أن يكون ذلك في الرجال خاصة،[٩] إذ لا يذكر في عمل قوم لوط العقوبة، وقد علم الله سبحانه وتعالى حاجة[١٠] الناس إلى معرفة عقوبة ذلك، إذ قد جعل الله تعالى في إتيان النساء

---

= فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه». فأمر به فرجم. فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر -إلى قوله- إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥). يقول: ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (سورة المائدة، ٤٤/٥)، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة المائدة، ٤٥/٥)، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة المائدة، ٤٧/٥)، في الكفار كلها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٨٦/٤، ٣٠٠؛ و*صحيح مسلم*، الحدود ٢٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الحدود ١٠؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ٢٦). ومعنى التحميم: تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم، ومحمما: مسود الوجه. انظر: *غريب الحديث* لابن قتيبة، ٥٢٣/١؛ و*غريب الحديث* لابن الجوزي، ٢٤٤/١.

١ روي هذا الحديث مرفوعا وموقوفا وصوب الدارقطني والبيهقي وقفه. انظر: *سنن الدارقطني*، ١٤٧/٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢١٦/٨. وروي موقوفا في *مصنف ابن أبي شيبة*، ١٤٧/٥. وانظر لمزيد من التفصيل: *نصب الراية* لزيلعي؛ ٣٢٧/٣.

٢ جميع النسخ: في القرآن. والتصحيح من الشرح حيث قال: «وإنما خبر الرجم ورد في الزاني المحصن» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٢ظ).

٣ ع: المحسن؛ م: لمحصن.

٤ م: في الأناس.

٥ م: أقرب.

٦ ك: مؤنتهم؛ ع: موهم.

٧ ع - على.

٨ ل: تعييرهم؛ ع: يعيرهم.

٩ م - خاصة.

١٠ ع: حاصة.

[١٢٩و] حقوقا وحرمات وأحكاما ليست في إتيان الذكور، عرف الخلائق تلك، / فلم يحتمل أن يترك[١] ذكر عقوبة[٢] للذكور في الزنا بعد أن فرق أحكام الأمرين، فيشبه أن يكون الآية على ذلك. وأيد ذلك عز وجل أنه سبحانه وتعالى قال: **فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما**، ولم يذكر في ذلك جعل السبيل، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في كل أقسام الزنا، ثبت أن ذلك فيما ذكر.[٣] فتكون عقوبة الأولى في ذلك أخف من الحد، فكذلك عقوبة الثانية، مع ما يكون فيما يؤذيان بتفريق، وهو تعزير، وذلك هو الباقي أبدا إذا لم يظهر معنى النسخ. وأيد الذي ذكرت استواء الذكور والإناث في جميع عقوبات الزنا في قديم الدهر وحديثه من حدود المماليك والأحرار والثيبات والأبكار، فعلى ذلك أمر تأويل الآية.

والنفي المذكور في الخبر يحتمل وجوها. أحدها ما ذهب إليه الخصوم من جعله عقوبة، وأنه النفي من البلد. لكن الحدود إذ جُعِلَتْ[٤] كفارات قد جُعِلْنَ زواجر، وفي الزنا بخاصة، إذ أُمِرَ[٥] فيه بالحبس [و]أُرِيدَ [به] قطعُ السبيل إليه، وفي الإشخاص[٦] والإخراج من البلدان تمكين،[٧] وذلك بعيد. *والله أعلم*. فعلى ذلك لو كان عقوبةً فهو على الحبس، فيُنفَى عن وجوه الاجتماع على ما كان من قبل، فينفي ذلك العذر[٨] منه لظهور خشوع التوبة.

وقد يحتمل أن يراد بالنفي قطع الذِّكْر ورفع المسبة، فينفى لينسى[٩] ذلك، فلا يعير[١٠] بذلك. وكذلك في الإماء، لا في الكفرة،[١١] إذ ما فيهم[١٢] من الذل أعظم، مع ما لا يجب بسبب[١٣] من ذكرت حد، ليعلم عظيم موقع ذلك في الأحرار. ولو كان على العقوبة

---

[١] ن ع م: أن ينزل.
[٢] ك ن: عقوبته.
[٣] ك ن: ذكرت.
[٤] ع م: إذا جعلت.
[٥] م: إذا أمر.
[٦] أي الإلحاق إلى أناس أخر.
[٧] ع: يمكن.
[٨] أي لا يبقى له عذر من حيث انقطاعه عن الاجتماع بأهل الفسق.
[٩] ع: لنسى.
[١٠] ك: فلأنه يعير.
[١١] ك: ولا في الكفر؛ ن ع: ولا في الكفرة.
[١٢] ك: ما فهم.
[١٣] ن ع م: نسب.

فهو منسوخ بما جرت السنة في الإماء بحدهن من[1] غير ذكر[2] الحبس، وقد قال[3] الله سبحانه تعالى: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ.[4] والمذكور في الثيب يحتمل: يجلد في حال ويرجم في حال، إذ لا[5] كل ثيب يجلد،[6] وإن كان ثم نسخ بما ذكر من خبر ماعز وغيره.

وقوله عز وجل: **فآذوهما**؛ قيل: فآذوهما[7] بالحد، وقيل: فآذوهما بالتعيير، **فإن تابا وأصلحا**، كُفُّوا[8] عن ذلك. وقيل: [**فآذوهما:**] سُبُّوهما، لكن ذا قبيح، والتعيير أقرب.

**﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٧] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**؛ يحتمل[9] قوله: **إنما التوبة على الله للذين** كذا، أي توفيق التوبة وهدايته[10] على الله سبحانه وتعالى إذا كانت نفسه[11] ترغب فيها وتميل إليها، على الله أن[12] يوفقه[13] على ذلك إذا علم الله منه أنه يتوب. ويحتمل قوله: **إنما التوبة على الله** سبحانه، أي قبول التوبة على الله سبحانه إذا تاب ورجع عما كان فيه وارتكبه.

وفي قوله أيضا: **إنما التوبة على الله** لمن ذُكر، يحتمل قبولها، بمعنى أن الذي لا يُسَوِّفُ التوبة ولا ينتظر بها وقت المنع عن ركوب ما عنه يتوب والإياسَ من إمكان العود إلى ما عنه يتوب،[14]

---

[1] ن – من.
[2] ع: ذلك.
[3] ن ع م: وقال.
[4] سورة النساء، ٤/٢٥.
[5] ع: إذا لا.
[6] جميع النسخ: تجلد.
[7] ك ن – قيل فآذوهما.
[8] م: كفرا.
[9] ع – يحتمل.
[10] ع: وهداية.
[11] أي نفس المذنب.
[12] ع م – أن.
[13] ن: يوفقها.
[14] ع م + الله.

فالله يقبلها إذا كان ذلك دَأبه[1] وعادته، وإن بلغ هو[2] ذلك الضيق بأمر[3] دُفِع إليه. أو كان يتوب من قريب من الذنب، بأن لا يستخف به فيترك الرجوع لقلة مبالاته[4] به؛ فلا يقبلها ممن هذا وصف توبته[5] وحال استخفافه بالذنب.[6] والثاني أن يكون توفيق التوبة والهدايةُ إليه ممن يُفْزِعُه ذنبُه[7] ويبعثه[8] على الرجوع إلى الله والتعرضِ لرحمته وإحسانه. ولا يوفق من لا يبالي بالذي يُذْكَرُ ولا يتضرع إليه.

وقيل: الأول في الصغائر، والثاني في الكبائر، والثالث في الكفر؛[9] بأن صاحب الصغيرة أرقّ[10] قلبا وأحصّ ذكرا له ورجوعا إلى ربه؛ وصاحب الكبيرة أقسى قلبا من الأول وأظلم، فهو لا يندم إلا بعد شدة وبعد طول المحنة وضيق القلب.[11] فليس على الله قبول توبةِ مَن يتوب في تلك الحال، ولا توبةِ من بَانَ منه ما يَأْمَلُه بالذي عليه قبول ذلك،[12] ولكن بفضله ورحمته[13]

---

[1] ن ع: دابة.

[2] م – هو.

[3] ع: لأمر.

[4] ع: مبالات.

[5] ع: توبة.

[6] قال السمرقندي: «يعني أن الذي لا يسوّف في التوبة ولا ينتظر لتوبة وقت العجز عن ارتكاب ذلك الذنب الذي يتوب عنه ولا يؤخر إلى حال الإياس عن إمكان العود إلى ذلك الفعل الذي عنه يتوب فالله تعالى يقبلها إذا كان ذلك عادته ودأبه. أعني أنه يتوب عن قريب في كل معصية وقع فيها وإن وقع في حال الإياس وبلغ ذلك الوقت الذي يعجز عن إتيان ذلك الفعل. لأن من عادته الرجوع إلى الله تعالى في كل ذنب ارتكبه لعظيم ما عنده من المعصية التي وقع فيها لأمر دفع إليه طبيعة، وكان امتناعه عن التوبة حتى بلغ هذه الحال لا يكون إلا لمانع تحقق في حقه طبعا. فإذا تاب في هذه الحالة تفضل الله تعالى عليه بقبول توبته. فأما إذا كان من عادته الاستخفاف بالذنب والاصرار عليه وكان لا يتوب عن قريب وسوّف حتى بلغ مبلغا يعجز عن العود إلى مثل ذلك الذنب فالله تعالى لا يقبل توبة مثله لا محالة بحكم الوعد بل إن شاء أن لا يقبلها. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٤و).

[7] ع م: ذنب.

[8] ن: ويبعث.

[9] الأول قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾، والثاني ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾، والثالث ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.

[10] ع: رق.

[11] جميع النسخ + مثل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.

[12] أي ليس واجبا على الله قبول توبته كما تقول المعتزلة، بل ذلك من فضل الله ورحمته.

[13] ع م: وبرحمته.

يقبل ويوفق له بما كان منه من الخيرات والحسنات التي هن أسباب التقريب إلى الله سبحانه وتعالى. و[أما من][١] الكافر لا يقبلها [أصلا]،[٢] إذ هو لا[٣] يتوب حتى يموت فيستيقنَ بالعذاب. *والله أعلم.*

ويحتمل أن تكون[٤] هذه الآخرة[٥] في الكفار،[٦] فيكون فيهم من يظهر التوبة عند الضرورة والدفع إلى الحال التي يزول عنه وسع الإمكان، وييأس[٧] من الإمهال، ليصل إلى ما له كان[٨] يذنب. فالله لا يقبل توبته،[٩] إذ ليست في الحقيقة توبة[١٠] مُمَكَّن، بل توبة مضطر، أو توبة[١١] دفع ما حلّ به، إذ هو وقت يشغل عن الاستدلال[١٢] وعن الوقوف على الأسباب من جهة التأمل والنظر، ولا يرى غير الذي أقبل عليه، يظن أن له الخلاص بالذي يبدل. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يعملون السوء بجهالة**؛ هذا أيضا يحتمل وجهين. يحتمل جهل الفعل، فيقع فيه من غير قصد، ويحتمل قصد الفعل والجهلَ بموقع الفعل.[١٣] والعمل بجهالة يخرج على وجوه. يكون عن غَلَبَةٍ تغلب عليه شهوته، فيعمل ذلك العمل على طمع منه أنه سيتوب من بعد ويصير رجلا صالحا، على ما فعل إخوة يوسف حيث قالوا: أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ،[١٤] ثم سماهم جَهَلَةً كذلك[١٥] في آية أخرى

---

١ من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.
٢ من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.
٣ ع: إذ هؤلاء.
٤ م: يكون.
٥ ك ع: الاحرة؛ ن م: الأجرة. والتصحيح من نسخة سيم أغا، ورقة ١١٧ظ.
٦ أي قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعمون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾.
٧ ن: ويايس؛ ع م: ويائس.
٨ ك: إلى ما كان له.
٩ م: توبة.
١٠ م: توبته.
١١ ع م: وتوبة.
١٢ ع: الاستدال.
١٣ زاد الشارح: «أنه حرام أو في الحرمة بأي قدر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ).
١٤ يقول الله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (سورة يوسف، ٩/١٢).
١٥ جميع النسخ: بذلك.

حيث قال فيهم:[1] هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ.[2] ويحتمل العمل
[١٢٩ظ] / بالجهالة هو أن يعمل على طمع المغفرة ويَتَّكِلَ على رحمة الله وكرمه.[3] ويحتمل العمل بالجهالة[4] جهالة عقوبة عمله على ذلك.

وكذلك الخطأ[5] والنسيان على وجهين. خطأ[6] الفعل، وهو الذي ليس بصواب ولا رشد، وخطأ[7] القصد عَمْد الفعل، وهو الذي قصد أحدا [في الرمي] فأصاب غيره. والنسيان على وجهين أيضا. نسيان ترك، وهو الذي[8] يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى،[9] [ونسيان غفلة وسهو، وهذا مما لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى بوجه.][10] *والله أعلم*. والأصل في الشيء[11] المنسي أنه متروك، فسمي المتروك من الرحمة والكرامة منسيًّا،[12] فتجوز[13] الإضافة إلى الله تعالى[14] من هذا الوجه.

وقيل:[15] نزل قوله: **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**، الآية، في المؤمنين، وقوله: **وليست التوبة للذين يعملون السيئات**، إلى آخر الآية، في الكافرين.[16] وقيل:[17]

[1] جميع النسخ: لهم.
[2] سورة يوسف، ٨٩/١٢.
[3] ع – ويحتمل العمل بالجهالة هو أن يعمل على طمع المغفرة ويتكل على رحمة الله وكرمه.
[4] ع: بجهالة؛ م – هو أن يعمل على طمع المغفرة ويتكل على رحمة الله وكرمه ويحتمل العمل بالجهالة.
[5] ع م: الخطاء.
[6] ك ن ع: الخطاء.
[7] ك ن ع: الخطاء.
[8] ع + وهو الذي.
[9] ك ن + بحال كذلك الجهالة.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.
[11] ك + في الشيء.
[12] ن – منسيا. لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ (سورة السجدة، ١٤/٣٢). وانظر أيضا: سورة الأعراف، ٥١/٧؛ وسورة التوبة، ٦٧/٩؛ وسورة طه، ١٢٦/٢٠؛ وسورة الجاثية، ٣٤/٤٥.
[13] ن: فيجوز.
[14] ع م – والله أعلم والأصل في الشيء المنسي أنه متروك فسمي المتروك من الرحمة والكرامة منسيا فتجوز الإضافة إلى الله تعالى.
[15] ع م: قيل.
[16] ن: الكفار.
[17] ع: قيل.

إنهما جميعا في المؤمنين، والثالثة في الكفار. وقيل: إن الأولى في المؤمنين، والثانية في المنافقين، والثالثة في الكفار.

وعن عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه قال: «إن الله تعالى يقبل توبة[2] العبد ما لم يُغَرْغِرْ».[3] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تاب قبل[4] أن يُغَرْغِرَ نفسه ويعاينَ الملائكة قبل الله توبته».[5] والأصل في هذا أن توبة الكافر تقبل[6] إذا كانت[7] توبته توبة اختيار. وأما إذا كانت توبته توبة اضطرار ودفع فإنها لا تقبل أبدا، كقوله: لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[8] إذا كان إيمانه إيمان دفع واضطرار عند معاينة العذاب فإنه لا يقبل أبدا. وهو أيضا كإيمان فرعون حيث قال الله:[9] حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[10] الآية،[11] لم يقبل إيمانه، لأنه[12] إيمان دفع واضطرار. فعلى ذلك[13] كل إيمان كان[14] إيمان[15] دفع واضطرار فإنه لا يقبل أبدا؛ وكقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.[16]

---

[1] ك ن ع – بن الخطاب.
[2] ع: التوبة.
[3] هو بهذا اللفظ حديث مرفوع في سنن *ابن ماجة*، الزهد ٣٠؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ١٠٣؛ وصحيح *ابن حبان*، ٣٩٥/٢؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢٨٦/٤. والغرغرة تردد الروح في الحلق (*لسان العرب* لابن منظور، «غرر»).
[4] ك: قبل.
[5] لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي: «من تاب قبل أن يغرغر نفسه قبل الله منه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٢/٥).
[6] ن م – تقبل.
[7] ك ع م: كان.
[8] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).
[9] ك ع م – الله.
[10] سورة يونس، ٩٠/١٠.
[11] ن – الآية.
[12] ع: لأن.
[13] ك + كان.
[14] ك + دفع.
[15] م – كان إيمان.
[16] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة غافر، ٨٤/٤٠–٨٥).

وقيل: قوله: **إني تبت الآن**، توبة تشريط، فلم تقبل لأنه لم يقطع القول فيه قطعا.

وقيل في قوله[1] عز وجل: **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**، هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت، أخبر أنه لا يَقبل توبتهم، لأنهم يتوبون توبة دفع واضطرار.

وقوله عز وجل: **ولا الذين يموتون وهم كفار**؛ لا تقبل توبتهم،[2] لأنهم يتوبون في الآخرة دَفْعَ العذاب عن أنفسهم، كقوله تعالى: مَا أَشْرَكْنَا،[3] ومَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[4]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**؛ قال بعضهم: كان يجوز لهم أن يرثوا[5] النساء طوعا، لأنه إنما نهى أن يرثوهن[6] كَرها، فكان فيه دليلُ جواز وراثتهن[7] طوعا.

وأما عندنا فإنه ليس فيه دليل جواز وراثتهن طوعا، وإن كان النهي إنما كان في حال الكَره؛[8] لأن الأصل عندنا أن ليس في حظر[9] الحكم في حالٍ دليلُ إباحتِه في حالٍ أخرى، ولا في إباحته في حالٍ دليلُ حظرِه[10] في حالةٍ أخرى، ولا في حِلِّهِ في حالٍ دليلُ حرمتِه في حالٍ أخرى،

---

[1] ع – قوله: إني تبت الآن توبة تشريط فلم تقبل لأنه لم يقطع القول فيه قطعا وقيل في قوله؛ م – وقيل: قوله: إني تبت الآن توبة تشريط فلم تقبل لأنه لم يقطع القول فيه قطعا وقيل في قوله؛ + وقال.

[2] ع م – لأنهم يتوبون توبة دفع واضطرار وقوله عز وجل ولا الذين يموتون وهم كفار لا تقبل توبتهم.

[3] كذا في جميع النسخ حتى في شرح *التأويلات*. ولعله سبق قلم، لأن الآية لا تتعلق بالمسألة المذكورة. يقول الله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (سورة الأنعام، ١٤٨/٦).

[4] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٢/٦-٢٣).

[5] ن: ترثوا.

[6] ن: ترثوهن.

[7] م: وراثهن.

[8] ع: الكرة.

[9] ن م: حطر.

[10] م: خطره.

ولا في حرمته في حالٍ[1] دليلُ حِلِّهِ في حالٍ أخرى. دليلُ ذلك قوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[2] ليس على أنَّ لهم أن يقتلوا إذا لم يخشوا الإملاق؛[3] وقوله عز وجل: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ،[4] ليس فيه أنه لا يحل له إذا لم يؤتِ أجورهن؛[5] وقوله:[6] فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.[7]

والقصة في الآية[8] ما قيل: إن الرجل إذا مات[9] وترك[10] امرأة كان أولياؤه أحقَّ بامرأته من ولي نفسها، إن شاءوا تزوجوها،[11] وإن[12] شاءوا زوجوها[13] وإن شاءوا لم يُزوجوها[14] فنزلت الآية في ذلك.[15] وقيل: كانوا أيضا[16] في أول الإسلام، إذا مات الرجل أقبل أقرب الناس منه فيلقي على امرأته ثوبا، فيرثُ[17] نكاحها[18] طوعا وكرها، فنزلت الآية[19] في ذلك.[20] والآية عندنا خرجت مخرج[21] بيان التحريم على ما كانوا يفعلون. دليل ذلك قوله تعالى:

---

[1] ن – دليل حظره في حالة أخرى ولا في حله في حال دليل حرمته في حال أخرى ولا في حرمته في حال.
[2] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[3] الإملاق هو الافتقار (*لسان العرب* لابن منظور، «ملق»).
[4] سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣.
[5] ن م – ليس فيه أنه لا يحل له إذا لم يؤت أجورهن.
[6] ن ع م: ولقوله.
[7] سورة النساء، ٣/٤.
[8] ن – في الآية.
[9] م – مات.
[10] م: ترك.
[11] م – إن شاءوا تزوجوها.
[12] م: إن.
[13] ع – وإن شاءوا زوجوها.
[14] ك ن ع: يتزوجوها.
[15] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾؛ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك (*صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٦/٤).
[16] ن ع م: أيضا كانوا.
[17] ك: خيرت؛ ن: صرت؛ ع: حرت؛ م: حدث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.
[18] ع: نكاحا.
[19] ن – الآية.
[20] *تفسير الطبري*، ٣٠٦/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٦٢/٢.
[21] ن: يخرج.

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ.[١] نَهى الأبناء أن ينكحوا[٢] ما نكح آباؤهم من النساء؛ فدل أن النهي كان في الحالين[٣] جميعا في حال الكره والرضا. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**، الآية، تحتمل[٤] حرمة وراثتهن أبدا وإن ذكره كرها، لأوجه. أحدها أن ليس في ذكر الحرمة في وجهٍ أو ذِكرُ الحكم في حالٍ[٥] دلالةُ[٦] تخصيص الحال، كقوله سبحانه وتعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[٧] وقوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً،[٨] وقوله عز وجل: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ،[٩] أنهن يَحْلُلْنَ وإن لم يُؤتَيْنَ[١٠] أجورَهن. وإذا لم يَصِرْ ذلك شرطا صار كأنه قال الله[١١] عز وجل: لا يحل لكم أن ترثوا النساء.[١٢] ***والله أعلم***.

والثاني أن تكون[١٣] الوراثة[١٤] أبدا تكون[١٥] كرها، ويجب[١٦] الميراث، شاء الوارث أو لا، وشاء المورث[١٧] أو لا. وإذا[١٨] كان هذا وجهَ الوراثة فذكره ذلك وغير ذكره سواء.

والثالث أنهم كانوا يتوارثون النكاح، وهو أمر لا يحتمل الانقسام ولا يحتمل[١٩] الاشتراك

---

[١] سورة النساء، ٢٢/٤.
[٢] ع م: تنكحوا.
[٣] ع م: الحال.
[٤] ن ع م: يحتمل.
[٥] ع م – في حال.
[٦] ن – دلالة.
[٧] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[٨] سورة النساء، ٣/٤.
[٩] سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣.
[١٠] ن: يأتين.
[١١] ك ن – الله.
[١٢] جميع النسخ + كرها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤و.
[١٣] ع م: يكون.
[١٤] ك + أن تكون الوراثة.
[١٥] ن ع م: يكون.
[١٦] ن ع م: وتجب.
[١٧] ك: الميراث سامريه وله؛ ن: الميراث سأمس من فيه وله؛ ع: الميراث سأمن فيه وله؛ م: الميراث ساء من فيه وله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٣ظ.
[١٨] ك ع م: أولاد إذا.
[١٩] جميع النسخ: ولا عند.

[في] الاستمتاع،[١] فكان ذلك على[٢] تراض منهم لواحد؛ أو أن[٣] يكون فيما كانت الوراثة ترجع[٤] إلى واحد فيكون ذلك له[٥] بحق النكاح لا الميراث. فإذا حرم النكاح في حق من يرث من الذكور وهم الآباء والأبناء بطل[٦] الميراث لو كان يجوز أن يورث.[٧]

ثم دلت هذه الآية في قطع وراثة منافع الأبضاع،[٨] ومِلك الأبضاع أدوم من مِلك الإجارات، فيجب أن يكون قطع الإجارات أولى.[٩]

ودليل آخر على بطلان الوراثة،[١٠] أن المرأة قد ترث[١١] الميراث، فيكونُ [ذلك] وراثة بعض نفسها، فبطل من حيث يراد إثباته.

*فإن قيل: إنما نهى[١٢] عن الوراثة، لأن الولي إذا ورثها ورثت هي نفسها، فيبطل بذلك، فالنهي لذلك. [١٣٠و س١

قيل: لو كان لذلك فالمرأة إذا كانت ممن لا ترث[١٣] عن الزوج، مملوكة، يجيء أن يحل ذلك، إذ لا وراثة ثمة.[١٤] فإذا لم يجز[١٥] دل أنها خرجت على بيان التحريم.[١٦] ***والله أعلم***.* ١٣٠و س٣]

---

[١] ك ع م: الاستماع.

[٢] ع: عن.

[٣] ك – أن.

[٤] ن ع م: يرجع.

[٥] ع م – له.

[٦] جميع النسخ: فبطل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤و.

[٧] قال الشارح: «إنهم كانوا يتوارثون النكاح، أي ثبت لهم حق الإنكاح. وذلك أمر لا يحتمل الإشراك، فإن المرأة الواحدة لا يحتمل أن ينكحها رجال. لما أن استمتاعها لا يحتمل الشركة لما يفوت ما شرع النكاح بسبب الشركة. فكان ذلك يرضون على واحد منهم بأن يتزوجها إن كانوا جماعة. وإن كان الوارث واحدا كان له حق تزوجها. فكان هذا هو الحكم بينهم... فإذا حرم النكاح في حق من يرث من الذكور وهم الآباء والأبناء بقوله: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم﴾ (سورة النساء، ٢٢/٤) الآية، وقوله: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ (سورة النساء، ٢٣/٤) الآية، بطل الميراث. إذ لا فائدة في وراثة حق التزوج في محل لا يقبل التزوج شرعا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٥و).

[٨] الأبضاع جمع بُضْع، وهو النكاح والجماع (*لسان العرب* لابن منظور، «بضع»).

[٩] ك: أقل.

[١٠] ع + أن الوراثة.

[١١] ع: ترثه.

[١٢] جميع النسخ: نهاها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤و.

[١٣] ع: يرث.

[١٤] م: ثم.

[١٥] ك: يجر.

[١٦] قال الشارح: «فإن قيل: إنما نهى عن الوراثة، لأن الولي إذا ورثها ورثت هي نفسها، فتصير بمعنى المشتركة، =

وقوله عز وجل: **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة؛** اختلف فيه. قال بعضهم: هو معطوف على الأول،[1] وهو ما ذكرنا من الوراثة، نَهاهم[2] أن يعضلوهن ليذهبوا ما آتوهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. قيل: لم يكن يومئذ عقوبة إذا أتت
[١٣٠و] المرأة بفاحشة سِوَى أخذِ المهور منها، وكانوا يُمسكونها على الوراثة، / فإذا أتت بفاحشة أَخَذَ[3] ما آتاها، ثم يُسَرِّحُها.[4]*

وقيل في قوله عز وجل: **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** على الابتداء، ليست على الأول، نَهَى الزوج أن يأخذ منها ما آتاها من المهر إلا أن يأتين بفاحشة مبينة.

ثم اختلف في قوله تعالى: الفاحشة. قال بعضهم: هو الزنا، وهو ما ذكرنا. وقال آخرون:[5] الفاحشة هاهنا هو النشوز، أي إذا نشزت فلا بأس أن يأخذ[6] منها ما آتاها. وقيل: هو ما ذكره عز وجل في آية أخرى: وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ.[7] نَهى الأزواج أن يأخذوا منهن شيئا إلا عندما يخافان[8] ألا يقيما حدود الله، فحينئذ أباح أخذ ما افتدت به. فعلى ذلك قوله: **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة؛** وهو[9] ما ذكرنا من النشوز وخوف ترك إقامة حدود الله، فعند ذلك أباح لهم أخذ ما آتاها. ***والله أعلم***.[10]

= فلا يثبت الحل، فلا يفيد، لا أن المراد من النهي هو التحريم؛ قيل: لا، بل النهي لتحريم نكاح أزواج الآباء والأبناء، لا لما ذكرتم، ألا يرى أن المرأة إذا كانت ممن لا يرث من الزوج بأن كانت مملوكة ينبغي أن يحل له ذلك ويرثها. إذ لا وراثة ثم من جانب المرأة لانعدام أهلية الميراث في حقها، ومع هذا لا يحل. دل أن الآية خرجت لبيان التحريم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٥و).

[1] ع – الأول؛ م: على ما تقدم.

[2] ع: لها؛ م: لهى.

[3] ك – أخذ.

[4] ن: يشرحها. ولروايات في هذا المعنى انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٦٤.

* وردت هنا في جميع النسخ فقرة من تفسير قوله تعالى في هذه الآية: ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾، فنقلناها إلى هناك. انظر: ورقة ١٣٠و/سطر ١-٣.

[5] ك – قال بعضهم هو الزنا وهو ما ذكرنا وقال آخرون.

[6] ن: تأخذ.

[7] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.

[8] جميع النسخ: يخافا.

[9] ع م – هو.

[10] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **وعاشروهن بالمعروف**؛ اختلف فيه. قيل: هو كقوله عز وجل: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ،[١] وكقوله تعالى: فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.[٢] وقيل: **وعاشروهن بالمعروف** في كلامها وبرها[٣] والإنفاق عليها والإحسان إليها والاجتناب عما لا يليق بها من الشتم والإيذاء[٤] وغير ذلك. **وعاشروهن بالمعروف**؛ يحتمل بالفضل، ويحتمل كما لو فعل بك مثل ذلك لم تنكره، بل تعرفه وتقبله.

وقوله: **فإن كرهتموهن**؛ قيل فيه بوجهين. قيل: كرهتم صحبتهن من قبحهن ودَمامتهن[٥] أو سوء خلقهن فصبرتم على ذلك. [**فعسى أن تكرهوا شيئا و**]**يجعل الله فيه خيرا كثيرا**؛ قيل: يهب لكم منهن أولادا تَقَرُّ بهم أعينكم، أو يعطي لكم في الآخرة ثوابا جزيلا بصحبتكم إياهن.

وقيل في[٦] قوله عز وجل: **فإن كرهتموهن**؛ أي كرهتم فراقهن. ويجعل الله تعالى في الفراق خيرا كثيرا، كقوله تعالى: وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ.[٧]

**﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾**[٢٠]

وقوله: **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا**؛ والقنطار قيل: مائة رطل. وقيل: في حرف ابن[٨] مسعود: قنطارا[٩] من الذهب.[١٠] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن كرهتَ امرأتك أو[١١] أعجبك[١٢] غيرها، فطلقت هذه وتزوجت تلك،[١٣]

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٣١.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.
[٣] ك: وثرها.
[٤] ك ن: والبذاء.
[٥] ك ن: وذميمتهن؛ ع: وذميمهان؛ م: ودميمتهن. والدمامة سوء الحال وقبح المنظر.
[٦] ك ن - في.
[٧] سورة النساء، ٤/١٣٠.
[٨] ك: بن.
[٩] ع م - والقنطار قيل مائة رطل وقيل في حرف ابن مسعود قنطارا.
[١٠] روي بلفظ: «قنطارا من ذهب». انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٦٦.
[١١] م: لو.
[١٢] ن ع م: أعجبتك.
[١٣] ن: بتلك.

فأعط هذه مهرها وإن كان[1] قنطارا.[2] والقنطار اثنا[3] عشر ألف درهم، أو ألف دينار. وقيل: القنطار ألف ومائتا[4] دينار. فهذا على التمثيل، ليس على التقدير.

ووجه النهي والوعيد في ذلك -والله أعلم- ما روي[5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن النساء عندكم عَوَانٍ،[6] اتخذتموهن بأمانة الله تعالى، واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى».[7] فوعد عز وجل الأزواج في غير آي من القرآن عن أخذ مهور النساء وغيرها من الأموال لضعفهن في أنفسهن، والرجال هم القوامون على النساء،[8] لئلا ينبسط[9] الأزواج في أموالهن، إشفاقا عليهن. أو لِمَا إذا أخذ[10] منها مهرَها تبقى تلك المنفعة[11] بلا بدل، وذلك ربا.[12] وعلى هذا يجيء أن لا يجوز له أن يخلعها، لأنه[13] إذا أخذ منها مهرَها[14] بقيت له المنفعة بلا بدل، لكنه أجيز له ذلك، لأنه تَقَلُّبٌ في الملك، وكل من تقلب في ملكه ببدل يأخذه[15] جاز له ذلك.[16]

[1] ن: كانت.
[2] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٦٥-٤٦٦.
[3] جميع النسخ: اثني.
[4] ك + دينا.
[5] ع: وما روي.
[6] أي كالأسرى، لأنهن يُظلَمن فلا يَنتصرن. والمفرد عانية بمعنى أسيرة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنو»).
[7] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٧٢؛ *ومجمع الزوائد* للهيثمي، ٣/٢٦٦. وروى ابن ماجة والترمذي قوله: «... ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ...» دون ما بعده. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (*سنن ابن ماجة*، النكاح ٣؛ *وسنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٠).
[8] ن: القوامون عليها؛ ع م: القوامون عليهن.
[9] ك: نبسط؛ ن ع م: يسط. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥٤ظ.
[10] م: إذ أخذ.
[11] ن + له.
[12] جميع النسخ: زنا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٥٤ظ.
[13] ن + لأنه.
[14] ع م - تبقى تلك المنفعة بلا بدل وذلك ربا وعلى هذا يجيء أن لا يجوز له أن يخلعها لأنه إذا أخذ منها مهرها.
[15] ع: يبدل بأخذه؛ م: بأخذه.
[16] قال الشارح: «أو لما أن الأزواج إذا أخذوا منهن مهورهن تبقى المنافع المستوفاة لهم بغير عوض وبدل؛ وذلك معنى الربا وهو حرام. وعلى هذا القياس ينبغي أن لا يجوز لها أن تخلع نفسها بالمهر والإبراء. لأنه تبقى المنافع المستوفاة للزوج بلا عوض. ولكن إنما أجيز، لأن هذا تصرف وتقلب في ملكها، إما من حيث الجود والإحسان بالإبراء، أو في الخلع بالبدل؛ وهو حصول الفراغ عن عهدة الزوج. والبدل قد يكون مالا وقد يكون غير مال. ومن تصرف في ملكه لعرض يحصل له لم يخرج ذلك المال من أن يكون عوضا عما أخذه بمقابلته. ولا يخرج ذلك من أن يكون بدلا له، ليقال يخلو ذلك عن البدل فيكون ربا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٤ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٥ظ).

وقوله: **أتأخذونه بهتانا**؛ قيل: ظلما بغير حق؛ وقيل: إذا أراد طلاقها لا يُضارُّها بكذب[1] لتفتدي منه مهرها. **وإثما مبينا**؛ ويحتمل أن يكون البهتان والإثم واحدا.

**﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾**[٢١]

وقوله: **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض**؛ قيل:[2] الإفضاء هو الجماع. والأشبه أن يكون الإفضاء الاجتماع، لأنه أضاف إليهما جميعا، فهو بالاجتماع أشبه وإليه أقرب. فيجب المهر بالاجتماع والخلوة بها. والجماع فعل الزوج يضاف إليه خاصة.

وقوله: **وأخذن منكم ميثاقا غليظا**؛ قيل: عقدة النكاح. وقيل: هو ما ذكرنا في قوله تعالى: فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.[3]

وقيل: الميثاق[4] الغليظ ما ذُكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اتقوا الله في النساء، فإنكم إنما اتخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإنهن عندكم عَوَانٍ، لا يملكن من أمرهن شيئا».[5] وقال[6] النبي[7] صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس! إن لكم على نسائكم حقا، وإن لهن عليكم حقا. وإن من حقكم عليهن أن لا يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ، ولا يأذنَّ [في] بيوتكم لأحد[8] تكرهونه، ولا يأتين بفاحشة مبينة. فإن هن فعلن ذلك فقد أحل الله لكم أن تضربوهن ضربا غير مُبَرِّح[9] -يعني غير شائن- وإن من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف».[10] وقيل: إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ن: تكذب.

[2] ن ع م: وقيل.

[3] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.

[4] ن + الميثاق.

[5] مسند *أحمد بن حنبل*، ٥/٧٢؛ ومجمع *الزوائد* للهيثمي، ٣/٢٦٦.

[6] ع: قال.

[7] ك - النبي؛ ن: رسول الله.

[8] ن - لأحد.

[9] ن ع م: مبرج. قال ابن منظور: «ضربه ضربا مبرّحا: شديدا... وفي الحديث ضربا غير مبرح أي غير شاق» (*لسان العرب* لابن منظور، «برح»).

[10] هذا الحديث جزء من خطبة الوداع. ولفظ الترمذي هكذا: «... ألا واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا. فأما حقكم على نسائكم فلا يوطِّئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون. =

ماذا يحل لنا من نسائنا وما ذا يحرم علينا منهن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حرثُك، فَأْتِهِ أنَّى شئت، ولا تضرب[1] الوجه ولا تُقَبِّحْ،[2] ولا تهجرها إلا في بيتها،[3] وأطعمها إذا أكلت، [١٣٠ظ] واكسُها[4] / إذا اكتسيت».[5]

وقيل: الميثاق الغليظ ما أقروا به من قول الله: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.[6]

**﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء**؛ حرم الله تعالى على الأبناء نكاح نساء الآباء. وذلك أنهم كانوا يعملون في الجاهلية ما قيل في القصة: إن أبا قيس توفي، فعمد ابنه يقال له مِحْصَن، فتزوج[7] امرأة أبيه، فنهى الله تعالى عن ذلك، فقال عز وجل: **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء**.[8] وقيل: إن رجلا[9] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج سالًّا سيفه، فقيل له:[10] ما شأنك؟ فقال: إن رجلا تزوج بامرأة أبيه.[11] فهذا إذا تزوجها مستحلا[12] لها، فهو يكفر، لذلك كان قصد قتله. وكذلك[13] حرم الله سبحانه وتعالى

---

= ألا وإن حقهن عليكم أن تُحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧٢/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ١٠).

[1] ك ن ع: نصرف.

[2] ن ع م: تقبحه. قال ابن منظور: «قَبَّحَ له وجهه أنكر عليه ما عمل. وقَبَّحَ عليه فعله تقبيحا... وفي الحديث: لا تُقَبِّحُوا الوجه، معناه: لا تقولوا: إنه قبيح... وقيل: لا تقولوا قبح الله وجه فلان» (*لسان العرب* لابن منظور، «قبح»).

[3] ع: بينها.

[4] ن م: واكسيها؛ ع: واكسبها.

[5] ع: اكتسبت. *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٥؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤١.

[6] سورة البقرة، ٢٣١/٢.

[7] ن: وتزوج.

[8] *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٣٨٤/٤. ولروايات أخرى قريبة المعنى انظر: *تفسير الطبري*، ٣١٨/٤.

[9] ك + كان.

[10] م – له.

[11] عن البراء قال: مر بي خالي أبو بُردة بن نيار ومعه لواء. فقلت: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه (*سنن ابن ماجة*، الحدود ٣٥؛ وسنن *الترمذي*، الأحكام ٢٥). وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

[12] ع: مستحلالا.

[13] جميع النسخ: ولذلك. وعبارة السمرقندي هكذا: «وهذا كما حرم على الآباء نساء الأبناء» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٤ظ).

على الآباء[1] نكاح نساء الأبناء بقوله تعالى: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ.[2]

وقوله: **إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا**؛ أي إنكم إذا انتهيتم عن ذلك في الائتناف[3] يُغفرُ لكم ما قد سلف، وإن[4] كان فاحشة. وقيل: **إلا ما قد سلف،**[5] قبل التحريم. **إنه كان فاحشة**؛[6] أي صار فاحشة[7] في الإسلام. **ومقتا**؛ قيل: بغضا. **وساء سبيلا**؛ أي بئس[8] المسلك تزوج نساء الآباء.[9] ويحتمل أن تكون[10] الآية في الطلاق، إذا كان الرجل يطلق امرأته ثم يندم على طلاقها، فيتزوجها ابنه، فيمقت ذلك الأب ويبغض.

وقوله: **وساء سبيلا**؛ أي بئس[11] السبيل نكاح امرأة أبيه حيث مَقْتُ أبيه، وبئس[12] المسلك مَقْتُ أبيه.[13]

**﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٢٣]

وقوله عز وجل: **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم**، إلى آخره يحتمل وجهين. يحتمل[14] أي حرم عليكم الاستمتاع بأمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وما ذكر، والجماع بهن.

---

[1] ع: الا ان.
[2] سورة النساء، ٤/٢٣.
[3] ائتنف واستأنف الشيء: أخذ فيه وابتدأه (*لسان العرب* لابن منظور، «أنف»).
[4] م: وإنه.
[5] ن + قيل إلا ما قد سلف.
[6] ع – وقيل إلا ما قد سف قبل التحريم إنه كان فاحشة.
[7] م – وقيل إلا ما قد سلف قبل التحريم إنه كان فاحشة أي صار فاحشة.
[8] ن: بين.
[9] ن – الآباء؛ صح هـ.
[10] ع م: يكون.
[11] ن – بئس.
[12] ن: وبين؛ ع م – وبئس.
[13] ك ن: مقت أبيه المسلك؛ ع م – مقت أبيه.
[14] م – يحتمل.

ويحتمل حرمة النكاح، أي حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم. فإن كان هذا أراد فلا يحرم النكاح لنفس النكاح، ولكن يحرم النكاح لما به يوصَل إلى الاستمتاع بالنساء، وإليه يُقصَد. فدل أنه يحرم الجمع بين الأختين في الاستمتاع في ملك اليمين، ولا يحرم الجمع[1] بينهما في العقد.[2]

ثم ذكر الحرمة في الأمهات والبنات والأخوات، ولم يذكر في الجدات، فهن محرمات وإن علون، ولم يذكر في بنات البنات، فهن محرمات وإن سَفِلن. فعندنا أن ذكر الحرمة في الأمهات والبنات ذكرٌ في الجدات وإن علون، وفي[3] بنات البنات وإن سفلن؛ لأنه ذَكر الحرمة في العمات والخالات، والعمات من ولد الجد[4] والخالات من ولد الجدات، فإنما[5] ذُكرت في الأولاد الحرمة،[6] فثبتت[7] حرمة الجدات والأجداد. وكذلك ذَكر الحرمة في الأخوات وبنات الأخوات، فالحرمة في بنات الأخ والأخوات لحرمة[8] في الأخوات والإخوة. فعلى ذلك ذِكرُ الحرمة في الأمهات ذِكرُ الحرمة[9] في البنات وبنات البنات لما ذكرنا. أو[10] يقال: إن بناتِ البنات بناتٌ[11] وإن سفلن، فدخلن في ذكر الحرمة نصًا، وكذلك أم الأم وإن علت، فدخلت في الخطاب.

وقوله عز وجل: **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**؛ ذَكر الأمهات من الرضاعة[12] والأخوات، ولم يذكر البنات. قال بِشر:[13] إنما لم[14] يَذكر البنات من الرضاعة،

[1] ن – الجمع.
[2] أي عقد ملك اليمين.
[3] ع م: في.
[4] ك – من ولد الجد؛ ن: من ولد الجدات.
[5] ن: وإنما.
[6] ع م: والحرمة.
[7] جميع النسخ: ثبت.
[8] ع م – فثبتت حرمة الجدات والأجداد وكذلك ذكر الحرمة في الأخوات وبنات الأخوات فالحرمة في بنات الأخ والأخوات لحرمة.
[9] ك ن – الحرمة.
[10] ن ع م + أن.
[11] م – بنات.
[12] ع م – ذكر الأمهات من الرضاعة.
[13] ع – بشر. وهو بِشر بن غِياث بن أبي كَريمة عبد الرحمن المَرِيسي المعتزلي المتكلم. أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي وبرع فيه ونظر في الكلام والفلسفة. وله تصانيف وروايات كثيرة عن أبي يوسف. وكان من أهل الورع والزهد غير أنه رغب الناس عنه في ذلك الزمان لاشتهاره بعلم الكلام وخوضه في ذلك. وله أقوال غريبة في المذهب. مات سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م. انظر: *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقُرَشي، ١٦٤-١٦٥.
[14] ع م – لم.

لأنه لا يمكن من الرضاعة البنات، لذلك لم يذكر. وذلك اختلاف بيننا وبينه في لبن الفحل[١] فعندنا لبن الفحل[٢] محرّم، وعند بشر[٣] لا يحرّم لبن[٤] الفحل. ذكر الله سبحانه وتعالى الحرمة في النسب بيننا، وبَيَّن بيان إحاطة وحقيقة،[٥] وذكر الحرمة في الرضاع، وبَيَّنَ بيان كفاية لا بيان إحاطة. فإما أنْ تَرَكَ ذلك[٦] للاجتهاد والاستنباط من المذكور؛[٧] وقد أجمعوا جميعا أن بناتِ الاخوة والأخوات من الرضاع[٨] كالذِكر في[٩] أولادها،[١٠] فعلى ذلك يجب أن يكون ذِكرُ الحرمة في الأمهات من الرضاعة ذكرا في بناتها؛[١١] أو تَرَكَ بيان ذلك للسنة.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَحرُم من الرضاع ما يَحرُم من النسب».[١٢] وروي[١٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء عمي من الرضاعة، فاستأذن عليّ. فأبيت أن آذن له حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته عن ذلك.[١٤] فقال: «إنه عمك،[١٥] فأذني له». فقلت: يا رسول الله!

---

[١] معنى ذلك أن الرجل تكون له امرأة ولدت منه ولدا، ولها لبن، فكل من أرضعته من الأطفال بهذا فهو محرم على الزوج وإخوته وأولاده منها ومن غيرها، لأن اللبن للزوج حيث هو سببه (*لسان العرب* لابن منظور، «لبن»، «فحل»).

[٢] ك: الفحل.

[٣] ن: البشر.

[٤] ع: ولبن.

[٥] م: إحاطته وحقيقته.

[٦] ع م – ذلك.

[٧] م: الذكور.

[٨] ن ع: الرضاعة.

[٩] ع – في.

[١٠] أي أولاد الأخوات.

[١١] قال الشارح: «وبيان الاستدلال بالآية أن الأمة أجمعت على حرمة بنات الإخوة والأخوات وإن لم يذكرن فيها؛ وإنما المذكور هو الأخوات. وكان ذكر الأخوات كذكر أولادها بالإجماع. فتعدت الحرمة من الأعلى إلى من هو دونه في القرب. فهاهنا لما ذكر الأمهات وأثبت الحرمة فيها نصا بقوله: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾؛ فكان تحريم أمهاته من الرضاعة تحريما لبناته. لأن ثبوت الحرمة بينه وبين أصله وهي الأم دليل ثبوت الحرمة بينه وبين بنته. إذ القرابة بينه وبين أمه ثم حرمة الرضاع ثبتت بحكم ذلك الاتصال. فهذا مثله» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٦ط).

[١٢] صحيح *البخاري*، الشهادات ٧.

[١٣] جميع النسخ: وما روي.

[١٤] ك – عن ذلك.

[١٥] ن: عمل.

إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني[1] الرجل. فقال رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم: «إنه عمك،[3] فَلْيَلِجْ عليك». فقالت عائشة رضي الله عنها: وذلك بعد أن ضُرِبَ علينا الحجاب.[4] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه[5] سئل عن رجل له امرأتان، أو جارية[6] وامرأة، فأرضعت هذه جاريةً وهذه غلامًا، هل يصلح للغلام أن يتزوج[7] الجارية؟ فقال: لا، اللِّقاح واحد.[8] وعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرتها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها، وأنها سمعت رجلا يستأذن في بيت حفصة رضي الله عنها. قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله! هذا رجل يستأذن في بيتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُراه فلانا»، لعم حفصة من الرضاعة. فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! لو كان فلان حيا -لعمها من الرضاعة- دخل علي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، إن الرضاعة تحرم[9] ما تحرم[10] الولادة».[11] وعن علي رضي الله عنه قال:[12] لا تَنْكِحْ من أرضعَتْه امرأةُ أبيك ولا امرأة أخيك ولا امرأة ابنك.[13] وعن عائشة رضي الله عنها: إنّ أَفْلَح أخا أبي القُعَيس جاء[14] فاستأذن عليها -وهو عمها من الرضاعة- بعد أن نزل الحجاب. قالت: فأبيت أن آذن له. فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته بالذي صنعت. فأمرني بأن آذن له عليّ.[15]

وحجة أخرى من النظر، بأن الله تعالى حرم الابنة[16] على أبيها وعلى جدها،[17]

---

[1] ع م - المرأة ولم يرضعني.
[2] ك ن - رسول الله.
[3] ن ع م: عمل.
[4] *صحيح البخاري*، النكاح ١١٧؛ و*صحيح مسلم*، الرضاع ٣-١٠.
[5] م - أنه.
[6] م: وجارية.
[7] ع: يتزوخ.
[8] *الموطأ* لمالك، الرضاع ٥؛ و*سنن الترمذي*، الرضاع ٢.
[9] م: لحرم.
[10] ن - ما تحرم؛ صح ها؛ م: نحرم.
[11] *صحيح البخاري*، النكاح ٢٠؛ و*صحيح مسلم*، الرضاع ١.
[12] ن ع م - قال.
[13] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥٤٩/٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٥٣/٧.
[14] ع م - جاء.
[15] *صحيح البخاري*، النكاح ٢٢؛ و*صحيح مسلم*، الرضاع ٣.
[16] ك: البنت.
[17] م: وحدها.

والابنة[١] حدثت عن ماء الأب بعينه، ولم تحدث عن ماء الجد، ولكن الجد[٢] سبب ماء الأب الذي[٣] حدثت عنه الابنة.[٤] {قال}: فاللبن وإن كان / حدوثه من[٥] الأم، فإن سبب كونه [١٣١و] هو الأب، فيجب أن تحرم المرأة التي أرضعتها[٦] امرأته عليه، إذ[٧] كان سببا لذلك اللبن، كما يحرم المرضع إذا كان سببا على الذي[٨] أرضعته.

ثم بقيت مسألتان. إحداهما في التقدير، والأخرى في الحد.[٩]

أما في التقدير فعموم قوله سبحانه وتعالى: **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة،** لم يَخُصَّ قدرًا دون قدر. وروي عن علي وعبد الله رضي الله عنهما قالا: قليل الرضاع وكثيره سواء.[١٠] وعن ابن عباس كذلك.[١١] وعن عبد الله بن عمر[١٢] قال: الرضعة[١٣] الواحدة تُحرِّم.[١٤]

فإن قيل: روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما نزل:[١٥] عشر رَضَعات [معلومات يحرمن]، ثم صرن إلى خمس [معلومات]، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ.[١٦]

قيل:[١٧] لسنا نجد في القرآن آية الناسخ ولا آية المنسوخ. ولا يجوز أن[١٨] يقال من القرآن شيء

---

[١] ك: البنت.
[٢] ن – ولكن الجد.
[٣] ك: التي.
[٤] ك: البنت.
[٥] ن: عن.
[٦] ن: أرضعته.
[٧] ك ن: إذا.
[٨] ن ع م: التي.
[٩] ك: الجد. أي حدّ عمر الرضيع، إلى أي سن تعتبر الرضاعة محرمة.
[١٠] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥٤٨/٣.
[١١] *السنن الكبرى* لبيهقي، ٤٥٨/٧.
[١٢] ع م – قالا قليل الرضاع وكثيره سواء وعن ابن عباس كذلك وعن عبد الله بن عمر.
[١٣] ن: المرضعة.
[١٤] *السنن الكبرى* لبيهقي، ٤٥٨/٧.
[١٥] ن ع م: ترك.
[١٦] عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن «عشر رَضَعات معلومات يُحَرِّمْنَ»، ثم نسخن بـ«خمس معلومات»، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يُقرَأ من القرآن (*صحيح مسلم*، الرضاع ٢٤).
[١٧] ك ع م: فإن قيل.
[١٨] ك ن + أن.

-فلا نترك[1] ما نجده ثابتا في القرآن[2] محفوظا-[3] برواية لعلها قد غلطت فيها. وروي عنها أنها قالت: يحرم من الرضاع ما أنبت[4] اللحم والدم.[5] وروي عنها أيضا[6] أنها قالت: لا تحرِّم المَصّة والمصّتان ولا الإملاجة[7] ولا الإملاجتان.[8] فذكر[9] ذلك[10] لابن عمر رضي الله عنه، فقال: حكم الله أولى وخير -أو كلام نحو هذا- من حكمها.[11] وعن عمرو[12] بن دينار قال: سألت ابن عمر رضي الله عنهما، فذكر شيئا من الرضاع فقال: لا نعلم إلا[13] أن الله تعالى حرم الأختين من الرضاعة. قال فقلت: إن أمير المؤمنين ابن الزبير يقول: لا تَحرِّم المصة والمصتان. قال: فقضاء[14] الله خير من قضائك وقضاء أمير المؤمنين.[15] مع ما يحتمل قوله: لا تُحرِّم المصة والمصتان[16] ولا الإملاجة ولا الإملاجتان، لِمَا لم يتحقق بالمصة[17] والمصتين أن اللبن قد صار في جوف الصبي ووصل إليه، فلذلك لم يحرم به.

وأما المسألة في الحد،[18] أن الرضاع في الكِبَر لا يحرم عندنا، لما[19] روي في خبر[20] عائشة رضي الله عنها أنه[21] صلى الله عليه وسلم دخل عليها، فرأى عندها رجلا،

[1] ع: تترك.
[2] ك - في القرآن.
[3] جميع النسخ: محفوظة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥ظ.
[4] ن ع م: أثبت.
[5] روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر: مصنف *ابن أبي شيبة*، ٥٤٨/٣.
[6] ك ن - أيضا.
[7] ع - ولا الإملاجة.
[8] هو حديث مرفوع في صحيح *مسلم*، الرضاع ١٧،١٨. والإملاجة المرة من أَمْلَجَته أمه أي أرضعته (*لسان العرب* لابن منظور، «ملج»).
[9] ع - فذكر؛ م: فذ.
[10] ع: فذلك.
[11] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٥٨/٧.
[12] ع: عمر.
[13] ن - إلا.
[14] ن: فقضى.
[15] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٥٨/٧.
[16] ع م - قال فقضاء الله خير من قضائك وقضاء أمير المؤمنين مع ما يحتمل قوله لا تحرم المصة والمصتان.
[17] ن: المصة.
[18] ن: الحد.
[19] ك ن: وما؛ ع م: ما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥و.
[20] ك: خير.
[21] ن: أن النبي.

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: «من هذا؟» قالت: إنه عمي من الرضاعة. فقال: «انظري ما الرضاعة،[١] إنما الرضاعة من المجاعة».[٢] وما روي عن رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم قال: «الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز[٤] العظم».[٥] وما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه[٦] قال: «الرضاع ما فتق الأمعاء».[٧] وفتق الأمعاء[٨] إنما يكون في الصغر، لأن أمعاء الصبي تكون ضيقة[٩] لا تحتمل[١٠] الطعام لضيقها.[١١] وأما فتقه باللبن [لكون اللبن من ألطف الأغذية][١٢] على ما وصفه عز وجل: لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ.[١٣] فإذا كان غذاؤه[١٤] إنما يكون باللبن[١٥] للمعنى الذي وصفنا كانت كفاية بمجاعته به، وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الرضاعة من المجاعة».[١٦] وكذلك ما روي: «الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز[١٧] العظم»؛[١٨] وفي الكبر لا ينبت اللحم

---

١ ك: لرضاعه.

٢ عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد. فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه. قالت فقلت: يا رسول الله! إنه أخي من الرضاعة. قالت فقال: «انظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنما الرضاعة من المجاعة» (*صحيح البخاري*، النكاح ٢١؛ وصحيح *مسلم*، الرضاع ٣٢).

٣ ك: عنه.

٤ جميع النسخ: وأنشر. والتصحيح من نسخة جرلولي، ورقة ١٠٣ظ.

٥ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٢/١؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٨).

٦ ك - أنه؛ ع م - قال الرضاع ما أنبت اللحم وأنشر العظم وما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه.

٧ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام»؛ وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (*سنن الترمذي*، الرضاع ٥). وعن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء» (*سنن ابن ماجة*، النكاح ٣٧).

٨ ع م - وفتق الأمعاء. والفتق الشّق والفتح (*لسان العرب* لابن منظور، «فتق»).

٩ جميع النسخ: ضيقا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥و.

١٠ ع م: يحتمل.

١١ جميع النسخ: لضيقه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥و.

١٢ من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٥و.

١٣ سورة النحل، ٦٦/١٦.

١٤ ع م: غداؤه.

١٥ ع: اللبن.

١٦ تقدم تخريجه قريبا.

١٧ ك م: وأنشر.

١٨ تقدم تخريجه قريبا.

ولا ينشز[1] العظم.[2] وروى زاذان[3] عن[4] علي بن أبي طالب[5] رضي الله عنه أنه[6] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:[7] «الجرعة[8] تحرم كما يحرم حولان كاملان». فإن ثبت هذا فهو الأصل في ذلك والمعتمد عليه.

فإن عورض بما في خبر سالم، حيث قال لها[9] رسول الله[10] صلى الله عليه وسلم: «أرضعي سالما خمس رضعات تحرمي عليه».[11]

قيل: هذا يحتمل وجهين. يحتمل أن يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس،

---

[1] م: ينتشر.
[2] ك: لا ينشر العظم ولا ينبت اللحم.
[3] ن: ذاذان؛ م - زاذان.
[4] ع - عن؛ م: أن.
[5] ن - بن أبي طالب.
[6] ك ع م - أنه.
[7] ن - يقول، صح هـ.
[8] الجرعة بالفتح المرة الواحدة من بلع الماء، وبالضم الاسم من الشرب اليسير (*لسان العرب* لابن منظور، «جرع»).
[9] أي لامرأة مولاه أبي حذيفة.
[10] ك - رسول الله.
[11] روى الإمام مالك أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد شهد بدرا، وكان تبنى سالما الذي يقال له سالم مولى أبي حذيفة، كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة. وأنكح أبو حذيفة سالما وهو يرى أنه ابنه أنكحه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة. وهي يومئذ من المهاجرات الأول وهي من أفضل أيامى قريش. فلما أنزل الله تعالى في كتابه في زيد بن حارثة ما أنزل فقال: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥) رُدّ كل واحد من أولئك إلى أبيه. فإن لم يعلم أبوه رد إلى مولاه. فجاءت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة وهي من بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! كنا نرى سالما ولدا، وكان يدخل علي وأنا فُضُل [مكتس بثوب النوم أو الشغل]، وليس لنا إلا بيت واحد، فماذا ترى في شأنه؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرضعيه خمس رضعات». فيحرم بلبنها. وكانت تراه ابنا من الرضاعة. فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين فيمن كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال. فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال. وأبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس. وقلن: لا والله ما نرى الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل إلا رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعة سالم وحده. لا والله لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد. فعلى هذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في رضاعة الكبير (*الموطأ* لمالك، الرضاع ١٢؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ١٠).

فإذا كان كذلك لا يقاس عليه غيره. ويحتمل أن يكون منسوخا بما روينا من الأخبار المرفوعة والموقوفة بإيجاب الحرمة بالقليل منه والكثير.

وقوله عز وجل: **وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**، الآية، اجتمع[١] أهل العلم في الربيبة[٢] على أنها لا تحرُمُ على الرجل الذي كان تزوج أمها وطلقها قبل الدخول بها أو ماتت، وإنما تحرم عليه إذا دخل بها.

واختلف في أم المرأة إذا لم يدخل بالابنة[٣] حتى بانت منه. قال أصحابنا رحمهم الله: هي حرام عليه، كان دخل بالأم أو لم يدخل بها.[٤] وقال آخرون: شرط[٥] الدخول في آخر القصة راجع إلى الربيبة[٦] والأم جميعا، فما لم يدخل بواحدة منهما حل له أن يتزوج بالأخرى إذا فارقها. وهو القياس الظاهر في الكتاب في أمر الشرط والثُّنْيَا،[٧] أن يكون الشرط فيهما جميعا؛ لأنه قال الله[٨] تعالى: **وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**. ذَكَرَ أمهات النساء وربائب النساء، ثم شرط الدخول بهن، فيجيء أن[٩] يكون الشرط لاحقا بهما جميعا. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال: هي بمنزلة الربيبة.[١٠] وعن جابر قال: يَنكحُ أمَّها إن شاء.[١١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أفتى في امرأةٍ تَزوجها رجلٌ فطلقها قبل أن يدخل بها أو ماتت، قال: لا بأس أن يتزوج أمها، فلما أتى المدينة رجع[١٢] فأتاهم فنهاهم عن ذلك، فقيل: إنها ولدت أولادا، فقال: ولو ولدت.[١٣] إلى هذا يذهبون أولئك. وهو الظاهر[١٤] من الآية.

---

[١] ن: أجمع.
[٢] ك: الربيبة.
[٣] ك: بالبنت.
[٤] ع م - بها.
[٥] ع م: بشرط.
[٦] ك: الربية.
[٧] أي الاستثناء.
[٨] ك ن - الله.
[٩] ع: فيجيبان؛ م: فيجب أن.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٣٢١/٤.
[١١] ك + الله تعالى. والأثر في *مصنف عبد الرزاق*، ٢٧٥/٦.
[١٢] ك: رجعها.
[١٣] *مصنف عبد الرزاق*، ٢٧٣/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٣/٢.
[١٤] ع: الظا.

واحتج بعض أصحابنا في ذلك، أن الثُّنْيَا[1] الملحق في آخر الكلام ربما يلحق الكل على ما تقدم من الكلام، وربما يقع على ما يليه. فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه.

قيل:[2] يلحق على ما تقدم من الذكر ما[3] يحتمل، ليس على ما لا يحتمل؛ ألا ترى أن الله تعالى قال: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ -إلى قوله- وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ،[4] لم[5] يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة، ولكنه لحق على ما احتمل عليه. فعلى ذلك في هذا،[6] لم يلحق الكل لأنه لا يحتمل، ووقع على الأم والربيبة لأنه يحتمل.

واحْتُجَّ لأصحابنا[7] رحمهم الله أيضا أن الحرمة قد تثبت[8] بقوله عز وجل: **حرمت عليكم** [١٣١ظ] **أمهاتكم وبناتكم** -إلى قوله تعالى- **وأمهاتكم اللاتي / أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم**، فلا تُستحَلّ بالشك، وفي الربيبة لم تثبت[9] إلا بالشرط، فلا تحرم بالشك.

وقيل أيضا: إن الدخول لو كان شرطا في الأم والربيبة جميعا لاكتَفَى بذكر[10] الأمهات والربائب، فيقول:[11] أمهات نسائكم من ربائبكم اللاتي دخلتم بهن، ولم يحتج إلى أن يذكر: **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**، على ما اكتفى بذكر[12] الحرمة في الأنساب والرضاع[13] في الأصول عن الشعوب. فلما لم يكتف بذلك دل أن الربائب مخصوصات بالشرط دون الأمهات. ومما يبين ذلك أن الربيبة لو لم تُذكر لم يجز أن يبقى من الكلام: **وأمهات نسائكم... اللاتي دخلتم بهن**. ولو لم يذكر الأمهات فبقي من الكلام:

---

1 ع: الثنا.
2 جميع النسخ: فإن قيل.
3 ع م + لا.
4 سورة المائدة، ٣/٥.
5 ع م: ثم.
6 ن - في هذا.
7 ع م: أصحابنا.
8 م: ثبت.
9 ن ع م: يثبت.
10 ن ع م + نساء.
11 جميع النسخ: فنقول. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٧٩ظ.
12 ع: بذ.
13 ع: المرضاع.

**وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** كان كلاما تاما.[1] فدل ذلك على أن قوله تعالى: **من نسائكم** إنما هو في[2] الربائب دون الأمهات.

وأصله ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أو ماتت عنده فلا بأس بأن يتزوج ابنتها، وأيما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أو ماتت عنده[4] فلا يحل له أن يتزوج أمها».[5] وعن ابن عباس وعمران بن حُصين في أمهات نسائكم قالا: هي مبهمة.[6] وقال أكثر أهل[7] العلم: إذا تزوج الرجل امرأة ودخل بها لم يجز له أن يتزوج ابنتها، وإن لم تكن ربيبته في[8] بيته وحِجْره، وهي في ذلك بمنزلتها لو كانت في حجره يربيها.[9] وأجمعوا جميعا أن الجمع بين[10] المرأة وأمها أو ابنتها[11] في الجماع في ملك اليمين حرام. وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن ذلك، فقال: ما أُحبّ ذلك.[12]

فإن قال قائل: إن الخطاب -كما ذكرت- يدل على أن الشرط في الدخول بالأمهات إنما هو بسبب[13] الربائب، فما تنكر أن يكون حكمُ الأمهات حكمَ الربائب كما كان حكمُ حلائل الأبناء حكمَ نساء الآباء؟

---

[1] ك - تاما.

[2] ع - في.

[3] ك ن - أنه.

[4] ن - فلا بأس بأن يتزوج ابنتها وأيما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أو ماتت عنده.

[5] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيما رجل نكح امرأة فدخل بها فلا يحل له نكاح ابنتها. وإن لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها. وأيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل بها فلا يحل له نكاح أمها». قال الترمذي: «هذا حديث لا يصح من قِبَل إسناده... والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم. قالوا: إذا تزوج الرجل امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها حل له أن ينكح ابنتها. وإذا تزوج الرجل الابنة فطلقها قبل أن يدخل بها لم يحل له نكاح أمها، لقول الله تعالى: ﴿وأمهات نسائكم﴾. وهو قول الشافعي وأحمد وإسحق» (*سنن الترمذي*، النكاح ٢٦).

[6] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٣/٢.

[7] ع: وأهل.

[8] ع: ربيبة وفي؛ م: وفي.

[9] ك ن: يربيه؛ ع م: يربها.

[10] ن - الجمع بين، صح هـ.

[11] م: وابنتها.

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٨/٢.

[13] ن ع م: سبب.

قيل: لا يجور أن يقاس المنصوصات بعضها على بعض، وإنما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص،[1] فعلى ذلك الأول. **والله أعلم**.

ثم يجب أن ننظر[2] أيّ حكمةٍ أوجبتْ تحريم الجمع بين المحارم، بين محارم الرحال ومحارم النساء. وروي عن أنس قال: إن[3] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا[4] يكرهون الجمع بين القرائب في النكاح، وقالوا: لأنه يورث الضغائن، أو كلام نحو هذا. فقيل له: يا أبا حمزة! من منهم؟ فقال: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم منهم.[5] وروي مرفوعا أنه قال: «لا ينكح كذا على كذا ولا كذا على كذا، فإنهن يتقاطعن».[6] ونُراه قال:[7] «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها».[8] وروي في بعضها أنه يوجب القطيعة. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كره الجمع بين ابنتي عم وقال: لا أحرم ولكن أكره، لأنه يوجب القطيعة.[9] فلم يحرم لأن صلة القرابة فيما بينهما ليست بمفترضة، والصلة بين المحارم مفترضة، فإذا كانت مفترضة فالجمع بينهما يحمل على القطيعة، فحرم.

وعلى ذلك في نساء الآباء وحلائل الأبناء،[10] إذا فارق واحد من هؤلاء[11] امرأته فلعله[12]

---

[1] ك: النصوص.

[2] ع م: ينظر.

[3] ن ع م - إن.

[4] م: كان.

[5] ك ن ع - منهم. ولم أجد هذه الرواية.

[6] ك: تبقاطعن.

[7] ع م - قال لا ينكح كذا على كذا ولا كذا على كذا فإنهن يتقاطعن ونراه قال.

[8] عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها (*صحيح البخاري*، النكاح ٢٧). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» (*صحيح مسلم*، النكاح ٣٧). أما أن ذلك يؤدي إلى قطع الرحم فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تزوج المرأة على العمة والخالة. قال: «إنكن إذا فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن» (*صحيح ابن حبان*، ٤٢٦/٩). وفي رواية أخرى: «إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم» (*المعجم الكبير* للطبراني، ٣٣٧/١١). وعن عيسى بن طلحة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة (*المراسيل* لأبي داود، ١٨٢).

[9] ن + وروي عن ابن مسعود أنه كره الجمع بين ابنتي عم. والأثر لم أجده مرويا عن ابن مسعود ولكن روي عن عطاء بن أبي رباح. انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥٢٧/٣.

[10] ن - الأبناء.

[11] ع م: من هؤلاء واحد.

[12] ك: فلبيه.

يندم على ذلك فيريد العود إليها، فإذا تزوجها أبوه أو ابنه أورث ذلك فيما بينهما الضغائن والقطيعة، لذلك حرم.[١] *والله أعلم*. وكذلك هذا المعنى في الابنة[٢] إذا طلقها ثم تزوج بأمها، حملها ذلك[٣] على الضغينة والقطيعة[٤] فيما بينهما. وأما إذا تزوج الأم ثم فارقها قبل أن يدخل بها حل له أن يتزوج بابنتها، لأن الأم تُؤْثِرُ ابنتها على نفسها في المتعارَف، فلا يحمل ذلك على القطيعة، والابنة[٥] لا تؤثر أمها على نفسها، بل تُؤْثِرُ نفسها على أمها، لذلك[٦] كان ما ذُكر. وأما إذا دخل بالأم لم يحل له أن ينكح بالابنة،[٧] لأنه يذكر استمتاع هذه في استمتاع هذه[٨] فيكون جامعا بينهما في الاستمتاع، لذلك[٩] حرم.

ثم اختلف في الجماع والدخول بها إذا كان من غير رُشد.[١٠] قال أصحابنا رحمهم الله: يحرم كما يحرم الحلال، ويمنع نكاح الربيبة كما يمنع الحلال. وقال[١١] قوم: لا يحرم ولا يمنع نكاح الربيبة. واستدلوا في ذلك بقول الله[١٢] تعالى: **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم [اللاتي دخلتم بهن]**؛ لأن الله تعالى حرم ربائب النساء إذا دخل بالأمهات، والمزني بها ليست[١٣] بزوجة للزاني، فلا يحرم ابنتها. لكنه لا حجة لهم في ذلك. وذلك أن الله تعالى ذكر الدخول بهن ولم يذكر[١٤] النكاح، ولا خص الدخول في النكاح، بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشدا كان أو سِفاحا.[١٥] والسفاح أحق في الحرمة من الحلال،

---

[١] ك + الله.
[٢] ك: البنت.
[٣] ع م - ذلك.
[٤] ع م - والقطيعة.
[٥] ك: والبنت.
[٦] ع م: كذلك.
[٧] ك: بالبنت.
[٨] ع م - في استمتاع هذه.
[٩] ع: بذلك.
[١٠] أي من غير نكاح شرعي بأن يكون زنى.
[١١] ع: قال.
[١٢] ن ع: بقوله.
[١٣] ع م: ليس.
[١٤] ك: يذكرا.
[١٥] ك ن: سفاها. أي يحتمل أن يكون الدخول حصل قبل النكاح وهو زنى. فالآية تحتمل ذلك. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦و.

إذ حكمه[1] أغلظ وأشد، فعلى[2] ذلك في إيجاب الحرمة من الحلال يجيء أن يكون أشد وأغلظ.[3] ولو كان ذكر الدخول هاهنا في [معنى] النكاح لم[4] يكن فيه ما يمنع وجوب الحرمة إذا كان في غير النكاح. ألا ترى إلى قول الله[5] تعالى: **وربائبكم اللاتي في حجوركم**؛ والربيبة التي لا تكون في حجر الرجل مثلها في الحرمة، و لم يجعل قوله تعالى: **في حجوركم** خصوصا فيها دون ما أشبهها. وكذلك يجوز أن لا يجعل قوله: **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** خصوصا [في] الدخول بالزوجات دون ما أشبههن، وهي الموطوآت. مع ما ذكرنا أن ليس في الآية ذكر نسائنا، لذلك لم يكن فيه دليل الحظر في غيره. وبعد، فإنا قد[6] ذكرنا[7] فيما تقدم[8] أن ليس في حظر[9] شيء في حال، حظرُه[10] في غير تلك الحال. والحرمة من ذلك الاستمتاع، أنه إذا استمتع بإحداهما لم يكن له الاستمتاع بالأخرى، ولا يحل له أن يتزوج بالأخرى. ألا ترى إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / أنه قال:[11] «ملعونٌ مَنْ نظر إلى فرج[12] امرأة وابنتها».[13] ومعلوم أنه لا ينظر إلى فرجهما في وقت واحد، وإنما ينظر في وقتين. فهو[14] –والله أعلم– إذا نظر إلى فرج أحدهما ثم نظر إلى فرج أخرى يذكر نظره في فرجها في وقت نظره في فرج هذه، فهو كالقاضي وَطَرَهُ فيهما، كذلك في الزنا كهو في النكاح. *والله أعلم*. على أنهم أجمعوا أن من وطئ أَمَة له لم يكن له أن يتزوج ابنتها. [١٣٢و]

---

[1] ع: حكمة.

[2] ن: وعلى.

[3] ع م + وهو.

[4] ع: لمن.

[5] ن: قوله.

[6] ع – قد.

[7] ع: فذكرنا.

[8] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٩/٤.

[9] م: خطر.

[10] م: خطره.

[11] ن – أنه قال.

[12] ع – إلى فرج.

[13] لم أجده مرفوعا. لكن روي عن وهب بن منبه قال: في التوراة: ملعون من نظر إلى فرج امرأة وابنتها (مصنف عبد الرزاق، ١٩٤/٧، ١٩٥). وعن عبدالله بن مسعود قال: لا ينظر الله إلى رجل نظر إلى فرج امرأة وابنتها (مصنف ابن أبي شيبة، ٤٨٠/٣).

[14] ع – فهو.

فدل أن الدخول بهما في النكاح وفي غير النكاح سواء، وأنه محرم. وما أجمعوا عليه أيضا أنه إذا وطئ امرأة في النكاح الفاسد[١] لشبهة[٢] حرمت ابنتها عليه، وهو وطء حرام. فدل هذا على أن التحريم إنما يكون بالاستمتاع بها لا غير.

وروي أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نظر إلى فرج امرأة لم تحل[٣] له أمها ولا ابنتها».[٤] وعن عمران[٥] بن حصين في رجل زنى بأم امرأته، قال: حرمت عليه امرأته.[٦] وعن عبد الله قال: لا ينظر الله إلى رجل نظر إلى فرج امرأة وابنتها.[٧] إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا رحمهم الله تعالى.

وقوله عز وجل: **وأمهات نسائكم وربائبكم**، الآية، الأصل أن الله سبحانه وتعالى بين المحرمات في الأنساب بيان الإبلاغ، وفي غير الأنساب بيان الكفاية. إذ بين في الأنساب الحرمة في الطرفين في اللواتي عَلَون وسَفِلن نحو الأمهات والبنات، ثم في اللواتي يتصلن بالآباء والأمهات نحو العمات والخالات، ثم في اللواتي يَشْرَكْنَ الطرفين بالاسم كالأخوات. وذَكر في الرضاع من الأنفس أحد الطرفين، وفي الشعوب ما يَشْرَكْنَ الطرفين، على الاكتفاء بذكر طرف من[٨] الأنفس عن الطرف الآخر، وبذكر[٩] المشتركات من الشعوب على الاكتفاء به[١٠] عن[١١] ذكر المنفردات. فعلى ذلك أمر الأنفس في خطاب[١٢] الحرمات. فلمّا ذَكر في ذلك الأمهات[١٣] والبنات جميعا على ما ذكر في الواحد فيما كان المذكور في نوعه بحق الكفاية من البيان لا بحق الإبلاغ دل أن ذلك لِمَا أُريدَ به التفريق بين[١٤] الأمرين.

---

[١] م: الفاسدة.
[٢] ك: ابشبهة؛ ن ع م: الشبهة. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٨٠و.
[٣] ع: لا يحل.
[٤] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٨١/٣.
[٥] ك: عمر.
[٦] *مصنف عبدالرزاق*، ٢٠٠/٧؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٨٠/٣.
[٧] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٨٠/٣.
[٨] ع – من.
[٩] ن ع: ويذكر.
[١٠] ن م – به.
[١١] ن: من.
[١٢] ع م: الخطاب.
[١٣] جميع النسخ: للأمهات.
[١٤] جميع النسخ: في.

وأيّد[1] ذلك خبرُ عبد الله بن عمرو[2] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] وأقاويلُ جماعة الصحابة. مع ما كان في ذلك إمكان[4] شبهة، فَحَقُّهُ أَنْ[5] لو اقتصرت[6] الحرمة بالعقد على ابتداء الآية[7] لا يزال ذلك بالشك.[8]

على أن وجهَ الاعتبار الاستواءُ في الحرمة قبلِ الدخول، لتكون[9] حرمةُ الابنة[10] على الأم في زوجها حرمةَ الأم عليها، على ما عليهما[11] أَمْرُ الابن من الأب في زوجته. لكن فُرِّق من حيث إساءةُ الرجل في الاختيار إذا اختار الأم على الابنة[12] إن علم، أو الغفلةُ إن لم يكن علم. وحق مثله الزجر عنه والتوبة عن مثله؛ فجعل له مفارقتها لابنتها؛ وقد يعدم بذلك قبل الدخول. على أن الدخول[13] مُذَكِّرٌ له ما كان بها في حال الاستمتاع بها. وقد حَرّم ذلك الجمعَ حرمة أبدية، ما ينبغي أن يجعل بما يُذَكِّر، وسبيلَ[14] الخَطْرِ[15] بالقلب. ***والله أعلم***. وليس أمر الابن والأب هذا، إذ إليهما[16] في الابتداء الاختيار والإيثار. وكل يؤثر الذي له على الذي هو لغيره. وفي النساء إنما يجب بعد الخطاب، وليس منهن غرض،[17] لذلك لم يعتبر حالهن.

---

[1] ع م: وآية.

[2] ن ع م: عمر.

[3] وهو الحديث المروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. فجده هو عبدالله بن عمرو. وقد تقدم تخريجه قريبا.

[4] ع + في.

[5] جميع النسخ: اذ.

[6] جميع النسخ: اقتصر.

[7] ك: على ابداء الآية الحرمة بالعقد؛ ن: على ابتداء الآية الحرمة بالعقد؛ ع م: على الابتداء الآية الحرمة بالعقد.

[8] أي إن الذي يظهر من لفظ الآية في ابتداء النظر هو أن العقد على الأم يحرم الابنة، لأن الآية تقول: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم﴾. أما قوله: ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ فيوجد شك في لحوقه بأمهات النساء والربائب. والاحتياط واجب في هذا الباب، فلا يباح ذلك بالشك. والله أعلم.

[9] ن ع م: ليكون.

[10] ك: البنت.

[11] ع م: عليها.

[12] ك: البنت.

[13] جميع النسخ: المدخول.

[14] أي ويجعل سبيل الخطر بالقلب. والله أعلم.

[15] ك م: الحظر.

[16] ع: إليها.

[17] جميع النسخ: عرض.

على أن الأمهات في العرف يُؤْثِرْنَ[١] لَذَّاتِ بناهن على لَذَّاتِهن، فلا يَلحقُهُنَّ[٢] في الفراق لأجل البنات غَضاضةٌ،[٣] ويلحق البنات،[٤] فلذلك فُرِّق. وأما بعد الدخول فهو موجب الحرمة لا من حيث الإيثار، إذ من جهةِ حرامٍ أو حلالٍ يوجب ذلك، فلذلك اختلف الأمران.[٥]*

وعلى ما بينا إذ[٦] ثبت أن الاستمتاع هو الأصل في التحريم، سواء له[٧] وقع من وجه يحل أو لا، فيهن الحرمة حرمة الأنفس لا حرمة الجمع، إذ لا أثر يقع له جمع.

ثم الأصل في ذلك أن تعلق[٨] الحرمات بالمحرَّم من الأعيان أظهر منه بالمحللة منها. ثم كانَ الاستمتاع بالأعيان المحلَّلة توجب حرمة الأمهات والبنات، فهو في المحرم أحق. مع ما لا يخلو أن تكون[٩] الحرمة لا تجب إلا فيما يحل؛ فيجب أن لا يجب في النكاح الفاسد، ولا في وطء جارية بعد وطء الابن؛ أو الملك، ففيهما[١٠] أيضا زائل؛ أو[١١] النسب، فيجب أن لا تجب الحرمة فيما لا يكون منه نسب؛ أو في[١٢] وقت لا يتمكن، أو[١٣] بإيجاب الحقوق، فيجب أن لا تجب في مماسة الأمة دون الفرج؛ أو الاستمتاع[١٤] خاصة، فيجب استواء حال السفاح والنكاح.[١٥]

---

[١] ع م: يؤثر.
[٢] ع: يحقن.
[٣] غضاضة أي نقص وانكسار وذل (*لسان العرب* لابن منظور، «غضض»).
[٤] جميع النسخ: لبنات. والتصحيح من نسخة سليم أغا، ورقة ١٢٠ظ.
[٥] ع: الامر.
* وردت هنا عبارة طويلة متعلقة بقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾، فوضعناها هناك. انظر: ورقة ١٣٢و/سطر ٢٦ - ١٣٢ظ/سطر ٢٤.
[٦] م: إذا.
[٧] ن ع م: سؤاله.
[٨] ن ع م: يعلق.
[٩] ع م: يكون.
[١٠] ن ع: فيهما؛ م: فيها.
[١١] ع م: لو؛ م + كان.
[١٢] ك: نسبا وفي.
[١٣] ن: إذ.
[١٤] ن: للاستمتاع.
[١٥] قال الشارح: «لأنه لا يخلو إما أن يقال بأنه لا تجب حرمة المصاهرة إلا في الوطء الحلال، وليس كذلك، فإنه تثبت الحرمة في الوطء في النكاح الفاسد وفي وطء جارية الابن. أو يقال بأنها لا تثبت إلا في موضع الملك، وهو فاسد، فإن في هذين الموضعين الملك معدوم. أو يقال: لا تثبت الحرمة إلا في موضع يثبت النسب. وهذا فاسد، =

وقوله عز وجل: **اللاتي دخلتم بهن**؛ قال بعضهم: هو كناية عن الجماع. لكنه عندنا الدخول بها هو أخذه يدها في إدخالها في موضع الخلوة والجماع لا نفس الجماع. كما يقال: فلان دخل بفلان موضع كذا، لا يراد به عين الدخول به المعروف، وهو أخذ اليد والدخول فيه. لذلك قلنا بأنه إذا أدخلها في موضع وخلا بها وجب كمال المهر بظاهر الآية، ووجبت[1] الحرمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل أيضا:[2] **اللاتي دخلتم بهن**؛ كُنِّيَ به عن الجماع، من حيث لا يكون الجماع إلا بالدخول بها مكانا يسترهما.[3] وإلا فحقيقة الدخول بآخر ليس بجماع، ولا يصلح القول به مطلقا دون ذكر المكان إلا في المرأة، بما يعلم أنها لماذا[4] يُدخَل [بها] وفيم يُدخَل. فجائز أن يكون في الحرمة على حق الكناية والمراد منه الجماع، وجائز على حقيقة الدخول بها مكانا لذلك، إذ هو الظاهر. وهذا الثاني يكون بأخذ[5] يدها أو شيء منها ليكون هو الداخل بها لا هي. ووجوده لا يكون إلا للشهوة، فيكون هو المذكور للحرمة.[6] فإذ[7] لم يظهر حقيقة المراد يجب الاحتياط في إيجاب الحرمة من كل وجه أو تحقيق[8] هذا، إذ هو أظهر له.

وله أدلة ثلاثة. أحدها ما روي: «ملعون من نظر إلى فرج امرأة وابنتها»،[9] إنه أوجب اللعن بالنظر. فلولا أن النظر[10] الأول قد حرم الثاني / لم يلحقه به اللعن. [١٣٣و]

---

= فإن الحرمة تثبت بوطء لابنة النسب، وفي وقت لا يتمكن ذلك. أو يقال: يتعلق ذلك بالنكاح. وليس كذلك، فإنه إذا وطئ أمة له لم يكن له أن يتزوج بنتها أبدا. فدل أن الدخول بها في النكاح وغير النكاح سواء. وإذا بطلت هذه الوجوه دل أن المعتبر نفس الدخول والاستمتاع، لا هذه الأوصاف في الدخول من الحل والملك وكونه موجبا للنسب ونحوه. مطلق الدخول موجود في الدخول في الحرام، يجب أن يتعلق به الحرمة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٧ظ).

[1] ن: وجبت؛ ع م: ووجب.
[2] ن – أيضا.
[3] ع: يستمر هما؛ م: يستمر بها.
[4] ك: لماذي.
[5] ن ع: يأخذ.
[6] ع م: الحرمة.
[7] م: فإذا.
[8] أي الأخذ بالمعنى الحقيقي للدخول.
[9] تقدم تخريجه قريبا.
[10] جميع النسخ: نظر.

ثم النظر دون اللمس في العبادات والأحكام، فاللمس أحق[1] في إيجاب الحرمة.

والثاني ما بينا أن علة الحرمة الاستمتاع. ومعلوم أن معناه في القُبلة والمباشرة أعلى منه في السبب الذي[2] يقضي به الاستمتاع وهو النكاح، وقد أوجب له، فالقُبلة أحق أن يوجب لها. وذلك كما أوجب بسبب الحدث وهو النوم حكمه. ثم لا يجب إلا في حال دون حال، وقد يجب لنفس الحدث على كل حال. فمثله سبب الاستمتاع من[3] حقيقته. *والله أعلم*.

والثالث: أن كل أنواع الاستمتاع في الحرمة والحل متصل بالجماع، وبخاصة[4] في حقوق الأملاك، فعلى ذلك في فسخ الأملاك وتحريمها. على أنه يبعد أن يكون المرء يستمتع بالمرأة عاما ثم يستمتع بها ولدها وكذلك بابنتها دون الفرج، أو أن يكون من لا يقدر على الإيلاج لعِنَّةٍ أو جَبٍّ[5] يرتفع عنه الحرمة أبدا، فيشترى أُمًّا وابنةً[6] ويستمتع بهما[7] أبدا، وذلك بعيد. فيجب الحرمة من الوجه الذي ذكرت.

وقوله عز وجل: **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم**؛ يحتمل[8] ذكر الصلب وجوها. يحتمل أن يكون ذكر الصلب ليعلم أن الحرمة في حليلة الولد كهي[9] في ولد الصلب.[10] وكذلك الحرمة في حليلة ابن الرضاع كهي في حليلة ابن الصلب، على ما كانت في محارم الرضاع وإن[11] لم يذكر. نحو أن ذكر أمهات الرضاع وأخواته و لم يذكر غيرها، ثم دخل ما دون ذلك في الحرمة. فعلى ذلك هذا.

وقال بِشر: دل تخصيص الأصلاب على رفع[12] حرمة حليلة الابن من الرضاعة، إذ لا يكون من الرضاع ابن.

---

[1] ع م: فالمراهق.
[2] ن ع م + به.
[3] ع: في.
[4] ك: وبخاصية؛ ن: ولخاصية؛ ع م: ولخاصة.
[5] العنين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن. والمجبوب -من الجَبّ- الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصيتاه (*لسان العرب* لابن منظور، «عنن»، «جبب»).
[6] ك: وابنتا؛ ن: وابنته.
[7] م: بها.
[8] ع م + ان.
[9] جميع النسخ: كهو.
[10] أي إن زوجة الابن مثل بنت الرجل التي هي من صلبه في الحرمة عليه.
[11] ع م: وإنه.
[12] ك ن ع: نسخ؛ م: فسخ. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ظ؛ ومن كلام المؤلف الذي سيعيده بعد قليل.

قلنا: لو لم يكن[1] من الرضاع ابن لم يكن لذكر الابن [من] الصلب[2] معنى ولا فائدة. دل أنه يكون من الرضاع ابن على ما يكون من النسب، وأن الحرمة من الرضاع كهي في النسب، وإن كانوا في الحقوق مختلفا،[3] نحو العتاق يعتق بعض على بعض، وتجب[4] لبعض في أموال بعض النفقة، وحقوق[5] مثلها[6] لا تجب[7] في محارم الرضاع. وذلك -والله أعلم- أن الرضاع انتفاع، والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض.[8] فإذا كان كذلك لم يوجب الرضاع إلا حرمة الانتفاع خاصة، وهو الاستمتاع. وأما النسب فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه، فأوجب مع ذلك حقوقا. ولأن في إقرار بعضهم[9] في يد بعضٍ مماليكَ[10] وعبيدًا قهرًا وغَلَبَةً لم يوجب ذلك فيما[11] لم يحصل لبعضهم قهر بعض.[12] لذلك كان الجواب ما ذكر.

وقيل: إنه ذكر أبناء الأصلاب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد ما طلقها،[13] وقد كان تبناه، فعابه المنافقون على ذلك وقالوا: تزوج رسول الله امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم**.[14]

[١٣٢و س٢٦ *قال[15] بِشر: دل تخصيص ذكر الأصلاب في حلائل الأبناء على رفع حرمة الرضاع، أو على أن لا يكون الابن إلا من الصلب.

---

[1] ن ع م: تكن.
[2] ك ن ع: الصب الابن؛ م: الصب للابن.
[3] ك ع م: مختلف.
[4] ك ن: ويوجب؛ ع م: يوجب.
[5] ن: حقوق.
[6] جميع النسخ: بمثله.
[7] جميع النسخ: يوجب.
[8] ك + بعض.
[9] ن: صنيعهم.
[10] جميع النسخ: مماليكا.
[11] جميع النسخ: فما.
[12] أي إن جواز كون الأقارب من الرضاع عبيدا يدل على أن حقوقهم ليست كحقوق الأقارب من الصلب.
[13] م: حلفها.
[14] عن عطاء قال: كنا نتحدث والله أعلم أنها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة. قال المشركون في ذلك، فنزلت: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ (*تفسير الطبري*، ٣٢٣/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٥/٢).
[15] ع + ال.

ونحن نقول: لا دلالة فيه على ما ذكرنا. لو استدل به على الكون كان أقرب، إذ خص ذكر الأصلاب. ولو لم يكن الابن إلا من الصلب لكان القول بحلائل أبنائكم كافيا عن ذكر الأصلاب. مع ما فيه وجوب الإلحاق بقوله: «يحرم من الرضاعة...».[1] ومعلوم أن الحرمة من الولادة تلحقه، وإن لم يكن منه حقيقة الولادة،[2] بما كان سببا له. فكذلك يصير مرضعا لِمَا كانت هي مرضعة، وإن لم يكن منه حقيقة الإرضاع، لِمَا كان هو سببا[3] لِمَا به[4] دُرُور[5] اللبن. وأيد ذلك أمر حلائل أبناء الأبناء، بل[6] حلائل أبناء البنات، وإن لم يكونوا للصلب، للاتصال به بالنسب على البعد عما ذكرنا أحق.[7] ***والله أعلم.***

مع ما يجوز أن يقال: صار الرضاع وِلادًا في الحكم بالخبر، فيصير للصلب بالحكم، نحو قوله تعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ.[8] ثم قد يعتبر فيهم الولاء في الحجاب، لما جاء أن الولاء لُحْمَة كلُحْمَة النسب،[9] ويصير ذو نسب ورحم بالحكم بما ذكر من الخبر، فمثله الأول. مع ما قد قيل: إن فائدة ذكر الصلب أن لا تتحقق[10] حرمة حلائل أبناء التبني بالأصلاب. ولذلك قال -والله أعلم-: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ.[11]

وقوله سبحانه وتعالى: **حرمت عليكم أمهاتكم** -إلى قوله تعالى- **وأن تجمعوا بين الأختين؛** [في الآية دلالة على حرمة نكاح الأخت في عدة الأخت من وجوه. أحدها أن قوله: **وأن تجمعو]**[12]

---

[1] «... ما يحرم من النسب» (*صحيح البخاري*، الشهادات ٧).
[2] ع م - تلحقه وإن لم يكن منه حقيقة الولادة.
[3] جميع النسخ: سبب.
[4] ع م: فيه.
[5] م: ورود.
[6] ن - بل.
[7] قال الشارح: «فلما وجب إلحاق السبب بالمسبب في الحرمة في باب النسب فكذا في باب الرضاع» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ظ).
[8] سورة الأنفال، ٨/٧٥.
[9] *مسند الشافعي*، ٣٣٨؛ وصحيح *ابن حبان*، ١١/٣٢٦؛ و*المستدرك* للحاكم، ٤/٣٧٩. قال ابن الأثير: «ومعنى الحديث المخالطة في الولاء وأنها تجري مجرى النسب في الميراث كما تخالط اللحمة سدى الثوب حتى يصيرا كالشيء الواحد لما بينهما من المداخلة الشديدة» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «لحم»).
[10] ن ع م: يتحقق.
[11] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٧.
[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ط.

إذ يحتمل الجمع في العقد، والجمع في المِلك، والجمع في الاستمتاع، ويحتمل الجمع في جنس[1] الاستمتاع، ويحتمل أن لا يرجع المراد إلى معنى من ذلك، ولكن يرجع إلى الكل. ثم كان الاستمتاع بهما مرة[2] واحدة غير ممكن، فإن كانت فيه حرمة فهو لمعنى هنالك يوجد في حال الجمع. لا أن[3] الخطاب يأخذه، إذ هو[4] غير ممكن وجوده ولا يتهيأ احتماله ليقصد بالخطاب نحوه.

[١٣٢ظ] ولكن من خاطب يجوز أن يخاطب [لمعنى] يحتمل[5] فيه تحريمه وإن لم ينص عليه / في الخطاب.

ثم الملك المطلق أو العقد[6] المطلق قد يوجدان غير محرمين، نحو عقده[7] بها[8] بملك[9] يمين، فثبت أن المقصود لو كان ملكا أو عقدا فهو مقيد، نحو ملك النكاح أو عقد ملك النكاح. وقد أجمع على دخول هذا في حق الخطاب، إذ قد أجمع على أن من جمع بين الأختين في النكاح أنه لا يصح. وأجمعوا أنه لو تزوج بعقدين فإن نكاح[10] الثانية فاسد، من غير أن كان جمع في العقد، بل في الملك لو ثبت العقد في الثانية. وإذا ثبتت[11] الحرمة لهذا[12] العقد والملك و لم يكن[13] لعقد ملك اليمين ولا لملكه[14] ثبت أنها لمعنى في ذلك، لا لنفس ملك اليمين[15] أو عقد. وبعد فإنهما في إيجاب الحل واحد.[16] ثبت أن ذلك ليس للحل نفسه ولا للملك[17] ولا للعقد،

[1] جميع النسخ: حبس. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ظ.
[2] ك ن: بمرة.
[3] ك: لأن.
[4] أي الاستمتاع بهما مرة واحدة.
[5] ك ع: تجعل.
[6] ع م: والعقد.
[7] ن ع م: عقدة.
[8] جميع النسخ: به.
[9] ك ع م + ملك.
[10] جميع النسخ: ان نكاح.
[11] ن ع م: ثبت.
[12] ع م: هذا.
[13] جميع النسخ: لم يكن.
[14] م: بملكه.
[15] ك – اليمين.
[16] قال الشارح: «لأن ملك اليمين وملك النكاح في إيجاب الحل سواء. قال الله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ (سورة المؤمنون، ٦/٢٣)» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٦ظ).
[17] ع م – ثبت أنها لمعنى في ذلك لا لنفس ملك اليمين أو عقد وبعد فإنهما في إيجاب الحل واحد ثبت أن ذلك ليس للحل نفسه ولا للملك.

إذ كل ذلك على الانفراد[1] لا يعمل هذا العمل. فيجب أن يكون المعنى من ذلك الاستمتاع. والجمع في الفعل به غير ممكن، فثبت أنه لمعنى قد وصف الجمع بالاستمتاع.[2]

وذلك على وجوه. أحدها: عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح. إذ عقد ملك اليمين قد يوجد ولا[3] يوجب حقّ الاستمتاع، وملك النكاح إذ هو لا يخلو من أن يوجب ذلك الحق.[4] ثم كان نفس الاستمتاع بحقه أحق من الأسباب الموجبة له، والعدة مما يوجب الاستمتاع نفسه، فهي أحق أن تكون[5] شرطا للمنع، بل هو أولى، إذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين ولا يمنع لحل[6] ولا لملك ولا لسبب. فإذا وجب المنع في النكاح لما هو سبب له فهو لأن يجب لحقيقته[7] أحق. وإن شئت قلت: إذ[8] لم يتفرد الحق[9] لنوع من السبب دون أن يشاركه غيره[10] من الأسباب لزم أن يكون حقيقة السبب مجهولا، لا يطلق ما قد يثبت[11] الحرمة إلا بيقين. **والله أعلم.**[12]

---

[1] ع: الانفرا.

[2] قال الشارح: «فثبت أن المراد به هو الجمع بينهما في المعنى الذي يوصف المرء به بالجمع بينهما في الاستمتاع معنى وحكما. وهو ما يكون وسيلة إليه وما كان من آثاره. إذا الشيء يجعل قائما تقديرا ببقاء أثره وبوجود أثر أسبابه» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و).

[3] ع: والا.

[4] قال الشارح: «وجعل الاستمتاع قائما ببقاء أثره أولى من جعله موجودا ببقاء سببه؛ لأن البقاء أسهل. والأثر فوق السبب» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و).

[5] جميع النسخ: يكون.

[6] ع م: الحل.

[7] ن م: بحقيقته؛ ع: بحقيقة.

[8] م: ان.

[9] ع م: الخلق.

[10] ن – غيره.

[11] ك: ثبت.

[12] قال الشارح في إيضاح ما سبق: «ثم العقد لما صار مانعا فالعدة أولى. ألا يرى أن حرمة الاستمتاع قد يثبت لهذا الأثر في ملك اليمين. فإنه إذا وطئ إحدى الأختين بملك اليمين لا تحل له أن يطأ الأخرى ما دامت في ملكه. ولا تثبت حرمة الاستمتاع لمحل ولا للملك ولا للسبب. فإنه إذا اشترى أختين حل له وطء إحداهما، وسبب الحل وملك الحل وحقيقة الحل وجد ولا يمنع الاستمتاع. ثم لما ثبتت الحرمة في النكاح لما هو سبب له فلأن تثبت بما هو من آثاره أولى. يقرر ما قلنا أن المقصود من النكاح هو الاستمتاع، حتى ينعقد في محل يُحل الاستمتاع ولا ينعقد في محل يُحرمه. فيجب أن يكون هو الأصل في التحريم والتحليل. ولهذا إن الأمة المجوسية والأخت المملوكة بسبب الرضاع حرام مع قيام الملك. والملك لا يوجب الحرمة؛ لكن لما كان معنى يقبح =

وأيضا إن عقد النكاح قد حرم عليه وعليها، لكن الذي حرم عليه في محارمها وعليها في الكل. ثم معلوم أن يملك الزوج فيها ما به يحل لغيره من الفراق حَضْرَةَ[1] فِعْلِهِ.[2] فلما دخل عجز عن[3] ذلك بما أحدث له فيها[4] الاستمتاع بها حقا بعد الفراق أبقاها على ما سبق من الوصل بلا فراق، فعلى ذلك ما فيه من الحق. إذ ذلك واجب بما فيه الشرك على أنها في بقية مِلكٍ له بنكاحٍ عملتْ فيها بقيةُ ملكِه عَمَلَ صِلَةِ ملكِه، فمثله فيه. وقد ألحق بعض مشايخنا[5] حرمة الجمع في العدة بالوطء[6] بحرمة[7] ما نزل[8] منها من اللبن على احتمال دُرورٍ دونه ودون الولد بما كان هو[9] سببا[10] في ذلك، كانت حرمة العدة أحق بذلك.[11]

---

= الاستمتاع بسبب التمحس والأختية ثبتت الحرمة. ولهذا كان الاستمتاع بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالأخت. فإذا ثبت أن الاستمتاع أحق في التحريم والعدة حق الاستمتاع والأخت سببه فيجب أن تكون هي محرمة. هذا إن كان المحرم هو الجمع والاستمتاع. وإن كان الكل هو المراد على طريق الانفراد، إذ واحد من الجملة مجهول غير معين، وقد ثبتت الحرمة في حال النكاح لأجل واحد من الجمة، فما لم يرتفع الكل لا ترتفع الحرمة بيقين. فوجب القول بالبقاء احتياطا في الباب» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٨و).

[1] ع م: لحضرة.

[2] أي في الحال.

[3] ك - عن.

[4] ن - فيها.

[5] جميع النسخ: من أنكر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و.

[6] جميع النسخ: بالوطئ. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و.

[7] ك ع م: حرمة؛ ن: حرمت. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و.

[8] ع م: ترك.

[9] م: هو كان.

[10] جميع النسخ: سبب.

[11] قال الشارح: «وأيضا فإن عقد النكاح قد حرم عليه وعليها. لكن الذي حرم عليه في محارمها، حيث لا يحل أن يجمع بينها وبين محارمها. أما (أي لكنه) لا يحرم الجمع بينها وبين العدد المباح من الأجانب. وحرم عليها في الكل، حيث لا يحل لها أن تتزوج بغيره من محارم الزوج والأجانب جميعا. ثم الزوج بنفس النكاح لا يعجز عن مباشرة سبب يحل على الغير في الجمة. بأن أقدم على مفارقتها فتحل للأجانب. وإذا وجد الدخول والاستمتاع بها عجز عن مباشرة سبب يثبت به الحل لها للحال. فإنه بالمفارقة بعد الدخول لا تحل على الأجانب، بل بسبب الاستمتاع يحدث فيها حق بعد الفراق أبقاها على ما سبق من الوصال بلا فراق، وهو العدة. فكذلك الزوج بمجرد النكاح لا يعجز عن مباشرة سبب يحل له تزوج أختها. فإذا جاء الدخول وحدث بالاستمتاع ذلك الحق وجب أن يبقى المرأة على ما كانت قبل المفارقة في حق حرمة الأخت. إذ النكاح مشترك بينهما. على أنها في بقية ملك له بنكاح عملت فيها بقية ملكه عمل صلب ملكه، فمثله فيه. عني بهذا حرمتها على الأزواج بسبب العدة التي هي بقية ملكه له عليها. فكذلك يجب أن يعمل عمل صلب الملك وحقيقته في إثبات الحرمة فيه؛ وهو نكاح الأخت» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٨ظ).

والأصل أن الحرمة قد[1] ثبتت[2] بالنكاح، فلما وقعت الفرقة أشكل زوالها، فلا يُزال بالشك. مع ما في الإزالة تعليق الحرمة بالحل أو بالملك خاصة، وقد بينا وجوبها لا لتلك الوجوه.

ثم الأصل في النكاح أن المقصود منه الاستمتاع، وبحله يحل هو وبحرمته[3] يحرم، فيجب أن يكون هو الأصل للتحريم والتحليل. وعلى هذا يحرم[4] كثير[5] من الإماء في حق الاستمتاع بهن وإن لم يحرم فيهن الملك، ويحرم بالاستمتاع في ذلك وإن كان الملك لا يوجب الحرمة. فإذا ثبت أن الاستمتاع أحق في التحريم، والعدة حق الاستمتاع أوجبها، فيجب أن تكون[6] هي محرمة. لذلك لم يجز نكاح الأخت فيها، مع ما كانت موجبة الحرمة فيها أكثر مما يوجب في ملك اليمين. ثم كان الاستمتاع بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالأخت، فالعدة التي هي مجعولة لتأكيد الحرمات وقطع المجعول للحل خاصة أحق أن يمنع. *والله أعلم*.* ١٣٢ظ س٢٤]

وقوله عز وجل: **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف**؛ يحتمل قوله سبحانه وتعالى: **وأن تجمعوا بين الأختين** وجوها. يحتمل الجمع بينهما في العقد. وقد أجمعوا أنه إذا لم يجمع بينهما بالعقد[7] ولكنه تزوج إحداهما ثم تزوج أخرى لم يحل[8] له[9] نكاح الأخرى، دل أنه لم يرد به الجمع في العقد. أو يحتمل الجمع في الملك، وقد أجمعوا أيضا أن له الجمع بينهما في ملك اليمين. فدل أنه إنما أراد الجمع بينهما في الاستمتاع.

وإذا استمتع بإحداهما[10] بنكاح ثم فارقها[11] لم يحل له أن يتزوج أختها والأُولى في عدة منه

---

[1] ن: قله.
[2] ك ن: تثبت؛ ع م: ثبت.
[3] ع: وحرمته.
[4] ك: تحريم.
[5] جميع النسخ: كثيرا.
[6] ن ع م: يكون.
* ورد ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فوضعناه هنا. انظر: ورقة ١٣٢و/سطر ٢٦ – ورقة ١٣٢ظ/سطر ٢٤.
[7] ن – بالعقد.
[8] ك: يحل.
[9] م - له.
[10] ع: إحداهما؛ م: أحدهما.
[11] م: فارقهما.

من طلاق بائن؛ لأن[1] الاستمتاع هو الذي حبسها عن الأزواج، فكان كالجمع [المحرم] بينهما في الاستمتاع، ولأن المعنى الذي به حرم الجمع في ملك النكاح ذلك إذا كانت في عدة منه موجود، وهو خوف القطيعة فيما بينهما. *والله أعلم*. ولأن[2] أكثر أحكام الزوجات قائم فيما[3] بينهما نحو الإسكان والإنفاق عليها وإلحاق الولد وغير ذلك من الحقوق. وعن علي[4] رضي الله عنه أنه سئل عن رجل طلق امرأته فلم تَنْقَضِ عِدَّتُها حتى تزوج أختها، ففرق عليّ[5] بينهما، وجعل لها[6] الصداق بما استحل من فرجها، وقال: تُكمل الأخرى عدتها، وهو خاطب.[7] وعن زيد بن ثابت أنه سئل عن رجل تحته أربع نسوة، فطلق إحداهن ثلاثا، أيتزوج رابعة؟ فقال: لا، حتى تنقضي[8] عدة التي طلق.[9] وعن عائشة رضي الله عنها مثله.

واختلف في الجمع بين الأختين من ملك اليمين. عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن المرأة وأختها من ملك اليمين، هل يوطأ بعد الأخرى؟ قال: ما أحب أن أجيزهما[10] جميعا،[11] ونهى عنه.[12] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه غضب[13] في [جمع] الأختين[14] من ملك اليمين فقال: جمل[15] أحدكم [من] ملك اليمين. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

---

[1] ع – لأن.
[2] ك: ولا.
[3] ع م – فيما.
[4] ك ن + بن أبي طالب.
[5] ع م + ما.
[6] ع م – لها.
[7] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥٢٥/٣.
[8] ع م: ينقضي.
[9] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥٢٤/٣.
[10] ن ع: أجيرهما؛ م: أجيزها.
[11] ن ع م: جمعا.
[12] لم أجده هكذا، لكن روي عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن المرأة وابنتها من ملك اليمين، هل توطأ إحداهما بعد الأخرى؟ فقال عمر: ما أحب أن أجيزهما جميعا، ونهاه (*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٨/٢).
[13] ك: حعب؛ ن: حث؛ ع م: حسث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧و.
[14] ن – في الأختين؛ صح هـ.
[15] جميع النسخ: حمل. لكن روي عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين الأمتين فكرهه. فقيل: يقول الله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤). فقال: وبعيرك أيضا مما ملكت يمينك (*الدر المنثور*، ٤٧٦/٢). والبعير هو الجمل. يعني ابن مسعود رضي الله عنه أن ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ مبهمة تحتاج إلى إعمال فكر ونظر حتى يتبين ما هو داخل في عمومها وما هو خارج عن ذلك. فلو أخذنا الكلام على عمومه لكان الجمل داخلا في عموم الآية؛ وذلك مستحيل.

يحرم من جميع[١] الإماء ما يحرم من جميع[٢] الحرائر إلا العدد.[٣] وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن رجل له أمتان أختان، وقع على إحداهما، أيقع على الأخرى؟ قال: لا، ما دامت في ملكه.[٤]

وأجمعوا أيضا على أنه إن تزوج بامرأة فاشترى أختها لم يحل له أن يطأها. إلى هذا ذهب أصحابنا رحمهم الله تعالى. ثم إذا[٥] طلق[٦] امرأته وانقضت عدتها أو ماتت حل له أن يتزوج أختها، ولم يحل[٧] له أن يتزوج بأمها.[٨] وذلك -والله أعلم- بأن الحرمة في الأخت في نفسها وليس في ولدها، / والحرمة[٩] في الأم والابنة[١٠] في أنفسهما وفي[١١] ولدهما. فإذا كانت [١٣٣ظ] الحرمة في الأخت من وجه وفي الأم من وجهين، ففيما كانت الحرمة من وجه كانت حرمة[١٢] الجمع لا حرمة تأبيد، وفيما كانت من وجهين حرمة جمع وحرمة تأبيد، لأنها تَأَذَّتْ إلى أولادها وفي الأخت لم تَتَأَذَّ، لذلك اختلفا.

وقوله عز وجل: **إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما**؛ يحتمل: إلا ما قد سلف قبل التحريم في الجاهلية، فإنهم إذا انتهوا عن ذلك في الإسلام يغفر الله لهم. ويحتمل قوله: **إلا ما قد سلف**: وإن كان محرما في ذلك الوقت، فإنهم إذا انتهوا عن ذلك بعد الإسلام يغفر ذلك[١٣] لهم ويتجاوز عنهم. وهو كما ذكرنا في قوله:[١٤] إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً،[١٥]

---

[١] ك: جمع.
[٢] ك: جمع.
[٣] *الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٧٦.
[٤] *الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٧٧.
[٥] ع م – إذا.
[٦] ع م: اطلق.
[٧] ن: يكن.
[٨] م – بأمها.
[٩] ك + والحرمة.
[١٠] ك: والبنت.
[١١] جميع النسخ: وهي.
[١٢] ع: الحرمة.
[١٣] ن: لذلك.
[١٤] ع م – إلا ما قد سلف وإن كان محرما في ذلك الوقت فإنهم إذا انتهوا عن دلك بعد الإسلام يعفر دلك لهم ويتجاوز عبهم وهو كما دكرنا في قوله.
[١٥] سورة النساء، ٤/٢٢.

يحتمل: كان في ذلك الوقت[1] فاحشة؛ ويحتمل كان فاحشة، أي صار فاحشة في الإسلام.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**؛ اختلف في تأويله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**؛ قال: ذوات[2] الأزواج من المسلمين والمشركين.[3] وقال علي رضي الله عنه: ذات الأزواج من المشركين.[4] ذهب عبد الله في تأويل الآية إلى[5] أن بيع الأمة طلاقها،[6] يُحل للمشتري وطأها، وأسر الكتابية والمشركة يُحلها لمولاها وإن كان لها زوج في دار الحرب. وذهب علي رضي الله عنه إلى أن الآية نزلت في المشركات. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كل ذات زوج إتيانها زنى، إلا ما[7] سُبِيَتْ.[8] وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: وقعت[9] في سهمي يوم أوطاس جارية. فبينا أنا أسوقها إذ رفعت رأسها إلى الحِلِّ، فقالت:[10] ذاك[11] زوجي. فأنزل الله سبحانه وتعالى: **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**، الآية.[12] قال أبو سعيد رضي الله عنه: فاستحللنا[13] فروجهن[14] بها.[15] بين أبو سعيد رضي الله عنه في حديثه

[1] م – الوقت.
[2] ك ن م: وذات.
[3] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٩/٢.
[4] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٩/٢.
[5] ك ن – إلى.
[6] *تفسير الطبري*، ٣/٥.
[7] ك: للإماء.
[8] *تفسير الطبري*، ١/٥.
[9] ع: وقفت.
[10] ك: فقال.
[11] م: ذلك.
[12] ك ن – الآية.
[13] ك ن ع: فاستحسنا.
[14] ك: حروجهن.
[15] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشا إلى أوطاس، فلقوا عدوا فقاتلوهم، فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا. فكأن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم –

أن الآية نزلت في المشركات ذات الأزواج. وكان حديثه يقوي قول عىي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن وافقه.

وقيل أيضا في تأويل الآية: **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**؛ قال: والمحصنات من النساء حرام عىى الرجال إلا ما ملكت يمينك،[1] قال: ملك يمينه[2] امرأته. وعن أبي قِلابة قال: ما سبيتم[3] من النساء؛ إذا سُبيت[4] المرأة ولها زوج من قومها فلا بأس أن[5] يطأها.[6] وعن ابن عباس رضي الله عنه: **والمحصنات من النساء**؛ قال: لا يحل له أن يتزوج فوق أربع نسوة، وما زاد عىيهن فهو[7] عىيه حرام كأمه وابنته وأخته، **إلا ما ملكت أيمانكم**: الإماء، فإنه عىى أربع وأكثر من أربع.[8] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **إلا ما ملكت أيمانكم**: هن نساء كنا[9] نصيبهن،[10] يهاجرن ولا يهاجر أزواجهن، فمُنِعناهن في هذه الآية. ثم أنزل الله عز وجل في الممتحنة: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[11] فأُحْلِلْنَ[12] لنا بَعْدُ أن نتزوجهن.[13] وفيه نهى عن الزنى، وأباح التزويج. فجعلوا ملك اليمين التزويج.

وأصح التأويلين وأولاهما بالقبول ما[14] روي عن علي بن أبي طالب[15] رضي الله عنه

= تحرجوا من غشيانهن، من أجل أزواجهن من المشركين. فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن (*صحيح مسلم*، الرضاع ٣٣).

[1] ع: بيمينك.

[2] ع: بيمينه.

[3] ك: سنيتم.

[4] ك: سنيت.

[5] ع – أن.

[6] *تفسير الطبري*، ٥/١.

[7] ن ع م: وهو.

[8] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٠/٢.

[9] ن: كن؛ ع م: نساءكم.

[10] ن: نصبهن؛ ع: يصيبهن؛ م: يصبهن.

[11] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.

[12] ن: فأصلن.

[13] ن: تتزوجهن. عن أبي سعيد الخدري قال: كان النساء يأتيننا، ثم يهاجر أزواجهن، فمنعناهن. يعني بقوله: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ (*تفسير الطبري*، ٧/٥).

[14] ن: لما.

[15] ك ن – بن أبي طالب.

وابن عباس رضي الله عنه، ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. وظاهر القرآن يدل على أن ذلك هو الحق، لأن الله تعالى قد[1] فصل في غير هذا[2] الموضع بين التزويج وملك اليمين، فجعل ملك اليمين الإماء. ألا ترى إلى قوله: إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[3] وقال:[4] لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ.[5] فهاتان[6] الآيتان تدلان[7] على أن قول الله[8] سبحانه وتعالى في آية المحصنات: **إلا ما ملكت أيمانكم** على غير الأزواج، كما روي عن الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين ذكرناهم.

ثم الكلام بين علي وابن مسعود رضي الله عنهما. ونحن نعلم أن ابن مسعود رضي الله عنه أوجب على الأَمَة إذا باعها مولاها ولها زوجٌ العدّةَ إذا كان قد دخل بها، وأنها عنده لا تحل لمولاها حتى تنقضي عدتها، فلم يجعلها[9] حلالا للمولى الثاني بملكه[10] إياها. فكان قول علي رضي الله عنه أشبه بظاهر الآية -لأنه تأول الآية على متزوجة تحل بالملك لمولاها في حال الملك- من قول عبد الله، إذ جعلها محرمة وإن كانت مملوكة حتى تنقضي[11] عدتها. وفي ذلك[12] وجه آخر. وهو أن الله تعالى قال:[13] **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**؛ وعبد الله[14] يحرمها على البائع ويحلها[15] للمشتري، ولم يخص الله تعالى أحدا[16]

---

[1] ن – قد.
[2] ن ع م – هذا.
[3] سورة المؤمنون، ٦/٢٣.
[4] جميع النسخ: قال.
[5] ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ (سورة الأحزاب، ٥٢/٣٣).
[6] ك ن م: فهذان؛ ع: فهذا ان.
[7] ن ع م: يدلان.
[8] ن: قوله.
[9] ن: يجعل؛ ع + لها.
[10] ع: يمكه.
[11] جميع النسخ: تبقى.
[12] ن + أو في ذلك.
[13] م – قال.
[14] ع م: وعبد الله.
[15] ع: ويحل لها؛ م: ويحللها.
[16] ع: عهدا.

من المالكين.[١] وعن[٢] علي بن أبي طالب رضي الله عنه حَمْل الآية على امرأة كافرة متزوجة سبيت، فأحلها الله تعالى[٣] لمالكها، فلم يعرف[٤] من حال المملوكة[٥] هذا. مع موافقة الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

وظاهر الآية يدل على أن المأسورة[٦] ذات الزوج لا عدة[٧] عليها. وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ -إلى قوله- وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.[٨] فأمر أن لا يردوهن[٩] إليهم[١٠] ويُنكحن.[١١] فلما جاز أن يتزوج الحرة إذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها، حلّت إذا سُبيت فمُلكت قبل أن تعتد.

والثاني أنها[١٢] كانت حرة، فأبطل السبي حكم الحرية والزوجية، فكذلك يبطل حكم العدة. هذا كله إذا سبيت ولم يكن معها زوجها. فأما إذا[١٣] سبيت ومعها زوجها[١٤] فإن الفرقة لا تقع بينهما؛ لأنها لو بانت من زوجها بانت للرق. والرق لا يمنع ابتداء النكاح، كيف يعمل[١٥] في فسخ نكاح ثابت! ولكن اختلاف الدارين هو المُوقِع فيما بينهما / الفرقة [١٣٤و]

---

[١] قال الشارح: «والذي يقرر قول علي من وجه آخر أن ظاهر الآية يقتضي أن يكون المسوكة حلالا على المالك. وعلى ما قاله ابن مسعود لا يمكن العمل بإطلاقه. فإنه يحلها على المشتري، أمّا لا يحلها على البائع. فإنها إذا كانت ذات زوج يكون حراما على مولاها ما لم يبعها عنده فتحل للمشتري وهو مالك لها في هذه الحالة. ومع ذلك لم يثبت الحل مع قيام الملك. وليس في الآية تقييد بين حال وحال. وعلى ما حمله عليّ وهي المسبية تكون حلالا بمطلق الملك على كل حال. فكان أقرب إلى ظاهر الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧ظ).

[٢] ع م: روي عن.

[٣] ن ع م + هي.

[٤] ن ع: تعزل.

[٥] ع: منها للمملوكة.

[٦] ع: المأثورة.

[٧] ع: لعدة.

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ (سورة الممتحنة، ١٠/٦٠).

[٩] جميع النسخ: يردهن.

[١٠] م ن ع: إليهن؛ م - إليهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨ظ.

[١١] ك ن ع: وينكحهن.

[١٢] ن ع م: إنما.

[١٣] ع م - إذا.

[١٤] ن: سبيت وزوجها؛ ع م: وزوجها معها.

[١٥] ع: عمل.

لفوت الاجتماع بينهما. وإذا فات الاجتماع بين الزوجين ووقع[1] الإياس عن الانتفاع وقعت[2] الفرقة فيما بينهما. وهذا يبطل قول من يقول: إنه تقع[3] الفرقة فيما بينهما للرق.

والثالث أن العدة حق من حقوق الزوج. يبين ذلك قولُ الله سبحانه وتعالى: فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا.[4] فلا يجوز أن يبقى للحربي على المسلمة الخارجة إلى دار الإسلام حق. فإذا لم يكن عليها العدة لها أن تتزوج. وسبيل الأمة[5] المسبية مسلمةً[6] الحرةُ المسلمة؛ لأن حكم الإسلام قد جرى عليها فحلت للمولى وإن كان لها في دار الحرب زوج.

ومن الدليل أيضا على أن المسبية ذات الزوج يحل[7] تزوجها[8] ووطؤها لمولاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية بنت[9] حيي بن[10] أخطب في رجوعه من خيبر[11] قبل أن يصل إلى المدينة.[12] ومعلوم أنها[13] كان لها زوج كبير، وأن عدمًا منه[14] لو كانت واجبة لم تنقض[15] في تلك المدة. فهذا يبين[16] أن[17] لا[18] عدة على مَسْبِيَّةٍ من زوجها المقيم في دار الحرب، ولا على مسلمة إذا خرجت من دار الحرب وأقام زوجها هنالك.

وقوله تعالى: **والمحصنات من النساء**، الآية؛ قيل فيه بأوجه ثلاثة. أحدها في المَسْبِيَّة ذات الأزواج؛

---

[1] جميع النسخ – وقع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و.
[2] م: وقت.
[3] ك: يقع.
[4] سورة الأحزاب، ٤٩/٣٣.
[5] ن – الأمة.
[6] ك: مسألة.
[7] ع م: تحل.
[8] ن: تزوجها.
[9] ك: ابنت؛ ن ع م: ابنة.
[10] جميع النسخ: ابن.
[11] ع: خيبر.
[12] *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨؛ وصحيح *مسلم*، النكاح ٨٧-٨٨.
[13] ك ن: أنه.
[14] ن – منه.
[15] ن م: ينقض؛ ع: ينقص.
[16] ن: تبين.
[17] ن – أن.
[18] ع: الا.

وكذلك روي عن علي، وأبي[1] سعيد الخدري رضي الله عنهما. فيكون فيه أمران. أحدهما الحرمة على الأزواج، والثاني ارتفاع العدة. إذ هما حقان للحربي، وحقه في نفسه لا يمنع الاسترقاق، ولو كانت حرمة[2] الاستمتاع. فمثله في زوجته.[3] لكن يدخل على هذا سبي الزوج معها، أن الرق قد ثبت فيهما و لم يبطل النكاح. فيجاب لهذا بوجهين. أحدهما الاستحسان، من حيث يلزم المولى حق الإنكاح بقوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ،[4] الآية، فلم يبطل عليه التحديد.[5] وليس هذا في سبي الزوجة [وحدها]، إذ لا تَعَفُّفَ لها به وهو في دار الحرب.[6] والثاني أن حق الرق أن يُخرج الرقيق من يد نفسه.[7] والمملوك قد يكون له يد في النكاح، فكأنها لم تخرج من يده إذا[8] سبي معها. وإذا لم يُسبيا [معا] لا يكون لمن في دار الحرب يد في دار الإسلام.[9]

وفي حق الآية عبارة أخرى. إنها إذا سبيت دونه انقطعت عنها عصمة الزوج، وقد جعل الله تعالى انقطاع عصمته[10] بسبب حل غيره، لقوله تعالى: إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ –إلى قوله–

---

[1] ك: ابن.

[2] ك ن: حرة.

[3] قال الشارح: «وحقه في نفسه يبطل بالاسترقاق. فإن الحرية حقه. وكذلك لو كانت حرة تبطل حقها بالاسترقاق. فكذا يبطل حقه عن النكاح والعدة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و).

[4] ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ (سورة النور، ٣٢/٢٤).

[5] ك ن: التحديد.

[6] قال الشارح: «وفي الاستحسان لا يبطل ملك النكاح. لأن المولى يلزمه حق الإنكاح إذا لم تكن ذات الزوج لتحصين التعفف والتحصين ها... فإذا كان النكاح قائما والتعفف حاصلا عند عدم التباين لوجود الاجتماع وتحقيقه غالبا لم يجز القول ببطلان النكاح بحدوث عارض يوجب تجديد النكاح. وهذا المعنى لا يتحقق في سبي الزوجة وحدها. لأنه لا يقع التعفف لها بزوج يكون في دار الحرب وهي في دار الإسلام. والأمر للمولى بتجديد النكاح قائم لحصول التعفف لها. وليس للزوج حق يمنع دلك. فوجب القول بالزوال وثبوت الحل للغير. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٩ط).

[7] جميع النسخ: والثاني أن يكون الزوج وحق الرق إنما يجب إذا أحرج المرء من يد نفسه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و.

[8] ك ن: إذ.

[9] قال الشارح: «والثاني أن حق الرق أن يخرج الرقيق من يد نفسه ويصير نفسه وماله في يد المولى ويثبت الملك له في ماله ونفسه. ولكن لا يزول يده عن امرأته. لأن العبد في حق النكاح باق على أصل الحرية. و لم يصر في يد المولى من حيث أنه مالك للنكاح. فإذا سبيا معا فكان يده قائمة على امرأته، فبقي النكاح. وإذا سبيت وحدها أو سبي وحده لا يبقى اليد للزوج عليها. لأنه لا يد للزوج عند تباين الدارين على المرأة. فيزول ملك الزوج عنها لعدم قيام يده عليها» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٧٩ط).

[10] ع: عصمة.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ.[1] وقد جعل ذلك في الزوج سببا لقطع عصمته بقوله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ.[2] وعصمة الزوجين عصمة مشتركة، أيهما خرج مسلما خرج لئلا يعود، وكذلك[3] المختلف يختلف لئلا يخرج، فبطلت العصمة بينهما وأحل التناكح. ولو خرجا معًا لا، فمثله أمر السبي.

وتأويل آخر أن يكون[4] قوله تعالى: **والمحصنات من النساء**، الآية، إلى قوله: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ،[5] الآية، على أن لا يحل وراء الأربع إلا ملك يمين، وعلى هذا في غير ذات الأزواج. وقد روي مثله عن ابن عباس رضي الله عنه. ويكون في ذلك بيان ما كانت حرمته من حيث العدد يختص في النكاح، وإن[6] كان النكاح وملك اليمين فيما كانت الحرمة من حيث المنكوحة يستويان؛[7] من حيث كانت حرمة العدد بحيث العقد بما فيه من الحقوق التي لا يقوم[8] لها إلا بَشَرٌ قد عُصِم، وملك[9] اليمين لا يجب فيه ذلك. وما كانت الحرمة بحيث نفس المرأة يستوي لاستواء الملكين في حق الحل والحرمة.

ووجه آخر. قيل: المحصنات هن الحرائر، وما ملكت أيمانكم [أي] بالنكاح. فذهب[10] من يقول بهذا إلى ما لو لم يذكر "أيمان"، ولكن قال: "المحصنات من النساء إلا ما ملكتم"، فيكون التحريم في غير النكاح، لكنه بعيد على المعهود من الكلام أنه لا يُتكلم به إلا في ملك اليمين خاصة.

ويجوز جعل الأمرين من الإماء، على تحظّر وطء الزانيات على الموالي،[11] واختيار المتعففات منهن لمكان الأولاد.[12]

---

[1] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.
[2] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.
[3] ك: كذلك.
[4] ن ع م – يكون.
[5] سورة النساء، ٣/٤.
[6] جميع النسخ: فإن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٧ظ.
[7] جميع النسخ: يستوي.
[8] ك: تقوم.
[9] ع م: وقد ملك.
[10] ك: فمدهب.
[11] ك: الوال؛ ن ع م: الوالي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و.
[12] قال الشارح: «وقيل في قوله: ﴿والمحصنات﴾ المتعففات... ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من المتعففات. وفائدة تخصيص المتعففات بالاستثناء ترغيب للموالي في الامتناع عن وطء الزانيات وفي اختيار المتعففات منهن لمكان الأولاد» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٨و).

[١٣٤و س٣٩] *وقيل في قوله: **والمحصنات من النساء**؛ هن المتعففات من الإماء، **إلا ما ملكت أيمانكم** من الإماء[1] المسافحات الزانيات، كأنه قال: فاستمتعوا بالمتعففات منهن، ولا [١٣٤ظ] تستمتعوا بالزانيات، لأنهن يَلْبِسْنَ[2] عليكم النسب، وهو كقوله تعالى: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا.[3]* [١٣٤ظ س٢]

وقوله تعالى: **كتاب الله عليكم**؛ قيل: كتب الله عليكم ما ذكر مما مر في هؤلاء الآيات.[4] وقال الكسائي:[5] نُصِب **كتاب الله** على قوله: حُرِّم كذا وأحلّ كذا **كتاب الله عليكم**، على الأمر.[6] يقول: عليكم كتابَ الله، دونكم كتاب الله، اتبعوا كتاب الله، في نحو هذا المعنى.[7]

وقيل: **كتاب الله عليكم**، يقول: هذا حرام الله عليكم في الكتاب. وقيل: هذا التحريم من النكاح قضاء الله عليكم في الكتاب.

وقوله تعالى: **وأحل لكم ما وراء ذلكم**؛ اختلف فيه. قيل: **ما وراء ذلكم** أي ما سوى ذلكم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[8] دليله قوله: وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ،[9] أي سواه.

---

[1] ن – من الإماء.

[2] ع م: يلبس.

[3] سورة النور، ٣٣/٢٤.

* ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد قبيل عقب قول المؤلف «أحل لكم ما بعد هؤلاء الأربعة الأصناف». ولعل وضعه هنا أنسب. انظر: ورقة ١٣٤و/سطر ٣٩ – ورقة ١٣٤ظ/سطر ٢.

[4] ن ع م: الإناث.

[5] الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي الكسائي. شيخ القراءات والنحو. أحد القراء السبعة. أدب الرشيد وولده الأمين. وهو من تلامذة الخليل. وله مع اليزيدي وسيبويه مناظرات كثيرة. توفي بالري صحبة هارون الرشيد سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م. انظر: *شذرات الذهب*، لابن العماد، ٣٢١/١.

[6] ع: الأمرين.

[7] أي إنه منصوب على الإغراء. وقد نسب الطبري ذلك إلى بعض أهل العربية و لم يرتضه. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٥. وقال الشوكاني: «قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ منصوب على المصدرية، أي كتب الله ذلك عليكم كتابا. وقال الزَّجّاج والكوفيون: إنه منصوب على الإغراء، أي الزموا كتاب الله أو عليكم كتاب الله. واعترضه أبو علي الفارسي بأن الاغراء لا يجوز فيه تقديم المنصوب. وهذا الاعتراض إنما يتوجه على قول من قال إنه منصوب بعليكم المذكور في الآية» (*فتح القدير* للشوكاني، ٤٤٩/١).

[8] روي هذا القول عن أبي مالك. وروي عن ابن عباس أنه قال: ما وراء هذا النسب. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٣/٢.

[9] يقول الله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم﴾ (سورة البقرة، ٩١/٢).

وقيل: **ما وراء ذلكم** أي ما قبله[1] وأمامه،[2] وهوكقوله عز وجل: وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ،[3] وهو كان أمامهم. وقيل: وراء ذلك أي بعد ذلك وخلفه، وهو ظاهر.

ومن قال: سوى ذلك، يقول: أحل لكم ما سوى ذلكم الذي حرم عليكم، ما لم يُسَمِّ لكم. ومن قال: **ما وراء ذلكم**: أمام ذلك وقبله، وهو ما ذكر قبل هذه المحرمات، قوله: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.[4] ومن قال: ما[5] وراء: بعد، أي[6] ما[7] بعد الأربعة الأصناف المحرمة: المحرمات[8] بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات بالجمع، يقول: أحل لكم ما بعد هؤلاء الأربعة الأصناف.*

وقوله: **وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم**؛ بين الله تعالى أن النكاح لا يكون إلا ببدل يكون مالاً، لأنه قال: **بأموالكم**. وفي الآية دلالة أيضا على أن ما يملك ولا يقع عليه اسم المال لا يكفي[9] مهرًا، لأنه قال: **أن تبتغوا بأموالكم**؛[10] ولا يسمى الدَّانِقُ[11] والحبة مالاً، ولو كانت الحبة مالا وكانت[12] التمرة مالاً. فثبت بما وصفنا من دلالة الآية أن المهور لا تكون[13] إلا من الأملاك.

فإن قيل: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: «قد زَوَّجتُكَهَا بما معك من القرآن».[14]

---

[1] في ك: (ما قبله) مختلط الخط.

[2] ك: ولكلامه.

[3] ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ (سورة الكهف، ٧٩/١٨).

[4] سورة النساء، ٣/٤.

[5] م – ما.

[6] م: إلى.

[7] ن – ما.

[8] ن – المحرمات.

* وردت هنا في جميع النسخ فقرة من تفسير قوله تعالى في هذه الآية: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ١٣٤و/سطر ٣٩ – ورقة ١٣٤ظ/سطر ٢.

[9] جميع النسخ: لا يكفين.

[10] م – وفي الآية دلالة أيضا على أن ما يملك ولا يقع عليه اسم المال لا يكفي مهرا لأنه قال أن تبتغوا بأموالكم.

[11] هو سدس الدينار (*لسان العرب* لابن منظور، «دنق»).

[12] جميع النسخ: وكان.

[13] ن ع م: لا يكون.

[14] عن سهل بن سعد قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوسا، فجاءته امرأة تعرض نفسها عليه. فخفض فيها النظر ورفعه، فلم يُرِدْهَا. فقال رجل من أصحابه: زوجنيها يا رسول الله قال: «أعندك من شيء؟»قال: =

قيل: تأويله عندنا -والله أعلم- «بما معك من القرآن»، أي من أجل[1] ما معك من القرآن.[2] ولا يجوز أن يكون السورة مهرا بدليل الكتاب، لأنها ليست بمال. وكذلك كل شيء ليس بمال[3] ولا يكون له قيمة فلا يجوز أن يكون مهرا. وكذلك قوله سبحانه وتعالى: فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ،[4] يدل على أن السورة وما لا يُتموّل لا يكون مهرا.

وروي عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج على وزن نَوَاةٍ من الذهب.[5] قلنا: وزن نَواة من الذهب[6] يكون دينارا.

فإن قيل: قد بين في الخبر قيمتها ثلاثة دراهم وثلث.[7] لكن[8] لا ندري من كان المقوّم للنواة؟[9] ولا يجوز أن يجعل تقويم ذلك المقوّم وتفسيره[10] حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك. مع ما قال قوم: إن النواة عشرة دراهم، وهو ما قال إبراهيم.[11]

فإن قيل: روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطى في نكاحٍ مِلْء كفه طعاما أو دقيقا أو سويقا فقد استحل».[12] وكذلك يقول أصحابنا رحمهم الله، ولكن يتم لها[13] عشرة دراهم. ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: ولا شيء عليه سوى ذلك. مع ما يقول المخالف لنا: إذا كان المهر مما لا يُتمول لم يكن مهرا،

= ما عندي من شيء قال: «ولا خاتم من حديد؟» قال: ولا خاتم من حديد. ولكن أشق بردتي هذه فأعطيها النصف وآخذ النصف قال: «لا. هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم قال: «اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن» (*صحيح البخاري*، النكاح ١٣٧ وصحيح *مسلم*، النكاح ٧٦).

[1] م - من القرآن أي من أجل + بسبب.

[2] ع - أي من أجل ما معك من القرآن.

[3] م - وكذلك كل شيء ليس بمال.

[4] ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ (سورة البقرة، ٢٣٧/٢).

[5] صحيح *البخاري*، النكاح ٤٩؛ وصحيح *مسلم*، النكاح ٨٠.

[6] ن ع م - قلنا وزن نواة من الذهب.

[7] *السنن الكبرى* لبيهقي، ٢٣٧/٧. وفي رواية أخرى أنها قومت خمسة دراهم. قال البيهقي: «وهذا أشبه» (*السنن الكبرى* لبيهقي، نفس الموضع).

[8] ع: ولكن.

[9] ع: المنواة.

[10] ع م: وتفسير.

[11] هو إبراهيم النخعي.

[12] سنن *أبي داود*، النكاح ٢٩.

[13] ع: لنا.

وملء الكف من الطعام لا يتمول. وإن جعل ذلك مهرا فقد ترك[١] أصله[٢] "أن ما لا يتمول فليس بمهر". فكذلك ما روي عن النبي صلى الله عيه وسلم قال: «زوجتكها بما معك من القرآن»،[٣] ولم يذكر أن ليس عيه سوى ذلك، وأهل العلم مجمعون على أن السورة لا تكون مهرا.

ومن الحجة[٤] لعلمائنا ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا مهر دون عشرة».[٥] وروي عن علي رضي الله عنه قال: لا يكون المهر أقل من عشرة دراهم.[٦] وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله. على أن أهل العلم أجمعوا أن النكاح لا يكون إلا ببدل، وأنه خالف سائر الأملاك التي يوهب ويتصدق[٧] بها بغير بدل.[٨] وكلٌّ يجعل لذلك حدا وإن اختلفوا في ذلك المقدّر والحد، وكلٌّ يقول أيضا: إن التافه[٩] لا يكون مهرا. فذهب أصحابنا أن الفروج لِمّا لم تملك[١٠] إلا ببدل لم يجعل البدل إلا ما أجمعوا عليه وهو عشرة دراهم، إذ[١١] كان النكاح مخصوصا أن لا يملك إلا ببدل دون غيره من الأملاك.

قوله[١٢] عز وجل: **مُحصِنين غيرَ مسافحين**؛ قيل: متناكحين[١٣] غير زانين[١٤] بكل زانية. وقيل: **محصنين** أي أعفة[١٥] للفروج، **وغير مسافحين** في العلانية بالزنى. وكأنه أمر عز وجل

---

[١] ن: نزل.
[٢] ع: اضله.
[٣] تقدم تخريجه قريبا.
[٤] ن: الحبة.
[٥] *سنن الدارقطني*، ٢٤٥/٣؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٢٤٠/٧. وهو حديث ضعيف. انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ١٩٦/٣، ١٩٩.
[٦] مصنف *عبد الرزاق*، ١٧٩/٦.
[٧] ن: توجب وتتصدق؛ ع م: توهب وتتصدق.
[٨] ك: بذل.
[٩] ن ع: التافة.
[١٠] ع م: أن الفروج لا تملك.
[١١] ن: انذ؛ م: إذا.
[١٢] ك ع م: وقوله.
[١٣] م: مساكحين.
[١٤] ك ن ع: زانيين.
[١٥] جميع النسخ: عفائف.

ابتغاء النكاح بالأموال ونهى عن الاستمتاع بغير مال. وقيل: المسافح[1] الذي يزني بكل امرأة يجدها، والمسافِحة[2] كذلك تزني بكل أحد، والمتخدات أخدان هن اللاتي لا يزنين إلا بأخدانهن. والسِّفاح من الفعل ما ظهر وعلن.[3]

**مسألة[4] في المتعة:**

قوله:[5] **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن**؛ ذهب قوم إلى جواز المتعة بهذه[6] الآية. يقولون: ذكر الاستمتاع هن ولم يذكر النكاح، وذكر الأجر بعد الاستمتاع، والمهر إنما يجب في النكاح بالعقد، يوخذ الزوج أولا بالمهر، ثم[7] يستمتع بها، فهو بالمتعة[8] والإجارة أشبه، كقوله تعالى: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[9] أمر بإيتاء الأجرة إذا أرضعن. فعلى[10] ذلك لما ذكر[11] الاستمتاع بهن[12] وأمر بإيتاء الأجر لا المهر، دل أنها نزلت في المتعة.

وأما عندنا فإنها نزلت في النكاح. دليله ما تقدم من الذكر، وهو قوله: **وأحل لكم ما وراء ذلكم** نكاحا، وقوله: **محصنين** متناكحين، **غير مسافحين** غير زانين،[13] وقوله تعالى: **أن تبتغوا بأموالكم**؛ كل ذلك يدل على[14] أنه في النكاح، فكذلك قوله: **فما استمتعتم به منهن** في النكاح **فآتوهن أجورهن**. وقد سمى الله المهر أجرا، كقوله:[15] إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ،[16] وقال: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.[17]

---

[1] ك ن م: السافع؛ ع: السامح.
[2] ع: في المسافحة.
[3] جميع النسخ + وعلى. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩و.
[4] ع م: مسمة.
[5] ن ع م: وقوله.
[6] ك ع: هذه.
[7] ع: ثم.
[8] ع: المتعة.
[9] سورة الطلاق، ٦/٦٥.
[10] ك: فعل؛ ن ع م – فعل.
[11] جميع النسخ: ذكرنا.
[12] ك: نهي.
[13] جميع النسخ: زانيين.
[14] ن ع م – على.
[15] ن ع م: فقوله.
[16] سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣.
[17] سورة النساء، ٢٥/٤.

وأما قولهم: ذكر إيتاء الأجر بعد الاستمتاع، والمهر يجب بالنكاح، فهو على التقديم والتأخير،[١] كأنه قال: فآتوهن[٢] أجورهن إذا استمتعتم بهن، كقوله تعالى: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ،[٣] أي طلقوهن[٤] إذا طلقتم لعدتهن، ونحو ذلك كثير.

وقال أبو بكر الأصم:[٥] دل[٦] قوله: **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن** [على أن الدخول يوجب المهر] كاملا،[٧] وإذا لم يدخلوا بهن فالنصف بالآية الأخرى، فهذا فائدة ذكر الأجور والاستمتاع.

وهو بالنكاح أشبه وأولى من المتعة لما ذكرنا من تحريم الأجناس من المحرمات في أولها، وإباحتها[٨] في آخرها ما وراء[٩] ذلك؛ وبين[١٠] أيضا أن الاستمتاع هذا النكاح وأن الأجر هو المهر، لما ذكرنا.

[١٣٥و] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: / رحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمةً رحم الله بها أمة محمد، فلولا[١١] نهيه عنها[١٢] ما زنى إلا شقي؛ وكان يراها[١٣] حلالا.[١٤] وكان يقول:[١٥] في حرف أُبَيّ: إلى أجل مسمى.[١٦] وروي عنه[١٧] أنه قال: إن الناس[١٨] قد أكثروا في المتعة،

---

[١] ك + والتأخير.
[٢] ع: وآتوهن.
[٣] سورة الطلاق، ٦٥/١.
[٤] ك – أي طلقوهن.
[٥] هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر المعتزلي صاحب المقالات في الأصول. وله تفسير. ومن تلامذته إبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة. وهو من طبقة أبي الهُذَيل العلّاف وأقدم منه. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر، ٣/٤٢٧؛ و*كشف الظنون* لكاتب جلبي، ١/٤٤٣. وتوفي أبو الهُذَيل العلّاف سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٣. فينبغي أن يكون الأصم عاش في تلك الحدود. والله أعلم.
[٦] جميع النسخ: دلت.
[٧] جميع النسخ: كملا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ١٥٩ظ.
[٨] م: وباجتهاد.
[٩] ع: رواء.
[١٠] ع م: أو بين.
[١١] ن: فلو.
[١٢] جميع النسخ: نهاه عنها إياها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩و.
[١٣] جميع النسخ + حراما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩و.
[١٤] ن – حلالا. *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٨٧.
[١٥] ك: قال قال؛ ن: قال وقال.
[١٦] أي كان يقرؤها: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة» (*تفسير الطبري*، ٥/١٢؛ و*الدر المنثور*، ٢/٤٨٤).
[١٧] ن – عنه.
[١٨] جميع النسخ + هذا.

فقال: إنها لا تحل إلا لمن اضطُرَّ إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير.[١] فدل قوله أنها بمنزلة الميتة؛ على أنه رجع[٢] عن قوله الأول. فإن كانت المتعة في حال غير الضرورة حراما فهي في حال الضرورة حرام، وإنما أحل الله المحرم في الضرورة إذا خاف الرجل على تلف نفسه، وليس في ترك الوطء خوف تلف نفسه. وروي[٣] عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **فما استمتعتم به منهن**؛ قال: نسخها: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ،[٤] الآية.[٥] هذا يدل على أنه رجع عن قوله الأول.

ومن الدليل[٦] على تحريمها قول الله سبحانه وتعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ؛[٧] فحرم الله تعالى من الجماع ما عدا[٨] النكاح[٩] وملك اليمين، والمتعة ليست بملك نكاح ولا ملك يمين، فهي داخلة في التحريم.

ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي الله عنه[١٠] أن[١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٢] نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر[١٣] الإنسية.[١٤] وعن سَبْرَة[١٥] الجُهَنِي[١٦] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[١٧] نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة.[١٨] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء،

---

[١] *الدر المنثور* لسيوطي، ٢/٤٨٧.
[٢] ع: راجع.
[٣] ك ن م: روي.
[٤] ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/١).
[٥] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٤٨٥.
[٦] ك: والدليل.
[٧] سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦.
[٨] م + ملك.
[٩] ع - النكاح.
[١٠] ن - عن علي رضي الله عنه؛ صح هـ.
[١١] ن ع م: عن.
[١٢] ن + أن رسول الله صلى الله عيه وسلم؛ ع م + أنه.
[١٣] ك ن ع - الحمر.
[١٤] صحيح *البخاري*، المغازي ٣٨؛ وصحيح *مسلم*، النكاح ٢٩.
[١٥] ن ع م: مسيرة.
[١٦] م: الجهيني.
[١٧] ك + قال.
[١٨] صحيح *مسلم*، النكاح ٢٥.

وعن أكل لحوم الحمر الأهلية.[1] وفي خبر آخر أنه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول: «إني كنت أذنت لكم في المتعة، فمن كان عنده شيء فليفارقه، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا، فإن الله عز وجل قد حرمها إلى يوم القيامة».[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول في المتعة: لو تَقَدَّمْتُ[3] فيها لرجمت.[4] وعن عبد الله قال: المتعة متعة النساء منسوخة، نسخها الطلاق والصَّداق والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في النكاح.[5] وعن عائشة رضي الله عنها أنها[6] إذا ذُكر لها المتعة قالت: والله ما نجد في كتاب الله إلا[7] النكاح[8] والاستسرار،[9] ثم تتلو[10] هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[11] الآية.[12] وعن عمر رضي الله عنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما.[13] فأنكر قوم على عمر رضي الله عنه

---

[1] لم أجده هكذا. لكن روي عن ابن عمر أنه سئل عن المتعة فقال: حرام. فقيل: إن ابن عباس لا يرى بها بأسا. فقال: والله لقد علم ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم حنين وما كنا مسافحين (*المعجم الكبير* للطبراني، ٢٨٩/١٢). وورد في *مجمع الزوائد*: «يوم خيبر». وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه منصور بن دينار وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٦٥/٤). وروي عن عبد الرحمن بن نعيم الأعرجي قال: سأل رجل ابن عمر وأنا عنده عن المتعة متعة النساء. فغضب وقال: والله ما كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زَنَّائين ولا مسافحين. ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٣/٢).

[2] صحيح *مسلم*، النكاح ٢١.

[3] أي لو سبقت غيري فيها لرجمت من عمل بالمتعة. وهذا من باب التهديد من عمر رضي الله عنه. انظر: شرح *الزرقاني على الموطأ*، ٢٠٠/٣.

[4] ن ع م: لرحمت. *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٦/٢.

[5] *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٦/٢.

[6] ن – أنها.

[7] جميع النسخ – إلا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩ظ.

[8] ن – النكاح.

[9] ن: والاستمرار؛ ع م: والاستشرار. والاستسرار هو التسري، أي جماع الجارية. انظر: غريب *الحديث* لابن قتيبة، ٤٧١/٢.

[10] ن ع: يتلو؛ م: يتلوا.

[11] ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (سورة المؤمنون، ٥/٢٣-٧).

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٨٨/٦.

[13] لم أجده هكذا. لكن روي عن أبي نضرة قال، قلت لجابر بن عبد الله: إن ابن الزبير رضي الله عنه ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها، قال فقال لي: على يديّ جرى الحديث. تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم =

إقراره أنهما فُعلا في عهد النبي[1] صلى الله عليه وسلم، ونهيه[2] عنهما. لكن الجواب[3] في ذلك كحكم أنه علم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم من متعة النساء وما نزل فيها[4] من نص القرآن، فكان وعيده لاحقا بمن فعلها لعلمه بأنها منسوخة.

وقوله عز وجل: **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن** يحتمل الإجارة، ويحتمل التسريح بالنكاح أنه إذا كان بعد الاستمتاع[5] يؤتيهن كل المهر، لأنه ذكر المهر في النكاح، والنصف[6] بعد الطلاق، فبين الكل[7] في هذا.[8] وأيد هذا التأويل ما كان عليه ذكر المحرمات والإحلال أنه كله بالنكاح. وكذلك على ذلك قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا،[9] أن كله في النكاح لا في الإجارة، وإن ذكر فيه الأجر -كما ذكرنا- للإماء. ولو كان بالإجارة فهو منسوخ بقوله: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ،[10] كان ذلك إجارة،[11] وُصف أنه بغي،[12] ونُهُوا عن ذلك. وبقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ،[13] ذكر أن مبتغي وراء ذلك باغ.[14]

---

= -قال عفان- ومع أبي بكر. فلما ولي عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرسول. وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/١). وعن جابر قال: متعتان كانتا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فنهانا عنهما عمر رضي الله تعالى عنه فانتهينا (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٥/٣).

[1] ك + النبي.

[2] جميع النسخ: ونهاه. والتصحيح من نسخة سليم أغا، ورقة ١٢٣ظ.

[3] ن + عنهما.

[4] ك ن: نيهما.

[5] ع م: الاستفتاح.

[6] جميع النسخ: والبعض.

[7] م - فبين الكل.

[8] يقول علاء الدين السمرقندي: «على أنه [أي قوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾] يحتمل في حال الطلاق بعد الدخول فإنه يجب على الزوج تسليم كل المهر وقد ذكر إعطاء نصف المهر في الطلاق قبل الدخول بقوله: فنصف ما فرضتم وذكر إعطاء الكل بهذه الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩ظ).

[9] سورة النساء، ٢٥/٤.

[10] سورة النور، ٣٣/٢٤.

[11] ع م - وإن ذكر فيه الأجر كما ذكرنا للإماء ولو كان بالإجارة فهو منسوخ بقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان ذلك إجارة.

[12] ع: نقي. والبغي الزنى (*لسان العرب* لابن منظور، «بغي»).

[13] ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٧).

[14] جميع النسخ: باغيا.

وهذا[1] لو عرف بحكم الكتاب فما ذكرته له ناسخ، ولو عرف بالأخبار فكانت[2] أخبار الإباحة رويت مقرونا بها النهي،[3] فمن رام الأخذ بطرف منها على الإغضاء[4] عن الطرف الثاني أعطى خصمه الإغضاء[5] عليه بالطرف الثاني، والمنع عما قال به. ثم امتناع الأمة عن العمل على ظهور الحاجة، ونفور[6] الطباع عن قبول مثله من أحد في المتصدين.[7] فاصبر على الحق. ثم دل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نسخه الطلاق والعدة، إن الأول كان نكاحها يمضي بمضي المدة، أبطله ارتفاع أحكام النكاح عنه.

وقوله عز وجل: **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة**؛ في الآية دلالة أن الزيادة في المهر جائزة، لأن الفريضة هي التسمية.

فإن قيل: قوله: **فيما تراضيتم به** معناه قوله:[8] **إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**،[9] هو أن تبذل المرأة من مهرها شيئا للزوج[10] أو الزوج[11] لها؟

قيل: لو كان ذلك كذلك [لاكتفي] برضاها،[12] [ولم يذكر] رضا[13] زوجها، وقد قال:[14] **تراضيتم به**؛ فجعل للزوج في الرضا[15] نصيبا. ومعناه -والله أعلم- أن الزوج إذا زاد على المهر فذلك جائز، فهذا التراضي إنما يكون منهما جميعا في الحالين. وذلك أصل الزيادة في المهر، والثمن في البيع، وأشباه ذلك. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] جميع النسخ: وبهذا. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٨٢و.
[2] ك: لكانت.
[3] ن: الهي.
[4] ع: الاعضاء.
[5] ن ع: الاعضاء.
[6] ع: ونفوز.
[7] أي من تصدى للعمل بالمتعة واشتهر به. وفي الشرح: «وكذا في طباع الكل نفور عن مباشرة هذا العقد في حق دوات محارمه» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٥٩ظ).
[8] ك - قوله.
[9] ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٧).
[10] جميع النسخ: الزوج. والتصحيح من نسخة سليم أغا، ورقة ١٢٣ظ.
[11] ك - أو الزوج.
[12] جميع النسخ + يعني.
[13] ن ع م: رضاء.
[14] جميع النسخ: وقال.
[15] م: الرضاء.

أنه كان يخطب أم سلمة ويقول: «إن كان إنما بكِ[١] أن أزيدكِ في الصَداق زدتكِ، وإن أزيدك أزيد النسوة».[٢] وروي عن علي رضي الله عنه قال: زدها فهو أعظم للبركة. وروي عن عثمان وعمار كذلك. وقد دل الكتاب والسنة وقول الصحابة على جواز ذلك فهو الحق. وعلى[٣] ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم. ومن الدليل أيضا على جواز[٤] الزيادة في الثمن والمهر وأنها تصير كأنها كانت مسماة في عقد البيع، أن رجلا لو اشترى من رجل عبدا بيعا بتاتا،[٥] ثم إن أحدهما جعل لصاحبه الخيار يوما، فنقض[٦] البيع، إن نقضه جائز، ويصير ذلك / كالخيار المشروط[٧] في أصل البيع. وكذلك رجل اشترى عبدا بألف درهم [١٣٥ظ] حالةً، ثم إن البائع أجّل المشتري في الثمن شهرًا، كان الأجل جائزا،[٨] ويصير كأنهما سميا الأجل في عقد البيع، فوجب أن يكون الزيادة بعد البيع في الثمن، كأنها كانت في عقد البيع.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليما حكيما**؛ فيما حرم وأحل، حكيما حيث وضع كل شيء موضعه.

**﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٥]**

---

[١] جميع النسخ: ايمانك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٥٩ظ.

[٢] عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاها فَلَفّ رداءه ووضعه على أُسْكُفَّةِ الباب واتكأ عليه وقال: «هل لك يا أم سلمة؟» قالت: إني امرأة شديدة الغيرة، وأخاف أن يبدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ما يكره. فانصرف ثم عاد وقال: «هل لك يا أم سلمة؟ إن كان بك الزيادة في صداقك زدنا» فعادت بقولها. فقالت أم عبد: يا أم سلمة، تدرين ما تتحدث به نساء قريش؟ يقلن: إن أم سلمة إنما ردت محمدا، لأنها أرادت شابا من قريش أحدث منه سنا وأكثر مالا. قالت: فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها (*المعجم الكبير* للطبراني، ٢٥٣/٢٣). «ورجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٤٥/٩).

[٣] ع م: على.

[٤] ك – ذلك فهو الحق وعلى ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل أيضا على جواز.

[٥] م: ساتا.

[٦] ن: فينقض.

[٧] ع: والمشروط.

[٨] ك: زائدا.

وقوله عز وجل: **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم** -وقال عز وجل- **ذلك لمن خشي العنت منكم**؛ فقال بعض أهل العلم: لا يجوز تزوج الأمة حتى يعجز عن نكاح الحرة، ويخشى مع ذلك العنت، فإذا اجتمع الأمران فحينئذ يجوز أن[1] يتزوج[2] الأمة.

ولا يجوز أن يكون تأويل الآية في هذا. وذلك أن الإماء أعز وجودا[3] اليوم من الحرائر، ويجد الرجل حرة يتزوجها بأدنى شيء ما لم يجد بمثله الأمة، إلا[4] أن يقال: إن[5] الإماء في ذلك الزمان أوجد[6] وإن الحرائر أعز، وإن مؤنة الإماء ومهورهن أقل، فخرج الخطاب على ذلك. أو أنه لما نزل قوله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ،[7] رغب السادات في تزويج الإماء بشيء يسير، فعند ذلك نزل[8] قوله تعالى: **ومن لم يستطع منكم طولا**، الآية. وإلا الأمر الظاهر ما ذكرنا أنهن أعز وجودا من الحرائر وأكثر مؤنة، وأن الحرائر أهون وجودا ومؤنتهن أقل. أو أن تكون[9] الآية في الإنفاق عليهن، ليس في ابتداء النكاح. وهو أن الرجل إذا تزوج حرة لزمه أن ينفق عليها شاء[10] أو أبى. فإذا عجز عن الإنفاق عليها يطلقها ويتزوج بأمة، إذ نفقة الأمة على سيدها ونفقة الحرة عليه. فأمر أن يطلق الحرة التي نفقتها[11] عليه ويتزوج أمة تكون[12] نفقتها على سيدها. هذا أشبه. والله أعلم بما[13] قاله أولئك. أو أن يقال: إنه أراد بالنكاح الوطء لا العقد والتزويج، على ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والنكاح اسم للوطء والتزويج جميعا؛ قال الله تعالى:

---

[1] ن – أن.
[2] ن: تزوج.
[3] ك ن ع: وجود.
[4] ن ع م: لا.
[5] ع م – ان.
[6] أي أكثر وجودا. ولكن صوغ أفعل التفضيل من «وجد» غير سائغ.
[7] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[8] م – نزل.
[9] ن: وأن تكون.
[10] ك ن ع: شيئا.
[11] ك: نفقته.
[12] ن: يكون.
[13] ن: ما.

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً،[١] وتأويله الوطء، فكذلك الأول. ومعنى قول علي رضي الله عنه حيث حمل الآية على الوطء، لأنه قال:[٢] لا يتزوج الأمة على الحرة، كأنه منعه من ذلك لأنه قادر على وطء الحرة، ويتزوج[٣] الحرة على الأمة.[٤] يقول: يتزوج الأمة[٥] ولم يكن قادرا على وطء الحرة، فجاز نكاحه. أو أن كانت الآية في ابتداء النكاح والتزويج على ما قالوا، فليس فيها حظر نكاح الإماء وبطلانه في حال الطَّول[٦] والقدرة؛ لأنه أباح نكاحهن في حال عدم الطَّول والقدرة. ومن أصلنا أن ليس في إباحة الشيء وحله في حالٍ دلالةُ حَظْره ومنعِه في حال أخرى. دليله قوله: أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ،[٧] ليس فيه أنه لا يحل له إذا لم يؤت أجورهن، وقوله تعالى: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[٨] ليس فيه حظر الأربع وإن خاف أن لا يعدل.[٩] فهذا يدل على أن حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر في حال أخرى، وإباحة الشيء في حالة وحله لا يوجب منعه وحرمته في حال أخرى.

على أن المخالف[١٠] لم يجعل[١١] الإيمان المذكور في الآية شرطا لقوله تعالى: **أن ينكح المحصنات المؤمنات**، فإذا لم يصر الإيمان شرطا في حال نكاح الإماء كيف صار الطَّول والقدرة شرطا فيه؟ إذ من قوله: أن ليس له أن يَنكح الأمة إذا كان له طَول نكاح المحصَنة الكتابية. فلما لم يصر هذا شرطا في ذلك كيف صار الطَّول والعنت شرطا؟ وهذا يبطل قوله: أن ليس له أن ينكح أمة كتابية.[١٢] لأنه يقول: لأن الله تعالى شرط فيهن الإيمان بقوله:

---

[١] سورة النور، ٣/٢٤.

[٢] ن ع م – قال.

[٣] ن: يتزوج.

[٤] *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٧٥/٧. قال ابن حجر: «وسنده حسن» (*تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٧١/٣).

[٥] ع – يقول يتزوج الأمة.

[٦] ن – فجاز نكاحه أو إن كانت الآية في ابتداء النكاح والتزويج على ما قالوا فليس فيها حظر نكاح الإماء وبطلانه في حال الطول.

[٧] ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ (سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣).

[٨] سورة النساء، ٣/٤.

[٩] م: تعدل.

[١٠] ع م: المخالفة.

[١١] جميع النسخ: لما لم يجعل.

[١٢] م – فلما لم يصر هذا شرطا في ذلك كيف صار الطول والعنت شرطا وهذا يبطل قوله أن ليس له ينكح أمة كتابية.

**من فتياتكم المؤمنات**. فإذا لم يصر الإيمان شرطا في المحصنات كيف صار[1] شرطا[2] في الإماء؟ وذلك كله عندنا ليس بشرط.

فإن قال قائل: إن قول الله[3] تعالى: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ،[4] كذا، أليس[5] صار ذلك شرطا حتى لا يجوز غيره إذا كان له طَول العتاق وقدرة الصوم؟ ما ينكر أن يكون الأول بمثله؟

قيل: صار ذلك شرطا فيه، لأنه فرض لزمه بشريطة لم يكن له الخروج والتعدي إلى غيره. وأما النكاح فليس هو بفرض لزمه بوجود الطَول والقدرة والعتاق، وما ذكر فرض لزمه بوجود الطَول والقدرة عليه. ويجوز الطعام لكن لم يسقط الفرض الذي لزمه عنه. لذلك صار شرطا فيه والأول لم يصر.

فإن قال: ما معنى الآية إذًا؟

قيل: معنى الآية[6] على الاختيار والأدب، أو على الإنفاق الذي ذكرنا، أو أن لا يختار نكاح الأمة على نكاح الحرة إذا كان له طَول الحرة، على ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال: أيما حر تزوج أمة[7] فقد أَرَقَّ نصفه، وأيما عبد تزوج[8] حرة[9] فقد أعتق نصفه.[10] لا يختار له[11] نكاح الأمة وله إلى طَول الحرة سبيل.

ويجيء أن يكون قوله: **ذلك لمن خشي العنت منكم** أن لا يُحمل[12] على الزنى، ولكن يحمل على[13] مخالطتهن الناس، واسترقاق الأولاد. فإذا أمنه السيد عن استرقاق الولد

---

[1] م: كان.

[2] ع – في المحصنات كيف صار شرطا.

[3] ن: قوله.

[4] ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٣-٤).

[5] جميع النسخ: ليس.

[6] ع م – إذًا قيل معنى الآية.

[7] م – أمة.

[8] ع – تزوج أمة فقد أرق نصفه وأيما عبد تزوج.

[9] م – حرة.

[10] *مصنف عبدالرزاق*، ٧/٢٦٨؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٣/٤٦٦.

[11] ن ع م – له.

[12] ع: يحتمل.

[13] م – ولكن يحمل عى.

وعن ترك الاختلاط بالناس، فعند ذلك يتزوجها. إذ قلوب الناس لا تحتمل[1] اختلاط أزواجهم[2] بالناس واسترقاق الأولاد. فحمل العنت على هذا أشبه من الزنى.

ومن الدليل أيضا على أن لا يعتبر الطَول على التزوج،[3] على ما قالوا: إذا تزوج أمة ثم قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الأمة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[4] فعلى ذلك طَوله في الابتداء على نكاح الحرة لا يمنع جواز نكاح الأمة. *والله أعلم*. على أن عدم الطَول في الأصل لا يمنع نكاح الحرة، إذ [هو] شيء يلزم الذمة. وعدم النفقة يمنع الإمساك عنده. فدل أن / الآية لعدم نفقة الحرة أشبه وأقرب من عدم طَول مهر[5] الحرة في الابتداء على ما ذكرنا. [١٣٦و]

والأصل أن كل[6] أمر يجوز بشرط الاضطرار فإن ارتفاع الضرورة يمنع البقاء، فإذا لم يمنع بَانَ أنه لا على الحل بالضرورة. وعلى ذلك يختار لمن تحته حرة مفارقة[7] الأمة، إذ بإمساكها رق الولد الذي يقبح[8] في العقل اختياره،[9] ومخالطة الزوجة في الطبع نفار منه، فمثله في الابتداء. *والله أعلم*. مع ما قال الله تعالى: **وأن تصبروا خير لكم**؛ وليس عن الذي فيه الضرورة شرط الصبر.

ثم القول واحد فيمن[10] يملك[11] المال وهو غائب عنه يخشى العنت إلى أن يبلغ ذلك، أنه لا يمنع النكاح. وجميع ما له الحرمة يستوي فيه[12] غيبة ذلك وحضرته، كنكاح الأمة على الحرة والأخت على الأخت ونحو ذلك. مع ما لو كانت[13] خشية العنت تصير[14] سببا للحل في شيء

---

[1] ع م: يحتمل.
[2] ن ع م: أزواجهن.
[3] ك ن: التزويج.
[4] لم أجده. بل روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: نكاح الحرة على الأمة طلاق الأمة (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٦٨/٣).
[5] ع – مهر.
[6] ع م: كان.
[7] ع: فارقة.
[8] ن يقبح، صح هـ.
[9] ع: احتاره.
[10] جميع النسخ: فيهن.
[11] ن ع: بملك.
[12] ك ع م – فيه.
[13] ك ن: كان.
[14] جميع النسخ: يصير.

لكان ملك الحرة التي هي عنه غائبة إذا[1] لم تصر الضرورة مبيحة. فإذًا بان أن الحرمة لنفس النكاح في الوجود، والحل لعدمه، لا للسبيل إلى ذلك وغير السبيل.

ثم قوله عز وجل: **ذلك لمن خشي العنت**؛ إنما هو الضيق كقوله: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ،[2] أي لضيق[3] عليكم[4] مخالطة الأيتام؛ أو الإثم[5] كقوله سبحانه وتعالى: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ.[6] وكل رجل فيه وسع الاستمتاع فهو يخشى الإثم، فيجيء أن يباح له على كل حال. أو يرجع إلى الضيق، فيكون المقصود منه الإمساك دون العقد. *والله أعلم*.

ثم خشية الزنى لا[7] يحتمل أن تصير[8] شرطا للحل وقد حصل له عقوبة فيها أبلغ[9] الزجر لمن عقل[10] من رجم أو حد، بل يفرض عليه اتقاء[11] ذلك بكل وجوه الإمكان. ومعلوم أن الله قد جعل عنه بغير النكاح سبيلا في الامتناع أيضا. وقد جاء أيضا الأمر بالصيام بأنه[12] له وِجاء.[13] فإنما خشية ذلك خشية خطر[14] لا حقيقة، فلم يجز أن يجعل عذرًا لرفع الحرمات ويقدر عليه بالمباح من الصيام.

القول في قوله: **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات**، الآية. نقول -وبالله التوفيق-: يحتمل الآية وجهين. أحدهما طَول عقد النكاح من ملك المهر؛

---

[1] ك: إذ.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.
[3] جميع النسخ: أي يضيق.
[4] ع: علمكم.
[5] ن: والإثم.
[6] سورة التوبة، ٩/١٢٨.
[7] جميع النسخ: ان.
[8] جميع النسخ: يصير.
[9] ك + أبلغ.
[10] ن – عقل؛ ع م: غفل.
[11] جميع النسخ: ابقاء.
[12] ع: بأن.
[13] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (صحيح *البخاري*، النكاح ٣؛ وصحيح *مسلم*، النكاح ١). والوِجاء من الوَجْء، وهو عمل شبيه بالخَصْي، فالمراد أن الصوم يقطع النكاح أو الجماع كما يقطعه الوجاء (*لسان العرب* لابن منظور، «وجأ»).
[14] م: حظر.

والثاني طَول إمساك الحرة للاستمتاع من النفقة والكسوة والمسكن. وهذا الوجه أحق لأوجه.[١] إن طَول عقد النكاح[٢] مذكور أيضا في نكاح الأمة بقوله: **وآتوهن أجورهن بالمعروف**. ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذي يوصف في المعروف من المهور، بل لعل ذلك في الحرائر أوجد.[٣] إذ قد جاز نكاح الحرائر بالأشياء الضعيفة. ومعروف وجودهن في كل عصر بدون ما يوجد من مثله[٤] الإماء. فمحال أن يشترط في نكاح الإماء عدم ما لا يوجد السبيل إليه إلا بوجود ذلك أو ما هو أعظم في الوجود. وأما النفقة والمسكن فقد يكون بمال السيد دون أن يؤخذ به، وفي الحرة هي لا سبيل إليها إلا بمال الزوج، ففيهما[٥] يذكر[٦] الوجود لا فيما يستوي الذكر فيه في المتلو. ثم في الحاجة على ما[٧] عليه العرف فيه فضل.[٨] *ولا قوة إلا بالله.*

والوجه الثاني ما روي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم أنه قال: «لا تنكح الأمة على الحرة».[٩] ولو كان يجوز نكاحها عند وجود طَول الحرة لم يكن للنهي عن ذلك بعد النكاح وجه، إذ ليس لذلك وجود، لِمَا الطَول يمنع وجوده.

---

١ ن: الأوجه.

٢ ع م – من ملك المهر والثاني طول إمساك الحرة للاستمتاع من النفقة والكسوة والمسكن وهذا الوجه أحق لأوجه إن طول عقد النكاح.

٣ أي أكثر وجودا. ولكن صوغ أفعل التفضيل من «وجد» غير سائغ.

٤ جميع النسخ: فمثه.

٥ م: ففيها.

٦ ك ن: بذكر.

٧ ك – ما.

٨ قال الشارح: «إن من وجد طول الأمة كان واجدا طول الحرة، لأن المهر عندنا أقله عشرة، وعند الشافعي غير مقدر، بل القليل والكثير سواء، وهذا القدر مما لا يتصور عدمه إذا كان قادرا على نكاح الأمة. وفي العرف أن الإماء أعز وجودا من الحرائر. فمن كان قادرا على مهر الأمة كان قادرا على مهر الحرة. فمحال أن يشترط في نكاح الإماء عدم ما لا يتصور عدمه إذا كان قادرا على نكاح الأمة. إلا أن يقال: في زمان ورود النص كان الإماء أسرع وجودا ومؤنتهن أقل، والحرائر أعز وجودا ومؤنتهن أكثر. ولكن هذا خلاف العادة والعرف في كل عصر. فأما النفقة والسكنى فقد يكون بمال السيد دون أن يؤخذ به الزوج، لأن الغالب في الإماء أن لا يَمُونَهُنّ الموالي. وفي الحرة لا يكون إلا بمال الزوج. فكان النفقة والسكنى موضع الحاجة إلى البيان دون القدرة على المهر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٠و).

٩ روي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا في سنن *الدارقطني*، ٤/٣٩؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٧/٣٦٩. وفي إسناده مظاهر بن أسلم، وهو ضعيف كما قال ابن حجر في *تلخيص الحبير*، ٢/٥٧. وروي عن الحسن مرسلا في مصنف *عبدالرزاق*، ٧/٢٦٧؛ وسنن سعيد بن منصور، ٢٢٩؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٣/٤٦٧.

والثالث أن الذي به يجب النكاح ليس للوجود شرط فيه، والذي به الإمساك شرط؛ إذ قد يجوز بذمة من لا يمسك[1] شيئا[2] ولا يمسك بمثله. ثبت أن ذلك في حق الإمساك. وبعد لو كان يمنع بالذي ذكر لكان جوازه بحق الضرورة، وهذا فيما[3] لا يقع به[4] الضرورة. ثبت أن ذلك في حق الإمساك.

ثم لو كان التأويل على النكاح لم يكن في ذلك تحريم النكاح على وجود طَول الحرة، لخصال.[5] أحدها[6] أن ذلك يوجب أن يكون نكاح الإماء يجوز بحق الإبدال والاضطرار. وذلك لا يحتمل حق النكاح لوجوه. أحدها[7] أن طريق ذلك طريق[8] إباحة ورُخصٍ، والفروج لا تحتمل[9] الإباحات، بل الإباحة[10] توجب حد المبيح وعقوبته، وتجعل كمبيح ما لا يملكه.

والثاني[11] أن[12] الحرمات التي كانت في جميع النكاح كانت ظاهرة، لم[13] يرتفع شيء منها لحاجات، وكذلك نكاح الإماء لو كان من المحرمات. بل الحكم أن كل امرأة لا تحتمل[14] النكاح فهي لا تحل بملك اليمين. فلو قلنا: إنه لا يحل نكاحها لذاتها لم تحل في ملك اليمين، فإذ حلت[15] بان ما ذكرت. وليس كالزيادة على الأربع، لأن تلك[16] الحرمة لحق المنكوحة، لا لمكان المرأة، وكذلك الأخت ونحو ذلك. دليل ذلك جواز ذلك لا بحق الإبدال والإضطرار

---

[1] ن ع م: يملك.
[2] ع م – شيئا.
[3] ن ع م: مما.
[4] ع م – به.
[5] ع م: الخصال.
[6] ن: أحدهما.
[7] ك: إحديها.
[8] ع م – طريق.
[9] ن ع م: لا يحتمل.
[10] م: الإباحات.
[11] أي الثاني من الخصال. ولم يذكر المؤلف وجها ثانيا من الوجوه التي ذكر أحدها. ولعله رأى ذلك كافيا في إيضاح المسألة هنا ومناسبا لهذا المقام، فاقتصر على ذكره طلبا للاختصار. وهذا هو أسلوب المؤلف الذي يتكرر في الكتاب.
[12] ك + أن؛ ن – أن.
[13] ع: و لم.
[14] ع م: يحتمل.
[15] ن ع م: فادحت.
[16] ن ع م: ملك.

إذا عُدم نكاح غيرها.[١] وبعد فإنه لم يجعل في شيء من الحل والحرمة المال، بل[٢] قال الله تعالى: وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا،[٣] الآية، صير العدم شرط الترك، وله قد يفسخ، لا أنه شرط الإباحة، فكذلك[٤] أمر نكاح الإماء.

والثالث أن[٥] الأصل[٦] في إضافة[٧] الحل والحرمة إلى حال[٨] أنه لا يوجب ضد[٩] ذلك في غير تلك[١٠] الحال، بل هو في غيرها موقوف[١١] على قيام الدليل من ذلك المضاف إليه أو غيره، لا أنه يوجب ذلك. دليل ذلك أمور النكاح. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ،[١٢] لا أنه[١٣] لو لم يؤتهن الأجور لم يحللن. وكذلك قوله سبحانه وتعالى: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.[١٤] وقال عز وجل: **فإذا أُحْصِنَّ فإن أتين بفاحشة،** / الآية، لا أن[١٥] الحد لا يجب لو لم يُحصن. وقال الله[١٦] عز وجل: [١٣٦ظ] **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات،** لا على جعل الإيمان شرطا.[١٧] وقال الله[١٨] عز وجل: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[١٩] لا أن[٢٠] الأمة لا تحل

---

[١] جميع النسخ: غير.
[٢] م - بل.
[٣] ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾ (سورة النور ٢٤/٣٣).
[٤] ن ع م: فلذلك.
[٥] جميع النسخ: اذ. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٨٣و.
[٦] ع + الذي.
[٧] ع م: الإضافة.
[٨] ع م - حال.
[٩] ن ع م: عند.
[١٠] ن ع م: ملك.
[١١] جميع النسخ: موقوفا.
[١٢] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٠.
[١٣] م + يعلم.
[١٤] سورة المائدة، ٥/٥.
[١٥] جميع النسخ: لان.
[١٦] ك ن - الله.
[١٧] ن - شرطا.
[١٨] ك ن - الله.
[١٩] سورة النساء، ٤/٣.
[٢٠] جميع النسخ: لان.

إذا لم يخف العدل في الحرائر. وغير ذلك مما يكثر. إذ ليس في إضافة الحل إلى حال قَطْعه عن غيره، فمثله أمر[1] النكاح فيما نحن فيه.

ثم احتج بعضهم بالآيات التي فيها فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ،[2] وَمَنْ لَمْ يَجِدْ[3] لتوجيه ذلك الحق هاهنا. وقد دخل جواب هذا فيما قلنا: إن الحكم في غيره موقوف[4] على الدليل فيه منعًا[5] لا بهذا، مع ما يينا دليل ما نحن فيه [أنه] ليس بشرط. ألا ترى أنه ذكر شرط الإيمان في المحصنات و لم[6] يصر شرطا، وقد صار في الكفارات ونحو ذلك، فمثله ما نحن فيه.

ثم الفصل بين الأمرين يقع من وجوه.[7] أحدها أن تلك بحق الإبدال والاضطرار. دليله زوال حكمه عند الارتفاع، وفي هذا لا، إذ[8] لا يرتفع[9] لنكاح الحرة، فلذلك اختلف الأمران. ولو جعلنا الأمر به في حال أو الإشارة بالحل إليها دليلا على النهي عن ذلك لكان[10] نُهِيَ عن نكاح الإماء في حال طَول الحرائر. فلا يحتمل أن يكون النهي مبطلا للفعل، لأوجه.[11] أحدها لأن[12] المعنى الذي له يقع النهي كان معقولا[13] وبمثله[14] لا يحتمل الفساد. وذلك يخرج على وجهين. أحدهما أن يَرِقَّ ولده، والثاني أن تخالط[15] امرأته الرجال، وذلك بعض ما يَشين الرجل.

ثم كان نكاح الزانية مع النهي عن ذلك يجوز،[16] ومع الأمر بطلاقها. ومعلوم أن ذلك

---

[1] ع: ام.
[2] سورة المجادلة، ٥٨/٤.
[3] سورة البقرة، ٢/١٩٦؛ وسورة النساء، ٤/٩٢؛ وسورة المائدة، ٥/٨٩؛ وسورة المجادلة، ٥٨/٤.
[4] جميع النسخ: موقوفا. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٨٣و.
[5] جميع النسخ: منعنا.
[6] جميع النسخ: ومن لم.
[7] لم يذكر المؤلف إلا وجها واحدا منها، ولعله رأى ذلك كافيا لإيضاح المسألة هنا.
[8] ع: ان.
[9] م: وفي هذا الا ان يرتفع.
[10] جميع النسخ: كان.
[11] م: بأوجه. و لم يذكر المؤلف إلا وجها واحدا منها، ولعله رأى ذلك كافيا لإيضاح المسألة هنا.
[12] م: أن.
[13] ع م: معقودا.
[14] ع: أو بمثله.
[15] ن ع م: يخالط.
[16] ع م: ويجوز.

أعظم في الشَّين،[١] إذ قد ظهر به ما يخافه في المملوكة، ويصير ولده مشتوما[٢] بأمه، ما هو أوحش في العقول من كل رق وعُبودةٍ، ويقال له: يا ابن الزانية! وذلك أيضا تلبيس النسب، وشِبهه، ثم لم يجب به الفساد. فأمر المملوكة [هو] الأَحْرَى.[٣]

وأيضا لم يُختلَف على نهي الحرمة عن نكاح العبد،[٤] وله يفرق الأولياء، ويصرف حق نسب[٥] الآباء إلى الموالي؛ إذ[٦] معلوم أن الطعن عليهن في الخلاف أقبح منه عليهم، ثم لم يمنع ذلك جواز النكاح، فمثله ما نحن فيه.

وأيضا إن الحرمة على وجهين. حرمة لنفس المنكوحة أو الاستمتاع، وحرمة[٧] لحق النكاح. وكلُّ محرمةٍ[٨] لِذاتها فهي لا تحل بملك اليمين ولا بملك[٩] النكاح، وما كانت الحرمة بحيث النكاح يحل. فإذا كانت الأمة تحل بملك اليمين ثبت أن حرمتها ليست لنفسها ولا للاستمتاع، فهي تحل بملك اليمين، بل حلها في الأصل بملك النكاح أحق، إذ ليس إلا للاستمتاع، فإذا حلت به فبالأحرى[١٠] أن يحل بالنكاح. ثم قد يحرم للنكاح[١١] أشخاص[١٢] لا يحرمن[١٣] للأموال[١٤] بحال،[١٥] فكذا ما نحن فيه.

وقوله عز وجل: **والله أعلم بإيمانكم** يحتمل وجهين. يحتمل: **والله أعلم** بحقيقة[١٦] إيمانكم وأنتم لا تعلمون ذلك. ويحتمل: **والله أعلم** بإيمانكم وغيره لا يعلم حقيقة ذلك. وفيه لزوم العمل بالظاهر.

---

[١] م: الشئن.
[٢] ع: شتوما؛ م: مشوما.
[٣] جميع النسخ: الأحرى.
[٤] ع م: العبيد.
[٥] ك: بسبب.
[٦] ك ن ع: إذا.
[٧] ن – على وجهين حرمة لنفس المنكوحة أو الاستمتاع وحرمة.
[٨] ع: حرمة.
[٩] ن: يملك.
[١٠] ع: فبالاحرى.
[١١] ن: بالنكاح.
[١٢] ن ع: المحاص؛ م: الحاص.
[١٣] ع: يجزمن.
[١٤] ن ع م: الأموال.
[١٥] ك ن ع: يحل؛ م: بحل.
[١٦] جميع النسخ: حقيقة.

وقوله عز وجل: **بعضكم من بعض** يحتمل: **بعضُكم من بعض** في الدين. ويحتمل: بعضكم من نسب بعض. فهذا يدل على أن[1] بعضهم من دين بعض ومن نسب بعض، فليس لبعض على بعض فضل من جهة[2] الدين والنسب؛ إذ نسبهم ودينهم واحد، وليس للحرة على الأمة فضل من هذا الوجه.

وفي[3] قوله: **فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب؛** قيل:[4] إن قوله: **أحصن** تزوجن؛[5] وقيل: أسلمن. فكيف ما كان التأويل لم يصر الإحصان شرطا في لزوم ذلك العذاب؛[6] لأنها إذا كانت على غير هذا الوصف لزمها [أيضا] ذلك الحكم. دل أن وجوب الحكم في حال على وصف لا يمنع وجوب ذلك الحكم في حال أخرى على غير الوصف الذي وصف في تلك الحال. وهذا بالمخالف لنا ألزم؛ لأنه قال عز وجل في قوله: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ.[7] إن النهي وقع على جميع المشركات كتابيات وغير كتابيات، ثم صار الكتابيات منسوخة بقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.[8] ثم قال: إذا كان له طَول محصنة كتابيةٍ لم يَحلَّ له نكاح الأمة المؤمنة. وقد أخبر عز وجل أن الأمة المؤمنة خير من مشركة، وهو يقول: بل المشركة خير من الأمة. فهذا يدل على اضطراره في قوله على مذهبنا وما قلنا.[9] وقوله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ،[10] الآية، على المشركات خاصة من غير الكتابيات عندنا. دليله قوله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ [عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ]،[11]

---

[1] ن ع م + نسب.
[2] ع م – جهة.
[3] ع: في.
[4] جميع النسخ: وقيل.
[5] ن: زوجن.
[6] ع م – قيل إن قوله أحصن تزوجن وقيل أسلمن فكيف ما كان التأويل لم يصر الإحصان شرطا في لزوم ذلك العذاب.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٢١.
[8] يقول الله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ (سورة المائدة، ٥/٥).
[9] جميع النسخ: ما قلنا.
[10] سورة البقرة، ٢/٢٢١.
[11] سورة البقرة، ٢/١٠٥.

ذكر المشركات وذكر الكتابيات؛ دل هذا أن المشركات في هذه الآية غير الكتابيات. وقد ذكرنا الوجه في ذلك في صدر السورة ما يغني ذكره في هذا الموضع.[١] فإذا كان ما ذكرنا حل له أن يتزوج كتابية مُحصَنة كانت أو أَمة. وقد أقمنا الدليل على أن ليس في ذكر الإيمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن،[٢] على ما لم يكن في ذكر الإيمان في المحصنات من المؤمنات دليل جعل الإيمان فيهن شرطا.

وقوله عز وجل: **والله أعلم بإيمانكم**؛ أي هو أعلم بحقيقة إيمانهن وأنتم لا تعلمون حقيقته.[٣] وإن كان أثبت لنا علم الظاهر[٤] بقوله تعالى: فَامْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ،[٥] أمرنا بالعمل بعلم الظاهر لا بعلم الحقيقة، بقوله: ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ[٦] فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ.[٧] فهذا يدل على أن الإيمان هو عمل القلب لا عمل اللسان؛ / لأنه لو كان عمل اللسان لكان يعلم حقيقته[٨] كل أحد. فظهر أنه ما وصفنا. [١٣٧و]

وقوله عز وجل: **بعضكم من بعض**؛ قيل فيه بوجوه. **بعضكم من بعض** في الولايات والدين،[٩] كقوله تعالى: وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[١٠] وقيل: بعضهم من بعض في النسب؛ إذ كل منهم من أولاد آدم. ويحتمل **بعضكم من بعض** قبل الإسلام.

وقوله عز وجل: **فانكحوهن بإذن أهلهن**، أي بإذن ساداتهن. سمي السادات أهلا لهن، دل أنهن من[١١] أهلهم. وفيه أن للمرأة[١٢] أن تُزوّج[١٣] نفسها إذا أذن لها وليها، لأنه قال:

---

[١] لم أجد ما ذكره المؤلف في صدر السورة. ولعله يشير إلى تفسير الآية ٢٤ من سورة النساء.

[٢] جميع النسخ + على ما لم يكن في ذكر الإيمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٨٣و.

[٣] ك ن ع: حقيقة.

[٤] ع م: الظاهرين.

[٥] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.

[٦] ن - أمرنا بالعمل بعلم الظاهر لا بعلم الحقيقة بقوله: الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات.

[٧] سورة الممتحنة، ١٠/٦٠.

[٨] جميع النسخ: حقيقة. والتصحيح من نسخة سليم أغا، ورقة ١٢٥ظ.

[٩] ن ع م: في الدين.

[١٠] سورة التوبة، ٧١/٩.

[١١] ن: عن.

[١٢] ع: المرأة.

[١٣] ع: يتزوج؛ م: تتزوج.

**بإذن أهلهن**؛ فلو كان أهلهن هم الذين ينكحونهن لم يكن لطلب الإذن معنى. وفيه أن المرأة ولاية النكاح، لأنه قال: **بإذن أهلهن**؛[1] والمرأة إذا كانت لها جارية[2] لها أن تزوجها.[3] وهذا في النساء أولى، لأن الرجل إذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يزوجها[4] من غيره. والمرأة إذا كانت لها جارية[5] هي التي احتاجت إلى تزويج جاريتها، لذلك كان في هذا أولى. وفيه أن ليس للعبد ولا للأمة أن تتزوج[6] إلا بإذن السيد.[7] وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه[8] فهو عاهر».[9]

وقال بعض أهل العلم: قوله: **فانكحوهن بإذن أهلهن**، إذا كن مؤمنات، على ما سبق من ذكر الإيمان بقوله: **من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم**. لكن هذا وإن كان نهيا عن نكاح الإماء إذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن إذا كن غير مؤمنات. ألا ترى أن النساء نُهين عن تزويج أنفسهن من العبيد، وذلك مما يَشينهن،[10] ثم لم يمنع ذلك النهي عن التزويج منهم. فعلى ذلك لا يوجب[11] شرط الإيمان فيهن والنهي عن نكاحهن فسادَ النكاح ولا بطلانه. وكذلك الرجل نُهي أن يتزوج كتابية حرة وهو واجد الحرة المؤمنة، ثم مع ما نُهي[12] عن نكاحها إذا فعل ذلك جاز النكاح، فعلى ذلك الأول. وكذلك قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ.[13] ذكر الصلاح فيهم،

---

[1] ن ع م – فلو كان أهلهن هم الذين ينكحونهن لم يكن لطلب الإذن معنى وفيه أن للمرأة ولاية النكاح لأنه قال بإذن أهلهن.

[2] م – لها جارية.

[3] جميع النسخ: تزوج من غيره.

[4] ع م: يتزوجها.

[5] ن – لها أن تزوجها وهذا في النساء أولى لأن الرجل إذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يزوجها من غيره والمرأة إذا كانت ها جارية.

[6] ع م: يتزوج.

[7] م: سيده.

[8] م: مولاها.

[9] سنن *أبي داود*، النكاح ١٦؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢١. وقال الترمذي: «حديث حسن». والعاهر: الزاني (*لسان العرب* لابن منظور «عهر»).

[10] م: يشتهيهن.

[11] جميع النسخ: يمنع.

[12] ع م – عن نكاحهن فساد النكاح ولا بطلانه وكذلك الرجل نهي أن يتزوج كتابية حرة وهو واجد الحرة المؤمنة ثم مع ما نهى.

[13] سورة النور، ٣٢/٢٤.

ثم إذا كانوا على غير[١] ذلك الوصف جاز، فكذلك الأول. وكذلك قوله عز وجل: **محصنات غير مسافحات**، ذكر الإحصان فيهن، ثم لم يصر الإحصان فيهن شرطا في جواز النكاح، لأنهن إذا كن غير محصنات يجوز نكاحهن، فعلى ذلك الأول.

ولو كان الطَول والقدرة مما[٢] يمنع جواز نكاح الإماء[٣] بمعنى البدل لكان إذا تزوج أمة ولم يكن له طَول على نكاح الحرة في ذلك الوقت، ثم كان الطَول على نكاح الحرة، يجيء أن يفسد النكاح، لأنه إذا منع الابتداء يمنع القرار في ملكه. فإذا لم يمنع دل أنه ليس على حكم البدل، إذ الأبدال لا قرار[٤] لها ولا ثبات[٥] عند وجود الأصول.[٦] دل أنه ليس عنه، ولكن على الاختيار والتأديب أن لا يختار نكاح الإماء على الحرائر، والمسافِحات على المحصَنات، ولا يختار المشركات على المؤمنات.

فإن قيل: إنكم تمنعون[٧] عن نكاح الأمة على الحرة،[٨] ثم لا تفسخون[٩] نكاح الأمة إذا كانت عنده أمة فتزوج حرة.

قيل له: إنما يمنع عن نكاح الأمة[١٠] على الحرة لحق حرمة الجمع، كالجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها. فأما إذا لم يكن[١١] ثَم جمع لا يمنع. وهذا ليس بجمع.[١٢]

وقوله عز وجل: **وآتوهن أجورهن**؛ قيل:[١٣] فآتوهن أجورهن بإذن أهلهن على ما ذكر الإذن في النكاح بقوله عز وجل: **فانكحوهن بإذن أهلهن**. ويحتمل أيضا أن يُؤتِيَ أجرها وإن لم يأذن له مولاها إذا كانت الجارية ممن تحفظ[١٤] مال سيدها وتتعاهده؛ إذ الناس

---

[١] ك – غير.
[٢] ك: فما؛ ن: بما؛ ع: ما.
[٣] ك ن + وجواز نكاح الإماء.
[٤] ن ع م: الإقرار.
[٥] ن ع م: والإثبات.
[٦] ك ن ع: الوصول.
[٧] ع م: يمنعون.
[٨] ك – على الحرة.
[٩] ع م: يفسخون.
[١٠] ع م – إذا كانت عنده أمة فتزوج حرة قيل له إنما يمنع عن نكاح الأمة.
[١١] ن م: تكن.
[١٢] ع م: بشيء.
[١٣] ع م – وآتوهن أجورهن قيل.
[١٤] ع: يحفظ.

يشترون المماليك لحفظ أموالهم وصون أملاكهم، نحو ما جاء من الوعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، حتى العبد عن مال سيده».[1] فإذا كان ما وصفنا لا بأس بأن يدفع الأجر والمهر إليها إذا كانت هي ممن تحفظ ماله وتصونه.

ثم من الناس[2] من استدل بقوله: **وآتوهن أجورهن** على حقيقة الملك للمماليك، ويبيح لهم التمتع بالجواري، وبقوله[3] تعالى أيضا: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ؛[4] لو لم يملكوهن[5] حقيقة الملك لم يكن لوعد الغِنى لهم معنى؛ لأنه لا يقع لهم الغَناء أبدا، وكانوا لا يملكون. دل أنهم يملكون[6] حقيقة الملك.[7]

وأما عندنا فإنهم لا يملكون حقيقة الملك، استدلالا بقوله تعالى: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ،[8] أخبر أن ليس لهم فيما رزقهم شركاء مما ملكت أيمانهم. دل أنهم لا يملكون حقيقة الملك.

فإن قالوا: أليس[9] يملكون التمتع في النكاح إذا ملكوا. ما منع أيضا أن يملكوا رقاب الأشياء إذا ملكوا؟

قيل: إن السادات لا يملكون من المماليك رقبةَ ما يُتمتع به بالأسر. ألا ترى أن السيدة لا تملك من عبدها[10] التمتع به. دل أن ملك ذلك[11] للعبد خاصة. لذلك مَلَكَ مِلْكَ التمتع في النكاح.

---

[1] صحيح *البخاري*، العتق ١٧؛ وصحيح *مسلم* الإمارة ٢٠.
[2] ع: السناء.
[3] م: بقوله.
[4] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[5] جميع النسخ: يملكوهم.
[6] ن – دل أنهم يمكون.
[7] ع م لم يكن لوعد الغنى لهم معنى لأنه لا يقع هم العناء أبدا وكانوا لا يملكون دل أنهم يمكون حقيقة يمكون حقيقة الملك.
[8] سورة الروم، ٢٨/٣٠.
[9] ع م: ليس.
[10] جميع النسخ: عيرها.
[11] م: ذاك.

وقوله عز وجل: **وآتوهن أجورهن**؛ لما[1] ذكرنا من الإذن من أهلهن، أو لما[2] جعل لهن[3] حفظ الأموال.[4] وأما قوله جل وعز: يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[5] بغَناء ساداتهم؛ إذ مقدار ما يَطعمون[6] ويَشربون مما جعل لهم الانتفاع به.[7]

وقوله عز وجل: **بالمعروف**؛ قيل: مهر غير مهر البغيّ. وقيل: هو المعلوم.

وقوله تعالى: **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان**؛ قد ذكرنا فيما تقدم.[8]

وقوله عز وجل: **فإذا أحصن**؛ قيل: فإذا أسلمن. وقيل: **فإذا أحصن**، فإذا تزوجن. ويحتمل **فإذا أحصن**،[9] فإذا بلغن مبلغ النساء. وقيل: **فإذا أحصن**، أي عَفِفن. وتأويله –والله أعلم– ما ذكرنا[10] في أول الآية. وقوله: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا،[11] إنهن إذا تركن للتعفف و لم[12] يكرههن على البغي **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**. فهن[13] الحرائر؛ لأن عذاب المتزوجة إذا دخل بها زوجها الرجم ولا نصف للرجم. وإنما حد الأمة الجلْد. فلا يجوز أن يكون المحصنات في هذا الموضع ذات الأزواج؛ لأن عذاب ذات الأزواج الرجم ولا نصف له. دل أنه أراد بالإحصان / الإسلام. [١٣٧ظ]

وروي[14] عن ابن[15] عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير وجماعة من أهل العلم أن لا حد[16] على الأمة حتى تتزوج.[17]

---

[1] جميع النسخ: ما.
[2] ع م: ولما.
[3] جميع النسخ: النهي.
[4] أي إن إضافة الأجور إليهن لما ذكر.
[5] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[6] ك: يطمعون.
[7] ن – به. وقد ورد قول المؤلف: «وأما قوله جل وعز ... لهم الانتفاع به» في المخطوطة (نسخة مهرشاه) بعد قبيل عقب قوله: «قد ذكرنا فيما تقدم».
[8] انظر تفسير الآية السابقة من سورة النساء، ٢٤/٤.
[9] ن – فإذا تزوجن ويحتمل فإذا أحصن.
[10] ك ن ع: ذكره؛ م: لما ذكرنا.
[11] سورة النور، ٣٣/٢٤.
[12] ن: فلم.
[13] أي المحصنات.
[14] ك + وروي.
[15] ك – ابن.
[16] ن: عد؛ ع: عدل.
[17] *تفسير الطبري*، ٢٣/٥.

وأما عندنا فإن عليها الحد،[1] لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بجلد الأمة إذا زنت وإن لم تتزوج.[2] فذلك حجة لقول من قال: إحصانها إسلامها. وهو ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد وشِبْل رضوان الله عليهم، قالوا: كنا عند رسول الله[3] صلى الله عليه وسلم، فسأله رجل عن الأمة تزني قبل أن تُحصَن. قال: «اجلدها، فإن زنت فاجلدها»، ثم قال في الثالثة أو الرابعة:[4] «فبيعوها ولو بضفير».[5] هذا الخبر يدل على أن الأمة إذا زنت[6] تجلد وإن لم تتزوج.

قوله[7] عز وجل: **وأن تصبروا خير لكم**؛ أي وأن تصبروا ولا تتزوجوا الإماء فهو خير لكم، لأن أولادكم يصيرون عبيدا. فهذا يدل على أن قوله:[8] **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات**، كله[9] على الاختيار، ليس على الحكم أن لا يختار، لا على أنه إذا فعل لا يجوز.

وقوله عز وجل: **والله غفور رحيم**، يحتمل وجهين. يحتمل **غفور رحيم** حيث كفَّر عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم، ولم يجعل عذابكم في الآخرة؛ إذ عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، وذلك من رحمته. ويحتمل **غفور رحيم**، من رحمته أن يجعل الحدود في الدنيا زواجر عن[10] العود إلى ارتكاب مثله من الأفعال.

**﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢٦]**

وقوله: **يريد الله ليبين لكم**؛ يحتمل قوله يريد الله أن يبين لكم ما تأتون[11] وما تتقون[12]

---

[1] ن ع: الحد.
[2] ع: يتزوج. ولتخريج الحديث انظر الحاشية الآتية قريبا.
[3] ك: النبي.
[4] ع: والرابعة.
[5] صحيح *البخاري*، الحدود ٣٥، ٣٦؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٣٠-٣٢. والضفير الحبل من الشعر (*لسان العرب* لابن منظور، «ضفر»)، وقد ورد ذلك في بعض روايات الحديث.
[6] ن - إذا زنت.
[7] ع م: وقوله.
[8] ن - على أن قوله.
[9] ك: كلمة.
[10] ع م: من.
[11] م: تؤتون.
[12] ك: تنفقون؛ ن ع م: تبقون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٠ظ.

وما لكم[١] وما عليكم، ويبين[٢] ما به صلاحكم ومعاشكم في أمر دينكم ودنياكم. لكن حقيقة المراد بالآية إما أن يكون[٣] أراد جميع ما ذكر، أو معنى خاصا مما احتمله الكلام. وليس لنا القطع على ما أراد به.

وقوله: **ويهديكم سنن الذين من قبلكم**؛ يحتمل[٤] وجوها. أي يبين لكم سبيل الذين من قبلكم، أي سبيل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأهل[٥] الهدى والطاعة منهم، ليعلموا ما عملوا هم[٦] وينتهوا عما[٧] انتهوا. وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه **سنن الذين من قبلكم**، «سبلَ الذين من قبلكم».

ويحتمل قوله: **ويهديكم سنن الذين من قبلكم**،[٨] أي أمر الرسالة والنبوة، ليهديكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو رسول؛ إذ أمر الرسالة والنبوة ليس ببديع، قد كان في الأمم السالفة رسل وأنبياء عليهم السلام. فأمر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ليس ببديع ولا حادث، كقوله تعالى: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ.[٩]

ويحتمل قوله: **ويهديكم سنن الذين من قبلكم**، أي يبين لكم أن كيف كانت[١٠] سنته[١١] في الذين خلوا من قبل، في إهلاك[١٢] من عاند الله ورسوله واستئصال من استأصلهم بتكذيب[١٣] الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلاف لهم، كقوله تعالى: سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ،[١٤] وقوله تعالى: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.[١٥]

---

١ م: ما لكم.
٢ جميع النسخ: وبين.
٣ م: تكون.
٤ ك ن - يحتمل.
٥ م: وهل.
٦ م: علموهم.
٧ م: مما.
٨ ع م - سبل الذين من قبكم ويحتمل قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم.
٩ سورة الأحقاف، ٩/٤٦.
١٠ جميع النسخ: كان.
١١ ن: سننه؛ ع م: سنة.
١٢ ك: اهل ك.
١٣ ع: وتكذيب.
١٤ ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦٢).
١٥ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).

وقيل: **سننَ الذين من قبلكم**، شرائع الذين من قبلكم من المحرمات والمحللات، من أهل التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب.*

وفي قوله تعالى أيضا: **سننَ الذين من قبلكم**: يحتمل يهديكم تلك السنن،[1] أي يبينها[2] لكم أنها كانت ماذا. ويحتمل **يَهديَكم سنن الذين من قبلكم**، بمعنى جعْل تلك السنن هداية[3] لكم.

ثم قوله عز وجل: **من قبلكم**، يحتمل سنته وسيرته[4] في الذين من قبلكم لتعتبروا[5] بها. ويحتمل سنتهم التي لزموها وسيرتهم التي سلكوها بما لها من العواقب ليتعظوا بها. والله أعلم بحقيقة ما انصرف إليه مراد الآية. لكن فيما احتمله فهمنا[6] موعظة شافية.[7] وعلى ذلك معنى قوله عز وجل: **يريد الله ليبين لكم**، يحتمل كل ما به لنا نفع، أو كل ما بنا[8] إليه حاجة، أو كلَّ ما علينا القيام به، أو يرجع ذلك إلى الخاص مما يريد بالآية الإخبار عنه.[9] وإن الذي علينا النظرُ فيما قد تفضل بالبيان[10] عنه وفيما أنبأنا عن سنته[11] فيمن تقدمنا، مما نرجو به الهداية والشفاء،[12] للقيام بما علينا في ذلك من الحق، دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد فيها، في مخرج الكناية دون التصريح من الموعود.[13]

وقوله تعالى: **ليبين** «وأن يبين»[14] في مفهوم الخطاب فيما جرى به الذكر في هذه الآية واحد. إذ لو كان ذَكَرَ «أَنْ» يسبق إلى الفهم غير الذي سبق في هذا على حق العباد من التفاهم. ***والله أعلم.***

---

* ورد هنا مقدار سطر واحد من تفسير قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ويتوب عليكم﴾، في غير محله. فنقلناه إلى الموضع المناسب. انظر: ورقة ١٣٧ظ/سطر ٢٢.

[1] ع م + الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن.

[2] م: بينها.

[3] ع م: الهداية.

[4] م: سنة وسيرة.

[5] ع: ليعتبروا؛ م: ليعبروا.

[6] جميع النسخ: فهاهنا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٠ظ.

[7] جميع النسخ: بينا فيه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٠ظ.

[8] ن ع م: بينا.

[9] ن: منه.

[10] جميع النسخ: يفضل البيان. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٠ظ.

[11] م: سنة.

[12] ك + والشفاء؛ ن: والثناء.

[13] م: الوعود.

[14] ن ع م: بين.

ثم كان معلوما فيما أراد بقوله: **يريد الله ليبين لكم ويهديكم**، أنه لو لم يبين ما أراد بهذا الوعد و لم يهد لكان[1] يلحقه[2] الخلف[3] في الوعد. فعلى ذلك فيمن قال: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ،[4] أو[5] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ؛[6] ولو[7] لم يكن يخفف ويتوب على من أريد بقوله:[8] يَتوبَ ويُخَفِّفَ عَنْكُمْ يلحقه الخلف في الوعد. ثم يخالف وصف كافر في حال أنه ممن تاب الله عليه، ثبت أنه لم يدخل في قوله سبحانه وتعالى: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ.[9] فإذا ثبت أنه لم يدخل فيه وجب في ذلك[10] أمران. أحدهما أن الإرادة ليست بأمر، إذ قد أمر الكافر بالتوبة. والثاني أن كل من لم يتب فهو ممن لم يرد[11] الله أن يتوب عليه. وهو في قوله[12] تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ.[13] على أن الله تعالى قال في المؤمنين: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ،[14] وقال في الكفار: يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ،[15] على التفريق من الذي في علمه أن يُختَم مؤمنا، ومن في علمه أن يختم كافرا. على أن[16] إرادةَ الهداية مع إرادة أن لا يَجعل له الحظَّ[17] في الآخرة على الموعود خلفٌ، / وإرادةُ من لا تدبير له في فعله ولا يتصل به [١٣٨و] فعله تمنٍّ[18] في متعارف الأمر وتَشَهٍّ. ولا يجوز أن يضاف إلى[19] الله تعالى الإرادة من هذا الوجه.

[1] جميع النسخ: أنه كان.
[2] ع: بحقه.
[3] ن م: الحلف.
[4] سورة النساء، ٢٧/٤.
[5] ع م: و.
[6] سورة النساء، ٢٨/٤.
[7] ن ع م: لو.
[8] ن + يريد الله أن.
[9] سورة النساء، ٢٧/٤.
[10] ع م: فيه.
[11] ع: يريد.
[12] ك: قبوله.
[13] سورة المائدة، ٤١/٥.
[14] سورة الأنفال، ٦٧/٨.
[15] سورة آل عمران، ١٧٦/٣.
[16] ن ع م - أن.
[17] م: الحظر.
[18] ن ع م: تمني.
[19] م + إلى.

فكان له حق الإرادة[1] وهي التي يوصف بها مَن فعلُه بالاختيار.[2] ثبت أن الله[3] تعالى في فعل العباد فعلا بحيث فعله يوصف بالإرادة. وفي ذلك وجوب القول بخلق أفعال العباد. أو أن يكون المراد من تلك الإرادة، إذ لم تحتمل[4] التمني ولا الأمرَ، أن تكون[5] الإرادةَ التي تنفي[6] القهر والغلبة. فيلزم إذ ثبت نفي القهر الوصف بالإرادة،[7] وثبت[8] أنه مريد لكل فعل نفي عنه القهر في وجوده. *وبالله التوفيق*.[9]

[١٣٧ظ س٢٢] *وقوله عز وجل: **ويتوب عليكم**؛ أي[10] يريد أن يتوب عليكم.*

وقوله: **والله عليم** بما يُؤتَى ويُتَّقَى، **عليم** بما به معاشكم وصلاحكم وما به فسادكم وفساد معاشكم ونحوه. **حكيم**؛ وَضَع كل شيء موضعه. ***والله أعلم***.

**﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[٢٧]**

وقوله: **والله يريد أن يتوب عليكم**؛ قالت المعتزلة: قد أراد الله تعالى توبة من لا يتوب. فيقال لهم: ما التوبة عندكم؟ أليس التوبة عندكم التجاوز والدعاء. فإذا وعد أن يتوب فلم يفعل، فهل ترك ذلك إلا لعجز[11] أو بداء.[12] وذلك [هو] الوصف له بالجهل أو العجز.[13] فنعوذ بالله من الزيغ عن الحق والسرَف في القول. وأما تأويله عندنا، **والله يريد أن يتوب عليكم**، في الذي علمه أنهم يتوبون، أو كان ذلك إخبار عن قوم أراد الله أن يتوب عليهم فتابوا. وقال قوم: قوله: **والله يريد أن يتوب عليكم**، أي يأمر أن يتوبوا. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م – من هذا الوجه فكان له حق الإرادة.
[2] جميع النسخ: الاختيار.
[3] ع م: الله.
[4] جميع النسخ: يحتمل.
[5] جميع النسخ: يكون.
[6] ع م: ينفي.
[7] ن: بل لارادة.
[8] ن ع م: ويثبت.
[9] ك ن: المعونة.
[10] م: أن.
* ورد هذا السطر في غير محله من تفسير الآية. فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ١٣٧ظ/سطر ٢٢.
[11] ع: بعجز؛ م: لا يعجزوا به.
[12] ن: بدأ؛ ع: يدا.
[13] ن ع م: بالعجز أو الجهل.

وقوله: **ويريد الذين يتبعون الشهوات**، الآية؛ من اختار الدنيا على الدين والأولى على الآخرة لِهَوًى[1] يتبعه وشهوة تغلبه، لا لتقصير من الله عز وجل عن البيان،[2] بل لتركهم النظر والتأمل بالعواقب غلبت عليهم شهواتهم واتبعوا أهواء[3] أنفسهم، إما رياسةً طلبوها وإما سَعَةً في الدنيا بغَوها. فذلك الذي يمنعهم عن النظر في العاقبة والتأمل في الآخرة. لذلك مالوا ميلا عظيما وخسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا.

**﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **يريد الله أن يخفف عنكم**؛ يحتمل[4] هذا أنه خفّف علينا ولم يحمل ما حمل على الأمم السالفة من الإصر والشدائد والأثقال والمشقات،[5] مما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا،[6] وجعل توبتنا الندامة بالقلب والرجوع عما ارتكبوا. أو أن يقال: خفف عنا حيث لم يَستأصلنا و لم يهلكنا بالخلاف له[7] وترك الطاعة، على ما استأصل أولئك وأهلكهم. ويحتمل التخفيف عنا أيضا[8] ما خفّف علينا من إقامة العبادات والطاعات من نحو الحج[9] والجهاد وغيره، حتى جعل القيام بذلك أخف على الإنسان وأيسر من قيامه بأخف العبادات والطاعات[10] وأيسرها.[11] وذلك من تخفيف الله علينا وتيسيره فضلا[12] منه ورحمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وخلق الإنسان ضعيفا**، يحتمل أن يكون أراد به الكافر، كقوله تعالى:

---

[1] ك: لهواء؛ ن: لهؤلاء و؛ ع م: لهؤلاء.
[2] ع – عن البيان.
[3] ك ن: هواء.
[4] ع م – يحتمل.
[5] ع: والمشقاة.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٥٤/٢).
[7] ع م – له.
[8] جميع النسخ + وهو.
[9] ك ن: الحجج.
[10] ك ن ع – والطاعات.
[11] قال الشارح: «لما جعل في قلوبهم زيادة رغبة وحرص حتى يتركوا الأموال والأولاد والأوطان عن طوع ورغبة بل عن شوق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١و).
[12] ن ع م: وفضلا.

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا[1] وكقوله تعالى: إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا.[2] وقد قيل: كل[3] موضع ذكر فيه[4] الإنسان فهو في كافر. مِن ضعفه يضيق[5] صدره وتَمَلُّ[6] نفسه بطول الترك في النِّعم حتى يضجر فيها. ويحتمل أنه أراد به[7] الكافر والمسلم، ووصفه[8] في ابتداء حاله أنه كان ضعيفا، كقوله: خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ.[9] ويحتمل وصفه بالضعف له لأنه ضعيف في نفسه، يملّ[10] من الطاعات والعبادات التي جعل الله عليه. ليس كالملائكة، حيث وصفهم أنهم لا يَفْتُرون وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،[11] ولا كذلك بنو آدم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة**؛ الظاهر في الثنيا أنه من غير جنس المستثنى، لأنه استثنى التجارة عن تراض من أكل المال بالباطل بينهم. وأكل المال بالباطل ليس من جنس[12] التجارة، ولا التجارة من نوع أكل المال بالباطل.[13] والثنيا في الأصل جعل تخصيص[14] المراد في المجمل[15] من اللفظ،[16]

---

[1] سورة المعارج، ١٩/٧٠.
[2] سورة المعارج، ٢٠/٧٠.
[3] م – كل.
[4] ن ع م – فيه.
[5] ن: تضيق.
[6] ك م: ويمل.
[7] ك ن ع – به.
[8] ن ع: ووضعه.
[9] ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ (سورة الروم، ٥٤/٣٠).
[10] ك ن ع: يمل.
[11] يقول الله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ١٩/٢١–٢٠).
[12] ع م – جنس.
[13] ن – ليس من جنس التجارة ولا التجارة من نوع أكل المال بالباطل، ن هـ: بينهم وأكل المال بالباطل ليس من جنس التجارة ولا التجارة من نوع أكل المال بالباطل.
[14] جميع النسخ: تحصيل.
[15] ن ع م: المحمل.
[16] قال الشارح: «والثنيا في الأصل استخراج بعض الجملة الملفوظة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١و).

فإذا لم يكن من نوعه كيف جاز؟ لكنه يحتمل -والله أعلم- أن يكون على الابتداء والائتناف،[١] كأنه قال: لا تأكلوا أموالكم[٢] بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم. وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[٣] استثنى السلام والسلام ليس من جنس اللغو. لكن معناه ما ذكرنا: لا يسمعون فيها لغوا ولكن يسمعون فيها سلاما.

ويحتمل أن يكون في الثنيا بيان تخصيص المراد في المطلق من الكلام، كقوله تعالى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ.[٤] دل استثناؤه آل لوط على أنه أراد بقَوْمٍ مُجْرِمِينَ قوم لوط خاصة، لأنه قد كان في قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفي غيرهم من أقوام مجرمين، دل الثنيا على مراد الخصوص. فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة عن تراض منهم على أنه أراد بأكل المال بالباطل تجارة عن[٥] غير تراض. وإن كان في الحقيقة يصير مال هذا بمال هذا،[٦] وهو أن يأخذ مال غيره فيتلفه فيلزمه بدله، فيصير ما عَوَّض من[٧] بدله بما أتلفه قصاصا، فهو في الحقيقة تجارة.[٨]

---

[١] م: أو الايتناف.

[٢] ك + أموالكم.

[٣] سورة مريم، ٦٢/١٩.

[٤] سورة الحجر، ٥٨/١٥-٥٩.

[٥] ع م: من.

[٦] ع م - بمال هذا.

[٧] م - من.

[٨] قال الشارح: «ويحتمل أن يكون هذا من باب الاستثناء حقيقة لوجهين. أحدهما: أن قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ لبيان أن المقيد هو المراد بمطلق الكلام دون المطلق، وأن الخاص هو المراد دون العموم. كأنه قال: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بتجارة عن غير تراض إلا أن تكون تجارة عن تراض؟ فجعل أكل المال بالتجارة عن تراض حلالا، وبالتجارة عن غير تراض حراما. فتكون التجارة نوعين. أحدهما يوجب الملك مع حل الفعل، والآخر يوجب الملك بدون حل الفعل. فيكون استثناء من الجنس، وصار هذا كقوله: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ (سورة الحجر، ٥٨/١٥-٥٩)؛ دل استثناؤه آل لوط على أنه أراد بقوم مجرمين من قوم لوط خاصة، وإن كان قوله ﴿إلى قوم مجرمين﴾ بإطلاقه يتناول من كان من قوم إبراهيم وغيره، إذ كان ثمة أقوام مجرمون. إلا أن ثمة مع تخصيص قوم لوط وتقييد المطلق لا يمكن أن يجعل الثنيا من الجنس والنوع، إذ آل لوط ليسوا بمجرمين. لكن ذكرناه مثالا ونظيرا لما قلنا: إن الاستثناء قد يكون دالا على تخصيص المراد في المستثنى منه. ثم بعدما صار المراد هو الخاص بمطلق الكلام المستثنى منه قد يكون الثنيا من ذلك النوع فتكون حقيقة، وقد يكون من غير نوعه فيكون مجازا عن كلمة لكن. إلا أن في هذه الآية لما دل الاستثناء على تخصيص المراد بمطلق الكلام وتقييده بالتجارة عن غير تراض صار الثنيا من نوعه، فتكون حقيقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٤و).

أو يحتمل أن يكون أكل المال بالباطل بينهم ما لا يجوز ولا يطيب، لأن حرف البَيْن لا يستعمل إلا فيما كان البدل من الجانبين. فإذا كان ما وصفنا محتملا كان الثنيا من ذلك من وجه يطيب، ومن وجه[1] لا يجوز ولا يطيب.[2]

وفيه دليل أن التجارة هي جعل الشيء له ببدل وترك الشيء بالشيء. ألا ترى[3] إلى قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[4] ذكر الشراء[5] / ولم يكن منهم[6] إلا ترك الهدى بالكفر، ثم سمى ذلك تجارة بقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ.[7] [١٣٨ظ]

وفيه دلالة أن البيع يتم بوقوع التراضي بين المتبايعين. وليس كما قال قوم: لا يتم البيع وإن تراضيا على ذلك حتى يتفرقا عن المكان. فكانوا تاركين عندنا لظاهر هذه الآية.

فإن احتجوا بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا».[8] لكن معناه عندنا: أن يقول الرجل للرجل: بعتك عبدي بكذا، فلصاحبه أن يقول: قبلت البيع، ما دام في مجلسه. أو يحتمل أن يكون إذا قال: بعتك، كان له الرجوع قبل أن يقول الآخر: قبلت. على أن قوله صلى الله عليه وسلم: «ما لم يتفرقا» لا يوجب أن يكون تفرُّقًا عن المكان تفرُّقَ[9] الأبدان. ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال:[10] وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ،[11] ولا يفهم المعنى من ذلك تفرق المكان والأبدان، ولكن وقع ذلك على القول والطلاق. على أن في الآية بيان تمام البيع بوجود التراضي بقوله: **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم.**

---

[1] ع – يطيب ومن وجه.

[2] قال الشارح: «إن في المستثنى منه ما يدل على تقييد الأكل بالباطل بطريق التجارة، لأنه قال: ﴿بينكم بالباطل﴾، وحرف البين لا يستعمل إلا فيما كان البدل من الجانبين. وذلك هو التجارة، إلا أنه نوعان. نوع يجوز ويطيب الملك الحاصل به، ونوع لا يجوز بل يفسد ولايحل الملك الحاصل به. فنهى عن أكل الحاصل بالتجارة الفاسدة، وأباح الحاصل بالتجارة الصحيحة. فيكون استثناء من الجنس» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٤و).

[3] ك: يرى.

[4] سورة البقرة، ١٦/٢.

[5] ك ع م: الشري.

[6] ن: لهم.

[7] سورة البقرة، ١٦/٢.

[8] صحيح *البخاري*، البيوع ١٩؛ وصحيح *مسلم*، البيوع ٤٥.

[9] م: وتفرق.

[10] ع م – قال.

[11] سورة النساء، ١٣٠/٤.

ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ.[١] فلو كان البيع لا يتم بالتراضي فمتى يُشهد: قبل التفرق أو بعد التفرق؟ إن[٢] أشهد قبل التفرق، فهل المُقِرّ صادق في أن لصاحبه عليه الثمنَ أو كاذب إذا[٣] كان البيع لم يتم. وما ينفعه الإشهاد إن كان للمقر أن يبطل إقراره برد[٤] السلعة؟ وإن كان إنما يشهد بعد التفرق فقد يجوز أن يَتلَف المال بالتفرق قبل الإشهاد. فأين التحصين الذي[٥] أمر الله تعالى؟[٦]

ومما يدل على تأويلنا في الخبر ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال[٧] رسول الله صلى الله عليه وسلم:[٨] «البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما أو يكون بينهما خيار»،[٩] وما روي عن[١٠] عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... ما لم يتفرقا،[١١] ولا يحل لأحد أن يُعجّل فراقَه خشية أن يستقيله».[١٢] وقوله: «يستقيله»[١٣] يدل على أن ليس له أن يرده إلا بأن يُقيله[١٤] صاحبه. ويدل[١٥] قوله صلى الله عليه وسلم: «ما لم[١٦] يتفرقا[١٧] من بيعهما» على أن التفرق هو الفراغ من عقد البيع لا غيره.

---

[١] سورة البقرة، ٢٨٢/٢.
[٢] ن: وإن.
[٣] ك: إذ.
[٤] ن ع: يرد.
[٥] ك + الذي.
[٦] قال الشارح: «إن أشهد قبل التفرق يكون المشتري كاذبا في الإقرار بأن لصاحبه عليه الثمن، إذ كان البيع لم يتم. وكيف ينفع البائع هذا الإشهاد؟ ولبائع أن يرد السلعة فيبطل إقراره بالثمن. وإن كان إنما يشهد بعد التفرق فقد يجوز أن يَتلَف المال المبيع قبل التفرق فيبطل البيع، فيكون إشهادا على الإقرار بالثمن بلا مثمن. فأين التحصين الذي أمر الله تعالى به بالإشهاد؟» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦١ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٤ظ).
[٧] م – قال.
[٨] ك + قال.
[٩] روي عن أبي هريرة في مسند *أحمد بن حنبل*، ٣١١/٢؛ وروي عن ابن عمر في صحيح *البخاري*، البيوع ٤٢؛ وصحيح *مسلم*، البيوع ٤٣.
[١٠] ن – عن.
[١١] ع م – من بيعهما أو يكون بينهما خيار وما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا.
[١٢] سنن *أبي داود*، البيوع ٥١؛ وسنن *الترمذي*، البيوع ٢٦، وحسنه الترمذي.
[١٣] ع م: يستقبله.
[١٤] ع م: يقبه.
[١٥] ع م + عليه.
[١٦] م – ما لم.
[١٧] ن – ولا يحل لأحد أن يعجل فراقه خشية أن يستقيله وقوله يستقيله يدل على أن ليس له أن يرده إلا بأن يقيله صاحبه ويدل قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا.

ومما يدل على[1] أن الخيار ليس بواجب قول عمر رضي الله عنه: إن البيع عن صفقة أو خيار،[2] فكان موافقا لما روى أبو هريرة رضي الله عنه.

{يقول:} دل[3] قوله تعالى: **لا تأكلوا** -إلى قوله- **تجارة عن تراض**، على الإذن في الأكل إذا وجدت التجارة عن تراض من الناس. والتجارة معروفة عند جميع من له عقل. ومعروفٌ أنّ[4] تفرُّقَ[5] المتعاقدين[6] بعد الفراغ من العقد لم يُعرَف فيما[7] هو عند الخلق تجارة، ولكن التفرق بانقضاء ما لَه الاجتماع والفراغ منه، بما[8] ليس من عادة[9] العقلاء الوقوف في مكان بلا حاجة. فليس التفرق مما يحتمل أن يظنه حكيم أو سفيه من التجارة. وقد أذن في الأكل، والأكل عبارة عن الأخذ وكل أنواع[10] المنافع،[11] فثبت أنْ قد ملك بالفراغ عن التجارة بالتراضي لا غير.[12]

وأيد ذلك قوله: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ.[13] والتبايع الذي عليه الإشهاد هو[14] التعاقد لا التفرق. ومن البعيد أن يُكلَّفوا الإشهاد على التبايع[15] قبل وجوب الواجب من الحق الذي عليه الإشهاد. فثبت بذلك وجوب ما جعل البائع[16] بوجوبه دون التفرق. وإذا ثبت الذي ذكرنا من أحكام القرآن،

---

[1] ع – على.
[2] مصنف عبد *الرزاق*، ٥٢/٨.
[3] ن – دل.
[4] م: ومعروفان.
[5] ن ع م: يفرق.
[6] م: المتعاقدان.
[7] جميع النسخ: فيها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ.
[8] وفي شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ: «إذ ليس من عادة العقلاء...». وهو أوضح.
[9] جميع النسخ: معاقدة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ.
[10] ن + من.
[11] جميع النسخ + بالباطل.
[12] جميع النسخ: بغير الرضاء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ١٦١ظ. قال الشارح هناك: «وفيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد. فيكون ظاهر الآية يدل على أن البيع يتم بالتراضي من المتبايعين لا غير... وقد أباح الله تعالى الأكل بالتجارة عن تراض. فدل أنه قد ملك المبيع بالفراغ عن التجارة بلا فصل حتى يباح له الأكل».
[13] سورة البقرة، ٢٨٢/٢.
[14] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ.
[15] ك ن: التتابع.
[16] يقول الشارح موضحا: «يقرر ما قلنا قوله: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾. والتبايع الذي يقع عليه الإشهاد هو التعاقد لا التفرق في متعارف الخلق. والإشهاد لصيانة الحقوق الواجبة بالتبايع من الجانبين. فدل على وجوبها بنفس التبايع دون التفرق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ؛ ونسخة مدينة، رقة ١٨٤ظ).

مع الكفاية بالأمر الذي لا يجوز شذوذ حق لا يَسْلَم عنه بَشر، عن علمِ جميع البشر، وكلُّ أهل التبايع[1] به يتعارفون الحق بينهم: بالفراغ من العقود، ولا يجوز شذوذ العلم بحقٍ ذلك محله، فيكون[2] اتفاق الخلق على الجهل بالاعتقاد في أمر يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أئمة الهدى لا ينتهون عن ذلك.[3] **والله أعلم**.

فإذا [قيل]: لزم[4] ذا لولا[5] المروي من الخبر:[6] [من] أن[7] كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا.

[قيل]: حُمِل الخبر[8] على ما فيه بعض العلم بحق القرآن وما عليه أمر الخلق، على اتساع لغير ذلك الوجه، بل لعله بغيره أولى. ثم يخرج على وجوه: على إضمار: «حقٌّ على» المتبايعين أن يكونا كذلك في حق الجعل لا في حق العبارة[9] [والإخبارِ] عن [حق][10] واجب.[11] دليله رواية عبد الله بن عمرو[12] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، ولا[13] يحل لأحدهما أن يفارق صاحبه خشية أن يستقيله».[14] ثبت أن المعني بالخيار في حق الجعل لو طُلِب كالفسخ في الاستقالة. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: التتابع.

[2] جواب لقوله: وإذا ثبت الذي ذكرنا...

[3] قال الشارح: «لأن كل أهل التبايع يتعارفون وقوع الملك بينهم بالفراغ من العقود ويعتقدون ذلك. وهو أمر ظاهر يعرفه الرسول عليه السلام وأئمة الهدى وكانوا لا ينهون عن ذلك... ولا يجوز شذوذ العلم عن شيء يعم به البلوى ولا يسلم عنه بشر. فيدل على الغلط في الرواية والانتساخ، لأنه لا يجوز ورود الحديث على ما فيه مناقضة القرآن ومخالفة الإجماع» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦١ظ-١٦٢و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٤ظ).

[4] ن ع م: الزم.

[5] م: ذا الولاء.

[6] جميع النسخ: الخيار.

[7] ع: أو.

[8] ع:الخير.

[9] جميع النسخ: العبادة. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٢و.

[10] الزيادتان من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٢و.

[11] قال الشارح: «على إضمار: "حقٌّ على" المتبايعين أن يكونا كذلك في حق الجعل لا في حق العبارة والإخبار عن حق واجب شرعا. يعني على المتبايعين أن يجعلا الخيار ثابتا في مجلس العقد للتروي والنظر وظهور الندم عسى، أو اجعل بعد العقد إذا طلب الآخر الإقالة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٢و).

[12] ع م: عمر.

[13] جميع النسخ: أو لا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٢و، ومصادر الحديث.

[14] تقدم تخريجه قريبا.

والثاني أن يريد به[1] ما داما[2] في التبايع. دليل ذلك احتمال اللفظ؛ وقوله[3] سبحانه: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ،[4] والإشهاد على التبايع، والتبايع هو فعل اثنين، وقد ثبت منهما مع الفراغ[5] الإشهاد على التبايع.[6]

وهذا أحق بوجوه. أحدها حق اللغة أنه اسم التفاعل وهو اسم لفعلهما، فيستحقان ذلك في وقت كونهما فيه كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك. وبعد الفراغ التسمية تكون[7] بحق[8]
[١٣٩و س٩ الحكاية دون تحقيق الفعل.* وفي قوله أيضا: «تبايعا» وإن كان اسما[9] لفعل اثنين، فَلِما[10] يتصل صحة كلام كل واحد منهما إذا كان الآخر حاضرا،[11] فكأنهما اشتركا في صحته فصارا به متبايعين؛ نحو قوله: «حتى يتفرقا»، والتفرق اسم لفعل اثنين، لكن أحدهما إذا فارق مكان البيع والآخر لم يفارقه فقد وجد حق التفرق، من أن[12] ليس أحدهما بجنب الآخر،
١٣٩و س١٣] فكأنهما[13] اشتركا في التفرق وإن لم يوجد الفعل[14] من أحدهما. ***والله أعلم***.*

والثاني بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما»،[15] وبيعهما معروف. ***والله أعلم***.

والثالث متفق القول من أهل العقل على رؤية وجوب البيع دون التفرق عن المكان. ***والله أعلم***.

---

[1] ك – به.
[2] م – داما.
[3] جميع النسخ: قوله.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.
[5] م: فراغ.
[6] م: التتابع. تقدم قريبا استدلال المؤلف بهذه الآية وبيان الوجه في ذلك.
[7] ن: يكون؛ ع م: ويكون.
[8] ن + التسمية يكون بحق.
[9] ن ع م: اسم.
[10] ن: فلا.
[11] ع: حاصرا.
[12] م – أن.
[13] ن ع م: مكانهما.
[14] ن – الفعل.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن محله المناسب له، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٣٩و/سطر ٩-١٣.
[15] تقدم قريبا.

والرابع أن يُجعل ذلك الحد لإصلاح البِياعات[١] أيهما ما لم يتفرقا يملكان الإصلاح،[٢] وإذا تفرقا لا.[٣] وهو أولى، إذ[٤] قد[٥] جعل التفرق التام[٦] شرطا للفساد ومنع الإصلاح. وقد كان في بعض العقود مما يصلح[٧] بالقبض فهو على الوجود قبل[٨] التفرق، ثم لا يصلح إذا وجد التفرق، فمثله مما كان الصلاح بالقول في الإصلاح. وعلى ذلك إذا[٩] / قال أحد [١٣٩و] للآخر: اختر، انقطع خياره لو كان[١٠] تَفَرُّقًا من القول، وليس فيه زيادة على ما في قوله: بعت منك في حق الإصلاح. فثبت أن التفرق لقطع الإصلاح[١١] لا للإصلاح.[١٢] *والله أعلم*.[١٣]

إن للناس[١٤] عرفا[١٥] في التبايع[١٦] من وجهين. أحدهما في التعاقد، والثاني في التقابض.

---

[١] جمع بِياعة: ما يباع.
[٢] ك: الاصطلاح.
[٣] ع: وإذا تفرقا الا؛ م: وإذا تفرق الا.
[٤] ع م: ان.
[٥] ن م: حد.
[٦] ن ع: التمام.
[٧] ع – مما يصلح؛ م + العقود.
[٨] ع: قيل.
[٩] ك ن ع: اذ.
[١٠] ك ن: كانا.
[١١] ع: الاصطلاح.
[١٢] قال الشارح: «إن التفرق من حيث المكان جعل حدا وعلما على منع الصلاح وتحقيق الفساد. فإنه إذا وجد لفظة البيع أو لفظة الشري من أحدهما ثم وجد التفرق لم يملكا الإصلاح. وكذا في البيع الذي كان القبض شرط نفاذه على الصحة وهو الصرف والسلم إذا تفرق قبل القبض يبطل العقد. فإذا كان هو علما على منع الصلاح فكيف يكون علما على الصلاح؟ فدل أن لصلاح تعلقا بشيء آخر، وذلك هو وجود كلام صاحبه، وبه يتحقق الفراغ من الإصلاح. ويحتمل أن يكون المراد هو خيار القبول والرد إن كان المراد من التفرق تفرق الأبدان والمكان. ويجب الحمل عليه لما ذكرنا من أنواع الترجيح. ويحتمل أن المراد منه في عقد خاص إن كان المراد من الخيار هو خيار الفسخ والإجازة، والمراد من التفرق من حيث المكان وهو عقد الصرف والسلم. فإن العقد لم يتم قبل القبض، وكان لكل واحد منهما الخيار قبل التفرق. وكم من عام يذكر ويراد به الخاص» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٢و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٥و).
[١٣] ك + قوله.
[١٤] ع م: الناس.
[١٥] جميع النسخ: عرف.
[١٦] ع: التتابع.

فيكون المعنى من الخبر[1] فيما البيع عن تقابض، وهو بيع[2] المراوضة.[3] إذا ترك[4] كل واحد منهما الآخر يفارقه على ما سلَّم وقبض كان ذلك بينهما، وجاز ذلك أيضا بحق الآية في الإباحة عن تراض. واسم التجارة قد يقع على تبادل[5] ليس فيه قول البيع، كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[6] وقوله:[7] إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[8] وذلك مع قوله سبحانه وتعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ.[9]

وفي ذلك[10] أن البيع الموقوف إذا أجيز يباح الأكل لما كان وقت الأكل قد وجدت التجارة عن تراض. وفي ذلك دليل وجوب خيار الرؤية، إذ قد جعل الرضاء سببا، وهو بما يُجهَل غير متحقق،[11] وإنما يعلم بالرؤية. وفيه أنه بالقبض يمضي حق العقد، إذ التجارة للأكل ولا يوصل إليه إلا بالقبض، فإذا فات فات ما له التجارة فيبطل.[12] *والله أعلم*.*

وقوله: **ولا تقتلوا أنفسكم**، يحتمل وجهين: أي لا يقتل بعضكم بعضا، فإنه إذا قتل آخرَ يُقتَل به، فكأنه هو الذي قتل نفسه، إذ لولا قتله إياه وإلا لم يقتل به. والثاني أنه أضاف القتل إلى أنفسهم لأنهم كلهم كنفس واحدة، إذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد.[13]

---

[1] ع م: الخير.
[2] ع: مع.
[3] جميع النسخ: بيع المداومة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ، حيث قال الشارح: «بيع المراوضة وهو التعاطي».
[4] ن: نزل.
[5] ع: تيادل.
[6] سورة البقرة، ١٦/٢.
[7] ن - وقوله، صح هـ.
[8] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩)
[9] سورة البقرة، ١٦/٢.
[10] ع م - وفي ذلك.
[11] جميع النسخ: غير محق، والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ.
[12] قال الشارح: «وفيها [أي في الاية] دلالة أن البيع يبطل إذا هلك المبيع قبل القبض، لأن الآية تدل على أن التجارة وضعت للأكل شرعا...» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦١ظ).
* وردت عدة أسطر متعلقة بتفسير نفس الآية هنا في غير محلها فنقلناها إلى الموضع المناسب فيما تقدم من تفسير الآية. انظر: ورقة ١٣٩و/سطر ٩-١٣.
[13] ك: واحدة.

وقوله عز وجل: **إن الله كان بكم رحيما**، أي من رحمته أن[1] جعل[2] فيما بينكم القصاص، وأخذ النفس بالنفس والمال بالمال، وفي ذلك حياة أنفسكم وإبقاء أموالكم. ومن رحمته أيضا أن جعلكم من جوهر[3] واحد، إذ كل ذي جوهر يألف بجوهره[4] ويسكن إليه. *والله أعلم*. ومن رحمته أرسل إليكم الرسل وأنزل عليكم الكتب وأوضح لكم السبل. ومن رحمته أن أَمْهَل لكم وستر عليكم ودعاكم إلى المتاب.[5] ومن رحمته دَفَع عنكم الآفات وأوسع لكم الرزق، وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا وسَلِموا عن كل داء.

**﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما**؛ **عدوانا** لمجاوزته حدود الله، **وظلما** على صاحبه. والعدوان هو اسم[6] التعدي والمجاوزة عن حدود الله، كقوله تعالى: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ.[7] ويحتمل قوله: **وظلما**، على نفسه، وكقوله عز وجل: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ،[8] وقولِه تعالى: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ،[9] وقولِه تعالى: فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ.[10]

وهذا الوعيد -والله أعلم- لِما يفعل ذلك مستخفا[11] بحدود الله واستحلالا منه لذلك؛ وإلا لو كان ذلك على غير وجه الاستخفاف بها والاستحلال لها لم يستوجب هذا الوعيد. ألا ترى أنه قال تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى،[12] ثم قال عز وجل: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ؛[13] إنما جاء هذا في قتل[14] العمد،[15] ثم أبقى الأخوة فيما بينهما وأخبر

---

[1] ك ن ع: اد.
[2] ك + لكم.
[3] ك: جواهر.
[4] ع: بجوهرة.
[5] ن: المناب.
[6] ك – اسم.
[7] سورة البقرة، ٢٢٩/٢؛ سورة الطلاق، ١/٦٥.
[8] سورة الطلاق، ١/٦٥.
[9] سورة البقرة، ٢٢٩/٢.
[10] سورة التوبة، ٣٦/٩.
[11] ن ع: مستحقا.
[12] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[13] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[14] م: قتلي.
[15] م + ثم قال عر وحل فمں عفي له مں أحيه شيء إنما حاء هدا في قتل العمد.

أن ذلك تخفيف منه ورحمة.[1] وفيما كان الفعل منه فعل الاستخفاف والاستحلال لا يجوز أن يكون فيه منه رحمة،[2] ويخلد في النار. وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا،[3] إذا قتله مستحلا له مستخفا[4] بتحريم الله إياه فاستوجب هذا الوعيد. فأما[5] من فعل على غير[6] الاستحلال والاستخفاف بحدوده فالحكم[7] فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله تعالى أيضا: **عدوانا وظلما**، يحتمل الاستحلال. دليله قوله عز وجل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى،[8] ثم قال عز وجل: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ،[9] وقال: ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ،[10] فأبقى الأخوة التي كانت بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.[11] فثبت أن الإيمان بعدُ باق، فأبقى له الرحمة والأخوة. وهاهنا[12] زال. لذلك[13] افترقت[14] الآيتان.[15] والثاني أنه وعد إصلاءهم[16] ولم يذكر الخلود. وجائز تعذيبه في الحكمة؛ والتنازع في الخلود لا غير.

والأصل في هذا ونحوه أنه لم يُتنازَع أن يكون فعله الذي فيه الوعيد إن كان ثَمَّ خلود، فهو الذي يزيل عنه اسم الإيمان ويبطل عنه حق فعله، وإنما التنازع في بقاء[17] اسم الإيمان في لزوم الوعيد؛

---

[1] قال الله تعالى في دوام الآية: ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٨).
[2] ع م – وفيما كان الفعل منه فعل الاستخفاف والاستحلال لا يجوز أن يكون فيه منه رحمة.
[3] سورة النساء، ٩٣/٤.
[4] ن: مستحقا.
[5] ع م: وأما.
[6] م + على غير.
[7] ع: فاحكم.
[8] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[9] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[10] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[11] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[12] م: ههنا.
[13] ن ع م: كذلك.
[14] ن ع: افرقت.
[15] ن ع م: الإثنان.
[16] ك: احتلافهم؛ ن ع م: اصلاحهم. أي قال تعالى: ﴿فسوف نصليه نارا﴾.
[17] ك ع م: ابقاء.

فهو[1] فيمن لم يبق له الاسم.[2] *والله أعلم*.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**، اختلف فيه. قال بعضهم: كبائر الشرك، لأن كبائر الشرك أنواع. منها الإشراك بالله، ومنها جحود الأنبياء صلوات الله عليهم،[3] ومنها الجحود ببعض الرسل عليهم السلام، ومنها جحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحلّلات، وغير ذلك. وكل ذلك شرك بالله. فقيل: أراد بالكبائر كبائر[4] الشرك، فإذا اجتنب كبائر الشرك صارت ما دونها موعودا[5] لها المغفرة[6] بالمشيئة،[7] بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[8] وَعَد المغفرة لما دون الشرك وقَرَنه بمشيئته،[9] فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء[10] / عفا عنه. *وبالله التوفيق*. [١٣٩ظ]

وقيل: أراد بالكبائر كبائر[11] الإسلام. ثم يحتمل وجهين بعد هذا؛ يحتمل أن تكون[12] الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر، ويحتمل أن تكون[13] الصغائر مغفورة بالحسنات. ألا ترى أنه قال في آخره: **نكفر عنكم سيئاتكم**، والتكفير إنما يكون بالحسنات. ألا ترى أنه قال: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[14] أخبر أن من السيئات ما يُذهبها الحسنات.

---

[1] جميع النسخ: فهي.

[2] قال الشارح: «والأصل في هذا أنه لم يتنازع أن من كان فعله سببا للخلود في النار فهو مما يزيل عنه اسم الإيمان. فإن عنده [أي المعتزلي] صاحب الكبيرة لما استحق الخلود فقد خرج عن الإيمان، وعندنا لما لم يستحق الخلود لم يخرج عن الإيمان. فكان التنازع بيننا وبينهم في أن الكبيرة هل تخرج صاحبها من الإيمان أم لا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٢ظ، ونسخة مدينة، ورقة ١٨٥ظ).

[3] ع م – ومنها جحود الأنبياء صلوات الله عليهم.

[4] م – كبائر.

[5] ن ع م: موعود.

[6] ك: بالمغفرة.

[7] ن + فهو في مشيئة الله تعالى.

[8] سورة النساء، ٤/٤٨.

[9] م: بمشيئة.

[10] ن – شاء، صح هـ.

[11] ك – كبائر.

[12] ن ع م: يكون.

[13] ن ع م: يكون.

[14] سورة هود ١١/١١٤.

ويحتمل أن يكون التكفير لها جميعا وإن لم يجتنب. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ -إلى قوله عز وجل- وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ،[1] وقال عز وجل: تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.[2] ألا ترى أنه روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شفاعتي نائلة[4] لأهل الكبائر من أمتي».[5] وروي عن علي بن أبي طالب[6] رضي الله عنه أنه سمع امرأة تدعو:[7] اللهم اجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: مَهْ، فقولي: اللهم اجعلني من الفائزين، فإن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر. ثم قرأ: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ الآية.

ثم اختلف في كيفية[8] الكبائر وماهيتها.[9] قال[10] بعضهم: ما أوجب الحد فهو كبيرة، مِن نحو الزنا والسرقة والقذف وغير ذلك. وقال الآخرون: الإشراك بالله وقتل الأنفس التي حرم الله بغير حقها وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقول البهتان والفرار من الزحف. وروي عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن ذلك، فقال: [ما ذكر][11] من أول السورة إلى هاهنا[12] من المحرمات فهو من الكبائر.[13] وروي أنه قيل لابن عباس: إن عبد الله بن عمر[14] يقول: الكبائر تسع. فقال ابن عباس: هن إلى التسعين أقرب، ولكن لا كبيرة مع توبة

[1] ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧١).
[2] سورة التحريم، ٨/٦٦.
[3] ع م – قال.
[4] ع: نابية.
[5] الحديث بدون قوله: «نائلة» في *سنن أبي داود*، السنة ٢٠، ٢١؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيامة ١٢؛ وصححه الترمذي.
[6] ك ن – بن أبي طالب.
[7] ع: تدعوا.
[8] ك + في كيفية.
[9] ك ن: مائيتها.
[10] ع م: فقال.
[11] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣و.
[12] ك ن: هنا.
[13] *تفسير الطبري*، ٣٧/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٠٥/٢.
[14] ع م – أنه سئل عن ذلك فقال من أول السورة إلى هاهنا من المحرمات فهو من الكبائر وروي أنه قيل لابن عباس إن عبد الله بن عمر.

ولا صغيرة مع إصرار.[١] وروي عن الحسن قال: قال رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم: «ما تقولون[٣] في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟» قالوا:[٤] الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»[٥] قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين». قال: وكان متكئا فجلس، ثم قال: «ألا وقول الزور، ألا وقول الزور». قاله ثلاثا.[٦]

وقوله تعالى: **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**؛ ذكر تكفير السيئات إن اجتنب الكبائر، ولم يذكر الحكم إذا لم يجتنبها. فليس فيه أنه[٧] إذا لم يجتنب لا يكفر، فهو في مشيئة الله، إن شاء كفّر[٨] وإن شاء عذبه. على ما ذكرنا أن وجوب الحكم لا يوجب إيجاب ذلك الحكم في حال أخرى حظرا كان أو حلالا. ***والله أعلم***.

ويقرأ في بعض القراءة: إن تجتنبوا كَبِيرَ ما تنهون عنه.[٩] فإن ثبت هذا فهو يدل على التأويل الذي ذكرنا آنفا، أنه أراد بالكبائر كبائر الشرك. ***والله أعلم***.[١٠]

وقوله عز وجل: **ونُدخِلْكم مُدخلا كريما**، قيل: الجنة.

**﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**[٣٢]

قوله[١١] عز وجل: **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض**، الآية؛ قيل: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته[١٢] ولا داره ولا شيئا من الذي له، ولكن لِيقلْ: اللهم ارزقني،[١٣]

---

[١] *تفسير الطبري*، ٥/٤١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٠٠/٢.
[٢] ك ن: النبي.
[٣] ع: تقول.
[٤] ع م: قال.
[٥] ع: كابر.
[٦] *المعجم الكبير* للطبراني، ١٤٠/١٨. وقال الهيثمي: «رجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس» (*مجمع الزوائد* لهيثمي، ١٠٣/١).
[٧] ن - أنه.
[٨] ك: كفره.
[٩] هي قراءة شاذة. انظر: *روح المعاني* للألوسي، ١٧/٥.
[١٠] ن ع م - والله أعلم.
[١١] ك ع م: وقوله.
[١٢] ك ع: مرأته.
[١٣] ك + قوله.

يذكر[1] نوع[2] الذي رغب،[3] فالله[4] واجدُ ذلك، وهو الواسع العليم. وقيل: هو كذلك في التوراة. وقيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول الله، يغزو[5] الرجال ولا نغزو،[6] ويُذكَر الرجال ولا نُذكَر،[7] فنزلت الآية: **ولا تتمنوا ما فضل الله به** -إلى قوله عز وجل- **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن.**[8] ويحتمل أن يكون هذا التمني في الديانة وفي الدنياوية.[9] أما في الديانة هو أن يتمنى أحد[10] أن يكون قَدْرُه مثل قدر آخر عند الناس من العلم والزهد وغير ذلك، فنهى[11] أن يتمنى ذلك، [لأنه] لم يبلغ هو ذلك المبلغ إلا باحتمال المكاره والمشقة والجهد. وفي الدنياوية[12] هو أن يتمنى مال أخيه وزوجته وخَدَمه. ويحتمل أن يكون معنى التمني ما ذكر[13] في خبر[14] أم سلمة، لأن[15] في ذلك الكفران بنعم الله؛ لأن النساء وإن لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات رفع[16] عنهن بعض المؤنات. ففي التمني[17] الكفران بتلك النعم التي أنعم الله تعالى عليهن.[18]

وفي قوله أيضا:[19] **ولا تتمنوا ما فضل الله**، أي الذي فضل الله بعضكم على بعض.

---

[1] ك ن ع: تذكر.

[2] م: النوع.

[3] ك ن ع: رغبت.

[4] ع م: والله.

[5] جميع النسخ: يغزوا.

[6] جميع النسخ: نغزوا.

[7] ع: تذكر.

[8] *تفسير الطبري*، ٥/٤٧.

[9] ك: ومن الديانة؛ ن: الدنيائية؛ ع م: وفي الدنيا.

[10] ن: أحدكم.

[11] ك: نهي.

[12] ك ن ع: الدنيائية.

[13] ع م: اذكر.

[14] ع: خير.

[15] ع: أن.

[16] ك: ورفع.

[17] ن: اليمين.

[18] ع - وغيرها من الخيرات رفع عنهن بعض المؤنات ففي التمني الكفران بتلك النعم التي أنعم الله عليهن؛ م + وفي قوله تعالى عليهن.

[19] ن - أيضا.

فهو –والله أعلم– لما فيه السخط بحكمه[١] يريد الصرف[٢] إليه،[٣] أو لما فيه أنه إنما قَصَرَ فَضْلَه على ما رأى وأَنْ لا يَسَعُ فَضْلُه له ولِلذي فَضَّلَه،[٤] ولِمَا النظر إلى ما[٥] أكرم به غيرَه بحق التمني يُلهي[٦] عن نعم الله تعالى عليه، أو لِمَا[٧] يَخرج ذلك مَخرج العداوة. وحقُّ نِعَمِ الله على كل أحد أن يعرف[٨] التعظيم له. ولذلك[٩] قيل:[١٠] فُضِّلْتَ على غيرك لتَرْحَمه وتتفضلَ[١١] به[١٢] عليه، وفُضِّل عليك[١٣] لتعظيم.[١٤] والتمني أوحش من الحسد، لأن الحسد هو إرادة الصرف عنه، وفي التمني ذلك وإرادة الفضل له به عليه.

**واسألوا الله**، سبحانه وتعالى، **من فضله**، وكان فضله في الحقيقة[١٥] هو ما لَه أن لا يبذله.[١٦] وذلك يخرج على فضل في الدين أو فضل في الخُلُق والمروءة. فأما فيما يرجع إلى نعم الدنيا مما لا يستعمله في أحد ذينك[١٧] الوجهين فهو في الظاهرنعمة،[١٨] وفي الحقيقة بلية ومحنة. قال الله سبحانه وتعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ،[١٩] الآية، وقال عز وجل: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ.[٢٠]

---

[١] ع: بحكم.
[٢] ن: التصرف.
[٣] جميع النسخ: إليك. أي يريد الحاسد أن يصرف الله نعمه كلها إليه.
[٤] أي إن الحاسد يرى أن الله قصر فضله على المحسود وأن فضل الله لا يسعه مع المحسود.
[٥] ك: النظر لما.
[٦] جميع النسخ: تلهي.
[٧] ك ن: أو بما.
[٨] ع: تعريف.
[٩] جميع النسخ: وكذلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٣و.
[١٠] ع م – قيل.
[١١] ن ع م: ويتفضل.
[١٢] ع م – به.
[١٣] ع م – وفضل عليك.
[١٤] ك ن: لتعظيم. وفي شرح *التأويلات*: «لتعظمه» (ورقة ١٦٣و).
[١٥] ع م – في الحقيقة.
[١٦] جميع النسخ: أن لا يبذل.
[١٧] ك ن ع: ذانك.
[١٨] ك: فضله ونعمه.
[١٩] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٥).
[٢٠] ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥٥-٥٦).

وجائز أن تكون[1] الآية في النهي مع ما مُكِّنوا من النعم لو وُفِّقوا[2] للخيرات. فإن كان لِمَا[3] وُفِّقوا للخيرات،[4] فحق ذلك أن يشكر لله بما أكرم به من حسنات ويرغب في التوفيق لمثله.[5] وإن كان في أمر النعم فحقه أن يعينه بالدعاء، لتكون[6] النعمة له نعمة[7] لا بلية ونقمة، ويرغب[8] فيما يقربه[9] إلى الله في عاقبة.[10] وقد ذُكر[11] أن أم سلمة تمنت بعض ما يقوم به الرجال من العبادات نحو الجهاد وأشكاله، فنزل النهي عن ذلك،[12] والترغيب في فضله في
[١٤٠و] نوع ما تحتمل هي[13] من الخيرات، دون / الذي يفضَّل عليهن بالرفع عنهن. **والله أعلم**.

وفي قوله[14] أيضا: **ولا تتمنوا ما فضل الله**، الآية، يحتمل أن يكون على ما خاطب رسوله[15] صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ،[16] الآية، فأخبر أن الذي أعطى لم يعطِ للكرامة ولكن ليفتنهم به. والعقل يأبى الرغبة فيما يُفتَن به دون ما يُكرَم به. ثم بين الذي[17] هو أولى بالمشتهي من التمني فقال: **للرجال نصيب مما اكتسبوا**، فرغب فيما له،

---

[1] ن ع م: يكون.
[2] ع: وقفوا.
[3] جميع النسخ: فمما.
[4] ك ن: من الخيرات.
[5] ع: لمثل.
[6] ك: ليكون؛ ع: لنكون.
[7] ك – نعمة.
[8] جميع النسخ: ترغب.
[9] جميع النسخ: يقربك.
[10] ن – في عاقبة. أي يمكن أن يكون معنى قول الله تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض... واسألوا الله من فضله﴾ أن الله تعالى نهى عن ذلك التمني مع كونهم قد وفقهم الله للخيرات الأخروية من الإيمان وغيره. فحينئذ يجب عليهم أن يشكروا لله على هذه النعم ويسألوه الزيادة من ذلك. وإن كان المقصود أن الله نهاهم عن التمني لأنهم قد وفقوا للخيرات الدنيوية، فحينئذ يكون معنى ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أن يدعو الإنسان بالتوفيق لاستعمال النعم الدنيوية فيما يرضي الله ويقربه إليه.
[11] ع م: ذكرنا.
[12] تقدم قريبا.
[13] أي في نوع ما تحتمل أم سلمة رضي الله عنها والنساء من فعل الخيرات.
[14] ع: وقوله.
[15] ع م: خطب رسول الله.
[16] ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ١٣١/٢٠).
[17] ن – الذي.

وأمر[١] بالسؤال من فضله؛ إذ[٢] لا يكون كسبه[٣] له إلا بفضله، كقوله سبحانه وتعالى: وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا،[٤] ثم قال الله عز وجل: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،[٥] فبيّن أن كسبه عليه إلا[٦] [أن يكون] بفضل الله، وبيّن أن الأَوْلى به الإقبال على ما له عاقبة[٧] [حسنة]، والتضرع إلى الله تعالى بالإكرام، دون الذي عليه في ذلك خوف المقت. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واسألوا الله من فضله**، مثله، فإن فضله واسع، ولا يتمنى مال أخيه وداره. أو اسألوا[٨] الله تعالى العبادة، ولا تتمن[٩] أن لا يكون لأخيك ذلك ويكون لك. ثم أخبر أن ما يكون للرجال إنما يكون بالاكتساب، وما يكون للنساء يكون بالاكتساب، يكون لكلٍ ما اكتسب[١٠] من الأجر وغيره.

**﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون**؛ احتمل هذا -والله أعلم- أن يكون معطوفا مردودا إلى قوله سبحانه وتعالى: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ،[١١] الآية. ذكر[١٢] هاهنا ما يرث الرجال والنساءُ[١٣] من الوالدين[١٤] والأقربين، ولم يذكر ما يرث الوالدان من الأولاد، والأقربون بعضهم من بعض،

---

[١] ع م: وأما.
[٢] ع م: أن.
[٣] م - كسبه.
[٤] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.
[٥] سورة النور، ٢١/٢٤.
[٦] م: لا.
[٧] ك ن م: عاقبته.
[٨] ع م: واسألوا.
[٩] ن: تتمنى.
[١٠] ع: اكسب.
[١١] سورة النساء، ٧/٤.
[١٢] ن - ذكر.
[١٣] ع: النساء والرجال والنساء.
[١٤] ع م: الوالدان.

من نحو العم وابن العم وغيرهم من القرابات.[١] فذكر هاهنا ليُعلَم[٢] أن للمولى من الميراث مما ترك الوالدان والأقربون ما لأولئك من الوالدين والأقربين إذا لم يكن أولئك، فجعل[٣] لهؤلاء[٤] ما جعل لأولئك. و لم يذكر أيضا ما للوالدين من الأولاد في قوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ،[٥] الآية، ولكن ذكر في آية الوصية في قوله تعالى: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ.[٦] ذكر الوصية للوالدين والأقربين و لم يذكر للأولاد –والله أعلم– أن الرجل قد يؤثر[٧] ولده على نفسه وعلى غيرهم من الأقرباء، ولا كذلك [يؤثر] الولدُ الوالدَ، فذكر الوصية للوالدين والأقربين لهذا المعنى، ليصل[٨] إليهم المعروف. وأما الأولاد[٩] فإنهم يؤثَرون[١٠] على غيرهم. لذلك لم يذكرهم. ***والله أعلم***.

وقيل في قوله: **ولكل جعلنا**، أي بينا، فيكون فيها بيان مَن هم الأَولى في[١١] المواريث. ثم قيل في الموالي: إنهم هم العصبة. وقيل: هم الأولياء،[١٢] الأب أو الأخ أو ابن الأخ[١٣] وغيرهم من العصبة. وقيل: هم[١٤] الورثة،[١٥] وهو قول ابن عباس.[١٦] وكله[١٧] واحد. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه[١٨] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى بالمؤمنين، من مات وترك مالاً فمالُه لموالي العصبة، ومن ترك كَلًّا[١٩] أو ضَياعا فأنا وَلِيُّه،

---

١ م: القربات.
٢ ن ع م: لتعلم.
٣ جميع النسخ: ان جعل.
٤ ن + مما ترك.
٥ سورة النساء، ٧/٤.
٦ سورة البقرة، ١٨٠/٢.
٧ ع: يورث.
٨ ع: يصل.
٩ ن: الأولا.
١٠ ك ن م: لا يؤثرون؛ ع: لا يرثون.
١١ جميع النسخ: ما هو الأولى من. والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ.
١٢ جميع النسخ: أولياء. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ.
١٣ م: والأخ وابن الأخ.
١٤ جميع النسخ: هي.
١٥ م: الوارثة.
١٦ *تفسير الطبري*، ٥٠/٥.
١٧ ع: وقوله.
١٨ ك ن – أنه.
١٩ ك: قوله؛ ن ع م: مالا. والتصحيح من *شرح التأويلات* نسخة مدينة، ورقة ١٨٦ظ.

فَلِأُدْعَى[1] له».[2] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا المال بالفرائض، فما أبْقَت السهام فلِأَوْلى رَجُلٍ ذَكَرٍ».[3] وعن عمر بن الخطاب[4] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول]: «ما أحرز الوالد أو الولد[5] فهو لعصبته[6] من كان».[7] وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب: إذا كانت العصبة بعضهم أقرب بأم فهم[8] أحق بالمال.[9] وأجمع أهل العلم على أن أهل السهام إذا استوفوا سهامهم وبقي من المال شيء أنه لعصبة الميت، وهم الرجال من[10] قرابته من قِبَلِ أبيه ومواليه؛ وأنه لا يكون أحد من النساء عصبة إلا الأخوات[11] من الأب والأم أو[12] من الأب مع البنات، والمرأة المعتِقة، فإن هاتين عصبة. وأجمعوا أن كل من اتصلت قرابته من قبل النساء بالميت فليس بعصبة، وأن المرأة[13] إذا أعتقت عبدا أو أمة فإنها عصبة المعتَق بعد موته،[14] إلا ابن مسعود رضي الله عنه فإنه يجعل [الميراث] لذوي الأرحام دون الموالي.[15] وأجمعوا أنه إذا اجتمع عصبتان فأقربهما أولى. وأقرب العصبة الابن، ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب، ثم الجد وإن علا، والأخ من الأب والأم، ثم الأخ من الأب، ثم ابن الأخ من الأب والأم، ثم ابن الأخ من الأب، ثم العم من الأب والأم،[16]

---

[1] ك: فلا دعا، ن ع م: فلا دعاء. والتصحيح من *صحيح البخاري*، الفرائض ١٥.

[2] ن – له. والحديث في *صحيح البخاري*، الفرائض ١٥؛ و*صحيح مسلم*، الفرائض ١٥-١٧. وقوله: كَلًّا، أصله الثِقَل، ثم استعمل في كل أمر يصعب، والمراد به هنا: العِيال. والضَّياع: وصف لمن خلَّفه الميت، أي من ترك ذوي ضياع، أي لا شيء لهم... وقوله: فلأُدعى له، معناه: فادعوني له، أقوم بكَلِّه وضَياعه. انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ٤/٤٧٧، ١٢/٢٨.

[3] *صحيح البخاري*، الفرائض ١٥؛ و*صحيح مسلم*، الفرائض ٣.

[4] ك ن ع – بن الخطاب.

[5] ن: الولد أو الوالد؛ م: والولد.

[6] ن م: لعصبة.

[7] *سنن ابن ماجة*، الفرائض ٧؛ و*سنن أبي داود*، الفرائض ١٢.

[8] م: فيهم.

[9] *مصنف عبد الرزاق*، ١٠/٢٨٨.

[10] ن + عصبته.

[11] ك ع م: إلا أخوات؛ ن: عصبة الأخوات.

[12] ك: ان.

[13] ن – المرأة.

[14] ك ن ع: موت أمه؛ م: موت أمة.

[15] *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٠/٣٠٦؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢/١٩٥.

[16] ن – ثم العم من الأب والأم.

ثم العم من الأب، ثم ابن العم من[1] الأب والأم، ثم ابن العم من الأب، ثم مولى[2] النعمة، ثم ابن مولى النعمة[3] وإن سفل. فهؤلاء كلهم عصبة الميت، وأقربهم أولاهم بما فَضَل من المال عن أصحاب السهام المذكورة[4] سهامهم. هو -والله أعلم- موافق لما ذكرنا من دليل الآية والسنة وما توارثت من[5] الروايات عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون**، يحتمل: ولكلٍ من الموالي جعلنا، على إضمار «نصيب» أو «حق» فيما ترك الوالدان والأقربون، فيكون تأويله قوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ،[6] فيكونون هم مواليه بحق الميراث، على تأويل أنهم أولى بما[7] تركوا. وعلى[8] مثله قوله:[9] وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا،[10] ووليه من يلحقه في ملكه،[11] يفسره[12] قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ،[13] وجميع آيات[14] المواريث. إلا أنه لم يذكر للوالدين في هذه الجملة ولا للزوجين، ولا يدخلون في اسم القرابة ولا في اسم الأولاد، وقد جاء بالإيجاب لهم كتاب، واجتمعت[15] عليه الأمة، على غير دعوى

[١٤٠ظ] النسخ فيه من أحد، ليُعلم أن التخصيص بالذكر / في الحق لا يقطع حق غيرٍ، لكنه يكون الأمر موقوفا على وجود دليله. *والله أعلم*. على أن في الإيجاب للأقربين وللموالي كفاية عن ذِكر من ذُكر، إذ بهم يكون كل القرابة، وبالتناكح يكون النسل، وهو المجعول لذلك.

---

[1] ن: ثم.
[2] ع م: موالي.
[3] ع م – ثم ابن مولى النعمة.
[4] ك ن: المذكور.
[5] ع: عن.
[6] سورة النساء، ٤/٧.
[7] ن ع م: مما.
[8] ن ع م: أو على.
[9] ع م – قوله.
[10] سورة الإسراء، ١٧/٣٣.
[11] أي ولي المقتول هو من يرث المقتول في ملكه.
[12] م: بغيره.
[13] سورة النساء، ٤/١١.
[14] ع: الآيات؛ م: الآيات في.
[15] ك: أجمعت.

وكذلك لا يَسقط حق هؤلاء بحال،[١] ولا يحجبون عن الكل بأحد، وقد جرى ذكر حقهم فيما نسخته هذه الآية من الوصية. *والله أعلم.*

ويحتمل قوله تعالى: **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون**، أن يرجع الموالي إلى الذين ورثوه من تركة الأبوين والأقربين. يخبر أن قد تجري[٢] المواريث فيما قد وُرِثَتْ نحو ما يجري فيما لم يكن وُرِثَ مرة، فرجع ذا إلى غير أولاد الأول وأقرباء[٣] الأول.[٤] أو أن يكون المقصود فيما ترك الوالدان والأقربون بما ذكر في أيهم[٥] نصيبا مفروضا، أن يكون هذا فيما ترك الوالدان والأقربون مع أصحاب الفرائض. فتكون[٦] هذه الآية في بيان حق العصبات، إذ لم يذكر لهم دون أن يكون معهم أصحاب الفرائض، يرثون[٧] بحق السهام لا[٨] بحق الفضول.[٩] فيكون جُمَل[١٠] الآيات في المواريث ثلاث: أحدها[١١] في أصحاب الفرائض، وهو قوله عز وجل: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.[١٢] والثاني في حق العصبات، وهو قوله تعالى: **ولكل جعلنا موالي**، الآية.

---

[١] ع م - بحال.

[٢] ن ع م: يجري.

[٣] ع م: وأقرباتم.

[٤] أي الأولاد والأقربون المذكورون في الآية الأولى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون... نصيبا مفروضا﴾ (سورة النساء، ٧/٤).

[٥] ن ع م: أبيهم.

[٦] ع: فيكون.

[٧] ك: يرثوثون.

[٨] م: ولا.

[٩] قال الشارح: «ويحتمل قوله: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾ أنه أراد بالموالي هم الذين يرثون ممن يرث من تركة الأبوين والأقربين. أخبر أن قد تجري المواريث فيما قد ورث مرة كما يجري فيما لم يورث أصلا. فرجع هذا إلى غير الأولاد والأقربين الذين ذكروا في قوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ (سورة النساء، ٧/٤). ويحتمل أن يكون المراد في ﴿ما ترك الوالدان والأقربون﴾ عين ما ذكر في قوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون -إلى قوله- نصيبا مفروضا﴾ (سورة النساء، ٧/٤)، فيكون المراد بهذه الآية بيان الإرث فيما ترك الوالدان والأقربون مع أصحاب الفرائض، فيكون لهم سهامهم المقدرة، والفاضل يكون لمن لم تكن لهم سهام مقدرة من الموالي، فيكون في الآية إثبات العصبات مع أصحاب الفرائض. وفي قوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان﴾ (سورة النساء، ٧/٤) الآية، إثبات التعصيب بدون أصحاب الفرائض، وإيثار حق أصحاب السهام بدون العصبات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٦ظ).

[١٠] ك: عمل.

[١١] ك: إحداها.

[١٢] سورة النساء، ٧/٤.

والثالث في حق ذوي الأرحام، وهو قوله: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[1] الآية.

ثم أُلحق بهؤلاء في حجاب الأبعدين أهل العقد بقوله عز وجل: **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم**. وإنما ذكر ذلك فيما يترك[2] الميت، ولا وجه للعون والرِّفْد[3] منه[4] أو النصر. مع ما ذكر نصيبهم في التركة كما ذكر لأصحاب الفرائض. وعلى ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أسلم على يدي آخر، أنه أحق الناس بمَحياه[5] ومماته.[6] وكذلك روي عن عمر[7] وعلي وعبد الله رضي الله عنهم.[8] مع ما كانت المواريث بهذا من قبل،[9] فنُسخ بقوله تعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[10] فإذا ارتفع ذلك ذهب التناسخ. فوجب لهم، إذ بيت المال يرث بولاية الإيمان جملة،[11] ولهذا تلك الولاية وولاية أخرى، فهو أحق. **والله أعلم**. ويَتخلُف هؤلاء من له رحم، كما تخلَّفَ ولاءُ العتاقة بما يُقدّم[12] من النعمة بالإعتاق حقَّ العصبة من ذي النسب، بقوله عليه الصلاة والسلام: «الولاء لُحمة كلُحمة النسب».[13]

---

[1] سورة الأنفال، ٨/٧٥.

[2] ع: ينزل.

[3] ك: أو الرفد.

[4] م – منه.

[5] جميع النسخ: محياه.

[6] *سنن أبي داود*، الفرائض ١٣؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ٢٠.

[7] ك: روى عمر.

[8] *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٠/٣٠٢-٣٠٣.

[9] ك: قبيل.

[10] سورة الأنفال، ٨/٧٥.

[11] ن ع: حمله.

[12] ن ع م: تقدم.

[13] *مسند الشافعي*، ٣٣٨؛ و*صحيح ابن حبان*، ١١/٣٢٦؛ و*المستدرك* للحاكم، ٤/٣٧٩. قال ابن الأثير: «ومعنى الحديث المخالطة في الولاء وأنها تجري مجرى النسب في الميراث كما تخالط اللحمة سدى الثوب حتى يصيرا كالشيء الواحد لما بينهما من المداخلة الشديدة» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «لحم»). قال الشارح: «المراد منه الإرث بعد ذوي الأرحام، فإنه ألحقهم بالموالي... ولأنه قال: ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ أي من التركة. فالأوجه الحمل على قيام حق مقدر لهم من التركة. وعلى ذلك المرفوع من الحديث والآثار عن الصحابة... والدليل العقلي يؤيد هذا التأويل أيضا. فإن بيت المال يرث بولاية الإيمان جملة. قال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة التوبة، ٩/٧١). وهؤلاء تلك الولاية وولاية أخرى بالمعاقدة، فهم أحق من عامة المؤمنين. ألا يرى أن مولى العتاقة أولى من بيت المال لتساوي في ولاء الإيمان والترجيح بولاء العتق، فكذا هذا. إلا أن مولى الموالاة يتأخر عن سائر الأقارب ومولى العتاقة يتقدم على ذوي الأرحام، لأن الولاء بالرحم فوق الولاء بالعقد فيتخلف عن ذوي الأرحام، وولاء العتاقة بما يقدم من النعمة بالإعتاق الذي هو إحياء وإيلاد معنى ألحق بالتعصيب من حيث المعنى. ولذلك قال عليه السلام: "الولاء لحمة كلحمة النسب"» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ- ١٦٤و).

وقوله عز وجل: **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم**؛ قيل:[1] هو من الأيمان، كان حِلْفٌ في الجاهلية، يقول الرجل لآخر: ترثني[2] وأرثك، وتعقل عني وأعقل عنك،[3] وتنصرني وأنصرك، ويحالفان[4] على ذلك. وقد قرئ بالألف:[5] «عاقدت»،[6] فهو من المحالفة.[7] ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حِلْفَ في الإسلام، وما كان مِن حِلفٍ في الجاهلية لم يَزِده الإسلام إلا شدة».[8] وقيل: هو من ضرب اليمين في اليمين،[9] وهو المبايعة. كان الرجل يعاقد الرجل ويبايعه في الجاهلية، فيموت فيرثه.[10] وقيل: إن أبا بكر رضي الله عنه عاقد رجلا فمات فورثه.[11] ولذلك نُحصّ المماليك بالذكر بهذا من قوله تعالى: وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[12] لأنهم يُشترون للخدمة، والمرء[13] إذا خدم نفسه إنما يخدمها بيمينه. فإذا كان تأويل الآية ما ذكروا فهو منسوخ بقوله عز وجل: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ،[14] وبما رُوينا من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا حلف في الإسلام، وما كان من[15] حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة».[16]

ويحتمل أن تكون[17] الآية فيمن أسلم على يدي آخر ووالاه، على ما روي عن رسول الله

[1] ع: قليل.
[2] ع: ترني.
[3] عقل القتيل يعْقِله عقلا: أدّى ديته. وعقل عن فلان: أدى عنه ما لزمه من دية أو جناية (*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»).
[4] ن: وتحالفان؛ ع م: وتخالفان.
[5] ن ع م + عمى.
[6] قرأ من الأئمة السبعة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «عاقدت»، وعاصم وحمزة والكسائي «عقدت». انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٣٣.
[7] ع م: المخالفة.
[8] صحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٢٠٦؛ وسنن *أبي داود*، الفرائض ١٧.
[9] ع م – في اليمين.
[10] م – فيرثه.
[11] *سنن سعيد بن منصور*، ١٢٤٠/٤.
[12] سورة النساء، ٣٦/٤.
[13] ع: والمراء؛ م: والمرءة.
[14] سورة الأنفال، ٧٥/٨.
[15] ك – من.
[16] تقدم تخريجه قريبا.
[17] ع م: يكون.

صلى الله عليه وسلم قال:[1] «من أسلم[2] من أهل الكفر على يدي رجل من المسلمين فهو أولى الناس به محياه ومماته».[3] وروي عن عمر رضي الله عنه أن رجلا[4] سأله[5] عن رجل أسلم على يدي رجل ووالاه.[6] قال: هو مولاه، فإن أبي فلبيت[7] المال.[8] وروي عن مسروق قال:[9] أتيت عبد الله فقلت: إن رجلا كان[10] عاملا علينا، فخرج إلى الجبل، فمات وترك ثلاثمائة درهم. فقال عبد الله: هل ترك وارثا، أو لأحد منكم عليه عقد ولاء؟ قلت: لا. فجعل ماله لبيت المال.[11] وكذلك يقول أصحابنا رحمهم الله: من مات وترك وارثا فماله لوارثه، وإن لم يكن له وارث فللذي أسلم على يديه ووالاه، لما رُوينا من الخبر: «هو أولى الناس به محياه ومماته»،[12] وقوله: محياه في العقل، ومماته في الميراث، وما روينا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقوله عز وجل: **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم**، قيل: هي الوصية إلى[13] تمام الثلث، لأن الميراث قد نسخ بالآية التي في الأنفال،[14] بقوله عز وجل: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ -ثم قال- إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا،[15] فهي الوصية إلى تمام الثلث. فإذا كانت الآية في الذي أسلم على يديه ووالاه[16] وعاقده فهو ليس بمنسوخ.

---

[1] ك – قال.
[2] ن + من أسلم.
[3] تقدم تخريجه قريبا.
[4] ن: الرجل.
[5] جميع النسخ: سأل. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ.
[6] ك: ومواليه؛ ن ع م: ويواليه. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٣ظ.
[7] ن ع: فليثبت.
[8] ن – المال. *مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٩٦/٦.
[9] ع: قالت.
[10] ن + كان.
[11] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٩٦/٦.
[12] تقدم تخريجه قريبا.
[13] ع: الم.
[14] كما ترى فالآية المذكورة هنا في سورة الأحزاب. أما الآية التي في سورة الأنفال فهي: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة الأنفال، ٧٥/٨).
[15] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[16] ن + ووالاه.

وقيل: **فآتوهم نصيبهم**، من النصر والمعونة والمشورة[١] ولا ميراث.

وقوله عز وجل: **إن الله كان على كل شيء شهيدا**؛ بما ذكر من الشرط والوفاء به.

*وبالله التوفيق.*

**﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَٱلصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **الرجال قوامون على النساء**؛ قال أهل التأويل: الآية نزلت في الأزواج. دليله قوله تعالى: **وبما أنفقوا من أموالهم**، والأزواج هم المأخوذون بنفقة أزواجهم. وفيه دليل وجوب نفقة المرأة على زوجها،[٢] وعلى ذلك إجماع أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: في قوله تعالى: **الرجال قوامون على النساء**، دليل أنْ لا يجوزَ النكاح إلا بالولي، حيث أخبر أنهم القوامون على النساء[٣] دونهن.

قيل له: إن كانت / الآية في الأزواج وفي الأولياء على ما ذكرت ففيه دليل جواز النكاح [١٤١و] بغير ولي لا بطلانه. وذلك قوله تعالى: **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**، أخبر أنه فضّل بعضهم على بعض، وذلك التفضيل تفضيل خِلقة، وهو أن جعل الرجال من أهل المكاسب والتجارات والقيام بأنواع الحِرف والتقلّب في البلدان والمدائن، والنساء ليس[٤] كذلك، بل جعلهن ضعفاء عاجزات عن القيام بالمكاسب والحرف[٥] والتقلب في حاجاتهن. فالرجال هم القوامون عليهن والين[٦] أمورهن وقاضين[٧] حوائجهن قائمين[٨] على ذلك. ففُرض على الرجال[٩] القيام بمصالحهن كما ذكرنا.[١٠] مع ما فرض ذلك على الرجال،

---

[١] ع: والمشورت.

[٢] ع: أزواجها.

[٣] ك ع م: عيهن.

[٤] م - والتقب في البدان والمدائن والنساء ليس، + فالرحال هم القوامون.

[٥] ع - والتقلب في البلدان والمدائن والنساء ليس كذلك بل جعمهن ضعفاء عاجزات عن القيام بالمكاسب والحرف.

[٦] ن ع م: وأليف.

[٧] ن: وماضين.

[٨] ك: قايلين.

[٩] ك: الرحل.

[١٠] ع م: ذكروا.

يجوز إذا وَلِين بأنفسهن وقُمن بحوائجهن من البياعات والأشرية[1] وغير ذلك. فعلى ذلك النكاح وإن كان الرجال هم[2] القُوَّام عليهن، فإنهن إذا وَلِين ذلك بأنفسهن وقُمن جاز ذلك كما جاز غيره. وعلى هذا[3] ما أمر الأولياءَ بالتزويج في قوله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ،[4] الآية، ونهاهم عن العَضْل[5] عن النكاح بقوله عز وجل: فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ،[6] الآية، لأن ذلك حق عليهم أن يفعلوا حتى يلين ذلك بأنفسهن؛ إذ لا بد[7] من حضور مشهد[8] الرجال ومجلسهم ليشهدوا على ذلك، فذلك على الأولياء القيام به. ولهذا ما جعل نفقتهن إذا لم يكن لهن مال على محارمهن؛ لأنهن لا يَقُمن بالمكاسب وأنواع الحرف والتجارات، والرجال يقومون، فجعل مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة. ولهذا ما لم يجعل الله[9] للذكور من المحارم بعضهم على بعض النفقة لما يقومون بالمكاسب، فإذا صار زَمِنًا وعجز عن المكاسب جعل نفقته على محارمه، لأنه صار في الخلقة كالمرأة. *والله أعلم.*

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**، قال: أمراء؛ عليها[10] أن تطيعه فيما[11] أمرها الله به من طاعته. وطاعته[12] أن تكون محسنة إلى أهله[13] حافظة لماله، وفضّله عليها[14] بنفقته[15] وسعيه.[16] وقيل

[1] ك ن: الأشربة.
[2] ع: عمى.
[3] جميع النسخ: ولهذا.
[4] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[5] ع: الفضل.
[6] سورة البقرة، ٢٣٢/٢.
[7] م: لا ند.
[8] ع: شهد.
[9] ع م – الله.
[10] جميع النسخ: عليهن.
[11] ع: مما.
[12] م – وطاعته.
[13] ك ن م: إلى أهلها؛ ع: لأهلها.
[14] ع: علينا.
[15] ك ن: بنفقة.
[16] جميع النسخ: وسعته. وتصحيح ألفاظ الرواية من *تفسير الطبري*، ٥٧/٥.

نزلت الآية في رجل[1] لطم امرأته[2] لطمة في وجهها، فنشزت عن فراش زوجها واستَعْدَت إلى رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم فقالت:[4] يا رسول الله، لطمني زوجي فلان لطمة، وهذا أثر يده في وجهي. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتصّي منه». وكان القصاص بينهم يومئذ بين الرجال[5] والنساء في اللطمة والشَّجة والضربة. ثم أبصر النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ينزل، فقال لها: «كُفِّي حتى أنظر ما جاء به جبريل في أمرك». فأتاه بهذه الآية: **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض،** أي المسلَّطون على آداب النساء في الحق. وقيل: تفضيلهم عليهن[6] بالعقل والميراث وفي الفيء. *والله أعلم*. ثم قال رسول الله[7] صلى الله عليه وسلم: «أردنا أمرا وأراد الله أمرا، والذي أراد الله خير مما[8] أردنا».[9]

وقيل في قوله تعالى: **وبما أنفقوا من أموالهم**، بما ساقوا من المهر والنفقة.

استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى:[10] **الرجال قوامون**، الآية، على أن النكاح لا يجوز إلا بالولي، فصرف تأويل الآية إليهم.[11]

وفيها: **وبما أنفقوا**، فيلزم الأولياء النفقة وهو لا يقول به. وبعد، فإن الآية لو كانت في الأولياء فهو في كل أمر لهن إليهم حاجة، فيخرج[12] ذلك مخرج الحق لهن في أن يتوالوهن العقود كلها، ويقوموا في كفالتهن[13] وكفايتهن،[14] لا أنهن لو قمن بأنفسهن يبطل فعلهن،[15]

---

[1] ع: حل.
[2] ن – لطم امرأته، صح هـ.
[3] ك + رسول.
[4] ع: فقال.
[5] م – الرجال.
[6] ع م: عليهم.
[7] ك ن: النبي.
[8] ع: فما.
[9] *تفسير الطبري*، ٥/٥٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥١٢، ٥١٣.
[10] ك – وقيل في قوله وبما أنفقوا من أموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى.
[11] *الأم* للشافعي، ٥/١٢.
[12] ن ع م: فخرج.
[13] ع – في كفالتهن.
[14] ك م: في كفايتهن وكمالتهن؛ ع: في كفايتهن.
[15] ع م: يبطلن فعلهن.

فمثله أمر النكاح. وأهل التأويل يحملون الآية على الأزواج. ومن تدبر[1] الآية علم أنها فيما قال أهل التأويل دون الذي ذهب إليه الشافعي. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فالصالحات قانتات**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **قانتات**، يعني مطيعات.[2] والقانت هو المطيع. ويحتمل مطيعات لله تعالى، ويحتمل مطيعات للأزواج. ويحتمل **قانتات**، أي قائمات بأداء ما فرض الله عليهن من حقوقه وحقوق أزواجهن.

وقوله عز وجل: **حافظات للغيب**؛ قيل: حافظات لما استودعهن الله من حقه. **وحافظات للغيب**،[3] لغيب[4] أزواجهن. وقيل: حافظات لأنفسهن لغيبة أزواجهن في فروجهن. ويحتمل **حافظات**[5] **للغيب**، أي لله في أموره ونواهيه والقيام[6] بحقوقه. وقانتات وحافظات هو تفسير صالحات.

وقوله عز وجل: **بما حفظ الله**، اختلف في تلاوته وتأويله. في حرف بعضهم بالنصب: بما حفظ اللهَ،[7] وتأويله: بحفظ[8] الله، لكنه نصب لسقوط حرف الخفض.[9] ومن رفعه جعل تأويله: بما[10] استحفظهن الله تعالى.[11] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واللاتي تخافون نشوزهن**؛ قال بعض أهل الأدب: سمي العلم خوفا،

---

[1] ك ن: يدبر؛ ع: يدير.

[2] *تفسير الطبري*، ٥/٥٩.

[3] ك: لبعنت.

[4] ع – لغيب.

[5] ك ن م: قاطعات.

[6] جميع النسخ: والقائم. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٤ظ.

[7] أي بنصب لفظ الجلالة، وهي قراءة أبي جعفر من الأئمة العشرة. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٤٩.

[8] ع: يحفظ.

[9] ن ع م: الخافض. قال السمرقندي: «قرأ بعضهم بالنصب للهاء ﴿بما حفظ الله﴾ أي إثبات لتحفظ لأجل الله تعالى لأن حرف ما مع الفعل بمعنى المصدر فيكون النصب لكونه مفعولا له» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٤ظ). وقال الشوكاني: «وقرأ أبو جعفر بما حفظ الله بنصب الإسم الشريف. والمعنى بما حفظن الله أي حفظن أمره أو حفظن دينه. فحذف الضمير الراجع إليهن للعلم به. و«ما» على هذه القراءة مصدرية أو موصولة كالقراءة الأولى، أي بحفظهن الله أو بالذي حفظن الله به» (*فتح القدير* للشوكاني، ١/٤٦١).

[10] ن ع م: مما.

[11] أي حافظات للغيب بما استحفظهن الله من أداء الأمانة إلى أزواجهن على الوجه الذي أمر الله به. انظر: *فتح القدير* للشوكاني، ١/٤٦١.

لأنه أحد طرفي[1] العلم. وقال آخر وهو الفراء:[2] الخائف الظان لأنه يرجو ويخاف.[3] وأما الأصل في أنه سمي العلم خوفا لغلبة[4] شدة الخوف فيعمل عمل العلم بالشيء على غير حقيقته، لأنه يعرف بالاجتهاد وبأكثر الرأي والظن. وهكذا كل ما كان سبيل معرفته الاجتهاد، فإن غالب الظن وأكبر[5] الرأي يعمل[6] عمل اليقين في الحكم، وإن لم يكن هنالك حقيقة. ألا ترى إلى[7] قوله: فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ / مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ،[8] ألزمنا [١٤١ظ] العمل بظاهر علمنا وإن لم نصل[9] إلى حقيقة إيمانهن. فعلى ذلك إذا علم منها النشوز عِلْم أكثر الظن وأغلبه يعمل عمل الذي ذكر في الآية من[10] العظة وغيرها، لأن قوله تعالى: **تخافون نشوزهن**، ليس على وجود النشوز منها للحال حقيقة، ولكن على غالب الظن. لأنها إذا كانت ناشزة كيف يعظها[11] وكيف يهجرها[12] ويضربها؟ فدل أنه على غالب العلم. أولا ترى[13] أنه من أُكره على أن ينطق بكلام[14] الكفر بقتلٍ أو ضربٍ يخاف منه التلف كان في حِلٍّ وسَعَةٍ أن ينطق به، بعد أن يكون قلبه مطمئنا[15] بالإيمان.[16] وذلك إنما يُعلم عِلم غالب الظن وأكبر الرأي، لا يُعلم عِلم حقيقة، ثم أبيح له أن يعمل عمل حقيقة العلم، فكذلك الأول. ***والله أعلم***.

[1] ن ع م: اضطر في.
[2] الفراء هو يحيى بن زياد الكوفي النحوي نزل بغداد وهو أجل أصحاب الكسائي وكان رأسا في النحو واللغة. وله كتاب معاني القرآن. انظر: *العبر* لذهبي، ١/٣٥٤.
[3] *معاني القرآن* للفراء، ١/١٨٦.
[4] م: لغلبته.
[5] ك ع: أو أكبر.
[6] ن - يعمل.
[7] م - إلى.
[8] سورة الممتحنة، ٦٠/١٠.
[9] ع: تصل.
[10] م - من.
[11] ن: يعظمها؛ م - يعظها.
[12] م: تهجرها.
[13] ك: يرى.
[14] ع م: بكلمة.
[15] ك ن ع: مطمئن.
[16] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٦).

نهى الله عز وجل المرأة عن عصيان[1] زوجها وأمرها بطاعته[2] في نفسها، كما أمره أن يحسن عشرتها. وهذا[3] -والله أعلم-[4] هو الحق الذي ذكره الله تعالى في سورة البقرة مجملا بقوله تعالى: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[5] وفسر الحق عليهن في هذه السورة. وهذا أن تطيعه في نفسها وتحفظ غيبته. ألا ترى أنه قال تعالى: فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حق الزوج على امرأته[6] إن دعاها وهي على قَتَبٍ أن تطيعه».[7]

وقوله عز وجل: **فعظوهن**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[8] عظوهن بكتاب الله. **فإن أطعنكم**، أي رجعن إلى الفراش والطاعة وإلا فاهجروهن. والهجران أن[9] لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه، ويولّيها الظهر. فإن قبلت[10] وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مُبَرِّح،[11] ولا تكسر[12] لها عظما. فإن قبلت وإلا فقد حل لك[13] منها الفداء.[14]

ويحتمل قوله تعالى: **فعظوهن**، أن[15] يقول لها: كوني من الصالحات ومن القانتات ومن الحافظات، ولا تكوني من كذا على الرفق واللين. فإن هي تركت[16] ذلك وإلا فاهجرها. والهجران يحتمل وجهين. يحتمل[17] التخويف على الاعتزال منها وترك المضاجعة والجماع.

---

[1] ع: صيان؛ م: خيانة.
[2] ع: بطاعة.
[3] ك ع م + هو.
[4] ن + هو والله أعلم.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[6] م: امرأة.
[7] *سنن ابن ماجة*، النكاح ٤. والقَتَب: إكاف البعير أي ما يوضع عليه للركوب عليه (*لسان العرب* لابن منظور، «قتب»).
[8] جميع النسخ: فقال.
[9] ن ع م – أن.
[10] ع: قلت.
[11] م: مبرج.
[12] ن ع م: يكسر.
[13] م – لك.
[14] *تفسير الطبري*، ٥/٦٢-٦٥، ٦٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥٢١.
[15] ع م: أي.
[16] م: فإن ترك.
[17] ن ع م – يحتمل.

ويحتمل أن يهجرها ولا يجامعها لا على التخويف من ترك ذلك. فإن هي تركت[1] ذلك وإلا ضربها عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير مبرح[2] ولا شائن.[3] *والله أعلم*.

على الترتيب يعظها أوّلاً بما ذكرنا من الرفق بها واللين، لعلها أطاعته[4] وتركت ذلك. ثم إذا لم تطعه خوّفها بالهجران، فلعل قلبها لا يحتمل الهجران وترك المضاجعة فتطيعه. فإن هي[5] أبت ذلك فحينئذ[6] هجرها ولم يجامعها ولا ضاجعها.[7] فإن هي[8] أطاعته وإلا عند ذلك ضربها. فإن هي أطاعته وإلا فعند ذلك يرفعان إلى الحَكَم.[9] وعلى هذا[10] يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يعظه[11] على الرفق واللين أوّلاً،[12] ولا[13] يُغلظه في القول. فإن هو قبل[14] ذلك وإلا عند ذلك غلّظ القول به. فإن قبل[15] ذلك وإلا بسط يده فيه. على ما أمر الله سبحانه وتعالى الأزواج أن يُعامل[16] النساء من العظة[17] ثم الهجران ثم الضرب[18] ثم الرفع إلى الحكمين.[19] وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تضربوا إماء الله». فترك الناس ضربهن. فجاء عمر رضي الله عنه فقال:[20]

---

[1] م: ترك.

[2] ع – مبرح؛ م: مبرج. قال ابن منظور: «ضربه ضربا مبرّحا: شديدا... وفي الحديث ضربا غير مبرح أي غير شاقّ» (*لسان العرب* لابن منظور، «برح»).

[3] شائن أي قبيح ومعيب (*لسان العرب* لابن منظور، «شين»).

[4] م: أطاعه.

[5] م – هي.

[6] جميع النسخ: حينئذ.

[7] م: يضاجعها.

[8] م – هي.

[9] م: الحاكم.

[10] جميع النسخ: وهذا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٤ظ.

[11] ع م – يعظه.

[12] ن – والين أولا، صح هـ.

[13] ن: او لا.

[14] ع: قيل.

[15] ع: قيل.

[16] ن ع م: تعامل.

[17] ع: العلظة.

[18] ع م – ثم الضرب.

[19] م: الحاكمين.

[20] ع م: قال.

والله لقد دئر[1] النساء يا رسول الله. فأمر بضربهن. قال: فأطاف بآل محمد نساء[2] كثير[3] يشتكين أزواجهن. فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[4] «ولقد أطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة يشتكين الضرب. والله ما تجدون[5] أولئك خياركم».[6] وقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».[7] وقال: «أحسن المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله».[8] والموعظة[9] كلام يُلين القلوب القاسية ويرغّب الطبائع النافرة،[10] فيكون[11] ذلك تذكير عواقب الأمور ومبادئ[12] الأحوال. *والله أعلم*.

وعلى ذلك يعظها زوجها بأن يُذكّرها نعم الرب جل جلاله وما جعل من الحق عليها وما وعد في ذلك وأوعد. ففي هذه[13] الآيات دلالة لزوم الاجتهاد، وتكليف[14] ما لا يوصل[15] إلى معرفة المكلف به إلا بالتدبر والعرض على الأمور المعتادة أو الأسباب المعقولة في جعلها أسبابا للمصلحة، وسبيلا للوقوف على ما في أصول تلك النوازل من الحكمة. **ولا قوة إلا بالله**.

ثم جعل تأديبهن إلى الأزواج لا إلى الأئمة، إذ عقوبة الأئمة[16] تكون[17] بالضرب أو الحبس وما يلحقه[18] من المكروه فيما له أمر بالتأديب. مع ما في ذلك من الستر.

---

[1] جميع النسخ: دبر. والتصحيح من مصادر الحديث المذكورة. ومعنى ذئر: نشز واجترأ (*لسان العرب* لابن منظور، «ذئر»).
[2] م: النساء.
[3] جميع النسخ: كثيرا. والتصحيح من مصادر الحديث المذكورة.
[4] ك - فأمر بضربهن قال فأطاف بآل محمد نساء كثيرا يشتكين أزواجهن فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.
[5] ن: يجدون؛ ع م: يحمدون.
[6] *سنن ابن ماجة*، النكاح ٥١؛ و*صحيح ابن حبان*، ٩/٤٩٩.
[7] *سنن ابن ماجة*، النكاح ٥٠؛ و*سنن الترمذي*، المناقب ٦٣، وصححه الترمذي.
[8] *سنن أبي داود*، السنة ١٥؛ و*سنن الترمذي*، الإيمان ٦، وصححه الترمذي.
[9] ك ن: قال والموعظة.
[10] ع: الناقرة.
[11] ن - فيكون.
[12] ن ع: ومباد.
[13] ك ن: ذلك.
[14] م: تكليف.
[15] ع م: يصل.
[16] ع م - الأئمة.
[17] ع: يكون.
[18] جميع النسخ: وما يلحقها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٥و. والمعنى: ما يلحق الزوج من المكروه.

ويكون الغالب منه ما لا يجد[1] سبيل[2] الإظهار عند الحاكم، ويكون في أوقات تضيق[3] عن احتمال ذلك.[4] ويكون ذلك أصلا لتأديب كل كافل آخر[5] من الأيتام[6] والصغار[7] وغير ذلك. ***والله أعلم***.

والأصل أن الله تعالى قال: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً،[8] فجعل التأديب من الوجه الذي فيه حِفظُ المجعول لنا آية، ورعايةُ ما جعل بينهم[9] من المودة[10] والرحمة. والمنازعات والخصومات إلى الحكام تقطع[11] تلك، فجعل لهم من ذلك قدر ما لا يقطع مثلُه من التأديب المعنى المجعولَ بينهم. ولذلك لم يأذن[12] بالضرب المبرح،[13] ولا أذن إلا عند انقطاع الحيل التي جُعلت للألفة[14] والمحبة. على أن في خفيف ذلك[15] إظهارُ الإشفاق على ما اعترض من[16] خوف انقطاع المودة والرحمة، وإبداءُ العتاب الذي هو آية النصح والرحمة. إذ ذلك بما يُخاف في ترك ذلك[17] تمامُ ما قد افتتح[18] من الشر[19] والشقاق.[20] ***والله أعلم***.

وقيل في قوله تعالى: **وبما أنفقوا من أموالهم**: بما ساقوا من المهر والنفقة.

---

[1] ك ن: يحد.

[2] ك: بسبيل؛ ن ع م: لسبيل.

[3] ع: تضييق.

[4] أي المرافعة إلى الإمام. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٥و.

[5] ن ع م: أجر.

[6] ك: من من الأيتام.

[7] جميع النسخ: والصغاير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٥و.

[8] سورة الروم، ٢١/٣٠.

[9] ن + ولذلك لم يأذن بالضرب المبرح.

[10] ع: بالمودة.

[11] ك: بقطع؛ ن ع م: يقطع.

[12] ك: يؤذن؛ م: تأذن.

[13] م: المبرج.

[14] ن ع م: الألفة.

[15] أي في الضرب الخفيف.

[16] ع: في.

[17] م – ذلك.

[18] ع: فرافتتح؛ م: قد افسح.

[19] ن: اليسر.

[20] جميع النسخ: والشفقة. والتصحيح من من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٥و.

[١٤٢و] وقوله تعالى: **واهجروهن في المضاجع**، يحتمل وجهين. / أحدهما أن يهجرها في حال مضاجعته[١] إياها في أن لا يكلمها، لا في أن يترك[٢] مضاجعتها؛ إذ المضاجعة حق بينهما، عليه[٣] في تركها[٤] ما عليها، لا يؤذيها بما[٥] يضر حقه ونفسه. ***والله أعلم***. ويحتمل:[٦] أي اهجروهن [بالمفارقة][٧] عن المضاجع، ومضاجعة أخرى في حقها [وقَسْمها]،[٨] فيكون حقها[٩] عليه في حال الموافقة[١٠] وحفظ حدود الله بينهما لا في حال التضييع. ***والله أعلم***.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يهجرها في أن لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه، ويولّيها الظهر.[١١] لكنه على هذا يشتركان في التأديب،[١٢] لأنه به[١٣] يؤدب نفسه في ذلك إلى حاجته. لكن المعنى من ذلك أن لا يجامعها لوقت علمه بشهوتها[١٤] وحاجتها، وإنما ينظر شهوته[١٥] دونها. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**، أي إن أطعنكم[١٦] لا تطلبوا عليهن عِلَلا. وقيل: لا تُكَلِّفوهن الحب، وإنما جعل الله الموعظة[١٧] والهجران في المضاجع والضرب.[١٨] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:[١٩] فإن أطاعته فلا سبيل له عليها.[٢٠]

---

[١] م: مضاجعه.
[٢] م: لا أن في أن يترك.
[٣] ك – عليه.
[٤] م: تركهما.
[٥] ع م: بها.
[٦] ك + قوله.
[٧] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٤ظ.
[٨] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٤ظ.
[٩] ع م: حقا.
[١٠] ن ع م: المواقعة.
[١١] تقدم قريبا.
[١٢] ن + في التأديب.
[١٣] ك – به.
[١٤] ع: بشوتها.
[١٥] ك ن ع: وشهوته.
[١٦] ك: إن أطعنكم أي؛ م – إن أطعنكم.
[١٧] م: المواعظة.
[١٨] جميع النسخ: والهجران والضرب في المضاجع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٥و.
[١٩] ن – أنه قال.
[٢٠] *تفسير الطبري*، ٥/٦٩.

ثم الضرب هو ما ذكرنا أنه يضربها[1] ضربا غير مبرح.[2] وهو ما روي[3] عن[4] النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلِّق سوطك أو ضع[5] حيث تراه أهلك، ولا تضربها به». قيل: وبم نضرب؟ قال: «بنعليك ضربا غير مبرح».[6] يعني غير مؤثر[7] ولا شائن. وروي في خبر آخر قال رسول الله[8] صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله. وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه؛[9] فإن فعلن فاضربوهن ضربا غر مبرح.[10] ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».[11]

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليا كبيرا**؛ هذا -والله أعلم- تذكيرٌ من الله عبادَه وأمرٌ منه إياهم أنه مع علوه وسلطانه وعظمته وجلاله وقدرته لا يؤاخذنا بأول عصيان نعصيه ولا بأول عثرة نعثرها، مع قدرته على الأخذ على ذلك[12] وإهلاكه إياهم؛ فأنتم[13] لا تؤاخذوهن أيضا بأول معصية يعصين فيكم. *والله أعلم*. ويحتمل ذكر هذه الآية -وهو كذلك- ليذكر علوه وكبره[14] فيحفظ حده فيما جعل له من التأديب[15] ويذكر قدرته عليه.

**﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾**[٣٥]

وقوله عز وجل: **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها**، الآية؛

---

[1] ع: تضربها؛ م: أن تضربها.
[2] ع م: مبرج.
[3] ن: وما روي.
[4] ع - عن.
[5] ن: وضع.
[6] م: مبرج. والحديث في *المعجم الكبير* للطبراني، ١٠/٢٨٥؛ و*الفردوس بمأثور الخطاب* للديلمي، ٣/٥١. وفي صحته خلاف. انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٨٢.
[7] م: مؤنة.
[8] ك - رسول الله؛ ن: النبي.
[9] م: تكرهون.
[10] م: مبرج.
[11] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٧٢؛ و*سنن ابن ماجة*، النكاح ٣؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٠، وصححه الترمذي.
[12] م: بذلك.
[13] م - فأنتم.
[14] ع م: وكره.
[15] ع: رتبة.

كأن هذه المخاطبة -والله أعلم- لغير[1] الأزواج، لأنه قال: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا؛ ولو كانت المخاطبة في ذلك للأزواج لقال: فإن خافا شقاق بينهما،[2] أو: إن خفتم شقاق بينكم. وقوله عز وجل: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ[3] الآية، خاطب بذلك الأزواج، لأنه قال: وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وذلك إلى الزوج؛[4] إذ للزوج إذا خاف نشوز امرأته أن يعظها أوّلا، فإن قبلت وإلا فبعد ذلك هجرها، ثم يضربها إن لم تقبل ذلك.[5] فإن لم ينفع ذلك كله فبعد ذلك رفع الأمر إلى الحاكم أو الإمام،[6] فوَجّه الحكمين. وروي نحو[7] ذلك عن علي بن أبي طالب[8] رضي الله عنه أنه[9] قال: يُبعث الحكمان، حكم[10] من أهله وحكم[11] من أهلها، فيقول الحكم من أهلها:[12] يا فلان، ما تنقم[13] من زوجتك؟[14] [فيقول]:[15] أنقم[16] منها[17] كذا وكذا. يقول:[18] أرأيت إن نَزَعَت[19] عما تَكره[20] إلى ما تحب[21] هل أنت تتقي الله وتعاشرها بما يحق[22] عليك من نفقتها وكسوتها؟ فإذا قال: نعم، قال الحكم من أهله:

---

[1] ع م: بغير.

[2] ن – والله أعلم لغير الأزواج لأنه قال فإن خفتم شقاق بينهما ولو كانت المخاطبة في ذلك للأزواج لقال فإن خافا شقاق بينهما.

[3] سورة النساء، ٣٤/٤.

[4] ن – إلى الزوج.

[5] ن – ذلك.

[6] ع م: والإمام.

[7] ع – نحو.

[8] ن – بن أبي طالب.

[9] ك م – أنه.

[10] ك ن م: حكما؛ ع: حكمها.

[11] جميع النسخ: وحكما.

[12] ع م – فيقول الحكم من أهمها.

[13] ع: فانتقم.

[14] م: زوجلك.

[15] الزيادة من *تفسير الطبري*، ٧٣/٥.

[16] ك: ايقم.

[17] ن – منها، صح هـ.

[18] ن: تقول؛ ع م: نقول.

[19] ع: ترعت؛ م: يرغب.   نزع عن الشيء: كفّ وانتهى عنه.

[20] م + الله.

[21] ع: يحب؛ م: تحب.

[22] ع م: بالحق.

يا فلانة، ما تنقمين من زوجك؟ فيقول[1] مثل ذلك. فإن قالت: نعم، جمع الله ما[2] بينهما بالحكمين. بهما يجمع الله وبهما يفرق.[3]

ثم اختلف في الحكمين[4] هل يفرقان بينهما؟ قال بعضهم: يفرقان بينهما إن شاءا،[5] وإن شاءا جمعاهما. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بُعِثْتُ أنا ومعاوية حكمين، فقيل لنا: إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما.[6] وأما عندنا فإنهما لا يفرقان إلا برضا الزوجين، لما[7] روي أن رجلا وامرأته أتيا عليا رضي الله عنه، مع كل واحد منهما فئام[8] من الناس. فقال علي رضي الله عنه: ما شأن هذين؟ قالوا: بينهما شقاق. قال علي رضي الله عنه: ابعثوا **حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**. فقال[9] علي رضي الله عنه: هل تدريان ما عليكما؟[10] إن رأيتما أن تَجمَعا[11] جمعتما، وإن رأيتما أن تُفَرِّقا فرقتما. قالت المرأة: رضيت بكتاب الله. فقال[12] الرجل: أما الفُرقة فلا.[13] فقال علي رضي الله عنه: كذبتَ،[14] والله لا تنقلب[15] حتى تُقِرَّ كما أقرت.[16] أخبر علي أن فرقة الحكمين إنما تجب برضاء الزوجين. فلو كانت فرقتهما تجوز بغير رضاء الزوجين لم ينظر إلى سَخَط الزوج في الفرقة، ولقال علي رضي الله عنه للحكمين: فَرِّقا إن رأيتما ذلك، كره الزوج أو رضي.

---

[1] ن ع م: فتقول.
[2] ك ع م – ما.
[3] *تفسير الطبري*، ٥/٧٣.
[4] ك + في الحكمين.
[5] ع + الله؛ م: شاء.
[6] *تفسير الطبري*، ٥/٧٤.
[7] جميع النسخ: ما.
[8] ك ن ع: قيام. فئام بمعنى جماعة من الناس (*لسان العرب* لابن منظور، «فأم»).
[9] ن: وقال.
[10] ك + عبيكما.
[11] ك: تجتمعا.
[12] ك ع م: قال.
[13] ع – فلا.
[14] الكذب يستعمل بمعنى الخطأ (*لسان العرب* لابن منظور، «كذب»).
[15] جميع النسخ: لا سعلت مني. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٥/٧١.
[16] *تفسير الطبري*، ٥/٧١.

وفي قوله أيضا: **وإن خفتم شقاق بينهما**، أي علِمتم؛ إذ حق ذلك أن يُجتهد[1] في الحال بينهما فيعلم على الغالب. وللغالب حق العم[2] في الأعمال، وحق الريب في الشهادة. فذكر باسم الخوف على ما فيه من علم العمل. على أن في ظاهر الآية التفرق في المنزل، حتى[3] يبعث عن أهل كل واحد منهما،[4] ولو كانا في منزل واحد فحقه أن يجمع بين الحكمين لا[5] أن يبعثا. فذلك[6] يدل على ظهور الخلاف والشقاق. *والله أعلم*.

{قال:} وأمَر الحكمين بالإصلاح بين الزوجين، وهو الأمر الذي أمر بين جميع المؤمنين

[١٤٢ظ] من قوله: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،[7] وقوله: وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ،[8] الآية، وقوله: / لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ،[9] الآية. وذلك في حق التأليف وما به تمام الأُخوة، بقوله فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ،[10] لا بما يضر به أهله، ويوجب التفريق بينهم والتباغض. وعلى ذلك أمر الحكمين في النكاح. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**، عن[11] ابن عباس[12] رضي الله عنهما **إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**: هما الحكمان، وعن مجاهد مثله.[13] وقال آخرون: قوله: **إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**، هما[14] الزوجان. وفي الآية دليل على أنه[15] ليس للحكمين أن يفرقا، لأن الله تعالى قال: إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا، وليس فيها دليل أن فرقتهما جائزة بشيء.

---

[1] ك: يجهد.
[2] ع: علم الحق.
[3] ك: حيث.
[4] ع: منها.
[5] ك – لا.
[6] ك ن: بذلك؛ ع م – فذلك.
[7] سورة الأنفال، ٨/١.
[8] ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).
[9] ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/١١٤).
[10] سورة الحجرات، ٤٩/١٠.
[11] ع م: وعن.
[12] ك + عن ابن عباس.
[13] *تفسير الطبري*، ٥/٧٦.
[14] ن: هو.
[15] ن: أن.

وقوله عز وجل: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ،[١] يدل على أن الخلع اليهما دون الحكمين. وكأن الحكمين يُوَجَّهان ليُعرَف[٢] مَن الظالم من الزوجين، يُستظهَر بهما على الظالم، لأن كل واحد منهما إذا شكا[٣] بين الناس من صاحبه لا يُعرَف الظالم منهما مِن غير الظالم. فإن كان الزوج هو الظالم أُخِذ على يده، وقيل: لا يحل لك أن تفعل هذا لتختلع منك، وأُمر بالإنفاق[٤] عليها.[٥] وإن كانت هي الظالمة وكانت في غير منزله ناشزة لم يؤمر[٦] بالإنفاق[٧] عليها، وقيل له: قد حلّت[٨] الفدية، وكان في أخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المرأة. ***والله الموفق.***

وفي قوله أيضا: **إن يريدا إصلاحا،** لا يخلو من أمرين. إما أن يريد به الزوجين أو الحكمين. ثم الإصلاح يكون مرة بالجمع ومرة بالتفريق. فعلى الجمع تأويل التوفيق الجمع بينهما، وعلى إرادة التفريق تأويله التوفيق[٩] للإصلاح، وعلى التوفيق للإصلاح يدخل فيه الأمران. وفي ذلك أن الفرقة والاجتماع إليهما، إذ عليهما إرادة الإصلاح، وانصرف معنى الآية إلى الزوجين. وأيد ذلك قوله عز وجل: وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا –إلى قوله– وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا،[١٠] الآية، ثم قال عز وجل: وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ،[١١] الآية، فعلى ما[١٢] ظهر منه النشوز صرف أمر التفرق إلى الزوجين. وكذلك قوله تعالى: وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ –إلى قوله تعالى– فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ،[١٣]

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.

[٢] ك: ليفرق.

[٣] م: ذا شكاية.

[٤] ع م: بالاتفاق.

[٥] م: عيهما.

[٦] ك: ولم يؤمر.

[٧] ع: بالاتفاق؛ م: بالانقاف.

[٨] ن: فدخست؛ ع م: قد خست.

[٩] ع – الجمع بينهما وعلى إرادة التفريق تأويله التوفيق.

[١٠] ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صُلحا والصلح خير وأُحضِرَت الأَنفُسُ الشُّحّ وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرَصْتم فلا تميلوا كُلَّ المَيْلِ فتَذَرُوها كالمُعَلَّقَة وإن تُصلِحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما وإن يتفرقا يُغنِ الله كُلًّا من سَعَتِه وكان الله واسعا حكيما﴾ (سورة النساء، ٤/١٢٨–١٣٠).

[١١] سورة النساء، ٤/١٣٠.

[١٢] ع – ما.

[١٣] ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٩).

فأشركهما[1] في الافتداء[2] الذي به الفراق. أو يريد[3] به الحكمين،[4] فيكون ذلك على الترغيب في طلب الأصلح بينهما وعلى إيثار العدل والصواب، كقوله[5] تعالى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ،[6] وقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ،[7] الآية.

فإذا أرادا[8] الإصلاح **يوفق الله بينهما**، له وجهان: أي بين الزوجين، ببركة قيام الحكمين لله وابتغائهما الصلاح بينهما، فيوفق[9] الزوجين لما له النكاح من التمكن والرحمة والمودة والعفة.[10] ويحتمل **يوفق الله بينهما**: بين الحكمين في إصابة ما أرادا[11] من الإصلاح.

ثم العلم بإرادتهما الأصلحَ لا يعلمه إلا الله، فلا يحتمل أن يوجَب لهما في الحكم التفريق. والذي جوابُه وعْد التوفيق[12] لم يبين،[13] فلذلك لم يكن لهما حق التفريق، إنما إليهما إعلام ما اتفقا[14] عليه. ثم هما عملا لهما وعليهما[15] فيكون لهما الرضا بما رأيا وغيرُ الرضا. وأصله وجهان. أحدهما أنه استوجبا القيام بالتولية والتراضي[16] من الزوجين أو مِمَّن[17] يخاف الشقاق بينهما. فإن قاما ببعث[18] الناس فقاما ببعث[19] من لا يملك الفراق، ثم [كيف] يستوجبان[20] بهم ذلك؟

---

[1] م: فاشتركهما.
[2] جميع النسخ: الابتداء.
[3] ع م: ويريد.
[4] عطف على التقسيم السابق: إما أن يريد به الزوجين...
[5] ك + كقوله.
[6] سورة النساء، ٤/٥٨.
[7] سورة النساء، ٤/١٣٥.
[8] ع م: أراد.
[9] ع: يوفق.
[10] ع: والنفقة.
[11] ك ن ع: أراد.
[12] ك: التفريق.
[13] أي إن إرادة الإصلاح من الحكمين الذي وعد الله التوفيق عليه ليس واضحا ولا بينا.
[14] ن: انفقا.
[15] ع م – وعليهما. أي الحكمان اجتهدا في الإصلاح بين الزوجين وحكما لهما أو عليهما.
[16] م: والرضى.
[17] ك ن ع: أو بمن؛ م: وبمن.
[18] ن ع م: يبعث.
[19] ن ع: يبعث.
[20] ك ن ع: يستوجبا.

وإن قاما[1] يبعث[2] الزوجين فرضيا وَهُمَا بَعَثا[3] في ذلك لم يكن لهما غير الذي كان فيه الرضا عليهما. *والله أعلم*.

والثاني أنهما بُعِثا للعلم بالسبب الذي حملهما[4] على الشقاق، ولعل السبب منهما، فلا يحتمل أن يلزماه[5] الطلاق بلا ذنب منه. فيمكن[6] [فعل ذلك] لكل[7] امرأة تريد مفارقةَ الزوج وإغرامَه المهر. وإذا لم يحتمل ذلك[8] لم يحتمل أن يكون لهما حق التفريق بهذا البعث. مع ما بُعثا لدفع[9] الشقاق[10] الهائج[11] بينهما والرد إلى الصلاح الذي له كان النكاح. على أنه يمكن الأخذ على يدي الظالم منهما، والقهرُ على العود إلى ما فيه الصلاح بالتأديب. فلم[12] يجز أن يُلزَما الفراق وإن كرهاه. **والله أعلم**.

ثم الأصل أنهما بالغان لا يُلزَمان النكاح إذا كرها، ورأى القوم الصلاح إلى التناكح، على احتمال وجود الولايات في الإنكاح. فكانا[13] أن لا يُلزَما[14] الطلاق إذا كرها، على امتناعه[15] عن وجوب الولايات به لغير الزوجين، أحرى. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليما خبيرا**، مَن الظالم منهما ومن المظلوم. وقيل: **عليما خبيرا**، بنصيحتهما لهما؛ **عليما**، بما أسرّت[16] المرأة إلى حَكَمها والزوج إلى حكمه، **خبيرا**، بما اطّلع كل واحد من الحكمين من صاحبه على ما أفشى[17] به إليه، أصَدَقه أم لم يَصْدُقه. **والله أعلم**.

---

[1] ع: فاتا.
[2] ن ع م: يبعث.
[3] ك ن ع: فرضاؤهما بعثهما.
[4] م: حملها.
[5] جميع النسخ: أن يلزمانه. أي أن يلزما الزوج.
[6] ك ن ع + به.
[7] جميع النسخ: كل.
[8] ن - لم يحتمل ذلك.
[9] ن: الدفع.
[10] ن: انشقاق.
[11] ك: والهائج.
[12] جميع النسخ: لم.
[13] جميع النسخ: كانا.
[14] ك ن ع: أن لا يلزمان؛ م: أن يلزمان.
[15] ن + كما.
[16] ع م: أشرت.
[17] م: أفنى.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فأتوا حكمة من أهله وحكمة من أهلها.

**﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **واعبدوا الله**، قيل: وحدوا الله. وقيل: أطيعوا الله. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١]

**ولا تشركوا به شيئا**، يحتمل النهي عن الإشراك في العبادة والطاعة. ويحتمل النهي عن الإشراك في الربوبية والألوهية. ويحتمل النهي عن الإشراك في سلطانه وغير ذلك. كل ذلك إشراك[٢] بالله. *وبالله العصمة*.

قال بعض أهل اللغة: العبادة هي الطاعة التي معها الخضوع. وقال بعضهم: التوحيد. وأصلها أن يجعل العبد نفسه لله عبدا لا يشرك فيها غيره مِن هواه،[٣] أو ما[٤] كان من وجوه

[١٤٣و] الإشراك. ثم له وجهان. أحدهما / في الاعتقاد، والثاني في الاستعمال.[٥] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وبالوالدين إحسانا**؛ أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين، وأمر بالإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين إلى آخر ما ذكر. لكن المعنى الذي به أمر بالإحسان إلى هؤلاء الأصناف والفِرق مختلف. أما إحسان الوالدين [فهو أن] يشكر[٦] لهما بما أحسنا إليه وربّياه صغيرا، كقوله: أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ،[٧] وقوله تعالى: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ،[٨] الآية،[٩] [وقوله]: وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا.[١٠] يذكر حال صغره وضعفه أنْ كيف ربياه،

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢١/٢.
[٢] ع: اشرك.
[٣] ن ع م: هؤلاء.
[٤] ع: أما؛ م: وما.
[٥] قال الشارح: «... أو ما كان من وجوه الإشراك من اعتقاد أو خدمة بالبدن» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٥ظ).
[٦] ع: بشكر.
[٧] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ (سورة لقمان، ١٤/٣١).
[٨] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
[٩] ن – الآية.
[١٠] سورة الإسراء، ٢٤/١٧.

ويشكر لهما على ذلك ويحسن إليهما جزاءً لما أحسنا إليه وربياه صغيرا. وقال الله[١] عز وجل أيضا: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا.[٢] فإحسان الوالدين جزاءٌ وتَشَكُّرٌ لما أنعما هما عليه.[٣] وذلك يكون من جانب الولد،[٤] لأن مثله لا يلزم الوالدين لولده؛ وذلك فرض على الولد، حتى عُدَّ عقوقُ الوالدين من الكبائر. رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين».[٥] والواجب على الرجل أن يطيع والديه وكل واحد منهما، إلا أن يأمراه[٦] بمعصية أو ينهياه[٧] عن أداء فريضة أو تأخيرها[٨] عن وقتها، فإن طاعتهما حينئذ معصية لله. ألا ترى[٩] إلى قوله عز وجل: وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا،[١٠] أمره بمصاحبتهما[١١] بالمعروف إلا أن يأمراه بمعصية.[١٢] ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: لا ينبغي للرجل أن يقتل[١٣] أباه الكافر إذا كان محاربا، إلا أن يضطره الأب إلى ذلك، لأنه قال: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا.[١٤] فمن المعروف في الدنيا أن لا يقتله ولا يُشهِر[١٥] عليه السلاح. وقالوا أيضا:[١٦] إن مات أحدهما تولى دفنه، وذلك[١٧] من حسن[١٨] الصحبة والمعروف. رُوي أن أبا طالب لما مات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «اذهب فَوَارِه».[١٩]

---

[١] ك ن ع – الله.
[٢] سورة الأحقاف، ٤٦/١٥.
[٣] ن ع م: إليه.
[٤] ك ن – الولد.
[٥] صحيح *البخاري*، الأدب ٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٤٣.
[٦] ن: يأمران.
[٧] ن ع م: ينهاه.
[٨] ن: وتأخيرها.
[٩] ك: الى يرى.
[١٠] سورة لقمان، ٣١/١٥.
[١١] ك: بمصاحبيهم؛ ن ع م: بمصاحبتهم.
[١٢] م: معصية.
[١٣] ع: نقتل.
[١٤] سورة لقمان، ٣١/١٥.
[١٥] ع: يشتهر.
[١٦] ن – أيضا.
[١٧] ن – وذلك.
[١٨] ن: حيث.
[١٩] ع: فراره. والحديث في مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٩٧؛ وسنن *النسائي*، الطهارة ١٢٨.

ثم في هذه الآية تسويةُ[1] بين الوالدين فيما أمر[2] من الإحسان إليهما، و لم يَجعل[3] للأب فَضْلاً في ذلك على الأم، فذلك[4] يدل على أن إسلام كل واحد من الأبوين إسلام للصغير،[5] إذ[6] كان الإجماع قائما في أن إسلام الأب إسلام لولده الصغار، وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «غير أن أبويه يُهوّدانه ويُنصّرانه».[7]

وقوله عز وجل: **وبذي القربى**؛ أمر بالإحسان إلى ذي القربى. ومعنى الأمر به -والله أعلم- صلةٌ، يصل بعضهم بعضا. وذلك من جانبين، ما يلزم هذا أن يحسن إلى هذا[8] لزم الآخر أن يحسن إليه، وذلك إبقاء للمودة فيما بينهم والمحبة. وذلك فرض أيضا أن يصل بعضهم بعضا، لأن صلة القرابة فريضة.

والأمر بالإحسان إلى اليتامى يحتمل وجهين. يحتمل[9] لما ليس لهم والد يقوم بكفايتهم على ما يقوم له والده.[10] وأمر بذلك لما يَبَرُّ[11] الرجل ولد آخر لمكان والديه، فإذا مات والده يمتنع عن ذلك، فأمر أن يحسنوا إليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون في حياته،[12] لأنه

[١٤٣و س٣٠ في ذلك الوقت أحوج[13] إليه؛ إذ لا شَفَقَة لأحد عليه، وشفَقة والده معدومة. *والله أعلم*.*

١٤٣و س٣١] وقيل في اليتامى: إنه أمر الأوصياء بالقيام على مالهم وحفظهم والرحمة[14] لهم واللِّين[15] لهم.*

---

[1] ن: تسويتها؛ ع: تستوية.

[2] ك ع م + له.

[3] م: وإن لم يجعل.

[4] ن: فذذلك.

[5] جميع النسخ: الصغر.

[6] ك: إذا.

[7] قال النبي صلى الله عيه وسلم: «ما من مولود إلا يُولَد عى الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» (*صحيح البخاري*، القدر ٣؛ و*صحيح مسلم*، القدر ٢٤).

[8] ع + لزم الآخر أن يحسن إلى هذا.

[9] ع م - يحتمل.

[10] ع م: واحده.

[11] ع: ببر.

[12] م: حيوة.

[13] ع: أحوج.

[14] ك ن ع: ورحمة؛ م: رحمة.

[15] جميع النسخ: وللين.

* وردما بين النجمتين متأخرا عن محله في تفسير الآية، فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ١٤٣و/سطر ٣٠-٣١.

ومعنى الأمر بالإحسان إلى المساكين يحتمل أيضا وجهين. يحتمل شكرًا لله على ما مَنَّ[1] عليهم وأنعم بالإفضال على أولئك، إذ لم[2] يَسبِق[3] منهم إلى الله معنى يستوجبون ذلك دونهم. أمر بالإحسان إليهم شكرا لما أنعم عليهم وأحسن إليهم. والثاني أنهم[4] من جوهرهم وجنسهم[5] في الخلقة يحتاجون إلى ما يحتاج هؤلاء من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك. يأمرهم بالإحسان إليهم شفقة منهم لهم، ليتقوّوا[6] على أداء ما فرض الله عليهم، إذ هم مثلهم[7] في الخلقة[8] والجوهر. *والله أعلم*.[9] وهذا[10] الإحسان في اليتامى والمساكين من جانب، ليس من جانبين.*

وقوله: **والجار ذي القربى**؛ وهو[11] ذو[12] قرابة وله حقان، حق الجوار وحق الرحم. كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[13] قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان،[14] وجار له ثلاثة حقوق. فأما الذي[15] له حقوق ثلاثة حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام.[16] والذي له حقان حق الإسلام وحق الجوار. والذي له حق واحد هو حق الجوار خاصة».[17]

---

[1] ك ن ع: عنى من.
[2] م: ان لم.
[3] ك: إذ يسبق.
[4] م: أنه.
[5] ن ع: وحسنهم.
[6] ك: ليقووا.
[7] م – مثلهم.
[8] ع – يحتاجون إلى ما يحتاج هؤلاء من المأكل والمشرب والمبس وغير ذلك يأمرهم بالإحسان إليهم شفقة منهم هم ليتقووا على أداء ما فرض الله عليهم إذ هم مثلهم في الخلقة.
[9] ع – والله أعلم.
[10] م: وهذه.
* وردت هنا جملتان في غير محلهما. الأولى «وقوله عز وجل: وابن السبيل أمر الله بالإحسان إلى ابن السبيل لوجهين الذين وصفتهما في المساكين. والله أعلم»، فنقلناها إلى محلها المناسب فيما سيأتي من تفسير نفس الآية. والجملة الثانية التي تلتها هي «وقيل في اليتامى: إنه أمر الأوصياء بالقيام على مالهم وحفظهم رحمة لهم وباللين لهم»، فنقلناها إلى محلها المناسب فيما تقدم من تفسير الآية قبل عدة أسطر. انظر: ورقة ١٤٣و/سطر ٢٩-٣١.
[11] ن ع م: وهم.
[12] ن: دووا.
[13] ك – أنه.
[14] ع – وجار له حقان.
[15] م: الدين.
[16] ع م: وحق الإسلام وحق الجوار.
[17] ع م – خاصة. والحديث في شعب *الإيمان* للبيهقي، ٨٤/٧؛ وقد ضعفه البيهقي.

وقوله عز وجل: **والجار الجنب**؛ خص الله سبحانه وتعالى الجار الجنب دون غيره من الجيران غير الملازقين. وكان ذلك دليلا على أن الحقوق التي تلزم بالجوار إنما تلزم[1] في الجيران الملازقين،[2] لأنهم[3] الجيران بالملك يَمَسّ ملك بعضهم بعضا ويلصق[4] به، كما في الرحم تمس[5] أنفس بعضهم لبعض. ولهذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إنه إذا أوصى لجيرانه فالوصية للملازقين دون غيرهم، لأنهم هم الذين يلزم لبعضهم على بعض حقوق يقومون بأدائها في حال حياتهم، فإذا[6] ماتوا فأوصَوْا إنما أوصَوْا[7] بأداء ما كان بينهم. وكذلك قال في الوصية لذوي[8] قرابته:[9] إنها لقرابته[10] الذين يُفرض [١٤٣ظ] عليهم صِلتُهم إذا كانوا أحياء، فإذا مات فأوصى فإنما يوصي بأداء / ما كان يؤدي في حال حياته، وذلك مما عليه الأداء. وفيه دليل على أن الشفعة[11] الواجبة للجار إنما تكون[12] للجار[13] الجنب الملازق دون غيره من الجيران. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وأمر بمسامحته. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال[14] جبريل[15] يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُوَرِّثُه».[16] وفي بعض الأخبار: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».[17] وفي بعضها: «ما آمن من أمسى[18] شَبْعان[19] وجاره جائع».[20]

[1] ن – بالجوار إنما تلزم.
[2] ك: الملازمين.
[3] ك + قوله.
[4] ك: ولصق.
[5] جميع النسخ: يمس.
[6] ك: فأما إذا.
[7] جميع النسخ: أوصى.
[8] ن م: لذي.
[9] م: قرابة.
[10] م: لقرابة.
[11] ن ع م: الشفقة.
[12] ع م: يكون.
[13] ن – إنما تكون للجار.
[14] ع – ما زال.
[15] م: جبرئيل.
[16] *صحيح البخاري*، الأدب ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، البر ١٤١.
[17] *صحيح البخاري*، الأدب ٣١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٧٤.
[18] ن: أمتي.
[19] جميع النسخ: شبعانا.
[20] ك ن ع: جائعا. والحديث رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٦٧/٨.

وإذا بيع بجنبه[1] دار أو أرض [له] أن يأخذها[2] بالشفعة،[3] لما روي عن عمرو بن الشَّرِيد عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الجار أحق بسَقَبِه».[4] وعن عمرو بن الشَّرِيد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أرض ليس لأحد فيها شرك إلا الجوار؟[5] قال: «الجار أحق لِسَقَبِه[6] ما كان».[7] وعن رافع بن خَدِيج قال: [إنه] عَرَضَ عَلَيَّ[8] سَعْدٍ بيتا[9] له،[10] فقال: خُذْه، فإني قد أُعْطِيتُ به أكثر مما تعطيني، ولكنك أحق به،[11] لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الجار أحق لِسَقَبِه».[12] وعن أبي الزُّبير عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة[13] بالجوار.[14] وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجار أحق بشفعة[15] جاره إذا كان طريقهما واحدا،[16] يُنتظَر بها[17] وإن كان غائبا».[18] وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «يُنتظَر بها[19] وإن كان غائبا»، يدل على أنه لا ينتظر[20] بها[21] أكثر من ذلك.[22] وفي ذلك دليل على أن الشفيع إن أمسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع

---

[1] ن ع: لجنبه.
[2] ن: يأخذ.
[3] ع م: بالشفقة.
[4] ك م: لسقبه؛ ن ع: لسقيه. والحديث في صحيح *البخاري*، الشفعة ٢. والسقب معناه القرب. بسقبه: أي لقربه (*لسان العرب* لابن منظور، «سقب»).
[5] م: الجار.
[6] ن ع: لسقيه.
[7] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٩/٤؛ وسنن *ابن ماجة*، الشفعة ٢.
[8] ن – علي، صح هـ.
[9] ن: بيننا.
[10] ع م – له.
[11] ع م – به.
[12] ك: لسبقه؛ ن ع م: لسقيه. والحديث في صحيح *البخاري*، الشفعة ٢.
[13] ع: بالشفقة.
[14] *سنن النسائي*، البيوع ١٠٩.
[15] ك: بسقبة؛ ن ع م: لسقيه. والتصحيح من مصادر الحديث المذكورة.
[16] جميع النسخ: واحد.
[17] ع م: بهما.
[18] *سنن ابن ماجة*، الشفعة ٢؛ وسنن *أبي داود*، الأحكام ٣١.
[19] ك ن م: ينتظرها؛ ع: ينتظرهما.
[20] ك: ينظر.
[21] م: بهما.
[22] أي إن كان حاضرا فلا ينتظر به.

بطلت[1] شفعته. ومما يدل على ذلك أيضا أن الشفعة إنما جعلت للجار -والله أعلم- بما يُخاف عليه من سوء جوار المشتري، والضرر الذي عسى أن يَلحقه منه. فلو جعلنا الشفيع على شفعته أبدا لم يُؤمَن أن يبني المشتري في الدار وينفق فيها نفقة عظيمة، ثم يجيء الشفيع فيطلب الشفعة، فيقال للمشتري: سَلِّم الدار وارفع بناءك، وفي ذلك ضرر عليه بَيِّن. وعن علي وعبد الله رضي الله عنهما قالا: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة بالجوار.[2] وعن شُريح قال: كتب إليّ عمر رضي الله عنه أنِ اقْضِ للجار بالشفعة.[3] وإلى هذه الآثار ذهب أصحابنا رحمهم الله في إيجاب الشفعة للجار.[4]

وأنكر قوم أن تكون الشفعة[5] إلا فيما لم يُقسَم من الدور والأرَضين. واحتجوا في ذلك بما روي عن سعيد بن المسيب وابن سلمة قالا: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم، فإذا وقعت[6] الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة.[7] وكذلك رَوى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

لكن تأويل الحديث عندنا -والله أعلم- أن قوله: "قضى بالشفعة فيما لم يقسم" قول الراوي، لأنه لم يَحْكِ عنه أنه قال: لا شفعة فيما قُسِم. فيحتمل أن يكون عَلم ذلك فحكاه، ولم يَعلم[8] بما رواه الآخرون بإيجاب الشفعة فيما قد قُسم. وأما قوله: فإذا وقعت[9] الحدود فلا شفعة، فليس فيه بيانُ حكايةٍ عن[10] النبي صلى الله عليه وسلم. وقد يجوز أن يكون ذلك من الراوي، أو إن قال ذلك[11] إنما قال في القِسمة،[12] ولا شفعة[13] في القِسمة عندنا.

---

[1] ع: يطلب.
[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/١١٤.
[3] *مصنف ابن أبي شيبة*؛ ٤/٥١٩.
[4] ع م: بالجار.
[5] م - الشفعة.
[6] م: رفعت.
[7] *صحيح البخاري*، الشفعة ١.
[8] جميع النسخ: ولم يعمل.
[9] م: رفعت.
[10] ع: على.
[11] ك - ذلك.
[12] المقصود بالقسمة صرف الطرق وإظهار الحدود؛ انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ- ١٦٧و.
[13] جميع السخ: لا شفعة.

ثم قد جعل الله تعالى للجيران[1] بعضهم[2] على بعض حقوقا باتصال أملاكهم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يبيع داره فليستأذن جاره».[3] فإذا أراد البائع اختيار الجار الذي لا حق له على الجار الذي له حق جُعل له إبطال ذلك، إذ ليس غرضه من البيع إلا الثمن، وقد يوجد ذلك من الجار. وهٰذا ما تُوجب الشفعة في الهبات والصدقات، فمما يجوز أن يَقصِد بها أسبابا وأحوالا لا[4] توجد[5] ذلك[6] في الجار، وأما البيع فالمقصود فيه الثمن.

وقوله عز وجل أيضا: **والجار ذي القربى والجار الجنب**؛ والجنب[7] البعيد. بَيَّن -والله أعلم- ليُعلَم أن الحق الذي ذكر للجار من الإحسان إليه ليس هو بحق القرابة، بل هو بحق الجوار. فأمر بالإحسان إلى من له جوار بالملك نحو ما أمر بالإحسان[8] إلى من له جوار بالنسب. ثم كان الحق قد يُفترض[9] بجوار[10] النسب بحال،[11] مع ما كانت الصلة مفروضة فيمن مس ملكه ملكه في الملك وجوبه فيما وقع التماس بالبدن في البدن. على أن الآية فيما أَمَرَت[12] بالإحسان إلى جميع من ذُكر قد يصير ذلك حقا يلزم بحال، فمثله حق الجوار، وذلك لا يعرف غير حق الشفعة.[13] وقد جاءت به الآثار، وتوارث المسلمون في ذلك الطلب

[1] ع م: ال.
[2] ع: ببعضهم.
[3] سنن *ابن ماجة*، الشفعة ١.
[4] ع م - وقد يوجد ذلك من الجار ولهذا ما توجب الشفعة في الهبات والصدقات فمما يجوز أن يقصد بها أسبابا وأحوالا لا.
[5] جميع النسخ: يوجد.
[6] ع م - ذلك.
[7] ك: والجانب؛ م - والجنب.
[8] ع م - إلى من له جوار بالملك نحو ما أمر بالإحسان.
[9] م: قد يصير من.
[10] ك: بجواز.
[11] ك: بمال.
[12] جميع النسخ: أمر.
[13] قال الشارح: «وفي الآية دلالة ثبوت حق الشفعة بسبب الجوار، لأن الله تعالى أمر بالإحسان إلى جميع من ذكر، ومن جملتهم الجار. ثم الإحسان قد يصير حقا واجبا لازما في حق المذكورين في حال، فكذا مثله في حق الجار. وذلك لا يعرف غير حق الشفعة، لأن إيصال الإحسان والبر من وجوه أخر غير واجب بالإجماع، ولا بد من واجب بحكم الآية، فيتعين حق الشفعة. ولأن الله تعالى أمر بالإحسان إلى من له جواره بالملك بقوله: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾، كما أمر بالإحسان إلى من له جوار بالنسب بقوله: ﴿وبذي القربى﴾. =

والاحتيال في الصرف والمنع.[1] فبان أن الحق به ظاهر[2] لا يحتمل الخفاء. مع ما لا يُسأَل[3] [واحد][4] من العوام عن ذلك إلا وعنده حظ من العلم فيه، لا يوجد مثله لشيء[5] من الحقوق في عين[6] أملاك المحقين هذا البيان والظهور. ثبت أن أمره[7] كان معروفا في الأمة[8] حتى[9] جرى به التوارث. ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالرأي، فصار كسنة ظاهرة لها حق التواتر، مما[10] يستغني عن روايته. **والله أعلم**.

ثم[11] الناس على اختلافهم متفقون[12] على وجوب حق[13] الشفعة بحق الشرك فيما يحتمل القسمة. فإما أن يجب بحق القسمة فيجب ذلك في كل محتمل القسمة، وذلك مما يأباه[14] الجميع؛ أو يجب بما جعل من حق[15] الجوار الذي جاء به الكتاب وجرت به السنة؛[16] أو بما جعل من تأذي بعض الجيران ببعض، و[على هذا] الأمر المعروف[17] في الخلق من الاستخبار عن أحوال الجيران

---

= ثم الحق بسبب الجوار بالنسب قد يفرض بحال، فكذا بسبب الجوار بسبب الملك. مع ما كانت الصلة والإحسان فرضا فيمن وجب في حقه المماسة نفسا في الرحم، وهو الجوار في الرحم بين الأخوين. فكذلك فيمن مس ملكه ملك صاحبه ويتصق به، اعتبارا لأحد الجوارين بالأحرى. بخلاف الجيران غير المتلاصقين، لأن الجوار المطلق لم يوجد، وهو الاتصال بين الملكين بلا حائل بينهما، فأما مع الحائل لا يكون مجاورة بل يكون مباعدة ومفارقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦و- ١٦٦ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٨٩ظ).

[1] ن - والمنع.
[2] ك ن ع: ظاهرا.
[3] جميع النسخ: لا يشك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ.
[5] ع م: الشيء.
[6] ك: غير.
[7] ك: أمر.
[8] م: الآية.
[9] م - حتى.
[10] ك: مع ما.
[11] ع م + اعلم أن.
[12] جميع النسخ: متفقين.
[13] ع: أهل.
[14] ع: ياه.
[15] ع م: الحق.
[16] أي كما في هده الآية التي نحن بصدد تفسيره. وورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أراد أن يبيع داره فليستأذن جاره» (*سنن ابن ماجة*، الشفعة ١).
[17] جميع النسخ: بالمعروف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ.

قبل تأمل الدور، وتفاوتُ القيم باختلاف الجيران بما في ذلك من المؤن / والمضار. وأي هذين[1] كان فالشفعة واجبة بالجوار، لأنهما أمران لا يسلم عنهما على ثبات الجوار،[2] فيجب به الشفعة. [١٤٤و]

مع ما أمكن الجمع بين الآثار بما لا يحتمل تسمية[3] الشريك جارا من حيث الشرك[4] لوجهين: أحدهما قوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ،[5] لم يجعل الأرض من حيث الأرض متجاورة حتى أثبت لها[6] القطع، فأوجب بالقطع التجاور.[7] مع ما كان الجوار في اللغة اسما[8] للتقارب والالتصاق لا للتداخل،[9] معروف ذلك عند من[10] تأبى[11] نفسه مكابرة المعارف. والوجه الآخر ما[12] لا يسمى الشركاء في عين العرصات جيرانا. ثبت أن ذلك ليس من[13] أسماء الشرك، فلا وجه لصرف الخبر باسم الجوار إلى الشرك. مع ما قد جاء ما يقطع[14] [هذا الوهم][15] من السؤال[16] عن أرض[17] ليس لأحد فيها شرك إلا الجوار أنه قال:

---

[1] قال الشارح: «وإنما جعل من تأذي بعض الجيران ببعض بسبب سوء الجوار، فيجب دفعها لما يخاف من الضرر عسى، على ما هو الأمر المعروف من الاستخبار عن أحوال الجيران قبل بأهل الدور. ولهذا قيل: الجار ثم الدار. ولهذا اختلفت قيم الدور باختلاف الجيران لما في ذلك من المنافع والمضار. ولهذا المعنى ثبت حق الشفعة بطريق الفور. حتى إذا أمسك عن طلب الشفعة بعد العلم بالبيع بطلت الشفعة، لأن الشفعة تثبت دفعا للضرر عن الأصيل، فوجب أن تثبت على وجه لا يتضرر به الرحيل. وفي ثبوت حق الشفعة على طريق الأبد دون الفور إضرار بالمشتري أيضا، لأنه لم يؤمن بأن يبني المشتري في الدار وينفق في ذلك نفقة عظيمة، ثم يجيء الشفيع فيطلب الشفعة ويقول للمشتري: سلم الدار وارفع بناءك؛ وفي هذا ضرر عليه بين. وعلى أي الوجهين كان يجب القول بالشفعة بالجوار بلا شركة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ).

[2] ن: الجواري.

[3] م: تسميته.

[4] ع – جارا من حيث الشرك.

[5] سورة الرعد، ١٣/٤.

[6] ن: بها.

[7] ع: التجاوز.

[8] جميع النسخ: اسم.

[9] جميع النسخ: لتداخل.

[10] جميع النسخ: عندهن.

[11] ع – تأبى.

[12] م: مما.

[13] ن ع م – من.

[14] ن: يقطع.

[15] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٦ظ.

[16] ع – السؤال.

[17] م: ما يقطع من عوارض.

«الجار[1] أحق لِسَقَبِه».[2] ومما جاء: «الجار أحق بشفعة[3] جاره، ينتظر به وإن كان غائبا، إذا كان طريقهما[4] واحدا».[5] فيجب بما ذكرت صرف خبر[6] الشريك إلى وجه يوافق خبر[7] الجار. وله أوجه ثلاثة: أحدها أن قوله:[8] قضى بالشفعة لشريك لم يقسم، غير مقابل لخبر[9] الجوار، إذ هو أحق في القولين.[10] وما روي من القول: إذا وقعت[11] الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة، فقد يحتمل أن يكون خبرا[12] عن هذا[13] الفعل أن[14] لا شفعة في صرف الطريق وإظهار الحدود. إذ القسمة في معنى البيع في الأمور، حتى منع الاقتسام في كل ما لا يحتمل التفاضل إلا بما يجوز به، فقيل: لا شفعة في هذا.[15] *والله أعلم*. والثاني أن يكون إذا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم الطرق. *والله أعلم*.[16] والثالث إذا وقعت[17] الحدود فتباينت[18]

---

[1] م: الجوار.

[2] ن م: لسقيه. تقدم الحديث قريبا.

[3] ع: بشفعته.

[4] جميع النسخ: طريقها.

[5] تقدم قريبا.

[6] ك: عن؛ ن ع م: غير.

[7] ع: خير.

[8] أي قول الراوي.

[9] ك: بخبر؛ ع: لخير.

[10] يعني أن الشريك أحق بالشفعة من الجار في كلا المذهبين، الحنفية وغيرهم. قال الشارح: «على أنه يجب العمل بالخبرين والقضاء بالسنتين أعني الجوار والشركة على الترتيب فيكون كل واحد منهما شفيعا لكن الشريك مقدم على الجار كالأب مع الجد والأخ مع العم [في الميراث] فيكون عملا بالحديثين بقدر الإمكان» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٠و- ١٩٠ظ).

[11] م: رفعت.

[12] ع: خيرا.

[13] م: هذه.

[14] ع م - أن.

[15] قال الشارح: «لا تجوز القسمة متفاصلا عن تراض فيما لا يجوز البيع فيه متفاضلا وهو الأموال الربوية. فأخبر أنه لا شفعة في القسمة دفعا لهذا الإشكال» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٠و).

[16] ن - والثاني أن يكون إذا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم الطرق والله أعلم. قال الشارح: «أي إذا وقعت القسمة فلا شفعة لهم بسبب الجوار مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم الطرق، لأن ذلك يكون شريكا أو خليطا، والشريك والخليط أولى عندنا من الجار» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و).

[17] م: رفعت.

[18] ع: فتبانت.

وصرفت الطرق فتباعدت؛ إذ فيما تباينا وحُدَّ[1] ليس واحد من الأمرين. وإذا احتمل خبر[2] الشرك ما ذكرنا ثبت أمر الشفعة بالجوار والشرك جميعا على الترتيب.[3] *ولا قوة إلا بالله*.

ولو كان **الجُنُب** اسمه لبعيد الجيران بالنسب،[4] استحق بما كان الذي به الجوار يلتصقان ويكون كل واحد منهما بجنب الآخر، إذ لا يسمى كل بعيد به. ففيه وجهان. أحدهما الحق[5] بالاتصال، والثاني بيان ما به يكون الجوار. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والصاحبِ بالجنب**، اختلف فيه. قال علي رضي الله عنه: هي المرأة؛ وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كذلك[6] أيضا: هي المرأة.[7] وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الرفيق في السفر؛ وكذلك قول مجاهد.[8] فإن كان[9] الصاحب بالجنب هو المرأة فالأمر بالإحسان من جانب، وإن كان هو الرفيق في السفر فمن جانبين، ما يلزم هذا يلزم الآخر مثلُه بحق المصاحبة.

[١٤٣و س٢٩ *وقوله عز وجل: **وابنِ السبيل**، أمر الله بالإحسان إلى ابن السبيل للوجهين اللذين
١٤٣و س٣٠] وصفتهما في المساكين. *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **وما ملكت أيمانكم**، يحتمل الأمر بالإحسان إلى المماليك وجهين.[10]

---

[1] جميع النسخ: فيما لم يتباينا ثم حد.

[2] ع: خير.

[3] قال الشارح: «ويحتمل أيضا: فإذا وقعت الحدود فتباينت وصرفت الطرق فتباعدت فلا شفعة، لانعدام الجوار وعدم الاتصال بين ملك المبيع وبين ملكه. وإذا احتمل هذه الوجوه لا يكون حجة. على أنه يجب العمل بالخبرين والقضاء بالسببين أعني الجوار والشركة على الترتيب، فيكون كل واحد منهما شفيعا، لكن الشريك مقدم على الجار كالأب مع الجد والأخ مع العم. فيكون عملا بالحديثين بقدر الإمكان» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٠و- ١٩٠ظ).

[4] أي للجار الذي ليس له قرابة.

[5] م: أحق.

[6] ك: كذا.

[7] *تفسير الطبري*، ٥/٨١.

[8] *تفسير الطبري*، ٥/٨٠.

[9] م - كان.

* وردت هذه الجملة: «وقوله عز وجل: وابن السبيل أمر الله بالإحسان إلى ابن السبيل للوجهين الذين وصفتهما في المساكين. والله أعلم»، متقدمة على محلها من تفسير الآية، فنقلناها إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ١٤٣و/ سطر ٢٩-٣٠.

[10] جميع النسخ: وجهين بالإحسان إلى المماليك.

[إما] شكرا لما أنعم[1] عليهم مما جعل لهم من الخَوَل[2] والخَدَم[3] من جوهرهم وأمثالهم في الخلقة أذلاء تحت أيديهم، يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم. أو لِما هم أمثالهم في الحاجة من المطعم والمشرب والملبس وهم مقهورون في أيديهم، وقد يترك الرجل النظر لمن هو مقهور[4] في يده، فأمر[5] بالنظر إليهم. **والله أعلم.**

وقد جاءت الآثار في ذلك عن أنس رضي الله عنه قال:[6] كانت[7] عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة[8] وما ملكت أيمانكم».[9] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله[10] صلى الله عليه وسلم يوصي بالمملوك[11] خيرا ويقول: «أطعموهم[12] مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون».[13] وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلاة والزكاة وبما[14] ملكت أيمانكم.[15] وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي[16] صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يقول في مرضه: «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»، فجعل يتكلم وما يُفيصُ[17] بها لسانه.[18] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله[19] صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ن + لما أنعم.

[2] الخول حشم الرجل وأتباعه، ويقع على العبد والأمة. وهو مأخوذ من التخويل والتمليك وقيل: من الرعاية (*لسان العرب* لابن منظور، «خول»).

[3] جميع النسخ: من الحق له. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و.

[4] ن: مقهورون.

[5] جميع النسخ: أمر.

[6] ك: قالت.

[7] ن ع م: كان.

[8] ك: الصلوات.

[9] *سنن ابن ماجة*، الوصايا ١.

[10] ك ن: النبي.

[11] ع: بالملوك.

[12] جميع النسخ: وأطعموهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧و.

[13] *الأدب المفرد* للبخاري، ٧٦.

[14] جميع النسخ: ومما.

[15] ع م - أيمانكم. والحديث في *سنن ابن ماجة*، الوصايا ١؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ١٣٣.

[16] ع: قال سمعت رسول الله؛ م: قالت سمعت رسول الله.

[17] ك: يفيض؛ ن ع م: يقبض. قوله: وما يُفِيصُ بها لسانه أي ما يبين (*لسان العرب* لابن منظور، «فيص»).

[18] *سنن ابن ماجة*، الجنائز ٦٤.

[19] ك ن: النبي.

«للمملوك[1] طعامه وكسوته، ولا يكلَّف من العمل ما لا يطيق».[2] وعن أنس رضي الله عنه قال: كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة:[3] «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»، ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره ولا يُفصِح بها لسانُه.[4] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المماليك: «هم إخوانكم، ولكن الله خوَّلهم إياكم، فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون».[5]

وقوله[6] عز وجل: **إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**،[7] قيل: المختال هو المتكبر. وقيل: هو من الخداع. وقيل: هو الذي يمشي مرحا. وهو واحد، يتكبر على عبادة الله[8] تعالى أو يتكبر[9] على عباد الله تعالى ويخدعهم.

وقوله عز وجل: **لا يحب من كان مختالا فخورا**، لأنه لا يحب الاختيال. وكذا ذا في[10] كل ما ذكر: لا يحب ذا، ويحب ذا، كقوله: يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ،[11] و[قوله]: لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ،[12] لأنه يحب[13] الطهارة والتوبة، ولا يحب الظلم ولا الكفر. فإذا لم يحب[14] هذا لم يحب[15] فاعله لفعله، وإذا أحب هذا[16] أحب فاعله لفعله.

---

[1] ك ن ع: المملوك.
[2] صحيح مسلم، الأيمان ٤١.
[3] ع: الوفات.
[4] تقدم آنفا.
[5] صحيح البخاري، العتق ١٥؛ وصحيح مسلم، الأيمان ٤٠. «خولكم» بمعنى مَلَّكَكُم أمورهم (لسان العرب لابن منظور، «خول»).
[6] ن: قوله.
[7] ع م + الآية.
[8] ع - الله؛ م: يتكبر عبادته.
[9] ن: ويتكبر.
[10] ع م - ذا في.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٢٢.
[12] سورة آل عمران، ٣/١٤٠.
[13] ع: لا يحب.
[14] م: يجب.
[15] م: يحب.
[16] ع م - أحب هذا.

**﴿اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٣٧]**

وقوله: **الذي يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، الآية؛ يحتمل أن تكون[١] الآية تفسيرا لما [١٤٤ظ] تقدم من قوله: / إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا،[٢] ووصفا[٣] لهم، إذ لا يُتكلم بمثله إلا عن تقدمه. ويحتمل على الابتداء كقوله: اَلَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ،[٤] الآية. ثم يحتمل وجوها: يحتمل قوله: **يبخلون**، بما عندهم من الأموال، **ويأمرون الناس** به؛ وهكذا دأب كل بخيل أنه[٥] يبخل ويأمر غيره به.[٦] ويحتمل **يبخلون**، بما[٧] عندهم[٨] من العلوم والأحكام، لم يُعَلِّمُوا[٩] غيرهم، **ويأمرون الناس** بذلك. ويحتمل قوله: **يبخلون**، بإظهار نعت[١٠] محمد صلى الله عليه وسلم، **ويأمرون الناس** به. ألا ترى[١١] أنه قال: **ويكتمون ما أتاهم الله من فضله**، أي يكتمون نعت[١٢] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته.[١٣]

ويحتمل قوله: **يكتمون ما أتاهم الله من فضله**، أي يكتمون[١٤] من العلوم والحكمة. ويحتمل ما ذكرنا أنهم يكتمون ويبخلون بما آتاهم الله من فضله من الأموال ولا ينفقونها؛ وفي[١٥] ترك الإنفاق والتصدق[١٦] كتمان ما أنعم الله عليهم. وعلى ذلك[١٧] روي عن[١٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

[١] ن ع م: يكون.
[٢] سورة النساء، ٣٦/٤.
[٣] جميع النسخ: ووصف.
[٤] سورة الزخرف، ٦٩/٤٣.
[٥] ع م: أن.
[٦] ع م: به غيره.
[٧] ك ن: ما.
[٨] ن – من الأموال ويأمرون الناس به وهكذا دأب كل بخيل أنه يبخل ويأمر غيره به ويحتمل يبخلون ما عندهم.
[٩] م: يعملوا.
[١٠] ك: بعث.
[١١] ك: يرى.
[١٢] ك: بعث؛ ن + سيا.
[١٣] ك ن ع – وصفته.
[١٤] ك ن – أي يكتمون.
[١٥] م: في.
[١٦] ع م: والصدق.
[١٧] ع: وذلك.
[١٨] م – عن.

«من[1] آتاه الله نعمة فَلْتُرَ[2] عليه».[3] لعله أراد بقوله: «تُرَ[4] عليه» أن ينفقها على نفسه[5] ويلبسها. وجائز[6] أن يكون أراد -والله أعلم- الإنفاق والتصدق على غيرهم. فعلى ذلك كتمان ما آتاهم الله[7] من الأموال إذا تركوا الإنفاق على غيرهم، لأن من كانت له الأموال لا يترك الإنفاق على نفسه.

وقيل في قوله:[8] **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**: نزلت[9] في كعب بن الأشرف، كتم[10] نعت[11] محمد صلى الله عليه وسلم، وكتب إلى الرؤساء من اليهود في الآفاق يأمرهم بكتمانه.[12] وأيضا في قوله: **يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، أي بما أنعم الله عليهم من الأموال، أو بما[13] بين لهم من صفات[14] الرسول[15] عليه أفضل الصلوات، أو بما أمروا به من العبادات. حملهم على الكفر أحد هذه الأوجه الثلاثة، إذ[16] كانوا استحلوا أحدها فكفروا. بذلك لزمهم الذي ذكر في القرآن. ***والله أعلم***. وكتمانهم يرجع إلى كتمان النعت أو الحقوق[17] أو العبادات في أنفسهم، لئلا يُعرَفوا بالعدول[18] عما في كتبهم، وذلك تحريفهم.[19] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**، ظاهر، قد ذكرنا في غير موضع.

---

[1] ع: ما.
[2] جميع النسخ: فليرى.
[3] *سنن أبي داود*، اللباس ١٧؛ و*سنن الترمذي*، البر ٦٣.
[4] جميع النسخ: يرى.
[5] ن: نفسها؛ جميع النسخ + ويتصدق بها. والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ١٦٧ظ.
[6] ع: جائز.
[7] ن ع م - الله.
[8] ع م - قوله.
[9] ع م - نزلت.
[10] ع م - كتم.
[11] ك: بعث.
[12] *تفسير الطبري*، ٨٥/٥، ٨٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٣٨/٢.
[13] ن: وبما.
[14] م: صفاته.
[15] ع - الرسول.
[16] ك ن ع: أو.
[17] م: والحقوق.
[18] جميع النسخ + عنهم.
[19] ع م: تحويهم.

**﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾**[٣٨]

وقوله عز وجل: **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، الآية،[١] قيل:[٢] نزلت[٣] في المنافقين؛ كانوا ينفقون مراءاة ويصلون مراءاة،[٤] كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك، وكانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر سرا. وقيل: إنها نزلت في الذين يسعون في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخرجون معه، ينفقون أموالهم مراءاة للناس، يطلبون بذلك الرئاسة.

وقوله عز وجل: **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا**، يحتمل أن يكون هذا في الدنيا [كقوله تعالى]: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ،[٥] الآية. ويحتمل في الآخرة كقوله تعالى: فَبِئْسَ الْقَرِينُ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ.[٦] فهذا -والله أعلم- لأن كلا منهم كان يقبّح الشيطان وَيأنّف عنه، ويحسّن الملائكة ويَحمّدهم. حتى ضُرب مَثَل القُبح من الأشياء بالشياطين،[٧] كقوله: طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ،[٨] وضُرب مَثَل الحُسْن بالملائكة، وذلك لمعرفتهم بقبح الشياطين وحسن الملائكة. وإنما عرفوا ذلك[٩] بالخبر، لأنهم لم يعاينوا ملكا عرفوا حسنه بالمعاينة، ولا شاهدوا شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة، ولكنهم عرفوا ذلك بالخبر. ففيه دليل إثبات النبوة، لأنهم[١٠] ما عرفوا ذلك إلا بهم. دل به استقباح الجميع[١١] الشياطين واستنكارهم، واستحسانهم الملائكة واستعظامهم من غير أن شهدوا

---

[١] ع م - الآية.
[٢] ع م: وقيل إنها.
[٣] ن - قيل نزلت.
[٤] ن: مراعاة؛ ع م - ويصلون مرآة.
[٥] ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أُممٍ قد خلت مِن قَبْلِهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة فصلت، ٢٥/٤١).
[٦] ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُعْدَ المَشْرِقَين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣-٣٩).
[٧] ع م: بالشيطان.
[٨] سورة الصافات، ٦٥/٣٧.
[٩] جميع النسخ: وذلك إنما عرفوا.
[١٠] ن + كانوا.
[١١] ن: جميع؛ م: بجميع.

من أحد من الفريقين على قبول الأخبار،[١] إذ عن الألسن نطقوا به، وعلى إثبات الرسالة إذ هم جاءوا بالآثار عمن خلقهم[٢] وأنشأهم. *والله أعلم*.

**﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾**[٣٩]

وقوله عز وجل: **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر**، هذا -والله أعلم- صلة قوله: وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.[٣] فمعنى قوله:[٤] **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله** -والله أعلم- أنهم[٥] كانوا ينفقون مراءاةً، طَلَبَ الرياسة وإبقاءها، فقال: لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله يبقى لهم تلك[٦] الرئاسة التي يطلبونها. فليس بالكفر ما يبقى لهم الرئاسة[٧] ويكون لهم الذكر، بل لو[٨] آمنوا كان ذلك في الإيمان أكثر ذكرا[٩] وأعظم قدرا ومنزلة. ألا ترى[١٠] أنه من أسلم منهم من الأئمة من نحو ابن سَلَام[١١] وغيره كان لهم ذكر في الإسلام وبعد موتهم، من غير حاجة وقعت بهم إليهم في حق شرائع[١٢] الإسلام؛ ومن مات منهم على الكفر لم يُذكَر أبدا. فأخبر الله سبحانه وتعالى أنْ ليس في الإيمان بالله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذهاب شيء مما تخافون[١٣] ذهابه من[١٤] الرياسة والمنافع التي تطمعون[١٥] وصولها إليكم وغيرِ ذلك.

---

[١] م: الاختيار.
[٢] جميع النسخ: شهدهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧ظ.
[٣] سورة النساء، ٣٨/٤.
[٤] ع م - فمعنى قوله.
[٥] جميع النسخ: وذلك أنهم.
[٦] ع م - تلك.
[٧] ع م - التي يطلبونها فليس بالكفر ما يبقى لهم الرئاسة.
[٨] ع م - لو.
[٩] ع: ذكر.
[١٠] ك: يرى.
[١١] ع: اسلام.
[١٢] ن: الشرائع.
[١٣] ك: يخافون.
[١٤] ع م: عن.
[١٥] ك ن م: يطمعون؛ ع: يطعمون.

حيث قالوا: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا،[1] فقال: **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر**، أي لم يكن [شيء] مما خافوا باتباع[2] الهدى قليلا ولا كثيرا.

وقوله عز وجل: **وكان الله بهم عليما**، يحتمل وجهين. يحتمل[3] أنه كان على علم منه[4] يفعلون ما يفعلون من فعل الكفر والشر[5] ونحوه من خلق إبليس، لا عن جهل ولا غفلة.[6] ليس كصنيع ملوك الأرض أنهم إذا فعلوا فعلا ثم استقبل الخلاف فإنما يكون ذلك لغفلة[7] منهم وجهل بالعواقب. فالله سبحانه وتعالى كان لم يزل عالما بهم، لكنه تركهم على ذلك،
[١٤٥و] لما لا يلحقه الضرر[8] بالعصيان / ولا النفع بالطاعة، بل حاصل الضرر والنفع[9] يرجع إليهم.

والثاني يخرج مخرج التحذير لهم والتنبيه، لأن من علم أن آخر يعلم بصنيعه[10] كان أحذر وأخوف ممن يعلم أنه ليس عليه حافظ ولا رقيب. وعلى هذا يخرج قوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[11] ليكونوا على حذر من ذلك. وقيل: **وكان الله بهم عليما**، أنهم لن[12] يؤمنوا.

وفي[13] قوله أيضا: **وكان الله بهم عليما**، أي أن أنشأهم على العلم بما يفعلون. يبين أنه[14] أنشأهم ليعلم الخلائق أن مخالفتهم إياه لا تضره، إذ كل من يضره[15] الخلاف لا يتولى ابتداءه إلا على الغفلة بنفعه[16] من الضرر يلحقه بالخلاف.[17] والثاني على التحذير وقت الفعل

---

[1] سورة القصص، ٢٨/٥٧.
[2] م: باتبا.
[3] ع: ويحتمل.
[4] ع: منهم.
[5] ع: والشرك.
[6] ك: عقلة.
[7] ك ن ع: لفعه.
[8] ع م: الضر.
[9] ك: النفع والضرر.
[10] ع: بصنيعة.
[11] سورة الانفطار، ٨٢/١١-١٢.
[12] ع: لم.
[13] ع: وفي هذا؛ م: في هذا.
[14] ع م - أن أنشأهم على العلم بما يفعلون يبين أنه.
[15] ع - إذ كل من يضره.
[16] ن ع م: بعضه.
[17] ك: الخلاب. قال الشارح: «إذ كل من يضره شيء لا يتولى إنشاءه إلا على الغفلة من منفعته عن ضرره. كمن فعل فعلا في الشاهد يضره، كانت الغفلة منه وقت الفعل بضرره وجهل بعاقبته. فيكون في ذلك إظهار حكمته بخلق الكفر والمعاصي وغناه عن الخلق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧ط).

تذكير المراقب عليه، على ما عليه الأمر المعتاد من الانتهاء عن أمورٍ تهواه النفس بالمراقب عليه. ويحتمل "كان" على إرادة نفي حدوث[١] العلم؛ أو أخبر بعلمه بفعلهم وما له من الجزاء.[٢] **والله أعلم.**

**﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **إن الله لا يظلم مثقال ذرة**، وقوله تعالى: وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا،[٣] وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا،[٤] وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ؛[٥] ذكر هذا -والله أعلم- لئلا يظن جاهل[٦] إذا رأى ألم الأطفال والصغار وما يَحِلّ بهم أن[٧] ذلك ظلم منه لهم. لكن ذلك -والله أعلم- ليعلم أن الصحة والسلامة إفضال من الله تعالى لهم،[٨] لا لحق عليه[٩] ذلك، إذ له أن يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما. ثم من ظلم آخر[١٠] في الشاهد إنما يظلم لإحدى خلَّتين.[١١] إما[١٢] الجهل[١٣] بالعدل والحق، وإما لحاجةٍ[١٤] تمسه، يَدفع[١٥] ذلك عن نفسه،[١٦] فيحمله على الظلم. فالله سبحانه وتعالى غني بذاته، عالم لم يزل، يتعالى عن أن تمسه حاجة، أو يخفى عليه شيء. مع ما كان معنى[١٧] الظلم في الشاهد هو التناول عما ليس له بغير إذن مَن له. وكل الخلائق من كل الوجوه له، فلا معنى ثَمَّ للظلم.

---

[١] جميع النسخ: حديثه.
[٢] قال الشارح: «ويحتمل أنه أراد بهذا نفي الحدث عن علمه ردا على منكري قوم، لأنه أخبر عن إثبات علمه بفعلهم وما لهم من الجزاء قبل كونهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٧ظ).
[٣] سورة النساء، ٤/٤٩.
[٤] سورة النساء، ٤/١٢٤.
[٥] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[٦] ن: خامل.
[٧] ن - أن.
[٨] م: إليهم.
[٩] جميع النسخ: عليهم.
[١٠] ن ع م: اخير.
[١١] ع: حلبين.
[١٢] ع: وإما.
[١٣] م: لجهل.
[١٤] ع: الحاجة.
[١٥] ك م: بدفع.
[١٦] ع م - دلك عن نفسه.
[١٧] ك ن ع: يخفى.

ثم قيل في الذرة: إنها نملة. وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: مثقالَ نملة.[1] وقيل: مثقال حبة. وهو على التمثيل ليس على التحقيق، ذُكر لصغر جثته،[2] أنه[3] لا يظلم ذلك المقدار، فكيف ما فوق ذلك؟ لا أن مثله يحتمل أن يكون، لكن لو كان فهو بتكوينه.[4] *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل: **وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما**، هذا على المعتزلة، لأنهم يقولون: من ارتكب كبيرة يُخلَّد في النار، ومعه حسنات كثيرة. فأخبر عز وجل: **وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما**، وهي الجنة. وهذا لسوء[5] ظنهم بالله وإياسهم من رحمته. عن أنس رضي الله عنه عن[6] النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى لا يظلم المؤمن، [كل][7] حسنة يثاب عليها، إما رزق[8] في الدنيا وإما جزاء في الآخرة».[9] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إحسان». قال أبو سعيد رضي الله عنه: فمن شك في ذلك[10] فليقرأ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ الآية.[11]

**﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٤١]**

قوله[12] عز وجل: **فكيف إذ جئنا من كل أمة بشهيد**، يقول: بالنبي يعني نبيها. **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا**، عليهم[13] يعني على أمته.[14] **شهيدا**، بالتصديق لهم،

[1] *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٣٩/٢.
[2] ن: حبة؛ ع: حبته.
[3] ك: أن.
[4] ك: بتكونه؛ ن ع: يتكونه. أي إن وجود مثقال ذرة حقيقية من الظلم غير ممكن في العادة، لكن لو أراد الله أن يكون ذلك فهو قادر عليه.
[5] ع: السوء.
[6] ع: عنى.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٨و.
[8] ن ع: يذق؛ م: يذوق.
[9] *صحيح مسلم*، صفات المنافقين ٥٦-٥٧.
[10] م – في ذلك.
[11] *سنن ابن ماجة*، المقدمة ٩.
[12] ن ع م: وقوله.
[13] ع: علمهم.
[14] ع: أمة.

لأنهم يشهدون على الأمم للرسل أنهم بلغوا ما أرسلوا به لما [ظهر لهم من دلائل][1] صدقهم وقامت براهينهم بالرسالة. صارت شهادة **على هؤلاء**، أي لهؤلاء على هذا التأويل كقوله تعالى: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[2] أي لها.[3] ويحتمل عليهم لو كذبوا وزلوا.

وقوله: **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد**، يعني نبيها، **وجئنا بك**، يا محمد على أمتك، **شهيدا**، على تبليغ الرسالة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[٤٢]

قوله[4] عز وجل: **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض**، قيل فيه بوجوه. إذا ميز الله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال للوحش[5] والطير والسباع: كوني ترابا، فتكون ترابا، فعند ذلك يتمنون أن يكونوا ترابا مثل الوحش فسويت[6] بهم[7] الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: يجحد[8] أهل الشرك يوم القيامة أنهم ما كانوا مشركين، فيُنطِق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم، فيودون[9] أنهم كانوا ترابا،[10] كقوله: يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا،[11] وقوله تعالى: يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ.[12] فذلك قوله سبحانه وتعالى: **لو تُسَوَّى بهم الأرض**، ليتنا لم نُبعث و لم نُحيَ.[13] ويقرأ: تُسَوَّى وتَسَّوَّى وتَسَوَّى[14] وتستوي وتُسْوَى.[15] وفي حرف حفصة: لو تستوي[16] بهم الأرض.[17]

[1] ك ن ع: أرسلوا به لما هو دليل؛ م: أرسلوا بها هو دليل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٨و.
[2] سورة المائدة، ٣/٥.
[3] م – لها.
[4] ك ع م: وقوله.
[5] ك: لنوحشي.
[6] ن ع م: تسويت.
[7] ن م: بنا؛ ع: بين.
[8] ع: نجحد.
[9] ع: فيوذون.
[10] *تفسير الطبري*، ٩٤/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٣/٢.
[11] ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ (سورة النبأ، ٤٠/٧٨).
[12] سورة الحاقة، ٢٧/٦٩.
[13] ك ن: نحيى؛ ع: بحيء.
[14] م – وتسوى.
[15] ن ع: ونسوى.
[16] م: تسوى.
[17] قرأ من الأئمة السبعة نافع وابن عامر «تَسَّوَّى»، وابن كثير وأبو عمرو وعاصم «تُسَوَّى»، وحمزة والكسائي «تَسَوَّى». انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٣٤. وما عدا ذلك فشاذ.

وقوله عز وجل: **ولا يكتمون الله حديثا**، وقيل: لَمَّا[1] أنطق الله تعالى جوارحهم وشهدت عليهم حين أنكروا أن يكونوا مشركين بقوله تعالى: إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[2] لم يستطيعوا[3] أن يكتموا[4] الله حديثا. ويحتمل على الاستيناف: **لا يكتمون الله حديثا**. ويحتمل أن يكونوا يودون[5] في الآخرة[6] ويتمنون[7] أن لم يكونوا كتموا في الدنيا حديثا.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾**[٤٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**، الآية.[8] اختلف في قوله: **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**.[9] قيل: لا تدنوا مكان الصلاة وأنتم سكارى.[10] وكذلك الجنب لا[11] يدنو[12] مكان الصلاة، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.[13] وقيل:[14] **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**، نهيٌ عن الصلاة في حال السكر.[15] روي أن رجلا صنع طعاما فدعا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسعد بن أبي وقاص[16] رضي الله عنهم، فأكلوا وسقاهم خمرا،

---

[1] ع: ما.
[2] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[3] ع: تستطيعوا؛ م: يستطيعون.
[4] م: يكتمون.
[5] جميع النسخ: يودوا.
[6] ن + أي.
[7] جميع النسخ: ويتمنوا.
[8] ع – الآية.
[9] ك – اختلف في قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.
[10] م + نهى عن الصلاة في حال السكر.
[11] ن: الا.
[12] جميع النسخ: يدنوا.
[13] *تفسير الطبري*، ٩٨/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٨/٢.
[14] ك ن + وقوله.
[15] م – نهي عن الصلاة في حال السكر.
[16] ن – وسعد بن أبي وقاص، صح هـ.

وذلك[1] / قبل أن يحرم. فحضرت صلاة المغرب فأَمَّهم رجل منهم فقرأ:[2] قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[3] [١٤٥ظ] بطرح اللاآت.[4] فنزل قوله تعالى: **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.**[5] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يصَلِّيَنَّ أحدكم وهو لا يعقل صلاته».[6]

وفي الآية دلالة أن في الصلاة قولا فرضا، نُهي عن قِربانها[7] في حال السكر مخافة تركه، أو نُهي عن قِربانها[8] في حال السكر خوفا أن يُدخِل فيها قولاً ليس منها. وفي ذلك دليل فساد الصلاة بالكلام عمدا كان أو خطأ، لأن السكران لا يفعل ذلك على العمد ولكن على الخطأ. والأصل في هذا أنه لم ينهه عن فعل الصلاة في حال السكر لنفس الصلاة،[9] ولكن فيه[10] نُهي عن السكر. وكذلك[11] قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة»،[12] ليس النهي فيه عن الصلاة، ولكن النهي عن الإباق والنشوز نفسه. وهكذا كل عبادة[13] نُهي عنها بأسباب تتقدم، فالنهي إنما يكون عن تلك الأسباب لا عن العبادة[14] التي أمر بها؛ لأن الإباق والنشوز والسكر ليسوا بالذي يعمل[15] في إسقاط ذلك الفرض وتلك العبادة.[16]

وفي الآية دلالة أن السكران[17] مخاطب،[18] بقوله: **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.**

---

[1] ن + وذلك.

[2] ع م + منهم.

[3] سورة الكافرون، ١/١٠٩.

[4] يعني أنه قرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٨ظ.

[5] *تفسير الطبري*، ٩٥/٥.

[6] لم أجده. لكن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا نَعَس أحدكم في الصلاة فَلْيَنَمْ حتى يعلم ما يقرأ» (*صحيح البخاري*، الوضوء ٥٣؛ و*صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٢٢٢).

[7] ع: قربالها.

[8] ع: قربالها.

[9] ع + ولكن نهى عن السكر لنفس الصلاة.

[10] ع م – فيه.

[11] م: وذلك.

[12] *صحيح مسلم*، الإيمان ١٢٤؛ و*صحيح ابن خزيمة*، ٦٩/٢.

[13] ع م: عادة.

[14] م: العبادات.

[15] في جميع النسخ: يعملون. والمعنى: ليسوا كالشيء الذي يعمل.

[16] م: العبادات.

[17] ن: السكراں.

[18] ن: يخاطب.

نُهي قربان الصلاة في حال السكر،[1] فالنهي إنما وقع في حال السكر. فإذا كان مخاطبا عَمِل طلاقُه ونفذت[2] عقوده. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؛[3] فلو لم يكن عليهم ذكر في حال السكر لم يكن لصَدِّهم[4] عن ذكر الله[5] معنى ولا ذِكر عيهم، دل أنه مخاطب. ولهذا ما قال أبو يوسف[6] رحمه الله: إنه إذا ارتد عن الإسلام يكون ارتداده ارتدادا لما[7] نفذ طلاقه وسائر عقوده وفسوخه، فعلى ذلك الارتداد. وعلى قول أبي حنيفة رضي الله عنه لا يصير مرتدا استحسانا. [فإنه] ليس كسائر العقود والفسوخ، لأن سائر العقود يتعلق جوازها باللسان[8] وإن كان رضاء القلب مشروطا فيها. وأما الإيمان والكفر فإنما يكون بالقلب وإن كانت[9] العبارة[10] باللسان تكون[11] شرطا فيما بين الخلق. فإذا كان كذلك فإذا سَكِر يُذهب السكر القلب، فجعل كأنه لم ينطق[12] به.[13] ولما[14] كان سائر العقود تعلقها[15] باللسان فإذا نطق به جاز. *والله أعلم*.

اختلف في قوله تعالى: **لا تقربوا الصلاة**. منهم من حمل [النهي] على مكان الصلاة، إذ الصلاة فعل[16] والفعل لا يُقرب. ومنهم من حمله[17] على الفعل، أي لا تصلوا.[18]

---

[1] ع م: السكران.
[2] ع: وتعدت.
[3] سورة المائدة، ٥/٩١.
[4] جميع النسخ: ليصدهم.
[5] ع م – فلو لم يكن عليهم ذكر في حال السكر لم يكن ليصدهم عن ذكر الله.
[6] ع: أبي يوسف.
[7] م: ولما.
[8] ع + يكون شرطا.
[9] جميع النسخ: كان.
[10] ن ع: العادة.
[11] ن ع م: يكون.
[12] ك: يسق.
[13] ع م – به.
[14] جميع النسخ: واما.
[15] ن ع: يعلقها.
[16] ع: افعل.
[17] جميع النسخ: من حمل.
[18] ن ع م: تملوا.

وأي الوجهين أريد به فالآخر داخل فيه، لأنه إذا نهي عن حضور مكانها لحرمته فهي أعلى[1] في الحرمة وأحق في المنع. وأيد ذلك قوله سبحانه وتعالى: **حتى تعلموا ما تقولون**. والعلم بالقول يحتاج إليه[2] في حق الفعل، لئلا يَترك[3] المفروض من[4] الذكر فيَفسد، أو[5] يُدخل[6] المحرم فيه فيفسد. وفي ذلك دلالة أحد الوجهين وفي حق العموم الوجهان جميعا.[7] وهو على الخطأ يقول، فثبت أن الخطأ من القول في الصلاة مفسد. إذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى النهي، وفي التأخير نهي أيضا.[8] *والله أعلم*. ولو أريد به الصلاة فإنما المكان لأجلها، فلا وجه للحضور دون إمكان[9] الفعل.[10] *والله أعلم*.

وعلى ذلك أمر الجنب، واستثناء[11] عابري السبيل يكون[12] على فعل الصلاة بالتيمم، فيكون في الآية دلالة التيمم للجنب؛ أو المكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه[13] بالتيمم أيضا. فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه إذا كان[14] فيه بالتيمم. *والله أعلم*. وإذا أبيح للجنب،

---

[1] ن ع م: أعلا.

[2] ع م - إليه.

[3] ع: ينزل.

[4] ع: عن.

[5] ع: امر.

[6] م: فيفسدوا بدخل.

[7] قال الشارح: «لكن الأقرب هو النهي عن الصلاة بدلالة سياق الآية، وهو قوله: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾. والعلم بالقول يحتاج إليه في حق الصلاة لئلا يترك ذكرا مفروضا فتفسد الصلاة، أو يُدخِل فيها كلاما محظورا فتفسد» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٨ظ). ثم قال: «وفي هذه الآية أن في الصلاة قولا فرضا، إما القراءة أو التكبير، أو أن شيئا من الكلام مفسد لصلاة، لأنه قال: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾، نهى عن الصلاة إلى حال العلم بما يقولون. والعلم بالقول إنما يحتاج إليه أن لو كان فرضا فيتركه فيفسد، أو كان بعض الكلام حراما فيكون إدخاله في الصلاة مفسدا. فتكون الآية دليلا على أحد الأمرين أعني أن الذكر فرض أو بعض الكلام حرام، أو يكون دليلا عليهما جميعا، إذ لا تنافي بين الأمرين. فيكون حجة على الأصم في أن الفرض هو الفعل لا غير» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٦٩و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٢ظ).

[8] أي إنه لو لم يكن الكلام الخطأ مفسدا لصلاة لم يكن هناك معنى لتأخير الصلاة إلى وقت العلم بما يقوله المصلي، لأن تأخير الصلاة بلا سبب منهي عنه أيضا.

[9] م: مكان.

[10] ك ن م + للفعل.

[11] ن: وامستثنى.

[12] م: ليكون.

[13] أي إذا كان محل الاغتسال مكان الصلاة.

[14] ن م: إذ كان.

على المنع عن الدخول في المسجد[1] إلا بالتيمم، فثبت أن التيمم قد جعل له الطهارة، فله الصلاة به لعذر. *والله أعلم*.[2]

ثم في المروي[3] عمن أمّ في المعرب بقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[4] على طرح اللاآت في حال السكر حتى نزل قوله تعالى: **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**، [دلالة على] أن كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه، إذ[5] خاطبهم باسم الإيمان؛ فلذلك لم يكن عند أبي حنيفة رحمه الله كافرا. على أن[6] المخطئ لما يجري على لسانه كلمة الكفر لا يصير كافرا في الحكم، والسكران يجري على لسانه على الخطأ. دليله ما لا يذكره،[7] وما كان عن[8] عقد القلب فهو لا يُنسَى، وبخاصّةٍ[9] المذاهب كلها. [لأنها][10] تُختار[11] عن فكرٍ [في][12] الأسباب، وعن اختيار الأحق من الأمور عنده، إما بحجة[13] أو شبهة أو شهوة من نحو الإلف بالتقليد وحسن الظن. والذي يكون على ما ذكرت لا يحتمل السهو عنه [بخلاف السكران][14] حتى لا يخطر بباله لو أراد[15] تذكره[16] عن قريب، ثبت أنه كان عن خطأ. وقد جاء [الشرع] برفع[17] الخطأ.[18]

---

[1] ع: عند دخول المسجد؛ م: عن دخول المسجد.

[2] سيتكرر كلام المؤلف: «وعلى ذلك أمر الجنب... فله الصلاة به لعذر والله أعل» بعد قليل بنفس الكلمات تقريبا. ولكن العبارة لها تعلق بما قبلها في الموضعين. فلذلك لم نقم بأي تغيير في المتن.

[3] جميع النسخ + دلالة.

[4] سورة الكافرون، ١٠٩/١.

[5] ن ع م: إذا.

[6] ع: اذا.

[7] قال الشارح: «دليل أنه كذلك أن لا يدكره بعد الصحو» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و).

[8] ع م: من.

[9] ن ع م: والخاصة.

[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و.

[11] ن ع م: يختار.

[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و.

[13] ن: إما الحجة ع: وإما لحجة؛ م: إما لحجة.

[14] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و.

[15] ع: ارادة.

[16] جميع النسخ: بدعوة. وفي شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٢ظ: بذكره.

[17] ن: يرفع.

[18] يقول الله تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ (سورة الأحزاب، ٥/٣٣). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (سنن *ابن ماجة*، الطلاق ١٦).

وأصله أن[١] الإنسان معبّر عن الاعتقاد في أمر الدين[٢] وبخاصة[٣] في الكفر الذي يكون بالقلب خاصة بلا استعمال اللسان. فإذا كان مخطئا فهو أمر اللسان[٤] دون القلب الذي اللسان[٥] عنه معبّر. ومن عبّر الكفر باللسان ووصفه لا يكفر إلا بأن يكون يعبّر عن نفسه أنه اعتقده؛ فلذلك كان على ما بينا. على أنه قد يجري بتلاوة القرآن على اللسان بالغلط ما يُكفر عليه بالتعمد. فلا يجوز أن تجعل[٦] تلاوته للتعظيم والإيمان به كفرا.[٧] ثبت بذلك رفع[٨] حكم[٩] الكفر عمن أخطأ في إجرائه على اللسان. فمثله السكران إذ هو مخطئ. *والله أعلم*.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: **ولا جنبا إلا عابري سبيل**. عن علي[١٠] رضي الله عنه أنه قال: هو أن يكون مسافرا ولا يجد الماء فيتيمم.[١١] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه[١٢] قال: هو المسافر.[١٣] وقيل: **ولا جنبا إلا عابري سبيل**، نُهي الجنب[١٤] أن يدخل المسجد[١٥] ومكان الصلاة، **إلا عابري سبيل**: إلا مجتازا. ومن تأول الآية على المرور / في المسجد [١٤٦و]
فهو غير بعيد. يقول: إنما كره للجنب أن يستوطن المسجد، فأما المارّ لأمرٍ يَعرِض له فقد رُخص له. ألا ترى أن الجنب رُخص[١٦] له أن يقرأ بعض الآية، ولا يجوز أن يتمها؛ فمروروه[١٧] في المساجد إذا لم يجلس فيها[١٨] كقراءته بعض الآية إذا لم يُتمّها. وعلى ذلك أمر الجنب؛

---

[١] ن ع م – أن.
[٢] م: الذي.
[٣] ن ع م: ولخاصة.
[٤] م – فإذا كان مخطئا فهو أمر اللسان.
[٥] ع – دون القلب الذي اللسان.
[٦] ن ع م: يجعل.
[٧] م: كفر.
ع م: ورفع.
[٩] ك – حكم.
[١٠] ع م + بن أبي طالب.
[١١] م: فتيمم. *تفسير الطبري*، ٩٧/٥.
[١٢] ك ع م – أنه.
[١٣] *تفسير الطبري*، ٩٧/٥.
[١٤] م – الجنب.
[١٥] ك: المساجد.
[١٦] ك: يرحص.
[١٧] ن ع م: فمرور.
[١٨] جميع النسخ: فيه.

واستثناء عابري السبيل يكون على فعل الصلاة بالتيمم؛ فيكون في الآية دلالة التيمم للجنب؛ أو المكان[1] فيباح الدخول فيه على العبور[2] فيه بالتيمم أيضا. فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه إذا كان فيه[3] بالتيمم. *والله أعلم*. وإذا أبيح للجنب دخول المسجد بالتيمم فثبت أن التيمم قد جعل له الطهارة، فله الصلاة به لعذر. *والله أعلم*.[4]

وقوله عز وجل: **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط**، الآية؛ أباح الله تعالى للمريض المقيم أن يتيمم. والآية ذكرت المرض عاما. وأجمعوا أن المريض[5] الذي لا يخاف[6] أن يضرّ به الماء لا يتيمم. وإنما أجازوا أن يتيمم إذا خاف ضرر الماء إن هو توضأ به. فدل أن الله تعالى لما أباح للمريض التيمم لم يُبِحْ باسم المرض، ولكنه لمعنى في المرض. دليله ما ذُكر أنه لم يُبَحْ لكل مريض وإنما أبيح لمريض[7] دون مريض. وفيه دليل لقول أبي حنيفة رضي الله عنه حيث أباح للمقيم الجنب التيمم إذا خاف على نفسه الهلاك. ألا ترى[8] أن الله عز وجل أباح للمسافر التيمم و لم يبحه باسم السفر، ولكنه أباح لمعنى[9] فيه، وهو إذا كان بمكان إعدام الماء.[10] ألا ترى[11] أنه لا يباح له التيمم في الأمصار وإن كان اسم السفر موجودا لعدم معنى السفر. فعلى ذلك إباحة التيمم للمريض إباحةٌ لمعنى في المرض.[12] ألا ترى أنه ذكر مجيئه من الغائط، والغائط هو المكان المطمئن الذي يقضى فيه[13] الحاجة، ولا كل من جاء من ذلك المكان يلزمه الوضوء والتيمم؛ دل أنه لمعنى فيه، فعلى ذلك الأول.

---

[1] م: والمكان.
[2] م: العبود.
[3] ن: عنه؛ ع م: منه.
[4] تكرر كلام المؤلف: «وعلى ذلك أمر الجنب... فله الصلاة به لعذر والله أعلم» قبل قليل بنفس الكلمات تقريبا. ولكن العبارة لها تعلق بما قبلها في الموضعين، فلذلك لم نقم بأي تغيير في المتن.
[5] ن: المرض.
[6] ع: يخاف.
[7] ع: المريض.
[8] ك: يرى.
[9] ك + لمعنى.
[10] ع م - ألا ترى أن الله عز وجل أباح للمسافر التيمم و لم يبحه باسم السفر ولكنه أباح لمعنى فيه وهو إذا كان بمكان إعدام الماء.
[11] ك: يرى.
[12] م: المريض.
[13] ع: في.

وروي أن جريحا غُسِّل فمات، فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «قتلوه، فإنما[1] يكفيهم[2] كف[3] من تراب»؛[4] وكذلك غُسِّل مجدور[5] فمات، فقال:[6] «قتلوه، إنما يكفيه كذا»؛[7] ونحو هذا. فإذا ثبت أن المراد من المرض[8] والسفر والغائط المعنى الذي فيه لا لعين المرض والسفر والغائط لما ذكرنا -إذ[9] لا كل مريض يباح له التيمم، وإنما يباح لمريض دون مريض، ولذلك[10] لم يُبَحْ لكل السفر،[11] ولكن لسفر[12] دون سفر، ومكان دون مكان، وهو المكان الذي يعدم الماء فيه ويفقد- فعلى ذلك المراد من قوله: **أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**، غيرُ[13] اللمس، وهو الجماع. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والجماع نكاح، ولكن الله تعالى كَنَّى.[14] وعن الحسن وعُبَيد بن عُمَير[15] وعطاء قالوا: الملامسة الجماع.[16]

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة إذا كان المراد من ذكرها غيرها؟

قيل: الحكمة في ذكرها هو أن المرض في أغلب[17] أحواله يُعجِز المرءَ عن إصابة الماء،[18]

---

[1] ك: أما.

[2] ع م: يكفهم.

[3] ك: كفا.

[4] سنن *ابن ماجة*، الطهارة ٩٣؛ وسنن *أبي داود*، الطهارة ١٢٥. ولفظ أبي داود يوضح المراد أكثر: «... إنما كان يكفيه أن يتيمم...».

[5] ع: مجدود؛ م: محدود. والمجدور من أصيب بمرض الجُدَري (*لسان العرب* لابن منظور، «جدر»).

[6] ن – فقال.

[7] ك: يكفيهم من تراب. والحديث في مصنف *ابن أبي شيبة*، ٩٦/١ إلا قوله: «إنما يكفيه كذا».

[8] ك: المخرض.

[9] ك ن: ان.

[10] ن ع م: وكذلك.

[11] م: سفر.

[12] ع م – ولكن لسفر.

[13] جميع النسخ: عين.

[14] *تفسير الطبري*، ١٠٢/٥.

[15] عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي من كبار التابعين؛ مجمع على ثقته. وُلد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. روى عن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة. وكان قاصّ أهل مكة. مات قبل ٧٤هـ/٦٩٣م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٦٩١/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٣٧٧.

[16] *تفسير الطبري*، ١٠٢/٥، ١٠٣.

[17] ع م: في الأعلب.

[18] ن: المرء.

وكذلك السفر في أغلب أحواله يَعجَز صاحبه عن الماء، فخرج الذكر على[1] أغلب الأحوال. وكذلك من جاء[2] من الغائط الأغلب إنه إنما يجيء من قضاء[3] الحاجة، لأنهم كانوا لا يخرجون إلا لقضاء الحاجة. وكذلك الملامسة من الزوجين[4] الأغلب فيها قضاء الوطر والحاجة، فعلى الأغلب خرج الذكْر وإن احتمل غيره. وهذا يدل على أن الاحتجاج[5] بالظواهر والعموم بحق[6] المخرج باطل، لما لا يجوز لأحد أن يحتجّ بظاهر هذه الآية أن يقول: على كل مريض أو على كل مسافر، إلا كذا. ثم اللمس إن أريد به الجماع فهو ممكن لوجهين. أحدهما بما[7] البَلِيّة بالقُبلة واللمس باليد بين[8] الزوجين ظاهر،[9] لا يحتمل أن لا[10] يعرف به الرسول والأئمة من فعل العوام. فلو كان الوضوء[11] فيه لازما[12] لا يحتمل ترك إظهار البيان حتى يلزم أكثر الأمة المنكرَ في فعل الصلاة. **والله أعلم**.

والثاني أن يكون الأمر المعروف[13] في كل لمس ومس جرى الذكر به بين الذكور والإناث فهو بحق الكناية[14] عن الجماع.[15] وكذلك سائر الحروف المحتملة للكناية عنه من نحو المباشرة والغِشيان ونحو ذلك. وبه قال كل[16] من أجاز التيمم للجنب في حق الصلاة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.[17] **والله أعلم**. وإن أريد به غير الجماع مما قد[18] يحتمل وجوها

---

[1] ك ن ع: عن.
[2] ع م – من جاء.
[3] جميع النسخ: عن قضاء.
[4] ن + من الزوجين.
[5] م: الاجتماع.
[6] ن ع م: فحق.
[7] م – بما.
[8] جميع النسخ: باليدين.
[9] جميع النسخ: ظاهرا.
[10] ع م – لا.
[11] جميع النسخ: الوصف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩ظ.
[12] ع م: لأن ما.
[13] جميع النسخ: بالمعروف.
[14] ع م: الكفاية.
[15] وعبارة السمرقندي هكذا: «إن الأمر بالمعروف من المس المذكور بين الذكور والإناث في القرآن فهو بحق الكناية عن الجماع لقوله ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣٧) ونحوه فكذلك هذا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩ظ).
[16] ن ع م – كل.
[17] قال الشارح: «ولكنا نقول: لا حجة له (أي للشافعي) في الآية، فإن الصحابة الذين أجازوا التيمم للجنب قالوا: إن المراد منه الجماع» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩ظ).
[18] ع م: قدم.

فهو لا يجمع الكل، ولكن يرجع إلى خاص، وهو الذي في الغالب أن يكون ثَمَّ[1] خروج [المني] وإن لم يكن، وهي المباشرة الفاحشة. دليله ذكر المرض والسفر على غير اقتران[2] الحكم بنفسه، إذ هما[3] اسمان لوجوه، فانصرفا إلى غاية ما له وقعت الرخصة من العجز والعدم، فمثله أمر الوضوء في الأول. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فتيمموا صعيدا طيبا**، قيل: التيمم القصد. يقال: تيممت الصعيد وأمَمْته،[4] لغتان. وقوله: **فتيمموا**: تعمدوا، **صعيدا طيبا**. فإذا كان التيمم القصد والتعمد إلى الصعيد لم يجز إلا بالنية؛ لأنه عز وجل أمر بالقصد إليه والتعمد، وذلك أمر بالنية، لأن القصد نية. وفي حرف ابن مسعود[5] رضي الله عنه: فأُمُّوا[6] صعيدا طيبا،[7] أي اقصدوا قصده.

والصعيد[8] قيل: هو وجه الأرض. وسمي[9] صعيدا لما يصعد عليها. وقيل: الصعيد هو الأرض التي تُنبت. ألا ترى أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جُعلتْ لي[10] الأرض مسجدا وطهورا إلا[11] السَّبَخَة والمقبرة».[12] وقيل: إنها ملعونة. ولهذا ما[13] قال[14] أبو يوسف رحمه الله: إن التيمم لا يجوز من الأرض السَّبِخَة / لأنها ليست بطيب،[15] والطيب ما يُنبت. [١٤٦ظ]
وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه قال: الطيب هو الطاهر الحلال، له أن يتيمم به إذا عدم الماء.

---

[1] ن: ثمه.
[2] ن ع م: إقران.
[3] ك ن: إذ هو؛ ع م: إذما هو.
[4] ك: أيمته.
[5] ك: وفي حرف حفصة وابن مسعود؛ ن: وفي حرف ابن حفصة وابن مسعود.
[6] ع: قاموا.
[7] *تفسير الطبري*، ١٠٨/٥.
[8] ع: الصعيد.
[9] ع: ونمي.
[10] ع: الى.
[11] ع: لا.
[12] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» (*صحيح البخاري*، الصلاة ٥٦). وفي حديث آخر: «الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة» (*سنن أبي داود*، الصلاة ٢٤). ولم أجد رواية تتعلق بالسبخة. والسبخة: الأرض المالحة التي تسوخ فيها الأقدام (*لسان العرب* لابن منظور، «سبخ»).
[13] ع – ما.
[14] ن: ولهذا مال ولهذا مال؛ م: ولهذا مال.
[15] ع: يطيب.

الطيب اسم ما حَلَّ[1] في كل نوع[2] من المقصود فيه، والمقصود[3] في التيمم التطهر، فهو الطهور والطاهر. وأيده الخبر الذي ذكر من جعل الأرض طهورا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم**، الأمر يقع بمسح الأيدي على الذراعين[4] دون الكفين.[5] دليله أمر الوضوء، إنه يُغسَل الذراعان وقت غسلهما بلا غسل كفين،[6] إذ[7] يقدم غسلهما. فالذراعان دخلتا في المسح بذكر اليد،[8] وكذلك في الوضوء، لأن الكفين يغسلان قبل غسل الوجه، فالأمر بغسل[9] اليد يقع على الذراعين وما وراء ذلك. وعن موسى بن عُقبة عن الأعرج عن أبي جُهَينة قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غائط أو بول،[10] فسلمت عليه فلم يرد علي السلام،[11] فضرب باليد الحائط ضربة فمسح بها وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها يديه إلى المرفقين، ثم رد السلام.[12] وهكذا يقول أصحابنا رحمهم الله بالضربتين، ضربة للوجه[13] وضربة للذراعين.

الأصل أنه إذا قال الله عز وجل في الوضوء: وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ،[14] أنه في وقت الأمر بفعل[15] الغسل إلى المرافق[16] غير مخاطب بغسل[17] الكفين على حق غسل الذراع، إذ قد قضى[18]

---

[1] ع م: حمل.
[2] ع م - في كل نوع.
[3] ن - فيه والمقصود.
[4] ع: الزراعين.
[5] ك: الكعبين. قال الشارح: «استدل أصحابنا بهذه الآية على الشافعي على وجوب مسح الذراعين إلى المرفقين في التيمم كما في الوضوء، فإن عنده يكون التيمم إلى الرسغ» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩ظ).
[6] ن - كفين.
[7] ك ن: إذ قد.
[8] ن: اليه.
[9] ع: يغسل.
[10] م: وبول.
[11] ع: الاسلام.
[12] صحيح *البخاري*، التيمم ٣؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ١١٤.
[13] ع + وضربة للوجه.
[14] سورة المائدة، ٥/٦.
[15] ك ن ع: يفعل.
[16] ن - أنه في وقت الأمر يفعل الغسل إلى المرافق.
[17] ع: يغمل.
[18] ك: مضى.

فرض غسلهما من قبل. فصارت الآية كأنها في غسل الذراع بالأمر بغسل[1] اليد، وعرف[2] غسل الكف لا بها. فمثله أمر التيمم، فصارت الآية كأنها في حق الذراع، ودخل الكف في ذلك بالخبر. على أن[3] أمر الطهارة فيما أضيفت إلى عضو أو بدن لم يُحَدّ أنه يدحل[4] كل المضاف[5] إليه في الاشتراك بقضاء حقها نحو الجنابة[6] والوجه والرأس، فكذلك أمر اليد في التيمم. لكن قصر عن التمام بدلالة بيان السنة وعموم الفتيا وما لا يشك[7] في قضاء حكم الوضوء. وليس هو في جميع[8] اليد فلا يجعل فيما ليس هو فيه بَدَلُه، إذ حقه التقصير عن كمال وظيفة الأصل، لا الزيادة عليه. **والله أعلم**.[9]

وقوله عز وجل: **إن الله كان عفوا**، لما مضى من الذنوب، **غفورا**، لما يستقبل. والعفو الصفح والمحو، والغفر الستر. وهو[10] يعفو عنه ويستر على صاحبه. والعفو[11] من[12] التجاوز. فيختلف اللفظ على إرادة معنى واحد.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾**[٤٤]

وقوله[13] عز وجل: **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا**، يقول: أُعْطُوا حظا من علم الكتاب،

---

[1] ك ن ع: يغسل.
[2] ع م + بذلك.
[3] م – أن.
[4] جميع النسخ: لم يجد لم يدحل.
[5] جميع النسخ: كالمضاف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٠و.
[6] ك: الجناية.
[7] ع م: شك.
[8] جميع النسخ: بعض.
[9] قال الشارح: «على أن الأصل في أمر الطهارة فيما أضيف إلى عضو أو بدن هو استيعاب كل المضاف إليه. قال الله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ (سورة المائدة، ٦/٥)، المراد كل البدن دون البعض. وقال: ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ (سورة المائدة، ٦/٥)، ودخل كل ما يسمى وجها. وهو الأصل في إضافة جميع الأشياء. وكان ظاهر قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ أن يجب مسح ما ينطلق عليه اسم اليد وهو من رؤس الأصابع إلى الأباط. إلا أنه قصر عن التمام لدلالة بيان السنة إلى المرافق، وإجماع الأمة أن ما وراء المرافق غير مراد. بقي الباقي بظاهر النص. وكذلك الاستدلال بحكم الوضوء أنه إلى المرافق، والتيمم بدله وخلف عنه، وحق البدل التقصير عن كمال وظيفة الأصل لا الزيادة عليه. وقد قلنا بالتقصير حتى اكتفي بعضوين. فأما الزيادة فلا يجوز القول به، فلذلك سقط المسح عما فوق المرافق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٠و).
[10] ك ن م: هو.
[11] ك: أو يعفو.
[12] م: هو.
[13] ن: قوله.

وهم علماؤهم، **يشترون الضلالة**،[1] بعلم الكتاب. ويحتمل: يشترون الضلالة بالهدى.[2] وكذلك قيل في حرف حفصة، على ما ذُكر في غير هذه[3] الآية: اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى.[4] وذلك أنهم كانوا آمنوا بمحمد[5] صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، فلما لم يبعث على هواهم كفروا به، كقوله تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.[6] ويحتمل:[7] يشترون ضلالة غيرهم بالتحريف والرِّشَا[8] ونحو ذلك، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ،[9] وقوله: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا.[10]

**ألم تر**، حرف التعجب عن أمر قد بلغه فيخرج مخرج التذكير، أو لم يبلغه[11] فيخرج مخرج التعليم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويريدون أن تَضِلّوا السبيل**، يحتمل وجهين. يحتمل **يريدون**،[12] أي[13] يتمنون أن تضلوا السبيل لتدوم لهم الرياسة والسياسة؛ إذ[14] كانت لهم الرياسة على من كان[15] على دينهم ولم يكن لهم ذلك على من لم يكن على دينهم، فتمنوا أن يكونوا على دينهم[16]

---

[1] ن + أي يشترون الضلالة.

[2] ع − بالهدى.

[3] ن: هذا.

[4] ك − وكذلك قيل في حرف حفصة عى ما ذكر في غير هذه الآية اشتروا الضلالة باهدى. والآية في سورة البقرة، ١٦/٢.

[5] م: محمدا.

[6] سورة البقرة، ٨٩/٢.

[7] ع: يحتمل.

[8] ك ع م: والرشاء. والرشا بمعنى الرشوة (*لسان العرب* لابن منظور، «رشو»). وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل يشترون ضلالة غيرهم بالتحريف وإعطاء الرشاء. أي يحصون لغيرهم ضلالا وكفرا بما وجد منهم التحريف وإعطاء الرشوة للكفرة لما لما حصل لهم من الغرض في إضلال الكفرة، فيكون شرا، وهو الأخذ والإعطاء» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠و).

[9] سورة الأنفال، ٣٦/٨.

[10] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولْنَحْمِلْ خطاياكم﴾ (سورة العنكبوت، ١٢/٢٩).

[11] م − فيخرج مخرج التذكير أو لم يبلغه.

[12] م: وجهين ويريدون.

[13] ع: أن.

[14] جميع النسخ: إذا.

[15] ن + عى من كان.

[16] ع − فتمنوا أن يكونوا على ديهم.

لتكون[1] لهم الرياسة عليهم. وقيل: **يريدون أن تضلوا السبيل**، أي يأمرونهم ويدعونهم[2] إلى دينهم لما ذكرنا من طلب المنافع وإبقاء الرياسة. ***والله أعلم.***

**﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾[٤٥]**

قوله[3] عز وجل: **والله أعلم بأعدائكم**؛ كأنهم -والله أعلم- [كانوا] يطلبون موالاة المؤمنين ويظهرون[4] لهم الموافقة، فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم. كقوله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا -إلى قوله سبحانه- هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ،[5] الآية. فأخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أنه أعلم بأعدائكم منكم. ويحتمل أن يكون المؤمنون استنصروهم واستعانوا بهم في أمر، فأخبر عز وجل أنهم أعداؤكم وهو[6] أعلم بهم منكم.

ثم قال: **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا**، أي كفى به وليا ومعينا، وكفى به ناصرا.[7] ويحتمل قوله: **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا**، بما[8] أعطاكم،[9] أي لا ولي أفضل من الله تعالى ولا ناصر أفضل منه، منه البراهين والحجج.[10] ***والله أعلم.***

**﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**؛ وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] ن ع م: ليكون.
[2] جميع النسخ: يأمروهم ويدعوهم.
[3] ع م: وقوله.
[4] م: ويظهر.
[5] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾ (سورة آل عمران، ١١٨/٣-١١٩).
[6] ك: وهم.
[7] ع: نصيرا.
[8] جميع النسخ: بما.
[9] ك ن ع + من أعطاكم.
[10] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل قوله: ﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾ أي وكفى بالله [وليا] وناصرا بما أعطاكم من النصرة والبراهين والحجج على ما عرف غير مرة» (شرح *التأويلات*، ورقة: ١٧٠و).

وكفى بالله نصيرا ومن[1] الذين هادوا،[2] على الاستئناف والابتداء، خبر [المبتدأ].[3] وفي حرف غيره: **من الذين هادوا**، معناه -والله أعلم- ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا، لا ذِكر للنصارى[4] في ذلك. وفي حرف ابن مسعود ذكر النصارى في الذين أوتوا نصيبا.[5] وفي حرف حفصة رضي الله عنها: من الذين هادوا مَنْ يحرّف الكلم[6] عن مواضعه. ثم تحريف الكلم يحتمل وجهين. يحتمل تغيير[7] المعاني وتبديل التأويل على جهالهم، كقوله تعالى: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ،[8] الآية. ويحتمل تغيير اللفظ والكتابة نفسها، كقوله سبحانه وتعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.[9]

وقوله عز وجل: **ويقولون سمعنا وعصينا**؛ قيل: سمعنا قولك وعصينا أمرك. وقوله عز [١٤٧و] وجل: **واسمع غير مُسْمَعٍ**؛ قيل: اسمع قولنا غير مسمع / أي غير مُجاب.[10] وقيل اسمع قولنا غير مسمع: لا سَمِعْتَ، على السبّ.[11] وقوله: **وعصينا**، [على طريق] الإسرار به منهم،

[1] ع: من.

[2] *روح المعاني* للآلوسي، ٤٦/٥.

[3] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ. أي إنه على قراءة ابن مسعود يكون "ومن الذين هادوا" خبر مبتدأ محذوف، وقوله تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ صفة له أي: ومن الذين هادوا قوم يحرفون. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٤٦/٥.

[4] ك: النصارى.

[5] قال الشارح: «هكذا قراءة العامة بناء على قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ (سورة النساء، ٤٤/٤)، فيخرج مخرج التفسير للذين أوتوا نصيبا من الكتاب. فكان المراد من قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ هم اليهود دون النصارى، لأن التفسير متى ألحق بالمفسّر يصير كالمنصوص عليه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ومن الذين هادوا. فيكون على الاستئناف والابتداء لا بناء على قوله: ﴿ألم تر...﴾ على طريق البدل والتفسير. فعلى هذه القراءة صار قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ عاما في اليهود والنصارى» (*شرح التأويلات*، ورقة، ١٧٠و).

[6] ن - للنصارى في ذلك وفي حرف ابن مسعود ذكر النصارى في الذين أوتوا نصيبا وفي حرف حفصة من الذين هادوا من يحرف الكلم.

[7] ك ن: تغيير.

[8] ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾(سورة آل عمران، ٧٨/٣).

[9] سورة البقرة، ٧٩/٢.

[10] جميع النسخ: غير مجيب. والتصحيح من *تفسير القرطبي*، ٢٤٣/٥؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٤٧/٥. وقد قال الشارح: «قرئ غير مسمِع بكسر الميم الثانية أي غير مجيب لنا، على سبيل السب ودعاء السوء، أي لا يقدر على سماعنا وإجابتنا» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ). ولكن هذه القراءة لم يذكرها الإمام الماتريدي، ولم أجد أحدا ذكرها. فلعل الشارح قال ما قال لتصحيح عبارة "غير مجيب" التي هي من خطأ الناسخين.

[11] ن: السب؛ ع: المستب؛ م: المسب.

[ثم] أظهره الله تعالى عليهم ليكون آية[1] للرسالة.[2]

وقوله عز وجل: **وراعنا**، قيل: يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم: أَرْعِنا[3] سمعك.[4]
وقيل: **وراعنا**: إِرْعَنا[5] حقوقنا، وهو من الرعاية.

وقوله عز وجل: **لَيًا بألسنتهم**، أي تحريفا. والتحريف ما ذكرنا كقوله تعالى: يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ،[6] الآية. وقيل في قوله تعالى: **واسمع غير مسمَع**، أي اسمع يا محمد منا قولنا غير مسمع منك قولك ولا مقبول ما تقول.[7]

وقوله عز وجل: **ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم**، أي لو قالوا: سمعنا قولك[8] وأطعنا أمرك وانظرنا فلا تعجل علينا ننظر. وقيل في[9] قوله: **وانظرنا**، افهمنا.

وقوله عز وجل: **لكان خيرا لهم**، مما قالوا: سمعنا قولك وعصينا أمرك، لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة. أما[10] في الدنيا فدوام الرياسة التي خافوا فوتها[11] لو أطاعوه واتبعوه، إذ [من][12] قد آمن منهم وأطاع نبيه لم تذهب[13] عنهم الرياسة والذكر في الدنيا، بل ازداد لهم شرفا وذكرا في الحياة[14] وبعد الممات،[15] وأما في الآخرة فثواب دائم غير زائل أبدا.

وقوله[16] عز وجل: **وأقوم**، يعني[17] أعدل وأصوب لما ذكرنا. **ولكن لعنهم الله بكفرهم**؛

---

[1] ك: ابة.
[2] م: الرسالة.
[3] م: راعنا.
[4] قال الشارح: «أرعنا سمعك، من أرعى يُرعي إرعاء وهو الإصغاء، أي تهيأ لسماع كلامنا بتقريب آلة السمع إلينا» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ).
[5] م – ارعنا.
[6] سورة آل عمران، ٣/٧٨.
[7] م: نقول.
[8] ن – قولك، صح هـ.
[9] ن – في.
[10] ن ع: وأما.
[11] ع: قوتها.
[12] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ.
[13] جميع النسخ: وأطاعوه تنبيه فلم تذهب. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ.
[14] م + الدنيا.
[15] ن: المماة.
[16] ن: قوله.
[17] م: أي.

واللعن هو الطرد. طردهم الله عز وجل من رحمته ودينه لما علم منهم أنهم لا يؤمنون باختيارهم الكفر. وقوله عز وجل: **فلا يؤمنون إلا قليلا**؛ قيل: القليل[1] من أسلم من نحو ابن سلام وأصحابه وغيرهم.[2] وقيل: قوله تعالى: **فلا يؤمنون إلا قليلا**، منهم، أو لا يؤمنون إلا بالقليل[3] من الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كقوله تعالى: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.[4]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم**، الآية؛[5] دلت[6] هذه الآية أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب ولا ممن أوتوا الكتاب، لأنه قال عز وجل: **آمنوا بما نزّلنا مصدّقا لما معكم**،[7] وليس عند المجوس كتاب حتى يكون المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم.

ثم قوله: **مصدقا لما معكم**، أي موافقا لما معكم. وإنما كان موافقا لما معهم بالمعاني المُدْرَجة فيه والأحكام، لا[8] بالنظم واللسان، لأنه معلوم أن ما معهم من الكتاب مخالف للقرآن نظما ولسانا. وكذلك سائر كتب الله تعالى موافق بعضها بعضا معانيا وأحكاما وإن كانت مختلفة في النظم واللسان. [فهذا] دل أنها من عند الله تعالى نزلت، إذ لو كانت من عند غير الله لكانت[9] مختلفة. ألا ترى أنه قال: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[10] ففيه دليل لقول أبي حنيفة رضي الله عنه حيث أجاز الصلاة بالقراءة بالفارسية، لأن تغير[11] النظم واختلاف اللسان

---

[1] جميع النسخ: والقيل.

[2] م: وهم.

[3] م: بقليل.

[4] ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ (سورة النساء، ١٥٠/٤).

[5] ك ع م – الآية.

[6] ع م: دل.

[7] ك + أي موافقا لما معكم.

[8] جميع النسخ: ولا.

[9] جميع النسخ: كانت.

[10] ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (سورة النساء، ٨٢/٤).

[11] ع م: تغيير.

لم يوجب تغير[1] المعاني واختلاف الأحكام، حيث أخبر عز وجل أنه موافق لما معهم، وهو في اللسان والنظم مختلف والمعنى موافق.

ثم يحتمل قوله: **مصدقا لما معكم**، بصفته ونعته ونبوته ومبعثه وزمانه فيه، فما[2] معكم لا يخالف[3] في شيء من ذلك [للتوراة].[4] ويحتمل أنه هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي آمنتم به قبل أن يبعث، فكيف كفرتم به.[5] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **من قبل أن نطمس وجوها**، الآية، قيل: لما[6] نزلت هذه الآية قدم[7] عبد الله بن سلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال: يا رسول الله، ما كنت أرى أني أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي.[8] وقيل: طَمْسها أن تَعمَى أبصارها وردها على أدبارها. وقيل:[9] طمس[10] الوجوه أن تعمى[11] وتُرَدّ عن بصيرتها. وذلك أنهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم مستيقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي الله يجدونه في كتبهم. يقول: حققوا إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه[12] من قبل أن نُضلكم[13] عن هداكم فتصيروا ضُلّالاً، فلا تعلمون ما كنتم تعلمون.[14] ويحتمل أن تكون[15] الآية خرجت على الوعيد، وهي على التمثيل لا على التحقيق. ويحتمل على التحقيق كقوله تعالى:

---

[1] ع م: تغيير.
[2] جميع النسخ: فيما.
[3] ع: لايخالف.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٠ظ.
[5] جميع النسخ: بالله.
[6] ع: الما.
[7] ع: قوم.
[8] ن: قفائي. *تفسير القرطبي*، ٥/٢٤٥؛ وروح *المعاني* للآلوسي ٥/٥٠. وقد وردت نفس القصة عن كعب الأحبار الذي أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٥/١٢٤؛ *والدرالمنثور* للسيوطي، ٢/٥٥٥.
[9] ك: ووقيل.
[10] ع: تطمس.
[11] ع: تغمى.
[12] ع م: وكتابه.
[13] ن ع م: يضلكم.
[14] ع م: تعمون.
[15] ن: يكون.

**أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت.** ويحتمل أن يكون هذا[1] في الآخرة. وقوله عز وجل أيضا: **من قبل أن نطمس وجوها**، يحتمل الحقيقة فيرجع إلى يوم القيامة فيذهب عنه جميع محاسن الوجه. أو تُطمَس[2] وجوه الحق عنه بمعاندته، فيبصر الحق بغير صورته والباطل بغير صورته[3] بعد أن كانوا رأوا كل شيء بصورته في كتبهم المنزلة. *والله أعلم*. أو[4] نطمس وجوههم عند أتْبَاعِهِم الذين لأجلهم غيروا وحرفوا، بما يُطْلِعُهم على خيانتهم ويُظهِر لهم تبديلهم، وقد فعل بحمد الله تعالى. وقد يحتمل الوعيد أن يَفعل بهم إن لم يؤمنوا حقيقة ذلك كفعله بأصحاب السبت تغيير[5] الجوهر. ثم لعل أولئك[6] قد أسلموا، أو نزل[7] بهم و لم يُذكَر.[8] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان أمر الله مفعولا**، أي كان بأمر الله عز وجل مفعولا، كما يقال: الجنة رحمة الله والمطر[9] رحمة الله، أي برحمة الله.[10] فعلى ذلك معنى قوله سبحانه: **وكان أمر الله مفعولا**، أي بأمر الله كان مفعولا. ويحتمل قوله: **وكان أمر الله**، أي عذاب الله نازلا بهم.

**﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**؛ أجمع الناس أن [الله] يغفر الذنوب كلها الشرك وما دونه إذا انتهى وتاب بقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[11] دل أن إطماع المغفرة / لما دون الشرك لمن لم ينته عنه. [١٤٧ظ]

[1] ك: تكون هذه.
[2] ن ع م: أو نطمس.
[3] م – والباطل بغير صورته.
[4] ع م: ان.
[5] جميع النسخ: تغير.
[6] ن: ذلك.
[7] ن: ترك.
[8] ع: نذكروا.
[9] ك: والنظر.
[10] ع – الله؛ م: أي برحمته.
[11] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

وقالت[١] الخوارج: الكبائر كلها إشراك[٢] بالله تعالى، فمن ارتكبها دخل تحت قوله تعالى:[٣] **لا يغفر أن يشرك به.** والمسألة[٤] بيننا وبينهم في ذلك. فيقال لهم: المعنى[٥] الذي صار به[٦] مشركا عندكم بارتكابه[٧] الكبيرة، وذلك[٨] المعنى موجود في ارتكابه[٩] الصغائر، فيجيء أن يكون كافرا. فإذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكابه الكبائر كافرا.

وقالت المعتزلة: صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر. وقال أبو بكر الأصم: ظهر الوعيد في الكبائر، وشرط المغفرة لما دون الشرك بقوله تعالى: **لمن يشاء،** فهو للصغائر. كقوله: وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ،[١٠] أخبر أن من السيئات ما يكفَّر ومنها ما لا يكفَّر، فهو للصغائر.

وأما عندنا فإن الله تعالى أطمع المؤمنين المغفرة ما دون الشرك. ولو كان لا يجوز في العقل المغفرة[١١] لكان لا يُطمِع، لأنه لا يجوز أن يُطمِع ما لا يجوز في العقل. فإذا أطمع دل[١٢] أنه يجوز في العقل المغفرة لما دون الشرك. ثم له المشيئة، إن شاء عذبهم فيها[١٣] وإن شاء عفا عنهم. وأما إطماع المغفرة في الشرك فإنه لا يجوز في العقل، لأن من اعتقد دينا إنما يعتقده للأبد، وليس كل من ارتكب ذنبا يرتكبه للأبد. بل إنما يرتكبه لقضاء شهوة[١٤] تغلبه، فهو يندم على أثره. لذلك قلنا: يجوز في العقل إطماع المغفرة لما دون الشرك ولا يجوز للشرك. *وبالله التوفيق.*

---

[١] ع م: وقال.
[٢] ع م: الشرك.
[٣] ع م + إن الله.
[٤] ن: المسألة.
[٥] م: المغير.
[٦] ن: به صار؛ ع م - به.
[٧] م: بارتكاب.
[٨] ن ع م: ذلك.
[٩] ن ع م: ارتكاب.
[١٠] سورة البقرة، ٢٧١/٢.
[١١] ع: المغفر.
[١٢] جميع النسخ: دلت.
[١٣] ك - فيها.
[١٤] ك: شهوته.

ووجه آخر، أن الوعيد الذي ذكرته يحتمل الاستحلال والاستخفاف بالأمر والنهي، فلا يُترَك[1] ما[2] أطمع بهذه[3] الآية من المغفرة فيُزال الطمع والرجاء بالوعيد المتوجه وجهين، أو يوقف[4] فيهم. فأما القطع في أحد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع بالآخر[5] للاحتمال فهو تحكم. *ولا قوة إلا بالله*.

ووجه آخر، أن الآية في التفصيل بين المحتمل للغفران[6] والذي لا يحتمل. فإذا صرفت إلى الصغائر فيبطل تخصيص اسم الشرك ويلتبس[7] على السامع محله. وليس أمر الوعيد فيما جاء بموضع التفصيل.[8] بل الذي جاء بحق التفصيل ذكر الغفران بالتكفير.[9] والتكفير يكون مقابل[10] الجزاء من حسنات أو عقوبات كقوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ،[11] الآية. *والله الموفق*.[12]

---

[1] ع م: ينزل.
[2] جميع النسخ: بما.
[3] ع: في هذه.
[4] ن ع: أيوقف؛ م: الوقف.
[5] ن ع: بالأجر.
[6] م: بالغفران.
[7] ك ع: ويبس.
[8] قال الشارح: «فلو صرفت الآية إلى الصغائر وأُلحق ما دون الشرك بالشرك من الكبائر لبطل تخصيص اسم الشرك ويتبس على السامع عظم محل الشرك لالتحاق غيره به في الحكم. فأما آيات الوعيد فما جاءت لتفصيل بين ذنب وذنب، بل وردت مطلقة عامة. ولا يمكن العمل بعمومها وإطلاقها بالإجماع. فإن صاحب الصغيرة لا يخلد، فكانت متروكة الظاهر بالإجماع. فيجب العمل بها على وجه لا يؤدي إلى إبطال تخصيص اسم الشرك، وإبطال هذه القسمةِ وفائدةِ بيان التفصيل والتمييز بين الشرك وما دونه، وإظهارِ محل الشرك وعظمه ومحل مادونه» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٢ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٥ظ).
[9] ك: بالتكفر.
[10] ك ع م: مقابلة.
[11] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ (سورة النساء، ٣١/٤).
[12] قال الشارح: «فأما قوله: إنه ورد التفصيل بين الصغيرة والكبيرة في التكفير باجتناب الكبائر، وكان المراد بها الصغائر، فجاز التفصيل بينهما في وعد الغفران. فنقول: إن ورد التفصيل بينهما في التكفير لماذا يجب الفصل بينهما في رجاء الغفران وجوازه؟ بل لا يجب، لأن التكفير شرع جزاء مقابلا بالصبر على العقوبات والآلام. قال الله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (سورة هود، ١١٤/١١). وقال: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ (سورة النساء، ٣١/٤). فصار ارتفاع الذنب ومحو الإثم جزاء وثوابا للحسنات بمنزلة نيل الدرجات في الجنة ثوابا وجزاء للعمل، وما يكون نافعا للعامل. والنفع تارة بحصول الملذ ومرة بدفع المؤلم... فجاز أن يفصل بين الصغيرة والكبيرة فيكون الصغيرة مما يكفر بحسنات أو عقوبات تصيبه دون الكبيرة. فأما الغفران المطلق لا بطريق التكفير فبناء على الفضل والإحسان من الله تعالى لا مقابلا بشيء من العوض. وفي باب الفضل والإحسان تستوي الصغيرة والكبيرة، بل الإفضال والإحسان في العفو عن الكبيرة أعظم. فجاز أن لا يجب الفصل بينهما» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣و).

ووجه آخر، قال الله عز وجل: **لمن يشاء**، وهذا كناية عن الأنفس المغفورات لا عن الآثام[1] التي تغفر، فلم[2] يجز صرف التخصيص إلى الآثام[3] بالآية المكني بها عن الأنفس. وفي آيات[4] الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم وفيما جاء عاما، فبان [أنه] لا صرف في ذلك، فهو أولى. ***والله الموفق***. وبعد[5] فإنه عز وجل قال: **لمن يشاء**، والصغائر عندكم مغفورة بالحكمة لا بالوعد، فالآية في الكبائر.[6] ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله تعالى أيضا: **إن الله لا يغفر أن يشرك به**، فمعلوم أنه فيما يلزمه حتى يختم به لا فيما يتوب عنه، أيد ذلك قوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ [مَا قَدْ سَلَفَ]،[7] الآية، وغير واحد من الآيات التي جاءت في الكفرة لما آمنوا. ***والله أعلم***. فصار كأنه قال: لا يغفر أن يشرك به إذا لم يتب عنه، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وإن لم يتب عنه.[8] فلو كان شيء[9] مما دونه لا يحتمل في الحكمة المغفرة لَضَمَّهُ إلى الممتنع عن الاحتمال ولما ألحقه[10] بالمحتمل له. فيما كان معلوما أن[11] القصد فيه إلى بيان ما فيه الرجاء والإياس. وأيد ذلك قوله تعالى: لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[12] فلو كان يلزم الإياس لما دونه [لكان] يجب[13] الوصف له بالكفر، إذ الإياس[14] لهم بالكفر، وفي تحقيقه تحقيقه.[15]

---

[1] ع: الانام.

[2] جميع النسخ: لم.

[3] ع: الانام.

[4] ع: الآيات.

[5] ن: بعد.

[6] جميع النسخ: والآية في التعريف. والتصحيح مستفاد من كلام الشارح حيث قال: «إن المذهب عندهم [أي المعتزلة] أن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر من جهة الحكمة عقلا. حتى لا يجوز التعذيب على الصغيرة مع اجتناب الكبيرة عقلا. والله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك معلقا بالمشيئة. وما وجب عقلا لا يجوز تقييده بالمشيئة، لأن المشيئة إنما تدخل فيما هو جائز الوجود والعدم، فأما ما هو واجب الوجود لا تدخل فيه المشيئة. فلأن الصغائر غير مرادة بهذه الآية فيجب أن تكون الكبائر مرادة حتى لا يؤدي إلى تعطيل النص» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٢ظ- ١٧٣و).

[7] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

[8] ك ع: منه.

[9] جميع النسخ: شيئا.

[10] ك: ولا أن الحقة؛ ن ع م: ولا أن ألحقه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣و.

[11] م: أنه.

[12] سورة يوسف، ٨٧/١٢.

[13] جميع النسخ: ليجب.

[14] ك: لاياس.

[15] ن ع م – تحقيقه.

فأي الوجهين لزم تبعه الآخر في حق الإياس لا في وجود فعله، إذ قد يوجد فعل الرجاء في الكفرة.[1] ثبت أن ذلك في الحكم والتحقيق لا في وجود الفعل. ***والله الموفق.***[2]

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم**؛ قيل: هم اليهود، جاؤا بأبنائهم أطفالا فقالوا: يا محمد، هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: «لا». قالوا: فوالذي تحلف[3] به ما نحن إلا كهيئتهم،[4] ما من ذنب نعمله[5] بالنهار إلا كُفّر عنا بالليل، وما عملنا[6] بالليل إلا كُفّر عنا بالنهار.[7] فذلك التزكية منهم. وقيل: تزكيتهم[8] أنفسهم بقولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[9] لا ذنوب لنا. ويحتمل أن تكون[10] تزكيتهم[11] أنفسهم ما قال الله عز وجل: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.[12] وكان أكثر الأنبياء إنما[13] بعثوا من بني إسرائيل، وكانوا يزكون أنفسهم بذلك. فأخبر الله عز وجل أنهم كانوا مفضَّلين على غيرهم، لكن لما فُضِّل غيرهم عليهم صار أولئك المفضَّلون دونهم. وذلك[14] قوله:

---

[1] ع: والكفرة.

[2] ع م: وبالله التوفيق. قال الشارح: «ولأن الله تعالى إنما قطع الرجاء عن المغفرة وأثبت الإياس بالكفر بقوله: ﴿لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (سورة يوسف، ٨٧/١٢). معناه أنه لا يستحق الإياس عن المغفرة إلا الكفرة، لأنه لا يراد به نفي فعل الرجاء من الكافر وتحقيق فعل الإياس منه. لأن كل كافر يرجو رحمة الله ولا ييأس منها. ثبت أن المراد منه استحقاق اليأس. فألزم هذا الحكم الكفرة على الخصوص، فيدور الإياس مع الكفرة وجودا وعدما. ولم يثبت وصف الكفر بالكبيرة بالإجماع بيننا وبينهم، يجب أن لا يثبت وصف الإياس وقطع الرجاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣و).

[3] ن م: يحلف؛ ع: يخلف.

[4] ع م: كتبهم.

[5] ك: نعمه.

[6] ع: عمنا.

[7] *تفسير الطبري*، ١٢٦/٥-١٢٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦٠/٢-٥٦١.

[8] ن: يزكيهم؛ ع م: تزكيهم.

[9] سورة المائدة، ١٨/٥.

[10] ن ع م: يكون.

[11] ع: تزكيهم.

[12] سورة البقرة، ٤٧/٢.

[13] م – إنما.

[14] ع م – فأخبر الله عز وجل أنهم كانوا مفضلين على غيرهم لكن لما فضل غيرهم عليهم صار أولئك المفضلون دونهم وذلك.

**بل الله يزكي من يشاء**، يفضّل من يشاء أو يبرّئ من يشاء[1] من الذنوب.

ثم التزكية تُذَمُّ أن يزكي أحد نفسه، لأن التزكية هي التنزيه من العيوب كلها والذنوب، وذلك مما لا يَسْلَم أحد عنها ولا يبرأ،[2] ولا يستحقه[3] مخلوق. وذلك معنى النهي: فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ،[4] إذ تخرج[5] التزكية مخرج التكبر. وذلك لجهله بنفسه، لما[6] لا يرى غيره شَكْل نفسه ولا مِثْلَه فيتكبر[7] عليه. وإن عرف[8] أنه مثله وشكله ما تكبر على أحد قط ولا زكى نفسه.

وقول الرجل: أنا مؤمن، ليس ذلك منه[9] تزكية، إنما هو إخبار عن شيء أُكرِم به.[10] والتزكية هي التي يرى[11] ذلك من نفسه. وقوله أيضا: **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم**، ليس في إظهار الإيمان تزكية لما لا يخلو من أن تُظهره[12] لمن أبى مشاركتك فيه. فعليك الإظهار بحق الدعوة إليه لتدعوه إلى ما تدين به أو هو يشاركك فيه. والتزكية في الحقيقة فيما[13] يوجب[14] تقديمك، وليس في هذا. وأيضا إن القول بالإيمان ليس بمقدَّر عن معنى العبادة أو سبب فيه عُلُوّ من حيث ذلك، إنما هو خبر[15] عن أمرٍ هو في اللغة تصديق.[16] والتصديق بأمرٍ -[فيما] هو كذلك-[17] ليس بالذي / يُعَدّ في الرُّتَب، بل على كلٍ ذلك. [١٤٨و]

---

[1] ك: شاء.
[2] ك: يبري؛ ن: نبرئ؛ ع: نبرى؛ م: يبرئ.
[3] ك ع م: يستحق؛ ن: نستحق.
[4] سورة النجم، ٣٢/٥٣.
[5] ن ع م: يخرج.
[6] م: بما.
[7] م: فتكبر.
[8] ن ع م: ولو عرف.
[9] ع م – منه.
[10] قال علاء الدين السمرقندي: «وقد تعلق بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن دعوى المرء أنه مؤمن حقا تزكية نفسه، فيجب إلحاق الاستثناء بالإيمان كيلا يدخل تحت هذا النهي. ولكنا نقول...» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٢ظ).
[11] ع: ترى.
[12] ك: نظيره؛ ع م: تظهر.
[13] ع: إنما.
[14] ن: توجب.
[15] ع: خير.
[16] *لسان العرب* لابن منظور، «أمن».
[17] ع م: ذلك.

ولا أحد[1] إلا وقد يؤمن بأشياء ويصدق،[2] فليس في القول به مَنْقَبة. وكذلك ما من أحد إلا وعليه[3] التكذيب بأمور، فلا بالتكذيب في الإطلاق لوم، ولا بالتصديق بالإطلاق مدح، إذ كلٌ في[4] [مثل] ذلك. لكن الذم[5] في تكذيبٍ تُكذِّب[6] به،[7] فتكون[8] مِن حيث كَذِبك[9] ذُمِمْتَ، ثم يتفاوت[10] على تفاوت درجات الكذب. ثم التصديق[11] لو كان ثَمَّ مدحٌ فهو [فيمن] يصدّقه أيضا، ولا أحد يَخرج [عن] الصدق كله فيصير للمرء[12] بوصفه نفسه صادقا في شيء تزكية ومدح.[13] *ولا قوة إلا بالله*. على أن للإيمان حدا،[14] وكل عبادة ذات حد، فلا امتداح ممن قد أداها[15] بالإخبار[16] عن[17] الأداء، وبخاصة[18] الفرائض منها؛ نحو[19] من يقول: قد صليت الظهر أو أديت زكاة مالي[20] أو حججت أو نحو ذلك. وفيما يقول: هو بَرّ أو تَقِيّ أو حبيب الله تعالى أو نحو ذلك مما يرجع ذلك إلى ما لا يُعرَف حدُّه من الخيرات، فهو بذلك يرتفع على الأشكال[21] ويفتخر[22] عليهم؛ فيما لو كان صادقا كان في ذلك منه

[1] ع: ولا مدح.
[2] ع م: يصدق.
[3] ك ن ع: عليه.
[4] ع م: في كل.
[5] ع: الزم؛ م: لزم.
[6] ك ن ع: يكذب؛ م – يكذب.
[7] أي إن الذم يتوقف على الشيء الذي تكذب به. فإن كان ينبغي التكذيب به فتمدح، وإن كان لا ينبغي التكذيب به فتذم.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] م: كذلك.
[10] ك: تتفاوت.
[11] ك + ثم التصديق.
[12] جميع النسخ: المرء.
[13] جميع النسخ: ومدحا.
[14] ك: حد.
[15] ع م: اراها.
[16] م: بالاختيار.
[17] ع: وعن.
[18] ن: والخاصة؛ ع م: ولخصاصة.
[19] ن: نحن.
[20] ن ع م: مال.
[21] أي على أمثاله.
[22] ك: ويرتفع.

إغفال عن حق ذلك،[1] ولو كان كاذبا كان[2] ذلك جائرا فيه ممقوتا بالكذب.[3] *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ولا يظلمون فتيلا**، عن ابن عباس قال: الفتيل ما فتلت بين إصبعيك [فيخرج منه الوسخ]،[4] والنقير ما يكون وسط النواة.[5] وقيل: النقير والقطمير قشر النواة. وقيل: الفتيل أيضا ما يكون وسط النواة. وقيل: النقير[6] الذي يكون في ظهر النواة. وهو على التمثيل. وقيل في حرف حفصة: ألم تر إلى الذين قالوا إنا نزكي أنفسنا بل الله يزكي من يشاء.

**﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **انظر كيف يفترون على الكذب وكفى به إثما مبينا**، الآية ظاهرة.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب**، قيل: أُعطوا حظا من الكتاب، وهم علماؤهم. **يؤمنون بالجبت والطاغوت**، اختلف فيه. قيل: الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن. وقيل: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الجبت الشيطان بكلام الحبشة،[7] والطاغوت كُهّان العرب.[8] وقيل: الجبت الكاهن، والطاغوت الشيطان. وقيل: الجبت حُيَيّ بن[9] أخطب،[10] والطاغوت كعب بن الأشرف.[11]

---

[1] أي يمكن أن يكون فيه تقصير وغفلة عن حق ما يدعيه من المراتب.

[2] ع م - كان.

[3] أي كان قوله في حيز الإمكان عند ظن بعض الناس، لكنه يكون ممقوتا عند الله لكذبه فيما يدعيه.

[4] جميع النسخ: إصبعك. والتصحيح مع الزيادة من *شرح التأويلات*، ورقة ١٧٢ظ.

[5] *تفسير الطبري*، ١٢٨/٥، ١٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦١/٢. والنقير مذكور في قوله تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾ (سورة النساء، ٥٣/٤)، وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (سورة النساء، ١٢٤/٤). والقطمير في قوله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (سورة فاطر، ١٣/٣٥).

[6] ع م - ما يكون وسط النواة وقيل النقير والقطمير قشر النواة وقيل الفتيل أيضا ما يكون وسط النواة وقيل النقير.

[7] م: الحسبة.

[8] روي ذلك عن غير ابن عباس كقتادة وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٢/٥.

[9] ع: ابن.

[10] ن: حي ابن الأحطب.

[11] حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف من رؤساء اليهود وأحبارهم الذين حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعملوا جاهدين على صد الناس عن الإسلام وتأليب الأعداء والجيوش ضد النبي والمسلمين. وقد قتلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ٤٦/٣، ٨٥، ٩٩، ٣١٨.

يخبر عز وجل عن سَفَههم بإيمانهم بهؤلاء، وحسدهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويُحَذِّر المؤمنين عن صنيعهم. لأن هؤلاء كانوا علماءهم مؤمنين بالجبت والطاغوت.

[١٤٨و س٢٧ *قال: الطاغوت هو اسم اشتق[1] من الطغيان، كالرَّحَمُوت والرَّهَبُوت[2] من الرحمة[3] والرهبة ونحو ذلك.[4] سمي به كل من انتهى في الطغيان غايته حتى استحل أن يُعبَد هو دون الله، فهو طاغوت. وعلى ذلك تأويل[5] قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ،[6] أي بعبادة كل من عُبِد دون الله. وقيل: هم مَرَدَة أهل الكتاب. وقيل: هو الشيطان. وقيل: الصنم. وذلك كله يرجع [إلى] ما ذكرت. وقيل في ذلك: كاهن، وقد سمي جبتا. وقيل في الجبت: السحر. فإن كان الجبت السحر فهو على ما قال [تعالى]: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ،[7] الآية.[8] وأي شيء مما ذكرت قد كانوا آمنوا بذلك فعَيَّرهم[9] الله وسَفَّه[10] أحلامهم بالإيمان بمن ذكرت، ومظاهرتهم على ما لهم من الأَتْباع على رسول رب العزة[11] عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، بعد[12] علمهم بموافقته[13] صلى الله عليه وسلم رُسُلهم وتصديقه بكتبهم، وعِلْمِهم بِعُدول أولئك عن هذه الرتبة[14] بَغْيًا وحسدا. وكان في إظهار ذلك عليهم بيان الرسالة وإعلام أتباعهم تحريفَهم كتبَ الرسل وإبداءُ[15] ما في قلوبهم من

[١٤٨و س٣٦ الحسد، لتزول[16] الشبهة عن الأتباع وتظهر[17] المعاندة في المتبوعين.[18] *ولا قوة إلا بالله*.*

---

[1] م: مشتق.
[2] ع: والرهبوب.
[3] ع – من الرحمة.
[4] *لسان العرب* لابن منظور، «طغى».
[5] ك – تأوين.
[6] سورة البقرة، ٢٥٦/٢.
[7] سورة البقرة، ١٠٢/٢.
[8] جميع النسخ الآيات.
[9] ع: فغيرهم.
[10] ك: وسفة.
[11] ع: العزت.
[12] ن – بعد.
[13] ع: بمواقعته.
[14] م: الريبة.
[15] ع م: أبدا.
[16] ن ع م: ليزول.
[17] ن ع م: ويظهر.
[18] ع: المتبوع.
* ورد ما بين النجمتين في غير موضعه، فقساه إلى هنا. انظر: ورقة ١٤٨و/سطر ٢٧-٣٦.

[وقوله عز وجل]: **ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا**، قيل في القصة: إن هؤلاء أتوا مكة ليُحالفوا[١] قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل[٢] أجله. ففعلوا، فدخل أبو سفيان[٣] البيت في مثل عِدَّتهم،[٤] فكانوا بين أستار الكعبة،[٥] فتحالفوا[٦] على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين: لَتَكونَنَّ[٧] كلمتنا واحدة ولا يخذل[٨] بعضنا بعضا، ففعلوا. ثم قال أبو سفيان:[٩] وَيْحَكم يا معشر اليهود، أينا أقرب إلى الهدى وإلى الحق: أنحن أم محمد[١٠] وأصحابه؟[١١] فإنا نَعْمُر هذا المسجد ونَحجُب[١٢] هذه[١٣] الكعبة ونسقي الحاج ونفادي الأسير،[١٤] أفنحن أفضل[١٥] أم محمد وأصحابه؟ قالت اليهود: لا، بل أنتم.[١٦] فذلك قوله: **ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا**. وفي حرف حفصة: ويقولون للذين[١٧] أشركوا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا.[١٨]

---

[١] ن ع: ليخالفوا.

[٢] ع: قيل.

[٣] ن: سفين.

[٤] العدة: الجماعة قلت أو كثرت. وفي مثل عدتهم: أي عدد اليهود، كما قال الشارح. انظر: *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٥] م: كعبة.

[٦] ن ع: فتخالفوا.

[٧] ن ع م: ليكون.

[٨] ن م: ولا نخذل؛ ع: ولا تخذل.

[٩] ن: أبو سفين.

[١٠] ك: محمدا.

[١١] ع: وأصابه.

[١٢] من الحجابة، وهي حجابة الكعبة أي سدانتها وتولّي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها (*لسان العرب* لابن منظور، «حجب»).

[١٣] ك: قدر.

[١٤] ع: الايسر.

[١٥] ع - أفضل.

[١٦] *تفسير الطبري*، ٥/١٣٣-١٣٤.

[١٧] ك - للذين.

[١٨] ن - وفي حرف حفصة ويقولون لىدين أشركوا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[٥٢]

ثم قال الله[١] عز وجل: **أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا**، واللعن يكون على وجوه. اللعن [هنا] هو العذاب. وقيل: **لعنهم الله**: عذبهم الله. واللعين هو[٢] الممنوع عن الإحسان والإفضال. وقيل: هو الطريد، أي طُرِدوا من[٣] رحمة الله وإفضاله وإحسانه.*

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا**، اختلف فيه. قيل: لو كان لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرا من بخلهم وقلة خيرهم. وقيل: **لهم نصيب من الملك**: من الشرف والأموال والرياسة فيما بينهم لكن لا يؤتون الناس نقيرا،[٤] فكيف يتبعونهم؟ وقيل: قوله: **أم لهم نصيب من الملك**، أي ليس لهم نصيب من الملك[٥] فكيف يؤتون
[١٤٨ظ] الناس شيئا؟ إنما الملك لله عز وجل، هو الذي يؤتي الملك من يشاء، كقوله: قُلِ اللَّهُمَّ / مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[٦] إنما يستفاد ذلك بالله عز وجل، لا بأحد دونه. *والله تعالى أعلم*.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[٥٤] ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**، يقول: بل يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله من الكتاب والنبوة. يقول الله عز وجل ردا عليهم: **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكم والنبوة**، فلم يحسدوه، فكيف يحسدون[٧] محمدا صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله تعالى من الكتاب والنبوة وهو من أولاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم. فهذا –والله أعلم– معناه.

---

[١] ك ن – الله.
[٢] ن م – هو.
[٣] ع م: عن.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هناك. انظر: ورقة ١٤٨و/سطر ٢٧–٣٦.
[٤] ك: يؤمنون بالناس تقرا؛ ن – من بخلهم وقلة خيرهم وقيل لهم نصيب من الملك و لشرف والأموال والرياسة فيما بينهم لكن لا يؤتون الناس نقيرا؛ ع: نقير.
[٥] ع م – أي ليس لهم نصيب من الملك.
[٦] جميع النسخ + الآية. سورة آل عمران، ٢٦/٣.
[٧] ك ن ع: تحسدون.

وقوله: **وآتيناهم ملكا عظيما**، قيل: أراد[1] الملائكة والجنود. وقيل: هو مُلْك سليمان بن داود، وداود[2] كان[3] من آل[4] إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقوله عز وجل: **أم يحسدون الناس**، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، **على ما آتاهم الله من فضله**، قيل:[5] من كثرة النساء. لكن ذلك ليس بحسد، إنما هو طعن طعنوه وعيب عابوه؛[6] لأن الحسد هو أن يَرى[7] لآخر شيئا ليس له فيتمنى أن يكون ذلك له دونه، وقد كان لهم نساء. لكنه إن كان ذلك فهو طعن طعنوه وعيب عابوه على كثرة النساء. يقولون:[8] لو كان نبيًا لشغلَتْه النبوة عن النساء، ويقولون: يُحرِّم على الناس أكثر من أربع ويتزوج تسعا وعشرا، فأنز الله عز وجل ردا عليهم: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ،[9] الآية.[10] وكان لداود تسع وتسعون امرأة، وما قيل أيضا إن لسليمان[11] عليه السلام ثلاثمائة سُرِّيَّة[12] وسبعمائة حرائر إن ثبت ذلك.[13] فكثرة النساء له لا تمنع ثبوت الرسالة والنبوة؛ وإنما تُمنَع[14] كثرة النساء لأحد شيئين. إما لخوف الجور،[15] وإما للعجز عن القيام بإيفاء حقهن. فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُؤمَن [من] ناحيتهم الجور، وكانوا يقومون بإيفاء حقهن. مع ما كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لتسع أو لعشر من النساء من آيات النبوة. لأنه كان معروفا بالعبادة لله ليلا وبالصيام له نهارا وتَحمُّل[16] الجوع وأنواع المشقة تِباعا.

---

[1] ك ع م: وأراد.
[2] ع - وداود.
[3] ع: وكان.
[4] ك: آله.
[5] ك: يعني.
[6] ع: غابوه.
[7] ع م - يرى.
[8] م: ويقولون.
[9] ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ (سورة الرعد، ٣٨/١٣).
[10] تفسير الطبري، ١٣٩/٥؛ وتفسير القرطبي، ٣٢٧/٩.
[11] م: سليمان.
[12] وهي الجارية (*لسان العرب* لابن منظور، «سرّ»).
[13] *الدر المنثور* لسيوطي، ٥٦٧/٢؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٥٧/٥.
[14] ن ع م: يمنع.
[15] م: الخوف من الجور.
[16] ن ع: ويحتمل.

ومعلوم في الخلق أن من كان هذا سبيله لم يقدر على وفاء حق امرأة واحدة، فضلا أن يقوم لإيفاء حق العشر وأكثر. فدل أنه بالله[1] قدر على ذلك. وعلى ذلك قيام داود صلوات الله عليه لمائة من النساء، وقيام سليمان صلوات الله عليه لألف[2] منهن.[3] فذلك من آيات النبوة لما ذكرنا أنه ليس في وسع أحد سواهم القيام بذلك. وكذلك في قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم لإظهار هذا الدين من غير أتباع كان له أو مُلك أو فضل[4] سَعةٍ دليلُ أنه كان بنصر[5] الله أُظهر،[6] وبعونه[7] [صار] جميع هذا[8] الخلق على دينه.

وفي قوله أيضا: **أم يحسدون الناس على ما** ذكر، **فقد آتينا آل إبراهيم**، الآية، يحتمل[9] وجهين. أحدهما: المحاجّة أنْ كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم وأتباعه من آل إبراهيم وأولاده بما خصهم به من فضله، ولم يزل ذلك في آل إبراهيم ولم يكونوا حسدوهم. وعلى[10] هذا قوله تعالى: **فمنهم من آمن به**، أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بكتابه الذي أنزل عليه.

والثاني أن يكون على[11] التصبير[12] على أذاهم الذي كان منهم بالحسد، مما كان هذا فيمن تقدمه من آل إبراهيم ومن فضله ومن الحساد لهم في ذلك والمُؤذين لهم فصبروا ولم يكافؤهم، نحو قوله تعالى: **فمنهم من آمن به**، أي[13] بإبراهيم عليه السلام أو بما أنزل[14] إليه أو آله. *والله أعلم*.

---

[1] ع: وبالله.
[2] ك م: الألف.
[3] ع: مهن.
[4] م: أو ملك له وفضل.
[5] ع: ينصر.
[6] ع: أظهره.
[7] ك: وبعوده به؛ ن ع: ويعوذه به؛ م: ويعوذ به. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٩١و.
[8] ن: هذار.
[9] ك: تحتمل.
[10] ع م: على.
[11] ع: هو.
[12] م: التصبر.
[13] م – أي.
[14] م: نزل.

*وقوله عز وجل: **فمنهم من آمن به**، بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود، **ومنهم من صد عنه**. {قال:} **فمنهم من آمن به**، يعني بالكتاب الذي أُعطي إبراهيم، **ومنهم من صد عنه**، عن الكتاب، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وقيل: **فمنهم من آمن به**، يعني إبراهيم، **ومنهم من صد عنه**، يعني عن إبراهيم عليه السلام. [١٥٠و س٧

وقوله عز وجل: **وكفى بجهنم سعيرا**، كأن جهنم -والله أعلم- معظم[١] النار وجميع دَرَكاتها، والسعير هو التهابها ووُقودها.[٢] كقوله تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.[٣] ويحتمل قوله: **وكفى بجهنم سعيرا**، أي عذابا. *والله أعلم*. **وكفى بجهنم**، أي بالتهاب جهنم[٤] التهابا، إذ السعير الالتهاب. *والله أعلم*.* [١٥٠و س١٢

الأصل في اختلاف تأويل الآية الواحدة[٥] فيما يجب في ذلك من الحق [عملا واعتقادا][٦] أنه على أقسام. أحدها أنه يتسع للكل،[٧] ويحتمل دخول الكل في المراد، ويحتمل إرادة البعض. فإن كان ذلك مما يجب العمل به يلزم طلب الدليل على المؤقِع للمراد. فإن وُجد من طريق الإحاطة شُهد عليه بالمراد، وإن لم يوجد عُمل به على حسب الإذن في العمل به بالاجتهاد، من[٨] غير الشهادة عليه أنه[٩] [هو] المقصود لا غير. *والله أعلم*.[١٠] وإن كان ذلك مما لا يجب العمل به وإنما حقه [العلم والاعتقاد و]الشهادة،[١١] فيُشهَد[١٢] -على ما هو[١٣] في الحكمة [من][١٤] وجوب تلك الشهادة-

---

[١] ك: موطم.
[٢] ن: وقودها.
[٣] سورة الحجر، ١٥/٤٣-٤٤.
[٤] م - بالتهاب جهنم.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٥٠و/سطر ٧-١٢.
[٥] جميع النسخ: واحدة.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣و.
[٧] جميع النسخ: يتسع الكل.
[٨] ن: ومن.
[٩] ع: لأن.
[١٠] ك - على حسب الإذن في العمل به بالاجتهاد، من غير الشهادة عليه أنه المقصود لا غير والله أعلم.
[١١] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ.
[١٢] ك: يشهد؛ ن: فشهد؛ ع م: فشهد به.
[١٣] ك ن ع - هو.
[١٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ.

من غير أن يُقضَى على الآية بقصد[1] ذلك إذا كانت بحيث تتسع[2] له ولغيره؛[3] نحو القول بأنه سميع عليم على[4] أثر أمورهم من أدلة الخصوص لو كانت تحتمل الخصوص -وفي الحكمة أنه سامع كل صوت وعليم بكل شيء-[5] فيه يُشهَد، ولا يقال في ذلك: إنه أراد ذا[6] من الخاص؛[7] ونحوَ[8] قوله تعالى: وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ،[9] قال قوم: لا يقع الطلاق حتى يوقَع، لأنه ذكر أنه سميع: ولو أوقع الطلاق[10] بغير قول لم يكن لذكر السميع في هذا[11] الموضع فائدة. وقال قوم: سَمِيعٌ لإيلائه، إذ هو قَسَم ينطق به، عَلِيمٌ لعزمه. وقد ذكر: سَمِيعٌ عَلِيمٌ، فيجب توجيه كل حرف إلى وجه ليفيد حقيقةَ[12] ذلك في هذا[13] الموضع.

---

[1] ع: يقصد.

[2] جميع النسخ: يتسع.

[3] قال الشارح: «ثم الأصل في اختلاف تأويل الآية الواحدة فيما يجب في ذلك من الحق عملا واعتقادا أنه على أقسام. أحدها: أن تكون الآية عامة تعم مسميات كثيرة من حيث الصيغة، وهي تحتمل دخول الكل تحت الإرادة، وتحتمل إرادة البعض. فإن كان اللفظ العام ورد فيما هو من باب العمل حتى يجب العمل به لتعدي الصيغة عن الإجمال فإنه يلزم طلب الدليل على الموقع للمراد أن المراد منه الكل أو البعض. فإن وجد من طريق الإحاطة شهد عليه بالمراد. وإن لم يوجد عمل به على حسب الإذن في العمل بالاجتهاد من غير الشهادة عليه أنه هو المراد لا غير. وإن ورد في باب العلم والاعتقاد والشهادة دون العمل فإنه يعتقد ويشهد على ما في الحكمة من وجوب الاعتقاد والشهادة على الحكمة، من غير القطع على مراد الخصوص في شيء من الأشياء الذي يتناوله اللفظ إلا بدليل يوجب التعيين والاختصاص بيقين. لأن اللفظ يسع له ولغيره، والصيغة تشمل الكل في صلاحية الدخول تحتها. حتى لا يكون شهادة على الله تعالى من غير علم حقيقته» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣و-١٧٣ظ).

[4] ع – على.

[5] ع + عليم.

[6] ع م: أن.

[7] قال الشارح: «ونظير ذلك ذكر القول بأنه سميع عليم على أثر أمر من الأمور التي توصف بأنها مسموعة معلومة. يحتمل أنه أراد به أنه سميع عليم على الخصوص وإن كان سميعا عليما للأشياء كلها كما لو نص عليه كقوله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ (سورة المجادلة، ١/٥٨)؛ وفي الحكمة أنه سامع كل صوت وعليم بكل معلوم. فإنه يجب أن يعتقد بأنه سميع لكل صوت وعليم لكل معلوم ولا يشهد أنه أراد به ذلك الخاص ما لم يقم دليل مقطوع على ذلك من خبر متواتر أو إجماع الأمة.» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ).

[8] جميع النسخ: نحو.

[9] سورة البقرة، ٢/٢٢٧.

[10] ن + الطلاق.

[11] م: هذه.

[12] ع م: حقيقته.

[13] م: هذه.

ولو كان لا يقع دون القول[1] لكان كل أمره مسموعا[2] ويغني[3] القولُ بأنه[4] سميع عن القول بأنه عليم. وفي جملة العقد من طريق[5] الحكمة أنه سميع بكل صوت عليم بكل شيء. لكن في النوازل[6] يتوجه وجهين، فلا[7] يجب القطع عليه في الإرادة إلا أن يجيء[8] ما يوجب الإحاطة. وقد عمل به الخلق على الاختلاف. *والله أعلم*.[9]

ووجه آخر من التأويل أنه يحتمل وجوها لا تسع[10] للكل في حق العمل[11] أو في حق الشهادة، لكنها لأحد الحقين. فإن كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليله. ويكون الدليل على وجهين. أحدهما أن يوجب على حق العمل / والشهادة جميعا. والآخر أن يوجب حق [١٤٩و]
العمل[12] خاصة. وقد بينا ذلك. وإن كان في حق الشهادة فيجب الوقف في تحقيق المراد والتسليم لله حتى يَظهر. وذلك في حق إضافة الاستواء إلى الله تعالى على العرش، والقولِ بالرؤية

---

[1] م: قول.
[2] جميع النسخ: مسموع.
[3] جميع النسخ: ليتقي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ.
[4] ع: بآية.
[5] ك – طريق.
[6] لعل المقصود بالنوازل الأمور المهمة المتعلقة بأعمال العباد وأفعالهم.
[7] جميع النسخ: لا.
[8] ع: تجيء.
[9] قال الشارح: «وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٧). فقال قوم وهو قول الشافعي رضي الله عنه: لا يقع الطلاق حتى يوقع القاضي ويفرق بينهما، لأنه ذكر تعالى أنه سميع عليم، فلا بد أن يكون سميعا للطلاق، ولو وقع الطلاق بغير قول وجد من القاضي لم يكن لذكر السميع في هذا الموضع فائدة، فإنه سميع كل مسموع سواه. وقال قوم: إن المراد من قوله: سميع، في هذا الموضع على الخصوص الإيلاء به، والإيلاء قَسَم ينطق به ويقال فيكون مسموعا؛ وقوله: عليم، ينصرف إلى العزم، أي عليم بعزمه الطلاق، وهذا لأنه ذكر قوله: سميع عليم، عقيب أمرين، أحدهما يحتمل السماع والآخر لا يحتمل، وكل واحد منهما يحتمل أن يكون معلوما، فإن كل مسموع معلوم، أما ليس كل معلوم مسموعا، فيجب توجيه كل لفظ إلى ما يليق به ليعيد فائدته... ولأنه لو كان الطلاق في الإيلاء بالقول حتى يكون مسموعا –والإيلاء مسموع أيضا وكل مسموع معلوم– فكان القول بأنه سميع يغني ويكفي عن القول بأنه عليم، فلا يكون لذكر العليم فائدة مبتدأة. ولو كان الأمر كما قلنا: إن الطلاق والإيلاء يقع من غير قول يسمع، لا يصرف قول عليم إليه، لأن قوله: سميع، لا يغني عن القول بأنه عليم وكان لذكر العليم فائدة جديدة، فكان ما قلناه أولى» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ).
[10] ن ع م: يسع.
[11] ك: العلم.
[12] ن – يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين أحدهما أن يوجب على حق العمل والشهادة جميعا والآخر أن يوجب حق العمل.

من حيث يثبت ما به يُرَى على الإشارة إليه لا بالإحاطة ونحوِ ذلك من الأمور. *والله أعلم*.

ووجه آخر أن يكون احتمال وجوهها إنما يكون بمقدمات، فتختلف[1] على اختلاف تلك المقدمات. فلا يجوز تأويل تلك إلا بمعرفة المقدمة[2] إذا لم يكن فيها غير معرفة المُوقِع من المقدمة. نحو قوله تعالى: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ،[3] لم يكن لأحد تأويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع أنه[4] فيم كان مشغولا. وقوله تعالى: فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا،[5] لم يكن لأحد طلب مراد قائله أو تأويل مراده -ولا يظفر به إلا بالوحي، *ولا قوة إلا بالله*- أو القول[6] في حقه إلى أن يتبين.[7] فما[8] كان في حق الشهادة فلازمٌ الوقف فيه حتى يظهر، وما كان في حق العمل فإن كان في نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به حتى يظهر دليل التوسيع[9] [والرخصة].[10] ودليل التوسيع[11] على الوجهين اللذين ذكرت. وإن كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ك: فيختلف. أي فتختلف الوجوه.
[2] ك – المقدمة.
[3] سورة الانشراح، ٧/٩٤.
[4] أي النبي صلى الله عليه وسلم.
[5] سورة الكهف، ١٩/١٨.
[6] جميع النسخ: والقول.
[7] م: تبين.
[8] جميع النسخ: ما.
[9] ع م: التوسع.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ.
[11] م – ودليل التوسيع.
[12] قال الشارح: «والقسم الثاني أن يكون اللفظ محتملا لوجوه على الانفراد ولا يشمل الكل جملة. فإن كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليل يعين أحد الوجوه. فإن قام دليل قطعي يتعين ذلك الوجه في حق العمل والشهادة جميعا. وإن قام دليل من حيث الظاهر يجب العمل من غير الشهادة والقطع عليه أنه هو مراد الله تعالى باللفظ. وإن لم يقم دليل يعين بعض الوجوه أصلا فإنه ينظر. فإن كان الذي ورد فيه من نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به والتحصيل لترجيح جانب الوجود على الترك، ما لم يظهر دليل التوسع والرخصة. ودليل الرخصة على الوجهين اللذين ذكرتهما. وإن كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر. وأما إذا كان ذلك من باب الشهادة والاعتقاد دون العمل فإنه يجب التوقف في حق تعيين المراد لواحد من الجملة، ويجب الشهادة والاعتقاد بكون الواحد من الجملة مرادا لله تعالى غير معين، حتى يظهر المراد بدليل مقطوع به. وذلك فيما استوت الوجوه كلها في الإضافة إلى الله تعالى والوصف له بها. فأما إذا كان بعض الوجوه لا يحتمل أن يوصف الله تعالى به فإنه يجب القول بنفيه عن الله تعالى. ونظير ما قلنا قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (سورة طه، ٥/٢٠). فالاستواء يحتمل الاستيلاء ويحتمل الاستقرار ويحتمل التمام. =

ولا يخلو شيء إلا أحد الوجهين به خاصة[1] من دليل يكون له.[2]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥٦]**

* وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا بآياتنا**، تحتمل[3] الآيات أعلام الدين وآثاره، وتحتمل[4] [١٥٠و س]
الآيات آيات الربوبية له، وتحتمل[5] الآيات[6] أعلام رسالة[7] الرسول صلى الله عليه وسلم، فيكون الكفر بها كفرا بالله.

وقوله تعالى: **سوف نصليهم نارا**، قيل: **نصليهم**، ندخلهم. وقيل:[8] **نصليهم**، نَشويهم. يقال: شاة مَصلِيّة أي مَشوِيّة.

وقوله عز وجل: **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها**، كلما احترقت جلودهم **بدلناهم جلودا غيرها**، أي جددنا لهم جلودا غيرها ليزدادوا[9] التهابا وإيقادا من غير أن يسكن

---

= فإن كان المراد من العرش هو السرير لم يكن الوصف بالاستقرار على السرير محتملا في حق الله تعالى، فلم يكن يحتمل هذا اللفظ لقيام دليل العقل. بقي الاشتراك في باقي الوجوه، فيجب القول بالتوقف حتى يظهر. وكذلك القول بالرؤية، فإن الرؤية في الشاهد تذكر ويراد بها الإحاطة بجوانبه، وقد يراد بها الرؤية بلا إحاطة. فلا يتعين أحدهما إلا بدليل. وفي الغائب لا يحتمل إلا وجها واحدا، فيتعين مرادا، وهو الرؤية بالإحاطة. والله الموفق. والقسم الثالث أن يكون احتمال وجوهها إنما يكون بمقدمات، فيختلف باختلاف تلك المقدمات. فلا يجوز تأويل ذلك اللفظ إلا بعد معرفة المقدمة. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ (سورة الانشراح، ٧/٩٤)، يحتمل: فرغت من الصلاة أو من أمر آخر. فلم يكن لأحد تأويل أحد الوجهين حتى يعلم بالسمع أنه فيم كان مشغولا. وكذا قوله: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ (سورة الكهف، ١٩/١٨). لم يكن لأحد أن يعين الأزكى ما لم يعرف ذلك بالسماع ممن يعرف الوحي. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٣ظ-١٧٤و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٧و-١٩٧ظ).

[1] ك ع م: حاجة.

[2] لعله يقصد: ولا يوجد شيء من المسائل المتفرعة عن هذه الأصول إلا وأحد الوجهين فيها له دليل يتعلق به ويكون سببا لترجيحه.

[3] جميع النسخ: يحتمل.

[4] جميع النسخ: يحتمل.

[5] جميع النسخ: يحتمل.

[6] ع: آيات.

[7] ك: وسالة.

[8] ع م - نصليهم ندخلهم وقيل.

[9] ك ن ع: ليزداد. قال السمرقندي: «ليزداد لهم الإيقاد والالتهاب من غير أن يسكن عنهم العذاب» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٤و).

ألم العذاب. فهو من حيث التحديد غير، لأن الأولى قد أحرقت ونضجت، ومن حيث العين[1] نفسها هي الأولى.[2] ألا ترى ما يقال: تَبدَّل فلان، فإنما يقال من حيث تغيره من لون إلى لون، لا أن كانت تحولت[3] نفسه وتتبدل[4] من حال إلى حال. فعلى ذلك قوله:[5] **بدلناهم جلودا غيرها**، هي من حيث التحديد غير، ومن حيث[6] العين أنها[7] تلك بعينها، واحد. وعلى ذلك البعث بعد الموت والإنشاء، هو من حيث التحديد غير،[8] حيث تفانَوا وذهبت آثارهم، ومن حيث الإعادةُ إلى الحالة الأولى هم بأنفسهم ليسوا بغير. وعلى ذلك قد سمي
١٥٠و س٢١ البعث خلقا جديدا[9] وإن كان بعثَ الأولى في المعنى.*

وقوله عز وجل: **بدلناهم جلودا غيرها**، أي غير الجلود[10] النضيجة. كقوله تعالى: **أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**،[11] أي نجدد[12] ما قد فني. وكذلك أعيد ما قد كان من الجلود قبل النضج جديدا[13] في رأي العين من حيث صار الأول نضيجا، لا أن كان هذا غير الأول، بل هو الأول غير نضيج، إذ[14] ذلك عين[15] الأول، وتعذيب ما كان ارتكب المعصية، فكان[16] التعذيب في الحقيقة

---

[1] ن ع: الغير.
[2] ع م – هي الأولى.
[3] ع: تحولت.
[4] م: وتبدل.
[5] ك ن: قولهم.
[6] ك ع م – التحديد غير ومن حيث.
[7] ك + كانت.
[8] ك + ومن حيث العين أنها كانت تلك بعينها واحد وعلى ذلك البعث بعد الموت والإنشاء هو من حيث التحديد غير.
[9] ن ع م: خلق جديد. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سورة ق، ١٥/٥٠)
* ورد ما بين النجمتين في غير محله خلال تفسير هذه الآية فنقلناه إلى هنا (ورقة ١٥٠و/سطر ١٢-٢١).
[10] جميع النسخ: جلود. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٤و.
[11] سورة الرعد، ٥/١٣.
[12] ك: يجدد.
[13] أي أعيد جديدا.
[14] ع م: أن.
[15] جميع النسخ: نعت.
[16] جميع النسخ: لأن.

على عين[1] الذي أثم فيه.[2]

وقال قائلون: الجلود والعظام ونحو ذلك لم تكن[3] عصت ولا أطاعت، بل استعملت قهرا وجبرا لا أنها[4] عملت طوعا. لكن الذي به عَمل[5] والذي استعملها في الجسد به يتلذّذ[6] ويتألم، فهو المعذَّب والمثاب بما صُوّر[7] من الجسد. ألا ترى أن أجساد أهل الجنة تزداد[8] حُسنا وجمالا،[9] وجُعل لأهله حد[10] لا يزداد ولا ينقص،[11] وأجساد أهل النار مُشوّهة قبيحة، ليكون لهم في التقبيح عقوبة وللأول بالتحسين ثواب. فكانت فيها أحوال للجزاء لم تكن[12] للأعمال، فثبت أن المثاب والمعاقَب ما ذكرت. لكنه يتألم ويتلذّذ،[13] فجُعلتْ على ما بها تمام اللذة والألم من الأجساد،

[1] جميع النسخ: غير.
[2] قال الشارح: «ثم اختلف في كيفية التبديل والمغايرة هاهنا. قال أهل الحق بأن المراد من التبديل هاهنا هو التبديل من حيث الأوصاف لا من حيث الذات، فإنه يعاد ما قد كان من الجلود قبل النضج وهو النضج والاحتراق فيكون معنى قوله: ﴿جلودا غيرها﴾ أي غير الجلود النضيجة. والمغايرة والتبدل قد يكون من حيث الوصف، وقد يكون من حيث العين والذات. وهكذا نقول في إعادة الأجسام بعد الفناء وذهاب آثارها وأوصافها. فيكون تجديدا لتركيب وصفة الوجود ونحو ذلك. وهو معنى قوله تعالى: ﴿أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة الرعد، ١٣/٥)؛ أي يجدد ما قد فني. فمن حيث أن البعث بعد الموت إنشاء للوجود بعد الفناء من حيث الذات والأوصاف سمي تجديدا، ومن حيث ينشئ ويخلق عين ما قد فني سمي إعادة. وقال قوم: المراد منه التبديل من حيث الذات والوصف جميعا. وإليه ذهبت الكرامية. لأن المذهب عندهم أن العين متى فني وانعدم لا يتصور إعادته، وإنما الإعادة خلق مثل الفاني لا عينه. واستدلوا بهذه الآية أن الله تعالى قال: ﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾، والتبديل والمغايرة من كل وجه إنما يكون من حيث الذات والوصف جميعا، وقال تعالى: ﴿أإنا لفي خلق جديد﴾؛ والتجديد إنشاء مثله لا إعادة عينه. ثم على القول الأول لا يشكل التعذيب بعد تبديل الجلود، لأن هذه الجلود عين الأولى. وارتكاب المعصية والمأثم لم يوجد في حق هذه الجلود الجديدة، لماذا يعذب؟ لأنهم يقولون: هي عينها ذاتا. ونحن نقول: هي غيرها ذاتا، وإنما التغير وجد في الوصف. فلم يكن التعذيب لغير الجسم الأول الذي وجد منه الكفر والعصيان» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٤و).
[3] ن م: لم يكن؛ ع: لمن يكن.
[4] ع: لأنها.
[5] جميع النسخ: عملت.
[6] ك: تيالذ؛ ع: يتاله.
[7] م: صدر.
[8] ك: يزداد.
[9] جميع النسخ: الحسن والجمال.
[10] ك: حدا.
[11] ن ع م: ولا ينتقص.
[12] جميع النسخ: يكن.
[13] ع: ويتلد.

لا على إعادة أنفس تلك الأجساد، بل على التجديد كما ذكر في[1] القرآن. وكذلك المقطوع على بعض الأعضاء في حال الكفر إذا أسلم يُبعث سليما، لا كذلك. ومثله في حال الإسلام لو ارتد[2] لم يُرفع عنه[3] ألم ذلك. فدل الذي ذكرت على حق تجدد[4] الثاني على ما شاء[5] الله، والذي به كان المأثم والبر[6] على ما قد كان. ***والله أعلم***.

[١٥٠و س٢١] * ثم تكلموا في قوله تعالى: **بدلناهم جلودا غيرها**، قالوا: كيف كان أن[7] يُعذَّب جلود[8] لا مأثم فيها، وإنما المأثم في الجلود التي احترقت ونضجت؟ وقالوا: أَيِّدْنا [الدليل] فيمن قطعت[9] يده وهو كافر ثم أسلم فمات على الإسلام، ما حال اليد[10] المقطوعة، تعذب في النار أو تكون مع النفس في الجنة؟ وفيمن قطعت يده وهو مسلم ثم كفر ومات[11] على كفره، تلحق النفسَ أو تكون في الجنة؟

فالجواب لهذا[12] كله أن الجوارح والأعضاء ليست تعمل[13] ما تعمل بالاختيار والطوع، ولكنها كالمكرَهات[14] والمقهورات في العمل. ألا ترى أن الإكراه عليها يوجب[15] تحويل الفعل منها إلى المكرِه، فيُجعل كأن المكره هو الذي قد[16] فعل ذلك في حق الضمان. فهذا يدل أن هذه الجوارح كالمكرَهات[17] والمقهورات. فلَحِقَتا[18] النفس[19] حيث كانت.

---

[1] ن ع م – في.
[2] جميع النسخ: اريد.
[3] ن: عند.
[4] ع: تجذد.
[5] ك: نشاء.
[6] ك: وايسر.
[7] ك: أو.
[8] ن ع م: جلودا.
[9] جميع النسخ: قطع.
[10] ع: اليه.
[11] ك: فمات.
[12] ع: هذا.
[13] م: يعمل.
[14] ع م: كالمكروهات.
[15] ك: توجب.
[16] ك – قد.
[17] ع م: كالمكروهات.
[18] جميع النسخ: لحقتا. أي يد المسلم ويد الكافر.
[19] ك: لنفس؛ ع م: لحقنا ان النفس.

ثم معلوم أن من أسلم في آخر عمره يتمنى سلامة جوارحه التي كانت ذهبت عنه ليعمل بها في طلب مرضاة[١] ربه تعالى. وكذلك من كفر بعد الإسلام يتمنى سلامة جوارحه[٢] ليستعملها[٣] فيما اختاره[٤] من الدين. فإذا كان كذلك لحقت النفس حيث كانت في طاعتها ومعصيتها.* ١٥٠و س٢٩]

وللمذهب الأول أن الجزاء هو لما يُختَم[٥] عليه. إذ[٦] لو كان أسلم[٧] لتمنى لنفسه أحسن الأحوال وأسلمَ البِنْية[٨] ليستعملها بالخير. فأوجب ذلك إبطال جميع السيئات كانت[٩] بجوارح ذهبت أو بقيت. وكذلك من اختار الكفر فقد آثره واختار أن يكون على ذلك وأنْ[١٠] سَلِمت جوارحه وتمت. فلزمه حكم إحباط[١١] جميع ما تقدم بكل فائت منه وباق. وفي الأول استوجب جعل جميع[١٢] ما تقدم منه بالفائت والباقي حسنات، لما ندم عن الكل بكل الجوارح، فلحق حكم تبديل السيئات بالحسنات في الكل. فيكون على حكم إعادة الأولى بحق التجديد في المعنى[١٣] –والله أعلم– نحوَ قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ،[١٤] وقوله: فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،[١٥] الآية؛ وفي الإعادة كقوله تعالى: مَنْ يُعِيدُنَا،[١٦] الآية؛ وقوله[١٧] عز وجل: أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ،[١٨] الآية، وغير ذلك من آيات البعث. **والله أعلم**.

---

[١] م: مرضات.
[٢] ع – التي كانت ذهبت عنه ليعمل بها في طلب مرضاة ربه تعالى وكذلك من كفر بعد الإسلام يتمنى سلامة جوارحه.
[٣] جميع النسخ: يستعملها.
[٤] م: اختار.
* ورد ما بين النجمتين في غير موضعه خلال تفسير الآية. انظر: ورقة ١٥٠و/سطر ٢١-٢٩.
[٥] ع: لا يختم.
[٦] م: إذا.
[٧] جميع النسخ: اسلام.
[٨] ع م: البينة.
[٩] ع: وكانت.
[١٠] ع: أن.
[١١] جميع النسخ: احتياط.
[١٢] ع م – جميع.
[١٣] ك: العين.
[١٤] سورة آل عمران، ٢٢/٣.
[١٥] سورة الفرقان، ٧٠/٢٥.
[١٦] ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ (سورة الإسراء، ٥١/١٧).
[١٧] ع: كقوله.
[١٨] سورة الرعد، ٥/١٣.

وقال قائلون: الواجب من العقوبة للكفر[1] وغيره بحكم التبع له؛ وكذلك الثواب، الواجب منه[2] للإيمان ولغيره بحكم التبع. بل به قام، والأول به سقطت عنه مشيئة العفو. فصار الذي به الجزاء خاصا، وغيره بحكم التبع يزداد وينقص.[3] فعلى ذلك أمر الجزاء والتجديد والإعادة. وكل ذلك لِلذي هو بحق التبع والاتباع في الشاهد، بتجدد[4] أعين[5] الأفعال ولا يدوم، والاعتقاد في الأمرين يدوم؛ فعلى ذلك أمر الجزاء لذلك.[6] *والله الموفق*.[7] ولهذا الوجه ما يُبطل الخلود[8] لما سوى الكفر، إذ في ذلك إبطال الجزاء الدائم[9] من حيث الأفعال، وإدامة الجزاء المنقطع من حيث الأفعال، فتكون[10] فيها[11] زيادة في العقوبة على المثل، والله يقول: فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا.[12] *والله الموفق*.[13]

* * *

[1] ع م: لكفر.
[2] ع م: عنه.
[3] ن ع م: وينتقص.
[4] ن م: يتجدد.
[5] م: عين.
[6] م – أمر الجزاء لذلك.
[7] ن: والله أعلم.
[8] ن ع م: الجلود.
[9] ك: الدوائم.
[10] جميع النسخ: فيكون.
[11] ك: منه؛ ن ع م: فيه.
[12] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ١٦٠/٦).
[13] قال الشارح: «الأصل في وجوب الجزاء الدائم من الثواب والعقاب هو الإيمان والكفر، لأنهما اعتقادان، أيهما اعتقده أحد يعتقده للأبد. فيكون جزاؤهما دائما على حسب دوامهما. فأما جزاء غيرهما من العبادات والمعاصي، فبحكم التبع لجزاء الإيمان والكفر. فإن العبادات وكل خير كان فقوامه بالإيمان، وتحققه به. إذ هو شرط صحة كل عبادة وقربة. وكذلك بسبب الكفر ينقطع الرجاء عن غفران سائر المعاصي، إذ رجاء الغفران ثابت للمعاصي مع الإسلام. وإذا كان كذلك كان المعتبر هو وجود الكفر والإسلام الذي هو من باب الاعتقاد. فأما ما يرجع إلى سائر الجوارح فقد يزداد وينقص ويختلف باختلاف الأوقات والأحوال. فعلى ذلك أمر الجزاء فيها، جائز فيه الزيادة والنقصان والتبديل والإبقاء على ما يعلم الله في ذلك من المثل والتضاعف. وعلى هذا يخرج القول ببطلان الخلود [لما] سوى الكفر من المعاصي [التي] تختار لأوقات وأحوال دون الدوام واللزوم أبدا. فعلى ذلك جزاؤه تحقيقا للمماثلة بين الجزاء والجريمة بقوله تعالى: ﴿فلا يُجزَى إلا مثلَها﴾ (سورة الأنعام، ١٦٠/٦)» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٤ط).

ثم اختلف في المبعوث أنه يُبعث بجسده أو يُبعث الروحاني منه، سمته بعض[1] الفلاسفة نفسا،[2] وبعضهم جوهرا روحانيا، وبعضهم بسيطا. فإن كل[3] جسد فيه روحاني في حياته ومنافعه، وجسده له كالمانع[4] عن جميع ما يحتمل من الأمور؛[5] إذ الجوهر الروحاني لطيف ينفذ في الأشياء ويتحلل إلا بالحابس. يبين[6] ذلك أمر النائم أن النفس تخرج [منه]، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.[7] أو هي بما يَسكن الجوارح وينقطع عنها همّ الجسدية[8] ترجع[9] إلى حصة جوهرها،[10] فيراها [النائم] تطوف[11] في البلاد النائية[12] وفي الأمكنة العلوية حتى لا يسعها[13] أرض ولا سماء، يأتي بالأخبار عنها كأنها شاهدة؛ إما كان[14] / ذلك عملها بالجوهر حيث يكون من النفاذ إذا لم تُحبَس،[15] أو هي بالجوهر تخرج فتعمل[16] ذلك. وهي تسمع وتبصر وتعقل في المنام كأنها بالجسد كذلك. فدل أن العمل في حال اليقظة[17] وما له الجزاء لها [كذلك]. فعلى ذلك أمر الجزاء. وعلى ذلك جميع الجواهر التي بها الأغذية والحياة ليست بأعين تلك الأشياء، ولكن بما جعل في سرّيتها[18] من الروحاني. وهي القوى[19] التي تظهر في البدن [١٤٩ظ]

---

[1] ن – بعض.
[2] ن ع م: نفيا.
[3] ع م: كان.
[4] ع م: كالمنافع.
[5] ع م: الأموال.
[6] م: بين.
[7] ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٤٢).
[8] ن ع م: الجسد به.
[9] جميع النسخ: يرجع.
[10] جميع النسخ: جوهره.
[11] ن ع م: يطوف.
[12] ع: النايية.
[13] ن ع م: يصفها.
[14] جميع النسخ: ما كان.
[15] ك: لم يحسن؛ ن ع م: لم يحبس.
[16] جميع النسخ: يخرج فيعمل.
[17] ك: القطة.
[18] ن: نيريتها.
[19] م: التقوى.

[وتَسْرِي] إلى كل أجزاء البدن [فيمن تناول ذلك]،[1] فتقوى[2] وتصح[3] فيه بحياة[4] روحه وتزول[5] عنه الآفات، وكذلك عن السمع والبصر والعقل.[6] ثم يُلْقَى[7] فضله[8] [بعد التناول لانفصال الروحاني عنه].[9] فعلى ذلك أمر المعاد من الجزاء، فهو على ذلك. وكذلك الثواب يكون من كل موعود مما يَعرف في الشاهد بجسده يرجع[10] إلى السرية[11] التي هي روح لذلك، فيكون هو الثواب لما هو بحكم[12] الروح[13] في الجسد. ألا ترى أنه لا تبقى[14] في الآخرة بالأكل الأجسادُ التي تُلْقَى،[15] وهي الأثقال[16] التي تَفْضُل في البدن،[17] ويخرج عنها جميع ما فيها من الأقوية والروح. فثبت أن الأمر يرجع إلى ما ذكرت. وهذا معنى قوله عليه السلام: «ما لا عينٌ رأت ولا أذن[18] سمعت ولا خطر على قلب بشر»؛[19] لأن ذلك الجوهر[20] لا تراه العين ولا تسمعه الأذن في الشاهد ولا يخطر على القلب، وتكون[21] لذة ذلك روحانية،[22]

[1] شرح *التأويلات*، ورقة، ١٧٥و.
[2] ك: فيقوى.
[3] ك: ويصح؛ ن: وتضح.
[4] ك: بحيا.
[5] ن ع: ويزول؛ م: ويذول.
[6] جميع النسخ + حل شيء.
[7] ك: يلقا؛ ن ع م: تلقا.
[8] ك: فعله؛ ع م: نقله.
[9] شرح *التأويلات*، ورقة، ١٧٥و.
[10] ك: ويرجع.
[11] ع م: الرية.
[12] ن: يحكم؛ ع م – روح لذلك فيكون هو الثواب لما هو بحكم.
[13] جميع النسخ: روح.
[14] جميع النسخ: يبقى.
[15] ك ن: تلقا.
[16] ن: الأنفال.
[17] ع م: الجسد.
[18] ع: رأت وأذن.
[19] م – بشر. قال النبي صلى الله عيه وسم: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت...» (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٨؛ *وصحيح مسلم*، الجنة ٢).
[20] م: الجواهر.
[21] جميع السخ: ويكون.
[22] ك ن ع: روحاني؛ م: روحانيا.

لا هذه كلذة[1] الحياة بحياة[2] البصر والسمع[3] وكل باطن في الجوهر.[4] ولذة الأجساد إنما تكون[5] باللَّهاة[6] في الطعم، وبالعين في اللون؛[7] فيذهب هذا ويكون الأول.[8] وعلى ذلك تذهب[9] العبادات الجسدانية وتبقى الروحانية من الحمد والثناء والتعظيم والهيبة والمعرفة، ونحو ذلك، يبقى أبدا بل يزداد لما يذهب عنها الحواجب من الجسداني. وعلى ذلك يبطل تقدير الرؤية[10] وإبطاله مما عليه أمر الشاهد، لذهاب ما به كونها في الشاهد، ورجوع الأمر إلى ما يحاط به على سقوط الحواجب.[11] *والله أعلم*.

اختلف من[12] ذكرت[13] في أمر البعث. فمنهم من لا يرى على ما جاء في[14] الجسد من الروحاني فناء، والبعثُ هو إسقاط الأجساد وخروج ما فيها من الروحاني بصورها.[15] ومنهم من يقول: يفنى ويعاد على حاله.[16] ومعلوم أن ذكر الجديد لا يحتمل بلا ذهاب الأصل، وذكر الإعادة [لا يحتمل] بلا فوته.[17] وقال: [فَسَيَقُولُونَ] مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ،[18]

---

[1] جميع النسخ: لذة.
[2] جميع النسخ: بحياتها.
[3] ن ع م: السمع والبصر.
[4] م: الجواهر. كذا ورد في النسخ. وقال الشارح: «وإنما هو تلذذ خالص. فيثبت أن حقيقة ذلك راجع إلى ما في كل شيء من السرية والروحانية التي فيها مما يخف ويسهل، بل يزيد في ذلك خفة، نحو الروح في الجسد يزيد خفة، والسمع في الأذن والبصر في العين. وهذا معنى قول النبي صلى الله عيه وسلم في وصف الجنة ونعيمها: "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". لأن ما فيها من المعاني الروحانية مما لم يرها العيون. فعلى هذا يجب أن يكون أمر الموعود له المبعوث لاستيفاء هذه اللذات يرجع إلى الجوهر الروحاني الذي التذاذه واستمتاعه بهذه المعاني، دون الجسد الذي التذاذه باللهاة في المطعم وبالعين في المرئيات وبالأذن في المسموعات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٥و-١٧٥ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٩و).
[5] ن ع م: يكون.
[6] اللهاة هي اللحمة المشرفة على الحلق (*لسان العرب* لابن منظور، «لهو»).
[7] جميع النسخ + وهذا النوع.
[8] أي يفنى الجوهر المادي ويبقى الروحاني.
[9] جميع النسخ: يذهب.
[10] أي رؤية الله تعالى في الآخرة.
[11] ع: الواجب.
[12] ع: ما.
[13] وهم الذين قالوا ببعث الروحاني دون الجسد. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٥ظ.
[14] ك: (جاء في) مختلط الخط.
[15] ك ع: بصورها.
[16] جميع النسخ: حالها.
[17] ن ع م: بلا قوته. أي بلا فوت الأصل.
[18] سورة الإسراء، ٥١/١٧.

وجعل إنشاء[1] الأولى[2] دلالة للأخرى، وليس ثم أخرى[3] بل هي الأولى.[4] والأولى هي على ما يزعمون[5] غير معروفة[6] عند المنكرين[7] فيُحتج[8] عليهم بها. بل يجب أن يعرفوا الأولى أولا، ثم يساعدون على نفي البعث، ويُلزَمون الإظهار. والدهرية ومنكرو[9] البعث يقولون في جميع العالم بالظهور بعد الكون، وبالكون في الأصول بالقوة ثم الظهور بالفعل. فكيف ينكرون البعث ليحتج عليهم بالخلق الأول؟ *والله أعلم*.

وقال قوم بالبعث بالأجساد على ما كانت. لكنها كانت في الدنيا مُنْشَأَة للفناء، مُشتمِلة[10] عليها آثار الفناء، وتحيط[11] أعلام الهلاك [بها]. وهي[12] آفات[13] كلها وسواتر يحجبن[14] عن أعمال لطائف الجواهر[15] وعن إدراك الروحانيين. وإلا فهي[16] كما وصفهم الله تعالى أنه خلقهم في أحسن تقويم،[17] وكرَّمهم بأقوم جوهر[18] وأكمل أَسْر[19] وأَنْقى[20] خِلقة.

---

[1] ن م: إنشاءه.
[2] ك: الأول.
[3] ن ح: أخرى.
[4] م: الالى. قال الشارح: «وكذا جعل النشأة الأولى دلالة على النشأة الأخرى. وعلى ما قالوا من خروج الروحاني من الجسد هي الأولى وليس ثم أخرى، فيكون خلفا في خبر الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٥ظ).
[5] ن ع م: تزعمون.
[6] ع: معرفة.
[7] ك: المنكر.
[8] ن ع: فنحتج.
[9] جميع النسخ: ومنكري.
[10] ك ع م: مشتمس؛ ن: ومشتمل.
[11] جميع النسخ: يحيط.
[12] جميع النسخ: ومن.
[13] ك: آفاق.
[14] ك: تحجي؛ ع: تحجبين؛ م: تحجبن.
[15] ع: الجوهر.
[16] ك: والافهمة.
[17] قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (سورة التين، ٩٥/٤).
[18] قال الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٠).
[19] م: أكمل ستر. قال الله تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ (سورة الإنسان، ٧٦/٢٨). قال ابن منظور: «والأسر شدة الخلق. ورجل مأسور ومأطور شديد عقد المفاصل والأوصال. وكذلك الدابة. وفي التنزيل: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ أي شددنا خلقهم. وقيل: أسرهم مفاصلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «أسر»).
[20] جميع النسخ: وأتقى.

فإذا وقعت عليهم الآفات وأعيدوا للبقاء يزول[1] عنهم جميع الظلمات التي هن حواجب وسواتر لهم على الإحاطة بحقائق الأشياء وبواطنها. وعلى شكلهم تنشأ[2] الأجساد[3] المجعولة جزاء لهم، فيلحقون بجميع اللطائف حسدا بما فيها من الجواهر الروحانية،[4] وتصير[5] هذه في اللطف كذلك الجواهر. وهي لما تنقل[6] إلى ألطف من ذلك وأنور لهم كالأرواح،[7] فيفضلون على الروحانيين بأجساد فيها معانيها[8] من اللطافة والنفاذ في الأمور[9] التي هي كالروحانيين[10] في التمثيل. وما فيهم [من] حق الروحانيين ألطف من ذلك[11] بارتفاع آثار الفناء عنها وخروجها من أن يعمل فيها الفساد. وعلى ذلك أجساد الجزاء. فإنها تخرج عن الآفات وتمنع عن الفساد ويصير أجسادها في الطيب والضياء كالروحاني. وما فيها من الروحاني[12] يبقى فيها على كل حال ولا يفنى.[13] والأصل فيه أن[14] الجزاء بحق[15] الشهوات واللذات، لا بحق الأغذية، وحياة أجساد المستمتعين[16] بها. فتكون هي بجسدها وسِرّيتها[17] واحدة. وبقاء[18] الأجساد لها أحق من بقاء الروحاني في هذا العالم من طريق الاعتبار، لأن الذي له حق الروحاني في الشاهد [إنما] به[19] البقاء والحياة.

---

[1] جميع النسخ: فيزول.
[2] جميع النسخ: ينشأ.
[3] ك: أجساد.
[4] جميع النسخ: الروحاني.
[5] جميع النسخ: تصير.
[6] ن: ينقل.
[7] م: كالأروا.
[8] ع: ومعانيها.
[9] ن + في الأمور.
[10] ك: كالرواحين.
[11] ن ع م: الظفر عن ذلك.
[12] ع م – وما فيها من الروحاني.
[13] ك ع م: لا يفنى.
[14] ع م – أن.
[15] ن ع: الحق؛ م: لحق.
[16] جميع النسخ: المستقنعين. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٦و.
[17] ن: وسرتما.
[18] ع م: وبقايا.
[19] ع: الشاهديه.

والغذاء[1] لما يدفع به[2] الآفات العارضة في الأرواح من جهة القوالب التي تضعف وتقوى. وفي الآخرة لا تعترض[3] الآفات، [ولا] يحتاج فيها إلى الأغذية، وإنما ينال منها[4] الشهوات واللذات. وإنما يكون ذلك من حق الأجساد في الشاهد.[5] لذلك[6] كانت أحق أن تكون في الآخرة.

ثم هذا القول[7] أوفق بما جاء به[8] من حجج السمع وما عليه الاعتبار. فأما حجج السمع فإن الله عز وجل قال:[9] إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ،[10] الآية، وقال: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا،[11] الآية، وقال عز وجل: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،[12] الآية، وغير ذلك مما حاج به منكري البعث. والإشكال كان لهم في الأجساد وفيها[13] جرت المحاجات، لذلك كانت هي أولى في الاعتبار. مع ما كانت الأشياء اللطيفة التي[14] لا تُمَسّ ولا تُحَسّ[15] في التحديد[16] لم تكن[17] بحيث احتمال الإنكار،[18] لوجودهم في كل حال،

[1] ك ع م: والغذاء والحياة؛ ن – والغذاء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٦و.
[2] جميع النسخ: بها.
[3] م: تعرض.
[4] ك ع م: عنها.
[5] ن: في الأجساد.
[6] ن – لذلك.
[7] ع م – عنها الشهوات واللذات وإنما يكون ذلك من حق الأجساد في الشاهد لذلك كانت أحق أن تكون في الآخرة ثم هذا القول.
[8] ع م – بما جاء به.
[9] ع – قال.
[10] قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلَّقة لنبين لكم ونُقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربَت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).
[11] قال الله تعالى: ﴿وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ (سورة الإسراء، ٤٩/١٧).
[12] سورة يس، ٧٨/٣٦-٧٩.
[13] جميع النسخ: وفيما.
[14] ك ن – التي.
[15] م: تحسن.
[16] ك: التحذير.
[17] جميع النسخ: يكن.
[18] ك: الانكار.

نحو العقول تذهب بأسباب ثم تعود. وكذلك العلوم والسمع والبصر ونحو ذلك. ثم الحسيات اللطائف نحو الليل والنهار والنور والظلمة والظل ونحو ذلك يرون الفناء والعَوْد في كل حين. لا ينكرون[1] هذا النوع ليحاجوا بالذي ذكر وبهذا. فلذلك كان القول بالأجساد / أحق. *والله أعلم*. [١٥٠و]

والاعتبار أن الله سبحانه وتعالى أنشأ هذا[2] الخلق على ما يتلذذون ويتألمون، ليكون ذلك عَلَما للترغيب والترهيب بالموعود.[3] وما يحل من الآفات وأضدادها في الروحاني وفي الجسد[4] يكون له سرور وحزن،[5] [وبه] يَتَألَّم[6] [المرء] ويتلذَّذ. وقد جرى الوعد بالمؤلم والملذ.[7] وكذلك حكمة خلق الجسد على ذلك بما يحقق[8] العلم بالمُرَغَّب والمُرَهَّب من الموعود. على أن السرور والغموم ليسا بحيث يُرغَب فيهما أو يُزهَد[9] إلا من حيث يألم الجسد ويتلذذ، بل يكون فيه الأمران لِيُسَرَّ وَيَحْزَنَ.[10] فلذلك كان القول بالأجساد أحق من طريق التقدير على ما جرى به حق السمع والعقل. والله أعلم بحقيقة ذلك، وبيده الملك، يكرم من شاء بما شاء فضلا منه، ويُهين[11] من شاء بما شاء عدلا منه. **والله الموفق**.*

---

[1] جميع النسخ: لا ينكرون.
[2] ع: هذه.
[3] أي في حياة الآخرة.
[4] جميع النسخ: في الجسد.
[5] جميع النسخ + لا.
[6] ك: يألم.
[7] أي في حياة الآخرة حسب عمل المرء.
[8] ك: يحق.
[9] ع: يزيد.
[10] قال الشارح: «والثالث أنه جعل أمر هذا العالم على متضاد الأحوال، ليعرف به الموعود من الآلام واللذات والبلايا والترهيب. وكل ذلك إنما عمم بالأجساد، ولم يعلم بوجود شيء للأرواح على الانفراد ولا بلا تعيين، حتى إن النفس إذا رأت ذلك في المنام ترى كأنها بالجسد دون أن تكون وحدها. فعلى ذلك أمر الآلام واللذات، فإن وجودها وتحققها بالجسد، وبالأرواح قوتها. بل لا يعرف ألم ولذة بالروح بالحلول فيه، وإنما يعرف به بالحلول بالجسد. فعلى ذلك الموعود في الآخرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٧٦و؛ ونسخة مدينة، ورقة ١٩٩ظ).
[11] ع م: يهين.
* وردت قطعة من المتن هنا متعلقة بتفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٥٠و/سطر ٧-١٢. ووردت بعد ذلك قطعة أخرى متأخرة عن محلها خلال تفسير هذه الآية فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٥٠و/سطر ١٢-٢١. ووردت بعد ذلك قطعة أخرى كذلك متأخرة عن محلها خلال تفسير هذه الآية فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٥٠و/سطر ٢١-٢٩.

وقالت فرقة[1] من الملحدة: إن الثواب في الآخرة لا يكون لهذا النفس التي تأكل وتشرب وتعمل كلما تعمل، ولكن إنما يكون[2] للروحاني الذي جوهرها جوهر النور.

لكن [نقول]: هده النفس مُمتحَنة في الدنيا بالأكل والشرب،[3] مَشُوبة بالآفات والعيوب. فإذا صَفَت عن الآفات ونُزِّهَت[4] عن العيوب التي بها امتُحِنَتْ صارت أهلا للثواب العظيم ومحلا للجزاء الجزيل. *وبالله العصمة والنجاة*.

وقوله عز وجل: **ليذوقوا العذاب**؛ أما ذوق الطعام والشراب فيكون[5] بالفم ليعرف طعمه ولذته، وأما ذوق العذاب فإنما يكون بكل جارحة منه ليجد ألم ذلك في جميع الجوارح. *والله أعلم*. الذوق في العرف جعل[6] ليعرف الطعم؛ يلقب[7] به كل شيء يعرف. يقال:[8] لفلان ذوق في أمر كذا، أي بصر ومعرفة.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عزيزا حكيما**، قيل: العزيز هو[9] ما يتعزّز[10] وجوده في الشاهد. وقيل: هو عزيز لا يعجز. فهو عزيز لما لا يوجد في الأفهام ولا يدرك بالأوهام. وقيل: العزيز المنتقم. وقد ذكرناه[11] في غير موضع.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة**، من الآفات والعيوب، لَسْنَ[12] كأزواج الدنيا ونسائها.

---

[1] ك + فرقة.
[2] ك: تكون.
[3] ك: والاشرب.
[4] ع: وتزهب.
[5] جميع النسخ: يكون.
[6] ع م – جعل.
[7] ع م: يقلب.
[8] ك: يقلان.
[9] ع م – هو.
[10] أي يقلّ ويكاد لا يوجد.
[11] جميع النسخ: ذكرنا.
[12] ع م: ليس.

وقوله عز وجل: **وندخلهم ظلا ظليلا**، لا تنسخه[1] الشمس، ولا أذى فيه، لأن الشمس فيها منافع للناس وأذى. وكذلك القمر فيه أذى وإن كان فيه منافع، والظلمة كذلك / فيها [١٥٠ظ] منافع وأذى. وأما الظل نفسه فليس فيه أذى على كل حال. فإن كان فهو للزمان لا للظل بنفسه. فأخبر عز وجل أنه يدخلهم الظل الذي ليس[2] فيه أذى الشمس ولا أذى الظلمة ولا أذى الزمان، ليس كظل الدنيا تشوب بأذى غيره. *والله أعلم*. وذلك تأويل الظليل، أن يُظِلّه من[3] جميع المؤذيات. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**، قيل: لما فتح الله مكة على يدي[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، لو جعلت السقاية والحجابة فينا! فأخذ مفاتيح الكعبة من ولد شَيْبَة فدفعها إلى العباس؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة فردها إلى ولد شَيْبَة. ثم[5] قال النبي[6] صلى الله عليه وسلم: «يا عَمّ إن الله تعالى أحب أن تُرْزَأَ ولا تَرْزَأَ[7] شيئا».[8] وقيل: إنها نزلت في الأمراء في الفيء الذي[9] استأمنهم على جمعها وقسمتها والصدقات التي استأمنهم على جمعها وقسمتها.[10] والآية يجب[11] أن تكون نازلة في كل أمانة

---

[1] ك: لا ينسخه.
[2] ع – ليس.
[3] ع م: عن.
[4] ن ع م – يدي.
[5] م – ثم.
[6] ك ن – النبي.
[7] ك ن م: يرزأ ولا يرزأ؛ ع: يزرا او يزرا.
[8] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٧٤/٥؛ و*تفسير الطبري*، ١٤٥/٥. ورزأ هنا بمعنى نقص (*لسان العرب* لابن منظور، «رزأ»). وقال ابن حجر العسقلاني: «و[روى الفاكهي] من طريق ابن جريج قال: قال العباس: يا رسول الله، لو جمعت لنا الحجابة والسقاية؟ فقال: «إنما أعطيتكم ما تُرْزَءُونَ، و لم أعطكم ما تَرْزَءُونَ». الأول بضم أوله وسكون الراء وفتح الزاي، والثاني بفتح الزاي. أي أعطيتكم ما يُنقِصُكم لا ما تُنقِصُون به الناس» (*فتح الباري* لابن حجر، ٤٩١/٣).
[9] ك: الذين.
[10] ك – والصدقات التي استأمنهم على جمعها وقسمتها. *تفسير الطبري*، ١٤٤/٥-١٤٥.
[11] م: تجب.

اؤتُمِن المرء فيها[1] من نحو ما كان، فيما كان بينه وبين ربه، وما كان فيها بين الخلق. أما ما كان فيما[2] بينه وبين ربه من نحو العبادات التي أُمر[3] المرء بأدائها، ومن نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى له، كقوله سبحانه وتعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] الآية، وكقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ،[5] الآية، وكقوله تعالى: **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**، كل ذلك أمانة تدخل[6] في قوله تعالى: **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**؛ وكذلك كل أمانة يُؤتمَن المرء عليها تدخل[7] في ذلك. ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَدِّ[8] الأمانة إلى من ائتمنك عليها ولا تَخُنْ من خانك».[9] ومن قال: نزلت في الأمراء، استدل[10] بقوله تعالى: **أن تحكموا بالعدل**، لأن الحكم إلى الأمراء. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**، قال: هي مبهمة، المؤمن والكافر فيه[11] سواء.[12]

وقوله عز وجل: **إن الله نِعِمّا يعظكم به**، من الحكومة بالعدل وأداء الأمانات.[13] **إن الله كان سميعا بصيرا**، يحتمل مجيبا لمن دعا له وسأل، كقوله عز وجل: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ؛[14] يجيب لمن استجابه[15] وأدى الأمانة. ويحتمل **سميعا بصيرا**، أي لا يخفى عليه شيء.

واختلف أهل[16] العلم في العارية إذا ضاعت. قال أصحابنا رحمهم الله: لا شيء عليه.

---

[1] ن: وفيها.
[2] ك: فيها.
[3] ع: امرء.
[4] سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣.
[5] سورة المائدة، ٨/٥.
[6] ن ع م: يدخل.
[7] ك: يدخل.
[8] ن ع: أدى.
[9] سنن *أبي داود*، البيوع ٧٩؛ وسنن *الترمذي*، البيوع ٣٧.
[10] م: استدلوا.
[11] ك – فيه.
[12] أخرجه ابن أبي شيبة وغيره بلفظ: هي مسجحة للبر والفاجر (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٧١/٢).
[13] ع م + إلى أهلها.
[14] سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[15] ع: استجابة.
[16] ع – أهل.

وقال غيرهم: عليه الضمان. ولأصحابنا رحمهم الله في ذلك عدة حجج.[١] أحدها أن المستعير إن لبس القميص أو ركب الدابة أو حمل عليها ما أُذِن له في حمله عليها وأصابها في ذلك نقصان في قيمتها فلا شيء عليه. فإذا لم يكن عليه[٢] ضمان فيما وقع بها من الضرر والنقص بفعله ولبسه وركوبه فلا يجب عليه ضمانٌ ما هلك منها بغير فعله. والثاني ما روي عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال: العارية ليس بتَبِعة[٣] ولا مضمونة، إنما[٤] هي[٥] معروف، إلا أن يخالف فَيَضمن.[٦] وروي عن الحسن قال: إذا خالف صاحب العارية ضمن.[٧]

واحتج من خالف[٨] أصحابَنا في ذلك بحديث[٩] النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «على اليد ما أخذت حتى ترده».[١٠] فالحديث يحتمل معنيين. أحدهما أن يقال: معناه على اليد[١١] أن ترد ما أخذت، إذا كان قائما عليها ردها. ألا ترى[١٢] أن الوديعة لا تضمن إذا تلفت، وعليه أن يردها إذا كانت قائمة، فالعارية مثلها. والثاني أن يحتمل معنى ذلك في الغصب[١٣] وأشباهه، فعلى الغاصب أن يرده[١٤] قائما أو تالفا، ولا يدخل في عموم الخبر العارية. ألا ترى[١٥] أن الوديعة لم تدخل فيه وإن كان فيه أخذ.

واحتجوا أيضا[١٦] بحديث صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان[١٧]

---

[١] جميع النسخ: الحجج.
[٢] ن – فإذا لم يكن عليه.
[٣] م: تبيعة. والتبعة ما يتبع المال من الحقوق. وقيل: التبعة ما اتبعت به صاحبَك من مظلمة ونحوها (*لسان العرب* لابن منظور، «تبع»).
[٤] ن + إنما.
[٥] ع – هي.
[٦] ع م – فيضمن. *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣١٥/٤.
[٧] *سنن أبي داود*، البيوع ٨٨؛ و*سنن الترمذي*، البيوع ٣٩.
[٨] م + من.
[٩] ك ع: لحديث.
[١٠] *سنن أبي داود*، البيوع ٨٨؛ و*سنن الترمذي*، البيوع ٣٩.
[١١] ع م – ما أخذت حتى ترده فالحديث يحتمل معنيين أحدهما أن يقال معناه على اليد.
[١٢] ك: ألا يرى.
[١٣] ع: الغضب.
[١٤] م: يردها.
[١٥] ك: ألا يرى.
[١٦] ك – أيضا.
[١٧] هو صفوان بن أمية بن خلَف القرشي المكي، صحابي من المؤلفة قلوبهم، أحد أشراف الطلقاء، شهد اليرموك أميرا. مات أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ/٦٥٥م. وقيل: في أوائل خلافة معاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٥٠٣/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٢٧٦.

يوم حنين درعا، فقال: أغصبٌ يا محمد؟ فقال: «بل عارية مضمونة».[1] وروي في خبر آخر أن صفوان هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد حنينا. فقال: «يا صفوان، هل عندك من سلاح؟» قال: عارية أو غصبا؟ قال: «بل عارية»، فأعاره.[2] ولم يذكر فيه الضمان. فهو عندنا -إن ثبت خبر صفوان- مضمونة[3] الرد على المستعير.[4] وردّ[5] العارية ليس[6] كالوديعة،[7] لأن الوديعة ما لم يَطلب صاحبها لم يُرد. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قولنا، وهو قوله:[8] «العارية مُؤَدّاة».[9]

وقوله عز وجل: **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**، وقال الله[10] عز وجل: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ،[11] فمن وَلي أمرا أو حُكما[12] فيما بين الناس فقد وَلي الأمانة، يجب أن يؤديها إلى أهلها. وعلى ذلك جاءت الآثار. روي[13] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[14] «ما من أحد يكون على شيء من هذه الأمور قلّت أو كثرت فلا يعدل فيهم إلا أكبّه الله تعالى في النار».[15] وفي خبر آخر: «أيما امرئ ولي من أمر الناس شيئا ثم لم يَحُطْهم[16] مثل ما يَحوط[17] به نفسه وأهله لم يَرِح رائحة الجنة يوم القيامة».[18]

---

[1] سنن أبي داود، البيوع ٨٨.
[2] سنن أبي داود، البيوع ٨٨.
[3] ع + عنى.
[4] ك: المستقر.
[5] جميع النسخ: رد.
[6] ن: ليست.
[7] ع: الودية.
[8] ع: قول.
[9] *سنن ابن ماجة*، الصدقات ٥؛ و*سنن الترمذي*، البيوع ٣٩.
[10] ك ن – الله.
[11] سورة النحل، ١٦/٩٠.
[12] م: وحكما.
[13] ع م – روي.
[14] ع – قال.
[15] *صحيح البخاري*، الأحكام ٨؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٢٧.
[16] ع م: يجعلهم.
[17] حاط بمعنى حفظ وتعهد (*لسان العرب* لابن منظور، «حوط»).
[18] *صحيح البخاري*، الأحكام ٨.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مِن أحب الناس إليّ[1] وأقربهم مجلسا مني يوم القيامة إمام عادل، وإن أبعض الناس إليّ يومَ القيامة وأشدهم[2] عذابا إمام جائر».[3]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.** فإن قيل: كيف خص الله تعالى المؤمنين بالخطاب بالطاعة له[4] وطاعة الرسول، والأمر بها يعم المؤمن والكافر جميعا؟

قيل: لوجوه[5] ثلاثة. أحدها أن من عادة الملوك أنهم إذا خاطبوا بشيء إنما يخاطبون أهل الشرف والمجد ومن[6] كان أسمع* / لخطابهم وأعظم لقولهم، كقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي،[7] وقال: يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا،[8] يخاطبون[9] أهل الشرف والمجد[10] ومن هو أقبل لقولهم وأطوع لأمرهم. فعلى ذلك خاطب الله تعالى المؤمنين وأمرهم أن يطيعوه ويطيعوا رسوله وإن كان الخطاب بذلك يعمهم. [٩١و]

والثاني يحتمل أن يكون الخطاب بذلك[11] للمؤمنين خاصة، لأن الكافر إنما يخاطب

---

[1] ع: اني.

[2] ك: وأشهدهم.

[3] سنن *الترمذي*، الأحكام ٤، وحسنه الترمذي.

[4] ن – له.

[5] ع: بوجوه.

[6] ع: من.

* تنتهي هنا الورقة "١٥٠ظ" وتبدأ الورقة "١٥١و" من المخطوطة بقول المؤلف «... وفي هذه الآية الإذن. والله أعلم. وقوله عز وجل ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم﴾...» بصدد تفسير الآية ٩٠ من سورة النساء. وقد وُضع القسم الناقص من تفسير سورة النساء –وهي عشر ورقات– ما بين الورقة ٩٠ظ والورقة ١٠١و من المخطوطة خلال تفسير سورة آل عمران. فنقلنا هذه الورقات – من ٩١و الى ١٠٠ظ– الى مكانها الصحيح هنا.

[7] سورة النمل، ٣٢/٢٧.

[8] سورة النمل، ٣٨/٢٧.

[9] ن ع م + أبدا.

[10] ع م – والمجد.

[11] ع – يعمهم والثاني يحتمل أن يكون الخطاب بذلك.

باعتقاد الطاعة له أولا، فإن أجاب إلى ذلك فعند ذلك يخاطب بغيره. والمؤمن قد اعتقد طاعة ربه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك خرج الخطاب منه للمؤمنين خاصة. ***والله أعلم***.

و[الثالث] يحتمل أن يكون تخصيص الخطاب للمؤمنين لما أمر بطاعة[1] أولي الأمر، ليعلم أنه إنما أمر بطاعة أولي الأمر إذا كانوا مؤمنين. ***والله أعلم***.

ثم[2] فيه دلالة جواز الطاعة لغير الله، لأن كل من عمل بأمر آخر فقد أطاعه. [والطاعة] هي[3] الائتمار للأمر، وأما العبادة فهي[4] إخلاص الشيء بكليته لله عز وجل حقيقة، إذ الأشياء كلها لله بكليتها حقيقة ليس لأحد سواه. لذلك لم يجز أن يعبد غير الله تعالى، وقد يجوز أن يطاع غيره، لما ذكرنا أن الطاعة هي الائتمار بالأمر وليس العبادة كذلك، لذلك افترقا. ثم طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تكون[5] طاعة لله، لأنه بأمره[6] يطاع، وفي طاعتهم له طاعته.

ثم قيل: قوله تعالى: **أطيعوا الله**، في فرائضه ورسولَه[7] صلى الله عليه وسلم في سنته.[8] وقيل: **أطيعوا الله** فيما أمركم ونهاكم في كتابه، **وأطيعوا الرسول** صلى الله عليه وسلم فيما أمركم ونهاكم في سنته.[9]

ثم اختلف في **أولي الأمر**. قيل: هم الأمراء،[10] أمراء[11] السَّرايا.[12] وقيل: هم العلماء والفقهاء. وقيل: هم أهل الخير. ويحتمل **أولي الأمر** الذين يُوَلَّون السرايا. فكيف ما كان ومن كان

---

[1] ع م: بطاعته.
[2] ن ع م - ثم.
[3] جميع النسخ: هو.
[4] جميع النسخ: فهو.
[5] ك م: يكون.
[6] ن: لأمره.
[7] ع م: ورسول الله.
[8] ك: سنته.
[9] ك: سنه.
[10] م + على.
[11] ع م - أمراء.
[12] السرايا: جمع سَرية، مؤنث السَّرِيّ: الرفيع المختار، السيد الشريف، ذو المروءة والسخاء. والسرية قطعة من الجيش (*لسان العرب* لابن منظور، «سرو»، «سري»).

ففيه الدلالة أن لا يُوَلَّى الأمر[١] إلا من له العلم والبصر في ذلك، أمراءَ السرايا كانوا أو غيرهم، لأنه عز وجل أمر بطاعتهم، ولا يؤمر بطاعة أحد إلا بعلم وبصر يكون له في ذلك. والآية التي تقدمت وهو قوله سبحانه وتعالى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ،[٢] يدل على أن أولي الأمر[٣] الأمراء، لأنه تعالى أمر الحكام في الآية الأولى بالعدل، وأمر الرعية بالسمع لهم والطاعة فيما يحكمون ويأمرون. *والله علم*. ألا ترى[٤] أنه روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم حبشي مُجَدَّع؛[٥] فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله».[٦] عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه قال]: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر[٧] بمعصية، فمن أُمر بمعصية[٨] فلا سمع عليه ولا طاعة».[٩]

وبعد هذه الآية التي تليها[١٠] تدل على أن أولي الأمر هم[١١] الفقهاء،[١٢] وهو قوله تعالى: **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**؛ والتنازع[١٣] يكون بين العلماء. فكأنه –والله أعلم– أمر في آية أولي الأمر بطاعتهم، وأمر أولي الفقه برد ما يختلفون[١٤] فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والآية تحتمل[١٥] المعنيين –والله أعلم– أن على[١٦] العامة طاعةَ أمرائهم في أحكامهم، وعليهم اتباعَ علمائهم في فتواهم. يبين ذلك قول الله[١٧] تعالى:

---

[١] ك ع م – الأمر.
[٢] سورة النساء، ٥٨/٤.
[٣] ع – أولي.
[٤] ك: ألا يرى.
[٥] أي مُقَطَّع الأنف والأذن وما أشبههما (*النهاية* لابن الأثير، «جدع»).
[٦] *صحيح البخاري*، الأحكام ٤؛ وسنن *الترمذي*، الجهاد ٢٨.
[٧] ع: نؤمر.
[٨] ع م – فمن أمر بمعصية.
[٩] صحيح البخاري، الأحكام ٤؛ وصحيح مسلم، الإمارة ٣٨.
[١٠] هي في نفس الآية؛ ولعله سهو من الإمام رحمه الله أو ممن كان يتلقى منه كلامه ويكتب.
[١١] م – هم.
[١٢] ع: الأمر والفقهاء.
[١٣] ك: التنازع.
[١٤] ن ع م: يحلفون.
[١٥] ع: يحتمل.
[١٦] ك – على.
[١٧] ع: قوله.

فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ،[1] الآية. فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمائهم ما وجب عليهم إنذار قومهم.

وفي هذه الآية دليل على إبطال قول الرافضة في الإمامة. لأن الله تعالى قال: **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**، فليس يخلو أولو الأمر من أحد ثلاثةِ أوجهٍ. إما أن يكون الأمراء أو الفقهاء أو الإمامَ[2] الذي تدعيه[3] الرافضة.[4] فإن كان المعنى في أولي الأمر الفقهاء أو الأمراء ففيه إبطال قول الرافضة أنه الإمام[5] الذي يصفونه.[6] ومحال أن يكون ذلك[7] هو الإمام الذي يذكرونه، لأنه قال[8] عز وجل: **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**؛ وذلك الإمام عندهم طاعته مفترضة، وهم بين أظهر المتنازعين عندهم، ومخالفته كفر في مذهبهم. فلو كان ذلك[9] كذلك لقال -والله أعلم- فردوه إلى الإمام، فإن من خالفه فقد كفر. ولكنه عز وجل أمر[10] برد المتنازَع [فيه] إلى كتاب[11] الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فدل على أن قول أحد لا يقوم في الحجة مقام قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**، قيل: **إلى الله**، أي إلى كتاب الله أو إلى رسوله صلى الله عليه وسلم إذا كان حيا، فلما مات فإلى[12] سنته. واستدل[13] قوم بهذه الآية على إبطال الاجتهاد وترك القول إلا بما يوجد في كتاب الله تعالى

---

[1] سورة التوبة، ٩/١٢٢.
[2] ع: والفقهاء والإمام.
[3] ك: يدعيه.
[4] م – في الإمامة لأن الله تعالى قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فليس يخلو أولو الأمر من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون الأمراء أو الفقهاء أو الإمام الذي تدعيه الرافضة.
[5] ع: إمام.
[6] ن ع م: تصفونه.
[7] م – ذلك.
[8] ع م + الله.
[9] ن: دلك، صح هـ.
[10] ن – أمر.
[11] م: الكتاب.
[12] ن: إلى.
[13] ك ن: استدل.

أو في سنة[1] رسوله[2] صلى الله عليه وسلم نصا، ويقولون: نَكِلُ[3] أمرَه إلى الله سبحانه وتعالى ورسولِه عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات. وليس ذلك عندنا، والآية تحتمل[4] وجهين. أحدهما أن يحمل تأويلها على أن التنازع إذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب أن يُرد إليه[5] عليه الصلاة والسلام ويُسأل[6] عن ذلك، ولا يستعمل[7] في الحادثة الاجتهاد ولا النظر. فأما ما كان من التنازع بعد وفاة[8] رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّ حكم الحادثة يُطلَب في كتاب الله أو في سنة رسوله[9] صلى الله عليه وسلم أو في إجماع المسلمين. فإن وُجد الحكم في أحدهم بُيِّن[10] وإلا قيل فيه[11] بالاجتهاد.

والوجه الثاني أن يكون المجتهد إذا ما اجتهد فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول: وجدت في الكتاب أو في السنة كذا وكذا، وهذه الحادثة تشبه هذا الحكم / فحكمها حكمه، يكون[12] رادا[13] لحكم[14] الحادثة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ شَبَّهها بما وجده[15] من الحكم فيهما. وإذا كان ما وصفنا من تأويل الآية[16] محتملا فلا حجة لهم علينا في ذلك. *والله المستعان.* [٩١ظ]

وفي الآية دلالة جعل الإجماع حجة، وهو قوله: **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**؛[17]

---

[1] ك ن: سته.
[2] ك ن – رسوله.
[3] ك: نتكل؛ ن: فتكل؛ ع: فتكل.
[4] ع م: يحتمل.
[5] ن – إليه.
[6] ن ع: ونسأل؛ م: وويسأل.
[7] ن ع: نستعمل.
[8] ع م: وفات.
[9] ع م: رسول الله.
[10] جميع النسخ: بينا.
[11] ك ع م – فيه.
[12] جميع النسخ: ويكون.
[13] م: ردا.
[14] ع: أراد الحكم.
[15] ع م: وجد.
[16] ن ع م – الاية.
[17] ن ع م + الآية.

إنه[1] إنما أمر بالرد إلى الله تعالى[2] والرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع،[3] ولم يأمر[4] عند الإجماع.[5] دل أنه إذا كان ثم[6] إجماع لا تنازع فيه[7] لم يجب الرد إلى ما أودع في الكتاب وفي السنة.

وفي الآية دلالة أنه يُدرَك بالطلب المودَع فيه،[8] لأنه لو لم يُدرَك أو ليس ذلك[9] فيه لم يكن للرد إلى ذلك معنى. ألا ترى[10] أنه قال[11] سبحانه وتعالى: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ،[12] فإنما يُستنبَط ما فيه. فدل[13] أن كل[14] حكم الحوادث مذكور في هذين: في الكتاب والسنة، إذ لو لم يكن الفرَج عند النظر والطلب لكان لا يفيد الأمر بالرد[15] إليهما معنى. ثم لا يوجد نصوص في كل ما[16] يبلى، [وقد] ثبت أنه مطلوب؛ وهو يدل على لزوم البحث في استخراج المودَع من المنصوص. *والله أعلم*.

وفي قوله أيضا: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، الآية، تخصيص المؤمنين على اشتراك الجميع في اللزوم؛ فيخرج[17] [التأويل] على أوجه. أحدها[18] على مخاطبة الأشراف[19] والنجباء. وعلى ذلك أمر الملوك في الأمور، يريدون اشتراك [أشراف] الرعية[20]

---

[1] ن – إنه، صح هـ.
[2] ع م – إلى الله تعالى.
[3] م: التناع.
[4] ن ع م لم يأمر؛ ك: يؤمر.
[5] ع م: الجماع.
[6] ن: ثمة.
[7] ن – فيه.
[8] أي في الكتاب والسنة.
[9] ن – ذلك.
[10] ك: يرى.
[11] ك ن ع + الله؛ م + الله الله.
[12] ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (سورة النساء، ٨٣/٤).
[13] م: دل.
[14] ك – كل.
[15] ك (بالرد) مختلط الخط.
[16] ع – ما.
[17] جميع النسخ: يخرج.
[18] ع: إحداها.
[19] ع: الإشراق.
[20] ع: الرعبة.

وأهل المملكة في ذلك، كقوله سبحانه: قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ،[١] وقال[٢] سليمان عليه السلام:[٣] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ،[٤] وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ،[٥] وقال: ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ،[٦] ونحو[٧] ذلك، فمثله الذي نحن فيه. *والله أعلم*.

والثاني أنهم مما قد عرفوا الأمور والمناهي فقيل لهم: **أطيعوا الله** وما ذكر.[٨] [لأنهم] علموا أنهم فيمن أمروا به ونهوا عنه، ولم يكن من الكفرة علم بالذي يوجهون إليه[٩] [من] الأمر إليهم. فلذلك خص من ذكر. *والله أعلم*.[١٠]

والثالث أن الكفرة قد أنكرت المعبود والرسول، فجرى الخطاب فيمن ثبتت لهم المعرفة بذلك. مع ما يحتمل أن يكون[١١] هذا الخطاب في الشرائع، وهي غير لازمة للكفرة. فلذلك كان على ما ذكرت.

والرابع ما أدخل في الخطاب أولي[١٢] الأمر منا، ولا يلزمهم طاعتهم، لذلك خصّ المؤمنين. وكان المقصود بالآية بيان طاعة أولي الأمر منا، وإلا كانت طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان إيماهم قد ثبت. ولكن جُمِعت طاعة من ذكر ليُعلَم أن قد يكون بطاعة أولي الأمر طاعة الله. *والله الموفق*.

ومما يبين الذي ذكرت أن كل[١٣] من عرف الإله عرف أن عليه طاعته، بما عرف اسمه

---

[١] ﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ (سورة النمل، ٢٧/٢٩)، وانظر أيضا: الآية ٣٢.
[٢] ع: قال.
[٣] ع + قال.
[٤] يقول الله تعالى: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٣٨).
[٥] يقول الله تعالى: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٨).
[٦] سورة الأعراف، ٧/١٠٣.
[٧] ع م – ونحو.
[٨] جميع النسخ: وما ذكروا.
[٩] ع م – إليه.
[١٠] قال الشارح: «إن في الآية الأمر بالطاعة، والطاعة إنما تكون في الائتمار. والمؤمنون قد عرفوا الأوامر والنواهي، فيدلهم ذلك على المراد بما أجمل من الأمر والنهي. ولا كذلك الكفرة، فإن بالعقل لا يعرف كيفية العبادات ولا الشرائع ومقاديرها، وإن كان يعرف في الجملة وجوب شكر النعم وحرمة الكفران. فلذلك كان الخطاب لأهل الإيمان. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٧و).
[١١] م + في.
[١٢] ن: أو.
[١٣] ع م: الكل.

الذي سمّت[1] العرب كل معبود إلها. فمن عرف منهم الإله عرف أنه معبود. ثم من[2] عرف ما له عنده من الأيادي وعليه من النعم علم[3] أن عليه شكره وطاعته به. ثم من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم عرف أن طاعته هو طاعة الله، لأنه إليه يدعو،[4] وعن أمره ونهيه يأمر وينهى، إذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منه إلى الخلق. وليس من عرف الله وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف[5] أن عليه طاعة أولي الأمر بما لم يروا[6] عن الله وعن[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبين الله تعالى ذلك في هذه الآية ليعلموا أن طاعتهم هي طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسدم. وذلك هو الدليل[8] على جعل الإجماع حجة، وأن متبعهم[9] هو مطيع لله تعالى، إذ[10] صير الله طاعتهم طاعته، وهم[11] في ذلك [يمثلون] الإجماع.

وعلى ما ذكرت من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج قوله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ،[12] وقوله[13] تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ،[14] الآية، صَيَّرَ الواجد حرجا مما قضى واجدا حرجا[15] من قضاء الله تعالى في نفي حكم الإيمان. وعلى ذلك قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ،[16] أي ليكون عليهم طاعته بأمر الله تعالى إذ هي طاعة الله تعالى، أو[17] ليكون طاعته طاعة الله بإذنه وبأمره. *والله الموفق.*

[1] م: سمعت.
[2] ع م – من.
[3] جميع النسخ: عبى.
[4] ع: يدعوا.
[5] ع – يعرف.
[6] ن ع م: يرو. أي بما لم يعلموا بالفكر والنظر كما علموا ذلك في شأن الله ورسوله عن طريق الفكر والنظر.
[7] ك ع م – الله وعن.
[8] ن: دليل.
[9] جميع النسخ: متبعيهم.
[10] ك ن ع: إذا.
[11] م: وهو.
[12] سورة النساء، ٨٠/٤.
[13] ن – وقوله.
[14] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيتَ ويُسلّموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).
[15] ع – مما قصى واجدا حرجا.
[16] سورة النساء ٦٤/٤.
[17] ك ن ع + لا.

تم اختلف في أولي الأمر. ومعلوم أنهم هم الذين إليهم يرجع تدبير[١] أمور الدين وعن آرائهم يَصدر. وهم الذين[٢] تضمنتهم آية أرجو أن يكون فيها الكفاية في تعريف المقصود بها، وهو قوله عز وجل: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.[٣] فجعل أولي الأمر مَن عندهم علم[٤] الاستنباط وشَهد لهم بالعلم فيما رُدَّ إليهم. فثبت أنهم الفقهاء المعروفون[٥] بالاستنباط ورعاية أمور الدين.[٦] وفي هذا أيضا دلالة على إصابتهم فيما أجمعوا عليه، إذ شَهد لهم في الجملة بالعلم. وعلى ذلك قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ،[٧] الآية، وقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا،[٨] الآية، ثم كانت الشهادات والأمر والنهي للعلماء بهما. ثبت أن الأمر في ذلك ينصرف إلى العلماء، وأنهم إذا اجتمعوا على شيء بالأمر أو بالنهي يكون إجماعا بأن[٩] ذلك كذلك عند الله تعالى. وتجوز[١٠] شهادتهم على جميع العوام ومن تأخر عنهم.[١١] ومن ذلك الأمور[١٢] التي تجري بها البَلِيّة والعمل بها في العامة مما لا يحتمل خفاء[١٣] مثله على ما ذكرت من الخاص، أن ذلك[١٤] كان عند أولئك الخاص على ذلك[١٥]

[١] ن – تدبير.

[٢] ن + الذين.

[٣] ﴿ولو رَدّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ٨٣/٤).

[٤] م – علم.

[٥] ن: المعرفون.

[٦] استدلال المؤلف بهذه الآية على ما ذكره غير ظاهر؛ لأن الاستنباط الفقهي مع وجود الرسول صلى الله عليه وسلم لا حاجة إليه. وقد روي في سبب نزول الآية المذكورة أنها نزلت فيما يتعلق بنشر أخبار الحرب والسلم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٨١/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٠/٢. لكن مع غض النظر عن سبب النزول قد يرد هذا الاحتمال في معنى الآية. على أن قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ (سورة النساء، ٨٣/٤) يدل على تعلق الآية بالبعد الاجتماعي لمسألة.

[٧] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ١١٠/٣).

[٨] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).

[٩] جميع النسخ: لأن.

[١٠] ن ع م: ويجوز.

[١١] جميع النسخ: تأخرهم.

[١٢] جميع النسخ: في الأمور.

[١٣] ن: حقا.

[١٤] ع م – في الأمور التي تجري بها البلية والعمل بها في العامة مما لا يحتمل خفاء مثله على ما ذكرت من الخاص أن ذلك.

[١٥] ن + الخاص على ذلك.

إذا لم يغيّروا ولا شهدوا في ذلك بغيره. وأمراء السرايا لو كانوا أهل البصر في الأمر مع العلم بالشرع والفتيا يلزم فيهم ذلك، لأنهم صُيّروا في الباب أهل الأمر. وأيد الأولَ أنهم العلماء قولُه تعالى: **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**. ومعلوم أن على[1] العوام لدى[2] الإشكال والحاجة الردَّ إلى أولي الأمر بما ذكرت من الآية. فثبت أن هذا في تنازع العلماء. وهو يوضح إبطال قول الروافض في جعل[3] أولي الأمر إمامهم، وإبطالَ قول من يجعل أولي [٩٢و] الأمر كل[4] أمير / أو نحوه.[5] وإنما هم العلماء في كل نوع حتى يتمكن فيهم التنازع، وإمامهم واحد لا معنى للتنازع فيهم. والتنازع[6] إنما يكون عن تدبر وبحث ونظر، ولا معنى في ذلك للعوام الذين لا يعرفون الأصول والفروع. ***والله الموفق.***

ثم اختلف في تأويل قوله تعالى: **فَرُدُّوه إلى الله والرسول**. فقال قوم: كأنه قيل: كِلُوا الأمر فيه إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجتهدوا فيه، كقوله تعالى: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ،[7] تعالى؛ ولأن الاختلاف كان على تأويل الكتاب والسنة، فكيف يُطلَب من بعد منهما[8] وبعد الطلب حدث التنازع؟ وقال قوم: الاختلاف[9] يقع[10] في التأويل بقوله عز وجل: **فردوه إلى الله والرسول**، إلى ظاهر[11] ذلك ولا تتأولوا[12] فتختلفوا، إذ الأول كان على التأويل. وقال قوم: هذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن[13] يظهر[14] في ذلك نص الحكم والحقُ في ذلك، فيكون الأمر الذي يتنازع فيه أولوا[15] الأمر

---

[1] ع: عمى أن.
[2] ن ع: لذى.
[3] ع: الروافض وجعل.
[4] ع م - كل.
[5] ع م: أميرا ونحوه.
[6] ع - وإمامهم واحد لا معنى لتنازع فيهم والتنازع.
[7] سورة الشورى، ٤٢/١٠.
[8] ن ع م: فيهما.
[9] ك + كان على تأويل الكتاب.
[10] ن - يقع.
[11] ن - ظاهر.
[12] ع: ولا تناولوا.
[13] ن: إذ؛ ع - أن.
[14] ع م: أيظهر.
[15] ع: أولي.

لم يجز لأحد العمل إلا بالبيان ولهم وجه الوصول إلى البيان في الحقيقة، فأمروا بذلك. مع ما كان يجوز أن يكون التنازع في وقت لم يُفرَغ[١] من[٢] بيان جميع ما بالخلق إليه حاجة[٣] بالكفاية، إذ[٤] كان ذلك الوقت وقت حدوث الشرائع ووقت احتمال التناسخ وتبديل الأحكام. فإذا وقع التنازع[٥] للمجتهدين[٦] فلهم مع إشكال التنازع شبهة احتمال أن أصله لم ينزل، وأن الذي يتضمن حكمه من المنصوص لم يبلغهم في ذلك؛ فيجب في ذلك الرد إلى الله سبحانه وتعالى بالرد إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وأما بعده[٧] فقد فرغ من جميع أصول الحوادث التي يعلم الله[٨] سبحانه وتعالى[٩] أنها تقع[١٠] ببيان[١١] كفاية، إذ لو لم يبين ذلك القدر لَيبقى تنازع لا ارتفاع له ولا يجوز [فيه] الحكم، ولكان لا يُعلَم الحادث الذي له أصل: يُطلَب[١٢] أو لا.[١٣] وفي ذلك تمكين المعنى الذي يحوج[١٤] إلى الرسالة.[١٥] مع ما قد تكلم[١٦] جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن بعدهم إلى اليوم في[١٧] الحوادث، من غير أن يظهر عن أحد قول بأن هذا هو ما لم ينزل له الأصل. فصار ذلك إجماعا في بيان أصول كل حادث، فيجب طلبه في الأصول. **والله أعلم**.

---

١ ع: يفزع.
٢ ن ع م: عن.
٣ ن – حاجة.
٤ ع م: إذا.
٥ ع: التناسخ.
٦ ع: المجتهدين؛ م: مجتهدين.
٧ ع: بعد.
٨ ن – الله.
٩ ن + فقال.
١٠ ك: وقع.
١١ جميع النسخ: بيان.
١٢ ك: بطلب؛ ع م + ذلك.
١٣ ع م – أو لا.
١٤ جميع النسخ: يخرج.
١٥ أي إن القول ببيان النصوص للحوادث بعد الرسول فيه تمكين للمعنى الذي يحوج إلى الرسالة، لأن الرسالة إنما يحتاج إليها لبيان أحكام الله تعالى. فإذا لم تكن الحوادث التي تحدث بعد الرسول مبينة حكمها في النصوص عن طريق التضمن كان ذلك نقصا يتنزه الشارع عنه.
١٦ ع: يكلم.
١٧ ع – في.

والأصل أنه فيما يُوكَل إلى أحد يُوكَل إلى من يعلم الحكم ويملك إظهاره. فلو كان للتنازع لوجب[1] الرد إلى الله تعالى وتُرِك الحكم في ذلك بالاجتهاد، فإذًا يبطل أن يكون في الرد إليه عِلمٌ بحكمه[2] إلا للوقت الذي لا يحتاج إلى الحكم وهو يوم القيامة. على أنه معلوم لو كان يرده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا يدعه[3] على ما هو عليه من التنازع الذي هو[4] أصل كل شيء [قبيح] وفساد. فعلى ذلك فيما يُرَدّ إلى الله سبحانه وتعالى. وإذ عَلم عز وجل بجميع[5] النوازل وبجميع[6] ما بالخلق إليه حاجة فصارت النوازل[7] كلها مردودات إليه، فيجب أن يكون حَكم فيها. إذ قال الله[8] عز وجل: فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ[9] تعالى. وإذا لم يحكم فيها لم يصر الحكم إليه، بل لا حكم فيه إلى الله تعالى. فلما وجب بالذي ذكرت أن يكون[10] ذلك[11] مما تضمنه البيان لزم الاجتهاد.

ثم لو كان الحق عند التنازع الظاهر دون أن يطلب على أصح التأويلات دليل لكان لا يجوز التنازع أن يقع؛ لأن الظاهر قد كان في أيديهم، وهو حجة لا يحتمل أن يتركه أحد إلا بالدليل لو كان حجة، وكان[12] قد قام الدليل على لزوم العدول عن الظاهر بتأويل جميع أولي الأمر في ذلك. فثبت أن دليل ذلك مطلوب يوجد، ويقفون[13] عليه إذا أنصفوا وأنعموا[14] النظر وأعرضوا عن حسن الظن بفريق[15] من الأئمة. على أن الذي يقوله[16] هؤلاء

[1] جميع النسخ: يجب.
[2] ع: بحكمة؛ م: الحكمة.
[3] جميع النسخ: لا يدعهم.
[4] ن – هو.
[5] ك ع م: لجميع.
[6] ك: ولجميع.
[7] م – وبجميع ما بالخلق إليه حاجة فصارت النوازل.
[8] ك ن – الله.
[9] يقول الله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ (سورة الشورى، ١٠/٤٢).
[10] ن + بالذي.
[11] ع م – ذلك.
[12] أي ولكان.
[13] ك: وينفقون؛ ن ع م: ويتفقون.
[14] أنعم النظر في الشيء إذا أطال الفكرة فيه (*لسان العرب* لابن منظور، «نعم»).
[15] جميع النسخ: تفريق. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٢٠٢و.
[16] ع م: بقوله.

يقتضي أحكام الحوادث كلها بيقين. فثبت أن أحكامهم مودعات في[1] المنصوص، فصرن متعلقات بالمعاني لا بالظواهر.

ثم الأصل أن العمل بالظواهر[2] في محتمل المعاني ومختلف التأويلات مما فيه التنازع في الأمة. وللتنازع أمر بالرد. فبعيد أن يُرد إلى ما لم يثبت صحته؛ بل في الظاهر وجه في ظاهر[3] الاسم باللسان أو الظاهرِ من التفاهم في المعتاد،[4] نحو القول بأن اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ،[5] أنه بأي شيء غُسل يستحق اسم الغَسل[6] في اللغة؛ لكن لِمَا[7] يغسل به عادة في الاستعمال، إلى ذلك ينصرف الخطاب، ويصير الظاهر في المعتاد به أولى من الظاهر في اللسان؛ ويكون في ذلك منع الذي يذكر[8] حتى يوضحه دليل، أو يعلم أنه المعتاد فيكون ذلك دليلا. ***والله أعلم.*** ثم لا يحتمل التنازع فيما فيه المعتاد من التفاهم والعدول عنه إلا بدليل. فيجب القول لمن عدل إن كان عنده[9] دليل، فيكون بما يوجب العمل منع. ***والله أعلم.***

ثم قيل في قوله تعالى: **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، بأوجه ثلاثة. **أطيعوا الله** تعالى فيما أمر **والرسول** صلى الله عليه وسلم[10] فيما بلّغ. **وأطيعوا الله** فيما فرض **والرسول** فيما سَنّ. **وأطيعوا الله** عز وجل فيما أنزل ونص **والرسول** فيما بين. والأصل في معهود[11] اللسان أن الطاعة تكون[12] في الائتمار. فرسول الله صلى الله عليه وسلم مطاعٌ في جميع ما أمر، لازم طاعته في ذلك. وأمره[13]

---

[1] ع: من.
[2] ن: في الظواهر.
[3] م: ظالم.
[4] قال الشارح: «إن الله تعالى إنما أمر بالرد إلى الله تعالى والرسول كي لا يعمل مع الاحتمال في صحة كل واحد من الذي وقع التنازع فيه، فيبعد أن يجب الرد إلى دليل محتمل أيضا والظاهر محتمل؛ لأن الظاهر نوعان: ظاهر من حيث الاسم بوضع أهل اللسان، وظاهر من حيث التفاهم بالاستعمال والتعارف» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٨ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢٠٢ظ).
[5] يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ (سورة المائدة، ٦/٥).
[6] ك: الفعل.
[7] ن: لا.
[8] جميع النسخ: ذكر.
[9] ك ن ع: عند.
[10] ع م – فيما أمر والرسول صلى الله عليه وسلم.
[11] ن ع م: معبود.
[12] م: يكون.
[13] ع م: أمره.

إذا ثبت أنه أمره[1] هو أمر الله تعالى، وطاعته[2] صلى الله عليه وسلم طاعة الله عز وجل. ويجب[3] به ظهور الخصوص والعموم والتناسخ جميعا، وبه تبيّن الفرض والأدب وكل نوع. وما يظهر فبالله تعالى ظهر على لسانه صلى الله عليه وسلم بيانا كان أوتأويلا أو تبديلا.[4] فالتقسيم بيْن الذي لله عز وجل والذي لرسوله صلى الله عليه وسلم يوجب الشبهة وتوهم الاختلاف؛ جل الله عز وجل أن يبعث رسولا يخالفه. *وبالله المعونة والتوفيق*.[5]

وقوله عز وجل: **ذلك خير وأحسن تأويلا**، يحتمل قوله عز وجل: **ذلك خير**، أي ذلك [٩٢ظ] الرد / إلى ما ذكر خير.[6] ويحتمل **ذلك خير**، أي الائتلاف فيما أمكن فيه خير من الاختلاف وأحمد. وقوله عز وجل: **وأحسن تأويلا**، أي عاقبة. وقيل: **أحسن تأويلا**، أي[7] خبرا.[8] وفي حرف حفصة: ذلك خير[9] وأحسن ثوابا. وعن ابن عباس: **ذلك خير وأحسن تأويلا**، قال: القرآن أحسن تأويلا.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليكم وما أنزل من قبلك**، الآية؛ ذكر في القصة أن رجلين تنازعا، أحدهما منافق والآخر يهودي.[10] فقال المنافق:[11] اذهب بنا إلى كعب بن[12] الأشرف، وقال اليهودي: اذهب بنا[13] إلى محمد.

---

[1] ك ن: أمر؛ ع – إذا ثبت أنه أمر.

[2] ع م: وطاعة رسول الله.

[3] جميع النسخ: وله يجب.

[4] ك ن: كتابا كان أو تنزيلا كان أو تأويلا؛ ع م: كتابا كان أو تنزيلا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٧و.

[5] ك ن – والتوفيق.

[6] جميع النسخ: ذلك الرد خير إلى ما ذكر.

[7] ن + أي.

[8] ن ع م: خيرا.

[9] ن + وأحسن تأويلا.

[10] ن: والآخر منافق.

[11] ك: (المنافق) مختلط الخط.

[12] ع: ابن.

[13] م – بنا.

فاختصما إلى رسول[١] الله صلى الله عليه وسلم، فقضى لليهودي على المنافق. فلما خرجا قال المنافق: انطلق[٢] بنا إلى عمر بن الخطاب نختصم[٣] إليه. فأقبل معه اليهودي إلى عمر رضي الله عنه. فقال اليهودي: يا عمر، إنا اختصمنا إلى محمد، فقضى لي عليه، فزعم أنه لا يرضى بقضائه، وهو يزعم أنه يرضى[٤] بقضائك، فاقض بيننا. فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟[٥] قال: نعم. فقال: رُوَيدَكُما[٦] أخرج إليكما. فدخل عمر رضي الله عنه البيت، فاشتمل على السيف. ثم خرج فضرب به المنافق. فأنزل الله تعالى: **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليكم وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت.**[٧]

**والطاغوت** قيل:[٨] هو كعب بن[٩] الأشرف؛ وقيل: **الطاغوت** هو[١٠] اسم الكاهن؛ وقيل: **الطاغوت** الكافر. **والطاغوت** هو كل معبود دون الله تعالى. وعلى هذا التأويل خرج قوله سبحانه وتعالى: فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ،[١١] أي جاء أهل النفاق يحلفون بالله أنه[١٢] لم يرد بالتحاكم إلى ذلك إلا إحسانا وتوفيقا.[١٣]

---

[١] ع م: نبي.
[٢] ن: انصلق.
[٣] ع: تختصم.
[٤] ع م - يرضى.
[٥] ك: وكذلك؛ ع م: كذلك.
[٦] ك: رويدا كيما؛ ن ع: رويدا كما.
[٧] *تفسير القرطبي*، ٥/٢٦٣-٢٦٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥٨٢. قال الحافظ ابن كثير: «غريب جدا»، ووصف بعض أسانيده بأنه غريب مرسل وذكر أن ابن لَهِيعَة الذي في إسناده ضعيف. انظر: *تفسير ابن كثير*، ١/٥٢٢. وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفا لكن تقوى بطريق مجاهد» (*فتح الباري* لابن حجر، ٥/٣٨).
[٨] ن - قيل.
[٩] ع: ابن.
[١٠] ع م - هو.
[١١] ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٢).
[١٢] أي المنافق المذكور.
[١٣] يقول المؤلف عند تفسيره للآية رقم ٦٢ الآتية بعد أسطر: «أن عمر رضي الله عنه لما قتل ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله ما أراد ذلك المنافق إلا إحسانا، أي تخفيفا وتيسيرا عليك ليرفع عنك المؤنة، وتوفيقا إلى الخير والصواب».

وفي الآية دلالة إثبات رسالة[1] محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قوله سبحانه وتعالى: **يريدون أن يتحاكموا**، قصدوا أن يتحاكموا ولم يتحاكموا[2] بعد،[3] فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فعلموا أنه إنما عَلِم ذلك بالله، لكنهم لشدة تَعَنُّتِهم وتَمَرُّدِهم لم يتبعوه.[4]

وقوله عز وجل: **وقد أُمروا أن يكفروا به**، أي أمروا أن يكفروا بالطاغوت، كقوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.[5]

وقوله عز وجل: **ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**، أي يزين لهم الشيطان [أعمالهم] ليَضلّوا **ضلالا بعيدا**، أي لا يعودون إلى الهدى أبدا. فيه إخبار أنهم يموتون على ذلك، فكذلك كان. وهو في موضع[6] الإياس عن الهدى. وقيل: **بعيدا** عن الحق؛ وقيل: طويلا؛ وهو واحد.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾**[٦١]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول**، أي إذا قيل لهم تعالوا إلى حكم ما أنزل الله في كتابه، **وإلى الرسول**، وإلى[7] أمر رسوله[8] صلى الله عليه وسلم وسنته، **رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا**. والصدود هو الإعراض في اللغة، والصد الصرف.[9] وقال الكسائي: يُقرأ يَصِدّون بكسر الصاد ويَصُدُّون بضم الصاد. وفي حرف حفصة: وإذا دعوت[10] الكافرين والمنافقين إلى ما أنزل الله رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا.

---

[1] ن + رسولنا.
[2] ع م – ولم يتحاكموا.
[3] م: بعده.
[4] م: يتبعوا.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٥٦.
[6] ع: الموضع.
[7] ع: اولى؛ م: أو إلى.
[8] ع م: الرسول.
[9] *لسان العرب* لابن منظور، «صد».
[10] ع: رعوت.

**﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[٦٢]**

قوله[١] عز وجل: **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**؛ يحتمل هذا ما ذكر في القصة الأولى أن عمر رضي الله عنه لما قتل[٢] ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون إلى رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله ما أراد[٤] ذلك الرجل[٥] **إلا إحسانا**، أي تخفيفا[٦] وتيسيرا عليك ليرفع عنك المونة،[٧] **وتوفيقا** إلى الخير والصواب. وقيل: نزلت في المنافقين في بناء مسجد ضرار،[٨] كقوله سبحانه وتعالى: وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ.[٩] ويحتمل قوله تعالى: **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**،[١٠] في كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم[١١] أنْ كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون[١٢] [إليه] كما [قال تعالى]: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ،[١٣] الآية. لأنهم كانوا يميلون إلى حيث[١٤] ما كانوا يطمعون[١٥] في[١٦] المنافع من الغنيمة وغيرها. إن رأوا[١٧] النَّكبة والدَّبْرَة[١٨] على المؤمنين

---

[١] ك ع م: وقوله.
[٢] م: قيل.
[٣] م: الرسول.
[٤] م: أرا.
[٥] ك ن: المنافق.
[٦] ع: إحسانا وتخفيفا.
[٧] ك: المؤونة.
[٨] تفسير القرطبي، ٥/٢٦٥.
[٩] ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٧).
[١٠] جميع النسخ + الآية.
[١١] م: يلحقهم.
[١٢] ك ن ع: فيعتذرونه.
[١٣] سورة التوبة، ٩/٩٤.
[١٤] ك: (حيث) مختلط الخط.
[١٥] ع: يطعمون
[١٦] ك ن م: من.
[١٧] م: اراد.
[١٨] الدبرة: الهزيمة في القتال (*لسان العرب* لابن منظور، «دبر»).

مالوا إلى أولئك[1] ويظهرون الموافقة لهم طمعا منهم، ويقولون: إنا معكم؛ وإن كانت النكبة والدَّبْرَة[2] على الكافرين يظهرون الموافقة لهم، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[3] هذا كان دأبهم[4] وعادتهم[5] أبدا.

وقوله عز وجل: **إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**، قيل فيه بوجوه. قيل: إلا تخفيفا وتيسيرا عليك. وقيل: قالوا: تحاكمنا[6] إليه على أنه إن وُفِّق وإلا رجعنا إليك. وفيه دلالة بطلان تحكيم[7] الكافر والتحاكم إليه. وذلك حجة لأصحابنا رحمهم الله. *والله أعلم*.*

وقوله تعالى: **إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**، قيل: أي تخفيفا وتيسيرا[8] عليك، على أنه إن وُفِّق للصواب وإلا رجعنا إليك إحسانا وتوفيقا، لما لعل[9] التحاكم إليهم[10] يحملهم على[11] الرجوع إلى دين الإسلام./ وقيل: **إحسانا**، يحسنون إلينا ويَبَرُّونَنا[12] بفضول أموالهم. وقيل: **توفيقا**، بفضول أموالهم. وقيل: **توفيقا**، أي صوابا. [٩٣و]

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾**[٦٣]

[٩٢ظ س٣٦] *وقوله عز وجل: **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم**، من النفاق والخلاف غير ما حلفوا.[13] **فأعرض عنهم**، ولا تعاقبهم في هذه المرة.[14] **وقل لهم**: إن فعلتم مثل هذا ثانية عاقبتكم.

---

[1] ع م: هؤلاء.
[2] ك ن: وإن كانت الدبرة.
[3] سورة النساء، ١٤١/٤.
[4] ع: دينهم.
[5] م: عادتهم.
[6] م: تحكمنا.
[7] ع م: تحكم.
* وردت فقرة من تفسير الآية التالية هنا، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٩٢ظ/سطر ٣٦-٣٨.
[8] ك: تيسيرا وتخفيفا.
[9] ن ع م: نقل.
[10] أي إلى الرسول وأصحابه.
[11] م – على.
[12] ع: ويبرؤننا؛ م: ويبروننا.
[13] ع: حفوا.
[14] ك ن م: المدة.

ويحتمل أن يكون على الوعيد، أي لا تعاقبهم فإن الله تعالى هو معاقبهم.* ٩٢ظ س٣٨]

وقوله عز وجل: **وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**، قيل: أَوْعِدْهم وعيدا حتى إذا عادوا[١] إلى مثله يعاقبون. وقيل: ألزمهم الحجة في ذلك وأبلغها إليهم، حتى إذا عادوا عاقبتهم.

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**،[٢] يحتمل قوله تعالى: **بإذن الله** وجوها. قيل: **ليطاع بإذن الله** أي[٣] بمشيئة الله. وقيل: **ليطاع بإذن الله** أي بأمر الله. وقيل: **ليطاع بإذن الله** أي بعلم الله. ومن قال: **بإذن الله** بمشيئة الله، أي من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يطيعه بمشيئته، وكذلك من عصاه إنما يعصيه[٤] بمشيئته،[٥] من أطاعه[٦] أو عصاه فإنما ذلك كله بمشيئة الله. ومن[٧] تأول **إلا بإذن الله** العلم يقول: إنه يعلم من يطيعه ومن يعصيه، أي كل ذلك إنما يكون بعلمه لا عن غفلة منه وسهو، كصنيع ملوك الأرض أن ما يستقبلهم من العصيان والخلاف إنما يستقبلهم[٨] [عن غفلة] منهم وسهو بالعواقب. فأما الله سبحانه وتعالى إذ بعث رسلا[٩] بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية، لكنه بعثهم لما لا ينفعه طاعة أحد ولا يضره معصية أحد، فإنما ضُرُّ ذلك عليهم ونفعه لهم.

[٩٣ظ س٦ *وفي قوله تعالى: **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع**، قيل: تأويله أنه ما أرسل رسولا في الأمم السالفة إلا ليطيعوه، فكيف تركتم أنتم طاعة الرسول الذي أرسل إليكم؟ وقوله تعالى: **إلا ليطاع بإذن الله**، ما أرسل[١٠] رسولا إلا وقد أمرهم أن يطيعوه، لكن منهم من قد أطاعه ومنهم من لم يطع.* ٩٣ظ س٩]

---

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة. فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩٢ظ/سطر ٣٦-٣٨.

[١] ع - عادوا.

[٢] ع م + الآية.

[٣] م - أي.

[٤] ن - يعصيه.

[٥] م: بمشية.

[٦] ع: اطاعة.

[٧] جميع النسخ: وما.

[٨] ع - من العصيان والخلاف إنما يستقبلهم.

[٩] ن: بعثه رجلا.

[١٠] ع م + الله.

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩٣ظ/سطر ٦-٩.

ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى: **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**: أخبر أنه ما أرسل الرسل[1] إلا لتطاع،[2] ومن[3] الرسل من لم يُطَع. كيف لا تبينتم[4] أن من الفعل ما قد أراد عز وجل أن يُفعل وأن يكون، ولكن لم يكن على ما أخبر أنه ما أرسل[5] من رسول إلا ليطاع ثم من قد[6] كان من الرسل[7] و لم يطع.

قيل: هو ما ذكر في آخره: **إلا ليطاع بإذن الله** أي بمشيئة الله. فمن شاء[8] من الرسل[9] أن يطاع فقد أطيع، ومن شاء أن لايطاع فلم يطع. وكذلك من علم أنه يطاع فأرسله ليطاع فأطيع، ومن علم أنه لا يطاع[10] فلم يطع. ومن أرسل أن يطاع بأمر ليكون عليه الأمر فذلك مستقيم، ومن أرسل[11] ليطاع بالأمر فلا يجوز أن لا يطاع.[12]

وقوله أيضا: **إلا ليطاع بإذن الله** قيل فيه: بأمر الله. وقد مر بيانه. وقيل: ليطاع بمشيئة الله، فيطيعه كل من شاء الله. وقيل:[13] بعلم الله، فهو فيمن يعلم أنه يطيعه. إذ لا يجوز أن يعلم الطاعة ممن لا يكون.

و[قال] المعتزلة في هذا: إنه أخبر [أنه] أرسل [الرسول] ليطاع و لم يطعه الكل، ما يبعد[14] أن يكون أراد ليطاع[15] وإن كان لا يطيعه الكل.

فقلنا: إذا قال: **ليطاع بإذن الله**، والإذن يتوجه إلى ما ذكرت، فعلى ما ذكرت كان ليطاع ممن يطيعه لا غير، فحصل الأمر على الدعوى. وهو كقوله سبحانه وتعالى:

---

[1] م: الرسول.
[2] جميع النسخ: ليطاع.
[3] ن ع: وبين.
[4] ن ع: لا ثبتم؛ م: لا بعثتم.
[5] جميع النسخ + الرسول.
[6] ك - قد.
[7] ع م: الرسول.
[8] أي الله سبحانه وتعالى.
[9] ع م: الرسول.
[10] م: أنه ليطاع.
[11] ن: ومن الرسل.
[12] ع ـ أن لا يطاع.
[13] ع: قيل؛ م - وقيل.
[14] م: يعبد.
[15] ن ليطاع.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[١] ومعلوم أن الصغار منهم لا يعبدون. فخرج الخبر[٢] إلى الخصوص بالوجود لا أن كان في كل أمر. فعلى ذلك أمر[٣] الإرادة فيمن وُجد لا أن[٤] [كان] في كل. على أنه فيه يعلم، وهو يرجع إلى بعض دون الكل. فمثله الإذن على إرادة المشيئة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم**، أي علموا أن حاصل ظلمهم راجع إليهم. لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا أنفسهم في غير موضعها، فإذا لم يعرفوا أنفسهم[٥] لم يعرفوا خالقها.

وقوله عز وجل: **جاؤك فاستغفروا الله**، أي جاؤك مسلمين تائبين عن التحاكم إلى غيرك،[٦] راضين[٧] بقضائك، نادمين على ما كان منهم. **واستغفر لهم الرسول**، أي[٨] تَشَفَّع[٩] لهم الرسول. **لوجدوا الله توابا رحيما**، أي قابلا لتوبتهم.

**﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**[٦٥]

وقوله عز وجل: **فلا وربك لا يؤمنون**، قيل: قوله: **فلا** صلة. وكذلك في كل قَسَم أَقْسَمَ به،[١٠] كقوله تعالى: لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ،[١١] و: لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ،[١٢] ونحوه،[١٣] كله صلة. كأنه قال: أُقْسِم ورَبِّك لا يؤمنون. وقيل: قوله: **فلا وربك**، ليس هو على[١٤] الصلة،

---

[١] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[٢] ن م: الجزاء؛ ع: بالجزاء.
[٣] ع + أمر.
[٤] ع: لأن.
[٥] ن – أنفسهم.
[٦] ن: غير.
[٧] ن: راضيين.
[٨] ع م: أن.
[٩] ك: يشفع.
[١٠] ك: فيه.
[١١] سورة البلد، ١/٩٠.
[١٢] سورة القيامة، ١/٧٥.
[١٣] ع: ونحو.
[١٤] ع – على.

ولكن يقال ذلك على نفي ما تقدم من الكلام وإنكاره. كقول الرجل: لا والله، هو ابتداء الكلام[1] ولكن على نفي ما تقدم من[2] الكلام،[3] فعلى ذلك هذا. وفيه دلالة تفضيل[4] محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر، لأن الإضافة إذا خرجت إلى واحد تخرج مخرج[5] التعظيم لذلك الواحد والتخصيص له، وإذا كانت إلى جماعة [كانت] تعظيما له،[6] كقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[7] وقوله: وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[8] ونحوه.

وقوله تعالى: **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكما وإن لم يحكّموه،[9] فليس[10] معناه [أنه لم يكن حاكما]. *والله أعلم*. **حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم**، أي حتى يرضَوا بحكمك وقضائك. وقوله عز وجل: **فيما شجر بينهم**، أي اختلفوا بينهم وتنازعوا. وقوله عز وجل: **ثم لا يجدوا**[11] **في أنفسهم حرجا مما قضيت**، قيل: ضِيقا. وقيل: شَكّا[12] مما قضيت بينهم أنه حق. وقيل: إثما.[13]

ثم في الآية دلالة[14] أن الإيمان يكون بالقلب، لأنه قال تعالى: **ثم لا يجدوا في أنفسهم**، أي في قلوبهم.[15] ألا ترى[16] أنه قال[17] تعالى في آية أخرى: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا.[18]

[1] ع – وإنكاره كقول الرجل لا والله هو ابتداء الكلام.
[2] ن: ومن.
[3] ع – على نفي ما تقدم من الكلام؛ م + ولكن.
[4] ع م + رسولنا.
[5] ع: فخرج.
[6] أي لله تعالى.
[7] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[8] سورة النحل، ٥٢/١٦.
[9] ك: يحكمو.
[10] جميع النسخ: ليس.
[11] ك – وقضائك وقوله عز وجل فيما شجر بينهم أي اختلفوا بينهم وتنازعوا وقوله عز وجل ثم لا يجدوا.
[12] ك: شكاء.
[13] ن: إثم.
[14] م – دلالة.
[15] ن + حرجا.
[16] ك: يرى.
[17] ع م + الله.
[18] سورة الأنعام، ١٢٥/٦.

ذكر ضيق الصدر[1] وذكر ضيق[2] الأنفس، وهو واحد. ألا ترى[3] أنه قال[4] عز وجل في آية أخرى: وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.[5] فهذه[6] الآيات ترد على الكَرَّامِيَّة[7] قولهم. لأنه قال تعالى: لَا يُؤْمِنُونَ **حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم**، وهم يقولون: بل يؤمنون.[8] فيقال لهم: أنتم أعلم أم الله؟

ثم قيل: إن الآية نزلت في اليهودي والمنافق / الذين[9] تنازعا فتحاكما إلى الطاغوت.[10] [٩٣ظ]

وقيل: نزلت في شأن رجل من الأنصار والزبير بن العوّام، كان بينهما تشاجر في الماء فارتفعا إلى[11] النبي صلى الله عليه وسلم. فقال للزبير: «اسق[12] ثم أرسل الماء إلى جارك». فغضب ذلك الرجل. فنزلت الآية: **فلا وربك لا يؤمنون**، الآية.[13] ولا ندري كيف كانت القصة، وفيم كانت. ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار أنه قال:[14] «لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده[15] وماله والناس جميعا».[16]

وقيل في قوله تعالى: **ثم لا يجدوا في أنفسهم**، أي في قلوبهم؛ **حرجا مما قضيت**، أي[17] شكًا مما قضيت أنه هو الحق. **ويسلّموا** لقضائك لهم وعليهم **تسليما**.*

---

[1] ن: لصدره.

[2] ع م – الصدر وذكر ضيق.

[3] ك: يرى.

[4] ع م + الله.

[5] سورة المائدة، ٥/٤١.

[6] ع: وهذه.

[7] هم أتباع محمد بن كرّام. وقد عدهم الإمام الأشعري من المرجئة. ولهم أقوال تنتهي إلى التجسيم. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ١٤١؛ *والفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢٠٢؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ١/١٠٨.

[8] ك – لأنه قال لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم وهم يقولون بل يؤمنون.

[9] جميع النسخ: التي.

[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥٨٥.

[11] ع – إلى.

[12] م + يا زبير.

[13] تفسير الطبري، ٥/١٥٨.

[14] ن – أنه قال.

[15] ع: ووالده.

[16] *صحيح البخاري*، الإيمان ٨؛ *وصحيح مسلم*، الإيمان ٦٩، ٧٠.

[17] ع: أن.

* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة. فوضعناها هنالك. انظر: ورقة ٩٣ظ/سطر ٦-٩.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم**، الآية؛ قال أبو بكر[١] رضي الله عنه: لو كنا[٢] علينا نزلت يا رسول الله لبدأتُ بنفسي وأهل بيتي. فقال[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك لفضل يقينك على يقين الناس وإيمانك على إيمان الناس». وعن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رجل من الأنصار: والله لو كُتب علينا لقتلنا أنفسنا. فقال النبي[٤] صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لَلإيمان[٥] أثبت في صدور الرجال من الأنصار من الجبال الرواسي».[٦]

قيل: **ولو أنا كتبنا عليهم**، الآية، هم يهود [لكن] يُعنى[٧] به العرب كما أُمر أصحاب موسى عليه السلام.[٨] وقيل: قال عمر رضي الله عنه ونفر معه:[٩] والله لو فعل[١٠] ربنا لفعلنا، فالحمد لله الذي لم يجعل بنا ذلك. فقال النبي[١١] صلى الله عليه وسلم: «الإيمان[١٢] أثبت في قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي».[١٣] ثم اختلف في قتل الأنفس. قال بعضهم: هو أن يقتل كلُّ نفسه. وقال آخرون: هو أن يأمر[١٤] أن يقتل بعض بعضا، وأما قتل كلٍ نفسه فإنه لا يحتمل[١٥] لوجهين. أحدهما:[١٦]

---

[١] ع م + الصديق.

[٢] ك ن: كان.

[٣] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٩ظ.

[٤] ك ن – النبي.

[٥] ن: الإيمان.

[٦] *تفسير الطبري*، ٥/١٦٠–١٦١.

[٧] ك ن: يعنا؛ ع: تعنا؛ م: تعنى.

[٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٤).

[٩] ن ع م: عنه.

[١٠] أي لو أمر.

[١١] ع م: رسول الله.

[١٢] ك م: للإيمان.

[١٣] *تفسير الطبري*، ٥/١٦٠–١٦١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥٨٧.

[١٤] ع م – أن يأمر.

[١٥] ك: فلا يحتمل.

[١٦] جميع النسخ + وذلك.

أنه عبادة شديدة مما لا يحتمله[١] أحد، كقوله تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا،[٢] أخبر أنه لا يكلف ما لا طاقة له.[٣] والثاني أن فيه قطع النسل وحصول الخلق للإفناء خاصة. وذلك مما لا حكمة في خلق الخلق للإفناء خاصة.

وقوله عز وجل: **ما فعلوه إلا قليل منهم**؛ قيل: هم[٤] عبد الله بن مسعود وعمار وفلان[٥] وفلان رضي الله عنهم، ولا ندري أيصح أم لا. ولو كان[٦] قوله تعالى: **أن اقتلوا أنفسكم**، قَتْل بعض بعضا فذلك مما أمروا به بمجاهدة العدو والخروج[٧] من المنزل والهجرة. ثم أخبر أنهم لا يفعلون ذلك إلا قليل منهم.

وقوله عز وجل: **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم**؛ يحتمل هذا وجهين. لو فعلوا ما يؤمرون به من الإسلام والطاعة لكان خيرا لهم.[٨] ويحتمل: لو أنهم فعلوا ما يؤمرون به من القتل لو كتب عليهم لكان خيرا لهم في الآخرة. **وأشد تثبيتا**، قيل: حقيقة؛ وقيل: تحقيقا في الدنيا. وقيل: **ما يوعظون به**، من القرآن **لكان خيرا لهم** في دينهم، **وأشدّ تثبيتا**، يعني تصديقا بأمر الله.

**﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **وإذًا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما**، يحتمل وجهين: الأجر العظيمَ في الآخرة، ويحتمل في الدنيا، كقوله: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى.[٩]

**﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٦٨]**

قوله[١٠] عز وجل: **ولهديناهم صراطا مستقيما**، فهو الهادي للعباد إلى الطريق المستقيم.

---

[١] جميع النسخ: لا يحتمل.
[٢] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.
[٣] قال الشارح: «إذ لا يحتمل أن يأمر الله تعالى إياهم بقتل أنفسهم، لأن التكليف بقدر الوسع على طريق الاختيار، وليس في وسع المرء أن يقتل نفسه عن اختيار» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٩ظ).
[٤] جميع النسخ: هو.
[٥] ك: عما روى فلان.
[٦] م - ولو كان.
[٧] جميع النسخ: والإخراج. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٧٩ظ.
[٨] ع م + ذلك.
[٩] ﴿وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (سورة الليل، ٥/٩٢-٧).
[١٠] ك: وقوله.

وقيل: تثبيتا لهم في الدنيا.[١]

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**، الآية؛ قيل في بعض القصة: إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبكى،[٢] ثم قال: والذي لا إله غيره لأنت أحبّ إليّ من نفسي وولدي وأهلي. وإني لأذكرك، فلولا أني أجيء فأنظر إليك لرأيت أني سأموت؛ وذكرت موتي وموتك ومنزلتك في[٣] الجنة، ترفع مع[٤] النبيين، فإني وإن دخلت الجنة كنت دون ذلك. وذكرت فراقي إياك عند الموت فبكيت لذلك. فما أجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، فأنزل الله تعالى: **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.**[٥] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ادع لي فلانا». فقال[٦] له: «أبشر»، ثم قرأ عليه هذه الآية.[٧] وقيل: إن[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على بعض أصحابه، فرأى[٩] في[١٠] وجوههم كآبة وحزنا.[١١] قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما لكم، وما غيّر وجوهكم ولونَكم؟»[١٢] قالوا:[١٣] يا رسول الله، ما بنا من مرض[١٤] ولا وجع، غير أنا إذا لم نرك[١٥] و لم نَلْقَك

---

[١] ع م – قوله عز وجل ولهديناهم صراطا مستقيما فهو الهادي للعباد إلى الطريق المستقيم وقيل تثبيتا لهم في الدنيا.
[٢] م: فبكا.
[٣] ك: من.
[٤] ك: من.
[٥] ع م + الآية.
[٦] ن: يقال.
[٧] *تفسير الطبري*، ١٦٣/٥-١٦٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٨/٢.
[٨] ع – النبي صلى الله عيه وسلم ادع لي فلانا فقال له أبشر ثم قرأ عيه هذه الآية وقيل إن.
[٩] ن + فرأى.
[١٠] ع م – في.
[١١] ن ع م: وجزعا.
[١٢] ن – ولونكم.
[١٣] ن ع م: فقالوا.
[١٤] ن ع: فرض.
[١٥] ع: ترك.

اشتقنا إليك واستوحشنا وحشة شديدة حتى نلقاك، فهذا الذي ترى من أجل ذلك؛ ونذكر الآخرة[١] فنخاف[٢] أن لا نراك[٣] هناك. فأنزل الله تعالى:[٤] **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين**، الآية.[٥] ويحتمل أن لم يكن في واحد من ذلك ولكن في وجوه أخر. أحدها أن اليهود وغيرهم من الكفرة والذين آذَوا[٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرطوا في تعنتهم وتمردهم في ترك إجابتهم إياه وطاعتهم له، ظنوا أنهم وإن أسلموا وأطاعوا الرسول[٧] صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك منهم [ولم تقبل] توبتهم ولم ينزلوا / منزلة من لم يؤذه[٨] ولم يترك طاعته. فأخبر عز وجل أنه إذا أطاع الله والرسول فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،[٩] كأنه[١٠] لم يترك[١١] طاعته أبدا –والله أعلم– كما قال[١٢] تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١٣] ويحتمل أن يكون ذلك لما سمعوا أن لكل أحد في الجنة مثل الدنيا، فظنوا أن لا يكون لهم الاجتماع والالتقاء لبعد بعضهم من بعض. فأخبر عز وجل أنْ يكون لهم الاجتماع، لأن ذلك لهم في الدنيا من أعظم النعم وأجلّها. ويحتمل أن يكون على الابتداء، أن من أطاع الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فيكون[١٤] مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[١٥] في دار واحد، لا يكونون في غيرها.[١٦] فهذه الوجوه كأنها أشبه –والله أعلم– إذ هم بالطاعة أجابوا. ***والله أعلم.***

[٩٤و]

---

[١] م: بالآخرة.
[٢] ع: فتخاف.
[٣] ع: تراك.
[٤] ع م + الآية.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٦٣/٥-١٦٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٩/٢.
[٦] م: اذا.
[٧] ك ع: لرسول الله.
[٨] ن م: يؤذيه؛ ع: يؤذينه.
[٩] ن: والصلحا.
[١٠] ع م: كان.
[١١] ن: يتركه.
[١٢] ن ع م + الله.
[١٣] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[١٤] ع: ليكون.
[١٥] ك – من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
[١٦] م: غيره.

ثم اختلف في **الصديقين**. قال بعضهم: أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحلفاؤهم في كل أمر من التعليم والدعاء لهم إلى كل خير وطاعة.[1] وقيل: الصديق[2] هو الذي يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في أول دعوة دعاه إلى دين الله تعالى وفي أول ما عاينه.

وقوله عز وجل: **والشهداء**؛ قيل: الشهيد الذي قتل في سبيل الله؛ وقيل: الشهيد هو القائم بدينه. وقيل: **الصديقين والشهداء والصالحين** كله واحد.

[٩٤و س ٢٥ *وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الصديقون هم الذين أدركوا الرسل عليهم الصلاة والسلام وصدقوهم. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: الصديقون هم[3] المؤمنون. وقيل: **الصديقين**،[4] هم[5] السابقون الذين سبقوا إلى تصديق النبيين، أنعم الله عليهم بالتصديق. **والشهداء**، هم
٩٤و س ٢٨] الذين أنعم الله عليهم بالشهادة. **والصالحين**، هم المؤمنون أهل الجنة.*

**﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا﴾[٧٠]**

وقوله عز وجل: **ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**؛ دلت الآية على أن الجزاء إفضال من الله تعالى، إذ قد سبق من عنده الإنعام والإفضال عليهم فيخرج طاعتهم له مخرج الشكر له، لا أن عليه ذلك، وأن الجنة لا يُدخَل فيها إلا برحمته وفضله. وقوله أيضا: **ذلك الفضل من الله**، أي ذلك[6] الإنعام الذي أنعم عليهم فضل من الله. ويحتمل قوله: **ذلك الفضل من الله**، أي ما أحسن من الرُّفْقَة بينهم فذلك فضل منه. والآية ترد على أصحاب الأصلح؛ لأن تلك الأفعال إنما صارت قربة لله بإنعام من الله وإفضاله وتوفيقه،[7] وبه استوجبوا الثواب. وقوله تعالى أيضا: **ذلك الفضل من الله**؛ بعد العلم بأن الفضل هو بذل ما لم يكن عليه، وبذل ما عليه هو[8] الوفاء لا الفضل في متعارف اللسان والمعتاد. ثم لا يخلو[9] من أن يرجع مَنُّه

---

[1] أي في كل عمل أجراه الأنبياء عليهم السلام، كتعليم الناس وإزالة جهلهم، والدعوة إلى الخير والطاعة لأمر الله.
[2] م: الصديقين.
[3] ع م + الذين.
[4] ك – هم الذين أدركوا الرسل عليهم السلام وصدقوهم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال الصديقون هم المؤمنون وقيل الصديقين.
[5] م – هم.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٩٤و/سطر ٢٥-٢٨.
[6] ع م – وأن الجنة لا يدخل فيها إلا برحمته وفضله وقوله أيضا ذلك الفضل من الله أي ذلك.
[7] ع: وتوقيفه.
[8] جميع النسخ: وهو.
[9] م: يخلوا.

إلى الخيرات التي اكتسبوها، فبطل[1] به قول المعتزلة. بما لا يخلو من أن كان منه ذلك الفضل[2] أو مثله إلى الكافر أو لا.[3] فإن كان منه لم يكن للامتنان منه بالذي كان منه[4] وجه يستحقه، وقد كان منه[5] إلى غيره فلم ينل تلك الدرجة ولا بغ تلك الرتبة. فبان أنه لا بذلك بلغ من بلغ، فيكون منه فيما لم يكن. وأيضا إنه[6] لو لم يكن معه ذلك عنهم لم يكن البذل فضلا لما ذكرت. ثبت أن ليس الحق عليه كل ما به الأصلح في الدين[7] لما يزيل معنى الفضل. وإن لم يكن إعطاء الكافر مثله فهو عندهم محاباة منه على المؤمن، وقد منع بعض ما عليه في الأصلح، وذلك عندهم بخل، جل الله عما وصفوه. وإن كان ذلك في الثواب دل أن له أن يثيب[8] حتى يصير ما أثاب عليه فضلا. ولا يحتمل أن لا يرضى بطاعة العبد واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم. فثبت أن الرضاء ليس هو المراد.[9] *والله الموفق.*

وقوله عز وجل: **وكفى بالله عليما**؛ قيل: عليما بالآخرة وثوابها. وقيل: **وكفى بالله عليما**، بما وعد من الخير في الآخرة لهؤلاء الأصناف.*

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾[٧١]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**؛ قيل: خذوا عُدّتكم من السلاح. وقيل: قوله: **خذوا حذركم** من جميع ما يحترس به العدو، كقوله[10] سبحانه وتعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[11] الآية، وكقوله[12] تعالى: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.[13] أمر الله عز وجل

[1] ك ع م: فيبطل.
[2] ك ن: الفعل.
[3] ع م: اولى.
[4] م – لم يكن للامتنان منه بالذي كان منه.
[5] ن – ذلك الفعل أو مثله إلى الكافر أو لا فإن كان منه لم يكن للامتنان منه بالذي كان منه وجه يستحقه وقد كان منه.
[6] ك – إنه.
[7] أي ليس القول الحق بأن نحكم أن كل ما به الأصلح في الدين للعبد يجب على الله تعالى.
[8] ن ع: يثبت.
[9] ن ع: الراد.
* وردت هنا فقرة متعلقة بتفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٩٤و/سطر ٢٥-٢٨.
[10] ك ن ع: وكقوله.
[11] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[12] ع م: وقوله.
[13] سورة التوبة، ٩/٤٦.

بالاعتداد للعدو والإعداد له، وأن[1] لا يُوكِّلَ الأمر في ذلك إلى الله دون الإعداد للعدو قبل[2] لقائه، وإن كان يقدر نصر أوليائه وقهر عدوه من غير الأمر بالقتال معهم. إذ في ذلك محنة امتحنهم بها، فعلى ذلك أمرهم بالإعداد للعدو وأَخْذِ الحِذْر لهم؛ وذلك أسباب تُعَدّ[3] قبل[4] لقائهم إياه. وفيه دلالة تعلم آداب الحرب قبل لقاء العدو[5] ليُحترَس[6] منه. وفيه دلالة إباحة الكسب، لأنه فرض عليهم الجهاد وأمر بالإعداد له ليُحترَس[7] من[8] العدو، ولا يوصل إلى ذلك إلا بالكسب. ***والله أعلم.***

وفي قوله[9] أيضا: **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**، أي ما تحذرون به عدوكم، وما تَحذَّرون به[10] وجوه. منها[11] الأسلحة، ومنها البنيان، ومنها النِّكار[12] عند الالتقاء، والثباتُ، وذكر الله عز وجل، كما قال: فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا.[13] وفي هذا أمر بالإعداد للعدو قبل[14] اللقاء. وأيد ذلك قوله عز وجل: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً،[15] وكذلك قوله:[16] وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ.[17] فيكون الأمر بالإعداد قبل وقت الحاجة دليل جواز الكسب لحاجات تحدث،[18] وأن الاستعداد للحاجات ليس برغبة في الدنيا،

---

[1] جميع النسخ: وإذ.
[2] ك: وقبل.
[3] ن: تعدد.
[4] ع: قيل.
[5] ع: العد.
[6] م: ليحرس.
[7] م: ليحرس.
[8] ع – من.
[9] ع: وقوله.
[10] جميع النسخ: تحذرونه.
[11] م + مبها.
[12] النكار والمناكرة: المحاربة. وناكره: أي قاتله، لأن كل واحد من المتحاربين يناكر الآخر، أي يداهيه ويخادعه (*لسان العرب* لابن منظور، «نكر»).
[13] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٥).
[14] ع: قيل؛ م: وقبل.
[15] سورة التوبة، ٩/٤٦.
[16] ك ن – قوله.
[17] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[18] م: تجددت.

إذ لم يكن الإعداد فشلا[1] ولا ترك التوكل. على أن الجوع وحاجات النفس يقين،[2] / وتلقي[3] [٩٤ط]
العدو[4] [محتمل].[5] *ولا حول ولا قوة إلا بالله*.

وقوله عز وجل: **فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعا**؛ قيل: الثبات هو السرايا. **أو انفروا جميعا**، يعني عسكرا. وقيل: **ثُباتٍ**، يعني فِرَقا، **أو انفروا جميعا**، مجموعا. وقيل: **فانفروا ثبات**، أي عُصَبًا.[6] **أو انفروا جميعا**؛ عن[7] ابن عباس رضي الله عنه قال: زَحْفا.[8] وقيل: الثبات الاثنان[9] والثلاثة[10] في كلام العرب والجمع[11] الكثير.[12] ومعناه انفروا كثيرا أو قليلا. وفي ذلك دلالة الأمر بالخروج إلى العدو فُرادى وجماعة وفِرَقًا وجماعة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فانفروا ثُباتٍ**؛ أي إذا استُنفِرتم فانفروا ذلك،[13] ومعلوم أن عليهم الدفع، فيحتمل أن يكون قوله تعالى: **انفروا** ذا[14] أو ذا، أي على[15] ما استُنفِرتم[16] من جميع أو بعض. فيكون في ذلك دلالة قيام البعض عن الكل على غير[17] الإشارة إلى ذلك.[18] وقد يجب فرضٌ في مجهول على كلِّ القيامُ[19] حتى يُعْلَمَ الكفاية بمن خرج.[20]

---

[1] جميع النسخ: فشل.
[2] ن ع م: تعين.
[3] ك: ويلقى.
[4] ك + لا.
[5] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠و.
[6] جمع عُصْبة. وهي جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين (*لسان العرب* لابن منظور، «عصب»).
[7] جميع النسخ: وعن.
[8] الزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو رويدا (*لسان العرب* لابن منظور، «زحف»).
[9] جميع النسخ: الاثبات. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠و.
[10] ك: والثبة؛ ع: والبنية؛ م: والبينة. وفي نسخة ن الكلمة غير منقوطة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠و.
[11] جميع النسخ: الجمع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠و.
[12] الثبة في اللغة بمعنى الجماعة والفرقة من الناس أو الفرسان (*لسان العرب* لابن منظور، «ثوب»، «ثبو»).
[13] جميع النسخ + وقوله عز وجل فانفروا ثبات أو انفروا جميعا.
[14] ع م: اذا.
[15] ع – على.
[16] ن – فانفروا ذلك ومعلوم أن عليهم الدفع فيحتمل أن يكون قوله انفروا ذا أو ذا أي على ما استنفرتم.
[17] م: غيره.
[18] أي من غير تعيين البعض دون البعض. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠و.
[19] ن: قيام.
[20] أي أدى الفرض.

وهذا كفرائض[1] تعرف[2] لا تعرف[3] بعينها، أو حرماتٍ تَظهر لا يُعرَف[4] المحرَّم بعيه، فعلى من حُرِّم عليه الاتقاء[5] والقيام بجميع الفرائض ليخرج[6] عما عليه. ثم إذا غلب عليهم في التدبير الكفايةُ بمن خرج سقط عن الباقين. ولو لم يكن يسقط[7] لم يكن للإمام استنفار البعض. يدل على ذلك قوله تعالى:[8] فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ،[9] الآية. وقوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ.[10] وأصله أنه فرض لِعِلَّة، لا يجوز بقاؤه،[11] وقد زالت العلة. على أن خروج الجميع[12] من جهةٍ إبداء للعورة من جهات. فلذلك لم يحتمل تكليف[13] خروج الجميع من جهة استُنفِر منها. *والله أعلم*.

[٩٤ظ س٢٦ *وقوله عز وجل: **فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**، دل أن فرض الجهاد فرض كفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين. لأنه قال: **فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**، أمر[14] بنفير الثبات. فلو كان لا يسقط بقيامهم عن الباقين لم يكن للأمر به معنى. وتأويله -والله أعلم- إذا قيل لكم: انفروا

٩٤ظ س٢٨] **فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**.*

**﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾[٧٢] ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **وإن منكم لمن ليبطئن**؛ قوله: **منكم**، يحتمل وجوها. يحتمل: في الظاهر منكم.

---

[1] ن: كثير ايض.
[2] ك: بعدت؛ ن ع م: يعرف.
[3] جميع النسخ: يعرف.
[4] ن ع م: تعرف.
[5] ن ع م: الأيفاء.
[6] ك: لنخرج.
[7] ك: سقط.
[8] ع م – قوله تعالى.
[9] ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ سورة التوبة، ١٢٢/٩.
[10] سورة التوبة، ١٢٣/٩. ع + الآية.
[11] ن: نفاره؛ ع م: نفاده.
[12] ك: الجمع.
[13] م: تكليفه.
[14] م – أمر.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآيتين التاليتين، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩٤ظ/سطر ٢٦-٢٨.

ويحتمل: في الحكم منكم. ويحتمل: في الدعوى؛ لأنهم كانوا يدَّعون أنهم منا ويظهرون الموافقة للمؤمنين وإن كانوا في الحقيقة لم يكونوا. وقوله تعالى: **ليبطئن**؛ قيل: إن المنافقين كانوا يبطئون الناس عن الجهاد ويتخلفون، كقوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً.[1] كانوا يُسِرّون ذلك ويضمرونه. فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك ليعلموا[2] أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. وفيه دلالة إثبات رسالة[3] محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليه إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة**، على[4] التقديم والتأخير. يُسَرّ[5] ويفرح إذا أصابتهم مصيبة كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. لأن[6] من كان بينه وبين آخر[7] مودة إذا أصابته نَكْبة يحزن عليه ويتألم. فأخبر[8] عز وجل أن هؤلاء المنافقين[9] إذا أصابت المؤمنين نكبة يُسَرّون بذلك ولا يحزنون كأن لم يكن بينهم مودة ولا صحبة. وقوله عز وجل: **ولئن أصابكم فضل من الله**؛ يعني القسمة[10] والفتح يقولون:[11] **يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما**؛ أن يأخذ من الغنيمة نصيبا وافرا. وقوله عز وجل: **فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا**؛ هذا قول المكذِّب الشامت؛[12] **ولئن أصابكم فضل من الله**، الآية، هو قول الحاسد.[13] وهو[14] قول قتادة.[15] وقوله[16] تعالى:

---

[1] سورة الأحزاب، ١٨/٣٣.
[2] ن – ليعلموا.
[3] ن + نبينا؛ ع: رسالة إثبات.
[4] ن ع م: وعلى.
[5] ك – يسر.
[6] ع م + كل.
[7] م: اخره.
[8] ع م + الله.
[9] جميع النسخ: المنافقون.
[10] م: الغيمة. والقسمة: النصيب والحظ. والمقصود هنا نصيب من الغنيمة.
[11] ك – يقولون.
[12] وهو الذي يفرح ببلية العدو (*لسان العرب* لابن منظور، «شمت»).
[13] ع: الحاسدون.
[14] ع: هو.
[15] *تفسير الطبري*، ١٦٦/٥.
[16] ع + قتادة قوله.

**وإن منكم لمن ليبطئن**، يعني لَيَتَخَلَّفَنَّ[1] عن النفير.[2] **فإن أصابتكم مصيبة**، يعني شدة وبلاء من العيش والعدو **قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا** فيصيبني ما أصابهم **كأن لم يكن بينكم وبينه مودة**.*

**﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[٧٤]

وقوله عز وجل: **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**؛ كأنه -والله أعلم- نهى المنافقين عن الخروج[3] إلى الغزو، كقوله[4] تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾،[5] وأمر المؤمنين أن يخرجوا لذلك، لأنه قال[6] تعالى: **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**، والمؤمنون هم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة.[7] وقوله عز وجل: **في سبيل الله**، قيل:[8] في إظهار دين الله. وقيل: في طاعة الله تعالى ونصر[9] أوليائه.

وقوله عز وجل: **ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**؛ في الآية دلالة أن من[10] بذل نفسه وماله لله تعالى غاية ما يجب[11] أن يبذل استوجب العوض قِبَله وإن لم يَتْلَف نفسه فيه ولا أُخِذَت،[12] لأنه قال عز وجل: **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب**؛ جعل لمن يَتْلَف نفسه فيه الثواب والعوض الذي يَتْلَف[13] نفسه فيه،

---

[1] م: ليخفن.

[2] ن ع م: اليقين.

* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة برقم ٧١، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٩٤ظ/سطر ٢٦-٢٨.

[3] جميع النسخ: بالخروج.

[4] م: وقوله.

[5] سورة التوبة، ٨٣/٩.

[6] ع م + الله.

[7] ع م - بالآخرة.

[8] ع: في.

[9] ك: (ونصر) مختلط الخط.

[10] ع - من.

[11] ن: يحب؛ م: يجيب.

[12] جميع النسخ: ولا أحدث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠ط.

[13] ك ع: تنفت.

لأنه إذا غلب لم[١] يَتْلَفْ[٢] نفسه فيه.[٣] وكذلك قوله سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ؛[٤] جعل[٥] لمن قتل ولم يقتل فيه العوض. فهذا يدل على مسائل لنا. من ذلك أن المرأة إذا سلّمت نفسها لزوجها[٦] في الوقت الذي كان عليها التسليم استوجبت[٧] كمال الصداق وإن لم يقبض[٨] الزوج [بالوطئ] منها. ومن ذلك البائعُ أيضا إذا سلّم[٩] المبيع إلى المشتري كان مسلّما[١٠] وإن لم يقبض[١١] المشتري. وكذلك من صلى صلاة الظهر في[١٢] منزله ثم خرج إلى الجمعة[١٣] يصير رافضا للظهر، لأن عليه الخروج إليها / فيصير بالخروج إليها كالمباشر لها وإن لم يباشر. على سبيل [٩٥و]
ما جُعل الباذل نفسه[١٤] لله عز وجل والمسلِّم إليه كأنها أخذت منه في استيجاب العوض الذي وعد له. فعلى ذلك يجب أن يجعل تسليم ما ذكرنا إلى المحق كأخذ المحق[١٥] منه وإن لم يأخذ. وليس[١٦] كالقيام إلى الخامسة ولا كالمتوجه إلى عرفات قبل فراغه من العمرة، لأن على[١٧] هؤلاء الفراغ مما كانوا فيه ثم التوجه إلى عرفات والقيام إلى الخامسة، فلم يصح ذلك.[١٨]

---

[١] ع – تنفت نفسه فيه لأنه إذا غلب لم.
[٢] جميع النسخ: يتنف.
[٣] م – لأنه إذا غلب لم يتلف نفسه فيه.
[٤] سورة التوبة، ١١١/٩.
[٥] ع م: يجعل.
[٦] ن ع م: إلى زوجها.
[٧] ك م: استوجب.
[٨] ن ع: يقتض؛ م: يقض.
[٩] ك: إن أسمم.
[١٠] م: مسمم.
[١١] ن: يفتض؛ ع: يقض.
[١٢] ن: ثم.
[١٣] ك: الجهة.
[١٤] جميع النسخ: لنفسه.
[١٥] ن – كأخذ المحق.
[١٦] م – وليس.
[١٧] م – على.
[١٨] قال الشارح: «وليس هذا كالقيام إلى [الركعة] الخامسة قبل التعوذ، لأنه لا يصير رافضا للفرض؛ وكذا المعتمر إذا توجه إلى عرفات قبل فراغه من العمرة لا يصير رافضا لعمرة باشتغاله بالحج، لأن الواجب عليهما الفراغ مما كانا فيه، ثم الاشتغال بغير ذلك. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢٠٤ظ).

وأما المرأة والبائع ومؤدي الظهر في منزله عليهم التسليم والبذل. لذلك كان ما ذكرنا. *والله أعلم.*[1]

وفي الآية أن الله تعالى عامل عباده معاملة أهل الفضل والإحسان كأن لا حق له، لا معاملة ذي الحق، وإن كانت الأنفس والأموال كلها له في الحقيقة. حيث فرض عليهم[2] الجهاد وجعل لهم بذلك عوضا، كقوله تعالى: وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وقال[3] عز وجل في آية أخرى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[4] كشراء[5] من لا حق له فيها وهي له في الحقيقة، ووعد لهم على ذلك عوضا وأجرا عظيما.

**﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[٧٥]**

وقوله تعالى: **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله**، وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ،[6] الآية، مثل هذا لا يقال إلا لتفريط سبق منهم. ثم لم يَزُل اسم الإيمان منهم بذلك، وكان[7] الجهاد فرضا[8] عليهم؛ فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من الإيمان. وقوله تعالى: **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين،[9] وكذلك روي عن الكسائي. وفيه دلالة أن على المسلمين أن يستنقذوا أسراهم[10] من أيدي الكفرة إذا أُسِروا بأي وجه ما قدروا عليه: بالأموال والقتال وغير ذلك.

---

[1] ن – والله أعلم.
[2] ك ن ع: لهم.
[3] م + الله.
[4] سورة التوبة، ١١١/٩.
[5] جميع النسخ: كثيرا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠ظ.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ (سورة التوبة، ٣٨/٩).
[7] م: وما كان.
[8] ن + فرضا.
[9] تفسير الطبري، ١٦٨/٥.
[10] م: اسراءهم.

وذلك فرض عليهم وحق أن لا يتركوهم في أيديهم. لأنه قال[1] تعالى: **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**، الآية. وفي الآية[2] دلالة أن إسلام الصغار إسلام وكفرهم كفر إذا عقلوا، لأنه قال[3] تعالى: وَالْوِلْدَانِ. والكبار من[4] الرجال والنساء[5] لا يُسمَّون ولدانا، إنما يسمون الصغار منهم. لأنه عاتبهم بتركهم في أيدي الكفرة. فلو كانوا على حكم[6] أولاد الكفرة لم يكن للتعيير[7] والعتاب وجه بتركهم في أيديهم، إذ لم يُعاتَبوا بترك[8] ولدان الكفرة في أيديهم. فدل أنه إنما لحقهم العتاب لإسلامهم. وكذلك قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ،[9] الآية، ثم استثنى المستضعفين، فقال عز وجل: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً.[10] فلو لم يكن إسلام الولدان إسلاما ولا كفرهم كفرا لم يكن لاستثنائهم من أولئك وإخراجهم من الوعيد الذي ذكر معنى. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ربنا أخرجنا من هذه القرية**؛ سألوا الله عز وجل أن يخرجهم من القرية، وهم علموا أنه لا يتولى إخراجهم بنفسه[11] ولكن على أيدي قوم يعينهم على ذلك. وهم علموا أن لله[12] تعالى في ذلك صنعا، والمعتزلة لم يعلموا. وذلك ينقض قولهم. ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **الظالِمِ أهلُها**؛ قيل: المشرك أهلها.[13] [وقيل]: كل ظالم منعهم عن الخروج إلى دار الإسلام والهجرة.

---

[1] م + الله.
[2] م – وفي الآية.
[3] م + الله.
[4] ن: ومن.
[5] ن: والرجال.
[6] م – حكم أولاد.
[7] ك: التعيير؛ ن م: للتعيير.
[8] م: ترك.
[9] سورة النساء، ٤/٩٧.
[10] سورة النساء، ٤/٩٨.
[11] جميع النسخ: نحو السماء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٠ظ.
[12] م: الله.
[13] ع م – قيل المشرك أهلها.

وقوله عز وجل: **واجعل لنا من لدنك وليا** في ديننا، **ونصيرا** يمنعنا عن المشركين. ويقال: مانعا يمنع عنا المشركين. قد ذكرنا الولي والنصير في غير موضع. ***والله أعلم***.

**﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾**[٧٦]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله**؛ وسبيل الله[١] -[كما] ذكرنا- الذي يأمر خلقه بالسلوك فيه.

وقوله عز وجل: **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت**؛[٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الطاغوت هو الشيطان في هذا[٣] الموضع، لأنه هو الذي يدعو[٤] ويأمر بالسلوك في سبيله. وفي الآية دلالة أن لا يؤمر[٥] الكفار بالجهاد ولا بالصلاة ولا بالزكاة ولا بغيرها من العبادات، لأنه أخبر أنهم لو قاتلوا إنما يقاتلون في سبيل الشيطان، وكذلك إذا صلّوا صلّوا له، وكذلك سائر العبادات، ولكن يؤمرون[٦] أولا[٧] بإتيان ما لو فعلوا من العبادات كانت في سبيل الله، وهو الإيمان. وهذا ينقض قول من يقول: إن الكافر مأمور مكلف بالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فقاتلوا أولياء الشيطان**؛ هذا يدل على أن الطاغوت هو الشيطان هاهنا. وكل ما عبد دون الله فهو طاغوت.

وقوله عز وجل: **إن كيد الشيطان كان ضعيفا**؛ يحتمل قوله: **إن كيد الشيطان**، أي[٨] كيد أولياء الشيطان **كان ضعيفا** إذا كان الله ناصركم، كقوله سبحانه وتعالى: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ.[٩] ويحتمل: **إن كيد الشيطان كان ضعيفا**، لأنه لا يعمل سوى الدعاء والأمر، يدعوهم إلى سبيله، فذلك لضعفه. لا يباشر القتال ولا الضرر،[١٠] إنما هو إشارة منه ودعاء،

---

[١] ع م - وسبيل الله.
[٢] ن + الآية.
[٣] ع: الشيطان هو.
[٤] ن ع م - يدعو.
[٥] ن ع م: يأمر.
[٦] ن ع م: يأمرون.
[٧] ن. ولا.
[٨] ع م - كيد الشيطان أي.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٦٠.
[١٠] ك ن: الضرب.

كقوله سبحانه وتعالى: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي.[١]

*فإن قال قائل: كيف قال الله تعالى: **إن كيد الشيطان كان ضعيفا**، وقد هلك به أكثر البشر؟ [٩٦و س ٤

قيل: قد يخرج على وجوه، ***والله أعلم***. أحدها أنه يضعف كيده على من تعوذ[٢] بالله تعالى، كقوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[٣] الآية. وإنما[٤] يقوى[٥] على من جنح له ومال إلى ما دعاه إليه، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ – الآية إلى قوله تعالى– ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ.[٦]

والثاني أن يكون ضعيفا على المقبل على ربه والذاكر له في أحواله والمفوض أمره إلى ربه. فأما من تولاه وأقبل على إشارته فهو الذي جعل له السلطان على نفسه، بما آثره في شهواته ومال[٧] به هواه. وهو[٨] كقوله تعالى: لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا،[٩] الآية. وقد سماه الله تعالى الوسواس الخناس[١٠] بما يخنس بذكر الله تعالى ويوسوس عند الغفلة عن[١١] الله، فكان سلطانه به. ***والله الموفق***.[١٢]

والثالث أنه لا يملك الجبر والقهر ولا اكتساب[١٣] الضرر في الأبدان والأموال، فهو ضعيف. ***والله أعلم***.

والرابع أن يكون **كان ضعيفا**، أي صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته. ***والله أعلم***.

---

[١] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[٢] ن م: يعوذ.
[٣] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[٤] ع: واما.
[٥] جميع النسخ: يقول.
[٦] ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ (سورة الأعراف، ٢٠١/٧-٢٠٢).
[٧] ك: وخالف.
[٨] م – وهو.
[٩] سورة النحل، ٩٩/١٦.
[١٠] سورة الناس، ٤/١١٤.
[١١] ن: من.
[١٢] ن: أعلم.
[١٣] م: الكتاب.

ويحتمل **كان ضعيفا**، لو ظهر حتى يعلم أنه شيطان، لكن[1] قوي بما لا يعلم المغرور أنه كيده
[٩٦و س١١] وتغريره. *والله أعلم*.[2]*

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾**[٧٧]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما**
[٩٥ظ] **كتب عليهم القتال**، الآية؛ اختلف فيه. قيل: نزلت الآية في بني إسرائيل،[3] / وهي الآية التي ذكرها[4] الله تعالى في سورة البقرة: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى -إلى قوله- فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.[5] وقيل: إنها نزلت في المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، استأذنوا رسول الله في قتال كفار مكة سرا، لكثرة ما يَلْقَون من الأذى منهم. فنزل قوله تعالى: **كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**؛ أي [قال الرسول صلى الله عليه وسلم:] لم أؤمَر بالقتال، فنهاهم عن ذلك. فلما كتب عليهم القتال وأمروا به كرهوا ذلك،[6] فذلك[7] قوله تعالى: **فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله**، الآية.[8] وقيل: إنها نزلت في المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم.[9]

---

[1] ع: لكم.
[2] م - والرابع أن يكون كان ضعيفا أي صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته والله أعلم ويحتمل كان ضعيفا لو ظهر حتى يعلم أنه شيطان لكن قوي بما لا يعلم المغرور أنه كيده وتغريره والله أعلم.
* ورد ما بين النجمتين -على طوله- خلال تفسير الآية التالية. فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٩٦و/سطر ٤-١١.
[3] *تفسير الطبري*، ١٧١/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٤/٢.
[4] ك ن: ذكر.
[5] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).
[6] وعبارة الشارح: «فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمره الله تعالى بقتال المشركين أمرهم بذلك وتلا آية القتال، فاشتد عليهم ذلك وكره بعضهم القتال...» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨١و).
[7] ك ن ع: فدل.
[8] *تفسير الطبري*، ١٧٠/٥-١٧١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٤/٢.
[9] تفسير القرطبي، ٢٨١/٥.

وقوله عز وجل: **يخشون الناس كخشية الله**،[١] أي يخشون الناس يعني المنافقين كخشية المؤمنين الله. **أو أشد خشية**، كقوله سبحانه وتعالى: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ[٢] اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ.[٣] وإن كانت في المؤمنين فتأويله: **يخشون الناس**، في القتال، **كخشية الله**، في الموت، **أو أشد خشية**، لأنه أهيب وأسرع نفاذا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل أيضا: **ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيديكم**، الآية؛ تكلموا في ذلك. فمنهم من جعله خبرا عن أمر بني إسرائيل الذين قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا،[٤] الآية، أنهم إذا[٥] أمروا[٦] بالكف عن مقاتلته[٧] تمنوا الإذن في ذلك وسألوا نبيهم عليه السلام عن ذلك، ثم فيهم من أعرض عن الطاعة. وقد كان أهل الإيمان يتمنون الإذن في ذلك، كقوله تعالى: وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ،[٨] فوُعِظوا بمن[٩] ذكرت، ليقبلوا[١٠] العافية[١١] ولا يتمنوا محنة فيها شدة، فيبعثهم على ما بعث[١٢] أولئك. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا[١٣] ربكم العافية. وإذا لقيتموهم فَثُوروا في وجوههم».[١٤] أو كان في علم الله سبحانه وتعالى أن يأمرهم،[١٥] فأُخبِروا بالذين قُتِلوا وما حَلّ بهم[١٦] لئلا يفعلوا مثل فعلهم. ***والله أعلم***. وخشيتهم كخشية الله كقوله تعالى: لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ،[١٧]

---

[١] ن – الآية وقيل إنها نزلت في المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يخشون الناس كخشية الله.
[٢] ع م + المؤمنين.
[٣] ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (سورة البقرة، ١٦٥/٢). وانظر تأويل الماتريدي لهذه الآية.
[٤] وهي الآية التي تقدمت قريبا، انظر: سورة البقرة ٢٤٦/٢.
[٥] ن ع م – إذا.
[٦] ع: امرو.
[٧] ع: مقاتله.
[٨] ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ (سورة آل عمران، ١٤٣/٣).
[٩] ن ع: لمن.
[١٠] ع: ليقيبوا.
[١١] ن م: العاقبة.
[١٢] ن: يبعث.
[١٣] ن ع م: وسألوا.
[١٤] *صحيح البخاري*، الجهاد ١١٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٢٠.
[١٥] م: يأمروهم.
[١٦] جميع النسخ: وحل لهم.
[١٧] سورة البقرة، ٢٤٩/٢.

إلى تمام القصة.[1] وقد قيل: الآية نزلت فيما سألوا[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجيبوا في ذلك، ثم خاطبهم بالذي[3] ذكر. لكن اختلف في ذلك، فمنهم من يقول: كان ذلك في المصدقين، لكن اشتد عليهم الأمر؛ وذلك نحو[4] ما كان منهم يوم حُنَين وأُحُد،[5] حتى أغاثهم الله تعالى وفَرَّج عنهم بمنه وكرمه.[6] وعلى ذلك قوله تعالى: وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ،[7] أي ما فيه الموت[8] من الجهاد. وعلى ذلك: **يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية؛** فلما عاينوا السبب الذي فيه هلاكهم، ويبلغ عند ذلك الخشيةُ[9] غايتها، نحوَ قرب الموت وشدة المرض يكون المرء يُخشَى منه الموت ما لا يُخشَى لولا تلك الحال، لأنه[10] يرى الموت من المرض؛ وإن كان الذي يظهر عليه من خشية الموت في تلك الحال أشد، فهو في الحقيقة خشية من الله تعالى أن يكون جعل ذلك سبب الموت وأنه حضره وقرب منه، فيكون في ظاهر[11] الأمر كمن يخشى من[12] تلك الأحوال. وقد جُعِل -لما جُبِل عليه الخلق في مثله- معروفُ مثله أعني[13] المريض بعد الموت[14] لما يغلب عليه الإياس من حياته،[15] وإن كان قبل ذلك[16] يستوي عليه أحواله،[17] فعلى ذلك أمر الأول. وعلى[18] ذلك فيما طبع عليه الخلق من طمأنينة القلب

[1] وهم بنو إسرائيل الذين تقدمت الإشارة إليهم قبل قليل. والقصة وردت في سورة البقرة، ٢/٢٤٦-٢٥١.
[2] ك: سألتوا.
[3] جميع النسخ: الذي.
[4] ك - نحو.
[5] ن ع م + ونحو ذلك.
[6] ع م - وكرمه.
[7] سورة آل عمران، ١٤٣/٣.
[8] ع - أي ما فيه الموت.
[9] ع: لخشية.
[10] ن ع: لا أنه؛ م: أنه.
[11] ع: الظاهر.
[12] ك ن ع: عن.
[13] جميع النسخ + أن.
[14] ك ن ع + لما يغلب عليه بعد الموت؛ م + لما يغلب عليه الموت. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٩٥ظ.
[15] يعني إن الإنسان الذي يخاف على نفسه الموت يتبرع بماله أي يوصي لما بعد الموت.
[16] ك ن: الذي يصيبه؛ ع م: الذي يصيب. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨١ظ.
[17] قال الشارح: «حتى جُعِل معروف المرض وتبرعاته في تلك الحال المعروفة بعد الموت. لما يغلب الإياس من حياته وإن كان قبل ذلك يستوي عليه أحواله» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨١ظ).
[18] ك: على.

عند مُلْك[1] أسباب الرزق والقدرة عليه ما لم يكن[2] في غيرها، وإن كان من حيث قدرة الله تعالى واحدا.[3] فتكون تلك[4] الخشية جبلية[5] طبيعية[6] لا اختيارية أو سخطا[7] بحكم الرب. وهو كالذي حاء في[8] قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ،[9] الآية.

وقوله على ذلك: **ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب**، الآية،[10] يحتمل[11] وجهين. أحدهما الخبر عن أماني[12] طباعهم كما قال عز وجل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ،[13] الآية. وقال النبي[14] صلى الله عليه وسلم: «حُفَّت الجنة بالمكاره».[15] وإنما ذلك على الطبع، فذلك الطبع[16] كالسائل عن ذلك. وربما يضيفون القول والسؤال على اعتبار الأحوال إلى ما لا[17] يطيق له، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن يكون سؤالا[18] منهم عن وجه الحكمة لهم بالأمر، فيما علم أنهم يبلغون بالقتل والجبن[19] إلى حال لا يقومون للعدو ولا يملكون أنفسهم في ذلك الوقت. فأخبر[20] عز وجل أن الذي حملهم على ذلك رغبتهم في التمتع بالدنيا.[21] ولو صوروا متاع الآخرة في قلوبهم

---

[1] ك: لك.
[2] ع: يمكن.
[3] ك ع م: واحدا؛ ن – واحد.
[4] جميع النسخ: ذلك.
[5] ن: حيلية.
[6] ن – طبيعية؛ م: طبيعته.
[7] جميع النسخ: سخط.
[8] ك: حاء من؛ ن م: جايز؛ ع: جائز.
[9] سورة البقرة، ٢١٦/٢.
[10] ع – وقوله على ذلك ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرنا إلى أجل قريب الآية.
[11] ك: تحتمل.
[12] م: عن ما في.
[13] سورة البقرة، ٢١٦/٢.
[14] ك ن – النبي.
[15] «... وحُفَّت النار بالشهوات» (*صحيح مسلم*، الجنة ١؛ و*سنن الترمذي*، صفة الجنة ٢١).
[16] ع م – فذلك الطبع.
[17] ع – لا.
[18] جميع النسخ: قولا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٨١ظ.
[19] ك: والجبر.
[20] ع م + الله.
[21] ك: في الدنيا.

ليذهب عنهم ذلك، ويثبتون للعدو ولا يبالون[1] بما يحل بهم[2] ولا يخشون لذلك. وكأنه وعد لهم: أن متاع الآخرة لكم على هذا الفعل لو صبرتم خير لكم، وما وعد لكم عليه خير من متاع الدنيا. وأيضا [يمكن] أن يقال: إن هذا وإن عظم[3] هَوْلُه على الطبع فإنه إذا كان لله بحق العبادة فهو[4] أيسر وأهون من الموت على صاحبه إذا حضر؛ إذ يُريهم الله متاع الآخرة أو بعض ما فيه الكرامة، فيصير ذلك متاع الآخرة لهم وقت الموت، فهو خير من[5] تمتعهم في الدنيا ثم الموت، ولا ذلك منه.[6] كما قيل في تأويل[7] قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله[8] كره الله لقاءه. إن المؤمن يرى ما له من الكرامة فيحب الموت أن يُعَجَّل به ليصل إلى ذلك، والكافر يرى سخطه فيكرهه».[9] وعلى هذا تأويل القول في الدنيا: «إنها سجن المؤمن وجنة الكافر»،[10] أن يكون كذلك في ذلك الوقت. **والله أعلم**.

وتأويل آخر، أن تكون[11] الآية في المنافقين أنه يظهر عليهم[12] النفاق وقت[13] المحنة[14] بالجهاد دون غيره من العبادات. قال الله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ،[15] الآية؛

---

[1] ن م: ينالون؛ ع – ولا يبالون؛ م + للعدو.
[2] ع م – بهم.
[3] م: اعظم.
[4] ع م: لهو.
[5] ع: ان.
[6] أي ليس التمتع في الدنيا خيرا من متاع الآخرة.
[7] ع م: تأويه.
[8] ع + كره لقاء الله.
[9] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه» (صحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٥).
[10] هو حديث مرفوع. انظر: صحيح *مسلم*، الزهد ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٦.
[11] م: يكون.
[12] ع م – عليهم.
[13] جميع النسخ: وقت النفاق.
[14] ن: والمحنة.
[15] ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٠-٢١).

بين ما نزل[1] بالمنافقين. وكذلك قوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ / الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ،[2] الآيات. [٩٦و]

والله أعلم فيمن نزلت الآية، لكنها معلوم أن فيها ترغيبا فيما عند الله وتزهيدا في الدنيا[3] ودعاء[4] إلى الرضا بحكم الله تعالى فيما خفّ وثقُل. *والله المستعان*.[5] وعلى التأويل الآخر جميع ما ذكر ظاهرًا[6] في المنافقين، مذكور ذلك في الآيات التي ذكرتها. وفيهم قال الله[7] تعالى: لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ،[8] الآية، وغير ذلك مما دل على إنكارهم وفضل خوفهم في ذلك. *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **ربنا لم كتبت علينا القتال**؛ قيل في حرف حفصة: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم[9] يخشون الناس كخشية الله. كأن في الآية إضمارًا[10] يبين ذلك حرف حفصة.[11] وإلا[12] لم يكن في ظاهر الآية خبر حتى يكون قوله تعالى: **فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم**، الآية، جوابا له.[13]

وقوله عز وجل: **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال**؛ فإن كانت الآية في المنافقين

---

[1] ك: ترك.

[2] ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ١٨/٣٣). والآيتان بعدها مستمرة في وصف المنافقين. انظر: سورة الأحزاب، ١٩/٣٣-٢٠.

[3] ع - الدنيا.

[4] ع: الدعاء.

[5] ن: أعلم.

[6] جميع النسخ: ظاهر.

[7] ك ن - الله.

[8] ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذًا لا تمتعون إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ١٦/٣٣).

* وردت هنا في جميع النسخ قطعة طويلة من تفسير الآية السابقة. فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٩٦و/سطر ٤-١١.

[9] ك ن م: إذا هم.

[10] جميع النسخ: إضمار. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨١ظ.

[11] قال الشارح: «ثم ذُكر في حرف حفصة رضي الله عنها: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال إذا هم يخشون الناس كخشية الله. كأن في الآية إضمارا، عرفنا ذلك بحرف حفصة. وإلا لم يكن في ظاهر الآية خبر حتى يكون قوله: فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم الآية، جوابا له. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: لولا أخرتنا إلى أجل قريب فنموت حتف أنفنا ولا نُقتَل فيُسَرّ بذلك الأعداء. فعلى هذا يمكن صرفه إلى المصدقين. والله أعلم فيمن نزلت الآية، لكن معلوم أن فيها ترغيبا فيما عند الله تعالى، وتزهيدا في الدنيا، ودعاء إلى الرضا بحكم الله تعالى فيما خفّ وثقُل» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨١ظ).

[12] ك د: ولما.

[13] م - له.

فهو على الإنكار قالوا ذلك. وإن كانت في المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة في فرض القتال عليهم، طلبوا "أي حكمة في فرض القتال[1] علينا؟" وقد تُطلب[2] الحكمة في الأشياء، ولا عيب يدخل في[3] ذلك. وأصله أن كل أمر في الظاهر لمن[4] هو فوقه فذلك سؤال له في الحقيقة لا أمر، فيخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له؛[5] ومن أمر من دونه فهو في الحقيقة ليس بسؤال، فهو يخرج على الأمر والنهي، وهو الأمر الظاهر في الناس.

وقوله عز وجل: **قل متاع الدنيا قليل**؛ معناه -والله أعلم- أنا لم نخلقكم للدنيا وللمتاع فيها، إنما خلقناكم للآخرة وللمُقام فيها؛ فلو خلقتكم لدنيا ثم كتبت عليكم القتال لكان ذلك عبثا خارجا عن[6] الحكمة، ولكن خلقناكم للآخرة وللمقام فيها.

ويحتمل[7] قوله تعالى: **يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**، وقوله تعالى: **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال** إلى آخره، أن لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان ذلك خطر في قلوبهم، فأخبرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم عما أضمروا[8] ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى، ليدلهم على نبوته ورسالته.

وقوله عز وجل: **لولا أخرتنا إلى أجل قريب**، فنموت حتف أنْفنا ولا نقتل قتلا فيُسَرّ بذلك الأعداء، كقوله:[9] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[10] وفي القتل فتنة.

وقوله عز وجل: **قل متاع الدنيا قليل**، يحتمل وجهين. أحدهما ما ذكرنا أنهم لم يخلقوا لمتاع[11] الدنيا، ولكن إنما خلقوا لمتاع[12] الآخرة. والثاني أن متاع الدنيا[13] قليل من متاع الآخرة،

[1] ع م – عليهم طلبوا أي حكمة في فرض القتال.
[2] ن ع م: يطلب.
[3] ع – في.
[4] جميع النسخ: من.
[5] ن – له.
[6] ع: في.
[7] ع م + فيها.
[8] ك: أحبروا؛ ن: اصفروا.
[9] ع م – كقوله.
[10] سورة يونس، ١٠/٨٥.
[11] ع: المتاع.
[12] ع: المتاع.
[13] ع م – أن متاع الدنيا.

كقوله سبحانه وتعالى: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ،[١] وكقوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ.[٢]

وقوله عز وجل: **والآخرة خير لمن اتقى**، لأن متاع الآخرة دائم غير منقطع، ومتاع الدنيا زائل منقطع. وقوله عز وجل: **ولا تظلمون فتيلا**، قد ذكرناه.[٣]

**﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾**[٧٨]

وقوله عز وجل: **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**؛ قيل: لما استشهد[٤] من استُشهد[٥] يوم أُحُد قال المنافقون: لو كان إخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. قال الله تبارك وتعالى: **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**. ويحتمل أن يكون جوابا لما سبق من القول قولهم: لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ.[٦] يقول: من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة، قاتَل أو لم يقاتل، كقوله[٧] سبحانه وتعالى: قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ،[٨] الآية.[٩] ويحتمل[١٠] أن يكون[١١] قوله تعالى: **أينما تكونوا يدرككم الموت**؛ إذا[١٢] كان الموت نازلا بكم لا محالة فالقتل[١٣] أنفع لكم، إذ تستوجبون[١٤] بالقتل

---

[١] سورة التوبة، ٣٨/٩. ن + وقوله تعالى فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل؛ ع + كقوله تعالى فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.
[٢] سورة الشعراء، ٢٠٥/٢٦-٢٠٧.
[٣] م: ذكرنا. انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤٩/٤.
[٤] ع م: استشهده.
[٥] ن - من استشهد.
[٦] سورة النساء، ٧٧/٤.
[٧] ع م: وقوله.
[٨] سورة آل عمران، ١٥٤/٣.
[٩] ك - الآية.
[١٠] ع: يحتمل.
[١١] ع - أن يكون.
[١٢] ع: فإذا.
[١٣] ع م: في القتل.
[١٤] ن ع: يستوجبون.

الثواب الجزيل ولا يكون ذلك لكم إذا مُتّم حَتْف أَنْفكم.[1] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **في بروج مشيدة**؛ قال الفراء:[2] المُشَيَّد[3] والمَشِيد واحد، غير أن المُشَيَّد بالتشديد فيما يكثر الفعل، والمَشِيد فيما لا يكثر الفعل.[4] وقيل: المشيد هو المحصَّص. والشِّيد[5] الجَصّ.[6] وقال بعضهم: **بروج مشيدة**، أي[7] حصينة. وقيل: قصور محصّنة طِوال.

وقوله عز وجل: **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك**؛ معلوم أنهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة في الدين وسيئة في دينهم، ولكن إنما أرادوا بالحسنة والسيئة في الدنيا من المنافع والبلايا والشدائد. وذلك[8] أنهم كانوا لا يحزنون[9] لما يصيبهم من السيئة في الدين، ولا كانوا يفرحون بالحسنة والخير في الدين، ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون من[10] الدنيا من الخَصْب والسَّعة، وحزنهم بما يصيبهم / من الضيق والشدة؛ [٩٦ظ]
وكانوا يتطيرون برسول[11] الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا كان[12] دأب الكفرة من قبل، كانوا يتطيرون بالأنبياء والرسل[13] عليهم الصلاة والسلام، كقوله عز وجل إخبارا عن قوم موسى على نبينا وعليه[14] الصلاة والسلام: وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ،[15] وكقوله تعالى: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ.[16] وقال[17] عز وجل:

[1] ك: أنفسكم.
[2] ع: القرأ.
[3] ع: المشيدة.
[4] *معاني القرآن* للفراء، ١٩٣/١.
[5] م: المشيد.
[6] *لسان العرب* لابن منظور، «شيد».
[7] ك – أي.
[8] م: ذلك.
[9] ع م: ما كانوا يحزنون.
[10] ع: في.
[11] م: رسول.
[12] ن – كان.
[13] م – والرسل.
[14] ك: موسى عليه.
[15] سورة الأعراف، ١٣١/٧.
[16] سورة النمل، ٤٧/٢٧.
[17] ع م + الله.

إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.[١] فعلى ذلك قولهم: **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك**، تطيُّر منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال[٢] الله[٣] عز وجل: **قل كل من عند الله**، أي[٤] بتقديره كان وقضائه، فضلا كقوله تعالى: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ،[٥] وجزاء كقوله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٦] أي ما أصابهم إنما أصابهم[٧] بسوء صنيعهم برسل الله عليهم الصلاة والسلام وتكذيبهم إياهم، كقوله تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[٨]

وقوله عز وجل: **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**، أي لا يفقهون ما لهم وما عليهم.

**﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**؛ وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه قال: وأنا قدّرتها عليك.[٩] يحتمل أن يكون قوله تعالى: **ما أصابك من حسنة فمن الله** يرجع إلى ما ذكرت من النّعمة والعافية ونحوها، **وما أصابك من سيئة من** البلاء[١٠] والشدة، **فمن نفسك**، أي من جناية نفسك[١١] جزاءً. وفي الأول قال: **من الله** في ذلك بعينه بحق الجزاء، وفي الثاني **من نفسك**[١٢] بحق الجناية، على الآية التي[١٣] ذكرتُ[١٤] من قوله تعالى:

---

[١] سورة الأعراف، ١٣١/٧.
[٢] ن: وقال.
[٣] ك ن - الله.
[٤] ن + أي.
[٥] سورة النحل، ٥٣/١٦.
[٦] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٧] ع م - إنما أصابهم.
[٨] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٩] ورد في المصادر بلفظ: وأنا كتبتها عليك. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٧/٢-٥٩٨.
[١٠] ك: البلايا.
[١١] ن - أي من جناية نفسك.
[١٢] ع م - أي من جناية نفسك جزاء وفي الأول قال من الله في ذلك بعينه بحق الجزاء وفي الثاني من نفسك.
[١٣] م: إلى.
[١٤] ذكر الإمام هذه الآية خلال تفسير الآية السابقة.

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[1] ويحتمل[2] أن تكون الآية الأولى[3] في أمر الدنيا والأخرى في أمر الدين، إذ[4] اختلفت الإضافة في هذا واتفقت في الأولى. إذ[5] الأولى على ما عليه أمر المحنة من قوله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[6] وقوله عز وجل: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[7] وقوله تعالى: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.[8] جعل الله تعالى [البلوى][9] بمختلف أحوال[10] العباد[11] ولا صنع[12] لهم في ذلك. وكذلك قوله تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ،[13] الآية، وقوله تعالى: اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ،[14] الآية. والثانية[15] في حق الأفعال. فيضاف إلى الله تعالى ما صلح منها شكرا وحمدا بما أنعم الله عليه، وذلك قوله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ،[16] وقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[17] وقوله: بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ،[18] الآية، وقوله تعالى: اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[19] وقوله: وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ،[20] الآية، وغير ذلك. فيضاف إليه بما منه في ذلك من الفضل والنعمة شكرا.

---

[1] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.

[2] ن: يحتمل.

[3] أي قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله﴾ في الآية السابقة برقم ٧٨.

[4] جميع النسخ: إذا.

[5] ع: إذا.

[6] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

[7] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.

[8] سورة الملك، ٢/٦٧.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢و.

[10] ك + أحوال.

[11] ك: للعباد.

[12] ك: ولا منفع؛ ن ع م: لامتنع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢و.

[13] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ١٧/٦).

[14] ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ (سورة الرعد، ٢٦/١٣).

[15] جميع النسخ: والثاني.

[16] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ٨٣/٤).

[17] سورة الفاتحة، ٧/١.

[18] ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).

[19] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.

[20] ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ سورة الحجرات، ٧/٤٩ – ٨.

والثاني[١] زَلَّة وضلالة لا تجوز الإضافة إليه لما يشبه[٢] الاعتذار، ولا عذر لأحد في ذلك، ويقبح في الإضافة. وذلك نحو القول بأنه رب[٣] السموات والأرض، ولا يقال: هو رب الخنازير والأقذار ونحو ذلك لما يقبح في السمع، وإن كان من حيث الخلق والتقدير واحدا، فمثله أمر الأفعال. *والله الموفق*.

ونفي الإضافة عنه لا يدل على نفي أن يكون تَخلّقه[٤] لما بينا من الأشياء، [ولأن] الإضافة إليه كالتخصيص. فلا يقال:[٥] يا خالق القُرود[٦] والخنازير ويا إله الأقذار والخبائث[٧] ويا رب الشرور والمصائب، وإن كان كل ذلك داخلا في أسماء الجملة، ومحقق[٨] منه تقديرها وخلقها. وكذلك الفواحش والكبائر.[٩] *والله أعلم*.

والثاني أن[١٠] الخيرات والأعمال الزاكية قد تضاف[١١] إليه لا من وجه التخليق عند الجميع،[١٢] بل عندنا من جهة الإفضال بالتوفيق[١٣] والتيسير،[١٤] وعند المعتزلة من جهة الأمر والترغيب. فعلى ذلك نفي الإضافة فيما لم يضف إليه لهذا. وأيدت هذا قراءة عبد الله بن[١٥] مسعود[١٦] رضي الله عنه: وأنا قدّرتها عليك.

---

[١] م + في.
[٢] جميع النسخ: شبه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢و.
[٣] ك: رفع.
[٤] ن ع: خلقة؛ م: خمقته.
[٥] جميع النسخ: فيقال.
[٦] ع م: القرد.
[٧] ك: والخبا.
[٨] م: ومحق.
[٩] قال الشارح: «ولما يقبح الإضافة إليه عند الانفراد وإن كان هو الخالق لذلك. ألا يرى أن في الأعيان لا يضاف الأشياء القبيحة إليه عند الانفراد، ويضاف الأشياء المحكمة المتقنة المستحسنة... وإن كان الكل بتقديره وخلقه بلا خلاف بين أهل القبلة. ويضاف إليه باسم الجملة، فيقال: خالق الأجسام والجواهر وخالق العالم، فعلى ذلك في الأفعال. فإنما اختلفت الإضافة في الآيتين لاختلاف المضاف. وذلك لا يوجب التناقض» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢و).
[١٠] ع م – أن.
[١١] ن ع م: يضاف.
[١٢] ع: الجمع.
[١٣] ن: والتوفيق.
[١٤] جميع النسخ: والإنشاء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢و.
[١٥] م: ابن.
[١٦] ك ن – بن مسعود.

قال قائل: لا يقع ذلك[1] على الأفعال، لقوله: **ما أصابك**، ولو كان عنيها كان يقول: ما أصبت.

ثم كان له جوابان. أحدهما أن الإصابة[2] اسم مشترك، ما يصيبه هو يصيب[3] ذلك؛ فسواء لو أضيف إليه أو أضيف هو إليه. *والله أعلم*. والثاني أن ذلك يخرج [على][4] الجزاء أيضا إذا كان على ما يقوله؛[5] فيكون على ما يصيبه من جزاء حسنة أو سيئةً. وإذا لم يجعل لله في حسنة فضلا لم يحتمل الإضافة إليه.[6] مع ما قد بينا من إضافات أعمال الخير إليه ودفع الشر، لما ليس في فعله من الله إفضال عليه وإنعام.[7] وكان في فعل الخير ذلك لا بالأمر[8] والنهي،[9] إذ هما يستويان في كل واحد.[10] *والله أعلم*.

ثم أوضح ذلك خبر عبد الله. فطعنه[11] قوم بمخالفة[12] المصحف المعروف. قلنا: ليس بذي خلاف، إنما هو بيان المطلق. وقد يقبل خبر الآحاد في مثله. *والله أعلم*. وقيل: خبر عبد الله من خبر الآحاد. ولعله ليس [مِنْ] قِبَل مصحفه [الذي] تروي عنه العامة ولا يحتمل[13] التبديل. وأما خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -إذ لا يجوز اختراع القراءة- [فهو] مرفوع.

---

[1] ن ع: ذلك لا يقع.

[2] جميع النسخ: الإجابة.

[3] ع: نصيب.

[4] من *شرح التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.

[5] م: يقول.

[6] ن - إليه.

[7] جميع النسخ: به إنعام. وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل: هذا اللفظ وهو قوله: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ لا يستعمل في الأفعال، بل يقال في الأفعال: ما أصبت، فلا يجوز الحمل على الأفعال. قيل: من وجهين. أحدهما أن الإصابة لفظة يشترك فيها الإصابة، فإن ما أصاب الشيء فذلك الشيء يصيبه أيضا، فيجوز الإضافة في الطريقين. وهذا كما يقال: قابلت فلانا وقابلني فلان ونحو ذلك. والثاني؛ إن كان على [ما] قلت فيخرج على ما ذكرنا من الجزاء، فيكون عى ما يصيب العبد من جزاء حسنة أو سيئة، فيكون جزاء الحسنة من الله تعالى فضلا منه، فيضاف إليه بطريق الإفضال، وجزاء السيئة إلى المسيء لوجود السيئة منه. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٢و-ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢٠٦و-ظ).

[8] ن: بامر؛ ع: يأمر.

[9] ن: ونهي. أي كما قاله المعتزلة.

[10] ن ع م - واحد.

[11] ع: قطعته.

[12] ع م: لمخالفة.

[13] جميع النسخ: لا يحتمل.

وخبر[1] الفرد فيه يقبل فيما لا خلاف فيه، وإن كان فيه[2] تأويل الظاهر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وأرسلناك للناس رسولا**؛ قيل في حرف حفصة: وأرسلناك إلى الناس رسولا.

[وقوله عز وجل]: **وكفى بالله شهيدا**؛ قيل: **وكفى بالله شهيدا**[3] بأنك رسول الله.[4] وقيل: **وكفى بالله شهيدا** على ما يضمرون في قلوبهم. وقيل: فلا شاهد أفضل من الله بأنك رسوله.

وفي قوله أيضا: **وكفى بالله شهيدا** وجوه. أحدها إن جحدوا تبليغك في الدنيا أو يقولوا:[5] لم نعلم رسالتك. والثاني أن يكون بالآيات التي جعلها الله تعالى لرسالتك تُحقّق؛[6] وشهادة الله لك بالرسالة [تحتمل:] شهيدا / لك أو مبينا أو حجة. والثالث أن يكون جعل [٩٧و] علم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وتبليغَهم الخبر إليهم [بكونه نبيا][7] شهادته. قال الله تعالى: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[8]* [وقوله عز وجل]: **وكفى بالله شهيدا** على ما أضاف بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم إليه[10] ونصرَ أوليائه إليه.[11] ويحتمل **شهيدا**، مبينا أو حَكَما[12] مبينا.* فمعناه فيبين[13] لهم بالمعاينة ما كان بينه بالدلالة والآيات. وحَكَما فاصلا بين المحق والمبطل. فيخرج الوجهان جميعا مخرج الإعراض عن المحاجّة

---

[1] ع: والخبر.

[2] ع: في.

[3] ن ع م + أي.

[4] ك – الله.

[5] ك ن ع: يقولون؛ م: الدنيا ويقولون.

[6] ن: تحقيق.

[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.

[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٧.

* وقد وردت في جميع النسخ هذه القطعة من المتن: «قال الله تعالى: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» بعد الجملة التالية لها: «وكفى بالله شهيدا على ما أضاف بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم إليه ونصرَ أوليائه إليه» فقمنا بالتقديم والتأخير لكونه أنسب.

[10] ن – إليه. كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٠). انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.

[11] أي أضاف نصر أوليائه إلى ذاته سبحانه.

[12] م: مبينا وحكما.

[13] ن: فنبين؛ ع م: فتبين.

بما ظهر[1] من العناد والمكابرة، وتفويض الأمر إلى الله، وإخبار عن الفراغ مما كان عليه فيهم من حق البلاغ.[2] *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٨٠]**

وقوله عز وجل: **من يطع الرسول فقد أطاع الله**؛ لأن الله عز وجل أمر بطاعة الرسول، فإذا أطاع رسوله[3] صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله تعالى لأنه اتبع أمره. ألا ترى[4] أنه قال عز وجل: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.[5] وحتى جعل طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام من شرط الإيمان بقوله عز وجل: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[6] الآية. والثاني أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما[7] يأمر بطاعة الله. فإذا[8] أطاع رسوله صلى الله عليه وسلم وائتمر بأمره فقد أطاع الله عز وجل لأنه هو الآمر بطاعة الله. ***وبالله التوفيق***.

وقيل: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بأمر الله تعالى، لذلك كان طاعته طاعة الله.

وذكر في بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بالمدينة:[9] «من أحبني فقد أحب الله تعالى ومن أطاعني فقد أطاع الله». فعيره[10] المنافقون في ذلك. فأنزل الله تعالى تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.[11] وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم[12] قال: «من أطاع الله

---

[1] ن ع م: مما يظهر.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «فيخرج الوجهان جميعا مخرج الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المحاجة معهم بما ظهر منهم العناد والمكابرة، وتفويض الأمر إلى الله تعالى، والإخبار عن الفراغ من حق التبليغ فيهم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ).

[3] ع: رسول الله.

[4] ك: يرى.

[5] سورة النساء، ٥٩/٤.

[6] سورة النساء، ٦٥/٤.

[7] ع: أن.

[8] ع م: فإن.

[9] ن – بالمدينة؛ صح هـ؛ ع م: في المدينة.

[10] ع: فغيره.

[11] روح *المعاني* للآلوسي، ٩١/٥. وقد روي الحديث بدون سبب النزول. انظر: صحيح *البخاري*، الأحكام ١؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٣٢-٣٣.

[12] ع م – من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقد ذَكَر وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته[١] القرآن. ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وإن كثر[٢] صيامه وصلاته وتلاوته القرآن».[٣] فطاعة[٤] الله تعالى إنما تكون[٥] في اتباع أمره وانتهاء[٦] مناهيه. وكذلك حبه إنما يكون في اتباع أموره[٧] ونواهيه. كقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ[٨] الآية.[٩]

وفي قوله أيضا: **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ظاهر مكشوف حقيقته أنه يطيعه لطاعة[١٠] الله. إذ الأمر [أن] يطيعه على أنه يدعوه إلى طاعته. وطاعته إجابته له بما يطيع الله به. وحكمته أنه لم يجعل[١١] مسلك الطاعة عبادة وإن كانت هي لله عبادة. ولا تجوز[١٢] عبادة الرسول. فصير الله طاعته عبادة لله[١٣] تعالى.[١٤] فاعلم أن الطاعة قد تكون[١٥] غير مستحقة لاسم العبادة إذ قد يسمى لا من ذلك الوجه. ولذلك[١٦] جاز القول بمطاع في الخلق، ولا يجوز بمعبود. ***والله أعلم.***

---

[١] ن ع: وتلاوة.

[٢] جميع النسخ: كثرت.

[٣] ع – ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وإن كثرت صيامه وصلاته وتلاوته القرآن. سنن سعيد بن منصور، ٢/٦٣٠؛ ومجمع الزوائد للهيثمي، ٢/٢٥٨.

[٤] ن: وطاعة.

[٥] ن ع م: يكون.

[٦] ك: وانتها.

[٧] م: أمره. ينبغي أن يقال: أوامره، لأن الأمر الذي هو نقيض النهي يجمع على أوامر، أما الأمر بمعنى الشيء فهو الذي يجمع على أمور (*لسان العرب* لابن منظور، «أمر»).

[٨] سورة آل عمران، ٣/٣١.

[٩] ك ن م – الآية.

[١٠] م: بطاعة.

[١١] ك: تجعل.

[١٢] ن ع م: يجوز.

[١٣] ع م: الله.

[١٤] قال علاء الدين السمرقندي: «إنما جعل طاعة الرسول طاعة الله تعالى لأن المرء إنما يطيع الرسول بأمر الله تعالى إياه طاعة الرسول وإجابته، فيكون مطيعا لله تعالى بطاعة الرسول. ولأن الرسول عليه السلام يدعو كل مؤمن إلى طاعة الله، فيكون طاعة الرسول إجابته إلى ما دعاه إليه، وذلك الله تعالى. فيكون في طاعة الرسول طاعة الله. لكن طاعة الرسول عليه السلام من حيث هو طاعة الله تعالى عبادة، ومن حيث هو طاعة الرسول نفسه ليس بعبادة. لأن طاعة الله تعالى ما كانت عبادة لأنها طاعة حتى يقال طاعة الرسول عبادة، بل لأنه إخلاص العمل بكليته» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ).

[١٥] ن ع م: يكون.

[١٦] ن ع م: وكذلك.

وأيضا فيه شهادة له بالعصمة في كل ما دعا إليه وأمر به، وإلزام[1] للخلق الشهادة له بالصدق في ذلك. والقيام به[2] أُكِّد بقوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ،[3] وبقوله عز وجل: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ،[4] الآيتين جميعا. وذلك الإباء على لزوم طاعته [حَذَّر منه]، وخَوَّف[5] مخالِفه[6] العذاب الأليم، وأزال[7] عن[8] الواجد في نفسه من قضائه الحرج الإيمانَ. ثم ليست طاعته[9] في فعله خاصةً، أو قولِ ما يقوله؛ ولكنها بوجهين. أحدهما اعتقاد كل[10] فعل وقول على ما عليه عنده من خصوص أو عموم أو إلزام أو آداب أو إباحة أو ترغيب.[11] والثاني في الوفاء بالذي منه المراد فيه من أن[12] يفعل كفعله أو يتقي ذلك أو يستعمله في حق الإباحة أو ما أراد من محله فيه. يُعرَف موقع كل من ذلك بالأدلة. *ولا قوة إلا بالله*. وقول من يقول لا يلزم طاعته في فعله[13] أو يلزم، كلام بهذا الإطلاق لا معنى له.[14]

وقوله عز وجل: **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، في أعمالهم وأفعالهم. فإنما عليهم ما حُمِّلُوا[15] وعليكم ما حُمِّلتم،[16] لا[17] تسأل أنت عن أعمالهم ولا يسألون عما فعلتم. *والله أعلم*.

---

[1] ع: وألزم.
[2] ن ع: وبه؛ م: والقيامة وبه.
[3] ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (سورة النور، ٢٤/٦٣).
[4] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٤/٦٥).
[5] جميع النسخ: أخوف. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.
[6] جميع النسخ: مخالفة.
[7] م: وأزاك.
[8] ع – عن.
[9] م: طاعة.
[10] م: وكل.
[11] ع م: وترغيب.
[12] م – أن.
[13] ع م – في فعله.
[14] أي إن النقاش حول لزوم طاعة الرسول في أفعاله كلها عامة أو عدم لزوم ذلك عامة نقاش لا معنى له. وإنما ينظر في كل فعل إلى ما يوجبه الدليل الخاص بذلك الفعل. والله أعلم.
[15] ن ع م: عملوا.
[16] ن: عملتم. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).
[17] ع م – حملتم لا.

ويحتمل قوله: **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، تطّلِع[1] على سرائرهم. إنما عليك أن تعاملهم على الظاهر.[2] *والله أعلم*.

**﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾**[٨١]

وقوله[3] عز وجل: **ويقولون طاعة**؛ قيل: إن المنافقين قد أظهروا التصديق لله تعالى ولرسوله[4] صلى الله عليه وسلم. فإذا[5] دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، أَمْرُك طاعة، فمُرْنا بما شئت نفعله.[6] وإذا أمرهم بأمر[7] ونهاهم عنه خالفوا أمره وغيّروا ما أمر لهم ونهاهم. فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى -إلى قوله تعالى- بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ.[8]

وقوله عز وجل: **بَيَّتَ طائفة منهم غير الذي تقول**؛ قوله: **بيت**، قيل: غير ما أمرهم به. وقيل: **بيت** أَلَّف.[9] وقيل: **بيت**[10] أي قدّروا بالليل القول وأَلَّفوا.[11] وكل كلام وقول[12] مقدر بالليل مؤلف فيه يقال بيّت. ومعناه -والله أعلم- [ما قيل في القصة][13] أنهم[14] [كانوا إذا أمرهم][15] رسول الله صلى الله عليه وسلم [خالفوا أمره وغيروا ما أمر لهم ونهاهم.] فهذا -والله أعلم- معنى قوله: **بيّت طائفة منهم غير الذي تقول**. وإلا ظاهر هذا، ليس على ما قاله أهل التفسير. *وبالله التوفيق*.

---

١ ن ع م: يطلع.
٢ ع: الظاهرة.
٣ ك - قوله.
٤ م: والرسول.
٥ ن: وإذا.
٦ ع: بفعه.
٧ ع- بأمر.
٨ *تفسير الطبري*، ١٧٨/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٩/٢.
٩ ن + وقيل بيت ألف.
١٠ ع م - ألف وقيل بيت.
١١ ك: والقراء؛ ن ع: وألقوا.
١٢ ع م: وقوله.
١٣ من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.
١٤ جميع النسخ: أن.
١٥ من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٢ظ.

وقوله عز وجل: **والله يكتب ما يُبَيِّتون**، أي الله تعالى يأمر بإثبات ما يبيتون من القول الكذب والمغيَّر من القول ليلزمهم الحجة، لأنهم كانوا يسرّون ذلك ويضمرونه، لا يظهرون[1] إظهارا، ليجزيهم جزاء ذلك.

وقوله عز وجل:[2] **فأعرض عنهم**؛ يحتمل: أعرض عنهم[3] ولا تكافئهم[4] على ذلك، أي بعد[5] هذا. ويحتمل: أعرض عنهم ولا تتكلف[6] إظهار سرهم ولا تطّلع[7] عليه؛ إنما ذلك إليّ لأُطْلِعكم على ما يُسرّون ليعلموا أنك إنما عرفت ذلك بالله. ففيه دلالة إثبات الرسالة.

**وتوكل على الله**: وثِقْ[8] بالله[9] ولا تَخَفْهم،[10] فإن الله تعالى يدفع عنك شرهم وكيدهم. ويحتمل **وتوكل على الله** في جزائهم، فإن الله هو[11] يتولى جزاء تكذيبهم إياك. *والله أعلم*.

**وكفى بالله وكيلا** فيما ذكرنا، أي كفى به مانعا، فلا أحد أمنع منه. وقيل: وكفى بالله شهيدا بما[12] يبيّتون وحافظا. وقال بعضهم: لا يكون التبييت إلا بالليل يؤلّفون الشيء ويقدرونه بالليل.

**﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٨٢]**

[٩٧ظ] وقوله عز وجل: **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان / من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**؛ لو كان الحكم لظاهر[13] المخرج على ما يقوله قوم لكان القرآن خرج مختلفا متناقضا؛

[1] ن – لا يظهرون.
[2] م – أي الله تعالى يأمر بإثبات ما يبيتون من القول الكذب والمغير من القول ليلزمهم الحجة لأنهم كانوا يسرون ذلك ويضمرونه لا يظهرون إظهارا ليجزيهم جزاء ذلك وقوله عز وجل، صح هـ.
[3] ك – يحتمل اعرض عنهم.
[4] ك ن ع: تكافهم.
[5] ع م – ذلك أي بعد.
[6] ن: يتكلف.
[7] ن ع: يطلع.
[8] ن: وثق.
[9] ك ن: به.
[10] ك: ولا تخافوهم؛ ن: ولا تخاصم؛ ع م: ولا تخافهم.
[11] م – هو.
[12] ن: إنما.
[13] م: الظاهر.

لأنه قال الله[1] عز وجل في آية:[2] لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[3] الآية، ويقول في آية أخرى:[4] إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.[5] لو[6] كان على ظاهر المخرج فهو مختلف. وكذلك قوله تعالى: فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ،[7] وقال الله[8] عز وجل في آية أخرى:[9] فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا.[10] في إحداهما[11] حظر وفي الأخرى إباحة. فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا متناقضا،[12] ويجد[13] أهل الإلحاد أوضح طعن فيه وأيسر سبيل إلى القول[14] بأنه غير منزل من عند الرحمن. إذ به وَصَفه أنه **لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**. وقال عز وجل: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[15] الآية. وقال[16] عز وجل: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.[17]

---

[1] ك ن ع – الله.

[2] ك: أنه؛ ع م: الآية.

[3] ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ (سورة التوبة، ٤٤/٩).

[4] ن – الآية ويقول في آية أخرى.

[5] ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فَأْذَنْ لمن شئت منهم واستغر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ (سورة النور، ٦٢/٢٤). وقد وقع هنا في جميع النسخ: ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، وهي آية أخرى لا تناسب المقام. يقول الله تعالى: ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وَارْتَابَتْ قلوبهم فهم في رَيْبِهم يترَدَّدون﴾ (سورة التوبة، ٤٥/٩). ويظهر أن ذلك من خطأ الناسخين.

[6] ع م – لو.

[7] سورة البقرة، ٢٣٠/٢.

[8] ك ن – الله.

[9] بل ما ذكر في نفس الآية، وليس في آية أخرى. فلعله سبق قلم.

[10] ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ (سورة البقرة، ٢٣٠/٢).

[11] م: أحدهما.

[12] م: ومتناقضا.

[13] ع م: وتجد.

[14] ن: القول.

[15] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

[16] م: قال.

[17] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (سورة الحجر، ٩/١٥).

ثم وُجد أكثر ما فيه الحكم متفرقا إلى غير المخرج ومحصّلا على غير مجرى اللفظ من العموم[1] والخصوص. فدل به أن الحكم لا كذلك،[2] ولكن لمعنى المودَع فيه والمدرَج،[3] لا يوصل إلى ذلك إلا بالتدبر والتفكر فيه. وإلى هذا نَدَب الله عباده ليتدبروا[4] فيه ليفهموا مضمونه وليعلموا به.

ثم يحتمل بعد هذا وجهان. أحدهما قوله تعالى: **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**، أي لو كان هذا القرآن من عند غير الله لكان لا يوافق بما يخبرهم[5] النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يخرج[6] مخالفا لذلك؛[7] لأن الكهنة الذين كانوا يدّعون الخبر عن غيب لا يخرج خبرهم موافقا، بل كان بعضه مخالفا[8] لبعض، مناقضا[9] له. فلما خرج هذا [على] ما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم[10] من سرائرهم موافقا له دل أنه خبر عن الله تعالى.

والثاني أنهم كانوا يقولون:[11] إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[12] ومَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[13] ونحوه. فأخبر الله[14] عز وجل أنه لو كان من عند غير الله لكان لا يوافق لما عندهم من الكتب، بل كان مختلفا متناقضا. فلما خرج هذا القرآن مستويا موافقا لسائر الكتب كقوله تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ،[15] ومُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ،[16] دل أنه من عند الله نزل.

---

[1] ك: اللفظ والعموم.
[2] م + لا كذلك.
[3] م: والمودع.
[4] م: ليدبروا.
[5] م: أخبرهم.
[6] جميع النسخ: يخرجهم.
[7] ع + لذلك.
[8] جميع النسخ: مخالف.
[9] جميع النسخ: مناقض.
[10] م – ولكن يخرجهم مخالفا لذلك لأن الكهنة الذين كانوا يدعون الخبر عن غيب لا يخرج خبرهم موافقا بل كان بعضه مخالفًا لبعض مناقضًا له فلما خرج هذا ما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم.
[11] ن: أنهم قالوا.
[12] سورة ص، ٣٨/٧.
[13] سورة سبأ، ٣٤/٤٣.
[14] ك ن – الله.
[15] سورة البقرة، ٢/٩١.
[16] سورة المائدة، ٥/٤٦.

ويحتمل وجها آخر.[١] وهو أن هذا القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم في أوقات متفرقة متباعدة على نوازل مختلفة. فلو كان من عند غير الله نزل لخرج مختلفا متناقضا بعضه بعضا؛ لأن حكيما من البشر لو تكلم بكلمات في أوقات متباعدة لخرج كلامه متناقضا مختلفا إلا أن يستعين بكلام رب العالمين ويعرضه عليه فعند ذلك لا يتناقض.[٢] فلما خرج هذا مع تباعد الأوقات غير مختلف ولا متناقض دل أنه من عند الله تعالى نزل. *وبالله التوفيق*.

وفيه الاحتجاج على الملحدة[٣] حيث قال عز وجل: **أفلا يتدبرون القرآن** -إلى قوله- **اختلافا كثيرا**، فلو وجدوا لأظهروا ذلك. وبقوله[٤] تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.[٥] ولو قدروا على ذلك لأتوا به. دل ترك[٦] إتيانهم ذلك أنهم لم يقدروا على إتيان مثله. ولو وجدوه مختلفا لأظهروه. ولو كان من كلام البشر على ما قالوا لأتوا به، لأنهم[٧] من البشر. فظهر أنه منزل من عند الله. *والله الموفق*.

و[في] قوله عز وجل: **أفلا يتدبرون القرآن**، وقوله: لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ،[٨] دلالة بينة[٩] على وجهين. أحدهما[١٠] أن المقصود منه يدرك بالتأمل والتدبر، إذ به جرى الأمر والترغيب قبل وقت العمل؛ بل ألزم القيام بما يعقل بالتدبر.[١١] ثم فيه وجهان. أحدهما أن الأمر ليس على مخرج[١٢] الكلام عند أهل اللسان ولا على حق الاسم[١٣] في اللغة، إذ[١٤] حق مثله

---

[١] م - آخر.
[٢] جميع النسخ: لا تناقض.
[٣] ك: الملدة.
[٤] م: وقوله.
[٥] سورة البقرة، ٢٣/٢.
[٦] ن: نزل.
[٧] ك ن - لأنهم؛ م: لا أنه.
[٨] يقول الله عز وجل: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليَدَّبَّروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ (سورة ص، ٢٩/٣٨).
[٩] ك: تنبه.
[١٠] ن - أحدهما.
[١١] ع: بالتدبير.
[١٢] ن: على ما يخرج.
[١٣] ك: الايسر؛ ن: الأمر؛ ع م: الآية. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣و.
[١٤] م: أو.

أن يُرَغَّب في معرفة المُوقِع عند أهل اللسان من المخرج ويُوَجِّه[1] إليه، لا تدبر[2] فيه.[3] *والله أعلم*. و[الثاني،] معلوم أيضا أن التدبر فيه[4] حظ الحكماء وأهل البصر لا حظ العوام. وما يعرف من حيث اللسان فهو حظ الفريقين. ثبت أن على العوام اتباع الخواص فيما فهموا هم[5] والاقتداء بهم. *والله أعلم*.

والثاني[6] أنه جعل وجه معرفة الاختلاف والاتفاق بالتدبر[7] فيه لا بِقَرْع[8] الكلام السمعَ. وإذا ثبت ذلك لم يلزم العمل بشيء من الظاهر حتى يُعَرِّفَ المُوقِعُ[9] أنه على ذلك بالتدبر،[10] لئلا يلحق المتمسك به النقيضُ بالتدبر.[11] *والله أعلم*.

والوجه الثالث،[12] مما[13] تضمنت الآية[14] أن ارتفاع الاختلاف[15] يجعَله حجة على أنه عن الله، إذ عَلم الله مما جَبَل عليه الخلقَ أنه لا أحدَ يملك بحق الاختراع -لا عن علم السماع[16] ينتهي[17] إليه

---

[1] م: ولوجه.

[2] ن ع م: يدبر.

[3] قال الشارح: «فيها (أي الآية) دلالة أن المعتبر في الاعتقاد ليس هو ظاهر المخرج في حق العموم والخصوص والتقييد والإطلاق والوجوب والندب في الأوامر ونحوها على ما هو عند أهل اللسان ولا على حق الاسم في اللغة؛ لأنه رغَّب إلى التدبر في القرآن؛ والقرآن اسم لهذه الألفاظ المنظومة التي تتضمن العموم والخصوص والأمر والنهي والقيد والإطلاق. ولو كان الحكم مبنيا على ظاهر المخرج لكان يجب أن يرغِّب إلى معرفة المراد عند أهل اللسان من المخرج وبناء الحكم عليه دون التدبر. فكان الأمر بالتدبر دليلا على أن الحكم غير مبني على الظاهر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢٠٧و).

[4] ن – فيه.

[5] م: فهموهم.

[6] أي من الدلالتين البينتين.

[7] ع: والتدبير.

[8] جميع النسخ: يقرع.

[9] أي حتى يبين الدليل.

[10] ع: بالتدبير.

[11] ع: بالتدبير.

[12] ذكر الإمام أوجها كثيرة، وهي أكثر من ثلاثة أوجه. لكن هكذا ورد في جميع النسخ. والله أعلم.

[13] ع: إنما؛ م: بما.

[14] جميع النسخ: الاختلاف.

[15] ع – أن ارتفاع الاختلاف.

[16] ع: السماء.

[17] م: ينهى.

عن الله بخبر[١] الصادقين-[٢] تأليفَ الكلام[٣] ونَظْمَ مثله غيرَ[٤] متناقض ولا مختلف.[٥] يَنفِي[٦] بنفي الاختلاف [عن القرآن] ما قَرَن به من الكهنة،[٧] إذ كذلك كلام الكهنة يخرج مختلفا، وما قرن من تعليم البشر وأساطير الأولين والسحر ونحو ذلك، إذ كل ذلك يخرج[٨] على الاختلاف. وفي ذلك بيان خطْر[٩] بجَعْلِ المخرج بحق اللسان من الاسم حجة ودليلا لما يوجد من ذلك الوجه اختلاف كثير؛[١٠] ولو كان من ذلك الوجه الاحتجاج لَوُجِد الاختلاف. ومن رام أن يجعل القرآن -لولا بيان الخبر مَوقعَه- على جهة قد يقع فيها[١١] الاختلاف دونه[١٢] فهو [يكون قد] وصف القرآن مع اجتماع الخبر بنفي الاختلاف. وأما ما[١٣] هو في نفسه مختلف فمثله لكل كاهن وبشر أُرِيدَ تثبيت[١٤] التناقض فيه[١٥] [و]أمكن لمن يذبّ[١٦] عنه[١٧] [أن يذب عنه] إن كان [يوجد] عنه مترجم معبر[١٨] يجب ضم تأويله إليه. فيبطل أن يكون على أحد وجود[١٩] اختلاف في مكان،

---

[١] ن ع م: لخبر.
[٢] جميع النسخ + يملك.
[٣] ن - الكلام.
[٤] ن ع م: عن.
[٥] قال السمرقندي: «لأن الله تعالى علم أنه لا أحد يملك تأليف الكلام بحق الاختراع على ما جبل عليه الخلق خاليا عن نوع اختلاف وتناقض... وإنما لا يوجد الكلام بصفة الاختلاف والتناقض إذا كان عن السماع ينتهي إلى السامع عن الله تعالى بخبر الصادقين» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٣و).
[٦] فاعله: ما قرن به.
[٧] أي خروج كلام الكهنة مختلفا متناقضا قد يرد وينفي ضد هذا القول الذي يقول بكون القرآن من عند الله بسبب عدم الاختلاف فيه.
[٨] ع م: يخرج ذلك.
[٩] ن: خطر.
[١٠] جميع النسخ: اختلافا كثيرا.
[١١] جميع النسخ: فيه. أي في تلك الجهة.
[١٢] أي دون القرآن.
[١٣] ن ع م - ما.
[١٤] ع: تثبت؛ م: ثبتت.
[١٥] ع م - فيه.
[١٦] ن: ندب؛ ع م: الندب.
[١٧] أي أمكن له أن يزيل التناقض بالزيادة والنقصان والتأويل.
[١٨] ك - معبر.
[١٩] ك: ووجود؛ ن: وجوه.

ويكون احتجاج الله به[1] عبثا،[2] جلّ عن ذلك.[3]

ثم ما ذكر[4] يحتمل الأحكام والحدود والأمور[5] والنواهي. وذلك يوجب أن التناسخ

[٩٨و] والخصوص والعموم لا[6] يكون مختلفا. ويحتمل الأخبار والوعد / والوعيد ونحو ذلك. وأعني بالأخبار [ما أُخبر به] عن الغيب، وعما كان أخبر عز وجل عن سرائر[7] المنافقين، وعما إليه مرجع الأمور، وعما كان عنهم، ونحو ذلك مما خرج كذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٨٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به**؛ وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وإذا جاءهم نبأ من خوف أو أمن أذاعوه، وكذلك في حرف حفصة. قال الكسائي: هما لغتان، أذعتُ به وأذعته إذا[8] أفشيته. وقيل: سَمَّعوا به وأفشوه. وقيل: أفشوه وأشاعوه.

---

[1] جميع النسخ: العدين. وانظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣و. أي بعدم الاختلاف في القرآن.

[2] ع م: غبنا.

[3] قال علاء الدين السمرقندي: «ولا يقال: إنه لا يتحقق الاختلاف عند اقتران الخبر به من إرادة الخصوص والعموم، وقد ورد البيان مقرونا به من النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان المراد على خلاف ظاهر الاسم؛ فأما ما كان المراد به ظاهر اللفظ على ما وضع [فيه] يكون متعريا عن دلالة الخصوص والكلام فيه. لأنا نقول: إن الله تعالى استدل بنفي الاختلاف عنه عند التدبر فيه دون الرجوع إلى بيان من النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الوقوف على ما ورد من البيان عن الرسول عليه السلام لا يكون بالتدبر في القرآن، وإنما يقع بالنظر في كتب الأخبار والرجوع إلى أهلها. فدل أن المعتبر هو المعاني حيث يندفع الاختلاف بالتدبر فيها. ولأن الله تعالى وصف القرآن بأنه غير مختلف؛ يقتضي أن لا يكون نفسه مختلفا. وعلى ما قلتم: إنه يرتفع الاختلاف عنه عند اقتران الخبر به من النبي صلى الله عليه وسلم، لم يخرج من أن يكون نفسه مختلفا، وإنما يرتفع بانضمام زيادة أو نقصان من الغير. ومثله كلام كل كاهن بل كلام كل قوم، إنه يرتفع الاختلاف عن انضمام زيادة أو إلقاء بعض من حكيم. فلا يتصور أن يكون في العالم كلام متناقض، لما يمكن رفع ذلك باعتبار الزيادة عليه أو النقصان عنه. فيبطل احتجاج الله تعالى بارتفاع الاختلاف في القرآن وانتفائه، على كون القرآن من عنده لا من عند غيره» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢٠٧و).

[4] أي من نفي الاختلاف.

[5] ينبغي أن يقال: والأوامر، لأن الأمر الذي هو نقيض النهي يجمع على أوامر، أما الأمر بمعنى الشيء فهو الذي يجمع على أمور (*لسان العرب* لابن منظور، «أمر»).

[6] ك ن م: ولا.

[7] جميع النسخ: سرك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣ظ.

[8] ن ع م: وإذ.

ثم اختلف[1] فيمن نزلت. قال الحسن: نزلت في المؤمنين. وذلك أنهم إذا سمعوا خبرا من أخبار السرايا والعساكر مما يُسَرُّون ويَفرحون أفشوه في الناس فرحا منهم، وإذا سمعوا ما يُحزنهم ويَهُمّهم أظهروه[2] في الناس حزنا وغما.[3] ثم استثنى **إلا قليلا** منهم لا يذيعون ولا يفشون بالخبر.[4] فلو سكتوا وردوا الخبر إلى رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم حتى يخبر النبي ما كان من الأمر أو ردوه إلى أولي الأمر حتى يكونوا هم الذين يخبرون به كان أولى. وهو على التقديم والتأخير.[6] وقال أبو بكر الكيساني:[7] نزلت[8] الآية في المنافقين. وذلك أن المنافقين إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن نصر المسلمين [وظهورهم على المشركين كتبوا][9] إلى الأعداء بذلك ليُعدّوا لذلك،[10] وإذا سمعوا أن الأعداء قد اجتمعوا وأعدوا للحرب أخبروا بذلك ضعفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتنعوا عن الخروج إليهم. فقال الله[11] عز وجل: **ولو رَدّوه إلى الرسول** حتى كان هو مخبرهم عن ذلك أو ردوا **إلى أولي الأمر منهم** ليخبروا بذلك. ***والله أعلم.***

ثم اختلف في **أولي الأمر منهم**. قيل: هم أمراء السرايا. وقيل: هم العلماء[12] الفقهاء،

---

[1] ع م: اختلفت.

[2] ك ن: أظهره.

[3] روي قريب من ذلك عن ابن عباس. انظر: *تفسير الطبري*، ٥/١٨١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٠٠.

[4] قال السمرقندي: «وعن الضحاك رحمه الله أنه قال: إن هذا خبر عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يحدثون أنفسهم بأمور من أمور الشيطان إلا طائفة منهم لم يحدثوا بها أنفسهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٣ظ). وقد أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن الضحاك. انظر: *تفسير الطبري*، ٥/١٨٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٠٢.

[5] ك ن: الرسول.

[6] ن – والتأخير. قال السمرقندي: «قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير معناه: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف ولولا فضل الله عليكم ورحمته من الأمر بالكتمان والنهي عن الإذاعة وإلا لأذاعوا واتبعوا الشيطان في إذاعتهم به إلا قليلا منهم فإنهم لا يذيعون. وقيل: في الآية تقديم وتأخير من وجه آخر تقديره: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم في ذلك الشيطان» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٣ظ).

[7] جميع النسخ: الكسائي.

[8] ك ن + في.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣ظ.

[10] جميع النسخ: لاعدوا على ذلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٣ظ.

[11] ك ن – الله.

[12] ع م: علماء.

**الذين يستنبطونه منهم**، أي يستخرجونه من كتاب الله تعالى منهم،[1] الذين يطلبون علمه بقوله. وقيل: أولو[2] الأمر هاهنا مثل أبي بكر وعمر وعثمان[3] وعلي رضوان الله عليهم أجمعين. **لَعَلِمه الذين يستنبطونه منهم**، أي يستخرجونه من كتاب الله تعالى. وقيل: أولو الأمر ولاة الأمر الذين[4] يستنبطونه. والذين **أذاعوا به** قوم إما منافقون وإما مؤمنون على ما ذكرنا، إنما هو أذاعوا به إلا قليلا منهم[5] على قول بعض.

وقوله:[6] **ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا**، اختلف فيه. قيل: **فضل الله** رسولنا[7] محمد عليه أفضل الصلوات، **ورحمته** القرآن. تأويله: لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لاتبعوا[8] الشيطان **إلا قليلا** منهم لم يتبعوه، ولكن آمنوا بالعقل. وقيل: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** في الأمر والنهي عن الإذاعة والإفشاء، وإلا لأذاعوه واتبعوا الشيطان في إذاعتهم به **إلا قليلا** منهم، فإنهم لا يذيعون به. وعن الضحاك قال: هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا أنفسهم بأمور من أمور الشيطان إلا طائفة منهم لم يحدثوا بها أنفسهم.[9] وقال آخرون: هم المنافقون، كانوا إذا بلغهم أن الله تعالى أظفر[10] المسلمين على المشركين وفتح عليهم صغّروه وحقروه، وإذا بلغهم أن المسلمين نُكِبوا نَكبة شَنّعوه[11] وعظموه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **إلا قليلا** منهم، يقول: لعلموا الأمر الذين يريدون والخبر كله **إلا قليلا**. يقول: لم يَخْفَ عليهم إلا قليلا من ذلك الأمر لو ردوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.[12] وعن الحسن قال: هم[13] الذين استثنى الله عز وجل حين قال إبليس لعنه الله:

---

[1] ك ن م – أي يستخرجونه من كتاب الله تعالى منهم.
[2] ع م: أولي.
[3] ك ن – وعثمان.
[4] ن: الذي.
[5] جميع النسخ + ولولا فضل الله عليكم الآية.
[6] ك ن – وقوله.
[7] ك ن – رسولنا.
[8] ن: لاتبعتم.
[9] *تفسير الطبري*، ١٨٤/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٢/٢.
[10] ك: أظهر.
[11] ك: شيعوه.
[12] جميع النسخ + الآية.
[13] ع م – الذين يريدون والخبر كله إلا قليلا يقول لم يخف عليهم إلا قيلا من ذلك الأمر لو ردوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الآية وعن الحسن قال هم.

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً،[١] وحيث قال: وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.[٢] وقال غيرهم ما ذكرنا على التقديم والتأخير: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا منهم. *والله أعلم بذلك.*

**﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾**[٨٤]

وقوله عز وجل: **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك**؛ قوله: **لا تكلف إلا نفسك** يحتمل وجهين. أي ليس عليك حسابهم ولا جزاء تخلفهم، إنما حساب ذلك عليهم، كقوله عز وجل: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ[٣] مِنْ شَيْءٍ،[٤] وكقوله عز وجل: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[٥]

والثاني **لا تكلف إلا نفسك**، أي تكلف[٦] أنت بالقتال والجهاد وإن تخلف[٧] هؤلاء عن الخروج معك. يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هذا حين استنفر[٨] النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم بوعد أبي سفيان بدر الصغرى، فخذل الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأخرجن إلى بدر وإن لم يتبعني أحد منكم». فاتبعه أقل أصحابه[٩] رضوان الله عليهم أجمعين، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.[١٠] وفيه دليل وعد النصر له والفتح والنكبة على الأعداء، لأنه كُلِّف[١١] الخروج وحده،[١٢] فلو لم يكن وعد النصر له لم يؤمر[١٣] بالخروج. ألا ترى أنه قال الله[١٤] عز وجل:[١٥]

---

[١] سورة الإسراء، ٦٢/١٧.

[٢] سورة الحجر، ٣٩/١٥ - ٤٠.

[٣] ع م - ولا جزاء تخلفهم إنما حساب ذلك عليهم كقوله عز وجل ما عليك من حسابهم.

[٤] سورة الأنعام، ٥٢/٦.

[٥] سورة النور، ٥٤/٢٤.

[٦] ن: تخلف.

[٧] م: تختلف.

[٨] ن ع م: استنصر.

[٩] ن: أقل من الصحابة؛ ع م: أقل الصحابة.

[١٠] *تفسير القرطبي*، ٢٩٣/٥.

[١١] ن: تخفف؛ ع م: تخلف.

[١٢] جميع النسخ: وعده.

[١٣] ن: لم يؤمن؛ م: لم تؤمر.

[١٤] ك ن - الله.

[١٥] ك + قال.

**عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا**، وعسى من الله تعالى واجب. وفي قوله تعالى: **عسى الله** وعدُ نصره وإن خرج وحده،[1] إذ عسى[2] من[3] الله واجب.

وقوله عز وجل: **وحرّض المؤمنين** يحتمل وجوها. يحتمل[4] **حرض المؤمنين** بالثواب لهم وكريم المآب على ذلك. ويحتمل[5] قوله تعالى: **حرض المؤمنين** على القتال لما في القتال معهم إظهار دين الله الإسلام، وفي ترك المجاهدة والقتال معهم نصر العدو عليهم وإظهار دينهم. أمر عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام ليرغّبهم في مجاهدة أعدائهم. والثالث **وحرض المؤمنين** على المجاهدة والقتال معهم وعدا بالنصر لهم والفتح والغنيمة. ***والله أعلم***.

[٩٨ظ] وقوله عز وجل: **عسى الله أن يَكُفّ بأس الذين / كفروا**؛ وعسى[6] من الله واجب. وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكف عنهم بأس الذين كفروا.

وقوله عز وجل: **والله أشد بأسا وأشد تنكيلا**؛ قيل:[7] وقوله: **أشد بأسا** لما يدفع بأس المشركين عنكم ولا يقدرون هم[8] دفع بأس الله عن أنفسهم، فبأس الله أشد. وقوله سبحانه: **وأشد تنكيلا**؛[9] قيل: التنكيل هو العذاب الذي يكون لآخر[10] فيه زجر ومنع. وقيل:[11] حين قال له: **لا تُكلَّف إلا نفسك** [أي] ولو لم يتبعك أحد من الناس لكف الله عنك بأس المشركين. وقيل: البأس هو عذاب الدنيا، والتنكيل والنكال هو عذاب الآخرة. كأنه[12] يخوفهم ببأسه لتخلفهم عن العدو ومخافة بأسهم وعذابهم. فأخبر عز وجل أن بأس الله وعذابه أشد من بأس الأعداء. ***والله أعلم***.

---

[1] ع: وحد.
[2] ك ع م: العسى هو؛ ن: العسى.
[3] م: امن.
[4] ن- يحتمل.
[5] ع م + المؤمنين.
[6] جميع النسخ: والعسى.
[7] ك ن – قيل.
[8] ع: يقدروهم.
[9] ن – وقوله أشد بأسا لما يدفع بأس المشركين عنكم ولا يقدرون هم دفع بأس الله عن أنفسهم فبأس الله أشد وقوله وأشد تنكيلا.
[10] ن ع: الآخر؛ م: للآخر.
[11] ن + وقيل.
[12] ع م: لأنه.

**﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[٨٥]**

وقوله عز وجل: **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**؛ لم يذكر ما[١] تلك الشفاعة التي يشفع.[٢] فيحتمل الشفاعة الحسنة هي الدعاء له بالمغفرة والرحمة وهو لذلك[٣] مستوجب فيكون له بذلك **نصيب**؛ والشفاعة السيئة هو الدعاء عليه باللعن والمقت وهو لذلك غير مستوجب فيكون له بذلك[٤] **نصيب**. وقيل: هو[٥] كقول[٦] العرب: الدالّ على الخير كفاعله.[٧] من دل آخر على الخير فله في ذلك **نصيب**، وكذلك من دل آخر على الشر. ويحتمل الشفاعة[٨] في مظلمة، يسعى في دفع مظلمة[٩] عن أخيه المسلم، وهو **شفاعة حسنة** فله في ذلك **نصيب**؛ والشفاعة[١٠] السيئة هي[١١] أن يسعى في فساد أمر[١٢] تلحقه[١٣] من ذلك نقمة ومظلمة فله في ذلك إثم. وقيل: الشفاعة الحسنة هي التي تنتفع[١٤] بها وعمل بها،[١٥] هي بينك وبينه، هما فيها شريكان؛ والشفاعة[١٦] التي تضر[١٧] به هما فيها[١٨] شريكان. ويحتمل أن تكون[١٩] الشفاعة الحسنة

---

[١] ع – ما.
[٢] ك: تشفع.
[٣] ن: والرحمة ولذلك.
[٤] ن ع م: منها.
[٥] م – هو.
[٦] ع: كقوله.
[٧] بل هو حديث شريف كما سيذكره المؤلف مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: صحيح *مسلم*، الإمارة ١٣٣؛ وسنن *الترمذي*، العلم ١٤.
[٨] ع م + الحسنة.
[٩] ع – يسعى في دفع مظلمة.
[١٠] ع م: ويحتمل الشفاعة.
[١١] ن ع م: هو.
[١٢] ك: أمره.
[١٣] ن ع م: يلحقه.
[١٤] جميع النسخ: ينتفع.
[١٥] أي عمل بها المشفوع إليه.
[١٦] ع م + هي.
[١٧] ن ع م: تصير.
[١٨] ن – فيها.
[١٩] ن ع م: يكون.

كل صانِع[1] معروفٍ وكل آمر به، والشفاعة السيئة كل صانِع منكرٍ وآمرٍ به. فهما[2] شريكان في ذلك: الآمرُ والفاعلُ جميعا. ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل معروف صدقة».[3] و«الدال على الخير كفاعله».[4] و«الله يحب إغاثة اللهفان».[5] وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صدقة أفضل من صدقة اللسان». قيل: وما صدقة اللسان يا رسول الله؟ قال: «الشفاعة تجر بها [المعروف والإحسان][6] إلى أخيك وتدفع[7] عنه ثقل[8] الكريهة ويحقن[9] بها الدم».[10]

والكفل والنصيب واحد. وقيل: الكفل الجزء، وهو واحد.[11] وقيل: الكفل[12] الإثم. ولكن ليس اسمَه[13] خاصة، ألا ترى أنه قال: يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ.[14]

والشفاعة من أعظم ما احتيج[15] إليها. إذ قد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والشفاعة في المعهود من الأمر يكون عند زَلَّات يُستوجَب بها المقت والعقوبةَ، فيُعفَى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضاء بهم. ثم كانت الصغائر منا لا يجوز التعذيب عليها[16] عند القائلين بالخلود في الكبائر.[17] والكبائر مما يعفى عنها بالشفاعة.

---

[1] ن ع م - صانع.
[2] ع م: فيهما.
[3] صحيح *البخاري*، الأدب ٣٣؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ٥٢.
[4] تقدم تخريجه قريبا.
[5] مسند *أبي يعلى*، ٢٧٥/٧؛ ومجمع *الزوائد* للهيثمي، ١٣٥/٣. اللهفان هو المحزون المتحسر المكروب (*لسان العرب* لابن منظور، «هف»).
[6] من مجمع *الزوائد* للهيثمي، ١٩٤/٨.
[7] جميع النسخ: وقد وقع. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٤و.
[8] ن ع: نقل.
[9] ن ع م: ويخفى.
[10] مجمع *الزوائد* للهيثمي، ١٩٤/٨. حَقَنَ دم الرجل أي أنقذه بعدما وجب عليه القتل (*لسان العرب* لابن منظور، «حقن»).
[11] ع م - وهو واحد.
[12] م - الكفل.
[13] ع م: إثمه.
[14] سورة الحديد، ٢٨/٥٧.
[15] ع: احتج.
[16] ك + التعذيب عليها.
[17] ع م: بالخلود بالكبائر.

فإذًا بطل عظيم[1] ما جاء من القرآن والآثار في الامتنان، وسقط ما جُبِل عليه أهل العلم بالله وبرحمته، ويبطل دعاء[2] المسلمين بشفاعة الرسل[3] صلوات الله عليهم. **ولا قوة إلا بالله**.

وقال بعضهم: الشفاعة تخرج على وجهين: على[4] ذكر محاسن أحد عند آخر ليقرر له عنده[5] المنزلة والرتبة؛ والثاني أن يدعو[6] له. فالأول هو الذي يحتمل توجيه الشفاعة إليه. والثاني قد بين بقوله: ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ -إلى قوله- الْعَظِيمُ،[7] وقوله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[8] وهو[9] يدل على وجهي[10] الشفاعة، لأن المرتضى هو ذو منزلة وقدر، وهو ممن تضمنته آية شفاعة الملائكة.[11]

فيقال: الوجه الأول في الآخرة لا معنى له لوجهين. أحدهما أنه في تقرير الأمر عند من يجهله،[12] والله جل ثناؤه هو العيلم بحقيقة ذلك، بل غيره مما يجوز عليهم خفاء الحقائق؛ كقوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا،[13] الآية. وقال[14] عيسى عليه السلام: مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ،[15] الآية. وكان في ذلك أن الحقائق في ذلك عند الله،

---

[1] جميع النسخ: عظم.

[2] ن ع م: رجاء.

[3] ك: بشفاعة الله.

[4] ن + ما.

[5] م: عند.

[6] ن: يدعوا.

[7] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعتَ كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِم عذاب الجحيم ربنا وَأَدْخِلْهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقِهِمُ السيئات ومن تَقِ السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧ – ٩).

[8] ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٨).

[9] جميع النسخ: والخوف.

[10] جميع النسخ: وجهين.

[11] أي قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش﴾ (سورة غافر، ٤٠/٧ – ٩).

[12] ن + والله أعلم.

[13] سورة المائدة ٥/١٠٩.

[14] ع: فقال.

[15] ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦ – ١١٧).

وهم[1] تبرّءوا عن[2] العلم بذلك وأقروا بأن الله هو المنفرد بعلم ذلك.[3] **وبالله التوفيق**.

والثاني أن ثمة[4] كتبا[5] يقرأ فيها أعمال بني آدم وما سبق منهم من صغير وكبير. فهي الكافية في التقدير إن كان في حق الاحتجاج. وإن كان في حق الإعلام فعلم الله بهم مغنٍ[6] عن ذلك. **ولا قوة إلا بالله**. وأما الدعاء فكذلك نقول بدعاء لمن له ذلك الوصف، ويشفع له فيما كان في ذلك منه من المآثم والذنوب، لا أنه إذا كان كل أفعالهم ذلك فيشفع لهم، لأنه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر من الأفعال، بل لهم[7] عليها أعظم الثواب وأرفع المأوى. وطلب الشفاعة والمغفرة لمثله يقبح من وجوه.[8] أحدها أن ذلك لا يجوز في الحكمة، فكأنهم طلبوا منه أن لا يجور[9] ولا يسفه؛ وذلك لأفسق[10] الخلق يخرج مخرج التسفيه،[11] فضلا من أن يتضرع إلى الله به، جل الكريم الحليم عن هذا الوصف. والثاني أن الحق[12] في مثله، إذ هو مثاب غير معاقب، يلقى ذلك منه بالشكر والحمد، وفي الدعاء كتمان ذلك وكفرانه، ومحال الإذن في مثله.[13] **وبالله التوفيق**. والثالث أن ذلك في الموعود له[14] بالجنة والمبشر بها؛
[٩٩و] / فطلب مثله يوجب الجهالة بذلك، لا أن يكون الوقت لم يبين فيكون[15] ذلك في الاستعجال. وهو قولنا في أصحاب الكبائر أنهم لو عذبوا بقدر الذنوب لكان ذلك في الحكمة عدلا. فيشفّع لسائلهم بالفضل والإحسان دون العدل والاستيفاء.[16] **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] أي الرسل ومن بينهم عيسى عيه السلام.
[2] ع: من.
[3] ن - بعلم ذلك.
[4] ك: ثم.
[5] ك ن: كتب.
[6] جميع النسخ: مغني.
[7] جميع النسخ: هم.
[8] ن: لوجوه.
[9] ن ع م: يجوز.
[10] ك: لاسف.
[11] ك: السيفة.
[12] ع: الخلق؛ م: يحق.
[13] ك: في ذلك.
[14] ن ع م - له.
[15] جميع النسخ: يكون.
[16] ك: والاستيقا.

والأصل أن[١] مقادير العقوبات إنما يعرفها[٢] من يعرف مقادير الأجرام. وليس من الخلائق [أحد] يحتمل تركيبه احتمال العلم بمقاديرها، إذ لا أحد يبلغ في معرفة تعظيم الله كنه عظمته ليعرفوا قدر الخلاف لأمره[٣] جل وعلا. وما كان هذا سبيله فحق القول فيه[٤] الاتباع بعد[٥] العلم في الاتباع[٦] أن الله لا يجزي بالسيئة إلا مثلها. ثم معلوم أن لا سيئة أعظم من الكفر، وجعل مثلها من الجزاء الخلود في النار. فمن[٧] ألزم ذلك لما دونه وصف الله تعالى أنه يجزي بالسيئة أكثر من مثلها. والله عز وجل أخبرنا أنه لا يجزي ذلك.[٨] *والله أعلم*.[٩]

وقوله عز وجل أيضا:[١٠] **من يشفع شفاعة حسنة... وسيئة**، يكون فيما بين المرء والرب.[١١] يشفع إليه بالمغفرة لأحد والتجاوز عن المذنب، فيكون له[١٢] **نصيب منها**. ويحتمل أن يكون الله تعالى يرحمه برحمته[١٣] على أخيه بالشفاعة إليه بالتجاوز عنه والمغفرة. ويحتمل أن يكون الله تعالى إذا غفر له يجعل له في شفيعه شفاعة يَهَبه له كما وهب الأول له؛ وفي السيئة فيما يلعنه أو يدعو[١٤] الله عليه بالهلاك عن غير استحقاق أو [بشيء] عليه في بقائه ضرر. يكون له **نصيب منها**:[١٥] يلعنه[١٦] الآخر أو أحد[١٧] يلعنه ويدعو[١٨] عليه به

---

[١] جميع النسخ: ألها.
[٢] ك ع: يعرف؛ ن م: تعرف.
[٣] م: الامر.
[٤] م – فيه.
[٥] ك: بعدم.
[٦] ع م – بعد العلم في الاتباع.
[٧] ك: ممن.
[٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[٩] ك ن: الموفق.
[١٠] ع – أيضا.
[١١] ع م – والرب.
[١٢] ع م – له.
[١٣] ك: برحمته برحمة؛ ن ع م: برحمته يرحمه.
[١٤] ن: يدعوا.
[١٥] ع م – منها.
[١٦] ك: يلفي؛ ن ع م.
[١٧] جميع النسخ: أحدا.
[١٨] ن: ويدعوا.

أن يعاقبه بإساءته[1] إلى أخيه في طلب الهلاك له[2] بلا معنى له.

وقوله[3] عز وجل أيضا:[4] **من يشفع**، الآية، يحتمل فيما بينه وبين ربه؛ يشفع له بخير[5] إليه من عفو وتجاوز، أو بسوء[6] إليه من لعنة أو هلاك.[7] والنصيب منها بوجهين. أحدهما المغفرة في الأول هي برحمته أخاه وإشفاقه عليه، أو يعطي المشفوع له الشفاعة فيكون ذلك له نصيب منها. وفي الثاني يجزيه بإساءته إلى[8] من لعنه ودعا[9] عليه بالهلاك بلا استحقاق، يقيض[10] الأول أو أحدا[11] بمثله فيه.[12] *والله أعلم*. ويحتمل فيما بينه وبين الناس. ثم يكون ذلك بوجوه. أحدها بما يشفع إلى مَن بين[13] أخيه وآخرَ سوء في دفع ذلك وجلب[14] التحية أو الألفة أو إلى ضد ذلك. [أو] يشفع في إقالة عَثْرة[15] أو يَنِمّ[16] بينهما لإلقاء[17] عداوة. أو يشفع إليه بالدلالة على ملهوف في إغاثة أو مظلوم في نَكبة. أو يصنع معروفا أو منكرا[18] يبعث ذلك على خير أو شر. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **وكان الله على كل شيء مقيتا**؛ قيل: هو الحافظ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.[19] وقيل: **مقيتا** حسيبا؛ وقيل: شهيدا. وقيل: **مقيتا**[20] أي مقتدرا مجازيا

---

[1] ع: بإسارته؛ م: بإشارته.
[2] ن ع م – له.
[3] ن – وقوله.
[4] ن – أيضا.
[5] ن ع م: يخير.
[6] ك ن: يسو.
[7] ع م: لعنه أو هلاكه.
[8] ع م – إلى.
[9] م: ودعاء.
[10] ع م: يقبض. وقَيّض بمعنى سبّب من حيث لا يحتسب (*لسان العرب* لابن منظور، «قيض»).
[11] ن: أحد؛ م: واحدا.
[12] ك – فيه.
[13] ك: يبر.
[14] ن ع م: وحلت.
[15] ن م: عشرة.
[16] ك ن ع: نميم. نَمّ أي مشى بالنميمة (*لسان العرب* لابن منظور، «نمم»).
[17] ك ن ع: للإلقاء.
[18] ك: نكبة.
[19] *تفسير الطبري*، ١٨٧/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٤/٢.
[20] ع م – وقيل شهيدا وقيل مقيتا.

بالحسنة[١] والسيئة. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل[٢] بمسلم أُكْلَةً أطعمه الله من نار جهنم. ومن قام بأخيه المسلم مقام سُمْعة ورياء أقامه[٣] الله تعالى مقام سُمْعة ورياء».[٤] و[قال عليه الصلاة والسلام]: «من يَتَّبِعْ[٥] عورة أخيه المسلم يَتَّبِعِ[٦] الله عورته. ومن يَتَّبِع[٧] عورته يَفْضَحْه [ولو] في [جوف][٨] بيته».[٩] وعن الفراء والكسائي قالا: المقيت المقتدر،[١٠] من أقات[١١] يقيت إقاتة. وقيل: المقيت مشتقة من القوت. يقول: رزق كل دابة على الله حتى تستوفي أكلها ورزقها. وقيل: **مقيتا** واهبا[١٢] يكلؤهم ويرزقهم. وقال أبو بكر الكيساني:[١٣]

---

[١] م: بالجنة.

[٢] جميع النسخ: استأكل. والتصحيح من مصادر الحديث.

[٣] ع: اقامة.

[٤] عن المُستَوْرِد بن شَدّاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل برجل مسلم أَكْلَةً -وقال مرة: أُكْلَةً- فان الله عز وجل يطعمه مثلها من جهنم؛ ومن اكْتَسَى برجل مسم ثوبًا فان الله عز وجل يكسوه مثله من جهنم؛ ومن قام برجل مسلم مقام سمعة فان الله عز وجل يقوم به مقام سمعة يوم القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٩/٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٣٥). ومعنى «من أكل برجل مسم أكلة...» الرجل أن يكون صديقا لرجل ثم يذهب إلى عدوه فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة. فلا يبارك الله له فيها (*لسان العرب* لابن منظور، «أكل»). ويقال: ذلك بمعنى الرجل يأكل بالرجل أموال الناس ليسد بها فقره ويأخذ لنفسه. وهو مثل ما يقال: فلان يأكل بدينه وفلان يأكل بعمله. ومعنى «من قام برجل مسلم» أي من قام من أجله مقام سمعة لا لمعنى استحق به ذلك ولكن ليفضحه به ويسمع به فيه كان من أهل الوعيد المذكور. انظر: معتصر *المختصر* لأبي المحاسن يوسف بن موسى، ٣٤٧/٢. ويقال: «من أكل برجل مسم» أي بسبب اغتيابه والوقيعة فيه أو بتعرضه له بالأذية ثم من يعاديه. «أكلة» بالضم أي لقمة أو بالفتح أي مرة من الأكل. «ومن قام برجل» ذكروا له معنيين. أحدهما: أن الباء للتعدية، أي أقام رجلا مقام سمعة ورياء، ووصفه بالصلاح والتقوى والكرامات وشهره بها، وجعله وسيلة إلى تحصيل أغراض نفسه وحطام الدنيا. فإن الله يقوم به أي بعذابه وتشهيره أنه كان كذابا. وثانيهما: أن الباء لسببية -وقيل: هو أقوى وأنسب- أي من قام بسبب رجل من العظماء من أهل المال والجاه مقاما يتظاهر فيه بالصلاح والتقوى ليعتقد فيه ويجب إليه المال والجاه أقامه الله مقام المرائين ويفضحه ويعذب عذاب المرائين. انظر: عون *المعبود* لشمس الحق العظيم آبادي، ١٥٤/١٣.

[٥] م: تتبع.

[٦] م: تتبع.

[٧] م: تتبع.

[٨] من مصادر الحديث.

[٩] ن ع: نيته؛ م: بنيه. سنن *أبي داود*، الأدب ٣٥؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٨٥.

[١٠] *معاني القرآن* للفراء، ١٩٤/١.

[١١] ل ع م: اوقات.

[١٢] جميع النسخ: واجبا.

[١٣] ك ع م: الكسائي.

وهو مأخوذ من الكتب السابقة ليس[1] هو بلساننا، فنحن لا نتأوله فلعله على خلاف ما نتأوله.[2] *والله أعلم.*

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**؛ ذكر التحية و لم يذكر ما تلك التحية. واسم التحية يقع على أشياء، من نحو ما جعل الصلاة لتحية المسجد، والطواف تحية البيت، وغير ذلك مما يكثر عددها. لكن أهل التأويل أجمعوا على صرف هذه التحية إلى السلام دون غيرها من التحية التي ذكرنا. ألا ترى أنه قال عز وجل: **أو ردوها**. ولو كان غيرها أراد لم يقل: **أو ردوها**، لأن غيرها من التحية لا ترد، إذ في الرد ترك القبول، و لم يؤمر بذلك. دل أنه أراد بالتحية السلام. ويدل على ذلك آيات من كتاب الله تعالى. قال الله عز وجل: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ.[3] وجعل[4] تحية الملائكة[5] للمؤمنين السلامَ كقوله تعالى: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ.[6] وجعل تحية أهل الجنة السلام كقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[7] وكقوله تعالى: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[8] وتحية الملائكة بعضهم على بعض بالسلام. ألا ترى أنه قال الله عز وجل:[9] فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ،[10] الآية. فعلى ذلك يمكن[11] أن[12] يكون المراد من قوله تعالى: **وإذا حييتم بتحية** السلامَ. وجعل الله عز وجل السلام عَلَما وشعارا فيما بين المسلمين وأمانا يُؤَمِّن بعضهم بعضا عن شرّه.[13]

---

[1] ك – ليس.

[2] ن ع: يتأوله.

[3] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

[4] جميع النسخ: فجعل.

[5] ن ع م + صلاة.

[6] ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢٣-٢٤).

[7] سورة مريم، ٦٢/١٩.

[8] سورة إبراهيم، ٢٣/١٤.

[9] ك ن ع – الله عز وجل.

[10] سورة النور، ٦١/٢٤.

[11] ك ن ع: يتمكن.

[12] ع: وأن.

[13] ع: شرة.

ألا ترى[1] أن أهل الرِّيبة[2] لا يسلِّمون ولا يردون السلام وإن كان لا يعرفون تفسيره ولا معناه، ولكن على الطبع جُعِل ذلك لهم.

والسلام قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، فهو يحتمل وجوها. يحتمل سلام:[3] مُسَلِّم طاهر عن الأشباه والأشكال. وسلام: عدل منزه عن العيوب كلها والجور والظلم. وقوله: ورحمة[4] الله، أي برحمته نجا[5] من نجا وسعد من سعد. وبركاته بها[6] يُنال كل خير، وهي[7] اسم كل خير. ألا ترى أنه[8] جُعل[9] التحليل من الصلاة بالسلام / بقوله: السلام عليكم ورحمة الله. على ما جعل تحريمها باسم الله، فعلى ذلك جعل الافتتاح بما به جعل الختم. [٩٩ظ]

ثم اختلف في قوله عز وجل: **فَحَيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها**. فقيل: **حيوا بأحسن منها** للمسلمين، **أو ردوها** على أهل الكتاب. وعن أنس رضي الله عنه قال: نُهينا أن نزيد على أهل الكتاب على "عليك" و"عليكم".[10] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: السلام اسم[11] من أسماء الله وضعه الله[12] في الأرض، فأفشوه بينكم؛ فإن الرجل إذا سلّم كتبت له[13] عشر حسنات، فإن هم ردوها عليه كتبت[14] لهم مثله.[15] وقيل: قوله تعالى: **فحيوا بأحسن منها** بالزيادة **أو ردوها** بمثلها. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه فقال: السلام عليكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[16] «عليكم ورحمة الله». ثم جاءه آخر فقال:

---

[1] ك: يرى.
[2] الريبة الشك والظنة والتهمة (*لسان العرب* لابن منظور، «ريب»).
[3] ك: السلام.
[4] ن ع م: ورحمت.
[5] جميع النسخ: ينجو. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٤ظ.
[6] جميع النسخ: به.
[7] جميع النسخ: وهو.
[8] م: أن.
[9] ع م – جعل.
[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٣/٣؛ وصحيح *البخاري*، الاستئذان ٢٢؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٦. واللفظ لأحمد.
[11] ك – اسم.
[12] جميع النسخ: وصفاته. والتصحيح من *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٧/٢.
[13] ن – له.
[14] ن ع م: كتب.
[15] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٧/٢.
[16] ع م – أن رجلا أتاه فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله. فقال النبي[1] عليه الصلاة والسلام: «عليكم[2] ورحمة الله وبركاته». ثم جاءه[3] آخر[4] فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: «عليكم». فقيل له: إنك زدت في الأول والثاني. فقال: «إن[5] الأول والثاني[6] قد أبقيا لي زيادة. وهذا لم يبق لي[7] زيادة».[8] وقيل: إنه روي أنه سلم عليه رجل فقال: السلام عليكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عشرٌ». يعني عشر حسنات. وسلم عليه آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال: «عشرون». وقال آخر: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: «ثلاثون».[9] ومنتهى السلام قوله: وبركاته، لا يُزاد عليه. كقوله: رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ.[10]

فإن قيل: يُسلِّم في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام عليك[11] أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولا يقول في التحليل من الصلاة: وبركاته؟[12]

قيل: لوجهين. أحدهما[13] تفضيلا[14] لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني إبقاء لهم في الرد زيادة.

ويسلم الراكب على الماشي[15] والماشي[16] على القائم.[17] وروي[18] عن رسول الله

[1] ك ن – النبي.
[2] ن – عيكم.
[3] ن: جاء.
[4] ع – آخر.
[5] م + في.
[6] ع – فقال إن الأول والثاني.
[7] ع م – لي.
[8] *تفسير الطبري*، ١٩٠/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٥/٢.
[9] *سنن أبي داود*، الأدب ١٣٢؛ *وسنن الترمذي*، الاستئذان ٢. وصححه الترمذي.
[10] سورة هود، ٧٣/١١.
[11] م: عيكم.
[12] ن – وبركاته.
[13] ن ع م – أحدهما.
[14] م: تفضلا.
[15] م + والقائم عى القاعد.
[16] ع: والقائم.
[17] م – والماشي على القائم.
[18] ن ع م: روي.

صلى الله عليه وسلم قال: «يسلم الراكب على الماشي،[1] والماشي على القائم، والقائم على الجالس، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير».[2] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، وإن قام[3] والقوم جلوس فليسلم. فليست الأولى بأحق من الأخرى».[4] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بغيرنا فليس منا –وقال– لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى، فإن تسليم النصارى بالأَكُفّ، وتسليم اليهود بالإشارة».[5] ويكره أن يبتدئ أهل[6] الكتاب بالتسليم، ولكن إذا بدءوا هم[7] يَردّ. وعلى[8] ذلك جاءت الآثار. روي عن[9] أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[10] «لا تبدؤا اليهود والنصارى بالتسليم، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه».[11] وعن أبي بَصْرة[12] الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يوما: «إني راكب إلى يهود، فإن سلموا عليكم فقولوا: وعليكم».[13]

ثم قيل في تفسير السلام عليكم بوجوه. قال بعضهم: تأويله الله شهيد عليكم. وقيل:

---

[1] ع: الماشي الراكب على.

[2] ن ع م – والقليل على الكثير. صحيح *البخاري*، الاستئذان ٤٥؛ وصحيح *مسلم*، السلام ١؛ وسنن *الترمذي*، الاستئذان ١٤.

[3] ع: أقام.

[4] سنن *أبي داود*، الأدب ١٣٩؛ وسنن *الترمذي*، الاستئذان ١٥. «قال الطِّيبي: أي كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة بل الثانية أولى» (*تحفة الأحوذي* للمُبَارَكْفُوري، ٤٠٢/٧ – ٤٠٣).

[5] سنن *الترمذي*، الاستئذان ٧. وضعف الترمذي إسناده.

[6] ع م: بأهل.

[7] م: بداهم.

[8] ع: بداهم يردوا على.

[9] ع م: الآثار وعن.

[10] ن – من تشبه بغيرنا فليس منا وقال لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فإن تسليم النصارى بالأكف وتسليم اليهود بالإشارة ويكره أن يبتدئ أهل الكتاب بالتسليم ولكن إذا بدءوا هم يرد وعلى ذلك جاءت الآثار روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[11] جميع النسخ: أضيقها. صحيح *مسلم*، السلام ١٣.

[12] جميع النسخ: أبي نضرة. والتصحيح من مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٩٨/٦.

[13] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٩٨/٦.

الله قائم عليكم. وهو كقول الله تعالى: أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ[1] بَرّ أو فاجر يرزقهم ويحفظهم ويستجيب لهم. وقيل: هو الدعاء لهم بالمغفرة والسلامة. وهو ما ذكرنا بَدْأً.

وقوله عز وجل: **إن الله كان على كل شيء حسيبا**؛ قيل: شهيدا؛[2] وقيل: حفيظا؛ وقيل: كافيا مقتدرا. يقال حسيبي[3] هذا أي كفاني. وقال الكسائي: مشتقة من الحساب. كقوله تعالى: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا،[4] أي حاسبا، كالأمير والآمر[5] والقدير والقادر. ***والله تعالى أعلم.***[6]

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**؛ هذا[7] -والله أعلم- لما ألزم الله وأجرى على ألسنتهم أنه[8] الله وأنه خالق السماوات والأرض وأنه خالقهم، كقوله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ؛[9] أخبر أن الذي سميتموه الله وقلتم: إنه خالق السماوات والأرض[10] هو واحد لا إله غيره ولا رب سواه، هو واحد لا شريك معه ولا نِدّ، وأن الأصنام التي تعبدونها[11] دون الله قد تعلمون[12] أنها لا تنفعكم إن عبدتموها، ولا تضركم إن تركتم[13] عبادتها. ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **لَيجمعنّكم إلى يوم القيامة**، قيل فيه بوجهين. قيل: ليجمعنكم ليوم القيامة. كقوله: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ.[14] وقيل: ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة، ثم يبعثكم. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة الرعد، ١٣/٣٣.

[2] ع + وقيل حافظا.

[3] ك: احسيبي؛ ن ع م: احسبني. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٤ظ.

[4] سورة الإسراء، ١٧/١٤.

[5] ع: والأمير.

[6] ك ن - والله تعالى أعلم.

[7] ع - هذا.

[8] ع: أن؛ م - أنه.

[9] سورة الزخرف، ٤٣/٨٧.

[10] ن - وأنه خالقهم كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أخبر أن الذي سميتموه الله وقلتم إنه خالق السماوات والأرض.

[11] جميع النسخ: يعبدونها.

[12] ك ن: يعلمون؛ ع: يعلموا.

[13] ع م: تركتموها.

[14] سورة التغابن، ٦٤/٩.

وقوله عز وجل: **ومن أصدق من الله حديثا**، معناه -والله أعلم- أنكم تقبلون[١] الحديث بعضكم من بعض، وأن حديثكم يكون صدقا ويكون كذبا. فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره في البعث وما أخبر في القرآن، وحديثه لا يحتمل الكذب. هذا -والله أعلم- تأويله.

**﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[٨٨]**

وقوله عز وجل: **فما لكم في المنافقين فئتين**؛ اختلف في قصة الآية. قيل: إن ناسا من أهل[٢] مكة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأسلموا وأقاموا بها ما شاء الله أن يقيموا. ثم ندموا على الهجرة والإقامة فيها وأرادوا الرجعة إلى مكة واجْتَوَوا[٣] المدينة.[٤] فخرجوا يتحولون[٥] مَنْقَلة مَنْقَلة[٦] حتى تباعدوا من المدينة، فلحقوا بمكة. فكتبوا كتابا ثم بعثوا به مع رسول مِن قِبَلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم به الرسول عليه بالمدينة. فإذا فيه: "إنا على الذي فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله، اشتقنا / إلى أرضنا، واجْتَوَينا [١٠٠و] المدينة." ثم إنهم خرجوا من مكة متوجهين إلى الشام للتجارة، فبلغ ذلك المسلمين وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال بعضهم لبعض: فما يمنعنا[٧] أن نخرج إلى هؤلاء الذين رغبوا عن[٨] ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم؟ فقال فريق منهم: كيف تقتلون قوما على دينكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين. حتى نزل قوله تعالى: **فما لكم في المنافقين فئتين**.[٩] يبين[١٠] الله[١١] عز وجل لرسوله أمرهم وما صاروا إليه.

---

[١] ك: تقبلون.
[٢] ك - أهل.
[٣] اجتووا المدينة: أي أصابهم الجَوَى. وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول. وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها. واجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة. وفي الحديث أن وفد عُرينة قدموا المدينة فاجتوؤها (*لسان العرب* لابن منظور، «جوي»).
[٤] ع م - واجتووا المدينة.
[٥] ع م: يتحولوا.
[٦] المنقلة: المرحلة من مراحل السفر (*لسان العرب* لابن منظور، «نقل»).
[٧] م: منعنا.
[٨] م: من.
[٩] *تفسير الطبري*، ٥/١٩٣-١٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٠٩ - ٦١٠.
[١٠] ن م: بين؛ ع: عبين.
[١١] ك ن - الله.

وقيل: تخلف رجال عن أُحد. فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم[١] فئتين. فرقة تقول: اقتلهم، وفرقة تقول:[٢] اعف عنهم. فنزلت الآية: **فما لكم في المنافقين فئتين.**[٣] وقيل: إن قوما كانوا يتحدثون، فاختصموا في أهل مكة. فقال بعضهم: إنهم كفار. وقال آخرون: إنهم قد أكلوا ذبائحكم وصلوا صلاتكم وأجابوا دعوتكم فهم معكم. وقال غيرهم: تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه. فأكثروا في ذلك. فنزل قوله تعالى: **فما لكم في المنافقين فئتين** الآية. فلا ندري كيف كانت القصة، ولكن فيه النهي عن الاختلاف والتنازع بينهم. كأنه قال -والله أعلم-: كيف تختلفون[٤] في قوم ظهر نفاقهم، وكيف لا تسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالهم وهو بين أظهركم، كقوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[٥] الآية. وظهور نفاقهم يحتمل الخبر منه نصا أنهم منافقون. ويحتمل الظهور بالاستدلال على أفعالهم. وقد يوقف على حال المرء بفعله أنه كافر أو مؤمن.

وقوله عز وجل: **والله أركسهم بما كسبوا**؛ قال الكسائي: فيه لغتان؛ يقال:[٦] أركسته في أمر كذا وكذا ورَكَسته.[٧] وارتكس الرجل إذا وقع فيه ورجع إليه. وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وحفصة رضي الله عنها: والله رَكَسهم[٨] بما كسبوا.[٩] ثم قيل: **أركسهم** أي ردهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أركسهم بما كسبوا**، قال: أوقعهم.[١٠] ثم يحتمل قوله تعالى: **أركسهم بما كسبوا** وجهين: بما أظهروا ما[١١] كان في قلوبهم من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ.[١٢] ويحتمل ابتداء كسب كسبوا بعد ما أسلموا؛ أي كفروا وارتدوا عن الإسلام بعد ما صح إسلامهم.

---

[١] ع – فيهم.
[٢] م – اقتلهم وفرقة تقول.
[٣] صحيح *البخاري*، التفسير ١٥/٤، وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٦.
[٤] ن ع م: يختلفون.
[٥] سورة النساء، ٥٩/٤.
[٦] ك ن – يقال.
[٧] م – في أمر كذا وكذا وركسته.
[٨] ع م: أركسهم.
[٩] *تفسير الطبري*، ١٩٢/٥.
[١٠] *تفسير الطبري*، ١٩٥/٥؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٦١٢/٢.
[١١] ك ن م: ما أظهروا بما؛ ع: ما ظهروا بما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٥و.
[١٢] ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ (سورة البقرة، ٢٢٥/٢).

وفي إضافة ارتكاسهم إلى الله دلالة خلق فعلهم وحرمان أمر يملكونه.[١] والله أعلم **بما كسبوا**، من إحداث شرك، أو بكسبهم[٢] بالقلوب وقت إظهارهم الإيمان في أن ظهر عليهم [النفاق] بلحوقهم إخوانهم من الكفرة، أو لما جعل الله من أعلام النفاق التي ظهرت بفرض الجهاد والعبادات. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أتريدون أن تهدوا من أضل الله**، تأويله -والله أعلم- **أتريدون أن** يهتدوا[٣] وقد أراد الله أن يضلوا لما علم الله منهم أنهم لا يهتدون باختيارهم الكفر. ويحتمل: إنكم لا تقدرون على هداهم إذا لم يهدهم الله تعالى، كقوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[٤] وفي قوله أيضا: **أتريدون أن تهدوا** قيل: أن تُسَمُّوهم[٥] مهتدين وقد أظهر الله تعالى ضلالتهم، صلة لقوله[٦] تعالى: **فما لكم في المنافقين فئتين**. حذّرهم عن الاختلاف في التسمية بعد البيان. وقيل: أن تجعلوهم[٧] مهتدين وقد جعلهم ضالين، على نحو قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ،[٨] الآية، أيد ذا تمام الآية، وأوضح الأول قوله: **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا**. يقول: من أضله الله عن الهدى **فلن تجد**[٩] **له سبيلا** يهتدي.[١٠] وقيل: دينا؛ وقيل: مخرجا؛ وهو واحد. *والله أعلم*.

**﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[٩٠]**

---

١ جميع النسخ: يملكه.
٢ ن ع م: تكسبهم.
٣ م: تهدوا.
٤ سورة القصص، ٥٦/٢٨.
٥ ك ن: تسموا؛ ع م: تسمعوا.
٦ ن: ضلالتهم كقوله؛ ع م: كقوله.
٧ ن ع م: يجعلوهم.
٨ سورة القصص، ٥٦/٢٨.
٩ ن + فس تجد.
١٠ م: تهتدي.

وقوله عز وجل: **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**؛ قيل: ود الذين[1] تركوا الهجرة فرجعوا إلى أهلهم[2] ومنازلهم الذين قال لهم[3] الله: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ،[4] أن تكفروا **كما كفروا**، أي تتركون الهجرة وترجعون كما رجعوا هم،[5] **فتكونون** أنتم وهم **سواءً** شركاء[6] في الكفر. فسماهم الله كفارا، وأمرهم بالبراءة منهم، فقال: **فلا تتخذوا منهم أولياء** بالهجرة الأولى؛ كقوله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.[7] وقال[8] الله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.[9] وكقوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ.[10] نهاهم أن يُتخذوا[11] أولياء **حتى يهاجروا** هجرة ثانية إلى المدينة ويَثبتوا[12] على ذلك. هذا على قول من قال: إنهم كانوا هاجروا ثم لحقوا بمكة. وأما في قول من قال: إنهم كانوا في أهلهم تكلموا بالإسلام[13] فيها و لم يهاجروا فمعنى هذا **لا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا** كما هاجر غيرهم.[14]

وقيل: المهاجرون[15] على طبقات. منهم من هاجر وأقام وسمع وأطاع وثبت على ذلك. ومنهم من هاجر ثم خرج من غير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحق بأهله وأبطل هجرته التي[16] هاجر وإيمانه[17] الذي آمن. ومنهم من تكلم بالإسلام وأقام بأهله و لم يهاجر وبه قوة الهجرة،

[1] ك + كفروا لو.
[2] ع: أهليهم.
[3] ن ع م - لهم.
[4] سورة النساء، ٨٨/٤.
[5] جميع النسخ: منهم.
[6] جميع النسخ: شرعا.
[7] سورة المائدة، ٥١/٥.
[8] جميع النسخ: قال.
[9] سورة الممتحنة، ١/٦٠.
[10] سورة آل عمران، ٢٨/٣.
[11] م: تتحدوا.
[12] جميع النسخ: ويشتون.
[13] ع: في الإسلام.
[14] ع: وغيرهم.
[15] ن: المهاجرين.
[16] ن ع م: الدي.
[17] ن: هاجروا ايمانه.

فكان[1] كذلك. ومنهم من تكلم بالإسلام و لم يكن له[2] قوة على الهجرة؛ كانوا مستضعفين؛ وهو –والله أعلم– ما قال الله: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ،[3] الآية. وروي عن ابن عباس[4] رضي الله عنه قال: كنت أنا وأمي من[5] المستضعفين.[6] والذين آمنوا و لم يهاجروا ولهم قوة الهجرة ما قال الله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ / حَتَّى يُهَاجِرُوا.[7] [١٠٠ظ]

وفي قوله تعالى: **فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا**، يحتمل مَن أظهر الموافقة من المنافقين للكفرة ولحق بهم، ويحتمل من قد آمن ولم يهاجر. فيكون الأول على ولاية الدين،[8] والثاني على ولاية الميراث، كقوله[9] تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[10] ومن يتأول الآية على إظهار الكفر دون الخروج من المدينة فمهاجرته تخرج على وجهين. أحدهما أن يكون قد انضم فيها إلى معاني[11] الكفرة فيما يُترك صحبتهم. والثاني أن يُهاجَر الأعلام المجعولة لأهل النفاق مما يظهر ذلك فيما امتحنوا به من الأفعال، فيظهر خلاف ذلك. كقوله: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ.[12]

وقوله: **فإن تولوا** –وأبوا الهجرة– **فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم**؛ لأنهم صاروا حَرْبا[13] لنا

---

[1] جميع النسخ: كان.
[2] م: منهم.
[3] سورة النساء، ٤/٩٨.
[4] ك – عباس.
[5] ن – من.
[6] *تفسير الطبري*، ٥/٢٣٦؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٢/٦٤٧.
[7] سورة الأنفال، ٨/٧٢.
[8] ع: الذين.
[9] ك: وكقوله.
[10] سورة الأنفال، ٨/٧٢.
[11] ك: معان.
[12] سورة الأحزاب، ٣٣/٢٤. قال الشارح: «ويحتمل [أن يكون] قوله: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا﴾ محمولا على المنافقين الذين كانوا بالمدينة دون المنافقين الذين خرجوا إلى مكة بعد مقامهم بالمدينة. فيكون قوله: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا﴾ يحتمل وجهين. أحدهما: أن يهاجروا عما ضم إلى معاني الكفر من معاني النفاق من محبة الكفار وإظهار عورات المسلمين والإسلام والاستهزاء بهم عند الخلو بشياطيهم ونحو ذلك. أي يهجر ويقطع ويترك ذلك. والثاني أن يهاجر الأعلام المجعولة لأهل النفاق فيظهر خلاف ذلك ويترك ما هم عليه. وذلك كقوله: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٢٤). فيوفقهم لترك أعلام النفاق والإخلاص للإسلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٥ظ).
[13] يقال أنا حَرْب لمن حاربني، أي عدو محارب. وقوم حرب كذلك. وذهب بعضهم إلى أنه جمع حارب، أو جمع محارب، على حذف الزائد (*لسان العرب* لابن منظور، «حرب»).

حيث تركوا الهجرة وأبطلوا إيمانهم الذي تكلموا به. **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** لما ذكرنا. *والله أعلم.*

وقوله: **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق** يخرج على وجهين. أحدهما في لحوق[1] قوم من مظهري[2] الإيمان أنهم لو[3] لحقوا بمن لا ميثاق بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوهم حتى[4] يتوبوا ويهاجروا، ولو لحقوا بأهل الميثاق لا تَدَعوا[5] الولاية التي كانت بينكم وبينهم.

والثاني أن تكون الآية في قوم من الأعداء وأهل الحرب، لو انضموا إلى أهل الميثاق والعهد[6] فلا تقاتلوهم. فيكون الأمر عقيب موادعة تجري بين[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قوم في دُورهم على أن لا تمانع بينهم لأهل الاتصال في الزيارة والاجتماع إلى المدة المجعولة للعهد ممن إذا خيف منهم يُنبَذ إليهم العهد،[8] ويوفَى إليهم المدة إذا وَفوا. *والله أعلم.* كقوله: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ،[9] وقوله عز وجل: فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ.[10]

وقوله عز وجل: **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق**، قال بعضهم: استثنى الذين خرجوا من دار الهجرة مرتدين إلى قومهم[11] وكان بينهم وبين المؤمنين عهد[12] وميثاق. وقال: وفيهم نزل قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[13] كأنه قال -والله أعلم-: إن وصل هؤلاء إلى أولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم. وقيل:

---

[1] ع: لحق.
[2] ع: مظهر.
[3] م: أو.
[4] ك: حيث.
[5] ع م: تدعوهم.
[6] ك: وأهل العهد.
[7] ل ع: من.
[8] ك: للعهد.
[9] ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا و لم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ (سورة التوبة، ٩/٤).
[10] سورة التوبة، ٩/٧.
[11] ك: دينهم.
[12] ع: عهدا.
[13] سورة التوبة، ٩/٤.

كان هذا في حي من العرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان وعهد. وكان الموادعة على أن من أتاهم من المسلمين فهو آمن، ومن جاء منهم إلى المؤمنين فهو آمن.[١] يقول -والله أعلم-: إن وصل هؤلاء أو غيرهم إلى أهل عهدهم -أو قال عهدكم- فإن لهم[٢] مثل الذي لأولئك من العهد وترك القتال. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما صد مشركو[٣] مكة نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البيت جاء رجل يقال [له] كذا من بعض القبائل لينظر[٤] ما أمر محمد وقريش. فرآهم قد حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت. فقال: يا معشر قريش، هلكتم![٥] أتردون قوما عُمّارا[٦] ضَفَروا[٧] رءوسهم عن البيت؟ والله لا نَشْرَكُكم[٨] في هذا! فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ووادعه أن لا يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكونوا عليه، ومن لجأ إليه فهو آمن. فلا ندري كيف كانت القصة في ذلك، غير أن فيه دليلا أن من اتصل بأهل العهد وكان على رأيهم فهو بمنزلتهم لا نقاتلهم.[٩] ومن قولنا: إن الإمام إذا وادع أهل بلدة من بلدان أهل الحرب فمن دخل فيها أو اتصل بهم[١٠] فهم آمنون مثلهم، لا يحل قتالهم ولا أسرهم حتى ينبذ إليهم عهدهم. وإذا آمن قوما منهم في دار الإسلام ووادعهم[١١] ثم انضم إليهم آخرون فدخلوا معهم دار الإسلام له[١٢] قتالهم وأسرهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أو جاءوكم حصرت صدورهم**؛ قيل: أي ضيقة صدورهم. وهكذا قال الكسائي: كل من ضاق صدره عن فعل أو كلام فقد حصر.[١٣] فهذا[١٤] -والله أعلم-

[١] ع: من. *تفسير الطبري*، ١٩٣/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦١٣/٢.
[٢] ع: لم.
[٣] م: مشركوا.
[٤] ع: لننظر.
[٥] ك - هلكتم.
[٦] ع: عمار؛ م: عما.
[٧] ضفر أي أي نسج شعره وأدخل بعضه في بعض (*لسان العرب* لابن منظور، «ضفر»).
[٨] ك: يشرككم.
[٩] ن: تقاتلهم.
[١٠] ن: فيهم.
[١١] ك: ووادعوهم.
[١٢] ع - له.
[١٣] ك - فقد حصر.
[١٤] ع: هذا.

ما ذكرنا أن الموادعة أن لا يعين بعضهم بعضا في القتال، ولا يعينوا عليهم عدوهم. فنهاهم الله عن قتالهم لما أخبر أن قلوبهم تضيق على أن يقاتلوكم مع قومهم أو أن يقاتلوا قومهم[1] معكم.

وفي قوله تعالى أيضا: **أو جاءوكم حصرت صدورهم**؛ يحتمل أن يكون حكم هذا الحرف ما ضمنه الحرف الأول، فيكون ذلك الثُّنْيَا[2] عمن ذكرت إذا كان هذا صفته: أن يضيق صدره عن مقاتلة المؤمنين والكافرين جميعا، إما بالطبع أو بوفاء العهد أو بالنظر في الأمر ليتبين[3] له الحق؛ وهو متردد في الأمر بما يجد المعروفين بالكتب التي احتجوا[4] بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين فيه على كمال[5] عقولهم، مرتقِب بهم؛ أو تَخَلّف[6] عن الإحاطة بحق الحق إلا بعد طول النظر. *والله أعلم*. فيكون معنى قوله: **أو جاءوكم** بمعنى وجاءوكم. ويحتمل في قوم سوى ما ذكرت من الذين يصلون؛ لكن في[7] أولئك المعاهدين نفسهم[8] الذين أبت أنفسهم نقض العهد بينهم وبين المؤمنين وعزموا[9] على الوفاء به، وأبت أنفسهم أيضا معونة المؤمنين على قومهم بالموافقة بالمذهب والدين. وعلى ذلك وصف جميع المعاهدين الذين عزموا[10] على الوفاء بالعهد. وذلك في حق الآيات التي ذكرنا. ثم بين -[في] الذين[11] يناقضون العهد أو المنافقين الذين متى سئلوا عن الكون على رسول الله والعون لأعدائه- [ما] الأمر فيهم، وذلك كقوله تعالى: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ -إلى قوله[12]-

---

[1] م - أو أن يقاتلوا قومهم.

[2] ك ع: الثني؛ ن: الثيني؛ م: الشيء. والثنيا بمعنى الاستثناء.

[3] ن ع: لتبيين.

[4] جميع النسخ: احتج. وعبارة السمرقندي هكذا: «أو بالنظر والتدبر في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ليظهر له الحق. وهم مترددون في أمره، إما لأنهم وجدوا علماءهم الذين احتجوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتب في أيديهم مختلفين فيه مع كمال عقولهم واشتهارهم بمعرفة الكتب السماوية، بعضهم آمنوا به وبعضهم لم يؤمنوا به؛ فوقفوا في ذلك ليتبين لهم الحق، ولا يمكنهم الإحاطة بحقيقة الحق إلا بعد طول التأمل والنظر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٥ظ).

[5] ك ع م: ما؛ ن - كمال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٥ظ.

[6] م: وتخلف.

[7] ع م - في.

[8] جميع النسخ: نفسه.

[9] جميع النسخ: وعرفوا.

[10] ع م: عرضوا.

[11] ن ع م - الذين.

[12] م - إلى قوله.

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا.[1] وتكون هذه الآية فيهم كقوله تعالى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ،[2] الآية. فيكون* / في[3] هذه الآية الإذن. **والله أعلم**. [١٥١و]

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لسلطهم عليكم**، أي نزع عن[4] قلوبهم الرعب والخوف فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة. **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم** يعني طلبوا الصلح، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[5] وقيل: قالوا: إنا على دينكم وأظهروا الإسلام. **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**، أي حجة وسلطان القتال. أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن هؤلاء.

**﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[٩١]**

ثم قال: **ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم** الآية. قيل كان رجال تكلموا بالإسلام مُتعوِّذين ليأمنوا في المسلمين إذا لَقُوهم، ويأمنوا في قومهم بكفرهم، فأمر الله بقتالهم إلا أن يعتزلوا عن قتالهم. وقيل: قوله تعالى: **ستجدون آخرين**، غيرهم ممن لا يفي[6] لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد. **يريدون أن يأمنوكم** يقول: يريدون ليأمنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم. **ويأمنوا في قومهم** بكفرهم فلا يتعرضوا[7] لهم. ثم أخبر عز وجل عن صنيعهم وحالهم فقال: **كلما ردوا إلى الفتنة** يعني الشرك[8] **أركسوا فيها**، أي كلما دُعوا إلى الشرك

---

[1] ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سُئِلُوا الفتنة لآتوها وما تَلَبَّثوا بها إلا يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٣-١٤).

[2] ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثُقِفوا أُخِذوا وقُتِّلوا تقتيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).

* بنهاية الورقة ١٠٠ظ تنتهي الورقات العشر (من ٩١و إلى ١٠٠ظ) الموضوعة خطأً في القسم الخاص من المخطوطة بتفسير سورة آل عمران.

[3] ع - في.

[4] ع م: في.

[5] بل روي ذلك عن الربيع بن أنس. انظر: *تفسير الطبري*، ٥/١٩٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦١٣.

[6] ك: لا نفي.

[7] ن ع م: تتعرضوا.

[8] ك - يعني الشرك.

رجعوا[1] فيها. فهؤلاء[2] أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وعرّفه[3] صفتهم: إن لم يعتزلوا ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا.** أي جعلنا لكم عليهم[4] سلطان القتل وحجته. وفي[5] حرف ابن مسعود[6] رضي الله عنه: ويكفوا أيديكم عن أن يقاتلوكم. وفي حرفه: رُكِسوا فيها.[7] وفي حرف حفصة: رُكِسوا فيها. وفي حرفها: أن يقاتلوكم ويقاتلوا قومهم. ثم يحتمل نسخ هذه الآية، وقوله: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ،[8] وقوله تعالى: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ،[9] بقوله عز وجل: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ،[10] لأن الفرض في القتال أول ما كان فُرض أن[11] نقاتل[12] من قاتلَنا وبدأَنا. ثم إن الله تعالى قال:[13] فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ[14] حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ.[15]

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٩٢]**

وقوله عز وجل: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**، اختلف فيه. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**، أي لا ينبغي **لمؤمن أن يقتل مؤمنا** بغير حق عمدا

[1] جميع النسخ: فرجعوا.
[2] ع: هؤلاء.
[3] ع: وعرفوا.
[4] ع م – سطانا مبينا أي جعنا لكم عيهم.
[5] ك: في.
[6] ن: حرف بن مسعود.
[7] ع – وفي حرفه ركسوا فيها.
[8] سورة البقرة، ١٩٠/٢.
[9] سورة النساء، ٩٠/٤.
[10] سورة التوبة، ٥/٩.
[11] ن: نحن؛ ع: عن.
[12] م: يقاتل.
[13] م – قال.
[14] ك – لأن الفرض في القتال أول ما كان فرض أن نقاتل من قاتلنا وبدأنا ثم إن الله تعالى قال اقتلوا المشركين.
[15] سورة التوبة، ٥/٩.

**إلا خطأ** فيما لا يملكه. وقيل: **إلا** بموضع الواو، كأنه قال: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا** عمدا[١] ولا خطأ؛ وذلك جائز في اللغة. وقيل: **وما كان** ينبغي **لمؤمن أن** يُترَك قتله إذا قتل آخر عمدا **إلا خطأ** فإنه يُترَك قتله ولا يُقتَل به. وهو قول أبي بكر[٢] الكيساني.[٣] وقيل:[٤] **وما كان** ينبغي **لمؤمن أن** يُترَك[٥] حكم قتله **إلا خطأ**. قال أبو بكر الكيساني:[٦] حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقَوَد.[٧] أو كلام نحو هذا.[٨] ويحتمل قوله: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا** قط بعد ما سبق من الله بيانه في غير آي من القرآن، نحو قوله[٩] تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ،[١٠] وقوله[١١] تعالى: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،[١٢] وقوله تعالى: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا،[١٣] وغيرها من الآيات؛ **إلا خطأ**، فإنه لم[١٤] يسبق منه الحكم فيه إلا في هذه الآية. وقيل: وليس **لمؤمن أن يقتل مؤمنا** على[١٥] كل حال **إلا** أن يقتله مخطئا، فعليه ما في القرآن. وهو قريب مما ذكرنا.

ثم الخطأ عندنا على وجهين. خطأ قصد وخطأ دِين. فخطأ القصد هو أن يقصد أحدا[١٦] فيصيب غيره. وخطأ الدين هو أن يعرفه مشركا كافرا مِن قبلُ[١٧] حلالَ الدم فيقتله على ما عرفه من قبلُ وهو للحال[١٨] مسلم.

---

[١] ع م: متعمدا.
[٢] م – أبي بكر.
[٣] ك ع م: الكسائي.
[٤] ن ع – وقيل.
[٥] ع م: ينزل.
[٦] ع م: الكسائي.
[٧] م: والقواد.
[٨] ع – ويحتمل قوله وما كان ينبغي لمؤمن أن يترك حكم قتله إلا خطأ قال أبو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقود أو كلام نحو هذا.
[٩] ع: بقوله.
[١٠] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[١١] ن ع م: وهو قوله.
[١٢] سورة المائدة ٤٥/٥.
[١٣] سورة الإسراء، ٣٣/١٧.
[١٤] ع: من.
[١٥] ك: في؛ ع: إلا على.
[١٦] ع م: أحد.
[١٧] ن ع م: قتل.
[١٨] م: الحال.

فإن قيل: كيف لزمه في قتل الخطأ ما لزمه من الكفارة وقد أخبر الله عز وجل أن لا يؤاخذه له وأن لا حرج[1] عليه في ذلك بقوله: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ،[2] وقال في آية أخرى: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ،[3] وغيرها من الآيات؟

قيل: إن الفعل فعل مأثم وإن كان لم يوجد منه القصد فيه. فما أوجب إنما أوجب لما الفعل فعل مأثم. والثاني يجوز أن يكون الله يكلفنا[4] بترك القتل والفعل في حال السهو والغفلة. ألا ترى أنه قال: لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا،[5] والخطأ نقيض الصواب.[6] فلا يجوز أن يؤمر بطلب الصواب ولا يُنهى عن إتيان ضده. كقوله تعالى: وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا،[7] الآية.

ثم اختلف في المعنى الذي أوجب عليه رقبة مؤمنة. قيل: لأنه أتلف نفسا خلقها الله تعالى لعبادته فأوجب مكانها نفسا مؤمنة لتعبد[8] الله على ما عبدت تلك. لكن التأويل لو كان هذا لكان يجب في العمد[9] ما وجب في الخطأ، لأنه وُجد [فيه] ذلك المعنى؛ لكن أوجب لا لذلك المعنى. *والله أعلم*. ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما أتلف نفسا محظورا لم يؤذن له في ذلك لئلا يُقدم على مثله. ولله أن يوجب على من شاء ما[10] شاء لما شاء من غير أن يقال: لم وكيف وأين. والثاني أوجب عليه رقبة مؤمنة لأنه أنفى[11] له نفسا مؤمنة. فعلى ما أنفى[12] له نفسا مؤمنة[13] أوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة.

---

[1] ع: خرج.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٢٥.
[3] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.
[4] ك: تكليفا.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[6] ع: الصوات.
[7] سورة القصص، ٧٧/٢٨.
[8] ن: لتعدوا.
[9] ن: العهد.
[10] جميع النسخ: بما.
[11] ن ع م: أبقى.
[12] م: أبغى.
[13] م – مؤمنة.

وفي قوله تعالى أيضا: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**، اختلف / في تأويله. [ط١٥١]
**وما كان لمؤمن**؛ فمنهم من يقول بإضمار: **وما كان** بمتروك **لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**. يخرج معنى "بمتروك" على وجهين. أحدهما ما قاله[١] أبو بكر[٢] الملقب بالأصم: أي بمتروك له[٣] القصاص **إلا** أن يقتله **خطأ**. لكن هذا يوجب منع العفو لما به الترك.[٤] ومعلوم أنه أمر رُغِّب فيه حتى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي القتيل إلى العفو، ثم إلى أخذ الدية، ثم لما أبت نفسه عند ذلك أذن له في الاقتصاص.[٥] ويدل على ذلك قوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ،[٦] الآية، وقوله[٧] تعالى: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا -إلى قوله- فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،[٨] الآية. إلا أن يرجع في قوله: "بمتروك له" إلى الوجوب. أي لا يرفع عنه[٩] إيجاب القصاص **إلا** من قتل[١٠] **خطأ**[١١] فإنه ليس عليه القصاص.

والثاني أنه **ما كان** بمتروك له من التأنيب والتوبيخ والتعيير[١٢] بسوء صنيعه بأخيه وتعديه حد الله ومعونة ولي القتيل. إذ قال: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا.[١٣] فحق ذلك على الناس أن يظهروا له النكير[١٤] عليه ويقوموا بالنصر[١٥] لوليه. *والله أعلم*. **إلا** أن يكون **خطأ** فلا يتلقونه بشيء مما ذكرت،

---

[١] م: ما قال له.
[٢] ن + أبو بكر.
[٣] ع م + في.
[٤] ع: النزل.
[٥] *صحيح مسلم*، القسامة ٣٢-٣٣.
[٦] ﴿فمن عُفِي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).
[٧] ع - فمن عفي له الآية وقوله.
[٨] ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ (سورة المائدة، ٤٥/٥).
[٩] ن: منه.
[١٠] ع م + مؤمنا.
[١١] ن - خطأ.
[١٢] ع: والتعيير.
[١٣] سورة المائدة، ٣٢/٥.
[١٤] ع م: التكبر.
[١٥] ن: بالضر.

بل يقومون بالشفاعة له والمعونة في احتمال ما لزمه.[1] ولذلك جعل -والله أعلم- أمر العَقْل[2] على ما به من إبقاء الألفة ودفع الضغينة واجتماع التَّأَلُّمِ[3] للمصيبة.[4]

ومنهم من يقول[5] في تأويل[6] الآية: **وما كان لمؤمن** أي حرام عليه ذلك الفعل بما حرم الله، وبما بينهما من الأخوة في الدين وبما هو شقيقه[7] وجنسه يتألم مما[8] يتألم[9] الآخر ويتأذى بما يتأذى الآخر.[10] والنفس عن[11] مثله ينتهي،[12] والطبع ينفر. فما كان له بعد هذا أن يقتل.

وقوله عز وجل: **إلا خطأ**، قيل فيه بوجوه. أحدها أن يقع ذلك منه على الخطأ فيكون على ما لا يلحقه اللائمة التي ذكرنا ولا وصف التعدي الذي وصفنا. والثاني أن يكون الأمر في موضع الابتداء لما بُيِّن له من الحكم بمعنى: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا** ألبَتَّة؛ لكن من قتل[13] **خطأ** فتحرير رقبة. كقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[14] بمعنى: لا يسمعون فيها لغوا ألبتة؛ لكن الذين يسمعون يسمعون[15] سلاما. وقيل: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**:

[1] ع: بالزمه.
[2] والعقل في كلام العرب الدية، سميت عقلا لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلا، لأنها كانت أموالهم. فسميت الدية عقلا لأن القاتل كان يكلف أن يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعُقُل ويسلمها إلى أوليائه. وأصل العَقْل مصدر عقلت البعير بالعِقال أعقله عقلا. وهو حبل تُثْنَى به يد البعير إلى ركبته فتُشَدّ بها (*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»).
[3] ك: للتألم.
[4] ع م: في المصيبة. والتألم: الشكاية والتوجع (*لسان العرب* لابن منظور، «ألم»). أي إن أقرباء الرجل يشاركونه في إظهار الألم والشكوى من المصيبة التي أصيب بها. وعبارة السمرقندي هكذا: «وكذلك جعل أمر العقل على عاقلته لإبقاء الألفة ودفع الضغينة في ما بين الأقارب، ولدفع الألم والتأذي عن نفسه بما يلحقه من قبل قريبه الذي هو مصيبة عظيمة في حقه بتحمل شيء من المال» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٦ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢١٠ظ).
[5] ع: نقول.
[6] م: تأويله.
[7] جميع النسخ: شفيقه.
[8] ن - يتألم مما؛ م: بما.
[9] م + به.
[10] م - ويتأذى بما يتأذى الآخر.
[11] ن: من.
[12] ن ع: ينهى.
[13] م + مؤمنا.
[14] سورة مريم، ١٩/٦٢.
[15] ن ع - يسمعون.

إلا أن لا[1] يعلمه أنه مؤمن وكان عرفه كافرا، له قتله[2] بما روي من[3] الإذن في البيَات[4] وقتل عيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم وإن احتمل إيمانهم فيما بين الوقتين. فيكون بمعنى حرام عليهم إلا مَن هذا وصفه. ويجوز: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** أي ليس[5] **لمؤمن** ذلك قط **إلا** أن يقتل **خطأ**، فإنه ليس فيمن يقال: كان له أَوْ لَا [يكون له] لما يقع به إلا[6] أن يفعله هو في التحقيق، إذ حقيقة الفعل أن يقع بإرادة ويخرج عليها،[7] وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها.

وقوله عز وجل: **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**، فلم يذكر في القاتل أنه مؤمن عند ذكر قتله. لكنه رجع[8] إليه بوجهين. أحدهما أن الآية في بيان قتل يكون من المؤمن،[9] وعليها جرى تفسير الحكم عند الوقوع. والثاني قوله:[10] **توبة من الله**. والتوبة بالتحرير تكون[11] للمؤمن لا لغيره.[12] ***والله أعلم***. على أنه حق الشرع من العبادات، فلا يحتمل قصد الكافر به.[13] وأيد ذلك المذكور من الصيام، وهو لا يقوم إلا بالإيمان.

ثم جعل الإيمان[14] شرطا من حيث الذكر،[15] وتأكده بأوجه ثلاثة. **أحدها** بالتأكيد

---

[1] ن – لا.

[2] جميع النسخ: قبله.

[3] م: في.

[4] ك م: البيان. والبيات بمعنى الهجوم بالليل (*لسان العرب*، لابن منظور، «بيت»).

[5] ك ن ع – ليس.

[6] ك ن: لا.

[7] ن – عيها.

[8] ع: يرجع.

[9] لأن أول الآية: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾.

[10] ع: في قوله.

[11] ك: يكون.

[12] ن ع م: غيره. وعبارة السمرقندي هكذا: «قال في آخر الآية: ﴿توبة من الله﴾، جعل الكفارة توبة؛ والتوبة بطريق التحرير والصيام تكون للمؤمن لا لغيره، لأن توبة الكافر بالإيمان، وبدون الإيمان لا يصح من الكافر توبة عن ذنب» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٦ط).

[13] ن – به.

[14] ع – ثم جعل الإيمان.

[15] أي جعل الإيمان شرطا في الرقبة بالنص.

بذكر[1] كل قتيل على اختلاف أهل القتل.[2] وفي ذلك دليل أن ذلك جُعِل عليه لمكان أمرٍ يَدخل على دينه مما عليه من الحق أن يحفظ حرمته. وبحرمته يتقي[3] قتل من ذُكر إذ حرم دينه عليه، فيصير في قتله مضيعا.[4] فألزم ما ذكرت في كل أنواع القتلى[5] لرجوع أمر ذلك كله إلى[6] تضييعٍ مِن حق دينه. ولذلك قيل: **توبة من الله**. وذلك يخرج على وجهين أ) أحدهما أن تحقق[7] معنى التوبة في فعل الله. وذلك يخرج على وجهين. أحدهما على ما تجاوز عنه[8] إذ لم يأخذه بالخطأ، فيكون بحق جعل ذلك شكرا من العبد بما لم يؤاخذه[9] بالخطأ. فيكون معنى التوبة منه أنه لم يؤاخذه بالخطأ: لا أن في الإعتاق ذلك. والإعتاق للشكر له فيما لم يكن آخذه. وقد يجوز أن يؤاخذه لما بالجهد في التحفظ قد يؤمَن ذلك. فلمّا لم يكلفه وتجاوز[10] عما[11] كان على الخطأ يأمر بالشكر لذلك. والثاني قبولا منه ذلك في حق التوبة عن غير القتل من الزلات. فيكون[12] القيام[13] بما أمره بوجه[14] [من الوجوه] في حكم[15] العفو عن مثله. يجعل ذلك من العبد مقبولا بحق التوبة من الزلات.[16] أو نسب إلى التوبة منه

[1] ع: يذكر.

[2] أي ذكر شرط الإيمان في الرقبة في كل أنواع القتل المذكورة في الآية. قال الله تعالى: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾.

[3] م: ينفي.

[4] ع م: مصيبا.

[5] ك ن م: القتيل؛ ع: القبيل.

[6] ع + أن.

[7] ن ع: يحقق؛ م: تحقيق.

[8] ع م: منه.

[9] م: يؤخذه.

[10] م: تحاول.

[11] جميع النسخ: عنها.

[12] جميع النسخ + في.

[13] جميع النسخ: قيام.

[14] ك: توجيه؛ ن ع: يوجه.

[15] ك ع م: حكمة؛ ن: حكمه.

[16] قال علاء الدين السمرقندي: «إن الخطأ لما كان معفوا في الجملة وجائز العفو عن هذا النوع جعلت التوبة عنه هو التحرير أو الصوم دون التوبة المعروفة لجهة هذا الذنب بسبب الخطأ. فيكون التحرير في هذا بمنزلة التوبة في سائر الزلات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٧ظ).

إذا كان على التوفيق لفعله. وذلك تسمية الله توابا على التوفيق أو التجاوز.[١] ***والله أعلم***.

ب) والثاني يرجع إلى فعل العبد. فتكون[٢] **توبة من الله** على عبده القاتل بأن يتوب بإعتاق رقبة مؤمنة. وذلك يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون الفعل فعل مأثم. ولله تعالى مؤاخذته[٣] عليه لأنه بالجهد[٤] يمكن اتقاء[٥] ذلك. ولدلك تعبدنا[٦] بقوله تعالى: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.[٧] وإذا كان كذلك فيكون ذلك منه توبة إلى الله ليُحفظ عن مثله في أمر[٨] الدين. والثاني أن يكون عليه حِفْظُ دينه عما يقع فيه من التضييع الذي يُبلى بإنساء الشيطان أو بِفَرْط[٩] غفلة أو نحو ذلك. فيلزم جبر ذلك / بما ذكر وإن لم يعلم؛ إذ قد يجوز وقوع النقصان في [١٥٢و] ذي الحُرُمات من وجه لا إثم يلحق [بصاحبه]، نحو المذكور في المُتَأَذِي وفي أمر السهو في[١٠] ذلك.[١١] فيؤمر به لينجبر[١٢] ذلك. وذلك نحو ما قد يفسد بأمور من وجه لا يعلم به.[١٣] فكذلك أمر النقصان. فيؤمر بالتوبة إلى الله عز وجل عن ذلك بما يمتحن الله به من الأمور. ***والله أعلم***. مع ما[١٤] قد يتصل بالقتل ما له حكم الخطأ، يأثم المرء عليه ويخرج [بالتوبة عن ذمته]. فجائز أن يرجع حرف التوبة من الله إلى ذلك. وهو سُمّي خطأ العمد.

**والثاني** مما يدل على جعل الإيمان شرطا أنه جُعِل لما وقع في حق الدين من التضييع،

---

[١] م: والتجاوز.
[٢] ك: فيكون.
[٣] ك: مؤاخذة.
[٤] ن: بالجهة.
[٥] جميع النسخ: ابقاء.
[٦] جميع النسخ: تعبد. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[٨] م أمر.
[٩] ن ع: يفرط. فرط غفية أي غَلَبَة غفلة (*لسان العرب* لابن منظور، «فرط»).
[١٠] ع: عن.
[١١] قال الشارح: «كالحلق المرخص فيه بسبب الأذى لا مأثم فيه، ومع هذا يجب الفدية جبرا للنقص المتمكن في إحرام الحج بسببه ليجعل كالعدم حكما؛ وكما في سجود السهو يجب جبرا لنقصان وإن كان لا مأثم فيه لمكان النسيان. وعلى هذا يجوز أن تفسد العبادة أصلا مع الخطأ مثل الأكل خطأ في الصوم والصلاة. فإذن يكون تمكن النقصان فيه أولى، فيجب جبرا للنقصان لا تكفيرا وتوبة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢١١ظ).
[١٢] ن م: ليجبر.
[١٣] م - به.
[١٤] ع: أعلم بما.

إذ[1] تعلقت الحرمة بالدين من الوجه الذي بينا.[2] ولا فرق بين عبادة يشار إليها يقع فيها تضييع في حد منها ويبرم[3] تلك بكفارة وبين جملة من العبادات يعتقدها الإنسان وضَمِن الوفاء بها[4] يقع في حد منها تضييع. إن مقدار حدها[5] من الفرض لا يعلمه إلا من يعلم حد التضييع من الأصل، ولا يعلم حده غير[6] الذي جعل الحدود. فيكون في ذلك بيان المُبْرِم،[7] وبدونه[8] لعله لا ينجبر؛ فألزم بالاحتياط ذلك. وعلى ذلك أمر الحدود للأجرام.

**والثالث** متفق القول[9] على موقع الشرط أنه بحق اللزوم، وعلى ذلك شرط[10] التتابع في الصيام؛ له هذا المعنى والأول جميعا.

وعلى هذا الاتفاق جَعل قومٌ[11] أمر هذا أصلا لغيره من الكفارات. ونحن لا نجعلها لوجهين. أحدهما مما لم يُجعل ذكر التتابع في هذا أصلا لكل ما[12] لم يُذكر فيه التتابع. والثاني لما بينا من محل كل مَن أَصَّل ذلك أنه إنما يعلمه[13] مَن عَلِم ما حدُّ ذا من الأصل.[14] ومعلوم أن[15] الاختلاف في الكل، لذلك لم يجب هذا. لكن يُطلَق المُطلَق ويُقيَّد المُقيَّد بالذكر. وأيد ذلك أن الله تعالى قد ذكر [الوصف والحكم] في كل قتل. ولو كان بالذي يحتمل دَرْك الحد بالتدبر[16] لكان تركُ الذكر في هذا لإفهام[17] الحكم في نوع المذكور

---

[1] جميع النسخ: إذا.
[2] ع: بينا.
[3] جميع النسخ: يبرم. أبرم الأمر وبرمه بمعنى أحكمه (*لسان العرب* لابن منظور، «برم»).
[4] جميع النسخ: بما.
[5] م: احدها.
[6] م: غيره.
[7] أي الذي ينجبر به الخطأ.
[8] ن: وبدويه.
[9] أي اتفق قول العلماء.
[10] جميع النسخ + في.
[11] ك: قوام.
[12] ع: لما.
[13] جميع النسخ: يعلم.
[14] يشير المؤلف إلى قوله الذي سبق قريبا: «إن مقدار حدها من الفرض لا يعلمه إلا من يعلم حد التضييع من الأصل، ولا يعلم حده غير الذي جعل الحدود».
[15] ك ع م – أن.
[16] جميع النسخ: بالتدبير.
[17] ك ن ع: للإفهام.

أقربَ منه في غير نوعه.[١] فبين [الحكم] -والله أعلم- لوجهين. أحدهما للتنبيه على لزوم الرجوع[٢] في هذا[٣] إلى الذكر.[٤] والثاني للتنبيه أنه لم يُجعَل لمكان القتيل، لكن لِمَا وقع في الدين من التضييع. وجائز أن يكون شرطَ الإيمان بما سبق منه[٥] تضييعُ حد من الحدود الذي اقتضى إيجابَه عليه الإيمانُ. فأُمر من يُسلم له[٦] بإعتاق[٧] الرقبة لحفظ ما ألزمه حق الإيمان من الشغل عنه بحق الرق فيه لغيره. ويجوز أن يكون إنما أُبقيت به نفسه وهي مؤمنة لله تعالى،[٨] فأمر أن يشكر لله تعالى بإبقاء نفس مؤمنة، إذ بالعتق إحياء.[٩] وعلى ما ذكر من اختلاف الحدود وما له حدود في حق الشرع لم يُقَس الطعام على الصيام عند العجز عنه على ما قضى به في حق الظهار والفطر. مع ما في الظهار[١٠] حق لها لم يكن له التأخير إلى القدرة عليه أو ملك الرقبة، وليس هاهنا. وأمر الفطر هو في بعض صيام قد جعل لأصله[١١] من الطعام عِوضا عُرف حده بقوله تعالى: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ،[١٢] الآية. فعلى ذلك أمر عِوض التعدي فيه، وليس في أمر القتل ذلك.[١٣]

---

[١] قال الشارح: «ولو كان ذلك مما يحتمل الدرك بالتدبر والمقايسة لكان ترك الذكر في نوع ليتفهم بالذكر في نوع آخر ولكان أقرب من التنصيص في القتل وترك التنصيص في غير نوع القتل، وهو اليمين والظهار، ليكون حكم ذلك مأخوذا منه بالقياس. ولما ذكر في كل نوع من القتل الكفارة و لم يكتف بذكره في نوع واحد علم أن الرجوع في هذا الباب إلى النص وأنه مما لا يدرك بالقياس. وصار هذا كشرط التتابع في باب الكفارات لا يكون شرطا في باب القضاء ونحوه، لما أنه غير معقول فيكون مقصورا على المنصوص عليه. كذلك هذا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٧و).

[٢] ع م - الرجوع.

[٣] ن - للإفهام الحكم في نوع المذكور أقرب منه في غير نوعه فبين والله أعلم لوجهين أحدهما لتنبيه على لزوم الرجوع في هذا.

[٤] أي إلى بيان النص.

[٥] م: من.

[٦] أي من يؤمن بالله.

[٧] جميع النسخ: بإعتاق من يسلم له.

[٨] ن ع م - لله تعالى.

[٩] ك ن: واجبا؛ ع: واحيا.

[١٠] ع - والفطر مع ما في الظهار.

[١١] ع: لا صلة.

[١٢] ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٤).

[١٣] قال علاء الدين السمرقندي: «ثم يحتمل أن يقال في الظهار: إنما جعل الطعام بدلا عن الصوم لأن ثم للمرأة حقا في الاستمتاع ولا جناية من جهتها، والمرأة بقيت معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة. فكان القول بالتأخير إلى القدرة على الصيام أو القدرة على الإعتاق إضرارا بها، فنقل الشرع من الصيام إلى الطعام نظرا لها. ومثل هذا لم يكن في باب القتل. وأما النقل في باب الإفطار من الصيام إلى الطعام فموافق للقياس، لأن أصل الصوم مما جعل الطعام عوضا فيه. عُرف بقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٤). فلما دخل الطعام في أصله فلأن يجعل عوضا عند التعدي لجبر النقصان مع وجود أصل الجائز من جنسه وهو القضاء أولى. بخلاف القتل. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٧و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢١١و).

ودلت الآية بذكر الإيمان على أن له[1] حدا يُعرَف موقعه. ثم الذي تبين[2] فيه[3] أنه[4] التصديق خاصة [هو] ما جمع بين المؤمن الذي يحتمل أن يكون منه سائر الشرائع والذي لا يحتمل سوى نفس الإيمان، وهو المؤمن الذي من قومٍ عدو لنا، إذ قد يؤمن في دار الحرب بما في العقل دليله، ولا يَعلم به غيره من العبادات التي لها حق الشرائع.

وقد يجوز أن يكون في الإبلاغ في وصف ما يُكَفَّر به إبلاغ في التحذير[5] عن الغفلة التي لديها خوف وقوع ما ذكر. وعلى ما ذكرت من تضييع حق ألزمه دينه[6] لزم [على] التفرد كلًّ واحد منهم الكفارةُ على التمام،[7] لما انفرد كل بما لزمه من الحق بدينه في التضييع. وعلى هذا قولهم في المحْرِمين[8] يقتلون الصيد أن كل واحد منهم جنى على إحرامه الذي لم يتصل إحرامه بإحرام غيره. على أن النفس إذ هي لا تحتمل[9] التجزئة لم يتجزأ المجعول لها؛ وعلى ذلك[10] أمر القصاص.

والدية لم تجب[11] في الحقيقة للنفس، إذ هي قد تجب لما دونها فيما يحتمل التجزئة أكثرَ مما يجب للنفس. وإذا بلغت النفسَ سقط[12] بعضُ ما له منها حكمُ الوجوب؛[13] ولما هي ترجع إلى غير الجاني. ومحال أخذ الكل ممن يرجع إليه بالكل؛ بما يكون في طلب التخفيف الإجحاف[14] وإهلاكُ الخلق. ولما كان حق النفس[15] من حيث القتيل[16] في المال يختلف،

[1] أي للإيمان.
[2] ك: يبين.
[3] جميع النسخ: فيها.
[4] ك: آية.
[5] ك: التجويز.
[6] ع: لدينه.
[7] أي إذا كان القتل حاصلا من جماعة فإن الكفارة تجب على كل واحد منهم تامة.
[8] ع: المحرمين.
[9] ن ع م: يحتمل.
[10] ن ع م: هذا.
[11] ن ع م: يجب.
[12] جميع النسخ: فسقط.
[13] أي إن في إتلاف العينين مثلا على الانفراد الدية كاملة. وفي اليدين الدية كاملة. وهكذا... لكن إذا تلفت النفس لم يجب فيها إلا دية واحدة. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[14] الإجحاف: الاستئصال والإهلاك.
[15] ع – إذ هي قد تجب لما دونها فيما يحتمل التجزية أكثر مما يجب لنفس وإذا بلغت النفس فسقط بعض ما له منها حكم الوجوب ولما هي ترجع إلى غير الجاني ومحال أخذ الكل ممن يرجع إليه بالكل بما يكون في طلب التخفيف الإجحاف وإهلاك الخلق ولما كان حق النفس.
[16] ن ع م: القتل.

ومن حيث القصاص والكفارة لا، ثبت أن المرجع في هذين إلى أحوال في نفس القاتلين: من دين يضيع حقه أو امتناع عن احتمال التجزئة أو إحياء أريد بالموضوع. ولو لم يجعل في الجماعة ليذهب فائدة الإحياء، إذ الوجود بالآحاد عزيز.[1] فيبطل الإحياء في أبلغ أحوال الحاجة إليه.

ثم إذا رجع أمر الكفارة إلى من تولى قتله -وقد نَسَق[2] عليه أمر الدية كقوله تعالى: **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة** بمعنى: عليه تحرير ما ذكر أو قد أوجب عليه، وعلى ذلك جميع ما في القرآن من الأمر على أثر الأسباب، ثم نسق على ذلك بقوله: **ودية مسلمة إلى أهله**، فحقها أن تكون[3] عليه. والخبر الوارد عن[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر العقل الذي توارثه[5] الأمة إلى يومنا هذا بل الأمم حتى كان قد ظهر عن أمر الرسل[6] السالفة بحق التواتر في المؤمنين[7] بهم[8] والمنكرين / لهم كان[9] ذلك بحق التعاون. ولذلك[10] قال أصحابنا رحمهم [١٥٢ظ] الله تعالى في الذين[11] لا عاقلة لهم: تجب الدية في أموالهم. وعلى ذلك فيما يظهر بأقاويلهم دون البينات.[12] وهو الحق، إذ فيما يجب فيه القصاص أنفسُهم تَتلف.[13] فعلى ذلك الدية.

والأصل في ذلك أن معنى القصاص معقول أيده[14] الذي ذكره الله تعالى في القرآن من قوله:

---

[1] جميع النسخ: غير. يقول السمرقندي: «أما القتل فقلما يوجد بالواحد. إذ الواحد يقاومه الواحد غالبا. فلو لم يشرع القصاص بطريق التعدد لبطل معنى الإحياء في أبلغ أحوال الحاجة إليه، بل يبطل أصلا، لأن كل من قصد قتل عدوه يستعين بغيره حتى يحصل غرضه على وجه يأمن فيه تلف نفسه بسقوط القصاص عند الاجتماع» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و).

[2] جميع النسخ: سبق.

[3] ن ع م: يكون.

[4] ع م: من.

[5] ع: توائته؛ م: توارثت.

[6] ع م: الرسول.

[7] ك: المؤمن.

[8] ع – لهم؛ م: ثم.

[9] جميع النسخ: فكان.

[10] ع: وعلى ذلك.

[11] م – في الذين.

[12] قال الشارح: «ولذلك قالوا [أي الأحناف]: إذا ثبت وجوب الدية بإقرار القاتل فإنه يختص به ولا يتحمله العاقلة، لما أن إقراره لا يكون حجة على الغير بخلاف البينة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٧ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢١١ظ).

[13] ن ع م: يتلف.

[14] جميع النسخ: أيد.

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاة،[1] فلا معنى لصرف ذلك إلى غير المتولي لما يُذهب الحياة. وجائز شرع ذلك بحق العقل لينزجر الناس به ولتسلم[2] لهم الحياة التي[3] هي ألذ الأشياء، إذ بها تعرف[4] اللذات كلها. وذلك المعنى ليس نفس القتيل أحق من غيره من أن يجعل القصاص لحقه،[5] بل الأولى أن يجعل لا محالة للردع والزجر. مع ما كان معلوما أن نفس القتيل لا تنتفع[6] بالقصاص،[7] بل إنما نفعها في أن تبقى[8] لخوف القصاص ممن يروم قتله إشفاقا[9] على نفسه. وليس ذلك المعنى في أمر الدية بشيء، وإنما توجَب[10] بعد الوفاة. ولم تجب من وجه[11] يتولد منه الغَضاضة[12] والعداوة التي لديها سفك الدماء على حق تحصين[13] الدماء، وإنما[14] هي تجب بالخطأ من وجه يعلم عذر مَن منه ذلك. لكن الله تعالى بفضله[15] جعل للمتصلين معونة في حياته وشرفا في كثرة الأقوام ونباهة في الدنيا؛ مع ما يقع بها التناصر والتدافع الذي بمثله الدوام والقوام، فيعظم في مثله مصيبة العقل. وبخاصة[16] من وجه لعله[17] يسبق[18] إليهم[19] الافتعال[20] في التلبيس على أهله بالخطأ وأن ذلك ليس[21] بحق، فيخاف وقوع الشر بينهم والعداوة التي تولد الفساد.

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٧٩.
[2] ن: وللتسلم.
[3] ك ع م: الذي.
[4] جميع النسخ: يعرف.
[5] ك: بحقه. أي وجوب القصاص في الإسلام ليس متوجها لحق القتيل فقط.
[6] ن ع م: ينتفع.
[7] ع م - بالقصاص.
[8] ك: يبقى؛ ع م: يتقي. أي في أن تبقى نفس القتيل وأنفس الناس أيضًا.
[9] م: إشفاق.
[10] ن: يوجب.
[11] ن - من وجه؛ صح هـ.
[12] ع: الفضاحة. والغضاضة: النقص والانكسار والذل (*لسان العرب* لابن منظور، «غضض»).
[13] جميع النسخ: تخصيص. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٧ظ.
[14] جميع النسخ: لما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[15] ك ع م + بما؛ ن: بفضله بما.
[16] ن: والخامسة؛ ع م: والخاصة.
[17] ك ن ع: لعلة.
[18] ك: تسبق.
[19] أي إلى أوهام بعض الأولياء. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[20] ن م: الافعال؛ ع: الاقفال.
[21] ن: ليس ذلك.

فجعل الله تعالى بمَنِّه وفضله لهم ما تَطِيب بمثله أنفسهم، ويسكن[1] المعنى الذي يُخاف من حدوث الشر بينهم.[2] مع ما لله[3] جميع[4] ما للخلق، فله[5] ابتداء المحنة بما ذكر بلا سبب يسبق،[6] فهو بالسبب أحق. وإذا جعل بهذا من الوجه الذي له حق الابتداء فله وضع ذلك في أموالهم[7] [بالسبب الذي قلنا][8] من [حصول النفع لهم][9] بإبقاء[10] نفس[11] القاتل لهم [مع] ما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك. وإن لم يرجع منفعة الواجب في ذلك إلى القتيل بما لا يَعلم[12] أنه يقتل، فجعل[13] ذلك لوجه يتزود[14] به لمعاده وإن حُرم ذلك في دنياه. فيصير المجعول في ذلك[15] فيمن[16] لهم وعليهم بالذي ذكرت من دفع الفساد والقيام بحق الإحسان.

ثم الأصل في إتلاف الأموال أن منافعها عند القيام ومضارها عند الإتلاف ترجع إلى أربابها خاصة، والأنفس يرجع[17] ما لَها في ذلك إلى العشائر والمتصلين،[18] فعلى ذلك المجعول فيها. مع ما كانت الأموال تُملَك فيصير من ضَمِنه كأنه اشتراه، وكل مشترًى بالتسليم إليه الخروج منه.[19] فلا يحتمل أن يَضمَن من لم يكن منه الجناية[20] لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم.

---

[1] ن ع م: وتسكن.
[2] ك: منهم.
[3] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[4] ك: جعل.
[5] جميع النسخ: له.
[6] قال السمرقندي: «مع ما لله تعالى أن يوجب الدية في أموالهم ابتداء عى طريق الابتلاء من غير سبب يسبق منهم، إذ له الخلق والأمر» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و).
[7] ن ع م: أحوالهم.
[8] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٨و.
[10] ع: يأتقا؛ م: يأنف.
[11] م: أنفس.
[12] ك ن: نعلم.
[13] ع م: ليجعل.
[14] ع: يتزور.
[15] ن – إلى القتيل بما لا نعلم أنه يقتل فجعل ذلك لوجه يترود به لمعاده وإن حرم ذلك في دنياه فيصير المجعول في ذلك.
[16] ك: ممن.
[17] ك: ترجع.
[18] ع: والمضلين.
[19] ن: إليه. أي كل شيء بيع لآخر يخرج من يد صاحبه بتسليم ذلك الشيء إلى المشتري.
[20] أي لم يكن القتيل من أهله.

ولا على ذلك أمر جنايات الأنفس. فجائز في حق الشرع الموضوع على غير من تولى،[1] إذ على غير التسليم إلى أحد يستوجب بدله.

ثم وقوع الخطأ يكون من وجهين. أحدهما من جهة[2] دينه، نحو أن ظنه القاتل كافرا بما كان عرفه كذلك أو بما عليه سيماء الكفرة. ومن جهة[3] نفسه في أن يرمي غيره فيصيبه. والحكم في[4] وجهي الخطأ واحد. والخطأ الثالث -وهو الذي لم يقتضه[5] حق هذه الآية- وهو عند الضرب؛ قد يقع ذلك فيما أخطأ الدين وفيما تعمد أو النفس[6] جميعا.

وقوله[7] عز وجل: **فَدِية مُسلَّمة إلى أهله**؛ لم يبين مَن **أهله**. وقال في موضع آخر: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا.[8] ولم يبين[9] من وليه. فكان الأهل والولي هم ورثته على ما جاء في الخبر: أنه [عليه الصلاة والسلام] وَرَّث امرأة أَشْيَم من دية زوجها وإن كانت الدية لأهل العصبة منهم من قبل.[10] ولأن هذه الدية إنما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من القتيل في حال حياته دون غيرهم.[11] فإذا قتل فذهب منافعه عنهم أوجب ذلك لهم، لأنهم هم المنتفعون في حياته دون غيرهم. وقيل: إن القتل يوجب الضغائن فيما بين أولياء القتيل وأولياء القاتل، فيحمل ذلك على الفساد والإهلاك. فإذًا وجبت هذه الدية لتطيب أنفسهم بذلك، ولا يحمل[12] ذلك على الضغائن والحقد. وقيل: أُوجبت[13] هذه الدية لئلا يدعي [القاتل] الخطأ فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطأ. فأوجب الدية لما إذا ادعى الخطأ أخذ بالدية. وقد ذكرنا أن الخطأ على وجهين. [أحدهما خطأ القصد].

---

[1] ع م: يتولى.
[2] م: جهته.
[3] م: جهته.
[4] م - في.
[5] ع: يقتضيه.
[6] م: تعمدا والنفس.
[7] ك - قوله.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٣٣.
[9] ك ن - يبين.
[10] ك: قتل؛ ع: قيل. سنن أبي داود، الفرائض ١٨؛ وسنن الترمذي، الديات ١٨. وصححه الترمذي.
[11] ن ع م - دون غيرهم.
[12] م: يحتمل.
[13] ع: أوجبت؛ م: أوجب.

وهو أن يقصد شيئا[1] فيصيب إنسانا، فهو خطأ لأنه أصاب غير الذي قصده بالضربة. والثاني خطأ الدين. وهو أن عرفه كافرا فقتله على ذلك قاصدا له، فهو خطأ.

وللخطأ وجه آخر، وهو أن يضرب الرجل الرجل[2] قاصدا لذلك بغير حديدة. فإن كان الذي ضربه به[3] حجرا صغيرا أو عصا صغيرة فحكمه حكم الخطأ. وإن كان حجرا كبيرا مثلُه يَقتل أو عصا عظيمة فإن أصحابنا رحمهم الله اختلفوا في ذلك. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا قَوَد في ذلك، وعلى عاقلته الدية مُغَلَّظة. وقال محمد رحمه الله: يقتل به إذا كان مِن مثله لا يُنجى.[4] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين أن العمد[5] ما كان بحديد. فهو حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه في الحجر العظيم، / ودليل على أن القصد [١٥٣و] بالضرب قد يكون خطأ. وروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل شيء خطأ إلا الحديد والسيف».[6] وسنذكر هذه المسألة في باب شبه العمد إن شاء الله تعالى.[7]

ثم أجمع أهل العلم على أن الرقبة على القاتل لا على العاقلة. وأما الدية فلم يذكر على من تجب. فقال أكثر السلف:[8] تجب[9] على العاقلة. وعلى ذلك تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض الناس: الدية أيضا على القاتل كالرقبة. فيقال له: إن الصيام بدل عن الدية أو عن العتق؟ فإن قال: لا، بل بدل عن العتق.[10] قيل له: فذلك يدل على أن الذي يجب على القاتل هو العتق الذي إن لم يجده[11] صام مكانه، ويدل على أن الدية ليست عليه.

---

[1] جميع النسخ: سببا.
[2] ع م – الرجل.
[3] ع م – به.
[4] ك ن: ينجاه.
[5] ع: التعمد.
[6] *مسند الطيالسي*، ١/١٠٨؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٢٧٢، ٢٧٥؛ و*الدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ٢/٢٦٥، ٢٦٨.
[7] سيأتي خلال تفسير هذه الآية.
[8] ع م + الدية أيضا.
[9] ع م – تجب.
[10] ع م – فإن قال لا بل بدل عن العتق.
[11] ك: يجده.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل الدية على العاقلة. عن مِقْسَم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[1] قال: كتب النبي[2] صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلوا مَعاقِلهم ويَفْدُوا عانِيَهم[3] بالمعروف والإصلاح بين المسلمين.[4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قضى في الجنين عبدا[5] أو أمة على العاقلة. والتي ضربت ضَرَّتها بعمود فُسطاط[6] فقتلتها قضى[7] النبي صلى الله عليه وسلم بديتها على عصبة القاتلة،[8] وفيما في[9] بطنها غُرَّة.[10] فقال أعرابي: يا نبي الله، أتُغَرِّمُني من لا طَعِم ولا شَرِب ولا استَهَلّ،[11] فمثل ذلك يُطَلّ.[12] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أسَجْع كسَجْع الأعراب، أُغرِّم. فإن[13] الدية على العاقلة والميراث لأهل الفرائض».[14] وعمود الفُسطاط مما[15] يَقتل مثله، ولم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على التي ضربت ضَرَّتها به فقتلتها القصاصَ. فذلك حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: إن الخشبة العظيمة والصغيرة سواء، ولا قصاص فيه. والأخبار فيه[16] كثيرة.

وقوله عز وجل أيضا: **ودِيةٌ مسلَّمة إلى أهله**؛ ذكر -والله أعلم- **مسلمة إلى أهله**[17]

---

[1] ع م – أنه.
[2] ن: رسول الله.
[3] ك: غانيهم.
[4] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥/٤١٩. عقل أي دفع الدية. والمعاقل الديات (*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»). والعاني بمعنى الأسير (المصدر السابق، «عنو»).
[5] ع: عبيدا.
[6] الفسطاط هو الخيمة من الشَّعَر (*لسان العرب* لابن منظور، «فسط»).
[7] جميع النسخ: فقضى.
[8] ع م: العاقلة.
[9] ك – في.
[10] الغرة عند العرب أنفس شيء يملكه الإنسان وأفضله. والمقصود به هنا العبد أو الأمة (*لسان العرب* لابن منظور، «غرز»).
[11] جميع النسخ: ولا صاح. والتصحيح من مصادر الحديث. وبدون ذلك لا يكون سجع في كلام الأعرابي. واستهل بمعنى صاح عند الولادة (*لسان العرب* لابن منظور، «هلّ»).
[12] يطل أي يُهدر دمه ولا يدفع له دية (*لسان العرب* لابن منظور، «طلّ»).
[13] ع: في.
[14] روي بمعناه في *صحيح البخاري*، الديات ٢٥؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٣٦-٣٨.
[15] ع – مما.
[16] م – فيه.
[17] ع م – ذكر والله أعلم مسلمة إلى أهله.

على[1] الحث والترغيب في التسليم والنهي عن التعاسر[2] الذي عنه توهّمُ حدوث الشر والفساد الذي يدفع مثله. جعل العوض[3] في قتل الخطأ. وعلى ذلك قوله: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ.[4] وقد بينا من يسلّم. ثم بين التسليم إلى أهل[5] القتيل، و لم يبين من **أهله**. وقد أجمع السلف على أن أهله ورثته. والأصل في ذلك أن الدية جعلت بدلا لنفس القتيل، فتصير متروكة عنه. وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا أو عليه دين يُنفّذ منها، فصارت فيما قال الله تعالى: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ،[6] الآيات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية والدّين،[7] فذلك لهم، فيصير أهله بعد وفاته من ينتفع بتركته. إذ كذلك وَصْف الأهل في الحياة أنه يرجع إلى المتصلين به وبمنافعه. مع ما كان اسم الأهل في الزوجة غير ممتنع استعماله على كل حال، فيجب دخولها في ذلك؛ وغيرها من الورثة أحق. وقد روي في مثل ذلك مرفوعا في توريث امرأة أَشْيَم الضِّبَابي،[8] وعمل به عمر بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.[9] والذين لهم سائر الولايات سوى ولاية الميراث مع ولاية الميراث[10] أحق. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إلا أن يَصَّدَّقوا؛** فالثُّنيا من الدية، لأنه لا حق لأحد في العتق حتى يحتمل التصدق. وهو كقوله تعالى في القصاص: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ.[11] وذِكْر التصدق على ما عليه الترغيب في الديون من قوله: وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ.[12] ثم الأصل أن التصدق من المعروف إلى ذوي الحاجات. والعقل إنما وُضع أصله على الأغنياء؛ لكن يخرج على وجهين. أحدهما أن الآية جاءت بذكر القاتل، ووجود[13] الدية المسلَّمة كلها لكل قاتل عسير،[14] فكان الترغيب على ذلك.

---

[1] ن: ذكر على.
[2] ن ع م: التعاشر. والتعاسر هو الاختلاف والمشاكسة (*لسان العرب* لابن منظور، «عسر»).
[3] ع م: العرض.
[4] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[5] م: أهله.
[6] سورة النساء، ٧/٤.
[7] انظر: سورة النساء، ١١/٤ - ١٢.
[8] ك م: الضباني؛ ن ع: الضيائي.
[9] *سنن أبي داود*، الفرائض ١٨؛ و*سنن الترمذي*، الديات ١٨. وصححه الترمذي.
[10] ع م - مع ولاية الميراث.
[11] سورة المائدة ٤٥/٥.
[12] ﴿وإن كان ذو عُسْرَة فنَظِرَة إلى مَيْسَرة وأن تَصَدَّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢٨٠/٢).
[13] ن: وجود.
[14] ن ع م: عشير.

والثاني أنه معروف في الديون وكذلك حكم الصدقات أن[1] لا يقع له الثواب في الدنيا؛ ربما[2] يقع لغير المعروفين، فيكون فعلهم في الحقيقة لله لا لابتغاء الجزاء، فسمي صدقة، إذ هو اسم لما يقع من المعروف لله. مع ما يتمكن في ذلك أن العقل ليس شرطه الغَناء الذي له تجب[3] الزكوات.[4] وغير ذلك النوع من الغَناء لا يُخرج أهله عن احتمال الصدقة، بل جعل على[5] أهل الديوان، وهم الذين أموالهم هي التي تخرج بحق العطايا. يؤخذ لوقت الخروج لا بعد الوقوع بالملك، وتمام شرط الغناء له. وفي هذا صرف الثُّنيا إلى الذي يلي من الكلام دون الذي تقدم. وحمله على بعض الكلام دون الكلام ليُعلم أن موقع الفهم عن الحكم على ما يقتضيه حق الحكمة دون الذي ينتهي إليه حق اللسان. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة**؛ عن[6] ابن عباس رضي الله عنه قال: يكون الرجل مؤمنا وقومه كفار في دار الحرب، فيقتله مسلم، فلا دية عليه، ولكن عليه عتق رقبة مؤمنة.[7] وعنه أيضا قال: كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم. ثم يمر[8] بهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب، فأنزل الله تعالى: **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة.**[9] وقال بعضهم: كيف يكون للمؤمن المقيم في دار / الحرب دية وأولياؤه حرب لنا، فهل يجوز أن تعطى[10] لهم الدية ونحن نغتنم أموالهم؟ [١٥٣ظ]

فإن قيل: تكون[11] الدية لبيت المال؟ قيل له: إنما يجوز أن تكون[12] لبيت المال [دية] من لو كان حيا كان له في بيت المال حق. فأما المسلم المقيم[13] في دار الحرب فلا حق له[14] في بيت المال،

---

[1] ك ع م: إذ.
[2] ع م: لربما.
[3] ن ع م: يجب.
[4] ع: الزكوة.
[5] م – على.
[6] م: وعن.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٠٧/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦١٩/٢.
[8] ن ع م: فيهم فيمر.
[9] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٠/٢.
[10] ن ع م: يعطى.
[11] ن: يكون.
[12] ن ع م: يكون.
[13] ن – المقيم.
[14] ع + في حق له.

لأن حكمنا لا يجري على[1] داره، فكيف يستحق بيت المال ديته؟ وبعد فإن المسلم في دارهم لم يصر بالإسلام محرزا نفسه وماله، لأن دار الحرب ليست[2] بدار يحرز بها الدماء والأموال. فإذا[3] كان كذلك فلم يكن للأنفس والأموال هنالك بدل، لذلك لم تجب[4] الدية. ألا ترى أن[5] من أتلف مال ذلك المسلم لم يُغرَم بدله، فعلى ذلك لم يكن[6] يُغرَم[7] بدل نفسه، لأن حرمتهما[8] سواء[9] في دار الإسلام.

ثم اختلف في تأويل قوله أيضا: **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة**، الآية، على الاتفاق أن لا دية فيه؛ لكن الاختلاف في أنه مَن يخرج على ثلاثة أوجه. **أحدها** أن ذلك فيما يُقتل على الإغارة،[10] نحو أن يغار[11] على أهل الحرب وفيهم مسلم، فإنه لا دية فيه لما أبيحت الإغارة. فيجب على هذا أمران. أحدهما أن يكون دفع الكفارة[12] في ذلك أحق من دفع الدية. ومن حيث كانت الكفارة حق الله بمعنى العبادة أو القربة، فإذا وقعت[13] الإباحة من عنده فهي في السقوط أحق من الدية[14] التي هي حق العباد. ولم يَرد ممن هي له الإباحة.[15] فلما أوجبت هي فالدية أحق أن تجب؛ فإذ لم تجب بان أنه ليس على ما قدّروا.

والثاني أن يكون لو كان كذلك فيجيء أن يكون ذلك فيمن كان من قوم عدو لنا أو لا، [فهو] سواء من حيث الإغارة. بل إذا صارت الإغارة[16] مباحة وإن كان فيهم مسلم

---

[1] ع م: في.
[2] ع م: ليس.
[3] ع: فإن.
[4] ع م: يجب.
[5] ع م – أن.
[6] ك – يكن.
[7] ع م – بدله فعلى ذلك لم يكن يغرم.
[8] ك ن م: حرمتها.
[9] ن – سواء.
[10] ع: الاعادة.
[11] ع: يقار.
[12] ع م: الكفار.
[13] ن: التوبة فإذا دفعت.
[14] ع م – ومن حيث كانت الكفارة حق الله بمعنى العبادة أو القربة فإذا وقعت الإباحة من عنده فهي في السقوط أحق من الدية.
[15] أي لم يرد الإباحة من الله الذي له حق الكفارة.
[16] ع م – الإغارة.

ذهب حق النفس من الأمرين جميعا من الدية والكفارة. وكذلك الجواب في قوم تَتَرَّسوا بالمؤمنين أنه إذا أبيح الرمي فيستوي الأمران جميعا من الدية والكفارة.[١] وعلى ذلك اختلف فيمن له القصاص فيما دون النفس، فمات من[٢] الاقتصاص، أن لا كفارة في ذلك، وقد اختلف في الدية. وعلى ذلك من يقتله ممن لا يحتمل القلم.[٣] وما أوجب من العقل في الوجوب[٤] بلا دية[٥] يوجب أن يكون الدية أحق في الإيجاب من الكفارة، فإذ لم يجب[٦] بان أن ليس دفع[٧] الدية لما ظنوا.

**والقول الثاني** ذهبوا إلى القتيل الذي قومه أهل الحرب أنه لا يجب فيه الدية بقوله: **من قوم عدو لكم وهو مؤمن**، ويؤيد ذلك قوله: **فديةٌ مسلَّمة إلى أهله**؛ وأهله عدو لا يحتمل التسليم إليهم بما لنا أخذ أموالهم فيصير بذلك لنا. وأما الكفارة فهي بين العبد وبين الله فتلزمه،[٨] إذ هي في حق التوبة والكفارة لما في ذلك من معنى الإثم. فيدخل على ذلك أيضا أمران. أحدهما إبطال الدية عن[٩] كل نفس لا وارث لها إذا قُتل من أهل دار الإسلام في دار الإسلام،[١٠] إذ لا أهل لها، وعدم الأهل أكثر من كون الأهل، وهم أعداء له. بل يُغْرَم الذي قتله وقومُه لبيت المال. فعلى ذلك الأولُ لو كان يجب. ولكن لم يجب لا لهذا، إذ[١١] قد رأينا الوجوب مع ما هو أعظم في العدّة من هؤلاء. وأيد ذلك الإيجاب في المؤمن الذي قومه من أهل الميثاق أو الكافر الذي هو من أهل الميثاق، والعداوة لم تكن[١٢] انقطعت بالميثاق. والوجه الثاني أنه لا توارث[١٣] يجري بين المسلم وأهل الكفر ليبطل حق الدية بوجوبها لهم،

---

[١] ك – وكذلك الجواب في قوم ترسوا بالمؤمين أنه إذا إذا أبيح الرمي فيستوي الأمران جميعا من الدية والكفارة.
[٢] م: عن.
[٣] لعله يقصد: إذا قتل المُغِيرون الصغار الذين لم يجر عليهم القلم أي لم يبلغوا فإنه لا تجب عليهم الكفارة. أو يكون المقصود القَلْم وهو القطع، يقال: ألف مقلَّمة: يعني الكتيبة الشاكة في السلاح (*لسان العرب* لابن منظور، «قلم»). فالمعنى: إذا قتلوا من لا يحمل السلاح من الصغار والنساء والشيوخ فإنه لا تجب عليهم الكفارة.
[٤] ك ع م: الوجود.
[٥] ن: لا دية.
[٦] ع م: تجب.
[٧] ن: رفع.
[٨] ن ع م: فيلزم.
[٩] ع: على.
[١٠] أي الذي قومه أهل الحرب إذا قتله من هو من دار الإسلام.
[١١] ن: إذا.
[١٢] ع م: يكن.
[١٣] ن: يوارث؛ ع: يورث.

بل يتحول الميراث بالإسلام إلى أهل الإسلام وإن لم يكن له خصوص أهل. وعلى ذلك جميع تركته. فبان أنه لا لهذا لم يوجب.

**والقول الثالث** أن الآية فيمن أسلم في دار الحرب ولم يخرج إلينا، حتى يقتله مؤمن خطأ أنّ عليه تحريرَ رقبة ولا دية فيه. فيكون المعنى من **قوم عدو لكم**، هو[1] من قوم في الظاهر عند القاتل لم يخرجوا بعدُ عن إظهار المعاداة. ثم يكون قتله الخطأ من وجهين. أحدهما بما كان عرف[2] كفره و لم يظهر انتقاله عما كان عليه[3] في الظاهر لا بخروجه إلى دار الإسلام ولا بسيما[4] يظهر. وذلك ظاهر الوجود. وفي مثله نزل قوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا،[5] الآية. وقد أخبر أنهم كانوا كذلك[6] يكتمون دينهم حتى منَّ الله عليهم بالإظهار. فيكون هذا بين أظهرهم على الأمر الأول. ولا[7] على[8] ذلك شأن المسلمين الذين دخلوا تلك الدار بالأمان.[9] ولا يحتمل أن يلحقه هذا النوع من قتل الخطأ فلزم في نفسه البدل على كل حال.[10]

والثاني أن يرمي غيره فيصيبه على ما يكون خطأ أهل هذه الدار. و لم تجب[11] له الدية لما يقع فيه الخطأ من الوجه الذي على الأمر يفعل على[12] ما بينت.[13] فلا يحتمل أن يجعل لنفسه بدل. والأصل في ذلك أن دار الحرب هي دار الحرب.[14] وفي الحرب سفك الدماء وإتلاف الأموال؛ فلا يقع بها إحراز[15] الدماء والأموال، فلذلك لم يجب فيها البدل. وليس كدار الإسلام،

---

[1] ن – من قوم عدو لكم هو.
[2] ع: يعرف.
[3] م – عليه.
[4] جميع النسخ: ولا سيما.
[5] سورة النساء، ٤/٩٤.
[6] ع م: لذلك.
[7] ع – ولا.
[8] م: وعلى.
[9] ع: بالايمان.
[10] م: البدل والأصل على حال.
[11] ع م: يجب.
[12] ع – على.
[13] ع: بنيت.
[14] ع م – هي دار الحرب.    أي هي دار القتل.
[15] ع: الاحراز.

لأنها دار سِلْم وأمن حتى جعلت تُحَرَز بها الدماء والأموال. على ما كان أنفس الأعداء إذا دخلت بالميثاق إلينا استوجبت حق الإعراض ولزوم البدل وإن كانوا من قوم عدو لنا، إذ هي الدار دار سلم وإحراز. ولا يشبه[1] الذي أسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه الدار
[١٥٤و] مسلما لما كان يخرج بأمان.[2] وفي الأمان[3] لزوم حفظ الأمر الأول. / وليس في الأول[4] ذلك. على[5] أن أحد الأمرين في ابتداء الإيجاب، والآخر في البقاء على ما وجب. ومعلوم تفاضل هذين في الأصول واختلاف الأمر بينهما. وقد كان في البقاء[6] بعض ما يستوجب بالدين لترك الهجرة كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا.[7] وقد نسخت تلك الهجرة، ولم تنسخ[8] الهجرة إلى دار الإسلام وإن نسخت إلى المدينة. فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء. وإنما حق بدل[9] الأنفس لمن يبقى[10] عنه من الأولياء والأهل، وقد نُفي[11] ذلك، فلذلك لم يجب. وعلى هذا يخرج قولنا فيه:[12] لو قتل عمدا أن لا يجب القصاص ولا الدية، لأن الله تعالى قال: فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا،[13] وقد نفى[14] فيما نحن فيه الولاية، لذلك[15] بطل السلطان، وفي بطلانه بطلان البدل. ويجوز[16] معه بقاء الحق الذي بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة.

---

[1] ن: تشبه.
[2] أي لا يشبه هو مَن خرج من هذه الدار مسلما، لما كان يخرج من داره بأمان من المسلمين.
[3] ع: الان.
[4] أي في الذي أسلم و لم يخرج.
[5] م: علم.
[6] ك ع م: ابقاء.
[7] ﴿والذين آمنوا و لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ (سورة الأنفال، ٨/٧٢).
[8] ن ع م: ينسخ.
[9] جميع النسخ: بذل.
[10] ك: ينفى.
[11] ع م: بقي.
[12] ن - فيه.
[13] سورة الإسراء، ١٧/٣٣.
[14] جميع النسخ: بقى.
[15] ع م: كذلك.
[16] ن - ويجوز.

ووجه آخر في تأويل[١] قوله: **من قوم عدو لكم** أي في قوم عدو لكم،[٢] أي في قوم مظهري[٣] العداوة. دليل ذلك[٤] أنه وإن حرج إلى هذه الدار فهم[٥] قومه، لكنه ليس فيهم.[٦] يرجع إلى مؤمن آمن وهو بعدُ[٧] فيهم أن لا شيء [على قاتله]. فإذا خرج[٨] إن عاد أو لا[٩] فله حكم نازلة لم يقتضه حق الآية. فيجب فيه الذي يجب على حسب الدليل الموجب. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق.[١٠] فاحتج بعض أصحابنا رحمهم الله بهذه الآية[١١] في إيجاب الدية في قتل المعاهد دية مُسَلَّمة، وهي مثل دية المسلم، لأن الله تعالى قال فيهما جميعا: **فدية مسلمة**، فهما[١٢] سواء. وقد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.[١٣] والآية تحتمل[١٤] غير هذا، لأن[١٥] الله تعالى قال في أول الآية: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** -إلى قوله- **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق**. فيحتمل أن يكون معناه: وإن كان المقتول المؤمن من قوم بينكم وبينهم ميثاق.[١٦] فاكتفى بذكر الإيمان في القتيلين الأولين عن إعادة ذكر الإيمان في القتيل الثالث. ولم يكتف بذكر الإيمان في القتيل الأول عن إعادته في الثاني، لأنه لو قال تعالى: **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**

---

[١] ع م: تأويله.
[٢] م – أي في قوم عدو لكم.
[٣] م: مظهر.
[٤] م – ذلك.
[٥] م: فيهم.
[٦] ك – فيهم.
[٧] ن ع م: يعد.
[٨] ع م + إلى هذه الدار فهم قومه لكنه ليس فيهم يرجع إلى مؤمن آمن وهو بعد فيهم أن لا شيء فإذا خرج.
[٩] ك: وإلا. أي سواء أن كان عاد إلى داره أو لم يعد.
[١٠] ن – فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق.
[١١] ع م + الكريمة.
[١٢] ع: فيهما.
[١٣] *تفسير الطبري*، ٢٠٨/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦١٩/٢، ٦٢٠.
[١٤] ن ع: يحتمل.
[١٥] ع: ولأن.
[١٦] ع م – فيحتمل أن يكون معناه وإن كان المقتول المؤمن من قوم بينكم وبينهم ميثاق.

**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة [ودية مسلمة إلى أهله]**، ولم يزد على هذا كنا نوجب الدية في قتل كل مؤمن. فذكر الإيمان في الثاني للتفريق بينهما. وأما[1] ذكر الإيمان في الثاني أغنى[2] عن ذكره في الثالث[3] لأنه[4] لا تفرقة بينهما؛ لذلك[5] كان ما ذكرنا. وعن[6] الحسن: **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق**، قال: مؤمن.[7] واستدل من ذهب إلى أن المقتول مسلم بأن الله تعالى قال: **فتحرير رقبة مؤمنة**. ولا تجب[8] الكفارة على قاتل المعاهد إذا لم تكن[9] ذمة. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم فدى قتيلي عمرو بن أمية وكان لهما عهد،[10] ولم يبلغنا أنه أمر بالكفارة. فيقال: إن الكفارة واجبة على قاتل المعاهد المستأمن بظاهر الآية، بقوله: **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق**. وقال أيضا: ومما يدل أن المقتول معاهد أنه لو كان مسلما لم يجب لأهله من[11] المعاهدين الدية، لأنهم لا يرثونه. وإنما يرثونه[12] إذا كان معاهدا. وهذا يؤيد قول أصحابنا رحمهم الله في وجوب كمال دية المسلم على قاتل المعاهد. وقد روي عن[13] النبي صلى الله عليه وسلم أنه وَدَى ذميا دية مسلم.[14] وحديث عمرو بن أمية أنه كان ببعض الطريق، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه. وكان معهما عهد[15] من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو، وقد علم أنهما من بني عامر، فلما ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه أصاب منهما ثأره[16] من بني عامر.

---

[1] ن: بينهما ما.
[2] ع م: غنى.
[3] ع + كأنه.
[4] م: كأنه.
[5] ع م: كذلك.
[6] م: عن.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٠٩/٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٢٥/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٠/٢.
[8] م: يجب.
[9] ن ع م: يكن.
[10] *سنن الترمذي*، الديات ١١.
[11] ع – لأهله من.
[12] ن: يرونه.
[13] ع: أن.
[14] *سنن الدارقطني*، ١٢٩/٣؛ و*نصب الراية* للزيلعي، ٣٦٦/٤.
[15] ك: مقيما عند.
[16] ك: تأرة؛ ن ع م: ثارة.

فلما قدم عمرو على[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[2] «لقد قتلتَ قتيلين، لَأَدِيَنَّهما».[3] فوداهما[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5] ومعلوم أن الدية كانت تامة وإن لم تُسَمَّ. لأن العرب كانت لا ترضى أن تُنقَص دياتها عن ديات المسلمين. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية العامريَّيْن دية الحرين المسلمين.[6] وعن ابن[7] مسعود رضي الله عنه قال: دية أهل الكتاب مثل دية المسلم.[8]

فإن قيل:[9] روي[10] عن عمر رضي الله عنه قال: دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم.[11] ودية المجوسي[12] ثمانمائة[13] درهم.[14] وعن عثمان رضي الله عنه مثله.[15] قيل: يحتمل هذا ما روي عن عمر أنه قوّم الإبل فبلغت قيمتها أربعة آلاف درهم، ثم قومها ثانيا فبلغت ستة آلاف، إلى أن بلغت عشرة آلاف أو ما ذكر. فيحتمل أنه لما قوّمها فبلغت أربعة آلاف كان ذلك في دية يهودي أو نصراني. فظن الراوي أنه إنما أوجب أربعة آلاف لأنه دية النصراني أو اليهودي، / فروى على ذلك. مع ما روي عن عمر وعثمان رضوان الله عليهم [١٥٤ظ] أجمعين بعشرة آلاف. وروي أن أبا بكر[16] وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين قالوا: دية المعاهَد دية الحر المسلم.[17] فهذا يوهن قولهما الأول. أو يحتمل[18] أن يكون على الاصطلاح.

---

[1] ع م: إلى.
[2] ك ن: فقال.
[3] ك ن: لا ديتهما؛ م: لأديهما.
[4] ع: قودهما.
[5] *السيرة النبوية* لابن هشام، ١٣٩/٤؛ وسنن *الترمذي*، الديات ١١.
[6] *سنن الترمذي*، الديات ١١.
[7] ك: بن.
[8] مصنف *عبد الرزاق*، ٩٥/١٠؛ ونصب *الراية* لزيعي، ٣٦٨/٤.
[9] ع - فإن قيل.
[10] ع: وروي.
[11] ك: أربعة لأن ديتهم؛ ع: درهما.
[12] ع م: المجوس.
[13] ك: ثماني مائة؛ ع: ثمانمائة.
[14] *سنن الترمذي*، الديات ١٦.
[15] مسند *الشافعي*، ٣٥٤؛ ونصب *الراية* لزيعي، ٣٦٥/٤.
[16] ع - بعشرة آلاف وروي أن أبا بكر.
[17] مصنف *عبد الرزاق*، ٩٥/١٠.
[18] ع م: الأول ويحتمل.

فإن قيل: روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن[1] النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دية الكافر نصف دية المسلم».[2]

قيل: إن كلا[3] الفريقين تركوا العمل بهذا الخبر، لأن من يقول بأربعة آلاف لم يأخذ به، لأن[4] أربعة آلاف ثلث دية المسلم على قوله، لأن دية المسلم الحر اثنا عشر[5] ألفا عنده. ومن يقول بعشرة آلاف لم يأخذ[6] به؛ فقد أجمعوا على ترك العمل به. وذلك لما لم يثبت عندهم.[7] *والله أعلم*. مع ما وصفنا في باب قتل المسلم بالكافر ما يدل[8] على أن ذلك واجب.[9] فإذا وجب قتل المسلم بالذمي وجب أن تكون[10] ديتهما[11] سواء. ألا ترى أن الكفارة على قاتلهما سواء.

وقوله أيضا: **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق**؛ اختلف في تأويل هذا الحرف من وجهين. أحدهما أن الآية في المؤمنين خاصة، لكنهم على أقسام ثلاثة. أحدها على النشوء على الإيمان؛ والآخر على إحداث الإيمان في دار الحرب من أهل الحرب؛ والثالث على إحداث الإيمان من أهل الميثاق في دار العهد.

والآخر من وجهي[12] الآية بيان جميع[13] ما يجب في نفسه حقٌّ إذا قُتِلَ خطأ: مِن مؤمن قد أحرز دمَه بالإيمان، أو بالإيمان والدار، أو بالعهد. وفي ذلك إنما قُطع الحق عن كثير ممن يُنهَى عن قتله[14] إذا لم تتضمنهم[15] هذه الآية من نحو نساء أهل الحرب والذراري،

---

[1] ع م: عن.
[2] سنن أبي داود، الديات ٢١؛ وسنن الترمذي، الديات ١٦. وحسنه الترمذي.
[3] ك ن ع: كل.
[4] ن ع م: لم يوخذ لأن.
[5] ن ع م: اثني عشر.
[6] ن ع م: لم يؤخذ.
[7] ن: عندهما.
[8] ن + بالكافر ما يدل.
[9] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[10] ن ع م: يكون.
[11] ع: ديتهما.
[12] ن ع م: وجهين.
[13] ن ع + من.
[14] ع م: قتلهم.
[15] ع م: يتضمنهم.

فلم تجب الدية بما لم يُحرَز دماؤهم بدار الحرب، و لم تجب الكفارة[١] بارتفاع الميثاق وإن كنا لا نقتلهم. فإن كان تأويل الآية هذا[٢] فكان في الآية أيضا[٣] تخصيص القتيل المؤمن من أهل الحرب أن لا دية فيه. وعنه[٤] كان فهم الإجماع، أن الله لو أراد الجمع بين[٥] القتلى[٦] [في الحكم] لكان يخرج الأمر على الإبلاغ على ما في الكفارة وما فيها من صفة الإيمان، أو على الإيجاز والتدريج فيها بالمعنى؛ فالذكر في قتيل واحد كان.[٧] فلما ذكر في قتيلين و لم يذكر في الواحد دل أنه على التفريق. وأيد ذلك أمر الصيام[٨] أنه ذكر مرة، والحكم به[٩] يأتي على الكل. وعلى ذلك[١٠] حق الدية مع ما يبين[١١] الذي هو وصفه.[١٢] وإن كان تأويل[١٣] الآية [هو] الأول[١٤] فأوجب في المعاهَد بالمروي عن[١٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قضى في عامريّين[١٦] دخلا بأمان[١٧] فقُتلا بدية حرين مسلمين.[١٨] وفي ذلك بيان أن الدية لم تكن[١٩] وجبت بالنهي عن القتل، إذ هو في الذراري والنساء قائم ولم يجب، لكن بالعهد. فإذا كان على الاتفاق في الدين والنهي فُرّق بينهما بالعهد، فعلى ذلك أمر المسلمين على الاتفاق في الدين والنهي يفرّق بينهما بمكان العهد والإحراز.

---

١ ن – بما لم يحرز دماؤهم بدار الحرب و لم تجب الكفارة.
٢ جميع النسخ: هذه.
٣ جميع النسخ + على.
٤ جميع النسخ: وعنه. أي وعن هذا التأويل للآية نشأ فهم الإجماع بأن الله...
٥ ك: من.
٦ جميع النسخ: القتين.
٧ أي وكان الذكر في قتيل واحد.
٨ م + وأيد ذلك أمر الصيام.
٩ ع م – به.
١٠ ك: وكذلك.
١١ م: بين.
١٢ ن – وصفه.
١٣ ع: ياويل.
١٤ جميع النسخ: الأولى.
١٥ ع: من.
١٦ ع: عامر بين.
١٧ ع: بايان.
١٨ تقدم قريبا.
١٩ م: يكن.

وأيد التأويل الثاني شرط الإيمان في قوله تعالى: **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن**. فلولا أن الذكر يقتضي القتيل من العدو لم يكن ليُحتاج إلى ذكر المؤمن. وقد سبق بيان المقصود في ابتداء الآية في النهي والثُّنيا جميعا. فإذا لم يذكر في أهل الميثاق صار[1] متروكا على ما يقتضيه. وأيد ذلك الذي هو وصفه أن ذكر النوعين يدل على التفريق، إذ ليس على حق الاقتضاء بالمعنى ولا على حق الإبلاغ في البيان. وجميع الكل يخرج على ذينك[2] النوعين[3] في حق الحكمة؛ لذلك صار إلى حق التفريق. ثم الظاهر قد يضمن الخطاب بأمرين. أحدهما في حق هتك الحرمة، والآخر في حق العوض من غير تفريق في وزن الملفوظ؛ وجاء البيان للواحد،[4] وهي دية المؤمن، فيصير كأن البيان في الآية. ومعلوم أنه لو كان لكان[5] يأخذ الكلَّ إلا أن يجيء[6] التفريق، على ما ذكر من أمر الصيام وحق التوبة. وإنَّ ذكر الآحاد في حق بيان التضمين كذلك في الكل الدية على حد واحد. مع ما استوى أمر الكفارة فيما له حق البيان التام أو بيان الكفاية، فعلى ذلك الأول.

وأيد ذلك وجهان. أحدهما أن الدية بمبلغها[7] كانت في الجاهلية، فأُقرت على ذلك في الإسلام، وكذلك حق القسامة، وكانت كذلك في أهل الكفر عند الأمان، فعلى ذلك اليوم. أو يلزم الذي عرف حتى يظهر [خلافه]. ولذلك[8] -والله أعلم- لم يجز في الأمر[9] البيان لأنه كان على معروف. وأيد ذلك جميع الأمور المنقسمة من نحو الحدود بين العبيد والأحرار في التفريق، والديات بين الذكور والإناث، إنه يجب ذلك الانقسام في أهل الكفر، فعلى ذلك حد الجملة والنصف.

والثاني خبر ابن عباس رضي الله عنه في العامريَّين.[10] وعلى ذلك جاء عن عمر وعلي

---

[1] جميع النسخ: فصار.
[2] ك ن ع: ذانك؛ م: ذلك.
[3] ن ع م: اللفظين
[4] جميع النسخ: لواحد. والتصحيح من نسخة سليم أغا، ورقة ١٥٥ظ.
[5] م – لكان.
[6] ع: لحى.
[7] ن: بمبغهما.
[8] ع: وكذلك.
[9] ع: أمر.
[10] تقدم قريبا.

رضي الله عنهما، وما روي عن عمر رضي الله عنه فهو في[1] الوقت الذي بلغت قيمة الإبل أربعة آلاف؛ وسنذكر ذلك.[2]

ثم الأصل أن البدل حق المتلَف. والإسلام والكفر أمران يرجعان إلى الدين والمذاهب. والناس لا يملكون الزيادة والنقصان[3] من الأبدال لأنفسهم؛ لأنه لا هم جعلت الدية، لكن بالشرع فيه يعرف التفريق والجمع. فما لم يثبت التفريق والمعنى في كل نفس من المنافع ومما[4] في غيرها لزم الجمع حتى يجيء علم التفريق. والأصل أن[5] البدل أمر يرجع إلى منافع تقع للمجني[6] عليه مكان ما ذهب منه، أو لغيره فيما يدخل عليهم من النقصان بفوت[7] نفسه. ثم كل أمر مجعولٍ للمنافع فالنظر فيها إلى قدر المنافع عند أهلها. وأهل الذمة أحق بالزيادة لتعجيل المنفعة لهم في الدنيا، إذ / لا حظَّ لهم في الآخرة. وقد زعم الشافعي أن العبد لو بيع على أنه كافر فوجده [المشتري] مسلما [١٥٥و] إنه عيب يرد[8] منه؛[9] فيصير الإسلام عيبا في قيمته. فلا يجيء أن يكون الحر منهم أقل قيمة[10] من الحر منا، ومحل الدين ما ذكرت. فهذا وإن كان القول به منه شنيعا لا يجوز أن يحتج به، فهو في موضع التنبيه، وقوله يُلزمه، كقوله سبحانه وتعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ؛[11] فحاجهم بالذي عند أئمتهم، فعلى ذلك يحاج بالذي[12] عنده. ***ولا قوة إلا بالله***. وقد حاج بنفي[13] الإلهية مما[14] لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر[15] وإن كان وجود ما انتفى لا يوجب القول به.

---

[1] ع – في.
[2] ع + إن شاء الله تعالى. وسيذكر خلال تفسير هذه الآية.
[3] م – قيمة الإبل أربعة آلاف وسنذكر ذلك ثم الأصل أن البدل حق المتلف والإسلام والكفر أمران يرجعان إلى الدين والمذاهب والناس لا يملكون الزيادة والنقصان.
[4] جميع النسخ: وإليها ما.
[5] ع: لان.
[6] ن: للمجيء.
[7] جميع النسخ: يفوت.
[8] م: ترد.
[9] ع م – منه.
[10] م: الحرمة لهم قل قيمته.
[11] سورة النحل، ٤٣/١٦.
[12] ع: الذي.
[13] ع: يفي.
[14] ن ع م: مما.
[15] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ (سورة مريم، ٤٢/١٩)، وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾ (سورة الفرقان، ٥٥/٢٥)، ونحو ذلك من الآيات.

ثم القتل على أقسام ثلاثة. أ) عمد، وهو ينقسم إلى[1] قسمين. أحدهما أن يتعمد نفس القتيل؛ والثاني أن يتعمد دينه فيقتله[2] لأجل دينه. ب) وخطأ، وهو أيضا على قسمين. أحدهما أن يقع بأحد الجناية عن غير قصده. والثاني أن يقع له على قصده لكن على ظن لزومه الدين[3] الذي استوجب القتل به. ج) وبين الخطأ والعمد قتل آخر، سمي "خطأ العمد" أو "شبه العمد"، مما لم يبين حكمه في[4] منصوص القرآن، ولا هو مما يحتمل معرفة حقيقته[5] بالعيان. لأنه ليس في العين جناية تقع من حيث الوقوع إلا عن عمد أو خطأ، فصار ذلك معروفا حكمه[6] بالشرع. ولله أن يَشرع[7] في حقيقة الخطأ والعمد شرعا واحدا على ما عليه أمر شرعه في جميع الأمور. وقد جاء الخبر فيه، واتفاق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على إيجاب الدية في ذلك، وليس في ذلك ذكر الكفارة. فلما ثبت إلحاقه بالذي هو خطأ في الحكم[8] قيس عليه أمر الكفارة.

مع ما كان[9] لذلك أوجه تقدّر. أحدها أن في العمد ما هو لنفسه كفارة، وهو القصاص. وقد رفع ذلك في شبه العمد، والدية تلزم[10] العاقلة؛ فلا بد من وضع كفارة[11] في ذلك كالذي ذكر في الخطأ فيه.

والثاني أنه ذكر في الكفارة: **توبة من الله**. والتوبة من الله تخرج على أوجه ثلاثة: على التوفيق لفعله، أو على التجاوز[12] لما كان[13] من الزلة، أو على جعل ذلك الفعل منه توبة عن زلته. وأي هذه الوجوه الثلاثة كان ففي ذلك معنى بحق[14] وصف التوبة.

[1] ك ن - إلى.
[2] جميع النسخ: فيقتل.
[3] ن: الذي.
[4] ع: حكمة من.
[5] ع: حقيقة.
[6] جميع النسخ: وحكمه.
[7] م + أن يشرع.
[8] ن: الحسم.
[9] ن: يكون.
[10] م: يلزم.
[11] ع: كفار.
[12] ع م - التجاوز.
[13] م: ما كان.
[14] ع م - بحق.

فيكون في ذلك[1] مما قد يتوجه إلى عمد يلحق وصف الزلة، أو أمرٍ تجوز[2] الكلفة به[3] فيقع العدول عنه، إذ قال: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ.[4] فإن[5] جعل في ذا توبة فهو في وجه فيه جناح، فيدخل في ذلك قتلٌ فيه جناح،[6] ويكون له حكم الخطأ يبينه الخبر.

والثالث اتفاق أهل الفتوى على القول به.

وأيضا إن الذي يقع الخطأ فيه لدينه فقد[7] تعمد قتله، وأُوجبت[8] عليه الكفارة. فقد وجدت كفارة مع تعمد فيما لا بدل[9] لنفسه، فإذا كان شبه العمد يجب فيه[10] البدل فهو لوجوب[11] الكفارة أحق.

وأما العمد الذي فيه القصاص ففيه[12] أوجه ثلاثة. أحدها أن الله تعالى بين ما فيه من الحق على نحو ما بين في الخطأ. وإنما يجب طلب العلم[13] بالحكم فيما لم يبين منصوصا[14] من النوازل التي[15] يعلم أن لله[16] تعالى فيها[17] حكما، إذ لم يَنُصَّ عليه فقد جعله مبيَّنا بالتضمن لا بالتصريح. فإذا بين سقطت الحاجة وبطل[18] الاجتهاد والتعرف به. وعلى مثل[19] ذلك

---

[1] ع م – في ذلك.
[2] ن ع م: يجوز.
[3] ن – به.
[4] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.
[5] ن ع م: فإذ.
[6] ن + فيما أخطاتم.
[7] ع م: قصد.
[8] ن: وأوجب.
[9] ع م: بد.
[10] ع: عيه.
[11] ع: لوجب.
[12] ك ن ع: ومنه.
[13] ن ع م: العمل.
[14] جميع النسخ: نصوصا.
[15] ن ع م: ان.
[16] ع م: الله.
[17] ن – فيها؛ ع: فيما.
[18] ع م: وبطلت.
[19] ع م – مثل.

يجاب لقتل الصيد خطأ[1] أن الحكم فيه لم يبين بالتصريح فهو متروك للتضمن.[2]

والثاني أن الكفارة في حق الزجر عنه والتكفيرِ لفعله، وفي السيف ذلك والزيادةُ فيه، فلذلك لم يضمّ[3] إليه[4] غيره. ثم معلوم أن الكفارة إنما جعلت بما معه الإبقاء حتى يصوم شهرين، وفيما فيه القصاص لا مهلة له يستوجب[5] به بقاء النفس ليقوم[6] بالكفارة، فلذلك لم يجب.

والثالث الاتفاق أن[7] الذي يُقتصّ [منه] لا يلزمه الكفارة. فمن وجب له حكم العمد[8] لم يجب عليه الكفارة. ولو أوجبنا[9] الكفارة على القاتل جعلناها حقا لله من حيث النفس، لا من حيث معنى في الجناية له تجب. وذلك المعنى في نفس القاتل والقتيل سواء. فيكون ولي القتيل آخذا الذي له وقع القصاص، والذي ليس له القصاص[10] لكن[11] له الكفارة فتلزمه. فإذ[12] لم تجب بان أنها تجب لحال[13] في النفس والجناية، فلم تجب[14] فيما عُدمت تلك الحالة. والأصل أنها لم تجعل للحظر ولا لنفس[15] الحرمة، إذ قد يوجد قتل نفس محظورة و لم تجعل[16] فيها الكفارة نحو الذراري[17] والنساء من أهل الشرك؛ بل لو كان لذلك كان الخطأ من أبعد ما تجعل[18] له الكفارة؛ فثبت أنها لم تجعل لذلك. ومن يقس يقس بذلك، فبطل. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: عمدا. لكن كفارة قتل المحرم للصيد عمدا مذكور في القرآن، والذي لم يبين هو حكم الخطأ. يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَل من النَّعَم﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٥).

[2] أي إن

[3] ع م: يضمن.

[4] ع: إلى.

[5] ن: تستوجب.

[6] ن ع م: لتقوم.

[7] ن – أن.

[8] ن: العهد.

[9] ك ن م: لو أجبنا.

[10] ع م – والذي ليس له القصاص.

[11] ع: لمن.

[12] ع م: فإذا.

[13] م: لحال.

[14] ع: يجب.

[15] م: للنفس.

[16] ك ن: يجعل؛ م: لم تجعل.

[17] ع: الزراري.

[18] ن ع م: يجعل.

وقوله عز وجل: **فتحرير رقبة مؤمنة**، اختلف فيه. قال بعضهم: لا يجزي إلا من صام وصلى. وعن ابن عباس قال: الرقبة المؤمنة كل مولود ولد في الإسلام صغيرا كان أو كبيرا.[١] والأشبه أن يجزي الصغير من المسلمين. ألا ترى[٢] أنهم أجمعوا أنّ على قاتل الصغير من المؤمنين مثل ما كان على قاتل الكبير منهم. فيجب أن يجزي[٣] الصغير من المؤمنين على ما يجزي عنه الكبير منهم، إذ[٤] كان حكم الصغير من المؤمنين حكم الكبير منهم.[٥] ومما يدل على ذلك أيضا أن حكم[٦] الصغير من المؤمنين وميراثه وتزويجه وطلاق الرجل الزوجة الصغيرة حكم الكبير، فهم مؤمنون في الحكم وإن كانوا صغارا. ولكن لسنا نذكر من أصحابنا رواية منصوصة في جوازه، والقياس ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين**؛ وصف الله سبحانه وتعالى الشهرين بالتتابع، / ووصف الرقبة بالإيمان. فهو[٧] -والله أعلم- يحتمل أن يكون على [١٥٥ظ] التغليظ والتشديد لما يجوز أن يجاوز جُرم حكم الخطأ جرم غيره من الأشياء، نحو أن يقتله بعصا[٨] أو بسوط ونحوه قاصدا له.[٩] ولا شك أن جرمه أعظم من جرم غيره من الأفعال التي توجب الكفارة[١٠] من الأيمان والظهار وغيره. فغُلِّظ فيه[١١] ما لم يُغَلَّظ في غيره بالإيمان في الرقبة والتتابع في الصيام. وهذا كما يقولون: إن ضرب التعزير أشد من ضرب حد الزنا وحد شرب الخمر وغيره، لأن جرم فعل[١٢] التعزير ربما يبلغ[١٣] جرم الزنا أو يجاوز؛[١٤]

---

[١] بل روي عن ابن عباس القول الأول، وروي عن عطاء بن أبي رباح القول الثاني. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٥/٥-٢٠٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦١٧/٢.
[٢] ن: يرى.
[٣] ع م - الصغير من المسلمين ألا ترى أنهم أجمعوا أن على قاتل الصغير من المؤمنين مثل ما كان على قاتل الكبير منهم فيجب أن يجزي.
[٤] ع: إذا؛ م: ان.
[٥] جميع النسخ: منهما.
[٦] ع م: الحكم.
[٧] ن - فهو.
[٨] ع: بعضا.
[٩] ع م - له.
[١٠] ع م - الكفارة.
[١١] ن - فيه.
[١٢] ع: فيه.
[١٣] ن ع م: بلغ.
[١٤] ن ع م: تجاور.

وهو أن يَخنُق[1] آخر مرة أو مرتين، لا شك أن حرمته أعظم مس حرمة من قذف آخر أو شرب قطرة من خمر، فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا. فعلى ذلك شُرِط الإيمان في العتاق في كفارة القتل والتتابعُ في الصوم تغليظا وتشديدا للمعنى الذي ذكرنا، وهو أن يقتله قتل شبه العمد أي عمدِ القصد خطإِ الحكم.[2] ألا ترى[3] أنه غلّظ في الدية في شبه العمد ولم يغلظ في غيره. وروي عن ابن عمر[4] رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم[5] قال: «قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلَّظةٌ».[6] وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء[7] خطأ إلا السيف والحديد، ولكل خطأ أَرْش».[8]

ذكر الله تعالى قتل الخطأ والعمد، فبين حكمهما ولم يذكر غيرهما في كتابه. لكنا عرفنا قتل[9] شبه العمد والحكم فيه بما رُوينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديث النعمان[10] عنه صلى الله عليه وسلم. حيث قال: «ألا أن قتيل خطأ العمد قتيل السوط والعصا، ففيه الدية مُغَلَّظة: ثلاثون جَذَعَة، وثلاثون حِقَّة، وأربعون ما بين ثَنِيَّة[11] إلى بازِلِ عامِها كُلُّها خَلِفَة».[12] واختلفت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[1] ع م: تحيق.

[2] أي خطأ في الحكم، وبعبارة أخرى: له حكم قتل الخطأ. وقد قال المصنف فيما سبق قبل عدة صفحات: «فلما ثبت إلحاقه (أي شبه العمد) بالذي هو خطأ في الحكم قيس عليه أمر الكفارة».

[3] ك: يرى.

[4] ك: وروي في غيره.

[5] ك + أنه.

[6] *سنن ابن ماجة*، الديات ٤؛ و*سنن أبي داود*، الديات ١٨.

[7] ع م – شيء.

[8] *مسند الطيالسي*، ١٠٨/١؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٢/٤، ٢٧٥؛ و*الدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ٢٦٨/٢،٢٦٥. والأرش بمعنى الدية، ويغلب استعماله فيما ليس له مقدار معلوم من دية الجراحات (*لسان العرب* لابن منظور، «أرش»).

[9] ع م: قيل.

[10] م + بن بشير.

[11] ع: ثمية.

[12] ع م: خلقة. *سنن أبي داود*، الديات ١٧. الجذعة هي الأنثى من الإبل التي استكملت أربعة أعوام ودخلت في السنة الخامسة (*لسان العرب* لابن منظور، «جذع»). الحقة هي التي دخلت في السنة الرابعة (المصدر السابق، «حق»). الثنية هي التي دخلت في السنة السادسة (المصدر السابق، «ثني»). البازل هي التي دخلت السنة التاسعة. فإذا جاوز البعير البزول قيل: بازل عام وعامين وكذلك ما زاد (المصدر السابق، «بزل»). الخلفة: الحامل (المصدر السابق، «خلف»).

روي عن عمر رضي الله عنه ما ذكرنا من الخبر[1] المرفوع أثْلاثا.[2] وعن علي رضي الله عنه قريبا منه أثْلاثا.[3] وعن أبي موسى الأشعري والمغيرة ما روينا من الخبر[4] المرفوع أثلاثا. وعن ابن مسعود رضي الله عنه في شبه العمد أرباعا: خمسة وعشرين حِقَّة، وخمسة وعشرين جَذَعة، وخمسة وعشرين بناتِ لَبون، وخمسة وعشرين بنات مَخاض.[5] ثم لا يحتمل أن تكون[6] الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قالوا ذلك رأيا من أنفسهم، لأن هذا باب ما لا يوقَف إلا بالسمع والخبر عن[7] الله سبحانه وتعالى؛ فيجعل كأنهم جميعا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم لا يحتمل أن يكونوا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم[8] في وقت واحد. فدل أنه في وقتين مختلفين، فهو على التناسخ. فلم يظهر الأول منهما من الآخر، فأوجب الأخف باليقين، ولم يوجب الأغلظ بالشك. وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال في شبه العمد بالأرباع. وأما محمد رحمه الله فإنه ذهب إلى ظاهر الخبر المرفوع بالأثلاث.

ثم اختلف أصحابنا رحمهم الله تعالى فيمن رمى آخر في بحر فغرق فمات. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يقتل به. وقال فيمن أحرق آخر[9] بالنار: قُتِل به. وكان يفرّق بينهما لوجهين.[10] أحدهما أن يقول الرامي في الماء: حسبت[11] أنه يُحسن أن يَسبَح.[12] وذلك موجود في كثير[13] من الناس، فصار ذلك شبهة يزول بها القصاص عن الرامي. وأما الذي رمى صاحبه في النار ليس له أن يدعي مثل تلك[14] الشبهة، لذلك لم يَزُل عنه القصاص.

---

[1] ع: الخير.
[2] ع: ثلاثا. سنن أبي داود، الديات ١٧. أثلاث أي ثلاثة أقسام (*لسان العرب* لابن منظور، «ثلث»).
[3] *سنن أبي داود*، الديات ١٧.
[4] ع: الخير.
[5] *سنن أبي داود*، الديات ١٧. بنت لبون الأنثى من الإبل التي دخلت السنة الثالثة (*لسان العرب* لابن منظور، «لبن»). وبنت مخاض هي التي دخلت السنة الثانية (*لسان العرب* لابن منظور، «مخض»).
[6] ع م: يكون.
[7] ك: من.
[8] ن ع م – ثم لا يحتمل أن يكونوا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[9] ن – آخر.
[10] ك: في وجهين؛ م: بوجهين.
[11] م: حسب.
[12] ع: يستح.
[13] ع: اكثر.
[14] م: ذلك.

والثاني أن النار جارحة،[1] ألا ترى[2] أنها تستعمل في موضع السلاح ويحارب بها، وهي من أشد السلاح، ولا كذلك الماء، لذلك افترقا.[3]

ثم القول في مبلغ الدية من الإبل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وَدَى رجلا بمائة من الإبل.[4] وروي[5] أن الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول: «في النفس مائة من الإبل».[6] وما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه قال: خطب النبي[7] صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا[8] إن قتيل خطأ العمد فيه الدية مغلَّظةً: مائة من الإبل».[9] ثم القول في أسنان الإبل في الدية ما[10] روي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دية الخطأ أخماس».[11] وكذلك روي عن عبد الله بالأخماس،[12] وعن عمر رضي الله عنه كذلك. وعن علي[13] بن أبي طالب في الخطأ أرباعا.[14] وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يذهب إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى ما روي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهما، ويجعل[15] دية الخطأ أخماسا من الإبل، وفي شبه العمد[16] أرباعا[17] لما ذكرنا. ومحمد رحمه الله يذهب إلى ما روي عن علي رضي الله عنه بالأرباع في الخطأ، وفي شبه العمد بالأثلاث[18] بالخبر المرفوع. والوجه فيه ما ذكرنا.

---

[1] ع: خارجة.
[2] ك: يرى.
[3] ع – افترقا؛ م – لذلك افترقا.
[4] ع م – ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ودى رجلا بمائة من الإبل. *صحيح البخاري*، الديات ٢٢؛ وسنن *أبي داود*، الديات ٨.
[5] م: روي.
[6] سنن *النسائي*، القسامة ٤٧.
[7] ع م: رسول الله.
[8] ن – ألا.
[9] سنن *أبي داود*، الديات ١٧.
[10] ع: وما.
[11] سنن *الترمذي*، الديات ١.
[12] سنن *الترمذي*، الديات ١.
[13] ع م: كذلك وعلي.
[14] سنن *أبي داود*، الديات ١٧.
[15] ن: ويحتمل.
[16] ع: العمل.
[17] ع م – أرباعا.
[18] ك: بالإتلاف.

ثم المسألة في مبلغ الدية من الوَرِق.[١] روي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى[٢] بالدية اثني عشر ألفا.[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه عن[٤] النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] جعل الدية اثني عشر ألفا.[٥] وروي عن عَبِيدة السَّلْماني قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديات.[٦] فوضع على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق[٧] عشرة آلاف[٨] درهم، وعلى أهل الإبل مائة من الإبل، وعلى أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الشياه[٩] ألفي شاة، وعلى أهل الحُلَل مائتي حُلّة.[١٠] ثم روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قَوِّموا الإبل، فقَوَّموها أوقية. ثم غلت الإبل، فقال: قوموا؛ فقُوِّمت أوقية / ونصفا. ثم [١٥٦و]
غلت حتى قُوِّمت عشرة آلاف[١١] درهم.[١٢] فلو علم عمر رضي الله عنه أن رسول الله[١٣] صلى الله عليه وسلم قضى بالدراهم لم يحتج إلى أن يقوّموا[١٤] الإبل. ومحال أن يخفى على عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين سنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضطروا إلى تقويم الإبل. فدل أن الخبر في اثني عشر غير ثابت.

ثم لا خلاف[١٥] أن الدية من الدنانير ألف دينار، فوجب أن تكون[١٦] الدية من الورق[١٧]

---

[١] ك: الفرق. والورق: الدراهم المضروبة أو الفضة (*لسان العرب* لابن منظور، «ورق»).

[٢] ع: اقصى.

[٣] *سنن أبي داود*، الديات ١٦؛ و*سنن الترمذي*، الديات ٢.

[٤] ع م – أن.

[٥] *سنن أبي داود*، الديات ١٦؛ و*سنن الترمذي*، الديات ٢.

[٦] ع: بالديات.

[٧] ك: الفرق.

[٨] م: عشرة ألف.

[٩] ن م: الشاة؛ ع: الشياة.

[١٠] *سنن أبي داود*، الديات ١٦. الحلة إزار ورداء. وزاد بعضهم القميص، ولا يقال لها حلة حتى تكون من ثوبين. هذا رأي الأكثرين. وقال بعضهم: تطلق الحلة على الثوب الواحد أيضا. وقيل: هي الجيد الجديد من الثياب (*لسان العرب* لابن منظور، «حلّ»).

[١١] ك ن: عشر آلاف.

[١٢] *سنن أبي داود*، الديات ١٦.

[١٣] ك ن: البي.

[١٤] ك: يقومه.

[١٥] ك م: الاحتلاف.

[١٦] ن ع م: يكون.

[١٧] ك: العرق.

عشرة آلاف، لأنه روي عن عمر رضي الله عنه أنه جعل قيمة كل دينار عشرة. وروي أنه كتب إلى أمراء الأجناد[1] أن تؤخذ[2] الجزية من أهل الورق[3] أربعون درهما، ومن أهل الذهب أربعة دنانير.[4] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: لا تقطع اليد إلا في دينار أو عشرة دراهم.[5] دل ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن قيمة كل دينار عشرة دراهم. فلما أجمعوا في أن الدية من الذهب ألف دينار وجب أن يكون من الورق[6] عشرة آلاف. ألا ترى أنه[7] يؤخذ في الزكاة من مائتي درهم خمسة دراهم، وفي عشرين دينارا نصف دينار. دل على أن الدية عشرة آلاف. ثم يحتمل الخبر إن ثبت أن الدية اثنا عشر[8] ألفا وَزْنَ ستة، لأن الدية كان أصلها الإبل، فقُوِّمت الإبل دراهم، فبلغت اثني عشر ألفا من وزن ستة. ثم رُدَّت الأوزان إلى وزن سبعة،[9] فكانت اثني عشر ألفا وكسرا[10] وَزْنَ سبعة؛ أَلْقَوا[11] الكسر، لأن القِيَم لا تعرف منصوصا وإنما تعرف بالاجتهاد. وقد تزداد[12] وتنقص، ويكون بين القيمتين الشيء اليسير، فتركوا ذلك الكسر لما وصفنا؛ ولأنه لم يكن في الدية في أصلها كسر. وهذا وجه محتمل، فأخذ أصحابنا رحمهم الله بآخر التقدير، لأن الأوزان استقرت على وزن سبعة، وبطل وزن ستة. ولا شك أن وزن سبعة هي الآخرة لاستقرارها في الناس على ذلك.[13] *وبالله التوفيق.*

وقوله عز وجل: **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين**؛ قد ذكرنا معنى التتابع في ذلك.[14]

---

[1] الأجناد جمع جند بمعنى المدينة، لأنه يقيم فيها المقاتلون (*لسان العرب* لابن منظور، «جند»).
[2] ن ع م: يأخذ.
[3] ك: العرق.
[4] *الموطأ* لمالك، الزكاة ٤٣.
[5] *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٧٣/٦؛ *والدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ١٠٨/٢.
[6] ك: الفرق.
[7] ك ن ع: أن.
[8] جميع النسخ: اثني عشر.
[9] المقصود بوزن ستة ووزن سبعة هو وزن ستة مثاقيل ووزن سبعة مثاقيل مما كانت توزن بها الدراهم في ذلك الوقت (*لسان العرب* لابن منظور، «سبع»، «ثقل»).
[10] جميع النسخ: وكسر.
[11] م: القواد.
[12] م: تزاد.
[13] ن - على ذلك.
[14] قبل بضع صفحات خلال تفسير نفس الموضع من هذه الآية، لكن تخلل بين الموضعين مقادير الديات من مختلف الأموال.

وفي قوله: **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين**، عند الجميع من جميع[1] من ذكر من القاتلين[2] في هذه الآية.

ثم قوله تعالى: **توبة من الله**؛ قال بعض[3] أهل العلم: ندامة من الله تعالى، وقد يندم الرجل على فعل[4] يفعله[5] خطأ. لكن عندنا على حقيقة التوبة؛ لأن الفعل فعل مأثم وإن كان خطأ، ولأنه يجوز أن يكلَّف الإنسان ويُنهى في حال الخطأ لما لا يَتأمل في ذلك ولا يَنظر، لئلا يترك التأمل في ذلك والنظر؛ فتكون[6] التوبة على الحقيقة لما ذكرنا. وفي قوله أيضا: **توبة من الله**، قد بينا الوجه في ذلك. وقال بعض أهل التأويل: التوبة في الحقيقة[7] الندامة على الأمر. وكل من يتولد من فعله قتل أحد فهو يندم على ذلك الفعل الذي حدث منه الذي ذكر، ويحزن عليه. فيكون على هذا التقدير معنى التوبة من الله إلقاء ذلك الحزن في قلبه، أو رجوعه بالتأسف إلى الله بالإعتاق أو الصيام.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **وكان الله عليما حكيما** لمن قتله خطأ ولم يقصد،[9] ومن قصده،[10] أو **عليما** بما حكم عليكم[11] من الدية والكفارة، أو **عليما** بأجل أحدكم،[12] **حكيما** في قضائه وحكمه، حيث وضع كل شيء موضعه، والله أعلم به.

وقوله تعالى: **وكان الله عليما حكيما**، يخرج ذلك عند ذكر[13] هذه الآية وهو كذلك بذاته على أوجه. أحدها[14] أنه عليم بالذي عليه خرج[15] حقيقة فعل ذلك القاتل من القصد وغير القصد.

---

[1] ع م – من جميع.
[2] ن م: القائلين.
[3] ع: ببعض.
[4] ع – فعل؛ م: فعله.
[5] م – يفعله.
[6] م: فيكون.
[7] ع م + هو.
[8] م: بالإعتاق والصيام.
[9] م: يقصده.
[10] م – ومن قصده.
[11] ك - عليكم.
[12] جميع النسخ: احكم.
[13] ع م: ذكره.
[14] ك: احديها.
[15] ع م + عليه.

وهو حكيم بما حكم علينا[1] الذي ذكر بظاهر أحوال القتيل وإن لم يُعرَف حقيقة الأمر في ذلك، إذ الذي له حكم العمد والخطأ لا يظهر لغيره.[2] والثاني **وكان الله** لم يزل **عليما** بالذي يكون من عباده، وبالذي به[3] المصالح بينهم. فحكم بما فيه المصالح فيما علم من وقوع الجنايات. والثالث[4] يبين[5] أنه لا عن جهل يقع الخلاف لأمره ولما يرضى[6] به من خلقه، ولا عن خطأ في التدبير. أي عليم بالذي يكون من الخلق، لا عن جهل بهم خرج أمرهم؛[7] وحكيم في التدبير، أي لا يلحقه الخطأ في تدبير الخلائق على ما يكون منهم من الفساد والشر، إذ بمثله من غيره يفعل[8] الخطأ و[يمكن له] الجهل لما في ذلك ضرر يقع به، والله يتعالى عن هذا.

**﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**[٩٣]

وقوله عز وجل: **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها**، الآية، قيل في بعض القصة: إن رجلا قتل آخر عمدا، فلما علم أنه يُقتل به ارتد عن الإسلام ولحق بدار الحرب، فنزل الوعيد له.[9] وهذا -والله أعلم- كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾،[10] كانوا يمنعون الزكاة لما كان عندهم أن الزكاة تَنقُص المال، فجحدوا بها رأسا. وكقوله:[11] ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛[12] فتركوا الصلاة والزكاة لما يلحقهم بذلك مُؤَن[13] وأشغال،

---

[1] ك: عليًا.
[2] م: بغيره.
[3] ع م - به.
[4] ع م: والثاني.
[5] ن ع: تبيين؛ م: تبين.
[6] ن ع م: ولما لم يرض.
[7] أي لا يجهل الله أمور الخلائق وشرورهم.
[8] جميع النسخ: يعلم.
[9] ع م - له. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٣/٢.
[10] سورة فصلت، ٧/٤١.
[11] ع م: كقوله.
[12] سورة المدثر، ٤٣/٧٤-٤٦.
[13] ع م: مؤمن.

يشغلهم[1] ذلك كله عما تهوى أنفسهم، فأنكروا رأسا، لأنهم إن صلوا وأدوا الزكاة لا[2] يكون ذلك صلاة وزكاة إذ كانوا يكذبون بيوم الدين. فعلى ذلك قاتل المسلم عمدا إذا علم[3] أنه مقتول به ترك دينه / فصار من أهل النار خالدا مخلدا فيها. [١٥٦ظ]

ويحتمل قوله: **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** لدينه، يقتله عمدا غير غالط فيه ولا جاهل، بل[4] عالمٌ بذلك وإلى قتله لدينه قاصد. ومن كان هذه صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذي ذكره في كتابه الكريم؛[5] إلا أن يجدد إيمانا، فإن الله تعالى يقبل إيمانه وتوبته.

والثالث أن يكون[6] ذلك جزاءه، ولله الإفضال عليه بالعفو والمجاوزة؛[7] إذ ذلك جزاؤه إن لم يكن له حسنات تقابل[8] به. فأما إذا كانت له حسنات تقابل[9] به فيبدل الله بفضله سيئاته حسنات،[10] كقوله تعالى: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[11] ثم الدليل [على] أن الآية في من قتل مسلما لدينه قاصدا لنفسه دون دينه قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى، وإنما يكتب عليهم إذا كان القتل قتل عمد؛ وأبقى لهم بعد القتل اسم الإيمان. ثم قال: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ، فأبقى لهم اسم الأُخوّة. ثم قال: ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ،[12] أطمعه[13] في رحمته عز وجل، وبعيد أن يكون له مع[14] هذا خلود في النار. فدلت الآية على بقاء اسم الإيمان وعلى رجاء الرحمة. وهما معنيان ينقضان قول المعتزلة

---

[1] جميع النسخ: تشغلهم.
[2] ك ن ع – لا.
[3] ن + إذا علم.
[4] ع م – بل.
[5] ك ن – الكريم.
[6] م + الوعيد الذي ذكره في كتابه.
[7] ك: والمجازاة.
[8] ن: يقابل.
[9] ن: يقابل.
[10] ع م – تقابل به فأما إذا كانت له حسنات تقابل به فيبدل الله بفضله سيئاته حسنات.
[11] ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يُضاعَفْ له العذاب يوم القيامة ويَخلُدْ فيه مُهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٨-٧٠).
[12] سورة البقرة، ٢/١٧٨.
[13] ن ع م: أطعمه.
[14] م + ذلك.

حيث[1] خَلَّدوا صاحب[2] الكبيرة في النار. ولأنه تعالى قال: **فجزاؤه جنهم خالدا فيها**، و لم يقل: يجزيه، وله أن يتفضل بالعفو عنه على ما وصفنا. ***وبالله التوفيق***[3] ***والنجاة.***

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل الآية ما يؤيد ما قلنا. روي عنه أنه قال في قوله سبحانه وتعالى: **فجزاؤه جهنم**، الآية،[4] قال: هي[5] جزاؤه،[6] إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.[7] وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان في مَن قبلَكم رجل قتل تسعة[8] وتسعين نفسا، فسأل عن[9] أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب. فأتاه فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفسا بغير حق، فهل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل، فأتاه فقال: إني قتلت مائة نفس بغير حق، فهل لي من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن ناسا يعبدون الله فاعبده معهم. فانطلق حتى إذا بلغ[10] نصف الطريق أتاه الموت، فاختصم فيه[11] ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك فجعلوه حكما بينهم. فقال: قِيسُوا ما بين الأرضين، فإلى[12] أيهما كان أدنى وأقرب فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى[13] الأرض التي أراد، فقبضته[14] ملائكة الرحمة».[15] أفلا[16] يُرى أنه لما كان كافرا فقتل مائة نفس قبلت[17] توبته،

---

[1] ك – حيث.
[2] ك ع – صاحب.
[3] ك ن: المعونة.
[4] ك ن – الآية.
[5] م – هي.
[6] ن – قال هي جزاؤه.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٧/٢.
[8] جميع النسخ: تسعا؛ والتصحيح من مصادر الحديث.
[9] م: من.
[10] ع م – بلغ.
[11] ع م: به.
[12] ن – فإلى.
[13] ع م – إلى.
[14] ك: فقبضه.
[15] صحيح *البخاري*، الأنبياء ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ٤٦.
[16] ع م: ألا.
[17] جميع النسخ: فقبلت.

ولو كان مسلما[١] كانت مظالم المقتولين في عنقه باقية. فهذا الحديث يدل -والله أعلم- على أن التأويل ما ذكرنا. *وبالله التوفيق.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٩٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**، الآية، قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى دار الحرب، فسمعوا[٢] سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا، وأقام رجل لإسلامه. فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من العدو من حرب رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم، فألجأ غنمه إلى [جبل][٤] ثم قام دونها. فسمع التكبير فهبط إليهم وهو يقول: لا إله إلا الله. فأتاه رجل من هؤلاء فقتله واستاق غنمه وما معه. ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ قتلتموه إرادة ما معه[٥] وهو يقول: لا إله إلا الله؟» فقالوا: إنه قال متعوذا. فقال: «هلا شَقَقْتم عن قلبه؟».[٦] وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فلقيهم رجل فسلم[٧] عليهم وحياهم بتحية الإسلام. فحمل عليه رجل من السرية فقتله، فلامه أصحابه وقالوا: أقتلت[٨] رجلا حيانا بتحية الإسلام؟[٩] فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بالذي صنع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ قتلته بعد ما قال: إني مسلم؟»[١٠] قال: إنما قالها تعوذا. قال: «فهلا شققت عن قلبه فتعلم ذلك؟»

---

[١] م: مسلم.
[٢] أي أهل دار الحرب.
[٣] من حرب رسول الله: أي من محاربيه؛ يقال: فلان حرب لي، أي عدو محارب وإن لم يكن محاربا. وقوم حرب كذلك. وذهب بعضهم إلى أنه جمع حارب أو محارب، على حذف الزائد (*لسان العرب* لابن منظور، «حرب»).
[٤] من *تفسير الطبري*، ٥/٢٢٤.
[٥] ن: إرادة معه؛ م: إرادة وما معه.      أي أقتلتموه وأنتم تريدون أخذ ما معه من الغنم؟
[٦] *تفسير الطبري*، ٥/٢٢٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٣٤.
[٧] ن: وسلم.
[٨] ك: قتلت.
[٩] ك: السلام.
[١٠] ع م - إني مسلم.

فنزل قوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا.**[1] فلا ندري كيف ما كانت القصة، ولكن فيه الأمر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الإقدام عندها. وهكذا الواجب على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر؛ لأن الله تعالى أمر بالتثبت[2] والتبين[3] في الأفعال بقوله: **فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا.** وقال في الخبر: إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓا،[4] أمر بالتبين[5] في الأخبار عند الشبهة كما أمر في الأفعال لنبيه صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ.[6] وفي الآية دليل فساد[7] قول المعتزلة؛ لأنه نهاهم أن يقولوا لمن قال[8] "إني مسلم":[9] لست مؤمنا، وهم يقولون: صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقول ألف مرة على المَثَل إني مسلم. فإذا نهى أن يقولوا: ليس بمؤمن أمرهم أن يقولوا: هو مؤمن، فيقال لهم: ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ،[10] على ما قيل لأولئك.

وقوله عز وجل: **تبتغون عرض الحياة الدنيا**، قيل: الغنيمة. **فعند الله مغانم كثيرة**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله: **فعند الله مغانم كثيرة** أي أجر عظيم وجزاء كثير.[11] ويحتمل [١٥٧و] **فعند الله مغانم كثيرة** يعطيها لكم / في غير هذا، كقوله تعالى: وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا،[12] الآية.

وقوله عز وجل: **كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم**،[13] اختلف فيه. قيل: **كذلك كنتم من قبل** ضُلَّالاً كفارا **فمن الله عليكم** بالإسلام والهجرة وهداكم به. وقيل: **كذلك كنتم من قبل**

---

[1] *صحيح البخاري*، التفسير ٤/١٧؛ *وسنن الترمذي*، التفسير ٤؛ *وتفسير الطبري*، ٥/٢٢٣.
[2] م: بالتثبيت.
[3] ك م ع - والتبين.
[4] سورة الحجرات، ٤٩/٦.
[5] ك: بالتثبت؛ ع م: بالتثبيت.
[6] سورة الإسراء، ١٧/٣٦.
[7] ع: فاسد.
[8] ك - لمن قال.
[9] ك: مؤمن.
[10] يقول الله تعالى: ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٠).
[11] ك: كبير.
[12] سورة الفتح، ٤٨/٢٠.
[13] ن ع م + الآية.

تخفون[١] إيمانكم في[٢] المشركين وتكتمونه، **فمنّ الله عليكم** بإظهار الإسلام وإبدائه. وقيل:[٣] **كذلك كنتم من قبل** تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا إله إلا الله ولا يخيفون[٤] من قالها، **فمنَّ الله عليكم** بالهجرة. وعن ابن عباس قال: **كذلك كنتم من قبل** كفارا تقاتلون على الدنيا وعَرَضها.[٥]

وقوله تعالى: **فتبينوا**، عاد إلى الأول وأمر بالتبين[٦] عند الشبهة. ألا ترى أنه روي في الخبر أنه قال: المؤمن وَقّاف وَزّان، وقاف يقف عند الشبهة، ووزان يزن الأعمال فيختار أفضلها.[٧]

**﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٩٥] ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٩٦]**

وقوله عز وجل: **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم**، قال الحسن: كان هذا في الوقت الذي كان الجهاد تطوعا.[٨] لأنه لو كان فرضا لكان لا معنى لقوله تعالى: **لا يستوي** كذا من كذا وهما غير مستويين، أحدهما فرض عليه والآخر لا.

قيل له: هذا الذي ذكرت لا يدل على أن الجهاد ليس بفرض في ذلك الوقت؛ ألا ترى أنه قال: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ،[٩] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ

---

[١] ك: تخفون، مختلط الخط.
[٢] ع: من.
[٣] ك – وقيل.
[٤] جميع النسخ: ولا يخيفوا.
[٥] ع: وعرضوا.
[٦] ك ع م: بالتثبيت.
[٧] لم أجده هكذا. لكن روي مرفوعا: «المؤمن كَيّس فَطِن حَذِر وَقّاف لا يعجل». رواه الديلمي والقضاعي عن أنس، وهو ضعيف. انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٣٨٧/٢. وروي عن عمر: المؤمن وقاف يمضي ثم الخير ويقف ثَم الشر (*الزهد الكبير* للبيهقي، ٣٤١/٢).
[٨] ع: وتطوعا.
[٩] سورة السجدة، ١٨/٣٢.

أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ.[1] جمع بين متضادين[2] ثم قال لا يستوي، فعلى ذلك هو[3] أولى.[4]

وقوله عز وجل: **غيرُ أولي الضرر**، استثنى أهل الضرر مجملا في هذه الآية، وبين أمرهم وما أزال[5] عنهم من فرض الجهاد في آية أخرى، وهو قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ،[6] وقوله عز وجل: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى،[7] الآية. وهذا مما أجمع عليه أهل العلم، وأزالوا الحرج عمّن كان في مثل حال[8] هؤلاء الذين[9] وصفهم الله تعالى وعَذَرهم في تخلفهم عن الجهاد. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين ورغّبهم[10] في الجهاد بقوله:[11] **لا يستوي القاعدون من المؤمنين**، الآية، أتاه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله، ذكر الله فضيلة المجاهدين على القاعدين، وحالنا ما ترى، ونحن نشتهي الجهاد. فنزل:

---

[1] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.

[2] ع: مضادين.

[3] جميع النسخ: وهو. أي كون الجهاد فرضا أولى.

[4] وعبارة السمرقندي هكذا: «نَفْيُ التساوي بين تارك الجهاد والمحُصِّل وتفضيل المجاهد على القاعد لا يدل على أن الجهاد ما كان فرضا في ذلك الوقت؛ ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ (سورة السجدة، ١٨/٣٢)، نَفَى المساواة بين المؤمن والفاسق، وأخبر أنه لا مشابهة بينهما، والإيمان واجب فرض، والكفر حرام. وقال: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥). وقال: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (سورة الزمر، ٩/٣٩)، والعلم في كثير من الأشياء فرض، والجهل حرام، وقد نفى الاستواء بينهما؛ دل أن نفي الاستواء بين الشيئين لا يدل على نفي الفرضية عن أحدهما. على أن نفي الاستواء لما جاز بين المتطوع وتاركه لما أنه أتى بالخير وذلك غير آت به فلم يستويا في الفضيلة لوجود الخير من أحدهما دون الآخر، فلا يجوز نفي الاستواء بين محصل الفرض وتاركه بطريق الأولى؛ لأن أداء الفرض في كونه خيرا فوق النفل، وتارك الفرض في كونه تاركا للخير فوق تارك النفل؛ لأن ترك الفرض حرام عينه، وترك النفل لا، فكان القول بنفي الاستواء بينهما أولى» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٩و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٢١٣و-ظ).

[5] م: زال.

[6] سورة الفتح، ١٧/٤٨.

[7] ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩١/٩).

[8] ن ع م – حال.

[9] جميع النسخ: الذي.

[10] جميع النسخ: رغبهم.

[11] م: وبقوله.

**غير أولي الضرر.**[١] فجعل لهم من الأجر ما للمحاهدين لِزَمَانَتِهِم.[٢] وعلى ذلك أكثر أهل التفسير. وقال الكسائي: الضرر مصدر الضرير والمضرور، والضرير الأعمى، يقال: ضر بصره فهو ضرير ومضرور إذا عمي.[٣]

وقوله عز وجل: **وكلا وعد الله الحسنى** القاعد والمجاهد. **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما** قيل: هذا الفضل للمجاهد على القاعد الذي قعد لا لعذر، جعل له الأجر العظيم، وقوله: **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**، على القاعد الذي قعد لعذر،[٤] لأنه جعل فضيلته[٥] عليه بدرجة وفي الثاني جعل فضيلته[٦] عليه بدرجات. لكن قوله: **درجة ودرجات** عندنا واحد، ألا ترى أنه تعالى قال: وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ،[٧] ليس هو شيء واحد ولكنه[٨] أشياء. والذي قعد لعذر يستوي في الأجر[٩] مع الذي خرج إذا كان يتمنى أن يخرج إن قدر، لأنه لو لم يكن كذلك لكان لا معنى[١٠] للاستثناء. وفي الآية دلالة أن فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام بعضهم وإن كان الخطاب يعمهم في ذلك. وهو كقوله[١١] تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ.[١٢] وفرض الخروج لطلب العلم فرض كفاية، إذا خرج بعضهم لطلبه يسقط عن الباقين ذلك. فعلى ذلك فرض الجهاد. وإن كان[١٣] ذلك خلاف ما عاتب الله عليه الثلاثة الذين خُلِّفُوا

---

[١] صحيح *البخاري*، التفسير ١٨/٤؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٤؛ وتفسير *الطبري*، ٢٢٩/٥-٢٣٠.
[٢] الزمانة: العاهة (*لسان العرب* لابن منظور، «زمن»).
[٣] يقال رجل ضرير البصر، وإذا أضر به المرض يقال رجل ضرير وامرأة ضريرة. وفي حديث البراء: فجاء ابن أم مكتوم يشكو ضرارته، الضرارة هاهنا العمى. والرجل ضرير وهي من الضر سوء الحال، والضرير المريض المهزول والجمع كالجمع والأنثى ضريرة، وكل شيء خالطه ضر ضرير ومضرور (*لسان العرب* لابن منظور، «ضرر»).
[٤] ك - جعل له الأجر العظيم وقوله فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة على القاعد الذي قعد لعذر.
[٥] م: فضيلة.
[٦] م: فضيلة.
[٧] سورة البقرة، ٢٢٨/٢.
[٨] ن: ولكن.
[٩] ن ع م: الاخر.
[١٠] ن - لا معنى.
[١١] جميع النسخ: قوله.
[١٢] سورة التوبة، ١٢٢/٩.
[١٣] ن ع م كان.

في سورة براءة،[١] لأن أولئك تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ،[٢] فإنما عاتب أولئك لتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٩٧]**

وقوله تعالى: **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت الآية في قوم من[٣] المنافقين خرجوا مع[٤] المشركين إلى بدر، فلما التقت المسلمون والمشركون أبصروا قلة المسلمين وهم مع المشركين على المؤمنين فقالوا:[٥] غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ،[٦] وأظهروا النفاق، فقُتِلوا[٧] عامَّتُهم،[٨] وضربت[٩] الملائكة وجوههم وأدبارهم،[١٠] فقالت لهم الملائكة: **فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض.**[١١] وقيل: إنما نزلت في نفر أسلموا بمكة مع رسول الله[١٢] صلى الله عليه وسلم ثم أقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين إلى القتال، فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ،[١٣] فقتلوا. فقالت الملائكة: **فيم كنتم قالوا** كذا.[١٤] وقيل: نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا،

---

[١] سورة التوبة، ٩/١١٨.
[٢] سورة التوبة، ٩/١٢٠.
[٣] ع – من.
[٤] جميع النسخ: من.
[٥] جميع النسخ: فقال.
[٦] سورة الأنفال، ٨/٤٩.
[٧] ك ن ع + أو.
[٨] ع: عاتبهم؛ م: وعامتهم.
[٩] جميع النسخ: ضربت.
[١٠] م – وأدبارهم. يقول الله تعالى فيما يتعلق بغزوة بدر: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٩–٥٠).
[١١] *صحيح البخاري*، التفسير ٤/١٩؛ و*تفسير الطبري*، ٥/٢٣٤، ٢٣٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٤٧؛ ٤/٧٩–٨٠.
[١٢] ك ن: النبي.
[١٣] سورة الأنفال، ٨/٤٩.
[١٤] م: كنا. انظر مصادر الرواية السابقة.

وكانت الهجرة يومئذ مفترضة فكفروا بترك الهجرة.[١] وهو كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا.[٢] فلا ندري كيف كانت القصة، وليس لنا إلى معرفة القصة حاجة بعد أن نعرف[٣] ما أصابهم مما[٤] ذا أصابهم.[٥]

[١٥٧ظ] وقوله: **قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين**، هذا / يتوجه وجوها. أحدها مع من كنتم، مع محمد صلى الله عليه وسلم كنتم وأصحابه أو مع أعدائهم؟ والثاني: **فيم كنتم** أي في دين من كنتم، في دين محمد صلى الله عليه وسلم أو في دين أعدائه؟ والثالث **قالوا** بمعنى يقولون، أي يقولون[٦] لهم في الآخرة: **فيم كنتم قالوا كنا** كذا.

وقوله:[٧] **كنا مستضعفين في الأرض**، هذا ليس جوابا لقوله **فيم كنتم**، جوابه أن يقال: كنا في كذا؛ ولكنه كأنه على الإضمار، قالوا لهم: ما الذي منعكم عن الخروج والهجرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا عند ذلك: **كنا مستضعفين في الأرض**، اعتذروا أن كانوا مستضعفين في الأرض. وظاهر هذا أنْ مُنِعْنا عن الخروج إلى الهجرة، أو حال[٨] المشركون بيننا وبين إظهار الإسلام. **قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**، يعني [ألم تكن] المدينة واسعة آمنة لكم من العدو[٩] فتخرجوا إليها فتَقَلَّبُوا[١٠] بين أظهرهم. فهذا[١١] -والله أعلم- كأنهم اعتذروا في التخلف عن ذلك لما كانوا يتقلبون بين أظهر الكفرة ويتعيشون فيهم، فقالوا: **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**، قطعوا[١٢] عليهم.[١٣] ويحتمل وجها آخر،

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢٣٣/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٤٧/٢.

[٢] سورة الأنفال، ٧٢/٨.

[٣] ن ع م: أن يعرف.

[٤] ع: ما.

[٥] يقول علاء الدين السمرقندي: «قال الشيخ رحمه الله: لا ندري فيمن نزلت، وليس بنا إلى معرفة القصة حاجة، وإنما يحتاج إلى معرفة أن ما أصابهم بأي سبب أصابهم، لنمتنع عن مثل ذلك خوفًا عن المجازاة بذلك؛ والله أعلم بحقيقة ذلك» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٩ظ).

[٦] ع م: يقول.

[٧] جميع النسخ: وقولهم.

[٨] ع م: وحال.

[٩] ع: الغدة.

[١٠] أي فتتقلبوا. حذفت إحدى التائين للتخفيف.

[١١] ع م – فهذا.

[١٢] ك: فطعوا.

[١٣] أي قطعوا عليهم عذرهم.

وهو أنهم إن منعوكم عن الإسلام ظاهرا أو حالوا[1] بينكم وبين إظهاره، ألستم تقدرون[2] على دين[3] الإسلام سرا لا يعلمون هم بذلك. **فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**، أخبر أن لا عذر لهم في ذلك.

وفي قوله تعالى: **فيم كنتم** دلالة إحياء[4] الموتى في القبر والسؤال فيه عما عملوا في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان**، الآية، بين الله تعالى أهل العذر[5] في ذلك حيث قال: **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا**. قال[6] ابن عباس رضي الله عنه: كنت أنا وأمي من المستضعفين.[7]

[١٥٧ظ س٢٤] *وفي قوله: **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان** دلالة أن إسلام الولدان إذا عقلوا إسلامهم إسلام وكفرهم كفر، لأنه عز وجل استثناهم وعَذَرهم في ترك الهجرة. فلو لم يكن إسلامهم إسلاما ولا كفرهم كفرا لكان[8] مُقامهم هنالك وخروجهم منها سواءً، ولا معنى للاستثناء في ذلك إذا لم يكن عليهم خروج. *والله أعلم*.* [١٥٧ظ س٢٧]

**﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٩٩]**

**فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم**، وعسى من الله واجب، كأنه يقول: فأولئك يعفو الله عنهم.

**﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٠٠]**

وقوله عز وجل: **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة**، قيل:

---

[1] م: وحالوا.
[2] ك ن: تقدرونه.
[3] ك ع م: اديان.
[4] م: اخبار.
[5] ك: العدو.
[6] م: وقال.
[7] صحيح *البخاري*، التفسير ٤/٢٠؛ وتفسير *الطبري*، ٥/٢٣٣، ٢٣٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٤٨.
[8] جميع النسخ: فكان.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية رقم ١٠٠، فوضعناه هنا. انظر: ورقة ١٥٧ظ/سطر ٢٤-٢٧.

المراغم المذهب والملجأ، **وَسَعَةً** في الرزق، أي يجد في الأرض وفي غير الأرض التي هم فيها ما ذكر. وقيل: المراغم المتزحزح أي يجد مُتَزَحْزَحًا[1] عما يكره ومَراحا.[2] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: المراغم التحول من أرض إلى أرض، والسعة في الرزق.[3] وقيل: من الضلالة إلى الهدى ومن العَيْلة[4] إلى الغنى. وقيل: المراغم المهرَب.

وقيل: لما نزلت هذه الآية سمعها رجل وهو شيخ كبير، وقيل إنه مريض، فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله تعالى، وإني لأجد حيلة، والله لا أَبِيت الليلة بمكة. فخرجوا به يحملونه حتى أتوا به[5] التَّنعيم،[6] فأدركه الموت بها، فصَفَق يمينه على[7] شماله،[8] ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعت عليه رسولك، ومات. فنزل فيه: **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**،[9] أي وجب أجره.[10] وقيل: إنه لما سمع الرجل أن الملائكة ضربت وجوه أولئك وأدبارهم وقد أَدْنَف[11] للموت قال:[12] أخرجوني، فاحتُمل بينه وبين النبي، فلما انتهى إلى عَقَبَة توفي[13] بها، فأنزل الله هذه الآية.[14] والله أعلم بذلك.*

[1] تزحزح أي تباعد وتنحى (*لسان العرب* لابن منظور، «زخ»).
[2] ن ع: وتراخا. مَراحا بالفتح هو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه (*لسان العرب* لابن منظور، «روح»).
[3] *تفسير الطبري*، ٥/٢٤١، ٢٤٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٥٠.
[4] العيلة الفقر (*لسان العرب* لابن منظور، «عيل»).
[5] ع م – به.
[6] التنعيم مكان بين مكة والمدينة قريب من مكة (*لسان العرب* لابن منظور، «نعم»).
[7] ع: عن.
[8] أي ضرب يده اليمنى على اليسرى.
[9] *تفسير الطبري*، ٥/٢٣٨-٢٤٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٥٠-٦٥٣.
[10] ع: اجرة.
[11] ع: اذقت. أدنف المريض: أي ثَقُل (*لسان العرب* لابن مطور «دنف»).
[12] جميع النسخ: فقال.
[13] جميع السخ: فتوفي.
[14] انظر مصادر الرواية السابقة.
* وقع هنا في جميع السخ قطعة من تفسير الآية رقم ٩٨، فوضعناها هناك. انظر ورقة ١٥٧ط/سطر ٢٤-٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[١٠١]**

/ وقوله عز وجل: **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم**، الآية، [١٥٧ظ]
أباح الله تعالى القصر من الصلاة إذا ضرب في الأرض إذا خاف أن يفتنه الكفار، ولم يبين القصر في ماذا. فيحتمل القصر قصرا من الرَّكَعات على ما قال أصحابنا رحمهم الله تعالى. ويحتمل القصر من الركوع والسجود والقيام بالإيماء، كقوله: فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا،[١] رخص للخائف الصلاة بالإيماء.[٢] ويحتمل القصر[٣] قصر الاقتداء، وذلك أيضا مباح عند الخوف. ثم تأول قوم أن الصلاة كانت ركعتين فزيدت في صلاة الحضر[٤] وأقرت في صلاة[٥] السفر،[٦] ورخص في القصر من ركعتي السفر في حال الخوف، وقالوا: صلاة الخوف ركعة.[٧] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فرض الله تعالى صلاة الحضر أربعا وصلاة السفر ركعتين وصلاة الخوف ركعة على لسان نبيكم.[٨] وكذلك روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: صلاة الخوف ركعة ركعة.[٩] وقال آخرون: إنما رخص[١٠] الله تعالى في قصر الصلاة من أربع

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٣٩.

[٢] ع – ويحتمل القصر من الركوع والسجود والقيام بالإيماء كقوله فإن خفتم فرجالا أو ركبانا رخص للخائف الصلاة بالإيماء.

[٣] م – من الركوع والسجود والقيام بالإيماء كقوله فإن خفتم فرجالا أو ركبانا رخص للخائف الصلاة بالإيماء ويحتمل القصر.

[٤] ع م: الخضر.

[٥] ن – الحضر وأقرت في صلاة.

[٦] روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا. انظر: صحيح *البخاري*، الصلاة ١؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١–٣.

[٧] ع م – ركعة.

[٨] *تفسير الطبري*، ٥/٢٤٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٥٨.

[٩] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٢/٢١٥؛ و*تفسير الطبري*، ٥/٢٤٧.

[١٠] ع: خص.

-إذا كان الخوف- فردها إلى ركعتين رخصة، وقالوا: ثم[1] إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمنا أن الله تعالى تصدّق علينا أن نقصر في حال الأمن. فثبت بالسنة أن القصر في غير الخوف جائز كما أجازه الله تعالى في حال الخوف. والقصر في قول هؤلاء أن يرد الأربع إلى ركعتين، والقصر في قول الأولين أن يرد الركعتان في حال الخوف إلى ركعة. وقال غيرهم: القصر إنما كان في حال الخوف كما قال الله تعالى، فأما الآن فإن المسافر إذا صلى ركعتين فليس ذلك بقصر[2] ولكنه إتمام لقول[3] عمر رضي الله عنه حيث قال: صلاة السفر ركعتان، تمام غير قصر على
[١٥٨و] لسان نبيكم.[4] وروي أن رجلا سأل[5] عمر رضي الله عنه / عن قوله تعالى: **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**، قال: وقد أَمِن الناس اليوم؟ فقال عمر رضي الله عنه: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «صدقة تصدق[6] الله تعالى بها[7] عليكم، فاقبلوا صدقته».[8] فيحتمل أن يكون قوله: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر، يريد به أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: «صدقة تصدق الله بها عليكم» صار الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان تماما غير قصر، إذ كانتا هما الفرض بعد الصدقة التي تصدق الله بها[9] علينا. فكل واحد من الخبرين موافق لصاحبه أعني خبر عمر رضي الله عنه. مع ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان[10] النبي صلى الله عليه وسلم يسافر من[11] المدينة إلى مكة لا يخاف إلا الله يصلي ركعتين.[12] وهذا يؤيد حديث عمر رضي الله عنه «صدقة تصدق الله بها عليكم»، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي وهو آمن ركعتين مع شرط الله الخوف إلا وقد رفع الله شرط الخوف عن المسافر.

---

[1] ن: ثمه.
[2] ع: بقصر.
[3] ن ع: يقول؛ م: بقول.
[4] *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ٧٣؛ و*سنن النسائي*، صلاة العيدين ١١.
[5] ع: سئل.
[6] ك: تصدقها.
[7] ك - بها.
[8] *صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٤؛ و*سنن أبي داود*، صلاة السفر ١؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤.
[9] ع م: بها الله.
[10] ن - كان.
[11] ع: في.
[12] *سنن الترمذي*، الجمعة ٣٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٥٦. وصححه الترمذي.

وقال قوم: إن التقصير في السفر، والحضر[١] هو الإتمام، واحتجوا بقول الله تعالى: **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**. قالوا:[٢] فرفع الحرج عن المقصر، ولو كان التقصير حتما لكان قال: وعليكم جناح أن لا تقصروا من الصلاة.

لكن الأمر ليس كما توهموا؛ وذلك أنا قد ذكرنا أن النص في القصر إنما جاء في حال الخوف، وأما حال الأمن فلا نص فيما يوجب القصر. وإنما جاز القصر من الصلاة في حال الأمن لقول[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقة تصدق الله بها[٤] عليكم»، وتقصيره في سفره. ومحال أن يتصدق الله بالركعتين[٥] علينا ويقولَ قائل: فرضها[٦] قائم. فأين موضع الصدقة إذًا لو كان الأمر على ما ذكر. وهذا عندنا معنى قول عمر رضي الله عنه: إن صلاة[٧] السفر ركعتان تمام غير قصر[٨] على لسان نبيكم، لأنه -والله أعلم- جعل الصدقة من الله بذلك مزيلة للفرض في الركعتين بعد الركعتين، فبقيت الركعتان[٩] تماما إذا كانتا فرض المسافر. مع ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر أسفارا كثيرة فلم يرو عنه أحد أنه أتم الصلاة في شيء من الأحوال في سفره، وكل روى عنه[١٠] أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي ركعتين ركعتين.[١١] فلو كانت الفريضة أربعا والقصر رخصة لأتم في وقت وقصر في وقت. ألا ترى أن[١٢] الإفطار في السفر لما كان رخصة غير حتم أفطر النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات وصام في أوقات. فدل ذلك أن فرض المسافر ركعتان غير قصر. وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِنًى[١٣] ركعتين

---

[١] م: والخضر.
[٢] جميع النسخ: قال.
[٣] ن: بقول.
[٤] ع م - الله بها.
[٥] ع م: الركعتين.
[٦] ع م: فرض.
[٧] ع: الصلوة.
[٨] ن: ليس قصر.
[٩] ع م - تمام غير قصر على لسان نبيكم لأنه والله أعلم جعل الصدقة من الله بذلك مزيلة للفرض في الركعتين بعد الركعتين فبقيت الركعتان.
[١٠] ع م - عنه.
[١١] ع م - ركعتين.
[١٢] م - أن.
[١٣] ن: بمنا.

ومع أبي بكر الصديق[١] رضي الله عنه ركعتين ومع عمر رضي الله عنه ركعتين[٢] ومع عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته ثم صلى أربعا.[٣] وما[٤] صلى أربعا يحتمل أن يكون عزم على المُقام. وكذلك روي عن الزهري قال: بلغني أنه[٥] إنما صلى أربعا لأنه أَزْمَعَ[٦] أن يقيم بعد الحج.[٧] وعن عمران بن حصين قال: حججت مع رسول الله[٨] صلى الله عليه وسلم فكان يصلي ركعتين[٩] حتى يرجع إلى المدينة، وأقام بمكة ثماني عشرة[١٠] لا يصلي إلا ركعتين، وقال لأهل مكة: «صلوا أربعا فإنا قوم سَفر».[١١] وخالف بعض أهل العلم هذا الحديث،[١٢] لأنهم يقولون: إذا أقام ببلد في غير حرب أربعا يتم بعد ذلك وإن لم يكن عزم على المقام[١٣] بذلك البلد. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة المسافر ركعتان حتى يئول[١٤] إلى أهله أو يموت». وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الصلاة في السفر فقال:[١٥] ركعتان ركعتان،[١٦] من خالف السنة كفر.[١٧] واستدل قوم بقوله تعالى: **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** [على] أن القصر[١٨] رخصة والفضل في إتمام الصلاة، إذ "لا جناح" تستعمل[١٩] في موضع التخفيف

[١] ك ن - الصديق.
[٢] ك ن - ركعتين.
[٣] *صحيح البخاري*، تقصير الصلاة ٢؛ و*صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ١٦.
[٤] ك ه: أي الذي.
[٥] م + قال.
[٦] أزمع أي عزم (*لسان العرب* لابن منظور، «زمع»).
[٧] *مصنف عبد الرزاق*، ٥١٦/٢.
[٨] ك ن: النبي.
[٩] ع + ركعتين.
[١٠] ع م + أيام.
[١١] *سنن أبي داود*، صلاة السفر ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الجمعة ٣٩. سَفر أي مسافرون (*لسان العرب* لابن منظور، «سفر»).
[١٢] ع: حديث.
[١٣] ن - على المقام.
[١٤] ن: تول.
[١٥] جميع النسخ: قال.
[١٦] ع - ركعتان.
[١٧] *مصنف عبد الرزاق*، ٥١٩/٢.
[١٨] ك: القصة.
[١٩] ك ع م: يستعمل.

لا[١] في موضع الأمر، على نحو الصيام بقوله: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ.[٢] وهذا حرف لا يستعمل في موضع الأمر والإيجاب. *والله أعلم*.

وسلم قوم لهم هذا المعنى في الآية وردوا القصر إلى قصر الخوف[٣] يلحق عند الضرب في الأرض. وإذًا كان على وجهين. أحدهما: في بيان المراد في قوله: فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا،[٤] أنه ليس على تمام المعروف من الصلاة لكن على القصر على الحد الذي ينتهي إليه الخوف من أمر القبلة أو ترك القيام والركوع والسجود إلى الإيماء والقعود.[٥] *والله أعلم*.

والثاني ما في قوله: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ،[٦] الآية، وإنما يذكر ذلك في أحوال لهم[٧] الانفراد[٨] عنه وهو أحوال السفر، ومعلوم أن ذلك في حق قصر الاقتداء؛ فكأنه[٩] قال: لا جناح عليكم في الاقتداء[١٠] به وان قصرتم في الاقتداء عن تمام حقه من الجماعة. وكذلك إصابة[١١] الكل أفضل. فبين أن[١٢] ارتفاع ذلك لا يمنعكم الاقتداء، ولا يلزمكم نصب إمام آخر لتؤدوا جميع الصلاة في الجماعة. وأيد الوجهين قوله تعالى: **إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** -إلى قوله تعالى- وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ.[١٣] وصلاة السفر على ما عليه ليس للخوف. وأيد ذلك ما التبس على عمر رضي الله عنه حتى سأل[١٤] عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «صدقة تصدق الله[١٥] بها عليكم فاقبلوا صدقته»، بمعنى حكمٌ حكم الله عليكم في أن لم يُفرَض عليكم في السفر غير ركعتين. وكذا جميع المذكور عن الله من العفو فهو في الإسقاط.

---

[١] ك: الا.
[٢] سورة البقرة، ١٨٥/٢.
[٣] ك: للخوف.
[٤] سورة البقرة، ٢٣٩/٢.
[٥] ع م: الايمان والعقود.
[٦] سورة النساء، ١٠٢/٤.
[٧] م: أحوالهم.
[٨] م: الا نفروا.
[٩] ع م – فكأنه.
[١٠] ن ع م: بالاقتداء.
[١١] ع م: اصابت.
[١٢] ع م – أن.
[١٣] سورة النساء، ١٠١/٤-١٠٢.
[١٤] ع: سئل.
[١٥] م – الله.

وأيد ذلك ما كان يقول عمر رضي الله عنه بعد ذلك: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر
[١٥٨ظ] / على لسان[١] نبيكم.[٢] فعلم أن ذلك ليس في حق الآية لكن في ابتداء[٣] الشرع. وعلى ذلك المروي بأن الصلاة كانت في الأصل ركعتين فزيدت في الحضر وأقرت في السفر.[٤] وإلى هذين التأويلين يتوجه قول أصحابنا رحمهم الله تعالى. وقد تحتمل[٥] الآية قصر السفر.

ثم قوله: **فليس عليكم جناح** يرجع إلى وجهين. أحدهما إلى ترك الركعتين وإن لم يتم السفر بعد الخروج له،[٦] وليس كسائر الأعذار نحو الحيض إذا لم يتم أنه يلزم إعادة المتروك، والإغماءِ ونحو ذلك، وأمر الصوم في السفر[٧] إذا ترك أنه يعاد. والثاني ليس عليكم جناح في السفر وإن كان ذلك اختيار منكم لترك صلاة الحضر، أو ليس عليكم ما على المقيم من الجناح لو[٨] لم يتم. فإذا رجع الجناح إلى ذلك بقي الأمر بالقصر وإن خرج بحد[٩] الخبر، إذ قد يكون خبرا في المخرج أمرا في الحقيقة نحو قوله تعالى: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ،[١٠] الآيات. وذلك كقوله[١١] تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا،[١٢] إنه لما صار لا جناح راجعا إلى ما كان ثَم من الأصنام أو الفعل بقي حق الأمر بالطواف[١٣] -وإن كان في مخرج الخبر- وصار من اللوازم. دليل ذلك الأمر المتوارَث في الأمة والظاهرُ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسفار،

---

[١] ن - قصر على لسان، صح هـ.
[٢] تقدم قريبا.
[٣] م: الابتداء.
[٤] تقدم قريبا.
[٥] ع م: يحتمل.
[٦] ك - له.
[٧] ع م + بعد الخروج له ليس كسائر الأعذار.
[٨] ع: او.
[٩] ن ع: بجد.
[١٠] ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٥-٦٦).
[١١] ع: قوله.
[١٢] ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٨).
[١٣] م: بالصواب.

ولا يحتمل أن تكون[١] فضيلة تضيع[٢] عن الجميع. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾**[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وإذا كنتم فيهم فأقمت لهم الصلاة**، الآية، اختلف أهل العلم في صلاة الخوف. قال بعض أهل العلم: يجعل الإمام القوم طائفتين، يصلي بالطائفة ركعة وتقوم الطائفة الأخرى مُصَافَّ[٣] العدو، فإذا صلى بهم ركعة يقومون[٤] ويصلون الركعة الثانية وُحْدانا ثم ينصرفون ويقومون بإزاء العدو، وترجع الطائفة التي كانت مصاف العدو فيصلي بهم الإمام الركعة الثانية ثم يسلم[٥] بهم الإمام فيقومون ويقضون الركعة الأولى وُحدانا. ويقولون: لأنه ليس في الآية إتيان[٦] الطائفة الأولى وعودها إلى الإمام، لذلك[٧] لا يفعل. وقالوا أيضا بأن القيام بعد الفراغ من الصلاة مُصَافَّ العدو أطمع[٨] وأرجى من القيام قبل الفراغ منها. قيل: بل القيام مُصَافَّ العدو وهم في الصلاة أطمع وأرجى من القيام[٩] في غير الصلاة.

وأما أصحابنا رحمهم الله فإنهم ذهبوا إلى ما روي من الأخبار. روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: صلى[١٠] رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، فصلى بإحدى الطائفتين ركعة

---

[١] جميع النسخ: أن يكون.

[٢] ك ن: يضيع؛ ع: تضييع؛ م – وإن كان في مخرج الخبر وصار من اللوازم دليل ذلك الأمر المتوارث في الأمة والظاهر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسفار ولا يحتمل أن يكون فضيلة يضيع.

[٣] مصاف العدو، أي مقابلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «صف»).

[٤] جميع النسخ: فيقومون.

[٥] ع: يصلي.

[٦] م: ايتان.

[٧] ع م: كذلك.

[٨] ن: وأطمع.

[٩] ع م – قبل الفراغ منها قيل بل القيام مصاف العدو وهم في الصلاة أطمع وأرجى من القيام.

[١٠] ع: قال.

والطائفةُ الأخرى مواجهو[1] العدو، ثم انصرفوا وقاموا[2] في مقام أصحابهم مقبلين على العدو، وجاء أولئك فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ركعة[3] ثم سلم[4] النبي عليه السلام، ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة.[5] وعن عبد الله [بن مسعود][6] قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، فقاموا صفين فقام صف خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصف مستقبل[7] العدو، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يلونه[8] ركعة ثم قاموا فذهبوا وقاموا[9] مقام أولئك واستقبل[10] هؤلاء العدو، وجاء أولئك فقاموا مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم، فقاموا يصلون لأنفسهم ركعة ثم سلموا فذهبوا فقاموا مقام أولئك مستقبلين العدو، وجاء أولئك إلى مقامهم فصلوا لأنفسهم ركعة[11] ثم سلموا.[12] وروى[13] ابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان[14] رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك.[15] فاتفق على هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة رضي الله عنهم، كلهم يقولون: إن رسول الله[16] صلى الله عليه وسلم صلى بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهو[17] العدو،

[1] ك ع م: مواجهوا.
[2] ع: واقاموا.
[3] ع م - ركعة.
[4] ك ن ع: يسلم.
[5] م - وهؤلاء ركعة. صحيح البخاري، صلاة الخوف ١؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين ٣٠٥.
[6] من مصادر الرواية.
[7] ع: المستقبل.
[8] ن: يولونه.
[9] ن: فقاموا.
[10] ع م: واستقبوا.
[11] ك ن ع + ركعة.
[12] *تفسير الطبري*، ٢٥٤/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٣/٢.
[13] ع + عن.
[14] ع: اليماني.
[15] *تفسير الطبري*، ٢٤٧/٥-٢٤٨، ٢٥٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٦١/٢.
[16] ك ن: النبي.
[17] ك ن ع م: مواجهوا.

ثم صلى بالطائفة الأخرى ركعة، وإن واحدا منهم لم يقض بقية[١] صلاته حتى فرغ النبي عليه السلام من صلاته كلها، فصلى المؤتمون ما بقي عليهم من صلاتهم. وهذا نظر لما عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم[٢] الإمام لا يقضونه حتى يفرغ الإمام من صلاته، ثم يقضون ما فاتهم. والأخبار التي جاءت بخلاف ذلك[٣] يحتمل[٤] أن تكون[٥] في الوقت الذي كانوا يقضون الفائتة قبل فراغ الإمام من صلاته، ثم نسخ ذلك بما توارث الأمة القضاء بعد الفراغ. *والله أعلم.*

وقوله[٦] عز وجل: **وليأخذوا أسلحتهم** اختلف فيه. قيل: هم الطائفة التي بإزاء العدو، يأخذون[٧] السلاح ليكون أهيب للحرب والقتال. وقيل: هم الطائفة الذين يصلون، يأخذون السلاح حتى إذا استقبلهم العدو والحرب يقدرون على ذلك. وقيل: إذا وقع بينهم الحرب فلهم تأخير الصلاة إلى وقت انقطاع الحرب[٨] بينهم. وقال الحسن: يصلي الإمام بكل طائفة تمام الصلاة،[٩] لأنه ذكر في الخبر أنه كان يصلي بكل طائفة سجدة، والسجدة هي اسم التمام.[١٠] وهذا جائز في اللغة، لكن عندنا ما ذكرنا من الأخبار عن الصحابة عن عمر وابن عباس وغيره رضوان الله عليهم أجمعين حيث قالوا: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الفطر والأضحى ركعتان، وصلاة الخوف ركعة تمام غير قصر.[١١] وما رُوينا أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[١] ك: يقية.

[٢] ع: سيقهم.

[٣] *تفسير الطبري*، ٥/٢٥١-٢٥٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٦١.

[٤] ع: اختنف.

[٥] ن ع م: يكون.

[٦] ن ع م: قوله.

[٧] ن: ويأخذون.

[٨] ن – الحرب.

[٩] روي عن الحسن أنه سئل عن صلاة الخوف فقال: نبئت عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى بأصحابه فصلى بطائفة منهم وطائفة مواجهة العدو، فصلى بهم ركعتين ثم قاموا مقام الآخرين فجاء الآخرون فصلى بهم ركعتين ثم سلم (*مصنف عبد الرزاق*، ٢/٥١٥).

[١٠] لم أجده هكذا، لكن روي عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالقوم في الخوف صلاة المغرب ثلاث ركعات ثم انصرف، وجاء الآخرون فصلى بهم ثلاثا، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ست ركعات وللقوم ثلاث ثلاث (*سنن الدارقطني*، ٢/٦١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٦٣).

[١١] أما لأثر عمر رضي الله عنه فانظر: *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ٧٣؛ و*سنن النسائي*، صلاة العيدين ١١؛ وأما لأثر ابن عباس رضي الله عنه فانظر: *تفسير الطبري*، ٥/٢٤٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٥٨.

سجد بالصف الأول ولم يسجد معه الصف الثاني، فلما رفع رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم رأسه من السجدتين سجدهما أهل الصف الثاني،[2] فهذا يدل على أن الأمر ما وصفنا.

[١٥٩و] وإذا كان العدو مواجَهة القبلة فالإمام بالخيار، / إن شاء جعل القوم صفين، صفا[3] أمامه بإزاء العدو وصفا[4] معه يصلي بهم. هكذا[5] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل بالمسلمين. روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم صلى بهم والعدو في القبلة، فصلى بطائفة ركعة وجاءت الأخرى فصلى بهم[7] أخرى.[8] وإن شاء[9] جعل القوم كلهم[10] خلفه صفين فيصلي بهم،[11] فإذا انتهوا إلى السجود سجد الصف الأول والصف الثاني يحرس العدو، فلما فرغ هؤلاء من السجود[12] سجد الآخرون، ثم كذلك يفعل بهم في الثانية. وهذا أيضا روي أنه فعل.[13] فيختار أيهما شاء.

وقوله عز وجل: **فليكونوا من ورائكم**، أي ليكونوا مُصَافّ العدو يحرسونهم[14] من العدو.

وقوله عز وجل:[15] **وليأخذوا حِذْرهم وأسلحتهم**، يحتمل قوله تعالى: **حذرهم** أي يأخذون ما يستترون[16] به ويحرسون[17] العدو من نحو التُّرس والدرع ونحوه. وقوله عز وجل:

---

[1] ك ن: النبي.

[2] *تفسير الطبري*، ٢٥٦/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٣/٢-٦٦٤.

[3] ن م: صف.

[4] ن: صف؛ ع م - وصفا.

[5] ك: كذا.

[6] ك ن: النبي.

[7] م: بها.

[8] *تفسير الطبري*، ٢٥٧/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٠/٢.

[9] ك: والنشاء.

[10] ك: كله.

[11] ن - والعدو في القبلة فصلى بطائفة ركعة وجاءت الأخرى فصلى بهم أخرى وإن شاء جعل القوم كله خلفه صفين فيصلي بهم.

[12] ع م - من السجود.

[13] ع م - فعل. تقدم قريبا.

[14] ع: ويحرسوهم.

[15] ك - وقوله عز وجل.

[16] جميع النسخ: يسترون.

[17] ع: وتحرسون.

**وأسلحتهم** ما يقاتل[1] به من السلاح ويحارب. ويحتمل ما يتحصن[2] به من[3] الحصن من[4] نحو الجبال وغيره. وفيه الأمر بتعلم[5] آداب الحرب والقتال وأخذ الأُهبة[6] والإعداد للعدو[7] دون[8] أن يكلوا الأمر إلى ذلك، ولكن يَكِلون الأمر إلى ما وعد الله لهم من النصر بقوله تعالى: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ،[9] وبقوله: **وخذوا حذركم**، وقوله تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ،[10] وقوله: فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا،[11] وغيره[12] من الآيات، فيها الدلالة على تعلم آداب الحرب وأخذ الأُهبة فيه؛ حيث أمرهم عز وجل بمجاهدة العدو في غير آي من القرآن.

وقوله عز وجل: **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم**، الآية، هذا يُعلَم بالطبع أن كل أحد يطلب الفرصة على عدوه والغفلة منه. هذا معروف في طبائع[13] الخلق. وقوله: **عن أسلحتكم** ما يحارب به ويُقاتَل. وقوله **وأمتعتكم**، يحتمل **وأمتعتكم** ما يحرس به العدو ويُستَتر به منه، أي يطلبون الغفلة عن الأسلحة والأمتعة. ويحتمل الأمتعة أن يريد بها غيرها من الثياب وغيرها.

وقوله عز وجل: **ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم**، في[14] الآية دلالة أن الله تعالى لم يرد بقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[15] بذلها[16] للقتل، حيث رخص لهم وضع الأسلحة وأخذ الحذر عندما بُلُوا بالمطر أو المرض.

---

[1] ن ع: يقابل.
[2] ن - ما يتحصن؛ م: تحصن.
[3] ن ع م + نحو.
[4] ع: وهو.
[5] ع: يتعلم.
[6] ع: الاهبة.
[7] ع م - للعدو.
[8] ع م: ودون.
[9] سورة الأنفال، ٨/١٠.
[10] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[11] سورة النساء، ٤/٧١.
[12] م: وغير.
[13] ع م: طباع.
[14] ع: وفي.
[15] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[16] م: يذلها.

لأنه لو كان المراد بشراء الأنفس منهم بذلها[1] للقتل[2] لكان لا يرفع ذلك عندما يخافون على أنفسهم من الهلاك؛ إذ المرض وخوف الهلاك لا يرفع ذلك في الأحوال[3] كلها إذا كان الأمر بذلك أمرا بالقتل والهلاك. ألا ترى أن من وجب عليه الرجم لم يرفع عنه بالمرض الرحم، لأن في الرجم هلاكه. فلما رفع عنهم القتال في حال المرض أو في الحال الذي يخاف الهلاك دل أنه لم يُرد بشراء الأنفس بذلها للقتل، ولكن أراد -والله أعلم- إظهار دين الله ونصر[4] أهل دينه.[5] ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾،[6] جعل الثواب والأجر عند الغلبة على عدوه مثل ما جعل عند القتل. ولو كان الأمر بذلك أمرا بالقتل خاصة لا يستوجب الأجر والثواب بغيره؛ دل أنه ما ذكرنا. ألا ترى أنه قال: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾،[7] جعل الوعد للقاتل ما جعل للمقتول. هذا كله يدل أن الأمر بذلك ليس على القتل.

وقوله عز وجل: **وخذوا حِذْركم**، قد ذكرنا أن الأمر بأخذ الحذر يحتمل وجهين. أحدهما فيه الأمر بتعلم[8] آداب الحرب وأسباب القتال، وأن لا[9] يكلوا[10] الأمر إلى ذلك خاصة، لكن إلى ما وعد[11] لهم من النصر والظفر على عدوهم بعد أخذ الأُهبة. ألا ترى أنه قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾،[12] الآية، وقال تعالى: **وليأخذوا أسلحتهم** الآية. والثاني يحتمل أن يأمرهم بأخذ ما يدفعون به سلاح العدو عن أنفسهم ويَقْوَوْنَ[13] به من التُّرس والدرع[14] أو البنيان. ***والله أعلم.***

---

[1] م: بذلها.
[2] ن - للقتل.
[3] ع: أحوال.
[4] ع: ونظر.
[5] ك: ونصر أوليائه.
[6] ﴿فَلْيُقَاتِلْ في سبيل الله الذين يَشْرُون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٧٤/٤).
[7] سورة التوبة، ١١١/٩.
[8] ع: يتعلم.
[9] ك - لا.
[10] ع: يكلون.
[11] ع: عد.
[12] سورة الأنفال، ٦٠/٨.
[13] ك: ويقون.
[14] ع م: أو الدرع.

وقوله عز وجل: **إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا** أي أعد لهم من العذاب ما يُهانون فيه نُصروا أو غُلبوا،[١] وأعد لكم من الثواب ما تَشَرَّفون وتَعِزّون به نُصرتم أو غُلبتم، فما لكم لا تقاتلون؟

**﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾**[١٠٣]

وقوله عز وجل: **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**، قيل: يحتمل وجهين. يحتمل إذا قضيتم الصلاة أي إذا[٢] فرغتم منها فاذكروا الله[٣] على حال تستعينون[٤] به بالنصر على عدوكم، كقوله تعالى: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا،[٥] أمر بالثبات عند لقاء العدو وذكرِ الله استعانة منه على عدوهم، فعلى ذلك الأول.[٦] ويحتمل أن يكون معناه: إذا أُردتم أن تقضوا الصلاة فاذكروا[٧] الله كثيرا في أي حال كنتم في حال القيام والركوع والسجود، كقوله:[٨] وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ معناه -والله أعلم-: إذا كنت فيهم فأردت أن تقيم لهم الصلاة فافعل كذا، فعلى ذلك[٩] الأول. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة**، هذا -والله أعلم- مقابل قوله تعالى: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ،[١٠] الآية. / وقد [١٥٩ظ] ذكرنا أن القصر يحتمل وجوها. يحتمل القصر للضرب في الأرض وهو القصر في عدد الركعات، ويحتمل القصر للمرض والخوف فهو قصر الإيماء. فنحن نأخذ بذلك كله على اختلاف الأحوال. فعلى ذلك قوله: **فإذا اطمأننتم** يحتمل الوجوه التي ذكرنا. أي إذا اطمأننتم صرتم أصحاء، فصلوا كذا صلاة الأصحاء. ويحتمل **فإذا اطمأننتم** أمنتم من الخوف، فصلوا كذا.

---

[١] ع: اغلبوا.
[٢] ك ن - إذا.
[٣] ك ن - الله.
[٤] ع: يستعينون.
[٥] سورة الأنفال، ٨/٤٥.
[٦] ع م - الأول.
[٧] ع: فاذكر.
[٨] ع: وكقوله.
[٩] ك - ذلك.
[١٠] سورة النساء، ٤/١٠١.

ويحتمل أيضا **فإذا اطمأننتم** إذا رجعتم وأقمتم فصلوا[1] صلاة المقيمين أربعا. فهذا -والله أعلم- على ما ذكرنا مقابل قوله: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ،[2] الآية.

وقوله عز وجل: **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** أي مفروضا. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[3] وقيل: **كتابا موقوتا**[4] أي لها وقت كوقت الحج. وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.[5] وقيل:[6] **كتابا موقوتا** محدودا. فنحن نقول بهذا كله، نقول:[7] إنها مفروضة موقتة[8] محدودة على ما قيل. ***والله أعلم.***

والآية ترد على من[9] يقول بأن على الكافر الصلاة، لأنه أخبر أنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، وهم يقولون على الكافرين والمؤمنين. لكنها كتبت على المؤمنين فعلا وعلى الكافرين قبولا. هذا -والله أعلم- معنى قوله: **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** أي فعلها على المؤمنين كتابا موقوتا.

ثم يحتمل قوله: **كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**[10] أي لم تزل هي كانت كتابا موقوتا[11] على الأمم السالفة، لا أن[12] هذه الأمة خصت بها، كقول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي،[13] وكقول[14] عيسى عليه السلام: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ،[15] وكقول[16] موسى عليه السلام: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ.[17] ويحتمل قوله تعالى:

---

[1] ن ع م: صلوا.
[2] سورة النساء، ١٠١/٤.
[3] *تفسير الطبري*، ٢٦١/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٧/٢.
[4] ع م – أي مفروضا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل كتابا موقوتا.
[5] *تفسير الطبري*، ٢٦٢/٥؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٦٦٧/٢.
[6] ع: وهي.
[7] ع م – نقول.
[8] ع: موقوتة.
[9] ع: ما.
[10] م – أي فعلها على المؤمنين كتابا موقوتا ثم يحتمل قوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.
[11] ع – أي فعلها على المؤمنين كتابا موقوتا ثم يحتمل قوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي لم تزل هي كانت كتابا موقوتا.
[12] ع م: لان.
[13] سورة إبراهيم، ٤٠/١٤.
[14] م: وقول.
[15] سورة مريم، ٣١/١٩.
[16] م: وقول.
[17] سورة يونس، ٨٧/١٠.

**كانت** أي صارت **على المؤمنين كتابا موقوتا** بعد أن لم تكن. وكل ذلك محتمل، ولكن لا نشهد على الله أنه أراد كذا. وكذلك في قوله تعالى: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ،[1] وقوله تعالى: **فإذا اطمأننتم**، نتأول[2] فيه ونعمل[3] بالوجوه كلها[4] على اختلاف الأحوال لاحتماله الوجوه[5] التي ذكرنا، فلا نقطع القول فيه ولا نشهد على الله أنه أراد كذا. وهكذا السبيل في جميع المجتهدات أن نعمل بها ولا نشهد على الله أنه أراد ذا أو أمر[6] بذا. *وبالله التوفيق*.

ذكر الله تعالى ما بيّن فرض[7] الصلاة ووجوبها في غير موضع من كتابه. منها الآية التي ذكرناها، ومنها قوله تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ،[8] وقوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.[9] ولم تدل هذه الآيات على كيفية الصلاة وعددها، إنما دلت على وجوبها ولزوم فرضها. ودلت آيات أخر على عددها وجُمَل أوقاتها. قال الله سبحانه وتعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا،[10] فهذه ثلاثة أوقات ذكر الله تعالى فيهن ثلاث صلوات. وروي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سألته عن قول الله سبحانه وتعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ، قال: إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة[11] الظهر. إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، قال: بدء[12] صلاة المغرب. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لِدُلُوكِ الشَّمْسِ، قال: دلوكها زيغها بعد نصف النهار، وهو وقت الظهر. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: دلوك الشمس[13] زوالها.

[1] سورة النساء، ٤/١٠١.
[2] ك: يتأول.
[3] ك: ويعمل؛ م + فيه.
[4] م – كلها.
[5] ع م – لاحتماله الوجوه.
[6] ك: وأمر.
[7] ن – فرض.
[8] سورة البينة، ٩٨/٥.
[9] سورة التوبة، ٩/١١.
[10] سورة الإسراء، ١٧/٧٨.
[11] ع م: الصلاة.
[12] ك ن: بدأ؛ ع م: بداء.
[13] ك ع م: دلوكها.

وعن عبد الله[1] لِدُلُوكِ الشَّمْسِ، قال: زوالها.[2] وقد روي عن ابن مسعود وابن عباس قالا:[3] دلوك الشمس غروبها.[4] فأي التأويلين كان دلوك الشمس فقد أوجب فيه صلاة، وصلاة عند غسق الليل، وصلاة عند الفجر، فهذه ثلاث صلوات.

قال الله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ،[5] فأحد طرفي النهار تجب[6] فيه[7] صلاة[8] الفجر، وقد ذكر في هذه الآية، والطرف الآخر قبل غروب الشمس فهذه رابعة[9] وهي العصر. وروي عن الحسن رضي الله عنه أن الصلوات[10] الخمس مجموعة في هذه الآية: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، قال: صلاة الفجر،[11] والطرف الآخر الظهر والعصر، وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ: المغرب والعشاء.[12] فأي التأويلين كان فإن صلاة العصر مذكورة في هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جمعت هذه الآية[13] مواقيت الصلاة: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ: المغرب والعشاء، وَحِينَ تُصْبِحُونَ: الفجر، وَعَشِيًّا: العصر، وَحِينَ تُظْهِرُونَ:[14] الظهر.[15] وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضا: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ،[16]

---

[1] ك + قال.
[2] ع م – وعن عبد الله لدلوك الشمس قال زوالها.
[3] جميع النسخ: قال.
[4] لروايات السابقة كلها انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٣٤-١٣٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥/٣٢١.
[5] سورة هود، ١١/١١٤.
[6] ع م: يجب.
[7] ن – الفجر فهذه ثلاث صلوات قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فأحد طرفي النهار تجب فيه.
[8] ك: الصلاة.
[9] ع: أربعة.
[10] ك ع: الصلاة.
[11] ن – الفجر.
[12] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن في قوله: ﴿وأقم الصلاة طَرَفَي النهار﴾ قال: الفجر والعصر، ﴿وزُلَفًا من الليل﴾ قال: هما زُلْفَتان، صلاة المغرب وصلاة العشاء، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هما زُلْفَتا الليل» (*تفسير الطبري*، ١٢/١٢٨، ١٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨٠).
[13] ك: الصلاة.
[14] يقول الله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تُمْسُون وحين تُصْبِحون وله الحمد في السماوات والأرض وعَشِيًّا وحين تُظْهِرُون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٧-١٨).
[15] *تفسير الطبري*، ٢١/٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦/٤٨٨.
[16] سورة ق، ٥٠/٣٩.

قال: الصلاة المكتوبة.[١] دلت هذه الآيات[٢] -والله أعلم- أن الله سبحانه وتعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة خمس صلوات. وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فرضت الصلاة ومتى فرضت. وروي عن عبادة بن[٣] الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خمس صلوات كتبهن[٤] الله تعالى على العباد، فمن أتى بهن لم يضيع[٥] من حقهن شيئا استخفافا[٦] بحقهن فإن له عند الله عهدا أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد،[٧] إن شاء[٨] عذبه وإن شاء[٩] أدخله الجنة».[١٠] وعن أبي مَعْبَد[١١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حيث بعث معاذا إلى اليمن قال: «إنك تأتي[١٢] قوما أهل كتاب[١٣] فادعهم إلى شهادة[١٤] أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله سبحانه وتعالى فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة».[١٥] وعلى ذلك اتفاق الأمة / لا خلاف[١٦] بينهم.[١٧] إلا أن قوما زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم [١٦٠و]

---

١ قال القرطبي: «وقال ابن عباس: ﴿قبل الغروب﴾ الظهر والعصر، ﴿ومن الليل فسبحه﴾ (سورة ق، ٥٠/٤٠)، يعني صلاة العشاءين» (*تفسير القرطبي*، ٢٤/١٧). أخرج الطبراني في الأوسط وابن عساكر عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طوع الشمس وقبل الغروب﴾ قال: «قبل طوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر» (*المعجم الكبير* لطبراني، ٣٠٨/٢؛ *والمعجم الأوسط* للطبراني، ١١٤/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦١٠/٧). وفي إسناده راو ضعيف. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٦٧/٧، ١١٢.

٢ ع م: الآية.

٣ ك: ابن.

٤ ن ع م: كتبها. وقد أثبتنا ما يوافق مصادر الحديث.

٥ ع: ان يضعن؛ م: لم يضعن.

٦ ع: استحقاقا.

٧ ع: عهدا.

٨ ك: إنشاء.

٩ ك: إنشاء.

١٠ *الموطأ* لمالك، صلاة الليل ١٤؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٢.

١١ ك ن: أبي سعيد؛ ع م: أبي سعيد الخدري. والتصحيح من مصادر الحديث.

١٢ ع: يأتي.

١٣ جميع النسخ: الكتاب.

١٤ ع م: الشهادة.

١٥ صحيح *البخاري*، الزكاة ١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٩.

١٦ م: اختلاف.

١٧ ن + لا خلاف بينهم.

أوجب بعد ذلك الوتر بقوله: «إن الله زادكم صلاة ألا وهي الوتر».[1] وليس في الكتاب [له] ذِكْر، ولا دليل وجوبه،[2] فتركنا الكلام فيها. لكن أبا حنيفة رضي الله عنه سلك فيها[3] مسلك المكتوبة احتياطا.[4]

**﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون**، في[5] الآية دلالة فرضية[6] الجهاد، لأنه عز وجل أخبر أنهم يألمون[7] ويتوجعون بما يصيبهم من الجراحات كما تألمون[8] أنتم وتتوجعون[9] بها، فلو كان نفلا لكان يرفع عنهم الجهاد عند الألم والتوجع على[10] ما يرفع سائر[11] النوافل عند الألم والتوجع،

---

[1] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قد زادكم صلاة وهي الوتر» (مسند أحمد بن حنبل، ١٨٠/٢). وعن خارجة بن حُذافة العَدَوي قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله عز وجل قد أَمَدَّكُم بصلاة وهي خير لكم من حُمْر النَّعَم وهي الوتر فجعلها لكم فيما بين العشاء إلى طلوع الفجر» (*سنن أبي داود*، الوتر ٤؛ وسنن *الترمذي*، الوتر ١). وقد اختلف في صحته. انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ١٠٨/٢-١١١.

[2] أي لم يذكر دليل وجوب الوتر في القرآن ولم يتعرض له.

[3] ن – سلك فيها.

[4] ع م – احتياطا. يقول علاء الدين السمرقندي: «قال عامة الفقهاء بأن الوتر سنة، لأن كتاب الله تعالى والسنن المتواترة والمشهورة ما أوجب زيادة على خمس صلوات، فلو قلنا بالوجوب بأخبار الآحاد يكون الصلوات ستا، وهو خلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ إلا أن أبا حنيفة رضي الله عنه قال: قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى زادكم صلاة، وهي الوتر"، وغيره من الأحاديث، لكنها في حيز الآحاد دون التواتر والاستفاضة، فلا يجوز الزيادة على الكتاب والسنة المتواترة، وليس في كتاب الله تعالى بيان ذلك؛ والحديث متى ثبت برواية العدل يجب العمل به على وجه لا يخالف الكتاب، فقال بوجوب العمل بغالب الرأي، دون الفرضية ووجوب الاعتقاد، حتى يكون عملا بالحديث احتياطا من غير أن يكون فيه مخالفة الكتاب؛ إذ حكمه الفرضية، وتفسيرها وجوب العمل والاعتقادِ معه على طريق القطع والإحاطة، فيكون القول به عملا بالدلائل بقدر الإمكان. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩١ظ-١٩٢و).

[5] ع – في.

[6] ك: فرضة.

[7] ك: بالمؤن

[8] ع: يألمون.

[9] ع: ويتوجعون؛ ع م + في الآية دلالة فرضية.

[10] م – على.

[11] م: ساء.

فدل أنه[1] فرض. لكنه فرض[2] كفاية، وفرض الكفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين. وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه فيه.[3]

وقوله تعالى: **ولا تهنوا في ابتغاء القوم**، فمعناه -والله أعلم- أي لا عذر لكم في تألمكم أن تهنوا في ابتغائهم، فإنهم يألمون كما تألمون ولا يضعفون في ذلك، وترجون أنتم العاقبة[4] من الثواب الجزيل ما لا يرجون، ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون أنتم في ذلك؟ وكل أمر لا عاقبة له فهو عبث، وليس لأمرهم عاقبة وهو عبث، ولأمركم عاقبة محمودة، فأنتم أولى في ذلك. ودل قوله: **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** على تأكد فرضية الجهاد، إذ لم يأذن لهم في التخلف عن ذلك على ما فيه من التألم وخوف هلاك النفس في ذلك. ثم بيّن ما يَخِفُّ[5] بمثله[6] تَحَمُّلُ[7] المكروه على الطبع،[8] وقد يختار له مباشرة الأتعاب في النفس من عواقب تنقطع وتزول، فكيف فيما لا انقطاع[9] له من رجاء الثواب بذلك التألم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان الله عليما** بتألمكم، أي عن علم بالتألم أمركم بذلك، لا[10] عن جهل. وقد ذكرنا ذلك في غير موضع.

**﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق**، قوله: **بالحق** يتوجه وجوها، بحق الله عليكم أنزل إليك الكتاب، ويحتمل بحق بعض على بعض أنزل إليك الكتاب **لتحكم بين الناس**. ويحتمل قوله: **بالحق** أي بالمحنة يمتحنهم بها؛ إذ في عقل كل أحد[11] ذلك،

---

[1] ن: أنها.
[2] ن - لكنه فرض.
[3] ع: وفيه. انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٩٥/٤.
[4] ك: ولا تضعفون أنتم وترجعون في ذلك العاقبة.
[5] ك ن: يخفف.
[6] ن ع م: لمثله.
[7] ك م: يحمل؛ ن ع: يحمل.
[8] جميع النسخ + له.
[9] ك: لانقطاع.
[10] ع: الا.
[11] ع: واحد.

وإهمال كل ذي لب لا يؤمَر[1] ولا يُنهى خروج عن الحكمة.[2] أو أن[3] يقال: **بالحق** أي بالعواقب[4] لتكون[5] لهم العاقبة.[6] وقوله تعالى: **بالحق** أي بالحق الذي لله أو لبعض[7] على بعض أو لأمر[8] [هو حق][9] كائن[10] وهو البعث لِيُعِدَّ له[11] ويتزود. أو[12] بالذي يحمد عليه فاعله، إذ الحق صفة لكل ما يحمد عليه فاعله والباطل لما يذم.[13] وقد يحتمل بالعدل والصدق على الأمن[14] من التغيير والتبديل. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **لتحكم بين الناس بما أراك الله**، قيل: إن في الآية دلالة جواز الاجتهاد، لأنه قال: **لتحكم بين الناس بما أراك الله**. دل قوله: **بما أراك الله**[15] أن ثمة معنى يدرك بالنظر والتأمل، لأنه لو كان يحكم بالكل بالكتاب لكان لا معنى لقوله: **بما أراك الله**،[16] ولكن يقول[17] له: **لتحكم بين الناس** بالكتاب. دل أنه يحكم بما يريه[18] الله بالتدبر فيه والتأمل.

---

[1] ع: يأمر.

[2] يقول الشارح: «يحتمل ﴿بالحق﴾، أي أنزلنا الكتاب موافقا لما هو الحق في عقل كل أحد، وهو التكليف بالأمر والنهي والامتحان للعقلاء دون الإهمال وتركهم سدى لا أمر عليهم ولا نهي كالأنعام، فإن الإهمال خروج عن الحكمة، والتكليف والامتحان من باب الحكمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢١٦ظ).

[3] ع م: وأن.

[4] ع م: وبالعواقب.

[5] ن ع م: ليكون.

[6] قال الشارح: «ويحتمل بالحق أي أنزلنا الكتاب بما له عاقبة حميدة عند التحصيل، فإن ما لا عاقبة له لا يكون حقا بل يكون عبثا باطلا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢و).

[7] ن: البعض.

[8] ن: الأمر.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢و.

[10] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢و.

[11] ع: ليعدل.

[12] م: ويتزودوا.

[13] ن: ندم.

[14] جميع النسخ: الأمر.

[15] ن - دل قوله بما أراك الله.

[16] ع م - بما أراك الله أن ثمة معنى يدرك بالنظر والتأمل لأنه لو كان يحكم بالكل بالكتاب لكان لا معنى لقوله بما أراك الله.

[17] ع م: نقول.

[18] ن: يريد؛ ع م: يريد به.

لكن اجتهاده كالنص، لأنه لا يخطئه،[1] لأنه أخبر أنه يريه[2] ذلك فلا يحتمل أن يريه غير الصواب. وأما غيره من[3] المجتهدين فيجوز أن يكون صوابا ويجوز أن يكون خطأ، لأنه لا يُنكَر أن يكون الشيطان هو الذي أراه ذلك فيكون[4] خطأ. فلا يجوز أن يشهد عليه بالصواب ما لم يظهر. وأما اجتهاده صلى الله عليه وسلم فهو كله يكون صوابا، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراه ذلك[5] فيشهد[6] أنه صواب.

وقوله عز وجل: **ولا تكن للخائنين خصيما**، قال أكثر أهل التفسير: إنه همّ أن يقوّي سارقا يقال له طُعْمَة ويصدّقه في قوله، فنزل قوله تعالى: **ولا تكن للخائنين خصيما**.[7] فلو لم يقولوا[8] ذلك كان أوفق وأحسن. فإن كان ما قالوا فذلك لما [لم] يظهر الخيانة عنده منه،[9] إذ ذكر في القصة أنه وُجد السَّرِقة[10] في دار غيره، فَلَئِنْ كان ذلك إنما كان لما ذكرنا.[11] وأما النهي عن أن يكون للخائنين خصيما [فهو] نهي وإن كان يعلم أنه لا يكون لما عصمه الله، كقوله تعالى: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[12] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[13] وإن كان عصمه من أن يكون منهم. والعصمة إنما تنفع[14] إذا كان ثمة أمر ونهي، فأما إذا لم يكن ثمة أمر[15] ولا نهي فلا معنى للعصمة والتوفيق.

---

[1] م: يخصه. أي النبي صلى الله عليه وسلم لا يخطئ الحق والصواب.
[2] ع: يريد.
[3] ع: في.
[4] ع: فيجوز.
[5] ن – ذلك.
[6] ك ن ع: فشهد.
[7] *تفسير الطبري*، ٥/٢٦٥، ٢٦٨–٢٧٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٧٢–٦٧٦. وقد رويت نفس القصة بتغيير في اسم السارق والمسروقين. انظر: *سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤؛ *وتفسير الطبري*، ٥/٢٦٥–٢٦٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٧٠–٦٧٢.
[8] ع: يقول.
[9] جميع النسخ: لما يظهر منه الخيانة عنده. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ١٩٢و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢١٦ظ.
[10] السرقة: الشيء المسروق.
[11] قال الشارح: «قال الشيخ رحمه الله: فإن كان سبب النزول ما قالوا فذلك لما لم يظهر الخيانة عنده منه؛ إذ ذكر في القصة أنه وجدت السرقة في دار غيره، فربما يخطر بباله أنه صادق في الإنكار، وهذا منه عمل بظاهر الأمر إلى أن يظهر الحقيقة، لكن عوتب لما لم يتوقف إلى ظهور حقيقته بالوحي» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٢و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢١٦ظ).
[12] سورة يونس، ١٠/١٠٥.
[13] سورة البقرة، ٢/١٤٧.
[14] ن: ينفع.
[15] ك: لا أمر.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما**، وقوله تعالى: **واستغفر الله** ليس هو قول الناس: نستغفر[١] الله نستغفر الله،[٢] ولكن كأنه قال: كونوا على الحال التي تكون أعمالكم مكفرة للذنوب. ألا ترى إلى قول هود لقومه: وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[٣] الآية، وقال نوح عليه السلام لقومه: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[٤] الآية،[٥] فلم[٦] يريدوا أن يقولوا: نستغفر[٧] الله قولا فحسب،[٨] ولكن أرادوا أن يكونوا على الحال التي تكون أعمالهم مكفرة لذنوبهم، لأنهم لو قالوا بلسانهم ألف مرة: نستغفر[٩] الله[١٠] لكان لا ينفعهم[١١] ذلك. فعلى ذلك قوله: **واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما**. وحقيقة الاستغفار وجهان. أحدهما الانتهاء عما أوجب العقوبة، لقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[١٢] وعلى ذلك معنى قول من ذكر. والثاني طلب[١٣] الستر بالعفو والتجاوز.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم**، الآية، هو ما ذكرنا أن العصمة لا تنفع إذا[١٤] لم يكن أمر ونهي.[١٥] وقوله عز وجل: **يختانون أنفسهم**، لا أحد[١٦] يقصد قصد خيانة نفسه،

---

[١] ن ع م: يستغفر.
[٢] ن ع م – نستغفر الله.
[٣] ﴿وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مِدْرَارًا ويَزِدْكُمْ قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).
[٤] ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مِدْرَارًا ويُمْدِدْكُمْ بأموال وبَنِينَ ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ (سورة نوح، ١٠/٧١-١٢).
[٥] ن – الآية.
[٦] ك: لم.
[٧] ن ع م: يستغفر.
[٨] جميع النسخ: حسب.
[٩] ن: يستغفر.
[١٠] ع م – قولا حسب ولكن أرادوا أن يكونوا على الحال التي تكون أعمالهم مكفرة لذنوبهم لأنهم لو قالوا بلسانهم ألف مرة نستغفر الله.
[١١] ك: ينفهم.
[١٢] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[١٣] م: في طلب.
[١٤] م: إذ.
[١٥] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.
[١٦] ع: لا حد.

ولكن لما رجع في العاقبة / ضرر الخيانة إلى أنفسهم صاروا كأنهم اختانوا أنفسهم. كقوله: [١٦٠ظ] وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ،[1] لا أحد يقصد قصد خداع نفسه، لكن لما رجع في العاقبة[2] حاصل الخداع إليهم صاروا كأنهم خدعوا أنفسهم، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

**﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾**[١٠٨]

وقوله عز وجل: **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** يحتمل وجهين. يحتمل **يستخفون من الناس**، أي يحتشمون من الناس[3] أن يعلموا بصنيعهم ولا يحتشمون من الله على علم منهم أنه لا يخفى عليه شيء. ويحتمل **يستخفون من الناس** أي يسترون[4] سرهم من الناس. وكذلك روي في حرف حفصة: ولا يستترون من الله. ولكن الله يُطْلع الناس على ما يُسِرّون. **وهو معهم** أي لا يخفى عليه شيء. وقوله: **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** على وجهين. أحدهما على نفي القدرة وإثباتها أن لهم ذلك في الإخفاء من الناس وليس لهم في الإخفاء عن الله. والثاني على قلة المبالاة، [مع] العلم[5] [منهم][6] باطّلاع الله عليهم وتركهم مراقبة الله في الأمور واجتهادهم في ذلك مع[7] الخلق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إذ يُبَيِّتُون ما لا يرضى من القول**، عن[8] ابن عباس قال: **إذ يبيتون ما لا يرضى من القول**، يقول[9] من العمل [السيء] والفرية لليهودي[10] بالسرقة.[11] وقيل:

---

[1] ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٩/٢).

[2] ع م – ضرر الخيانة إلى أنفسهم صاروا كأنهم اختانوا أنفسهم كقوله وما يخدعون إلا أنفسهم لا أحد يقصد قصد خداع نفسه لكن لما رجع في العاقبة.

[3] ن – أي يحتشمون من الناس.

[4] ع م: يستترون.

[5] جميع النسخ: يعلم. والتصحيحات من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.

[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.

[7] جميع النسخ: عن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.

[8] ك: وعن.

[9] ن: بقول.

[10] ع م: من اليهودي.

[11] قال القرطبي: «ومعنى ﴿يبيتون﴾ يقولون، قاله الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس» (*تفسير القرطبي*، ٣٧٩/٥). وعبارة الشارح هكذا: «يقول من العمل السيء والفرية لليهودي بالسرقة، أي وجد منهم السرقة ثم أضافوها إلى اليهودي افتراء عليه وزورا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢١٦ط).

**يبيتون** أي يؤلفون القول فيما بينهم فيقولون: نأتي[1] به النبي فنقول[2] له[3] كدا وكذا، ليدفعوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة. وهو طُعْمَة على ما قيل في القصة: إنه سرق درع رجل فرماها[4] في دار يهودي، وقيل: إنه خبأها في دار يهودي، فلما طلب منه حلف[5] بالله أنه ما سرق.[6] وقيل: التبييت[7] هو التقدير بالليل. وقد[8] ذكرنا في قوله: بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ،[9] الآية.

وقوله عز وجل: **وكان الله بما يعملون محيطا**، هو على الوعيد، أي عن علم منه[10] يفعلون هذا[11] لا عن غفلة، كقوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ.[12] لكنه يؤخره إلى يوم على علم منه ذلك، وعلى الإعلام أن الله لم يزل عالما بما يكون منهم،[13] وعلى ذلك امتحنهم. *وبالله التوفيق*.

**﴿هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾**[١٠٩]

وقوله عز وجل: **ها أنتم هؤلاء جادلتم**: ها أنتم يا[14] هؤلاء جادلتم، **عنهم في الحياة الدنيا**، قيل: يعني أصحاب طُعْمَة، أي لو خاصمتم عنهم يا هؤلاء في الدنيا **فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة** أي[15] لا أحد يخاصم عنه يوم القيامة، **أم من يكون عليهم وكيلا** يخاصم عنه يوم القيامة؟ وقيل: كفيلا، أي في الدفع عنهم، كقوله تعالى: اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ،[16]

---

[1] ك – نأتي؛ ن ع م: يأتي.
[2] ك ع م: فيقول.
[3] م: فيقوله.
[4] ع م – فرماها.
[5] ع: خلف.
[6] تقدم قريبا.
[7] م: التبيت.
[8] ع م: قد.
[9] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٨١/٤.
[10] ك: منهم.
[11] م + هذا.
[12] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[13] ع م – منهم.
[14] ك – يا.
[15] ع م – أي.
[16] سورة المؤمن، ٣٥/٤٠.

أي في دفعها وإرادة أن يدحضوها[١] بالباطل. وقيل: رقيبا، وقيل: كفيلا. والوكيل هو القائم بحفظ الأمور والقاضي للحوائج والمزيح للعلل.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١١٠]

وقوله: **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه** هما سواء، أي من عمل[٢] سوءًا فقد ظلم نفسه ومن ظلم نفسه فقد عمل سوءًا. ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه: من يعمل سوءًا إلى الناس أو يظلم نفسه فيما بينه وبين الله. ثم روي عن عبد الله بن[٣] مسعود رضي الله عنه قال: أرجى آية[٤] في القرآن هذه، [أي] قوله: **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه** الآية. وروي عنه أيضا قال:[٥] أربع آيات من كتاب الله تعالى أحب إلي من حُمْر النَّعَم وسُودِها؛ قوله: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا،[٦] إلى آخره، وقوله: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[٧] وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ،[٨] الآية، وقوله تعالى: **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه** الآية.[٩] وعن علقمة والأسود قالا: قال عبد الله: إن في كتاب الله لآيتين ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما[١٠] ثم استغفر الله إلا غفر له: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ،[١١] إلى آخر الآية، **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله**.[١٢]*

---

[١] ك: تدحضوا؛ ن ع م: يدحضوا.
[٢] ن + أو عمل.
[٣] م: ابن.
[٤] جميع النسخ: الآية. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.
[٥] ن ع م – قال.
[٦] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذَرّة وإن تَكُ حسنةً يضاعفها ويؤت من لَدُنْهُ أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٤٠).
[٧] سورة النساء، ٤/٤٨.
[٨] ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/٦٤).
[٩] أخرجه هناد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٥٥٩-٥٦٠.
[١٠] م: فقرأها.
[١١] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٥).
[١٢] ع – وعن علقمة والأسود قالا قال عبد الله إن في كتاب الله لآيتين ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم إلى آخر الآية وقوله ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله. لم أجده هكذا، لكن أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال: من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له: ﴿ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾، ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/٤٨) (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٧٨).
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية رقم ١١٢، فوضعناها هناك. انظر: ورقة ١٦٠/سطر ٢٦-٢٨.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه**، لأن حاصله يرجع إليه فكأنه كسب على نفسه.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[١١٢]

وقوله: **ومن يكسب خطيئة أو إثما**، يحتمل أن يكون قوله: **ومن يكسب خطيئة أو إثما** واحدا، الخطيئة هي الإثم والإثم هو الخطيئة. وقيل: **ومن يكسب خطيئة**: سرقته[١] الدرع، **أو إثما**: يقول بيمينه الكاذبة إنه لم يسرقها وإنما سرقها[٢] فلان اليهودي. وقوله عز وجل: **ثم يرم به بريئا**، قيل: لما طُلب في داره رماها في دار اليهودي ثم حلف باطلا وزورا أنه لم يسرقها. وقوله عز وجل: **فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا**، يقول كذبا على آخر بما لم يفعل. والبهتان هو أن يَبْهَت الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل. **وإثما مبينا** بيمينه الكاذبة. ***والله أعلم***.

[١٦٠ظ س٢٦ *وقوله تعالى أيضا: **ومن يكسب خطيئة أو إثما**، يحتمل كل واحد منهما أنه الآخر، كرر على التأكيد فيما جرى له الذكر، ويحتمل التفريق أن يكون سوء[٣] إلى الناس وخطيئة

١٦٠ظ س٢٨] إليهم[٤] أو يظلم نفسه بما يأثم[٥] [فيما][٦] بينه وبين الله.*

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك** الآية.[٧] قال أكثر أهل التأويل: نزلت الآية في شأن طُعْمَة الذي سرق درع جار له[٨] بالذي سبق ذكره،

---

[١] ن ع م: سرقة.
[٢] ع – وإنما سرقها.
[٣] ك ع: سواء.
[٤] أي في حقهم. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.
[٥] ك + بما.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٢ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية رقم ١١٠، فوضعناه هنا. انظر: ورقة ١٦٠/سطر ٢٦–٢٨.
[٧] ع م – الآية.
[٨] ن – له.

وقال:[١] **ولولا فضل الله عليك ورحمته** لقد هم قوم طُعْمَة **أن يضلوك** أي يُخطّئوك، وليس هو الإضلال في الدين، ولكن إن كان ما قالوا فهو تخطئة[٢] الحكم. ويحتمل قوله: **أن يضلوك** أي يجهّلوك[٣] في حكم السرقة. ويجوز أن يكون جاهلا في سرقته[٤] لما لم يدر أنه سرق. وكان يصدقه[٥] في الحكم أنه لم يسرق،[٦] لأنه إنما كان يعلم الأشياء بالوحي، ثم أعلم أنه قد سرق. ويحتمل أن تكون[٧] الآية في الكفار كلهم، لأن الكفرة والمنافقين لم يزالوا[٨] كانوا يريدون أن يضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدى ويصرفوه[٩] عنه، كقوله تعالى:
[١٦١و] / وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً،[١٠] وكقوله[١١] تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا.[١٢] ثم يحتمل قوله تعالى: **ولولا فضل الله عليك ورحمته** حيث عصمك[١٣] بالنبوة، وإلا لأضلوك عن سبيل[١٤] الهدى. وهو كقوله عز وجل: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ -أي بالعصمة- لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً.[١٥]

والثاني **ولولا فضل الله عليك ورحمته** حيث أعلمك بالحكم في ذلك وبَصَّرك[١٦] به بالوحي وصرفك عن تصديق ذلك الخائن -إن[١٧] ثبت ما قالوا- وإلا لهمّوا[١٨] أن يخطّئوك ويجهّلوك فيه. ثم في الآية نقض قول المعتزلة، لأنه مَنَّ على رسوله صلى الله عليه وسلم أنه عصمه،

---

[١] ك ن ع: وقالوا.
[٢] ن: بخطيه؛ ع م: بخطئه.
[٣] ع: يجعوك.
[٤] ع: سرقة.
[٥] ن: يصدق.
[٦] ن + أنه لم يسرق لأنه لم يسرق لأنه لم يسرق.
[٧] ع م: يكون.
[٨] ك: لم يزل؛ ن: لم يزل؛ صح هـ.
[٩] جميع النسخ: ويصرفوا.
[١٠] سورة النساء، ٨٩/٤.
[١١] ن: كقوله.
[١٢] سورة البقرة، ١٠٩/٢.
[١٣] م: عصمكم.
[١٤] م + الله.
[١٥] سورة الإسراء، ٧٤/١٧.
[١٦] ن م: ويضرك؛ ع – وبصرك.
[١٧] ع؛ اد؛ م: او.
[١٨] م: ليهموا.

وهم يقولون: كان عليه أن يعصمه، وهو كان يستحق ذلك قبله. فلو كان عليه ذلك لم يكن للامتنان عليه بذلك معنى، إذ فعل ما كان عليه أن يفعل على زعمهم. ومن فعل فعلا عليه ذلك لم يُقَل:[1] إنه مُفْضِل. دل أنه ليس كما قالوا. ***وبالله التوفيق والعصمة.***

وقوله أيضا:[2] **ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك** يخرج على وجهين. أحدهما يكفهم عما به[3] هموا. والثاني يعصمه[4] عما راموا فيه أن يظفروا منه بعد أن أظهروا ما طلبوا.

وقوله تعالى: **يضلوك** يجهّلوك الحكم بالتلبيس وأنواع التمويه،[5] يرجع ذلك إلى نازلة.[6] والثاني أن يكون بالإضلال عن السبيل والحيل[7] في الصرف عن الحق. وهذا هو الذي لم يزل أعداء الله يقصدون برسول الله وبجميع أهل الخير. فكفهم بوجهين، يتوجه كل[8] وجه[9] إلى وجهين. أحدهما: ظواهر الأسباب من الوحي[10] والآيات. وكذا في كفهم مرة بالقتال والأسباب الظاهرة ومرة باللطف والعصمة.[11] وسمى ذلك فضله ورحمته[12] ليعرف أن ذلك فضله لا حقا قِبَله، إذ ليس بذل الحقوق يعد في الفضائل.

وقوله عز وجل: **وما يضلون إلا أنفسهم**، لا أحد[13] يقصد قصد[14] إضلال نفسه، لكن لما رجع حاصل ذلك الإضلال إلى أنفسهم كأنهم[15] أضلوا أنفسهم. وقوله عز وجل: **وما يضرونك من شيء**؛ أَمَّن رسوله عن ضرر أولئك كقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[16]

---

[1] م: يفعل.
[2] ن - أيضا؛ خ م - وقوله أيضا.
[3] ك ع م - به.
[4] ك ن ع: بعصمته.
[5] ع: التموية.
[6] أي إلى هذه القصة خاصة.
[7] ع: والخيل.
[8] ع: كله.
[9] ك: وجهين.
[10] ع: بالوحي.
[11] ك: والعصمة؛ مختلط الخط.
[12] م: فضلا ورحمة.
[13] ك ن: احدا؛ ع: لأحدا.
[14] ع: قصدا.
[15] ن ع م: كانوا.
[16] سورة المائدة، ٦٧/٥.

وقوله عز وجل: **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** قد ذكرنا في غير موضع.[١] وقوله عز وجل: **وعلّمك ما لم تكن تعلم**، من الحلال والحرام والأحكام كلها وغير ذلك، كقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ،[٢] فهو كذلك كان. وقوله: **وكان فضل الله عليك عظيما** فيما علمك من الأحكام وعصمك بالنبوة والرسالة وصرف عنك ضرر الأعداء. *والله أعلم*.

**﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **لا خير في كثير من نجواهم**، اختلف في النجوى. قيل: النجوى القوم، كقوله: وَإِذْ هُمْ نَجْوَى،[٣] أي رجال. وقيل: النجوى هو الإسرار، كقوله: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ،[٤] الآية. ثم استثنى **إلا من أمر بصدقة أو معروف** الآية. فإن كان التأويل من النجوى هو فعل النجوى خاصة فكأنه قال: لا خير في كثير من نجواهم إلا الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف أو الإصلاح[٥] بين الناس. وإن كان تأويل النجوى هو القوم فكأنه قال -والله أعلم-: لا خير في كثير منهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس. وكأن[٦] هذا أقرب. ومعنى الثُّنْيَا من[٧] الكثير فيما يرجع إلى[٨] القوم، فكأنه قال: لا خير في كثير منهم إلا من يرجع أمره إلى ما ذكر فيصير إلى خير. وقد يحتمل أن قوما منهم يرجع نجواهم إلى خير وهم أقلهم. ومن الفعل[٩] على أن الفعل ربما يكون فعل خير وإن كانوا أهل النفاق أو الكفر،[١٠]

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٢٦٩.

[٢] سورة الشورى، ٤٢/٥٢.

[٣] ﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٧).

[٤] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).

[٥] م: والإصلاح.

[٦] ع م - تأويل النجوى هو القوم فكأنه قال والله أعلم لا خير في كثير منهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وكان.

[٧] ع م - من.

[٨] ع: اى.

[٩] أي ومعنى الثنيا من الفعل.

[١٠] ع: والكفر.

لكن بين أنه غير مقبول إلا أن يبتغي[1] به مرضاة[2] الله، وذلك لا[3] يكون إلا أن يؤمنوا. *والله أعلم.*

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين**، قيل: لما تبين خيانته[4] لرسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى[5] أن يقيم بالمدينة، فارتد ولحق بمكة[6] كافرا، فنزل قوله تعالى: **ومن يشاقق الرسول.**[7] يقول: يخالف[8] الرسول **من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين.** وعن ابن عباس رضي الله عنه: **من بعد ما تبين له الهدى** يقول: من بعد ما كان كافرا تبين له[9] الإسلام وأسلم.[10] وقال: لما أبان[11] أمر طُعْمَة وعُلم أنه سرق الدرع أنزل الله تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا،[12] قيل له: يا طعمة، إن رسول الله قاطعك، فخرج هاربا إلى مكة.[13] وقوله: **ويتبع غير سبيل المؤمنين** يعني غير[14] دين المؤمنين. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ويسلك غير سبيل المؤمنين.

---

[1] ن ع: ينبغي.
[2] ع: مرضات.
[3] ع: ما.
[4] أي طعمة الذي سرق وافترى على غيره.
[5] م: استحى.
[6] ن: بالمكة.
[7] سنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٤؛ و*تفسير الطبري*، ٢٦٦/٥، ٢٦٨، ٢٦٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٧١/٢-٦٧٦.
[8] ع: مخالف.
[9] ن ع م – له.
[10] ع م – وأسلم.
[11] بان الشيء واستبان وتبيّن وأبان وبيّن بمعنى واحد: أي اتضح (*لسان العرب* لابن منظور، «بين»).
[12] سورة المائدة، ٣٨/٥.
[13] قال القرطبي: «وقال الضحاك: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يده وكان مطاعا فجاءت اليهود شاكين في السلاح فأخذوه وهربوا به فنزل: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ (سورة النساء، ١٠٩/٤)، يعني اليهود» (*تفسير القرطبي*، ٣٧٦/٥).
[14] ك – غير.

وقوله: **نُوَلِّه ما تولى**، أي نتركه وما تولى من ولاية الشيطان. وقيل: نَدَعُه[١] وما اختار من[٢] الدين غير دين المؤمنين. **ونصله جهنم**، أي ندخله جهنم في الآخرة. وقيل: قوله:[٣] **نوله ما تولى**، أي نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا. **وساءت مصيرا**، يقول: بئس المصير صار إليه. وقوله تعالى: **نوله ما تولى**، أنه تولى الشيطان فجعله الله وليا [له]، كقوله تعالى: وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا،[٤] وغير ذلك. ويكون: نخذله[٥] فيما اختاره، ويكون: نجزيه[٦] جزاء توليه، ويكون: نخلق[٧] توليه منه جورا باطلا مهلكا له [في الآخرة].[٨] *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾**[١١٦]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**، الآية،[٩] في الآية دليل أن لا يصير بكل[١٠] ذنب مشركا على ما قاله الخوارج لما قسم الكتاب. ولا يحتمل إضمار التوبة لأن الشرك قد يغفر بالتوبة، فبطل / قولهم. وفيه بطلان قول من يبطل [١٦١ظ] المغفرة في الكبائر بلا توبة، لأن الله تعالى جعل لنفسه مشيئة المغفرة، وذلك فيما في الحكمة دَفْعُ سَفَهٍ،[١١] فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا. ثم الذي ينقض[١٢] قول الخوارج الذين يُكَفِّرون بارتكاب الصغائر ما بُلِي بها الأنبياء والأولياء، وما يُكَفِّر صاحبه يُسْقِط النبوة والولاية، ومن[١٣] كان وصف إيمانه بالأنبياء عليهم السلام هذا فهو[١٤] كافر بهم. وعلى المعتزلة في ذلك

---

[١] ن ع: يدعه.
[٢] ع: في.
[٣] ك + قوله.
[٤] ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾ (سورة النساء، ٤/١١٩).
[٥] ن ع: يخذله؛ م: بخذله.
[٦] ك م: نجزه؛ ع: بجزه.
[٧] ن ع: لخلق؛ م: الخلق.
[٨] قال الشارح: «ويحتمل ﴿نوله﴾ أي نحقق توليه منه جورا وظلما وباطلا مهلكا له كما يخلق الكفر قبيحا فاسدا مضمحلا» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٣و).
[٩] ك ن – الآية؛ ع: الا.
[١٠] ن: في كل.
[١١] أي إن في قولنا بذلك دفع السفه عن أقوال الله تعالى وأفعاله. وسيشرح المؤلف بعد قليلٍ وَجْهَ ذلك.
[١٢] ن: ينتقض.
[١٣] ع: من.
[١٤] ع م + عنى.

أن الله وصف الأنبياء عليهم السلام بالدعاء له تضرعا وخفية[1] وخوفا وطمعا وببكائهم[2] على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم إليه حتى أجيبوا في دعائهم،[3] ولو لم تكن[4] ذنوبهم بحيث يحتمل التعذيب عليها في الحكمة لكان في ذلك تعدي[5] الحد والوصفُ بالجور والتعوذ منه،[6] وذلك أعظم من الزلات. فهذا ينقض قول المعتزلة في إثبات المغفرة في الصغائر وإخراج فعل التعذيب عن الحكمة، وقول الخوارج بإزالة اسم الإيمان بها. *ولا عصمة إلا بالله*.

ثم قوله: **لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو أن يشرك غيره في ربوبيته وألوهيته، والثاني أن يشرك غيره في عبادته، وذلك كله شرك بالله تعالى، إذ[7] لا فرق أن يشرك غيره في ربوبيته وألوهيته[8] وبين أن يشرك غيره[9] في عبادته. ألا ترى أنه قال عز وجل: أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ -ثم قال الله[10] تعالى في آخره- وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا،[11] جعل الإشراك في الألوهية والربوبية والإشراك في العبادة واحدا، كله شرك بالله.[12] *وبالله*[13] *التوفيق*.

---

[1] ن ع م: وخيفة.

[2] جميع النسخ: وبكائهم.

[3] يقول المؤلف رحمه الله في نفس الموضوع في *كتاب التوحيد*: «وعلى قول المعتزلة في ذلك وصف الله الأنبياء بالدعاء له تضرعا وخفية وطمعا وخوفا، وببكائهم على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم اليه حتى أجيبوا في دعاءهم وأعطوا سؤلهم. ولو لم تكن ذنوبهم بحيث احتمال التعذيب عليها في الحكمة، أو كان عليهم من ذلك خوف التعذيب لكان في ذلك تعدي الحد والوصف بالجور والتعدي منه، وذلك أعظم من الزلات. فهذا ينفي قول المعتزلة في إثبات المغفرة في الصغائر وإخراج فعل التعذيب عن الحكمة، وقولَ الخوارج بإزالة اسم الإيمان عنه. ولا قوة إلا بالله» (*كتاب التوحيد*، ٥٢٥). وانظر لما أشار إليه المؤلف في هذه العبارة من الآيات: حاشية الكتاب المذكور، ٤-٥.

[4] ك م: يكن.

[5] ع: يعدى.

[6] جميع النسخ: به.

[7] ع: ان.

[8] ك – والثاني أن يشرك غيره في عبادته وذلك كله شرك بالله إذ لا فرق أن يشرك غيره في ربوبيته وألوهيته.

[9] ع: غير.

[10] ك ن – الله.

[11] ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١١٠).

[12] ك ن: به.

[13] ع: بالله.

ثم قوله: **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**، لا يحتمل ما قالت المعتزلة أنه وعد المغفرة فيما[١] شاء[٢] ثم بين ذلك في الصغائر بقوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ،[٣] وقد ثبت الوعيد في الكبائر؛ [لأنه قد] بقي[٤] الوعد بحقه فلم[٥] يزُل بالذي ذُكر لاحتماله.[٦] وقيل: قوله: **لمن يشاء** كناية عن الأنفس المغفورات لا عن الآثام والأجرام التي تغفر، لم[٧] يجز صرف التخصيص إلى الآثام بالآية المكني بها عن الأنفس، لأنه لم يقل: ما شاء، ولكن قال عز وجل: لِمَنْ يَشَاءُ، فذلك كناية عن الأنفس، وفي آيات الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم، وفيما جاء على ما قيل لا صرف في ذلك، فهو أولى. وبعد فإنه قال: لِمَنْ يَشَاءُ، والصغائر عندهم مغفورة بالحكمة لا بالوعد، والآية في التعريف.[٨] ***والله أعلم.***

**﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾[١١٧]**

وقوله عز وجل: **إن يدعون من دونه إلا إناثا**، عن الحسن قال: الإناث الأموات التي لا روح [فيها]، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[٩] وقيل: قوله تعالى: **إلا إناثا** هم الملائكة،

---

١ ك: فيم.

٢ ع م: يشاء.

٣ سورة النساء، ٣١/٤.

٤ ن ع م: نفي.

٥ جميع النسخ: لم.

٦ أي لم يزل الوعيد في الكبائر بقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ لأنه لفظ محتمل.

٧ ك: لمن.

٨ قال السمرقندي: «الآية حجة لنا على المعتزلة. فإن الله تعالى وعد مغفرة ما دون الشرك لمن يشاء من الجناة من غير قيد بين جناية وجناية، فيجب العمل بإطلاقه. قال المعتزلة: بلى، في هذه الآية وعد المغفرة لمن شاء و لم يبين من الذي شاء مغفرته، ثم بين الوعيد في حق أصحاب الكبائر بقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها﴾ (سورة النساء، ١٤/٤)، وغيرها من الآيات؛ دل أنه ليس أصحاب الكبائر داخلة في من يشاء الله تعالى مغفرتهم، فيكون الداخل في ذلك أصحاب الصغائر، وقد عرفنا مشيئة مغفرتهم بقوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ (سورة النساء، ٣١/٤). لكنا نقول: قوله: ﴿لمن يشاء﴾ وعد من الله المغفرة، والصغائر مغفورة عندهم بالحكمة، فكان يعلم مغفرتها بالعقل. وإنما يدخل تحت المشيئة ما يكون في حد الجواز والعدم، لأن الصغائر لا يجوز أن تكون داخلة تحت هذا النص، والشرك غير مراد بالنص، لم يبق إلا الكبائر. فلو لم يدخل يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى، وذلك لا يجوز» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٣و-١٩٣ظ).

٩ انظر في هاتين الروايتين: *تفسير الطبري*، ٢٧٩/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٨٧/٢. وانظر للإناث في هذه الآية ومعانيها: *لسان العرب* لابن منظور، «أنث».

لأنهم يقولون: الملائكة بنات الله في السماء، فعبدوها، فإنهم[1] إنما عبدوا الإناث عندهم وفي زعمهم. وقيل: **إناثا** من الوثن. وكذلك روي في حرف عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: إن يدعون[2] من دونه إلا أوثانا.[3] وهو الصنم، سمي إناثا لما صوروها[4] بصور[5] الإناث وحلّوها وقلّدوها قلائد[6] وزيّنوها بزيّهم، ثم يعبدونها، لم يعبدوها[7] على ما كان في الأصل، فسمي بذلك. وقيل: سمي إناثا لأنهم كانوا يسمون ما يعبدون من الأصنام والأوثان اللاتَ والعزى ومناة، فأسماؤهن أسماء إناث. ***والله أعلم***.

وقوله: **وإن يدعون إلا شيطانا مَريدا** أخبر[8] عز وجل وإن كانوا[9] يفرون من الشيطان ويأنفونه فإنهم بعبادتهم الأصنام والأوثان يعبدون الشيطان، لأن الشيطان هو الذي يدعوهم إلى عبادتهم الأصنام، فكأنهم عبدوه. ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه قال: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[10] جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان حيث قال له: لا تعبد الشيطان، فدل أن عبادتهم الأوثان عبادة للشيطان. ***وبالله العصمة***.

وقوله عز وجل: **مَريدا** قال ابن عباس رضي الله عنه: المريد هو العاتي.

﴿لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **لعنه الله**، اللعنة هو الإبعاد من رحمة الله، فسمي ملعونا لأنه مُبْعَد من رحمة الله مطرود منها. وقوله عز وجل: **وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا**، إنه لعنه الله وإن قطع القول فيه لأتخذن من كذا قطعا فهو ظن في الحقيقة. ألا ترى أنه قال تعالى في آية أخرى: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ.[11] دل أن ما قاله قاله[12] ظنا، لكنه خرج مقطوعا[13] محققا. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ك: فهم.
[2] ك ن م: إن تدعون؛ ع – إن تدعون. والتصحيح من مصادر الرواية.
[3] ع: أوناثا. *تفسير الطبري*، ٥/٢٨٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٨٧.
[4] ك: صورها.
[5] ع: بصورت.
[6] ع م – قلائد.
[7] م – لم يعبدوها.
[8] ع + الله.
[9] ع م: كان.
[10] سورة مريم، ١٩/٤٤.
[11] سورة سبأ، ٣٤/٢٠.
[12] ع – قاله.
[13] ن + دل أن ما قاله قاله ظنا لكنه حرج مقطوعا.

وقوله: **نصيبا مفروضا** أي مُبَيَّنا معلوما. والنصيب المفروض هو ما ذكر: وَلَأُضِلَّنَّهُمْ،[١] إلى آخر ما ذكر. **مفروضا** أي مُبَيَّنا: من يطيعه ومن لا يطيعه.

**﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[١١٩]**

وقوله: **ولأضلنهم ولأمنينهم** الآية قيل: هذا إخبار عن الله تعالى عباده[٢] عن صنيع اللعين ليكونوا على حذر منه. ثم قوله: **ولأضلنهم** ليس على حقيقة الإضلال، لأنه لا يقدر أن يضل أحدا، لكنه يدعو إلى الضلال[٣] ويزيّن عليهم طريقه ويلبّس عليهم طريق الهدى، فذلك معنى إضافة الإضلال إليه. وإلا لم يملك إضلال أحد في الحقيقة، كقوله تعالى: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ،[٤] الآية. ثم إذا ضلوا بدعائه إلى ذلك وتزيينه عليهم سبيله[٥] يُمَنِّيهم عند ذلك حتى يتمنَّوا أشياء، كقوله:[٦] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[٧] الآية، وكقوله[٨] تعالى: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ،[٩] ونحو ذلك / من الأماني، وذلك مما يمنّيهم الشيطان لعنة الله عليه. وعن ابن عباس [١٦٢و]
رضي الله عنه: **ولأضلنهم** يعني عن الدين،[١٠] **ولأمنينهم** أن[١١] يصيبوا خيرا لا محالة ليأمنوا.[١٢] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وَلَأَعِدَنَّهم ولأمنينهم وَلَأُحَرِّمَنَّ[١٣] عليهم الأنعام

---

[١] سورة النساء، ١١٩/٤.
[٢] ع: عبادة.
[٣] ع م – لأنه لا يقدر أن يضل أحدا لكنه يدعو إلى الضلال.
[٤] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكم فأخلَفْتُكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بمُصْرِخِيَّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).
[٥] م: سبيلا.
[٦] جميع النسخ: كقولهم؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٣ظ.
[٧] سورة الأحقاف، ١١/٤٦.
[٨] ك: وقوله.
[٩] سورة البقرة، ١١١/٢.
[١٠] م: الذين.
[١١] ع: اى.
[١٢] قال الشارح: «أي ولأضلنهم عن الدين، ولأمنينهم أن يصيبوا خيرا في ذلك الدين لا محالة، حتى يأمنوا فيقروا عليه؛ وقال: ﴿ولأمنينهم﴾ أي يخبرهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٣ظ).
[١٣] ع: ولاحر؛ م: ولأحرم.

ولآمرنهم فلَيبدلُنّ خلقك ولآمرنهم فليبتكن. وقوله: **فليبتكن**[1] **آذان الأنعام**، فجعلوها نحرا للأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها.

وقوله عز وجل: **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** يحتمل هذا وجهين سوى ما قال أهل التأويل. أحدهما أن الله تعالى خلق هذا الخلق ليأمرهم بالتوحيد وليجعلوا عبادتهم له لا يعبدون دون الله غيره، كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ،[2] الآية، فهو دعاؤهم أن يجعلوا عبادتهم لغير الله. وهو ما قيل في قوله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ،[3] قيل: لدين الله.[4] فعلى ذلك يحتمل قوله: **فليغيرن خلق الله** أي عن الذي كان خلقه إياهم لذلك. *والله أعلم*.

والثاني أنه عز وجل خلق الأنعام والبهائم لمنافعهم وسخرها لهم، فهم حرّموها على أنفسهم وجعلوها للأوثان والأصنام كالبَحِيرَة والسَّائِبَة والوَصِيلَة والحَامِ،[5] منعوا[6] منافعها التي خلقها لهم عن أنفسهم، وذلك تغيير[7] ما خلق الله لهم. *والله أعلم*.

وأما أهل التأويل فإنهم قالوا غير الذي ذكرنا. قال بعضهم: قوله: **فَلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله** يعني[8] الإخصاء، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[9] وقال آخرون: هو دين الله،

---

[1] ن – وقوله فليبتكن.

[2] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمونِ﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥٦-٥٧).

[3] سورة الروم، ٣٠/٣٠.

[4] ع م: الدين لله.

[5] يقول الله تعالى: ﴿ما جعل الله من بَحِيرَةٍ ولا سَائِبَةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥). بَحَر الناقة والشاة: شق أذنها بنصفين، وهي البحيرة. وكانت العرب تفعل بهما ذلك إذا نتجتا عشرة أبطن فلا ينتفع منهما بلبن ولا ظهر، وتترك البحيرة ترعى وترِد الماء ويحرّم لحمها على النساء ويحل للرجال. وكان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد أو برئ من علة أو نَجَّتْهُ دابة من مشقة أو حرب قال: ناقتي سائبة أي تسيب فلا ينتفع بظهرها ولا تُحَلّأُ [أي لا تمنع (*لسان العرب* لابن منظور، «حلى»)] عن ماء ولا تمنع من كلإ ولا تركب. والوصيلة هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاء التي ولدت سبعة أبطن عَناقين عَناقين فإن ولدت في السابع عناقا قيل: وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء. والحام الفحل من الإبل يَضْرب الضِراب المعدود، قيل: عشرة أبطن، فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام أي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى. وهناك تفسيرات أخرى لكل واحدة من هذه الألفاظ (*لسان العرب* لابن منظور، «بحر»، «سيب»، «وصل»، «حمى»).

[6] م: صيعوا.

[7] ك ن ع: تغير.

[8] ع م – يعني.

[9] *تفسير الطبري*، ٢٨٢/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٨٨/٢.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال[١] أيضا: دين الله.[٢] وقيل: هو ما جاء من النهي[٣] عن الواشرة[٤] والنامصة[٥] والمتفلجة[٦] والواصلة[٧] والواشمة.[٨] ولا يحتمل أن يكون خطر بباله يومئذ أنه أراد بتغيير[٩] خلق الله ما قالوا من الإخصاء[١٠] أو المُثْلة[١١] والواشرة والنامصة، لأنه[١٢] إنما قال ذلك يومَ طلبَ من ربه النَّظِرَة[١٣] إلى يوم البعث، ولا يحتمل أن يكون[١٤] له علم أن لا يَحِلّ هذا أو النهي عن مثله، إذ قد يجوز أن ترد[١٥] الشريعة في مثله. لذلك بَعُدَ[١٦] هذا.[١٧] **والله أعلم.**

---

[١] م – أنه قال.

[٢] ع م – الله. تفسير الطبري، ٢٨٣/٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦٩٠/٢.

[٣] ن: الأمر والنهي.

[٤] الوَشْر لغة في الأَشْر. الجوهري: والوشر أن تحدد المرأة أسنانها وترققها. وفي الحديث: «لعن الله الواشرة والموتشرة». الواشرة المرأة التي تحدد أسنانها وترقق أطرافها، تفعله المرأة الكبيرة تتشبه بالشواب، والموتشرة التي تأمر من يفعل بها ذلك. قال: وكأنه من وشرت الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في أشرت (*لسان العرب* لابن منظور، «أشر»، «وشر»).

[٥] النامصة التي تنتف الشعر من الوجه (*لسان العرب* لابن منظور، «نمص»).

[٦] ع: والمنفلجة. الفَلَج في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرَّباعيات [أي الأسنان الأمامية] خِلقة، فإن تُكُلِّف فهو التفليج. وفي الحديث أنه لعن المتفلجات للحسن، أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين (*لسان العرب* لابن منظور، «فلج»).

[٧] الواصلة من النساء التي تصل شعرها بشعر غيرها. وفي الحديث أن النبي لعن الواصلة والمستوصلة. قال أبو عبيد: هذا في الشَّعر، وذلك أن تصل المرأة شعرها بشعر آخر زورا (*لسان العرب* لابن منظور، «وصل»).

[٨] قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله تعالى، وما لي لا ألعن من لعن النبي صلى الله عليه وسلم (*صحيح البخاري*، اللباس ٨٢؛ وصحيح *مسلم*، اللباس ١٢٠). وفي رواية أخرى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء (مسند أحمد بن حنبل، ٤١٥/١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» (*صحيح البخاري*، اللباس ٨٣؛ وصحيح *مسلم*، اللباس ١١٩). والوَشْم ما تجعله المرأة على ذراعها بالإبرة ثم تحشوه بالنَّئور وهو دخان الشحم (*لسان العرب* لابن منظور، «وشم»).

[٩] ك ن ع: بتغير.

[١٠] ع: الاحضاء.

[١١] يقال مَثَلْت بالحيوان أَمْثُل به مَثْلا إذا قطعت أطرافه وشوّهت به، والاسم المُثْلَة، فأما مَثَّل بالتشديد فهو للمبالغة (*لسان العرب* لابن منظور، «مثل»).

[١٢] ع م: كأنه.

[١٣] النَّظِرَة التأخير في الأمر (*لسان العرب* لابن منظور، «نظر»).

[١٤] ع م – أن يكون.

[١٥] ك ن: يرد.

[١٦] ك: يعد.

[١٧] ك – هذا.

وقوله عز وجل: **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله**، أي يطيعه ويجيبه إلى ما دعاه ويعبده[1] دون الله، **فقد خسر خسرانا مبينا** في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فذهاب المنافع عنهم التي جعلوها للأصنام والأوثان، وفي الآخرة العقوبة.

**﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾**[١٢٠]

وقوله عز وجل: **يعدهم**، إما فقرا وإما سعة، **ويمنيهم**، هو ما ذكرنا من الأماني وقضاء الشهوات في الدنيا. **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**، والغرور هو أن يرى شيئا يظهر خلافه.

**﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾**[١٢١]

**أولئك مأواهم جنهم ولا يجدون عنها محيصا** الآية ظاهرة. [محيصا] قيل:[2] مفرا، وقيل: ملجأ.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾**[١٢٢]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم [من] أن الإيمان هو التصديق، والأعمال الصالحات غير التصديق.[3]

وقوله عز وجل: **وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا**، تأويل هذا -والله أعلم- أن يقال: إنكم ممن تقبلون[4] الأخبار والقول من الناس، ثم لا أحد أصدق قولا من الله تعالى ولا أنجز وعدا منه، كيف لا تقبلون قوله وخبره[5] [في] أنه [سيكون] بعث وجنة ونار[6] وتلزمون[7] قول إبليس أن لا جنة ولا نار ولا بعث.

---

[1] ع: ويعيده؛ م: ويعبدوه.
[2] ع: وقيل.
[3] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٣.
[4] م: يقبلون.
[5] ع: وحيزه.
[6] ك: وجنته وناره.
[7] ك: وتكذبون؛ ن ع م: ويكذبون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٤و.

﴿لَيسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به**، أخبر عز وجل أن الأمر ليس بالأماني ولكن [يرجع] إلى الله عز وجل. فهو -والله أعلم- يحتمل أن يكون في المنزلة والقدر عند الله، لأنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[1] وقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ،[2] وغير ذلك من الأماني. وأهل التأويل يذهبون إلى غير هذا، وقالوا: إن كل فريق منهم كانوا يقولون: إن ديننا خير من[3] دينكم ونحن أفضل من هؤلاء، فنزل: **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**. وذلك[4] بعيد.[5]

وقوله: **من يعمل سوءًا يُجْزَ به**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله تعالى: **من يعمل سوءًا**، يعني شركا، **يجز به**. يدل على ذلك قوله عز وجل: **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا**، وذلك وصف الكافر أن لا يكون له ولي يتولى حفظه ولا نصير ينصره. ألا ترى أنه قال: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ،[6] ذكر الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون أن يدخلون[7] الجنة. فهذا أيضا يدل [على] أن قوله عز وجل: **من يعمل سوءًا يجز به**، أراد به الشرك. وقال آخرون: قوله عز وجل: **من يعمل سوءًا يجز به**، أي كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر. ألا ترى أنه روي عن أبي بكر الصديق[8] رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال: يا رسول الله، كيف الصلاح[9] بعد هذا وكل شيء عملناه جُزِينَا به؟[10] قال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تحزن، ألست تنصب، ألست تمرض،

---

[1] سورة المائدة، ١٨/٥.
[2] سورة آل عمران، ٢٤/٣.
[3] ع - من.
[4] م: ذلك.
[5] قال الشارح: «لأن الأماني يستعمل فيما يحتمل الوجود في المستعمل على زعمهم، وما يزعمون أن ديننا خير من دين أولئك فهو اعتقاد منهم لأمر كائن ثابت، فلا يطلق اسم الأماني عليه. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٤و).
[6] سورة النساء، ١٢٤/٤.
[7] ك ن م: يدخلوا.
[8] ع - الصديق.
[9] جميع النسخ: الفلاح. والتصحيح من مصادر الحديث.
[10] ع م: جزيناه.

ألست يصيبك الأذى؟ فهذا ما يُجزَون به، يجزى به[1] المؤمن في الدنيا والكافر في الآخرة».[2]
فإن كان التأويل هذا فقوله: **ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا** هو في الكافر، أي لا يجد له وليا ولا نصيرا[3] إذا لم يرجع عن كفره ومات عليه، وأما إذا رجع عن ذلك وتاب
[١٦٢ظ] ومات على الإيمان فإنه يجد له وليا ونصيرا،[4] ينصره الله تعالى. / ***وبالله التوفيق.***

**﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾**[١٢٤]

وقوله عز وجل: **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن**، في الآية دليل أن الأعمال الصالحات غير الإيمان، لأنه قال تعالى: **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن**، ولو كان[5] إيمانا فيصير كأنه قال: ومن يعمل الإيمان وهو مؤمن، فدل بما[6] ذكرنا أنها غير الإيمان. وفيه دلالة أيضا أن الأعمال الصالحة إنما تنفع[7] إذا كان ثمة[8] إيمان، لأنه شرط فيه الإيمان بقوله تعالى: **وهو مؤمن**، دل أن الأعمال الصالحة لا تنفع إذا لم يكن[9] ثمة[10] إيمان. ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ن ع م: بجزائها.
[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/١١؛ و*تفسير الطبري*، ٥/٢٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٦٩٦. ورواه الترمذي بمعناه عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه هذه الآية: ﴿من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني قد كنت وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما شأنك يا أبا بكر؟» قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، وأينا لم يعمل سوء؟ وإنا لمجزون بما عملنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة». قال أبو عيسى [الترمذي]: «هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، وموسى بن عُبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل، ومولى ابن سباع مجهول، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضا. وفي الباب عن عائشة» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤).
[3] ن – هو في الكافر أي لا يجد له وليا ولا نصيرا.
[4] ن ع: ولا نصيرا.
[5] ك ن: كانا. أي ولو كان العمل.
[6] م: بها.
[7] ك: تنفع.
[8] ك: ثم.
[9] ن ع م: تكن.
[10] ك: ثم.

وقوله: **ولا يظلمون نقيرا** قد ذكرناه.[١]

**﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾**[١٢٥]

وقوله عز وجل: **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**، الآية، تحتمل[٢] وجهين. تحتمل:[٣] من أحسن دينا من[٤] المسلمين ممن يعمل جميع عمله موافقا لدينه ممن لم[٥] يعمل، بل الذي عمل بجميع عمله موافقا لدينه أحسن دينا من الذي لم يعمل شيئا. وهو[٦] كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[٧] قال: «لو وُزن إيمان أبي بكر[٨] بإيمان جميع أمتي لرجح إيمانه»،[٩] وقال رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم: «قوي في دينه ضعيف في بدنه».[١١] ألا ترى أنه خرج لمقاتلة[١٢] أهل[١٣] الردة وحده، فذلك[١٤] لقوته في الدين وصلابته فيه، لا لزيادة الإيمان ولا لنقصان[١٥] إيمان في غيره. ***والله أعلم.***

والثاني[١٦] مقابلة سائر الأديان، أي **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله** ممن[١٧] لم يسلم وجهه لله إلى آخر ما ذكر. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: ذكرنا. انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/٤٩.
[٢] ع م: يحتمل.
[٣] ع م: يحتمل.
[٤] م – من.
[٥] ع م – لم.
[٦] ن – وهو.
[٧] ك – أنه.
[٨] ك ع م + الصديق.
[٩] أخرجه ابن عدي والديلمي كلاهما عن ابن عمر مرفوعا، وفي سنده عيسى بن عبدالله ضعيف. لكن أخرجه ابن عدي أيضا من طريق أخرى. ورواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله. انظر: *الكامل* لابن عدي، ٥/٢٥٩؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ١/٦٩؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/٢١٦.
[١٠] ك – رسول الله.
[١١] *الأحاديث المختارة* للمقدسي، ٢/١٦؛ وروي من قول عثمان رضي الله عنه. انظر: *المعجم الكبير* للطبراني، ٥/٢١٩.
[١٢] ع: لقاتله.
[١٣] ع – أهل.
[١٤] ك ع م: وذلك.
[١٥] ع: النقصان.
[١٦] م + في.
[١٧] م: من.

ثم قوله تعالى: **أسلم وجهه لله**، عن الحسن قال: أسلم[1] جميع جهة أمره إلى الله، أي[2] جميع ما يعمل إنما يعمل لله لا يعمل لغير الله. وقيل: **أسلم وجهه لله** أي أخلص نفسه لله،[3] ولا يجعل لأحد[4] فيها شركا، كقوله تعالى: وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ،[5] الآية، أي يسلم نفسه له. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وهو محسن** يحتمل وجهين. يحتمل قوله: **وهو محسن**[6] يحسن ما يعمل، أن جميع ما يعمل يعمل[7] لعلمٍ له فيه. ويحتمل قوله: **وهو محسن** من الإحسان، وهو أن يزيد العملَ على المفروض عليه، يؤدي المفروض عليه ويزيد على ذلك أيضا. وقوله عز وجل: **واتبع ملة إبراهيم حنيفا**، الملة قيل: هي الدين، وقيل: الملة السنة، وكأن السنة[8] أقرب، لأن دين الأنبياء عليهم السلام كلهم واحد، لا يختلف دين إبراهيم عليه السلام ودين غيره من الأنبياء عليهم السلام، وأما السنن والشرائع فيجوز أن تختلف.[9] ألا ترى أنه روي في الخبر: «ملة رسول الله» صلى الله عليه وسلم، وفي بعضها: «سنة رسول الله» صلى الله عليه وسلم،[10] جعل السنة تفسير الملة، فالملة بالسنة أشبه. ثم خص ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن سنته كانت[11] توافق سنة[12] نبينا محمد[13] صلى الله عليه وسلم.[14]

---

[1] ع م – قال أسلم.
[2] ع م – أي.
[3] ن – لله.
[4] ع: أحد.
[5] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء مُتشاكِسون ورجلا سَلَمًا لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٢٩).
[6] ن – وهو محسن.
[7] ك ع م – يعمل.
[8] ع م – وكأن السنة.
[9] ن ع م: يختلف.
[10] عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أدخل الميت القبر –وقال أبو خالد مرة– إذا وضع الميت في لحده قال مرة: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله»، وقال مرة: «بسم الله وبالله وعلى سنة رسول الله». وقال الترمذي: «حديث حسن» (*سنن ابن ماجة*، الجنائز ٣٨؛ و*سنن الترمذي*، الجنائز ٥٤).
[11] م – كانت.
[12] ك ع م: سنن.
[13] ك – محمد.
[14] ك ن ع + والله أعلم.

وقوله عز وجل: **حنيفا** قيل: مخلصا. وقيل: سمي حنيفا أي مائلا إلى الحق، ولذلك سمي الأَحْنَف أحنفا لميل أحد قدميه إلى الأخرى.[١] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتخذ الله إبراهيم خليلا**. ذكر في بعض الأخبار أن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم: إن لي خليلا في الأرض. فقال: يا رب، من هو؟ قال: فأوحى الله تعالى إليه: لم؟ أي لم تسألني عنه؟ قال: حتى[٢] أحبه وأتخذه[٣] خليلا[٤] كما اتخذته خليلا، أو كلام نحو هذا. فقال: أنت يا إبراهيم.[٥] وأصل الخُلَّة المنزلة والرِّفعة والكرامة. يقول: **واتخذ الله إبراهيم خليلا** أي جعل له عنده منزلة وكرامة لم يجعل مثله لأحد من الخلائق، لما ابتلاه الله ببلايا وامتحنه بمحن لم يُبْتَلَ أحد بمثلها[٦] فصبر عليها. من ذلك ما أُلقي في النار فصبر ولم يستعن بأحد سواه، وما ابتلي بذبح ولده فأضجعه، وما أُمر أن يترك أهله وولده الطفل في جبال مكة لا ماء هنالك ولا زرع[٧] ولا نبات ففعل، ومن ذلك أمر المهاجرة، مما يكثر ذلك. فجائز تخصيصه بالخلة لذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكون ذلك كرامة أكرمه الله بها لأن أهل الأديان كلهم ينتسبون إليه ويدّعون أنهم على دينه. وعلى ذلك يخرج قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.[٨]

قيل: خص هو بهذين الوجهين اللذين ذكرتهما في الخلة. وقيل: إنه اتخذه خليلا لأنه كان يعطي ولا يأخذ، وكان يحب الضيف، وكان لا يأكل وحده وإن بقي طويلا. والله أعلم بذلك.

---

[١] الحَنَف في القدمين إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها، وبه سمي الأحنف بن قيس، واسمه صخر، لحنف كان في رجله (*لسان العرب* لابن منظور، «حنف»).

[٢] ن ع م: من.

[٣] ك ن: أو اتخذه.

[٤] م – خليلا.

[٥] أخرج ابن المنذر عن ابن أَبْزَى قال: دخل إبراهيم عليه السلام منزله، فجاءه ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه، فقال له إبراهيم: بإذن من دخلت؟ قال: بإذن رب المنزل. فعرفه إبراهيم. فقال له ملك الموت: إن ربك اتخذ من عباده خليلا. قال إبراهيم: ومن ذلك؟ قال: وما تصنع به؟ قال: أكون خادما له حتى أموت. قال: فإنه أنت. قال: وبأي شيء اتخذني خليلا؟ قال: بأنك تحب أن تعطي ولا تأخذ (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧٠٦).

[٦] ع م: بمثله.

[٧] ع م: وزرع.

[٨] ك ن – وعلى آل إبراهيم. صحيح *البخاري*، الأنبياء ٨؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٥.

وأصل الخلة ما ذكرنا من الكرامة والمنزلة، لأن من يحب آخر يَبَرّه ويكرمه، ومن لا يحبه[1] يعاديه ويظهر له الجفاء. *ولا قوة إلا بالله*.

واختلف في المعنى[2] الذي وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة أنه خليل الله. فقد[3] قيل: بما سَخت نفسه في بذل كل لذة من لذات الدنيا لله، وله تبوأ[4] في مكان إتيان الأضياف وأبناء السبيل، وكان لا يأكل وحده، وكانت عادته التقديم بكل ما يتهيأ له عند نزول الأضياف عليه، والابتداء بذلك قبل[5] كل أمر، والقيام للأضياف[6] مع عظم[7] منزلته. أيد ذلك أمر الملائكة الذين[8] جاءوه بالبشارة.[9] *والله أعلم*.

وقيل: إنما امتحنه الله[10] بأمور فصبر عليها نحو النار ألقي فيها لله، وذبح الولد، والهجرة مرتين، وبذل الأهل والولد لله حيث لا ضرع ولا زرع ولا ماء، وغير ذلك مما أكرمه الله تعالى بالثناء عليه

[١٦٣و] بوفاء ما امتُحن، وإتمام[11] ما ابتُلي من قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾،[12] وقوله[13] تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ / إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾،[14] وحاج فرعونه وجميع قومه وجادلهم[15] في من يعبدونهم فغلبهم وألزمهم حجة الله، وغير ذلك من وجوه المحن. وقيل: بما به كان بدأ[16] البيت الذي جعله الله قياما للناس ومأمنا للخلق ومثابا لهم ومنسكا، فعظم شأنه فيما بالخلق إليه حاجة في أمر الدين،

---

[1] ع: تحبه.
[2] ع: معنى.
[3] ك – فقد.
[4] ع م: يتبوأ.
[5] ن ع: قيل.
[6] ك: بالأضياف.
[7] ك م: عظيم.
[8] ع: الذي.
[9] يقول الله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ (سورة هود، ٦٩/١١).
[10] ن – الله.
[11] م: إتمام.
[12] سورة النجم، ٣٧/٥٣.
[13] ع: قوله.
[14] سورة البقرة، ١٢٤/٢.
[15] جميع النسخ: ويجادلهم.
[16] ك: بدو.

وعلى ذلك أكرمه الله تعالى بميل القلوب إليه وإظهار التدين بدينه من جميع أصناف أهل الأديان. *والله أعلم*.

وقيل: إنما هو لله[١] خصائص في أهل الخِيرة[٢] من الرسل وأولي[٣] العزم منهم، اختصهم بأسماء عُرِفْنَ في الفضائل والكرامات، نحو القول بكليم الله وروح الله[٤] وذبيح الله وحبيب الله. فعلى ذلك كان لإبراهيم عليه السلام خصوصية في الاسم، فسماه الله خليلا.

فنقول نحن[٥] وبالله التوفيق: ونحن نعلم بأن الله تعالى لا يسميه بالذي ذكر عبثا باطلا، ولكنه سماه به تعظيما لقدره وإظهارا لكرامته[٦] وبيانا لمنزلته عنده لما شاء من الوجوه التي لعلها لم يُطْلِعْ عليها [أحدا] من الخلق، ولا يحتمل أن يدرك ذلك إلا بالوحي. فحقُّ ذلك علينا تعظيمه ومعرفته بالذي اختصه الله واصطفاه دون تكلف المعنى الذي له كان ذلك.[٧] مع ما لا وجه ولا معنى صار حقيقَ ذلك وأُكْرِم به[٨] إلا بمعنى أكرمه الله، وأكرمه بفضل الله ورحمته. فلله أن يبتدأه بالخلة ثم يكرمه بأنواع الكرامات التي هي آثار الخلة، وأن يكرمه بأنواع الكرامات التي لديها تقع[٩] كرامة[١٠] الخلة ويصلح. ولله المن في ذلك والفضل، وعلينا الحمد لله والشكر بما أكرمنا من معرفة كرام خلقه، وجعل في قلوبنا مودتهم حتى صاروا بفضل الله ورحمته أحب إلينا من أَمَسّ الخلق بنا بل من أنفسنا. **ولا قوة إلا بالله**.

ثم ليس للنصارى ادعاء البُنُوّة[١١] لله من حيث الكرامة على الاعتبار بالخلة، لأن الله سبحانه وتعالى عظّم أمر الأولاد[١٢] حتى جعله كالشرك، ولا كذلك أمر الخلة؛ ولأن أمر الأولاد حقه المجانسة، والخلة حقه الموافقة. ثم أصل الأولاد الشهوة والحاجة،

---

[١] ع - لله.
[٢] الخِيرة بفتح الياء أو إسكانها: الاختيار والتفضيل (*لسان العرب* لابن منظور، «خير»).
[٣] ع: وأولوا.
[٤] م - الله.
[٥] ع م: فنحن نقول.
[٦] ع: كرامته.
[٧] ن - ذلك.
[٨] ع م - به.
[٩] ن ع م: يقع.
[١٠] ك: كرامات.
[١١] ك ن: النبوة.
[١٢] ع: أمرًا لاولاد.

والخلةِ الطاعةُ[1] والتعظيم، مما يرجع أحد الوجهين إلى شهوة الولد وحاجته، والآخر إلى تعظيم يكون من ذلك العبد وتبجيله والطاعة له والخضوع. ثم الأصل أن[2] المعنى الذي تقتضيه الخلة قد يجوز[3] أن يظفر [به] كل بالطاعة وإن كان الاسم له في حق النهاية، نحو قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ،[4] الآية، وقوله تعالى: فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ،[5] والمحبة قريبة من الخلة. ومحال أن يحق معنى الأولاد والبنوة[6] بشيء من الطاعة، لذلك اختلف الأمران. *والله أعلم*.

**﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾**[١٢٦]

وقوله عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض** الآية،[7] تأويل هذه الآية –والله أعلم– أنه وإن أكرمهم وأعظم منزلتهم عنده وأعلاها فإنهم لم يأنفوا عن عبادته ولم يخرجوا أنفسهم من أن يكونوا عبيدا، بل كلما[8] ازداد لهم عند الله[9] منزلة وقدرا كانوا أخضع له وأطوع، كقوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[10] وفي موضع آخر: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[11] الآية.

وقوله عز وجل: **وكان الله بكل شيء محيطا** أي أحاط بكل شيء عِلْمُه. وهو يخرج على الوعيد، أي عن علم منه خلقهم لا[12] عن جهل بصنيعهم كملوك الأرض. *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل أيضا:[13] **وكان الله بكل شيء محيطا** وبصيرا وعليما ونحو ذلك يخرج

---

[1] ع: بالطاعة.
[2] ك + ان.
[3] ك – قد يجوز.
[4] ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٢).
[5] سورة آل عمران، ٣/٣١.
[6] ك: والنبوة.
[7] ك ن – الآية.
[8] جميع النسخ: كلها.
[9] ك + والله أعلم.
[10] سورة الأنبياء، ٢١/٢٦–٢٧.
[11] ﴿وله من في السماوات والأرض ومَنْ عِندَه لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٩).
[12] ع م – عن علم منه خلقهم لا.
[13] ن – أيضا.

على الوعيد[١] والتخويف[٢] ليكونوا مراقبين له حَذِرين، كمن يعلم في الأمور أن عليه رقيبا. *والله أعلم*. ويخرج على هذا[٣] ما[٤] أمر مَن يكتب الأعمال لا للخفاء عليه، لكن بما إذ لا يمتحن لحاجة[٥] به ولكن لمصلحة لعباده فيمتحن بما شاء، فامتحن أولئك الكتبة بما يكونون[٦] أبدا[٧] مُتْقِنين[٨] ناظرين لا يغفلون عن ذلك، طاعة منهم لله. والثاني أن يكون العلم بمن يكتب عليه كل أمره فيما جُبِل عليه البشر[٩] أذْكَر له وأشدّ في التنبيه، فجرى حكم الله في ذلك، إذ أمر المحنة موضوع على المصلحة، وذلك أبلغ في الوجود. *والله أعلم*. ويخرج على أن الله تعالى كان[١٠] بذلك محيطا ليعلموا أنهم لا يُترَكون سدى، بل يحصي عليهم للجزاء. *والله أعلم*.

وجملة ذلك أن الله تعالى قال: كان كذا، ليعلم[١١] أنه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل وأنشأ[١٢] الآيات مما عليه أمر الخلق أنهم كيف يعاملون من ذكرت. وذلك خارج على حق الحكمة وإن كانوا[١٣] لا يعرفون في بعث الرسل[١٤] عليهم السلام إلى من يكذّبهم، ولا تقوية الأعداء على ما به قهر الأولياء، ولا الأمر والنهي لمن يعلم أنه لا يأتمر ولا ينتهي كبيرَ[١٥] حكمة. وبما[١٦] كان ذلك من الله فهو خارج على حد الحكمة، إذ ذلك كله من الخلق يقع لحاجة أو لمنفعة ترجع[١٧] إليهم، فإذا ناقض خرَج الفعل من الحكمة. فأما الله سبحانه وتعالى

---

[١] جميع النسخ: التوعيد.
[٢] ع: والتخفيف.
[٣] ك: النساء؛ ن ع م: البناء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٥و.
[٤] جميع النسخ: أنه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٥و.
[٥] م: الحاجة.
[٦] ع م: يكون.
[٧] م – أبدا.
[٨] ك: متيقنين.
[٩] ك: والبشر.
[١٠] ع م – كان.
[١١] م: لعدم.
[١٢] م: وان شاء.
[١٣] جميع النسخ: كان.
[١٤] ك – الرسل؛ ن: الأنبياء.
[١٥] "كبير حكمة" مفعول للفعل: 'لا يعرفون'.
[١٦] ع: ربما.
[١٧] ن: تحرح.

يمتحن عباده[1] ويبعث الرسل عليهم السلام لحاجة بالمبعوث إليهم وبالممتحَنِين ولمنافع ترجع إليهم، فيكون ذلك منه كهدايا، فمن لا يقبلها فنفسه يضر[2] ولحقّها يَبخس،[3] لا أن يرجع إليه ذلك. فزال ذلك المعنى الذي له خرج الفعل من الخلق عن حد الحكمة، فلزم القول بموافقة الحكمة والمصلحة. *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾**[١٢٧]

وقوله عز وجل: **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن**، الآية، ذكر الاستفتاء
[١٦٣ظ] في النساء وليس فيه بيان عما وقع به السؤال، إذ قد يجوز أن يكون في الجواب / بيان المراد في السؤال وإن لم يكن[4] في السؤال بيان، نحو قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ،[5] دل الأمر بالاعتزال[6] عن النساء[7] في المحيض على أن السؤال عن المحيض إنما كان عن[8] الاعتزال وإن لم يكن في السؤال بيان المراد؛ وكذلك قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ [فَإِخْوَانُكُمْ]،[9] الآية، دل[10] قوله: وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ[11] على أن السؤال إنما كان عن مخالطة اليتامى؛ وكقوله:[12] يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ،[13] دل قوله: قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ[14] على أن السؤال عن الخمر والميسر

[1] ك ن – عباده.
[2] ن م: تضر؛ ع: أضر.
[3] ك: ينجس؛ ن ع: تبخس؛ م: ينحبس.
[4] ع – يكن.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٢٢.
[6] جميع النسخ: باعتزال.
[7] ع: السؤال.
[8] ن ع م: في.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.
[10] ن – دل.
[11] ع م – الآية دل قوله وإن تخالطوهم.
[12] م: وقوله.
[13] سورة البقرة، ٢/٢١٩.
[14] ع م – دل قوله قل فيهما إثم كبير.

ما ذكر في الجواب من الإثم وإن لم يكن في السؤال بيان ذلك.

ثم قوله تعالى: **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن** ليس في السؤال ولا في الجواب بيان ما وقع به السؤال، فيحتمل أن يكون السؤال[1] في أمورهن جميعا في الميراث وغير ذلك من الحقوق؛ ثم ذُكر واحدا فواحدا كقوله تعالى: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ،[2] وكقوله:[3] لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ،[4] الآية، هذا في الميراث. وأما في الحقوق فقال الله عز وجل: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ.[5] ويحتمل غيرها من الحقوق سوى حقوق النكاح؛ فترك البيان في الجواب لما ذكر واحدا فواحدا في غيرها من الآي، إذ الجواب خرج مخرج العِدّة أنه يفعل بقوله عز وجل: **يفتيكم**، وقد فعل هذا. *والله أعلم*. ويحتمل غير هذا، وهو أن يترك البيان في السؤال والجواب لنوازل يعرفها أهلها، لم يحتج إلى بيان ما وقع به السؤال لمعرفة أهلها به.[6] ويحتمل ما قاله أهل التأويل، وهو أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الأولاد وإنما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال الذين[7] يحرزون الغنائم. فلما بين الله عز وجل للنساء والصغار[8] نصيبا[9] في الأموال وفرض لهم حقها[10] سألوا[11] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله: **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن**. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه، وذكر القصة هكذا.[12] *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون السؤال وقع عن يتامى النساء،

---

[1] ع م – فيحتمل أن يكون السؤال.
[2] سورة النساء، ٤/٧.
[3] م – وكقوله.
[4] سورة النساء، ٤/٣٢.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[6] ك – به.
[7] ك ن: والذين.
[8] ك ن ع: والصغائر؛ م: وللصغائر.
[9] جميع النسخ: نصيب.
[10] ع: حقا.
[11] ن ع م + عند ذلك.
[12] عن ابن عباس في قوله: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ الآية، قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة، فلما كان الإسلام قال: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ في أول السورة في الفرائض [أي قوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ (سورة النساء، ٤/٧)] (*تفسير الطبري*، ٥/٢٩٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧٠٦).

ألا ترى أنه قال عز وجل: **وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن** الآية. قيل: كانت اليتيمة في حَجْر[1] الرجل ذات مال يرغب عن أن يتزوجها لدَمامتها[2] ويمنعها عن الأزواج رغبة في مالها.[3] وهكذا روي عن عائشة رضي الله عنها.[4] وعلى ذلك يخرج قوله: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ،[5] الآية.*

وعن الحسن في قوله: **وترغبون أن تنكحوهن** أي ترغبون عن[6] نكاحهن.[7] وعن ابن سيرين: وترغبون في نكاحهن.[8] وقول الحسن[9] يرغب عن[10] نكاحها لدمامتها ولا يزوج من غيره رغبة في مالها. وقول ابن سيرين[11] يرغب في نكاحها رغبة في مالها.[12] وعلى ذلك يخرج[13] قوله تعالى: **وأن تقوموا لليتامى بالقسط** الآية، وقوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى،[14] الآية. وفي قوله[15] تعالى: **وترغبون أن تنكحوهن** دلالة أن للولي[16] أن يزوج[17] اليتيمة الصغيرة، لأنه لو لم يكن ذلك لم يكن للعتاب على ترك تزويجهن من غيرهم معنى.

---

[1] الحجر بالفتح والكسر: حضن الإنسان (*لسان العرب* لابن منظور، «حجر»).

[2] الدمامة قبح المنظر (*لسان العرب* لابن منظور، «دم»).

[3] ن – في مالها.

[4] *صحيح البخاري*، التفسير٤/٢٣؛ وصحيح *مسلم*، التفسير ٩.

[5] سورة النساء، ٣/٤.

* وقع هنا قطعة من تفسير هذه الآية متقدمة على محلها فنقلناها إلى محلها المناسب بعد أسطر. انظر: ورقة ١٦٣ط/سطر ٢٠-٢٢.

[6] ع: في.

[7] *تفسير الطبري*، ٥/٣٠٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧٠٩.

[8] أخرج ابن المنذر من طريق ابن عون عن الحسن وابن سيرين في هذه الآية قال أحدهما: ترغبون فيهن، وقال الآخر: ترغبون عنهن (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧٠٩).

[9] ع م – وترغبون في نكاحهن وقول الحسن.

[10] ع م: في.

[11] م + وترغبون.

[12] ك – لدمامتها ولا يزوج من غيره رغبة في مالها وقول ابن سيرين يرغب في نكاحها رغبة في مالها.

[13] ع + في.

[14] سورة النساء، ٣/٤.

[15] م: وقوله.

[16] ك ن: للمولى.

[17] ع: يتزوج.

فإن قيل: اسم اليتيم[١] يقع على الصغيرة والكبيرة جميعا، فلعل المراد من اليتيمة الكبيرة هاهنا.

قيل: كذلك، غير أن الغالب يقع على الصغائر منهن. *والله أعلم*. وفيه دلالة أن النكاح قد يقوم بالواحد لأنه قال عز وجل: **وترغبون أن تنكحوهن**، فلو لم يكن له أن يتزوجها لم يكن لهذا العتاب معنى، دل أن[٢] له أن يُنكح.

[١٦٣ظ س٢٠ *وقوله: **والمستضعفين من الولدان**، هذا -والله أعلم- كأنه معطوف على قوله: **ويستفتونك في النساء**. والمستضعفين **من الولدان** على ما ذكرنا من الميراث والحقوق. **وأن تقوموا لليتامى بالقسط** في إيفاء حقوقهم وأداء ما لهم عليك. **وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما** فيجزيكم به، أو كان به عليما[٣] من يفعل الخير ومن لا يفعل الخير. *والله أعلم*.* ١٦٣ظ س٢٢]

**﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**[١٢٨]

وقوله عز وجل: **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا**، قيل: **خافت** أي علمت **من بعلها نشوزا**. وقيل: الخوف هاهنا خوف لا غير. فمن[٤] قال بالخوف فهو حمل على أن يظهر لها منه[٥] جفاء، يجفوها لِدَمامتها أو لِكِبَرِها ويسيء صحبتها لترضى بالفراق عنه ليتزوج غيرها، وهو الخوف حقيقة. وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[٦] قال: إن سودة بنت زَمْعة خشيت أن يطلقها رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم فجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها، فأنزل الله تعالى: **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا** الآية. ثم قال: فهذا الصلح[٨] الذي أمر الله.[٩]

---

[١] ك: اليتم
[٢] ك: أنه.
[٣] ع م - أو كان به عيما.
* وقع ما بين النجمتين في غير موضعه خلال تفسير هذه الآية فنقلناه إلى محله المناسب هنا. انظر: ورقة ١٦٣ظ/ سطر ٢٠-٢٢.
[٤] ع: فيمن.
[٥] ع: بها منه؛ م: بها مدة.
[٦] ع م - أنه.
[٧] ك ن ع: النبي.
[٨] ن - الصلح؛ صح هـ.
[٩] *سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧١٠.

فجعل الخوف هاهنا خشية. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: هي المرأة تكون عند الرجل دميمة[١] ولا يحبها زوجها فتقول: لا تطلقني وأنت في حل من شأني.[٢] وقيل: **خافت من بعلها نشوزا** أي علمت، والعلم هو أن يكون للرجل امرأتان إحداهما كبيرة أو[٣] دميمة[٤] والأخرى شابة، يميل قلبه إلى الشابة منهما[٥] ويكره صحبة الكبيرة منهما[٦] ويستثقل[٧] المُقام معها وأراد فراقها، فتقول له: لا تفارقني واجعل أيامي لضَرّتي، أو يصالحها على أن يكون عند الشابة أكثر من عند[٨] الكبيرة. وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: هي المرأة تكون عند الرجل دميمة[٩]
[١٦٤و] ولا يحبها زوجها[١٠] فتقول: لا تطلقني / وأنت في حل من شأني. فالخوف هو ما يظهر لها من نشوزه قبل تزوج أخرى بإعلام، والعلم هو[١١] ما يظهر من ترك مضاجعته إياها وسوء صحبته معها. وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. عن بعضهم: يكون عند الرجل امرأتان إحداهما[١٢] كبيرة والأخرى شابة، فيؤثر الشابة على الكبيرة، فيجري بينهما صلح على أن يمسكها ولا يفارقها على الرضا منها بإبطال حقها أو بدونه. وهو ما روينا من خبر ابن عباس رضي الله عنه أن سودة[١٣] جعلت أيامها لعائشة رضي الله عنها خشية أن يفارقها [الرسول صلى الله عليه وسلم].[١٤] وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه.[١٥]

---

[١] ك ن ع: ذميمة. والدميمة أي قبيحة المنظر (*لسان العرب* لابن منظور، «دم»).
[٢] صحيح البخاري، التفسير ٤/٢٤؛ *وتفسير الطبري*، ٥/٢٩٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧١١.
[٣] م – أو.
[٤] ك ن: ذميمة؛ ع: وذميمة.
[٥] ن ع م: منها.
[٦] ن ع: منها.
[٧] ع: ويستقل.
[٨] ع: عبد.
[٩] ك ن ع: ذميمة.
[١٠] ك ن – زوجها.
[١١] م – هو.
[١٢] ن: احدهما.
[١٣] م – أن سودة.
[١٤] ن – على الرضا بإبطال حقها أو بدونه وهو ما روينا من خبر ابن عباس أن سودة جعلت أيامها لعائشة خشية أن يفارقها؛ صح هـ.
[١٥] روي عن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن آية فكره ذلك وضربه بالدرة، فسأله آخر عن هذه الآية: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ فقال: عن مثل هذا فسلوا، ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا مِنْ سِنِّها فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز (*تفسير الطبري*، ٥/٣٠٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧١١).

وروي عن[١] علي رضي الله عنه أنه أتاه رجل يستفتيه في **امرأة خافت من بعلها نشوزا**، قال: هي المرأة تكون عند الرجل فينبو[٢] عيناه من دمامتها أو كبرها[٣] أو فقرها أو سوء خُلُقها، وتكره[٤] [المرأة][٥] فراقه، فإن وضعت له من مهرها شيئا حل له، وإن جعلت من[٦] أيامها شيئا لغيرها فلا حرج.[٧] دلت هذه الأحاديث التي ذكرنا على أن الرجل إذا كان له نسوة أنه[٨] يسوّي بينهن فيقيم عند كل واحدة يوما إلا أن يصطلحا[٩] على غير ذلك. **والصلح خير** كما قال الله[١٠] عز وجل. وبين قوله: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ[١١] الآية أن على الرجل وإن عدل بين نسائه في قسمة الأيام أن لا يُخلِي[١٢] إحداهن من الوطء. ***والله أعلم***. ولا يكون وطؤه كله لغيرها وتكون الأخرى كالمعلَّقة التي ليست بأَيِّم ولا ذات زوج، لكنها إذا رضيت بإبطال حقها أو بدون حقها فإنه لا حرج على الزوج في ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا**، يحتمل أن يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وإن كان الفعل مضافا إليهما، إذ ليس للمرأة في ترك حقها حرج. وكذلك قوله[١٣] تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ،[١٤] ليس على المرأة جناح في الافتداء لأنها تفتدي بمالها ولها أن تُمَلّك على مالها من شاءت، فكأنه قال عز وجل: فلا جناح عليه في أخذ ما افتدت أو في إبطال حقها إذا رضيت. ويحتمل أن يكون[١٥] على ما ذُكر،

---

[١] ع – عن.
[٢] ك: فينبؤ.
[٣] ع: أو كبر.
[٤] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٦و.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٦و.
[٦] ع – من.
[٧] ن: حرج. *تفسير الطبري*، ٣٠٦/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١١/٢.
[٨] جميع النسخ: أن.
[٩] ع م: يصطلحها.
[١٠] ك ن – الله.
[١١] سورة النساء، ١٢٩/٤.
[١٢] م: تحمي.
[١٣] ن – قوله.
[١٤] سورة البقرة، ٢٢٩/٢.
[١٥] ك د: تكون.

وهو أن لا حرج على المرأة المقام معه وإن استثقل الزوج ذلك وكره[1] صحبتها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأُحْضِرت الأنفسُ الشُّحّ**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: شَحّت المرأة بنصيبها من زوجها أن تدعه للأخرى، وشحّ الرجل بنصيبه من الأخرى. وقيل: **الشح** الحرص، وهو أن يحرص كل على[2] حقه. وكأن الشح والحرص واحد وإن كان أحدهما في المنع والآخر[3] في الطلب، لأن البخل يحمله على الحرص والحرص يحمله على المنع، وكل واحد منهما يكون سبب الآخر.[4] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن تحسنوا** في أن تعطوهن أكثر من حقهن، **وتتقوا** في أن لا[5] تبخسوا[6] من حقهن شيئا. ويحتمل: **وإن تحسنوا** في إيفاء[7] حقهن والتسوية بينهن، **وتتقوا** الجور والميل وتفضيل بعض على بعض. ويحتمل: **وإن تحسنوا** في اتباع ما أمركم الله من طاعته، **وتتقوا** عما نهاكم الله من معاصيه.

وقوله عز وجل: **فإن الله كان بما تعملون خبيرا**، على الترغيب والوعيد. وقد ذكرنا معناه في غير موضع.

**﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[١٢٩]

وقوله عز وجل: **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** في إيفاء[8] الحق أن يستوي في قلوبكم[9] الحب، ولو حرصتم على العدل لا تقدرون[10] عليه في ذلك، **فلا تميلوا كل الميل**

---

[1] جميع النسخ: ويكره.
[2] ع: على كل.
[3] ع: والأخرى.
[4] ن ع: الاجر؛ م: لآخر.
[5] ع – لا.
[6] م: يبحسوا.
[7] ك – إيفاء.
[8] ك: إبقاء.
[9] م: قلوبهم.
[10] ع م: يقدرون.

إلى[١] التي تحب[٢] في النفقة والقَسْم، فتأتي الشابةَ التي تعجبك وتدع الأخرى بغير قَسْم ولا نفقة. وروي[٣] عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول:[٤] اللهم أما قلبي فلا أملك ولكن أرجو أن أعدل فيما سوى ذلك. والعدل هاهنا التسوية. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ،[٥] ليس هو ضد الجور ولكن التسوية يسوون بين ربهم وبين الأصنام في العبادة. وعن عَبِيدة قال: **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** في الحب.[٦] وروي عن أبي قلابة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك أنت ولا أملك».[٧] وأصل ذلك أن في كل ما كان المرء مدفوعا مضطرا [إليه] فإنه غير مكلف في ذلك، وفي كل ما كان باختيار منه وإيثارِ غيرٍ عليه فإنه مكلف في ذلك. والحب مما يُدفع المرء فيه ويُضطر ولا صنع له فيه. لم يكلَّف التسويةَ فيما يكون مدفوعا فيه مضطرا لأنه لا يملك التسوية. وعلى هذا[٨] يخرج قولنا: إن الكافر مكلف بالإيمان في حال الكفر لشغله به، واختياره فعل الكفر ليس كالمضطر. وقد ذكرنا فيما تقدم أن الاستطاعة تكون[٩] على ضربين، استطاعة أحوال وأسباب واستطاعة أفعال. والاستطاعة التي هي استطاعة الأحوال والأسباب من نحو الصحة والسلامة وغيرهما تجوز[١٠] قبل ومع وبعدُ،[١١] وأما استطاعة الأفعال فإنها لا تكون إلا مع الفعل.[١٢] *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل: **فلا تميلوا كل الميل** في النفقة والقسمة، معناه لا يحملنكم شدة الحب والميل بالقلب أن تتركوا[١٣] الإنفاق[١٤] عليها وإيفاء[١٥] الحق أعني حق القَسْم. وقوله عز وجل:

---

١ م – إلى.
٢ ع: تجب. أي إلى التي تحب من نسائك.
٣ ع: روي.
٤ ك – يقول.
٥ سورة الأنعام، ٦/١٥٠.
٦ *السنن الكبرى* للبيهقي، ٧/٢٩٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧١٣.
٧ *سنن ابن ماجة*، النكاح ٤٧؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٣٧-٣٨؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٤٢.
٨ ع: ذلك.
٩ ع م: يكون.
١٠ ن م: يجوز.
١١ أي قبل الفعل ومعه وبعده.
١٢ انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٩٧؛ وانظر أيضا: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٤١٠-٤٢٠.
١٣ ع م: يتركوا.
١٤ م: الالفاظ.
١٥ ك: وإبقاء.

[١٦٤ط] **فتذروها كالمعلقة** ليست بأَيِّم ولا ذات بعل، ليست هي بأيم / تتكلف[١] هي[٢] مؤنتها كما تتكلف[٣] الأيم، ولا ذات[٤] بعل يتحمل[٥] البعل مؤنتها.[٦] وفي حرف أبي بن كعب: فتذروها كالمسجونة.[٧] وهو ما ذكرنا، لا ينفق[٨] هو عليها ولا يطلقها لتتزوج زوجا آخر، فهي كالمحبوسة.[٩]

وقوله عز وجل: **وإن تصلحوا وتتقوا**، هو[١٠] ما ذكرنا في قوله عز وجل: وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا.[١١] وقوله عز وجل: **فإن الله كان غفورا رحيما**، هذا ينقض قول من يقول: إنه لم يكن رحيما ثم صار رحيما، لأنه أخبر أنه كان[١٢] رحيما وهو يقول: صار رحيما. ***وبالله العصمة.***

ثم المسألة بأن المرأة إذا جعلت أيامها لضرتها كان لها أن ترجع وتفسخ ذلك، لأنها جعلت لها ما لم يجب بعد ولم[١٣] يلزم، فكان كمن أبرأ آخر عن حق لم يجب بعد، فإن[١٤] إبراءه[١٥] باطل، له أن يعود إليه فيأخذه به إذا وجب، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم.***

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[١٣٠]

وقوله: **وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته**، أي الزوجان إذا[١٦] تفرقا لما[١٧] لم[١٨] يقدر الزوج

---

[١] ن ع م: يتكلف.
[٢] ن ع م – هي.
[٣] ن ع م: يتكلف.
[٤] ن: لا ذات.
[٥] ن: بتحمل.
[٦] ع م – مؤنتها.
[٧] *تفسير القرطبي*، ٤٠٨/٥؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٦٣/٥.
[٨] م: ينقض.
[٩] م: كالمحوسة.
[١٠] ن: وهو.
[١١] سورة النساء، ١٢٨/٤.
[١٢] ع – كان.
[١٣] م – ولم.
[١٤] ع – أبرأ آخر عن حق لم يجب بعد فإن.
[١٥] ع م: ابراه.
[١٦] ع: إن.
[١٧] ك – لما.
[١٨] ن ع – لم.

على التسوية بينهن، **يغن الله كلا من سعته**، المرأةَ بزوجٍ[١] آخر، والرجلَ بامرأة أخرى.[٢] ويحتمل **كلا من سعته**، أن كل واحد منهما وإن كان غنيا بالآخر في حال النكاح فالله قادر على أن[٣] يغني كل واحد منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الفراق. وفيه دليل قطع طمع الارتزاق من غير الله وإن جاز أن يجعل غيره سببا في ذلك، لأنه قال عز وجل: **وإن يتفرقا يغن الله**، ليعلم كل أن غناه لم يكن بالآخر حيث وعد لهما الغَناء. وكذلك في قوله تعالى: وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ -إلى قوله تعالى- إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ،[٤] دليل قطع طمع[٥] الارتزاق بعضهم من بعض في النكاح لما وعد لهم الغَناء إذا كانوا فقراء. وفيه دليل وقوع الفُرقة بينهما بالمرأة بالمكي من الكلام لمشاركتهما فيه وإن كان الزوج هو المنفردَ بالفراق لما أضاف الفعل[٦] إليهما بقوله: **وإن يتفرقا يغن الله**، وكذلك قوله تعالى: فَارِقُوهُنَّ،[٧] وسَرِّحُوهُنَّ.[٨] *والله أعلم*.

وفيه دليل لزوم النفقة في العدة لأنه ذكر الافتراق، والفراق[٩] إنما يكون بانقضاء العدة، ثم أخبر عز وجل عن غَناء كل واحد منهما بالآخر قبل الفراق، دل أن للمرأة غَناء بالزوج ما دامت بالعدة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان الله واسعا حكيما قيل: واسعا جوادا.**[١٠] **وقيل: واسعا**

---

[١] ن م: تزوج؛ ع: نزوج.
[٢] ك – أخرى.
[٣] ع – أن.
[٤] ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٢).
[٥] ع: طمع قطع.
[٦] ك – الفعل.
[٧] سورة الطلاق، ٦٥/٢.
[٨] سورة البقرة، ٢/٢٣١. قال الشارح: «وفي الآية دلالة أن الزوج إذا قال أنا منكِ بائن أو عليكِ حرام يصح، لأن الله تعالى أضاف الافتراق إليهما وجعلهما مشتركين في وصف الافتراق وإن كان الزوج هو المنفرد بالفراق يعني في مباشرة فعل الإبانة والتحريم كما في الطلاق سواء. وكذلك قال: ﴿فارقوهن﴾ والمفارقة تكون بين اثنين، وإذا كانت المفارقة تتحقق في المحلين كانت الوصلة قائمة فيهما، لأن الافتراق بدون الاتصال السابق لا يتحقق، فصار الرجل مضيفا الإبانة إلى محل الوصلة، فيصح. بخلاف الطلاق، فإن الزوج ليس بمحل القيد، إنما القيد وصف خاص فيها» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٦ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٢١و).
[٩] ع م – والفراق.
[١٠] ك ن: جودا؛ ع م: وجودا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٦ظ.

يوسّع على كل منهم رزقه، **حكيما** حكم على الزوج إمساكا[1] بمعروف أو تسريحا بإحسان.[2] وقيل: **حكيما** حيث حكم فرقتهما. وأصل الحكيم[3] أن يضع كل شيء موضعه.

**﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾**[١٣١]

قوله[4] عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**، الآية، وصى الخلق كلهم أن اتقوا الله. ثم قوله عز وجل: **وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** قيل: وصينا أمرنا؛ وقيل:[5] **وصينا** فرضنا على **الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله.**

وقوله عز وجل: **أن اتقوا الله**، قيل: أي أمرهم أن يوحدوا الله ويتقوا الشرك. وقال مقاتل: **أن اتقوا الله** أي وحدوا الله. وقيل: قوله تعالى: **أن اتقوا الله** أي أطيعوه فيما أمركم ونهاكم عنه. ويحتمل **أن اتقوا الله** أي اتقوا عذاب الله ونقمته ولا تعبدوا غيره دونه. **وإن تكفروا** ولم تتقوا فيما أمركم الله ونهاكم **فإن لله ما في السماوات وما في الأرض**. ذكر هذا على أثر قوله: **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ليعلموا[6] أنه لم يأمرهم بذلك لحاجة له في عبادتهم أو يأمر[7] لمنفعة نفسه، إذ من له ملك ما في السماوات وما في الأرض لا يحتاج إلى آخر ينتفع به، ولكن ليعلموا أنه تعالى إنما أمرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة أنفسهم. ألا ترى أنه قال عز وجل: **وكان الله غنيا حميدا**، **غنيا** عن[8] عبادتكم له وطاعتكم إياه، **وحميدا** في سلطانه. ويكون: **غنيا** عن خلقه في الأزل،[9] **حميدا في فعله.**

---

[1] ع: أمسكا.
[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).
[3] م: الحكم.
[4] م: وقوله.
[5] م – وصينا أمرنا وقيل.
[6] ن ع م: لتعلموا.
[7] ع م: ويأمر.
[8] ك: من.
[9] ع: الأول.

وذلك الحميد في الفعل يخرج على إتقان الفعل وإحكامه، أو على إحسانه إلى خلقه وإنعامه عليهم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض** هو ما ذكرنا من غناه[١] عن عبادة خلقه وطاعتهم له.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾[١٣٣]

**إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين**، تأويله[٢] -والله أعلم- أي من له ما في السماوات وما في الأرض يقدر أن **يذهبكم**، أي يهلككم،[٣] **ويأت بآخرين**، أخير منكم وأخوف وأطوع لله منكم، لكنه لا يفعل لأنه غني عن عبادتكم وطاعتكم، لم يخلقكم في الابتداء لحاجته في عبادتكم أو لمنفعة[٤] له، ولكن لحاجة أنفسكم ومنافعكم. ***والله أعلم***.

ثم يحتمل قوله عز وجل: **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** في قوم خاص كما كان في الأمم الخالية من الإهلاك عند المعاندة والمكابرة. ويحتمل في الكل: **إن يشأ يذهبكم** أي[٥] يهلككم الكل ويأت بآخرين. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وكان الله على ذلك قديرا**، أي كان الله على الإهلاك وإبدال[٦] غير[٧] قديرا.[٨] ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[١٣٤]

وقوله عز وجل: **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة**، قال بعض أهل[٩] التأويل: من كان يريد بعمله[١٠] الذي يعمله عرض الدنيا ولا يريد به الله

---

١ ع م: غنائه.
٢ ن: وتأويبه؛ ع م - تأويله.
٣ ك: يهلكم.
٤ م: ولمنفعة.
٥ جميع النسخ: أن.
٦ ع م: والإبدال.
٧ ع م - غير.
٨ جميع النسخ: قدير.
٩ م - أهل.
١٠ ع: نعلمه.

آتاه الله ما أحب من عرض الدنيا أو دفع عنه ما أحب في الدنيا، فليس له في الآخرة من ثواب لأنه عمل لغير[1] الله. وهو كقوله عز وجل: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.[2] ومن أراد بعمله الذي يعمله[3] في الدنيا ثواب الآخرة آتاه الله تعالى من عرض
[١٦٥و] الدنيا ما أحب ودفع عنه ما أحب[4] وجزاه[5] في الآخرة الجنة بعمله[6] في الدنيا. ***والله أعلم.***

وتحتمل[7] الآية غير هذا وجوها كأنها[8] أشبه من هذا.[9] أحدها أنهم كانوا يتخذون من دون الله آلهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف، كقوله عز وجل: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا،[10] فأخبر أن العز والشرف ليس في[11] ذاك، ولكن عند الله عز الدنيا والآخرة.

والثاني أنهم كانوا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى،[12] ويقولون: هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ،[13] فأخبر أنه[14] ليس في عبادتكم هذه الأوثان دون الله لكم زلفى ولا ثواب، ولكن اعبدوا[15] الله فعنده ثواب الدنيا والآخرة.

والثالث يحتمل أن يكونوا[16] عبدوا هذه[17] الأصنام لمنافع يتأملون بذلك الرزق[18] والسعة في الدنيا، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

---

[1] ع: لعمل غير.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.
[3] ن – الذي يعمله.
[4] ع – ما أحب.
[5] ك: وجزا؛ ع: وجزاء.
[6] ع: يعمله.
[7] ن ع م: ويحتمل.
[8] ن: كأنه.
[9] ع م – كأنه أشبه من هذا.
[10] سورة مريم، ١٩/٨١-٨٢.
[11] ك – في.
[12] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[13] سورة يونس، ١٠/١٨.
[14] ك ن م: أن.
[15] ك: اعبد.
[16] ن: يكون.
[17] ع م – الأوثان دون الله لكم زلفى ولا ثواب ولكن اعبدوا الله فعنده ثواب الدنيا والآخرة والثالث يحتمل أن يكونوا عبدوا هذه.
[18] جميع النسخ: في الدنيا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٧و.

فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ،[١] الآية، فعلى ذلك قوله عز وجل: **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة**، لا[٢] عند من تطلبون. *والله أعلم*.

ويحتمل أن تكون[٣] الآية في أهل المراءاة والنفاق الذين يراءون بأعمالهم الصالحة في الدنيا ثواب الدنيا لا غير. *والله أعلم*.[٤]

وقوله: **وكان الله سميعا** لمقالتكم، **بصيرا** بما تريدون وتعملون، وهو وعيد.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**[١٣٥]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم**، الآية، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **كونوا قوامين** بالعدل في الشهادة على ما كانت من قريب أو بعيد[٥] ولو على نفسك[٦] فأَقِرّ بها.[٧] وكذلك قال عامة أهل التأويل: قوله تعالى: **قوامين**[٨] قوالين لله. ولكن يقول: في كل عمل وكل[٩] قول[١٠] يلزم أن يقول[١١] لله ويجعل الشهادة له، فإذا فعل هكذا لا يمنعه عن القيام بها قرب أحد ولا بعده ولا ما يحصل على نفسه أو والديه. وكذلك قال الله تعالى في آية أخرى: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ،[١٢]

---

[١] سورة العنكبوت، ١٧/٢٩.

[٢] ك: ولا.

[٣] ن: يكون.

[٤] ع م – ويحتمل أن تكون الآية في أهل المراءاة والنفاق الذين يراءون بأعمالهم الصالحة في الدنيا ثواب الدنيا لا غير والله أعلم.

[٥] ع: يعبد.

[٦] جميع النسخ: نفسه.

[٧] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ الآية قال: أمر الله المؤمنين أن يقولوا بالحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم لا يحابوا غنيا لغناه ولا يرحموا مسكينا لمسكنته (*تفسير الطبري*، ٣٢١/٥-٣٢٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٤/٢).

[٨] ن – بالعدل في الشهادة على ما كانت من قريب أو بعيد ولو على نفسك فأقر بها وكذلك قال عامة أهل التأويل قوله تعالى قوامين.

[٩] ع م – وكل.

[١٠] ع: وقد؛ م: وقول.

[١١] ك ع م: يقوم.

[١٢] سورة الطلاق، ٢/٦٥.

فإذا جعلها لله[1] عز وجل ولم يجعلها[2] للمخلوق[3] أمكن له القيام بها وإن كان على نفسه أو من ذكر. ثم[4] ما يمنع القيام بها مختلف، إما على نفسه لنفع يطمعه[5] أو لدفع ضرر يُدفع[6] بذلك، وإما على الوالدين بالاحتشام يحتشم[7] منهما فيمتنع عن أداء ما عليه؛ وأما القرابة فطلب الغَناء لهم ودفع الفقر عنهم. فأخبر أنه أولى[8] بهما، فلا يمنعك غَناء أحد منهم ولا فقره[9] القيام بها. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الآية.[10]

وقوله عز وجل: **فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**، قيل فيه بوجهين.[11] قيل: **فلا تتبعوا الهوى أن [لا]**[12] **تعدلوا** وتعملوا لغير الله؛ وقيل: **فلا تتبعوا الهوى** كراهة **أن تعدلوا**. ويحتمل **فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**[13] [أن تميلوا] عن الحق، من الصرف والعدول.[14]

وقوله عز وجل: **وإن تَلْوُوا أو تعرضوا**، فيه لغتان، تَلُوا بواو واحدة من الولاية، يقول:[15] كونوا عاملين لله[16] وقائلين له مؤدين الشهادة له[17] وإن كنتم وَلِيتُم ذلك. وقيل: **تلووا** بواوين،[18]

---

[1] ن ع م: الله.
[2] جميع النسخ: لم يجعلها.
[3] ن ع: المخلوق؛ م: لمخلوق.
[4] جميع النسخ: ذكرتم.
[5] ك: بطمع؛ ن ع م: يطمع.
[6] ك: يرفع.
[7] ع م: ويحتشم. ويحتشم: أي يستحيي (*لسان العرب* لابن منظور، «حشم»).
[8] م: اوتى.
[9] ع: فقرة.
[10] تقدم قريبا.
[11] ع م – قيل فيه بوجهين.
[12] مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
[13] ن – وتعملوا لغير الله وقيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا ويحتمل فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا.
[14] جميع النسخ: من الصرف بالعدول. وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾، من العدول، أي الميل والصرف. ومعناه فلا تتبعوا الهوى أن تميلوا عن الحق» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٧و).
[15] ع – ويحتمل فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا عن الحق من الصرف بالعدول وقوله عز وجل وإن تلووا أو تعرضوا فيه لغتان تلوا بواو واحدة من الولاية يقول؛ م: بقوله.
[16] م: له.
[17] ك – له.
[18] قرأ من الأئمة السبعة نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإسكان اللام وبواوين أولاهما مضمومة. وابن عامر وحمزة بضم اللام وبواو واحدة. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٣٩.

من التحريف، يقول: لا تتبعوا الهوى ولا تحرفوا الشهادة ولا تعرضوا عنها وتكتموها. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: إن يكونوا أغنياء أو فقراء[١] فالله أولى بهما. وعن قتادة رضي الله عنه: **فالله أولى بهما** يقول: الله أولى بغنيكم[٢] وفقيركم،[٣] فلا يَمنَعنَّك[٤] غَناء غني أن تشهد عليه لحق علمته ولا مَرْثِيَة[٥] لفقير أن تشهد عليه بحق علمته.[٦] وفي حرف حفصة رضي الله عنها: وإن تتولوا[٧] أو تعرضوا؛[٨] وهو من الولاية التي ذكرنا. وقيل: **وإن تلووا**،[٩] من التحريف وطلب الإبطال.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا بين الناس؛ وهو من العدل على ما ذكرنا. وقال بعضهم: هو من الصرف والعدل[١٠] عن الحق.

وقوله عز وجل: **فإن الله كان بما تعملون خبيرا** خرج على الوعيد على كل ما ذكر من[١١] منع الشهادة والقيام لله بها وتحريف ما لزمهم. ***وبالله العصمة.***

وبمثل ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١٢] «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُقِم شهادته على من كانت؛ ومن[١٣] كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَجحدْ حقا هو عليه وَلْيؤده[١٤] عفوا ولا يلجئه إلى سلطان ولا إلى خصومة ليقطع بها حقه؛ وأيما رجل خاصم إليّ فقضيت له على أخيه بحق ليس هو له[١٥] عليه فلا يأخذنّه،

---

[١] ك: غنيا أو فقيرا؛ ع: أوفقيرا.
[٢] ن: يغنيكم؛ ع: بغنائكم؛ م: بغنايكم.
[٣] ن ع م: وفقركم.
[٤] ن ع: يمنعك؛ م: يمنعكم.
[٥] ع: مرتبة؛ م: ولامرينته. والمرثية بمعنى الرِّقَّة والتوجع والإشفاق (*لسان العرب* لابن منظور، «رثى»).
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٢٢/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٥/٢.
[٧] ن ع م: تلووا.
[٨] م: وتعرضوا.
[٩] ك م: تلوا.
[١٠] ع: والعدول.
[١١] م – من.
[١٢] ع: كان.
[١٣] ع – كانت ومن.
[١٤] ك ن م: وليؤديه؛ ع: ليؤديه.
[١٥] ع م – له.

فإنما أقطع له قطعة من جهنم».[1] وروي في خبر آخر: يا ابن آدم أقم الشهادة ولو على نفسك أو على والديك[2] أو على ذي قرابتك أو أشراف[3] قومك، فإنما الشهادة لله وليست للناس. إن[4] الله رضي بالعدل والإقساط لنفسه. والعدل[5] ميزان[6] الله في الأرض، يردّ على المظلوم من الظالم وعلى الضعيف من الشديد[7] وعلى المحق من المبطل. وبالحق يصدّق الله الصادق ويكذّب الله الكاذب، ويرد المعتدي ويُوبّخه، وبالعدل أصلح الله الناس.[8]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾**[١٣٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله**، يحتمل قوله عز وجل: **آمِنوا بالله ورسوله** وجوها: **يا أيها الذين** آمنوا فيما مضى من الوقت **آمِنوا** في حادث الوقت.[9] ويحتمل: **يا أيها الذين** آمنوا **آمِنوا** أي اثبتوا عليه. ويحتمل قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا** بألسنتهم[10] **آمِنوا** بقلوبكم، كقوله تعالى: آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.[11] ويحتمل: **يا أيها الذين** آمنوا عند رؤية[12] البأس[13] والعذاب **آمِنوا** في الحقيقة، كقوله تعالى:

---

[1] لم أجده هكذا، لكن روي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار» (*صحيح البخاري*، الأحكام ٢٠؛ وصحيح *مسلم*، الأقضية ٤). وروي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان؛ الإنفاق من الإقتار تنفق وأن تعلم أن الله عز وجل سيخلف لكم، وبإنصاف الناس من نفسك لا تلجئ أحدا إلى سلطان لتذهب بحقه، وبذل السلام لعالم (شعب *الإيمان* للبيهقي، ٥٣٢/٧).

[2] ع م – أو على والديك.

[3] جميع النسخ: شرف. والتصحيح من مصادر الرواية.

[4] ن: انه.

[5] ع – والإقساط لنفسه والعدل.

[6] ن + ان.

[7] ع + للناس.

[8] روي ذلك عن قتادة. انظر: *تفسير الطبري*، ٣٢٢/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٥/٢.

[9] قال السمرقندي: «إذ حق الإيمان هو التجديد في كل وقت» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٧و).

[10] ع م: بالستكم.

[11] ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).

[12] ع: ريهم؛ م: رهم.

[13] م: للبأس.

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ.[١] ويحتمل[٢] وجها آخر:[٣] **يا أيها الذين آمنوا** ببعض الرسل[٤] **آمنوا** بالرسل كلهم كما آمن المؤمنون، كقوله تعالى: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ،[٥] وهم كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، كقوله تعالى: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ / وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.[٦] ويحتمل: [١٦٥ظ]
**يا أيها الذين آمنوا** بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث **آمنوا** به إذا بُعِث، لأنهم كانوا مؤمنين[٧] به قبل أن يُبعث، فلما بُعث تركوا الإيمان به، كقوله تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.[٨]

**آمنوا بالله ورسوله**، يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم، **والكتاب الذي نزل على رسوله**، أي آمنوا بالكتاب الذي نزل على رسوله، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، **والكتاب الذي أنزل من قبل**، أي آمنوا أيضا بالكتب السماوية التي أنزلها[٩] الله. ثم الإيمان[١٠] بالله حقيقةً إيمانٌ بجميع الرسل والكتب، لأن كل نبي كان يدعو[١١] إلى الإيمان بجميع ذلك، وكذلك في كل كتاب من الكتب السماوية دعاء[١٢] إلى الإيمان بجملتهم؛ ألا ترى أن الكفر بواحد منهم كفر بالله وبجميع الرسل والكتب وما ذكر. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**،[١٣] يحتمل هذا وجهين؛[١٤] يحتمل **ومن يكفر** بجميع ما ذكر **فقد ضل ضلالا بعيدا**، وهو على التأكيد؛[١٥]

---

[١] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).
[٢] ن – ويحتمل؛ صح هـ.
[٣] ع م + قوله.
[٤] ع م – آمنوا ببعض الرسل.
[٥] ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة، ١٣٦/٢).
[٦] سورة النساء، ١٥٠/٤.
[٧] جميع النسخ: مؤمنون.
[٨] سورة البقرة، ٨٩/٢.
[٩] ع: أنزله.
[١٠] ك + ثم الإيمان.
[١١] ع: يدعوا.
[١٢] ك: دعا.
[١٣] ع + الآية.
[١٤] ن: بوجهين.
[١٥] قال السمرقندي: «إذ الكفر بواحد منهم كفر بالكل، فكان ذكر الجميع على طريق التأكيد دون الشرط» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٧ط).

ويحتمل: **ومن يكفر بالله** أو ملائكته أو كتبه أو رسله[1] أو اليوم الآخر فقد كان ما ذكر، لأن الكفر بواحد من ذلك كفر[2] بالكل، حتى لو أنكر آية[3] من آيات الله تعالى كفر بالله وبالكتب والرسل كلها. ***والله الموفق.***

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾**[١٣٧]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت الآية في الذين قال الله تعالى [فيهم] في سورة آل عمران: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ.[4] وقيل: إنها نزلت في الذين آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موسى، ثم آمنوا بِعُزَيْرٍ ثم كفروا بعده، ثم آمنوا بعيسى عليه السلام وبالإنجيل ثم كفروا من بعده، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم؛[5] وهو الأول. وقيل غير هذا. لكن ليس بنا إلى [معرفة] أنها فيهم[6] نزلت حاجة، ولكن فيه دليل أنها في قومٍ عَلِمَ الله أنهم لا يؤمنون أبدا ولا يتوبون،[7] لأنه قال: **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا**، أخبر أنه لا يغفر لهم، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ،[8] لِمَا علم الله أنهم لا يتوبون، وإلا لو آمنوا وتابوا قُبِلَت توبتهم؛ فعلى ذلك الأول، لَمَّا عَلِم أنهم لا يتوبون ويموتون على ذلك أخبر أنه لا يغفر لهم.

وفيه دليلُ أَنْ تُقْبَلَ توبةُ المرتد إذا تاب، ليس كما قال بعض الناس: إنه لا تُقبَلُ[9] توبةُ المرتد؛

---

[1] م: أو رسوله.
[2] ن – كفر.
[3] ع: وآية.
[4] سورة آل عمران، ٨٦/٣.
[5] ك ن – الكريم. عن قتادة في قوله: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا﴾ قال: هؤلاء اليهود آمنوا بالتوراة ثم كفروا، ثم ذكر النصارى فقال: ﴿ثم آمنوا ثم كفروا﴾ يقول: آمنوا بالإنجيل ثم كفروا به، ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم (*تفسير الطبري*، ٣٢٧/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٦/٢).
[6] ع – فيهم.
[7] ك: ولا يتولون؛ م – ولا يتوبون.
[8] سورة آل عمران، ٩٠/٣.
[9] ك ن: لا يقبل.

لأنه أثبت لهم الإيمان بعد الكفر والارتداد بقوله: **آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم** كذا، فدل أنه إذا تاب يُقبَل منه. وقال أصحابنا: يُستتاب المرتد ثلاثا، فإن أسلم وإلا قُتل. روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يُستتاب المرتد ثلاثا، ثم تلا هذه الآية.[١] وعن ابن عمر رضي الله عنه كذلك.[٢] وعن عمر[٣] أنه قَدِم عليه رجل من الجيش فقال: هل حَدَثَ لكم حَدَثٌ؟ فقال: إن رجلا من المسلمين ارتدّ ولحق بالمشركين فأخذناه. قال: ما صنعتم به؟ قالوا: قتلناه. قال: هَلَّا[٤] أدخلتموه بيتًا وأغلقتم عليه بابًا، وأَطْعَمْتُمُوه كل يوم رغيفًا واسْتَتَبْتُمُوه ثلاثًا، فإن تاب وإلَّا قَتَلْتُمُوه؟ ثم قال: اللهم إني لم[٥] أَشْهَدْ ولم آمُرْ ولم أَرْضَ حِينَ بَلَغَنِي.[٦] وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فإنه يُحْبَس في الثالثة إذا تاب حتى يظهر منه خشوع التوبة، وذلك أثر الثبات على توبته،[٧] فإن ظهر ذلك فحينئذ يُخَلَّى سبيلُه، لِمَا يحتمل أن تكون[٨] توبته فرارا من القتل، فيُحبَس حتى يظهر حقيقة توبته،[٩] لأنه أظهر الفسق، والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة.

وقوله عز وجل: **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا**، لا يحتمل أن يكون أراد بقوله: **ولا ليهديهم سبيلا** البيان على ما قاله قوم،[١٠] لأنه قد تولى لهم البيان، لكنهم تَعَانَدُوا ولم يهتدوا،[١١] فدل أن ثَمَّ معنًى مِنه سوى البيان لم يعطهم،[١٢] لما علم أنهم لا يهتدون أبدا، وهو التوفيق. فهذا يرد على من لا يجعل الهدى إلا بيانا، إذ قد بين لهم[١٣] ذلك.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٣٢٨/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٧/٢.

[٢] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٥٦٢/٥.

[٣] م – كذلك وعن عمر.

[٤] ن: هل لا.

[٥] ع – لم.

[٦] *الموطأ* لمالك، الأقضية ١٥؛ *ومسند الشافعي*، ٣٢١؛ *ومصنف ابن أبي شيبة*، ٥٦٢/٥.

[٧] م: توبة.

[٨] ن: يكون.

[٩] ع م – فإن ظهر ذلك فحينئذ يحلى سبيله لما يحتمل أن تكون توبته فرارا من القتل فيحبس حتى يظهر حقيقة توبته.

[١٠] وهم المعتزلة كما قاله السمرقندي. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ١٩٧ظ.

[١١] ع م: و لم تهتدوا.

[١٢] ع: لم يعطيهم.

[١٣] ع – لهم.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٣٨]

قوله:[١] **بشر المنافقين** بكذا. البشارة المطلقة المرسلة لا تكون[٢] إلا بالخير[٣] خاصة؛ وأما إذا كانت مقيدة مفسرة فإنها تجوز في الشر، كقوله تعالى: **بشر المنافقين بأن لهم** كذا، وكذلك قوله تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[٤] وفي القرآن كثيرٌ، ما ذكرها[٥] في الشر إلا مفسرة مقيدة. وقوله عز وجل: **بشر المنافقين** يدل هذا[٦] على أن الآية الأولى في أهل النفاق والمراءاة[٧] على ما ذكرنا من التأويل، لأنه لم يسبق فيما تقدم ذكر لهم سوى قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ] آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛[٨] ويحتمل على الابتداء والائتناف على غير ذِكْرٍ تقدم، وذلك جائز في القرآن كثير.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[١٣٩]

ثم فسر[٩] المنافقين فقال: **الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.** ثم يحتمل قوله تعالى: **يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** قولا وفعلا، أما القول كقولهم: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ،[١٠] وغيره من الآيات. وأما الفعل فكانوا[١١] يمنعون[١٢] المؤمنين أن يَغزوهم، كقوله تعالى: وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ،[١٣] وكقوله:[١٤] إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[١٥]

---

[١] ك ن م: وقوله.
[٢] ع م: لا يكون.
[٣] ك م: بالخبر.
[٤] سورة آل عمران، ٢١/٣.
[٥] ن: ذكر ما.
[٦] ع – هذا.
[٧] ع: والمرأة؛ م: والمراد.
[٨] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[٩] ع م – فسر.
[١٠] يقول الله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (سورة البقرة، ١٤/٢).
[١١] ن ع م: وكانوا.
[١٢] ن: يمتعون.
[١٣] سورة النساء، ٧٢/٤.
[١٤] ن ع م: كقوله.
[١٥] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.

وقوله[1] تعالى: فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ،[2] كانوا يمنعون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين[3] عن أن يغزوهم[4] ويقاتلوهم، فهم وإذ[5] كانوا يرون من أنفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر فإنهم كانوا[6] في الحقيقة معهم، فهذا[7] -والله أعلم- تأويل / قوله تعالى: [١٦٦و]
**يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.**

وقوله عز وجل: **أيبتغون عندهم العزة**، قيل: قوله تعالى: **أيبتغون** على طرح الألف وإنها زائدة، أي يبتغون بذلك من عندهم العزة. ثم يحتمل قوله تعالى: **أيبتغون عندهم العزة** وجهين؛ يحتمل **العزة**[8] المَنَعَة[9] والنُّصْرَة، وكانوا يطلبون بذلك النُّصْرة والقدرة عند الكافرين، ويحتمل ليتعزّزوا بذلك.[10] والأصل أن حرف الاستفهام كلَّه من الله له حق[11] الإيجاب على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام،[12] إذ الله[13] عالم لا يخفى عليه شيء يُستفهم [له]، جَلَّ عن ذلك. وقوله: **فإن العزة لله جميعا** أي القدرة والنُّصْرة[14] كلُّه لله، من عنده يكون، وبه يُتَعَزَّزُ في الدنيا والآخرة، ليس من عند أولئك الذين يطلبون منهم.

---

[1] ن ع م: وكقوله.
[2] ﴿ولو أرادوا الخروج لأَعَدُّوا له عُدَّة ولكن كره الله انبعاثهم فَثَبَّطَهُمْ وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٦).
[3] ع م: والمسلمين.
[4] ك ن: يغروهم.
[5] ك: إن.
[6] ك - كانوا.
[7] ع: هذا.
[8] ع - وجهين يحتمل العزة.
[9] ع م: المصنعة.
[10] قال السمرقندي: «ثم قوله: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ يحتمل وجهين. أحدهما أي يطلبون أن يتعززوا بالكفرة لما رأوا من المنعة والقوة لهم... ويحتمل ﴿يبتغون عندهم العزة﴾ أي يريدون النصرة للكفرة والظهور لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٨و).
[11] م: حقه.
[12] ع + كله. قال السمرقندي: «والأصل في هذا ونظائره أن الاستفهام من الله تعالى يراد به تقرير الخبر على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام، لا يراد به حقيقة الاستفهام، وهو طلب الفهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٨و).
[13] ع م: أن الله.
[14] ك: النصرة والقدرة.

**﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾**[١٤٠]

وقوله: **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها**، قال بعضهم: قوله تعالى: **وقد نزل عليكم في الكتاب** هو ما ذكر[١] في سورة الأنعام، وهو قوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ،[٢] ثم قال: وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٣] الآية،[٤] نهاهم عز وجل عن القعود[٥] معهم إذا خاضوا[٦] في طعن القرآن وآيات الله، فأخبر أن ليس لهم من حسابهم من شيء إذا قعدوا، ثم قال في هذه الآية: **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره**[٧] **إنكم إذاً مثلهم**، نهاهم عز وجل عن القعود[٨] معهم، وأخبر أنهم إذا فعلوا ذلك يكونون مثلهم؛[٩] فهو –والله أعلم– على النَّسْخِ، نَسَخَ هذا الأول.[١٠] ويحتمل أن يكون[١١] قوله تعالى: وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ في المشركين، لم[١٢] يلحقهم من العقوبة والمأثم، لأنهم لا يقدرون على منع المشركين عن[١٣] الاستهزاء بآيات الله والطعن فيها؛ و[لكن] يقدرون على منع المنافقين عن ذلك، فَشَارَكُوهُم[١٤] في العقوبة فيما يقدرون[١٥] على منعهم فلم يمنعوا، ورفع[١٦] عنهم ذلك

[١] ك: ذكرنا.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٦٨.
[٣] سورة الأنعام، ٦/٦٩.
[٤] ك: لأنه.
[٥] ع: العقود.
[٦] ن + في حديث غيره إنكم إذا مثلهم نهاهم عز وجل؛ ع: خاضعوا.
[٧] م + ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء الآية نهاهم عز وجل عن القعود.
[٨] ع: العقود.
[٩] ك: معهم.
[١٠] أي قوله تعالى: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾.
[١١] ك – أن يكون.
[١٢] ع م: ثم.
[١٣] ع: من.
[١٤] ن: فشاركونهم.
[١٥] ن ع م: تقدرون.
[١٦] ن: دفع.

فيما لا يقدرون على دفعه. وفيه دلالة أنَّ مَن بُلِيَ بمنكر له قدرة التغيير على أهله فلم يُغَيِّر أَنْ يُشَارِكُهُم[١] في ذلك، أو إذا لم يكن له[٢] قدرة التغيير عليهم فلم يُفَارِقْهُم[٣] لكن أقام معهم شَارَكَهُم أيضا في العقوبة. فالواجب على كلّ مَن بُلِيَ بذلك وله قدرة التغيير عليهم[٤] فَعَلَ، أي أنكر [ذلك] عليهم وغيره، وإلا فارقهم،[٥] وإِلَّا يُخَافُ أَنْ يُشَارِكَهُم في العقوبة. *والله*[٦] *أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**،[٧] لأنهم كانوا معهم في السر والحقيقة وإن كانوا يظهرون للمؤمنين الموافقة[٨] باللسان. فهذا يدل على أن الحقائق في العواقب هو ما يسر المرء ويُضمِر، ليس ما يُظهِر، لأن[٩] المنافقين كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الأحكام، في الأَنْكِحَةِ والعقود كلها وإظهار الإيمان لهم باللسان، لكنهم إذ أَضْمروا[١٠] خلاف ما أظهروا لم ينفعهم ذلك؛ دل[١١] أن الحقائق في العواقب[١٢] ما يُسَرّ ويُضْمَر.[١٣] *والله أعلم*.

**﴿اَلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾**[١٤١]

وقوله عز وجل: **الذين يتربصون بكم** يحتمل وجهين. يحتمل **يتربصون** الغنيمة والنصر؛

---

١ ع: يشاركم.
٢ ع: اله.
٣ ن: يفارقوهم.
٤ ع م – فلم يفارقهم لكن أقام معهم شاركهم أيضا في العقوبة فالواجب على كل من بلي بذلك وله قدرة التغيير عليهم.
٥ ع – وإلا فارقهم.
٦ ع: من الله.
٧ ع م + الآية.
٨ م – الموافقة.
٩ ع: أن.
١٠ جميع النسخ: إذا أضمروا.
١١ ن ع م – دل.
١٢ م: العقوبات.
١٣ وعبارة الشارح هكذا: «لكنهم لما أضمروا خلاف ما أظهروا لم ينفعهم ذلك. وبهذا يبطل قول: الإيمان هو القول المفرد، لوجود ذلك من المنافقين، ولم ينفعهم ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٨و).

**فإن كان** الفتح للمؤمنين **قالوا ألم نكن معكم** في الإيمان والأحكام كلها، يطلبون الغنيمة والإشراك[١] فيها، كقوله تعالى: أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ،[٢] الآية، وإذا كان الدَّبْرَة[٣] والبَوار[٤] على المؤمنين للكافرين يقولون: **ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** بقولهم: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[٥] وكقوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا،[٦] الآية، كانوا بين المسلمين كَعُيُونٍ لهم يخبرونهم[٧] عوراتهم ويُطْلِعونهم على مقصود المؤمنين، فذلك مَنْعُهم على المؤمنين واستحواذُهم عليهم. *والله أعلم*. ويحتمل **يتربصون بكم** يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم، بأن لا يدومُ ذلك بل ينقطع[٨] عن قريب.[٩] *والله أعلم*. ويحتمل **يتربصون** ما ذكر من قوله تعالى: وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ؛[١٠] ثم خرج تأويله في قوله: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ،[١١] ثم خصَّ ذلك بقوله تعالى: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ،[١٢] الآية، فبين أنهم يتربصون بهم انقلاب الأمر ورجوعه[١٣] إلى أعداء[١٤] الله. فمتى ظهرت لهم العواقب أظهروا الذي له[١٥] كان دِينُهم في الحقيقة، أنه كان لِسَعَةِ الدنيا ونعيمها،

---

[١] م: والاشتراك.

[٢] ﴿أَشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٩/٣٣).

[٣] الدَّبْرة والدَّبَرة الهزيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «دبر»).

[٤] البَوار أي الهلاك (*لسان العرب* لابن منظور، «بور»).

[٥] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.

[٦] سورة الأحزاب، ١٨/٣٣.

[٧] ع: يخبرون.

[٨] ع: ينقع؛ م: يفع.

[٩] ع – عن قريب.

[١٠] ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فَتَنْتُمْ أنفسكم وتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حتى جاء أمر الله وَغَرَّكُمْ بالله الْغَرُورُ﴾ (سورة الحديد، ١٤/٥٧).

[١١] سورة المائدة، ٥٢/٥.

[١٢] سورة التوبة، ٩٨/٩.

[١٣] ن: رحوعه.

[١٤] ع: أعدائه.

[١٥] ع م – له.

كقوله عز وجل: وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ[1] الآية، وقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[2] الآية.

[١٦٦ظ س١ *وقوله عز وجل: **ألم نستحوذ عليكم**، الاستحواذ الغلبة، وقيل: الاستيلاء؛ وقال بعضهم: ألم نخبركم بعورة محمد وأصحابه، ونُطْلِعْكم على سرهم، ونكتب به إليكم؟[3] وعن[4] ابن عباس رضي الله عنه: ألم نَحُطْ[5] من ورائكم؟ وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ألم نستحوذ عليكم ومنعناكم من المؤمنين. قال الكسائي:[6] هذا في كلام العرب كثير ظاهر، ومعنى **ألم نستحوذ**: أما[7] استحوذنا ومنعناكم؟ وهو ظريف. وأصل الاستحواذ الغَلَبة والقَهْر، وهو ما ذكرنا أنهم يُجَبِّنُونَ[8] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ.[9]

وقوله عز وجل: **فالله يحكم بينكم يوم القيامة**، وحكمه[10] بينهم -والله أعلم- هو[11] أن يُنزل المؤمنين الجنة[12] والمنافقين النار.* ١٦٦ظ س٦]

وقوله عز وجل: **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**،[13] يحتمل هذا أيضا وجهين.

---

[1] ﴿وإن منكم لَمَن لَيُبَطِّئَنّ فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيدا وَلَئِنْ أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٧٢-٧٣).

[2] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[3] يقول ابن منظور: «استحوذ على كذا: غلب... واستحوذ عيه الشيطان: غلب... وقوله تعالى: ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي ألم نغلب على أموركم ونستول على مودتكم» (*لسان العرب*، «حوذ»).

[4] ع: عن.

[5] يقال: حَاطَهُ يَحُوطُه حَوْطًا إذا حفظه وصانه وذَبَّ عنه وتَوَفَّر على مصالحه (*لسان العرب* لابن منظور، «حوط»).

[6] ن: الكيساني.

[7] ك ن: ماء م: إنا.

[8] ن: يجيبون.

[9] سورة آل عمران، ٣/١٧٣.

[10] جميع النسخ: وحكم.

[11] م - هو.

[12] ع: بالجنة.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير هذه الآية متأخرا عن موضعه. انظر: ورقة ١٦٦ظ/سطر ١-٦.

[13] ع م + الآية.

يحتمل: **لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** في الحُجَج[1] في الدنيا، أي ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين من شيء، إلا أن يُمَوِّهَ عليه ويَفْتَعِلَ به، فيعجز[2] المؤمن في إقامة[3] الحجة عليه ودفع تمويهاته،[4] وإلا ليس للكافر حجة يقيمها على المؤمن في الدنيا. ويحتمل: **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** في الآخرة على دفع شهادتهم،[5] لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون عليهم، كقوله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،[6] ثم لا سبيل لهم على دفع شهادتهم[7] التي شهدوا عليهم ورَدِّها. ***والله أعلم***. وأيضا:[8] **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** في الحجة أو في الشهادة أو عند الله في الخصومة، وإنما دعوا إلى كُتُبِهم إذا أجابوا الله[9] فيما دعاهم إلى الإيمان بالكتب والرسل عليهم السلام.[10] أو في[11] النصرة،[12] فيرجع أمره / إلى العواقب.[13] ***والله أعلم***.* [١٦٦ظ]

**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** في الحجة على ما ذكرنا. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[14] حجة.[15] وقيل: ظهورا عليهم،[16] لكن الأول أشبه.

---

[1] ك ن م: الحج.

[2] جميع النسخ: يعجز.

[3] ن: إقامته.

[4] ع م: تمويهاتها.

[5] ك + التي شهدوا عليهم.

[6] سورة البقرة، ١٤٣/٢.

[7] ع م + لأن أمة محمد.

[8] م: أيضا.

[9] ع م - الله.

[10] أي لن يجعل الله لكافرين سبيلا على المؤمنين؛ فلا يقال: إن الله قد دعا المؤمنين إلى الإيمان بكتب الكافرين من أهل الكتاب، فهذا سبيل للكافرين على المؤمنين؛ لأن إيمان المسلمين بالكتب المنزلة من قبل قد حصل ضمن إجابتهم دعوة الله إلى الإيمان بالرسل عليهم السلام جميعا وبالكتب المنزلة عليهم.

[11] ن: وفي.

[12] جميع النسخ: النصر. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ١٩٨ظ. أي لن يجعل الله لكافرين على المؤمنين سبيلا في النصرة.

[13] قال الشارح: «ويحتمل النصرة... أي لم يجعل للكافرين نصرة على المؤمنين، لأن النصرة هو أمر العاقبة دون الغلبة الحالية، ولهذا قيل: للحق دولة وللباطل جولة. والكفار وإن كان لهم نوع غلبة لكن مآل الأمر وعاقبته يكون للمؤمنين؛ وهو النصرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٨ظ).

* وقع هنا تفسير قطعة من الآية متأخرا عن موضعه؛ فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ١٦٦ظ/سطر ١-٦.

[14] ن ع م: يقال.

[15] لم أجده عن ابن عباس، لكن أخرج ابن جرير عن السُدِّي: ﴿سبيلا﴾ قال: حجة (*تفسير الطبري*، ٣٣٤/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٩/٢).

[16] ع م - عليهم.

ويحتمل ما ذكرنا من الشهادة أنه[١] جعل يوم القيامة للمؤمنين الشهادة عليهم، و لم يجعل لهم إلى دفعها وردها عن[٢] أنفسهم سبيلا.[٣] *والله أعلم.*

**﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٤٢]**

وقوله: **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم،** يحتمل[٤] قوله تعالى: **يخادعون الله** أي[٥] يخادعون أولياء الله أو دينه، فأضيف إليه، فهو جائز، وفي[٦] القرآن كثير، كقوله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[٧] أي [إن] تنصروا دين الله أو[٨] أولياءه ينصركم، وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب.[٩] وقوله عز وجل: **وهو خادعهم** أي يجزيهم جزاء خداعهم المؤمنين، فَسُمِّيَ خداعًا وإن[١٠] لم يكن في الحقيقة خداعا لأنه جزاء الخداع؛ وهو كما سُمِّي جزاءُ السيئة سيئة[١١] وإن لم تكن الثانية في الحقيقة سيئة، وكذلك سُمِّي جزاءُ الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني اعتداء،[١٢] فعلى ذلك سُمِّي هذا خداعا[١٣] لأنه جزاء الخداع، واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه على ما ذكرنا. *والله أعلم.*

ثم اختلف في جهة الخداع. عن ابن عباس رض الله عنه قال: يعطي [الله] المنافقين على الصراط نورا كما يعطي المؤمنين، فإذا مَضَوْا به على الصراط طَفِئَ نورهم، ويبقى[١٤] نور المؤمنين،

---

[١] ن: وأنه.
[٢] ع م: على.
[٣] جميع النسخ: سبيل.
[٤] ع م - يحتمل.
[٥] ع - يخادعون الله أي؛ م - أي.
[٦] ع م: في.
[٧] سورة محمد، ٤٧/٧.
[٨] م - أو.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٩.
[١٠] ع: فإن.
[١١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مِثلُها فمَن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).
[١٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمَات قصاص فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[١٣] م: خدا.
[١٤] ن ع م: وتبقى.

يَمْضُون بنورهم فينادون المؤمنين: أُنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ فَتَجُوز به، فيناديهم الملائكة: اِرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا،[1] وقد علموا أنهم لا يستطيعون الرجوع، فذلك قوله:[2] **وهو خادعهم.**[3] وكذلك قال الحسن، ثم قال: فتلك خديعة الله إياهم.[4] وقال آخرون: يُفتَح لهم بابٌ من أبواب الجنة، فإذا رأوا ذلك قصدوا ذلك الباب، فلما دَنَوْا منه أُغْلِق دونهم، فذلك الخداع. ***والله أعلم.*** ويحتمل وجها آخر، وهو أنهم شاركوا[5] المؤمنين في هذه الدنيا ومنافعها والتمتع والتقلب[6] فيها، فظنوا أنهم يشاركونهم في منافع[7] الآخرة والتمتع بها، فيُحْرَمُون ذلك، فذلك الخديعة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس**، الآية، جعل الله تعالى للمنافق[8] أعلامًا في قوله وفعله يعلم بها المنافق؛ أما في القول ما قالوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[9] وقوله: وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ،[10] وقوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا،[11] الآية؛ وأما في الفعل فهو[12] قوله تعالى: **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا**، وقوله: وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا،[13] أي القتالَ، وقوله سبحانه وتعالى: فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[14] الآية؛ ومثله كثير في القرآن مما جعل ذلك علامة لهم،

[1] سورة الحديد، ١٣/٥٧.
[2] ن ع م – قوله.
[3] لم أجده عن ابن عباس، لكن روي نحوه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه وعن الحسن وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٣٣٤/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٩/٢، ٥٣/٨–٥٥. وقد روي عن ابن عباس دون قوله: فذلك قوله: ﴿وهو خادعهم﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٤/٢٧، ٢٢٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٣/٨–٥٤.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٢٥/٢٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧١٩/٢.
[5] ع: شاكوا.
[6] ع م: والتغب.
[7] ع: المنافع.
[8] م: للمنافقين.
[9] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.
[10] سورة النساء، ٧٢/٤.
[11] سورة الأحزاب، ١٨/٣٣.
[12] جميع النسخ: وهو.
[13] سورة الأحزاب، ١٨/٣٣.
[14] سورة الأحزاب، ١٩/٣٣.

وهو كقوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ،[١] الآية، وكقوله[٢] تعالى: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ،[٣] الآية.

**يراءون** في جميع أفعالهم **الناس**؛ وفي حرف حفصة رضي الله عنها: يراءون الناس والله يعلم[٤] ما في قلوبهم. **ولا يذكرون الله إلا قليلا**، عن الحسن في قوله تعالى: **ولا يذكرون الله إلا قليلا** فقال: أَمَا والله لو كان ذلك[٥] القليل منهم لله لَقَبِلَه، ولكن ذلك القليل رياء.[٦] وقيل: لو كان ذلك القليل لله يريدون به[٧] وجهه فقَبِلَه لكان كثيرًا، ولكن لا يقبله، فهو لا شيء. وقد يُتَكلَّم بالقليل واليسير على إرادة النفي من الأصل. ***والله أعلم.***

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحسن الصلاة حيث يراه الناس، وأساءها[٨] حيث يخلو،[٩] فتلك استهانة يستهين بها ربه».[١٠] وروي في علامة المنافق أخبار؛[١١] روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال[١٢] النبي[١٣] صلى الله عليه وسلم: «إن للمنافقين[١٤] علاماتٍ يُعْرَفون بها: تحيتهم لَعْنَة، وطعامهم نُهْبَة، وغنيمتهم غُلول، لا يقربون المساجد إلا هَجْرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْرًا».[١٥]

---

[١] ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/٤).

[٢] ع: كقوله.

[٣] ﴿وإذا ما أُنزلت سورةٌ نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحدٍ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٧).

[٤] ع: وقد يعلم الله.

[٥] ن – ذلك.

[٦] *تفسير الطبري*، ٥/٣٣٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧١٩.

[٧] م – به.

[٨] ع: أساءها.

[٩] ع: يخلوا.

[١٠] مسند *أبي يعلى*، ٩/٥٤؛ «وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٢٢١).

[١١] جميع النسخ: أخبارا.

[١٢] ك – قال.

[١٣] ن: رسول الله.

[١٤] ك ن م: للمنافق؛ ع: المنافق.

[١٥] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٩٣؛ «وفيه عبد الملك بن قدامة الجُمَحي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١/١٠٧). نُهبة من النَّهْب بمعنى السلب والغارة والغنيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «نهب»). الغلول بمعنى السرقة من الغنيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «غلّ»). هَجَر بمعنى ترك. «ولا يقربون المساجد إلا هَجْرًا» أي مع ترك الإخلاص؛ دَبْرًا ودَبَرًا بمعنى آخر أوقات الصلاة (*لسان العرب* لابن منظور، «دبر»، «هجر»).

وعن عبد الله بن عمرو[1] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقا خالصا: إذا[2] حدّث كذب، وإذا وعد أخلف،[3] وإذا عاهد غدر، وإذا اؤتمن خان»؛[4] وروي: «ثلاث».[5] وروي عن عبد الله قال: اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، ثم قرأ الآيات: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ[6] الآية.[7] وعن وَهْب قال: من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم.[8]

**﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[١٤٣]**

[١٦٧و] / وقوله عز وجل: **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء**، قال أكثر أهل التأويل: ليسوا بمسلمين مخلصين، ولا مشركين مُصَرِّحين، وهو أيضا قول قتادة.[9] وقال مقاتل: ليسوا مع اليهود فيُظهرون ولايتهم لهم، ولا هم[10] مع المؤمنين في التصديق مع الولاية.[11] ويحتمل[12] غير هذا، وهو أنه لم يَظهر لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم، بل ظهر منهم الخلاف عند كل فريق، لأنهم كانوا أصحابَ طَمَعٍ عُبَّادَ أنفسِهم،

---

[1] ن ع م: عمر.
[2] ع: إذ.
[3] ع: خلف.
[4] عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٢٤؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ١٠٦). وروي: «ثلاثٌ إذا كُنَّ في الرجل فهو المنافق الخالص: إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن اؤتمن خان، ومن كانت فيه خصلة منهن لم يزل -يعني- فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٠٠/٢).
[5] م - وروي ثلاث. انظر التعليق السابق.
[6] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم مِن فضْله بخِلوا به وتولّوا وهم معرضون فأَعْقَبَهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يَلْقَوْنه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ (سورة التوبة، ٧٥/٩-٧٧).
[7] *المعجم الكبير* للطبراني، ٢٢٢/٩؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٢٤٧/٤. «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠٨/١).
[8] *مصنف ابن أبي شيبة*، ١٨٥/٧.
[9] *تفسير الطبري*، ٣٣٦/٥؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٧٢٠/٢.
[10] م: وليسوا.
[11] عن مجاهد في قوله: ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ قال: هم المنافقون، ﴿لا إلى هؤلاء﴾ يقول: لا إلى أصحاب محمد، ﴿ولا إلى هؤلاء﴾ اليهود (*تفسير الطبري*، ٣٣٦/٥؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٧٢٠/٢).
[12] ع + مع.

يكونون حيث رأوا السَّعة معهم، فلا[١] إلى هؤلاء في حقيقة الدين عند أنفسهم، ولا إلى هؤلاء، فذلك -والله أعلم- تأويله.

وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا**، قيل: حجة على ما قيل في الأول.[٢] وقيل: **فلن تجد له سبيلا** يعني الهدى والطريق[٣] المستقيم. ***والله أعلم***. وعن الحسن: **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا**، ما دام كافرا، فإذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[١٤٤]**

قوله[٤] عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ سماهم الله تعالى مؤمنين بإقرارهم بالإيمان علانية وتوليهم الكافرين سرا، أو أن[٥] يقال: سُمُّوا مؤمنين لما كانوا ينتسبون إلى المؤمنين، فَسُمُّوا بذلك. وقيل: نزلت في المؤمنين، نهاهم أن يتخذوا المنافقين أولياء بإظهارهم الإيمان علانية، وأمرهم أن يتخذوا المؤمنين أولياء. ثم وَجْهُ النهي في الولاية واتخاذهم أولياء يكون من وجوه. يحتمل النهي عن ولايتهم ولاية الدين،[٦] أي لا تَثِقوا بهم[٧] ولا تُصَدِّقوهم ولا تأمَنوهم في الدين، فإنهم يريدون أن يَصْرِفوكم عن دينكم، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[٨] الآية. ويحتمل النهي عن اتخاذهم[٩] أولياء في أمر الدنيا، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا،[١٠] الآية، نهى المؤمنين عز وجل أن يجعلوا المنافقين موضع سرهم في أمر من أمور الحرب وغيره. والثالث في كل أمرٍ، أي لا تصادقوهم ولا تجالسوهم ولا تأمنوهم.

---

[١] ن: ولا.
[٢] أي على قوله تعالى: ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾.
[٣] جميع النسخ: هدى وطريق.
[٤] ك ع م: وقوله.
[٥] ن: وأن.
[٦] ن ع: الذين.
[٧] ع: لا تتقوهم؛ م: لا تتقوا بهم.
[٨] سورة آل عمران، ١٤٩/٣.
[٩] ع م - عن اتخاذهم.
[١٠] سورة آل عمران، ١١٨/٣.

وقوله عز وجل: **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**، أي أتجعلون[1] لله عليكم **سلطانا مبينا**، قيل: عذرا مبينا،[2] وقيل: حجة بينةً يحتج بها عليكم. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**، فهو -والله أعلم- الإرادة، وهي صفة كل فاعل في الحقيقة، وحرف الاستفهام من الله إيجاب، فكأنه قال: قد جعلتم[3] لله في تعذيبكم حجة بَيِّنَة يعقلها الكل، إذ[4] ذلك يكون -وهو اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين- حجة ظاهرة في لزوم المقت؛ وجائزٌ[5] أن تكون الإضافة إلى الله ترجع إلى أولياء الله، نحو الأمر بنصر الله، والقول بمخادعة الله، وكان ذلك منهم حجة بَيِّنَة عليهم لأولياء الله، أنهم لا يتخذون الشيطان أولياء، وعُبّاد[6] غيرِ الله اتخذوه. ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[١٤٥]

وقوله عز وجل: **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**، الدرك بالجزم والفتح لغتان،[7] وهما واحد؛ يقال: للجنة درجات وغُرفات، وللنار دَرَكات، بعضها أسفل من بعض. وقيل: كُلَّما كان أسفل كان العذاب فيها أشد؛ ألا ترى أنه أخبر عنهم بقوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ،[8] فلو لم يكن مَن[9] أسفلُ منهم في الدركات أشدَّ عذابا لم يكن لقولهم: نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا معنى، فدل أنْ كُلَّما كان أسفل من الدركات كان في العذاب أشد. ***والله أعلم***. وذُكِر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام بن المغيرة فقال: «هما من أدنى أهل النار عذابا،

[1] ع: أتجعلوا؛ م: تجعلون.
[2] ع – قيل عذرا مبينا.
[3] ع م: جعلته.
[4] ك: أن.
[5] ع: وهو جائز.
[6] ك ن: وعبادة؛ ع م: عبادة. وعبارة السمرقندي هكذا: «أ تريدون أن تجعلوا لأولياء الله تعالى عليكم سلطانا مبينا، حيث إنهم لا يتخذون الشيطان أولياء، وأنتم اتخذتم الشيطان أولياء» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٩و).
[7] قرأ من الأئمة السبعة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالفتح، وعاصم وحمزة والكسائي بالإسكان. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٣٩.
[8] سورة فصلت، ٢٩/٤١.
[9] ع م – من.

وهما في ضَحْضَاحٍ[1] من النار خالدين فيها، وأدنى أهل النار عذابا في رجليه نَعْلان من نار، يَغْلي بهما دماغه».[2] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الأَدْرَاك تَوَابِيتُ[3] من حديد تُصْمَتُ[4] عليهم في أسفل النار.[5] وقيل: إن العذاب في النار واحد في الظاهر، وهو مختلف في الحقيقة؛ وأيّد ذلك قوله تعالى: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ،[6] لكن بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم، كقوله: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ [وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ]،[7] سألوا ربهم أن يجعل لهم[8] ضِعْفًا من العذاب جزاءً ما أضلوا، فأخبر أن لكلٍ ضِعْفًا من الأئمة [والتابعين].

---

[1] الضَّحْضَاح ما رَقّ من الماء على وجه الأرض مقدار ما يبلغ الكعبين، واستعاره في الحديث للنار (*لسان العرب* لابن منظور، «ضحّ»).

[2] المعروف أن هذا الحديث في حق أبي طالب؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذُكِر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه» (*صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ٤٠؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٦٠). وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه» (*صحيح مسلم*، الإيمان ٣٦٢). لكن روي في حق عبد المطلب أن العباس بن عبد المطلب لقي رجلا من المهاجرين فقال له: أرأيت عبد المطلب بن هاشم والعَيْطَلَة كاهنة بني سَهْم جمعهما الله في النار... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بال أحدكم يؤذي أخاه بالأمر وإن كان حقا» (*مسند الروياني*، ٣٤٧/٢-٣٤٨). أما هشام بن المغيرة فهو من أشراف مكة، والد أبي جهل، وعم أم سلمة رضي الله عنها. انظر: *أخبار مكة* للفاكهي، ٢٣٧/٣؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٨/١؛ وقد روي في حق هشام بن المغيرة عن أم سلمة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فقال: يا رسول الله، إني كنت على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين، وكل هذا قد كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به أي رسول الله؟ فقال: «كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جَذْوَة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طَمْطَامٍ مِن النار، فأخرجه الله بمكانه مِنِّي وإحسانه إليّ، فجعله في ضَحْضَاحٍ مِن النار» (*المعجم الكبير* للطبراني، ٤٠٥/٢٣)؛ «وفيه عبدالله بن محمد بن عَقِيل، وهو منكر الحديث، لا يحتجون بحديثه، وقد وُثِّق» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٨/١). جذوة من النار بمعنى قطعة من الجمر؛ وطمطام البحر أي وسطه فاستعير في الحديث للنار (*لسان العرب* لابن منظور، «جذو»، «طمّ»).

[3] جمع تابوت وهو الصندوق (*لسان العرب* لابن منظور، «تبت»).

[4] باب مُصْمَت أي أُبْهِمَ إغلاقُه (*لسان العرب* لابن منظور، «صمت»)؛ فعنى ذلك تصمت بمعنى تُغْلَق وليس بها موضع لفتحها.

[5] *تفسير الطبري*، ٣٣٨/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٢١/٢-٧٢٢.

[6] سورة العنكبوت، ١٣/٢٩.

[7] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[8] ن: له.

ثم تخصيص المنافقين في الدرك الأسفل من النار دون سائر الكَفَرَة [من] وجوه ثلاثة. أحدها أنهم كانوا يَسْعَوْنَ في إفساد ضَعَفَةِ المؤمنين،[1] ويُشَكِّكُونهم في دينهم، ويتكلفون في[2] إخراجهم من الإيمان، وكان ذلك دَأْبهم وعادتهم، فاستوجبوا بذلك ذلك[3] العذاب، جزاء ما سَعَوْا[4] في إفسادهم. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون ذلك لهم لأنهم كانوا عيونا للكفرة وطَلَائع[5] لهم، يخبرون بذلك عن أخبارهم[6] وسرائرهم، ويُطْلِعُون على عوراتهم، فذلك سَعْيٌ في أمر دينهم ودنياهم بالفساد، كقوله: أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ،[7] الآية. ويحتمل[8] وجها آخر، وهو أنهم لم يكونوا في الأحوال كلها أهل دينٍ يقيمون عليه في حال الرَّخاء والضِّيق، ولكن كانوا مع السَّعة والرَّخاء حيث كان، ولا كذلك سائر الكَفَرَة، بل كانوا في حال الرَّخاء والشدة على دين واحد، يعبدون / الأصنام، وأولئك مع المؤمنين في حالٍ إذا كانت[9] السَّعة معهم، ومع الكافرين [١٦٧ظ]
في حالٍ إذا كانت السَّعة معهم،[10] لا يَقِرُّون[11] على شيء واحد، متردّدين بين ذلك، كما قال الله[12] عز وجل: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ،[13] الآية، والكَفَرَة[14] عبدوا[15] من عبدوا على رجاء التقريب إلى الله وأَمرِ[16] الله عز وجل لهم بذلك ليكونوا لهم شُفَعَاءَ عند الله،[17]

---

[1] ع م: المسلمين.
[2] ك ن ع - في.
[3] م - ذلك.
[4] ع م - ما سعوا.
[5] جميع النسخ: وطلائعا. وهو جمع طَلِيعَة، والطليعة: القوم يُبْعَثون لمطالعة خبر العدو (*لسان العرب* لابن منظور، «طلع»).
[6] أي أخبار المؤمنين.
[7] سورة النساء، ١٤١/٤.
[8] م: يحتمل.
[9] ن - ولا كذلك سائر الكفرة بل كانوا في حال الرخاء والشدة على دين واحد يعبدون الأصنام وأولئك مع المؤمنين في حال إذا كانت.
[10] ع: منهم.
[11] يجوز في القاف الفتح والكسر، والكسر أرجح (*لسان العرب* لابن مطور، «قر»).
[12] ك - الله.
[13] سورة النساء، ١٤٣/٤.
[14] ع: والكفر.
[15] ع: واعبدوا؛ م: اعبدوا.
[16] أي وعلى رجاء أَمرِ الله عز وجل لهم...
[17] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩)، وإلى قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

وأهل النفاق لم يكونوا يعبدون غير بطونهم ومن معه[١] شهواتهم، فلذلك ازداد عذابهم على عذاب غيرهم؛ ولِمَا هم[٢] جمعوا إلى الكفر بالله المخادعة والتغرير،[٣] وإغراء الأعداء واستعلائهم، ولما قد اشتركوا [مع] الفرق كلها[٤] في اللذات وفي طلب الشهوات، فعاد إليهم ما استحق كل منهم من العقوبة، وبما بذلك[٥] شاركوا في كل المعاصي، إذ[٦] سبيلها إعطاءُ الأنفسِ الشهواتِ، مع ما منهم تغرير ضَعَفَة المؤمنين والتلبيس عليهم. ***ولا قوة إلا بالله.***

**﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[١٤٦]

وقوله عز وجل: **إلا الذين تابوا وأصلحوا**، عن ابن عباس قال: **تابوا** من النفاق، **وأصلحوا** أعمالهم،[٧] **واعتصموا بالله**، يقول: وَثِقوا بالله.[٨] وقيل: **إلا الذين تابوا... وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين**[٩] أي صاروا كسائر المؤمنين.[١٠] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وأُبي: إلا الذين تابوا ثم آمنوا بالله والرسول والكتاب الذي أنزل إليه من ربه وما أنزل إلى النبيين من قبل ثم أخلصوا دينهم لله واعتصموا به أولئك مع[١١] المؤمنين وسوف يؤتي[١٢] الله المؤمنين أجرا عظيما.[١٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه: **وأخلصوا دينهم لله** قال: لم يراءوا، وكانت سريرتهم كعلانيتهم أو أفضل.

**﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾**[١٤٧]

وقوله عز وجل: **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم**، تأويله -والله أعلم-

---

[١] ع: ومعه.
[٢] م - هم.
[٣] ع: والتعذير.
[٤] جميع النسخ: كلهم.
[٥] ع: ذلك.
[٦] م: أو.
[٧] ن: لأعمالهم.
[٨] م - يقول وثقوا بالله.
[٩] ك ع م + يقول من المؤمنين.
[١٠] ك: المسلمين.
[١١] م: عمى.
[١٢] ك: يؤت.
[١٣] روي أن عبد الله بن مسعود قرأ «وسيؤتي الله المؤمنين». انظر: *المصاحف* لابن أبي داود السجستاني، ٦٠.

أن ليس لله عز وجل حاجةٌ في تعذيبه إياكم إن صدّقتم وآمنتم، ولكن الحكمة توجب تعذيب من كفر به، وإلا ليس له حاجة في تعذيبكم. *والله*[1] *أعلم*. ويحتمل أن يكون هذا في قومٍ فَرَّطوا في التكذيب ومعاندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظنوا أنهم وإن آمنوا به وصدّقوه لم يُغفَر لهم ما كان منهم[2] من التفريط في التكذيب، والتمرّد في[3] المعاندة، فأخبر عز وجل أنه لا يعذبهم إن آمنوا به بما كان منهم من التكذيب[4] والعناد،[5] كقوله تعالى: إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[6] *والله أعلم*.

ثم الشكر[7] فيما بين[8] الخلق يكون على الجزاء والمكافأة،[9] كقوله [صلى الله عليه وسلم]: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».[10] وأما[11] فيما بينهم وبين ربهم فهو على غير الجزاء والمكافأة،[12] إذ ليس في وُسْعِهم القيام بأداء[13] شكر أصغر نعمةٍ[14] أنعمها عليهم: عُمْرهم؛ فدل أنه ليس يخرج الأمر على ما به أمر المكافأة، ولكنه يخرج على وجوه؛ على معرفة النعم أنها منه، والثاني على معرفة التقصير والاعتراف بالعجز عن أداء شكرها، والثالث أن لا يستعملها إلا في طاعة ربه.

وقوله: **وكان الله شاكرا عليما**، يقبل الإيمان بعد الجحود والتكذيب إذا تاب. وقيل: **شاكرا**، أي يقبل[15] القليل من العمل إذا كان له خالصا، ليس كملوك الأرض لا يقبلون اليسير من الأشياء.

---

[1] ع: الله.
[2] ن ع م – منهم.
[3] ع: وفي.
[4] م: الكذب.
[5] ك: والاعتقاد؛ ن: والاعتناد؛ ع: والاعناد.
[6] سورة الأنفال، ٨/٣٨.
[7] ك – الشكر.
[8] ك: فيها يبين.
[9] ع: والمكافات + كقوله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله أعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على الجزاء والمكافات.
[10] *سنن أبي داود*، الأدب ١١؛ و*سنن الترمذي*، البر والصلة ٣٥؛ وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
[11] ن: أما.
[12] ع م – كقوله من لم يشكر الناس لم يشكر الله وأما فيما بينهم وبين ربهم فهو على غير الجزاء والمكافأة.
[13] ع: وبأداء.
[14] ع م: نعم.
[15] ع: لم يقبل.

وقيل: **شاكرا** يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب، وذلك هو الوصف في الغاية من الكرم. *والله أعلم*. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ما يَعْبَأ الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا لأعمالكم[1] الحسنة عليما بها. وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾**[١٤٨]

وقوله عز وجل:[2] **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم**، اختلف في تأويله وتلاوته؛ قال بعضهم: **لا يحب الله الجهر بالسوء** من الدعاء **إلا من ظلم** فإنه لا بأس أن يدعو إذا كان مظلوما. وقال آخرون: **الجهر بالسوء من القول** هو الشتم، أخبر أنه لا يحب ذلك لأحد من الناس، ثم استثنى **إلا من ظُلم** واعتُدي عليه، فإنه إن[3] رَدَّ عليه مثل[4] ذلك فلا حرج عليه،[5] وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه، قال: **الجهر بالسوء من القول** أن يشتم الرجل المسلم في وجهه، إلا أن يشتمه فيرد كما قال، وذلك قول الله عز وجل: **إلا من ظلم**، وإن يعفُ[6] فهو أفضل.[7] وقرأ بعضهم: إلا من ظَلَمَ بالنصب،[8] فهو يحتمل: إلا من ظَلَمَ فإن له **الجهر بالسوء من القول** وإن لم يكن له ذلك، وهو كقوله تعالى: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ،[9] فإنهم وإن لم تكن[10] لهم[11] حجة عليكم فإنهم يحتجون عليكم،

[1] ع: الاعمالكم.
[2] ن + وقوله.
[3] ك – إن.
[4] ك ن: مثله.
[5] ع م – فإنه إن رد عليه مثله ذلك فلا حرج عليه.
[6] ك: وإن يعفوا؛ ن ع م: وإن تعفوا.
[7] لم أجده عن ابن عباس، بل روي عنه قوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما، فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ وإن صبر فهو خير له (*تفسير الطبري*، ٦/١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٧٢٤-٧٢٥). وروي عن السُّدِّي: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ يقول: إن الله لا يحب الجهر بالسوء من أحد من الخلق، ولكن من ظُلم فانتصر بمثل ما ظُلم فليس عليه جناح (*تفسير الطبري*، ٦/٣).
[8] وهي قراءة شاذة، لم يسنها الطبري إلى أحد. انظر: *تفسير الطبري*، ٦/١.
[9] سورة البقرة، ٢/١٥٠.
[10] ن ع: وإن لم يكن؛ م: وإن يكن.
[11] ك ع م – لهم.

فعلى ذلك الظالم وإن لم يكن له[1] **الجهر بالسوء من القول**[2] فإنه يفعل ذلك. ***والله أعلم***. ومن قرأ: **إلا من ظُلِمَ** بالرفع فتأويله كما[3] ذكرنا -والله أعلم- أنه لا يبيح لأحد **الجهر بالسوء من القول** إلا المظلوم، فإنه يباح له أن يدعو على ظالمه وينتصر منه؛ والثاني ما قيل من سَبِّ[4] آخرَ،[5] فإنه لا يباح له، ولا يؤذن أن يرد عليه مثله وينتصر منه.[6]

وقيل: نزلت الآية في أبي بكر رضي الله عنه، شتمه رجل بمكة، فسكت عنه ما شاء الله، ثم انتصر، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه.[7] وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المُسْتَبَّان ما قالا فهو على البادئ حتى يعتدي المظلوم».[8] وقال: «ألَا لَا تَسُبُّوا، فإن كنتم فاعلين لا مَحَالَة فَعَلِمَ الرجل من صاحبه فَلْيَقُلْ: إنك لجَبان،[9] وإنك لبخيل».[10] وأصل هذا الاستثناء أن الأول وإن لم يكن من نوع ما استُثْنِيَ [منه] فهو جزاؤه، وجزاء[11] الشيء يسمى باسمه، كما سمى الله عز وجل جزاء[12] السيئة سيئة بقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[13]

---

[1] م – له.

[2] ع + وإن لم يكن له ذلك الجهر بالسوء من القول؛ م + وإن لم يكن ذلك الجهر بالسوء من القول.

[3] جميع النسخ: ما.

[4] ن: سبب.

[5] ع م – فإنه يباح له أن يدعو على ظالمه وينتصر منه والثاني ما قيل من سب آخر.

[6] قال السمرقندي: «ولكن المظلوم إذا رد عليه مثل ما فعل في حقه فلا إثم عليه، أما هو حرام لا يحب الله ذلك، لكن المُرَخّص لا إثم عيبه ولا تَبِعَة مع قيام الحرمة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٩٩ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٢٤ظ).

[7] روي ذلك دون أن يكون سببا في نزول الآية، فعن سعيد بن المسيب أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وَقَعَ رجل بأبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوَجَدْتَ عليّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزل مَلَك من السماء يُكَذِّبه بما قال لك، فلما انتصرتَ وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٦/٢؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٤١).

[8] روي عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: *صحيح مسلم*، البر والصلة ٦٨؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٣٩؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٥١.

[9] ك ن ع: لجبار؛ م: الجبار. والتصحيح من مصادر الحديث.

[10] *المعجم الكبير* للطبراني، ٢٥٣/٧؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار فيه متروك، وفي إسناد الطبراني مجاهيل» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٧٤/٨).

[11] ك: وجزء.

[12] ك – جزاء.

[13] سورة الشورى، ٤٠/٤٢.

وسمى جزاء الاعتداء اعتداء،[1] وإن لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة. فعلى ذلك استثنى: **إلا من** / **ظلم** وإن لم يكن من نوعه، لأنه جزاء الظلم والاعتداء. ***والله أعلم.*** [١٦٨و]

وقيل: إن الآية نزلت في الضيف ينزل بالرحل فلا يُضيفه ولا يحسن إليه، فجُعل له أن يأخذه بلسانه.[2] وإلى هذا يذهب أكثر المتأولين، لكنه بعيد. وفي قوله: **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** دليل على أنه[3] ليس في إباحة الشيء في حالٍ [ما] يوجب حَظْره[4] في حالٍ أخرى، لأنه نهى عن **الجهر بالسوء من القول**، ثم لم يدل[5] ذلك على أنه لا ينهى عن ذلك في غير حال الجهر. وقوله عز وجل: **وكان الله سميعا** بجهر[6] السوء، **عليما** به.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[١٤٩]

ثم قال: **إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفو عن سوء**، يحتمل -والله أعلم- أن العفو والتجاوز خير عند الله من الانتصار. [ثم] يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن يكون على الترغيب؛ رَغَّبَهم عز وجل بالعفو عن السوء والمَظْلِمَة؛ فكما أنه يعفو عن خلقه ويتجاوز عنهم مع قدرته على الانتقام فاعفوا[7] أنتم عن ظالمكم أيضا[8] وإن قدرتم على الانتصار والانتقام منهم، فيكون لكم[9] بذلك عند الله الثواب. ويحتمل أن يأمرهم بالعفو عن مظالمهم ليعفو عز وجل عن مظالمهم التي فيما بينهم وبين ربهم؛ وعلى ذلك يخرج قوله: **فإن الله كان عفوا قديرا** -والله أعلم-[10] فإن الله عز وجل أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو صاحبكم المسيء إليكم. وقال بعضهم: الله أجدر وأحرى أن يعفو عنك إذا عفوت عن أخيك في الدنيا، وهو على ذلك أقدر.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمَات قصاص فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[2] روي ذلك عن مجاهد. انظر: *تفسير الطبري*، ٢/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٣/٢.

[3] ن ع م: أن.

[4] ن ع م: خطره.

[5] ع: يبدل.

[6] ن: بجهر.

[7] ن: فاعفو.

[8] ن - أيضا.

[9] ع: لك.

[10] ن - والله أعلم؛ ع - أعلم.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[١٥٠] أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[١٥١]**

وقوله عز وجل: **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله،** يحتمل وجهين.[١] يحتمل [أن يكون الواو بمعنى أو، كأنه][٢] قال[٣] تعالى: إن الذين يكفرون بالله ورسله أو يريدون[٤] أن يفرقوا بين الله ورسله، فيكون قوله: **يكفرون بالله** في الدهرية،[٥] لأنهم يكفرون بالله[٦] ولا يؤمنون به، ويقولون بقدم[٧] العالم، فذلك فيهم. وقوله: **ورسله**[٨] يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل كلهم. وقوله عز وجل: **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** في الذين كفروا ببعض الرسل وآمنوا ببعض الرسل،[٩] **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض.**

[١٦٨و س٢٢ *وقوله تعالى: **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا،** أي ويتخذون غير ذلك سبيلا، وعلى طرح إرادة **أن،** أي يتخذون **بين ذلك**[١٠] -بين إيمانٍ ببعض الرسل وبكفرٍ[١١] ببعض[١٢]

١٦٨و س٢٤] الرسل- دينا، فذلك لا ينفعهم إذا كفروا ببعض الرسل.*

ثم أخبر عز وجل عنهم جميعا مع[١٣] اختلاف مذاهبهم أنهم كفار، وحقق فيهم الكفر[١٤]

---

[١] م – يحتمل وجهين.

[٢] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٠و.

[٣] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٠و.

[٤] ك ن ع: ويريدون؛ م: أي يريدون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٠و.

[٥] الدهرية يقولون بقدم العالم وإنكار الصانع. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٣١١؛ و*الملل والنحل* للشهرستاني، ٤/٢.

[٦] ن – ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله فيكون قوله يكفرون بالله في الدهرية لأنهم يكفرون بالله.

[٧] ع: يقدم.

[٨] ن + فيكون قوله يكفرون بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم العالم فذلك فيهم وقوله ورسله.

[٩] ع – وآمنوا ببعض الرسل.

[١٠] ك + أي.

[١١] ك ن ع: ويكفر.

[١٢] م: بعض.

* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٦٨و/سطر ٢٢-٢٤.

[١٣] ع: من.

[١٤] ع م: الكفر فيهم.

بقوله تعالى: **أولئك هم الكافرون حقا**. ويحتمل أن يكون فيمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، فيكون الكفر[١] ببعض الرسل كفرا[٢] بالله وبجميع رسله وبجميع كتبه، لأن كل[٣] واحد[٤] من الرسل يدعو[٥] الخلق كلهم إلى الإيمان بالله[٦] والإيمان بجميع الرسل والكتب، وإذا كفر بواحد منهم كفر بالله[٧] وبالرسل[٨] جميعا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أولئك هم الكافرون حقا** يحتمل وجهين؛ يحتمل: **أولئك هم الكافرون**[٩] الذين حَقَّ عليهم الكفر بالله. والثاني: يكفرون[١٠] ببعض الرسل، أنهم وإن كفروا ببعض الرسل فقد حق عليهم الكفر بالله تعالى، لأن الكفر بواحد من الرسل كفر بالله[١١] وبالرسل[١٢] جميعا.

وقوله عز وجل: **وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**، وقوله: **مهينا**:[١٣] يُهانون فيه.*

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٥٢]**

ثم نعت المؤمنين فقال عز وجل: **والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم**، يعني من الرسل، وقالوا:[١٤] آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ،[١٥] إلى آخر ما ذكر. وفي الآية دلالة[١٦] نقض قول المعتزلة، لأنهم لا يسمون صاحب الكبيرة مؤمنا، وهو قد آمن بالله ورسله،

---

١ ن - بقوله أولئك هم الكافرون حقا ويحتمل أن يكون فيمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر.
٢ ن: كفروا.
٣ م: كلا.
٤ ع م - واحد.
٥ ع: يدعوا.
٦ ن - بالله.
٧ ع - منهم كفر بالله.
٨ ع: من الرسل.
٩ ع م - يحتمل وجهين يحتمل أولئك هم الكافرون.
١٠ ع: يكفر.
١١ م - بالله.
١٢ ع - كفر بالله وبالرسل؛ م: بالرسل.
١٣ ك - وقوله مهينا.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٦٨و/سطر ٢٢-٢٤.
١٤ م: قالوا.
١٥ سورة البقرة، ١٣٦/٢.
١٦ ن م - دلالة.

ولم يفرق[1] بين أحد من رسله، فدخل في قوله تعالى: **أولئك سوف يؤتيهم أجورهم**، وهم يقولون: لا يؤتيهم أجورهم. **وكان الله غفورا رحيما**، أخبر عز وجل أنه لم يزل غفورا رحيما، وهم يقولون: لم يكن غفورا رحيما،[2] ولكن صار غفورا رحيما. ***وبالله العصمة.***

**﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾**[١٥٣]

وقوله عز وجل: **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء**، قيل في أحد التأويلين: كان يريد كل أحد منهم أن يأتي إلى كل رجل منهم بكتاب[3] أن محمدا[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كقوله سبحانه وتعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا،[5] وكقوله تعالى: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه.[6] وقيل: سألوا أن يأتيهم بكتابٍ جُمْلةً مثل التوراة، مثل قولهم: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً،[7] كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة، لأنهم يقولون: إن هذا القرآن من اختراع[8] محمد واختلاقه، لأنه لو كان من الله نزل لنزل[9] جملة واحدة[10] كما نزلت التوراة جملة[11] غير متفرقة، فأخبر أنهم **سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة**، وقد سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل سؤال أولئك موسى، وهو قوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا.[12]

---

[1] م: ولم يفرقوا.

[2] ع – أخبر أنه لم يزل غفورا رحيما وهم يقولون لم يكن غفورا رحيما؛ م – وهم يقولون لم يكن غفورا رحيما.

[3] ك: بكتابه.

[4] م: إلى محمد.

[5] سورة المدثر، ٧٤/٥٢-٥٣.

[6] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.

[7] سورة الفرقان، ٢٥/٣٢.

[8] ك: اغتراع.

[9] ن – لنزل.

[10] ن – واحدة.

[11] ع م – يقولون إن هذا القرآن من احتراع محمد واختلاقه لأنه لو كان من الله نزل لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة جملة.

[12] سورة الفرقان، ٢٥/٢١.

يُعَزِّي عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ويُصَبِّره[١] على أذاهم. يقول[٢] -والله أعلم- إنهم سألوا آيات على رسالته فأتى بها، فلم يؤمنوا به.[٣] يخبر أن سؤالهم سؤال[٤] تَعَنّت لا سؤال استرشاد، لأن سؤالهم لو كان[٥] سؤال استرشاد لكان إذا أتوا بها قبلوها، ولذلك أخذهم[٦] العذاب بقوله تعالى: **فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**، لأنهم كانوا يسألون سؤال تَعَنّت لا سؤال رشد. وفي الآية دلالة أن المسئول لا يُلزَم الدليل على شهوة السائل وإرادته، ولكن يَلزمه[٧] أن يأتي بما هو دليل في نفسه. وفيه دلالة أيضا / أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب، لأنه لمّا[٨] [١٦٨ظ] قال: **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء** لم يخطر ببال أحد أنه أراد المجوس بقوله: **أهل الكتاب**. *والله أعلم*. فبطل قول من قال بأنهم من أهل الكتاب. *والله أعلم*.[٩]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**، والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك، وقد ذكرنا فيما تقدم.[١٠] وإنما أخذهم العذاب بكفرهم بموسى بعد ما أتاهم موسى عليه السلام بآيات الرسالة، لا بسؤالهم الرؤية، لأنه لو كان ما أخذهم العذاب إنما أخذ بسؤال الرؤية لكان موسى بذلك أولى، حيث قال: رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ،[١١] فدل أن العذاب إنما أخذهم بِتَعَنُّتِهم،[١٢] وبكفرهم بعد ظهور الآيات لهم أنه رسول الله؛[١٣] وذلك قوله تعالى: **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات**، يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة تَمرُّدِهم وسَفَهِهم، ليصبر على أذى قومه، ولا يَظن أنه أولُ مكذَّبٍ مِن الرسل.

---

[١] صَبّره: دعاه إلى الصبر وأمره به (*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «صبر»).
[٢] م: بقوله.
[٣] ن - به.
[٤] ن - سؤال.
[٥] ع م: كانوا.
[٦] م: أخذ.
[٧] ن ع م: يلزم.
[٨] ع - لما.
[٩] ع م - فبطل قول من قال بأنهم من أهل الكتاب والله أعلم.
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٥٥/٢.
[١١] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[١٢] ك: يتعنتهم.
[١٣] ك ن ع - الله.

وقوله عز وجل: **وآتينا موسى سلطانا مبينا**، قيل: السلطان المبين يحتمل الآيات التي أراهم ما يعقل كل أحد إن لم يعاند ولا[1] كَابَرَ أنها سماوية، إذ هي كانت خارجة[2] عن الأمر المعتاد بين الخلق، من نحو اليد البيضاء والعصا[3] وفَرْق البحر وغير ذلك.

**﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾**[١٥٤]

وقوله عز وجل: **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**، حين لم يقبلوا التوراة، فعند ذلك قبلوا، ثم أخذ عليهم الميثاق بذلك،[4] وهو ما ذكرنا.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت**،[6] يقول: لا تعملوا في السبت عملا من الدنيا، تفرغوا فيه للعبادة. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: وقلنا لهم لا تعتدوا[7] في السبت.[8] وقال أبو معاذ:[9] ويقرأ: لا تَعَدُّوا،[10] على معنى لا تَتَعَدُّوا، تُلغِي[11] أحد التاءين،[12] وإن شئت: تعتدوا، لم تدغم التاء في الدال.

وقوله عز وجل: **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**، هو ما ذكر. قال ابن عباس رضي الله عنه: من أرسل الله إليه رسولا فأقر به فقد أوجب على نفسه ميثاقا غليظا. وقال مقاتل: الميثاق الغليظ هو[13] إقرارهم بما عهد الله إليهم في التوراة.

---

[1] م: ولما.
[2] م: حاجة.
[3] م: والعصاء.
[4] ع: فذلك.
[5] ن: ذكر. انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٦٣/٢.
[6] ك – عن ابن عباس قال وقلنا لهم لا تعدوا في السبت.
[7] جميع النسخ: لا تعدوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٠ظ.
[8] نسبت هذه القراءة إلى الأعمش. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٧/٦.
[9] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري ويقال الدامغاني (ت ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٤٣٤/١؛ *وطبقات المفسرين* للسيوطي، ٤٢/١.
[10] ك + في السبت. وهي رواية ورش عن نافع من الأئمة السبعة. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٤٠.
[11] ك: يلقي؛ ع: تلقى.
[12] م: التائيين.
[13] ن ع - هو.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٥٥]

وقوله عز وجل: **فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله**، قال الكسائي:[١] "ما" هاهنا صلة، يقول:[٢] فبنقضهم ميثاقهم. وفي حرف ابن[٣] مسعود رضي الله عنه: وكفرهم بآيات الله من بعد ما تبينت. وقال مقاتل: فبنقضهم إقرارهم[٤] بما في التوراة، وبكفرهم **بآيات الله**، يعني بالإنجيل والقرآن، وهم اليهود.

وقوله: **وقتلهم الأنبياء بغير حق**، يحتمل على حقيقة القتل، ويحتمل على القصد والهم في ذلك،[٥] وقد هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يقتلون الأنبياء، وأما الرسل عليهم السلام فكانوا معصومين، لم يقتل رسول قط؛[٦] ألا ترى أنه قال: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[٧] وقال عز وجل: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ.[٨]

وقوله: **وقولهم قلوبنا غلف**، قيل فيه[٩] بوجهين. أحدهما أنهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، لا تسمع شيئا إلا حفظته، فالقرآن في هذا الوجه غُلُف.[١٠] والثاني قالوا:[١١] قلوبنا في أكنة مما تقول،[١٢] لا تعقل ما تقول،[١٣] فالقراءة في هذا الوجه غُلْف فيه.[١٤] ثم قال عز وجل:

---

[١] ن: الكيساني.
[٢] م – يقول.
[٣] ك: بن.
[٤] ع – من بعد ما تبينت وقال مقاتل فبنقضهم إقرارهم.
[٥] ع – في ذلك.
[٦] لم أجده. وقد قال الله تعالى: ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رُسُلاً كُلَّمَا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ (سورة المائدة، ٥/٧٠)، فأخبر أنهم قتلوا الرسل.
[٧] سورة المؤمن، ٤٠/٥١.
[٨] سورة الصافات، ٣٧/١٧٢.
[٩] ع م – فيه.
[١٠] أي قالوا: إن القرآن مغلق لا يفهم، فاتهموا القرآن بأنه غير معقول ولامفهوم.
[١١] ع – قالوا.
[١٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥).
[١٣] ك: نقول.
[١٤] أي قالوا: إن قلوبنا مغلقة لا تفهم القرآن، فادعوا على أنفسهم الحماقة والجنون على طريق الاستهزاء. يقول ابن منظور: «العلاف الصوان وما اشتمل على الشيء... والجمع: غلف. وقلب أغلف: بين الغلفة، كأنه غشي بغلاف فهو لا يعي شيئا. وفي التنزيل العزيز: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٨)، وقيل: معناه: ضُمّ. –

**بل طبع الله عليها بكفرهم**، يحتمل أن يكون هذا جوابا وردا على قولهم: إن قلوبنا أوعية للعلم، لا تسمع شيئا إلا وعته؛[1] أخبر عز وجل أنه طبع على قلوبهم بكفرهم، فلا يفقهون شيئا. ***والله أعلم***.

**﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾**[١٥٦]

وقوله: **وقَوْلِهم على مريم بهتانا عظيما**، قال ابن عباس رضي الله عنه: قذفوها[2] بالزنا،[3] وهو قولهم: لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا.[4] وقيل: قوله تعالى: **وبكفرهم**، أي كفرهم[5] بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، **وقولهم على مريم** ما قالوا: لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا.[6]

**﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾**[١٥٧] **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾**[١٥٨]

**وقَوْلِهم إنا قتلنا المسيح**، قيل: سمي مسيحا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة، فهو كالممسوح، الفعيل[7] بمعنى المفعول،[8] وذلك[9] جائز في اللغة. وقيل: المسيح بمعنى ماسح، لأنه كان يمسح المريض والأبرص والأكمه فيبرأ، فسمي لذلك مسيحا، وذلك جائز:[10] الفعيل بمعنى فاعل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله**، الآية، لبعض الناس تعلّقٌ بهذه الآية من وجهين.[11] أحدهما في احتمال الغلط والخطأ في المشاهدات والمعاينات،

= ومن قرأ: غُلُف، أراد جمع غلاف، أي إن قلوبنا أوعية للعلم كما أن الغلاف وعاء لما يوعى فيه. وإذا سكنت اللام كان جميع أغلف، وهو الذي لايعي شيئا» (*لسان العرب*، «غلف»).

[1] ع: الاوعية.

[2] ن: فقذفوها.

[3] *تفسير الطبري*، ١٢/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٧/٢.

[4] سورة مريم، ٢٧/١٩.

[5] ك: كفر.

[6] سورة مريم، ٢٧/١٩.

[7] ك ن ع: الفعل؛ م: العقل.

[8] م: المعقول.

[9] ع: وكذلك.

[10] م – جائز.

[11] م: بوجهين.

والثاني في احتمال المتواتر من الأخبار الغَلَط والكَذِب.[١] وذلك أنه قيل[٢] في القصة: إن اليهود طلبت عيسى عليه السلام ليقتلوه، فحاصروه في بيت، ومعه نفر من أصحابه من الحواريين، فأدركهم المساء، فباتوا[٣] يحرسون، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ،[٤] فأخبر أصحابه، وقال: أيكم يحب أن يُلقَى عليه شَبَهي فيُقتَل ويجعله الله يوم القيامة معي في درجتي؟[٥] فقال رجل منهم: أنا يا رسول الله،[٦] فألقى الله تعالى عليه[٧] شَبَهه، ورفع عيسى صلوات الله عليه. فلما أصبح القوم أخذوا الذي ألقى الله عليه شبهه[٨] فقتلوه وصلبوه.[٩] وقيل: إنه ألقي شبهه[١٠] على رجل من اليهود. وقيل فيه:[١١] إنه عليه الصلاة والسلام لما هموا بقتله التجأ إلى بيت فدخل، وجاءوا[١٢] في طلبه، فدخل رجل منهم البيت ليقتله، فأبطأ عليهم، فظنوا أنه يقاتله، فلما خرج وقد أُلقي شَبَهُه عليه فقتلوه.[١٣]

[١٦٩و] وقالوا:[١٤] لما قتلوا ذلك الرجل[١٥] وعندهم أنه / عيسى لما كان به شَبَهه ثم لم يكن ذلك عيسى، ما يمنع أيضا أن ما[١٦] يشاهَد ويعايَن أنه في الحقيقة على غير ذلك، كما شاهد أولئك القوم وعاينوا وعندهم أنه عيسى ثم لم يكن؟ **والله أعلم**. ثم الخبر أيضا

---

[١] الأول هو رأي السوفسطائية الذين قالوا إنه لا حقيقة للأشياء لاحتمال الغلط في المشاهدات، والثاني رأي بعض المعتزلة (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠١و).

[٢] ع: قيل إنه.

[٣] ع: فياتوا؛ م: فبايوا.

[٤] سورة آل عمران، ٥٥/٣.

[٥] م: در جوف.

[٦] ع – الله.

[٧] ع: على.

[٨] ع م – ورفع عيسى صلوات الله عيه فلما أصبح القوم أخذوا الذي ألقى الله عيه شبهه.

[٩] روي نحو ذلك عن ابن عباس وقتادة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٧/٢-٧٢٨.

[١٠] ن: شبهة.

[١١] ع م – فيه.

[١٢] جميع النسخ: فإذا جاءوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠١و.

[١٣] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/٦.

[١٤] أي وقال بعض الناس الذين تعلقوا بهذه الآية...

[١٥] ع م – الرجل.

[١٦] م – ما.

قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذبا، ما يمنع أيضا أن الأخبار المتواترة يجوز أن تخرج[١] كذبا وغلطا؟[٢]

قيل:[٣] أما[٤] الخبر بقتله إنما انتشر عن ستة أو سبعة على ما ذكر في القصة، والخبر الذي كان انتشاره بذلك القدر من العدد هو[٥] من أخبار[٦] الآحاد عندنا. وأما قوله تعالى: **ولكن شُبِه لهم**، يجوز[٧] أن يكون ذلك التشبيهُ تشبيه خبرٍ: أنه [هل] قُتِل من إلقاء الشبه على غيره، أو قَتْلِه[٨] حقيقة؟[٩] وذلك أنه ذكر في بعض القصة أنهم لما طلبوه[١٠] في ذلك البيت فلم يجدوه ولم يكن غاب أحد منهم فقالوا: قتلناه،[١١] لأنهم [إن] قالوا: إنه دخل البيت فدخلوا هم[١٢] على أثره فلم يجدوه، كان ذلك إنباء من عظيم آيات[١٣] رسالته، فلم يحبوا أن يقولوا ذلك فقالوا: قتلناه، كَذِبًا، فذلك تشبيه منهم لهم. *والله أعلم*. فإن احتمل هذا لم يكن فيما[١٤] قالوا من تَخْطِئة العين[١٥] لهم دَرْكٌ؛ ولو[١٦] كان ما قال أهل التأويل من إلقاء شبهه[١٧] عليه

---

[١] م: أن يخرج.

[٢] قال الشارح: «في هذه الآية إشكال من وجهين. أحدهما إشكال السوفسطائية الذين قالوا: إنه لا حقيقة للأشياء لاحتمال الغلط والخطأ في المشاهدات... والثاني إشكال بعض المعتزلة الذين ينكرون كون الخبر المتواتر حجة لاحتمال الغلط في المتواتر؛ ألا يرى أن الخبر قد تواتر في اليهود والنصارى بقتل عيسى عليه السلام وكان كذبا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠١و).

[٣] ع: وقيل.

[٤] م – أما.

[٥] ع م: وهو.

[٦] م: الأخبار.

[٧] ع: تجوز.

[٨] جميع النسخ: وقتله.

[٩] أي اشتبه على الناس أمر عيسى عليه السلام هل قتل حقيقة أو قتل من ألقي عليه شبهه، بناء على الأخبار المختلفة. وقال السمرقندي: «فقوله: ﴿ولكن شبه لهم﴾ يحتمل أن يراد به أنه ألقي شبهه على غيره فقتل ذلك، ويحتمل أن لا يراد به هذا ولكن المراد من التشبيه هو التلبيس، فمعنى قوله: ﴿شبه لهم﴾ أي لبّس عليهم، أعني على الأتباع السفلة الذين كانوا خارج البيت الذي كان فيه عيسى عليه السلام» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠١و).

[١٠] جميع النسخ: لما طلبوا.

[١١] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/٦.

[١٢] م: فدخلوهم.

[١٣] ع – آيات.

[١٤] جميع النسخ: ما.

[١٥] ن ع م: العير.

[١٦] جميع النسخ: فلو.

[١٧] ن ع: شبهة.

فذلك من آيات رسالته،[١] أراد الله أن يكون آياته قائمة بعد غيبته عنهم، وفي حال إقامته بينهم.[٢] *والله أعلم*.

وقوله: **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه**، قيل: لفي شك[٣] من قتل عيسى، قُتِل أو لم يُقْتَل. وقيل: **لفي شك منه**، في عيسى، أي على الشك يقولون: إنه ابن الله. **ما لهم به من علم إلا اتباع الظن**، أي ليس لهم بذلك **إلا اتباع الظن**، إلا قولٌ مِنهم يظنهم[٤] في غير يقين. **وما قتلوه يقينا**، أي ما قتلوا ظنّهم يقينا،[٥] **بل رفعه الله**؛ وقيل: **وما قتلوه يقينا**،[٦] أي يقينا ما قتلوه، **بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا**، قيل: **عزيزا**[٧] حين حال بينهم وبين عيسى أن يقتلوه ويَصِلوا إليه، **حكيما**، حَكَمَ أن يرفعه الله حيا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **وكان الله عزيزا حكيما**، إن رسله يكونون معصومين، وهو قوله تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ،[٨] وقوله عز وجل أيضا: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ.[٩] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٠]

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[١٥٩]

وقوله: **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**، اختلف فيه؛ قال بعضهم:

---

[١] م: الرسالة.

[٢] قال السمرقندي: «إن كان الأمر على ما قال أهل التأويل من إلقاء شبهه على غيره فليس بلازم أيضا؛ لأن ذلك آية من آيات رسالته على خلاف العادة بأن رفع من بينهم وألقي شبهه على غيره، فيكون في ذلك عصمته عن استذلال الكفرة على وجه يعجز عنه البشر، فنقول ذلك على أنه من الله تعالى آية لرسالته ودلالة على صدق دعوته؛ وهذا لا يقدح في كون المحسوس حقيقة على مجرى العادة، لأن الله تعالى ما أجرى العادة على قَلْبِ المحسوس وإن كان تحت قدرته، وأبَدًا المعجزة على نقيض العادة لا يقدح في الثابت بطريق العادة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠١و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٢٦و).

[٣] ك ع – منه قيل لفي شك.

[٤] ن: يظنهم.

[٥] قال الطبري: «وهذا كقول الرجل للرجل: ما قتلتَ هذا الأمر علمًا، وما قتلته يقينًا، إذا تكلم فيه بالظن على غير يقين علم، فالهاء في قوله: ﴿وما قتلوه﴾ عائدة على الظن» (*تفسير الطبري*، ٦/١٧).

[٦] ع + أي ما قتلوا ظنهم يقينا بل رفعه الله وقيل وما قتلوه يقينا.

[٧] ع م – قيل عزيزا.

[٨] سورة المجادلة، ٥٨/٢١.

[٩] سورة الصافات، ٣٧/١٧١-١٧٢.

[١٠] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٥٥.

قوله تعالى: **قبل موته**، أي قبل موت عيسى، إذا نزل من السماء آمنوا به أجمعون، وبه يقول الحسن.[1] وقال الكلبي: إن الله تعالى إذا أنزل عيسى عند مخرج الدجال فقتل الدجال[2] يؤمن به بقية أهل الكتاب، فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا أسلم؛[3] وقال بعضهم: **إلا ليؤمنن به قبل موته**، أي قبل موت الكتابي، لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى صلوات الله عليه، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى[4] عليه السلام، قيل: وإن ضرب بالسيف؟ قال: وإن ضرب بالسيف. وقال: هي في حرف أُبيّ: إلا[5] ليؤمنُنّ به قبل موتهم.[6] لكن التأويل إن كان هو الثاني فهو في رؤسائهم الذين كانت لهم رياسة، فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع التي كانت لهم، فلما حضرهم[7] الموت أيقنوا بذهاب ذلك عنهم، فعند ذلك يؤمنون، وهو -والله أعلم- كقوله تعالى: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ،[8] لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، كقوله تعالى: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[9] لأنه[10] إيمان دفع العذاب واضطرار،[11] كقوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ،[12] الآية؛ فكان إيمانهم إيمان دفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة، لأنه لو كان إيمان حقيقة لقبل، ولكن إيمان دفع، كقول[13] فرعون: حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[14] فلم يقبل ذلك منه لأنه إيمان دفع العذاب وإيمان اضطرار لا إيمان حقيقة، فعلى ذلك الأول. ***وبالله التوفيق***. وقيل: في حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] روي ذلك عن ابن عباس والحسن. انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٣٣/٢، ٧٣٥.
[2] ع م – فقتل الدجال.
[3] روي نحوه عن ابن زيد. انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٣٤/٢.
[4] ك – وكذلك روي عن ابن عباس قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى.
[5] م: لما.
[6] ن ع: موته. *تفسير الطبري*، ٢٠/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٣٣/٢.
[7] ن: حضر لهم.
[8] سورة النساء، ١٨/٤.
[9] سورة الأنعام، ١٥٨/٧.
[10] ع م: لأنها؛ ع + إيمان حقيقة لقبل ولكن.
[11] ع: واضطراره؛ م: والاضطرار.
[12] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.
[13] ع: كقوله.
[14] سورة يونس، ٩٠/١٠.

وإن من أهل الكتاب إلا من[١] ليؤمنن قبل موته.[٢] وفي حرف حفصة رضي الله عنها: وإنْ كلٌّ[٣] أهل الكتاب لَمّا[٤] ليؤمنن به قبل موته. وقيل: **ليؤمنن به**، قيل: بالله، وقيل: بعيسى، وقيل: بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن عيسى عليه السلام[٥] إذا نزل يدعو الناس إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا**، قيل: الله **يكون عليهم شهيدا** بأنه قد بلغ رسالة ربه إليهم وأقر على نفسه بالعبودة؛ وقيل: الشهيد الحافظ؛[٦] وقيل: **ويوم القيامة يكون** عيسى[٧] **عليهم شهيدا**؛ وقيل: **يكون** محمد **عليهم شهيدا**؛ وهذا كله محتمل، والله أعلم ما أراد.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[١٦٠]

وقوله: **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**، لولا آية أخرى سوى هذه وإلا صرفنا[٨] قوله سبحانه وتعالى: **حرمنا عليهم طيبات** على المنع دون حقيقة[٩] التحريم، لأنهم أهل كفر فلا يبالون ما يتناولون[١٠] من المحرم والمحلل، ولا يمتنعون عن التناول من ذلك، فإذا كان ما ذكرنا فيجيء أن يُصرَف تأويل الآية إلى المنع، كقوله تعالى: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[١١] فليس هو على التحريم، ولكن على المنع، أي منعناه فلم يأخذ من لبن المراضع دون لبن أمه، فعلى / ذلك يجب أن يكون الأول. ثم المنع لهم يكون من وجهين. [١٦٩ظ]
أحدهما منع من جهة منع الأَنْزَال[١٢] لقلة الأمطار والقحط كسِنِي يوسف عليه السلام،

---

[١] ن ع م – من.
[٢] ن: موت.
[٣] ك: كان؛ ع: من.
[٤] ع: إلا.
[٥] ع + وذلك أن عيسى عليه السلام.
[٦] ع: الحافض.
[٧] ع م – عيسى.
[٨] ك: لاصرفنا.
[٩] ع م: تحقيق.
[١٠] م – ما يتناولون.
[١١] سورة القصص، ١٢/٢٨.
[١٢] الأَنْزَال بمعنى الأرزاق، وهو جمع نُزُل (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

وسني مكة على ما كان لهم من القحط.[1] والثاني منع[2] من جهة الخلق ألا[3] يعطوا شيئا لا بيعا ولا شراء ولا معروفا.[4] لكن[5] في آية أخرى بيان أن قوله: **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** أنه على التحريم ليس على المنع، وهو قوله: وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ،[6] أخبر عز وجل أن ذلك جزاء بغيهم، فدل ما ذكرنا في الآية أن ذلك على حقيقة[7] التحريم، لما يحتمل أن يكونوا لا يستحلون ما ذكر في الآية، ولكن كانوا يتناولون الربا[8] على غير الاستحلال، فحرم ذلك عليهم. وفي قوله تعالى: **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** دلالة لأصحابنا[9] رحمهم الله في قولهم: إن من قد أقر فقال: هذا الشيء لفلان اشتريته منه، إنه[10] له ولا يؤخذ منه، وفي[11] ظاهر قوله: هذا الشيء لفلان اشتريته منه، أنه[12] إذا اشتراه منه لا يكون لفلان، فيكون ذلك منه[13] إقرارا له، لكنه على الإضمار، كأنه قال: هذا الشيء كان لفلان، اشتريته منه، وكذلك قوله: **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**، أي كانت أحلت[14] لهم، وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه، وحرف ابن عباس رضي الله عنهما: حرمنا عليهم طيبات كانت أحلت لهم.[15]

---

[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ... إن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد... (*صحيح البخاري*، التفسير ٤٤/٢؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٤٠).

[2] ع م – منع.

[3] م: لا.

[4] م: ومعروفا.

[5] م: ولكن.

[6] سورة الأنعام، ١٤٦/٦.

[7] ن ع م: تحقيق.

[8] ع م – الربا.

[9] ع: أصحابنا.

[10] ع م – إنه.

[11] جميع النسخ: وإلا في.

[12] ن – له ولا يؤخذ منه وإلا في ظاهر قوله هذا الشيء لفلان اشتريته منه أنه؛ صح هـ؛ ع م – أنه.

[13] ع م – منه.

[14] ع م – أحلت.

[15] لقراءة ابن عباس انظر: *المصاحف* لابن أبي داود السجستاني، ٧٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٤٣/٢.

وقوله عز وجل: **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا**، أي بصدهم الناس عن سبيل الله كثيرا؛ يحتمل هذا وجهين. يحتمل أنهم صدوا من يستجهلون ويستسفهون[1] عن سبيل الله، كانوا يدلون على الباطل وعلى غير سبيل الله، فذلك الصد محتمل؛[2] ويحتمل أنهم كانوا يصدون عن سبيل الله بالقتال والحرب.

**﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[١٦١]

وقوله: **وأخذهم الربا وقد نهوا عنه**، دل أن الربا لم يَزَل محرّمًا على الأمم كلها كما حُرِم على هذه الأمة، وقوله: **وأكلهم أموال الناس بالباطل**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أكل أموالهم بالباطل هو الرشوة، كقوله تعالى: وَأَكْلِهِمُ السُّحتَ،[3] قيل: هو الرشوة، وقيل: ما كانوا ينالون من أموال الأتباع والسَّفَلَة بتحريفهم التوراة لهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقوله عز وجل: **وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**، الآية ظاهرة.

**﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[١٦٢]

وقوله: **لكن الراسخون في العلم**، استثنى الراسخين في العلم[4] منهم. والرُّسُوخ[5] هو ثبات الشيء في القلب،[6] يقال: رسخ العلم في القلب، ورسخ الإيمان في القلب. وقوله: **لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة**، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها[7] قالت: هذا خطأ من الكاتب، هو المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة؛[8]

[1] م: ويستفهمون.

[2] م: يحتمل.

[3] ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾ (سورة المائدة، ٦٢/٥).

[4] ك ن – في العلم.

[5] ك ن م: والرسخ؛ ع: والراسخ.

[6] رسخ الشيء يرسَخ رُسوخًا: ثبت في موضعه، والراسخ في العلم: الذي دخل فيه دخولا ثابتا، وكل ثابت راسخ، ومنه: ﴿الراسخون في العلم﴾ (*لسان العرب* لابن منظور، «رسخ»).

[7] ع م – أنها.

[8] *تفسير الطبري*، ٢٥/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٤٤/٢-٧٤٥.

وكذلك[1] في حرف ابن مسعود: والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة.[2] وقال الكسائي: وجه قراءتنا: **يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة**، يقول:[3] يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ويؤمنون بإقامة الصلاة، كما قال عز وجل في سورة البقرة: وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ،[4] معناه: ولكن البر الإيمان بالله. وقال بعضهم: قوله تعالى: **يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** وبالمقيمين[5] الصلاة، يعني الرسل. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون[6] يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك المقيمين[7] الصلاة المؤتين[8] الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر سوف نؤتيهم أجرا عظيما، وكذلك في حرف أُبي: المقيمين الصلاة، بالنصب.[9]

**﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾**[١٦٣]

وقوله عز وجل: **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**، قيل فيه بوجوه. قيل: [في] قوله: **كما أوحينا إلى نوح**، الكاف صلة زائدة، ومعناه:[10] إنا أوحينا إليك ما أوحينا إلى نوح ومَن ذُكِر من بعده، أي لا يختلف ما أنزل إليك وما أنزل[11] إلى غيرك من الرسل، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ،[12] و[قوله:] إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ.[13] وقيل: **إنا أوحينا إليك** من الحجج والآيات **كما أوحينا إلى نوح**

[1] ع – وكذلك.
[2] *تفسير الطبري*، ٢٥/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/٦.
[3] ن ع م: لقوله.
[4] سورة البقرة، ١٧٧/٢.
[5] ع: والمقيمين.
[6] ك ن م – منهم والمؤمنون.
[7] ع م: والمقيمين.
[8] ع م: والمؤتين.
[9] *تفسير الطبري*، ٢٦/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/٦.
[10] م: معناه.
[11] ن – إليك وما أنزل.
[12] سورة الشعراء، ١٩٦/٢٦.
[13] ن ع م + الآية. سورة الأعلى، ١٨/٨٧.

ومن ذكر من الحجج والآيات،[١] أي قد أعطاك [الله] من الحجج والآيات ما يدل على رسالتك ونبوتك، كما أعطى أولئك من الحجج والآيات على صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة،[٢] ثم لم يؤمنوا. وقيل: إن اليهود قالوا: إن محمدا لو كان رسولا لكان يُؤتَى كتابا جملة كما أوتي موسى كتابا جملة من غير وحي، فقال[٣] الله تعالى: **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** وحيا من غير أن أوتي كلا منهم كتابا جملة كما أوتي موسى،[٤] ثم كان أولئك رسلا، فعلى ذلك محمد صلى الله عليه وسلم رسول[٥] وإن لم يؤت كتابا كما أوتي موسى، ولله أن يفعل ذلك، يؤتي من شاء[٦] كتابا جملة مرة، ومن شاء يوحي إليه بالتفاريق، والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب** ومن ذكر، يحتمل ذكر إبراهيم ومن ذكر من[٧] أولاده بعد قوله: **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين**، على التخصيص لإبراهيم ومن ذكر، لأنه ذكر النبيين بعد نوح فدخلوا فيه، ثم خص لهم بالذكر تفضيلا وتخصيصا لهم. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **والنبيين من بعده** الرسل الذين كانوا بعد نوح قبل إبراهيم، ثم ابتدأ الكلام فقال: **وأوحينا إلى إبراهيم** ومن ذكر. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: إنا / أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح وكما أوحينا إلى الرسل من بعده[٨] [١٧٠و] وكما أوحينا إلى إبراهيم، فهذا يدل على ما ذكرنا[٩] من ابتداء الذكر لهم. **والله أعلم**.

والآية ترد على القَرَامِطَة[١٠] مذهبهم، لأنهم يقولون: الرسل ستة سابعهم قائم الزمان،

---

[١] ك + على صدق ما ادعوا؛ ع – كما أوحينا إلى نوح ومن ذكر من الحجج والآيات.
[٢] م – والنبوة.
[٣] جميع النسخ: قال.
[٤] لم أجده هكذا، لكن روي عن ابن عباس قال: قال سكين وعدي بن زيد: يا محمد، ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ إلى آخر الآيات (*تفسير الطبري*، ٢٨/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٤٥/٢).
[٥] ن ع م: رسولا.
[٦] ع م: يشاء.
[٧] م – من.
[٨] جميع النسخ: من بعدهم.
[٩] ك: ما ذكر.
[١٠] القرامطة عدهم الأشعري من الرافضة، وذكر أنهم يزعمون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابن ابنه محمد بن اسماعيل، وزعموا أن محمد بن اسمعيل حي الى اليوم لم يمت، لا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ٢٦/١. والأولى أن يعدوا من الباطنية كما فعل البغدادي، وذكر أنهم ينسبون إلى حمدان بن قرمط، ولهم فتن ومعارك مشهورة في القرن الثالث والرابع الهجري. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢٦٧/١، ٢٧٢-٢٧٥.

لأنه ذكر في الآية من الرسل أكثر من عشرة، فظهر كذبهم بذلك ومَخَايِلُهم التي سَوَّل لهم الشيطان وزين في قلوبهم.

**﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾**[١٦٤]

وقوله عز وجل: **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك،** ذُكر في بعض القصة أن اليهود قالوا: ما بال موسى لم يُذكَر فيمن ذكر من الأنبياء؟ فأنزل الله عز وجل: **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل،** هؤلاء بمكة في الأنعام[1] وفي غيرها، لأنه قيل: إن هذه السورة مدنية. ثم في قوله: **ورسلا لم نقصصهم عليك** دلائل من وجوه. أحدها أن معرفة الرسل بأجمعهم واحدًا[2] بعد واحد ليس من شرط الإيمان بعد أن يؤمن بهم جميعا، لأنه أخبر عز وجل أن من الرسل من لم يقصصهم[3] عليه، ولو كان معرفتهم من شرط الإيمان لقصّهم[4] عليه جميعا، لا يحتمل ترك ذلك، دل أنه ليس ذلك من شرط الإيمان. *والله أعلم*. والثاني أن الإيمان ليس هو المعرفة، ولكنه التصديق، لأنه لم يؤخذ عليه معرفة الرسل، وأُخِذ بتصديقهم والإيمان بهم جملة.

وقوله عز وجل: **وكلم الله موسى تكليما،** اختلف فيه؛ قال بعضهم: خلق الله كلاما وصوتا وألقى ذلك في مسامعه. وقال آخرون: كتب له كتابا فكلمه بذلك، فذلك معنى قوله: **وكلم الله موسى تكليما،** لا أن كلمه بكلامه. ولا ندري كيف كان سوى أنا نعلم أنه أحدث صوتا لم يكن، فأسمع موسى ذلك كيف شاء وما شاء[5] ومم[6] شاء، لأن كلامه الذي هو موصوف به في الأزل لا يوصف بالحروف، ولا بالهجاء، ولا بالصوت،

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتلك حُجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجاتٍ مَن نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هَدَيْنا ونوحًا هَدَيْنا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌ مِن الصالحين وإسماعيل والْيَسَع ويونس ولوطًا وكلاً فضلنا على العالمين﴾ (سورة الأنعام، ٨٣/٦-٨٦).

[2] ن ع: واحد.

[3] ن ع م: لم نقصصهم.

[4] ن: يقصهم.

[5] ع م: وما يشاء.

[6] م: ممن.

ولا بشيء مما يوصف به كلام الخلق بحال. وما يقال: هذا كلام الله، إنما يقال على الموافقة والمجاز، كقوله: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[١] ولا سبيل له إلى[٢] أن يسمع كلام الله الذي هو موصوف به في الأزل،[٣] ولكنه على الموافقة والمجاز يقال[٤] ذلك. وقوله عز وجل: **وكلم الله موسى تكليما**، يخرج هذا -والله أعلم- مخرج التخصيص له، إذ ما من رسول إلا وقد كان له خصوصية لم تكن[٥] تلك لغيره، فهذه خصوصية[٦] لموسى عليه السلام، إذ كلمه من غير أن كان ثم[٧] سفير أو رسول،[٨] وكان لسائر الرسل وحيا يوحي إليهم، أي بواسطة رسول.[٩] *والله أعلم*.

وقوله: **وكلم الله موسى تكليما**، دل المصدر على تحقيق الكلام، إذ المصادر[١٠] مما يؤكد حقائق ما له المصادر في موضوع[١١] اللغة. وأيد ذلك الأمر المشهور من تسمية موسى كليم الله وما جرى على ألسن الخلق من القول بأن الله كلم موسى، فثبت أنه كان له فيما كلمه خصوصية لم يَشْرَكْهُ فيه غيرُه من الرسل؛ وعلى حق الوحي وإنزال الكتب له شُركاء[١٢] في ذلك من الرسل؛ فثبت أنَّ لِمَا وصف به موسى خصوصية بَانَ به غيرَه؛ على ما ذُكر[١٣] من خصوصية[١٤] كثير من الرسل بأسماء أو نعوت أوجبت لهم الفضيلة بها، وإن كان جُمَلُ ما يحتمل تلك الخصوصية قد يتوجه إلى ما قد يشترك في ذلك جملة الرسل، فعلى ذلك أمر تكليم موسى عليه السلام.

---

[١] سورة التوبة، ٦/٩.
[٢] م - إلى.
[٣] م: بالأزل.
[٤] ن: فقال.
[٥] ن: لم يكن.
[٦] ع م - لم تكن تلك لغيره فهذه خصوصية.
[٧] ع م: ثمة.
[٨] ع: سفيرًا ورسول.
[٩] جميع النسخ: أي دليل برسول؛ والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٣و.
[١٠] ك: المصاد.
[١١] ع م: موضع.
[١٢] ع م: شريكا.
[١٣] ك ع م: دكره.
[١٤] ع م - بان به غيره على ما دكره من خصوصية.

﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١٦٥]

وقوله: **رسلا مبشرين ومنذرين**، أخبر أنه بعث الرسل بالبِشارة في العاقبة لمن أطاعه والإنذار لمن عصاه، فهذا ليُعْلَم أن كل أمرٍ[١] لا عاقبة له[٢] فهو عبث ليس من الحكمة، وأن الذي دعا[٣] الرسلُ الخلق إليه إنما دَعَوْا لأمرٍ له عاقبة، إذ في عقل كل أحد أن كل أمر لا عاقبة له ليس بحكمة. فهذا -والله أعلم- معنى قوله: **رسلا مبشرين ومنذرين**، **[مبشرين]** لمن أطاع الله بالجنة، **ومنذرين** لمن عصاه بالنار.

وقوله عز وجل: **لئلا يكون للناس على الله حجة**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: **لئلا يكون للناس على الله** تعالى الاحتجاج بأنه لم يرسل الرسل إلينا، وإن لم يكن لهم[٤] في الحقيقة عند الله عز وجل ذلك، فيقولوا: لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى.[٥] ويحتمل قوله تعالى: **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** حقيقة الحجة، لكن ذلك إنما يكون في العبادات والشرائع التي سبيل معرفتها السمع لا العقل.[٦] وأما الدين[٧] فإن سبيل لزومه العقل،[٨] فلا يكون لهم في ذلك على الله حجة، إذ في خِلْقَةِ[٩] كل أحد من الدلائل ما لو تأمل وتفكر فيها لَدلَّته[١٠] على هَسْتِيَّته[١١] وعلى وحدانيته وربوبيته. لكن بَعَثَ الرسلَ لِقطع الاحتجاج لهم عنه، وإن لم تكن[١٢] لهم الحجة. وإن كان على حقيقة الحجة فهو في العبادات والشرائع، فبعث الرسل[١٣]

---

[١] ع - أمر.
[٢] ن: لا عافيه.
[٣] ع م: دعى.
[٤] ن - لهم.
[٥] سورة طه، ١٣٤/٢٠.
[٦] ع م + فلا يكون.
[٧] ع: الذين.
[٨] ع م: بالعقل.
[٩] ك ن ع: خلقه.
[١٠] ع: لدلالته؛ م: لدل له.
[١١] ن م: هيبته؛ ع: هيئته. هَسْتِيَّة: كلمة فارسية بمعنى الوجود في الخارج.
[١٢] ن ع م: لم يكن.
[١٣] ع: الرحيل؛ م: الرحل.

على قطع الحجة لهم.[1] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وكان الله عزيزا حكيما**، أي لا يعجزه شيء[2] عن إعزاز من أراد أن يُعزّه،[3] ولا عن[4] إذلال من أراد إذلاله، **حكيما**، يعرف وضع كل شيء موضعه، وقد ذكرنا تأويله في غير موضع.

**﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[١٦٦]**

وقوله: **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون**، قيل فيه بوجهين. قيل: يشهد الله يوم القيامة، **والملائكة يشهدون** أيضا أن هذا[5] القرآن الذي أُنزل إليك

---

[1] قال الشارح: «والإشكال: أني يكون للعبد حجة على الله تعالى حتى يقطع حجتهم عن نفسه ببعث الرسل عليهم السلام؟ الجواب: أما على قول أصحاب الحديث الذين لا يقولون بأن العقل بما يعرف به الحسن والقبيح والواجب والمحظور، ويقولون: لله تعالى تعذيب كل من يشاء من عباده بذنب وبغير ذنب في الدنيا والآخرة، فلم يكن لأحد على الله تعالى حجة... لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء. فلم يكن بعث الرسل على أصلهم يقطع حجة الكفر، بل إنما يقطع حجة الاحتجاج؛ فإنه لو لم يبعث الرسل يحتج الكفرة بذلك في دفع العذاب عن أنفسهم كما أخبر عنهم: ﴿فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾(سورة طه، ١٣٤/٢٠). فالمراد من الحجة هو الاحتجاج على قولهم، وإن لم يكن لهم حق الاحتجاج في الحقيقة. وكذلك على قول عامة أهل الرأي من أهل السنة وغيرهم ممن يقولون بالعقل: المراد من قوله: ﴿لئلا يكون لناس على الله حجة بعد الرسل﴾ هو الاحتجاج دون حقيقة الحجة فيما كان العقل طريقا لمعرفته نحو أصل الدين، وإن كان عندهم جميعا من حيث العقل يكون التعذيب قبيحا في الآخرة وفي الدنيا ليس بقبيح عند أهل السنة؛ خلافا للمعتزلة فإنه قبيح لا لعوض، لكن قد أقام الدليل على قبح الكفر والظلم ونحو ذلك، وبالعقل يتمكن من معرفته؛ إذ في خلقة كل أحد من الدلائل على وحدانيته مما لو تأمل فيها لدلته على ذلك، فكان الإقدام على الكفر مع قيام الدلائل على القبح يكون معصية وذنبا، فلا يكون لهم عذرا في الكفران ولا في ترك الإيمان؛ فلا يكون بعث الرسل لقطع الحجة بل يكون لقطع الاحتجاج. وأما على قول بعض أصحاب الرأي الذين لا يقولون بكون العقل موجبا مثل بشر ونحوه، ويقولون بأن بعث الرسل لقطع الحجة، لأن بالعقل يعرف أنه لا عذر أبلغ في الشاهد من أن يقول: لم أعلم لما أمرتني به ونهيتني عنه في وضع العذاب المتوجه عليه في ترك المأمور والإقدام على المنهي، فلو لم يبعث الرسل لتوجهت الحجة للكفرة على الله تعالى من هذا الوجه في تعذيبهم، فكان إرسال الرسل يكون لقطع الحجة على قولهم، فيكون عملا بحقيقة الآية. وأما على قول أهل السنة والجماعة من أصحاب الرأي الذين يقولون بالعقل يكون إرسال الرسل لقطع الحجة أيضا فيما كان سبيل معرفته السمع دون العقل، وهو العبادات والشرائع أعني في حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها، فإنها مما يعرف بالعقل. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٣ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٢٩ظ).

[2] ن + عن ابن عباس.

[3] م: أن يعجزه.

[4] جميع النسخ: ولا على.

[5] ك – هذا.

إنما أنزل من عند الله، لا كما يقولون: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] ومَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[2] إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[3] كما قالوا. وقيل: قوله: **لكن الله يشهد بما أنزل إليك**، أي يبين بالآيات والحجج التي[4] يَعجز الخلائق عن إتيان مثلها وتُلْزِمُهم[5] الإقرارَ بأنه إنما أنزل[6] من عند الله. ***والله أعلم***وقوله عز وجل: **أنزله بعلمه**، يحتمل وجهين. يحتمل:[7] **أنزله** بالآيات والحجج ما يُعلم أنها آيات الربوبية والحججُ[8] السماوية. / ويحتمل: **أنزله بعلمه** أي أنزله على علم منه بمن[9] [١٧٠ظ] يقبل ومن لا يقبل، ليس كما يَبعث ملوكُ الأرض بعضُهم إلى بعض رسائل وهدايا[10] لا يعلمون قبولها ولا ردها، ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها، ولو كان لهم بذلك علم ما أرسلوا الرسل ولا بعثوا الهدايا إذا[11] علموا أنهم لا يقبلون، فأخبر عز وجل أنه على علم منه أنزل بمن يقبل وبمن يرد. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وكفى بالله شهيدا**، أي شاهدا، على ما ذكرنا من شهادته يوم القيامة -على أحد التأويلين- أنه أنزله.[12] ويحتمل قوله: **شهيدا** أي مبينا، أي كفى بالله مبينا بالآيات والحجج. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أنزل[13] الله:[14] لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ إلى قوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[15] الآية قالت قريش: من يشهد لك أن ما تقول[16] حق؟ فأنزل الله تعالى: **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه**

---

[1] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[2] سورة سبأ، ٣٤/٤٣.
[3] سورة ص، ٣٨/٧.
[4] م - التي.
[5] ن ع م: ويلزمهم.
[6] ك: نزل.
[7] ع م - يحتمل.
[8] م - ما يعلم أنها آيات الربوبية والحجج.
[9] جميع النسخ: ممن.
[10] ع: وهذايا.
[11] ك: وإذا.
[12] ع: أنزل.
[13] م: نزل.
[14] ع م - الله.
[15] سورة النساء، ٤/١٦٢-١٦٥.
[16] ن: يقول.

**والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا**، وأنزل:[١] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾،[٢] الآية.[٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[١٦٧]

وقوله تعالى: **إن الذين كفروا**، أي كفروا[٤] بآيات الله، **وصدوا** الناس **عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا**، أي قد تاهوا[٥] وتحيروا[٦] تحيرًا طويلا. ويحتمل: **قد ضلوا ضلالا بعيدا**، أي هلكوا هلاكا لا نجاة[٧] لهم، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[١٦٨] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾[١٦٩]

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا وظلموا**، أي **كفروا** بآيات الله وحججه،[٨] **وظلموا** أمر الله وتركوه. ويحتمل قوله تعالى: **وظلموا** حيث جعلوا أنفسهم لغير الله، وجعلوا العبادة لمن دونه، وهو إنما خلقهم ليجعلوا عبادتهم له، فقد وضعوا أنفسهم في غير موضعها، لذلك وصفهم[٩] بالظلم، لأن[١٠] الظلم وضع الشيء[١١] في[١٢] غير موضعه. ويحتمل:[١٣] ظلموا أنفسهم وإن كانوا لا يقصدون ظلم أنفسهم، فإن حاصل ذلك يرجع إلى أنفسهم، فكأنهم ظلموا أنفسهم. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: أو أنزل.
[٢] سورة الأنعام، ١٩/٦.
[٣] لم أجده هكذا، لكن روي عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾ (*تفسير الطبري*، ٣١/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٠/٢).
[٤] م – أي كفروا.
[٥] ع: قد تا.
[٦] ك: وتحيرا.
[٧] ع م: لا تجارة.
[٨] ع: وحجة.
[٩] ع: وضعهم.
[١٠] ع: أن.
[١١] م: شيء.
[١٢] ك – في.
[١٣] ع: ويحتملوا.

وقوله عز وجل: **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم**، كأنه على الإضمار بأن لا يهديهم في الآخرة **طريقا إلا طريق جهنم**؛ ويحتمل ما قال أهل التأويل، قالوا: لا يهديهم طريق الإسلام، **إلا طريق جهنم**. طريق الكفر والشرك، [إذ] هما طريقا جهنم في الدنيا، والإسلام هو طريق الجنة في الدنيا. وهذه الآية والآية الأولى في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا ويموتون على ذلك، حيث أخبر أنه عز وجل لا يغفر لهم ولا يهديهم.

**خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا**، ظاهر.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[١٧٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**، يحتمل قوله: **بالحق من ربكم**، بالحق الذي لله عليكم؛ ويحتمل **بالحق من ربكم**، بالحق الذي لبعضكم على بعض، **قد جاءكم الرسول** من الله ببيان ذلك كله. ويحتمل قوله:[١] **قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**، الحق الذي هو[٢] ضد الباطل ونقيضُه، وفَرَّق بينهما وأزال الشُّبَه[٣] إن[٤] لم تُعاندوا ولم تُكابروا.[٥] **فآمنوا خيرا لكم**، لأن الذي كان يمنعهم عن الإيمان بالله حب الرياسة وخوف زوال المنافع التي كانت لهم، فقال: **فآمنوا خيرا لكم**، لأن ذلك لكم في الدنيا والآخرة دائمٌ لا يزول، فذلك[٦] خير لكم من الذي يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع.

وقوله عز وجل: **وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض**،[٧] يخبر[٨] -والله أعلم- أن ما يأمر خلقه وينهى ليس يأمر وينهى لحاجةٍ له أو لمنفعة،[٩] ولكن يأمر وينهى[١٠] لحاجة الخلق ومنافعهم،

[١] ك ن - قوله.
[٢] ن - هو.
[٣] ك: الشبهة.
[٤] ع م: إذ.
[٥] ع م: ولم يكابروا.
[٦] م: ذلك.
[٧] م + الآية.
[٨] ك: يخبر؛ ع: الخبر.
[٩] ولمفعة.
[١٠] ع: ينهى.

إذ مَن له ما في السماوات وما في الأرض وملكهما لا تقع[١] له حاجة[٢] ولا منفعة، وهو غني بذاته. *ويحتمل قوله: **وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض** وجها آخر، وهو: إن تكفروا[٣] يقدر أن يخلق خلقا آخر سواكم يطيعونه،[٤] إذ له ما في السماوات وما في الأرض.* [١٧٠ظ س٢٧-١٧٠ظ س٢٨]

وقوله[٥] عز وجل: **وكان الله عليما حكيما، عليما**: عن عِلْمٍ بأحوالكم خلَقَكم لا عن جهل، و**عليما** بما به صلاحكم وفسادكم. **حكيما**، حيث وضع كل شيء موضعه. *والله أعلم.**

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾**[١٧١]

وقوله عز وجل: **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم**، والغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم، وكذلك الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم[٦] في الفعل وفي النطق جميعا.[٧] وقال بعضهم: تفسير الغلو[٨] ما ذكر: **ولا تقولوا على الله إلا الحق**، فالقول[٩] على الله بما لا يليق به[١٠] غلو. وقيل: **لا تغلوا**، أي لا تَعَمَّقُوا[١١] في دينكم ولا تُشَدِّدوا، فيحملكم ذلك على الافتراء على الله، والقول بما لا يحل ولا يليق.

وقوله عز وجل: **ولا تقولوا على الله إلا الحق**، أي الصدق. وعن ابن عباس رضي الله عنه:

---

[١] ن ع م: لا يقع.
[٢] ك ن ع: الحاجة.
[٣] ع: الذي يكفروا؛ م: الذي تكفرونه.
[٤] ك: تطيعونه؛ ع: يطيقونه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٧٠ظ/سطر ٢٧-٢٨.
[٥] ن: قوله.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٧٠ظ/سطر ٢٧-٢٨.
[٦] ك – حد لهم.
[٧] م – جميعا.
[٨] ع م: الخلق.
[٩] ن ع م: كالقول.
[١٠] ك – به.
[١١] ك: لا تغمقوا.

**لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق،**[1] يقول: لا تقولوا: لله[2] تعالى ولد[3] ولا صاحبة.*

وقوله[4] عز وجل: **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله.** الخطاب بقوله:[5] **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** في حقيقة المعنى للخلق كلهم، لأن على كل[6] الخلائق أن لا يغلوا في دينهم، وهو في الظاهر في أهل الكتاب، والمقصود منه النصارى دون غيرهم من أهل الكتاب، حتى يُعْلَم أن ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد، ولا[7] في مخرج خصوصه دليل خصوصه،[8] ولكن قد يراد بعموم اللفظ الخصوصُ، وخصوصِ اللفظ العمومُ، فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد وبخصوص اللفظ خصوصه. ثم افترقت النصارى على ثلاث[9] فرق في عيسى عليه السلام بعد اتفاقهم على[10] أنه ابن مريم. قال بعضهم: هو إله، ومنهم من يقول: هو[11] ابن
[١٧١و] الإله، ومنهم من يقول: هو ثالث ثلاثة: الرب والمسيح وأمه؛ فأكذبهم الله / عز وجل في قولهم، وأخبر أنه رسول الله ابن[12] مريم، ولو كان هو إلهًا لكانت أمه أحق أن تكون[13] إلهًا، لأن أمه كانت قبل عيسى عليه السلام، ومن كان قبل[14] أحق بذلك ممن يكون من بعد؛ ولأن من اتخذ الولد إنما يتخذ من جوهره، لا يتخذ من غير[15] جوهره، فلو كان ممن يجوز أن يتخذ ولدا لم يتخذ من جوهر البشر، كقوله تعالى: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا،[16] الآية.

---

[1] ن + يقول لا تقولوا على الله إلا الحق.
[2] ع: الله تعالى.
[3] جميع النسخ: ولدا.
* وقعت عبارة: «وفي حرف حفصة رضي الله عنها: ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة إنما هو إله واحد» هنا في جميع النسخ، فنقلناها إلى موضعها من تفسير الآية. انظر: ورقة ١٧٠ظ/سطر ٣٣-٣٤.
[4] ن: قوله.
[5] ن: يقوله.
[6] ك - على كل؛ صح هـ.
[7] ن - ولا.
[8] ع: خصوصة.
[9] ع م: ثلاثة.
[10] م - على.
[11] م - هو.
[12] ك: بن.
[13] ع م: يكون.
[14] م: قبله.
[15] ع: غيره.
[16] سورة الأنبياء، ١٧/٢١.

وقوله عز وجل: **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**، قال بعضهم: كلمته أن قال له: "كن" فكان؛ لكن الخلائق كلهم في هذا كعيسى، لأن كل الخلائق إنما كانوا بقوله عز وجل: "كن" فكان، فليس لعيسى عليه السلام في ذلك[1] خصوصية. وأصله أنه سمي كلمةَ الله لِمَا ألقاها إلى مريم، ولا ندري أية كلمة كانت، وإنما خلقه بكلمته[2] التي ألقاها إليها، فسمي بذلك، كما خلق آدم من تراب فنُسب إليه،[3] وحواء[4] خلقها من ضِلْعِ آدم فنسبها إليه،[5] وسائر الخلائق خلقهم من النطفة فنسبهم إليها،[6] فعلى ذلك عيسى لَمَّا خلقه بكلمة ألقاها إليها نُسب إليه؛ لكن في آدم وغيره من الخلائق ذُكِر فيهم التغيير من حال إلى حال، و لم يذكر ذلك في عيسى، فيحتمل أن يكون له الخصوصية بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وروح منه**، كقوله تعالى: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[7] فسمي لذلك روحا لما به كان يحيي الموتى؛ ألا ترى أنه سمي القرآن روحا، وهو قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا،[8] سماه روحا لما به يحيي القلوبَ، كما يحيي الأبدان[9] بالأرواح. وقيل: **وروح منه**، أي أحياه الله وجعله روحا؛[10] وقيل: **وروح منه**، أي رسول[11] منه؛ وقيل: **وروح منه**، أي أمر منه.

---

[1] ع م – في ذلك.

[2] ك ن: بكلمة.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن مَثَلَ عيسى عند الله كمَثَلِ آدم خَلَقَهُ من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (سورة آل عمران، ٥٩/٣).

[4] ك: وحوي.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ (سورة النساء، ١/٤)؛ وقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩)؛ وكذلك إلى الحديث المشهور: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» (*صحيح البخاري*، الأنبياء ١؛ وصحيح *مسلم*، الرضاع ٦٠).

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلَقَ الإنسانَ من نطفة فإذا هو خَصِيم مبين﴾ (سورة النحل، ٤/١٦) وأمثال ذلك من الآيات.

[7] ﴿ومريم ابنةَ عِمرانَ التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكُتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).

[8] سورة الشورى، ٥٢/٤٢.

[9] ن: الأبد.

[10] ن – وقيل وروح منه أي أي أحياه الله وجعله روحا.

[11] م: رسولا.

وقوله عز وجل: **فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة**، لأن الرسل كلهم لم يدعوكم إلى الذي أنتم عليه أنه ثالث ثلاثة، إنما دعاكم الرسل [إلى] أن[1] الله إله واحد، لا شريك له، ولا ولد. **انتهوا خيرا لكم**، بما ذكرنا بالآية[2] الأولى.[3] وقوله: **ولا تقولوا ثلاثةٌ**، بالرفع، أي لا تقولوا: هو
[١٧٠ظ س٣٣] ثلاثة.*وفي حرف حفصة رضي الله عنها: ولا تقولوا:[4] الله[5] ثالث ثلاثة إنما هو إله واحد.*

وقوله عز وجل: **سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض**، نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بأن له ولدا،[6] ثم أخبر أن **له ما في السماوات وما في الأرض**؛ وإنما يتخذ الولد لإحدى خصال ثلاث، إما لحاجة[7] تمسه فيدفعها به عن نفسه، أو لوَحشة تصيبه فيستأنس به، أو لخوف غلبة العدو[8] فيستنصر به ويقهره، أو لما يخاف الهلاك فيتخذ الولد ليرث ملكه؛[9] فإذا كان الله سبحانه يتعالى عن أن تمسه[10] حاجة، أو تصيبه[11] وَحشة، أو [يكون] لِمُلْكِه زوال يتعالى عن أن يتخذ[12] ولدا وهو عبده. **وكفى بالله وكيلا**، قيل: حافظا، وقيل: شهيدا، وقيل: الوكيل هو القائم في الأمور كلها. *والله أعلم.*

**﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[١٧٢]**

وقوله عز وجل: **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون**،

---

[1] ك ن: أنه.
[2] م: بالآيات.
[3] أي الآية السابقة عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم﴾ (سورة النساء، ٤/١٧٠).
[4] ع: ولا تقول.
[5] م: لله.
* وقعت عبارة: «وفي حرف حفصة رضي الله عنها: ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة إنما هو إله واحد» في جميع النسخ في غير موضعها من تفسير الآية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ١٧٠ظ/سطر ٣٣-٣٤.
[6] ك: ولد.
[7] ع: الحاجة.
[8] ن - العدو.
[9] ذكر أربعة خصال، ولعل الخصلة الأولى لم تعد لعمومها.
[10] ن ع م: يمسه.
[11] ن: يصيبه.
[12] ع: يتخذه.

تكلم الناس في هذه الآية. قال الحسن: فيه[1] دليل تفضيل الملائكة على البشر،[2] لأنه قال الله[3] عز وجل: **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون**، لأن الثاني يخرج مخرج التأكيد للأول، وأبَدًا إنما يُذكَر ما به يؤكَّد إذا كان أفضل منه وأرفع، ولا يكون[4] التأكيد بمثله ولا بما دونه، كما يقال: لا يقدر أن يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة، ولا يعمل هذا العمل واحد ولا عدد، فهو على التأكيد يقال، فعلى ذلك الأول، خرج ذكر الملائكة على أثر ذكر المسيح على التأكيد، وأبدًا إنما يقع التأكيد بما هو أكبر[5] لا بما دونه.

والثاني[6] قال: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[7] وقال عز وجل: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ.[8] وقالوا:[9] فكيف[10] يستوي حال من يعصي مع حال من لا يعصي، وحال من لا يَفتُر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب المناهي؟

والثالث ما قال الله تعالى حكاية عن إبليس حيث قال لآدم وحواء عليهما السلام: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ،[11] لو لم يكن للملائكة فضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر لم يكن إبليس بالذي يَغُرّهما[12] بذكر[13] المَلَك، والوعدِ لهما أنهما يصيران ملكين، ولا كان آدم وحواء بالذي يَغْتَرّان[14] بذلك، دل أن الملك أفضل من البشر.

---

[1] ع: في.

[2] قال الشارح: «وبه قالت الفلاسفة وبعض المعتزلة. وذهب في ذلك إلى وجوه. أحدها...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٤ظ).

[3] ك ن – الله.

[4] جميع النسخ: لا يكون.

[5] ك: أكثر.

[6] أي من أدلة قول الحسن بتفضيل الملائكة على البشر.

[7] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[8] سورة الأنبياء، ٢٠/٢١.

[9] م: وقال. أي قال الذين يفضلون الملائكة على البشر.

[10] ع: كيف.

[11] سورة الأعراف، ٢٠/٧.

[12] ع: يعزهما.

[13] ع م: بذلك.

[14] ن م: يعران؛ ع: يعزان.

والرابع أن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ما استغفروا لأحد[1] إلا بدءوا بالاستغفار لأنفسهم، ثم لغيرهم من المؤمنين، كقول نوح عليه السلام: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[2] الآية، وكقول[3] إبراهيم عليه السلام: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،[4] وما أمر الله[5] عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ،[6] الآية، وقال: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[7] وما أُمِر بذلك وما فعلوا ذلك إلا لما[8] يحتمل ذلك[9] فيهم. والملائكة لم يستغفروا لأنفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر، كقوله: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.[10] إلى[11] هذا ذهب بعض الناس بتفضيلهم الملائكة على[12] البشر.

وقال[13] آخرون بتفضيل البشر على الملائكة؛[14] ولا يجب أن يُتكلم في تفضيل البشر على الإطلاق على الملائكة، لأنهم يعملون[15] بالفساد وبكل فسق، إلا أن يُتكلم في تفضيل أهل
[١٧١ظ] الفضل من البشر والمعروف / منهم بذلك على الملائكة، فذلك[16] يحتمل أن يتكلم فيه. ويذهب من قال بتفضيل من[17] ذكرنا من البشر على الملائكة إلى أنه ليس في قوله تعالى: **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** [دليل] على أن الملائكة كلهم أفضل منهم،

---

[1] جميع النسخ: أحدا.
[2] سورة نوح، ٧١/٢٨.
[3] ع: وكقوله.
[4] سورة إبراهيم، ١٤/٤١.
[5] ك ن – الله.
[6] سورة المؤمن، ٤٠/٥٥؛ سورة محمد، ٤٧/١٩.
[7] سورة الفتح، ٤٨/٢.
[8] ع: ما؛ م: بما.
[9] أي فعل الذنب.
[10] سورة المؤمن، ٤٠/٧.
[11] ع م: وإلى.
[12] ع: من.
[13] م: قال.
[14] ن – على الملائكة.
[15] ك: يعملون.
[16] ك: بذلك.
[17] ع: ما.

لأنه إنما ذكر **المقربون**، لم يذكر الملائكة مطلقا، فيجوز أن يكون لمن ذكر[١] فضل على البشر، وكلامنا في تفضيل الجوهر على الجوهر؛[٢] ولأن البشر رُكِّبَ فيهم من الشهوات والأماني التي تدعوهم إلى ما فيه الخلاف لله والمعصية له، وجُعِلَ لهم أعداءٌ أُمِرُوا بالمجاهدة معهم من نحو أنفسهم والشياطين الذين سُلِّطُوا عليهم، ولا كذلك الملائكة عليهم السلام؛ فمن حفظ نفسه وصانها وأخلصها من بين الأعداء وقَمَعَ ما رُكِّبَ فيهم من الشهوات والحاجات الداعية إلى الخلاف لله والمعصية له كان أفضل ممن لا يَشغله شيء من ذلك. *والله أعلم*. وما ذكر من اغترار آدم وحواء بقول[٣] إبليس: إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ،[٤] لا يحتمل أن يكون آدمُ لِمَا خلقه من جوهر البشر، وأخبر أنه جعله خليفة في الأرض،[٥] أنه يتناول ما نُهي عنه ليصير من جوهر الملائكة، ولكنه -والله أعلم- رأى أن الملائكة طُبِعوا على حب العبادة لله ولم[٦] يُرَكَّب فيهم من الشهوات والحاجات التي تشغل المرء عن العبادة لله والطاعة له، فأحب[٧] أن يُطْبَعَ[٨] بطبعهم ليقوم بعبادة الله كما قاموا[٩] هم.[١٠] *والله أعلم*. والتكلم في مثل هذا فضل،[١١] وذلك[١٢] إلى الله تعالى،[١٣] وإليه التَخَيُّرُ والإفضال.

---

١ ع - ذكر.

٢ أي تفضيل جنس البشر على جنس الملائكة، أو العكس.

٣ ك: يقول.

٤ سورة الأعراف، ٧/٢٠.

٥ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٠).

٦ ع: ولو.

٧ جميع النسخ: أحب.

٨ ن ع: يطيع.

٩ ع: قالوا.

١٠ قال الشارح: «ذهب المحققون من أهل الكلام أن خواص البشر نحو الرسل والأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة، وهم الرسل منهم نحو جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل ونحوهم عليهم السلام، وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر، وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة. وانفصلوا عن هذه الآية فقالوا: فيها تفضيل جميع الملائكة المقربين على عيسى عليه السلام، ولم يذكر ملكا واحدا مقربا، ونحن نقول: إن جميع رسل الملائكة أفضل من رسول واحد من البشر. وطردوا هذا الكلام في رسولنا صلى الله عليه وسلم وغيره، لكن قد صح في المشاهير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر". وعليه إجماع الناس أن محمدا عليه السلام أفضل الأنبياء، فلا يتضح هذا الانفصال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٣١و).

١١ ع: أفضل.

١٢ جميع النسخ: ذلك.

١٣ وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم التكلم في هذه المسألة فضل، إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٥و).

ثم تأويل قوله عز وجل -والله أعلم-: **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون**، وذلك أنهم كانوا يعبدون الملائكة دون الله، ويعبدون المسيح دونه، فأخبر أن أولئك الذين تعبدونهم[1] أنتم لم يستنكفوا عن عبادتي، فكيف تستنكفون[2] أنتم؟

وقوله عز وجل: **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا**، فهو -والله أعلم- على الإضمار، كأنه قال: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لم يستنكف عن عبادته[3] ولم يستكبر فسيحشرهم إليه جميعا.

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٧٣]**

ثم بين جزاء من لم يستنكف عن عبادته ومن لم[4] يستكبر ومن استنكف واستكبر، فقال: **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم**، الآية، **وأما الذين استنكفوا واستكبروا**، الآية، وإلا لم يكن في الذين استنكفوا[5] مؤمن، بل كانوا كلهم كفارا[6] بالاستنكاف والاستكبار عن عبادته. والاستنكاف والاستكبار واحد في الحقيقة. وقال الكسائي:[7] وإنما جمع بينهما لاختلاف اللفظين، وهذا من حُسْن كلام العرب، كقول العرب: كيف حالك وبالك؟[8] والحال[9] والبال[10] واحد، ومثله في القرآن والشعر كثير. لكن الاستنكاف والأَنَفَة لا تضاف[11] إلى الله تعالى، والاستكبار يضاف، من هذا المعنى [هما] مختلفان،[12] وأما في الحقيقة فهما واحد. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: يعبدونهم.
[2] ن: تستنكفوا؛ ع: يستنكفون.
[3] ن ع م - عن عبادته.
[4] ن ع: ولم.
[5] ن: يستنكفوا.
[6] ع: كفار.
[7] ن: الكيسائي.
[8] ع: وما بالك.
[9] ع: الحال.
[10] ك: والبال والحال.
[11] ن ع م: لا يصاف.
[12] جميع لسخ: مختلف.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[١٧٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم**، والبرهان هو الحجة توضح[1] وتظهر الحق من الباطل. وقيل: بيان من ربكم، وهما واحد. قال بعضهم: هو النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال آخرون:[2] هو القرآن؛ فأيهما كان فهو حجة وبيان يُلْزِم الحق، ويبين من لم يعاند.

وقوله عز وجل: **وأنزلنا إليكم نورا مبينا**، يُبْصَر به الحقُّ من الباطل وبه يُعْرَف، وهو القرآن؛ سماه نورا لما به يُبْصَر الحقُّ، وإن لم يكن هو بنفسه نورا، كالنهار سماه مُبْصِرًا[3] لما به يُبْصَر وإن لم يكن هو كذلك. وقال قتادة: **نورا مبينا**، هو[4] هذا القرآن،[5] وفيه بيانه[6] ونوره وهداه،[7] و[هو] عصمة لمن اعتصم به.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[١٧٥]

وقوله عز وجل: **فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به**، جعل الاعتصام به ما به يُنال رحمتُه وفضله، والاعتصام هو أن يُلْتَجَأَ إليه في كل الأمور، وعليه يُتَوَكَّل،[8] لا يُلْتَجَأ إلى من دونه.[9] *والله أعلم*.

وقوله: **ويهديهم إليه صراطا مستقيما**، كأنه -والله أعلم- على التقديم والتأخير: فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ويهديهم إليه صراطا مستقيما **فسيدخلهم في رحمة منه**، يعني الجنة، **وفضلٍ**، كقوله تعالى: فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.[10]

---

[1] ع م: وتوضح.
[2] ع م: الآخرون.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِرًا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[4] ك: وهو.
[5] *تفسير الطبري*، ٣٩/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٣/٢.
[6] ع: بيان.
[7] ك: وهداة.
[8] جميع النسخ: وبه توكل.
[9] جميع النسخ: بمن دونه.
[10] سورة النساء، ١٧٣/٤.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٧٦]

**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**، ذكر الاستفتاء ولم يذكر فيما[١] استفتوا، لكن في الجواب بيان أن الاستفتاء فيم كان، وقال: **قل الله يفتيكم في الكلالة**.[٢] والكلالة ما ذكر: **إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك** إلى آخر ما ذكر. قال جابر: فِيَّ[٣] نزلت الآية.[٤] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة،[٥] ثم طعن في صدري بإصبعه فقال: «ألا[٦] يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟»[٧] وفيه دلالة أن قد يُترَك[٨] بيان ما يُدرَك بالاجتهاد والنظر، ولا يُبَيَّن لِيُجتهَد ويُدرَك بالنظر، لأن عمر رضي الله عنه سأل غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه، وأشار إلى الآية التي فيها ذكر ما[٩] سأل عنه لينظر ويجتهد ليدرك. وفيه دليل جواز تأخير[١٠] البيان، لأن عمر سأله غير مرة ولم يبينه حتى أمره بالنظر في الآية، وعمر رضي الله عنه لم يكن عرف قبل ذلك، فدل على[١١] جواز تأخير[١٢] البيان. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: الكلالة[١٣] من ليس له ولد ولا والد،[١٤]

---

[١] ن: فيم.
[٢] ع م – ذكر الاستفتاء و لم يذكر فيما استفتوا لكن في الجواب بيان أن الاستفتاء فيم كان وقال قل الله يفتيكم في الكلالة.
[٣] ن ع م – في.
[٤] يأتي قريبا بأطول من هذا.
[٥] ع: الكلام.
[٦] ك ن ع: لا.
[٧] *صحيح مسلم*، الفرائض ٩؛ و*سنن ابن ماجة*، الفرائض ٦.
[٨] ع م: ينزل.
[٩] ن ع م – ما.
[١٠] ك ن ع: تأخر.
[١١] ع م – على.
[١٢] ك ن ع: تأخر.
[١٣] ن – بالنظر في الآية وعمر لم يكن عرف قبل دلك فدل على جوار تأخر البياد وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال الكلالة.
[١٤] ع: ولد.

وكذلك قال عمر رضي الله عنه وقال: إني لأستحيي[١] من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر.[٢]
وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الكلالة فقال: من لا ولد له ولا والد.[٣] / وروي عن [١٧٢و] جابر رضي الله عنه قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، وأبو بكر الصديق[٤] معه، فوجدني قد أُغمِيَ عليَّ، فصبّ وَضوءه عليَّ فأفقت، فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ وكان لي تسع أخوات، فلم يجبني، حتى نزل قوله تعالى: **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك** إلى آخر ما ذكر، قال جابر: فيَّ نزلت الآية.[٥]

قال بعض الناس: إذا مات الرجل وترك ابنة[٦] وأختا فلا شيء للأخت، لأن الله تعالى قال: **إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك**، والابنة[٧] ولد، فلا ميراث للأخت وللأخ مع الابنة،[٨] لأنها ولد، فيقال: إن الله عز وجل جعل للابنة[٩] النصف إذا لم يكن معها ابن بقوله تعالى: وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ،[١٠] فإذا مات وترك ابنة[١١] وأختا فللابنة[١٢] النصف، وذلك[١٣] النصف الباقي إذا لم يُعْطَ للأخت يُرَدّ إلى الابنة،[١٤] فيكون لها كل الميراث، وقد جعل الله تعالى ميراثها إذا لم يكن معها ولد ذكر النصف؛ أو لا يرد إلى الابنة،[١٥] فيجب أن ينظر أيتهما[١٦] أحق بذلك النصف الباقي، فجاء في بعض الأخبار

---

[١] ن ع م: لا أستحي.
[٢] ن + الصديق. *تفسير الطبري*، ٢٨٤/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٦/٢.
[٣] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥٦/٢.
[٤] ك ن – الصديق.
[٥] *صحيح البخاري*، الوضوء ٤٤؛ *وصحيح مسلم*، الفرائض ١٦؛ *وتفسير الطبري*، ٤١/٦.
[٦] ك: ابنتا؛ م: ابنته.
[٧] ك: والابنت.
[٨] ك: الابنت.
[٩] ك: للابنت.
[١٠] سورة النساء، ١١/٤.
[١١] ك: ابنتا.
[١٢] ك: فللابنت.
[١٣] ع: وكذلك.
[١٤] ك: الابنت.
[١٥] ك: الابنت.
[١٦] ك: أيتها؛ ع م: أيهما.

أن الأخوات مع البنات عَصَبة،[1] لذلك كانت الأخت أولى بذلك النصف الباقي. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك**، ذكر للاثنتين[2] الثلثين ولم يذكر ما للثلاث فصاعدا منهن، وذكر في الابنة[3] الواحدة النصف في أول السورة بقوله: وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ،[4] ولم يذكر ما[5] للبنتين، ولكن ذكر الثلاث فصاعدا بقوله تعالى: فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ،[6] فترك بيان الحق في الابنتين لبيانه في الأختين، وترك البيان[7] للأخوات لبيانه في البنات، ففيه دليل القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن الآخر.

وقوله عز وجل: **وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين**، دل[8] قوله: **إخوة رجالا ونساء** أن اسم الإخوة يجمع[9] الإناث والذكور جميعا، لأنه ذكر: **إخوة**، ثم فسر: **رجالا ونساء**، فهو دليل لنا في قوله تعالى: فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ،[10] أنهم يحجبون الأم عن الثلث ذكورا كانوا[11] أو إناثا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يبين الله لكم أن تضلوا**، قيل: أن لا تضلوا. قال الكسائي:[12] العرب تقول للرجل:[13] أطعمتك أن تجوع، وأغنيتك أن تفتقر، على معنى: أن لا تجوع ولا تفتقر،

---

[1] لعله يشير إلى ما روي عن هُزَيل بن شُرَحْبِيل قال: سئل أبو موسى عن بنت وابنة ابن وأخت، فقال: للبنت النصف، وللأخت النصف، وأْتِ ابن مسعود، فسيتابعني، فسئل ابن مسعود، وأُخبر بقول أبي موسى، فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم (*صحيح البخاري*، الفرائض ٤٨ وسنن *أبي داود*، الفرائض ٤؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ٤).

[2] م: للاثنين.

[3] ك: الابنت.

[4] سورة النساء، ١١/٤.

[5] ن – ما.

[6] سورة النساء، ١١/٤.

[7] ن – البيان.

[8] ع م – دل.

[9] ن: بجميع؛ ع م: لجميع.

[10] سورة النساء، ١١/٤.

[11] ع م – كانوا.

[12] ن: الكيساني.

[13] ع: الرجل.

وفي القرآن كثير مثل هذا. ثم قوله: **يبين الله لكم أن تضلوا**، قيل: أن لا تضلوا في قسمة[1] المواريث؛ وقيل:[2] أن لا تخطئوا؛ وقيل: أن لا تخلطوا، وهو واحد. **والله بكل شيء عليم**، وعيد. *وبالله الحول والقوة*.[3]

---

[1] م: تسمية.
[2] م + أن لا تصلوا.
[3] ع + وبه تم السورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم.[١]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[١]**

قوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود،** أجمع أهل التأويل على أن العقود هاهنا هي العهود. ثم العهود على قسمين: عهود فيما بين الخلق، أمر الله عز وجل بوفائها، وعهود فيما بينهم وبين ربهم، وهي المواثيق التي أخذ عليهم من نحو الفرائض التي فرض الله عليهم، والنذورُ التي يتولون هم إيجابها وغير ذلك، أمر عز وجل بوفائها. وأما العهود التي فيما بينهم من نحو الأيمان وغيرها أمر بوفاء ذلك إذا لم يكن فيها معصية الرب، كقوله تعالى: وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا،[٢] أمر هاهنا بوفاء الأيمان ونهى عن تركها ونقضها.[٣] ثم جاء في الخبر أنه قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير، وليكفّر [عن][٤] يمينه»؛[٥] أمر فيما فيه معصية بفسخها، وأمر[٦] بوفاء ما لم يكن فيه معصية، ونهى عن نقضها بقوله تعالى: وَلَا تَنْقُضُوا،[٧] الآية. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **أوفوا بالعقود،** هي[٨] العهود، هو ما أحل وما حرم وما فرض وما حدّ في القرآن كله،[٩] وهو ما ذكرنا.

---

[١] ن + وبه نستعين.

[٢] سورة النحل، ٩١/١٦.

[٣] ع + بقوله.

[٤] من مصادر الحديث.

[٥] *صحيح مسلم*، الأيمان ١١-١٨؛ وسنن *الترمذي*، النذور ٦؛ وسنن *النسائي*، الأيمان ١٥، ١٦.

[٦] ع م: أو أمر.

[٧] ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ (سورة النحل، ٩١/١٦).

[٨] ك: وهي.

[٩] *تفسير الطبري*، ٤٥٠/٩، ٤٥٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٣.

وقيل: إن العقود التي أمر الله تعالى بوفائها هي العهود التي أخذ الله تعالى على أهل الكتاب: أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويأخذوا بشرائعه، ويعملوا[1] بما جاء به، وهو كقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[2] وكقوله: وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[3] الآية؛[4] فالخطاب لهم على هذا التأويل، لأنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به.

وقوله عز وجل: **أحلت لكم بهيمة الأنعام**، قال بعضهم: هي الوحوش، وهو قول الفَرّاء؛[5] ألا ترى[6] أنه قال: **غيرَ مُحلِّي الصيد وأنتم حُرُم**. وقال الحسن: هي الإبل والبقر والغنم.[7] وقال آخرون:[8] البهيمة كل مركوب. لكن عندنا كل مأكول من النَّعَم،[9] والوحش والصيد وغيره، وإن لم يذكر. دليله ما استثني: **إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم**، كأنه قال: **أحلت لكم بهيمة الأنعام** والصيد،[10] **إلا ما يتلى عليكم** من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة، الآية.[11] / **غير محلي الصيد وأنتم حرم**؛ دل قوله: **غير محلي الصيد** على أن الصيد فيه كالمذكور وإن لم يذكر، لأنه استثني الصيد منه؛ وأبدا إنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان فيه ذلك، وأما إذا لم يكن فلا معنى للاستثناء، فإذا استثني الصيد دل الاستثناء على أن الصيد فيه وإن لم يذكر. ودل قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا،[12] على أن النهي كان عن الاصطياد في حال الإحرام، لا عن أكله؛ [١٧٢ظ]

[1] ع م: ويعمموا.
[2] سورة آل عمران، ١٨٧/٣.
[3] سورة المائدة، ١٢/٥.
[4] ك - الآية.
[5] ع: القراء. وقال الفراء: هي بقر الوحش والظباء والحمر الوحشية. انظر: *معاني القرآن* للفراء، ٢٠٥/١.
[6] ك: يرى.
[7] *تفسير الطبري*، ٤٥٥/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦/٣.
[8] ك ن: غيره.
[9] م: الغنم.
[10] م - والصيد.
[11] ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمُنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[12] سورة المائدة، ٢/٥.

لأن للمحرم أن يأكل صيدا صاده حَلَال.[١] ودل قوله: **غير محلي الصيد** على أن الصيد قد دخل في قوله: **أحلت لكم بهيمة الأنعام** على ما ذكر[٢] فيما تقدم:[٣] أن البيان في الجواب يدل على كونه في السؤال وإن لم يكن مذكورا في السؤال، فعلى ذلك يدل[٤] الثُّنْيَا من الصيد على كونه فيه. ***والله أعلم***. ويحتمل **بهيمة الأنعام** الثمانية الأزواج التي ذكرها في سورة الأنعام: مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ،[٥] إلى آخر ما ذكر. والآية تدل على أن الذي أحل من البهائم الأنعامِ منها ثمانية، دل عليه قوله: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،[٦] ثم قال: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً،[٧] ففصل[٨] بين الأنعام وبين الخيل والبغال والحمير، خلقها للركوب، والأنعامَ للأكل.

وقوله عز وجل: **إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم**، كأنه قال: أحلت لكم بهيمة الأنعام والصيد إلا ما يتلى عليكم، يحتمل: **يتلى** على الوعد، أي: يتلى عليكم من بعد ما ذكر على إثره: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ،[٩] إلى آخره، ويحتمل: **إلا ما يتلى عليكم** وهو ما ذكر -وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إلا ما يتلى عليكم فيها- في سورة الأنعام: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا،[١٠] إلى آخره.

وقوله عز وجل: **إن الله يحكم ما يريد**، هذا -والله أعلم- أي إلى الله الحكم، يحكم بما شاء من التحريم والتحليل فيما[١١] شاء على ما شاء، ليس إليكم التحكم عليه. وهذا ينقض قول[١٢] المعتزلة؛ لأنهم يقولون: يريد طاعة كل أحد. ولو أراد ذلك لحكم لأنه أخبر أنه يحكم ما يريد،

---

[١] يقال: رجل حلال، أي غير محرم ولا ملتبس بأسباب الحج (*لسان العرب* لابن منظور، «حلّ»).
[٢] ك ن: ذكرنا.
[٣] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٢٧/٤.
[٤] ك: تدل.
[٥] ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين... ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾ (سورة الأنعام، ١٤٣/٦-١٤٤).
[٦] سورة النحل، ٥/١٦.
[٧] سورة النحل، ٨/١٦.
[٨] ن ع: ففضل.
[٩] سورة المائدة، ٣/٥.
[١٠] ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾ (سورة الأنعام، ١٤٥/٦).
[١١] ك ن: فيم.
[١٢] م: قوله.

ولا جائز أن يريد ولا يحكم؛ فدل أنه[1] لم يرد لأنه لو أراد الحكم.[2] *وبالله العصمة.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله**، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[3] قال: كان المشركون يحجون البيت الحرام، ويُهدون الهدايا، ويعظّمون حرمة المشاعر، وينحرون في حجهم، فأراد المسلمون أن يُغيِرُوا عليهم، فأنزل الله تعالى: **لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام**،[4] يعني: لا تستحلوا قتالا فيه **ولا الهدْيَ ولا القلائد** الآية. وقال غيره:[5] قوله: **لا تحلوا شعائر الله** يعني المناسك، لا تستحلوا ترك شعائر الله، والشعائر هي[6] المناسك؛ ألا ترى أن الله تعالى سمى كل نُسُك من الحج شعائر الله، كقوله تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ،[7] وقال: وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ،[8] كل هذا من شعائر الله، وهي[9] معالم الله في الحج. وقيل: **شعائر الله**:[10] فرائض الله، كأنه قال: لا تستحلوا ترك ما فرض الله عليكم. وقال الحسن: **شعائر الله**، قال: دين الله، وهو واحد. وقيل في قوله: جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ –حتى بلغ– وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ،[11] فقال: حواجز[12] أبقاها[13] الله بين الناس في الجاهلية،

---

[1] ع م – المعتزلة لأنهم يقولون يريد طاعة كل أحد ولو أراد ذلك لحكم لأنه أخبر أنه يحكم ما يريد ولا جائز أن يريد ولا يحكم فدل أنه؛ م: أن.

[2] ع: الحكم.

[3] ك ع م – أنه.

[4] *تفسير الطبري*، ٩/٤٦٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٧.

[5] جميع النسخ: غيرهم.

[6] ن ع م: هن.

[7] سورة البقرة، ٢/١٥٨.

[8] سورة الحج، ٢٢/٣٦.

[9] ع م: وهن.

[10] ن – وهي معالم الله في الحج وقيل شعائر الله.

[11] ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٧).

[12] م: حوحز.

[13] جميع النسخ: أبقاه.

فكان الرجل لو جَرَّ جَرِيرَة وارتكب كبيرة ثم لجأ إلى حرم الله تعالى لم يُتناوَل و لم يُطلَب، ولو لقي قاتل أبيه في الأشهر الحرم لم يتعرض[١] له، وكان الرجل لو لقي الهَدْي مُقلَّدًا وهو يأكل العَصَب[٢] من الجوع لم يَعرِض[٣] له و لم يَقْرَبْه، إذا أراد البيت يُقلِّد قِلادة من شعر فحرَّمته ومنعته من الناس حتى يأتي أهله، حواجز[٤] أبقاها[٥] الله بين الناس في الجاهلية، أمانا[٦] لهم.[٧] *والله أعلم.*

ويحتمل قوله تعالى: **لا تحلوا شعائر الله**، أي لا تستحلوا ما أشعركم الله حرمته وهو من الإعلام. ويحتمل أن يكون أراد به مشاعر الحرام الذي ذكرنا وقال: لا تحلوا الحرام[٨] ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد؛ وهذه أمور كانت من قبل، فنسخ بقوله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ،[٩] الآية. وعن الشعبي أنه[١٠] قال: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية،[١١] نسخها: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا،[١٢] وقوله: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ،[١٣] الآية.[١٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: إنها آخر ما أنزل، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه،[١٥] وما وجدتم فيها من حرام فحرموه.[١٦]

---

[١] ن ع م: لم تعرض.
[٢] هي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها (*لسان العرب* لابن منظور، «عصب»).
[٣] ن ع م: لم تعرض.
[٤] م: حوا جزاء.
[٥] ك ن ع: أبقاه؛ م: بقاه.
[٦] جميع النسخ: أمان.
[٧] روي ذلك عن قتادة. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٦٨/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٠٢/٣.
[٨] ن ع: الحرم.
[٩] سورة التوبة، ٥/٩.
[١٠] ك ن - أنه.
[١١] *تفسير الطبري*، ٤٧٦/٩.
[١٢] سورة التوبة، ٢٨/٩.
[١٣] سورة التوبة، ٥/٩.
[١٤] روي عن ابن عباس وقتادة والسدي أن هذه الآية منسوخة بالآيتين المذكورتين. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٧٧/٩-٤٧٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣.
[١٥] ع م + وما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه.
[١٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٨/٦؛ وسنن *النسائي الكبرى*، ٣٣٣/٦.

وقوله عز وجل: **ولا الشهرَ الحرامَ**، وهو كقوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ.[1] وقد ذكرنا أن الله عز وجل أطلق الحرم في الشهر الحرام بعد ما كان محظورا بقوله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.[2] وأما قوله:[3] **ولا الهدي ولا القلائد**، وهو ما ذكرنا من صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا. وفيه دليل لقول أصحابنا رحمهم الله، حيث قالوا: إن الغنم لا تُقلَّد، والإبل والبقر تُقلَّد؛ لأنه ذكر الهدي والقلائد فدل أن من الهدي ما[4] يُقلَّد ومنه ما لا يُقلَّد.[5] **ولا آمّين البيت الحرام** أي: قاصدين[6] البيت الحرام. **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**، قيل: إن المشركين كانوا يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضل الله ورضوانه بما يصلح لهم دنياهم، كقوله تعالى: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.[7] وقد يجوز أن يكونوا[8] لما التمسوا عند أنفسهم رضوان الله أمر[9] المؤمنين بالكف عنهم، وإن كانوا قد غلطوا في توجيه العبادة / فجعلوها لغير الله، كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا.[10] [١٧٣و]

وقوله عز وجل: **وإذا حللتم فاصطادوا**، دل[11] هذا على أن النهي في قوله: غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ،[12] في أخذ الصيد واصطياده[13] في الإحرام، لا أكلِه. وهو إباحة ما حُظر[14] عليهم بالإحرام، وإن كان ظاهره أمرا.[15] ومعناه: فإذا حللتم لكم أن تصطادوا. وأصله أن[16] كل أمر

[1] سورة البقرة، ٢/٢١٧.
[2] سورة التوبة، ٩/٥.
[3] ع: قولهم.
[4] م: – ما.
[5] ع م – ومنه ما لا يقلد.
[6] م: قامين.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.
[8] ن: يكون.
[9] ك ن + الله.
[10] سورة هود، ١١/١٥.
[11] ك – دل.
[12] سورة المائدة، ٥/١.
[13] م: واصطياد.
[14] ن ع م: خطر.
[15] ك ن ع: أمر.
[16] ع م: إذ.

خرج على إثر محظور فهو أمر إباحة وإطلاقِ ذلك المحظور المحرم، لا أمر إلزام وإيجاب، من نحو قوله تعالى: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ،[١] ثم قال تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ،[٢] هو إطلاق المحظور المتقدم، وقوله تعالى: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ، ثم قال عز وجل: وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا،[٣] [هو] أمرُ إطلاقٍ وإباحةِ ما حُظر[٤] عليهم، ومثله كثير في القرآن مما يكثر ذكره. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: **ولا آمّين البيت الحرام:** ولا تَؤُمُّوا،[٥] وكذلك في حرفه: فَأُمُّوا[٦] صعيدا طيبا.[٧]

وقيل في قوله تعالى: **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**، حجَّهم، فلا[٨] يقبل عنهم حتى يُسلموا، فنهى الله تعالى رسوله[٩] عن قتالهم. وقال بعضهم: إن الآية نزلت في رجل[١٠] من أهل اليمامة، يقال له: شُرَيح، وذلك أنه[١١] أتى المدينة،[١٢] فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت محمد النبي؟ فقال: «نعم»، فقال: إلى ما تدعو؟[١٣] قال: «أدعو[١٤] إلى[١٥] أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني[١٦] رسول الله»، فقال شريح: يا محمد،[١٧] هذا شرط شديد،

---

١ سورة الجمعة، ٩/٦٢.
٢ سورة الجمعة، ١٠/٦٢.
٣ سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣.
٤ ع: خطر.
٥ لم أجد هذا، ولكن ذكر أن قراءة ابن مسعود: ولا آمي، بحذف النون. انظر: *مختصر في شواذ القرآن* لابن خالويه، ٣٠.
٦ ع: قاموا.
٧ *تفسير الطبري*، ١٠٨/٥. وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾ (سورة النساء، ٤٣/٤).
٨ ك – فلا.
٩ ع: ورسوله.
١٠ ن + ابن ضبيعة الكندي؛ ع + بن ضبيعة الكندي. واسم الرجل هو شُرَيح بن ضُبَيْعَة البَكْري. انظر: *أسباب النزول* للواحدي، ١٨٩؛ وقد ورد في بعض الروايات تسميته: الحطم؛ وهذا لقب له. انظر: *تفسير الطبري*، ٥٨/٦–٥٩.
١١ ك ع م – أنه.
١٢ ع م: بالمدينة.
١٣ ن ع م: تدعوا.
١٤ ع م: أدعوا.
١٥ ك – إلى.
١٦ ع م + محمد.
١٧ م – فقال شريح يا محمد.

وإن لي[1] أمراء حلفي،[2] أرجعُ إليهم، فأعرض عليهم ما اشترطت عليّ، وأستأمرهم في ذلك، فإن أقبلوا أقبلت، وإن أدبروا أدبرت فكنت معهم. ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرج قال[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد خرج من عندي بِعَقِبَيْ[4] غادرٍ، ولقد دخل عليّ بوجه كافر، وما[5] الرجل بمسلم».[6] فمر شريح بِسَرْحٍ[7] لأهل المدينة، فساقها معهم، فلما كان من العام الثاني قدم شريح إلى مكة، ومعه تجارة عظيمة في حُجّاج، وكانت العرب في الجاهلية يُغِير بعضهم على بعض، فإذا كان أشهر الحُرُم أمن[8] الناس كلهم بعضهم بعضا، فمن أراد أن يسافر قَلّد بعيره من الشعر أو[9] الوَبَر،[10] فيأمن بذلك الهدي حيث ما ذهب. فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج شريح وقدومه إلى مكة، فأرادوا أن يغيروا على شريح، فيأخذوا ما معهم ويقتلوهم، كما أغار شريح على سَرْح أهل[11] المدينة قبل[12] ذلك، فاستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك،[13] فنزلت الآية فيهم: **لا تُحِلّوا شعائر الله** إلى آخره.[14] فلا ندري كيف كانت القصة، وليس بنا إلى معرفة القصة حاجة إلا القدر الذي ذكر الله في ذلك.

وقوله عز وجل: **ولا يَجْرِمَنّكم شَنَآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا**، وقال[15] تعالى في موضع آخر: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا،[16] الآية، وقال في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[1] ع م: بي.
[2] ع: خنقي.
[3] ع – قال.
[4] ن ع م: يعقبي.
[5] ن: وأما.
[6] ك ن + قال.
[7] ع: يسرح. السَّرْح المال يُسام في المرعى من الأنعام (*لسان العرب* لابن منظور، «سرح»).
[8] ن ع: من.
[9] ن + من.
[10] م: الدبر. الوَبَر صوف الإبل والأرانب ونحوها (*لسان العرب* لابن منظور، «وبر»).
[11] ك – أهل.
[12] ع: قيل.
[13] ك – في ذلك.
[14] روي نحو هذا عن عكرمة والسدي. انظر: *تفسير الطبري*، ٦/٥٨–٥٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٩–١٠.
[15] ع + الله.
[16] سورة المائدة، ٥/٨.

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا،[١] الآية، ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه، وهو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم،[٢] وذكر في بعضها العدل وأمر به، ونهى عن الظلم والجور.

ثم الأسباب [التي] تحملهم وتبعثهم على[٣] الاعتداء والظلم، وتمنع القيام بالشهادة والعدل ثلاثة. أحدها ما ذكر عز وجل [من] البغض والعداوة بقوله: **ولا يجرمنكم شنآن قوم... أن تعتدوا**، وقال: عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا،[٤] وقال: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا،[٥] أمرهم بالقيام بالشهادة، وأخبر أن لا يمنعكم الولاية والقربُ القيامَ بالشهادة، أو طمعُ غنيّ، أو خوف فقر. هذه الوجوه التي ذكرنا، تمنع الناس القيام بالشهادة، وتبعثهم على[٦] الجور والاعتداء، فنهاهم الله[٧] عز وجل أن يحملهم بغض قوم أو عداوة أحد على الجور والاعتداء، أو تمنعهم[٨] الشفقة،[٩] أو القرب، أو طمع غنى أحد، أو خوفُ فقر القيامَ بالشهادة وما عليهم من الحق، وأمر أن يجعلوه كله لله، بقوله: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ،[١٠] فإذا كان كله لله قدر أن يعدل في الحكم، وتَرْكَ مجاوزة الحد الذي حد له، وقَدَرَ على القيام بالشهادة وما ذكر، وما يمنع شيء من ذلك القيامَ به من نحو ما ذكر من البغض والعداوة والقرب والشفقة، أو طمع الغنى وخوف الفقر؛ إذا جعل الحكم لله عَدَل فيه ومنعه عن الجور فيه والاعتداء؛ وكذلك الشهادة إذا جعلها لله قام بأدائها ولو على نفسه أو ما ذكر،[١١] لم يمنعه شيء من القيام[١٢] به.

وقوله عز وجل: **وتعاونوا على البر والتقوى**، كأن البر هو اسم كل خير،

---

[١] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٢] ك: له.
[٣] م: عن.
[٤] م – وقال على أن لا تعدلوا. سورة المائدة، ٨/٥.
[٥] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٦] ع م: عن.
[٧] ك ن – الله.
[٨] ن ع م: أو يمنعهم.
[٩] ع م: النفقة.
[١٠] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[١١] ع م: أما ذكر.
[١٢] ك ع م: عن القيام.

والتقوى هو[1] ترك كل شر،[2] والانتهاء عن كل شر. **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**، ألا ترى أنه ذكر بإزاء البر الإثم، وبإزاء[3] التقوى[4] العدوان، فهذا يبين أن البر اسم لكل خير، والتقوى هو الانتهاء عن كل شر. ويجوز أن يكون ما ذَكر في أول الآية[5] وأمر به، وهو [١٧٣ظ] قوله: **لا تحلوا / شعائر الله** -إلى قوله- **البيت الحرام**، يقول: عاونوهم على ما يأتون به من ذلك، فإنهم إلى البر يقصدون عند أنفسهم وإن لم يكن فعلهم[6] بِرًّا لعبادتهم غير الله تعالى. وإنما أُمِروا بمعاونتهم وترك التعرض لهم -إن ثبت ما ذكر في القصة- إذا أَحرموا[7] أو قَلَّدوا أو قصدوا البيت الحرام في الوقت الذي جاز أن يعاهدوا فيه، كما يجوز لنا معاهدة أهل الكتاب على أن لا نَعْرِض لكنائسهم وبِيَعهم وإن كانوا يعصون الله فيها، لأنهم يَدِينون بذلك ويقصدون به البر عند أنفسهم، فلما أمر بنقض[8] عهود مشركي العرب أمر بمنعهم من دخول المسجد، وأن يُقْتَلوا حيث وُجِدوا. وإلى هذا المعنى ذهب أصحابنا رحمهم الله -والله أعلم- في فرقهم بين شهادة أهل الذمة على أمثالهم وشهادة فساق المسلمين، لأنَّ[9] أهل الذمة متدينون بكفرهم، والفساق غير متدينين بفسقهم، وكذلك فرْقهم بين ما يغلب عليه المشركون من أموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من أموال المسلمين، وكذلك سبيل الدماء التي يصيبها المحاربون من أهل البغي من أهل العدل[10] لا تشبه ما يصيبها[11] الفساق منها، لأن أمر المتدين بدينٍ خطإٍ مخالفٌ في الحكم أَمْرَ المُقِرِّ بالذنب فيه؛ ألا ترى أنه يجوز أن نُطْلِقَ[12] لمن يعاقدونه[13] من أهل الكتاب الصلاة في كنائسهم وإن كان ذلك عندنا معصيةً حرامًا،[14]

---

[1] م: عن.
[2] ع م: شيء.
[3] م - وبإزاء.
[4] م: والتقوى.
[5] جميع النسخ: في الآية الأولى.
[6] ن - فعلهم.
[7] ع م: أحرموا.
[8] ع: ينقض.
[9] م: أن.
[10] ع م: العدو.
[11] ن ع م: ما يصيبه.
[12] جميع النسخ: أن يطلق.
[13] جميع النسخ: يعاقدوه.
[14] جميع النسخ: حرام.

ولا يجوز أن تُطْلِقَ[١] المعصيةَ لفساق المسلمين بحال.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله**، أي نقمة الله وعذابه في ترك ما أمركم[٢] به وارتكاب ما نهاكم عنه، **إن الله شديد العقاب**.

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: **ولا يَجْرِمَنَّكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام**، أي لا يَحْمِلَنَّكم بغضُ قوم لصدهم إياكم عن البيت الحرام،[٣] فَتَأَثَّمُوا[٤] فيهم أن تعتدوا فتقتلوهم وتأخذوا أموالهم. وقال: **وتعاونوا على البر والتقوى**، البر ما أُمرت به، والتقوى الكفّ عما نُهيت عنه. وقال: **والعدوان**[٥] هو المجاوزة عن حد الله الذي حده لعباده.[٦] وقوله: **ولا يجرمنكم**، قال بعضهم: لا يُؤْثِمَنّكم[٧] بغض قوم أن تعتدوا. وقال آخرون: لا يحملنكم. وفيه لغتان: يُجرمنكم برفع الياء،[٨] وبنصبها: يَجرمنكم، وهو ما ذكرنا.

**﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**، هو على الإضمار –والله أعلم– كأنه قال: حرم عليكم أكلُ[٩] الميتة والدم وأكل لحم الخنزير إلى آخر ما ذكر؛[١٠]

---

[١] جميع النسخ: أن يطلق.

[٢] ع م: ما أمرهم.

[٣] م – الحرام.

[٤] تأثم أي تحرج من الإثم وكف عنه (*لسان العرب* لابن منظور، «أثم»).

[٥] ع + وان.

[٦] ع: بعباده؛ م – لعباده. روي بلفظ: ﴿ولا يجرمنكم﴾، يقول: لايحملنكم، ﴿شنآن قوم﴾، يقول: عداوة قوم، ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ قال: البر ما أمرت به، والتقوى ما نهيت عنه؛ ولم يذكر قوله: والعدوان هو... انظر: *تفسير الطبري*، ٦/٦٤، ٦٥، ٦٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٨.

[٧] آثمه أي أوقعه في الإثم (*لسان العرب* لابن منظور، «أثم»).

[٨] وهي قراءة شاذة نسبت إلى الأعمش ويحيى بن وثاب. انظر: *تفسير الطبري*، ٦/٦٤.

[٩] ن – أكل.

[١٠] ن: ذكرنا.

ألا ترى أنه[1] يجوز الانتفاع بصوف[2] الميتة وبعظمها،[3] دل أنه على الإضمار، إضمار "أَكْل". وأما الانتفاع بجلدها لا يجوز إلا بعد الدباغ،[4] لأن الجلد ربما يُشوَى مع اللحم فيؤكل،[5] فهو حرام كاللحم إلا أن يدبغ.

ثم في الآية دليل الامتحان من وجهين. أحدهما إباحة التناول من جوهر، وحَظْرُ من جوهر؛[6] امتَحَن بحرمة الخنزير والدم، لم يُحِلَّهما[7] بسبب ولا بغير سبب،[8] وامتحن بحل[9] الآخر بسبب وحَرَّمه بغير سبب.[10]

والثاني امتَحَن بسببِ حِلٍّ تَنفِرُ[11] الطِّباع[12] عنه، لأن كل ذي روح يتألم بالذبح واستخراج الروح منه، وجعل طبيعة كل أحد[13] مما ينفر عنه لما[14] يتألم به،[15] أنفسهم كذلك.[16] ثم جعل ما يخرج من الأرض كلَّه حلالا بلا سبب يكتسبونه،[17] إلا ما لا يقدرون على التناول منه لخوف الهلاك، لأنه مَوَاتٌ[18] لا تنفر الطباع[19] عنه. ثم جعل أسباب الحل أسبابا يكتسبون مما يعمل[20]

---

[1] جميع النسخ + قال. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧و.
[2] ع: بصوق.
[3] ع: ويعظمها.
[4] ع: بالدباغ.
[5] ع: فتؤكل.
[6] ك - وحظر من جوهر؛ ع م - من جوهر.
[7] جميع النسخ: لم يحله. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧و.
[8] أي في حال الاختيار.
[9] ن ع م: بحمل.
[10] جميع النسخ: وحرم بسبب. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧و.
[11] ك: ينقر.
[12] ع م: الطبع. وعبارة السمرقندي هكذا: «والثاني إذ جعل سبب الحل ما تنفر عنه الطباع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧و).
[13] ك: واحد.
[14] ك: لم.
[15] جميع النسخ + لتطيب.
[16] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧و.
[17] جميع النسخ: يكتسبون.
[18] موات بمعنى ميت؛ ولعل المقصود أن ما يخرج من الأرض ليس بذي روح كالحيوانات (*لسان العرب* لابن منظور، «موت»).
[19] م: الطبايع.
[20] ك: مما يعجل؛ ع م: مما لا يعمل.

في استخراج ذلك[1] الدم المحرم منه، [حتى] يَحِلَّ[2] أكله، وإذا لم يعمل في استخراج ذلك الدم فهلك فيه أفسده، لأنه تَلِف فيه ما هو محرم فأفسده، فاستخراج[3] ذلك الدم مما يُطَيِّب ذلك ويمنع عن الفساد إلا في طول الوقت، والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت.

وقوله عز وجل: **وما أهل لغير الله به**، قال الكسائي:[4] **ما أهل لغير الله به**، أي ذكر وسمي عليه غير اسم الله، مشتقة من استهلال[5] الصبي، ومنه أَهَلّ[6] الهلال، وأَهَلّ المُهِلّ[7] بالحج إذا لَبّى.[8] [**والمنخنقة**]: قال قتادة: كان أهل الجاهلية يخنُقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها.[9] والكافر في الحقيقة يُهل لغير الله، لأنه لا يعرف الله حقيقة، لكنه أجيز ذبائح الكتابي، لأنه يسمي عليه اسم الله تعالى. **والموقوذة**: كانوا يضربون بالعِصِيّ[10] حتى إذا ماتت أكلوها؛[11] **والمتردّية**: كانت تَرَدَّى في بئر أو من جبل فتموت؛[12] **والنطيحة**: كان الكبشان يتناطحان فيموت أحدهما فيأكلونه. **وما أكل السَّبُع إلا ما ذكّيتم**: كان أهل الجاهلية إذا قتل[13] السبع شيئا من هذا وأكل منه أكلوا ما بقي، فقال الله تعالى: **إلا ما ذكّيتم**. ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **والمنخنقة والموقوذة**، فما أدركت من هذا كُلِّه يتحرك له الذنَب،[14] أو يَطْرِف له العين، فاذبح واذكر اسم الله عليه، فهو حلال.[15] وروي عن علي رضي الله عنه أنه[16] قال:

---

[1] ع: وذلك.
[2] جميع النسخ: حل. والزيادة والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٧و.
[3] م: فاستخرج.
[4] ن: الكيساني.
[5] ن ع: استهلاك.
[6] م: أهلل.
[7] ع م: المحل.
[8] أهلّ الرجل واستهلّ إذا رفع صوته. أهل المحرم بالحج يهلّ إهلالا إذا لبى ورفع صوته بالتلبية (*لسان العرب* لابن منظور، «هلل»).
[9] أخرجه الطستي في مسائله. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٤/٣.
[10] ن: بالعصا.
[11] ع م: ثم أكلوها.
[12] م: فيموت.
[13] ك: أكل.
[14] م: بالذنب.
[15] *تفسير الطبري*، ٧٢/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٤/٣.
[16] ك ع م – أنه.

إذا طَرَفَتْ بعينيها أو ركضت برجلها أو حرّكت ذَنَبها فهي[١] ذَكِيّة؛[٢] وكذلك روي عن أبي الزبير[٣] أنه سمع عُبَيد بن عُمَير[٤] رضي الله عنه يقول كذلك؛[٥] وكأنه روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك.[٦] وهذا -والله أعلم- إذا خنقها أو وَقَذَها[٧] يُغمَى عليها، فإذا
[١٧٤و] ذُبحت[٨] فحرّكت ذنبها، أو طَرَفَتْ[٩] عينُها،[١٠] / أو ركضت برجلها[١١] أفاقت، فاستدل بذلك على حياتها، وليس هذا كشاة ينزع الذئب أو السبع ما في بطنها، أو صار[١٢] بحالٍ لا يتحامل بذلك، فإنها[١٣] وإن تحركت أو طَرَفت[١٤] بعينها[١٥] لا تؤكل. وأصله أن كل ما لو قطع العروق فتُركت فماتت تكون ميتة فإذا أدركه[١٦] في تلك الحال فذكّاه[١٧] كانت ذَكِيّة،[١٨] وكل ما لو صار بحال لو ماتت كانت ذكية[١٩] فإذا أدركه في تلك الحال فذكاه[٢٠] كانت ميتة.[٢١]

---

[١] م: فهو.
[٢] م: زكية. *تفسير الطبري*، ٧٢/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٣.
[٣] جميع النسخ: ابن الزبير؛ والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٧٣/٦.
[٤] ك: عبيد بن زبير؛ ن: عبيد بن عمر.
[٥] *تفسير الطبري*، ٧٣/٦.
[٦] لعله يشير إلى حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن جارية لهم كانت ترعى غنما بِسَلْع، فأبصرت بشاة من غنمها موتا، فكسرت حجرا فذبحتها، فقال لأهله: لا تأكلوا حتى آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله، أو حتى أرسل إليه من يسأله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم أو بعث إليه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأكلها (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٥٤/٣؛ وصحيح *البخاري*، الذبائح ١٨).
[٧] ك ن: أو أوقذها؛ ع م: وأوقذها. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٧ظ.
[٨] ن ع م: ذبح.
[٩] ع م: طرف.
[١٠] ن ع م: عينيها.
[١١] م: رجلها.
[١٢] ع: وصار.
[١٣] جميع النسخ: إنها.
[١٤] ع: طرقت.
[١٥] جميع النسخ + فإنها.
[١٦] م: أدرك.
[١٧] ن: فذكاة.
[١٨] م: زكية.
[١٩] م: زكية؛ ن + وكل ما لو صار بحال لو ماتت كانت زكية.
[٢٠] ن: فذكاة.
[٢١] الجملة الأخيرة غير واضحة؛ وعبارة السمرقندي هكذا: «وهذا -والله أعلم- إذا خنقها أو وقذها فأعمي عليها، فإذا ذبح فحركت ذنبها أو طرفت بعينها أو ركضت برجلها أفاقت فاستدل بذلك على حياتها فإذا لم يكن أغمي عليها -

**والمتردية**: الممتنعة عن الذبح في المَذْبَح[١] إذا ذُبِح من غير المَذْبَح يجوز أكله. وروي[٢] عن رافع بن خَدِيج[٣] قال: أصبنا إبلا وغنما، فَنَدَّ[٤] منها بعير،[٥] فرماه رجل بسهم[٦] فحَبَسَه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لهذه[٧] الإبل أَوَابِدَ[٨] كأوابد[٩] الوحش، فإذا كان غلبكم شيء منها[١٠] فاصنعوا به هكذا»؛[١١] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في البعير يتردّى في البئر: إذا لم يقدر على مَنْحَره فهو بمنزلة الصيد، ينحره من حيث أدرك.[١٢] وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن بعير تردى[١٣] في بئر فصار أعلاه[١٤] أسفله، فقال: قَطِّعُوه[١٥] أعضاء[١٦] وكلوه؛[١٧] وعن ابن عمر رضي الله عنه كذلك.[١٨] وروي[١٩] أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل:[٢٠] هل تكون الذكاة[٢١] إلا في الحلق واللَّبَّة؟[٢٢] فقال:

---

= فإنما يحل إذا كانت تضطرب وتتحرك ما يتحرك المذبوح الذي لم يخنق ولم يوقذ بعد الذبح ليعلم أنه يموت بسبب الذبح فأما إذا كان يتحرك شيئا قليلا مدة قصيرة ينبغي أن لا يحل إذ يحتمل أن الموت بسبب الخنق والوقذ ولا يحل مع الشك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٧ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٣٤و).

[١] أي محل الذبح من الحلق.

[٢] ن ع م: روي.

[٣] ك ن ع؛ نافع بن خديج؛ م: نافع بن خديجة؛ والتصحيح من مصادر الحديث.

[٤] ند البعير أي شرد وهرب (*لسان العرب* لابن منظور، «ندّ»).

[٥] ع: بغير.

[٦] ع: بسبهم.

[٧] ع: هذه.

[٨] الأوابد جمع آبدة، وهي التي قد توحشت ونفرت من الإنس (*لسان العرب* لابن منظور، «أبد»).

[٩] ع م: كما أوابد.

[١٠] ن + فا.

[١١] *صحيح البخاري*، الذبائح ٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الأضاحي ٢٠.

[١٢] مصنف *عبد الرزاق*، ٤/٤٦٥، ٤٤٦٨؛ وروي عن سعيد بن المسيب وشريح ومسروق نحوه. انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤/٢٥٥.

[١٣] ع: ترى.

[١٤] ن: أعلا.

[١٥] ك: اقطعوه.

[١٦] ن: اعطاء.

[١٧] ك: فكلوه. *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤/٢٥٥.

[١٨] ع م – كذلك. *مصنف عبد الرزاق*، ٤/٤٦٦؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٤/٢٥٦.

[١٩] ك: روي.

[٢٠] ك: فقليل.

[٢١] م: الزكاة.

[٢٢] اللبة: وسط الصدر، ومنها تنحر الإبل (*لسان العرب* لابن منظور، «لبب»).

«أَمَا إنها لو طعنتَ في فخذها أجزأ[1] عنك».[2] وإذا ذكى[3] بغير السكين من نحو المَرْوَة[4] والقَصَبَة[5] مما يقطع يجوز. روي أن[6] عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أرسل كلبي فيأخذ[7] الصيد، وليس معي ما أذكّيه به،[8] فأذبحه بالمروة[9] أو العصا؟[10] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمِرَ[11] الدم بم شئت، واذكر اسم الله عليه»؛[12] وكذلك روي عن علي بن أبي طالب[13] رضي الله عنه.[14] وروي أن رجلا أَشَاطَ[15] دمَ جَزورٍ بجِذْلٍ،[16] فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إذا أَنْهرت[17] الدم فكُلْ».[18] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذبح بكل ما أَفْرَى[19] الأَوْدَاجَ[20] وأَهْرَاقَ[21] الدم، ما خلا السِّنّ والظُّفُر».[22]

---

[1] جميع النسخ: أجزى.

[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٣٤/٤؛ وسنن *أبي داود*، الضحايا ١٦؛ وسنن *الترمذي*، الصيد ١٣.

[3] ك: ذبح؛ ن: زكي.

[4] ع: المرذة. المروة حجر أبيض بزاق، وقيل: هي التي يُقدَح منها النار (*لسان العرب* لابن منظور، «مرو»).

[5] القَصَب: كل نبات ذي أنابيب، واحدتها قَصَبَة (*لسان العرب* لابن منظور، «قصب»).

[6] ع: عن.

[7] ع: فأخذ.

[8] م: ما أزكيه.

[9] ع: بالمرذة.

[10] جميع النسخ: القصبة؛ والتصحيح من مصادر الحديث. وقد ورد الذبح بالقصب في أحاديث أخرى. انظر: صحيح *البخاري*، الذبائح ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الأضاحي٢٢.

[11] ع: أفر.

[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٨/٤؛ وسنن *أبي داود*، الضحايا ١٥.

[13] ك ن - بن أبي طالب.

[14] روي موقوفا بلفظ: إذا لم تجد إلا المروة فاذبح (مصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٥٤/٤).

[15] أشاط أي سفك وأراق (*لسان العرب* لابن منظور، «شيط»).

[16] ك: بخرل؛ م: بحدل. الجذل هو أصل الشجرة الذي يبقى بعد قطعها، أو عود الشجر (*لسان العرب* لابن منظور، «جذل»).

[17] الإنهار الإسالة والصب بكثرة، شبه خروج الدم من موضع الذبح بجري الماء في النهر (*لسان العرب* لابن منظور، «نهر»).

[18] مصنف *عبد الرزاق*، ٤٩٧/٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٢٠/٥؛ ومسند *البزار*، ٢٨٣/٩؛ قال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح، إلا أنه من رواية يحيى بن أبي كثير عن سفينة» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٢/٤).

[19] أفرى أي شقّ وقطع (*لسان العرب* لابن منظور، «فرى»).

[20] م: الأداج. الأوداج ما أحاط بالحلق من العروق، واحدها وَدَج (*لسان العرب* لابن منظور، «ودج»).

[21] أي أراق وسكب (*لسان العرب* لابن منظور، «هرق»).

[22] *المعجم الأوسط* للطبراني، ١٧٢/٧؛ قال الهيثمي: «وفيه عبدالله بن خِراش، وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وضعفه الجمهور» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٣/٤-٣٤).

وإلى هذا يذهب أصحابنا رحمهم الله في ذلك، ويرون كل ما أنهر الدم من حجر أو مَرْوَة[١] أو نحو ذلك مذكِّيًا،[٢] ويؤكَل [ما ذبح به]، ويحملون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلا السن والظُّفر» على أنهما إذا كانا غير منزوعين، لأن ذلك خَنْق وليس بذبح، يفسر[٣] ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: إن ذلك[٤] خنق.[٥] وفي الخبر بيان، لأنه قال: «كُلْ ما أنْهَرَ الدم وأَفْرَى الأوداج، ما خلا السن والظُّفر، فإنهما مُدَى[٦] الحبشة»،[٧] وهم إنما كانوا يذبحون بسن أو ظُفر غير منزوعة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما ذُبح على النُّصب**، أي للنُّصب. قيل: كانوا يذبحون للأوثان والأصنام التي يعبدونها، يتقربون بذلك إليها، كما كان أهل الإسلام يتقربون بالذبائح يذبحونها إلى الله، فحرم الله عز وجل ما كانوا يذبحون للنصب. **وما أهل لغير الله به**، لما ذكرنا أن الأمر به خرج مخرج قبول النعمة والشكر له فيما أنعم من عظيم النعم، فإذا أهلّوا به لغير الله، أي[٨] لغير وجه الله لم يقبلوا نعمه، ووجهوا الشكر إلى غيره، فحرم لذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأن تستقسموا بالأزلام**، قيل: سهام العرب، وكِعاب[٩] فارس التي يتقامرون بها.[١٠] وقيل: الأزلام هي القِداح[١١] كانوا يسقتسمون[١٢] بها الأمور.[١٣]

---

[١] ع: مرذة.
[٢] جميع النسخ: مذكي.
[٣] ع م: تفسير.
[٤] ع م - إن ذلك.
[٥] مصنف *عبد الرزاق*، ٤/٤٩٦.
[٦] مدى جمع مُدْية، وهي السكين والشَّفْرة (*لسان العرب* لابن منظور، «مدى»).
[٧] روي نحوه إلا أن المعروف أن آخر الحديث هكذا: «... أما السن فعَظْم، وأما الظفر فمدى الحبشة» (صحيح *البخاري*، الذبائح ٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الأضاحي ٢٠).
[٨] ك ن ع - لغير الله أي.
[٩] جمع كَعْب، وهو ما يلعب به (*لسان العرب* لابن منظور، «كعب»).
[١٠] ع - بها.
[١١] جمع قِدْح، وهو السهم الذي كانوا يستقسمون به (*لسان العرب* لابن منظور، «قدح»).
[١٢] جميع النسخ: يقتسمون. الاستقسام طلب القِسم الذي قُسِم له وقُدِّر مما لم يُقسَم و لم يقدَّر. وهو استفعال من القسم. ومعنى قوله عز وجل: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أي أن تطلبوا من جهة الأزلام ما قُسم لكم من أحد الأمرين (*لسان العرب* لابن منظور، «قسم»).
[١٣] م: الأموال.

وكان الرجل إذا أراد سفرا أخذ قِدْحًا فقال: هذا يأمره بالخروج، فإن خرج[1] فهو مصيبٌ في سفره خيرًا، ويأخذ قِدْحًا آخر فيقول: هذا يأمره بالمكث، فإن هو خرج فليس[2] بمصيبٍ خيرًا في سفره؛[3] والمَنِيح[4] بينهما؛ فنهى الله عن ذلك، وأنبأ[5] أن ذلك فسق بقوله: **ذلكم فسق**.[6] وعن الحسن قال: كانوا يَعْمِدون إلى قِداحٍ فيكتبون على أحدهما: مُرْنِي، وعلى الآخر: انْهَنِي، ثم يُجِيلونها إذا أرادوا السفر،[7] فإن خرج [الذي] عليه "مرني" مضى في وجهه، وإن خرج الذي عليه "انهني" لم يخرج. قال أبو بكر الكيساني:[8] إن في النهي عن العمل بالأزلام دليل النهي عن العمل بالنجوم، فإذا نهى عن العمل بقول المستقسمين[9] نهى[10] أيضا عن العمل بقول المُنَجِّمَة، لأنهم يقولون عين[11] ما يقول أولئك، ويعملون به. لكن المنجمة ليسوا يقولون: إن نجم كذا يأمركم[12] كذا، ونجم كذا ينهى عن كذا، على ما كان يفعل أولئك. ويجوز أن يكون الله عز وجل جعل[13] في النجوم أعلاما ومعاني يدركون بها ويستخرجون أشياء[14] يحتمل ذلك، ويكون على ما يستخرج أهل الاجتهاد بالاجتهاد أشياء من معنى النصوص وأحكاما لم تذكر في المنصوص. فعلى ذلك المنجمة يجوز أن يستخرجوا أشياء[15] من النجوم بدلائل ومعان تكون[16] في النجوم. ولا عيب عليهم في ذلك ولا لائمة، إنما اللائمة عليهم فيما يحكمون على الله ويشهدون عليه.

---

[1] ع م – فإن خرج.
[2] ك م + هو.
[3] ك: في سفر؛ ن: في سفرة.
[4] ك: أو المنتح؛ ن: أو المنيح. المنيح سهم من سهام الميسر لا نصيب له (*لسان العرب* لابن منظور، «منح»).
[5] ن: وأبناء؛ م: وأنباه.
[6] ع – بقوله ذلكم فسق.
[7] ن ع م: الأمر.
[8] ع: الكسائي؛ م: الكيسائي.
[9] جميع النسخ: المقتسمين؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٧ظ.
[10] جميع النسخ: وينهى.
[11] م: حين.
[12] ك ن: يأمر.
[13] ع م – جعل.
[14] م: شيئا.
[15] ع: شيئا.
[16] م: يكون.

قال القُتَبِي:[١] الأزلام: القِداح، واحدها: زَلَم وزُلَم،[٢] والاستقسام بها أن يَضرب؛[٣] فأُخذ الاستقسام من القِسم وهو النصيب، كأنه طلب النصيب.[٤] قال أبو عَوْسَجَة: استقسمت، أي ضربت بالقِداح، قال: كأنه من القِسم. وقال أبو عبيد:[٥] إنما سمي استقساما لأنهم كانوا يطلبون قَسم الرزق، وطلب الحوائج بها، فكانوا يسألونها أن تَقْسِم[٦] لهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلكم فسق**، يحتمل قوله: **فسق**، أي العمل بالأزلام والشهادة على الله أنه أَمَر بذلك فِسق. وعلى هذا من يستجيز العمل بالقُرْعة، لأنه يقول: يُقْرَع فمن خرجت قُرعته يُحكَم له، فإنما يحكم له[٧] / بأمر القرعة، كأن القرعة[٨] تأمره بالحكم لهذا[٩] بهذا، وتنهاه [١٧٤ظ]
عن الحكم لهذا[١٠] بهذا، فهو بالأزلام والقِداح التي نهى الله عن العمل بذلك أشبه وبها أمثل من غيره.[١١] ويحتمل قوله تعالى: **ذلكم فسق**، أي التناول مما ذكر من المحرمات، من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به وما ذبح على النصب، وما ذكر في أول السورة من الاصطياد في الإحرام والتناول منه، ذلك كله فسق؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[١٢]

وقوله عز وجل: **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**، إنهم كانوا يطمعون دخول أهل الإسلام في دينهم وعودَهم إليهم،[١٣] فأيأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك، فقال:

---

[١] وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه غريب القرآن، ومشكل القرآن، يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢٨١/٢؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٢٩٦/١٣-٣٠٠.

[٢] ن – وزلم.

[٣] أي يضرب بالسهام (*لسان العرب* لابن منظور، «قسم»).

[٤] ك – كأنه طلب النصيب. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤١.

[٥] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٩٠/١٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[٦] جميع النسخ: يقسم.

[٧] ن – فإنما يحكم له.

[٨] م – القرعة.

[٩] ع م: بهذا.

[١٠] ع م: بهذا.

[١١] ع: وغيره.

[١٢] روي بلفظ: ﴿ذلكم فسق﴾ يعني من أكل من ذلك كله فهو فسق (*تفسير الطبري*، ٧٨/٦).

[١٣] م – إليهم.

**اليوم يئس الذين كفروا**[١] من ترككم دين الإسلام، **فلا تخشوهم واخشونِ**، أمّنهم عن ذلك.[٢]

وقوله عز وجل: **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**، الآية،[٣] قال أبو عبيد: كان دينهم إلى ذلك اليوم ناقصا، فحينئذ كمل دينهم. فعلى زعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم [كان] يدعو[٤] الخلق إلى دين ناقص، ومن مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين ماتوا على دين ناقص، ويحشرون[٥] يوم القيامة على دين ناقص. وأي قول أوحش من هذا وأسمج؟[٦] وقال آخر من أصحابه: كان الدين كاملا إلى ذلك[٧] الوقت، فلما بعث الله بالفرائض وافترض عليهم صار الدين ناقصا إلى أن يؤدوا الفرائض وما افترض عليهم، فعند ذلك يكمل. فهذا القول أيضا في الوَحشة والسَّماجة والقبح مثل الأول. ويقال لأبي عبيد: قل أيضا بأنه لم يكن رضي لهم بالإسلام دينا قبل ذلك، فعند ذلك[٨] رضي.[٩] والأصل في تأويل الآية [على] وجوه؛ أحدها **اليوم أكملت لكم دينكم**، أي برسولي[١٠] وببعثه أكملت لكم دينكم، وبه أتممت عليكم نعمتي. ويحتمل قوله: **اليوم أكملت لكم دينكم**، أي[١١] اليوم أظهرت لكم دينكم، ولم يكن قبل ذلك[١٢] ظاهرا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرة شهرين»،[١٣]

---

[١] ن – من دينكم إنهم كانوا يطمعون دخول أهل الإسلام في دينهم وعودهم إليهم فأيأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين كفروا.

[٢] ن – وقوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم إنهم كانوا يطمعون دخول أهل الإسلام في دينهم وعودهم إليهم فأيأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين كفروا من ترككم دين الإسلام فلا تخشوهم واخشون أمنهم عن ذلك.

[٣] ك ن – الآية.

[٤] ك ع: يدعوا.

[٥] ع + إلى.

[٦] سمِج الشيء بمعنى قَبُح (*لسان العرب* لابن منظور، «سمج»).

[٧] ك + إلى ذلك.

[٨] ك ع م – فعند ذلك.

[٩] ك م: فرضي.

[١٠] ك ن ع: برسول؛ م: برسوله.

[١١] ع – أي.

[١٢] ن – دينكم وبه أتممت عليكم نعمتي ويحتمل قوله اليوم أكملت لكم ديكم أي اليوم أظهرت لكم ديكم ولم يكن قبل ذلك.

[١٣] *المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٦١، ٦٤؛ لكن الرواية المشهورة: «... مسيرة شهر» (*صحيح البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

وقال: «ألا لا يَحُجّنّ بعد العام مشرك»؛[١] وذلك لظهوره ولغلبة أهل الإسلام عليهم وإن لم يكن هذا قبل ذلك. ويحتمل قوله:[٢] **اليوم أكملت لكم دينكم**، لما أمنهم من العدو والعَوْد إلى دين أولئك، وإياس أولئك عن رجوعهم إلى دين الكفرة؛ وأي نعمة أتمّ وأكمل من الأمن من العدو؛ ويقول الرجل: اليوم تمّ ملكي وكمل،[٣] إذا هلك عدوه، لأمنه[٤] من عدوه، وإن كان لم يوصف ملكه قبل ذلك بالنقصان، فعلى ذلك هذا.[٥] *والله أعلم*. وقيل: **اليوم أكملت لكم دينكم**، أي أَمْرَ دينكم،[٦] بما أُمِروا بأمور وشرائع لم يكونوا أُمِروا بها قبل ذلك، وهذا جائز.

وقوله عز وجل: **ورضيت لكم الإسلام دينا**، أي أكرمتكم بالدين المرضي وهو الإسلام، كقوله تعالى: وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ.[٧]

وقوله عز وجل: **فمن اضطُرَّ في مخمصة**، قيل: المخمصة المجاعة؛ وقال أبو عوسجة: رجل خميص أي جائع؛ وقال غيره: هو من ضيق البطن؛ وهو واحد، لأنه من الجوع ما يضيق البطن.

وقوله عز وجل: **غيرَ متجانف لإثم**، قال بعضهم: **غير متجانف لإثم**، أي غير متعمد[٨] لإثم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٩] وقال الكسائي:[١٠] **غير متجانف**: غير متمايل، والجَنَف: المَيْل، وكذلك قال القُتَبِي.[١١] وقال[١٢] أبو عوسجة أيضا: الجنف: الميل. ثم قوله: **غير متجانف لإثم** يحتمل وجهين. قيل: غير مستحلٍّ أكلَ الميتة في حال الاضطرار، وما حرم[١٣] عليه التناول من الصيد وغيره.[١٤]

---

[١] صحيح *البخاري*، الحج ٦٦؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥.
[٢] ع - قوله.
[٣] م - وكمل.
[٤] م: ولأمنه.
[٥] م - هذا.
[٦] ن - أي أمر دينكم.
[٧] سورة الزمر، ٧/٣٩.
[٨] م: معتمد.
[٩] *تفسير الطبري*، ٨٦/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٤/٣.
[١٠] ن: الكيساني.
[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤١.
[١٢] ع م: قال.
[١٣] جميع النسخ: وحرم.
[١٤] م - وغيره.

وقيل: غير متلذذ ولا مشتهي،[١] يتناول على التكره[٢] منه، لا على التلذذ والشهوة. وقيل أيضا: إنه لا يتناول إلا في حال الاضطرار، كقوله[٣] تعالى: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ،[٤] وقوله عز وجل: غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ تفسير[٥] قوله: **اضطُرَّ**، فعلى ذلك[٦] هذا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإن الله غفور رحيم**، أي من رحمته أن[٧] جعل لكم التناول من المحرم، ورخص لكم، إذ له أن يترككم تموتون جوعا، كقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[٨] الآية.

**﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٤]**

قوله عز وجل: **يسألونك ماذا أحل لهم**، ليس في السؤال بيانُ مِمَّ كان سؤالهم، ولكن في الجواب بيان المراد[٩] من سؤالهم، فقال: **قل أحل لكم الطيبات**. دل قوله تعالى: **أحل لكم الطيبات**، [على] أن سؤالهم كان عن الطيبات وما يُصطاد بالجوارح.[١٠] ثم اختلف في قوله تعالى: **أحل لكم الطيبات**.[١١] قال بعضهم: **الطيبات** هن[١٢] المحلَّلات. لكنه بعيد، لأنه [يصير] كأنه[١٣] قال: **قل أحل لكم** المحلَّلات على هذا التأويل.[١٤] لكنه يحتمل وجهين غير هذا.

---

[١] ن ع: ولا متشهي.
[٢] ع: النكرة.
[٣] ك ن م: وكقوله.
[٤] ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ١٧٣/٢).
[٥] م: وتفسير.
[٦] م – فعلى ذلك.
[٧] ع م: أي.
[٨] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ (سورة النساء، ٦٦/٤).
[٩] م: والمراد.
[١٠] م: من الجوارح.
[١١] ك – أن سؤالهم كان عن الطيبات وما يصطاد بالجوارح ثم اختلف في قوله تعالى أحل لكم الطيبات.
[١٢] ن: بين.
[١٣] ن ع م – كأنه.
[١٤] ع م + لكنه بعيد لأنه تعالى قال قل أحل لكم المحللات على هذا التأويل.

أحدهما أَنْ **أحل لكم الطيبات**[١] بأسباب تطيب به أنفسكم من نحو الذبح والطبخ والخبز وغيره، لم يُحَلَّ لكم ما تكره[٢] به أنفسكم التناولَ منه غير مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي، ولكن أحل لكم بأسباب طابت به أنفسكم[٣] التناول منه.[٤] ***والله أعلم***. ويحتمل وجها آخر، وهو أن أُحل لكم ما تطيب[٥] به طباعكم، لا ما تنكره[٦] طباعكم وتنفر عنه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما عَلَّمتم من الجوارح**، كأنهم[٧] سألوا رسول الله[٨] صلى الله عليه وسلم عما يحل من الجوارح، فذَكَّرَ ذلك لهم. مع ما ذُكِرَ في بعض القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا أَمَرَ بقتل الكلاب فأتاه أناس فقالوا: ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزل قوله تعالى: **يسألونك ماذا أحل لهم**، الآية.[٩] / وقيل: سميت[١٠] جوارح[١١] لما يكتسب بها، [١٧٥و]
والجوارح هن[١٢] الكواسب؛ قال الله تعالى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ،[١٣] قيل: اكتسبوا؛ وجرح: كسب. وقال أبو عبيدة:[١٤] سميت جوارح[١٥] لأنها صوائد، وهو ما ذكرنا من الكسب؛ يقال: فلان جارح أهله، أي كاسبهم.[١٦] وقال غيره: سميت جوارح لأنها تَجْرَح،[١٧] وهو من الجِراحة، فإذا لم يجرح[١٨] لم يحل صيده. واحتج محمد رحمه الله بهذا المعنى في صيد[١٩] الكلب

---

١ ك م – الطيبات.
٢ ن ع م: ما يكره.
٣ ك: لأنفسكم.
٤ ك – غير مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي ولكن أحل لكم بأسباب طابت به لأنفسكم التناول منه.
٥ ك: يستطيب.
٦ ك ن: مما تنكره؛ ع م: مما يتكره.
٧ ع: كانه.
٨ ك ن: النبي.
٩ *تفسير الطبري*، ٨٩/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢١/٣.
١٠ جميع النسخ: سمي.
١١ جميع النسخ: جوارحا.
١٢ ع م: من.
١٣ سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
١٤ ك ن م: أبو عبيد.
١٥ ك: جوارحا.
١٦ *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/ ١٥٤.
١٧ ع: تحرح.
١٨ ع: فإذا لم يحرج؛ م: فإذا يجرح.
١٩ ع: في صيده.

إذا قَتل ولم يَجرح[1] في[2] مسألة من كتاب الزيادات. ومما يدل على صحة ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المِعْرَاض،[3] فقال: «ما أَصَبْتَ بعَرْضِه فلا تأكل، فهو وَقِيذ،[4] وما أَصَبْتَ[5] بحَدِّه فَكُلْ».[6]

وقوله عز وجل: **مُكَلِّبِين تُعَلِّمُونَهن مما علمكم الله**، الآية،[7] قال بعضهم: **مُكَلِّبِين**: هنّ الكلاب يُكَالِبنَ الصيد.[8] وقال القُتَبِي: المُكَلِّبين: أصحاب الكلاب.[9] وكذلك قال الفراء والكسائي:[10] المُكَلِّبون هم أصحاب الكلاب،[11] والمُكَلَّب: الكلب المعلَّم.

وقوله عز وجل: **تُعَلِّمُونَهنّ**، قال الحسن[12] وأبو بكر:[13] تُضْرُونهَنّ. يقال: كلب مُضْرَاة[14] على طلب[15] الصيد.[16] وهما يبيحان الصيد وإن أكل منه الكلب، فعلى قولهما يصح تأويل الإضْرَاء، إذ يبيحان التناول وإن أَكَلَ منه. وقيل:[17] تُؤَدِّبونهن[18] ليمسكن[19] الصيد لكم.

---

[1] ع: ولم يخرج.
[2] م – في.
[3] المعراض سهم يُرمَى به بلا ريش، وأكثر ما يصيب بعَرْض عوده دون حدّه (*لسان العرب* لابن منظور، «عرض»).
[4] الوَقْذ شدة الضرب. ووَقَذَ الشاة: قتلها بالخشب، فهي موقوذة ووقيذ (*لسان العرب* لابن منظور، «وقذ»). وقد حرم الله أكل الموقوذة. انظر: سورة المائدة، ٥/٣.
[5] م: أصابت.
[6] صحيح *البخاري*، الذبائح ٢؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ٤.
[7] ك – الآية.
[8] المكلِّب بالكسر معلم الكلاب الصيد، والمكلَّب هو الكلب الذي تعلم الصيد. وكَالَبَ الصيد أي ضايقه (*لسان العرب* لابن منظور، «كلب»).
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤١.
[10] ن ع: والكيسائي.
[11] *معاني القرآن* للفراء، ١/٢٠٧.
[12] ك + قال الحسن.
[13] ك – وأبو بكر.
[14] ع: مصرات.
[15] م: كلب.
[16] ضَرِيَ الكلب بالصيد أي أكل من لحمه ودمه، وكذلك بمعنى اعتاد على الصيد. وأَضْرَاه صاحبه أي عَوَّدَه على الصيد (*لسان العرب* لابن منظور، «ضري»).
[17] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠٨ظ.
[18] م: تؤدبوهن.
[19] جميع النسخ: ليمسكوا.

وهو عندنا على حقيقة التعليم،[١] تُعَلَّم[٢] ليمسكن[٣] الصيد لهم.

وقوله عز وجل: **مما علمكم الله**، يتوجه وجهين. أحدهما **مما علمكم الله**، أي مما جعل بِنْيَتَكم بحيث احتمالُ تعليمِ هؤلاء، و لم يجعل غيركم من الخلائق محتمِلا لذلك ولا أهلا. ويحتمل قوله تعالى: **مما علمكم الله**، أن قال لكم: علموهن بكذا، وافعلوا كذا. فكيف ما كان ففيه دليل جعل العلم شرطا فيه. ثم تخصيص الكلاب بالذكر دون غيرها من الأشياء[٤] -وإن كانت الكلاب[٥] وغيرها سواءً إذا عُلِّمَتْ- لِخُبْثِ[٦] الكلاب ومخالطتها الناس، حتى جاء النهي عن اقتنائها،[٧] وجاء الأمر بقتلها،[٨] في وقت لم يجئ بمثله في سائر السباع، لِيُعْلَم أن ما كسب هؤلاء مع خُبْثِها إذا كُنَّ مُعَلَّمِين يحتمل التناول منه،[٩] فغيرها[١٠] مما لم يجئ[١١] فيه ذلك أحرى.

وقوله عز وجل: **فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه**، إنما أباح أكل ما أمسك علينا ولم يبح[١٢] [الأكل] مما أمسك على نفسه، لأن الكلبَ وغيرَه مِن السباع مِن طِباعهم إذا أخذوا الصيد[١٣] يأخذون لأنفسهم، ولا يصبرون على أن لا يتناولوا[١٤] منه. فإذا أخذ[١٥] [الكلب] الصيد و لم يتناول منه دل أنه إنما أمسك لصاحبه، وإذا تناول منه لم يمسك لصاحبه، لأن الباقي[١٦] لا يُدرَى أنه أمسكه لصاحبه أو أمسكه لنفسه[١٧] لِوقتٍ آخر لِمَا شبع.

---

[١] م: التعلم.
[٢] ن: يعلم؛ ع م: ليعلم. والضمير المستتر راجع إلى الكلاب.
[٣] جميع النسخ: ليمسكوا.
[٤] أي الحيوانات الأخرى التي يستعان بها في الصيد.
[٥] ك ن ع - الكلاب.
[٦] ن: بخبث.
[٧] صحيح *البخاري*، الذبائح ٦؛ وصحيح *مسلم*، المساقاة ٥٠.
[٨] صحيح *البخاري*، بدء الخلق ١٧؛ وصحيح *مسلم*، المساقاة ٤٣.
[٩] ك - منه.
[١٠] م - فغيرها.
[١١] م: فما لم يجئ.
[١٢] ع: ولا يبح.
[١٣] ك ن: صيدا.
[١٤] ع: أن يتناولون؛ م: أن لا يتناولون.
[١٥] ع م: أخذوا.
[١٦] ك: النامي.
[١٧] ع - أو أمسكه لنفسه.

وعلى ذلك جاءت الآثار. رُوي عن عَدِيّ بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إنا قوم نَتَصَيَّد بهذه الكلاب والبُزَاة،[1] فما[2] يحل لنا منها؟ فقال: «يحل لكم ما عَلَّمْتُمْ مِن الجوارح مُكَلِّبِين تُعَلِّمُونَهن[3] مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله فكلوا مما أمسكن عليكم؛ فما علّمتَ[4] من كلب أو باز فذكرتَ اسم الله عليه [فَكُلْ]». قلت: وإن قتل؟ قال: «إذا قتله و لم يأكله فإنما أمسك عليك، وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه». فقلت: يا رسول الله، أرأيت إن خالطَتْ كلابُنا كلابًا أخرى؟ قال: «إذا خالط كلبك كلابًا فلا تأكل، فإنك إنما ذكرت اسم الله على كلبك، ولم تذكره على كلب غيرك».[5] عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[6] قال: إذا أكل الكلب من الصيد فليس بمعلَّم.[7] وعنه أيضا قال: إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل،[8] وإذا أكل الصقر فكل، لأن الكلب تستطيع أن تضربه، والصقر لا.[9] وعن علي رضي الله عنه قال:[10] إذا أكل الكلب[11] فلا تأكل، واضربه. وقد ذكرنا من الأخبار ما يدل[12] على أن الكلب إذا كان غير معلَّم لم يؤكل[13] صيده. من [ذلك أيضًا] خبر عَدِيّ بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إنا قوم نصيد[14] بهذه الكلاب، فقال: «إذا أرسلت[15] كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما أمسكن عليك وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإن أكل فلا تأكل».[16]

---

[1] ك: والبراءة؛ ع: والبرأة. البزاة جمع البازي، وهي التي تصيد، ضرب من الصقور (*لسان العرب* لابن منظور، «بزو»).

[2] ك ع م: فهل؛ ن: فهو.

[3] ع: تعموهن.

[4] جميع النسخ: مما علمتم.

[5] مسند أحمد بن حنبل، ٢٥٧/٤؛ وسنن *أبي داود*، الصيد ٢٢-٢٣. وورد بدون ذكر البازي في بعض الروايات. انظر: صحيح *البخاري*، الذبائح ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ٣.

[6] ك ن - أنه.

[7] ن + وعنه أيضا قال إذا أكل الكلب من الصيد فليس بمعلم. *تفسير الطبري*، ٩٢/٦.

[8] م: فلا تأكله.

[9] أخرجه عبد بن حميد. انظر: *الدر المنثور* لسيوطي، ٢٤/٣.

[10] ع - قال.

[11] ن: الكلاب.

[12] ن ع م: مما يدل.

[13] ع م: يؤكل.

[14] م: نصيده.

[15] ع: اسلت.

[16] صحيح *البخاري*، الذبائح ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ٢.

وعلى هذا يخرج قولنا: إنه إذا أكل من دمه يؤكل، لأنه لو أمسكه علينا كنا لا نأكله، وذلك من غاية تعليمه، لأنه تناول الخبيث وأمسك الطيب[١] على صاحبه. ولو كان صيد الكلب إذا أكل منه حلالا لكان المعلَّم وغير المعلَّم سواءً، وكان ما أمسك على نفسه وعلى صاحبه سواءً؛ لأن كل الكلاب تطلب الصيد إذا أُرسلت عليه وتمسكه حتى يموت[٢] وتأكل منه إلا المعلَّم، فما معنى تخصيص الله تعالى المعلَّم منها والممسك على صاحبه لو كان الأمر على ما قال[٣] مخالفنا؟ وقد روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: إن عُلِّم الكلب حتى صار لا يأكل من صيد ثم أكل من صيد يصيد لم يجز أن يؤكل من صيده الأول إذا كان باقيا. ومذهبه عندنا -والله أعلم- أن صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلَّما، وإن أمسك في أولِ ما يرسَل فلم يأكل؛[٤] فإذا أمسك مرارا ثم أكل دلنا أكله على أن إمساكه عن الأكل لم يكن لأنه معلَّم،[٥] إذ قد يمسك غير المعلَّم للشِبَع، ولو كان معلَّمًا ما أكله، فاستدل بأكله في الرابعة على أن إمساكه في الثالثة كان على غير حقيقة تعليم.[٦] وهذا عندنا في صيدٍ يَقْرُبُ بعضه من بعض. فأما إذا كَثُرَ[٧] إمساكُه ثم ترك إرساله مدة يجوز[٨] أن يَنسى فيها[٩] ما عُلِّم ثم أرسل فأكل / فليس فيها رواية عنه. ويجوز أن يقال: [١٧٥ظ]
يؤكل[١٠] ما بقي من صيده الأول. ويُفَرَّق بين المسألتين بأن الثاني قد ينسى، والأول يبعد من النسيان لتقارب ما بين الصيدين، فلا وجه إلا أن يُجعل غيرَ مستحكَم التعليمِ[١١] في صيده[١٢] المتقدم.

---

[١] ع م: الطيبة.
[٢] ع م: تموت.
[٣] ك: على مال.
[٤] ن ع م: فلم يؤكل.
[٥] ع م: معلوم.
[٦] قال الشارح: «ووجه مذهبه أن صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلما. ولا يعطى له حكم كونه معلما وإن أمسك في أول ما يرسل لصاحبه و لم يأكل حتى يمسك مرارا ويترك الأكل مرارا؛ لأنه إذا وجد ذلك صار ذلك علامة ظاهرة على صيرورته معلما. فإذا أكل بعد ذلك منه دلنا أكله على أن إمساكه عن الأكل لم يكن لأنه معلم؛ إذ قد يمسك غير المعلم لشبعه للحال إلى وقت الحاجة. فاستدل بأكله بعد ذلك أن إمساكه في الوقت الذي قبله كان على غير حقيقة تعليم ذلك؛ أو يحتمل ذلك فلا يحكم بالحل مع الاحتمال والشك» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٩و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٣٥ظ).
[٧] ع: إذا اكثر.
[٨] ن: ويجوز.
[٩] م: ينسى مىها.
[١٠] ع - يؤكل.
[١١] ع م: التعلم.
[١٢] م: في صيد.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الصقر والبازي من الجوارح، واستدللنا على ذلك بما أوضحناه، فدل ذلك على أنَّ صيدَ ما ليس بمعلَّم من الطير لا يؤكل إلا أن يُدْرَك ذكاته. ثم يكون تعليم البازي والصقر بإجابته صاحبه ورجوعه إليه، وتعليمُ الكلاب بترك[1] الأكل منه، لأن البازي ونحوه مستوحش عن الناس ينفر طبعه عنهم. فدل ألفة الناس وإجابة أصحابه[2] على التعلم وإن أكل منه، ولا يحتمل أن يكون بالتناول منه يخرج عن حد التعليم، لأنه إنما يُعلَّم بالأكل من الصيد.[3] وأما الكلب فإنه يألف الناس ولا يستوحش، ومن طبعه الأكل إذا أخذ الصيد، فدل إمساكه عن التناول منه على أنه معلَّم. وقد روي عن علي وابن عباس[4] رضي الله عنهما ما يدل على تأييد ما ذكرنا، قالا:[5] إذا أكل الصقر فكل، وإذا أكل[6] الكلب فلا تأكل.[7] وعن سلمان كذلك.[8]

وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله سريع الحساب**، يحتمل قوله: **واتقوا الله**، فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه[9] فإنها ميتة. ويحتمل: اتقوا الله في ترك ما أَمَرَ ونَهَى كُلِّه. **إن الله سريع الحساب**، تحتمل[10] السرعة كناية عن الشدة، **سريع الحساب**: شديد العقاب.

**﴿اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥]**

وقوله: **اليوم أحل لكم الطيبات**، يحتمل [أن يكون] قولُه: **اليوم** حرفَ افتتاح يُفتتح به الكلام

---

[1] جميع النسخ: ترك.
[2] ك ن ع: أصحابهم.
[3] ك: عن الصيد.
[4] ع م – وابن عباس.
[5] م: قال.
[6] ك ن ع: وإن أكل.
[7] تقدم تخريجه قريبا.
[8] لم أجده، بل روي خلافه عن سلمان رضي الله عنه حيث قال في الكلب المعلَّم يأكل مما يمسك: كُلْ وإن أكل ثلثيه (مصنف عبد الرزاق، ٤/٤٧٤).
[9] ع م: عليها.
[10] ك ن ع: يحتمل.

لا إشارةً[1] إلى وقت مخصوص، على ما ذكرنا في قوله تعالى: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،[2] وقد يُتَكَلَّمُ باليوم لا على إشارة وقت مشار إليه. وهو -والله أعلم- ما حُرِّمَ عليهم[3] من الثمانية الأزواج التي ذكر الله تعالى في سورة الأنعام، وهو قوله: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ،[4] إلى آخر ما ذكر، ثم قال: وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا،[5] الآية، وما حَرَّمُواهُم[6] على أنفسهم من البَحِيرة[7] والسائبة والوَصِيلة والحام،[8] وغيرها من المحرمات التي كانت، فأحل الله لهم[9] ذلك،[10] فقال: **اليوم أحل لكم الطيبات**، وكانت محرمة عليهم قبل ذلك. لكن أهل التأويل صرفوا الآية إلى الذبائح، لم يصرفوا إلى ما ذكرنا، وقد ذكرنا[11] المعنى[12] الذي به صارت الذبائح طيبات فيما تقدم.[13]

وقوله عز وجل: **وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامُكم حِلٌّ لهم**، عن[14] ابن عباس رضي الله عنه قال: **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**، أي ذبائحهم حل لكم[15] وذبائحكم حل لهم.[16] إلى هذا حمل أهل التأويل.

فإن قيل: أليس جُعِلَت[17] ذبائحنا محلَّلة لهم[18] وذبائحهم محلَّلة لنا، ثم تحل[19] ذبائحنا لهم ولغيرهم،

---

[1] ن: ولا إشارة.
[2] سورة المائدة، ٣/٥.
[3] أي ما حرموا على أنفسهم في الجاهلية.
[4] ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين... ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾ (سورة الأنعام، ١٤٣/٦-١٤٤).
[5] سورة الأنعام، ١٤٦/٦.
[6] م - هم.
[7] ع: من البحير.
[8] ك: والحامي. انظر لتفسير هذه الألفاظ تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[9] م - لهم.
[10] ن ع: ذلك لهم.
[11] ع: وقد ذكر.
[12] م - المعنى.
[13] انظر تفسير الآية السابقة.
[14] ع م: وعن.
[15] ع + وذبايحهم حل لكم.
[16] *تفسير الطبري*، ١٠٣/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٤/٣.
[17] جميع النسخ: جعل.
[18] ع + وذبايحهم محللة لهم.
[19] ك ن: ثم يحل.

كيف لا تحل[1] ذبائحهم وذبائح غيرهم، وهو[2] ذبائح المجوس؟

قيل: حِلُّ الذبائح شرعي، وليس للمجوس كتاب آمنوا به فتحل[3] ذبائحهم. وأما أهل الكتاب فإنهم آمنوا بما في الكتاب حِلِّه وحُرْمَتِه، لذلك افترقا.[4] *والله أعلم*.

والآية على قول أصحاب العموم توجب[5] حِلّ جميع طعام أهل الكتاب لنا، وحِلّ[6] جميع طعامنا لهم، لأنه قال: **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، فعلى** قولهم لكل واحد من الفريقين أن يتناول طعام الفريق الآخر؛ دل أن مخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم عاما لِلّفظ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والمحصَنات من المؤمنات والمحصَنات من الذين أوتوا الكتاب،** اختلف فيه. قال بعضهم: المحصنات أراد به الحرائر. وقال آخرون: أراد به العفائف منهن غير الزانيات،[7] كقوله تعالى: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً،[8] نهى عن نكاح الزانيات ورغّب في نكاح العفائف. وهذا أشبه من الأول، لأنه قال في آخر الآية: مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ؛ دل هذا على أنه أراد بالمحصنات العفائف منهم لا[9] الحرائر.

ودلت الآية على حل نكاح الحرائر من الكتابيات، وعلى ذلك اتفاق أهل العلم، لكن يكره ذلك. روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كره تزوّجهن.[10] فهذا عندنا على غير تحريم منه لتزويجهن،[11] ولكن رَأَى تزويج[12] المسلمات أفضل وأحسن لمشاركتها المسلم في دينها.

---

[1] جميع النسخ: لا حل.

[2] أي المقصود بذلك.

[3] ن ع م: فيحل. أي حتى تحل ذبائحهم.

[4] ع: وافترقا. قال الشارح: «قيل: ذبائح أهل الكتاب ما صارت محللة لنا باعتبار أن ذبائحنا صارت محللة لهم؛ لأن هذا قياس شبه. لكن إنما حلت ذبائحهم لأنهم أهل كتاب آمنوا بما في الكتاب حله وحرمته. فأما المجوس فليس لهم كتاب آمنوا به فيحل به ذبائحهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠٩و).

[5] ن ع م: يوجب.

[6] ع – جميع طعام أهل الكتاب لنا وحل؛ م – حل جميع طعام أهل الكتاب لنا وحل.

[7] جميع النسخ: غير زانيات.

[8] سورة النور، ٢٤/٣.

[9] ع – لا.

[10] «قال أبو عُبيد: نكاح الكتابيات جائز بالإجماع إلا عن ابن عمر» (*تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٧٤/٣).

[11] ك: في تزويجهن.

[12] ع + المحصنات.

وروي عن عمر رضي الله عنه كراهة[1] ذلك. وذلك لأن حذيفة رضي الله عنه تزوج يهودية، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يأمره بطلاقها، ويقول:[2] كفى بذلك فتنةً للمسلمات.[3] فهذا أيضا لا على[4] سبيل التحريم، ولكن لما ذكر من الفتنة فتنةِ المسلمات. فأصحابنا رحمهم الله يكرهون أيضا تزويج الكتابيات ولا يحرمونه. واختلف أهل العلم في تزويج إمائهن. فتأول قوم قول الله[5] تعالى: **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب** على الحرائر، وتأوله آخرون على العفائف. وقد ذكرنا أن صرف التأويل إلى العفائف أشبه بدلالة قوله: **محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان.** مع ما لو كانت المحصنات هاهنا هن الحرائر لم يكن فيه حظر نكاح إماء الكتابيات، لأنه أباح[6] نكاح[7] الحرائر من الكتابيات،[8] وليس في إباحة شيءٍ في حالٍ حظرُ غيرِه فيه، وقد ذكرنا[9] الوجه في ذلك فيما تقدم.[10]

والمجوسية[11] ليست عندنا من أهل الكتاب، والدليل على ذلك قوله[12] تعالى: وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[13] فأخبر الله تعالى أن أهل الكتاب طائفتين، فلا يجوز أن يُجعلوا[14] / ثلاث طوائف، وذلك خلاف [١٧٦و] ما دل عليه القرآن؛ ألا ترى[15] أن رجلا لو قال: إنما لي عليك يا فلان درهمان، لم يكن له أن يدعي عليه أكثر من ذلك؛ ولو قال: إنما لقيت اليوم رجلين، وقد لقي ثلاثة، كان كاذبا؛[16]

---

[1] م: كرهه.
[2] ك ن: ويقي؛ ع: وبقي.
[3] روي من عدة طرق بألفاظ مختلفة. انظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٧٧/٧-١٧٨؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ١٧٢/٧.
[4] م: أيضا على.
[5] ن: قوله.
[6] جميع النسخ: إباحة.
[7] ن - نكاح.
[8] ن - من الكتابيات.
[9] م: قد ذكرنا.
[10] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٩/٤.
[11] جميع النسخ: فالمجوسية.
[12] ك ع: قول الله.
[13] سورة الأنعام، ١٥٥/٦-١٥٦.
[14] ن: أن يجعل.
[15] م: ألا يرى.
[16] ك + لأن قوله إنما لقيت اليوم رجلين كقوله لقيت اليوم رجلين؛ ن + لأن قوله إنما لقيت اليوم رجلين؛ ع م + لأن قوله إنما لقيت رجلين كقوله لقيت اليوم رجلين.

ولا يجوز مثل هذا في أخبار الله، لأنه الصادق في خبره عز وجل.

فإن قيل: هذا شيء حكاه الله عز وجل عن المشركين، وقد يجوز أن يكونوا[1] غَلِطُوا، فحكى الله تعالى عنهم ما قالوا.

قيل له: لم يحك الله تعالى هذا القول عن المشركين، ولكن قطع بالقرآن عذرهم فقال [بأنه] أنزل الكتاب لئلا يقولوا: إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ، فهذا كلام الله واحتجاجه على المشركين، وليس بحكاية[2] عنهم.

ومن الدليل على أن المجوس ليسوا[3] من أهل الكتاب ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس بين القبر والمنبر:[4] ما أدري كيف أصنع بالمجوس وليسوا بأهل الكتاب؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سُنُّوا بالمجوس سنة أهل الكتاب».[5] صرّح عمر رضي الله عنه بأنهم ليسوا أهل كتاب،[6] ولم ينكر عبد الرحمن ذلك عليه[7] ولا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فلو كانوا أهل الكتاب لقالوا: هم أهل الكتاب،[8] ولم يَقُلْ: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب». وكذلك روي عن الحسن بن[9] محمد أنه[10] قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هَجَر،[11] فقال: «أدعوكم إلى شهادة[12] أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، ومن أَبَى فعليه الجزية، غيرَ آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم».[13] إلى هذا ذهب أصحابنا رحمهم الله في قولهم: إن المجوس ليسوا بأهل كتاب.

---

[1] ن: أن يكون.

[2] م: حكاية.

[3] ع م: ليس.

[4] أي بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره بالمسجد النبوي.

[5] *الموطأ* لمالك، الزكاة ٤٢؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٤٣٥/٢.

[6] ع م: الكتاب.

[7] ن م – عليه.

[8] ع م – لقالوا هم أهل الكتاب.

[9] ن: ابن.

[10] ك – أنه.

[11] هَجَر: بلد بالبحرين (*لسان العرب* لابن منظور، «هجر»).

[12] ع م: الشهادة.

[13] روي أنه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هَجَر يدعوهم إلى الإسلام، فمن أسلم قَبِل منه الحق، ومن أبى كُتِبَت عليه الجزية، ولا تؤكل لهم ذبيحة ولا تُنكَح منهم امرأة (*مصنف عبد الرزاق*، ٦٩/٦؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٤٢٩/٦). قال البيهقي: «هذا مرسل، وإجماع أكثر المسلمين عليه يؤكده» (*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٢/٩). =

وأما نصارى بني تَغْلِب[١] فإن عليا رضي الله عنه قال: لا تحل[٢] ذبائح نصارى العرب، فإنهم ليسوا بأهل كتاب،[٣] وقرأ: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ.[٤] وقال ابن عباس: تؤكل،[٥] وقرأ: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ.[٦] والآية الأولى تدل على أنهم أهل كتاب،[٧] لأن الله عز وجل قد جعلهم منهم بقوله: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ، فحُكمهم[٨] حُكمهم، إذ أخبر الله[٩] عز وجل أنهم منهم. ومما يدل على ذلك أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا يَتَخَلَّجَنَّ[١٠] في صدرك طعامٌ ضَارَعْتَ[١١] فيه النصرانية»،[١٢] لأنه عمّ فيه النصارى فدخل فيه عربهم وعجمهم، لأنهم دانوا بدينهم وكل من[١٣] دان بدين قوم فهو منهم.[١٤]

= والحسن بن محمد هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد المدني، وأبوه ابن الحنفية. روى عن أبيه وابن عباس وعدة، وعنه الزهري وموسى بن عبيدة وغيرهما. ثقة فقيه. يقال: إنه أول من تكلم في الارجاء. مات سنة ١٠٠هـ/٧١٨م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٣٢٩/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ١٦٤.

[١] بنو تَغلب قبيلة عظيمة من القبائل العربية العدنانية تنسب إلى تغلب بن وائل. كانت تسكن الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين. وكانت مولعة بالحرب والقتال وحاربت مع الروم ضد الجيوش الإسلامية في أول الإسلام، وقد عاهدهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: معجم *قبائل العرب* لعمر رضا كحالة، ١٢١/١-١٢٢.

[٢] ن ع م: لا يحل.

[٣] ك – وأما نصارى بني تغلب فإن عليا رضي الله عنه قال لا يحل ذبائح نصارى العرب فإنهم ليسوا بأهل كتاب.

[٤] سورة البقرة، ٧٨/٢. روي عن علي رضي الله عنه قال: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب، فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر (*تفسير الطبري*، ١٠١/٦).

[٥] جميع النسخ: يؤكل.

[٦] يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ (سورة المائدة، ٥١/٥).

[٧] ع: أهل الكتاب.

[٨] م: فحمكهم.

[٩] ن – الله.

[١٠] ك ن: لا يتحجن؛ م: لا يحتجن. تخلّج وتخلّج بمعنى تحرك واضطرب. وما تخلج في الصدر أي تردد فيه من أجل الشك (*لسان العرب* لابن منظور، «حلج»، «خلج»).

[١١] المضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثه أو شبهه. وفي حديث عدي رضي الله عنه قال له: «لا يختلجن في صدرك شيء ضارعت فيه النصرانية». المضارعة: المشابهة والمقاربة. وذلك أنه سأله عن طعام النصارى، فكأنه أراد لا يتحركن في قلبك شك أن ما شابهت فيه النصارى حرام أو خبيث أو مكروه (*لسان العرب* لابن منظور، «ضرع»).

[١٢] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٢٦/٥؛ وسنن *أبي داود*، الأطعمة ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، السير ١٦.

[١٣] ع – من.

[١٤] ن – فهو منهم.

ومن الدليل على أن العرب إذا دانوا بدين أهل الكتاب فهم من أهل الكتاب[١] أن العجم لما أسلموا صار حكمهم حكم عرب أهل الإسلام، فإن ارتد أحد منهم وسأل أن تؤخذ منه[٢] الجزية كما تؤخذ في الابتداء من المجوس[٣] لم يُجَبْ إلى ذلك، وقيل له: إما أن تُسْلِم وإما أن تُقتَل، فهو بمنزلة عربي مسلم لو ارتد عن الإسلام. فلما كان حكم[٤] العجمي إذا دان بدين النبي صلى الله عليه وسلم حكم العرب وجب أن يكون حكم العربي إذا دان بدين العجم من أهل الكتاب أن يُجْعَلَ حكمُه حكمَهم. *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل: **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن**، ذكر إيتاء أجورهن،[٥] وقد يَحْلِلْنَ لنا إذا لم تُؤْتَ[٦] أجورُهن؛ دل أن ذكر الحكم في حالٍ لا يوجب حظره في حالٍ أخرى، فهو دليل لنا في جواز نكاح الإماء من أهل الكتاب وإن ذكر في الآية المحصنات.

وقوله عز وجل: **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله**، الآية، أي ومن يكفر بالذي عليه الإيمان به وهو المؤمَن به، أي الله، لأنه[٧] لا يُكْفَر بالإيمان، ولكن يؤمَن به. وهو كقوله: حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[٨] أي الموقَن به. فعلى ذلك الأول معناه: من يكفر بالذي عليه الإيمان به وهو المؤمَن به[٩] **فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**. *وبالله العصمة والهداية*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦]**

---

١ ع – فهم من أهل الكتاب.
٢ ك ن: يوخذ منه؛ ع م: يؤخذ منهم.
٣ ك ن: في المجوس؛ ع م: في المحسوس.
٤ ك: حكمى.
٥ ع م – ذكر إيتاء أجورهن.
٦ ن ع م: لم يوت.
٧ ك + لأنه.
٨ سورة الحجر، ١٥/٩٩.
٩ م – أي الله لأنه لا يكفر بالإيمان ولكن يؤمن به وهو كقوله حتى يأتيك اليقين أي الموقن به فعلى ذلك الأول معناه من يكفر بالذي عليه الإيمان به وهو المؤمن به.

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**، لو حملت الآية على ظاهرها لكان لا سبيل لأحد[1] [على] القيام بأداء ما فرض[2] الله عليه من الصلاة، لأنه كلما قام إلى الصلاة يلزمه الوضوء، فلا يزال يبقى فيه.[3] لكنها على الإضمار، كأنه قال:[4] **إذا قمتم إلى الصلاة** وأنتم محدثون **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**، وإلا ظاهر الآية يوجب ما ذكرنا، لكن الحدث[5] مضمر فيه. ومن الناس من يوجب الوضوء لكل[6] صلاة بظاهر هذه الآية؛ وقد جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الفعل بذلك: روي[7] عن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أنهم توضئوا لكل صلاة.[8] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك.[9] وروي أن علي[10] بن أبي طالب رضي الله عنه صلى الظهر ثم قعد في الرَّحَبَة،[11] فلما حضرت العصر دعا بِكُوزٍ[12] من ماء، فغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه، وشرب فَضْلَه، وقال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل، وقال:[13] هذا وضوء من لم يحدث.[14] وروي عن عُبَيْد بن عُمَيْر أنه كان يتوضأ لكل صلاة، وتأول هذه الآية.[15] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] ك: إلى أحد.

[2] ك: القيام بما فرض.

[3] أي فلا يزال القائم إلى الصلاة يبقى في عمل الوضوء أبدا، لأنه إذا توضأ وقام إلى الصلاة وجب عليه الوضوء مرة أخرى، وهكذا دواليك، فلا ينتهي من الوضوء أبدا.

[4] م + يقال.

[5] م: الحديث.

[6] ن ع م: كل.

[7] ع: وروي.

[8] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٥/١.

[9] يأتي قريبا.

[10] ع: عن عي.

[11] رَحَبَة المسجد والدار: ساحتهما ومُتَّسَعُهما (*لسان العرب* لابن منظور، «رحب»).

[12] نوع من الأواني معروف، وهو بدون عُرْوَة (*لسان العرب* لابن منظور، «كوز»).

[13] أي قال عي رضي الله عنه.

[14] *مسند أحمد بن حنبل* ١٣٩/١، ١٥٣؛ و*تفسير الطبري*، ١١٣/٦.

[15] *مصنف عبد الرزاق*، ٥٧/١. وعبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قاله مسلم. وعده غيره في كبار التابعين. وكان قاص أهل مكة. روى عن عمر وأبي وعائشة، وعنه ابنه عبد الله وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار. مجمع على ثقته. مات قبل ٧٤هـ/٦٩٣م. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٦٩١/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٣٧٧.

أنه كان[1] يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوات[2] كلها بوضوء واحد.[3] فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله،[4] إنك فعلت شيئا لم تكن[5] تفعله. قال: «إني عمدًا فعلته يا عمر».[6] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرت في كل صلاة الوضوء، ومع كل وضوء السواك».[7] وكل ما روي من الأخبار بالوضوء لكل صلاة هو[8] على الفضل عندنا والاستحباب، لا على الحتم؛ ألا ترى أنه روي عن النبي[9] صلى الله عليه وسلم[10] أنه[11] صلى الصلوات[12] / كلها بوضوء واحد، وقال: «إني عمدا فعلته»،[13] دل[14] ذلك [على] ما ذكرنا. [١٧٦ظ]

وقد يحتمل[15] تأويلَ الآية معنى آخر، [وهو] ما روي عن بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراق ماءً نُكلِّمه فلا يُكلِّمنا، ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى يأتي أهله فيتوضأ وضوءه[16] للصلاة. فقلنا له في ذلك، حتى نزلت[17] آية الرخصة: قوله تعالى:[18]

---

[1] م – كان.
[2] ع: الصلوة.
[3] ع م: واحدة.
[4] ن – يا رسول الله.
[5] ن + لم تكن.
[6] صحيح مسلم، الطهارة ٨٦؛ وسنن أبي داود، الطهارة ٦٥؛ وسنن الترمذي، الطهارة ٤٥. وقوله: «عمدا فعلته» أي لبيان جواز أداء عدة صلوات بوضوء واحد. انظر: تحفة الأحوذي لمباركفوري، ١/١٦٣.
[7] ولفظ النسائي: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك» (مسند أحمد بن حنبل، ٢/٢٥٨؛ والسنن الكبرى لنسائي، ٢/١٩٧). وفي إسناد الرواية الأولى محمد بن عمرو بن سمة وهو ثقة حسن الحديث. انظر: مجمع الزوائد لهيثمي، ١/٢٢١.
[8] م: وهو.
[9] ع: أن النبي.
[10] ك ن – عن النبي صلى الله عليه وسلم.
[11] ع م – أنه.
[12] ع: الصلوة.
[13] ع م: فعلت عمدا.
[14] ع م – دل.
[15] ع: ويحتمل.
[16] ع: وضوء.
[17] ع م: نزل.
[18] ك ن – قوله تعالى.

**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة.**[١] فهذا يدل أن معنى الآية على الإضمار: **إذا قمتم إلى الصلاة** وأنتم محدثون **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم**.

وروي في تأويل الآية: **إذا قمتم** من المضجع **إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم**. وقد رويت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة بإيجاب الوضوء من النوم، فكان ذلك شاهداً[٢] لهذا التأويل. روي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] أنه كان ينام، ثم يصلي[٤] الصبح ولا يتوضأ. فسئل عن ذلك، فقال: «إني لست كأحد منكم، إنه تنام[٥] عيناي ولا ينام قلبي، ولو أحدثت لعلمت».[٦] وروي عن صفوان بن عَسّال[٧] قال:[٨] كُنّا [نكون][٩] مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فيأمرنا[١٠] أن لا نَنْزِعَ[١١] خفافنا إذا أدخلناهما طاهرتين،

---

[١] *تفسير الطبري*، ١١٥/٦؛ *والمعجم الكبير* للطبراني ٦٦/١٨؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٢٦/٣. وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٧٦/١. يقول الطبري: «وقد قال قوم: إن هذه الآية أنزلت على رسول الله إعلاما من الله له بها أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى صلاته دون غيرها من الأعمال كلها. وذلك أنه كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ. فأذن الله بهذه الآية أن يفعل كل ما بدا له من الأفعال بعد الحدث عدا الصلاة توضأ أو لم يتوضأ، وأمره بالوضوء إذا قام إلى الصلاة قبل الدخول فيها... عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال: كان رسول الله إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا، ونسلم عليه فلا يرد عينا حتى يأتي منزله فيتوضأ كوضوئه لصلاة. فقنا: يا رسول الله، نكلمك فلا تكلمنا، ونسلم عليك فلا ترد علينا. قال: حتى نزلت آية الرخصة، يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة، الآية (*تفسير الطبري*، الموضع السابق).

[٢] ن - شاهدا.

[٣] ع م - وعن الصحابة بإيجاب الوضوء من النوم فكان ذلك شاهدا لهذا التأويل روي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٤] ك: يصفي.

[٥] جميع النسخ: ينام.

[٦] لم أجده هكذا. لكن روي عن ابن عباس في حديث طويل ما معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي التهجد ثم ينام ثم يقوم ويصلي الصبح ولا يتوضأ. انظر: *صحيح البخاري*، الوضوء ٥؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٨٤. وروي في حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ... يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» (*صحيح البخاري*، صلاة التراويح ١؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٢٥).

[٧] م: غسال.

[٨] جميع النسخ + إذا؛ م - قال.

[٩] من مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٣٩/٤.

[١٠] جميع النسخ: يأمرنا. والتصحيح من مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٣٩/٤.

[١١] ع: لا ينزع.

ولا نَخْلَعَهما[1] من غائط ولا بول ولا نوم إلا من جنابة.[2] فهذه الأحاديث توجب الوضوء من النوم مجملا، وجاء حديث آخر مفسّرًا بإيجاب الوضوء إذا نام مضطجعا: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس على من نام قاعدا وضوء حتى يضطجع، فإذا اضطجع استرخت مفاصله»،[3] فهذا[4] يفسر[5] الأخبار التي جاءت مجملة. وقد جاءت الأخبار أنه إذا نام في الصلاة قائما أو قاعدا أو ساجدا فلا وضوء عليه.[6] فيدل ذلك على أن النوم في الصلاة ليس بحدث. وروي عن ابن عمر[7] رضي الله عنه قال: لا يجب[8] الوضوء حتى يضع جَنْبَه[9] وينام.[10] فهذا يؤيد ما قلنا. مع ما اجتمع أهل العلم في أن الوضوء ليس بواجب على من قام إلى الصلاة وهو غير محدث، فكان التأويل ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فاغسلوا وجوهكم**، الخطاب من الله عز وجل بغَسل الوجه ما[11] يعرف أهله[12] الوجه، فالتكلم فيه والتحديد أنه من كذا إلى كذا فَضْلُ تَكَلُّم، والأمر بالغَسل يرجع إلى ما ظَهر وعَرف أهلُه أنه وجه. وكذلك الأمر بمسح الرأس[13] يرجع إلى ما عَرف أهلُه أنه رأس. وليس كالأذنين، لأن معرفة الأذنين أنهما من الرأس سمعي،[14] لأنهما لا تعرفان[15]

[1] ع: ولا تخلعهما.
[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٢٣٩؛ وسنن *ابن ماجة*، الطهارة ٦٢؛ وسنن *الترمذي*، الطهارة ٧١. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
[3] روي بلفظ: «لا يجب الوضوء على من نام جالسا أو قائما أو ساجدا حتى يضع جنبه، فإنه إذا وضع جنبه استرخت مفاصله» (*السنن الكبرى* للبيهقي، ١/١٢١).
[4] م: فهذه.
[5] ع م – يفسر.
[6] سنن *أبي داود*، الطهارة ٧٩؛ وسنن *الترمذي*، الطهارة ٥٧.
[7] ع: عن عمر بن الخطاب؛ م: عن عمر.
[8] ع م: لا يوجب.
[9] ع م: الجنب.
[10] روي عن ابن عمر أنه كان ينام وهو جالس فلا يتوضأ، وإذا نام مضطجعا أعاد الوضوء (*مصنف عبد الرزاق*، ١/١٣٠).
[11] بمعنى الذي.
[12] ع م: أهل. أي أهل الخطاب، وهم العرب وغيرهم ممن يفهم اللسان.
[13] ن + من.
[14] ع – سمعي.
[15] ن ع م: لا يعرفان.

أنهما من الرأس إلا[١] بالسمع.[٢] وكذلك الأمر بغَسل اليد وغَسل الرجل[٣] يقع على ما[٤] يعرف الناس، وعَرف الناس[٥] اليد إلى الإبط، والرجل إلى الركبة، فخرج ذكر المرافق في غسل الأيدي على إخراج ما وراء المرافق، وكذلك ذكر الكعب في الرجل[٦] لإخراج ما وراء الكعب، لأن اسم اليد على الإطلاق يقع من أطراف الأصابع إلى الإبط.

وقوله عز وجل: **وأرجلكم إلى الكعبين**، قرءوا بالنصب وقرءوه بالخفض.[٧] قال[٨] بعضهم: من قرأ بالنصب فهو يرجع إلى الغَسل نَسَقًا على الوجه، وبالخفض[٩] يرجع[١٠] إلى المسحِ مسحِ الخِفاف نَسَقًا على مسح الرأس. لكن هذا بعيد لأنه تناقض، لا يجوز أن يأمر بالغَسل والمسح جميعا. ومعنى الخفض لقرب جِوَارِه[١١] بقوله تعالى: **وامسحوا برءوسكم**. وقد يجوز ذلك[١٢] نحو قوله تعالى: وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ،[١٣] فمن قرأ بالخفض إنما قال لقرب الجوار بالخفض؛[١٤] فعلى ذلك الأول.

ثم الحكمة في الأمر بغَسل هذه الأعضاء لِيُذَكِّرَهم تطهير باطنهم. والمعنى

---

[١] ن: لا؛ م – إلا.

[٢] وعبارة الشارح هكذا: «وإنما ورد الحديث عن النبي صلى الله عيه وسلم: "الأذنان من الرأس"، لأن معرفة الأذنين أنهما من الرأس سمعي لأنهما لا يعرفان أنهما من الرأس إلا بالسمع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٠و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٣٦ظ). وللحديث المذكور انظر: سنن *ابن ماجة*، الطهارة ٥٣؛ وسنن *أبي داود*، الطهارة ٥١؛ وسنن *الترمذي*، الطهارة ٢٩. وقد ضعفه بعض الحفاظ، لكن صححه الزيلعي. انظر: *نصب الراية*، ١/١٨-١٩.

[٣] ن – وغسل الرجل.

[٤] ك – ما.

[٥] م – وعرف الناس.

[٦] ك: في الكعب.

[٧] قرأ من الأئمة السبعة نافع وابن عامر والكسائي وروى حفص عن عاصم: وأرجلَكم، بالنصب. وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وروى شعبة عن عاصم: وأرجلِكم، بالخفض. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٤٢-٢٤٣.

[٨] ع: فقال.

[٩] ع: بالخفض.

[١٠] م – يرجع.

[١١] ع: جوازه.

[١٢] ن – ذلك.

[١٣] سورة الواقعة، ٥٦/٢١-٢٣.

[١٤] أي القراءة بالجر في قوله تعالى: ﴿وحورٍ عينٍ﴾ محمولة على الجوار، وهي قراءة حمزة والكسائي من الأئمة السبعة. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٦٢٢.

في غَسل هذه الأعضاء الظاهرة -والله أعلم-[1] لمعنيين. أحدهما شُكْرٌ: أما اليد لما بها[2] يتناول ويقبض، وأما الرجل لِمَا بها يمشي وبها يصل إلى مقاصده،[3] والوجه لأنه[4] مَجْمَع الحواسّ التي بها[5] يعرف عظيم نعم الله عز وجل من نحو البصر والفم وغيرها من الحواسّ التي بها يكون التلذذ والتشهي. أو أَمَرَ بذلك تكفيرًا لِمَا ارتكب[6] بهذه الحواسّ من الأَجْرَام، لأنه بها يُرتكَب جُلّ الآثام، وبها يوصل إليها من المشي والقبض وغير ذلك.

وقوله عز وجل: **وإن كنتم جُنُبًا فاطَّهَّروا**، قيل: اغتسلوا. تأخذ[7] الجنابة الظواهر[8] من البدن وبواطنَه، والحَدَث لا يأخذ إلا الظواهر من الأطراف، لأن السبب الذي يوجب الجنابة لا يكون إلا باستعمال جميع ما فيه من القوة؛ ألا ترى أنه به[9] يَضْعُفُ إذا أَكْثَرَه، وبِتَرْكِهِ[10] يَقْوَى، فعلى ذلك أَخَذَت[11] جميع البدن ظاهره وباطنه؛ وأما الحدث فإن سببه يكون بظواهر هذه الأطراف من نحو الأكل والشرب والحدث، وليس[12] باستعمال كل البدن. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء**، الآية، ذكر المرض والسفر والمجيء من الغائط والملامسة، ثم الحكم لم يتعلق باسم المرض ولا باسم السفر ولا باسم[13] الغائط، ولكن كان متعلقا بمعنًى[14] فيه، ففيه[15] دلالة جواز القياس؛ لأنه ذكر الغائط والمجيء منه، والغائط هو المكان الذي تُقْضَى[16] فيه الحاجات،

---

[1] ع - أعلم.
[2] ك ن: شكرا لما بها؛ ع: شكر الماء بهما؛ م: شكر أما اليد بها.
[3] جميع النسخ: يصل إليه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٠ظ.
[4] ع م - لأنه.
[5] م - بها.
[6] م + ارتكب.
[7] جميع النسخ: يأخذ.
[8] ع: الظوهر.
[9] أي بالسبب الذي يوجب الجنابة.
[10] ن: ويتركه.
[11] جميع النسخ: أخذ.
[12] ك ن: ليس.
[13] جميع النسخ: ولكن باسم.
[14] جميع النسخ: لمعنى.
[15] ع م - ففيه.
[16] ن م: يقضى؛ ع: يقتضى.

والمراد منه المعنى، وهو قضاء الحاجات. فهذا أصل لنا أن النص إذا ورد لمعنى فوُجِدَ ذلك المعنى في غيره وجب ذلك الحكم في ذلك الغير. فإذا عدم الماء في المكان الذي يُعدَم وإن لم يكن سفرا يجوز التيمم فيه. وكذلك إذا خاف الضرر من الماء جاز له التيمم وإن لم[١] يكن[٢] مريضا، لأنه ليس أباح ذلك للمريض باسم المرض ولا [للمسافر] باسم السفر، ولكن لمعنى فيه.

وقوله عز وجل: **أو لامستم النساء**، قد ذكرنا فيما تقدم أن الملامسة هو الجماع،[٣] / كذلك روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما.[٤] وقال ابن عباس رضي الله عنه: الملامسة [١٧٧و] والمباشرة والإفضاء والرفث والغِشيان كلّه جماع، ولكن الله[٥] كريم يُكَنِّي.[٦]

وقوله عز وجل: **فتيمموا صعيدا طيبا**، جعل الطهارة بالماء والتراب، لأنه بهما معاش[٧] الخلق، وبهما قوام الأبدان، حتى جعل جميع أغذية الخلق وجُلّ مصالحهم منهما، فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات بهما. *والله أعلم*.

ثم الحكمة في وجوب الطهارة وجهان. أحدهما ما ذكرنا أن يُذكِّرهم طهارةَ الباطن. والثاني تكفيرا لما ارتكبوا بهذه الجوارح من الأَجْرَام، أو شكرا لما أنعم عليهم من المنافع التي جعل لهم فيها من القبض والبسط والتناول والأخذ والمشي وغير ذلك مما يكثر. ثم الحكمة في جعل الطهارة في أطراف[٨] البدن للتزيّن والتنظيف، لأنه يُقْدِم على المَلِك الجبّار ويقوم بين يديه ويناجيه، ومن أتى مَلِكًا من ملوك الأرض يتكلف التنظيف والتزيّن[٩] ثم يدخل عليه، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**، قال عبد الله بن مسعود وعمر رضي الله عنهما:

---

[١] ع م – وإن لم.
[٢] ع م: يكون.
[٣] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤٣/٤.
[٤] للروايتين انظر: *تفسير الطبري*، ١٠٢/٥–١٠٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥٠/٢.
[٥] ن: ولكنه تعالى.
[٦] *تفسير الطبري*، ١٠٢/٥.
[٧] ن ع م: معاشر.
[٨] ع: من أطراف.
[٩] ك ن: والتريين.

الملامسة ما دون الجماع،[1] وقالا: إن الجنب لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهرا.[2] وإنما قالا: إنه لا يتيمم، لما قالا: إن اللمس ما دون الجماع،[3] فلم يَدخُل الجنب في هذه الآية، وأوجبوا عليه الغسل بقوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا، وجعلا قول الله تعالى: وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا،[4] على مرور الجنب في المسجد،[5] ولم يجعلاه[6] على أنه يصلي إذا كان مسافرا ولم يجد[7] الماء بالتيمم، فهذا الذي منع عبد الله[8] أن يُطلق للجنب أن يصلي بالتيمم على [كل] حال. فأما علي وابن عباس رضي الله عنهما فإنهما جعلا[9] اللمس الذي ذكره[10] الله تعالى في هذه الآية جماعا،[11] وقالا: كَنَّىٰ الله تعالى عن الجماع بالمسيس والغشيان والمباشرة، وجعلا[12] قولَ الله تعالى: إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا في المسافر الذي لم يجد الماء وهو جنب.[13] وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أذن للجنب من الجماع أن يتيمم[14] إذا لم يجد الماء.[15] فكان ذلك حجة على من منع الجنب من التيمم.

ثم قول الشافعي قول ثالث خارج عن قول الصحابة والسلف رضوان الله عليهم أجمعين جميعا؛[16] لأنه يزعم أن اللمس هو الجماع وما دونه، فذلك[17] ابتداعٌ في الآية قولًا وتفسيرًا

---

[1] لرواية ابن مسعود انظر: *تفسير الطبري*، ١٠٤/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٩/٢. وروي عن عمر أنه قال: إن القبلة من اللمس فتوضئوا منها (*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٢٤/١).

[2] *مصنف ابن أبي شيبة*، ١٤٥/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ١١٠.

[3] ن – وقالا إن الجنب لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهرا وإنما قالا إنه لا يتيمم لما قالا إن اللمس ما دون الجماع.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾ (سورة النساء، ٤٣/٤).

[5] لرواية ابن مسعود انظر: *تفسير الطبري* ٩٨/٥.

[6] جميع النسخ: ولم يجعله.

[7] ع: ولم يزيد؛ م: ولم يريد.

[8] ن ع م: عند الله.

[9] ع: جعل.

[10] ع: ذكر.

[11] ع: جماع؛ م: الجماع.

[12] جميع النسخ: وجعل.

[13] للروايتين انظر: *تفسير الطبري*، ٩٧/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٦/٢-٥٤٧.

[14] ع: أن ليتيمموا؛ م: أن يتيمموا.

[15] روي في ذلك عدة أحاديث. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٥/٢؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ١١٠، ١١٢؛ وسنن *أبي داود*، الطهارة ١٢٣.

[16] م – جميعا.

[17] ن + فذلك.

خَالَفَ فيه ما رُوي في تفسيرها عن الصحابةِ[١] جملةً والسلفِ، ولذلك[٢] كان مخطئا.[٣] وأصله أن الله تعالى ذكر الوضوء وأمر به في الآية، وهو قوله تعالى: **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم**، الآية، ولم يذكر الحدَث،[٤] وأمر[٥] بالاغتسال من الجنابة، وهو قوله: **وإن كنتم جنبا فاطهروا**، ولم يذكر من أي جنابة، ثم ذكر الحدَث[٦] في قوله: **أو جاء أحد منكم من الغائط**، فعلى ذلك قوله تعالى: **أو لامستم النساء** كان بيانا لما تقدم من الأمر بالاغتسال من الجنابة.[٧] *والله أعلم*.

وقوله: **فتيمموا صعيدا طيبا**، قيل: اقصدوا **صعيدا طيبا**. والصعيد هو وجه الأرض. وقوله: **طيبا**، قال بعضهم: الطيب ما يُنْبِت من الزرع وغيره. وقال آخرون: الطيب هاهنا هو الطاهر.[٨] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدا وطهورا، أينما أَدْرَكَتْنِي الصلاةُ تيممت وصليت»،[٩] أخبر أن الأرض جُعل له مسجدا وطهورا، فكان قوله: «طهورا» تفسيرا لقوله: **طيبا**. *والله أعلم*.

وقوله: **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه**، قد ذكرنا فيما تقدم[١٠] أن التيمم ضربتان،[١١] ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين.[١٢]

وقوله عز وجل: **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: ما يريد أن يُضَيِّقَ عليكم ليأمركم بحمل الماء إلى حيث ما كنتم في الأسفار وغيره، ولكن جعل لكم التيمم،

---

[١] م + رضي الله عنه.

[٢] ك ع م: لذلك.

[٣] ك ن + مبتدعا.

[٤] ع م: الحديث.

[٥] م: وأمره.

[٦] م: الحديث.

[٧] ع – وهو قوله وإن كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر من أي جنابة ثم ذكر الحدث في قوله أو جاء أحد منكم من الغائط فعلى ذلك قوله تعالى أو لامستم النساء كان بيانا لما تقدم من الأمر بالاغتسال من الجنابة.

[٨] ع: الظاهر.

[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٢/٢؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١١٩.

[١٠] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤٣/٤.

[١١] ك: ضربتين؛ ن م: ضربين.

[١٢] ع – وقوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم قد ذكرنا فيما تقدم أن التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين.

ورخص لكم أن تؤدوا ما فرض عليكم به، ولم يُكَيِّفْكم حملَ الماء في الأسفار وغيره.[1] *والله أعلم*. ووجه آخر: ما أراد الله بما تعبّدكم من أنواع العبادات أن يجعل عليكم من حرج، ولكن أراد ما ذكر.

وقوله: **ولكن يريد ليطهركم**، يحتمل: **يريد ليطهركم**،[2] بالتوحيد والإيمان به، وبالرسل جميعا. ويحتمل قوله: **يريد ليطهركم**، من الذنوب والآثام التي ارتكبوها، كقوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.[3] ويحتمل التطهير من الأحداث والجنابات كما قال أهل التأويل.

وقوله عز وجل: **وَلِيُتِمَّ نعمته عليكم**، [يحتمل] تمام ما ذكرنا من التوحيد والإيمان والهداية لدينه، والتكفير مما ارتكبوا. ويجوز أن يكون هذا في قومٍ عَلِمَ الله أنهم يموتون على الإيمان، حيث أخبر أنه يُتم نعمته عليهم.

**﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[٧]

وقوله: **واذكروا نعمة الله عليكم**، أَمَرَ –والله أعلم– بشكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم. **وميثاقه الذي واثقكم به**، يحتمل الميثاق ميثاق[4] الخِلْقَةِ وشهادتها، إذ خِلْقَةُ كلِّ أحدٍ تَشهد على وحدانيته وربوبيته. ويحتمل الميثاق الذي ذكر ميثاقَ قولٍ[5] قالوه، وقَبِلوا ما دُعُوا إليه.

وقوله: **إذ قلتم سمعنا وأطعنا**، قال بعضهم: أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك؛ وقال آخرون: سمعنا قولك وأطعنا أمرك.

[١٧٧ظ] وقوله عز وجل: **واتقوا الله**، في ترك ما أمركم ربكم، / وارتكاب ما نهاكم. **إن الله عليم بذات الصدور**، وهو على الوعيد.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط**، الآية،

---

[1] ك – ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم أن تؤدوا ما فرض عليكم به و لم يكلفكم حمل الماء في الأسفار وغيره.
[2] جميع النسخ + به.
[3] سورة هود، ١١/١١٤.
[4] ع م: ميثاقه.
[5] ن: قوله.

يحتمل أن تكون[1] الآية في الشهادة نفسها، كأنه قال: أَنْ قُومُوا شهداء لله، واجعلوا الشهادة له، فإذا فعلوا هكذا لا يمنعهم بغض أحد وعداوته، ولا رضاء أحد[2] وولايته[3] القيام بها. نَدَبَهم الله أن يقوموا[4] في الشهادة لله والحكم له. [أي] يحكم للعدو كما يحكم للولي، ويقوم في الشهادة للعدو كما يقوم للولي. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون في بيان الحق والحجج وتعليم الأحكام والشرائع، كأنه يقول -والله أعلم-: قوموا في بيان الحجج والحق وتعليم الأحكام لله، لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على أن لا تبينوا الحق لهم ولا تعلموا الحجج والأحكام لهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **ولا يجرمنكم** أي لا يحملنكم، **شنآن قوم** أي بغض قوم،[5] **على أن لا تعدلوا فيهم**، فإنما العدل لله في الرضاء والسخط، **اعدلوا** يقول: قولوا[6] العدل بالحق، فإنه أقرب للتقوى.

وقوله عز وجل: **اعدلوا هو أقرب للتقوى**، أي اعدلوا هو التقوى، كقوله تعالى: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[7] أي رحمة الله للمحسنين،[8] لأن العدل ليس إلا التقوى. **واتقوا الله**، في ترك ما أمركم به وارتكاب ما نهاكم عنه. **إن الله خبير بما تعملون**، وتُضْمِرون من العدل والجور، خرج[9] على الوعيد.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، قال بعضهم: هذه الآية هي[10] صلة ما تقدم في قوله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ،[11] إلى آخر ما ذكر،[12] فإذا فعلوا وقاموا في الشهادة والعدل في الحكم كان لهم ما ذكر من الوعد. *والله أعلم*.

---

[1] م: يكون.
[2] م – وعداوته ولا رضاء أحد.
[3] م: وولاية.
[4] ع م: أن يقولوا.
[5] أخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ قال: لا يحملنكم بغض قوم (*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٣).
[6] ع: قول.
[7] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[8] ع م – أي رحمة الله للمحسنين.
[9] ن – خرج.
[10] ك – هي.
[11] سورة المائدة، ٨/٥.
[12] م: ذكرنا.

ولكن يحتمل [أن تكون] هي على الابتداء -والله أعلم- كأنه قال: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** وَعْدًا، ثم بين ما في ذلك الوعد فقال: **لهم مغفرة وأجر عظيم**، يستر على ذنوبهم ويتجاوز عنها، **وأجر عظيم**: الجنة. قال ابن عباس رضي الله عنه: **لهم مغفرة** في الدنيا لذنوبهم، **وأجر عظيم** في الآخرة: الجنة، وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**، قيل: كفروا بآيات الله وكذبوا[١] بآياته، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن، **أولئك أصحاب الجحيم**. وقيل: **كفروا** بتوحيد الله، **وكذبوا بآياتنا**: بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى؛ وهما واحد. وهذا يدل [على] أن الآية على الابتداء خرجت،[٢] ليس على الصلة على ما قالوا.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**، يحتمل أن تكون[٣] هذه المِنَّة التي ذكر الله تعالى في هذه الآية من كف أيدي الأعداء عنهم بعد ما بسطوا إليهم أيديهم في جُمْلَة المؤمنين، لأن المؤمنين كانوا في ابتداء الأمر مُخْتَفِين[٤] فيما بين[٥] الكفرة، لا يقدرون على إظهار الإسلام وإعلانه، وقد هموا قتل المؤمنين غير مرة، وفيما[٦] كَفَّ أيديَهم عنهم مِنَّة عظيمة علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين. ويحتمل أن تكون[٧] في قومٍ خاصٍّ قد أحاطوا بهم وبسطوا أيديهم إليهم وهموا[٨] بقتلهم،

---

[١] ع: وكذبه.
[٢] جميع النسخ: حرج.
[٣] ع م: أن يكون.
[٤] ك: مخيفين.
[٥] ع م: ما بين.
[٦] م: فيما.
[٧] جميع النسخ: أن يكون.
[٨] ع - قتل المؤمنين غير مرة وفيما كف أيديهم عنهم منة عظيمة علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين ويحتمل أن يكون في قوم خاص قد أحاطوا بهم وبسطوا أيديهم إليهم وهموا.

فكف الله عز وجل بفضله أيديهم عنهم، وأنقذهم[١] من أيديهم.[٢] ثم اختلف فيه. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هَمَّ بنو[٣] قريظة أن[٤] يبسطوا[٥] إليهم[٦] أيديهم بالقتل، فكفَّ الله أيديهم عنهم بالمنع.[٧] وقيل: نزلت في اليهود،[٨] دخل[٩] النبي صلى الله عليه وسلم حائطا لهم في النخل،[١٠] وأصحابه وراء الجدار، واستعانهم في مَغْرَم[١١] ديةٍ غَرِمَها، ثم قام مِن[١٢] عندِهم. فائتمروا بينهم بقتله، فأخبره جبريل عليه السلام بذلك.[١٣] فخرج يمشي القَهْقَرَى مُعْتَرِضًا ينظر من خيفتهم. ثم دعا أصحابه رضي الله عنهم إليه رجلا رجلا حتى تناهَوا إليه.[١٤] فلا ندري كيف ما كانت القصة، وليس لنا إلى معرفة القصة حاجة بعد أن نعرف[١٥] مِنَّة الله التي[١٦] مَنّ علينا بكفّ الأعداء عنهم، ونشكر له على ذلك. وفي هذه الآية دلالة إثبات رسالة[١٧] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عما كان منهم من غير أن يَشهد[١٨] ذلك، لِيُعْلَمَ أنه بالله عَلِم.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، أي على الله يَكِلُ المؤمن في كل أمره، وبه يثق.

---

١ م – وأنقذهم.
٢ م: ومن أيديهم.
٣ ك م: بنوا.
٤ م – أن.
٥ ع: ايبسطوا.
٦ ع م – إليهم.
٧ أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس أن بني النضير هم الذين هموا بذلك. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٦.
٨ وبنو قريظة من اليهود، فلا اختلاف في الحقيقة بين الروايتين.
٩ ع: ودخل.
١٠ ع: في النحل.
١١ ع: في يغرم.
١٢ ن – من.
١٣ جميع النسخ – فأخبره جبريل عليه السلام بذلك؛ صح ك هـ.
١٤ روي ذلك عن مجاهد. انظر: *تفسير الطبري*، ٦/١٤٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٧.
١٥ ع: أن يعرف.
١٦ ن + علينا.
١٧ ن + نبينا وسيدنا.
١٨ ك ن ع: أن شهد.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا**، هذا -والله أعلم- تعليمٌ من الله تعالى هذه الأمةَ، وإنباءٌ منه أنه قد أخذ العهود والمواثيق على الأمم السالفة كما أخذ منكم. لأنه ذَكر أنه قد أخذ من هؤلاء الميثاق[١] بقوله تعالى: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ،[٢] الآية، ثم أَعْلَمَهم بما وَعَدَ لهم من[٣] الثواب إن وَفَوا بتلك العهود والمواثيق[٤] التي أُخِذَتْ عليهم، وبما أَوْعَدَ لهم من العقاب إن نقضوا[٥] العهود التي أَخَذَ عليهم، ليكونوا على حذرٍ مِن نقضِها، وليقيموا على وفائها. أو [يمكن] أن يُقال:[٦] إنه إنما ذَكر ما أخذ على أولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك آيةً من آيات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبارٌ عن الأمم السالفة[٧] وهو لم يَشهدها ولا حضرها، ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله.

ثم تحتمل[٨] تلك العهود والمواثيق التي أُخذت عليهم ما ذكر على إِثْرها وسياقها، وهو قوله تعالى: **وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة** إلى[٩] آخر ما ذكر. ويحتمل ما قال ابن عباس: **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل**، في التوراة أن لا تشركوا[١٠] به شيئا، وبالإيمان[١١] بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإحلالِ ما[١٢] أحلّ الله وتحريمِ ما حرّم الله، وحُسْنِ مؤازرتهم.[١٣]

---

[١] م: والميثاق.
[٢] سورة المائدة، ٨/٥.
[٣] م – من.
[٤] ع – على الأمم السالفة كما أخذ منكم لأنه ذكر أنه قد أخذ من هؤلاء الميثاق بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الآية ثم أعلمهم بما وعد لهم من الثواب إن وفوا بتلك العهود والمواثيق.
[٥] ن: ان يقضوا.
[٦] م: وأن يقال.
[٧] ع + السالفة.
[٨] ن ع م: ثم يحتمل.
[٩] ك + قوله.
[١٠] ن: أن لا يشركوا.
[١١] أي وأخذ ميثاقهم بالإيمان بالله.
[١٢] ع م – ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل في التوراة أن لا تشركوا به شيئا وبالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وإحلال ما.
[١٣] أي ومؤازرة الرسل عليهم السلام ومعاونتهم على أحسن وجه.

**وبعثنا منهم اثني عشر/ نقيبا**، يعني مَلِكًا، وهم الذين[١] بعثهم موسى إلى بيت المقدس [١٧٨و]
لِيَعْلَموا له عِلْمَها. ويحتمل أن يكونوا[٢] اختاروا من بينهم[٣] أولئك، فسألوا موسى أن يجعلهم عليهم قدوةً يقتدون[٤] بهم، ويُعَلِّمونهم الدين والأحكام، ويأخذ عليهم المواثيق والعهود، فيكون ما أخذ على أولئك من المواثيق والعهود عليهم. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في النقيب. قال بعضهم: النقيب هو المَلِك، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٥] وقال أبو عَوْسَجَة: النقيب هو المنظور إليه والمصدور عن رأيه، وهو من وجوه القوم، وجمعه النُّقَبَاء مثل العُرَفَاء. وقال أبو عُبَيْد: النقيب الأمير والضامن على القوم. وقال الكسائي والفراء: يقال منه:[٦] نَقَبت[٧] عليه أنقُب نِقابة، وهو فوق العريف، يقال مِن العريف:[٨] عرفت عليهم عِرافة، وهم النقباء والعرفاء. والمناكب واحدهم:[٩] مَنْكِب، وهم كالعون يكون مع العريف.[١٠] وقال القُتَبِي:[١١] النقيب الكفيل على القوم، والنِّقابة والنِّكابة شبيهة[١٢] بالعِرافة.[١٣]

وقوله عز وجل: **وقال الله إني معكم**، قال بعضهم: قال للنقباء: إني معكم في النصر والدفع عنكم **لئِن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة** إلى آخر ما ذكر، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. ويحتمل أن يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء ذلك، النقباء وغيرِ النقباء، وما ذكر من الوعيد في الآية التي هي على إثر هذه على كل من نقض ذلك[١٤] العهد، النقيب وغير النقيب.

---

[١] ن + من.
[٢] ع م: أن يكون.
[٣] ك: نبيهم.
[٤] ع: يقتدرون.
[٥] لم أجد ذلك، لكن أخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿اثني عشر نقيبا﴾. قال: اثني عشر وزيرا، وصاروا أنبياء بعد ذلك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٤٠).
[٦] ع: يقال عنه.
[٧] ع م: نقيب.
[٨] ع – يقال من العريف.
[٩] ك: واحد منهم.
[١٠] ع: من العريف.
[١١] ع: القتى.
[١٢] م: شبيه.
[١٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤١.
[١٤] ك – ذلك.

ثم قوله: **لئِن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة،** يحتمل وجهين. يحتمل أنه أراد بالصلاة الخضوع والثناء له،[1] وبالزكاة تزكية النفس وطهارتها. وذلك في العقل على كل أحدٍ القيامُ به في كل وقت. ويحتمل أن يكون أراد بالصلاة والزكاة الصلاة المعروفة المعهودة والزكاة المعروفة؛ ففيه دليل وجوب الصلاة والزكاة على الأمم السالفة.

وقوله عز وجل: **وآمنتم برسلي،** يحتمل: أنْ تؤمنوا برسلي جميعا، ولا تُفرقوا بينهم أنْ تكفروا ببعض وتومنوا ببعض،[2] كقوله:[3] نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.[4] **وَعَزَّرْتُمُوهُمْ،** قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **وعزرتموهم،** قالا:[5] وعظّمتموهم، والتعزير التعظيم.[6] وقال بعضهم: نصرتموهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **وعزرتموهم:** أعنتموهم يعني الأنبياء عليهم السلام.[7] **وأقرضتم الله قرضا حسنا،** أي صادقا مِن كلّ أنفسكم، ابْتُغِيَ بها وجهُ الله. وقال بعضهم: **وأقرضتم الله قرضا حسنا،** أي مُحْتَسِبًا، طَيِّبةً بها نفسُه.[8] ويحتمل قوله: **وأقرضتم الله قرضا حسنا،** أي اجعلوا عند الله لأنفسكم[9] أَيَادِيَ ومَحَاسِنَ[10] تستوجبون[11] بذلك الثواب الجزيل. ثم قال: **لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار،** وعد لهم تكفير ما ارتكبوا من المآثم إذا قاموا بوفاء ما[12] أخذ الله عليهم من المواثيق.

وقوله: **فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل،** قال بعضهم: **فمن كفر بعد ذلك،** أي بعد المواثيق والعهود التي أُخِذَ عليهم. ويحتمل قوله: **فمن كفر بعد ذلك،** أي من كفر.[13]

---

[1] ك: الخضوع له والثناء؛ ن – له.
[2] ك: أن تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض.
[3] ك ن م: كقولهم.
[4] ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا﴾ (سورة النساء، ٤/١٥٠-١٥١).
[5] ع: قال.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤١.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٤٠.
[8] م: نفسا.
[9] م: أنفسكم.
[10] ك ع م: أياديا ومحاسنا؛ ن: باديا ومحاسنا.
[11] ن ع م: يستوجبون.
[12] م – ما.
[13] قال الشارح: «لأن الكفر بعد الإيمان وقبله سواء في أنه ضلال عن السبيل القصد والطريق المستقيم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٢و).

**فقد ضل سواء السبيل**، أي أخطأ قَصْدَ السبيل.

**﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **فبما نقضهم**، أي فبنقضهم. قيل: "ما" زائدة: فبنقضهم ميثاقهم. **لَعَنَّاهُمْ**، يحتمل **لعناهم**، أي طردناهم، والملعون هو المطرود عن كل خير. ويحتمل **لعناهم**، أي دعونا عليهم باللعن. **وجعلنا قلوبهم قاسية**، بما نَزَعَ منها الرحمة والرأفة إذ نقضوا[١] العهود وتركوا أمر الله؛ لأن الله تعالى أخبر أنه جعل في قلوب الذين اتبعوا أمر الله وأطاعوا[٢] رسوله الرأفة والرحمة،[٣] بقوله تعالى: وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً،[٤] فإذا نُزِعت الرحمةُ من قلوبهم صارت قَسِيَّةً يابسة.

وقوله تعالى: **يحرفون الكلم عن مواضعه**، يحتمل أن يكونوا يغيرون تأويله ويقولون: هذا من عند الله. ويحتمل التحريفُ تحريفَ النَّظْمِ والمَتْلُوِّ وَنَحْوَه ويكتبون غيره. **ونسوا حظا مما ذكروا به**، قيل: ضيّعوا كتاب الله بين أظهرهم، ونقضوا عهده الذي عهد إليهم وتركوا أمره. وقوله عز وجل: **مما ذكروا به**، أي وُعِظوا به. وقيل: تركوا نصيبا مما أمروا به في كتابهم من اتِّباع محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **ولا تزال تَطَّلِعُ على خائنةٍ منهم**،[٥] إخبارٌ عن تمرّدهم في المعاندة وكونهم في الخيانة، وإياسٍ عن إيمانهم. ثم استثنى فقال: **إلا قليلا منهم**، وهم الذين أسلموا منهم.

وقوله عز وجل: **فاعف عنهم واصفح**، أي لا تكافئهم[٦] لما آذوك.[٧] ثم قال بعضهم:

---

[١] ك ع م: إذا نقضوا؛ ن: إذا انقضوا.
[٢] م: وأطاعوه.
[٣] ن: الرحمة والرأفة؛ ع: والرحمة والرأفة؛ م + والرأفة.
[٤] ﴿ثم قَفَّيْنا على آثارهم برسلنا وقَفَّيْنا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٧). فالآية واردة في حق المتبعين لعيسى عليه السلام، وجعلها المصنف في متبعي الرسل عموما.
[٥] ن + الآية.
[٦] جميع النسخ: ولا تكافئهم.
[٧] م: لما اذوا.

هو منسوخ بآية القتال في سورة براءة، وهو[1] قوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ،[2] الآية. ويحتمل **فاعف عنهم واصفح**، إلى أن تؤمر[3] بالقتال. ***والله أعلم***.

**﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **ومن الذين قالوا إنا نصارى**، عن الحسن قال: **قالوا** للنصارى:[4] كونوا أنصار الله، فقالوا: بل نكون نصارى، فذلك[5] قوله: **إنا نصارى**[6] **أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به**، ما مِن أحدٍ يَعقِل إلا وقد أخذ الله عز وجل عليه العهد والميثاق، وقد أَخذ الميثاق على المؤمنين بقوله تعالى: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ،[7] الآية، وأَخذ الميثاق على اليهود بقوله: وَلَقَدْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ،[8] الآية، وأَخبر أيضا أنه قد أَخذ الميثاق على النصارى في هذه الآية بقوله[9] تعالى: **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم**، وقد تقدم ذكر الميثاق ومعناه في غير[10] موضع.[11]

[١٧٨ظ] وقوله عز وجل: **فنسوا حظا مما ذكروا به**، / يحتمل هذا وجهين. يحتمل أي تركوا حظهم مما أمروا به من التوحيد بالله، والإيمان بالرسل كلهم، والتمسك[12] بكتاب الله سبحانه وتعالى،

---

[1] ع – وهو.

[2] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩). فالآية تتحدث عن قتال أهل الكتاب. والمشهور أن آية القتال هي: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٥/٩).

[3] ع م: أن يؤمر.

[4] ع م – عن الحسن قال قالوا للنصارى؛ م + أي.

[5] م – فذلك.

[6] قال القرطبي: «وفي قوله: ﴿إنا نصارى﴾ ولم يقل: من النصارى دليلٌ على أنهم ابتدعوا النصرانية وتَسمّوا بها؛ روي معناه عن الحسن» (*تفسير القرطبي*، ١١٧/٦).

[7] سورة المائدة، ٨/٥.

[8] سورة المائدة، ١٢/٥.

[9] ن + بقوله.

[10] م – غير.

[11] انظر مثلا تفسير الآية من سورة المائدة، ٧/٥، ١٢.

[12] م: وتمسك.

والوفاء بالعهود التي عهد إليهم، فتركوا ذلك كله وضيعوا. ويحتمل **فنسوا حظا مما ذكروا به**، أي لم يحفظوا[١] ما وُعظوا به.

وقوله عز وجل: **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**، قيل: **أغرينا**: ألقينا بينهم العداوة والبغضاء. قال الحسن: مِن حُكْمِ الله تعالى أن يلقي بينهم العداوة والبغضاء، وأن[٢] يجعل قلوبهم قاسية، ومِن حُكْمِه أن يكون بين المسلمين رأفة ورحمة.

وقال بعض المعتزلة: قوله تعالى: **أغرينا بينهم العداوة والبغضاء**، أي خذلناهم[٣] وتركناهم. ولكن[٤] هذا كلُّه منهم احتيالٌ وفِرارٌ عمّا يَلزمهم من سوء القول وقُبْحه. فيقال لهم: إن شئتم جعلتم خِذلانًا وإن شئتم تَرْكًا، اجعلوا ما شئتم، ولكن هل كان من الله في ذلك صنع أو أضاف[٥] ذلك إلى نفسه[٦] ولا صنع له في ذلك، وذلك[٧] الحرفُ على غير إثبات الفعل فيه،[٨] أو شيءٌ حرفُ ذَمٍّ لا يجوز أن يضيف ذلك إلى نفسه ولا فعل له في ذلك ولا صنع؟[٩] فدل أن له فيه صنعا، وهو ما ذكرنا أنْ خَلَقَ ذلك منهم. وكذلك فيما أضاف إلى نفسه[١٠] مِن جَعْلِ الرأفة والرحمة في قلوب المؤمنين. فلو لم يكن له[١١] في ذلك صنع لكان لا يضيف ذلك إلى نفسه وذلك الحرف حرف الحمد والمدح. فدل أن له فيه صنعا، وهو أن خلق الرأفة والرحمة في قلوب المؤمنين،[١٢] وخلق القساوة والعداوة في قلوب أولئك الكفرة.[١٣] *وبالله التوفيق*.

---

[١] ع م: لم يحظوا.
[٢] ع م - وأن.
[٣] ع: أي اخذلناهم.
[٤] ن ع م: لكن.
[٥] ن ع م: وأضاف.
[٦] ك: لنفسه.
[٧] ع - وذلك.
[٨] أي هل تقولون: إضافة الله تعالى الإغراء إلى نفسه بقوله: ﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ لا معنى له، لأن المتكلم إذا أضاف فعلا إلى نفسه فمعنى ذلك أنه فعله. هذا هو المعتاد في الكلام.
[٩] أي هل تقولون: إن هذا الفعل لا يجوز أن يضيفه الله تعالى إلى نفسه لأنه شر لا يليق به؟
[١٠] ع م: في نفسه.
[١١] م - له.
[١٢] ع - فلو لم يكن له في ذلك صنع لكان لا يضيف ذلك إلى نفسه وذلك الحرف حرف الحمد والمدح فدل أن له فيه صنعا وهو أن خلق الرأفة والرحمة في قلوب المؤمنين.
[١٣] قال الشارح: «وهذه الآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال الاختيارية؛ لأنه أضاف الإغراء إلى نفسه. وذلك يكون بخلق أسباب تقع بها العداوة بينهم، وهي الأفعال القبيحة التي توجد منهم تحثهم وتبعثهم على العداوة. =

وفي الآية دلالة إثبات رسالة سيدنا[1] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنه ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وأخبر أن لا تزال تطّلع على خائنة منهم، وكان كما قال، على علمٍ منهم أنه[2] لا يطلع[3] على ما في[4] قلوبهم من الخيانة والقساوة وغير ذلك من الأمور، فدل أنه بالله علم[5] ذلك.

وقوله عز وجل: **وسوف ينبئهم الله**، في الآخرة، **بما كانوا يصنعون**، في الدنيا، وهو قول ابن عباس.

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب**، الآية، قال الله[6] عز وجل: **قد جاءكم رسولنا**[7] و لم يقل: فلان بن فلان، لِيُعلَم أن الرسل عليهم السلام ليسوا يُعرَفون بالأسامي والأنساب، ولكن إنما يُعرَفون بالآيات المعجزة والبراهين النيّرة.

--- فدل أن خالق تلك الأفعال هو الله تعالى حيث أضافها إلى نفسه عملاً بحقيقة الإضافة. وهم تأولوا الآية انفصالا عن هذا الإلزام. فقال بعضهم: ﴿فأغرينا﴾ أي ألقينا بينهم العداوة؛ فإيقاع العداوة فعل من الله تعالى بطريق الضرورة لا صنع للعباد فيه. وقال الحسن رضي الله عنه: من حُكم الله تعالى أن يلقي العداوة ويوقعها بين الكفار وأن يجعل قلوبهم قاسية؛ ومن حُكمه أن يكون بين المسلمين رأفة ورحمة. كما قال: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾. فكان معنى قوله: ﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ أي حكمْنا بوقوع العداوة بينهم وخلقنا فيهم العداوة والبغضاء؛ لأن العداوة والبغضاء من الأفعال الاضطرارية كالرأفة والرحمة. وقال بعضهم: ﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ أي خذلناهم وتركناهم حتى يباشروا أسباب العداوة؛ لأن الامتناع عنها يكون بتوفيق الله تعالى. فإذا منع منهم التوفيق وتركهم وما اختاروا يجعل ذلك منهم. فكذلك أضاف إلى نفسه حيث جعل ذلك بخذلانه إياهم ومنعه التوفيق منهم في ترك ذلك الفعل. لكن هذا كله تكلّف واحتيال وفرار عما ألزمناهم. فإنه أضاف الإغراء إلى نفسه، وذلك لا يُستعمل في إيقاع الله تعالى العداوة بينهم. بل المتعارف في استعمال هذا اللفظ أن يحدث فيما بينهم أسبابا داعية إلى المعاداة؛ فلا بد أن يكون لله تعالى في ذلك صنع، وهو خلق الأفعال القبيحة منهم. فدل على ما ذكرنا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٢و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٣٩و).

[1] ك ن: نبينا.
[2] ع - أنه.
[3] ع م: لا تطلع.
[4] ك - ما في.
[5] م: علم بالله.
[6] ك ن م - الله.
[7] ن - يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية قال عز وجل قد جاءكم رسولنا.

وفيه دليل أن من آمن بالرسل كلهم ولم يعرف أسماءهم[١] أنه يكون مؤمنا، ولم يؤخذ علينا معرفة أسامي الرسل، إنما أُخذ علينا الإيمان بهم جملة؛ ألا ترى أن الله عز وجل لم يذكر في الكتاب الأنبياء والرسل جميعا واحدا فواحدا، ولا ذكر أسماءهم، إنما ذكر بعضا منهم، أفترى أن من لم يعرف أسماءهم لم يكن مؤمنا؟ هذا بعيد.

وفيه دلالة إثبات رسالة سيدنا[٢] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب**، وهم إذا كتموا ذلك وأخفوه أعني الرؤساء لم يخبروا[٣] أحدا أنهم كتموا ذلك وأخفوه حتى يبلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف إلى أحد منهم أو نظر[٤] في كتابهم قط لِيَتعلم ما كتموا، فلما بين لهم ما قد كتموا وأخفوا من الناس دل ذلك لهم[٥] أنه إنما علم ذلك بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير**، اختلف في تأويله وقراءته. قال بعضهم: نبين بالنون ونعفو عن كثير،[٦] أي الله يبين لهم كثيرا مما يخفون،[٧] ويعفو الله تعالى عن كثير إذا آمنوا ورجعوا عما كانوا يخفون ويكتمون. وقال آخرون: **يبين لكم كثيرا**، أي جميع ما كانوا يخفون، ويعفو[٨] عن جميع ذلك. وأما عندنا فقوله: **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** بالياء، أي رسول الله يبين لهم كثيرا ويعفو[٩] عن كثير،[١٠] على قَدْرِ ما أُذِن له البيان لهم، لأن الرسل إنما يأتون بالبراهين والحجج على قدر ما أُذِن لهم لا بكل ما لهم من الآيات؛ ألا ترى أن سحرة فرعون لما ألقوا حبالهم وعِصِيّهم فصارت حيات لم يُلْقِ[١١] موسى عصاه حتى أذن الله له[١٢] في ذلك،

---

[١] ع: أسماؤهم؛ م: بأسمائهم.
[٢] ك – سيدنا؛ ن + نبينا وسيدنا؛ ع: نبينا.
[٣] ع م: ولم يخبروا.
[٤] ع م: أو نظروا.
[٥] ع م + ما قد كتموا وأخفوا من الناس ذلك لهم.
[٦] ك ن ع: ويعفو عن كثير؛ م: ويعفوا كثيرا.
[٧] ع: مما كنتم تخفون؛ م: ما يخفون.
[٨] م: ويعفوا.
[٩] م: ويعفوا.
[١٠] ع – بالياء أي رسول الله يبين لهم كثيرا ويعفو عن كثير.
[١١] ن ع: أي لم يلق؛ م: ولم يبق.
[١٢] ع – له.

وهو قوله تعالى: وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ،[1] إنما أتى بالآية بعد ما أذن له بذلك، فعلى ذلك قوله: **يبين لكم كثيرا**، إنما يبين على قدر[2] ما أذن له بالبيان والحجة. ***والله أعلم***.

وقوله: **مما كنتم تخفون من الكتاب**، يحتمل **مما كنتم تخفون من الكتاب**، من الشرائع والأحكام. ويحتمل: كتموا ما في الكتاب من نعت[3] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته الكريمة.[4]

وقوله عز وجل: **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**، عن الحسن: النور والكتاب واحد، وكذلك ما قال في قوله: الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[5] هما[6] واحد. وقال غيره: النور هو محمد، **والكتاب**[7] هو القرآن. سماه نورا لما يوضح ويضيء كل شيء[8] على ما هو عليه حقيقةً.[9] وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] الآية، أي به يتضح كل شيء على ما هو عليه في الحقيقة. ***وبالله التوفيق***.

**﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[١٦]

وقوله: **يهدي به الله من اتبع رضوانه**، يحتمل قوله: **يهدي به الله**، أي بمحمد[11] صلى الله عليه وسلم. ويحتمل **يهدي به الله**، أي بالقرآن.[12] **من اتبع رضوانه**، يحتمل[13] رضاه.

---

[1] سورة الأعراف، ٧/١١٦-١١٧.

[2] ع م: ان قدر.

[3] ك: من بعث.

[4] ك ن - الكريمة.

[5] ورد ذلك في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٩).

[6] ن: وهما.

[7] ك ن: وكتاب؛ ع م - مبين عن الحسن النور والكتاب واحد وكذلك ما قال في قوله الكتاب والحكمة هما واحد وقال غيره النور هو محمد والكتاب.

[8] ن - شيء.

[9] م: حقيقته.

[10] سورة النور، ٢٤/٣٥.

[11] م: محمد.

[12] جميع النسخ: ويحتمل بالقرآن أي به يهدي الله.

[13] ع: ويحتمل.

وقوله عز وجل: **سبل السلام**، السلام قيل: هو الله، كقوله تعالى: السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ.[١]
/ أي به يهدي **سبل السلام**، سمى سُبلا،[٢] لأن سبيل الله وإن كان كثيرا في الظاهر فهو في [١٧٩ر]
الحقيقة واحد. وسمى سُبل الشيطان سُبلا،[٣] وقال: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[٤] الآية، لأن سبله متفرقة مختلفة ليست ترجع[٥] إلى واحد. وأما سُبل الله وإن كانت سُبلا[٦] في الظاهر فهو يرجع إلى واحد، وهو الهدى والصراط[٧] المستقيم.

**﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**،[٨] كفروا كُفْرَ مُكابرةٍ ومُعاندةٍ لا كُفْرَ شبهة وجهل، لأنهم أقروا أنه ابن مريم، ثم يقولون: إنه إله، فإذا كان هو ابن مريم وأمه أكبر منه فمِن البعيد أن يكون من هو أصغر منه إلهًا لمن هو أكبر منه وربًا، وإلا الكفر قد يكون بدون ذلك القول، لكن التأويل هو ما ذكرنا[٩] أنهم كفروا كفر[١٠] معاندة ومكابرة مع إقرارهم أنه ابن مريم، حيث جعلوا الأصغرَ إلهَ الأكبر وربًا له.

*وقوله: **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**، دليل أن من رفع أحدا من الرسل فوق قدره في الكفر كمن حطّ عن قدره ومرتبته.* [١٧٩و س٢٥ ١٧٩و س٢٦]

---

[١] سورة الحشر، ٥٩/٢٣.
[٢] ع م: سبيلا.
[٣] ك: سبيلا.
[٤] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).
[٥] ن ع م: يرجع.
[٦] ع: وإن كان سبيلا.
[٧] ك ن: والطريق.
[٨] ن + قوله لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم؛ ع م + قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم.
[٩] ك: ما ذكر.
[١٠] ع م – كفر.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية. فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ١٧٩و/سطر ٢٥-٢٦.

وقوله عز وجل: **قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا**، أي لا أحد[1] يملك من دون الله شيئا إن أراد إهلاك[2] المسيح وأمه، الآية، أي لو كان إلها كما تقولون لكان يملك دفع الإهلاك عن نفسه وعن أمه ومن عبدهما في الأرض. وقيل: فمن يملك أن يمنع من الله شيئا مِن عذابِه إن أراد أن يُهلك المسيح بعذابٍ، وأُمّه ومَن في الأرض جميعا بعذابٍ أو بموتٍ. وهما واحد.

ثم عظّم نفسه عن قولهم، ونزّهها حين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، فقال: **ولله ملك السماوات والأرض**، أي كلهم عبيده وإماؤه. **يخلق ما يشاء**،[3] من بشر وغير بشر. **والله على كل شيء قدير**، أي قادر على خلق الخلق[4] من بشر ومن غير بشر. ***والله أعلم.***

**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه**،[5] يحتمل أن يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا، ولكن كان من أحد الفريقين هذا، ومن الفريق[6] الآخر غيره، وكان كقوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[7] كان هذا القول كأن كل فريق نفى دخول الفريق الآخر الجنة، لا أن قالوا جميعا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى. يحتمل أنْ كان من النصارى: **نحن أبناء الله**، لما ذكر في بعض القصة أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال لقومه: أدعوكم إلى أبي وأبيكم الذي في السماء، فقالوا عند ذلك: **نحن أبناء الله**،[8] وكان من اليهود: نحن أحباء الله. ويحتمل أن يكون هذا القول كان منهما جميعا، قال كل واحد من الفريقين: **نحن أبناء الله وأحباؤه.**

---

[1] ع: لاحد.
[2] ع: هلاك.
[3] ع م – ما يشاء.
[4] ن: الخلايق.
[5] ع م + الآية.
[6] ع م: الفريقين.
[7] سورة البقرة، ١١١/٢.
[8] قارن: إنجيل يوحنا، ٣١/٨-٤٧.

وقيل إنهم قالوا[١] ذلك في المنزلة والقدر[٢] عند الله تعالى، أي لهم[٣] عند الله من المنزلة[٤] والقدر كقدر الولد عند والده[٥] ومنزلته عنده ولا يعذبنا. فقال: **قل** يا محمد: **فلِمَ يعذبكم بذنوبكم.** إن كان ما تقولون حقا **فلِمَ يعذبكم.** حيث جعل منكم[٦] القردة والخنازير،[٧] ولا أحد من الخلق يحتمل قلبه[٨] أن يكون ولده أو صديقه قِرْدا أو خنزيرا. أو يقال:[٩] لا أحد[١٠] يحتمل قلبه تعذيب ولده وحِبِّه بذنبٍ[١١] يُذنبه[١٢] بالنار، وقد أقررتم أنكم تعذبون في الآخرة[١٣] قَدْرَ ما عبد آباؤكم العجل. ثم قال: **بل أنتم بشر ممن خلق،** أي من اتخذ ولدا وحِبًّا[١٤] إنما يتخذ[١٥] من شكله ومن جنسه، فالله تعالى إنما خلقكم من بشر[١٦] كغيره من الخلق، وأنتم وهم في ذلك سواء، فكيف خصصتم أنفسكم بذلك؟[١٧]*

وقوله: **يغفر لمن يشاء،** أي من تاب وأسلم.[١٩] **ويعذب من يشاء،** من دام[٢٠] على الكفر ومات عليه.

---

[١] ع: كانوا.
[٢] ع: والقدرة.
[٣] ك + أي لهم.
[٤] ع: في المنزلة.
[٥] ع: عن والده.
[٦] ع م – منكم.
[٧] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٠).
[٨] ع: قوله.
[٩] ع م: وقال.
[١٠] ع: لاحد.
[١١] ع م: بذنبه.
[١٢] ع م – يذنبه.
[١٣] ع: في الاخر.
[١٤] ع: أو حبا.
[١٥] جميع النسخ: ان يتخذ.
[١٦] ن: البشر.
[١٧] ك: في ذلك.
* وردت هنا جملة: «وقوله: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم دليل أن من رفع أحدا من الرسل فوق قدره في الكفر كمن حطّ عن قدره ومرتبته»، وهي متعلقة بالآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٧٩و/سطر ٢٥-٢٦.
[١٩] ن – وأسلم.
[٢٠] ك: داوم.

وقوله عز وجل: **ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما**، أي كلهم عبيده وإماؤه وخلقه،[1] يعظّم نفسه عن قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، ولا أحد[2] يتخذ عبده ولدا ولا حِبًّا، فأنتم إذا أقررتم أنكم عبيده كيف ادعيتم البُنُوَّة والمحبة؟ *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة إثبات رسالة نبينا[3] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم[4] قالوا قولا فيما بينهم، ثم أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لِيُعلَم أنه إنما عرف ذلك بالله.

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم**، يحتمل قوله تعالى: **يبين لكم**، ما كنتم تكتمون من نعته وصفته وتحرفون، كقوله تعالى: يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.[5] ويحتمل: **يبين لكم**، مما لكم[6] وعليكم من الأحكام والشرائع. ويحتمل: **يبين لكم**، ما كان[7] عليه الأنبياء والرسل.

وقوله: **على فترة من الرسل**، قيل: على انقطاع من الرسل؛ [لأنه قيل:][8] من لدن إسرائيل إلى عيسى[9] عليه الصلاة والسلام[10] إنه كان[11] رسول على إثْر رسولٍ،[12] لم يكن بين رسولين انقطاع، فأخبر[13] عز وجل أنه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل. وقيل: **على فترة من الرسل**، ليس على انقطاع منهم، ولكن على ضَعْفِ أمورِ الرسل ودروس[14] آثارهم؛

---

[1] ن - وخلقه.
[2] ع: ولا اخذ.
[3] ك - نبينا.
[4] ع: أنهم.
[5] سورة المائدة، ١٩/٥.
[6] ك: مما عليكم.
[7] ن ع م: مما كان.
[8] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٣و.
[9] ن: على عيسى.
[10] جميع النسخ + لانه قيل.
[11] ن - إنه كان.
[12] م - على إثر رسول.
[13] ع: فاجاء.
[14] ع م - ودروس.

وهو من الفُتور، يقال: فَتَر يَفْتُر فُتورا. يخبر[1] -والله أعلم- أنه[2] إنما بعث الرسول بعد ما دَرَسَ آثارُ الرسل وضَعُف، ووقع فيما بينهم[3] اختلافٌ للضَّعْف، لِيُبين لهم ما دُكر. **أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير**، أي لا يقولوا: **ما جاءنا من بشير ولا نذير**،[4] يقطع احتجاجهم بذلك وإن لم يكن لهم في الحقيقة احتجاج، وهو كما قال: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[5] وكقوله: أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ.[6] **بشير**: بالجنة لمن أطاع،[7] **ونذير**: بالنار / لمن عصاه. [١٧٩ظ] **فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير**، يحتمل **على كل شيء قدير**، مِن بعثِ الرسل على فترة منهم، وإحياء ما درس من آثار الرسل وما ضَعُف من رسومهم. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾**[٢٠]

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم**، الآية،[8] يحتمل قوله: **اذكروا نعمة الله عليكم**، ما ذكر[9] من بعث الرسل والأنبياء عليهم السلام على فترة منهم. ويحتمل ما ذكر على إثْره، وهو قوله: **إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين**؛ كأنه يقول: اشكروا نعمتي التي أنعمت عليكم من جعل الأنبياء فيكم، ولم يكن ذلك لأمة من الخلق. **وجعلكم ملوكا**، تستنصرون[10] من الأعداء، لأن الملوك في بني إسرائيل هم الذين كانوا يتولون القتال وأمر الحرب مع الأعداء، كقوله: اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ.[11] فأخبر أنه جعل فيهم[12] الأنبياء يعلمونهم أمور الدنيا والآخرة،

---

[1] ع: يخبرا.
[2] ع - أنه.
[3] أي بين أتباع الرسل.
[4] ن ع م - أي لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.
[5] ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (سورة النساء، ١٦٥/٤).
[6] ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾ (سورة الأعراف، ١٦٩/٧).
[7] ك - لمن أطاع.
[8] ك ن - الآية.
[9] ك: ما ذكرت.
[10] ع: تستنصر.
[11] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).
[12] ع: فيكم.

ويحتاج غيرهم إلى معرفة ذلك، وإنما يعرفون ذلك بهم، وجعل فيهم ملوكا يستنصرون[1] من الأعداء ويقهرونهم، فيَعِزُّون[2] ويَشْرُفُون في الدنيا والآخرة.

وقوله عز وجل: **وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين**، يحتمل ما ذكر من جعل الأنبياء والملوك فيهم. ويحتمل ما رزقهم في التِّيه من المَنِّ والسَّلْوَى وغيره من النِّعم.

وقيل في قوله: **وجعلكم ملوكا**، أي جعلكم بحيث تملكون أنفسكم، وكنتم قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خَوَلاً[3] لنفسه. ***والله أعلم***.

**﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**، قيل: قوله: **كتب الله لكم**، أي[4] كتب الله عليكم قتال أهل تلك الأرض ليسلموا. وهو كقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[5] يعني الكفر. فعلى ذلك قوله تعالى: **ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**، أي **كتب الله لكم**[6] قتال أهلها ليسلموا.[7] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **لكم**، أي عليكم، وهذا جائز في اللغة، كقوله: وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[8] أي فعليها. وقيل: قوله: **ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**، أي **كتب الله لكم**[9] فتحها إن أطعتم أمر الله فيما أمركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه وأجبتم رسوله إلى ما دعاكم إليه، أي إذا فعلتم ذلك يفتح الله تلك الأرض. ***والله أعلم***.

وقوله: **الأرض المقدسة**، قيل: هي الشام؛ وقيل: غيرها. ثم سماها مَرَّةً: "مقدسة"، ومَرَّةً:[10] "مباركة"، وهو كقوله تعالى: إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.[11] ثم يحتمل قوله:[12]

---

[1] ع: يستنصر.
[2] ع: فيعرفون.
[3] خولاً أي عبيدا وإماء (*لسان العرب* لابن منظور، «خول»).
[4] ن - كتب الله لكم أي.
[5] سورة البقرة، ١٩٣/٢.
[6] ك ن ع - أي كتب الله لكم.
[7] ع: ليسوا.
[8] ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ٧/١٧).
[9] ع م - أي كتب الله لكم.
[10] ك: وهي.
[11] سورة الإسراء، ١/١٧.
[12] ع م - إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ثم يحتمل قوله.

بَارَكْنَا حَوْلَهُ، بكثرة الثمار والفواكه، وسَعَةِ عَيْشِها، وكثرة رَيْعِها.[١] ويحتمل أن سماها "مباركة" لما كانت مَعْدِن العباد والزهاد، منزهة[٢] عن الشرك وجميع الفواحش والمناكير. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تَرْتَدُّوا على أدباركم**، هذا -والله أعلم- كناية عن الرجوع عن الدين، وهو كقوله تعالى: وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا.[٣] وإنما صار ذلك كناية عن الرجوع عن الدين -والله أعلم- لما ذكرنا في أحد[٤] التأويلين أنه كتب[٥] عليهم[٦] قتال أهل تلك الأرض فتركوا أمر الله وطاعته. ويحتمل أنْ وَعَدَ الله لهم فتح تلك الأرض فلم يصدقوا رسوله فيما أخبر عن الله من الفتح لهم، فكفروا بذلك. وقوله: **فتنقلبوا خاسرين**،[٧] يحتمل أن يكون ذلك لهم في الآخرة؛ ويحتمل في الدنيا. [**خاسرين**]: منهزمين. ويحتمل قوله تعالى: **ولا ترتدوا على أدباركم**، أي لا ترجعوا وراءكم، ولكن ادخلوها.

**﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾**[٢٢]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون**، يحتمل أن يكون هذا -والله أعلم- لما رأوا فرعون مع قوته وكثرة جنوده ومع ادعاء[٨] ما ادعى من الربوبية لنفسه لم يقدر على فتح تلك الأرض، وعَجَزَ عن غلبة أهلها وقهرِهم وجعلِهم تحت يديه، رأوا هؤلاء أن لا يقدرون على ذلك مع ضَعْفِهم في أنفسهم وقلة عددهم[٩] وقصور أسبابهم. لذلك امتنعوا عن الدخول فيها إلا بعد خروج مَن فيها مِن الجبارين عنها، خوْفًا منهم على أنفسهم. لكن موسى عليه السلام كان وَعَدَ لهم الفتح والنُّصرة مع ضَعْفهم وقلة عددهم[١٠] إذا دخلوا فيها.

[١] الرَّيْع هو النماء والزيادة من كل شيء (*لسان العرب* لابن منظور، «ربع»).
[٢] ن ع م: منزه.
[٣] سورة آل عمران، ١٤٤/٣.
[٤] ع: من أحد.
[٥] ن: ان كتب.
[٦] ع: عليكم.
[٧] ع م + الآية.
[٨] جميع النسخ: مع ادعاء.
[٩] ع: عدوهم.
[١٠] ع: عدوهم.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون**، اختلف في الرجلين اللذين قالا ذلك لهم. قال[١] قائلون: كان ذانك[٢] الرجلان من أولئك الذين بعثهم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى أهل تلك الأرض، وأمرهم بالدخول فيها للتَّجَسُّس،[٣] وهما ممن قد **أنعم الله عليهما** من تصديق ما وعد لهم موسى من الفتح والنصر،[٤] فقالا: **فإذا دخلتموه فإنكم غالبون**، صدقوا موسى بما وعد لهم من الفتح. وقال قائلون: كان ذانك[٥] الرجلان اللذان قالا ذلك لهم[٦] من أهل تلك الأرض، لأنهم إذا سمعوا أن موسى قصد نحوهم خافوا من ذلك، فذلك معنى قوله: **من الذين يخافون أنعم الله عليهما**، بالإسلام،[٧] فقالا: **ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون**، لما علموا من خوف أهلها من موسى ومَن معه، وفَزَعِهم.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**،[٨] أي مصدقين بوعد موسى بالفتح لكم والنصر. ويحتمل:[٩] **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم**: مسلمين، فإن كل من توكل على الله ووَثِق به[١٠] نصره الله، وجعله غالبا على عدوه. *والله أعلم*.

وقوله: **ادخلوا عليهم الباب**، كأن المراد من الباب ليس نفس الباب، ولكن جهة من الجهات التي يكون الدخول عليهم من تلك الجهة أوفق وأهون، كأنه قال: ادخلوا عليهم [من] جهة[١١] كذا. *والله أعلم*.

---

[١] ع م – قال.
[٢] ن ع م: ذلك.
[٣] ك ع م – لتجسس؛ ن: للتجسيس.
[٤] م: والنصرة.
[٥] م: ذلك.
[٦] جميع النسخ + هما.
[٧] ع م: من الإسلام.
[٨] ع م + الآية.
[٩] ع – ويحتمل.
[١٠] ع م – به.
[١١] جميع النسخ: عليهم جهة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣ط.

**﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[٢٤]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها**، مَن تعرّض لرسول من الرسل بمثل[١] / ما تعرض هؤلاء لموسى، [وقال]: **إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها**، يَكْفُر؛ لأن موسى [١٨٠و] عليه السلام قد وعد لهم النصر والفتح إذا دخلوها،[٢] فقالوا: **إنا لن ندخلها أبدا**، لم يصدقوا موسى عليه السلام فيما وعد لهم من الفتح والنصر،[٣] ومن كذب رسولاً من الرسل بشيء يخبر[٤] فهو كافر.

وقوله عز وجل: **فاذهب أنت وربك فقاتلا**، الآية، دل قوله تعالى: **فاذهب أنت وربك فقاتلا**، على أن المراد[٥] بالدخول فيها أَمْرٌ بالقتال مع الأعداء حين قال:[٦] ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ،[٧] وأن المكتوب[٨] عليهم[٩] القتال معهم، لأنهم قالوا: **فاذهب أنت وربك فقاتلا**. *والله أعلم*.

ثم قيل في قوله تعالى: **فاذهب أنت وربك فقاتلا**، بوجهين.[١٠] قيل: اذهب أنت وربك فقاتل وحدك، وَلْيُعِنْكَ[١١] ربُّك ويَنصرك، لأنك تقول: إن الله قد وعدك فتحها والنصر عليهم، فالواحد والجماعة فيه[١٢] سواءٌ إذا كان الله ناصرَك ومُعينَك.

والثاني: اذهب أنت وأخوك بربك فقاتلا،[١٣] لأنهما كانا جميعا مأمورَين بتبليغ الرسالة، لأنهما إذا قاتلا إنما قاتلا[١٤] بربهما، وتجوز الإضافة إليه والنسبة لما كان يُفعَل به،[١٥] كقوله:

[١] ع م + هذا.
[٢] م: دخلوا لها.
[٣] ع م – والنصر.
[٤] ع: بخير.
[٥] ك ن: الأمر.
[٦] ك: قالوا.
[٧] سورة المائدة، ٢١/٥.
[٨] ك: المكتوبة.
[٩] ع: عليكم.
[١٠] ع م: من وجهين.
[١١] ع م: وليعينك.
[١٢] م: فيها.
[١٣] ع: فقاتل.
[١٤] ع: انهما قاتلا؛ م: إنما قاتل.
[١٥] أي يفعل بعون الله وتأييده.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ،[1] هُم المباشرون للقتل[2] والرمي في الحقيقة، لكنه أضيف إليه لما[3] بنصره ومعونته قَتلوا ورَمَوْا، فعلى ذلك الأول -والله أعلم- أضيف إليه لما بمعونته ونصره يقاتلون.

وقوله عز وجل: **إنا هاهنا قاعدون**، أي ليس يريد به القعود[4] نفسه، ولكن -والله أعلم- إنا هاهنا منتظرون.

**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **قال رب إني لا أملك إلا نفسه وأخي**،[5] يحتمل وجهين.[6] يحتمل: **إني لا أملك** في الإجابة والطاعة لك[7] **إلا نفسي وأخي**، [أي] وأملك أخي[8] أيضا لِما عرفتُ بالعصمة التي أعطيتَ له أن يجيبني ويطيعني في ذلك، وأما هؤلاء فإني لا أملك إجابتهم ولا طاعتهم؛ **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**. ويحتمل:[9] **إني لا أملك إلا نفسي**، وأخي لا يملك أيضا إلا نفسه، على[10] الإضمار، لأنهما كانا جميعا رسولَين مأمورَين بتبليغ الرسالة، بقوله تعالى: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا،[11] الآية.

وقوله عز وجل: **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**، قال قائلون: إنما طلب موسى عليه السلام الفُرقة بينه[12] وبين الذين أَبَوْا الدخول فيها، وقالوا: لن ندخلها أبدا. وقال قائلون: إنما طلب موسى[13] الفُرقة بينهم وبين الجبابرة الذين كانوا في الأرض التي أُمروا بالدخول فيها والقتال معهم. *والله أعلم*.

---

[1] سورة الأنفال، ١٧/٨.
[2] ع: القتل.
[3] ن ع م - لما.
[4] ع: العقود.
[5] ع م + الآية.
[6] م - يحتمل وجهين.
[7] ن - لك.
[8] م - وأملك أخي.
[9] م: يحتمل.
[10] م: وعلى.
[11] ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (سورة طه، ٢٠/٤٣-٤٤).
[12] ع م - بينه.
[13] ك - موسى.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة**، الآية. قوله تعالى: **محرمة عليهم**، من الحرمان والمنع، هو -والله أعلم- ليس على التحريم، كقوله تعالى: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[١] ليس هو من التحريم الذي هو تحريم حُكْمٍ، ولكن من المنع والحرمان، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***. وقال قائلون: **محرمة عليهم** أبدا، لم يدخلوها حتى ماتوا، لكن وُلِد لهم أولاد، فلما ماتوا هم[٢] دخل أولادهم، لأنهم قالوا: لن ندخلها أبدا. وقال قائلون: قوله تعالى: **محرمة عليهم**، أي التوبة[٣] محرمة عليهم، لن يتوبوا أبدا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أربعين سنة يتيهون في الأرض**، فالمدة هاهنا للتيه[٤] -والله أعلم- لا لقوله تعالى: **محرمة عليهم**. ثم اختلف في التيه. قال قائلون: لم يكن موسى وهارون عليهما السلام معهم في التيه، لأن ذلك كان عقوبة لهم من الله،[٥] ولا يحتمل أن يكون الله تعالى يعذب رسوله بذنب قومه، لأنه لم يعذَّبْ قومٌ بتكذيب الرسول قط إلا من[٦] بعد ما أُخرج الرسول من بين أظهرهم، فعلى ذلك لا يحتمل أن يكون موسى يعذَّبُ بعصيان قومه. ***والله أعلم***.

وقال آخرون: كان موسى معهم في تلك الأرض مقيما فيها، ولكن الحَيرة والتِّيه كانت لقومه. قيل: كانوا يرتحلون ثم ينزلون[٧] من حيث أصبحوا أربعين سنة، وكان ماؤهم[٨] في الحجر الذي كان مع موسى عليه السلام، فكان إذا نزل ضربه[٩] موسى بعصاه،[١٠] فانفجرت منه اثنتا عشرة[١١] عينًا، لكل سِبْطٍ عين، ولم يكن حَلَّ بموسى ما كان[١٢] حَلَّ بقومه قليل ولا كثيرٌ، إنما أُمر بالمقام فيها، فأقام من غير أن كان به حيرة.

---

[١] سورة القصص، ١٢/٢٨.
[٢] م: ماتوهم.
[٣] ع: الى التوبة.
[٤] تاه في الأرض يَتيه تيها: ذهب متحيرًا وضل، وهو تَيَّاه... والتيه: المفازة يُتاه فيها... والتيه: حيث تاه بنو إسرائيل، أي حاروا فلم يهتدوا للخروج منه (*لسان العرب* لابن منظور، «تيه»).
[٥] جميع النسخ: لأن ذلك لهم من الله كان عقوبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.
[٦] ن ع م - من.
[٧] ن: ثم ينزلوا.
[٨] ك ن: ماواهم؛ ع: مأواهم؛ م: مأويهم؛ صح هـ.
[٩] ك - ضربه.
[١٠] ن - بعصاه.
[١١] جميع النسخ: اثنى عشرة.
[١٢] جميع النسخ: بما كان.

**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا**، قال الحسن وغيره: لم يكونا ابني آدم من صلبه، ولكن كانا رجلين من بني إسرائيل، **قربا قربانا**،[١] **فتقبل** قربان **أحدهما، ولم يتقبل** قربان **الآخر**.[٢] وإنما[٣] نسبهما إلى آدم لأن كل البشر ولد آدم تُنْتَسَبُ[٤] إليه، كقوله تعالى: يَا بَنِي آدَمَ،[٥] افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، ليس يريد به ولد آدم لصلبه ولكن البشر كله، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وأما ابن عباس رضي الله عنه والكلبي وغيرهما من أهل التأويل، فإنهم قالوا: إنهما كانا ابني آدم لصلبه،[٦] أحدهما يسمى قابيل والآخر هابيل. وكان[٧] لكل واحد منهما أختٌ وُلدتْ معه في بطن واحد، وكانت إحداهما جميلة والأخرى[٨] دميمة،[٩] فأراد كل واحد منهما نكاح الجميلة منهما، فتنازعا في ذلك. فقال أحدهما[١٠] لصاحبه: تَعالَ[١١] حتى نقرّب قربانا، فإن تُقبّل قربانك فأنت أحق بها،[١٢] وإن تُقبّل قرباني فأنا أحق بها.[١٣] فقربا قربانهما، فقُبِل قربان هابيل، ولم يُتقبّل قربان قابيل، فحسده فهمّ أن يقتله. فذلك قوله
[١٨٠ظ] تعالى: **إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك / قال إنما يتقبل الله من المتقين**.[١٤]

---

[١] ك – قال الحسن وغيره لم يكونا ابني آدم من صلبه ولكن كانا رجلين من بني إسرائيل قربا قربانا.
[٢] *تفسير الطبري*، ١٨٩/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦/٣.
[٣] جميع النسخ: وان.
[٤] ك: ينسب؛ ن: فنسب.
[٥] انظر على سبيل المثال: سورة الأعراف، ٢٧/٧، ٣١.
[٦] ع م: بني آدم صلبه.
[٧] ن: وقال كان.
[٨] ن: والآخر.
[٩] ن ع: ذميمة.
[١٠] ع: احديهما.
[١١] م: تعالى.
[١٢] ع: أحق بهما.
[١٣] ن – بها.
[١٤] *تفسير الطبري*، ١٨٨/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥/٣.

ولكن لا ندري[١] كيف كانت[٢] وفيما كانت[٣] القصة،[٤] وكانا ابني آدم لصلبه أو لم يكونا. وليس لنا إلى معرفة هذا حاجة، إنما الحاجة في هذا إلى معرفة ما فيه من الحكمة والعلم ليُعلَم ذلك ويُعمَل به. فهو -والله أعلم- ما ذكر عز وجل فيما تقدم من قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ،[٥] وقال في آية أخرى:[٦] يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.[٧] فكان هذا أعني نبأ ابني آدم كان في كتبهم، فأمر عز وجل رسوله أن يتلوَ عليهم ذلك على ما كان، ويبينَ لهم ما في كتبهم، لأنه قال: قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ، و[قال]: يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ،[٨] ليعلموا[٩] أنه إنما عَلِمَ ذلك بالله لا بأحد من البشر، لأنه إنما بُعِثَ عند دروس آثار الرسل وانقطاع العلوم، فبين لهم واحدا بعد واحد. ففيه دليل إثبات رسالة سيدنا[١٠] محمد صلى الله عليه وسلم. وسورة المائدة كان[١١] أكثرها نزلت في مخاطبة أهل الكتاب، لأنه يقول في غير موضع: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ،[١٢] و[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا] يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ،[١٣] يدعوهم إلى الإيمان بالرسل؛ ونزلت[١٤] سورة الأنعام في مخاطبة أهل الشرك، لأن فيها دعاء إلى التوحيد.

---

[١] ع: ولكن ندري.
[٢] ك - كانت.
[٣] ع: وفيهما كانت.
[٤] ن ع م - القصة.
[٥] سورة المائدة، ١٥/٥.
[٦] ن - وقال في آية أخرى؛ صح هـ؛ ع - وقال في آية أخرى.
[٧] سورة المائدة، ١٩/٥.
[٨] ع - فكان هذا أعني نبأ ابني آدم كان في كتبهم فأمر عز وجل رسوله أن يتلو عليهم ذلك على ما كان ويبين لهم ما في كتبهم لأنه قال قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل.
[٩] ع م: لتعلموا.
[١٠] ك - سيدنا؛ ن: نبينا.
[١١] ن: كانت.
[١٢] سورة المائدة، ١٥/٥.
[١٣] سورة المائدة، ١٩/٥.
[١٤] جميع النسخ: ونزل.

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق**، يحتمل وجهين. يحتمل **بالحق** على ما نزل. ويحتمل **بالحق** المعلوم المعروف على ما كان،[1] ليعلموا أنه بالله عَلِم، وأنه عِلمٌ[2] سماوي.

وقوله: **إنما يتقبل الله من المتقين**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل **إنما يتقبل الله** قربان من اتقى الشرك، لا يتقبل قربان[3] من لم يَتَّقِ. وإلى هذا يذهب الحسن، وقال: كانا[4] رجلين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر منافق، فتنازعا في شيء، فقرّبا لِيُعلَم المُحِق منهما، فتُقبل من المؤمن و لم يُتقبل من الآخر.

وقال أبو بكر الأصم: كانا رجلَين مصدقَين،[5] لأن الكافر لا يقرّب القربان، لكن أحدهما كان أتقى قلبا فتقبل قربانه، والآخر لا فلم يتقبل قربانه، والتقوى شرط في قبول القرابين وغيرها من القُرَب، كقوله عز وجل: **إنما يتقبل الله من المتقين**.

وقوله: والكافر لا يقرّب القربان،[6] يقال: قد يقرّب[7] لما يَدّعي من الدين أن الذي هو عليه حق ليظهر المحق منهم؛[8] ألا ترى[9] أنهم يدّعون أن فيهم[10] من هو أحق بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[11] وغيرِ ذلك من[12] أباطيل قالوها.[13] *وبالله التوفيق*.

**﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **لئِن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**،

---

[1] ع م: ما كانوا.
[2] ع – وأنه علم.
[3] ن ع م – قربان.
[4] ع: كنا.
[5] ع: متصدقين.
[6] ن – القربان.
[7] ن ع م: قد تقرب.
[8] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «إلا أنه لا يتبت ما قال أبو بكر: إنهما كانا مؤمنين. لأن الكفار كانوا يقربون القرابين لوجه الأصنام، لما يزعمون أنهم على شيء، ليظهر المحق منهم من المبطل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٤و–ظ).
[9] م: ألا يرى.
[10] ك: أنهم.
[11] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[12] ك – من.
[13] ع: قالوهم.

قال بعض الناس: إن الواجب علينا أن نفعل مثل فعل أولئك، لا ينبغي لمن أراد أحد[١] قتله أن يقتله، ولكن يمتنع[٢] عن ذلك على ما امتنع أحد ابني آدم، حيث قال له: لَأَقْتُلَنَّكَ،[٣] فقال له الآخر: **ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك.** واحتجوا في ذلك بأخبارٍ رُويت. روي عن أبي موسى الأشعري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تَوَاجَهَ[٤] المسلمان بسيفيهما[٥] فقتل[٦] أحدهما صاحبه فهما في النار». فقيل: يا رسول الله، أرأيت المقتول؟ فقال: «إنه أراد أن يقتل صاحبه».[٧] وعن سعد[٨] بن مالك رضي الله عنه قال:[٩] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن استطعت أن تكون عبدًا لله ولا تقتل[١٠] أحدا من أهل القبلة فافعل».[١١] وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني آدم ضربا لهذه الأمة مثلا، فخذوا بالخير منهما».[١٢] وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه[١٣] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف بك[١٤] يا أبا ذر إذا كان[١٥] بالمدينة قتل[١٦] حتى تَغْرَقَ حجارةُ [الزيتِ بالدم]؟»[١٧] قال: قلت: ألبس سلاحي. قال: «شاركتَ القوم إذًا».

---

[١] ن – أحد؛ ع: ان.

[٢] ن ع م: يمنع.

[٣] سورة المائدة، ٢٧/٥.

[٤] جميع النسخ: توجه. والتصحيح من مصادر الحديث.

[٥] ن ع م: بسيفهما.

[٦] ع: فتقتل.

[٧] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٠/٤؛ وصحيح *البخاري*، الفتن ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ١٤.

[٨] م: سعيد.

[٩] م – قال.

[١٠] ع: ولا يقبل؛ م: ولا يقتل.

[١١] لم أجده، لكن روي عن خالد بن عُرْفُطَة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خالد، إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٢/٥).

[١٢] *تفسير القرآن* لعبد الرزاق، ١٨٧/١؛ و*تفسير الطبري*، ١٩٩/٦.

[١٣] ك ع – أنه.

[١٤] ع – بك.

[١٥] جميع النسخ: إذا كانت.

[١٦] ع: قتلت.

[١٧] جميع النسخ: بغير حجارة. والتصحيح والزيادة من مصادر الحديث. وحجارة الزيت موضع بالمدينة من الحَرَّة. سميت بذلك لسواد أحجارها، كأنها طُليت بالزيت. وكان بها وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية. انظر: عون *المعبود* للعظيم آبادي، ٢٢/٤، ٢٢٩/١١.

قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟[1] قال: «إن خشيتَ أن يَبْهَرَكَ[2] شُعاعُ السيف فألْقِ ناحية ثوبك على وجهك، يبوء[3] بإثمك وإثمه».[4] يحتجون بمثل هذه الأخبار.

وقال آخرون: له أن يقاتل[5] إذا لم يتعظ صاحبه بالله وأراد قتله، وهو[6] في سَعَةٍ[7] مِن قتلِ من يريد أن يبتدئه بالقتل، استدلالاً بما أمر الله تعالى بقتال أهل البغي،[8] كقوله تعالى: فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ،[9] فصار الحكم في أمتنا[10] ما أمرهم الله به من قتال البغاة، لأن الله تعالى قال:[11] لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.[12] على أن قتال المشركين كان محظورا في أول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقَبْلَ[13] ذلك بأوقات. وقالوا: فغيرُ مُنكَرٍ[14] أن يكون الوقت الذي ذكره الله في هذه الآية كان قتال المشركين وتجريد السيف فيه محظورا، ثم أذن[15] الله في قتالهم وقتال أهل البغي،

---

[1] م – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك يا أبا ذر إذا كانت بالمدينة قتل بغير حجارة قال قلت ألبس سلاحي قال شاركت القوم إذا قال قلت كيف أصنع يا رسول الله.

[2] بهر بمعنى غلب وقهر (*لسان العرب* لابن منظور، «بهر»). أي إن خفت أن يغلبك لمعان السيف ولا تطيق النظر إليه.

[3] جميع النسخ: تبوء. والتصحيح من مصادر الحديث.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٩/٥، ١٦٣؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ١٠؛ وسنن *أبي داود*، الفتن ٢. ولفظ ابن ماجه: «يا أبا ذر... كيف أنت وقَتْلاً يصيب الناس حتى تَغْرَقَ حجارةُ الزيتِ بالدم؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله. قال: «الْحَقْ بمن أنت منه». قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟ قال: «شاركتَ القوم إذًا؛ ولكن ادخل بيتك». قلت: يا رسول الله، فإن دُخل بيتي؟ قال: «إن خشيتَ أن يَبْهَرَكَ شُعاعُ السيف فألْقِ طرفَ ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار».

[5] ع: أن نقاتل.

[6] ع م: فهو.

[7] ن: في وسعه.

[8] قال الشارح: «ولكن قال عامة الفقهاء: من قصد قتل إنسان فإنه يجب على المقصود قَتْلُهُ أن يدفعه عن نفسه بغير القتل إن أمكنه. وإن لم يمكنه إلا بالقتل يجب عليه أن يدفعه وإن كان يفضي إلى القتل. ويقصد بقتله الدفع دون القتل. حتى لو لم يقدر على دفعه وامتنع عن ذلك حتى يقتله القاصد فإنه يؤاخذ به ويأثم. وأصل ذلك قول الله تعالى بالأمر بقتال أهل البغي» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٤ظ).

[9] سورة الحجرات، ٩/٤٩.

[10] ن: في امتناع.

[11] ع – قال.

[12] سورة المائدة، ٤٨/٥.

[13] ك ع م: وقيل.

[14] ك: منك.

[15] جميع النسخ: فأذن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.

فصار الحكم في أمتنا ما أمر الله به[١] من قتال البغاة والمشركين. *والله أعلم.*

وأما ما احتجوا به من الأخبار التي رويت من اقتتال المسلمَين[٢] وأشباهها، فإن ذلك -والله أعلم-[٣] في حال الفتن، وقتالِ الفئتَين[٤] اللتين[٥] لا إمام فيهما يستحق الإمامة لحَمِيَّةٍ أو أَمْرٍ جاهليةٍ أو عصبيةٍ،[٦] فهما على خطأ، فالصواب في مثله[٧] ما ذُكر من الأخبار. وأما إذا كان للناس إمامُ هُدًى قد عقدوا[٨] له البيعة فخرجت عليه خارجةٌ ظالمةٌ فقتالهم واجب، اتِّباعًا لعلي رضي الله عنه ومن حارب معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ البغي والخوارج. فأما قتال الخوارج فهو كالإجماع، لأن جميع الطوائف قد حاربوهم، ورويت في ذلك آثار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٩] إلى هذا[١٠] يذهب من رأى قتل من يَهُمّ[١١] بقتله.[١٢]

**﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[٢٩]**

وقوله: **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك**، أن ترجع **بإثمي** بقتلك إياي، **وإثمك** الذي عملته قبل[١٣] قتلي. قال القُتَبِي: **بإثمي**: أن تقتلني، **وإثمك**: / ما أضمرت في نفسك من الحسد [١٨١و] والعداوة.[١٤] وقال الحسن: [أن] ترجع **بإثمي** بقتلك إياي، **وإثمك** يعني الكفر الذي كان عليه؛ لأنه يقول: كان أحدهما كافرا فقتل صاحبه، فيرجع بالكفر. *والله أعلم.*

---

[١] ك - به.

[٢] أي الحديث المتقدم: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما...».

[٣] ع + وأما ما احتجوا به من الأخبار التي رويت؛ م + ما احتجوا به من الأخبار التي رويت.

[٤] ع: الفتيين.

[٥] ن- اللتين.

[٦] ع: أو عصبة.

[٧] ن - في مثله.

[٨] جميع النسخ: فقد عقدوا.

[٩] من ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة» (*صحيح البخاري*، استتابة المرتدين ٦، و*صحيح مسلم*، الزكاة ١٥٤-١٥٧).

[١٠] ع: وإلى هذا.

[١١] ن ع م + به.

[١٢] جميع النسخ: قتله.

[١٣] ع: قتل.

[١٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٢.

وقوله تعالى: **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك**، يجوز أن يُتكلم بالإرادة على غير تحقيق الفعل، كقول القائل: أريد أن أسقط من السطح، وهو لا يريد سقوطه منه، وكقوله: فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ،[1] والجدار لا فعل له. فإذا جاز إضافة الإرادة إلى من لا فعل له[2] يكون منه دل أنه ليس على حقيقة الفعل، ولكن على ما يقع أنه يكون كذلك ويَئُول أمره إلى ذلك. أو أراد أن يبوء بإثمه لما عَلِم منه أنه يقتله[3] لا مَحالَة ويعصي ربه، فأراد[4] أن يبوء بإثمه، وذلك جائز. ***والله أعلم.***

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **فطوعت له نفسه قتل أخيه**، قال القُتَبِي: أي شايَعَتْه[5] وانقادت له.[6] وقال أبو عَوْسَجَة: **فطوعت له نفسه**، أي أمرته[7] وزيّنت له. وقال مجاهد: أي شجّعته وأعانته. وكله يرجع إلى واحد.

وقوله عز وجل: **فأصبح من الخاسرين** –وقال في آية أخرى: فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ–[8] يحتمل وجهين. يحتمل: أصبح تائبا، لأن الندامة توبة، وذلك أن من أذنب ذنبا فندم عليه كان ذلك منه توبة. فإن لم يكن توبةً فتأويل[9] قوله: **أصبح**، أي[10] يصبح في الآخرة من النادمين، وهو كقوله: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ،[11] أي يقول في الآخرة، لا أَنْ قال[12] له، فعلى ذلك قوله تعالى: فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ،[13] أي يصبح من النادمين[14] في الآخرة –والله أعلم– ويصبح من الخاسرين.*

---

[1] سورة الكهف، ٧٧/١٨.
[2] ك ن ع – له.
[3] ع م: أن يقتله.
[4] جميع النسخ: أراد.
[5] شايعته: أي عاونته وشجعته (*لسان العرب* لابن منظور، «شيع»).
[6] ع: وانقات له له. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٢.
[7] ع م: أمرت.
[8] سورة المائدة، ٣١/٥.
[9] م: فتأول.
[10] ك – أي.
[11] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[12] ك + قال.
[13] سورة المائدة، ٣١/٥.
[14] ن – أي يصبح من النادمين.
* تطرق المؤلف إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فأصبح من النادمين﴾ من الآية التالية خلال تفسير هده الآية. و لم ننقلها إلى هنالك كعادتنا لأن تفسيرها متشابك مع تفسير هده الآية، ويؤدي النقل إلى ضرورة الحذف والزيادة على المتن.

﴿**فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه**، استدل من قال بأن القصة كانت في ابني[١] آدم لصلبه بقوله:[٢] **فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه**، لأن القصة لو كانت في بني[٣] إسرائيل لم يكن لِيَجهَل دفن الميت، إذ قد رأى ذلك غير مرة وعاينه، فدل أنه[٤] كان في أول ميت جَهِل السنة[٥] فيه. وقال من قال: إنهما كانا رجلين من بني إسرائيل: أَنْ[٦] قد يجوز أن يخفى على المرء شيءٌ عَلِمَه قبل ذلك وعاينه إذا اشتد به الخوف ونزل به الهَوْل،[٧] كقوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا،[٨] وقد كان لهم علم بذلك، لكن ذهب عنهم[٩] -والله أعلم- لشدة هَوْل ذلك اليوم وخوفه، فعلى ذلك الأول، يجوز خفاء دفن الموتى بعد ما علمه لشدة الهَوْل.[١٠] *والله أعلم*.

ثم اختلف فيما أخبر عن بحث الغراب في الأرض. قال الحسن رضي الله عنه: كان الغراب[١١] يبحث التراب على ذلك الميت ليرى ذلك القاتل؛ لا أنه[١٢] كان[١٣] يبحث التراب على غراب آخر، على ما ذُكر[١٤] في القصة أن غرابا قتل آخر، ثم جعل يبحث التراب عليه؛ لأنه ذكر السوءة وليس للغراب سوءة. والسوءة العورة. لكنه: **ليريه كيف يواري سوءة أخيه**،

[١] ك: بني.
[٢] جميع النسخ: يقول.
[٣] ن: في ابني.
[٤] ع + ذلك.
[٥] ن: لسنة.
[٦] ن ع م: اذ.
[٧] ع: الهوى.
[٨] سورة المائدة، ١٠٩/٥.
[٩] ن + وقال.
[١٠] ع م - والله أعلم لشدة هول ذلك اليوم وخوفه فعلى ذلك الأول يجوز خفاء دفن الموتى بعدما علمه لشدة الهول.
[١١] ع م - كان الغراب.
[١٢] ن: لانه.
[١٣] م - كان.
[١٤] ع م: ما ذكرنا.

لم يذكر السوءة في الغراب، إنما ذكرها في أخيه، وأخبر أنه يريه[1] أن كيف يواري سوءته. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **قال يا ويلتا أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي،** أي[2] أعجزت في الحيلة أن أكون[3] مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي؟*

**﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾**[٣٢]

قوله[4] عز وجل: **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**[5] الآية، يحتمل وجوها. يحتمل قوله: **من قتل نفسا بغير نفس... فكأنما قتل الناس جميعا،** أي من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكأنما استحل قتل الناس جميعا؛[6] لأنه يكفر باستحلال[7] قتل نفسٍ محرمٍ قتلُها، فكان كاستحلال قتل الناس جميعا؛ لأن من كفر[8] بآية[9] من كتاب الله يصير كافرا بالكل، فعلى ذلك الأول، إذا استحل قتل نفس محرمة يصير كأنه استحل قتل الأنفس كلها. ويحتمل أن يكون هذا في أول قتيلٍ قُتل لم يكن قبل ذلك أحد، فلما قَتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا،[10] وكان ذلك[11] منه سنةً استن الناس به، فهو كما[12] روي في الخبر

[1] ع م: يريد.
[2] ع م - أي.
[3] ع: أن كون.
* انظر لتفسير قوله تعالى: ﴿فأصبح من النادمين﴾ تفسير الآية السابقة.
[4] ك ع م: وقوله.
[5] ع + أي من استحل قتل نفس.
[6] م - الآية يحتمل وجوها يحتمل قوله من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا أي من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكأنما استحل قتل الناس جميعا.
[7] ك: باستحلاله.
[8] ن ع م: من يكفر.
[9] ع م: بآياته.
[10] ن + نقتله.
[11] ع + وكان ذلك احد فلما قتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا؛ م + واحد فلما قتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا وكان.
[12] ع: مكان.

أن «من سَنّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من وزرهم شيئا»،[١] فيشترك هذا القاتلُ في وزر كل قتيلٍ قُتل إلى يوم القيامة بغير حق. وتحتمل[٢] الآية وجها آخر؛ وهو ما قيل: أَنْ يجب عليه من القتل مثلُ ما أنه لو قتل الناس جميعا، ومن أحياها أعطاه من الأجر مثل ما لو أنه أحيا الناس جميعا إذا أحياها فلم يقتلها وعفا عنها. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **من أجل** ابني آدم حين قتل أخاه، **كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس**: بلا نفس وجب عليها القصاص، **أو فسادٍ في الأرض**، يقول: الشرك في الأرض، **فكأنما قتل الناس جميعا**، يقول: يعذَّب عليها كما أنه لو قتل الناس جميعا.[٣] وهو مثل الأول. وعن عبد الله بن عمرو[٤] قرأ:[٥] **من أجل ذلك**، الآية، قال:[٦] لم يكن يؤخذ في بني إسرائيل أَرْشٌ،[٧] إنما كان قصاصا بقصاص؛ يقول: من قتل نفسا أو أفسد[٨] في الأرض جزاه كأنما قتل[٩] الناس جميعا، ومن أحياها فعلى نحو ذلك. ويحتمل قوله تعالى: **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**، أي من استنقذ أحدا[١٠] من مَهْلَكَةٍ فكأنما استنقذ الناس جميعا في الأجر.[١١] وقيل: ومن أحياها بالعفو أُجر[١٢] في إحيائها كما يؤجر من أحيا الناس جميعا،[١٣] إذ على الناس معونة ذلك،[١٤] فإذا عفا عنها فكأنما عفا عن[١٥] الناس جميعا.

---

[١] صحيح مسلم، الزكاة ٦٩؛ وسنن ابن ماجة، المقدمة ١٤.

[٢] ن ع م: ويحتمل.

[٣] جميع النسخ + لهم. روي عن الضحاك في قوله: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾ يقول: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلما (تفسير الطبري، ٦/٢٠٠). وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ قال: أَوْبَقَ نفسه كما لو قتل الناس جميعا (الدر المنثور للسيوطي، ٣/٦٤). وأوبق: أي أهلك.

[٤] ن: بن عمر.

[٥] ن: وقرأ.

[٦] ن ع م + لو.

[٧] الأرش من الجراحات: كالشجة ونحوها، والأرش أيضا: دية الجراحات (لسان العرب لابن منظور، «أرش»).

[٨] ن: أو فسد.

[٩] ع م – نفسا أو أفسد في الأرض جزاه كأنما قتل.

[١٠] ع م: جميعا.

[١١] جميع النسخ: في الآخرة. والتصحيح من شرح التأويلات، ورقة ٢١٥ظ.

[١٢] ن ع م: اوجر.

[١٣] ن – جميعا.

[١٤] قال الشارح: «إذ على الناس معونته مما يطلبون من ولي المقتول أن يترك القصاص ليؤدوا الدية عنه ويَعْقِلوا عنه. فإذا عفا عن القاتل فكأنما أسقط العهدة عن الكل» (شرح التأويلات، ورقة ٢١٥ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٤٢ط).

[١٥] م – عن.

قال الحسن: **ومن أحياها [فكأنما أحيا الناس جميعا**، أي] في الأجر؛ أما[1] والله من يستطيع
[١٨١ظ] أن يحييها إذا جاء أجلها؟ ولكنه / أُقِيدَ[2] فعفا.[3] ووجه آخر: أنه يلزم الناس جميعا دفع ذلك عن نفسه ومعونتُه له،[4] فإذا قتلها[5] أو سعى عليها بالفساد فكأنما سعى بذلك على الناس كافة، فعلى ذلك من أحياها فكأنما سعى في[6] إحياء[7] الناس جميعا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون**، في الآية[8] تصبير[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب الكفرة الفجرة[10] إياه، وأنه ليس بأول مكذَّب في الحق، بل كانت الرسل من قبل يُكذَّبون فيما يأتون من الآيات والحجج والبيان.

**﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا**، الآية،[11]

---

[1] ع: اما.
[2] أي استحق القَوَد أي القصاص على القاتل.
[3] أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله: ﴿من قتل نفسا بغير نفس... فكأنما قتل الناس جميعا﴾ قال: في الوزر، ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ قال: في الأجر (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥/٣). وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في قوله: ﴿ومن أحياها﴾ قال: من قُتِل حميمٌ له فعفا عنه فكأنما أحيا الناس جميعا (*تفسير الطبري*، ٢٠٣/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٥/٣).
[4] قال الشارح: «وجه آخر... وهو أن من قصد قتل نفس بغير حق أو فساد في الأرض يجب على الناس كلهم أن يدفعوا ذلك عن الذي قصده ويمنعوه عن قتل ذلك ويعينوا كذلك المقصود بالقتل. فإذا قتلها أو سعى عليها بالفساد وعجزوا عن دفعه ومنعه فكأنه قتل الناس جميعا وسعى بذلك عليهم. ومن أحياها بأن دفع عنها سبب القتل ومنعه عن السعي في حقها بالفساد فكأنه أحيا الناس جميعا ودفع فساد سعيه عن الناس كافة (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٥ظ).
[5] جميع النسخ + لها.
[6] ع م – سعى في.
[7] ع م: احيا.
[8] م + قلة.
[9] ع: يصير؛ م: تصبر.
[10] ك ن – الفجرة.
[11] م – الآية.

قال بعضهم: الآية نزلت في أهل الكفر وبيان الحكم فيهم، وهو قول الحسن وأبي بكر الأصم.[١] وقالا: لأن الله عز وجل ذكر محاربة الله ورسوله وذكر السعي في الأرض بالفساد، وكلُّ كافر قد حارب الله ورسوله وسعى في الأرض بالفساد، فللإمام أن يقتلهم بأي أنواع القتل شاء ما دام الحرب فيما بينهم قائما، فإذا أثخنوا في الأرض يترك ذلك ويمنّ[٢] عليهم إن شاء، وأما المسلم إذا قطع الطريق فإنه لا يقال: إنه حارب الله ورسوله، فدل أنها نزلت في أهل[٣] الكفر للكفر لا لقطع الطريق.

وقال آخرون: نزلت في المشركين[٤] إذا قطعوا الطريق، فأما المسلمون إذا قطعوا الطريق فإنما هم سُرّاق تُقطع أيديهم فقط.

وقال غيرهم: نزلت الآية بالحكم في المشركين إذا قطعوا الطريق وأخافوه، لكن يجري ذلك الحكم في المسلمين إذا قطعوا الطريق[٥] على الناس وأخافوهم. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بردة هلال بن عويمر الأسلمي. فجاء أناس يريدون الإسلام، فقطع الطريق عليهم.[٦] فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد[٧] فيهم: أن من قَتل وأخذ المال صُلِب، ومن قَتل ولم يأخذ المال قُتل، ومن أخذ المال ولم يَقتُل قُطعت يده ورجله من خلاف، ومن جاء مسلما هدم الإسلام ما كان في الشرك.[٨] فدل حديث ابن عباس رضي الله عنه على أن الآية نزلت في الموادعين غير المحاربين. روي عن أنس قال: إن أناسا[٩] مِن عُكْلٍ[١٠] أو عُرَيْنَة[١١] أتوا النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[١] لم أجده عن الحسن، لكن روي عن ابن عباس أن الآية في المشركين. انظر: *سنن أبي داود*، الحدود ٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٥.

[٢] ن ع + الله؛ م: يمن الله.

[٣] ع: من أهل.

[٤] ع: عن المشركين.

[٥] ع م - فأما المسلمون إذا قطعوا الطريق فإنما هم سراق تقطع أيديهم فقط وقال غيرهم نزلت الآية بالحكم في المشركين إذا قطعوا الطريق وأخافوه لكن يجري ذلك الحكم في المسلمين إذا قطعوا الطريق.

[٦] ك ن ع: عيهم الطريق.

[٧] ع: بالجد.

[٨] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٨/٢٨٣؛ و*تلخيص الحبير* لابن حجر، ٤/٧٢.

[٩] م: أناس.

[١٠] عُكْل بطن من طابخة من القبائل العدنانية. ويقال: إن فيهم غباوة وقلة فهم. من قراهم الشقراء والأشيقر (*لسان العرب* لابن منظور، «عكل»؛ و*معجم قبائل العرب* لعمر رضا كحالة، ٢/٨٠٤).

[١١] عُرَيْنَة قبيلة من أهل اليمن. وهي حي من قضاعة من القبائل القحطانية. انظر: *معجم قبائل العرب* لعمر رضا كحالة، ٢/٧٧٦.

فشَكَوْا إليه الجَهْد.[1] فبعث معهم بِلِقَاحٍ[2] وراعيًا، وقال لهم: «اشربوا ألبانها، وتداوَوْا بأبوالها». فلما أَنْ صَحُوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الإبل، وارتدوا عن الإسلام. فبَعَثَ في آثارهم، فأُتِيَ[3] بهم بعد ما تَرَجَّل[4] بهم[5] النهار. فأَمَرَ بهم فقُطعت أيديهم وأرجلهم، وَسَمَرَ[6] أعينهم، وقَطَعَ ألسنتهم، وتُرِكوا بالمكان حتى ماتوا. فنزلت الآية.[7]

وروي عن علي رضي الله عنه ما يخالف هذا: رُوي أن[8] حارثة بن بدر[9] حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا وتاب من قبل أن يُقْدَرَ عليه. فكتب علي بن أبي طالب إلى عامله بالبصرة: إن حارثة قد تاب قبل أن يُقدَر عليه، فلا تتعرض له إلا بالخير.[10] ألا ترى[11] أن حارثة قد[12] أطلق فيه أنه حارب الله ورسوله[13] صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا. فهذا[14] يدل على أن الحكم الذي أُجري على قطاع الطريق الكفرة يجري ذلك الحكم في المسلمين إذا كان منهم ما كان من المشركين من[15] قطع الطريق على الناس وإخافته عليهم. وقد يُتوهَّم أن الآية نزلت في أهل الحرب، وقد أُبيح لنا قتلُ من ظفرنا به منهم كيف شئنا وإن لم يفسدوا في الأرض ولم يقطعوا الطريق. وهذا يدل [على] أن الآية نزلت بالحكم في أهل الكفر وأهل الإسلام جميعا إذا سعوا في الأرض بالفساد.

---

[1] الجَهد ما جَهَدَ الإنسانَ من مرض أو أمر شاق (*لسان العرب* لابن منظور، «جهد»).

[2] اللِّقَاح جمع لَقُوح وهي الناقة الحَلوب (*لسان العرب* لابن منظور، «لقح»).

[3] ك: فبعث.

[4] تَرَجَّل النهار أي ارتفع، تشبيها بارتفاع الرجل عن الصِّبا (*لسان العرب* لابن منظور، «رجل»).

[5] ك ن – بهم.

[6] ع: وسمل. سمر أعينهم أي أحمى لها مسامير الحديد ثم كحلهم بها. وأما رواية سمل باللام فمعناه فقأها بشوك أو غيره (*لسان العرب* لابن منظور، «سمر»).

[7] *سنن أبي داود*، الحدود ٣. وقد وردت القصة في كثير من الروايات دون ذكر نزول الآية في ذلك. انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٣٦؛ و*صحيح مسلم*، القسامة ٩، ١٠. وليس في شيء من الروايات: "وقطع ألسنتهم".

[8] ك: عن.

[9] هو حارثة بن بدر التميمي، ذكره بعضهم في الصحابة. وله أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر ومع علي رضي الله عنهما، وقصص مع زياد وغيره في الدولة الأموية. وكان أُمِّرَ على قتال الخوارج، فمات في إحدى الحروب معهم سنة ٦٤هـ/٦٨٤م. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٢/١٦١.

[10] *تفسير الطبري*، ٦/٢٢١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٧٠.

[11] ك: ألا يرى.

[12] ع – قد؛ م + تاب.

[13] ك: حارب رسوله.

[14] ع: هذا.

[15] م: مع.

ومن الدليل على ذلك أن الله قال: **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم**، وأجمعوا أن الكافر إذا قتل مسلما وأظهر في الأرض الفساد فقدرنا عليه وأسرناه ثم أسلم أنه يزول عنه القتل والقطع والصلب؛ فدل ذلك على أن الآية نزلت بالحكم في المسلمين، لأنه يختلف حكمه إذا تابوا من قبل أن يقدر عليهم أو بعد قدرتنا عليهم،[١] ولم ينزل فيمن يستوي حكمه في الحالين جميعا إذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم.[٢] فأما الذي[٣] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله بالعُرَنِيّين فإنهم كانوا أسلموا ثم ارتدوا. واحتج من ذكرنا قوله من المتأخرين بأن الآية نزلت فيهم بحديث أنس من فعله بالعُرَنيين،[٤] وقد روي[٥] عن بعض المتقدمين أن الآية نزلت بعد قتل العُرَنيين من نحو ابن سيرين وغيره،[٦] فالواجب على من ادعى أن الآية نزلت في العرنيين أن يبين دعواه. وكان أصحابنا رحمهم الله يذهبون إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه، ويرون أن يؤخذ المحارب إذا تاب قبل أن يُقْدَر عليه بما أصاب من دم ومال على سبيل القصاص، ولا يصلب ولا تقطع يده ورجله فيما أصاب من مال. فكأنهم ذهبوا إلى أن يُزال الحد الذي لله على المحارب بتوبته قبل أن يُقْدَر عليه،

---

[١] ع – أو بعد قدرتنا عليهم.

[٢] قال الشارح: «ويحتمل أن الآية نزلت في قطاع الطريق من المسلمين؛ وهو الظاهر لوجهين. أحدهما أن الله قال: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾، وأجمع الفقهاء أن الكافر إذا قتل مسلما وأظهر في الأرض فسادا فقدرنا عليه وأسرناه فأسلم أنه يسقط عنه القطع والقتل والصلب. وفي الآية فصل بين أن يتوب قبل قدرتنا عليهم وبين أن يتوب بعد القدرة؛ وإنما يفصل بهذا في المسلمين لا في حق الكفرة، فإن في الحالين يسقط عنهم الحد؛ دل أن الآية نزلت في المسلمين. والثاني ما روي عن علي رضي الله عنه أنه كتب إليه عامله أن حارثة بن بدر حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا وتاب قبل أن يقدر عليه. فكتب علي رضي الله عنه إلى عامله أن حارثة قد تاب قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له إلا بالخير. فأجرى علي رضي الله عنه الآية فيه، وإنه لم ينكر على عامله بإطلاق اسم المحارب لله ورسوله عليه، وكان حارثة مؤمنا. وإنما جاز إطلاق اسم أنه حارب الله ورسوله وإن لم يكن المسلم قاصدا ذلك لأن فعله يشبه ذلك لعظم وزره. ألا يرى أن آكل الربا يسمى به؛ قال الله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بحرب من الله ورسوله﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٩). وذلك في المسلمين كما قلنا، فهذا مثله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٦و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٤٣و).

[٣] م: الذين.

[٤] ع م – فإنهم كانوا أسلموا ثم ارتدوا واحتج من ذكرنا قوله من المتأخرين بأن الآية نزلت فيهم بحديث أنس من فعله بالعرنيين.

[٥] م: قد روي.

[٦] لم أجده عن ابن سيرين، لكن روي عن أبي الزِّناد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع الذين أخذوا لَقاحه وسمل أعينهم عاتبه الله في ذلك، فأنزل الله: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ الآية (*السنن الكبرى* للبيهقي، ٨/٢٨٣).

وهو ما كان إلى الإمام إقامته، ولا أمر للولي فيه. وأما الحقوق التي هي للعباد فإن التوبة لا تعمل في إبطالها ولكل ذي حق أن يأخذ بحقه، لا حق للإمام، لأن الحق صار للولي دون الإمام.

وفي قوله: **إلا الذين تابوا من أن تقدروا عليهم**، دلالة على أن السارق إذا رد السرقة قبل أن يُقْدَر عليه أن لا قطع عليه، وكذلك روي عن بعض المتقدمين أنهم قالوا: ليس على تائبٍ قطع.

ودل قوله: **ويسعون في الأرض فسادا**، على أن السارق في المصر ليلا أو نهارا لا يكون محاربا، وإنما هو سارق تُقْطَعُ يده دون رجله، لأنه ذكر السعي في الأرض بالفساد، والسارق في المصر لا يقال: [إنه] سعى في الأرض؛ ألا ترى[1] إلى قوله تعالى: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ،[2] لم يرد الضرب في المصر ولكن أراد الأسفار، فعلى ذلك الأول.

وأما الكلام في القتل والصلب والقطع فروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا [١٨٢و] حارب وقَتل وأَخذ المال قُطِعَت يده / ورجله من خلاف وصُلِب، فإن قَتل ولم يأخذ[3] المال قُتِل، وإن أَخذ المال ولم يَقتل قُطِعت[4] يده ورجله من خلاف.[5] وتأوّل[6] الآية: **الذين يحاربون الله ورسوله**، الآية، على أن الواجب على المحارب من العقوبة له على قدر جنايته، ويزاد في عقوبته بقدر زيادته في جرمه.[7] وتأوّل غيره الآية على أنها نزلت في المحارب الذي يصيب[8] المال والنفس. وإذا أصاب الأمرين كان للإمام أن يقتله كيف شاء، إن شاء قَتَله بالسيف قَتْلاً،[9] وإن شاء قَطع يده ورجله ثم يَتركه حتى يموت، وإن شاء صَلَبه حيًّا، وإن أبطأ عليه الموت طُعِنَ بالرماح حتى يموت. وإلى هذا كان يذهب أبو حنيفة رضي الله عنه. وأما أبو يوسف[10] ومحمد رحمهما الله قالا: إذا صُلب لم تُقطع يده ورجله، لأنه لا يجوز أن يجمع عليه الأمرين،

[1] ك: ألا يرى.
[2] ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ (سورة النساء، ١٠١/٤).
[3] ع: ولم يؤخذ.
[4] ن – قطعت؛ صح هـ.
[5] *تفسير الطبري*، ٢١١/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٨/٣.
[6] ع م: وتأويل.
[7] ع: في حزمه.
[8] ع: نصيب.
[9] ن – قتلا.
[10] ع: وأبو يوسف.

وإنما جعل الله له أحدهما بظاهر قوله: **أَنْ يُقَتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع**[1] **أيديهم وأرجلهم من خلاف**، وجعلا عقوبته مختلفة على قدر جنايته.

فإن قيل: فما معنى التخيير فيه؟[2]

قيل: معناه -والله أعلم- أن يُقتل بالسيف أو يُقتل بالصلب أو يُقتل بقطع اليد والرجل. وأصله أن حرف التخيير إذا كان في مُتَّفِق الأسباب يخرج مخرج التخيير من نحو التخيير[3] في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة المتأذي،[4] لأن سبب وجوبه واحد؛ وإذا كان في مختلِف الأسباب فيخرج مخرج بيان الحكم لِكُلٍّ[5] في نفسه، كقوله تعالى: **قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**،[6] لا يحتمل التخيير، ولكنه على بيان الحكم لِكُلٍّ في نفسه، لأن سبب وجوبه مختلف؛ فتأويله: إما أن تعذب من ظَلَم وتتّخذ الحُسن فيمن آمن بالله، ألا ترى[7] أنه قال: **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ... وَأَمَّا مَنْ آمَنَ... فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى**.[8] وقولُ مَن جَعل الحكم فيمن جمَع القتل وقَطْع الطريق أقرب إلى التأويل -والله أعلم- ممن لم يجمع،[9] لأنه قال عز وجل: **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**، الآية، فمن[10] حارب[11] وأفسد في الأرض

[1] ع م - يده ورجله لأنه لا يجوز أن يجمع عليه الأمرين وإنما جعل الله له أحدهما بظاهر قوله أن يقتلوا أو يصبوا أو تقطع.

[2] ن - فيه.

[3] م - من نحو التخيير.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦). وعبارة الشارح هكذا: «... على أنه إنما يجري على ظاهره إذا كان الوجوب واحدا، كما في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة جزاء الصيد...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٦و). ولعل الشارح يشير بجزاء الصيد إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمدا فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النَّعَم يحكم به ذوا عدل منكم هَدْيا بالغَ الكعبة أو كفارةٌ طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٥).

[5] ن: ولكن؛ ع م: للكل.

[6] سورة الكهف، ١٨/٨٦.

[7] ك: ألا يرى.

[8] ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرَدُّ إلى ربه فيعذبه عذابا نُكْرًا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسْرًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٨٧-٨٨).

[9] ك + الآية.

[10] ك: فيمن.

[11] ن + الله.

فقد أتى بالأمرين جميعا،[1] لأن محاربته أن يَقتل، وإفسادَه في الأرض بقطع الطريق، فإذا جمع هو بين الأمرين يُجمَع بين عقوبتين. وأصله أن أمر قُطَّاع الطريق محمولٌ على فَضْلِ تعليظٍ، من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل في أخذ المال، وذلك لا يجمع في أخذ المال في المصر؛ ومن نحو الصَّلْب وذلك لم يجعل في غيره من القتل في المصر، فدل أنه محمول على فضل تغليظ،[2] فجاز أن يجمع بين ما ذكرنا.[3]

وقوله عز وجل: **أو يُنفَوا من الأرض ذلك لهم خزي**، قال بعضهم: وينفوا من الأرض، على إسقاط الألف، ويكون في القتل والصلب نَفْيُه إذا قَتل وأَخذ المال. وقال بعضهم: نفيه أن يُطلب[4] فلا يُقدَر عليه. وعن الحسن قال: يُطلب[5] حتى يخرج من أرض الإسلام.[6] وذلك إلى الإمام. وأصله ما ذكرنا أنه إذا قُدِر عليه وقد قَتل وأَخذ المال يُقتل، وفي القتل نفيه، وإذا لم يَقتل ولم يَأخذ المال[7] حُبِس إن قُدر عليه، وفي الحبس نفيه؛ وإن لم يُقدَر عليه يُطلَب[8] حتى يَبرح عن الطريق.[9] ***والله أعلم.***

وقول أبي عبيد حيث قال: إنه يصلب بعد القتل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة.[10] فيقال له: المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى [مِنْ قَطْعِ بعض الجوارح ونحوه].[11] ولأن الصلب[12] جُعل عقوبتَه والميت لا يعاقَب،

---

[1] ع م – جميعا.

[2] ك – من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل في أخذ المال وذلك لا يجمع في أخذ المال في المصر ومن نحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره من القتل في المصر فدل أنه محمول على فضل تغليظ؛ م + من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل في أخذ المال وذلك لا يجمع في أخذ المال في المصر ومن نحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره من القتل في المصر فدل أنه محمول على فضل تغليظ.

[3] ك ن + والله أعلم.

[4] م: أن يصلب.

[5] م: يصب.

[6] روي ذلك عن ابن عباس والربيع بن أنس. انظر: *تفسير الطبري*، ٦/ ٢١٧.

[7] ع م – المال.

[8] م: يصب.

[9] وعبارة الشارح: «... حتى يبرح عن الطريق الذي قطع فيندفع ضرره عن الناس ويصير الطريق آمنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٦ظ).

[10] *صحيح البخاري*، الذبائح ٢٥؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١١٠؛ وسنن *الترمذي*، الديات ١٤.

[11] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢١٦ظ.

[12] ع: وأن الصلب.

ولو جاز أن يصلب بعد القتل لجاز لغيره أن يقول: تقطع يده ورجله بعد القتل، فذلك بعيد.

وقوله عز وجل: **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم**، قد ذكرنا فيما تقدم أن قُطّاع الطريق إذا تابوا قبل أن يُقْدَرَ عليهم سقطت[١] عنهم الحدود التي هي لله تعالى لا يؤاخذون بها، وليس كغيرها من الحدود التي تلزم في غير المحاربة، لأن التوبة[٢] لا تعمل في إسقاطها لوجهين. أحدهما أن التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقة، فإذا لم تظهر لم تعمل في إسقاط ما وجب، وفي المحارب تظهر، لأنه في يدَيْ نفسه إذا ترك المحاربة والسعي في الأرض بالفساد وظهرت منه التوبة فلم يؤاخذ به، وفي سائر الحدود لا يظهر منه ترك ما كان يرتكب، لذلك افترقا.

والثاني أنه لو لم يُقبل[٣] منه ذلك لتمادى في السعي في الأرض بالفساد، فما لَحِقَ[٤] المسلمين من الضرر أكثر مما لو آخذوهم[٥] بذلك، فاستحسنوا قبول ذلك منهم، ودُرِئَ[٦] ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى؛ وأما الحقوق التي هي للعباد فذلك إلى الأولياء، إن شاءوا[٧] آخذوهم بذلك وإن شاءوا تركوا. *والله أعلم*.

وأما قوله:[٨] من جاء مسلما هدم الإسلام ما كان في الشرك، معناه إذا جاء تائبا، لأن الحدود جُعِلَتْ زواجر، والإسلام يزيد[٩] في الزجر والتغليظ، فلا يجوز ما كان سببا للتغليظ سببا لإسقاطه، دل أن المعنى منه[١٠] من جاء مسلما تائبا. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**، يحتمل أن تكون الآية صلة ما مضى من الآيات. من ذلك قوله تعالى: إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ

---

١ جميع النسخ: سقط.
٢ جميع النسخ: أن التوبة.
٣ ع م: لم يقتل.
٤ ع م: في حق.
٥ ن م: لو اخذوا هم.
٦ ن: وروى.
٧ ع: اشاؤا.
٨ ن ع م: وقوله. يشير إلى الحديث المروي عن ابن عباس في موادعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بردة هلال بن عويمر الأسلمي. انظر أول تفسير الآيتين.
٩ م: يزيده.
١٠ ن – منه.

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،[١] أخبر أنه إنما يَتقرَّب بقُربانه المتقي، وقال: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ،[٢] الآية، ثم قال تعالى: **اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**، أي[٣] ابتغوا بتقوى الله عن معاصيه القربة والوسيلة. والوسيلة: القربة، وكذلك الزُّلْفَة. يقال: تَوَسَّل إليَّ بكذا أي تَقَرَّب، وهو قول القُتَبِي.[٤] وقوله:[٥] وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ،[٦] أي قُرِّبَتْ.

[١٨٢ظ] وقوله عز وجل: **وجاهدوا في سبيله**، الآية، يحتمل / هذا وجهين. أحدهما جاهدوا أنفسكم في صرفها عن معاصيه إلى طاعته، وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[٧] ويحتمل أن جاهدوا مع أنفسكم وأموالكم أعداءَ الله في نُصْرَةِ دينه. ***وبالله التوفيق.***

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم**، كان الذي يمنعهم عن الإسلام والإيمان بالله وبالرسل قضاءُ شهواتهم وطلب العز والشرف بالأموال، فأخبر **لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به**، في صرف العذاب[٨] عن أنفسهم **ما تقبل منهم**، ولا ينفعهم ذلك. يَذْكُرُ هذا –والله أعلم– ليصرفوا أنفسهم عن معاصي الله والخلاف له بأدنى شيء يطلبونه[٩] من الأموال والشهوات. وأخبر أنه لو كان لهم **ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة**، ما نفعهم ذلك وما تقبل منهم. والحكمة في ذكر هذا –والله أعلم– ليعلموا أن الآخرة ليست بدارٍ تُقْبَلُ[١٠] فيها الرشا[١١] كما تُقْبَلُ[١٢] في الدنيا.

---

[١] سورة المائدة، ٥/٢٧.
[٢] سورة المائدة، ٥/٣٣.
[٣] ك – أي.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٣.
[٥] ع م – وقوله.
[٦] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠.
[٧] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[٨] ك + عن العذاب.
[٩] جميع النسخ: يطلبون.
[١٠] ن ع م: يقبل.
[١١] الرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة (*لسان العرب* لابن منظور، «رشو»).
[١٢] ن ع م: يقبل.

وقوله عز وجل: **ولهم عذاب أليم**، دل هذا على أن من العذاب ما لا ألم فيه من نحو الحبس والقيد، فأخبر أن عذاب الآخرة أليمٌ كُلُّه، ليس كعذاب الدنيا منه ما يكون أليمًا ومنه ما لا يكون.

**﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها**، الآية، يحتمل قوله عز وجل: **يريدون أن يخرجوا من النار**، أي يطلبون ويسألون الخروج منها من غير عمل الخروج نفسه. ويحتمل قوله تعالى: **يريدون أن يخرجوا من النار**، [أي يعملون عمل الخروج] ولكن يُرَدُّون ويُعادون إلى مكانهم؛ كقوله تعالى: كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا،[1] أي يجتهدون[2] في الخروج منها، [وقوله تعالى:] أُعِيدُوا فِيهَا، فيه دليل أنهم يعملون عمل الخروج ولكن يُرَدُّون ويُعادون فيها.

**﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣٨]**
**﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٩]**

وقوله: **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**، الآية، عامَّةٌ في السُرَّاق خاصَّةٌ[3] في السَّرِقة، لأنه يدخل جميع أهل الخطاب في ذلك، وإن كان يجوز أن يُدْرَأَ[4] الحدُّ عن بعض السُرَّاق[5] إذا سرقوا من محارمهم،[6] أو ممن له تأويل الملك في ماله، أو شبهةُ[7] التناول منه، لأنه إذا سرق ممن ليس له ذلك التأويل ولا تلك الشبهة قُطِعَ؛ فدل أنها عامَّةٌ[8] في السُرَّاق. وعلى هذا يخرج قول ابن عباس رضي الله عنه حيث سئل عن قوله تعالى: **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**، أخاصٌ هو أم عامّ؟ فقال: لا، بل عامّ.[9] أي عامّ[10] في السُرَّاق؛ ألا ترى[11] أنه قال في خبر آخر حيث سئل عن ذلك فقال:

[1] سورة الحج، ٢٢/٢٠.
[2] ع م: أي يجهدون.
[3] جميع النسخ: خاص.
[4] ع: أن يدر.
[5] ن – خاص في السرقة لأنه يدخل جميع أهل الخطاب في ذلك وإن كان يجوز أن يدرأ الحد عن بعض السراق.
[6] جميع النسخ: عن محارمهم.
[7] ع م: أو شبه.
[8] ك: عام.
[9] *تفسير الطبري*، ٦/٢٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٧٣.
[10] ع: أي عاما.
[11] ك: ألا يرى.

ما كان من الرجال والنساء قُطِع.[1] وأما قولنا: إنه[2] خاصّ في السرقة، لأنه لا يحتمل[3] قلبُ أحدٍ قَطْعَ اليد في الشيء التافه الخسيس[4] إذا أُخِذَ منه،[5] دل أن الخطاب بذلك من الله تعالى رجع إلى سرقة دون سرقة،[6] لا إلى كل ما يقع عليه اسم السرقة.[7] وكذلك الخطاب[8] بقطع اليد رجع إلى بعض اليد[9] وهو الكف، وإن كان اسم اليد يقع من الأصابع إلى الإبط، لأن الناس مع اختلافهم اتفقوا على أن اليد لا تُقطَع من الإبط ولا من المرفق، لكنهم اختلفوا فيما دون ذلك. فعلى قول بعضهم تُقطَع الأصابعُ دون الكف. وعندنا أنه تُقطَع[10] الأصابعُ بالكف،[11] لأنه بها يُقبَض الشيء ويُؤخذ، فمخرج الخطاب بالقطع عامّ، والمراد منه رجع إلى بعض اليد دون بعض. وكذلك قوله تعالى: **فاقطعوا أيديهما**، مخرج[12] الخطاب بالقطع عامّ ليس فيه بيان من يتولى القطع، فالمراد منه رجع إلى الولاة. فهذا كله يدل على أَنْ ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد، ولا في مخرج خصوص اللفظ دليل خصوصه، بل يُعرَف ذلك كله بدليل، يقوم العموم بدليل العموم[13] والخصوص بدليل الخصوص، فهذا ينقض قول من يقول: إنه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص.[14]

فإن قيل لنا: أي شيء[15] الحكمة في إقامة الحد في السرقة على ما به تكتسب[16] السرقة وهو اليد، ولم يُقَمْ الحد في سائر الحدود فيما به كان اكتسابها من نحو القصاص والزنا وغيره؟

---

[1] أخرجه عبد بن حميد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٧٣/٣.
[2] ك ع: الها؛ م – انه.
[3] م: لأنه يحتمل.
[4] جميع النسخ + الذي.
[5] ك – منه.
[6] ع م – دون سرقة.
[7] ع م – السرقة.
[8] ن – بذلك من الله تعالى رجع إلى سرقة دون سرقة لا إلى كل ما يقع عليه اسم السرقة وكذلك الخطاب.
[9] ع م – اليد.
[10] ع: أن تقطع.
[11] ك: دون الكف.
[12] ن ع م: فمخرج.
[13] ن ع – بدليل العموم.
[14] ك ن ع + والله أعلم.
[15] ن ع م: ايش.
[16] ن ع م: يكتسب.

إنه إذا قَتَل[١] آخر لم تُقْطَعْ يده وبها كان اكتساب القتل، وكذلك[٢] الزنا لم يُقَمْ الحد على ما به كان الزنا، بل أُقِيمَ على غير ما به كان ذلك الفعل، وفي السرقة أُقِيمَ على ما به كان ذلك خاصة.

قيل -والله أعلم-: لِخَلَّتَين: إما لقصورٍ في الاستيفاء من الحق، أو لخوف الزيادة في الاستيفاء على الحق؛ لأنه إذا قَتَلَ لو قُطِعَتْ[٣] يده بقيت له النفس وقد تَلِفت نفس الآخر، فكان في ذلك قصورٌ في استيفاء الحق؛ وفي الزنا لو أُقِيم به على الذي به كان اكتساب الفعل لَخِيفَ تَلَفُ نفسه به، فكان في ذلك استيفاء الزيادة على الحق. وأما السرقة فإنه أَمْكَنَ استيفاءُ الحق مما كان به[٤] اكتسابها[٥] على غير قصورٍ يقع في الاستيفاء ولا خوفِ الزيادة في الاستيفاء، لذلك كان ما ذُكِر.[٦] ***والله أعلم.***

فإن قيل: ما الحكمة في قطع يدٍ قيمتُها أُلوفٌ بسرقة عشرةٍ، وذلك مما لا يُمَاثِلُه[٧] في الظاهر، وقد أَخْبَرَ أن لا يَجْزِي إلا مثلَها،[٨] كيف جَزَى هذا بأضعاف ذلك؟

قيل: لهذا جوابان. أحدهما أن جزاء الدنيا مِحْنَةٌ يُمْتَحَنُ بها المرء، ولله أن يَمْتَحِنَ عباده بأنواع المحن ابتداءً على غير جَعْلِ ذلك جزاءً لِكَسْبٍ[٩] يُكْتَسَب، فَمَنْ له الامتحان بأنواع المحن على غيرِ جَعْلِها جزاءً لشيءٍ[١٠] كان له الامتحان بأن يَجْعلَ ما يساوي أُلوفًا[١١] جزاءَ[١٢] فَلْسٍ،[١٣] أو حبَّة. ***وبالله العصمة والنجاة.***

والثاني أنْ ليس القطعُ في السرقة جزاءَ ما أخذ من المال، / ولكنه جزاء ما هتك من الحرمة؛ [١٨٣و]

---

[١] ع: إذا إذا قتل.
[٢] م: وكذا.
[٣] ن ع م: او قطعت.
[٤] ك: به كان.
[٥] ع: اكتسابهما.
[٦] ع: ما ذكروا.
[٧] م: لا يمايه.
[٨] يقول الله تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٠).
[٩] ن: الكسب.
[١٠] ع م: الشيء.
[١١] ن ع: الوفاء.
[١٢] ع م - جزاء.
[١٣] ع: فليس.

ألا ترى[1] أنه قال:[2] **جزاء بما كسبا**، ولم يَقُلْ: جزاءً بما أخذا[3] من الأموال، فيجوز أن يَبْلُغَ جزاءُ هَتْكِ تلك الحرمةِ قَطْعَ اليد وإنْ قَصَّرَ عِلْمُ البشر عن ذلك،[4] لأن مقادير العقوبات إنما يَعرفها[5] من يَعرف مقادير الأجرام. وليس أحدٌ من الخلائق يحتمل عِلْمُه مَبْلَغَ مقادير الأجرام، فإذا لم يحتمل عِلْمُهم[6] مَبْلَغَ مقاديرها لم يحتمل معرفةَ[7] مقادير عقوباتها، فإذا كان كذلك[8] فحَقُّ القول فيه الاتّباع والتسليم بعد العلم في الاتّباع[9] أن الله لا يجزي بالسيئة إلا مثلها. *وبالله التوفيق*.

ثم الكلام في قطع اليُمْنَى ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فاقطعوا أيمانهما.[10] وعن علي رضي الله عنه قال:[11] إذا سرق الرجل قطعت يده اليمنى.[12] وعلى ذلك اتفاق الأمة.

ثم المسألة في مقدار السرقة، وليس في الآية ذكر مقدارها. واختلف أهل العلم في ذلك. فقال بعضهم: تُقطع في ربع دينا فصاعدا. وقال أصحابنا: لا تُقطع[13] اليد إلا في عشرة دراهم فصاعدا أو دينار. وقد رُوي من الأخبار ما احتج به كل فريق منهم. رُوي عن[14] عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا.[15] وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُقطع[16] يدُ السارق في ربع دينار فصاعدا».[17] وعروة بن الزبير يقول:

---

[1] ك: ألا يرى.
[2] م – قال.
[3] ع: بما أخذ.
[4] ع م: على ذلك.
[5] جميع النسخ: إنما يعرف.
[6] ك: علمهم؛ ن ع م: عليهم.
[7] ع م – مقاديرها لم يحتمل معرفة.
[8] ع م – كذلك.
[9] أي في النصوص التي يجب اتباعها.
[10] *تفسير الطبري*، ٦/٢٢٨؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٣/٧٣.
[11] ع م – قال.
[12] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥/٤٩٠.
[13] ن: لا يقطع.
[14] م – عن.
[15] *صحيح مسلم*، الحدود ١؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ١٢؛ و*سنن الترمذي*، الحدود ١٦.
[16] ن: يقطع.
[17] ع – وقال أصحابنا لا تقطع اليد إلا في عشرة دراهم فصاعدا أو دينار وقد روي من الأخبار ما احتج به كل فريق منهم روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا؛ م – وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا. وللحديث انظر: *صحيح البخاري*، الحدود ١٣؛ و*صحيح مسلم*، الحدود ٢.

كانت عائشة رضي الله عنها تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تُقطع اليدُ إلا في المِجَنّ[1] أو في ثَمَنِه»، وتَزعم أن قيمة المِجَنّ أربعة دراهم.[2] فدل قول عائشة: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد إلا في ثَمَن المِجَنّ،[3] وقولُها:[4] إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد إلا في ربع دينار، أنّ ثمن المِجَنّ كان عندها ربعَ دينار، أوَلَا يكون كذلك؟ وعلى ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَطع[5] في مِجَنٍّ قيمتُه ثلاثة دراهم؛[6] في الخبر أنه قَطع في مِجَنّ، وأما التقويم فإنما هو من عند عبد الله. وعن أنس[7] بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَطع في مِجَنّ، فقيل: يا أبا حمزة، كم كانت قيمته؟ قال: وَزْنَ خمسةِ دراهم.[8] هذا يدل على أن التقويم كان من أنس، فكان[9] ذلك كتقويم ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، وليس في التقويم حجة في[10] واحد من المقوِّمين لمخالفةِ كل واحدٍ منهم صاحبَه، وإنما قَوَّمُوه من قِبَل أنفسهم. فإما إن كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ. وإما إن كان في مجن واحد في وقتين مختلفين. فإن كان في وقتين مختلفين[11] لم يكن لمخالفنا فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان على اختلاف الأوقات. وإن كان في مجنين[12] مختلفين فهو على التناسخ. فلم يظهر، فلا يُقْدَمُ على القطع بالشك.[13]

---

[1] المجن هو التُّرس (*لسان العرب* لابن منظور، «جن»).

[2] عثمان بن أبي الوليد يقول: سمعت عروة بن الزبير يقول: كانت عائشة تحدث عن نبي الله صلى الله عليه وسم أنه قال: «لا تقطع اليد إلا في المجن أو ثمنه»؛ وزعم أن عروة قال: المجن أربعة دراهم (*سنن النسائي*، قطع السارق ١٠).

[3] ع – المجن.

[4] ك ن: ان قولها؛ ع م: قولها.

[5] ك + قطع.

[6] صحيح *البخاري*، الحدود ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٦.

[7] ع م: وأنس.

[8] روي عن عبد الله بن عمر قال: قطع رسول الله صلى الله عليه وسم في مجن قيمته خمسة دراهم؛ وروي عن أنس قال: سرق رجل مجنا على عهد أبي بكر، فقُوِّمَ خمسة دراهم فقُطع (*سنن النسائي*، قطع السارق ٨).

[9] ع م: كان.

[10] ع – في.

[11] ك: مخالفين.

[12] ن + وإن كان في مجنين؛ م: في مجنيين.

[13] قال الشارح: «ولأنه لا يخلو إما أن كان في مجن واحد أو في مجان مختلفة. فإن كان في مجن واحد فإما أن كان في وقت واحد أو في وقتين مختلفين. فإن كان في وقتين فليس للمخالف فيه حجة؛ لأنه يحتلف الزيادة والنقصان باختلاف الأوقات. =

ثم الأخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال: دخلتُ على سعيد بن المسيّب فقلت له: إن أصحابك عُرْوَةَ ومحمدَ بن مُسْلِم وفلانًا[1] -رجلٌ آخر- يقولون: ثَمن المِجَنّ خمسة دراهم أو ثلاثة، فقال: أمّا هذا فقد مَضَت السنة فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرةَ دراهم.[2] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: [كان] ثَمن المِجَنّ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم.[3] وعن[4] عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يقطع اليد إلا في ثَمن المِجَنّ، وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم.[5] فلَمّا اختلف المقوّمون في قيمة المِجَنّ رجعنا إلى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال: مَضَت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة دراهم، وإن كان مرسَلاً، إذ لا معارض له. ويؤيد هذا ما روي عن نجباء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. ورُوي أن عمر أُتي بسارقٍ فأَمَر بقَطْعِه، قال عثمان رضي الله عنه: إنّ[6] سَرِقته لا تساوي عشرة دراهم، فأَمَر بها فقُوِّمَتْ ثمانيةَ دراهم[7] فلم يَقْطَعْه.[8] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

= فيحتمل أن المجن حين كان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في سرقته كانت قيمته عشرة، ثم انتقص سعره حين قومه البعض بخمسة، ثم انتقص حين قومه الآخر بثلاثة. ويحتمل على العكس أن قيمته كانت أقل، ثم زادت قيمته. فلا يمكن إيجاب القطع بما دون العشرة مع الاحتمال. ولا شك في العشرة. وإن كانت الرواية في وقت واحد كانت الروايات متعارضة؛ إذ لا يتحقق أن يكون قيمته في وقت واحد مختلفة. فيجب الأخذ بالأكثر احتيالا لدرء الحد. وأما إذا كان في مجان مختلفة فإنها تخرج على التناسخ؛ لأنه لا يتفق ظهور سرقة مجان مختلفة في وقت واحد، فيكون في أوقات مختلفة. فقطع في مجن قيمته عشرة في وقت، وقطع في سرقة مجن قيمته خمسة في وقت آخر، وقطع في مجن قيمته ثلاثة في وقت آخر. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقطع السارق إلا في المجن أو ثمنه". والمراد مجن واحد. فإن كان الأول قيمته عشرة صار منسوخا بالآخر الذي يكون قيمته أقل، وإن كان على العكس ولا يدرى التاريخ يجب اعتبار الأكثر حتى لا يؤدي إلى إيجاب القطع مع الشك. ولو تصور في وقت واحد لا يكون حجة لما قلنا في الأوقات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٨و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٤٥ظ).

[1] جميع النسخ: وفلان.
[2] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٧٦/٥.
[3] *سنن النسائي*، قطع السارق ١٠.
[4] ع م + ابن.
[5] *سنن أبي داود*، الحدود ١٣؛ و*سنن النسائي*، قطع السارق ١٠.
[6] ع م - إن.
[7] ع: درهم.
[8] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٧٦/٥.

لا تُقطع يدُ السارق في أقل من عشرة دراهم.[١] وعن علي رضي الله عنه قال:[٢] لا تُقطع اليد إلا في دينار أو عشرة دراهم.[٣] وروي عن عائشة قالت: لم تكن[٤] اليد تُقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشيء التافه.[٥] فأخذ أصحابنا رحمهم الله بهذه الأخبار، ولم يَرَوْا[٦] قَطْعَ اليد[٧] بدون العشرة، لأنهم مع اختلافهم اتفقوا على أن اليد تُقطع في سرقة عشرة دراهم، واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة، وهو حد، فدُرِئَ للإشكال.[٨] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **جزاء بما كسبا نكالا من الله**، الآية،[٩] يحتمل قوله: **نكالا من الله**، أي عظةً وزجرًا من الله لغيره، لأن مَن عاين آخر قُطِعَتْ يده في سرقةٍ اتَّعَظَ[١٠] به، وزجره ذلك عن الإقدام[١١] عليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح**، الآية، يحتمل **تاب من بعد ظلمه وأصلح**،[١٢] أي تاب عن الشرك وأصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حالِ شِرْكِه. **فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم**، وَعَدَ له المغفرة والرحمة إذا تاب عن الشرك وأصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال الشرك، حتى لم يؤاخَذْ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه إذا أسلم؛

---

[١] *مصنف عبد الرزاق*، ٢٣٣/١٠.

[٢] ع م – فلم يقطعه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا تقطع يد السارق في أقل من عشرة دراهم وعن علي رضي الله عنه قال.

[٣] *مصنف عبد الرزاق*، ٢٣٣/١٠.

[٤] ن: لم يكن.

[٥] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٧٧/٥.

[٦] ك ن ع: ولم يرو.

[٧] ك: القطع.

[٨] ن: لاشكال. لعله يشير إلى الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة» (*سنن الترمذي*، الحدود ٢). وفي إسناده يزيد بن زياد الدمشقي وهو ضعيف. وروي موقوفا وهو أصح. وقد روي عن غير واحد من الصحابة أنهم قالوا ذلك. أما رواية «ادرؤا الحدود بالشبهات» فقد رواها أبو محمد بن حزم في كتاب الإيصال من حديث عمر موقوفا عليه بإسناد صحيح. انظر: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ٥٦/٤.

[٩] ك ن – الآية.

[١٠] م: اتعظت.

[١١] جميع النسخ: على الإقدام.

[١٢] ع م – يحتمل تاب من بعد ظلمه وأصلح.

ألا ترى[1] أنه قال تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[2]

والمسلم في حال الإسلام إذا ارتكب حدودا وتعاطاها[3] ثم تاب أُخِذ بها لوجهين.

[١٨٣ظ] أحدهما أن الكافر لو أُخِذ بعد ما أسلم بما / كان ارتكب في حال الكفر وتعاطاه فذلك يمنعه عن الإسلام ويزجره، فإذا كان كذلك فكان في إقامة ذلك والأخذ بها من الفساد أكثرُ من الصلاح. وأما المسلم إذا لم يؤخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يدخل في ذلك من الفساد ما يَفْحُش، وذلك أنه كلما أُريد[4] أن يقام عليه الحد تاب فسقط ذلك عنه، ثم عاد ثانيا[5] ثم ثالثا إلى[6] ما لا يتناهى، فعمل في الأرض بكل الفساد من غير أن لحِقَه ضررٌ، لذلك أُخِذ له بعد التوبة، والكافرُ لا. *والله أعلم*.

والثاني أن الكافر ما يرتكب ويتعاطى في حال الكفر إنما يرتكبه تَدَيُّنًا يَدِينُ به، فإذا رجع عن ذلك[7] الدين[8] ودان[9] بدينٍ آخر فيكون[10] ذلك حراما في دينه الذي تمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الأول تَدَيُّنًا، فيظهر ذلك منه، فلم يُقَمْ عليه لما يظهر منه تَرْكُ ما تعاطى قبل ذلك. وأما المسلم فليس يتعاطى ما يتعاطى تَدَيُّنًا[11] يَدِين به،[12] ولكنه يتعاطاه شهوةً، وذلك مما لا يظهر منه التوبة حقيقةً، لذلك اختلفا. *والله أعلم*.

وفيه دليل جواز تَأَخُّر البيان، لأنه قال تعالى: **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء**، ولا يحتمل أن يُبين له جميع شرائط السرقة التي يجب فيها القطع وَقْتَ قَرْعِ الخطاب السمعَ، فدل أنه إنما يُبين له[13] على قدر الحاجة بعد السؤال والبحث عنها. *والله أعلم*.

---

[1] ك: ألا يرى.
[2] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[3] جميع النسخ: وتعاطاه.
[4] ع م: كما أريد.
[5] ن + ثم ثانيا.
[6] ك: وإلى.
[7] ن + عن ذلك.
[8] ع م + وذلك.
[9] ع م: دان.
[10] جميع النسخ: ما يكون.
[11] ع: يديها.
[12] ع – به.
[13] ن ع م: بين له.

وكان جميع ما ذُكِر من العقوبات إنما نزل في أهل الكفر لأنهم هم الذين كانوا يتعاطَون ذلك دون المسلمين، ونزلت[١] عامة العبادات في المسلمين لأنهم هم الذي يرغبون فيها. من ذلك قوله تعالى: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،[٢] الآية. وما ذكر في ابني آدم،[٣] وقوله تعالى: **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**، الآية. وذُكِر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: نزلت في طُعْمَة بن[٤] أُبَيرِق، سَرَقَ دِرْعَ جاره فنزلت الآية. وعلى ذلك قال عامة[٥] أهل التأويل. ثم صار ذلك الحكم في المسلمين إذا ارتكبوا تلك الأجرام. وفيه دليل جواز القياس. ***والله أعلم.***

**﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**، ذكر هذا -والله أعلم- على إِثْر قوله: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا،[٦] وعلى إِثْر قوله: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،[٧] الآية، أن له ملك السماوات والأرض، وله أن يعذب من يشاء[٨] بعد التوبة وقبل[٩] التوبة، ويغفر لمن يشاء ولا يعذب بعد التوبة. وذلك أن المحارب إذا تاب قبل أن يُقْدَرَ عليه لم يُقَمْ عليه[١٠] الحد الذي وجب في حال[١١] المحاربة، والسارق إذا تاب قبل أن يُقْدَرَ عليه أُخِذَ به، أَخبرَ أن له أن يعذب من يشاء[١٢] ويغفر[١٣] لمن يشاء.[١٤] وفيه نَقْضٌ على المعتزلة، لأنهم يقولون: الصغيرة مغفورة، ليس له أن يعذب عليها،

---

[١] ك ن: ونزل؛ ع م: وترك.
[٢] سورة المائدة، ٣٣/٥.
[٣] سورة المائدة، ٢٧/٥-٣١.
[٤] ع م: ابن.
[٥] ن - قال عامة.
[٦] سورة المائدة، ٣٨/٥.
[٧] سورة المائدة، ٣٣/٥.
[٨] ك ن ع: من شاء.
[٩] م: وبما قبل.
[١٠] ع م - لم يقم عليه.
[١١] ك: في مال.
[١٢] ك ن ع: من شاء.
[١٣] ع م: يغفر.
[١٤] ك ن ع: شاء.

والكبيرة يخلد صاحبها في النار، ليس له أن يعفوَ عنها.[1] فلو كان على ما قالوا لذهب معنى التخيير[2] [الثابت] بقوله تعالى: **يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**، إذا ما عَفَا[3] عَفَا ما عليه أن يعفو، وكذلك ما عَذَّبَ عَذَّبَ ما عليه أن يعذِّب، فيذهب فائدة التخيير،[4] وقد أخبر أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

**﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[٤١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**، الآية، يحتمل وجوها. أحدها أنْ لا يحزنْك كُفرُ مَن كَفَرَ منهم، ليس على النهي عن ذلك، ولكن أن[5] لا يحملَ على نفسه بكفرهم ما يمنعه عن القيام بأمره، كقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[6] وكقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[7] ونحو ذلك من الآيات، مما يشتد به الحزن بكفرهم، لشدة رغبته في إسلامهم. ويحتمل قوله تعالى: **لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**، أي لا يحزنْك تَمَرُّدُ هؤلاء وتكذيبهم إياك، فإن الله ناصرُك ومُظفِرُك، ومظهر[8] لك عيبهم. ويحتمل: لا يحزنْك صَنِيعُ[9] هؤلاء الكَفَرَةِ وسوءُ عملهم، فإنك لا تؤاخَذُ[10] بصنيعهم، كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[11]

---

[1] ك: عنه.
[2] ك: التحير.
[3] ن: إذ ما عفا؛ ع: إذ عفى؛ م: إن عفا.
[4] ك: التخير.
[5] ع – أن.
[6] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[7] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[8] جميع النسخ: ويظهر. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٢١٨ظ.
[9] ك: صنع.
[10] ع: لا تؤاخذه.
[11] سورة النور، ٥٤/٢٤.

وكقوله[١] تعالى: لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ.[٢]

وفي قوله تعالى: **يا أيها الرسول**، دلالة [على] تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسم على غيره من الأنبياء والرسل، لأنه تعالى في جميع ما خاطب رسولَ الله صلى الله عيه وسم أنْ قال: **يا أيها الرسول**،[٣] ويَا أَيُّهَا النَّبِيُّ،[٤] ولم يخاطِب باسمه، وسائر الأنبياء عليهم السلام إنما خاطبهم بأسمائهم: يَا مُوسَى،[٥] ويَا إِبْرَاهِيمُ،[٦] ويَا نُوحُ،[٧] وجميع من خاطب منهم أو ذَكَرَ إنما ذَكَرَ بأسمائهم.

وقوله[٨] عز وجل: **من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**، قال: **قالوا آمنا بأفواههم**، ولم يقل: آمنوا بأفواههم، لِيُعلَمَ أن القول به ليس هو من شرط الإيمان، إنما الإيمان هو تصديق القلب، لكن يعبر به اللسان عن قلبه؛ ألا ترى[٩] أنه قال: **ولم تؤمن قلوبهم**، والإيمان هو التصديق في اللغة، لأن ضده التكذيب فيجب أن يكون ضد التكذيب التصديق، والتصديق[١٠] يكون بالقلب، حيث قال عز وجل: **ولم تؤمن قلوبهم**، لكن اللسان يعبر[١١] عن ضميره، فهو ترجمان القلب فيما بين الخلق. فهذا يدل أيضا على أن الإيمان ليس هو المعرفة، لأن الإيمان لو كان معرفة لكان يجب أن يكون ضده جهلا، فلما كان ضد الإيمان تكذيبا وجب أن يكون ضد التكذيب التصديق، والتصديق والإيمان[١٢] في اللغة سواء؛ ولأن المعرفة قد تقع في القلب على[١٣] غير / اكتسابٍ[١٤] فِعْلٍ رُبَّمَا، والتصديق لا يكون إلا باكتسابٍ [وهو] تَرك [١٨٤و] مُضَادَّته وهو التكذيب، لذلك قلنا: إن الإيمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق.

---

[١] ك: وقوله.
[٢] سورة المائدة، ١٠٥/٥.
[٣] انظر سوى هذه الآية: سورة المائدة، ٦٧/٥.
[٤] سورة الأنفال، ٦٤/٨، ٦٥، ٧٠؛ وسورة التوبة، ٧٣/٩.
[٥] سورة طه، ٣٦/٢٠.
[٦] سورة هود، ٧٦/١١.
[٧] سورة هود، ٤٦/١١.
[٨] ن: قوله.
[٩] ك: ألا يرى.
[١٠] ع م – والتصديق.
[١١] جميع النسخ: يعبره.
[١٢] ع: والان.
[١٣] ن – عى.
[١٤] ع: الاكتساب.

ثم اختلف في هؤلاء. قال بعضهم: هم المنافقون[1] الذين كانوا يظهرون[2] الإيمان باللسان وقلوبهم[3] كافرة. وقال آخرون: هم اليهود والمنافقون الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[4] **ومن الذين هادوا سماعون للكذب**، هذا يدل أن[5] قوله تعالى: **من الذين قالوا آمنا بأفواههم**، في المنافقين.

وقوله عز وجل: **سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك**، يحتمل: **سماعون إلى** النبي صلى الله عليه وسلم خبرَه، **سماعون لقوم آخرين لم يأتوك** خبرَه بالكذب. ومعناه -والله أعلم- أنهم كانوا يستمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرَه وما يقول لهم، ثم يأتون الذين لم يأتوا[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونهم خلافَ خبَرِه، وغيرَ ما سمعوا منه. وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: إن في التوراة كذا من الأحكام والشرائع، فإذا سمع هؤلاء منه ذلك أَتَوْا[7] أولئك الذين[8] لم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: إنه كاذب وليس في التوراة ما يقول هو، ونحو ذا. وقيل: إنهم كانوا طَلَائِعَ[9] الكَفَرَةِ وعيونًا لهم، فإذا أتى لهم منهم[10] خبر يخبرون ضَعَفَةَ أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خلافَ ما أتاهم، نحو قوله:[11] إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[12] كانوا يجبنونهم[13] لئلا يغزوهم.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ك + قال.

[2] ع: تظهرون.

[3] ع م: قلوبهم.

[4] أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ قال: هم اليهود؛ ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم﴾ قال: هم المنافقون (*الدر المنثور* لسيوطي، ٧٤/٣).

[5] م - أن.

[6] ن ع م: لم يؤتوا.

[7] ع م: اوتوا.

[8] ن - الذين.

[9] طلائع جمع طيعة، وهم القوم الذين يُبعثون ليطلعوا على أخبار العدو كالجواسيس (*لسان العرب* لابن منظور، «طلع»).

[10] ع م - منهم.

[11] م: قولهم.

[12] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.

[13] ن ع م: يخشونهم.

[14] وعبارة الشارح هكذا: «كانوا يجبنونهم كي لا يخرجوا إلى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم» (*شرح التأويلات*، ٢١٩و).

وقوله عز وجل: **يحرفون الكلم من بعد مواضعه**، يحتمل التحريف وجهين. يحتمل[١] تبديل الكتابة من الأصل، كقوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.[٢] ويحتمل تغيير المعنى في العبارة على غير تبديل الكتاب، يغيرون على السَفَلَة والذين لا يعرفون غير ما فهموا [هم] منه.

وقوله: **يقولون إن أوتيتم هذا**، يعنون بهذا ما حرفوه وغيروه. **فخذوه وإن لم تُؤتَوْه فاحذروا**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت الآية في رجل وامرأة من اليهود زَنَيَا. وكان حُكْمُ الله في التوراة في الزنا الرجم. وكانوا يرجمون الوضيع منهم[٣] إذا زنى ولا يرجمون الشريف. وكانا[٤] في شرف وموضع، وكانا قد أَحْصَنَا، فكرهت اليهود رجمهما، وفي كتابهم[٥] الرجم. وكانوا أرادوا أن يرتفع الرجم من بينهم وأن يكون[٦] حدهم الجلد. فذلك قوله تعالى: **إن أوتيتم هذا**، يعنون الجلد، **فخذوه وإن لم تُؤتَوْه فاحذروا**. فكتبوا بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوا[٧] عن ذلك فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن الزاني[٨] والزانية إذا أُحْصَنَا ما حدهما؟ وهل تجد فيهما[٩] الرجم فيما أنزل الله عليك؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهل ترضون بقضائي في ذلك؟» قالوا: نعم. فنزل جبريل عليه السلام بالرجم وقال له: إن أَبَوْا أن يأخذوا به فاسألهم[١٠] عن رجل منهم يقال له: ابن صُورِيا -وَصَفَه[١١] له- فاجعله بينك وبينهم. فقال لهم[١٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، أجد فيما أنزل الله علي أن الزانية والزاني إذا أحصنا وفجرا فإن عليهما الرجم». فتفَرَّوا عن ذلك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتعرفون رجلا شابًا صِفَتُه كذا، يقال له: ابن صُورِيا؟» قالوا: نعم.

---

[١] م – يحتمل.
[٢] سورة البقرة، ٧٩/٢.
[٣] ن – منهم.
[٤] م: وكان.
[٥] ع م: في كتابهم.
[٦] ن: أن يكون.
[٧] ع: واسألوا.
[٨] ع: عن الزنا.
[٩] ع: تجد فيما.
[١٠] ن: فسئلهم؛ ع م: فسألهم.
[١١] ن ع م: وصف.
[١٢] ع م – لهم.

قال: «فأيُّ رجلٍ هو فيكم؟» قالوا: هو[1] أعلم يهودي[2] على ظهر[3] الأرض بما أنزل الله على موسى. قال: «فَأَرْسِلُوا إليه». ففعلوا،[4] فأتاهم ابن صُورِيا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت ابن صوريا؟» قال: نعم. قال: «أنت أعلم اليهود؟» قال: كذلك يزعمون. قال: «اجعلوه بيني وبينكم». قالوا: نعم، رضينا به إذا رضيتَ. قال[5] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإني أَنْشُدُكَ بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل[6] التوراة على موسى، هل تجدون في كتابكم الذي أتاكم به موسى في التوراة[7] الرجم على من أُحصنَ؟» قال ابن صُورِيا: نعم والذي ذَكَّرتَنِي، ولولا خشيةُ أن تحرقني النار إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك.[8] ففي هذا وجوه من الدلائل. أحدها أنْ سألهم عما[9] كتموا من الأحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى لِيُظْهِرَ خيانتهم وكذبهم فيما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته، لِيَعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله، وفيه إثبات رسالته.

والثاني أنهم طلبوا منه الرخصة والتخفيف في الحد، أنهم عرفوا أنه رسول الله،[10] لكنهم كابروا في الإنكار بعد ما عرفوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقًا.

وفيه دلالة [على] جواز شهادة بعضهم على بعض، لأنه قَبِلَ شهادة ابن صُورِيا عليهم حيث شهد بالرجم.

وقال بعضهم: قوله: **يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه**، الآية، إنها نزلت في قتيلٍ[11] قُتِلَ عمدا بين قبيلتين[12] بني قُرَيْظَةَ والنَضِير، وكان القتيل من بني قريظة.

---

[1] م: وهو.
[2] ن: يهود.
[3] ك: وجه.
[4] ع: فافعلوا.
[5] ن – قال.
[6] ع: أنزلت.
[7] ك – في التوراة.
[8] روي قريبا منه عن ابن عباس وغيره من الصحابة. انظر: صحيح *مسلم*، الحدود ٢٨؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٥؛ وتفسير *الطبري*، ٦/٢٣٢-٢٣٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٧٥-٧٨.
[9] ع – عما.
[10] ع – الله.
[11] ن ع + نزلت في قتيل.
[12] ك: قبلتين، م: قتيين.

وكانت[١] بنو[٢] النضير إذا قتلوا من بني قريظة لم يعطوهم القَوَد[٣] ولكن يعطوتهم[٤] الدية، وإذا[٥] قتل بنو قريظة[٦] من بني النضير[٧] لم يرضَوْا إلا بالقَوَد، يتعززون عليهم. فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأرادوا أن يرفعوا أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم. فقال رجل من المنافقين: إن قتيلكم[٨] قُتِل عمدا، وأنا أخشى عليكم القَوَد، فإن كان محمد أمركم بالدية[٩] وقَبِل[١٠] منكم / فأعطوه، وإلا فكونوا منه[١١] على حَذَر. [١٨٤ظ] فأخبر الله[١٢] عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بما قالوا، فقال: **يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه**، يعني الدية،[١٣] **وإن لم تُؤْتَوْه فاحذروا**.[١٤] فلا ندري فيم كانت القصة. وفيه من الدلائل ما ذكرنا من إثبات الرسالة والنبوة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومن يرد الله فتنته**، قيل: من يرد الله[١٥] عذابه وإهلاكه فلن يملك أحدٌ دَفْعَ ذلك العذاب عنه. وقيل: الفتنة المحنة، أي من يرد الله أن يمتحنه[١٦] بالرجم أو القتل فلن يملك له أحدٌ دَفْعَ ذلك عنه.

وقوله: **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، قالت المعتزلة: قوله: **لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، تأويله يحتمل وجهين. يحتمل: **لم يرد الله**، أي لم يطهر الله[١٧] قلوبهم.

---

[١] ع م: وكانوا.
[٢] ك ع: بنوا.
[٣] القود: قتل النفس بالنفس، القصاص (*لسان العرب* لابن منظور، «قود»).
[٤] جميع النسخ: يعصوهم.
[٥] ع م – وإذا.
[٦] ك: بنوا قريظة؛ ع: بنو قريضة.
[٧] ع: ومن بني النضير.
[٨] ع: إن قتلكم.
[٩] ع: بالله.
[١٠] م: لقتيل.
[١١] ع م – منه.
[١٢] ع م – الله.
[١٣] م – يعني الدية.
[١٤] أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٧٩/٣.
[١٥] ن – من يرد الله.
[١٦] جميع النسخ: أن يمتحن.
[١٧] ن – الله.

والثاني **لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، بالشرك والكفر. وذلك بعيد، لأنه كيف يطهر بالكفر، وبالكفر يتنحس. لكن الوجه عندنا في قوله تعالى: **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، أي **لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، إذ علم منهم أنهم يختارون ما اختاروا ويريدون ما أرادوا، فإنما أراد ما كان عَلِمَ منهم[1] أنهم يريدون[2] ويختارون. وكذلك قوله تعالى: **ومن يرد الله فتنته**، يريد فتنةَ مَن عَلِمَ أنه يريدها ويختارها، فإنما يريد ما أراد هو ويختار. وظاهر الآية على المعتزلة، لأنه قال: **لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**، وهم يقولون: أراد أن يطهر قلوبهم،[3] وذلك ظاهر الخلاف بيّن.[4] *وبالله العصمة*.

وقوله عز وجل:[5] **لهم في الدنيا خزي**، الخزي في الدنيا يحتمل[6] القتل، ويحتمل[7] العذاب[8] والجزية؛[9] **ولهم في الآخرة عذاب عظيم**.

**﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٤٢]**

---

[1] م + يريدون ما أرادوا وإنما أراد ما كان علم منهم.
[2] ع + يريدون.
[3] ع م – وهم يقولون أراد أن يطهر قلوبهم.
[4] ع م – بين. يقول الشارح: «الآية حجة على المعتزلة، فإنهم يقولون: إن الله تعالى أراد الإيمان من كل كافر، وأراد تطهير قلوب الكفرة بأسرهم، والله تعالى يخبر أنه لم يرد أن يطهر قلوبهم. فنقول لهم: أنتم أعلم أم الله؟ وفيها دلالة إثبات الإرادة لله تعالى، فيكون حجة على المعتزلة. والوجه عندنا أن الله تعالى لم يرد أن يطهر قلوب هؤلاء الذين أخبر عنهم لما علم منهم أنهم لا يختارون الإيمان وإنما اختاروا الكفر. فإنما أراد منهم ما علم وجوده منهم، وما أراد ما علم أنه لا يوجد منهم، وهو الإيمان. وفي الجملة عندنا الكفر والإيمان تحت إرادة الله تعالى ومشيئته. فإن علم من الذات الإيمان أراد وجوده منه ليتحقق ما علم على ما علم. ثم من أنكر من المعتزلة الإرادة اعتذر وقال: معنى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾، أي لم يطهر الله قلوبهم؛ لأن المذهب عندهم أن الإرادة لله تعالى، لكن متى أضيفت الإرادة إليه مقرونة بفعل كان المراد ذلك الفعل. ومن قال بالإرادة وقال بعموم الإرادة في جميع الخيرات أوّل فقال: معنى الآية: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ بالشرك؛ لأن تطهير القلوب بالإيمان لا بالشرك. والجواب أن هذا تأويل بعيد؛ لأنه كيف يطهر قلوبهم بالكفر وبالكفر ينجس قلوبهم؟ فهذا ليس بأمر يشكل على أحد ليرد فيه البيان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢١٩ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٤٧و).
[5] ك – قوله عز وجل.
[6] ع م – يحتمل.
[7] ن ع م – ويحتمل.
[8] ن ع م: والعذاب.
[9] ع: والحزية.

وقوله عز وجل: **سماعون للكذب**، يحتمل وجهين. يحتمل **سماعون**، أي مستمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا به[١] فيَكْذِبوا عليه. ويحتمل قوله: **سماعون للكذب**، أي قابلون[٢] لما ألقي إليهم من الكذب؛ كانوا يقبلون لما ألقي إليهم من الكذب. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **أكالون للسحت**، قال بعضهم: كل حرام هو سحت. فإن كان[٣] السحت اسم[٤] كل حرام فذلك يعم كل حرام[٥] وجميع[٦] الكفرة أو أكثرهم. وقال آخرون: السحت هو الرشوة في الحكم. فإن كان السحت هذا فذلك يرجع إلى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم ويأخذون على ذلك رشوة.

وقوله عز وجل: **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التخيير؛ إذا رفعوا [أمرهم] إلى الإمام إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم[٧] ولم يحكم؛ لكنه منسوخ بقوله تعالى: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛[٨] أَمَرَ[٩] بالحكم بينهم إذا جاءوا ونَهَى أن يتبع[١٠] أهواءهم، وفي ترك الحكم بينهم اتباع هواهم. وقال: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ[١١] وَاحْذَرْهُمْ؛[١٢] قالوا: هو[١٣] منسوخ بهذه الآية. وأمكن الجمع بينهما[١٤] وهو أن قوله تعالى: **فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**، في قوم من أهل الحرب دخلوا دار الإسلام بأمان فرفعوا إلى الإمام أمرهم،

---

[١] ع م – به.
[٢] ع م: قائلون.
[٣] م: وإن كان.
[٤] ع: هم.
[٥] ك ن – كل حرام.
[٦] ك ن: جميع.
[٧] ن ع م – عنهم.
[٨] سورة المائدة، ٤٩/٥.
[٩] م: الا.
[١٠] ن: أن يقع.
[١١] ع م + أمر بالحكم بينهم إذا جاءوا أو نهى أن يتبع أهواءهم.
[١٢] سورة المائدة، ٤٩/٥.
[١٣] ن ع م – هو.
[١٤] جميع النسخ: بينهم.

فالإمام بالخيار إن شاء[١] ردهم إلى مأمنهم ونقض عليهم أمانهم[٢] و لم يحكم بينهم، وإن شاء[٣] تركهم على الأمان[٤] وحكم بينهم، فذلك معنى التخيير. *والله أعلم*. وأما قوله: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ، فذلك في أهل الذمة الراضين بحكمنا، إذا رفعوا [أمرهم] إلى الحاكم يجب أن يحكم بينهم ولا يردّ عليهم ما طلبوا منه من إجراء[٥] الحكم عليهم؛ لأنه[٦] ليس له فسخ ما أعطى لهم من العهود والمواثيق وهم قد رضوا بحكمنا. لذلك لزم الحكم بينهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن يقع الإعراض عنهم موقع الجفاء ويعدون ذلك جفاء، فأَمَّن[٧] عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام عن أن يلحقه ضرر منهم. ويحتمل قوله: **فلن يضروك شيئا**، أي ليس عليك ضرر[٨] ما هم فيه، فإنما ضرر ذلك عليهم. وهو كقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ؛[٩] وكقوله تعالى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١٠] الآية.

وقوله عز وجل: **وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط**، أي بالعدل. كقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ؛[١١] وكقوله تعالى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ،[١٢] الآية. **إن الله يحب المقسطين**، أي العادلين في الحكم.

**﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٣]**

وقوله: **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله**، يُعَجِّب نبيّه صلى الله عليه وسلم

---

[١] ك: انشاء.
[٢] ن: اماهم.
[٣] ك: وانشاء.
[٤] ع م – عى الامان.
[٥] ع: من اجزاء.
[٦] ع م: لاهم به.
[٧] ك ع م: فامنه؛ ن: فآمنه.
[٨] ك م: من ضرر.
[٩] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تَوَلَّوْا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).
[١٠] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[١١] سورة النساء، ٤/١٣٥.
[١٢] سورة النساء، ٤/٥٨.

شدة سفههم وتعنتهم[١] بتركهم الحكم بالذي صدّقوا وطلبِ الحكم[٢] بما كذّبوا؛ لأنهم صدّقوا التوراة وما فيها من الحكم وكذّبوا ما أنزل على محمد عليه أفضل الصلوات. يقول -والله أعلم- إنهم إذا لم يعملوا[٣] بالذي صدّقوا كيف يعملون[٤] بالذي كذّبوا؛ وذلك تعجيب منه إياه شدة السفه والتعنت.

وقوله عز وجل: **فيها حكم الله**، أي حكم الله الذي تنازعوا فيه وتشاجروا، رجمًا كان[٥] أو قصاصًا أو ما كان. *والله أعلم*.[٦]

وقوله عز وجل: **ثم يتولون من بعد ذلك**، يحتمل وجهين. يحتمل: **يتولون من بعد** ما تحكم بينهم عما حكمت. ويحتمل: **يتولون من بعد** ما عرفوا من الحكم عليهم بما في التوراة.

وقوله: **وما أولئك بالمؤمنين**، أخبرهم أنهم ليسوا بمؤمنين. ثم سماهم كافرين في آخر الآية [التالية] بقوله: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ؛[٧] لم يجعل درجة ثالثة. فهذا ينقض قول من يجعل درجة ثالثة بين الإيمان والكفر؛[٨] وهو قول المعتزلة.

**﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤٤]**

وقوله: **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور**؛ **هدى** من الضلالة ونور[٩] من العمى، **هدى** لمن استهدى به ونور[١٠] لمن استنار به من العمى.

وقوله: **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية على التقديم والتأخير، يقول: **يحكم بها النبيون** والربانيون والأحبار **الذين أسلموا**؛

---

[١] ك: وتعنتهم.
[٢] ن - بالذي صدقوا وطلب الحكم.
[٣] جميع النسخ: لم يعلموا.
[٤] ك: يعلمون.
[٥] م - كان.
[٦] ن - وقوله عز وجل فيها حكم الله أي حكم الله الذي تنازعوا فيه وتشاجروا رجما كان أو قصاصا أو ما كان والله أعلم.
[٧] سورة المائدة، ٥/٤٤.
[٨] د: بين الإيمان والكفر درجة ثالثة.
[٩] جميع النسخ: ونورا.
[١٠] جميع النسخ: ونورا.

إذ من الأحبار[١] من قد أسلم.[٢] أخبر أن النبيين والأحبار **الذين أسلموا** يحكمون بما في التوراة **للذين هادوا**، أي على الذين **هادوا**. **للذين** بمعنى على الذين **هادوا**. وهذا جائز في اللغة، كقوله: وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٣] أي فعليها. وقيل: **يحكم بها النبيون الذين أسلموا**، أي **أسلموا** أمرهم وأنفسهم لله وخضعوا له؛ حكموا بما[٤] فيها وإن خافوا على أنفسهم الهلاك، **للذين هادوا**، إن أطاعوا الله وقبلوا ما[٥] فيها من الحكم، فعند ذلك يحكم لهم.

[١٨٥و س١ * ثم اختلف في الأحبار[٦] والربانيين.[٧] قال بعضهم: **الربانيون**[٨] علماء اليهود، **والأحبار** علماء النصارى. وهما واحد، سموا باسمين مختلفين.* ١٨٥و س٣]

وقوله: **بما استُحْفِظوا من كتاب الله**، أي **الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله**، أي دُعُوا من كتاب الله وحفظوه؛ والاستحفاظ[٩] هو طلب الحفظ؛ أي بما جعل إليهم الحفظ. **وكانوا عليه شهداء**، أي **شهداء** على ما في التوراة من الحكم. ويحتمل **شهداء** على حكم رسول الله الذي حكم عليهم أنه كذلك في التوراة.[١٠]

---

[١] ن: من الاخبار.
[٢] ن + منهم.
[٣] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[٤] ن - بما.
[٥] ن - ما.
[٦] ع: في الاخبار.
[٧] ن ع م: والربانيون.
[٨] ن - بعضهم الربانيون؛ صح هـ.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٨٥و/سطر ١-٣.
[٩] ك - أي الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله أي دعوا من كتاب الله وحفظوه والاستحفاظ.
[١٠] ع م - وقوله وما أولئك بالمؤمنين أخبرهم أنهم ليسوا بمؤمنين ثم سماهم كافرين في آخر الآية بقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون لم يجعل درجة ثالثة فهذا ينقض قول من يجعل درجة ثالثة بين الإيمان والكفر وهو قول المعتزلة وقوله إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور هدى من الضلالة ونور من العمى هدى لمن استهدى به ونور لمن استنار به من العمى وقوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا اختلف فيه قال بعضهم الآية على التقديم والتأخير يقول يحكم بها النبيون والربانيون والأحبار الذين أسلموا إذ من الأحبار من قد أسلم أخبر أن النبيين والأحبار الذين أسلموا يحكمون بما في التوراة للذين هادوا أي على الذين هادوا للذين بمعنى على الذين هادوا وهذا جائز في اللغة كقوله وإن أسأتم فلها أي فعليها وقيل يحكم بها النبيون الذين أسلموا أي أسلموا أمرهم وأنفسهم لله وخضعوا له حكموا بما فيها وإن خافوا على أنفسهم الهلاك للذين هادوا إن أطاعوا الله وقبلوا ما فيها من الحكم فعند ذلك يحكم لهم وقوله بما استحفظوا من كتاب الله أي الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله أي دعوا من كتاب الله وحفظوه والاستحفاظ هو طلب الحفظ أي بما جعل إليهم الحفظ وكانوا عليه شهداء أي شهداء على ما في التوراة من الحكم ويحتمل شهداء على حكم رسول الله الذي حكم عليهم أنه كذلك في التوراة.

وقوله: **فلا تخشوا الناس**، فيما يحكم عليهم. / **واخشون**، أَمَّن رسوله صلى الله عليه [١٨٥و]
وسلم شرهم ونَكْيتهم، وأمر أن يخشوه، [فهو الذي] يكفيه[١] شرهم وأذاهم.*

وقيل: قوله: **فلا تخشوا الناس واخشون**، إنما خاطب علماءهم، أي **فلا تخشوا الناس**، أن تخبروهم بالحكم الذي في التوراة، **واخشون**. **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**، لهم حرج الخطاب بهذا على التأويل الثاني.

[وقوله:] **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**، هكذا من جحد الحكم بما أنزل الله ولم يره[٢] حقا فهو كافر.

**﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٥]**

ذُكر[٣] في القصة أن الآية نزلت في قتيل كان بين بني قريظة وبني النضير. إن بني النضير إذا قتلوا من بني قريظة لم يرضوا إلا بالقَوَد، والأخرى إذا قتلت أحدا منهم[٤] لم يعطوهم القود ولكن يعطونهم[٥] الدية. فنزل: **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** الآية.[٦]

وقوله عز وجل: **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين** إلى آخره،[٧] أخبر الله عز وجل أنه كان كتب على أهل التوراة أن[٨] النفس بالنفس. وقد كتب علينا[٩] أيضا قتل النفس بالنفس بقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى.[١٠] كأنه قال:

---

[١] ك: بكفية.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ١٨٥و/سطر ١-٣.
[٢] جميع النسخ: و لم ير.
[٣] ك: ودكر.
[٤] ك ع م + كانوا.
[٥] جميع النسخ: ولكن يعطوهم.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢٤٣/٦؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٨٣/٣.
[٧] ع: الى اخر.
[٨] ك ن م – أن.
[٩] م – عبينا.
[١٠] سورة البقرة، ١٧٨/٢.

كُتب عليكم القصاص في النفس بالنفس[1] كما كُتِبُ[2] كَتبتُ عليهم.[3]

وأما القصاص فيما دون النفس فإنه لم يبين في الآية التي أخبر عز وجل أنه كتب علينا القصاص في النفس. ثم يحتمل أن يكون قوله: **والعين بالعين والأنف بالأنف** إلى آخر ما ذكر [على] وجهين. يحتمل أن يكون إخبارا عما كان مكتوبا عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس؛ ألا ترى أنه قد[4] قرئ في[5] بعض القراءات بالنصب نَسَقًا على الأول.[6] ويحتمل على الابتداء على غير إخبار منه ولكن على الإيجاب ابتداء. والذي يدل على ذلك قوله: **فمن تصدق به فهو كفارة له**، لا يحتمل أن يكون هذا في الخبر؛ لأن ذلك ترغيب في العفو في الحادث من الوقت. دل أنه ليس على الإخبار ولكن على الابتداء. ألا ترى أكثر القراء[7] قرءوا بالرفع غير قوله: **النفس بالنفس**، فإنه بالنصب.

ثم ذكر **العين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن**، و لم يذكر اليد والرجل، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما لما يحتمل[8] أن يكون القصاص في اليد ظاهرا،[9] فيُستدل بوجوبه فيما هو أخفى على وجوبه فيما هو أظهر منه؛ لأن المنتفع بالبصر والأنف والسمع ليس إلا صاحبه،[10] وقد يجوز أن ينتفع غيره بيدِ آخرَ وبرجله. والثاني أن يكون وجوب القصاص في اليد في قوله: **والجروح قصاص**.

ثم تخصيص الأسنان بوجوب القصاص دون غيرها من العظام لأن الأسنان بادية ظاهرة يقع[11] عليها البصر ويُقْدَر[12] على الاقتصاص [منها]؛ وأما غيرها من العظام مما لا يقع عليها البصر

---

[1] ن – وقد كتب عينا أيضا قتل النفس بالنفس بقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى كأنه قال كتب عليكم القصاص في النفس بالنفس.

[2] ن – كنت.

[3] ك – عليهم.

[4] ن ع م – قد.

[5] ع – في.

[6] اختلف الأئمة السبعة في الرفع والنصب من قوله: ﴿أن النفس بالنفس﴾ إلى قوله: ﴿والجروح قصاص﴾. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنصب إلا في قوله: ﴿والجروح﴾. وقرأ عاصم ونافع وحمزة بنصب ذلك كله. وقرأ الكسائي: ﴿أن النفس بالنفس﴾ بالنصب وما بعد ذلك بالرفع (*كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٤٤).

[7] بل قرأ أكثرهم بالنصب. انظر الحاشية السابقة.

[8] ع م: لم يحتمل.

[9] ن ع: ظاهر.

[10] ع: لا صاحبه.

[11] ن م: ويقع.

[12] جميع النسخ: يقدر.

فلا يقدر[١] على الاقتصاص [منها] إلا بعد كسرٍ آخَرَ وقطع لحم. لذلك[٢] خصت الأسنان بالاقتصاص دون سائر العظام. *والله أعلم*.

ثم فيه دليل وجوب القصاص في العضو[٣] الذي لا منفعة فيه سوى البهاء بذهاب البهاء؛ لأنه ذكر الأنف والأذن وليس في الأنف والأذن إلا ذهاب[٤] البهاء. فأوجب في ذهاب البهاء القصاص[٥] كما أوجب في ذهاب المنفعة. وعلى هذا يخرج قولنا في[٦] وجوب الدية في ذهاب البهاء على الكمال[٧] كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال.

على [أن] أهل العلم مجمعون أن القصاص واجب بين الرجال الأحرار في العين والأنف والأذن والسن والجروح التي ليس فيها كَسْر عَظْم إذا جنى على شيء من ذلك عمدا بحديدة.[٨] وأما القصاص بين الرجال والنساء،[٩] والعبيد والأحرار فيما دون النفس فأهل العلم اختلفوا فيه. وكان أصحابنا رحمهم الله تعالى لا يرون القصاص بينهم في ذلك، ويرون القصاص في الأنفس[١٠] ويفرقون بينهما. والفرق بينهما أن جماعة لو قتلوا رجلا[١١] قُتلوا به، ولو قطع جماعة يد رجل لم تقطع أيديهم؛ فالتفاضل في الأنفس[١٢] غير معتبر به ويعتبر به[١٣] فيما دون النفس. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ذكرا كافيا.[١٤]

وقوله[١٥] عز وجل: **فمن تصدق به فهو كفارة له**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو صاحب الدم [إذا عفا يكون عفوه] **كفارة** لما كان ارتكب هو. وعلى[١٦] ذلك [ما] روي

---

[١] ك ن ع: ولا يقدر؛ م – ولا يقدر.
[٢] ع: كذلك.
[٣] ع م: في العفو.
[٤] ع م: لا ذهاب.
[٥] ن + كما اوجب في ذهاب البها القصاص.
[٦] م – في.
[٧] ع: عبى الحال.
[٨] ع: تجديده؛ م: تحديده.
[٩] ن: والقصاص.
[١٠] ع م + فأهل العسم اختلفوا فيه.
[١١] ع – قتنوا رجلا.
[١٢] ن ع م: في النفس.
[١٣] ع م – به.
[١٤] ن – ذكرا كافيا. انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[١٥] ن: قوله.
[١٦] ع: وهو عبى.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تصدّق بدمٍ فما دونه[1] كان له كفارةً مِن يومِ وُلد إلى يوم تصدّق».[2] وقال بعضهم: قوله: **فمن تصدق به فهو كفارة له**، يعني **كفارة** للقاتل إذا عفا الولي؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[3] وعن مجاهد: هو كفارة للجارح،[4] وأجر المتصدق على الله.[5] والأول كأنه أقرب وأشبه. ***والله أعلم***.

[١٨٥ظ س٣ *وفي قوله: **فمن تصدق به فهو كفارة له**، وكذلك قوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ،[6] دلالة [على] أن القصاص للعباد خاصّةً؛ حيث رغّبه في العفو عنه والترك له. وليس[7] كالحدود التي هي لله تعالى؛ لأنه لم يذكر في الحدود العفو ولا التصدق به، وذكر في القصاص والجراحات. دل [على] أن ذلك للعبد، له تركه، وسائر الحدود لله ليس لأحد

١٨٥ظ س٧] إبطاله. ***والله أعلم***.*

وقوله عز وجل: **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**، هذا إذا ترك الحكم بما أنزل الله جُحودًا منه فهو ما ذُكر [أي] كافر.[8]

**﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٦]**

**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم**؛ قوله[9] تعالى: **وقفينا**، أي أتبعنا **على آثارهم**؛ وهو من القفا.[10]

---

[1] ع: فما دون.
[2] تفسير *الطبري*، ٦/٢٦٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٩٢.
[3] روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كفارة للجارح، وأجر المتصدق على الله (*تفسير الطبري*، ٦/٢٦١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٩٣).
[4] ن ع: للخارج.
[5] *تفسير الطبري*، ٦/٢٦١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٩٣-٩٤.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتِب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمَن عُفيَ له من أخيه شيء فاتّباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٨).
[7] جميع النسخ: ليس.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ١٨٥ظ/سطر ٣-٧.
[8] وسوف يفسر المؤلف هذه الآية تفسيرا أوفى بعد قليل في تفسير الآية رقم ٤٧.
[9] ك + قوله.
[10] ع: وهو القصاء. القفا وراء العُنق، وقَفَا أي تَبِعَ، وقفّيته غيري وبغيري: أتبعْتُه إياه (*لسان العرب* لابن منظور، «قفو»).

وقوله: **على آثارهم**، يحتمل وجهين. يحتمل على آثار الرسل. ويحتمل[1] على آثار الذين أَنزل فيهم التوراة.

وقوله عز وجل: **مصدقا لما بين يديه من التوراة**، أخبر أنه كان **مصدقا لما بين يديه من التوراة**. فهذا يدل [على] أن الأنبياء عليهم السلام كان يصدق بعضهم بعضا فيما أُنزل[2] عليهم من الكتب[3] تأخر أو تقدم.[4]

وقوله: **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور**، [أي هدى] من الضلالة لمن تمسك به، **ونور** من العمى[5] لمن استنار به.[6] / **ومصدقا لما بين يديه من التوراة**، فهذا يدل [على] أن الكتب كانت مصدِّقة بعضها بعضا على بُعْدِ أوقات النزول، ويدل[7] [على] أنه[8] من عند واحدٍ نزل.[9] [١٨٥ظ]

جلَّ الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وقوله عز وجل: **وموعظة للمتقين**، يحتمل موعظة للمؤمنين؛[10] لأن المؤمن هو الذي[11] يتعظ به، وأما غير المؤمن فلا يتعظ به. ويحتمل قوله: **وموعظةً للمتقين**، الذين اتقوا[12] المعاصي كلها.*

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**، ذكر في موضع: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ،[13]

---

[1] ن: يحتمل.

[2] ن: بما انزل.

[3] ن: من الكتاب.

[4] ع م – وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه من التوراة أخبر أنه كان مصدقا لما بين يديه من التوراة فهذا يدل أن الأنبياء عليهم السلام كان يصدق بعضهم بعضا فيما أنزل عليهم من الكتب تأخر أو تقدم.

[5] ن ع م: لمن عمى.

[6] جميع النسخ: لمن استناره.

[7] جميع النسخ: يدل.

[8] ن: أن.

[9] ع م – يدل أنه من عند واحد نزل.

[10] ع م: للمتقين.

[11] ن – هو الذي.

[12] ن: القوا.

* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٨٥ظ/سطر ٣-٧.

[13] سورة المائدة، ٤٤/٥.

وفي موضع: الظَّالِمُونَ،[1] وفي موضع: **الفاسقون**؛ فأمكن أن يكون كله واحدا: أن من لم يحكم بما أنزل الله جحودا منه له واستخفافا فهو كافر ظالم فاسق. ويحتمل أن يكون ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما أنزل الله إذا ترك الحكم به جحودا منه وإنكارا، وما ذكر من الظلم والفسق ذلك في المسلمين؛ لأنه قال: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ، إلى آخر ما ذكر، ثم قال: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ -ثم قال- وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ؛[2] [أي] تركوا الحكم بما أنزل الله اتباعا لهواهم[3] لا جحودا. فقد ظلموا أنفسهم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. والفسق هو الخروج عن الأمر، كقوله تعالى: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[4] أي خرج. ثم يجيء أن يكون هذا في حال الجهل به والعلم سواء؛ لأنه إذا لم يحكم بما أنزل الله فقد وضع الشيء في غير موضعه وخرج عن أمر[5] ربه.[6] لكن هذا في القول يقبح أن يقال: هو ظالم فاسق، وهو ما يفعل إنما يفعله[7] عن جهل به. يجوز أن يقال: فِعلُه فِعلُ ظُلم[8] وفِسق؛ وأما في القول فهو قبيح لما ذكرنا.

**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه**، من الأحكام، أيَّ حُكمٍ كان فهو ما ذكرنا.[9] *والله أعلم.*

**﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق**، قوله: **بالحق**، قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع.[10]

---

[1] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[2] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[3] ن ع م: لهوائهم.
[4] سورة الكهف، ١٨/٥٠.
[5] ن ع م: عن أمره.
[6] ن ع م - ربه.
[7] جميع النسخ: إنما يفعل.
[8] ع: ظالم.
[9] أي ما ذكرنا من أن تارك الحكم به فهو كافر أو ظالم فاسق.
[10] انظر على سبيل المثال تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١١٩.

وقوله عز وجل: **مصدقا لما بين يديه**، قد ذكرناه أيضا.[1]

وقوله عز وجل: **ومهيمنا عليه**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مُؤْتَمَنًا عليه.[2] والكسائي قال:[3] المهيمن الشهيد. وقيل: الرقيب على الشيء. يقال:[4] هيمن فلان على هذا الأمر فهو مهيمن إذا كان كالحافظ له والرقيب عليه. وعن الحسن قال: **مهيمنا عليه**: مصدقا بهذه الكتب وأمينا عليها.[5] والقُتَبي قال: أمينا عليه.[6] وأبو عوسجة قال: مسلَّطا عليه. وقيل: مفسِّرا يفسر التفسير. وقال أبو بكر الكيساني:[7] قوله: **مهيمنا**، هي كلمة مأخوذة من كتبهم غير مُعَرَّبة مأخوذة من لسان العرب.[8] وفيه إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم. وتأويله: هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب، ومصدق[9] لها أنها[10] من عند الله نزلت، سِوى ما غيروا فيها وحرفوه، لِيُمَيِّز المُغَيَّر منها والمُحَرَّف مِن غير[11] المغير والمحرف.[12] قال ابن عباس رضي عنه: **ومهيمنا عليه**، يعني[13] القرآن شاهد على الكتب كلها.[14]

وقوله عز وجل: **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**، يحتمل قوله: **فاحكم بينهم بما أنزل الله**، من الرجم في الزاني الثيِّب؛ على ما ذُكر في بعض القصة أنهم رفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم، فطلبوا منه الجلد، وكان في كتبهم الرجم.[15] **ولا تتبع أهواءهم**، قولهم: إنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ

---

[1] انظر على سبيل المثال تفسير الآية رقم ٤٦ من هذه السورة.

[2] *تفسير الطبري*، ٢٦٦/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٩٥/٣.

[3] ع م – قال.

[4] جميع النسخ: قال.

[5] *تفسير الطبري*، ٢٦٧/٦.

[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٤.

[7] ع: الكسائي.

[8] *لسان العرب* لابن منظور، «همن».

[9] جميع النسخ: ومصدقا.

[10] ع م – أنها.

[11] ع – من غير.

[12] ع – والمحرف؛ م – من غير المغير والمحرف.

[13] ن ع م – يعني.

[14] *تفسير الطبري*، ٢٦٧/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٩٥/٣.

[15] صحيح مسلم، الحدود ٢٨؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٥؛ *وتفسير الطبري*، ٢٣٢/٦-٢٣٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٥/٣-٧٨.

وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا.[1] أو أن يقال: **فاحكم بينهم بما أنزل الله**، من القتل؛ لأنه ذُكر في بعض القصة أن بني[2] قريظة[3] كانوا يرون لأنفسهم فضيلة على بني النضير، وكانوا إذا قتلوا منهم أحداً[4] لم يعطوهم القود، ولكن[5] يعطونهم[6] الدية، وإذا قتلوا هم[7] أحدا منهم لم يرضوا إلا بالقَوَد.[8] فأنزل الله تعالى: **فاحكم بينهم بما أنزل الله**، وهو القتل؛ **ولا تتبع أهواءهم**، في تركهم القود وإعطائهم الدية. والله أعلم بالقصة أن كيف كانت، وليس بنا إلى معرفة القصة وماهيتها[9] حاجة بعد أن نعرف[10] ما أودع فيه وأدرج من المعاني.[11]

وقوله عز وجل: **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**؛[12] فإن قيل: كيف نهاه عن اتباع أهوائهم[13] وقد أخبر عز وجل أنه جعل[14] لكلٍ[15] شرعة ومنهاجا، وقد يجوز أن يكون ما هَوَوْا هم[16] شريعة لهم؟

قيل: يحتمل النهي عن اتباع هواهم[17] لما يجوز أن يَهْوَوْا[18] الحكم بشريعةٍ قد نُسخ الحكم بها لما اعتادوا العمل بها. فالعمل بالمعتاد من الحكم أيسر، فهَوَوْا ذلك. أو كان ما نُسخ أخفّ فيَهْوَوْن ذلك؛ فنهاه عن اتباع هواهم[19] لأنه[20] العمل بالمنسوخ،

---

[1] سورة المائدة، ٥/٤١.
[2] ك – بني.
[3] ع: قريضة.
[4] ع: أحد.
[5] ع م – ولكن.
[6] ك: يعطوهم؛ ع: ويعطونهم.
[7] ع م: وإذا قتلوهم.
[8] *تفسير الطبري*، ٦/٢٤٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٨٣.
[9] ن: ومائيتها.
[10] م: أن يعرف.
[11] ع: بالمعاني.
[12] ك ع م + الآية.
[13] ك: هواهم؛ ن: هوائهم.
[14] ع م – أنه جعل.
[15] م + جعلنا.
[16] ن ع م: ما هو وهم.
[17] ن: هوائهم.
[18] ع: أن يهوو.
[19] ن: هوائهم.
[20] م: لأن.

والعمل بالمنسوخ[1] حرام. أو أن كان هَوَوْا[2] في بعضٍ[3] على غير ما[4] شُرع وفي بعضٍ ما شُرع، فإنما نهى عن اتباع هواهم بما لم يُشرَع. *والله أعلم*.

وقوله[5] تعالى: **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**، وليس في نسخ شريعة بشريعة خروج عن الحكمة مِن عُرْفِ النسخ؛ لأن النسخ[6] بيان منتهى الحكم إلى وقت، ليس على ما فهمت اليهود من البُدُوّ والرجوع عما كان. وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مَقْنَع بحمد الله[7] تعالى ومَنِّه.[8]

وقوله: **شرعة**،[9] قال[10] ابن عباس / رضي الله عنه: الشرعة هي السبيل.[11] وهي الشريعة [١٨٦و] وجمعها شرائع، وبها سميت شرائع الإسلام؛ وكل شيء شرعت فيه فهو شريعة. وقال: المنهاج السنة.[12] وقيل: الشرعة[13] السنة، والمنهاج السبيل. يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه إلا المعاند والمكابر، فإنه يترك السلوك فيه مكابرة. يخبر عز وجل –والله أعلم– أنه لم يترك الناس حيارَى لم يبين لهم الطريق الواضح[14] [الذي] يسلكون فيه،[15] بل يبين لهم ما يتضح لهم إن لم يعاندوا، ليقطع لهم العذر والحِجاج وإن لم تكن[16] حِجاجًا [في الحقيقة]. ***وبالله التوفيق***.

---

[1] م – والعمل بالمنسوخ.
[2] ن ع م: وان كان هو.
[3] ن ع: وفي بعض.
[4] ع م: غيرها.
[5] ع: لقوله.
[6] ع م – لأن النسخ.
[7] ع: لله.
[8] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٠٦/٢.
[9] م – وقوله شرعة.
[10] م: وقال.
[11] *تفسير الطبري*، ٢٧١/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٩٦/٣. وروي عن ابن عباس من طرق عديدة: ﴿شرعة ومنهاجا﴾ أي سنة وسبيلا (*تفسير الطبري*، ٢٧١/٦).
[12] ع + الشريعة هي السبيل؛ م + والشرعة هي السبيل. *تفسير الطبري*، ٢٧١/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٩٦/٣.
[13] ع: الشريعة.
[14] ن – يتضح لكل سالك فيه إلا المعاند والمكابر فإنه يترك السلوك فيه مكابرة يخبر عز وجل والله أعلم أنه لم يترك الناس حيارى لم يبين لهم الطريق الواضح.
[15] ن – فيه.
[16] ك ن م: وإن لم يكن؛ ع: وإن يكن.

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، اختلف فيه. قيل: **لو شاء الله لجعلكم** جميعا على شريعة واحدة لا تُنسخ بشريعة أخرى، لكن نسخ شريعة[1] بشريعة أخرى لفضل امتحان؛[2] ولله أن يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء. وقيل: **لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، أي على[3] دين واحد، وهو دين الإسلام، لم يجعل كافرا ولا مشركا، ولكن امتحنكم بأديان مختلفة على ما تختارون وتؤثرون. ثم اختلف في المشيئة. قال[4] المعتزلة: هي مشيئة الجبر والقسر. وقال أصحابنا: المشيئة مشيئة الاختيار. وقد ذكرناها في غير موضع.[5]

وقوله عز وجل: **فاستبقوا الخيرات**، قيل: سابقوا يا أمة محمد الأمم كلها بالخيرات. ويحتمل قوله تعالى: **فاستبقوا الخيرات**، أي سابقوا[6] إلى ما به تستوجبون المغفرة؛ كقوله تعالى: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ.[7] وأصل قوله: **فاستبقوا الخيرات**، أي اعملوا الخيرات؛ كقوله: وَاعْمَلُوا صَالِحًا،[8] الآية.

**﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**، نهى رسول الله[9] صلى الله عليه وسلم أن يتبع أهواءهم على العلم أنه لا يتبع أهواءهم؛ والوجه فيه ما ذكرنا أن العصمة لا تمنع النهي بل تؤيد.[10] وقد ذكرنا فيما تقدم.[11] ويحتمل أن يرجع النهي إلى غيره،

[1] ع م – شريعة.
[2] أي لزيادة الامتحان.
[3] ع – على.
[4] ن: قالت.
[5] انظر على سبيل المثال تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥٣/٢.
[6] ع م – أي سابقوا.
[7] سورة الحديد، ٢١/٥٧.
[8] سورة المؤمنون، ٥١/٢٣.
[9] ك: رسوله.
[10] ع م: بل يؤيد.
[11] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.

ويراد بالنهي والأمر غير المخاطب به، على ما ذكرنا من عادة الملوك أنهم إذا خاطبوا خاطبوا[١] من هو أجل عندهم وأعظم قدرا وأرفع منزلة؛ فعلى ذلك هذا.

وقوله عز وجل: **ولا تتبع أهواءهم**، فيما غيروا وبدلوا؛ هذا يحتمل. ويحتمل: **ولا تتبع**[٢] **أهواءهم**، فيما طلبوا[٣] منك من الجلد مكان الرحم، أو الدية[٤] مكان القصاص لما رأى بنوا النضير لأنفسهم من الفضل على بني قريظة.[٥] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**، قوله: **أن يفتنوك**، أي يصدوك عن الحكم ببعض ما أنزل الله إليك. والفتنة هي المحنة. وهي تتوجه إلى وجوه، وقد ذكرنا[٦] الوجوه فيه فيما تقدم.[٧]

وقوله عز وجل: **فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**، قوله: **فإن تولوا**، فإن[٨] أعرضوا عن الحكم الذي تحكم[٩] بما أنزل الله. **فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: إنما يعذبهم الله **ببعض ذنوبهم**،[١٠] لا يعذبهم بجميع ذنوبهم. وقال آخرون: عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب، ليس هو عذابا[١١] بكل الذنوب؛ لأنه لا يدوم. وأما في الآخرة فإنهم يعذبون بجميع ذنوبهم؛ لأن عذاب الآخرة دائم فهو عذاب بجميع الذنوب، وعذاب الدنيا زائل فهو[١٢] عذاب ببعض الذنوب. *والله أعلم*.

**﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **أفحكم الجاهلية يبغون**، قال بعضهم: إن[١٣] هذا صلة قوله: يَقُولُونَ

---

[١] ع م – خاطبوا.
[٢] ع م – قدرا وأرفع منزلة فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل ولا تتبع أهواءهم فيما غيروا وبدلوا هذا يحتمل ويحتمل ولا تتبع.
[٣] ن: انما طلبوا.
[٤] ع م: والدية.
[٥] ك: بني قريضة.
[٦] ع: وقد ذكر.
[٧] انظر على سبيل المثال تفسير الآية من سورة البقرة، ١٩٣/٢.
[٨] ك ن – فإن.
[٩] م: يحكم.
[١٠] م – ذنوبهم.
[١١] جميع النسخ: عذاب.
[١٢] ع: فهذا.
[١٣] م – إن.

إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا؛[1] فقال[2] الله عز وجل:[3] **أفحكم الجاهلية يبغون**. وقال آخرون: روي عن ابن عباس رضي الله عنه يقول: فحكمهم في **الجاهلية يبغون** عندك يا محمد في القرآن، يعني بني النضير.[4]

وقوله عز وجل: **ومن أحسن من الله حكما**، أي لا أحد **أحسن من الله حكما**؛ على إقرارهم أن الله إذا حكم لا يحكم إلا بالعدل.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**؛ يحتمل قوله تعالى: لا تتخذوهم **أولياء** وجوها. يحتمل: لا تتخذوهم[5] **أولياء** في الدين؛ أي لا تدينوا بدينهم، فإنكم إذا دِنتم[6] بدينهم صرتم أولياء لهم.[7] ويحتمل: لا تتخذوهم **أولياء**[8] في النصر والمعونة؛ لأنهم إذا اتخذوهم **أولياء** في النصر والمعونة صاروا أمثالهم؛ لأنهم إذا نصروا الكفار على المسلمين وأعانوهم فقد كفروا. وهو كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ،[9] الآية؛ نهاهم أن يتخذوا أولئك موضع سرهم وخَفِيّاتهم؛ فعلى ذلك الأول.[10] *والله أعلم*.

والثالث: **لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** في المكسب[11] والدنيا؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك

---

[1] سورة المائدة، ٥/٤١.

[2] ن: وقال.

[3] ك ن – الله عز وجل.

[4] عن ابن عباس قال: كانت قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة. فكان اذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة أدى مائة وسق من تمر؛ وإذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة. فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله. فقالوا: بيننا وبينكم محمد. فأتوه فنزلت: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾. والقسط: النفس بالنفس. ثم نزلت: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ (*تفسير الطبري*، ٦/٢٤٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٨٣).

[5] جميع النسخ: لا تتخذوا.

[6] ع: ادنتم.

[7] ع: اوليائهم؛ م: اولياءهم.

[8] م – أولياء.

[9] سورة آل عمران، ٣/١١٨.

[10] ن – الأول؛ صح هـ.

[11] ك: في المكتسب؛ ن: الكتب؛ صح هـ.

لا بد من أن يميلوا إليهم ويَصْدُرُوا عن رأيهم في شيء، فذلك مما يُفَسِّقُهم ويجرح[1] شهادتهم. فهذا النهي يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة [على] أن الكفر كله ملة واحدة وإن اختلفت[2] مذاهبهم ونِحَلهم.[3] فالواجب أن يرث بعضهم بعضا كقوله تعالى: **بعضهم أولياء بعض**. كما أن أهل الإسلام يرث بعضهم بعضا وإن اختلفت[4] مذاهبهم. ألا ترى أنه قال: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[5] الآية. وليس ذلك[6] بداخل في قول[7] رسول الله[8] صلى الله عليه وسلم: «لا يتوارث أهل ملتين»؛[9] لما عليه الآية أنهم كلهم ملة واحدة. ولكن أحدا منهم لا يرث المسلم ولا يرثهم المسلم[10] لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يتوارث أهل ملتين». فالإسلام[11] ملة: ملة[12] حق، والكفر ملة: ملة باطل؛ ولا نرثهم ولا يرثوننا.[13] وما روي: «لا نرث أهل الكتاب ولا يرثوننا[14] إلا أن يرث الرجل عبده[15] أو أمته، وتحل[16] لنا نساؤهم ولا تحل[17] لهم نساؤنا»؛[18] فما يرث عبده أو أمته[19] ليس بميراث، إنما هو ملك كان يملكه قبل موته، فعلى ذلك بعد موته. وروي عن النبي[20] صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ع م: ويخرج.
[2] ك: وإن اختلف.
[3] ع م – ونحلهم.
[4] ك: وإن اختلف.
[5] سورة التوبة، ٧١/٩.
[6] ع: بذلك.
[7] ع: في قوله.
[8] ع – رسول الله.
[9] *سنن أبي داود*، الفرائض ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٦.
[10] ع م – ولا يرثهم المسلم.
[11] ع: في الاسلام.
[12] م – ملة.
[13] ك: ولا يرثونا.
[14] ك: ولا يرثونا.
[15] ع: عنده.
[16] ن: ويحل.
[17] ن: ولا يحل.
[18] *المعجم الأوسط* للطبراني، ٣٧٤/٨؛ و*سنن الدارقطني*، ٧٥/٤.
[19] ع م – وتحل لنا نساؤهم ولا تحل لهم نساؤنا فما يرث عنده أو أمته.
[20] ن م: وروي عنه.

«لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم».[1]

[١٨٦ظ] / وقوله عز وجل: **ومن يتولهم منكم فإنه منهم**؛ يحتمل قوله: **ومن يتولهم منكم فإنه منهم**[2] الوجوه التي ذكرنا: الولاية في الدين والولاية في النصر والمعونة؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك صاروا منهم في حكم الدنيا والآخرة؛ أو الولاية في المكسب[3] والدنيا فيصيرون منهم في حكم الدنيا. **والله أعلم**.

فإن قيل: أليس[4] يرث المسلمُ المرتدَّ؟ وقد قال: **ومن يتولهم منكم فإنه منهم**؛ أخبر أن من تولاهم من المسلمين صار منهم، ونحن لا نرث اليهود والنصارى؛ كيف ورث من صار منهم من[5] المسلمين؟

قيل: معنى قوله: **فإنه منهم**، في الدين والكفر لا في الحكم والحقوق؛ لأن المرتد إلى النصرانية ليس بمتروك على دينه، فلم يكن من أهل تلك الملة. وإنما الملة ما يُقَارُّ[6] عليها أهلها.[7] ألا ترى[8] أن المرتد لا يرث[9] النصراني إن كانوا أقرباءه. فلو كانت النصرانية له ملة ورثه أهلها؛ لأنا نعلم أن النصارى يرث بعضهم بعضا. فلما لم يرثوه دل ذلك على أنه ليس من ملتهم، وأن حكمه في الميراث حكم الملة التي يجبر على[10] الرجوع إليها. وعلى[11] ذلك جاءت الآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. روي عن علي رضي الله عنه أنه[12] أُتِيَ برجل[13] ارتد عن الإسلام، فعرض عليه الإسلام، فأبى، فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين.[14] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كذلك.[15] وروي عن زيد بن ثابت مثله.

---

[1] صحيح *البخاري*، الفرائض ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الفرائض ١.
[2] ع م – يحتمل قوله ومن يتولهم منكم فإنه منهم.
[3] ن: والمكسب.
[4] ن: ليس.
[5] ع م – منهم من.
[6] ع: لا يقار؛ م: ما يقارن. قَارَّه أي سكن معه (*لسان العرب* لابن منظور، «قر»).
[7] ع م: على أهلها.
[8] ك: ألا يرى.
[9] ن – لا يرث.
[10] ع: يجبر عن؛ م: يخبر عن.
[11] ع + وعلى.
[12] ن – أنه.
[13] ع: رحل.
[14] *سنن سعيد بن منصور*، ١٢٣/١؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٧٩/٦.
[15] مصنف *عبد الرزاق*، ١٠٥/٦؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٧٩/٦.

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي القوم الظالمين**، قد ذكرناه فيما تقدم.[١]

**﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **فترى الذين في قلوبهم مرض**، وهم المنافقون. كقوله تعالى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ -إلى قوله- وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ؛[٢] وهو وصف المنافقين. **يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**؛ كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين خوفا منهم، وفي السر[٣] مع الكفرة؛ لأنهم كانوا أهل ريب وشك ولا دين لهم، يميلون إلى من رأوا السعة معهم والأمن. وكانوا على شك من[٤] أمر محمد صلى الله عليه وسلم وريب. **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**؛ لعل محمدا لا يُنصَر ولا يتم أمره. فأسرّوا في أنفسهم الموافقة[٥] للكفر[٦] والغِشّ للإسلام وأهله، ويظهرون الموافقة للمؤمنين لِما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعِد[٧] النصر والظفر للمؤمنين.[٨] لكن ذلك لا يتحقق عندهم، وكانوا كما قال الله عز وجل: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ،[٩] الآية. وكانوا ينظرون[١٠] النصر والظفر، فيميلون إلى حيث كان النصر والظفر، فيقولون للمؤمنين إن كان الظفر لهم: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ -فيقولون- أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.[١١]

وقوله عز وجل: **فعسى الله أن يأتيَ بالفتح**، أي[١٢] بالنصر[١٣] نصر محمد صلى الله عليه وسلم

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥٨/٢؛ وتفسير الآية من سورة آل عمران، ٨٦/٣.

[٢] ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يُخرج الله أضْغَانهم ولو نشاء لأَرَيْنَاكَهم فَلَعَرَفتَهم بِسِيمَاهم ولَتَعْرِفَنَّهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٢٩/٤٧-٣٠).

[٣] م: وفي الستر.

[٤] ع م: شك عن.

[٥] ك ن ع: المودة.

[٦] ن: للكفرة.

[٧] ك م: بعد.

[٨] ك: للمسلمين.

[٩] سورة النساء، ١٤٣/٤.

[١٠] ك: ينتصرون؛ ن ع: ينتظرون.

[١١] يقول الله تعالى: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤).

[١٢] ن + بالحق.

[١٣] ك: أو بالنصر.

والظفر له على أعدائه، وفتح البلدان والأمصار له[1] وإظهار دينه دين الإسلام. على ما روي أنه قال: «نُصرتُ بالرعب مَسيرةَ شهرين».[2] وعلى ما فتح له البلدان كلهم.

وقوله عز وجل: **أو أمرٍ من عنده**، قيل: عذاب أولئك الكفرة وهلاكهم[3] في الدنيا. **فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**، عند العذاب والهلاك. أو يندمون في الآخرة لما أصابهم من العذاب [مقابل] ما أسروا[4] في أنفسهم في الدنيا من[5] المودة لهم والعداوة للمؤمنين. *والله أعلم*.

وفي قوله: **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**،[6] دلالة [على] إثبات[7] رسالة[8] محمد؛ لأنه لا يحتمل أن يقولوا: **نخشى أن تصيبنا دائرة**، من حيث يسمع[9] أهل الإسلام ذلك منهم. دل ذلك لهم [على] أنه إنما عرف ذلك بالله. وكذلك بما أخبر من الوعد بالنصر له والظفر ثم كان على ما أخبره ووَعَد. دل [على] أنه خبر عن الله تعالى.

**﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **ويقول الذين آمنوا**، بعضهم لبعض لما ظهر[10] نفاق أهل النفاق وقُتلوا[11] وافتضحوا، كقوله تعالى: مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً،[12] قال المؤمنون عند ذلك:[13] **أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم**. وقد كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين

[1] ع م – له.

[2] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤. لكن الرواية المشهورة: «... مسيرة شهر» (*صحيح البخاري*، التيمم ١؛ *وصحيح مسلم*، المساجد ٣).

[3] ك: وعذابهم.

[4] ع: ما اسرو.

[5] ع – الدنيا من.

[6] ع + الاية.

[7] ع: اثبات دلالة.

[8] ن + سيدنا.

[9] ن ع م: تسمع.

[10] ك ن م: لما اظهر؛ ع: بما ظهر.

[11] جميع النسخ: قتلوا.

[12] سورة الأحزاب، ٦١/٣٣.

[13] ع: عند لك.

ويحلفون بالله[١] على ذلك، ويضمرون الخلاف لهم والعداوة والمودة للكفرة. كقوله تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا،[٢] ويَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ،[٣] ونحو ذلك. فذلك معنى قوله: **أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم.** *والله أعلم.*

وقوله: **حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين،** أي **حبطت أعمالهم** التي عملوها قبل إسرار ما أسروا في أنفسهم إذا أسروا[٤] ذلك. **فأصبحوا،** أي صاروا **خاسرين** بعد الافتضاح، حيث ذهبت منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم. ويحتمل قوله تعالى: **حبطت أعمالهم،** التي عملوا ظاهرا مراءاة للناس. وقوله: **فأصبحوا خاسرين،** أي يصيرون في الآخرة من الخاسرين؛[٥] لأنهم لم ينتفعوا بأعمالهم التي عملوها في الدنيا وفي الآخرة.[٦]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه،**[٧] إن قوله تعالى: **من يرتد منكم،** وإن كان حرف توحيد وتفريد فإن المراد منه الجماعة؛ ألا ترى[٨] أنه قال: **فسوف يأتي الله بقوم؛** دل هذا على أن المراد منه الجماعة والعصابة. ولأن[٩] الواحد والاثنين إذا ارتد عن الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل إن أبى الإسلام؛ والجماعة إذا ارتدوا عن الإسلام احتيج إلى نصب الحرب والقتال على ما نصب أبو بكر[١٠] الحرب[١١] مع أهل الردة.

---

[١] ك ن – بالله.

[٢] ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ (سورة التوبة، ٧٤/٩).

[٣] سورة التوبة، ٩٦/٩.

[٤] ع م: أسروا في.

[٥] ن – من الخاسرين.

[٦] ك ن: والآحرة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ. ع م – وقوله فأصبحوا خاسرين أي يصيرون في الآخرة من الخاسرين لأنهم لم ينتمعوا بأعمالهم التي عملوها في الدنيا وفي الآخرة.

[٧] ك ن + الآية قوله من يرتد منكم عن دينه.

[٨] ك: ألا يرى.

[٩] ن: لأن.

[١٠] ن + الصديق.

[١١] ع م – أبو بكر الحرب.

وفي الآية دلالة إمامة أبي بكر الصديق[١] رضي الله عنه؛ لأن العرب لما ارتدت[٢] عن الإسلام[٣]
[١٨٧و] بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم، وكان[٤] هو / ومن قام بحربهم ممن أحب الله وأحبه الله. وعن الحسن رضي الله عنه: **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**، قال: هم[٥] والله أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.[٦] وقوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا،[٧] يدل على إمامة أبي بكر[٨] رضي الله عنه؛ لأنه كان الداعي إلى حرب أهل الردة.

فإن قيل: يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم.

قيل له: قال الله تعالى: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا؛[٩] فمُحالٌ أن يدعوهم فيطيعوا وقد قال[١٠] الله: إنهم لن يخرجوا معه أبدا.

فإن قيل: قد يجوز أن يكون عمر رضي الله عنه هو الذي دعاهم.

قيل له: فإن كان فإمامة عمر رضي الله عنه ثابتة بدليل الآية؛ وإذا صحت إمامته صحت إمامة أبي بكر رضي الله عنهما؛ لأنه المختار له والمستخلِف.

فإن قيل: قد يجوز أن يكون علي[١١] رضي الله عنه هو الذي دعاهم إلى محاربة من حارب.

قيل له: قال الله تعالى: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ؛[١٢] وهذه صفة من يحارب من مشركي العرب الذين لا تقبل[١٣] منهم الجزية. وعلي رضي الله عنه إنما حارب أهل البغي وهم مسلمون.

---

[١] ن – الصديق.
[٢] م: لما ارتد.
[٣] ن – عن الإسلام.
[٤] ك: فكان.
[٥] جميع النسخ: هو قال.
[٦] *تفسير الطبري*، ٦/٢٨٢-٢٨٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٠٢.
[٧] سورة الفتح، ٤٨/١٦.
[٨] ن + الصديق.
[٩] سورة التوبة، ٩/٨٣.
[١٠] ن + قال.
[١١] ك ن: عليا.
[١٢] سورة الفتح، ٤٨/١٦.
[١٣] ن ع م: لا يقبل.

ولم يحارب أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهل الردة غير أبي بكر رضي الله عنه. فكانت الآية دليلا على صحة إمامته.[١]

وقوله عز وجل: **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**، قوله:[٢] **فسوف** كقوله "عسى"؛ وعَسَى[٣] من الله[٤] واجب. أخبر عز وجل أنه يأتي **بقوم يحبهم** لبذلهم أنفسهم في مجاهدة أعداء الله وتركهم في الله لومة لائم. فذلك لحبهم لله؛[٥] لأنه لا أحد[٦] يبذل نفسه للهلاك ويترك[٧] لومة لائم إلا من يحب[٨] الله. وأحبهم الله لما أثنى عليهم بقوله: **يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**. وحبهم لله لما بذلوا أنفسهم في مجاهدة أعدائه وتَرْكِهم لومة لائم.

وفيه دلالة إثبات إمامة أبي بكر[٩] رضي الله عنه؛ لأنه عز وجل أثنى عليهم بخروجهم في سبيل الله ومجاهدة أعدائه. فلو كان غاصبا ذلك على علي رضي الله عنه أو كان غير محق لذلك لم يكن الله ليثني عليه بذلك؛ لأنه كان آخذا ما ليس له أخذه ومضيعا حقا لغيره. ومن كان هذا سبيله لم يكن يستوجب كل هذا[١٠] الثناء من الله تعالى. فهذا ينقض على الروافض قولهم. وما روي: «من كنت مولاه فعلي مولاه»،[١١] وغيره من الأخبار فذلك[١٢] في الوقت الذي طلب علي رضي الله عنه الخلافة وحارب عليها؛ لأنه لا يحتمل أن يَعلم أن له الخلافة في زمن أبي بكر رضي الله عنه ويرى الحق لنفسه ثم يترك طلبها؛ لأنه كان مضيعا حق الله عليه. فدل سكوته وترك طلبه على أن الحق ليس له، ولكن كان لأبي بكر رضي الله عنه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أذلةٍ على المؤمنين**، أي للمؤمنين، أي ذَوُو رحمة[١٣] ورأفة للمؤمنين.

---

[١] ن: إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
[٢] ك ع م – قوله.
[٣] جميع النسخ: والعسى.
[٤] ع م – من الله.
[٥] م: الله.
[٦] ع: لاحد.
[٧] جميع النسخ: وترك.
[٨] جميع النسخ: لمن يحب.
[٩] ن + الصديق.
[١٠] م: هذه.
[١١] سنن *ابن ماجة* المقدمة ١١؛ وسنن *الترمذي*، المناقب ١٩. وقال الترمذي: «حسن غريب».
[١٢] جميع النسخ: ودلك.
[١٣] ن ع م: ذو رحمة.

**أعزةٍ على الكافرين**، أي شاقة شديدة على الكافرين. وهو ما وصفهم عز وجل: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[1] الآية. بذلك وصفهم عز وجل.

وقوله: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ذلك** الجهاد في سبيل الله[2] أي في طاعة الله، **فضل الله يؤتيه من يشاء**. وقيل: **ذلك** الإسلام **فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**. قد ذكرنا هذا في غير موضع.

**﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[٥٥]

وقوله عز وجل: **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**، الآية؛ قال بعض أهل التأويل: قوله تعالى: **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**، هو صلة قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[3] وكذلك[4] قوله[5] تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ،[6] هو صلة ما تقدم ذكره.[7] نَهَى المؤمنين أن يتخذوا الذين أوتوا الكتاب والذين لم يؤتوا الكتاب أولياء في غير آي من القرآن، وأخبر أن الله ورسوله هو ولي الذين آمنوا. والمؤمنون أيضا بعضهم أولياء بعض بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[8] فإذا كان الله عز وجل ورسوله والذين آمنوا أولياء لمن آمن لم ينبغ أن يتخذوا الكفار أولياء.

وذُكر في بعض القصة أن عبد الله بن سلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن اليهود أظهروا لنا العداوة من أجل إسلامنا وحلفوا أن لا يكلمونا ولا يخالطونا في شيء، ومنازلنا فيهم، وإنا لا نجد متحدَّثا دون هذا المسجد. فنزلت الآية. فقالوا: قد رضينا بالله[9] وبرسوله والمؤمنين أولياء.[10]

[1] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).
[2] ن – الله.
[3] سورة المائدة، ٥١/٥.
[4] ك – وكذلك؛ ن: كذلك.
[5] ك: وقوله.
[6] سورة المائدة، ٥٧/٥.
[7] ك – ذكره.
[8] سورة التوبة، ٧١/٩.
[9] ع – بالله.
[10] أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٥/٣.

ثم اختلف في نزوله. قال بعضهم: نزلت في شأن علي[١] رضي الله عنه، تصدّق بخاتمه وهو في[٢] الركوع. ويقولون: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو بمسكين. فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هل أعطاك أحد شيئا؟» قال: نعم يا رسول الله.[٣] قال النبي[٤] صلى الله عليه وسلم: «ماذا؟» قال: خاتمَ فضةٍ. قال: «من أعطاك؟» قال: ذلك الرجل القائم يعني عليا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «على أي حال أعطاكه؟»[٥] قال: أعطانيه وهو راكع. فكبر النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له وأثنى عليه.[٦] فاحتج الروافض بهذه الآية على تفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر رضي الله عنهما وإثبات الخلافة له دون غيره. ويقولون: نزلت في شأنه رضي الله عنه لِما روي عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: تصدق علي بن أبي طالب / رضي الله [١٨٧ط] عنه بخاتمه[٧] وهو راكع فنزل: **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.**[٨]

فيقال لهم:[٩] هب[١٠] أن الآية نزلت في شأنه، وليس فيها دلالة إثبات الخلافة له[١١] في زمن أبي بكر الصديق[١٢] رضي الله عنه، لأنا قد ذكرنا[١٣] في الآية الأولى ما يدل على إثبات[١٤] الإمامة له في الوقت الذي كان هو إماما. ونحن لا نجعل لعلي كرم الله وجهه الخلافة له في الوقت الذي لم ير لنفسه[١٥] فيه[١٦] الخلافة؛ لأنه روي عنه أنه قال: إن أبا بكر هو خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] ن + بن أبي طالب.

[٢] ع – في.

[٣] ك ن – يا رسول الله.

[٤] ن: رسول الله.

[٥] ن ع م: أعطاك.

[٦] لروايات في هذا المعنى انظر: *تفسير الطبري*، ٦/٢٨٨–٢٨٩؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٣/١٠٥–١٠٧.

[٧] ع: بخاتمة.

[٨] روي ذلك عن غير أبي جعفر. انظر المصادر السابقة. لكن روي عن عن أبي جعفر أنه سئل عن هذه الآية: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا. قيل له: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب. قال: علي من الذين آمنوا (*تفسير الطبري*، ٦/٢٨٨؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٣/١٠٦).

[٩] ك ن: فقال؛ ع: فقال لهم.

[١٠] م – هب.

[١١] ع م – له.

[١٢] ك ن – الصديق.

[١٣] ع: قد ذكر.

[١٤] ن: في إثبات.

[١٥] ع: نفسه.

[١٦] ن ع م – فيه.

أو كلام[1] نحو هذا.[2] وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو وَلَّيتم أبا بكر لوجدتموه قويا في دينه ضعيفا في بدنه، وإن وليتم عمر لوجدتموه قويا في دينه وبدنه، وإن وليتم عليا لوجدتموه هاديا مهديا مرشدا».[3] فنقول نحن -على ما كان من علي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من تسليم الخلافة[4] إلى[5] أبي بكر وتفويضهم إليه من غير منازعة ظهرت من[6] علي كرم الله وجهه في ذلك-: فلو كان الحق له في ذلك الوقت لظهرت منه المنازعة على ما ظهرت في الوقت الذي كان له. فقالوا: لأن عليا رضي الله عنه لم يكن له أنصار؛ وفي الوقت الذي ظهرت المنازعة منه والطلب كان له أنصار. قيل: لا يحتمل أن يكون الحق له فيها ثم لا يطلب لما لم يكن له[7] أنصار. ألا ترى[8] أن أبا بكر رضي الله عنه مع ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب أهل الردة؛[9] حتى لما رأوه خرج وحده حينئذ تبعوه. فأبو بكر لم يترك[10] طلب[11] الحق لعدم الأنصار مع ضعفه في بدنه؛ فعلي رضي الله عنه مع شدته وقوته[12] وفضل علمه بأمر الحرب - حتى لم يبارز أحدا[13] من الأعداء إلا غلبه[14] وأهلكه- كيف[15] توهمتم فيه ترك طلب الحق لفقد الأنصار له والأعوان في ذلك؟

---

[1] ن: وكلام.

[2] *صحيح البخاري*، فضائل أصحاب النبي ٥؛ وسنن *ابن ماجة*، المقدمة ١١؛ وسنن *أبي داود*، السنة ٧.

[3] *مسند البزار*، ٢٩٩/٧. وقال الهيثمي: «وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٧٦/٥). وعن علي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، من يُؤَمَّر بعدك؟ قال: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة؛ وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم؛ وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٨/١؛ و*مسند البزار*، ٣٣/٣). وقال الهيثمي: «رجال البزار ثقات» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٧٦/٥).

[4] جميع النسخ: الاموال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٢٤ظ.

[5] ع - إلى.

[6] ع - من.

[7] ن - له.

[8] ك: ألا يرى.

[9] ع: الرد.

[10] ن - يترك؛ صح هـ.

[11] ن: يطلب.

[12] ك ن: قوته وشدته.

[13] ع: أحد.

[14] ع: الا علبة.

[15] جميع النسخ: فكيف.

هذا لَعَمْرِي لا يُتوهم في أضعف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلا أن يُتوهم في علي رضي الله عنه. فدل ترك طلب ذلك منه على أنه تركه[1] لما رأى الحق له. **والله أعلم**.

واحتجوا بما روي عن رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أن لا نبي بعدي».[3] وهارون كان خليفة موسى. ما أنكرتم أيضا أن عليا رضي الله عنه كان خليفة رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم؟

قيل: لهذا جوابان. أحدهما أن قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» يحتمل أن يكون في الأخوة التي كان آخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5] وليس[6] في إثبات الأخوة إثبات الخلافة له.

والثاني أنه كانت[7] له الخلافة في الوقت الذي كان هو. وليس في الخبر جعل الخلافة له في الأوقات كلها. وهكذا جواب ما روي عنه: «من كنت[8] مولاه فعلي مولاه». **والله أعلم**.

ثم إن كان الحديث الذي روي عن أبي جعفر رضي الله عنه صحيحا ففي الآية معنيان. أحدهما فضيلة علي كرم الله وجهه. وقد كان كثير الفضائل مستكملا خصال الخير. والآخر أن العمل اليسير في الصلاة لا يفسدها. وقد روي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خلع[9] نعله في الصلاة،[10] وأنه مس لحيته،[11] وأنه أشار بيده،[12] وغير ذلك من العمل اليسير فَعَلَه في صلاته.

---

[1] ن ع م: ترك.

[2] ك ن: نبي الله.

[3] صحيح *البخاري*، المغازي ٧٨؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٣٠.

[4] ك: لرسول الله.

[5] عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» (*سنن الترمذي*، المناقب ١٩).

[6] ن – وليس.

[7] ع م: ان كانت.

[8] ع: من كتب.

[9] ع: جلع.

[10] عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه... (*مسند أحمد بن حنبل*، ٩٢/٣؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ٨٩).

[11] عن عمرو بن حويرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ربما مس لحيته وهو يصلي (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٨٦/٢؛ ومسند *أبي يعلى*، ٤٤/٣).

[12] عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته وهو شاكٍ. فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما. فأشار إليهم أن اجلسوا... (صحيح *البخاري*، الأذان ٥١؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٨٢).

فيقاس كل عمل يسير على ما دل عليه الخبر على جواز الصلاة.

وفيه وجه[١] آخر، وهو أن صدقة التطوع تسمى زكاة؛ لأن صدقة علي رضي الله عنه بالخاتم لم تكن[٢] صدقة مفروضة بل كانت تطوعا. فسماها الله[٣] زكاة وإن كانت تطوعا. ألا ترى[٤] أنه قال في آية أخرى: وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ؛[٥] فسماها الله[٦] زكاة وإن كانت تطوعا.[٧] كما سمى[٨] صلاة الفرض والتطوع صلاة، وصوم التطوع والفرض صياما، فعلى ذلك هذا. وظاهر الآية في جملة المؤمنين، ليس علي رضي الله عنه أولى بها من غيره. فإن كان[٩] فيه نزل فهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٥٦]**

وقوله عز وجل: **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**، ظاهر هذا لو صرف إلى أبي بكر الصديق[١٠] رضي الله عنه كان أقرب؛ لأنه كان هو الغالب على أهل الردة من أول ما وقع بينهم إلى آخره. وعلي رضي الله عنه إنما صار الأمر له في آخره[١١] حين حارب الخوارج. *والله أعلم*.

[١٨٧ظ س٣٦ * والحزب هو العون والنصر في اللغة. قال الكسائي: تقول العرب: فلان حزبي أي

١٨٧ظ س٣٦] ناصري وعوني.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٥٧]**

---

[١] ع – وجه.
[٢] ع: لم يكن.
[٣] ن – الله.
[٤] ك: ألا يرى.
[٥] سورة الروم، ٣٠/٣٩.
[٦] ك ع – الله.
[٧] ع م + ألا ترى أنه قال في آية أخرى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فسماها زكاة وإن كانت تطوعا؛ ن – ألا ترى أنه قال في آية أخرى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فسماها الله زكاة وإن كانت تطوعا.
[٨] ك: تسمى؛ ن: يسمى.
[٩] ن: فإن كانت.
[١٠] ك ن – الصديق.
[١١] م: في اخرة.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ١٨٧ظ/سطر ٣٦.

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا** إلى آخره؛ يحتمل النهي عن اتخاذ أولئك أولياء وجوها. يحتمل النهي قبل أن يتخذوا لئلا يتخذوا. ويحتمل النهي[1] بعد ما اتخذوا أولياء لا[2] في الدين ولكن في بعض المكاسب. ويحتمل أن يكون النهي للمنافقين أن لا يكونوا مع أولئك على المؤمنين. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[3]*

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٥٨]

وقوله: **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا**، يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم غاية سفههم بصنيعهم إذا نودي إلى الصلاة؛[4] لأنه ذُكر في القصة أنهم إذا سمعوا المنادي يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قالوا: حُرِق الكاذب، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين من هذه الأديان أقل حظا[5] في الدنيا والآخرة منهم، يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم / وأصحابه رضي الله عنهم. فدخلت خادمهم ليلة من الليالي بِنَارٍ[6] وهو[7] نائم [١٨٨و] وأهله نيام؛[8] فسقطت شرارة، فحرقت البيت واحترق هو وأهله.[9]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**، نفى عنهم العقل لما لم ينتفعوا بما عقلوا؛ وإلا كانوا يعقلون. وعلى ذلك يخرج قوله: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ،[10] لما لم ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا. وكذلك قوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[11] الآية؛[12]

---

[1] ع م – قبل أن يتخذوا لئلا يتخذوا ويحتمل النهي.
[2] م – لا.
[3] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٤٤؛ وتفسير الآية من سورة المائدة، ٥/٥١.
* وقعت هنا عبارة: «والحزب هو العون والنصر في اللغة قال الكسائي تقول العرب فلان حزبي أي ناصري وعون». وهي متعلقة بتفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ١٨٧ظ/سطر ٣٦.
[4] ك: للصلاة.
[5] ع: خطاء.
[6] ع: دينار.
[7] أي الرجل اليهودي الذي قال ذلك.
[8] م – وأهله نيام.
[9] روي عن السدي أنه قال: كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمد رسول الله قال: أحرق الله الكاذب. فدخل خادمه ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام. فسقطت شرارة فأحرقت البيت، واحترق هو وأهله (*تفسير الطبري*، ٦/٢٩١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٠٨).
[10] سورة الملك، ٦٧/١٠.
[11] سورة البقرة، ٢/١٨.
[12] ع م – وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير لما لم ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا وكذلك قوله صم بكم عمي الآية.

إنا نعلم أنهم كانوا يبصرون ويسمعون، لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان كمن ليس له ذلك في الأصل.[١] *والله أعلم*.

ويحتمل وجها[٢] آخر. وهو أن شدة بغضهم وحسدهم لنبينا[٣] محمد[٤] صلى الله عليه وسلم تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به، وتحول بينهم وبين معرفة ذلك، فكانوا[٥] كمن ليس لهم ذلك رأسا.

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا**، الآية، قيل: **هل تنقمون منا**، هل[٦] تطعنون علينا؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وقيل: هل[٧] تعيبون علينا. وقال أبو عوسجة: **هل تنقمون منا**، أي تنكرون منا. وهو يرجع إلى واحد. والنَّقَم هو العيب والطعن، والانتقام هو الانتصار. ومعنى[٨] **هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل**، أي كيف تطعنون علينا وتعيبون وأنتم ممن قد دعوتم إلى الإيمان بالله والإيمان[٩] بما أنزل في الكتب، وأنتم ممن قد أوتيتم الكتاب وفي كتابكم الإيمان بالله والإيمان بالكتب كلها؟ فكيف تنكرون الإيمان بذلك كله وتعيبون علينا ولا تعيبون[١٠] على أنفسكم بفسقكم وخروجكم عن أمر الله تعالى وعما أمركم كتابكم ودعاكم إليه ونهاكم عما أنتم فيه؟ **وما أنزل إلينا**، هو[١١] القرآن؛ وهو يصدق[١٢] ما[١٣] قبله من الكتب. **وما أنزل من قبل**،

---

[١] م: في أصل.
[٢] ع م: وجه.
[٣] ك – لنبينا.
[٤] ك: لمحمد.
[٥] جميع النسخ: كانوا.
[٦] ع م – هل.
[٧] ك ن ع: وهل؛ م – هل.
[٨] جميع النسخ: ومعناه.
[٩] ع م – بالله والإيمان.
[١٠] ك: ولا تعيبوا.
[١١] جميع النسخ: وهو.
[١٢] ن م: تصدق.
[١٣] م – ما.

من الكتب المتقدمة من التوراة والزبور والإنجيل؛ وهي تصدق القرآن، بعضها يصدق بعضا.[١] فكيف تنكرون الإيمان به؟

**﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه**، الآية، ذكر هذا -والله أعلم- على إثر قوله تعالى: هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ،[٢] وعلى إثر[٣] قوله: وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا،[٤] الآية؛ وذلك أنهم كانوا يستهزئون بالمؤمنين ويضحكون منهم ويطعنون في دينهم ويعيبون[٥] عليهم. فقال على إثر ذلك:[٦] **قل** يا محمد: **هل أنبئكم بشر من ذلك**، أي مما المؤمنون عليه، **مثوبة عند الله؟** قالوا: مَنْ؟ قال الله: **من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير**، الآية. فمن كان هذا وصفه فهو شر مما عليه المؤمنون. وقد كان فيهم جميع ذلك مما غضب الله عليهم ولعنهم. أي حوّل جوهرهم إلى أقبح[٧] الجواهر[٨] في الطبع[٩] وأوحشها وهي القردة والخنازير بسوء صنيعهم.

أو يكون ذلك على إثر قول ما[١٠] قالوا مما ذكر[١١] في بعض القصة: والله ما نعلم من أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة من هؤلاء، يَعنُون المؤمنين.[١٢] لأنهم كانوا يدّعون أن الدنيا والآخرة[١٣] لهم وليس لهؤلاء دنيا ولا آخرة. قال الله سبحانه وتعالى: **قل** يا محمد:

---

[١] ن – يصدق بعضا.
[٢] سورة المائدة، ٥/٥٩.
[٣] م: عى اثر.
[٤] سورة المائدة، ٥/٥٨.
[٥] ع م: ويعينون.
[٦] ك ن + أن.
[٧] ن:إلى قبح.
[٨] جميع النسخ: جواهر.
[٩] ع م – في الطبع.
[١٠] ك – ما.
[١١] جميع النسخ: ما ذكر.
[١٢] ع م: المؤمنون.
[١٣] ك ن: الآخرة والدنيا.

**هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند** الله، أي ثوابا عند الله؟[1] فقالوا: من هم؟ قال: **من لعنه الله وغضب عليه**. والملعون هو المطرود عن الخيرات. **وجعل منهم** من حوّل جوهره إلى جوهر القِرْد[2] والخنزير؛[3] وهو أقبح جوهر[4] في الطبع والعقل وأوحشه.[5] ومن **عبد الطاغوت**، يعني الشيطان. **أولئك شر مكانا**، في الدنيا لما حوّل جوهرهم إلى أقبح جوهر في الأرض من الذين لم يحوّل جوهرهم إلى ذلك؛ إذ لم يروا أحدا من المؤمنين حول[6] جوهره إلى جوهر من ذكر، وقد رأوا كثيرا[7] من أوائلهم قد حولوا من[8] جوهرهم إلى هذه الجواهر المستقبحة في الطبع المؤذية.

أو يكون على الإضمار على إثر أمر كان ونحن لم نعلم به، فنزل عند ذلك.

وعن الحسن قال: قوله تعالى: **قل هل أنبئكم بشر من ذلك**، الذين لعنهم الله[9] والذين غضب عليهم والذين عبدوا الطاغوت والذين **جعل منهم القردة والخنازير**؛ منهم من جعله[10] قردة ومنهم من أبقى على جوهره الذي[11] كان. **أولئك شر مكانا**، في الدنيا والآخرة؛ **وأضل عن سواء السبيل**، أي[12] أخطأ طريقا ودينا. والله أعلم بالقصة.

**﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾**[٦١]

وقوله عز وجل: **وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به**، قيل: إن الآية في اليهود، وقيل: إنها في المنافقين، وهي في المنافقين أشبه. ذُكر أنهم كانوا

---

[1] ع م + الآية.
[2] م: القردة.
[3] ن: والخنازير.
[4] ن: جواهر.
[5] م – وأوحشه.
[6] ع – حول.
[7] ع: راو كثير.
[8] م – من.
[9] ن – الله.
[10] ك: من جعل.
[11] ع: الذين.
[12] ن – أي.

يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون الموافقة له[١] ويخبرونه أنهم يجدون[٢] نعته وصفته في كتبهم، ويضمرون الخلاف له في السر ويهزءون به.[٣] فقال عند ذلك: **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به**؛ أخبر[٤] عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أنهم دخلوا بالكفر، لأنهم يقولون ذلك استهزاء، وعلى ذلك خرجوا. ففيه دلالة إثبات رسالة سيدنا محمد[٥] صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عما أضمروا ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالذي يعلم الغيب مع علمهم أنه لا يعلم [الغيب][٦] إلا الله. **والله أعلم بما كانوا يكتمون**، ويضمرون من الكفر والهُزء.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت**، الآية؛ يحتمل أن يكون قوله: **وترى كثيرا منهم**، من ملوكهم وعوامهم؛ **يسارعون في الإثم والعدوان**، أي في قول الكفر **والعدوان**. **والعدوان**[٧] هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم. ويسارعون أيضا في أكل[٨] **السحت**. **والسحت** قيل: هو كل محرم. وقيل: هو الرشوة في الحكم. وعن عمر رضي الله عنه / أنه قال: الرشوة هي الكفر؛ وأما **السحت** هو أن يرفع [١٨٨ظ]
حاجة أخيه إلى السلطان فيأكل عنده.[٩] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٠]

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٦٣]

ثم قال على إثر ذلك: **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**؛ عاتب الله عز وجل الربانيين والأحبار عن تركهم نهي أولئك عن صنيعهم،

---

[١] ك - له.
[٢] ع: يحمدون؛ م: يجدونه.
[٣] جميع النسخ: وهزئوا به. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[٤] م + تعالى.
[٥] ك ن: رسول الله.
[٦] من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[٧] ك ع - والعدوان.
[٨] ن: في أكلهم؛ ع: في اكلت.
[٩] أخرج ابن المنذر عن مسروق قال: قلت لعمر بن الخطاب: أرأيت الرشوة في الحكم أمن السحت هي؟ قال: لا ولكن كفرا. إنما السحت أن يكون لرجل عند السلطان جاه ومنزلة، ويكون [لآخر] إلى السلطان حاجة، فلايقضي حاجته حتى يهدي اليه هدية (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨١/٣).
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٤٢/٥.

وأشركهم في الإثم شرعا سواء؛ ليعلموا أن العامل بالإثم والمعصية والراضي به والتارك النهي عن ذلك سواء. وفيه دلالة [على] أن تارك النهي عن[1] المنكر يلحقه من الإثم ما يلحق الفاعل به. **والربانيون والأحبار** قد ذكرنا فيما تقدم.[2]

**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **وقالت اليهود يد الله مغلولة**،[3] قال الحسن: قول اليهود:[4] **يد الله مغلولة**، أي محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا؛[5] كقولهم:[6] ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.[7] وقوله عز وجل: **غلت أيديهم**، في الآخرة بالسلاسل إلى أعناقهم. وقوله عز وجل: **بل يداه مبسوطتان**، بالمغفرة والتعذيب، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.[8]

قال[9] ابن عباس رضي الله عنه: قولهم: **يد الله مغلولة**، لا[10] يعنون بذلك أن يده موثقة مغلولة حقيقةَ اليد والغَلّ؛ ولكن وصفوه بالبخل وقالوا: أمسك ما عنده بخلا منه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[11]

وقال آخرون: إن الله تبارك وتعالى قد كان بسط على اليهود[12] الرزق،[13] فكانت من أخصب الناس وأكثرهم خيرا. فلما عصوا الله في محمد عليه أفضل الصلوات وكفروا به

---

[1] م + عن.
[2] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٥/٤٤.
[3] ع م + الآية.
[4] ع م: قوله تعالى.
[5] *تفسير القرطبي*، ٦/٢٣٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٦/١٨٠.
[6] جميع النسخ: لقولهم.
[7] سورة المائدة، ٥/١٨.
[8] ن: لمن يشاء.
[9] ك ن: وقال.
[10] ع - لا.
[11] ك ع م - علوا كبيرا. *تفسير الطبري*، ٦/٣٠٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١١٣.
[12] ع: عن اليهود.
[13] ن: والرزق.

وبدلوا نعمة الله كفرا بالنعمة كفّ الله تعالى عنهم بعض الذي كان بسط عليهم من السعة في الرزق. فعند ذلك قالوا: **يد الله مغلولة**. لم يقولوا: يده مغلولة إلى عنقه، ولكن ممسكة عنهم الرزق[1] فلا يبسط[2] كما كان[3] يبسط. وهو كقوله:[4] وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ؛[5] نهى عن البخل في الإنفاق لا أنه أراد حقيقة غل[6] اليد إلى عنقه. فعلى ذلك قولهم: **يد الله مغلولة**، كناية عن البخل ووصف[7] به لا حقيقة الغل. *وبالله العصمة*.

وتأويل قوله: **غلت أيديهم**، على هذا التأويل: أي أيديهم هي الممسكة عن الإنفاق، وهم الموصوفون بالبخل والشح. **بل يداه مبسوطتان**، أي نِعَمه مبسوطة، يوسع على من يشاء ويَقْتُرُ[8] على من يشاء. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: بل يداه بَسْطَان.[9] قال الفراء: يقال: وجه مبسوط،[10] ووجه بسط.[11] ثم لا يحتمل أن يفهم من إضافة اليد إلى الله ما يفهم من الخلق، لما وجد إضافة اليد إلى من لا يحتمل أن يكون له اليد. من ذلك قوله تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ؛[12] لا يفهم من القرآن[13] اليد كما يفهم من الخلق. فعلى ذلك لا يجوز أن يفهم من إضافة اليد إلى الله تعالى كما فهم من الخلق. ألا ترى[14] أنه قال: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ،[15] وبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ؛[16] و لم يفهم[17] منه اليد نفسه.

---

[1] ع: عن الرزق.

[2] ن ع: فلا تبسط.

[3] ك: ما كان.

[4] م: وكقوله.

[5] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.

[6] ع م: عن.

[7] ن: وصف.

[8] قَتَر وأَقْتَر وقَتَّر كلها بمعنى ضَيَّق النفقة (*لسان العرب* لابن منظور، «قتر»).

[9] ع: مبسوطان. قال القرطبي: «في قراءة ابن مسعود: بل يداه بَسْطَان؛ حكاه الأخفش وقال: يقال: يد بَسْطة أي منطلقة منبسطة» (*تفسير القرطبي*، ٢٤٠/٦؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٨١/٦).

[10] ع م: مبسوطة.

[11] معاني القرآن للفراء، ٢١٥/١.

[12] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

[13] ع: القرار.

[14] ك: ألا يرى.

[15] سورة الحج، ١٠/٢٢.

[16] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.

[17] ك: فم يفهم؛ ن ع م: لم يفهم.

وكذلك قوله: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ.[1] لكن أضيف ذلك إلى اليد لما باليد يقدم ويعطي ويكسب. ألا ترى أنه قال تعالى: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛[2] ومعلوم أنه لم يفهم من اليد اليد نفسه، ولكن أضيف ذلك إليه لما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولعنوا بما قالوا**، قيل: عذبوا بما قالوا: **يد الله مغلولة**. واللعن في اللغة[3] هو الطرد. كأنه قال: طُردوا عن رحمة الله وأيسوا عنها حتى لا ينالوها[4] أبدا بقولهم الذي قالوا. وقيل: فيه إخبار أنهم يموتون على ذلك ولا يؤمنون،[5] فماتوا[6] على ذلك؛ فذلك دليل رسالته عليه الصلاة والسلام. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك**، قيل فيه بوجهين. قيل: يزيد ما أنزل الله[7] إليك من القرآن **كثيرا منهم**، يعني اليهود، **طغيانا وكفرا**. وقيل: **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك**، من البيان عما كتموا من نعته وصفته التي كانت في كتابهم وما حرفوا[8] فيه وغيروه من الأحكام؛ فذلك مما زادهم **طغيانا وكفرا**. قيل: **طغيانا**،[9] أي تماديا بالمعصية، **وكفرا**، بالقرآن. وقيل: الطغيان هو العدوان وهو المجاوزة عن الحد الذي حد.

فإن قيل: ما معنى إضافة زيادة الطغيان إلى القرآن والقرآن[10] لا يزيد طغيانا ولا كفرا؟

قيل: إضافة الأفعال إلى الأشياء تكون لوجوه ثلاثة. منها ما يضاف لحقيقة الفعل لها، ومنها ما يضاف للأحوال، ومنها ما يضاف لمكان ما به يكون الفعل. وهاهنا أضيف ذلك إلى القرآن لما كان فيهم من الطغيان والكفر لمكان[11] ما أنزل إليهم بالكفر الذي كان فيهم. وهو[12] كقوله تعالى:

---

[1] سورة آل عمران، ١٨٢/٣.
[2] سورة الحجرات، ١/٤٩.
[3] ع م – في اللغة.
[4] ع: لا ينالوا لها.
[5] ع: ولا يؤمنوا؛ م: ولا تؤمنوا.
[6] ع: بماتوا.
[7] ك ن – الله.
[8] ك + وما حرفوا.
[9] م – قيل طغيانا.
[10] ن – والقرآن.
[11] ع م: لما كان.
[12] ع – وهو.

إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ؛[١] إنهن لا يضللن أحدا في الحقيقة، ولكن لما صاروا بهن ضُلَّالًا أضيف إليهن. وكقوله[٢] تعالى: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا؛[٣] والحياة الدنيا لا تغر أحدا، ولكن لما لو كانت لها حواس لكان ما أبدت[٤] من الزينة لغرّت.

وقوله: **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**، اختلفوا[٥] فيه. قال بعضهم: **ألقينا بينهم**، بين اليهود والنصارى، أي لا يحب اليهودي نصرانيا ولا النصراني يهوديا. وقال آخرون: **بينهم**، أي بين اليهود، لأن اليهود على مذاهب مختلفة وأهواء مُتَشَتِّتَة.[٦] منهم من يقول: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ،[٧] ومنهم من[٨] يذهب مذهب التشبيه. هم[٩] على أهواء مختلفة، فبينهم عداوة وبغضاء على ما ذكر الاختلاف الواقع بينهم.

ثم معنى ما أضاف[١٠] من إلقاء العداوة بينهم إلى نفسه لا يخلو إما أن يكون له في نفس العداوة فعل،[١١] أو أن يكون في سبب العداوة. ولا يجوز / أن يكون له في فعل العداوة[١٢] [١٨٩و] صنع لأنه فعلهم؛ ولا في سبب العداوة أيضا لأن سببه الاختلاف، والاختلاف فعلهم أيضا. فإذا بطل أن يكون له في واحد من هذين صنع دل [على] أن[١٣] له ذلك من الوجه الآخر؛ وهو أَنْ خَلَقَ فعل العداوة وسبب العداوة منهم.[١٤] *وبالله التوفيق والعصمة.*

فإن قيل: ذكر هاهنا أنه تعالى ألقى **بينهم العداوة**، وذكر في آية أخرى أن بعضهم أولياء بعض بقوله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[١٥] كيف يُجمع بينهما؟

---

[١] ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا واجْنُبْنِي وبَنِيّ أن نعبد الأصنام ربّ إنهن أَضْلَلْنَ كثيرًا من الناس﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٦).

[٢] م: كقوله.

[٣] سورة الأنعام، ٦/٧٠.

[٤] ع م: ما بدت.

[٥] ك ن: اختلف.

[٦] ك: مشتتة؛ م: متشتة.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[٨] ن + يقول.

[٩] ع – هم.

[١٠] ع: اضافة.

[١١] ع م: فعله.

[١٢] ن + ولا يجوز أن يكون له في فعل العداوة.

[١٣] ع: انه.

[١٤] ع: ومنهم؛ م: منه.

[١٥] سورة المائدة، ٥/٥١.

قيل: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، في أصل الدين وهو الكفر،[١] وبينهم عداوة لاختلاف الأهواء والمذاهب. *والله أعلم.*

وفي الآية دلالة الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر أنه ألقى **بينهم العداوة والبغضاء**؛ ولو كانوا على مذهب واحد ولم يكن بيهم اختلاف وعداوة لكان ذلك عليه أشد وفي المُقام بينهم[٢] أصعب. لكن منّ عليه بالاختلاف فيما بينهم لما جعل الاختلاف والتنازع سبب الفشل؛ كقوله تعالى: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا،[٣] الآية.

وقوله عز وجل: **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله**، يحتمل وجهين. يحتمل: **كلما** أرادوا مَكْرَ رسول الله صلى الله عيه وسلم وأجمعوا أمرهم على قتله أطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك حتى لم يقدروا على مَكْرِه.[٤] والثاني **كلما** انتصبوا للحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه فرّق الله شملهم وجعلهم بحيث لا يجتمعون على ذلك. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ويسعون في الأرض فسادا**، يحتمل وجهين أيضا. يحتمل السعي بالفساد على حقيقة المشي على الأقدام؛ وهو ما كانوا يسعون في نصب الحرب مع المؤمنين والاتصال بغيرهم من الكفرة والاستعانة بهم؛ فذلك هو السعي في الأرض بالفساد. والثاني ما كتموا من نعت[٥] رسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم وصفته، وحرّفوا ما في كتبهم من أعلام نبوته وآيات رسالته، ودعوا الناس إلى غير ما نزل فيه؛ وذلك سعي في الأرض بالفساد. *وبالله التوفيق.*

وقوله عز وجل: **والله لا يحب المفسدين**، لأنه لا يحب الفساد ولا يرضى به.

**﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم**؛ عامل الله عز وجل خلقه معاملة أكرم الأكرمين، حيث وعد لهم المغفرة وتكفير ما ارتكبوا في حال الكفر، وقولَهم[٧] في الله من القبيح الوَحْش –لو آمنوا واتقوا– الذي قالوا في الله.

---

[١] ن: الكفرة.
[٢] ك: مبهم.
[٣] سورة الأنفال، ٨/٤٦.
[٤] جميع النسخ: على مكروه.
[٥] ن: من نعته.
[٦] ن – رسول الله.
[٧] ع م: قولهم.

وهو كما قال الله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١] وذلك[٢] -والله أعلم- أنه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع ما كان منه ويندم على ذلك، ويتمنى أن يكون ما كان منه في تلك الحال من الشر خيرا. فهو كقوله تعالى: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ؛[٣] لأنهم يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم، ويتمنّون أن يكون الذي كان منهم في تلك الحال خيرا لا شرا. *والله أعلم.*

**﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: **ولو أنهم** عملوا بما في **التوراة والإنجيل** وبما أنزل إليهم من القرآن **لأكلوا من** كذا مما ذكر.[٤] ويحتمل: **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل**، على ما أنزل، ورجعوا عما حرّفوا فيها وغيروه وكتموه من نعت نبينا[٥] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وما فيها من الأحكام لكان لهم ما ذكر.[٦] *والله أعلم.* وذلك أنهم كانوا يخافون الضِّيق إذا أسلموا؛ وهو[٧] قوله: وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا.[٨] فأخبر الله[٩] عز وجل أنهم لو آمنوا واتقوا الشرك لَوُسِّع عليهم العيش.

وقوله عز وجل: **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**، ليس على حقيقة الأكل، ولكن يخرج على المبالغة في الوصف والذكر؛ كما يقال: فلان من قَرْن رأسِه[١٠] إلى قدمه في نعمة؛ ليس[١١] على حقيقة ما وصف ولكن على المبالغة في الوصف بالسعة. ويحتمل أن يكون على حقيقة الأكل.

---

[١] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٢] ع م - وذلك.
[٣] سورة الفرقان، ٧٠/٢٥.
[٤] ع م - مما ذكر.
[٥] ن م - نبينا.
[٦] ك ن ع + وهو.
[٧] ع م + والله أعلم وذلك.
[٨] سورة القصص، ٥٧/٢٨.
[٩] ك - الله.
[١٠] أي من أعلى رأسه.
[١١] ع م - ليس.

أما ما يخرج **من تحت** الأرجل فهو ما يخرج من الأرض من المأكول والمشروب؛ **ومن فوقهم،** من الثمار والفواكه تحرج[١] من الأشجار. ويحتمل ما ذكر **من فوقهم:**[٢] الجبال، **ومن تحت أرجلهم:** الأرض. إخبار أن يكون لهم[٣] نُزُل الجبل والسهل جميعا.[٤] وقيل: **لأكلوا من فوقهم،** أي أرسل الله عليهم [المطر] مِدْرارا؛ **ومن تحت أرجلهم،** تخرج الأرض بركتها وتنبت لهم الثمرة. وقال قتادة: لأعطتهم الأرض نباتها[٥] والسماء بركتها.[٦] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **منهم أمة مقتصدة،** قيل فيه بوجهين. قيل: **أمة مقتصدة:** من أسلم منهم. وقيل: **منهم أمة مقتصدة،**[٧] على كتاب الله[٨] لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا شيئا ولا سعوا في الأرض بالفساد على ما عمل أكثرهم من التحريف والتغيير. ***والله أعلم.***

**﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته؛** هذا -والله أعلم-[٩] أن أهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث.[١٠] منهم من يقول: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ؛[١١] ويقول:[١٢] لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ.[١٣]

---

[١] ن ع م: يخرج.
[٢] جميع النسخ + وهو.
[٣] ع م - لهم.
[٤] أي بركة ما يزرع فيهما (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).
[٥] ك: بركتها.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٠٥/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١٥/٣.
[٧] أي مستقيمة، متوسطة بين الإفراط والتفريط (*لسان العرب* لابن منظور، «قصد»).
[٨] ع م - الله.
[٩] جميع النسخ + وذلك.
[١٠] يقول الشارح علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «طعن بعض الملحدة في هذه الآية أن قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ بمنزلة من قال لعبده: بلغ رسالتي إلى فلان، فإن لم تفعل فما سعت، أو ادخل الدار هذه، فإن لم تدخل فما دخلت؛ وهذا كلام لا فائدة فيه، فإن كل أحد يعلم أن من لم يفعل شيئا فما فعله. ولكنا نقول: تكلم أهل التأويل فيه بوجوه، وكل وجه من ذلك مفيد في نفسه. قيل: إن هذا أمر إياه بالقيام على تبليغ الرسالة بجميع ما أنزل إليه إلى جميع طبقات الكفرة في جميع الأحوال والأوقات، وذلك أن أهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٢٦ط).
[١١] سورة السبأ، ٣١/٣٤.
[١٢] ك: وقوله؛ ن ع م: وقولهم.
[١٣] سورة فصلت، ٢٦/٤١.

ومنهم من كان يخوفه[١] ويمكر به ليقتلوه كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ،[٢] الآية.[٣] ومنهم من كان يعرض[٤] عليه النساء والأموال ليترك[٥] ذلك وأن لا يدعوهم / إلى دينه الذي هو عليه. كانوا على الوجوه التي ذكرنا. فأمر الله عز [١٨٩ط] وجل أن يقوم على تبليغ رسالته وأن لا يمنعه ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله. لأن المرء قد يمتنع عن القيام بما عليه[٦] إذا خشي هلاكه، أو لطلب مودة ووُصْلَة، أو يمتنع عن القيام لما عليه[٧] إذا كُذِّب في القول[٨] ولحقه أذى لذلك. فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزل الله[٩] إليه وإن خشي على نفسه الهلاك أو التكذيب في القول والأذى، وبترك[١٠] طلب الموالاة. أي لا يمنعك شيء من ذلك عن تبليغ[١١] **ما أنزل إليك**. أو أن يكون الأمر بتبليغ الرسالة في حادث الوقت[١٢] كما بلّغت في الماضي من الوقت. أو أن يكون الأمر بتبليغ ما أنزل إليه أمرًا[١٣] بتبليغ البيان؛[١٤] أي بَلِّغْ[١٥] ما أنزل إليك من البيان كما بلّغت تنزيلا. وهو كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ؛[١٦] أخبر عز وجل أنه إنما أرسل[١٧] الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: نخوفه.
[٢] سورة الأنفال، ٨/٣٠.
[٣] ن - الآية.
[٤] ع م: تعرض.
[٥] ع: لشرك.
[٦] ع م: لما عليه.
[٧] ن ع م - إذا خشي هلاكه أو لطلب مودة ووصلة أو يمتنع عن القيام لما عليه.
[٨] م: في القوم.
[٩] ك ن - الله.
[١٠] جميع النسخ: وترك.
[١١] ع م: من تبليغ.
[١٢] ن + أن بلغ ما أنزل إليك في حادث الوقت.
[١٣] جميع النسخ: امر.
[١٤] ع م - كما بلغت في الماضي من الوقت أو أن يكون الأمر بتبليغ ما أنزل إليه أمر بتبليغ البيان.
[١٥] ع: ان بلغ؛ م: ان تبلغ.
[١٦] سورة إبراهيم، ١٤/٤.
[١٧] ع م - أرسل.

[١٨٩ظ س٢١ *ويحتمل قوله تعالى: **بلغ ما أنزل إليك من ربك**، أي **بلغ ما أنزل إليك** من الآيات والحجج والبراهين التي جعلها الله أعلاما لرسالتك وآثارا لنبوتك لتلزمهم[١] الحجة بذلك.
١٨٩ظ س٢٢] *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**، أي وإن لم تبلّغ[٢] ما أنزل إليك لما تخشى من الهلاك والمكر بك كان كَأَنْ[٣] لم تبلغ[٤] الرسالة رأسا. لم يَعْذِر[٥] نبيه صلى الله عليه وسلم في ترك تبليغ الرسالة إليهم وإن خاف على نفسه الهلاك. ليس كمن أُكره على الكفر أبيح له أن يتكلم بكلام الكفر بعد أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان إذا خاف الهلاك على نفسه. ولم يبح له[٦] ترك تبليغ الرسالة وإن خشي على نفسه الهلاك. ذلك -والله أعلم- أن تبليغ الرسالة تَعَلُّقُه[٧] باللسان دون القلب، والإيمان تَعَلُّقُه بالقلب دون اللسان. فإذا أكره على الكفر أبيح له التكلم به بعد أن يكون القلب على حاله مطمئنا بالإيمان. وأما الرسالة فلا سبيل له أن يبلغها إلا باللسان. لذلك لم يُبَحْ له تركها وإن خاف[٨] الهلاك. وهذا يدل لقولنا[٩] في المكره بالطلاق والعتاق أنه إذا تكلم به عمل لتعلقهما[١٠] باللسان دون القلب. فالإكراه لا يمنع نفاذ ما تعلق باللسان دون القلب كالرسالة التي ذكرنا. *والله أعلم*.

ويحتمل قوله تعالى: **وإن لم تفعل**، أي لم تبلغ الرسالة في حادث الوقت[١١] [تكن] كأن لم تبلغ فيما مضى؛[١٢] أو إن لم تبلغ البيان كما بلغت التنزيل، **فما بلغت** الرسالة. *والله أعلم*.

---

[١] ع م: ليلزمهم.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه خلال تفسير الآية؛ انظر: ورقة ١٨٩ظ/سطر ٢١-٢٢.
[٢] ع م: وان تبلغ.
[٣] ن ع م - كأن.
[٤] ع م: لم يبلغ.
[٥] ع م: لم يعذب.
[٦] م - له.
[٧] جميع النسخ: تعلق.
[٨] ع م: وإن خافه.
[٩] ع: كقولنا.
[١٠] ك ن: لأن تعلقهما؛ لا تعلقها.
[١١] ع م - الوقت.
[١٢] م + وإن لم تبلغ البيان فيما مضى.

وقوله عز وجل: **والله يعصمك من الناس،** فيه[١] دليل إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عز وجل أخبر أنه عصمه[٢] من الناس فكان ما قال. فدل أنه علم ذلك بالله. وكذلك في قوله تعالى: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ؛[٣] كان يقول بين ظهراني الكفرة: كِيدُونِي جَمِيعًا، ثم لم يلحقه من كيدهم شيء. دل أنه كان ذلك[٤] بالله[٥] تعالى. وعن عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرَس. فلما نزل قوله تعالى: **والله يعصمك من الناس،** قال: «انصرفوا إلى منازلكم، فإن الله عصمني من الناس»، فانصرفوا.[٦]*

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٦٨]

وقوله عز وجل: **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل،** لا يُبدأ[٧] الكلام بمثل هذا إلا عن قول أو دعوى تسبق. وليس في الآية بيان ما كان منهم. فيشبه أن يكون الذي كان منهم ما[٨] ادعوا أنهم على دين الله وعلى ولايته، وما قالوا:[٩] نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١٠] وما قالوا:[١١] لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[١٢] أو نحو ذلك من أَمَانِيِّهِم ودعاويهم التي ادعوا لأنفسهم. فقال لرسوله: **قل** لهم **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم.** قال الحسن: قوله تعالى: **حتى تقيموا التوراة والإنجيل،**

---

[١] م – فيه.
[٢] ع: اعصمه.
[٣] سورة هود، ١١/٥٥. وهذه الآية في شأن هود عليه السلام.
[٤] ع – ذلك.
[٥] ن – بالله.
[٦] *سنن الترمذي*، التفسير ٥؛ و*تفسير الطبري*، ٦/٣٠٧-٣٠٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١١٨.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآية متأخرا عن موضعه خلال تفسير الآية فنقلناها إلى موضعها؛ انظر: ورقة ١٨٩ظ/سطر ٢١-٢٢.
[٧] ن ع م: لابتداء.
[٨] ن م – ما.
[٩] ك ن ع: أو ما قالوا.
[١٠] سورة المائدة، ٥/١٨.
[١١] ك: أو ما قالوا؛ ع: أو قالوا.
[١٢] سورة البقرة، ٢/١١١.

أي **حتى تقيموا** ما حرّفتم وغيّرتم من **التوراة والإنجيل** وبدّلتم، وتَستَوُوا على ما أنزل[1] وتؤمنوا به. وقال غيره: قوله تعالى:[2] **حتى تقيموا التوراة والإنجيل**، بالشهادة والتصديق لما فيهما. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[3] **حتى تقيموا التوراة**: حتى تعملوا[4] بما في **التوراة والإنجيل** من صفة محمد ونعته ومبعثه ونبوته صلى الله عليه وسلم، وتبينوه[5] للناس ولا تكتموه.[6] وهو[7] وما ذكرنا واحد. **وما أنزل إليكم من ربكم**، من كتب أنبيائكم، [أي] وحتى تقيموا أيضا ما أنزل من الكتب كتب الرسل أجمع؛ لأن الإيمان ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض[8] لا ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة.

[١٨٩ظ س٣٤ *وقال بعضهم: **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل**، هو ما أمر الله نبيه
١٨٩ظ س٣٦] صلى الله عليه وسلم أن يبلغ ما أنزل عليه بقوله: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ.[9]*

وقوله عز وجل: **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا**، قد ذكرنا هذا.[10] وقال بعضهم: قوله: **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك**: القرآن في[11] أمر[12] الرجم والقصاص،[13] **طغيانا وكفرا**.*

وقوله عز وجل: **فلا تأس على القوم الكافرين**، أي لا تحزن على كفرهم. كقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[14] ونحو قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[15]

---

[1] بمعنى تستوون في الإيمان بجميع ما أنزل الله، ومن ذلك القرآن.
[2] ك - قوله تعالى.
[3] ع م - قال.
[4] ك ع م: حتى تعلموا.
[5] ك ن: وتبينونه.
[6] جميع النسخ: ولا تكتمونه.
[7] ن ع م - وهو.
[8] ع - والكفر ببعض.
[9] سورة المائدة، ٦٧/٥.
* وردت هذه الفقرة بعد الفقرة التالية في تفسير نفس الآية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ١٨٩ظ/سطر ٣٤-٣٦.
[10] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٦٤/٥.
[11] ع - في.
[12] م: من أمر.
[13] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٤١/٥.
* وردت هنا الفقرة السابقة متأخرة عن موضعها من تفسير نفس الآية، فنقلناها إلى هناك. انظر: ورقة ١٨٩ظ/سطر ٣٤-٣٦.
[14] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[15] سورة فاطر، ٨/٣٥.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦٩]**

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا**، قال ابن عباس رضي الله عنه: هم الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.[١] وقال بعضهم: هم الذين آمنوا ببعض الرسل لم يَتَسَمَّوا باليهودية ولا بالنصرانية. **والذين هادوا والصابئون والنصارى**، قد ذكرنا[٢] فيما تقدم من هم.[٣]

[١٩٠و] وقوله عز وجل: **من آمن بالله / واليوم الآخر**، تأويل الآية -والله أعلم- أنهم[٤] وإن اختلفت[٥] أديانهم وتفرقت مذاهبهم لو آمنوا بالله وما ذكر **فلا خوف عليهم** بما كان منهم في حال كفرهم. كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[٦] **ولا هم يحزنون**، على فوت ما أعطاهم، أي لا يفوتهم[٧] ذلك. ***والله أعلم.***

**﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٧٠]**

وقوله عز وجل: **لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل**؛ قد أخذ الله عز وجل الميثاق على جميع البشر، وخصهم به دون غيرهم من الخلائق، لما ركب فيهم ما يعرف كل به شهادة الخلقة على وحدانية ربه؛ كقوله سبحانه وتعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.[٨] ثم خص **بني إسرائيل** من البشر بفضل الميثاق لما أرسل إليهم الرسل منهم؛ وهو قوله: **وأرسلنا إليهم رسلا**. وكأنهم قد قبلوا تلك المواثيق؛ كقوله تعالى: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ،[٩] إلى آخره، وكقوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ؛[١٠] كان من الله لهم عهد ومنهم لله عهد. فأخبر أنهم إذا أوفوا بعهده يوف بعهدهم.

---

[١] لم أجده عن ابن عباس. لكن روي ذلك عن الثوري. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٠٠/٦.
[٢] ك: قد ذكر.
[٣] ع: منهم. انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٦٢/٢.
[٤] ع م - أنهم.
[٥] جميع النسخ: وإن اختلف.
[٦] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٧] ك: لا يفوتهم.
[٨] سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣.
[٩] سورة المائدة، ١٢/٥.
[١٠] سورة البقرة، ٤٠/٢.

وقوله عز وجل: **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون**؛ وفي الآية دلالة أنهم كانوا يخالفون دين الرسل بأجمعهم لما أحدثوا من اتباع هواهم؛[1] وأن الرسل وإن اختلفت أوقات مجيئهم فإنهم إنما يدعون بأجمعهم إلى دين واحد.

وقوله عز وجل: **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون**؛ منهم من كذّبهم ومنهم من قَتَل. لكن القتل إن كان فهو في الأنبياء غير الرسل، لأنه تعالى قال: إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا.[2] أخبر أنه ينصر رسله، وليس في القتل نصر. ويحتمل قوله: **وفريقا يقتلون**، أي **فريقا** قصدوا قَصْدَ قَتْلِهم. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[3]

**﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**[٧١]

وقوله عز وجل: **وحسبوا ألّا تكون فتنة**، ولم يبين ما الفتنة التي حسبوا أن لا تكون.[4] فأهل[5] التأويل اختلفوا فيها. قال قائلون: الفتنة المحنة التي فيها الشدة؛ **حسبوا ألا** يأتيهم الرسل بامتحانهم على خلاف هواهم. بل جاءتهم[6] الرسل ليمتحنوا على خلاف ما أحدثوا من هوى[7] أنفسهم. وقال بعضهم: قوله: **وحسبوا ألّا تكون فتنة**، أي هلاك وعذاب بتكذيبهم[8] الرسل وقصدهم قصد قتلهم. وقال ابن عباس رضي الله عنه: أن لا يكون شرك.[9] وقيل: **وحسبوا ألّا تكون فتنة**،[10] أي **حسبوا** أن لا يُبْتَلَوْا بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الأنبياء بالبلاء والقحط؛

---

[1] ن ع م: هوائهم.

[2] سورة المؤمن، ٤٠/٥١.

[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٨٧؛ وتفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٢١.

[4] م: لا يكون.

[5] م: قابل.

[6] ك: جاقم؛ م: جاءهم.

[7] ن ع م: من هواء.

[8] م: تكذيبهم.

[9] ن ع م: شر. *تفسير الطبري*، ٦/٣١٢. قال الطبري في تفسير الآية ٧٢: «وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض ما فتن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة. يقول تعالى ذكره: فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به فنقضوا فيه ميثاقي وغيروا عهدي الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي ولا يتخذوا ربا غيري وأن يوحدوني وينتهوا إلى طاعتي عبدي عيسى ابن مريم؛ فإني خلقته وأجريت على يده نحو الذي أجريت على يد كثير من رسلي فقالوا كفرا منهم هو الله...» (*تفسير الطبري*، ٦/٣١٣).

[10] ن – أي هلاك وعذاب بتكذيبهم الرسل وقصدهم قصد قتلهم وقال ابن عباس رضي الله عنه أن لا يكون شر وقيل وحسبوا أن لا تكون فتنة.

**فعموا** عن الهدى فلم يبصروه، **وصمّوا** عن الهدى فلم يسمعوه[1] لما لم ينتفعوا به. **ثم تاب الله عليهم**، فرفع[2] عنهم البلاء، فلم يتوبوا بعد رفع[3] البلاء. ويحتمل أن يكون قوله: **وحسبوا ألّا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا**، ما ذكره في آية أخرى، وهو قوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا -إلى قوله تعالى- ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ،[4] الآية. تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا، فذلك قوله: **فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا** الآية.

**﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**؛[5] يحتمل قوله عز وجل: **لقد كفر الذين قالوا**، أي كفروا بعيسى؛ لأن عيسى كذّبهم في قولهم:[6] إنه ابن الله، بقوله: **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم**، الآية، وبقوله: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ،[7] وبقوله: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[8] الآية. أخبر أنه عبد الله ليس هو إلها ولا ابنه. تعالى الله عن ذلك. والثاني كفروا بعلمهم؛[9] لأنهم علموا أنه ابن مريم وسموه ابن مريم ثم قالوا: هو الله أو ابن الله. فإن كان[10] ابن مريم أنّى تكون[11] له ألوهية؟ فإذا كانت أمُّه[12] لم تستحق الألوهية وهي أقدم منه

---

[1] ن ع م: فلم يسمعوا.
[2] ن ع م: فدفع.
[3] ن م: دفع.
[4] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرض مرتين ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيرا فإذا جاء وعد أُولَاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رَدَدْنَا لكم الكَرَّةَ عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة لِيَسُوءُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤-٧).
[5] ع م + الآية.
[6] ع م: في قوله.
[7] سورة آل عمران، ٣/٥١.
[8] سورة مريم، ١٩/٣٠.
[9] ن: بعمدهم.
[10] ك: فإذا كان.
[11] ن ع م: يكون.
[12] ع: امة.

كيف تكون[1] لمن بعدها؟ ولكن لسفههم قالوا ذلك. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقوله عز وجل: **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**، إذا حرم عليه الجنة صار مأواه النار.

وقد[2] سمي [عيسى عليه السلام] مسيحا. قال الحسن: سمي ذلك لأنه ممسوح بالبركات.[3] وسمي الدجال مسيحا لأنه ممسوح باللعنة.[4] وقيل: المسيح بمعنى الماسح. وذلك جائز، الفعيل بمعنى الفاعل. وهو ما كان يمسح المريض والأكمه والأبرص[5] فيبرأ، ويمسح الموتى فيحيَوْن، ومثل ذلك؛ فسمي بذلك. ***والله أعلم***. والفعيل بمعنى المفعول جائز أيضا؛ يقال: جريح ومجروح، وقتيل ومقتول. هذا كله[6] جائز في اللغة.

**﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**؛ قوله تعالى: كفروا، [أي] بعلمهم. علموا أنه الله،[7] فكيف يكون **ثالث ثلاثة** وهو الله؟[8] فإذا قالوا: هو الله، فلا يكون هناك ثان ولا ثالث.[9] وذلك تناقض في العقل. والثاني أنهم لم يروا غير الله خلق السماوات والأرض، ولا رأوا أحدا خلقهم سوى الله. كيف سموا دونه إلها ولم يخلق ما ذكرنا؟ إنما خلق[10] ذلك الله الذي لا إله غيره. وذلك قوله: **وما من إله إلا إله واحد**، أي يعلمون أنه لا إله إلا إله واحد، لكنهم يتعنتون ويكابرون في ذلك.

وقوله: **وإن لم ينتهوا عما يقولون**، عما تقدم ذكره،[11] **لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم**.

---

[1] جميع النسخ: يكون.
[2] جميع النسخ: وقيل.
[3] روي ذلك عن إبراهيم النخعي وسعيد. انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٢٧٠.
[4] ع؛ باللغة؛ م: بالعين.
[5] ع م - والأبرص.
[6] ن - كله؛ صح هـ.
[7] ن ع: أن الله؛ م: علموا بوحدانيته.
[8] م: وهو واحد.
[9] ع: لا ثالث.
[10] ع - إنما خلق.
[11] ع - عما تقدم ذكره.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه،** / عن مقالتهم الشرك. فإن فعلوا [١٩٠ط] فإن الله غفور رحيم، كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١] *وبالله العصمة.*

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **ما المسيح بن مريم إلا رسول،** في الآية دلالة [على] المحاجة[٢] مع الفريقين. كأنهم كانوا فريقين؛ أحد الفريقين كانوا[٣] ينكرون[٤] أنه رسول، والفريق الآخر يدعون له الربوبية والألوهية. فقال: إنه ابن مريم، وابن مريم لا يحتمل أن يكون إلها.[٥] والثاني أخبر أنه **رسول قد خلت من قبله الرسل،** أي **قد خلت** من قبل عيسى **رسل** مع آيات وبراهين؛ لم يقل أحد[٦] من الأمم السالفة أنهم كانوا آلهة. فكيف قلتم أنتم بأن عيسى إله[٧] وإن كان معه آيات وبراهين[٨] لرسالته؟

وقوله عز وجل: **وأمه صديقة،** قيل: مطهرة عن الأقذار[٩] كلها، صالحة. وقيل: **صديقة،** تشبه[١٠] النبيين. وذلك أن جبريل[١١] عليه السلام لما أتاها وقال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا،[١٢] صدّقته كتصديق الأنبياء والرسل الملائكة؛ وأما سائر الخلائق إنما يصدقون الملائكة بإخبار الرسل إياهم. وهي إنما صدقت جبريل[١٣] بإخباره أنه ملك وأنه رسول؛ لذلك سميت **صديقة.** *والله أعلم.*

وقيل: كل مؤمن صديق كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ.[١٤]

---

[١] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٢] م: المحاحة.
[٣] ن – فريقين أحد الفريقين كانوا.
[٤] ع م: يكفرون.
[٥] ع: لها.
[٦] ع: احدا.
[٧] ع: انه.
[٨] ن – وبراهين.
[٩] ن ع م: من الأقذار.
[١٠] ن ع: شبه.
[١١] م: جبرئل.
[١٢] سورة مريم، ١٩/١٩.
[١٣] م – جبريل.
[١٤] ع م + الآية. سورة الحديد، ١٩/٥٧.

وقوله عز وجل: **كانا يأكلان الطعام**، فيه الاحتجاج عليهم من وجهين. أحدهما أن الجوع قد كان يغلبهما ويحوجهما إلى أن يدفعا ذلك عن أنفسهما؛ ومن غلبه[1] الجوع وقهره كيف يصلح أن يكون ربا[2] إلها؟ والثاني أنهما إذا احتاجا إلى الطعام لا بد من أن يدفعهما ذلك إلى إزالة الأذى عن أنفسهما ودفعه، والقيام في أخبث الأماكن وأقبحها؛ فمن دُفع إلى ذلك لا يكون إلها. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقوله عز وجل: **انظر كيف نبين لهم الآيات**، والآيات ما ذكر[3] من وجوه المحاجة عليهم. أحدها أنه ابن مريم، ومن كان ابن آخر لا يكون إلها.

والثاني أنه رسول، وقد كان قبله رسل مع آيات وبراهين لم يدّع أحد لهم الألوهية والربوبية.

والثالث أنه كان يأكل الطعام، ومن كان تحت غلبة آخر وقهره لا يكون إلها.

والرابع[4] من أكل الطعام احتاج إلى[5] أن يدفع عن نفسه الأذى ويقوم في أخبث مكان، ومن كان هذا أمره لم يكن ربا. وليس في القرآن -والله أعلم- آية أكثر ولا أبين احتجاجا على[6] النصارى[7] ولا أقطع لقولهم[8] من هذه الآية للمعاني[9] التي وصفنا.

وقوله عز وجل: **ثم انظر أنى يؤفكون**، أي من أين يكذِّبون. قال أبو عبيدة:[10] **يؤفكون**، يصرفون ويحادون[11] عن الحق. كل من صرفته عن شيء فقد أفَكْتَه. ويقال: أُفِكت الأرض إذا صُرِف عنها القَطْر.[12] وقوله: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ.[13] وقال ابن عباس رضي الله عنه:

---

[1] ع: ومن غلبة.

[2] ع: ربما.

[3] ع + من ذكر.

[4] ع – والثاني أنه رسول وقد كان قبله رسل مع آيات وبراهين لم يدع أحد لهم الألوهية والربوبية والثالث أنه كان يأكل الطعام ومن كان تحت غلبة آخر وقهره لا يكون إلها؛ م – أنه رسول وقد كان قبله رسل مع آيات وبراهين لم يدع أحد لهم الألوهية والربوبية والثالث أنه كان يأكل الطعام ومن كان تحت غلبة آخر وقهره لا يكون إلها والرابع.

[5] ك ع – إلى.

[6] ع: احتجاجا عن.

[7] جميع النسخ + وأولئك.

[8] ع: قولهم.

[9] ع: المعاني.

[10] ك ن: أبو عبيد.

[11] ك: ويخادعون.

[12] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/١٧٤-١٧٥.

[13] سورة الداريات، ٥١/٩.

وَذٰلِكَ أَفَكَهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ،[١] قال: أَضَلَّهُمْ. فإذا أضلهم فقد صرفهم عن الهدى. قال أبو عوسجة: الإفك عندي الصرف عن الحق. وفي الأصل الإفك الكذب. وقال القُتَبي: **يؤفكون**، يصرفون عن الحق ويعدلون.[٢] وقيل: **أنى يؤفكون**، يخدعون بالكذب.[٣]

**﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[٧٦]

وقوله: **قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا** إن خالفتموه، **ولا نفعا** إن أطعتموه. ويحتمل[٤] قوله: **ما لا يملك لكم ضرا**، إن كان الله أراد بكم نفعا؛ **ولا نفعا**، إن حل بكم الضر؛ أي لا يملكون دفعه عنكم.

وقوله عز وجل: **والله هو السميع**، لنسبتكم عيسى إليه تعالى؛ **العليم**، بعبادتكم غير الله. ويحتمل **السميع** المجيب لدعائكم، **العليم** بنياتكم. ***والله أعلم.***

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**[٧٧]

وقوله عز وجل: **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق**، خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو في الدين أهل الكتاب. لم يخاطب أهل الشرك بذلك[٥] فيما خاطب بقوله: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ.[٦] وذلك أن أهل الكتاب ادعوا أنهم على دين الأنبياء والرسل كانوا من قبل؛ فنهاهم الله عز وجل عن الغلو في الدين. والغلو هو المجاوزة عن الحد الذي حد[٧] والإفراطِ فيه والتعمق. فكأنه -والله أعلم- قال: لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه بنسبة[٨] الألوهية والربوبية إلى غير الله والعبادة له. وأما أهل الشرك فإنهم يعبدون ما يستحسنون ويتركون ما يستقبحون، ليس لهم دين يدينون به.

---

[١] أَفَكَهُمْ قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٩/٢٦. والقراءة المتواترة هي: ﴿وذلك إفكُهُمْ وما كانوا يفترون﴾ (سورة الأحقاف، ٢٨/٤٦).

[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٥.

[٣] قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «أفك».

[٤] ع: يحتمل.

[٥] ك: في ذلك.

[٦] سورة النساء، ١٧١/٤.

[٧] ن ع م: حدوا.

[٨] ع م: بنسبته.

وأما[1] هؤلاء فإنهم يدعون أنهم على دين الأنبياء والرسل، لذلك[2] خرج الخطاب لهم بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل**، يعني[3] الرؤساء[4] بذلك. *والله أعلم*. **وأضلوا كثيرا**، أي[5] أتباعهم. **وضلوا عن سواء السبيل**، أي[6] عن قصد طريق الهدى.

**﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**[٧٨]

وقوله عز وجل: **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم**، قال بعضهم: لعنوا بكل لسان. لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور،[7] وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد رسولنا[8] محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات في القرآن. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[9] وقيل: مُسخوا بدعائهم بما اعتدَوا فصاروا قردة[10] وخنازير.[11] قال ابن عباس رضي الله عنه: القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا. وقال الحسن: انقطع ذلك النسل.[12] وأصل اللعن هو الطرد، كأنهم طُردوا عن رحمة الله. ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود لأن داود عليه السلام كان به غلظة وخشونة، وهو الذي كان اتخذ الأسلحة وآلات الحرب، وعيسى كان به لين ورفق؛ ليُعلم أن اللعن الذي كان منهما كان لاعتدائهم الحدود حدود الله وعصيانهم ربهم، وكانوا مستوجبين
[١٩١و] لذلك محقين. ولذلك استجيب / دعاؤهم عليهم باللعن، أعني دعاء الرسل عليهم السلام.[13]

---

[1] ع + هو.
[2] ن ع م: كذلك.
[3] م + من قبل.
[4] م: الرسول.
[5] ك ن ع – كثيرا اي.
[6] ك ن ع – عن سواء السبيل أي.
[7] ع م: والزبور.
[8] ك ن – رسولنا.
[9] *تفسير الطبري*، ٣١٧/٦؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ١٢٦/٣.
[10] ع: قرود.
[11] ك ن: قرودا خنازير.
[12] أخرج الروايتين ابن المنذر. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٥/١. لكن روي عن ابن عباس عكس ذلك أيضا. انظر: *تفسير الطبري*، ٣٣٠/١؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ١٨٤/١، ١٨٥.
[13] ك – أعني دعاء الرسل عليهم السلام.

**﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**، ذُكر في بعض القصة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا. فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم[1] وشاربوهم. فضرب الله[2] قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم **على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**». قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال:[3] «لا والذي نفسي بيده حتى تَأْطِرُوهم على الحق[4] أَطْرًا».[5] قال أبو[6] عُبيد: يعني تعطفوهم عطفا.[7] وقال غيره: حتى تكسروهم كسرا.

**﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[٨٠]**

وقوله عز وجل: **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا**، قيل:[8] قوله: **ترى كثيرا منهم**، يعني المنافقين، **يتولون الذين كفروا**، يعني اليهود،[9] ويعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقيل: **ترى كثيرا منهم**، يعني من اليهود،[10] **يتولون الذين كفروا**، من مشركي العرب وغيرهم. كانوا يظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويعاونون عليهم. وقد كان[11] من الفريقين جميعا ذلك. ويحتمل وجها آخر؛ قوله: **ترى كثيرا منهم**، من هؤلاء الذين شهدوا[12] رسول الله صلى الله عليه وسلم، **يتولون**[13] **الذين كفروا**،

---

[1] ك ن: وواكلوهم.
[2] ن – فضرب الله.
[3] ع م – فقال.
[4] ك ن ع – على الحق.
[5] *سنن ابن ماجة*، الفتن ٢٠؛ *وسنن أبي داود*، الملاحم ١٧؛ *وسنن الترمذي*، تفسير القرآن ٥. أَطَرَه يَأْطِرُه ويَأْطُرُه. الأَطْر عَطْف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتُعوِّجه (*لسان العرب* لابن منظور، «أطر»).
[6] ع – أبو.
[7] غريب *الحديث* لأبي عبيد القاسم بن سلام، ١/٢٤١–٢٤٢.
[8] ن – قيل.
[9] ك ن ع + يتولون الذين كفروا.
[10] م – يتولون الذين كفروا ويعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود.
[11] م: قد كان.
[12] ك ع م: شهد لهم؛ ن + لهم.
[13] م: يتولوا.

يعني أسلافهم ورؤساءهم. كقوله تعالى: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا،[1] الآية. تولى هؤلاء أولئك واتبعوا أهواءهم.

وقوله عز وجل: **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم**، أي **ما قدمت لهم أنفسهم**: سخط الله عليهم.

**﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[٨١]

وقوله عز وجل: **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي**، يعني المنافقين في أحد التأويلين، وفي تأويل آخر[2] اليهود. أي لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصدقوا ما أنزل إليه من[3] القرآن ما اتخذوا أولئك أولياء. ثم يحتمل قوله تعالى: **ما اتخذوهم أولياء**، في الدين أو في النصر والمعونة والمظاهرة.[4] **ولكن كثيرا منهم فاسقون.**

**﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**[٨٢]

وقوله عز وجل: **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**، تحتمل[5] الآية وجوها. يحتمل أن يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين آمنوا قوما مخصوصين منهم. ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم أشد عداوة لهم. ويحتمل اليهود جملة. فهو -والله أعلم- على ما كان منهم من قتل الأنبياء وتكذيبهم إياهم، ونصب القتال والحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وما كان منهم من قول الوحش في الله سبحانه ما لم يسبقهم[6] أحد بمثل ذلك عند ما وصفوا[7] الله عز وجل بالبخل والفقر، وهو قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[8]

---

[1] سورة المائدة، ٧٧/٥.
[2] ك ن ع: وفي التأويل الآخر.
[3] ع م – من.
[4] ك: والنصرة.
[5] ن ع م: يحتمل.
[6] ع: لم يستقيم؛ م: لم يستقم.
[7] جميع النسخ: ما وصفوا.
[8] سورة المائدة، ٦٤/٥.

وقالوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[١] وغير ذلك من القول. وذلك لشدة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم. فعلى ذلك كل من دعاهم إلى دين الله تعالى فهم له أشد عداوة وأقسى قلبا. وأما النصارى فلم يكن منهم واحد مما كان من اليهود من قتل[٢] الأنبياء ونصب الحروب والقتال معهم. ولم يُرَوْا[٣] في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان منهم من القول الوحش مما كان من اليهود، بل كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا. وذلك منهم له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له[٤] حتى رفعوه من قدر العبودة إلى قدر الربوبية، لذلك كفروا؛ وإلا كانوا يؤمنون بالكتب والأنبياء عليهم السلام من قبل. ألا ترى[٥] أنه قال: **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا**، أخبر عز وجل أن منهم **قسيسين ورهبانا**. والرهبان هم العباد. وقيل: القسيسون[٦] هم[٧] الصديقون. ولم يكن من اليهود رهبان ولا قسيس. لذلك كان النصارى أقرب مودة وألين قلبا من اليهود. *والله أعلم*.

فإن كان ذلك[٨] في قوم مخصوصين مشارٍ إليهم فهو[٩] ما ذُكر في القصة أن بني قريظة والنضير كانوا يعاونون ويظاهرون مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرونهم بذلك. ظاهروا وأعانوا من[١٠] لم يؤمن بنبي ولا كتاب[١١] قط على من قد آمن بالأنبياء والكتب جميعا؛ وذلك لسفههم[١٢] وشدة تعنتهم. حتى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلاهم من بلادهم[١٣] إلى أرض الشام.

---

[١] سورة آل عمران، ١٨١/٣.
[٢] ع: من القتل؛ م: ومن قتل.
[٣] ع م: ولم يرو.
[٤] ع – له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له.
[٥] ك م: ألا يرى.
[٦] جميع النسخ: القسيسين.
[٧] ك – هم.
[٨] ن – ذلك.
[٩] جميع النسخ: وهو.
[١٠] جميع النسخ: وأعانوا لمن.
[١١] جميع النسخ: ولا كتب.
[١٢] ع: سفههم؛ م: اسفههم.
[١٣] م – من بلادهم.

وإن كان ذلك عن قومٍ بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهو[1] ما كان من يهود المدينة حيث بايعوا أهل مكة على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا عيونا لهم عليهم وطلائع. ولم يُذكَر[2] في قصة من القصص أنه كان من النصارى شيء من ذلك. [لذلك] كانوا[3] أقرب مودة للمؤمنين. *والله أعلم*.

وما قاله بعض أهل التأويل بأن من أسلم منهم كان أقرب مودة للمؤمنين من اليهود، فحاصل هذا الكلام أن المؤمن أقرب مودة للمؤمنين من الكافر.[4] وذلك كلام[5] لا يفيد معنى.

**﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٨٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع،** سرورا على أنفسهم مما ظفروا مما كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه وسلم وصفته[6] ويطمعون خروجه.[7] وقد يعمل السرور هذا العمل إذا اشتد به وفَرِحَ[8] القلب.[9] ويحتمل
[١٩١ظ] قوله تعالى: **ترى أعينهم تفيض / من الدمع،** حَزَنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد أن بَلَّغَهم ما بَلَغَ هؤلاء من أعلام النبوة وآثار الرسالة، إشفاقا عليهم أن كيف لم يؤمنوا، كقوله تعالى: تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ.[10] قد فاضت أعينهم حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون. *والله أعلم*.

وقوله: **يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين،**[11] قيل: مع الأنبياء والرسل. وقيل:[12]

---

[1] جميع النسخ: وهو.
[2] ن ع: ولم نذكر.
[3] جميع النسخ: كان.
[4] ع م: من الكافرين.
[5] ع م – كلام.
[6] ع م – وصفته.
[7] ع: من وجهه؛ م: من وجد.
[8] ع: وفرج.
[9] جميع النسخ + فاضت عيناه سرورا.
[10] ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ (سورة التوبة، ٩/٩٢).
[11] ع م + الآية.
[12] ع م – مع الأنبياء والرسل وقيل.

مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وهو واحد. ثم ذكر في القصة أنها نزلت في النجاشي وأصحابه.[١] وقيل: نزلت في أربعين رجلا من مسلمي أهل الإنجيل. بعضهم قدموا من أرض الحبشة وبعضهم قدموا من أرض الشام، فسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما أشبه هذا بالذي[٢] نحدث من حديث عيسى، فبكوا وصدقوا. فنزلت الآية فيهم.[٣] فلا ندري كيف كانت القصة وفيمن نزلت إذ ليس في الآية بيانه. وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القرآن وسرورهم على ذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق**، **الحق**[٤] يحتمل الرسول صلى الله صلى وسلم، ويحتمل القرآن، ويحتمل كلاهما.

وقوله عز وجل: **ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**، قال الحسن: قوله تعالى: **نطمع**، أي نعلم **أن يدخلنا ربنا** الجنة إذا آمنا بالله وما جاءنا من الحق. وقيل:[٥] **نطمع**، هو[٦] الطمع والرجاء،[٧] أي **نطمع** ونرجو[٨] **أن يدخلنا ربنا** في دين قوم صالحين. **والصالحين**، يحتمل ما ذكرنا من الأنبياء والرسل، ويحتمل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **فأثابهم الله بما قالوا**، الثناء الحسن في الدنيا حيث ذكرهم في القرآن، فيُذكَرون إلى يوم القيامة ويُثنَى عليهم؛ وفي الآخرة الجنة ونعيمها. **وذلك جزاء المحسنين**، المحسن كأنه هو الذي يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا؛ يعمل عملين جميعا، والتقي هو الذي يتقي المعاصي والمكاره[٩] خاصة.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٧/١-٢، ٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٢٩.
[٢] ك – بالذي.
[٣] توجد روايات عديدة في هذا المعنى، لكن لم يذكر أن بعضهم من أهل الشام. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٤-٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٣٠.
[٤] ك م – الحق.
[٥] م: قيل.
[٦] ك م: وهو.
[٧] ع م: والرضاء.
[٨] ع: ونرجوا.
[٩] م: والمكارة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٨٦]

وقوله: **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**، قال بعضهم: **الجحيم** هو اسم معظم النار. وقال غيرهم: هو اسم دَرْك من دَرَكات النار. وكذلك السعير.[١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**؛ الآية ترد على المُتَقَشِّفَة؛[٢] لأنه نهانا أن نحرم[٣] طيبات ما أحل الله لنا،[٤] وهم يحرمون ذلك. وقال الله[٥] تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ.[٦] ثم لا فرق بين تحريم ما أحل الله لنا من الطيبات[٧] وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث. ثم يلزمهم أن يحرموا على أنفسهم التناول من الخبز[٨] والماء، وهما من أطيب الطيبات. ألا ترى[٩] أن المرء قد يَمَلّ ويسأم من غيرهما من الطيبات إذا كثر ذلك، ولا يمل[١٠] البتة من الخبز والماء؛ دل [على] أنهما من أطيب الطيبات. إلا[١١] أن يمتنعوا[١٢] من التناول من غيرهما إيثارا منهم غيرهم على أنفسهم، لما يلحق[١٣] القوم من المُؤَنِ[١٤] في غيرهما من الطيبات ولا يلحق في الخبز والماء،

---

[١] م – وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم معظم النار وقال غيرهم هو اسم درك من دركات النار وكذلك السعير.

[٢] تقشّف: لم يتعهد الغسل والنظافة، ورجل متقشف: تارك النظافة والترفه، والمتقشّف: الذي يكتفي بالقوت وبالمرقع (*لسان العرب* لابن منظور، «قشف»).

[٣] ن ع م: أن نأكل.

[٤] ك – الآية ترد على المتقشفة لأنه نهانا أن نحرم طيبات ما أحل الله لنا.

[٥] ك ن – الله.

[٦] سورة الأعراف، ٣٢/٧.

[٧] ن + وتحريم.

[٨] ع: من الخير.

[٩] ك: ألا يرى.

[١٠] ع م: ولا نمل.

[١١] ع – إلا.

[١٢] ن: أن تمتنعوا؛ ع م: أن تبتعوا.

[١٣] ن: ما يلحق.

[١٤] ن: من المؤمنين؛ ع م: من المؤمن.

لأنهما موجودان يجدهما كل أحد، ولا يجد غيرهما من الطيبات إلا من تحمل مؤنة عظيمة. فإن كان[١] تركهم التناول منها لهذا الوجه فإنه لا بأس.

وبعد فإن الله تعالى جعل الأطعمة والأشربة والفواكه للبشر في الوقت والحال التي تطيب أنفسهم بها وتلذّذ؛[٢] لأنه لم يُحَلَّ لهم في أول خروجها من الأرض والنخيل، إنما أُحل[٣] لهم بعد نضجها ويَنْعِها، واتخاذها خبزا، وبلوغها في الطيب نهايته. وجعل للبهائم ذلك في أول ما يخرج. فإذا كان البشر خُصُّوا بذلك لم يجب أن يحرم ذلك ويبطل ذلك التخصيص والتفضيل. *والله أعلم*.

فإن قيل: إنما لم يتناول منها لما يعجز عن شكر الله، لذلك يقتصر على ما يقيم الرَّمَق منه.

قيل له: فيجب أن لا يتزوج من النساء إلا أَدْوَنَهن جمالا وأكبرهن سنا؛ لأنها تصونه عن الفجور. فإن لم يكن في تزويج[٤] العجائز والقبائح وترك الشَّبَّات[٥] الحسان زهادة فليس في أكل[٦] خبز[٧] الشعير وترك المحوَّر[٨] والمَيْدة[٩] زهادة. ولكن إذا خاف[١٠] أن تُدْخِلَه[١١] الرغبة في طَيِّب الطعام في شبهةِ مَكْسَبِه[١٢] فواجب عليه أن لا يدخل[١٣] في ذلك المكسب وينزه نفسه عنه، ويقتصر على القوت الذي لا بد له منه.

وقيل: الآية نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم رضوان الله عليهم أجمعين. وهؤلاء حرّموا على أنفسهم الطعام والنساء،

---

[١] م: وان كان.

[٢] ك: وتلذ.

[٣] ن: بما أحل.

[٤] ك ع: في تجويز.

[٥] جميع النسخ: الشبان. الشُّبّان جمع شاب، والشَّبّات جمع شَبّة بمعنى شابّة (*لسان العرب* لابن منظور، «شب»).

[٦] ع: من اكل.

[٧] م: الخبز.

[٨] حَوَّر الخبزة تحويرا هيأها وأدارها ليضعها في الجمر والرماد الحار، فهو الخبز المحوّر (*لسان العرب* لابن منظور، «حور»، «حرمز»).

[٩] الميدة بمعنى المائدة (*لسان العرب* لابن منظور، «ميد»).

[١٠] جميع النسخ: لما خاف.

[١١] جميع النسخ: أن يدخله.

[١٢] ن م: مكسبة. في شبهة مكسبه، أي فيما كان كسبه مشتبها بين الحلال والحرام.

[١٣] م: لا يدخله.

وهموا أن يقطعوا مذاكيرهم[١] وأن يلبسوا المُسُوح[٢] ويدخلوا[٣] الصوامع[٤] فيترهّبوا فيها. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم. فأتى منزل عثمان فلم يجدهم.[٥] فقال النبي صلى الله عليه وسلم[٦] لامرأة عثمان: «أحقٌّ ما بلغني عن عثمان وأصحابه؟» قالت: ما هو يا رسول الله؟ فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه. فكرهت أن تَكْذِب رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم أو تبدي[٨] على زوجها، فقالت: إن كان عثمان أخبرك فقد صدقك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قولي لزوجك إذا جاء: إنه ليس منا من لم يَستنَّ بسنتنا ويأكل ذبيحتنا». فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرته امرأته بقول النبي صلى الله عليه وسلم. فقال عثمان: والله لقد بلغ النبي أمرنا فما أعجبه؛ فذروا[٩] الذي كره، فأنزل الله: **لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** الآية.[١٠] فلا ندري كيف كانت القصة، ولكن فيه بيان ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا**، يحتمل أن يكون الحلال هو الطيب والطيب[١١] هو الحلال، سماهما[١٢] باسمين وهما واحد. ويحتمل أن يكون قوله: **وكلوا مما رزقكم الله حلالا**، / بالشريعة والدين، **وطيبا**، بالطبيعة؛ لأن الحل والحرمة معرفتهما بالشريعة، [١٩٢و]

١ جمع ذكر على غير قياس (*لسان العرب* لابن منظور، «ذكر»).
٢ المِسْح هو الكساء من الشعر، وجمعه مُسوح (*لسان العرب* لابن منظور، «مسح»).
٣ ع م: ويدخلون.
٤ الصوامع جمع صَوْمَعَة، وهي منار الراهب، هو من الأصمع يعني المحدد الطرف المنضم (*لسان العرب* لابن منظور، «صمع»).
٥ ع م + النبي صلى الله عليه وسلم.
٦ ع – فقال النبي صلى الله عليه وسلم.
٧ ك ن ع: النبي.
٨ ع م: وتبدي.
٩ ك ن: قدروا.
١٠ لم أجد هذا اللفظ. لكن روي في معناه الكثير. من ذلك ما روي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك. فقالوا: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء؛ فمن أخذ بسنتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني» (*تفسير الطبري*، ٧/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٣٩).
١١ ن – والطيب.
١٢ م: سماها.

والطيب ما تستطيب[١] به الطبائع. وفي الآية[٢] دليل أنه قد يرزق ما هو خبيث ليس بطيب، لأنه لو لم يرزق لم يكن لشرط الحلال والطيب معنى. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**؛ في الآية[٣] دلالة [على] أن الخطاب للمؤمنين. لأنه قال: **واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**، و لم يقل:[٤] إن كنتم مؤمنين ونحو هذا، قد سماهم مؤمنين مطلقا. دل أنه يجوز أن يسمي. **واتقوا الله**: ولا تحرموا ما أحل الله لكم **الذي**[٥] **أنتم به مؤمنون**؛ لأنه[٦] لا يحل ولا يحرم إلا هو، وليس إلى من دونه تحليل وتحريم.

**﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٨٩]**

**مسألة.** اختلف[٧] الناس في تأويل أحرف ذكرت في قوله تعالى: **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** -إلى قوله- **لعلكم تشكرون**، مما للناس حاجة إلى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها. إنه لم يزل يتنازع[٨] أهل الفقه في أحكامه مما يُعلَم أن حق البيان في الخطاب لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه، ولا بحيث يبلغ حقيقته[٩] كلُّ سامع؛ وأن في شرط المحن بالأسباب التي يُمتحن بها لزومَ الفكر فيها والبحث عنها والسؤالَ عنها الذين خُصُّوا بفهمها بسؤالهم[١٠] مَن وَلِيَ الإبانة عنها، أو مقابلتهم[١١] بما سبق لهم العلم بها[١٢]

[١] ن ع م: ما يستطيب.
[٢] ع م: في الآية.
[٣] ع م: وفي الآية.
[٤] ع + أنتم.
[٥] ع: الذين.
[٦] ك ن م: انه.
[٧] ن + فيه.
[٨] م: تنازع.
[٩] ن: نهايته.
[١٠] ع م: بسؤالهما.
[١١] ع: ومقابلتهم.
[١٢] أي يجب على الممتحنين بأسباب المحنة التي هي الأحكام الإلهية أن يسألوا العلماء الذين خصوا بفهم هذه الأحكام والذين يتولون بيان الأحكام لهم، ويجب عليهم أيضا مقابلة النصوص والأحكام بما سبق لهم من العلم بالأحكام السابقة حتى يتبين لهم المراد من النصوص.

-[لأن] في معرفة ذلك بيانَ ما خفي من معنى الذي قرع سمعه- أو بعير ذلك مما فيه دليل ذلك. إذ لا تجوز[١] المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول إليه ولا [يوجد] في جملة ما به امتُحن إيضاحُ ذلك، لما يوجب الأمرَ بفعلٍ ما هو عنه ممنوع، وذلك بعيد. بل يكون البيان السمعي على قدر البيان العقلي، إذ[٢] من المعارف ما يكون بالحواس، ومنها ما[٣] يوصل إليها إما بالتعليم أو بالاستدلال، فمثله حق السمعي. ***والله أعلم.***

من ذلك قوله تعالى: **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم.** إنه عز وجل ذكر يمينا لا يؤاخِذ فيها في موضعين،[٤] من غير أنْ ذَكَرَ أنها أيَ يمينٍ هي ولا بأي شيءٍ[٥] لا يؤاخِذ فيها، والحاجة لازمة؛ إذ ذلك في موضع الامتنان منه جل وعلا في العفو عن أمرٍ كان له المؤاخذة. وحقٌّ على السامع معرفة مِنَّة الله تعالى ليشكره عليها.

ثم معلوم أن اليمين لو كانت بالطلاق والعتاق كان صاحب ذلك يؤاخذ بهما؛ بما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أن ثلاثا[٦] جِدّهن جِدّ وهَزْلهن جِدّ: الطلاق والعتاق والنكاح.[٧] واللاغي لا يعدو الأمرين.[٨] مع ما كانا يلزمان[٩] بلا شرط [أن] يصير به الموقع حالفا.[١٠] وأعظم ما في رفع المؤاخذة في اليمين أن يُرفَع عنه اليمين. وهما يجبان[١١] دونهما فيقعان، من غير أن كان في الآية ذكر التفصيل.[١٢] ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالذي بينا من الخبر والنظر.

---

[١] ن ع م: لا يجوز.
[٢] جميع النسخ: ان.
[٣] جميع النسخ + بما.
[٤] يقول الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٥).
[٥] ك: والاباشي.
[٦] ع: ان ثلثا.
[٧] روي بمعناه. انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤/١١٥؛ *وزوائد مسند الحارث* للهيثمي، ١/٥٥٥. وقد ضعفت أسانيدها. انظر: *الدراية* لابن حجر، ٢/٩٠. وروي موقوفا على أبي الدرداء وغيره. انظر: *سنن سعيد بن منصور*، ١/٤١٥؛ *ومصنف ابن أبي شيبة*، ٤/١١٥. والرواية المشهورة بلفظ: «... النكاح والطلاق والرجعة» (*سنن ابن ماجه*، الطلاق ١٣؛ *وسنن أبي داود*، الطلاق ٩؛ *وسنن الترمذي*، الطلاق ٩).
[٨] جميع النسخ: أمرين. أي اللاغي لا يعدو إما أن يكون جادا أو يكون هازلا.
[٩] أي الطلاق والعتاق.
[١٠] ن ع: خالفا.
[١١] ع: يخيان.
[١٢] ك: التفضيل.

مع ما لا يُعرف في ذلك خلافٌ.[١] وهذا يوضح أن العفو فيما كانت الأيمان بالله تعالى. فعلى ذلك ما نسق على ما لا يؤاخذ من المؤاخذة.[٢] وذلك يمنع من احتج بإيجاب الكفارة على الحالف بالقُرَب من حيث كان ذلك منه يمينا، والله أوجب في اليمين كفارة. وإنما ذلك في اليمين [بالله] لا في اليمين بالقرب. ثم كانت اليمين بالقرب لو كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شيء، نحو أن يقول:[٣] بالعتق لا أفعل كذا، أو بالصلاة أو بالصيام. ولو قال بالله يجب. ثبت أن وجوب ذلك وصيرورته يمينا كان بحق النذور. وقد أمر الله ورسوله في النذور بالوفاء، فكذلك اليمين بها. ومما يبين ذلك أنه لو قال: إن فعل كذا فعليه قتل فلان أو إتلاف ماله، إنه لا يلزمه شيء. ثبت أن ما لزم لزم بحق لزوم ذلك في النذور، وحق ذلك الوفاء لا غير. مع ما جاء الخبر بالأمر بالحِلْف[٤] بالله والنهي عن الحلف[٥] بغيره.[٦] والنذور أبدا تكون[٧] بغيره. ثبت أن وجوب ذلك بحق النذر.[٨] فلذلك يجب الوفاء به. **والله أعلم**.

ثم الأصل في ذلك أن الحلف[٩] بغير الله يكون على قسمين. قسم[١٠] لا يجب فيه شيء. وقسم[١١] لو وجب ليجب[١٢] المسمّى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب. فلما كان[١٣] الحلف[١٤] بالقرب في الذمة وهو حلف بغير الله تعالى[١٥] يجب أن يكون الواجب في ذلك ما أوجب. **والله أعلم**.

---

[١] جميع النسخ: خلافا.
[٢] أي فعلى ذلك رتب ما لا يؤاخذ به من الأيمان وما يؤاخذ به.
[٣] ع م: ان نقول.
[٤] ع: بالخلف.
[٥] ع: عن الخلف.
[٦] عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (*صحيح البخاري*، المناقب ٤؛ وصحيح *مسلم*، الأيمان ٤).
[٧] جميع النسخ: يكون.
[٨] ك: النذور.
[٩] ع: ان الخلف.
[١٠] جميع النسخ + ان.
[١١] جميع النسخ + انه.
[١٢] ك: لوجب.
[١٣] جميع النسح + في.
[١٤] ع: في الخلف.
[١٥] ك ن + يجب به شيء؛ م + يجب.

ثم اختلف في معنى اللغو. فقال قوم:[1] هو الإثم، كقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا.[2] وقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[3] ثم اختلف من قال بهذا على قولين. أحدهما أنه لا يؤاخذ بالإثم **في أيمانكم** التي لم تعتقدوها لكنها جرت على اللسان. وبمثل ذلك روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: هو قول الرجل: لا والله ما كان كذا.[4] وبه قال أبو بكر الكيساني [الأصم] في تفسيره. وأيد ذلك قوله: وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ.[5] دل أن الأول بما يجري على اللسان دون ما يقصده قلبه. ***والله أعلم***.

والثاني أن لا يؤاخذ بترك المحافظة فيما كان في المحافظة مأثم. دليله صلة ذلك قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ،[6] الآية. فكأنهم تحرجوا[7] عن ترك المحافظة فيما سبقت منهم الأيمان قبل النهي بقوله تعالى: وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[8] فنزل قوله: **لا يؤاخذكم الله باللغو في** نقض[9] **أيمانكم** إذا كان حفظها مأثما. وذلك نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حلف[10] على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وليكفر [عن][11] يمينه»؛[12] وعلى ذلك قوله: **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**. ولا يحتمل أن يؤخذ بالعَقْد وهو به معظِّم ربه، ولكن لمحافظة ما **عقدتم** / **الأيمان** إذا كانت المحافظة إثما. وفيما لم يكن فهو في قوله: **واحفظوا أيمانكم**. ***والله أعلم***. وإلى هذا يذهب سعيد بن جبير في تأويل الآية.[13] [١٩٢ظ]

وقال قائلون: اللغو[14] هو الشيء الذي لا حقيقة له نحو اللعب. وعلى ذلك: وَالْغَوْا فِيهِ؛[15]

---

[1] ع م: القوم.
[2] سورة الواقعة، ٢٥/٥٦.
[3] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[4] صحيح *البخاري*، التفسير ٨/٥؛ وسنن *أبي داود*، الأيمان ٦.
[5] سورة البقرة، ٢٢٥/٢.
[6] سورة البقرة، ٢٢٤/٢.
[7] ن: تخرجوا؛ ع م: تخرجون.
[8] سورة النحل، ٩١/١٦.
[9] ن ع م: بعض.
[10] ع: من خلف.
[11] من مصادر الحديث.
[12] صحيح *مسلم*، الأيمان ١١-١٨؛ وسنن *الترمذي*، النذور ٦؛ وسنن *النسائي*، الأيمان ١٥، ١٦.
[13] أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥٠/٣.
[14] ع م - اللغو.
[15] ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وَالْغَوْا فيه لعلكم تَغْلِبون﴾ (سورة فصلت، ٢٦/٤١).

إنهم لم يقصدوا تحقيق أمر[١] يظهرونه ولكن قصدوا التلبيس بما ينطق به ما كان.[٢] وكذا[٣] قيل: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا،[٤] [أي] باطلا، بل كل ما يُسمَع[٥] فيها فهو حق وحكمة.

ثم رجع تأويله إلى وجهين. أحدهما فيما[٦] يجري على اللسان من غير عقد القلب[٧] على ما مر به تفسيره.[٨] والثاني أن يكون[٩] الحلف بما لا حقيقة له على ظن أن حقيقة ما حلف عليه الحالف كما حلف. وكذلك روي عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في تأويل الآية.[١٠]

ثم لو كانت الآية على التأويل الأول لكانت في رفع المأثم خاصة. وهو التأويل الذي ذكره سعيد بن جبير[١١] رضي الله عنه. وأما الكفارة فهي لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع في ذلك،[١٢] وبما هي واجبة للحنث في اليمين ولتركه[١٣] الوفاء بالعهد. والمعنى في الأمرين موجود. لذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا. مع ما لا بد من الإلزام فيما أخطأ أو تعمد من حيث لم يكن استثناءٌ حالًّا منهما صاحبَه.[١٤] وذلك يبين أن ذلك للحلف في عقد اليمين.[١٥] أو لِمَا يَخرج الفعل مخرج الاستخفاف[١٦] إذا قوبل فعله بعقده،[١٧] وإن كان المسلم[١٨] قد عُصم عن ذلك الوجه.[١٩]

---

١ ن + لم يقصدوا تحقيق أمر.
٢ أي أي شيء كان.
٣ ع م: كذا.
٤ سورة مريم، ٦٢/١٩.
٥ م: كل يسمع.
٦ م - فيما.
٧ ع م: انقلب.
٨ م: تفسير.
٩ ع م + به.
١٠ أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ وغيرهما عن قتادة ومجاهد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥٠/٣، ١٥١.
١١ ن: ابن جبير.
١٢ م: فما ذلك.
١٣ ن ع: ولترك؛ م: وترك.
١٤ أي ليس هناك دليل يستثني المخطئ من الكفارة فيما حنث فيه.
١٥ أي وهذا يبين أن الكفارة تجب لعدم حفظ الحالف ليمينه.
١٦ ك ن ع: الاستحقاق.
١٧ جميع النسخ: بعقد.
١٨ ن + ان.
١٩ معنى ذلك: أو تجب الكفارة لأن فعل الحانث كأن فيه استخفافا باسم الله تعالى حيث إن اليمين باسمه تعظيم له، ومع ذلك لم يحافظ الحانث على تعظيم اسم الله حين خالف ما حلف عليه. لكن من المحال أن يقصد المسلم ذلك حقيقة، فذلك كفر.

فأمر بتكفير ذلك. وذلك المعنى موجود في الوجهين.[1] لذلك لزمت الكفارة في الأمرين. **والله أعلم**.

ولو كانت على التأويل الثاني وعلى[2] أحد وجهي تأويل لأمكن أن لا يؤاخذ بالمأثم ولا بالكفارة جميعا. والذي يبين[3] هذا التأويل أنه ذكر المؤاخذة في الآيتين. أحدهما بكسب القلوب؛[4] وكسبها تعمدها. والمؤاخذة به يكون بالمأثم لا بالحقوق والكفارات؛ إذ لا يؤخذ في شيء بكسب القلب خاصة كفارة أو حق[5] يوجب. وإن كان قد يؤخذ لذلك عند أفعال الجوارح، فأما له خاصة فلا. وقد يكون به الطاعة والمعصية. وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.[6] وإذا ثبت أن ذلك في المأثم فلا يؤخذ.[7] ثم لا مأثم[8] فيما ذكر من عقد اليمين في [نفس] العَقْد؛ إذ هو يخرج مخرج التعظيم لله. وقد رويت عقود الأيمان عن الرسل.[9] فثبت أن المؤاخذة فيها بالكفارة؛ فلا يؤاخذ[10] بها في اللغو أيضا. وأيد ذلك أن الله تعالى ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المؤاخذة كذلك؛ فلو كانت المؤاخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا. فثبت أنه بأمرين مختلفين. فعلى ذلك أمر العفو. **والله أعلم**.

مع ما أنه قد تبين في آية المعاقدة كيفية المؤاخذة، ولم يبين في كسب القلب؛ فيجب[11] أن يكون العفو عما جرى به بيان المؤاخذة أحقَّ منه مما لم يجر[12] به. فثبت أنه في رفع المؤاخذة بالكفارة. ولو كان على ما يقوله سعيد لكانت تجب الكفارة بما سلف بيانه. لذلك قلنا: إن هذا[13] أحق بالآية. **والله أعلم**.

---

[1] م: وفي الوجهين.
[2] ك ع م: او على.
[3] جميع النسخ + ان.
[4] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٥).
[5] جميع النسخ: أو حقا.
[6] سورة الأحزاب، ٣٣/٥.
[7] م: فلا يؤاخذ.
[8] ن: لاثم ما؛ ع: لاثم؛ م: لا نأثم.
[9] من ذلك قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وتاللهِ لَأَكِيدَنَّ أصنامكم بعد أن تُوَلّوا مدبرين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٥٧).
[10] ع: فلا يؤخذ.
[11] ع م – فيجب.
[12] ن ع م: لم يجئ.
[13] ك: إنه.

ثم إذا ثبت أن اللغو مما لا يجب فيه الكفارة يحتمل أن يكون لم يجب من حيث لم يعص الله به. ويحتمل أن يكون لم يجب لأن يمينه كانت على ما كان[1] الحنث به معه أو قبله. فيمنع صحة اليمين وإن أطلق لها الاسم،[2] إذ كانت[3] الأسماء مطلقة لما فسد من العقود وصحت؛ وإنما يختلف لها الأحكام والمقاصد منها. فإن كان لما لم يعص الله فيجب أن يكون في كل حنث يؤمر به لا تجب[4] به الكفارة. فإذا جرت السنة بإيجابها على الأمر بالحنث[5] قد تجب[6] أيضا فيما كان فعل الحنث على حال خطأ أو نوم أو جنون أو فعلِ غير الحالف فيما[7] الحنث به على تعمد، لأنه لا يأثم بفعل غيره؛[8] إذ قال[9] الله عز وجل: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.[10] ثبت أنها تجب لا لأنه لم يعص الله، ولكن للوجه الذي ذكرت. ***والله أعلم.***

ثم كان ذلك المعنى قائما في اليمين الذي تعمد عليه الكذب، وهو ما قيل اليمين الغموس. يجب أن لا تلزمه[11] كفارة اليمين، إنما تلزمه[12] كفارة فعل الجرأة والمخالفة لله.[13] ***والله أعلم.***

وأيد هذا الأصل وجهان. أحدهما استواء الأمرين في اليمين المعقودة على الحانث[14] فيما عصى من الحنث فيها أو أطاع أن يستويا في اليمين على الماضي في الوجهين جميعا. فإذا لم تجب[15] الكفارة في أحد الوجهين لم تجب[16] في الآخر.[17] ***والله أعلم.***

---

[1] ع م: ما كانت.
[2] ن ع: الاثم.
[3] ع: اذا كانت.
[4] ن ع م: لا يجب.
[5] يشير المؤلف إلى حديث «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها...»، وقد تقدم قريبا.
[6] ن ع: وقد يجب؛ م: قد يجب.
[7] جميع النسخ: فيم.
[8] جميع النسخ: ان ياثم بغيره.
[9] ع: اذا قال.
[10] سورة فاطر، ١٨/٣٥.
[11] جميع النسخ: لا يلزمه.
[12] جميع النسخ: إنما يلزمه.
[13] ك – لله.
[14] جميع النسخ: على الحادث. والتصحيح من *الشرح*، نسخة المدينة، ورقة ٢٥٧ظ.
[15] ع م: لم يجب.
[16] ن ع م: لم يجب.
[17] ك: في الآخرة.

والثاني ما روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في شأن اللعان بعد الفراغ منه: «إن أحدكما لكاذب، هل منكما تائب؟»[1] ومعلوم أن حاجتهما[2] لو كانت تجب فيه الكفارة إلى البيان عنها أكثر من حاجتهما[3] إلى بيان كذب أحدهما. ثم لزوم التوبة إذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلا سمع، والكفارة لا تعرف إلا بالسمع. ثبت أنها غير واجبة. وكذلك[4] الأخبار التي رويت في الخصمين أنه قضى[5] لأحدهما حتى ذكر فيه الوعيد الشديد، ثم أمرهما بالتساهم بينهما وأن يُحَلِّل كل واحد منهما الآخر.[6] فلا يحتمل أن يكون فيه كفارة ولا يُبيِّن. وكذلك عُلم في الموضع الذي أمر بالحنث، إذ قد يشتبه[7] على بعض من
[١٩٣و] ليس له رؤية. وقد قال إسحاق: أجمع المسلمون على أنْ لا تجبُ[8] فيه الكفارة. / فقول من[9] يوجبها ابتداءُ شَرْعٍ ونصبُ حكمٍ لله تعالى على الخلق، وهو لم يشرك في حكمه أحدا.

ثم الأصل في ذلك أن الأسباب التي ترفع العقود وتوجب الحرمات إذا تأخرت[10] العقود وأسباب الحل فهي على اختلافها[11] متفقة على منع ابتدائها إذا قارنتها. فعلى ذلك أمر سبب الحنث، فلذلك بطلت[12] اليمين. والكفارة هي[13] كفارة اليمين، فلا يجب فيما[14] لا يمين يجب فيها.

---

[1] صحيح البخاري، الطلاق ٣٢؛ وصحيح مسلم، اللعان ٦.
[2] ك: خاصهما؛ م: صاحبتهما.
[3] م: من صاحبتهما.
[4] م: وكذا.
[5] ن ع: يضيء.
[6] عن أم سلمة قالت: أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلان يختصمان في مواريث لهما لم تكن لهما بينة إلا دعواهما. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ؛ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه. فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار». فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما: حقي لك. فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «أمّا إذ فعلتما ما فعلتما فاقتَسِما وتَوَخّيا الحقّ ثم استَهِمَا ثم تَحَالّا» (مسند أحمد بن حنبل، ٦/٣٢٠؛ وسنن أبي داود، الأقضية ٧).
[7] ك: قد تشتبه.
[8] ع م: لا يجب.
[9] ع – من.
[10] ع م: إذا تأخر.
[11] ك: على اختلافهما.
[12] ك: بطل.
[13] م: وهي.
[14] م + يجب فيما.

وليس ذلك كالقول بمس السماء ونحو ذلك، لأن اليمين في هذا على ما يكون، فسبب[1] الحنث لم يقترن بها فصحت. لذلك اختلف[2] الأمران.[3]

وهذه المسألة توضح حال رجلين. [حالَ] الشافعي في قوله: إن الكفارة تجب للحنث. وهاهنا لا حنث لما لم يصح العقد ليحنَث فيه؛ ويكون الحنث أيضا بعد العقد ولم يكن. مع ما كان النص بالكفارة في اليمين المعقودة[4] التي أمر[5] فيها بالحفظ. ومحال الأمرُ بالحفظ في هذه اليمين. وإنما يجب الحفظ عنها أن يحلف به. ***والله أعلم***. وحالَ أبي عبيد حيث يوجب الكفارة بعقد اليمين، وعنده اليمين الغموس يمين لا تجب[6] فيها الكفارة. فهذا يوضح أن الكفارة تجب للذي يرد في اليمين لا لنفسها. ***والله أعلم***.

ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين بقوله: **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** -ثم قال- **فكفارته**؛ أي عندهم كفارة ما عقد من الأيمان بما فيها الإضافة، ولم يسبق غير ذكر العقد، فيضاف[7] إليه. وكقوله: **ذلك كفارة أيمانكم**، أضيف إلى اليمين. وعلى ذلك تسمية المؤمنين كفارة اليمين. مع ما فيه وجهان من المعتبر. أحدهما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بحمزة الطعنة أقسم لَيَمْثُلَنَّ بكذا[8] من قريش. فنزل النهي عن الوفاء بذلك، فكفّر عن يمينه.[9] ومعلوم أنه لا يحنث في يمينه إلا في الوقت الذي لا يحتمل برّ مثله[10] في حياته.

---

[1] ك: بسبب.

[2] م: اختلفت.

[3] يعني أن الأسباب التي تبطل العقود بعد انعقادها إذا كانت موجودة قبل العقد أو مع العقد فإنها تمنع انعقاد العقد من البداية. كذلك الأمر في اليمين على أمر سبق، لأن الحنث هنا غير ممكن، فلذلك لم تنعقد اليمين من البداية. فإن قيل: إن اليمين على مس السماء وغير ذلك مما لا يمكن الحنث فيه أيضا، فلم وجبت فيه الكفارة؟ قيل: إن اليمين في هذا على أمر يكون في المستقبل فلم يوجد سبب الحنث الذي هو مخالفة اليمين مع اليمين. أما في اليمين على أمر سبق كاذبا فمخالفة اليمين موجودة من البداية. لذلك لم تجب فيه الكفارة.

[4] ن + المعقودة؛ ع: المعقود؛ م: العقود.

[5] ك: يأمر.

[6] ن ع م: لا يجب.

[7] جميع النسخ: يضاف.

[8] مَثَل بالرجل يَمْثُل مَثْلا ومُثْلَة ومَثَّل: نكّل به. مَثّل بالقتيل: جدع أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئا من أطرافه (*لسان العرب* لابن منظور، «مثل»).

[9] شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٨٣/٣؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ١٤٣/٣. «وفيه صالح بن بشير المُرّي وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٩/٦).

[10] م: مسئلة.

ثبت أنها كانت لليمين. وكذا ما جاء: «من حلف على يمين -إلى أن قال- وليكفر عن[1] يمينه».[2] إنما أمر بتكفير يمينه. *والله أعلم*.

والثاني ذكر أبو عبيد أن الله إذ[3] نَهَى عن الوعد إلا بالثنيا بقوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ،[4] فذلك النهي في اليمين أوكد وأشدُّ؛ فمن حلف بلا ثنيا عصى الله، فتلزمه[5] الكفارة.

والأصل عندنا أن الكفارة تجب للحنث في اليمين؛ إذ هي كفارة، والكفارات إنما تكون للسيئات، كقوله تعالى: نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ،[6] وغير ذلك من الآيات. ومن البعيد في العقل طلب تكفير الحسنات، بل الحسنات تكفر[7] السيئات. والحنث في التحقيق اسم المأثم. ثم معنى الذنب فيه لأنه كان عاهد الله أن لا يفعل كذا؛ ففِعْلُه يخرج مخرج نقض العهد فيه فيأثم لا بالعهد. ولذلك قال الله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[8] وفي الجملة أمر الله أن يوفوا بعهده لا أن ينقضوا[9] عهده.[10] وقد جعلت اليمين عهده وأمرنا بوفائه. فنقضه يوجب الخلف في وعده والنقض لعهده[11] فيه. فيأثم[12] الحالف لا بالحلف، فلذا[13] تجب الكفارة. ولو كانت[14] لليمين كفارة لكان الحنث أحق أن يوجب الكفارة. ثم لا يجوز أن يكون من حلف[15] أن يطيع الله[16] يكون به عاصيا.

---

[1] ك ن ع - عن.
[2] تقدم تخريجه قريبا.
[3] م - إذ.
[4] سورة الكهف، ١٨/٢٣-٢٤.
[5] جميع النسخ: فيلزمه.
[6] سورة النساء، ٤/٣١.
[7] ك ن ع: تكفير.
[8] سورة النحل، ١٦/٩١.
[9] ك ن ع: أن يقيلوا.
[10] ع م - عهده.
[11] ن: في عهده.
[12] ك ن ع: يأثم.
[13] ك ن ع: فله.
[14] ك ن: ولو كان.
[15] ع: من خلف.
[16] ن ع م - الله.

ثبت أن الكفارة لو كانت[1] تجب لليمين[2] [لكانت] تجب لليمين[3] على المعصية.[4] ثمُ حقُّ كفارةِ مِثلِها الحنث فيها. وعلى ذلك روى أبو هريرة رضي الله عنه أن من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه[5] فإنما كفارته أن يأتي الذي هو خير.[6] فكذلك تكون[7] كفارة اليمين لو احتملت أن ترجع عن الوفاء بها. وأما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة، والحسنة تُكفِّره،[8] لا بالرجوع. وعلى[9] ذلك جميع أنواع الكفارات أن ما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه جعلت كفارته بالتوبة عنه[10] ونقض[11] ما قد فعل؛ وما لا يحتمل فلا يعتبر[12] ذلك. فلو كانت[13] لليمين[14] كفارة لكانت[15] توبة وفسخا لا غير. فإذا أوجب الله غير الرجوع ثبت أن ذلك للحنث. **والله أعلم.**

ثم الدليل على أنه لا يحتمل إيجاب الكفارة لعقد[16] اليمين أوجه.

أ) أحدها أن العقد يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل، وجعله[17] مفزعا[18] إليه ومأمنا للخلق عنه.[19] ولذلك[20] جعلت الأيمان لدفع التهم وتحقيق الأمر للخلق عن الحالفين. وأيد ذلك أوجه.

---

[1] ع: ولو كانت.
[2] ع: اليمين.
[3] ك ن ع – تجب لليمين.
[4] ك ن + لتصير تلك معصية فيجب؛ ع م + فيجب.
[5] جميع النسخ: خيرا منها.
[6] لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليتركها؛ فإن تركها كفارتها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٥/٢؛ وسنن *ابن ماجة*، الكفارات ٨).
[7] ن ع م: يكون.
[8] جميع النسخ: تكفر.
[9] ك – أن ترجع عن الوفاء بها وأما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكفره لا بالرجوع وعلى.
[10] ع م – جعلت كفارته بالتوبة عنه.
[11] ك: وبعض.
[12] ن ع م: فيعتبر.
[13] ك ن م: فلو كان.
[14] ع: فلو كاليمين.
[15] ع م: فكانت.
[16] م: بعقد.
[17] ع م: جعله.
[18] م: مفرغا.
[19] أي عن فضله وكرمه.
[20] ن: وكذلك.

أحدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا حلفتم فاحلفوا بالله»،[1] وقال:[2] «لا تحلفوا[3] بآبائكم ولا بالطواغيت».[4] فحذر الحنف[5] بغيره بما فيه[6] تعظيم ذلك ورفعه عن قدره، وألزم أن لا يجعلوا لأحدٍ ذلك القدر إلا لله سبحانه وتعالى.

والثاني قوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا؛[7] ولا يجوز أن يُنهى عن الرجوع عن المعصية ويؤمر بالوفاء بها.

والثالث الأمر الظاهر عن نبي الرحمة لحلفه وقسمه في غير موضع،[8] وما ذكر في قصة يعقوب وأولاده،[9] وأمرِ إبراهيم عليه السلام في شأن الأصنام،[10] وأمر أيوب عليه السلام،[11] لم يجز أن يكونوا[12] عصاة بفعلهم. وذلك ينبئ[13] عن جرأة من زعم أن الحالف عاص بما ترك[14] الثُّنيا. ومن ذكرنا من

[١٩٣ظ] الأنبياء عليهم السلام / قد تركوا الثنيا. وليس ذلك كالوعد؛ لأنه إلى نفسه يضيف الفعل، وهو يفعله تحت مشيئة الله تعالى. وفي اليمين بالله يستغيث وإليه يفزع.[15] فلذلك اختلف الأمران. ***والله أعلم***.

ب) والدليل على أنها لم تجب باليمين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين

---

[1] *صحيح البخاري*، الأيمان ٤؛ و*صحيح مسلم*، الأيمان ٣.

[2] م – وقال.

[3] م: ولا تحلفوا.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦٢/٥؛ و*سنن النسائي*، الأيمان ١٠.

[5] ع: الخنف.

[6] ن + منه.

[7] سورة النحل، ٩١/١٦.

[8] من ذلك قوله صلى الله عيه وسلم: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فيس مني» (*صحيح البخاري*، النكاح ١).

[9] يقول الله تعالى حاكيا عن أولاد يعقوب عيه السلام: ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإنْ كُنّا لخاطئين﴾ (سورة يوسف، ٩١/١٢).

[10] ع – في شأن الأصنام. يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عيه السلام: ﴿وتاللهِ لأَكِيدَنّ أصنامكم بعد أن تُوَلّوا مدبرين﴾ (سورة الأنبياء، ٥٧/٢١).

[11] يقول الله تعالى: ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فاضرب به ولا تَحْنَثْ إنا وجدناه صابرًا نِعْمَ العبد إنه أوّاب﴾ (سورة ص، ٤٤/٣٨). وذلك أن أيوب عليه السلام كان حنف أن يضرب امرأته... (*تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٣-١٦٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٤/٧-١٩٥).

[12] م: أن يكون.

[13] م: ينهى.

[14] ن: بما نزل.

[15] ك: يرجع.

فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي[1] هو خير وليكفر [عن] يمينه» أو قال: «فليكفر [عن] يمينه وليأت الذي هو خير».[2] ولو كانت الكفارة واجبة باليمين لكان لا وجه للأمر بالذي يأتي وهي واجبة، ويقول: من حلف[3] على يمين فليكفر يمينه. فإذا لم يقل[4] ولكن قال فيما كان ثم حنث ثبت أنها له تجب. **والله أعلم**.

ج) ووجه آخر اتفاق القول [على] أنه إذا كان مع اليمين برّ فلا كفارة عليه، وإذا كان[5] معها حنث تجب. فلو كانت تجب لليمين لكانت هي عند الوفاء أوجب، فالكفارة فيه تكون[6] أوجب. فإذ لم يكن[7] عليه[8] إذا برّ ثبت أنها بالحنث وجبت.[9] **والله أعلم**.

د) وأيضا ما أُجمع [عليه] أن من[10] حلف أن لا يَقرَب امرأته بشيء لا يلزمه لو حَنِث به[11] لم يلزم فيه حكم الإيلاء.[12] فلو كانت الكفارة تجب باليمين لكان الحالف به عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزمه من بعدُ شيءٌ، فيجب أن يسقط حق الإيلاء. فإذ بقي[13] عليه حكمه – جاء بذلك الكتاب[14] وجرت به السنة – ثبت أن القول بوجوبها قول مهجور.[15] **والله أعلم**.

---

[1] ع م: بالذي.
[2] صحيح *مسلم*، الأيمان ١٤،١٣؛ وسنن *الترمذي*، النذور والأيمان ٦.
[3] ع: من خلف.
[4] ك: فإذ لم يقل.
[5] ع: فإذا كان.
[6] م: يكون.
[7] م: فإذا لم يكن.
[8] ع م – عليه.
[9] م: ووجبت.
[10] ن ع: الا من.
[11] ك: لوجبت فيه؛ ن: لوحنث فيه؛ ع: لوجبت به.
[12] الإيلاء في اللغة: اليمين. وفي الشرع: عبارة عن اليمين على ترك الوطء في الزوجة مدة مخصوصة بحيث لا يمكنه الوطء إلا بحنث يلزمه بسبب اليمين (*تحفة الفقهاء* للسمرقندي، ٢٠٣/٢). والمقصود بالمدة المخصوصة أربعة أشهر أو أكثر من ذلك.
[13] م: فإذا بقي.
[14] جميع النسخ: كتاب.
[15] معنى ذلك أن من حلف على الإيلاء بشيء لا يلزمه كفارة اليمين وذلك بأن يحلف على فعل قربة مثلا كأن يقول: إن قربتك فعلي حج فإنه إن قرب امرأته يفعل ذلك الفعل الذي حلف به ويسقط عنه حكم الإيلاء الذي هو الطلاق إن لم يراجع امرأته. فكذلك لو حلف الرجل بالله على أن لا يقرب امرأته وكانت الكفارة واجبة باليمين نفسه دون الحنث في اليمين لكان يكفر عن يمينه قبل الحنث ثم لا يلزمه شيء بعد ذلك ويسقط عنه حكم الإيلاء. ولكن الحكم ليس كذلك على ما ورد في الكتاب والسنة. فثبت أنه لا تجب الكفارة باليمين نفسه بل بالحنث فيه.

ثم إذا ثبت هذا رجع تأويل الآية إلى وجهين. أحدهما قوله: **ولكن يؤاخذكم**، بمحافظة ما **عقدتم** من **الأيمان**، كقوله: وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا؛[1] فإن تركتم ذلك فكفارته كذا. والثاني أن يكون على إضمار حنث:[2] **يؤاخذكم** بحنثكم فيما **عقدتم**. وذلك غير مدفوع في حق الكفارات، كقوله تعالى: فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ -الآية وقوله تعالى- فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ،[3] الآية؛ لا على الوجوب للعذر ولكن باستعمال الرخصة فيه، إذ لا يكون العذر سببا[4] لإيجاب؛[5] فمثله في الأول لا يكون تعظيم الرب سبب إيجاب الكفارة، فيصير الحنث فيه مضمرا. ***والله أعلم.***

والإضافة إلى الأيمان على إرادة الحنث فيها كإضافة كفارة الفطر إلى الصيام والدم إلى الحج والسجود إلى السهو وإن كانت[6] الكفارات ليست لما أضيفت إليه. أيد ذلك ما ذكرت. ***والله أعلم.***

وتكفير رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه[7] لأنه قد عُصم عن المعصية، وفي الوفاء بذلك معصية. إذ نُهي عنه، ويمينه[8] كانت قبل النهي، فصار آيسا عن البرّ بذلك. وبذلك[9] يكون الحنث لا بعدم إمكان الوفاء. لكن غيره إذ لا يؤمنّ منه العصيان فذلك وقت إياسه عنه.[10] ورسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قد عُصم عن ذلك فوقت إياسه وقت النهي. ***ولا قوة إلا بالله.***

وقوله[11] عز وجل: **إطعام عشرة مساكين**، في متعارف اللغة على التقريب ليأكلوا[12] لا على التمليك. وكذلك الأمر المتعارف بين الخلق فيما ينسب بعضهم إلى بعض الإطعام.

---

[1] سورة النحل، ٩١/١٦.

[2] جميع النسخ: حيث.

[3] ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محِلّه فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة، ١٩٦/٢).

[4] ع: سبب.

[5] ك: سبب الإيجاب.

[6] ن: وإن كان.

[7] ك – يمينه. وذلك لما رأى حمزة رضي الله عنه مقتولا.

[8] ن: عن يمينه.

[9] أي وبالإياس عن البر بيمينه.

[10] أي غير الرسول من البشر ليس معصوما، فوقت إياسه عن البر بيمينه التي فيها معصية هو قرب موته.

[11] ك ن: ثم قوله.

[12] ن ع م: لتأكلوا.

وأيد ذلك قوله: **من أوسط ما تطعمون أهليكم**؛ ولا يعرف[١] التمليك في إطعام[٢] الأهل ولا خطر ببال أحد ذلك. وقد عرّفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علمه عند كل أحد معلوما؛ إذ قَلَّ إنسان يخلو من أن يكون أهلا لأحد أو له أهل، فلا يحتمل أن يُظَنّ بأحد الجهلُ به حتى يسأله.[٣] فيكون ذلك إلزامَ الفرض مع رفع وهم الجهل به عن العقول. ثم لا يُعرّف[٤] بها.[٥] *والله أعلم.*

والذي يوضح هذا من طريق العبرة أنه ذكر في ذلك **إطعامُ عَشَرَةِ مساكين.** والمسكنة هي الحاجة. وحاجة المسكين إلى الطعام معلوم[٦] أنها تكون إلى أكله دون ملكه. وجهات حاجات الأملاك مما يعم المساكين وغيرهم. مع ما قُدِّر ذلك بالكفاية والشِّبَع، وحق ذلك في التقريب للتطَعُّم لا في التمليك عليه. ولكن يجوز التمليك بما به التمكين لذلك.[٧] فيجب بذلك الجواز بكل ما فيه تمكين ذلك بهما[٨] أو بما كان،[٩] إذ جواز[١٠] التمليك بحق التمكين لا بحق النص.[١١] مع ما كان في تمليك الثمن الوصول إلى ما يَختار هو على الوجه الذي يختار الاغتذاء،[١٢] فإن ذلك أقرب إلى قضاء حاجته. ولو كان الأمر على تمليك المأكول خاصة لكان الدعاء والتقريب[١٣] إليهم للملك أحقَّ أن يجوز لوجهين. أحدهما أنه أقرب إلى دفع الجوع وسد[١٤] المسكنة من تمليك بِرّ[١٥] لا يصل إليه إلا بعد تحمل المؤنة وطول المدة.

---

[١] ن ع م: ولا نعرف.
[٢] ن: في الطعام.
[٣] ك: حتى يسأل.
[٤] ن: ثم يعرف؛ ع: ثم لا نعرف.
[٥] أي لا ينبغي أو لا يجب أن يعرف ويوضح ما كان معلوما مثل هذه المسألة.
[٦] ن: ومعلوم.
[٧] أي للإطعام بالكفاية والشبع.
[٨] أي بالكفاية والشبع.
[٩] جميع النسخ: ما كان.
[١٠] م: أو جواز.
[١١] ن ع م: النصر.
[١٢] م: الاعتذار.
[١٣] ن: والتقرب.
[١٤] ك ن: وشدة؛ ع: وشلة.
[١٥] البِرّ: العطية والإنفاق الذي يكون وسيلة لإبرار اليمين وإمضائها على الصدق (*المنجد*، «بر»).

والثاني أن الكفارة[1] جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه ألم الإخراج من الملك والبذل،[2] فيكفّر ما أعطى نفسه من الشهوة التي لم يؤذن له[3] فيها. وكذلك معنى الحسنات المكفرة للسيئات. ثم كان دعاء المساكين وجمعهم على الطعام وخدمتهم والقيام بما فيه الاختيار إليهم أشدّ على الطبع من التصدق عليهم؛ فيجيء أن يكون أقرب للتكفير به.[4] وعلى ذلك يجوز بذل الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع كهو في الإطعام،[5] فيجوز. مع ما إذ جُعل ذلك حقا للمساكين يَخرج مَن [يجب] عليه [الإطعام] بالتسليم إليهم[6] عن طَوْعٍ منهم.[7] ويجوز مثله من التبادل[8] في جميع الحقوق، فمثله عن الكفارات. *والله أعلم*. على أن الله تعالى قال: فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ،[9] ويجوز فيه غير ذلك النوع؛ وكذلك في كل الصدقات. *والله أعلم*.

[١٩٤و] ثم جُعل ذلك أكلتين لوجهين. أحدهما القول بإطعام المساكين. ثم أريد به دفع / المسكنة. والمسكين هو الخاضع.[10] فأحق من يستحق اسمه السائلُ، لأنه يخضع للمسئول بالسؤال. وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في يوم الفطر: «أغْنُوهم عن المسألة في مثل هذا اليوم».[11] ثم كان أقل ما أخبر[12] فيه نصف صاع من حنطة.[13] فعلى ذلك صدقة المسكين. ومثل ذلك إذا أطعم يكفي مرتين. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة[14] المتأذي

---

[1] ع: الكفار.
[2] أي وألم البذل.
[3] ع م – له.
[4] ك: للتفكير به.
[5] ع م: في الطعام.
[6] أي بتسليم ثمن الطعام إلى المساكين.
[7] أي برضا المساكين.
[8] ك: من التناول؛ ع: بالتبادل.
[9] سورة البقرة، ٢/١٩٦.
[10] ن + ثم أريد به دفع المسكنة والمسكين هو الخاضع.
[11] *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ١/٢٤٨؛ وسنن *الدارقطني*، ٢/١٥٢.
[12] ن: ما اخبر؛ م: ما أختر.
[13] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى نصف صاع من بُرّ أو صاعا من تمر أو شعير (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٥١؛ وسنن *النسائي*، صلاة العيدين ٢٣).
[14] ن: هي كفارة.

ثلاثة أصوع[1] بين ستة مساكين.[2] فمثل[3] مقدار طعام المسكين فيما أريد الإطعام[4] ذلك، فمثله ما نحن فيه، وذلك يعدل أكلتين. وبه قال عمر وعلي رضي الله عنهما.[5]

والثاني أنه عز وجل قال: **من أوسط ما تطعمون أهليكم**؛ والأوسط فيما له حدود ثلاثة يرجع ذلك إلى أوجه ثلاثة. أحدها إلى الأوسط من صفات المأكول، والثاني إلى الأوسط[6] من مقدار الأكل، والثالث إلى الأوسط[7] من أحوال الآكل. فالأول نحو الأجود والأردى وبين ذلك. والثاني نحو السرف والقَتْر وبين ذلك. والثالث نحو[8] مرة وثلاث[9] مرات في يوم واحد وبين[10] ذلك. فإذا لم يثبت في خبرٍ ما إليه رجع المراد فحق الاحتياط أن يكون الوسط من الكل لِيَخرج[11] مما فرض[12] عليه، فلذلك[13] وجبت أكلتان. مع ما كان لا يعرف[14] حقيقة الواسط من الأنواع والمقادير لما لا منتهى لطرفيه، وقد يعرف حقيقة عدد الأكثر[15] والأقل من الوقت؛ فهو أحق[16] أن يعتبر. **والله أعلم**.

---

[1] ك: آصع.

[2] عن عبد الله بن مَعْقِل قال جلست إلى كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه، فسألته عن الفدية، فقال: نزلت في خاصة وهي لكم عامة. حُمِلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي. فقال: «ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى» أو «ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى؛ تجد شاة»؟ فقلت: لا. فقال: «فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع» (*صحيح البخاري*، المحصر ٩؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٨٤). فالمتأذي هو الذي يمرض بعد دخوله الإحرام، فرخص له أن يخرج من الإحرام ويؤدي كفارة لذلك. يقول الله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي مَحِلَّه فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦).

[3] ع: مثل.

[4] جميع النسخ + القدر؛ ن ع م: لاطعام.

[5] أي قالا بنصف صاع لكل مسكين. انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٨/٥٠٧، ٥٠٨؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٣/٧٠، ٧١.

[6] ك ن: الوسط.

[7] جميع النسخ: إلى الوسط.

[8] ن: ونحو.

[9] م: وثلث.

[10] م: بين.

[11] ك: فيخرج.

[12] جميع النسخ: بما فرض.

[13] ع م: فذلك.

[14] ع م – كان لا يعرف.

[15] ك: الأكبر.

[16] ع م – أحق.

ثم كان الأمر في الظاهر بالإطعام؛ وأُجمع على رجوع الأمر إلى الحد[1] وإن لم يذكر. فهو -والله[2] أعلم- يحتمل أن يكون انتُزع حده من حكم الكتاب من وجهين. أحدهما أن الآية إذا كانت على ما يؤكل ويُطعَم كان فيما عليه العرف، إذ[3] لا أحد يُقَرِّب إلى آخر ما يطعمه فيقتصر على أقل ما يستحق اسمَه، وقد يتصدق بالقليل في العرف. فلذلك في الأمر به تحديد، إذ كان[4] بما يعرف فيه التحديد. ولذلك لم يذكر فيه التفسير مرفوعا، وذكر في قصة المتأذي لما ليس في لفظها دلالة الحدود،[5] وفي لفظ الإطعام دلالته، إذ فيه عُرْف. وعلى هذا أمرُ ما جاء من البيان في الصدقات، ولم يذكر في الإطعام إلا لمكان النوازل.[6] وعلى هذا يجب أن يجوز الإطعام أيضا وإن لم يكن فيه تمليك. ***والله أعلم***.

والثاني قوله تعالى: **من أوسط ما تطعمون أهليكم**؛ ومعلوم أن كل شيء له واسط فهو ذو حدود وأطراف. على أنه رد إلى طعام الأهل وفيه الإشباع لا محالة. لذلك وجب القول بالحد.[7] ***والله أعلم***. وإذا ثبت القدر فيه بحق الخطاب يجب وصل ذلك به ليعرف به حقيقة المقصود. ***والله أعلم***. فصار[8] كأنه[9] قال: **إطعام** [طعام] **عشرة مساكين**. إذ طعام[10] عشرة في العرف عبارة عن قدر طعامهم،[11] و**إطعام عشرة** عبارة عن فعل الإطعام. وقد ثبت أنهما أريدا[12] جميعا؛ فكأنهما ذكرا موصولين. ولو توهمنا ذلك لم يكن بحق حفظ العدد بل بحق حفظ مقدار ذلك العدد من الطعام[13] فكان[14] مدفوعا إلى الواحد أو أكثر. ***والله أعلم***. لذلك أجاز أصحابنا جمع الكل في مسكين واحد عشرة أيام، ولم يجيزوا في يوم واحد؛

---

[1] ع: إلى الجد.
[2] ك: الله.
[3] جميع النسخ: ان.
[4] م: إذا كان.
[5] ك ن: الحد.
[6] أي لم يفسر الإطعام إلا عند الحاجة والسؤال عنه، لأنه معروف عند الناس في الغالب.
[7] ع: بالجد.
[8] ن ع م - فصار.
[9] ن ع م: وكأنه.
[10] ع م: إذ إطعام.
[11] ع: إطعامهم.
[12] جميع النسخ: ارتدا.
[13] جميع النسخ: من الصيام.
[14] جميع النسخ: كان.

إذ حق الأمر على أن يُغدّى ويُعشّى، وإن كان يجوز الدفع لما فيه حق الإطعام، فيصير[1] طعام كمال ذلك، وهو قدر طعام مسكين، فتزول[2] عنه المسكنة، لكن الإطعام فيه لا يجوز.[3] أو إذا كان[4] حق ما ذكرت الجواز ففساده لمعنى اعترض فمنع لا لأنه خارج عن أن يراد له على ذلك. وذلك كخروج بعض المساكين لِعِلَلٍ عن الدفع[5] إليهم لا لأنه لو أجيز كان كالخلاف للذكر. فمثله الأول.[6] *والله أعلم*.

ودليل آخر –مما له جَرَى[7] ذِكْرُ **عشرة لَا لِأَنْ يُجعل العشرة شرطا**– أنه معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع إليهم أو الإطعامُ لهم سببا للجواز أن ذلك ثبت[8] بحيث تحملُ المكروه على الطبع

---

[1] ك ع م: فصير.

[2] جميع النسخ: فيزول.

[3] أي إذا أطعم المسكين الواحد مقدار طعام مسكين زالت عنه المسكنة ذلك اليوم، فلا يجوز أن يعطى أكثر من ذلك المقدار في نفس اليوم لأنه خرج عن أن يكون مستحقا للإطعام في ذلك اليوم.

[4] ك: او اذ صح كان؛ ن: او اذ كان؛ ع: واذا كان.

[5] ع: عن الدافع.

[6] في هذا المعنى يقول الفقيه أبو بكر الكاساني: «إن في النص ﴿إطعام عشرة مساكين﴾، وإطعام عشرة مساكين قد يكون بأن يطعم عشرة مساكين، وقد يكون بأن يكفي عشرة مساكين سواء أطعم عشرة مساكين أو لا. فإذا أطعم مسكينا واحدا عشرة أيام قدر ما يكفي عشرة مساكين فقد وجد إطعام عشرة مساكين، فخرج عن العهدة على أن معنى إطعام عشرة مساكين إن كان هو بأن يطعم عشرة مساكين. لكن إطعام عشرة مساكين على هذا التفسير قد يكون صورة ومعنى بأن يطعم عشرة من المساكين عددا في يوم واحد أو في عشرة أيام؛ وقد يكون معنى لا صورة، وهو أن يطعم مسكينا واحدا في عشرة أيام؛ لأن [المعنى هو إشباع] الجوعة وسد المسكنة، وله كل يوم جوعة ومسكنة على حدة، لأن الجوع يتجدد والمسكنة تحدث في كل يوم. ودفع عشر جوعات عن مسكين واحد في عشرة أيام في معنى دفع عشر جوعات عن عشرة مساكين في يوم واحد أو في عشرة أيام. فكان هذا إطعام عشرة مساكين معنى، فيجوز... ولأن ما وجبت له هذه الكفارة يقتضي سقوط اعتبار عدد المساكين، وهو ما ذكرنا من إذاقة النفس مرارة الدفع وإزالة الملك لابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى لتكفير ما أتبعها هواها وأوصلها إلى مُناها كما خالف الله عز وجل في فعله بترك الوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى. وهذا المعنى في بذل هذا القدر من المال تمليكا وإباحة لا في مراعاة عدد المساكين صورة... وأما إذا دفع طعام عشرة مساكين إلى مسكين واحد في يوم واحد دفعة واحدة أو دفعات فلا رواية فيه. واختلف مشايخنا. قال بعضهم: يجوز. وقال عامة مشايخنا: لا يجوز إلا عن واحد. لأن ظاهر النص يقتضي الجواز على الوجه الذي بينا؛ إلا أنه مخصوص في حق يوم واحد لدليل. كما صار مخصوصا في حق بعض المساكين من الوالدين والمولودين ونحوهم. فيجب العمل به فيما وراء المخصوص. ولما ذكرنا أن الأصل في الطعام هو طعام الإباحة؛ إذ هو المتعارف في اللغة، وهو لتغذية الجوع وإزالة المسكنة. وفي الحاصل دفع عشر جوعات. وهذا في [يوم] واحد في حق مسكين واحد لا يكون. فلا بد من تفريق الدفع على الأيام» (*بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع* لأبي بكر الكاساني، ٥/١٠٥).

[7] م: جزى.

[8] ن ع م – ثبت.

وكف الهوى عن مثلها وإذاقةُ النفس مَرارةَ الدفع لله جل ثناؤه يكفّر ما أتبعها هواها وأوصلها إلى مُناها فيما خالف الله في فعله، حيث لم يف بالعهد الذي عهد اللهَ أو ألزم نفسه عهدا فامتنع[1] عن الوفاء، فيخرج فعله مخرجَ فعل[2] ناقض العهد ومخلف الوعد بالله. وذلك المعنى في البذل لا في مراعاة[3] العدد، ولا في أنه كان حقا لهم قبل الدفع. بل اختيار الدفع إليهم يجعلهم محقين فيه، بما له إيثار غيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود إليهم نفعه. ولكن الكفارة إذ جُعلت[4] مما يغدّي[5] ويعشّي ونحو ذلك إذا أريد الخروج به منه بمسكين واحد يحتاج إلى تجديد الأيام ومرور الأوقات. وفي ذلك خوف بقاء الذنوب عليه. ولعله تعجله[6] المَنِيّة[7] فيبقى ذنبه غير مكفَّر. فجعل[8] الله له التفريق[9] في المساكين تيسيرا عليه[10] وتمكينا من الخروج [من] الذي ركبه[11] لا لفوت معنى مما له التكفير. فلذلك[12] يجوز على ما ذكرت. وهذا الوجه يوجب منع الجواز في يوم واحد. *والله أعلم*. وبعد فإنه متى أطعم مسكينا بقي عليه خطاب إطعام تسعة؛ وذلك لو ابتدأ الخطاب بتسعة مما يتضمنه الخطاب، فكذلك إذا كان بعد إسقاط الواحد من الخطاب. *والله أعلم*.

[١٩٤ظ] ثم لو كان العدد شرطا لكان بوجود معنى العدد / في الواحد إسقاطه، إذ ذلك في موضع التكفير والتطهير.[13] وكل ذلك يتعلق بالمعاني مما ذكر فيها من الأعداد نحو الغسل من الأحداث والجنابة[14] والأنجاس، فمثله الكفارة. وبعد[15] فإنه معلوم أن لكل مسكين قدرا من الطعام.

---

[1] جميع النسخ: من منع.
[2] ك - فعل.
[3] ن: الا في مراعاة.
[4] جميع النسخ: إذا جعلت.
[5] ن: يغذي.
[6] جميع النسخ: يعجله.
[7] ع م: الميتة.
[8] ن ع م: جعل.
[9] ع م: التكفير.
[10] ع م - عيه.
[11] ن ع م: ركنه.
[12] ع: فذلك.
[13] ك: والتطمير.
[14] م: الجنابة.
[15] ع م: وبعده.

ثم كان القدر الواحد[١] بتفرق[٢] الأملاك عليه يستوجب حق قدر العشر. فعلى ذلك المسكين الواحد بما تتفرق[٣] عليه المسكنة كل يوم وتتجدد[٤] الحاجة يصير كعدد المساكين. وذلك أيضا شبيه بما روي من الاستنجاء بثلاثة أحجار على استحقاق كل حرف من ذلك حقّ حجر على حدة من حيث كان غيرَ مستنجًى به. فكذا ما نحن فيه، إذ له كل يوم حق مسكين آخر من حيث حدثت له حاجة لم تدفع بالإطعام الأول. *والله أعلم*. وليس كالأعداد في الشهادة؛ لما جُعل العدد[٥] فيها بما يلحق الواحدَ تهمة، أو له به منفعة التصديق أو نوع عائدة[٦] في منع[٧] الحكم والقضاء وتسليم الأمر لغيره من الحجج، وفي هذا معنى التكفير [الذي] قد بيناه.[٨] وذلك كمعنى التطهير في الذي وصفنا. على أن الشهادة في اليوم الثاني إعادة[٩] للأولى؛[١٠] والإطعام هو تجديد الدفع. والواحد قد يقوم في الشهادات مقام مائة إذا كان[١١] لكلٍ حق التجديد. *والله أعلم*.

ثم قوله تعالى: **عشرة مساكين**، من غير ذكر القريب[١٢] والبعيد أو المؤمن والكافر أو الصغير والكبير أو قدر المسكنة أو العلم الذي به يعرف.[١٣] ومعلوم أن لكل جهة مما بينا حدًا[١٤] بالناس إلى معرفته حاجة، وللناس في كل جهة تنازع. والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة –على الاتفاق على أنه[١٥] لم يُجْعَل الأمر على الاسم خاصة، وأن الذي هو في حد الفقر فيما ذكر فيه المسكين فالفقير[١٦] قائم مقام المسكين هاهنا في الجواز– ليعلم أن المعنى فيهم مقصود يجب طلبه والبحث عنه. *والله أعلم*.

---

[١] م – الواحد.
[٢] ع: يتفرق.
[٣] جميع النسخ: يتفرق.
[٤] جميع النسخ: ويجدد.
[٥] ك: الأعداد.
[٦] جميع النسخ: عبادة. وعائدة بمعنى منفعة.
[٧] ع م: في موضع.
[٨] جميع النسخ: قد بينا.
[٩] ن: عادة.
[١٠] ن ع م: الاول.
[١١] ن: إذ كان.
[١٢] ع: التقريب.
[١٣] ن م: نعرف؛ ع: تعرف.
[١٤] جميع النسح: حد.
[١٥] ع م: وعلى أنه.
[١٦] جميع السخ: والفقير.

ثم أجمع [على] أن الصغير الذي يكفيه[1] قدر اللقمة [من] لقمة الكبير لم يقم في حق الإطعام إلا من حيث التمليك، إذ أجمع[2] على أقل المقدار أنه[3] مُدّ، والمُدّ يكفي عشرة مثله.[4] ثبت أنه لا إلى مثله رجع الخطاب. وأيد ذلك قوله تعالى: **من أوسط ما تطعمون أهليكم**، أن مثله[5] لا يبلغ أقلّ ما يُطعم الأهلَ. على أنه لو أريد بالأهل الزوجة لكان مثله[6] لا يطعمها الزوج. فثبت أن المراد راجع إلى الخصوص. ***والله أعلم***.

والأصل في ذلك ما بينا من تألم[7] الطبع بدفع مثله. وابن يوم يميل الطبع إلى إرضاع مثله بل لا يحتمل إمهاله. وبعد فإن مثله لا يُطعَم.[8] فثبت أن الأمر راجع إلى حدّ.[9] ***والله أعلم***.

وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والولد:[10] إنه لا يجوز؛ لأن الطبع يألم[11] بمسكنة هؤلاء لا بما به دفع المسكنة عنهم. بل جعل الله تعالى الطبائع بين هؤلاء بحيث لا تحتمل نزول البلاء والشدة بهم، وبحيث يجتهد كل بدفع الضرر عنهم على مثل الدفع عن نفسه، وبذلِ المال لصون عرضهم، حتى لقد يُشتَم من لم يتعاهد[12] منهم ذلك ويلام أعظم اللوم. وإذا كان[13] كذلك لم يتضمنهم هذا الأمر؛ إذ هم[14] يقومون بذلك بحق الطبيعة لا بأمر.[15] وقد بينا وجه الكفارة أنه في مخالفة الطبع. ***والله أعلم***. وعلى ذلك ما روي عن[16] الذي أُمر بتفريق زكاته،

---

[1] ع م – يكفيه.

[2] ن ع م: اذ الجمع.

[3] ك – أنه.

[4] أي مثل الصغير.

[5] أي مثل ما يطعم الصغير وهو اللقمة.

[6] جميع النسخ: مثلها.

[7] ع: لمن تألم.

[8] أي للفقير لسد حاجة الجوع.

[9] ك ع: إلى واحد.

[10] ك: والوالد.

[11] م: بالم.

[12] ع: و لم يتعاهد.

[13] م: وان كان.

[14] ك ن م + لا بهذا؛ ع + بهذا.

[15] ن: لا يأمر.

[16] ك + عن.

فأَخذها[١] ابنه. فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا فلان، لك ما نويت»، وقال للآخر: «لك ما أخذت».[٢] ولو كان يجوز اختيار[٣] مثله لكان ذاك أحب ما صار إليه وآثر. ثم[٤] قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»؛[٥] فلا يحتمل مع هذا الجواز بالاختيار، ويصير ما يدفع إلى ابنه كأنه[٦] له، وما يدفع إلى أبيه كأنه لنفسه دفع، فلذلك لم يجز.

والأصل في هذا وفي الزكوات[٧] أنها حقوق جعلها الله تعالى في الأموال لوجهين. أحدهما بما ابتدأ الله عبيده بالنعم وخصّهم بإعطاء ما اشتهت أنفسهم ومالت إليه[٨] طباعهم؛ فاستأداهم[٩] شكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النِّفار عنه وفي أنفسهم الألمَ به من الإخراج عن الملك، ومعونة من لم يكرمهم به ولا أنعم عليهم به.

والثاني أن يكونوا قَرَفوا[١٠] مأثما بما أعطوا أنفسهم مُناها[١١] وأوصلوا طباعهم إلى هواها بغير الوجه الذي أَذِن لهم[١٢] في ذلك مَن هُم[١٣] له في الحقيقة، وهو الذي اختصهم.[١٤] ففرض[١٥] عليهم[١٦] الخروج مما فعلوا[١٧] من الوجه الذي في الطبع النِّفار عنه وفي النفس الألمُ به

---

[١] جميع النسخ: فأعطى. والتصحيح من مصادر الحديث الآتية.

[٢] عن معن بن يزيد رضي الله عنه قال: كان أبي يزيدُ أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد. فجئت فأخذتها فأتيته بها. فقال: والله ما إياك أردت. فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: «لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٧٠/٣؛ *صحيح البخاري*، الزكاة ١٥).

[٣] ع: اختيا.

[٤] ع م – ثم.

[٥] *سنن أبي داود*، البيوع ٧٧؛ و*سنن ابن ماجة*، التجارات ٦٤؛ و*صحيح ابن حبان*، ١٤٢/٢. ورجاله ثقات (*الدراية* لابن حجر، ١٠٢/٢).

[٦] ع م: كان.

[٧] ع: وفي الزكواة.

[٨] ع م – إليه.

[٩] ع م: فاستاذاهم.

[١٠] قرف بمعنى كسب (*لسان العرب* لابن منظور، «قرف»).

[١١] ع: هاهنا؛ م: ههنا.

[١٢] جميع النسخ: أذن له.

[١٣] جميع النسخ: من هو.

[١٤] م: اختصمهم.

[١٥] م – فعرض.

[١٦] م: فعليهم.

[١٧] جميع النسخ: مما فعلوا. أي الإخراج أو الإنفاق مما اكتسبوا.

ليذيقوا أنفسهم بَدَلَ[1] ما أعطوها من اللذة المرارة. فمن هو من المتصدق بالمحل الذي يجد به هذا فهو مقابل ما له أُكرم وبه اقترف؛[2] ومن لا يجد به هذا فليس له[3] بمقابل ذلك، فلم يف بحق الشكر ولا بحق التكفير.[4] فلم يخرج مما عليه من الفرض وإن كان الله بكرمه[5] وَجُوده بحيث يرجى منه العفو[6] ومنه القبول.[7] **والله أعلم**.

وعلى ذلك عندنا أمر الزوجين؛ إذ يوجد بينهما في البذل شهوة وميل الطبيعة. ويكون التناكح بمثله على ما ذُكر من النكاح لأربعة أوجه؛ أحدها لمالها؛[8] وما كذلك الموجود في الطباع. **والله أعلم**. وعلى هذا المعنى يخرج أمر الشهادة؛ إذ هي مؤسسة على دفع التهم عن المدعين. فإذا رجعت منافعهم إلى حججهم تمكنت[9] فيهم ذلك فلم يقبل.

وجملة ذلك أن الشهادة ودفع الزكوات والكفارات بحق الأمانات، وهي بحيث لا يسع[10] للأمناء الانتفاع بها. فكل وجه[11] فيه انتفاع المؤتَمِنِ فإنما له[12] الانتفاع به[13] بلا تمانع
[١٩٥و] في العرف. وبما في الطبع[14] / إيثار نفعه، فكان له فيه ما بزواله جُعِل أمينا؛ فلا تثبت[15] له الأمانة فيه.[16] **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: بذل.
[2] ن ع م: وبه اقرف.
[3] ع م – له.
[4] ع م – الشكر ولا بحق التكفير.
[5] ن: يكرمه.
[6] ك + منه؛ م: من العفو.
[7] ك: والقبول منه.
[8] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك» (*صحيح البخاري*، النكاح ١٥؛ و*صحيح مسلم*، الرضاع ٥٣).
[9] ع: بمكنت.
[10] ن: لا تسع؛ ع م – لا يسع.
[11] م: وجد.
[12] ع م: فإنها له.
[13] ع م – به.
[14] جميع النسخ: أو بما في الطبع.
[15] ن ع م: فلا يثبت.
[16] أي إن كان له فيه نفع.

وعلى هذا يحرج أمر الدفع إلى المكاتَب والشهادة له.[١] *والله أعلم*. ثم الدفع إلى الكفار؛[٢] القياس أن يجوز جميع ذلك من حيث كان المعنى الذي له يختار في الدفع إليهم أو يحد [الدافع] من ثقل الطبع وألم النفس. وعلى ذلك أجيزت عندنا الكفارات. وأيد ذلك قوله تعالى: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ -إلى قوله- وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ؛[٣] صير الصدقات مكفرة لما ذُكر. ثم[٤] يدل[٥] على ذلك فيما قال أهل التفسير في قوله: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ،[٦] الآية: إن ذلك في التصدق على أهل الكفر؛ أي لا يمنعك ذلك، وكان على إثر الوعد بالتكفير بالصدقة؛ فأمكن أن يكونوا هم في ذلك. مع ما كانت الكفارات جعلت بشرط المسكنة. وقبيح في المسلم دفع السؤال[٧] وإن كانوا كفرة، فجائز الدفع إليهم. وجملة ذلك أن ذلك بما اختار من إعطاء النفس شهوتها[٨] فيما لم يؤذن له، فتكون[٩] كفارتها بالكف عن شهوتها[١٠] فيما كان يحل، والبذلِ بالذي كان يسعه منع ذلك. وذلك المعنى موجود في ذلك.[١١] على[١٢] أن [في] التصدق عليهم بعض[١٣] ما يرغّبهم[١٤] في الإسلام، فلم يجز[١٥] المنع. ***والله أعلم***.

وأما الزكوات[١٦] فهي مخصوصة بما جاء من إضافة الدفع إلى من يؤخذ من غنيهم،

---

[١] يعني كذلك شهادة السيد لعبده المكاتَب لا تجوز، لأن له نفعا في ذلك حيث إن المكاتَب سيدفع مالا إلى سيده ليتحرر، فبينهما منفعة مالية متبادلة. وكذلك المكاتَب لا يزال عبدا لسيده ما لم يدفع تمام البدل الذي اتفقا عليه، فكما لا تجوز شهادة السيد لعبده كذلك لا تجوز شهادته لمكاتَبه.

[٢] م: إلى الكفارة.

[٣] ﴿إن تُبدوا الصدقات فنِعِمّا هي وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويُكفِّر عنكم من سيئاتكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧١).

[٤] ن: بما ذكرتم؛ ع م: لما ذكرتم.

[٥] ك: ندل.

[٦] سورة البقرة، ٢/٢٧٢.

[٧] أي رد السائل بغير إعطاء.

[٨] ع م: شهواتها.

[٩] جميع النسخ: فيكون.

[١٠] ع: عن الشهوتها.

[١١] أي في التصدق على الكفار.

[١٢] جميع النسخ: علم.

[١٣] ن ع م: نقض.

[١٤] ك: ما يزغـهم.

[١٥] جميع النسخ: لم يجز.

[١٦] ع: الزكواة.

ولِمَا بُيّن أهلها وجُعل عليها سُعاة[1] ليتحرّوا[2] المواضع. وأما[3] الكفارات [فهي] جُعل إلى أربابها إيجابُها والخروج عنها في تخيرّ أهلها. مع ما كانت الزكوات أُوجبت بلا كسب [سيئة] بحق الشكر. وحق الشكر الإنفاق في الطاعة. ثم كان الإنفاق[4] على من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة، وعلى الكافر لا، فيقتصر عن شرط التمام في معنى[5] الشكر. والكفارة في حق إعطاء النفس الشهوة،[6] فيمتحنها بإخراج ما في شهوتها المنع. وذلك المعنى موجود في الكافر على التمام، لذلك اختلفا. وبعد فإن الزكوات[7] تجب بلا إيجاب؛ وقد قطع الله الحق الذي ذلك سبيله، ثم بيّن مختلفي الملك بحق المواريث. والكفارات تجب[8] بما اكتسبوا. وبيّن الفريقين في الحقوق المكتسبة اشتراك. *ولا قوة إلا بالله*.

والأصل في ذلك أن الزكوات أُوجبت في الأموال حقا للفقراء. ثم هي تخرج إلى من أوجبت لهم. فما لم يُعلَم[9] من أوجبت له لم يخرج على مثل حقوق المواريث للقرابة وغير ذلك. والكفارات ليست بواجبة في الأموال تُخرج.[10] بل ينظر إلى وقت الدفع والقيام بالتكفير. فإن كانت له أموال دفعها منها، وإلا ليست عليه. فصارت الحقوق كأنها بالدفع تقع،[11] إذ لو توهم وقت الوجوب له الغنى والفقر لكان الأمر لا يختلف. وإذا كان[12] كذلك وله ابتداء التصدق[13] عليهم بحق التطوع والنذور وغيرهما فيجوز فيهم. والزكوات إذ الدفع منها تسليم إلى من كان له الحق احتيج في ذلك إلى مبين ذلك.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: سعادة.

[2] ك: ليتخيروا. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما الصَّدَقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمُؤَلَّفةِ قُلُوبُهم وفي الرِّقَابِ والغارِمِين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً مِن الله والله عليمٌ حكيمٌ﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[3] ك: وأمر.

[4] ك: الاتفاق.

[5] ك: لا في معنى.

[6] ع: والشهوة.

[7] ع: الزكواة.

[8] ن ع م: يجب.

[9] م – من أوجبت لهم فما لم يعلم.

[10] ن ع م: يخرج.

[11] ن: يقع؛ ع م – يقع.

[12] ك + كان.

[13] ك: التصديق.

[14] ع: وذلك.

وصدقة الفطر بحق إظهار السرور ودفع السؤال، كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَغْنُوهم عن المسألة في مثل هذا اليوم»،[١] لا بحق ما كان جعل في ماله يَخرج منه، بل بحق المعونة. وذلك لازم في العقول لكل سائل،[٢] وبخاصة[٣] في الدفع إليهم ليمتنعوا هم[٤] بما فيه سرور أهل الإسلام. **والله أعلم.**

وأيضا إن الزكوات أُوجبت في الابتداء حقا للفقراء؛ إذ الله سبحانه وتعالى أخرج أرزاق الخلق[٥] أملاكا لبعضهم، وألزمهم تحمُّل كفاية من لم يُملِّكهم أعين تلك الأموال، إذ لم يخلق[٦] [في] ابتداء الخلق[٧] لهم الجملةَ. وإذا كان محلّ الزكوات في الابتداء وجُعِل لأهلها بها الغِنى وأهل الكفر أَبَوْا قبول الدين الذي[٨] جَعَلَ ذلك حقا[٩] للمحتاجين في أموال الأغنياء فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق. بل لو كان[١٠] كان في أموال أغنياء مذهبهم، ولأهل الإسلام أن ذلك الحق في أموال أغنيائهم. وكذلك من عليهم الحق قبلوه[١١] بالدين لأهله، لم يدخل في ذلك غيرهم.

ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها ليست بمجعولة بالدين لحق الفقراء، وإنما هي واجبة بتعاطي[١٢] من لزمهم ليتقربوا بها إلى ربهم ويخرجوا بها مما جنَوا على مذهبهم. وقد جعل ذلك في جملة الصدقات وفي أنواع العبادات التي لا عبرة فيها لمنافع الخلق. فثبت أنها لم تجب لهم.[١٣] وإنما الشرط عليهم فيها ما يكون عبادة وقربة إلى الله تعالى. وقد جعل الله تعالى في الدفع إلى مساكينهم[١٤] قربة وعبادة فجازت.

---

[١] *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٢٤٨/١؛ وسنن *الدارقطني*، ١٥٢/٢.
[٢] ع: مايل.
[٣] ن ع م: ولخاصة.
[٤] أي ليمتنع الفقراء ويستغنوا عن المسألة.
[٥] م: الحق.
[٦] م: إذا لم يخلق.
[٧] م – ابتداء الخلق.
[٨] ع: الذين.
[٩] ك ن م: ذلك حق جعل؛ ع: ذلك حق قد جعل.
[١٠] ع: بل كانوا.
[١١] ك: قبوله.
[١٢] ع م: يتعاطى؛ ن ع م + أرباب.
[١٣] أي لفقراء المسلمين.
[١٤] أي مساكين الكفار.

وعلى هدا يخرج قولنا في العتق. على أن قولنا لجميع[١] المخالفين لنا في هذا أولى، لأن مذهبهم اعتماد العموم إلا في قدر ما يمنعهم عن ذلك. والعموم[٢] لجميع[٣] الفرق كلهم باسم المساكين واسم تحرير الرقبة. ولا دليل لهم على الخصوص إلا ضرب من القياس. ومن مذهبهم[٤] أن إخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص ذلك. فكذا يلزمهم[٥] أن لا يخصوا لوجود[٦] التخصيص في غيره، إذ ذلك[٧] أبعد. على أنهم أجمعوا أن لا يقاس[٨] ما ليس فيه ذكر التتابع على المذكور، فمثله أمر الأيمان. وجملته أنه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا تحتمل[٩] التغير؛ فعيب[١٠] الدين الذي يمكنه أحق.[١١] وكذلك من قول الجميع أن العجز بالمرض عن المكاسب لا يمنع، إذ هو قد يزول. فالذي[١٢] لا عجز فيه ويمكّنه اختياره [أن يزيل عيبه] / أحق أن يجوز. *والله أعلم*. [١٩٥ظ]

ثم الأصل أن الله تعالى في الكفارة التي جعل الإيمان فيها شرطًا ذَكَر العتق في ذلك في قتلٍ[١٣] ثلاثِ فرق، وذكر[١٤] في كل مرة تحرير رقبة مؤمنة.[١٥] فلم يدع[١٦] ذكر[١٧] ذلك في شيء منها -للذكر[١٨] في [كل] نوع من ذلك- على قرب ما بين أولئك الأسباب.

---

[١] ك: بجميع.
[٢] ع: العموم.
[٣] ك: بجميع.
[٤] جميع النسخ: ومن مذهبه.
[٥] م: يكرمهم.
[٦] ك م: الوجود.
[٧] ن ع: ان ذلك.
[٨] ع م: أن يقاس.
[٩] ن ع م: لا يحتمل.
[١٠] ك: فيعيب.
[١١] لعله يقصد بالعيب هذا الكفر، لأنه يمكنه أن يزيله بأن يسلم.
[١٢] ع - فالذي.
[١٣] ن: في قبل ذلك.
[١٤] جميع النسخ: ذكر.
[١٥] يقول الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مُسَلَّمَةٌ إلى أهله إلا أن يَصَّدَّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مُسَلَّمَةٌ إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ (سورة النساء، ٩٢/٤).
[١٦] جميع النسخ: لم يدع.
[١٧] ن: ذكره.
[١٨] م: لذكر.

فلو كان يحتمل الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة أو يجب ذلك في النظر لكان بذكر[١] مرة كفايةً على نحو الصوم فيه.[٢] فإذا لم يكتف على تقارب المعنى بان أن ذلك نوع ما لم يؤذن فيه تعليق الحكم بالمعنى. بل لو كان مأذونا فيه لكان يوجد في القتل معانٍ لا توجد في غير ذلك. فلا يجوز قياس غيره عليه. *والله أعلم*.

فإن قال قائل: إذ قال الله تعالى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا،[٣] ثم قد جعل [مثل] سيئة[٤] الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين متتابعين.[٥] فكيف جعل مثل سيئة الحنث بالعتق عتقِ رقبة وبالصيام ثلاثة[٦] أيام؟ فلو كان ثلاثةٌ عديلَ العتق[٧] فإذًا زاد في الظهار والقتل في الجزاء.[٨]

نقول وبالله التوفيق: لذلك أجوبة ثلاثة. [أحدها] أن الجزاء في الدنيا هو بما يجوز[٩] به المحنة ابتداء لا على الجزاء؛ فعلى ذلك تجوز[١٠] فيه الزيادة بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو، كما قال الله[١١] عز وجل: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[١٢] وقال: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.[١٣] وفي الآخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة، إنما ذلك بحق الجزاء. وهو عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه الحكمة، ويجوز التجاوز[١٤] بما هو عَفُوّ كريم. فلذلك اختلف الأمران.

---

[١] ع: يذكر.
[٢] ع م – فيه.
[٣] سورة المؤمن، ٤٠/٤٠.
[٤] ن ع م: سببه.
[٥] لكفارة الظهار انظر: سورة المجادلة، ٥٨/٣-٤.
[٦] ع: ثلثة.
[٧] ن + فإذا زاد في الظهار صوم شهرين متتابعين فكيف جعل مثل سيئة الحنث بالعتق عتق رقبة وبالصيام ثلاثة أيام فلو كان ثلاثة عديل بن العتق.
[٨] أي لو كان صيام ثلاثة أيام معادلا لعتق الرقبة كما في كفارة اليمين إذًا يكون الجزاء في الظهار والقتل زائدًا حيث أمر فيهما بصيام شهرين متتابعين.
[٩] ع م: ما يجوز.
[١٠] ن ع م: يجوز.
[١١] ك ن – الله.
[١٢] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[١٣] سورة الأعراف، ٧/١٦٨.
[١٤] تجاوز الله عنه: أي عفا (*لسان العرب* لابن منظور، «حاز»).

والثاني أن يقال: حق جزاء كل ما فيه العتق صيامُ شهرين متتابعين؛ ولله[1] العفو، فبه عامَل الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة أيام لما علم عز وجل في ذلك من المصالح. ***والله أعلم***.

والثالث أن يكون حق[2] الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر، وكذلك في القتل والظهار. وفيهما حق العتق كذلك وفي اليمين دونه. ولكنه تُمِّمَ[3] بما لا يحتمل التجزئة؛[4] على [أنه] حق كل شيء لا يتجزأ[5] أن جزءً[6] منه متى وجب يجب[7] كله، فعلى ذلك العتق. ***والله أعلم***.

ثم نقول وظاهر هذا يشهد لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله أنه متى أوجب جزءً[8] منه[9] عتق كله، إذ لا يحتمل التجزئة، دليله أمر الكفارات. ***والله أعلم***. ومذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يحتمل أن يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزئة؛ ويحتمل أن يكون لما لا تحتمل[10] حقوق العتق التجزئة[11] وإن كان العتق في نفسه محتملا. فيجب عرض ذلك على ما فيه بيانه. فوجد الأمر بالتحرير حيث كان بذكر الرقبة. ولو كان لا يحتمل من حيث التحرير التجزئة لكان ذكر التحرير[12] كافيا عن ذكر الرقبة. فإذ ذكر في كل ما أمر بان أنه ذكر ليتم[13] بالإعتاق لا أنه يتم بلا ذكر. فعلى ذلك أمر الطلاق لم يذكر فيها معنى رقبتها لما لا يحتمل –والله أعلم– بعض ذلك. ثم كانت الحقوق ترجع إلى الانتفاع أو قول أو مضرة أو نحو ذلك، لا تحتمل[14] نفوذَ جزءِ المعتَق منه دون غيره. ثبت أن ذلك إن كان كذلك فهو لما لا تحتمل[15] حقوقه [إلا] الإكمال،[16]

[1] ن: والله.
[2] ن: خمق.
[3] ن: ثم.
[4] ك ن ع: التجربة.
[5] جميع النسخ: لا يتجرى.
[6] ع م: جزاء.
[7] م: تجب.
[8] م: جزاء.
[9] ع + منه.
[10] ن م: لا يحتمل.
[11] ع م – ويحتمل أن يكون لما لا يحتمل حقوق العتق التجزئة.
[12] ع م – التجزئة لكان ذكر التحرير.
[13] ك ع م: ليتمم.
[14] ن ع م: لا يحتمل.
[15] ن ع م: لا يحتمل.
[16] جميع النسخ: اكمل.

إذ في ترك الإكمال[1] فوت نفع ما أوجب. *والله أعلم.*

ثم قد يجوز إعتاق الجزء من حيث كان الملك، والحرية[2] تأخذ[3] العين، والمنافع تصل إلى المباشرة. والمباشرة لا تحتمل التمييز،[4] وفي القول به[5] والملك فيه[6] جملةً تحتمل [التمييز]،[7] لذلك اختلفا. وعلى ذلك أمر الطلاق لا ملك تَم في النفس؛ إنما [هو] حقيقة المباشرة والانتفاع، وذلك لا يحتمل الجزء؛ والمطلق[8] منها أوجب دون غيره. فلذلك أكمل. *والله أعلم.*

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[٩٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس،** الآية؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الميسر القِمار.[9] وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا هذه الكِعَاب الموسومة[10] التي تُزجَر[11] زجرا فإنها من الميسر».[12] وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله.[13] وعن أبي موسى الأشعري[14] عن النبي[15] صلى الله عليه وسلم:

---

[1] م: اكمال.

[2] ع: والجزية.

[3] جميع النسخ: ياخذ.

[4] ك ع م: التميز.

[5] ن ع م: وفي القول فيه.

[6] ع م – والملك فيه.

[7] ن ع م: يحتمل.

[8] ك ع: المطلق؛ م: الجزاء المطلق.

[9] *تفسير الطبري*، ٣٥٨/٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٦/١.

[10] الكِعاب جمع الكَعْبة ويقصد بها الكعبتان اللتان ترميان في الرد. والوسم هو أثر الكَي في الأصل ويستعمل بمعنى العلامة (*لسان العرب* لابن منظور، «كعب»، «وسم»).

[11] جميع النسخ: يزجر.

[12] رواه الطبراني بهذا اللفظ. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٣/٨. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان اللتان ترجران زجرا، فإنهما ميسر العجم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٤٦/١). وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٣/٨).

[13] *تفسير الطبري*، ٣٥٧/٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٦٨/٣.

[14] ك ن – الأشعري.

[15] ك ن: قال قال النبي.

«من لعب بالنَّرد فقد عصى الله ورسوله».[1] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: الميسر القِمار.[2] وعن علي رضي الله عنه قال: لَأَن آخُذَ جَمرتين من نار فأُقلِّبهما[3] في يديَّ أحب إليّ من أن أقلّب كعبتيَ نَرْد.[4] وعن علي رضي الله عنه أيضا[5] قال: الشطرنج هو ميسر الأعاجم.[6] وعن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وهؤلاء السلف قالوا: الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان.[7] وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا جَلَب ولا جَنَب ولا شِغَار ولا وِرَاط في الإسلام».[8] وقيل: الوِرَاط القمار.[9] وقيل: الجَلَب هو أن يَجْلِب وراء الفرس حتى يدنو[10] أو يحرّك وراءه[11] الشيء يستحثّ به[12] السَّبْق.[13] والجَنَب هو الذي يُجْنَب مع الفرس الذي به يسابِق فرسٌ آخر حتى إذا دنا[14] تحوّل راكبه إلى الفرس المجنوب[15] فأخذ السَّبْق.

---

[1] *سنن ابن ماجة*، الأدب ٤٣؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ٥٦.

[2] جميع النسخ: قمار. انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢١٣/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٨/٣.

[3] ن ع: فاقبلهما؛ م: فأقلبها.

[4] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٨٧/٥.

[5] ك – أيضا.

[6] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٨٧/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٨/٣.

[7] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢١٣/١٠؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٨٩/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٠/٣.

[8] *المعجم الكبير* للطبراني، ٣٨/٢٢. وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف (*مجمع الزوائد* لهيثمي، ٣٧٦/٩).

[9] فسر محمد بن حجر أحد رواة هذا الحديث الوراط بالقمار. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٧٦/٩. وقال ابن الأثير: «الوِرَاط أن تُجعَل الغنمُ في وَهْدَةٍ من الأرض لِتَخفَى على المصَدِّق، مأخوذ من الوَرْطَة، وهي الهُوَّة العميقة في الأرض، ثم استُعِير للناس إذا وَقَعوا في بَلِيَّةٍ يَعْسُر المَخْرَج منها. وقيل: الوِرَاط أن يُغَيِّب إبله أو غنمه في إبل غيره وغنمه. وقيل: هو أن يقول أحدهم للمُصَدِّق: عند فلان صدقة، وليست عنده، فهو الوِرَاط» (*النهاية في غريب الحديث*، «ورط»). ولعل ما ذكره ابن الأثير من التفاسير متعلق بحديث آخر ورد في الزكاة، وقد وردت فيه لفظة "وراط" والحديث فيه طول. انظر: *مجمع الزوائد* لهيثمي، ٧٥/٣.

[10] ع م: حتى يدنوا.

[11] ن م: ورآه؛ ع: وراء.

[12] م – به.

[13] جلب على الفرس وأجلب... زجره. وقيل: هو إذا ركب فرسا وقاد خلفه آخر يستحثه، وذلك في الرهان. وقيل: هو إذا صاح به من خلفه واستحثه للسبق. وقيل: هو أن يركب فرسه رجلا فإذا قرب من الغاية تبع فرسه فجلب عليه وصاح به ليكون هو السابق، وهو ضرب من الخديعة. وفي الحديث: «لا جلب ولا جنب». فالجلب أن يتخلّف الفرس في السباق فيحرّك وراءه الشيء يُستحَثّ فيَسبق (*لسان العرب* لابن منظور، «جلب»).

[14] جميع النسخ: دناه. والتصحيح من *لسان العرب* لابن منظور، «جلب».

[15] جميع النسخ: الجنوب. والتصحيح من *لسان العرب* لابن منظور، «جنب».

وأجمع أهل العلم على أن القمار حرام، وأن الرِّهان على المخاطرة[١] مثل القمار. وما روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه خَاطَرَ أهل مكة في غلبة الروم فارسَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «زدهم في الخَطَر وأَبْعِدْهم في الأجل».[٢] فكان ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم ينفذ حكمه. فأما في دار الإسلام فلا خلاف في أن ذلك / لا يجوز إلا ما [١٩٦و] رخص فيه من الرِّهان في السبق في الدواب والإبل إذا كان الآخذ واحدا، إن سَبَق أَخَذ وإن سُبِق[٣] لم يُدفَع شيء. وكذلك إن كان السبق بين رجلين[٤] أيهما سبق أخذ. وإن دخل[٥] بينهما فرس إن سَبَق أَخَذ وإن سُبِق لم يَغْرَم[٦] صاحبُه شيئا فهو جائز، ويسمى الداخل بينهما المحَلِّل. فأما الرخصة فيه فما روي[٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا سَبَق إلا في خُفّ أو حافر أو نَصْل».[٨] فهذا[٩] الذي وصفنا كله من الميسر.

**والأنصاب** هي الأحجار والأوثان التي كانوا ينصبونها ويعبدونها ويذبحون لها.[١٠] وأما **الأزلام** فالقداح التي كانوا[١١] يستقسمون بها في أمورهم ويستعملونها. ففيه دليل بطلان الحكم بالقرعة. لأن الاستقسام بالقداح هو أن كانوا يجعلون الثمن على الذي خرج سهمه أخيرا[١٢] ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء.[١٣] ففيه إيجاب الثمن على الغير. فيجعلون الأمر إلى من ليس له تمييز،

---

[١] ع م: هو المخاطرة. المراهنة والرهان: المخاطرة والمسابقة على الخيل وغير ذلك (*لسان العرب* لابن منظور، «رهن»).

[٢] روي من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٦/١، ٣٠٤؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٣٠؛ *وتفسير الطبري*، ١٩/٢١-٢٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٩/٦-٤٨٣. والخَطَر الرهن، وما يخاطر عليه. والخطر: السبق الذي يترامى عليه في التراهن (*لسان العرب* لابن منظور، «خطر»).

[٣] ع - أخذ وإن سبق.

[٤] ك ن ع: الرجلين.

[٥] ك ن ع: ودخل.

[٦] جميع النسخ: يغرم.

[٧] ك ن: ما روي.

[٨] جميع النسخ: أو نضال. والتصحيح من المصادر التالية. *سنن أبي داود*، الجهاد ٦٠؛ *وسنن الترمذي*، الجهاد ٢٢. وحسنه الترمذي. فالخف للإبل والحافر للخيل والنصال للرمي. السَّبَق بفتح الباء ما يجعل من المال رهنا على المسابقة، وبالسكون مصدر. المعنى: لا يحل أخذ المال بالمسابقة إلا في هذه الثلاثة. وقد ألحق بها الفقهاء ما كان بمعناها (*لسان العرب* لابن منظور، «سبق»).

[٩] ك ن م: هذا.

[١٠] جميع النسخ: ويذبحون بها.

[١١] ع م - كانوا.

[١٢] ن ع م: أخيرا.

[١٣] ع: في الفقراء.

فعوتبوا على ذلك. فعلى ذلك[١] الحكم بالقرعة تسليم إلى من ليس له تمييز بين المحق وغير المحق، فيلحق هذا ما لحق أولئك.

ثم أخبر أن ذلك كله **رجس من عمل الشيطان**. وليس هو في الحقيقة **عمل الشيطان**؛ لأن الشيطان لا يفعل هذا حقيقة. لكن نسب ذلك إليه لما يدعوهم إلى ذلك ويزين لهم. وكذلك قول موسى عليه السلام: هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ،[٢] كذا. وكذلك قوله تعالى: فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ؛[٣] وهو لعنه الله لم يتول إخراجهما ولكن كان به سبب الإخراج والإزلال،[٤] وهو الدعاء إلى ذلك والمراءاة لهم؛ فنسب ذلك إليه. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٩١]**

وقوله عز وجل: **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر**؛ هم في الظاهر لم يجتمعوا على **العداوة والبغضاء**، بل يكون اجتماعهم على الألفة والمودة، على ذلك يجمعهم في الابتداء؛ لكن[٥] لما شربوا وأخذهم الشراب وقع بينهم **العداوة والبغضاء**. فكان قصده من جمعهم[٦] في الابتداء على المحبة والمودة ما ظهر[٧] منه في العاقبة من إيقاع العداوة بينهم وتفريق جمعهم. وهو كقوله تعالى: يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ؛[٨] ولو دعاهم [ابتداء الأمر] إلى عذاب السعير لكانوا لا يجيبونه،[٩] لكن دعاهم إلى العمل الذي يوجب لهم عذاب السعير.

---

[١] م – فعلى ذلك.

[٢] يقول الله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يَقْتَتِلان هذا من شِيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شِيعته على الذي من عدوه فوَكَزَه موسى فقَضَى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مُضِلّ مبين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٥).

[٣] ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٦).

[٤] ن: والازلام.

[٥] م + لكن.

[٦] جميع النسخ: إلى جمعهم.

[٧] ن: وما ظهر.

[٨] ﴿وإذا قيل لهم اتَّبِعوا ما أنزل الله قالوا بل نَتَّبِع ما وجدنا عليه آباءنا أَوَلَوْ كان الشيطان يَدْعُوهم إلى عذاب السَّعِير﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢١).

[٩] ك: لا يجيبون؛ ع: لا يحبونه.

فعلى ذلك هو[1] يدعوهم إلى الاجتماع في الخمر والميسر إلى ما يوجب ويوقع[2] بينهم **العداوة والبغضاء**. ففيه أن الأعمال ينظر فيها [إلى] العواقب، كما روي: «الأعمال بالخواتيم».[3]

وفي الآية دليل تحريم الخمر؛ لأنه قال: **رجس من عمل الشيطان**. والرجس حرام كقوله تعالى: فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا.[4] وما يدعو[5] إليه الشيطان أيضا[6] حرام. وكذلك قوله: قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ؛[7] والحلال المباح لا إثم فيه، ولا يسمى رجسا. وكذلك روي عن نبي الله[8] صلى الله عليه وسلم أنه قام[9] فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس! إن الله يُعَرِّض على الخمر تعريضا لا أدري لعله سينزل فيها». ثم قال: «يا أهل المدينة! إن الله قد أنزل تحريم الخمر؛ فمن كتب هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبعها».[10] قال: فسكبوها في طريق المدينة.[11] وعن عمر رضي الله عنه قال:[12] اللهم[13] بين لنا في الخمر بيان شفاء. فنزلت الآية التي في البقرة: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ.[14] فقرئت عليه، فقال عمر رضي الله عنه: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء. فنزلت الآية التي في النساء: لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى.[15] فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال: لا يَقربِ الصلاةَ سكرانُ. فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه. فقال: اللهم[16] بين لنا في الخمر بيان شفاء.

---

[1] ن – هو.

[2] جميع النسخ: ويقع.

[3] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٣٣٥؛ وصحيح *البخاري*، القدر ٥.

[4] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا على طاعمٍ يطعَمُه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحمَ خنزيرٍ فإنه رجسٌ أو فِسقًا أُهِلّ لغير الله به﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٥).

[5] ع: وما يدعوا.

[6] ن: انه.

[7] ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٩).

[8] ع: عن النبي.

[9] ع: قال.

[10] ن: ولا يبيعها.

[11] صحيح *مسلم*، المساقاة ٦٧؛ وشعب *الايمان* للبيهقي، ٥/٤.

[12] ك ن + لما نزل تحريم الخمر قال عمر؛ ع م + لما نزل تحريم الخمر قال.

[13] ن – اللهم.

[14] سورة البقرة، ٢/٢١٩.

[15] سورة النساء، ٤/٤٣.

[16] ن – اللهم.

فنزلت الآية التي[1] في المائدة: **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء**. فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه. فلما بلغ: **فهل أنتم منتهون**، قال: انتهينا انتهينا.[2] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت ساقي القوم ونبيذنا تمر وزبيب وبُسْر[3] خلطناه جميعا. فبينما[4] نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال: ما تصنعون؟ والله لقد أنزل تحريم الخمر. فأهرقنا الباطية[5] وكفأنا. ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يقرأ هذه الآية ويكررها: **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء** -إلى قوله- **فهل أنتم منتهون**.[6] فالخيطان حرام.

فأجمع أهل العلم على أن الخمر حرام قليلها وكثيرها، وأن عصير العنب إذا غلا واشتد فصار مسكرا خَمْرٌ،[7] واختلفوا فيما سوى ذلك من الأشربة. فكان أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله يقولان: ما كان من الأشربة نِيئًا[8] متخذا من النخلة والعنب فهو حرام، كنبيذ البُسْر والتمر والزبيب إذا أسكر[9] كثيره فهو حرام عندهما. وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[10] قال: «الخمر[11] من هاتين الشجرتين، من النخلة والعنبة».[12] ومعنى التخصيص لهما لأن شرابهم كان منهما، ولا يتخذ منهما إلا المسكر خاصة.

---

[1] ن – التي.

[2] ع م – انتهينا. سنن *أبي داود*، الأشربة ١؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٥؛ وتفسير *الطبري*، ٣٣/٧.

[3] البسر الغَضّ من كل شيء. والبسر التمر قبل أن يُرْطِب لغضاضته (*لسان العرب* لابن منظور، «بسر»).

[4] ن ع م: فبينا.

[5] الباطية إناء عظيم من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين الشُّرْب يغرفون منه ويشربون (*لسان العرب* لابن منظور، «بطا»).

[6] روي إلى قوله: ثم خرجنا... ولم يذكر الزبيب، إنما ذكر التمر والبسر فقط. انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١٠/٥؛ وصحيح *مسلم*، الأشربة ٣. لكن روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجمعوا بين الرُّطَب والبُسْر وبين الزبيب والتمر نبيذا» (صحيح *البخاري*، الأشربة ١١؛ وصحيح *مسلم*، الأشربة ١٨).

[7] ك ع ن: خمرا.

[8] النيء من اللحم وغيره: هو الذي لم يطبخ أو طبخ أدنى طبخ ولم ينضج (*لسان العرب* لابن منظور، «نيء»).

[9] ك ع: إذا أسكره.

[10] ك ن – أنه.

[11] ع – الخمر.

[12] جميع النسخ: والعنب. والتصحيح من المصادر التالية. صحيح *مسلم*، الأشربة ١٣؛ وسنن *أبي داود* الأشربة ٤؛ وسنن *الترمذي*، الأشربة ٨.

وأما ما اتخذ من غير النخلة والعنب[١] فلا يحرم وإن كان نيئا إلا السكر منه؛ لأن غيرهما من الأشربة قد[٢] يتخذ لا للسكر. وإن كان / في مكان لا يتخذ إلا للسكر[٣] فهو مكروه قليله وكثيره كالمتخذ [١٩٦ظ] من النخلة والعنب. وكانا يقولان: ما كان من الأنبذة مطبوخا فهو حلال وإن قل طبخه؛ إلا العصير[٤] فإنه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه.[٥] وكانا يفرقان بين العصير وغيره بأن العصير ليس فيه شيء من غيره، وإن ترك بحاله غلا فأسكر. فإذا طبخ حتى يذهب ثلثه أو نصفه فهو يَغلِي ويُسكر، فلم يخرجه الطبخ من حده الأول، إذ كان[٦] يسكر قبل أن يطبخ، وهو الآن يسكر بنفسه، إذ لم يجعل فيه شيء غيره.[٧] وسائر ما يتخذ منه الأنبذة إن بقي[٨] لم يشتد[٩] ولم يسكر[١٠] حتى يلقى عليه الماء ويخلط به[١١] غيره، فحينئذ يسكر. فهو[١٢] مثل العصير إذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، إن بقي[١٣] دهرا لم يسكر حتى يلقى عليه الماء، فحينئذ يسكر. فإذا صار العصير في حالٍ إن بقي مدة لم يغلِ بنفسه حتى يلقى عليه غيره كان بمنزلة الزبيب والتمر إذا ألقي عليهما الماء فطبخا. وعلى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه في الطِّلاء[١٤] أنه لا يحل حتى يذهب ثلثاه فيذهب[١٥] عنه سلطانه.[١٦] يقول: إذا كان يَغلِي بنفسه من غير أن يصب[١٧] عليه الماء ففيه سلطانه.

---

[١] ع م – ومعنى التخصيص لهما لأن شرابهم كان منهما ولا يتخذ منهما إلا المسكر خاصة وأما ما اتخذ من غير النخلة والعنب.
[٢] ن – قد.
[٣] ع م: السكر.
[٤] أي عصير العنب.
[٥] ع: ثلثا.
[٦] ن: إذا كان.
[٧] ن: غير.
[٨] جميع النسخ: إن بقيت.
[٩] ك: لم تشتد.
[١٠] ك: ولم تسكر.
[١١] جميع النسخ: ويخلط بها.
[١٢] جميع النسخ: فهي.
[١٣] ن: فإن بقي.
[١٤] الطلاء ما طُبِخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه (*لسان العرب* لابن منظور، «طلى»).
[١٥] ع م – ثلثاه فيذهب.
[١٦] عن سُوَيد بن غَفَلة قال: كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عُمَّاله أنِ ارزُقِ المسلمين من الطِّلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه (*سنن النسائي*، الأشربة ٥٣).
[١٧] ع: أن يصيب.

فإذا صار لا يغلي بنفسه وهو أن يطبخ حتى يذهب ثلثاه فقد ذهب عنه[1] سلطانه. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا عبيدة ومعاذ بن جبل وأبا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه.[2] وقد وصفنا فرق أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله بين المطبوخ وبين المثلّث والمنصّف من العصير. فأما فرقهم[3] بين المطبوخ مما يتخذ[4] من النخلة والعنب والنيء منه فهو أن[5] الخمر التي لا خلاف في تحريمها هي العصير[6] التي تصير[7] خمرا. فكل ما كان نيئا من الشجرتين اللتين سماهما النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام إذا أسكر.[8] فإذا كان مطبوخا فقد عُمل فيه عمل[9] خرج به من حد الخمر.

فإن قيل: يجب أن يقاس ذلك على النيء لأنه يسكر وفيه صفات الخمر.

قيل: الخمر حرمت لعينها لما لا يتخذ إلا للسكر،[10] ولا يقاس عليها غيرها.[11] وإنما يقاس على ما حُرِم وحَلّ لعلة دون ما حرم بعينه. وأما غيره من الأنبذة فإنما يحرم منها[12] السكر. ألا ترى[13] أنه في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن قال له أبو موسى: إن شرابنا يقال له البِتْع،[14] فما نشرب منه وما ندع؟ قال: «اشربوا ولا تسكروا».[15]

---

[1] م – عنه.

[2] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥/٩٠. وعلّقه البخاري. انظر: صحيح *البخاري*، الأشربة ١٠.

[3] م: وأما فرقهم.

[4] جميع النسخ: ما يتخذ.

[5] ع م – أن.

[6] جميع النسخ: في العصير.

[7] ن ع م: يصير.

[8] ن: وإذا أسكر.

[9] م – عمل.

[10] ن ع م: إلا السكر.

[11] م – غيرها.

[12] جميع النسخ: يحرم منه.

[13] ك: ألا يرى. البِتْع والبِتَع: نبيذ يتخذ من عسل كأنه الخمر صلابة. والبتع أيضا: الخمر، يمانية (*لسان العرب* لابن منظور، «بتع»).

[14] ن: البيع.

[15] روي بألفاظ مختلفة. منها ما روي عن أبي موسى قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن. فقلت: يا رسول الله، إن شرابا يصنع بأرضنا يقال له المِزْر من الشعير، وشراب يقال له البِتْع من العسل. فقال: «كل مسكر حرام» (صحيح *البخاري*، المغازي ٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الأشربة ٧٠). وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذا إلى اليمن. فقال معاذ: إنك تبعثنا إلى أرضٍ كثيرٌ شرابُ أهلِها، فما أشرب؟ قال: «اشرب، ولا تشرب مسكرا» (سنن *النسائي*، الأشربة ٢٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: حُرِّمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب.[١] وعن علي رضي الله عنه قال: فيما أسكر[٢] من النبيد ثمانون،[٣] وفي الخمر قليلها وكثيرها ثمانون.[٤] فدل قول علي رضي الله عنه: فيما أسكر من النبيذ ثمانون،[٥] [على أن] معناه: في السكر ثمانون. وذلك يدل [على] أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر حرام»،[٦] أن السكر منه حرام. وعن عمر رضي الله عنه أنه أُتِيَ بسكران قال: يا أمير المؤمنين، إنما نشرب[٧] من نبيذك الذي في الإداوة. فقال عمر رضي الله عنه: لست أضربك على النبيذ، إنما أضربك على السكر.[٨] فهذه الأخبار التي ذكرنا دلت على تحريم الخمر بعينها، والسكرِ من كل شراب.

وقوله عز وجل: **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة**، يدل على[٩] تحريمها؛ لأنه إذا سكر صده عن ذكر الله وعن الصلاة.

**﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**[٩٢]

وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، في تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام[١٠] وغيرها؛[١١] **واحذروا**، معصيتهما[١٢] وخلافهما.[١٣] **فإن توليتم**، عن طاعتهما فيما حرم[١٤] عليكم وحذركم عنه؛ **فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**، في تحريم ذلك. ***والله أعلم***.

---

[١] أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٦٢.
[٢] جميع النسخ: فما أسكر.
[٣] جميع النسخ: ثمان. أي ثمانون جلدة.
[٤] ك ن ع: ثمان. روي معنى ذلك عن علي رضي الله عنه. انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥/٥٠٢، ٥٠٣.
[٥] ك ن ع: ثمان.
[٦] *صحيح البخاري*، المغازي ٦٠؛ و*صحيح مسلم*، الأشربة ٧٠.
[٧] ع: يشرب.
[٨] روي بمعناه. انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٥/٥٠٢.
[٩] ك – تحريم الخمر بعينها والسكر من كل شراب وقوله عز وجل ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة يدل على.
[١٠] ع م: والأزلام والأنصاب.
[١١] ك ن: وغيره.
[١٢] ع م: معصيتها.
[١٣] ع: وخلافها.
[١٤] جميع النسخ: فما حرم.

**﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٩٣]**

وقوله عز وجل: **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**، أي شربوا من الخمر قبل تحريمها، **إذا ما اتقوا**، شربها بعد التحريم، **وآمنوا**، أي وصدقوا[١] بالتحريم، **ثم اتقوا**، شربها، **وآمنوا**، في حادث الوقت، **ثم اتقوا وأحسنوا**. وذكر في بعض القصة أنه لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزل: **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**، الآية.[٢] لكن هذا لا يحتمل أن يكون كما ذكر؛ لأنهم شربوا الخمر[٣] في وقت كان شربها مباحا، ولم يشربوا بعد تحريمها. لكن هذا إن كان فإنما[٤] قالوا في أنفسهم، فنزل أن ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد أن اتقيتم شربها بعد نزول حرمتها. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم:[٥] إن في الآية تكرارا في قوله تعالى: **إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين**.[٦] لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار. ***والله أعلم***.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد**؛ إنه ابتلانا بشيء من الصيد،[٧] وليس فيه بيان أنه ابتلى بالأمر فيه أو بالنهي، لكن بيانه في آية أخرى أن الابتلاء إنما كان بالنهي عن الاصطياد بقوله: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا.[٨] دل هذا على أن المحرم

---

[١] ك: صدقوا.

[٢] *صحيح البخاري*، التفسير ٥/١٠؛ و*صحيح مسلم*، الأشربة ٣؛ و*تفسير الطبري*، ٣٧/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٥٨/٣-١٥٩، ١٧١-١٧٢.

[٣] ك – قالوا كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية لكن هذا لا يحتمل أن يكون كما ذكر لأنهم شربوا الخمر.

[٤] ك: قايما.

[٥] ك: بعض الناس.

[٦] ن + لكن هذا إن كان فإنما قالوا في أنفسهم فنزل أن ليس عليكم جناح فيما شربتم.

[٧] ك م – إنه ابتلانا بشيء من الصيد.

[٨] سورة المائدة، ٢/٥.

كان منهيا من الاصطياد؛[١] وأن الابتلاء الذي ذكر في الآية كان بالنهي عن الاصطياد. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في الآية. قال بعضهم: / النهي بشيء من الصيد لأهل الحرم.[٢] ألا ترى[٣] أنه [١٩٧و] روي في الخبر قال: «لا يُنَفَّر صيدها، ولا يُختَلَى خَلَاها، ولا يُعْضَد[٤] شجرها».[٥] فكان الابتلاء بالنهي عن الصيد لأهل الحرم لما أخبر أنه لا ينفر صيدها. وأما المحرم فإنما نهي عن الاصطياد بقوله: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا، وبقوله: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ.[٦] وقال آخرون: الابتلاء بالنهي عن الاصطياد للمحرمين. وفي قوله: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، نهي عن قتله، وهناك[٧] نهي عن أخذه بقوله: **تناله أيديكم**.

وقوله تعالى: **بشيء من الصيد**، أي في بعض الصيد دون بعض؛ لأن المحرم لم يُنه عن أخذ صيد البحر، وإنما نهي عن أخذ صيد[٨] البر[٩] بقوله: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ -وقال تعالى-[١٠] وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا.[١١] فذلك معنى قوله: **بشيء من الصيد**. ***والله أعلم***.

ويحتمل على التقديم والتأخير كأنه قال: لَيَبْلونَكم الله بشيء[١٢] تناله أيديكم ورماحكم من الصيد. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في قوله: **تناله أيديكم**. قال بعضهم: ما تناله الأيدي هو البيض. وعلى هذا يخرج قولنا: إن المحرم منهي عن أخذ البيض، فإن أخذ بيضا فإن عليه الجزاء. والذي يدل على ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[١] ع م + بقوله وإذا حللتم.
[٢] ن: الحرام.
[٣] ك: ألا يرى.
[٤] ع: ولا يقصد.
[٥] صحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٩؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥. لا ينفر صيدها أي لا يجعل الصيد تنفر وتهرب ولا يتعقبها (*لسان العرب* لابن منظور، «نفر»). ولا يختلى خلاها أي لا يقطع النبات الرقيق الرطب حتى يطعمه فرسه أو دابته (*لسان العرب* لابن منظور، «خلا»). ولا يعضد شجرها أي لا يقطع (*لسان العرب* لابن منظور، «عضد»).
[٦] سورة المائدة، ٩٥/٥.
[٧] ك ن ع: وهنالك.
[٨] ع – البحر وإنما نهي عن أخذ صيد.
[٩] م – وإنما نهي عن أخذ صيد البر.
[١٠] ك: وقال آخرون.
[١١] سورة المائدة، ٩٦/٥.
[١٢] م + من الصيد.

«في بيض النَّعام صيام يوم أو إطعام[1] مسكين».[2] وعن كعب بن عُجْرَة[3] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نَعام أصابه[4] محرم بثمنه.[5] وعن ابن عباس رضي الله عنه: عليه[6] ثمنه أو قيمته.[7] وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله.[8] وقال بعضهم:[9] **تناله أيديكم**، هو صيد الصغار، وهي الفِراخ التي لا تطير فتؤخذ[10] بالأيدي أخذا.[11]

وقوله عز وجل: **ورماحكم**، قال بعضهم: ما رميت وطعنت. وقيل في قوله: **تناله أيديكم**، ما يؤخذ بغير سلاح؛ **ورماحكم**، ما يؤخذ بالسلاح من نحو النَّبْل والرماح وغيرهما من السلاح.

ثم في الآية دلالة [على] أن المحرم قد نهي عن أخذ الصيد. وكذلك في قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا.[12] والاصطياد هو الأخذ لا القتل. وإنما النهي عن القتل في قوله:[13] لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ.[14]

وقوله عز وجل: **ليعلم الله من يخافه بالغيب**، ليعلم ما قد علم أنه يكون[15] كائنا. أو أن يقال: ليعلم ما قد علم غائبا عن الخلق شاهدا كقوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[16] الآية.

وقوله عز وجل: **من يخافه بالغيب**، اختلف فيه. قال بعضهم: **يخافه بالغيب**، بغيب الناس.

---

[1] ن: أو طعام.

[2] لم أجده عن أبي هريرة ولكن عن غيره من الصحابة مثل عائشة رضي الله عنها وغيرها. انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣/٣٨٩، ٣٩٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٩٠.

[3] ع: عجزة.

[4] ع: اصابة.

[5] جميع النسخ: بيمينه. والتصحيح مستفاد من مصادر الحديث. *مصنف عبد الرزاق*، ٤/٤٢٣؛ وسنن *الدارقطني*، ٢/٢٤٧. وضعفه ابن حجر. انظر: *تلخيص الحبير*، ٢/٢٧٤.

[6] م – عليه.

[7] *مصنف عبد الرزاق*، ٤/٤٢١.

[8] *مصنف عبد الرزاق*، ٤/٤٢٣.

[9] ك ن ع: بعضه.

[10] جميع النسخ: فيؤخذ.

[11] م – أخذا.

[12] سورة المائدة، ٥/٢.

[13] ن – في قوله.

[14] سورة المائدة، ٥/٩٥.

[15] ع: أن يكون.

[16] سورة الحشر، ٥٩/٢٢.

أي يخافه[١] وإن لم يكن بحضرته أحد. وقال آخرون: يخاف العذاب بالإخبار وإن لم يشهد، ويصدّق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن اعتدى بعد ذلك**، أي من استحل قتل الصيد بعد ما ورد النهي والتحريم؛ **فله عذاب أليم**. والثاني **فمن اعتدى** على الصيد بعد النهي على غير استحلال **فله عذاب أليم**؛[٢] إن شاء عذب وإن شاء عفا؛ وإذا عذب كان عذابه أليما.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[٩٥]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم**، أي وأنتم مُحرِمون. الآية في ظاهرها عامة[٣] على قتل الصيد كله. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في أشياء أُذن في قتلها، فقال:[٤] «خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم في الحرم؛ الحِدَأة[٥] والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور».[٦] وعن عائشة رضي الله عنها قالت:[٧] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمسٍ فواسقَ في الحل والحرم؛ الحدأة والغراب والفأرة والعقرب[٨] والكلب العقور.[٩] وفي بعض[١٠] الأخبار:[١١] الذئب.[١٢]

---

[١] ع: أن يخافه.
[٢] ع م – والثاني من اعتدى على الصيد بعد النهي على غير استحلال فله عذاب أليم.
[٣] ع م – عامة
[٤] ن ع م: فيقال؛ ع م + في.
[٥] طائر معروف من الجوارح يصيد الجرذان (*لسان العرب* لابن منظور، «حدأ»).
[٦] صحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٧٢. الكلب العقور هو كل سبع يعقر أي يجرح ويقتل ويفترس كالأسد والنمر والذئب والفهد وما أشبهها. سماها كلبا لاشتراكها في السبعية (*لسان العرب* لابن منظور، «عقر»).
[٧] ع م – قالت.
[٨] ع – والعقرب.
[٩] صحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٦٧. يقول ابن منظور: «وفي الحديث: 'خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم'؛ أصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمي العاصي فاسقا. وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن، وقيل: لخروجهن عن الحرمة في الحل والحرم، أي لا حرمة لهن بحال» (*لسان العرب* لابن منظور، «فسق»).
[١٠] م + النسخ.
[١١] م: والأخبار.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٠؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٥/٢١٠.

فيحتمل أن يكون الكلب العقور الذئب. وروي عن أبي سعيد[1] الخدري أن رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم. فقال: «الحية والعقرب والفويسقة -ويرمي[3] الغراب ولا يقتله-[4] والكلب العقور والسَّبُع العادي».[5] والكلب العقور الذي أمر المحرم يقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الأسد والنمر والذئب. وما كان من[6] السباع لا يعدو[7] مثل الضبع والثعلب والهرة[8] وما أشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم. فإن هو قتل شيئا منهن فداه. وإن قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر في الخبر فعليه جزاؤه. وفي بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقتل المحرم الفأرة فإنها توهن السِّقاء».[9]

وقال بعض[10] الناس: ما قتل المحرم من السباع التي لا يؤكل لحمها[11] فلا فدية عليه؛ فكان تاركا لظاهر الآية، وهو قوله[12] تعالى: **لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم**. فإن احتج بحديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من الدواب.[13] وذلك ما لا يؤكل لحمه. قيل: [هل] أباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل الخمس لعلة أنه لا يؤكل لحمها؟ فإن قال: نعم، قيل: ما الدليل على ذلك؟ فإن قال: لأنها لا تؤكل؛ فكل ما لا يؤكل من الصيد فقتله مباح. فيقال له: قولك "لا يؤكل" ليس بعلة؛ لأن ذلك لا يزول ولا يتغير، والعلة هي التي تحدث في وقت وتزول في وقت. ولو كان قول القائل "لا يؤكل" علة فيما لا يؤكل كان قوله "يؤكل" علة فيما يؤكل،

---

[1] م: عن سعيد.
[2] ك: أن النبي.
[3] ك ن: ويروي؛ ع م – ويروي.
[4] ك ن م: والفيلة؛ ع: والقيلة. والتصحيح في الموضعين السابقين من مصادر الحديث.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣؛ و*سنن أبي داود*، المناسك ٣٩. والفويسقة: الفأرة.
[6] م – من.
[7] ن ع م: لا يعدوا.
[8] ع م: والحرة.
[9] لم أجده. لكن روي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقتل المحرم الحية والعقرب والسبع العادي والكلب العقور والفأرة الفويسقة». فقيل له: لم قيل لها الفويسقة؟ قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ لها وقد أخذت الفَتِيلة لتحرق بها البيت (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٣/٣٥٠؛ و*سنن ابن ماجة*، المناسك ٩١).
[10] ع: بعضهم.
[11] جميع النسخ: لحمه.
[12] ع: وقوله.
[13] تقدم قريبا.

وكان الشيء علة لنفسه.[١] وهذا بين الخطأ. وإذا لم يكن تحريم أكل الخمس[٢] التي أذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلها للمحرم علة في إطلاق قتلها كان القياس عليها على ما لا يحل أكله مخطئا، لأن القياس إنما يكون على العلل، وما لا علة فيه / لا يجوز القياس عليه. [١٩٧ظ]

وعندنا أن هذه الخمسة المسماة تبتدئ[٣] المحرم وغيرَه[٤] بالأذى وإن لم يبتدئها المحرم.[٥] وما سوى ذلك مما لا يؤكل لحمه لا يكاد يبتدئ بالأذى حتى يبتدئها الإنسان، فحينئذ تَعرّض له.[٦] وبيان ذلك أن الحدأة ربما أغارت على اللحم تراه[٧] في يدي الرجل، والغراب يَسقط على دبر الدواب فيفسده، والعقرب تقصد من تَلدَغه وتَتْبَع حِسّه.[٨] والكلب العقور لا يكاد[٩] يهرب من الناس كما تهرب[١٠] السباع سواه. فأما الضبع والخنزير والكلب والذئب وأشباهها فهي تهرب[١١] من بني آدم ولا تكاد[١٢] تؤذيهم[١٣] حتى يبتدئوها[١٤] بالأذى. فجعلنا[١٥] العلة فيما رخّص النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم في[١٦] قتله ما يُعرَف من قصدها لأذى المحرم وإن لم يؤذها[١٧] المحرم، أنْ كان[١٨] ذلك[١٩] معروفا فيها معلوما أنه أكثر[٢٠] شأنها.

---

[١] جميع النسخ: لنفسها.

[٢] جميع النسخ: الخمسة.

[٣] ن ع م: يبتدئ.

[٤] ع: غيره.

[٥] م + المحرم.

[٦] ك: يعرض له.

[٧] جميع النسخ: يراه.

[٨] أي تتبع صوت وحركة من تقصد لدغه (*لسان العرب* لابن منظور، «حسّ»).

[٩] ن ع م: لا تكاد.

[١٠] جميع النسخ: كما يهرب.

[١١] ن: يهرب.

[١٢] ن ع م: ولا يكاد.

[١٣] جميع النسخ: يؤذيهم.

[١٤] ك: حتى يبداوها.

[١٥] جميع النسخ: جعلنا.

[١٦] م – في.

[١٧] ن: وإن لم يؤذيها؛ ع م: وإن يوديها.

[١٨] ك: إذ كان.

[١٩] ن – ذلك.

[٢٠] ك: أكبر.

فلما لم تكن[1] في سائر الطير المحرَّمة والسباع هذه العلة وكان المعروف فيها أنها لا تبتدئ[2] بالأذى لم يجز أن تُشبَّه[3] بالخمسة المسماة في الخبر. فإذا ابتدأ[4] منها مبتدئ المحرمَ بالأذى كان حينئذ مثل الخمسة،[5] فجاز له قتلها بغير فدية.

وبعد فإن الذي لا يؤكل لحمه يسمى صيدا، والصيادون يصيدونه، فكان داخلا تحت عموم الخطاب. ومخالفنا تارك لأصله[6] في العموم، لأنه خص الآية بغير دليل. ومن أصله أن الآية على العموم، ولا تخص إلا بدليل. وأصحابنا رحمهم الله يجعلون الصيد كله محظورا أُكل أو لم يؤكل إلا ما عدا[7] منها؛ فإن قَتَله قبل أن يعدو[8] عليه لزمه الفداء. ذهبوا في ذلك إلى ما روي في الخبر، خبر أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقتل المحرم -كذا وكذا-[9] والسبع العادي».[10] فالعادي ما يعدو[11] على المحرم. وإلى ما[12] روي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وغيره.[13] مع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل على المحرم قَتَلَ ضَبُعا جزاءه.[14] وكذلك روي[15] عن عمر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.[16]

---

[1] جميع النسخ: لم يكن.
[2] م: لا يبتدئ.
[3] ن ع م: أن يشبه.
[4] جميع النسخ: فإذا ابتدى.
[5] ن: الخمصة.
[6] ع: لاصلة.
[7] ع: ما غدا.
[8] ن ع: أن يعدوا.
[9] ن: كذا كذا.
[10] تقدم قريبا.
[11] ن ع: ما يعدوا.
[12] ك: إلى ما.
[13] ع - وغيره. عن علي في الضبع إذا عدا على المحرم فيقتله، فإن قتله من قبل أن يعدو عليه فعليه شاة مسنة (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٣/٣٥٠).
[14] عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال: «هو صيد، ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم» (*سنن أبي داود*، الأطعمة ٣١؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٢٨). وصححه الترمذي.
[15] م - روي.
[16] روي عن عمر رضي الله عنه أنه قضى في الضبع بكبش. انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٤/٤٠٣. وكذلك روي عن ابن عباس. انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٤/٤٠٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٣/٢٥٥. ولأثر ابن عمر انظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣/٤٢٥.

وهي مما [لا] يؤكل.[١] وعن جابر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضبع، فقال: «هو صيد وفيه كبش». وعن عمر رضي الله عنه كذلك، وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كذلك.[٢]

وقوله عز وجل: **ومن قتله منكم متعمدا فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النعم**؛ اختلف في الآية في تأويلها على وجهين. فأحدهما من جعل الآية على ظاهرها فلم يوجب في الخطأ كفارة. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أصاب المحرم الصيد خطأ فليس عليه شيء.[٣] وكذلك روي عن عطاء وسالم والقاسم[٤] أنهم قالوا: لا شيء عليه،[٥] مثل قول ابن عباس رضي الله عنه.

والقول الثاني ما قاله أكثر أهل التأويل؛ قالوا: قوله: **ومن قتله منكم متعمدا**، لقتله ناسيا لإحرامه فذلك الذي يحكم عليه، وهو الخطأ[٦] المكفَّر؛ وإن قتله متعمدا لقتله ذاكرا لإحرامه لم يحكم عليه. وكذلك روي عن الحسن أنه قال: متعمدا لصيده ناسيا لإحرامه؛ وقال: **ومن عاد فينتقم الله منه**، متعمدا للصيد وذاكرا لإحرامه.[٧] فكأنهم ذهبوا إلى أن المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر[٨] لإحرامه، أحسنوا الظن به. وعندنا[٩] أن الإحرام مما لا يجوز أن يخفى على المحرم وينساه؛[١٠] لأن للمحرم[١١] أعلاما تذكّره[١٢] تلك الأعلام الحال التي هو فيها. وعندنا أن ما لا يجوز أن يُنسى ويخفى على المرء لم يُعذر صاحبه في نسيانه. وعندنا أن على قاتل الصيد الكفارةَ، عمدا قتله أو خطأ. وليس تخلو الآية من أن تكون[١٣] أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل الناسي لإحرامه

---

[١] اختلف في أكل الضبع. فلا يجوز أكله عند أبي حنيفة ومالك وأجازه الشافعي. انظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٨٩/٣-١٩٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٢١/٧.

[٢] ع: لذلك.

[٣] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٩٦/٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٨/٣. وروي عكسه عن ابن عباس أيضا. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٦/٣.

[٤] م: وقاسم.

[٥] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٩٦/٣.

[٦] ك – الخطأ.

[٧] *تفسير الطبري*، ٤١/٧-٤٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٧/٣.

[٨] ع: ذاكرا.

[٩] م: عندنا.

[١٠] م: وينسى.

[١١] ك: للإحرام.

[١٢] ن: تذكرة.

[١٣] ن م: أن يكون.

كما قال[1] الحسن ومجاهد؛[2] أو تكونَ أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل[3] ذاكرا لإحرامه. فإن كان وجب أن يكفِّر من قتله عامدا لقتله ناسيا لإحرامه فإن الذي يقتله عامدا لقتله ذاكرا لإحرامه[4] أولى بالكفارة، لأن ذنبه أعظم وجرمه أكبر.

فإن قيل: إنكم[5] لا توجبون الكفارة على قاتل النفس عمدا، فما منع أن يكون قتل الصيد مثل ذلك وإن كان حرمته أعظم؟[6]

قيل: إن قاتل النفس عمدا وإن كنا لم نوجب عليه الكفارة فقد أوجبنا عليه القصاص، وهو أعظم[7] من الكفارة. وقاتل الصيد عمدا لقتله ذاكرا لإحرامه لو أزلنا عنه الكفارة فلا شيء عليه سواها، لذلك اختلفا. ثم نقول: إنا عرفنا الحكم في قتل الصيد عمدا بالكتاب. والحكم في قتل الصيد[8] في الخطأ إنما يعرف بغيره. وليس في ذكر الحكم وبيانه في حالٍ دليل[9] نفيه في حال أخرى. ولنا على هذا مسائل قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع، كرهنا إعادتها في هذا الموضع.[10]

ثم تخصيص ذكر الكفارة في قتل العمد يحتمل وجوها. أحدها أن الكفارة في قتل النفس إنما ذكرت في قتل الخطأ، لم تُذكَر في قتل العمد ليُعلَم أنها إذا أُوجبت في العمد فهي في الخطأ أوجب.[11]

والثاني أن الكفارة إنما وجبت بجنايته على صيد أُمن به في الحرم. وكل ذي أمانة إذا أتلف الأمانة لزمه[12] الغُرْم عمدا كان إتلافه أو خطأ. فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**.

والثالث أن ذكر التخيير في حال الضرورة يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على أهلها،

---

[1] ن ع: لما قال.

[2] *تفسير الطبري*، ٤٢/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٨٧/٣.

[3] ك – الناسي لإحرامه كما قال الحسن ومجاهد أو تكون أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل.

[4] ع م – فإن كان وجب أن يكفر من قتله عامدا لقتله ناسيا لإحرامه فإن الذي يقتله عامدا لقتله ذاكرا لإحرامه.

[5] ع: لكم.

[6] جميع النسخ + كما.

[7] ك ن ع: أغلظ.

[8] ع م – عمدا بالكتاب والحكم في قتل الصيد.

[9] ن: دليله.

[10] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٩/٤.

[11] م: أوجبت.

[12] م: لزم.

ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة.[١] فدل ذكره في غير حال الضرورة على أن ذلك كالمذكور في حال الضرورة.

وقوله عز وجل: **فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم**؛ اختلف أهل العلم فيما يجب من المثل. فقال قوم: في الظبي شاة، وفي النَّعامة بَدَنة،[٢] وفي حمار الوحش[٣] بقرة، وأشباه ذلك. وقال آخرون: المثل قيمة الصيد؛ يقومه عدلان / فيوجبان قيمته دراهم، فيشترى [١٩٨و]
بتلك الدراهم شاة؛ أو يجعله طعاما فيتصدق به على كل[٤] مسكين نصف صاع، أو يصوم عن كل نصف صاع يوما. وقال غيرهم: إن بلغ دما ذبح شاة، وإن لم يبلغ دما تصدق به.[٥]

وأما قولنا: إن المثل هو القيمة لا المثل في رأي العين. ذهبنا في ذلك إلى وجوه. أحدها أن المحرم لو أصاب[٦] صيدا في هذا الوقت حكم بجزائه حكمان. فلو كان مثل الظبي شاةً في كل الدهور والأوقات كان ما تقدم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الحكم في ذلك كافيا،[٧] لا يحتاج إلى حكم غيرهم. فدل إجماعهم على أن حكم الحكمين باق، على أن المثل غير موقت بل هو مختلف على قدر الأزمنة والمواضع والأوقات. وإذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة إلى الحكمين قائمة؛ وإذا جعلناه هَدْيا فالحاجة إليها زائلة. ولا يجوز أن يعطَّلَ أمر الحكمين وقد ذكره الله تعالى في كتابه.[٨]

والثاني ما أجمعوا عليه أن ما لا مثل له في الأنعام من الصيد إذا أصابه المحرم فعليه قيمته؛ فإذا كان المثل في بعض الصيد قيمته فهو في كل الصيد قيمته. وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من السلف رضي الله عنهم أنهم قالوا ذلك.[٩]

---

[١] ك - يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على أهلها ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة.
[٢] ك - بدنة.
[٣] م: الوحشي.
[٤] م - كل.
[٥] ن ع: يصدق به؛ م: يتصدق به.
[٦] م: إذا أصاب.
[٧] ن ع م: كافيا.
[٨] ع: في كتابة.
[٩] عن ابن عباس قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم. فإن لم يجد نظر كم ثمنه -قال ابن حميد: نظر كم قيمته- فقوم عليه ثمنه طعاما، فصام مكان كل نصف صاع يوما (*تفسير الطبري*، ٤٤/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٨٨/٣). وروي عن إبراهيم القول بالقيمة. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٦/٧؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ١٩٤/٣. وروي ذلك عن عطاء ومجاهد. انظر: مصنف *ابن أبي شيبة*، ١٩٣/٣.

فإن قيل: ما لا مثل له من النعم لا تمكن[1] قيمة[2] أكثر من قيمته. قيل له: فيجعل[3] ذلك مِثْلا؟ فإن قال: بلى،[4] قيل: فقد صارت القيمة مثلا في بعض الصيد، فما منع أن يكون مثلا في كل الصيد؟

فإن قال: المثل هو الهدي فيما له مثل؛ فأما ما لا مثل[5] له من الهدايا[6] فليس الواجب فيه بمثل، إنما ذلك قيمة. ولم يجب ذلك بنص الكتاب، وإنما وجب[7] بنص الكتاب المثل من الهدي. فأما ما لا مثل له فإنما وجبت[8] قيمته بالإجماع.

قيل له: حدثنا عن قول الله تعالى: **لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم**، هل دخل في عموم الآية الفرخ ونحوه[9] فيكون[10] منهيا عن قتله؟ فإن قال: نعم، قيل: فإذا دخل[11] الفرخ في عموم النهي عن قتل الصيد فهو أيضا داخل في عموم قوله: **ومن قتله منكم متعمدا**، الآية. فإن قال: لا يدخل الفرخ في عموم قوله تعالى: **لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم**. قيل له: قد قال الله تعالى: لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ،[12] فروي أن ذلك في البيض والفراخ. فإن لم يجعل الفراخ ولا شيئا[13] منها داخلا في الآية فما معنى الآية؟ ونحن لا ننال[14] بأيدينا من الصيد إلا ضعافه وما يعجز عن الطيران والعَدْو منه. فالآية توجب أن الصيد كله قد دخل في عمومها، ما قلت[15] قيمته وما كثرت. وذلك يوجب أن يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثلا. ***والله أعلم***. ولأن النعامة لا مثل لها من النعم،

[1] ن ع م: لا يمكن.
[2] م: قيمته.
[3] ن ع م: فتجعل.
[4] ع: لي.
[5] ع – فأما ما لا مثل.
[6] م: من الهدي.
[7] ن ع م + ذلك.
[8] جميع النسخ: فإنما وجب.
[9] ع: ونحو.
[10] ن: فيكوى.
[11] ن – دخل؛ ع: أدخل.
[12] سورة المائدة، ٩٤/٥.
[13] ن: والاشيآ؛ ع: والاشياء.
[14] ن: لا تنال.
[15] ن: ما قلت.

فمن أوجب فيها بدنة فقد أوجب فيها[1] ما ليس بمثل لها ولا نظير؛ ومن أوجب فيها قيمتها فقد أوجب مثلا لها؛ فهو موافق للنص عندنا. *والله أعلم*. وكذلك الموجب في الحمامة شاة لا تشبه الصيد المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه، فهو غير موجب المثل، بل الموجب فيه القيمةُ [فهو] أقرب إلى إيجاب المثل فيه. *والله أعلم*.

فإن قيل: كيف تُسَمَّى[2] قيمة الشيء مثلا وليست من جنسه؟ وإنما المثل ما كان من جنس الشيء.

قيل: قد ذكرنا أن قيمة ما لا مثل له من النعم تسمى[3] مثلا؛ ولأن الله تعالى قال: **أو عَدْلُ ذلك صياما**. وإذا جاز أن يسمى الصيام عدلا للطعام جاز أن تسمى[4] القيمة عدلا للصيد؛ وإنما صار الصيام عدلا للطعام بالتقويم، والمثل والعدل في المعنى متقارب. *والله أعلم*.

ولأن الله تعالى قال: **يحكم به ذوا عدل منكم**، ولو كان المراد من المثل المنظورَ في رأي العين لم يكن لشرط[5] ذوي عدل فيه معنى؛ لأن المثل في رأي العين يعرفه كل أحد، بصير[6] فيه أو لم يكن. فدل ما شرط من نظر ذوي عدل [على] ما بطن[7] فيه وخفي لا [على] ما ظهر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يحكم به ذوا عدل منكم**، تأويله ما ذكرنا. يُنظَر إلى رجلين عدلين لهما[8] بصر[9] ومعرفة في ذلك، فيقوّمانه. ثم يشتري بها هديا إن شاء فيهدي؛ وإن لم يبلغ هديا قوّمت الدراهم طعاما. فإن لم يجد صام مكان كل[10] نصف صاع يوما. وروي[11] عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك والحسن وإبراهيم والقاسم[12] والسلف جملة.[13]

---

[1] ع – بدنة فقد أوجب فيها.
[2] جميع النسخ: يسمى.
[3] ن ع م: يسمى.
[4] ن ع م: أن يسمى.
[5] ن: بشرط.
[6] ك ن: به بصر؛ ع: بصر.
[7] م: باطن.
[8] ن ع م: بهما.
[9] ع م – بصر.
[10] م – كل.
[11] م: روي.
[12] م: القاسم.
[13] تقدم قريبا.

وعندنا أنه مخير بين هذه الأشياء الثلاثة،[1] يفعل أي هذه الثلاثة[2] شاء؛ لأن الله تعالى قال في المحصر: وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ.[3] ولا خلاف بينهم في أن لصاحب الفدية في حلق[4] الرأس أن يفعل أيَّ هذه الثلاثة[5] شاء.[6] فالواجب أن يكون في جزاء الصيد مثله، لأن الخطاب خرج على حرف التخيير. وكل خطاب خرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه واحدا فهو على التخيير، نحو كفارة اليمين وما ذكرنا في دفع الأذى عن رأسه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هَدْيًا بالِغَ الكعبة**، شُرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة، فدل أن المراد رجع إلى بلوغه قرب الكعبة. وعلى هذا يخرج قولهم فيمن حلف أن لا يمر على باب فلان فمر بقرب بابه حَنِث، استدلالا بقوله: **هديا بالغ الكعبة**، لم يرد به بلوغه عين الكعبة، ولكن قربها أو مكانها. فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وكان محمد بن الحسن يقول: يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان. وأبو حنيفة رضي الله
[١٩٨ظ] عنه / يقول: يحكم عليه بقيمة الصيد في الموضع الذي أصابه[7] فيه. واختلافهما في هذا يرجع إلى ما اختلفا فيه من المثل عينا أو قيمة. وقد روي عن عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما[8] وغيرهما أنهم[9] حكموا في الظبي شاة، ولم يسألوا عن الموضع الذي أصيب فيه.[10] فدل تركهم السؤال عن ذلك على[11] أن المواضع كلها كانت عندهم سواء، وأنهم أجروه مجرى الكفارات دون القيم، لأنهم[12] لو أجروا ذلك مجرى ضمان القيم لسألوا[13] عن أماكن[14] الجنايات؛

---

[1] ع: الثلثة.
[2] ع: الثلثة.
[3] سورة البقرة، ١٩٦/٢.
[4] ع: في خلق.
[5] ع: الثلثة.
[6] ع م – شاء.
[7] ن + أصابه.
[8] ن + أنهما.
[9] ن – أنهم.
[10] ن ع م – فيه. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٩١/٣.
[11] ك – على.
[12] ن ع: لا انهم.
[13] م: يسألوا.
[14] ك: عن امكان.

إذ كان[١] الصيد يختلف قيمته ولا تستوي[٢] في ذلك الأماكن كلها. فهذا يؤيد قول محمد ومن وافقه. وأما عند[٣] أبي حنيفة رحمه الله فإن الملك[٤] للحرم في الصيد. وكل من أتلف ملكَ آخَرَ أو جنى[٥] على مال أحد فإنما ينظر[٦] إلى قيمته في المكان[٧] الذي أتلفه. فعلى ذلك النظر في الصيد إلى المكان الذي أصابه.

ثم المسألة في جزاء الصيد أين يذبح. عندهم جميعا لا يجوز أن يذبح إلا بمكة، لأنه لو جاز أن يذبح في غير الحرم حيث شاء زالت فائدة قوله: **هديا بالغ الكعبة**. وليس في ذلك بينهم خلاف. وأما الإطعام والصيام فإن الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعا، ولا جعل لهما مكانا؛ فله أن يطعم وأن يصوم حيث شاء.

فإن قيل: إن الهدي[٨] يذبح في الحرم لمنفعة أهل الحرم به، ويتصدق به عليهم، فعلى ذلك الإطعام يجب أن يطعم أهل الحرم لأنه جعل لمنفعة لهم.

قيل له:[٩] لا خلاف[١٠] بينهم أنه لو ذبح الهدي في غير الحرم وتصدق به على أهل الحرم[١١] أن لا يجوز. دل [على] أنه لا[١٢] لما ذكر، ولكن لما الهدايا لا تذبح إلا بمكة. ألا ترى أن[١٣] من قال: لله[١٤] تعالى عليه أن يهدي، ليس له أن يذبح إلا بمكة. ولو قال: عليه الإطعام الصدقة، له أن يتصدق حيث شاء. دل [على] أن الهدي مخصوص ذبحه بمكة لا يجوز في غيره؛ وأما الصدقة[١٥] فإنها تجوز في الأماكن كلها، لذلك افترقا. ***والله أعلم***.

---

[١] ك ع م: إذا كان.
[٢] ن ع م: ولا يستوي.
[٣] ع: عندنا.
[٤] جميع النسخ: إن الملك.
[٥] أو أجنبى.
[٦] جميع النسخ: وإنما ينظر.
[٧] ع: والمكان.
[٨] ع: أي الهدي.
[٩] ع م - له.
[١٠] ن: خلاف.
[١١] ع م - وتصدق به على أهل الحرم.
[١٢] ع - لا.
[١٣] ع م - أن.
[١٤] ك ع: الله.
[١٥] م: فأما الصدقة.

وقوله عز وجل: **ليذوق وبال أمره**، أي لينال شدة[1] أمره وألمه كما نال لذته. وقيل: جزاءَ ذنبه، وهو الكفارة.

وقوله عز وجل: **عفا الله عما سلف**، إذا تاب ورجع عما استحل من قتل الصيد. وهو كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[2]

وقوله عز وجل: **ومن عاد فينتقم الله منه**، أي **من عاد** إلى استحلال قتل[3] الصيد في الحرم ينتقم الله منه في النار. ويحتمل: **من عاد** إلى قتل الصيد ينتقم الله منه بالكفارة.

وقوله عز وجل: **والله عزيز ذو انتقام**، أي لا يعجزه شيء. ويقال: **عزيز**، أي كل عز عند عزه ذُلّ؛ وغني، أي كل غنيً عند غناه فقر، ونحوه. ***والله أعلم.***

**﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[٩٦]

وقوله عز وجل: **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**؛ أخبر الله تعالى أن صيد البحر وطعامه حلال للمحرم. ثم اختلف أهل التأويل في تأويله. قال بعضهم: صيده ما صيد [فيه]، **وطعامه** ما قذف به[4] البحر. كذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: صَيْدُه ما صِيد، **وطعامه** ما قَذَف.[5] وعن أبي بكر وابن عباس رضي الله عنهما قالا: طعامه[6] ما قذف.[7] وقال بعضهم: صيده ما أُخذ طَرِيًا، **وطعامه** تمليحه. وقوله:[8] **متاعا لكم**، أي منفعة لكم، أي للحاضر. **وللسيارة**، أي للمسافر. وعن بعضهم: صيده ما صِدْتَ[9] طريا، **وطعامه** ما تزودت في سفرك مليحا.[10]

ثم يجيء على قول أصحاب الظواهر أن يكون كل صيد البحر وطعامه حلالا مباحا بظاهر قوله:

---

[1] ع م – شدة.
[2] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[3] م – قتل.
[4] جميع النسخ: قذف في.
[5] *تفسير الطبري*، ٦٣/٧، ٦٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٧/٣–١٩٨.
[6] ع: طعام.
[7] *تفسير الطبري*، ٦٣/٧، ٦٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٧/٣، ١٩٨.
[8] ع – وقوله.
[9] ن: ما صيدت؛ ع م: ما صيد.
[10] م – مليحا.

**أحل لكم صيد البحر وطعامه**، الآية. وكذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطَّهور ماؤه والحِلّ ميتته»؛[١] إنه لم يخص ميتة دون ميتة ولا طعاما دون طعام. غير أن المراد عندنا رجع إلى السمك خاصة. لما روي[٢] عنه[٣] صلى الله عليه وسلم قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالجراد والسمك».[٤] دل الخبر أن المراد من الآية والخبر رجع إلى السمك. ***والله أعلم.***

وقوله تعالى: **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: [هي][٥] مبهمة، لا يحل لك أن تصيده ولا أن تأكله.[٦] وروي عن علي رضي الله عنه وهو محرم أنه دعي إلى طعام،[٧] فقُرّب إليه يَعَاقِيبُ[٨] وحجل.[٩] فلما رأى ذلك علي قام وقام معه ناس. فقيل لصاحب الطعام: ما قام[١٠] هذا ومن معه إلا كراهية لطعامك. فأرسل إليه فجاء، فقال: ما كرهتَ من هذا؟ ما أشرنا[١١] ولا أمرنا ولا صِدْنا.[١٢] قال علي رضي الله عنه: **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**، ثم انطلق. وعن عثمان رضي الله عنه مثله أو قريبا[١٣] منه.[١٤]

وأما عندنا فإنه يحل للمحرم أن يأكل لحم الصيد إذا لم يصد هو ولا صيد له. لما روي[١٥] عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ببعض الطريق بمكة

---

[١] سنن *أبي داود*، الطهارة ٤١؛ وسنن *الترمذي*، الطهارة ٥٢. وصححه الترمذي.

[٢] جميع النسخ: ما روي.

[٣] ن: عن النبي.

[٤] «... وأما الدمان فالكَبِد والطِّحال» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٩٧/٢؛ وسنن *ابن ماجة*، الأطعمة ٣١). وإسناده ضعيف. وروي موقوفا على ابن عمر. وهو الصحيح (*تلخيص الحبير* لابن حجر، ٢٦/١).

[٥] من مصادر الرواية.

[٦] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٠٨/٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٩٩/٣.

[٧] م: إلى طعامه.

[٨] ن ع: يعاقب؛ م: بعاقب.

[٩] يعاقيب جمع يعقوب وهو ذكر نوع من الطير، والحجل أنثاه (*لسان العرب* لابن منظور، «عقب»، «حجل»).

[١٠] ع: ما قال.

[١١] ن: ما أمرنا.

[١٢] ك م: ولا صيدنا. أي ما صدناه نحن، ولا أمرنا أو أشرنا بصيده.

[١٣] م: وقريبا.

[١٤] عن الحارث بن نوفل قال: حج عثمان بن عفان فأتي بلحم صيد صاده حلال. فأكل منه عثمان ولم يأكل علي. فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا. فقال علي: ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما﴾. وهناك روايات أخرى قريبة المعنى. انظر: *تفسير الطبري*، ٧٠/٧-٧١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٩٩/٣-٢٠٠.

[١٥] جميع النسخ: ما روي.

تخلّف[1] مع أصحاب له مُحْرِمِين وهو غير محرم. فرأى حمار وحش، فاستوى[2] على فرسه. فسأل أصحابه أن يناولوه سوطا، فأبوا. فسألهم رُمَحه، [فأبوا عليه]، فأخذه[3] ثم اشتدّ على الحمار فقتله. فأكل منه[4] بعض أصحابه، وأبى بعضهم. فلما أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دلك. فقال: «إنما هي طُعُمَةٌ أطعمكموها الله سبحانه». وقال: «هل معكم من لحمه شيء؟»[5] وفي خبر آخر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عَقَرَ أبو قتادة حمار وحش ونحن محرمون وهو حلال، فأكلنا منه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي خبر آخر عن أبي قتادة رضي الله عنه / قال: إني أصبت حمار وحش. فقلت: [١٩٩و]
يا رسول الله، إني أصبت حمار وحش،[6] وعندي منه. فقال للقوم: «كلوا»، وهم محرمون.[7] وفي بعض الأخبار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لحم[8] صيد البر حلال لكم وأنتم حُرُم ما لم تصيدوه أو يصاد لكم».[9] رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصد ولم يصد له، وبذلك أخذ أصحابنا. وفي الآية دليل لقولنا؛ وهو قوله تعالى: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ.[10] وقال: **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**؛ فمعناه -والله أعلم- اصطياده. ألا ترى أن صيد ما لا يؤكل لحمه محظور. فدل ذلك على أن[11] الآية نزلت في الاصطياد لا في أكل لحمه؛ لأن لحم الصيد قد خرج[12] من أن يصاد، فالتحريم غير واقع عليه. ليس كالبيض، لأن البيض قد يصير صيدا، واللحم ليس كذلك. ولأن المحرم لو أتلف البيض غرم قيمتها؛ ولو أتلف[13] لحم الصيد لم يضمن شيئا.

---

[1] م: تختلف.
[2] ن: واستوى.
[3] جميع النسخ: فأخذ. والتصحيح مع الزيادة من المصادر.
[4] م: فأكله منه.
[5] *صحيح البخاري*، جزاء الصيد ٤؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٥٧،٥٨.
[6] ن ع م - فقلت يا رسول الله إني أصبت حمار وحش.
[7] *صحيح البخاري*، جزاء الصيد ٤؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٦٢.
[8] م: لهم.
[9] *سنن أبي داود*، المناسك ٤٠؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٢٥؛ و*صحيح ابن خزيمة*، ١٨٠/٤؛ و*صحيح ابن حبان*، ٢٨٣/٩.
[10] سورة المائدة، ٩٥/٥.
[11] ن ع - أن.
[12] ع م - قد خرج.
[13] م: و لم أتلف.

فما لزمه الضمان منع عن أكله، وما لم يلزمه لا. ولأنه لو حُرّم على المحرم التناول من لحم صيد صاده حلال ليجب أن يُحرّم على أهل مكة التناول منه، إذ هم أهل حرم الله، وذلك بعيد. فأخذ أصحابنا رحمهم الله تعالى بما روينا من الأخبار عن[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي قتادة وغيره، وبما دل عليه ظاهر الكتاب. وهو قول عمر وعثمان وغيره رضي الله عنهم.[2]

فإن قيل: روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد. وفي خبر آخر عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: أُهدِي لرسول الله[3] صلى الله عليه وسلم عضو[4] من لحم صيد فرده، وقال:[5] «إنا حُرُم لا نأكله».[6] وفي[7] خبر آخر أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن محرم أُتي بلحم صيد، قال: «لا تأكل[8] منه». لكن هذا الحديث يجوز أن يحمل على[9] أن يكون صيد[10] من أجله؛ وإذا صيد من أجله لم يحل له أكله. دليله من خبر[11] عثمان رضي الله عنه: ما أمرت بصيد، ولا صيد من أجلي؛[12] وخبر جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث[13] قال: «لحم صيد البر حلال لكم وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصاد لكم».[14]

ثم المسألة في معرفة صيد البر من البحر. قال بعضهم: ما كان يعيش في البر والبحر فلا تَصِده،[15]

---

[1] ن ع م: وعن.

[2] أما قول عثمان رضي الله عنه فقد تقدم قريبا. وأما قول عمر رضي الله عنه فانظر: *تفسير الطبري*، ٧/٧١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٠٠.

[3] ك: إلى رسول الله.

[4] م: عضوا.

[5] ع م: فقال.

[6] صحيح *مسلم*، الحج ٥٥؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٤٠.

[7] ك: وروي في.

[8] ع م: لا تأكله.

[9] ك + أن كان صيد بعد؛ ن ع م + أن كان صيد بعد أن أحرم.

[10] ن: صيدا.

[11] ن + من.

[12] تقدم قريبا.

[13] ع م - حيث.

[14] تقدم قريبا.

[15] ك ن ع: فلا تصيدوه.

وما كان حياته في الماء فذاك البحري. وقال آخرون: أكثر ما يكون في الماء[1] حتى يفرخ.[2] وقال غيرهم: صيد البر هو الذي إن أخذه الصائد حيا فمات في يده لم يحل، ولا يحل إذا أدرك[3] ذكاته إلا بتذكيته،[4] فكل ما كانت هذه صفته فهو البري[5] وإن كان قد يعيش في الماء. وما كان الصائد إذا[6] أخذه حيا وهو يعيش في الماء فمات في يده أَكَلَه فذلك صيد البحر، وذلك السمك. وفي ذلك وجه آخر؛ وهو أن كل ما ألقاه البحر وقذفه فمات فحَلّ لنا أكله فذلك طعامه، وإن لم يحل أكله فليس بطعامه. فما كان طعامه أو ألقاه[7] فمات فهو إذًا صيد البحر؛ وما لا يحل أكله إذا ألقاه فليس بصيد البحر إذا صيد؛ لأن الله أباح صيد البحر وطعامه. فما ليس بطعامه إذا ألقاه[8] فمات فليس[9] بصيد إذا أخذ حيا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله**، في استحلال قتل الصيد في الحرم.[10] أو اتقوا[11] الله في أخذ الصيد في حال الإحرام بعد النهي. أو اتقوا الله في كل ما لا يحل. **الذي إليه تحشرون**، فتجزون بأعمالكم، إن خير فخير وإن شر فشر. ويحتمل قوله: **إليه تحشرون**، أي إلى حكمه تصيرون، كقوله تعالى: لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[12] *والله أعلم*.

**﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٩٧]

**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**، الآية، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله تعالى: **قياما للناس**، أي ثباتا للناس ودواما؛ لأن الله تعالى جعلها موضعا لإقامة العبادات

---

[1] ك ن ع – في الماء.
[2] ك ن ع: حين يخرج.
[3] م: اذ ادرك.
[4] ك ن: إلا بتذكية.
[5] ك: فهو صيد البر؛ ن: فهو من صيد البر؛ ع: فهو البر.
[6] م – إذا.
[7] ع م: وألقاه.
[8] ك: اذا لقاه.
[9] ع: ليس.
[10] ع م: وفي الحرم.
[11] ع م: واتقوا.
[12] سورة القصص، ٢٨/٨٨.

من نحو الحج والطواف والصلاة وإراقة الدماء والهدايا وغير ذلك من العبادات. ثم إن تلك العبادات جعلها ثابتة دائمة لا تُبدّل ولا تُنسخ أبدا. فذلك معنى القيام للناس. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **قياما**، بمعنى قواما؛ أي جعلها قواما لهم في معاشهم ومعادهم، لأنه جعلها مأمنا لهم وملجأ. حتى إن من ارتكب كبيرة أو جَرَمَ جريمة ثم لجأ إليه[١] لم يتعرض له بشيء من ذلك ولا يُتناول منه. وكانوا إذا وجدوا[٢] هديا مُقَلَّدًا لم يتعرضوا له وإن كانت حاجتهم إليه شديدة. ونحو هذا كثير مما يطول ذكره. وجعل فيها عبادات ومقصدا ما لم يجعل في غيرها من البقاع من قضاء[٣] المناسك وغيرها. وكذلك **الشهر الحرام**، كان جعله مأمنا لهم، إذا دخلوا فيه يأمنون من كل خوف كان بهم. وجعل في الهدايا **والقلائد** منفعة لأهلها. فكان في ذلك قواما لهم في معاشهم ومعادهم. وعن سعيد بن جبير قال:[٤] **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**، شدة لدينهم.[٥]

وقوله عز وجل: **ذلك لتعلموا**، أي ذلك[٦] الأمن وما ذكرنا من جعل الكعبة قواما لهم[٧] في معاشهم ومعادهم، **لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض**، أي على علمٍ جعل هكذا قبل أن يكون أنه يكون.[٨] وقال بعضهم: قوله: **ذلك**، أي ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغييره وتبديل نعته صلى الله عليه وسلم وصفته. أي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل، ليمتحنكم، لما لا يضره كفر كافر ولا ينفعه إيمان مؤمن، بل حاصل / ضرر الكفر[٩] يرجع إلى الكافر، وحاصل نفع الإيمان يرجع إلى المؤمن. [١٩٩ظ]

**﴿اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **اعلموا أن الله شديد العقاب**، أي **اعلموا** أنه **شديد العقاب** لمن عصاه وخالف أمره على ما علمتم أنه عن علم منه كان جميع ما كان. **وأن الله غفور رحيم**،

[١] ك – ثم لجأ إليه.
[٢] ع: إذا اوجدوا.
[٣] ع م: من القضاء.
[٤] ن + الله؛ ع م + الله تعالى.
[٥] *تفسير الطبري*، ٧/٧٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٠٢.
[٦] ك: أن ذلك.
[٧] م – لهم.
[٨] ع م – أنه يكون.
[٩] ن ع – الكفر.

واعلموا أيضا أن الله غفور رحيم[1] لمن تاب وأناب إليه. **وشديد العقاب**، لأن[2] من العقوبات ما ليس بشديد، وخاصة عقوبة الآخرة أنه يعاقب[3] بالنار. وما من عقوبة إلا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة[4] النار؛[5] فإنه لا يحتمله[6] أحد. ولأن عقوبات[7] الدنيا وعذابها على الانقضاء، وعذاب الآخرة[8] لا انقضاء له ولا فناء. لذلك وصف بالشدة. ***والله أعلم***.

**﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[٩٩]**

وقوله عز وجل: **ما على الرسول إلا البلاغ**، فيه وجهان. أحدهما ردا على من يقول: إن الموعظة لا تنفع ولا تَنجع فيه إذا لم يكن الواعظ مستعملا لما يعظ غيره؛ إذ ليس أحد من الخلق أشد استعمالا من الرسل عليهم السلام ثم لا تنفع مواعظهم وذكراهم[9] قومهم، ولا تنجع فيهم لشؤمهم ولشدة تعنتهم.

والثاني إنباء أن ليس[10] على الرسل إلا البلاغ، ولا ضرر عليهم بترك القوم إجابتهم، كقوله تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَاحُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَاحُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.[11]

وقوله عز وجل: **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون؛ ما تبدون** من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه بنصب[12] الحرب والقتال معهم، **وما تكتمون** من المكر له والقصد لقتله.[13] كقوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

---

[1] ن ع – واعلموا أيضا أن الله غفور رحيم.
[2] ن: لا.
[3] ع: أن يعاقب.
[4] ع + إلا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة أحد.
[5] ع – النار.
[6] ن – النار فإنه لا يحتمله؛ ع: لا يحتمل.
[7] ع: ولأن العقوبات.
[8] م – أنه يعاقب بالنار وما من عقوبة إلا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة النار فإنه لا يحتمله أحد ولأن عقوبات الدنيا وعذابها على الانقضاء وعذاب الآخرة.
[9] ع: وذاكرهم.
[10] ن ع م – ليس.
[11] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[12] ع م: وبنصب.
[13] ك: بقتله.

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ[1] الآية. كانوا يمكرون به[2] ويقصدون قصد إهلاكه؛ لكن الله عز وجل أطلع رسوله على مكرهم، وأخبر أنه يعصمه من الناس. وقال الله عز وجل: كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.[3]

**﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٠٠]**

وقوله عز وجل: **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**، الآية، يحتمل[4] وجهين. أحدهما خرج عن سؤال قد سبق منهم عن كثرة الأموال، لما رأوا أولئك كانوا يستكثرون[5] ويجمعون من حيث يحل ولا يحل، فمالت[6] أنفسهم إلى ذلك ورغبت، فقال: **لا يستوي الخبيث والطيب**. كأنه قال: إن القليل من الطيب خير من الكثير من الخبيث. ***والله أعلم***.

والثاني أنهم رغبوا في عبادة أولئك من الترهب والاعتزال عن الناس لدفع أذى أنفسهم عنهم، وكثرة ما كانوا يتحملون[7] من الشدائد والمشقة، فرغبوا في ذلك وهموا على ذلك. على ما ذكر في القصة عن بعض[8] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم هموا أن يترهبوا ويعتزلوا[9] من الناس.[10] فقال: **قل لا يستوي الخبيث والطيب**، إن العمل القليل مع أصل طيب خير من الكثير مع خبث[11] الأصل.

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله**، في مخالفة[12] أمره ونهيه. **يا أولي الألباب**، فيه دلالة أن الله لا يخاطب أحدا إلا من كمل عقله[13] وتم. ***وبالله العصمة***.

---

[1] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[2] جميع النسخ: يمكرونه.
[3] سورة المائدة، ٦٤/٥.
[4] ك: تحتمل.
[5] ن ع: يستكبرون.
[6] ن: فمات.
[7] ك: يعملون.
[8] ع - بعض.
[9] ع م: أو يعتزلوا.
[10] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٨٧/٥.
[11] م: مع حيث.
[12] ع: أي مخالفة.
[13] ع: من كل عظمة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**؛ يحتمل أن يكون النهي عن السؤال عن أشياء خرج عن أسئلة[١] كانت منهم لم يكن لهم حاجة إليها. فنُهوا عن ذلك إلى أن تقع[٢] لهم الحاجة فعند ذلك يسألون. كأنهم سألوه[٣] عن البيان والإيضاح لهم[٤] قبل أن يحتاجوا إليه. ألا ترى[٥] أنه قال: **وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم**، الآية. ويحتمل أن يكون خرج النهي عن السؤال ابتداء على غيرِ تَقَدُّمِ سؤالٍ كان منهم، ولكن نُهوا عن السؤال عنها. ثم يحتمل بعد هذا أن كان[٦] على ابتداء سؤالٍ كان من أهل النفاق، يسألون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد. يسألون منه آيات بعد ما ظهرت لهم وثبتت[٧] عندهم الحجج وعرفوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن كان النهي للمؤمنين فهو ما ذكرنا من سؤال البيان قبل وقوع الحاجة إليه.

وقيل: نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء. قال أحدهم: من أبي؟ وقال آخر: أين أنا؟ قال: «أنت في النار، وأنت ابن فلان»[٨] ونحو ذلك من الأسئلة.[٩] فنهوا عن ذلك. وقيل: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج. فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ [قال:] «لو قلت نعم صار مفروضا. فإذا صار مفروضا[١٠] تركتم، وإذا تركتم جحدتم، وإذا جحدتم كفرتم»،[١١]

---

[١] ك ن ع: اسولة؛ م: اسؤلة.
[٢] جميع النسخ: أن يقع.
[٣] م: سألوا.
[٤] ع م – لهم.
[٥] ك: ألا يرى.
[٦] ك + منهم.
[٧] جميع النسخ: وثبت.
[٨] لم أجد سؤال القائل: أين أنا؟ وجواب الرسول له بأنه في النار. لكن روي النصف الآخر. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ١٢/٥؛ و*صحيح مسلم*، الفضائل ١٣٥.
[٩] ن ع: من الاسولة؛ م: من الاسؤلة.
[١٠] ع – فإذا صار مفروضا.
[١١] روي بلفظ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه، ولو تركتموه لكفرتم» (*تفسير الطبري*، ٨٢/٧). ولروايات أخرى قريبة المعنى انظر: *سنن الترمذي*، الحج ٩؛ و*سنن ابن ماجه*، المناسك ٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٠٦/٣. وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا». فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم». ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم؛ فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم. وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» (*صحيح مسلم*، الحج ٤١٢).

لأن من جحد فرضا مما فرضه الله كفر؛ أو كلام نحو هذا. ولا يجب أن يفسر هذا أنه كان في كذا، إذ ليس في كتاب الله بيانه، سوى أن فيه النهي عن سؤال ما لا يحتاج إليه. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **لا تسألوا عن أشياء** قد عفى الله عنها، **إن تبد لكم تسؤكم**، أي [إن] تظهر لكم تسؤكم،[1] أي أمرتم العمل بها. والله أعلم بذلك.

**﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾[١٠٢]**

وقوله عز وجل: **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين**؛ هذا يدل على أن النهي عن السؤال في الآي لأحد شيئين. إما أن سألوا[2] الآيات منه بعد ما ظهرت وثبتت[3] لهم رسالته، فلما أتى بها كفروا بها. ألا ترى أنه قال: **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين**. وقد كانت[4] الأمم السالفة يسألون من الرسل عليهم السلام الآيات بعد ظهورها عندهم. ويحتمل ما ذكرنا من قولهم: أين نحن؟ ومن أبي؟ ومن أنا؟ ونحوه؛ فلما أن أخبرهم بذلك كفروا به. ***والله أعلم***.

**﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٠٣]**

وقوله عز وجل: **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، أي ما جعل الله** قربانا مما جعلوا هم؛ لأنهم كانوا يجعلون ما ذكر من البحيرة والسائبة وما ذكر / قربانا [٢٠٠و] يتقربون بذلك إلى الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها من[5] دون الله. فقال: **ما جعل الله من** ذلك شيئا مما جعلتم أنتم من البحيرة والسائبة. فقوله: **ما جعل الله من بحيرة** وما ذكر، أي ما أمر بذلك ولا أذن بها. قيل: حرّم أهل الجاهلية هذه الأشياء، منها ما حرموه على نسائهم دون رجالهم، ومنها ما حرموه على الرجال والنساء، ومنها ما جعلوه لآلهتهم.[6]

---

[1] ك: ساءكم؛ ن: تسأكم؛ ع م: تساكم. لم أجده، لكن روي عن ابن عباس قال: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه (*تفسير الطبري*، ٧/٨٥).

[2] ع: أن تسألوا؛ م: أن تسئالوا.

[3] ع: وثبتت.

[4] جميع النسخ: وقد كان.

[5] ك ن م – من.

[6] جميع النسخ + به.

ثم قيل: البحيرة ما كانوا[1] يجدعون[2] آذانها ويدعونها لآلهتهم. والسائبة ما كانوا يُسَيِّبونها.[3] والوصيلة ما كانت الناقة إذا ولدت ذكرا وأنثى[4] في بطن قالوا: وَصَلَتْ[5] أخاها، فلم يذبحوها وتركوها[6] لآلهتهم. قال أبو عبيدة:[7] البحيرة إذا نُتِجَت[8] خمسة أبطن قُطِعَت آذانها وتركت. والسائبة إذا ولدت خمسة أبطن سُيِّبَتْ فلا تُرَدّ عن حوض ولا علف. والوصيلة من الغنم إذا ولدت عَناقين[9] تُركا، وإذا ولدت[10] عَناقا وجَدْيا[11] قالوا: وصلت العَناقُ الجَدْي وتُركا، وإذا نُتِجَتْ [جَدْيا] ذُبح. والحامي إذا نظر إلى عشرة من ولده قيل: حَمَى ظهرَه، فلا يُركب ولا يُحمل عليه شيء.[12] وقال مجاهد: [البحيرة من الإبل، كان أهل الجاهلية يحرّمون وَبَرها وظهرها ولحمها ولبنها إلا على الرجال؛ فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها؛ فإن ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها.][13] **ولا حام**، إذا ضَرَبَ الجمل[14] من ولد البحيرة فهو الحامي؛ والحامي اسم. والسائبة من الغنم على نحو ذلك، إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كانت على هيئتها.[15] فإذا ولدت السابع ذكرا [أو أنثى][16] أو ذكرين نُحِر، فأكله رجالهم دون نسائهم؛ وإن أَتْأَمَت[17] بذكر وأنثى فهي[18] وصيلة، يترك ذبح الذكر بالأنثى،

---

[1] ك: ما نوا.

[2] ع م: يجذعون. الجدع القطع وقيل: هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها (*لسان العرب* لابن منظور، «جدع»).

[3] ن: يسبونها. يسيبونها: أي يتركونها تمر حيث شاءت (*لسان العرب* لابن منظور، «ساب»).

[4] ع م: أو أنثى.

[5] م: أوصلت.

[6] جميع النسخ: تركوها.

[7] ك ن: أبو عبيد.

[8] يقال: نُتِجَت الناقة إذا وَلَدَتْ (*لسان العرب* لابن منظور، «نتج»).

[9] العناق الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنق»).

[10] ن: إذا ولدت.

[11] الجدي الذكر من أولاد المعز (*لسان العرب* لابن منظور، «جدي»).

[12] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/١٧٧-١٨٠.

[13] من مصادر الرواية.

[14] ضرب الفحل الناقة: نكحها ونزا عليها.

[15] ن: على هبتها.

[16] من مصادر الرواية.

[17] أتأمت أي ولدت اثنين في بطن واحد (*لسان العرب* لابن منظور، «تأم»).

[18] ن م: فهو.

وإن كانتا اثنتين تركتا.[١] وقال القُتَبي: البحيرة الناقة إذا نُتِجَت خمسة أبطن والخامس ذكر نُحر فأكله الرجال والنساء. وإن كان الخامس أنثى شقّوا أذنها وكان حراما على النساء لحمها ولبنها. فإذا ماتت حلت للنساء.[٢] والسائبة البعير يُسيَّب[٣] بنذر يكون على الرجل إن سلّمه الله من مرضه أو بلّغه[٤] منزله[٥] أن يفعل ذلك. والوصيلة من الغنم، كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا؛ إن كان[٦] السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكرا [وأنثى] قالوا: وصلت أخاها، فلم يُذبح [الذكر][٧] لمكانها، وكان لحومها حراما على النساء، ولبن[٨] الأنثى حراما[٩] على النساء؛ إلا أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء. والحامي الفحل إذا ركب ولد ولده. ويقال: إذا نُتِج من صلبه عشرة أبطن قالوا: حمى ظهره، ولا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء. كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا، ويقولون: إن الله حرم ذلك علينا. وهو ما ذكر في آية أخرى، قوله تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[١٠] الآية.[١١] يحرمون أشياء على أنفسهم ويضيفون تحريمها إلى الله. ثم سفّه[١٢] أحلامهم بقوله: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ.[١٣] لم يكن تحريمهم هذه الأشياء بالسمع ولكن رأيا منهم وتحنُّثا.[١٤] فاحتج الله عليهم[١٥] على ذلك الوجه ليظهر فساد قولهم من الوجه الذي ادّعوا.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٧/٨٩-٩٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢١٢.
[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة،١٤٧.
[٣] ن: يسب.
[٤] ن: أو بلغة.
[٥] ن ع: منزلة.
[٦] ع: وإن كان؛ م: فإن كان.
[٧] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[٨] جميع النسخ: وليس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[٩] ن ع: حرام.
[١٠] سورة الأنعام، ٦/١٣٦.
[١١] ع: الا.
[١٢] ع: ثم سعة.
[١٣] سورة الأنعام، ٦/١٤٣.
[١٤] ك: وتبحثا؛ ن ع: وتجنثا. والتحنث التعبد (*لسان العرب* لابن منظور، «حنث»).
[١٥] ن – عليهم.

فقال: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ. فإن قالوا: الذكرين، فقد كان من الذكر ما لم يحرم. فإن قالوا: الأنثيين[1] فقد كان من الأنثى ما لم يكن[2] فيها تحريم. ففيه دليل أن الحكم إذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم ما كانت تلك العلة قائمة. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**، الآية، كأنها نزلت في مشركي العرب. وكانوا أهل تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بهم،[3] إنما يقلدون آباءهم في عبادة[4] الأوثان والأصنام. فإذا ما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما أنزل الله إليه أو دعاهم أحد إلى ذلك **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**. [وقالوا:] إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ؛[5] ونحو ذلك. يقلدون آباءهم في ذلك. فقال الله تعالى: **أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون**، أي تتبعون آباءكم وتقتدون بهم وإن كنتم تعلمون أن آباءكم **لا يعلمون شيئا** في أمر الدين **ولا يهتدون**؟ وكذلك قوله: قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ،[6] تتبعون آباءكم وتقتدون بهم وإن جئتكم بأهدى مما كان عليه آباؤكم؟ يسفههم في أحلامهم في تقليدهم آباءهم وإن ظهر عندهم أنهم على ضلال وباطل.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٠٥]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**؛ ظن بعض الناس أن الآية رفعت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و[أنها تدل على] السّعة في ترك ذلك. وليس فيه رفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن فيه إنباء أن ليس علينا

---

[1] جميع النسخ: أنثى.
[2] جميع النسخ: ولم يكن.
[3] ن – بهم؛ ع: ولا يقرون بهم.
[4] ع: في عبادته.
[5] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[6] سورة الزخرف، ٢٤/٤٣.

فيما يُرَدّ ولا يقبل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء. وهو كقوله[١] تعالى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٢] وكقوله[٣] تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٤] الآية. ليس فيه رخصة ترك تبليغ الرسالة إليهم ورفعه عنهم، ولكن إخبار أن ليس عليه فيما يرد ويترك[٥] القبول شيء؛ كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[٦] فعنى ذلك الأول. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون في الآية[٧] دليل / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قال: **لا يضركم من ضل،** بترك قبول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **إذا اهتديتم** أنتم بالأمر بالمعروف[٨] والنهي عن المنكر. بل الأمر[٩] بالمعروف والنهي عن المنكر واجب. وبذلك وصف الله هذه الأمة بقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.[١٠] وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يرحم صغيرنا ولم يُوَقِّرْ كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فليس منا».[١١] وعن عائشة رضي الله عنها [قالت:] إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليّ وقد حَفَزَه النَّفَس.[١٢] فتوضأ ثم خرج إلى المسجد. فقمت من وراء الحجاب. فصعد المنبر ثم قال: «أيها الناس! إن الله يقول: مُرُوا بالمعروف وَانْهَوْا عن المنكر قبل أن تَدْعوني فلا أجيبكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستغيثوني فلا أغيثكم،[١٣] وتستنصروني فلا أنصركم».[١٤] وعن أبي بكر الصديق[١٥] رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية، [٢٠٠ط]

---

[١] م: قوله.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[٣] ع: وقوله.
[٤] سورة النور، ٢٤/٥٤.
[٥] جميع النسخ: وترك.
[٦] سورة الشورى، ٤٢/٤٨.
[٧] ع م + ليس فيه رخصة.
[٨] ن ع م - بالمعروف.
[٩] ن - المنكر بل الأمر.
[١٠] سورة آل عمران، ٣/١١٠.
[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٧؛ *وسنن الترمذي*، البر والصلة ١٥. وحسنه الترمذي.
[١٢] أي تتابع نَفَسه واشتد (*لسان العرب* لابن منظور، «حفز»).
[١٣] ع: فلاأغيثكم.
[١٤] روي بدون قوله: وتستغيثوني فلا أغيثكم. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/١٥٩؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٢٠.
[١٥] ك ن - الصديق.

[وإنكم تضعونها على غير موضعها].[1] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشِك أن يَعمّهم الله بعقاب».[2] وبقوله:[3] لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ،[4] الآية.

ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب. مع الكفرة بالقتال والحرب، ومع المؤمنين باليد واللسان.[5] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فرض ما لم يدخل في ذلك فساد، ويصير الأمر به والنهي عنه منكرا. فإذا خشوا ذلك يرخّص لهم الترك، وإلا لا.[6] روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قولوها ما لم يكن دونها السيف والسوط، فإذا كان دونها السيف والسوط[7] فعليكم أنفسكم.[8]

وقوله: **إلى الله مرجعكم جميعا**، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والذي يرد عليه [الأمر] بالمعروف[9] والنهي عن المنكر.[10] **فينبئكم بما كنتم تعملون**، خرج على الوعيد والتحذير.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾[١٠٦] ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠٧]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية**

---

[1] من مصادر الرواية.
[2] سنن أبي داود، الملاحم ١٧؛ وسنن الترمذي، الفتن ٨. وصححه الترمذي.
[3] أي ويجب الأمر بالمعروف أيضا بقوله...
[4] سورة المائدة، ٦٣/٥.
[5] ع + الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب ومع المؤمنين باليد واللسان.
[6] ع م - لا.
[7] ن: السوط والسيف.
[8] سنن سعيد بن منصور، ١٦٥٣/٤؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢١٦/٣.
[9] جميع النسخ: المعروف.
[10] ع - والذي يرد عليه المعروف والنهي عن المنكر.

**اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم**، الآية،[1] اختلف فيه. عن قتادة قال: رجل مات بقرية من الأرض وترك تركة، وأوصى وصية وأشهد على وصيته رجلين. فإن اتُّهما في شهادتهما استُحْلِفا[2] بعد صلاة العصر. وكان يقال: عندها تُصْبَر[3] الأيمان. **فإن عُثِر**، أي اطُّلِع منهما على خيانة، على أنهما كتما أو كذبا[4] وشهد رجلان أعدل منهما بخلاف ما قالا أجيزت شهادتهما وأبطلت شهادة الأولين.[5] **اثنان ذوا عدل منكم**، من المسلمين، **أو آخران من غيركم**، من أهل الكتاب إذا كان ببلد لا يجد إلا هؤلاء.[6] وعن الحسن قال: **اثنان ذوا عدل منكم**، أي من عشيرتكم، **أو آخران** من غير عشيرتكم.[7] فيقول: إن الحق على المسلم إذا أراد أن يوصي أن يسند الوصاية إلى أحد[8] عشيرته. وكذلك يشهد على ذلك من أهل عشيرته؛ لأن أهل عشيرته أحفظ لذلك وأحوط وأكثر عناية وأقوم للشهادة، ولا كذلك الأجنبيان.

فإن قال قائل:[9] خاطب الله تعالى المؤمنين جملة بقوله: **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم**، الآية، فكيف يحتمل أن يكون قوله: **أو آخران من غيركم**: من غير عشيرتكم؟ وكيف لا انصرف قوله: **أو آخران من غيركم**:[10] من غير دينكم؟

فنقول: سبحان الله، ما أعظم هذا القول؟ يَردّ شهادة موحِّد مخلص دينه لله[11] لفسق يرتكبه، ويأمر بقبول[12] شهادة كافر كاذب قائل لله بالولد والشريك. هذا مما لا يحتمل. وقال[13] أيضا: **تحبسونهما من بعد الصلاة**؛ وهم كانوا يستهزءون بالصلاة إذا نودي لها بقوله:

---

[1] ن: الا انه.

[2] ع: استحلفا.

[3] ك: تصبر؛ ن ع م: يصبر. يمين الصبر هو أن يحبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها... تقول: صَبَرْتُ يمينه أي حَلَّفْتُه (*لسان العرب* لابن منظور، «صبر»).

[4] ن: وكذبا.

[5] *تفسير الطبري*، ١١٠/٧، ١١٣، ١٢١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٥/٣.

[6] روى ذلك قتادة عن سعيد بن المسيب. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠٣/٧.

[7] *تفسير الطبري*، ١٠٦/٧.

[8] ك ن: إلى أهل.

[9] ن + فإن قال قائل.

[10] ع – من غيركم من غير عشيرتكم وكيف لا انصرف قوله أو آخران من غيركم؛ م – من غير عشيرتكم وكيف لا انصرف قوله أو آخران من غيركم.

[11] م – لله.

[12] ع: بقول.

[13] ن: قال.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا.[١] دل [على] أنه لا يحتمل ما ذكروا.

وعن سعيد بن جبير في قوله: **أو آخران من غيركم**، قال: إذا حضر[٢] المسلم الموت في السفر فلم يجد مسلمين فأوصى[٣] إلى أهل الكتاب. فإن جاءوا بتركته فاتُّهموا حلف هؤلاء أن متاعه كذا وكذا وأخذوه.[٤] وبعض الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود في السفر في الوصية بظاهر الآية. وقال مجاهد: **أو آخران من غيركم**، من غير ملتكم.[٥] وعن عامر الشعبي قال: شهد نصرانيان على وصية مسلم مات عندهم، فارتاب أهل الوصية، فأتوا بهما إلى أبي موسى الأشعري. فاستحلفهما بعد صلاة العصر بالله: "ما اشترينا[٦] به ثمنا قليلا ولا كتمنا[٧] شهادة الله، إنا إذا لمن الآثمين". ثم[٨] قال أبو موسى الأشعري: والله إن هذه القصة ما قُضي بها منذ يومٍ[٩] مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم.[١٠] قد بين الشعبي أن أبا موسى إنما استحلفهما[١١] فيما اتهمهما[١٢] به من تركة الميت. وهذه يمين واجبة عند المسلمين جميعا. ولم يُحلفهما[١٣] على أن ما شهدا به كما شهدا به، كما زعم قوم أن شهادتهما تصح بيمينهما.[١٤]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خرج رجل من المسلمين، فمر بقرية ومعه رجلان من المسلمين، فدفع إليهما ماله، ثم قال: ادعوا إليّ من أُشهده على ما قبضتما.[١٥] فلم يجدا[١٦]

---

[١] سورة المائدة، ٥٨/٥.
[٢] ع - حضر.
[٣] ن - فأوصى.
[٤] *تفسير الطبري*، ١١٠/٧، ١١٣.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٠٥/٧، ١١٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٣/٣.
[٦] جميع النسخ: ما اشتريتما.
[٧] جميع النسخ: ولا كتما.
[٨] ع - ثم.
[٩] ك ع م - يوم.
[١٠] *تفسير الطبري*، ١٠٥/٧، ١١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٤/٣.
[١١] ع: استخلفهما.
[١٢] ك: اتهما.
[١٣] ع: ولم يخلفهما.
[١٤] م: بيمينها.
[١٥] ع: ما قبضتهما.
[١٦] ع م: فلم يجدوا.

أحدا من المسلمين[١] في تلك القرية، فدعوا ناسا من اليهود والنصارى، وأشهدهم على ما دفع إليهما. ثم إن المسلمَين قدما[٢] إلى أهله، فدفعا ماله إلى أهله. فقال الورثة: لقد كان معه من المال أكثر مما أتيتما به.[٣] فاستحلفوهما[٤] بالله ما دفع إليهما غير هذا. ثم قدم ناس من اليهود والنصارى، فسألهم أهل الميت، فأخبروهم أنه هلك بقريتهم، وترك كذا وكذا من المال. [٢٠١و] / فعلم[٥] أهل المتوفى أن قد عثروا على أن المسلمَين قد **استحقا إثما**، فانطلقوا[٦] إلى ابن مسعود، فأخبروه بالذي كان من أمرهم.[٧] فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من كتاب الله[٨] من شيء إلا قد جاء على الدلالة إلا هذه الآية، فالآن حينُ[٩] جاء تأويلها.[١٠] فأمر المسلمَين أن يحلفا بالله **لا نشتري به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين.** ثم أمر اليهود والنصارى أن يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا وكذا، **ولشهادتنا أحق من** شهادة هذين المسلمين، **وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين.** ثم أمر أهل الميت أن يحلفوا بالله أنْ كان ما شهدت به اليهود والنصارى حق، فحلفوا. فأمرهم ابن مسعود أن يأخذوا من المسلمين ما شهدت به اليهود والنصارى.[١١] وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان.[١٢]

---

[١] ن – فمر بقرية ومعه رجلان من المسلمين فدفع إليهما ماله ثم قال ادعوا إلى من أشهده عمى ما قبضتما فلم يجدوا أحدا من المسلمين.

[٢] ع – قدما.

[٣] ن ع – به.

[٤] ع: فاستخلفوهما.

[٥] ك ن ع: فعلى.

[٦] ك ن ع: فانطلقا.

[٧] ع: منهم أمرهم.

[٨] ن – الله.

[٩] م – حين.

[١٠] ك ن ع: بتأويلها.

[١١] ك ن ع – حق فحلفوا فامرهم ابن مسعود أن يأخذوا من المسلمين ما شهدت به اليهود والنصارى.

[١٢] أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾. قال: ما من الكتاب إلا قد جاء على شيء جاء على الدلاله غير هذه الآية. ولئن أنا لم أخبركم بها لأنا أجهل من الذي ترك الغسل يوم الجمعة. هذا رجل خرج مسافرا ومعه مال فأدركه قدره. فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين. فإن لم يجد عدلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب. فإن أدى فسبيل ما أدى. وإن هو جحد استحلف بالله الذي لا إله إلا هو دبر صلاة أن هذا الذي وقع إلي وما غيبت شيئا. فإذا حلف برىء. فإذا أتى بعد ذلك صاحبا الكتاب فشهدا عليه، ثم ادعى القوم عليه من تسميتهم ما لهم جعلت أيمان الورثة مع شهادتهم، ثم اقتطعوا حقه. فذلك الذي يقول الله: ﴿ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾ (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٢٣).

فإن ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو خلاف ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو يُعطَى الناسُ بدعواهم لادَّعى[1] قومٌ دماءَ قومٍ[2] وأموالهم؛ لكن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه».[3] وهو أيضا غير موافق لظاهر الآية. فلا نراه ثبت هذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وعن ابن عباس[4] قال: كان[5] رجل يقال له تميم الداري وعدي بن بَدّاء يختلفان إلى مكة في التجارة. فخرج رجل من بني سهم، فتوفى بأرض ليس فيها مسلم، فأوصى إليهما. فدفعا تركته إلى أهله، وحبسا جاما[6] من فضة. فاستحلفهما[7] رسول الله ما كتمتما ولا اطَّلَعْتُمَا. ثم عُرِف الجام بمكة. فقالوا: اشتريناه من عدي وتميم. فقام رجلان[8] من أولياء السهمي فحلفا بالله أن هذه[9] الجام للسهمي[10] **ولشهادتنا أحق من شهادتهما**، فأخذوا الجام. وفيهم نزلت هذه الآية.[11] وفي هذا[12] الحديث أن اليمين وجبت على المدَّعَى عليهم كما ادعى عليهم الورثة أنهم تركوا بعض تركة الميت. وفيه أن الإناء لما ظهر[13] ادعى تميم وصاحبه أنهما اشترياه من الميت، فكانا مدعيين، وحلف الورثة على[14] دعوى تميم[15] وصاحبه.[16] وهذان حكمان موافقان لسائر الأحكام والسنن. فإن كان الأمر كما ذكر في هذا فليس في الآية نسخ،

---

[1] ع: لادعى.

[2] م + وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان.

[3] *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٠/٢٥٢. والحديث في الصحيحين بدون قوله: «ولكن البينة على المدعي». انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٣/٣؛ و*صحيح مسلم*، الأقضية ١.

[4] ع م – وعن ابن عباس.

[5] ن – كان.

[6] الجام إناء من فضة (*لسان العرب* لابن منظور، «جوم»).

[7] ع: فاستخلفهما.

[8] ن: رجل.

[9] ك: أن هذا.

[10] ع م – فحلفا بالله أن هذه الجام للسهمي.

[11] *صحيح البخاري*، الوصايا ٣٥؛ و*سنن أبي داود*، الأقضية ١٩؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٥؛ و*تفسير الطبري*، ١١٣/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٣.

[12] م – هذا.

[13] ع م: لما اظهر.

[14] ع – على.

[15] جميع النسخ: دعواهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨و.

[16] ن م: صاحبه؛ م – أنهما اشترياه من الميت فكانا مدعيين وحلف الورثة على دعواهم صاحبه.

ولا فيها ما يخالف[١] الأحكام الظاهرة. وليس يجوز عندنا أن يحلف الشاهدان[٢] إذا كانا كافرين مع شهادتهما، لأن ظاهر الآية[٣] يوجب اليمين على العدلين منا ومن غيرنا. فلما[٤] لم يجز أن يحلف الشهود المسلمون[٥] على الوصية التي يشهدون لها وإنما يحلفون على شيء إن ادعوا أنهم حبسوا[٦] شيئا كان[٧] سبيل الكفار[٨] كذلك. وإذا كانت الآية نزلت في قصة تميم وصاحبه وكانا نصرانيين فإن ذلك يدل على أن شهادة بعضهم على بعض جائزة، لأن الله تعالى قال: **اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم**. فمعنى الآية على هذا التأويل -والله أعلم- أن يكون الميت خلّف تركته عند ذميين على ما ذكر في القصة. وقالا: ترك في أيدينا كذا وكذا، وادعى الورثة أكثر من ذلك. فاستحلَف[٩] المدّعَى قِبَلَهم. وقوله: **تحبسونهما**، على هذا التأويل هو المدعى عليهما.

وقوله عز وجل: **فإن عثر على أنهما استحقا إثما**، يريد -والله أعلم- أن يشهد عليهما شاهدان منا أو منهم بشيء[١٠] جحداه أنه من تركة الميت. فهذا استحقاق الورثة. فإذا قال المدّعَى قِبَلَهما: اشتريناه من الميت، فعلى الورثة أن يحلفوا. فهذا -والله أعلم- معنى قوله: **فآخران يقومان مقامهما**؛ لأن الورثة صاروا مدعى عليهم، فقاموا في هذه الحال في وجوب اليمين عليهم[١١] مقام الأولين لما كانت[١٢] الدعوى عليهم. فهذا -والله أعلم- أقرب الوجوه[١٣] في تأويل الآية وأشبهها. وهو -إن شاء[١٤] الله- معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وإن لم يذكر[١٥]

[١] ك ن ع - ما يخالف.
[٢] ك: الشاهدين.
[٣] ع م + نسخ ولا فيها الأحكام.
[٤] م: فإنما.
[٥] جميع النسخ: المسلمين.
[٦] جميع النسخ: حبسوه.
[٧] م + كان؛ ن + على.
[٨] م: الكفارة.
[٩] أي النبي صلى الله عليه وسلم.
[١٠] ك - بشيء.
[١١] ن - عليهم.
[١٢] م + الأولين لما كانت.
[١٣] ع: الوجوب.
[١٤] ك: إنشاء.
[١٥] ع: وإن يدكر.

تفسير قوله: **من غيركم**. وهو -والله أعلم- على غير ديننا، لأنه ذكر المؤمنين جملة. وأصحابنا لا يجيزون شهادة أهل الكفر في الوصية لمسلم لا في ضرورة ولا في غيرها، لأنهم مع اختلافهم اتفقوا في أن شهادة الكفار لا تجوز على غير الوصية في حال ضرورة ولا في غيرها؛ فشهادتهم في الوصية على المسلمين مثل ذلك.

وأمكن أن يكون[1] تأويل الآية: **شهادةُ بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم**، في بيان ما يجوز من[2] شهادة ذوي العدل منا في الحضر والسفر في الوصية وفي غير[3] الوصية؛ كقوله: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ،[4] وقوله تعالى: وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ،[5] الآية. هذا في السفر والحضر في الدَّيْن وغير الدَّيْن سواء،[6] فعلى ذلك الأول. ثم ابتدأ الحكم في غيره فقال: **أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة**.

[٢٠١و س٣٨ * فإن قيل: ما معنى[7] **تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم**؟

قيل: يحتمل أن يكون على زيادة التغليظ في اليمين. وللحاكم أن يُغَلِّظ في اليمين على

[٢٠١ظ] الخصم / إذا اتهمه بأكثر من هذا. وهو أن يُحضر يمينه جماعة إذا سأل الخصم ذلك. أو ذكر **بعد الصلاة** لما كان ذلك الوقت هو وقت جلوس[8] الحاكم، بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر، لا على التغليظ. وإن كانت الآية نزلت فيما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في نصرانيين فقد يجوز أن يكون الله أمر بذلك تغليظا عليهما. وهما تميم[9] وصاحبه، إذ كانوا يعظِّمون وقت غروب الشمس وما قرب[10] من ذلك، ووقت طلوعها؛ لأنه وقت عبادتهم إياها. *والله أعلم*.

[1] ع: أن تكون.
[2] ع م – من.
[3] ع: في غير.
[4] سورة الطلاق، ٦٥/٢.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.
[6] ن – سواء. ذكر المؤلف الدّين لأن الآية المذكورة آية الدّين المشهورة.
[7] ع: فما معنى.
[8] م: لحلوس.
[9] ع: تيم.
[10] م: وما عرب.

وقوله عز وجل: **فإن عُثِر على أنهما استحقا إثما**، قال بعضهم: فإن اطلع منهما على خيانة أنهما كتما وكذبا[1] فجاء آخران يشهدان على غير ما شهدا عليه أجيزت شهادة الآخَرَين وأبطلت شهادة الأولَين. قال القتبي: **فإن عثر**، أي ظهر.[2] وقال أبو عوسجة: قوله: **فإن عثر**، أي علم واطلع عليه. يقال: عَثَرتُ على[3] فلان وعلى ما يفعل فلان، أي علمت به واطلعت عليه، أَعْثُر عَثْرًا. وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ، في سورة الكهف من هذا،[4] أي أطلعنا عليهم وأعلمناهم بمكانهم. ويقال: أعثرت فلانا على سر فلان، أي أعلمته.* [٢٠١ظ س٩]

**﴿ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاسْمَعُوا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[١٠٨]

فإن قيل: فما معنى قوله: **ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها؟**

قيل: في ذلك بيان أن المؤتمَن إذا ادُّعيت عليه الخيانة وقال هو: قد[5] رددت ما كان في يدي، فإنه لا يُصَدَّق إلا بعد[6] أن يحلف. فإذا عَلِم أنه لا يُقْبَل قوله إلا بيمين كان أحرى[7] أن يقول [الحق][8] حذرا من أن يحلف على كذب أو يُقِرّ خوفا من الإثم في اليمين فتبين خيانته.*

ثم وعظ الله المؤمنين وحذرهم أن يفعلوا مثل ذلك فقال: **واتقوا الله واسمعوا** مواعظه.[9] **والله لا يهدي القوم الفاسقين**، ما داموا في فسقهم. أو قال[10] ذلك لقوم عَلِم الله منهم أنهم لا يرجعون عن ذلك أبدا.

---

[1] ك ن: كذبا وكتما.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٨.
[3] ع – على.
[4] سورة الكهف، ٢١/١٨.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠١و/سطر ٣٨ – ورقة ٢٠١ظ/ سطر ٩.
[5] ك – قد.
[6] ع: لا بعد.
[7] ك: أحرى.
[8] من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآيتين السابقتين، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠١و/سطر ٣٨ – ورقة ٢٠١ظ/ سطر ٩.
[9] ن ع: مواعظة.
[10] ن: وقال.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [١٠٩]

وقوله عز وجل: **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب**؛[١] قال أهل التأويل:[٢] إنما يقولون ذلك لفزعهم من هول ذلك اليوم وشدته. تطير قلوبهم وتَذْهَل أفئدتهم فيقولون: **لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب**. فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله أهل التأويل لكان لا يتهيأ لهم الإجابة؛ وقد قالوا: **لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب**. دل أنه لا لما ذكروا ولكن[٣] للوجهين الآخرين. ***والله أعلم***. أحدهما أنْ سألهم عن حقيقة إجابة قومهم لهم بالضمائر. أي لم تُطلعنا على علم الضمائر والغيوب، فأنت أعلم بذلك.

والثاني أنْ أحدثوا أمورا وأبدعوها من دَأْبِ أنفسهم فنسبوا ذلك إلى الرسل كقوله تعالى: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ -إلى قوله- مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ؛[٤] كأنهم قالوا: إن عيسى صلوات الله عليه هو الذي دعاهم إلى ذلك. فيقول لهم: ماذا أُجبتم فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الأمور التي أتوها. **إنك أنت علام الغيوب، بأنا** لم نقل لهم ولم نَدْعُهم إلى ما ادّعوا من الأمور. على هذين الوجهين يخرج تأويل الآية. ***والله أعلم***.

ومثل هذا السؤال لهم بما أخبر في آية أخرى أنه يسألهم، كقوله:[٥] فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ؛[٦] يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى قومهم؛[٧] ويسأل قومهم عن إجابتهم لهم ليقطع احتجاجهم وإن لم يكن لهم[٨] الحِجاج.

---

[١] ع م + دل أنه لا لما ذكروا ولكن للوجهين.
[٢] ع م + بل.
[٣] ع - ولكن.
[٤] سورة المائدة، ٥/١١٦- ١١٧.
[٥] وعبارة الشارح هكذا: «ومثل هذا السؤال يكون لهم في الآخرة كما أخبر الله تعالى في آية أخرى أنه يسألهم، كقوله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٩ظ).
[٦] سورة الأعراف، ٧/٦.
[٧] ن: إلى قولهم.
[٨] ع: ام؛ م: امر.

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك**؛ أما نعمه عليه ما ذكر على إثره: **إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا**؛[١] [وما ذكر في موضع آخر:][٢] إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ،[٣] الآية. شهد في حال طفولته[٤] بوحدانية الله وربوبيته وإخلاص عبوديته له. وذلك من أعظم نعم الله عليه وأجلّ منته.[٥] وما ذكر[٦] أيضا: **وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني**، الآية، إلى آخر ما ذكر من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وكَفّ بني إسرائيل عنه عند مجيء الآيات. وهو كقوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٧] ففيه أعظم النعم عليه. وما ذكر أيضا في بعض القصة -إن ثبت- أن عيسى لما دُفع إلى الكُتَّاب جعل له المعلم يقول له: باسم. فيقول هو: باسم الله. وإذا قال[٨] المعلم: باسم الله، فيقول هو: الرحمن. وإذا قال:[٩] الرحمن، فيقول هو: الرحيم. فيقول المعلم: كيف أعلِّم من هو أعلم مني؟ ونحو هذا كثير مما يكثر ويطول ذكره.[١٠]

وأما ما أنعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله تعالى:[١١] فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

---

[١] جميع النسخ + إلى قوله.
[٢] من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[٣] سورة مريم، ١٩/٣٠-٣١.
[٤] م: طفولية.
[٥] ك: منته.
[٦] ع م: وما ذكره.
[٧] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[٨] ع م: وإذ قال.
[٩] ك + هو؛ ع: وإذ قال.
[١٠] جميع النسخ: ذكرها.
[١١] ن - فيقول المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني ونحو هذا كثير مما يكثر ويطول دكرها وأما ما أنعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله تعالى.

وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا،[1] الآية، وما ذكر في قوله: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛[2] طهّرها عن جميع ما تُبلى به[3] بنات آدم. فذلك من أعظم النعم وأجل المنن.

ثم أمر عيسى بشكر ما أنعم عليه وعلى والدته حيث قال: **اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك**؛ وفي ذكر النعم شكرها. وأمر أيضا بشكر ما أنعم على والدته ليعلم أن على المرء شكر ما أنعم على والدته كما يلزم شكر ما أنعم على نفسه.

وقوله عز وجل: **إذ أيدتك بروح القدس**، اختلف فيه. قال بعضهم: بروحه المبارك الذي أُعطي في حال طفولته. به كان يدعو[4] الناس إلى توحيد الله وعبادتهم له.[5] وقيل: إن روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بدعائه. وقال أهل التأويل: الروح هو[6] جبريل، والقدس هو الله، كقوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،[7] أي جبريل.

وقوله عز وجل: **وإذ علّمتك الكتاب والحكمة**، قال الحسن: **الكتاب والحكمة** واحد،
[٢٠٢و] الكتاب هو الحكمة والحكمة هي الكتاب، لأن / جميع كتب الله كانت[8] حكمة. وقال بعضهم:[9] **الكتاب** ما يُكتَب من العلم، **والحكمة** هي ما يُعطَى الإنسانَ من العلم على غير تعلّم. وقال بعضهم: **الكتاب** هو ما يحفظ، **والحكمة** هي الفقه.[10] وهو واحد.

وقوله عز وجل: **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني**؛ وقوله: **تخلق من الطين**، أي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير. كان من عيسى التصوير والتقدير. وإلا كان التخليق من الله في الحقيقة، لأنه هو المنفرد به دون الخلق. غير أنه أجرى ذلك على يدي عيسى[11]

---

[1] سورة آل عمران، ٣/٣٧.
[2] سورة آل عمران، ٣/٤٢.
[3] ك ن ع: ما يبلى به.
[4] ك ع: يدعوا.
[5] ن – له.
[6] ن ع م – هو.
[7] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣.
[8] جميع النسخ: كانت.
[9] ك ن: غيرهم.
[10] م: القصة.
[11] ع م – التصوير والتقدير وإلا كان التخليق من الله في الحقيقة لأنه هو المفرد به دون الحق غير أنه أجرى ذلك على يدي عيسى.

ليكون له آية لصدقه ونبوته. وعلى ذلك الآيات التي تأتي بها[1] الرسل ليست الرسل يأتون بها في الحقيقة. بل كان الله هو الآتي بها والمنشئ تلك الآيات حقيقة؛ لكنه يجريها على أيدي الرسل لتكون[2] آيات صدقهم ودلالاتِ رسالتهم. فأما أن يأتي الرسل بالآيات والحجج من عند أنفسهم فلا.

وقوله عز وجل: **تخلق**، ذكر التخليق لما تسمي العرب تصوير الشيء وتقديره[3] تخليقا،[4] فعلى ذلك خرج الخطاب. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[5]

وقوله عز وجل: **وتبرئ الأكمه**، قيل: **الأكمه** الذي يولَد أعمى. وأما الأعمى فهو[6] الذي يذهب بصره بعد ما كان بصيرا. وقيل: **الأكمه** هو الذي لا حدقة له.[7] وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾**[١١١]

وقوله عز وجل: **وإذ أوحيت إلى الحواريين**؛ والحواريون[8] قيل: هم خواصه. وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم حواريوه.[9] وقد ذكرنا[10] في سورة آل عمران الاختلاف فيه.[11]

ثم قوله: **أوحيت إلى الحواريين**؛ يحتمل الوحي إليهم وجهين. أحدهما أنه أوحى إلى رسوله عيسى عليه السلام فنسب ذلك إليهم وأضيف؛ لأن الوحي إلى عيسى كالوحي إليهم، كقوله تعالى: وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ.[12] ما أنزل إلى رسول الله كالمنزل إلينا. فعلى ذلك الوحي إلى عيسى هو كالوحي إليهم.

---

[1] ك ن ع: يأتي بها.
[2] ن ع م: ليكون.
[3] ن: أو تقديره؛ ع م: تقديره.
[4] *لسان العرب* لابن منظور، «خلق».
[5] انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٤٩.
[6] ك: هو.
[7] الحدقة: السواد المستدير وسط العين (*لسان العرب* لابن منظور، «حدق»).
[8] ع: الحواريون.
[9] جميع النسخ: حواريه.
[10] جميع النسخ + هذا.
[11] انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٥١.
[12] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٦).

والثاني أوحى إليهم وحي إلهام، كقوله: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ،[1] الآية، وقوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى،[2] ونحوه، إنه وحي إلهام وقذف لا وحي إرسال. والقذف في القلب من غير تكلف[3] ولا كسب. وهو الإخطار بالقلب على السرعة.[4] والخَطْر يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان. لكن ما يكون من الله تعالى يكون خيرا، يتبين[5] ذلك في آخره.

وقوله عز وجل: **قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون**، يحتمل وجهين. يحتمل أن[6] قالوا لعيسى: **واشهد** أنت عند ربك **بأننا مسلمون**. ويحتمل أن سألوا ربهم أن يكتبهم من الشاهدين كقوله تعالى: آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.[7]

**﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١١٢]**

وقوله عز وجل: **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء**، اختلف فيه. قيل:[8] إن قوما من غير[9] الحواريين سألوا الحواريين[10] أن يسألوا عيسى عليه السلام حتى يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء. لأن الحواريين قد قلنا: إنهم كانوا خواص عيسى عليه السلام. فكان كمن بدت له حاجة إلى بعض الملوك فإنه إنما يرفع أولا[11] إلى خواصه فهم الذين يتولون رفعها إلى الملك. فعلى ذلك رفعوا حاجتهم إلى الحواريين ليسألوا هم[12] نبي الله عيسى عليه السلام ليسأل ربه. وقال آخرون: لم يسأل[13] قومُهم ذلك، ولكن الحواريين هم الذين سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل ربه

[1] سورة النحل، ٦٨/١٦.
[2] سورة القصص، ٧/٢٨.
[3] ن: المكلف.
[4] جميع النسخ + أن آمنوا بي وبرسولي.
[5] ن: تبين.
[6] ع م – أن.
[7] سورة المائدة، ٨٣/٥.
[8] ن – قيل.
[9] ن ع م – غير.
[10] ع م – سألوا الحواريين.
[11] ن: ولا.
[12] ك: فيسألوا هم؛ ن م: ليسألوهم.
[13] جميع النسخ: لم يسألوا.

حتى ينزل عليهم مائدة من السماء.[١] لكن[٢] سؤالهم[٣] ذلك يحتمل وجوها. يحتمل[٤] سألوا ذلك[٥] لما أرادوا أن يشاهدوا الآية[٦] ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك. فأحبوا أن يشاهدوها[٧] -وإن كانوا قد آمنوا به وصدقوه مِن قَبْل- ليزدادوا[٨] بذلك طمأنينة ويقينا. وهو كقول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي؛[٩] لما يحتمل أن[١٠] نفسه كانت تحدّث وتنازع في ذلك وأحب أن يعاين ذلك ويشاهده ليزداد[١١] طمأنينة ويقينا. فعلى ذلك أولئك كانت[١٢] أنفسهم تحدث وتنازع في مشاهدة الآيات. فأحبوا أن يريهم ذلك[١٣] ليزدادوا[١٤] طمأنينة ويقينا وصلابة في التصديق. ***والله أعلم***.

والثاني يحتمل أن يكون عيسى يخبرهم أن لهم كرامة ومنزلة عند الله، فأحبوا أن يعرفوا منزلتهم عند الله وكرامتهم.

والثالث سألوا ذلك ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله وكرامته، هل يجيب ربه دعاءه إذا سأل ربه. ***والله أعلم***.

وإن كان[١٥] السؤال من قوم غير[١٦] الحواريين فهو لما بدت لهم من الحاجة إليها، لا يُعلَم[١٧] ذلك إلا بالخبر الصادق.

---

[١] ك - من السماء.
[٢] م + لما.
[٣] ن م: سالهم.
[٤] ن م - وجوها يحتمل.
[٥] ع - ليسأل ربه وقال آخرون لم يسأل قومهم ذلك ولكن الحواريين هم الذين سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل ربه حتى ينزل عليهم مائدة من السماء لكن سؤالهم ذلك يحتمل وجوها يحتمل سألوا ذلك.
[٦] ن - الآية.
[٧] ع: أن يشاهدوهما.
[٨] جميع النسخ: ليزداد لهم.
[٩] سورة البقرة، ٢/٢٦٠.
[١٠] ن - أن.
[١١] جميع النسخ + له.
[١٢] جميع النسخ: كان.
[١٣] جميع النسخ: بذلك.
[١٤] ك: فيزداد لهم؛ ن - لهم؛ ع م: ليزداد لهم.
[١٥] ع: وكان.
[١٦] ك - غير.
[١٧] ك: لا نعلم.

وقوله عز وجل: **هل يستطيع ربك**، يقرأ[1] بالتاء والياء جميعا.[2] فمن قرأ بالتاء ذهب في التأويل إلى أن فيه إضمارا.[3] كأنهم قالوا: **هل تستطيع** أن تسأل **ربَّك أن ينزل علينا مائدة من السماء**. ومن قرأ بالياء قال: **هل يستطيع ربك**، أي هل يجيب ربك دعاءك إذا دعوته **أن ينزل علينا مائدة من السماء**. قال الفراء:[4] قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل بالمسئول، لأنه يجوز أن يقال في الكلام: هل يستطيع فلان أن يقوم في[5] حاجتنا وفي أمرنا، على علم منه أنه يستطيع ذلك؛[6] ولكنه[7] يسأل عنه أيفعل[8] أم لا. وذلك جائز في العربية. ألا ترى[9] أن قراءة من قرأ بالتاء -وهو ابن عباس وعائشة- **هل**[10] **تستطيع**[11] **ربَّك**، على علم منهم أن عيسى عليه السلام يستطيع السؤال لربه، لكنهم قالوا ذلك لما ذكرنا.[12] وذلك جائز في اللغة. ويجوز أن يراد بالاستطاعة الإرادة. يقول الرجل لآخر: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، وهو يقدر النظر، لكنه يريد بذلك: لا أريد أن أنظر إليه. فعلى ذلك قوله: **هل يستطيع ربك**، هل يأذن لك ربك بالسؤال في ذلك. ***والله أعلم***.

[٢٠٢ظ] وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**، أي اتقوا الله، لا تسألوا / شيئا لم يأذن لكم في ذلك، **إن كنتم مؤمنين**.

---

[1] ن: تقرأ.

[2] قرأ من الأئمة السبعة الكسائي: هل تستطيع ربّك، والباقون مثل حفص. انظر: كتاب *السبعة* لابن مجاهد، ٢٤٩.

[3] ن ع م: إضمار.

[4] ع: القراء.

[5] ع م - في.

[6] ك - ذلك. انظر: *معاني القرآن* للفراء، ١/٢٢١.

[7] ن م - ولكنه.

[8] ن ع م: أيفعل.

[9] ك: ألا يرى.

[10] ع م - أنه يستطيع ذلك يسأل عنه أيفعل أم لا وذلك جائز في العربية ألا ترى أن قراءة من قرأ بالتاء وهو ابن عباس وعائشة هل.

[11] ع: يستطيع.

[12] أما قراءة ابن عباس فرواها أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبوالشيخ. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٣١. وأما لقراءة عائشة فانظر: *تفسير الطبري*، ٧/١٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٣١. وقد تقدم أنها قراءة الكسائي من الأئمة السبعة.

**﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**[١١٣]

وقوله عز وجل: **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا**،[١] يدل [على] أنهم سألوا[٢] ذلك لِمَا كانت تحدّث أنفسهم وتنازع[٣] في مشاهدة الآيات ومعاينتها وإن كانوا صدقوا عيسى عليه السلام فيما يقول لهم ويخبر عن الله، للمعنى الذي ذكرنا في إبراهيم عليه السلام. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وَنَعْلَمَ أن قد صدقتنا**، اختلف في تلاوته وفي تأويله.[٤] [قرأ بعضهم بالرفع: ونعلمُ على الابتداء؛ معناه: **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا** مع علمنا أنك قد صدقتنا].[٥] وقال[٦] بعضهم بالنصب: **نعلمَ**. فهي القراءة الظاهرة المشهورة. ومعناه وأنْ نعلمَ[٧] ما قد صدقتنا. والثاني أن العلم بالشيء من جهة الخبر[٨] ربما يعترض الوساوس[٩] والشبه؛ فطلبوا آية من جهة الحس والعيان ليكون ذلك أدفع لما يعترض من الشبه والوساوس.

وقوله عز وجل: **ونكونَ عليها من الشاهدين**، أي نكون عليها لمن أنكرها من الشاهدين أنها نزلت.

**﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**[١١٤] **﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾**[١١٥]

وقوله عز وجل: **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا**، أي طعاما دائما. قال بعضهم: قوله: **تكون لنا عيدا**، أي مجتمعا. وسمي يوم العيد لاجتماع الخلق. ثم قيل: نزلت يوم الأحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم.

---

[١] م + قوله وتطمئن قلوبنا.
[٢] ك ن ع: ما سألوا.
[٣] ك ن ع: وتتنازع
[٤] ع: في تأويله وفي تلاوته.
[٥] من *الشرح*، ورقة ٢٤٠ظ.
[٦] جميع النسخ: قال.
[٧] ع: ونعلم.
[٨] ع: الخير.
[٩] ك: الوساواس.

ثم اختلف في نزول المائدة. قال الحسن: لم تنزل المائدة؛ لأنه سأل أن تكون[1] لنا **عيدا لأولنا وآخرنا**، ونحن من آخرهم، فلم يكن لنا ما ذكر.[2]

والثاني **قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين**، وقد كفر بعضهم[3] ثم لم يظهر أنه عذبهم عذابا لم يعذب أحدا من العالمين. وقال بعضهم: ليس فيه دلالة أنها لم تنزل؛ لأنه يجوز أن يكون قوله: **تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا**، ما لم يأت النسخ. فكان لهم ذلك إلى أن بعث[4] نبينا[5] محمد صلى الله عليه وسلم، فنسخ ذلك بيوم[6] الجمعة. وقالوا: قوله: **فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين**؛ ذكر في بعض القصة أن من كفر منهم بعد ذلك مسخهم خنازير؛ فذلك تعذيبٌ لم يعذب أحدا من العالمين. وقيل: يحتمل قوله تعالى: **أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين**،[7] في الآخرة. والله أعلم بذلك كله.

**﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[١١٦]**

وقوله عز وجل: **وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**؛[8] يحتمل هذا القول أوجها ثلاثة. أحدها أن كان هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين أظهرهم، ليكون ذلك آية وحجة لمن تبعه على من زاغ عن طريقه وضل عن سبيل الهدى، لأنه تبرأ أن يكون قال لهم ذلك. ويحتمل أن يكون قال ذلك له وقت رفعه إلى السماء؛ قرر عنده أن قومه يقولون ذلك القول بعد مفارقته قومه. وقيل: إنه[9] يقول ذلك[10] يوم القيامة؛

---

[1] جميع النسخ: أن يكون.
[2] عن الحسن قال: لما قيل لهم: ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها. فلم تنزل عليهم (*تفسير الطبري* ١٣٥/٧، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٣٧/٣).
[3] جميع النسخ: منهم.
[4] ع م: أن يبعث.
[5] ن - نبينا.
[6] ن ع: يوم.
[7] ع - وقيل يحتمل قوله تعالى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين.
[8] ع م + الآية.
[9] م - إنه.
[10] ك ن ع + له.

ويكون "قال" بمعنى "يقول"، كقوله تعالى:[١] وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ،[٢] وكقوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا،[٣] أي يقولون.[٤] وذلك جائز: قال بمعنى يقول، وذلك في القرآن كثير.

واتخاذهم عيسى وأمه إلهين قول متناقض؛ لأنهم سموها أم عيسى، فإذا ثبتت لها الأمومة بطل أن تكون[٥] إلها. وكذلك عيسى إذا ظهر أنه كان ابنا لها بطل أن يكون إلها،[٦] لأنه لا يكون ابن غيره إلها. لكنهم قوم سفهاء يقولون ذلك عن سفه.

**قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق،** أي[٧] لا ينبغي لي[٨] أن أقول ما ليس ذلك بحق. **إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك؛** يُتَكَلَّم بالنفس[٩] على وجهين. أحدهما يراد ما يضمر. والثاني على إرادة الذات. فإن كان الله تعالى يتعالى[١٠] عن أن يوصف بالذات كما يوصف الخلق دل أنه إنما يراد بذلك غيره.[١١] وهو أن يقال:[١٢] تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك. أو يقول: تعلم ما كان مني ولا أطلع على غيبك. **إنك أنت علام الغيوب،** أي إنك أنت علام ما غاب عن الخلق.

**﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١١٧]**

---

[١] ن - كقوله تعالى.
[٢] سورة المؤمن، ٤٠/٤٩.
[٣] سورة المائدة، ٥/١٠٩.
[٤] ع: أن يقولون.
[٥] ع م: أن يكون.
[٦] ع م - وكذلك عيسى إذا ظهر أنه كان ابنا لها بطل أن يكون إلها.
[٧] ع م + لأنه.
[٨] ع م - لي.
[٩] ك: في النفس؛ ع م - بالنفس.
[١٠] م - يتعالى.
[١١] كذا في جميع النسخ. لكن عبارة السمرقندي هكذا: «النفس يستعمل على وجهين. أحدهما الضمير. والثاني على إرادة الذات. فالنفس على معنى الضمير يجوز إطلاقها في حق الخلق ولا يجوز إطلاقها في حق الله تعالى. فلم يكن معنى قوله: ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ في ضميرك. والنفس على معنى الذات يجوز إطلاقها في حق الله تعالى. فمعناه ههنا هو أن يقال: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٠ظ).
[١٢] ك + دل أنه إنما يراد بذلك غيره وهو أن يقال.

وقوله عز وجل: **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به**، أي ما دعوتهم إلا إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه من التوحيد[1] والعبادة لك.

وقوله عز وجل: **وكنت عليهم شهيدا**، أي شاهدا عليهم. هذا يدل[2] على أن ذلك القول كان منه وقت رفعه إلى السماء. أو يكون[3] يوم القيامة. ويقال: **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم**، أي كنت عليهم[4] حفيظا ما كنت بين أظهرهم. **فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم**، أي الحفيظ عليهم. **وأنت على كل شيء شهيد**، بما أمرتُهم من التوحيد والعبادة لك، وشاهدا عليهم بما قالوا من البهتان.

وذُكر في بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى: **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**، قيل: فارتعدت مفاصله وخشي أن يكون قالها؛ فقال: **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته**، الآية. وذُكر أيضا: متكلمان يتكلمان يوم القيامة، نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعدو الله إبليس لعنه الله. فأما كلام عيسى عليه السلام يقول الله: **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**؛ فيقول[5] عيسى بن مريم: **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** -إلى قوله- فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[6] وأما كلام اللعين فيقول: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ،[7] الآية.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**، اختلف
[٢٠٣و] فيه. عن الحسن قال:[8] يقول ذلك في الآخرة. **إن تعذبهم**، إن تعذب من مات / على ما كان منه من القول الوحْش في الله. **وإن تغفر لهم**، أي وإن تغفر لمن أكرمت له بالإسلام والهدى.

---

[1] ع: في التوحيد.
[2] م: تدل.
[3] ع م: ويكون.
[4] ن + شهيدا.
[5] جميع النسخ: فقال.
[6] سورة المائدة، ١١٨/٥.
[7] ﴿وقال الشيطان لمّا قُضِيَ الأمر إن الله وَعَدَكم وَعْدَ الحق ووعدتُكم فأَخلَفْتُكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتُكم فاستجبتم لي فلا تَلُوموني ولُومُوا أنفسكم ما أنا بِمُصْرِخِكم وما أنتم بِمُصْرِخِيَّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).
[8] ن: قال الحسن.

**فإنك أنت العزيز الحكيم**؛ لأن منهم من قد آمن[١] بعد هذا القول الوحش في الله. وقال آخرون: هذا القول كان من عيسى في الدنيا. **إن تعذبهم**، يقول: إن تعذب من مات على الكفر الذي كان منهم **فإنهم عبادك. وإن تغفر** لمن أكرمت[٢] له الهدى، **فإنك أنت العزيز الحكيم**،[٣] أنت العزيز وهم عبادك أذلاء. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فإنك أنت الغفور الرحيم.[٤] وهو[٥] ظاهر، لأنه ذكر أنه غفور على إثر المغفرة. وروي في الخبر أن نبي الله عليه السلام كان أحيا ليلة بقوله: **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**؛ به قام وبه سجد وبه قعد.[٦] فهو -والله أعلم- على التشفع والتضرع إليه. كأنه قال: إن خذلتهم فمن الذي ينصرهم ويدفع ذلك عنهم دونك وهم عبادك أذلاء؛ وإن أكرمتهم[٧] فمن الذي يمنعك عن إكرامهم.

والثاني **إن تعذبهم** فلك سلطان عليهم، ولست أنت في تعذيبك[٨] إياهم جائرا، لأنهم عبادك. لأن الجور هو المجاوزة عن الحد الذي له إلى الحد[٩] الذي ليس له.

**﴿قَالَ اللهُ هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[١١٩]

وقوله عز وجل: **قال الله هذا**؛ قيل: **قال** بمعنى يقول الله يوم القيامة. **يوم ينفع الصادقين صدقهم**؛ أي اليومَ **ينفع الصادقين صدقهم**[١٠] في الدنيا. وينفع صدق الصادق أيضا في الدنيا، لأنه إذا عُرف بالصدق قُبل قوله وإن لم يظهر صدقه في قوله. ثم اختلف في الصادقين من هم. قال بعضهم: هم المؤمنون جملة؛ أي يومئذ ينفع إيمان المؤمنين وتوحيد الموحدين في الدنيا.

---

[١] م: قراء من.
[٢] جميع النسخ: من أكرمت.
[٣] ك + أي.
[٤] وقد قرأ جماعة: فإنك أنت الغفور الرحيم، وليست من المصحف (*تفسير القرطبي*، ٣٧٨/٦). وقيل: وقع في مصحف ابن مسعود: فانك أنت العزيز الغفور كما نقل ذلك ابن الأنباري (*روح المعاني* للآلوسي، ٧١/٧).
[٥] ك ع: هو.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٩/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٧٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٤٠/٣.
[٧] م: ولن اكرمتهم.
[٨] ع م: في تعذيبهم.
[٩] ع - الدي له إلى الحد.
[١٠] ن + أي اليوم ينفع الصادقين صدقهم.

كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ.[1] وقال بعضهم: الصادقون[2] هم الأنبياء عليهم السلام.

وقوله عز وجل: **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**، قد ذكرنا فيما تقدم.[3] **خالدين فيها أبدا**، وخالدين وأبدا واحد، لكنه يذكر على التأكيد.

وقوله عز وجل: **رضي الله عنهم**، لسعيهم[4] في الدنيا. **ورضوا عنه**، بالثواب لسعيهم. ويحتمل **ورضوا عنه**، بما وفقهم على سعيهم المحمود في الدنيا. **ذلك الفوز العظيم**؛ لأنه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت؛ فهو الفوز العظيم ليس كفوز الدنيا، لأنه لا يذهب عنه خوف الهلاك ولا خوف الفوت.

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **لله ملك السماوات والأرض وما فيهن**؛ كأن[5] هذا خرج على إثر قوله: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ،[6] أنْ كيف يتخذ أربابا وولدا[7] وله **ملك السماوات والأرض** وملك **ما فيهن** من الخلق، كلهم عبيده وإماؤه. **وهو على كل شيء قدير**، لا يعجزه شيء. *والله الموفق*.[8]

[1] سورة الحديد، ١٩/٥٧.
[2] ن: الصديقون.
[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥/٢.
[4] ك: بسعيهم.
[5] ك - كأن.
[6] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[7] ن: ولدا.
[8] ك ن م - والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم.[1]

﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾[١]

قوله عز وجل: **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض؛ الحمد** هو الثناء عليه بما صنع إلى خلقه من الخير. ألا ترى أن الذم نقيضه في الشاهد، ويحمد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده. فالتحميد هو تمجيد الرب والثناء عليه والشكر له بما أنعم عليهم. والتسبيح هو تمجيد الرب وتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد وغيره. والتهليل هو تمجيد الرب وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والأضداد، والوصف له بالوحدانية والربوبية. والتكبير هو تمجيد الرب والوصف له بالعظمة والجلال، وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن أن يكون ينشئ[2] من العظام البالية خلقا.

وقوله تعالى: **الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور؛** سفّههم عز وجل بما جعلوا له من الشركاء والأضداد على إقرار منهم أنه **خلق السماوات والأرض** ولم يجعلوا له شركاء في خلقهما. وعلى علم منهم أنه تعلق منافع الأرض بمنافع السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا [له] شركاء يشركونهم في العبادة والربوبية؟

وقوله تعالى: **وجعل الظلمات والنور؛** قال الحسن: **الظلمات والنور** الكفر والإيمان.[3] وقال غيره من أهل التأويل: الليل والنهار. **والنور** في الحقيقة ما يكشف عما استتر من الأبصار: أبصارِ الوجوه وأبصار القلوب. والظلمة[4] ما يستر ويغطي على الأبصار: أبصارِ الوجوه وأبصار القلوب.

---

[1] ع + وبه.

[2] ع م: ينشأ

[3] *تفسير القرطبي*، ٦/٣٨٦.

[4] ع م: ولظلم.

فالظلمة تجعل[١] كل شيء مستورًا[٢] عليه؛ **والنور** يجعل كل شيء كان مستورًا ظاهرًا باديًا عليه. هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة.

وقوله تعالى: **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**؛ قيل: يشركون مع ما بين لهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته. أي جعلوا كل ما يعدوبه دون الله عديلا لله، وأثبتوا المعادلة بينه وبين الله تعالى. وليس لله تعالى عَدِيل ولا نَدِيد[٣] ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وقال الحسن: **بربهم يعدلون**، أي يكذبون.

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[٢]**

وقوله تعالى: **هو الذي خلقكم من طين**، أي خلق آدم أبا البشر من طين؛ فأما خلق بني آدم فمن ماء،[٤] كقوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.[٥] أخبر الله تعالى أنه خلق آدم من الطين، وخلق بني آدم سوى عيسى عليه السلام من النطفة، وخلق عيسى عليه السلام لا[٦] من الطين ولا من / الماء ليعلموا[٧] أنه قادر على إنشاء الخلق لا من شيء، [٢٠٣ظ]
وأنه لا اختصاص[٨] للخلق بشيء، ولا ينكروا[٩] أيضًا إنشاء الخلق وإحياءهم [بعد] موتهم. وذلك لأنه لا يخلو إما أن صاروا ترابًا أو ماء أو لا ذا ولا ذا. فإذا رأوا أنه خلق آدم من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه السلام لا من هذين كيف أنكروا إنشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا؟ فيكون دليلا على منكري البعث بعد الموت، وعلى الدهرية في إنشاء الخلق لا من شيء، فإنهم ينكرون ذلك ويحيلونه. ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم. ***والله الهادي***.

ويحتمل قوله: **هو الذي خلقكم من طين**، أن يراد به[١٠] في حق جميع بني آدم.

---

[١] ع م: يجعل.
[٢] ع: مستور.
[٣] النَّدِيد بمعنى المِثْل والنَّظِير، وكذلك النِّدّ (*لسان العرب* لابن منظور، «ندد»).
[٤] ع م: من ماء.
[٥] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[٦] م – لا.
[٧] م: ليعلما.
[٨] ع: لاختصاص.
[٩] ع م: ولا ينكرون.
[١٠] ع – به.

وأضاف خلقنا[١] إلى الطين، وكان الخلق من الماء،[٢] لما أبقى في خلقنا[٣] من قوة ذلك الطين الذي في آدم وأثره وإن لم نَرَ[٤] تلك القوة وذلك الأثر. وهذا كما أن الإنسان يرى أنه يأكل ويشرب ويغتذي، ويحصل به زيادة قوة في سمعه وبصره وفي جميع جوارحه، وقد يحيا بها جميع الجوارح وإن لم يَرَ تلك القوة. فكذلك هذا. ويحتمل أيضا على ما روي في القصة أنه يُمازَجُ مع النطفة شيءٌ من التراب، فيؤمر الملك بأن يأخذ شيئًا من التراب من المكان الذي حُكم بأن يدفن فيه، فيُخلَط بالنطفة فيصير علقة ومضغة؛ فإنما نسبهم إلى التراب لهذا. ويحتمل النسبة إلى التراب وإن لم يكونوا من التراب لما أن أصلهم من التراب؛ وهو آدم.

وقوله تعالى: **ثم قضى أجلا وأجل مسمى**؛ فالقضاء يتوجه إلى وجوه كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه. وقد يكون لابتداء فعل وإنشائه،[٥] كقوله تعالى: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[٦] ويقال: قضيت هذا الثوب، أي عملته وأحكمته. وقد يكون بمعنى الأمر، قال الله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[٧] أي أمر ربك؛ لأنه أمر قاطع محتَّم. وقد يكون بمعنى الإعلام، قال تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ،[٨] أي أعلمناهم إعلامًا قاطعًا. وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والختم، كقوله تعالى: **ثم قضى أجلا**، أي ختم ذلك وأتمه.[٩] وقد يكون[١٠] غير ما ذكرنا.

---

[١] ع: خلقتنا.

[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٧). وانظر أيضا: الأنبياء، ٢١/٣٠؛ والنور، ٢٤/٤٥؛ والفرقان، ٢٥/٥٤؛ والسجدة، ٣٢/٨.

[٣] ع: خلقتنا.

[٤] ع م: وإن لم يره.

[٥] ك ن - سورة الأنعام بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض الحمد هو الثناء عليه بما صنع إلى خلقه من الخير... -إلى قوله- ...فالقضاء يتوجه إلى وجوه كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد يكون لابتداء فعل وإنشائه.

[٦] يقول الله تعالى حاكيا قول السحرة لفرعون: ﴿قالوا لَنْ نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البينات وَالذي فَطَرَنَا فَاقْضِ ما أنت قاضٍ إنما تَقْضِي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٢).

[٧] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.

[٨] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرض مَرَّتَين ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيرًا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤).

[٩] ك ن ع - ويقال قضيت هذا الثوب أي عملته وأحكمته وقد يكون بمعنى الأمر قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه أي أمر ربك لأنه أمر قاطع محتم وقد يكون بمعنى الإعلام قال تعالى وقضينا إلى بني إسرائيل أي أعلمناهم إعلامًا قاطعًا وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والختم كقوله تعالى ثم قضى أجلا أي ختم ذلك وأتمه؛ ك ع + ويكون بيان الغاية ويكون الأمر؛ ن + ويكون بيان الغاية.

[١٠] ك ن ع: ويكون.

ثم قوله: **قضى أجلاً**، يحتمل هذا كله سوى الأمر. ثم قوله: **قضى أجلا**، قيل: هو الموت. **وأجل مسمى**، يوم القيامة. أَطْلَعَنَا على أحد الأجلين، وهو الموت؛ لأنا نرى من يموت ونُعاين؛ ولم يطلعنا على الآخر، وهو الساعة والقيامة. وقيل: **قضى أجلاً**، أجل الدنيا مِنْ تَخلُقِك إلى أن تموت.[1] **وأجل مسمى عنده**، يوم القيامة.

وقوله[2] عز وجل: **ثم أنتم تمترون**، أي تشكّون وتكذّبون بعد هذا كله.

**﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وهو الله في السماوات وفي الأرض**؛ هذا –والله أعلم– صلة قوله: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.[3] أخبر أنه خالق السماوات والأرض؛[4] فإذا كان خالقهما لم يَشركه أحد في خلقهما كان إله من في السماوات وإله من في الأرض لم يَشركه أحد في ألوهيته ولا في ربوبيته. ويحتمل قوله: **وهو الله في السماوات وفي الأرض**، أي إلى الله[5] تدبير ما في السماوات وما في الأرض، وحفظه إليه؛ لأنه هو المتفرد بخلق ذلك كله، فإليه حفظ ذلك وتدبيره.

وقوله عز وجل: **يعلم سركم وجهركم**، اختلف فيه. قيل: **يعلم سركم**، ما تضمرون في القلوب؛ **وجهركم**، ما تنطقون؛ **ويعلم ما تكسبون**، من الأفعال التي عملت[6] الجوارح. أخبر أنه يعلم ذلك كله ليعلموا أن ذلك كله يحصيها ليحاسبهم على ذلك، كقوله: وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ؛[7] أخبر أنه يحاسبهم بما أبدَوه وما أخفَوه. فعلى ذلك الأول[8] فيه إخبار[9] أن ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم في ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف. وقيل: **يعلم سركم**، ما خلق فيهم من الأسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما؛

---

[1] ن ع م: أن يموت.
[2] ن: قوله.
[3] سورة الأنعام، ٦/١.
[4] ن م – أخبر أنه خالق السماوات والأرض.
[5] ع – الله.
[6] ل: علمت.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٨٤.
[8] ل ع م: الأولى.
[9] ك: حتار.

لأن البشر لا يعرفون ماهية[١] هذه الأشياء وكيفيتها، ولا يرون ذلك كما يرون غيرها من الأشياء، ولا يعرفون[٢] حقائقها. أخبر أنه يعلم ذلك وأنتم لا تعلمون. وقوله عز وجل: **وجهركم**، أي الظواهر منكم. **ويعلم ما تكسبون**، من الأفعال والأقوال.

**﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**، يحتمل **وما تأتيهم من آية من آيات** توحيده، أو **من آيات** إثبات رسالة[٣] محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم. ويحتمل[٤] في إثبات البعث والنشور بعد الموت، لما أخبر أنه خلقهم من طين، فإذا ماتوا صاروا ترابًا. فإذا كان[٥] بَدْءُ إنشائهم من طين فإذا عادوا إليه يقدر على إنشائهم ثانيًا؛ إذ ليس إنشاء الثاني بأعسر من الأول. ثم تحتمل[٦] الآيات آيات القرآن. وتحتمل[٧] الآيات ما كان أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات سوى آيات القرآن. ثم أخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله: **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**، فإذا أعرضوا عنها لم ينتفعوا بها؛ لِيُعْلَمَ أنه إنما ينتفع بالآيات من تأمّلها ونظر فيها لا من أعرض عنها.

ثم سورة الأنعام إنما نزلت في محاجة أهل الشرك. ولو لم يكن القرآن معجزًا كانت سورة الأنعام معجزة؛ لأنها نزلت في محاجة أهل الشرك في إثبات التوحيد والألوهية لله والبعث.[٨] فكيف وقد جعل الله القرآن آية معجزة أعجز البشر عن إتيان[٩] مثله؟ ولم يكن يومئذ / يُعْرَفُ [٢٠٤و]
التوحيد والبعث، كانوا كلهم كفارًا عبدة الأوثان والأصنام. فلا يحتمل[١٠] أن يكون رسول الله

[١] ك ن ع: مائية.
[٢] ن: لا يعرفون.
[٣] ن + سيدنا.
[٤] ع م – ويحتمل.
[٥] ع م: فإذا كانوا.
[٦] ن ع م: ثم يحتمل.
[٧] ن ع م: ويحتمل.
[٨] ع: وبالبعث
[٩] م: عن إتيان.
[١٠] جميع النسخ: لا يحتمل.

ألّف[1] ذلك[2] وأنشأه[3] من ذات نفسه، لِيُعْلَمَ أنه إنما عرف ذلك بالله.

وفيه دلالة إثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه؛ لأن أكثرها نزلت في محاجة أهل الشرك، وهم كانوا أهل[4] شرك وينكرون البعث والرسالة، فنزل أكثرها[5] في محاجتهم في التوحيد وإثبات البعث والرسالة.

وفيه أنه إذا ثبت فساد قول أحد الخصمين ثبت صحة قول الآخر؛ لأن إبراهيم لما قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ،[6] أثبت فساد عبادة من يعبد الآفل بالأُفُول.

**﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**؛ يحتمل الحق الآيات التي كان يأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد وآيات البعث. ويحتمل القرآن. ولو لم يكن أتى[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية لكانت[8] نفسه آية عظيمة من أول نشأته[9] إلى آخر عمره، لأنه عُصِم حتى لم يأت منه ما[10] يُسْتَسْمَجُ ويُسْتَقْبَحُ قط. فدل [على] أن ذلك إنما كان[11] لما جعله آية في نفسه وموضعًا لرسالته. وعلى ذلك تخرج[12] إجابة أبي بكر رضي الله عنه في أول دعوة دعاه إلى ذلك لما كان رأى منه آيات، فلما دعاه أجابه في ذلك.[13] مع ما كان معه آيات عظيمة وأعلام عجيبة.

---

[1] ع – ألف.

[2] م: ذلك ألف.

[3] جميع النسخ: وأنشأ. وعبارة السمرقندي هكذا: «فلا يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف هذه السورة وأنشأها من ذات نفسه وبين فيها دلائل التوحيد والبعث بحيث يعجز عن بيان ذلك من يفنى عمره في التعليم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٢و).

[4] ع: هل.

[5] ع م: أكثر ما.

[6] سورة الأنعام، ٦/٧٦.

[7] ع: التي؛ م: يأتي.

[8] جميع النسخ: كانت. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٢و.

[9] ك ن ع: نشاه.

[10] م: ما.

[11] ع م – إنما كان.

[12] ن: يخرج؛ ع م – تخرج.

[13] م – في ذلك

وقوله عز وجل: **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**،[١] معناه -والله أعلم- أي **يأتيهم**[٢] وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين. وإلا كان: أتاهم أنباء ما نزل بالمستهزئين. ولكن معناه ما ذكرنا، أي ينزل بهم ويحل ما نزل وحل[٣] بالمستهزئين. ويحتمل وجهًا آخر قوله: **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**، وهو العذاب؛ لأن الرسل كانوا يوعدونهم أن ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل، فعند ذلك يستهزئون بهم، كقوله: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا،[٤] وكقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[٥] وغير ذلك، وكقوله:[٦] وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛[٧] فأخبر أنه ينزل بهم ذلك كما نزل بأولئك.

**﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٦]**

قوله[٨] عز وجل: **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن**؛ قال الحسن: **ألم يروا**، أ لم يعتبروا **كم أهلكنا من قبلهم من قرن**. وقال أبو بكر الكيساني:[٩] **ألم يروا**، قد رأوا **أنا أهلكنا من قبلهم من قرن**. وهو واحد. قد رأوا آثار الذين أهلكوا بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم، لكنهم لم يعتبروا بذلك.

وقوله عز وجل: **مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**؛ قال بعضهم: أعطيناهم من الخير والسعة والأموال **ما لم نمكن لكم** يا أهل مكة، أي لم نعطكم. ثم إذا كذبوا الرسل أهلكهم الله تعالى وعاقبهم بأنواع العقوبة. ويحتمل **مكناهم في الأرض** من القوة[١٠] والشدة، كقوله:

---

[١] ن + الآية.
[٢] ع م: أن يأتيهم.
[٣] ع: وجل.
[٤] ﴿وقالوا ربَّنا عَجِّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾ (سورة ص، ١٦/٣٨).
[٥] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[٦] ع م - وكقوله.
[٧] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[٨] ك ع م: وقوله.
[٩] ع: أبي بكر الكسائي.
[١٠] م: لقوة.

وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[١] ثم مع شدة قوتهم أهلكوا إذا كذبوا الرسل. ويحتمل وجهًا آخر: **مكناهم في الأرض**، أي في قلوب الناس[٢] من نفاذ القول وخضوع الخلق[٣] لهم؛ لأنهم كانوا ملوكا وسلاطين الأرض من نحو نُمْرُود[٤] وفرعون وعاد. مع ما كانوا كذلك أهلكوا إذا كذبوا الرسل. وأنتم يا هؤلاء ليس لكم شيء من ذلك. أفلا تهلكون إذا كذبتم الرسل؟ وإنما حملهم على تكذيب الرسل -والله أعلم- لما كانوا ذا سعة وقوة فلم يروا الخضوع لمن دونهم في ذلك، لما رأوا الأمر بالخضوع لمن دونهم في ذلك[٥] جورًا غير حكمة. وإنما أخذوا ذلك من إبليس اللعين حيث قال عند أمره بالسجود لآدم: قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[٦] فعلى ذلك هؤلاء الكفرة رأوا الأمر بالخضوع محمد صلى الله عليه وسلم جورًا منه، حتى قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[٧]

وقوله عز وجل: **وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا**؛ قال القُتَبي: **مدرارًا** بالمطر، أي غزيرا،[٨] مِنْ دَرَّ يَدِرُّ.[٩] وقال أبو عوسجة: أي دَرّت عليهم السماء بالمطر، أي كثر ودام وتتابع واحدا بعد واحد في وقت الحاجة. **وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم**؛ أخبر[١٠] عن سعة[١١] أولئك وما أنعم[١٢] عليهم من كثرة الأمطار والأنهار ما لم يكن ذلك لهؤلاء. ثم مع ما كان أعطاهم ذلك أهلكهم إذا كذبوا الرسل.

فإن قيل: ذَكَر إهلاك أولئك[١٣] وخوف هؤلاء[١٤] بذلك[١٥] بتكذيبهم الرسل؛ وقد أهلك الرسل والأولياء من قبل.

---

[١] ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ (سورة فصلت، ٤١/١٥).

[٢] ك ن: الخلق.

[٣] ك ن: الناس.

[٤] ك: نمروذ.

[٥] ع م - لما رأوا الأمر بالخضوع لمن دونهم في ذلك.

[٦] سورة الأعراف، ٧/١٢.

[٧] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[٨] ع: أي غريزا.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٠.

[١٠] ك ن: يخبر؛ ع: ايخبر.

[١١] ك: عن سفه.

[١٢] م: وأنعم.

[١٣] ع م: هؤلاء.

[١٤] ع م: أولئك.

[١٥] م: ذلك.

قيل: لأن إهلاك[١] أولئك إهلاك عقوبة وتعذيب؛ لأنه كان أهلكهم إهلاك[٢] استئصال واستيعاب خارجا من الطبع. وأهلك أولئك الرسل والأولياء لا إهلاك[٣] عقوبة خارجا من الطبع. لذلك كان[٤] ما ذكرنا.[٥]

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم**، يخبر بشدة[٦] تعنتهم أنهم وإن أُوتُوا[٧] ما سألوا من الآيات لم يؤمنوا به؛ لأنهم كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُنَزِّل كتابًا يعاينونه[٨] ويقرءونه، كقوله: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ،[٩] وكقوله: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.[١٠] ونحوه[١١] من الآيات. يقول: **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس**، أي في صحيفة مكتوبة[١٢] يعلمون أنه[١٣] لم يكتب في الأرض، ولمسوه بأيديهم وعاينوه لم يؤمنوا[١٤] به ولا صدقوه، وقالوا: **إن هذا إلا سحر مبين**. يُصبّر[١٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون، ويخبره بشدة تعنتهم أنهم لا يؤمنون وإن جئت بكل آية.

---

١ : الهلاك.
٢ : ع م: هلاك.
٣ ن ع م: لا هلاك.
٤ ن - كان.
٥ ك ن ع: ما ذكر. وعبارة الشارح هكذا: «فإن قيل: ذَكَر إهلاك أولئك وخوف هؤلاء الكفرة بتكذيبهم الرسل عليهم السلام بذلك، وقد أهلك الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإن إهلاك الكل بإهلاك الله تعالى، فما معنى التحذير بالإهلاك؟ قيل: بل الإهلاك في الحقيقة من الله تعالى، لكن من العباد أسباب ذلك. والإهلاك من الله تعالى نوعان أيضا: إهلاك عقوبة وتعذيب، وهو إهلاك الاستئصال والاستيعاب خارجا من الطبع تسليما لهم إلى النار؛ وإهلاك كرامة وتعجيل إلى دار النعمة وإنجاء من محن الدنيا تحقيقا لما رأى من الحكم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٢ظ).
٦ ن ع م: لشدة.
٧ ن ع م: وإن أتوا.
٨ ك ن م: يعاينوه؛ ع: يعاينوا.
٩ سورة الإسراء، ٩٣/١٧.
١٠ سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
١١ ع: ونحو.
١٢ جميع النسخ: مكتوب.
١٣ أي الكتاب.
١٤ ن: ولم يؤمنوا.
١٥ يقال: صَبَّره وأَصْبَره: أي أمره بالصبر وجعل له صبرا (*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «صبر»).

إذ قد أتاهم من الآيات ما إن تأملوا ولم يتعنتوا[1] لدلتهم على ذلك، لكنهم أعرضوا عنها
[٢٠٤ظ] ولم يتأملوا / فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا أنزل عليه ملك**؛ إن مشركي العرب كانوا لا يعرفون الرسل ولا الكتب ولا كانوا آمنوا برسول ولا كتاب. فقالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[2] ونحوه من السؤال، يسألون إنزال الملك. ثم يحتمل سؤالهم إنزال الملك لما لم يكونوا رأوا الرسل يكونون من البشر، وإنما رأوا الرسول[3] إن كان يكون ملكا، فقالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ. ويحتمل أن يكون سؤالهم إنزال الملك سؤال عناد وتعنت لا سؤال طلب الرسول من الملائكة. فقال: **ولو أنزلنا ملكا** على ما سألوا **لقضي الأمر**؛ أي إن الملك إذا نزل على أثر سؤال العناد والتعنت ينزل[4] بالعذاب والهلاك. فهذا يبين أن سؤالهم [كان] سؤال تعنت وعناد.

وقوله عز وجل: **لقضي الأمر ثم لا ينظرون**، أي[5] إنهم كانوا يسألون[6] إنزال الملك آية لصدقه عليه السلام؛ فقال: **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون**، أي يُهلَكون، لأن الآيات إذا نزلت على أثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الآيات وكذبوها لنزل بهم العذاب والهلاك. وإن جاءت الآيات على غير سؤال فكذّبوها يُمهَلون ولا يُعذَّبون عند تكذيبهم إياها. *والله أعلم*.

[٢٠٤ظ س ٢٠] * فإن قال لنا ملحد في قوله: **لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر**: سألوا أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك، وقال: **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر**.[7] وأنتم تقولون: إنه قد أنزل عليه الملك، وهو أخبر لو أنزل عليه الملك لقضي الأمر، و لم يُقْضَ الأمر. كيف لا بان لكم أنه إنما اخترع[8] ذلك من نفسه لا أن الله[9] أنزل عليه[10] ذلك؟[11]

---

[1] ع: و م يتعينوا.
[2] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[3] ك م: الرسل.
[4] ع: يترك.
[5] ن ع م – أي.
[6] ن + يسألون.
[7] ك – سألوا أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك وقال ولو أنزلنا ملك لقضي الأمر.
[8] ك: إنما احتار.
[9] ك: لأن لله.
[10] ع م: عليك.
[11] ع م – ذلك.

قيل: إنهم إنما سألوا أن ينزل عليهم الملك،[١] وإن لم يذكر في الآية. السؤال ما ذكر في آية أخرى كقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا؛[٢] أو سألوا أن تأتيهم الملائكة وتأتيه، قالوا: كيف يُخَصّ هو بإتيان الملائكة دوننا وهو كواحد منا؟ كقوله: لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[٣] وهذا جائز أن يكون السؤال[٤] لم يذكر[٥] ويكون في الجواب بيان ذلك على ما ذكرنا من قبل في غير موضع.[٦]* [٢٠٤ظ س٢٧]

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**، قيل: آدميًا بشرًا. يحتمل هذا وجوها. أي لو بعثنا الرسول **ملكا لجعلناه** على صورة البشر؛ لأنه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا ودهشوا، لأنه ليس في وسع البشر رؤية الملك على صورته. ألا ترى أن جبريل[٧] عليه السلام إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل على صورته، ولكن كان ينزل على صورة البشر.[٨] حتى ذكر أنه كان ينزل إليه على صورة دِحْيَةَ الكَلْبِي.[٩] وأنه متى رآه على صورته أُصْعِق[١٠] وتغير حاله، فإذا رأوا ذلك في وجهه قالوا: إنه مجنون.[١١] فقال: **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا**، ويكون فيه ما في رسول الله من اللبس به.

---

[١] ن – لقضي الأمر ولم يقض الأمر كيف لا بان لكم أنه إنما اخترع ذلك من نفسه لا أن الله أنزل عليه ذلك قيل إنهم إنما سألوا أن ينزل عليهم الملك.

[٢] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.

[٣] سورة الحجر، ٧/١٥.

[٤] ك ن ع: اسولة؛ م: اسؤلة.

[٥] ك ن: لم تذكر.

[٦] نظر مثلا تفسير الآية من سورة المائدة، ٤/٥.

* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٢٠٤ظ/سطر ٢٠-٢٧.

[٧] ك: جبرئيل.

[٨] عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله: ﴿ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (سورة لنجم، ٨/٥٣-٩)؟ قالت: ذاك جبريل. كان يأتيه في صورة الرجل؛ وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدّ الأفق (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٩٠).

[٩] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٠٧/٢. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة. فجعل يحدث، ثم قام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: «من هذا؟» قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: ايْمُ الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله صلى الله عليه وسلم يخبر جبريل (*صحيح البخاري*، المناقب ٢٥؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ١٠٠).

[١٠] ن ع: لصعق.

[١١] لم أجد أن الكفار كانوا يقولون للنبي: إنه مجنون بسبب تغير حالته عند رؤيته جبريل أو تلقيه للوحي. ولكن روي أن النبي كان يتغير حاله عند الوحي، وكذلك عند رؤية جبريل على صورته الحقيقية. انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٢/١؛ وصحيح *البخاري*، بدء الوحي ١، وبدء الخلق ٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٥٢-٢٥٧

والثاني **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا**؛ لأنهم لا يعرفون صدقه[1] فيحتاجون إلى الدلائل والآيات تدلهم على أنه ملك وعلى صدقه. فذلك لا يعرف إلا بالبشر، لأنهم لا يعرفونه ولا صدقه.

وقوله[2] عز وجل: **وللبسنا عليهم ما يلبسون**؛[3] قالوا: لا تجوز[4] إضافة اللبس إلى الله تعالى إلا على المُجازاة لِلَّبس[5] كالاستهزاء والمكر والخداع. ويحتمل قوله: **وللبسنا عليهم ما يلبسون**، أي **لو جعلناه ملكا... للبسنا عليهم ما** لبس[6] أولئك[7] على ضَعَفَتِهم[8] حيث قالوا: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[9] ومَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[10] وغير ذلك من الكلام؛ لكنا لا نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا، إذ ليس في وسعهم النظر إلى الملك، ولو جعلنا ذلك ملكا لكان ذلك لبسًا.*

**﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**[١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**، يُصبّر رسوله على تكذيب قومه ليعلم أنه ليس هو أولَ مكذب، ولكن قد كذب الرسل الذين من قبلك، ويخبره أنه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق أولئك بتكذيبهم الرسل.

وقوله عز وجل: **فحاق**؛ قال أبو عوسجة: **حاق**[11] أي رجع؛ يقال: حاق يحيق حَيْقا، أي رجع عليهم. وقال الكسائي:[12] **حاق بهم**، أي أحاط بهم[13] ونزل.

[1] ن: صدقة.
[2] ن: قوله.
[3] ع م + الآية.
[4] ن ع م: لا يجوز.
[5] ك: اللبس.
[6] ع - أي لو جعلناه ملكا للبسنا عليهم ما لبس.
[7] ك + أولئك.
[8] م: على ضعفهم.
[9] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤.
[10] سورة يس، ٣٦/١٥.
* وردت هذه قطعة من تفسير الآية السابقة، فقدمناها إلى ذلك الموضع. انظر: ورقة ٢٠٤ظ/سطر ٢٠-٢٧.
[11] ك - حاق.
[12] ك: الكيسائي؛ ع: قال الكيسائي.
[13] م: أي حاط.

**﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**، ليس على الأمر بالسير في الأرض، ولكن على الاعتبار والتفكر فيما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل. لأنه[١] عز وجل أراهم آيات عقلية وسمعية فلم ينفعهم ذلك، فأراد[٢] أن يريهم آيات حسية ليمنعهم ذلك عن التكذيب والعناد.

**﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٢]**

قوله[٣] عز وجل: **قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله**، الآية، يحتمل وجهين. أحدهما أن تخرج مخرج البيان لهم وأنه[٤] له[٥] ليس على الأمر، لأنه لو كان على الأمر لكان يذكر سؤاله لهم، ولم يذكر أنْ سَأَلَهم،[٦] ولا يحتمل[٧] أن [يسأله عنهم] ولا يخبروه[٨] ذلك. فلما لم يذكر سؤاله لهم عن ذلك، ولا يحتمل أن يأمره بالسؤال ثم لا يسأل، أو يسأل هو ولا يخبرونه،[٩] دل[١٠] أنه على البيان خرج لا على الأمر.[١١]

والثاني على أمر سبق، كقوله تعالى: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ،[١٢]

---

[١] ك + لأنه.

[٢] ك: فأراد.

[٣] ك ع م: وقوله.

[٤] جميع النسخ: أنه.

[٥] أي للنبي.

[٦] ن ع م: أن سواهم.

[٧] جميع النسخ: لا يحتمل.

[٨] جميع النسخ: لا يخبروه. والتصحيحات مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٣ظ.

[٩] ك: ولا يخبروه.

[١٠] جميع النسخ: فدل.

[١١] قال الشارح: «ويحتمل أن يكون هذا على سبيل الإخبار والإعلام لا على سبيل الأمر. أي بين وأعلم الكفرة لمن ما في السماوات والأرض؛ لأن حرف من قد يذكر للاستفهام، وقد يذكر للإخبار، وقد يذكر للشرط. وقوله: ﴿قل لله﴾، أي أخبركم أن السماوات والأرض لله. والدليل على أنه على البيان والإخبار دون الأمر والسؤال أنه لم يذكر في الكتاب ولا ثبت في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفرة على سبيل السؤال عنهم: قولوا لمن ما في السماوات والأرض؟ ولو أمره الله تعالى بالسؤال عنهم لكان لا يحتمل أن لا يسألهم. ولا يحتمل أن يسأله عنهم ولا يخبرونه؛ فلو كان لبلغنا ذلك. فدل أن هذا على سبيل الإخبار دون الأمر والسؤال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٣ظ).

[١٢] سورة المؤمنون، ٨٤/٢٣-٨٥.

وكقوله:[1] قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ -إلى قوله- سَيَقُولُونَ لِلَّهِ،[2] وقوله: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[3] ونحوه. كان على أمر سبق،[4] فسخرهم[5] عز وجل حتى قالوا: لله؛ كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[6] ذلك تسخير[7] منه إياهم حتى قالوا: الله.[8] وفي حرف ابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهما: "قل لمن ما في
[٢٠٥و] السماوات والأرض / قالوا[9] لله". هذا يدل على أنه كان على أمر سبق.

وقال بعضهم: **قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله**، أي سلهم، فإن أجابوك فقالوا: **لله**، وإلا فقل لهم أنت: **لله**. وقال قائلون: فإن سألوك **لمن ما في السماوات والأرض قل لله**.

وقوله عز وجل: **كتب على نفسه الرحمة**، قال الحسن: **كتب على نفسه الرحمة** للتوابين أن يدخلهم الجنة، لا أحد يدخل الجنة بعمله، إنما يدخلون الجنة برحمته. وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمته». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:[10] «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[11] وقيل: **كتب على نفسه الرحمة** أن يجمعهم إلى يوم القيامة، أي من رحمته أن يجمعهم إلى يوم القيامة،[12] حيث جعل للعدو عذابا وللولي ثوابا. أي من رحمته أن يجمعهم جميعًا، يعاقب العدو ويثيب[13] الولي.

---

[1] ع: وقوله.
[2] ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ (سورة لمؤمنون، ٨٨/٢٣-٨٩).
[3] ﴿قل من رب السماوات والأرض قل الله﴾ (سورة الرعد، ١٦/١٣).
[4] ع + كقوله تعالى.
[5] ع م: فيخبرهم.
[6] سورة لقمان، ٢٥/٣١.
[7] م: نستخبر.
[8] ك ن ع: لله.
[9] ك: قل.
[10] ع - قال.
[11] روي الحديث بألفاظ متقاربة. وأقربها إلى ما هنا لفظ: «لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/٣). وروي بألفاظ أخرى قريبة. انظر: *صحيح البخاري*، المرضى ١٩؛ و*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.
[12] ن - أي من رحمته أن يجمعهم إلى يوم القيامة.
[13] ع: ويثبت.

وقيل: أي[١] من رحمته أن جعل لهم الجَمْع،[٢] فأوعد العاصي العذاب ووعد المطيع الثواب ليمنع[٣] العاصي ذلك عن عصيانه وليرغب المطيع في طاعته، وذلك من رحمته. وقال قائلون: **كتب على نفسه الرحمة** لأمة محمد أن لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستأصلهم كما عذب غيرهم[٤] من الأمم واستأصلهم عند التكذيب. فالتأخير الذي أخرهم إلى يوم القيامة من الرحمة التي كتب على نفسه.[٥]

وقوله عز وجل: **ليجمعنكم إلى يوم القيامة**، قيل: **إلى** صلة، ومعناه **ليجمعنكم**[٦] **يوم القيامة**. وقيل: **إلى يوم القيامة**، أي ليوم القيامة، كقوله: لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.[٧] وقال قائلون: قوله: **ليجمعنكم** في القبور **إلى يوم القيامة**، ثم يجمعكم[٨] يوم القيامة والقرونَ السالفة.

وقوله عز وجل: **لا ريب فيه**، أي لا ريب[٩] في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف أن خلق الخلق للفناء خاصة -لا للبعث والإحياء بعد الموت للثواب والعقاب- ليس بحكمة.

وقوله عز وجل: **الذين خسروا أنفسهم**، قد ذكرنا.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم**، في الآية -والله أعلم- إنباء أن الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما مقهورين مغلوبين؛ إذ لم يكن لأحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع عنهما ولا صرفُ[١٠] أحدهما إلى الآخر، بل يدركانهم شاءوا أو أبَوْا، وسلطانهما جار عليهم؛ ليعلموا أن لِغَيْرٍ فيهما تدبيرا، وأن قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطانِ مَن له التدبير والعلم. ثم جريانهما على سَنَنٍ واحد[١١] ومجرًى واحدٍ[١٢]

---

[١] ك – أي.
[٢] ك: الجميع.
[٣] ن: فيمنع.
[٤] ع م: غيره.
[٥] ع م – على نفسه.
[٦] ع + إلى.
[٧] ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ (سورة آل عمران، ٣/٩).
[٨] ع م: ثم يجمعنكم.
[٩] م – أي لا ريب.
[١٠] ع م: أو صرف.
[١١] ع: وجد.
[١٢] ع م – ومجرى واحد.

يدل على أن منتشئهما واحد ومدبرهما عليم حكيم. وقال بعض أهل التأويل: **ما سكن في الليل والنهار**، ما استقر[1] في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر، فمنها ما يستقر نهارا وينتشر ليلا، ومنها ما يستقر بالليل وينتشر بالنهار. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: **وله ما سكن في الليل والنهار**، وذلك أن كفار أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا محمد، إنا قد علمنا أنه ما يحملك على هذا الذي تدعو[2] إليه إلا الحاجة، فنحن[3] نجعلك في أموالنا حتى تكون[4] أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه؛ فنزلت:[5] **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع** -لمقالة أولئك- **العليم**، من أين يرزقهم.[6] لكن الوجه فيه ما ذكرنا آنفا أن الخلق كلهم[7] تحت قهرهما وسلطانهما، وفيهما وجوه من الحكمة أحدها بعض ما ذكرنا لِيُعلَم أن مدبرهما واحد. وفيه نقض قول الفلاسفة، لأنهم يقولون: الظلمة كثافة ستّارة، والنور رقيق درّاك.[8] وفيهما ما ذكر من المنافع بقوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا،[9] وغيره من المنافع.

وقوله[10] عز وجل: **وهو السميع**، لمن دعا له، **العليم**، بمصالح الخلق وحاجتهم.

**﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٤]**

قوله:[11] **قل أغير الله أتخذ وليا**، وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه: "ربا"، كأن هذا صلة قوله: "قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قالوا[12] لِلَّهِ".[13] فإذا أقررتم أن ذلك كله لله

---

[1] م: وما استقر.
[2] ع م: تدعوا.
[3] ك: ونحن.
[4] ع: يكون.
[5] ن ع م: فنزل.
[6] ذكره القرطبي بدون تفسير الآية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٩٦/٦.
[7] ك: كله.
[8] ن: درك.
[9] سورة الفرقان، ٤٩/٢٥.
[10] ن - وقوله.
[11] ك م: وقوله.
[12] ك: قل.
[13] سورة الأنعام، ١٢/٦. وقد تقدم أن قرءة ابن مسعود رويت هكذ.

فكيف تتخذون[١] له شركاء فتعبدون[٢] غير الله وهو فاطر السماوات والأرض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما؟ كيف صرفتم العبادة إلى غير الله؟

وقوله عز وجل: **وهو يطعم ولا يطعم**، قال أهل التأويل: هو يَرزق ولا يُرزَق، ليس[٣] كمن له عبيد في الشاهد يَرزُقهم بعضَهم [من] بعض،[٤] الموالي من العبيد والعبيد من السادات، ينتفع بعضهم من بعض. فأما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه، لأنه غني بذاته والخلق فقراء إليه، كقوله تعالى: أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[٥]

وقوله عز وجل: **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم**. قال الحسن: **أولَ من أسلم** من قومه.[٦] وأصله: **إني أمرت أن أكون أول من أسلم**، أي أمرت أن أسلم[٧] وأخضع أنا أولا، ثم آمُرُكم بذلك. واحتج بعض الناس بظاهر هذه الآية أن الإسلام لا يلزم إلا بالأمر والدعاء إليه، وقالوا: إن من مات قبل أن يؤمر[٨] به وقبل أن يدعى إليه فإنه لا شيء عليه، وعلى ذلك من مات في وقت الفترة وانقطاع الرسل والوحي؛ لأنه قال: **إني أمرت أن أكون أول من أسلم**، أخبر أنه أُمِر بذلك، وإذا لم يكن ثَمَّ أَمْرٌ لم يلزم. لكن الوجه في الآية ما ذكرنا، أي أُمِرت أن أسلم وأخضع أولا، ثم آمر غيري؛ فإذا كان[٩] التأويل هذا بطل أن يكون في ذلك حجة لهم.

**﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥]**

قوله[١٠] عز وجل: **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**، قال ابن عباس رضي الله عنه: **قل**، يا محمد لكفار أهل مكة: **إني أخاف**، أي أعلم،[١١] **إن عصيت ربي**، فعبدت غيره،

[١] ع م: يتخذون.
[٢] ن ع م: فيعبدون.
[٣] ع م: وليس.
[٤] جميع النسخ: بعضا.
[٥] سورة فاطر، ١٥/٣٥.
[٦] *تفسير القرطبي*، ٣٩٧/٦.
[٧] ع – أي أمرت أن أسلم.
[٨] ع: أن يأمر.
[٩] ع: فإذا كانت
[١٠] ك ع م: وقوله.
[١١] قال ابن عباس: ﴿أخاف﴾ هنا بمعنى أعلم (*تفسير القرطبي*، ٣٩٧/٦).

[٢٠٥ظ] **عذاب يوم عظيم**. هذا / التأويل صحيح إن كان ما ذُكر من سؤالِهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعرضِهم المال عليه ليعود ويرجع إلى دينهم، فيخرج هذا على الجواب لهم.
وقال بعضهم: قوله تعالى: **إني أخاف إن عصيت ربي**، على الخوف.

لكن لقائل أن يقول: كيف خاف[١] **عذاب يوم عظيم** وقد أخبر أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟[٢] وكيف قال: **إن عصيت**، وقد أخبر أنه عصمه وغفر له؟

قيل: يحتمل أن يكون المغفرة له على شرط الخوف، غُفر له ليخاف عذابه.[٣]

## ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**، قال بعض المعتزلة: الرحمة ههنا الجنة، لأن الله تعالى جعل في الآخرة دارين، أحدهما النار سمّاها سَخَطه،[٤] والأخرى الجنة سمّاها رحمته. وإنما حملهم على هذا أنهم[٥] لا يصفون الله بالرحمة في الأزل. فعلى قولهم يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلا أن يتغمدني الله برحمته» [فاسد المعنى]، فيصير تقديره: لا يدخل أحد الجنة إلا بجنته،[٦] [ويصير تقدير قوله: «إلا أن يتغمدني الله برحمته»][٧] أي يثيبني[٨] الجنة. ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة لا بأعمالهم،

[١] ك – خاف؛ ع: اخاف.
[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢).
[٣] قال الشارح: «وقيل: ﴿إني أخاف إن عصيت﴾، على الخوف. والإشكال على هذا إن قال قائل: كيف خاف عذاب يوم عظيم وقد عصمه الله تعالى عن العصيان؟ والجواب أن يقال: إن المغفرة له على شرط الخوف من الله ومن العذاب، وليس معنى التعليق بالشرط في حق الله تعالى أن يوجد عند وجوده وينعدم عند عدمه، بل ذلك في حق العباد الذين لا علم لهم بعواقب الأمور، والله تعالى عالم بعواقب ما يكون وبما لا يكون أن لو كان كيف يكون. لكن في حقه أنه عَلِم في الأزل أنه يوجد ذلك الشرط منه، فيوجد ذلك المشروط، وعَلِم أنه لو لم يوجد ذلك الشرط كان ذلك المشروط أو وجد بدونه. هذا كما روي أن الصدقة تزيد في العمر، كان معناه أن الله تعالى متى علم وجود الصدقة من شخص حَكَم بعمره زائدا بشرط ذلك، مع العلم بأنه لو لم يكن يوجد منه الصدقة كان عمره أي قدر هو. فكذلك ههنا مغفرة الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم... بشرط الخوف. تفسير هذا أنه علم في الأزل أنه خائف من الله تعالى ومن عذابه... فيظهر ما علم على ما علم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٤و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٢ظ).
[٤] م: سخطة.
[٥] ع م: لأنهم.
[٦] ك – فيصير تقديره لا يدخل أحد الجنة إلا بجنته.
[٧] الزيادة من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٤و.
[٨] ع: ان يثيبني.

لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمته»، قيل:[1] ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته».[2] وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما، لأنه لا جنة لهم ولا ثواب. ولكن الوجه فيه ما ذكرنا أنها سميت رحمة لما برحمته[3] يُدْخَل فيها. وعلى هذا يخرج[4] ما سمي المطر رحمة[5] لما برحمته[6] ينزل، وكذلك كل ما سمي رحمةً في الشاهد يخرج على ما ذكرناه.[7] *والله أعلم.*

ثم قوله: **من يُصْرَف عنه يومئذ**، قيل: **من يصرف عنه** العذاب **يومئذ فقد رحمه**. وكذلك روي في حرف حفصة: "من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه". وفي حرف ابن مسعود: "من يصرف عنه[8] شر ذلك اليوم فقد رحمه". ويحتمل أن يكون قوله: **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**، صلة قوله: قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.[9] وكذلك روي عن ابن عباس رضى الله عنه قال في قوله تعالى: قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ: قُلْ لكفار أهل مكة حين دعوك[10] إلى دينهم على ما ذكر في بعض القصة: إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**.

وقوله عز وجل: **وذلك الفوز المبين**، **وذلك** الصرف يعني صرف العذاب **الفوز المبين**. وإنما ذكره -والله أعلم- فوزًا مبينا لأنه فوز دائم لا زوال له، وليس كفوز هذه الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب، ولا كذلك[11] فوز الآخرة.

**﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير،**

---

[1] ك: فقيل.
[2] تقدم تخريجه قريبا.
[3] ع م - وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما لأنه لا جنة لهم ولا ثواب ولكن الوجه فيه ما ذكرنا أنها سميت رحمة لما برحمته.
[4] ك: خرج.
[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها﴾ (سورة الروم، ٥٠/٣٠).
[6] ع + يدخل فيها وعلى هذا يخرج.
[7] ع م: ما ذكرنا.
[8] ع م - العذاب يومئذ فقد رحمه وفي حرف ابن مسعود من يصرف عنه.
[9] سورة الأنعام، ١٥/٦.
[10] ك: دعوه؛ ع: دعوة.
[11] ن م: وكذلك.

فيه إخبار أنّ ما يصيب العبد من الضرر والخير إنما يصيب[1] به.[2] ثم الضر المذكور في الآية لا يخلو[3] مِن أنْ يُراد [به] سَقَمُ النفس أو ضيق العيش أو شدة وظلم يكون من العباد، لا يخلو[4] من هذه الأوجه الثلاثة. فإذا كان كذلك فدلّ إضافةُ ذلك إلى الله تعالى على أنّ لله[5] فيه فعلاً، وهو أنْ خَلَقَ فِعْلَ[6] ذلك منهم. **فهو على كل شيء قدير**، مِن كَشف الضر[7] له والصرف عنه وإصابة الخير، لا يملك ذلك غيره.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير**، في هذه الآية والآية الأولى[8] ذكر أصل[9] التوحيد؛ لأنه أخبر[10] أن ما يصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف لذلك[11] إلا هو، ولا يدفع ذلك عنهم ولا يصرف إلا الله، وأن ما يصيبهم من الخير إنما يصيب ذلك بالله،[12] وأخبر أنه على كل شيء قدير. وفي قوله: **وهو القاهر فوق عباده**، إخبار أنه قاهرٌ يَقهر الخلق، عزيزٌ قادرٌ، وله سلطان عليهم، وأنهم أَذِلَّاء تحت سلطانه. وفي قوله: **فوق عباده**، إخبارٌ بالعُلُوّ له[13] والعظمة وبالتعالي عن أشباه الخلق. **وهو الحكيم**، يضع كل شيء موضعه، **الخبير**، بما يُسِرون وما يعلنون. إخبارٌ أنْ لا يخفى عليه[14] شيء، وأنه يملك وضع كل شيء موضعه، وأنّ ما يصيبهم من الضر والشدة إنما يكون به، لا يملك أحد صرفه، وأنّ ما ضَرَّ[15] أحدُ أحدًا في الشاهد

---

[1] ن – لعبد من الضرر والخير إنما يصيب.
[2] م: تصيب به؛ ع: نصيب به. أي يصيب بتقدير الله.
[3] ع: لا يخلوا.
[4] ع: لا يخلق.
[5] ع: أن الله.
[6] ع: فعى.
[7] ع: الضرر.
[8] أي الآية السابقة.
[9] ع م: أهل.
[10] في الآية السابقة.
[11] ع: دلك.
[12] ك: الله؛ ع – بالله.
[13] ك: بالعسوية.
[14] ن: على الله.
[15] ك: وإن صر.

أو تَقَعَ أحدُ أحدًا إنما يكون ذلك بالله في الحقيقة. وفي هذه الأحرف إخبارٌ عن أصل التوحيد وما يُحتاج إليه لِمَا ذكرنا من الوصف له بالقدرة والقهر،[1] والوصف له بالعُلُو والعظمة والتعالي عن أشياء الخلق، والوصف له بالحكمة في جميع أفعاله والعلم بكل ما كان ويكون.[2]

**﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **قل أي شيء أكبر شهادة**، كأنّ في الآية إضمارًا[3] -والله أعلم- أنْ **قل** يا محمد **أي شيء أكبر شهادة**، فيقولون: **الله**، لأنهم كانوا يُقِرّون أنه خالق السماوات والأرض وأنه أعظم من كل شيء، لكنهم[4] يشركون غيره[5] في عبادته ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[6] وإلا كانوا يُقِرّون بالعظمة له والجلال، فإذا سُئِلوا:[7] **أي شيء أكبر شهادة**، فيقولون: **الله**. ويحتمل أيضًا أن يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: إنهم إذا سألوا: **أي شيء أكبر شهادة قل الله**، فإنك إذا قلت لهم ذلك يقولون هم أيضًا.

وقوله عز وجل: **قل الله شهيد بيني وبينكم**، في كل الاختلاف بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه. ويحتمل **قل الله شهيد بيني وبينكم**، في كل حجة وبرهان أتاها الرسول بهم. وفي قوله: **قل أي شيء**؛ دلالة أنه يقال له[8] "شيء"، لأنه لو لم يجز أن يقال له شيء، لم يُستَثنَ الشيء منه، وكذلك في قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[9] إنه شيء لأنّ "لا شيء" في الشاهد إنما يقال إما للنفي أو / للتصغير،[10] فلا يجوز في الغائب النفي ولا التصغير،[11] دلّ [٢٠٦و]
أنه إنما يراد بالشيء الإثبات لا غير. *وبالله العصمة.*

---

[1] ع - والقهر.
[2] ع: وما يكون.
[3] ن م: إضمار.
[4] ك: لكن.
[5] ع: غير.
[6] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[7] ن ع م: فإذا سألوا.
[8] أي لله.
[9] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[10] ن: اما للتصغير، م: أو التصعير.
[11] ع - فلا يجوز في الغائب النفي ولا التصغير.

ذُكر في بعض القصة في قوله: **قل أي شيء أكبر شهادة**، أن رؤساء[1] مكة أتوا رسول الله فقالوا: يا محمد، أما وجد الله رسولا يرسله غيرك؟ ما نرى[2] أحدا يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة[3] ولا نعت،[4] فأرنا من يشهد[5] لك أنك رسول الله كما تزعم.[6] فقال الله سبحانه وتعالى: يا محمد، **قل** لهم **أي شيء أكبر شهادة**، يقول: أعظم شهادة، يعني البرهان. لمحمد[7] حجة وبرهان، ولكل[8] نبي حجة وبرهان.[9] فإن أجابوك فقالوا: الله، وإلا فقل لهم: الله أكبر شهادة من خلقه إني رسوله، **والله شهيد بيني وبينكم** في كل اختلاف بيننا وبينكم[10] في التوحيد وإثبات الرسالة والبعث بعد الموت[11] وكل شيء.[12] وذُكر في هذه القصة أنهم لمّاً قالوا: من يشهد أن الله أرسلك رسولا قالوا: فهلّا أُنزل إليك ملك؟ فقال الله[13] لنبيه: **قل** لهم **أي شيء أكبر شهادة**، فقالوا: الله أكبر شهادة من غيره، فقال الله:[14] **قل** لهم يا محمد **الله شهيد بيني وبينكم**، أني رسول الله،[15] وأنه[16] **أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به، ومن بلغ** القرآن[17] من الجن والإنس فهو نذير له.

---

[1] ن + أهل.
[2] ع: ما ترى.
[3] ن: وصفة.
[4] جميع النسخ: ولا مبعث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤ط.
[5] ك ن ع: من شهد.
[6] ن ع م – كما تزعم. رواه الكلبي. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١١٧/٧.
[7] جميع النسخ: محمد.
[8] جميع النسخ: وكل.
[9] وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل قوله: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ في كل حجة [و]برهان أتاهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. والشهيد والشاهد المبين لدعوى المدعي. فأمر الله نبيه عليه السلام بأن يحتج عليهم بالله الواحد الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور وخلقهم أطوارا، ويعلمهم بأن شهادة الله بأنه واحد وإقامته لبراهين [على] توحيده أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به شهيد له بأنه رسوله. فقال: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ الذي اعترفتم بأنه خالق هذه الأشياء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤ظ).
[10] ع – في كل اختلاف بيننا وبينكم.
[11] ك ع م – بعد الموت.
[12] ع – شيء.
[13] ع م – الله.
[14] ك – قل لهم أي شيء أكبر شهادة فقالوا الله أكبر شهادة من غيره فقال الله.
[15] ك ن ع – الله.
[16] ع: من انه.
[17] ع – لأنذركم به ومن بلغ القرآن.

ثم قال لهم: **أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى**، قالوا: نعم نشهد، فقال الله لنبيه: **قل لا أشهد** بما شهدتم ولكن أشهد **إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون.**

وقوله عز وجل: **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**، كأنه قال: **أوحي إلي هذا القرآن**[١] الذي تعرفون[٢] أنه من عند الله جاء؛ لأنه قال لهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٣] فعجزوا عن إتيان[٤] مثله، فدل عجزهم عن إتيان مثله[٥] أنهم عرفوا أنه جاء من عند الله.

وقوله: **لأنذركم به ومن بلغ**، لا يُنذَر بالقرآن، ولكن يُنذَر بما في القرآن، لأن فيه أنباءَ ما حلّ بأشياعهم بتكذيبهم الرسل وما يحل بهم من العذاب في الآخرة بتكذيبهم الرسل، وإلا ظاهر القرآن ليس مما يُنذَر به.[٦]

وقوله عز وجل: **ومن بلغ**، كأنه قال: **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به** وأنذر[٧] **من بلغ** القرآن. صار رسول الله نذيرا ببلوغ القرآن لمن بلغه. فإذا صار[٨] نذيرا به لمن بلغه وإن كان هو في أقصى الدنيا يصير هو نذيرا في أقصى الزمان في كل زمان. وهو[٩] –والله أعلم–[١٠] كقوله تعالى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[١١] ورسول الله هاد[١٢] لقومه إلى يوم القيامة.

وفي الآية دلالة أن البِشارة والنذارة يكونان ببعثِ آخرَ يبشر أو ينذر. وهو دليل لقول[١٣] أصحابنا: إن من حلف: "أي عبد من عبيدي بشّرني بكذا فهو حر" فبشره برسول أو بكتاب[١٤] يكون بشارة.

---

[١] ن – لأنذركم به ومن بلغ كأنه قال أوحي إلي هذا القرآن.
[٢] ع م: يعرفون.
[٣] سورة البقرة، ٢٣/٢.
[٤] ع: ان إتيان.
[٥] ع – فدل عجزهم عن إتيان مثله.
[٦] ع م – وقوله لأنذركم به ومن بلغ لا ينذر بالقرآن ولكن ينذر بما في القرآن لأن فيه إنباء ما حل بأشياعهم بتكذيبهم الرسل وما يحل بهم من العذاب في الآخرة بتكذيبهم الرسل وإلا ظاهر القرآن ليس مما ينذر به.
[٧] ع – وأنذر.
[٨] ك – صار.
[٩] ن – في كل زمان وهو.
[١٠] ع م – أعلم.
[١١] سورة الرعد، ٧/١٣.
[١٢] ن + في كل زمان؛ ع – ورسول الله هاد.
[١٣] ن – لقول.
[١٤] ك: بكتاب أو برسول.

وقوله عز وجل: أ **إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى**، هذا[1] في الظاهر استفهام ولكنه في الحقيقة إيجاب: **إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى** بعدما ظهر عندكم آيات وحدانيته وحجج ربوبيته لما عرفتم أنه خالقكم وخالق السماوات والأرض، به تعيشون وبه[2] تحيَوْن وبه تموتون. مع ما ظهر[3] لكم هذا أشركتم **مع الله آلهة أخرى**، وليس ذلك لكم[4] مما تشركون في عبادته وألوهيته.[5] وأنا **لا أشهد**، و**إنما** أشهد أنه **إله واحد وإنني بريء مما تشركون** في ألوهيته وربوبيته.[6]

**﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[٢٠]

وقوله عز وجل: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**، قيل: نزلت سورة الأنعام في محاجّة أهل الشرك إلا آيات نزلت في محاجّة أهل الكتاب، إحداها هذه. وجائز أن يكون أهل الشرك يعرفون أنه رسول **كما يعرفون أبناءهم**، ويكونَ **الكتاب** هو القرآنَ ههنا لما قَرَع أسماعَهم هذا القرآن وأُمِروا أن يأتوا بمثله فعجزوا عنه، وبما كانوا[7] يختلفون إلى أهل الكتاب[8] ويسألونهم عن نعته وصفته ويخبرونهم، فعرف[9] أهل الشرك أنه رسول كما عرف[10] أهل الكتاب بوجود[11] نعته وصفته[12] في كتابهم. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله[13] قد أنزل على نبيه عليه السلام بمكة: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**، فكيف يا عبد الله المعرفة؟ فقال عبد الله:

---

[1] ك: فهذا.
[2] ع م – وبه.
[3] م: عما ظهر.
[4] ع: لهم.
[5] م: وألولوهيته.
[6] ع م – في ألوهيته وربوبيته.
[7] ن م: أو بما كانوا.
[8] ع – الكتاب
[9] ك ن: يعرف؛ ع: لعرفهم.
[10] ع – كما عرف.
[11] ع – بوجود.
[12] ع م + ويخبرونهم.
[13] م: وإن الله.

يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أَشَدّ معرفة بمحمد مني لابني؛ فقال: كيف ذلك؟ فقال: أنا أشهد أنه رسول الله[1] حق من الله، ولا أدري ما صنع النساء أو ما أحدث النساء، وقد نَعَتَه في كتابنا؛ فقال له[2] عمر: صدقت وأصبت.[3]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢١]

وقوله: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، قال أهل التأويل: لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**. لكن هذا في الحقيقة كأنه سؤال واستفهام، كأنه قال: **من أظلم مِن** الظالمين؟ قال: **مَن افترى على الله كذبًا**، يقال: من فعل هذا؟ قال: فلان؛ أو من قال[4] هذا؟ قال: فلان، فهو -والله أعلم- على السؤال[5] والاستفهام.

ثم قيل: الذين افتروا **على الله كذبًا** أن معه شريكا لقولهم:[6] إن مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرَى.[7]

وقوله:[8] **أو كذب بآياته**، قيل: محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: القرآن إنه ليس من الله.[9] **إنه لا يفلح الظالمون**، قال بعضهم: **إنه لا يفلح الظالمون** بظلمهم. لكن عندنا قوله: **إنه لا يفلح الظالمون**، ما داموا في ظلمهم، أو نقول:[10] **لا يفلح الظالمون**،[11] إذا خُتِموا وماتوا[12] على الظلم والكفر.

---

[1] ع م + صلى الله عيه وسلم.
[2] ع م - له.
[3] أخرجه الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٧/١. وروي عن ابن جريج في قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾، قال: زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال: والله لَنحن أعرف به منا بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء (*تفسير الطبري*، ١٦٥/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٦/١).
[4] ن م: ومن قال.
[5] ع: عن السؤال.
[6] ك: كقولهم.
[7] سورة الأنعام، ١٩/٦.
[8] ن: قوله.
[9] ع م - إنه ليس من الله.
[10] ن: أو يقول؛ م: ويقول.
[11] ع - ما داموا في ظلمهم أو نقول لا يفلح الظامون.
[12] ع: وما لوتوا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ويوم نحشرهم جميعًا**، المطيع والعاصي والكافر والمؤمنَ، **ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**. ذكر ههنا: **شركاؤكم**، أضاف ذلك إليهم لأنهم كانوا من جنسهم وجوهرهم، يَفتَنُون كما يَفتَنُون هم.[١] وذكر في آية أخرى: شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ،[٢] أنهم شركائي.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٢٣]

[٢٠٦ظ] وقوله عز وجل: / **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**، قال الحسن: الآية نزلت في المنافقين.[٣] وذلك أنهم كانوا يَكْذِبون في الدنيا فيما بينهم، فظنوا أن يَتَرَوَّج كذبهم في الآخرة كما كان[٤] يَتَرَوَّج في الدنيا. وسمّاهم مشركين[٥] لأنهم كانوا أشركوا في السر فقالوا: **والله ربنا ما كنا مشركين**. وقال غيره من أهل التأويل: الآية نزلت في أهل[٦] الشرك من العرب. وذلك أنهم كانوا يشركون مع الله آلهة، وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة، فلما عاينوا[٧] ذلك أنكروا أن يكونوا أشركوا غيره في ألوهيته وربوبيته.

وقوله تعالى: **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا**، أي لم يكن افتنانهم في الدنيا بافترائهم على الله الكذب وإشراك غيره معه وتكذيبهم آيات الله، **إلا أن قالوا** في الآخرة: **والله ربنا ما كنا مشركين**. وذُكر في بعض القصة أن المشركين في الآخرة[٨] لما رأوا كيف يتجاوز الله عن أهل التوحيد فقال بعضهم لبعض: إذا سئلنا فقولوا إنا كنا موحّدين.[٩] فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال: أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ[١٠] في الدنيا بأنهم معي شركاء؟[١١]

[١] ع م – هم.
[٢] ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة القصص، ٦٢/٢٨).
[٣] *تفسير القرطبي*، ٤٠٢/٦.
[٤] ع: قال.
[٥] ك + لأنهم كانوا مشركين.
[٦] ع – أهل.
[٧] ن ع م: أن عاينوا.
[٨] ع: في الآخر
[٩] روي نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٨/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٣.
[١٠] سورة الأنعام، ٢٢/٦.
[١١] جميع النسخ: شريك.

**ثم لم تكن فتنتهم**، قال أهل التأويل: معذرتهم وجوابهم إلا الكذب[1] حين سُئِلوا،[2] فقالوا: **والله ربنا ما كنا مشركين**، تبرءوا من ذلك.

**﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢٤]**

ثم قال الله: **انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم**، في الآخرة، **ما كانوا يفترون**، من الشرك في الدنيا. قيل: لما أنكروا أن يكونوا مشركين في الدنيا ختم الله على ألسنتهم وشهدت الجوارح عليهم بالشرك. وقيل: **انظر كيف كذبوا على أنفسهم**، يقول: كيف صار وبال كذبهم عليهم. **وضل عنهم**، قيل: واشتغل عنهم، **ما كانوا يفترون**، يقول:[3] يكذبون. وأصله أنه يُذَكِّر نبيّه شدّةَ تَعَنُّتِهم وسفههم أنهم[4] كيف يكذبون عند معاينة العذاب، فإذا كانوا بِتَأْيٍ مِنه وبُعْدٍ كانوا أشد تكذيبًا وأكثر تَعَنُّتًا؛[5] لأنهم يطلبون الرد إلى الدنيا بقوله:[6] فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[7] فقال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[8]

**﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمع إليك**، كانوا يستمعون إليه ليجادلوه على ما ذُكِرَ: **حتى إذا جاءوك يجادلونك**، دلّ هذا أنهم كانوا يستمعون إليه للمجادلة معه والخصومة. وقيل في بعض الحكايات: إن الناس كانوا ثلاثة[9] فرق في أخبار الرسل والأنبياء عليهم السلام.

---

[1] ع م: إلا ان الكذب.
[2] م: حين سألوا.
[3] ع م: يقولون.
[4] ع: أنه.
[5] ع م: تعنتهم.
[6] ع م - بقوله.
[7] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).
[8] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[9] ن: ثلاث.

**منهم من يستمع** للجمع والاستكثار، **ومنهم من يستمع** ليأخذ عليهم سَقَطَاتِهِم وما يجري على لسانهم من الخطأ، **ومنهم من يستمع** ليأخذ الحق منه[1] ويترك الباقي. لكن[2] هؤلاء كانوا[3] يستمعون إليه ليخاصموه[4] في ذلك[5] وليجادلوه. ليعرف[6] قومهم أنهم يستمعون إليه ويعرفون ما يقول،[7] ليصدّوا بذلك[8] أتباعهم. والثاني أنهم[9] يستمعون ويحاجّون في ذلك ليعرفوا أنهم أهل[10] حِجَاج وعلم ليصدّوهم عنه.

ثم يحتمل أن يكونوا أهل نفاق، لأنهم كانوا يُرُونَ ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويضمرون الخلاف له.[11] ويحتمل أن يكونوا[12] أهل الشرك، أي رؤساءهم، يستمعون[13] إليه ويجادلونه[14] فيما[15] يستمعون إليه.

وقوله عز وجل: **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا**، أخبر أن **على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرًا**. وقال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[16] نفى عنهم[17] ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وإن لم يكونوا في الحقيقة صما ولا بكما[18] ولا عميا[19] ولا ما ذكر، لما لم ينتفعوا بما أنشأ فيهم من السمع والبصر والعقل فنفى عنهم ذلك.

---

[1] ن – منه.
[2] ك: ولكن.
[3] م – كانوا.
[4] م: ليخاصموا.
[5] ع + في ذلك.
[6] ن ع م: لتعرف.
[7] ن: بم يقول.
[8] ن: ذلك.
[9] ع م – أنهم.
[10] ع + أهل.
[11] وقد قال المؤلف في تفسير الآية رقم ٢٨: «قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾، إنها نزلت في المنافقين، يدل على ذلك قوله: ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦)».
[12] ن: أن يكون؛ ع م – أن يكونوا.
[13] ك ن ع: ليستمعوا.
[14] جميع النسخ: ويجادلوه.
[15] ك + بينهم.
[16] سورة البقرة، ١٨/٢.
[17] ك – عنهم
[18] ع: ولا ما بكما.
[19] ك ع م – ولا عميا.

ثم قوله تعالى: **وجعلنا على قلوبهم أكنة**، لا تخلو[1] إضافة ذلك إلى نفسه من أن يكون خلق منهم فعل الكفر أو خلق[2] الظلمة التي في قلوبهم، يعني ظلمة الكفر؛ لأن ظلمة الكفر[3] تستر وتغطي كل شيء، ونور الإيمان ينير منه كل شيء. فإضافة الفعل إليه لا تخلو[4] من أحد هذين الوجهين: إما لخلق فعل الكفر منهم، ففيه دلالة خلق أفعالهم؛ وإما لخلق ظلمة الكفر في قلوبهم، وفيه رد قول المعتزلة لإنكارهم خلق فعل العباد.

وقوله عز وجل: **وفي آذانهم وَقْرًا**، قيل:[5] الوَقْر هو الثِّقَل في السمع. يقال: وَقِرَت أذنه تَوْقَر وَقْرًا فهي مَوْقُورَة. وأما الوِقْر فهو الحِمْل. وقال أبو عوسجة: الوَقْر الصَّدْع في العظم أيضًا.[6]

وقوله عز وجل: **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها**، يحتمل **كل آية**، آية وحدانيته وربوبيته وقدرته على البعث وآيةَ رسالته ونبوته. ويحتمل **كل آية**، سألوا أن يأتي بها. يقول: وإن أتيت[7] بكل آية سألوك لا يؤمنون بك بعد ذلك أبدا، كقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[8] ونحو ذلك مما سألوا من الآيات. يقول: إنك وإن جئت بما سألوك من الآيات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك.

**يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**، أي ما هذا إلا أساطير الأولين، قيل: أحاديث الأولين. والأُسْطُورَة: الكتاب. يقولون ذلك تَعَنُّتًا منهم، لأنهم كانوا يعرفون أنه حق وأنه ليس بكلام البشر، لأنهم عجزوا عن إتيان مثله. ولو كان هو مفترى على ما قالوا لقدروا هم[9] على أن يأتوا بشيء مثله، حيث قيل لهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ.[10] فعلموا لعجزهم[11] عن إتيان مثله أنه ليس من كلام البشر وأنه سماوي.

---

[1] ن م: لا يخلو؛ ع: لا يخلوا.
[2] ن: اذ خلق.
[3] ن – لأن ظلمة الكفر.
[4] ع: لا تخلوا.
[5] ك ن ع: وقيل.
[6] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «وقر».
[7] ن ع م: وإن أوتيت.
[8] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[9] ن: لقدروهم.
[10] سورة يونس، ٣٨/١٠.
[11] ك: بعجزهم.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وهم ينهون عنه وينأون عنه**، **ينهون** الناس عن طريقه ومتابعته، [٢٠٧و] **وينأون عنه**،[١] أي يتباعدون عنه، **ينهون** غيرهم عن اتِّباعه ويتباعدون[٢] / هم. ويحتمل ما ذكر في القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام،[٣] فاجتمعت[٤] قريش عنده ليريدوا بالنبي سوء، قال أبو طالب وأنشد فيه:

والله لن يَصِلوا إليك بجمعهم     حتى أُوَسَّد في التراب دَفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ     وأَبْشِرْ وقِرّ بذاك[٥] مِنك عُيونا
فدعوتني وزعمت أنك ناصحٌ[٦]     ولقد صدقت وكنت ثَمّ أَمينا
وعرضتَ دينًا قد علمتُ بأنه     مِن خير أديان البريّة دينا
لولا الملامةُ[٧] أو أُحاذِر[٨] سُبَّةً[٩]     لوجدتني سَمْحًا بذاك مُبِينا[١٠]

كان ينهى الناس عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد هو عنه فلا يتبعه في دينه، فنزل[١١] هذا.[١٢]

وقوله عز وجل: **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون**، أي لا يشعرون[١٣] أنهم بذلك يسعون في هلاك أنفسهم.[١٤]

---

[١] ع م – ينهون الناس عن طريقه ومتابعته وينأون عنه.
[٢] ع م: وتباعدون.
[٣] م: الإسلام.
[٤] جميع النسخ: اجتمعت.
[٥] م: بذلك.
[٦] ك: صابح.
[٧] جميع النسخ: الدمامة. والتصحيح من المصدر الآتي.
[٨] ع: أو أحازر.
[٩] السُّبَّة العار، ويقال: صار هذا الأمر سُبَّةً عليهم بالضم، أي عارا يُسَبّ به (*لسان العرب* لابن منظور، «سبب»).
[١٠] جميع النسخ: متينا. والتصحيح من المصدر الآتي.
[١١] ع م: فترك.
[١٢] رواه مقاتل. انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان* ١/٥٥٦. وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾، نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعد عما جاء به (*تفسير الطبري*، ٧/١٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٦٠).
[١٣] ع م – أي لا يشعرون.
[١٤] م – نفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ وقفوا على النار**، عن الحسن قال: سترى **إذ وقفوا على النار**. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "ولو ترى إذ عرضوا على النار"، وكذلك في حرفه:[1] وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ:[2] "إِذْ عُرِضُوا عَلَى رَبِّهِمْ". ولولا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: **وُقِفوا** "عُرِضُوا" **على النار**، وإلا يجوز أن يُحمَل قوله: **إذ وقفوا على النار**، أي عند النار أو في النار، "على" مكانَ "عند" أو مكان "في"، وذلك جائز في اللغة. ولكن ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أَقْنَعَنا عن ذلك.

ثم يحتمل -والله أعلم- أن يكون هذا صلة قوله:[3] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[4] كأنه يقول: **ولو ترى** يا محمد **إذ وُقِفوا على النار** لَرَحِمْتَهم لما كان منهم من القول فيك: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[5] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[6] وهكذا الواجب على كل أحد أن يرحم عدوه إذا كان عاقبته النار والتخلّد فيها، وأن لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانة.[7] أو أن يقال: ولو تراهم **إذ وقفوا على النار** من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم من التكبر والاستكبار في الدنيا. وهو كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[8] الآية، أخبر عن ذلهم وخضوعهم في الآخرة بما كان منهم في الدنيا من الاستكبار والاستنكاف، فعلى ذلك يخبر نبيه عما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا. *والله أعلم*.

*وقوله: **ولو ترى إذ وُقِفوا على النار**، يحتمل قوله: **وُقِفوا على النار**،[9] أي حُبِسوا، [٢٠٧و س٢٦

---

[1] ك ع م - حرفه.

[2] ك - إذ عرضوا على النار وكذلك في ولو ترى إذ وقفوا على ربهم. والآية في سورة الأنعام، ٣٠/٦.

[3] ع م - قوله.

[4] سورة الأنعام، ٢٥/٦.

[5] سورة الأنعام، ٧/٦.

[6] ن ع م - كأنه يقول ولو ترى يا محمد إذ وقفوا على النار لرحمتهم لما كان منهم من القول فيك إن هذا إلا سحر مبين إن هذا إلا أساطير الأولين.

[7] ن ع م: بمكانه. قال ابن منظور: «وفي التنزيل العزيز: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ (سورة الأنعام، ١٣٥/٦)، أي على حيالكم وناحيتكم» (*لسان العرب* لابن منظور، «مكن»).

[8] سورة السجدة، ١٢/٣٢.

* ورد ما بين النجمتين ابتداء من هذا الموضع خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر. ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦- ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.

[9] ع م - يحتمل قوله وقفوا على النار.

إذ الوقوف حَبْس،[1] لَوْ وُقِف حُبِس؛[2] والنار لا يُوقَف عليها، بل يكون فيها ما قال عز وجل: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[3] وقال: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.[4] ويحتمل الوقف عندها قبل الدخول في حال الحساب للمُساءَلة، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[5] الآية.

**ولو ترى**، أي ولو ترى ذُلّهم وخضوعهم، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ.[6] ولم يبين جواب لَوْ، وقد يُترَك جواب لَوْ لِمَا يُعلَم ربّما[7] بالتأمل أو بالذكر، كقوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا،[8] بمعنى ظَنَنتُم، أو على ما ذُكِر في موضع آخر نحو قوله: قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا،[9] وكذلك قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ،[10] وغير ذلك. فلعل معناه: **ولو ترى** ذُلّهم بعد استكبارهم لَرَحِمْتَهم على ما هم عليه ولَهَانَ[11] عليك التصبُّرُ[12] لأذاهم،[13] وَلَأَشفقتَ عليهم. ويحتمل قوله: **ولو ترى** ما ينزل بهم من نقمة الله ويحلّ بهم[14] من عذابه لَعَلِمتَ أن القوة لله جميعًا، وأنه بحلمه[15] ورحمته يُملي لهم ويستدرجهم،[16] كقوله: وَلَوْ تَرَى[17] الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

---

[1] ك – الوقوف حبس.
[2] ن – لو وقف حبس.
[3] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[4] سورة الأعراف، ٤١/٧.
[5] ﴿اُحْشُرُوا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فَاهْدُوهُمْ إلى صراط الجحيم. وَقِفُوهُمْ إنهم مسئولون﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٤).
[6] سورة السجدة، ١٢/٣٢.
[7] ع م + يعلم.
[8] سورة النور، ١٢/٢٤.
[9] ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ (سورة النور، ١٦/٢٤).
[10] جميع النسخ + إنما يجيب لو. سورة النور، ١٠/٢٤.
[11] م: ولحان.
[12] ع: التصير.
[13] ن: أداهم.
[14] ع – من نقمة الله ويحل بهم.
[15] م: بحمده.
[16] ك م: ويسترحجهم؛ ن ع: ويسترجعهم.
[17] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ بالياء، وقرأ نافع وابن عامر: ولو ترى، بالتاء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ١٧٤.

أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.[١] ويحتمل أن يكون جوابه فيما ذكر[٢] مِن تَمَنِّيهم العَودَ وندامتِهم على ما سلف منهم وشدةِ تَلَهُّفِهم على صنيعهم، [أي] لرأيت ذلك أمرا كافيا وجزاء بالغا لما يكون؛ إذ يكون[٣] ما ينزل بهم أعظم عندك مما تَلْقَى منهم. وقد يخرج الخطاب لرسول الله على تَضَمُّن تنبيه كل مميّز، وتذكير[٤] كل متأمل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يا ليتنا نُرَدُّ**، قيل: إلى الدنيا؛ وقيل: إلى المحنة، من حيث لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الآخرة. لكن هذا تَكَلُّفُ تحقيقِ مرادِ قومٍ ظَهَرَ سفهُهم، ولعلّه ليس عندهم هذا التمييز، أو يقولون سفهًا كما قالوا كذبًا بقوله: وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[٥]

وقوله[٦] عز وجل: **بآيات ربنا**، قال الحسن: بدين ربنا. وقال قوم: / بحجج ربنا. فيكون [٢٠٧ظ]
في الآية اعتراف أنهم على التعنت كذّبوا في الأول[٧] لا على الجهل، وأنه[٨] كان ثَمّ[٩] آياتٌ عاندوها. وهم قوم قد سبق من الله الخبر عنهم مما فيه العناد منهم، كقوله تعالى: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١٠] وذلك يدل على تعنّتهم في القول ليتخلّصوا عمّا بُلُوا بجميع ما يحتمل وسعهم، لا أن ذلك كذلك في قلوبهم. لذلك -والله أعلم- قال الله تعالى: وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[١١]

ثم دل قوله: **ولا نُكذّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين**، أنهم قد عرفوا أن الإيمان هو التصديق لوجهين. أحدهما أنهم جعلوا الإيمان مقابل التكذيب،[١٢] فيُعلَم[١٣] أنه التصديق. والثاني أنهم ذكروا الآيات، والآيات يُكذَّب بها ويُصدَّق لا أنْ يُعمَل.

---

[١] ن + الآية. سورة البقرة، ٢/١٦٥.
[٢] أي في نفس الآية.
[٣] ع: ان يكون.
[٤] ع: وتذكر.
[٥] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدّوا لعادوا لما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٨).
[٦] ع م: وقوله.
[٧] أي في الدنيا.
[٨] جميع النسخ: وأن.
[٩] ن: ثمه.
[١٠] سورة الأنعام، ٦/٢٣.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[١٢] ع: الكذب.
[١٣] جميع النسخ: ليعلم.

وبعدُ فإن الذي في حدّ إمكان الإتيان ممّا فات هو التصديق؛ إذ الغيرُ لو تُوْهِم الأمرُ [به] لَم يكن[1] لِيُوجِدَ[2] ما سَبق مِن الترك، والتصديقُ لو أُمِر فهو لِمَا سَبق مِن التكذيب؛[3] على أنه أُجمِع أنْ لا يؤمرُ[4] مَن آمن بقضاء شيء ممّا فات، فثبت أنهم أرادوا به التصديق. وفيه أنه[5] اسم لذلك[6] حتى عرفه أهله وغير أهله[7] معرفة واحدة. *والله أعلم*.* ٢٠٧ظ س٩]

وقوله عز وجل: **فقالوا يا ليتنا نرد ولا نُكَذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين**، تَمَنَّوْا عند معاينتهم العذاب العود والرد إلى الدنيا. ثم فيه دليلان. أحدهما أنهم عرفوا أن ما أصابهم إنما أصابهم بتكذيبهم الآيات وتركهم الإيمان، حيث قالوا: **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا**.

والثاني أن الإيمان هو التصديق الفرد[8] لا غير؛ لأنهم إنما فزعوا عند معاينتهم العذاب وتمنوا[9] الرد والعود إلى الدنيا[10] أنْ يكونوا[11] من المؤمنين، لم يفزعوا إلى شيء آخر من الخيرات، دلّ أن الإيمان هو التصديق الفرد لا غير، وأنه ضد التكذيب، والتكذيب هو فرد، فعلى ذلك التصديق.

**﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، قيل[12] فيه بوجوه. قال بعضهم: قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ،[13] إنها[14] نزلت في المنافقين، يدل على ذلك قوله:

---

[1] ن ع م – م يكن.
[2] ك ن + لاجل؛ ن: لتوجد.
[3] قال الشارح: «إن الذي في حدّ إمكان الإتيان مما فات هو التصديق؛ لأن التصديق متى وُجد يبطل التكذيب السابق. فأما لو تُوْهِم الأمرُ بإتيانهم بالعبادات فإن الأعمال في المستقبل لا ترفع لترك في المعاصي. ولا تُجعَل كالحاصل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٦و).
[4] ن: لا يؤمن.
[5] ك – أنه.
[6] يعني أن الإيمان اسم للتصديق.
[7] ن – وغير أهله.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦–ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.
[8] ك ن: المفرد.
[9] جميع النسخ: تمنوا.
[10] ك ن + إلى الإيمان.
[11] أي حتى يكونوا.
[12] ن م – قيل
[13] سورة الأنعام، ٢٥/٦.
[14] ع: إنما.

**بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، وهو سمة أهل النفاق أنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم.[١] ويحتمل قوله تعالى: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، [يعني] رؤساءهم. كانوا عرفوا في الدنيا أنه رسول[٢] وأن ما أُنزل[٣] عليه هو من الله، وعرفوا أن البعث حق، لكنهم أخفوا ذلك على أَتْباعهم[٤] وستروه، ثم ظهر ما كانوا يخفون على أتباعهم.[٥] وقيل [في][٦] قوله: **بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل**، وذلك أنهم حين قالوا: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٧]* [أنطق الله جوارحهم، فشهدت عليهم بما كتموه من الشرك، فتمنوا عند ذلك العود إلى دار الدنيا].[٨]

وقوله عز وجل: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، يخرج على وجوه.[٩] أحدها على[١٠] أن الآية في أهل النفاق، ظَهَرَ ما قد أضمروا من الكفر.

والثاني أن تكون الآية في رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبأن الرسل تكون من البشر وأن لا شريك لله، فبَدَا للأتباع[١١] ما كان[١٢] الرؤساء يخفون في الدنيا. ويحتمل: **وبدا لهم**، من صنيعهم ما قد أسرّوه وأضمروه في أنفسهم، ظنّوا أنه لا يطّلع[١٣] على ذلك أحد.[١٤] وذلك في قوله: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[١٥] وقوله: وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ،[١٦] وغير ذلك. ويحتمل **ما كانوا يخفون**، مِن الخلق. **وبدا**[١٧] **لهم**، ذلك بالجزاء.

---

[١] ن: العداوة بهم.
[٢] ن + الله.
[٣] ك ن ع: ما نزل.
[٤] ع: عن أتباعهم.
[٥] ع: عن أتباعهم.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦و.
[٧] سورة الأنعام، ٦/٢٣.
* وردت هنا قطعة طويلة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦- ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.
[٨] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦و.
[٩] ع: على الوجوه.
[١٠] ن - على.
[١١] ك: الأتباع.
[١٢] ع: وما كان.
[١٣] م: أن لا يطلع.
[١٤] ع: أحد.
[١٥] سورة الطارق، ٨٦/٩.
[١٦] سورة العاديات، ١٠٠/١٠.
[١٧] ك ع م: أو بدا.

[٢٠٧ظ س٣٦ *ويحتمل **بدا لهم**، ظهر لهم، **ما كانوا يخفون**، من نعت محمد وصفته صلى الله عليه وسلم
٢٠٧ظ س٣٧] في الدنيا وكتموه. *والله أعلم*.*
[٢٠٨و س١١] *وقوله عز وجل: **ولو ردوا**، قيل: إلى الدنيا. ولكن: **ولو ردوا**، إلى المحنة ثانيا، **لعادوا لما نهوا عنه**.*

وقوله عز وجل: **ولو ردوا**، أي إلى ما تَمَنَّوْا أن يُرَدّوا إليه،[1] **لعادوا لما نُهوا عنه**. أخبر الله عن علمه بما قد أسرّوه في ذلك الوقت. إنما كان في علمه أنْ سيكونُ[2] وإن كان مِن حُكمه أن لا يُرَدُّوا.[3] وفي ذلك[4] أن الآية[5] لا تضطرّ[6] صاحبها.[7] ***ولا قوة إلا بالله***.

وقال قوم: إن الخلود يَلزم في النار بما[8] في علم الله أنهم يَلزمون ما هم عليه لو مكثوا للأبد. وقال قوم: إذْ لم يجز لزوم العذاب، بما يعلم الله من العناد مِن أحدٍ لو امتُحن، بلا محنة ولا خلاف فعلى ذلك[9] أمر الخلاف.[10] لكن الآية في خاص منهم، وهم الذين اعتدوا وعاندوا[11] الحق بعد الوضوح، على ما ذُكر في كثير من الكفرة أنهم لا يؤمنون أبدًا ثم أَمهلهم على ذلك. وهذا يبين أن ليس تَمنّع الإعادة لما يعودون له لو كان يحتمل في الحكمة الإعادة، إذ قد أَمهل وأَبقى على العلم بذلك، فعلى ذلك الإعادة، لكنه أخبر عن تعنتهم.[12]

---

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٨و/سطر ١١-١٢.

[1] م - إليه.

[2] جميع النسخ: يكون.

[3] ك: أن لا يرد.

[4] ن ع م: في ذلك.

[5] ع: لأن الآية.

[6] ع م: لا يضطر.

[7] قال الشارح: «مع أنهم عاينوا الآيات [يوم القيامة] وحصل لهم المعرفة عن اضطرار بثبوت الصانع وتوحيده لم يؤمنوا وعادوا لما نهوا عنه من الكفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦ظ).

[8] جميع النسخ + هم.

[9] ن - فعلى ذلك.

[10] قال الشارح: «ولكن هذا فاسد؛ لأن الله تعالى أخبر أن النار جزاء ما يوجد منهم من الذنب، وأنه لا يعذِّب في الآخرة أحدٌ بغير ذنب. ولا يجوز أن يعذب بما يعلم من العناد والتعنت من أحد أنه لو امتحنه وكلّفه بشيء لَخالفه ولم يمسك بأمره من غير أن امتحنه ووُجد منه الخلاف، فيكون تعذيبا بلا صُنعٍ وُجد مِن جهته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٧و، ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٥و).

[11] جميع النسخ: وعتدوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٧و.

[12] قال الشارح: «وهذا يبين أنْ ليس منعُ إعادتهم إلى الدنيا لِمَا علم منهم أنهم لا يؤمنون لو كان في الحكمة يحتمل الإعادة؛ لأنه مع علمه أنهم لا يؤمنون أبدا أمهلهم في الدنيا. فردُّهم ثانيا ليس إلا زيادةً في الإمهال وإن علم أنهم لا يميلون إلى الإيمان بل يعودون إلى ما هم عليه من الكفر. لكن هذا إخبارٌ منه عن تعنّتهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٧و، ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٥و).

ثم ظنت[1] المعتزلة أن الله لو علم أنهم يؤمنون[2] لردّهم إلى ذلك، إذ بين أنهم لا يؤمنون. فيستدلون بهذا أنْ ليس لله قبضُ روحٍ يعلم أنه لو لم يقبضه يؤمن يومًا من الدهر. وقد بيّنّا نحن أنّ ذلك لا يوجب وإن كان[3] في علم الله[4] أن يعودوا إلى ذلك، بما قد يَترك في الدنيا مَن يَعلم أنه يَلزم الكفر، ويُنجي عن المهالك من يَعلم أنه يعود، ثم قد يَترك من يعود إلى الكفر على وجود ما به النجاة عنه. **والله أعلم**. وبعدُ فإن الله تعالى قال: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ،[5] فبين أنه لم يبسط[6] لئلا يبغوا. وقال: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ،[7] الآية. ثم قد جَعل لكثيرٍ ممّن ضَلّ بهم قومٌ نحو الفراعنة و[بَسَط الرزق] لكثيرٍ منهم وقد بَغَوْا في الأرض، إذ لو لم يكن البسط لفرعون لم يكن لِيدّعي الإلهية، لكن الأول طريق الفضل يتفضل به،[8] والثاني طريق العدل وما يجوز في الحكمة، فعلى ذلك الإمهال. يبين ذلك[9] ما كان الله يأمر بقتل من لعله يؤمن لو أُمهل بما ندب إلى القتال، ولا يحتمل أن يأمر في قتل من ليس له قبض روحه. وقد يُبقي من به يُهلَك ويُضَلّ، وإنْ قَبَضَ كثيرًا منهم بما يُضل به لو أُبقي، كما قال: فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا.[10] **والله أعلم**.

---

[1] ع: ثم ظنت.
[2] ن ع م: لا يؤمنون.
[3] ك ع م + أولئك؛ ع م: ان كان.
[4] ع م - الله.
[5] سورة الشورى، ٢٧/٤٢.
[6] ن ع: لو يبسط.
[7] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون. ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا عليها يتكئون. وزخرفا وإن كل ذلك لما متاعُ الحياةِ الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣-٣٥).
[8] ك ع م: يفضل به.
[9] ك ن: يبين لك.
[10] ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنَين فخشينا أن يُرهِقَهما طُغيانًا وكُفرًا فأردنا أن يُبدِلَهما ربهُما خيرًا منه زكاة وأقرب رُحمًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٨٠-٨١). قال الشارح: «أما ما ذكرت المعتزلة ففاسد؛ فإن الله تعالى وإن أخبر أنه لو ردهم لعادوا لما عم فيهم ذلك ولكن هذا لا يوجب أنه إنما لم يردهم لأنه لو ردهم لعادوا إلى الكفر. فإنا نرى أن الله تعالى قد يترك و يُبقي حيًا من يعلم منه أنه يكفر في آخر عمره، فلا يكون إبقاؤه مصلحة في حقه، ولو أماته على الإسلام في الحال كان أصلح؛ كما أنه قد يُبقي كافرا لما يعلم أنه يؤمن آخر عمره. فأحدهما طريق العدل وما يجوز في الحكمة، و الآخر طريق الإفضال يُفْضِل به على من يشاء. ألا يُرى أن الله تعالى قال: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾، فبين أنه لم يبسط لئلا يبغوا، وقال: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾، أخبر أنه لو جعل الكفار في سعة وغناء على الكمال... =

وظنت[1] الخوارج بهذه الآية أنّ كلّ من يرتكب كبيرة يَظهر منه كذبُه فيما وعد أنه لا يَفعل،[2] إذ الله سمّاهم[3] كَذَبَةً بما في علمه أنهم يعودون إلى ذلك؛[4] فإذا تَقرّر عندنا مِن أحدٍ ركوبُ ما كان في عهده[5] وإيمانه أنه [لا] يرتكب يَظهر به كذبُه. وذلك خطأ؛ لِماَ لو كان كذلك لكان [شأن] الصغائر والكبائر واحدًا، ومَن كَذب في أمر الصغائر في العهد أو رَدّ يَكفُر. ومن ارتكب الصغيرة[6] لم يَصِرْ كذلك، فعلى ذلك الكبائر.

لكن الآية تخرج على وجوه. أحدها أنها في قومٍ أرادوا بذلك دفع العذاب، لا أنْ عزموا على ما ذكروا؛ دليله فتنتهم بقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[7] والثاني أنه ذكر كذبهم. [فلمّا كَذَبوا] أَنْطَقَ اللهُ جوارحهم فشهدت عليم بما كتموا من الشرك،[8] فتمنوا عند ذلك العود والرد.*

وقوله تعالى: **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**، تعلق بظاهر هذه الآية الخوارج والمعتزلة. أما المعتزلة فإنهم قالوا: إنهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم أنهم لو ردهم[9] لعادوا إلى التكذيب ثانيا، ولو علم منهم أنهم لا يعودون لكان يردهم،[10] فدل أنه[11]

---

= لَكَفَرَ بعض المسمين لِضَعْفِ قلوبهم. ثم قد جعل الله تعالى لكثيرٍ ممّن ضلّ وبقي في الأرض بسوطة اليد في الدنيا من نحو الفراعنة من نمرود وفرعون، إذ لو لم يكن البسط لفرعون ونحوه لم يكن ليدعي الألوهية؛ لكن الأول طريق الفضل، والثاني طريق العدل. فعلى ذلك الإمهال والإبقاء في حق البعض يكون مصلحةً فَضْلاً منه، وفي حق البعض مفسدةً عَدْلاً منه، وهو في كل ذلك حكيم يتصرف في ملكه كيف ما شاء. تقرير ما قلنا أن الله أمر بقتل الكفار مطلقًا بقوله: ﴿اقتلوا المشركين﴾ (سورة التوبة، ٩/٥)، ولا يحتمل أن يأمر بقتل من ليس له قبض روحه، فدلّ أن ما قالوه فاسد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦ظ).

[1] ع: وظننت.

[2] سيعيد المصنف كلام الخوارج بعد قليل بعبارة أوضح من هذه.

[3] ع: ممهم.

[4] ع + إلى ذلك.

[5] ك: عهده.

[6] ك ن ع – الصغيرة.

[7] سورة الأنعام، ٦/٢٣.

[8] يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذ ما جاءوها شَهِد عليهم سمعُهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذي أَنْطَقَ كلّ شيء وهو خَلَقَكم أوّل مرة وإليه تُرجعون (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

* وقعت هنا عبارة متعلقة بتفسير أول الآية، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٧ظ، ٣٦-٣٧.

[9] م: لو ردوهم.

[10] م: لا يردهم.

[11] ع، أنهم.

إنما لم يردهم لما علم منهم أنهم يعودون إلى ما كانوا من قبل. فيستدلون / بظاهر هذه الآية [٢٠٨و]
على أن الله لا يفعل بالعبيد[١] إلا الأصلح لهم في الدين.[٢] وقالوا: لو علم منهم الإيمان لكان لا يجوز له أن لا يردهم.[٣] ومن قولهم: إنه إذا علم من كافر أنه يؤمن في آخر عمره لم يجز له أن يميته، وغير ذلك من المخاييل والأباطيل.

وقالت الخوارج: أخبر أنه لو ردهم[٤] لعادوا لما نهوا عنه، وسماهم بهذا القول[٥] كاذبين لما في علمه[٦] أنهم لا يفعلون بما يقولون. فعلى ذلك كل صاحب كبيرة إذا كان في اعتقاده الذي أظهره أنه لا يأتي[٧] بها فإذا أتى بها يصير[٨] فيما اعتقده أن لا يأتي بها كاذبًا. ولذلك[٩] يجعلون أصحاب الكبائر كَذَبَةً في[١٠] القول الأول أنهم لا يأتون بها. وعلى ذلك كانت[١١] المبايعة بقوله: يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ،[١٢] الآية، فإذا سَرَقْنَ صِرْنَ كاذباتٍ في البيعة، كما جُعل من ذُكر كاذبًا في الوعد إذا أخلف، وعلى ذلك يجعلونه[١٣] كافرا.[١٤]

وقوله عز وجل: **وإنهم لكاذبون**، يحتمل **لكاذبون**، أي ليكذبون لو رُدّوا. أو **إنهم لكاذبون** في قولهم: وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[١٥] أي يضمرون أنهم لا يؤمنون. كقوله تعالى:

---

[١] ن: بالعبد.
[٢] ع: في الدنيا.
[٣] ع: لا تردهم.
[٤] ع: لو ردوا هم.
[٥] جميع النسخ: بالقول. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٦و. والمقصود بهذا القول هو قولهم في الآية السابقة: ﴿يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾.
[٦] ك ن ع: بما في علمه.
[٧] م: لا تأتي.
[٨] ن: تصير.
[٩] ع: لذلك.
[١٠] ن + في.
[١١] ع م - كانت.
[١٢] ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ (سورة الممتحنة، ١٢/٦٠).
[١٣] ع: يجعلون.
[١٤] والمقصود أن صاحب الكبيرة يخالف الوعد الذي وعد الله به عند إيمانه. فإيمانه الذي أظهره بمثابة قوله: إني أعد الله أن لا أرتكب ما يخالف أمره. فإذا خالف أمر الله فقد خالف وعده وصار كافرا.
[١٥] سورة الأنعام، ٢٧/٦.

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ -إلى قوله- وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[1] يقولون: إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، لكنهم لما أضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سمّاهم[2] كاذبين. فعلى ذلك هؤلاء لما أضمروا في أنفسهم التكذيب وإن رُدّوا فهم[3] كاذبون في ذلك.*

والثاني أنه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر منهم الجحود في القديم، فبذلك سمّاهم كَذَبَةً كما سمّى أهلَ النار كفرة بما كان[4] من كفرهم قبل أن يصيروا[5] إليها، فعلى ذلك هذا.

والثالث أن يكون على الخبر عن عاقبتهم أنهم يصيرون كاذبين لو رُدّوا وعُرض عليهم ذلك،[6] وبُعث إليهم الرسل بالآيات، لا أن يكذبوا في ذلك الوعد.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**، قوله تعالى: **إن هي**، يحتمل **هي** الحياة الدنيا، ويحتمل **هي** الدنيا. ثم هذا القول يحتمل أن يكون من الدهرية،[7] لأنهم ينكرون البعث والحياة بعد الموت، ويقولون: إن هذا الخلق كالنبات ينبت[8] ثم يتلاشى؛ فعلى ذلك[9] الخلق يموتون ويصيرون ترابًا ثم يحيون في الدنيا، كقوله:[10] نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ.[11] ويحتمل أن هذا القول كان من مشركي العرب لما لم يروا إلا الدهر ولم يشاهدوا غيره، فظنوا أنه ليس يهلكهم إلا ذلك الدهر الذي تدور[12] الدنيا عليه. فإن كان ذلك منهم فإنما كان ذلك[13] من كبرائهم ورؤسائهم على علمٍ منهم بذلك أي بالبعث،

---

[1] ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (سورة المنافقون، ١/٦٣).

[2] ن: سماعون.

[3] م: انهم.

* وقعت هنا عبارة متعلقة بتفسير أول الآية، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٨و/سطر ١١-١٢.

[4] ع م: بما كانوا.

[5] م: أن تصيروا.

[6] م ذلك.

[7] ع: من الدهرة.

[8] ع: يثبت.

[9] ن: فعلى هذا.

[10] ن: كقولهم.

[11] سورة الجاثية، ٢٤/٤٥.

[12] ك: يدور.

[13] ن - منهم فإنما كان ذلك.

يَبْنِسون ذلك على السَّفَلَة والأَتْباع ليكونوا أشد اتِّباعًا لهم وانقيادًا؛ لأنهم لو أعلموا الأَتْباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتِّباعهم[1] لما يشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له، ففي ذلك تَرْكُ اتِّباعهم وطاعتهم.

**﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٠]**

وقوله: **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم**، أي لربهم، كقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] وكقوله تعالى: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[3] أي للنصب.[4] وأصله ما روى في حرف[5] ابن مسعود رضى الله عنه: **ولو ترى إذ وقفوا** "إذ عُرِضُوا" **على ربهم**.

وقوله عز وجل: **قال أليس هذا بالحق**، يحتمل قوله: **أليس هذا بالحق**، أي البعثُ بعد الموت، لأنهم كانوا ينكرون البعث ويقولون: إنه باطل. ويحتمل بما كانوا أُوعِدُوا العذابَ[6] أن لم يؤمنوا فكذَّبوا ذلك،[7] فقال: **أليس** ما أُوعِدتم في الدنيا حقًّا،[8] فأقروا فقالوا: **بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**، في الدنيا.

**﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله**، يحتمل قوله تعالى: **كذّبوا بلقاء الله**، أي **كذّبوا** لقاءَ[9] وعدِ الله ووعيده في الدنيا. وعلى هذا يخرج قوله: مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ،[10] أي يرجو[11] لقاء وعد الله ووعيده. خسروا في الآخرة بتكذيبهم ذلك في الدنيا.[12]

---

[1] ع: وانقضاؤهم.
[2] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[3] سورة المائدة، ٣/٥.
[4] ك: أي النصب.
[5] ن – في حرف؛ صح هـ.
[6] ن ع م: بالعذاب.
[7] م – ذلك.
[8] ك ن م: حق؛ ع: احق.
[9] م + الله.
[10] سورة العنكبوت، ٥/٢٩.
[11] ك ن: أي يرجوا.
[12] ع م – وعلى هذا يخرج قوله من كان يرجو لقاء الله أي يرجو لقاء وعد الله ووعيده خسروا في الآخرة بتكذيبهم ذلك في الدنيا.

وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر: «من أحبَّ لقاء الله»[١] أي أحبَّ لقاء ما وعد[٢] الله له، «ومن كره لقاء الله» أي كره لقاء ما وُعد له. وأصله مَن أحبّ الرجوع إلى الله أحبّ الله رجوعه، ومَن كره الرجوع إلى الله[٣] كره الله رجوعه إليه. والمحبة لله اختيار أمره وطاعته. وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا جنة الكافر، يلعب فيها ويرتكض في أمانيها، وسجن المؤمن، وراحته[٤] بالموت».[٥] وأصله أنها سجن المؤمن، لأن المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته لما يخاف هلاكه، ويُحذّره[٦] عمّا يُفضيه إلى الهلاك، والكافر لا يمنعه شيء من ذلك عمّا يريد من قضاء شهواته في الدنيا، فتكون له[٧] كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا. ويحتمل وجها آخر وهو أن الكافر عند الموت يُعايِن مكانه وما أُوعِد له في النار، فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة له ويكره[٨] الرجوع، والمؤمن يُعايِن موضعه في الجنة فيصير الدنيا[٩] كالسجن له.

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة**، قيل: سميت القيامة ساعة لسرعتها، [فهي] ليست كالدنيا؛ لأن في الدنيا يتغيرّ فيها على المرء الأحوال، يكون نُطْفَةً ثم يصير عَلَقَةً ثم مُضْغَةً ثم يصير خَلْقًا آخر ثم إنسانا[١٠] ثم يكون طفلاً ثم رجلاً، يتغير عليه الأحوال. وأما القيامة فإنها لا تقوم على تغير الأحوال، فسُمِّيَت **الساعة** لسرعتها بهم. وقيل: سُمِّيت القيامة **الساعة**[١١]

---

[١] قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (صحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤).

[٢] ك: ما عد.

[٣] ك ن: إليه.

[٤] م: وراحتها.

[٥] لم أجده بهذا اللفظ. ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (صحيح *مسلم*، الزهد ١؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٦). وروي بزيادة: «الدنيا سجن المؤمن وسَنَته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسَّنَة» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/١٩٧). والمراد بالسَّنَة الجَدْب. انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، ١/٤٩٤. وذكر الهيثمي أن رجاله ثقات. انظر: مجمع *الزوائد*، ١٠/٢٨٩.

[٦] أي ويُحَذِّر المؤمنَ دينُه.

[٧] ك ن: فيكون له.

[٨] جميع النسخ: يكره.

[٩] ك ع م – الدنيا.

[١٠] ع م: ثم أنشأنا. أي يتقلب الجنين في بطن أمه من مرحلة إلى أخرى حتى يصير إنسانا كامل الأعضاء ويولد كذلك. يقول الله تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٤).

[١١] م: ساعة.

لأنها تقوم في ساعةٍ، وهو / كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[١] وقيل: |٢٠٨ط|
سُمِّيت **الساعة** لما تقوم ساعةً فساعةً.[٢]

وقوله عز وجل: **بغتة**، أي فجأة.

وقوله عز وجل: **يا حَسْرَتَنا على ما فرَطنا فيها**، قيل: التفريط هو التضييع. فيحتمل قوله: **ما فرَطنا فيها**، أي ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات. ويحتمل ما ضيعنا في الآخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا.

وقوله عز وجل: **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم**، هو -والله أعلم- على التمثيل، ليس على التحقيق. وهو[٣] يحتمل وجهين. يحتمل أنه أخبر أنهم **يحملون أوزارهم على ظهورهم**، بما لزموا **أوزارهم** وآثامهم لم يُفارقوها قط وَصَفَهم بالحَمل على الظهر. وهو كقوله تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ،[٤] لا يكون طائره في عنقه،[٥] ولكن لما لزم ذلك صار كأنه في عنقه. والثاني إنما ذكر الظَّهر لما بالظهر يُحمَل ما يُحمَل، فكان كقوله: فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٦] وبِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ؛[٧] لأن الكفر لا يُكتسَب بالأيدي ولا يُقدَّم بها، لكن اكتساب الشيء وتقديمه لمّا كان باليد ذكر اكتساب اليد وتقديمه. وكقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[٨] أنهم لمّا تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر، لأن الذي يُنبَذ وراء الظهر هو الذي لا يُعبَأ به ولا يُكترَث إليه. ويحتمل وجها آخر، [وهو] ما ذكر[٩] في بعض القصة أنه يأتيه عمله الخبيث على صورة قبيحة، فيقول له: كنت أحملك في الدنيا باللَّذّات والشهوات، فأنت[١٠] اليوم تحملني، فيركب ظهره، فذلك قوله تعالى: **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**.[١١]

---

[١] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[٢] ك ن ع - لما تقوم ساعة فساعة؛ ك + قوله.
[٣] ع: فهو.
[٤] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[٥] ع م - لا يكون طائره في عنقه.
[٦] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٧] سورة آل عمران، ١٨٢/٣.
[٨] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[٩] ع م: ما ذكره.
[١٠] ع م: وأنت.
[١١] روي ذلك عن السدي. انظر: تفسير الطبري، ١٧٩/٧؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢٦٢/٣-٢٦٣.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**، يحتمل أن يكون هذا صلة قوله: وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ.[١] قال: **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**،[٢] أي[٣] **الحياة الدنيا** للدنيا خاصة، لأن العمل إذا لم يكن لعاقبةٍ تُتأمَّل[٤] فهو عبث، كَبَانٍ يَبْنِي[٥] بِناءً لا لعاقبةٍ يَتأمّل ويَقصد ببنائه[٦] فهو لَعِبٌ وعبث،[٧] فعلى ذلك **الحياة الدنيا** لا لدارٍ أخرى تُتأمّل وتُرجَى به[٨] الثواب والعقاب ليس بحكمة، وإنما هو[٩] **لعب ولهو**. وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[١٠] الآية،[١١] أخبر أنّ خَلْقَه إياهم إذا لم يكن للرجوع إليه فهو عبث؛ فعلى ذلك **الحياة الدنيا** إذا لم يكن هناك بعث ولا حياة[١٢] بعد الموت للثواب والعقاب فهو **لعب ولهو**. واللَّهو ما يُقصَد به قضاء الشهوة خاصة، ولا يقصد به[١٣] العاقبة؛ واللَّعِب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد.

وقوله عز وجل: **وللدار الآخرة خير للذين يتقون أ فلا تعقلون**، أي الدار **الآخرة خير للذين يتقون**، الشرك والفواحش كلِّها من الحياة الدنيا.[١٤] وأصله أن **الحياة الدنيا** على ما عند أولئك الكفرة **لعب ولهو**؛ لأنّ عندهم أنْ لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، فإذا كان عندهم هكذا فيصير لعبًا ولهوًا، لأنه يحصل إنشاءٌ لا عاقبةَ له، فيكون كبِنَاء البَنّاء الذي ذكرنا إذا كان عاقبتُه غيرَ مقصودة، فهو لا لانتفاعٍ به.[١٥]

---

[١] سورة الأنعام، ٢٩/٦.
[٢] ن م – يحتمل أن يكون هذا صلة قوله وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قال وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو.
[٣] ع – يحتمل أن يكون هذا صلة قوله وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قال وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي.
[٤] جميع النسخ: يتأمل.
[٥] م: بني.
[٦] ن ع م: بنيانه.
[٧] م: عبث.
[٨] جميع النسخ: يتأمل ويرجى به.
[٩] ع – هو.
[١٠] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[١١] ك – الآية.
[١٢] ك – ولا حياة.
[١٣] جميع النسخ: لا يقصد به.
[١٤] ن + لكم.
[١٥] ك ن: فهو الانتفاع به؛ ع – فهو لانتفاع به.

**﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون**، هذا -والله أعلم- إخبارٌ مِنه نبيَّه عليه الصلاة والسلام أنه عن علمٍ مِنه بتكذيبهم إياك بَعَثَك إليهم رسولاً، وأَمَرَك بتبليغ الرسالة إليهم، وكان عالمًا بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم إياك، ولكن بعثك إليهم رسولاً مع علمٍ منه بهذا كله لِتُبَلِّغَهم. يذكر هذا -والله أعلم- لِيَعلم رسولُه أنْ لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة وإن كذَّبوه[1] في تبليغها.

ثم الذي[2] يَحمله على الحزن يحتمل وجوها. يحتمل يُحزِنُه افتراؤهم وكذبهُم على الله. أو كان[3] يحزن لتكذيب[4] أقربائه وعشيرته إياه، فإذا كذّبه عشيرته[5] انتهى الخبر إلى الأَبْعَدِين فيُكذِّبونه فيَحزن لذلك. أو يَحزن حُزنَ طَبْعٍ، لأنّ طبعَ[6] كلّ أحدٍ يَنفر عن التكذيب. أو كان[7] يَحزن إشفاقًا عليهم بما يَنزل عليهم[8] من العذاب بتكذيبهم إياه وأذاهم له، كقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[9] الآية، وكقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[10]

وقوله عز وجل: **فإنهم لا يكذبونك**، اختُلف في تلاوته. قرأ بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل.[11] فمن قرأ بالتخفيف **لا يُكْذِبُونَكَ**، أي لا يَجِدونك كاذبًا قط. ومن قرأ بالتثقيل **لا يُكَذِّبُونَكَ**، أي لا يَنسبونك إلى الكذب، **ولا يُكَذِّبُونَكَ** في نفسك. ويحتمل قوله: **لا يكذبونك**، في السرّ، **ولكن** يقولون ذلك في العلانية. والتكذيب هو[12] أن يقال: إنّك كاذب.

---

[1] ع: وإن كذبوا.
[2] ع: هو الذي.
[3] ع: اذ كان.
[4] ن ع: التكذيب.
[5] ع: عشيرة.
[6] ع - لأن طبع.
[7] ع: أو كانوا.
[8] ك ن: ينزل بهم.
[9] ﴿لعلّك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[10] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[11] قرأ من لأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر: لا يُكَذِّبُونَكَ، مُشَدَّدَة، وقرأ نافع والكسائي: لا يُكْذِبونَكَ، خفيفة. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٧.
[12] ع - هو.

**ولكن الظالمين**، أي عادة **الظالمين** التكذيب **بآيات الله**. و**الظالمين** يحتمل وجهين. أحدهما **الظالمين** على نِعَمِ الله، عادتهم التكذيب **بآيات الله**. أو **الظالمين**[1] على أنفسهم، لأنهم وضعوها في غير موضعها.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**، يخبر نبيّه عليه الصلاة والسلام ويُصبِّره على تكذيبهم إيّاه وأذاهم بتبليغ الرسالة. يقول: لست أنت بأول مُكذَّب مِن الرسل، بل[2] كُذِّب إخوانك مِن قَبْلِك على تبليغ الرسالة،[3] **فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**، ولم يتركوا تبليغ[4] الرسالة مع تكذيبهم إياهم؛ فعلى ذلك لا عذر لك في ترك تبليغ الرسالة وإن كذّبوك في التبليغ ويؤذوك. وهو ما ذكرنا أنه يخبره أنه بعثك رسولاً على علمٍ منه بكل الذي كان منهم من التكذيب والأذى.

وقوله عز وجل: **فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا**، أخبر الله أنه نَصَر [٢٠٩و] رسله. ثم يحتمل ذلك النصر وجوهًا. أحدها نصرهم: أي[5] / أظهر حججه وبراهينه حتى علموا جميعًا أنها هي الحجج والبراهين، وأنهم رسل الله، لكنهم تعاندوا وكابروا. ويحتمل النصر لهم بما جعل آخر أمرهم لهم وإن كان قد أصابهم[6] شدائد في بدء الأمر. أو نصرهم لما استأصل قومهم وأهلكهم بتكذيبهم الرسل، وفي استئصال القوم وإهلاكِهِ إياهم وإبقاءِ الرسل نَصْرُهم. وكذلك قوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[7] وقوله: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ،[8] يخرج على الوجوه التي ذكرنا.

وقوله: **ولا مبدل لكلمات الله**، هو ما ذكرنا من النصر لهم واستئصال قومهم وما أوعدهم[9] من العذاب، فذلك **كلمات الله**. ويحتمل قوله: **كلمات الله**، حججه وبراهينه،

---

[1] م: والظالمين.
[2] ك - بل.
[3] ن - يقول لست أنت بأول مكذب من الرسل بل كذب إخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة.
[4] ك ع م: بتبليغ.
[5] م + أي.
[6] ع: قد أصاب.
[7] سورة المؤمن، ٤٠/٥١.
[8] سورة الصافات، ٣٧/١٧٢.
[9] ن: واما أوعدهم.

كقوله: وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[١] أي بحججه وآياته، وكقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي،[٢] أي لحجج[٣] ربي.

وقوله عز وجل: **ولقد جاءك من نبأ المرسلين**، يحتمل[٤] ما ذكرنا من إهلاك القوم وإبقاء الرسل، قد جاءك ذلك النبأ. ويحتمل قوله تعالى: **ولقد جاءك من نبأ المرسلين**، من تكذيب قومهم لهم[٥] وأذاهم إياهم، فإن كان هذا ففيه تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[٣٥]

وقوله: **وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض**، كان يشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] ويَشُقّ عليه كُفرُ قومِه وإعراضهم عن الإيمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك إشفاقا عليهم، كقوله:[٧] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٨] وقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٩] ونحو ذلك من الآيات، [وكان] يُشفِق عليهم بتركهم الإيمان لما يُعذَّبون[١٠] أبدا في النار بذلك،[١١] فعلى ذلك قوله: **وإن كان كبر عليك إعراضهم**. أو كان يَكبرُ عليه ويَثقُل **إعراضهم** لما كانوا يطلبون منه الآيات حتى إذا جاء[١٢] بها لا يؤمنون، مِن نحو ما قالوا: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ،[١٣] وغير ذلك من الآيات التي سألوها. فطَمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إيمانهم إذا جاء بما سألوا من الآيات،

---

[١] سورة يونس، ٨٢/١٠.
[٢] سورة الكهف، ١٠٩/١٨.
[٣] ع: أي الحجج؛ م: أي حجج.
[٤] ك + هو.
[٥] ك – لهم؛ م + لهم.
[٦] ع م – وقوله وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[٧] ع: قوله.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[١٠] ع: لما يعذبوه.
[١١] ع م – بذلك.
[١٢] ع: حتى جاء.
[١٣] سورة الإسراء، ٩٣/١٧.

فكان الله عالما بأنه وإن جاءتهم آياتٌ لم يؤمنوا، وإنما يسألون سؤالَ تَعنُّت لا سؤالَ طلبِ آياتٍ لِتَدُلَّهم على الهدى، فقال عند ذلك: **فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء.** أو أن يكون قوله: **فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض،**[١] نهيًا عن الحزن عليهم، أي لا تحزن عليهم كلّ هذا الحزن بما ينزل بهم وقد تَعلم صَنيعَهم وسوءَ مُعاملتِهم آياتِ الله. وكذلك روي في القصة عن ابن عباس رضي الله عنه أن نفرًا من قريش قالوا: يا محمد، ائتنا بآية[٢] من عند الله[٣] كما كانت الأنبياء تأتي[٤] قومها بالآيات إذا سألوه، فإن أتيتنا آمنّا بك وصدّقناك. فأبى[٥] الله أن يأتيهم بما قالوا، فأعرضوا عنه، فكَبُر ذلك عليه وشَق، فأنزل الله: **فإن استطعت،** يقول: إن قدرت،[٦] **أن تبتغي،** يقول: أن تطلب، **نفقا في الأرض،** يقول:[٧] سِرْبًا[٨] في الأرض كنَفَق اليَرْبُوع[٩] نافذا أو مَخْرَجًا فَتَوَارَى فيه[١٠] منهم،[١١] **أو سُلَّمًا في السماء،** يقول:[١٢] سببًا إلى صعود **السماء فتأتيهم بآية،** التي سألوها[١٣] فافعل.[١٤] قال القتبي: النَّفَق في الأرض المَدْخَل وهو السِّرْب، والسُّلَّم **في السماء** المَصْعَد.[١٥] وقال أبو عوسجة: النَّفَق الغار، والأَنْفَاق الغِيران، والغار واحد.

---

[١] ك + أو سما في السماء أو أن يكون قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض.

[٢] ع: باته.

[٣] ع: عند ذلك؛ م: من عند ذلك.

[٤] ع: يأتي.

[٥] جميع النسخ: فيأبى.

[٦] ك ن: يقول قدرت.

[٧] ك + يقول.

[٨] السِّرْب هو الطريق، والسِّرْب كذلك لجُحر الوحشي من الحيوانات (*لسان العرب* لابن منظور، «سرب»).

[٩] دابة أكبر من الفأرة قيلا (*لسان العرب* لابن منظور، «ربع»). وهي دابة معروفة من دواب الصحراء.

[١٠] ن ع م: فتوارى منه. أي فتواري: تستتر.

[١١] ن - منهم.

[١٢] ع م: يكون.

[١٣] ن: سألوكها.

[١٤] ذكره الألوسي دون تفسير الآية، و م يعزه إلى أحد. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٣٨/٧. وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض﴾، والنفق: السِّرْب، فتذهب فيه فتأتيهم بآية، ﴿أو﴾ تجعل لهم ﴿سُلَّمًا في السماء﴾ فتصعد عليه ﴿فتأتيهم بآية﴾ أفضل مما أتيناهم به فافعل (*تفسير الطبري*، ١٨٤/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٥/٣). وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تبتغي نفقا في الأرض﴾، قال: سِربًا في الأرض، فتذهب هربا (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٦/٣).

[١٥] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٥٣.

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**، قال الحسن: أي **لو شاء الله** لقهرهم **على الهدى** وأكرههم كما فعل بالملائكة، إذ من قوله: إن الملائكة مجبورون مقهورون على ذلك.[١] ثم هو يُفَضِّل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لأحد من البشر. فلو كانت الملائكة مجبورين مقهورين على ذلك لم يكن في ذلك لهم كبير منقبة، ففي قوله اضطراب. وأما تأويله عندنا **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**، أي لجعلهم[٢] جميعًا بحيث اختاروا الهدى وآثروه على غيره، ولكن لمّا عَلِم منهم أن يختاروا الكفر على الهدى لم يشأ أن يجمعهم **على الهدى**.[٣] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم أنْ لا يكونُ الهدى في حال القهر والجبر، وإنما يكون في حال الاختيار.[٤]

وقوله عز وجل: **فلا تكوننّ من الجاهلين**، يحتمل وجوها. يحتمل **فلا تكونن من الجاهلين**،[٥] عن قضاء الله وحكمه. ويحتمل **لا تكونن من الجاهلين**، عن إحسانه وفضله، أي مِن إحسانه وفضله[٦] يجعل لهم اهدى. ويحتمل **لا تكونن من الجاهلين**، أنه يؤمن بك بعضهم، وبعضهم لا يؤمن.

قال أبوبكر الكيساني في قوله: **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**: أي **لو شاء الله**[٧] ابتلاهم بدون ما ابتلاهم به لِيَخِفّ عليهم فيجيبون بأجمعهم، أو يقول: **لو شاء**[٨] لَوفّقهم جميعًا للهدى فيهتدون، وهو قولنا،[٩] لكن لم يشأ لما ذكرنا أنه لم يوفّقهم لما علم منهم أنهم يختارون الكفر.[١٠]

وقوله: **فلا تكونن من الجاهلين**، بأن الله قادر، لو شاء لجعلهم جميعًا مهتدين. ثم معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصومًا لا يجوز أن يقال: إنه يكون **من الجاهلين** أو من الشاكّين[١١] على ما ذكر؛ ولكن ذَكَر هذا -والله أعلم- لِيُعلَم أن العصمة لا ترفع الأمر والنهي والامتحان، بل تزيد، لذلك كان ما ذُكر. *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م - على ذلك.
[٢] ع: أي جعلهم.
[٣] ك: عى ذلك.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥٧/٢.
[٥] ن - يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين.
[٦] ع م - وفضله.
[٧] ك ن - الله.
[٨] ك ن + الله.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ع م: لكفرة.
[١١] ن: ومن الشاكين؛ ع م: أو من الشاكرين.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **إنما يستجيب الذين يسمعون**، معناه -والله أعلم- **إنما يستجيب الذين** ينتفعون بما **يسمعون**، وإلّا كانوا يسمعون جميعًا، لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه إنما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون. وهو كقوله تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[١] كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع، لكن انتفع بالإنذار من اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع.[٢] وهو ما ذكر عز وجل: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ،[٣] أخبر [٢٠٩ظ] أن الذكرى تنفع / المؤمنين ولا تنفع[٤] غيرهم.

وقوله عز وجل: **والموتى يبعثهم الله**، اختلف فيه. قال بعضهم: **والموتى يبعثهم الله**، على الابتداء، **يبعثهم الله ثم إليه يرجعون**. وقال قائلون: أراد بالموتى الكفار. سُمّي الكافر ميتًا والمؤمن حيًّا في غير موضع من القرآن، كقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ.[٥] فهو -والله أعلم- أنْ جَعَل لكلّ بشرٍ سمعَين وبصرَين وحياتَين، سَمْعٌ أبدي في الآخرة، وبَصَرٌ أبدي في الآخرة. وكذلك جَعَل لكلّ أحدٍ حياتَين، حياةٌ أبدية،[٦] وهي حياة[٧] الآخرة، وحياةٌ مُنقَضِيَة،[٨] وهي حياة الدنيا. وكذلك سَمْعٌ أبدي، وهو سمع الآخرة، وسمعٌ ذو مدّة لها انقضاء، وهو سمع الدنيا. ثم نَفَى السمع والبصر والحياة عمن لم يُدرِك بهذا السمع والبصر والحياة التي جَعَل له في الدنيا ولم يُبصِر سَمْعَ[٩] الأبدية وبَصَرَ الأبدية[١٠] والحياةَ الأبدية؛ لأنه إنما جعل لهم هذا في الدنيا ليدركوا بهذا ذاك.[١١] وكذلك العقول التي رُكّبت في البشر إنما رُكّبت لِيُدرِكوا بها ويُبصِروا ذلك الأبدي.

---

[١] سورة يس، ١١/٣٦.
[٢] ع: ولم يتبع.
[٣] سورة الذاريات، ٥٥/٥١.
[٤] ع: لا تنفع.
[٥] سورة الأنعام، ١٢٢/٦.
[٦] ن: أبدي؛ ع م - أبدية.
[٧] ك + في؛ ك ع م - وهي حياة.
[٨] ع م: منقضة.
[٩] أي نفى عنه سَمْعَ الأبدية...
[١٠] م - وبصر الأبدية.
[١١] ك: ذلك.

وإلّا لو كان[١] تركيب[٢] هذه العقول في البشر لهذه الدنيا خاصة لا لِعواقبَ تُتَأَمّل[٣] للجزاء والعقاب فالبهائم قد تُدرِك بالطبع ذلك القَدْر، وتعرف ما يؤتَى ويُتَّقى وما يَصلُح لها وما لا يَصلُح.[٤] فدلّ أنّ تركيبَ العقول في مَن رُكِّب إنما رُكِّب[٥] لا لِمَا يُدرِك هذا، إذ[٦] يُدرِك ذلك المقدارَ بالطبع مَن لم يُركَّب فيه، وهو البهائم التي ذكرنا. والسمع والبصر والحياة قد جُعل في الدنيا لمعاشهم ومعادهم. وكذلك جُعل لهم اللسان لينطق بحوائجهم في الدنيا ويعرفَ بعضهم من بعضٍ حاجتَه، وكذلك السمع والبصر ليعرف بعضهم من بعضٍ حاجتَه[٧] في الدنيا ويُدرِكَ به الأزلي. فإذا لم ينتفعوا بذلك أزال عنهم ذلك وَسمّاهم العُمْي والصُمّ والبُكْم؛ ألا ترى أنه قال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[٨] لِمَا لم ينتفعوا بذلك. ألا ترى[٩] أنه إذا لم يدرك الأزلي والأبدي من ذلك سمّاه أعمى حيث قال: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[١٠] والحياة حياتان؛ حياةٌ[١١] مُكتَسَبة، وهي الحياة التي تُكتسَب بالهدى والطاعات؛ وحياةٌ مُنشَأَة، وهي حياة الأجساد. فالكافر له حياة الجسد وليس له حياة مكتسبة، وأما المؤمن فله حياتان جميعًا المكتسبة والمنشأة. فسَمَّى كُلًّا بالأسماء[١٢] التي اكتسبها، فالمؤمن اكتسب أفعالًا طيبة فسَمَّاه بذلك، والكافر اكتسب أفعالًا قبيحة فسَمَّاه بذلك.

**﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **وقالوا لو لا نُزِّل عليه آيةٌ من ربه قل إن الله قادر على أن يُنزِّل آية،**

---

[١] ع م: لو كانت.
[٢] ك: تركبت.
[٣] ع م: يتأمل.
[٤] ن + لها؛ ع م – وما لا يصلح.
[٥] ع + هذا.
[٦] ع – لما يدرك هذا إذ.
[٧] ن ع م – وكذلك السمع والبصر ليعرف بعضهم من بعض حاجته.
[٨] سورة البقرة، ١٨/٢.
[٩] ك: ألا يرى.
[١٠] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[١١] ك ع م – حياة.
[١٢] ع م: بأسماء.

هؤلاء قومٌ هِمَّتُهم[١] العناد والمُكابَرة، وإلَّا[٢] قد كان أُنزل عليه آيات عقليات وسمعيات وحسيات. فأما الآيات العقليات هي ما ذَكر:[٣] ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[٤] الآية. وأما الآيات السمعيات هي ما أنبأهم عن أشياء كانت غائبة عنه مِن غيرِ أنْ كان له اختلافٌ إلى مَن يَعلَمها ويُنَبِّئُه[٥] عنها.[٦] والآيات الحسيات[٧] هي ما سَقَى أقوامًا كثيرةً بِلَبَنٍ قليلٍ من قَصْعَة،[٨] وما قَطَع مسيرة شهرين بليلة واحدة،[٩] ونُطْقُ العَنَاق الذي شُوي له،[١٠] وحَنِينُ المنبر،[١١] وغير ذلك من الأشياء مما يكثُر ذكرها. لكنهم عاندوا، وكانت هِمَّتُهم العناد.

وقوله عز وجل: **قل إن الله قادر على أن ينزل آية**، التي سألوك، **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، يحتمل وجهين. يحتمل[١٢] أنّ **أكثرهم لا يعلمون**، أنه إذا أُنزل[١٣] آيةً على إثْر السؤال أَنزل[١٤] عليهم العذاب واستأصلهم إذا عاندوا. ويحتمل قوله تعالى: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**،

---

[١] ك م: همهم.

[٢] ع م – وإلا.

[٣] ن: ما ذكرنا.

[٤] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.

[٥] ك ع م: وينبوها؛ ن: وينبؤها.

[٦] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كُنتَ بجانب الغَرْبِيِّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنتَ من الشاهدين. ولٰكِنَّا أنشأنا قرونًا فتَطَاوَلَ عليهم العُمُر وما كنتَ ثاوِيًا في أهل مَدْيَنَ تتلو عليهم آياتنا ولٰكِنَّا كُنَّا مُرسِلين. وما كنتَ بجانب الطور إذ نادَيْنا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم مِن نذيرٍ مِن قَبلك لعلّهم يتذكّرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٤٤-٤٦)، ونحو ذلك من الآيات.

[٧] ك – والآيات الحسيات.

[٨] ورد ذلك في حديث طويل. انظر: *صحيح البخاري*، الرقاق ١٧؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيمة ١٧.

[٩] يشير بذلك إلى معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس. انظر: سورة الإسراء، ١٧/١. ولتفاصيل معجزة الإسراء انظر: *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ٤٢؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٥٩.

[١٠] ن – له. لعله يشير إلى تقديم اليهود الشاة المسمومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإخبار الشاة له بأنها مسمومة. انظر: *سنن الدارمي*، المقدمة ١١.

[١١] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جِذْع، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه، فحَنَّ الجِذْع، فأتاه فمسح يده عليه (*صحيح البخاري*، المناقب ٢٥؛ و*سنن ابن ماجه*، إقامة الصلاة ١٩٩؛ و*سنن الترمذي*، الجمعة ١٠).

[١٢] ع م + أن يكون.

[١٣] ع م: أنه أنزل.

[١٤] جميع النسخ: لأنزل.

أنه لا يُنزل الآية إلا عند[1] الحاجة[2] إليها. ويحتمل أنْ لا يسألون الآية ليعلموا، ولكن يسألون ليَتعنَّتوا. أو إذا أُنزل[3] عليه[4] آيةً على إِثْرِ سؤالٍ[5] فلم يقبلوها ولم يؤمنوا بها أَهلكهم على ما ذكرنا مِن سُنَّتِه في الأولين، لكنه وَعَد إبقاء هذه الأمة[6] إلى يوم القيامة.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم،** يشبه أن يكون هذا صلة قوله: قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً؛[7] لأنه ذَكر **دابة،** والدابة[8] كل ما يَدِبّ على وجه الأرض من ذي الروح، وذَكر الطائر وهو اسم كُلّ ما يطير في الهواء، لَمّا كان قادرًا على خلق هذه الجواهر المختلفة وسَوْق رزق كلٍّ منهم إليهم [فإنه] لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً، [وإذًا] لَاضطرّوا جميعًا إلى القبول لها والإقرار بها، ولكنه لا يُنزل لِمَا ليست لهم الحاجة إليها، والآيات لا تنزل إلا عند وقوع الحاجة بهم إليها.[9] وعلى هذا يخرج[10] قوله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.[11]

ومن الناس[12] من[13] استدل بهذه الآية على أن البهائم والطير ممتحنتان حيث قال: **إلا أمم أمثالكم،** ثم قال: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[14] ثم اختلف في قوله تعالى: **إلا أمم أمثالكم.** عن أبي هريرة رضى الله عنه قال في قوله تعالى: **إلا أمم أمثالكم،**

---

[1] ع م: الآية عند.
[2] ن ع م + بهم.
[3] ن + الله.
[4] ن ع م – عليه.
[5] ن: السوال.
[6] ك ع م: الآية.
[7] سورة الأنعام، ٣٧/٦.
[8] ن – والدابة.
[9] ع – إليها.
[10] ك + يخرج.
[11] سورة الأنعام، ٣٧/٦.
[12] ك ع م: من الناس.
[13] ع م – من.
[14] سورة فاطر، ٢٤/٣٥.

أي إلّا سيُحشَرون يوم القيامة كما تُحشَرون،[1] ثم تَقتصّ[2] البهائم بعضها من بعض، ثم يقال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا،[3] كالبهائم.[4] وعن ابن عباس قال: **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**، أي يَفْقَهُ بعضها من بعض كما يفقه بعضكم من بعض، **وأمم أمثالكم**، في معرفة ما يُؤتَى ويُتَّقَى. ويحتمل **إلا أمم أمثالكم**، في الكثرة والعدد والخَلْق والصنوف، تُعرَف بالأسامي كما تُعرَفون أنتم. وأصله أنّ ما ذكر من الدواب والطير **أممٌ أمثالُكم**، سَخّرها لكم، لم يكن منها[5] ما يكون منكم من العناد والخلاف[6] والتكذيب للرسل والخروج عليهم، بل [كانوا][7] خاضعين لكم
[٢١٠و] مُذلَّلين، تنتفعون بها. ويحتمل قوله: **إلا أمم أمثالكم**، في حق معرفة وحدانيته وألوهيته، / أو حق الطاعة لله كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[8]

وقوله عز وجل: **ما فرّطنا في الكتاب من شيء**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ما فرّطنا**، أي ما تركنا شيئا إلا وقد ذكرنا أصله في القرآن. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: ما تركنا شيئًا إلا قد كتبناه **في** أم **الكتاب**؛[9] وهو اللوح المحفوظ. وقيل: **ما فرطنا**، ما ضيعنا، **في الكتاب**، ما قد يقع لكم الحاجة إليه أو [لكم] منفعةٌ [فيه][10] إلّا قد بيّناه لكم في القرآن. **ثم إلى ربهم يحشرون**، قيل: الطير والبهائم **يُحشَرون** مع الخلق. وقيل: **إلى ربهم يحشرون**، يعني بني آدم.

**﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٩]**

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا**، قال الحسن: **بآياتنا**، ديننا. وقال غيره: **كذبوا بآياتنا**، حُجَجِنا؛

---

[1] ن: كما يحشرون؛ م – كما تحشرون.
[2] ك: ثم ينتص؛ م: ثم يقتص.
[3] سورة النبأ، ٤٠/٧٨.
[4] *تفسير الطبري*، ١٨٨/٧-١٨٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٧/٣-٢٦٨.
[5] ل ع م: منهم.
[6] ع م – والخلاف.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٨ظ.
[8] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[9] *تفسير الطبري*،١٨٨/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٧/٣
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٨ص.

حُجج وحدانيته وألوهيته، وحُجج الرسالة والنبوة. ويحتمل آيات البعث. كَذَّبوا بذلك كلّه. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[١]

وقوله عز وجل: **صم وبكم**، هو ما ذكرنا[٢] أنه نَفَى عنهم السمع واللسان والبصر لما لم يعرفوا نعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان. ولا يجوز أن يَجعل[٣] لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يُعلِّمهم ما يَسمعون بالسمع وما يَنطقون باللسان؛ دلّ أنه يُحتاج إلى رسولٍ يسمعون منه[٤] ويستمعون إليه وينطقون ما عَلَّمهم. فإذا لم يفعلوا صاروا كما ذكر: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[٥] لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التي جعل لهم فيما ذكر. أو نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا أن السمع والبصر والحياة على ضَربَين: مُكتَسَب ومُنشَأ، فنفى عنهم السمع[٦] المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة.

وقوله عز وجل: **في الظلمات**، يحتمل وجهين. يحتمل ظلمات الجهل والكفر. والثاني هم في ظلمات، يعني ظلمات السمع والبصر والقلب. وهم في ظلمتين جميعًا، في ظلمة الجهل والكفر، وظلمة السمع والبصر، كقوله تعالى: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.[٧] والمؤمن في النور، كقوله تعالى: نُورٌ عَلَى نُورٍ.[٨]

وقوله: **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم**، وَصَف عز وجل نفسه بالقدرة، وجعلهم جميعًا مُتقلِّبين في مشيئته، وأخبر أنه شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى. فمَن قال: إنه شاء للكل الهدى لكن[٩] لم يهتدوا، أو شاء للكل الضلال، فهو خلاف ما ذكره عز وجل؛ لأنه أخبر أنه شاء الضلال لمن ضَلّ، وشاء الهدى لمن اهتدى. وأصله أنه إذا عَلِم من الكافر أنه يختار الكفر شاء أن يَضِلّ وخَلَق فِعل الكفر منه؛ وكذلك إذا علم مِن المؤمن أنه يختار الإيمان والاهتداء شاء أن يهتدي وخَلَق فِعل الاهتداء منه.

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٥٦/٤.
[٢] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ٣٦/٦.
[٣] ن: أن يجعلهم.
[٤] ك – منه.
[٥] سورة البقرة، ١٨/٢.
[٦] ع – السمع.
[٧] سورة النور، ٤٠/٢٤.
[٨] سورة النور، ٣٥/٢٤.
[٩] ك: لكن.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتكم إن آتاكم عذاب الله**، الذي وعد لكم في الدنيا أنه يأتيكم، **أو أتتكم الساعة**؛ لأنه كان وعد لهم أن يأتيكم العذاب وكان يَعِد لهم أن تقوم الساعة. فقال: **أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أ غير الله تدعون**، في دفع ذلك وكشفه عنكم، **إن كنتم صادقين**، أن معه شركاء وآلهة. أو **إن كنتم صادقين**، أن ما تعبدون شفعاؤكم عند الله، أو تُقرِبكم[١] عبادتكم إياها إلى الله تعالى.[٢]

وقوله تعالى: **أغير الله تدعون**، يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلاء؛ ويحتمل العبادة، أي **أغير الله** تعبدون على رجاء الشفاعة لكم، وقد رأيتم[٣] أنها لم تشفع لكم عند نزول البلايا.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[٤١]

ثم أخبر أنهم لا يدعون[٤] غير الله في دفع ذلك وكشفه عنهم، وأخبر أنهم إلى الله يتضرعون في رفع ذلك عنهم. وهو كما ذكر[٥] عز وجل: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٦] وكقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[٧] وكقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.[٨] ذكر هذا -والله أعلم- أنكم إذا مسكم الشدائد والبلايا لا تفزعون إلى الذين تشركون في عبادته وألوهيته، فكيف[٩] أشركتم أولئك في ربوبيته في غير الشدائد والبلايا؟ **وتنسون ما تشركون**، أي تتركون ما تشركون بالله من الآلهة[١٠] فلا تدعونهم أن يكشفوا عنكم.

---

[١] ك: أو يقربكم.

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠)، وقوله تعالى: ﴿والذين اتّخذوا مِن دونه أولياءَ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

[٣] ع: قد رأيتم.

[٤] م: لا تدعون.

[٥] جميع النسخ: ما ذكر.

[٦] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.

[٧] سورة الزمر، ٨/٣٩.

[٨] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.

[٩] جميع النسخ: كيف.

[١٠] ع: الآلهة.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء**، اختلف فيه. قال بعضهم: **البأساء** الشدائد التي تصيبهم من العدو، **والضراء** ما يَحِلّ بهم من البلاء والسَّقَم السماوي. وقال بعضهم: **البأساء** هو ما يَحِلّ بهم من الفقر والقحط والشدة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله:[١] **فأخذناهم بالبأساء**، الزَّمَانة[٢] والخوف، **والضراء** البلاء والجوع. **لعلهم يتضرعون**، أي ابتلاهم بهذا وامتحنهم[٣] **لعلهم يتضرعون** ويرجعون عما هم عليه.

**﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا**، يذكر[٤] في ظاهر هذا أنه قد أصابهم البلاء والشدة ولم يتضرعوا، **ولكن قست قلوبهم**؛ ويذكر في غيره من الآيات أنه[٥] إذا أصابهم البلاء والشدائد تضرّعوا ورجعوا عما كانوا عليه، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٦] وقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ[٧] وغيرهما من الآيات. لكن يحتمل هذا وجوها. [يحتمل] أن هذا كان[٨] في قومٍ، والأولَ كان في قومٍ آخرين. وذلك أنّ الكفرة كانوا على أحوال[٩] ومنازل. منهم من كان على حالٍ [مَن] إذا[١٠] أصابه خير اطمأنّ به، وإذا زال عنه وتحوّل تغيرّ،[١١] وهو[١٢] كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[١٣] الآية.

---

[١] ك ن – قوله.
[٢] لزمانة: العاهة والآفة كالمرض الدائم.
[٣] م: أو امتحنهم.
[٤] ع م: تذكر.
[٥] م – أنه.
[٦] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[٧] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[٨] ع م: ن كان هذا.
[٩] ع: عن أحوال.
[١٠] جميع النسخ: فإذا.
[١١] ع: تغيره.
[١٢] ع – وهو.
[١٣] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

ومنهم من يتضرع ويَلِين قلبُه إذا أصابه الشدة والبلاء، وعند السَّعة والنعمة [يكون][1] قاسيَ القلب معاندًا، وهو كقوله: دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[2] إلى آخر الآية، وكقوله تعالى: وَإِذَا
[٢١٠ط] مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ. / ومنهم من كان فَرِحًا عند الرحمة والنعمة،[3] وعند الشدة والبلاء كفورًا[4] حزينًا، كقوله تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ.[5] ومنهم مَن كان لا يخضع ولا يتضرع في الأحوال كُلّها، لا عند الشدة والبلاء ولا عند الرخاء والنعمة، ويقولون: إن مثل هذا يصيب غيرنا، وقد كان أصاب آباءنا وكانوا أهل الخير والصلاح، وهو كقوله: وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ.[6] كانوا على أحوال مختلفة ومنازل متفرقة. فيشبه[7] أن يكون قوله: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم**، في القوم الذين لم يتضرعوا عند إصابتهم الشدائد والبلايا. وجائز أن يكونوا[8] تضرعوا عند حلول الشدائد، فإذا انقطع ذلك وارتفع عادوا إلى ما كانوا من قبل، كقوله: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[9] ويشبه أن يكون قوله: لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ،[10] وقوله: دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فيما بينهم وبين ربهم،[11] وهذا فيما بينهم وبين الرسل؛ لأن الرسل كانوا يدعونهم[12] إلى أن يقرّوا برسالتهم ويصدّقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون، فتكبّروا عليهم وأقرّوا لله[13] وتضرعوا إليه، تكبّروا عليهم ولم يتكبّروا على الله. ويحتمل أن يكون قوله: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا**، في الأمم السالفة، إخبارٌ عنهم أنهم لم يتضرعوا. ويحتمل قوله أيضًا: **فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا**، وجهين. أحدهما أنهم لم يتضرعوا إذ جاءهم بأس الله،

---

[1] من شرح التأويلات، ورقة ٢٤٩و.
[2] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[3] ك ع م – والنعمة.
[4] م: كفور.
[5] سورة هود، ٩/١١.
[6] سورة الأعراف، ٩٥/٧.
[7] ن: ويشبه.
[8] ع: ٱن يكون.
[9] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[10] سورة الأنعام، ٤٢/٦.
[11] م + وهذا فيما بينهم وبين ربهم.
[12] جميع النسخ: يدعون.
[13] م: الله.

ولكن عاندوا وثبتوا على ما كانوا عيه. والثاني تضرّعوا عند نزول بأسه، لكن إذا ذهب ذلك وزال عادوا إلى ما كانوا، فيصير كأنه قال: **فلولا** لزموا التضرّع **إذ جاءهم بأسنا**.

وقوله عز وجل: **وزَيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون**، أي **زين لهم** صنيعَهم الذي صعنوا، ويقولون: إن هذا كان يصيب أهل الخير ويصيب آباءنا وهم كانوا أهل خير وصلاح. أو **زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**، من الشرك والتكذيب ويقول لهم: إن الذي أنتم عليه حق.

**﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **فلما نسوا ما ذكروا به**، يحتمل ابتداء تَرْكٍ، أي تركوا الإجابة إلى ما دُعوا، وتَركوا ما أُمروا به. ويحتمل **نسوا ما ذكروا به**، مِن الشدائد والبلايا. **فتحنا عليهم أبواب كل شيء**، يحتمل وجهين. يحتمل **أبواب كل شيء**،[1] مما يحتاجون إليه، **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**. ويحتمل **فلما نسوا ما ذكروا به**، أي تَركوا ما وُعظوا به، يعني بالأمم الخالية ممّا دعاهم[2] الرسل فكذبوهم. **فتحنا عليهم**، أي أنزلنا عليهم، **أبواب كل شيء**، من أنواع الخير بعد الضر والشدة الذي كان نزل بهم. **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**، اختلف فيه. قال بعضهم: [المبلس] الآيس من كل خير. قال القتبي: المُبْلِس الآيس المُلْقِي[3] بِيَدَيْه.[4] وقال أبو عوسجة: المُبْلِس هو الحزين المُغْتَمّ الآيس من الرحمة وغيرها من الخير.[5] وقال الفراء: المُبْلِس هو المُنقَطع الحجةِ.[6] وقيل: لذلك سُمّي إبليسُ لعنه الله "إبليسَ" لِمَا أيس من رحمة الله.

**﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، قيل: استؤصل **القوم الذين ظلموا** بالهلاك جميعًا. والظلم ههنا[7] هو الشرك. وقيل: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، أي أصلهم.

---

[1] ن - يحتمل وجهين يحتمل أبواب كل شيء.
[2] ك م: فما دعاهم.
[3] ع - مبلس الآيس الملقي.
[4] ك: ببدنه. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٣.
[5] ن - من الخير.
[6] *معاني القرآن* للفراء، ٣٣٥/١.
[7] ن - ههنا.

وقيل: **دابر القوم**، أي آخرهم.[1] وكله[2] واحد. وذلك أنه إذا أُهلك آخرهم وقُطعوا فقد استؤصلوا. ويشبه أن يكون قوله: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، أي قُطع افتخارُهم وتكبرُهم[3] الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرون.

وقوله عز وجل: **والحمد لله رب العالمين**، الحمد في هذا الموضع على إثر ذكر[4] الهلاك يخرج على وجوه. وإلّا الحمد إنما يُذكَر على إثْر ذِكْرِ[5] الكرامة والنعمة. لكن هنا [أنّ إهلاك الكفار][6] وإن كان نِقْمةً وإهلاكًا فيكون للأولياء كرامة ونعمة، لأن هلاك العدو يُعَدّ من أعظم الكرامة والنعمة من الله. فإذا كان في ذلك شر للأعداء وانتقام[7] فيكون خيرًا[8] للأولياء وكرامة. وما من شيء يكون شرًا لأحد إلا ويجوز[9] أن يكون في ذلك خير[10] لآخر. فيكون الحمد في الحاصل في الخير والنعمة. والثاني أنه يجوز أن يكون[11] في الهلاك نفسِه الحمد إذا كان الهلاك بسبب الظلم،[12] لأنه إهلاكٌ[13] بحقّ؛ إذ لله أن يُهلكهم، ولم يكن الإهلاك[14] على الظلم خارجًا عن الحكمة، فيُحمَد عز وجل في كلّ فعلٍ [له فيه][15] حكمة.[16] والثالث يقول:[17] **والحمد لله رب العالمين**، على إظهار حججه بهلاكهم.

---

[1] ك: أي أخيرهم.
[2] ن: وكل.
[3] ع: ويكبرهم.
[4] ك ن ع: ذلك.
[5] ع: ذلك.
[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٩ظ.
[7] ع م: والانتقام.
[8] ك: خير.
[9] ن: وإلا ويجوز.
[10] ع: خيرا.
[11] م - أن يكون.
[12] جميع النسخ: بالظلم.
[13] جميع النسخ. هلاك.
[14] جميع النسخ: الهلاك.
[15] والتصحيحات السابقة مع هذه الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٩ظ.
[16] ك: الحكمة.
[17] ع: يكون.

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به**، اختلف فيه. قال بعضهم: يُراد بأخذ السمع والبصر والختم على القلوب أَخْذُ منافع هذه الأشياء؛ أي إن أخذ[1] منافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم، **من إله غير الله يأتيكم به**، أي **يأتيكم**[2] بمنافع سمعكم ومنافع بصركم[3] ومنافع عقولكم.[4] فإذا كانت الأصنام والأوثان التي تعبدون من دون الله وتشركون في ألوهيته وربوبيته لا تملك[5] رد تلك[6] المنافع التي أخذ الله عنكم فكيف تعبدونها وتشركون في ألوهيته؟ وقيل: يُراد بأخذ السمع والبصر وما ذُكر أَخذُ أَعْيُنِها وأَنْفُسِها، أي لو **أخذ الله سمعكم** وبصركم وعقولكم لا يملك ما تعبدون ردّ هذه الأشياء إلى ما كان، لا يملكون ردّ السمع إلى ما كان، ولا رد البصر والعقل الذي كان إلى ما كان، فكيف[7] تعبدون دونه وتشركون في ألوهيته؟ يُسَفِّهُ[8] أحلامهم لما يعلمون أن ما يعبدون ويجعلون لهم الألوهية لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا، فمع ما يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم آلهة معه.

وقوله عز وجل: **انظر كيف نصرف الآيات**، أي نبين لهم **الآيات** في خطئهم في عبادة هؤلاء وإشراكهم / في ألوهيته، **ثم هم يصدفون**، أي يُعرضون عن تلك الآيات. [٢١١و]

**﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون**، معناه –والله أعلم– أنهم يعلمون أن العذاب لا يأتي ولا يأخذ إلا الظالم، ثم إنهم[9] مع علمهم أنهم[10] ظَلَمَة لعبادتهم غير الله –مع علمهم أنهم لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا–

---

[1] جميع النسخ: قد أخذ.
[2] م – أي يأتيكم.
[3] ك ع: وبصركم.
[4] ك ع: وعقولكم؛ ن + من إله غير الله يأتيكم به أي يأتيكم بمنافع سمعكم وبصركم وعقولكم.
[5] ك ع م: لا يملكون؛ ن: لا تملكون.
[6] جميع النسخ: ذلك.
[7] ع: كيف.
[8] ك: تسفه؛ ن ع م: لسفه.
[9] ك – إنهم.
[10] ك ع م – مع علمهم أنهم.

يسألون العذاب، بقوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[1] وقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[2] وقوله: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ.[3]

**﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين**، أخبر أنه لم يرسل الرسل إلا مع بشارة لأهل الطاعة ونذارة لأهل المعصية.[4] وفيه أن الرسل ليس إليهم الأمر والنهي، إنما إليهم إبلاغ الأمر والنهي. ثم بين البشارة فقال: **فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون**؛ **لا خوف عليهم**، لما ليس لذلك فَوْت ولا زوال، ليس كثواب الدنيا ونعيمها أنه على شَرَف[5] الفوت والزوال؛ **ولاهم يحزنون**، لأنه سُرورٌ لا يَشُوبُه حزن،[6] ليس كسرور الدنيا يكون مَشُوبًا بالحزن والخوف.

**﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**[٤٩]

**والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون**، هذه هي النِّذارة. وقوله: **يمسهم العذاب**، ذكر المس -والله أعلم- لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول عنهم. والفسق في هذا الموضع[7] الكفر والشرك، وما ذُكر من الظلم[8] هو ظلمُ شركٍ وكفرٍ.

**﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾**[٥٠]

وقوله عز وجل: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**، لم يحتمل ما قال ابن عباس رضى الله عنه حيث قال: إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] سورة المعارج، ١/٧٠.
[2] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[3] سوة ص، ١٦/٣٨.
[4] ك ن م: معصيته.
[5] هو على شَرَف أمر، أي قرب منه، والشَّرَف القرب من الخطر (*لسان العرب* لابن منظور، «شرف»).
[6] ن ع: ولا يشوبه الحزن.
[7] ك: في هده الموضع.
[8] أي في الآية السابقة.

لم[1] يُنزل الله عليك[2] كنزًا تَستغني به،[3] فإنك محتاج، ولا جَعَل لك جنةً تأكل منها فتشبع من الطعام، فإنك تجوع، فنزل عند ذلك. هذا لا يحتمل أن يقولوا له ذلك فيقول لهم: **إني لا أقول لكم إني ملك**، وليس **عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**. فإن كان من السؤال شيءٌ من ذلك فإنما يكون على سؤالٍ سألوا لأنفسهم، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا،[4] ونحو ذلك من الأسئلة[5] التي سألوه لأنفسهم، فنزل عند ذلك ما ذُكر. فهذا لعمري يحتمل، فيقول لهم:[6] ليس **عندي خزائن الله** فأجعلَ لكم هذا، **ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع**، أي ما أتبع،[7] **إلا ما يوحى إلي**. والثاني جائزٌ أن يكون النبي عليه السلام أَوعدهم بالعذاب وخوّفهم، فسألوا العذاب استهزاءً وتكذيبًا، فقالوا: متى يكون؟ كقوله:[8] وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.[9] فقال عند ذلك: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله** ومفاتيحه أُنزل عليكم العذاب متى شئت، **ولا أعلم الغيب**، متى وقت نزول العذاب عليكم، **ولا أقول لكم إني ملك**، نزلتُ من السماء بالعذاب، إنما أنا رسول بشر مثلكم ما **أتبع إلا ما يوحى إلي**. هذا محتملٌ جائزٌ أن يكون على إِثْر ذلك نزل. ويحتمل وجها آخر، وهو أنه يخبر ابتداءً، أي **لا أقول لكم عندي خزائن الله**؛ لأني لو قلت: **عندي خزائن الله** وأنا **أعلم الغيب وإني ملك**، كان ذلك أشدّ اتِّباعًا لي[10] وأرغب وأكثر لطاعتي؛ لكن أقول:[11] إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، ما **أتبع إلا ما يوحى إلي**،[12] لتعلموا أني صادق في قولي،[13] ومُحِق فيما أدعوكم إليه.

[1] ن – لم.
[2] ع م: عيكم.
[3] ع: يستغني به.
[4] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[5] ن ع: من الاسولة؛ م: من الاسؤلة.
[6] ك + لأنه.
[7] ك ع – أي ما أتبع.
[8] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠و.
[9] سورة يونس، ١٠/٤٨.
[10] ك ع م – لي.
[11] جميع النسخ: نقول.
[12] م + ما أتبع إلا ما يوحى.
[13] ع م – في قولي.

وقوله: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**، يُعلَم بالإحاطة أن هذا ونحوه يخرج[١] على الجواب لأسئلةٍ[٢] كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن[٣] لسنا نعلم ما كانت تلك الأسئلة[٤] التي[٥] كانت من أولئك حتى كان هذا جوابًا لهم، فلا نُفسّر ولكن نَقِف مَخافةَ الشهادة على الله. ويحتمل أن يكون جوابًا لما ذُكر في آية أخرى، وهو قولهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ،[٦] فقال عند ذلك: **لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**، جوابًا[٧] لسؤال وقت الساعة أو وقت نزول العذاب. وقوله: **ولا أقول لكم إني ملك**، جوابٌ لقولهم: أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ.[٨] فقال عند ذلك: **لا** أقول:[٩] إني **أعلم الغيب**، حتى أعلم[١٠] وقت نزول العذاب أو قيام الساعة، **ولا أقول لكم إني ملك**، حتى أرقى في السماء.

وقوله: **قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون**، أي تعرفون أنتم أنه لا يستوي **الأعمى**، أي مَن عَمي بصرُه، **والبصير**، أي مَن لم يَعمَ بصرُه، كيف لا تعرفون أنه لا **يستوي** مَن عَمي[١١] عن الآيات[١٢] ومَن لم يَعمَ عنها؟ أو نقول: إذا لم يستو[١٣] **الأعمى والبصير** كيف **يستوي** مَن يَتَعَامَى عن الحق ومَن لم يَتَعَامَ؟[١٤] **أفلا تتفكرون**، أنهما لا يستويان؟

وقوله عز وجل: **أفلا تتفكرون**، في آيات الله وما ذَكَّرَكُم. أو نقول: **أفلا تتفكرون**، في وعظ[١٥] الله تعالى [إياكم].[١٦]

---

[١] ن ع م: تخرج.
[٢] ع: لاسولة؛ م: لاسولة.
[٣] م – لكن.
[٤] ن ع: الاسولة؛ م: الاسؤلة.
[٥] ن ع م – التي.
[٦] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[٧] ك: جواب.
[٨] سورة لإسراء، ٩٣/١٧.
[٩] ن + لكم.
[١٠] ع + الغيب؛ م – حتى أعلم.
[١١] ن + عن الإيمان.
[١٢] ن: والآيات.
[١٣] ع م: لم يستوي.
[١٤] ن. لم يتعامى.
[١٥] جميع النسخ: في وعظكم.
[١٦] التصحيح السابق مع هذه الزيادة مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠و.

**﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**[٥١]

وقوله[١] عز وجل: **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو صلة قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[٢] الآية.[٣] أَيْأَسَ الكَفَرَةَ عمَّا سألوا من الأشياء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ثم أَمَر بالإنذار **الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**، وهم المؤمنون، أي يعلمون أنهم **يحشرون إلى ربهم** وأن **ليس لهم... ولي**،[٤] يَدفع عنهم ما يَحِلّ بهم، **ولا شفيع**، يَسأل لهم ما لم يُعطَوْا. وجائزٌ أن يكون تخصيص الأمر بإنذار[٥] المؤمنين لِمَا كان الإنذار ينفعهم ولا ينفع غيرهم، وليس فيه أنه[٦] لا ينذِر / غيرهم. وهو كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ،[٧] ليس فيه أنه لا ينذِر من لم يتبع الذكر ولا خشي الرحمن، [٢١١ظ]
ولكن[٨] أنبأ أنه إنما ينتفع[٩] هؤلاء؛ كقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ،[١٠] أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع أولئك. يُنذِر الفريقين، مَن اتَّبع ومَن لم يتبع، ومَن نفع ومَن لم ينفع، ويكون قوله: **ليس لهم... ولي**، يعني ليس[١١] لأولئك أولياء ولا شفعاء؛ لأنهم يَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٢] ومَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٣] ونحوه. أخبر أنه[١٤] ليس لهم **ولي ولا شفيع** دونه.

---

[١] ع - وقوله.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٥٠.
[٣] ع: الآيات.
[٤] ك - ولي.
[٥] ك ن ع: بالإنذار.
[٦] ك ع م - أنه.
[٧] سورة يس، ٣٦/١١.
[٨] م - ولكن.
[٩] ك ن ع: إنما ينفع.
[١٠] سورة الذاريات، ٥١/٥٥.
[١١] ع - ليس.
[١٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[١٤] ن ع م: أخبر أن.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، يُذكَر في بعض القصة أن رجالاً من أصحاب رسول الله كانوا يَسبِقون إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلسون قريبًا منه، فيجيء أشراف القوم وسادتهم[١] وقد أخذ[٢] أولئك المجلس، فيجلس هؤلاء ناحيةً، فقالوا: نحن نجيء فنجلس ناحية؟ فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنا ساداتُ قومِك وأشرافُهم، فلو أدنيتنا مِنك المجلسَ؟ فهَمّ أن يَفعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية يُعاتِب نبيّه صلى الله عليه وسلم بقوله:[٣] **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، الآية.[٤] وإلى هذا يذهب عامة أهل التأويل، لكنه بعيد. يَنسِبون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى أَوْحَشِ فِعْلٍ[٥] وأَفْحَشِه، ما لو كان كان[٦] فيه إسقاطُ نبوتِه ورسالتِه؛ إذ لا يحتمل أن يكون النبي[٧] صلى الله عليه وسلم يُقرِّب أعداءَه ويُدني مجلسَهم منه ويُبعد الأولياء. هذا لا يفعله سفيهٌ فَضلاً أنْ يفعلَه رسولُ الله المصطفى على جميع بريّته، أو يَخطُرَ بِبَالِه شيءٌ من ذلك. وكان فيه ما يجد الكفرة عليه[٨] مَطْعَنًا، يقولون: يدعو[٩] الناس إلى التوحيد والإيمان به والاتّباع له، فإذا فعلوا ذلك وأجابوه طردهم وأبعد مجلسَهم منه. هذا لَعَمْري مدفوعٌ في عقل كلّ عاقل. ولكن إن كان فجائزٌ أنْ يكونَ منهم طلبُ ذلك، طَلبوا منه أن يُدني مجلسَهم ويُبعد أولئك، هذا يحتمل. وأما أنْ يَهُمّ أن يفعل ذلك أو خطر بباله شيء من ذلك فلا يحتمل.

---

[١] ك: وساداتهم.

[٢] ع م: وقد أخذوا.

[٣] ك ن - بقوله.

[٤] أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٧٤-٢٧٥. وقد وردت روايات كثيرة في نفس المعنى. عن سعد قال: نزلت هذه الآية فِينا سِتَّةٍ فِيَّ وفي ابن مسعود وصُهَيب وعمّار والمِقداد وبلال. قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّا لا نرضى أن نكون أَتْباعًا لهم، فاطردهم عنك. قال: فدخل قلبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مِن ذلك ما شاء الله أن يدخل. فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾، الآية (*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٤٦؛ و*سنن ابن ماجه*، الزهد ٧).

[٥] ن: فعل.

[٦] ك م: كن.

[٧] ك ن - النبي.

[٨] ك: فيه.

[٩] م: يدعوا.

وجائزٌ أن يكون هذا من الله ابتداءَ تأديبٍ وتعليمٍ، يُعلِّم رسولَه صُحبةَ أصحابِه. ومعاملتَه معهم -كقوله: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[١] ونهَى أن يَمُدّ عينيه[٢] إلى ما مَتّع أولئك، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ،[٣] الآية- ويخبره عن عظيمِ قَدْرِهم[٤] عند الله. وقد ذكرنا[٥] أنّ العصمة لا تمنع النهيَ[٦] والحظرَ،[٧] بل العصمة تَزيد في النهي والزجر. وأخبر أنْ ليس عليه **من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء،** فإنما عليك البلاغ وعليهم الإجابة، وهو كقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[٨]

وقوله عز وجل: **يدعون ربهم بالغداة والعشي،** يُشبِه أن يكونوا[٩] يجتمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلّ غداةٍ ومساءٍ فيسمعون منه ثم[١٠] يفترقون، على ما عليه أَمْرُ الناس من الاجتماع في كلّ غداةٍ و مساءٍ عند الفقهاء وأهل العلم. وجائزٌ أنْ يكونَ ذِكرُ **الغداة والعشي** كنايةً عن الليل كلّه وعن النهار جُملةً. كقوله: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى،[١١] ليس يريد بالضحى الضَّحْوَةَ[١٢] خاصة، ولكن النهار كله؛ ألا ترى أنه قال: وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، ذَكَر الليل، دلّ أنه كان الضحى كنايةً عن النهار جُملةً. فعلى ذلك **الغداة والعشي** يجوز أن يكون كنايةً عن الليل والنهار جُملةً.[١٣] ***والله أعلم.*** وجائزٌ أنْ يكونَ[١٤] أصحابُ الحِرَف والمكاسِب لا يتفرّغون للاجتماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع[١٥] منه في عامّة النهار،

---

[١] سورة الكهف، ٢٨/١٨.
[٢] جميع لنسخ: عينه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[٣] ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ١٣١/٢٠).
[٤] ك: قدرتهم.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.
[٦] ع م - النهي.
[٧] م: الحظر.
[٨] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[٩] ن: أن يكون.
[١٠] ع - ثم.
[١١] سورة الضحى، ٩٣/١-٢.
[١٢] الضحوة ارتفاع أول النهار (*لسان العرب* لابن منظور، «ضحو»).
[١٣] ع م: وجملة.
[١٤] ن ع م: أن يكونوا
[١٥] ك: والاستمتاع.

ولكن يجتمعون إليه ويستمعون[1] منه **بالغداة والعشي**، فكان ذكر **الغداة والعشي** لذلك،[2] أو لما ذكرنا. وجائزُ أنْ يكونَ المرادُ بذكر **الغداة والعشي** صلاةَ الغداة وصلاةَ العشاء؛ يقول: **لا تطرد** مَن يَشهَد هاتَين الصلاتَين، وإنما كان[3] يَشهَدهما أهل الإيمان، وأما أهل النفاق فإنهم كانوا[4] لا يَشهَدون هاتَين الصلاتَين، ويحتمل ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فتَطرُدَهم فتكونَ من الظالمين**. الظلم على وجوه. ظلمُ كفرٍ وظلمُ شركٍ، وظلمٌ يكون بدونِه، وهو أن يمنع أحدًا حقه أو أَخَذَ مِنه حقًّا بغير حق، فهو كلّه ظلم. والظلم ههنا -والله أعلم- يُشبِه أن يكون هو[5] وَضْعَ الحِكمةِ في غير أهلها؛ لأنه لو كان منه ما ذُكِر مِن طَرْدِ هؤلاء[6] وإدناءِ أولئك، فأولئك[7] لم يكونوا أهلاً للحكمة. ويجوز أنْ يوصَف واضع الحكمة في غير موضعها بالظلم، على ما روي في الخبر أنّ مَن وَضَعَ الحكمة في غير أهلها فقد ظلمها، ومَن منعها عن أهلها فقد ظلمهم.[8]

**﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **وكذلك فتنا بعضهم ببعض**؛ وقوله: **وكذلك**، لا يُتَكلَّم [به] إلا على أَمْرٍ سَبَق، فهو -والله أعلم- يحتمل أن يقول لَمَّا قالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء الأَعْبُد مِن قومِك، أفَنحن نكون[9] تَبَعًا لهؤلاء ونحن سادة القوم وأشرافهم؟ فقال عند ذلك:

---

[1] ك: ويستمتعون.
[2] ع: كذلك.
[3] ع م - كان.
[4] ن ع م - كانوا.
[5] ن - هو.
[6] ك ن ع - هؤلاء؛ م: أولئك.
[7] ك ن ع: وأولئك؛ م - فأولئك.
[8] لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي مرفوعا: «طلب العلم فريضة على كل مسلم. وواضِع العلمِ عند غير أهله كمُقَلِّد الخنازيرِ الجوهرَ واللؤلؤَ والذهبَ» (*سنن ابن ماجه*، المقدمة ١٧). وضعّف إسناده البوصيري؛ انظر: *مصباح الزجاجة* للبوصيري، ١/٣٠. وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن قيس قال: قال عيسى بن مريم: إن منعت الحكمة أهلها جهلت، وإن منحتها غير أهلها جهلت؛ كن كالطبيب المداوي، إن رأى موضعا للدواء وإلّا أمسك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢١٣).
[9] ع: يكون.

**وكذلك فتنا بعضهم ببعض**، أي كما فضّلتكم على هؤلاء في أمر الدنيا فكذلك[1] هؤلاء[2] فضّلتهم عليكم في أمر الدين، ويكونون[3] هُم المُقرَّبين إلى رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم والمُدنَى[5] مجلسُهم إليه، وأنتم أَتْبَاعُهم في أمر الدين وإن كانوا هُم أَتْبَاعَكم في أمر الدنيا، وكذلك امتحان بعضهم ببعض. ويحتمل وجهًا آخر، وهو أن يقال: كما كان له امتحانُ كلٍّ في نفسه ابتداءَ مِحنةٍ،[6] كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[7] / وكقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ [٢١٢و] بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[8] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[9] الآية، فعلى ذلك له أن يمتحن بعضكم ببعض. وأشدّ المِحَن أن يُؤمَر[10] المتبوعُ ومَن يرى لنفسه فضلاً بالخضوع للتابع ومَن هو دونه عنده؛ يَشتدّ ذلك عليه ويتعذّر، لِمَا كانوا يرون هُم لأنفسهم الفضل والمنزلة في أمر الدنيا، فظنّوا أنهم كذلك يكونون في أمر الدين.[11] وعلى ذلك يخرج ما امتحن[12] إبليس بالسجود لآدم [حين][13] رأى لنفسه فضلاً عليه فقال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ،[14] ولم يَرَ الخضوعَ لمن دونه عدلاً وحكمةً، فصار ما صار. فعلى ذلك هؤلاء لم يَرَوْا أولئك الضَّعَفَة أن يكونوا متبوعين عدلاً وحكمةً، وظنّوا أنهم لَمَّا كانوا مُفَضَّلين في أمر الدنيا وكان هٰؤلاء إليهم حاجة يكونون في أمر الدين[15] كذلك، ويقولون: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[16] ونحوه من الكلام.

---

[1] ك ن ع: فبذلك.
[2] ع م – هؤلاء.
[3] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[4] ن – الله.
[5] جميع النسخ: والمدنين. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[6] زاد الشارح: «بالبلاء ليصبروا، وبالنعماء ليشكروا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و).
[7] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[8] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[9] سورة البقرة، ١٥٥/٢.
[10] جميع النسخ: أن يأمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و.
[11] ع: الدنيا.
[12] م: لما امتحن.
[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و.
[14] ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقتَهُ من طين﴾ (سورة الأعراف، ١٢/٧).
[15] ع: الدنيا.
[16] سورة الأحقاف، ١١/٤٦.

وقوله عز وجل: **ليقولوا أ هؤلاء منّ الله عليهم من بيننا**، قال بعضهم: هو موصول بالأول بقوله: **فتنا بعضهم ببعض ليقولوا**، يقول الكافر قول الكفر والمؤمن قول الإيمان. ثم ابتدأ فقال: **أهؤلاء**، أي يقول الكفرة: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**. وقال بعضهم: قوله: **أ هؤلاء من الله عليهم من بيننا**، ليس بمفصولٍ[1] مِن[2] قوله: **ليقولوا**، ولكن موصول به؛ **ليقولوا**، يعني الكفرة: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**.

ثم يحتمل قوله: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**، بالحفظ والفهم، أي يَفهم هؤلاء منه ولا نفهم[3] نحن؟ والثاني **أ هؤلاء من الله عليهم من بيننا**،[4] بالتقريب والإدناء في المجلس وجَعْلِهم متبوعين من بيننا بعد ما كانوا أَتْباعًا لنا.[5] فقال عند ذلك: **أ ليس الله بأعلم بالشاكرين**، أي عَرَفَ هؤلاء نعمة الله تعالى ووَجّهوا شكر نِعَمِه إليه، وأنتم وَجّهتم شكر نِعَمِه[6] إلى غيره بعد ما عرفتم أنه هو المنعم عليكم والمُسْدِي إليكم.[7]

**﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٥٤]

قوله[8] عز وجل: **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم**، هذا يدل على أن النهي عن الطرد ليس للإبعاد خاصة في المجلس ولكن في[9] كل شيء، في بَشَاشَة الوجه واللُّطْفِ في الكلام وفي كل شيء؛ لأنه قال: **فقل سلام عليكم**.

وقوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، قال بعضهم: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، هو أن يبدأهم بالسلام، فذلك الذي كتب **على نفسه الرحمة**. وقال بعضهم: قوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**،[10] أي لم يأخذهم[11] في أول ما وقعوا في المعصية،

[1] ع: بمفضول.
[2] ع – من.
[3] ن + منه.
[4] ع م – والفهم أي يفهم هؤلاء منه ولا نفهم نحن والثاني أهؤلاء من الله عليهم من بيننا.
[5] ع – لنا.
[6] ع: شكرا نعم.
[7] زاد الشارح: «والله تعالى قد علم في الأزل الشكر والكفر من البعض فظهر على ما علم» (شرح التأويلات، ورقة ٢٥١و).
[8] ك ع م: وقوله.
[9] ن – في؛ صح هـ.
[10] ك – هو أن يبدأهم بالسلام فذلك الذي كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة.
[11] ع م: لم يأخذ.

ولكن أَمْهَلَهم إلى وقتٍ وجَعَل[1] لهم المَخْرَج من ذلك بالتوبة. وعلى ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: فتح الله للعبد التوبة إلى أن يأتيه الموت.[2]

وقوله عز وجل: **أنه من عمل منكم سوء بجهالة**، قُرئ بكسر الألف: إنَّهُ، وقُرئ بالنصب: أَنَّهُ.[3] فمَن خَفَضَ حَمَله على الابتداء مِن قولِه:[4] **إنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم**، أي كلّ من عمل سوء بجهالة ثم تاب من بعد ذلك **وأصلح** إنه يغفر له ما كان منه. ومن قرأها بالنصب عَطَفَه على قوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم** لذلك. وجائزٌ أنْ يكونَ قولُه: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، أي **كتب** على خلقه **الرحمة**، أن يرحم بعضهم بعضا. وجائزٌ[5] ما ذكرنا[6] أنه كتب **على نفسه الرحمة**، أي أوجب أن يرحم ويغفر لمن تاب.

وقوله: **من عمل منكم سوء بجهالة**، جائزٌ أنْ تكونَ[7] الآيةُ في الكافر، إذا تاب يَغفر اللهُ له ما كان منه في حال الكفر والشرك، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ،[8] الآية، وقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[9] وجائزٌ أنْ تكونَ[10] في المؤمنين. ثم ذكر عَمَلاً **بجهالة**، وإن لم يكن يعمل بالجهل،[11] لأن الفعلَ فعلُ الجهل

---

[1] ك: جعل.

[2] لم أجده. لكن روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يَقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب (*سنن ابن ماجه*، الزهد ٣٠؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٩٨).

[3] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿إنه من عمل منكم سوء بجهالة فإنه غفور رحيم﴾ مكسورَي الألف. وقرأ عاصم وابن عامر: ﴿أنه من عمل منكم سوء بجهالة فأنه﴾ بفتح الألف فيهما. وقرأ نافع: ﴿أنه من عمل﴾ بنصب الألف، ﴿فإنه غفور﴾ كسرًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٨.

[4] ع م – أنه من عمل منكم سوء بجهالة قرئ بكسر الألف إنه وقرئ بالنصب أنه فمن خفض حمه على الابتداء من قوله.

[5] ن + أن يكون.

[6] ن – ما ذكرنا.

[7] ع م: أن يكون.

[8] سورة آل عمران، ٣/١٣٥.

[9] سورة الأنفال، ٨/٣٨.

[10] جميع النسخ: أن يكون.

[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل: ذكر سوء الجهالة والكافر يعمل عن عمد وقصد. قيل: بلى إن الكافر إنما يفعل عن عمد، لكن الفعل فعل جهل...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥١و).

وإن كان فعله لم يكن على الجهل. وكذلك ما ذُكر من النسيان والخطأ في الفعل، لأن فِعلَه فعلُ ناسٍ وفعلُ مخطئٍ وإن لم يفعله الكافر على النسيان والخطأ. وإلاّ لو كان[1] على حقيقة الخطأ والنسيان لكان لا يؤاخذ به، كقوله: وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ فِيمَا أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ.[2] لكن الوجه ما ذكرنا أنّ الفعلَ فعلُ نسيانٍ وخطإٍ وإن لم يكن ناسيًا ولا مخطئًا فيه. وعلى ذلك الفعلُ[3] فعلُ جهلٍ وإن لم يكن جاهلاً، والفعلُ فعلُ جهلٍ وإن لم يكن بالجهل. والمؤمنُ جميعُ ما يتعاطى من المساوئ يكون لجهالةٍ؛ لأنه إنما يعمل السوء إمّا لِغَبَّةِ[4] شهوةٍ، أو للاعتماد على كَرَم الله[5] بالعفو عنه والصفح عن ذلك، أو يعمل السوء على نية التوبة والعزم عليها[6] في آخره. على هذه الوجوه الثلاثة يقع المؤمن في المعصية، وأما على التعمّد[7] فلا يعمل.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**، قُرئ بالياء[8] والتاء جميعًا. فمن قرأ بالتاء نَصَبَ السبيل بِجَعْلِ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي لِتَعرفَ **سبيلَ المجرمين**. ومن قرأ بالياء رَفَعَ السبيل، كأنه قال: **نفصل الآيات**، أي نبين الآيات لِيتبين **سبيلُ المجرمين**.[9] وقرأ بعضهم على إسقاط الواو: **ليستبين**[10] **سبيل المجرمين**.

ثم يحتمل قوله: **نفصل الآيات**،[11] وجوهًا. أي نبين **الآيات** التي يَعرف[12] السامعون أنها آياتٌ مِن عندِ الله غيرُ مُختَرَعةٍ مِن عندِ الخَلْق ولا مُفتَراةٍ [على] ما يُبين **سبيلَ المجرمين** مِن سبيلِ المهتدين.

---

[1] ع: إلا لو كان.
[2] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.
[3] ع م – الفعل.
[4] ع م: إما لغبة.
[5] ك ن: كرم ربه؛ ع: كرم به.
[6] ن – عليها.
[7] ع: على التغمد.
[8] ن + رفع السبيل.
[9] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ولتستبين، بالتاء، سبيلُ، رفعًا، وكذلك حفص عن عاصم. وقرأ نافع: ولتستبين، بالتاء، سبيلَ، نصبًا. وقرأ حمزة والكسائي وروى أبو بكر عن عاصم: وليستبين، بالياء، سبيلُ، رفعًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٨.
[10] ن: لتستبين.
[11] ع – أي نبين لآيات ليتبين سبيل المجرمين وقرأ بعضهم على إسقاط الواو ليستبين سبيل ثم يحتمل قوله نفصل لآيات؛ م – ليتبين سبيل المجرمين وقرأ بعضهم على إسقاط الواو ليستبين سبيل ثم يحتمل قوله نفصل الآيات.
[12] جميع النسخ: ما يعرف.

والثاني **نفصل الآيات**، أي نبين من الآيات[1] ما بالخلق حاجةٌ إليها وإلى معرفتها. والثالث نبين من **الآيات** ما نبين بين المختلفين، أي بين **سبيل المجرمين** وبين سبيل المهتدين.

**ولتستبين سبيل المجرمين**، تأويله ما ذكرنا أنّ مَن قَرأه[2] بالتاء حَمَله على خطابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي نُبين من **الآيات** لتعرف **سبيلَ المجرمين** بالنصب. ومَن قرأ بالياء [أي] نُبين مِن **الآيات** / لِيَتبين **سبيلُ المجرمين** مِن سبيلِ غير المجرمين. ***والله أعلم.*** [٢١٢ظ]

**﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قُل لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾**[٥٦]

وقوله عز وجل: **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله**، معناه -والله أعلم- **إني نهيت**، بما أُكرمتُ مِن العقل واللُّب، **أن أعبد الذين** تعبدون[3] **من دون الله**. أو يقول:[4] **إني نهيت**، بما أُكرمتُ مِن الوحي والرسالة، **أن أعبد الذين تدعون من دون الله**.

[وقوله تعالى]:[5] **قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين**؛ ثم أخبر أن ما يعبدون هم[6] من دون الله إنما يعبدون اتّباعًا لهوى أنفسهم، وأن ما يعبد هو ليس [لأنه] يتبع هوى نفسه، ولكن إنما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل. ألا ترى[7] أنه قال: قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي،[8] أي على حجة من ربي. يخبر أنّ ما يعبد[9] هو إنما يعبد[10] اتّباعًا للحجة والعقل، وما يعبدون [إنما يعبدون] اتّباعًا لهوى أنفسهم. وما يَتبَع بالهوى يجوز أن يَترَك[11] اتّباعه ويَتبَع غيرَه لِمَا تَهوى نفسه هذا، ولا تهوى الأول؛ وأما ما يَتبع بالحجة والسمع وما يُحسّنه العقل[12] فإنه لا يجوز أن يَترك[13] اتّباعه ويَتبع غيرَه.

[1] ع م - أي نبين من الآيات.
[2] ك م: من قرأ.
[3] ن: تدعون.
[4] ن: ويقول.
[5] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ.
[6] ع: ما يعبدونهم.
[7] ك: ألا يرى.
[8] سورة الأنعام، ٥٧/٦.
[9] ع م: ما يعبدهم.
[10] ن - إنما يعبد؛ ع م: ان يعبد.
[11] ن ع م: أن يزل.
[12] ع + فإنه العقل.
[13] ن ع: أن يزل.

وفيه تعريض تسفيههم، لأنه قال: **قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين**، أي لو اتبعت[1] هواكم[2] لضلَلْت إذًا، وأنتم إذا اتَّبعتم أهواءكم لعبادتكم[3] غيرَ الله ضُلَّالٌ ولستم **من المهتدين**؛ فهو تَعريضٌ[4] التَّسْفيهِ لهم والشَّتْمِ مِنه.

﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **قل إني على بينة من ربي وكذبتم به**، قيل: **على** بيان **من ربي** وحجة. وقيل: **على** دين **من ربي**.

وقوله عز وجل: **وكذبتم به**، قيل:[5] بالقرآن، وقيل: العذاب، أي[6] ما أَوْعَدْتُكُم. ويحتمل **وكذبتم**، ما وَعَدْتُكُم.[7]

وقوله عز وجل: **ما عندي ما تستعجلون به**، أي العذاب،[8] كقوله تعالى: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[9] وغيره؛ فقال: **ما عندي ما تستعجلون به** مِن العذاب.[10] ثم هذا يدل على أن قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[11] أن المراد بالخزائن العذاب، أي ليس عندي ذلك، إنما ذلك إلى الله،[12] وعنده ذلك. وهو قوله: **إن الحكم إلا لله**، أي ما **الحكم** والقضاء **إلا لله**.

[وقوله]:[13] **يقص الحق وهو خير الفاصلين**، اختلف في تلاوته وتأويله. قرأه[14] بعضهم بالضاد وآخرون بالصاد.[15] فمَن قرأ بالصاد **يَقُصُّ** يقول: يُبين **الحق**، لأن القَصَص هو البيان،

---

[1] ع: أي اتبعت.
[2] ن: اهواكم.
[3] ع م: بعبادكم.
[4] ع: تعرض.
[5] ك: أي.
[6] ن ع م – أي.
[7] ع + ويحتمل كذبتم ما وعدتكم.
[8] م: من العذاب.
[9] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[10] ك – كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وغيره فقال ما عندي ما تستعجلون به من العذاب.
[11] سورة الأنعام، ٥٠/٦.
[12] ع – الله.
[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ.
[14] ن ع: قرأ.
[15] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم: يَقُصّ، بالصاد. وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي: يَقْضِي، بالضاد. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٩.

وقال آخره:[1] **وهو خير الفاصلين،** أي خير المُبيِّنين. ومَن قرأ بالضاد "يَقْضِي" يقول:[2] يحكم. ثم اختُلف فيه. قال بعضهم: أي يقضي بالحق. وكذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ "يقضي بالحق".[3] وقيل: فيه إضمار، أي يقضي ويحكم وحكمه **الحق وهو خير الفاصلين،** أي القاضين. والفصل[4] والقضاء واحد، لأنه بالقضاء يُفصَل. ***والله أعلم.***

**﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم،** عن ابن عباس رضي الله عنه: **لو أن عندي ما تستعجلون به،** من العذاب، **لقضي الأمر بيني وبينكم،** لأهلكتكم. وقيل: **لقضي الأمر بيني وبينكم،** أي لعجّلته لكم بالقضاء فيما بيننا. يخبر[5] عن رحمة الله وحلمه؛ أي لو كان بيدي لأرسلتُ [العذاب] عليكم، لكن الله بفضله ورحمته يؤخِر ذلك عنكم.

ثم فيه نَقْضٌ على المعتزلة في قولهم بأن الله لا يفعل للعبد[6] إلا الأصلح في الدين؛ لأنه قال: **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم،** ثم لا يحتمل أنّ تأخيرَ العذاب والهلاك خيرٌ لهم وأصلح ثم هو يُهلكهم ويكون عظةً لغيرهم وزجرًا لهم. ثم إن الله تعالى أَخَّر ذلك العذاب عنهم وإن كان[7] فيه شرٌّ لهم، فدلّ أن الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك بأصلح له في الدين.[8]

وقوله عز وجل: **والله أعلم بالظالمين،** أي عليم بمَن الظالم مِنّا، وهُم كانوا ظَلَمَةً.

---

[1] ث ن ع – آخره؛ م: آخر.

[2] جميع النسخ: يقول يقضي.

[3] *تفسير الطبري*، ٢١١/٧؛ و*المصاحف* لابن أبي داود السجستاني، ٦١.

[4] ن: والفضل.

[5] ث: ما بيننا الخير؛ ن ع: ما بيننا الخبر.

[6] ث ن ع: بالعبد.

[7] ع: وكان.

[8] قال الشارح: «ثم فيه نَقْضُ قولِ المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى لا يفعل بالعبد إلا الأصلح له في الدين؛ لأنه قال: ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾. أخبره الله تعالى حتى أخبر لهم أنه لو كان عنده العذاب لعجل لهم ولأرسله [عليهم] للحال ولم يؤخر، لكن الله تعالى يؤخر عنكم. ولو كان تأخير العذاب لهم مصلحةً وأنه واجبٌ على الله تعالى على طريق الحكمة لم يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان الأمر بيدي لأرسلت العذاب عليكم ولعذبتكم، والمصلحة في التأخير، وهي الحكمة التي بدونها يوصف الله تعالى بالسفه. دلّ أن الأصلح ليس بواجب على الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء، شرًّا كان للعبد أم خيرًا. كيف وقد نصّ الله تعالى على أن التأخير شرٌّ لهم بقوله: ﴿إنما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذابٌ مُهينٌ﴾ (سورة آل عمران، ١٧٨/٣)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٠و).

**﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**، هذا -والله أعلم- يحتمل أن يكون صلةَ قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[1] وصلةَ قوله:[2] مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ.[3] كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم ويسألونه أشياء مِن التوسيع في الرزق وغير ذلك[4] مما كان يَعِدهم[5] مِن الكرامة والمنزلة والسَّعة، وكان يُوعِدهم بالعذاب ويُخوِّفهم بالهلاك فيستعجلون ذلك منه ويطلبون منه[6] ما وعد لهم، فقال: **وعنده مفاتح الغيب**، ليس ذلك عندي، لا يعلم ذلك **إلا هو**. **ومفاتح** مِن المَفْتَح ليس مِن المِفْتَاح[7] [الذي] يكون جمعه مفاتيح. والمَفْتَح يقال في النصر والمعونة. يقال: فتح الله عليه بلدة كذا، أي نصره وجعله غالبًا عليهم، ويقال فيما يُحدِّثه ويستفيد منه:[8] فتح فلانٌ على فلانٍ بابَ كذا، أي عَلَّمه عِلْمَ ذلك.[9]

وقوله عز وجل: **مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**، أي مِن عندِه يُستفَاد ذلك، ومنه يكون. ومَن نَصَر آخرَ إنما يَنصر به، ومن عَلَّم آخرَ عِلْمًا إنما يُعَلِّمه به، ومن وَسَّع على آخرَ رزقًا[10] إنما يوسعه بالله. كلّ هذا يُشبِه أنْ يَخرجَ تأويلَ الآية.

وقوله عز وجل: **ويعلم ما في البر والبحر**، هذا يحتمل وجوها. يحتمل **ما في البر والبحر**، أي **ويعلم ما في البر والبحر**، مِن الدوابّ وما يَسكن فيها من ذي الروح، كَثْرَتَها وعددها وصغيرها وكبيرها،[11] لا يخفى عليه شيء. والثاني **ويعلم ما في البر والبحر**،

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٥٠.
[2] ع: قوما.
[3] سورة الأنعام، ٦/٥٧.
[4] ن – وغير ذلك؛ صح ه؛ ن + والله أعلم.
[5] ع: يعبدهم.
[6] ع م – ويطلبون منه.
[7] ن – ليس من المفتاح.
[8] ك ن ع + يقال.
[9] يقول ابن منظور: «المَفْتَح والمِفْتح: قناة الماء. وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتَّح. ... والفَتْح: النصر. ... والمَفْتَح: الخزانة. الأزهري: وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهي مَفْتَح. والمفتح: الكنز. ... قال الليث: جمع المفتاح الذي يُفْتَح به المغلاق: مفاتيح، وجمع المَفْتَح الخزانة: المفاتح» (*لسان العرب* لابن منظور، «فتح»).
[10] ك + رزقا.
[11] ع م – وكبيرها.

أي **يعلم** رزق كلّ **ما في البر والبحر**،[١] ويعلم حاجته ثم يسوق إلى كلٍّ مِن ذلك رِزقَه. يخبر[٢] هذا -والله أعلم- لِيَعلموا أنه لَمَّا ضَمِن للخلق لِكلٍّ مِنهم رِزقَه، يَسوق إليه رِزقَه مِن غيرِ تَكلُّفٍ ولا طلبٍ،[٣] كما يسوق[٤] أرزاق كلّ[٥] **ما في البر والبحر**[٦] مِن غير طلبٍ ولا تَكلُّفٍ لا يَضيق قلوبهُم لذلك، فما بَالُكم تَضيق[٧] قلوبُكم على ذلك وقد ضَمِن ذلك لكم كما ضَمِن لأولئك. / والثالث **ويعلم ما في البر والبحر**، مِن اختلاط الأقطار بعضها [٢١٣و] ببعض، ومن دخول بعضٍ في بعض. يخرج هذا على الوعيد، [أي] إنه لَمَّا كان عالمًا بهذا كلّه يَعسر[٨] بأعمالكم ومقاصدكم.

فإن قيل: هذا الذي ذُكر كلُّه في الظاهر[٩] دعوى، فما الدليل على أنه كذلك؟

قيل: اتِّساق التدبير في كلّ شيءٍ وآثارُه فيه يدلّ على أنه كان بتدبيرٍ واحدٍ؛ لأن آثارَ التدبير في كلّ شيءٍ واتِّساقَه على سَنَنٍ واحدٍ ظاهرةٌ باديةٌ، فذلك يدلّ على ما ذُكر.

وقوله: **ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين**،[١٠] يحتمل[١١] الكتاب ههنا التقدير والحكم، [أي كلّ ذلك بتقديري وحكمي].[١٢] واختُلف[١٣] فيه. قال[١٤] بعضهم: قوله: **إلا في كتاب مبين**، أي محفوظ كلّه عنده. يقول الرجل لآخر: عَملُك[١٥] كلّه عندي[١٦] مَكتوبٌ، يُريد الحِفظ،

---

[١] ك: البحر والبر.
[٢] ع: يخير.
[٣] ك: ولا تكلف.
[٤] ن - إلى كل من ذلك رزقه يخبر هذا والله أعلم ليعلموا أنه لما ضمن لنخلق لكل منهم رزقه يسوق إليه رزقه من غير تكلف ولا طلب كما يسوق.
[٥] ك ن ع - كل.
[٦] ع م: لبحر ولبر.
[٧] ع: تضييق.
[٨] ع: يعمل.
[٩] ن + كله.
[١٠] ع م + الآية.
[١١] جميع النسخ: ويحتمل.
[١٢] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[١٣] جميع النسخ: اختلف.
[١٤] م - قال.
[١٥] ن - عملك.
[١٦] ع: عمدي.

أي محفوظ[1] عندي، وذلك جائز في الكلام.[2] وقيل: الكتاب ههنا هو اللَّوح المحفوط، أي كتبه مُبيَّنٌ فيه. وقال الحسن رحمه الله: إن الله يُخرِج كتابًا[3] في كلّ ليلةِ قَدْرٍ[4] ويدفعه[5] إلى الملائكة، وفيه مَكتوبٌ كلُّ ما يكون في تلك السنة، لِيَحفظوا[6] على ما يكون.[7] أو كلامٌ نحو هذا. *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**، قال بعض أهل الكلام: إن لِكلّ حاسّةٍ[8] مِن هذه[9] الحواسّ روحًا يُقبَض عند النوم ثم يُرَدّ إليها سِوى روح[10] الحياة فإنه لا يُقبَض؛[11] لأنه يكون أصمّ[12] بصيرًا مُتَكلِّمًا ناطقًا، ويكون أعمى سميعًا، ويكون أخرس سميعًا بصيرًا. فثبت أن لِكلّ حاسّةٍ مِن حواسّ النفس روحًا على حِدَةٍ يُقبَض عند النوم ثم يُرَدّ[13] إليها إذا ذهب النوم.[14] وأما الروح الذي به يَحيَى[15] النفسُ فإنه لا يُقبَض ذلك مِنه إلا عند انقضاءِ أجَلِه، وهو الموت. وقالت الفلاسفة: الحواسّ هي التي تُدرِك صُوَرَ الأشياء بِطِينَتِها.

وقوله: **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**، فيه دلالةٌ [على] أنْ ليس [في] ذِكْرِ الحكم في حالٍ أو تخصيصِ الشيء في حالٍ دلالةٌ [على] سقوطَ ذلك في حالٍ أخرى؛

[1] ع: أي محفظ.
[2] ن: في الكلام جائز.
[3] ن – كتابا.
[4] جميع النسخ: القدر.
[5] جميع النسخ: ويدفع.
[6] ك ن: ليحفظو هم؛ ع م: ليحفظوهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[7] عن ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يُفْرَق فيها كلّ أمرٍ حكيم، يقضي الله كلّ أجَلٍ وخَلْق ورِزْق إلى مثلها (*تفسير الطبري*، ١٠٨/٢٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٠/٧).
[8] ك: حاسية.
[9] ن – هذه؛ صح هـ.
[10] ن – روح.
[11] ك: فإنها لا تقبض.
[12] ع: لاصم.
[13] ك: ثم ترد
[14] ع: اليوم.
[15] م: تحيى.

لأنه قال: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، ليس فيه أنه لا يَعلم ما جَرَحنا بالليل، بل يَعلم ما يكون مِنّا بالليل والنهار جميعًا، [وقال: **وهو الذي يتوفاكم بالليل**] وليس فيه أنه لا يَتَوَفّانا بالنهار وأنْ لا يُجرَحُ[1] بالليل، لكنه ذَكَر الجَرْحَ بالنهار والوفاةَ بالليل لِمَا أنّ الغالبَ أنْ يكونَ النومُ بالليل والجَرْحُ بالنهار. فهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[2] ليس [فيه] أنْ لا يُبصَرُ بالليل، لكن ذَكَر النهارَ لِماَ أنّ الغالبَ[3] مما يُبصَر إنما يكون[4] بالنهار. فعلى ذلك الأول.

ثم فيه دلالةٌ [على] أنّ النائمَ غيرُ مُخاطَب في حال نومه، حيث ذكر الوعيد فيما يجرحون[5] بالنهار ولم يذكر بالليل.

وقوله: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، قال بعضهم: **جرحتم**، أي أثمتم **بالنهار**. وقيل: **يعلم ما** كسبتم **بالنهار**.

وقوله: **ثم يبعثكم فيه**، يَستدلّ بقوله: **يتوفاكم بالليل... ثم يبعثكم فيه**، على الإحياء بعد الموت؛ لأنه يُذهِب أرواحَ هذه الحواسّ ثم يَردّها إليها مِن غير أنْ بَقي لها أثر، فكيف تُنكرون البعث بعد الموت وإن لم يَبْقَ مِن أثر الحياة شيء؟[6] ثم القول في الجَمْع بعد التفرُّق مما الخَلْقُ يَفعل ذلك ويَقدر عليه، نحو ما يَجمع [الإنسان][7] مِن التراب المتفرِّق فيَجعله[8] طينًا، ورَفْعِ البناء مِن مكان ووَضْعِه في مكان آخر، وغير ذلك مِن جَمْع بعضٍ إلى بعضٍ وتركيبِ بعضٍ على بعضٍ. فدلّ أنّ الأعجوبة في ردّ ما ذهب كلّه حتى لم يَبْقَ له أثر، لا في جَمْع ما تفرّق. ***والله أعلم.***

وقوله: **ثم يبعثكم فيه**، أي[9] يُوقِظكم ويَرُدّ إليكم أرواحَ الحواسّ، **لِيُقْضَى أجلٌ مسمى**، أي مُسَمَّى العمر إلى الموت. **ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون**، خرج هذا على الوعيد لما ذكرنا ليكونوا على حذر.

---

[1] ك: لا نخرج؛ ن ع: لا يخرج.
[2] ﴿هو لذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[3] ك - لنوم بالليل والجرح بالنهار فهو كقوله تعالى وجعل النهار مبصرًا ليس أن لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار لما أن الغلب.
[4] ك: أن يكون.
[5] ن ع: فيما يخرجون.
[6] ك ع م - شيء.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[8] ك: فتجعله.
[9] ع - أي.

وقوله: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، وقوله: وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[1] [أي] يَعلم كلَّ ما يَغيب عن الخلق ولا يخفى عليه شيء؛ لأنه عالمٌ بذاته لا يَحْجُبُه[2] شيء. ليس كعِلْمِ مَن يَعلم بغيره،[3] فيحول بينه وبين العلم بالأشياء الحُجُب والأستار. فأما الله سبحانه وتعالى عالمٌ بذاته لا يَعْزُبُ[4] عنه شيء، ولا يكون له حجابٌ عن شيء.

**﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٦١]**

وقوله: **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة**، فيه جميع ما يحتاج أهل التوحيد في التوحيد، لأنه أخبر أنه قاهرٌ لِخَلْقِه وهم مقهورون، ومن البعيد أن يُشبِه القاهرُ المقهورَ بشيء، أو يشبه المقهورُ القاهرَ بوجه، أو يكونَ المقهورُ[5] شريكَ القاهر في معنى، لأنه لو كان شيء من ذلك لم يكن قاهرا[6] من جميع[7] الوجوه، ولا كان الخلق مقهورًا في الوجوه كلها. فإذا كان[8] الله قاهرًا بذاته الخَلْقَ كلّه حتى[9] كان آثارُ قهرِه فيهم ظاهرة، وأعلامُ سلطانِه فيهم بادية،[10] دل على تعاليه عن الأشباه والأضداد، وأنه كما وصف: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[11]

وقوله: **وهو القاهر فوق عباده**، يكون على وجهين. أحدهما **وهو القاهر** وهو **فوق عباده**. والثاني على التقديم والتأخير: وهو فوق عباده القاهر. ويحتمل قوله: **فوق عباده**، بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم، كقوله: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ،[12] أي بالنصر والمعونة والعظمة والرِّفْعَة والجلال ونفاذ السلطان والربوبية.

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٦٠.
[2] ك: ولا يحجبه.
[3] ك ن ع: بغير.
[4] معناه لا يغيب عن علمه شيء، وفيه لغتان، عَزَب، يَعْزِب ويَعْزُب: إذا غاب (*لسان العرب* لابن منظور، «عزب»).
[5] ع م – المقهور.
[6] ع: قاهر.
[7] ع: في جميع.
[8] ع: فإذ كان.
[9] ع م – حتى.
[10] ن: بادئة.
[11] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[12] سورة الفتح، ٤٨/١٠.

وقوله: **ويرسل عليكم حَفَظَة،** أخبر أنه القاهر فوق عباده، وأنه أرسل عليهم الحَفَظَة، ليعلموا أن إرسال الحفظة عليهم لا لِحاجةٍ له، ولكن لِحاجةٍ لهم[1] في ذلك، لِمَا أخبر أنه قاهرٌ فوقَ عباده، ولو كان ذلك لِحاجةٍ له[2] لم يكن قاهرا، لأنّ كلّ مَن وقعت له حاجة صار مقهورا تحت قهرٍ آخر. فالله تعالى يَتعالى عن أن تمسّه حاجة أو يصيبه شيء مما يصيب الخلق، بل إنما أرسلهم عليهم لحاجة الخلق؛ إمّا امتحانًا مِنه للحَفَظَة على محافظة أعمال العباد والكتابة / عليهم [٢١٣ظ] من غير أن تقع[3] له في ذلك حاجة، يمتحنهم على ذلك، ولله أن يمتحن عباده بما شاء من أنواع المحن، وإن أكرمهم ووصفهم بالطاعة في الأحوال كلها بقوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[4] وغير ذلك من الآيات. والثاني يرسلهم[5] عليهم بمحافظة[6] أعمالهم والكتاب عليهم ليكونوا على حَذَرٍ في ذلك. وذلك في الزجر أبلغ وأكثر، لأن مَن عَلِم أنّ عليه رقيبًا في عمله وفِعله كان أحذر في ذلك[7] العمل وأنظر[8] فيه، وأحفظ له ممّن لم يكن عليه ذلك، وإن كان يعلم كل مسلم أن الله عالم الغيب لا يخفى عليه شيء، عالمٌ بما كان منهم وبما يكون[9] أنْ كيف[10] يكون ومتى يكون.

ثم اختلف في الحَفَظَة ههنا. قال بعضهم: هم الذين قال الله [فيهم]: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[11] يكتبون أعمالهم ويحفظون عليهم. وقال آخرون: هم الذين يحفظون أنفاس الخلق ويَعُدُّون عليهم إلى وقت انقضائها وفنائها، ثم تُقبَض منه الروح ويموت؛ ألا ترى[12] أنه قال على أثره: **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يُفَرِّطون،** دل على أن الحَفَظَة ههنا هم الذين سُلِّطوا على حفظ الأنفاس والعَدّ عليهم إلى وقت الموت. ***والله أعلم.***

---

[1] ك – ولكن لحاجة لهم.

[2] ع م – ولكن لحاجة لهم في ذلك لما أخبر أنه قاهر فوق عباده ولو كان ذلك لحاجة له.

[3] ك: أن يقع.

[4] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[5] جميع النسخ: يرسله.

[6] ك ن: على محفظة.

[7] ك – وذلك في الزجر أبلغ وأكثر لأن من علم أن عليه رقيبا في عمله وفعله كان أحذر في ذلك.

[8] ع: إذ نظر.

[9] ع: وبما كان.

[10] ع م – كيف.

[11] سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢.

[12] ع: الى ترى.

ثم في[1] قوله: **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**، دلالة خلق أفعال[2] العباد، لأنه ذكر مجيء الموت وتوفيَ الرسل وقال: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ.[3] ومجيء الموت هو بتوفي الرسل، وتوفي الرسل[4] هو مجيء الموت.[5] ثم أخبر أنه خلق الموت،[6] دل أنه خَلَقَ تَوَفِّيَهم.[7] فاحتال بعض المعتزلة في هذا وقال: إن الملك هو الذي ينزع الروح ويجمعه في موضع،[8] ثم إن الله يُتلفه ويُهلكه. فلإن كان ما قال فإذًا لا يموت بِتَوَفِّي الرسل أبدا، لأنهم إذا نَزَعوا وجمعوا [الروح] في موضعٍ يزداد حياة الموضع الذي جمعوا فيه، لأنه اجتمع كلّ روح النفْس في ذلك الموضع،[9] فإن لم يكن دلّ أنّ ذلك خيال، والوجه فيه ما ذكرنا من الدلالة، وهو ظاهر بحمد الله، يَعرفه كلّ عاقل يتأمل فيه و لم يعاند.[10] *وبالله التوفيق*.

ثم اختُلف في قوله: **توفته رسلنا**، قال بعضهم: هو ملك[11] الموت وحده، وإن خرج الكلام مخرج العموم بقوله: **رسلنا**، والمراد منه الخصوص؛ ألا ترى[12] أنه قال في آية أخرى: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ،[13] أخبر أنه هو المُوكَّل والمُسلَّط على ذلك. وقال آخرون: يتوفاه أعوان ملك[14] الموت [وينزعون الروح إلى موضع الخروج]،[15] ثم يَقبضه ملك الموت ويتوفاه. وقال قائلون:[16] يكون معه ملائكة تقبض الأنفس،[17] ويتوفاه ملك الموت.

---

[1] م – في.
[2] ع – أفعال.
[3] ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (سورة الملك، ٦٧/١-٢).
[4] ع م – وتوفي الرسل.
[5] ن: الوقت.
[6] ن + والحياة.
[7] ع: توفهم.
[8] ك – موضع.
[9] ن ع م – الموضع.
[10] ع: ولم يعاندوا.
[11] ك: ذلك.
[12] ك: ألا يرى.
[13] سورة السجدة، ٣٢/١١.
[14] ك: ذلك.
[15] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢ظ.
[16] ك: آخرون.
[17] ع م: الأنفس.

لكن ذلك لا ندري[١] أن كيف هو، وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة، ولكن إلى معرفة ما ذكرنا.

وقوله: **وهم لا يُفَرِّطون**، فيه إخبار عن شدة طاعة الملائكة ربهم، وأن الرأفة لا تأخذهم فيما فيه تأخير أمر الله وتفريطه، لأن من دخل على من في النَّزْع أَخذَتْه مِن الرَّأفة ما لو مَلَكَ حياته لَبَذَلَ له. فأخبر[٢] عز وجل[٣] أنهم لا يُفرِّطون فيما أُمروا به[٤] ولا يؤخرونه لتعظيمهم أمرَ الله وشدةِ طاعتهم له. وعلى ذلك وَصَفَهم: غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[٥] وقال[٦] عز وجل: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[٧] وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ.[٨]

**﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٦٢]**

وقوله عز وجل: **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**، ذكر الرد إلى الله وأنه[٩] مولاهم الحق وإن كانوا في الأحوال كلها مردودين إلى الله وكان مولاهم الحق في الدنيا والآخرة. وكذلك قوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[١٠] وكذلك قوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ،[١١] كان الملك له في الدنيا والآخرة، وكانوا بارزين له جميعًا في الأوقات كلها، لِمَا كانوا أصحابَ الشكوك، فارتفع ذلك عنهم وخَلَصَ بُروزُهم ورَدُّهم إلى الله خالصًا لا شك فيه. وكذلك كان المُلْكُ له[١٢] في الدنيا والآخرة وفي الأيام[١٣] كلها، لكن نازَعَ غيرُه في المُلك في الدنيا، ولا أحدَ يُنازِعه في ذلك اليوم في الملك،[١٤] فقال: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[١٥] وعلى ذلك قوله: **مولاهم الحق**،

---

[١] ن: لا تدري.
[٢] ك: وأخبر.
[٣] ن: عن رجل.
[٤] ع م - به.
[٥] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[٦] ن + الله.
[٧] سورة الأنبياء، ٢٧/٢١.
[٨] سورة الأنبياء، ١٩/٢١.
[٩] ن - وأنه.
[١٠] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[١١] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١٢] ن م - له.
[١٣] جميع النسخ: وهي الأيام.
[١٤] ن - في الملك.
[١٥] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.

كان مولاهم الحق في الأوقات كلها والأحوال، ولكن عند ذلك يَظهر لهم أنه كان مولاهم الحقّ.

وقوله: **ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**،[1] يحتمل رُدُّوا[2] إلى ما وَعد لهم وأَوعد.

وقوله عز وجل: **ألا له الحكم**، يحتمل قوله: **ألا له الحكم**. في تأخير الموت والحياة وقَبْضِ الأرواح وتَوَفِّي الأنفس. ويحتمل قوله:[3] **له الحكم**، في التعذيب في النار والثواب والعقاب، ليس يَدفع ذلك عنهم دافعٌ سِواه، ولا يُنازِعه أحدٌ في الحكم.

**وهو أسرع الحاسبين**، عن الحسن[4] قال: هو[5] سريع العقاب، لأنه إنما يحاسب ليعذب، كما روي: «مَن نُوقِش الحسابَ عُذِّب».[6] **وهو أسرع الحاسبين**، لأنه لا يحاسب عن حِفظ ولا تَفكُّر، ولا يَشْغَلُه شيءٌ، وأمّا غيرُه فإنما يحاسب عن حِفظ وتَفَكُّر وعن شُغْل، فهو **أسرع الحاسبين**، إذ لا يشغله[7] شيء.

**﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٦٣] ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**، ليس هذا على الأمر له[8] ولكن على المحاجة؛ كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ،[9] ليس على الأمر بالسَّير في الأرض، ولكن على الاعتبار بأولئك الذين كانوا مِن قَبْلُ، والنَّظَرِ في آثارهم وأعلامهم أنْ[10] كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وماذا أصابهم بذلك.

---

[1] ن + كان مولاهم الحق في الأوقات.

[2] ن – ردوا.

[3] ك ن – قوله.

[4] ن: وعن الحسن.

[5] ن – هو.

[6] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن حُوسِب يوم القيامة عُذِّب»، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فسوف يُحاسَب حِسابًا يَسِيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٨)؟ فقال: «ليس ذاك الحِساب، إنما ذاك العَرْض، مَن نُوقِش الحِساب يوم القيامة عُذِّب» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٤٩؛ وصحيح مسلم، الجنة ٧٩). والآية التي احتجت بها عائشة رضي الله عنها في شأن مَن أُوتِيَ كِتابَه بِيَمِينه هي قول الله تعالى: ﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَه بِيَمِينه فسوف يُحاسَب حِسابًا يَسِيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٧-٨).

[7] ع م: وإذ لا يشغله.

[8] ن – له.

[9] سورة الروم، ٤٢/٣٠.

[10] م – أن.

فعنى ذلك هذا فيه[1] الأمر بالمحاجة معهم في آلهتهم أنه **من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**، آلهتُكم التي تعبدون من دون الله وتشركونها في ألوهيته وربوبيته أو اللهُ الذي خلقكم؟ فسَخَّرهم حتى قالوا:[2] هو الذي ينجينا من ذلك. فقال: **قل الله ينجيكم منها ومن كل كَرْب**، فإذا كان هو الذي ينجيكم مِن هذا لا آلهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي ينجيكم من كل كَرْب ومن كل شدة. ويحتمل قوله تعالى: **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**، أي لا أحدَ **ينجيكم من ظلمات البر والبحر**،[3] كقوله: وَمَنْ أَظْلَمُ،[4] أي لا أحد أظلم. [ثم إنكم] تخافون[5] على آلهتكم[6] الهلاك كما تخافون على أنفسكم، فلا أحدَ سِواه ينجيكم من ذلك ومن كل كرب. قال أبو بكر الكيساني:[7] هم عرفوا في الدنيا أنه هو الذي ينجيهم من ذلك كله، وهو الذي يعطي لهم ما أُعْطُوا، بما قامت عليهم الحجج، ولم يعرفوا أنه هو الذي ينجيهم في الآخرة ويهلكهم. وهو هكذا، عرفوا الله في الدنيا ولم يعرفوه في الآخرة. [٢١٤و]

ثم اختلف في **ظلمات البر والبحر**. قال بعضهم: الظلمات هي الشدائد والكروب التي تصيبهم بالسلوك في البر والبحر. وقال آخرون: الظلمات هي الظلمات،[8] لأن أسفار البحار والمَفاوِز[9] إنما تُقْطَع بأعلام السماء، فإذا أظلم السماء بَقُوا مُتحيّرين، لا يعرفون إلى أيِّ ناحيةٍ يَسلُكون، ومِن أيِّ[10] طريقٍ يأخذون،[11] فعند ذلك يدعون الله **تضرعًا وخُفية**. قال الحسن: التضرع هو ما يُرفَع به الصوت، والخُفية هي[12] ما يُدعَى سِرًّا، وهو من الإخفاء.[13]

---

[1] ن: وفيه.
[2] ن ع + الله هو الذي خلقكم فسخرهم حتى قالوا.
[3] ع – أي لا أحد ينجيكم من ظلمات البر والبحر.
[4] ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ (سورة الأنعام، ٢١/٦).
[5] جميع النسخ: ممن تخافون. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٣و.
[6] ع: على على آلهتكم.
[7] ك: ليساني.
[8] ع م – هي الظلمات.
[9] جمع مَفازَة بمعنى الصحراء والبَرِّية التي لا ماء فيها. سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها (*لسان العرب* لابن منظور، «فوز»).
[10] م – أي.
[11] ع: تأخذون.
[12] ك ن: هو.
[13] *روح المعاني* للالوسي، ١٧٩/٧.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "تدعونه تضرعا وحِيفَة"،[1] وهي[2] من الخوف. قال الكَلْبي: في خفضٍ[3] وسُكونٍ وتضرعٍ إلى الله.

وقوله عز وجل: **لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**، قال أبو بكر: قوله:[4] **لنكونن من الشاكرين**، أي لا نُوجّه الشكرَ إلى غيرك.[5] والشكر ههنا هو التوحيد، أي **لئن أنجيتنا من هذه لنكونن** مِن الموحّدين لك مِن بَعْد، لأنهم كانوا يوحّدون الله في ذلك الوقت، لكنهم إذا نَجَوا مِن ذلك أشركوا غيره في ألوهيته؛ ألا ترى أنه قال: **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون**.

وقوله عز وجل: **ثم أنتم تشركون**، بَعْدَ عِلمِكم أنّ الأصنام التي تعبدونها لم تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى إلى الله. يَذكُر سَفَهَهم في عبادتهم الأوثان على عِلمٍ مِنهم أنها لا تَشفع لهم،[6] ولا تملك دفع شيء عنهم.

**﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾**[٦٥]

وقوله عز وجل: **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**، اختُلف في نزول الآية فيمن نزلت. قال بعضهم: نزلت في مشركي العرب، وهو قول أبي بكر[7] الأصم، لأنها نزلت على أثر آيات نزلت في أهل الشرك، مِن ذلك قولُه: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[8] وقولُه: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ،[9] الآية، وقولُه: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً -إلى قوله تعالى- ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ.[10] هذه الآيات كلها نزلت في أهل الشرك،

---

[1] ن: وخفية؛ صح ه؛ ع م: وخفية. نسبت هذه القراءة إلى الأعمش. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٧.
[2] ك ن: وهو.
[3] ن: في حفظ.
[4] ك ن – قوله.
[5] ع: إلى غير.
[6] ع م – لهم.
[7] ع: أبو بكر.
[8] سورة الأنعام، ٥٠/٦.
[9] سورة الأنعام، ٤٦/٦.
[10] سورة الأنعام، ٦١/٦-٦٢.

فهذه كذلك نزلت فيهم، لأنها ذُكِرت على أثرها، ولأن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الشرك، إلا آيات منها نزلت في أهل الكتاب، وسورة المائدة نزل أكثرها في مُحاجَة أهل الكتاب، لأنه يُذكَر فيها: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ.[١] ومنهم من يقول: نزلت في أهل الإسلام، وهو قول أبي بن كعب، وقال: هنّ أربع، فجاء منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم، أُلبِسهم شِيَعًا، وأُذِيق بعضُهم بأسَ بعض. أمّا لَبْس الشِّيَع هي الأهواء المختلفة، **ويذيق بعضكم بأس بعض**، هو السيف والقتل، هذان[٣] قد كانا في المسلمين، وبقي ثنتان لا بُدّ واقعتان.[٤] ومنهم من يقول: كان[٥] ثنتان في المشركين من أهل الكتاب، وثنتان في أهل الإسلام، وهو قول الحسن، قال: قد ظهر في أهل الإسلام الأهواء المختلفة والقتل والفتن، وأمّا اللذان في أهل الشرك من أهل الكتاب هو الخسف في الأرض والحجارة من السماء.[٦]

ثم اختلف في قوله: **عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **عذابًا من فوقكم**، أي مِن أمرائكم، **أو من تحت أرجلكم**، أي مِن سَفَلَتِكم، لأن الفتن ونحوها إنما تَهِيج مِن الأمراء الجائرة[٧] ومِن أتباعهم. وقوله: **أو يلبسكم شيعًا**، قال: الأهواء المختلفة. وقوله تعالى: **ويذيق بعضكم بأس بعض**، أي يُسلِّط[٨] بعضكم[٩] على بعض بالقتل[١٠] والعذاب.[١١]

ومَن قال بأن الآية نزلت في أهل الشرك يقول: كان في أَشْياعِهم ذلك كُلُّه. أمّا العذاب مِن الفوق هو الحَصْب بالحجارة كما فُعِل بقوم لوط، ومِن تحت أرجلهم هو الخَسْف[١٢]

---

[١] سورة المائدة، ٥/٥٩، ٦٨، ٧٧.
[٢] ك: النبي.
[٣] ع: هذان.
[٤] وفسر الثنتين لباقيتين بالخسف والمسخ. وقيل: الرجم. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٢؛ والدر المنثور لسيوطي، ٣/٢٨٤.
[٥] ع – كان.
[٦] عن الحسن في قوله: ﴿عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾، قال: هذا للمشركين، ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾، قال: للمسلمين. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٣/٢٩٠.
[٧] ن: الجائرة.
[٨] ن ع: أي تسلط؛ م: أي نسلط.
[٩] جميع النسخ: عليهم.
[١٠] جميع النسخ: القتل.
[١١] *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٣/٢٨٣.
[١٢] جميع النسخ: وهو الخسف.

كما فُعِل بقارون ومَن معه. وقوله: **أو يلبسكم شيعًا**، يقول: فِرَقًا وأحزابًا، وكانت اليهود والنصارى فِرَقًا مختلفة، اليهود فِرَقًا والنصارى[١] كذلك، كقوله: وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،[٢] وقوله: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[٣] وقوله: **ويذيق بعضكم بأس بعض**، هو الحرب والقتال. وقول الحسن ما ذكرنا، أنه ظَهَر في أهل الإسلام الأهواء المختلفة وظَهَر[٤] الحرب والقتال،[٥] وأمّا الخَسْف والحَصْب[٦] فلم يَظْهَر، فهو في أهل الشرك.

ويحتمل قوله: **عذابًا** [**مِن فوقكم**، أي عذابا][٧] من السماء أرسلها عليكم،[٨] لأنهم قد أقرّوا أنه هو[٩] رَفَع السماء،[١٠] فمَن قَدَر على رفع شيء يَقدر على إرساله. وقوله: **أو مِن تحت أرجلكم**، [هو طَيّ الأرض والخَسْف بهم]،[١١] لأنهم عرفوا أنه بَسَط الأرض،[١٢] ومَن مَلَكَ بَسْطَ شيء يَملك طَيّه ويَخسف بهم.

وقوله عز وجل: **انظر كيف نُصَرِّف الآيات**، قيل: أي نُرَدِّد الآيات، لِيَعلم[١٣] كلُّ مَن دبّرها،[١٤] أو نقول:[١٥] **كيف نصرف الآيات**، ليعلم كلُّ صِدْقَها وحقيقتَها أنها مِن الله جاءت. **لعلهم يفقهون**، يحتمل وجوهًا. صَرَّفها لِيَفقهوا، / وذلك يرجع إلى المؤمنين خاصة. والثاني **لعلهم يفقهون**، أي ليلزمهم[١٦] أن يفقهوا، وقد ألزم الكل أن يفقهوا، [٢١٤ظ]

[١] ع: وفرقا النصارى.
[٢] سورة المائدة، ٦٤/٥.
[٣] سورة المائدة، ١٤/٥.
[٤] ن: واظهر.
[٥] ك ع م: والقتل.
[٦] ع: والخصب.
[٧] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٣و.
[٨] جميع النسخ: عيهم.
[٩] ن ع م - هو.
[١٠] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سألتهم مَن خلَق السماوات والأرض لَيَقولُن الله﴾ (سورة لقمان، ٢٥/٣١)، ونحو ذلك من الآيات.
[١١] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٣ظ.
[١٢] لعله يشير إلى الآية المذكورة في الحاشية آنفا، ونحو ذلك من الآيات.
[١٣] ن ع م - ليعلم.
[١٤] جميع النسخ: من دخره.
[١٥] م: أو يقول.
[١٦] ك: أي لزمهم.

لكن من لم يفقه إنما لم يفقه لأنه نظر إليه بعين الاستخفاف.[١] والثالث **نصرف الآيات**، أي نصرف [الآيات] للرسول[٢] ويُبَلِّغُها[٣] إليهم على رجاء[٤] أن يفقهوا، [أي] لكي يفقهوا إن نظروا فيها وتأملوها، وذكر "لعل" لأن منهم مَن فَقِه ومنهم مَن لم يَفْقَه.

[٢١٤ظ س١١ *وفي قوله: **أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**، دلالةُ نَقْضِ[٥] قول[٦] المعتزلة، لأنّا نَعلم أنّ للخَلْق حقيقةَ الفعل في القتل والحرب والأهواء المختلفة، ثُم أضاف ذلك إلى نفسه، دلّ أنّ له صُنعًا في أفعالهم، وليس كما تقول المعتزلة: إنّه[٧] لا يملك ذلكْ. وكذلك ما ذكر مِن إضافة تلبيس الشِّيَع إليه رَدٌّ لقولهم، لأنهم يقولون: هم يختلفون، وقد أَخبر أنّه هو يَجعلهم شِيَعًا. وذلك ظاهر النقض عليهم، لأنه أَخبر أنه يُذيق بعضَهم بأسَ بعض، وهم يقولون: هو لا[٨] يُذيق، ولكن ذلك القاتل أو الضارب أو المُعذِّب هو يُذيقهم دون رب العالمين. وكذلك قوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ،[٩] وهم يقولون: هو لا[١٠] يعذبهم، ولكن الخَلْق يُعذِّبونهم. وكذلك قوله: أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[١١] وهم يقولون: هو لا[١٢] يمك تعذيبهم بأيديهم، وذلك رَدٌّ[١٣] لظاهر الآية، وتركُها جانبا.[١٤]* ٢١٤ظ س١٨]

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٦٦]

**وكذب به قومك**، يحتمل به، بالقرآن، ويحتمل بما ذكر من الآيات، ويحتمل الإيمان به والتوحيد.

---

[١] ك: الاستحقاق.
[٢] جميع النسخ: الرسول.
[٣] ك ع م: ونبلغها.
[٤] ع: على حاء.
[٥] ن: تنقض.
[٦] ع م – قول.
[٧] ع م: لأنه.
[٨] ن: هؤلاء.
[٩] سورة التوبة، ١٤/٩.
[١٠] ن ع: هؤلاء.
[١١] سورة التوبة، ٥٢/٩.
[١٢] ع م: هؤلاء.
[١٣] ع: ردا.
[١٤] ن: حايا؛ ع: خائ؛ م: حايا.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية ٦٧، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢١٤ظ سطر ١١-١٨.

[٢١٤ط س١١] *ويحتمل قوله: **وكذب به قومك**، أي بما كان وَعد وأَوعد. **والله أعلم**.*

**وهو الحق**،[1] [أي] **وكذب به قومك** وهم أَحَقّ أن يُصدّقوك بما جئت به وأنبأتهم،[2] لأنك نشأت بين أظهرهم فلم يؤخذ[3] عليك[4] كذبٌ قط، ولا رأوك أنْ تختلف[5] إلى أحدٍ يُعلّمك، فهم أحق أن يُصدّقوك بما جئت به وأنبأتهم.[6] **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **قل لست عليكم بوكيل**، قال عامة أهل التأويل: الوكيل الحفيظ، والوكيل هو القائم في الأمر، أي لستُ بقائم عليكم لأُكْرِهَكم[7] على التوحيد والإيمان شئتم أو أبيتم، ولستُ بحافظ على أعمالكم، إنما عليَّ التبليغ، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[8]

**﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **لكل نبأ مستقر**، قال بعضهم: لكل أمر حقيقة. وقيل: لكل خبر[9] غاية ينتهي إليه. ويحتمل أن يكون صلة قوله: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ؛[10] **لكل نبأ مستقر**، أي لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ،[11] لكن **لكل نبأ مستقر**، في أنْ أغنمَ أموالَكم وأَسْبِي ذَرارِيَكم، كقوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ.[12]

**﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٦٨]**

**وقوله عز وجل: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره**،

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢١٤ط/سطر ١١.

[1] ك ن + ثم قوله.

[2] ن: وأنبائهم؛ ع: وأبنايهم.

[3] ن ع م: فلم يأخذ.

[4] ع م - عليك.

[5] ع: أن يختلف.

[6] ن: وأنبائهم؛ ع: وأبنائهم.

[7] ن - لأكرهكم.

[8] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[9] ن: خير + عاقبة؛ ع: خيرا.

[10] الآية السابقة.

[11] ع - لكل نبأ مستقر أي لست عليكم بوكيل.

[12] سورة الغاشية، ٢٢/٨٨-٢٣.

يُشبه أن يكون قوله: **يخوضون في آياتنا،**[١] أي يكفرون بها ويستهزئون بها، كما قال في سورة النساء: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا،[٢] فيكون خوضهم[٣] في الآيات[٤] الكفر بها والاستهزاء بها؛ ويكون قوله تعالى: **فأعرض عنهم،** أي لا تقعد معهم، كما قال:[٥] فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ.[٦]

وقوله عز وجل: **فأعرض عنهم،** يحتمل النهي عن القعود معهم، على ما ذكرنا من قوله: فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ. ويحتمل الإعراضُ الصفحَ عنهم وترك المحازاة لمساوئهم، كقوله تعالى: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ،[٧] وكقوله[٨] تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا،[٩] وفيه الأمر بالتبليغ، فيُنهَى عن القعود معهم ويُؤمَر[١٠] بالتبليغ.

وقوله عز وجل: **وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين،** معناه -والله أعلم- أن الشيطان إذا أنساك القعود معهم فلا تقعد بعد ذكر الذكرى. ومعنى النهي بعد ما أنساه الشيطان أي لا تكن[١١] بالمحلّ الذي يجد الشيطان إليك سبيلا في ذلك.

**﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٦٩]**

وقوله عز وجل: **وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء،** قيل: فيه رخصة الجلوس معهم، وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١٢] ثُم نُسِخ ذلك بقوله تعالى: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ،[١٣] وكان النهي عن مجالستهم

---

[١] ك + أن يكون.
[٢] سورة النساء، ١٤٠/٤.
[٣] ع م: الخوض.
[٤] ع م: في آيات.
[٥] ع + الله تعالى.
[٦] سورة النساء، ١٤٠/٤.
[٧] سورة الزخرف، ٨٩/٤٣.
[٨] م: كقوله.
[٩] سورة النساء، ٦٣/٤.
[١٠] ن ع م: والأمر.
[١١] ك: لا يكن.
[١٢] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[١٣] سورة النساء، ١٤٠/٤.

ليس للجلوس[١] نفسه، ولكن ما ذكرنا مِن خوضهم في آيات الله بالاستهزاء بها والكفر بها[٢] هو الذي كان يحملهم على ذلك، ليس أنْ لا يجوز أن تجالسوهم.[٣] وكذلك ما نهانا أن نَسُبَّهم[٤] ليس أنْ لا يجوز لنا أن نَسُبَّهم، ولكن لِمَا كان سَبُّنا[٥] إيّاهم هو الذي يحملهم على سب الله.

**ولكن ذكرى لعلهم يتقون**، يحتمل النهي عن القعود معهم[٦] وجوها. [أحدها] نُهي هؤلاء عن القعود معهم[٧] لِمَا كان أهل النفاق يجالسونهم ويستهزئون بالآيات ويكفرون بها، فنُهي هؤلاء عن ذلك ليرتدع أهل النفاق عن مجالستهم.[٨]

والثاني أنه نَهى المؤمنين عن مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياءً منهم، لأنهم لو امتنعوا عن مجالستهم فيمنعهم ذلك عن الاستهزاء بها والكفر بها لِمَا كانوا[٩] يرغبون في مجالسة المؤمنين، فيتذكرون عند قيامهم عنهم، فيتقون الخوض والاستهزاء. أو لِمَا يخافون[١٠] أن يُعرَفوا[١١] في الناس بترك مجالستهم المؤمنين، فيحملهم ذلك على الكفّ عن الاستهزاء بالآيات وبرسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا**، أي وذر الذين اتخذوا لعبًا ولهوًا دِينًا،

---

[١] جميع النسخ: الجلوس.

[٢] ن – والكفر بها.

[٣] ك: أن يجالسوهم. وعبارة الشارح هكذا: «وكان النهي عن مجالستهم ليس للجلوس نفسه، ولكن ما ذكرنا من خوضهم في آيات الله بالاستهزاء والكفر بها؛ حتى إذا كان المرء يمكنه الإنكار عليهم في صنيعهم ودعوتهم إلى الحق لا يُنهى عن ذلك، بل يُؤمَر به، ولكن لمّا كان لا قدرة له على الإنكار عليهم يصير جلوسه معهم كالحامل لهم على الاستهزاء بآيات الله تعالى والاستخفاف بها ليَسمعه فيتألم به، فيُنهى عن ذلك» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٤و).

[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تَسُبُّوا الذين يَدعُون مِن دون الله فيَسُبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٨).

[٥] ع: سببا.

[٦] ع: عن العقود ومعهم.

[٧] ن – معهم.

[٨] ع: في مجالستهم.

[٩] ع: بما كانوا.

[١٠] م: ولا يخافون.

[١١] ع: أن يعرفون؛ م: أن يعرفوك.

على التقديم والتأخير. والثاني اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا[١] يفارقوا[٢] اللعب واللهو، لأن الدين[٣] إنما يُتَّخذ للأبد، فعلى ذلك اتخذ أولئك ، اللعب واللهو للأبد كالدين. ثم هو[٤] [٢١٥و] يخرج على وجوه. أحدها[٥] **اتخذوا دينهم** عبادةَ ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم. ومَن عَبَد مَن[٦] هذا وَصْفُه واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب.

والثاني **اتخذوا دينهم** ما هَوَتْه أنفسُهم ودَعَتْهم الشياطينُ إليه، ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه إليه فهو عابث لاعب.

والثالث صار دينهم لَعِبًا وعَبَثًا، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث، ومن لم يَقصِد بدينه الذي دان به عاقبةً فهو عابث مبطل، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[٧] الآية، صَيرّ عدمَ الرجوع إليه عَبَثًا.

وقوله: **وغَرّتهم الحياة الدنيا**، أي شَغَلهم ما اختاروا من الحياة الدنيا والمَيْل إليها عن النظر في الآيات والبراهين والحجج. أو أن يكون قوله: **وغرتهم**، أي اغترّوا **بالحياة الدنيا**، أضاف التغرير إلى الحياة الدنيا لِمَا بها[٨] اغترّوا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وذَكِّرْ به أنْ تُبسَلَ نفسٌ بما كسبت**، قيل: **وذكر به قبل أن تبسل نفس بما كسبت**. وقيل: **وذكر به أن لا تبسل نفس بما كسبت**.[٩] وإنما يُذَكِّرهم[١٠] بهذا لأنْ لا يقولوا غدًا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ.[١١] وأصل الإبسال الإهلاك أو الإسلام للجناية والهلاك. ثم اختُلف في قوله: **أن تبسل نفس بما كسبت**، عن ابن عباس قال: أنْ تُفضَح نفس بما كسبت.[١٢]

---

[١] ع – حتى لا.
[٢] ع: أن يفارقوا.
[٣] ع: الذي.
[٤] ك – هو.
[٥] ع: أحدهما.
[٦] ك: ومن عبدهن؛ ن ع: ومن عند من؛ م: ومن عندهن.
[٧] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجَعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[٨] ك – لما بها.
[٩] ك ع م – وقيل وذكر به أن لا تبسل نفس بما كسبت.
[١٠] ع: يذكر.
[١١] اقتباس من قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنْ تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٢/٧).
[١٢] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢٩٤/٣.

وقيل: **تُبسَل**، تؤخذ وتُحبَس، وهو قول قتادة،[1] وكذلك قال[2] في قوله: **أُبسِلوا بما كسبوا**، أي حُبسوا بما كسبوا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أُبسِلوا**، أي فُضحوا، على ما قال في **تُبسَلَ**.[3] وعن الحسن: **تُبسَلَ** تُسلَم.[4] وعن مجاهد كذلك.[5] قال أبو عَوْسَجة: **تُبسَل نفس**، أي تُسلَم، وذلك أنّ الرجل يَجني جناية فيُسَلَّم إلى أهل الجناية. وقال القتبي: **تُبسَل**،[6] أي تُسلَم لِلهَلَكة.[7] وعن الكسائي: **تُبسَل**، تُجزَى نفس بما كسبت. وقال الفراء: **تُبسَل**، تُرْتهَن.[8] وأصل الإبسال هو الإسلام. وتفسيره[9] ما ذكر على أثره، وهو قوله: **ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع**، كما يكون بعضهم[10] شفيعًا لبعض في الدنيا وأعوانًا لهم وأنصارًا في دفع المضار والمظالم عنهم وجَرِّ المنافع إليهم، وأمّا في الآخرة فإن كل نفس تُسلَم بما كسبت، لا شفيعَ لها ولا ولي، كقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[11] وكقوله: وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً،[12] وغير ذلك من الآيات، تُسلَم كل نفس إلى كَسْبِها، لا شفيعَ لها ولا ولي.

وقوله: **وذكّر به**، يحتمل بالقرآن والآيات. ويحتمل **به**، أي بالله، أي عِظْ به أنْ تهلَكَ نفس بما كسبت.

وقوله عز وجل: **وإن تَعدِلْ كلَّ عَدْلٍ لا يؤخذ منها**، اختلف فيه. قال بعضهم: العَدل الفداء، يقول: وإن فَدَتْ نفسٌ[13] كلّ الفداء لتتخلّص[14] ممّا حلّ[15] بها لم يؤخذ[16] ولم يُقبَل منها ذلك.[17]

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢٩٥/٣.

[2] ن – قال.

[3] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٧؛ والدر المنثور للسيوطي،٢٩٤/٣.

[4] *تفسير الطبري*، ٢٣١/٧.

[5] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧.

[6] ع م – تسلم وعن مجاهد كذلك قال أبو عوسجة تبسل نفس أي تسلم وذلك أن الرجل يجني جناية فيسلم إلى أهل الجناية وقال القتبي تبسل.

[7] والهلكة: الهلاك. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٤.

[8] جميع النسخ: توهن.

[9] ك – وتفسيره، صح هـ.

[10] ن: بعضكم.

[11] سورة عبس، ٣٤/٨٠.

[12] سورة البقرة، ١٦٧/٢.

[13] ك – نفس.

[14] ن ع م: ليتخلص.

[15] ع م: ما حمل.

[16] ع: يؤخذ.

[17] م – ذلك.

وقال الحسن: العَدْل كل عمل البر والخير، أي[1] وإن عَمِلَتْ كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لم يُقبَل منها ذلك. يخبر أنّ الدار الآخرة ليست بدار العمل ولا يُقبَل فيها الرِّشَى[2] كما يُقبَل[3] في الدنيا، وأخبر أنْ لا يكونُ شفعاء يشفعون لهم ولا أولياء ينصرونهم؛ ليس كالدنيا، لأن مَن أصابه في هذه الدنيا شيء أو حَلّ به عذاب أو غَرامة فإنما يَدفعه[4] بإحدى هذه الخلال الثلاثة، إمّا[5] بشفعاء يشفعون له[6] أو بأولياء ينصرونه أو بالرِّشَى. فأخبر أنّ الآخرة ليست بدارٍ تُقبَل[7] فيها الرِّشَى فتدفع ما حل بهم، أو أولياء[8] ينصرونهم في دفع ذلك عنهم، أو شفعاء يشفعون لهم.[9]

فإن قيل: ما معنى ذِكْرِ العَدْل والفِداء وليس عنده ما يَفْدِي ولا [ما] يَبْذُل،[10] وما يُمكَّن[11] مِن العمل؟

قيل: معناه -والله أعلم- أي لو مُكِّن لهم مِن الفِداء ما يَفْدُون في دفع ذلك[12] عن أنفسهم ومُكِّن هم مِن العمل ما لو عَمِلوا لم يُقبَل ذلك منهم.

وقوله عز وجل: **أولئك الذين أُبسِلُوا بما كسبوا**، قد ذكرنا الاختلاف في الإبسال، وأصله الإسلام، يُسْلَمون لِمَا اكتسبوا، لا يكون لهم شفعاء ولا أولياء، ولا يُقبَل منهم الرِّشَى.

وقوله عز وجل: **لهم شراب من حميم**، قيل: الحميم هو ماء حارّ قد انتهى[13] حَرُّه، يغلي ما في البطن إذا وصل إليه، فيُشبِه أن يكون لهم مِن الشراب ما ذكر لِمَا تناولوا في الدنيا مِن الشراب المحَرَّم،

---

[1] ن: الذي.
[2] ن ع: البرشى.
[3] ك م: كما تقبل.
[4] جميع النسخ: فإنما يدفع.
[5] ن ع م: واما.
[6] جميع النسخ: يشفعونه.
[7] ن: يقبل.
[8] ن: وأولياء.
[9] جميع النسخ: يشفعونهم.
[10] ك ن: ولا يترك.
[11] ك ن ع: وما ذكر.
[12] ع - عنهم أو شفعاء يشفعون لهم فإن قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عنده ما يفدي ولا يبدل وما يمكن من العمل قيل معناه والله أعلم أي لو مكن لهم من الفداء ما يفدون في دفع ذلك.
[13] ع م: ينتهي.

فكان لهم في الآخرة الحميم مكان ذلك، والعذاب الأليم لِمَا أَعْطَوْا أنفسهم في الدنيا مِن الشهوات و اللذّات جزاءَ ذلك.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٧١] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا**، يحتمل هذا وجوها.[١] يحتمل أن يكون أولئك الكفرة دَعَوْا رسولَ الله أو المؤمنين إلى عبادة الأصنام التي كانوا[٢] يعبدونها، فقال عند ذلك: أَنعبد[٣] **مِن دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا** بعد ما عبدنا الله الذي يملك نَفْعنا وضُرّنا. أو كان أهل الكفر يدعون أهل الإسلام إلى عبادة الأصنام[٤] والأوثان[٥] التي كانوا يعبدونها، إمّا طَمَعًا بشيء يبذلون لهم[٦] ليرجعوا إلى عبادة الأصنام[٧] والأوثان[٨] عن عبادة الله أو تخويفًا منهم لهم، فقال: **قل** يا محمد **أندعو من دون الله** مالا يملك نَفْعنا إن عبدناه ولا يملك ضُرّنا إن تركنا عبادته بعد ما عبدنا الذي يملك نَفْعنا إن عبدناه ويملك ضُرّنا إن تركنا عبادته. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا**، هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله للأصنام التي عبدوها دون[٩] الله ومَن يدعو[١٠] إليها وللدعاة[١١] الذين يدعون إلى الله وإلى عبادته، كمَثَل رجلٍ ضَلّ به الطريق تائهٍ[١٢] ضالّ إذا ناداه مُنادٍ:[١٣]

[١] ع + يحتمل هذا وجوها.
[٢] ع – كانوا.
[٣] ع: أتعبد؛ م: أتعبدون.
[٤] ك ع م – الأصنام.
[٥] ك ع م: الأوثان.
[٦] جميع النسخ: يبذلونهم.
[٧] ك ن – الأصنام.
[٨] ك ن: الأوثان.
[٩] ع: من دون.
[١٠] ك ع: ومن يدعوا.
[١١] ع: للدعاة.
[١٢] م: فإنه.
[١٣] ن: مناديا.

يا فلان بن فلان، هَلُمَّ إلى الطريق.[١]

وقوله عز وجل: **ونُرَدّ على أعقابنا**، في الكفر والشرك.[٢] / **بعد إذ هدانا الله كالذي استَهْوَتْهُ الشياطين في الأرض حيْران**، يقول [السُّدِّي]:[٣] مَثَلُهم أنْ كفروا[٤] بعد الإيمان كمَثَلِ رجلٍ كان مع قومٍ على الطريق، فضَلّ الطريق،[٥] فحَيّرته الشياطينُ واستَهْوَته[٦] في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه[٧] إليهم يقولون: ائتنا، فإنّا على الطريق، قال: فلم يأتهم، فذلك مَثَل مَن تَبِعَهم[٨] بعد المعرفة بمحمد، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي[٩] يدعوهم إلى الطريق، وهو الهدى.[١٠] ويحتمل أن يكون المَثَل الذي ضَرَبَه مِن وجه آخر، وهو أنّ مَثَل هؤلاء كمَثَل مَن كان في بعض المَفاوِز[١١] والبراري، فضَلّ الطريق،[١٢] فذهب به الغِيلان[١٣] حتى أَوْقَعُوه في الهَلَكة، وهو الذي تقدم ذكره. ويُشبِه أن يكون قوله: [٢١٥ط]

---

[١] ك + وله أصحاب يدعونه يا فلان هدم إلى الطريق. عن ابن عباس: ﴿قل أندعو من دون الله﴾، هذا مَثَل ضَربه الله للآلهة ولدعاة الذين يَدعون إلى الله، كمَثَل رجل ضلّ عن الطريق تائها ضالًا إذ ناداه مناد: فلان بن فلان، هَلُمّ إلى الطريق، ﴿وله أصحاب يدعونه﴾، يا فلان بن فلان هَلُمّ إلى الطريق، فإن اتّبع الداعي الأول انطلق به حتى يُلقِيه في هَلَكة، وإن أجاب مَن يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البَرِّيَّة الغِيلان. يقول: مَثَل مَن يعبد هذه الآلهة مِن دون الله فإنه يَرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهَلَكة والندامة. وقوله: ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾، يقول: أضلّته، وهُم الغِيلان يَدعونه باسمه واسم أبيه وجدّه، فيتبعها ويرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هَلَكة، وربّما أكلته، أو تُلقيه في مَضِلّة مِن الأرض، يهلك فيها عَطَشًا، فهذا مَثَل مَن أجاب الآلهة التي تُعبَد من دون الله. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٣٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٩٥-٢٩٦.

[٢] ع: والشكر.

[٣] من مصادر الرواية.

[٤] أي بأنهم كفروا.

[٥] ع – فضل الطريق.

[٦] ع م – واستهوته.

[٧] ع: يدعون.

[٨] جميع النسخ: من تبعكم.

[٩] ن – هو الذي.

[١٠] روي هذا عن السُّدِّي. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٣٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٩٦.

[١١] جمع مَفازَة بمعنى الصحراء والبَرِّيّة التي لا ماء فيها، سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها (*لسان العرب* لابن منظور، «فوز»).

[١٢] ك + به.

[١٣] ع: فذهب الغيلان. والغِيلان جمع الغُول، وهي جنس مِن الشياطين والجن، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفَلاة تتراءى للناس فتتغوّل تَغوُّلا، أي تتلوّن تلوُّنا في صُوَر شتى، و تَغُولهم أي تُضِلّهم عن الطريق وتُهلكهم (*لسان العرب* لابن منظور، «غول»).

**كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا**، أنه ما مِن أحدٍ مِن مشرك ومؤمن إلّا وله أصحاب يدعونه. أمّا المؤمن فله أصحاب من الملائكة يدعونه إلى الهدى، والكافر له شياطين يدعونه إلى الشرك؛ هذا أَشْبَه[1] أن يُحمَل عليه، لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا.[2] قال قتادة: هذه خصومة عَلَّمَها اللهُ محمدًا يُخاصِم بها[3] أهلَ الشرك،[4] لأن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الشرك. قال ابن عباس رضي الله عنه: **استهوته** أضلّته.[5] وقال[6] أبو عوسجة:[7] أي ذهبت به، **استهوته** وأَهْوَتْه واحد، أي دَعَتْه إلى الهَلَكَة، وقيل: أضلّته. وقوله: **ونُرَدّ على أعقابنا**، أي نرجع[8] عن الإيمان إلى الشرك بعد إذ هدانا الله.

وقوله عز وجل: **قل إن هدى الله هو الهدى**، قيل: بيان الله هو البيان. وقيل: إن دين الله **هو الهدى**، وهو الدين.

وقوله عز وجل: **وأُمرنا لنسلم لرب العالمين**، قيل: هذا صِلَة قوله: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا... وأُمرنا لنسلم لرب العالمين**، ولِنُقِيم الصلاة ولِنَتَّقِيَه.[9] وقال بعضهم: ليس على الصِلَة، ولكن على الابتداء: **أُمرنا لنسلم لرب العالمين**، وقُل لهم: **أقيموا الصلاة واتقوه**.

**وهو الذي إليه تحشرون**، قد ذكرنا.[10]

**﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق**، قيل: قوله: **بالحق**، أي خلق السماوات والأرض بالحق لم يخلقهما باطلا، كقوله سبحانه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[11]

---

[1] ع: يشبه.
[2] «لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ).
[3] ك: يخاصمها.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٣٧/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٦/٣.
[5] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٦/٣.
[6] م: قال.
[7] ك: ابن عباس.
[8] ن: أي يرجع.
[9] جميع النسخ: وليقيموا الصلاة ويتقوه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ.
[10] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٩٦/٥.
[11] سورة ص، ٢٧/٣٨.

قيل: لم يخلقهما باطلا ولكن خَلَقهما بالحق. وهو يحتمل وجوها. قيل: خلقهما للعاقبة، لأنّ كلّ أمرٍ لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق، فإنما خَلَق السماوات والأرض وما بينهما للعاقبة، وذلك لأمر عظيم، كقوله:[1] لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[2] وقيل: قوله: **بالحق**، أي خلقهما ليمتحن [مَن] فيهما[3] ولمِحنَة سُكَّانِهما، لم يخلقهما لغير شيء. وقيل: **بالحق**، أي خَلَقهما بالحكمة، مَن نَظر فيهما وتَدبر لَدَلّاه على أنّ لهما خالقا ومُدبِّرا، ولَدَلّاه على أنّ مُدبِّرهما ومُنشِئهما واحد، فإذا كان كذلك فكان[4] خَلْقُهما بالحق: بالحكمة والعلم.

وقوله عز وجل: **كن فيكون**، قد ذكرنا[5] أنّ قوله: **كن**، هو أوجز كلام في لسان العرب يُعبَّر به، فيُفهَم منه لا أنْ كان مِن الله كاف أو نون، لكنه ذكر [هذا] -والله أعلم- لِيَعلموا[6] أنْ ليس على الله في الإحياء والإنشاء بعد الموت مُؤْنة كما لم يكن على الخلق في التكلُّم[7] بِكُنْ مُؤْنة، ولا يَصعُب عليهم ذلك؛ فعلى ذلك ليس على الله في البعث بعد الموت مُؤْنة ولا صُعوبة. والثاني ذكر هذا لسرعة نفاذ البعث، كقوله: مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[8] أخبر أنّ خَلْقَهم[9] وبَعْثَهم ليس إلّا كخَلْق نفس واحدة وبعث نفس[10] واحدة؛ وكقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[11] يخبر بسرعة[12] نفاذ الساعة وبَعْثِهم. وذلك أنّ الرجل قد يَلمَح البصر وهو لا يشعر به، فعلى ذلك القيامة قد تقوم وهم لا يشعرون. والثالث يَذكُر هذا[13] -والله أعلم- أنّ البعث[14] بعد الموت والإحياء إعادة، وإعادة الشيء عندكم أَهْوَن من ابتداء إنشاء، وعلى ذلك يخرج قوله:

---

[1] ع: لقوله.
[2] ﴿أَلا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٦).
[3] م: ليمتحن فيها. «أي خلقهما بخلق المتحنين فيهما» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ).
[4] ك: كان.
[5] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١١٧/٢.
[6] ك: ليعرفوا.
[7] ك: في الكلمة.
[8] سورة لقمان، ٢٨/٣١.
[9] م: أن قوهم.
[10] ع - نفس.
[11] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[12] ن ع م: لسرعة.
[13] ن + وهم لا يشعرون.
[14] أي لأن البعث.

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[1] أي هو أهون عليه عندكم.

وقوله عز وجل: **قوله الحق**، يحتمل **قوله الحق**، أي البعث بعد الموت حق، على ما أخبر. ويحتمل **قوله الحق**، أي ذلك القول منه حق، يكون كما ذكر.

وقوله عز وجل: **وله الملك**، مُلك ذلك اليوم، كقوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[2] وكقوله: اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[3] ذكر هذا –والله أعلم– لِمَا لا يُنازِعه أحد في مُلك ذلك اليوم، وقد نازعه الجبابرة في المُلك في الدنيا وإن لم يكن لهم مُلك ولا أُلوهيّة. ويحتمل قوله: **وله الملك**، أي مُلك[4] جميع الملوك له في الحقيقة، كقوله: مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.[5]

وقوله عز وجل: **يوم يُنفَخ في الصور**، قال بعضهم: النَّفْخ[6] هو الروح، والروح مِن الريح، والروح إنما تَدخل[7] بالنفخ، [قال الله تعالى]: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا.[8] وقال بعضهم: لا يكون هناك[9] في الحقيقة نَفْخ، ولكن يذكر [النفخ في الصور][10] لسرعة نفاذ الساعة، لأن الرجل قد يتنفّس وهو لا يشعر به، فذكر هذا لسرعة[11] نفاذ الساعة، لأنه ليس شيءٌ أسرعَ جرياناً ونفاذاً مِن الريح.[12] وقال بعضهم:[13] هو على حقيقة النفخ، وهو[14] ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **في الصور**، قال بعضهم: في صُوَر الخَلْق.[15] وقال آخرون:[16] **الصور قَرْنٌ**

---

[1] ﴿وهو الذي يبدأ الخَلْق ثم يُعِيده وهو أهون عيه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[2] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[3] سورة الحج، ٥٦/٢٢.
[4] ع – أي ملك.
[5] سورة آل عمران، ٢٦/٣.
[6] لعل المصدر هنا بمعنى المفعول، أي النفخ بمعنى المنفوح، فالمنفوخ هو الروح.
[7] ن ع م: إنما يدخل.
[8] سورة التحريم، ١٢/٦٦. وعبارة الشارح: «وقوله تعالى: ﴿يوم يُنفَخ في الصور﴾، أي يُدخَل الروح في البدن؛ إلّا أنّ الروح جسم لطيف، وهو الريح، فإنما يدخل الروح بالنفخ؛ قال الله تعالى: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾، فكذلك قال: ﴿يُنفَخ في الصور﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و).
[9] ك: هنالك.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و.
[11] ع: السرعة.
[12] «... فاستعار ذكر النفخ عن السرعة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و).
[13] ع – بعضهم.
[14] ع م: هو.
[15] «... والصور أصله الصُّوَر، إلّا أنه خُفِّف بمنزلة الأُذُن والأُذْن والأُكُل والأُكْل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٣ظ).
[16] ك: بعضهم.

يَنفُخ فيه إسرافيل.[1] فلا ندري كيف هو، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، سوى أنّ فيه ما ذكرنا مِن سرعة نفاذ البعث.[2]

وقوله عز وجل: **عالمُ الغيب**، أي يَعلم ما يُغَيّب الخَلْق بعضُهم مِن بعض، **والشهادة**، ما يُشهِد بعضُهم بعضًا. ويحتمل **عالم الغيب**، أي يَعلم ما يكون إذا كان كيف كان، ويَعلم[3] وقت كونه، **والشهادة**، ما كان وشُوهِد. يخبر أنه لا يَغيب عنه شيء ولا يَعزُب منه. **وهو الحكيم**، في خَلْق[4] السماوات والأرض وخَلْق ما فيهما، **والحكيم** في بَعْثِهم، والحكيم[5] هو واضع الشيء مَوْضِعَه، **الخبير**، بكل شيء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**، قيل: **آزر**،[6] هو اسم أبي إبراهيم عليه السلام. والحسن يقرأ "آزرُ" بالرفع،[7] ويجعله اسم أبيه. وقال آخرون: هو اسم / صنم، فهو على التقديم [٢١٦و] والتأخير، كأنه قال: وإذ قال[8] إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر[9] أصناما آلهة. وقوله: **أتتخذ**، استعظامًا لِمَا يَعبد مِن الأصنام دون الله، لأنّ مِثل هذا إنما يقال على العظيم مِن الفعل. وقال أبو بكر الكيساني:[10] قوله: **آزر**، قيل: هو اسم عيب[11] عندهم، كأنه قال: يا ضالّ أتتخذ أصناما آلهة، كقول الرجل لآخر: يا ضالّ. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، كان اسمَ أبيه أو اسمَ صنم.

وفي الآية دلالة أنّ أباه كان مِن رؤساء قومه، بقوله: **إني أراك وقومك في ضلال مبين**. وفيه[12] دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يَشتِم أباه لمكان ربه، لأن إبراهيم عليه السلام سمّاه ضالًّا.

---

[1] انظر للنقاش حول هذه المسألة: *لسان العرب* لابن منظور، «صور».
[2] ع م – وقوله عز وجل في الصور قال بعضهم في صور الخلق وقال آخرون الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل فلا ندري كيف هو وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى أن فيه ما ذكرنا من سرعة نفاذ البعث.
[3] ع م: أو يعلم.
[4] ع: وفي خلق.
[5] ك – والحكيم.
[6] ن ع – قيل آزر.
[7] ن – بالرفع. *تفسير الطبري*، ٧/٢٤٣.
[8] ع: وإذا قال.
[9] ع: آزر أتتخذ.
[10] م: الكيسائي.
[11] ن ع م: عبث.
[12] أي في قوله.

وفي الآية[١] دلالة أنّ الإيمان والتوحيد يَلزَم أهلَ الفترة في حال الفترة، لأنّ إبراهيم عليه السلام سمّاهم ضُلّالًا، وهو لم يكن في ذلك[٢] الوقت رسولا، إنما بُعِث رسولا مِن بَعد. *والله أعلم*.

وقوله عز جل: **إني أراك وقومك في ضلال مبين**، أي ضَالًّا[٣] لا شكّ فيه ولا شبهة. وهو ما ذَكر في آية أخرى حيث عَبد ما ذَكر حيث قال: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٤] هذا الضلال المبين.[٥]

﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٧٥]

وقوله: **وكذلك نري إبراهيم**، ذكر "كذلك" -والله أعلم- على معنى كما أريناك ملكوت السماوات والأرض والآيات كذلك كنا أرينا إبراهيم، **ونُري** بمعنى أرينا، وذلك جائز في اللغة. و"كذلك" لا تُذكَر[٦] إلا على تقدّم شيء، لكن الوجه فيه ما ذكرنا: كما أريناك[٧] مِن الآيات والحجج والبراهين كذلك كنا أرينا إبراهيم.

وقوله: **ملكوتَ السماوات والأرض**، اختُلف فيه. قال بعضهم: سلطان السماوات والأرض. وقيل: الشمس والقمر والكواكب. وقيل: فُرجت له السماوات السبع حتى نظر إلى ما تحت العرش وما فيهن، وكذلك فُرجت له الأَرَضُون حتى رأى ما فيهن.[٨] وقيل: **ملكوت السماوات والأرض**: خُبِّئَ[٩] إبراهيم صلوات الله عليه مِن الجبابرة في سِرْب، فجعل الله في أصابعه رزقًا، فإذا مصّ إصبعًا مِن أصابعه وجد فيها رزقًا، فلما خرج أراه الله الشمس والقمر، فكان ذلك ملكوت السماوات،[١٠] وملكوت الأرض الجبال[١١] والبحار والأشجار.

---

[١] ن ع م: وفيه.
[٢] ن م – ذلك.
[٣] ع م – وهو لم يكن في الوقت رسولا إنما بعث رسولا من بعد والله أعلم وقوله عز جل إني أراك وقومك في ضلال مبين أي ضالا.
[٤] سورة مريم، ٤٢/١٩.
[٥] ك ن م: البين.
[٦] ك: لا يذكر.
[٧] ع + ملكوت السماوات والأرض؛ م + من السماوات والأرض.
[٨] ع: فيهن.
[٩] ن ع: جبى.
[١٠] ع م + والأرض.
[١١] ع: والخبال.

وقيل: نظر إلى مُلك الله فيها[1] حتى نظر إلى مكانه ورأى الجنة، وفُتحت له الأَرَضُون حتى نظر إلى أسفل الأَرَضِين، فذلك قوله: وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا.[2] قيل:[3] أُرِي مكانَه في الجنة، وقيل: أجره الثناء الحسن. وقال أبو عَوْسَجة: **ملكوت السماوات والأرض**، مِن المُلك، وكذلك قال أبو عُبَيد، وهو كجَبَروت ورَحَموت ورَهَبوت، فكذلك ملكوت، وأصله ما ذكر من الآيات والعجائب. *والله أعلم*.[4]

وقوله: **وليكون من الموقنين**، الإيقان بالشيء هو العلم بالشيء حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبُّر، ولذلك[5] لا يُوصَف الله باليقين، ولا يجوز لله أن يقال: "مُوقِن"، لِمَا ذكرنا [أن اليقين] هو العلم الذي يَعقُب[6] الاستدلال، وذلك مَنهِيّ عنه.[7]

وقيل في قوله: **وكذلك نُرِي إبراهيم**، أي كما أنبأتُك ملكوت ما ذُكر، فقوله: **نُرِي** بمعنى[8] أريناه. وقوله: **وكذلك**، له وجهان.[9] أحدهما أنه كما أريناك ما أيقنتَ به أنّ الربوبية لله وأنه الواحد لا شريك له مِن الآيات والأدلة أريناه[10] أيضًا ما ذُكر حتى أيقن. فهو –والله أعلم– على التسوية بين الأسباب الدالة[11] على الوحدانية لله والربوبية في المعنى وإن كانت لِأَعيانها مختلفة، وعلى أنّ طريق المعرفة الاستدلال بما أنشأ الله مِن الدلالة لا السمع والحِسّ،[12] وإن كان في حجة السمع تأكيده.[13]

والثاني أن يكون **وكذلك**[14] نُرِيه على ما أظهر مِن الحُجج على قومه،[15] وهو كقوله:

---

[1] أي في السماوات.

[2] ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٧).

[3] جميع النسخ: قال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و.

[4] ك – والله أعلم.

[5] ن ع: وكذلك.

[6] جميع النسخ: يعقبه.

[7] جميع النسخ + وقوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

[8] ن – بمعنى.

[9] ع: وجه.

[10] جميع النسخ: أراه.

[11] ن ع م: الدلالة.

[12] ن: والحس.

[13] ع م: تأكيد.

[14] ع م – وكذلك.

[15] وعبارة الشارح: «والثاني معنى قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾، أي كما أريناك من الحجج ما أظهرت على قومك كذلك أرينا إبراهيم عليه السلام من الحجج...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و-ظ).

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ،[1] وأعطاه ما أراه وأَشعر قلبه مِن الحُجج التي أَلزم قومَه بما أَنطق بها[2] عز وجل لسانَه لِيُلزِم[3] حُجَجَه خَلْقَه. *والله الموفق*.

**وملكوتَ السماوات والأرض**، المُلك في الحقيقة مِن الوجه الذي يكون آية للإيقان ودليلا للإحاطة بالحق. ثم اختلف في وجه ذلك. فمنهم مَن قال: هو ما أرى بصرَه، أعني بصر الوجه، نحو الذي ذُكر مِن فَتْحِ السماء حتى رأى[4] ما فيها من العجائب والآيات إلى العرش أو حيث قَدَر، والأرضِ[5] حتى رأى ما فيها مِن أنواع الخَلْق إلى الثَّرى أو حيث بَلَغ. ومنهم مَن قال: رُفِع إلى السماء[6] حتى كانت الأرض بمن فيها له[7] رَأْيَ العين، وكان له صلوات الله عليه مِثلُ هذا مِن الأمور، نحو أمر النار[8] والهجرة إلى حيث لا ضَرْع ولا زَرْع،[9] وما جُعِل رزقُه في أصابعه،[10] وأَمْرِ بُلوغِ[11] صوتِه في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ،[12] إن كان على ما سُمِع منه.[13] *والله أعلم*. ومنهم مَن قال: هو ما أُرِي بصرُ قلبِه مِن وجوه العِبَرَ[14] وأنواع الأدلة عند التأمُّل في خلق الله بالفكر،[15] مِن غير أنْ كان في الخلق تغيرٌّ عن الأحوال[16] التي كانت عليه،[17]

---

[1] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

[2] ع + الله.

[3] ع م: يلزم.

[4] م: حتى ارى.

[5] ن ع: قدروا الأرض.

[6] م: السماء.

[7] ع م – له.

[8] ع م: الناس. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلنا يا نارُ كُوني بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم﴾ (سورة الأنبياء، ٦٩/٢١).

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ عند بيتك المحرَّم﴾ (سورة إبراهيم، ٣٧/١٤).

[10] ع: في أصابغه.

[11] ع: بلوغه.

[12] سورة الحج، ٢٧/٢٢.

[13] عن ابن عباس قال: لمَّا فَرَغ إبراهيم مِن بناء البيت قال: رَبِّ قد فرغتُ، فقال: أَذِّنْ في الناس بالحج، قال: ربِّ وما يَبلُغ صوتي؟ قال: أَذِّنْ وعلَيَّ البلاغ، قال رَبِّ: كيف أقول؟ قال: يا أيها الناس، كُتِب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسَمِعه مَن بَيْن السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون مِن أقصى الأرض يُلَبُّون. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٤/١٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٢/٦.

[14] ع م: العبر.

[15] م: بالكفر.

[16] جميع النسخ: على الأحوال.

[17] أي من غير أن تكون هناك معجزة كنظره إلى ما تحت العرش وما ذكر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ ظ.

وهو أحقّ مَن يكون له في الذي كان كفايةٌ عن حدوث[١] أحوال [نَقْضِ العادة] تَدلّ[٢] [على التوحيد]، إذ هي[٣] حُجج[٤] الله. [فهو][٥] يستدل[٦] على قومه مِن الوجه الذي جُعل لجميع الخلق لا مِن جهة خصوص آيات، فثبت أنّ ذلك كان له بهذا الوجه.

ثم هو يخرج على وجوه. منها ما رأى مِن تسخير القمر والشمس[٧] والنجوم، وقَطْعِها في كل يوم وليلة أطراف السماء والأرض جميعا، وسَيْرِها تحت الأرض إلى أن يعود[٨] كلٌّ إلى مَطلَعه، يسير[٩] كلُّ ذلك ما فوق الأرض إلى السماء، واستواءِ أحوال ذلك على ما عليه حُدَّ في كل عام وشهر لا يزداد ولا ينقص[١٠] ولا يتقدم ولا يتأخر، مع عظيم ما بها من المنافع لأنواع دوابّ الأرض والطير جميعًا، ما يوقن كلُّ مُتأمِل أنّ مِثلَ هذا لا يَعمَل بالطِبَاع إلا أن يكون له مُدبِّر حكيم جَعَل له[١١] ذلك الطّبْع وسَوّاه على ما شاء مِن الحَدّ، وأنْ لا يَتَّسِقُ الأمر على [هذا] التدبير[١٢] والحكمة إلا أن يكون مُدبِّر ذلك بحيث لا يحتاج إلى مُعِين، ولا يجوز أن يكون / له فيه مُنازِع،[١٣] ثم هو بذاته عليم مدبر.[١٤] وما في الأرض [٢١٦ظ] مِن تدبير الليل والنهار يتعاقبان أبدا ويسيران، يقهران ما فيهما[١٥] من الجبابرة والفراعنة، حتى إن اجتهد[١٦] جميع[١٧] أهل الأرض على زيادة[١٨] أو نقصان أو تقديم أو تأخير لِمَا لهم[١٩] مِن الحاجة

---

[١] ع: او حدوث.
[٢] م: يدل.
[٣] جميع النسخ: إذ هو.
[٤] ك: حج.
[٥] لزيادات من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.
[٦] ن ع: مستدل.
[٧] ك: اشمس والقمر.
[٨] ك: أن تعود؛ ع: أن يعقود.
[٩] ك: إلى كل مطلعة تسير.
[١٠] ك: ولا ينتقص.
[١١] جميع النسخ: جعله.
[١٢] جميع النسخ: على التدبر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.
[١٣] ن ع م: منافع.
[١٤] جميع النسخ: قدير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.
[١٥] ن ع م: ما فيها.
[١٦] ن: إن اجتمع.
[١٧] ع م: جمع.
[١٨] ك + في واحد؛ ع + ذ وحد.
[١٩] ع: لما عهم.

أو بما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجميع[1] لهم في ذلك لم يتهيأ[2] لهم ولا بَلَغَ تَوَهُّمُ أحدٍ في احتمال ذلك حتى يصير عند وجود كلٍ كأنَّ[3] الآخَرَ لم يكن قط، ثم عند العَوْد إليهم كأنه لم يُفارِقهم قط. مع ما لجميع[4] أهل الأرض بهما مِن المنافع، وعليهم فيهما[5] أنواعُ مَضارّ، ولهما سلطان على أعمارهم، على ما فيهما[6] مِن أثر التسخير والتذليل الذي كلٌّ[7] مَقهورٌ بالآخر إذا جاء سلطانُه وبَلَغَ حَدَّه،[8] وليس في واحد منهما امتناعٌ عن قهر الآخر وإن كان هو الظاهر القوي، جَرَيَا جميعًا على حدّ واحد وسَنَن واحد،[9] دَلاَّ على[10] ما دل عليه الأول.[11] مع ما فيهما[12] مِن أثر البعث[13] أمر ظاهر[14] لا يحتمل أن يجهله إلا سفيه مُعانِد. *والله أعلم*. ثم النور والظُّلمَة والظِّلّ[15] ونحو ذلك الذي ينبسط بساعةٍ[16] [في] جميع أطراف السماء والأرض، يَستر[17] واحدُ كلَّ شيء ويُبدِي آخَرُ عن كلِّ شيء[18] ويحيط الثالث بكل شيء.[19] ثم تَعلّق منافع الأهل بها على اختلافها، وبالسماء والأرض[20] على تَباعُد ما بينهما، وبالسهل والجبل والبحر والبر[21] على تَضادّ معانيهما،[22] وعلى ذلك جميع الأمور.

---

[1] جميع النسخ: الجمع.
[2] ع م: لما يتهيأ.
[3] ع: ما كان.
[4] ك: اديع.
[5] ع م: وعيهم فيها.
[6] ع: ما فيها.
[7] ن - كل.
[8] ع م: وحده.
[9] ع م: واحدة.
[10] ك ن + ذلك عى.
[11] ع م: الأولى.
[12] م: ما فيها.
[13] لعله يقصد بالبعث بعث الله لليل والنهار أحدهما تلو الآخر وخَلْقه لهما.
[14] ك ن: أمرا ظاهرا؛ ع م: أمرا ظاهر.
[15] ع: الظل.
[16] ع: بشاعة.
[17] ع: تسير.
[18] ع + ويبدي آخر عن كل شيء.
[19] أي تستر الظلمة كل شيء ويبدي النور عن كل شيء ويحيط الظل بكل شيء.
[20] م: الأرض.
[21] ك ن: ولبر واسحر.
[22] ع: رمانيهما؟

فكان صلوات الله عليه بما أُرِيَ[١] مِن المعنى وغيره مِن الموقنين أنْ لا إله إلا الله، وَجَّه إليه نفسه،[٢] وأنَّ كلَّ شيءٍ نُسِب إليه الألوهية مُحالٌ أنْ يكونَ فيه أو له إمكانُ ذلك.[٣] *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾**[٧٦] **﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾**[٧٧] **﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**[٧٨] **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٧٩]

وقوله عز وجل: **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا** -إلى قوله- **وما أنا من المشركين**، تكلموا في تأويل[٤] الآية على أوجه ثلاثة.

**[الوجه الأول]**: منهم[٥] مَن جَعل الأمر على ما عليه الظاهر أنه [كان] غير عارف بربه حق المعرفة إلى أنْ عَرف من الوجه الذي بان له عند الفراغ مِن آخِرِ ما نُسب إليه الربوبية أنه لا يُعرَف[٦] مِن جهة دَرْك[٧] الحواسّ ووقوعها عليه، ولكن مِن جهة الآيات وآثار[٨] العقل، فقال: **وجّهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض**، الآية. لكن أهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة.

أ- أحدها[٩] ما رُوي في التفسير أنه رُبِّي في السِّرْب ولم يكن نَظر إلى شيءٍ مِن خَلْقِ السماء، فنَظر عن باب السِّرْب في أول الليل،[١٠] فرأى الزُّهَرة بضوئها وتَلَألُئِها، وكان في عنمه[١١] أنّ له ربّا وأنه يُرَى، فلم يَرَ أَضْوَأَ[١٢] منها ولا أنْوَر، فقال: **هذا ربي فلما أفل**،

---

[١] ن: رأى.

[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إني وجّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (سورة الأنعام ٧٩/٦).

[٣] ع - ذلك.

[٤] م - تكلموا في تأويل.

[٥] جميع النسخ: فمنهم.

[٦] أي إلى أن عرف... أن الله لا يُعرَف...

[٧] ك: ذلك.

[٨] ك: وآثا.

[٩] ع: أحدهما.

[١٠] ع - الليل.

[١١] ك: في في عنمه.

[١٢] ع م: ضوء.

وله عِلمٌ أنّ الربّ دائم لا يزول، **قال لا أحب**؛[1] بمعنى ليس هذا بربّ، كقوله: مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ،[2] أي ليس لنا؛ وقولِ عيسى حيث قال: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحقٍ،[3] بمعنىً[4] ما قُلتُ[5] ذلك. لكن أهل هذا التفسير حملوا الأُفُول على غَيْبُوبَتِه بنفسه، وهو عندنا على غَيْبوبتِه في سلطان القمر، وقَهْرِ سلطانِ القمرِ[6] لَمّا طَلَعَ[7] سلطانَ النجم، وعنده أنّ الربّ لا يُقهَر وأنّ سلطانه لا يزول، وعلى ذلك أَمْرُ القمر والشمس بظُلمَة الليل. وفي ذلك أنه[8] لو كان عنده[9] أنه لا يُرَى لأَنكر مِن ذلك الوجه أن يكون ربّه، بل أَقرّ به وأنكر الأُفُول والزوال، وهذا يَنقض قول مَن يَصفه بالزوال والانتقال من حال إلى حال.

ب– ومنهم من يقول: كان هذا منه في وقتٍ[10] لم يكن يجرى عليه القلم،[11] سَمِع الخَلْقَ[12] تَقول[13] في خَلْق السماء والأرض ونحو ذلك، ويَنسبون ذلك إلى الله، وعلى ذلك أَمْرُ جميعِ أهل الشرك، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[14] وقولِه: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ –إلى قوله– مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ،[15] ثم رآهم عبدوا الأصنام وسمّوْها آلهة،

[1] ورد نحو ذلك عن قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٤٩/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٣/٣-٣٠٤.

[2] سورة الفرقان، ١٨/٢٥.

[3] سورة المائدة، ١١٦/٥.

[4] ك– بمعنى.

[5] ع: قلت.

[6] ك – وقهر سطان القمر.

[7] ع م: لما اطبع.

[8] ن – أنه.

[9] م + أن الرب لا يقهر وأن سطانه لا يزول.

[10] ك: في وقت منه.

[11] أي لم يكن بالغا في هذا الوقت، كما سيأتي في الوجه الثالث.

[12] ن: القول.

[13] ن ع م: يقول.

[14] سورة لقمان، ٢٥/٣١.

[15] ﴿قل لِمَن الأرض ومَن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذكّرون. قل مَن ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل مَن بيَده مَلَكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنّى تُسحَرون. بل أتيناهم بالحقّ وإنهم لكاذبون. ما اتّخذ الله مِن وَلَد وما كان معه مِن إلهٍ إذًا لَذَهَبَ كلّ إلهٍ بما خَلَقَ ولَعَلَا بعضُهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٨٤/٢٣-٩١).

فتأمّلها[1] فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضرّ، عَلِم أنّ مِثلَها لا يحتمل أن يكون تَخلق[2] ما ذُكر،[3] وأنّ الذي ذلك فِعْلُه لَعَلِيٌّ عظيم يجب طلبُ معرفتِه مِن العُلو،[4] بما كان يسمع نسبةَ[5] الملائكة إلى السماء ونزولِ الغيث منها، ومجيءِ النور والظلمة وكلِّ أنواع البركات وغيرِها منها، فصَرَف تدبيرَ الطلب الذي نسب إليه الخلق إليها، ثم أوّل ما أخذ في التأمّل والنظر لم يقع بصره على أحسن وأبْهَى مِن الذي ذُكر، فظَنّ ذلك، ثم لَمّا قُهِر وقد كان عَلِم بأنّ خالقَ مَن ذُكر لا يجوز أن يُقهَر فمِن ذلك عَلِم أنه ليس هو، وقال لِمَن قَهَر ذلك:[6] [إنه ربّه]، إلى أنْ قَهَر[7] الليلُ ضوءَ الشمس أو صارت بحيث[8] لا تَجري لها[9] السلطان، أو رأى في الكلّ آثار التسخير والتذليل ولم يَرَ فيها أعلامَ مَن له[10] الأمر والخلق، فعَلِم أنّ الربّ لا يُدرَك مِن ذلك[11] الوجه، ولا يُعرَف مِن جهة الحواسّ، فرَجع إلى ما سمع مِن أنه خَلَق السماوات والأرض، فوَجّه نفسَه إليه بالعبودية واعترف له بالربوبية، بما في الخلق مِن آثار ذلك وفي القول مِن تسمية مَن له الخَلْق ربًّا وإلهًا، فآمن به، وذلك كان أوّل أحوال احتماله عِلْمَ الاستدلال وبلوغِه المَبْلَغ الذي مَن بَلَغه يَجري عليه الخطاب. ***ولا قوة إلا بالله***.

**جـ** – ومنهم مَن قال: إنه كان بالغًا قد جَرى عليه القلم، وقد كان رأى ما ذُكر غير مرّة، لكن الله لَمّا أراد أن يَهديه ألهمه ذلك وألقى في نفسه، فانتبه انتباه الإنسان بشيء كان عنه غافلًا مِن قَبْل، فرأى كوكبًا أحمر يَطلع عند غروب الشمس، فراعاه إلى أنْ أَفَل، فازداد[12] مِن الله قُرْبةً، وعَلِم أنّ ربه لا يزول ولا يتغيّر، ففَزِع إليه وقال:[13] **لا أحب الآفلين**،

[1] م: فتأمل.
[2] ن ع م: يخلق.
[3] جميع النسخ: ما ذكرت.
[4] م: من الخلق.
[5] ك – نسبة.
[6] م: وذلك.
[7] ن: قهر.
[8] م – بحيث.
[9] ك: لا تجري له؛ ن ع م: لا يجري له.
[10] ك – له.
[11] ك: من هذا.
[12] ك: فارادادا؛ ع م: فاراد.
[13] م:فقال.

وكذا ذَكر في القمر والشمس إلى أنْ عَرف[1] الله، فتَبرّأ[2] مِمَّا كانوا يشركون،[3] ووجّه التوحيد[4]
[٢١٧و] والعبادة؛ إليه. وإلى هذا[5] التأويل ذهب[6] الحسن، والأول[7] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه، والثاني قال به جماعة أهل الكلام.

ونحن نتبرّأ إلى الله أن نجعله رجلاً بالغًا تجرى عليه القلم، وهو كان عن الله بهذه الغفلة حتى يتوهمه في معنى نجم أو قمر أو شمس، مع ما يَرى فيها الظهور بعد أن لم يكن والأُفولَ بعد الوجود، ثم آثارَ التسخيرِ والعجزِ عن التدبير بما هي[8] في جهد وبلاء ومَن له تَعمل[9] في راحة وسرور؛[10] ثم لا يَرى في شيءٍ مِن العالمَ أنّ له معنى يَدلّ على رجوع التدبير إليه،[11] فيَتحقّق له القول بذلك، والله يَصفه بقوله: إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ،[12] -قيل:[13] سَلِيمٍ عن الشرك، لم يَشُبْه بشيء [منه]- وقال: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ،[14] وما يذكرونه إنما آتاه على نفسه، إذ هو[15] في الغفلة عنها والجهلِ بمَن له الآيات شريكُ قومه.[16] وقد قال أيضًا: وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[17] ومعلومٌ أنّ ذلك[18] [ليس] على مُعاينته[19] [لها]، لأن ذلك[20] قد أُري كُلًّا مِنها،

---

[1] ك ن ع: أن عرفه.
[2] جميع النسخ: فيتبرأ.
[3] ع: يشروكون.
[4] جميع النسخ: بالتوحيد. و لتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦و.
[5] ع: إلى هذا.
[6] م: يذهب.
[7] جميع النسخ: وإلى الأول.
[8] جميع النسخ: بما هو. والضمير راجع إلى النحم والقمر والشمس.
[9] ك ن م: ومن له يعمل؛ ع: ومن لم يعمل.
[10] أي النجم والقمر والشمس تتحرك وتتعب لمنفعة الإنسان الذي يعيش في راحة ولا يتعب مثل هذه الموجودات.
[11] م - إليه.
[12] ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ (سورة لصافات، ٨٤/٣٧-٨٥).
[13] جميع النسخ: وقيل.
[14] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[15] ن: هو.
[16] إذ هو، يعني إبراهيم لو كان بالغا يكون شريك لقومه في الغفلة عن الآيات.
[17] سورة الأنعام، ٧٥/٦.
[18] ن - ذلك.
[19] ع م: على معاينة.
[20] جميع النسخ: أو ذلك. والتصحيح مع الزيادتين مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦و.

ولكن على ما بَيّنتُ مِن الوجهين، وفيهما[1] حقيقة ذلك.[2] وليس في قوله: وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ،[3] دلالة لشك[4] في الابتداء أو الجهل[5] في الحال التي يحتمل العلم[6] به فيما له[7] عز وجل، ولكن على أنه على ذلك الوجه يكون الإيقان[8] بمن لا يقع عليه الحواس، ولا يوجب علمه الضرورات، إنما هو الاستدلال بالآثار أو تلقي الأخبار.[9] **ولا قوة إلا بالله**. وذلك كقوله:[10] اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا،[11] لا عَنْ وَضْعٍ كان،[12] وقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[13] لا أنْ كانوا[14] مِن قَبْل في الظُّلُمات، وقولِ يوسف: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،[15] لا عَنْ كونٍ فيها. وهكذا أَمْرُ[16] الإيمان أن يكون العبد في كل وقت مُوقِنًا بالله وأنْ لا إله غيره، لا عَنْ شَكٍّ فيما تقدّمه مِن الوقت أو الجهل، فمِثلُه أَمْرُ إبراهيم عليه السلام.

---

[1] ك: وفيها.

[2] ع م - ذلك. قال الشارح: «وكذلك قال الله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾، ولم يُرِد به أنه أَراه أعيانهما، فإنه كان على معاينتهما قبل ذلك، وكذلك قد رأى كِلا أعيان السماوات والأرض، وإنما أراد على ما شاء مِن الوجهين مِن حيث المعجزة المناقضة للعادة، ومِن حيث الاستدلال بالخَلْق على الخالق. ومع قيام المعجزة المناقضة للعادة ومع الاستدلال الصائب لا يبقى الجهل والشك، بل يتحقق الإيمان والتوحيد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٦و-ظ).

[3] سورة الأنعام، ٧٥/٦.

[4] ك: الشك.

[5] ع م: والجهل.

[6] ع م - العلم.

[7] ك: فيما به؛ ع م - فيما له.

[8] ك: الاتقان.

[9] قال الشارح: «ولا يقال إنه قال: ﴿وليكون من الموقنين﴾، فلا يكون مُوقِنًا قَبْله، لأن الوصف بالإيقان ليس فيه دلالة الشك في الابتداء أو الجهل في الحال التي يحتمل العلم به، إذ الإيقان بمن لا يقع عليه الحواس ولا يوجب علمه الضرورات إنما هو بالاستدلال بالآثار أو تلقي الأخبار، وهو العلم نفسه. والعلم في الحال التي يحتمل الذات العلم لا يستدعي جهلا سابقا، فكان معناه: وليكون من العالمين بما أرينا له الملكوت بأحد الطريقين، إما بطريق المعجزة أو الاستدلال» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ).

[10] ن: بقوله؛ ع: قول الله.

[11] سورة الرعد، ٢/١٣.

[12] أي لم تكن السماوات موضوعة قبل أن يرفعها الله.

[13] ﴿الله وليّ الذين آمنوا يُخرجهم مِن الظُّلُمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).

[14] ع م: أن قالوا.

[15] سورة يوسف، ٣٧/١٢.

[16] ع: الأمر.

**والوجه الثاني مما تُكُلِّم**[1] في التأويل أن يكون إبراهيم صلوات الله عليه كان مؤمنا في ذلك الوقت عارفا[2] بربه حقّ المعرفة، ولكنه[3] كَلّم قومَه كلامَ مُستدرِجٍ بإظهار المتابعة لهم على هَواهم فيكونون به أَوْثَق وإليه أَمْيَل. وذلك أَبْلَغ في الحِجاج وأَلْطَف في المَكِيدة، فيُبيّن لهم ما أراد[4] مِن غير جهة النقض[5] والعناد. فبَدأ بتعظيم ما عَظَّموه، إذ هم قومٌ كانوا يُعَظِّمون النجوم، وبالعلم بأمرها أخبروا نمرود بولادة[6] مَن يَهلِك على يَدِه هو ويزول مُلكُه. وهذا كما ذكر:[7] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾،[8] في مقاييسها[9] وعِلْمِها، لأنه[10] نَظَر إليها ثم قال الذي ذُكر لا مِن حيث عِلْمِ النجوم، ولكن مِن حيث عِلْمِه أنه يموت، ومَن يموت يَسقَم، لكن أَراهم الموافقة في العلم الذي لهم في ذلك الباب دَعوى، فكذلك ما نحن فيه. وعلى ذلك أَمْرُ البُدّ[11] الذي كان يعبده[12] قوم، فعَظَّمَه[13] الحَوَارِيُّ[14] الذي أُرسِل إليهم حتى اطمأنّوا إليه[15] وصَدَرُوا عَنْ تدبيره. وبُلُوا[16] بِعَدُوٍّ كاد يحيط بهم، فدعاهم إلى دعاء البُدّ ليكشف لهم إذ لِمِثلِه يُعبَد، حتى أَيِسوا، فدعاهم إلى الله فكشف عنهم، فآمنوا به؛ فمِثلُه الأول. وإلى هذا التأويل يذهب القُتَبي. لكنه ذكر أنهم كانوا أصحاب نجوم وكهانة، ومَن ذلك قولُه لا يَعبد النجم ولا يراه ربًّا،

---

[1] ن: بما تكلم.
[2] ك: على رفا.
[3] ن: ولكن.
[4] جميع النسخ: من أراد.
[5] ك: التنقص.
[6] ك ن ع: بولاد.
[7] ك ع م + أنه.
[8] ﴿فنَظَرَ نَظْرَةً في النجوم فقال إِنّي سَقِيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩).
[9] ك م: في مقايسها.
[10] ك: لا انه؛ ن: نه.
[11] البُدّ بيت فيه أصنام وتصاوير، وهو إعراب بُت بالفارسية... وقال ابن دُرَيد: البُدّ الصنم نفسه الذي يُعبَد، لا أصل له في اللغة، فارسي مُعرّب (*لسان العرب* لابن منظور، «بدد»).
[12] م: يعبدهم.
[13] جميع النسخ: عظمته.
[14] ع + الذي لهم في ذلك الباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك أمر البد الذي كان يعبده قوم عظمته الحواري.
[15] «وعلى ذلك أمر البد. وهو اسم صنم كان يعبده قومه. فأرسل إليهم عيسى عليه السلام واحدا من الحواريين، فعظم الحواري البد ظاهرا على الاستدراج لهم إلى الحق حتى اطمأنوا إليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ)
[16] ك: وبلو.

كيف أَظهر الموافقةَ بتسمية النجم ربًّا ثم النقض عليه بالأُفول؟ ولكن ذلك[١] لو كان فإنما كان في قومٍ يَعبدون النجوم والشمس والقمر. فألزمهم بالأُفول، إذ فيه تسخيرٌ وغَلَبَةُ سلطانٍ على سلطان.[٢]

وهذا الوجه يجوز أن يُظهَر[٣] على إضمار معنىً في نفسه مستقيم، كالمُكرَه على عبادة صليبٍ يَقصِد قَصْدَ عبادةِ الله[٤] والمُكرَه على شَتْمِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم يَقصِد قَصْدَ محمدٍ آخر يُصوِّره في وَهْمِه، ونحو ذلك. وهو على[٥] ما قال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[٦] على جَعْلِ[٧] إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، شَرْطًا في نفسه في قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا.[٨] **والله أعلم**.

وقيل في الاستدراج مِن غير هذا الوجه على التسليم أنهم أهلُ كهانةٍ ونجومٍ، وهو أنه لَمّا رآهم يعبدون الأصنام والأوثان دعاهم مِن طريق المُقابَلة، إذ هم مالوا إلى ذلك بما رأوا مِن حُسْنِ ذلك في البصر بما قد زُيِّن بأنواع الزِّيّ وحُلِّيَ بأنواع الحُلِيّ، فأراهم أنه يَعبد[٩] النجم وما ذكر، وأنّ الذي ذكر أحسن وأعظم نورا وضياء،[١٠] إذ هو بجوهره ونفسه كذلك، وما كانوا يعبدون بما فعلوا به[١١] وجعلوه[١٢] كذلك، لِيُكَرِّهَ إليهم عبادتَهم[١٣] الأصنام

---

[١] جميع النسخ: ولكن على ذلك.
[٢] ع م – على سلطان.
[٣] ن: أن يظهر لهم.
[٤] ك + نحوه.
[٥] ن: وعلى.
[٦] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[٧] ع + شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون على جعل.
[٨] قال الشارح: «والثاني ذُكِر أنه أظهر الموافقة لهم و لم يُبيِّن وجها صحيحا يجوز الموافقة بناء عليه، وإنما يجوز له أن يُظهِر الموافقة لهم على إضمار معنى مستقيم في نفسه، لِيَظنّوا ذلك منه موافقة وهو في الحقيقة غير موافق لهم ويُعذَّر له... وهو كالمُكرَه على عبادة صليب يَقصِد قَصْدَ عبادة الله تعالى وإن كان يُظهِر الموافقة لهم بالتوجه إليه ظاهرا، وكالمُكرَه على شَتْمِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم يَقصِد قَصْدَ محمدٍ آخر يُضمِره في قلبه ويُصوِّره في وَهْمِه، ونحو ذلك. وعلى ذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، فكان كَسَّر أصنامهم واتّهَموه بذلك، فقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، على جَعْلِ ﴿إن كانوا ينطقون﴾ شرطًا في نفسه في قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، والتعليق بشرط لا يكون حقيقةً أو عادةً يكون إعداما لا تحقيقا، فههنا كذلك لا يجوز إظهار الموافقة إياهم على إضمار معنى صحيح في نفسه و لم يذكر، فوجب الحَمْل على هذا على ما يذكر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ).
[٩] جميع النسخ: أنه يعبدوا.
[١٠] ع م: وضيئا.
[١١] ن – به.
[١٢] ع م: وجعلوا.
[١٣] ع: عادتهم.

ويَستَنقِذَهم عمَّا اعتادوه[1] بالمعنى الذي ذكرت، ثم أَلزمهم فسادَ ما مالوا[2] إليه وقَبِلوا منه قَبْل أنْ يَقِرّ ذلك في قلوبهم وتطمئنّ[3] إلى ذلك أنفسهم، بما أَظهر مِن فساد أنْ يكون الذي بذلك الوصف مِن التسخير أو مُلكُه على شَرَف الزوال [إلهًا]. أو يصير بحيث يُقِرّ [إبراهيم عليه السلام] في قلوبهم عبادةَ مَن لا يَشهَدونه[4] وقت العبادة،[5] فيَلزَمهم على ذلك عبادةُ المستحقّ لها. أو أن يقول:[6] إذا كانت النجوم وما ذُكر مع ضيائها[7] ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم تَصلُح[8] لها الألوهية عند الجميع[9] بالأفول والتسخير فالّتي كانوا يعبدونها –على ما سَخّرها وكانت[10] تحت [أيدي][11] البشر أَذِلّاء[12] لا تَسمع[13] ولا تُبصر ولا تَنفع[14]– أحقّ أنْ لا تكون لها[15] الربوبية وأنْ لا تُوَجَّه إليها[16] العُبودَة. *والله أعلم*. فهذا النوع من الاستدراج فيما لو ظهر أنهم لم يكونوا يتخذون النجوم أربابًا يعبدونها، وكذلك الذي ذكره[17] القُتَبي.

**والتأويل الثالث** للآية يَخرج مَخرج الإنكار والاستهزاء، ويكون في ذلك معنى الاستدراج، إذ هو الإلزام مِن حيث لا يُشعَر به، أو نَقْضُ أسبابِ الشُّبَه درجةً فدرجةً في حلول المَقْت

---

[1] ك: عما اعتاده.

[2] ع: ما م.

[3] ك: ويطمئن.

[4] ن: لا لا يشهدونه.

[5] ن: وقتا لعبادة.

[6] ع: وأن يقول.

[7] ع: من ضيائها.

[8] جميع النسخ: لم يصلح.

[9] ك ن ع: جميع.

[10] جميع النسخ: فالذي كانوا يعبدون على ما سخرهم كانوا.

[11] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٧و.

[12] ن – أذلاء.

[13] ن: إذ لا يسمع.

[14] جميع النسخ: لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع.

[15] ك: لا تكون له؛ ن ع م: لا يكون له.

[16] جميع السخ: لا يوجه إليه.

[17] م: ذكر.

. ولزوم المقصود بتعاطي ذلك الابتداء بالكشف عن الأسباب.[1] ثم قيل في هذا بأوجه. [٢١٧ظ]
أحدها أنهم كانوا يعبدون النجوم[2] وما ذُكر ويدعون إلى ذلك الأولاد والصبيان، وإبراهيم منهم[3] فيما كانوا يدعونه إليه، فقال لما رأى النجم: **هذا** الذي تعبدون **ربي**، أي إلى عبادته تدعونني، أي **هذا ربي** الذي تدعونني[4] إلى عبادته، فلَمَّا رآه طالعا سابحا غائبا ثبت عنده[5] أنه سُخِّر، فقال: **لا أحب** عبادته؛ لكن ذا قد يكون في خاصّ نفسه متفكرا في الذي دَعَوْه إليه لِيَعرف دَفْعَ قولهم مِن الوجه الذي يُقِرّ ذلك في القلوب إذا قابلهم به، وقد يكون في مَلإٍ منهم يُظهِر لهم قولَه: **هذا ربي**، على إضمار "تدعونني إليه"، لِيُلزِمهم بما بان له فساد الربوبية، فيكون استدراجًا أيضًا، لأنه ألزَمهم بعد ظهور الوِفاق مِنه لهم. وقد يكون ذَكَر "**هذا** الذي تدعونني إليه[6] أنه **ربي**" سِرًّا، ويَهزَأ بهم بإظهار الموافقة، يُبيّن لهم ذلك بما ألزَمهم أنّ الابتداء لم يكن على المساعدة، إذ ذلك المعنى[7] الذي به ألزَم كان ظاهرا عنده في الابتداء وعندهم[8] جميعًا.[9]

والثاني أن يكون قوله: **هذا ربي**، على ما يقال: هذا فلان الذي تخبرونني عنه؟ بمعنى أهذا هو؟ على إنكار أنه ليس بالمحلّ الذي أخبرتموني عنه، أو على الاستفهام لِيُقَرِّرَه[10] عنه.

---

[1] قال الشارح: «والتأويل الثالث وهو أن الآية تَخرج مخرج الإنكار والاستهزاء من حيث الحقيقة وإن كان من حيث الظاهر للتحقيق بوجود صنعة الاختيار، ويكون في ذلك معنى الاستدراج. إذ الاستدراج هو الإلزام مِن حيث لا يشعر، أو نَقْضُ أسبابِ الشُّبَه درجةً فدرجةً في حصول المراد، قال الله تعالى: ﴿سَنَستدرِجهم مِن حيث لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٨٢/٧)، فكذلك الاستدراج للحق بهذا الطريق، وهو يُريهم ظاهرَ الموافقة ويُورِد عليهم الحُجَج الظاهرة على ما يعتقدونه مِن الشُّبَه وَيَحُلُّها مِن حيث لا يشعرون أنّ قَصْدَه إبطالُ دينهم ونَقْضُ اعتقادِهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[2] ن: يعبدونها، صح هـ.

[3] ع: ومنهم.

[4] ع: يدعونني.

[5] ن – عنده.

[6] جميعالنسخ: تدعونني فيه.

[7] ك – المعنى.

[8] ك: او عندهم

[9] قال الشارح: «والثاني أن يقول: ﴿هذا ربي﴾، على الاستهزاء بهم والإنكار عليهم سِرًّا وإن كان يَتراءى على الظاهر موافقةً ومساعدةً، وهذا مُستعمَل في مُبتدَأ الكلام وفي عُرفِ الناس، كما لو قيل لحاذق... في نوع من العلم: إن فلانا أستاذك، لمن لا يصلح أن يكون أستاذا له، فقال: هذا أستاذي، على وجه الاستهزاء، فهذا مثله. يُبيِّن قولُه: ﴿لا أحب الآفلين﴾ أنّ قولَه: ﴿هذا ربي﴾ للابتداء لم يكن على المساعدة بل على الهزء بهم، لأن هذ المعنى الذي أَلزَمهم مِن الأُفول كان ظاهرا عندهم من الابتداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[10] ن م: ليقرر.

وأي الوجهين[1] كان فقد هَزَأ بهم[2] وظَهر في المُتعقِب أن الأوّل كان على الهُزء بهم والإنكار أو الاستفهام.[3] وذلك كقوله: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[4] على أنهم لم يَخلقوا كخلقه، يُوَضِّح [ذلك] قولُه: قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وفي الأول:[5] **لا أحب الآفلين**. ويجوز أن يكون هذا أَضمَره[6] في قَلْبِه:[7] **هذا ربي**، أي [أ]رَبٌّ هذا؟[8] إلى آخر ما ذَكر، ثم رجع إليه عند التقرير[9] عندهم أنه لا تَلِيق[10] الربوبية بالذي ظنّوا أنه ساعدهم عليه.

ثم[11] قد بيّنّا الدليل على أنه لم يكن كافرا في ذلك الوقت، مع ما قد ثبتت[12] عصمة الرسل عن الكبائر، فكيف يُنَبّون بالكفر؟ والله يقول:[13] اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ،[14] وكل مُتمكِّنٍ فيه الكفر شريكُ أمثاله، فلا وجه لتخصيص الأهل.

ثم جملة ذلك أن الله سبحانه لو أراد أن يُبيّن حقيقة الحال أو كانت بنا إلى معرفة حقيقة ذلك مِن المراد والوقت والوجه[15] حاجةٌ[16] في أمر الدين لكان يُبيّن ذلك أو يَرِد في ذلك [خبر] عن رسول الله[17] صلى الله عليه وسلم؛ لكن العلم[18] بحقيقة ذلك إذ هو عِلْم الشهادة بما ليس لنا

---

[1] ع: لوجهين.
[2] ع: فقد هزئهم.
[3] ك: أو استفهام.
[4] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).
[5] ع م: في الأول.
[6] ك ن: أضمر؛ ع: ضميرٍ؛ م: يضمر.
[7] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و.
[8] جميع النسخ + ربي.
[9] ع م – عند التقرير.
[10] ن ع م: لا يليق.
[11] هذا هو الوجه الثالث من وجوه التأويل الثالث الذي سبق ذكره.
[12] جميع النسخ: قد ثبت.
[13] ن + والله أعلم.
[14] سورة الأنعام، ٦/١٢٤.
[15] ن ع م – والوجه.
[16] ع م: والحاجة.
[17] ك: عن رسوله.
[18] ك: العمل.

وعلينا بالوصول [إليه] عَمَلٌ نُكَلَّف [به]،[١] ولا نُكَلَّف[٢] الشهادة بوقت القول وما يَتمكَّن فيه.[٣] فحَقُّه أنْ يُتأمَّل وجهُ الحكمة في ذكر القصة وما فيها مِن الحُجَة في أمر الدين. فهو -والله أعلم- يخرج على [عشر] وجوه. أحدها على جَعْلِ ذلك حُجَةً لرسالة رسوله [محمد صلى الله عليه وسلم]، إذ هو مِن أنباء الغيب، ونبي الله نشأ بمكة، ولم يكن ثَمَّ[٤] مَن يَعلم ذلك، ولا فَارَقَ قومَه واختلَف إلى مَن عنده عِلْمُ الأنباء يتَوَارثُهم كُتب الأنبياء، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِمّن يَخُطّ بيمينه أو يَقِف على المكتوب، دَلّ أنه عَلِمَه[٥] بالله سبحانه وتعالى. مع ما كان في القصة حُجَجُ التوحيد ودَفْعُ عبادة الأصنام وتسفيهُ أهل ذلك، لم يحتمل أن يكون تعليمُ مِثْلِ ذلك مِن الدافعين لذلك المُدَّعين على إبراهيم اليهودية والنصرانية.[٦] وبَعْدُ فإنّ كُتبهم بغير لسانه، وفي العبارة بلسانٍ [آخر] تَوَهُّم[٧] الاختلاف والتغيير، فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الإنكار والدفع.[٨]

والثاني[٩] استعطاف قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ هُم مِن ذرية إبراهيم عليه السلام بما يدعوهم إلى دين آبائهم؛ مع ما كانوا هُم أصحابَ تقليدٍ وحِفظِ آثار الآباء، فألزَمَهم[١٠] القولُ في آبائهم بما لا مَدفَع لهم القولَ بغير الذي قَلَّدوا، إذ إبراهيم[١١] عليه السلام عند جميع المشركين إمامٌ يُؤتَمّ به، [فهو] أَحَقُّ مِن كلِّ أبٍ. مع ما كان كلُّ مولودٍ على دينه

---

[١] ك ن ع: تكنف؛ م: تحف.

[٢] ع: ولا تكنف.

[٣] قال الشارح: «... فليس لنا أن نَشهَد على نَفْس شيءٍ مِن ذلك، إذ عِلْمُ الشهادة عِلْمُ الحقيقة، ولم نُعْطَ ذلك، فيكون شهادةً على الله تعالى مع احتمال الكذب، وهو باطل؛ وليس ذلك مِن باب العمل لِيَتَمَكَّنَ الترجيحُ للبعض في حقّ العمل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[٤] ن: ثمة.

[٥] ن: أن عسه؛ م: علمه.

[٦] لعل المؤلف رحمه الله يشير بذلك إلى قوله تعالى وإلى سبب نزوله: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣)؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٣٠٧/٣.

[٧] ن ع م: يوهم.

[٨] قال الشارح: «ونَقْلُ الشيء بلسانٍ إلى لسانٍ يُوهِم نوعَ احتلافٍ وتغيُّرٍ، فيُنكِرون عليه التغيُّر بتغيُّر الألفاظ واختلاف اللسان، فلا يحتمل الاحتجاج بمثل هذا الذي يحتمل الإنكار والدفع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦ظ).

[٩] ع - والثاني؛ م: وفيه.

[١٠] ك: وألزمهم.

[١١] ع: إذا إبراهيم.

مذكورا محفوظا في الخلق،[1] ومَن خالفهم فهو مَمْحوق الاسم والذكر جميعًا. فكان في ذلك أَعْظَمُ الدليل أنّ هؤلاء مِن الأنبياء أَحَقُّ بالتقليد[2] مِن الذين اتبعوه. وعلى ذلك اتفاق أهل الكتاب على مُوَالاة إبراهيم مِن غير أنْ تهَيَّأ[3] لهم دَفْعُ ما أثبت رسولُ الله مِن توحيده ولا ما قَرَّر عندهم مِن دينه بشيءٍ يجدونه خلافا لذلك في كُتبهم.

والثالث أنّ إبراهيم صلوات الله عليه صَرَف معرفةَ الربّ مِن جهة خَلْقِه. ودان بدِينه مِن جهة النظر في الآيات والبحث عنها، دون أنْ قَلَّد[4] أباه[5] أو قومَه لِيَعرف سبيلَ طلبِ الحق، ووَجه أتباعَه لِيكون ذلك تذكرةً لجميع ذريته.

والرابع أنه ذُكر الخبرُ عن أحواله بمَخرَجٍ ظاهرُه[6] يُوهِم المكروه، وله وجه الصَّرْف إلى ما ليس[7] فيه نِفارٌ عنه للطَّبْع ولا تَأَبِّي للعقل،[8] لِيَمتحن عباده بالقول[9] فيه والوقف في أمره.

والخامس لِيُعلَم أنّ المحاجة في الدين على قَدْر ما تحتمله[10] العقول لازمةٌ،[11] إذ بها أفحم[12] إبراهيم قومه وأظهر دين ربه، فيَبطُل بذلك قولُ كثيرٍ مِن المسلمين الذين يَكرَهون المُناظَرة في الدين ويَرَون في ذلك تقليدَ الأُستاذِين وظَواهِرَ[13] ما جاءت[14] به الآثار التي في اتِّباع أمْثالِها تَناقضٌ عند العقلاء. *ولا قوة إلا بالله*.

والسادس أنّ المُناظَرة[15] تكون بوجهين: نَصْب[16] الدلالة على تثبيت[17] القول، وبإظهار الفساد

---

[1] ن – في الخلق. قال الشارح: «...إلى قيام الساعة، كسائر الأنبياء الذين مِن نَسْلِه عليهم السلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ).
[2] ك ن ع: في التقليد.
[3] ع: أن يتهيأ.
[4] ع: قلد.
[5] ك: آباءه.
[6] ع م: ظاهرة.
[7] ك ن ع – ليس.
[8] يقال: تَأَبِّيَ عليه تَأَبِّيًا: إذا امتنع عليه (*لسان العرب* لابن منظور، «أبي»).
[9] ك ن ع: لقول.
[10] ن ع م: ما يحتمله
[11] ع: لازية.
[12] ن ع: فتحم.
[13] ن ع م: أو ظواهر
[14] جميع النسخ: ما جاء.
[15] ك: بأن المناظرة.
[16] ن ع م: لطلب.
[17] ن م: في تثبت؛ ع: في على تثبت.

بما يتمكّن فيه مِن العيب،[1] إذ هو رَدّ ما ادّعَوْا مِن الربوبية فيمن ذكر بما في ذلك مِن آثار التدبير لغيره، وكذلك قال في الأصنام: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[2] وقال: وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي،[3] وقال في موضع آخر: اَلَّذِي خَلَقَنِي،[4] إلى آخر ما أخبر. فمرّةً أبطَل قولهم بالمعنى / الذي بِضِدِّه احتَجّ في ثَبَاتِه[5] فيه، وجائزٌ في كلّ ذلك أن يقول لهم: [٢١٨و] ما الدليل على ما تَدّعُون لِمَا تَذكُرون مِن الربوبية؟

والسابع[6] جواز التسليم بإظهار الموافقة وإن كان المُسَلِّم بحقيقة ذلك مُنكِرًا وله دافِعًا، إذا كان في المساعدة بذلك في الظاهر نَيْلُ الفُرصة والظَّفَر بالبُغْيَة، إذ على ذلك خَرجت[7] مُناظرتُه[8] قومَه، وعلى ذلك[9] تَرْكُه[10] ما احتجّ به في قوله: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،[11] إذ قال خصمه: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، وإقبالُه على حُجّةٍ هي أَوْضَحُ مِن ذلك وأَقْهَرُ للعقل[12] وأَلْزَمُ في الطَّبْع، فقال: فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ.

والثامن أن يُعلَم أنّ الله لم يُهمِل القوم في شيء مِن الأزمنة دون أنْ جَعَل لهم أدلة للحقّ يَظفَرون بها لو تأمّلوا، ولا أَلْزَم خَلْقَه في زمانٍ مِن الأزمان بشيءٍ لو بُحِث عنه لا يُوقَف عليه ولا يُتهيّأ له، ولذلك[13] أظهَر الحُجَج وأَثَار البَيّنات لِيُعلَم أنه جَعَل أوامِرَه كُلَّها تالِيةَ الأدلة والبراهين،

---

[1] وعبارة الشارح هكذا: «فيها بيان أن المناظرة يكون بوجهين: بنصب الدلالة على إثبات القول والدعوى، والثاني بإظهار الفساد والتناقض في دعوى الخصم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ).

[2] سورة مريم، ٤٢/١٩.

[3] سورة يس، ٢٢/٣٦. لم ترد هذه الآية في شأن إبراهيم عليه السلام بل في نذير القرية الذي ذكر في سورة يس. لكن ورد في شأن إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٦-٢٧).

[4] ﴿الذي خلَقَنِي فهو يَهدين. والذي هو يُطعِمُني ويَسقِين. وإذا مَرِضْتُ فهو يَشفِين. والذي يُمِيتُني ثم يُحيِين. والذي أَطمَع أن يَغفِر لي خطيئتي يوم الدين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٧٨-٨٢).

[5] ك ن ع: في ثبات.

[6] ك: والرابع.

[7] جميع النسخ: خرج.

[8] م: مناظرة.

[9] ع م: وعلى ذكر.

[10] ن: نذكر؛ ع م – تركه. أي ترك إبراهيم عليه السلام حجته الأولى وإقباله... الخ.

[11] ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يُحيي ويُميت قال أنا أُحيي وأُميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفَر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[12] ع: وأقهروا العقل.

[13] م: وكذلك.

لِيَقطَع بها عُذرَ مَن تَأبَى[1] نفسُه القيامَ بالحق.[2]

والتاسع أن يُعلَم أنه لا أحدَ يقوم بالحِجاج ولا يَنطِق بحُسْن البيان إلا بِعَطِيَّةِ[3] الله وامْتِنانِه عليه بما يُنطِق به لسانَه ويُوفِّقُه للقيام به، بقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[4]

ثم العاشر أن يكون بفضله تُنال[5] الدرجاتُ في أَمْرِ دِينه، ويُرتقَى إلى مَنازِل الفَضْل والشرَف بمشيئته،[6] كما قال: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ،[7] وأنه متى شاء الرَّفْعَ كان. ***والله أعلم.***

وقد قال بعض أصحاب الإمامة في تأويل الآية، زَعَمَ أنهم أَخذُوه مِن شَرْحِ عَلِيّ:[8] إنّ تأويل النجم المأذون، والقمر اللاحق، والشمس الإمام، بمعنى أنه قال للمأذون: **هذا ربي**، عَنَى به ربّ التربية، رَبّاه بالعلم، وقوله عز وجل: **فلما أفل**، أي فَنِيَ ما عنده رَغِب عنه وقال: **لا أحب** هذا، ثم ظَفِر[9] باللاحق، ثم كذلك بالإمام، ثم تَوجّه نحو التالي[10] بالقبول من الرسول،[11] إذ التالي عندهم هو الذي فَطِن[12] ما ذُكر، فلَمّا جاوز درجة المُتِمّ وهو الإمام صار إلى درجة الرسالة، وهو القابلُ مِن الثاني[13] بالخيال، والمُصوِّر للشرائع عندهم، فألْزَموا بهذا عبادةَ أَرْباب، وأنّ الارتفاع مِن درجة إلى درجة بأولئك. وذلك أمْرٌ مُتناقِض على المُتأمِّل، لأنه لَمّا فَنِيَ ما عند المأذون صار إلى اللاحق، والمأذونُ كان به مأذونًا، فلم يكن الثاني بما يصير إليه أَحمَدَ مِن الأوّل، إذ كان[14] به صار مأذونًا. ولو كانت[15] ثَمّ[16] درجةٌ أخرى

---

[1] ك: من يأبى.
[2] جميع النسخ: القيام به. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و.
[3] ع: لا بعطية.
[4] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[5] ن ع م: ينال.
[6] ع: بمشية.
[7] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[8] أي تأول بعض الإمامية هذه الآيات على رأيهم الخاص ونسبوا هذا التأويل إلى علي كرم الله وجهه.
[9] جميع النسخ: ثم ظهر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و.
[10] ك: الثاني.
[11] قال الشارح: «وهو التالي. ويُسمَّى الصامِت، وهو الذي يَقبَل العِلْم مِن الرسول الذي يُسمَّى الناطق عندهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و).
[12] ن: فطن.
[13] جميع النسخ: من التالي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و. والثاني هو النفس الناطقة، وهو الذي يُقَوِّي الخيال في قلب الناطق أي الرسول. انظر: المصدر السابق.
[14] ك: إذا كان.
[15] جميع النسخ: ولو كان.
[16] ن: ثمة.

فإمّا أن يكون يَنال[1] تلك في الوقت[2] الذي يُلقِي المأذون ذلك إلى غيره أوْ لَا، فإن كان لا يَنال فلا أسْفَهَ مِن المأذون، حيث امتنع عمّا يُقلِّبه إلى الدرجة[3] الثانية وبَلَغ غيرُه؛ أو يَنالُ معه، فإذا صار هو معه في درجة المُتِمّ فكيف قال: لا أُحبّه،[4] وهو آثَر الذي ذلك وَصْفُه؟ ثم كيف قال: لا أُحبّ، وذهاب ما به أخذ بحظه عن الآخذ[5] من الآخر؟[6] أو كيف صار ربّه قَبْل أنْ يُرَبِّيَه،[7] فلَمّا رَبّاه تَبرّأ مِن رُبوبِيّته وآثَر رَبًّا آخر؟ فإذًا عاقِبةُ شُكرِه سَعْيَ ربِّه في شأنِه[8] كُفرانُه به، وكذلك درجةً فدرجةً حتى يَكفُر بالثاني،[9] ثم بالعقل، ثم يصير إلى رب العالمين. وهو الربّ في الابتداء والانتهاء، لا ربَّ لأحدٍ سِواه، عز[10] وجل[11] عن الشركاء، إذ إليه حاصلُ الأمرِ ومَصيرُ الخَلْقِ. ولو كان كلُّ مُرتَقٍ حَدًّا يَرتقِي آخر لكانت تلك الحدود تكون[12] أبدًا آخِرَها، فيكون الكل تَوَالِي أو نُطَقاء، ويَبطُل الأَدِلّاء[13] والمأذونون والأئمة جميعًا. وقد كَرّم الله تعالى عَلِيًّا كَرّم الله وجهه عن هذا الخيال، وعَصَمه عن هذا الوَسْواس. والحمد لله.

**﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٨٠]**

[قوله عز وجل]: **وحاجّه قومُه**، ذَكر مُحاجّة قومِه[14] ولم يُبيِّن فيما حاجُّوه،[15] لكن في الجواب

---

[1] ن ع م: بيان.
[2] ك: في الوقف.
[3] ع: إلى درجة.
[4] ع: لا اخبه.
[5] ع – بحظه عن الأخذ.
[6] ن – الآخر. وعبارة الشارح: «لماذا قال: لا أُحب هذا، وهو في الدرجة مِثلُه، ولأنه بِسبَبِه يَصِل إلى هذه الدرجة؟!» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و).
[7] ن: أن يربه.
[8] ن: في شأن.
[9] جميع النسخ: بالتالي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٢٨٧و.
[10] ك – عز؛ ن – سواه عز.
[11] ك ن: جل.
[12] ن ع م: يكون.
[13] ك: الادلات. الأدِلّاء جمع دليل بمعنى الهادي إلى الطريق. وأصحاب الدرجات المذكورة يكونون أدِلّاء لمن يعتقدونهم كذلك.
[14] ن – ذكر محاجة قومه.
[15] ك: فيم حاجوه.

بيانُ أنّ المُحاجة فيما كانت،[1] وهو قوله: **قال أتحاجّونّي في الله**. ثم تحتمل[2] المحاجة في الله، في توحيد الله[3] ودينه، وتحتمل[4] في اتّباع أمر الله وطاعته. وذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **وحاجه قومه** في آلهتهم وخوّفوه بها، وقالوا: أَمَا تخاف[5] آلهتَنا وأنت تشتمها ولا تعبدها أن تُخَبِّلَكَ[6] وتُفسدك؟[7] وذلك محتمل، وهو كقول قوم هود لهود عليه السلام: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ.[8] ثم قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه: أَمَا تخافون[9] أنتم منها؟ قالوا: كيف نخاف ونحن نعبدها؟ قال: لأنكم تُسوّون بين الصغير والكبير والذكر[10] والأنثى، أَمَا تخافون الكبير إذ سَوّيتموه[11] بالصغير، وما تخافون الذكر إذ سَوّيتموه[12] بالأنثى؟ ويحتمل أنهم خوّفوه بالله بترك عبادة آلهتهم لِمَا كانوا[13] يقولون:[14] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[15] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[16] فخوّفوا[17] إبراهيم بالله[18] بترك عبادتهم لِمَا كان عندهم أنّ عبادتهم إياها تُقَرِّبهم إلى الله زُلْفَى، وتَرْكَ العبادة لها يُبعِدهم.[19]

فقال: **وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به**، ويحتمل قوله: **وقد هدان**،[20] الدين والتوحيدَ، وهَداني طاعته والاتّباع لأمره، فقال: كيف أخاف وقد هداني.

[1] ك: فيم كانت.
[2] ن ع م: ثم يحتمل.
[3] ع: في التوحيد.
[4] جميع النسخ: ويحتمل.
[5] م: انا نخاف.
[6] وقد خَبَلَه وخَبَّلَه واختَبَلَه إذا أفسد عقلَه وعُضْوَه (*لسان العرب* لابن منظور، «حبل»).
[7] روي نحو ذلك عن ابن جريج. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥٢/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٧/٣.
[8] سورة هود، ٥٤/١١.
[9] ع م: لما تخافون.
[10] ع – والذكر.
[11] ك ن: إذا سويتموه؛ ع: إذ سميتموه.
[12] ك ن ع: إذا سويتموه.
[13] ن: لما قالوا، صح هـ.
[14] ن – يقولون.
[15] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[16] سورة يونس، ١٨/١٠.
[17] ع م: فخوفوها.
[18] م – بالله.
[19] ك: تبعدهم.
[20] ك ن + ما ذكرنا في قوله أتحاجوني في الله وقد هدان.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء ربي شيئًا**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل لا أخاف إلا إن عصيتُ ربي في شيء، فعند ذلك أخاف، وأمّا إذ هداني[1] ربي فإني لا أخاف[2] بتركي عبادتهم. والثاني **إلا أن يشاء ربي**، إلا أنْ يَبتليَني ربي بشيء مِن المعصية، فعند ذلك أكون في مشيئته إن شاء عَذّبني وإن شاء[3] لم يُعذّبني.

/وقوله عز وجل: **وَسِع ربي كل شيء علمًا**، أي عِلْمُ ذلك كلِّه عنده، عصيتُ أو أطعتُ. [٢١٨ط]

**﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[٨١]

وقوله عز وجل: **وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله**، عن ابن عباس:[4] **وكيف أخاف ما أشركتم**،[5] بالله من الأصنام، **ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا**، يقول: عُذْرًا في كتابه، **فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن**، [أَيْ] أَيُّ أهلِ دِينَين[6] أنا أو أنتم[7] أحق بالأمن، **إن كنتم تعلمون**، أنا أعبد إلها واحدا، وأنتم تعبدون آلهة شتّى.[8] وقيل: إنهم كانوا يُخَوِّفونه بتَركِهِ عبادةَ آلهتهم وإشراكَه[9] إياها في عبادة الله، فقال: **وكيف أخاف ما أشركتم** أنتم بالله من الآلهة، **ولا تخافون** أنتم بما **أشركتم بالله** غيره **ما لم ينزل به عليكم سلطانًا**، أي حُجّة بأن معه شريكا، ثم قال: **فأي الفريقين أحق بالأمن**، أنا أو أنتم،[10] مَن عَبد إلها واحدا أَحقّ[11] أن يأمن عنده[12] أو مَن عَبد[13] آلهة شتّى صِغارا وكِبارا ذُكورا وإناثا؟

---

[1] ن م: إذا هداني.
[2] ع م: أخاف.
[3] ك: وإنشاء.
[4] ع – وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله عن ابن عباس.
[5] ك + به من الأصنام ولا تخافون أنكم أشركتم؛ ن + من الأصنام ولا تخافون أنكم أشركتم؛ م – عن ابن عباس وكيف أخاف ما أشركتم.
[6] ن – دينين.
[7] جميع النسخ: وأنتم.
[8] عن ابن جريج قال: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾، أمَنْ يعبد ربًّا واحدا أم مَن يعبد أربابًا كثيرة؟ انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٥٤.
[9] أي وتركه الإشراك.
[10] ع م: وأنتم.
[11] ع م - أحق.
[12] ك – أن يأمن عنده.
[13] ن ع: ومن عبد.

أو أنْ يُقال: أَنْ كيف أخاف آلهتكم التي تعبدون من دون الله بتركي عبادتها وهي لا تملك ضرًّا إن تركتُ ذلك ولا نفعًا إن أنا فعلتُ ذلك، ولا تخافون أنتم بترككم عبادة إلهي وهو يملك الضرَ إن تركتم عبادته والنفع إن عبدتموه؟ **فأي الفريقين أحق بالأمن،** مَن[1] عَبد إلهًا يملك الضرَ والنفع أو مَن عَبد إلهًا[2] لا يملك ذلك؟

**﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**[٨٢]

فقيل: رَدَّ عليه قومُه فقالوا:[3] **الذين آمنوا**، بربّ واحد يملك الضرَ والنفع، **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**،[4] قيل: لم يَخلِطوا تصديقهم وإيمانهم بشِرْكٍ ولم يَعبدوا غيره دونه،[5] **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**، مِن الضلالة والشرك. قيل: الظلم ههنا[6] الشرك. رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت[7] هذه الآية: **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، شَقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، فأيُّنا لا يَظلم نفسَه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، أَوَلَمْ تسمعوا[8] ما قال لُقمان لابنه:[9] يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».[10] وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين: الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[11] **والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**؟ فقالوا: الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، [أي] ثم عَمِلوا له واستقاموا على أمرِه، **والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، أي لم يُذنِبوا، فقال: لقد[12] حَمَلْتمونا على أمرٍ شديدٍ، **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، بشِرك،

---

[1] ع م – من.
[2] ع + يملك الضر والنفع أو من عبد إلها.
[3] ك: فقال.
[4] يقول علاء الدين السمرقندي: «وقيل: لما قال لقومه: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ فرد عليه قومه ذلك وعارضوه بمثل ما قال لهم فقالوا: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ فقال لهم: آمنوا برب واحد يملك الضر والنفع. ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٨ط).
[5] ع: دون.
[6] ع: هاهناك.
[7] ع – لما نزلت.
[8] ن: ولم تسمعوا.
[9] ع: لابيه.
[10] سورة لقمان، ١٣/٣١. صحيح *البخاري*، التفسير، ٤١/٣١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٢٤.
[11] سورة فصلت، ٣٠/٤١.
[12] ع م: ولقد.

والَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، عليها فلم يَعدِلوا عنها بشِرك ولا غيرِه.[١] فإن ثبتت[٢] هذه الأخبار فهو ما ذُكر فيها أنّ الظلم هو الشرك، وإلّا احتمل الظلم ما دون الشرك، أنّ مَن لم يَظلِم ولم يُذنِب فهو في أَمنٍ[٣] مِن الله، ومَن ارتكب ذَنْبًا أو ظُلْمًا فله الخوف، وهو في مشيئة الله، إن شاء[٤] عَذّبه وإن شاء[٥] غَفَر له وعَفا عنه.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، الآية تَنقُض[٦] قولَ مَن يقول بأنّ إبراهيم كان غيرَ مؤمنٍ في ذلك الوقت ولا عارفٍ[٧] بربه، لأنه أخبر أنه آتاه حُجَجَه على قومه، ولو كان هو على ما[٨] قالوا لكانت الحُجَة التي آتاه عليه، فلَمَّا أَخبر أنه آتاه حُجَجَه على قومه دَلّ أنه ليس على ما قالوا، ولكن كان عارفًا بربه مخلصًا له على ما سَبَق ذِكرُه.[٩]

فإن قال قائل: إن الحُجَة التي أخبر الله[١٠] أنه آتاها إبراهيم على قومه هي[١١] قوله: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ،[١٢] إلى آخرِ ما ذُكر.

فيقال: إنّ هذه ليست بمُحاجَة، إنما هو تقرير التوحيد والدين، ألا ترى أنه قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[١٣] والمحُاجَة ما ذُكر في قوله: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ،[١٤] وقوله: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[١٥]

[١] *تفسير الطبري*، ٢٥٦/٧، ١١٥/٢٤؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٣٠٨/٣، ٣٢٢/٧.
[٢] جميع النسخ: فإن ثبت.
[٣] ك: آمن.
[٤] ك: انشا.
[٥] ك: وانشا.
[٦] ع م: ينقض.
[٧] ع م: وعارف.
[٨] ن + كان.
[٩] انظر تفسير الآيات من سورة الأنعام، ٧٥/٦-٧٩.
[١٠] ك ع م - الله.
[١١] ك: هو؛ ن: وهو؛ ع م - هي.
[١٢] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[١٣] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[١٤] سورة الأنعام، ٧٦/٦.
[١٥] سورة الأنعام، ٧٩/٦.

وغيرها من الآيات التي فيها وَصْفُ توحيدِ الرب عز وجل وأُلوهيّتِه وفَسادِ آلهتهم. مِن ذلك قوله: قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ،[١] وقوله: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٢] وقوله: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ -إلى قوله- وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ.[٣]

وفيه دليلُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنه قال: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، والإيتاء هو الإعطاء، والنجومُ والشمسُ والقمرُ وما ذُكر قد كانت،[٤] دَلّ أنّ الذي آتَى إبراهيمَ هو مُحاجَّتُه قومَه[٥] بما ذَكرنا واحتِجاجُه عليهم بذلك، دَلّ أنّ له في مُحاجّةِ إبراهيمَ قومَه صُنْعًا حيث أضاف إلى نفسه، وهو أنْ خَلَقَ مُحاجّتَه قومَه. *وبالله العصمة.*

وقوله تعالى: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، [أي على] الذين[٦] كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وهو ما بَيّن سَفَهَهم في عبادتهم الأصنام حيث قال في غير آيٍ، وعلى نمرود حين قال: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ،[٧] إلى آخِر الآية.

وقوله عز وجل: **نرفع درجات من نشاء**، وفيه أيضًا دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله قد شاء لِكلّ أحدٍ أنْ يَبلُغ المَبْلَغ الذي إذا بَلَغ ذلك يَصلُح للنبوّة والرسالة، لكنهم شاءوا أن لا يَبلُغوا[٨] ذلك المَبْلَغ، يَجعلون المشيئة في ذلك إلى أنفسهم دون الله، والله أخبر أنه يرفع درجاتٍ مَن يشاء، وهم يقولون: لا يقدر أن يَرفع، بل هم يَملكون أن يَرفعوا درجات أنفسِهم، فدلت الآية على أنّ مَن نال درجة أو فضيلة إنما يَنال[٩] بفضل الله ومَنِّه.

ثم قوله: **نرفع درجات**، يحتمل الدرجات وجوها. يحتمل النبوة، ويحتمل[١٠] الدرجات في الآخرة أن يَرفع لهم، ويحتمل الذِّكر والشَّرَف في الدنيا لِمَا يُذكَرون في المَلأِ مِن الخَلْق.

---

[١] سورة الصافات، ٣٧/٩٥-٩٦.

[٢] سورة مريم، ١٩/٤٢.

[٣] ﴿قال هَلْ يَسمَعونكم إذ تَدعُون. أو يَنفعونكم أو يَضُرّون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأَقْدَمُون. فإنهم عدوّ لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يُطعمني ويَسقين. وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٧٢-٨٠).

[٤] أي قد كانت مخلوقة موجودة قبل إبراهيم عليه السلام، فلا يصح أن يقال: إن الله أعطاه النجوم والشمس و لقمر.

[٥] ن - قومه.

[٦] ن ع م: والذين.

[٧] ﴿قال أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس مِن المَشرِق فأتِ بها مِن المَغرِب فبُهِت الذي كَفَر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[٨] ع: أن يبعوا.

[٩] ك: إنما نال.

[١٠] ن: وتحتمل.

وقوله عز وجل: **إن ربك حكيم عليم**، أي **حكيم** في خَلْق الخلائِق، خَلَق خلْقًا يَدلّ على وَحْدانِيَّتِه، ويَدلّ على أنه مُدبِّر ليس بمُبطِل في خَلْقِهم، ثم **عليم** بأعمالهم، **وعليم** [٢١٩و] بمَصالِح الخلق وبما يَصلُح لهم وبما لا يَصلُح، والحكيم هو الذي لا يَلحَقُه الخطأُ في التدبير.

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٤] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨٥] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٨٦]**

وقوله عز وجل: **ووهبنا له إسحق ويعقوب**، يحتمل ما ذكرنا مِن رَفْعِ الدرجات[١] ما ذُكر مِن هِبَة هؤلاء. وفيه دليل أنّ ما يكون له مِن الفَضْل في هِبَة أولادِه يكون ذلك في أولادِ أولادِه.

وقوله عز وجل: **كُلاً هَدينا ونوحًا هدينا مِن قبل**، والهداية هدايتان، هدايةُ[٢] إصابةِ الحق وهدايةُ العلم بالحق، وهي هداية البيان، فهذه الهداية مِمّا يَشترِك فيها المسلم والكافر جميعًا، وأما هدايةُ[٣] إصابةِ الحق فهي خاصّةٌ للرسل والأنبياء والمسلمين جميعًا. والهداية ههنا هي إصابة الحق لا العلم بالحق، لأنهم اشتركوا جميعًا في العِلم بالحق الكافر والمسلم.

**ومن ذريته داود**، قيل: ذرية إبراهيم، وقيل:[٤] ذرية[٥] نوح، [لأنهم][٦] كانوا جميعًا مِن ذرية[٧] نوحٍ، إبراهيم ومَن ذُكر مِن الرسل.

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي المحسنين**، أي كذلك نجزي المحسنين بالذِّكْرِ والشَّرَف والثَّناءِ الحَسَنِ إلى يوم القيامة، كما جُزِي هؤلاء الرسل بالذِّكْرِ والشَّرَف والثَّناءِ الحَسَنِ في مَلأِ الناس. ويحتمل أن يُذكَروا في مَلأِ الملائكة كما ذُكِروا في مَلأِ الخَلْقِ في الأرض. ويحتمل **وكذلك نجزي المحسنين**، في الآخرة بالثواب ورَفْعِ الدرجات والجزاءِ الجَزيل.

---

[١] في الآية السابقة.
[٢] ك - هداية.
[٣] ع: أما هداية.
[٤] ن - وقيل.
[٥] ن: وذرية.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٩و.
[٧] ع: ومن ذرية.

ثم ذَكر في فريقٍ أنه: **وكذلك نجزي المحسنين**، وذَكر في فريقٍ آخر: **كُلٌّ مِن الصالِحين**، وذَكر[1] في فريقٍ:[2] **وكُلًّا فَضَّلنا على العالمين**، وهذا -والله أعلم- ليس على تَخصِيص كُلِّ فريقٍ بما ذَكر مِن الذِّكْر، ولكن على الجَمْع أنهم مُحسِنون صالحون مُفَضَّلون على العالَمِين.

ثم يحتمل التفضيل لهم بالنبوّة، أنهم فُضِّلُوا على العالمَين بالنبوّة. ويحتمل أنهم كانوا مُفَضَّلين[3] على العالَمِين بالإحسان والصَّلاح لو لم تكن لهم[4] رسالةٌ ولا نبوّة. ثم يحتمل أنه سمّاهم مُحسِنين باختيارِهم الحالَ التي [بها] كانوا أهْلاً للرسالة والنبوّة، فإن كان هذا فهُم الرسل خاصّة. ويحتمل مُحسِنين باختيارِهم الهداية وإصابةَ الحقّ، فإن كان هذا فهو مِمّا يَشترِك الأنبياء وأهل الإسلام فيه.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم**، أمّا آباؤهم مَن تَقدَّمهم، **وذرياتهم** مَن تأخَّر عنهم،[5] **وإخوانهم** الذين يُقارِنُونهم. وقيل: **وذرياتهم** محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: المؤمنون[6] مِن بَعدِهم.

وقوله: **واجتبيناهم**، يحتمل اجتباهم بالنبوة والرسالة، **وهديناهم إلى صراط مستقيم**، فذلك لهم خاصّة. ويحتمل **واجتبيناهم** بالتوحيد ودين الإسلام، فذلك يَعُمّ الأنبياء والمؤمنين جميعًا، لأنه اجتباهم بذلك جميعًا.[7] ويحتمل اجتباهم بما ذَكر مِن رَفْعِ الدرجات والفضائل، ويكون صِلَةَ قوله: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ،[8] وذلك أيضًا يَعُمّ الرسل والمؤمنين. والله أعلم بذلك.

وفي قوله: **ومن آبائهم وذرياتهم**، الآية، دلالة أنّ مِن آبائهم وذرياتهم مَن لم يَجتبِهم، بقوله: "مِن"، إذ "مِن" هو حرف التبعيض.

---

[1] ن + وذكر.
[2] د - في فريق.
[3] ع م: متفصلين.
[4] ك ع م: لم يكن لهم؛ ن: لم يكن.
[5] جميع النسخ: من تأخرهم.
[6] ك: المؤمنين.
[7] ن - لأنه اجتباهم بذلك جميعًا.
[8] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

**﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **ذلك هُدى الله يهدي به مَن يشاء مِن عِباده**، أي ذلك الهُدى الذي هَدى [به] هؤلاء، فبِهُداه[١] اهتَدُوا. وفي الآية دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله قد شاء أنْ يَهدي[٢] الخَلائِق كلَّهم لكن لم يَهتَدوا، وعلى قولهم:[٣] لم يكن مِن الله إلى الرسل والأنبياء مِن الهداية والفضل إلّا كان ذلك إلى جميع الكَفَرة. فالآية تكون مَسلُوبة الفائدة على قولهم، لأنه ذكر أنه **يَهدي مَن يشاء**، وهم يقولون: شاء أن يَهدي الكلّ لكن لم يهتدوا، فإن كان كما ذَكروا لم يكن لقوله: **مَن يشاء**، فائدة، دَلّ أنه مِن الخلائق مَن قد شاء أن لا يَهديهم إذ عَلِم[٤] مِنهم أنهم لا يهتدون ولا يختارون الهُدى. ***وبالله التوفيق***.

وقوله عز وجل: **ولو أشركوا لحَبِط عنهم ما كانوا يعملون**، هذا إنْباءٌ[٥] عن الحكم فيهم لو أشركوا، إلاّ أنهم لا يشركون،[٦] لأنّ الله قد عَصَمهم واختارَهم لِرسالتِه واختَصَّهم[٧] لِنبوّتِه، فلا يحتمل أن يُشرِكوا، لكن ذَكر هذا لِيَعلموا أنّ حُكمَه واحدٌ فيمَن أشرك في الله غيرَه، وَضِيعًا كان أو شريفًا.

وقوله: **لحبط عنهم ما كانوا يعملون**، مِن الحسنات والخيرات التي كانت قَبْل الإشراك.

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾**[٨٩]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين آتيناهم الكتاب**، قيل: الكُتب التي أَعطى الرسل، **والحكم**، قيل: العلم والفقه والفهم، وقيل: الأحكام التي أعطاهم، **والنبوة**، هي أَنْباءُ الغَيب، وقد ذكرنا هذا.[٨]

---

[١] م – فبهداه.

[٢] ك: أن تهدي.

[٣] أي ونَقْضٌ على قولهم.

[٤] جميع النسخ: إذا علم.

[٥] م: نناء.

[٦] ك: لا أنهم يشركون؛ ن: إلا أنهم يشركون.

[٧] ع: واختصم.

[٨] م – هذا. لم أجد أنّ المؤلف فسر النبوة بأنها أنباء الغيب فيما سبق. لكن لتفسير "النبي" عموما انظر: تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٦١. ولعله يقصد تفسير "أنباء الغيب"، وهي جزء من آية. فانظر لذلك تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٤٤.

وقوله عز وجل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، قيل: **بها** كنايةٌ عن أَنْباءِ الغيب والنبوة التي ذُكر. وقيل: **بها** كنايةٌ عن الكتب التي أَنزلها على الرسل. وقيل: هي كناية عن الآيات والحُجَج التي أَعطى رسولَه.

وقوله:[١] **فإن يَكفُر بها هؤلاء فقد وَكَّلْنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، اختلف فيه. قال بعضهم: **فإن يكفر بها**، يعني أهل مكة، **فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، أهل المدينة مِن الأنصار والمهاجرين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٢] وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل قرابتك،[٣] **فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، يعني مَن عَدَّه[٤] مِن الرسل والأنبياء. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل قرابتك وأهل وُصْلَتِك، **فقد وكلنا بها قومًا**، مِن غيرِ أهل قرابتك، **ليسوا بها بكافرين**. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل زمانك، **فقد وكلنا**
[٢١٩ظ] **بها قومًا**، مَن تَقدَّمهم / مِن آبائهم وأجدادهم،[٥] **ليسوا بها بكافرين**. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل الأرض، **فقد وكلنا بها قومًا**، يعني أهل السماء، **ليسوا بها بكافرين**. وقال[٦] الحسن رحمه الله: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أمتك، فقد وَكَّل الله بها النبيين والصالحين مِن الأُمَم الخالية، **ليسوا بها بكافرين**. والله أعلم بذلك. وهو كما ذكرنا.

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾**[٩٠]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين هَدى الله فَبِهُداهُمُ اقْتَدِه**، يحتمل[٧] **فبهداهم** الذي[٨] [به] هَدَوْا هُم[٩] أُمَّتَهم اهْدِ أنت أُمَّتَك. ويحتمل[١٠] **فبهداهم** الذي[١١] هُدُوا هُم اهْتَدِ[١٢] أنت،

---

[١] ن – وقوله.
[٢] *تفسير الطبري*، ٧/٢٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣١٢.
[٣] ك ع م – يعني أهل قرابتك.
[٤] ع: من وعد؛ م: من عد.
[٥] ن – من تقدمهم من آبائهم وأجدادهم، صح هـ.
[٦] م: قال.
[٧] ع: ويحتمل.
[٨] ن ع م: الذين.
[٩] ع م – هم.
[١٠] ن: يحتمل.
[١١] ن ع م: الدين.
[١٢] ن – اهتد.

يَأمُره عز وجل[1] بالاقتداء بإخوانه الذين مَضَوْا مِن الرسل. والهُدى هو اسم ما يُدان به، ليس هو اسم الأفعال، لا يقال لتارك[2] الصلاة والزكاة والصيام: ضالّ،[3] إنما يقال ذلك لِمَن دان بِضِدّ الهُدى، أَمَر رسولَه أنْ يَقتدِي بهم بذلك. وذلك يدلّ على أنّ الأنبياء والرسل كانوا على دين واحد، وأن الدين لا يحتمل النسخ والتغيير؛ ألا ترى أنه[4] قال في آية أخرى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا،[5] أخبر أنه شَرع لنا الدين الذي شَرع لِنُوح،[6] وذلك يدلّ على[7] أنّ الدين واحد لا يحتمل النسخ، وأمّا الشرائع فهي مختلفة، لأنها تحتمل النسخ.

ويحتمل[8] الأمر بالاقتداء بهم ما ذَكر: **قل لا أسألكم عليه أجرًا**، أي اقْتَدِ[9] بمَن تقدّم مِن الرسل ولا تأخذ على تبليغ الرسالة أجرًا كما لم يأخذوا[10] هُم. وفي قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرًا**،[11] دليلُ نَقْضِ قولِ مَن يُجيز أَخذَ الأجر على تعليم القرآن والعلم ورواية الحديث وغيرِ ذلك مِن العبادات، وكذلك[12] قوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[13] كأنه[14] –والله أعلم– يجعل لهم العُذر في ترك الإجابة له[15] بما يَلحَقهم مِن ثِقَل الأجر والغُرْم. *والله أعلم*.

وفيه أيضًا دلالةُ نَقْضِ مذهبِ[16] القَرامِطَة، لأنهم يَعرِضون مذهبَهم على الناس ويَأخذون مِنهم المَواثيق والجُعْل[17] في ذلك، وإنما أُخِذت[18] المواثيق مِن الرسل على تبليغ الرسالة إلى قومهم،

---

[1] م + بالأمر.
[2] م: التارك.
[3] ع: هناك.
[4] ك: إلى أنه.
[5] سورة الشورى، ١٣/٤٢.
[6] ك ن: نوحا؛ ع م – أنه شرع لنا الدين الذي شرع لنوح.
[7] ن: يدل.
[8] ع: وتحتمل.
[9] ن ع م: أي اقتدي.
[10] ن م: لم يؤاخذوا؛ ع: لم يؤخذوا.
[11] ن – أي اقتد بمن تقدم من الرسل ولا تأخذ على تبليغ الرسالة أجرًا كما لم يأخذوا هم وفي قوله قل لا أسئلكم عليه أجرًا.
[12] ع: وغير كذلك.
[13] سورة الطور، ٤٠/٥٢.
[14] ن + قال.
[15] ن – له.
[16] ن + قول.
[17] جَعَل له كذا شارَطه به عليه، وكذلك جَعَل لِلعامل كذا، والجُعْل... ما جَعَله له على عَمَله... وهو الأجر على الشيء فِعلاً أو قولاً (*لسان العرب* لابن منظور، «جعل»).
[18] جميع النسخ: أخذ.

وأُمِروا بتأليف قلوب الخَلْق، وفي أَخْذِ الجُعْل مِنهم نُفور[1] قلوبهم وطباعهم عن ذلك.

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكرى للعالمين**، أي ما هذا القرآن **إلا ذكرى**، أي عِظَة وزَجْر **للعالمين**.

**﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾**[٩١]

وقوله عز وجل: **وما قدروا الله حق قدره**، الآية،[2] قيل: نزلت سورة الأنعام في مُحاجة أهلِ الشرك إلّا آياتٌ نَزلت في مُحاجة أهلِ الكتاب، إحداها[3] هذه: **وما قدروا الله حق قدره**، الآية. وذَكر في مَوضِعٍ آخر: مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ،[4] وقال في آية أخرى:[5] وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا،[6] الآية. ثم قال بعض أهل التأويل: ما عَرفوا الله حق مَعرفتِه، وقال غيرهم: ما عَظّموا الله حقّ عَظمتِه؛ ذَكروا أنّ هؤلاء لم يُعظّموا الله حق عَظمتِه ولا عَرفوه[7] حقّ مَعرفتِه.[8] ومَن يَقدِر أنْ يُعظّم الله حقّ عَظمتِه أو أنْ يَعرفه[9] حقّ مَعرفتِه، أو مَن يَقدِر أنْ يَعبد الله حقّ عبادتِه؟ وكذلك رُوي في الخبر: إنّ الملائكة يقولون يوم القيامة: يا ربّنا ما عَبَدناك حقّ عبادتِك،[10] مع ما أخبر عنهم أنهم لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[11]

---

[1] ع: من نفور.
[2] ك م – الآية.
[3] ن ع م: أحدها.
[4] سورة الحج، ٧٧/٢٢.
[5] ع م – ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز وقال في آية أخرى.
[6] ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قَبْضَتُه يوم القيامة﴾ (سورة الزمر، ٦٧/٣٩).
[7] م: ولا ولا عرفوه.
[8] ن – وقال غيرهم ما عظموا الله حق عظمته ذكروا أن هؤلاء لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته.
[9] ك ع م: أو أن يعرف؛ ن: وأن يعرف.
[10] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسم: «ما في السماوات السبع مَوضِع قَدَمٍ ولا شِبْرٍ ولا كَفٍّ إلا وفيه مَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ راكع أو مَلَكٌ ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلاّ أنّا لم نُشرك بك شيئا» (*المعجم الكبير* للطبراني، ١٨٤/٢؛ و*المعجم الأوسط* له، ٤٤/٤). قال الهيثمي: «وفيه عُروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٣٥٨/١٠). وللحديث شاهدان من حديث عُمر وسَلمان رضي الله عنهما. انظر: *المستدرك* للحاكم، ٩٣/٣، ٦٢٩/٤.
[11] سورة التحريم، ٦/٦٦.

وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[١] فهُم مع هذا كلّه يقولون: ما عبدناك حق عبادتك. ومَن يَقدِر أنْ يَعرفه حقّ مَعرفتِه أو يُعظِّمه[٢] حقّ عَظمتِه؟ ولكن تأويلهم -والله أعلم- أي ما عَرفوا الله حقّ المعرفةِ التي تُعرَف[٣] بالاستدلال، ولا عَظَّموه حقّ عَظمتِه التي تُعظَّم[٤] بالاستدلال. هذا تأويلهم، وإلاّ لا أحدَ يَقدِر أنْ[٥] يَعرف الله حقّ معرفتِه، ولا يُعظِّمه[٦] حقّ عَظمتِه حقيقةً. وهو يخرج على وجهين. أحدهما **وما قدروا الله حق قدره**، ولا اتَّقَوْه[٧] حقّ تَقْواه مِمّا كُلِّفُوا به وأَطاقوه ومِمّا جَرى الأمرُ بذلك، وإنّما تَجري[٨] الكُلْفَةُ مِنه على قَدْر الطاقة والوُسْع، وإلاّ لا يَقدِر أحدٌ أنْ يُعظِّم ربّه حقّ عظمتِه، ولا أنْ يَتَّقِيَه[٩] حقّ تَقْواه، لكن ما ذكرنا مِمّا جَرَتْ به[١٠] الكُلْفَة. والثاني **وما قدروا الله حق قدره**، ولا حقّ تُقاتِه على القَدْر الذي يَعملون لأنفسهم، أي لو اجتهدوا في تقواه وعظمتِه القَدْرَ الذي لو كان ذلك العمل لهم فيَجتهِدون ويَبلُغ جَهْدَهم في ذلك[١١] فقد اتَّقَوْا.

وقوله عز وجل: **إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ مِن شيء**، لو كان هؤلاء في الحقيقة أهلَ الكتاب ما أنكروا الرسل ولا الكتب، لأنّ أهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وإن كانوا يكفرون ببعض، لكن هؤلاء أنكروا الرسل لِمَا كانوا أهلَ نِفاق. ويكونُ مِن اليهود أهلُ نِفاقٍ كما يكون مِن أهل الإسلام؛ كانوا يُظهِرون الموافقةَ لهم ويُضمِرون الخِلافَ لهم والمُوالاة لأهل[١٢] الشرك، ويُظاهِرون عليهم كما كان يفعل ذلك مُنافقو[١٣] أهلِ الإسلام، كانوا[١٤] يُظهِرون الموافقةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويُضمِرون الخِلافَ له ويُظاهِرون المشركين[١٥] عليه.

---

[١] سورة الأنبياء، ٢١/١٩.
[٢] جميع النسخ: أو يعظموه.
[٣] ن ع م: يعرف.
[٤] جميع النسخ: التي يعظم.
[٥] ك – يقدر أن.
[٦] ك ن م: ولا عظمه؛ ع: ولا عظموه.
[٧] جميع النسخ: ولا اتقوا.
[٨] م: يجزي.
[٩] جميع النسخ: ولا اتقى.
[١٠] ع م – به.
[١١] ك + ذلك.
[١٢] ع: أهل.
[١٣] جميع النسخ: منافقوا.
[١٤] ع: كما.
[١٥] ع: المشركون

فأَطْلَع اللهُ رسولَه[1] على نِفاقهم لِيَعلم قومُهم خِلافَهم، وأنّ ما كان مِن تحريف[2] الأحكام وتغييرها[3] وكِتمانِ نَعْتِ محمدٍ -عيه أفضل الصلوات- وصِفَتِهِ إنما كان مِن هؤلاء. وذُكر في بعض القصّة أنها نزلت في شأن مالك بن الصيف،[4] وكان مِن أَحْبار[5] اليهود، وكان سَمِينًا، فدَخل على رسول الله صلى الله عيه وسلم يومًا، فقال له رسول الله صلى الله عيه وسلم: «هل تَجد في التوراة أنّ الله يُبغِض كلّ حَبْرٍ سَمِينٍ؟» فقال: نعم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنت حَبْرٌ سَمِينٌ يُبغِضك الله»، فغَضِبَ[6] فقال: **ما أنزل الله على بَشَرٍ مِن شيء**،[7] أنكر الرسل والكتب جميعًا، فأَكذَبه الله تعالى وأَظهَر نِفاقَه عند قومه، فقال: **قُل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهُدًى للناس تَجعلونه قَراطِيس تُبدُونها وتُخفُون كثيرًا**. قيل **تجعلونه قراطيس**، يعني صُحُفًا، [أي] ثم كتبتموه [٢٢٠و] في الصُحُف، ثم تنكرون أنه **ما أنزل الله على بشر مِن شيء**، أي / ما الذي كنتم[8] كتبتموه إن لم يُنزل الله على بشر مِن شيء؟ [وقوله]: **تُبدُونها وتُخفُون كثيرا**، يقول:[9] تُظهِرون[10] ما في الصُحُف ما ليس فيه صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَعْتُه، **وتُخفُون**، ما فيه صفته ونَعْتُه وتُغيّرون. وقيل: **تُبدُونها**، أي تُظهِرون[11] قراءتها، **وتُخفُون كثيرا**، مِمّا فيه نَعْتُه صلى الله عليه وسلم أو ما فيه[12] مِن الأحكام التي لا تَطِيب بها أنفسُهم مِن أمرِ الرجم والقصاص وغير ذلك.

وقوله: **قُل مَن أَنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهُدًى للناس**، سمَّى عز وجل جميعَ كُتبِه[13] **نورًا وهدًى**، وهو[14] نور مِن الظُّلُمات، أي يَرفع الشُبُهات ويُجلّيها،

[1] ع: ورسوله.
[2] ع: من تخويف.
[3] ك: وتغيرها.
[4] جميع النسخ: بن الضيف. والتصحيح من مصادر الرواية.
[5] ع: من أخبار.
[6] ك - فغضب.
[7] *تفسير الطبري*، ٧/٢٦٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣١٤. لكن ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «فأنت حَبْرٌ سَمِينٌ يُبغِضك الله».
[8] جميع النسخ: فالذي كتبتم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٠و.
[9] جميع النسخ: يقولون.
[10] ن ع م: يظهرون.
[11] ع م: أي يضهرون.
[12] م: أي ما فيه.
[13] ع - جميع كتبه.
[14] أي الكتاب.

**وهدًى**[١] مِن الضَّلَالَات، أي بيانًا ودليلاً مِن الحَيْرة والهلاك. *وبالله العصمة والنجاة.*

وقوله عز وجل: **وعُلِّمْتُم ما لم تَعلَموا أنتم ولا آباؤكم**، قال مجاهد:[٢] الآية[٣] في المسلمين، يقول: عُلِّموا ما لم يَعلَموا[٤] ولا آباؤهم.[٥] وقال الحسن: الآية في الكَفَرة، أي **وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**، مِن تحريف أولئك الكتابَ وتغييرِهم إيّاه. وقيل: **وعُلِّمتم** ما في التوراة، **ما لم تعلموا أنتم** ولم يعلمه[٦] آباؤكم.[٧]

ثم قال: [**قل الله**] **ثم ذَرْهُم**، قال بعضهم: قوله: **قل الله ثم ذَرْهُم**، هو صِلَة قولِه: **قُل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا**، **قُل**[٨] يا محمد: **الله** أنزله على موسى. وقيل: صِلَة قولِه:[٩] **وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**، قال: **قُل** يا محمد: **الله** عَلَّمكم. ويحتمل أن يكون عز وجل سَخَّرهم حتى قالوا ذلك، فكان ذلك حُجّةً عليهم.

وقوله[١٠] عز وجل: **ثم ذَرْهُم في خَوْضِهم يَلعَبون**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل **ذَرْهُم**، ولاتُكافِئهم بِصَنيعهم،[١١] كقوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ.[١٢] والثاني أنه[١٣] قد أَقام[١٤] عليهم الحُجَج وظَهرت عندهم البراهينُ، لكنهم كابَروا[١٥] وعانَدوا، فأَمَره أن يَذَرَهُم، لا يُقِيم عليهم الآيات والحُجَج بعد ذلك، ولكن يَدعُوهم[١٦] إلى التوحيد، لا يَذَرُ[١٧] دُعاءَهم إلى التوحيد،[١٨]

---

[١] ن: هدى.
[٢] ع: المجاهد.
[٣] م + الآية.
[٤] ن ع م: لم تعلموا.
[٥] *تفسير الطبري*، ٢٧٠/٧.
[٦] ن – ولم يعلمه.
[٧] ن: ولا آباؤكم.
[٨] ع م – قل.
[٩] ع م + قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل يا محمد الله.
[١٠] م – وقوله.
[١١] ع: في صنيعهم.
[١٢] سورة المائدة، ١٣/٥.
[١٣] ن: والثاني أن.
[١٤] ن – أقام، صح هـ.
[١٥] ع: اكابروا.
[١٦] ع م: تدعوهم.
[١٧] ع م: لا تذر.
[١٨] ن: لا يذر دعاءهم إلى التوحيد.

ولكن يَذَرُهم ولا يُقِيم[1] عليهم الحُجَج.

وقوله عز وجل: **في خَوْضِهم**، أي في باطلهم وتكذيبهم يَعْمَهون.

**﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٩٢]**

وقوله عز وجل: **وهٰذا كتابٌ أنزلناه مبارك**، قيل: القرآن، **أنزلناه مبارك**، سمّاه مَرّة مُبارَكًا، ومَرّة نورًا،[2] ومَرّة هُدى ورحمة،[3] ومَرّة شِفاء[4] ومَجيدًا[5] وكَرِيمًا[6] وحَكِيمًا،[7] وليس يُوصَف[8] هو في الحقيقة بِنُور ولا مُبارَك ولا رحمة ولا هُدى ولا شِفاء ولا مَجيد[9] ولا كريم[10] ولا حكيم، لأنه صِفَة، ولا يكون للصِّفَةِ صِفَةٌ تُوصَف بها، ولو كان[11] هو في الحقيقة نورًا ورحمة[12] وهدى أو ما ذُكر[13] لكان يكون لِكلّ أحدٍ نُورًا وما ذُكر.[14] فلَمّا ذَكَر أنه عَمًى على بعض،[15] وأخبر أنه يَزْدَاد بذلك رِجْسًا إلى رِجْسِهم[16] دَلّ أنه ليس هو في الحقيقة كذلك،

---

[1] ع م: تذرهم ولا تقيم.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فآمِنوا بالله ورسوله والنُّور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (سورة التغابن، ٨/٦٤)، ونحو ذلك من الآيات.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد جِئناهم بكتابٍ فَصَّلْناه على عِلْمٍ هُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٥٢/٧)، ونحو ذلك من الآيات.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونُنَزِّل مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ لِلمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (سورة الإسراء، ٨٢/١٧)، ونحو ذلك من الآيات.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ق والقُرآنِ المَجِيد﴾ (سورة ق، ١/٥٠).

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنه لَقُرآنٌ كَرِيم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦).

[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة يونس، ١/١٠).

[8] ن – يوصف.

[9] ن م: ولا مجيدا.

[10] م: ولا كريما.

[11] ك: ولكن كان.

[12] ن – ورحمة.

[13] ع: ذكر.

[14] ع م – لكان يكون لكل أحد نورا وما ذكر.

[15] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قُرآنًا أعجميًّا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجميّ وعربيّ قل هو للذين آمنوا هُدى وشِفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْر وهو عليهم عَمًى﴾ (سورة فصلت، ٤٤/٤١).

[16] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا ما أُنزِلَت سورةٌ فمِنهم مَن يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩ – ١٢٥).

لأنه لو كان[1] كذلك لكان لِكُلّ أحد. لكن سمَّاه بهذه الأسماء، سمّاه نورًا لِمَا يَصِير نورًا للمُسترشِدين، ويَصِير شِفاء ورحمة للمُتَّبِعين لِيَشفِي[2] الداءَ الذي يَحِلّ في الدين، وسمّاه رُوحًا لِمَا يُحيي به الدين، وسمّاه حَكيمًا لِمَا يَصِير مَن عَرف بَواطِنَه[3] واتَّبعه حَكِيمًا؛ وكذلك سمَّاه مجيدًا كريمًا لِمَا يَدعُو[4] الخَلْق إلى المَجد والكَرَم، فمَن اتَّبعه تخلَّق بِأخلاقٍ حميدة فيَصِير مجيدًا كريمًا؛ وسمّاه مُبارَكًا لِمَا به يُنال كُلُّ بركة؛ والبركة اسم لشيئين، اسم لِكلّ[5] بِرّ وخير، والثاني[6] اسم لِكلّ ما يُثمِر[7] ويَنمو في الحادث. فمَن اتَّبعه نال به كُلَّ برّ وخير وكُلَّ ثمرة ونَمَاء في الحادث. هذا وَجه الوَصْف بما ذُكر.[8]

وقوله عز وجل: **مُصَدِّقُ الذي بين يديه**، مِن الكتب، لأنه كان يدعو[9] الخَلْق إلى ما كان يدعو[10] سائر الكتب التي أنزلها على الرسل مِن توحيد الله والنهي عن إشراك غيره في الألوهية والربوبية، ويدعو[11] إلى كلّ عدل وإحسان، ويَنهى عن كلّ فاحشة ومُنكر، وكذلك سائر الكتب دَعَت[12] الخَلْق إلى ما دعا هذا، لم يخالِف[13] بعضُهم بعضًا، بل كانت مُوافِقةً بعضُها لبعض،[14] لذلك قال: **مصدق الذي بين يديه**. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولِتُنذِر أُمَّ القُرى ومَن حَوْلَهَا**، قيل:[15] أُمّ القُرى مكّة. وسمِّيت أمّ القُرى لوجهين. أحدهما لأنها مُتقدِّمة،[16] ومِنها دُحِيَت[17] الأرض على ما ذكر أهل التأويل.

[1] ع: كانه.
[2] ث ن م: ليشفوا.
[3] ع: بباطنه.
[4] ع م: لما يدعوا.
[5] ك: كل.
[6] ع م – اسم لشيئين اسم لكل بر وخير والثاني.
[7] ك: ما يتم.
[8] ن ع: بما ذكرنا.
[9] ع: يدعوا.
[10] ك ع: يدعوا.
[11] ع: ويدعوا.
[12] ع: دعته.
[13] ع: لمى يحالف.
[14] ك – بل كانت موافقة بعضها لبعض.
[15] م: وقيل.
[16] وعبارة الشارح: «لأنها أصْلٌ مُتقدِّم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٠ط).
[17] دَحَا الأرض يَدحُوها دَحْوا بَسَطها، وقال الفرّاء في قوله عز وجل: ﴿والأرضَ بَعْدَ ذلك دَحَاها﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٣٠)، قال: بَسَطها (*لسان العرب* لابن منظور، «دحو»).

والثاني سُمِّيت أُمّ القُرى لأنها مَقصِد الخَلْق في الحجّ، وفيها تُقضَى المناسك، وإليها يَقصِدون ويَؤُمُّون، وإليها يَتوجّهون في الصلوات،[1] وهي مَقصِد أهل القُرى.

وقوله عز وجل: **ولِتُنذر أُمّ القُرى**، أي أهل أُمّ القُرى.

وقوله عز وجل: **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به**، فإن قيل: أَخبر أنّ مَن آمن بالبعث يؤمن بهذا الكتاب، وأهلُ الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به، فما معناه؟

قيل:[2] يحتمل هذا وجوها. أحدها أنْ يكون هذا في قوم مخصوصين[3] إذا آمنوا[4] بالبعث آمنوا به، كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[5] هذا في قوم مخصوصين، لأنه قد آمن كثير منهم بالإنذار، فعلى ذلك الأوّل.

والثاني قوله: **والذين يؤمنون بالآخرة**، بالعلم والحُجَج آمنوا بالقرآن، لأن القرآن جاء في تأييد حُجَج البعث وتأكيده، فلا يجوز أن يؤمنوا بما يؤيده[6] القرآن ولا يؤمنوا بالقرآن.

والثالث يحتمل أن يكون إخبارًا عن أوائلهم أنهم كانوا مؤمنين بالبعث بالآيات والحُجَج راغبين فيه، فلَمّا جاء آمنوا به. وأَمكَنَ أن تكون الآية في المؤمنين، أَخبر أنهم آمنوا بالآخرة وآمنوا بالقرآن؛ ألا ترى[7] أنه قال: **وهم على صلاتهم يحافظون**. ويحتمل أن الذين[8] يؤمنون

[٢٢٠ظ] بالآخرة يحِقّ لهم أن يؤمنوا بالقرآن، لأنه به يُتزوَّد للآخرة،[9] ويحتمل ما ذكرنا / مِن الوُجوه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **ومَن أظلمُ مِمّن افترى على الله كَذِبًا**، هذا في الظاهر استفهامٌ وسؤالٌ

---

[1] ع: في الصبوة.

[2] ن: وقيل.

[3] ع: مخصوص.

[4] ك م: إذ آمنوا.

[5] سورة لبقرة، ٢/٦.

[6] ن: بما يؤيد.

[7] ك: ألا يرى.

[8] ع م: الذين.

[9] ع: بالآحرة.

لم يُذكَر له جواب، لكن أهل التأويل فسّروا فقالوا:[1] لا أحدَ **أظلمُ ممّن افترى على الله كَذِبًا**. وهذا جوابٌ له، ليس[2] هو تفسيره، لكن[3] تُرِك[4] ذِكرُ الجواب لمعرفة أهل الخطاب به،[5] وقد يُترَك[6] الجواب لمعرفة أهله به.

وقوله: **ومن أظلم**، أكثرهم قد ظَلموا[7] أو كلّهم قد ظَلموا،[8] لكن كأنه قال: لا أحدَ أفحشُ ظُلمًا ممّن افترى على الله، لأنه يتقلّب[9] في نِعَم الله في ليله ونهاره وإحسانه، فهو أفحشُ ظُلمًا وأوحشُ كَذِبًا.

وقوله عز وجل: **أو قال أُوحِيَ إليّ ولم يُوحَ إليه شيء**، في الآية دلالة أنّ نافي الرسالة عن مَن له الرسالة في الافتراء[10] على الله والكَذِب كمُدّعي الرسالة لنفسه وليست له الرسالة، سَواء كِلاهما مُفترٍ على الله كَذِبًا. وكذلك مَن ادّعى أنه يُنزِل **مِثلَ ما أنزل الله**، أو مَن ادّعى أنه لم يُنزل الله شيئًا، فهو في الافتراء على الله كالذي ادّعى أنه يُنزل **مِثل ما أنزل الله**، النافي والمُدّعي في ذلك سَواء شرعًا، فعلى ذلك يكون نافي[11] الشيء ومُثبِته في إقامة الحُجّة والدليل سَواء.[12] ***والله أعلم***.

وقد ذَكر[13] أهل التأويل أنّ قوله: **أُوحي إليّ ولم يُوحَ إليه شيء**، نَزل في مُسيلمة الكذّاب، ونَزل قوله: **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله**، في عبد الله بن سعد[14] بن أبي سَرْح.[15] لكن ليس لنا إلى معرفة هذا حاجة، هُم وغيرهم ومَن ادّعى وافترى على الله كَذِبًا سَواء في الوعيد.

---

[1] ع: قالوا.
[2] ع م – ليس.
[3] ع: ولكن.
[4] ن – ترك.
[5] ك ن – به.
[6] ع م: وقد يقول.
[7] ن: فقد ظلموا.
[8] ع + أو كلهم قد ظلموا.
[9] ع: لا يتقلب
[10] ع: في الافترى.
[11] ع م: في.
[12] ك: هو.
[13] ك ن ع: وذكر.
[14] ك: بن سعيد؛ ع م: بن مسعود.
[15] روي ذلك عن عكرمة وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣١٧. كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم =

وقوله: **ومَن قال سأنزل مِثل ما أنزل الله.** ادَّعى بعضهم أنهم يقولون مِثل ما قال الله إنكارًا منهم له، كقوله تعالى: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا.[1]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ الظالمون في غَمَرات الموت والملائكة باسِطو أيديهم أَخرِجوا أنفسَكم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله: **في غمرات الموت**، نَزَعات[2] الموت وسَكَراته وغَشَياته.[3] **والملائكة باسِطو أيديهم**، يقول: مَلَكُ[4] الموت وأعوانه الذين معه مِن ملائكة[5] العذاب،[6] **باسطو أيديهم**،[7] يقول: ضارِبُو[8] أيدِيهم أنفسَهم، يقولون لها: اخرُجي، يعني[9] الأرواح، وهو قوله: **أَخرِجوا أنفسكم**، وهو عند الموت.[10] وكذلك يقول قتادة.

وقال الحسن: ذلك في النار في الآخرة ضَرْبُ الوجوه والأدبار.[11] وقوله عز وجل: **في غَمَرات الموت**، أي كثرة العذاب وشِدّته، يُقال للشيء الكثير: الغَمْر، وهو كقوله:

---

- أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم. وله مواقف محمودة في الفتوح. وأمّره عثمان على مصر. ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان، ولم يبايع لأحد، ومات بها سنة ست وثلاثين. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١٠٩/٤-١١٠. ويقول الطبري في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله قال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك مِن قِيله مُفتريًا كَذِبًا. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعَنسي الكذّابَين ادعيا على الله كَذِبًا أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما: إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قيله. فإذا كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا، وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره: أوحى الله إليّ، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئا. فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب، إذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيّروه، فعيّرهم الله بذلك» (*تفسير الطبري*، ٢٧٣/٧).

[1] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثلَ هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣١/٨).

[2] ع م: ونزعات.

[3] م: وغشيانه. روي فقط: سكرات الموت. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧٥/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٢١/٣.

[4] ع: الملك.

[5] ك + الرحمة وملائكة.

[6] ذكر مَلَك الموت فقط. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧٥/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٢١/٣.

[7] ن - يقول ملك الموت وأعوانه الذين معه من ملائكة العذاب باسطو أيديهم.

[8] ك ع: ضاربوا.

[9] ك: بمعنى.

[10] عن ابن عباس: ﴿والملائكة باسطو أيديهم﴾، قال: هذا عند الموت، والبسط الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧٥/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٢١/٣.

[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (سورة الأنفال، ٥٠/٨).

وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[١] أي أسبابُ الموت، ولو كان هناك موتٌ يموت لشِدّة العذاب.
وقوله عز وجل: **باسِطو أيديهم**، بضَرْب الوجوه والأدبار، **أخرجوا أنفسكم**، على حقيقة الخروج منها، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا.[٢] والأوّل[٣] ليس على حقيقة الخروج، ولكن كما يُقال عند نزول الشدائد: أخرِج نفسك.

وقال مجاهد: هذا في القتال يَضرِب الملائكة وجوههم وأدبارهم، يعني الأَسْتَاه،[٤] ولكنه يكون -وهو كقول[٥] ابن عباس رضي الله عنه وقتادة- عند الموت.

وقال[٦] أبو عوسجة: **غَمَراتِ الموت** سَكَراته[٧] وشَدائِده، والغَمْر[٨] هو الماء الكثير، والغِمْر العداوة، والغَمْر الذي لم يُجَرِّب الأمور، والغَمَر الدَّسَم، والغُمَر القَدَح الصغير مِن الخشب، وغَمْرة الحَرْب وَسَطها.[٩]

وقوله عز وجل: **اليوم تُجزَون عذاب الهُون**، قيل: **عذاب الهُون** لا رأفة[١٠] فيه ولا رحمة، أي الشديد، **بما كنتم تقولون على الله غير الحق**، بأن معه شريكًا وآلهة، **وكنتم عن آياته تستكبرون**، أنه لم يُنزل شيئًا ولم يُوحَ إليه شيء وإنما أُوحِيَ إليّ،[١١] وغير ذلك مِن الافتراء الذي ذَكروا.[١٢] *وبالله*[١٣] *العصمة.*

**﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**[٩٤]

وقوله عز وجل: **ولقد جئتمونا فُرادَى كما خلقناكم أوّل مرّة**، يحتمل هذا -والله أعلم- وجوها.

---

١ ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٧).
٢ سورة المائدة، ٥/٣٧.
٣ أي قول ابن عباس بأن المقصود هو خروج الروح.
٤ م: الأستاد. الأستاه جمع، ومفرده سَتَه، ويقال: سَه واسْت بمعنى حلقة الدُّبُر أو العَجُز (*لسان العرب* لابن منظور، «سته»).
٥ م: قول.
٦ ك ن م: قال.
٧ جميع النسخ: وسكرات.
٨ ك: والعمرة.
٩ انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «غمر».
١٠ ع: لا زافة.
١١ ن - وإنما أوحي إلي.
١٢ ك: ذكر.
١٣ ع: بالله.

[أحدها] أي أَعَدْناكم وبَعثناكم فُرادَى بلا مُعِين ولا ناصر **كما خلقناكم**[1] **أوّل مرّة**[2] بلا مُعِين ولا ناصر. والثاني أُعيدكم وأَبعثكم فُرادَى بلا أعوان لكم ولا شُفَعاء يَشفعون لكم، يُعين بعضكم بعضًا **كما خلقناكم** في الابتداء فُرادَى لم يكن لكم شُفَعاء ولا أعوان. وقيل: يَبعثكم ويُعيدكم بلا مال ولا شيء مِن الدُّنياوِيّة كما خَلَقَكم[3] في الابتداء ولم يكن لكم مال ولا شيء مِن الدُّنياوِيّة.[4] وجائز أن يكون قوله: **ولقد جئتمونا فُرادَى**، ليس معكم ما تفتخرون به مِن الخَدَم والأموال والقَرابات التي افتخرتم في الدنيا[5] **كما خلقناكم أوّل مرّة**. وجائز أن يكون[6] قوله:[7] **كما خلقناكم أوّل مرّة**، مُنفَصِلاً مِن قولِه:[8] **ولقد جئتمونا فُرادَى**، لكن جواب سؤال أنْ كيف يُبعَثون؟ فقال:[9] تُبعَثون **كما خلقناكم أوّل مرّة**.

وقوله عز وجل: **وتَركتم ما خَوَّلْناكم وراء ظهوركم**، يحتمل وجهين.[10] يحتمل تَركتم [ذلك] وراء ظهوركم، لا تَلتفِتون[11] إليه ولا تنظرون، كالمنبوذ وراء[12] ظهوركم، إنما نَظَرُكم إلى أعمالكم التي قَدّمتموها. والثاني لم تُقدِّموا ما خَوَّلْناكم، ولم تَنتفِعوا منه، بل تَركتم [ذلك] وراء ظهوركم لا تنتفعون به،[13] إنما مَنفعتُكم ما قَدّمتموه وأَنْفَقْتم منه.

وقوله: **خَوَّلْناكم**، قيل: أعطيناكم، وقيل: رزقناكم، وقيل مَكَّنّاكم، وهو واحد.

وقوله عز وجل: **وما نرى معكم شُفَعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء**، إنهم كانوا يجعلون لله شركاء في عبادته وألوهيته، ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ،[14] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى.[15]

---

[1] ك + وبعثناكم.
[2] ن – يحتمل هذا والله أعلم وجوها أي أعدناكم وبعثناكم فرادى بلا معين ولا ناصر كما خلقناكم أول مرة.
[3] ع: كما خلقتكم.
[4] م: من الدنيا وبه.
[5] ك – من الخدم والأموال والقرابات التي افتخرتم في الدنيا.
[6] ع م – يكون.
[7] ن – قوله.
[8] ع م: قوله.
[9] جميع النسخ + اى.
[10] ع م – يحتمل وجهين.
[11] م: ولا تسفتون.
[12] ك + وراء.
[13] ع م: لا تنتفعوا به.
[14] سورة يونس، ١٠/١٨.
[15] سورة الزمر، ٣٩/٣.

يقول الله: **وما نرى معكم شُفَعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء** لله في عبادتكم، / وزعمتم [٢٢١و] أنهم شُفَعاؤكم عند الله، بل شُغِلوا هُم[١] بأنفسهم. يخبر عن سَفَههم وقِلّة نَظرهم فيهم.

وقوله عز وجل: **لقد تَقطَّع بَيْنَكم**، قُرئ بالرفع والنصب جميعًا.[٢] فمَن قَرأ[٣] بالرفع يقول: **لقد تَقطَّع** تَواصُلكم. ومَن قَرأ بالنصب يقول: **لقد تَقطَّع** ما كان بَيْنَكم[٤] مِن الوَصْل. يخبر عز وجل عن قَطْع ما كان بينهم[٥] مِن التواصُل وتَعاوُن بعضِهم بعضًا في هذه الدنيا، فإنهم[٦] كانوا يتعاونون ويتناصرون بعضهم بعضًا، يخبر أن ذلك كلّه ينقطع[٧] في الآخرة ويصير بعضهم أعداء لبعض ويتبرّأ بعضهم مِن بعض، كقوله: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[٨] وكقوله:[٩] ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[١٠] وكقوله تعالى: وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً،[١١] وكقوله:[١٢] سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ،[١٣] الآية. يَصير المعبودون أعداء للعابدين، والعابدون أعداء للمعبودين، وتَصير[١٤] الوُصْلة والمَودّة التي[١٥] فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة، والرحِم والقرابة التي كانت بينهم مُنقطِعة،[١٦] حتى يَفِرّ بعضهم مِن بعض، كقوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ،[١٧] الآية.

وقوله عز وجل: **وضلّ عنكم ما كنتم تَزعُمون**، أي ذهب عنكم وبَطل **ما كنتم تَزعُمون** أنهم شفعاؤكم عند الله. *وبالله العصمة والنجاة.*

---

[١] جميع النسخ: بل شغلوهم.
[٢] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة: ﴿لقد تقطّع بينُكم﴾، رَفعًا، وقرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿لقد تقطع بينَكم﴾، نَصْبًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٣.
[٣] ع: قرئ.
[٤] ك: منكم.
[٥] جميع النسخ: بينكم.
[٦] جميع النسخ: انهم.
[٧] ن: يتقطع.
[٨] سورة البقرة، ١٦٦/٢.
[٩] ع: وقوله.
[١٠] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[١١] ن + للمعبودين. سورة الأحقاف، ٦/٤٦.
[١٢] ن: وقوله.
[١٣] سورة مريم، ٨٢/١٩.
[١٤] ن م: ويصير.
[١٥] ن م – التي
[١٦] جميع النسخ: الذي كان بينهم منقطعا.
[١٧] ﴿يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠–٣٥).

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إن الله فالق الحب والنوى،** قيل: **فالق الحب والنوى** كما قال الله تعالى: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١] وكقوله تعالى: الَّذِي فَطَرَكُمْ،[٢] أي خلقكم. يخبر أنه **فالق الحب والنوى**. خصّ **الحب والنوى**[٣] بالذِّكر لِمَا منهما خلق جميع ما في الدنيا مِن الأنزال[٤] والحبوب، كقوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٥] منه خلق[٦] ما في الدنيا مِن البشر، فأضاف ذلك إليه. فعلى ذلك لَمَّا خلق هذه الأنزال كلّها مِن الحب والنوى ومنهما[٧] أخرج [ما ذكر] أضاف[٨] إليهما ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ليس بإخبارٍ عن ابتداءِ إنشاءٍ، ولكن إخبارٌ عن لُطْفه. والفَلْق هو الشّق. يخبر أنه يَشُقّ النّواة مع شِدّتها وصَلابتها، ويُخرِج منها نَبْتًا أخضر لَيِّنًا ما لو اجتمع كلّ الخلائق على إنفاذه وإخراج مِثله مِن غير أذى يصيب ذلك النَّبْت ما قدروا عليه. يخبر عن لُطْفه[٩] وقدرته أنّ مَن قدر[١٠] على هذا لَقادر[١١] على إعادة الخَلْق وبعثهم بعد إماتتهم وإفنائهم وإن لم يبق لهم أثر، كما قدر على هذا. يُعَرِّفهم قدرتَه أنها غير مُقَدَّرة بقدرة الخَلْق وبقوّتهم، بل خارجة عن قوّتهم، لأن قوته وقدرته ذاتيّة أزليّة بلا سبب، وقوّتهم وقدرتهم بأسباب. وكذلك ما يَشُقّ الوَرَق[١٢] الضعيف اللَّيِّن [من][١٣] الشجر والنَّخْل مع شِدّته وصلابته ما لو اجتمع الخلائق كلّهم على شَقّ[١٤] ذلك الشجر بذلك الوَرَق مع لِينِه ما قدروا عليه؛

---

[١] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[٢] ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ (سورة الإسراء، ٥١/١٧).

[٣] ع م – والنوى.

[٤] النُّزْل والنَّزَل بالتحريك رَيْع ما يُزرَع، أي زَكاؤه وبركته والجمع أنزال. وأنزال الناس أرزاقهم (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

[٥] سورة النساء، ١/٤.

[٦] ع م: ما خلق.

[٧] ك: ومنها.

[٨] ن – أضاف.

[٩] ك: عن لفظه.

[١٠] م: أي من قدر.

[١١] ع: القادر.

[١٢] جميع النسخ: من الورق.

[١٣] التصحيحات من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦١ط.

[١٤] ن: على الشق.

يُعَرِّفهم لُطْفَه وقدرته أنه لا يُعجِزه شيء. وفيه أنّ ذلك فِعلُ واحدٍ، لأنه لو كان فِعلَ عددٍ لكان إذا أراد هذا شَقَّه مَنَع الآخَر عن ذلك. وفيه أنه على تدبيرٍ يَخرَج لا جُزافًا، حيث اتَّفَق ذلك في كلّ عامٍ على قَدْرٍ واحد.

وقوله عز وجل: **يُخرج الحي من الميت ومُخرج الميت من الحي**، إنّ الحبّ والنَّواة التي ذَكر مَيّت، فيُخرِج منهما النبات الأخضر حيًّا، ثم يميت ذلك ويُخرِج منه الحَبّ[١] والنَّواة.[٢] وفيه دلالة البعث بعد الموت. يقول: إن الذي قَدَر على إخراج[٣] النبات الأخضر الحيّ مِن حبّة ميتة أو نَواة ميتة وليس فيها مِن أثر ذلك الحيّ شيءٌ لَقادر أنْ يبعثهم ويحييهم بعد الموت وإن لم يَبْقَ مِن أثر الحياة شيء. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم[٤] في غير موضع.

وقوله عز وجل: **ذلكم الله فأَنَّ تُؤفَكون**، أي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى، لا الأصنام التي تعبدونها وأشركتم في عبادتكم لله وألوهيته، فأيُّ حُجّة[٥] تَصرِفكم عن ما ذُكر، أي لا حُجّة لكم في صرف الألوهية عنه إلى غيره، ولا صرفِ العبادة إلى الأصنام.

وقوله عز وجل: **فأَنَّ تُؤفَكون**، قيل: **فأنى** تُصرَفون عن ما ذَكر مِن دلالات وحدانيّته وألوهيته وربوبيّته. والإفك هو الصَّرْف في اللغة، كقوله: قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا،[٦] أي لِتَصرِفنا.[٧] وقيل: **تُؤفَكون** تَكذِبون، أي[٨] ما الذي حمَلكم على الكذب. والكذب والصرف واحد في الحقيقة، لأن الكذب هو صَرْف قول الحقّ إلى الباطل، وهما واحد.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فالق الإصباح**، هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهُما في قوله: فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى،[٩] [فيحتمل أنه] خبر عن ابتداء خلقه، ويحتمل الشَّق، أي يَشُقّ النهار مِن الليل

---

[١] جميع النسخ: حبا؛ ن + وحبا.
[٢] ن: النواة.
[٣] ك: على على إخراج.
[٤] ن – فيما تقدم. انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٢٧/٣.
[٥] ك ن: أي أي حجة؛ ع م: أي حجة.
[٦] سورة الأحقاف، ٢٢/٤٦.
[٧] ك: أي أي لتصرفنا؛ ع م: ولتصرفنا.
[٨] ع: تكذبون ى.
[٩] سورة الأنعام، ٩٥/٦.

والليلَ مِن النهار بعد ما تَلِف كلّ واحد منهما حتى[1] لم يَبْقَ له أثر. ففيه دليل[2] البعث والإحياء بعد الموت، أي إنّ الذي قَدَر على إنشاء النهار مِن الليل والليل مِن النهار بعد ما تَلِف وذهب أثره لَقادر على إنشاء الخَلْق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم.

وقوله عز وجل: **وجعل الليل سَكَنًا**، جعل الله الليل سَكَنًا وراحةً للخَلْق، والنهار مَعاشًا لهم يَتعيَّشون فيه.[3] وجعلهما آيتين مِن آيات ربوبيّته ووحدانيّته مُسَخَّرين، يَغلِبان[4] الخلائق ويَقْهَرانهم ويكونون تحت سلطانهما، ويَجرِيان على سَنَنٍ واحد ومَجْرًى واحد.[5] دَلّ أنّ لهما[6] مُدبِّرًا خالقًا عليما؛[7] ولو كانا يَجرِيان بطباعهما لكان[8] يختلف جَرَيانُهما ولم يَتّسِق،[9] فدَلّ اتِّساقُهما وجَرَيانُهما مَجْرًى واحدًا أنّ[10] لِغَيْرٍ فيهما تدبيرًا. وكذلك الشمس والقمر جَعَلهما مُسَخَّرين لمنافع الخَلْق، لِنُضْجِ الأَنْزال ويَنْعِها،[11] ولمعرفة عدد الأيام والشهور والسنين، ويجريان [٢٢١ظ] مَجْرًى واحدًا[12] ومَسْلَكًا واحدًا غيرَ مختلف، دَلّ / ذلك أنهما كانا بمُدبِّر عليم حكيم.

وفي قوله: **فالق الإصباح وجعل الليل سَكَنًا**، دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأن الإصباح هو فِعل الخَلْق، لأنه مصدر[13] أصبح، وكذلك السَّكَن هو فِعل الخَلْق، ثم أضاف ذلك كلّه إلى نفسه، دَلّ أنه خالقُ أفعالهم.

وقوله عز وجل: **والشمسَ والقمرَ حُسْبانًا**، اختُلف فيه. قال أبو عبيدة:[14] هو مِن الحساب، وهو جمع حساب، يُقال: حِساب[15] وحُسْبان، مِثل شِهاب وشُهْبان؛ وهو كقوله:

---

[1] ع م – حتى.
[2] ك: دلالة.
[3] م: تعيشون فيه.
[4] ن ع: يقلبان.
[5] ن – ومجرى واحد، صح ه؛ ع م – ومجرى واحد.
[6] ع: دل أنهما.
[7] ع م: عليهما.
[8] ع: لو كان.
[9] ع م: ولو لم يتسق.
[10] ك + ليس.
[11] ك: وينعهما.
[12] ع م: واحد.
[13] م: مصد.
[14] جميع النسخ: أبو عبيد. والتصحيح من *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٠١.
[15] ع م – يقال حساب.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ.[١] وقيل: **حُسْبانًا**، أي جَرَيانًا، يَجرِيان ويَدُوران أبدًا لا يستريحان، دَلّ أنهما كانا بغيرٍ مُسَخَّرَين للخَلْق، لأنهما لو كانا[٢] بطباعهما لكانا يستريحان. وقيل: **حُسْبانًا**، أي ضياء، كقوله: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **ذلك تقدير العزيز العليم**، أي **ذلك** الجَرَيان الذي ذُكر، أو[٣] تلك المنافع[٤] التي جُعِلت فيهما، **تقدير العزيز العليم**. قال الحسن: **العزيز** هو الذي لا يُعجِزه شيء، **والعزيز** هو الذي به[٥] يَعِزّ كلّ عزيز. وقال بعض أهل التأويل: **العزيز** المُتَّبَع[٦] في سلطانه، المُنتقِم مِن أعدائه، **العليم** بمَصالح الخَلْق وبما كان ويكون وبحوائجهم. ***وبالله التوفيق***.

**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[٩٧]

وقوله عز وجل: **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظُلُمات البر والبحر**، والمراد منه [حقيقة] الظُلُمات. وذكر في قوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[٧] وأراد بالظلمات الشدائد والأهوال التي تصيبهم؛ ألا ترى أنه قال: تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً، عند الشدائد والأهوال كانوا يَدعُون ربهم تضرعًا وخفية، على ما ذَكَّرَهم ههنا عظيمَ سلطانه وقدرته لِمَا يَدفَع[٨] عنهم الشدائد ويُنجيهم[٩] مِن الأهوال[١٠] التي تَنزِل بهم، بما الدافع عنهم ذلك لا هؤلاء[١١] الأصنام التي يعبدونها[١٢] دون الله ويشركونها في عبادته. ويَذكُر في قوله:

---

[١] سورة يونس، ٥/١٠.
[٢] ع: كانا.
[٣] ن: ذكروا.
[٤] ن – المنافع.
[٥] ع م: الذي.
[٦] ع: المنيع.
[٧] ن – والمراد منه الظلمات وذكر في قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر. ﴿قُل مَن يُنجيكم مِن ظُلُمات البَرّ والبحر تدعونه تضرُّعا وخُفيَة﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).
[٨] ع: ما تدفع.
[٩] ع م – وينجيهم.
[١٠] ع م: والأهوال.
[١١] ك ن ع: هؤلاء.
[١٢] ع م: يعبدون.

**جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**، عظيمَ ما أَنعم عليهم بما جَعل لهم في السماء[1] نجومًا ليهتدوا بها للطرق[2] والمَسالِك في البحار والبَرارِي عند اشتباهها عليهم.

وفيه دليل وحدانيّة الربّ وتدبيره وحكمته، لأنه جعل في السماء أدلة[3] يهتدون بها ويستدلّون على معرفة الطرق مع بُعد ما بينهما مِن المسافة، وتسوية أسباب الأرض بأسباب السماء، وتَعلُّق منافع بعضها ببعض، لِيَعلموا أنه كان بواحدٍ مُدبِّرٍ عليم حكيم، إذ لو كان بِعدد أو بمن[4] لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك[5] ولم يَتَّسِق ما ذكرنا. دَلَّ أنه كان بالواحد العليم الحكيم، مع عِلمِهم أنّ الأصنام التي يعبدونها وأشركوا في عبادته لا يَقدِرون على ذلك، لكنهم يعبدونها ويشركونها في ألوهيته سَفَهًا منهم وعنادًا. *وبالله العصمة والتوفيق*.

وفي قوله: **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**،[6] وقوله: **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ**،[7] وقوله: **جعل لكم النجوم لتهتدوا بها**، وغير ذلك مِن الآيات التي ذَكر تذكيرُ[8] نِعَمِه وإحسانه إليهم، يَسْتَأْدِي بذلك شُكْرَه، وجَعْلَ السّعْيِ له. وجائز أنْ يُستدَلّ به على تذكير قدرته وسلطانه، أنّ مَن قَدَر على ما ذُكر لا يحتمل أن يُعجِزه شيء.

وفيه[9] تذكير[10] تدبيره وعِلمه وحُكمه على ما ذكرنا مِن اتِّساق الأمور والحال على أمرٍ واحد.

وقوله عز وجل: **قد فصّلنا الآيات**، قيل: صرّفنا الآيات،[11] أي صرّفنا كلّ آية إلى موضعها الذي يكون[12] لهم دليلا عند الحاجة إليها. وقيل: **قد فصلنا الآيات**، قد بيّنّا[13] الآيات. **لقوم يعلمون**، أي لقوم ينتفعون بعلمهم، فإذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم، لأنّ مَن انتفع[14] بشيء يصير ذلك له، لذلك ذَكر **لقوم يعلمون**، لأنهم إذا لم ينتفعوا بها لم تَصِر[15] الآيات لهم.

---

[1] ن ع م: من السماء.
[2] ك: الطرق.
[3] ن: اذلة.
[4] ك: أو بواحد.
[5] ن + لم يحتمل دلك.
[6] سورة الأنعام، ٩٥/٦.
[7] سورة الأنعام، ٩٦/٦.
[8] ع: تذكر.
[9] ك – وفيه.
[10] ك. وتذكير.
[11] ك – قيل صرفنا الآيات.
[12] ك: تكون.
[13] ك ن: بينا.
[14] ن: لا من انتفع.
[15] ع: لم تصرف.

**﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾**[٩٨]

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**، فيه دلالة أنه يُبدئ ويُعيد مِن غير شيء، لأنه أخبر أنه خلَق البَشَر كلّه مِن نفس واحدة، والخلائقُ كلّهم لو اجتمعوا ما احتَملت الأرض، ولم تكن الخلائق بأجمعِهم في تلك النفس الواحدة، دلّ أنه قادر على الابتداء[١] والإعادة لا مِن شيء، إذ لم تكن[٢] تلك[٣] النفس التي خلَق الخلائق منها تَقدَّمها[٤] شيء.

وقوله عز وجل: **فمُستقَرّ ومُستودَع**، قال الحسن: مُستقَرّ في الآخرة بعمله[٥] الذي ختم به، إن ختم بعمل الخير يبقى أبدًا في الخير، وإن ختم بشرّ يبقى أبدًا في الشرّ، ومُستودَع في أجَله،[٦] ينتقل مِن وقت إلى وقت ومِن حال إلى حال.[٧] وقيل: مُستقَرّ في أرحام النساء، ومُستودَع في أصلاب الرجال، وهو قول عامة أهل التأويل. وقيل: مُستقَرّ في القبر، ومُستودَع[٨] في الدنيا. ويُشبِه أن يكون مُستقَرّ ومُستودَع في كلّ حال وكلّ وقت، مُستقَرّ[٩] في حال القيام حتى ينتقل إلى حال أخرى، ومُستودَع لِمَا هو على شَرَف الانتقال إلى أخرى. وجائز أن يكون قوله: **فمُستقَرّ ومُستودَع**، مُستقَرّ[١٠] في الآخرة بالجزاء لأعمالهم التي عملوا، ومُستودَع في الدنيا.[١١] ويحتمل مُستقَرّ بالليالي، ومُستودَع[١٢] بالنهار. والأول لبني آدم خاصّة.[١٣]

---

[١] ك ن: على الإبداء.
[٢] ك ع: إذ لم يكن؛ م: إذا لم يكن.
[٣] ك ن ع: لتلك.
[٤] جميع النسخ: تقدمه.
[٥] ك ع: بعلمه.
[٦] ن + الذي.
[٧] ن: إلى وقت.
[٨] ع م – في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال وهو قول عامة أهل التأويل وقيل مستقر في القبر ومستودع.
[٩] ك – ومستودع في كل حال وكل وقت مستقر.
[١٠] ع م – لما هو على شرف الانتقال إلى أخرى وجائز أن يكون قوله فمستقر ومستودع مستقر.
[١١] عن الحسن في قوله: ﴿فمستقر ومستودع﴾، مستقر في القبر، ومستودع في الدنيا أوشكَ أنْ يَلحَقَ بصاحبه. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٩١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٣٢.
[١٢] م + في الآخرة.
[١٣] لعله يقصد أن تفسير المستقر بأنه في الآخرة والمستودع بأنه في الدنيا متعلق ببني آدم فقط. أما تفسير المستقر بالليالي والمستودع بالنهار فيمكن أن يشمل غير بني آدم من الحيوانات. والله أعلم.

ثم قوله[1] عز وجل: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ،[2] **ولقوم**[3] **يفقهون**، الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالّ على نَظيره والعلم ما يَعرف بنفسه؛ ولهذا لا يقال لله فَقيه، ويقال عالم، لأنه عالم بالأشياء بذاته لا بأغيارها ونَظائرها،[4] والفقيه هو الذي يعرف الأشياء[5] بأغيارها ونَظائرها ودَلائِلها.

**﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[٩٩]

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**، يُذكِّرهم عز وجل عظيمَ مِنّتِه بما يُنزل مِن السماء مِن الماء، ويُخرِج به نبات[6] كلّ شيء، كما ذَكَّرَهم مِن النِّعَم بما جَعل لهم[7] النجوم ليهتدوا بها[8] في الظُّلُمات واشتِباه الطُّرُق،[9] وما جَعَل الليل
[٢٢٢و] للسُّكون والراحة والنهارَ للمَعاش والتقلُّب، وما جَعَل لهم / مِن الشمس والقمر وجَعَل لهم فيهما مِن المنافع مِن نُضْج الأَنْزال والزروع ويَنْعِها ومعرفة عدد السنين والحساب والآجال التي يجعلون للعقود، وغير ذلك مِن النِّعَم التي أنعمها عليهم، لأنْ لا يُوجِّهوا شُكر هذه النِّعَم إلى غيره ولا يَتّخذوا إلٰهًا[10] سِواه. وقد ذكرنا[11] أن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الشرك في إثبات الوحدانية[12] والألوهية لله وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات[13] البعث بعد الموت، لأنهم كانوا ينكرون ذلك كلّه.

---

[1] ن: وقوله.
[2] سورة الأنعام، ٩٧/٦.
[3] ك: لقوم.
[4] ن: ولا نظيرها.
[5] ك – بذاته لا بأغيارها ونظائرها والفقيه هو الذي يعرف الأشياء.
[6] ن: يخرج نبات.
[7] ع م + من الشمس.
[8] ع م: والنجوم لتهتدوا بها.
[9] ع م: الطريق.
[10] ع م: إلها.
[11] ن: وقد ذكر. انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٤/٦، ٢٠.
[12] ن ع م: لوحدانية له.
[13] ن – وإثبات.

وقوله عز وجل: **فأخرجنا به نبات كل شيء**، يحتمل قوله: **نبات كل شيء**،[١] ما بالخَلْق[٢] حاجة إليه، لِيُعلم أنّ كلّ ما يُخرِج مِن الأرض[٣] أَصْلُه مِن الماء، به يُنبِت ما يكون[٤] غذاء البشر وغذاء الحيوان كلّهم والطيور، كقوله:[٥] وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ،[٦] يُذكِّرهم عظيم ما جَعَل لهم في الماء مِن المنافع على ما أخبر أنه به يُخرِج نبات كلّ شيء وبه حياة كلّ شيء. ثم[٧] مِن الأوقات ما لو نزل مِن السماء ماء لم يُنبِت، دلّ أنه إنما يُنبِت[٨] بتدبير غيرٍ، لا بالماء.

وقوله[٩] عز وجل: **فأخرجنا منه خَضِرا**، قيل: "به" يَخرُج أوّل ما يَخرُج خَضِرا، يكون ابتداء كلّ نَبْتٍ أخضر،[١٠] ثم يتحوّل إلى لون آخر. ومنهم مَن قال: "به" يعني بالماء[١١] يَدوم ويَبقى أخضر،[١٢] لولا الماء وإلاّ يَبِس وتَغيرّ عن حال ابتدائه. **نُخرِج منه حبّا مُتراكبا**،[١٣] يخبر عن لُطفه وصُنعه بما يُخرِج مِن الحبّ مُتراكبا بعضه على بعض، ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله، لِيعلموا أنّ لغيرٍ في ذلك تدبيرًا وصُنعًا.

وفيه دلالة أنه قد ينشئ الأشياء مِن لا شيء ولا سبب وإن كان قد أنشأ بعضها بأسباب، نحو أنْ أخرج[١٤] مِن الحبة والنَّوَاة نَباتًا أخضر ولم يكن في الحبّ نبات،[١٥] ثم أَخرج[١٦] مِن ذلك النبات الأخضر حُبوبا ولم تكن[١٧] الحُبوب في النبات، لِيعلموا أنه قادر على إنشاء الأشياء لا مِن شيء ولا سبب.

---

[١] ك – يحتمل قوله نبات كل شيء.
[٢] ك: مما بالخلق.
[٣] ن ع م: في الأرض.
[٤] جميع النسخ: مم يكون.
[٥] ك: لقوله.
[٦] سورة الأنبياء، ٣٠/٢١.
[٧] ك – ثم.
[٨] ن – دل أنه إنما ينبت.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ن: خضر.
[١١] ن: أنه.
[١٢] ن: خضرا.
[١٣] ع م – آخر ومنهم من قال به يعني بالماء يدوم ويبقى أخضر لولا الماء وإلا ييس وتغير عن حال ابتدائه نخرج منه حبا متراكبا.
[١٤] ك: أن خرج.
[١٥] ك: ساة.
[١٦] ع م – من الحبة والنواة نباتا أخضر ولم يكن في الحب نبات ثم أخرج.
[١٧] ك ع م: ولم يكن.

وفيه نقض قول الدهرية في كون الأشياء في شيء واحد، كما هي لا تحتمل أن تكون[١] عشرة آلاف نَواة أوحبّة في نَواة واحدة أو في حبّة واحدة، أو تكون الشجرة مع طُولها وغِلَظها وعِظَمها في نَواة أو حبّة.

وقوله عز وجل: **ومِن النَّخْل**، أي يُخرِج مِن النخل طَلْعَها[٢] بالماء، وفيه مِن عظيم لُطفه وتدبيره أنْ جَعَل النخيل والأشجار تَتشرّب بعُروقها الماء ثم يَنتشِر ذلك[٣] في أصلها إلى أغصانها ثم يخرج منه ويظهر خَضِرًا لِيُعلَم عظيمُ تدبيره ولُطفِه.

وقوله عز وجل: **قِنْوانٌ دانِية**، قيل: القِنْوان العُذوق يكون فيها التمر[٤] والثمار،[٥] واحدها قِنْو. وقوله: **دانية**، قال الحسن: دانية بعضها إلى بعض، مجتمعة غير متفرقة على ما يكون من الأعناب والتمر والحبوب، فإن كان هذا فهو في الكلّ. وقال بعضهم: **دانية** قريبة مُلتزِقة بالأرض، يَناله القائم والقاعد جميعًا. وعن ابن عباس: **قِنْوانٌ دانِية**، قِصار النَّخل اللّاصِقة عُذوقها بالأرض.[٦]

وقوله عز وجل: **وجناتٍ من أعناب**، أي أخرج بالماء[٧] جنات وكُرومًا. **والزيتونَ والرمّانَ**، قيل: أخرج بالماء أيضًا الزيتون والرمان. وقال بعضهم: **والزيتون والرمان مُشتبِهًا وغير مُتشابه**، أي يُشبِه وَرَق الزيتون في النظر[٨] وَرَق الرمان،[٩] **وغير متشابه** ثمرتها في اللون والطَّعْم، ولكن هو على الكلّ، على كلّ الثمار، لا يُشبِه[١٠] بعضها[١١] بعضا؛ منها ما يُشبِه ساقُ هذا ساقَ[١٢] آخَر والثمار والحُبوب مختلف، ومنها ما يُشبِه[١٣] في اللون والطَّعْمُ مختلف،

---

[١] ك – أن تكون؛ ع م: أن يكون.
[٢] ك: طلعا.
[٣] ع م – ذلك.
[٤] ن: الثمر.
[٥] ك: والأثمار.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢٩٣/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٣/٣.
[٧] ع م: الماء.
[٨] ك: في المنظر.
[٩] م + وغير متشابه أي يشبه ورق الزيتون في النظر ورق الرمان.
[١٠] ع م: ولا يشبه.
[١١] ن ع م: بعضه.
[١٢] جميع النسخ: ساق.
[١٣] ن – ما يشبه.

ومنها ما يُشبِه في الطَّعْم واللون مختلف،[١] لِيَعلموا أنّ لغيرٍ في ذلك تدبيرًا وصُنعًا لَطيفا لم يكن كذلك بالماء، لأنه لو كان كذلك بالماء لكان لا يختلف كلّ هذا الاختلاف في اللون والطَّعْم والساق والورق، دلّ أنه كان كذلك[٢] لغيرٍ عليمٍ[٣] مُدبِّرٍ حكيمٍ أنشأه على ما أراد بلُطفه.

وقوله عز وجل: **انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويَنْعِه**، يحتمل الأمر بالنظر وجوها. أي[٤] **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، أنْ كيف يُقلِّبها ويُحوِّلها مِن حال إلى حال ومِن لون إلى لون، وأنه يخرج في ساعةٍ[٥] لطيفةٍ ما لو اجتمع الخلائق على تقديره ومعرفته أنْ كم تخرج وأيّ مقدارٍ تخرج لم يَقدِروا عليه، لِيَعلموا أنه قادر على إحياء الخلق بمرّة واحدة. وفي إنزال المطر مِن السماء[٦] مع بُعدها آية عجيبة وحكمة بالغة، وهو أن يُنزله واحدا واحدا[٧] حتى لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبُعد السماء، ما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قَدَروا عليه، دلّ[٨] أنه كان بمُدبِّرٍ عليمٍ حكيمٍ.

وقوله عز وجل: **إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**، قد ذكرنا[٩] أنها تصير[١٠] آيات لمن صدّق بها وآمن، وأمّا مَن عانَد وكابَر عقلَه[١١] ولم يتأمّل فيها لم يَفهم ما فيها مِن عجيب آياته وعظيم مِنّته.

وفي قوله: **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، وجهان آخران مِن الحكمة، أنْ **انظروا إلى ثمره إذا أثمر**، أنه أوّلَ ما يَخرُج يَخرُج على لون واحد وعلى قَدْر[١٢] واحد وعلى طَعْم واحد، ثم تختلف[١٣] ألوانها وطَعْمها، وتَتفاوت[١٤] أقدارها، لِيَعلموا أنه كان بتدبير واحد عليم حكيم

---

[١] ع – ومنها ما يشبه في الطعم واللون مختلف.
[٢] م – كذلك.
[٣] ك: بغير علم.
[٤] ك + يحتمل.
[٥] ع: من ساعة.
[٦] ع: في السماء.
[٧] ع م – واحدا.
[٨] م + عليه.
[٩] نظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٧/٦.
[١٠] ن ع: أنها تغير.
[١١] ع م – عقله.
[١٢] ع: على قدر.
[١٣] ن ع م: ثم يختلف.
[١٤] ن ع م: ويتفاوت.

قادر على خَلْق الأشياء بلا سبب، لأنه لو كان كذلك بسببٍ لا بتدبيرٍ[1] فيه كان سبب[2] هذا كلّه واحدا،[3] فيجيء أنْ يَخرُج كلّه على سَنَن واحد، دلّ أنه خالق بذاته لا بسبب. والثاني[4] أنْ **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، أنه جَعَل[5] ما يَطيب مِنه للبَشر،[6] وعَلَّمهم أسبابًا يَتّخذون بها الطيّبات مِن ذلك، مِن نحو النُّضج والطَّبْخ وغيره، وجَعَل لِغيرهم مِن الحيوان كما هو خارج مِن الأرض، لِيَعلموا أنّ غيرَهم مِن الحيوان والدوابّ إنما جَعَلهم لمنافع البَشر مُسَخَّرين لهم، [٢٢٢ظ] وأنّ البَشر هُم المقصودون في خَلْق الأشياء / كلّها. وبالله الحول والقوة، وله المِنّة والفضل.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **وجعلوا لله شركاءَ الجن**، أي قالوا: لله شركاء، وكذلك قوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،[7] أي يقولون: لله البنات. أو وَصَفوا لله[8] [شركاء الجن]،[9] دليلُه ما ذُكر في آخره: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ، دلّ هذا أنّ قوله: **وجعلوا لله شركاء**، أي وَصَفوه بالشركاء والولد.

وقوله عز وجل: **شركاءَ الجن**، قال بعضهم: [المراد من الجن الملائكة، أي جعلوا الملائكة شركاء له في العبادة]،[10] وهذا[11] كقوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا.[12] وقيل: إنهم لم يعبدوا الجن ولا قَصَدوا قَصْد عبادة الشيطان حيث قال: [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ] يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ،[13] لأنّ جميع أهل الكفر على اختلاف مذاهبهم يُبغِضون الشيطان ويَلعنون عليه،[14]

[1] ع: لا تدبير.
[2] ك: سبت.
[3] ك: واحد.
[4] ك ن م: والثالث.
[5] ع: لأنه جعل.
[6] ع: بالبشر.
[7] سورة النحل، ٥٧/١٦.
[8] ك: الله.
[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٢ظ.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و.
[11] جميع النسخ: هذا.
[12] سورة الصافات، ١٥٨/٣٧.
[13] سورة يس، ٦٠/٣٦.
[14] ن: ويلعنونه.

ولكن معناه أن الشيطان هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام والأوثان، فإذا عبدوا الأصنام بدعائه فكأنهم عَبدوه، إذ بأمره[١] وبدعائه[٢] يعبدونها.[٣] أو أن يكون كما روي في الخبر: «إن الشمس إذا طَلعتْ تَطلُع بَيْن قَرْنَيْ شيطان»،[٤] فإذا عبدوها فكأنهم عَبدوا الشيطان، مِثل هذا يحتمل. **والله أعلم.**

فإن قيل: فإذا صاروا كأنهم عبدوا الشيطان ومَن ذكر مِن الجن بدعائهم إلى ذلك وبأمرهم[٥] بذلك حتى[٦] نَسب وأَضاف العبادة إليهم كيف لا صار المؤمنون كأنهم عبدوا الرسل، لأنهم إنما عبدوا الله بدعاء الرسل وبأمرهم؟

قيل: لأن الرسل إنما دَعَوْهم إلى عبادة الله وأَمروهم بذلك لأن الله تعالى أَمرهم بذلك،[٧] وأمّا أولئك إنما دَعَوْهم إلى عبادة مَن ذُكر بذات أنفسهم.

وفي قوله: **وجعلوا لله شركاء الجن**، إخبار لأوليائه وتذكير لهم[٨] حُسْنَ صنيعه إلى أعدائه مِن الإنعام عليهم والإحسان إليهم، وقُبْحَ صنيع أولئك إليه مِن وَصْفِهم إيّاه بالولد والشركاء، لِيُعاملوهم معاملة الأعداء أو معاملة[٩] أمثالهم.[١٠] **وخَلَقهم**، أي يعلمون أنه هو خَلَقهم ثم يشركون غيره في ألوهيته[١١] وعبادته، لا يُوجّهون شُكر نِعَمه إليه. والثاني[١٢] قوله: **وخَلَقهم**،

---

[١] ع: بأمره.

[٢] ك: ودعائه.

[٣] ن: يعبدون، + الأصنام والأوثان.

[٤] ك ع: الشيطان. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا طَلَع حاجب الشمس فدَعُوا الصلاة حتى تَبْرُز، وإذا غاب حاجب الشمس فدَعُوا الصلاة حتى تَغِيب، ولا تَحَيَّنُوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تَطلع بَيْن قَرْنَيْ شيطان» (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ١١؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ٢٩٠).

[٥] ن ع: ويأمرهم.

[٦] ك - حتى.

[٧] ن - لأن الله تعالى أمرهم بذلك.

[٨] ك: وتذكيرهم.

[٩] ك ن: ومعامة.

[١٠] وعبارة الشارح هكذا: «لِيتعلموا أنْ كيف يُعامَل مع الأعداء مِثل المعاملة معهم، والصبر على أذاهم، لِيَحملهم ذلك على الرجوع عن العداوة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و).

[١١] ك: وألوهيته.

[١٢] م + معامة الأعداء أو معامة أمثالهم وحققهم أي يعلمون أنه هو حققهم ثم يشركون عيره في ألوهيته وعبادته لا يوحهون شكر نعمه إليه والثاني.

أي تخلَق هذه الأصنام التي يعبدونها[1] ويعلمون أنها محلوقة مُسَخَّرة مُذلَّلة، فمع ما يعلمون هذا يشركون في ألوهيته وعبادته، فكيف يكون المخلوق المُسَخَّر شريكًا له؟

وقوله عز وجل: **وخَرَقوا له بنين وبنات بغير علم**، هم كانوا فِرَقًا وأصنافًا، منهم مَن يقول بأنّ عيسى ابنه، وهم النصارى، ومنهم مَن يقول بأن عُزَيْرًا ابنه، وهم اليهود،[2] وقال مشركو[3] العرب: الملائكة بنات الله، فقال: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى،[4] وقال: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ،[5] وقال: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[6] فإذا أَنِفتم[7] أنتم مِن البنات كيف تَنسبتم البنات إليه؟

في هذه الآية تصبير رسول الله على أذاهم بِقَولِه: [إنهم] مع كثرة ما كان لهم مِن الله مِن النِّعَم والمِنَن يشركون في عبادته غيره، فأنت إذا لم يكن منك إليهم شيء مِن ذلك أَوْلَى[8] أنْ تَصبر على أذاهم.

وقوله عز وجل: **بغير علم**، أي يعلمون هم أنْ ليس له ولد ولا شريك، ولكن كانوا يُكابِرون.[9] ويحتمل **بغير علم**، على جَهلٍ يقولون ذلك.

وقوله عز وجل: **سبحانه وتعالى عما يصفون**، هو حرف تعظيم وتنزيه جُعِل[10] فيما بين الخَلْق، به يُعظِّمون وبه يُنزِّهون وبه يَنفُون كلّ عيب فيهم، فعلى ذلك ذُكر عند وَصْف الكَفَرة [لله] بالولد والشريك والعيوب، تنزيهًا وتبرئةً عن كلّ عيب وَصفوه وتَعالِيًا عن جميع ما قالوا فيه، وهو -والله أعلم- كما يقال:[11] مَعاذَ الله، تعظيمًا وتَبرِّئًا عن ذلك.

---

[1] ن + ويعبدونها.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عُزَيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[3] ك ن ع م: مشركوا.

[4] سورة النجم، ٥٣/٢١-٢٢.

[5] سورة الطور، ٥٢/٣٩.

[6] سورة الزخرف، ٤٣/١٧.

[7] ع م: فإذا أنفقتم.

[8] ك - أولى.

[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أنهم كانوا يعلمون يقينا أن ليس له ولد ولا شريك، ولكنهم يكابرون فيقولون ذلك كذبا، والقول بالشيء كذبا على خلاف ما هو به. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و).

[10] ك ن ع: جعلهم.

[11] ع: كما يقول؛ م: كما يقولون.

وفي قوله: **سبحانه وتعالى عما يصفون**، نَقْضُ قولِ المعتزلة، لقولهم:[١] إنّ صفات الله ليس إلا وَصْف الواصفين،[٢] فلو لم تكن[٣] إلا وَصْف الواصفين[٤] لا غير لكان لا معنى لِذَمّ بعض الواصفين وحَمْدِ بعضهم، ثَبت أنّ في ذلك صفة سِوى وَصْف الواصفين.[٥]

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد**،[٦] قوله: **بديع السماوات والأرض**،[٧] أي أنشأهما بلا احتذاء ولا امتثالٍ بِغَير.[٨]

* قال[٩] الكِسائي: **بديع**[١٠] **السماوات**[١١] وبَادِع السماوات[١٢] واحد، كما يُقال: عليم وعالم. وبَدَع وابتَدَع بمعنى واحد. وقال بعضهم: هو مِثل قوله: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[١٣]* [٢٢٣و س١٣ - ٢٢٣و س١٤]

هذا يَردّ على القَرامِطَة قولهم، لأنهم يقولون: خالِق، ولا يقولون:[١٤] مُبدِع، ويقولون: المبْدِع الثاني هو أوّل مخلوق، خلَق منه جميع العالم. فلو كان أوّل خَلْقٍ خُلِق مُبدِعًا فهو مُبدِع، والإبداع هو إحداث شيء لم يسبق له أصل ولا مثال، ولهذا[١٥] ما[١٦] يقال لمن أحدث في دينه شيئًا: مُبتدِع، لأنه أحدث فيه شيئًا لم يَسبِق له أصل ولا مثال.

---

[١] ك – لقولهم؛ ن: كقولهم.
[٢] ن: الواصفون.
[٣] ن ع م: لم يكن.
[٤] ك ن ع: الواصف.
[٥] وذلك أنّ وراء الوصف معان راجعة إلى الذات مِن صفات النقص وصفات المدح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و.
[٦] ن + هذا.
[٧] ك – أنى يكون له ولد قوله بديع السماوات والأرض.
[٨] ك + وقوله بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد.
[٩] م: قاله.
[١٠] ع م: أي بديع.
[١١] ك + والأرض.
[١٢] ك + والأرض.
[١٣] سورة الشورى، ٤٢/١١.
* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٣و/سطر ١٣-١٤.
[١٤] ع م – خالق ولا يقولون، + فهو.
[١٥] ع – ولهذا.
[١٦] ك. واحد اما.

وقوله عز وجل: **بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد**، أي مَن قَدَر على إبداع السماوات والأرض لا عن أصلٍ سَبَق ولا عن مِثالٍ تقدّم فأنّى تَقع له[1] الحاجة إلى الولد؟ والولد في الشاهد إنما يُتخذ لإحدى[2] خصال[3] ثلاث؛ إما للانتصار على الأعداء والانتقام منهم، وإما لِوَحشةٍ[4] تأخذهم، وإما لحاجةٍ[5] تمسّهم. فالله سبحانه يَتعالى[6] عن ذلك كلّه، فأنّى يَتّخذ ولدًا؟ والثاني **أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة**، أي تعرفون أنّ الولد لا يكون في الشاهد إلا عن صاحبة، وليست له صاحبة، فأنّى يكون له ولد؟ كأنّ الخطاب كان في قوم يَنفُون عنه الصاحبة. وإنما الحاجة إلى الصاحبة للشهوات التي مُكّنَت فيهم، فالشهوة هي[7] التي تَقهَر المرء وتَحمِله على الحاجة.

وقوله عز وجل: **وخَلَق كلّ شيء**، فيه نَقْضُ قول المعتزلة، لأنه[8] أخبر أنه خلق كل شيء،
[٢٢٣و] وعلى قولهم لم يخلق جزءًا[9] مِن ألفِ / جزءٍ[10] مِن الأشياء، لأنهم يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد ولا حركاتهم ولا سَكَناتهم[11] ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيئًا مِن ذلك. ثم لا يجوز أن تُصرَف[12] الآية إلى الخصوص وهو يَخرج مَخرج الامتداح، ولو جاز أن يُصرَف هذا على شيء دون شيء لجاز لغيرهم أن يَصرِفوا قوله: **وهو بكل شيء عليم**، إلى شيء دون شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٠٢]

وكذلك قوله: **خالِق كلّ شيء**، على قول المعتزلة هو خالِق بعض الأشياء، ليس هو بخالق الأشياء كلّها على ما أخبر. فَلإن جاز صَرفُه إلى بعض الأشياء دون بعض لجاز أيضًا صَرفُ **قولِه: وهو على كل شيء وكيل**، إلى بعض دون بعض، حَفِظ بعض الأشياء و لم يَحفظ الكلّ.

---

[1] ن ع م: يقع له.
[2] ك – لإحدى.
[3] ك: لخصال.
[4] ع: وإما الوحشة.
[5] ع: وإما الحاجة.
[6] ع: وتعالى.
[7] ن – هي، صح ﻫ.
[8] ن + لأنه.
[9] ك ن: جزءا.
[10] ع – من ألف جزء.
[11] ك: ولا سكونهم؛ ن – ولا سكناتهم، صح ﻫ.
[12] جميع النسخ: أن يصرف.

فإن لم يَجُز هذا لأنه خَرج مَخرَج الامتداح فعلى ذلك لا يجوز صَرْف الأوّل إلى بعض دون بعض لأنه امتداح. وَلَإِن جاز أن يُقال بأن العبد هو خالق ذلك جاز أن يُقال: هو خالق الكلّ والقادر عليه. فهذا سَمَج بَيِّن. نسأل الله العِصمة عن السَّرَف في القول والزَّيْغ عن الحق، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم**، أي ابتدع خَلْق السماوات والأرض وما ذَكر مِن أنواع المِنَن والنِّعَم التي أنعمها عليهم مِن نحو ما جَعل لهم مِن النجوم ليهتدوا بها[١] في الظلمات، وما ذَكر أنه أنشأهم مِن نفس واحدة، وما ذَكر مِن إنزال الماء مِن السماء وإخراج ما أخرج به مِن النبات والثمار والحبوب والأعناب وغير ذلك مِن عجيب حكمته، ذلك كلّه بالله الذي **لا إله إلا هو**، هو[٢] مُنشِئ ذلك كلّه؛ **فاعبدوه**، أي إليه وَجِّهوا شُكر نِعَمه ولا تُوجِّهوا إلى غيره.*

﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**، قيل: كَنَّى بالأبصار عن الخَلْق، كأنه قال: لا يدركه الخَلْق وهو يدرك الخلق، وإنما كَنَّى بالأبصار عن الخَلْق لِمَا بالأبصار يُدرَك الأشياء ويحاط بها، لذلك كان معنى الكناية.[٣] *والله أعلم*. وقيل: هو على حقيقة[٤] الأبصار، لكنه بَصَر[٥] القلب لِمَا به تقع المعارف. فإن كان بَصَرَ الوجه ففيه دليل إثبات الرؤية،[٦] لأنه نفى عنه الإدراك، فلو لم يكن يحتمل الرؤية لم يكن[٧] لنفي الإدراك معنى، لأنه لا يدرك ما لا يرى؛ فدلّ نفي الإدراك على أنّ هنالك رؤية. لكنه[٨] لا يُدرَك ولا يُحاط[٩] به على ما ذُكر: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا؛[١٠] إذ مِن الأشياء الظاهرة -مِمّا يقع عليها البصر-

---

[١] ن - بها؛ م: لتهتدوا بها.
[٢] ع م - هو.
* وردت هنا عبارة متعلقة بتفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٢٣و/سطر ١٣-١٤.
[٣] ك: الكتابة.
[٤] ك: حقيقة.
[٥] ك: يصبر.
[٦] أي إثبات رؤية الله تعالى.
[٧] ع م - يحتمل الرؤية لم يكن.
[٨] أي لكن الله سبحانه.
[٩] ك: ولا تحاط.
[١٠] سورة طه، ١١٠/٢٠.

[ما] يكون لها سِرّ[1] خفي مِن نحو البصر والسمع واللسان[2] والأنف واليد وغير ذلك من الأشياء مِمّا لا يُدرَك حقيقة ماهيتها[3] وكيفيتها ولا تقديرُها.[4] يُبصَر بالبصر أشياءُ، [لكن] لا يُعرَف حقيقةُ كيفيةِ البصر ولا ماهيتِه،[5] وكذلك السمع لا يُدرَى[6] أنه كيف هو[7] ولا بم يسمع،[8] وكذلك هذا في كلّ جارحة وحاسّة. تجد اليد[9] خُشُونَة الشيء الذي تمسّه[10] ولِينَه، [ولكن] لا يُعرَف[11] بم تجد[12] ذلك وتعرفه،[13] وكذلك الكلام مِن اللسان والشَّم[14] مِن الأنف لا يُدرَى ما هو وكيف وبم يجد ذلك الرائحة والنَّتْن. فإذا كان مَعارِف الخَلْق في الأشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يُدرَك حقيقة ماهيتها[15] ولا يُعرَف كيفيتها ولا يُحاط بها عِلمًا فالله سبحانه الذي بحكمته وَضَع ذلك وبِلُطفه رَكَّب أَبْعَد عن الإدراك وأَحْرَى[16] أنْ لا يُحاط به ولا يُدرَك. وهذا يردّ على المُجَسِّمة[17] مذهبهم، لأنهم يُصوِّرون[18] ربهم في قلوبهم ويُمَثِّلونه، فعلى ذلك يعبدونه، فهم مُشَبِّهة.[19]

---

[1] جميع النسخ + وفيها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٤و.
[2] ع م - واللسان.
[3] ك ن: مائيتها.
[4] وعبارة الشارح هكذا: «... ولأن في الشاهد ترى أشياء ظاهرة مما يقع عيها البصر من نحو البصر والسمع واللسان والأنف واليد وغير ذلك من الأشياء مما لا يدرك حقيقة معانيها وكيفيتها لما فيها من سر حفي...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٤و).
[5] ك ن: ولا مائيته.
[6] ع + ما هو.
[7] ع: وكيف هو.
[8] ك ن: وبم يسمع.
[9] ع م: اليوم.
[10] ع: يمسه.
[11] ن ع م: لا تعرف.
[12] ك: ثم تجد؛ ع: بما تجد.
[13] ك: ويعرفه.
[14] ن: والشتم.
[15] ك ن: مائيتها.
[16] ك: واحري.
[17] ك: على الخبية؛ ن: على الحبية؛ ع: على الجسية. والمجسّمة اسم يجمع فِرَقًا كثيرة، وهم يزعمون أن الله تعالى صفات الأجسام من الأعضاء والحدود، ويختلفون في التفاصيل. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ٢٠٧/١؛ *والفصل في الملل والأهواء والنحل* لابن حزم، ١٢٧/٢.
[18] ن: لو يصورون؛ ع: لو يصرون.
[19] المشبهة صنفان، صنف شبّهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبّهوا صفاته بصفات غيره، وكلّ صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتّى. وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغُلاة. وقد وقع في التشبيه أيضًا بعض أصحاب الحديث. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٤/١؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ١٠٣/١.

وأصله أن الله تبارك وتعالى يُعرَف بالآيات والدلائل لا بالمحسوسات والمُشاهَدات، وكلّ شيءٍ سبيلُ معرفتِه الآيات[١] والدلائل[٢] فهو غير مُحاطٍ به ولا مُدرَك، فهو على ما وَصَف نَفْسَه: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا،[٣] **ولا تدركه الأبصار**، لأن الإدراك والإحاطة إنما يقع بالمحسوسات لا بما يُعرَف بالآيات والدلائل. وعلى ذلك جاءت دلائل[٤] الرسل،[٥] نحو ما قال موسى حين سأله فرعون: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى،[٦] و قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، و قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ،[٧] دَلَّاه[٨] على ألوهيته ووحدانيته مِن جهة الآيات والدلائل لا مِن غيره. وعلى ذلك دَلّ الله الخَلْق على معرفة وحدانيته وربوبيته بقوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا،[٩] وقال: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ،[١٠] وقال: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ،[١١] إلى آخر ما ذكر، دَلَّهم على ما يعرفون ألوهيته[١٢] ووحدانيته مِن جهة الآيات والدلائل لا مِن جهة ما تقع به الإحاطة والإدراك. ***وبالله الهداية والرشاد.***

وقوله: **وهو اللطيف الخبير**، قيل: **اللطيف** في أفعاله،[١٣] **الخبير** بِخَلْقِه وبأعمالهم. وقيل: **اللطيف** البارّ[١٤] الرحيم. وقيل: **اللطيف** هو العليم بخَفِيّات الأشياء، **والخبير** بظواهر الأشياء. ثم هو[١٥] اللطيف العظيم، والعظيم في الشاهد غير اللطيف واللطيف غير العظيم،

---

١ ن: بالآيات.

٢ ع + وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل.

٣ سورة طه، ١١٠/٢٠.

٤ ع: جاء الدلائل.

٥ ك ن + به.

٦ سورة طه، ٤٩/٢٠-٥٠.

٧ ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢٥٨/٢).

٨ ك: دلالة. أي دَلّ موسى وإبراهيم عليهما السلام مُخاطبَيهما...

٩ سورة الأنعام، ٩٧/٦.

١٠ سورة يونس، ٥/١٠.

١١ سورة الأنعام، ٩٩/٦.

١٢ ع: بألوهيته.

١٣ ك ن: في فعاله؛ ع: أفعاله.

١٤ ع: البر.

١٥ أي الله تعالى.

لأن العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة، و**اللطيف** ما يَلطُف في نفسه ويَرِق. وكلُّ واحدٍ[1] منهما مما يُناقِض[2] الآخر، لِيُعلَم أنه لطيف عظيم لا مِن الوجوه التي تُعرَف في الخَلْق. وكذلك
[٢٢٣ظ] قوله: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ / وَالْبَاطِنُ،[3] هو أوَلُ آخِر وظاهرٌ باطنٌ، وفي الخَلْق مَن كان أوّلاً لم يكن آخِرًا ومَن كان ظاهرًا لم يكن باطنًا، لِيُعلَم أنه أوَل وآخِر وظاهر وباطن[4] لا مِن الوجه[5] الذي يُعرَف[6] ويُفهَم[7] مِن الخَلْق ولكن على[8] ما وَصَف نفسه.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **قد جاءكم بصائر من ربكم**، قيل: بينات من ربكم. وقيل: البصائر الهُدَى، **بصائر** في قلوبهم، وليست ببصائر[9] الرءوس، وهو قول عبد الرحمن بن زيد[10] بن أسلم.[11] وقيل: **بصائر**، أي بيان، وهو واحد. وقيل: **بصائر** شَواهِد، أي **قد جاءكم مِن** الله شواهد تدلّكم على ألوهيته. وهو كقوله تعالى: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ،[12] أي بل الإنسان مِن نفسه بصيرة، أي شاهدة، تَشهَد كلّ جارحة مِنه[13] على وحدانية الله وألوهيته؛ ألا ترى[14] أنه قال: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[15] هذا -والله أعلم- لأنهم كانوا يُقلِّدون آباءهم في عبادة الأوثان والأصنام، ويقولون:

---

[1] ك: كل واحد.
[2] ع: مما يناقد.
[3] سورة الحديد، ٣/٥٧.
[4] ع: أول آخر وظاهر باطن.
[5] ع: لا من الوجوه.
[6] ك ن - يعرف.
[7] ك ن: يفهم.
[8] ع م - على.
[9] ن: بصائر.
[10] ك - بن زيد.
[11] *تفسير الطبري*، ٣٠٤/٧. عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم (ت. ١٨٢هـ/٧٩٨م)، روى عن أبيه وابن المنكدر، وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام. ضعفوه في الحديث، وله تفسير. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٦٢٨/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٣٤٠.
[12] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[13] م: منهم.
[14] ك: ألا يري.
[15] سورة النور، ٢٤/٢٤.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٢] فيقول: **قد جاءكم بصائر من ربكم**، مِن الآيات والرسل ما لو اتّبعتموهم لكانوا لكم شفعاء عند الله. والثاني **قد جاءكم بصائر**، ما لو تفكّروا وتدبّروا ونظروا فيها لَعرفوا أنها بصائر من الله، لأن البشر أُنشِئوا بحيث[٣] ينظرون في العجيب مِن الأشياء، فكانوا على أمرَيْن:[٤] منهم مَن نظر وتفكّر وعرف أنها بصائر، لكنه[٥] عاند وكابَر ولم يعمل بها، ومنهم مَن ترك النظر فيها فعمي عنها، ما لو تفكّروا ونظروا لَتبيَّن لهم.[٦]

وقوله عز وجل: **فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها**، أي **أبصر** الحقّ والهدى وعمل به **فلنفسه** عَمِل، **ومَن** أبصر **وعمي** عنها، أي ترك العمل، **فعليها** تَرَك، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[٧]

فإن قيل: ذكر في آية أخرى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ،[٨] أخبر أنّ مَن هلك هلك عن بينة ومن حي حي[٩] عن بينة،[١٠] وهاهنا يقول: **فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها**، ذكر [أنه] عَمِي عنها، فكيف وجه التوفيق بينهما؟

قيل: يحتمل قوله: **عمي**، بعدما تبيّن له فترك العمل به فعليها[١١] ذلك، لأنه أبصرها وعرف أنها من الله، لكنه عانَدها وكابَرها.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي **قد جاءكم بصائر من ربكم**، فليس علينا إلا التبليغ، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١٢]

---

[١] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٢] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٣] ع: لخبيث.
[٤] ع: وكانوا على أمر.
[٥] ع: لأنها.
[٦] ع: النبيين لهم.
[٧] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[٨] سورة الأنفال، ٤٢/٨.
[٩] ك: ومن حيي حيي؛ م: ومن حيي حي.
[١٠] ع – "خبر أن من هلك هلك عن بينة ومن حي حي عن بينة.
[١١] ن – ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله عمي بعد ما تبين له فترك العمل به فعليها.
[١٢] ن – وقوله عز وجل وما أنا عليكم بحفيظ أي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا إلا التبليغ كقوله ما على الرسول إلا البلاغ. والآية في سورة المائدة، ٩٩/٥.

﴿وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وكذلك نُصَرِّف الآيات**، أي نُرَدِّدُها[١] في الوجوه[٢] التي تتبيّن لقوم يطلبون البيان؛ أو يقول:[٣] **نُصَرِّف الآيات**، أي نضع كل آية ونصرّفها إلى الوجوه التي تكون[٤] بالخلق إليها حاجة.

وقوله عز وجل: **وليقولوا درست**، فيه لغات: دَرَسْتَ ودَارَسْتَ ودَرَسَتْ، قراءات.[٥] ودارَسْتَ تعلّمتَ.[٦] وقيل: دارستَ أهل الكتاب، جادلتَهم. ودَرَسَتْ بالجزم قيل: تقادمت. فهذا الاختلاف فيه لاختلاف[٧] قولٍ كان مِن الكفرة لرسول الله، منهم من يقول: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٨] فهو تأويل دارستَ، ومنهم من يقول: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٩] فهذا تأويل قوله: دَرَسْتَ، ومنهم من يقول:[١٠] مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[١١] وهو تأويل دَرَسْتَ، فعلى اختلاف أقاويلهم خرجت القراءة.

ثم اختلف في تأويل قوله تعالى: **وليقولوا درستَ**، قال بعضهم: لئلا يقولوا[١٢] درستَ،[١٣] فهو صلة قوله: قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٤] لئلا يقولوا[١٥] درستَ. وقال الحسن: قوله: **وليقولوا درستَ**، أي قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٦] ليقولوا درستَ؛ لأنّ مِن قوله: إنه بُعِث الرسل وأُنزِل الكتب ليكون من الكافر قولُ كفرٍ ومن المؤمن قولُ إيمانٍ.

---

[١] ن ع م: أي نردها.
[٢] ع: في الوجو.
[٣] ع: أو نقول.
[٤] ك: يكون.
[٥] م: قران. قرأ من السبعة ابن كثير وأبو عمرو: دَارَسْتَ، بألف؛ وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: دَرَسْتَ، ساكنة السين بغير ألف، وقرأ ابن عامر: دَرَسَتْ، مفتوحة السين ساكنة التاء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٤.
[٦] ن ع م: تعمت.
[٧] ك ن ع: الاختلاف.
[٨] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[٩] سورة الأنعام، ٦/٢٥.
[١٠] ع م - إنما يعمه بشر فهو تأويل دارست ومنهم من يقول إن هذا إلا أساطير الأولين فهذا تأويل قوله درست ومنهم من يقول.
[١١] سورة سبأ، ٣٤/٤٣.
[١٢] م: ولا يقولوا.
[١٣] ن ع - قال بعضهم لئلا يقولوا درست.
[١٤] سورة الأنعام، ٦/١٠٤.
[١٥] ن م: ليقولوا.
[١٦] سورة الأنعام، ٦/١٠٤.

وقوله عز وجل: **وليقولوا درست**، يخرج -والله أعلم- على معنى[1] التعجيب،[2] يُعجّب[3] أصحاب[4] النبي صلى الله عليه وسلم عن قبح[5] صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءهم[6] بصائر من ربهم وبينات وحُجج، ثم هم بعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب. وهو على ما قلنا: إن الله ذكر نعمه عليهم بما أنشأ لهم من الأنعام والجنات المعروشات والزرع والنخيل[7] وما أخبر عنه، وقد علموا ذلك كله، ثم جعلوا له بعد معرفتهم هذا[8] ﴿شُرَكَآءَ الْجِنَّ... وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾،[9] ولا بينة، فهو على التعجيب أنهم كيف جعلوا له شركاء وقد علموا أن الذي جعل هذا كله لهم هو الله. فعنى ذلك هذه الآية أنهم كيف قذفوه بالدراسة وقد تبيّن لهم صِدقُه[10] وأنه من عند الله بالآيات والدلائل،[11] وبما كان[12] لا يَخُطّ[13] كتابًا[14] ولا شهدوه يختلف إلى من عنده عِلمُ ذلك.

وقوله عز وجل: **ولنبينه لقوم يعلمون**، أي لنبينه يعني القرآن. وقيل: البصائر التي ذكر،[15] **لقوم** ينتفعون بعلمهم.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **اتبع ما أوحي إليك من ربك**؛ فإن قيل: ما معنى قوله: **من ربك**، وإنما أوحي إليه من ربه، ويكفي قوله: **اتبع ما أوحي إليك**؟ ولكن معناه على الإضمار -والله أعلم-

---

[1] ع م: علي.
[2] ع: التعجيبة.
[3] ك: (يعجب) مختلط الخط.
[4] ع: أصحابه.
[5] ن ع: وعن قبح.
[6] ع م: وقد جاء.
[7] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[8] م: وهذا.
[9] سورة الأنعام، ١٠٠/٦.
[10] ع: صدقة.
[11] ن ع م: في الدلائل.
[12] ن: وبما كانوا.
[13] م: لا يحفظ.
[14] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩)
[15] في سورة الأنعام، ١٠٤/٦.

كأنه قال للذي أوحي إليه على يديه:[1] قل: **اتبع ما أوحي إليك من ربك**، ثم أمر نبيه باتباع ما أوحي إليه من ربه، أي اعمل بما أوحي إليك.

ثم الأمر بالعمل يحتمل وجهين. يحتمل الأمر بالاعتقاد بذلك، ويحتمل نفس العمل، أي اعمل. ويشبه أن يكون الأمر[2] بالاتباع [يرجع إلى اتباع][3] ما أوحي إليه صدقا في الخبر وعدلا[4] في الحكم،[5] كقوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[6] قيل: صدقًا في الأخبار وعدلاً[7] في الأحكام، فعلى ذلك أمكن أن يكون الأمرُ بالاتّباعِ اتّباعَ ما أوحي إليه صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام. ثم على ما أمر نبيّه باتّباع ما أُوحي إليه وأُنزل مِن ربّه أَمَرَ أمّته كذلك، وهو قوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
[٢٢٤و] / وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ،[8] أمرهم باتّباع ما أنزل إليهم من ربهم، ونهاهم عن اتباع ما اتّخذوا[9] من دونه[10] أولياء. فعلى ما نهاهم عن اتخاذ أولياء دونه قال في الآية التي أمر رسوله باتباع ما أُوحي إليه من ربه، فقال: **اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو**.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، وقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ،[11] واحد، لأنه أمر باتباع ما أوحي إليه من ربه، ونهى أن يتبع دونه أولياء، لأنه أخبر أنْ لا إله إلا هو.

وقوله عز وجل: **وأعرض عن المشركين**، يحتمل أمره بالإعراض عن المشركين وجوها. يحتمل أنْ لا تُكافِئهم على أذاهم ولكن اصبر. ويحتمل الأمر بالإعراض عنهم النهي[12] عن قتالهم، كأنه نهى عن قتالهم[13] في وقت. ويحتمل أن تكون[14] الآية في قوم خاص، قال: أعرض عنهم فإنهم لا يؤمنون،

---

[1] «وهو جبريل عليه السلام أو من شاء الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٤ظ).
[2] جميع النسخ: بالأمر.
[3] والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٥و.
[4] ن: عدلا.
[5] «أي صَدِّق ما أوحي إليك أنه لك من عند الله تعالى، واعمل بما هو حُكم الله تعالى على العدل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٥و).
[6] سورة الأنعام، ١١٥/٦.
[7] ن – قيل صدقا في الأخبار وعدلا؛ ع + قيل صدقا في الأخبار وعدلا.
[8] سورة الأعراف، ٣/٧.
[9] ك: من اتخذ؛ ن: من اتخذوا.
[10] ع – دونه.
[11] سورة الأعراف، ٣/٧.
[12] ك: والنهي.
[13] ع – كأنه نهي عن قتالهم.
[14] ن ع م: أن يكون.

ولا تُقِم عليهم الآيات والحُجج، لِمَا علم منهم أنهم لا يؤمنون.[١] ثم على ما أمر نبيّه بالإعراض عنهم أمر المؤمنين أيضًا بالإعراض عنهم، وهو قوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ.[٢]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[١٠٧]

وقوله تعالى: **ولو شاء الله ما أشركوا**، قالت المعتزلة: المشيئة ههنا مشيئة قهر وجبر، أي لو شاء الله لأعجزهم ومنعهم عن الشرك[٣] على رفع الابتلاء والامتحان. وأما عندنا المشيئة مشيئة[٤] الاختيار[٥] والطوع على قيام الابتلاء والامتحان. وبعدُ فإن مشيئة الجبر هي خِلقَة، وقد كانوا جميعًا غير مشركين بالخلقة، فلا معنى لتأويلهم الذي تأوّلوا في المشيئة. ثم لا يحتمل أن يكون قوله: **ولو شاء الله ما أشركوا**، مشيئة قهر وقَسْر، لأنه لا يكون في حال الجبر والقهر إيمان ولا كفر، إنما يكون ذلك في حال الاختيار والطوع، لأن الجبر والقهر يمنع مِن أن يكون له فعلٌ حقيقةً، بل يُحَوِّلُ[٦] الفعلُ عنه[٧] ويَسقط، ويَثبت لِلذي جَبَر وقَهر، فذلك بعيد، فدل أنه ما ذكرنا.[٨] *وبالله الرشاد.*

وفي قوله: **ولو شاء الله ما أشركوا**، دلالة أنّ طريق الإسلام الإفضال والإنعام، ولله[٩] أن يخصّ به مَن كان أهلاً للإفضال والإنعام باللطائف التي عنده، ويَحْرِم بعضًا[١٠] ذلك، وله أن يجعل بعضهم أهلا لذلك إفضالاً منه، ولا يجعل البعض عدلاً منه.

وقوله عز وجل: **وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل**، أي لم يؤخذ عليك حفظ أعمالهم، أو لا تُسأَل أنت عن صنيعهم، إنما عليك التبليغ. وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١١] وكقوله[١٢] تعالى: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[١٣] ونحوه.

[١] ن: لم يؤمنوا.
[٢] سورة القصص، ٢٨/٥٥.
[٣] ع: عن الإشراك.
[٤] م – مشيئة.
[٥] ع م: اختيار.
[٦] ن ع: بل تحول.
[٧] ع م: منه.
[٨] ع: إنما ذكرنا.
[٩] ن: والله.
[١٠] ع م – بعضا.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[١٢] ع م: كقوله.
[١٣] سورة النور، ٢٤/٥٤.

وقيل: الحفيظ والوكيل واحد. وقيل: الوكيل هو الكفيل. وقد ذكرنا في غير موضع فيما تقدم.[١]

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**، نهانا الله عز وجل عن سبّ مَن يستحق السبّ مخافةَ سبّ مَن لا يستحق السبّ.[٢]

فإن قيل: كيف نهانا عن سبّ مَن يستحق السبّ مخافةَ سبّ مَن لا يستحق وقد أمرنا بقتالهم،[٣] وإذا قاتلناهم قاتلونا، وقتل[٤] المؤمن بغير حق من المناكير، وكذلك أَمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وإن كانوا يستقبلونه بالتكذيب؟

قيل: إن السبّ لأولئك مُباح غير مفروض، والقتال معهم فرض، وكذلك التبليغ فرض،[٥] يُبلِّغ إليهم وإن كانوا ينكرون ما يُبلِّغهم، وكذلك القتال نقاتلهم[٦] وإن كان في ذلك إهلاك أنفسنا. وأصله أنّ ما خرج الأمر به مَخرَج الإباحة فإنه يُنهَى عمّا يتولّد منه ويَحدُث،[٧] وما كان الأمر به أمر فرضٍ ولزوم لا يُنهَى[٨] عن المتولِّد منه والحادث. ويجوز أن يُستدَلّ بهذا على تأييد مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: إنّ مَن قطع[٩] يد آخر بقصاص فمات من ذلك[١٠] أُخِذ بالدية، وإذا قطع اليد بحَدٍّ لَزِمَه فمات لم يؤاخذ به،[١١] لأنه أُبيح له قَطْعُ يده والقصاص لم يُفرَض[١٢] عليه، وفي الحدّ[١٣] يلزم إقامة الحدّ لله، فإذا كان قيامه بفعلٍ أُبيح له الفعل يُنهَى عمّا تولّد[١٤] منه ويؤخذ به، وإذا كان قيامه بفعلٍ فُرِض عليه لم يؤاخذ بما تولّد منه.

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٠٩.
[٢] ك – السب.
[٣] ن + وقد أمر بقتالهم.
[٤] ع م: وقيل؛ م + سب.
[٥] ع – وكذلك التبيغ فرض.
[٦] ن: تقاتبهم.
[٧] أي ينهى في بعض الأحيان عن المباح المأمور به بسبب ما يتولد منه من الشرور.
[٨] ن م: ولا ينهى.
[٩] ع م: إن قطع.
[١٠] ع م: في ذلك.
[١١] م: لم يؤخذ به.
[١٢] ن: يفرض.
[١٣] م: في الحد.
[١٤] ن ع م: يتولد.

وعلى هذا يخرج قوله في الأمر بالختان إذا تولّد من ذلك الموت، لأنه أمر بإقامة السنة، وكذلك الأمر بالحجامة، لأنه يفرض عليه الحجامة في حالٍ إذا خاف عليه الهلاك إذا لم يحتجم، وأما الأمر بالدّقّ وغيره مما يشاكله أمر إباحة لا أمر إلزام، لذلك ضمن ما تولّد منه.[١] فعلى ذلك السبّ الذي يسبّ آلهتهم إذا حملهم ذلك[٢] على سبّ الله عز وجل وسبّ رسوله، لا يسبّون[٣] وإن كانوا مستحقين لذلك؛ [و]لأنه قد يُنهى الرجل أن يعوّد نفسه السبّ، فعلى ذلك يجوز أن يُنهَوْا عن سبّ آلهتهم مخافَة الاعتياد، لذلك نهُوُا عن سبّ آلهتهم.

ثم ذُكِر في القصة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسبّون آلهتهم، فيسبّون الله عدوًا بغير علم.[٤] وذُكِر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَر آلهتهم بسوء، فقالوا: لتَنتهِيَنَّ عن ذلك أو لنَهْجُوَنَّ ربك.[٥] وعن ابن عباس رضى الله عنه: وذلك حين[٦] قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ،[٧] الآية، فقالوا[٨] عند ذلك ما قالوا، فنزل: **ولا تسبوا الذين يدعون**.[٩] ولكن لا ندري كيف كانت القصة، ولكن فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **عَدْوًا بغير علم**، قال الكسائي وأبو عوسجة: **عدوًا** من / الاعتداء، [٢٢٤ظ] وهو مجاوزة[١٠] الحدّ. وقال أبو عمرو: عُدُوًّا[١١] بالرفع،[١٢] وقال: إنما العَدْو مِن عَدْوِ الرِّجْلَيْن، وكذلك قال في يونس: عُدُوًّا.[١٣] وقيل: فلما نزل قوله: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**، الآية،

---

[١] أي إذا أمر صاحبُ الثوب القصّارَ أن يدق ثوبه فتخرّق الثوب فإن القصّار يضمن عند أبي حنيفة، لأن أمر صاحب الثوب أمر إباحة لا أمر وجوب. هذا ما استدل به الإمام الماتريدي للإمام أبي حنيفة في هذه المسألة. وانظر لتفاصيل: *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع* للكاساني، ٢١١/٤.

[٢] ن – ذلك.

[٣] ع: ولا يسبون.

[٤] *تفسير الطبري*، ٣١٠/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٩/٣.

[٥] *تفسير الطبري*، ٣٠٩/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٨/٣.

[٦] ع – حين.

[٧] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.

[٨] ن: وقالوا.

[٩] *روح المعاني* للآلوسي، ٢٥٢/٧.

[١٠] ك: مجاوز.

[١١] م: عدو.

[١٢] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٦١/٢.

[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بَغيًا وعَدْوًا﴾ (سورة يونس، ٩٠/١٠). لم ينسب الطبري هذه القراءة إلى أحد، ونسبها القرطبي إلى الحسن البصري، وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٢/١١؛ *وتفسير القرطبي*، ٣٧٧/٨.

فقال رسول الله لأصحابه:[1] «لا تسبّوا ربكم»، فأمسَكوا عن سبّ آلهتهم.

وقوله عز وجل: **كذلك زينا لكل أمة عملهم**، قال أبو بكر الكيساني:[2] إنه صلة قوله: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم**، أنهم[3] كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان رَجاءَ أنْ تُقرِّبهم[4] عبادتهم إياها إلى الله، لا أنهم[5] كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله، فإذا سبُّوا معبودهم فكأنهم سبُّوا الله عدوًّا بغير علم، إذ العبادة في الحقيقة لله، فيرجع سبّهم إياها إلى الله، فذلك[6] كان معنى السبّ، فقال: فعلى ذلك رجع قوله: **كذلك زينا لكل أمة عملهم**، حتى امتنعوا عن سبّ الله، فذلك الذي زيّن عليهم.[7] وقال الحسن: قوله: **زينا لكل أمة عملهم**، أي زيّنّا عليهم أعمالهم فيما أُمِروا به وفُرِض ويجب عليهم أن يفعلوا، لا فيما لا يُفرَض ولا يحل لهم أن يفعلوا. وكذلك يقول جعفر بن حرب[8] وغيره[9] من المعتزلة: إنه زيّن عليهم عملهم الذي فرض عليهم أن يعملوا ويأتوا بها، وأما ما لا ينبغي أن يعمل[10] فلا، كقوله: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ،[11] الآية، ذكر في الإيمان التزيين وفي الكفر التكريه، ويقولون: إنه أضاف التزيين إلى الشيطان بقوله: زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ،[12]

---

[1] ك – لأصحابه.

[2] م: الكسائي.

[3] أي لأنهم...

[4] جميع النسخ: تقرب.

[5] م: لانهم.

[6] جميع النسخ: لذلك.

[7] قال الشارح: «قال أبو بكر الكيساني لدفع الإلزام عن أنفسهم: إن هذه الآية صلة قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ إلى أن قال: ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾؛ فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان رَجاءَ أنْ تُقرِّب عبادتهم إياها إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله حقيقة، إذ العبادة في الحقيقة لله تعالى، فإن سبُّوا معبودهم –ومعبودهم في الحقيقة هو الله تعالى– فكأنهم سبُّوا الله تعالى، فنهاهم عن ذلك لما يكون ذلك نهيًا عن سبّ الله تعالى والامتناع عن ذلك. وذلك [هو] العمل الذي زين لهم؛ فذلك يرجع إلى هذا العمل الخاص الذي تقدم ذكره، لا إلى كل عمل، وهذا جنس يجوز أن يوصف بالتزيين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٥ظ).

[8] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. له كتاب *متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩–٥٥٠.

[9] ن ع م: وغيرهم.

[10] جميع النسخ: أن يقول.

[11] سورة الحجرات، ٤٩/٧.

[12] سورة الأنفال، ٨/٤٨.

وقوله: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ،[١] فالشيطان يزيّن لهم المعاصي والفسوق، فلا يحتمل أن يكون الله يزيّن لهم ما يزيّن لهم[٢] الشيطان، فدلّ أنه إنما يزيّن لهم ما يؤمَرون به ويُفرَض عليهم، ولكن يُضاف إليه التزيين كما[٣] أُضِيف إليه حَرْفُ الإضلال[٤] والإغواء.

وأما عندنا فالتزيين على وجهين: تزيين[٥] في العقول، وهو تزيين[٦] مِن طريق الآيات والبراهين، فذلك لا يحتمل فعلُ الكفر والضلال أن يكون مُزيَّنًا مِن جهة الآيات والحجج. والثاني تزيين[٧] في الطباع بالشهوات والأماني. وفِعلُ كلّ أحدٍ مُزيَّن بالشهوة والحاجة التي مُكّنت فيه. ولا شكّ أنّ كلّ كافر لو سُئِل عن فعله الكفر والضلال فيقول: هذا الذي زُيِّن لي. وليس إضافة فِعلِ التزيين إلى الله بأكبر وأبعد من إضافة الإضلال والإغواء، وقد ذكرنا معنى إضافة الإضلال والإغواء إليه في غير موضع،[٨] فعلى ذلك التزيين. ويقولون أيضا: إن التزيين تزيين[٩] وعد وثواب. فالكافر متى يؤمن بالوعد في الآخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن بالآخرة؟[١٠] فهذا بعيد. ولا يحتمل ما قال الكيساني[١١] أيضا، لأنه لا كل الكفرة كانوا يعبدون الأصنام لِيُقَرِّبهم ذلك إلى الله زُلْفَى، بل أكثرهم لا يعرفون[١٢] أنّ لهم خالقًا وربًّا. ويحتمل إضافة التزيين إلى الشيطان على جهة التمنّي والتشهّي كقوله: وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ،[١٣] وإضافته إلى الله على القدرة عليها والسلطان أو أن يخلق أعمالهم مُزيَّنة عندهم مُسوَّلة، وإضافة فعل الضلال والغِواية إلى الشيطان على الدعاء إليه والترغيب فيه،[١٤] وإضافته إلى الله على أنْ يخلق فعل الضلال منهم.

[١] سورة محمد، ٢٥/٤٧.
[٢] ع م: ما يزين.
[٣] جميع النسخ: ما.
[٤] ع: الإضال.
[٥] ك ن ع: تزين.
[٦] ك ن ع: تزين.
[٧] ك ن ع: تزين.
[٨] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٦/٢.
[٩] ن ع: تزين.
[١٠] ع م – بالآخرة.
[١١] م: الكسائي.
[١٢] ع م – يعرفون.
[١٣] سورة النساء، ١١٩/٤.
[١٤] ن – فيه.

وقوله عز وجل: **ثم إلى ربهم مرجعهم**، قد ذكرنا.[1] **فينبئهم بما كانوا يعملون**، في جزيل الثواب[2] أو في أليمِ عذابٍ، فهو على الوعيد.

**﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[١٠٩]

وقوله عز وجل: **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قالوا: **جهد أيمانهم**[3] بالله.[4] فهذا يخرج على وجوه. أحدها أن الحِنْث في اليمين يخرج مخرج الاستخفاف[5] والتهاون وإن كان المسلم[6] لا يقصد قَصْد الاستخفاف[7] بالله تعالى، وكان[8] في اليمين التعظيمُ وفي الحِنْث استخفاف،[9] وفي اليمين بالله جَهْدُ اليمين. ويحتمل وجهين سوى هذا، وذلك ما قيل: إن الكفرة كانوا لا يحلفون بالله إلا عند العظيم من الأمور والجليل[10] منها، كانوا يحلفون بدونه، فسُمِّي اليمين بالله جَهْد اليمين تعظيما لله[11] وتبجيلا. والثاني يحتمل أنهم كانوا يحلفون بأشياء، ويؤكدون اليمين بالله ويشددونه، كقوله: وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[12]

وقوله عز وجل: **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، قيل: إنهم كانوا يُقسِمون جَهْد أيمانهم **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتٍ لئن جاءتهم يؤمنون بها[13] مِن نحو ما قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا،[14] وكقولهم: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه،[15] وغير ذلك من الآيات. فقال:

---

[1] انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٥٥/٣.
[2] ع: الثوابت.
[3] ك + أيمانهم.
[4] «أي غاية أيمانهم ونهايتها هي اليمين بالله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٦و).
[5] ك ن ع: الاستحقاق.
[6] ن – المسم.
[7] ك: الاستحقاق.
[8] ع م – المسم لا يقصد قصد الاستخفاف بالله تعالى وكان.
[9] ك: استحقاق.
[10] ع م: الجليل.
[11] ع – لله.
[12] سورة النحل، ٩١/١٦.
[13] ك: ليؤمنن بها.
[14] سورة الإسراء، ٩٢/١٧.
[15] سورة الإسراء، ٩٣/١٧.

**قل** -يا محمد- **إنما الآيات عند الله**، هو الذي يرسلها وينزلها، وأنا لا أملك إرسالها ولا إنزالها،[1] كقوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ،[2] وغير ذلك من الآيات، إنباءً منه أنه لا يملك إنزال ما كانوا يسألونه من الآيات.

ثم قال: **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، اختلف فيه. قال الحسن وأبو بكر الأصم: إنه خاطب بقوله: **وما يشعركم**، أهل القَسَم الذين **أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، فقال: **وما يشعركم**، أي ما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءتكم آية، ثم استأنف فقال: إنهّا **إذا جاءت لا يؤمنون**، وهكذا[3] كان يقرؤه الحسن بالخفض: إنهّا **إذا جاءت لا يؤمنون**،[4] على الاستئناف والابتداء. وقال غيرهم من أهل التأويل: الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنهم لما قالوا: **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، ظنّوا أنهم لما أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم يؤمنون إذا جاءتهم / آية، يفعلون ذلك ويؤمنون [٢٢٥و] على ما يقولون، فقال لهم:[5] وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون،[6] على طَرْحِ "لا"، أي ما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون. ويحتمل فيه وجها آخر على الإضمار، كأنه قال: **وما يشعركم** -فاعلموا- **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، على الوقف في قوله: **وما يشعركم**، ثم ابتدأ فقال: اعلموا **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، وهذا كأنه أقرب. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أنّ أهل الإسلام قالوا:[7] إنهم وإن جاءتهم آية لا يؤمنون، فقال عند ذلك: **وما يشعركم**، خاطب به هؤلاء، **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**.*

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**، أي نقلب أفئدتهم وأبصارهم[8] بالحجج والآيات ونُرِدها، فلا يؤمنون، **كما لم يؤمنوا به أول مرة**. وقال أهل التأويل: **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**،

---

[1] ع: ولا أنزلها.
[2] سورة الأنعام، ٥٠/٦.
[3] ك: وهذا.
[4] قرأ من السبعة ابن كثير وأبو عمرو بذلك. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٥.
[5] ك - لهم.
[6] م: لا يؤمنون.
[7] م: فقالوا.
* وردت هنا قطعة من تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هناك. انظر: ورقة ٢٢٥و/سطر ٥-٧.
[8] ع - أي نقلب أفئدتهم وأبصارهم.

أي تَحُولُ[1] بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية[2] فلا يؤمنون،[3] كما حُلْنَا[4] بينهم وبين الإيمان أول مرة.[5] ويحتمل[6] وجها آخر؛ وهو[7] أن يُقلِّب في أفئدتهم[8] وأبصارهم آيات وحدانيته وألوهيته،
[٢٢٥و س٥ فلا يؤمنون. **كما لم يؤمنوا به أول مرة.*** والثاني أنهم وإن آمنوا بها إذا جاءت فنقلب أفئدتهم مِن بَعد. وعلى هذا التأويل أنْ خَلَق تَقَلُّبَ أفئدتهم وأبصارهم، كقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
٢٢٥و س٧] قُلُوبَهُمْ،[9] أي خَلَق زَيْغَ قلوبهم، فكذلك الأول.*

ثم تخصيص الأفئدة والأبصار دون غيرها[10] من الجوارح لأن القلب والبصر لا يقع إلا[11] على ما يشهد كلّ على وحدانية[12] الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **كما لم يؤمنوا به أول مرة**، قال بعضهم: إنّ هؤلاء وإنْ جاءتهم آية فإنهم لا يؤمنون[13] كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية لَمَّا سألوا الآيات قبلهم، فكذلك هؤلاء لا يؤمنون بها وإن جاءتهم الآية بعد السؤال. وقال غيرهم: قوله: **كما لم يؤمنوا به أول مرة**، أي قد جاءتهم آيات قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها،[14] فكذلك إن جاءتهم[15] بالسؤال فلا يؤمنون بها. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن مشركي العرب كانوا يُقسِمون بالله أنه[16] إن جاءهم[17] نذير يؤمنون به،

---

[1] ن ع: أي يحول.
[2] م: الآيات.
[3] جميع النسخ: افلا يؤمنون.
[4] ن: كما خلنا.
[5] ع – مرة.
[6] ع: يحتمل.
[7] ك – وهو.
[8] ن: أفئدتهم.
[9] سورة الصف، ٦١/٥.
* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية السابقة، فأوردناها هنا كما هي في *شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٦ظ. انظر: ورقة ٢٢٥و/سطر ٥-٧.
[10] جميع النسخ: دون غيرهم.
[11] ع: لا يقع إلى.
[12] ك: كل وحدانية.
[13] ع: ما يؤمنون.
[14] ن – بها.
[15] ن م: وإن جاءتهم.
[16] ك – أنه.
[17] ن: جاءهم.

وهو قوله:[١] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٢] يَعنُون -والله أعلم- اليهود والنصارى، أي لو جاءهم نذير لَيكونوا أهدى من اليهود والنصارى، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[٣] يخبر أنهم كما لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير[٤] في الابتداء إذا جاءهم نذير فكذلك أيضا لا يؤمنون عند سؤالهم الآيات وإن جاءتهم آيات، يخبر نبيّه أنهم ليسوا يسألون الآيات سؤال استرشاد، ولكن يسألون سؤال عناد[٥] ومكابرة. وهذا التأويل كأنه أقرب.

وقوله عز وجل: **ونذرهم في طغيانهم يعمهون**، إذ علم[٦] أنهم لا يؤمنون تركهم في ظلمات[٧] ضلالتهم يعمهون ويتحيرون. والعَمَه الحَيرة في اللغة.

**﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**[١١١]

وقوله عز وجل: **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى**، قيل: هذه الآية صلة قوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ -إلى قوله- وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.[٨] ثم قال: **ولو أننا نزلنا**، الآية، أخبر أنهم وإن نُزّل إليهم الآيات بعد السؤال منهم للآيات[٩] من إنزال الملائكة وتكليم الموتى أنهم لا يؤمنون، إذ سؤالهم[١٠] الآيات سؤال تعنُّت واستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد؛ لأنهم قد جاءتهم آيات لو لم يعاندوا لآمنوا بها.[١١] ثم إذ علم منهم أنهم لا يؤمنون وأنّ ما يسألون من الآيات إنما يسألون[١٢] سؤال تعنُّت وعناد جعل فيهم خصالا على الخِذْلان من نحو[١٣] قساوة القلب،

---

[١] م: وهو كقوله.
[٢] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[٣] دوام الآية المذكورة.
[٤] ع - عند سؤالهم النذير.
[٥] ع: عند.
[٦] م: إذا علم.
[٧] ك ن - ظلمات.
[٨] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[٩] جميع النسخ: الآيات.
[١٠] ك: لأن سؤالهم.
[١١] ع م - بها.
[١٢] ك - إنما يسألون.
[١٣] ع م - نحو.

حتى أخبر أنّ قلوبهم أقسى من الحجارة،[1] ومن نحو البغض والجهالة،[2] وغير ذلك من الخصال[3] [التي فيها] ما يدل[4] على ما ذكرنا. وهو كقوله:[5] وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ،[6] يخبر[7] عن تعنّتهم ومكابرتهم.

وفيه دليل أنّ الآيات لا تضطرّ[8] أهلها على الإيمان، لأنه قال: **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا**؛ لأنه لو كانت آية تضطرّهم إلى الإيمان لكانت هذه. وهذا يدلّ على أنّ معنى قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[9] أنهم لا يؤمنون بالآية، ولكن إذا شاء أن يؤمنوا لآمنوا. ولو كانت الآيات تضطرّ أهلها إلى الإيمان به لكان لا آية أعظم من القيامة ولا أبْيَنَ منها، ثم أخبر عنهم أنهم لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[10] وقال: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[11] قد كذبوا عند معاينتهم القيامة والعذاب. فهذا يدلّ على أنّ الآية لا تضطرّ[12] أهلها على الإيمان بها، ويدلّ أنّ تأويل قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[13] أنهم يخضعون[14] إذا شاء أن يخضعوا، لا أنّ الآية[15] تضطرّهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا.

---

[1] ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ سورة البقرة، ٧٤/٢. والآية وإن كانت واردة في اليهود فإنها تشمل كل من كان على شاكلتهم ممن رأى الآيات ثم لم يؤمن حق الإيمان.
[2] ع: والجهاد. ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ (سورة الزمر، ٦٤/٣٩).
[3] ك: من الخيال (الياء غير منقوطة).
[4] ك - ما يدل.
[5] م: وهو قوله.
[6] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سُكِّرَت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٤/١٥-١٥).
[7] ع م - يخبر.
[8] ن ع م: لا يضطر.
[9] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[10] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[11] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[12] ع: لا يضطر.
[13] سورة اشعراء، ٤/٢٦.
[14] ع: أي يخصعون.
[15] ن: الا أن الآية.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء الله**، قال الحسن: هذه المشيئة مشيئة القدرة، أي لو شاء الله أن يعجزهم حتى يؤمنوا، وهو كقوله تعالى: وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ،[١] وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ،[٢] ونحوه، فهذه[٣] المشيئة مشيئة القدرة.[٤] لكنّا نقول: إنه أخبر أنه لو شاء أن يمسخهم لمسخهم، فقُلْ أيضًا: إنه لو شاء أن يهديهم لهداهم،[٥] ولو شاء أن يهتدوا لاهتدوا. وكذلك يقول المعتزلة: إن المشيئة هاهنا مشيئة القهر والجبر. وقد ذكرنا / أنْ لا يكونُ[٦] في حال القهر والجبر إيمان،[٧] فيصير على قولهم: **إلا أن يشاء الله**، أن يؤمنوا فآمنوا فلا يكون إيمانًا. [٢٢٥ظ]

وقوله عز وجل: **وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا**، اختلف في تلاوته[٨] وتأويله.[٩] عن الحسن[١٠] قال: **قُبُلا** عيانا؛ وعن قتادة كذلك: **قُبُلا** عيانا، حتى يعاينوا ذلك معاينة.[١١] **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**، وهو على ما ذكرنا: **إلا أن يشاء الله** أن يؤمنوا فيؤمنوا. وعن مجاهد: **قُبُلا**، أي أفواجًا قَبِيلا.[١٢] وفي حرف أبي عمرو بن العلاء: **وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا**، يقول: جِيلا فجِيلا. وفي حرف أُبيّ: **قُبُلا**، أي قبيلة قبيلة.[١٣] وقال القُتَبِي: **قُبُلا**، أي جماعة جماعة، وقَبِيلا، أي أصنافا. ويقال: القَبِيل الكفيل، كقوله: أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا،[١٤] أي ضُمَناء[١٥] كُفَلاء.[١٦] قال الكسائي:[١٧]

---

[١] ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون﴾ (سورة يس، ٦٦/٣٦).
[٢] ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مُضِيًا ولا يرجعون﴾ (سورة يس، ٦٧/٣٦).
[٣] ع: هذه.
[٤] ك ن: قدرة.
[٥] ن – لهداهم.
[٦] ع: أن لا يكول.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٠٤/٦.
[٨] ن – تلاوته.
[٩] ن: تأويله. قرأ من السبعة نافع وابن عامر: قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون: قُبُلا بضم القاف والباء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٦.
[١٠] ك – عن الحسن.
[١١] *تفسير الطبري*، ٢/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤١/٣.
[١٢] م: قبلا. *تفسير الطبري*، ٣/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤١/٣.
[١٣] م – قبيلة.
[١٤] سورة الإسراء، ٩٢/١٧.
[١٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٨.
[١٦] ن – كفلاء. أي لو أحضرنا لديهم كل شيء تتأتى منهم الكفالة والشهادة بحقّة الإيمان لا فُرادى بل بطريق المعيّة ما آمنوا. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢/٨.
[١٧] ك: الكيساني.

من قرأها **قُبُلا** فقد تكون[1] جمع[2] القَبِيل مثل الجَبِيل والجُبُل، وقد يكون القُبُل أيضًا من معنى الإقبال، كقوله: مِن قُبُل ومِن دُبُر؛ ومن قرأها قِبَلا أراد معاينة. وقال أبو عَوْسجة: **كلَّ شيء قُبُلا**، يقال: أتانا الناس قُبُلا، أي كلهم، وقِبَلا من المقابلة.

وتأويله ما ذكرنا أنْ لو فعلنا[3] هذا كلّه من إنزال الملائكة إليهم وتكيم الموتى إياهم **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** فأخبروهم بالذي يقول محمد أنه حق **ما كانوا ليؤمنوا به إلا أن يشاء الله** لهم الإيمان فيؤمنوا. وفيه ما ذكرنا من الدليل أنّ الآيات لا تضطرّ أهلها إلى الإيمان بها إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا، فحينئذ يؤمنون.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم يجهلون**، أي لكن أكثرهم لا ينتفعون بعلمهم.

**﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**[١١٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا**، قيل: كما جعلنا لكل نبي مِن قَبْلُ[4] عدوا كذلك نجعل[5] لك عدوا. ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ،[6] **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا**.[7] ثم قوله: **جعلنا لكل نبي عدوا**، قال الحسن: إنّ مِن حُكم الله أن يبعث رسلا، وأنّ كلّ مَن اتّبع رسله يكون وليّا له، ومَن عصى رسله[8] يكون عدوّا له، هذا حكم الله في الكل. وقال جعفر بن حرب والكعبي[9] وغيرهم من المعتزلة: إن قوله: **جعلنا**، أي خلّينا بينهم وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة، يقال: جُعل فلان كذا، إذا كان مسلَّطا على ذلك وهو يقدر أن يمنعه عن ذلك. ويصير التأويل على قول المعتزلة: أي لم نجعل لكل نبي عدوا، ولكن هم جعلوا أنفسهم أعداء لكل نبي. وقلنا نحن: إنّ قوله:

---

[1] م: فقد يكون.
[2] ن: جميع.
[3] ك ن: أنا لو فعلنا.
[4] ك – من قبل.
[5] ع م: يجعل.
[6] سورة لأنعام، ٦/١١٠.
[7] ع م – ويحتمل أن يكون صلة قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا.
[8] ن ع م: رسوله.
[9] أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني (ت. ٣٢٧هـ/٩٤١م)، من شيوخ المعتزلة، صاحب التصانيف. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٥/٢٥٥.

**جعلنا لكل نبي عدوا**، أي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو، والجَعْل من الله هو الخَلْق، كقوله: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا.[١] وقوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ،[٢] وقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا؛[٣] كلّ جَعْل أضيف إلى الله فهو خَلْق، فعلى ذلك قوله: **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا**، أي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو. ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قال أولئك من التخلية لكان يجوز أن يضاف فعل الكفر وفعل الضلال إلى الله، وذلك بعيد. والثاني لم يوفّق لهم فِعل الولاية[٤] لِمَا علم منهم أنهم يختارون فِعل العداوة على فِعل الولاية.

وقوله عز وجل: **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الشياطين كلهم تكون من الجن، ثم إنهم يوحون[٥] إلى الإنس، فيكونون هم الذين يدعون الخَلْق إلى معصية الله، فيكون من الجن وحيًا إلى الإنس، ومن الإنس إلى الخلق[٦] قولاً ودعاءً. وقال بعضهم: يكون من الجن شياطين ومن الإنس شياطين،[٧] يدعو[٨] شياطين الجن الجن[٩] إلى معصية الله والكفر به، ويدعو[١٠] شياطين الإنس الإنس إلى ذلك، يدعو[١١] كل فريق قومه[١٢] إلى معصية الله. وهكذا من دعا آخر إلى معصية الله[١٣] فهو شيطان، وكذلك كُبَرَاء الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون أتْبَاعهم وسَفَلتهم إلى الضلال والكفر[١٤] بالله، فهم شياطينهم. ألا ترى[١٥] أنه قال: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا،[١٦]

---

[١] سورة الأنبياء، ٣٢/٢١.
[٢] سورة الإسراء، ١٢/١٧.
[٣] سورة طه، ٥٣/٢٠.
[٤] ك: الهداية.
[٥] ك: يرجعون.
[٦] ك: (الخلق) مختلط الخط.
[٧] ع م – ومن الإنس شياطين.
[٨] ك ن ع: يدعوا.
[٩] ع – الجن.
[١٠] ك ن: ويدعوا.
[١١] ن: يدعوا.
[١٢] ن – قومه.
[١٣] ع م – والكفر به ويدعو شياطين الإنس الإنس إلى ذلك يدعو كل فريق قومه إلى معصية الله وهكذا من دعا آخر إلى معصية الله.
[١٤] جميع النسخ: إلى الكفر والضلال.
[١٥] ك: ألا يرى.
[١٦] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.

وقوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[1] وقوله:[2] قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[3] وغيره من الآيات. إن كلّ[4] مَن دعا غيره إلى معصية[5] الله[6] والكفر به فهو شيطان. والشيطان هو البعيد من رحمة الله، شَطَن أي بَعُد. وقيل: إنّ إبليس وكّل شياطين[7] بالإنس يُضلّونهم ويدعونهم إلى معصية الله، ووكّل[8] شياطين[9] بالجن يُضلونهم، وهو التأويل[10] الأول.

وقوله عز وجل: **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**، أي يزيّن بعضهم لبعض القولَ غرورًا[11] يَغُرّون به. قال[12] القُتَبي رحمه الله: **زخرف القول غرورا**، ما زُيِّن منه[13] وحُسِّن ومُوِّه. وقال: وأصل الزخرف الذهب،[14] يقال: زخرفتُ[15] الشيء أي حسّنتُه.[16] قال أبو عَوْسجة: الوحي أن يَحي[17] بعينه أو بشفتيه، وهي إشارة.

وقوله عز وجل: **ولو شاء ربك ما فعلوه**، قال بعضهم: لو شاء[18] ربك لخلقهم خلقًا لم يُركِّب فيهم[19] الشهوات والحاجات حتى أطاعوه ولم يعصوا، كما خلَق الملائكة لم يُركِّب فيهم الشهوات والحاجات والأماني فلم يعصوه. وقالت المعتزلة: لو شاء ربك لأعجزهم و قَهَرهم

[1] سورة البقرة، ٢/١٦٦.
[2] ك – وقوله.
[3] سورة الأعراف، ٧/٣٨.
[4] م: أن لكل.
[5] ع م: غيره معصية.
[6] ن ع م – الله.
[7] ك ن ع: شياطينا.
[8] ع م: وكل.
[9] ك ن ع: شياطينا.
[10] جميع النسخ: تأويل.
[11] ك – أي يزين بعضهم لبعص القول غرورا.
[12] ك: وقال.
[13] ك: ما زين به.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٨.
[15] ع م: زخرف.
[16] م: أي حسنه.
[17] وَحَى يَحِي وأوحى يوحي يستعملان بنفس المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «وحى»).
[18] ع م – لو شاء.
[19] ن ع: لم يركب.

حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فآمنوا واهتدَوْا. وعندنا[١] أنه لو شاء ربك لهداهم فاهتدَوْا،[٢] لكن لما علم منهم[٣] أنهم يختارون الضلال على الهدى شاء أن لا يهديهم. وقد ذكرنا قبح تأويلهم الآية في غير موضع.[٤]

وقوله عز وجل: **فذرهم وما يفترون،** هذا يخرج على الوعيد لهم، كقوله: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا،[٥] وكقوله: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ[٦] كذا، أي ذرهم وما يختارون[٧] فإنك تراهم في العذاب.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولِتَصْغَى إليه أفئدة الذين [لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه]**، قيل: ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى زخرف القول الذي كان يوحي ويُلقِي شياطينُ الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض. **ولِيَرْضَوْه،** لِمَا كان الذي أوحى وألقى بعضهم إلى بعض من زخرف القول الذي يوافق هواهم. وكلّ مَن ظفر بما يوافق هواه فإنه يرضى به، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا،[٨] لأنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة ولا يرجون لقاءه، وكان[٩] هَمَّتهم هذه الدنيا رَضُوا بها[١٠] واطمأنوا فيها. ويحتمل قوله: **ولتصغى إليه،** أي إلى الكتاب، **أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة،** أي ليس مَيْلَ[١١] قبولٍ منهم له، ولكن مَيْلَ[١٢] طلب الطعن فيه، وهكذا كانت هَمَّة[١٣] أولئك الكفرة وعادتهم: طلب الطعن فيه. والأول أشبه. ثم إن كان زخرف القول الذي أوحى بعضهم إلى بعض من كبرائهم وعظمائهم فقد أشرك تعالى هؤلاء أولئك في الكذب الذي كان منهم؛

---

١ ع م - وعندنا.
٢ ك: لاهتدوا.
٣ ن - منهم.
٤ انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٠٤/٦.
٥ ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلْهِهم الأمل فسوف يعلمون﴾ (سورة الحجر، ٣/١٥).
٦ ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١).
٧ م: وما وما يختارون.
٨ سورة يونس، ٧/١٠.
٩ ع: وكا.
١٠ ن ع م: ورضوا بها.
١١ م: بل.
١٢ م: نل.
١٣ ع م - همة.

كان من الكبراء الدعاء إلى ذلك ومن الأتباع الرضاء والإجابة، وكان منهم التزيين والزخرفة[1] ومن الأتباع القبول والرضاء به؛ فقد اشتركوا[2] جميعًا في ذلك الكذب والقول[3] الغرور.

وقوله:[4] **وليقترفوا ما هم مقترفون**، اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **وليقترفوا**، يعني هؤلاء الأتباع، **ما هم مقترفون**، أي ليكتسبوا[5] هؤلاء[6] الأتباع من الكذب ما كان أولئك يكتسبون من الكذب. وقيل: **وليقترفوا**، أولئك المتبوعون[7] من الكذب، **ما هم**، يعني هؤلاء الأتباع، **مقترفون**، من القول الغرور والزخرف. ثم اختلف في الاقتراف. قال بعضهم: الاكتساب، اكتساب كل شيء. وقال قائلون: الاقتراف هو مواقعة[8] الذنب والإثم. *والله أعلم.*

**﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **أفغير الله أبتغي حكما**، كأنّ أولئك الكفرة دَعَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَكَم يحكم بينهم في منازعة وقعت بينهم، إما في الرسالة وإما في الكتاب، فقال[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أفغير الله أبتغي حكما**، ثم بيّن فقال: **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**، يقول:[10] كيف أبتغي حَكَمًا غير الله، **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**،[11] مما تعلمون[12] أنه[13] من عند الله[14] نزل ما عَجَز الخلائقُ عن إتيان مثله.

[1] ع: الزخرفة.
[2] ع م: فقد اشركوا.
[3] ع م: كالقول.
[4] ن: قوله.
[5] ع: أي ليكتسبون.
[6] ع: هو.
[7] ك: المتبوعين.
[8] ن ع م: هو موافقة.
[9] ك. وقال.
[10] ع م - يقول.
[11] ن + بالحجج.
[12] ك ع م: ما تعلمون.
[13] الهاء ضمير شأن.
[14] ع م - من عند الله.

ثم اختلف في قوله: **مفصَّلا**. قيل: **مفصلا**[1] بالحجج والبراهين، مما يعرف[2] كل عاقل لم يكابر عقله[3] أنه من عند الله نزل. وقيل: **مفصلا** بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، فيقول: كيف[4] أبتغي حَكَمًا غير ما أنزل الله وقد أنزل كتابًا[5] مفصّلا مبيّنا فيه ما يحل وما يحرم وما يؤتَى وما يُتَّقَى، فلا حاجة تقع إلى غير الله. وقيل: **مفصلا** بالوعد والوعيد وما يكون له عاقبة، لأن العمل الذي يكون للعاقبة يكون فيه[6] وعد ووعيد. وقيل: **مفصلا**: مفرّقا،[7] أي أنزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة، ما يقع بمسامع كل أحد عِلمُ ذلك وبيانُه، فأنّى يقع لي[8] الحاجة إلى حكم غيره؟

وقوله عز وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه مُنزَّل من ربك بالحق**، اختلف فيه. قيل: الذين **آتيناهم الكتاب**، أي أهل[9] التوراة والإنجيل **يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**. وقيل: الذين **آتيناهم الكتاب**، يعني مَن أُعطِي هذا الكتابَ، **يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**، لِما عجزوا[10] عن إتيان مثله وتأليفه.

وقوله عز وجل: **فلا تكونن من الممترين**، يحتمل:[11] لا تكونن من الممترين[12] أنهم قد غيروا ما في كتابهم من الأحكام ومن نعتك وصفتك. ويحتمل **فلا تكونن من الممترين** أنه من عند الله نزل؛ مع عِلمِه أنّ رسوله لا يكون من الممترين، لِيَعلَم الخَلْقُ[13] أنه إذا نهى رسوله عن مثل هذا فغيره أحق. أو أنْ يخاطب[14] مَن طَلَب حُكم غيره، ويقول:[15] لا تكونن من الممترين أنه من عند الله نزل.[16]

---

[1] ع م – قيل مفصلا.
[2] جميع النسخ: ما يعرف.
[3] ن – عقله.
[4] ن ع م – كيف.
[5] ن: الكتاب.
[6] ع م – ما يحل وما يحرم وما يؤتى وما يتقى فلا حاجة تقع إلى غير الله وقيل مفصلا بالوعد والوعيد وما يكون له عاقبة لأن العمل الذي يكون للعاقبة يكون فيه.
[7] ع: ومفرقا.
[8] ن ع م: يقع إلى.
[9] م: إلى أهل.
[10] ك: بما عجزوا.
[11] ن + أن.
[12] ع م – من الممترين.
[13] ن: أن الخلق.
[14] ن: وأن يخاطب؛ م: أن يخاطب.
[15] ك ع: يقول.
[16] «ويحتمل أنّ هذا خطاب لمن طَلَب من النبي صلى الله عليه وسلم حكما غير الكتاب. يقول: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أنه من عند الله نزل، ولا تطلب حكما غيره» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٧ظ).

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[١١٥]

وقوله عز وجل: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، قيل: **صدقًا** في الأنباء والوعد، **وعدلا** في الأحكام؛ **تمّت** أنباؤه بالصدق وأحكامه بالعدل حتىّ يعرف كل أحد صدق أنبائه وعدل أحكامه. وقيل: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**،[1] بالحجج والبراهين. لِمَا يعرف كل من تأمّل فيها ونظر صدقها وعدلها أنها من الله.

[٢٢٦و س٣٧ *وأهل التأويل يصرفون إلى خاصّ من القول. بعضهم يقولون: إنّ قوله: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، هو قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[2] وقال آخرون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه أهل الكفر إلى عبادة الأوثان، [فنزلت هذه الآية].[3]

٢٢٦ظ س١] ولكن هو يرجع –والله أعلم– إلى كل نبأ ووعد ووعيد وكل خبر يخبر.*

[٢٢٦و س٣٣ *ويجوز أن يُستدَلّ بقوله: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، لقول أصحابنا حيث قالوا: من قال لامرأته: أنت طالق أَتمّ الطلاق وأَعْدَلَ الطلاق، فإنه يقع بما وافق السنة، ليس يرجع ذلك[4]

٢٢٦و س٣٥] إلى العدد، لأنه أخبر أنْ تمت كلمته صدقا وعدلا، والموافق للسنة هو الحق وهو العدل.*

وقوله عز وجل: **لا مبدل لكلماته**، هذا تفسير التمام،[5] أنها تمت تمامًا لا يَرِد عليها النقص[6] ولا الجور[7] ولا الخُلْف، ليس ككلمات الخَلْق أنها تُبدَّل وتُنقَص[8] وتُمنَع لما يكون فيها من النقصان والفساد، فإنها تُبدَّل وتُنقَص[9] ويعجزون عن وفاء ما وعدوا ويُمنَعون عن ذلك، فالله تعالى يتعالى عن أن يُبدِّل كلماته أو يُمنَع عن وفاء ما وعد وأوعد[10] وأنبأ أو يجورَ[11] في حكمه.

---

[1] ن – قيل صدقا في الأنباء والوعد وعدلا في الأحكام تمت أنباؤه بالصدق وأحكامه بالعدل حتى يعرف كل أحد صدق أنبائه وعدل أحكامه وقيل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا.

[2] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩).

[3] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٧ظ.

* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير هذه الآية؛ فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٧ – ٢٢٦ظ/سطر ١.

[4] ك ن + إلى التمام.

* ورد ما بين النجمتين في خلال تفسير هذه الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٣–٣٥.

[5] ن: الطعام.

[6] ن ع م: النقض.

[7] ع: ولا يجوز.

[8] ع م: وتنقض.

[9] ن: وتنقض.

[10] ن ع م – وأوعد.

[11] ن: اذ لحور؛ ع م: اد يجور.

ويحتمل **لا مبدل لكلماته**، أي لا مُبدِّل[١] لوعده ووعيده، يكون ما وعد وأوعد. ويحتمل **لا مُبدّل** لحُجَجِه وبراهينه.

وقوله: **وهو السميع**،[٢] أي السميع بما ألقى الشياطين[٣] وأوحى بعضهم إلى بعض، **العليم** بأفعال هؤلاء وإجابتهم إياهم.*

**﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾**[١١٦]

وقوله عز وجل: **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**، في الآية[٤] دلالة أنّ أكثر أهل الأرض كانوا ضُلّالًا وعُبّادَ[٥] الأوثان والأصنام،[٦] لأنه قال: **أكثر من في الأرض**. وقوله عز وجل: **يضلوك**، لأنهم إلى الضلال[٧] كانوا يدعونه.[٨] ثم الخطاب وإن كان لرسول الله في الظاهر فهو لكل[٩] مؤمن، إذ معلوم أنّ رسوله لا يطيعهم فيما يدعون هم[١٠] إليه.[١١] وفيه أنّ في الأرض كان مَن يعبد الله، وكان على دين الأنبياء[١٢] والرسل.

وقوله: **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**، ذُكِر في القصة أنّ أهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الأوثان، و[كانوا] يقولون: إنهم يعبدون الله[١٣] في الحقيقة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٤] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٥]

---

[١] ع: أيذ مبدل.
[٢] ك - وهو السميع.
[٣] ن ع م: الشيطان.
* وردت هنا قطعة من تفسير أول الآية، فقدمناها إلى موضعها. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٧ - ٢٢٦ظ/سطر ١.
[٤] ع م: والآية.
[٥] ع: وعباده.
[٦] ك: الأصنام والأوثان.
[٧] ن ع: إلى أهل الضلال.
[٨] ن: يدعونهم.
[٩] ع م: كل.
[١٠] ن ع م: فيما يدعونهم.
[١١] ع م - إليه + إلى عبادة الأوثان في الأرض.
[١٢] ن: الاسلام.
[١٣] ك - الله.
[١٤] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١٥] سورة يونس، ١٨/١٠.

كأنهم يعبدون الأوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا؛[1] فأخبر رسوله أنك لو أطعت هؤلاء إلى ما يدعونك من عبادة هذه الأصنام أضلوك عن سبيل الله، لأنهم لا يعبدون هذه الأصنام[2] إلا ظنًّا يظنون، كقوله: **إن يتبعون إلا الظن**، أي ما يتبعون إلا الظن، **وإن هم إلا يخرصون**، ما هم إلا يكذبون[3] على الله في قولهم: إن ذلك يقربهم إلى الله زلفى، وقولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.

**﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١١٧]**

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**، يعلم من يَزيغ ويَضِلّ عن سبيله، ويعلم من يهتدي به. وفي قوله: **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله**، دلالة على أنه[4] على علمٍ منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل إليهم وأرسل الكتب لا عن جهل منه، لكن صار بَعْثُ ما بعث من الرسل[5] والكتب إليهم حكمةً على علمٍ منه بما يكون منهم، لأنه إنما يبعث لمكان المرسَل إليهم ولحاجتهم.

**﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[١١٨] وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[١١٩]**

وقوله عز وجل: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين**،[6] صرف أهل التأويل الآية إلى أهل الكفر [الذين] قالوا:[7] ما بالكم تأكلون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تأكلون[8] ما ذبح الله وذكّاه؟[9] صرفوا الخطاب به إلى أهل الشرك.[10] والأشبه أن يُصرَف الخطاب به إلى أهل الإسلام،

[1] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[2] ع م – أضلوك عن سبيل الله لأنهم لا يعبدون هذه الأصنام.
[3] ع: إلا يكذبوك؛ م: إلا يكذبونك.
[4] ك: دلالة أنه.
[5] ع: بعث الرسل.
[6] ك + ذكر.
[7] جميع النسخ: وقالوا.
[8] ن ع م: ولا تأكلوا.
[9] أي ما أماته الله وتولى قتله.
[10] روي ذلك عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٨–١٧.

لأنه ذكر في آخره: **إن كنتم بآياته مؤمنين**، ومثل هذا لا يُذكَر في أهل الشرك، إنما يُذكَر[١] لخطاب[٢] أهل الإسلام، كقوله: وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[٣] وقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[٤] ونحوه من الآيات، فعلى ذلك الأشبه أن يُصرف الخطاب بها إلى أهل الإسلام. كأنّ[٥] قومًا من أهل الإسلام[٦] منعوا أنفسهم عن التناول من هذه الذبائح واللحوم، فنُهُوا عن ذلك؛ نحو[٧] ما روي في بعض القصة أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم همّوا أن يَخصُوا أنفسهم وأن لا يعطوا أنفسهم شهواتهم وأن لا يتناولوا[٨] شيئا[٩] من الطيبات، فنُهُوا عن ذلك، وقيل: فيهم نزل قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ.[١٠] فيشبه أن يكون قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** فيهم. أو لِمَا علم [الله تعالى في الأزل][١١] أنّ قومًا من المتقشّفة والمتزهّدة[١٢] يحرّمون ذلك على أنفسهم، فنُهُوا عن ذلك. فإن كان[١٣] ما قال أهل التأويل[١٤] فهو -والله أعلم- كأنه قال: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين**، بما تعلمون أن الخَلْق[١٥] والأمر له،[١٦] وقد أنشأ لكم من الآيات ما تعلمون ذلك، فكيف تحرّمون ما ذُكِر[١٧] اسم الله عليه؟

---

[١] جميع النسخ: إنما ذكر.
[٢] ك ن ع: الخطاب.
[٣] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[٤] سورة البقرة، ٢/٢٧٨.
[٥] ن ع: وكان.
[٦] ن + كان قوما من أهل الإسلام.
[٧] ك: من نحو.
[٨] ع م: وأن لا يتناول.
[٩] ع م - شيئا.
[١٠] سورة المائدة، ٥/٨٧. وللرواية انظر: *تفسير الطبري*، ٧/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٣٩.
[١١] الزيادة مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٨و.
[١٢] ن ع: والمترصدة.
[١٣] ن - فإن كان.
[١٤] أي إن كانت الآية خطابا للمشركين.
[١٥] ن: أن الحق؛ ع م: الحق.
[١٦] وعبارة الشارح: «إن كنتم تعلمون وتصدّقون أن الخَلْق والأمر له» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٨و).
[١٧] جميع النسخ: مما ذكر.

ثم أمر بأكل ما ذُكِر[1] اسم الله عليه، وعاتب مَن ترك[2] الأكل مما ذُكِر اسم الله عليه[3] بقوله: **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، و لم يبيّن بم وبأيّ وجهٍ بالذبح أو بغيره، وكذلك قوله: اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ،[4] و لم يبيّن مِن أيّ وجه. لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك إلى الذبح، فكان الذبح مُضمَرًا فيه، كأنه قال: فكلوا مما ذُبِح بذكر اسم الله عليه، وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذُبِح بذكر اسم الله عليه؟ ثم لا يخلو[5] اتّفاقهم بمعرفة ذلك، إما أنْ عرفوا ذلك بالسماع من رسول الله، أو عرفوا ذلك بنوازل الأحكام،[6] إذ ليس في الآية بيان ذلك. فكيف ما كان ففيه دلالة نَقْضِ قول مَن يقول بأنّ مَن عرف نوازل الأحكام أو كان عنده رواية فترك روايته يَفسُق، لأنه لم يُذكَر هاهنا النوازل ولا السماع، دلّ أنه لا يَفسُق.[7]

أو كان[8] قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، ذُكِر لمكان قول الثَّنَوِيّة،[9] لأنهم يحرمون الذبائح ويقولون: ليس من الحكمة إيلام مَن لا ذنب له. أو ذُكِر لمكان قول مَن يقول: إنكم[10] أكلتم ما تذبحون بأيديكم،[11] ولا تأكلون ما تولّى الله قَتْلَه.

ثم قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، وقوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ[12] وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ،[13] أباح عز وجل من الأنعام ما ذُكِر اسم الله عليه، وحظَر ما لم يُذكَر اسم الله عليه،

---

[1] ع: مما ذكر.
[2] ك: عن ترك.
[3] م – عيه.
[4] ن – ولم يبين بم وبأي وجه بالذبح أو بغيره وكذلك قوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم. والآية في سورة المائدة، ٥/٥.
[5] ك ع: لا يخلوا.
[6] ك ن ع – الأحكام.
[7] قال الشارح: «وكيف ما كان ففيه دلالة نَقْضِ قول مَن يقول بأنّ مَن عرف نوازل الأحكام أو كان عنده رواية فترك روايته أو بيان السبب إذا بين الحكم يَفسُق، لأنه لم يُذكَر هاهنا النوازل ولا الرواية، ولا بد من ذلك، ولا يجوز وصف الصحابة الذين عليهم مدار الدين بالفسق، دلّ أن ذلك مما لا يوجب الفسق، وهذا لأن الحاجة ترتفع ببيان الحكم، فلا حاجة إلى الإسناد والرواية» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٨و).
[8] م: اذ كان.
[9] الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان، والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار، وأن الاجسام ممتزجة من النور والظلمة. ومن فرقهم المانوية والمزدكية. أما المجوس فإنهم أيضًا آمنوا بإلهين، لكن قالوا بحدوث الظلام. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢٦٩/١؛ و*الملل والنحل*، ٢٤٤/١.
[10] ن ع: بأنكم.
[11] ن – بأيديكم.
[12] ع – وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه.
[13] سورة الأنعام، ١٢١/٦.

ونَهَى عن أكله بقوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ،[١] وبقوله: وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[٢] جعل المُهَلّ [به] لغير الله ميتةً حرامًا، وجعل المذكور اسم الله عليه[٣] ذَكِيًّا حلالاً. فدلّ أنّ التسمية شرط[٤] في حلّ الذبيحة، لأنه لو لم يكن[٥] شرطا في حلّ الذبيحة[٦] لم يكن المُهَلّ به لغير اسم الله ميتةً حرامًا، ولأنه سمّى ما لم يُذكَر اسم الله عليه فِسْقًا،[٧] والفسق هو الخروج عن أمر الله، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[٨] أي خرج، فدلّ أنّ التسمية[٩] شرط[١٠] فيها. ولهذا ما يحلّ[١١] لنا ذبائح أهل الكتاب إذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليه، وإن كانوا / ما يذكرون[١٢] [٢٢٧و] في الحقيقة غير الله، لأنهم لا يعرفون الله حقيقة، ولكن إذا ذكروا اسم الله عليه يحلّ لنا.

ولا يحلّ ذبائح أهل الشرك، لأنّ أهل الشرك لا يرون الذبائح رأسًا، يذهبون مذهب الزنادقة. والزنادقة لا يرون الذبائح، يقولون لنا: إنكم تقولون: إن ربّكم رحيم حكيم، وليس من الحكمة والرحمة أن يأمر أحدًا بذبح آخر وبقتله،[١٣] فيأكلون الميتة، ولا يرون أكل الذبيحة، ويقولون: ليس هذا أمر مَن كان موصوفًا بالرحمة أو بالحكمة. لكنّا نقول: إن كراهة الذبح والنفور عنه نفور طبع، وكراهته كراهة طبع، لا كراهة العقل؛ فما يكرهه[١٤] الطبع وينفر عنه يجوز أن يباح لِمَا يُعقِب نفعًا في المُتعقِب، نحو ما يباح الافتصاد[١٥] والحجامة والتداوي[١٦] بأدوية كريهة لنفعٍ يَعقُب ويُتأمَّل وإن كان الطبع يكرهه وينفر عنه. وليس هو مما يُقبِّحه العقل،

---

[١] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٢] ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[٣] م – عليه.
[٤] ع: شرطا.
[٥] ك ن: لم تكن.
[٦] ع – لأنه لو لم يكن شرطا في حل الذبيحة.
[٧] ن – فسقا. انظر: سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٨] سورة الكهف، ٥٠/١٨.
[٩] ع + شرطا فيها.
[١٠] ك: شرطا.
[١١] "ما" إما أن تكون مصدرية أو اسم موصول. وهذا الاستعمال كثير عند المؤلف رحمه الله.
[١٢] ع م: لا يذكرون.
[١٣] ن م: ويقتله.
[١٤] ع: فما يكره.
[١٥] ن: الاقتصاد. والافتصاد من افتصد الرجل أي شَقّ عِرقَه ليخرج منه الدم (*لسان العرب* لابن منظور، «فصد»).
[١٦] ع: والتاوي.

أنّ ما لا يجوز[1] [هو] أن يُباح فِعلُ ويؤمَر به مما يُقبِّحه العقل ويكرهه،[2] وأما كراهة الطبع ونفوره فإنه يجوز أن يباح لما ذكرنا، ويرتفع[3] ذلك بالعادة؛ فعلى ذلك الذبيحة كراهته كراهة الطبع لا كراهة[4] العقل ونفوره. والثاني أنّ هده الأشياء كلّها[5] إنما خُلِق لنا وسُخِّر لمنافعنا،[6] لم تخْلَق[7] لأنفسها؛ فإذا كان كذلك يحلّ لنا ذبحها والتناول منها بأمر الذي أنشأها لنا[8] وسَخّر[ها] لنا. وبَعدُ فإنّ مِن مذهبهم[9] أنّ العالمَ إنما كان[10] بامتزاج النور والظلمة، والروح من النوراني والجسم من الظلماني،[11] ففي الذبح استخراج الروح وردّه إلى أصله، إذ مِن قولهم أنه يرجع كلٌّ إلى أصله في العاقبة على ما كان في الأوّل.

وأما جواب[12] ما قاله أهل الشرك: أكلتم ما ذبحتم أنتم، وتركتم ذبيحة الله، وجهان. أحدهما ما قاله أهل التأويل: إنّ الخَلْق له، وله الحكم عليهم، فأحلّ لهم هذا، وحرّم عليهم هذا. والثاني تعبّدنا[13] بذكر اسمه عليها، فصار فيما ذُكِر[14] اسم الله إقامةُ عبادةٍ تعبّدنا بها، وفيما لم يُذكَر لم يكن عبادة، لذلك[15] حلّ لنا ما كان في ذلك إقامة عبادة،[16] ولم يحل لنا ما لم يكن فيها إقامة عبادة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، هو في الظاهر أمر، لكن الأمر الذي يرجع إلى شهوات النفس ولذّاتها فإنه يخرج على وجهين: إما أن يخرج على بيان ما يحلّ أو النهيِ[17] عمّا لا يحلّ؛

---

[1] أي لأن الذي لا يجوز...

[2] ن ع م + العقل.

[3] ن ع: وترتفع.

[4] ع م – الطبع لا كراهة.

[5] م – كلها.

[6] ع: لنافعها.

[7] ن + لم يخلق؛ ع م: لم يخلق.

[8] ك ن ع + فشاء.

[9] ع م: فإن مذهبهم.

[10] ع: لما كان.

[11] م: من الظلمات.

[12] ن ع م: وأما الجواب.

[13] ع: يعبدنا.

[14] ع م – فيما ذكر.

[15] ع م: كذلك.

[16] ن – عادة.

[17] ع م: والنهي.

فهاهنا خرج على بيان ما يحلّ وتحريم ما لا يحلّ، كأنه قال: كلوا مما ذُكِر اسم الله عليه، ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه.

وقوله عز وجل: **وقد فَصّل لكم ما حرم عليكم**، هو صلة قوله: **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم**، أي ما لكم أن لا تأكلوا كذا وقد بيّن[١] لكم ما حرّم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير إلا ما اضطُرِرتم إليه، لأن أهل الشرك والزنادقةَ كانوا لا يرون أكلَ الذبيح، ويأكلون الميتة والدم، فلهم خرج الخطاب: ما لكم ألاّ تأكلوا مما ذُكِر اسم الله عليه وقد بيّن لكم ما حرّم عليكم، وهو الميتة والدم.

**إلا ما اضطُرِرْتم إليه،**[٢] قال الحسن: له أن يتناول من الميتة حتى يشبع، لأنه أحلّ له التناول. وعلى قولنا لا يحلّ له الشِّبَع، لأنه إنما أحلّ عند الاضطرار،[٣] وهو غير مضطرّ[٤] إلى[٥] الشِّبَع.[٦] ويقول الحسن: لو ترك التناول منها حتى هلك لا شيء عليه، يقول: لأنه إنما أُحِلّت له رخصةً ورحمةً، وليس على من لم يعمل بالرُّخص إثم. ولكن عندنا أنها أُبيحت في حال الاضطرار، فإذا ترك التناول منها حتى هلك صار[٧] مُلْقِيًا نفسه في التهلُكة،[٨] وقد حرّم الله علينا أن نهلك أنفسنا أو نُلقيها في التهلكة بقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.[٩] ولا فرق بين ترك التناول من الميتة -وقد أُحلّ لنا التناول[١٠] منها- حتى مات وبين ترك التناول[١١] من غيره من الأطعمة المحلّلة، أو يأتي بأسباب إتلاف النفس، فهما سواء. ويقول أيضا: له أن يتناول عند الاضطرار من مال غيره بلا بدل، وإذا نهى صاحبُه عن ذلك يضمن بدل ذلك بالغًا[١٢] ما بَلَغ.

---

[١] عذ: وقد يبين.

[٢] ع م - لأن أهل الشرك والزنادقة كانوا لا يرون أكل الذبيح ويأكلون الميتة والدم فبهم خرج الخطاب ما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عيه وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو الميتة والدم إلا ما اضطررتم إليه.

[٣] ع: عند الإضطر.

[٤] ع - وهو غير مضطر.

[٥] م - وهو غير مضطر إلى.

[٦] م: لا الشبع.

[٧] ع: صا.

[٨] ع: في التركة.

[٩] سورة البقرة، ١٩٥/٢.

[١٠] ع: اناول.

[١١] ع م - منها حتى مات وبين ترك التدول.

[١٢] ك: بع.

فهذا بعيد، لا يجوز أن يتناول من مال[1] غيره ولا يلزمه البدل وإذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل، لأنّ مَن كان له حقّ التناول من مال آخر بغير بدل ثم إذا نهى أو منع يلزمه البدل دلّ أنه ليس له التناول إلا ببدل. وقد ذكرنا هذا.

وقوله عز وجل: **وإن كثيرًا ليضلون بأهوائهم بغير علم**، دلّ هذا على أنّ الكلّ منهم لم يكونوا يُضِلّون، ولكن البعض،[2] هم الأئمة منهم والرؤساء، لأنّ الأتبَاع منهم كانوا لا يُضِلّون الناس، إنما كانوا يُضِلّون الكُبرَاء منهم والعُظَماء.

**إن ربك هو أعلم بالمعتدين**، وقد ذكرنا[3] هذا فيما تقدم.[4]

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وذروا ظاهر الإثم وباطنه**، اختلف فيه. قيل: وذروا الإثم بظاهر الجوارح[5] وباطنها؛ ظاهر الجوارح[6] من نحو اليد والرجل واللسان والعين، وباطن الجوارح القلوب والضمائر. وقيل: وذروا[7] الإثم في ملأ من الخلق وفي الخلاء منهم. وقيل: **ظاهر الإثم** ما ذكرنا، وباطنه الزنا. قال أبو بكر الكيساني:[8] الزنا لا يحتمل هاهنا، لأن الآية في ذِكر ما يحلّ من الأطعمة وما لا يحل. ولكن يجوز أن يُبتَدأ النّهي عن الزنا وإن كان أوّل الآية في ذِكر الأطعمة. ويصير قوله: **وذروا ظاهر الإثم وباطنه**، كأنه قال: وذروا المآثم كلها ما ظهر منها وما بطن.

وقوله عز وجل: **إن الذين يكسبون الإثم سيُجزَوْن بما كانوا يقترفون**، لا يُترَكون وما عملوا، ولكن يُجزَوْن جزاء ما عملوا من الإثم، وهو وعيد. وقوله:[9] **يكسبون الإثم**، يُصِرّون[10] عليه ولا يتوبون ولا يَنقَلِعون عنه[11] حتى ماتوا على ذلك، **سيُجزَوْن بما** ذكر.

---

[1] جميع النسخ: عن مال.
[2] ع: لبعض.
[3] ن ع: قد ذكرنا.
[4] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١١٧/٦.
[5] ع: الخوارج.
[6] ع: الخوارج.
[7] ك: ذروا.
[8] م: الكسائي.
[9] م - وقوله.
[10] ك م: ويصرون؛ ن: يصيرون؛ ع: ويصيرون.
[11] ع - عنه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[١٢١]

وقوله: **ولا تأكلوا مما لم يُذكَر اسم الله عليه**، قال بعضهم: هو الميتة،[١] وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٢] وقال بعضهم: هو ما أُهِلَّ به لغير الله. / وقلنا نحن: هو ما لم يُذكَر اسم الله عليه، لأن الله قد صرّح بتحريم الميتة بقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ،[٣] وصرّح[٤] بتحريم ما أُهِلّ لغير الله به بقوله: وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[٥] فإذا كان للميتة[٦] وما أُهِلّ لغير الله به[٧] تصريح تحريم[٨] في غير هذا لموضع رجع هذا الخطاب إلى تحريم ما لم يُذكَر اسم الله عليه. وكذلك صرّح بتحريم الميتة وما أُهِلّ لغير الله به بقوله: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا،[٩] الآية. فقوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا، كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجد ما لم يُذكَر اسم الله عليه مُحَرَّمًا في حادث الوقت، وكذلك وجد كل ذي نابٍ من السباع وذي مِخلَبٍ[١٠] من الطير مُحَرَّمًا في حادث الوقت،[١١] كان لا يجد في ذلك الوقت[١٢] مُحَرَّمًا إلّا ما ذكر، ثم[١٣] وجد أشياء مُحَرَّمة مِن بعد. وقال بعضٌ[١٤] مِن أهل التأويل: نزل[١٥] قوله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**، حين قالوا: ما قتلتم وذبحتم أنتم فتأكلونه،[١٦] [٢٢٧ظ]

---

[١] ك - حتى ماتوا على ذلك سيجزون بما ذكر وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هو الميتة.
[٢] *تفسير الطبري*، ١٩/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٨/٣.
[٣] سورة المائدة، ٣/٥.
[٤] ع م: وصرح به.
[٥] سورة المائدة، ٣/٥.
[٦] ك: الميتة.
[٧] ع م - فإذا كان للميتة وما أهل لغير الله به.
[٨] ع م - تحريم.
[٩] سورة الأنعام، ١٤٥/٦.
[١٠] المِخلَب ظفر ما يصيد من الطير (*لسان العرب* لابن منظور، «خلب»).
[١١] ك ن: الأوقات. روي عن عدد من الصحابة أنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير. صحيح *مسلم*، الصيد ١٢-١٦؛ و*سنن أبي داود*، الأطعمة ٣٣؛ و*سنن الترمذي*، الصيد ٩، ١١.
[١٢] ع م: الأوقات.
[١٣] ع: ما ذكرتم.
[١٤] جميع النسخ: بعضهم
[١٥] ع: الأول؛ م - نزل.
[١٦] ك: تشاكونه.

وما قتل ربكم فتُحَرِّمونه، وأنتم تُعَظِّمون ربكم. وهو مِن زُخرف القول الذي يوحي بعضهم إلى بعض، وما ذكر:[١] **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم.** لكنّا نقول: إن ما ذُبِح وقُتِل هو[٢] ذبيح بالله[٣] وقتيل به أيضًا، فقد أذن لنا بأكل بعض الذبيح وحرّم أكْل بعض، ولله أن يفعل ذلك، له أن يأذن في أكل بعض وتحريم أكل بعض، على ما أذن لنا في أكل بعض ما خلق الله من الأنعام و لم يأذن في أكل بعض، فعلى ذلك قد أذن في أكل بعض ما ذُبِح به وقُتِل و لم يأذن في بعض، وهو كلّه ذبيح بالله وقتيل به، وله ذلك. والثاني أنّ الخَلْق كلّه له ملكه، ولا يقال لأحد في ملكه: لم فعلت ذا و لم تفعل ذا؟ إنما يقال ذلك في غير ملكه، كشريك يقول لشريكه: لم تعطني حقي، و لم تُوَفِّرْ عليّ نصيبي،[٤] فأما أن يقول في ذي ملك في ملكه فلا. والثالث ما ذكرنا أنه تعبّدنا بذكر اسم الله عليه، فكان في ذكر اسم الله عليه[٥] إقامة عبادة، لذلك لم يجز هذا.

وقوله عز وجل: **وإنه لفسق،** أخبر أنّ[٦] ما لم يُذكَر اسم الله عليه فِسْق،[٧] كما[٨] أخبر أنّ التناول[٩] من الميتة وما أُهِلّ لغير الله به فِسْق، والفِسْق[١٠] هو الخروج عن أمر الله، والذي تُرك[١١] ذكر اسم الله عليه خارج عن أمر الله تعالى، كالميتة التي ذكرنا.

فإن قال قائل: إن قول الله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه،** فكيف يجوز لكم أن تطلقوا أكل الذبيحة إذا ترك ذكر اسم الله عليه[١٢] ناسيًا؟

قيل: إنّ الخطاب[١٣] بهذا لم يرجع إلى الذبيحة التي ترك اسم الله عليها[١٤] ناسيا،[١٥]

---

[١] م: وما ذكروا.
[٢] ع م – هو.
[٣] م: الله.
[٤] ن: ولم توفر نصيبي.
[٥] ع م – فكان في ذكر اسم الله عليه.
[٦] ع م: أنه.
[٧] ن – فسق.
[٨] ع – كما.
[٩] ن ع: أخبر التناول.
[١٠] م – والفسق.
[١١] ع: نزل.
[١٢] م – عليه.
[١٣] ك: الخطاب.
[١٤] جميع النسخ: عليه.
[١٥] ع م - قيل إن الخطاب بهذا لم يرجع إلى الذبيحة التي ترك اسم الله عليها ناسيا.

لأن الذبائح إنما هي من عمل القصّابين الصبيان[١] فهم لم يُعَوِّدوا[٢] أنفسهم ذِكر اسم الله حتى يؤاخذوا[٣] بها عبى حفظ ذلك. وهذا أصلنا أنّ مَن لم يُعوِّد نفسه فِعلاً يُعذَر في تركه أو ارتكابه[٤] في حال السهو والنسيان، كالأكل[٥] في شهر رمضان ناسيًا، لأنه عوّد نفسه الأكل والشرب،[٦] والصوم[٧] هو الكفّ عما اعتاد، فعُذِر في التناول منه والعود إلى العادة عبى السهو، لأنه يشتدّ على الناس حِفظُ النفس[٨] عبى خلاف العادة. ولأن الله[٩] تعالى قال: **وإنه لفسق**، ولا خلاف في أنّ مَن نسي أنْ يُسَمِّي الله على ذبيحته فليس بفاسق، وإنما يَفسُق مَن تركها عامدًا، فدلّ أنّ الخطاب بالآية رجع إلى الذبيحة التي تُرِكت التسمية [عليها] عمدًا.

فإن قيل: أليس[١٠] يجوز أن يكون قوله: **وإنه لفسق**، يريد به أنّ الذي يأكل منها إذا لم يسمّ الله عليها عامدا أو ساهيا فاسق؟ وإن كان هذا هو التأويل فالآية[١١] على الأكل.[١٢]

قيل: الدليل على أنّ[١٣] قوله: **وإنه لفسق**، إشارة إلى الذبيح الذي تُرِك[١٤] ذِكر اسم الله عبيه عمدًا دون أن يكون ذلك إشارة[١٥] إلى أن الأكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[١٦] فكان الإهلال[١٧] بالذبيحة لغير الله فسقًا لِمَن فعَله،

[١] جميع النسخ: والصبيان. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٢] ن: لم يعدوا.
[٣] جميع النسخ: حتى يؤاخذون.
[٤] ك ع م: وارتكابه.
[٥] ع: كالأدكل.
[٦] م – والشرب.
[٧] ك ن ع: فالصوم.
[٨] ك: اسهو.
[٩] ك: لأن الله.
[١٠] م: ليس.
[١١] ن + فالآية.
[١٢] ك ن ع: عبى الكل.
[١٣] ك – أن.
[١٤] ن: نزل.
[١٥] ك – إلى الذبيح الذي ترك ذكر اسم الله عليه عمدًا دون أن يكون ذلك إشارة.
[١٦] سورة الأنعام، ١٤٥/٦.
[١٧] ن ع: الإهلاك.

فوجب أن يكون تَرْكُ اسم الله على الذبيحة فسقًا ممن تعمّده، وذلك[1] يوجب أن يكون قول الله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**، خاصًّا في المتعمّد لترك التسمية.

فإن قيل:[2] كيف لم تجعلوا[3] تارك التسمية ناسيًا كتاركها عامدًا كما قلتم في التكبيرة الأولى في الصلاة: إنّ عمده وسهوه سواء؟

قيل: مِن قِبَل[4] أنّ الذبيحة إذا تعمّد صاحبها تَرْكَ التسمية عليها إنما حُرِّمت[5] بنصّ القرآن لأنه فسق، فقلنا: متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة،[6] لأن التحريم إذا وقع لِعِلَّة فزالت العِلَّة زال[7] التحريم، ولم نَقُل:[8] إنّ صلاة التارك للتكبيرة الأولى فسدت صلاته لأنه فَسَق بتركه[9] التكبيرة عامدًا فيلزمنا أن نفرّق بين سهوها وعمدها، بل فسدت صلاته لأنه صلّى بغير تكبير، فالتارك للتكبير عامدًا كان[10] أو ساهيا تارك، فهما سواء. ورُوي في الخبر ما يؤيد ما قلنا؛ رُوي عن راشد بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذبيحة المسلم حلال سَمَّى أو لم يُسَمِّ ما لم يتعمّد».[11] وعن ابن عباس رضى الله عنه في رجل ذبح ونسي أن يذكر اسم الله، قال: اسم الله في قلب كل مسلم، فليأكل.[12]

وقوله[13] عز وجل: **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم [وإن أطعتموهم إنكم لمشركون]**، أهل التأويل صرفوا تأويل هذا إلى أنّ زُخرف القول الذي يوحي بعضهم إلى بعض في الآية الأولى[14]

---

[1] م: ذلك.

[2] ع م: فإن كيف.

[3] ن ع م: لم يجعلوا.

[4] ك: من قبيل؛ ن – من قبل.

[5] ن: إنما جرت.

[6] ن – عن الذبيحة.

[7] ن: زالت.

[8] ن: ولم يقل.

[9] ن ع م: بتركها.

[10] ك ع م – كان.

[11] أخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٩/٣. «وروى أبو داود في *المراسيل* عن الصَّلْت رَفَعَه: "ذبيحة المسلم حلال، ذكر اسم الله أو لم يذكر، لأنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله"؛ وهو مرسل. ورواه البيهقي من حديث ابن عباس موصولا، وفي إسناده ضعف» (*تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٣٧/٤).

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٩/٣.

[13] ع – وقوله.

[14] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عَدُوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غُرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).

هو مجادلتهم / في الذبيحة حيث قالوا: ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه، وما قتل الله فلا تأكلونه، يَعْنُون: [٢٢٨و]
فتلك مجادلتهم إياهم. ولكن يجادلون في هذا وفي وحدانية[١] الله تعالى وفي إثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء، حيث قالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾،[٢] فأخبر أنهم لو أطاعوهم إنهم لمشركون، أي لو **أطعتموهم** فيما يجادلونكم ويوحون إليهم **إنكم لمشركون**.

**﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٢٢]

وقوله عز وجل: **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**، يشبه أن يكون المَثَل الذي ضرب الله للمؤمن والكافر في الآية أنّ مَن كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا،[٣] ثم أخرج من ذلك فأبصر وسمع[٤] وعقل، كمَن تُرِك في تلك الظلمات ولم يخرج منها، لا يبصر ولا يسمع[٥] ولا يعقل. يقول -والله أعلم- لا يستوي مَن أُخرِج مِن ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم ثم أبصر وسمع وعقل، والذي تُرِك[٦] في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل؛ فعلى ذلك لا يستوي المؤمن[٧] الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كلَّ خيرٍ ويَعلَمه ويَعمَله،[٨] **وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** بنوره، له أصحاب[٩] يدعون الناس إلى الهدى والخير، والكافر[١٠] الذي لا يبصر الخير[١١] ولا يسمع ولا يعقل، ليس له أصحاب يدعونه إلى الهدى والخيرات. أي ليس هذا كذلك، [ليس] الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل.

---

[١] ك: في هذا وحدانية؛ ن ع م: في هذا في وحدانية.
[٢] سورة المؤمنون، ٨٢/٢٣.
[٣] ع م – أن يكون المثل الذي ضرب الله للمؤمن والكافر في الآية أن من كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا.
[٤] ع: ويسمع.
[٥] ع م – ولا يسمع.
[٦] ن: نزل.
[٧] ك: من المؤمن.
[٨] ك ع م – ويعمله.
[٩] ع م: أصحاب.
[١٠] أي لا يستوي المؤمن... والكافر.
[١١] ك: الحق.

وجائز أن يكون المَثَل الذي ضرب الله[1] أن يكون المؤمن والكافر جميعًا حيَّيْن في الجوهر، لكن المؤمن اكتسب ما به يحيى[2] أبدا مِن العلم والقرآن والإيمان، والكافر لم يكتسب من ذلك شيئًا، فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل. ويحتمل هذا المَثَل وجهًا آخر؛ وهو أنّ المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والأعمال الصالحة، ويكون له نور في الآخرة بالأعمال التي اكتسب في الدنيا، ويمشي بنور ذلك فيما بين الناس في الآخرة، وأما الكافر فإنه لم يكتسب من ذلك شيئًا، فيبقى[3] في الظلمات، كقوله: قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا.[4]

وقوله عز وجل: **وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس**، والمعتزلة يقولون: هم[5] جعلوا لأنفسهم نورا يمشون به[6] في الناس. وقد أخبر أنه هو الذي يجعل لهم ذلك النور، فذلك تحريفٌ منهم ظاهرَ القرآن. وكذلك قوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[7] وهم يقولون: هو قدير[8] على بعض الأشياء. وقال: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[9] وهم يقولون: هو[10] خالق بعض الأشياء. وقال: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ،[11] وهم يقولون: شاء أنْ لا يفعلوا ما فعلوا، ولكن فعلوا غير ما شاء الله. وكذلك قوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ،[12] وهم يقولون: شاء[13] غير الذي فعلوا.[14] وكذلك [قوله]: جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا،[15] وهم يقولون: هو[16] لم يجعل[17] لكل نبيّ عدوًّا،

---

[1] ك ن – الله.
[2] ن ع: تحيى.
[3] ك: فيقر.
[4] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمِسُوا نورا فضُرِب بينهم بسُورٍ له باب باطِنه فيه الرحمة وظاهِره مِن قِبَلِه العذاب﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).
[5] ك – هم.
[6] ن ع م – به.
[7] سورة المائدة، ١٢٠/٥.
[8] ن ع م: هو قدر.
[9] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[10] ك – هو.
[11] سورة الأنعام، ١٣٧/٦.
[12] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[13] ن – أن لا يفعلوا ما فعلوا ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء.
[14] ن + وفعلوا.
[15] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[16] ك – هو؛ ع م: هم.
[17] ع: لم نجعل.

وهم جعلوا أنفسهم[١] لهم أعداء. وكذلك قوله:[٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾،[٣] وهم يقولون: جعل الأكابر فيها لئلا يمكروا فيها.

وقوله عز وجل: **كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون**، اختلف فيه. قال بعضهم: كما زيّنّا للمؤمنين عبادة الله كذلك زيّنّا للكافرين عبادة الله، لكنهم تعاندوا وصرفوا العبادة إلى غير الله، وهو تأويل المعتزلة. وقال قائلون: زُيّن لهم أعمالهم التي يعملونها. ثم اختلف في الذي[٤] زيّنها. قال الحسن: زيّن[٥] الشيطان أعمالهم لهم.[٦] وقال غيره: زيّنها الأكابر على الأصاغر. وقال[٧] قائلون: زيّنها الله، ولكن ما أضيف إلى الشيطان مِن التزيين والإضلال[٨] إنما يضاف لِمَا يدعوهم[٩] ويحثّهم على ذلك ويوحي إليهم، وما يضاف إلى الأكابر للقول[١٠] والدعاء إلى ذلك. وما يضاف إلى الله من التزيين والإضلال والإزاغة وغير ذلك يضاف للخَلْق، أي خَلَق منهم فِعلَ الضلال وفِعلَ التزيين[١١] وفِعلَ الزيغ، يضاف [ذلك] إلى الله خَلْقًا، وإلى الشيطان والأكابر[١٢] دعاءً ووحيًا وإلقاءً، على هذا يخرج جميع[١٣] الإضافات. *والله أعلم*.

**﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**[١٢٣]

وقوله عز وجل: **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها**، أي جعل **في كل قرية** مِن أهل الكفر **أكابر مجرميها** وعظماءها، كما جعل في قريتك **أكابر مجرميها**، يُصبّر رسولَه صلى الله عليه وسلم على ذلك، ليعلم أنه ليس بمخصوص هو بهذا دون غيره[١٤] من الأنبياء.

---

١ ع: لأنفسهم.
٢ ع – قوله.
٣ سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
٤ ع: في الدنيا.
٥ جميع النسخ: زينها.
٦ ع م – هم.
٧ ن ع م: قال.
٨ ع: والإضال.
٩ ع م: إلى ما يدعوهم.
١٠ ن: لقول.
١١ ك: التزين.
١٢ م: ووالأكابر.
١٣ ن: جمع.
١٤ ن ع م: دون غيرهم.

ثم اختلف في قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها**، وقد ذكرنا أقاويلهم في قوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا.[1]

ثم قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**، قالت المعتزلة: لم يجعل الأكابر فيها ليمكروا فيها، ولكن لَمّا وسّع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها. وكذلك قالوا في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ،[2] لا يجوز أن يخلقهم لجهنم،[3] ولكن لَمّا عملوا أعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم،[4] لا أنه خلقهم[5] لجهنم.[6] وقالوا: هو على الإضمار، كأنه قال: **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها** لئلا يمكروا فيها، لكنهم مكروا فيها لما ذكرنا.[7] لكن قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**، ليكون[8] أدْعَى وأَظْهَر للحُجَج، لأنه لو كان بعث الرسل أكابر لكان الناس يتبعون الأكابر وإن لم يأتوا بالحُجج، وغيرهم لا يُتَّبَعون إلا بالحُجج والآيات. ومنهم مَن يقطع قوله: **ليمكروا فيها**، عن قوله:
[٢٢٨ظ] **جعلنا في كل قرية أكابر**، يقول: معناه **وكذلك جعلنا في كل قرية** / مجرميها أكابر، ثم قال: **ليمكروا فيها**، أي ما جعل ذلك لهم ليمكروا. ومنهم من يقول: هو إخبارٌ عمّا إليه[9] صار أمرهم، كقوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[10] وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا، إنما التقطوه ليكون لهم وليًّا، لكنه لَمّا صار في العاقبة عدوًّا لهم أخبر عمّا آل إليه أمره، فعلى ذلك قوله: **ليمكروا فيها**، أخبر عمّا إليه صاروا مِن المكر.

وعندنا لا يخلو[11] هذا إمّا أن يُقال: إنه يخلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم أنهم[12] لا يكونون لِمَا يخلقهم، فذلك ليس فِعل حكيم أنْ يعمل عملاً يعلم أنه لا يكون،

[1] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[2] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[3] ع م – لجهنم.
[4] ك – ولكن لما عملوا أعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم.
[5] ن: لأنه خلقهم.
[6] ع م – لا أنه خلقهم جهنم.
[7] أي لِمَا وسّع الدنيا وبسطها عليهم.
[8] ع: وليكون.
[9] ع م: إخبار إليه.
[10] سورة القصص، ٨/٢٨.
[11] ك: لا يخلوا.
[12] ع م: يعلم أن.

نحو مَن يبني بناءً يعلم أنه لا يُسكَن، أو يقصد قَصْد موضعٍ يعلم أنه لا يَصِل إليه، فهو بالقصد عابث ليس بحكيم؛ فعلى ذلك الله سبحانه لا يجوز أن يخلقهم للهدى والعبادة له مع عدمه أنهم لا يكونون لِمَا يخلقهم؛ أو أن يخلقهم[١] لذلك وهو لا يعلم أنهم يكونون كذلك، فهو جهل بالعواقب، فالله يتعالى عن ذلك. فدلّ أنه خلقهم ليكونوا على ما علم أنهم يكونون ويختارون ذلك. وقوله: لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[٢] كان عند الله أنهم يلتقطون ليكون لهم عدوًّا.

وقوله عز وجل: **وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون**، أي ما يشعرون[٣] أنّ عاقبة مَكْرِهم ترجع إليهم[٤] وواقع بهم.[٥] وأصله أنّ الله تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم أنهم يختارون ويكون منهم ذلك.

**﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾**[١٢٤]

وقوله: **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله**، يخبر عز وجل غاية سَفَهِهم وتَعنُّتِهم وأنهم عن علمٍ يعاندون ويتكبّرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم علموا أنّ ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية، وأنه رسول، حيث قالوا: **لن نؤمن حتى نؤتَى مثل ما أُوتي رسلُ الله**، وعلموا أنّ الرسالة لا تُجعَل إلا في المُعظَّم عند الله والمُفضَّل لديه، حيث تمنَّوْا أنهم لا يؤمنون حتى يُؤتَوْا[٦] من الآيات مثل ما أوتي رسل الله، ولو لم يكن كذلك لم يكونوا[٧] يتمنَّوْن إيتاء ما أوتوا[٨] الرسل. وعلموا أنّ هذا القرآن الذي أُنزِل[٩] على محمد صلى الله عليه وسلم آية وحجة، وأنه من عند الله نزل، حيث قالوا [أيضا]: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[١٠] وعلموا أيضًا أنّ الرسالة لا تُجعَل إلا في عُظَماء من البشر وكُبَرائهم،

---

١ ك: وأن يخلقهم.
٢ سورة القصص، ٨/٢٨.
٣ م – أي ما يشعرون.
٤ ن: يرجع يرجع بهم.
٥ ك ن: أو واقع بهم.
٦ جميع النسخ: حتى يؤتون.
٧ ع م + كذلك.
٨ ن ع م: ما أتوا.
٩ ن: نزل.
١٠ سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

حيث قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، لكنهم ظنّوا أنها إنما تُجعَل في العُظَمَاء الذين هم عند الخَلْق عُظَماء، فقال الله تعالى: **الله أعلم حيث يجعل رسالته**، فتناقضت أقاويلهم وحِجاجهم بما ذكرنا من إقرارهم بالرسل والآيات وتفضيلهم على غيرهم من البشر.

ثم قال: **الله أعلم حيث يجعل رسالته**. جُمْلَةُ جوابِ ما قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى كذا، أنْ يقال: إنكم عرفتم أن الله عالم قادر، فهو **أعلم حيث يجعل رسالته**. ثم اختلف في قوله: **الله أعلم حيث يجعل رسالته**. قال بعضهم: جَعْلُ الرسالة في أوساط الناس أَظْهَرُ للحُجَج وأبْيَن مِن جَعْلِها في أكابر الناس وعُظَمائهم في الدنياوية، لأن الناس مجبولون على اتّباع الأكابر والأعاظم، فلو جُعِلت الرسالة فيهم لكانت الحُجَج لا تظهر، لأنهم جُبِلوا[1] على اتّباعهم. وأما أوساط الناس في الدنياوية إذا جُعِلت فيهم الرسالة لظهرت الحُجَج والبراهين، لأنهم لم يُجبَلوا على اتّباع الأوساط من الناس، فكان اتّباعهم للحُجَج والبراهين.[2] وقال بعضهم: قوله: **الله أعلم حيث يجعل رسالته**، أي لا يجعل الرسالة فيمن يُضيِّعها[3] وليس هو بأهل لها ولا موضعها، لأنه لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة.

وقوله عز وجل: **سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله [وعذاب شديد بما كانوا يمكرون]**، أخبر أنّ مَن تكبّر على رسول الله وعانده[4] يكون له عند الله **صَغَار** ومَذَلّة **وعذاب شديد** بصنيعهم الذي صنعوا.

**﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[١٢٥]

وقوله عز وجل: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**، قيل:[5] سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقال: «نور يُقذَف فيه»، فقالوا:[6] وهل لذلك من علامة؟[7]

---

[1] ع: جعلوا.
[2] ن – لأنهم لم يجبلوا على اتباع الأوساط من الناس فكان اتباعهم لحجج والبراهين.
[3] ك: فيمن تضيع؛ ن ع م: فيمن يضيع.
[4] ع: وعائده.
[5] م: وقيل.
[6] ك: قالوا.
[7] م: لذلك علامة.

قال: «نعم، إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح»،[١] قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك[٢] من علامة يُعرَف بها؟ قال: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».[٣] فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للإسلام فقليلاً ما يوجد على هذا الوصف، إلا أن يريد به الاعتقاد والتيقّن بما ذكر.

ثم اختلف في تأويل[٤] قوله: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجًا**. قال بعض[٥] أهل التأويل: الإرادة صفة كل فاعل يفعل على الاختيار، كأنه قال: **فمن** يهدي الله[٦] **يشرح صدره للإسلام ومن**[٧] يُضِلّه **يجعل صدره ضيقا حرجا**. وقال فريق من المعتزلة من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء: تأويله **فمن يرد الله أن يهديه** أي مَن قَبِل هداية الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بخيرات ثوابًا لِمَا قَبِل من الهداية، ومَن ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضِيق صدره عقوبةً له في ترك قبول الهداية والإقرار، إذ لله[٨] أن يهدي الخلق كلهم وأن يشرح صدرهم للإسلام، لكنهم لم يهتدوا. وقال فريق منهم: **فمن يرد الله أن يهديه** طريق الجنة في الآخرة شرح صدره في الدنيا للإسلام، / **ومن يرد الله أن يضله** [عن] طريق الجنة في الآخرة جعل صدره في الدنيا [٢٢٩و] **ضيقا حرجا**. فيقال لهم: كذلك هو كما تقولون،[٩] قد قلتم: إنه أراد أن يضلهم، ثم يقال لهم: تقولون: إنه أراد أن يهدي الخلق كلهم ويشرح صدرهم للإسلام، ثم إنكم[١٠] تقولون: إنه أراد[١١] أن يُضِلّ طريق الجنة في الآخرة، فهذا على زعمكم جَوْر،[١٢]

---

[١] ع: وانفسخ.
[٢] ن: من ذلك.
[٣] *تفسير الطبري*، ٨/٢٦-٢٧؛ *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٥٤. وضعف الدارقطني وابن الجوزي إسناده. انظر: *العلل* للدارقطني، ٥/١٨٩؛ *والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية* لابن الجوزي، ٢/٨٠٣.
[٤] ع: في تأويله.
[٥] ن – بعض.
[٦] ع: فمن يرد الله أن يهديه.
[٧] ع م + يرد أن.
[٨] ك: إذ الله.
[٩] ع م: كما يقولون.
[١٠] ك ع م – إنكم.
[١١] ع م – أراد.
[١٢] ع: جوز.

لأنه أراد في الدنيا أن يهديهم ويريد في الآخرة[١] -أيضًا لهم- أن يُضِلّهم عن طريق الجنة، لأولئك بعينهم، فذا جَوْر على قولكم. وظاهر الآية يردّ قولهم وينقض مذهبهم، لأنه قال: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره** كذا، جعلهم على صنفين، صنفًا أراد منهم أن يهديهم، وصنفًا أراد أن يُضِلّهم، مَن علم منه أنه يختار الهدى ويقبله أراد أن يهديه ويشرح صدره للإسلام، ومن علم منه أنه يختار الضلال أراد أن يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا. ولا يجوز أن يريد هو -ممن يعلم منه أنه يختار الضلال وعداوته- الولاية منه، لأن ذلك مِن الضَّعف،[٢] مَن أراد عداوته وهو يريد ولايته أو يريد[٣] مِنه غيرَ الذي عَلم كونَه مِنه واختاره.[٤] والمعتزلة يقولون: قد أراد أن يهدي الكل، لكنهم أرادوا أن لا يهتدوا فلم يهتدوا، غلبت إرادتهم إرادة الله تعالى، فذلك وَحْش[٥] من القول سَمِج،[٦] فنعوذ بالله من السَّرَف في القول والزيغ عن الحق. *ولا قوة إلا بالله*.

[٢٢٩و س٢٨ وقوله عز وجل: **ضَيِّقًا حَرَجًا**، قيل الحَرَج ضَيِّق الضَّيِّق، وهو شدّة الضِّيق.* والضَّيِّق قال الكسائي:[٧] الضَّيِّق مِن الضِّيق في المعاش، فأما في الأمر فإنه الضَّيْق،[٨] ومنه قوله: **وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**.[٩] وأما قوله: **حَرَجًا**، فيه لغتان، حَرَج وحَرِج.[١٠] قال القُتَبي: الحَرَج الذي ضاق
٢٢٩و س٣٠] فلم يجد مَنْفَذًا.[١١] وقال أبو عوسجة: الحَرَج الضِّيق، يقال منه: حرِج يحرَج[١٢] حرَجًا فهو حَرِج.*

---

[١] م: في الأخر.

[٢] ك م: من الضعيف.

[٣] ع - ولايته أو يريد.

[٤] ك ن: واختياره.

[٥] مكان وَحْش أي خالٍ، والوَحْش كلّ شيء من دوابّ البرّ مما لا يستأنس (*لسان العرب* لابن منظور، «وحش»). فالمقصود أنه قول غريب بعيد عن الصواب.

[٦] سَمُج الشيء قَبُح، فهو سَمِيج وسَمِج وسَمْج (*لسان العرب* لابن منظور، «سمج»).

[٧] ع: الكيساني.

[٨] اختلف الأئمة السبعة فى تشديد الياء وتخفيفها من قوله: ضيقا، فقرأ ابن كثير وحده: ضَيْقًا، خفيفًا، وقرأ الباقون: ضَيِّقًا، مشدّدًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨.

[٩] سورة النحل، ١٦/١٢٧.

[١٠] اختلف الأئمة السبعة فى فتح الراء وكسرها من قوله: حرجا، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص: حَرَجًا، مفتوحة الراء، وقرأ نافع وعاصم فى رواية أبي بكر: حَرِجًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨.

[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٠.

[١٢] ع: يخرج.

* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية ١٢٧، فقدمناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٨-٣٠.

وصف قلب المؤمن بالسَّعة والفُسْحَة،[1] ووصف قلب[2] الكافر بالضيق والحرج. وليس قلب هذا في رأي العين أوسع من قلب الآخر، لكنه -والله أعلم- وصف قلب المؤمن بالسَّعة لِمَا انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة، والكافر لم ينتفع بقلبه، فوصفه بالضيق والحرج.[3] وهو كما وصف الكافر بالصَّمَم والبَكَم[4] والخَرَس لِمَا لم ينتفع[5] بهذه الحواس؛ وكذلك سمّاه ميتًا لِمَا لم ينتفع بحياته، وسمّى المؤمن حيًّا لِمَا انتفع بحياته؛ فعلى ذلك هذا، وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به.

وقوله عز وجل: **كأنما يَصَّعَّد في السماء**، قيل: كالمتكلف للصعود إلى السماء لا يقدر عليه. وقيل: **كأنما يصعد في السماء**، كأنما يَشُقّ عليه الصعود. ورُوي عن عمر رضى الله عنه أنه قال: ما تَصَعَّدَنِي[6] شيءٌ ما تَصَعَّدَتْنِي[7] الخِطبة، أي ما شَقّ عليّ شيء ما شَقّ عليّ الخِطبة.[8] *يَصَّعَّد [٢٢٩و س٢٧] ويَصَّاعَد ويَصْعَد كلّه لغات،[9] والمعنى واحد.*

وقوله: **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**، اختلف في **الرجس**. قيل: **الرجس** الإثم، أي كما جعل قلوبهم ضيّقة حَرِجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الإثم. وقيل: **الرجس** اللعن والغضب، أي جعل في قلوبهم اللعن والغضب، دليله قوله: قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ.[11]

---

[1] ع: والفسخ؛ م: والفسح.

[2] ع م – قلب.

[3] ن – وليس قلب هذا في رأي العين أوسع من قلب الآخر لكنه والله أعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج.

[4] اختلف في معنى البَكَم، فقيل: البَكَم: الخَرَس مع عِيّ وبَلَه، وقيل: هو الخَرَس ما كان. وقال ثعلب: البَكَم أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر. بَكِم بَكَمًا و بَكَامة، وهو أبْكَم و بَكِيم: أي أخرس بَيِّن الخَرَس. وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢)، قال أبو إسحاق: قيل: معناه أنهم بمنزلة مَن وُلِد أخرس، وقيل: البُكْم هنا المَسْلوبو الأفئدة. قال الأزهري: بَيْن الأخرس و الأبكم فَرْق في كلام العرب، فالأخرس الذي خُلِق ولا نُطْق له كالبهيمة العَجْماء، و الأبكم الذي لِلسانه نُطْق وهو لا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام (*لسان العرب* لابن منظور، «بكم»).

[5] ع: ينتفع.

[6] ن ع: ما تصعد في.

[7] ن ع م: ما تصعد في.

[8] ذكر الطبري بغير إسناد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما تَصَعَّدَنِي شيءٌ ما تَصَعَّدَتْنِي خِطبة النكاح؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٣١/٨. وهكذا ذكره وفسّره في *لسان العرب* لابن منظور، «صعد».

[9] قرأ من السبعة ابن كثير: يَصْعَد، خفيفة ساكنة الصاد بغير ألف؛ وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: يَصَّعَّد، مُشَدَّدة العين بغير ألف؛ وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: يَصَّاعَد، بألف مُشَدَّدة الصاد. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨-٢٦٩.

* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية ١٢٧، فقدمناها هنا. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٧-٢٨.

[11] سورة الأعراف، ٧١/٧.

**﴿وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٢٦]**

وقوله عز وجل: **وهذا صراط ربك مستقيمًا**، لم يُشِر بِ "هذا" إلى شيء. لكن يحتمل قوله: **هذا**، الإسلام الذي سَبَق ذِكرُه أنه يشرح[١] به صدر المؤمن. ويحتمل قوله: **وهذا صراط ربك**، أي الذي[٢] يُدعَى إليه الخَلْق، وهو التوحيد.

وقوله: **قد فصلنا الآيات**، أي بيّنا وأقمنا دلائل التوحيد وحُجَجه، وقد ذكرنا.[٣] **لقوم يذكرون**، أي لقوم يتعظون بالمواعظ. ويحتمل لقوم يقبلون[٤] الدلائل والحُجَج ولا يُكابِرون.

**﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢٧]**

وقوله: **لهم دار السلام عند ربهم**، يحتمل **السلام** اسم الجنة، [أي] لهم الجنة،[٥] كقوله: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[٦] ويحتمل **السلام** هو اسم الله، أي لهم دار الله، وهي الجنة.

وقوله عز وجل: **وهو وليهم بما كانوا يعملون**، قيل: وهو أولى بهم، أي أولى بالمؤمنين،[٧] كقوله: فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا.[٨] ويحتمل قوله: **وهو وليهم**، أي حافظهم وناصرهم، وقد ذكرنا فيما تقدم.*

**﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[١٢٨]**

وقوله عز وجل: **ويوم يحشرهم جميعًا**، يعني مَن تقدّم ذِكرُه من الجن والإنس؛ أو يحشر[١٠] الأولين والآخرين.

---

[١] م: أن يشرح.

[٢] ع م: ربك الذي.

[٣] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٧/٦.

[٤] ك: يتقبلون.

[٥] ع م - لهم الجنة.

[٦] سورة يونس، ٢٥/١٠.

[٧] ك - وهي الجنة وقوله عز وجل وهو وليهم بما كانوا يعملون قيل وهو أولى بهم أي أولى بالمؤمنين.

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾ (سورة النساء، ١٣٥/٤).

* انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥٧/٢. وقد وقعت هنا قطعتان من تفسير الآية ١٢٥، فقدمناهما إلى موضعهما. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٧-٢٨، وسطر ٢٨-٣٠.

[١٠] جميع النسخ: أو نحشر. وقد قرأ عاصم في رواية حفص: يحشرهم، بالياء. وقرأ الباقون من الأئمة السبعة: نحشرهم، بالنون. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٩. فلعل المؤلف فسّر الآية على القراءة بالنون.

**يا معشر الجن،** هو على الإضمار، كأنه قال: **ويوم يحشرهم جميعًا،**[١] الجن والإنس، ثم يقول[٢] للجن:[٣] **يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس،** كقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٤] أي يقولون:[٥] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، فكذلك هذا هو على الإضمار.

وقوله عز وجل: **قد استكثرتم من الإنس،** قال أهل التأويل في قوله: **قد استكثرتم،** أي قد أضللتم كثيرا[٦] **من الإنس،** وهم قد استكثروا من الأتباع من الإنس في عبادة غير الله ومخالفة أمر الله وتوحيده. أو **قد استكثرتم** عبادا **من الإنس.**

**وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض،** اختلف فيه. قال بعضهم: تَعاون بعضُنا ببعض في معصية الله ومخالفة أمره، هؤلاء بالدعاء وأولئك بالإجابة. وقال قائلون:[٧] **ربنا استمتع بعضنا ببعض،** أي انتفع بعضنا ببعض بأنواع المنافع، [مِن ذلك] ما ذُكِر في بعض القصة أن الرجل من الإنس إذا سافر فأدركه المساء بأرض القَفْر[٨] خاف، فيقول: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيأمن في ذلك بالتعوذ إلى سيّدهم، فذلك استمتاع الإنس بالجن، / فذلك قوله:[٩] وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ،[١٠] الآية. [٢٢٩ظ]
وأما[١١] استمتاع الجن بالإنس ما يزداد لهم الذكر والشرف في قومهم، يقولون: لقد سَوَّدَتْنَا الإنس. ويحتمل استمتاع الجن بالإنس ما ذُكِر -إن ثبت- أنه جُعِل طعامُهم العظامَ التي يستعملها الإنس، ويكون ذلك غذاءهم، وعَلَفُ دوابهم أرواث دوابّ الإنس.[١٢] وقال[١٣] الحسن:

---

[١] ن + يا معشر.
[٢] جميع النسخ: ثم نقول.
[٣] ن – للجن.
[٤] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٥] ع م: أي تقولون.
[٦] ع م – أي قد أضللتم كثيرا.
[٧] ن: بعضهم.
[٨] القَفْر الخلاء من الأرض؛ وقيل: القَفْر مَفَازة لا نبات بها ولا ماء (لسان العرب لابن منظور، «قفر»).
[٩] ن ع م – قوله.
[١٠] سورة الجن، ٦/٧٢.
[١١] ع – وأما.
[١٢] ورد حلال حديث طويل عن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع الجن: وسألوه (أي سأل الجن النبي) عن الزاد، فقال: «لكُمْ كلّ عظمٍ ذُكر اسم الله عليه يَقع في أيديكم أَوْفَرَ ما يكون لحمًا، وكلّ بَعْرة عَلَفٌ لدوابّكم» (صحيح مسلم، الصلاة ١٥٠؛ وسنن الترمذي، التفسير سورة ٦).
[١٣] ع: قال.

ما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أنّ الجن أمرت الإنس فعملت.[١] ذكر جواب الإنس[٢] ولم يذكر جواب الجن هُم.

وقوله عز وجل: **وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا**، قيل: الموت. وقيل: البعث يوم القيامة، لأنهم كانوا ينكرون البعث،[٣] فأقرّوا عند ذلك بأنا قد **بلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا** وكنّا كذّبناه. أقرّوا بما كانوا ينكرون.

**قال الله النار مثواكم**، أي مقامكم، **خالدين فيها إلا ما شاء الله**، اختلف فيه. قال الحسن: **إلا ما شاء الله**، وقد شاء[٤] أن يخلدهم في النار. وقال غيره: الاستثناء من وقت البعث إلى وقت الخلود، وهو وقت الحساب، ووقت الحساب هو وقت الثُّنْيا، **خالدين فيها إلا ما شاء الله**، ما داموا في الحساب. وقيل: الاستثناء للمؤمنين الذين اتّبعوهم في فعل المعاصي والجُرُوم[٥] ولم يتبعوهم في الاعتقاد؛ ففيه دليل إدخال المؤمنين النار بالمعاصي والعقوبةِ لهم بقدر معصيتهم، ودليل إخراجهم منها إن ثبت.

وقوله عز وجل: **إلا ما شاء الله**، يحتمل وجوهًا ثلاثة. أحدها أنّ خلود الآخرة أكبر من خلود الدنيا، لأن خلود الدنيا على الانقضاء، وخلود الآخرة ليس[٦] على الانقضاء.[٧] والثاني وقع الثُّنْيا قبل دخولهم في النار. والثالث لمن[٨] لم يتّبعهم في الكفر.

وقوله عز وجل: **إن ربك حكيم**، أي **حكيم** بما حكم ووضع[٩] كل شيء موضعه، **عليم** بذلك.

**﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٢٩]**

وقوله عز وجل: **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون**، الآية تنقض[١٠] على المعتزلة قولهم، لأن الولاية إنما تكون بأفعالهم، ثم أضاف الولاية إلى نفسه، دلّ أنه من الله في ذلك صُنْع،

---

[١] ك م: فعمت؛ ع: فعلت. *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٥٧.

[٢] ع + هم. وجواب الإنس هو قولهم المذكور في الآية: ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾.

[٣] جميع النسخ: بالبعث.

[٤] ن ع م + الله.

[٥] جميع النسخ: والجرم. الجُرُوم والأجرام جمع الجريمة والجُرْم بمعنى الذنب، أمّا الجُرُم فهو جمع الجِرْم بمعنى الحجم (*لسان العرب* لابن منظور، «جرم»).

[٦] ع – ليس.

[٧] م: لا على الانقضاء.

[٨] ع – لمن.

[٩] ع: وضع.

[١٠] ع: ينقص؛ م: ينقض.

وهو أنْ خَلَق سبب الولاية[١] منهم. ثم ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[٢] وذكر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض بقوله: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[٣]

**﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[١٣٠]**

وقوله عز وجل: **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: لم يكن من الجن رسل، إنما كان الرسل من الإنس، لكنه أضاف إلى الفريقين جميعًا، كقوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[٤] وإنما يخرج من أحدهما؛[٥] وكقوله: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا،[٦] وإنما جعل في واحدة منهن،[٧] وكقول الناس: في سبع قبائل مسجد واحد، وإنما يكون في واحد منها[٨] [ويجتمع فيه الناس من سبع قبائل].[٩] وقد يضاف الشيء إلى جماعة والمراد منه[١٠] واحد، فعلى ذلك ما ذكر من إضافة الرسل إلى الإنس والجن. وقال بعضهم: كان من الفريقين جميعًا الرسل، مِن الجن جِنّي ومِن الإنس إنسِي، لأن الجن يستترون من الإنس، وإنما يُرسِل[١١] إلى الإنس رسلاً يَظْهَرُون لهم، فبعث إلى كل فريق الرسول من جوهرهم.

---

[١] ع م – إنما تكون بأفعالهم ثم أضاف الولاية إلى نفسه دل أنه من الله في ذلك صنع وهو أن خلق سبب الولاية.

[٢] سورة التوبة، ٧١/٩.

[٣] سورة المائدة، ٥١/٥. زاد الشارح: «وقال أبو زيد رحمه الله: ﴿نولي بعض الظالمين بعضا﴾ أي نسلط بعضهم على بعض، وقرأ قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾(سورة الزخرف، ٣٦/٤٣)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢و).

[٤] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.

[٥] أي إن الضمير في قوله: منهما، يرجع إلى البحرَين المذكور في الآية السابقة لها: ﴿مَرَج البحرَين يلتقيان﴾ (سورة الرحمن، ١٩/٥٥)، والمقصود بالبحرين -على المشهور- الماء المالح والماء الحلو، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الماء المالح فقط.

[٦] سورة نوح، ١٦/٧١.

[٧] أي في واحدة من السماوات السبع.

[٨] ن ع م: منهما.

[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢و.

[١٠] ع م – منه.

[١١] ن ع م: فإنما يرسل.

وقال بعضهم: كان الرسل من الإنس إلى الفريقين جميعًا، وكان من الجن[1] نذير، كقوله: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،[2] الآية. ذكر النُّذُر منهم ولم يذكر الرسل، ومرتبة النُّذُر دون مرتبة الرسل، كمرتبة الأنبياء من الرسل. ولكن يجوز أن يقوّي الرسل وإن كانوا[3] من الإنس عنى الإظهار[4] لهم،[5] وليس فيما يستترون[6] عنهم مع[7] بعث الرسل إليهم من الإنس. وليس لنا إلى معرفة هذا حاجة، إنما الحاجة إلى معرفة الآيات والحُجَج التي يأتي الرسل [بها]. وقد عجز الخلائق جميعًا عن الإتيان بمثل[8] هذا القرآن، لقوله:[9] قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[10] فقد أعجز الجن والإنس عن[11] أن يأتوا بمثل هذا القرآن وإن كان الجن أقوى على أشياء من الإنس، فدلّ أنه آية. ودلّ عَجْزُ الجن عن ذلك وإن كانوا أقوى على أنّ غيرهم أعجز؛ ألا ترى أنه أنزل هذا القرآن على لسان العرب ثم عجزوا هم[12] عن إتيان مثله، فدلّ عَجْزُهم عن ذلك على أنّ العجم له أعجز. وجائز أنْ يكون الرسل وإن كانوا من الإنس فإن الجن يستمعون من الرسل، فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ إلى قومهم من غير أن يعلم الرسل بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يقصّون عليكم آياتي**، يحتمل يتلون عليكم آياتي. ويحتمل **يقصون عليكم آياتي** يبيّنون لكم آياتي، آيات وحدانيته وألوهيته[13] وآيات البعث الذي تنكرون. **وينذرونكم لقاء يومكم هذا**، أي لقاء يومكم الذي تلقون. ودلّ قوله: **ينذرونكم لقاء يومكم هذا**،

---

[1] م: الحن.

[2] ﴿وإذ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِن الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أَنْصِتُوا فلما قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم مُنْذِرِين﴾ (سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦).

[3] ن ع: وإن كان.

[4] ع: عن الإظهار.

[5] أي يجوز أن يقوّي الله الرسل من الإنس عنى تبليغ أحكام الله للجن وإظهارها هم.

[6] جميع النسخ: لا يستترون.

[7] ن: مع.

[8] جميع النسخ: عن إتيان مثل.

[9] ك: كقوله.

[10] سورة الإسراء، ٨٨/١٧.

[11] ن – عن.

[12] م: ثم عجرهم.

[13] ك ن: الوحدانية والألوهية؛ ع: والألوهية.

عمى أنّ ذلك إنما يقال لهم في الآخرة. **قالوا شهدنا على أنفسنا**، هذا منهم إقرار لِمَا كان منهم من التكذيب، كقوله:[١] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ،[٢] أي **شهدنا على أنفسنا** بأنّا كنّا كذّبنا الرسل في الدنيا بما قالوا وأخبروا.

وقوله عز وجل: **وغرتهم الحياة الدنيا**. إن للدنيا معنيين: ظاهر وباطن، فيكون للظاهر[٣] غُرور، مَن كان نَظَرُه إلى الظاهر[٤] يَغُرّه؛ ولها باطن، ومَن نظر إلى ذلك الباطن يَعِظه. أمّا ظاهرها مِن تَزَيُّنِها[٥] وزُخرفِها، فالكافر نظر إلى ظاهرها فاغترّ بها. وأمّا باطنها فهو انتقالها من حال إلى حال وزوالها وفناؤها. فمَن نظر إلى ذلك الباطن[٦] اتّعظ به ويعلم معناها ويعرف أنها لم تُخلَق[٧] لهذه، ولكن لعاقبةٍ[٨] تُتأمّل. ثم إضافة الغُرور إليها، أي يكون منها ما لو كان ذلك مِن ذي عقل وذهن كان ذلك غُرورًا.

وقوله: **وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**، هذا اعتراف بما كان منهم.

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾[١٣١]

وقوله عز وجل: **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم**، يحتمل قوله: / **ذلك**، [٢٣٠و]
ما تقدّم مِن قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ،[٩] وقوله عز وجل:[١٠] يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا،[١١] ونحوها من الآيات التي ذُكر فيها العتاب. ويحتمل **ذلك**، إشارة إلى الهلاك الذي كان بالأمم الخالية، **أنْ لم يكن يُهلِك القرى بظلمٍ** ظَلَموا [به] أنفسهم إهلاكَ تعذيبٍ واستئصالٍ

---

[١] ن + كقوله.
[٢] سورة الملك، ١١/٦٧.
[٣] ن ع م: الظاهر.
[٤] م: إليه.
[٥] م: من ترتينها.
[٦] ك ن – الباطن.
[٧] ع م: لم يخلق.
[٨] ع م: العاقبة.
[٩] سورة الأنعام، ١٢٨/٦.
[١٠] ن – وقوله عز وجل ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يحتمل قوله وذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقوله عز وجل.
[١١] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.

إلا بعد تَقدُّم الوعيد لهم في ذلك أو سؤالٍ[1] كان منهم بالعذاب.[2] ولا يهلك أيضا وهم **غافلون** عن الظلم والعصيان، لا أنه لا يَسَع، ولكن سنته فيهم أن لا يهلك[3] إلا بعد تَقدُّم ما ذكرنا، لئلا يحتجوا فيقولوا: لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[4] وإن لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مَكَّن لهم[5] ورَكَّب فيهم مما به يعرفون[6] أنه لم يخلقهم ليتركهم **سُدًى**، ولكن خلقهم لعاقبة، لكن سنته قد مضت في الأمم الماضية أن لا يهلك قومًا إهلاكَ **تعذيب** واستئصالٍ إلا بعد ما سبق منه وعيدٌ وإنذارٌ والعلمُ لهم بالظلم وظهورُ العناد منهم والمكابرة والسؤالُ بالعذاب سؤالَ تَعنُّت، وذلك منه فضل ورحمة، لا أنه لا يَسَع ذلك.

**﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٢]**

وقوله عز وجل: **ولكل درجات مما عملوا**، استدلّ بعض الناس بظاهر هذه الآية أن الجن لهم ثواب بالطاعات وعقاب بالمعاصي، لأنه أخبر أنّ لكل منهم[7] درجات مما عملوا. وإنما تقدّم ذِكرُ الفريقين جميعًا بقوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[8] وقوله عز وجل: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا،[9] وقوله:[10] يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[11] ذكر ما كان من الفريقين جميعًا من المعاصي والجُرُوم،[12] فعلى ذلك قوله: **ولكل درجات**، راجع إلى الفريقين جميعًا، لكلٍ درجات منهم، إن عملوا خيرًا فخير وإن عملوا[13] شرًا[14] فشر.

---

[1] ع م: أو سؤالهم.
[2] أي كان إهلاك الأمم الخالية بسبب سؤالهم العذاب والهلاك، كقوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر عينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).
[3] ع: أن يهلك.
[4] سورة القصص، ٤٧/٢٨.
[5] ن – لهم.
[6] ك ن ع: ما يعرفون.
[7] ك – منهم.
[8] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[9] سورة الأنعام، ١٢٨/٦.
[10] ن ع م – وقوله.
[11] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.
[12] جميع النسخ: والحرم. الجُرُوم والأجرام جمع الجريمة والجُرْم بمعنى الذنب، أمّا الجِرْم فهو جمع الجِرْم بمعنى الحجم (*لسان العرب* لابن منظور، «جرم»).
[13] ك – وإن عملوا.
[14] ك: وشرا.

وبه[١] قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله. واحتجّوا لأبي حنيفة رحمه الله[٢] أنّ قوله: **ولكل درجات**، إنما ذكر على أثر آيات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين، فعلى ذلك[٣] قوله: **ولكل درجات مما عملوا**، يكون لهم هذا الوعيد خاصة، ويكون قوله: **ولكل درجات**، أي دَرَكات ومراتب[٤] من العذاب والعقاب[٥] مما عملوا من المعاصي والتكذيب للرسل. ولأن الثواب[٦] لرومه لزوم فضلٍ ومِنّةٍ، والعذاب توجبه[٧] الحكمة، لأن في الحكمة أن يعاقب من عصاه وخالف أمره؛ وأما الثواب فوجوبه الفضل، لأنه كان من الله إلى الخَلْق من النِّعَم والإحسان ما لو جَهَدوا كلَّ جَهْدهم[٨] ما قدروا على أن يؤدّوا شكر واحدٍ مِن ذلك، فتكون طاعتهم[٩] شكرًا لِمَا أنعم عليهم، فإذا كان كذلك لا يكون لأعمالهم ثواب[١٠] إلا بالبيان من الله، كما لا يقال للملائكة: إنّ لهم ثوابًا.

وقوله عز وجل: **وما ربك بغافل عما يعملون**، يحتمل وجهين. **وما ربك بغافل** عن أعمالهم التي يعملونها في معصية الله تعالى، ولكن يؤخر[١١] تعذيبهم رحمةً منه، وهو كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ،[١٢] الآية. والثاني عن عِلمٍ بأعمالهم وصنيعهم خَلَقهم لا عن جهلٍ، لكن خَلَقهم على عِلمٍ بذلك، لِمَا ضَرَرُ أعمالهِم[١٣] ومَنافعُها تَرجِع إليهم لا إليه.

**﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[١٣٣]**

وقوله عز وجل: **وربك الغني ذو الرحمة**، هذا يردّ على الثَّنَوِيّة مذهبهم، لأنهم يقولون:

---

[١] ك - وبه.
[٢] «فإنه يقول: ليس للجن ثواب بالطاعات، ولكن عليهم العقاب بالمعاصي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢ظ).
[٣] ع م - ذلك.
[٤] ك ن: وفضائل؛ ع: أي درجات وفضائل.
[٥] ع: والعقات.
[٦] ك: لأن الثواب.
[٧] ع: توجيه.
[٨] ع: كل جهدوهم.
[٩] ك: فيكون طاعاتهم.
[١٠] ك: ثوابا.
[١١] ن ع م: تؤخر.
[١٢] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[١٣] ع: أعمالكم.

إنه إنما خلق الخلائق لمنافع نفسه، لأنه ليس بحكيمٍ[1] مَن فَعَل[2] فِعلاً[3] لا يقصد منفعة نفسه، فأخبر عز وجل أنه غني بذاته. وإنما يقصد [أحدُ] قَصْدَ المنفعة بفعله[4] لحاجةٍ تَقَع له[5] وضرورةٍ تُصِيبه، فيقصدُ[6] بالفعل قَصْدَ قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه. فأما الله سبحانه هو الغني بذاته،[7] إنما خَلَق الخلائق لمنافع[8] أنفسهم، وهو غني عن خَلْقه على ما أخبر.

وقوله عز وجل: **وربك الغني**، يحتمل **الغني** عن تعذيب أولئك الكفرة، أي لا لمنفعةٍ له في تعذيبهم يعذّبهم أو لحاجةٍ له، ولكن الحكمة توجب ذلك. أو أنْ يكون صلة قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[9] يقول: لم يرسل إليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم[10] لحاجة نفسه أو لمنفعةٍ له، إذ هو غني بذاته.

وقوله عز وجل: **ذو الرحمة**، يحتمل وجهين. يحتمل **ذو الرحمة**، فلا يعجل عليهم بالعقوبة. والثاني **ذو الرحمة**، لِمَا خَلَق الخلائق، وجعل لبعض ببعض الانتفاع بهم والاستمتاعَ، وإنما خلقهم لمنافع أنفسهم. ويحتمل قوله: **ذو الرحمة**، لمن قَبِل[11] رحمتَه وصار أهلاً لها، فأمّا مَن لم يَقبل رحمتَه فإنه ذو انتقام منه.

وقوله عز وجل: **إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء**، لأنه غني بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه أو لحاجته، إن شاء[12] أَذْهَبَكم واستخلف غيركم، ولو كان خَلْقُه[13] الخَلْقَ لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم. **ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين**،

---

[1] ع: بحكم.

[2] م – ضرر أعمالهم ومنافعها ترجع إليهم لا إليه وقوله عز وجل وربك الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لأنهم يقولون إنه إنما حنق الخلائق لمنافع نفسه لأنه ليس بحكيم من فعل.

[3] م: افعلا.

[4] ن: بقلعه.

[5] م: نفع له.

[6] جميع النسخ: يقصد.

[7] ع – وإنما يقصد قصد المنفعة بفعله لحاجة تقع له وضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فأما الله سبحانه هو الغني بذاته.

[8] ع: لمنافعهم.

[9] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.

[10] م – بالذي امتحنكم.

[11] جميع النسخ: من قبل.

[12] ك: إنشاء.

[13] ع: حنقة.

يخبر عن غناه عنهم[١] وعن سلطانه وقدرته، أنه يقدر على إهلاككم واستئصالكم وإنشاء قوم آخرين. كان خلق الخلائق من جواهر مختلفة لا تَوالُد[٢] فيهم، ثم جعل في الآخِر التَّوالُد والتَّناسُل ويستخلف بعضًا[٣] من بعض بالتَّوالُد والتَّناسُل.[٤]

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[١٣٤]

وقوله عز وجل: **إن ما توعدون لآت**، من الوعد والوعيد. أو أنْ يكون قوله: **إن ما توعدون**، مِن النصر لرسوله والمعونة له، **لآت**، وكائن. **وما أنتم بمعجزين**، قيل: بفائتين ربّكم. وقيل: وما أنتم بسابقين[٥] الله بأعمالكم الخبيثة حتى لا يجزيكم[٦] الله بها. وأصله: **وما أنتم بمعجزين**، أي لا تُعجِزون[٧] ربّكم عن تعذيبكم وعقوبتكم.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[١٣٥]

وقوله عز وجل: **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم**، قيل على جَدِيلَتِكم،[٨] وقيل: على منازلكم[٩] وحدودكم.[١٠] ولكن تأويله -والله أعلم- **اعملوا على مكانتكم**، أي على ما أنتم[١١] عليه. ثم يحتمل هذا وجوها. يحتمل **اعملوا على مكانتكم**، أي على ما أنتم / عليه مِن أمر الدين،[١٢] **إني عامل**، على ما أنا عليه مِن أمر الدين، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[١٣] [٢٣٠ظ]

---

[١] ن - عنهم.

[٢] ن: ولا توالد.

[٣] جميع النسخ: بعض.

[٤] أي خلق الله الخلق من جواهر مختلفة وليس في هذه الجواهر نفسها توالد وتناسل، ولكن الخلق الذي خُلِق من هذه الجواهر جعل الله فيه التوالد والتناسل، مما يدل على قدرته تعالى.

[٥] ع م: سابقين.

[٦] ن: لا يخزيكم؛ م: لا يجزئكم.

[٧] ع: لا يعجزون.

[٨] يقال: القوم على جَدِيلة أَمْرِهم، أي على حالهم الأول، وما زال على جَدِيئةٍ واحدة، أي على حال واحدة وطريقة واحدة (*لسان العرب* لابن منظور، «جدل»).

[٩] ع: على منازع لكم.

[١٠] جميع النسخ: وحدتكم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة، ٢٧٣و.

[١١] ع م: أي ما أنتم.

[١٢] ع: الدنيا.

[١٣] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.

ويحتمل أن يكونوا همّوا أن يمكروا برسول الله، فيقال: امكروا بي إني ماكر بكم، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ.[1] ويحتمل أن يكونوا يطلبون الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه، كقوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ.[2] هذه الكلمة تُستعمَل في انتهاء المكابرة نهايتها ووجود المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والآيات، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.

وقوله عز وجل: **فسوف تعلمون**، يحتمل قوله:[3] **فسوف تعلمون من تكون له العاقبة**. ويحتمل **فسوف تعلمون** بالهلاك مَن كان مُحِقًّا بالوعيد. أو سوف تعلمون مَن المُحِقّ مِنّا مما أُوعِد[4] وخُوِّف.

وقوله عز وجل: **إنه لا يفلح الظالمون**، يحتمل **لا يفلح الظالمون** ما داموا في ظلمهم. ويحتمل أن يكون ذلك في قوم[5] مخصوصين.[6] ويحتمل:[7] في الآخرة **لا يفلح الظالمون**.

**﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[١٣٦]

وقوله عز وجل: **وجعلوا لله**، الآية، يخبر عز وجل عن سَفَهِهم مِن وجوه. أحدها أنهم كانوا يجعلون لله نصيبًا مما كان لله ذلك في الحقيقة، مع علمهم أن الله هو الذي أنشأ لهم تلك الأشياء وهو ذرأها، ثم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا.[8] يُسَفِّهُهم أنهم إذا علموا أن الله هو الذي ذرأ لهم[9] تلك الأشياء[10] وأنشأها لهم[11] فإليه الاختيار في جعل ذلك لا إليهم، إذ علموا[12] أنهم إنما يملكون هم بجعل الله لهم، وهو المالك عليها حقيقة.

---

[1] سورة الأنفال، ٨/٣٠.
[2] سورة هود، ١١/٥٥.
[3] ن ع م – قوله.
[4] ن: منا أوعد.
[5] ع م – في قوم.
[6] ع: مخصوصين في؛ م + في قوم.
[7] ع: يحتمل.
[8] ك – وللأصنام نصيبًا.
[9] ع: ذرأ لكم.
[10] ن – وهو ذرأها ثم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا يسفههم أنهم إذا علموا أن الله هو الذي ذرأ لهم تلك الأشياء.
[11] ع: أو أنشأ لهم؛ م: وأنشأ لهم.
[12] ك ن: إذا علموا.

والثاني ما يبيّن سَفَهَهم أيضًا أنهم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا من الثمار والحروث وغيرها، ثم إذا وقع شيءٌ[١] مما جعلوا لله[٢] وخالط مما جَزَّءُوا[٣] وجعلوه لشركائهم[٤] تركوه، وإذا خالط شيءٌ مما جعلوا لشركائهم ووقع فيما جعلوه لله أخذوه وردّوه على شركائهم، وانتفعوا به. وتركوا الآخر للأصنام، إيثارًا للأصنام[٥] عليه وإعظامًا لها. وإذا زَكَا نصيب الأصنام ونَمَا ولم يَزْكُ[٦] نصيب الله ولم يَنْمُ[٧] تركوا ذلك للأصنام، ويقولون: لو شاء الله لأزْكَى نصيبه، وإذا زَكَا الذي كانوا يجعلون لله ولا يَزْكُو[٨] نصيب الأصنام أخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين وبين الأصنام تصفين. يُسَفِّهُهم عز وجل في صنيعهم[٩] الذي يصنعون، ويبيّن عن جوهرهم بإيثارهم الأصنام وإعظامهم إياها والتفضيل في القسمة والتجزئة، مع علمهم أن الله هو الذي ذرأ ذلك وأنشأه[١٠] لهم، وأنّ الأصنام التي أشركوها في أموالهم وعبادتهم لله لا يملكون من ذلك شيئًا. فذلك[١١] منهم سَفَه وجَوْر حيث أشركوا في أموالهم وعبادتهم مع الله أحدًا لا يستحق من ذلك[١٢] شيئًا. وهو كما جعلوا لله البنات، وهم كانوا يأنفون عن البنات، كقوله: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى،[١٣] الآية، فقال: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ،[١٤] وقال: تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى،[١٥] تأنفون أنتم عن البنات وتضيفونهن[١٦] إليه، فهو إذًا جَوْر وظلم. فعلى ذلك تفضيل الأصنام في القسمة وإيثارهم إياها على الله وإشراكهم مع الله -مع علمهم أنه كان جميع ذلك بالله وهو أنشأ لهم- جَوْر وسَفَه.

ثم أخبر أنهم **ساء ما يحكمون**، أي بئس الحكم حكمهم.

---

[١] م - شيء.
[٢] جميع النسخ + شيئًا.
[٣] م: جزاء.
[٤] ع: شركائهم.
[٥] ع - إيثارًا للأصنام.
[٦] ع م: ولم يترك.
[٧] ك: ولم ينموا؛ ن: ولم ينمو.
[٨] ن ع م: ولا يزكوا.
[٩] م: بصنيعهم.
[١٠] جميع النسخ: وأنشأ.
[١١] ع م - فذلك.
[١٢] جميع النسخ: بذلك.
[١٣] ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مُسْوَدًّا وهو كظيم﴾ (سورة النحل، ٥٨/١٦).
[١٤] سورة طور، ٣٩/٥٢.
[١٥] سورة النجم، ٢٢/٥٣.
[١٦] جميع النسخ: وتضيفون.

﴿وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١٣٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك زين لكثير من المشركين**، أي كما زيّن لهم جَعْل النصيب للأصنام والتجزئة لها وصَرْفَ ما خَلَق الله لهم عنه إلى الأصنام، كذلك زيّن لهم **قتل أولادهم**. أو كما زيّن لهم تحريم ما أحل الله لهم من السائبة والوصيلة والحامي[١] كذلك زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم. وأصله أنّ الشفقة التي جَعَل الله في الخَلْق لأولادهم والرحمةَ التي جُبِلت[٢] طبائعهم[٣] عليها تمنعهم عن قتلهم، وخاصّة أولادهم الضعفاء والصغار، وكذلك الشهوة التي خلق فيهم تمنعهم عن تحريم ما أحلّ الله لهم. لكن ذلك زَيَّن لهم شركاؤهم وحَسّنوا عليهم تحريمَ ما أُحلّ لهم وقَتْلَ أولادِهم، فما حَسَّن عليهم الشركاءُ وزَيّن لهم مِن تحريمِ ما أحلّ لهم وقَتْلِ أولادِهم غَلَب على الشفقة التي جُعِلت[٤] فيهم والشهوة التي خُلِق ومُكِّن فيهم.

ثم اختلف في الشركاء. قال بعضهم: **شركاؤهم** شياطينهم التي تدعوهم إلى ذلك. وقيل: **شركاؤهم** كبراؤهم ورؤساؤهم الذين[٥] يستتبعونهم.

ثم يحتمل قَتْلُ الكُبرَاء أولادَهم تكبرًا منهم وتجبرًا، لأنهم كانوا يأنفون عن أولادهم الإناث؛ وقَتْلُ الأتباع مَخَافةَ العَيْلة والفقر.

وقوله عز وجل: **لِيُرْدُوهم**، قيل: ليهلكوهم، أنهم[٦] كانوا يقصدون في التحسين والتزيين[٧] الإرداء والإهلاك،[٨] وإن كانوا يُرُونَهم[٩] في ذلك الشفقة. وكذلك كانوا يقصدون بالتزيين تلبيس[١٠] الدين عليهم.

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[٢] ع: جلبت.
[٣] ك: طباعهم.
[٤] ن ع م: جبت.
[٥] م – الذين.
[٦] أي لأنهم...
[٧] ك ن: في التزيين والتحسين.
[٨] م: الإهلاك.
[٩] ن: يرون هم.
[١٠] م: تلبس.

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله ما فعلوه**، يحتمل وجوها. قال بعضهم: لو شاء الله لأهلكهم فلم يفعلوا ذلك. وقيل: لأعجزهم ومنعهم عن ذلك، كقوله: وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ.[١] وقيل: **ولو شاء الله ما فعلوه**، أي لأراهم قُبْحَ فعلهم حتى لم يفعلوا. وأصله أنه إذا علم منهم أنهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين ولَبْسِ[٢] الدين عليهم شاء ما فعلوا واختاروا. وقد ذكرنا[٣] ذلك في غير موضع.[٤]

وقوله عز وجل: **فذرهم وما يفترون**، أي ذرهم ولا تكافئهم بإفترائهم على الله. ويحتمل ذرهم وما يفترون، فإن الله يكافئهم ولا يفوتون. ويحتمل ذرهم وما يفترون، فإنّ ضرر ذلك الافتراء عليهم،[٥] ليس علينا ولا عليك. والله أعلم بذلك.[٦]

**﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١٣٨]**

[٢٣١و] وقوله عز وجل: **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر / لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم**، قيل: هذه الآية[٧] صلة قوله: وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[٨] هذا الذي جعلوا للشركاء هو الحِجْر الذي ذكر في هذه الآية، لأنهم كانوا لا ينتفعون[٩] بذلك ويحرّمونه. وهو **حِجْر**. وأصل الحِجْر المنع. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الحِجْر ما حرّموا[١٠] مِن أشياء مِن الوصيلة والسائبة والحامي،[١١] وتحريمهم ما حرّموا مِن أشياء.[١٢] كانوا يُحِلّون[١٣] أشياء حرّمها الله ويحَرِّمون أشياء أحلّها الله في الجاهلية من الحرث والأنعام.

---

[١] ﴿ولو نشاء لطَمَسْنا على أعينهم فاستَبَقُوا الصراط فأنّى يُبصِرون﴾ (سورة يس، ٦٦/٣٦).
[٢] ن ع: وليس.
[٣] ع م: قد ذكرنا.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[٥] ن – ويحتمل ذرهم وما يفترون فإن الله يكافئهم ولا يفوتون ويحتمل ذرهم وما يفترون فإن ضرر ذلك الافتراء عليهم.
[٦] ن – بذلك.
[٧] ع: الآيات.
[٨] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[٩] ع م: ينتفعون.
[١٠] ك ع م + أنفسهم.
[١١] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[١٢] *تفسير الطبري*، ٤٦/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٤/٣.
[١٣] ن: يجعلون.

وفي حرف أُبي وابن عباس رضى الله عنهما: حِرْج، على تأخير الجيم وتقديم الراء.[١] وعن الحسن: حُجْر، برفع الحاء.[٢] وأصل الحِجْر المنع، ممنوع: محجور، يقال: حجرت عليه أي منعته. والحِجْر أيضا موضع بمكّة. والاحتجار الإستئثار،[٣] وهو أن يأخذ[٤] الشيء ولا يعطي[٥] منه أحدًا شيئًا.

وقوله[٦] عز وجل: **لا يَطْعَمُها إلا من نشاء بزَعْمهم**، قال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء**، يعني **لا يطعمها إلا من** يشاء الله **بزعمهم**،[٧] لأنهم[٨] كانوا يحرّمون أشياء ويأتون[٩] بفواحش،[١٠] فيقولون: إن الله أمرهم بذلك، كقوله في الأعراف: **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.**[١١] وقال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء بزعمهم**، يعني الذين سَنُّوا لهم، أي **لا يطعمها إلا من** يشاء[١٢] أولئك الذين سَنُّوا لهم[١٣] ذلك وحرّموا ذلك على نسائهم، على ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن شئتُ قد ذكرت لكم أوّل مَن بدّل دين إسماعيل، وبَحر البَحِيرة والسائبة»؛[١٤] فعلى ذلك أضافوا المشيئة إلى أولئك الذين سَنُّوا لهم ذلك وحرّموا[١٥] على نسائهم[١٦] وأحلّوا لذكورهم. وقال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء**، هؤلاء الرجال، كانت مضافة إلى الرجال دون النساء. وفي ذلك تسفيه أحلامهم،

---

[١] لقراءة أُبي انظر: *تفسير القرطبي*، ٩٤/٧؛ ولقراءة ابن عباس انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٤/٣.

[٢] *تفسير القرطبي*، ٩٤/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٥/٣. وهذه القراءات كلها بمعنى واحد. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥/٨.

[٣] ك: والاستيثار.

[٤] ك: أن تأخذ.

[٥] ك: ولا تعطي.

[٦] ن + وقوله.

[٧] ع م – بزعمهم.

[٨] ع: أنهم.

[٩] ك + أشياء.

[١٠] ك: فواحش.

[١١] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[١٢] ن ع م: من نشاء؛ ع م + قد ذكرت لكم أول من بدل دين إسمعيل وبحر البحيرة والسائبة.

[١٣] ع م – لهم.

[١٤] قال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر بن لُحَيّ الخُزاعي يجرّ قُصْبه (أي أمعاءه) في النار، وكان أوّل من سيّب السوائب» (*صحيح البخاري*، المناقب ٩؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ٥١). وزاد في رواية: «...وبَحر البَحِيرة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٦/٢). وانظر لتفسير البحيرة والسائبة تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.

[١٥] م + وحرموا.

[١٦] ك ن ع: على إناثهم.

لأنهم كانوا[١] ينكرون الرسالة لمكان ما يُحَرمون من الطيبات،[٢] ثم يتّبعون[٣] الذي حرّم عليهم الطيبات التي أحلّها[٤] الله لهم من البحيرة والسائبة ونحوهما.

وقوله: **وأنعامٌ حُرّمت ظهورها**، هو ما ذكر من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وهو الحِجْر الذي ذكر في هذه الآية، يجعلون تلك الأشياء لشركائهم لا ينتفعون بها.

وقوله عز وجل: **وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **لا يذكرون اسم الله عليها**، أي لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله وليشكروا[٥] الله عليها. وقيل: **لا يذكرون اسم الله عليها**، أي لا يذبحون للأكل ولا يذكرون اسم الله عليها. ويحتمل **لا يذكرون اسم الله عليها** وقت الركوب كما يُذكَر اسم الله عليها وقت الركوب، وهو قوله: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا،[٦] الآية،[٧] لأنهم كانوا لا يركبونها ولكن يُسَيِّبُونها. وقيل: لا يحجّون عليها. والأول كأنه أقرب، كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها.

وقوله عز وجل: **افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون**، بأن الله أمرهم بذلك، وهو حرّم عليهم، وهو أحلّ، فذلك هو الافتراء على الله. أو بما أشركوا شركاءهم في عبادة الله وفي نِعَمِه.

**﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾**[١٣٩]

وقوله عز وجل:[٨] **وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا**، قيل: هو صلة قوله: وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ،[٩] يحرّمون على النساء ويحلّون للرجال،[١٠]

---

[١] ن ع م – كانوا.
[٢] أي على زعمهم أن الرسول يحرم عليهم الطيبات.
[٣] ثم يتبغون.
[٤] ع: أحلها.
[٥] جميع النسخ: ليشكروا.
[٦] ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (سورة الزخرف، ١٢/٤٣–١٤). وروي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبّر ثلاثا ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾... (*صحيح مسلم*، الحج ٤٢٥؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٤٦).
[٧] ن ع م – الآية.
[٨] ك ن م – وقوله عز وجل.
[٩] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[١٠] ع: الرجال.

يعني إذا ولدوا أحياء كان ينتفع[1] بذلك رجالهم دون نسائهم، وإذا ولدوا ميتًا اشتركوا فيه: الإناث والذكور. يذكر في هذا كلّه سَفَهَ أولئك في صنيعهم. ويذكر في قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ،[2] إلى آخره، مِنَنَه[3] ونِعَمَه[4] التي أنعم عليهم.

وقوله عز وجل: **سيجزيهم وصفهم**، أي افتراءهم على الله وتحريمهم ما أحلّ الله لهم وتحليلهم ما حرّم عليهم.

**﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١٤٠]**

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء**، أخبر أنهم قد خسروا بقتلهم الأولاد وتحريمهم[5] ما أحلّ لهم ورزقهم. **قد ضلوا وما كانوا مهتدين**. *وبالله الهداية والرشاد.*

**﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٤١]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات**، ذكر هذا -والله أعلم- مقابل ما كان منهم من تحريم ما أحلّ الله لهم ورزقهم من الحرث والزرع[6] والأنعام والانتفاع بها، فقال: **أنشأ جنات** وبساتين مَن تأمّل[7] فيها وتفكّر عرف أنّ مُنشِئَها مالكٌ حكيمٌ مُدَبِّرٌ، لأنه يُنبتها ويُخرجها من الأرض في لحظة، ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها أنْ كيف خرج وكم خرج وأيّ قَدْرٍ نَبَت[8] ما قَدَروا على ذلك، كقوله: وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ.[9]

---

[1] ك: كانوا ينتفعوا.
[2] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[3] ن: منة؛ ع م - منته.
[4] ن: ونعمة.
[5] ك ن: وتحريم.
[6] ن - والزرع.
[7] م: ما تأمل.
[8] ع: ثبت.
[9] سورة الحجر، ١٩/١٥.

ويُخرج مِن الوَرْدِ[1] والثمار على ميزان واحد ما لو جَهَدوا كل الجَهْد أن يعرفوا الفضل والتفاوت بين الأوراق والثمار ما قدروا وما وجدوا فيها تَفاوُتًا. ويُخرج أيضًا كلّ عامٍ من الثمار والأوراق ما يشبه العام الأول. فدلّ ذلك كلّه أنّ مُنشئها ومُحْدثها مالكٌ حكيم وَضَعَ كلّ شيءٍ مَوْضِعَه، وأنّ ما أنشأ أنشأ لحكمةٍ[2] وتدبيرٍ لم ينشئها عبثًا، فله الحكم والتدبير في الحلّ والحرمة والقسمة، ليس لأحدٍ دونه حكمٌ ولا تدبيرٌ في التحريم والتحليل [فيقولَ]:[3] هذا حلال وهذا حرام،[4] وهذا لهذا وهذا لهذا، / إنما ذلك إلى مالكها. فخرج هذا -والله أعلم- مقابل ما كان [٢٣١ظ] منهم من قوله: وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ،[5] وقوله: هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ[6] وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا،[7] وقوله تعالى: وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ،[8] وغير ذلك من الآيات التي كان فيها ذِكْرُ تَحَكُّمِهم على الله وإشراكُ أنفسِهم في حُكمِه.[9]

ثم اختلف في قوله: **معروشات وغيرَ معروشات**، قيل: **معروشات** مبسوطات، ما يَنبُتُ[10] مُنبَسِطًا على وجه الأرض، **وغيرَ معروشات** ما يقوم بِساقِه لا ينبسط على الأرض. وقيل: **معروشاتٍ** ما يُتَّخَذ له العَريش[11] من نحو العُرْجُون[12] والقَرْع[13] وغيره، **وغير معروشات** ما لا يقع الحاجة إلى العَرِيش[14] من نحو النخيل والأشجار المثمرة، وهما واحد.

[1] ك: من الفرد.
[2] ن: الحكمة.
[3] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٤ظ.
[4] ك: هذا حرام وهذا حلال.
[5] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[6] ع م - وقوله هذا لله بزعمهم.
[7] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[8] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[9] ن: في حكمة.
[10] ن ع م: ما تنبت.
[11] عَرَش الكَرْم يَعرِشه و يَعرُشه عَرْشا و عُرُوشا وعَرَّشه: عمل له عَرْشا، وعَرَّشه إذا عَطَف العِيدان التي تُرسَل عليها قُضبان الكَرْم، والواحد عَرْش والجمع عُروش، ويقال: عَريش وجمعه عُرُش (*لسان العرب* لابن منظور، «عرش»).
[12] العُرجُون نَبْت أبيض، والعُرجُون أيضا ضَرْب من الكَمْأة، والعُرجُون العُود الصغير الحامل للثمار في الشجرة (*لسان العرب* لابن منظور، «عرجن»).
[13] القَرْع هو الدُّبّاء، نَبْت معروف يؤكل (*لسان العرب* لابن منظور، «قرع»).
[14] جميع النسخ: إلى العرش.

وقيل: على القَلْب، **معروشاتٍ** ما تقوم[1] بساقها، **وغيرَ معروشات** ما لا ساق له. ***والله أعلم.*** وتفسيره[2] ما ذكر على أثره: **والنخلَ والزرعَ مختلفا أكُلُه والزيتون والرمّان متشابها وغيرَ متشابه،** منها ما يكون متشابهًا في اللون مختلفًا في الأكل[3] والطعم، ومنها ما يكون مختلفًا في اللون والمنظر متشابهًا في الطعم والأكل، ليعلموا أنّ مُنشِئها واحد، وأنه حكيمٌ أنشأها على حكمةٍ، وأنه مُدَبِّرٌ أنشأها عن تدبيرٍ لم ينشئها عبثًا. ومن الناس[4] من يقول: إن قوله: **متشابها [وغير متشابه]،** في الذي ذكر، وهو الرمان والزيتون، لأن ورقهما متشابه والثمرة مختلفة. ومنهم من يقول: فيهما وفي غيرهما. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **كلوا من ثمره إذا أثمر،** كأنه قال: كلوا من ثمره إذا أثمر ولا تحرّموا، خرج على مقابلة ما كان[5] منهم من التحريم، أي كلوا منها ولا تحرّموا لِيَضِيع[6] ويَفسُد.

وقوله عز وجل: **وآتوا حقه يوم حصاده،** ذكر عز وجل الإيتاء مما يُحْصَد بعد ذكر النخيل والزرع[7] والزيتون والرمان، حَبًّا وغير حَب، وما يقع في الكيل وما لا يقع، مُجمَلاً عامًّا، ولم يَفصِل بين قليله وكثيره. ففيه دلالة وجوب الصدقة والعُشر في قليل ما تُخرِج[8] الأرضُ وكثيرِه. وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ،[9] وحديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «في كلّ ما أخرجت الأرضُ العُشرُ أو نِصف العُشر»،[10] وحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى أهل اليمن بذلك،[11]

---

[1] ك: ما يقوم.
[2] جميع النسخ: وتعريشه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٤و.
[3] ن: في الكل.
[4] ك: من الناس.
[5] ن – ما كان.
[6] ع: البضيع.
[7] ك: والزروع.
[8] ن: ما يخرج.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٧).
[10] لم أجد ذلك، لكن روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا العُشر، وما سُقِي بالنَّضح نصف العُشر» (*صحيح البخاري*، الزكاة ٥٥؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ١٢؛ وسنن *الترمذي*، الزكاة ١٤). وقوله: عَثَرِيًّا، أي ما يُسقَى بماء المطر وبلا تعب، وهو من عَثَرِيّ النخل، سُمّي به لأنه لا يحتاج في سَقيِه إلى تعب بِدَالِيَة وغيرها، كأنه عَثَر على الماء عَثْرًا بلا عمل من صاحبه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عثر»). والنَّضح سقي الزرع باستعمال الإبل (*لسان العرب* لابن منظور، «نضح»).
[11] لم أجده هكذا، لكن انظر: الحاشية السابقة.

وما رُوي عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في كلّ[1] ما أَخرَجت الأرضُ قليلِه وكثيرِه العُشرُ»،[2] وخبر مُعاذ قال: بعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليَمَن، فأمرني أن آخذ من [كل] حالم[3] دينارًا أو عِدلَه مَعَافِر، وأمرني أن آخذ [من البقر] من كلّ أربعين مُسِنة، ومن كلّ ثلاثين تَبِيعًا، ومن كلّ ما سَقَت السماءُ العُشرَ، وما سُقِي بالدوالي[4] نِصف العُشر.[5] إلى هذا كلّه يذهب أبو حنيفة رحمه الله، ويوجب الصدقة في قليل الخارج من الأرض وكثيره.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل الحقّ الذي ذكره الله في قوله: **وآتوا حقه يوم حصاده**. قال قوم: هي صدقةٌ سِوَى الزكاة، واحتجوا بأن الآية مكّية، وأنّ الزكاة فُرِضت بالمدينة، وهي منسوخة بآية الزكاة. وقال قوم: هي الزكاة، فإنْ نُسِخ إنما نُسِخ[6] قَدْرُها، لم يُنسَخ الحقّ رأسًا، لأنهم كانوا يتصدّقون بالكلّ، فإنْ نُسِخ[7] إنما نُسِخ[8] بآية الزكاة قَدْرُها؛ ألا ترى أنه قال في آخره:[9] **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**. والإسراف في اللغة هو المجاوزة عن الحدّ الذي حدّ له، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا.[10]

---

[1] ع م – كل.

[2] ورواه أبو مُطيع البَلْخي مرفوعا بلفظ: «فيما سقت السماء العشر، وفيما سُقِي بنَضْح أو غَرْب نصف العشر، في قليله وكثيره»، وإسناده ضعيف جدا. وروى عبد الرزاق عن عمر بن عبد العزيز قال: فيما أنبتت الأرض من قليل أو كثير العُشر. انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣٨٥/٢؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢٦٣/١. والغَرْب الدَّلْو العظيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «غرب»).

[3] ك: من حاكم.

[4] ك: بالذيالي؛ ن: بالديالي؛ ع م: بالدبالي.

[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٣/٥. وروي بعضه في *سنن أبي داود*، الزكاة ٤؛ و*سنن ابن ماجة*، الزكاة ١٧؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٥. ولفظ أبي داود يفسر بعض ألفاظ الحديث الغريبة: عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمّا وجّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من البقر من كلّ ثلاثين تَبيعا أو تبيعة، ومن كل أربعين مُسِنة، ومن كلّ حالِم يعني محتلِما، دينارا أو عِدلَه من المَعافِر ثياب تكون باليَمَن. أما بقية ألفاظ الحديث فالتبيع من البقر هو الذي أكمل سنة واحدة، والمسنة هي التي خرجت ثَنِيّتها في السنة الثالثة، وليس معنى إسنانها كِبَرها كالرجل المُسِن، ولكن معناه طلوع سِنّها في السنة الثالثة (*لسان العرب* لابن منظور، «تبع، سن»). وقد تكرر ذكر العِدْل والعَدْل بالكسر والفتح في الأحاديث، وهما بمعنى المِثل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل: العكس (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عدل»). الدوالي جمع الدالِيَة وهي شيء يُتّخذ من خُوص وخشب يُستَقى به بحبال تُشَدّ في رأس جِذْع طويل (*لسان العرب* لابن منظور، «دلو»).

[6] ع م – إنما نسخ.

[7] ع م: فما نسخ.

[8] ك: إنما ينسخ.

[9] ك: في آية أخرى.

[10] سورة الفرقان، ٦٧/٢٥.

وقيل في قوله: **ولا تسرفوا**، أي لا تمنعوا الكلّ، ولكن كُلُوا بعضه وآتوا حقّه من بعضه. وقيل: الإسراف هاهنا هو الشرك،[1] كأنه قال: ولا تشركوا آلهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والأنعام فتحرّمونه[2] ولا تنتفعون به، والإسراف هو الذي لا ينتفع به أحد، وما كانوا جعلوا لشركائهم لا ينتفعون به هم ولا انتفع به أحد. يكون مقابل قوله:[3] ﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾[4] الآية. وأما أبو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان إلى ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس فيما دون خمسة أَوْسُقٍ صدقة، ولا فيما دون خمس ذَوْدٍ صدقة، ولا فيما دون خمسة أَوَاقٍ صدقة»،[5] وعن أبي سعيد الخدري[6] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صدقة في الزرع ولا في الكَرْم ولا في النخل إلا ما بلغ خمسة أَوْسُق»،[7] وذلك مائة فَرَق؛[8] وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو[9] وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله،[10] وما رَوى موسى بن طلحة[11] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في الخَضْراوات[12] صدقة»،[13] وعن عمر مثله،

---

[1] ع: الشراك.

[2] ع م: فتحرمون.

[3] ن: قول.

[4] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.

[5] صحيح *البخاري*، الزكاة ٤٤؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١-٥. والأوسُق جمع وَسْق، وهو ستون صاعا؛ والذَّوْد القَطِيع من الإبل الثلاث إلى التسع، وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور (*لسان العرب* لابن منظور، «وسق، ذود»). والأواق جمع أوقية، وتوزن بها الفضة.

[6] ع م – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمسة أواق صدقة وعن أبي سعيد الخدري.

[7] ك ن ع: أوساق. لم أجده هكذا، لكن عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق...» وفي رواية: «ولا ثمر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧٣/٣؛ صحيح *مسلم*، الزكاة ٥).

[8] الفَرَق مكيال يسع ثلاثة آصُع، وقيل: يسع صاعَين ونصفًا (*لسان العرب* لابن منظور، «فرق»).

[9] ك: بن عمر.

[10] م: بمثله. لم يُذكر عن ابن عمر ولا عبد الله بن عمرو في ذلك شيء، لكن ذُكِر عن أبي هريرة وغيره من الصحابة. انظر للأحاديث مجموعة: نصب *الراية* للزيلعي، ٣٨٤/٢.

[11] ع: ابن طلحة.

[12] ك: في الخضروات.

[13] عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البُقول، فقال: «ليس فيها شيء». قال أبو عيسى: إسناد هذا الحديث ليس بصحيح، وليس يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء، وإنما يُروَى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. والعمل على هذا عند أهل العلم أن ليس في الخضراوات صدقة. قال أبو عيسى: والحسن هو ابن عُمارة، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعّفه شُعبة وغيره، وتركه ابن المبارك (سنن *الترمذي*، الزكاة ١٣). وانظر للأحاديث مجموعة: *الدراية* لابن حجر، ٢٦٣/١.

وعن علي رضي الله عنه مثله.[1] وكذلك رُوي عن جماعة السلف أنْ لا صدقة[2] إلا في الحنطة والشعير والحبوب.[3] وقال أبو حنيفة رحمه الله: معنى ذلك كلّه لا صدقة[4] تؤخذ[5] إلا فيما بلغ كذا، وليس في الخضراوات صدقة تؤخذ، وأمّا عليه في نفسه صدقة يؤدّيها هو.[6]

ثم إنْ كان ذلك الحقّ الذي ذكر في الآية الزكاة فإن الآية تدلّ -والله أعلم- على أن زكاة الحبّ والثمار إنما تجب فيما تُنبِت[7] الجنات المعروشات وغير المعروشات، فدخل في ذلك -والله أعلم- العنب وغير العنب والثمار كلها، وقال: **والنخل والزرع... والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه**، فجميع ما تُخرِج[8] الأرض من كل الأصناف التي سبق ذكرها [تجب الزكاة فيه]. وقال: **كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده**، فجعل الحقّ الواجب فيه يوم يحصد، فيجوز[9] أن يكون عُفِي عمّا قَبْل ذلك،[10] فإن كان هذا هو / التأويل فهو -والله [٢٣٢و]
أعلم- معنى[11] ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن قوله تعالى: **كلوا من ثمره إذا أثمر**، عفوًا عن صدقة ما يؤكل منه ما كان[12] في ذلك فائدة، لأن الثمرة تؤكل، ولا تَصلُح لغير ذلك إلا للوجه الذي ذكرنا، وهو أنهم كانوا يحرّمون ولا ينتفعون بها، فقال عز وجل: **كلوا**، وانتفعوا به ولا تُضيعوه، وإذا كان قوله: **كلوا من ثمره**، عفوًا عن صدقة ما يؤكَل منه ظهرت فائدة الكلام. وهو على هذا التأويل -والله أعلم- ما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خَرَصْتم فخُذُوا ودَعُوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فالربع».[13]

---

[1] أخرجهما البيهقي؛ انظر: *نصب الراية* لزيلعي، ٣٨٨/٢.

[2] ن م: لا صدقة.

[3] انظر للآثار مجموعة: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٦٦/٢.

[4] ع م - وعن عمر مثله وعن علي رضي الله عنه مثله وكذلك روي عن جماعة السلف لا صدقة إلا في الحنطة والشعير والحبوب وقال أبو حنيفة رحمه الله معنى ذلك كله لا صدقة.

[5] ع: يؤخذ.

[6] أي لا يأخذ العاملون على الزكاة من الزرع زكاة إلا إذا بلغ المقدار المذكور، لكن على صاحب الزرع أن يخرج الزكاة بنفسه، لأن الزكاة من الزرع القليل يكون قليلا لا يحتاج إلى متابعة العاملين على الزكاة له.

[7] ك: فيما يبين؛ ن ع م: فيما يبس.

[8] ك: ما يخرج.

[9] ع: ويجوز.

[10] أي ما قبل الحصاد مما يؤكل رطبا من الثمار.

[11] م - معنى.

[12] ك: مما كان.

[13] *سنن أبي داود*، الزكاة ١٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ١٧. يقال: خَرَصْت النخل والكَرْم أخرِصه خَرْصا، إذا حَزَرت ما عليها من الرُّطَب تمرا ومن العنب زبيبا، وهو من الظن، لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظنّ (*لسان العرب* لابن منظور، «خرص»).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في العرايا صدقة»، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يبعث سهل بن أبي حَثْمَة[1] خارصًا للنخل ويقول له:[2] إذا وجدت أهل بيت في حائطهم فلا تخرص بقدر ما يأكلون.[3] وعن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[4] «خففوا على الناس في الخَرْص، فإن في المال العَرِيّة والوصية».[5] فدلت[6] هذه الأحاديث على أنه لا صدقة فيما يؤكل من التمر رُطَبًا إذا لم يكن فيما يأكلون إسراف، وقدّر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث[7] أو الربع. وذلك -والله أعلم- يشبه ما دلّت عليه الآية على تأويل مَن جَعَل الحق زكاةً، لأن الله تعالى قال: **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**، فاحتمل أن يكون أيضًا معنى[8] ذلك: **ولا تسرفوا** في الأكل فيُجحِف ذلك بأهل الصدقة، ويحتمل أن يكون ذلك نهيًا عن الإسراف في جميع الأشياء على ما ذكرنا من قبل. وإذا صحّ أنْ لا صدقة فيما يؤكل من الرُّطَب والعنب والثمار بهذه الأخبار وأنّ الصدقة إنما تجب فيما يلحقه الحصاد يابسا يمكن ادّخاره فالواجب أنْ لا يكون في شيء من الخَضِر الذي يؤكل رَطْبًا[9] صدقة، وأنْ لا تكون الصدقة واجبة إلا فيما يَبِس منها[10] ويمكن أن يُدَّخر، فأمّا البُقول والرِّطاب والبِطِّيخ والقِثّاء والخيار والتفّاح وأشباهها فلا صدقة فيها، هذا كله يدلّ لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله. إلاّ أنّا لا نعلم مخالفًا أنّ فيما يُباع من الرطب صدقة وإن كان يؤكل كهيئته، فهذا يُفسِد ما احتججنا به[11] لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله[12] ومن وافقهما. وتأويل ما رُوي أنْ لا صدقة في الخضراوات،

---

[1] ك ع: يبعث أبا خيثمة؛ ن م: يبعث أبا حيثمة.

[2] ن: يقول له.

[3] ذكر الحاكم أن إسناده متفق على صحته؛ انظر: *المستدرك* للحاكم، ١/٥٦٠.

[4] ع م + قال.

[5] شرح *معاني الآثار* لطحاوي، ٤/٣٣-٣٤؛ و*تلخيص الحبير* لابن حجر، ٢/١٧٢.

[6] ك: دلت.

[7] ك: (الثلث) مختلط الخط.

[8] ك: بمعنى.

[9] جميع النسخ: رطبة.

[10] ك: ييبس منها.

[11] ن ع م: ما احتجنا به.

[12] ن - إلا أنا لا نعلم محالفا أن فيما يباع من الرطب صدقة وإن كان يؤكل كهيئته فهذا يفسد ما احتججنا به لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله.

وليس في أقل من خمسة أوسق صدقة، صدقة[1] تؤخذ، وأمّا عليه في نفسه أن يؤدّيها. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **وآتوا حقه يوم حصاده**، على أولئك[2] خاصّة في ذلك الوقت. أو يقول:[3] **وآتوا حقه**، ولا تَصرِفوا إلى الأصنام التي تَصرِفون إليها. *والله أعلم*.[4]

**﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[١٤٢]

وقوله عز وجل: **ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله**، هو صلة قوله: أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ،[5] إلى آخر ما ذكر، وأنشأ أيضًا من الأنعام **حمولة وفرشا**. ثم اختلف فيه. قال بعضهم: الحَمُولة ما يُحمَل عليها، أنشأها للحَمْل، والفَرْش الصِغار منها التي لا تُحمَل [عليها].[6] وقيل: الحَمُولة مِن نحو الإبل والبقر والبغال وغيرها من الحيوان، والفَرْش هو الغنم والمعز التي تؤكَل وأنشأها لِلَّحم.[7] ويحتمل الفَرْش ما يؤخَذ من الأنعام ويُتَّخَذ منه الفُرُش والبُسُط. وقال الحسن: الحَمُولة ما يُحمَل عليها، وهو خاصّ، والفَرْش كل شيء من أنواع المال من الحيوان وغيره، يقال: أَفْرَشَه الله له، أي جعله له. قال ابن عباس رضى الله عنه: الحَمُولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يُحمَل عليه، وأما الفَرْش فالغنم.[8] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: الحَمُولة الإبل،[9] والفَرْش البقر[10] والغنم. قال أبو عَوْسَجة: الحَمُولة مَراكِب النساء، والفَرْش ما يكون للنِتاج. وقال القُتَبي: الحَمُولة كبار الإبل التي يُحمَل عليها، والفَرْش صِغارها التي لم تُدرِك أن يُحمَل عليها، وهي ما دون[11] الحِقَاق،

---

[1] م - صدقة.
[2] ك: في أولئك.
[3] ك: أو نقول؛ ن: ويقول.
[4] ك - أعلم.
[5] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[6] ع م: لا يحتمل.
[7] ع م: اللحم.
[8] *تفسير الطبري*، ٦٣/٨؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٣٧٠/٣.
[9] ن - والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الحمولة الإبل.
[10] ع: والبقر.
[11] ع: وهي دون.

والحِقَاق هي التي تَصلُح[1] أن تُركَب، أي حُقَّ ذلك.[2]

وقوله عز وجل: **كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، قوله: **كلوا مما رزقكم الله**، ووَجِّهُوا شُكْرَ ذلك إليه، **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، في تحريم ما أحلّ الله لكم وجعل ذلك لكم رزقًا، كقوله: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[3] وقوله: وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا،[4] وقوله: وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا.[5] يقول: **كلوا مما رزقكم الله**، وكذلك قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ،[6] وانتفعوا به، **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، في تحريم ذلك على أنفسكم، واعرفوا نِعَمه[7] التي أنعمها عليكم، ووَجِّهُوا شُكْرَ نِعَمِه إليه، ولا تُوَجِّهُوها إلى غيره.[8]

ثم قوله: **خطوات الشيطان**، قيل: آثار الشيطان، وقيل: أعمال الشيطان، وقيل: دعاء الشيطان[9] وتزيينه، وكله واحد. وأصله أنّ كلّ مَن أجاب آخر إلى ما يدعو إليه ويأتمر بأمره يقال: قد اتّبع أثره. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[10]

وقوله عز وجل: **إنه لكم عدو مبين**، أي إنه فيما يدعوكم إلى تحريم[11] ما أحلّ الله لكم ورَزَقكم يقصد قَصْدَ / إهلاككم وتعذيبكم، لا قَصْدَ منفعةٍ لكم في ذلك، وكلّ مَن قَصَدَ قَصْدَ إهلاك آخر فهو عدوّ له. وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المِنَن والنِّعَم التي أنعمها عليهم، يقول: هو الذي جعل لكم ذلك، فلا تَصرِفوا شُكْرَه إلى غيره. [٢٣٢ظ]

---

[1] ن ع م: يصلح.

[2] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ١٦٢.

[3] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.

[4] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.

[5] سورة الأنعام، ١٣٩/٦.

[6] سورة الأنعام، ١٤١/٦.

[7] ع: نعمة.

[8] ن: إليه.

[9] ع + وقيل دعاء الشيطان.

[10] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٦٨/٢.

[11] ع م: أي تحريم.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٤٣] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٤٤]

وقوله عز وجل: **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**، إلى آخِر ما ذكر، أي أنشأ أيضًا **ثمانية أزواج**، على ما ذكر: أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ،[١] وأنشأ من الأنعام أيضا حَمُولَةً وفَرْشًا، وأنشأ أيضًا **ثمانية أزواج** مما عدّ علينا. ويحتمل أن يكون قوله: **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**، إلى آخِر ما ذكر هو تفسير قوله: وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا،[٢] ويكون قوله:[٣] **ثمانية أزواج** التي ذكر في الآية بيان الحَمُولة والفَرْش التي ذكر في الآية الأولى.

ثم قوله:[٤] **ثمانيةَ أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**؛[٥] في الآية تعريف[٦] المُحاجّة مع الكفرة وتعليمها من الله، لأنهم كانوا يحرّمون أشياء على الإناث ويُحِلُّونها[٧] للذكور، كقوله: وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ،[٨] فقال الله[٩] عز وجل: **قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين**، يُعَرِّفُنا المُحاجّة معهم وطلب العلّة التي بها حرّم،[١٠] فقال: **قل آلذكرين حرم أم الأنثيين**، فإن قالوا: حرّم الذَّكَر فيجب أنّ كلّ ذَكَر محرَّم، ثم من الذكور[١١] ما يحلّ، فتناقضوا[١٢] في قولهم، وإن قالوا:

---

[١] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[٢] سورة الأنعام، ١٤٢/٦.
[٣] ن م – قوله.
[٤] ن: ثم في قوله.
[٥] ع – إلى آخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن الأنعام حمولة وفرشا ويكون قوله ثمانية أزواج التي ذكر في الآية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الآية الأولى ثم قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين.
[٦] ع: تحريف.
[٧] ع م: ويحللونها.
[٨] سورة الأنعام، ١٣٩/٦.
[٩] ك ن – الله.
[١٠] ك ن ع: ها حرم.
[١١] ك: من الذكر.
[١٢] م: فناقضوا.

حَرَّم الأنثى فيجب أنّ كلّ أنثى أيضًا تكون محرّمة، فإذا لم يحرّم كلّ أنثى ظهرت مناقضتهم،[١] لأنه لا يجوز أن يجب[٢] حرمة شيء أو حِلّه[٣] لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود؛ أو حرّم[٤] **ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين**، فإن كان لهذا[٥] فيجب أنّ كلّ مُشتمِل عليه أرحامُ الأنثيين محرّم، فإذا لم يحرّم[٦] ذلك دلّ أنّ التحريم لم يكن لهذا.[٧]

وفيه دلالة أنّ الحكم إذا وجب لعلّة فذلك الحكم واجب ما دامت العلّة قائمة موجودةً، وفيه الأمر بالمُقايَسة.

وقوله عز وجل: **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**، أي ليس عندهم علم[٨] يعلمون [به] ذلك ويُنبئونه. ذكر هاهنا: **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** في مقالتكم أنه حرّم، وقال في الآية التي تليها: **أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا**، أي بتحريمها، أي ليست لكم شهداء على تحريم ما تحرّمون لا مِن جهة كتاب ولا رسول ولا استدلال. لأن العلوم ثلاثة. علم استدلال، وهو علم العقل؛ وعلم المشاهدة والعِيان، وهو علم الحِسّ؛ وعلم السَّمْع والخَبَر. فيخبر أنه ليس لهم من هذه العلوم شيء. أما علم الاستدلال فلا عقل يدلّ على تحريم ما حرّمتم، ولا علم مشاهدة، لأنكم لم تُشاهدوا الله حرّم ذلك، ولا علم مِن جهة السَّمْع والخَبَر، لأنهم[٩] لا يؤمنون بالكتب ولا صدّقوا الرسل فيقولوا:[١٠] أخبرنا الرسل بتحريم ذلك أو وجدنا في الكتب حُرمَتَها، فبُهِتُوا في ذلك وضَجِروا.

وفي الآية دلالة إثبات رسالة[١١] محمد ونبوّته صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا لا يحرّمون هذه الأشياء ظاهرًا فيما بينهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين أَظْهُرِهم منذ كان صغيرًا إلى كِبَره وعرفوا أنه لم يختلف إلى أحدٍ عَرَف ذلك، ثم أخبر الله[١٢] عز وجل ما حرّموا

[١] ن ع: متناقضتهم؛ م: تناقضهم.
[٢] ع: أن يجيب.
[٣] ع: أو حلمه.
[٤] ع: موجودًا وحرم.
[٥] ك: الحذا.
[٦] ع: لم يجرم.
[٧] ك ن ع – دل أن التحريم لم يكن لهذا.
[٨] ع: لم.
[٩] ك ن + كانوا.
[١٠] ك: فيقولون.
[١١] ن + رسولنا.
[١٢] ك ن – الله.

وفساد ما صنعوا ليدلّهم أنه إنما عرف ذلك بالله، وبه عَلِم حِلّ ما حرّموا وحُرمة ما أحلّوا لا بأحد[١] من الخلائق.

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على كذبا**، أي لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبًا**، لأنه هو الذي أنشأهم، وأنشأ لهم جميع ما يحتاجون إليه ويقضون حوائجهم، وبه كان جميع نِعَمهم التي يتنعّمون ويتقلّبون فيها،[٢] فلا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبًا** فقال: حرّم كذا، ولم يكن حرّم، أو أمَرَ بكذا، ولم يكن أمَر. ألا ترى أنه قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾،[٣] ﴿وقِيلاً﴾؛[٤] فكما لم يكن أحد أصدق منه حديثًا فعلى ذلك لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**، بعد علمه أنه هو الفاعل لذلك كلّه وهو المُنشِئ ما ذكر. وقوله: **فمن أظلم**، في الظاهر استفهام، ولكن في الحقيقة إيجاب، لأنه لا يحتمل الاستفهام، كأنه قال: لا أحد أفحش ظلمًا **ممن افترى على الله كذبًا**، على الإيجاب.

وقوله عز وجل: **ليضل الناس بغير علم**، لأنه يقصد بالافتراء[٥] على الله قَصْدَ إضلال الناس وإغوائهم.

**إن الله لا يهدي القوم الظالمين**، أي لا يهديهم[٦] وقت اختيارهم الكفر والظلم. وقيل: **لا يهدي القوم** الذين في علمه[٧] أنهم يُختَمون[٨] بالكفر. ويحتمل لا يهديهم إذا كانوا هم عند الله ظَلَمَةً كفرة وإن كانوا عند أنفسهم عُدُولاً على الحق.

**﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٤٥]

وقوله عز وجل: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه**؛ قوله: **قل لا أجد**،

---

[١] ع: الا بأحد.

[٢] ك: ويقلبون فيها.

[٣] سورة النساء، ٤/٨٧.

[٤] ﴿ومَن أصدَقُ مِن الله قِيلاً﴾ (سورة النساء، ٤/١٢٢).

[٥] ك: الافتراء.

[٦] ع م: لا يهدي.

[٧] ك: علم.

[٨] ع م: يجتمعون.

يحتمل وجهين. أحدهما أي **لا أجد** مما تحرّمون[1] أنتم فيما أوحي إلي،[2] وأما مما[3] لا تحرمون فإنه يجده.[4] والثاني **لا أجد فيما أوحي إلي محرما** في وقت، ثم وجده في وقت آخر. وأيهما كان فليس فيه دليلُ جلّ سِوَى ما ذكر في الآية على ما يقول بِشْر.

وقوله عز وجل: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه**، مثل هذا الخطاب [٢٣٣و] لا يكون إلا في معهودِ سؤالٍ،[5] وإلاّ مثل[6] هذا الخطاب لا يستقيم على الابتداء. / فإن كان في معهود فهو يخرج جوابَ ما كانوا يحرّمون من أشياء[7] من الأنعام والحرث وما ذكر في الآيات التي تقدّم ذِكرُها، وما كانوا يحرّمون من البحيرة والوصيلة والسائبة[8] والحامي، فقال: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**، مما تحرمون أنتم، **على طاعم يَطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا**. أو كان جواب سؤال في نازلة، فقال: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما** إلا فيما ذكر في الآية، ولم يجده[9] محرما في وقت إلا ما ذكر، ثم وجده في وقت آخر. ففي أيّهما كان لم يكن لِبشر[10] علينا في ذلك حجّة[11] حيث قال: إن الأشياء كلها محلّلة مطلقة بهذه الآية: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**، إلا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فقال: لا يحرم[12] من الحيوان إلا ما ذكر. ويقول: إن النهي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مِخلَب من الطير،[13] إنما هو خبر خاصّ من أخبار الآحاد، وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب،

---

[1] ن: مما تحرمون.
[2] ع – إلي.
[3] ك: وأما فيما.
[4] ك م: يجد؛ ن ع: بالجد.
[5] ك ن: أو سؤال.
[6] ع: ولا مثل.
[7] ع: الأشياء.
[8] ن – والسائبة.
[9] ك ع: أو لم يجده.
[10] جميع النسخ: للبشر.
[11] ع م + علينا.
[12] ن ع: لا تحرم.
[13] روي عن عدد من الصحابة أنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مِخلَبٍ من الطير (*صحيح مسلم*، الصيد ١٦؛ وسنن *أبي داود*، الأطعمة ٣٢؛ وسنن *الترمذي*، الصيد ٩، ١١). والمِخلَب: ظفر ما يَصِيد من الطير (*لسان العرب* لابن منظور، «خلب»).

وقد قال: **لا أجد فيما أوحي إلي محرما**. وبعد[١] فإن ذلك الخبر[٢] من الأخبار[٣] المتواترة، لأنه عرفه الخاصّ والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد ذلك يباع في أسواق المسلمين، دلّ أنه من المتواتر.

{قال الشيخ رضي الله عنه}: وعندنا أن لفظة التحريم على الإطلاق لا تقال[٤] إلا في النهايات من الحرمة. ونحن نقول: لا تطلق[٥] لفظة التحريم[٦] في الحيوان إلا فيما ذكر في الآية من الميتة والدم المسفوح والخنزير؛ ولكن يقال: منهي عنه مكروه، ولا يقال: محرم[٧] مطلقا؛ ويقال: لا يؤكل ولا يطعم. وبعد فإن الآية لو كانت في غير الوجهين اللذين ذكرناهما لم يكن فيها دليل حلّ ما عدا المذكور في الآية، لأنه قال: **لا أجد**، ولم يجد[٨] في وقت، ثم وجد في وقت آخر؛ هذا جائز.

وفي قوله: **محرما على طاعم يطعمه**، دلالة أن الجلد يحرم بحق اللحمية، لأنه أمكن أن يُشوَى فيؤكل، فحرمته حرمة اللحم، فإذا دُبغ خرج مِن أنْ يؤكل،[٩] فخرج[١٠] عن قوله: **على طاعم يطعمه**. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **مُحرَّما على طاعم يطعمه**، الآية، دلالة أن الحرمة التي ذَكر في قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ،[١١] إلى آخر ما ذكر، حرمةُ الأكل والتناول منها، لأنه لم يبين في تلك الآية ما الذي حرّم منها سِوى ما ذَكر حرمته،[١٢] تفسرها[١٣] هذه الآية: قوله[١٤] عز وجل: **محرمًا على طاعم يطعمه**، إلّا كذا؛

---

[١] ك – وبعد.
[٢] أي خبر النهي عن أكل السباع والطير الذي يصيد بمخالبه.
[٣] ع: من الخبر الأخبار.
[٤] ن: لا يقال.
[٥] ن: لا يطلق.
[٦] ع م – على الإطلاق لا تقال إلا في النهايات من الحرمة ونحن نقول لا تطلق لفظة التحريم.
[٧] ع: محرما.
[٨] ع م: ولم يوجد.
[٩] ك ن + فظهر.
[١٠] ع م: فظهر.
[١١] سورة المائدة، ٥/٣.
[١٢] ك ع: حرمت.
[١٣] ن م: يفسرها.
[١٤] ن ع م: وقوله.

دلّ هذا أن الحرمة في تلك الآية الأكل والتناول منها. وكذلك قوله: اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ،[1] ذكر الحِلّ ولم يذكر الحِلّ لماذا، ثم جاء التفسير في هذه الآية أنه للأكل.[2]

ثم الميتة التي ذكر أنها محرَّمة ليست هي التي ماتت حتْفَ أنفِها خاصة؛ ألا ترى[3] أنه ذكر: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، وقال:[4] وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ،[5] كلّ هذا الذي ذكر لم يمت حتْفَ أنفِه، ولكن بأسباب لم يؤمر بها، فصارت ميتة، فدلّ أنّ كلّ مذبوح أو مقتول بسبب لم يؤمر به فهو ميتة، لا يحل التناول منها إلا في حال الاضطرار.

وفي قوله: **أو دمًا مسفوحًا**، دلالة أنّ المحرَّم من الدم[6] هو المسفوح. والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم[7] ليس بحرام، والدم المسفوح حرام. قال أبو عَوْسَجة: المسفوح المصبوب، تقول: سَفَحْتُ صَبَبْتُ. وقال القُتَبي: **مسفوحا** أي سائلا.[8] وقال ابن عباس رضي الله عنه: المسفوح هو الذي يُهراق.[9]

وقوله عز وجل: **أو لحمَ خنزيرٍ**، ذكر[10] اللحم وذكر حرمة الميتة لِيُعلَم أنّ الخنزير بجوهره حرام، والميتة حرمتها لا بجوهرها لكن لما اعترض.[11] لذلك قلنا أنْ لا بأس بالانتفاع بصوف الميتة ووَبَرِها وعظمها، ولا يجوز من الخنزير شيء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد**، قيل: **غير باغ** يستحلّه في دينه، **ولا عاد** أي ولا متعديا لم يُضطرّ إليه فأكله. وقد ذكرنا أقاويلهم والاختلاف في تأويله في صدر الكتاب.[12]

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥.

[2] ن – أنه للأكل.

[3] ك: ألا يري.

[4] ع م: قال.

[5] ﴿حُرِّمَتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمُنْخَنِقة والمَوْقُوذة والمُتَرَدِّية والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع إلا ما ذكّيتم وما ذُبح على النُّصُب﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).

[6] ع: بالدم.

[7] ع – ويخالط اللحم.

[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٢.

[9] *تفسير الطبري*، ٧١/٨.

[10] ك: ذلك.

[11] ك: لما عترض. يعني أن حرمة الميتة عرضية وليست ذاتية بخلاف الخنزير.

[12] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٣/٢.

**فإن ربك غفور**، لأكله[1] الحرام في حال الاضطرار، **رحيم**، حيث رخّص الحرام[2] في موضع الاضطرار. وهذا أيضًا قد مضى ذكره[3] في غير موضع.[4]

**﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**[١٤٦]

وقوله عز وجل: **وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظُفُر**، قيل: مثل[5] النّعامة والبعير. وقيل: **كلَّ ذي ظفر**، مثل الديك والبطّة والبعير وكلّ ما لم يكن منفرج الأصابع والقوائم. وقيل: **حرمنا كل** ذي حافر من نحو حمار الوحش والوَزّ وغيره. وقيل: **حرمنا كلّ ذي ظفر**، كلّ ذي مِخلَب من الطير، وكلّ ذي ناب من السباع، ومن الدوابّ كلّ ذي ظفر [غير] مُنْشَق مثل الأرنب والبعير وأشباههما، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[6] والأشبه أن يكون ما ذكر من تحريم كل ذي ظفر عليهم هو ما يحلّ أكله لا ما يحرم، وهو ما ذكر بعضهم أنه البعير والغنم والبقر ونحوه، لأنه ذكر[7] في آية أخرى: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،[8] الآية.[9]

وقوله عز وجل: **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما**، قيل: شحوم بطونهما ومن الثُّروب[10] وشحم الكِلْيَتَيْن. **أو الحوايا**، وهي المباعر والمصارين، أي الشحم الذي عليهما؛ **أو ما اختلط بعظم**، قيل: الألية. وقيل:[11] قوله: **إلا ما حملت ظهورهما**، هو سَمْن اللحم. قيل فيه أقاويل مختلفة في هذا وفي الأول في قوله: **حرّمنا كل ذي ظفر**،

---

[1] ع م: لأكلة.
[2] ن: لحرام.
[3] ك: ذلكره.
[4] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٣/٢.
[5] ك + هذا.
[6] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾، قال: هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع، منها الإبل والنّعام (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٧٧/٣). وروي مختصرا؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٧٣/٨.
[7] ع م – من تحريم كل ذي ظفر عليهم هو ما يحل أكله لا ما يحرم وهو ما ذكر بعضهم أنه البعير والغنم والبقر ونحوه لأنه ذكر.
[8] سورة النساء، ١٦٠/٤.
[9] م – الآية.
[10] الثَّرْب شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، وجمعه ثُرُوب (*لسان العرب* لابن منظور، «ثرب»).
[11] ع: قيل.

[٢٣٣ط] لكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، لأنّ تلك / شريعة قد نُسِخت، والعمل بالمنسوخ حرام. فإذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، كان ذا أو ذا، وإنما علينا أن نعرف[١] لم كان[٢] ذلك التحريم عليهم وبم كان تحريم هذه الأشياء عليهم، فهو -والله أعلم- ما ذكر في قوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا،[٣] الآية؛ أخبر أنّ ما حرّم عليهم من الطيبات بظلمهم للذين ظلموا. ولذلك قال الله تعالى: **ذلك جزيناهم ببغيهم**، أخبر أنّ ذلك جزاء بغيهم الذي[٤] بَغَوا. والثاني أنهم كانوا يدّعون[٥] ويقولون: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[٦] يقول: لو كنتم صادقين في زعمكم أنكم أبناء الله وأحباؤه لكان لا أحد[٧] يعاقب ولده أو حبيبه بأدنى ظلم، ولا يحرّم عليه الطيبات. فإذا كان الله حرّم عليكم الطيبات وجزاكم[٨] بتحريم أشياء عقوبةً لكم بظلمكم وبغيكم ظهر أنكم كذبتم في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله. وفيه دليل إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، لأنهم كانوا يحرّمون هذه الأشياء فيما بينهم ولا يقولون: إنهم ظَلَمَة وأنّ ما حُرّم عليهم حرّم[٩] بظلمٍ كان منهم وبغيٍ، ثم أخبرهم النبي[١٠] صلى الله عليه وسلم أنّ ما حرّم عليهم من الطيبات إنما حرّم بظلمهم وبغيهم؛ دلّ أنه إنما أخبر بذلك[١١] عن الله وبه عرف ذلك، فدلّ أنه آية من آيات نبوته[١٢] صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.

وقوله[١٣] عز وجل: **ذلك جزيناهم ببغيهم**، أي ذلك التحريم عقوبة لبغيهم وظلمهم؛ **وإنا لصادقون**، أي[١٤] بالإنباء أنّ ذلك كان بظلمهم وبغيهم، **وإنا لصادقون**[١٥] في كل ما أخبرنا وأنبأنا.

---

[١] ع: او نعرف.
[٢] ك ن: مم كان؛ ع: ثم كان.
[٣] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. وأخذهم الربا وقد نهُوا عنه وأكلِهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٠-١٦١).
[٤] م: الذين.
[٥] ك: يذعون.
[٦] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحِبّاؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[٧] ع: لاحد.
[٨] ك: وجزاءهم؛ ن ع م: وجزاهم.
[٩] ع م – حرم.
[١٠] ن: رسول الله.
[١١] ن – بذلك.
[١٢] ن: انبوته.
[١٣] ن: قوله.
[١٤] ك ن + أي وإنا لصادقون.
[١٥] ن: أو وإنا لصادقون.

**﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٤٧]**

وقوله عز وجل: **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، قال الحسن: **فإن كذبوك** فيما تدعوهم إليه وتأمرهم به من التصديق والتوحيد له والربوبية؛ **فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، إذا رجعتم عن التكذيب وصدّقتم وعرفتم أنه[١] واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر، ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت. وقوله عز وجل: **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين**، كأنه على التقديم والتأخير، كأنه[٢] يقول: فإن كذّبوك فقل لا يُرَدّ بأسه عن القوم المجرمين، ثم قال: **ربكم ذو رحمة واسعة**، يسع في رحمته العفو إذا تبتم. وقال غيره من أهل التأويل: **فإن كذبوك** يا محمد حين أنبأتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم؛ **فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، لا يهلك أحدا[٣] وقت ارتكابه المعصية ولا يعذّبه حالة ذلك، لكنه يؤخر؛ **ولا يُرَدّ بأسه**، أي عذابه إذا نزل بقوم مجرمين.[٤] ***والله أعلم***.

**﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[١٤٨]**

وقوله عز وجل: **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**، قيل: الآية في مشركي العرب، قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حِجاجهم في تحريمهم[٥] ما حرّموا[٦] من الأشياء وأضافوا ذلك إلى الله. وهو صلة قوله: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ -إلى آخر ما ذكر إلى قوله- أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَٰذَا.[٧] فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حِجاجهم فزعوا عند ذلك إلى هذا القول: **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**، فيقول الله لنبيه: **كذلك كذّب الذين من قبلهم**، من الأمم الخالية رسلهم كما كذّبك هؤلاء، وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء: **لو شاء الله ما أشركنا**، إلى آخر ما ذكر.

---

[١] ع: وأنه.
[٢] ن ع م - كأنه.
[٣] ع م - أحدا.
[٤] ك ع م + بجرمهم.
[٥] ك ن: في تحريم.
[٦] ع: وحرموا.
[٧] سورة الأنعام، ١٤٣/٦-١٤٤.

ثم اختلف في تأويل قوله: **لو شاء الله ما أشركنا**؛[1] قال الحسن والأصمّ: إن المشيئة ههنا الرضا،[2] قالوا: رضي الله بفعلنا وصنيعنا، حيث فعل آباؤنا مثل ما فعلنا[3] وصنعوا مثل ما صنعنا[4] فلم يَحُل الله بينهم وبين ذلك، ولا أخذ على أيديهم، ولا منعهم عن ذلك، فلو لم يرض بذلك عنهم لكان يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه. وإنما استدلوا بالرضاء من الله والإذن فيما كانوا فيه يخوّفون[5] آباءهم[6] الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا. ثم رأوهم[7] ماتوا على ذلك و لم يأتهم العذاب، فاستدلوا[8] بتأخير نزول العذاب عليهم على أن الله رضي بذلك. ***والله أعلم***.

وبظاهر هذه الآية للمعتزلة أدنى تَعلُّق، لأنهم يقولون: إن الله تعالى قد ردّ ذلك القول الذي قالوا، وعاتبهم على ذلك القول بقوله: **كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا**، وأوعدهم على ذلك وعيدًا شديدًا، فلو كان يجوز إضافة المشيئة إلى الله تعالى في ذلك على ما تضيفون أنتم لم يكن يردّ ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا أوعدهم وعيدا في ذلك؛ دلّ أنه لا يجوز أن يقال ذلك ولا إضافة المشيئة إليه في ذلك.

فنقول –وبالله[9] التوفيق– إن المشيئة ههنا تحتمل[10] وجوها. أحدها ما قال[11] الحسن والأصمّ من الرضاء، قالوا: إن الله رضي بذلك.

والثاني الأمر والدعاء إلى ذلك، يقولون: إن الله أمرهم بذلك ودعاهم إلى ذلك.[12]

والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة. وهكذا أَمْرُ المجوس أنهم

[٢٣٤و] إذا قيل لهم هذا: لِمَ لا تؤمنون وتسلمون، يقولون ما قال هؤلاء: لو شاء الله / لآمنا[13] ولا أشركنا.

---

[1] ع م + إلى آخر ما ذكر ثم اختلف في تأويل قوله لو شاء الله ما أشركنا.

[2] ع: الرضاء.

[3] ن – مثل ما فعلنا.

[4] ك ن: مثل صنيعنا.

[5] أي كان الأنبياء والمؤمنون يخوفون آباء أهل الشرك بالهلاك إذا لم يؤمنوا.

[6] ك: اباهم.

[7] ك: رأوا هم.

[8] ن: واستدلوا.

[9] ع م: بالله.

[10] ن: يحتمل.

[11] ك ع: قال.

[12] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[13] ك: ما آمنا.

فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد الذي أوعدهم إنما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم، ولما[١] ادَّعَوْا من الأمر والدعاء على الله - وافتروا عليه - والرضاءِ[٢] أنه رضي بذلك. على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشيئة في هذا الموضع -والله أعلم- لا على ما قاله المعتزلة، وهو كما ذكر[٣] في آية أخرى: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا،[٤] هو كلمة حق، لكن قالها ذلك[٥] استهزاء وهُزُؤًا، فلَحِقه العتاب.

وقوله عز وجل: **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا،** أي هل عندكم من بيان وحجّة من الله فتبيّنوه لنا وتظهروه على زعمكم أن الله أمركم بذلك ودعاكم إليه، أو ترككم على ذلك لما رضي بذلك[٦] دون أنْ أمهلكم[٧] ليعذّبكم؟ أَوَليس قد ترك من خالفكم في ذلك،[٨] ثم لم يدلّ تركه إيّاهم على أنه رضي بذلك؟ فقال الله: **إن تتبعون إلا الظن،** أي ما تتبعون[٩] في ذلك إلا الظن؛ **وإن أنتم إلا تخرصون.** أي ما هم إلا يخرصون ويَكْذِبون في ذلك، ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدّعون من الأمر والدعاء إلى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضاء به.[١٠]

**﴿قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٤٩]**

وقوله عز وجل: **قل فلله الحجة البالغة،** قيل: **الحجة البالغة،**[١١] التي إذا بلغت كل شبهة أزالتها، وكلَّ غافل ونائم[١٢] نبّهته وأيقظته. وقيل: **الحجة البالغة،** التامّة القاهرة الظاهرة على كل شيء الغالبة عليه، لم تبلغ شيئا إلا قهرته وغلبته. وقال الحسن: **الحجّة البالغة،** في الآخرة،

---

[١] ك: أو لما.
[٢] ك ن: أو الرضا.
[٣] جميع النسخ: ما ذكر.
[٤] سورة مريم، ٦٦/١٩.
[٥] ع م - ذلك.
[٦] ع م - فتبينوه لنا وتظهروه على زعمكم أن الله أمركم بذلك ودعاكم إليه أو ترككم على ذلك لما رضي بذلك.
[٧] ن: دون أمهلكم.
[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «ألا ترون قد ترك من خالفكم في دينكم من المسلمين واليهود والنصارى مع زعمكم أنهم على الباطل ولم يستأصلهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٨و-ظ).
[٩] ن م: ما يتبعون.
[١٠] م - به.
[١١] م - قيل الحجة البالغة.
[١٢] ع م: نائم.

لا يعذّب[1] أحدا ولا يعاقبه إلا لحجّة تلزم، ولا يعاقب[2] بهوى أو انتقام أو شهوة على ما يعاقِب في الشاهد غيرُه.[3] ما من أحد من الخلائق إلا ولله عليه الحجّة البالغة. أمّا الملك المقرب فإن الله جَبَله على الطاعة فلا يعصيه مَنًّا مِن الله عليه وطَوْلًا[4] وفضلًا، فهو مُقصِّر عن شكر نعمة الله عليه. وأمّا النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة من غير وجه.[5]

ثم تحتمل[6] **الحجة البالغة** وجوها. أحدها[7] هذا القرآن الذي أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية معجزة وحجّة بالغة فأعجز[8] الخلائق عن إتيان مثله. فدلّ عجزهم عن إتيان مثله على أنه آية من آيات الله وحجّة من حُجج الله أرسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم.

والثاني أنه جعل في كليّة[9] الخلائق والأشياء ما يشهد أن الخلائق والأشياء كلها له شهادةَ خِلقةٍ، ويدلّ كليّة الأشياء على وحدانيته، فهو حجة بالغة.

والثالث أَلْسُن الرسل وأنباؤهم حيث لم يؤاخذوهم[10] بكذب قط فيما بينهم، ولا جرى على لسانهم كذبٌ قط ولا فُحشٌ، عَصَمهم عز وجل[11] عن ذلك. فدلّ ذلك[12] على أنهم إنما خُصّوا بذلك لما أنّ الله جعلهم حُججًا وآيات على وجه الأرض، فذلك[13] حجّة بالغة. *وبالله العصمة.*

وقال بعضهم: **فلله الحجة البالغة**، في تحريم الأشياء وتحليلها، ليس هٰؤلاء الذين يحرّمون أشياء لهم في تحريمهم حجّة، إنما يحرّمون ذلك بهوى أنفسهم. *والله أعلم.*[14]

---

[1] م: ولا يعذب؛ ن + أو لا يعذب.
[2] ن ع م: لا يعاقب.
[3] جميع النسخ: ولا غيره.
[4] ع م: طولا.
[5] جميع النسخ: واحد.
[6] ن ع م: ثم يحتمل.
[7] ع: أحدهما.
[8] جميع النسخ: ما عجز؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٨ظ.
[9] ع: في كمية.
[10] ع: لم يأخذوهم.
[11] ك – حيث لم يؤاخذوهم بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا فحش عصمهم عز وجل.
[12] ع م – ذلك.
[13] م – فذلك.
[14] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **فلو شاء لهداكم أجمعين**، قال الحسن: المشيئة ههنا مشيئة القدرة، وقال: لو شاء لقهرهم[١] وأعجزهم حتى لم يقدروا على معصية قط، على ما جعل الملائكة جَبَلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط. ثم هو[٢] يُفَضِّل الملائكة[٣] على الرسل والأنبياء والبشر جميعًا، ويقول: هم مجبورون على الطاعة. فذلك تناقض في القول، لا يجوز من كان مقهورًا مجبورًا[٤] على الطاعة [أنْ] يُفَضَّل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة. ويقول:[٥] فَضَّلُهم بالجوهر والأصل. فلا يجوز أن يكون لأحدٍ بالجوهر نفسه فضلٌ على غير ذلك الجوهر، لأن الله تعالى لم يذكر فضل شيء بالجوهر إلا مقرونا بالأعمال الصالحة الطيبة، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ،[٦] وكَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ،[٧] وغيره، وقوله: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ،[٨] وقوله: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ،[٩] ونحوه. لم يُفضِّل أحدا[١٠] بالجوهر على أحد، ولكن إنما فضّله بالأعمال الصالحة، لذلك قلنا: إنّ قوله يخرج على التناقض.

وتأويل قوله: **فلو شاء لهداكم أجمعين**، عندنا ظاهر، لو شاء لهداهم جميعًا[١١] ووفّقهم للطاعة وأرشدهم لذلك، وهو[١٢] كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ،[١٣] الآية، فإذا كان الميل إلى الكفر لمكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فإذا كان ذلك للمؤمنين آمنوا، ثم لم يجعل كذلك، دلّ هذا على أنّ قولهم: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا،[١٤] هو الأمر والرضاء، أو ذكروا على الاستهزاء حيث قال: **فلو شاء لهداكم أجمعين.**

---

[١] ع م: قهرهم.
[٢] أي الحسن البصري رحمه الله تعالى.
[٣] م + على الملائكة.
[٤] ك: مجبورًا مقهورًا.
[٥] ك: أو يقول.
[٦] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[٧] ع – وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة. سورة إبراهيم، ٢٦/١٤.
[٨] سورة الأعراف، ٥٨/٧.
[٩] سورة فاطر، ١٠/٣٥.
[١٠] ع: أحد.
[١١] ن – جميعا.
[١٢] ع م: هو.
[١٣] سورة الزخرف، ٣٣/٤٣.
[١٤] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.

والمعتزلة يقولون: المشيئة ههنا مشيئة قَسْر وقهر، وقد ذكرنا أنْ لا يكونُ في حال القهر إيمان، وإنما يكون في حال الاختيار. والمشيئةُ مشيئةُ[1] الاختيار، ولا تحتمل[2] مشيئة الخلقة، لأنّ كل أحد بشهادة الخلقة مؤمن،[3] فدلّ أنّ التأويل ما ذكرنا.

**﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾**[١٥٠]

وقوله عز وجل: **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا**، الذي تحرّمون أنتم من الوصيلة والسائبة والحامي،[4] وما حرّموا من الحرث والأنعام؛ **فإن شهدوا**، أنّ الله حرّمه؛[5] **فلا تشهد معهم**. كيف قال: **هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم**، دعاهم[6] إلى أن يأتوا بالحجة، فإذا أقاموها[7] [قال]: لا تشهد معهم؟ لكن هذا / -والله أعلم- أنهم يعلمون أنّ التحريم إلى الله ليس إلى أحد من الخلائق، [٢٣٤ظ] **فإن شهدوا**، بأنه حرّم، **فلا تشهد معهم**، فإنهم شهدوا بباطل. ويحتمل أن يكون أمره أن يسألهم شهداء من أهل الكتاب يشهدون لهم بأن الله حرّم هذا، لأن هؤلاء كانوا أهل شرك وعَبَدَة الأوثان يسألون أهل الكتاب وأهل الرسل[8] يشهدون لهم بذلك؛ **فإن شهدوا فلا تشهد معهم**، أي لا يشهدون[9] لهم بذلك فلا تشهد أنت[10] أيضًا معهم على الإخبار أنهم لا يشهدون، وهو كقوله: لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ،[11] الآية، أخبر عن المنافقين أنهم قالوا: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ... وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ،

---

[1] ع – مشيئة.
[2] ن ع م: ولا يحتمل.
[3] ع م: المؤمن.
[4] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[5] ع: حرم.
[6] ن: ودعاهم؛ ع: دعاءهم.
[7] م: فإذا قاموها.
[8] جميع النسخ: رسل.
[9] ك: لا تشهدون.
[10] ك – أنت.
[11] ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قُوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم لَيُوَلُّنَّ الأدبار ثم لا يُنصَرون﴾ (سورة الحشر، ٥٩/١١-١٢).

وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، ثم أخبر عنهم أنهم لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ، الآية، لكنه أخبر أنهم لا يقاتلون رأسًا، وإلاّ لو نصروهم لَيُوَلُّون[1] الأدبار؛ فعلى ذلك قوله: **هَلُمَّ شهداءكم الذين يشهدون... فإن شهدوا فلا تشهد معهم**، لأنهم لا يشهدون. ***والله أعلم***. ويشبه أن يُسألوا حتى يأتوا بآبائهم حتى يشهدوا، لأنهم كانوا يقولون: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] وإنّ الله رضي بصنيع آبائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك، فيُسألون أن يأتوا بأولئك حتى يكونوا هم الذين يشهدون على ذلك، فلن يجدوا إلى[3] ذلك سبيلا أبدًا، وهو كقوله: وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[4] فلا يجدون أبدًا.

وقوله عز وجل: **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا**، دلّ أنّ ما كانوا يحرّمون إنما يحرّمون بهواهم لا بحجّة[5] وبرهان؛ **والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يَعدِلون**، أي يَعدِلون الأصنام في العبادة والألوهيّة بربهم.

**﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[١٥١]

وقوله عز وجل: **قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم**، يقول:[6] **تعالوا** أقرأ عليكم **ما حرّم ربكم**، وأبيّن لكم ما حرّم بحجّة وبرهان؛ وإنّ ما حرّمتم أنتم حرّمتم[7] تقليدا منكم لآبائكم أو حرّمتم بهوى أنفسكم، لا حرّمتم بأمر أو حجّة وبرهان. ثم بيّن الذي حرّم عليهم فقال: **أن لا تشركوا به شيئًا**. الشرك حرام بالعقل، ويلزم كلَّ مَن عَقَل التوحيدُ ومعرفةُ الرب، لما كان منه من تركيب الصُّوَر وتقويمها بأحسن صُوَر، يَرَوْن ويَعرِفون[8] أنه لم يصوّرها أحد سِواه

---

[1] ك ن ع: لا يولون.
[2] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[3] ك + يجدوا إلى.
[4] سورة البقرة، ٢٣/٢.
[5] ع: ولا بحجة.
[6] ع م: يقولون.
[7] ن - أنتم حرمتم.
[8] ع م: يعرفون.

ولا قَوَّمها ولا يَشْرَكُه آخرُ في ذلك، وما كان منه إليكم من أنواع الإحسان والأيادي، فكيف تشركون غيره في ألوهيته وربوبيته؟ فذلك حرام بالعقل والسمع.[1]

وقوله عز وجل: **قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئًا**، يخرج على وجهين. أحدهما على الوقف والقطع على قوله: **ربكم [عليكم]**، والابتداء من قوله: **ألّا تشركوا به شيئًا**، كأنه لما قال: **أتل ما حرم ربكم**، فقالوا: أيُّ شيء[2] الذي حرّم علينا ربنا؟[3] فقال: **ألّا تشركوا به شيئًا**. والوجه الآخر على الوصل بالأول، ولكن على طرح "لا"، فيكون كأنه قال: **حرّم ربكم عليكم** أن تشركوا[4] به شيئًا، وحرف "لا" قد تُطرَح وتُزاد في الكلام.

وقوله عز وجل: **وبالوالدين إحسانًا**، أي برًّا بهما.

فإن قيل: قال تعالى: **أَتْلُ ما حرم ربكم عليكم**، وههنا يأمر بالإحسان إليهم، ولم يذكر المحرّم؟

قيل: في الأمر بالإحسان إليهما تحريم ترك الإحسان، فكأنه قال: حرّم عليكم ترك الإحسان إلى الوالدين، وفرض عليكم برّهما والإحسان إليهما. ثم فيه أنكم تعرفون بالعقل أن الإحسان إلى الوالدين واجب والإساءة إليهما حرام عليكم، ولم يكن منهما[5] إليكم من الإحسان أكثرُ مما كان من الله[6] إليكم، فكيف تختارون[7] الإساءة إلى الله والإشراك في عبادته[8] غيره، ولا تختارون[9] الإساءة إلى الوالدين، بل تختارون[10] الإحسان إليهما؟[11]

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق**، إنهم كانوا يقتلون أولادهم[12] خشية الفقر والفاقة، فهو مما حرّم عليهم. وهذا يدلّ على أن الحظرَ[13] في حال لا يوجب الإباحة في حال أخرى،

[1] م: و والسمع
[2] ن ع م: ايش.
[3] ك: ربنا علينا.
[4] ع: أن لا تشركوا.
[5] ن ع م: منهم.
[6] ك – إلى الوالدين واجب والإساءة إليهما حرام عليكم ولم يكن منهم إليكم من الإحسان أكثر مما كان من الله.
[7] ع م: يختارون.
[8] م: في عبادة.
[9] ع م: ولا يختارون.
[10] ع م: بل يختارون.
[11] ن ع م: إليهم.
[12] ن: أولادكم.
[13] ن ع: أن الحضر.

لأنه قال: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[1] ليس فيه إباحة القتل إذا لم يكن هنالك خشية الإملاق، لكن ذكر هذا لأنهم إنما كانوا[2] يقتلون في تلك الحال، ففي ذلك خرج النهي.

وقوله عز وجل: **نحن نرزقكم وإياهم**، أي على ما نخرج[3] لكم من الزروع[4] والثمار والنبات[5] -فرزقكم من ذلك- فعلى ذلك نرزق[6] أولادكم مما نخرج[7] من الأرض من الزروع[8] والثمار، فلا تقتلوهم، فإذا لم تقتلوا أنفسكم خشية الفقر والفاقة كيف تقتلون أولادكم لذلك؟ فالذي يرزقكم هو الذي يرزق أولادكم.

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**؛ يحتمل قوله: **ولا تقربوا**، أي لا تواقعوها. ويحتمل لا تدنوا منها، ولكن اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرّمات حجابًا من الحلال. وهكذا الحق على المسلم أن لا يدنو[9] من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابًا وسِترًا من الحلال.[10] ثم اختلف في قوله: **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**؛ قيل: **الفواحش**: الزنا، **ما ظهر منها**: المخالطة باللسان والمجالسة معهن، **وما بطن**: فِعل الزنا نفسِه، كانوا يجتمعون ويجالسونهن ولكن لا يجامعونهن[11] بين أيدي الناس، ثم إذا خلَوْا بهن زَنَوْا بهن. وقيل: كانوا يزنون / بالحرائر[12] سرًا وبالإماء ظاهرًا، فحرّم ذلك عليهم. وقيل: [٢٣٥و]
**ما ظهر منها**: نكاح الأمهات، **وما بطن** هو الزنا، وكان نكاح[13] الأمهات ظاهرا،[14] وهو قول ابن عباس[15] وسعيد بن جبير رضي الله عنهما. وقيل: **الفواحش** المحرّمات جملتها،

---

[1] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[2] م: لأنهم كانوا.
[3] ع م: ما تخرج.
[4] ن ع م: من الزرع.
[5] ع م – والنبات.
[6] ع م: ترزق.
[7] ع م: مما تخرج.
[8] ك: والزروع؛ ع م: من الزرع.
[9] ع م: أن لا يدنوا.
[10] ن – وهكذا الحق على المسلم أن لا يدنو من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال.
[11] ع م: لا يجامعوهن.
[12] م – بالحرائر.
[13] ع: لنكاح.
[14] م – ظاهرا.
[15] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها﴾ قال: نكاح الأمهات والبنات، ﴿وما بطن﴾ قال: الزنا (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٨٣/٣).

فما ظهر منها فيما بينهم وبين الخَلْق، **وما بطن** فيما بينهم وبين الله تعالى. وقيل: **ما ظهر منها** ما يكون بالجوارح، **وما بطن** ما يكون بالقلب. وعن مجاهد قال: **ما ظهر منها** الجمع بين الأختين وتزوُّج الرجل امرأة أبيه، وما بطن منها الزنا وما حرّم أيضا.[1] ويحتمل قوله: **ما ظهر منها** ما يرى غيرُه ويبصر، **وما بطن** ما يكون بالعين والقلب، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان»،[2] **وما بطن** يكون زنا[3] العين والقلب، لأنه لا يعلم [ذلك] غير الناظر. *والله أعلم*. يصير كأنه ذكر التحريم في كل حرف من ذلك، أي حَرّم عليكم[4] الشرك، وحرّم عليكم ترك الإحسان إلى الوالدين، وحرّم قتل الأنفس إلا بالحق، فيصير كأنه ذكر التحريم في كلٍّ مِن ذلك.

وقوله[5] عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، قيل: **بالحق**، إذا ارتدّ يُقتَل به، وفي القصاص وفي الزنا إذا كان محصَنًا.

وقوله عز وجل: **ذلكم وصّاكم به؛ ذلكم**، يعني المحرّمات التي[6] ذكر. **وصّاكم به**، اختلف فيه؛ قيل: **وصّاكم به**: فرض عليكم، وقيل: **وصّاكم به**: أمركم به، وقيل: **وصّاكم به**: بيّن لكم المحرَّم، وكلّه يرجع إلى واحد.

وقوله عز وجل: **لعلكم تعقلون** أنه لم يحرّم إلا ما ذكره[7] ولم يحرّم ما حرّمتم أنتم من الأنعام وغيرها. **ولعلكم تعقلون**، أي لكي تنتفعوا بعقولكم. أو نقول: إنّ ذلكم وصّاكم به[8] لتعقلوا،[9] لأنّ حرف لعلّ من الله على الوجوب. أو تعقلون عن الله[10] بما خاطبكم به وأمركم.[11]

---

[1] *تفسير الطبري*، ٨/٨٣.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٤١٢. وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتب على ابن آدم نصيبُه مِن الزنا، مُدركٌ ذلك لا مَحالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه (*صحيح البخاري*، الاستئذان ١٢؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٠). هذا لفظ مسلم.

[3] ن ع م: زناء.

[4] ن: عليهم.

[5] ن: قوله.

[6] ك: الذي.

[7] جميع النسخ: ما ذكرها.

[8] ن: ووصاكم به.

[9] ع: لتعقلون.

[10] ك: على الله.

[11] جميع النسخ: بما خاطبهم به وأمرهم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٥٢]

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، قال أبوبكر الكيساني:[١] **ولا تقربوا مال اليتيم**، أي لا تأكلوا مال اليتيم، **إلا بالتي هي أحسن**؛ وقال: ثم اختلف في الوجه الذي يحسُن. قال بعضهم: هو أن يعمل له فيأكل من ماله أجرًا لعمله. وقال آخرون: يأكله قرضا، وذلك مما اختلفوا فيه. وقال غيرهم: هو أن ينتفع بدوابّه ويستخدم[٢] جواريه. ونحو ذلك؛ وقال: وذلك مما لا يحتمل تأويل الآية. وعندنا أنّ الآية باحتمال هذا أولى، لما يقع لهم الضرورة في استخدام مماليكه وركوب دوابّه[٣] والانتفاع[٤] بذلك لما يقع لهم المخالطة بأموال اليتامى، كقوله: وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ،[٥] فإذا كان لهم المخالطة لا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا. وقال الحسن: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، أي إلاّ بالوجه الذي جُعل له، والوجه الذي جُعل له[٦] هو أن يكون فقيرا وهو ممن يُفرَض نفقته في ماله،[٧] فله أن يَقرَب ماله. وعندهم أنّ نفقة المحارم تُفرَض في مال اليتيم إذا كانوا فقراء، فبان أنْ جُعل له التناول من ماله[٨] وإن كان لا يُفرَض نفقته في ماله.[٩] ثم الآية تحتمل[١٠] وجهين عندنا. أحدهما أنْ **لا تقربوا مال اليتيم** إلّا بالحفظ والتعاهد له؛ أمر كافل اليتيم أن يحفظ ماله ويتعاهده. والثاني يَقرَب ماله بطلب[١١] الزيادة له والنماء، ولذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه بأن يجوز لكافل اليتيم إذا كان وصيّا أن يَقرَب ماله بَيْعًا إذا كان ذلك خيرا لليتيم، إذا وقع[١٢] له الفضل وطلب له الزيادة والنماء.

---

[١] م: الكسائي.
[٢] ع: يستخدم.
[٣] م: دوابة.
[٤] م: الانتفاع.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.
[٦] م – والوجه الذي جعل له.
[٧] ن + فله أن يفرض.
[٨] ك ن ع: في ماله.
[٩] أي يجوز لوصي اليتيم التناول من مال اليتيم وإن لم يكن الوصي من المحارم.
[١٠] ن ع: يحتمل.
[١١] م: يطلب.
[١٢] ك ن ع: إذ وقع.

وقوله عز وجل: **حتى يبلغ أَشُدّه**، قال[1] أبو بكر: قوله: **حتى يبلغ أَشُدّه**، أي حتى يبلغ الوقت الذي يتولّ أموره، كقوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[2] الآية. وقال غيره من أهل التأويل: الأَشُدّ ثمانية عشر سنة. ويشبه أن يكون الأَشُدّ هو الإدراك، [أي] حتى يدركوا.

وقوله عز وجل: **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**، يشبه أن يكون قوله: **وأوفوا الكيل والميزان**، في اليتامى أيضًا، أمر أن يوفوا[3] لهم الكيل والميزان، ونهاهم أن لا يوفوا[4] لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم إلا بالتي هي أحسن. وكذلك قوله: **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**، أمكن أن يكون هذا في اليتامى أيضًا، أي إذا قلتم قولا لليتامى فاعدلوا في ذلك القول وإن كان ذا قربى[5] منكم.

وقوله عز وجل: **وبعهد الله أوفوا**، أي بعهد الله الذي عَهِد إليكم في اليتامى أوفوا، بقوله: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، وقوله: وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا،[6] وغير ذلك، أَوْفُوا بما عَهِد إليكم فيهم. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**، في اليتامى وفي غيرهم في كل الناس. وهو لوجهين. أحدهما أنّ في ترك الإيفاء اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم، فأمر بإيفاء ذلك، كقوله: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[7] والثاني للربا، لأنه لزم مثله كيلاً في الذمّة، فإذا لم يُوفِ[8] حقّه وأعطاه دونه صار ذلك الفضل له ربا.

وقوله عز وجل: **لا نكلف نفسا إلا وسعها**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **لا نكلّف**[9] أحدًا ما في تكليفنا إيّاه تَلَفُه. وإن كان يجوز له تكليف ما في التكليف تلفه، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[10] الآية، وعلى ما أمر بني[11] اسرائل بقتل / أنفسهم.[12] [٢٣٥ظ]
والثاني **لا نكلف** أحدا ما في تكليفنا إيّاه منعُه، نحو من يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول إلى ذلك أبدًا.

---

[1] م: وقال.
[2] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٦/٤).
[3] م: أن يعرفوا.
[4] م: أن لا يعرفوا.
[5] ك: ذي قربى.
[6] سورة النساء، ٦/٤.
[7] سورة الأعراف، ٨٥/٧.
[8] م: لم يعرف.
[9] م: لا تكلف.
[10] ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء، ٦٦/٤).
[11] م: أمر من بني.
[12] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العِجْل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التوّاب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٥٤/٢).

ويجوز أن يؤمر[1] بأمر[2] وإن لم يكن له سبب[3] ذلك الأمر بعد أن يجعل لهم الوصول إلى ذلك السبب، نحو من يؤمر بالصلاة وإن [لم] يكن[4] معه سبب ذلك، وهو الطهارة، ونحو من يؤمر بالحج بقوله: وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[5] هذا يدلّ على أنّ من جُعل في وُسعه الوصولُ إلى شيء يجوز أن يُكلّف على ذلك، ويصير باشتغاله بغيره مضيعًا أمره.

وقوله عز وجل: **وإذا قلتم فاعدلوا**، قال بعض أهل التأويل: هذا في الشهادة، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ،[6] الآية. ويحتمل قوله: **وإذا قلتم فاعدلوا**، كلّ قول، والقول أحقّ أن يحفظ فيه العدالة من الفعل،[7] لأنه به يظهر[8] الحكمة من السفه والحق من الباطل، فهو أولى.

وقوله عز وجل: **وبعهد الله أوفوا**، أي بعهد الله الذي عَهِد إليكم في التحليل والتحريم[9] والأمر والنهي وغير ذلك.

**ذلكم وصاكم به لعلكم تذكّرون**، ذكر هاهنا "تذكرون"، وفي الآية الأولى "تعقلون"، وفي الآية الأخيرة "تتقون"؛ إذا عقلوا تفكّروا واتّعظوا وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح، ثم اتّقَوا المحرّمات وما لا يصلح.[10] أو **تذكّرون**، أي تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون مَهالِككم، أو تتقون[11] محارمكم.[12]

**﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٥٣]**

وقوله عز وجل: **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه**، يحتمل وجوهًا. يحتمل **وأن هذا**،

---

[1] ك: أن يأمر.
[2] ن - بأمر؛ ع: يأمر.
[3] ك: لم يكن سبب.
[4] ن: وان يكون.
[5] سورة آل عمران، ٩٧/٣.
[6] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[7] م - من الفعل.
[8] م: لأنه يظهر.
[9] ك: ولا التحريم.
[10] ع م - ثم اتقوا المحرمات وما لا يصلح.
[11] ع م: وتتقون.
[12] محارمكم أي ما حرم الله عيكم (*لسان العرب* لابن منظور، «حرم»).

الذي ذكر في هذه الآيات من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، **صراطي مستقيمًا فاتبعوه**، على ما قاله أهل التأويل: إنها آيات محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرّمات على بني آدم كلهم. ويحتمل قوله: **وأن هذا صراطي مستقيمًا**، الذي دعا إليه الرسل من كل شيء[1] **هو صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**، لأن الرسل يدعون إلى ما يدعون بالحُجج والبراهين. ويحتمل قوله: **هذا صراطي مستقيما**، أصل الدين ووحدانيّة الله وإخلاصَ الأنفس له على غير إشراك في عبادته وألوهيته. أو أن يكون قوله: وأن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أو الذي ذكر في القرآن.[2] وإلّا ذَكَّرَ **هذا** ولم يشر إلى شيء بعينه، فيحتمل ما ذكرنا.[3]

وقوله عز وجل: **ولا تتبعوا السُبُل فتفرق بكم عن سبيله**، أمر عز وجل باتّباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السُبُل، لأنّ غيره من الأديان المختلفة والأهواء المتشتّتة[4] لا حجّة عليها ولا برهان، وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين بحجّة وبرهان لا كغيره من الأديان[5] وإن كان يدّعي كلٌّ مِن ذلك أنّ الذي هو عليه دين الله وسبيله.

**ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**، المحرّمات والمناهي والمعاصي التي ذكر في هذه الآية.[6] أو **لعلكم**[7] **تتقون**، السُبُل والأديان المختلفة. وأصله أنّ السبيل المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله.

**﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾**[١٥٤]

وقوله عز وجل: **ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا [على الذي أحسن]**، اختلف فيه.

---

[1] م – شيء.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل قوله: ﴿هذا صراطي مستقيما﴾، أي هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذي في القرآن» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٠و).

[3] قال الشارح: «ثم في قوله: ﴿فاتبعوه﴾، أَمْرٌ باتباع ما في القرآن وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة، والشريعة تشتمل على الواجب والنفل والمباح والحظر، فكيف يَرِد الأمر بإيجاب المتابعة فيما ليس بواجب؟ ولكن نقول: إن الأمر بالمتابعة لا يراد به أن يفعل مثل ما فعل حتى يقال: كيف يوصف بالوجوب؟ ولكن الاتباع هو اعتقاد صحته على ترتيب الشريعة من وجوب الفرض والرغبة في النفل واستباحة المباح وقبح المحظور، والعمل بكل شيء من ذلك على حسب مقتضى الشرع له من إيجاب أو نفل أو إباحة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٠و).

[4] م: المتشتة.

[5] ع: الأيان.

[6] ع م – الآية.

[7] ع م: ولعلكم.

قال الحسن: قوله: **تمامًا على الذي أحسن**، أي مَن أحسن صحبته تمت نعمة الله وكرامته عليه في الآخرة. قيل: **تمامًا على الذي أحسن**، يعني على المحسنين والمؤمنين؛ و"على[الذي]" بمعنى لِلّذي أحسن ولِلّذي آمن، ويجوز "على" في موضع اللام، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[1] أي للنصب. وقتادة قال: فمن أحسن فيما أتاه الله تمت عليه كرامة الله في جنته ورضوانه، ومن لم يحسن فيما آتاه الله نزع الله ما في يديه[2] ثم أتى اللهَ ولا عذر له.[3] وقال أبوبكر الكيساني[4] في قوله: **ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن**: أي[5] ثم آتيناكم من الحُجج والبيان تمامًا من موسى وكتابه، أي موسى وكتابُه مصدِّق وموافق لما أعطاكم، كقوله: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً،[6] الآية. ويحتمل تمام ما ذكرنا، تمامًا بالنعمة والكرامة. ويحتمل تمامًا بالحجّة والبيان، وتمامًا بالحكمة والعلم. وقوله عز وجل: **على الذي أحسن**، أي لِلّذي أحسن. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: تمامًا على الذين[7] أحسنوا.[8]

**وتفصيلا لكل شيء**، أي تبيانا لكل شيء، **وهدى**، من الضلالات والشبهات ونعمة، **ورحمةً**، من العذاب والعقاب، **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون**، أي ليكونوا[9] **بلقاء ربهم يؤمنون**، هو على التحقيق.[10]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **تمامًا على الذي أحسن**، يقول: أتمّ له الكتاب على أحسنه على الذي بلّغ[11] من رسالته، **وتفصيلا لكل شيء**، بيانَ كل شيء، **وهدى**، أي تبيانا من الضلالة، **ورحمة**، أي نعمة، **لعلهم بلقاء ربهم**، أي بالبعث بعد الموت، **يؤمنون**، أي ليكونوا مؤمنين[12] بالبعث.

---

[1] سورة المائدة، ٣/٥.

[2] م: في يده.

[3] عن قتادة في قوله: ﴿تماما على الذي أحسن﴾، قال: من أحسن في الدنيا تمم الله ذلك له في الآخرة؛ وفي لفظ: تمت له كرامة الله يوم القيامة (*تفسير الطبري*، ٩١/٨، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٨٦/٣).

[4] م: الكسائي.

[5] ع – أي.

[6] سورة هود، ١٧/١١.

[7] ك ع م: على الذي.

[8] *تفسير الطبري*، ٩٠/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٨٦/٣.

[9] ع م: وليكونوا.

[10] ك: على التحقق.

[11] ن – بلغ.

[12] ك ع م – مؤمنين.

ومنهم من يقول في قوله: **ثم آتينا موسى الكتاب**: إنه وإن أتى بحرف الترتيب فإنه على الإخبار، كأنه قال: ثم قد كنا آتينا موسى الكتاب تمامًا، معناه: وقد آتيناه.[1]

﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٥٥]

وقوله عز وجل: **وهذا كتاب أنزلناه**، يعني القرآن أنزلناه. **مبارك**، قال أبوبكر الكيساني:[2] البركة هي التي من تمسك بها أوصلته[3] إلى كل خير وعصمته[4] من كل شر، وهو[5] المبارك. وقال الحسن: هو **مبارك**[6] لمن أخذه واتبعه وعمل به، فهو مبارك له. وسُمِّي هذا القرآن مباركا [٢٣٦و] لما يبارَك فيه / لمن اتّبعه، هو مبارك لمُتّبِعيه والعامل به،[7] وإلّا مَن لم يتّبعه فليس هو بمبارك له، بل هو عليه شدة ورجس،[8] كقوله تعالى: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ،[9] فهو ما ذكرنا: مبارك لمن اتّبعه وتمسك به. وسُمِّي مجيدا أيضا وكريما، فمن اتّبعه[10] يصير مجيدا كريما، وكذلك سُمِّي رُوحا وحيّا، لما يحيى به من اتبعه.[11] وأصل البركة هو أن ينتفع بشيء على غير تَبِعة،[12] فهو البركة. وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض: بارك الله لك في كذا، أي جعل لك فيه منافع لا تَبِعة عليك فيه.[13] فعلى هذا يجيء أن يكون القرآن مبارِكا[14] بكسر الراء،

[1] م: وقد آتينا.
[2] م: الكيسائي.
[3] جميع النسخ: أوصله.
[4] جميع النسخ: وعصمه.
[5] ن: هو.
[6] ع م: هو المبارك.
[7] ع: والامن به.
[8] ع: ورخس.
[9] سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥.
[10] جميع النسخ: لمن اتبعه.
[11] يقول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥)؛ ويقول: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦)؛ ويقول: ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِن أمرنا﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢). ولم أجد تسمية القرآن بالحي صريحا، ولعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحيِيكم﴾ (سورة الأنفال، ٢٤/٨). ويمكن أن يكون الحي نوع تفسير وتأكيد لكلمة الروح.
[12] ن: يتبعه.
[13] ك ع: عليك.
[14] ك: مبارك.

لكن قيل: مبارَك[١] لانتفاع الناس به ولعملهم به.[٢] والبركة تحتمل[٣] وجهين. أحدهما اسم لكل خير يكون أبدًا على النماء والزيادة. والثاني اسم لكل منفعة لا تَبِعة عليه ولا مؤنة. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فاتبعوه واتقوا**، أي اتّبعوا إشاراته وما يدعو هو إليه، **واتقوا**، أي اتقوا مخالفته، **لعلكم ترحمون**، أي لكي تُرحَمُوا؛ فمن اتّبع[٤] أوامره وإشاراته[٥] واتّقى[٦] نَواهِيَه ومَحارِمَه رُحِم.

**﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾**[١٥٦]

وقوله عز وجل: **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**، قال أهل التأويل: **أنزل الكتاب على طائفتين**: اليهود والنصارى. ومتى أنزل الكتاب على اليهود والنصارى،[٧] إنما أنزل على المسلمين. لكن المعنى -والله أعلم- **إنما أنزل الكتاب على طائفتين**، أي إنما ظهر نزول **الكتاب**، التوراة والإنجيل،[٨] عند الخَلْق بطائفتين **من قبلنا** سُمُّوا يهودَ ونصارى،[٩] وإلا[١٠] لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت[١١] نزول[١٢] الإنجيل نصارى.[١٣]

---

[١] ك ن: مباركا.
[٢] ك ن: ولعممهم به؛ ع م - ولعملهم به.
[٣] ن ع م: يحتمل.
[٤] ك م: من اتبع.
[٥] ع م - وما يدعو هو إليه واتقوا أي اتقوا مخالفته لعلكم ترحمون أي لكي ترحموا من اتبع أوامره وإشاراته.
[٦] م: واتقوا.
[٧] ع - ومتى أنزل الكتاب على ايهود والنصارى.
[٨] ك - التوراة والإنجيل.
[٩] ك + التوراة والإنجيل.
[١٠] ع: إلا.
[١١] ع م - ولا وقت.
[١٢] ع م: ونزول.
[١٣] وعبارة السمرقندي هكذا: «قال أهل التأويل: إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى، ولكن في ظاهر اللفظ خلل، فإنهم يقولون: أنزل الكتاب على اليهود والنصارى، ووقت نزول الكتاب عليهم ليسوا بيهود ونصارى، وإنما هم مسلمون، فيكون إذَنْ الكتاب أنزل على المسلمين لا على اليهود والنصارى. لكن المعنى -والله أعلم- ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾، أي إنما ظهر نزول الكتاب عند الخلق على طائفتين من قبلنا، التوراة والإنجيل، سُمُّوا يهود ونصارى بعد نزولها، لما حدث من الطائفتين ما حدث استحقت كل طائفة الاسم بذلك، وإلا لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت نزول الإنجيل نصارى. والله أعلم (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٠ظ).

ثم قوله: **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب**، هو صلة قوله: وَهٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ،[1] لئلا تقولوا: **إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**، ولم ينزل علينا. ويجوز [استعمال] "أن" بمعنى "لن"، أي[2] لن تقولوا إنما أنزل الكتاب، كقوله: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ،[3] أي لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.

وقوله عز وجل: **وإن كنا عن دراستهم لغافلين**، أي وقد كنا عن دراستهم[4] لغافلين. ويجيء أن يكون "عن دراستها"،[5] لأنها دراسة الكتب، لكن أضيف إليهم، إلى أولئك[6] القوم.

**﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾**[١٥٧]

وقوله: **أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب**، هو على ما ذكرنا:[7] لئلا تقولوا **لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم**، أنزل الله عز وجل هذا القرآن قطعًا لحجاجهم ومنعًا لعذرهم وإن لم يكن لهم الحِجاج والعذر، وعلى ذلك يخرج[8] قوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[9] لا يكون لهم[10] حجة على الله وإن لم ينزل الرسل والكتب.[11] ثم يحتمل عذر هؤلاء أن يقولوا: إنما أنزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا، ونحن لا نعرف لسانهم، وكنا عن دراستهم لغافلين. ولو كان لهم العذر والاحتجاج[12] بهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر في ترك اتّباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم، و لم يعرفوا هم لسانهم، أعني لسان العرب.

---

[1] الآية السابقة.
[2] ن - لن أي.
[3] سورة آل عمران، ٧٣/٣.
[4] ن - عن دراستهم، صح هـ.
[5] ع م: عن دراستهم.
[6] م: أي أولئك.
[7] ك: ما ذكر.
[8] ع - يخرج.
[9] سورة النساء، ٤/ ١٦٥.
[10] ع: لا يكون.
[11] ك: الكتب والرسل؛ غ: الكتب.
[12] ع م: الاحتجاج.

ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول إلى معرفته، فعلى ذلك لا عذر للعرب في ترك اتّباع ما في الكتب التي أُنزِلت بغير لسانهم، لما في وسعهم الوصول[١] إلى معرفتها والتعلّم منهم والأخذ عنهم. وهذا يدل على أن يجوزُ التكليف بأشياء ليست معهم أسبابها بعد أن جعل لهم سبيل الوصول إلى تلك الأسباب. والثاني من احتجاجهم أن يقولوا: إن اليهود والنصارى قد اختلفت وتفرّقت تفرّقًا لا اجتماع بينهم أبدًا، فكيف نتبعهم في ذلك؟ فيقال: إن مذاهبهم وكتبهم إنما تفرّقت بهم وبقولهم، فقد أنزل من الحُجج والبيان ما يعرّف ذلك الذي تفرّق بهم، فلا حجّة لهم في ذلك. وهذا كقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[٢] وقد جاءتهم آيات فلم يؤمنوا بها،[٣] فعلى ذلك قوله: أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[٤] وقوله: **أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم**. وفي الآية دلالة على أنّ المجوس ليسوا من أهل الكتاب، لأنهم لو كانوا أهل كتاب[٥] صار أهل الكتاب ثلاث طوائف، وقد أخبر أنه إنما أنزل الكتاب على طائفتين، وذلك محال.

فإن قيل: إنما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين.

[قيل]: معناه[٦] -والله أعلم- إني أنزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[٧] فلم يقولوا ذلك، ولكن الله قطع بإنزاله الكتاب حجّتهم التي علم أنهم كانوا يحتجّون بها لو لم ينزله، وإن لم يكن لهم في ذلك حجة ولا عذر، وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فقد جاءكم بينة من ربكم**، قيل: القرآن، وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم. **وهدى**، أي هدى من الضلالة وكل شبهة، **ورحمة**، أي ذلك منه رحمة ونعمة.

---

[١] ن + لهم.
[٢] سورة الأنعام، ٦/١٠٩.
[٣] ن ع م - بها.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ع م: الكتاب؛ ع + لأنهم لو كانوا أهل الكتاب.
[٦] جميع النسخ: ومعناه. وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل: قوله: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾، هذا حكاية عن المشركين، فكيف يكون قولهم حجة على أنه أنزل على طائفتين لا على الطوائف؟ قيل: معنى الآية والله أعلم...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨١و).
[٧] الآية السابقة.

**فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله**، أي لا أحد **أظلم ممن كذب بآيات الله**، قيل: **بآيات الله**: حجج الله،[1] وقيل: دين الله، وقد ذكرناها في غير موضع.[2] وقد ذكرنا[3] أنّ قوله: **فمن أظلم**، حرف استفهام في الظاهر، ولكن ذلك من الله على الإيجاب، كأنه قال: لا أحد أوحش ظُلمًا **ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها**.

وقوله: **وصدف عنها**، أي أعرض عنها، **سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون**، يُعرضون ويَعدلون. الآية ظاهرة.[4]

**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾**[١٥٨]

[٢٣٦ظ] وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا** كذا، قال أهل التأويل: / ما ينظرون. وحرف[5] هل[6] هو حرف استفهام وتعجيب، لكن أهل التأويل قالوا: ما ينظرون، حملوا على الجواب، لأنه لم يخرج له جواب، فجوابه ما قالوا: ما ينظرون. كما قالوا[7] في قوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[8] أي لا أحد[9] أظلم ممن كذب، هو جواب، لأنّ جوابه[10] لم يخرج، فجوابه ما قالوا: لا أحد أظلم، لأنه سؤال واستفهام، فجوابه ما ذكروا. فعلى ذلك قوله: **هل ينظرون**، هو استفهام ولم يخرج[11] له الجواب، فجوابه: لا ينظرون، كقوله: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً.[12]

[1] م – الله.
[2] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٦١/٢.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٣/٦.
[4] ع م – وقوله وصدف عنها أي أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون يعرضون ويعدلون الآية ظاهرة.
[5] ع: وهل حرف؛ م – وحرف.
[6] م: وهل.
[7] ع م – قالوا.
[8] سورة الأنعام، ٢١/٦.
[9] ع: أي أحد.
[10] ع: لأنه جوابه.
[11] ن – فجوابه ما قالوا لا أحد أظلم لأنه سؤال واستفهام فجوابه ما ذكروا فعلى ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ولم يخرج.
[12] سورة يس، ٤٩/٣٦.

ثم قوله: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك،** هذا -والله أعلم- يشبه أن تكون[1] الآية في المعاندين منهم والمتمرّدين الذين همّتهم العناد والتعنُّت، خرج على إياس رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] عن أولئك الكفرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على إيمانهم مُشفقًا على أنفسهم، حتى كادت نفسه تذهب حَسَراتٍ[3] عليهم حرصًا على إيمانهم وإشفاقًا على أنفسهم، كقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[4] وكقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[5] الآية، ونحوه؛ فآيَسَه الله تعالى عن إيمان أولئك الكفرة[6] لئلا يطمع في إيمانهم وإسلامهم بعد ذلك، ولا يُذهِب نفسَه حَسَراتٍ عليهم، ليتخذهم أعداء ويبغضهم ويُخرِج الشفقة التي في قلبه لهم وليتأهّب لعداوتهم[7] ويتبرّأ[8] منهم، كما فعل إبراهيم: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ،[9] وكما قال لنوح: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ،[10] آيسه الله عن إيمان قومه إلا مَن قد آمن، ونهاه أن يحزن عليهم[11] كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[12] إلا الوقت[13] الذي ذكر أنهم يؤمنون في ذلك الوقت، وهو وقت نزول الملائكة وإتيانهم[14] بآياتهم، وهو قوله: **إلا أن تأتيهم الملائكة**. ثم قال بعضهم: **تأتيهم الملائكة** بقبض الأرواح مع اللعن والسَّخْطَة، فعند ذلك يؤسنون.[15] وقال بعضهم: قوله: **إلا أن تأتيهم الملائكة،** يوم القيامة، وهو كقوله: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا.[16]

---

[1] ن م: أن يكون.
[2] ع م + يشبه أن تكون الآية في المعاندين.
[3] م - حسرات.
[4] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[5] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[6] ن - الكفرة.
[7] ع: لعدوانهم.
[8] م: ويبرأ.
[9] سورة التوبة، ١١٤/٩.
[10] سورة هود، ٣٦/١١.
[11] ع م + وعلى فوت إيمانهم فعلى ذلك هذا آيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ونهاه أن يحزن عليهم؛ ن هـ + كقوله ولا تحزن عليهم وعلى فوت إيمانهم فعلى ذلك هذا آيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ونهاه أن يحزن عليهم.
[12] ن - كقوله ولا تحزن عليهم؛ ع + كقوله ولا تحزن عليهم. سورة الحجر، ٨٨/١٥.
[13] أي آيس الله رسوله عن إيمان هؤلاء إلا أن يروا الملائكة تأتيهم بالعذاب.
[14] م: وإيتائهم.
[15] م + بالله.
[16] سورة الفرقان، ٢٢/٢٥.

وقوله عز وجل: **أو يأتي ربك**، على إضمار الأمر، كأنه قال: **أو يأتي**[1] أمر **ربك**، على ما ذكر في سورة النحل:[2] أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ.[3] ثم الأمر فيه عذاب الله، كقوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا،[4] أي عذابنا،[5] فعلى ذلك في هذا أمر الله عذاب[6] الله. والأصل فيما أضيف إلى الله في موضع الوعيد لا يراد به الذات، ولكن يراد به نقمته وعذابه وعقوبته، كقوله: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ،[7] لا يريد به[8] ذاته،[9] ولكن يريد نقمته وعذابه،[10] كقوله:[11] مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ،[12] لا يريد به[13] لقاء ذاته، وكذلك قوله: وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ،[14] وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[15] وغيرها من الآيات، لا يراد[16] به ذاته ولكن يراد[17] به عذابه ونقمته. أو نقول: إن كل شيء يراد به تعظيمه يضاف إلى الله تعالى، فيراد به تعظيم ذلك اليوم أو تعظيم عذابه ونقمته.

وقوله عز وجل: **أو يأتي بعض آيات ربك**، يحتمل بعض آياته ما قال عز وجل: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[18] وكقوله: فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ،[19] الآية، وكقوله:[20] سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[21] ونحوه من الآيات، يؤمنون عند معاينتهم العذاب،

---

[1] ع: أو تأتي.
[2] ع م: النخل.
[3] سورة النحل، ٣٣/١٦.
[4] ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارةً من سجيل منضود﴾ (سورة هود، ٦٦/١١).
[5] ك ن ع: يعني عذابنا.
[6] ع: وعذاب.
[7] سورة آل عمران، ٢٨/٣.
[8] ن: ولا يريد به.
[9] ع م – ذاته.
[10] ك – وعقوبته كقوله ويحذركم الله نفسه لا يريد به ذاته ولكن يريد نقمته وعذابه.
[11] ن ع: وكقوله.
[12] سورة العنكبوت، ٥/٢٩.
[13] ك ن م – به.
[14] سورة آل عمران، ٢٨/٣.
[15] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[16] ك – لقاء ذاته وكذلك قوله وإلى الله المصير وإلى الله ترجع الأمور وغيرها من الآيات لا يراد.
[17] ن – لقاء ذاته وكذلك قوله وإلى الله المصير وإلى الله ترجع الأمور وغيرها من الآيات لا يراد به ذاته ولكن يراد.
[18] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.
[19] سورة الأحقاف، ٢٤/٤٦.
[20] ع: كقوله.
[21] ك ن + الآية. سورة المعارج/ ١/٧٠.

ولا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت.[١] ويحتمل ما قاله[٢] أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجّال وخروج الدابة. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: [الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها]»،[٣] وقال[٤] أبو هريرة[٥] رضي الله عنه: إن النبي[٦] صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سِتًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، والدخان، ودابّة الأرض، وخُوَيْصّة أحدكم، وأمر العامّة»؛[٧] وخُوَيْصّة أحدكم: الموت، وأمر العامّة: الساعة إذا قامت،[٨] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: التوبة معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها، ثم قال: مهما يأت[٩] عليكم عام فالآخر[١٠] شرّ،[١١] ونحوه من الأخبار. فإن ثبتت[١٢] هذه الأخبار فهي المعتمدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا خرج أول الآيات طُرحت الأقلام[١٣] وحُبست[١٤] الحَفَظَة[١٥] وشَهِدت الأجساد[١٦] على الأعمال.[١٧]

---

[١] ع م – في ذلك الوقت.
[٢] ع: ما قالوا؛ م: ما قال.
[٣] صحيح *مسلم*، الإيمان ٢٤٩؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٧.
[٤] ك – وقال.
[٥] ك: وأبو هريرة.
[٦] ك ن: عن النبي.
[٧] صحيح *مسلم*، الفتن ١٢٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٢٨. وكان قتادة يقول إذا قال: «وأمر العامة»، قال: أي أمر الساعة (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٠٧).
[٨] *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عمم».
[٩] ك: يأتي.
[١٠] ن ع م: والآخر.
[١١] أخرج عبد بن حميد والطبراني عن ابن مسعود قال: التوبة معروضة على ابن آدم ما لم يخرج إحدى ثلاث: ما لم تطلع الشمس من مغربها، أو تخرج الدابة، أو يخرج يأجوج ومأجوج؛ وقال: مهما يأت عليكم عام فالآخر شرّ (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٩٣). وذكره الهيثمي إلى قوله: يأجوج ومأجوج، وقال: «رواه الطبراني بإسناد منقطع» (*مجمع الزوائد*، ١٠/١٩٨).
[١٢] ك م: فإن ثبت.
[١٣] ع + وحفظت الحبسة.
[١٤] ن: وحفظت.
[١٥] م: الخطبة. أي إذا ظهر أول علامات الساعة أمرت الملائكة بطرح أقلامها والتوقف عن كتابة أعمال الناس، لأن حجاب الغيب قد ارتفع، وحكمة المحنة قد زالت.
[١٦] ك: الأجياد.
[١٧] أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن عائشة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٩٤.

وقوله عز وجل: **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل،** أخبر أن الإيمان لا ينفع في ذلك الوقت، لأنه ليس بإيمان اختيار في الحقيقة، إنما هو[1] إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[2] وقوله: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[3] أخبر أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله. فدلّ أن إيمانهم في ذلك الوقت إيمان دفع العذاب والبأس وإيمان خوف، وهو كإيمان فرعون حيث قال: حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[4] لم ينفعه إيمانه في ذلك الوقت،[5] لأنه إيمان دفع الهلاك عن نفسه، لا إيمان حقيقة باختيار. والثاني أنه[6] في ذلك الوقت وقتِ نزول العذاب لا يقدر أن يستدلّ بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولاً عن معرفة وعلم، وإنما هو[7] قول يقوله بلسانه لا عن معرفة في قلبه، فلم ينفعه إيمانه[8] في ذلك الوقت لما ذكرنا، وهو كقوله: / وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ،[9] لأنه إيمان دفع البأس والعذاب. أو [أنه في ذلك الوقت لا يقدر أن][10] يبالغ بالاجتهاد حتى يكون إيمانه إيمانا باجتهاد، لذلك كان ما ذكرنا. أو أن يكون في طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجّال ودابّة الأرض وما ذكر من البلاء والشدة والعذاب ما يضطرهم إلى الإيمان به، فيكون إيمانهم إيمان اضطرار لا اختيار. ويشبه أن تكون[11] الأخبار[12] التي رُويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا تقبل[13] التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجّال ودابّة الأرض، أي لا يُثابون على طاعاتهم، [٢٣٧و]

[1] ع م – هو.
[2] سورة المؤمن، ٨٤/٤٦.
[3] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[4] سورة يونس، ٩٠/١٠.
[5] ع م – الوقت.
[6] م – أنه.
[7] ك ن: إنما هو.
[8] ع م – فلم ينفعه إيمانه.
[9] سورة النساء، ١٨/٤.
[10] الزيادة مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨١ظ.
[11] ن ع م: أن يكون.
[12] ع م – الأخبار.
[13] ك ن: أن لا تقبل.

وإلّا فمن البعيد أن يُدْعَون[١] إلى الإيمان والطاعات ثم إذا أَتَوْا بها لم تُقبَل منهم، لكنه يحتمل ما ذكرنا أنْ لا يُثابون[٢] على ذلك؛ ويُعاقَبون بما كان منهم من الكفر[٣] وكفران النعم، لأن جهة وجوب الثواب[٤] إفضال وإحسان، وفي الحكمة ترك الإفضال بالثواب في الطاعات، إذ كان[٥] من الله عز وجل من النعم ما يكون ذلك شكرا له، والعقاب على الكفر مما يوجبه الحكمة، لذلك كان ما ذكرنا. وعلى هذا[٦] يخرج قول أبي حنيفة رضي الله عنه حيث قال: لا ثواب للجِنّ على طاعاتهم، لأن طريق وجوبه الإفضال، ولم يُذكَر لهم[٧] ذلك، ويُعاقَبون بما كان منهم من الكفران والإجرام[٨] لما ذكرنا من المعنى الذي وصفنا. *والله أعلم بذلك*.

وقوله عز وجل: **لا ينفع نفسًا إيمانها**، عند معاينة العذاب والبأس والآيات إذا **لم تكن آمنت من قبل**.

وقوله عز وجل: **أو كسبت في إيمانها خيرًا**، أي لا ينفع ذا إلّا بذا، إذا عملت[٩] خيرا ولم تكن آمنت لا ينفعه ذلك، ولم ينفعه إيمانه عند معاينة العذاب والآيات إذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا. وقيل: قوله:[١٠] **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا**، أي **لا ينفع نفسًا إيمانها** إذا لم يعزم أن لا يرتدّ ولا يرجع عنه أبدا. وقيل: **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**، أي لا ينفع[١١] إيمانها، **أو كسبت في إيمانها خيرا**، أي وكسبت[١٢] في تصديقها التعظيم لله والإجلال له،[١٣] فعند ذلك ينفع[١٤] صاحبه،[١٥]

---

[١] م: أن يدعو.
[٢] ن ع: لان لا يثابون.
[٣] ك ع م: الكفر.
[٤] ع: الثوابت.
[٥] ك ع م: إذا كان.
[٦] ك: واحدا؛ ن ع م: ولهذا.
[٧] ع م – لهم.
[٨] ك: والحرام.
[٩] ك: إذا علمت.
[١٠] ع – قوله.
[١١] ك ن + نفسا.
[١٢] ع م – في إيمانها خيرا أي وكسبت.
[١٣] ع م – له.
[١٤] ع م: تنفع.
[١٥] ن: صاحبها.

لأنه لا كلّ تصديق يكون فيه التعظيم له والإجلال.[1] وقيل: **أو كسبت في إيمانها خيرًا**، أي لم تكن عملت[2] في تصديقها خيرا قبل معاينة الآيات.[3]

وقوله عز وجل: **قل انتظروا إنا منتظرون**، هو يخرج على الوعيد، أي **انتظروا** إحدى هذه الثلاث التي ذكرنا، **فإنا منتظرون**، وهو كقوله: قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ.[4] أو **انتظروا** العذاب، **فإنا منتظرون** بكم ذلك.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[١٥٩]

وقوله: **إن الذين فارقوا[5] دينهم وكانوا شِيَعًا**، عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما قال أحدهما: هو[6] في الكفرة، وقال الآخر: في أهل الضلال.[7] وقيل: هم الحَرُورِيّة.[8] وقيل: هم اليهود والنصارى.[9] ولكن لا ندري من هم،[10] وليس بنا[11] إلى معرفة من كان حاجة.

---

[1] ك ن + يعني التعظيم والإجلال إذا لم يكن منه التعظيم له؛ ع + إذا لم يكن منه التعظيم له؛ م + يعني التعظيم له والإجلال إذا لم يكن منه التعظيم له.

[2] ك: علمت.

[3] م: العذاب.

[4] سورة الطور، ٥٢/٣١.

[5] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: فرّقوا، مُشدَّدة، وقرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بألف. انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٧٤.

[6] جميع النسخ: فيكم.

[7] جميع النسخ: الصلاة. وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: «يا عائشة، ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾، هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، ليست لهم توبة، يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٢/٣)؛ وضعفه الهيثمي؛ انظر: *مجمع الزوائد*، ١٨٨/١. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: هم في هذه الأمة؛ وفي رواية: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة (*تفسير الطبري*، ١٠٥/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٢/٣).

[8] الحَرُورِيّة هم الخوارج، وذلك نسبةٌ إلى حَرُوراء، موضع بظاهر الكوفة، لأنه كان أوّل اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليًا رضي الله عنه (*لسان العرب* لابن منظور، «حرر»).

[9] قال الشارح: «قال قتادة رض: هم اليهود، لأنهم كانوا اجتمعوا مع عبدة الأوثان على المسلمين. وعن أبي هريرة رض أنه قال: هذا في أهل الضلال من هذه الأمة، فهو تحذير من تفريق الكلمة ودعاء إلى الاجتماع والألفة على الدين. وقال الحسن رض: هم جميع المشركين، لأنهم كلهم بهذه الصفة. وكذا روي عن عائشة رض قالت: هذه في الكفرة. وقيل: هم الحرورية» (شرح *التأويلات*، ٢٨١ظ).

[10] ع: منهم.

[11] ن: وليس لنا.

ثم يحتمل وجوها ثلاثة. يحتمل: **فارقوا دينهم**، حقيقةً، لأنّ جميع أهل الأديان عند أنفسهم أنهم يَدِينون بدين الله، لا أحد يقول: إنه يَدِين بدين غير[1] الله. ألا ترى أنهم قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[2] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[3] فهم وإن كانوا عند أنفسهم أنهم يَدِينون بدين الله فهم في الحقيقة **فارقوا دينهم** وليسوا على دين الله. ويحتمل قوله: **فارقوا دينهم** الذي[4] أُمِروا به ودعا إليه الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فارقوا ذلك الدين. ويحتمل **فارقوا دينهم** الذي دانوا به في عهد الأنبياء والرسل،[5] ففارقوا ذلك الدين. ***والله أعلم***. كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ،[6] وكقوله: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ،[7] الآية؛ [و]كانوا مؤمنين به.

**وكانوا شيعا**، أي صاروا فِرَقًا وأحزابًا.

وقوله عز وجل: **لست منهم في شيء**؛ مِن الناس مَن صرف تأويل[8] قوله:[9] **لست منهم في شيء**، أي لست أنت مِن قتالهم[10] في شيء، كأنه نهاه عن قتالهم في وقت ثم أذن له بعد ذلك، ثم نسخته آية السيف؛ وهذا بعيد. ويحتمل **لست منهم في شيء**، أي لست من دينهم في شيء، لأن دينهم كان تقليدا لآبائهم، ودينك دين بالحُجج والبراهين، فلست منهم،[11] أي من دينهم في شيء. ويحتمل **لست منهم في شيء**، أي لا تُسأَل أنت عن دينهم ولا تُحاسَب على ذلك، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[12] الآية. أو يخرج على إياس أولئك الكفرة عن عود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دينهم، كقوله: اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ،[13] الآية.

---

[1] ك: بغير دين.
[2] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[4] ع: الذين.
[5] جميع النسخ + بدين الله.
[6] سورة البقرة، ٨٩/٢.
[7] ﴿يوم تَبْيَضّ وجوه وتَسْوَدّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (سورة آل عمران، ١٠٦/٣).
[8] ع م: تأويله.
[9] ن ع – قوله.
[10] ن م: في قتالهم.
[11] ك: بدينهم.
[12] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[13] سورة المائدة، ٣/٥.

وقوله عز وجل: **إنما أمرهم إلى الله**، يحتمل أن[1] الحكم فيهم إلى الله ليس إليك، هو الذي يحكم فيهم. أو أن يكون **أمرهم إلى الله**، في القتال حتى يأذن لك بالقتال. **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**، هو وعيد.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١٦٠]

وقوله عز وجل: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**، ليس في قوله: **فلا يجزى إلا مثلها**، إيجاب الجزاء في السيئة، وفي قوله: **فله عشر أمثالها**، إيجاب الجزاء، لأنه قال: فله كذا، فيه إيجاب[2] الجزاء.[3] وإنما إيجاب الجزاء في السيئة بقوله: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ،[4] وغيره من الآيات. وقد ذكرنا[5] أنّ إيجاب الجزاء والثواب في الحسنات [٢٣٧ظ] / والخيرات إفضال وإحسان، لأنه قد سبق من الله تعالى إلى كل أحد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما أنعم عليه وشكرا له، ولا جزاء للجازي إلا من جهة الإفضال والإكرام. وأمّا جزاء السيئة فمما توجبه[6] الحكمة، لما خرج الفعل منه مخرج[7] الكفران لما أنعم عليه، فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك. والثاني أنه خرج الفعل منه في الخيرات والحسنات على موافقة خِلقته[8] وصورته وتقويمه[9] وتسويته على ما خلقها الله وأنشأها وبناها، فلم يخرج الفعل منه[10] على خلاف ما هو بُني عليه، فلم يستوجب به الجزاء. وأما السيئات فهي إخراجها على خلاف خِلقتها وتقويمها، وصرفُها إلى غير الوجه[11] الذي كانت خِلقتها وتقويمها، فاستوجب بذلك[12] العقوبة والجزاء عليها، لقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[13]

---

[1] جميع النسخ: أي؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٢و.
[2] ع: في إيجاب.
[3] ن – فيه إيجاب الجزاء.
[4] سورة النساء، ١٢٣/٤.
[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٣٢/٦.
[6] ن ع م: يوجبه.
[7] ن: يخرج.
[8] ن: على خلقته.
[9] م: وتقديمه.
[10] ع م: الفعل به.
[11] ع – الوجه.
[12] ك: ملك.
[13] سورة الداريات، ٥٦/٥١.

وقوله عز وجل: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**، ليس هو[1] على التحديد حتى لا يُزاد عليه ولا يُنقَص منه. إنما خرج -والله أعلم- على التعظيم لذلك والإجلال، لأنه أخبر في النفقة التي تُنفَق في سبيل الله[2] أنها تزداد وتنمو إلى سبعمائة.[3] ولا يجوز أن يكون له في الحسنة التي جاء بها في التوحيد يبلغ إلى ما ذكر،[4] وإذا جاء بنفس ذلك التوحيد لا يَبلغ ذلك أو يَقصُر عن ذلك، ولكنها -والله أعلم- على التعظيم له.[5] أو على التمثيل،[6] كقوله: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[7] ذكر هذا لما لا شيء عند الخلق أوسع منهما،[8] وكقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ،[9] ومِثلُه هو على التمثيل خرج، لعظيم ما قالوا في الله، ليس على أنها تنشق أو تنفطر؛[10] فعلى ذلك الأوّل أنه يخرج لما ذكرنا، لا على التحديد له والوقت.

ثم قوله: **من جاء بالحسنة فله** كذا، **ومن جاء بالسيئة** فله كذا، ذَكر مجيء الحسنة ومجيء السيئة،[11] ولم يقل: من عمل بالحسنة فله كذا، ومن عمل بالسيئة، لِيُعلَم أنّ النظر إلى ما يختم به وقُبض عليه، فكأنه قال:[12] مَن ختم بالحسنة وقُبض عليها فله كذا، لأنه قد يعمل[13] بالحسنة ثم يفسدها وينقضها بارتكاب ما ينقضه ويفسده من الشرك وغيره، وعلى ما روي: «الأعمال بالخواتيم».[14]

---

[1] ع + الوجه.

[2] ك – الله.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَثَل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمَثَل حَبَّةٍ أنْبَتت سَبْعَ سنابل في كل سُنبلة مائةُ حَبّة والله يُضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦١).

[4] م: إلى ما ذكروا.

[5] قال الشارح: «ليس هو على التحديد حتى لا يُزاد عليه ولا يُنقَص منه، إنما خرج -والله أعلم- على التعظيم لذلك والإجلال، ألا يُرى أن الله تعالى أخبر في النفقة التي ينفق في سبيل الله أنها تزداد وتنمو إلى سبعمائة. ولا يجوز أن يكون في الحسنة التي جاء بها في التوحيد الذي هو أصل لا يبلغ ذلك المقدار، أو يَقصُر عنه بكثير، بل يقدر بعشرة. فدل أن ذكر العشرة ليس على التحديد والتعديد، وإنما خرج على التعظيم له أنّ هذا لمقدار له خَطَرٌ عند الناس» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٢و).

[6] م – التمثيل.

[7] سورة الحديد، ٥٧/٢١.

[8] ك ن: أوسع مما ذكر؛ ع: أوسع مما.

[9] ﴿تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشق الأرض وتَخِرّ الجبال هَدّاً أنْ دَعَوْا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).

[10] ع: وتمطر.

[11] ع: بالسيئة.

[12] ن – قال.

[13] ع: قيل يعمل؛ م: فيه يعمل.

[14] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٣٣٥؛ وصحيح *البخاري*، القدر ٥.

ثم اختلف في قوله: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**، قال بعضهم: **من جاء بالحسنة**،[1] بعد التوحيد، **فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة**، بعد التوحيد، **فلا يجزى إلا مثلها**. وقال بعض أهل التأويل: **من جاء بالحسنة**، يعني بالتوحيد، **فله عشر أمثالها**، لكنه ليس على التحديد لما ذكرنا، ولكن على التعظيم له والقدر عند الله، أو على التمثيل؛ **ومن جاء بالسيئة**،[2] يعني الشرك، **فلا يجزى إلا مثلها**،[3] لكن التخليد في النار مثل الشرك، لأن الشرك أعظم السيئات. وفي الآية دلالة أنّ المِثْل قد يكون من غير نوعه، حيث أوجب في الحسنة من الثواب **عشر أمثالها**، ومن السيئة مثلها، وليس واحد منهما من نوع الأصل والعمل الذي يثاب عليه. وقيل: **من جاء بالحسنة**، في الآخرة بالتوحيد، **فله عشر أمثالها**، في الأضعاف، **ومن جاء بالسيئة**، في الآخرة يعني الشرك، **فلا يجزى إلا مثلها**، في العِظَم، فجزاء الشرك النار، لأن الشرك أعظم الذنوب، والنار أعظم العقوبة، وذلك كقوله: جَزَاءً وِفَاقًا،[4] أي وِفاقًا للعمل.

وقوله عز وجل: **وهم لا يُظلَمون**، جميعًا، لا يُزاد على المِثْل ولا يُنقَص مما ذكر.[5]

**﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[١٦١]

وقوله عز وجل: **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، قال أبوبكر الكيساني:[6] قوله: **هداني**، أي دلّني، **ربي إلى صراط مستقيم**. لكن هذا بعيد، لأنه خرج مَخرَجَ ذِكرِ ما مَنَّ عليه بلُطفه، وليس في الدلالة والبيان ذلك، إنما عليه البيان؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّ على الهدى ويبيّن لهم طريقه، ثم أخبر أنه لا يهدي من أحب بقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[7] دلّ أنّ ذلك إكرام من الله تعالى بالهداية والتوفيق له[8] والعصمة بلُطفه، لا الدلالة والبيان؛ وكذلك قوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ

---

[1] ع م + فله عشر أمثالها.

[2] جميع النسخ + فلا يجزى إلا مثها.

[3] ع م – يعني الشرك فلا يجزى إلا مثها.

[4] سورة النبأ، ٢٦/٧٨.

[5] ع: ما ذكر.

[6] م: الكسائي.

[7] سورة القصص، ٥٦/٢٨.

[8] ك: الهداية بالتوفيق له.

بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[١] الآية، فلو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك، ثم أخبر[٢] أنّ المِنّة عليهم لله تعالى لا لرسوله، دلّ أنه لما ذكرنا من الهداية نفسها لا الدلالة.

وقوله عز وجل: **دينا قِيَما،**[٣] قيل: قائما مستقيما لا عِوَج فيه، كقوله: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا،[٤] والعِوَج هو الذي فيه الآفة،[٥] فأخبر أن لا آفة فيه ولا عِوَج.

وقوله عز وجل: **ملةَ إبراهيم،** إن أهل الأديان جميعًا يدّعون أنّ الذي هم عليه[٦] هو دين إبراهيم، فأخبر أنّ دين إبراهيم هو الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هم.

وقوله: **حنيفًا،** قيل: مسلمًا. والحَنَف هو الميل، وهو حَنِيف،[٧] أي مائل إلى دين الله. أخبر أنه يدعو[٨] إلى دين الله تعالى وإلى الدين الذي كان عليه آباؤه وأجداده، أعني به الأنبياء والرسل عليهم السلام. **وما كان من المشركين،** برّأه عز وجل من الشرك. وقيل:[٩] **حنيفا،** خالصا لله مخلصا لم يشرك أحدا في ربوبيّته ولا في عبادته على ما فعل أولئك الكفرة.

وفي حرف ابن مسعود[١٠] / رضي الله عنه وحفصة: دينا قِيَما فِطرتَكم التي فُطرتم عليها ملةَ إبراهيم [٢٣٨و]
حنيفا. ويُقرَأ: قَيِّمًا بالتشديد، وقِيَمًا بالتخفيف.[١١]

أو يخرج قوله: **إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم،** على الشكر له والحمد على ما أنعم عليه وأفضل له من الإكرام له بالهداية بالطريق المستقيم. والمستقيم[١٢] يحتمل القائم بالحق والبرهان. وكذلك قوله: **دينا قيما،** بالحُجج والبراهين، ودين أولئك دين بهوى[١٣] أنفسهم، ولذلك قال: **حنيفا.**

---

[١] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[٢] ع م – أخبر.
[٣] قرأ من الأئمة العشرة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلَف: قِيَمًا، وقرأ نافع وابن كثير و أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: قَيِّمًا؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٦٧/٢.
[٤] ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنذر بأسا شديدا من لَدُنْهُ﴾ (سورة الكهف، ١/١٨-٢).
[٥] ك: الآفة.
[٦] ك – عليه.
[٧] م: الحنيف.
[٨] ع: يدعون.
[٩] م + كان.
[١٠] ك: وفي حرف بن مسعود.
[١١] تقدم بيان ذلك قريبا في الحاشية.
[١٢] ع م – والمستقيم.
[١٣] ن ع: يهوى.

وقوله: **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، وقوله عز وجل: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[1] وقوله عز وجل: قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا،[2] خاطب الله بهذه الآيات رسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد به الخَلْق كلّه، فمَن بُلِي بمثل ما كان بُلِي رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال والدعاء فله أن يقرأ ويذكر[3] ما في هذه الآيات. ولو كان المراد بالخطاب بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة لكان لا يقول له: قُل، ولكن يقول له: افعل كذا، ولا تفعل كذا، وعلى ذلك[4] الخطاب في الشاهد في خطاب[5] بعضٍ بعضًا أن لا يقولوا: قُل، فدلّ أنه على ما ذكرنا. وكذلك قوله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،[6] مَن استُوصِف صفاتِ الله فعليه أن يَصف له ما في سورة الإخلاص،[7] ورسول الله[8] صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق سواء في ذلك الخطاب.

ثم في قوله: **قل إنني هداني ربي**، الآية، ذِكرُ مِنّتِه بما هداه والاستيداء[9] إلى شكر ما أنعم[10] عليه، وفي قوله: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي،[11] الأمر بإخلاص العبادة لله عز وجل وإسلام النفس له في جميع أحواله محياه ومماته، وفي قوله: قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا،[12] فيه الدعاء إلى وحدانيّة الله وربوبيّته.

ثم في قوله: **إنني هداني ربي**، دلالةُ ردِّ قولِ مَن يستثني في إيمانه، لأنه أمره أن يقول: **إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، مِن غير أنْ أمره بالثُّنْيا، فمن استثنى[13] فيه لا يخلو[14] استثناؤه من أحد[15] معنيين،

[1] الآية التالية.
[2] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.
[3] ن ع م: أو يذكر.
[4] ع: على ذلك.
[5] ع: في الخطاب.
[6] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[7] ع: الارخلاص.
[8] ع: رسول الله.
[9] ك: والاستيلا.
[10] ع م: نعم.
[11] الآية التالية.
[12] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.
[13] ع: من استثنى.
[14] ع: لا يخلوا.
[15] ع - من أحد.

إما[١] أن يكون لِشكٍ فيه أو لكتمان[٢] ما أنعم الله عيه، فعلى كلّ مَن أنعم الله عليه أن يُظهر ذلك وأن يشكر له على ذلك على ما أمر رسوله صلى الله عيه وسلم بذلك.

**﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٢] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٦٣]**

وقوله: **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**، يخرج على وجهين. أحدهما يخرج على الأمر بالدعاء لنفسه، كأنه[٣] قال: **قل**، أَجْعَلُ، **صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**. والثاني على المنابذة[٤] مع أولئك الكفرة والفجرة،[٥] يقول: أنا أجعل **صلاتي**، وعبادتي،[٦] **ومحياي ومماتي لله**، لا أجعل لغيره شِركا[٧] كما جعلتم أنتم لغيره شِركا[٨] في عبادته وصلاته ونسكه. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في قوله: **صلاتي**، قال بعضهم: الصلاة المفروضة. وقال بعضهم: الصلاة الخضوع والثناء، يقول: إن خضوعي وثنائي لله. والصلاة هي الثناء في اللغة.[٩]

وقوله: **ونُسُكي**، اختلف فيه. قال الحسن: نُسُكي: ديني،[١٠] كقوله: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا،[١١] أي دينا. وقيل: نُسُكي: ذبيحتي[١٢] لله في الحجّ والعمرة وغيره. وقيل: نُسُكي: عبادتي. والنُّسُك اسم كل عبادة، وعلى ذلك يُسمَّى كلّ عابد ناسكا.[١٣]

وقوله: **ومحياي ومماتي لله رب العالمين**، أي أنا حيّ وميّت لله، لا أُشرك أحدا في عبادتي ونفسي، بل كلّه لله، **لا شريك له**،[١٤] في ذلك.

---

[١] ن: وإما.
[٢] ع: أو كتمان.
[٣] ع م: لأنه.
[٤] ع: على منابذة.
[٥] ك ن – والفجرة؛ ع: الفجرة.
[٦] م: وغبادتي.
[٧] ن: شركاء.
[٨] ن: شركاء.
[٩] من معني الصلاة في اللغة الثناء والدعاء وغير ذلك (*لسان العرب* لابن منظور، «صلو»).
[١٠] *تفسير القرطبي*، ١٥٢/٧.
[١١] سورة الحج، ٣٤/٢٢.
[١٢] ع: ذبيحة.
[١٣] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «نسك».
[١٤] م – له.

[**وبذلك أُمِرتُ**]، ويحتمل أن يكون هذا على التقديم والتأخير، كأنه قال: قل إني أُمرت أن أجعل صلاتي ونُسُكي لله. أو إني أُمرت أن أدعو[1] وأسأل الله أن يجعل صلاتي ونسكي وعبادتي له لا أشرك غيره فيه.

وقوله عز وجل: **وأنا أول المسلمين**، يحتمل قوله:[2] **وأنا أول المسلمين**، أي[3] وأنا أول من خضع وأسلم بالذي أُمرتُ أن أُبلّغ، لأنه أمر بتبليغ ما أنزل إليه، فيقول: أنا أول من أسلم بالذي أمرت بالتبليغ. ويحتمل أن يكون لا على توقيت الإسلام، ولكن على سرعة الإجابة والطاعة له، كقوله: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[4] هو على الوصف[5] بغاية العِظَم، ليس على أنّ بعضها أكبر وأعظم وبعضها أصغر، ولكن كلّها أعظم وأكبر، فعلى ذلك هذا ليس على وقت الإسلام، ولكن لسرعة الإجابة والطاعة له. *والله أعلم*. الإسلام هو جعل النفس وكليّةِ الأشياء لله سالمة، أي أنا أول من جعل نفسه لله سالمة.

**﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[١٦٤]

وقوله عز وجل: **قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **أغير الله أبغي ربا**، وقد تعلمون أن لا رب سواه. ويحتمل **أغير الله أبغي ربا** سِواه، وفي كل أحد أثر ربوبيّته وألوهيته قائم ظاهر، وفيما تدعونني إليه أجد آثار العبوديّة والربوبيّة لله فيه، فكيف أتخّذ ربا سِواه؟

وقوله عز وجل: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها**، يحتمل وجهين. يحتمل لا تكسب كلّ نفس مِن سُوء إلا عليها، أي لا يتحمّل ذلك غيره عنه في الآخرة، وكذلك قوله: **ولا تزر وازرة وزر أخرى**، وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[6] ويحتمل أن يكون قوله: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها**، أي لا تكسب كل نفس لو تُركت وما تختار إلا عليها، لكن الله بفضله يمنع بعضها وما تختار على نفسها، كقول يوسف عليه السلام:

---

[1] ن ع م: أن أدعوا.

[2] ع: قو.

[3] م – يحتمل قوله وأنا أول المسلمين أي.

[4] سورة الزخرف، ٤٣/٤٨.

[5] ن: هو الوصف.

[6] سورة النور، ٢٤/٥٤.

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[١] أخبر أنها كاسبةُ السُّوء إلا ما عصمها[٢] ربي. وجائز أن يكون على الإضمار، كأنه يقول: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها** ولها، ومِثلُه[٣] [٢٣٨ظ] جائز في القرآن، كقوله تعالى: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[٤] وهو نذير[٥] لقوم بشير لقوم آخرين نذير في حال، وبشير في حال.

وقوله عز وجل: **ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**، هو على الوعيد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا كبّر للصلاة أَتْبَع التكبير بهذه الآية: **إن صلاتي ونسكي**، إلى آخره. وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة كبّر، ثم قال: «وجّهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين،[٦] إن صلاتي ونُسُكي -إلى قوله- أول المسلمين»،[٧] وذكر أنه كان يدعو بعد ذلك دعاء طويلا.[٨] وروي عن عائشة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذاء مَنْكِبَيْه، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك».[٩] فكان أبو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك[١٠] هذا في الفرائض. وكذا رُوي عن عمر بن الخطاب[١١] رضي الله عنه أنه[١٢] قام[١٣] إلى الصلاة فكبّر ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك؛ وكذلك[١٤] رُوي عن ابن مسعود أنه كان إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك،

---

[١] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[٢] ع: إلا عصمها.
[٣] ع: مثله.
[٤] سورة الفرقان، ١/٢٥.
[٥] ع - وهو نذير.
[٦] هذا اقتباس من قول إبراهيم عيه السلام: ﴿إني وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٧٩/٦).
[٧] ن - إن صلاتي ونسكي إلى قوله أول المسلمين.
[٨] *صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٢٠١؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١١٨-١١٩.
[٩] *سنن أبي داود*، الصلاة ١١٩-١٢٠؛ و*سنن الترمذي*، الصلاة ٦٥.
[١٠] ع م: ذلك.
[١١] ك - بن الخطاب.
[١٢] ن + قال.
[١٣] ع: أنه قال.
[١٤] ن: وكذا.

وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك.[1] وكان أبو يوسف يستحبّ أن يقول بهذه الكلمات والكلمات التي[2] رواها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من غير إيجاب لذلك ولا حَظْر لما سِواه. وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يستحبّ أن يزيد في الفرائض على ما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رُوي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهم. وأما في النوافل فله أن يزيد ما شاء فيها من الثناء والدعوات. فيحتمل أن يكون ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مِن فِعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في النوافل.

**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٦٥]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**، اختلف فيه. قال بعضهم: **جعلكم خلائف الأرض**، يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم خلائف مَن تقدّمهم من المكذّبين والمصدّقين،[3] ليعلموا ما حلّ[4] بالمكذّبين[5] برسول الله صلى الله عليه وسلم، ليحذروا تكذيبه والخلاف له، ويرغبوا في تصديقه والموافقة له والطاعة، ليكون لهم بمن تقدّمهم عبرة[6] في التحذير والترغيب، ويكون لهم بمن تقدّمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ كيف يجب أن يَصحبوه ويُعاملوه من الإحسان إليه والتعظيم له والتصديق، ويجتنبوا الإساءة إليه والتكذيب. وقال بعضهم: قوله: **جعلكم خلائف الأرض**، يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلائف بعض في الوجود وفي الأحوال: في الحياة والموت والغَناء والفقر والصحة والسقَم وفي العزّ[7] والذلّ وفي كل شيء وفي الصغر والكبر،

[1] ع م – وكذلك روي عن ابن مسعود أنه كان إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. قال الترمذي رحمه الله: «وأمّا أكثر أهل العلم فقالوا بما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك"؛ وهكذا رُوي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من التابعين وغيرهم» (*سنن الترمذي*، الصلاة ٦٥).

[2] ن – والكلمات التي.

[3] ك ع م: والصديقين.

[4] ن ع م: ما احل.

[5] ن: من المكذبين.

[6] ن ع: عبر.

[7] ع: في العز.

يكون لهم[١] في ذلك عِبَرٌ ودليلٌ[٢] على معرفة منشئهم وخالقهم؛ لأنه لو أنشأهم جميعًا معًا لم يعرفوا[٣] أحوال أنفسهم وتغيُّرهم من حال[٤] إلى حال، ولكن أنشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا أحوال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى حال،[٥] [و] ليعرفوا أنّ مُنشئهم واحد، لأنهم لو كانوا جميعًا معًا لم يعرفوا مبادئ[٦] أحوالهم من حال نطفة ثم من علقة[٧] ثم من مضغة، ثم من حال الصغر إلى حال الكبر. وكذلك هذا في جميع الأحوال من الغَناء والفقر والصحة والسقَم، ولو كان كله عىي حالة واحدة لم يعرفوا ذلك، لكن جعل بعضهم خلائف بعض ليدلّهم على ما ذكرنا. ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم صاروا خَلَف الجانّ.[٨] فالأول[٩] يكون في بيان صحبة رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه، والثاني في بيان وحدانيّة الرب.

وقوله عز وجل: **ورفع بعضكم فوق بعض درجات**، يحتمل هذا في الأحوال، ويحتمل في الخِلقة. جَعل لبعضٍ فضائل ودرجات على بعض، وجعل بعضًا فوق بعض بدرجات في الدنيا، ليكتسبوا لأنفسهم في الآخرة الدرجات والفضائل على ما رغبوا في الدنيا في فضائل الخِلقة ودرجات بعض فوق بعض[١١] ونَفَروا في الدُّون مِن ذلك، لِيُرَغِّبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الآخرة ويُنَفِّرهم عن اكتساب ما يَنفرون عنه في الدنيا.[١٢]

وقوله عز وجل: **ليبلوكم فيما آتاكم**، يحتمل: **ليبلوكم فيما آتاكم**، مِن الأحوال المختلفة مِن الفقر والغَناء[١٣] والسقَم والصحّة[١٤] والصغر[١٥] والكبر وغير ذلك من الأحوال.

---

[١] ك + لهم.
[٢] جميع النسخ: عبرا ودليلا.
[٣] ك: مع ما لم يعرفوا.
[٤] ع: في حال.
[٥] ك – ولكن أنشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا أحوال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى حال.
[٦] ن ع: مباد.
[٧] م – ثم من علقة.
[٨] روي بمعناه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٩٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١/١١١.
[٩] أي القول الأول.
[١٠] ك + رسول الله.
[١١] ع – بعض.
[١٢] ك: من الدنيا.
[١٣] ك: والعناية.
[١٤] ع: والصحة والسقم.
[١٥] ع – والصغر.

ويحتمل **فيما آتاكم**، مِن النعم، أي ليبلوكم[1] بالشكر على ما آتاكم من النعم.*

[٢٣٩و] وقوله: **ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**، قيل: / يبتلي الموسر في حال الغَناء والصحيح في حال صحته، ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض في حال مرضه. والابتلاء من الله تعالى على وجهين، إما أمرا بالشكر على ما أنعم، أو صبرا على ما ابتلاه بالشدائد. والابتلاء منه هو ما بَيَّنَ السبيلين جميعًا: سبيلَ الحق وسبيلَ الباطل، وبَيَّنَ أنَ كلّ سبيل إلى ما ذا أَفْضَاه لو سلكه، لو سلك[2] سبيل الحق أفضاه إلى النعم الباقية والسرور الدائم، وإن سلك سبيل الباطل أفضاه إلى عذاب شديد وحزن دائم، ثم خيّره بين هذين، فهو معنى[3] الابتلاء.

[٢٣٨ظ س٣٦ *وقوله عز وجل: **إن ربك سريع العقاب**، قال بعضهم: هو إخبار عن سرعة إتيان العذاب، لأنّ كلّ آتٍ قريب، كأنْ قد جاء، وكقوله: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ،[4] واقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[5] واقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[6] ونحوه، أنه إذا كان أتى لا محالة، فجعل[7] كأنْ قد جاء. وقال بعضهم: ذلك إنباء

٢٣٨ظ س٣٩] عن شدة عذابه لمن عصاه.*

وقوله عز وجل: **وإنه لغفور رحيم**، للمؤمنين، وقد ذكرنا.[8] والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.[9]

---

[1] ن – أي ليبلوكم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير آخر الآية متقدمة على موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٣٨ظ/سطر ٣٦-٣٩.

[2] ك: او سلك.

[3] ك ن ع: في معنى.

[4] سورة النحل، ١/١٦.

[5] سورة الأنبياء، ١/٢١.

[6] سورة القمر، ١/٥٤.

[7] جميع النسخ: جعل.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٢٣٨ظ/سطر ٣٦-٣٩.

[8] ك: قد ذكرنا؛ ع: وقد ذكرناه. انظر تفسير الآية من سورة الفاتحة، ٣/١؛ وسورة آل عمران، ٨٩/٣.

[9] ك ن ع – وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأعراف

قيل:[1] إنها مكية. بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿الٓمٓصٓ﴾[١]

الحمد لله العليم بخلقه، اللطيف لرشد عباده، ضرب لهم الآيات والبيان، لينقلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ووصّى به رسوله أن يدعو[3] عباده إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وأنزل إليه الكتاب. تلا فيه ما في الكتب الأولى ليبيّن لأهل الكتاب والمشركين أن النبي الأُمّي العربي لم يَعلم ما في الكتب[4] الأعجمية[5] إلا من عند الله، ليكون ذلك أوضح لهم في الحجة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين أنه لم يَتْلُ[6] كتابا ولا خطَّه بيمينه،[7] ولا كان عندهم من شعرائهم، ولا المعروف [بعلم] أنسابهم،[8] وعِلم أنبائهم،[9] وذلك أبلغ في البرهان. فأنبأ فيه علم الغيوب، وفَرَض الفرائض، وحَكَم فيه الأحكام، وأنزل فيه الحجج بتأليفٍ يَعجز[10] عنه مَن دون الله، ليبين لهم أنه[11] من عند الله

[1] ع: وقيل.
[2] ع + وبه.
[3] م: أن يدعوا.
[4] ك ن: ما في كتب؛ ع م: في الكتب.
[5] ع: العجمية.
[6] ك: يتو.
[7] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كنتَ تتلو مِن قَبْله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لارتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨).
[8] جميع النسخ: بأنسابهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ.
[9] ن: بأنبائهم.
[10] ع م: يعجزه.
[11] ع: اية.

فأَنِف قومه وأَبَوا أن يستمعوه واستكبروا عليه، وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[1] وقالوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.[2] فأتاهم العليم الخبير مِن قِبَل أَنَفِهِم[3] وكِبْرهم، فأنزل في الكتاب كلاما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه، فبما سمعوا ظنوا أنه بديعٌ ابتدعه[4] محمد كابتداعهم البلاغات والأوابِد،[5] وأَنِفوا أن يكون محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون، فتدبّروا الكتاب ليعلموا صدوره بما بعده من الكلام،[6] فسمعوا كلاما مجيدا حكيما،[7] ونبأ عظيما، وحُججا نيّرة، ومواعظ شافية، فدخل أكثرهم في الإسلام، وقعد عنه رجلان: معاند متعمّد، وجاهل مقلّد لا يَنظر. وفيما أنزل مما وُصف قوله: كهيعص،[8] وطسم،[9] **والمص**، والمر،[10] وما أشبهها. فقال: **المص**، ليعطف بها[11] على النظر فيما بعدها.*

ويحتمل أن تكون[12] هذه الحروف المقطّعة خطابا[13] خاطب الله بها رسله يفهمونها لا يفهمها[14] غيرهم، على ما يكون لملوك الأرض بينهم وبين خواصّهم إشارات[15] يفهمها خواصّهم ولا يفهمها غيرهم.[16] هذا متعارف فيما بين الخلق أن يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم[17] ماذكرنا.

---

[1] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[2] سورة فصلت، ٤١/٢٦.

[3] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ.

[4] جميع النسخ: ابتدع.

[5] الآبِدة: الكلمة أو الفعلة الغريبة، وجاء فلان بآبدة: أي بداهية يبقى ذكرها على الأبد، ويقال للشوارد من القوافي: الأوابد (*لسان العرب* لابن منظور، «أبد»).

[6] أي ليعلموا ما جاء في صدر الكلام في القرآن من الحروف المقطعة بالنظر إلى ما جاء فيما بعده من الآيات.

[7] ك – حكيما.

[8] سورة مريم، ١٩/١.

[9] سورة الشعراء، ٢٦/١؛ وسورة القصص، ٢٨/١.

[10] سورة الرعد، ١٣/١.

[11] ن ع م: لتعطف بها.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية متقدمة عن موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٣٩و/سطر ٢٢-٣١.

[12] ن ع م: أن يكون.

[13] ك: خطاب.

[14] ن – لا يفهمها.

[15] ع: إشارة.

[16] ك – على ما يكون لملوك الأرض بينهم وبين خواصهم إشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم.

[17] ن – إشارات يفهمها حواصهم ولا يفهمها غيرهم هذا متعارف فيما بين الحلق أن يكون هم فيما بينهم وبين خواصهم.

فعلى ذلك يحتمل أن تكون[١] هذه الحروف المقطّعة خطابات من الله خاطب بها رسله، وهم خواصّه يفهمونها ولا يفهمها[٢] غيرهم. ثم وَجْهُ فَهْمِهم يكون لوجهين. يخبرهم[٣] فيقول: إني[٤] إذا أنزلت إليكم كذا فمرادي من ذلك كذا. أو كان[٥] البيان والمراد منها مقرونا بها وقت إنزالها، فهموا المراد منها بما أفهمه الله وأراهم ما لم يُرِ ذلك غيرَهم، كقوله: إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ،[٦] أرى رسله أشياء[٧] لم يُرِ ذلك غيرَهم ولا أَطْلَعَهم على ذلك، فهي[٨] من المتشابه على غيرهم، وأما على الرسل فليس من المتشابه.

وقال الفراء: يحتمل أن تكون[٩] هذه الحروف المقطّعة المتفرّقة التي أنزلها من ا ب ت ث إلى آخرها كأنه قال: إني جمعت هذه الحروف المتفرّقة فجعلتها كتابا،[١٠] / فأنزلتها من نحو **المص**، [٢٣٩ظ] و الٓمٓ اللَّهُ،[١١] والٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ،[١٢] والمر،[١٣] ونحوه. والله أعلم بما أراد به ذلك. وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار[١٤] ما حفظنا وفهمنا من أقاويل أهل العلم في ذلك.[١٥]

**﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]**

* ثم ابتدأ فقال: **كتاب أنزل إليك**، يقول: **كتاب** من ربك **لتنذر به** عباده. **فلا يكن في صدرك** [٢٣٩و س٢٢] **حرج منه**، يقول: فلا يَضيقنّ[١٦] **صدرك** عن الذي فرض الله عليك فيه من البلاغ إلى قومك،

---

[١] ن ع م: أن يكون.
[٢] ع م: ولا يفهمون.
[٣] «أحدها أن يخبرهم الله بوحي غير متلو على لسان الملك فيقول...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ).
[٤] ع م: الي.
[٥] ع: وكان.
[٦] سورة النساء، ١٠٥/٤.
[٧] م: شيئا.
[٨] ع م: فهم.
[٩] ع م: أن يكون.
[١٠] *معاني القرآن* للفراء، ٢٤٨/١.
[١١] سورة آل عمران، ١/٣-٢.
[١٢] سورة البقرة، ١/٢-٢.
[١٣] سورة الرعد، ١/١٣.
[١٤] ن + هذا.
[١٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١/٢.
[١٦] ن ع م: فلا تضيقن.

وبما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون من دون الله. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف ما خافت الرسل من بين يديه، فقال موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[1] وقد كان يَعرف قومه[2] بالتسرّع إلى القتل فيما ليس مثل ما يأتيهم به، فأمّنه الله منهم بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[3] وقال في آخر هذه السورة: ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[4] ليفهموا أنها[5] عن الله تعالى، فإنها من أعظم آيات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، أعلمه أنهم لا يَصِلون إلى ما يخاف منهم. وفي الأثر أن الله تعالى لما أرسله إلى قومه فقال: «أي رب، إذًا يَثْلَغُوا[6] رأسي فيَدَرُوه مثل خُبزة».[7] فأمّنه الله تعالى من ذلك فقال: **فلا يكن في صدرك حرج من البلاغ، ولا يَضِيقَنّ صدرك** عما فرض الله عليك من العبادة والحكم الذي تخالف فيه قومك. ثم وصف الكتاب فقال: **وذكرى للمؤمنين**، يقول: يتذكرون بما فيه ويتدبرونه، فيعلمون به[8] الحق من الباطل،
[٢٣٩و س٣١] ويذكرون به ما فرض[9] عليهم.*

وقوله عز وجل: **فلا يكن في صدرك حرج منه**، قيل: الحرج هو الضيق في الصدر. ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها. يحتمل ضيق الصدر ما يحمل عليه في ذلك من الشدائد والخطرات[10] بتبليغه إلى الكفرة الذين نشئوا على الكفر والشرك، وخاصّةً الفراعنة والملوك الذين هِمّتهم القتل والإهلاك لمن استقبلهم بالخلاف. أو أن يوسوس في صدره الشيطان أنه ليس من عند الله. أو أن يقول له: إنه من أساطير الأولين، على ما قال أولئك الكفرة:

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/١٤.

[2] أي كان يعرف محمد صلى الله عليه وسلم قريشا.

[3] سورة المائدة، ٥/٦٧.

[4] سورة الأعراف، ٧/١٩٥.

[5] ك: يفهموها؛ ن ع م: يفهمونها.

[6] ثَلَغَه بالعصا: ضربه ... وثَلَغَ الشيء يَثْلَغُه ثَلْغا: شَدَخه، وثَلَغَ رأسه يَثْلَغه ثَلْغا: هَشَمه وشَدَخه. وقيل: الثَّلْغ في الرَّطْب خاصة. وفي الحديث: «إذًا يَثْلَغُوا رأسي كما تُثْلَغ الخبزة». الثَّلْغ: الشَّدْخ، وقيل: هو ضَرْبُك الشيء الرَّطْب بالشيء اليابس حتى يَنشدخ (*لسان العرب* لابن منظور، «ثلغ»).

[7] ورد ذلك خلال حديث طويل: «... وإن الله أمرني أن أحرق قريشا. فقلت: رب إذًا يَثْلَغُوا رأسي فيدعوه خُبْزَة. قال: اِسْتَخْرِجهم كما استخرجوك، واغزُهم نُغْزِك، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٦٢؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٦٣).

[8] ع - به.

[9] ك ن + الله.

* وقعت ما بين النجمتين من تفسير الآية متقدما على موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٣٩و/سطر ٢٢-٣١.

[10] ك م: الحظرات.

مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[١] ثم يحتمل قوله: **فلا يكن في صدرك حرج منه**، عى النهي، أي لا يكن[٢] في صدرك[٣] منه حرج، أي لا يَضيقنَ صدرُك مما حُمل عليك. وقال بعضهم: **فلا يكن في صدرك حرج**، أي شك أنه من عند الله نزل. وقد ذكرنا أن العصمة لا تمنع[٤] النهي،[٥] لأنه بالنهي ما يكون[٦] عصمة.[٧] ويحتمل ليس على النهي، ولكن عى أن لا تَحْمِلْ عى نفسك ما فيه هلاكك، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[٨] وكقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٩] ليس عى النهي، ولكن عى أن لا تحمل[١٠] عى نفسك ما فيه هلاكك، فعلى ذلك هذا.[١١] *والله أعلم*.

ثم إن الله عز وجل أمّنه عما كان يخاف من أولئك بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[١٢] وأمّنه من وساوس الشيطان على ما روي في الخبر أنه قيل له:[١٣] ألك شيطان؟ فقال: «كان، ولكن أُعِنتُ عليه فأسلم».[١٤] أمّن عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **لِتُنذر به**، يحتمل أنه أمره أن ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين،[١٥] كقوله: لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ،[١٦] فعلى ذلك قوله: **لتنذر به** الكفرة، **وذكرى للمؤمنين**،

---

[١] ك – على ما قال أولئك الكفرة ما هذا إلا أساطير الأولين. سورة الأحقاف، ١٧/٤٦.
[٢] جميع النسخ: لا يكون.
[٣] ع م: في درك.
[٤] ع م: لا يمنع.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٣٥/٦.
[٦] ما مصدرية وليست نافية.
[٧] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقد ذكرنا أن العصمة لا تزيل المحنة والنهي، بل النهي مما يقرر العصمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٤و).
[٨] سورة النمل، ٧٠/٢٧.
[٩] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[١٠] م: أن لا يتحمل.
[١١] ن – فعي ذلك هذا.
[١٢] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[١٣] ع م – له.
[١٤] عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قرينه من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» (*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٦٩). وانظر لروايات قريبة المعنى: *سنن الترمذي*، الرضاع ١٦؛ *وسنن النسائي*، ٤.
[١٥] م – المؤمنين.
[١٦] سورة الأحقاف، ١٢/٤٦.

أي بشرى على ما ذكرنا. ويكون في الإنذار بشرى، لأنه إذا أنذر فقَبِل الإنذار فهو له بشرى. ويحتمل قوله: **لتنذر به**، أي الكل الموافق والمخالف جميعا، كقوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.[1] **وذكرى للمؤمنين**، أي الذي[2] ينتفع به المؤمنون.

**﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **اتبعوا**، الآية، لا تتبعوا أولئك في التحليل والتحريم وفي الأمر والنهي، لأنه ليس إلى الخلق التحليل والتحريم. وقوله: **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم**، أمر المؤمنين أن يتّبعوا ما أنزل[3] إليهم من ربهم على ما أمر رسوله أن يتّبع ما أنزل إليه من ربه، كقوله: اِتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[4] ليُعلم أن ما أنزل إلى رسول الله هو منزل إلى المؤمنين جميعا.[5] وقوله عز وجل: **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم**، فيما ذُكر وما يُحِلّ وما يُحرّم وما يأمر وما ينهى.[6] **ولا تتبعوا من دونه أولياء**، قيل: أربابا،[7] أي لا تتبعوا من دونه **أولياء** فيما يُحِلّون ويُحرّمون ويأمرون وينهون؛ أي إنما عليهم اتباع ما حرّم عليهم واستحلال ما أحلّ لهم، و أما إنشاء[8] التحليل والتحريم فلا. وقال بعض أهل التأويل: **أولياء**، أي[9] الأصنام والأوثان. ولكن لا يحتمل ههنا، ولكن ما ذكرنا أنهم كانوا يتّبعون عُظَماءهم في التحليل والتحريم، كقوله: اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ،[10] وكانوا لا يتخذون أولئك الأحبار أربابا في الحقيقة، ولكن كانوا يتّبعونهم فيما يحلّون ويحرّمون ويُضلّون[11] آراءهم، فسُمّوا بذلك لشدة اتّباعهم أولئك في التحليل والتحريم.

***والله أعلم.***

---

[1] ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ سورة الفرقان، ١/٢٥.
[2] ع م: أي الذين.
[3] ن + الله.
[4] سورة الأنعام، ١٠٦/٦.
[5] م – جميعا.
[6] ن ع م: وما يؤمر وينهى.
[7] ك: اباؤنا.
[8] ك ع: وأما انشأ.
[9] ع م – أي.
[10] سورة التوبة، ٣١/٩.
[11] جميع النسخ: ويصدون.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تذكّرون**، قال أهل التأويل: يعني بالقليل المؤمنين.[١] ولكن يحتمل قوله: **قليلا ما تذكّرون**، أي لا تتذكرون[٢] [أصلا و]رأسا، لأن الخطاب جرى به[٣] لأولئك الكفرة، وفيهم نزلت الآية.[٤]

**﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وكم من قرية أهلكناها**، قال أهل التأويل:[٥] يخوّف [الله عز وجل] أهل مكة بتكذيبهم الرسول بإهلاكه الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل بقوله: **وكم من قرية أهلكناها** بتكذيبهم الرسل، فأنتم يا أهل مكة تُهْلَكون بتكذيبكم[٦] الرسول،[٧] وإن كانوا لا يعرفون هم إهلاك الأمم الماضية أنه إنما أهلكوا بتكذيبهم الرسل، غير أنهم وإن كانوا لا يعرفون هم ذلك بأنفسهم لما ليس[٨] عندهم كتاب لكن يَصِلون[٩] إلى علم ذلك بمن عندهم الكتب، وهم أهل[١٠] الكتاب، فيلزمهم الحجة. كالعجم وإن كانوا لا يعرفون الكتاب الذي أنزل بلسان العرب فإن الحجة تلزمهم[١١] بذلك لما كان لهم سبيل الوصول إلى علم ذلك بالعرب. فعلى ذلك هؤلاء وإن لم يكن عندهم علم بإهلاك أولئك فتلزمهم الحجة بإعلام أهل الكتاب إياهم. وفي الآية دلالة إثبات رسالة[١٢] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن إهلاك الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف إليهم ليعلموه عن ذلك، ثم أخبرهم بذلك، فدل أنه إنما عرف ذلك بالله عز وجل.

وقوله عز وجل: **فجاءها بأسنا بَياتًا أو هم قائلون**، قال أبو بكر الكيساني: البأس[١٣]

---

[١] أي عدد من يتذكر من الناس قليل، وهم المؤمنون، والكفار الذين لا يتذكرون عددهم أكثر.
[٢] ن ع م: لا يتذكرون.
[٣] ع م: جرى فيه.
[٤] وانظر لأقوال أخرى تفسير الآية رقم ١٠.
[٥] ن ع م + كان.
[٦] م: بتكذيبهم.
[٧] ن: الرسل.
[٨] ع: ما ليس.
[٩] ع: كتاب لا يصلون.
[١٠] ع م - أهل.
[١١] ع: يلزمهم.
[١٢] د + نبيا.
[١٣] م: الناس.

هو كل أمر مُعضِل شديد من المرض والجرح وغيره، ويقول: روي عن[1] عمر أنه لما طُعن[2] قيل له: لا بأس عليك،[3] فقال: إن كان في القتل بأس فَفِي ذلك.[4] وأما غيره من أهل التأويل فقالوا: البأس العذاب، **وبأسنا** عذابنا.

[٢٤٠و] وقوله عز وجل: / **بياتا أو هم قائلون**، البيات بالليل،[5] والقيلولة بالنهار عند الظهيرة، وهما وقتا الغفلة أو وقتا الأمن. أخبر أنه إنما يأتيهم عذابه في حال الغفلة أو في حال الأمن لئلا يكونوا غافلين عن أمره ولا يكونوا آمنين عذابه.[6]

## ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا**، أي ما كان دعواهم قبل نزول العذاب إلا أنهم قالوا: نحن على الحق، وإن غيرهم على الباطل، فإذا جاءهم بأسنا اعترفوا بظلمهم كقوله: **إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين**. وقال بعضهم: **فما كان دعواهم**، حين نزول العذاب،

[٢٤٠و س٨] **إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين**،* كقوله:[7] فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[8] الآية.*

## ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**، يذكر في هذه الآية أنه يسألهم جميعا الرسل والمرسلين إليهم،[9] وقال في آية أخرى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ،[10] وقال: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.[11] ولكن قوله: لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ،

---

[1] ع م: – عن.
[2] جميع النسخ: لما طعن له.
[3] ن – عليك.
[4] ن ع م: بذلك. *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٨/٨.
[5] البيات: كل أمر في جوف الليل. يقال: أتاهم الأمر بياتا، أي أتاهم في جوف الليل (*لسان العرب* لابن منظور، «بيت»).
[6] ك ن: عن عذابه.
[7] ع – كقوله.
[8] سورة المومن، ٨٤/٤٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٠و/س ٨–٩.
[9] ع: والمرسل إليهم؛ م: والمرسل عليهم.
[10] سورة الرحمن، ٣٩/٥٥.
[11] سورة الأنبياء، ٢٣/٢١.

أي لا يسأل عما فعل وعن نفس ما ارتكب:[١]* ما أذنبت[٢] وما فعلت؟[٣] ولكن يُسأل: لماذا فعلت؟ يسأل عن الحجة: لم أذنبت[٤] ولم فعلت ذا؟ أوأن يسأل في وقت و لا يسأل في وقت آخر.[٥] وقال بعضهم: لا يسأل عن ذنبه غيره،[٦] وإنما يسأل صاحبه وفاعله. يخبر -والله أعلم-[٧] أن أمر الآخرة على خلاف أمر الدنيا، لأن في الدنيا قد يؤاخذ[٨] غيره بذنبِ آخرَ[٩] ربما، ويسأل[١٠] إحضار قريبه. وأما في الآخرة فإنه لا يؤاخذ غيره بذنب آخر، لذلك[١١] كان ما ذكرنا. أو أن يكون قوله: لَا يُسْأَلُ، عما أظهر وأبدى، ولكن يسأل عما أسرّ وأخفى، لأن الملائكة قد يكتبون ما أبدوه وأظهروه، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[١٢] فيقع السؤال[١٣] عما أسرّوا على التقرير، ولا يسأل بعد ذلك.

وقوله: **فلنسألنّ الذين أُرسل إليهم ولنسألن المرسلين**، قال بعض أهل التأويل: يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى الأمم، ويسأل قومهم هل بلغ الرسل إليهم الرسالة، ويكون سؤالهم للرسل[١٤] سؤال شهادة، كقوله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،[١٥] الآية، أنه قد بلغ الرسالة.

---

[١] ك: ما ارتكبت؛ م: وعن نفس ارتكب.

* وقعت هنا عبارة: «كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية». وهي تناسب تفسير الآية السابقة. فوضعناها هنالك. انظر: ورقة ٢٤٠و/سطر ٨-٩.

[٢] جميع النسخ: لم أذنبت.

[٣] يقول علاء الدين السمرقندي: «أراد نفي السؤال عن نفس الفعل. أي لا يسأل عن عين ما فعل وعن نفس ما ارتكب» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٤ظ).

[٤] ع: عن الحجة أذنبت.

[٥] «... فإنه قيل: إنه يسأل في أول البعث» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٤ظ).

[٦] ع: غير.

[٧] م - أعلم.

[٨] ك: يؤاخذ.

[٩] ن + وإنما يسأل.

[١٠] ك - ويسأل.

[١١] ع م: كذلك.

[١٢] سورة ق، ١٨/٥٠.

[١٣] ن - عما أسر وأخفى لأن الملائكة قد يكتبون ما أبدوه و أظهروه كقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال.

[١٤] ك ع م: الرسل.

[١٥] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).

وقال بعضهم: يسأل الملائكة عن تبليغ الرسالة إلى الأنبياء، ويسأل الأنبياء عليهم السلام عن تبليغ الملائكة إليهم.[١] وأمكن أن يكون السؤال للرسل عما أجيبوا، وكان سؤال الأمم عما أجابوا الرسل، كقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ،[٢] وكقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ.[٣] أو أن يكون سؤال القوم سؤال تقرير عندهم وإقرار لما كانوا ينكرون التبليغ إليهم، كقوله: وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ،[٤] هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا غير، لأنه كان يعلم أنه لم يكن قال لهم ذلك، لكنه يسألهم سؤال تقرير ليقروا[٥] بذلك، لئلا يقولوا: هو قال لهم ذلك، لأنهم ادعوا أن[٦] عيسى هو الذي قال لهم ذلك، فعلى ذلك الأول.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**، عن عملهم وصنيعهم، ولكن يسألون لما ذكرنا. ***والله أعلم***. يشبه أن يكون **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**، ذكر هذا لما يحتمل أن يُظَنّ به الخفاء عليه[٧] لما ذكر من المسألة لهم، والسؤال هو[٨] الاستخبار عما يُسَرّ ويُضمَر ليظهر ذلك، هذا هو معنى السؤال في الشاهد والاستخبار، فأخبر عز وجل بقوله: **فلنقصن عليهم بعلم**، على أن سؤاله ليس بسؤال استخبار واستظهار له، ولكن سؤال توبيخ وتقرير أو سؤال شهادة. وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الأمر والنهي، لا لإظهار شيء خفي عليه، وإن كان في الشاهد يكون لذلك، أو أن يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم، فسمي ذلك الأمر منه والنهي ابتلاء وامتحانا لما عند الخلق ابتلاء وامتحان، وإن كان عند الله لا يحتمل ذلك، فسمي بالذي فيما بينهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن + إليهم.
[٢] سورة المائدة، ١٠٩/٥.
[٣] سورة القصص، ٦٥/٢٨.
[٤] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[٥] ع: لقروا.
[٦] ع – ادعوا أن؛ م: قالوا.
[٧] ع: عليهم.
[٨] جميع النسخ: وهو.

**﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك** كذا، قال الحسن: يكون ميزانا له كفّتان يوزن فيه الحسنات والسيئات، **فمن ثقلت موازينه** دخل الجنة، **ومن خفت موازينه** دخل النار.[1] وقال غيره من أهل التأويل: يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار. إلى هذا[2] ذهب[3] أكثر أهل التأويل. ولا يحتمل ما قالوا. أما قول الحسن: ميزان له كفتان توزن[4] فيه الحسنات والسيئات، لا يحتمل، لأنه قال: **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**، إذا ثقل إحدى الكفتين[5] خفت الأخرى، وإذا خفت إحداهما ثقلت الأخرى، فكل واحد منهما ممن يثقل[6] موازينه ويخفّ، وقد أخبر في الآية أن من **ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم**. ولا يحتمل / أيضا ما قال غيره من [٢٤٠ظ] أهل التأويل أنه أراد بالموازين الحسنات والسيئات، لأن الآية في المؤمنين والكافرين، فلا سيئة ترجح في المؤمن مع إيمانه، ولا حسنة ترجح في الكافر مع شركه، إلا أن يقال: أن توزن[7] حسناته وتقابل[8] بسيئاته دون إيمانه، وكذلك الكافر تقابل[9] سيئاته بحسناته دون الشرك،[10] فتذهب[11] حسناتهم التي كانت لهم في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا، فقد عجل لهم جزاء حسناتهم التي عملوا في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا. وأما المؤمن فيتجاوز عن سيئاته،

[1] أخرج ابن المنذر واللالكائي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذُكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان (*الدر المنثور* للسيوطي، ٤١٨/٣).
[2] ع م: إلى هذه.
[3] ك: يذهب.
[4] ن ع م: يوزن.
[5] ع م: الكفتان.
[6] ن ع م: فمن يثقل.
[7] ن ع م: أن يوزن.
[8] ن ع م: ويقابل.
[9] ن ع م: يقابل.
[10] ن + إلا أن يقال أن يوزن حسناته ويقابل بسيئاته دون إيمانه وكذلك الكافر يقابل سيئاته بحسناته دون الشرك.
[11] جميع النسخ: فذهب.

ويتقبل عنه[1] أحسن ما عمل، كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[2] أو أن يكون ما ذكر من الميزان[3] هو الكتاب الذي ذكر[4] في آية أخرى، بقوله:[5] فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[6] الآية، كما[7] قال: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ،[8] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ.[9] وقال بعضهم: الوزن هو العدل، كقوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ،[10] لم يقل: نضع الموازين بالقسط، ولكن قال: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ، والقسط هو العدل، فهو إخبار عن العدل أنه يعدل بينهم يومئذ. وقال بعضهم: **والوزن يومئذ الحق**، أي الجزاء يومئذ الحق، يجزي[11] للطاعة الحسنة والثواب، وللسيئة العقاب والعذاب،[12] فهو حق. وقال بعضهم: قوله: **والوزن يومئذ الحق**، أي الطاعة حق كل مطيع[13] يومئذ، فهو حق.[14] ويحتمل أن يكون الوزن الحدود والتقدير، كقوله: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ،[15] أي محدود مقدر، فعلى ذلك قوله: **والوزن يومئذ الحق**، أي الحد يومئذ الحق، لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا. والله أعلم بما أراد بالوزن.

---

[1] ع: ويتقبل منهم؛ م: ويتقبل عنهم.
[2] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[3] ع: في الميزان.
[4] ن - ذكر.
[5] ن ع م: لقوله.
[6] ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثُبورا ويَصْلَى سعيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٧-١٢).
[7] ك ن ع + وكما.
[8] سورة الحاقة، ١٩/٦٩.
[9] سورة الحاقة، ٢٥/٦٩. يقول السمرقندي: «وإنما ذكر الوزن والميزان عبارة عن الكتاب بطريقة المجاز لما أن كل واحد منهما يسبب العلم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥و).
[10] سورة الأنبياء، ٤٧/٢١.
[11] ع: تجري.
[12] جميع النسخ: عقاب وعذاب.
[13] ك: كل يطيع.
[14] قال السمرقندي: «وقال بعضهم: قوله: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾، أي الطاعة حق كل مطيع يومئذ، فمن كانت طاعته مقبولة فهي التي أي حق وثابتة يومئذ، وما لم يكن بثابتة يومئذ فقد حبطت وصارت هدرا، فلا يكون طاعة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥و).
[15] سورة الحجر، ١٩/١٥.

*ويشبه أن يكون قوله: **فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه**، على التمثيل، ليس [٢٤٠ظ س ٣٠
على تحقيق الميزان والخفة، ولكن على الوصف بالعظم لأعمال المؤمنين، وبالخفة والتلاشي لأعمال الكافرين؛ لأن الله عز وجل ضرب لأعمال المؤمنين المَثَل بالشيء الثابت والطيب، ووصف أعمالهم بالثبات والقرار فيه، وضرب لأعمال الكافرين المَثَل وشبهها بالشيء التافه التالف، ووصفها بالبطلان والتلاشي، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ،[1] ووصف[2] أعمالهم بالطِّيب والثبات والقرار؛ ووصف أعمال الكافرين بالخُبث والتلاشي والبطلان، كقوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ،[3] وقال في آية أخرى: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا،[4] وقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا،[5] وكقوله: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
[٢٤١و] فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ،[6] ونحوه من الآيات. وصف أعمال المؤمنين بالثبات / والقرار، وأعمال الكفرة بالذهاب والبطلان، فعلى ذلك قوله: **فمن ثقلت موازينه**، وَصْفٌ بالعظم والقرار والثبات، **ومن خفت موازينه**، وصف بالبطلان والتلاشي، أن لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون
بها في الآخرة. ***والله أعلم***.* ٢٤١و س ٣]

ثم قال أهل التأويل في قوله: **فأولئك الذين خسروا أنفسهم**، أي غُبِنوا. وذلك أنه ما من أحد من مؤمن وكافر إلا وله في الجنة والنار منزل وأهل، فيرث المؤمن المنزل الذي كان للكافر في الجنة، ويرث الكافر المنزل الذي للمؤمن في النار، فذلك الخسران الذي خسروا. لكن هذا لا يحتمل: أن يكون الله تعالى يجعل للكافر[7] في الجنة منزلا وأهلا مع علمه أنه لا يؤمن ويختم على كفره. ويحتمل الخسران الذي ذكر هو أنهم خسروا في الدنيا والآخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا إلى نعيم الآخرة، فذلك هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

---

[1] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[2] ك ن: وصف.
[3] سورة إبراهيم، ٢٦/١٤.
[4] سورة الأعراف، ٥٨/٧.
[5] سورة النور، ٣٩/٢٤.
[6] سورة الرعد، ١٧/١٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٠ظ/سطر ٣٠ - ٢٤٢و/سطر ٣.
[7] ك: الكافر.

وقوله عز وجل: **بما كانوا بآياتنا يظلمون.**[1] قال الحسن: **بآياتنا** ديننا يكذّبون. ولكن **بآياتنا** حججنا، **يظلمون** أي يضعونها[2] في غير موضعها، وهو ما ذكر من ظلمهم الآيات، لأن الظلم هو[3] وضع الشيء غير موضعه.

ثم المسألة فيمن ارتكب كل كبيرة[4] في حال كفره عمرَه ثم آمن في آخره، صار ما كان ارتكب في حال كفره من الكبائر مغفورا[5] معفوا عنه غير مؤاخذ بها، ومن ارتكب ذلك في حال إيمانه وخُتم على الإيمان لم يعمل الإيمان في تكفيره وكان مؤاخذا[6] به. وذلك[7] –والله أعلم– لوجهين. أحدهما أن ليس على الكافر أنفس أفعال الطاعات وأعينها، إنما عليه قبول تلك الأعمال.[8] فإذا أسلم فقد قبلها، ولم يكن عليه في ذلك الوقت إلا القبول، لذلك لم يؤاخذ بما كان منه من الأعمال.[9] وأما المؤمن فعليه أنفس أفعال تلك الطاعات وتلك الأعمال، وقد كان منه القبول، فأُخذ[10] بما كان[11] منه التفريط في تلك الأعمال.

والثاني أن الكافر إذا أسلم بعد ما ارتكب من الكبائر لم يَجرَح[12] إيمانه ولا أدخل فيه نقصا، فلا يؤاخذ[13] بما كان منه لما قَدِم على[14] ربه بإيمان كامل. وأما المؤمن إذا ارتكب كبائر فقد جرح[15] الإيمان وأدخل فيه[16] النقصان بعمله[17] الذي يخالف الإيمان ولا يوافقه، لذلك افترقا.*

[1] ن + الآية.
[2] ع: أي يضعون.
[3] ن ع م – هو.
[4] ك ع م: كل ذنب وكبيرة؛ ن: كل ذنب صغير وكبيرة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥ظ.
[5] م: مغفور.
[6] م: وكان مواخذ.
[7] ع م – وذلك.
[8] ع م – الأعمال.
[9] ع: من الايمان.
[10] ك ن: أخذ.
[11] ع م – فأخذ بما كان.
[12] ع م: لم يخرج. أي لم يجرح ما ارتكب الكافر من الكبائر إيمانه.
[13] ك ن: فلم يؤاخذ.
[14] ع م + قدم.
[15] م: فقد خرج.
[16] ع م – فيه.
[17] م: بعدمه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موصعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٠ظ/سطر ٣٠ - ٢٤١و/سطر ٣.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد مكناكم في الأرض**، قال أبو بكر الكيساني: **مكناكم**، أي ملّكناكم في الأرض،[١] **وجعلنا لكم فيها معايش**، تتعيشون[٢] بها. يذكّرهم نعمه ومننه بما ملّكهم في الأرض وجعل لهم منافع ليشكروا له عليها. وقال الحسن: **مكناكم**. أي جعلناكم مستخلفين[٣] عمن تقدمكم[٤] بمكانهم. يذكّرهم عز وجل أيضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء الأولين وجعل لهم **معايش**، ويخوّفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوالها عن الأولين. وأمكن أن يكون[٥] يذكّرهم هذا بما جعل لهم [الأرض] مكان القرار وموضع الانتشار والتقلّب والتعيش، والبشر لا بد له من ذلك. وكله يرجع إلى واحد. كقوله: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا، أي جعلنا الحرم مأمنا لكم بحيث تأمنون فيه وتتقلّبون وتتعيّشون[٦] فيه، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ،[٧] يذكّرهم عظيم نعمه ومننه التي جعلها لهم. هذا إذا كان الخطاب به لأهل[٨] مكة. وإن كان الخطاب به للناس[٩] كافة فيخرج على تذكير النعم لهم، حيث جعل الأرض لهم بحيث يَقِرّون فيها ويتقلّبون فيها.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تشكرون**، يحتمل وجوها. وكذلك قوله: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.[١٠] أحدها أنهم كانوا يُقرون أنه خالقهم بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[١١] كانوا يقرون بألوهيته ويصرفون العبادة إلى غيره، فلذلك قال: **قليلا ما تشكرون**. والثاني أي لا تشكرونه ولا تذكرونه ألبتة. و[الثالث] يحتمل **قليلا ما تشكرون**، أي المؤمنين، [فإنهم] يشكرون ولا يشكر أولئك، والمؤمنون قليل وهم أكثر.

---

[١] ع م + وجعنا في الأرض.
[٢] ن ع م: يتعيشون.
[٣] ن: مخفين.
[٤] جميع النسخ: تقدمهم.
[٥] م - يكون.
[٦] ن - وتتعيشون.
[٧] ﴿أو لم يروا أنّا جعلنا حَرَما آمنا ويُتَخطَّف الناس مِن حَوْلهِم﴾ (سورة العنكبوت، ٦٧/٢٩).
[٨] جميع النسخ: أهل.
[٩] جميع النسخ: الناس.
[١٠] سورة الأعراف، ٣/٧.
[١١] سورة لقمان، ٢٥/٣١.

والرابع أي ليس في وسعهم القيام بشكر جميع ما أنعم عليهم، لكثرة نعمه لا يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها،[١] فكيف بشكر[٢] الجميع، فذلك الشكر قليل.

**﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقناكم ثم صورناكم**، قال الحسن: قوله: **خلقناكم ثم صورناكم**، أراد آدم خاصة، لأنه قال: **خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، أخبر أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق، ولو كان المراد منه نحن لكان السجود[٣] بعد خلْقِنا،[٤] وقد كان السجود قبل ذلك. وقال غيره: المراد[٥] منه البشر كله، لأنه قال: **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، ولو كان المراد لآدم بقوله: **خلقناكم ثم صورناكم** خاصة لكان لا يذكر آدم ثانيا، فدل أنه[٦] أراد ذريته. وقال[٧] بعضهم: **خلقناكم**: آدم، **ثم صورناكم**: في أرحامكم. ويحتمل ما قال الحسن، ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن قوله: **ولقد خلقناكم**، أي قدّرناكم من ذلك الأصل[٨] وهو نفس آدم، لأن الخلق هو التقدير، كما تقول: أنا خلقته، أي قدّرته. يقول -والله أعلم- **خلقناكم**، أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل والكيان، ومنه **صورناكم ثم قلنا للملائكة**، أي وقد **قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**؛ وذلك جائز في اللغة. وقد يقول بعض أهل الكلام: إن النطفة هي إنسان بقوة ثم تصير[٩] إنسانا بفعل. ويقول بعضهم: هي كيان الإنسان، فجائز أن يكون أضافنا إلى ذلك الطين لما هو كيان وأصل لنا.

---

[١] ك – منها.
[٢] ع م – جميع ما أنعم عليهم لكثرة نعمه لا يتهيأ هم القيام بشكر واحدة منها فكيف بشكر.
[٣] ن ع – السجود.
[٤] ع: خمقناكم ثم صورناكم؛ م – أراد آدم خاصة لأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أخبر أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق ولو كان المراد منه نحن لكان السجود بعد خمقنا.
[٥] م: والمراد.
[٦] ع م – أنه.
[٧] ع: قال.
[٨] ن – وهو نفس آدم لأن الخلق هو التقدير كما تقول أنا خلقته أي قدرته يقول والله أعلم خمقناكم أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل.
[٩] ن ع م: ثم يصير.

وقوله: **فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين**، قال الحسن: إبليس لم يكن من الملائكة؛[١] وذلك أن الله عز و جل وصف الملائكة جملة بالطاعة له[٢] والخضوع بقوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[٣] وقال: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[٤] وغيره من الآيات، و لم يكن من إبليس إلا كل شر. وقال أيضا: خلق الملائكة من نور وإبليس من نار على ما ذكر، والنار ليست من جوهر النور؛ دلّ أنه ليس من الملائكة. وقال في قوله: **فسجدوا إلا إبليس** مثل هذا. يجوز أن[٥] يقال: دخل[٦] هذه الدار أهل البصرة إلا رجل من أهل الكوفة؛ دل الاستثناء "إلّا" [على] أنْ دخل هنالك[٧] أهل الكوفة، فعلى ذلك يدل استثناء إبليس على أنْ كان[٨] هنالك أمر بالسجود لآدم لغير الملائكة أيضا. ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة أنه كان من الملائكة أومن غيره، إنما علينا أن نعرف أنه عدو لنا. وقد ذكرنا هذه فيما تقدم.[٩]

**﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك**، قيل: قوله: **ما منعك ألّا تسجد**،[١٠] أي مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ،[١١] على ما ذكر في آية أخرى، و"لا"[١٢] زائدة.

وقوله عز وجل: **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. بم علم عدو الله أن المخلوق من النار خير من المخلوق بالطين؟ إلا أن يقال بأن النار جعلت لمصالح[١٣] الأغذية، فمن هنا وقع له ذلك أنها خير من الطين. فيقال: إن النار وإن جعلت لإصلاح[١٤] الأغذية فالطين[١٥] جعل لوجود الأغذية،

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢٢٦/١.
[٢] ع م – له.
[٣] سورة الأنبياء، ٢٧/٢١.
[٤] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[٥] ن + يكون.
[٦] ع م – دخل.
[٧] ك: هناك.
[٨] ع م: قال.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٤/٢.
[١٠] ن + أن لا تسجد.
[١١] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[١٢] ك ن ع: وألا.
[١٣] ن ع م: لصالح.
[١٤] ع: الإصلاح.
[١٥] ن: والطين.

فالذي جعل لوجود الشيء هو أنفع وأكبر من الذي جعل لمصالحه، ولعل الأغذية تصلح للأكل بغيرها، بالشمس وغيرها. وبعد فإن الطين مما يقوم للنار ويطفؤها[1] ويتلفها، والنار لا تقوم للطين ولا تتلفه؛ فإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقع من هذا الوجه أنها أفضل وأخير من الطين.

[٢٤١ظ] ثم اختلف في الجهة التي / كفر عدو[2] الله إبليس [منها]. قال بعضهم: إن إبليس عدو الله لم ير لله على نفسه[3] طاعة بأمر السجود لآدم، لذلك كفر. وقال آخرون: إنما كفر عدو الله لما لم ير الأمر [من الله تعالى لمن له علو مرتبة] بالخضوع والطاعة[4] لمن [هو][5] دونه حكمة، فكفر لما لم ير أنه[6] وضع الأمر بالسجود موضعه، بل رآه -لعنه الله- واضعا أمره غير موضعه. وقال غيرهم: كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على آدم لا لمعنى آخر.[7] وقيل: أول من أخطأ في القياس وزلّ فيه إبليس لعنه الله.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **اهبط منها**، يعني من السماء، لأنه -لعنه الله- كان في السماء، فأمر بالهبوط منها لما جعل السماء مَعدِنا ومكانا للخاضعين المتواضعين، فأمر بالهبوط منها إلى مكان جعل ذلك المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا، وهي الأرض، إذ الأرض معدن الفريقين جميعا. وقال بعضهم: الأمر[8] بالهبوط منها أمر بالخروج من الأرض إلى جزائر البحور، لأن الأرض هي قرار أهلها، وجزائر البحور ليست مكان قرار لأحد، ليكون فيها على الخوف أبدا.[9] ألا ترى أنه قال: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ،[10] والبحار مما لا تميد[11] بأهلها.

---

[1] ع: ويطيفها.
[2] ع: وعدو.
[3] ع م: لم ير لنفسه.
[4] جميع النسخ + من فوقه.
[5] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و.
[6] أي الله تعالى.
[7] «... والتكبير عليه تكبر على من أمره بذلك حيث لم يقبل أمره، والتكبر على الله كفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و).
[8] ع: الأمور.
[9] «... يقرر هذا أن ذكر الأرض مطلقا لا يقع على البحار...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و).
[10] سورة الأنبياء، ٣١/٢١.
[11] ع: مما لا يمتد.

وأمكن أن يكون الأمر بالهبوط منها أمرا بالخروج من الصورة التي كان فيها إلى صورة أخرى، لا يُعرَف أبدا ولا يُرَى عقوبة له لتركه أمر الله وارتكابه نهيه. **فما يكون لك أن تتكبر فيها**، في تلك الصورة أو في[1] تلك الأرض حتى لا يَقِرّ أبدا ويكون على خوف أبدا. ويحتمل في السماء لما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فاخرج إنك من الصاغرين**، وَجْهُ[2] صَغارِه أنه ما من أحد ذكره إلا وقد لعنه ودعا عليه باللعن، فذلك صَغاره. وأمكن أن يكون صغاره لما صيره بحال يغيب عن الأبصار ولا يقع عليه البصر، أو لما طرده عن رحمة الله.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٤] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **قال أنظرني إلى يوم يبعثون**، اختلف[3] فيه. قال بعضهم: أنظره إلى النفخة الأولى ليذوق[4] الموتَ[5] فلا يتصلَ[6] حياة الدنيا بحياة الآخرة، وهو ما ذكر في آية أخرى: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.[7] وقال بعضهم:[8] أنظره إلى يوم البعث. وظاهر ما خرج من الخطاب أن يكون أنظره إلى يوم البعث، لأنه سأل ربه أن ينظره إلى يوم البعث حيث[9] **قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين**، خرج ذلك جوابا لسؤاله،[10] وما[11] ذكر من الوقت المعلوم في آية أخرى يجيء أن يكون هو ذلك اليوم. وقال غيره: أنظره ولم يبين له ذلك الوقت الذي[12] أنظره إلى ذلك الوقت، حتى يكون أبدا على خوف ووجل؛

---

[1] ع م: وفي.
[2] ك ن: ووجه.
[3] ك: اخلف.
[4] جميع النسخ: لئلا يذوق.
[5] م – الموت.
[6] جميع النسخ: فيتصل. والتصحيحان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦ظ.
[7] سورة الحجر، ١٥/٣٧-٣٨.
[8] ع – أنظره إلى النفخة الأولى لأن لا يذوق الموت فيتصل حياة الدنيا بحياة الآخرة وهو ما ذكر في آية أخرى فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم.
[9] ع م – وظاهر ما خرج من الخطاب أن يكون أنظره إلى يوم البعث لأنه سأل ربه أن ينظره إلى يوم البعث حيث.
[10] ن: لسؤال.
[11] م: وهو ما.
[12] ن – الذي.

ألا ترى أنه قال: فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ،[1] لو كان الوقت [الذي] أنظره [إليه] معلوما عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت؛ دلّ أنه كان غير معلوم عنده.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم**، قال الحسن: قوله: **فبما أغويتني**، أي بما لعنتني، والإغواء هو اللعن، كقوله: قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ،[2] أي من الملعونين، فعلى ذلك قوله: **أغويتني** أي لعنتني. وقال أبو بكر الكيساني: أضاف الإغواء إلى نفسه لما كان سبب ذلك منه، وهو الأمر الذي أمره بالسجود لآدم والخضوع له؛ ويجوز أن يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب، نحو قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي،[3] سأل منه الإذن بالقعود و[قال]: لا تكلفني بما لا أقوم[4] [له] فتفتنيَ[5] بذلك،[6] وقال: إنما أضاف ذلك إليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان، فعلى ذلك هذا. وقال بعض المعتزلة: هذا قول إبليس: **فبما أغويتني**، وقد كذب عدو الله، لم يغوه الله. فيقال لهم: فإن كان إبليس عدو الله قد كذب في قوله: **فبما أغويتني**، فتقولون[7] بأن نوحا صلوات الله عليه قد كذب حيث قال: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ،[8] أضاف الإغواء إليه. دلّ هذا على أن إبليس لم يكذب بإضافة الإغواء إلى الله.

---

[1] يقول الله تعالى عن إغواء الشيطان للمشركين في غزوة بدر: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٨).

[2] سورة الحجر، ١٥/٣٤.

[3] سورة التوبة، ٩/٤٩.

[4] ن + بما لا أقوم.

[5] ن ع م: فتفتني.

[6] روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو في جهاره [العروة تبوك] للجَدّ بن قيس أخي بني سلمة: «هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟»، فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عُجْبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أذنت لك» (*تفسير الطبري*، ١٠/١٤٧-١٤٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٣).

[7] ن ع م: فيقولون.

[8] سورة هود، ١١/٣٤.

ولكن عندنا أنه أضاف الإغواء إلى نفسه لما خلق منه[١] فعل الغواية والضلال على ما ذكرنا في غير موضع، ليس كما قال هؤلاء: إنه أضيف إليه لمكان ما كان منه سبب ذلك؛ لأنه لو جاز أن يضاف فعل الإغواء إليه لسبب[٢] الإغواء لجاز أن يضاف ذلك[٣] إلى الرسل والأنبياء، لأنه كان منهم الأمر لقومهم والدعاء إلى توحيد الله، ثم كُذّبوا في ذلك، فكان سبب إغواء أولئك هم الرسلُ، فذلك بعيد.[٤] وكذلك لو كان[٥] الإغواء هو اللعن لكان كل لاعن عليه فهو مغويه. وقال بعضهم: **أغويتني**، أي خذلتني. والوجه فيه ما ذكرنا أنه خلق منه[٦] فعل الغواية والضلال، وكذلك من كل كافر خذله، لما علم منه أنه يختار الغواية والضلال.

وقوله عز و جل: **لَأَقْعُدَنَّ لهم [صراطك المستقيم]**، ليس على حقيقة القعود، ولكن على المنع عن السلوك في الطريق، أو على التلبيس عليهم الطريق **المستقيم** والستر عليهم، لأن من قعد في[٧] الطريق منع الناس عن السلوك فيه.

**﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم**، الآية، قال الحسن: **من بين أيديهم**، مِن قِبَل الآخرة[٨] تكذيبا بالبعث والجنة والنار، **ومن خلفهم**، قال: / مِن قِبَل دنياهم يُزيّنها لهم ويُشهّيها[٩] إليهم. **وعن أيمانهم**، قال: مِن قِبَل الحسنات يُبَطِّؤهم عنها. **وعن شمائلهم**، قال: من قبل السيئات يأمرهم[١٠] بها ويحثّهم عليها ويُزيّنها في أعينهم.[١١] وعن مجاهد: [٢٤٢و]

---

[١] ن ع م: فيه.
[٢] ك: كسبب.
[٣] ع م - ذلك.
[٤] ك - لقومهم والدعاء إلى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب إغواء أولئك هم الرسل فذلك بعيد.
[٥] م: لكان.
[٦] ن ع م: فيه.
[٧] ن: على.
[٨] ك: الآخر.
[٩] م: ويشهها.
[١٠] ع م: يأمر.
[١١] رويت في هذا المعنى روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره، و لم أجده عن الحسن. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٦/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٢٦/٣-٤٢٧.

**ثم لآتينهم من بين أيديهم**، قال: من حيث يبصرون، **ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**، من حيث لا يبصرون.[1] و قيل: **مِن بين أيديهم**، مِن قِبَل آخرتهم، فلأخبرنهّم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن، **ومِن خلفهم**، مِن قِبَل دنياهم؛ آمرهم[2] بجمع[3] الأموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم، وأُخوّف عليهم الضَّيْعة، فلا يَصِلون في أموالهم رَحِما ولا يعطون لها حقا. **وعن أيمانهم**، مِن قِبَل دينهم فأُزيّن لكل قوم ما كانوا يعبدون، فإن كانوا على ضلالة زينتها لهم، وإن كانوا على هدى شبّهته عليهم حتى أخرجهم منه. **وعن شمائلهم**، مِن قِبَل اللّذّات والشهوات فأُزيّنها لهم. هذا الذي ذكر أهل التأويل يحتمل. ثم ذُكر الأمام والخلف وعن أيمان وعن شمائل[4] ولم يذكر فوق ولا تحت، فيحتمل أن يدخل ما فوق وما تحت[5] بذكر الأمام[6] واليمين والشمال والخلف، كقوله تعالى: أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] دخل ما فوق بذكر ما بين أيديهم، ودخل ما تحت[8] بذكر الخلف؛ فعلى ذلك هذا، يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر، فيصير كأنه قال: فيأتيكم من كل وجه. ويحتمل أنه لم يذكر هذا لما أنه لا سلطان له على منع الأرزاق والبركات؛ لأن أرزاق الخلق والبركات[9] مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الأرض [من] النبات، فليس له سلطان على منع إنزال المطر وإخراج[10] النبات من الأرض، وله سلطان على غير ذلك. أو يكون لما يشغلهم ويُشقّيهم **من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** من اللّذّات والشهوات؛ لما إذا رأى [الإنسان][11] شيئا أعجبه أتبع النظر إليه واحدا بعد واحد من أمام ووراء ويمين وشمال،

---

[1] عن مجاهد قول الله: ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم﴾، قال: حيث يبصرون، ﴿ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾، حيث لا يبصرون. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٣٧.

[2] جميع النسخ: يأمرهم.

[3] ع: بجميع.

[4] جميع النسخ: وعن شمال.

[5] ن – وما تحت.

[6] جميع النسخ: أمام.

[7] سورة سبأ، ٩/٣٤.

[8] ع م: ودخل تحت.

[9] م: ووالبركات.

[10] ن: أخرج.

[11] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧و.

ولا كذلك من تحت ولا من فوق. أو أن يكون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه إذا تلا هده الآية قال: إن[١] الله منعه من أن يأتيهم من فوقهم، ولو كان ذلك لما نجا أحد، فأعمالهم تصعد إلى الله ورحمته تنزل عليهم.[٢] وقال قتادة: أتاك اللّعين من كل نحوٍ يا ابن آدم، غير أنه لا يستطيع أن يَحُول بينك و بين رحمة ربك، إنما تأتيك[٣] الرحمة من فوقك.[٤] والذي ذكرنا أنه على التمثيل أنه يأتيه[٥] من كل جانب أشبه.

وقوله عز و جل: **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**، يخرج على وجهين. أحدهما ليس على إرادة بين [الأيدي] وخلف وأيمان وشمائل،[٦] ولكن على إرادة الجهات كلها، كأنه يقول: لآتينهم من كل جهة. والثاني ما ذكر الحسن وأهل التأويل: **من بين أيديهم**، الآخرة تكذيبا بها، **ومن خلفهم**، الدنيا تزيينا بها عليهم، **وعن أيمانهم**، الحسنات، **وعن شمائلهم**، السيئات.

وقوله عز و جل: **ولا تجد أكثرهم شاكرين**، هذا من عدو لله ظَنٌّ ظَنَّه، لا قاله حقيقة، لكن الله عز و جل[٧] أخبر أنه صدق ظنه بقوله: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ.[٨]

**﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[١٨]

وقوله عز و جل: **قال اخرج منها**، يحتمل **منها**، من السماء، ويحتمل من الأرض،[٩] ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله: فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا.[١٠] وقيل: الجنة.

وقوله عز وجل: **مَذْءُوما مَدْحُورا**، قيل: مذموما ملوما، أي مذموم ملوم عند الخلق جميعا؛

---

[١] ع م – إن.

[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾، و لم يقل: من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٧/٨.

[٣] ك: إنما يأتيك.

[٤] *تفسير الطبري*، ١٣٦/٨.

[٥] ن: أن يأتيه.

[٦] جميع النسخ: وشمال.

[٧] ع م + أنه.

[٨] ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتّبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٢٠/٣٤).

[٩] ن – ويحتمل من الأرض.

[١٠] سورة الأعراف، ١٣/٧.

**مدحورا**، قيل: مَقصيّا مُبعَدا من كل خير. قال أبو عَوْسَجَة: مذءوم[1] ومذموم[2] واحد؛ **ومدحورا**، مباعدا مطرودا.

وقوله: **اخرج منها مذءوما مدحورا لَمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**، أخبر الله عز وجل أنه يملأ جهنم من إبليس ومن تبعه و أطاعه؛ لأنهم إنما[3] يتبعونه ويطيعونه في الكفر والشرك بالله. تعلق الخوارج بظاهر قوله: **لمن تبعك منهم**، وكل مرتكب معصيةٍ تابع له، لذلك استوجب الخلود. وقالت المعتزلة: كل مرتكب كبيرةٍ [مخاطَب] بوعيد هذه الآية، لأنه تابع له.[4] وعندنا ليس لهم في الآية حجة في تخليد من ذكروا في النار؛ لأنها[5] إنما ذكرت على أثر نقض الدين وردّ التوحيد، فكأنه قال: **لمن تبعك** في نقض الدين ورد التوحيد **لأملأن جهنم منكم أجمعين**.

**﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[١٩]

و قوله عز وجل: **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما**، كان السكون في موضع من القرار فيه والأمن، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ،[6] لتقروا فيه وتأمنوا. فقوله لآدم: **اسكن أنت وزوجك الجنة**، أسْكَنَهما عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من كل ما ينقصهما[7] تلك النعَم التي أنعم عليهما؛[8] لأن الخوف مما ينقص النعم ويذهب بلذّتها. فلمّا أسكنهما عز وجل الجنة أمّنهما عن ذلك كله. ثم فيه أن أول المحنة والابتلاء من الله لعباده [٢٤٢ظ] إنما يكون بالإنعام والإفضال / عليهم ثم بالجزاء والعدل بسوء ما ارتكبوا؛ لأنه عز وجل امتحن آدم أولا بالإفضال والإنعام عليه حيث أسْجَد ملائكته له وأسْكَن جنته ووسّع[9] عليه نعمه، ثم امتحنه بالشدائد وأنواع المشقة جزاء ما ارتكب[10] من التناول من الشجرة التي نهاه عن قربانها،

[1] ع م – مذءوم.
[2] ع م: مذموم.
[3] م – إنما.
[4] أي للشيطان.
[5] جميع النسخ: لأنه.
[6] سورة يونس، ١٠/٦٧.
[7] ع: من كل يقصهما؛ م: من كل يقصها.
[8] م: عليها.
[9] ع م: وسع.
[10] جميع النسخ: ما ارتكبوا.

فهو ما ذكرنا أنَ شَرْطَ امتحانِ عبادِه في الإبتداء يكون بالإفضال والإنعام ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم. ألا ترى[١] أنه قال: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٢] أخبر أن ما يصيبنا هو من كسب أيدينا[٣] وهو جزاء ما كسبنا. وفيها[٤] وفي غيرها من القِصص التي[٥] ذكرت[٦] [في القرآن] دليل[٧] إثبات رسالة محمد صلي الله عليه وسلم ونبوته؛ لأنه أخبر عما[٨] كان من غير أن اختلف إلى أحد ممن[٩] يعرف ذلك، ولا نظر في الكتب التي فيها ذكرها،[١٠] دلّ أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل في الجنة التي أسكن عز وجل آدم فيها وزوجته. قال بعضهم: هي الجنة التي يكون عَوْد أهل الإسلام إليها في الآخرة، ولهم وَعَد عز وجل تلك. وقال بعضهم: هي جنة أنشأها لآدم ليسكن فيها في السماء. ولكن لا ندري ما تلك الجنة، وليس لنا إلى معرفة تلك الجنة حاجة، إنما الحاجة إلى ما ذكر من المحن. واختلف أيضا في الشجرة التي نهي آدم عن قِربانها. قال بعضهم: هي شجرة العلم. وقال[١١] بعضهم: هي شجرة الحنطة. وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل واختلافهم في صدر الكتاب قدر ما حفظناه.[١٢]*

وقوله عز و جل: **ولا تقربا هذه الشجرة**، لم يرد به الدُّنُوّ منها، ولكن أراد الذوق و الأكل منها؛ ألا ترى أنه قال: فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ،[١٣] دلّ أن النهي لم يكن[١٤] للدنو منها، ولكن للذوق والأكل منها. وفيه أن الامتحان من الله مرة يكون بالحل ومرة[١٥] بالحرمة؛

---

[١] ك: ألا يرى.
[٢] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٣] ع: من هو كسب أيدينا.
[٤] جميع النسخ: وفيه.
[٥] ع م - التي.
[٦] ك ن: الذي ذكر؛ ع م: الذكر.
[٧] ك: دليله.
[٨] م: أخبر هما.
[٩] م: من.
[١٠] ع م - ذكرها.
[١١] ن: قال.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٥/٢.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنالك. انظر ورقة ٢٤٢ظ/سطر ١١-١٤.
[١٣] سورة الأعراف، ٢٢/٧.
[١٤] ع + لله.
[١٥] ك + يكون.

لأنه أذن له التناول مما فيها[1] من أنواع النعم، وحرم عليه التناول من واحدة منها، فذلك محنة منه.

ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه. أحدها ينهى بحق الحرمة لنفسه، وينهى بحق إيثار العير عليه، وينهى عن التناول منه لداء فيه وآفة، ويُنْهَى لما يخرج التناول منه[2] بحق الجزاء، فلم يكن بعدُ وقت الجزاء له.[3]

**﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾**[٢٠]

[وقوله عز وجل: **فوسوس لهما الشيطان**].

[٢٤٢ظ س ١١ *وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لآدم وحواء أنه كيف وسوس إليه ومن أين كان. وهذا أيضا قد ذكرناه في تلك القصة.[4] والحسن يقول: إنما وسوس إليهما من الدنيا، لا أنْ كان

٢٤٢ظ س ١٤] دخل الجنة. وقال بعضهم: وسوس إليهما من رأس الحية[5] ومِن فِيها[6] يكلمهما.*

وقوله عز وجل: [**لِيُبْدِي لهما**] **ما وُورِي عنهما من سوءاتهما**، وقوله: **ما وُورِي**، أي سُتِر وغُطِي، **وسوءاتِهما**، عورتهما. والسوأة العورة في اللغة. وفيه أنه يجب أن نكون[7] على حذر من شر إبليس اللعين لأن لا يجد فرصة علينا، فإنه أَبَدًا على سَلْبِ نعمةٍ[8] أنعمها الله على عباده، حيث[9] احتال كلَّ حيلة حتى أبدى **لهما ما وُورِي** وسُتِر عنهما من العورة،

---

[1] م: ما فيها.

[2] جميع النسخ: منها.

[3] قال الشارح السمرقندي رحمه الله تعالى: «ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه. أحدها ينهى بحق الحرمة لنفسه، فيكون حراما بعينه. ومنها بحق إيثار الغير عليه، فيكون الحرمة بحق الغير، لا أن عين ذلك الفعل حرام. ومنها ما ينهى لداء فيما يتناوله، فيكون نهي شفقة لما يتضرر به... ومنها ما ينهى عن التناول لمكان التناول منه بحق الجزاء في دار الجزاء، ودار الدنيا ليست بدار الجزاء، نحو الذهب والفضة والحرير في حق الرجال، والتناول من أواني الذهب والفضة ونحوها. فيجوز أن يكون النهي عن تلك الشجرة لآدم عليه السلام لما كانت معدة للتناول بطريق الجزاء في الآخرة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣١٩و).

[4] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٥/٢.

[5] ك: الجنة.

[6] ن ع: فيهما. ومن فيها: أي ومن فمها.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ١١-١٤.

[7] جميع النسخ: أن يكونوا.

[8] ك ن + التي.

[9] ع م: وحيث.

وعمل في إخراجهما من النعم[١] واللّذّات وأوقعهما في الشدائد والمشقة. و فيه أنه ليس حالُ عميه أشدّ مِن أنْ رأى أحدا في النعم والسعة.

وقوله عز وجل: **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلِكَين أو تكونا من الخالدين**، قد ذكرنا معنى هذا أيضا في صدر الكتاب.[٢]

[٢٤٢ظ س٢٩ *وقرأ بعضهم قوله: **إلا أن تكونا مَلِكَين**، بكسر اللام من المُلك،[٣] ذهب في ذلك إلى ما قال: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى.[٤] وقراءة العامة الظاهرة: **إلا أن تكونا ملكين**، بنصب اللام من الملائكة. وقد ذكرنا جهة رغبة آدم في أن يصير مَلَكًا حيث تناول منها في صدر الكتاب على قدر ما حفظنا.[٥]* ٢٤٢ظ س٣٢]

[٢٤٣ظ س١٠ *وفائدة تغرير[٦] آدم وحواء أن يكونا من الملائكة لأن الملك ما ذكر أنه لا يَفْتُر عن العبادة، ولا يعصي ربه، ولا يحتاج إلى شئ من المؤنة.[٧] ومن قرأ "مَلِكَين"، لأن المَلِك يكون نافذ الأمر والقول في مملكته، وذلك مما يرغب فيه. أو أن يكون أراد[٨] بذلك لِيَشغلهما عن نهي ربهما حتى يَنْسَيا ذلك فيتناولا من تلك[٩] الشجرة على ما فعلا. وفيما ذكر الخلود، لأنه ليس بشيء[١٠] ألذّ ولا أشهى من الحياة. والأشبه أن يقال: إنه[١١] لم ينسيا نهي الله إياهما عن التناول منها، ولكن نسيا[١٢] قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[١٣] لِذلك تناولا، ولو ذكرا قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ما تناولا. *والله أعلم*.* ٢٤٣ظ س١٥]

---

[١] ك: النعيم.
[٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٦/٢.
[٣] رويت هذه القراءة عن ابن عباس ويحيى بن أبي كثير، وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٠/٨.
[٤] سورة طه، ١٢٠/٢٠.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٦/٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.
[٦] ك: تقرير.
[٧] ن: المعونة.
[٨] ع م - أراد.
[٩] ك ع م: عن تلك.
[١٠] ك ن: شيء.
[١١] الهاء ضمير الشأن.
[١٢] جميع النسخ: نسي.
[١٣] سورة الأعراف، ١٩/٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية رقم ٢٣، فقدّمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٣ظ/سطر ١٠-١٥.

**﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**، قال الحسن: **قاسمهما** في وسوسته إياهما **إني لكما لمن الناصحين**. وهذا الذي يقول الحسن يومئ إلى أن[١] آدم قد علم أنه الشيطان. وقال أبو بكر الكيساني: إنه قد[٢] وقع عند آدم أن الشجرة التي نهاه ربه أن يتناول منها هي المفضَّلة على جميع الشجر،[٣] فلما وسوس إليه الشيطان وقال له ما قال: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى، فوافق ظنه قول اللعين وما دعاهما[٤] إليه، ثم اشتغل [آدم بأمر آخر][٥] **فنسي ذلك**، فتناول[٦] على النسيان. والنسيان[٧] على وجهين: نسيان الترك على العمد، ونسيان السهو. ولا يحتمل أن يكون آدم ترك ذلك[٨] عمدا، فهو على نسيان السهو. إلى هذا يذهب أبو بكر الأصم، أو كلام نحوه.*

**﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **فدَلّاهما بغرور**، وقال أبو عَوْسَجة:[٩] **فدَلّاهما بغرور**، أي أوردهما، يقال: دَلّاني فلان بحبل غرور، أي إنه زيّن لك[١٠] القبيح حتى تَرْكَبَه؛[١١] وأصل التدلية من الدَّلْو،

---

[١] ع م – أن.
[٢] ع: وقد.
[٣] ك: الشجرة.
[٤] م: وما دعاها.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧ظ.
[٦] ع: فيتناول.
[٧] ع م – والنسيان.
[٨] ع م – ذلك.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.
[٩] ن – وقال أبو عوسجة.
[١٠] ع م – لك.
[١١] وعبارة الشارح هكذا: «أي أوردهما إلى الشجرة حتى تناولا منها على التغرير لهما. وقيل: أي زين لهما التناول من تلك الشجرة، يقال: دَلّاني فلان بحبل غرور...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٨و). يقال: رَكِبَ الذنب أو القبيح: فعله واقترفه (*المعجم الوسيط*، «ركب»).

وهو من الدعاء،[١] أي دعاهما **بغرور**. ودعاؤه إياهما بغرور هو[٢] قوله: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى،[٣] وقوله عز وجل: إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.[٤]

وقوله عز وجل: **بدت لهما سوءاتهما**.

فإن قيل: كيف خص السَّوءة بالذكر، ومِنَّته في اللباس في كل البدن لا في السوءة خاصة، وكذلك قوله: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ،[٥] ذكر مِنّته فيما أنعم علينا من ستر العورة[٦] وفي غيره من البدن في دفع البرد والحر[٧] وغير ذلك؟

قيل: لأن كشف العورة مستقبح في الطبع والعقل جميعا، وأما كشف غيره من البدن فليس هو بمستقبح[٨] في الطبع ولا في العقل، وربما يبدي المرء غيره من البدن سوى العورة عند الحاجة، ويستر / عند غير الحاجة.[٩] وأما العورة[١٠] فإنها لا تبدي[١١] إلا في حال الضرورة؛ [٢٤٣و] لذلك كان ما ذكر.[١٢] أو أن[١٣] يقال: إن المفروض من الستر هو قدر[١٤] الضرورة،[١٥] والآخر يلبسه[١٦] إما بحق التجمّل وإما بحق دفع البرد والحر والأذى، لذلك كان[١٧] تخصيصه[١٨] بالذكر؛ وإلا المِنّة والنعمة عظيمة في لباس غيره من البدن.

---

[١] قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «دلو».

[٢] م: وهو.

[٣] سورة طه، ١٢٠/٢٠.

[٤] سورة الأعراف، ٢٠/٧.

[٥] سورة الأعراف، ٢٦/٧.

[٦] ك ن + وذلك في العورة.

[٧] م: في دفع الحر والبرد.

[٨] م: هو مستقبح.

[٩] ن – ويستر عند غير الحاجة.

[١٠] ن: وأنما العورة.

[١١] جميع النسخ: فإنه لا يبدي.

[١٢] م: ما ذكروا.

[١٣] ع: وأن.

[١٤] م: هو قدرة.

[١٥] ك ن: العورة؛ ع: الضورة.

[١٦] م: يليه.

[١٧] ع م – كان.

[١٨] ع: تخصيه.

فإن قيل: إن الله كنىَ عن الجماع مرة باللمس ومرة بالغشيان، وعن الخلاء بالغائط، وهو المكان الذي يقضى فيه الحوائج، وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره مصرحا فإنما ذكره بالكناية، وهاهنا ذكر السَّوءة في العورة؟

قيل: السوءة والعورة هما كناية، لأنه[1] لم يذكر الفرج ولا الذكر ولا الدبر،[2] فهو كناية. والثاني في ذكر تخصيص السوءة؛ وذلك أنّ قَصْد الشيطان إنما كان إلى إبداء عورتهما لا غير؛ ألا ترى[3] أنه[4] لم يجعل لغير البشر عورةٌ تُستّر، ولذلك خُصّ بالستر[5] بالقبر، إذا مات يُقبَر لأجل عورته، ولا يُقبَر غيره من الدواب إذا هلك، ولا يُستّر في حال حياته. فخرج ذكر تخصيص[6] السوءة لما ذكرنا أن اللعين قصد بذلك قَصْدَ إبداءِ عورتهما لا غير؛ ألا ترى أنه قال: لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا،[7] كان قصده إلى ذلك.

وقوله عز وجل: **وطفقا يخصفان**، قال أبو عَوْسَجَة: **طفقا**، أي أخذا،[8] تقول:[9] **طفقت** أفعل كذا، أي أخذت. والخَصْف الخياطة في النعل والخُفّ، وهو مستعار هاهنا. وقال مجاهد: **يخصفان**، أي يَرْقَعان كهيئة الثوب.[10] وقيل: **يخصفان**، يغطّيان. ثم قوله: **وطفقا يخصفان**

[٢٤٣و س١٦ **عليهما من ورق الجنة**، إما حياء أحدهما من الآخر، أو حياء من الله،* أو لما وقع[11] بصر

٢٤٣و س١٧] كل واحد منهما على عورته،[12] فذلك يكره أيضا أن ينظر المرء إلى فرجه.* ولهذا نقول: إنه يكره للرجل في الخلوة أن يكشف عورته ويبديها. وعلى ذلك[13] روي في الخبر أنه قال:

[1] ع م – لأنه.
[2] ن ع م: والدبر.
[3] ك: ألا يري.
[4] جميع النسخ: أن ذلك.
[5] جميع النسخ: الستر.
[6] ع: التخصيص.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[8] م: أي أخذ.
[9] ن ع: بقول.
[10] *تفسير الطبري*، ٨/١٤٢.
[11] ن + أو لما وقع.
[12] أي عورة نفسه.
* وقع ما بين النجمتين عقب قول المؤلف: «... والمرأة إلى فرج زوجها» بعد أسطر. انظر: ورقة ٢٤٣و/ سطر ١٦-١٧.
[13] ك: هذا.

«فالله أحق أن يُستَحيا [منه]».[١] أو حياء أحدهما من الآخر لما بدت لكل واحد منهما عورة صاحبه. ولهذا كره أبو حنيفة رحمه الله أن ينظر الرجل إلى فرج[٢] زوجته، والمرأة إلى فرج زوجها.* ألا ترى[٣] أنه قال: لِيُبْدِيَ لَهُمَا،[٤] ولم يقل: ليبديهما، فهذا يدلّ على أنه لا ينبغي أن ينظر إلى فرج زوجته ولا الزوجة[٥] إلى فرجه.

وقوله عز وجل: **وناداهما ربهما ألم أنهَكُمَا عن تلكما الشجرة**، الآية، يحتمل قوله: **وناداهما ربهما**، وحيًا أوحي إليهما على يدَيْ ملك، كقوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[٦] أضاف إلى نفسه لما يُنفخ فيه بأمره، فعلى ذلك هذا. أو إلهاما ألهمهما، كقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ،[٧] وقوله: إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ،[٨] وكقوله:[٩] وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ،[١٠] ونحوه، وإنما هو إلهام.

**﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**، حيث أوقعناها[١١] في الشدائد وكَدّ[١٢] العيش. والظلم هو وضع الشيء في[١٣] غير موضعه.[١٤] وقوله عز وجل: **ربنا ظلمنا أنفسنا**، قال الحسن:

---

[١] روى بَهْز بن حَكِيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا نبي الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نَذَر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»، قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يراها»، قال: قلت: يا نبي الله، إذا كان أحدنا خاليا؟ قال: «فالله أحق أن يُستَحيا منه من الناس» (*سنن أبي داود*، الحمام ٢؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٢٢). وحسّنه الترمذي. وعلّقه البخاري؛ انظر: *صحيح البخاري*، الغسل ٢٠.

[٢] م - إلى فرج.

* وقعت هنا عبارة ليست في محلها، فنقلناها إلى موضعها المناسب قبل أسطر. انظر: ورقة ٢٤٣و/سطر ١٦-١٧.

[٣] ك: ألا يري.

[٤] سورة الأعراف، ٧/٢٠.

[٥] ع: ولا الزوج.

[٦] ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ (سورة التحريم، ٦٦/١٢).

[٧] سورة القصص، ٢٨/٧.

[٨] سورة طه، ٢٠/٣٨-٣٩.

[٩] م - وكقوله.

[١٠] سورة النحل، ١٦/٦٨.

[١١] ك: أوقعنا؛ ع: أوقعناهما. أي أوقعنا أنفسنا.

[١٢] ع: وكدا.

[١٣] ك ع - في.

[١٤] ن - وقوله عز وجل قالا ربنا ظلمنا أنفسنا حيث أوقعناها في الشدائد وكد العيش والظلم هو وضع الشيء غير موضعه.

هن الكلمات التي[1] تلقّاها آدم من ربه، كقوله:[2] فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ،[3] قال آدم ما ذكر في الآية.[4] وكذلك قال نوح، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ،[5] وقال إبراهيم: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،[6] وقال نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا.[7] بعضه خرج على الأمر، وبعضه على السؤال، وكله على الدعاء والسؤال ليس على الأمر وإن خرج ظاهره مخرج[8] الأمر، لأن الأمر ممن هو دونه لمن فوقه دعاء وسؤال، وممن هو فوقه لمن دونه[9] أمر. لو أن ملكا من الملوك إذا أمر[10] بعض خَدَمِه بأمر أو بعض رعيّته فهو أمر، وإذا أمر[11] بعضُ خَدَمِه أو رعيّته الأميرَ شيئا فهو ليس بأمر، لكنه[12] سؤال ودعاء؛ فعلى ذلك دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ربهم.

فإن قيل: إن الرسل سألوا ربهم المغفرة لزلّاتهم، فلا يخلو[13] إما أن أجيبوا في ذلك أو لم يجابوا،[14] فإن لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم، فإن أجيبوا في ذلك[15] -والمغفرة في اللغة الستر- كيف ذُكرت زلاّتهم في الملأ إلى يوم القيامة؟

قيل: لوجوه. أحدها[16] أنهم لما ارتكبوا تلك الزلاّت عَظُم ذلك عليهم واشتغلت قلوبهم بذلك لعظم[17] ما ارتكبوا عندهم؛ [و]لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم بعد أن أجاب الله بالتجاوز عنهم في ذلك. أو أن يقال:

---

[1] ن - التي.
[2] ك: بقوله.
[3] سورة البقرة، ٢/٣٧.
[4] أخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٤٣٢-٤٣٣.
[5] سورة هود، ١١/٤٧.
[6] سورة إبراهيم، ١٤/٤١.
[7] سورة نوح، ٧١/٢٨.
[8] ع: فخرج.
[9] ع م - دعاء وسؤال وممن هو فوقه لمن دونه.
[10] م: إذا أمره.
[11] ع م - بعض خدمه بأمر أو بعض رعيته فهو أمر وإذا أمر.
[12] ك ن: ولكنه.
[13] ن ع: فلا يخلوا.
[14] ن: أو أن يجابوا.
[15] ع - أولم يجابوا فإن لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم فإن أجيبوا في ذلك.
[16] ن - أحدها.
[17] ع م: لعظيم.

أراد بإفشاء ذلك وإظهارها إيقاظ غيرهم وتنبيهًا[١] في ذلك، ليعلموا أن الرسل مع جليل قدرهم وعظيم[٢] منزلتهم عند الله لم يُحَابِهم[٣] في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا؛ فمَن دونهم أحق في ذلك. أو أن ذكر[٤] ذلك ليعلموا أنه ليس بغافل عن ذلك، ولا يخفى عليه شيء. *والله أعلم بذلك.*

وقوله: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**، وقال: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى،[٥] وقال: فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا،[٦] فأعلمنا الله عز وجل أن آدم نسي أمر ربه. فقال قوم من أهل العلم: أكل آدم من الشجرة وهو ناسٍ لنهي[٧] الله إياه عن أكلها، وكان أكله منها ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وإن كان فعل[٨] ذلك ناسيا. ثم إن الله تفضّل على أمة محمد فرفع عنهم في الخطأ والنسيان[٩] وما استُكرهوا عليه.[١٠] وقال قوم: معنى قوله: فَنَسِيَ، أي ترك أمر ربه من غير نسيان، وقالوا: هذا / كقول الله: [٢٤٣ظ] نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ.[١١] ولا ندري كيف كان ذلك.

وقال بعض أهل العلم: إن الخطأ والنسيان في الأحكام موضوع[١٢] بهذا الحديث.[١٣] فيقال لهم:[١٤] فما تقولون في قتل الخطأ، هل فيه الدية والكفارة؟ وما تقولون في رجل أفسد متاع رجل وأحرقه ناسيا أو مخطئا؟ فإن قالوا: ذلك لازم عليه، فكيف قلتم: إن الحديث جاء في الأحكام، وأنتم توجبون الضمان؟ وقال بعضهم: وجه الحديث عندنا أن الأمم قبل أمتنا كانت مأخوذة بالخطأ والنسيان فيما بينها[١٥] وبين ربها،[١٦] فرفع الله تعالى الحرج عن هذه الأمة في ذلك

---

[١] ن + على أن.
[٢] ن: وعظم.
[٣] جميع النسخ: لم يحابهم.
[٤] م: أو أن يكون.
[٥] سورة طه، ١٢١/٢٠.
[٦] سورة طه، ١١٥/٢٠.
[٧] ك: نهي.
[٨] ع م: فعلي.
[٩] ع م: والعصيان.
[١٠] عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (*سنن ابن ماجه*، الطلاق ١٦؛ وصحيح *ابن حبان*، ٢٠٢/١٦).
[١١] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[١٢] أي مرفوعة نتائجها، ولا يعتد بها.
[١٣] ك: لهذا الحديث.
[١٤] ع م – لهم.
[١٥] ع م: بينهما.
[١٦] ع: ربهما.

تفضُّلاً منه علينا[1] من بين الأمم، فأما الغرامات والضمانات في الأحكام التي بين الناس **فهي** لازمة لهم، خطأً فعلوا أو عمدا.[2] *والله أعلم.*

وفي قوله: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**،[3] دلالة النقض[4] على المعتزلة، لأنهم يقولون: الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر. ثم من قولهم:[5] إن الرسل والأنبياء معصومون عن الكبائر، فزلّة آدم لا شك أنها صغيرة لما ذكرنا، ثم قال: **وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**،[6] فإذ لم يكن له أن يعذبه فيصير كأنه[7] قال:[8] إن جُرتَ وظلمت علينا **لنكونن من الخاسرين**.[9]*

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو**، عن ابن عباس[10] رضي الله عنه **قال:** آدم وحواء وإبليس والحية.[11] وقال الحسن: آدم ووسوسة الشيطان؛[12] لأن من قوله: إن الشيطان لم يكن في السماء، إنما وسوس آدم وحواء مِن بُعد، فالأمر بالهبوط لوسوسته، ولذلك بقيت في أولاده إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: دلّ قوله: **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**، على أن الأمر بالهبوط إنما كان من السماء، وكانوا[13] في السماء. ثم قوله: **اهبطوا بعضكم لبعض عدو**، كان[14] الأمر بالهبوط لم يكن معا، لأن إبليس أمر بالهبوط حين أبى السجود،

---

[1] ن - أن الأمم قبل أمتنا كانت مأخوذة بالخطأ والنسيان فيما بينها وبين ربها فرفع الله تعالى الحرج عن هذه الأمة في ذلك تفضلا منه علينا.

[2] ن م: عمدوا.

[3] ك ن + إلى آخره.

[4] ع: النفس.

[5] ع م: من قوله.

[6] م - وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

[7] ك: وكأنه.

[8] م + وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

[9] م + إن جرت وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية رقم ٢٠، فقدمناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٤٣ظ/سطر ١٠-١٥.

[10] ن: وعن ابن عباس.

[11] *تفسير الطبري*، ١/٢٤٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١/١٣٤.

[12] ع + لأن من قوله إن الشيطان لم يكن في وسوسة الشيطان.

[13] ن: كانوا.

[14] ن: وكان.

وآدم وحواء حين تناولا من الشجرة، ثم جمعهم في الأمر بالهبوط لِيُعلَم أنْ ليس في الجمع[١] بالذكر دلالة وجوب الحكم والأمر مجموعا.

وقوله عز وجل: **اهبطوا**، لا يُفهَم منه الهبوط من الأعلى؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: اِهْبِطُوا مِصْرًا،[٢] أي انزلوا فيه. وقوله: **عدو**، وهو[٣] عدو لنا إما بالكفر وإما بما يسعى في هلاكنا، وكل من يسعى في هلاكنا فهو عدو لنا ونحن أعداء له.

وقوله عز وجل: **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**، قيل: إلى منتهى آجالكم، وإبليس إلى النفخة الأولى. ويشبه أن يكون هذا ليس على التوقيت، ولكن على الدوام والقرار فيها.

**﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**، قيل: في الأرض تعيشون، **وفيها تموتون** عند انقضاء آجالكم، **ومنها تخرجون** في القيامة.

**﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم**، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: أنزل ماء القَراح[٤] من السماء ليُتّخذ منه اللباس ما يواري عورتهم، ويُتخذ منه الطعام والأشياء التي بها قوام أنفسهم.[٥] ويحتمل قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا**، أنزل الماء والأسباب التي بها يتخذ اللباس والأطعمة والأشربة والعلم في ذلك؛ لأنه لولا[٦] ما أنزل من السماء ذلك[٧] الماء والأسباب والعلم بذلك وإلّا ما عرف الخلق أنْ كيف يُتخذ ذلك لباسا والأطعمة والأشربة. وفيه دليل إثبات الرسالة، لأنهم لم يعرفوا ذلك إلا بوحي من السماء. أو أن يكون قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا**،

---

[١] ن: ليس الجمع.
[٢] سورة البقرة، ٦١/٢.
[٣] ن - عدو وهو.
[٤] القَراح: الماء الخالص الذي لا يخالطه شيء (*المعجم الوسيط*، «قرح»).
[٥] ذكره الألوسي عن الحسن؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٣/٨.
[٦] ن ع م: لو.
[٧] ع م - لأنه لو ما أنزل من السماء ذلك.

أي جعل لكم وأنشأ لكم ما تتخذون[1] منه اللباس والطعام والشراب، ليس على الإنزال ولكن على أن جعل لكم ذلك، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،[2] وقوله: جَعَلَ لَكُمْ -أي أنشأ لكم- سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ،[3] وهو أن خلق لنا ذلك. وفيه دليل خلق أفعال الخلق؛ لأنه إنما صار لباسا وطعاما ومالا بفعل من العباد،[4] لا[5] أنه أنزل من السماء هكذا، ثم أخبر أنه جعل ذلك لنا، دلّ أنه خَلَق فِعل الخَلْق فيه.

وقوله: **وريشا**، قال بعضهم: مالا، وقال بعضهم: معاشا. وقال القُتَبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستر به.[6]

وقوله: **ولباس التقوى**، في حرف ابن مسعود رضي الله عنه **ولباسُ التقوى**، بالرفع على الابتداء، أي لباسُ التقوى خيرٌ، ومَن نَصَبَه أيضا فإنما ينصبه على الجواب لما تقدم،[7] وإلا الحق فيه الرفع.[8]

[٢٤٤و] ثم اختلف فيه أهل التأويل. قال[9] الحسن: **لباس التقوى** / الدين. وقال أبو بكر الأصم: القرآن. وقيل: العفاف، وقيل: الحياء، وقيل: الإيمان؛ فكله واحد.[10] أي كل ما ذكر من **لباس التقوى خيرٌ** من اللباس[11] الذي ذكر؛ لأن الدين والإيمان والقرآن[12] والحياء يزجره ويمنعه عن المعاصي، فهو خير؛ لأنه لباس في الدنيا والآخرة؛ لأن المؤمن التقي العفيف الحَيِيّ[13] لا يبدو له عورة وإن كان عاريا من الثياب، وإن الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وإن كان[14] كاسيا من الثياب،[15]

---

[1] ع م: ما يتخذون.
[2] سورة المؤمن، ٧٩/٤٠.
[3] سورة النحل، ٨١/١٦.
[4] ع: من العبادة.
[5] ع م – لا.
[6] أي ما ستره الله به. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٦.
[7] أي على العطف على "وريشا".
[8] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة ﴿ولباسُ التقوى﴾ رفعا، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿ولباسَ التقوى﴾ نصبا؛ انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٨٠.
[9] م: وقال.
[10] ع: واحدا.
[11] ن: من لباس.
[12] ن – والقرآن.
[13] ك: الحييئ؛ ن ع: الحي؛ م:الحيء.
[14] م – كان.
[15] ن: من الثواب.

لا يتحفّظ في لباسه، فالتقوى[١] خير. وهو كقوله: فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.[٢] هذا التأويل للقراءة التي تقرأ[٣] بالرفع: **لباسُ التقوى**، على الابتداء. وأما من قرأ[٤] بالنصب فهو ردّه إلى قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا**، ثم أنزلنا عليكم أيضا لباسا تتقون به الحر والبرد والأذى، فيكون فيه ذكر لباس لسائر[٥] البدن، وفي الأول ذكر لباس العورة.

وقوله عز وجل: **ذلك من آيات الله**، يحتمل قوله: **ذلك**، الذي اتخذ منه اللباس والأطعمة والأشربة من آيات الرسالة؛ لأن كل ذلك إنما عرف بالرسل بوحي من السماء. وهو ما ذكرنا أن فيه دليل إثبات الرسالة. ويحتمل **ذلك من آيات الله**، أي[٦] **من آيات** وحدانية **الله** وربوبيته، لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما، دلّ ذلك أن منشئهما ومدبرهما واحد، لأنه لو كان تدبير اثنين ما اتّسق تدبيرهما لاتصال[٧] منافع أحدهما بالآخر.

وقوله عز وجل: **لعلهم يذكّرون**، أي **لعلهم** يُوَفَّقون[٨] للتذكير -و لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ،[٩] أي لعلهم يوفّقون للتقوى- ولعلهم يوفّقون للشكر، لأنه حرف شك،[١٠] هذا يحسن أن يقال. ***والله أعلم***. أو نقول: لكي يلزمهم التذكّر والشكر.[١١]

**﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**، قال بعضهم: خاطب به أهل مكة في تكذيبهم رسول الله ومخالفتهم أمره في أن لا يخرجكم من الأمن والسعة كما أخرج أبويكم من دار الأمن والسعة. وقال بعضهم: قوله: **لا يفتننكم الشيطان**،

---

١ ك: فلباس التقوى؛ ن: فبس التقوى.
٢ سورة البقرة، ١٩٧/٢.
٣ ك: التي تقرأه.
٤ ك: وقرأه.
٥ م: سائر.
٦ م - أي.
٧ ك + المنافع.
٨ ع م - يوفقون.
٩ سورة البقرة، ١٨٧/٢؛ وسورة الأنعام، ٥١/٦، ٦٩؛ وسورة الأعراف، ١٦٤/٧؛ وسورة طه، ١١٣/٢٠؛ وسورة الزمر، ٢٨/٣٩.
١٠ ن: شكر. وعبارة الشارح هكذا: «لأنه حرف ترجية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٩و).
١١ ع م: والتشكر.

أي[1] احذروا دعاءه إلى ما يدعوكم إليه، فإنه يمنع عنكم في الآخرة الكرامة والثواب كماأخرج أبويكم من دار الكرامة والمنزلة. وقال أهل التأويل: **لا يفتننّكم الشيطان**، أي لا يضلنّكم الشيطان ويغويكم كما فعل بأبويكم،[2] أخرجهما من الجنة. وقال آخرون: قوله: **لا يفتننكم الشيطان،** بما تَهْوَى به أنفسكم ومالت[3] إلى شهواتها وأمانيها، **كما أخرج أبويكم من الجنة**، بما هوته[4] أنفسهما[5] واشتهتها،[6] يحذّرهم اتّباع هوى النفس وشهواتها وأمانيها، فإن السبب[7] الذي به كان إخراجهما هو هوى[8] النفس وأمانيها.

وقوله عز وجل: **ينزع عنهما لباسهما**، يحتمل قوله: **ينزع**، أي نزع[9] **عنهما لباسهما**، وهذا في القرآن كثير يفعل بمعنى فعل. ويحتمل على الإضمار، كأنه قال: أراد أن **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما**. وقد ذكرنا[10] أن المفروض من الستر هو ستر العورة لا غير، احتيج إليه أولم يحتج. وأما غيره من الستر فإنما هو لدفع الأذى من الحر والبرد أو للتجمل.[11] والمفتون بالشيء هو المشغوف به والمُولَع به. يقول: لا يمنعكم عن دخول الجنة **كما أخرج أبويكم من الجنة**،[12] وكان قصده ما ذكر من نزع اللباس و إبداء العورة، وهو ما ذكر.

وقوله عز وجل: **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**، قيل: **قبيله**،[13] جنوده وأعوانه؛ حذّرنا إبليسَ وأعوانَه بما يروننا ولا نراهم.[14]

---

[1] ع م: أن.
[2] ع م: أبويكم.
[3] ك ع م: وامالت.
[4] ك ن: بما هوت به.
[5] ن: أنفسهم؛ ع: أنفسها.
[6] م: واشتهائها.
[7] ك: فإن سبب.
[8] ع: هو هي.
[9] م – أي نزع.
[10] ع: وقد ذكر.
[11] ع م – أو لتجمل.
[12] م + هو.
[13] ع: قبيلة.
[14] ع: ولا يروبهم.

فإن قيل: كيف كلّفنا[١] محاربته وهو بحيث لا نراه وهو يرانا، ومثله في غيره من الأعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه أو لا نقدر[٢] [على] القيام بمحاربته، وليس في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه؟

قيل:[٣] إنه لم يكلفنا محاربة[٤] أنفسهم،[٥] إذ لم يجعل[٦] له[٧] السلطان على أنفسنا وإفساد مطاعمنا[٨] ومشاربنا وملابسنا، ولو جعل[٩] لهم ذلك[١٠] لأهلكوا[١١] أنفسنا وأفسدوا غذاءنا. إنما جعل له السلطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا، وقد جعل لنا السبيل إلى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر، نحو قوله: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[١٢] الآية، وقوله تعالى: وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[١٣] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا.[١٤] عَلَّمَنا ما به ندفع وساوسه وهمزاته، وجعل لنا الوصول إلى دفع وساوسه بحجج وبأسبابٍ جَعَلَ لنا. فهذا يدل على أن الله يجوز أن يكلّفنا بأشياء لم يعطنا أسباب تلك الأشياء بعد أن جعل في وسعنا الوصول إلى تلك الأسباب وإن لم يكن وقت التكليف تلك الأسباب، من نحو الأمر بالصلاة وإن لم نكن[١٥] على الطهارة، إذ جعل في وسعنا الوصول إلى الطهارة، ونحوِ الأمر بأداء الزكاة وإن لم يكن وقت الأمر من يؤدَّى إليه حاضرا، ونحو الأمر بالحج[١٦] وغيره من العبادات وإن كان لا يصل إلى أداء ما افترض عليه إلا بعد أوقات مع احتمال الشدائد.

---

[١] ع: كلنا.
[٢] ك: أو لا يقدر.
[٣] ن – قيل.
[٤] م: محاربته.
[٥] ع م – أنفسهم.
[٦] ن ع م: لم نجعل.
[٧] أي لإبليس.
[٨] ع: مطاعنا.
[٩] ك: وإن جعل.
[١٠] ع م – ذلك.
[١١] ع: لا أهلكوا.
[١٢] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧؛ وسورة فصلت، ٣٦/٤١.
[١٣] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[١٤] سورة الأعراف، ٢٠١/٧.
[١٥] جميع النسخ: لم يكن.
[١٦] ك ع: بالحجج.

وهذا يرد أيضا على من يقول:[1] لا يلزم الأوامر والمناهي مَن جَهِلها، ولا يُكلَّف إلا بعد العلم بها، لأنه يتكلف حتى لا يلزمه فرض من فرائض الله وعبادة من عباداته، لأنه لا يكتسب[2] أسباب العلم بها لئلا يلزم ذلك؛ فهذا بعيد محال، والوجه فيه ما ذكرنا. **والله أعلم**.

[٢٤٤ظ] /وقوله عز وجل: **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**. اختلف أهل الاعتزال فيه. قال أبو بكر الأصم: الجعل من الله تعالى على وجوه. أحدها السبب أي[3] أعطينا لهم السبب[4] الذي به صاروا أولياء لهم، كما يقول[5] الرجل لآخر: جعلت لك الدار والعبيد والمال، وهو لم يجعل له ذلك، ولكن أعطاه ما به صار ذلك، وهو إنما أعطاه سبب ذلك، فيضاف ذلك إليه؛ فعلى ذلك ما أضاف الجعل إليه لما أعطاه السبب. وقال جعفر بن حرب:[6] الجعل هو التخلية، خلّى بينهم وبين أولئك، فأضاف ذلك إليه[7] بالجعل، كما يقال للرجل: جعلت عبدك قَتَّالا ضَرّابا، إذا خلّى بينه وبين ما يفعله، وهو قادر على منعه عن ذلك. فعلى ذلك فيما أضاف الجعل[8] إلى نفسه، هو أن خلّى بينهم وبين أولئك يعملون ما شاءوا. وقال الحسن: مِن حُكم الله أنّ من عصى يكون عدوا له، ومن أطاعه[9] يكون وليا له، ومن أطاع الشيطان فهو وليه، ومن عصاه يكون عدوا له. فكذا[10] حكم الله تعالى في كل من أطاعه يكون وليا له، ومن عصاه يكون عدوا له. وقال غيرهم من المعتزلة: قوله: **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**، أي وجدناهم كذلك أولياء لهم. ولكن لو جاز إضافة ذلك إلى الله تعالى لِما ذُكر هؤلاء لجاز إضافة ذلك إلى الأنبياء، لأنه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم -على ما قال الحسن- والوجود. فإذا لم يجز[11] إضافة ذلك إليهم دل أنه قد كان من الله في ذلك صنع لم يكن ذلك من الأنبياء،

---

[1] ك ع م + أن.
[2] ن ع م: لا يكسب.
[3] ن ع م: الذي.
[4] ع - أي أعطينا هم السبب.
[5] ك: كما تقول.
[6] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. (ت. ٢٣٦هـ/٨٥٠م). له كتاب *متشابه القرآن*، وكتاب *الاستقصاء*، وكتاب *الرد على أصحاب الطبائع*، وكتاب *الأصول*. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.
[7] ن: فأضاف إليه ذلك.
[8] م: الجهل.
[9] م: ومن أطاع.
[10] ك: هذا.
[11] ن ع م: فإذ لم يجز.

وهو أنْ تخلَق منهم فعل الولاية لهم[١] لما علم منهم أنهم[٢] يختارون ولايتهم ويتولّونهم، كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ.[٣] **وبالله العصمة والنجاة.**

**﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٢٨]

وقوله عز و جل: **وإذا فعلوا فاحشة**، قال ابن عباس رضي الله عنه: كل معصية فاحشة.[٤] والفاحشة كل ما عَظُم فيه النهي، فإذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة. وقال مجاهد: فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة.[٥] وقال غيره من أهل التأويل: الفاحشة هو ما حَرّموا من الحرث والأنعام والنبات[٦] وغيره من نحو السائبة والحامي وغيره.[٧] لكن الفاحشة ما ذكرنا من[٨] أن كل ما عظم[٩] النهي فيه والزجر فهو فاحشة. والفاحشة هو ما عَظُم فيه الأمر. يُعرَف ذلك بوجهين؛ أحدهما يَعظُم ذلك في العقل، والثاني في السمع[١٠] يَرِد فيه.

وقوله عز وجل: **والله أمرنا بها**، ادَّعَوْا في ذلك أمر الله ورضاه فيه، ويقولون: لو لم يرض بذلك ولم يأمر[١١] لكان يُنَكِّلهم وينتقم منهم، يعنون آباءهم. فاستدلوا بتركهم وما فعلوا على أن الله قد كان رضي بذلك وأمرهم إذا فعلوا ذلك،[١٢] فدل تركه إياهم على ذلك على أنه قد أمرهم بذلك ورضي عنهم؛ كمن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في أمره ونهيه،

---

[١] ن – لهم.
[٢] ن: لما علم أنهم منهم.
[٣] سورة النحل، ١٦/١٠٠.
[٤] روى الطبري عن ابن عباس أنه فسر الفاحشة بالمعصية في قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهن لِعِدَّتهن وأَحصُوا العِدَّة واتقوا الله ربكم لا تُخرِجوهن من بيوتهن ولا يَخْرُجْنَ إلا أنْ يأتين بفاحشة مبيِّنة﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/١). انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/١٣٣.
[٥] عن مجاهد ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قُبلها النِّسعَةَ أو الشيء فتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله، فما بدا منه فلا أُحِلّه. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٥٤. والنسعة سَيْر مَضفور يجعل زماما للبعير (*لسان العرب* لابن منظور، «نسع»).
[٦] ك – والنبات.
[٧] انظر تفسير الآيات من سورة المائدة، ٥/١٠٣؛ وسورة الأنعام، ٦/١٣٦، ١٣٨-١٣٩.
[٨] ك ع م – من.
[٩] ع: ما أعظم.
[١٠] ن ع م: بالسمع.
[١١] جميع النسخ: لم يأمر.
[١٢] ك ن: بذلك.

فإنه يُنَكِّله على ذلك وينتقم منه إذ كان قادرا على ذلك، فإذا لم يفعل ذلك به دلّ ذلك منه على الرضا به؛ فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم و لم ينكلهم، دل ذلك على الرضا والأمر به. والثاني كأنهم أخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا: ما شاء الله كان، ظنوا أن ما كان من آبائهم كان بأمر[1] من الله ورضاه؛ لم يفصلوا بين المشيئة والأمر. المشيئة والإرادة هي[2] صفة فعل كل فاعل يفعله على الاختيار، نحو أن يقال: شاء فعل كذا أو أراد[3] أمر كذا، ولا يجوز أن يقال: أمر نفسه بكذا أو نهى نفسه عن كذا. وأما قولهم: إنه لم ينكّل آباءهم و لم ينتقم منهم بما فعلوا، دل أنه رضي بذلك. فيقال: إن فيهم من فعل على خلاف فعلهم وغير صنيعهم ضد ما فعل أولئك. ثم لم يفعل بهم ذلك، فهل دل ذلك على الرضا منه بذلك؟ فإن قلتم: بلى، فإذن[4] رضي بفعلين متضادّين، وإن قلتم: لا، كيف دل ذلك في أولئك على الرضا والأمر و لم يدل فيمن فعلوا بخلاف فعلهم؟ فذا تناقض. وقد ذكرنا فيما تقدم.[5] *والله أعلم*.

**قل**، لهم يا محمد، **إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون**، إن الله أمر بهذا وحرم هذا. وقوله عز و جل: **قل إن الله لا يأمر بالفحشاء**، الفحشاء[6] هو ما ذكرنا، ما عَظُم النهي فيه، أو كل ما يشتدّ فيه النهي ويغلظ أو يكثر هو الفحشاء؛ ألا ترى أنه يقال لكل شيء يكثر: فَحُش، من نحو الكلام وغيره أنه إذا أخرج من حده وجاوز يقال: فَحُش؛ فعلى ذلك الفحشاء هاهنا هو ما جاوز حده في القبح، أو جاوز الحد من الكثرة، وهم قد أكثروا الافتراء على الله. وقوله: **أتقولون على الله ما لا تعلمون**، قال بعضهم: بل **تقولون على الله ما لا تعلمون**،[7] إنه أمر بذلك. وقيل: قوله: **أتقولون على الله**، أي تعلمون أنكم **تقولون على الله ما لا تعلمون**؛ لأنهم[8] لم يكونوا يؤمنون[9] بالرسل ولا كان لهم كتاب، فكيف تعلمون أن الله أمركم بذلك. وهو كقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؛[10]

---

[1] ع + الله.
[2] ك – هي.
[3] ك: أو أرادا.
[4] ن ع م: فإذا.
[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[6] ن ع م – الفحشاء.
[7] ن – قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون.
[8] ع: أنهم.
[9] ن: لو يؤمنون
[10] سورة يونس، ١٨/١٠.

لا يجوز أن لا يعلم الله، ولكن على النفي لذلك؛ ليس كما تقولون وتنبئون، ولكن يعلم خلاف ذلك وضده، ويكون في نفي ذلك إثبات غيره. فعلى ذلك يعلمون[١] أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون. وأسباب العلم [في] هذا إما الرسل يخبرون عن الله ذلك، أو الكتاب[٢] يجدون فيه / مكتوبا فيعلمون، [٢٤٥و] فيسع[٣] الشهادة بذلك. وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم، وليس لهم[٤] كتاب أيضا يقرءونه، فما بقي إلا وحي الشيطان إليهم، كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ.[٥]

**﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **قل أمر ربي بالقسط**، والقسط هو العدل في كل شيء في القول والفعل وغيره، كقوله:[٦] وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا،[٧] وكقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ.[٨] وأصل العدل هو محافظة الشيء على الحد[٩] الذي جُعل له، ووَضْعُه[١٠] موضعه.

وقوله عز وجل: **وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**، اختلف فيه. قيل:[١١] **أقيموا**، أي[١٢] سَوُّوا وجوهكم نحو الكعبة، **عند كل مسجد**، أي في كل[١٣] مكان تكونون فيه، وهو كقوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً،[١٤] أي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة، كقوله تعالى: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.[١٥] وقيل: **أقيموا وجوهكم**، أي اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا فيها غيره، و"الوجه" يكون كناية عن العبادة، وهما واحد. وقيل: **أقيموا وجوهكم**،

---

[١] م: لا يعلمون.
[٢] جميع النسخ: والكتاب.
[٣] ع م: فيتسع.
[٤] ع م – لهم.
[٥] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٦] ع: وكقوله.
[٧] سورة الأنعام، ١٥٢/٦.
[٨] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٩] ع م: عن الحد.
[١٠] ك: وضعه.
[١١] ع – قيل.
[١٢] ك – أي.
[١٣] ن – كل.
[١٤] ع + أي اجعلوا بيوتكم. سورة يونس، ٨٧/١٠.
[١٥] سورة البقرة، ١٤٤/٢، ١٥٠.

أي دينكم لله لا تشركوا فيه غيره،[1] كقوله: **وادعوه مخلصين له الدين**. ويشبه أن يكون الوجه كناية وعبارة[2] عن الأنفس، كأنه قال: **أقيموا** أنفسكم لله ولا تشركوا فيها لأحد شركا، كقوله: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ،[3] أي يجعل[4] نفسه لله سالما.

وقوله عز وجل: **وادعوه مخلصين له الدين**، يحتمل الدعاء نفسه، أي **ادعوه** ربا خالقا ورحمانا، **مخلصين له الدين** بالوحدانية والألوهية والربوبية. ويحتمل قوله: **ادعوه** أي اعبدوه **مخلصين له** العبادة، ولا تشركوا غيره فيها. ويحتمل أي دِينُوا بدينه الذي دعاكم إلى[5] ذلك وأمركم به.

وقوله عز وجل: **كما بدأكم تعودون**، قال قائلون: هو[6] صلة قوله: فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ،[7] كأنهم سألوا مِمَّ[8] يعودون إذا بُعثوا؟ فقال: **كما بدأكم**، خلقكم، **تعودون** مثله. ويحتمل أن يكون هو صلة قوله: فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ،[9] تعودون كما كنتم[10] في البَدْأَة: الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا. وقوله عز وجل: **كما بدأكم تعودون**، هو من الدائمة، ليس من الابتداء، لأنه لا يجوز أن يقال لصبي: كافر أو مؤمن، وهو الدوام والمُقام فيه إلى وقت الموت وهو في البَدْأَة، وفي الآخرة الإعادة.[11] وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ،[12] وقوله: يبدأ، ليس يريد ابتداء نشأة، ولكن كونه في الدنيا.[13] فعلى ذلك قوله: **كما بدأكم تعودون**، الآية تخرج على وجهين. أحدهما أي كما كنتم في الدنيا **تعودون** في الآخرة كذلك، المؤمن مؤمن والكافر كافر على كفره. والثاني كما أنشأكم في الدنيا لا من شيء فعلى ذلك يبعثكم كذلك،[14] لا يعجزه شيء.

---

[1] ع م - والوجه يكون كناية عن العبادة وهما واحد وقيل أقيموا وجوهكم أي دينكم لله لا تشركوا فيه غيره.
[2] ن ع: وعبادة.
[3] سورة لقمان، ٢٢/٣١.
[4] ع م: أي يجعل.
[5] ن - إلى.
[6] ع م: هم.
[7] سورة الأعراف، ٢٥/٧.
[8] ن ع م: مما.
[9] سورة التغابن، ٢/٦٤.
[10] جميع النسخ: كانوا.
[11] أي تعودون كما كنتم تدومون على حياتكم في الدنيا إلى وقت موتكم. هذا هو المقصود بالبداية، وليس المقصود بداية الخلق، فإن الإنسان لا يكون مؤمنا أو كافرا في بداية عمره وهو صبي.
[12] سورة الروم، ٢٧/٣٠.
[13] ع + فعلى ذلك كونه في الدنيا.
[14] ن ع م: لذلك.

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **فريقا هدى**، بما هداهم الله بفضله، **وفريقا حق عليهم الضلالة**، بما اختاروا من فعل الضلالة،[١] فأضلهم الله، كقوله: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،[٢] وقوله: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ.[٣]

وقوله عز وجل: **ويحسبون أنهم مهتدون**، فيه دلالة[٤] لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن[٥] إذا كان بحيث الإدراك والوصول إليه، لأنه قال: **ويحسبون أنهم مهتدون**؛ فيه أنهم عند أنفسهم **مهتدون**، ولم يكونوا، ثم عوقبوا على ذلك. دل أن الدليل والحجة قد تلزم وإن لم تُعرَف،[٦] بعد أن يكون سبيل الوصول إلى ذلك. وهذا يرد قول من يقول بأن فرائض الله لا تلزم[٧] إلا بعد العلم بها والمعرفة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**، يحتمل أن يكون الخطاب وإن خرج مخرج الأمر بأخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها، لأن الناس يكونون آخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين بها،[٨] فإذا كان كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وإبداء عوراتهم. وهو ما ذكر في بعض القصة أن أهل الشرك كانوا إذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون: لا نطوف في ثيابنا التي أذنبنا فيها.[٩] فإن كان التأويل ما قال[١٠] ابن عباس وهؤلاء فيكون فيه إضمار، كأنه قال: **خذوا زينتكم**، عند هذا المسجد كما تأخذون،

---

[١] م: الضلال.

[٢] سورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥.

[٣] سورة الأعراف، ١٨٦/٧.

[٤] ع م - دلالة.

[٥] ك: في الظن.

[٦] جميع النسخ: قد يلزم وإن لم يعرف.

[٧] ك: لا يلزم.

[٨] ك ن: بادين لها. أي غير مبدين وغير مظهرين عوراتهم.

[٩] روي في ذلك الكثير؛ ومن أقربها إلى ما هنا ما روي عن قتادة قال: كان حي من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنِست فيه، فيقول من يُعيرني مئزرا؟ فإن قدر على ذلك وإلا طاف عريانا، فأنزل الله فيه ما تسمعون: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦١/٨.

[١٠] م: قال.

**عند كل مسجد**، سِواه.[١] وإلاّ خرج[٢] تأويل الآية على وجوه.[٣] أحدها يقول: صلوا في كل مسجد؛[٤] ذكر هذا لمن لا يرى الصلاة إلا في مسجده، على ما روي أنْ «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد».[٥] والثاني يقول:[٦] صلوا بكل مسجد وبكل مكان، كقوله عليه السلام: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».[٧] والثالث يجعل الزينة العبادة نفسها بقول:[٨] **خذوا زينتكم**. ويحتمل ما ذكره أهل التأويل: كانوا يستعيرون من أهل مكة ثيابا يطوفون فيها، فإن لم يجدوا بها طافوا[٩] عُراةً باديةً[١٠] عوراتهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وقال: **خذوا زينتكم عند كل مسجد**، أي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم، فهو على النهي عن نزع الثياب وإبداء العورة.

وكذلك[١١] قوله:[١٢] **وكلوا واشربوا**، يخرج على النهي عما حرّموا على أنفسهم من أنواع المنافع والنعم التي أحل الله لهم من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، ومن نحو ما حرّموا من الزرع[١٣] والطعام،[١٤] وكقوله: وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا،[١٥] الآية. خرج قوله: **وكلوا واشربوا**، على النهي عما حرّموا مما أحل لهم، لا على الأمر بالأكل والشرب، لأن كل أحد يأكل ويشرب[١٦] ولا يدع ذلك، فدل أنه خرج على النهي لما حرّموا، كأنه قال: لا تحرّموا ما تحرّمون،[١٧] ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها.

---

[١] ع: سواء.

[٢] ن ع: والإخراج.

[٣] ع: على وجوها.

[٤] ن + وبكل مكان كقوله.

[٥] رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما مرفوعا من طرق ضعيفة، وقد صح من قول علي رضي الله عنه؛ انظر: سنن *الدارقطني*، ١/٤٢٠؛ و*المستدرك* للحاكم، ١/٣٧٣؛ و*الدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ٢/٢٩٣.

[٦] ع م – يقول.

[٧] صحيح *البخاري*، الصلاة ٥٦؛ وسنن *الترمذي*، السير ٥.

[٨] ك ن: يقول.

[٩] ع م + فيها.

[١٠] جميع النسخ: بادين.

[١١] ع – وكذلك.

[١٢] ع: وكقوله.

[١٣] ك ن: من الزروع.

[١٤] انظر تفسير الايات من سورة المائدة، ٥/١٠٣؛ وسورة الأنعام، ٦/١٣٦، ١٣٨-١٣٩.

[١٥] سورة الأنعام، ٦/١٣٨.

[١٦] ك – لأن كل أحد يأكل ويشرب.

[١٧] ك: مما تحرمون؛ ع م – ما تحرمون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٠و. أي ما تحرمون أنتم على أنفسكم.

فإن كان على ابتداء[1] الأمر / بأخذ الزينة فهو -والله أعلم- أمر بأخذ الزينة[2] والتجمّل [٢٤٥ظ] عند كل مسجد. والمسجد هو مكان كل عبادة ونسك، على ما يكون[3] في غير ذلك من الأوقات تتزيّنون وتتجمّلون[4] عند اجتماع الناس، فعلى ذلك تكونون[5] في مكان العبادة والنسك. أو أن يكون لما[6] في المسجد اجتماع الناس للعبادة[7] فأُمروا بستر عوراتهم في ذلك. ويكون قوله: **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**، أي **كلوا واشربوا** واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا، وهو نهي عن الكثرة. أو ما[8] ذكرنا أنه نهاهم عن التحريم[9] وترك الانتفاع بها، وفي تحريم ما أحل الله وترك الانتفاع بها إسراف. **إنه لا يحب المسرفين**، لأنه لا يحب الإسراف. وقد ذكرنا أن المفروض من الستر هو ما يستر[10] به العورة، وأما غيره فإنما هو على دفع الأذى والتحمل؛ ألا ترى أنه قال: يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا،[11] وقال: يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ.[12] مَنَّ علينا بما أنزل[13] مما نستر[14] به عوراتنا وإن كانت تلك[15] المنة في الكل، وذلك أيضا[16] قبيح في الطبع أن ينظر أحد[17] إلى عورة آخر. وعلى ذلك جاءت الآثار في الأمر بستر العورة. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك». فقيل: يا رسول الله، فإن كان بعضنا في بعض؟

---

[1] ك ن ع: علي الابتداء.
[2] ع - فهو والله أعلم أمر بأخذ الزينة.
[3] ك ن: علي ما يكونون.
[4] ع م: ويتجملون.
[5] ن ع م: يكونون.
[6] جميع النسخ: كما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٠و.
[7] م: العبادة.
[8] ع م: وما.
[9] ع م: عن التحريك.
[10] ك: هو ما ستر.
[11] سورة الأعراف، ٢٧/٧.
[12] سورة الأعراف، ٢٦/٧.
[13] ع: بما نزل.
[14] ك: مما يستر.
[15] ع - تلك؛ م: له.
[16] ع م - أيضا.
[17] ك: أحدا.

فقال: «إن استطعت أن لا تظهر عورتك فافعل». فقيل:[1] فإذا كان أحدنا خاليا؟ فقال: «فالله أحق أن يُستَحيا منه».[2] وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الرجل[3] إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة».[4] ومثله كثير، وفيما ذكرنا كفاية. وعلى ذلك يخرج الأمر بالإقبار لستر العورة؛ ألا ترى أنه قال تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ،[5] الآية، لأن لا يرى عورته، لأنه يكون[6] جفاء.

**﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣٢]**

وقوله عز وجل: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**، قال أبو بكر الأصم: الزينة هاهنا هو اللباس، لأنه ذكر على إثر ذكر[7] اللباس، وهو قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ،[8] **والطيبات من الرزق** ما حرموا مما[9] أحل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك مما كانوا[10] يحرمون الانتفاع به، كقوله: وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ.[11] وقال الحسن: **زينة الله**، هو المَرْكَب كقوله: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً،[12] جعل الله ما يُركَب زينة للخلق، وهم كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها، فقال: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده**، وقال:[13] **والطيبات من الرزق** ألبانها ولحومها. وقال غيره[14] من أهل التأويل: **زينة الله** هٰهنا النبات وما يخرج من الأرض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا، كقوله: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ،[15] الآية،

---

[1] ن – فقيل.

[2] م: عنه. والحديث روي بمعناه. قال الترمذي: هذا حديث حسن. انظر: *سنن أبي داود*، الحمام ٢؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٢؛ وعلّقه البخاري؛ انظر: صحيح *البخاري*، الغسل ٢٠.

[3] ع م – الرجل.

[4] صحيح *مسلم*، الحيض ٧٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٣٨.

[5] ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه﴾ (سورة المائدة، ٣١/٥).

[6] ع: لا يكون.

[7] ك ع م: ذلك.

[8] الآية السابقة.

[9] م – مما.

[10] م: ما كانوا.

[11] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.

[12] سورة النحل، ٨/١٦.

[13] ع – وقال. أي وقال الحسن.

[14] ع: وغيره.

[15] سورة الكهف، ٧/١٨.

وكقوله: حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ،[1] سمى لنا ما أخرج من الأرض زينة.

[٢٤٥ظ س ٢٩ *وفي قوله تعالى: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**، دليل إباحة الزينة والتناول من الطيبات. وقد يحتمل أن يكون خرج على النهي والإنكار، على ما كان يفعله أهل الشرك من نحو تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة، فقال: **قل من حرم** ما حرمتم إذا لم يحرمه الله؛ ألا ترى[2] أنه قال: قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ[3] يقول، والله أعلم: لم يحرم ما حرمتموه من هذه الأشياء، ولكن حرم الفواحش وما ذكر. ولم يذكر جوابهم أنهم ماذا يقولون.[4] فهو يخرج على وجهين؛ إنْ قالوا: حرّم الله، فيقال لهم: من حرّم وأنتم قوم لا تؤمنون[5] بالرسل والكتب؟ فإن قالوا: حرّم فلان، فقيل: كيف صدّقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدّقون[6] الرسل فيما يخبرون[7] عن الله تعالى مع ظهور صدقهم؟ يذكر سفههم في ذلك. وقوله عز وجل: **قل من حرم زينة الله**، كأنه يقول: ليس لأحد تحريم ما ذكرنا، إنما التحريم إلى الله، وإنما حرم ما ذكر. وقد يحتمل ما ذكرنا من نزعهم[8] الثياب عند الطواف ويطوفون[9] عراة على ما ذكر في القصة، وإلى هذا يذهب ابن عباس والحسن وقتادة وعامة أهل التأويل.[10] وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:[11] «ألا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث».[12]* ٢٤٥ظ س ٣٩]

---

[1] سورة يونس، ٢٤/١٠.

[2] ك: ألا يرى.

[3] سورة الأعراف، ٣٣/٧.

[4] أي لم يذكر في القرآن جواب الكفار على السؤال في قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

[5] ع م: لا يؤمنون.

[6] ع: ولا تصدقوا.

[7] ك: بما يخبرون.

[8] ك: من ترغيبهم.

[9] م: ويطوف.

[10] روي ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما، ولم أجده عن الحسن؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٩/٩-١٦٠، ١٦١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٩/٣.

[11] ك + حيث قال.

[12] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمّره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. انظر: صحيح *البخاري*، الصلاة ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٥ظ/سطر ٢٩-٣٩.

[٢٤٦و س٢ *وقوله: **قل من حرم زينة الله**. أنه إذا لم يُفهَم من **زينة الله** ما يُفهَم من زينة الخلق -لأن زينة الخلق[١]
ما يتزينون[٢] به ويتجمّلون-[٣] لا يجب أن يُفهَم من استوائه استواء الخلق ولا من مجيئه مجيء الخلق، لأن
٢٤٦و س٥] استواء[٤] الخلق هو انتقال من حال إلى حال، ولا يجوز أن يُفهَم منه ذلك على ما لم يفهم من **زينة الله**.[٥]*

وقوله عز وجل: **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**، اختلف فيه. قال الحسن: **هي**، يعني الطيبات **خالصةً** للمؤمنين في الآخرة، لا يشاركهم الكفرة فيها، فأما في الدنيا فقد شاركوهم.[٦] فالتأويل الأول يخرج على التقديم والتأخير، كأنه قال: قل هي للذين آمنوا خالصة **يوم القيامة**، وفي الحياة[٧] الدنيا لهم جميعا، بقوله: قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ.[٨] ويحتمل قوله: **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا**، لأنهم لم يحرموا[٩] الطيبات التي أحل الله لهم بل انتفعوا بها، وحرّم أولئك و لم ينتفعوا بها، فكانت **هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا** لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للآخرة، وكانت لهم[١٠] **خالصة يوم القيامة**. وإنما كان خالصا لهم يوم القيامة لما لا يكون لأهل[١١] الشرك ذلك لما لم يتزودوا للمعاد، وقد[١٢] كانت لهم في الدنيا لو لم يحرّموها وانتفعوا بها.*

[٢٤٦و /وقوله[١٣] عز وجل: **كذلك نفصل الآيات**، أي نبين **الآيات**، **لقوم يعلمون**، أي **لقوم** ينتفعون بعلمهم. أو نقول: **كذلك نفصل الآيات**، أي **كذلك نفصل** حكم آية من حكم آية أخرى، نفصل هذا من هذا وهذا من هذا.*

---

[١] ع – لأن زينة الخلق.
[٢] م: ما تتزينون.
[٣] ع م: ويتحملوا.
[٤] ع: لأن الاستواء.
[٥] أي كما لم يفهم من إضافة لفظ الزينة إلى الله ما يفهم من زينة الخلق باتفاق المفسرين كذلك لا ينبغي أن يفهم من إضافة لفظ الاستواء إلى الله ما يفهم من استواء الخلق. وفي هذا رد على المجسمة والمشبهة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه خلال تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٦و/سطر ٢-٥.
[٦] *تفسير الطبري*، ٨/١٦٥.
[٧] ن: في الحياة.
[٨] سورة البقرة، ٢/١٢٦.
[٩] ع: لا يحرموا.
[١٠] ع م – لهم.
[١١] ع: أهل.
[١٢] م: قد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٥ظ/سطر ٢٩-٣٩.
[١٣] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٦و/سطر ٢-٥.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز و جل: **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق**، يشبه أن تكون[1] هذه الآية مقابل قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، كما خرج آخر الآية، وهو قوله: وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ،[2] مقابل الأول، وهو قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ.[3] والنهي هناك[4] نهي[5] تحريم كالتنصيص على التحريم هاهنا.[6] ويكون[7] الفحشاء الذي ذكر في تلك[8] الآية **الفواحش** التي ذكرت[9] في هذه،[10] والمنكر الذي ذكر هناك[11] هو **الإثم** الذي ذكر في هذه.[12] وذكر **البغي** هاهنا، وهنالك البغي. ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع، والمنكر هو الذي ظهر الإنكار فيه على مرتكبه.[13] **والإثم** هو الذي يأثم المرء فيه، **والبغي** هو من مظالم الناس بظلم[14] بعضهم على بعض. وقال بعضهم: **الفواحش** هن الكبائر، **والإثم** هو الصغائر، **والبغي** هو أخذ[15] ما عُصم من مال أو نفس بعقد الإسلام، على ما روي عن نبي[16] الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».[17]

---

[1] ن ع م: أن يكون.
[2] سورة النحل، ٩٠/١٦.
[3] ك ن ع – كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي مقابل الأول وهو قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان.
[4] ك ن ع: هاهنا.
[5] ك ن – النهي.
[6] ك ن – كالتنصيص على التحريم هاهنا؛ ع – نهي تحريم كالتنصيص على التحريم هاهنا.
[7] ن ع م: وتكون.
[8] جميع النسخ: في هذه.
[9] جميع النسخ: ذكر.
[10] جميع النسخ: في ذاك.
[11] جميع النسخ: هاهنا.
[12] جميع النسخ: في ذلك.
[13] ك: علي مرتكبيه.
[14] ك ن: يظلم.
[15] ع م: ما أخذ.
[16] ن: عن رسول.
[17] صحيح *البخاري*، الاعتصام ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٤.

فكل ما صار معصوما بالإسلام من مال أو نفس فأَخذ ذلك بغي وظلم إلا ما ذكر: "بحقها".
وأصل **البغي** هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. وقال أهل التأويل: **الفواحش** هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا. لكن **الفواحش** ما ذكرنا: أنّ[1] ما قَبُح في العقل والسمع وفَحُش فيهما فهي الفاحشة. وأصل المنكر كل ما لا يعرف،[2] كقول إبراهيم: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[3] والمنكر ما أنكره العقل والسمع أيضا.

وقوله عز وجل: **وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا**، أي وحرّم أيضا **أن تشركوا بالله**.
وقوله عز وجل: **ما لم ينزل به سلطانا**، ليس على أنه ينزّل سلطانا[4] على الإشراك[5] بحال، ولكن على أنهم يشركون بالله من غير حجج وسلطان، لأن أهل الإسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والآيات، وهم يدينون بدين لا يظهر بالحجج والآيات، ولكن بما هوت به أنفسهم واشتهت. ويحتمل قوله: **ما لم ينزل به سلطانا**، أي عذرا، لأنه [لا] يجوز أن يُعذَّر المرء بحال في إجراء كلمة الكفر على لسانه [إلا] عند الإكراه، ولا يصير به كافرا إذا كان قلبه مطمئنا بالإسلام منشرحا به، كقوله: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ،[6] أي تشركون بالله من غير أن يَنزِل بكم[7] حال[8] عذر.[9]

وقوله عز وجل: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، أي حرّم عليكم **أن تقولوا على الله ما لا تعلمون**.[10] والثاني أي تعلمون أنكم تقولون[11] **على الله ما لا تعلمون**، أنه حرّم كذا وأمر بكذا. فقوله:[12] **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، يحتمل وجهين؛

---

[1] ك ن ع + ما ظهر قبحه في العقل وفحشه في السمع فهو فاحشة والفواحش هو ما ذكرنا أن.
[2] ع م: ما يعرف.
[3] سورة الحجر، ٦٢/١٥.
[4] ن – ليس على أنه ينزل سلطانا.
[5] ن + بالله.
[6] سورة النحل، ١٠٦/١٦.
[7] جميع النسخ: بهم.
[8] ن – حال.
[9] ك: ما أعذر.
[10] ك + يحتمل وجهين أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون؛ ع م – أي حرم عليكم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.
[11] جميع النسخ: أنهم يقولون.
[12] ن ع م: وقوله.

أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون **على الله ما لا تعلمون**؛ والثاني تقولون **على الله ما لا تعلمون**؛[١] هذا على الجهل، والأول على العلم، كقوله: أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ،[٢] أي تنبئون[٣] الله بما يعلم أنه ليس مما تقولون.

**﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، اختلف فيه. قال بعضهم: **لكل أمة أجل**، هو بعث الرسل إليهم،[٤] أي لا يهلكون ولا يعذبون إلا بعد بعث الرسل إليهم،[٥] فإذا أتاهم الرسول فكذبوه وعاندوا فعند ذلك يهلكون. وهو كقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً،[٦] وقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً.[٧] ويحتمل أن لكل أمة أجلا لا تهلك قبل بلوغ أجلها، لا تستأخر ولا تستقدم.[٨] فهذا يرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من قُتِل إنما هلك قبل بلوغ أجله، ويجعلون القاتل[٩] مستقدما لأجل ذلك المقتول، والله تعالى يقول: **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**. وقوله عز وجل: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، [بمعنى] إذا جاء لا يستأخرون، وإذا لم يجئ لا يستقدمون.

**﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم**، قال أهل التأويل: قوله: **إما يأتينكم**، أي سيأتيكم[١٠] **رسل منكم**، أو سوف يأتيكم. **يقصون عليكم**، ثم يحتمل قوله:

---

[١] ك – والثاني أي تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون أنه حرم كذا وأمر بكذا فقوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يحتمل وجهين أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعمون والثاني تقولون على الله ما لا تعلمون؛ ع م – يحتمل وجهين أحدهما انكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون والثاني تقولون على الله ما لا تعلمون.

[٢] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[٣] ع م: أي تنسون.

[٤] ك ن: الرسول إليها.

[٥] ع م – أي لا يهلكون ولا يعذبون إلا بعد بعث الرسل إليهم.

[٦] سورة الإسراء، ١٧/١٥.

[٧] سورة القصص، ٢٨/٥٩.

[٨] ك: لا يستأخر ولا يستقدم؛ ن: لا يستأخرون ولا يستقدمون.

[٩] جميع النسخ + منه.

[١٠] ع م: أي سيأتيكم.

**يقصون عليكم**[1] **آياتي**،[2] أي هداي، كقوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى،[3] وقوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛[4] فعلى ذلك قوله:[5] **يقصون عليكم آياتي**، أي هداي، **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**. ويحتمل الآيات الحجج والبراهين التي يضطر[6] أهلها إلى قبولها إلا من عاند وكابر. **فمن اتقى**: **اتقى** الشرك، **وأصلح**: وآمن بالله وعمل صالحا، **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**. وقوله:
[٢٤٦ظ] **فمن اتقى**، يحتمل **اتقى** ما نهى الرسل،[7] أو **اتقى** المهالك، **وأصلح** فيما أمر به الرسل، / أو **أصلح** أمره وعمله،[8] **فلا خوف عليهم**، في ذهاب ما أكرمهم به مولاهم ولا فوته، لأن خوف الفوت مما ينقص النعم،[9] **ولا هم يحزنون**، [على] تَبِعاته وآفاته. يخبر أن نعيم الآخرة على خلاف نعيم الدنيا.[10]

وفي قوله: **يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم**،[11] [بيان أن الله تعالى جعل][12] على خلقه مِنَنا[13] كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل إليهم. أحدها أن كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره، فمَنّ عليهم حيث بعث الرسل[14] من جنسهم وجوهرهم يستأنس بعضهم ببعض ويألف[15] بعضهم بعضا، فذلك آخَذُ للقلوب[16] وأدْعَى إلى الاتباع والإجابة.

---

[1] ع م – ثم يحتمل قوله يقصون عليكم.
[2] ن + ثم يحتمل قوله يقصون عليكم آياتي.
[3] سورة طه، ١٢٣/٢٠.
[4] سورة البقرة، ٣٨/٢.
[5] ن ع م – قوله.
[6] ك: تضطر.
[7] ع: الرسول.
[8] ع – وعمله.
[9] ك ن ع – النعم.
[10] جميع النسخ + وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر تأويلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم يأخذوا على أحد منهم.
[11] جميع النسخ + به.
[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١و.
[13] جميع النسخ: منن.
[14] ن – من جنس المرسل إليهم أحدها أن كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل.
[15] ن: وتألف؛ ع م: وتأليف.
[16] ن ع م: أخذ القلوب.

والثاني بَعَث الرسل من قومهم الذين نشئوا بين أظهرهم وعرفوا صدقهم وأمانتهم، ليعلموا أنهم صادقين فيما يدّعون من الرسالة، حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط،[١] حتى لم يأخذوا على أحد منهم الكذب.

والثالث أن الرسل لو كانوا من غير جنسهم وغير جوهرهم لم يعرفوا ما أوتوا[٢] من الآيات والبراهين أنها آيات وحجج، كما[٣] لا يعلمون[٤] أنّ وُسْعَهم لا يبلغ هذا وطَوْقهم لا يصل إلى ذلك، وإذا كانوا منهم يعرفون ذلك إذا أُتُوا[٥] بشيء خرج عن وسعهم أنها آيات.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **والذين كذبوا بآياتنا**، قال الحسن: ديننا. ويحتمل **بآياتنا** حججنا، أي **كذبوا** بحججنا.[٦] فإذا كذبوا بحججه كفروا به، لأنه عز وجل لا يُعرف من طريق الحسّ والعيان، ولكن إنما يُعرف من طريق الحجج والآيات والدلائل، فيكون الكفر بآياته وحججه كفرا به. ويشبه أن يكون آياته آيات الرسالة وحججها. ويحتمل آياته هاهنا رسله،[٧] أي **كذبوا** برسلنا. سمى رسله آياته، لأن أنفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانية الله ورسالتهم من أعلام جُعِلت من أنفسهم من صدقهم وأمانتهم.[٨] **واستكبروا عنها**، أي استكبروا [عن] التدبر[٩] فيها والنظر. **أولئك أصحاب النار**، لأنهم يصحبون النارَ والسببَ الذي يُوجب لهم النارَ أبدًا، فسُمُّوا **أصحاب النار** بذلك، كما يقال: صاحب الدار، وصاحب الدابة، لأنه[١٠] هو يصحبها دائما؛ فعلى ذلك هؤلاء سُمُّوا **أصحاب النار**، لما هم يصحبونها دائما أبدا. ***والله أعلم***.

---

[١] ن ع: فقط.
[٢] ك: ما أتوا.
[٣] جميع النسخ: لما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.
[٤] ك: لما يعلمون؛ ع: ما لا يعلمون.
[٥] ن ع م: إذا أوتوا.
[٦] ك - أي كذبوا بحججنا.
[٧] م + أي كذبوا رسله.
[٨] م: وأماناتهم. قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «... لأن الخبر الصدق دليل على وجود المخبَر به؛ وقد أقام في أنفسهم أعلاما وأمارات تدل على صحة دعواهم الرسالة من صدق اللهجة وأداء الأمانة والتبرئة عن التزوير والخيانة ونحو ذلك. والرسالة دليل صدق الخبر بيقين. فدل أن الرسل عليهم السلام من آيات الوحدانية. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩١و).
[٩] ع: التدبير.
[١٠] ك - لأنه.

**﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**، قد ذكرنا فيما تقدم[١] أن قوله: **فمن أظلم**، إنما هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب، لكن أهل التأويل عرفوا ذلك، فقالوا:[٢] لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**، أجابوا على ما عرفوا من السؤال، وإلّا ليس قوله: لا أحد **أظلم**، تفسير[٣] قوله: **فمن أظلم**. [وقوله عز وجل: **فمن أظلم**] أي لا أحد أفحش ظلما ولا أقبح ظلما **ممن افترى على الله كذبا**، مع علمه أنه خالقه وأنه متقلّب في نِعَمه وأحاطت به أياديه وإحسانه.[٤]

وقوله: **افترى على الله كذبا**، قيل: الافتراء هو اختراع الكذب من نفسه من غير أن سبق له أحد في ذلك، كقوله: يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ،[٥] وأما الكذب[٦] قد يكون مما أنشأه[٧] هو ومما[٨] قد سبق له أحد فسمع منه.[٩] ثم[١٠] افتراؤهم على الله أنواع،[١١] يكون بما قالوا: إن له ولدا، وبما قالوا[١٢] بأن له[١٣] شريكا وصاحبة، وبما عبدوا غير الله وقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٤] و هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٥] ويكون بما قالوا:[١٦]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٢١/٦.
[٢] ع: فقال.
[٣] م: نفسه.
[٤] ك ن + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أحد أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا؛ ع + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أفحش ظلما وأقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا؛ م + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا.
[٥] ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ (سورة الممتحنة، ١٢/٦٠).
[٦] ع م – الكذب.
[٧] جميع النسخ: مما أنشأ.
[٨] جميع النسخ: وما.
[٩] ن + أحد.
[١٠] ع م – ثم.
[١١] ن + الكذب.
[١٢] ك ن ع: وقالوا.
[١٣] ك: أن له.
[١٤] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١٥] سورة يونس، ١٨/١٠.
[١٦] ك ن ع: ما قالوا.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[١] ويكون[٢] بما حرموا[٣] من أشياء على أنفسهم فأضافوا ذلك إلى الله، ونحو ذلك من الافتراء.

وقوله عز وجل: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب،** اختلف فيه. قال الحسن:[٤] إن[٥] من أطاع الله في أمره ونهيه وأطاع رسله فقد كتبت له الجنة خالدا[٦] فيها أبدا،[٧] فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب[٨] له؛ ومن عصى الله وخالف رسله كتب له النار خالدا فيها أبدا،[٩] فهو نصيبه من الكتاب. وقال أبو بكر الكيساني: قوله: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب،** أي حظهم من الجزاء والعقاب في الآخرة، وهو قول القُتَبي.[١٠] ويحتمل[١١] وجهين آخرين غير هذين. أحدهما ما حرّفوا من الكتب وغيروها ثم أضافوا ذلك ونسبوه[١٢] إلى الله، كقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ،[١٣] وقوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ،[١٤] فصار ما حرّفوا هم[١٥] وغيروه سنة منهم يعملون[١٦] بها إلى يوم القيامة، فينالون هم جزاء ذلك يوم القيامة. والثاني قوله: **ينالهم نصيبهم،** مما كتب[١٧] لهم من الرزق والنعمة، يستوفون ذلك المكتوب لهم ثم يموتون.

---

[١] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[٢] ع – ويكون.
[٣] ك ن ع: ما حرموا.
[٤] ك + إن.
[٥] ن ع م – إن.
[٦] ع: خالدين.
[٧] ع – أبدا.
[٨] م: الذي كتبت.
[٩] ع م – خالدا فيها أبدا.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٧.
[١١] ع م: يحتمل.
[١٢] ك: ونسبوها.
[١٣] سورة البقرة، ٧٩/٢.
[١٤] سورة آل عمران، ٧٨/٣.
[١٥] م: حرفوهم.
[١٦] م: يعلمون.
[١٧] ن: مما كتبت.

ثم قوله: **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم،** على هذا التأويل، **جاءتهم** الرسل تقبض[1] أرواحهم، وهو ظاهر. وعلى تأويل من حمل ذلك على الجزاء في الآخرة فهو يجعل التَّوَفِّيَ[2]
[٢٤٧و] النارَ[3] لشدة العذاب وإن كانوا لا يموتون، وهو كقوله: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا / هُوَ بِمَيِّتٍ،[4] أي يأتيه أسباب الموت. وعلى تأويل من يجعل قوله: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب،** في الدنيا في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله: **حتى،** على الإثبات؛ وعلى تأويل من يقول بأن ذلك في الآخرة فيجيء أن يكون على الصلة والإسقاط.[5]

وقوله عز وجل: **أين ما كنتم تدعون من دون الله،** تقول[6] لهم الملائكة [هذا القول] في النار على تأويل هؤلاء؛ وعلى[7] تأويل أولئك عند قبض أرواحهم أو بعد قبض أرواحهم.[8] وقوله: **أين ما كنتم تدعون من دون الله،** أي تعبدون **من دون الله،** وتقولون:[9] هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[10] وتقولون:[11] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[12] أو الأكابر التي ذكر بقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[13] **أين أولئك الذين كنتم تعبدون من دون الله. قالوا ضلوا عنا،** أي **ضلوا عنا** وهلكوا، أي بطلت[14] عبادتنا التي عبدناهم؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ،[15] أي هلكنا وبطلنا؛

---

[1] ك ع م: بقبض.
[2] جميع النسخ: المتوفى.
[3] ك ن ع: في النار. أي على هذا التأويل يكون هناك تشبيه لشدة عذاب النار بالتوفي وسكرات الموت.
[4] سورة إبراهيم، ١٧/١٤.
[5] قال السمرقندي: «فحرف "حتى" يكون صلة وزائدة على تأويل من جعل النصيب هو الجزاء في الآخرة، كأنه قال: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم. وعلى تأويل من يقول بأن المراد النصيب المكتوب في الدنيا من الرزق يكون حرف إثبات ليس بصلة ولا زائدة ويكون للغاية، ومعناه: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن جاءتهم رسلنا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ).
[6] جميع النسخ: يقول.
[7] م: على.
[8] ع – أو بعد قبض أرواحهم.
[9] ن ع م: ويقولون.
[10] سورة يونس، ١٨/١٠.
[11] جميع النسخ: وقولهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[12] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[13] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[14] جميع النسخ: أي بطل.
[15] ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة السجدة ١٠/٣٢).

**وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**. فإن كان [المراد] بقوله:[١] **أين ما كنتم تدعون من دون الله**، الكبراءَ منهم والرؤساءَ يكون قوله: **قد ضلوا عنا**، أي شُغِلوا بأمرهم عنا، وإن كان الأصنامَ يكون[٢] قوله: **ضلوا عنا**، أي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا[٣] إياهم، وهو قولهم:[٤] شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.

**﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٨]**

وقوله عز وجل: **قال ادخلوا في أمم**، قوله: **في أمم**، يحتمل مع أمم، وذلك جائز في اللغة، يقال: جاء فلان في جنده. **قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**، أي[٥] المتبوعين والأتباع جميعا معا. والعرب تضع حروف الخفض بعضها في موضع بعض، كقوله: فَادْخُلِي فِي عِبَادِي،[٦] قيل: مع عبادي. ويحتمل في موضع[٧] "في"[٨] [حقيقة]،[٩] كان المتبوعون[١٠] دخلوا[١١] النار قبل الأتباع، فقيل[١٢] لهؤلاء[١٣] الأتباع:[١٤] **ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**. وفيه دليل أن الكفار من الجن يُعذَّبون كما يُعذَّب الكفّار من الإنس.

وقوله عز وجل: **كلما دخلت أمة لعنت أختها**، لعن الأتباع المتبوعين لما هم دعَوهم إلى ذلك وهم صرفوهم[١٥] عن دين الله، كقولهم: إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا،[١٦]

---

[١] جميع النسخ: قوله. والزيادة مع التصحيح مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[٢] ع م: تكون.
[٣] ن: عن عبادتنا.
[٤] م: وهو قوله.
[٥] ع م - أي.
[٦] سورة الفجر، ٢٩/٨٩.
[٧] م: في موضعه.
[٨] ع م - في.
[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[١٠] جميع النسخ: المتبوعين.
[١١] جميع النسخ: يدخلون.
[١٢] ع م - فقيل.
[١٣] ع م: بهؤلاء.
[١٤] م - الاتباع.
[١٥] م: وهم صرفوا.
[١٦] سورة سبأ، ٣٣/٣٤.

وكقوله: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا،[1] وغير ذلك من الآيات؛ ولعن المتبوعون[2] الأتباع لما يزداد ضم العذاب بكثرة الأتباع وبقدرهم، فيلعن بعضهم بعضا. وفيه دلالة[3] أن أهل الكفر وإن اختلفوا في مذاهبهم فهم إخوة وأخوات بعضهم لبعض، كالمؤمنين بعضهم إخوة وأخوات لبعض.

وقوله عز وجل: **حتى إذا ادَّارَكُوا فيها جميعا**، قال بعضهم: هو من التدارك، أي **حتى إذا** تَدَارَكُوا وتتابعوا **فيها**. وقيل: هو من الدرك، لأن النار دركات، لا يزال أهل النار يهوون فيها لا قرار لهم في ذلك، إذ في القرار بعض التسلّي والراحة، فلا يزالون يهوون فيها دركا فدركا؛ وقيل: ولذلك سُمِّي هَاوِيَة.[4] وقيل: **حتى إذا ادَّارَكُوا فيها جميعا**، أي اجتمعوا فيها، فعند ذلك يتلاوم بعضهم بعضا. فإن كان على التدارك فهو كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[5] وإن كان على الاجتماع[6] فهو للتضييق،[7] كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ،[8] الآية، ويجتمعون يلعن بعضهم بعضا.

وقوله عز وجل: **قالت أخراهم لأولاهم**، يحتمل قوله: **أخراهم**، الذين كانوا[9] في آخر الزمان، و **أولاهم**،[10] الذين شرعوا لهم ذلك الدين، **ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار**. ويحتمل قوله: **أخراهم**، الذين دخلوا النار أخيرا، وهم الأتباع، **لأولاهم**، الذين دخلوا النار أولا، وهم القادة والمتبوعون؛ **ربنا هؤلاء**، يعني القادة والسادة، **أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار**؛ كقوله: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا.[11] ويشبه أن يكون قوله: **قالت أخراهم لأولاهم**، ليس على القول بعضهم لبعض، ولكن على الدعاء عليهم واللعن، كقوله: وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.[12]

---

[1] ﴿يقول الذين استُضعِفوا للذين استكبروا لولا أنتم لَكُنّا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣١).
[2] جميع النسخ: المتبوعين.
[3] ك: وفيه دليل.
[4] سورة القارعة، ١٠١/٩.
[5] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).
[6] ن - الاجتماع.
[7] ك ع م: للتضيق.
[8] ﴿وإذا أُلقُوا منها مكانا ضيقا مُقَرَّنين دعوا هنالك ثبورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١٣).
[9] ع م - كانوا.
[10] ك ن: أولاهم.
[11] ﴿يوم تُقَلَّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلا. ربنا آتهم ضِعفَين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٦-٦٨).
[12] سورة الأحزاب، ٣٣/٦٨.

وقوله: **فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكلٍ ضِعف**، قال بعضهم: **لكلٍ ضِعف**، النار، لأنها [لا] تزال[١] تزداد وتَعظُم وتَكبُر، فذلك الضِّعْف،[٢] وذلك للأتباع والمتبوعين[٣] جميعا. وقال بعضهم: قوله: **لكلٍ ضِعف**، أي للمتبوعين والقادة ضِعف، قال لهم [ذلك] ملَك أو خَزَنَة [جهنم] أومن كان، ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، بعد أن يقال لهم ذلك. وقوله عز وجل: **ولكن لا تعلمون**، في الدنيا أن لكم ضِعفا منها. وقيل: **لكل ضعف ولكن لا تعلمون**، للحال بأن لكل ضعفا من النار.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٣٩]

وقوله تعالى: **وقالت أولاهم لأخراهم**، يحتمل **أولاهم**، ما ذكرنا: الذين شرعوا[٤] لهم ذلك الدين وسَنُّوا لهم، **لأخراهم**، الذين كانوا في آخر الزمان. ويحتمل **أولاهم**، الذين دخلوا النار[٥] أولا، **لأخراهم**، الذين[٦] دخلوا النار أخيرا، وهم الأتباع. **فما كان لكم علينا من فضل**، قيل فيه بوجهين. يحتمل **فما كان لكم علينا من فضل**، في شيء، فقد ضللتم كما ضللنا، أي لم يكن لنا عليكم فضل سلطان، ولا كان معنا حجج وآيات قهرناكم عليها،[٧] إنما دعوناكم إلى ذلك فاستجبتم لنا، وقد كان بُعِث إليكم / الرسل مع حجج وآيات فلم تجيبوهم؛ [٢٤٧ظ] وهو كخطبة إبليس حيث قال: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ،[٨] الآية، فيقول هؤلاء القادة للأتباع مثل قول الشيطان لحملتهم. وقيل: قوله: **فما كان لكم علينا من فضل**، يعني [في] تخفيف العذاب، أي نحن وأنتم في العذاب سواء، لا فضل لكم علينا من تخفيف العذاب في شيء. أحد[٩] التأويلين في قوله: **فما كان لكم علينا من فضل**،

---

[١] ع م + أن.
[٢] ع: الضعيف.
[٣] جميع النسخ: والمتبوع.
[٤] ك: خزعوا.
[٥] ك ن ع – النار.
[٦] ن م: للذين.
[٧] جميع النسخ: عليه.
[٨] ﴿وقال الشيطان لَمَّا قُضِي الأمر إن الله وعدكم وَعْدَ الحق ووعدتُكم فأخلفتُكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصْرِخِكم وما أنتم بمُصْرِخِيَّ إني كفرت بما أشركتمونِ مِن قَبْلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٢).
[٩] ن ع: أخذ.

يرجع إلى الآخرة، والآخر إلى[1] الدنيا.[2] وقوله تعالى: **فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون،** من الشرك والتكذيب لآيات الله، وكذلك جزاء بما كانوا يكسبون ويعملون.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم.[3] وقوله عز وجل: **لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء**، قال بعضهم: يعني بأبواب السماء أبواب الجنان، لأن الجنان تكون في السماء، فسمي **أبواب السماء** لما الجنان فيها؛ ألا ترى أنه قال: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[4] وما يوعد لنا هو الجنة، ثم أخبر أنها في السماء؛ ألا ترى[5] أنه قال: **ولا يدخلون الجنة**، كأنه قال: **لا تفتح لهم أبواب** الجنان، **ولا يدخلون الجنة**[6] أيضا. وقال آخرون: **أبواب السماء**، هو أبواب السماء؛ وذلك أن أعمال المؤمنين تُرفَع إلى السماء وتصعد[7] إليها أرواحهم، وأعمال الكفرة وأرواحهم تُرَدّ[8] إلى أسفل السافلين، كقوله: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ،[9] وقال في الكافر: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؛[10] فإذا كانت أعمال[11] المؤمنين وأرواحهم تُرفَع إلى السماء وتَصعُد إليها أخبر[12] أنه **لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء** ولا لأعمالهم، ولكن تُرَدّ إلى السِّجِّين.[13] وأمكن أن يكون على التمثيل، ليس على تحقيق السماء، ولكن ذُكر السماء لما أن السماء هي مكان الطيبات من الأشياء وقرارها، لا مكان الخبائث والأقذار، والأرض هي مكان ذلك.

---

[1] ك ن ع: والآخرة في.
[2] «... فالتأويل الأول يرجع إلى الدنيا والثاني إلى الآخرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٢و).
[3] انظر تفسير الآية ٣٦.
[4] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[5] ك: ألا يرى.
[6] ع م - كأنه قال لا تفتح لهم أبواب الجنان ولا يدخلون الجنة.
[7] ك ن: ويصعد؛ ع م: يصعد.
[8] ن م: يرد؛ ع: يروا.
[9] سورة فاطر، ١٠/٣٥.
[10] سورة التين، ٩٥/٥-٦.
[11] ن: لعمال.
[12] ك ن: وأخبر.
[13] ﴿كلا إنّ كتاب الفُجّار لفي سِجّين. وما أدراك ما سِجّين. كتاب مَرْقوم﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٧-٩).

وأعمال الكفرة خبيثة، فكنى عن أعمالهم الخبيثة بالأرض لما أن الأرض[1] هي معدِن الخبائث والأنجاس. وكنى[2] عن أعمال المؤمنين الطيبة بالسماء؛ وهو كما ضرب مَثَل الإيمان بالشجرة[3] الطيبة الثابتة[4] وفرعها في السماء؛ وضرب مَثَل الكفر[5] بالشجرة الخبيثة[6] المجتثّة من فوق الأرض.[7] ليس على أن يكون قوله: فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، على تحقيق السماء، ولكن على[8] الوصف بالطيب والقبول؛ فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **لا تُفَتَّح أبواب السماء،** لا يستقيم مِثله على الابتداء إلا على نوازل تسبق،[9] خرج ذلك جوابا لها، نحو قوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[10] الآية، أو أنْ ذكروا أعمال أنفسهم أنهم يعملون كذا، فقال: **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة.**

فإن قيل: كيف[11] خوّفهم بما ذكر مِن سدّ الأبواب عليهم وجعْلِ النار لهم مِهادا وغَوَاشِي،[12] وهم لا يؤمنون بذلك كله، فكيف خُوّفوا به؟

قيل: إن المرء[13] إذا[14] خُوّف بشيء فإنه يخاف ويهاب[15] ذلك وإن لم يتيقن بذلك[16] ولا تحقق عنده ما خُوّف به، حتى [إنه] يستعدُّ لذلك[17] ويتهيأُ[18] وإن كان على شك من ذلك وظن.

---

[1] ع م – لما أن الأرض.
[2] ع: كني.
[3] م: الشجرة.
[4] ع + بالأرض لما أن الأرض هي معدن الخبائث والأنجاس كني عن أعمال المؤمنين الطيبات بالسماء وهو كما ضرب مثل الإيمان بالشجرة الطيبة الثابتة.
[5] ن م: الكفرة.
[6] ن – الخبيثة.
[7] ألم ترَ كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء. تؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومَثَل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٦).
[8] ع: ولكن عني.
[9] م: تستبق.
[10] سورة البقرة، ٢/١١١.
[11] ن – كيف.
[12] جميع النسخ: وغواشا. انظر الآية التالية.
[13] ع: إن المراد.
[14] ع – إذا.
[15] جميع النسخ + له.
[16] ع – بذلك.
[17] ع: كذلك؛ م: ذلك.
[18] جميع النسخ: ويهيء.

فعلى ذلك هؤلاء خُوّفوا بالنار وأنواع[1] العذاب وإن كانوا شاكّين في ذلك غير مصدّقين لما يجوز أن يَهابوا[2] ذلك. أو أنْ يُخَوِّفَ[3] بذلك المؤمنين، كقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[4] وقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[5] أو أن يكون التخويف[6] لمن آمن منهم بالبعث، لأن[7] منهم من قد آمن بالبعث والجزاء والثواب.

وقوله عز وجل: **ولا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجَمَل في سَمّ الخِياط**، هذا على الإياس أنهم لا يدخلون أبدا الجنة، كما لا يدخل ما ذكر[8] في **سَمّ الخِياط**، فهو[9] لا يدخل أبدا. ثم قوله: **حتى يلج الجمل في سم الخياط**،[10] قال بعضهم: **حتى** يدخل البعير في خَرق[11] الإبرة. وقال ابن عباس رضى الله عنه: **حتى** يدخل الحبل[12] الذي يُشَدّ به السفينة في خَرق[13] الإبرة.[14] وقال أبو عَوْسَجَة: يعني خَرق[15] الإبرة أو المِسَلّة[16] و **الجمل** الحبل،[17] و **الخياط** الإبرة أو المِسَلّة. وقال ابن عباس رضى الله عنه: ليس بالجمل ذي القوائم،[18] ولكنه الجُمَّل،[19] يعني القَلْس.[20]

---

[1] ك ن: وألوان.

[2] جميع النسخ: أن يهابهم.

[3] جميع النسخ: أن يخوفهم.

[4] سورة آل عمران، ١٣١/٣.

[5] سورة الذاريات، ٥٥/٥١.

[6] ك ع م: التخفيف.

[7] ك - لأن.

[8] ك: ماكر.

[9] جميع النسخ: وهو.

[10] ع م - هذا على الإياس أنهم لا يدخلون أبدا الجنة كما لا يدخل ما ذكر في سم الخياط فهو لا يدخل أبدا ثم قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط.

[11] ن: في خرق.

[12] ع م: الجمل.

[13] ن: في خرق.

[14] *تفسير الطبري*، ١٨٠/٨.

[15] ن: خزق.

[16] ن: والمسنة. المسلة هى إبرة الخياطة العظيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «سل»).

[17] الجَمَل والجُمْل والجُمَل والجُمُل و الجُمَّل يأتي بمعنى الحبل الغليظ (*لسان العرب* لابن منظور، «جمل»).

[18] جميع النسخ: ذو القوائم.

[19] م - ولكنه الجمل. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقرأها بضم الجيم وتشديد الميم: الجُمَّل، وهذه قراءة شاذة؛ كما رويت عنه الموافقة للقراءة المتواترة: الجَمَل. انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٩/٨-١٨٠.

[20] ك: التلس. انظر: المصدر السابق. والقَلْس حبل ضخم من ليف أو خُوص، وقيل: هو حبل غليظ من حبال السفن (*لسان العرب* لابن منظور، «قلس»).

وقال ابن مسعود: هو الجمل ذو القوائم الأربع.[١] *والله أعلم*.[٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي المجرمين**، أي **كذلك نجزي** كل مجرم.

**﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادُ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **لهم من جهنم مهاد**، قيل: الفَرْش، **ومن فوقهم غواش**، هي اللُّحُف.[٣] والغواشي[٤] ما يتغشاهم فيه النار، تحيط بهم من تحت ومن فوق وأمام وخلف، كقوله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٥] أي لا يتقي[٦] لما يحيط بهم العذاب، وهو كقوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٧] الآية، أخبر أن النار تحيط بهم، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها**، قال أبو بكر الكيساني: قوله: **لا نكلف نفسا إلا وسعها**، ليس من جنس ما ذكر من قوله: **آمنوا وعملوا الصالحات**، لكنه صلة قوله: يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ،[٨] يقول: فيما تقدم ذكره **لا نكلف نفسا إلا وسعها**. وأما عندنا فإنه يستقيم أن يُجعَل صلة ما تقدم، أي **لا نكلف نفسا** من الأعمال الصالحات **إلا وسعها**، بل نكلف[٩] دون وسعها ودون طاقتها، **أولئك أصحاب الجنة / هم فيها خالدون**. وقال [٢٤٨و]
الحسن: قوله: **لا نكلف نفسا إلا [وسعها**، أي إلا] ما يَسَع[١٠] ويَحِلّ؛[١١] وهو صلة قوله:

---

[١] *تفسير الطبري*، ١٧٨/٨.
[٢] ك ن ع + بما أراد.
[٣] جمع لحاف.
[٤] م: أو الحواشي.
[٥] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[٦] ن: لا تبقي.
[٧] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[٨] سورة الأعراف، ٣٥/٧.
[٩] جميع النسخ: بل كنف.
[١٠] ن: ما تسع؛ ع: ما يتسع.
[١١] م: ويحتمل.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا [وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا]، يقول: **لا نكلف نفسا إلا** ما يَسَع[1] ويَحِلّ، لا ما لا يَسَع[2] ولا يَحِلّ.

**﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٤٣]

وقوله عز وجل: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، قال القُتَبي: الغِلّ الحسد والعداوة.[3] وقيل: الغِلّ والغِشّ واحد، وهو ما يُضمِر بعضُهم لبعض من العداوة والحقد. وقيل: الغِلّ[4] الحقد. ثم اختلف فيه؛ قال بعضهم: قوله: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغِلّ، يعني من[5] قلوب المؤمنين، ويجعلهم إخوانا بالإيمان، كقوله: **إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**،[6] الآية؛ أخبر أنهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم بالإيمان الذي أكرمهم به حتى صاروا إخوانا بعد ما كانوا أعداء. وقال[7] الحسن: ليس في قلوب أهل الجنة الغِلّ[8] والحسد، إذ هما يُهِمّان ويُحْزِنان، إنما فيها[9] الحب. وقال[10] بعضهم: هذا في الآخرة، ينزع الله تعالى من قلوبهم الغِلّ الذي كان فيما بينهم في الدنيا، ويصيرون جميعا إخوانا، كقوله: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[11] وروي عن علي رضي الله عنه قال: إني[12] لأرجو[13] أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير[14] من الذين قال الله تعالى:

[1] ن ع: ما تسع.
[2] ك ع: لا ما يسع؛ ن: ما لا يسع
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٨.
[4] ن - الحسد والعداوة وقيل الغل والغش واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد و قيل الغل.
[5] م - من.
[6] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[7] م: قال.
[8] ع: والغل.
[9] م: إن فيها.
[10] ع م: قال.
[11] سورة الحجر، ٤٧/١٥.
[12] ع م - إني.
[13] ك: لأرجوا؛ ع: لا أرجوا.
[14] ع: ربير.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[1] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في علي وأبي بكر وعمر[2] وعثمان وطلحة والزبير[3] وابن مسعود وعمار وسلمان وأبي ذر رضوان الله عليهم أجمعين،[4] فيُنزَع في الآخرة ما كان في قلوبهم من غِشّ بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر الذي اختلفوا فيه، فيدخلون الجنة. هذا –والله أعلم– لأن الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان دنيويا،[5] لم يكن بحيث الدين، فذلك يرتفع[6] في الآخرة ويزول. وأما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول أبدا في الدنيا والآخرة، لأنها عداوة الدين والمذهب، فذلك[7] لا يرتفع[8] أبدا. ويشبه أن يكون قوله: **ونزعنا**، على ابتداء[9] النزع، لا على أن كانوا فيه، كقوله تعالى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، و مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[10] على ابتداء[11] المنع، أي لولا إخراجه إياهم من ذلك وإلا كانوا فيه؛ فعلى ذلك قوله: **ونزعنا**، أي لم نجعل في قلوبهم الغِلّ رأسا، ولو تركهم على ما هم عليه لكان فيهم ذلك. وفيه دلالة أن لله[12] في فعل العباد صنعا، لأن الغِشّ والغِلّ[13] من فعل العباد، يُذَمُّون على ذلك، ثم أخبر أنه نزع ذلك من قلوبهم، واستأدى منهم الشكر بذلك بقوله: **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**، الآية،

---

[1] *تفسير الطبري*، ١٨٣/٨.

[2] ع م – وعمر.

[3] ع: زبير.

[4] أخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله:﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾، الآية، قال: نزلت في علي وطلحة والزبير. وأخرج الشيرازي في الألقاب وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾، قال: نزلت في عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨٥/٥.

[5] جميع النسخ: دنيوية.

[6] ع: يرفع.

[7] ك: فهذا.

[8] ع: فذلك يرتفع.

[9] م: علي الابتداء.

[10] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).

[11] م: عمي الابتداء

[12] ع: أن الله.

[13] ع م – والغل.

وقد ذمّ من طلب الحمد على ما لم يفعل،[1] فدلّ طلب الحمد منهم على أن له فيه صنعا، بذلك طلب منهم الحمد. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **تجري من تحتهم الأنهار**، ذكر هذا -والله أعلم- لما علم عز وجل من طباع الخلق الرغبة في هذه الأنهار الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الأبصار، فرغّبهم في الآخرة بما كانت طباعهم وأنفسهم تميل إلى ذلك في الدنيا، ليرغبوا فيما أمر[2] وينتهوا[3] عما نهى. وكذلك جميع ما ذكر في[4] القرآن من القصور والخيام والجواري والغلمان والأكواب والأباريق وغير ذلك مما ترغب[5] طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل أنفسهم إلى ذلك، وعد لهم في الآخرة ترغيبا منه لهم في ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**، قال الحسن وغيره: **هدانا**، دلنا هذا، **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**. وأما عندنا ليس هو هداية الدلالة والبيان، ولكن الهداية التي أكرمهم الله بها بفضله ولطفه، وهو توفيقه إياهم على الهدى، لأنه خرج[6] مخرج الامتنان والفضل، ولو كان دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك المنة والفضل، لأن عليه الدلالة والبيان. والثاني أنه[7] لو كان على الدلالة والبيان لكان ذلك على كل أحد، على الرسل وغيرهم، لأن عليهم البيان والدلالة، فدلّ أنه ليس على الدلالة والبيان، ولكن غيره.[8] والثالث أنه لا أحد عند نفسه أنه يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفّقه، وقد يجوز أن يكون ذلك في الدلالة والبيان، دل أنه لم يحتمل ما قال أولئك من الدلالة والبيان. *والله الموفق*. وقال بعض الناس: إن المعتزلة خالفوا الله عما أخبر،[9] وخالفوا الرسل عما أخبروا عن الله تعالى، وخالفوا أهل الجنة والنار، وخالفوا إبليس. أمّا مخالفتهم الله قوله: **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**، ونحوه،

---

[1] م: ما يفعل. ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (سورة آل عمران، ١٨٨/٣).

[2] ع: فيها أمر.

[3] ك: وينهوا؛ ن: وينهي

[4] ك: ما في.

[5] جميع النسخ: يرغب.

[6] م: إنه خرج.

[7] ع م – أنه.

[8] ك ن ع: غير.

[9] م: أخبروا.

[و]أما مخالفتهم الرسل قوله: وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ،[1] الآية، وقول أهل النار: قَالُوا[2] لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ،[3] وقول إبليس: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[4] فهو أعلم بالله من المعتزلة.[5]

وقوله عز وجل: **لقد جاءت رسل ربنا بالحق**، يحتمل وجوها. يحتمل جاءوا **بالحق**، أي بالدين الذي هو حق، أو جاءوا بالأعمال التي من عمل بها كان صوابا ورشدا، وكل حق هو صواب ورشد. ويحتمل **جاءت رسل ربنا بالحق**، أي بالصدق ونحوه. **بالحق**، له وجهان؛ أحدهما **بالحق** الذي استحقه الله[6] على عباده، والثاني أنهم جاءوا بالذي هو حق في العقول وصواب.

وقوله عز وجل: **ونودوا أن تلكم الجنة**، وقوله: **تلكم**، إنما يتكلم عن غائب، وهم فيها، لكن تأويله / –والله أعلم– أنْ **تلكم الجنة** التي كنتم وُعدتم في الدنيا وأُخبرتم عنها[7] **هذه**، [٢٤٨ظ]
**أُورِثتموها بما كنتم تعملون**، أي أُورثكم أعمالُكم[8] [الجنة]. وفيه دلالة أن الإيمان من جملة أعمالهم، حيث قال: **أورثتموها بما كنتم تعملون**، وإنما يُورَّث ذلك بالإيمان، وسائر الأعمال[9] إنما تصح[10] بالإيمان. ذكر أنهم أورثوا الجنة بما عملوا، وإن كانوا ينالونها بفضل الله، جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا: **ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**.

---

[1] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيَكم﴾ (سورة هود، ٣٤/١١). وهو من قول نوح عليه السلام.

[2] ن – قالوا.

[3] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[4] سورة الحجر، ٣٩/١٥.

[5] قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «قال بعض أهل العلم بأن المعتزلة خالفوا الله تعالى فيما أخبر، وخالفوا الرسل عليهم السلام فيما أخبروا عن الله تعالى، وخالفوا أهل الجنة والنار، وخالفوا إبليس أيضا؛ أما مخالفتهم الله تعالى ومخالفة أهل الجنة فإن الله تعالى أخبر عن أهل الجنة أنهم قالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾، ترغيبا لنا بأن نقول ذلك في الدنيا، ودعانا إلى ذلك، والمعتزلة تقول: ما هدانا الله، ولكنا نخلق ونحدث الهداية في أنفسنا باختيارنا لا بصنع الله تعالى في ذلك. وأما مخالفتهم الرسل عليهم السلام قوله: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾، وهم يقولون: إن الله تعالى لا يريد الإغواء. وأما مخالفة أهل النار فإنهم قالوا: ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾، وهم لا يقولون بذلك. وأما مخالفة إبليس قال: ﴿رب بما أغويتني﴾، فهو أعلم من المعتزلة (شرح التأويلات، ورقة ٢٩٣و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٢٥و)».

[6] ع م – الله.

[7] ع: منها.

[8] م – أعمالكم.

[9] ك ن ع + بل.

[10] ن ع م: إنما يصح.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم**، وما وعد المؤمنين عز وجل [هو] الجنة[١] وما فيها من النعيم واللذات والشهوات، بقوله: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[٢] وقولِه: لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ،[٣] هذا الذي وعد للمؤمنين. ووعد الكفار النار وما فيها[٤] من الشدائد وأنواع العذاب، فأقروا أنهم قد وجدوا ما وعد لهم ربهم.[٥] وقوله عز وجل: **فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا**، إن [كان] المرادُ بالحق الذي ذكر الوعدَ الذي وعدهم[٦] فتفسير[٧] الحق الصدق، وإن كان الموعودَ فتأويله: وجدتموه كائنا حاضرا، وهو ما ذكرنا في قوله: لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا،[٨] كذا.[٩]

**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**، أي وجبت **لعنة الله على الظالمين** الذين وُعدوا في الدنيا. وقوله عز وجل: **فأذن مؤذن بينهم**، يحتمل [**مؤذن**] الملَك، ويحتمل غيره، وليس يُعرَف ذلك إلا بالخبر، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

فإن قيل: يُذكَر في الآية نداءُ أهلِ الجنة أهلَ النار، وأهلِ النار أهلَ الجنة، ونداءُ بعضِهم بعضا لا يكون إلا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض؛ وقد جاء في الأخبار مِن وصف الجنة وسَعتها[١٠]

---

[١] ع م – الجنة.

[٢] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.

[٣] ﴿يطاف عليهم بكأس من مَعِين. بيضاءَ لذةٍ للشاربين﴾ (سورة الصافات، ٤٥/٣٧-٤٦)؛ ويقول عز وجل: ﴿وأنهارٌ مِن خمر لذةٍ للشاربين﴾ (سورة محمد، ١٥/٤٧).

[٤] م: وفيها.

[٥] ع: ربكم.

[٦] ك: وعد.

[٧] جميع النسخ: وتفسير.

[٨] ﴿... وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ (سورة آل عمران، ١٤٠/٣).

[٩] قال السمرقندي رحمة الله عليه: «ثم قوله: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا﴾، إن كان المرادُ بالحق الذي ذكره الوعدَ الذي وعدهم فتفسيره الصدق، أي يكون وعده صدقا؛ وإن كان المراد بالحق هو الموعودَ من الجنة ونعيمها فتأويله: وجدتم كائنا حاضرا كما علمتم يقينا بالخبر، وهو كما ذكرنا في قوله: ﴿ليعلم الله الذين آمنوا﴾، أي ليعلمه حاضرا كما علمه معدوما» (شرح *التأويلات*، ٢٩٣و).

[١٠] ع: وسفها.

ما رُوي أن أقل ما يكون لواحد من الجنة مثل عَرْض الدنيا،[١] وما ذُكر أن الحور العين لو نظرت نظرة إلى الدنيا لامتلأت الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها؛[٢] وقد جاء في وصف النار أن شَرارة منها[٣] لو[٤] وقعت في الدنيا لأحرقتها،[٥] أو كلام نحو هذا. فإذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض ألا يتأذّى أهل الجنة بالنار، ولا ينتفع أهل النار بنعيم الجنة، وكيف يُعرَف ذلك؟

قيل –والله أعلم– ذلك[٦] أن الله[٧] قادر[٨] أن يُوقِع[٩] نداءَ هؤلاء بمسامع أولئك،[١٠] ونداءَ أولئك بمسامع هؤلاء، مع بُعد ما بينهما، فيسمع كل فريق[١١] نداء الفريق[١٢] الآخر؛ أو أن يكون[١٣] الله تعالى ينقض بنية هذا الخلق وينشئهم في الآخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع الآفات[١٤] والحُجُب، فيسمع بعضهم من بعض[١٥] مِن بُعدٍ الذي ذكر، وينظر بعضهم بعضا،

---

[١] ورد ذلك في حديث طويل، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا... فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها... ذاك أدنى أهل الجنة منزلة» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٥١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٠٨).

[٢] عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا...» قال الترمذي: هذا حديث صحيح (*سنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١٧).

[٣] ن: من النار.

[٤] ع م – لو.

[٥] ك ع م: لأحرقته. لم أجده بهذا اللفظ. لكن خرج الطبراني من طريق تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «... ولو أن شَرارة من شرار جهنم بالمشرق لوَجد حرّها مَن بالمغرب»؛ وتمام بن نجيح تُكُلِّم فيه. وخرّج أيضا من طريق عدي بن عدي سنان عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره؛ وإسناده ضعيف. انظر: *التخويف من النار* لابن رجب الحنبلي، ٣٨، ٧٠. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقّوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (*سنن الترمذي*، صفة جهنم ٤).

[٦] ك ن: وذلك.

[٧] ع م – ذلك أن الله.

[٨] ع م: وقادر.

[٩] م: أن يوضع.

[١٠] ن: هؤلاء.

[١١] ك + من.

[١٢] ع + الفريق.

[١٣] ع م: وأن يكون.

[١٤] ك: الآفاق.

[١٥] ن: عن بعض.

لأن في الدنيا الآفات والحُجُب[1] هي[2] التي تمنع ذلك، فإذا ارتفع ذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***. أو يقرّب [الله عز وجل] الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء. أو يجعل ذلك في مسامعهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه.[3]

**﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **الذين يصدون عن سبيل الله**، الصد يكون مَنْعَ غيرٍ، ويكون[4] مَنْعَ[5] نفسِه. وقوله عز وجل: **سبيل الله**، قيل: دين الله. قال الحسن: **سبيل الله**، دين الله الذي ارتضى لعباده وأمرهم بذلك وإلى ذلك دعاهم رسله. وقوله عز وجل: **ويبغونها عوجا**، أي يبغون الدين الذي فيه عوج، وهو دين الشيطان، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ،[6] فالعوج هو التفرّق الذي ذكر في تلك الآية. وأمكن أن يكون قوله: **يبغونها عوجا**، أي طعنا في دين الله، وقد كانوا يبغون طعنا في دين الله.

**﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **وبينهما حجاب**، يشبه أن يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ،[7] فأمكن أن يكون[8] الحجاب المذكور بينهما هو السور الذي ذكر. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م – فيسمع بعضهم من بعض من بعد الذي ذكر وينظر بعضهم بعضا لأن في الدنيا الآفات والحجب.
[2] ن – هي.
[3] ﴿وسخرنا مع داود الجبال يُسَبِّحن والطير﴾ (سورة الأنبياء، ٧٩/٢١)؛ ويقول عز وجل: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).
[4] ن: ويكن.
[5] ك – منع.
[6] سورة الأنعام، ١٥٣/٦.
[7] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).
[8] ن: أن يكن.

وقوله عز وجل: **وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**، قال بعضهم: هم[1] قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم، لم يُبَشَّروا بالجنة حتى لا يخافوا[2] عقوبته ولا أُيْئِسوا حتى لا يطمعوا ولا يرجوا[3] دخولهم فيها. وقال آخرون: هم أهل كرامة الله، أكرمهم الله بذلك، يرفعهم على ذلك السور لينظروا إلى حكم الله في الخلق وعدله[4] فيهم، وينظرون إلى إحسان الله فيمن يحسن إليه، وعدله فيمن يعاقبهم. وقيل: هم الأنبياء. والأشبه أن يكونوا[5] الأنبياء، يكونون **على الأعراف**، يشهدون على الأمم، كقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[6] وقال قائلون: هم الملائكة؛ لكن ملائكة الله ما يُسَمَّوْن[7] رجالا،[8] ولم نسمع[9] بذلك. ***والله أعلم بذلك***.

ثم اختلف فيه؛ قيل: سُمُّوا[10] أصحابَ الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار، سُمِّي بذلك لارتفاعه،[11] وكل مرتفع عند العرب أعراف؛ وهو قول[12] القُتَبي.[13] وقال غيره: **الأعراف** هو [جمع] عُرْف، كعُرْف الديك والفرس، وهو أيضا من الارتفاع. وقال الحسن: هم أصحاب التعريف، يُعَرِّفون أهل النار عدل الله فيهم وحكمه وأنّ ما حَلّ بهم من الشدائد وأنواع العذاب إنما[14] حَلّ بهم مما كان منهم في الدنيا مِن صَدِّهم الناس عن سبيل الله[15] واستكبارهم على الرسل، يُعَرِّفونهم أنّ ما نزل بهم إنما نزل[16] بعدل منه؛ ويُعَرِّفون أهل الجنة فضل الله وإحسانه إليهم

---

[1] ك ع م: هو.
[2] جميع النسخ: لا يخافون.
[3] ك ن م: لا يطمعون ولا يرجون؛ ع: لا يطعمون ولا يرجون.
[4] م: وعدلهم.
[5] ك: أن يكون.
[6] سورة النساء، ٤/٤١.
[7] ع: ما يسمعون.
[8] ع م: رجلا.
[9] ن: ولم يسمع؛ ع: لم سمع.
[10] ك: هموا.
[11] ع: لارتفاع.
[12] ع - قول.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٨.
[14] ع: إن.
[15] ع - الله.
[16] م - إنما نزل.

أنّ ما نالوا هم[1] إنما نالوا بفضل منه وإحسان.[2] أو [هم] قوم نَصَبهم الله لمحاجّة أهل النار، كقوله: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ،[3] / فهذه هي المحاجّة التي يحاجّون بها أهل النار. أو أن يقال: هم قوم نُصِبوا يُتَرْجِمون بين أهل الجنة وأهل النار، يؤدّون كلام بعضهم إلى بعض، ويُنْهُون[4] مخاطبات بعضهم[5] إلى بعض، من ذلك قوله: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[6] وقوله: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ،[7] ونحوه. والله أعلم مَن هم. [٢٤٩و]

وقوله عز وجل: **يعرفون كلا بسيماهم**، قيل: المؤمن يُعرَف ببياض وجهه، والكافر بسواد وجهه. ويحتمل ما قال الحسن: هو أن يُعرَفوا بالمنازل والأماكن.

وقوله تعالى: **ونادوا أصحاب الجنة**، يعني نادى أصحابُ الأعراف **أصحابَ الجنة أن سلام عليكم**. قوله: **أن سلام عليكم**،[8] ليس أن يقولوا: **سلام عليكم** باللسان خاصة، ولكن [ذلك] في كل[9] كلام سديد وقول حسن وصواب، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[10] أي سديدا صوابا؛ وكذلك قوله:[11] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[12] ليس على أن يقولوا: سلام عليكم، ولكن يقولون لهم قولا صوابا مُحْكَما؛ فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **لم يدخلوها وهم يَطمعون**، اختلف فيه؛ قال عامة أهل التأويل: هم أصحاب الأعراف، لم يدخلوا[13] الجنة[14] و **يطمعون**[15] دخولها. وقيل: هم كفار أهل النار،

---

[1] ن ع م: نالوهم.
[2] ع: وإن حسان.
[3] ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٤٨).
[4] أي يبلغون ويوصلون.
[5] ع م: بعض.
[6] سورة الأعراف، ٧/٥٠.
[7] سورة الأعراف، ٧/٤٤.
[8] ك ع م – قوله أن سلام عليكم.
[9] ع – كل.
[10] سورة مريم، ١٩/٦٢.
[11] م – قوله.
[12] سورة الفرقان، ٢٥/٦٣.
[13] ع م: لم يدخلوها.
[14] ع م – الجنة.
[15] م: وهم يطمعون.

**يطمعون** أن ينالوا منها، كقوله: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ،[١] إلى هذا الوقت كانوا **يطمعون**[٢] دخولها والنيل منها، ثم أيسوا بهذا. وقال بعضهم: هم أهل الجنة، **يطمعون**[٣] دخولها قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة[٤] وقبل أن يدخل أهل النار النار.

**﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[٤٧]

وقوله: **وإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار**، قيل: **وإذا صُرفت** أبصار[٥] أصحاب الأعراف إلى أهل النار، **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**، من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم. وقيل: **وإذا صُرفت** أبصار[٦] أهل الجنة **تلقاء أصحاب النار** قالوا ذلك. وفي حرف أُبيّ: **وإذا قُلِبت**[٧] **أبصارهم** نحو **أصحاب النار قالوا:**[٨] [إنّا] عائذون[٩] بك[١٠] أن تجعلَنا ربّنا **مع القوم الظالمين.**[١١] وقوله عز وجل: **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**، إن كان ذلك الدعاء من الأنبياء أو من أهل كرامة الله الذين كانوا على الأعراف فذلك منهم شهادة أنهم[١٢] ظلمة وكفرة. ومعنى التعوذ منهم[١٣] من[١٤] النار لأنهم لم يدخلوا الجنة بعد، فيخافونها[١٥] لقصورٍ كان منهم في شكر المنعم، أو بالطبع، يتعوذون لما يتعوذ كل أحد إذا رأى أحدا في البلاء.[١٦] *والله أعلم.*

---

[١] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[٢] ع: يطعمون.

[٣] ع: يطعمون.

[٤] ع م – الجنة.

[٥] ع: أبصارهم.

[٦] ع: أبصارهم.

[٧] ن: قبت؛ ع: قبلت.

[٨] ك – قالوا.

[٩] ك ن ع: عائذ.

[١٠] م– بك.

[١١] قال الآلوسي: «وقرأ الأعمش: وإذا قُلِبت أبصارهم؛ وعن ابن مسعود وسالم مثل ذلك» (*روح المعاني* للآلوسي، ٨/١٢٥).

[١٢] أي أصحاب النار.

[١٣] م: عنهم.

[١٤] م – من.

[١٥] م: فيخافون.

[١٦] ن: البلاد.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم**، قال عامة أهل التأويل: يُعرَفون بسواد الوجوه وزُرْقة العيون.[١] ولكن أمكن أن يُعرَفوا بالأعلام التي كانت لهم في الدنيا سِوى سواد الوجوه، لأنهم يخاطبونهم بقوله: **قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون**، فلو لم يعرفوهم[٢] بآثارٍ كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يعاتبونهم[٣] بجمع الأموال والاستكبار في الدنيا، ولا يقال للفقراء ذلك، إنما يقال ذلك[٤] للأغنياء، لأنهم هم الذين يجمعون الأموال وهم المستكبرون على الخلق؛ كقوله: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٥] ويشبه أن[٦] يخاطَب الكل، وفيهم من قد جمع واستكبر، وذلك جائز. هذا على تأويل من يجعل أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**، قال عامة أهل التأويل: أقسم[٧] أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة ولكن[٨] يدخلون النار معهم، فتقول[٩] الملائكة لأهل النار: **هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة. ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.** ويحتمل أن يكون القسم الذي ذكر في الآية كان منهم في الدنيا، كانوا[١٠] يقسمون أن لا يدخل[١١] هؤلاء الجنة، يعنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

---

[١] ك ن: العين.
[٢] ن: يعرفوا؛ م: يعرفهم.
[٣] ك: يعاتبوهم.
[٤] م – ذلك.
[٥] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[٦] ن + يكون.
[٧] ن ع م: أقسمتم.
[٨] م + ولكن.
[٩] ك: فيقول.
[١٠] جميع النسخ: قالوا.
[١١] ك ن ع: لا يدخلون؛ م: يدخلون.

كقوله: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[١] كانوا يقولون: إن الذي هم عليه لو كان خيرا لنالوا هم[٢] ذلك، إذ نالوا هم[٣] كل خير في الدنيا، يعنون أنفسهم، فعلى ذلك ينالون في الآخرة مثله، ونحو ذلك من الكلام الذي[٤] يقولون في الدنيا، فيقولون لهم في الآخرة: **هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**. وأمكن أن يكون قوله: **ادخلوا الجنة**، لأهل الجنة قبل أن يدخلوها.

وقوله عز وجل: **لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**، قال الأصم: يكون الحزن في فوت كل محبوب، والخوف في نيل كل مكروه، كقول يعقوب: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٥] ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند نيل المكروه. ولكن عندنا الحزن إنما يكون بفوت الموجود من المحبوب، والخوف[٦] بما سيصيبه من المكروه.

**﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**، قال الحسن: الماء مما رزقهم الله،[٧] ولكن مكرّر مَثْنَى. وقال أبو بكر [الأصم]: طلبوا الماء ليدفعوا عن أنفسهم ما اشتد بهم من الظمأ والعطش، ثم تقع لهم الحاجة إلى الطعام، لأن الرجل إذا اشتد به العطش والظمأ لا يتهيأ له الأكل. / ولكن يشبه أن يكون طَلَبَ بعضُهم الماءَ وبعضُهم الطعامَ الذي رزقهم الله. وهذا جائز وإن لم يُذكَر، كقوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٨] لم يكن هذا القول من الفريقين، ولكن كان من اليهود [قولهم]: إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا، و[كان] من النصارى: أَوْ نَصَارَى؛ فعلى ذلك هذا. [٢٤٩ظ]

*والله أعلم.*

---

[١] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١١).

[٢] م: نالوهم.

[٣] م: لنالوهم.

[٤] ن: الذين.

[٥] سورة يوسف، ١٢/١٣.

[٦] ك - والخوف.

[٧] أي مما رزق الله أصحاب النار.

[٨] سورة البقرة، ٢/١١١.

وقوله عز وجل: **إن الله حرّمهما على الكافرين**، قيل: هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[1] قال لهم المؤمنون في الآخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا: **إن الله حرّمهما على الكافرين**. وهذا[2] -والله أعلم- ليس على التحريم، ولكن على المنع، لأن الكفرة لا يُبالون[3] بعد أن نالوا ذلك حراما كان أو حلالا، ولكن على المنع، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ،[4] ليس هو تحريمَ حرمةِ أكلٍ، ولكن [تحريم] منعٍ. ويشبه أن يكون ذلك محرّما على المؤمنين: إطعام الكافرين من ذلك.[5]

**﴿اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**[٥١]

وقوله عز وجل: **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**، قال الحسن: **اتخذوا دينهم**، الذي كُلِّفوا به[6] وأُمِروا أن يأتوا به، **لهوا ولعبا**. وجائز أن يكون قوله: **اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**، أي اتخذوا[7] دينهم الملاهي التي كانوا يَلهُون بها[8] ويلعبون، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً.[9] أي **اتخذوا دينهم**، الذي دانوا[10] به، **لهوا ولعبا**؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث،[11] وفي إنكارهم البعث[12] إنكار الجزاء للحسنات والسيئات، وفي الحكمة إيجاب ذلك. فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب. واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له، وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو، وكل من يعمل لعاقبة فهو ليس بلعب ولا لهو، وهم كانوا يعملون لا لعاقبة، لذلك كان لهم[13] **لهوا ولعبا**.

---

[1] ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ (سورة يس، ٤٧/٣٦).

[2] ن: هذا.

[3] جميع النسخ: لا ينالون.

[4] سورة القصص، ١٢/٢٨.

[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أن يكون المراد تحريم الإطعام على المؤمنين للكافرين من طعام الجنة ونعيمها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و).

[6] ك – به.

[7] ك – اتخذوا.

[8] ك ن ع: به؛ م – به.

[9] ن– أي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون بها ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء. والآية في سورة الأنفال، ٣٥/٨.

[10] ك: كانوا.

[11] ن + بعد الموت.

[12] ن + بعد الموت.

[13] ك – لهم.

وقوله عز وجل: **وغرتهم الحيوة الدنيا،** قال بعضهم: إن الحياة الدنيا لا تَغُرّ[1] أحدا، ولكن أضيف إليها[2] التغرير لما كانت[3] سببا من أسباب الاغترار بها، فأضيف إليها، كقوله: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا،[4] أضاف[5] الفرار إلى الدعاء؛ وقد[6] يضاف الشيء إلى سببه، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[7] أي يُبصَر به. وقال بعضهم: أضيف ذلك إليها لما كان منها من السبب من [حيث] الهيئة ما لو كان ذلك[8] من ذي العقل والتمييز كان ذلك تغريرا[9] من نحو التزيين وغيره. وجائزٌ إضافةُ التغرير إليها على إرادة أهلها، أي غرّهم أهلها، وهم القادة والرؤساء.

وقوله[10] عز وجل: **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا،** لا يجوز أن يضاف النسيان إلى الله تعالى بحال، ولكن يجوز أن يقال: إنه[11] يجزيهم جزاء نسيانهم، فسُمّي الثاني باسم الأول وإن لم يكن الثاني نسيانا؛ نحو قوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[12] والثانية[13] ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة، لكنه سماها باسم السيئة لما هي جزاء لها، فعلى ذلك هذا؛ وكقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ،[14] والثاني ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء، فسماه باسم الاعتداء لما هو جزاؤه، فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لأنه جزاء النسيان، وإن كان الله لا يجوز أن ينسى أو يسهو عن شيء أو يغفل،[15] ولأن في النسيان تركا، وكل مَنسِيي متروك، فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا هم[16] أمر الله ونهيه في الدنيا.

---

[1] ع م: لا تغرن.
[2] جميع النسخ: إليه.
[3] ع م: كان.
[4] ﴿قال ربِ إني دعوت قومي ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ (سورة نوح، ٧١/٥-٦).
[5] ن + الدعاء.
[6] ك: قد.
[7] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[8] ن – ذلك.
[9] جميع النسخ: غرورا.
[10] ك: كقوله.
[11] ع م – إنه.
[12] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
[13] ع: والثاني.
[14] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عيه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[15] ع: يعقل.
[16] ع م: تركوهم.

وقال الحسن: إن الله لا ينسى شيئا ولا يسهو،[١] ولكن الكفرة يكونون[٢] عن[٣] الكرامة والرحمة والمنزلة[٤] [بمَعْزِل] كالشيء المنسي، وعن العذاب والهوان[٥] لا [يكونون كذلك]، أو كلام نحو هذا.

وقوله عز وجل: **وما كانوا بآياتنا يجحدون**، قال بعضهم: "ما" هاهنا صلة، كأنه قال: وكانوا **بآياتنا**. وقال بعضهم: هو على ما ذكر، أي اليوم **ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**، وكما **كانوا بآياتنا يجحدون**.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه**، يحتمل قوله: **فصّلناه**، بيّناه، والتفصيل التبيين. ويحتمل قوله: **فصلناه**، أي فرّقناه في إنزاله، لم ننزله[٦] جملة واحدة، كقوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ،[٧] أي فرقناه في الإنزال على قدر النوازل بهم، ليعرفوا[٨] حكم كل آية نزلت بالنوازل التي وقعت بهم، لا تقع لهم الحاجة إلى معرفة ما في كل آية نزلت عليهم على حدة، بل يعرفون ذلك بالنوازل. أو أنزله مفرّقا[٩] [لأن][١٠] معرفة ما فيه من الأحكام[١١] إذا كان مُنَزَّلا بالتفاريق أهون وأيسر على الطباع من[١٢] معرفة ما فيه إذا أنزل[١٣] جملة. ثم قوله: **فصّلناه على علم**، يحتمل وجوها. يحتمل **فصلناه**، أي بيّناه بالحجج والبراهين، **على علم** منه أن الخلائق لا تقوم بإتيان مثله، ليُعلَم أنه من عنده نزل. أو أنزله مفصّلا **على علم** منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذبه ولا يتبعه. أو **على علم** منه بمصالح الخلق أن إنزاله أصلح[١٤] للخلق.

---

[١] م: يسهوه.
[٢] ن - يكونون.
[٣] ع م: على.
[٤] ك - والمنزلة.
[٥] ك: والعوان.
[٦] ك: لم ينزل؛ ن: لم ننزل.
[٧] ﴿وقرآنا فرّقناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزلناه تنزيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠٦).
[٨] ع م: ليعلموا.
[٩] جميع النسخ + أو أن يكون.
[١٠] التصحيح والزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و.
[١١] ك + مما.
[١٢] ع م: عن.
[١٣] ن ع م: إذا نزل.
[١٤] ع م: صلح.

أو[1] **على علم** منه بمعاملة القوم إياه أنزله، لأن المنفعة في إنزاله للمنزَل عليهم لا للمرسِل والمنزِل،[2] فضرر[3] الرد والمنفعة لهم.

وقوله: **هدى ورحمة لقوم يؤمنون**، قال أبو بكر: هو **هدى** للكل. للمؤمن[4] والكافر جميعا، **ورحمة** للمؤمنين خاصة. وأما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعَمى على الكافرين على ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى.[5] خص المؤمنين بالهدى لهم، لأنهم هم المخصوصون بالانتفاع به دون / أولئك، [٢٥٠و] وعلى أولئك عمى ورجس على ما ذكر، وصار للمؤمنين حجة على أولئك، كقوله:[6] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ، هذا للكافرين، وقال للمؤمنين: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[7]

**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا تأويله**، أي ما **ينظرون إلا** وقوع ما وعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزول بأس الله بهم، أي لا يؤمنون إلا بعد[8] وقوع البأس[9] بهم، لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت. **يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل**، والتأويل هو ما ينتهي إليه الأمر ويئول وما يقع بهم من البأس الموعود لهم وإيمانهم [على] ما ذكر من قولهم: **قد جاءت رسل ربنا بالحق**، يعني **بالحق** الواقع بهم من بأس الله الذي كانت الرسل تَعِد لهم، أي أن ما وَعَدوا من وقوع البأس بنا كان حقا. ويحتمل قوله: **قد جاءت رسل ربنا بالحق**، أي بالتوحيد، أي إن الذي جاءت به الرسل في الدنيا من التوحيد كان حقا؛ أو إن الذي أخبر الرسل عن هذا[10] اليوم كان حقا.

---

[1] جميع النسخ: أي؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و.
[2] ع م: والمرسل.
[3] م: فضر.
[4] ك - للمؤمن.
[5] ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْر وهو عليهم عَمى﴾ (٤١/٤٤).
[6] جميع النسخ: وقوله.
[7] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[8] ن - بعده، صح هـ.
[9] ع: الإلباس.
[10] ع م: من هذا.

وقوله عز وجل: **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا**، كأنهم[1] إذا حلّ بهم ووقع ما أوعد لهم الرسول من البأس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذي كانوا يعبدونهم في الدنيا، كقولهم: ﴿هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾؛[2] أو طلبوا الشفعاء كما كانوا يطلبون في الدنيا **شفعاء** إذا بدا لهم أمر[3] عظيم، فيُشَقِّع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا في هذه الدنيا، فعلى ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الآخرة ذلك. فإذا أيسوا عن ذلك وأيقنوا أنْ لا شفيعَ يشفع لهم فعند ذلك قالوا: **أو نُرَدُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل**، لا أنهم قالوا ذلك مجموعا؛ كقوله:[4] ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ -إلى قوله- ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾؛[5] قال[6] بعضهم: لَوْ رُدُّوا في الدنيا لَعَادُوا[7] إلى مَا نهُوا عَنْهُ؛ وقال آخرون: لَوْ رُدُّوا إلى المحنة، إلى الأمر والنهي، لصاروا إلى العمل الذي كانوا يعملونه. ثم أخبر أنهم **قد خسروا أنفسهم**، بعملهم الذي عملوا في الدنيا وبعبادتهم[8] غير الله، **وضل عنهم ما كانوا يفترون**، أي بطل **عنهم ما كانوا يفترون**، أن ﴿هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾، وقولهم:[9] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾،[10] وغير ذلك من الافتراء؛ ذلك كله قد بطل عنهم، فبقوا حيارى، وانقطع رجاؤهم وأملهم الذي طمعوا. قوله: **قد خسروا أنفسهم**، من رحمة[11] الله؛ وقيل: مما وُعِدوا لو أطاعوا؛ وقيل: أهلكوها.

**﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام**،

---

[1] ك: كانه.

[2] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[3] ك: من.

[4] ن: كقولهم.

[5] ﴿ولو ترى إذ وُقِفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدّ ولا نُكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. بل بَدَا لهم ما كانوا يُخفون من قبل ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة يونس، ٢٧/١٠-٢٨).

[6] جميع النسخ: وقال.

[7] م -- في الدنيا لعادوا.

[8] م: وبعباداتهم.

[9] ع م: وقوله.

[10] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[11] جميع النسخ: عن رحمة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ.

وذكر "ما بينهما" في مواضع،[١] ولم يذكر في مواضع،[٢] وذلك داخل في ذلك على ما جرى التفسير في ذلك[٣] بقوله: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، الذي صنع[٤] ذلك، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، ثم جمع اليومين الأولين مع هذا الذي ذكر[٥] ذا[٦] فيه وقال: فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ، ليُعلَم أن ذا[٧] لخلق في يومين، ثم قال: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ -إلى قوله- فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ،[٨] فتصير[٩] ستة أيام[١٠] التي أبهمها في غير ذلك.[١١] *والله أعلم*.

ثم قد بين عز وجل فساد[١٢] قول[١٣] كل[١٤] مَن عبد[١٥] غيره، وعَجْزَ كلِّ ذلك عمّا له يُعبَد وجهلَه بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق، بما فيه من آثار[١٦] التدبير، وعليه من دلالة التقدير، واستحقاقِ جميع معاني الخلقة، ودخوله تحت الصنعة، وحاجته إلى من احتاج إليه كلٌّ، مما هي التي تبعث على العبادة، وتوجب إظهار الذلة[١٧] والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر.

---

[١] سورة الفرقان، ٥٩/٢٥؛ وسورة السجدة، ٤/٣٢؛ وسورة ق، ٣٨/٥٠.
[٢] سورة يونس، ٣/١٠؛ وسورة هود، ٧/١١؛ وسورة الحديد، ٤/٥٧.
[٣] ع م – على ما جرى التفسير في ذلك.
[٤] ع: منع.
[٥] ع: ذكروا.
[٦] ع – ذا.
[٧] ك: ماذا.
[٨] ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهنّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمْرَها وزينّا السماء الدنيا بمصابيح وحِفْظًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٢).
[٩] ك: فيصير.
[١٠] ك ن م: الأيام.
[١١] قال الشارح: «... فيصير الجملة ستة أيام؛ فقد ذكر في الستة على التفاريق خلق السماوات والأرض وما بينهما من الرواسي والأقوات وغيرها، فدل أن ذلك داخل في الستة التي ذكرها في بعض المواضع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ).
[١٢] ك: معاد.
[١٣] ن: قيل؛ ع: غير.
[١٤] ك – كل.
[١٥] ن ع: من عبد.
[١٦] ع م: عن آثار.
[١٧] ن: الذل.

فألزمهم الفزع إلى من يدلهم إلى الرب الحق، ويدعوهم إلى المعبود المتعالي عن الأشباه والأضداد بما يوجب الشَّبَه المشاكَلة،[1] وفي وجوب ذلك[2] دليلُ[3] جاعلٍ أخذ له شكلا،[4] وذلك آية الصنعة ودلالة الحدث. وفي تحقيق الضد خوف ذهاب وفساد،[5] فتضمحلّ[6] الألوهية، وتستوجب[7] حق الدخول تحت التقدير، والقيام على ما[8] شاء من له التدبير، جلّ الله سبحانه عن توهم ذلك. فأكرم مَن بَعثته[9] الحاجة إلى معرفته[10] ورَفَعته[11] الخلقةُ إلى العلم بمن أنعم عليه، واختصّه مِن بين كثير مِن خلقه بما ركّب فيه ما به يدبر أمر غيره، وبه يَعرف قدر النعم عليه لمن أكرمه به، ليشكر له فيما أَوْلاه، ويحمده على ما[12] أعطاه. فمنّ بإظهار ذلك على لسان رسوله الذي عرفه[13] خلقه بما نصب من أدلة صدقه، وأثار[14] مِن حُججِ عصمتِه عن الكذب صِدقَه[15] فيما يُنبئ، وإصابته فيما يخبر، فقال: **إن ربكم الله الذي**، لا رب لكم[16] سواه ولا لأحد من الخلائق، هو الله الذي لا إله غيره، ليوجهوا إليه العبادة في الحقيقة، وليؤدوا إليه شكر ما أنعم عليهم، وإن كانت نعمه أعظم من أن تجزيها العباد، وحقه أجلّ مِن أن يقوم به العباد. ولو لا[17] أن الله سبحانه لم يَرِد من البيان على ربوبيته

---

[1] م: والمشاكلة.

[2] ن – ذلك، صح هـ.

[3] ع – دليل.

[4] أي الرب الحق والمعبود الحقيقي يكون منزها عن الشبه، إذ الشبه يوجب أن يكون له مثلا. فإذا تصورنا أن له مثلا فيجب أن يكون هناك خالق آخر جعل له مثلا.

[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لَذَهَب كل إله بما خلق ولَعَلَا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩١)، وقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٢).

[6] جميع النسخ: فيضمحل.

[7] ع: يستوجب؛ م: تستوجب.

[8] ع – ما.

[9] ك ن ع: من يبعثهم.

[10] ع: معرفة.

[11] ن ع: ورفعة.

[12] ع م – ما.

[13] جميع النسخ: عرف.

[14] ك ع: وأنا؛ ن: وأنار.

[15] م – صدقه.

[16] ع م: غيركم.

[17] م: لو لا.

والدليل على ألوهيته[١] سِوى ما أَنطق به[٢] لسانَ رسوله -بعد الإيضاح أنه لا ينطق إلا بالحق ولا يقول إلا الصدق- لكان ذلك بيانا شافيا، لكنه بفضل رحمته بيّن الأدلة التي تُحقق ذلك وتُعلم أنه كما جاء به[٣] رسوله إلا أن يُعانَد الحقُّ ويُكابَر العقلُ، / فقال عز وجل: **الذي خلق السماوات والأرض**، إلى آخر ما ذكر من دلالة[٤] خلق ما ذكر، فيما ذكر[٥] من آثار التدبير وعجيب التقدير الذي به قوام كلٍ ممن يحتمل المنافع والمضار، واتصالِ[٦] ما بين السماء والأرض -على تباعد بعضٍ مِن بعضٍ- في المنافع. مع جمع الأضداد التي مِن طَبْعها التنافر في أصل ما ذكر، حتى صارت كالأشكال، بعد أن كانت السماوات والأرض مُستبهِمة[٧] لا تَشعُر بما فيها من الحكمة، ولا بالذي فيها[٨] مِن أنه مِن أيّ وجهٍ يقضي الحاجة، ليدل أن مدبر الكل واحد، وأنه عليم حكيم وَضَع كل شيء موضعه،[٩] ودل كلَّ ذي عقل على الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به أَوَدَه[١٠] ويصل إلى بُغيته. وسخر الذي ذكر،[١١] فصيّر كلا من ذلك جاريا دائبا بما لا ينتفع هو[١٢] به ولا مضرّة عليه فيه، ليُعلَم أنه لغيره قدّر، ولحاجات[١٣] غيره سُيّر. وكذلك الذي جبل على القرار[١٤] وأمسك عن الزوال[١٥] من غير أن كان[١٦] له في حقيقة أحد الوجهين نفع أو ضرر ليُعلَم أن تدبير ذلك جرى لا له ولكن لأهله[١٧] الممتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف، [٢٥٠ظ]

---

[١] ك ن: على آهيته.
[٢] ن ع م + عنى.
[٣] جميع النسخ: كما اجابه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ.
[٤] م: ذكر دلالة.
[٥] م - فيما ذكر.
[٦] ك ن ع: وايصال.
[٧] جميع النسخ: مشتبهة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٣٢٧و.
[٨] جميع النسخ: فيه.
[٩] سقط من نسخة كوبريلي ابتداء من هنا مقدار ما يزيد على صفحة. انظر: نسخة ك، ورقة ٣٢٥و/سطر ٤٨ ونسخة م، ورقة ٢٥٠ظ/سطر ٥ - ٢٥١و/سطر ١٣.
[١٠] آده الأمر يؤوده أَوْدا: بلغ منه المجهود والمشقة... وأقام أَوَدَه: أي عِوَجه (*لسان العرب* لابن منظور، «أود»).
[١١] أي الشمس والقمر والنجوم كما ذكر في الآية.
[١٢] ع - هو.
[١٣] ع م: ولحاجة.
[١٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٦٤).
[١٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤١).
[١٦] ن: أنه كان.
[١٧] م: لأهل.

ويُنال[1] الجود والكرم، ويَعظُم الملك والسلطان، إذ عندهم تمييز الأحوال وتفريق الأمور وتوجيه كلٍ إلى حقه وإعطاء كل ذي فضل فضله، ليَعلم[2] مَن هذا وَصْفُه أنه لم ينشأ عبثا ولا خُلِق باطلا؛ [لأنه] إذ به يَعظُم قَدْر[3] كل خلق ويَشْرُف جلالة كل جليل لم يجز إهمال[4] مثله، فيكون خلق الجميع لغير شيء. مع ما في ذلك مِن فنائِه وتبدُّدِه الذي في الحكمة قَصْدُ مثلِه في العقل يوجب العبث، ثبت أنه خُلق للمحنة ولدار البقاء. لكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهي. [ولو أنه جعل الدنيا دار بقاء وهي دار محنة أبدا بطل القول بالجزاء، لأن الجزاء يكون بعد الفراغ من العمل، وإذا كانت المحنة باقية كان العمل واجبا أبدا، لا يمكن القول بالجزاء، فيبطل الجزاء،][5] فيعظم القصد في الابتداء،[6] إذ فاسد أن يجعل المحنة للبقاء فيدل على حاجة الممتحن، مع ما في ذلك زوال الجزاء، إذ محال تقديمه على ما له الجزاء. *والله الموفق*.

ثم الأصل أن الله سبحانه جعل العقل جزءا[7] من عالمَه، وجعله دليلا لأهله في معرفة المساوي والمحاسن، وعَلَما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين الإتقان والعبث، وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم، والمرغوب فيه من المزجور[8] عنه، فلم يجز أن يكون إنشاء[9] كل العالم على غير الحكمة، لأنه سفه، وهو بالذي[10] [هو][11] جزء من العالم[12] يُعلَم به الذميم[13] من الحميد،

---

[1] ن ع: وينيل؛ م: ونيل.
[2] ع م: فيعلم.
[3] ع + قدر.
[4] ن ع م: إمهال؛ والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[5] الزيادة من *شرح التأويلات*، ويبدو أنها سقطت من النسخ. وزاد الشارح موضحا: «أي إذا جعل دار الدنيا للامتحان على سبيل الدوام يكون تَحَقُّقها لحاجة الممتحِن أراد به نفسه، كمن يأمر عبده في الشاهد التكليف والمحنة أبدا لحاجته إلى ذلك، والله تعالى غني بذاته عن الحاجات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٢٧و-٣٢٧ظ).
[6] لعله يريد: فكأنه يخرج أمر الله تعالى بالعمل مخرجا لا يوصف بالحكمة.
[7] ع م: جزء.
[8] ع: فيه والمزجور.
[9] ع م: أنشأ.
[10] ن: وهو الذي.
[11] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[12] ع م: من المعالم.
[13] ن: يعلم بالذميم.

ثبت أنه أُنشِئ للحكمة. وعلى ذلك تقدير كل عاقل، على احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة، فثبت أن ذلك[١] للمحنة. وإن المحنة[٢] ثم الهلاك بلا جزاء ولا نفع[٣] للممتحَن عبث أيضا وسفه، فلزم به القول بالبعث، وإثبات دارين. مع ما كان لكل شاهدٍ دليلُ غائب يُحمَد عليه أو يُذَمّ، فكذا[٤] فِعلُ كلِ ذي عقل إنما هو لعاقبةٍ يُحمَد عليها[٥] أو يَغفل عنها[٦] فيُذَمّ[٧] عليها،[٨] فعلى ذلك أَمْر تدبير هذه الدار من الأخرى.[٩] ولا يجوز[١٠] أن يخلي الجملة عن الدلالة، ولا يخلو كل جزء منها أو جملة[١١] الأفعال عن العواقب،[١٢] والواحد منها إذا خرج يصير عبثا وسفها. فثبت بالذي ذكرت القول بالتوحيد وبالدارين وبالرسالة، إذ بها يُعرَف العواقب بما هي غائبة، وحقائق كل غائب يُعرَف[١٣] بالإخبار عنها والدلالة عليها، ثم لا دلالة على مائية[١٤] الجزاء ولا الشكر ولا العبادة، إنما الدلالة من حيث التدبير على العلم بها جملة، فلزم[١٥] القول بالرسل. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم قوله:[١٦] **في ستة أيام**، يحتمل وجهين. أحدهما تَخلُّق[١٧] أصول الأشياء التي يكون غيرها بحق التولّد عن ذلك والانقلاب؛ ويحتمل أن يكون على تَخلُّق كلية كل شيء[١٨] مما عليه تركيب هذا العالم إلى أن يُبدّل بعالم آخر لا يَبيد ولا يَفنى. فإن كان على الأول

---

[١] أي ثبت أن إنشاء العالم إنما هو للامتحان.
[٢] ن: للمحنة.
[٣] ن ع: ولا ينفع.
[٤] ن ع م: وكذا.
[٥] ن ع م: عليه.
[٦] ن ع م: عنه.
[٧] م: عنه فيلزم.
[٨] ن ع م: عليه.
[٩] ن ع م: من أخرى.
[١٠] ع م: فلا يجوز.
[١١] ن: وجملة.
[١٢] ع: من العواقب.
[١٣] ع م: تعرف.
[١٤] م: على ما في.
[١٥] ن ع م: لزم.
[١٦] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[١٧] ن – خلق.
[١٨] لعل المؤلف يريد "بخلق كلية كل شيء" سنة الله في خلق هذا العالم وتدبيره.

فهو **ستة** من السبعة التي عليها مدار[1] المُدَد والأزمنة،[2] إذ جعل جل ثناؤه جميع ما ذكر من الخلائق تحت الأزمنة والأوقات، ويزول بزوال[3] مددها؛[4] وكذلك عندنا كل الحوادث، إذ لكل منها بَدْء يصير ذلك وقت ابتدائه. وذلك ينقض على الباطنية قولهم: المبدَع الأول لا يقع في الزمان[5] والمكان، وأنه لا يبيد ولا يفنى. ولو كان كذلك لم يكن مبدَعا ولكن كان قديما لا يقع عليه الإبداع، فلما وُقِّت ثبت له البدء، فيجب وصفه[6] بالوقت من حيث الابتداء. وهو أيضا معلول عندهم، وعلته فيه، وهو الإبداع، مما لو زالت علته لباد.[7] وإذا ثبت[8] أنه معلول ثبت أن علةً أوجبته وأحدثته بعد أن لم يكن، فوجب له وقت به كان[9] أو كان فيه. ***والله أعلم.***
ثم على هذا كان إنشاء ما ذكر[10] في الأيام الستة، ولم يذكر في ذلك ممتحَنا. فيشبه أن يكون وقت كون الممتحَنين يوم السابع، وبهم تمّ ظهور الملك، **و استوى على العرش**،وهو **المُلْك**، إذ لم يكن[11] قبل ذلك مَن له التمييز. ومعرفة المُلْكِ والسلطانِ وقَدْرِ العلمبالمحامد والمعالي وأضداد ذلك إنما يكون بأولئك الذين رُكِّب فيهم العقول وأُكرِموا بالتمييز، ولأمثالهم جعل[12] العالَم، وهم المقصودون من الإنشاء. لذلك جُعِل كل من سواهم مسخّرا لمنافعهم داخلا[13] تحت أفهامهم مما يحتمل أكثرَ ذلك تدبيرٌ،[14] ليُعلَم أنهم قُصِدوا لأنفسهم أو لمعرفة ما عليهم من شكر المنعِم[15] والعبادة. فكان بهم ظهور تمام المُلْك وبلوغه النهاية، فأَخبر بالاستواء؛

---

[1] ع م: عليهما مدار.
[2] أي المقصود بالأيام هو الأيام المعروفة عند البشر، وهي سبعة أيام في كل أسبوع. وابتدأ الله تعالى خلق العالم في تلك الأيام، ولكن لم يكمل الخلق بل خلق أصول الأشياء، وجعل عملية الخلق تستمر على مرور الأزمان. والله أعلم.
[3] ع: زوال.
[4] ع م: مدارها.
[5] ن ع م: عن الزمان.
[6] ع: وضعه.
[7] ع: لبادر.
[8] ع: إذا ثبت.
[9] م – كان.
[10] ن ع م: من ذكر.
[11] ن ع م: إذا لم يكن.
[12] ن م: ومما لهم يجعل؛ ع: ومحالهم يجعل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[13] ن ع م: داخلة.
[14] أي أكثر المخلوقات تحتمل تدبير الإنسان لها وتصرّفه فيها على ما يفهم من خصائص الأشياء.
[15] ن ع: النعم.

إذ هو وصف العلوّ والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقَدْر،[١] كقوله: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا،[٢] وذلك في[٣] معنى الاستواء **على العرش** من حيث ظهور المُلْك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين.

[٢٥١و] /وإن كان التأويل هو الثاني[٤] يخرج على وجهين. أحدهما ما قال بعض أهل التفسير: إن[٥] كل يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة،[٦] لم يبين[٧] لنا مقدار ذلك. فجائز أن يكون منتهى تدبير هذا العالم إلى ذلك، [يعني] **ستة أيام**، بمعنى ستة آلاف سنة على القدر الذي قدره الله، ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيامة لا يبيد أبدا ولا ينقضي. فيه يُبَدِّل[٨] العالَمَ، ويُقِرّ كل ممتحَن له بالملك والجلال وإن كان[٩] كذلك في الأزل، ففي ذلك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبّار وغيره، على نحو[١٠] ما قيل: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ،[١١] وقيل: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[١٢] وقيل: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[١٣] ونحو ذلك. على أن له الملك أبدا، وكذلك لم يكن يخفى عليه شيء، لكن ذلك مما يَعلم كلٌّ أنه كذلك، فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك وإن كانت حقيقته موجودة قبل ذلك.[١٤] وعلى ذلك القول: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[١٥] ونحو ذلك، أنه إذ ذلك[١٦] يظهر لكلٍ معلوما[١٧] فأضيف إليه بحرف الابتداء وهو عن ذلك متعال.

---

[١] ن: والعذر.
[٢] سورة القصص، ٢٨/١٤.
[٣] ن – في.
[٤] وهو أن يحتمل قوله تعالى: ﴿في ستة أيام﴾ أن يكون على خلق كلية كل شيء مما عليه تركيب هذا العالم إلى يبدل بعالم آخر لا يبيد ولا يفنى، كما قد سبق قريبا.
[٥] ن + ان.
[٦] ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعُدّون﴾ (سورة الحج، ٢٢/٤٧).
[٧] ن: لم تبين.
[٨] ن ع م: تبدل.
[٩] ن: وأنه كان.
[١٠] م: وعلي نحو.
[١١] ﴿يومَ هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٦).
[١٢] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنُون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواءٌ علينا أجزِعْنا أم صبرنا ما لنا من مَحِيص﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢١).
[١٣] ﴿يومَ لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٩).
[١٤] ن: قل ذلك.
[١٥] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخبارَكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).
[١٦] ع: ذ ذلك.
[١٧] ن ع م: معلومة.

فعلى هذا جميع ما بينا، وبذلك ظهور تمام شرائط الملك، والاعتراف من الكل بذلك.[1] **والله أعلم**.

والثاني أن تكون[2] تلك الأيام الستة على ما في علم الله تعالى تقديرها. لا يعلم أحد سواه [ذلك] إلا من طريق الجملة التي[3] أدّى،[4] وقد بيّن يوما كخمسين ألف سنة،[5] ويوما كألف سنة حَدَّه،[6] لا يعلم غيره [ذلك]، ثم كان اليوم السابع ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾،[7] وتقع العقوبة والمثوبة، وهو المقصود من خلق[8] العالم[9] الأول، فيكون ما ذكرت[10] من تمام الظهور.[11] **والله الموفق**.

وعلى هذا لو قيل: بم قيل:[12] ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾،[13] ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾؟[14]

قيل: ليس أن المراد[15] من هذا العرش[16] الأولُ، وجائز أن يكون هذا هو السرير المعروف، مُنشَأً من النور ومما شاء، ليكرم به أولياءه يوم القيامة، والأول هو المُلْك الذي ظهر تمامه وعلوّه على ما بينا. ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،[17] هو ما فهمه أهل التشبيه من المكان[18] لم يكن لِيجب أن يُفهَم من الاستواء[19] عليه الاستقرار[20]

---

[1] أي يكون هذا هو معنى الاستواء على العرش على هذا التأويل، وهو اعتراف العالمين بالملك لله عز وجل يوم القيامة.

[2] ن ع م: أن يكون.

[3] ع – التي.

[4] أي أداه الله تعالى في كلامه وأخبره.

[5] ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (سورة المعارج، ٤/٧٠).

[6] م: حدة.

[7] سورة الطارق، ٩/٨٦.

[8] ع: من الخلق.

[9] ن ع + العالم.

[10] ينتهي السقط الواقع في نسخة كوبريلي هنا، وذلك بمقدار ما يزيد على صفحة. انظر: نسخة ك، ورقة ٣٢٥و/سطر ٤٨؛ ونسخة م، ورقة ٢٥٠ظ/سطر ٥ – ٢٥١و/سطر ١٣.

[11] ويكون هذا هو معنى الاستواء على هذا الوجه، أي تمام ظهور أعمال العباد ووقوع الثواب والعقاب عليها.

[12] جميع النسخ: بما قيل.

[13] سورة المؤمن، ٧/٤٠.

[14] سورة الحاقة، ١٧/٦٩. أي إذا كان العرش بمعنى المُلْك فبأي سبب قيل: ﴿يحملون العرش﴾، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾، ومعلوم أنه لا يمكن حمل المُلْك؟

[15] ن: أنه المراد.

[16] م – العرش.

[17] سورة طه، ٥/٢٠.

[18] جميع النسخ: من مكان.

[19] ن: منه الاستواء.

[20] ع: على الاستقرار.

أو أن يكون[1] لله مكان يوصف بالكون فيه وعليه؛ لأنه ليس في كون أحد في مكان -وإن حلّ قدره وعظم خطره- رفعة ولا نباهة فيما يُتعارف من أمر الملوك والأجلّة، بل كلّ منسوبٍ إلى مكان من جهة التمكين فيه والقرار منسوب إلى استعانة وحاجة منه إليه؛ جَلّ عن[2] ذلك. على أنه[3] إما أن يكون مثله أو أعظَمَ منه، فيكون[4] له[5] عَدِيلا بالعظمة؛ أو دونه. ومن السُّخف الجلوسُ على مكان لا يطمئن به أو يقصر عنه، إذ قد يجوز أن يُزاد فيه فيكون أعظم منه، جل الله عن هذا[6] الوصف وتعالى. بل كان ولا مكان، فهو على ما كان، يتعالى عن الاستحالة والتغيّر،[7] إذ هو أثر الحدث وأمارة الكون بعد أن لم يكن. **ولا قوة إلا بالله**.

ثم الأصل أنه لو كان فهو بإضافة الله إلى العلو عليه تعظيم له. وعلى ذلك في كل شيء[8] يضاف إلى[9] الله أو [يضاف] الله إليه[10] من جهة الخصوص[11] فهو على تعظيم ذلك، لا على أن يُفهَم منه ما يُفهَم مثله من الخلائق، نحو القول بأن المساجد لله،[12] و ناقة الله،[13] وزينة الله،[14] وحدود الله،[15] ونحو ذلك. فما بال المشبهة فهمت من إضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على احتمال الاستواء معاني[16] سوى الذي ذكروا؛ إذ يقال: استوى: تمّ،

[1] ع م: وأن يكون.
[2] ع - عن.
[3] ع م: وعلى أنه.
[4] جميع النسخ: لكان.
[5] ع - له.
[6] ع: على هذا.
[7] ك ن ع: والتغيير.
[8] م - شيء.
[9] ع - إلى.
[10] ن - أو الله إليه.
[11] ك: الخضوع.
[12] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[13] سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وسورة الشمس، ١٣/٩١.
[14] م - الله. وانظر: سورة الأعراف، ٣٢/٧.
[15] سورة البقرة، ١٨٧/٢، ٢٢٩، ٢٣٠؛ وسورة النساء، ١٣/٤؛ وسورة التوبة، ١١٢/٩؛ وسورة المجادلة، ٤/٥٨؛ وسورة الطلاق، ١/٦٥.
[16] ك ع: معانيا؛ ن: معاينا.

واستوى: قصد،[1] واستوى: علا، واستوى: استقرّ، واستوى: استولى.[2] فإذا كان معناه[3] يتوجّه إلى هذه الوجوه لم يحتمل أن يكون أحد يُقدِّر من ذلك أَذَمّ ما يتوجه[4] إليه ويعتمد عليه لو لا الجهل به.[5] ثم الأصل أن الإضافات إلى الأشياء يفترق المقصود بها وإن كان في ظاهر المخرج واحدا[6] باختلاف مَن إليه القصد بالإضافة[7] والاصابة[8] جميعا. يقال: جاء الحق، وجاء فلان؛ وبيت فلان، وبيت الله؛ وقيل في الملائكة: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[9] وقال في الفسقة: أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ،[10] ونحو ذلك، لا على الجمع في المعنى؛ فالاستواء الذي يتوجه إلى وجوه أحق بذلك. *والله الموفق*.

ثم قد قيل في قوله: **ثم استوى على العرش**، بوجوه: أحدها ما قال أبو بكر الأصم: هو على[11] التقديم والتأخير، كأنه قال: إن ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر، فيكون معناه: خلق كذا وقد **استوى على العرش**؛ كقوله: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا،[12] بمعنى: وقد جعل منها زوجها. وعلى هذا ليس في[13] قوله: **إن ربكم الله الذي استوى على العرش**[14] الشبهة التي في الأول، كما لم يكن في قوله: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[15] إذا صُرِف[16] إلى "عِنْد" شبهة؛ فيكون وقد **استوى [على العرش**، أي] خَلَق **العرش**؛ كقوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[17] بمعنى ثم خلَق السماء، أو قَصَد خلْقَه، ونحو ذلك.

---

[1] ع: قصدوا.
[2] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «سوى».
[3] ك – معناه.
[4] ن: وما يتوجه.
[5] ن – به.
[6] جميع النسخ: واحد.
[7] م: بالإضافات.
[8] جميع النسخ: والاضافة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٥ظ.
[9] سورة المدثر، ٣١/٧٤.
[10] انظر على سبيل المثال: سورة البقرة، ٣٩/٢، ٨١، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٥.
[11] م – على.
[12] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[13] ن + في.
[14] ك + ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش؛ ن + كقوله ثم استوي.
[15] سورة الأنعام، ٣٠/٦.
[16] أي كلمة على.
[17] سورة فصلت، ١١/٤١.

وقال الحسن: **ثم استوى على العرش،** أي **استوى** عليه أَمْرُه وصُنْعُه، أي لم يختلف عليه صُنعُ **العرش** وأَمْرُه وإن جلّ أمر غيره وصنعه، كقوله: مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[1] على استواء[2] الأمر في التدبير والصنع. وقال الحسين:[3] معناه استولى[4] **على العرش،** كما يقال: استوى فلان على بغداد، / بمعنى استولى. وقال قوم:[5] معناه استولى[6] عليه وهو فوق كل شيء [٢٥١ط] في القدرة والعظمة تعظيما له، على غير اختلاف عليه في التحقيق بينه وبين غيره، كالذي ذكر بأن الأمر كله يوم القيامة له،[7] والمساجد له،[8] على التفضيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك.[9] وقال قوم: إذ كان **العرش** فوق كل شيء في تقدير المعارف فقال: هو عَلَاه بمعنى لا يوصف في الخلق، ولكن على ما كان ولا خَلْق.

ونحن نقول وبالله التوفيق: قد ثبت من طريق التنزيل القول[10] بأنه **استوى على العرش،** وقد لزم القول بأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[11] وعلى ذلك اتفاق القول أنْ لا يُقَدَّر كلامه بما عُرف من كلام الخلق، ولا فعله به،[12] ولا علمه، ولا ما قيل: هو رب كذا أو مالك كذا، لا يراد به المفهوم من الخلق، لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبية، فمثله في الأول. ثم يلزم تسليم المراد لما عنده إذ لم يبينه لنا، وقد ثبت نفي ما يُفهَم من غيره.

وبعد، فإن القول فيه بالمكان يَفسُد بالذي به يُحتَج، بوجوه. أحدها أن قوله: **ثم استوى على العرش،** إخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف إليه في خلق الخلق على اختلاف المخرج في القول،

---

[1] سورة لقمان، ٣١/٢٨.
[2] ع: على استوى.
[3] ك: الحسن. لعله أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد اله النجار (ت نحو ٢٣٠هـ/٨٣٥م)، كما يذكره المؤلف بنفس الاسم في *كتاب التوحيد* (ص ١٥٥). وهو من كبار المتكلمين في القرن الثالث الهجري، وله مناظرات مع النَّظَّام. ومن كتبه *إثبات الرسل*، و*كتاب القضاء والقدر*، و*كتاب اللطف والتأييد*، و*كتاب الإرادة الموجبة*، وغير ذلك. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٥٤.
[4] ع: استوى.
[5] ن – قوم.
[6] ك ن ع: استوى.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٩).
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/١٨).
[9] ن: قال.
[10] ع م – القول.
[11] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[12] ع م + وما يوجبه.

نحو أنْ ذَكَر مرةً أبدع، ومرةً فطر، وجعل، وأنزل، وأثبت،[1] وكتب، ونفخ،[2] وأعطى، وأنشأ، وغير ذلك من الألفاظ؛ حقيقةُ ذلك أنه خَلَق، إذ ذلك معنى فِعله في الحقيقة. وعلى ذلك كَوَّن، وفَعَل، وأَمَر في بعض المواضع. ثم يجب توجيه كلٍ مِن ذلك إلى الوجه الذي يليق[3] فيه القول بخَلَق. وكذا في هَدَى، وأَضَلّ، وزَيَّن، وأتقن، وأحكم، ونحو ذلك؛ فكذلك في قوله: **ثم استوى على العرش**، يجب أن يُقابَل ذلك[4] بخَلَق،[5] إذ هو إضافة إلى فعله. ثم يخرج على وجهين. أحدهما ثم خلق **العرش** ورفعه وأعلاه بعد أن كان العرش على الماء،[6] كقوله: ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ.[7] وليس "ثُمَّ" تَنَقُّل من حال إلى حال؛ إذ لو[8] كان كذلك لكان يصير حيث "ثُمَّ" ينتقل مِن خَلْق إلى خَلْق فيما يخلق، فيكون في الوقت الذي يصير إلى العرش صائرا إلى الثَّرى،[9] وفي الوقت الذي يُحدِث[10] خَلْق ما في[11] الأرض وما في السماء منتقلا من ذا إلى ذا، وذلك تناقض فاسد. وفي ذلك بطلان معنى القول بالاستواء **على العرش**، بل يكون أبدا غيرَ مستوٍ[12] عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون أبدا،[13] [إذ هو في الانتقال بعد]،[14] وذلك متناقض فاسد، جلّ الله عن هذا[15] التوهم. ***وبالله التوفيق***. والثاني أن يكون[16] قوله: **ثم استوى على العرش**، أي إلى العرش في خلقه ورفعه وإتمامه. دليل احتمال "على" ذلك[17] أن "على"[18] من حروف الخفض،

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبِت﴾ (سورة الرعد، ٣٩/١٣).
[2] ع م – ونفخ.
[3] ع: تليق.
[4] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[5] ن ع: يخلق.
[6] ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (سورة هود، ٧/١١).
[7] سورة فصلت، ١١/٤١.
[8] ن: ولو.
[9] ع: على الثرى.
[10] ك ع: يجدد؛ ن: يجد.
[11] ن: ما في خلق.
[12] ن ع م: مستوى.
[13] ع + غير مستوى عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون أبدا.
[14] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[15] ن: عن ذلك؛ ع: عن هذه.
[16] م – أن يكون.
[17] ن + على دلك.
[18] ع م – على.

وقد يوضع بعض[1] موضع بعض، كقوله: إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[2] بمعنى عن الناس، وقوله: إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[3] بمعنى عند ربهم. مع ما قال الله: إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، [أي إلينا بيانه، وقال:][4] وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[5] بمعنى إليه. وعلى ذلك **ثم استوى على العرش**، أي[6] إلى العرش، وهو[7] على الماء كما ذكر. فرفعه وأتمه،[8] كما قال: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، فخلق ما ذكر. *والله أعلم*.

والوجه الثاني[9] [هو] المذكور في الآية من اسم الرب وخَلْق ما ذكر[10] وتسخير الذي وصف، ثم لم يَتوهم[11] في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف إلى الخلق أنه ربّ كذا أو سخر كذا أو صنع كذا ملحدٌ ولا موحّدٌ، فكيف احتمل قلب المشبّه[12] في قوله: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[13] لو لا[14] جهله به وتقديره بالذي عليه أمر[15] نفسه. *والله الموفق*.

والثالث أن الناس في خلق الله الخلق مختلفون.[16] فمنهم من جعله[17] الخَلْق نفسه، دون أن يكون الله بذاته يلحقه[18] وصف سوى إضافة الخلق إليه في أن كان به. فعلى ذلك قوله:

---

[1] م – بعض.
[2] سورة المطففين، ٢/٨٣.
[3] سورة الأنعام، ٣٠/٦.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[5] سورة النحل، ٩/١٦.
[6] ع م – أي.
[7] ن: هو.
[8] ن: دايمة.
[9] أي من وجوه إبطال المكان لله تعالى. وقد سبق ذكر الوجه الأول في صفحة ٣٧٤.
[10] ن ع م – ما ذكر.
[11] فاعل "لم يتوهم" هو "ملحد" في آخر الجملة.
[12] ك ن ع: المشبهي؛ م: المشبهين.
[13] سورة طه، ٥/٢٠.
[14] ع م – لا.
[15] م: عليه أو.
[16] جميع النسخ: مختلفين.
[17] أي المخلوق كما قال الشارح في شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[18] ك ن: يلحق.

**ثم استوى على العرش**، إنما هو ما ذكر من غير أن كان سبحانه يلحقه وصف لم يكن له.[١] ومنهم من يراه[٢] خالقا بذاته، ليكون جميع الخلائق إلى الأبد بتكوينه الذي يعبّر عنه بقوله: كُنْ،[٣] من غير أن كان ثَمّ كاف أو نون، على كون كل شيء عليه به، من غير تغير[٤] عليه[٥] ولا زوال عما كان عليه، إذ لا شيء غيره. فكل معنى لو حُقّق أوجب تغيرا[٦] أو زوالا أو قرارا أو نحو[٧] ذلك فالله يجلّ عنه ويتعالى، إذ ذلك عَلَم الحدث[٨] وأمارة التغير به.[٩] *ولا قوة إلا بالله*.

والرابع هو [أن] الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار يكون[١٠] إضافته من ذلك[١١] وصفه[١٢] بمكان[١٣] دون مكان وحال دون حال، [وذلك] محال فاسد.[١٤] لذلك بطل القول بالمكان في جميع الأقاويل. وأيّد الذي ذكرت ما تختم به الآية من قوله:

---

[١] قال الشارح: «والثالث أن الناس في خلق الله مختلفون، فمنهم من جعل خَلْق الله تعالى هو نفس المخلوق، دون أن يكون لله تعالى بذاته يلحقه وصف سوى إضافة الخلق إليه في أن كان به، أو لم يكن خالقا فصار خالقا؛ لأنه ليس بوصف له حتى يكون صفة حادثة يقوم به بعد أن لم يكن، وإنما يحدث إضافتنا المخلوق إليه. فعلى ذلك قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾، إنما هو ما ذكر من غير أن كان الله تعالى يلحقه وصف لم يكن له، فيجب إنكاره لما يتضمن حدوث الاستواء الذي هو صفته، إذ الاستواء ليس غير المستوَى عليه، فلا يؤدي إلى القول بحدوث صفته وتغيّره وتبدّله من حال إلى حال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و).

[٢] م: من يره.

[٣] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كُن فيكون﴾ (سورة البقرة، ١١٧/٢).

[٤] م: تغيير.

[٥] أي إن حصول كل شيء بحقيقته التي هو عليها يكون بالله تعالى من غير حصول أي تغير فيه عز وجل.

[٦] ك: تغيره.

[٧] ع: ونحو.

[٨] م: الحديث.

[٩] جميع النسخ: الغيرية؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٣٢٨ظ.

[١٠] ك ن: فمعنى؛ ع م - يكون؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.

[١١] م: عن ذلك.

[١٢] ن: وصف.

[١٣] جميع النسخ: إلى مكان.

[١٤] وعبارة الشارح هكذا: «والرابع وهو أن الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار يكون إضافة العرش إليه بمعنى الاستقرار وتخصيصه بمكان دون مكان وحال دون حال محالا فاسدا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و). أي إن الذي يشبه الله تعالى بخلقه في أنه يتحرك ويزول من مكان إلى مكان لا يمكن أن يصف الله بالاستواء على العرش بمعنى الاستقرار عليه، لأن الذي يفهم حديث النزول مثلا على أن الله ينزل إلى السماء الدنيا مثل المخلوقين يلزمه أن يكون الله غير مستقر على العرش في ذلك الوقت، فمن المحال أن يكون الشيء في مكانين في وقت واحد.

**تبارك الله رب العالمين**، وَصَف ذاته بالربوبية [و] بالتعالي من جميع معاني المربوبين، إذ من حيث التشاكل يوجب خروجه من أن يكون ربا، والآخر[١] من أن يكون[٢] مربوبا، فإذا ثبت[٣] أن كل شيء من كل جهة مربوب[٤] ثبت سُبحانيّته[٥] من ذلك الوجه. *والله الموفق*.

ثمّ[٦] قوله:[٧] **خلق السماوات والأرض في ستة أيام**، هو على وجهين. أحدهما إضمار[٨] "ما بينهما" على ما جرى الذكر به في غيره. والثاني أنْ ذَكَر مِن وقت ابتداء الكون إلى الانتهاء لا[٩] على تحقيق ذلك في كل وقت، كما يقال: كان كذا في شهر كذا، لا على إحاطة كلية أجزاء الشهر به، / فمثله معنى **ستة أيام**. ومعنى التوقيت ليس على حاجة[١٠] إلى ذلك، إذ الوقت داخل فيما خلق. لكن [ذكر الوقت يخرج][١١] على وجوه وإن كان الله سبحانه قادرا على إنشاء جميع ما ذكر بدفعة. وجهان ما ذكرتُ من معنى الأيام لِمَدار مُدَد الخلق وأصول[١٢] ما عليه تَفنى[١٣] الأعمار؛ والثاني على بيان منتهى العالم.[١٤] والثالث على إدخال[١٥] كل ذلك[١٦] [تحت قهر الزمان][١٧] مع علوّ درجات كثير[١٨] منها وجلالة أقدارها في الأعين، حتى لا أحد ينظر إليها إلا بعين التعظيم،[١٩] وحتى [إنه] بكثير[٢٠] منها قام[٢١] تدبيرُ العالم، [٢٥٢و]

---

[١] ك ن: أو الآخر.
[٢] ع م – من أن يكون.
[٣] ك: فإذ ثبت.
[٤] جميع النسخ: مربوبا.
[٥] ك: سبحانية.
[٦] ن – ثم.
[٧] ن ع: وقوله.
[٨] ع: إضما.
[٩] ع – لا.
[١٠] م: لي حاجة.
[١١] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٢] جميع النسخ: وأطول؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٣] جميع النسخ: يفنى.
[١٤] هذان الوجهان ذكرهما المؤلف في تفسير الآية أعلاه.
[١٥] ع: على أدحل.
[١٦] ع: لكل ذلك.
[١٧] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٨] ك ن: كثيرة.
[١٩] ع م: إلا بالتعظيم.
[٢٠] ك ن ع: يكثر.
[٢١] ن: فأقام.

وحتى عُبدت[١] دون الله تعظيما، وإن كان في ذلك دلالة خروجه عن الاستحقاق. فصيّرها الله داخلة تحت الأزمنة والمُدَد مقهورة[٢] بها، حتى لو أُريد بكل جهد وحِيَل إخراج شيء من ذلك أو تخليص الجبابرة من ذلك[٣] لما تهيأ لهم، ليُعلَم ذلة الخلق[٤] وأمارات[٥] الحدث وعلامة الحاجة. ثم كانت الأوقات مترادفة متتابعة لو أُسقِطت[٦] عنها الأولية لبطل الكل. ولما جاوز الحساب عن الواحد،[٧] ولما انتهى إلى ما هو بَعْدٌ لِمَا مضى[٨] ليُعلَم به أولية كل شيء من العالم وحدثه. مع ما جُعلت الأيام تدور على أمر واحد بها [حاجة][٩] لجميع[١٠] المحتاجين ممن ذكرت، فثُبِّتَ لذلك[١١] بأسماء معروفة أمكن قصد كل منها على الإشارة إليه باسمه المعروف،[١٢] ليُحفَظ فيه المواعيد ويُعلَّم به ما يجب من الحقوق ويبطل. ***والله أعلم.***

ثم الأصل إذ جُعلت هذه الدار دار المحنة -والمحنة[١٣] إنما تكون بمختلف الأحوال- جُعلت الأحوال مختلفة نحو موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر. وفي جمع[١٤] الخلق على حالة منها الجهلُ بأضدادها، وفي ذلك الجهل باللذات والآلام، فيجب بذلك اختلاف الأحوال. وعلى ذلك جرى أمر خلق الخلائق، وعلى ذلك أمر الأرزاق وغير ذلك. فعلى ذلك أَمْرُ خَلْقِ ما ذكر في أيام مختلفة. ثم يُجمَع في[١٥] البعث بمرة، وفي حالٍ [واحدة] مِن حال اللذة[١٦] أو التعب[١٧] بمرة.[١٨]

---

[١] جميع النسخ: عبد.
[٢] ك ن ع: مقهور.
[٣] ك ن: عن ذلك.
[٤] م: الخلقة.
[٥] ع: وأماراة.
[٦] ع: لو سقطت.
[٧] جميع النسخ: بالواحد؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٨] ع: لما لمعنى.
[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[١٠] ع م: بها بجميع.
[١١] ن - لذلك.
[١٢] ك + به.
[١٣] ك - والمحنة.
[١٤] ك ن ع: وفي جميع.
[١٥] ن + ذلك.
[١٦] م: اللذات.
[١٧] م: والتعب.
[١٨] وعبارة الشارح هكذا: «ثم يجمع الكل في البعث بمرة واحدة، وفي حالٍ واحدة، إما حال اللذة إن كان من أهل الجنة، وإما حال الشدة والتعب إن كان من أهل النار، دون احتلاف الحالين في حق كل فريق كما في الدنيا، إذ ليس ذلك وقت الامتحان، إنما هو وقت المجازاة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ).

مع ما كان اختلاف الأحوال أقرب إلى الدلالة وأوضح للحجة؛ فلذلك جُعل في هذه الدار إلزام الحجة وإظهار المحنة والكُلفة. *والله الموفق*.

والأصل أن العقول[١] أُنشئت متناهية تقصر عن الإحاطة بكلية الأشياء، والأفهام متقاصرة[٢] عن بلوغ غاية الأمور، إذ هنّ من أجزاء العالم الذي هو بكليته[٣] متناهٍ، وأسباب الإدراك التي يُدرَك بها [هي] بإدراك[٤] المشاعر التي تعجز عن كنه ما تقع[٥] عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها. وإذا كان هذا وصف ما يُدرَك به مبلغ[٦] الحكمة فهي قاصرة عن الإحاطة بالحكمة الموضوعة[٧] في البشر.[٨] فمن رام الإحاطة بها أو بلوغ حكمة الربوبية من غير إشارة منه فهو يظلم العقل ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه. ومعلوم أن [في][٩] المذكور من الأيام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وإن قصرت العقول عن الإحاطة؛ إذ الذي قدّرها هو الذي حَمّد الحكمة، وأوجب لأهل العقل[١٠] ذمّ السفه وأهله، فأوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وإن لم يبلغها إلا مقدار ما يكرم به. *والله الموفق*.*

*وقوله[١١] عز وجل: **يُغشي الليلَ النهارَ**، يُذهِب بضوء النهار ظلمةَ الليل، وضوءَ[١٢] النهار بظلمة الليل، إذا جاء هذا ذهب[١٣] سلطان الآخر. **يطلبه حثيثا**، قيل: سريعا؛ وهو أن الله عز وجل يُظهِر النور في ابتداء النهار في طَرَف من أطراف السماء، والظلمة في أول الليل، ثم ينشر ذلك في جميع أطراف السماء والأرض وما بينهما من جميع[١٤] الآفاق[١٥] والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين، [٢٥٢ظ س١٣]

---

[١] ن – أن العقول.
[٢] ك ع م: متناقصة؛ ن: متناقضة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] م: هو بكلية.
[٤] ن ع م: بأداء.
[٥] ك ن م: لما يقع؛ ع: لا يقع.
[٦] ن: يبلغ.
[٧] ع: الموضوع.
[٨] ك ن: بين البشر؛ ع م: من البشر؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[١٠] ك ن ع + في.
* وقع هنا مقطع متقدم على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٢و/سطر ٢٣-٣١.
[١١] ك – وقوله.
[١٢] ك: وبضوء.
[١٣] م + هذا.
[١٤] ع: من جمع.
[١٥] ك ع: الآفات؛ م: الأوقات.

مما لو أريد[1] تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه، ليُعلَم أن الله على ما يشاء قدير، وأنه لو أراد أن يخلق جميع ما ذكر أنه خلَق في ستة أيام لكان قادرا[2] أن يخلق [ذلك] في طرفة عين،[3] لكنه خلق في ستة أيام[4] لحكمة في ذلك. وقوله عز وجل: **يطلبه حثيثا**، لا يكون مما ذكر طلبٌ حقيقةً، لكن ذكر الطلب لأن ما كان[5] من كل واحد[6] منهما[7] للآخر لو كان ممن[8] يكون له الطلب كان طلبا وهربا من غلبة كل واحد منهما صاحبه، وهو ما ذكرنا في قوله تعالى: وَغَرَّتْهُمُ

[٢٥٢ظ س ٢١] الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[9] أنها أُنشئت على هيئة وجهة لو كان ذلك ممن يكون منه التغرير كان تغريرا.[10]*

ثم من عجيب قدرته سبحانه في قوله: **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا**، أن الله تعالى يظهر النور في ابتداء النهار من طرف من أطراف[11] السماء، والظلمةَ في أول الليل، ثم ينشر ذلك ويبسطه في جميع أطراف السماء والأرض وما بينهما من جميع الأقطار والجوانب في قَدْر لحظةِ بصرٍ وطَرْفة العين، مما لو أريد تقدير[12] ذلك بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير لما أحيط بالذي انبسط [مِن] ذلك النور والظلام، ليُعلَم أن الله على ما يشاء قدير، وأنه لو أراد لخلق[13] جميع ما ذكر في أدق مدة وألطف وقت، وأنه القادر على البعث وجميع ما جاءت بالخبر عنه الرسل. على أنه بالذي ذكرت يُلبِس وجوهَ كليةِ الأشياءِ السِّترَ[14] ويُجلّيها بطَرْفة[15] عين بالتدبير والعلم الذي له[16] بما يوجب ذلك،

---

[1] ن: ما لو أريد.
[2] جميع النسخ: أيام لقادر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[3] ع - مما لو أريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعدم أن الله على ما يشاء قدير وأنه لو أراد أن يخلق جميع ما ذكر أنه خلق في ستة أيام لقادر أن يخلق في طرفة عين.
[4] ع: اياه.
[5] ك: الطلب لما كان.
[6] ع: أحد.
[7] ك - منهما.
[8] ك: ممي.
[9] سورة الأنعام، ٦/٧٠، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٧/٥١.
[10] جميع النسخ: غرورا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٢ظ/سطر ١٣-٢١.
[11] م - من أطراف.
[12] ن: تدىر.
[13] ن - لخلق.
[14] م - الستر.
[15] ن ع م: بطرف.
[16] ع م - له.

مما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلاً[1] عن إدراكه، ليُعلَم أنه عليم لا يجهل، عزيز لا يعجزه شيء، حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره. *ولا قوة إلا بالله*. وقريب[2] من ذلك ما جُعل في جوهر الإنسان من البصر الذي يُبصِر بأول أحوال الفتح[3] قدر خمسمائةِ سَنةٍ،[4] والفكرِ الذي يبلغ به من غير أن يزول / عن مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة [٢٥٢ظ] والنار، ويبصر به المعاد والمعاش. والعقل [هو] الذي يعرف حقائق مَن غاب عنه وحضر[5] مما له صورة وطِينة أو أحدهما وما ليس له واحد من الأمرين، على قصور الحواس عن إدراك صورة شيء لا طينة له، ليُعلَم أن الذي قدر على تقدير مثله[6] في جوهر[7] واحد وعَلِم كيف يصنع[8] فيه ليعمل ذلك العمل[9] قادر على كل شيء حكيم عليم. وهذا معنى ما قيل: إن الإنسان هو العالَم الصغير، بمعنى أنه يوجد[10] فيه لكل أمر من أمور العالَم الكبير مثال.[11] *ولا قوة إلا بالله*.

*وقوله: [**والشمسَ والقمرَ والنجومَ مُسَخَّراتٍ**]،[12] فكذلك سخرهن بالسير فيما [٢٥٢و س٢٣] يرجع إلى منافع الخلق، وجعل فيهن آية لولا العيان لم يكن يصدق به أحد ممن يجحد البعث والرسل ونحوهم؛ إذ الخبر عن سير جوهر واحد في اليوم الواحد مسيرة أكثر من ألف سنة،[13]

---

[1] جميع النسخ: فضل.

[2] جميع النسخ: وقريبا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[3] أي بأول فتح بصره.

[4] لو فرضنا أن الإنسان يمشي في اليوم مسافة ثلاثين كيلومترا على الأقل فإن مسافة خمسمائة سنة والتي ذكرها المؤلف تبلغ أكثر من خمسة ملايين كيلومتر. ولعل المؤلف نظر إلى الروايات التي تذكر أن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام، واستنتج أن النجوم التي ترى بالعين تقع على بُعد هذه المسافة.

[5] م: حص.

[6] ك: مثل.

[7] ع: من جوهر.

[8] جميع النسخ: يضع.

[9] م: ذلك العلم.

[10] ك: لا يوجد.

[11] ك ن ع: من الأمور للعالم الكبير فيه مثالا؛ م: من الأمور المعالم الكبير فيه مثالا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[12] جميع النسخ: وقوله وسخر ما ذكر.

[13] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعرُج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تَعُدّون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

وتَولُّدُ جواهر بمعونة من يبعد عنه مقدار خمسمائة عام،[1] ونُضْج كل شيء وصلاحه به أبعد عن احتمال القبول من إعادة[2] شيء[3] بعد الفناء[4] أو إرسال الرسل بإعلام ما خفي من المصالح والأمور؛ إذ ذلك أَمْر مُتعارَف[5] في صنع الخلق، مُعايَنٌ[6] ذلك فيما به تقلّب الزمان من الليل والنهار.[7] لكن[8] الله[9] سبحانه أظهر لهم من قدرته وعظيم[10] حكمته [عيانا] بما بسط لهم [الأرض][11] بغِلَظها وسَعَتها، ورَفَع عليها السماء بغير عَمَدٍ يُرَى، فأقرّ كلا من ذلك لحاجة أهلها إلى قرارها، وسَيَّر فيها بالتسخير[12] ما ذكر لحاجة الأهل في تسيير ذلك، ليُعلَم أن لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر ولا يدخل في تدبيره عِوَج والا في خلقه تفاوت. وإن الذي أظهر إذا قوبل بالذي وعد[13] يضاعف عليه بوجوه له.
٢٥٢و س٣١] مع ما كان الذي أظهر هو إبداع على غير احتذاء، وإنشاء[14] الإعادة[15] لا [كذلك]. **والله الموفق.***

وقوله: **بأمره**، قال أبو بكر: يحتمل وجهين. أحدهما أنه أمْره[16] كما يقال: أتاه أمر الله، أي الموت والعذاب ونحو ذلك، على إرادة ذلك الذي نزل[17] به. والثاني أن يَطلُعن[18] ويَغرُبن بأمرٍ

---

[1] لعله يشير إلى المسافة التي بين السماء والأرض، كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وفُرُشٍ مرفوعة﴾ (سورة الواقعة، ٣٤/٥٦)، قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام»؛ قال الترمذي: هذا حديث غريب (*سنن الترمذي*، التفسير ٥٦).

[2] ع م: عن إعادة.

[3] م – شيء.

[4] جميع النسخ: عند الفناء.

[5] جميع النسخ: متعالم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧و.

[6] ن ع: معاني؛ م: معما في.

[7] قال الشارح: «... إذ ذاك أَمْر مُتعارَف في صنيع الخلق مُعايَن، وذلك أنه يبعث بعضهم بعضا بالرسل لإحراز مقاصدهم وأغراضهم، ومُعايَنٌ عَوْدُ الليل والنهار بعد الانقضاء والفناء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٧و).

[8] ع م: ولكن.

[9] ن – الله.

[10] ك: وعظم.

[11] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧و.

[12] ك: فيها بالسخير.

[13] ع: وضع.

[14] ك ن – وإنشاء.

[15] ك ن: والإعادة.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٢و/سطر ٢٣-٣١.

[16] ع: أنه أمر.

[17] ع م: تركت.

[18] ك: أن يطامن.

بتوحيد الله والإيمان به[١] بما فيهن[٢] من عجيب الحكمة ورفيع[٣] التقدير. وقال الحسن: **بأمره** الذي به كوّن الأشياء مِن قوله: "كُن". فالقول الأول هو قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق. والثاني قول من يرى "كُن" عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق أبد الآبدين من غير أن كان ثَمّ[٤] في الحقيقة كاف أو نون، لكنه أقصر[٥] ما يُفهَم به المراد من الكلام، يُراد في ذلك نفي الصعوبة عنه وتيسير الأمر عليه. وذلك يكون[٦] في الحقيقة غير الخلق؛ إذ أخبر[٧] في الخلق أنه كان به، وكل شيء يكون بشيء في المتعارف من القول يكون غيره. وكذلك قوله: **ألا له الخلق والأمر**. **والأمر**[٨] فيه وجهان. أحدهما الإخبار عن تكوين الخلق الذي هو له. والثاني عن **الأمر** في خلقه بما[٩] شاء، ولا يُرَدّ شيء من أمره عن الوجه الذي أمر. ***والله أعلم***.*

وقوله[١٠] عز وجل: **مسخَّراتٍ بأمره**، قال بعضهم: **بأمره**، أي بتكوينه، أي أنشأها[١١] وكوّنها **مسخرات** لهم. وقال[١٢] بعضهم: **بأمره** ينفعن البشر.

وقوله[١٣] عز وجل: **ألا له الخلق والأمر**، قال بعضهم: **الأمر** هاهنا هو التكوين. وقيل: **ألا له الخلق** والتدبير في الخلق. وقيل: له **الأمر** في الخلق.[١٤]

وقوله عز وجل: **تبارك الله رب العالمين**، تعالى الله عما فهمت المشبّهة من قوله:[١٥] **ثم استوى على العرش**.

---

[١] ك ن ع: فيه.
[٢] ع م: بما هو فيهن.
[٣] جميع النسخ: ورفع.
[٤] ن: ثمه.
[٥] ع – أقصر؛ م: جاء.
[٦] ع م: عليه ويكون.
[٧] ع: إذا أخبر.
[٨] ك: وللأمر؛ ع م – والأمر.
[٩] جميع النسخ: بم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٢ظ/سطر ١٣-٢١.
[١٠] ك – قوله.
[١١] م: أي إنشاءها.
[١٢] ع م: قال.
[١٣] ك – قوله.
[١٤] ن – وقوله عز وجل ألا له الخلق والأمر قال بعضهم الأمر هاهنا هو التكوين وقيل ألا له الخلق والتدبير في الخلق وقيل له الأمر في الخلق.
[١٥] ع م: ثم قوله.

﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **ادعوا ربكم**، قال بعضهم: **ادعوا**، أي اعبدوا **ربكم**؛ كقوله: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي،[١] ذكر في الابتداء الدعاء[٢] وفي آخره[٣] العبادة، فكان الأمر بالدعاء أمرا بالعبادة. وقال بعضهم: الدعاء هاهنا هو الدعاء. وقد جاء في الخبر[٤] أن «الدعاء مُخّ العبادة»؛[٥] لأن العبادة[٦] قد تكون بالتقليد، والدعاء لا يحتمل التقليد،[٧] ولكن إنما يكون عند الحاجة لما رأى في نفسه من الحاجة إليه[٨] والعجز عن القيام بذلك، فعند ذلك يفزع[٩] إلى ربه، فهو مخ العبادة من هذا الوجه. وقال بعض أهل التأويل في قوله: **ادعوا ربكم**، أي وحّدوا **ربكم**. **تضرعا وخفية**، قيل: [**تضرعا**]: خضوعا، **وخفية**: إخلاصا. وقيل: **تضرعا**: ظاهرا، **وخفية**: سرا. وأصله أن اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة، أو **ادعوا** خاضعين مخلصين.

وقوله عز وجل: **إنه لا يحب المعتدين**، قيل: المجاوزين الحد بالإشراك بالله. وقيل: **لا يحب** الاعتداء في الدعاء، نحو أن يقول: اللهم اجعلني نبيا أو ملكا، أو أنزلني في الجنة منزل كذا وموضع كذا. وروي عن عبد الله بن مُغَفَّل[١٠] [أنه] سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك كذا، فقال له عبد الله: سل الله الجنة وتعوّذ به من النار، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون قوم يعتدون في[١١] الدعاء والطُّهور».[١٢] ويحتمل الاعتداء في الدعاء

---

[١] سورة المؤمن، ٦٠/٤٠.

[٢] ك + الدعاء.

[٣] ع: وفي الآخره.

[٤] ك ع م – في الخبر.

[٥] عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء مخ العبادة»؛ قال الترمذي: هذا حديث غريب (*سنن الترمذي*، الدعوات ٢). وروي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عيه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾»؛ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (*سنن أبي داود*، الوتر ٢٣؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٢).

[٦] ع – لأن العبادة.

[٧] ن: بالتقليد.

[٨] ع م – إليه.

[٩] م: لفزع.

[١٠] ن: معقل.

[١١] م – في.

[١٢] ن ع: والظهور. والحديث في *مسند أحمد بن حنبل*، ٨٦/٤؛ و*سنن أبي داود*، الطهارة ٤٥؛ و*صحيح ابن حبان*، ١٦٦/١٥.

هو أن يسأل ربه ما ليس هو بأهل له، نحو أن يسأل كرامة الأخيار والرسل. وأصل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. وعن الحسن قال في قوله: **ادعوا ربكم تضرعا وخفية**، علّمكم كيف تدعون ربكم، وقال[1] للعبد الصالح حيث[2] رضي دعاءه: إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا.[3] وقال أنس: قال[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل البر كله نصف العبادة، والدعاء نصف العبادة».[5] ومنهم من صرف قوله: **ادعوا ربكم تضرعا وخفية**، إلى الدعاء، وقال: يكره للرجل أن يرفع صوته في الدعاء. ويروون على ذلك حديثا / عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع قوما يرفعون أصواتهم [٢٥٣و] في الدعاء، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا، ولكن[6] [تدعون سميعا بصيرا]».[7]

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٦]

وقوله:[8] **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، قال بعضهم: قوله: **بعد إصلاحها**، بعد ما بعث الرسل بإصلاحها من الدعاء إلى عبادة الله والطاعة، ويأمرون بالحلال وينهون عن الحرام. وقال بعضهم: **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك. ويقال: **بعد إصلاحها**،[9] بعد ما أعطاكم أسبابا تقدرون [بها] على الإصلاح[10] وما به تملكون إصلاحها. وجائز أن يكون المراد بإصلاح الأرض أهلَها، أي **لا تفسدوا** أهلها؛ وهو كقوله: وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[11] والقرية لا توصف بالعُتُو، ولكن أهلها.

---

[1] ك: قال.
[2] ك ن ع - حيث.
[3] سورة مريم، ٣/١٩. روي ذلك عن الحسن بمعناه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٦/٨-٢٠٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٦/٣.
[4] ع + قال.
[5] *الفردوس بمأثور الخطاب* للديلمي، ٤٠/٣. والفردوس معروف باحتوائه على الأحاديث الضعيفة، لا سيما فيما انفرد به. وروي عن ثابت قال: قلت لأنس: يا أبا حمزة، أ بلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٧٩/٢٤.
[6] جميع النسخ + كذا.
[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٠٣/٤؛ وصحيح *البخاري*، الدعوات ٥٠؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٢٦.
[8] ك - قوله
[9] ن - بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال بعد إصلاحها.
[10] ع: على الإصطلاح.
[11] سورة الطلاق، ٨/٦٥.

وقوله عز وجل: **وادعوه خوفا وطمعا**، قال بعضهم: **خوفا** لما كان في العبادة من التقصير، **وطمعا** في التجاوز والقبول؛ لأنه لا أحد يقدر أن يعبد ربه حق عبادته[1] لا تقصير في ذلك.[2] وعلى ذلك روي عن رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل أحد الجنة[4] إلا برحمته». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[5] وعلى ذلك ما روي أن الملائكة يقولون يوم القيامة: ما عبدناك[6] حق عبادتك.[7] ويجب على كل مؤمن أن يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا، الخوف للتقصير والرجاء للقبول. وقال بعضهم: **خوفا** من عذابه ونقمته، **وطمعا** في جنته.

**إن رحمة الله قريب من المحسنين**، قال بعض[8] أهل التأويل: إن الجنة **قريب من المحسنين**، ويقولون: أراد[9] بالقريب الوقوع فيها والنزول. ويحتمل أن يكون المراد بالرحمة صفته، فيكون تأويله: **إن** منفعة **رحمة لله قريب من المحسنين**. وقال الحسن: **إن رحمة الله**، وهي الجنة، **قريب من** الخائفين. وقال بعضهم في قوله: **إن رحمة الله قريب**، أي إجابة الله **قريب** إلى من استجاب دعاءه. ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمته، أي منفعة[10] **رحمة الله قريب** إلى من ذكر.[11] ثم **المحسنين**، يحتمل **المحسنين** إلى أنفسهم، أو **المحسنين** إلى خلقه، أو **المحسنين** إلى نعم الله؛ أي أحْسَنوا صحبة نعمه بالقيام[12] لشكرها واجتناب الكفران بها. أو يريد الموحّدين.

---

[1] م: عبادة.

[2] ن: في عبادته.

[3] ك: عن نبي.

[4] م: الجنة أحد.

[5] صحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ٧٢.

[6] ع: ما عبادناك.

[7] ك ن: العبادة؛ م: عبادك. عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم وملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك. إلا أنّا لم نشرك بك شيئا» (*المعجم الأوسط* للطبراني، ٤٤/٤؛ و*المعجم الكبير* له، ١٨٤/٢). «وفيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٥٨/١٠).

[8] ن ع م - بعض.

[9] م: أرادم.

[10] ن م - رحمته أي منفعة.

[11] ع: ما ذكر.

[12] جميع النسخ: القيام.

وبعد فإن إعادة الشيء في عقول الخلق أهون وأيسر من ابتداء[1] الإنشاء؛ ألا ترى أن الدهرية والثَّنَوِيّة وهؤلاء قد أنكروا الإنشاء لا من شيء، ورأوا وجود الأشياء وخروجها وإعادتها[2]
٢٥٣ظ س ٤] عن أصل وكيان؛ وهو ما ذكر: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[3] أي في عقولكم.*

وقوله عز وجل: **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته**، يذكّرهم عز وجل في هذا حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم على البعث.[4] أما حكمته فيما يرسل الرياح والأمطار ويسوقها إلى المكان الذي يريد أن تمطر[5] فيه [فهو] ما لم يعاينوا ذلك و[ما] شاهدوه [و]ما عرفوا أن كيف يرسل المطر من السماء وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب، ففي ذلك تذكير حكمته إياهم. وأما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح إلى المكان[6] الذي فيه حاجة إلى المطر، فيرسل على ذلك المكان المطر. وذلك من عظيم[7] نعمه عليهم[8] ليُعلَم أن ذلك كان برحمته، لا أنهم كانوا مستوجبين لذلك. وأما ما ذكّرهم من قدرته هو ما ذكر من إحياء الأرض بعد ما كانت[9] ميتة ليُعلَم أن الذي قدر على إحياء الأرض وإخراج النبات والثمر [منها] بعد ما كانت ميتة[10] لقادر على إحياء الموتى وبعثهم بعد موتهم، على ما قدر على إحياء الأرض بالنبات وإحياء النخل بالثمار بعد ما كان[11] علم كل أن لا نبات فيها ولا ثمار فيها.[12] فإذا خرج النبات منها والثمار من النخيل على ما خرج في العام الأول دل ذلك على وحدانيته[13] وقدرته على إحياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على ما[14] قدر على[15] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[1] ع: في ابتداء.
[2] ك ن + لا.
[3] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ٢٥٣و/سطر ٣٣ - ٢٥٣ظ/سطر ٤.
[4] جميع النسخ: بالبعث.
[5] ع م: أن يمطر.
[6] ع: إلى مكان.
[7] ن: من عظم.
[8] م - عليهم.
[9] ع م: ما كان.
[10] جميع النسخ: كان ميتا.
[11] ك ن - كان.
[12] جميع النسخ: فيه.
[13] م: وحدانية.
[14] ن ع م - ما.
[15] ع م - على.

وفي قوله: **بين يدي رحمته**، دلالة أن لا نفهم[١] من اليدين الجارحتين على ما يُفهَم[٢] من الخلق، كما لم يفهم أحد بذكر اليد في المطر الجارحة، لأنه لا جارحة له؛ فعلى ذلك لا يُفهَم من ذكر اليد له الجارحة من قوله: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ.[٣] وكذلك قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[٤] لم يُفهَم من قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، الجارحة، لأنه لا جارحة[٥] للقرآن؛ فعلى ذلك لا يُفهَم مما ذكر من[٦] [اليدين المضافتين إلى الله عز وجل][٧] الجارحة، ومن فهم ذلك فإنما يفهم لفساد في اعتقاده. وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء إلى السماء لا يُفهَم منه ما يُفهَم[٨] من استواء الخلق، لأنه بريء عن جميع مَشَابِهِ[٩] الخلق ومعانيهم، وهو ما وصف[١٠] [نفسه] حيث قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١١] *

**﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خَبُث لا يخرج إلا نَكِدا**، ذكر المَثَل ولم يذكر المضروب به،[١٢] وأهل التأويل قالوا: ضرب المثل للمؤمن والكافر. ثم يحتمل ضرب المثل وجوها. أحدها أنه وَصَف الأرض التي **يخرج** منها[١٣] النبات بالطيب،[١٤] ووصف الأرض التي **لا يخرج** منها النبات بالخبث. فعلى ذلك المؤمن لِما كان منه من الأعمال من الطاعة لربه والائتمار لأمره موصوف هو بالطيب[١٥] وجَعَلَه من جوهر الطيب،

---

[١] ن ع: لأنفسهم.
[٢] ن ع م: عى ما تفهم.
[٣] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٤).
[٤] ﴿لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).
[٥] م – لأنه لا جارحة.
[٦] جميع النسخ + بين يديه.
[٧] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧ظ.
[٨] ع م – منه ما يفهم.
[٩] مَشَابِه جمع شَبَه على غير قياس (*لسان العرب* لابن منظور، «شبه»).
[١٠] ن م: ما وصف؛ ع: ما صف.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/١١.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ٢٥٣و/سطر ٣٣ – ٢٥٣ظ/سطر ٤.
[١٢] ن ع م – به.
[١٣] ع: بها.
[١٤] ك: الطيب.
[١٥] ن: به بالطيب.

والكافر لِما يكون منه الأعمال الخبيثة ولا يكون له من الأعمال الصالحة من الطاعة لربه خبيث، كما أن الأرض التي **يخرج** منها النبات الذي يُنتفَع به موصوف بطِيب الأصل والجوهر، والتي **لا يخرج** منها[1] النبات ولا يُنتفَع به موصوف بخُبُث[2] الأصل. وأمكن أن يكون من وجه آخر، وهو أن الله تعالى جعل هذا القرآن مباركا شفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب، ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة. فإذا نزل ذلك[3] الماء المبارك في الأرض الطيبةِ الجوهرِ خرج منها النبات والأنزال[4] [التي] يُنتفَع بها. وإذا[5] نزل في الأرض السَّبِخة[6] الخبيثة الجوهرِ لم يخرج لخبث[7] أصلها. فعلى ذلك هذا القرآن هو مباركٌ شفاءٌ، فيسمعه[8] المؤمن فيتبعه ويعمل به، والكافر يسمعه ولا يتبعه ولا يعمل به. فصار مثل المؤمن الذي يسمع هذا القرآن و يتبعه ويعمل بما فيه كمثل[9] الماء الذي يدخل في الأرض فيخرج منه النبات لطيب جوهرها وأصلها، والكافر مَثَل الأرض[10] التي لا يخرج منها[11] النبات لخبث أصلها وجوهرها. وأصله أنه ضَرَبُ مَثَل الذي هو مُستحسَن بالعقل بالذي[12] هو مُستحسَن بالطبع، لأن ما حَسُن في الطبع فإنما معرفته حِسِّي، وما حَسُن في العقل فإنما يُعرَف حُسنه بالدلائل، وهو غائب. فضرب مَثَل [ما] معرفةُ حُسنِه بالعقل[13] وهو غائب بالذي معرفةُ حُسنِه بالحِسِّ والمشاهدة.[14] فالإيمان حُسنه غائب، ضرب مثله بالذي طريقُ معرفةِ حُسنِه[15] بالحِسّ[16] والمشاهدة،

---

[1] ن: منه.

[2] ع م: بخبيث.

[3] ن - ذلك.

[4] الأنزال جمع نُـزُل، وهو ما يُهيأ للنَّزيل أي الضيف، ويستعمل بمعنى القوت والغذاء (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

[5] م: وإنا.

[6] ن ع: السنجة. السبخة هي الأرض المالحة التي لا تنبت (*لسان العرب* لابن منظور، «سبخ»).

[7] ع: لخبيث.

[8] جميع النسخ: فيسمع.

[9] ك ن ع: فمثل.

[10] ك ن ع: والكافر بالأرض.

[11] ع: منه.

[12] ع: الذي.

[13] ن: العقل.

[14] ك ن: حسي ومشاهدة.

[15] ع - بالعقل وهو غائب بالذي معرفة حسنه بالحس والمشاهدة فالإيمان حسنه غائب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه؛ م - وهو غائب بالذي معرفة حسنه بالحس والمشاهدة فالإيمان حسنه غائب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه.

[16] ن ع م: بالحسن.

وهو ما ذكر[١] من النبات الذي يخرج من الأرض، وذلك يدل على طيب أصلها وجوهرها، والذي لا يُخرِج شيئا هو[٢] لخبث جوهرها وأصلها؛ فعلى ذلك المؤمن والكافر. ثم حُسْن عمل هذا وطِيبه وقُبح عمل الآخر وخُبثه إنما يظهر في الآخرة، وذلك يوجب البعث؛[٣] لأنهما[٤] جميعا استويا في هذه الدنيا، فدل أن[٥] هنالك دارا أخرى فيها يظهر الطيّب من الخبيث. طاب عمل المؤمن وجميع ما يكون منه حُسْنا لطيب أصله، وخَبُث عمل الكافر وقَبُح ما يكون منه لخبث أصله كالأرض التي ذكر.

وقوله عز وجل: **بإذن ربه**، يحتمل: بعلمه وتكوينه. وقوله[٦] عز وجل: **إلا نَكِدا**، قال الحسن: خبيثا، أي **لا يخرج إلا** خبيثا. وقال أبو بكر: **نَكِدا**، أي لا منفعة فيه. وقيل: إلا عسيرا؛[٧] وقيل: إلا قليلا؛ وهو واحد. وقوله[٨] عز وجل: **كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون**، أي **لقوم** ينتفعون بالآيات.

**﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[٥٩]

وقوله[٩] عز وجل: **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه**، كما أرسلناك إلى قومك، ولست أنت بأول رسول؛ كقوله: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ.[١٠] وفيه دلالة أن الإيمان بالأنبياء والرسل يصح[١١] وإن لم يُعرَف[١٢] أنسابهم؛ لأن الله عز وجل ذكر الأنبياء والرسل بأساميهم ولم يذكر أنسابهم، دل ذلك أن الإيمان يكون بهم إيمانا[١٣] وإن لم يُعرَف أنسابهم.

[١] ع: وهو ما ذكرنا.
[٢] ع م – هو.
[٣] ع م: البعض.
[٤] ع م: أنهما.
[٥] ن – أن.
[٦] ك – قوله.
[٧] ك ن: إلا عسرا.
[٨] ك – قوله.
[٩] ك – قوله.
[١٠] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.
[١١] جميع النسخ: يصح بالأنبياء والرسل.
[١٢] ن: إن لم يعرف.
[١٣] ع م – إيمانا.

وكذلك يصح الإيمان وإن لم يُعرَف أسماؤهم، لأن من[1] الأنبياء من لا يُعرَف اسمه، فيصح الإيمان بجملة الأنبياء وإن لم يُعرَف أسماؤهم. وفي ذلك دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن رسالة نوح، فدل أنه بالله عرف ذلك.

وقوله عز وجل: **[فقال يا قوم] اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قيل: قوله: **اعبدوا الله**، أي وحّدوا الله، سَمَّوا العبادة توحيدا،[2] لأن العبادة[3] لا تكون ولا تصح إلا بالتوحيد فيها لله خالصا، سُمِّي بذلك مجازا. ويجوز[4] أن تكون[5] العبادة[6] عبادة. وقوله عز وجل: **ما لكم من إله غيره**، أي **ما لكم من الإله**[7] الحقّ الذي ثبتت[8] ألوهيته وربوبيته بالدلائل والبراهين[9] **من إله غيره**.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، قال بعضهم: **إني أخاف**، أي إني أعلم أن ينزل **عليكم عذاب يوم عظيم** إن مُتُّم على هذا. وقال بعضهم: الخوف هو الخوف، وهو خوف إشفاق. وذلك يحتمل أن يكون في الوقت الذي كان يطمع إيمان قومه، ثم آيسه الله عن إيمان قومه بقوله: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[10] وقوله عز وجل: **عذابَ يومٍ عظيم**، هو يوم عظيم للخلق، كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[11] وهو عظيم للخلق على ما وصف.

**﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٦٠]**

وقوله عز وجل: **قال الملأ من قومه**، هم أشراف قومه وسادتهم، كقوله: إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا،[12] الآية. وكانوا هم أضداد الأنبياء والرسل، / لأنهم كانوا يدعون الناس [٢٥٤و]
إلى ما يوحي إليهم الشياطين، والرسل كانوا يدعون إلى ما يوحي إليهم الله وينزل عليهم.

---

[1] ع م – من.
[2] م: التوحيد عبادة.
[3] ع – توحيدا لأن العبادة.
[4] م – ويجوز.
[5] ن ع م: أن يكون.
[6] ع م – العبادة.
[7] ك ن ع: من إله.
[8] ع م: ثبت.
[9] ع م – والبراهين.
[10] ﴿وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تَبْتَئِسْ بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[11] سورة المطففين، ٨٣/٥-٦.
[12] ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٧/٣٣).

لذلك قالوا: **إنا لنراك في ضلال مبين**؛ لأنهم ظنوا أن ما أوحى[1] إليهم الشيطان هو الحق، وأن ما يدعو[2] إليه الرسل هو ضلال وباطل.

*ويحتمل قوله: **إنا لنراك في ضلال مبين**، أي لفي خطأ **مبين**. ثم يخرج على وجهين. [٢٥٤و س٥
أحدهما نسبوه إلى الخطأ لما رأوه خالف[3] الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم.
والثاني نسبوه إلى الخطأ لأنه ترك[4] دين آبائه وأجداده. ***والله أعلم***.* ٢٥٤و س٧]

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم ليس بي ضلالة**، أي لست[5] أنا بضال؛ لأنه[6] إذا نفى الضلال عنه نفى أن يكون ضالا. وهو حرف رِفْق ولِين؛ وعلى ذلك أمر الأنبياء والرسل أن يعاملوا قومهم، لأن ذلك أنجع في القلوب وإلى القبول[7] أقرب. **ولكني رسول من رب العالمين**، والعالم هو جوهر الكل.*

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **أبلّغكم رسالات ربي**، رسالته التي أمرني بتبليغها إليكم، قَبِلتم أو رددتم، أَوْعَدتم أو وَعَدتم،[8] لأني أبلغها على أي حال استقبلتموني. أو يقول: **أبلغكم رسالات ربي**، رسالته[9] التي أرسلها إليّ.* ثم أخبر أنه يبلغهم **رسالات** ربه،[10] ولم يبيّن فيما ذا: في كتاب أنزله عليه أو بوحي[11] [٢٥٤و س١٣
في غير كتاب يوحي إليه؟ وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى[12] التصديق له فيما يبلغ إليهم.* ٢٥٤و س١٤]

---

[1] ن ع: انما اوحى.
[2] جميع النسخ: ما يدعون.
[3] ع: مخالف.
[4] ن: نزل؛ ع م – ترك.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ٥-٧.
[5] ع م: ليست.
[6] ع: أنه.
[7] ك: وإلى القلوب.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ٥-٧.
[8] ع م – أو عدتم أو وعدتم.
[9] ن ع: رسالة.
[10] جميع لنسخ: ربي.
[11] ع: أو يوحي.
[12] ن – سوى.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ١٣-١٤.

وقوله عز وجل: **وأنصح لكم**، يحتمل قوله: **أنصح لكم**، أي أدعوكم وآمُركم إلى ما فيه صلاحكم، وأنهاكم عما فيه فسادكم. والنصيحة[١] هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد. ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «ألا إن الدين النصيحة». قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله [ولكتابه] ولرسوله [ولأئمة المسلمين وعامتهم]».[٢] قال الشيخ أبو القاسم الحكيم[٣] رحمه الله: النصيحة هي النهاية مِن صِدق العناية.[٤]*

وقوله عز وجل: **وأعلم من الله ما لا تعلمون**، قد أتاه من الله العلم بأشياء[٥] ما لم يأت أولئك[٦] مثله، وهو كقول إبراهيم صلوات الله عليه لأبيه: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي.[٧] ويحتمل قوله: **وأعلم من الله**، من العذاب أنه ينزل بكم **ما لا تعلمون** أنتم إذا دمتم على ما أنتم عليه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٣]

وقوله: **أَوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم [على رجل منكم]**، أي تعجبون بما **جاءكم ذكر من** الله **على** يدي **رجل منكم** ما لا أقدر[٨] أنا ولا تقدرون أنتم على مثله. كانوا يعجبون وينكرون أن يكون[٩] رسل الله من البشر بقولهم: مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً،[١٠] ونحو[١١] هذا. كانوا ينكرون رسالة البشر.

---

[١] ك: والتصبحة.

[٢] *صحيح مسلم*، الإيمان ٩٥؛ *وسنن أبي داود*، الأدب ٤٩؛ *وسنن الترمذي* البر والصلة ١٧.

[٣] لعله أبو القاسم الحكيم إسحاق بن محمد بن إسماعيل السمرقندي، من أبرز أصحاب وتلاميذ الإمام الماتريدي، ومن أوائل علماء الماتريدية. تولى القضاء في سمرقند مدة طويلة. له مؤلفات في قضايا العقيدة وكلام كثير من الحكمة. توفي سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م. انظر: *تبصرة الأدلة* للنسفي، ١/٣٥٧-٣٥٨؛ *الجواهر المضية* للقرشي، ١/٣٧١-٣٧٢.

[٤] م: الغاية.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ١٣-١٤.

[٥] م: بأنباء.

[٦] ك ن: بأولئك.

[٧] سورة مريم، ١٩/٤٣.

[٨] ع - أقدر.

[٩] م: أني يكون.

[١٠] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤.

[١١] م + ذلك.

وما ينبغي لهم أن ينكروا ذلك؛ لأنهم قد كانوا رأوا تفضيل بعض البشر على بعض، وفي وَضْعِ الرسالة فيهم، أعني في الرسل، تفضيلُهم، وذلك قد رأوا فيما بينهم. ولله تفضيل بعضهم على بعض؛ إذ له[1] الخلق والأمر، ولكل[2] ذي مُلك وسلطان أن يصنع في ملكه ما شاء من تفضيل بعض على بعض وغيره. أو يقول: قد **عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على** يدي **رجل منكم**، ولو كان جاء الذكر على من هو من غير جوهركم كان في ذلك لَبْس واشتباه عليكم.

وقوله[3] عز وجل: **لينذركم**، عذاب الله، **ولتتقوا**، معاصيه، **ولعلكم تُرحمون**، إن اتقيتم ما نهيتكم[4] عنه،[5] أو كان في قومه من يجوز أن يُرحَم.

**﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **فكذبوه**، يعني نوحا فيما[6] دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته[7] ونهاهم عن عبادة غير الله. أو كذّبوه فيما أتاهم من آيات نبوته ورسالته.[8]

وقوله[9] عز وجل: **فأنجيناه**، يعني نوحا، **والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا**، إذا كان إهلاك[10] القوم إهلاك[11] تعذيب وعقوبة يُنجي أولياءه، ويُبقيهم[12] إلى الآجال التي قدّر لهم، ويكون ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب الذي حلّ بالأعداء.

وقوله[13] عز وجل: **كذبوا بآياتنا، أي بآياتنا**[14] التي جعلناها[15] لإثبات رسالته ونبوته.[16]

---

[1] ع: أذلة.
[2] ك – ولكل.
[3] ك – قوله.
[4] ك: ما نهاكم.
[5] ك – عنه.
[6] ع م – فيما.
[7] ع: ووحدانية.
[8] م: ورسالاته.
[9] ك – قوله.
[10] ن: هلاك.
[11] ع – إهلاك؛ م – القوم إهلاك.
[12] ن: ويبقي.
[13] ك – قوله.
[14] م – أي بآياتنا.
[15] جميع النسخ: جعلناه.
[16] ن + ويحتمل كذبوا بآياته أي بآياتنا التي جعلناه لإثبات رسالته ونبوته.

ويحتمل **كذبوا بآياتنا**، التي أعطيناه[1] لوحدانية الله وألوهيته. **إنهم كانوا قوما عمين**، عَمُوا عن الحق.

**﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَ فَلَا تَتَّقُونَ﴾**[٦٥]

وقوله[2] عز وجل: **وإلى عاد أخاهم هودا**، أي أرسلنا **هودا** إلى عاد.[3] وهو على ما ذكر في نوح، وهو قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ،[4] فعلى ذلك قوله: **وإلى عاد أخاهم هودا**، أي **إلى عاد** أرسلنا **هودا**. ثم تحتمل[5] الأخوّة وجوها أربعة: أخوّة النسب، وأخوّة الجوهر -وهو [كما][6] يقال: هذا أخو[7] هذا[8] إذا كان من جوهره، ولا يقال ذلك في غير جوهره-[9] وأخوّة المودة والمحبة، وأخوّة الدين. ثم لم يكن بين هود وقومه أخوّة الدين ولا أخوّة المودة؛ لكن يحتمل أخوّة النسب، لأن البشر على بُعْدٍ مِن آدم كلهم أولاده. فإذا كانوا كذلك فهم فيما بينهم بعضُهم إخوةُ بعضٍ، كأولاد رجل واحد يكون بعضُهم إخوةَ بعضٍ. أو أخوّة الجوهر على ما ذكرنا، يقال: هذا أخو[10] هذا، إذا كان من جنسه وجوهره. فهذين الوجهين[11] يحتمل،[12] والوجهان الآخران لا.

وقوله[13] عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، أي **اعبدوا الله**، الذي يستحق العبادة، و **ما لكم**[14] **من إله غيره**، أي ليس لكم مِن معبودٍ سِواه، وهو المعبود في الحقيقة. وقوله[15] عز وجل: **أفلا تتقون**، عبادة غير الله. أو **أفلا تتقون** الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا. أو أن يقول: **أفلا تتقون**، عذاب الله ونقمته عليكم بمخالفتكم إياه.

---

[1] م: أعطينا.
[2] ك - قوله.
[3] ع: أي عاد.
[4] سورة الأعراف، ٧/٥٩.
[5] ن ع م: ثم يحتمل.
[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.
[7] ن ع: أخ؛ م - أخو.
[8] ن ع م - هذا.
[9] ك - وأخوة الجوهر وهو كما يقال هذا أخو هذا إذا كان من جوهره ولا يقال ذلك في غير جوهره.
[10] جميع النسخ: أخ.
[11] ع: فهذه الوجهين.
[12] ك: تحتمل.
[13] ك - قوله.
[14] م: ما لكم.
[15] ك - قوله.

**﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين كفروا من قومه**، قد ذكرنا قوله: ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِۦ،[١] أي أشراف / قومه وسادته.[٢] **إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين**، ذكر[٣] هاهنا [٢٥٤ظ] ظنهم في تكذيبهم الرسول، وفي موضع[٤] آخر قطعوا في التكذيب، وهو قوله: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ،[٥] فكان قوله: **وإنا لنظنك من الكاذبين**، في ابتداء ما دعاهم[٦] إلى عبادة الله ووحدانيته. كانوا على ظَنٍّ فيه لما كان عندهم صَدوقا أمينا قبل دعائهم إلى ما دعاهم. فلما أن أقام عليهم آيات الرسالة والنبوة، وأظهر عندهم عيب ما عبدوا غير الله وأبطله، وتحقّق ذلك عندهم، عند ذلك قالوا: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ؛ ليُعلَم أنهم عن عنادٍ كذّبوا الرسل.

**﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٧]**

**قال يا قوم ليس بي سفاهة**؛ إن الرسل صلوات الله عليهم كانوا أُمروا أن يعاملوا الخلق بأحسن معاملة،[٧] وهو على ما أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ،[٨] الآية،[٩] وقال له:[١٠] اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ،[١١] ونحوه.[١٢] فعلى ذلك الرسل الذين كانوا مِن قَبْل كانوا مأمورين بذلك؛ لذلك[١٣] قال لهم هود لمَاّ تلقّوه بالتكذيب والتسفيه، **قال ليس بي** ما تقولون[١٤] وتنسبوني إليه، **ولكني رسول من رب العالمين**.

---

[١] سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[٢] ع: وساداته.
[٣] ن - ذكر.
[٤] م: في موضع.
[٥] سورة المؤمنون، ٣٨/٢٣.
[٦] ن ع م: ما ادعاهم.
[٧] ع: معالمة.
[٨] ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف، ١٩٩/٧).
[٩] ن ع م - الآية.
[١٠] ك - قال له؛ ن ع م: وقوله.
[١١] سورة المؤمنون، ٩٦/٢٣.
[١٢] ع: نحوه.
[١٣] ن - لذلك.
[١٤] ن: بي سفاهة.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٦٨]

**أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين**، أي أدعوكم إلى وحدانية الله وعبادته والتمسّك بالدين الذي به نجاتكم. وكلُّ مَن دعا آخرَ إلى ما به نجاته فهو **ناصح** له. أو يحتمل[١] قوله: **وأنا لكم ناصح أمين**، أي كنت ناصحا[٢] لكم قبل هذا، أمينا[٣] فيكم، فكيف تكذّبونني وتنسبونني[٤] إلى السَّفَه، وأنا **أمين** على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي. وقوله عز وجل: **أبلغكم رسالات ربي**،[٥] شئتم أو أبيتم.[٦] أو يقول: **أبلغكم رسالات ربي**، خوّفتموني أو لم تخوّفوني، قبلتم عني أو لم تقبلوا.[٧] أو يقول:[٨] **أبلغكم رسالات ربي**، فكيف تنسبونني إلى السَّفَه والافتراء على الله.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**، يحتمل قوله: **اذكروا إذ جعلكم خلفاء**، وجوها. أحدها أنه **جعلكم خلفاء** قومٍ أهلكهم بتكذيبهم[٩] الرسول، ولم يُهلككم،[١٠] فاحذروا أنتم هلاككم بتكذيبكم الرسول كما أهلك أولئك بتكذيبهم الرسول.[١١] أو أن يقال: **جعلكم خلفاء** قومٍ صدّقوا رسولا من البشر، وهو نوح، فكيف كذّبتموني في دعواي[١٢] الرسالة -لأنيّ بشر- ودعائي[١٣] إلى عبادة الله ووحدانيته؟ هذا تناقض.

والثاني أن **اذكروا** نوحا، وهو كان رسولا من البشر، فكيف تنكرون أن يكون الرسول من البشر، وكان الرسل جميعا من البشر؟[١٤]

---

[١] م: ويحتمل.
[٢] ع: منصحا.
[٣] جميع النسخ: أمين.
[٤] ك: وتكسبونني.
[٥] ك – إلى السفه وأنا أمين على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي وقوله عز وجل أبلغكم رسالات ربي.
[٦] ع: شئتم أوتيتم.
[٧] ن: ولم تقبلوا.
[٨] ع: أو يقولوا.
[٩] ك: تكذيبهم.
[١٠] ك: ولم يهلكهم.
[١١] ن ع: الرسل.
[١٢] جميع النسخ: دعوى؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.
[١٣] ع: ودعاني.
[١٤] ع – من البشر.

والثالث أن **اذكروا** نعمه[1] التي أنعمها عليكم من السعة في المال والقوة في الأنفس وحسن الخِلقة والقامة. وكان لِعَادٍ ذلك كلُّه، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ،[2] الآية، هذا في السعة في المال. وأما القوة[3] في الأنفس والقامة ما ذكر في قوله: فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ،[4] وقوله: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ.[5] فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة. وعلى ذلك فسّر بعض أهل التأويل[6] قولَه:[7] **وزادكم في الخلق بسطة**، يعني قوة وقدرة. وقال غيره: هو الطُّول والعِظَم في الجسم. ذكر الله تعالى في عاد أشياء ثلاثة،[8] خصّهم بها مِن بين غيرهم. أحدها العِظَم في النفس، كقوله: **وزادكم في الخلق بسطة**؛ والقوة، بقوله:[9] مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؛[10] والسعةُ في الأموال، بقوله: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ] بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ؛ وفَضْلُ[11] العِلم[12] بقوله: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ.[13]

وقوله عز وجل: **فاذكروا آلاء الله**، قال بعضهم: الآلاء هو في دفع البلايا، والنَّعْماء هو في سَوْق النَّعماء إليه. ولكن هما واحد، لأنه ما من بلاء يُدفع عنه إلا وفي ذلك سَوْق نعمةٍ أُخرى[14] إليه؛ ولأن الله تعالى [عِندما] ذكر في سورة الرحمن الآلاء في جميع[15] ما ذكر

---

[1] م: نعمته.

[2] ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يُخلَق مثلها في البلاد﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٦-٨).

[3] ك: وأما في القوة.

[4] ﴿وأما عادٌ فأُهلكوا بريح صَرصَرٍ عاتية. سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسُوما فترى القوم فيها صَرعَى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧).

[5] ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صَرصَرا في يومِ نَحْسٍ مُستمِرّ. تَنزِعُ الناس كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقَعِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١٩-٢٠).

[6] ن: أهل التفسير.

[7] ن ع م: وقوله.

[8] ذكر المؤلف أربع صفات لقوم عاد، ولكن الصفة الرابعة وهي فضل العلم ليست خاصة بهم، لأن الآية ذكرت قوم ثمود أيضا معهم.

[9] ن ع م: فقوله.

[10] ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ (سورة فصلت، ٤١/١٥).

[11] ع: فضل.

[12] ك - العلم.

[13] ﴿وعادًا وثمودَ وقد تبيّن لكم مِن مَساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مُستبصِرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٣٨).

[14] جميع النسخ: اجرى؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.

[15] جميع النسخ: بجميع.

إنما ذكر على سَوْق النعم إليه بقوله:[١] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.[٢] حيث قال: اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[٣] إلى آخر[٤] ما ذكر[٥] من السورة، وهو دِكْرُهُ[٦] في سَوْق النعم لا في دفع البلايا.

وقوله عز وجل: **لعلكم تفلحون**، أي **تفلحون** إن ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها و لم تصرفوا عبادتكم وشكركم إلى غيره. أو يقول: لكي يلزمكم الفلاح. أو حتى تكونوا من أهل الفلاح.

**﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا**، هذا[٧] يدل[٨] أن رسالته التي يبلّغها إليهم في دعائه إياهم إلى عبادة الله وحده[٩] وتركِهم عبادةَ[١٠] مَن دونه، حيث **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا**، ولا شك[١١] أنه إنما جاءهم ليعبدوا الله وحده، وجاءهم ليذروا ما كان يعبد آباؤهم. ثم في فعلهم تناقض، لأنهم كانوا ينكرون أن يكون من البشر رسولٌ[١٢] بقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ[١٣] مِمَّا تَشْرَبُونَ،[١٤] لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بإلٰهِيّة الأحجار والخشب. ثم يقلّدون آباءهم في عبادتهم غير الله، وفي آبائهم مَن يَعبد الله لا يعبد غيره، وهم الذين نجوا[١٥] مع نوح،

---

[١] ك ع م: قوله.

[٢] سورة الرحمن، ١٣/٥٥. وقد تكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن.

[٣] سورة الرحمن، ١/٥٥-٤.

[٤] م - آخر.

[٥] ن - عبى سوق النعم إليه بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان حيث قال الرحمن عم القرآن خلق الإنسان علمه البيان إلى آخر ما ذكر.

[٦] م: ما ذكر.

[٧] ن - هذا.

[٨] ع - يدل.

[٩] ك - وحده.

[١٠] ن: عبادت.

[١١] ك - ولا شك.

[١٢] ك ن: رسولا.

[١٣] ع م - رسولا بقولهم ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب.

[١٤] سورة المؤمنون، ٣٣/٢٣.

[١٥] م - نجوا.

فكيف لم يقلّدوا مَن نجا منهم و لم يعبدوا غير الله دون أن قلّدوا الذين عبدوا غير الله؟ فذلك تناقض حيث اتّبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسول[١] وعبادتهم غير الله،[٢] و لم يتبعوا من نجا منهم. يَذكر عز وجل سَفَههم وتناقضهم في القول في إنكارهم الرسول من البشر، ولكن ذَكَر سَفَههم وتناقضهم بالتعريض / لا بالتصريح. وكذلك عامة ما ذكر في كتابه مِن سَفَهِهم إنما ذكر بالتعريض. [٢٥٥و]

وقوله عز وجل: **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**، أنه كان يَعِدهم[٣] العذاب إن لم يصدّقوه فيما يدعوهم[٤] إليه ويتركوا[٥] تقليدهم آباءهم في عبادتهم غير الله.

**﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾**[٧١]

وقوله عز وجل: **قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب**، قال بعضهم: الرجس العذاب، أي قد وجب[٦] عليكم العذاب بتكذيبكم[٧] هودا أو تقليدكم آباءكم في عبادتكم غير الله. **وغضب**، وهو العذاب أيضا. وجائز أن يكون الرجس هاهنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة، أي **قد وقع عليكم** ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم. وقال بعضهم: الرجس هو الإثم والخبث، كقوله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ،[٨] وقوله: رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،[٩] وقوله [صلى الله عليه وسلم]: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النَّجِس الخبيث المُخبِث[١٠] الشيطان الرجيم».[١١]

---

[١] ع م: الرسل.
[٢] ع - غير الله.
[٣] ع م: يعد.
[٤] ن - فيما يدعوهم.
[٥] ك ن م: وترك؛ ع: وتر؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و.
[٦] ك: قد وقع؛ ع م: وقد وجب.
[٧] م: بتكذيبهم.
[٨] سورة الحج، ٢٢/٣٠.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٠).
[١٠] جميع النسخ + من.
[١١] روي ذلك مرفوعا من عدة طرق على أنه دعاء يقرأ قبل دخول الخلاء؛ انظر: *سنن ابن ماجة*، الطهارة ٩؛ و*المراسيل* لأبي داود، ٧٢؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ١/٢٩٧. وروي موقوفا على ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/١١.

وقوله عز وجل: **أتجادلونني في أسماءٍ سَمَّيتموها**، ومجادلتهم ما قالوا: أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ.[1] ويحتمل **في أسماء**، أي بأسماء **سميتموها**.

وقوله عز وجل: **ما نزّل الله بها من سلطان**، قيل: حجة، أي لم ينزّل لهم حجة في عبادتهم غير الله. وقيل: السلطان هاهنا العذر،[2] أي لم ينزل لهم عذرا في ذلك. وقوله عز وجل: **فانتظروا**، أي انتظروا أنتم وعد الشيطان، **إني معكم من المنتظرين**، وَعْدَ الرحمن.

وقوله عز وجل: **ما نزّل الله بها من سلطان**، أي من حجة في تسميتهم الأصنام التي عبدوها دون الله ما سمّوها آلهة وشفعاء ونحوه. كأنهم إنما جادلوه في تسميتهم آلهة وشفعاء، وأنْ ليس[3] لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله، ولا في إشراكهم غيره في العبادة والألوهية. **فانتظروا**، قال الحسن: انتظروا أنتم مَواعِد الشيطان، **إني معكم من المنتظرين**، لمواعد الله.

**﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **فأنجيناه**، يعني هودا، **والذين معه برحمة منا**، أنَّ[4] مِن حُكم[5] الله أنه إذا أهلك[6] قوما إهلاك تعذيب استأصلهم وأنجى أولياءه ونصرهم. وقوله عز وجل: **برحمة منا**، يحتمل[7] برحمته[8] التي [بها] هَداهم عز وجل، ولو لا رحمته ما اهتدوا، لكنه رحمهم فهداهم، فبرحمته اهتدوا. ويحتمل أنه إنما[9] أنجاهم من العذاب برحمة منه، وإلا كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب، لكنه أنجاهم برحمته[10] وفضله.[11] *والله أعلم*. وفيه أنّ من[12] نُجّي إنما نُجّي[13] برحمته وفضله وإن كان رسولا،[14]

---

[1] الآية السابقة.
[2] جميع النسخ: عذر.
[3] ك: او أن ليس.
[4] أي لأن.
[5] ع: أي من حكم.
[6] م: إذا هلك.
[7] ك + قوله برحمة منا؛ ن – يحتمل؛ ع م + قوله.
[8] ك: برحمة.
[9] ع م – إنما.
[10] ك: برحمة منه؛ ن: برحمة.
[11] ك ن ع: وفضل.
[12] ع – من.
[13] م – إنما نجي.
[14] ك: وإن كان هو.

لا[١] باستيجاب النجاة منه.[٢] وهو ما روي حيث قال: «لا يدخل أحد الجنة[٣] إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[٤]

وقوله عز وجل: **وقَطَعْنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا**، قيل: **دابر الذين كذبوا**، أي أواخر **الذين كذبوا** آياته. أي استأصلهم فلم يَبْقَ منهم أحد. وقيل: **دابر الذين كذبوا**،[٥] أي أصل **الذين كذبوا بآياتنا**. و لم يبين لنا آياته[٦] التي أعطاها[٧] هودا، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة[٨] سوى ما أخبر أنّ ما حلّ بهم من العذاب إنما حلّ بتكذيبهم الرسول، وذلك كان سُنّته وحُكمه[٩] في الأمم السالفة.

**﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **وإلى ثمود أخاهم صالحا**، قد ذكرنا[١٠] أنه صلة قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ،[١١] كأنه قال: **و أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا**. وقوله عز وجل: **أخاهم**، قد ذكرنا[١٢] أنه[١٣] تحتمل[١٤] الأخوّة وجوها أربعة: أخوة النسب، وأخوة الجوهر والشكل –على ما يقال: هذا أخو هذا،[١٥] إذا كان من جوهره وشكله– وأخوة المودة والخُلّة، وأخوة الدين.

---

[١] م – لا.
[٢] ك ن م: منه النجاة؛ ع: من النجاة.
[٣] م: الجنة أحد.
[٤] صحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ٧٢.
[٥] ع م – قيل دابر الذين كذبوا أي أواخر الذين كذبوا آياته أي استأصلهم فلم يبق منهم أحد وقيل دابر الذين كذبوا.
[٦] ع: آية.
[٧] ن ع م: أعطى.
[٨] ع – حاجة.
[٩] ن ع م: سنة وحكمة.
[١٠] لعله يقصد ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ (سورة الأعراف، ٦٥/٧)، فالأسلوب واحد في الآيتين.
[١١] سورة الأعراف، ٥٩/٧.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٥/٧.
[١٣] الهاء ضمير الشأن.
[١٤] ن ع م: يحتمل.
[١٥] ن: أخو بد.

ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من أخوة صالح[١] في النسب أو في الجوهر على ما ذكرنا في هود، ولا يحتمل أن يكون في المودة والدين. وأما أخوة النسب فإنه يحتمل[٢] لما ذكرنا[٣] أن بني آدم كلهم إخوة وإن بَعُدوا، لأنهم كلهم من أولاد آدم.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قد ذكرنا[٤] أن الرسل بأجمعهم صلوات الله عليهم إنما بُعِثوا ليدعوا الخلق إلى وحدانية الله والعبادة له، وأنْ لا[٥] معبودَ سواه يستحق العبادة من الخلق.

وقوله عز وجل: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، قيل فيه بوجهين. قيل: **بينة من ربكم**، ما ذكر من الناقة التي جعلها الله[٦] آية لرسالة صالح؛ وهو قوله:[٧] **هذه ناقة الله لكم آية**. وقيل: **بينة من ربكم**، آيات ظهرت لهم على لسان صالح وجَرَت على يديه مما يدل[٨] على رسالة صالح ونبوته، لكنهم كابروا تلك الآيات في التكذيب وعاندوا.

وقوله عز وجل: **هذه ناقة الله لكم آية**، وَجْه تخصيص إضافة تلك الناقة إلى الله يحتمل وجوها وإن كانت النُوق كلها لله في الحقيقة. أحدها لِما خُصّت تلك بتذكير عبادة[٩] الله[١٠] تعالى إياهم ووحدانيته[١١] تعظيما لها. على ما خُصّت المساجد بالإضافة إليه بقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[١٢] لِما جُعلت تلك البقاع لإقامة عبادة الله، فخُصّت بالإضافة إليه تعظيما لتلك البقاع. فعلى ذلك هذه الناقة قد[١٣] خُصّت بالإضافة إليه[١٤] لِما جعلها الله آية من آياته خارجةً عن غيرها[١٥] مِن النُوق،

---

[١] ن ع م + كان أخوهم.
[٢] ك: محتمل.
[٣] ك ع م + لما.
[٤] ك: وقد ذكرنا. وانظر: الموضع السابق.
[٥] ع م: أن لا.
[٦] ك ن – الله.
[٧] م – قوله.
[٨] جميع النسخ: ما يدل.
[٩] ن ع م: عبادته.
[١٠] ع م – الله.
[١١] م: ووحدانية.
[١٢] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[١٣] ك - قد.
[١٤] ع م – تعظيما لتلك البقاع فعلي ذلك هذه الناقة قد حصت بالإضافة إليه.
[١٥] ع م: من غيرها.

مخالفةً بُنيتُها بُنيةَ غيرها، إما خِلقةً وإما في ابتداء إحداثها وإنشائها[1] أو في أي شيء كان، فأضافها إليه لذلك. *والله أعلم*.[2]

ثم لا يجب أن يُتكلَّف المعنى[3] الذي له جعل الناقة آية، لأنه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى، فلو تُكُلِّف ذِكرُ ذلك فلعله يخرج / على خلاف ما كان في الكتب الماضية. فهذه القصص[4] وأخبار [٢٥٥ظ] الأمم الماضية إنما ذُكرت في القرآن لتكون آية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلو ذُكرت على خلاف ما كان لكان[5] لهم في ذلك مقال. ويحتمل معنى الإضافة إليه وجها آخر؛ وهو أنه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم، ولا جعل عليهم مؤنتها،[6] بل أخبر أنْ **ذَرُوهَا تأكل في أرض الله**، جعل مؤنتها فيما يخرج[7] من الأرض، ليست كسائر النوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بإزآء ما جعل عليهم من المؤن؛ فمعنى التخصيص بالإضافة إليه لما لم يُشرِك فيها أحدا[8] ولا في منافعها. *والله تعالى أعلم*.

وقوله عز وجل: **فذروها تأكل في أرض الله**، [فيه] دلالة أنّ تلك الناقة كان غذاؤها مثل غذاء سائر النُّوق وإن كانت خارجة عن طباع سائر النُّوق من جهة[9] الآية، ليُعلَم أنها وإن كانت آية لرسالته ودلالة لنبوته[10] فتَشابهُها[11] لسائر النُّوق في هذه الجهة لا[12] يُخرجها عن حكم الآية.

---

[1] ع: وإنشائها. زاد الشارح: «... حيث خلقها بلا أصل حيواني يتولد منه على خلاف سائر الحيوانات» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و).

[2] وقد زاد الشارح علاء الدين السمرقندي رحمه الله في بيان وجوه تخصيص إضافة تلك الناقة إلى الله تعالى قائلا: «والثاني يجوز أن يكون تخصيص هذه الناقة بالإضافة إليه أنه جعلها آية من آياته خارجةً عن غيره من النُّوق مخالِفةً بنيتُها بنيةَ غيرها، إمّا خِلقةً، وإما في ابتداء إحداثها وإنشائها حيث خلقها بلا أصل حيواني يتولَّد منه، على خلاف سائر الحيوانات، لذلك أضافها إليه. والله أعلم. ويحتمل الإضافة إليه وجها آخر؛ وهو أنه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم، ولا جعل عليهم مؤنتها، بل أخبر أنْ ذَرُوها تأكل في أرض الله، جعل مؤنتها مما يخرج من الأرض، ليست كسائر النُّوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم. يعني التخصيص بالإضافة إليه لما هي خالص لله تعالى، لم يجعل للعباد فيها حقّ ولا مِلكا ولا في منافعها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و-ظ).

[3] ع: معنى.

[4] ع: فهو القصص.

[5] ع م - لكان.

[6] ك: لهم مؤنتها.

[7] ك: مما يخرج.

[8] ك: فيهما أحدا.

[9] ع - جهة.

[10] م: النبوة.

[11] ع: فتشابهها.

[12] ن - لا.

فعلى ذلك الرسل وإن كانوا ساوَوا غيرَهم من الناس في المطعم والغذاء لا يمنع ذلك من أن يكونوا رسلا. *والله أعلم بذلك*.[1]

وقوله عز وجل: **ولا تمسوها بسوء**، يحتمل لا تتعرضوا لها قتلا ولا قطعا ولا عَقْرا، لما ليست هي لهم. **فيأخذكم عذاب أليم**، وفي موضع[2] آخر: فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ؛[3] فهذا يدل على أنه إنما أراد بالعذاب الأليم عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة؛ لأنه قد يأخذهم عذاب الآخرة بكفرهم، فالوعيد بأخذ العذاب لهم عذاب الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[٧٤]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد**، قد ذكرنا تأويله في قصة هود.[4] **وبوّأكم في الأرض**، قيل: أنزلكم فيه. **تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا**، يُذكّرهم عز وجل ما أنعم عليهم من سعة المال وبَسْط الرزق لهم وما خصّهم من اتخاذ البيوت من الجبال[5] دون غيرهم من الناس. خصّ هؤلاء بسعة الرزق وبسط الأموال، وقومَ هود بالقوة والبطش، بقوله:[6] وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً،[7] وقال في آية أخرى: وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً،[8] وقال: وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ.[9] كان خصّهم بفضل القوة[10] والبَطْش والطَّوْل مِن بينِ[11] غيرهم، وهؤلاء بسعة الأرزاق لهم وبسط الأموال. **فاذكروا آلاء الله**، من السعة في الأموال والبسط، وبما **جعلكم خلفاء من بعد عاد**، وبما أَقْدَرَكم على اتخاذ[12] البيوت **من الجبال**. لم يَقْدِر على مثله أحد لأن غيرهم من الخلائق إنما ينتفعون بالجبال على ما هي عليها،

---

[1] ع: كذلك.
[2] م: وفي مواضع.
[3] سورة هود، ١١/٦٤.
[4] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٩؛ وانظر تفسير الآيات من سورة هود، ١١/٦١-٦٨.
[5] ع: والجبال.
[6] ك: لقوله.
[7] سورة الأعراف، ٧/٦٩.
[8] سورة فصلت، ٤١/١٥.
[9] سورة الشعراء، ٢٦/١٣٠.
[10] ك: للقوة.
[11] ك – بين.
[12] ن ع م: من اتخاذ.

وأما هم فقد مكّن لهم على نَحتها[1] واتخاذها بيوتا. **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**. أي اذكروا نعمه[2] ولا تشركوا في عبادتكم غيره.

**﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين استكبروا من قومه**، قد ذكرنا[3] أن الملأ من قومه هم كبراؤهم وسادتهم، استكبروا عليه لما رأوه دون أنفسهم في أمر الدنيا، فلم يتبعوه. وقوله عز وجل: **للذين استضعفوا لمن آمن منهم**، فيه دلالة أن من المستضعفين من قومه من لم يكن آمن، حيث خصّ **لمن آمن منهم**. وفيه أن أول من اتبع الرسل هم الضعفاء، وكذلك كان الأتباع للرسل جميعا الضعفاء. وقولهم: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون**، قول هؤلاء الذين آمنوا بصالح عليه السلام وصدّقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جوابَ ما سألوا؛ لأنهم قالوا: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه**، إنما سألوهم عن علمهم برسالته،[4] لم يسألوهم عن إيمانهم به، فهم إنما أجابوا عن غير[5] ما سألوا في الظاهر. لكن يجوز أن يكنى بالعلم عن الإيمان،[6] فكأنهم[7] قالوا لهم: أتؤمنون بصالح وتصدّقونه؟ لأن العلم بالشيء قد[8] يقع بلا صنع،[9] والإيمان لا يكون إلا بصنع منهم، فكأنهم إنما سألوهم عن الإيمان به. لذلك قالوا: **إنا بما أرسل به مؤمنون**. والثاني كأنهم قالوا: بل علمنا أنه[10] مرسل من ربه، و **إنا بما أرسل به مؤمنون**. وفيه دلالة أنّ مَن مُكِّن له من العلم بأسباب جُعِلت له يصل[11] بها إلى العلم[12] لم يُعذَر[13] بجهله في ذلك بعد ما أُعطِي أسبابَ العلم، حيث قالوا: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه**، أي لا تعلمون.[14]

---

[1] ع: على تحتها.
[2] ن ع م: نعمته.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٠/٧؛ وانظر أيضا تفسير الآيات من سورة هود، ٦١/١١-٦٨.
[4] ع: رسالته.
[5] ع م: عن غيرها.
[6] ك ن ع: بالعلم الإيمان.
[7] ع م: فكأنها.
[8] ن ع م - قد؛ ع م + فيه.
[9] ع + والإيمان لا يكون إلا بصنع.
[10] ن + إلا بصنع منهم فكأنهم إنما سألوهم عن الإيمان به لذلك قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون.
[11] ك: يصله.
[12] ك ع م + به.
[13] ع م: لم يقدر.
[14] يعني أنه استفهام إنكاري.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون**، فيه دلالة أن[1] الإيمان هو التصديق في اللغة. والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق، حيث أجابوا بالتكذيب لإيمانهم به، لقولهم: إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ.[2] فهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات إيمانا على ما عرفوه[3] بعض الناس، إنما عرفوه تصديقا.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فعقروا الناقة**، أضاف هاهنا العَقْر إليهم جميعا، وفي موضع آخر أضاف إلى الواحد بقوله:[4] فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ،[5] وفي سورة وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا،[6] كذلك أضاف إلى الواحد: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا.[7] لكن فيما كان مضافا إليهم جميعا يحتمل أنْ تَوَلَّى واحدٌ منهم عَقْرَها بمشورتهم[8] جميعا ومعونتهم وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك؛ فأضيف[9] إليهم ذلك[10] لاجتماعهم على ذلك، وإلى الواحد فيما تَوَلَّى جَرْحَها ومَنْعَها عن السير. ففيه دلالة لمذهب أصحابنا أنّ قُطَّاع الطريق إذا تولّى بعضهم القتل وأَخْذَ الأموال ولم يتولَّ بعضهم يُشاركون
[٢٥٦و] جميعا -مَن تولّى منهم ومن لم يتولَّ- في حكم قُطَّاع الطريق بعد أن يكون بعضهم عَوْنا / لبعض. وكذلك إذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولّى بعضهم القتل ولم يتولَّ بعض -بعد أن كانوا في عَوْن أولئك- فإنهم يُقتَلون جميعا. وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال: لو تَمَالأَ عليه أهلُ صَنْعَاءَ لقَتَلْتُهم،[11] وأهل صنعاء إذا اجتمعوا لا سبيل للكل أن يتولّوا قَتْله،

---

[1] ع م - أن.
[2] الآية السابقة.
[3] م: على ما عرفوا.
[4] ك: لقوله.
[5] سورة القمر، ٢٩/٥٤.
[6] سورة الشمس، ١/٩١.
[7] سورة الشمس، ١٢/٩١.
[8] ك: بمشعرتهم.
[9] ع م + على ذلك.
[10] جميع النسخ: لذلك.
[11] م: لقتهم. روي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قَتَل نَفَرا خمسة أو سبعة برجلٍ واحدٍ قَتَلوه قَتْلَ غِيلَة، وقال عمر: لو تَمَالأَ عليه أهلُ صَنْعَاء لقتلتُهم جميعا (*الموطأ* للمالك، العقول ١٣؛ وصحيح *البخاري*، الديات ٢١؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢٧٠/٢). وتمالأ القوم أي تعاونوا وتناصروا (*لسان العرب* لابن منظور، «ملأ»). والغِيلة الخديعة (المصدر السابق، «غيل»).

فدل أنه على العون والنصر بعضهم لبعض،[1] فيشاركون جميعا في القصاص على ما شارك أولئك جميعا في العذاب -مَن تولّى عَقْرَها ومن لم يتولَّ- بعد أن كان[2] ذلك العَقْر بمعونتهم وبتراضيهم[3] على ذلك. **والله أعلم.**

* وقوله عز وجل: **وعَتَوْا عن أمر ربهم**، العُتُوّ هو النهاية في التمرّد والخلاف لأمره [٢٥٦و س٧ على العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل.* ٢٥٦و س٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا يا صالح ائتنا بما تَعِدُنا إن كنت من المرسلين** فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ،[4] إنما أخذهم العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذّبوه فيما يُوعِدهم العذاب ويَعِدهم.*

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الرجفة**، قيل: الزلزلة، وقيل: الصيحة. وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[5] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ،[6] والقصة في ذلك[7] كله واحدة،[8] فجائز أن يكون[9] ذلك واحدا[10] وإن اختلفت[11] الألفاظ؛[12] وهو عبارة عن العذاب. وجائز أن تكون[13] الصيحةُ لَمّا صِيحَت[14] بهم صَعِقوا جميعا فماتوا؛ وهو واحد.

---

[1] جميع النسخ: لبعضهم بعضا. وقد وقع في شرح *التأويلات* ما يلي: «... كأنّ هذا غلط من الكاتب، فإن الجرح من من كل واحد شرط لوجوب القصاص عليهم. أمّا (أي لكن) لا يجب على الرِّدْء (أي المساعد) عندنا قصاص، إنما يجب في قطع الطريق. إذ كان لهذا (أي للقصاص) رواية منصوصة أن الجرح شرط. وإلا فالصحيح ما ذكر هاهنا أنه يجب على الرِّدْء (أي في قطع الطريق)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩ظ-٣٠٠و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٣٣و). وانظر لتفصيل المسألة في الفقه: *الهداية* للمرغيناني، ٢/١٣٣؛ *ولسان الحكام* لابن الشحنة، ٣٩٠.

[2] ع: بعد كان.

[3] ك: وتراضيهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن محله من تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٦و/سطر ٧-٨.

[4] الآية التالية.

* وقعت هنا جملة من تفسير الآية متأخرة عن محلها، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٦و/سطر ٧-٨.

[5] ع م - وقال في آية أخرى فأخذتهم الصيحة. والآية في سورة الحجر، ١٥/٨٣.

[6] سورة الذاريات، ٥١/٤٤.

[7] ع: في في ذلك.

[8] جميع النسخ: واحد.

[9] ع م: أن تكون.

[10] جميع النسخ: واحد.

[11] جميع النسخ: وإن اختلف.

[12] م: ألفاظ.

[13] ك ن: أن يكون.

[14] جميع النسخ: لما صيح.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قيل: ميتين، وقيل:[1] لازقين بالأرض، قد ماتوا وذهبوا. ويقال: جَثَم الطائر، إذا لَزِق بالأرض.[2] يقال: أَجْثمتُه، أي ألزقته بالأرض. والمُجَثَّمَة، يقال: طائر يُشَدّ جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالأرض ثم يُرمَى بالنَّبْل حتى يموت. يقال: جَثَّمْتُ الطائر، أي شددت رجليه وجناحيه. يقال: جَثَم يجثِم[3] جُثُوما[4] وجَثْما، إذا فعل ما ذكرنا.[5]

**﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾**[٧٩]

وقوله عز وجل: **فتولى عنهم**، أي أعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم أن العذاب ينزل[6] بهم. **وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم**، والنصيحة ما ذكرنا[7] أنّ كلّ مَن دلّ آخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك[8] عنه فهو ناصح له. فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلّوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم، لكنهم[9] لم يقبلوا النصيحة منهم.

**﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾**[٨٠]

وقوله عز وجل: **ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**؛ ذُكِر في غيره من الأنبياء دعاؤُهم قومَهم إلى عبادة الله ووحدانيته، على ما قال نوح: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ،[10] وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ولم يذكر في لوط ذلك ههنا. ولا يحتمل[11] أن لم يكن منه الدعاء إلى ما كان من غيره من الأنبياء إلى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش[12] والتعيير عليها.

---

[1] م – قيل.
[2] ك: بالطائرض.
[3] ن – يجثم، صح هـ.
[4] ع م – جثوما.
[5] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «جثم».
[6] ع: تنزل.
[7] انظر تفسير الآيتين من سورة الأعراف، ٦٢/٧، ٦٨.
[8] ك: الهلاك والبلاء.
[9] ن – لكنهم.
[10] سورة الأعراف، ٥٩/٧.
[11] ك: ولم يحتمل.
[12] ن: من الفواحش.

وهو ما ذكر في آية أخرى: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ؛[1] لأنه[2] كان من الأنبياء صلوات الله عليهم دعاءُ قومهم إلى عبادة الله ووحدانيته[3] أولا، ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير عليها.[4]

وقوله عز وجل: **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**؛ قوله:[5] **ما سبقكم بها من أحد**، يحتمل أن يكون منهم ما كان من سائر الأقوام [مِن] تقليد الآباء في العبادة لغير الله، كقولهم: أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا،[6] وقولهم:[7] وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ، و مُقْتَدُونَ،[8] وقولهم:[9] بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[10] ونحوِ ما قالوا؛ فعلى ذلك [كان] من قوم لوط لِلوطٍ لمآ دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته، فأجابوه بما أجاب الأقوامُ لأنبيائهم مِن التقليد لآبائهم، فقال: **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، أي تعملون[11] أنتم أعمالا لم يعملها[12] آباؤكم، ولا تقلّدون آباءكم في تركها مِن نحو ما ذُكر من إتيان الفاحشة. وقال:[13] **ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، يُعيّرهم ويُسفّه أحلامهم في إتيان ما يأتون من **الفاحشة** التي لم يسبقهم **أحد**[14] **من العالمين** على علمٍ منهم أنّ ذلك **الفاحشة**؛ ألا ترى أنهم[15] قالوا: إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ.[16] ذكر هذا القول منهم[17] على أن ما يأتون من الفواحش

[1] سورة الشعراء، ٢٦/١٦٠-١٦٣.
[2] ن ع م: الاية.
[3] ع م: ووحدانية.
[4] ن – عليها.
[5] جميع النسخ: وقوله.
[6] سورة الأعراف، ٧/٧٠.
[7] ك: وقوله.
[8] ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مُهْتَدون. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُتْرَفُوها إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مُقْتَدون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٢-٢٣).
[9] ك ع م: وقوله.
[10] سورة الشعراء، ٢٦/٧٤.
[11] م: أي تعلمون.
[12] م: أعمالا يعملها.
[13] ن ع م: فقال.
[14] ع: أحدهم.
[15] ع م – أنهم.
[16] سورة الأعراف، ٧/٨١.
[17] ن ع م – منهم.

يأتون على علمٍ منهم[1] أنها فواحش، حيث قالوا: إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ.

ثم قوله: فاحشة لما في العقل [أن] هذا فاحش محرَّم، والفاحش [على] ما ذكرنا[2] [أنه] كل قبيح في[3] العقل والشرع؛ لأن ما حرّم من المحرّمات على الخلق وأحلّ [من] المحلّلات محنة منه لهم على ذلك. ثم جُعل فيما أحلّ لهم من الأطعمة والأشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوامٌ لهذا العالم؛ لأنهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا، فإذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم. ثم ركّب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول مما أحلّ لهم ليدوم هذا العالم، لا أنه أحلّ لهم للشهوة خاصة، ولكن لما ذكرنا. فأخبر أن ما يأتون هم هو فاحشة لما ليس إتيانهم إياها[4] إلا لنفس قضاء الشهوة، إذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه، فهو في العقل فاحش محرّم وإن لم يَرِد فيه النهي. **والله أعلم**.

**﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[٨١]**

وقوله عز وجل: **بل أنتم قوم مسرفون**. الإسراف هو الإكثار من الشيء والمجاوزة عن الحد؛ كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا.[5] القَتْر هو التضييق، والإسراف هو الإكثار، حيث قال: وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا. فإذا كان الإسراف هو الإكثار من الشيء فكان لوط سماهم مسرفين لما / أكثروا من ذلك النوع من الفواحش [٢٥٦ظ]
وجاوزوا الحد. **والله أعلم**. ويحتمل قوله: **مسرفون**، وجوها ثلاثة. أحدها ما ذكرنا من إكثار الفعل. والثاني **مسرفون**، لما ضيّعوا ما أنعم الله عليهم، حيث أعطى لهم الأزواج فضلاً[6] منه ونعمة، حيث أخبر: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا،[7] وكقوله:[8] وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[9] ونحوه. [ذكر] ما جعل لهم من الأزواج،

---

[1] ن – أن ذلك الفاحشة ألا ترى أنهم قالوا إنهم أناس يتطهرون ذكر هذا القول منهم عى أن ما يأتون من الفواحش يأتون عى علم منهم.

[2] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[3] ع م – العقل هذا فاحش محرم والفاحش ما ذكرنا كل قبيح في.

[4] ع: إياهم؛ م: آباءهم.

[5] سورة الفرقان، ٦٧/٢٥.

[6] ك: وفضلا.

[7] سورة الروم، ٢١/٣٠.

[8] ك: وقوله.

[9] سورة النحل، ٧٢/١٦.

ثم هم لم يشكروه على ما أنعم عليهم، بل ضيّعوها وجعلوها في غير ما جَعَل[1] هو[2] لهم، فذلك إسراف منهم. والثالث[3] الإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم، فهم قد جاوزوه.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**؛ قوله: **وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا** كذا، كان من قومه أجوبةٌ ليس على أنه لم يكن منهم مِن أول الأمر إلى آخره إلا هذا،[4] ولكن لم يكن من جواب قومه وقتَ ما نهاهم عمّا ارتكبوا من الفواحش وعَيّرَهم[5] عليها إلا ما ذكر: **أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهّرون**، لما ينهاهم ويعيّرهم على ذلك. ويحتمل ما قال أهل التأويل: **يتطهرون** من أدبار الرجال. وقيل: يتحرّجون عن ذلك ويَعِيبون عليهم في ذلك. والثاني **ما كان جواب قومه**، لبعضهم، **إلا أن قالوا أخرجوهم**؛ وأما لِلوط كان منهم له أجوبة،[6] كقوله: **وما كان جواب قومه إلا أن قالوا** كذا، وقال في آية[7] أخرى: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللّٰهِ،[8] هذا فيما بينهم وبين لوط، والأول[9] فيما بينهم، قال بعضهم لبعض: **أخرجوهم**. أو لاختلاف المَشَاهد[10] والمَجالس.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٨٣]

وقوله[11] عز وجل: **فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**، الغابر الغائب،[12] يقال: غَبَرت أي غِبْت،[13] أي **كانت من** الغائبين عن لوط وأهله وقت العذاب. وقيل: **من الغابرين**، أي من الباقين في العذاب.

---

[1] ك: بما جعل.
[2] ن - هو.
[3] ك: والثالثة.
[4] ع م: آخره هذا.
[5] ن ع م: وغيرهم.
[6] ع م: عنهم لأجوبة.
[7] ك - آية.
[8] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.
[9] ع م: الأول.
[10] ع: المشاهدة.
[11] ن: قوله.
[12] غَبَر الشيء يَغْبُر غُبُورا مكث وذهب، وغَبَر الشيء يَغْبُر أي بقي، والغابر: الباقي، والعابر: الماضي، وهو من الأضداد (*لسان العرب* لابن منظور، «غبر»).
[13] ن ع م: أي غيبت.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وأمطرنا عليهم مطرا**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: قُلِبت[١] قَرَيَات لوط وجُعِل عالِيُهَا سافلَها، على ما ذكر في الآية: جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا،[٢] ثم أُمطِر على من كان غاب منهم الحجارة. وقال بعضهم: قُلِبت القَرَيَات فأُمطِرت على أهلها كالمطر. وقال آخرون: قُلِبت الأرض وأُمطِر عليها حجارة من سِجّيل تُسَوِّى الأرض، أو كلام نحو هذا.

ثم العذاب في الأمم لم يأتهم في الدنيا بنفس الكفر، ولكن لِما كان منهم من استحلال أشياء حُرِّمت[٣] عليهم، ومِن قَتْلِ الأنبياء وأذاهم، والمكابَرات التي كانت[٤] منهم، بعد علمهم أنهم على باطل وعناد.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين**، هذا الخطاب جائز أنه ليس[٥] لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، ولكن لكل أحدٍ أُمِر بالنظر فيما حلّ بالأمم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم، ليكونوا على حَذَر من صنيعهم[٦] لِأَن لا يحلّ بهم ما حلّ بأولئك. وجائز أن يكون الخطاب لرسوله خاصة. فإن كان له فكأنه أمره أن ينظر في **عاقبة المجرمين** ليرحمهم ولا يدعو عليهم بالهلاك والعذاب.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيبا**، هو ما ذكرنا فيما تقدم،[٧] أي أرسلنا شعيبا إلى مَدْيَنَ رسولا. وقوله: **أخاهم**، قد ذكرنا فيما تقدم[٨] الأخوة[٩] أنها تكون لوجوه:

---

[١] ن: فليست.
[٢] سورة هود، ٨٢/١١.
[٣] جميع النسخ: حرم.
[٤] ع م: كان.
[٥] م: أن ليس.
[٦] ك ع م: عن صنيعهم.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٥/٧.
[٨] انظر: نفس الموضع.
[٩] ع: والأحوة؛ م - الأخوة.

أخوة النسب وأخوة الجوهر وأخوة المودة والخُلّة،[١] وأخوة الدين. فلا تحتمل[٢] أخوةُ الأنبياء أولئك أخوةَ الدين والمودة، لكن تحتمل[٣] أخوة الجوهر والنسب.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قد ذكرنا[٤] أيضا أن الرسل إنما جاءوا وبُعِثوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له وأن لا معبود يستحق العبادة سواه.

وقوله عز وجل: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، قال بعضهم: كانت نَفْسُ شعيبٍ بينة وحجة لقومه، لكنا لا نعلم ذلك، غَيْرَ أنَّا نَعلم أنه كانت معه آيات وبراهين، لكن الله لم يبيّن لنا ذلك. ونَفْس محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات كانت حجة وبينة[٥] بالأعلام[٦] التي جَعل له في نفسه؛ مِن ذلك الخَتْم الذي كان بين كتفيه،[٧] والنورُ الذي كان في وجه مَن كان هو[٨] في صُلْبِه وقت كونه فيه،[٩] والضوءُ[١٠] الذي روي أنه كان وقت ولادته،[١١] والغَمامُ الذي أَظَلَّه وقت غَيْبته عن أهله،[١٢] وحِفظُه نَفْسَه عن جميع ما كان يتعاطاه قومه من عبادتهم[١٣] الأصنام وتَعاطِيهم الفواحش،[١٤] فهو صلى الله عليه وسلم كان بريئا من ذلك كله،

---

[١] ك: الخلة والمودة.

[٢] ن ع م: فلا يحتمل.

[٣] ن ع: لكن يحتمل.

[٤] ع: وقد ذكرنا. وانظر: نفس الموضع.

[٥] ك: بينة وحجة.

[٦] جميع النسخ: بأعلام.

[٧] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الفضائل ١١١.

[٨] ن ع م - هو.

[٩] *السيرة النبوية* لابن هشام، ١/٢٩٢-٢٩٣.

[١٠] م: والضراء.

[١١] عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنجَدِل في طِينَتِه، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٨/٤). وله شاهد آخر؛ انظر: (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٤/٤؛ وسنن *الدارمي*، المقدمة ٣ ).

[١٢] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣٢٠/١؛ وسنن *الترمذي*، المناقب ٣؛ وحسنه الترمذي.

[١٣] ك: من عبادة.

[١٤] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣٢٣/١. من ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حَلَلْت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة؟ -قال- فحَلَّه فجعله على منكبيه، فسقط مَغْشِيّا عليه، فما رُئِي بعد ذلك عُريانا صلى الله عليه وسلم. انظر: صحيح *البخاري*، الصلاة ٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ٧٧.

وما لم يؤخذ عليه[١] كذبٌ قط[٢] وقد كان نشأ بين أظهرهم، وغير ذلك من الأعلام التي كانت في نفسه ظاهرةً لقومه. فلو لم يكن له آياتٌ غيرُها لكانت واحدة منها كافية لمن لم يكابر. فكيف وقد كانت له آيات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا مما يَقهَر[٣] المنصفين على قبولها. ويحتمل قوله: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، أي حجة في أنه رسول، أو على توحيد الله.

وقوله[٤] عز وجل: **فأوفوا الكيل والميزان**، وذكر في [سورة] هود في قصته: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ.[٥] وليس في قوله: **فأوفوا الكيل والميزان**، أنهم كانوا لا يوفون، ولا[٦] فيما ذكر[٧] [هنا، و] في سورة هود:[٨] **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**.[٩] ودل قوله: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، أن الأشياء مِلكٌ لهم وإن كان في قبض[١٠] أولئك وفي أيديهم.[١١] ثم يحتمل الأمر [٢٥٧و] بإيفاء الكيل والميزان وجوها.[١٢] أحدها لِما كانوا / أُمَناء، لأن لا تَذهب[١٣] عنهم تلك الأمانةُ التي كانت لهم في قومهم.[١٤] والثاني لأن لا يظلموا[١٥] الناس في منع حقوقهم وأموالهم. والثالث للربا، كان ما منعوا منهم من الكيلي والوزني ربا لهم. يدل [على] ذلك قوله: بِالْقِسْطِ، ذَكَر العدل.

---

[١] ما مصدرية، أي وعدم مؤاخذة الناس عيه.

[٢] م: فظ.

[٣] ك ن ع: ما يقهر؛ م: يقهر.

[٤] ن: قوله.

[٥] سورة هود، ٨٥/١١.

[٦] ك ن: ولكن.

[٧] ع م - ولا فيما ذكر.

[٨] الآية المذكورة.

[٩] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «[ليس] في قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، أنهم كانوا لا يوفون، لأن الأمر بالشيء لا يدل على مباشرة ضده من المأمور قبل الأمر، وكذا النهي عن الشيء لا يدل على مباشرة المنهي من المنهي عنه، إنما يدل على التصور لا غير. ولكن إنما عرفنا ذلك في سياق قوله: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾، حيث قال مخبرا عنهم: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ (سورة هود، ٨٧/١١)، الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٠ظ-٣٠١و).

[١٠] ك + الباعه.

[١١] قال الشارح: «إنما سماها أشياء لهم لأن بالشراء صار ملكا لهم، فإن كان قَبْضُ الباعة تعدُّ في أيديهم فمتى لم يوفوا الكيل والوزن عند التسليم فقد نقصوا حقهم ومنعوا بعض مِلكهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٠ظ).

[١٢] ن ع م: وجوه.

[١٣] ن ع م: لأن لا يذهب.

[١٤] م: في قومه.

[١٥] ع: لأن لا يظلمون.

فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان إذا طابت أنفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط فيه؛ لأن من زاد آخر على حقه لم يُمنع عن ذلك ولم يُذمّ. دل النهي عن ذلك على أنه للربا ما مُنِعوا عن ذلك.[١] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، أي بعد أن جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومُقامكم فيها. أو بعد ما أمر وبيّن لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم. أو بعد ما أرسل من الرسل ما بهم صلاح[٢] الأرض وأهلها. **ذلكم خير لكم**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **ذلكم**، أي وفاء الكيل والميزان، **خير لكم**، من النقصان لما ينمو ذلك الباقي ويزداد، فذلك **خير لكم**، من النقصان الذي تمنعون فلا ينمو[٣] شيئا. وهو كقوله: بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ.[٤] ويحتمل **ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**، أي أمْنُكم في الآخرة **خير لكم** من نقصان الكيل والميزان في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٨٦]

وقوله عز وجل: **ولا تَقعدوا بكل صراطٍ تُوعِدون [وتَصدّون عن سبيل الله]**، يحتمل ما قاله[٥] أهل التأويل: إن كُبَراء أهل الشرك ورؤساءهم كانوا يُقعِدون في الطرق أُناسا[٦] يَصدّون الذين كانوا[٧] يأتون[٨] شعيبا للإيمان[٩] من الآفاق والنواحي. ويكون معنى[١٠] قوله: **من آمن به**، على هذا التأويل، أي من أراد أن يؤمن به. ويحتمل قوله: **ولا تقعدوا**، ليس على القعود نفسه، ولكن على المنع من إقامة[١١] الشرائع التي شرع الله لشعيب، كقول إبليس:

---

[١] ع م – عن ذلك.
[٢] ك: إصلاح.
[٣] ع م: فلا ينموا.
[٤] سورة هود، ٨٦/١١.
[٥] م: ما قال.
[٦] ع م: أناس.
[٧] م – كانوا.
[٨] ع: يؤتون.
[٩] م + من الإيمان.
[١٠] ك – معنى.
[١١] ك: من أقام.

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ[1] ليس هو على القعود نفسه، ولكن على المنع، يمنعهم عن صراطه المستقيم. فعلى ذلك[2] قوله: **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**، كانوا يمنعون **من آمن به** عن إقامة الشرائع والعبادات[3] التي دُعُوا إلى إقامتها، ويُوعِدون على ذلك ويخوّفونهم. فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله: **من آمن به**، على وجود الإيمان، وعلى التأويل الأول يكون من أراد[4] أن يؤمن به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتبغونها عوجا**، قيل: تلتمسون لها[5] أهل الزيغ. وقيل: تبغون هلاكا للإسلام وإبطالا. وقيل: تبغون السبيل[6] **عوجا** عن الحق. وكله واحد.

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ كنتم قليلا فكثّركم**، يحتمل وجهين. يحتمل[7] **إذ كنتم قليلا** في العدد، فكثّر عددكم زمن لوط؛ كأنهم إنما توالدوا من بقيّة آل لوط. ويحتمل **إذ كنتم قليلا** في الأموال والسعة في الدنيا، **فكثّركم**، أي كثّر لكم الأموال ووسّع عليكم الدنيا.

وقوله عز وجل: **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**، أمرٌ بالنظر فيما حلّ بالأمم الخالية بإفسادهم في الأرض وتكذيبهم الرسل؛ لأن من نظر[8] في ذلك وتفكّر ما حلّ بهم منعه ذلك عن الإفساد[9] في الأرض والتكذيب للرسل، إذ علم أن ما حلّ بهم إنما حلّ بهم[10] لما ذكر. *والله أعلم*. كأنه أمر بالنظر في الأسباب التي صار [بها] مَن تقدّمهم أهلَ فسادٍ ونَزَل بهم الهلاك، لينزجروا عن مثل صنيعهم، وإلا كانوا عند أنفسهم أهلَ صلاح لا أهلَ فساد.

**﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾**[٨٧]

وقوله عز وجل: **وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسِلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا**،

---

[1] سورة الأعراف، ١٦/٧.
[2] ن ع م - ذلك.
[3] ع: والعباداة.
[4] ن: معني أراد.
[5] ن: تلتمسون بها.
[6] ك: للسبيل.
[7] ك - يحتمل؛ م - وجهين يحتمل.
[8] ع: لا من نظر.
[9] م: عن الفساد.
[10] ن ع - إنما حل بهم.

ثقال ابن عباس رضي الله عنه: كان قوم شعيب قليلا حين أدرك ذلك شعيب[١] وقوم آخرون معه، يقول لهم[٢] ذلك شعيب عليه السلام: **وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا**، يا معشر المؤمنين، **حتى يحكم الله بيننا**، يقضي عليهم بالهلاك، و لم يكن شعيب أُمِر بالقتال. وقال بعضهم: قوله: **وإن كان طائفة منكم**، يعني المؤمنين، **آمنوا بالذي أرسلت به**، من العذاب، **وطائفة**، يعني الكفار، **لم يؤمنوا**، بالعذاب، **فاصبروا**، يا معشر الكفار، **حتى يحكم الله بيننا**، في أمر العذاب في الدنيا، **وهو خير الحاكمين**. ويحتمل غير هذا، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٣] ويقولون: الله أمرهم بذلك[٤] في أشياء يفعلون، ويقول هؤلاء: إن الذي نحن عليه هو الذي أمرنا الله بذلك، فيقول لهم: **اصبروا حتى يحكم الله بيننا**، بأنه بماذا أمر، بالذي عليه الكفار أو الذي نحن عليه.

**﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين استكبروا**، قد ذكرنا[٥] في غير موضع أن الملأ من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم. وقوله:[٦] عز وجل: **استكبروا**، أي **استكبروا** عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم، لأنهم كانوا يُضَعِّفون[٧] شعيبا فيما بينهم ويَزْدَرُونه،[٨] كقولهم له: وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ.[٩] ثم لم يروا الأمر بالخضوع لمن هو دونهم في أمر الدنيا عدلا، وهم إنما أخذوا من إبليس اللعين، وإياه قلّدوا، حيث قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ،[١٠] حين أُمِر بالسجود لآدم، و لم ير[١١] اللعين الأمر بالخضوع[١٢] لآدم من الله عدلا.

---

[١] ع م - شعيب.
[٢] ع: يقولهم.
[٣] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[٦] ن: قوله.
[٧] أي يرونه ضعيفا (*لسان العرب* لابن منظور، «ضعف»).
[٨] ع: ويزودونه. يزدرونه أي يستصغرونه (*لسان العرب* لابن منظور، «زرى»).
[٩] سورة هود، ٩١/١١.
[١٠] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٢/٧.
[١١] ك: أم لم ير؛ ن: لم ير.
[١٢] م + والطاعة.

فعلى ذلك هؤلاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا، فاستكبروا عليه،[1] فكفروا لذلك.

وقوله عز وجل: **لَنُخرجنك يا شعيب**، قال الحسن: **لَنُخرجنك**، أي[2] لنقتلنك، **والذين آمنوا معك من قريتنا**. وقال غيره:[3] **لَنُخرجنك**، الإخراج نفسه، أي **لَنُخرجنك**[4] ومن معك من المؤمنين **من قريتنا** إن لم تتبع ديننا. وقد كان منهم للأنبياء المَغْنِيِّين جميعا التوعُّدُ بالقتل

[٢٥٧ظ] والإخراج / جميعا، كما قالوا: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ، وكقول[5] قوم لوط لِلوط:[6] لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[7] وكقول[8] قوم نوح: لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[9] وما أخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.[10] قد كان من القوم إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام المَغْنِيِّين جميعا التوعُّدُ بالقتل والإخراج جميعا، فعلى ذلك يحتمل ذلك من قوم[11] شعيب لشعيب[12] [على] ما ذكرنا. *والله أعلم*. وكذلك[13] كانوا يقولون للرسل جميعا، حيث قال:[14] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ،[15] الآية. هكذا[16] كانت عادة جميع الكفرة أنهم[17] كانوا يخوّفون الرسل بالإخراج مرة وبالقتل ثانيا.[18]

---

[1] ك: علي.
[2] ن – أي.
[3] ك + هم.
[4] ن ع م: نخرجنك.
[5] ع: وكقوله.
[6] ك + ودل كل ذي عقل علي الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به أوده ويصل إلي بغيته وسحر الذي ذكر.
[7] سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.
[8] ع: وكقوله.
[9] سورة الشعراء، ١١٦/٢٦.
[10] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأعراف، ٣٠/٨).
[11] م: عن قوم.
[12] ع م – لشعيب.
[13] ن: ولذلك.
[14] ك ع م: قالوا.
[15] ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودُنّ في ملّتنا فأوحى إليهم ربهم لَنهلكنّ الظالمين﴾ (سورة إبراهيم، ١٣/١٤).
[16] ن ع م: هذا.
[17] ع م – أنهم.
[18] ن: مرة.

وقوله عز وجل: **أو لَتَعودُنّ في مِلّتنا**، يحتمل قوله: **أو لتعودن في ملتنا**، لما عندهم أنه كان على دينهم الذي هم عليه، لما لم يروا[١] منه عبادته لله فيما يعبده[٢] سرا، فقالوا: **لتعودن في ملتنا**،[٣] على ما كان[٤] عندهم أنه على ذلك. وهو كما قالوا لصالح: قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا،[٥] كان عندهم أنه كان[٦] على دينهم قبل ذلك.[٧] فعلى ذلك يحتمل قول[٨] هؤلاء: **لتعودن**، مِن العَود[٩] إلى ما كان عندهم أنه على ذلك. ويحتمل على ابتداء[١٠] الدخول فيها والاختيار، كقوله: **يخرجهم من الظلمات إلى النور**، على مَنْع الدخول فيها، لا أنهم[١١] كانوا فيها ثم أخرجهم، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **قال أَوَلَوْ كنّا كارهين**، يقول: لَتعُودَنّ في ملتكم وإن **كنا كارهين**؟ أي قد تأبى[١٢] عقولنا وتكره طباعنا عن الدخول في ملتكم، فكيف نعود فيها؟

**﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾**[٨٩]

**قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها**، يحتمل قوله: **إن عدنا في ملتكم**، وجوها ثلاثة. أحدها أن ذلك منه إخبار عن قومه، لا عن نفسه، أي افتروا **على الله كذبا إن** عادوا **في ملتكم بعد إذ** نجاهم **الله منها** وما يجوز لهم أن يعودوا فيها.

---

[١] ن: لما يروا.

[٢] ع م: فيما بعده.

[٣] ك – لما عندهم أنه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادته لله فيما يبعده سرا فقالوا لتعودن في ملتنا.

[٤] ن: ما كانوا.

[٥] سورة هود، ٦٢/١١.

[٦] ن ع م – كان.

[٧] ك: قبل هذا.

[٨] ك ع م: قوله.

[٩] ك ع: من العدو.

[١٠] ن ع م: على الانتداء.

[١١] ع: لأنهم.

[١٢] ع م: أي تأبى.

وأما هو فإنما أجابهم عن نفسه بما ذكر[1] في سورة هود: وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ،[2] أجاب هو قومه كما أجاب غيره من الرسل قومهم حين أَوْعَدُوهم[3] بالقتل والعقوبة، كما قال رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[5] وكما قال هود:[6] [وَاشْهَدُوا] أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[7] ونحو ذلك من الجوابات التي[8] كانت من الأنبياء صلوات الله عليهم لأقوامهم. ويحتمل أن يكون على الابتداء من غير أن كان فيها، كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[9] رَفَعها ابتداءً مِن غير أن كانت موضوعة، وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[10] إخراج ابتداء، لا أن كانوا فيها ثم أخرجهم. ويحتمل ما ذكرنا أنه[11] أجابهم على ما عندهم أنه كان على دينهم، فأجاب لهم على ما عندهم أنه على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما يكون لنا أن نعود فيها**، أي ما يجوز لنا أن نعود فيها. وقول شعيب: **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم**، تعريضُ تسفيهٍ منه إياهم، [أي] إنكم[12] قد افتريتم **على الله كذبا**، لا تصريح، حيث لم يقل: قد افتريتم[13] أنتم **على الله كذبا**، ولكن قال: **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم**، وذلك منه تَلَطُّف بهم وتَرَفُّق.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما**، اختلف في تأويله. قال الحسن: مِن حُكم الله عز وجل أنّ مَن[14] قَبِل دينه وأطاع رسوله أن يكون وليّا له وسُمّي مؤمنا،

---

[1] جميع النسخ: ما ذكر.
[2] سورة هود، ٩٣/١١.
[3] ع م: أوعدوا هم.
[4] ك - رسول الله؛ ن: النبي.
[5] سورة الأعراف، ١٩٥/٧.
[6] ع: هو.
[7] ك - وكما قال هود اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون. وانظر: سورة هود، ٥٤/١١-٥٥.
[8] م - التي.
[9] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ سورة الرعد، ٢/١٣.
[10] ﴿ الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).
[11] ن: أنهم.
[12] ع م: إنهم.
[13] ع + على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم.
[14] ع: وجل من.

ومَن ردّ دينه وعصى رسوله يتخذه عدوّا له ويكون كافرا.[١] وقال أبو بكر الكيساني: قوله: **إلا أن يشاء الله،** أن يتعبّدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتقرّبون به، ويشرع لهم مما يحلّ ويَسَع، لم يُرد به الدين الذي[٢] هم عليه. لكن[٣] هذا لا يحتمل، لأن سؤالهم كان العَود إلى ملّتهم، فعلى ذلك حرج الثُّنيا.[٤] وقال جعفر[٥] بن حرب: قوله: **إلا أن يشاء الله، إلا أن** يأمرنا **الله،** بما يُؤْيِسُهم[٦] بذلك،[٧] على الإياس وقطع الرجاء، أي لا يشاء الله ألبتّة ذلك، كما يقال: كان كذا إن صعدت السماء، وكقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾،[٨] وفعلت كذا مما يعلم أنه[٩] لا يكون، فعلى ذلك هذا.

لكن هذا كلّه بعيدٌ مُحال. أما قول الحسن: إن من حكم الله[١٠] أنه من ردّ دينه وعصى رسوله أنه يكون من الكافرين، ومن قبل دينه وأطاع رسوله يكون من المؤمنين، فليس فيه سوى أنه[١١] يقول: أنه يعلم من كفر به ومن آمن به، فلا معنى للاستثناء هاهنا[١٢] لو كان التأويل ما ذكر.[١٣] وأما قول أبي بكر أنه يتعبّدهم ويمتحنهم بما يتقرّبون به في دينهم وملّتهم

---

[١] قال الشارح: «والآية حجة لنا على المعتزلة في أن الله تعالى شاء وجود الكفر من الكافر قبيحا، حيث اعتقد شعيب عليه السلام ذلك، واستثنى حال المشيئة. معناه ما ينبغي لنا أن نعود في ملتكم في حال من الأحوال إلا أن يشاء الله ذلك منا، فدلّ أن الكفر يدخل تحت مشيئة الله تعالى، فيكون حجة على المعتزلة. واختلف أهل التأويل. قال الحسن... فيكون قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾، إلا أن يحكم الله، أي ما ينبغي أن نعود في ملتكم ونشرك بالله باختيارنا ومشيئتنا دون مشيئة الله تعالى، إلا أن يحكم الله تعالى أن يتخذنا عدوا ونكون من أعدائه ويعدم ذلك منا، فيعطي لنا قدرة ذلك حتى نكفر باختيارنا؛ ألا يُرى أنه قال على أثره: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾، أي لا نعلم إلى ماذا يصير عاقبة أمرنا في علم الله تعالى وماذا حكمه علينا، الولاية أو العداوة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠١ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٣٥و).

[٢] ك – الذي.

[٣] ن: ولكن.

[٤] م: الثناء.

[٥] ع م: أبو جعفر.

[٦] ن: يؤسهم؛ ع: يؤتيهم.

[٧] ع م: على ذلك.

[٨] ﴿إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ (سورة الأعراف، ٧/٤٠).

[٩] ع: لأنه.

[١٠] ك + الله.

[١١] ك: أن؛ ع – أنه.

[١٢] ع م – هاهنا.

[١٣] قال الشارح: «... ولأن الاستثناء ينصرف إلى صدر الكلام، وهو العود إلى ملتهم إلا أن يشاء الله. لو صار المراد إلا أن يحكم الله أو إلا أن يعلم الله لكان قبيحا، لأن العود إلى الكفر حرام لا ينبغي ذلك ولا يجوز شرعا وإنْ عَلِم الله تعالى وجود ذلك أو حَكَم بوجوده» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠١ظ).

مما يجوز أن يأذن[1] في ذلك، فذلك[2] لا يحتمل، لأنه ذكر الملّة التي كانوا هم عليها، فإليه يرجع[3] الثُّنيا، لا يجوز أن تصرف الثُّنيا[4] إلى غيره. وأما قول من يقول بالإياس وقطع الطمع عن ذلك، فذلك أيضا بعيد، لأن الإياس إنما يكون فيما يُعلَم أنه لا يكون ألبتّة من نحو ما ذكر من قوله: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ونحوه، وأما مثل هذا فإنهم لا يفهمون منه الإياس وقطع الرجاء، بل كانوا يأتون بالفواحش[5] ويقولون: الله أمرهم بذلك،[6] فأنى يقع لهم الإياس بذلك؟

وأما عندنا فإنه على حقيقة المشيئة، وذلك أنّ مَن عَلم الله منه أنه يختار فعل[7] الكفر ويؤثر ذلك على فعل الإيمان والطاعة يشاء ذلك له على ما علم أنه يختار، ومَن عَلم منه
[٢٥٨و] أنه لا يختار ذلك لا يشاء، إذ لا يجوز أن يعلم منه[8] غير الذي يكون، أو أن يشاء / غير الذي علم أنه يكون منه، لأنه جهل وعجز. وأصله أن شعيبا خاف أنْ تَسبِق[9] منه زلّة، أو تقصير يقع[10] منه الاختيار لذلك، فيشاء الله بذلك [له] الزيغ والضلال. وكذلك[11] جميع الأنبياء خافوا ذلك، كقول إبراهيم عليه السلام حيث قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[12] وقول يوسف حيث قال: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ.[13] كان خوف الأنبياء عليهم السلام[14] أكثر من خوف غيرهم.

---

[1] ع + يأذن.
[2] م – فذلك.
[3] ك: ترجع.
[4] م – أن تصرف الثنيا.
[5] ع: الفاحشة.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[7] م – يختار فعل.
[8] م: عنه.
[9] ك ن: أن يسبق؛ ع م: أن سبق.
[10] ع م – يقع.
[11] م – وكذلك.
[12] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[13] ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي عم عليم﴾ (سورة يوسف، ٧٦/١٢). وانظر تفسير المؤلف لهذه لآية.
[14] ن ع م + كان.

وقوله عز وجل: **وسع ربنا كلّ شيء عِلما**، معناه -والله أعلم- أنه لا نعلم إلى ماذا يصير[١] عاقبة أمرنا في علم[٢] الله. وقوله[٣] عز وجل: **على الله توكّلْنا**، قيل: **على الله** اعتمدنا فيما تخوّفوننا[٤] من الإخراج، وإليه نلجأ في سلطانه وملكه، وبه نَثِق في وعده بما يَعِدنا من النصر والظفر على الأعداء.

وقوله عز وجل: **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، قيل: قوله: **افتح**، أي احكم، **بيننا وبين قومنا بالحق**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما كنت أعلم ما معنى الفتح في الآية حتى تزوجت امرأة من بني كذا، فوقعت بيننا مخاصمة، فقالت لي: تعال[٥] حتى أُفاتحك إلى فلان، فعند ذلك[٦] عرفت[٧] أن المفاتحة هي المحاكمة.[٨] وقوله: **بالحق**، قيل: هو العذاب الذي كان وعد لهم أنه ينزل[٩] عليهم بتكذيبهم[١٠] شعيبا وبأذاهم إياه.

ثم للمعتزلة أدنى تعلّق بقوله:[١١] **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، يقولون: هو الدعاء والسؤال وإن كان لا يحكم إلا بالحق، فعلى ذلك يقولون في قوله: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[١٢] ونحوه، فكذلك يقولون في قوله:[١٣] **إلا أن يشاء الله**.[١٤] لكن عندنا يخرج قوله: احْكُمْ بِالْحَقِّ،

---

[١] ك: تصير.

[٢] م: أمرنا علم.

[٣] ن + وقوله.

[٤] ك: تخوفونا؛ ن ع م: يخوفونا.

[٥] م: تعالي.

[٦] ك - فعند ذلك.

[٧] ك: فعلمت.

[٨] روي عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، حتى سمعت ابنة ذي يَزَن تقول: تعال أُفاتحك، يعني أُقاضيك (*تفسير الطبري*، ٩/٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٠٣).

[٩] ع م: أن ينزل.

[١٠] ن: بتكذيب.

[١١] ع م - بقوله.

[١٢] سورة الأنبياء، ٢١/١١٢.

[١٣] م + إلا في قوله.

[١٤] قال الشارح: «ثم للمعتزلة أدنى تعلّق بقوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، الآية، في دفع سؤالٍ ألزمناهم في مسألة الأصلح واللّطف أن الأنبياء عليهم السلام والأخيار يقولون على سبيل الدعاء والسؤال من الله تعالى: اللهم اعصمنا، وأصلح ديننا؛ ولو كان أعطاهم ذلك كله ويبقى في مقدوره ما هو صلاح لهم لم يكن للسؤال معنى، ويكون ذلك سؤال الامتناع عن الجور، كأنهم قالوا: اللهم لا تَجُر علينا. فيقولون علينا على سبيل الاحتجاج: إن الله تعالى قال خبرا عنه صلوات الله عليه: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، ولا يؤدي إلى ما قلتم، لأنه يخرج السؤال على ترك الجور والامتناع عنه، أي لا تَجُر علينا، وكذلك قال في آية أخرى: ﴿احكم بالحق﴾، ونحوه (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٢و).

و **افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، على وجوه، أحدها يقول: **ربنا افتح بيننا** بحكمك وهو الحق. والثاني يقول: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ، في حادث الوقت كما حكمت في الوقت الماضي، وهو كقوله: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[1] وهو النبوة والهداية. والثالث على استعجال العذاب.

**﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[٩٠]**

وقوله عز وجل: **وقال الملأ الذين كفروا من قومه**، قد ذكرنا[2] أن الملأ هم كبراؤهم[3] وسادتهم، يقولون للأتباع والسَّفَلة: **لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون**، قال أبو بكر: لجاهلون. ثم يحتمل قوله: **إنكم إذا لخاسرون**، وجوها. أحدها أن شعيبا كان يحذّر قومه من التطفيف[4] في الكيل والوزن، ويأمرهم بوفاء[5] حقوق الناس بقوله: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا كذا،[6] وقوله عز وجل: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[7] فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة: **لئن اتبعتم شعيبا**، في دينه وما يأمركم به من وفاء الحق للناس، فإنكم **إذا لخاسرون** للأرباح.

والثاني أنه كان يحذّرهم ويمنعهم عن عبادة الأصنام والأوثان، ويدعوهم إلى عبادة الله ويرغّبهم في ذلك. وهم كانوا يعبدون تلك الأصنام لتقرّبهم[8] عبادتهم إياها[9] إلى الله زلفى، ويكونَ لهم شفعاء في الآخرة، فقالوا: **لئن اتبعتم شعيبا** فيما يدعوكم إليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين، لا شفعاء لكم في الآخرة.

والثالث أنهم كانوا يُوعِدون شعيبا بالإخراج بقولهم:[10] لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ،[11] فقالوا: **لئن اتبعتم شعيبا**، وهو[12] يُخرَج لا محالة، فتخرجون أنتم، فصِرْتُم من الخاسرين. ***والله أعلم.***

---

[1] الفاتحة، ٦/١.
[2] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[3] ن: كبراءهم؛ ع م: كبراء.
[4] جميع النسخ: بالتطفيف.
[5] ك: بوفايهما.
[6] ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المُخسِرين﴾ (سورة الشعراء، ١٨١/٢٦).
[7] سورة هود، ٨٥/١١.
[8] جميع النسخ: ليقرب.
[9] ك: إليها.
[10] ك: بقوله.
[11] سورة الأعراف، ٨٨/٧.
[12] ع م: وهى.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الرجفة**، قيل: الصيحة، وقيل: الزلزلة. قيل: أصابهم حرّ شديد، فرُفِعت لهم سحابة، فخرجوا إليها يطلبون الرَّوْح[١] تحتها. فلما كانوا تحتها[٢] سال عليهم العذاب ورجفت بهم الأرض، فهلكوا. وهو ما ذكر في آية أخرى: عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[٣] *والله أعلم*.

وقوله[٤] عز وجل: **فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قد ذكرنا قوله:[٥] **جاثمين**، فيما تقدم.[٦]

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين**، هو -والله[٧] أعلم- مقابل قولهم: لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ،[٨] وجواب لهم. يقول:[٩] **الذين كذبوا شعيبا** هم الخاسرون، لا الذين اتبعوه.

وقوله عز وجل: **كأن لم يَغْنَوْا فيها**، قيل:[١٠] **كأن لم** يعيشوا **فيها**، و لم يَتَنعَّمُوا قط. وقيل: **كأن لم** يقيموا **فيها**.[١١] قال القُتَبي: يقال: غَنِينا بمكان كذا وكذا، أي أقمنا، ويقال للمنازل: مَغَانٍ، واحدها مَغْنًى.[١٢] ويقال: **كأن لم يَغنَوا فيها**، أي **كأن لم** يكونوا **فيها** قط، وهو -والله أعلم- [جزاء] لما كانوا يستقلّون[١٣] نعم الله عليهم ويستحقرونها. حتى قالوا:[١٤] لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[١٥]

[١] الرَّوْح بمعنى الراحة والبرد (*لسان العرب* لابن منظور، «راح»).

[٢] ع م - فلما كانوا تحتها.

[٣] ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الشعراء، ١٨٩/٢٦).

[٤] ن: قوله.

[٥] ع: وقوله.

[٦] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٨/٧.

[٧] م: الله.

[٨] سورة الأعراف، ٩٠/٧.

[٩] ن م: بقول.

[١٠] ن - قيل.

[١١] ن - فيها.

[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.

[١٣] م: يستقبلون.

[١٤] أي يقولون يوم القيامة بأنهم لم يقيموا في الدنيا شيئا يُذكَر.

[١٥] ﴿قال كم لَبِثتم في الأرض عَدَدَ سِنِين. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادِّين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١١٢-١١٣).

وقال[1] [عنهم]: كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ،[2] ونحوه. وكلّه إخبار عن قطع آثارهم أنه لم يَبق منهم أحدٌ يحزن عليهم أو يبكي عليهم.

**﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾**[٩٣]

[٢٥٨و س٣٧] *وقوله: **فتولّى عنهم**، حين رآهم هَلْكَى. وقوله: **يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم**، قد ذكرنا هذا.[3] فقال: **فكيف آسى على قوم**، أي كيف[4] أحزن **على قوم** قد كذّبوني واختاروا عداوتي وصاروا[5] عليّ أعداء، **فكيف**[6] أحزن عليهم بالهلاك وهم أعدائي؟* ٢٥٨و س٣٩]

حتى قال شعيب: **فكيف آسى على قوم كافرين**، وجائز أن يكون قول شعيب حيث قال: **فكيف آسى على قوم كافرين**، حين علم أنهم يهلكون وينزل بهم العذاب، أي لا أحزن وعَمَلُهم[7] ما ذُكر. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، قال ذلك في الوقت الذي قال: وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ،[8] يقول:[9] كيف أحزن **على قوم** وعَمَلُهم ما ذُكر.*

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾**[٩٤]

[٢٥٨ظ] وقوله عز وجل: **وما أرسلنا / في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء**، في الآية إضمار -والله أعلم- من وجهين. أحدهما قوله: **وما أرسلنا في قرية من نبي**، فكذّبوه، **إلا أخذنا أهلها**، المكذّبين له، **بالبأساء** وما ذكر. وإلاّ لا يحتمل أن يرسل إليهم رسولا ثم يأخذهم بما ذكر من غير[10] أنْ كان منهم ردٌّ وتكذيبٌ[11] له.

---

[1] جميع النسخ: وقوله.
[2] ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ (سورة يونس، ٤٥/١٠).
[3] ن ع م - هذا. وانظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٩/٧.
[4] ن + آخرون.
[5] ع - وصاروا.
[6] ك: كيف.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ وكذلك وقع تقديم وتأخير فيما بين النجمتين؛ انظر: ورقة ٢٥٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[7] جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٢ظ.
[8] سورة الأعراف، ٨٦/٧.
[9] ن - يقول، صح هـ.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[10] ع م: من غيرهم.
[11] جميع النسخ: ردا وتكذيبا.

والثاني **وما أرسلنا في قرية،** أهلكنا، **من نبي إلا أخذنا أهلها،** قبل الهلاك، **بالبأساء والضراء لعلهم يضّرعون.** ثم لم يأخذ الله قوما بالهلاك قبل أن يبعث إليهم الرسول وقبل[1] أن يغيروا هم[2] ما أنعم عليهم بأنفسهم، كقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ[3] فِي أُمِّهَا رَسُولاً،[4] الآية، وقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً،[5] وقال: إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ،[6] وقال: وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ،[7] وغير ذلك من الآيات. أخبر أنه لا يأخذهم بالعذاب والهلاك إلا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه. وإن كان له الإهلاك قبل أن يبعث إليهم[8] الرسول لما ركّب فيهم من العقول السليمة مما بها يُوصَل إلى فهم كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته[9] وآيات ربوبيته، وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يُوصَل إلى سمع كل ما غاب، والنطقِ بكل ما يريدون، ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهائم، وما أنعم عليهم من أحسن[10] الصور ما لم يتمنّ أحد تحويله[11] منها إلى غيرها من الصور. لكنه لا يهلكهم[12] إلا بعد بعث الرسل إليهم، لما أن الخلق على مراتب.[13] منهم[14] من يفهم بالعقل، لا يحتاج إلى معونة[15] السمع، وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون الأشياء بالبديهة. ومنهم من لا يدرك إلا بمعونة السمع،[16] وهم كالصبيان، أنهم[17] لا يدركون إلا بالسمع وفضل التنبيه.

---

[1] ن: وقيل.

[2] ن م: أن يغيروهم.

[3] ك – إليهم الرسول وقبل أن يغيروا هم ما أنعم عليهم بأنفسهم كقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث.

[4] سورة القصص، ٢٨/٥٩.

[5] سورة الإسراء، ١٧/١٥.

[6] سورة ارعد، ١٣/١١.

[7] هذا دوام الآية المذكورة آنفا، يقول الله تعالى: ﴿وما كان ربك مُهلِك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتو عبيهم آياتنا وما كنا مُهلِكِي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥٩).

[8] ك: عليهم.

[9] م: وحدانية.

[10] جميع النسخ: من تصوير؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٢ظ.

[11] ك ع م: تاويله.

[12] م: لا يهلككم.

[13] ع: على مراتبهم.

[14] م: عنهم.

[15] م: إلي مؤنة.

[16] ك: إلا بالسمع.

[17] أي لأنهم.

ومنهم من[1] لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى تصيبهم[2] الشدائد والغِيَر[3] في أنفسهم وفيما أنعم عليهم، وهم كالبهائم التي[4] لا عقل لهم ولا سمع، ولكن يعرفون الشدائد وما يصيبهم من البلايا. فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا[5] أولا، فإن رجعوا عن ذلك وعرفوا نعمه[6] وإلاّ أهلكهم بعد ذلك، فعند ذلك ينتهون[7] ويتذكّرون. وذلك قوله: فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ.[8]

وقوله: **بالبأساء والضراء**، قد ذكرنا في صدر الكتاب.[9] وقوله: **لعلهم يضّرّعون**، أي لكي يكون عليهم التضرّع، أو لكي يلزمهم التضرّع والتذكّر.

**﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٩٥]**

وقوله: **ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة**، وهو [على] ما ذكر[10] أهل التأويل السعة والرخاء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا. **حتى عَفَوْا**، قيل: جَمُّوا[11] وكَثُرُوا.[12] أي كشف عنهم ذلك حتى كَثُروا، فعند ذلك أهلكهم **بغتة**؛ لأن الهلاك في حال الشدة والبلاء لا يكون أخذا ببغتة، لأن كل من حل به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك، فإذا أهلك في تلك الحال لم يكن أخذا بالهلاك **بغتة**. ألا ترى أنه سُمي الموتُ الذي يموته[13] المرء من غير مرض حلّ به موتَ فجأة،[14]

---

[1] ع – من.
[2] ن ع م: حتى يصيبهم.
[3] ك: والغيرة. والغِيَر الاسم مِن قولك: غَيَّرت الشيء فتغيّر، وغِيَرُ الدهر أحواله المتغيّرة ودواهيه، وورد في حديث الاستسقاء: «من يَكفُرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرَ»، أي تَغيُّرَ الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد (*لسان العرب* لابن منظور، «غار»).
[4] جميع النسخ: الذين.
[5] ع – البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا.
[6] ك: نعمته.
[7] ن: يتنبهون.
[8] سورة الأنعام، ٦/٤٢.
[9] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٧٧؛ و سورة الأنعام، ٦/٤٢.
[10] ن: وما ذكر أهل التأويل.
[11] م: جمعوا. جَمَّ بمعنى كَثُر واجتمع (*لسان العرب* لابن منظور، «جمم»).
[12] م: وأكثروا.
[13] جميع النسخ: يموت.
[14] ع: فجاءة.

والذي يموت[١] بمرضٍ يتقدّم الموتَ لا.[٢] وإن الموت في الوجهين جميعا لا يَعلم بحلوله، لكنه إذا لم يتقدّم مرض فهو[٣] لا يخاف منه، وإذا كان به مرض خاف به فلم يكن فجأة. فعلى ذلك إذا أُخِذوا في حال الشدة لم يكن أَخذا[٤] بالبغتة، لما يخافون فيه الهلاك؛ وإذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون، فيؤخذون في تلك الحال، فذلك أَخذ ببغتة. وقال: **حتى عَفَوْا**، قيل: كان أهلك بعضهم وترك بعضا **حتى عَفَوْا**، أي كَثُروا من ذلك البعض. ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من البأساء والضراء والشدائد والقحط، ثم كشف ذلك عنهم فكَثُروا، ثم أهلكهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء**، قالوا: إن آباءنا قد كان[٥] ينزل ذلك[٦] بهم ويصيبهم مرةً شدةٌ ومرةً نعمةٌ، فلم يكن ذلك بعقوبة لهم، فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدائد والبلايا ليس ذلك بعقوبة لنا؛ ولكن دَوَرانُ الدهر وتَصرُّفه على الشدة والبلاء مرة، ومرة على الخصب والسعة. ثم أخبر أنه أخذهم **بغتة** بعد قولهم: **قد مس آباءنا الضراء والسراء**.

**﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٩٦]

وقوله عز وجل: **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا**، قيل: **آمنوا واتقوا**[٧] قبل أن يهلكوا[٨] بعد ما أصابهم من الشدائد والبلايا، **لفتحنا عليهم بركات**، الآية، أي لأُعطُوا كل خير يُنال **من السماء والأرض**، والبركة ما يُنال من كل خير على غير[٩] مؤنة. البركة كل شيء يُنال بلا تَبِعة عليه ولا شدة. ذكر هاهنا أنه يفتح **عليهم بركات من السماء والأرض**[١٠] لو آمنوا واتقوا،

---

[١] ع م - يموت.
[٢] أي لا يسمى موت فجاة.
[٣] ك: هو.
[٤] ن ع م: أخذ.
[٥] ن - كان.
[٦] م - ذلك.
[٧] ك - قيل آمنوا واتقوا.
[٨] ع: قبل يهلكوا.
[٩] ع: لا غير.
[١٠] ن - والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة ذكر هاهنا أنه يفتح عليهم بركات من السماء والأرض.

وذكر إذا لم يؤمنوا ونَسُوا ما ذُكِّرُوا به أنه[1] يفتح عليهم أبواب كل شيء،[2] ولم يذكر البركة، ففيما لم يذكر البركة[3] يُنقِصهم[4] مما فتح[5] عليهم من كل شيء ويَسُوءهم، وفيما ذكر فيه البركة[6] بعد الإيمان لا يلحقهم من ذلك تَبِعة ولا غُرْم. *والله أعلم*.

وقوله[7] عز وجل: **ولكن كذّبوا**، الرسل، **فأخذناهم بما كانوا يكسبون**. ويحتمل قوله: **ولكن كذّبوا**، النعم التي أنعمها عليهم، أي الرسل،[8] **فأخذناهم بما كانوا يكسبون**، من التكذيب. *والله أعلم*.

**﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[٩٧] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٩٨]**

[٢٥٩و] وقوله[9] عز وجل: **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم / بأسنا بياتا وهم نائمون**، خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام، ولكن في الحقيقة على الإيجاب، كقوله: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ،[10] الآية؛ هذا في الظاهر وإن خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة على الإيجاب، كأنه قال: في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا أنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ.[11] فعلى ذلك قوله: **أَفَأَمِن أهل القرى... أَوَأَمِن أهل القرى**، على الإيجاب، كأنه قال: قد **أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا... وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى**، الآية. ثم اختلف في قوله:[12] **أَفَأَمِن أهل القرى... أَوَأَمِن أهل القرى**، إلى آخر[13] ما ذكر. قال الحسن:

---

[1] ع – أنه.
[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبْلِسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٤).
[3] ن – ففيما لم يذكر البركة.
[4] ن: ينفعهم.
[5] جميع النسخ: ما فتح.
[6] ك ن: من البركة.
[7] ع – وقوله.
[8] ك – أي الرسل. يعني أن النعم التي أنعمها الله عليهم هي رسالات الرسل.
[9] ك: قوله.
[10] ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يَحِيف الله عليهم ورسولُه﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٠).
[11] الحَيف هو الجور والظلم (*لسان العرب* لابن منظور، «حاف»).
[12] ع: فيه.
[13] ع + إلى.

هذه الآيات[١] في الأمم السالفة، أخبر عن أَمْنِهم نزولَ[٢] بأسِ الله وعذابِه بهم، لكن[٣] ذكره[٤] في هذه الأمة[٥] ليكونوا على حذر عن مثل[٦] صنيعهم.[٧] وقال الآخرون: هذه الآيات في قرى هذه الأمة[٨] لا في الأمم السالفة، يقول: أَمِن هؤلاء من بأسنا[٩] كما أَمِن أولئك[١٠] منه.[١١] فإنهم إذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الآخرة من العذاب مثل ما نزل[١٢] بأولئك في الدنيا من العذاب. وقوله: **بأسُنا بياتا وهم نائمون**، و **ضحى وهم يلعبون**، أخبر أن العذاب إنما نزل بهم في حال الأمن، وهو وقت النوم واللعب، لأنه هو[١٣] وقت الغفلة والسهو، وآمَنُ ما يكون الإنسان إنما يكون في حال النوم. وإنما نزل[١٤] بهم في وقت الغفلة والسهو[١٥] [حتى] يُذَكِّر بهذا[١٦] -والله أعلم- أهل مكة وغيرهم من الكفرة[١٧] بتكذيبهم رسول الله، لأن لا يكونوا آمنين عن بأس الله[١٨] أبدا في وقت من الأوقات. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٩٩]**

وقوله عز وجل: **أ فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**؛ المكر في الشاهد هو أن يراقب من عدوه حال غفلة لينتقم منه وينتصر، فإذا كان ما ذكرنا فسمي ما ينزل[١٩] بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا. وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق

---

[١] ع: هذه الآية.
[٢] جميع النسخ: بنزول.
[٣] ع: ولكن.
[٤] جميع النسخ: ذكر.
[٥] ن: هذه الآية.
[٦] ك: من مثل.
[٧] ن + ينزل بهم.
[٨] ع م: هذه الآية.
[٩] ع م: هؤلاء بأسنا.
[١٠] ع: بأولئك.
[١١] م: عنه.
[١٢] ع م: ما أنزل.
[١٣] ك - هو.
[١٤] ع: أنزل.
[١٥] ن - والسهو.
[١٦] ك: هذا.
[١٧] ع - وغيرهم من الكفرة.
[١٨] ع م - الله.
[١٩] ع: أن ينزل.

هو استظهار ما خفي على بعضهم من بعض، فيأمرون بذلك وينهون، فسمى الله تعالى ذلك امتحانا لمعنى[1] الأمر والنهي وإن كانت الخَفِيات عن الخلق ظاهرةً له باديةً عنده.[2]

[٢٥٨و س٢٠ *وقوله: **أفأمنوا مكر الله**، أي جزاء[3] مكرهم. سُمِّي جزاءُ المكر مكرا كما[4] سُمِّي جزاءُ السيئة سيئةً،[5] وجزاءُ الاعتداء اعتداء،[6] وإن لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة. فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا وإن لم يكن الثاني مكرا. *والله أعلم*. ألا ترى أنه لم يجز أن يُسَمَّى مَكَّارا، ولو كان على حقيقة المكر لَسُمِّي[7] بذلك، دل أنه جزاء. وجائز أن يكون المراد من مكره جزاء مكرهم.

٢٥٨و س٢٤] سُمِّي الجزاء باسم المكر لأنه جزاؤه، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[8] والثانية ليست بسيئة.*

وقوله عز وجل: **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**، فالآية على المعتزلة، لأنهم يأمنون[9] مكر الله في الصغائر حيث قالوا: الصغائر[10] مغفورة، ليس له أن يعذبهم عليها، فهو أمن من مكره. وييأسون من رحمته لقولهم في الكبائر أنْ ليس له أن يعفو عنهم، وقد أخبر: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ،[11] وهم قد أَيِسوا من رحمة الله في الكبائر وأَمِنوا مكرَه في الصغائر.[12] فهاتان الآيتان على المعتزلة.*

---

[1] ع: بمعنى.
[2] قال الشارح رحمه الله تعالى: «المكر في الشاهد هو أن يُراقِب مِن عدوِّه حالَ غفلةٍ لينتقم منه وينتصر، لكن في حق الله تعالى لا حاجة إلى المراقبة لقدرته على الانتقام منه في أي حالٍ شاء. لكن سُمِّي ما ينزل بهم في حال الغفلة مكرا بطريق المجاز، لوجود بعض ما في الحقيقة، وهو اعتبار حال الغفلة، وعدم وصف المراقبة. وهذا طريق المجاز في اللغة، هو المشابهة في بعض ما في الحقيقة. ونظير ما قلنا لفظة الامتحان والابتلاء تُستعملان في حق الله تعالى، وإن كان الامتحان والابتلاء فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي عيبهم بعضهم من بعض، فيأمرون بذلك وينهون ليظهر لهم ما خفي عليهم. فأُطلِق لفظة الابتلاء والامتحان على الأمر والنهي من الله تعالى -وإن كان ما خفي على الخلق من الخفيات ظاهرا في حقه- بطريق المجاز لما في الامتحان من الأمر والنهي» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٣و).
[3] م: أو جزاء.
[4] م - كما.
[5] ن ع م: السيئة. وانظر الآية الآتية.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[7] ن ع م: يسمى.
[8] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه من تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٩و/سطر ٢٠-٢٤.
[9] م: يأمنوا.
[10] م - حيث قالوا الصغائر.
[11] سورة يوسف، ١٢/٨٧.
[12] ن ع م: عن الصغائر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٩و/سطر ٢٠-٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **أَوَلم يَهد لِلذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**، على تأويل من يجعل الآية في الأمم السالفة يقول: **أَوَلم** يُوفَّقوا[١] و لم يُهدَوا للصواب[٢] بهلاك أمة[٣] بعد أمة وقوم بعد قوم. وعلى تأويل من يقول بأن الآية في هذه الأمة يقول: **أَوَلم** يُبَيَّن[٤] لهؤلاء[٥] الذين ورثوا **الأرض من بعد** هلاك **أهلها أن لو نشاء أصبناهم** بعذابٍ[٦] **بذنوبهم**،[٧] كما أصاب أولئك العذاب بذنوبهم. وقوله: **أَوَلم يَهد لِلذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**، أي **من بعد** هلاك **أهلها**.

وقوله: **أَوَلم يهد**، على إسقاطِ الواو والألف، أي **لم يَهد لِلذين يرثون الأرض**. ثم يحتمل وجهين.[٨] يحتمل قوله: **لم يهد هم**، أي لم[٩] يتفكّروا بما[١٠] أهلك الأولين وما حلّ بهم بتكذيبهم الرسل[١١] أنهم[١٢] إذا تركوا التفكّر والنظر فيهم وما نزل بهم لم يهد لهم. والثاني قد هداهم، لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به، وهو [على] ما نفى عنهم من السمع والبصر والعقل[١٣] لما لم ينتفعوا به.

---

[١] ك ن: ألم يوفقوا.
[٢] ع: و لم يهد وللصواب.
[٣] ع: أمته.
[٤] ك ن: ألم يبين
[٥] ك – لهؤلاء؛ ن: لهم.
[٦] ك – بعذاب.
[٧] ك + أي لو نشاء أصبناهم بعذاب بذنوبهم.
[٨] ع م – يحتمل وجهين.
[٩] جميع النسخ: أو لم.
[١٠] ك: إذ لم يتفكروا بها؛ ن: إذ لم يتفكروا بما.
[١١] ع: الرسول.
[١٢] ع – أنهم؛ ع م + كانوا. أي لأنهم إذا تركوا...
[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صُمّ بُكْم عُمْي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

ويحتمل على غير[1] إسقاطِ **أَوَ**، كأنه قال: **أَوَلَم يَهد لِلذين يرثون الأرض**، أولم يهدهم[2] الرسول قدرةَ الله في إهلاك الأمم الخالية، فعلى ذلك هو قادر على إهلاك **الذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**. يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا. *والله أعلم*. أو يقول: **أَوَلَم يَهد لهم** وراثةُ **الأرض مِن بَعد** هلاك **أهلها** أنهم بم أُهلِكوا، حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله.

وقوله: **أَوَلَم يَهد لِلذين يرثون الأرض**، يخرج[3] على وجهين. أحدهما قد هداهم وبيّن لهم أنّ مَن تقدّمهم إنما هلكوا بما أصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد، لكن لم يهتدوا لعنادهم.[4] والثاني لم يهدهم لما لم يتفكّروا فيها[5] و لم ينظروا. على التلاوة[6] قُرِئت [الآية] بإسقاط الواو.[7]

وقوله:[8] **أَنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم**، فإن كانت في الأمم السالفة فقوله: **أن لو نشاء أصبنا** قوما بعد قوم **بذنوبهم**. وإن كانت في المتأخرين فيكون قوله: **أن لو نشاء أصبنا** هؤلاء[9] **بذنوبهم**، على ما أصاب أولئك بذنوبهم. **ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**، / والطبع يحتمل [٢٥٩ظ] الختم، أي ختم[10] **على قلوبهم**. ويحتمل الطبع ظلمة الكفر، أي ستر **قلوبهم** بظلمة الكفر،[11]

[1] ن – غير.
[2] ع: أو لم يهد لهم.
[3] ن – يخرج.
[4] ع: العنادهم.
[5] ن – فيها.
[6] أي من حيث التلاوة.
[7] ن ع م – الواو. أي من حيث التلاوة... لكن الشارح رحمه الله يقول: «ثم قوله: ﴿أَوَلم يهد لِلذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ قرئ على إسقاطِ الألف والواو، لم يَهد لِلذين يرثون الأرض وقرئ على إثبات الألف والواو أَوَلم يهد لِلذين يرثون الأرض. فمن قرأ بالإسقاط فقراءته يحتمل وجوها. أحدها على التقرير والإثبات أي قد هداهم وبيّن لهم أنّ مَن تقدّمهم إنما هلكوا لما أصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد، لكن لم يهتدوا لعنادهم. والثاني أي لم يهد لهم لما لم يتفكّروا ولم ينظروا فيما أهلك الأولين وما حلّ بهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام أنهم إذا تركوا التفكّر والتأمل. والثالث يحتمل لم يهد لهم، أنهم لم ينتفعوا به وإن هداهم فكأنه لم يهد لهم وهو كما نفى عنهم السمع والبصر والعقل مع الوجود حقيقة لما لم ينتفعوا بها، فهذا مثله. وأما القراءة بإثبات الألف والواو معناه أولم يبين لهم الرسل عليهم السلام قدرةَ الله تعالى في إهلاك الأمم الماضية، ليعلموا أنه قادر على إهلاك الذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها. ويحتمل أَوَلم يَهد لهم وراثةُ الأرض مِن بَعد هلاك أهلها أنهم أُهلِكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٣و).
[8] ن: أو قوله.
[9] ك ن م: أصباهم لا؛ ع: أصناهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٣و.
[10] ك: أي وختم.
[11] جميع النسخ + كقوله.

وكل شيء ستر شيئا وتغشاه فهو طَبْع.[١] **فهم لا يسمعون**، يحتمل وجهين.[٢] يحتمل **لا يسمعون** لما لا ينتفعون به. ويحتمل **لا يسمعون**، أي لا يجيبون، كقوله [عليه السلام]: «سمع الله لمن حمده»،[٣] قيل: أجاب الله لمن حمده، أي دعاءه.

**﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾**[١٠١]

وقوله عز وجل: **تلك القرى نقص عليك من أنبائها**، قوله: **نقص عليك**، أي قصصنا عليك، مما قصّ[٤] عليه من الأنباء. يخبر رسوله أنّ القرى التي كانت من قبل قد سألوا رسلهم الآيات فجاءوا بها ولم يصدّقوها[٥] فعلى ذلك هؤلاء، أنك[٦] لو أتيت بما سألوك[٧] من الآيات لم يؤمنوا بها ولم يصدّقوها؛ يخبره عن تعنّتهم ومكابرتهم وعنادهم. والثاني يذكر أن الآيات ليس يجب أن يأتوا بها من الجهة التي يريدون، إنما يجب أن يأتوا بما هو[٨] حجة.

وقوله عز وجل: **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات**، يحتمل وجوها.[٩] يحتمل الأنباء التي أنبأت الرسل أقوامهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها. ويحتمل **البينات** الآيات[١٠] التي تدل على صدق الرسل بما يقولون ويخبرون بعد ما سألوهم الآيات، لكن ردّوها ردّ عناد ومكابرة بعد ما عرفوا أنها حق.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا**، قيل: يحتمل قوله: **فما كانوا ليؤمنوا**[١١] **بما كذّبوا من قبل**، أي **ما كانوا ليؤمنوا** لَمّا رأوا بأسنا **بما كذبوا من قبل**، أي لا ينفعهم إيمانهم عند رؤيتهم بأس الله،

---

[١] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «طبع».
[٢] ن + أحدهما.
[٣] صحيح *البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧١.
[٤] ك: بما قص.
[٥] ك: ولم يصدقوبها.
[٦] أي لأنك لو أتيت...
[٧] جميع النسخ + ما سألوك.
[٨] جميع النسخ: ما هو.
[٩] م - يحتمل وجوها.
[١٠] ن ع م - الآيات.
[١١] ع م - قيل يحتمل قوله فما كانوا ليؤمنوا.

كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ.[1] ويحتمل **ما كانوا ليؤمنوا** بسؤالهم الآيات إذا أتاهم الآيات[2] **بما كذّبوا من قبل**، لأن تركهم[3] الإيمان وتكذيبهم الرسل ليس لمالم يكن لهم الآيات، ولكن للتعنّت. فأخبر أنهم وإن سألوا الآيات فإنهم[4] لا يؤمنون. والثالث **ما كانوا ليؤمنوا** بما يخبرهم[5] الرسول من إتيان العذاب بهم **بما كذّبوا من قبل** من[6] الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وما وجدنا لأكثرهم من عهد**، يحتمل العهد المذكور وجوها ثلاثة. أحدها **عهد** الخلقة،[7] لما في خلقة[8] كل أحد الشهادة بالوحدانية له والألوهية، فلم يوفوا بتلك العهود، بل نقضوها. والثاني العهد الذي أخذ الله عليهم على ألسُن الرسل، كقوله: وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[9] الآية، فلم يوفوا بذلك. والثالث ما أعطوهم[10] من أنفسهم من العهد، كقول فرعون[11] لموسى: يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ،[12] فلم يوفوا بما أعطوهم من العهود.

وقوله عز وجل: **وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**، أي[13] وقد **وجدنا أكثرهم فاسقين**، بنقض العهد. *والله أعلم*.

[1] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).
[2] ع + إذا هم الآيات.
[3] ع: إلا أن تركهم.
[4] ك: إنهم.
[5] ك: بما أخبرهم.
[6] ع م – من.
[7] ع: عند الخلقة.
[8] ك – خلقة، صح، هـ.
[9] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).
[10] م: ما أعطواهم.
[11] ن – فرعون، صح، هـ.
[12] سورة الزخرف، ٤٩/٤٣.
[13] ع م – أي.

**﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾**[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ثم بعثنا من بعدهم موسى**. يحتمل قوله: **ثم بعثنا من بعد** هلاك قرون كثيرة **موسى** رسولا. **بآياتنا إلى فرعون ومَلَئِه**، يحتمل قوله: **بآياتنا**، حججنا. ثم يحتمل حجج وحدانية الله وألوهيته، ويحتمل آيات رسالته ونبوته. وعلى قول الحسن **بآياتنا** ديننا. وعلى ذلك يتناول جميع الآيات التي ذكرت في القرآن.

وقوله عز وجل: **إلى فرعون ومَلَئِه**؛ إنّ موسى كان مبعوثا إليهم جميعا، **إلى فرعون** والملأ والأتباع[١] جميعا، لا أنه كان مبعوثا **إلى فرعون ومَلَئِه** خاصة دون الأتباع. وكذلك ذكر في مكان آخر: إِلَى فِرْعَوْنَ،[٢] خاصة. وهو بعث إليهم جميعا. لكن يخرج تخصيص ما[٣] ذَكَر هؤلاء القادة -والله أعلم- لما أن الذي ينازع الأنبياء والرسل هم الكُبَراء والرؤساء دون الأتباع والسَّفَلة، والأتباعُ هم الذين يَصدُرون لآراء الكُبَراء ويتبعونهم[٤] فيما يدعونهم إليه، وعلى ذلك سُمُّوا الكبراء والرؤساء[٥] أضداد الرسل، وإلا كان موسى مبعوثا إليهم جميعا، الوضيع منهم والرفيع.[٦]

وقوله عز وجل: **فظلموا بها**، قال بعضهم: قوله: **فظلموا بها**، أي ظلموا الآيات والحجج التي أتى[٧] بها موسى فرعون[٨] وقومه. سُمِّي ظلما لأنهم سَمَّوا تلك الآيات سحرا بعدما عرفوا أنها منزلة من الله، فوضعوها غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وقال قائلون: قوله: **فظلموا بها**، أي ظلموا نعم[٩] الله التي أنعمها عليهم حيث عبدوا غيره، فصرفوا[١٠] شكر تلك النعم إلى غير الذي أنعمها عليهم، فذلك ظُلمٌ. شَكَروا من لم ينعم عليهم وصرفوا عمن أنعم عليهم. ***والله أعلم***.

---

[١] م: الأتباع.
[٢] ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ (سورة المزمل، ١٥/٧٣).
[٣] ك - ما.
[٤] ع: ويتبقونهم.
[٥] ن م - والرؤساء.
[٦] ع + والله أعلم.
[٧] ن ع - أتي.
[٨] م: موسى إلى فرعون.
[٩] ع: أنعم.
[١٠] ع: فضربوا.

ويحتمل **ظلموا** الأتباعَ بتلك الآيات، حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم.[١] أو يقول: ظلموا بها[٢] أنفسهم حيث تركوا اتباعها.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**، هذا الخطاب في الظاهر[٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان المراد بالخطاب غيره. أَمَر كُلًّا بالنظر في **عاقبة المفسدين** لما حلّ بهم بفسادهم، لأن من نظر في **عاقبة** ما حلّ بغيره بمعصية أو فساد يمتنع[٤] عن مثله. وأمكن أن يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين. أحدهما لما له -بما حلّ بهم- بعضُ التسلّي لأذاهم إياه، لأن مَن توهّم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على أذاه، ويكون له بعض التسلّي في ذلك. والثاني[٥] يذكّرهم وينبّئهم بما يحلّ بهم في العاقبة[٦] ليمتنعوا / عما ارتكبوا من المعاصي، لأن ذلك أزجر. [٢٦٠و]

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين**. فإن قيل: كيف قال: **إني رسول** الله، وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح والتزكية، وقد نُهينا[٧] عن ذلك،[٨] لأنه أخبر بمحل الذي يوضع الرسالة فيه وأنه أهل لها؟

قيل: ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية له، لأنه إنما يَذكر منّة الله تعالى أنه جعله بحيث[٩] يوضع فيه الرسالة، وجعله أهلا لها. والتزكية والامتداح إنما يقع فيما هو فعله حقيقة، لا فعل الله. أو إن كان تزكية وامتداحا[١٠] فهو قد أمر بذلك، فجاز ذلك بالأمر. أو أراد[١١] بذلك تعريفه،

---

[١] أي طلبوا منهم أن يتبعوهم.
[٢] ع م: لها.
[٣] ع: هو الظاهر.
[٤] ك: يمنع.
[٥] ع م - والثاني.
[٦] ن - ذلك والثاني يذكرهم وينبئهم بما يحل بهم في العاقبة.
[٧] ع م: وقد نبهنا.
[٨] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أَجِنَّةٌ في بطون أمهاتكم فلا تُزَكُّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٣٢).
[٩] ع: حيث.
[١٠] ك ن ع: وامتداح.
[١١] ن: وأراد.

لما كان من عادة الملوك أنهم إذا بعث بعضهم إلى بعض رسولا فإنهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه والشر، بل يعظّمون الرسل ويكرمونهم وإن كان[1] بينهم معاداة؛ فذكر أنه **رسول من رب العالمين** لئلا يُستقبَل بالمكروه.

وقوله: **من رب العالمين**، قيل: العالم هو جوهر الكل، وهو قول الفلاسفة. وقال أبو بكر الأصم: **رب العالمين**، أي مليك الخلائق.

**﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، قال أهل التأويل: إن موسى لما قال لفرعون: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] فقال له: كذبت، فعند ذلك قال له موسى: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**. وأمكن أن يكون ذلك منه على غير تكذيب القول من فرعون، ولكنه قال ذلك له موسى[3] لما أنه[4] **حقيق على** كل أحدٍ أكرمه الله بالرسالة واختاره لها **أن لا** يقول **على الله إلا الحق**. أو أن يقول: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] **حقيق على** ما أكرمني بالرسالة **أن لا أقول على الله إلا الحق**. وقوله: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، قد ذكرنا أن لا يصح الابتداء بهذا إلا بعد أن يسبق من فرعون[6] كلام تخرّج[7] ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه. وهو ما قال[8] أهل التأويل: أنْ قال له لما قال: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ[9] إليك: كذبت، لم يرسلك إلينا، أو كلام نحو هذا. فعند ذلك قال:[10] **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، أي ما كان ينبغي لي أن **أقول على الله** الكذب. وهو كما قال عيسى: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ،[11]

[1] ك: إن كان.
[2] مر آنفا.
[3] ك ع م - له موسى.
[4] ك ن ع - أنه.
[5] مر آنفا.
[6] ك ن + اللعين.
[7] ن: يخرج.
[8] ع: ما يقال.
[9] الآية السابقة.
[10] ك + فعند ذلك قال.
[11] سورة المائدة، ١١٦/٥.

لما قال له:[1] أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ.[2] كان ذلك القول من عيسى بعد[3] ما ادعى قومه[4] على عيسى أنه قال لهم ذلك. وكذلك قول الملائكة: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ، بعد ما قال لهم: أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ.[5] فعند ذلك قالوا: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ، خرج ذلك القول منهم جواب ما تقدم. فعلى ذلك قول موسى: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، خرج على تقدُّم قولٍ كان منهم. *والله أعلم*. ومن قرأ: **حقيق عَلَى أن لا أقول على الله إلا الحق**،[6] فتأويله مَحْقُوق[7] **على أن لا أقول على الله إلا الحق**. ومَن قرأ[8] بتشديد "عَلَيَّ"[9] فتأويله: **حق عَلَيَّ أن لا أقول على الله إلا الحق**.

وقوله عز وجل: **قد جئتكم ببينة من ربكم**، يحتمل ببينة من ربكم،[10] ما يُبين وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل بينة الرسالة،[11] ما يُبين أني رسول[12] رب العالمين غير كاذب عليه ولا مُفترٍ. وقوله عز وجل: **فأرسل معي بني إسرائيل**، أي لا تستعبدهم، فإنهم ليسوا بعبيد. لم يُرِد إرسالهم[13] معه، ولكن طلب استنقاذهم من العُبودَة، كقوله: أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[14]

**﴿قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٠٦]**

وقوله عز وجل: **قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين**، دل قول فرعون:

---

[1] ن – له.

[2] ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ (سورة المائدة، ١١٦/٥).

[3] ع م – بعد.

[4] م – قومه.

[5] ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١).

[6] ك م – خرج على تقدم قول كان منهم والله أعلم ومن قرأ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق.

[7] جميع النسخ: للحقوق؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٤و.

[8] م: ومن قرأه.

[9] قرأ نافع من الأئمة العشرة بتشديد الياء مفتوحة: عَلَيَّ، وقرأ الباقون بدون تشديد: عَلَى؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٠/٢.

[10] ع – يحتمل ببينة من ربكم.

[11] ع م: الرسل له.

[12] ع + من.

[13] ع: إسالهم.

[14] ﴿وتلك نعمة تَمُنُّها عليّ أنْ عَبدتَ بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٢).

**إن كنت جئت بآية**، أن موسى أراد بقوله: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ،[١] الآية. ودل قوله: **إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين**، أنه قد كان عرف أنه ليس بإله، وعرف عُبودَة نفسه، حيث طلب منه الآية على صدق ما ادعى من الرسالة، ولو كان عنده أنه إله لكان قال لموسى: أنا الإله، فمتى أرسلتك؟ ولم يطلب منه الآية.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**، قال أبو عَوْسَجَة: الثعبان الحية. قال: كل حية تسمى ثعبانا،[٢] والثعابين[٣] جماعة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الثعبان هي الحية[٤] الذكر.[٥] وقوله: **مبين**، أي مبيّن أنها حية. وهو كما ذكر:[٦] فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.[٧] **مبين**، لا يشك أحد أنها ليست بحية. ويحتمل **مبين**، أي **مبين** أن ذلك التغيير والتحويل لا يكون إلا من الله.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**، ذكر نَزَعَ يده، ولم يذكر مما ذا؟ فهو ما ذكر في آية أخرى: وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ،[٨] أي من غير أذى ولا آفة.[٩] وقال أهل التأويل: من غير بَرَص. ولكن عندنا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، أي[١٠] من غير أن تُستقبَح أو تُستقذَر؛[١١] لأن خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يُستقذَر، فأخبر أنه لم يكن كذلك.

---

١ الآية السابقة.
٢ ع: ثعبان.
٣ م: أو الثعابين.
٤ ك ن: هو الحية.
٥ *تفسير الطبري*، ١٥/٩.
٦ م: كما ذكرنا.
٧ سورة طه، ٢٠/٢٠.
٨ سورة النمل، ١٢/٢٧.
٩ ك: وآفة.
١٠ ع م - أي.
١١ ع: أن يستقبح أو يستقذر.

فإن قيل لنا: ما الحكمة في إدخال يده جيبه على ما هي عليها وإخراجه إياها **بيضاء** من غير أن كانت كذلك قبل أن يدخلها، وكذلك صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الأرض دون أن تصير[1] حية وهي في يده؟

[٢٦٠ظ] قيل: ذلك / -والله أعلم- أنه[2] إنما أراهم آية بعد ما أخرج العصا عن سلطانه وتدبيره، لِيُعلَم أنها إنما صارت حية[3] لا بتدبيره وتغييره، ولكن بالله[4] عز وجل. وكذلك اليد صيّرها آية بعد ما غيّبها عن بصره وتدبيره لِيُعلَم أنها صارت كذلك لا به، ولكن بالله[5] عز وجل. والآية[6] هي التي تخرج عن وسع الخلق وتدبيرهم.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم**، وقال في آية أخرى: قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[7] يحتمل أن يكون فرعون قال للملأ: إِنَّ هَٰذَا كذا، ثم **قال الملأ** لقومه **إن هذا لساحر عليم**. أراد -والله أعلم- تلبيس ما أتى به موسى من الآية على قومه. وأراد بقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[8] إغراء قومه عليه. والسحر عندنا هو من آيات الرسالة، ولو كان ما أتى به[9] موسى سحرا كان ذلك من آيات رسالته ونبوته، لأنه لا يستفاد إلا بعلم من السماء وخبر منها. وكذلك هذه الحِرَف والمكاسب التي تُكتسَب في الخَلْق، لأنه لا يُعلَم إلا بالوحي من السماء، لكنه ليس بآية على الإشارة.[10] ولو كان ما أتى به سحرا لكان له آية، لأنه نشأ بين أظهرهم، لم يروه اختلف إلى ساحر قط،

---

[1] م: أن يصير.
[2] أي لأنه...
[3] ع م - حية.
[4] ك: ولكن الله.
[5] ك: ولكن الله
[6] م: الآية.
[7] سورة اشعراء، ٣٤/٢٦.
[8] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦. أما الآية التالية هنا فليس فيها قوله: ﴿بسحره﴾.
[9] ع م - به.
[10] قال الشارح: «... لكنه ليس بآية على الإشارة والتعيين. أعني أنه ليس بآية في حق كل شخص واحد، لأنه قد يوجد من الشخص بطريق التعليم من غيره إلى أن ينتهي إلى الوحي بالحرف والمكاسب سواء. وهذا طريق معتاد. والآية ما خرجت على نقض العادة. وإنما يكون آية بوصف خاص، وهو أن توجد منه في حق من يعرف أنه لم يحصّله بالتعليم، فيتعيّن في حقه الوحي، وهو خلاف العادة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٤و).

ولا عُرِف[١] أنه تعلّم ذلك من أحد، فدل ذلك أنه من الآية. لكنه أخرج ذلك عما عرفوا من السحر لِما لا كلُّ أحدٍ يَعرف أنه لم يختلف في ذلك ولا تعلّم من أحد، فأخرجه عن وُسع السحرة وتدبيرهم ليعرف كل أحد أنه آية[٢] رسالته ونبوته، لا السحر. ***والله أعلم.***

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **يريد أن يخرجكم من أرضكم**، كان موسى لا يريد أن يخرجهم من أرضهم، ولكن –والله[٣] أعلم– كأنه قال فرعون لقومه: لو اتبعتم موسى وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه لأخرجتُكم من أرضكم،[٤] لكن أضاف ذلك إلى موسى لما كان هو سبب إخراجهم. ***والله أعلم.*** أو يقول: **يريد أن** يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم وتلذّذكم بأنواع التلذّذ؛ لأنهم كانوا يستعبدون بني إسرائيل ويستخدمونهم[٥] ويستريحون هم[٦] ويَنعمون. فيقول للقبط: **يريد أن** يذهب بذلك كله عنكم. وجائز أن يكون موسى لم يكن **يريد أن** يخرجهم من أرضهم، ولكن **يريد أن** يخرجهم من دينهم الذي كانوا عليه، ولكنه كان يغري قومه عليه.

وقوله: **فماذا تأمرون**، دل هذا القول من فرعون أنه كان يعرف أنه ليس بإله ولا رب، لأنه لو كان كما يقول:[٧] أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى،[٨] لكان لا يطلب من قومه الأمر والإشارة في ذلك، دل ذلك أنه كان يعرف عجزه وضَعفه، لكنه يكابر ويُلبِّس على قومه ويُمَوِّه بقوله: إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[٩] وقوله: **يريد أن يخرجكم من أرضكم**. هذا الحرف حرف إغراء وتحريش عليه. وقوله: **فماذا تأمرون**، هو حرف تقريب، حيث جعل إليهم الأمر والإشارة، وجعلهم من أهل مشورته.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[١١١]

وقوله: **قالوا أرجه وأخاه**، هذا الحرف لا يقال ابتداء، إلا أن يكون هنالك تقدّم شيء.

---

١ ع م: لا عرف.
٢ جميع النسخ: آيات.
٣ ع م: الله.
٤ م – من أرضكم.
٥ ك: ويستخدموا، صح، هـ.
٦ ن: ويستريحونهم.
٧ جميع النسخ: ما يقول.
٨ سورة النازعات، ٢٤/٧٩.
٩ الآية السابقة.

فكأنه همّ بقتله، كقوله: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[1] فقالوا له: **أرجه**، أي أَخِره واحبسه ولا تقتله، ليتبين سحره عند الخلق جميعا، كانوا يمنعون فرعون عن قتله. ألا ترى أنه قال: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى، لو لم يكن منهم[2] مَنْع عن قتله لم يكن ليقول لهم: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى. وقوله: **قالوا أرجه وأخاه**، قال القُتَبي: **أرجه وأخاه** هارون، يقول: احبسه، أي أَخِره. ومنه قوله: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ،[3] ومنه سُمِّيت المُرْجِئة.[4] وقال ابن عباس رضي الله عنه: **أرجه وأخاه**، ولا تقتلهما، **وأرسل في المدائن حاشرين**، أي **أرسل** إلى **المدائن**[5] الشُّرَط، فأتوه من **المدائن حاشرين**، أي يحشرون عليك السحرة والناس؛ إلى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه.[6]

**﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾**[١١٢]

وقوله: **يأتوك بكل ساحر عليم**، لا تقتلوه حتى **يأتوك بكل ساحر عليم**،[7] أي ليجتمع كل أنواع السحر ليتبيّن سحره، وإلا كان ساحر واحد كافيا،[8] ولكن أرادوا -والله أعلم- بقوله: **يأتوك بكل ساحر عليم**، ليجتمع جميع[9] أنواع السحر[10] عنده ليتبيّن سحره.

**﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾**[١١٣] **﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين**، في المنزلة والقدر عندي. هذا يدل أن هِمّة الساحر ليس إلا الدنيا،

---

[1] سورة المؤمن، ٤٠/٢٦.

[2] ك: معهم.

[3] ﴿تُرجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥١). والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي تؤخر من تشاء من أزواجك في القَسْم... وهناك أقوال أخرى.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠. والإرجاء التأخير، ومنه سُمِّيَت المُرْجِئة، والمرجئة صنف من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل، أي أخروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم (*لسان العرب* لابن منظور، «رجأ»).

[5] ع + حاشرين.

[6] *تفسير الطبري*، ٩/١٧، ١٨.

[7] ع – لا تقتلوه حتى يأتوك بكل ساحر عليم.

[8] ع م: كاف.

[9] م: جمع.

[10] ك ن – ليتبين سحره وإلا كان ساحر واحد كاف ولكن أردوا والله أعلم بقوله يأتوك بكل ساحر عليم ليجتمع جميع أنواع السحر.

لأنهم طلبوا من فرعون الأجر والقدر والمنزلة عنده إن كانوا هم الغالبين، ولا يجوز مَن هِمّته[١] هذه[٢] الدنيا[٣] وما ذكر أن يكون له الرسالة بحالٍ، وهِمّة الأنبياء كانت الدين وطلبَ الآخرة.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين**، هذا ليس على إلقاء هذا وترك أولئك الإلقاءَ،[٤] لأنه لو كان على إلقاء أحدهما لكان لا يتبين السحر من الآية، لكن إلقاء الأوّل. كأنهم **قالوا يا موسى إما أن تلقي** أوّلا أو **نحن** الملقون أول مرة. وهو كما ذكر في آية أخرى: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى.[٥]

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[١١٦]

وقول موسى: **ألقوا**، كأنه أمره ربه أن يأمر بذلك. **قال** موسى **ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم**، هذا يدل أن السحر إنما يأخذ الأبصار على غير حقيقة كانت له،[٦] وهو كالسراب الذي يُرَى مِن بُعد،[٧] كقوله: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً،[٨] الآية؛ فعلى ذلك السحر يأخذ الأبصار ظاهرا،[٩] فإذا هو في الحقيقة باطل لا شيء، وكالخيال في القلوب لا حقيقة له. وكان قصدهم بالسحر استرهاب الناس وتخويفهم به؛ ألا ترى أنه[١٠] ذكر في آية أخرى: / فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى.[١١] وقد ذكرنا[١٢] أن ما جاء به الرسل لو كان سحرا في الحقيقة [٢٦١و] لكان ذلك حجة لهم في إثبات الرسالة، لأن قومهم لم يروهم اختلفوا إلى ساحر قط، فيدل ذلك أنهم إنما عرفوا ذلك بالله تعالى. وهو كالأنباء التي أتى بها رسول الله صلى الله على وسلم.[١٣]

---

[١] ن ع: همه.
[٢] ع م - هذه.
[٣] ك - لأنهم طلبوا من فرعون الأجر والقدر والمنزلة عنده إن كانوا هم الغالبين ولا يجوز من همته هذه الدنيا.
[٤] ن ع: الإلقى.
[٥] سورة طه، ٦٥/٢٠.
[٦] ك: له كانت.
[٧] ع م: من بعيد.
[٨] ﴿والذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسبه الظَّمْآن ماء﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[٩] ع: ظاهر.
[١٠] م - أنه.
[١١] سورة طه، ٦٧/٢٠.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ١٠٩/٧.
[١٣] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿تلك مِن أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنتَ تَعلمها أنت ولا قومُك مِن قَبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (سورة هود، ٤٩/١١).

وقوله: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، يخرج على وجهين. أحدهما أخذ سحرُهم بصره[1] كما أخذ أعين الناس. والثاني خاف أنّ سحرهم يمنع أولئك عن رؤية[2] حقيقة ما جاء به. وقوله: **سحروا أعين الناس،** أي حيّروا، كقوله: مَسْحُورُونَ،[3] أي مأخوذٌ أعينُكم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك،** فيه أن موسى كان لا يلقي[4] عصاه إلا بعد الأمر بالإلقاء. وكذلك قوله: اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ،[5] و أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ،[6] ونحوه. كان لا يضرب بالعصا ولا يلقي إلا بعد الأمر بالإلقاء والضرب، لِيُعلَم أن في ذلك امتحانا[7] لموسى فيما يأمر بالإلقاء على الأرض لتصير[8] حية، وفيما يأمره بالضرب بها الحجر والبحر. ولله أن يمتحن عبده بما شاء من أنواع المحن، وإلا كان قادرا أن يَفلِق البحر على غير الأمر بالضرب بالعصا، وكذلك يفجّر الحجر ويشقّ على غير ضرب بالعصا، وكذلك تصير[9] تلك العصا حية وهي في يده؛ ولكن[10] أمره بذلك كله -والله أعلم- امتحانا منه إياه وابتلاء، إذ هي دار محنة وابتلاء. إذ في زمن[11] موسى كان السحر هو الظاهر، وكان الناس وقتئذ يعملون بالسحر. فجاء موسى من الآيات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك، ليعرفوا بخروجه[12] عن وسعهم أن ذلك ليس بسحر،[13] ولكن آية سماوية. وكذلك ما جاء [به] عيسى من الآيات، جاء بنوع ما كان يعمله قومه،[14]

---

[1] م - بصره.
[2] ن: عن رؤيته.
[3] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٥).
[4] م: لما يلقي.
[5] سورة البقرة، ٦٠/٢.
[6] سورة الشعراء، ٦٣/٢٦.
[7] جميع النسخ: امتحان.
[8] ك: ليصير.
[9] ك: وكذلك يصير.
[10] ك: ولكنه.
[11] ك ع: أن في زمن.
[12] جميع النسخ: خروجه.
[13] ع م: بسحرهم.
[14] ع: قوم.

وهو الطب،[1] فجاء بنوع الطب،[2] ليعلموا أنه بالله عرف ذلك.

وقوله عز وجل: **فإذا هي تَلْقَف ما يأفِكون**، قال القُتَبي: **تلقف** تَلْتَهِم[3] وتَلْقَم،[4] اشتقاقه من اللَّقْم والابتلاع.[5] وقوله: **ما يأفكون**، قيل: ما يكذبون. قال الحسن: **تلقف ما يأفكون**، حبالهم وعِصِيَّهم.[6] وقيل: **تلقف ما يأفكون**، ما جاءوا به من الكذب.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١١٨]

وقوله[7] عز وجل: **فوقع الحق**، قيل: أي ظهر الحق. **وبطل ما كانوا يعملون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **بطل ما كانوا يعملون**، أي **بطل** ما عملوا من السحر. والثاني **بطل ما كانوا يعملون**، أي ترك[8] السحرة العمل بالسحر إذ ظهر[9] الحق لهم. **والله أعلم**.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[١١٩]

وقوله عز وجل: **فغُلِبوا هنالك**، أي عند ذلك غلب السحرة، لأنهم قالوا لفرعون في الابتداء: إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ،[10] فذكر هاهنا أنهم **غُلِبوا** عند ظهور الحق، لا أنهم صاروا غالبين. وقوله: **فغلبوا هنالك**، ليس غلبة القهر والقسر، ولكن غلبة بالحجج[11] والبراهين، أي **غُلبوا** بالآيات والحجج.

وقوله عز وجل: **وانقلبوا صاغرين**، قال بعض أهل التأويل: رجع السحرة لما غُلبوا **صاغرين** مُذَلّين. لكن نقول: رجع فرعون وقومه إلى منازلهم مُذَلِّين، لا السحرة، لأن السحرة قد آمنوا، فلا يحتمل أن يوصفوا بالرجوع **صاغرين** مُذَلِّين وقد رجعوا مع الإيمان.

---

[1] ك ن ع: الطير.

[2] ك ن ع: الطير.

[3] جميع النسخ: تلتقم؛ ع + وتنتقم. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.

[5] لَقِفْت الشيء أَلْقَفُه لَقْفا، إذا أخذته فأكلته أو ابتلعته، وفي التنزيل العزيز: ﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾. ولَقِم والتَقَم أيضا في هذا المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «لقف، لقم»).

[6] *تفسير الطبري*، ٢١/٩.

[7] ن: قوله.

[8] ن ع م: أي تلك.

[9] جميع النسخ: إذا ظهر.

[10] سورة الأعراف، ١١٣/٧.

[11] ح: بالحج.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وألقي السحرة ساجدين**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله:[١] **ألقي**، أي أُمروا بالسجود فسجدوا. وقال آخرون: قوله: **ألقي**، أي لسرعة ما سجدوا كأنهم أُلقوا. والآية ترد[٢] على المعتزلة، لأنهم ينكرون أن يكون لله في فعل العباد صنع، وهاهنا قد أضيف الفعل إلى غيرهم بقوله: **وألقي السحرة ساجدين**، دل أن لله[٣] في فعل العباد صنعا،[٤] وهو أنْ تحقّق فعل السجود[٥] منهم.[٦] وقال جعفر بن حرب:[٧] يجوز أن يُضاف الفعل إلى غير وإن لم يكن لذلك الغير في ذلك الفعل صنع، نحو ما يقال في السفر: إن هؤلاء خَلَّفوا أولئك، وهم لم يُخَلِّفوا أولئك في الحقيقة، ولا صنع لهم في التخليف،[٨] ثم أضيف إليهم فعل التخليف،[٩] فعنى ذلك[١٠] هذا. يقال: إن لهم في ذلك صنع، وهو[١١] أنهم إذا لم ينتظروهم[١٢] فقد خَلَّفوهم، ولهم في ذلك صنع، فأضيف إليهم. أو أن يقال: إنهم لا يملكون تخليف هؤلاء، فأما الله سبحانه قادر أن يُلقيهم، أي[١٣] يخلق منهم فعل السجود، فأضيف الفعل إليه لذلك.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٢١] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**، قال بعض أهل التأويل: إنهم لما **قالوا آمنا برب العالمين**، قال لهم[١٤] فرعون: إياي تَعنُون؟ فعند ذلك قالوا:

---

[١] ك – قوله.
[٢] ك ن – ترد؛ ع م: يرد.
[٣] ن ع: أن الله.
[٤] جميع النسخ: صنع.
[٥] م: السجو.
[٦] ك: فيهم.
[٧] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.
[٨] ن ع م: في التخلف.
[٩] ك: التأخير.
[١٠] ن – ذلك.
[١١] جميع النسخ: وهم.
[١٢] ع: يتظرون.
[١٣] ع م + بما.
[١٤] ك + موسى.

لا، ولكنْ[1] **ربِّ موسى وهارون**. ولكن لا ندري هذا، وموسى أولَ ما جاء فرعون ودعاه إلى دينه قال له: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] فلا يحتمل أن يُشكل عليه قولهم: **آمنا برب العالمين**، أنهم إياه عنوا بذلك. وجائز أن يكون **آمنا برب العالمين** الذي أرسل موسى وهارون رسولا.

**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[١٢٣]**

وقوله: **قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم**، هذا يدل على أن[3] الإيمان[4] هو التصديق لا غير، لأنه[5] لما قال السحرة: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[6] **قال** لهم **فرعون آمنتم به**، وهم لم يأتوا[7] بسوى التصديق، دل على أن[8] الإيمان هو التصديق الفرد لا غير.[9]

وقوله عز وجل: **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها**، هذا من فرعون نوع من التمويه على قومه، كما قلنا في الابتداء: إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[10] هو حرف التمويه والتلبيس على قومه، فعلى ذلك قوله: **إن هذا لمكر مكرتموه**. وهو تمويه منه وتلبيس على قومه لئلا يؤمنوا كما آمن السحرة برب موسى. وقوله: **إن هذا لمكر مكرتموه،**[11] أي شيء صنعتموه فيما بينكم وبين موسى، وهو كما قال في آية أخرى: / إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ.[12] [٢٦١ظ]

---

[1] ع: لا ويكن.
[2] سورة الأعراف، ١٠٤/٧.
[3] ن ع: يدل أن.
[4] ع + هل.
[5] ن ع م: لأنهم.
[6] الآية قبل السابقة.
[7] ع + هم.
[8] ك ن ع: دل أن.
[9] ك ن: لا غيره؛ ع: ولا غيره.
[10] سورة الأعراف، ١٠٩/٧.
[11] ن ع م – في المدينة لتخرجوا منها أهلها هذا من فرعون نوع من التمويه على قومه كما قلنا في الابتداء إن هذا لساحر عليم هو حرف التمويه والتلبيس على قومه فعلي ذلك قوله إن هذا لمكر مكرتموه وهو تمويه منه وتلبيس على قومه لئلا يؤمنوا كما آمن السحرة برب موسى وقوله إن هذا لمكر مكرتموه.
[12] سورة طه، ٧١/٢٠؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٢٤]

وقوله عز وجل: **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف**، هذا لجهله[١] بأشد العقوبة والنكال، وإلا لم يوعدهم بقطع الأيدي والأرجل **من خلاف**، إذ ذلك أيسر وأقل في العقوبة من القطع من جانب. والقطع من جانب أشدّ وأنْكَل من القطع **من خلاف**، إذ القطع[٢] **من خلاف** لا يمنع القيام ببعض المنافع، ولا يعمل في إتلاف النفس. إذ جُعل ذلك حدّا في بعض العقوبات، و لم يُجعَل القطع من جانب عقوبة بحال، دل أنه أشدّ و أنْكَل ويعمل في إهلاك النفس، والقطع **من خلاف** لا يعمل،[٣] دل أنه لجهله ما قال. أو أنْ اختار[٤] القطع **من خلاف** ليكون مؤنة الصَّلْب[٥] عليهم لا عليه، لأن المقطوع **من خلاف** قد يمكن له الصعود على الخشبة، والثاني لا. ***والله أعلم***.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [١٢٥]

وقوله: **قالوا إنا إلى ربنا منقلبون**، وقال في موضع آخر: لَا ضَيْرَ.[٦] هذا –والله أعلم– يخرج على وجهين. أحدهما[٧] على الإقرار منهم بالبعث والإيمان به. والثاني وعيد منهم لفرعون،[٨] حيث أوعدهم بقطع الأيدي والأرجل والصَّلْب وغير ذلك من العقوبات، فقالوا: **إنا** وأنت **إلى ربنامنقلبون**، فتُجزَى وتُعاقَب جزاء صنيعك بنا.[٩]

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[١٢٦]

وقوله عز وجل: **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا**، قيل بوجهين.[١٠] قيل: قوله: **وما تنقم منا**، أي **وما** تعيب علينا[١١] وتطعن، **إلا**[١٢] بما كان منا من الإيمان **بآيات ربنا لما جاءتنا**،

---

[١] ع: هذه الجملة.
[٢] ع م: إذا القطع.
[٣] م – ولا يعمل في إتلاف النفس إذ جعل ذلك حدا في بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة بحال دل أنه أشد و أنكل ويعمل في إهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل.
[٤] ك: أو أن اختيار.
[٥] جميع النسخ: الطلب؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٥ظ.
[٦] ﴿قالوا لا ضَيْرَ إنا إلى ربنا منقلبون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٥٠).
[٧] ع م – أحدهما.
[٨] ك + لعنه الله.
[٩] م: ربنا.
[١٠] ن ع م: لوجهين.
[١١] ك: وما يعيب عليه.
[١٢] ع م: الإيمان.

وهو ما جاءهم من الآيات. وقيل: **وما** تعاقبنا وتنتقم[١] **منا إلا أن آمنا بآيات ربنا**، وكان الحق عليك[٢] أن تؤمن بها كما آمنا نحن.

وقوله عز وجل: **ربنا أفرغ علينا صبرا**، قوله: **أفرغ**، قيل: أنزل **علينا صبرا**، وقيل: أتمم لنا **صبرا**، وقيل: أُصْبُبْ علينا صبرا. وهو كله واحد. ثم يحتمل سؤالهم الصبر لما لعله إذا فعل بهم ما أوعد[٣] من العقوبات لم يقدروا على الصبر[٤] على ذلك،[٥] فيتركون الإيمان، لذلك[٦] سألوا ربهم الصبر على ذلك لِيَثبُتوا على الإيمان به.[٧] **وتوفنا مسلمين**، سألوا ربهم أيضا التوفي على الإسلام. وهكذا كان دعاء الأنبياء، كما قال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا،[٨] الآية. وكذلك كان[٩] أوصى إبراهيم بَنيه حيث قال: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[١٠] وهكذا الواجب على كل مؤمن ومسلم[١١] أن يتضرع إلى الله في كل وقت، ويبتهل[١٢] إليه في كل ساعة، لئلا يسلب الإيمان منه[١٣] لكسبٍ يكتسبه؛ إذ الأنبياء[١٤] والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم كانوا يخافون ذلك، لِيُعلَم أن العصمة لا تُسقِط الخوف ولا تُؤمِن عن[١٥] الزلات.

و[في] قوله: **ربنا أفرغ علينا صبرا**، دلالة على أنهم علموا أنه[١٦] إذا أفرغ عليهم الصبر صبروا، إذ لو لم يعلموا ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى. فهذا على المعتزلة في قولهم

---

١ ن: وينتقم؛ ع م: وما ينتقم.
٢ ك + وعلينا؛ ن ع م: علينا وعليك.
٣ ن: لما أوعد؛ ع م: بما أوعد.
٤ ع م: على التصبر.
٥ ع م – على ذلك.
٦ ع: كذلك.
٧ ن – به.
٨ سورة يوسف، ١٠١/١٢.
٩ ك – كان.
١٠ سورة البقرة، ١٣٢/٢.
١١ ك: مسلم ومؤمن.
١٢ ع: ويبهل.
١٣ ع م – منه.
١٤ ع: إذا الأنبياء.
١٥ ك – عن.
١٦ ك ع م: أنهم.

أنه يُفرغ ولا يصبرون،[1] وأنه قد أعطاهم غاية ما يصلح[2] في الدين. فدلّ سؤالهم ذلك على أنه لم يعطهم، وأن عنده مَزيدا[3] لو أعطى لهم ذلك كان.

**﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾**[١٢٧]

**وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض**، وقوله: **ليفسدوا في الأرض**،[4] قال بعضهم: في إخراجكم من أرض[5] مصر، وإفسادهم[6] العيش عليكم. أو ما ذكروا من ترك عبادة فرعون وخدمته.[7] **ويَذَرَك وآلهتك**، وقد قرئ: و إِلَاهَتَك، فمن[8] قرأ بِـ"إِلَاهَتَك" حمله على العبادة، أي **يذرك** وعبادتك.[9] ومن قرأ بِـ"**آلهتك**" -وهو قول ابن عباس ومجاهد-[10] فقالوا:[11] إن فرعون[12] قد كان جعل لقومه آلهة[13] يعبدونها، ليتقرّبوا بعبادتهم تلك الأصنام إلى فرعون، على ما كان يعبد أهل الشرك الأصنام دون الله، ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[14] فقالوا:[15] **وَيَذَرَكَ وآلهتك** التي جعلت لهم. وقال آخرون: إن فرعون كان يعبد الأصنام والأوثان على ما عبد غيره. وقال غيرهم: لا يحتمل أن يكون عبد[16] هو[17] الأصنام،

---

[1] جميع النسخ: ولا يصبر.
[2] ن + لهم.
[3] جميع النسخ: مزيد.
[4] ع م – وقوله ليفسدوا في الأرض.
[5] ع: في أرض.
[6] ن: وإفساد؛ ع م: وإفسادكم.
[7] ع: وخدمته.
[8] ك + حملها.
[9] نسبت هذه القراءة الشاذة إلى ابن عباس ومجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٥.
[10] القراءة المتواترة المتفق عليها عند جميع القراء المعروفين هي: وآلهتك، لكن نسبت القراءة بِـ"إلاهتك" إلى ابن عباس ومجاهد كما ذكرنا، فلعل المذكور في المتن خطأ من الناسخين. والله أعلم.
[11] جميع النسخ: وقالوا.
[12] ك + لعنه الله.
[13] ك: له لهة.
[14] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[15] ع م – فقالوا.
[16] ع م – عبد.
[17] ك: هو عبد.

ولكن جعل[١] لقومه الأصنام على ما ذكرنا؛ ألا ترى أنه قال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٢]

ثم قال:[٣] **سَنُقَتِّلِ أبناءهم ونستحيي نساءهم**، قال بعضهم: قوله: **سنقتل أبناءهم**، يعني رجالهم، **ونستحيي نساءهم**، أي نترك **نساءهم**،[٤] لأنه[٥] لا يحتمل قتل الأبناء ولم يكن منهم إليه[٦] صنع، إنما كان ذلك من[٧] الرجال. وقال بعضهم: قد كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له: إنه يولد مولود يذهب بملكك ويغيّر دين أهل الأرض، فلم يزل يقتل[٨] في ذلك العام[٩] الأبناء، ويترك[١٠] البنات، فذلك[١١] قوله: **سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم**. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإنا فوقهم قاهرون**، قيل: مسلّطون عليهم.

فإن قيل لنا: ما الحكمة في ذكر هذه القِصص والأنباء السالفة في القرآن؟

قيل: لوجوه. *والله أعلم*. أحدها[١٢] أن فيها دليل إثبات رسالة[١٣] محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته؛ لأن هذه القصص والأنباء كانت في كتبهم[١٤] ثابتة[١٥] مُبَيِّنة، وقد علموا[١٦] أن لسانه كان على غير ما كانت كتبهم، وعرفوا أنه لم يختلف إلى أحد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه، ولا سمع عن أحد منهم، ثم أنبأهم[١٧] على ما كانت، دل أنه إنما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب.

[١] ع م – جعل.
[٢] سورة النازعات، ٧٩/٢٤.
[٣] ك + اللعين.
[٤] ع م – أي نترك نساءهم.
[٥] ع: أنه.
[٦] ن – إليه.
[٧] ك: صنع.
[٨] جميع النسخ: يقتلهم.
[٩] ك + الذي قيل له أنه يولد مولود.
[١٠] ع: وينزل.
[١١] ن: وذلك.
[١٢] ع م – أحدها.
[١٣] ن + نبينا.
[١٤] أي في كتب اليهود والنصارى، وهي التوراة والإنجيل.
[١٥] ع م – ثابتة.
[١٦] م – علموا.
[١٧] ع: من أنبائهم؛ م: ثم أنبائهم.

والثاني أن البشر جُبِلوا على حب السماع إلى الأخبار[١] والأحاديث، وحُبِّب[٢] ذلك في قلوبهم، حتى أن واحدا منهم يولّد أحاديث وينشئها من ذات نفسه لأنْ يستمعوا في ذلك إليه[٣] ويسمعوا[٤] منه. فذكر لهم[٥] هذه الأنباء والقصص ليكون استماعهم إليها وسماعهم لها. وذلك أحسن وأوفق، إذ أخبر أن ذلك أحسن القصص بقوله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
[٢٦٢و] أَحْسَنَ / الْقَصَصِ.[٦]

والثالث ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستئصال وأنواع العذاب بفسادهم[٧] وتكذيبهم الرسل، وما عاقبة المفسد منهم والمصلح، ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع[٨] مثلهم.

والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الأنبياء والرسل أعداءهم ومعاملة الأعداء الرسل، ليعاملوا أعداءهم مثل معاملتهم.

والخامس أنهم كانوا ينكرون أن يكون[٩] من البشر رسول،[١٠] فأخبر أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا[١١] كلهم من البشر.

والسادس أنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان، ويقولون: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[١٢] وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[١٣] فأخبر أنْ كان في آبائهم السعداء -وهم الأنبياء- والأشقياء، فكيف اقتديتم أنتم بالأشقياء منهم، وهلّا اتبعتم السعداء[١٤] دون الأشقياء؟

---

[١] ك: للأخبار.
[٢] ع: وحب.
[٣] ن - إليه.
[٤] جميع النسخ: وسمعوا.
[٥] ك: فذكروا لهم.
[٦] سورة يوسف، ٣/١٢.
[٧] ك: لفسادهم.
[٨] ك: عن صنع.
[٩] ع: أن ينكرون.
[١٠] جميع النسخ: رسولا.
[١١] ن - كانوا.
[١٢] سورة الشعراء، ٧٤/٢٦.
[١٣] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[١٤] جميع النسخ: بالسعداء.

والسابع فيها أنْ كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عَرَّفَنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يأمر به ومن ينهى عنه. وأيضا[١] أن فيه ذكر الصالحين منهم بعد ما ماتوا وانقرضوا، فصاروا[٢] بالذكر كالأحياء.

**﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[١٢٨]

وقوله[٣] عز وجل: **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا**، يحتمل قوله: **استعينوا بالله**، على أداء طاعته، ربما تتقرّبون[٤] به إلى الله ويكون لكم[٥] زُلْفَى لديه.[٦] أو أنْ يقولُ[٧] لهم: **استعينوا بالله**، [ليعين][٨] بالنصر[٩] لكم والظفر، **واصبروا** على أذاهم والبلاء. **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**، يحتمل[١٠] هذا وجهين. يحتمل أن يخرج[١١] ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الأعداء، وجَعْل الأرض لهم[١٢] من بعد إهلاك[١٣] العدو. وهو كما ذكر[١٤] في موضع آخر: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ،[١٥] الآية. ويحتمل أن يخرج[١٦] ذلك منه مخرج التصبير على الرضاء بقضاء الله تعالى، أن الأرض له يُصيّرها لمن يشاء، فاصبروا أنتم على البلايا، وارضوا بقضائه.

---

[١] ك: وأيضه.
[٢] ع م: فكانوا.
[٣] ك: قوله.
[٤] ك: وبما يتقربون؛ ن: وبما تتقربون.
[٥] جميع النسخ: لهم.
[٦] أي بعد استعانتكم بالله على أداء طاعته اصبروا وداوموا على أداء الطاعات حتى تتقربوا إلى الله فينجيكم بسبب قربكم إلى الله من ظلم فرعون. والله أعلم.
[٧] ن: وأن يقولوا؛ ع م: أو أن يقولوا.
[٨] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
[٩] ك ع م - بالنصر.
[١٠] ن: ويحتمل.
[١١] ع: إذ يخرج.
[١٢] ك: لهم الأرض.
[١٣] ك ن ع: وإهلاك.
[١٤] ك: وهو كما وضع؛ ن: وكما ذكر.
[١٥] ﴿ونُمَكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥-٦).
[١٦] ن: أن تخرج.

**والعاقبة للمتقين**، قال الحسن: **العاقبة** أي الآخرة **للمتقين** خاصة، وأما الدنيا فإنها بالشركة بين أهل الكفر وأهل الإسلام، يكون لهؤلاء ما لأولئك، وأما الآخرة فليست للكفار،[1] إنما هي للمؤمنين خاصة. وهو ما ذكر في آية أخرى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ،[2] الآية. فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*. وقال غيره: **والعاقبة للمتقين**، أي عاقبة الأمر بالنصر والظفر **للمتقين** على أعدائهم، وإن كان في الدفعة[3] الأولى عليهم.

[٢٦٢و س٣٥] *وقوله: **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا**، أمرهم -والله أعلم- بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجهم دينا ودنيا. ويحتمل أن يكون على طلب التوفيق لما أمر به، والعصمة عما حذره عنه. وكذلك الأمر[4] البيّن في الخَلْق من طلب التوفيق والمعونة عن الله والعصمة عن المنهي عنه، جرَت به سنة الأخيار. *وبالله المعونة*.[5] ثم لا يصح ذلك على قول المعتزلة، لأن الدعاء بالمعونة على أداء ما كلّف، وقد أعطى. إذ على قولهم لا يجوز [٢٦٢ظ] أن يكون مكلّفا [و]قد بقي شيء / مما به أداءُ ما كُلِّف عند الله. وطَلَبُ ما أعطى كتمان للعطية. وكتمان العطية[6] كفران. فيصير كأن الله أمر بكفران نعمه وكتمانها، وبطلبها منه تعنُّتا. وظَنُّ مثلِه بالله كُفر. ثم لا يخلو[7] من أن يكون عند الله ما يطلب، فلم يعط التمام إذًا. أو ليس[8] عنده، فيكون طَلَبُه استهزاءً به، إذ مَن طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده فهو هازئٌ[9] به في العرف.[10] مع ما كان الذي يطلب إما أن يكون لله أن لا يعطيه مع التكليف، فيبطل قولهم: لا يجوز أن يكلّف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي. أو ليس له أن لا يعطي،[11] فكأنه قال: اللهم لا تَجُرْ ولا تظلم. ومَن هذا عِلمُه بربه فالإسلام أولى به.[12]

---

[1] ع: الكفار.
[2] ﴿لبيوتهم سُقُفا من فضّة ومعارج عليها يظهرون. ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا عليها يتكئون. وزُخرُفا وإنْ كلُّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣-٣٥).
[3] ع: بالدفعة.
[4] ك: لا من.
[5] ك: وبالله التوفيق.
[6] ع - وكتمان العطية.
[7] ك: لا يخ؛ ن ع م: لا يخلوا.
[8] ك: إذن وليس.
[9] ع: فهو هاوي.
[10] ع: من العرف.
[11] ع - أن لا يعطي؛ م: أن يعطي.
[12] أي من يعتقد هذا فعليه اعتناق الإسلام من جديد.

فهذا مع ما لا يدعو[١] اللهَ أحدٌ بالمعونة إلا[٢] ويطمئن قلبه أنه لا يَزِلُّ عند المعونة ولا يزيغ عند العصمة. وليس مِثلَه يَملك الله عند المعتزلة. *ولا قوة إلا بالله*.* [٢٦٢ظ س٧]

**﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾**[١٢٩]

وقوله عز وجل: **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أن يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر لهم، كأنهم استبطئوا النصر وإهلاك العدو والظفر عليهم، فقال لهم موسى عند ذلك: **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض**. والثاني أن يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خطر ببال موسى أنهم يقولون: إن[٣] ما أصابهم من البلايا والشدائد إنما كان لسببه ولمكانه، فقالوا ذلك له[٤] اعتذارا منهم له أنْ قد أصابنا ذلك[٥] **من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا**، لئلا يوهم أنهم يقولون ذلك، أو يخطر ببالهم ذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكونوا قالوا ذلك على التعيير[٦] له[٧] والتوبيخ، يقولون: لم يزل يصيبنا[٨] من الأذى لسببك ولأجلك، **من قبل أن تأتينا**، من الاستخدام، **ومن بعد ما جئتنا**، من أنواع الضرر.* وقال بعض أهل التأويل في قوله: **أوذينا** بسببك[٩] [٢٦٢و س٢٩ **من قبل أن تأتينا** بالرسالة، يعنون بالأذى قتل الأبناء[١٠] واستخدام النساء، **ومن بعدما جئتنا** بالرسالة من الشدائد التي أصابتهم من بعد. لكن الأول أقرب وأشبه.* ٢٦٢و س٣١]

وقوله عز وجل: [قال] **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم**، والعسى من الله واجب. فوعد لهم إهلاك العدو واستخلافهم **في الأرض**.*

---

[١] ع: ما لا يدعوهم.
[٢] جميع النسخ: بالمعونة وإلا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ٣٥ - ٢٦٣ظ/سطر ٧.
[٣] ع - إن.
[٤] ن - له.
[٥] جميع النسخ + نحن.
[٦] ن ع م: على التغيير.
[٧] ن - له.
[٨] م: يصيبنا.
[٩] جميع النسخ: في سببك.
[١٠] ن: الأسياء.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٢و/سطر ٢٩-٣١.
* وقع هنا المقطع المشار إليه في الحاشية السابقة.

وقوله عز وجل: **فينظر كيف تعملون**، يحتمل هذا أيضا وجهين. أحدهما أنْ يجعلُ لكم الأرض ويوسع عليكم الرزق،[1] يمتحنكم في ذلك ويبتليكم، لا أنه يجعل لكم ذلك على غير امتحان تعملون ما شئتم في ذلك. والثاني يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف[2] تصبرون على ذلك. ويحتمل وجها آخر، وهو أن يقول لهم: **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف** تشكرون ربكم فيما أنعم عليكم. و[يحتمل] قوله: **فينظر كيف**، الواقع لكم من الجزاء والثواب[3] [بسبب العمل].[4]*

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٣٠]

وقوله عز وجل: **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونَقْصٍ من الثمرات**، عن ابن مسعود رضي الله عنه: **بالسنين**، قال: بالجوع، وقيل: بالقحط. ومجاهد **بالسنين** قال: بالجوائح،[5] **ونَقْصٍ من الثمرات**، دون ذلك.[6] وقال القُتَبي: **بالسنين**، بالجدب،[7] يقال: أصاب الناس سنة، أي[8] جدب.[9]

فإن قيل: ذكر أنه أخذ **آل فرعون**، وكان فيهم بنو[10] إسرائيل، فما معنى التخصيص؟

قيل: يحتمل أن يكون ذلك لهم[11] خاصة دون بني إسرائيل وإن كانوا[12] فيهم، على ما ذكر في بعض القصة أن القبط كانوا يشربون الدم وبنو[13] إسرائيل الماء. أو كان الجدب[14]

---

[1] ن: الأرض.
[2] ك + تعملون.
[3] ك: من الثواب والجزاء.
[4] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ٣٥ - ٢٦٣ظ/سطر ٧.
[5] ن ع م: بالحوائج. الجوائح جمع جائحة، وسنة جائحة: جدبة، والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة... جاحتهم السنة تجوحا وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم، وهي تَجُوحهم تجوحا وجياحة... (*لسان العرب* لابن منظور، «جوح»).
[6] انظر للأقوال المذكورة: *تفسير الطبري*، ٢٨/٩-٢٩.
[7] ن: بالجذب.
[8] م - أي.
[9] ك: أي جذب. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧١
[10] ك: بنوا.
[11] ن - لهم.
[12] جميع النسخ: وإن كان؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
[13] ك ع: وبنوا.
[14] ن: الجذب.

والنقص[١] **من الثمرات** يضر **آل فرعون** ولا يضر بني إسرائيل، لما أنهم كانوا يأكلون للشهوة،[٢] وبنو[٣] إسرائيل للحاجة. فمن يأكل للحاجة كان أقل حاجة إلى الطعام ممن يأكل[٤] للشهوة، فإذا لم يجدوا ما يأكلون للشهوة كان ذلك[٥] أَضَرّ بهم. ألا ترى أنه قيل: «يأكل المؤمن في مِعًى[٦] واحد والكافر في سبعة[٧] أمعاء».[٨] أو خرج تخصيص ذلك لهم لما أن في عَقْد[٩] بني إسرائيل أن لله[١٠] أن يمتحنهم بجميع أنواع المحن، مرة بالشدة ومرة بالسعة، ومن عَقْد القبط لا، فأضيف إليهم ذلك لما لم يكن في عَقْدهم ذلك وإن كانوا جميعا في ذلك.

وقوله عز وجل: **لعلهم يَذَّكَّرون**، أي يتعظون.[١١] ولعل[١٢] من الله واجب. **قد اتعظوا**، لكنهم عاندوا وكابروا، وإلا قد لزمهم الاتعاظ.

**﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَ لَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٣١]

وقوله عز وجل: **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه**، أي الخصب والسعة، **قالوا لنا هذه**، أي هذا ما كنا نعرفه أبدا، وما جرينا على اعتياده. أو أن يقولوا: **لنا هذه** بفرعون وبعبادتنا له. **وإن تصبهم سيئة**، قيل: الضيق والقحط، **يطّيّروا بموسى**، وقالوا بشؤمه.

[٢٦٢ظ س٢٩] * وقوله عز وجل: **يَطّيّروا**، من الطِيَرَة، وهو من التشاؤم. يقال: تشاءمت بفلان، أي قلت: هو غير مبارك. وتطيّرت بفلان، أيضا[١٣] مثله. ويقال: تبرّكت به، إذا قلت: هو مبارك.

---

١ ع: والنقض.
٢ جميع النسخ: لشهوة.
٣ ك ع: وبنوا.
٤ م: فمن يأكل.
٥ ع م: لهم.
٦ ك: في مغي؛ ع: في مع.
٧ جميع النسخ: لسبعة.
٨ *صحيح البخاري*، الأطعمة ١٢؛ و*صحيح مسلم*، الأشربة ١٨٤. «واختلف في معنى الحديث؛ فقيل: ليس المراد به ظاهره، وإنما هو مَثَل ضُرِب للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها، فكأن المؤمن لتقلّله من الدنيا يأكل في معى واحد والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء...» (*فتح الباري بشرح صحيح البخاري* لابن حجر، ٥٣٧/٩). وفي معنى الحديث أقوال أخرى كثيرة ذكرها ابن حجر.
٩ أي في اعتقاد...
١٠ ع م: أن الله.
١١ ن- فأضيف إليهم ذلك لما لم يكن في عقدهم ذلك وإن كانوا جميعا في ذلك قوله لعلهم يذكرون أي يتعظون، صح هـ.
١٢ ك: ولل.
١٣ ك: أيضه.

ويقال: تطيّرت واطّيّرت منه وبه.[1] **ألا إنما طائرهم**، أي شؤمهم ذاك الذي يخافون منه
٢٦٢ظ س٣٢] هو من **عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أنه[2] من عند الله كان بتكذيبهم موسى.* وهذا كما قالت[3] العرب لمحمد [كما أخبر تعالى عنهم بقوله]:[4] وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة إلى الله، لأنهم كانوا يقرون[5] بالله، والقبط لا، فيقولون:[6] ذلك[7] لنا من فرعون أو على الاعتياد. فقال: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ.[8] فعلى ذلك قال هاهنا: **ألا إنما طائرهم عند الله**. ثم يحتمل هذا وجوها. قيل: جزاء تَطَيُّرِهم **عند الله** في الآخرة. وقيل: **طائرهم** وشؤمهم الذي كانوا تطيّروا بموسى كان بتكذيبهم موسى. أضاف ذلك إلى ما عنده من الآيات، لأنهم بنزول[9] تلك الآيات وإرسالها عليهم تطيّروا[10] بموسى، [و]بتلك الآيات تَجَدَّدَ[11] تطيُّرهم وتشاؤمهم.[12] وقال بعضهم قوله: **إنما طائرهم عند الله**، أي حظّهم **عند الله**. وكذلك قال في قوله: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ.[13] وهو كما ذكر: فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[14] لما كذّبوا تلك الآيات زاد ما نزل[15] من الآيات مِن بَعدُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ. فعلى ذلك شؤمهم و **طائرهم** الذي كان بتكذيبهم موسى.*

---

[1] ك: به ومنه.
[2] ك + كان؛ م: بأنه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.
[3] ع م: كما قال.
[4] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٠ظ.
[5] ع: يقرؤن.
[6] ع م: لا يقولون.
[7] ع م + بل يقولون.
[8] ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله﴾ (سورة النساء، ٧٨/٤).
[9] ع: نزول.
[10] ع: يطيروا.
[11] ع م: تجذو.
[12] ن: وتشئامهم.
[13] ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ (سورة الإسراء، ١٣/١٧).
[14] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).
[15] ك + بهم؛ ع: ما ترك.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، قال أبو بكر الكيساني: تأويله كلما تأتينا[١] به تزعم أنه[٢] **آية تريد أن تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**. وقال ابن عباس والحسن:[٣] أي **ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها**، الآية، وقوله: مَهْ، زيادة. وهو قول القُتَبِي. ومعناه أي ما **تأتنا**. وقال الخليل:[٤] هو في الأصل "ما ما"، إحداهما زيادة، فطرحت الألف وأبدلت مكانها هاء طَلَبًا للتخفيف.[٥] وقال سيبويه النحوي:[٦] قوله: **مهما تأتنا به من آية**، أي مَهْ،[٧] كأنهم قالوا له: مَهْ، أي اسكت، كما يقول الرجل لآخر: مَهْ، أي اسكت،[٨] **ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**. والسحر هو التحيير[٩] وأخذ الأبصار، ولا حقيقة له. كقوله: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[١٠] أي متحيّرا،[١١] وقولِه: سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ.[١٢] ثم دل قولهم: **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، أنّ ما قالوا: إن هذا ساحر، وإنه سحر، عن علم بالآية والنبوة له قالوا ذلك[١٣] / لا عن جهل وغفلة. [٢٦٣و]

---

١ جميع النسخ: تأتنا.

٢ ع م – أنه.

٣ جميع النسخ + وهؤلاء.

٤ هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفَرَاهِيدِي البصري، كان رأسا في لسان العرب، وهو منشيء علم العروض، وكان متواضعا ورعا متعبدا، أخذ عنه النحو سيبويه وغيره، وله *كتاب العين* في اللغة، توفي سنة ١٧٠ه/٧٨٦م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٢٩/٧–٤٣١.

٥ «وأما مهما فإن أصلها "ما ما" ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ليختلف اللفظ. فـ"ما" الأولى هي ما الجزاء، و"ما" الثانية هي التي تزاد تأكيدا لحروف الجزاء مثل أينما ومتى ما وكيفما...» (*كتاب العين* للخليل بن أحمد، ٣٥٨/٣).

٦ هو أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري، ولقبه سِيبَوَيْه، إمام النحو، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير. قيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين. توفي سنة ١٨٠ه/٧٩٦م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٥١/٨–٣٥٢.

٧ ك + أي

٨ ذكر ابن منظور هذا القول ولم ينسبه إلى أحد، ونسب القول الأول إلى سيبويه. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «مهه».

٩ ع: هو التحيير.

١٠ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٠١/١٧).

١١ ع: أي متحيزا.

١٢ سورة الأعراف، ١١٦/٧.

١٣ ك: قالوا له ذلك.

حيث قالوا: **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، ذلك منهم إياس عن الإيمان به وقبول الآيات، لأنهم[1] أخبروا أنهم لا يقبلون[2] الآيات ولا يصدقون في ذلك.

**﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾**[١٣٣]

وقوله عز وجل: **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد**، إلى آخر ما ذكر، قال أهل التأويل: لما[3] قالوا ذلك أرسل الله بعد السنين ونقص[4] الثمرات **الطوفان** والآيات التي ذكر. ويحتمل أن يكون هذا وإن كان مؤخرا في الذكر فهو مقدَّم لما قال: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ.[5] **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد**، إلى آخره، **لعلهم يذكّرون**، أي يتعظون. ثم اختلف أهل التأويل في **الطوفان**، قال بعضهم: **الطوفان**[6] الماء والمطر حتى خافوا الهلاك، وهو قول ابن عباس.[7] وعن عائشة[8] قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان، فقال: «الموت».[9] فإن ثبت فهو هو. وقيل: **الطوفان** هو أنواع العذاب. **والجراد** هو المعروف. **والقُمَّل**، قال بعضهم: هو بنات الجراد، يقال[10] [لها] الدَّبَا.[11] وقيل: هو الجراد[12] الصغار التي لا أجنحة لها. **والضفادعَ والدم آياتٍ مُفَصَّلات**، قيل: **مُفَصَّلات**، أي مُفَرَّقات واحدا بعد واحد، لم يرسل آية إلا بعد ذهاب أخرى، بعضها على إثر بعض. وقيل: **مُفَصَّلات**، أي بيّنات واضحات مما علم[13] كل أحد

[1] ن ع م: لا أنهم.
[2] ع: لا يقبلو.
[3] ع م – لما.
[4] ع: ونقض.
[5] سورة الأعراف، ٧/١٣٠.
[6] ك – الطوفان.
[7] *تفسير الطبري*، ٩/٣٠-٣١. وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٢٠.
[8] ع: وعائشة.
[9] *تفسير الطبري*، ٩/٣١. وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥١٩. وقال ابن كثير: «حديث غريب» (*تفسير ابن كثير*، ٢/٢٤١). وذكر ابن حجر أنه رواه ابن مردويه بإسنادين ضعيفين؛ انظر: *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* لابن حجر، ٨/٣٠٠.
[10] ع: ويقال.
[11] الدَّبَا هو الجراد قبل أن يطير، وقيل: الدَّبَا أصغر ما يكون من الجراد والنمل (*لسان العرب* لابن منظور، «دبى»).
[12] ن: هو جراد.
[13] جميع النسخ: ما علم.

أنه ليس[١] من عمل السحر، ولكن آية سماوية؛ إذ لو[٢] كان سحرا لتكلّفوا في دفعه،[٣] واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا[٤] بسحر العِصِيّ والحبال،[٥] فإذا لم[٦] يتكلّفوا في ذلك ولم[٧] يشتغلوا بدفع ذلك بل فزعوا إلى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الإيمان به[٨] وإرسال بني إسرائيل معه دلّ فزعهم إليه في كشف ذلك عنهم[٩] على أنهم قد عرفوا أنه ليس بسحر، ولكنه آية. وقد[١٠] أقروا بها أنها ليست بسحر وأنها آيات، لأنهم[١١] فزعوا عند ذلك إلى موسى.

**﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[١٣٤]

*وقوله عز وجل: **ولما وقع عليهم الرجز**، قيل: **الرجز** ألوان العذاب الذي كان نزل بهم [٢٦٣و س١٩
من الطوفان والجراد والقمل والضفادع[١٢] والدم وما ذكر.[١٣]* فقالوا:[١٤] **ادْعُ لنا ربّك بما عَهِد عندك** ٢٦٣و س٢١]
**لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل**، ووعدوا له الإيمان به وبَعْثَ بني إسرائيل معه إن كشف عنهم الرجز. وقوله عز وجل: **بما عهد عندك**، اختلف فيه. قال بعضهم: **بما عهد عندك**، ما عهد لك أنك متى دعوته أجابك. وقيل: **بما عهد عندك**، أنّا متى آمنا بك وصدّقناك كشف عنا الرجز. فقالوا له:[١٥] **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل**.*

---

[١] ع م + من أحد وليس.
[٢] ع م: إن لو.
[٣] ع م: في وقعة.
[٤] ع – بالسحر على ما اشتغلوا.
[٥] ع: والجبال.
[٦] ك ع: فإذ لم.
[٧] ن ع م: لم.
[٨] ن – به.
[٩] ن – عنهم.
[١٠] ع م – وقد.
[١١] جميع النسخ: الا انهم.
[١٢] ن ع م – والضفادع.
[١٣] ن: وما ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ١٩-٢١.
[١٤] م: فقال.
[١٥] ك ع م – له.
وقع هنا مقطع من في تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٤و/سطر ١٩-٢١.

قالوا: **لئن كشفت عنا الرجز**، يحتمل أن يكون كلما حلّ[1] بهم نوع من العذاب فسألوا أن يكشف عنهم فقالوا: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل**، فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك، وعادوا إلى ما كانوا من قبل. ويحتمل أن يكون[2] قولهم لموسى: **ادْعُ لنا ربَّك بما عَهِد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**، بعد ما حلّ بهم أنواع العذاب. عند ذلك قالوا: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**. فلما كشف ذلك[3] عنهم نكثوا عهدهم، وهو قولهم: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**، وعادوا إلى ما كانوا، فعند ذلك كان ما ذكر من قوله: **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**.[4]

وقوله: **لنؤمننّ لك**، بما تدعي بأنك رسول، **ولنرسلن معك بني إسرائيل**، أمكن أن يكون ليس على نفس الإرسال، ولكن على ترك الاستعباد، أي[5] لا نستعبدهم بعد هذا، لأنهم كانوا يستعبدون بني إسرائيل.

**﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾[١٣٥]**

وقوله عز وجل: **فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون**، قال الحسن: قوله: **كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه**، لو أطاعوا[6] وَوَفَوْا[7] بالعهد الذي عهدوا، لكنهم لما نكثوا ذلك انتقم منهم. وهذا الحرف يؤدي إلى مذهب الاعتزال، لأنهم يقولون: إن من قُتِل أو عُذِّب تعذيب إهلاك إنما هلك قبل أجله، وأجله الموت. لكن هذا يصلح ممن يجهل العواقب. فأما الله[8] سبحانه يتعالى عن ذلك أن يجعل له أجلين، أحدهما الموت، والآخر القتل. ولكن جَعَل أجلَ من في علمه أنه يُقتَل القتلَ، ومن يموت حَتْفَ أنفِه الموتَ. وكذلك[9] ما روي في الخبر أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[10]

---

[1] ن: كلما أحل.

[2] م + كلما حل بهم نوع من العذاب أن يكون.

[3] ع م – ذلك.

[4] سورة الأعراف، ١٣٦/٧.

[5] ن – أي.

[6] ن ع م: ولو أطاعوا.

[7] م: وأوفوا.

[8] م: وأما الله.

[9] ن – وكذلك.

[10] روي بهذا اللفظ عن أبي أمامة وغيره مرفوعا؛ انظر: *المعجم الكبير* للطبراني، ٢٦١/٨؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢٩/٢. وحسن الهيثمي إسناد حديث أبي أمامة؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١١٥/٣. وروي في هذا المعنى أحاديث عديدة، منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: «من أحب أن يُبسَط له في رزقه ويُنسَأ له في أَثَره فليَصِل رحمه» (صحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، البر والصلة ٢١). وورد في بعض الروايات: «... وأن يمد في أجله...» (مسند *أحمد بن حنبل*، ١٥٦/٣). وهو يفسر الرواية السابقة.

أي من علم منه أنه يصل رحمه جعل عمره أَزْيَدَ ممن يعلم أنه لا يصل رحمه، لا أنه يجعل عمره إلى وقت، ثم إذا وصل رحمه زاد، لما ذكرنا أن ذلك أَمْرُ من يجهل العواقب، وأما من يعلم ما كان وما يكون أنه لو كان كيف يكون فلا.[١]

**﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١٣٦]**

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، يحتمل أن يكون قوله: **فانتقمنا منهم**، ما ذكر على إثره من الغرق: **فأغرقناهم في اليم**. ويحتمل أن يكون قوله: **فانتقمنا منهم**،[٢] بالطوفان[٣] وأنواع[٤] العذاب الذي كان حل بهم، ثم كان[٥] الإغراق من بعد. وقوله عز وجل: **بأنهم كذبوا بآياتنا**، يحتمل الآيات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته، وهي الحجج. أو الآيات[٦] التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل / وما ذكر. وقال[٧] الحسن: **بآياتنا** ديننا. وقوله: [٢٦٣ظ] **وكانوا عنها غافلين**، قيل: معرضين مكذبين بها، لا أنهم كانوا على غفلة وسهو عنها، لكنهم أعرضوا عنها معاندين مكابرين[٨] كأنهم[٩] غافلون[١٠] عنها. وجائز أن يكونوا[١١] **غافلين** عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبهم.

**﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[١٣٧]**

وقوله عز وجل: **وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضعَفون مشارق الأرض ومغاربها**،

---

[١] جميع النسخ: لا.
[٢] ن – ما ذكر على إثره من الغرق فأغرقناهم في اليم ويحتمل أن يكون قوله فانتقمنا منهم.
[٣] جميع النسخ: من الطوفان.
[٤] ن: ووأنواع.
[٥] ن + بهم.
[٦] م: والآيات.
[٧] ع: قال.
[٨] ع م: مكابرين معاندين.
[٩] ن – كأنهم.
[١٠] جميع النسخ: غافلين.
[١١] م: أن يكون.

هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الأرض[1] وإنزالهم[2] فيها، وهو قوله: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ،[3] وكقوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ.[4] كان وعد لهم الاستخلاف والإنزال في أرض عدوهم، ثم أخبر أنه أنزلهم وأورثهم
[٢٦٣ظ س٢٤ على ما وعد[5] لهم بقوله: **وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضعَفون** باستعبادهم.* وقيل في قوله:[6]
٢٦٣ظ س٢٥] **كانوا يُستَضعَفون**، يعني بالاستضعاف قتل الأبناء واستحياء النساء بأرض مصر. ورّثهم الله ذلك.*

وقوله:[7] **مشارقَ الأرض ومغاربها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **مشارق الأرض ومغاربها** مملكة فرعون، مصر ونواحيها، ما يلي ناحية الشرق وناحية الغرب. وقيل: كان في بني إسرائيل من بلغ ملكه **مشارق الأرض ومغاربها**[8] من نحو ذي القرنين وداود وسليمان. وقيل: **مشارقَ الأرض ومغاربها** أن فُضِلُوا[9] على أهل **مشارق الأرض ومغاربها**، كقوله: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.[10] قيل:[11] عالمي ذلك الزمان.[12] ثم تفضيله إياهم على البهائم بالجوهر والخلقة، وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع، وعلى جوهرهم من بني آدم بالرسالة والحكمة والملك، كقوله: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[13]

وقوله عز وجل: **التي باركنا فيها**، قيل: أرض الشام. وقيل: أرض مصر[14] ونواحيها. وقيل: سماها مباركة[15] لأنها مكان الأنبياء عليهم السلام. وقيل: مباركة لكثرة[16] أنزالها وسعتها.

---

[1] م + فيها.
[2] ع – وإنزالهم.
[3] سورة الأعراف، ١٢٩/٧.
[4] سورة القصص، ٥/٢٨.
[5] ع: ما عد.
[6] ع – أي أهلكنا وأفسدنا يعرشون يعرش ويعرش يعني يبنون من البيوت والكروم والأشجار وقيل في قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٤-٢٥.
[7] ع م – وقوله.
[8] ع م + كقوله وفضلناهم على العالمين قيل عالمي زمانهم.
[9] م: أن نصلوا.
[10] سورة الجاثية، ١٦/٤٥.
[11] ك + على.
[12] ع م: عالمي زمانهم.
[13] سورة المائدة، ٢٠/٥.
[14] م: لمصر.
[15] جميع النسخ: سماه مباركا.
[16] ن: لكثر.

وقوله عز وجل: **وتمت كلمة ربك الحسنى**، قيل:[١] هي الجنة، أي **تمت** لهم الجنة **بما صبروا**. وقيل: **وتمت كلمة ربك الحسنى**، بما كان وعد لهم أنه ينزلهم فيها ويستخلفهم، تم ذلك[٢] الوعد لهم.[٣] وهو كما قال:[٤] وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ، تم ما[٥] وعد لهم أن يمنّ عليهم. وقوله عز وجل: **بما صبروا**، يحتمل **بما صبروا**[٦] على أذى فرعون. ويحتمل **بما صبروا** على أداء[٧] ما أوجب[٨] عليهم. *والله أعلم*.* وقيل في قوله:[٩] **وتمت كلمة** [٢٦٣ظ س٢٦
**ربك الحسنى**: هي النعم[١٠] التي أنعم، **على بني إسرائيل بما صبروا**، على البلاء حين كُلِّفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون إياهم، والكلمة [هي] التي ذكر ما ذكر في القصص من قوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ.* ٢٦٣ظ س٢٨]

وقوله عز وجل: **ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعرِشون**، قال بعضهم: قوله: **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه**، على الوقف على **قومه**،[١١] **وما كانوا يعرشون**، معطوفا على قوله: **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها**[١٢]... **وما كانوا يعرشون**، وهو من العرش الذي يتخذه الملوك. وقيل: **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** أيضا، أي أهلكنا **ما كانوا يعرشون**. قال القُتَبي: **يعرشون** أي يبنون،[١٣] والعَرْش: البيت،[١٤] والعَرْش: السقف.[١٥] وقال أبو عَوْسَجة:

---

[١] ن: فقيل.
[٢] ن: ثم ذلك.
[٣] ع م - لهم.
[٤] ن ع م: ما قال.
[٥] ن: ثم ما.
[٦] ع - يحتمل بما صبروا.
[٧] جميع النسخ: من أداء.
[٨] ك: ما وجب.
[٩] ن + في قوله.
[١٠] ك م: وهي النعمة؛ ن ع: وهي النعم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٦-٢٨.
[١١] ع - على قومه.
[١٢] ن: ونواحيها.
[١٣] ن ع: أي يبيون.
[١٤] جميع النسخ: بيوت.
[١٥] جميع النسخ: سقوف. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٢.

**ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه**، أي أهلكنا وأفسدنا؛ **يعرشون**، يَعرِش ويَعرُش[1] يعني يبنون من البيوت والكُرُوم والأشجار.[2]*

**﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**[١٣٨]

وقوله عز وجل: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**، دل هذا على أن لله[3] في فعل العباد صُنعا وفعلا،[4] حيث أضاف ونسب المجاوزة إلى نفسه، وهم الذين جاوزوا البحر، دل أن له في فعلهم صُنعا.[5] وهذا ينقض على المعتزلة، حيث أنكروا خلق أفعال العباد. *وبالله المعونة والعصمة.*

وقوله عز وجل: **فأتوا على قوم يَعْكُفون على أصنام لهم**، العُكُوف هو المُقام والدوام. وقوله: **يَعْكُفون على أصنام لهم**، أي وجدوهم[6] عُكُوفا على عبادة الأصنام مقيمين على ذلك.

وقوله: **قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**، يشبه أن يكون سؤالهم إلها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله، ولكن لما لم يروا أنفسهم أهلا لعبادة الله[7] والخدمة له، لما رأوا في الشاهد أنه لا يخدم[8] الملوك إلا الخواصّ لهم والمقرّبون[9] إليهم، ومَن بَعُد منهم يخدم خواصّهم. فعلى ذلك هؤلاء سألوا موسى إلها يعبدونه لما لم يروا أنفسهم أهلا لعبادة الله والخدمة له، لتقرّبهم[10] عبادة تلك الأصنام إلى الله. ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل، لا على الكفر وصرف العبادة عنه إلى غيره. وكذلك كان عادة العرب أنهم كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم عبادتها إلى الله زُلْفَى.[11] وكذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناما يعبدونها[12] لتقرّبهم عبادة تلك الأصنام إليه زُلْفَى.[13]

---

[1] م: ويغرس.
[2] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عرش».
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية متأخرين عن موضعهما، فقدمناهما إلى موضعهما المناسب؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٤-٢٨.
[3] ك: أن الله.
[4] جميع النسخ: صنع وفعل.
[5] جميع النسخ: صنع.
[6] ن ع م: أي وجدهم.
[7] ن ع م: للعبادة لله.
[8] ك ن ع: لم يخدم.
[9] ك ن ع: والمقربين.
[10] ك: ليقربهم.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[12] ن: يعبدون.
[13] ع – وكذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناما يعبدونها لتقربهم عبادة تلك الأصنام إليه زلفى.

فعلى ذلك سؤال هؤلاء لموسى **اجعل لنا إلها**. *والله أعلم*. أو كان سؤالهم ذلك لما لم يروا في التعاهد أحدا يُخدَم إلا لحاجة تقع له إلى ذلك، فرأوا أن الله ، يتعالى[1] عن[2] أن يُعبَد ويُخدَم للحاجة؛ ويخدمون القادةَ [٢٦٤و]
والرسلَ ويعبدونهم لما رأوا [أنهم] ينالون من النعم وأنواع المنافع من الرؤساء والكبراء، لذلك كانوا يخدمونهم.[3] وأما أهل التوحيد فإنهم لا يرون العبادة لغير الله، لأنه ما من أحد وإن بَعُد منزلته ومحله إلا وآثار نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل أحد، حتى لو بُذِل له جميع حُطام الدنيا أو أُوعِد بكل أنواع الوعيد[4] ليترك[5] الدين الذي[6] هو عليه ما ترك[7] البتّة.* ويحتمل أن يكون سؤالهم **إلها** يعبدونه[8] لما أن أهل الكفر قالوا لهم: إن الرسل هم الذين أمروهم بعبادة الأصنام، كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾؛[9] فعلى ما قالوا: إن الرسل هم الذين أمروهم بذلك، سألوا موسى أن يجعل لهم **إلها**[10] **كما لهم آلهة**.

**[قال إنكم قوم تجهلون]**.* وفي أمر موسى صلوات الله عليه خصلتان. أحدهما[11] أن يُعلِّم [٢٦٤و س٤
أن كيف يأمر[12] بالمعروف وينهى عن المنكر، وكيف يعامل مرتكب الفسق[13] والمنكر. يعامل على ما عامل[14] موسى قومه باللين والشفقة وإن استقبلوه[15] بالعظيم من الأمر والمناكير. والثانية...[16]* ٢٦٤و س٧]

---

[1] ك: تعالى.
[2] م – عن.
[3] قال الشارح: «ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾، لم يريدوا بذلك جعل الأصنام لهم آلهة يعبدونها، لكن أرادوا أن يجعل لهم قادة ورؤساء يخدمونهم ويعظمونهم، فيكونون سُفَراء بينهم وبين موسى، وليكون لهم من أولئك الرؤساء النعم وأنواع المنافع، كما رأوا قوما ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾، أي رأوا قوما يقيمون على خدمة رؤسائهم وعظمائهم، ونالوا منهم النعم وأنواع المنافع، فتمنوا ذلك، لا أنهم سألوا منه أن يعبدوا غير الله تعالى...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٧ظ).
[4] ك: العذاب.
[5] ع: لينزل.
[6] م – الذي.
[7] ع: ما نزل.
* وقع هنا مقطع متقدم على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٤و/سطر ٤-٧.
[8] ن: يعبدون.
[9] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).
[10] ك: إلها لهم.
[11] م: إحديهما.
[12] ك م: يؤمر.
[13] ن + ألبتة.
[14] ن: ما عمل.
[15] م: وإن استقبلواه.
[16] جميع النسخ هكذا. وفي هامش نسخة ك: "في الأصل هكذا بياض." وترك في المتن بياض بمقدار سطر تقريبا
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٥و/سطر ٤-٧.

**﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٩]**

وقوله: **إن هؤلاء مُتبَّر ما هم فيه**، أي إن عبادتهم لهؤلاء **مُتَبَّر**، أي مُهلكهم ومُفسدهم،[١] **وباطل ما كانوا يعملون**، أي **باطل ما**[٢] يأملون بعبادتهم هؤلاء. وقال القُتَبي: التبار الهلاك.[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: المُتَبَّر المفسَد، يقال: تبرت الشيء، أي أفسدته، ويقال: رجل **مُتَبَّر**، أي مفسَد.[٤]

**﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٤٠]**

وقوله عز وجل: **قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضَّلكم على العالمين**، يحتمل قوله: **فضَّلكم على العالمين**، بما هداكم ووفقكم للهداية بما لم يوفق و لم يهد[٥] أحداً[٦] من عالمي زمانكم. ويحتمل قوله: **أبغيكم إلها**، دونه وقد **فضَّلكم** بما استنقذكم من استخدام فرعون وقهرِه إياكم، وأخرجكم من يده، وأعطاكم رسولا يبيّن لكم عبادة إلهكم الحق. وقوله: **أَغَيْرَ الله أَبْغيكم إلها وهو فضَّلكم على العالمين**، يقول: أما تستحيون ربكم أن تسألوا[٧] **إلها**[٨] تعبدونه دونه، وقد **فضَّلكم**[٩] بما ذكر من أنواع النعم التي ذكر.[١٠] *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[١٤١]**

وهو[١١] ما ذكر في قوله:[١٢] **وإذ أنجيناكم من آل فرعون**، الآية، يذكّرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله وأهلكهم.[١٣] وقوله عز وجل: **يسومونكم**، قيل:[١٤] يعذبونكم،

---

[١] «أي إن هؤلاء مفسد ما هم فيه، أي من العبادة لغير الله تعالى واتخاذهم الأصنام آلهة وإن عبادتهم لغير الله مهلكهم ومفسدهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٧ظ).

[٢] ن + كانوا.

[٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٧٢.

[٤] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «تبر».

[٥] ع: و لم يوفق.

[٦] ع – أحدا؛ م + من العالمين.

[٧] ع: لا تسألوا.

[٨] ن – إلها.

[٩] ن: وفضلكم؛ م: وهو فضلكم.

[١٠] م – التي ذكر.

[١١] إشارة إلى الآية السابقة، أي ما ذكر الله من النعم التي فضلهم بها على العالمين هو...

[١٢] ن م: من قوله.

[١٣] ع: وأهلكم.

[١٤] ن – قيل.

**سوء العذاب**، قتل الأبناء واستحياء النساء.[١] فذلك قوله: **يُقَتِّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم**، قيل: في ذلك، يعني فيما أنجاكم من آل فرعون، **بلاء من ربكم عظيم**، يعني نعمة **من ربكم عظيم**. ويقال: البلاء بالمد هو النعمة، وبغير المد مقصورا[٢] الشدة.[٣]

**﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[١٤٢]

وقوله عز وجل: **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**، ذكر هاهنا **ثلاثين ليلة**، ثم ذكر التمام بالعشرة، وذكر في السورة التي فيها[٤] ذكر البقرة[٥] أربعين ليلة بقوله: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.[٦] وهو واحد، كان الميعاد[٧] له أربعين ليلة.[٨] لكنه يحتمل ذكر **ثلاثين** مرة وعشرا [بعد ذلك] وجهين. أحدهما[٩] أن **ثلاثين ليلة** كان لأمر،[١٠] وعَشْرًا[١١] كان لأمر آخر، فذكر متفرقا[١٢] لما كان لأمرين مختلفين. والثاني أنه كان[١٣] في وقتين، كان هذا في وقت والآخر في وقت، والقصة واحدة والميعاد واحد؛ فذكر التمام بعشر كقوله: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ،[١٤] أي[١٥] وإن كان في وقتين. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة**، قيل: تم الميعاد الذي وعد له **أربعين ليلة**.

---

[١] ن ع: البنات.
[٢] ك ن ع: مقصور.
[٣] ولكن المعروف أن البلاء يستعمل في الخير والشر؛ انظر: (*لسان العرب* لابن منظور، «بلو»).
[٤] م – فيها.
[٥] ن: في البقرة.
[٦] سورة البقرة، ٥١/٢.
[٧] م: كالمعباد.
[٨] ع – وهو واحد كان الميعاد له أربعين ليلة.
[٩] ع: أحدها.
[١٠] ن: كان الأمر.
[١١] ن ع م: وعشر.
[١٢] م: متفرقة.
[١٣] ع: أن كان.
[١٤] سورة البقرة، ١٩٦/٢. والآية في كفارة المحصَر في الحج.
[١٥] ن ع م + ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة.

وقوله عز وجل: **وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي**. فإن قيل: ما معنى قول **موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي**، وهو كان مبعوثا معه رسولا[1] إلى فرعون مشتركا[2] في تبليغ الرسالة إلى فرعون، كقوله: وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي،[3] وقوله: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[4] وقوله: فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ،[5] وقوله: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا؛[6] فإذا كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف احتاج إلى أن يقول له[7] موسى: **اخلُفْني في قومي**، وهما شرعًا سواءٌ في الرسالة؟

قيل: يحتمل هذا وجهين. يحتمل[8] أن يكونا كما ذكر رسولين، لكن من ولَّى اثنين أمرا لم يكن لواحد منهما أن يتفرد به إلا بأمر الآخر؛ فعلى ذلك هذا، كأنه قال له: **اخلفني** في الحكم بينهم، **وأصلح** ذات بينهم، **ولا تتبع** من دعاك إلى **سبيل المفسدين**. أو يحتمل أن يكون موسى كان هو الرسول إذًا، وكان إليه الحكم، وهارون كان دَخِيلا في أمره رِدْءًا له على ما قال: فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي،[9] وإلا موسى كان هو المأمور بها أولا والمبعوث إليهم دونه. ألا ترى أنه كان هو المناجي ربه دون هارون، وكان هو المعطَى الألواح دون هارون، كقوله: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،[10] وهو الذي قال: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا،[11] وهو الذي نودي[12] بالبركة دون هارون،[13] وغير ذلك من الآيات. فإذا كان كذلك استخلفه موسى في قومه.

---

[1] جميع النسخ: رسولان.
[2] ن: شركا؛ ع: شركاء.
[3] سورة طه، ٣٢/٢٠.
[4] ﴿فَأْتِيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ (سورة الشعراء، ١٦/٢٦).
[5] سورة طه، ٤٧/٢٠.
[6] سورة القصص، ٣٤/٢٨.
[7] ك ع م – له.
[8] ك ن ع – يحتمل.
[9] الردء: العون والناصر (*لسان العرب* لابن منظور، «ردأ»).
[10] سورة الأعراف، ١٤٥/٧.
[11] سورة طه، ١٠/٢٠؛ وسورة النمل، ٧/٢٧؛ وسورة القصص، ٩/٢٨.
[12] ع – نودي.
[13] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلمّا جاءها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَن في النار ومَن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ (سورة النمل، ٨/٢٧).

**﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٤٣]

وقوله عز وجل: **ولما جاء موسى لميقاتنا**، أي لميعادنا الذي وعدناه. **وكلّمه ربه**؛ لا يجوز لنا أن نصف كيفية الكلام ومائيته، سوى أنه[١] أنشأ كلاما وصوتا أسمعه[٢] / موسى كيف شاء [٢٦٤ظ] بما شاء[٣] بكلام مخلوق وصوت مخلوق.

**قال ربّ أَرِني أَنظرْ إليك قال لن تراني**، الآية. قال قائلون: إن موسى لم يسأل ربه الرؤية لنفسه، ولكنه سأل لقومه لسؤال القوم له، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[٤] لكن هذا بعيد،[٥] لأنه لو كان سؤاله إياه لسؤال قومه لكان لا يقول: **رب أرني أنظر إليك**، ولكن يقول:[٦] أرهم ينظروا[٧] إليك،[٨] فدل أنه لم يكن لذلك. وقال قائلون: لم يكن سؤالُه ربّه رؤيةَ الرب، ولكن سأل ربّه رؤيةَ الآيات[٩] والأعلام والأدلة التي بها يُرَى. وذلك جائزٌ:[١٠] سؤالُ رؤيةِ الآيات والأعلام. وذلك[١١] أيضا[١٢] بعيد، لأنه قد كان[١٣] أعطاه من الآيات والأعلام ما لم يكن له الحاجة إلى غيرها من الآيات، من نحو العصا التي كان يضرب بها الحجر فتَتَفَجّر[١٤] منه اثنتا عشرة[١٥] عينا، وما كان من فَرْق البحر وإهلاك العدو واليد البيضاء وغير ذلك من الآيات. فإذا بطل ذلك دل أنه سأل حقيقة الرؤية.

---

[١] ن – أنه.
[٢] ن: سمعه.
[٣] ع: بمشاء.
[٤] سورة البقرة، ٥٥/٢.
[٥] ع: يعبد.
[٦] ن – يقول.
[٧] جميع النسخ: ينظرون.
[٨] ع: أولئك.
[٩] م + رؤية الآيات.
[١٠] جميع النسخ + سؤال الرؤية.
[١١] م: فذلك.
[١٢] ع م – أيضا.
[١٣] ع م – كان.
[١٤] ك: فينفجر.
[١٥] ن: اثنا عشر.

والقول بها لازم عندنا في الآخرة وحَقٌّ، من غير إدراك ولا تفسير.[1] والدليل على ذلك قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ،[2] ولو كان لا يُرَى لم يكن لنفي الإدراك حكمة، إذ لا يُدرَك غيرُه بغير الرؤية. فموضع[3] نَفْيِ الإدراك[4] -وغيرُه من الخلق لا يُدرَك إلا بالرؤية- لا معنى له. *والله الموفق*. وأيضا قول موسى: **رب أرني أنظر إليك**، الآية، ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه، ومن يجهله لا يحتمل أن يكون موضعا لرسالته، أمينا على وحيه. وبعد، فإنه[5] لم ينهه ولا آيَسَه.[6] وبدون ذلك قد نهى نوحا،[7] وعاتب[8] آدم وغيرهما[9] من الرسل. ولو[10] كان لا يجوز لبلغ الكفر. ثم قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**.[11]

فإن قيل: لعله سأل[12] آية يَعلم بها[13] [ربه].

قيل: لا يحتمل ذا لوجوه. أحدها أنه قال: **لن تراني**، وقد أراه الآية. وأيضا إن طلب الآيات يخرج مخرج التعنُّت، إذ قد أراه الآيات على ما ذكرنا،[14] وذلك صنيع الكفرة، أنهم لا يزالون يطلبون الآيات وإن كانت الكفاية قد ثبتت[15] لهم، فمثله ذلك.[16] وأيضا إنه قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**، والآية التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها. ثبت أنه لم يرد بذلك الآية.

---

[1] ك: ولا تغيير.
[2] سورة الأنعام، ١٠٣/٦.
[3] ع م: فوضع.
[4] أي الإدراك بهذه القوة المخصوصة بإدراك الأشياء.
[5] ع: فإن.
[6] ن ع: ولا اياسة.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عَمَلٌ غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ (سورة هود، ٤٥/١١-٤٦).
[8] ع: وعابت.
[9] جميع النسخ: وغيره.
[10] ن ع م: وذلك لو.
[11] أي وهذا يدل على جواز الرؤية، لأن استقرار الجبل أمر جائز.
[12] ك: سألت.
[13] ك - بها.
[14] ع: ما ذكر.
[15] ن ع: قد ثبت.
[16] م + أيضا.

وأيضا محاجّة إبراهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالأُفول والغَيبة، ولم يحاجّهم بأنْ لا أحبّ[١] ربا يُرَى، ولكن حاجّهم بأنْ لا أحبّ[٢] ربا يأفُل،[٣] إذ هو دليل عدم الدوام. ***ولا قوة إلا بالله***.

وأيضا قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[٤] ثم لا يحتمل ذلك الانتظارَ [لثواب الله][٥] لوجوه. أحدها أن الآخرة[٦] ليست بوقت للانتظار،[٧] إنما هي الدنيا. وهي دار الوقوع والوجود إلا في وقت الفزع وقبل أن يعاينوا في أنفسهم ما له حق الوقوع.

والثاني[٨] قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، وذلك وقوع الثواب.[٩]

والثالث قوله: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، و"إلى" حرف يستعمل في النظر إلى الشيء، لا في الانتظار.

والرابع أن القول به يخرج[١٠] مخرج البِشارة لعظيم ما نالوه من النعم، والانتظار ليس منه. مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم قضاءً على الله.

فيلزم القول بالنظر إلى الله كما قال، على نفي جميع معاني الشَّبه عن الله سبحانه، على مثل ما أضيف[١١] إليه من الكلام والفعل والقدرة والإرادة. إنه يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشَّبه، وكذلك القول بالهَسْتِيَّة.[١٢] فمن زعم أن الله لا يقدر أن يكرم أحدا[١٣] بالرؤية فهو يُقَدِّر في الرؤية التي فهمها من الخلق. وإذا كان القول بـ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ،[١٤]

---

[١] جميع النسخ: لا تحب.
[٢] ك ن: لا نحب.
[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (سورة الأنعام، ٧٦/٦).
[٤] سورة القيامة، ٢٢/٧٥-٢٣.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ.
[٦] ع م: أن الآخر.
[٧] ن: الانتظار.
[٨] ع + في.
[٩] وعبارة الشارح هكذا: «... أحدها أن الآخرة ليست بوقت الانتظار، إنما هي الدنيا، أما الآخرة هي دار وقوع الثواب ووجود الجزاء إلا في وقت الفزع. ولأنه قال ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ونضرة الوجوه من باب وقوع ووجود الجزاء إلا في وقت الفزع. ولأنه قال ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، ونضرة الوجوه من باب وقوع الثواب. وفي وقت وقوع الثواب لا معنى للانتظار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ).
[١٠] ك: خرج.
[١١] ن ع - أضيف.
[١٢] م: بالشبه. و الهَسْتِيَّة كلمة فارسية بمعنى وجود الشيء في الخارج.
[١٣] م: أحد.
[١٤] سورة طه، ٥/٢٠.

وغير ذلك من الآيات لا يجب[1] دَفْعُها بالعَرْض على المفهوم من الخَلْق، بل يحقَّق ذلك على نفي الشَّبه، فمثله خبر الرؤية.

وأيضا[2] قوله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ،[3] وجاء في غير خبر [أن الزيادة في] النظر إلى الله.[4] وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير، لكنه لولا أن القول بالرؤية كان أمرا ظاهرا لم يحتمل صرفُ ظاهرٍ لم يجيء فيها إليها،[5] ويُدفَع به الخبر.[6] **والله أعلم.**

وأيضا ما جاء عن رسول الله صلى الله وسلم في غير خبر أنه قال: «سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضَامُون [في رؤيته]».[7] وسئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «بقلبي[8] فبلى»،[9] فلم ينكر على السائل[10] السؤال. وقد عَلِم السائل[11] رؤية القلب، إذ هي عِلْم قد عَلِمه، وإنه لم يَسأل عن ذلك. وقد حذّر الله المؤمنين عن السؤال عن أشياء[12]

---

[1] ع م: لا يجوز.

[2] ع: أيضا.

[3] سورة يونس، ٢٦/١٠.

[4] عن صهيب عن النبي صلى الله عيه وسلم في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعدا، قالوا: ألم يُبيِّض وجوهنا ويُنجِنا من النار ويُدخِلنا الجنة؟ قالوا: بلى -قال- فينكشف الحجاب -قال- فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه (صحيح مسلم، الإيمان ٢٩٧؛ وسنن الترمذي، صفة الجنة ١٦). وانظر للأحاديث والآثار مجموعة: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٦/٤-٣٦٠.

[5] ع - إليها.

[6] ك: بها الخبر. أي إن لم تكن رؤية الله عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم من جمهور العلماء حقيقة واضحة لم يمكن حمل نص لم يرد في شأن الرؤية على الرؤية، حتى أنه كان من الممكن أن يترك الخبر الدال على أن الزيادة بمعنى الرؤية. قارن: *كتاب التوحيد* للمؤلف، ١٢٤.

[7] ع م: لا يضامون. وانظر للحديث: صحيح *البخاري*، التوحيد ٢٤؛ وصحيح *مسلم* الإيمان ٢٩٩-٣٠٠. يُروَى هذا الحديث بالتشديد "لا تُضَامُّون" من الضَّمّ أي الاجتماع، والتخفيف "لا تُضَامُون" من الضَّيم أي الظلم، فالتشديد معناه لا ينضمّ بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها على تَفاعَلون وتُفاعَلون، ومعنى التخفيف لا ينالكم ضَيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضَّيم الظلم (*لسان العرب* لابن منظور، «ضمم، ضيم»).

[8] ع: فقلبي.

[9] ع: قبلي؛ م: قلبي. لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله عز وجل: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (سورة النجم، ١١/٥٣): رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٣/١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٨٥؛ وسنن *الترمذي*، التفسير سورة ٥٣). وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ، أَنَّى أَرَاه؟» (صحيح *مسلم*، الإيمان ٢٩١). وفي رواية لابن خزيمة عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه. انظر: فتح *الباري* لابن حجر، ٦٠٨/٨.

[10] م: عن السائل.

[11] ك + أن.

[12] ع م: عن الأشياء.

قد كُفُّوا عنها[1] بقوله: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.[2] فكيف يحتمل أن يكون السؤال عن مثله يجيء -وذلك كفر في الحقيقة عند قوم- ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يُوَبِّخُهم في ذلك، بل يُلَيّن[3] القول في ذلك، ويرى[4] أن ذلك ليس ببعيد؟[5] *والله الموفق*.

وأيضا إن الله وعد أن يجزي [المؤمنين] أحسن ما عملوا[6] به في الدنيا.[7] ولا شيء أحسن من التوحيد، وأرفع قدرا من الإيمان به،[8] إذ هو المستحسن بالعقول. والثواب الموعود من جوهر الجنة حُسْنُه حُسْنُ الطبع، وذلك دون حسن العقل. إذ لا يجوز أن يكون[9] شيءٌ حسنٌ في العقول لا يستحسنه ذو عقل. / وجائزٌ [أن يكون] ما استحسنه الطبع[10] **[٢٦٥و]** [أنْ] لا يتلذّذ به [طبع آخر]، كطبع[11] الملائكة، ومِثلُه في العقوبة. لذلك[12] لزم القول بالرؤية، لتكون كرامةً تَبلغ في الجلالة ما أُكرِموا به، وهو أن يَصير لهم المعبود بالغيب شُهودا، كما صار المطلوب من الثواب حُضورا. *ولا قوة إلا بالله*.

ولا يحتمل [أن تكون الرؤية بمعنى] العلم؛ لأن كُلًّا[13] يُجْمِع على العلم بالله في الآخرة العِلمَ الذي لا يعتريه الوسواس، وذلك علم العيان، لا علم الاستدلال. وكثرة الآيات لا تحقِّق علم الحق الذي لا يعتريه[14] ذلك.[15] دليله قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[16] الآية،

---

[1] أي مُنِعوا عنها.
[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤكم﴾ (سورة المائدة، ١٠١/٥).
[3] جميع النسخ: يليق. والتصحيح من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥.
[4] ع م: ويروى.
[5] ك ن م: ببديع؛ ع: بديع. والتصحيح من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥. أي إذا لم تكن رؤية الله جائزة كيف يسمح الرسول بسؤال الصحابي عن ذلك، ويراه سؤالا لائقا، وأن ذلك ليس بشيئ مُحْدَث في الدين؟
[6] ك ن م: مما عملوا.
[7] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيِيَنّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة النحل، ٩٧/١٦).
[8] ن - به.
[9] ن + أن يكون. ويكون هنا تامة، بمعنى يوجَد، أي لا يجوز أن يوجَد...
[10] جميع النسخ + طبعا.
[11] ع: لطبع.
[12] ع: وكذلك.
[13] ع: لأن الكلام.
[14] جميع النسخ: لا يعتري.
[15] أي الوسواس.
[16] ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

وما ذكر من استعانة الكفرة بالتكذيب في الآخرة وإنكار الرسل،[1] وقولهم: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،[2] وغير ذلك. وبعد، فإنه إذ[3] لا يجوز أن يصير علمُ العيان[4] نحو[5] علم الاستدلال لم يجز أن يصير علمُ الاستدلال نحو[6] علم[7] العيان،[8] فثبت أن الرؤية توجب ذلك. وبعد، فإن في ذلك العلم[9] يستوي الكافر والمؤمن، والبِشارة بالرؤية خُصّ بها المؤمن. *ولا قوة إلا بالله*.

ولا نقول بالإدراك، بقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ،[10] فقد امتدح بنفي الإدراك، لا بنفي الرؤية. وهو كقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.[11] كان في ذلك إيجاب العلم ونَفْيُ الإحاطة، فمِثلُه في حق الإدراك. *وبالله التوفيق*. وأيضا إن الإدراك إنما هو الإحاطة بالمحدود، والله يتعالى عن وصف الحد، إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه. على أنه وَاحِدِيّ الذات[12] -والحد وَصْفُ المتصل الأجزاء حتى ينقضي- مع إحالة القول بالحد، إذ كان[13] ولا ما يُحَدّ[14] أو به يُحَدّ[15] فهو على ذلك، لا يتغير. على أن لكل شيء حدا[16] يُدرَك بسبيله[17] نحو الطعم واللون والذوق والرائحة[18]

---

[1] م + عليهم. يقول الشارح رحمه الله تعالى: «... وكذلك ما ذكر في استعانة الكفرة بالتكذيب للرسل عليهم السلام في الآخرة والإنكار عليهم التبليغ، كقوله تعالى خبرا عنهم: ﴿[قالوا والله] ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦)، يقسمون بالله كذبا في الآخرة مع معاينتهم الدلائل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ).

[2] ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[3] ع - إذ.

[4] ع: البيان.

[5] ك ن ع: بحق.

[6] ك ن ع: بحق.

[7] ع - الاستدلال لم يجز أن يصير علم الاستدلال بحق علم.

[8] ع: البيان.

[9] أي العلم بوجود الله بالمنهج الاستدلالي.

[10] سورة الأنعام، ١٠٣/٦.

[11] سورة طه، ١١٠/٢٠.

[12] أي الذي لا ينقسم.

[13] م: إذا كان.

[14] ك: كلا ما يحد؛ ع: ولا ما يجد.

[15] أي كان الله في الأزل ولم يُحَدّ، وكذلك لم يكن هناك شيء يحده...

[16] جميع النسخ: حد. أي لكل شيء وَصْفٌ مميّز له عن الأشياء الأخرى.

[17] جميع النسخ: سبيه.

[18] جميع النسخ: والحد. والتصحيحان من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥.

وغير ذلك من حدود[١] خاصية الأشياء، جعل الله[٢] لكل شيء[٣] من ذلك وجها يُدرَك ويحاط به، حتى العقول والأعراض. فأخبر الله تعالى أنه ليس بذي حدود وجهات مِن طُرُق[٤] إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات. وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا. **ولا قوة إلا بالله**.

وبعد فإن القول بالرؤية يقع على وجوه، لا يُعلَم حقيقة كل وجه من ذلك إلا بالعلم بذلك الوجه، حتى إذا عُبّر عنه بالرؤية صُرِف إلى ذلك، وما لا يُعرَف له الوجه بدون ذكر الرؤية لزم الوقف[٥] في مائيتها على تحقيقها.[٦] وأما الإدراك إنما هو معنى الوقوف على حدود الشيء؛ ألا ترى أن الظل في التحقيق يُرَى، لكنه لا يُدرَك إلا بالشمس، وإلا كان مرئيا على ما يُرَى لوقت نسخ الشمس، ولكن لا يُدرَك بالرؤية إلا بما يتبين له الحد.[٧] وكذلك ضوء النهار يُرَى، لكن حده لا يُعرَف بذاته. وكذلك الظُّلْمة، لأن طرفها لا يُرَى فيُدرَك ويحاطَ به، وبالحدود يُدرَك الشيء وإن كان يُرَى لا بها. ولذلك ضرب المثل بالقمر،[٨] أنه[٩] لا يُعرَف حده ولا سعته ليوقَف [عليه] ويحاط به، و[لكنه] يُرَى بيقين. **ولا قوة إلا بالله**. والأصل فيه القول بذلك على قدر ما جاء، ونفي كل معنى من معاني الخلق، ولا يُفسّر لما لم يجئ. **والله الموفق**.

ثم زعم الكَعْبي[١٠] أن الغائب إذ لم يخرج عن الوجوه التي بها يُعلَم فكذلك لا يُرَى إلا بالوجوه التي بها يُرَى من المبايَنة للمَرْئي –ولما حلّ فيه المَرْئي– بالمسافة والمقابلة واتصال الهواء والصغر وعدم الصغر والبُعد، ولو جازت الرؤية بخلاف هذا[١١] لجاز العلم به.[١٢]

---

[١] ك: من الحدود.

[٢] ك + الأشياء.

[٣] ع – حد يدرك سببه نحو الطعم واللون والذوق والحد وغير ذلك من حدود خاصية الأشياء جعل الله لكل شيء.

[٤] م: هي طرق.

[٥] ك: التوقف.

[٦] أي مع قبول وقوعها.

[٧] ن + ولكنه.

[٨] أي في الحديث السابق الذي شُبّهت فيه رؤية الله تعالى في الآخرة برؤية القمر ليلة البدر.

[٩] ع م: لأنه.

[١٠] أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني، من شيوخ المعتزلة، صاحب التصانيف. توفي سنة ٣٢٧هـ/٩٤١م. انظر: *سير أعلام النبلاء*، ١٥/٢٥٥.

[١١] ع: هذه.

[١٢] وعبارة الشارح هكذا: «ثم زعم الكلبي أن الغائب إذا لم يخرج عن الوجوه التي يُعلَم بها في الشاهد لمعنى الضرورة والاكتساب فكذا يجب أن لا يُرَى في الغائب إلا بالوجوه التي يُرَى في الشاهد من المبايَنة للمَرْئي والمسافة والمقابلة واتصال الهواء وعدم الصغر، ولو جازت الرؤية بخلاف هذا لجاز العلم بخلاف الوجوه التي في الشاهد (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ-٣٠٩و).

{قال الشيخ رحمه الله:} وهذا خطأ، لأنه قدّر[1] برؤية[2] جوهره. وقد عُلِم أنَّ غير جوهره جواهر[3] يَرون من الوجه الذي لا يَقدر [الإنسان] على الإحاطة بجوهره، فضلا عن إدراك بصره،[4] نحو الملائكة والجن وغيرهم، مما يَروننا[5] من حيث لا نراهم، و[كذلك] الجثة الصغيرة نحو البَق ونحو ذلك مما يَرى، لما[6] لو توهم مثل ذلك البصر لما احتمل الإدراك. ويَرى الملك الذي يكتب جميع أفعالنا ويسمع جميع أقوالنا، على ما لو أردنا[7] تقدير ذلك بما عليه جُبِلْنا للزم إنكار ذلك كله، وذلك عظيم. وكذلك ما ذكر مِن نُطق الجلود وغيرها مما لو امتُحِن بمثلها أمْرُ الشاهد لوُجِد عظيما.[8] وبعد، فإنه في الشاهد يُفضَل بين البصرين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما بما اعتراهما من الحُجُب،[9] مما لو قابل أحدَهما بحال[10] الآخر على حاله وجده[11] مستنكرا. وإذا كان كذلك بطل التقدير بالذي ذكر. **والله الموفق.**

وأيضا[12] إنه في الشاهد بكل أسباب العلم لا يَعلم غير العَرَض[13] والجسم. ثم جائز العلم بالغائب خارجا منه، فمثله الرؤية.

والثالث ما ذكرنا من رؤية الظل والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه.

والرابع أنه قد يجوز وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية، إما بالحجب[14] أو بالجوهر، فجاز تحقيق الرؤية على نفي تلك المعاني. نحو ما أجيب القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالِم: إذ وُجِد[15] جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم، فمثله في الرؤية.

---

[1] يقول الماتريدي في *كتاب التوحيد* (١٢٨): «وقد أخطأ في هذا الفصل بوجوه. أحدها أنه قدر...».

[2] ع م: رؤية.

[3] ك ع م: جوهر؛ ن – جواهر.

[4] م: ببصره.

[5] ع: مما يرونه.

[6] ك: لنا.

[7] ك ن ع: ما أردنا.

[8] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه تُرْجَعون﴾ (سورة فصلت، ٢١/٤١). وانظر أيضا: سورة يس، ٦٥/٣٦.

[9] ع م: في الحجب.

[10] جميع النسخ: حال.

[11] م: وجد.

[12] أي ثاني وجوه أخطاء الكعبي.

[13] م: غير العضو.

[14] إما لحجب.

[15] م: إذا وجد.

على أن البُعد[1] الذي يحجبنا والدِّقَّة[2] يجوز أن يبلغه بصر غيرنا، فصار ارتفاع الرؤية بالحجاب، فإذا ارتفع جاز. **ولا قوة إلا بالله.**

وبعد، فإن الذي يقوله[3] تقدير برؤية الأجسام، ولم يمتحن بصره بغير الأجسام والأعراض أنْ كيف سبيل الرؤية له. وبعد، فإن كل جسم ، يُرَى، وإن كانت الدّقّة والبُعد يحجبان، [٢٦٥ظ] فيجوز ارتفاعهما عن بصر غيرٍ[4] فيُرَى. على ما يَرى ملك الموت مَن بأطراف الأرض ووسطها مما لو اعتُبِر ذلك ببصر البشر لما احتمل الإدراك. فثبت أن الذي قدّر به ليس هو سبب تعريف ما يبصره،[5] ولكن سبب تعريف ما يُحجب به البصر، فإذا ارتفع رأى. مع ما كان المنفي[6] رؤيته لذاته عَرَض، وإلّا فكل جسم يُرَى. فإن لزم إنكار الرؤية لما ليس بجسم أو لما لا يُرَى إلا بما ذكر ليلزم الإقرار به،[7] لأن الذي لا يُرَى لذاته هو العَرَض، وإلّا فكلُّ غَيْرٍ يُرَى. **ولا قوة إلا بالله.**

وعارض[8] بأمر الدنيا. ولا يُحَالُ ذلك، لكن يُسقِط[9] المحنة ويرفع[10] الكُلفَة، والدنيا[11] لهما [خلقت].

ثم ذَكر[12] في أمر موسى أن ذلك على علم الإحاطة بالآيات. وقد بيّنّا فساد ذلك. وما ذلك العلم بالذي يَسأل وهو رسول بُعِث إلى ما به نجاة الخلق. وذلك لا يكون بغير الممتحن، إذ هو تبليغ الرسالة والدعاء إلى العبادة، وهي محنة.[13] بل سأل الرؤية ليجلّ قدره وليعرف[14] عظيم محله عند الله. أو أن يكون الله أمره به ليعلم الخلق جواز ذلك. **وبالله التوفيق.**

[1] ع: أن العبد.
[2] م: والرؤية.
[3] ع: بقوله. أي الذي يقوله الكعبي.
[4] ك: من غير بصر.
[5] ك: ما يبصر.
[6] ك + به.
[7] أي ينبغي القول بإمكان الرؤية نظريا.
[8] جميع النسخ: وعورض. أي عارض الكعبي بأنه تعالى لا يرى في الدنيا.
[9] م: الدنيا ومحال العرض بذلك لا يسقط.
[10] ك: وترفع.
[11] ك ن م + هي.
[12] أي الكعبي.
[13] قال الشارح: «وذَكر في أمر موسى عليه السلام [أنه] رسول بُعِث إلى ما به نجاة الخلق من الدعاء إلى التوحيد والعبادة لله تعالى، وهو مكلف ممتحن بتبليغ الرسالة إليهم، وهذا النوع من العلم الضروري مما يُسقِط المحنة والابتلاء، أي لا يبقى الخطرات واعتراء الشبهة ليؤمر بالدفع بالاستدلال بالآيات، فدل أن سؤال هذا النوع من العلم في دار المحنة لا يجوز...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٩و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٤٤و).
[14] ع م: ليعرف.

ثم استدل بأنه[1] لم يُرَ من يعقل، إنما أُرِيَ الجبلَ، والجبل لا يعقل ليعلمه وليراه.

فيقال له: ولو كانت[2] آية[3] فالجبل لا يراها ولا يعقل. وإذا كان كذلك فالآية إذًا صار انْدِكَاك الجبل وانشقاقه، لا أنّ أراه الآية لينَدكّ[4] بها. وفي هذا[5] أنه[6] قد أَرَى موسى الآية، وهو اندكاك الجبل، والله يقول: **لن تراني**، وحَمَلْتَه على الآية، وقد رآها. ***ولا قوة إلا بالله***.

فإن قيل: ما معنى توبته [في قوله: **فلما أفاق قال سبحانك تُبتُ إليك وأنا أول المؤمنين**]، لو كان سؤاله على الأمر؟

قيل: على العادة في الخَلْق مَن يُحْدِثها[7] عند الأهوال بلا حدوث ذنب. أو لما رأى من جلال الله وعظمته فزع إلى التوبة وإحداث الإيمان به، وإن لم يكن ما يوجب ذلك، وذلك متعارف في الخلق. ويحتمل أن يكون [إ]قوله: **لن تراني**، وكان عنده[8] جواز الرؤية في الشاهد، واحتمال وسعة ذلك بما وعد الله في الآخرة، [ف]رجع عما كان عنده، وآمن بالذي قال: **لن تراني**، وإن كان في أصل إيمانه داخلا. على نحو إحداث المؤمنين الإيمان[9] بكل آية تنزل، وبكل فريضة تتجدّد، وإن كانوا في الجملة[10] مؤمنين بالكل.[11] ***والله الموفق***. وقد بينا ما قالوا في قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[12]

والأصل في الكلام أنه إذا كان على أمر معهود أو يُقرَن به المقصود إليه صُرِف[13] عن حقيقته، وإلا لا. وذلك نحو قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[14] و أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ.[15]

---

[1] ع – بأنه. بأنه: أي الله تعالى.
[2] أي الرؤية.
[3] م: الآية.
[4] م: يستدل.
[5] م: وفي هذ.
[6] جميع النسخ: اية.
[7] جميع النسخ: من يحدثه. أي من يجدد التوبة.
[8] ن: عقده.
[9] ك: الإيمان المؤمنين.
[10] ك: في الجحا.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[12] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.
[13] ن: وإليه طرف.
[14] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.
[15] سورة الفيل، ١٠٥/١.

وأصله أنّ مَن قال: رأيت فلانا، أو نظرت إلى فلان، لم يحتمل غير ذاته، وإذا قال: رأيته يقول كذا، ويفعل كذا، أنه لا يريد به رؤية ذاته. فمثله أمر قصة موسى وهذه الآية. وروي عن ضرار بن عمرو[١] أنه أتى البصرة فقال: يا أهل البصرة، إمّا أنْ كان موسى مُشَبِّهِيًّا، وإما أنْ كان الله يُرَى، لأنه لو كان بالذي لا يُرَى فسأل هو[٢] رؤيته كان جاهلا به مُشبِّها[٣] خَلْقَه به، فدل أنه يُرَى.

ثم الأصل أن من[٤] تأمل الذي[٥] ذكره الكَعْبي عرف أنه مُشَبِّهِيّ المذهب،[٦] لأنه لم يذكر المعنى الذي له يجب أن يكون الرؤية بتلك الشرائط،[٧] إنما أخبر أنه كذلك وُجِد، وهو قول المشبّهة أنه وُجِد كلُّ فاعل في الشاهد جسما، وكذا كل عا لم، فيجب مثله في الغائب. ثم ذكر معنى رؤية الجسم و لم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون له دليلا. وبعد، فإنه نَفَى[٨] بالدّقّة والبُعد، وهما زائلان عن الله تعالى. ثم احتج بامتداح الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾،[٩] وقال: لا يجوز أن يزول. فمثله عليه في قوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾،[١٠] وقوله:[١١] ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،[١٢] فلا يجوز أن يزول. ثم قد وُصف الله بالرؤية على إسقاط ما ذكر. فثبت أن ذلك طريق لا يؤدي عن كُنْهِ ما به الرؤية.[١٣]

---

[١] ضِرار بن عمرو من رءوس المعتزلة. له تصانيف كثيرة تدل على كثرة اطلاعه على الملل والنحل، مات قبل ٢٠٠هـ/٨١٦م؛ انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٤-٥٤٥.

[٢] ع م: ربه.

[٣] ك ن ع: مشبهيا.

[٤] ع: إن ما من.

[٥] ن – الذي.

[٦] أي إن قوله يؤدي إلى ذلك، وإلا فالكعبي من المعتزلة.

[٧] ك – الشرائط، صح هـ.

[٨] ك: فإن نفى.

[٩] سورة الأنعام، ٦/١٠٣.

[١٠] سورة الأنعام، ٦/١٠٢.

[١١] ن – وقوله؛ ع – خالق كل شيء وقوله.

[١٢] سورة المائدة، ٥/١٢٠.

[١٣] قال الشارح: «ثم احتج أيضا بامتداح الله تعالى بنفي الإدراك بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وقال: لا يجوز أن يزول معنى التمدّح، وإذا قلتم: يُرى في الآخرة، وأراد بنفي الإدراك الرؤية، فلا يتكامل معنى التمدّح، بل يكون في وقت دون وقت. ويَرِد عليه مثله في قوله: ﴿خالق كل شيء﴾، وقوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، يجب أن لا يزول لأنه تمدّح به، وهو قد قال: إنه ليس بخالق في الأزل، إنما يصير خالقا بعد الخلق، وكذلك لم يصف الله تعالى بالقدرة على خلق أفعال العباد منهم بطريق الاختيار. ثم إنما يَرِد هذا على قول من يجعل الإدراك والرؤية واحدا، وهو قول بعض أهل السنة من أصحاب الحديث، فأما نحن فقد ذكرنا أن الإدراك لا يتحقق في حق الله تعالى على لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا يلزمنا هذا الكلام. والله الموفق. ثم سلّم الكعبي أن الله رأى جميع المرئيات بدون ما ذكر من المشابهة والمقابلة ونحو ذلك، ليجوز أن يكون مرئيا بدون ما ذكر، وبهذا يتبيّن أن ما ذكر لا يؤدي عن كيفية مائية الرؤية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٩ظ).

فإن قيل: كيف يُرَى؟

قيل: بلا كيف، إذ الكيفية تكون لذي صورة.[1] بل يُرَى بلا وصف قيام وقعود واتِّكاء وتعلُّق واتِّصال وانفصال ومقابلة ومُدابَرة وقصير وطويل ونور وظُلْمَة وساكن ومتحرِّك ومُمَاسّ ومُبَايِن وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم أو يُقَدِّره[2] العقل، لِتَعَالِيه عن ذلك.[3]

وقوله عز وجل: **فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دَكًّا**، الآية، قال أبو بكر الأصم: **تجلَّى** بالآيات والأعلام[4] التي بها يُرَى، لا رؤية الذات.[5] وكذلك قال في قوله: **رب أرني أنظر إليك:** إنه إنما سأل ربه الآيات والأعلام التي بها[6] يُرَى، لا رؤية الذات. وقد بيّنّا بُعدَه وإحالتَه لما قد أعطاه من الآيات والأعلام ما له[7] غُنْيَة عن غيرها، [فـ]لا يحتاج إلى غيرها.

وقال الحسن: إن موسى سأل ربه الرؤية في غير وقت الرؤية. وهو يقر بالرؤية، لكنه يقول: سألها في الدنيا، وبنية هذا العالم لا تحتمل[8] ذلك. ألا ترى أنه قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**، أخبر أن الجبل لا يستقر له، فكيف[9] تستقر أنت؟ لكنه ينشئ بنية تحتمل[10] ذلك. وقال:[11] لذلك قال موسى: **إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين**، أنْ ليس في الدنيا الرؤية. إلى نحو هذا يذهب الحسن. وقد ذكرنا نحن الوجه على قدر ما حضر لنا.[12]

وقال أهل التأويل: قوله: **تجلّى ربه للجبل**، أي ظَهَر، لكن لا يُفهَم[13] من ظهوره ما يُفهَم من ظهور الخلق. على ما ذكرنا / في قوله: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[14] وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[15] [٢٦٦و]

[1] ع: الذي صورة.
[2] ع: أو يقدر.
[3] تجدر الإشارة هنا إلى أنه اعتبارا من قول المؤلف: «والقول بها لازم عندنا في الآخرة وحق من غير إدراك ولا تفسير...» (ص ٤٦) إلى هنا موجود بفروق طفيفة جدا في *كتاب التوحيد* للمؤلف، ١٢٠-١٣٤.
[4] ك: بالأعلام والآيات.
[5] ن ع م - لا رؤية الذات.
[6] ع م - بها.
[7] ن: وما له؛ م - وما له.
[8] ن: لا يحتمل.
[9] ك: لكيف.
[10] ن: يحتمل.
[11] ن ع م + الحسن.
[12] ذكر الآلوسي معنى هذا الكلام وقال بأنه نُسِب إلى الحسن رحمه الله، واستغربه منه؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٤٧/٩.
[13] ك: لا نفهم.
[14] سورة الأعراف، ٥٤/٧؛ وسورة يونس، ٣/١٠؛ وغيرها.
[15] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.

وغيره من الآيات، لا يُقَدَّر استواؤه باستواء الخلق، وكذلك مجيئه، فعلى ذلك ظهوره. *وبالله العصمة*. وروي أن في التوراة أنه جاء من طور سيناء، وظهر من جبل ساعورا،[١] واطّلع من جبل فاران.[٢] وتأويله: جاء وحيه على موسى في طور سيناء، وظهر على عيسى في جبل ساعورا، واطّلع على محمد في جبل فاران.

ثم العجب أنْ كيف اجترأ موسى بالسؤال بسؤال مثله: **أرني أنظر إليك**؟ لكنه يحتمل وجوها. أحدها على الأمر بالسؤال عن ذلك،[٣] ليُعلَم أنه يُرَى ويعتقدوا ذلك. أو على الظن منه لما رأى أنه أعطاه أشياء[٤] لا يكون مثلها في الدنيا، إنما يكون في الآخرة، [و]خُصَّ بها من نحو انفجار العيون من الحجر من غير مؤنة تكون لهم في ذلك من حفر الأنهار و إصلاحها وأنواع المؤن، ونحو ما أعطاهم من اللباس الذي[٥] ينمو ويزداد على قدر قامتهم وطولهم، ومن نحو[٦] ما أعطاهم من المَنّ والسَّلْوَى على غير مؤنة ولا جهد. وذلك كله وصف الجنة. فلما رأى ذلك ظنّ أن الرؤية أيضا تكون[٧] في الدنيا على ما كانت له من أشياء لم يكن مثلها لأحد في الدنيا. أو لما رأى أنه سمع كلام ربه وألقى في مَسامعه[٨] كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا من بعيد[٩] ولا من أسفل[١٠] ولا من أعلى ولا من فوق ولا من تحت، لكنه أسمعه[١١] بما شاء وكيف شاء بلطفه، فعلى ذلك ظن[١٢] أنه يجوز له أن يسأل ربه الرؤية، فيُريه بما شاء وكيف[١٣] شاء بلطفه كما أسمع كلامه بلطفه[١٤] كما ذكرنا.[١٥]

---

١ وقد وردت تسميته في *تفسير القرطبي* و*تفسير ابن كثير*: ساعير، وهو جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى عليه السلام؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ١٥٩/١٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٥٢٧/٤-٥٢٨.

٢ فاران اسم عبراني لجبال مكة المكرمة (*لسان العرب* لابن منظور، «فأر»).

٣ جميع النسخ: على ذلك.

٤ ك: شيأ.

٥ ن + كان.

٦ ك: من نحو.

٧ ك: تكون أيضا؛ ن ع م: يكون.

٨ ع م: وألقى مسامعه.

٩ ن ع م: ولا بعيد.

١٠ ك: لا من أسفل.

١١ ع: سمعه؛ م: سمع.

١٢ ع م: فعلى ظن.

١٣ ع م: كيف.

١٤ م - كما أسمع كلامه بلطفه.

١٥ ك: لما ذكرنا.

**﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** [١٤٤]

وقوله عز وجل: **قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**. سمى الله عز وجل موسى وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بأسماء الجوهر موسى وعيسى ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وسمى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وذلك يدل على تفضيله. وكذلك سمى سائر الأمم المتقدمة: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١] و يَا بَنِي آدَمَ،[٢] وسمى أمة محمد صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا،[٣] وقال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ،[٤] ونحوه، فذلك يدل أيضا على تفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم. وقوله: **إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**، كان مصطفى[٥] ومفضَّلا بالكلام على الناس كافّة، الأنبياء وغيرهم، لأن الله تعالى لم يكلم أحدا من الرسل إلا بسفير سوى موسى، فإنه كلمه ولم يكن بينهما سفير. وأما قوله: **اصطفيتك على الناس برسالاتي**، على ناس[٦] زمانه[٧] وأهله خاصة.[٨] ويحتمل **برسالاتي**[٩] التي بَيْن موسى وبَيْن الله تعالى. وهذا ينقض على المعتزلة قولهم: إن الله تعالى لا يرسل رسولا إلا وهو يستحق الرسالة. ولو كان طريقه الاستحقاق لا الإفضال والإحسان لم يكن للامتنان معنى، دل أن طريقة الإفضال[١٠] والإحسان، لا الاستحقاق. *والله أعلم*. وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مُصطفِيًا[١١] موسى ولا غيره من الأنبياء، ولكن هم الذين اصطفَوْا أنفسهم.

وقوله عز وجل: **فخذ ما آتيتك**، يخرج[١٢] على وجهين. أحدهما القبول، أي اقبل ما أعطيتك.

---

[١] انظر مثلا: سورة البقرة، ٤٠/٢.
[٢] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٢٦/٧.
[٣] انظر مثلا: سورة البقرة، ١٧٢/٢.
[٤] سورة آل عمران، ١١٠/٣.
[٥] ك: مططفي.
[٦] ع: على أناس.
[٧] ك: زماله.
[٨] ن: خاصته.
[٩] ك: برسالتي.
[١٠] م + والاحا.
[١١] ك: مصفيا؛ ن + على؛ م: مصطفا.
[١٢] م: تخرج.

كقوله:[١] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً.[٢] ويحتمل قوله: **فخذ ما آتيتك**، أي اعمل بما آتيتك[٣] بأحسن العمل. **وكن من الشاكرين**، لنعمه[٤] التي أنعمها عليك[٥] من التكليم والرسالة وغيره من النعم.[٦] *والله الموفق*.

**﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾**[١٤٥]

وقوله عز وجل: **وكتبنا له في الألواح من كل شيء**، يحتمل[٧] قوله:[٨] **وكتبنا له في الألواح**، وجهين. أحدهما أنه إنما أضاف ذلك إلى نفسه لما تولّى كتابتها الملائكةُ البَرَرَة الكِرام، أضاف ذلك[٩] إلى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما؛ على ما ذكر في الكتاب في غير موضع، من نحو قوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[١٠] وقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،[١١] أخبر أن طاعة الرسول له طاعة، وغير ذلك، فكذلك هذا. *والله أعلم*. أو أضاف ذلك إلى نفسه لما كان ويكون إلى يوم القيامة إنما يكون بِ"كُنْ" الذي كان منه في الأوقات التي أراد أن يكون. فعلى ذلك كتابته[١٢] تلك الألواح[١٣] كان تحت ذلك الـ"كُنْ". وإن كان أضاف بعض تلك الأشياء إلى نفسه [بطريق الخصوص]،[١٤] كقوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،[١٥] و جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا،[١٦] و أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً،[١٧]

---

[١] م: كقولهم.
[٢] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[٣] ن + أي اعمل.
[٤] م: لنعمته؛ ع: لنعمة.
[٥] ع م: عيها.
[٦] م: من النعيم.
[٧] ن - يحتمل.
[٨] ع - قوله.
[٩] ع - ذلك.
[١٠] سورة التحريم، ١٢/٦٦.
[١١] سورة النساء، ٨٠/٤.
[١٢] ك ع م: كتبته؛ ن: كتبة.
[١٣] ع: ذلك الألواح؛ م: ذلك في الألواح.
[١٤] من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[١٥] سورة القصص، ٧٣/٢٨.
[١٦] سورة يونس، ٥/١٠.
[١٧] جميع النسخ + كذا. والآية في سورة النمل، ٦٠/٢٧.

و خَلَقَ لَكُمْ كذا،[1] و جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ،[2] ونحو ذلك، فذلك كله كان[3] تحت قوله: كُنْ، فكانت على ما أراد أن تكون في الأوقات التي أراد أن تكون. *والله أعلم*. وقوله: **وكتبنا له في الألواح من كل شيء**، يحتمل قوله: **من كل شيء** مما يقع للعباد الحاجة إليه. ويحتمل **من كل شيء** من أمره ونهيه وحلاله[4] وحرامه.

وقوله عز وجل: **موعظة**، {قال:} الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول، والجوارح على العمل. وقال[5] بعضهم: الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل. وقال[6] أبو بكر: الموعظة هي التي تُلين القلوب القاسية، وتُدمع العيون الجامدة، وتُصلح الأعمال الفاسدة. {قال الشيخ رحمه الله:} وعندنا الموعظة هي التي[7] تُذكّر العواقب، وتحمله على العمل بها.[8]

وقوله عز وجل: **وتفصيلا لكل شيء**، قيل: **تفصيلا** لما أُمِروا به ونهُوا عنه. وقيل: بيانا لكل ما يُحتاج إليه.

[٢٦٦ظ] وقوله: **فخذها**،[9] يحتمل أيضا[10] / وجهين. يحتمل قوله: **فخذ**، أي اقبل، على ما ذكرنا في قوله: فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ.[11] ويحتمل اعمل بما فيها. وقوله عز وجل: **بقوة**، قال أهل التأويل: بجدّ ومواظبة. ولكن قوله: **فخذها بقوة**، القوة المعروفة. وعلى قول المعتزلة لا يكون أخذا بقوة -وقد أخبر أنْ نخذْها[12] بقوة- لأنهم يقولون: إن القوة تكون قبل الفعل، ثم يقولون: إنها لا تبقى وقتين. فيكون في الحاصل -لو كانت قبل الفعل- أخذا بغير قوة. دل أنها مع الفعل. وتقول المعتزلة: دل قوله: **فخذها بقوة**، على أن القوة قد تقدمت الأمر بالأخذ. لكن لا يكون ما ذكروا، لأنه أمر بأَخْذٍ[13] بقوة، دل أنها تُقارن الفعل، لا تتقدّم.

[1] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢).
[2] سورة النحل، ٧٨/١٦؛ وسورة السجدة، ٩/٣٢؛ وسورة الملك ٢٣/٦٧.
[3] م: كانت.
[4] م: وحده.
[5] ع م: قال.
[6] م: قال.
[7] ع م – التي.
[8] ك: العمل لها.
[9] م: فخذ.
[10] ن – أيضا.
[11] الآية السابقة.
[12] ن: أخذهما؛ م: أخدها.
[13] ع: وبأخذ.

وقوله عز وجل: **وأمُرْ قومك يأخذوا بأحسنها،** يحتمل قوله: **يأخذوا،** ما ذكرنا من الوجهين: القبول أو العمل. أي مُرْهُم يَقبلوا بأحسن القبول. ويحتمل مُرْهُم يعملوا بأحسن ما فيها من الأمر[١] والنهي والحلال والحرام. ويحتمل قوله: **بأحسنها،** أي بما هو أحكم وأتقن. أو بأحسن مما عمل به الأولون، إذ فيه أخبار الأولين.

وقوله عز وجل: **سأريكم دار الفاسقين،** قال بعض أهل التأويل: قال ذلك لبني إسرائيل: **سأريكم دار الفاسقين،** يعني سنة **الفاسقين،** وهو الهلاك. كقوله تعالى: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ.[٢] وسنته في أهل[٣] الفسق والكفر الهلاك.[٤] وقال ابن عباس[٥] رضي الله عنه: **سأريكم دار الفاسقين،** يعني[٦] جهنم. وأمكن أن يكون الخطاب للفَسَقة: **سأريكم** يا أهل الفسق **دار الفاسقين.**

**﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾**[١٤٦]

وقوله عز وجل: **سأصرف عن آياتي،** الآية، يخرج هذا على وجهين. أحدهما[٧] سأصرفهم عن قبولها[٨] وتصديقها، إذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها، بل استهزءوا[٩] بها واستخفّوا بها على علم منهم أنها آيات من الله وحجة. والثاني سأصرفهم[١٠] عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها. ثم إن كل واحد من هذين الوجهين يتوجّه على وجهين. قال الحسن:[١١] إن لكفر حدا[١٢] إذا بلغ الكافر ذلك الحد يُطبَع عليه، فلا يَقبل ولا يُصدِّق آياته بعد ذلك.

---

[١] ع: فيها الأمر.
[٢] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[٣] ع: وسنة أهل.
[٤] ع: والهلاك.
[٥] ك + قال.
[٦] ك ع م – يعني.
[٧] ك ن + سأصرف عن آياتي أي.
[٨] ع: عن قولها.
[٩] ع م: بل استهزاء.
[١٠] جميع النسخ: سأصرف.
[١١] «أما أحد الوجه الأول ما قاله الحسن» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ).
[١٢] ع م: لكفر حد.

والثاني أنهم كانوا يتعنّتون في آياته ويُكابِرون في ردها[1] مع علمهم أنها آيات وحجج من الله، فإذا تعنّتوا[2] صَرَفهم عن قبولها وتصديقها. وهو كقوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[3] وقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[4] أي خلق منهم فعل الزيغ وفعل الانصراف.[5] وهكذا كل من يختار عداوة الله فالله لا يختار له ولايته، ولكن يختار له ما اختار هو. وأما قوله: **سأصرف**،[6] عن وجود الطعن[7] فيها والقدح، فذلك[8] أن الله عز وجل جعل للرسل والأنبياء أضدادا[9] من كُبَراء الكفرة وعظمائهم، وكانوا يطعنون في الآيات ويقدحون فيها، فأخبر أنه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها، أي لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا. والثاني قوله: **سأصرف عن آياتي**، الهلاك والإبطال، بل هم[10] المهلَكون، والآيات هي الباقية. ثم اختلف في الآيات. قال الحسن: **آياتي** ديني. وتأويله ما ذكرنا أنهم إذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عنها. وقال غيره:[11] آياته حججه وبراهينه.

وقوله عز وجل: **الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق**، كانوا يتكبّرون هم على الرسل لما لم يروهم أمثالا لأنفسهم وأشكالا. وهكذا كل من تكبر على آخر إنما[12] يتكبر لما لم يره مِثْلا لنفسه ولا شكلا، أو يتكبر لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ويرى في غيره عيوبا، أو يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر. فإذا كان التكبر[13] لهذا فالخلق كلهم أكفاء بعضهم لبعض، لأنهم أمثال[14] وأشكال، وفيهم العيوب والحاجات، فلا يسع لأحد التكبر[15] على أحد.

---

[1] ك: في ردنا.
[2] جميع النسخ: فإذا تعانتوا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ.
[3] ﴿ وإذا ما أُنزلت سورةٌ نَظَر بعضهم إلى بعض هل يَراكم مِن أحدٍ ثم انصرفوا صَرَفَ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ١٢٧/٩).
[4] ع م – وقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. والآية في سورة الصف، ٥/٦١.
[5] ك: الانحراف.
[6] «وأما أحد الوجه الثاني أي سأصرف» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ).
[7] ن + في الآيات.
[8] جميع النسخ: وذلك.
[9] ع م: أضداد.
[10] ع م – هم.
[11] ن – غيره.
[12] م – إنما.
[13] م – فإذا كان التكبر.
[14] ن: مثال.
[15] م: الكبر.

وإنما التكبير لله تعالى فله يليق، لما لا مثل له ولا شكل، [وهو] منزه عن العيوب كلها والحاجات، لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة. وقوله عز وجل: **بغير الحق**، أي ليسوا هم بأهل[١] للكبر.[٢]

وقوله: **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها**، أمكن أن يكون قوله: **يروا**، أي وإن علموا أنه آية لا يؤمنون بها[٣] أبدا. هذا في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا. **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا**، أي وإن علموا أنه **سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** ولا يتبعوه مخافة أن تذهب رئاستهم ومَآكلتهم. **وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا**،[٤] أي وإن علموا أن ذلك هو[٥] **سبيل الغي** والباطل **يتخذوه سبيلا**.

وقوله: **ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا**، يحتمل قوله: **ذلك**،[٦] الصرف الذي ذكر عن آياته، لما كذبوا الآيات بعد علمهم أنها آيات من الله، **وكانوا عنها غافلين**، غفلة الإعراض والعناد، لا غفلة الجهل والسهو.[٧]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٤٧]

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة**، أي الذين كذبوا بالآيات والبعث بعد الموت. وقوله: **حبطت أعمالهم**، يحتمل هذا[٨] وجهين. يحتمل أنهم كانوا مؤمنين من قبل، فكذبوا الآيات وكفروا[٩] بها، فحبطت الأعمال التي كانت لهم في حال الإيمان، وبطلت. ويحتمل **حبطت أعمالهم**، المعروف الذي[١٠] كانوا يفعلون[١١] في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغيره من المعروف والخيرات التي عملوا بها، حبط[١٢] ثواب ذلك كله إذا لم يأتوا بالإيمان.

---

١ ع + الكبر.
٢ م: الكبر.
٣ م: به.
٤ ع م – أي وإن علموا أنه سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يتبعوه مخافة أن تذهب رئاستهم ومآكلتهم وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا.
٥ ن + على.
٦ ن – ذلك.
٧ ن ع م: والسوء.
٨ ك: هذا يحتمل.
٩ م: فكمروا.
١٠ ع: الذين.
١١ ك: يعملون.
١٢ م: حبطت.

وقوله عز وجل: **هل يُجزَون إلا ما كانوا يعملون**، أي ما **يجزون إلا ما كانوا يعملون**، من الاستهزاء بالآيات والاستخفاف.

**﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[١٤٨]

وقوله عز وجل: **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا**. وقوله: **واتخذ قوم موسى**؛ كيفية[١] وصف اتخاذ العجل ما ذكر في سورة طه بقوله: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا / لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ،[٢] الآية. وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ،[٣] وبعضهم[٤] وصفهم بالسَّفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين بقولهم: اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٥] وقال[٦] هاهنا إنهم[٧] اتخذوا العجل إلها عبدوه. يذكر[٨] هذا -والله أعلم- لما لم يعرفوا نعم الله ولم يتفكروا في آياته وحججه، يذكر هذا لنا لننظر في آياته وحججه، ولنتفكر[٩] في نعمه فنؤدي شكرها، ونتدبر في آياته وحججه لنتبعها ولا نضيعها على ما ضيع[١٠] قوم موسى. وقوله: **من بعده**، أي من بعد مفارقة موسى قومه. وقوله: **من حُلِيِّهم**، وقال في موضع آخر: أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ،[١١] وكانت تلك الحلي عارية عندهم[١٢] من قوم فرعون،[١٣] وأضاف هاهنا إلى قوم موسى بقوله: **من حليهم**، دل أن العارية يجوز[١٤] أن تُنسَب إلى المستعير.

[٢٦٧و]

---

[١] ن: كيفيته.
[٢] سورة طه، ٢٠/٨٨.
[٣] سورة الأعراف، ٧/١٥٩.
[٤] ن + وبعضهم.
[٥] سورة الأعراف، ٧/١٣٨.
[٦] ن ع م: وقالوا.
[٧] ع م - إنهم.
[٨] ع: بذكر.
[٩] ن ع م: وللتفكر.
[١٠] ع م: ما صنع.
[١١] ﴿ولكنا حُمِلْنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري﴾ (سورة طه، ٢٠/٨٧).
[١٢] ن: عند، صح هـ.
[١٣] جميع النسخ + بقوله أوزارا من زينة القوم أضاف إلى فرعون. وهي غير موجودة في شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ.
[١٤] ن: تجوز.

وفيه[١] دلالة أن من حلف[٢] لا يدخل دار فلان، فدخل دارا له عارية عنده، يَحْنَث.

وقوله: **عجلا جسدا**، قال بعضهم: صورته كانت صورة عجل، ولم يكن عجلا في جوهره. وقيل: الجسد هو الذي لا تدبير له ولا تمييز[٣] ولا بيان،[٤] [ألا ترى إلى][٥] قوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**. لكنه كأنه قال: **عجلا** له **جسد**. يذكر سفههم أنهم عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذي يعبّر به إذا دعاهم،[٦] واختاروا إلهيّة مَن وَصْفُه ما ذكر.

وقوله: **له خُوَار**، قيل: إن السامري قد أخذ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ،[٧] فألقى ذلك القبضة في الحلي الذي ألقوه[٨] في النار، فصار شبه عجل **له خوار**. وقال بعضهم: صاغ من حليهم عجلا، فنفخ فيه من تلك القبضة، فخار خُوَارا.[٩] وقال بعضهم: إن السامري كان هيّأ ذلك العجل الذي اتخذه بحالٍ حتى إذا مسّه وحرّكه خار. وقال بعضهم: كان وُضِع في مَهَبّ الريح فيدخل الريح[١٠] في دبره ويخرج مِن فِيه، فعند ذلك يخور.[١١] *والله أعلم*.

وقوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**، ذكر **أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**،[١٢] وفي سورة طه: وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.[١٣] ليس فيه أنه إن كان يكلمهم أو يملك لهم ضرا ونفعا[١٤] يجوز أن يُعبَد، ليُعلَم أنّ ذِكر حظر الحكم في حال لا يوجب إباحة ذلك في حال أخرى.

---

١ ع م: فيه.
٢ ع: من أحلف.
٣ ع: وتمييز.
٤ جميع النسخ + لكنه ذكر فيه هذا ما لا يحتاج إلى هذا وهو.
٥ من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
٦ ك م: او دعا؛ ن: او دعاء؛ ع: ودعا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١و. أي وليس له لسان يعبر به ويدعوهم إلى عبادته. والله أعلم.
٧ ﴿قال فما خطبُك يا سامِريّ. قال بَصُرتُ بما لم يَبْصُرُوا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سَوّلَتْ لي نفسي﴾ (سورة طه، ٩٦/٢٠).
٨ ع: القوة.
٩ ن ع م: خوار.
١٠ ن – فيدخل الريح.
١١ ع: يجوز.
١٢ ك م – ذكر أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا.
١٣ ﴿أفلا يَرون ألّا يَرجِع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ (سورة طه، ٨٩/٢٠).
١٤ م: ولا نفعا.

وفيه أنّ امتناع العلة عن اطّرادها يوجب نقضها، وإن كان اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على صحتها. وفي قوله: **لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ذكر سفههم بعبادتهم[1] شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا.[2]

*وفي قوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم**، بعد قوله: **له خُوار**، دلالة أن الكلام هو ما يُفهَم [٢٦٧و س٢٦
منه المراد، ليست الحروف نفسها، لأنه أخبر أن **له خُوار**، ثم أخبر أنه كان[3] **لا يكلمهم**، دل أن الصوت وإن كان ذا هجاء وحروف ليس بكلام. وذلك يدل لأصحابنا في مسئلة
إذا حلف أن لا يكلم فلانا، ثم خاطبه بشيء لا يفهم مراده، أن ذلك ليس بكلام ولا يحنث.* ٢٦٧و س٢٩]

وقوله: **اتخذوه**، أي **اتخذوه** إلها[4] عبدوه، **وكانوا ظالمين**، في عبادتهم العجل، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها، والإلهية في غير موضعها.

**﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٤٩]**

وقوله عز وجل: **ولما سُقِط في أيديهم**، هذا حرف تستعمله[5] العرب عند وقوع الندامة وحلولها. وتأويله: لما رأوا أنهم قد ضلّوا **سُقِط في أيديهم**، أي ندموا على ما كان منهم.

وقوله عز وجل: **لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**، أي **لئن لم يرحمنا ربنا**، ويوفقنا للهداية والعبادة له،[6] **ويغفر لنا**، ما كان[7] منا من العبادة للعجل والتفريط في العصيان، **لنكوننّ من الخاسرين**. ويحتمل قوله: **لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**، ابتداء سبب الرحمة والمغفرة، كقوله: وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[8] الآية.[9] ويحتمل التجاوز لما كان منهم والعفو.*

---

[1] ك: لعبادتهم.

[2] ع: ضرا نفعا.

[3] ن - كان.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٧و/سطر ٢٦-٢٩.

[4] ع م - أي اتخذوه إلها.

[5] ك: يستعمله.

[6] جميع النسخ: الهداية والعبادة لك.

[7] ك ن م: لما كان.

[8] ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ (سورة هود، ١١/٩٠).

[9] أي لئن لم يوفقنا الله للاستغفار والتوبة التي هي سبب الرحمة والمغفرة لكنا من الخاسرين.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٧و/سطر ٢٦-٢٩.

**﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٥٠]**

وقوله عز وجل: **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسِفا**، الأسف هو النهاية في الحزن والغضب. كقوله: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[١] هو النهاية في الحزن، والأسف في موضع الغضب [في] قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[٢] أي أغضبونا. لكن الغضب يكون على من دونه، والأسف والحزن على من فوقه. وقوله عز وجل: **غضبان**، أي لله على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله، حَزِنا[٣] على قومه لما يلحقهم بعبادتهم[٤] العجل من العقوبة. وهكذا الواجب على من رأى المنكر أنه يغضب لله على مرتكب ذلك المنكر لمعاينته[٥] المنكر، ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة والهلاك[٦] رحمة منه له ورأفة، ويلزم الشكر لربه لما عصمه عن مثله. وكذلك وصف رسوله عليه السلام بالأسف والحزن لتكذيبهم إياه، حتى كادت نفسه تهلك حُزنا عليهم حيث قال: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٧] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٨] ذكر هذه القصة لنا لنعرف أنْ كيف نعامل[٩] أهل المناكير[١٠] وقت ارتكابهم المنكر.

وقوله عز وجل: **قال بئسما خلفتموني من بعدي**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما **بئسما خلفتموني**، **بئسما** اخترتم[١١] من عبادتكم العجل على عبادة الله. والثاني[١٢] **بئسما خلفتموني** باتباعكم السامري إلى ما دعاكم إليه بعد اتباعكم إياي وأخي رسول الله وما أمركم به / ودعاكم إلى عبادة الله. *والله أعلم*. [٢٦٧ظ]

---

[١] ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).
[٢] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.
[٣] حَزِن وحَزين بنفس المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «حزن»).
[٤] ك: بعبادة.
[٥] م: لمعاينة.
[٦] ن – والهلاك.
[٧] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] ن – نعامل.
[١٠] م: المناكر.
[١١] ع: أحبرتم.
[١٢] ع: عبادة والثاني.

وقوله عز وجل: **أَعَجِلتم أمر ربكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **أَعَجِلتم** ميعاد **ربكم**، كقوله: أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا،[1] أي أَعَجِلتم الوعد الحسن الذي وعد لكم ربكم، وهو قوله: وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً.[2] وقال آخرون: قوله:[3] **أمرَ ربكم**، أي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم العجل واتخاذكم [إياه][4] إلها. وقد سمى الله تعالى الأمر في غير موضع من القرآن عذابا، كقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[5] ونحوه جَاءَ أَمْرُ اللهِ.[6]

وقوله عز وجل: **وألقى الألواح**، قال أكثر أهل التأويل: **ألقى الألواح**،[7] أي طرح [**الألواح**] على الأرض غضبا منه، فرُفِع منها كذا وكذا وبقي كذا.[8] لكن لا يجوز أن يُفهَم من قوله: **ألقى الألواح**، طرحها لا غير؛ ألا ترى أنه قال: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ،[9] ليس يُفهَم منه الطرح والإلقاء، لكن إنما فهم منه الوضع. فعلى ذلك قوله: **وألقى الألواح**، أي وضع[10] [**الألواح**]؛ لأنه أخذ رأسه ولحيته، أعني رأس أخيه هارون، ولا سبيل له إلى أن يأخذ رأسه ولحيته والألواح في يديه، فوضعها على الأرض، ثم أخذ رأسه ولحيته **يجرّه إليه**. وعلى ما ذكر في سورة طه حيث قال: يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي،[11] دل هذا أنه كان[12] أخذ رأسه ولحيته جميعا، لشدة غضبه لله على صنيع قومه. وفي الآية دلالة العمل بالاجتهاد،

---

[1] سورة طه، ٨٦/٢٠.

[2] سورة الأعراف، ١٤٢/٧.

[3] ك - قوله.

[4] من *الشرح*، ورقة ٣١١و.

[5] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[6] ﴿فإذا جاء أمر الله قُضِي بالحق وخسِر هنالك المُبْطِلون﴾ (سورة المؤمن، ٧٨/٤٠)؛ ويقول تعالى: ﴿وغرَّتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر الله﴾ (سورة الحديد، ١٤/٥٧).

[7] ن - ألقى الألواح.

[8] قيل: إن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى موسى الألواح تكسّرت، فرُفِع منها ستة أسباعها، وكان فيما رُفِع تفصيل كل شيء الذي قال الله: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ (سورة الأعراف، ١٤٥/٧)، وبقي الهدى والرحمة في السُّبع الباقي. وروي نحو ذلك عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٦٦/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦٤/٣-٥٦٥.

[9] سورة النحل، ١٥/١٦؛ وسورة لقمان، ١٠/٣١.

[10] م: أي وضعه.

[11] ﴿قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقتَ بين بني إسرائيل و لم ترْقُبْ قَوْلِي﴾ (سورة طه، ٩٤/٢٠).

[12] م: إن كان.

لأنه قال: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، ولا يحتمل أن يكون موسى يأخذ رأسه بالوحي[١] والأمر من الله[٢] ثم يقول له هارون: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِكذا، ولا تفعل كذا. وفيه أيضا أن هارون لما قال له: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ، إنما قال ذلك[٣] بالاجتهاد،[٤] حيث قال: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لأنه لو كان يقول له بالوحي أو بالأمر لم يكن ليعتذر إليه بقوله:[٥] **فلا تُشمِت بِيَ الأعداء.**

وقوله: **وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه**، فيه دلالة أنه إنما أخذ شعر رأسه، لأنه لو كان أخذ رأسه لكان لا يحتاج إلى أن **يجره إليه**، دل أنه كان أخذ بشعر رأسه. وكذلك قوله: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي. وفيه دلالة لأصحابنا[٦] أن من مسح[٧] رأسه ثم أزال شعره لم يسقط عنه حكم المسح، وإذا مسح على لحيته ثم سقط زال عنه[٨] حكمه ولزم غَسلُ ذَقَنِه، لما سَمَّى الشعر رأسا، وسمى اللحية لحية، وسقوطها يُسقط حكم المسح، وسقوط شعر الرأس لا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**، خرج هذا صلة قول موسى لهارون لما قال له: يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي،[٩] فقال عند ذلك: **إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمِتْ بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين.**

**﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾**[١٥١]

وقوله عز وجل: **قال رب اغفر لي ولأخي**، قال بعضهم: إنما خصّ أخاه بسؤال المغفرة، لأنهم جميعا قد عبدوا العجل سوى أخيه هارون، لذلك خصّه بسؤال المغفرة.[١٠] وقال بعضهم: إنما قال[١١] ذلك جوابا مما قال هارون: فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ،[١٢] الآية.

---

[١] ك – بالوحي.
[٢] ك: ولا من الله.
[٣] ن – ذلك.
[٤] ن + ذلك.
[٥] ك: لقوله.
[٦] ع: أصحابنا.
[٧] ك + سعر.
[٨] ن – عنه.
[٩] سورة طه، ٢٠/٩٢-٩٣.
[١٠] أي خص موسى نفسه وأخاه هارون بسؤال المغفرة وطلب الرحمة من الله ولم يشرك قومه في ذلك، لأنهم...
[١١] ع – قال.
[١٢] الآية السابقة.

ويحتمل أن يكون تخصيص السؤال له بالمغفرة لما سأل ربه أن يجعل هارون له وزيرا بقوله: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي.[1] لما سأل ربه أن يشركه في أمره[2] ويشدّ به[3] أَزْرَه فعلى ذلك خصّه بسؤال[4] المغفرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وأنت أرحم الراحمين**، لأن كل من يَرحم دونه إنما يَرحم برحمته.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾**[١٥٢]

وقوله: **إن الذين اتخذوا العجل**، أي عبدوا العجل،[5] **سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا**، قال بعضهم: **غضب من ربهم**، عذاب في الآخرة لمن مات منهم على ذلك، **وذلة في الحياة الدنيا**، القتل والهلاك في الدنيا. وقال[6] بعضهم: قوله: **غضب من ربهم**، القتل والهلاك، **وذلة في الحياة الدنيا**، الجزية والأسر[7] والقهر. ويحتمل قوله تعالى: **وذلة في الحياة الدنيا**، ذِكرَ الذم[8] بصنيعهم، وثناءَ الشر على ما كان. وبصنيع[9] الخير المَحْمَدةُ في الدنيا وثناءُ الخير.[10]

وقوله: **سينالهم غضب من ربهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي قد نالهم **غضب من ربهم**،[11] وما ذكر. والثاني أن يكون هذا مذكورا في كتبهم أن من اتخذ العجل معبودا **سينالهم غضب من ربهم**.[12] فإن كان هذا خبرا عما في كتبهم فسينالهم على الوعد،[13] وإلا على الخبر أنْ قد نالهم.[14] **وكذلك نجزي المفترين**، أي كذلك نجزي كل مفتر[15] على الله تعالى.

---

[1] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣٢.
[2] ع - أن يشركه في أمره.
[3] م - ويشد به.
[4] ع: بسؤاله.
[5] م - أي عبدوا العجل.
[6] ن: قال.
[7] ع: والأمر؛ م: والسبي.
[8] ك: الذمة.
[9] م: بصيع.
[10] ك ن ع: الحسن.
[11] ع - هذا يحتمل وجهين أحدهما أي قد نالهم غضب من ربهم.
[12] ن - غضب من ربهم وما ذكر والثاني أن يكون هذا مذكورا في كتبهم أن من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم.
[13] جميع النسخ + صحيح.
[14] م: أي قد نالهم.
[15] ن: كل مفترى.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٥٣]

وقوله عز وجل: **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا**، قال أهل التأويل: قوله: **والذين عملوا السيآت**، يعني الذين[1] عبدوا العجل، **ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، وهو في كل من عمل السيئات أيَّ سيئة كانت، إذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة غفر له.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١٥٤]

وقوله: **ولما سكت عن موسى الغضب**، [أي] الغضب[2] الذي غضب لله على قومه بعبادتهم[3] العجل. ولا يحتمل ما قاله أبو بكر الأصم: إن الغضب عقوبة وشَتْم، لأن الغضب معروف لا يجوز أن يُتَأَوَّل [على] ما قال هو. وقوله: **أخذ الألواح**، يعني الألواح[4] التي وضعها على الأرض.

وقوله: **وفي نسختها هدى ورحمة [للذين هم لربهم يَرْهَبون]**، قال بعضهم: يعني في نسخة الألواح، لما كانت نُسِخت[5] من اللوح المحفوظ. وقال بعضهم: قوله: **وفي نسختها**، أي الكتب التي انتسخها بنو[6] إسرائيل من تلك / الألواح. وقوله: **هدى ورحمة**، أي **هدى** [٢٦٨و] من كل ضلالة، وبيان من كل عمى وشبهة، **ورحمة** من كل سخطة وغضب. **للذين هم لربهم يَرْهَبون**، أي للذين يخشون ربهم فيعملون به.[7]

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[١٥٥]

وقوله عز وجل: **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا**، قال بعضهم: قوله: **لميقاتنا**،

---

[1] ن - الذين.
[2] ع م - الغضب.
[3] ك: لعبادتهم.
[4] م - يعني الألواح.
[5] ك: نسخة.
[6] ك: بنوا.
[7] م - به.

أي لتمام الموعدة التي وعد، وهو الأربعون[1] الذي وعد. ولكن لا ندري ما ذلك الميقات الذي ذكر.
وقوله: **واختار موسى قومه**، قال بعضهم: [يعني] السبعين الذين اختارهم[2] موسى ليكونوا مع هارون، فعبدوا[3] العجل في أَفْنِيَتهم،[4] فلم ينكروا ولم يغيّروا[5] عليهم، فأخذتهم الرجفة. وقال الحسن: إنهم[6] جميعا قد عبدوا العجل إلا هارون. فالرجفة[7] التي أخذتهم إنما أخذتهم[8] عقوبة لما عبدوا العجل. ولسنا ندري من أولئك السبعين الذين اختارهم موسى. وأمكن أن يكون موسى اختار السبعين ليخرجوا معه، فيكونوا شهداء له على إنزال[9] التوراة عليه وكلام ربه. وقيل: هم الذين تركهم في أصل الجبل، فلما جاءهم موسى بالتوراة قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً،[10] فأخذتهم الصاعقة وهلكوا لقولهم ذلك. وقد ذكرنا أنّا لا ندري من كانوا. وقيل: اختارهم موسى ليتوبوا إلى الله مما عمل قومهم.

وقوله: **فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي**، قال بعض أهل التأويل: لو شئت أمَتَّهم، **وإياي** بقتل القبطي.[11] وقال آخرون: **لو شئت أهلكتهم**، على نفس الإهلاك، **وإياي**؛ على القدرة، أي تقدر على إهلاكي، ولكن لا تهلكني[12] لما لم يكن ما يستحق[13] ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **لو شئت أهلكتهم**، إهلاك فتنة، **وإياي**.[14]

وقوله عز وجل: **[لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي] أتهلكنا بما فعل السفهاء منا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول[15] –والله أعلم– لك أن تهلكنا ابتداء إهلاك، و السفهاء بما فعلوا.

---

[1] ك ن ع: وهو الأربعين.
[2] م: الذي اختارهم.
[3] ك: فعبد.
[4] فِناء الدار ما امتدّ من جوانبها، والجمع أَفْنِيَة (*لسان العرب* لابن منظور، «فني»).
[5] ن ع م: ولم يفتروا.
[6] م: إنه.
[7] ن – هي.
[8] م – إنما أخذتهم.
[9] م: على إنزاله.
[10] سورة البقرة، ٥٥/٢.
[11] أي قَتْل موسى عليه السلام للقبطي، وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قال رب إني قَتلتُ منهم نفسا فأخاف أن يقتلونِ﴾ (سورة القصص، ٣٣/٢٨)، وغير ذلك.
[12] ن: لا تهلكه؛ ع م: لا تهلكنا.
[13] جميع النسخ: ما يستحقه.
[14] ن – وإياي.
[15] ك: نقول؛ م: بقول.

والثاني يقول:[١] لو شئت[٢] أهلكتهم وإياي مِن قبل، فلا تُهلكْنا الآن،[٣] لأن موسى [خاف إن][٤] أتى قومه وأخبرهم أنهم أُهلِكوا بسبب كذا لم يُصدّقه[٥] قومه بذلك، ولكنهم يتّهمونه ويقولون: أنت قتلتهم. على ما ذكر في بعض القصة أنه[٦] خرج بهارون إلى بعض الجبال، فمات هارون هنالك،[٧] فأخبر قومه بذلك، فكذّبوه وقالوا:[٨] أنت قتلته. فعلى ذلك جائز أن يكون هاهنا خاف أن يتهمه قومه في أولئك، ولا يُصدّقوه[٩] فيما حلّ بهم. ***والله أعلم.***

وقوله: **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا،**[١٠] يحتمل هذا[١١] وجوها. يحتمل [أن] يُراد به التقرير. ويحتمل الإنكار والرد. ويحتمل الإيجاب. أما الإنكار فيكون معناه: **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا،**[١٢] أي لا تفعل، ولا **تهلكنا بما فعل السفهاء منا.**[١٣] ومثل هذا قد يقال، يقول الرجل لآخر: أتفعل أنت كذا؟ على الإنكار،[١٤] أي لا تفعل. فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم.*** ويُراد به الإيجاب، كأنه قال: لك أن **تهلكنا**[١٥] **بما فعل السفهاء منا، وما هي إلا فتنتك،** أنْ يكون ذلك امتحانا وابتلاءً ابتداءً، أي تفعله امتحانا وابتلاء لا تعذيبا. ويحتمل أن يكون على الاستفهام، لكن لم يخرج له الجواب، كقوله: أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[١٦] وقوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى،[١٧] ونحوه، مما لم يخرج له جواب. فعلى[١٨] ذلك هذا.

---

[١] ك: نقول؛ م: بقول.
[٢] ع – لو شئت.
[٣] ك: ولم تهبكنا قومنا؛ ن: ولم تهلكنا قوما؛ ع م: وما تهلكنا قومنا. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١ظ.
[٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١ظ.
[٥] ع م: لم يصدقوا.
[٦] ن + ذكر.
[٧] م: هناك.
[٨] ن: فقالوا.
[٩] ع: ولا يصدقوة.
[١٠] ن + ومثل هذا.
[١١] ن – هذا.
[١٢] ع م – منا.
[١٣] ن – أي لا تفعل ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا.
[١٤] ك: كذا الإنكار.
[١٥] م: أتهبكنا.
[١٦] سورة الرعد، ٣٣/١٣.
[١٧] سورة الأنعام، ٢١/٦، ٩٣؛ وعير ذلك.
[١٨] ع م: فعل.

ويجوز أن يكون إهلاكه إياهم محنة بتفريطٍ كان من بعضهم، وإن كان بعضهم بُرَآء من ذلك. على ما كان من أهل المَرْكز[1] من العصيان،[2] وكان الفشل والهزيمة عليهم محنة منه إياهم، كقوله: إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ،[3] الآية. فعلى ذلك هذا.

وقوله عز وجل: **إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء**[4] **وتهدي من تشاء**، قال أبو بكر: **تضل بها**، أي تنهى **من تشاء** نهيا ما لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال، **وتهدي من تشاء**، أي تأمره أمرا ما لولا ذلك الأمر لم يكن الفعل[5] فعل الاهتداء. لكن حرف "مَن" إنما يُعبَّر به عن الأشخاص[6] دون الأفعال، فلو كان على ما ذكر هو لقال: تضل به ما تشاء، فإذ لم يقل[7] ذا ثبت أنه ليس على ما ذكر. وتأويله عندنا أنه يخلق فعل الضلال ممن يعلم أنه يختار ذلك، ويخلق فعل الهدى ممن يعلم أنه يختار ذلك، وهو خالق كل شيء. وأصل ذلك أن جميع ما يضاف إلى الله من طريق الأفعال -على اختلاف الإضافة باختلاف[8] وجوهها- حقيقةُ ذلك [أنه] من الله تخلُقُ ما أضيف إليه من الوجه الذي يَحِقّ وَصْفُه بأنه خالقه؛ فعلى ذلك قوله: **تهدي** و **تضل**. ويحتمل تُوفِّق[9] وتَخْذُل.[10]

وقوله عز وجل: **أنت ولينا**، أي **أنت** أولى بنا. ويحتمل **أنت** ولي هدايتنا. أو **أنت** ولي نعمتنا. **فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وأنت خير** الراحمين، لأن كل أحد دونه إنما يَرحم ويَغفر برحمته.

---

[1] مركز الجند هو الموضع الذي أُمروا أن يَلزموه وأن لا يبرحوه (*لسان العرب* لابن منظور، «ركز»).

[2] أي في غزوة أحد عندما ترك الرُّماة مواقعهم على الجبل.

[3] ﴿ولقد صَدَقَكم الله وَعْدَه إذ تَحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فَشِلتم وتَنازعتم في الأمر وعَصَيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صَرَفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٢). وتحسونهم أي تقتلونهم.

[4] ن + أي تأمره.

[5] ع م - تشاء نهيا ما لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال وتهدي من تشاء أي تأمره أمرا ما لولا ذلك الأمر لم يكن الفعل.

[6] ك ن ع: به الأشخاص.

[7] ع م: فإن لم يقل.

[8] ن - أنه يختار ذلك وهو خالق كل شيء وأصل ذلك أن جميع ما يضاف إلى الله من طريق الأفعال على اختلاف الإضافة باختلاف؛ ع م: بالاختلاف.

[9] ن ع م: وتوفق.

[10] ك: ويخذل.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٥٦]

وقوله عز وجل: **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**، يحتمل الكتابة[١] الإيجاب، أي أوجب **لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**؛ أو الإثبات، أي أثبت لنا وأعطنا **في هذه الدنيا حسنة**؛ ويكون [بمعنى] قوله: آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.[٢] وقال بعضهم: قوله: **واكتب لنا**، أي وفّق لنا[٣] العمل الذي نستوجب به الحسنة في الدنيا والآخرة. ويحتمل **اكتب لنا في** الدنيا الحسنات، ولا تكتب علينا السيئات. *والله أعلم*. وقوله: **في هذه الدنيا حسنة**، تُختَم بها الدنيا وتَنقضي بها، وإلا ما من مسلم إلا وله في هذه[٤] الدنيا حسنة آتاها إياه. وعلى ذلك يخرج قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، أنهم[٥] إنما سألوا حسنة أنْ يُختَموا[٦] عليها.[٧] ويكون كقوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ كذا.[٨] والله أعلم بذلك.[٩]

وقوله عز وجل: **إنّا هُدْنا إليك**، قال بعض أهل التأويل:[١٠] قوله: **هدنا إليك**، أي مِلْنا إليك. / وقال غيرهم: **إنا هدنا إليك**، أي تُبنا إليك. وقيل: ولذلك سمّت اليهود أنفسهم [٢٦٨ظ] يهودا، أي تائبين إلى الله. لكن لو كان كما ذكر كان قوله: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا،[١١]

---

[١] ع: الكتاب.
[٢] ن – ويكون قوله آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة؛ ع م – أو الإثبات أي أثبت لنا وأعطنا في هذه الدنيا حسنة ويكون قوله آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. والآية في سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[٣] ع: أي وفقلنا.
[٤] م – هذه.
[٥] ك – أنهم.
[٦] ن ع م: أن يختمون.
[٧] ن: علينا.
[٨] ﴿من جاء بالحسنة فله عَشرُ أمثالِها﴾ (سورة الأنعام، ١٦٠/٦)؛ ﴿من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها﴾ (سورة النمل، ٨٩/٢٧؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨).
[٩] ن – وقوله عز وجل في هذه الدنيا حسنة آتاها إياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أنهم إنما سألوا حسنة أن يختموا عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة فله كذا والله أعلم بذلك.
[١٠] ن ع – أهل التأويل.
[١١] ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣).

أي تائبا، وذلك بعيد. ولكن إن كان لذلك[1] سُمُّوا فهو -والله أعلم- مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا، أي لم يكن إبراهيم[2] على المذهب الذي عليه اليهود،[3] وكذلك لم يكن على المذهب الذي ادعت النصارى أنه كان عليه، وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

وقوله عز وجل: **قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء [فسأكتبها للذين يتقون]**، قال الحسن: شاء[4] أن يصيب عذابه من كفر بالله وكذّب رسله، وشاء من أطاع الله وصدّق رسله أن يصيب رحمته. ودل قوله: **عذابي أصيب به من أشاء**، أنه لما شاء أن يصيبهم عذابه شاء العمل والفعل الذي كان به يصيبهم، لأن حرف "مَن" إنما يُعبَّر به عن بني آدم، ولا جائز أن يشاء لهم الإيمان ثم يشاء لهم أن يصيبهم عذابه، ولكن إذا علم[5] منهم أنهم لا يؤمنون[6] ويختارون فعل الضلال على فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا. وقوله: **ورحمتي وسعت كل شيء**، ما من أحد من مسلم وكافر إلا وعليه من آثار رحمته في هذه الدنيا،[7] بها يَتعيّشون ويُؤاخون ويُوادّون، وفيها يتقلّبون، لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة، لا حظ للكافر فيها. وذلك قوله: **فسأكتبها للذين يتقون**، معصية الله والخلاف له، **ويؤتون الزكاة**. وكقوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[8] جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركة بين المسلم والكافر، خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، لا حظ للكافر فيها. فعلى ذلك رحمته نالت كل أحد في هذه الدنيا، لكنها[9] للذين آمنوا واتقوا الشرك خاصة في الآخرة. ويحتمل قوله -والله أعلم- **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**، أنهم إنما سألوا الرحمة، فقال: **سأكتبها للذين يتقون**، معاصي الله ومخالفته. *والله أعلم*.

وقوله: **ويؤتون الزكاة**، يحتمل **يؤتون الزكاة** المعروفة. ويحتمل تزكية النفس، كقوله:

---

[1] ع م - لذلك.
[2] ن ع م - إبراهيم.
[3] ك: اليهود عليه.
[4] م: يشاء.
[5] ع م: إذ علم.
[6] ك: ألا يؤمنون.
[7] ك: في من الدنيا.
[8] سورة الأعراف، ٧/٣٢.
[9] ن - لكنها.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا،[١] ومعلوم أنه لم يرد به زكاة المال، ولكن زكاة النفس بالتوحيد والتقوى. وكذلك قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،[٢] هو ذلك الزكاة، لا الزكاة[٣] المعروفة: زكاة المال. فعلى[٤] ذلك الأول. *والله أعلم*.

وإن كان على الزكاة المعروفة فذلك في قومٍ ثَقُل عليهم واشتدّ إخراج الزكاة من أموالهم، كقوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ،[٥] كذا.

وقوله عز وجل: **والذين هم بآياتنا يؤمنون**، قد ذكرنا في غير موضع[٦] أن من آمن بآيات الله وصدّقها فقد آمن[٧] بالله وبرسله، ومن كذّب بآياته كذّب بالله وخالف رسله، لأن طريق معرفة الله ورسله إنما هو من طريق الآيات والحجج، ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات، لذلك كان الإيمان بالآيات إيمانا بالله وبرسله، والتكذيب بها كفرا[٨] بالله ورسله.

**﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[١٥٧]

وقوله عز وجل: **الذين يتبعون الرسول النبيّ**، أي يَقْفُون أثر الرسول في كل سيرته وفي كل أمره ونهيه ويطيعونه. سماه رسولا ونبيا بقوله: **الرسول النبي**، و **الرسول** كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمأمور بها على كل حال، و **النبي** كالمنبئ لهم أشياء عند السؤال والاستخبار. و **الرسول** هو المأمور بالتبليغ، سألوه أولم يسألوا، شاءوا أو أبوا. وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم كلاهما الإنباء والتبليغ، كقوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[٩] وقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١٠]

---

[١] سورة الشمس، ٩١/٩-١٠.
[٢] سورة النور، ٢٤/٢١.
[٣] ن – لا الزكاة.
[٤] ك: وعلى ذلك.
[٥] يقول الله تعالى: ﴿الذين لا يُؤْتُون الزكاة وَهُمْ بالآخرة هم كافرون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٧).
[٦] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٣٦.
[٧] ع – آمن.
[٨] جميع النسخ: وبالتكذيب بها كفر.
[٩] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[١٠] سورة الشورى، ٤٢/٤٨.

وقوله عز وجل: **الأُمِّيَّ الذي يجدونه مكتوبا، الأمي** ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،**[1] الآية. **الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة،** أي **يجدونه مكتوبا في** التوراة[2] أنه رسول نبي وأنه أمي. قوله: **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ،** لئلا يقولوا: إنك أخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمتها، **وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،** لئلا يقولوا: إنه من تأليفك، ويعلموا أنه من عند الله جاء به،[3] لا من ذات نفسه.

[٢٦٩و س١٧ *وفي هذه الآية دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عله وسلم، لأنه أخبر أنه أمي، والأمي ما ذكر في قوله: **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،** كان لا يتلو ولا يخطه بيده،[4] ثم أخبر على ما كان في كتبهم من غير أنْ عَرَف ما في كتبهم أو نَظَر فيها وعَرَف

٢٦٩و س٢٠] لسانهم، دل أنه إنما عرف ذلك[5] بالله تعالى.*

وفي قوله: **يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،** إلى آخر ما ذكر،[6] دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن أولئك لم يأتوا بالتوراة والإنجيل فيقولوا:[7] لا نجد ما تذكر في التوراة والإنجيل، دل ذلك منهم على أنهم وجدوه كذلك. *والله أعلم.*

وقوله: **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،** أي **يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة،** أنه يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، **ويحل لهم الطيبات،** ما أحل الله لهم، **ويحرم عليهم الخبائث،** ما حرم الله عليهم. يجدونه في التوراة أنه لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم إلا بأمر من الله له، لكنهم ينكرونه إنكار عناد ومكابرة، كقوله تعالى: **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،**[8] وغيره. ويحتمل قوله: **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،** الآية،

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وما كنتَ تتلو مِنْ قَبْلِهِ من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).

[2] ن – أي يجدونه مكتوبا في التوراة.

[3] ك: جابه.

[4] ك: بيمينه.

[5] ن – ذلك.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٩و/سطر ١٧-٢٠.

[6] ن – ما ذكر.

[7] جميع النسخ: فيقولون.

[8] سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وسورة الأنعام، ٢٠/٦.

أي **يأمرهم** بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة، وهو التوحيد. وكذلك **ينهاهم** عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر، وهو الكفر وجميع المعاصي. **ويحل لهم الطيبات**، أي **يحل** ما هو طيب في العقل والطبع، **ويحرم** ما هو خبيث في العقل / والطبع جميعا. لأن من الأشياء ما هو مستخبث [٢٦٩و]
في الطبع لم يجعل غذاء البشر فيه، وإنما جعل غذاؤهم[1] فيما هو مستطاب في الطبع، بلغ غايته في الطِّيب، ولا كذلك جعل غذاء البهائم والأنعام، هذا محتمل.[2] *والله أعلم*. والثالث يحتمل...[3] ثم **المعروف والطيبات**، لو تُركت العقول والطباع على ما هي عليها لكانت لا حاجة تقع إلى رسول يخبر أن هذا معروف وأن هذا طيب أو خبيث أو منكر، ولكان[4] تَعرف العقول والطباع ذلك كله،[5] لكن تَعترض[6] العقولَ من الشُّبه فتمنعها عن معرفة ذلك، فاحتاجت إلى رسول الله[7] يخبرها[8] عن ذلك.

وقوله عز وجل: **ويضع عنهم إصرهم**، قيل: ما غلّظوا على أنفسهم[9] من الشدائد. وقيل: **إصرهم**، شدة من العبادة والعمل. وقيل: **إصرهم**، عهدهم. وقيل: **إصرهم**، أي الثقل[10] الذي كان بنو[11] إسرائيل أُلزِموه.[12] وقال القُتَبي: **ويضع عنهم إصرهم**، أي ذنبهم الذي كانوا يذنبون،[13] أي عقوبة الذنب الذي أذنبوا في الدنيا.

وقوله عز وجل: **والأغلال التي كانت عليهم**، قال الحسن: إن اليهود قالوا: **يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ**،[14] أي محبوسة عن عقوبتنا، فقال[15] عز وجل: **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**،

---

[1] ع: غذاهم؛ م: غذائهم.
[2] ن: هذا يحتمل.
[3] م – والثالث يحتمل. وفي نُسَخ ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي هامش نسخة ك: كذا بالأصل بياض. ولا توجد هذه الزيادة أو أي كلام آخر في *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[4] جميع النسخ: ولكن.
[5] ن – كله.
[6] ك: لكن يعترض؛ م: لكن تعرض.
[7] ك ع – الله.
[8] ن ع م: يخبر.
[9] ن: في أنفسهم.
[10] م: إصرهم الثقل.
[11] ك: بنوا.
[12] وهو قول ابن قتيبة. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.
[13] ن: يذنوا. لعل المؤلف رحمه الله أخطأ في نسبة هذا القول إلى ابن قتيبة. قارن: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.
[14] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[15] ن + الله.

أي غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم في النار، فأخبر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لما آمنوا به وصدّقوه رفع تلك **الأغلال التي**[1] **كانت**[2] **عليهم** عن هذه الأمة بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: **الأغلال التي كانت عليهم**، الشدائد **التي كانت عليهم**، من نحو ما لا يجوز[3] لهم العفو عن الدم العمد،[4] ولا أَخذُ الدية، وما لا يجوز غَسلُ النجاسات إلا القَطْع،[5] وغير ذلك من الأشياء التي لم تُحَلَّ لهم، فأُحلّت لهذه الأمة. ويحتمل أن يكون الإصر[6] **والأغلال التي كانت عليهم** من نحو ما حُرِّمت من أشياء بظلم كان منهم، وتحريم،[7] نحو قوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ،[8] وقوله: وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ –إلى قوله– ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ.[9] حُرِّمت تلك الأشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذي كان منهم. أخبر أنه وضع عن هؤلاء ذلك، لم يحرّم ذلك عليهم.*

وقوله: **فالذين آمنوا به**، أي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، **وعزّروه**، قيل: أعانوه بأموالهم، **ونصروه**، بأيديهم بالسيف. وقال الحسن: قوله: **وعزّروه ونصروه**، إنما هو كلام مَثْنى، وهو إعانة. وقيل: **عزّروه**، أطاعوه، **ونصروه**، أعانوه. وقيل: **عزّروه**،[10] أي عظّموه.

وقوله عز وجل: **واتبعوا النور الذي أنزل معه**، يعني القرآن، سماه نورا لما ينير[11] الأشياء عن[12] حقائقها بالعقول، لأن النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الأشياء سواترها، فعلى ذلك القرآن هو نور[13] لما يَرفع الشُّبَه عن القلوب ويكشف عن سواترها. وقال بعضهم: سمي نورا لما ينير الأشياء ويعرف به ما غاب وما شهد، فيصير الغائب به كالشاهد.[14]

---

[1] ع – التي.
[2] ك ن ع – كانت.
[3] ك: ما يجوز.
[4] ك: والعمد.
[5] ع: إلا انقطع.
[6] ك: الإصرار.
[7] بسبب تحريمهم، أي هم حرموا بعض الأشياء عليهم.
[8] سورة النساء، ٤/١٦٠.
[9] يقول الله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظُفُرٍ ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحَوَايَا أو ما اختلط بعَظْم ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٦).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٩و/سطر ١٧-٢٠.
[10] ن ع م – أطاعوه ونصروه أعانوه وقيل عزروه.
[11] ن م: لما تنير.
[12] م + حقا.
[13] ع م: وهو نور.
[14] ن ع م: به له كالشاهد.

**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[١٥٨]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**، فيه دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الناس كافّة. وكذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود».[١] وسائر الأنبياء بُعِثوا إلى أقوام خاصة، وإلى البلدان والقرى المعروفة المحدودة.[٢] وفيه أنه لما خاطبه أن يقول للناس:[٣] **إني رسول الله إليكم**، أنه[٤] لا سبيل له إلى أن يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول: **إني رسول الله إليكم جميعا**، ولكن إنما يكون بِبَعث الرسل إليهم، فيُنَزَّل قول الرسول: إنه[٥] رسول الله إليكم، منزلة قول نفسه: **إني رسول الله إليكم**. فانتشر ذكره بتبليغ الرسل إليهم، كأنه[٦] هو بلّغ ذلك، وقال لهم: **إني رسول الله**[٧] **إليكم**. أو إن الله عز وجل سخّر الخلق حتى بلّغ بعضهم بعضا رسالته، حتى فشا خبره وانتشر ذكره في جميع آفاق[٨] الأرض شرقا وغربا. وذلك من عظيم آيات نبوته ورسالته.

ثم بيّن أنه رسول من الله، فقال[٩] [بأنه] رسول **الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت**. وذكر تخصيص السماوات والأرض وإن كان له ملك الكل لما هما النهاية في ملك البشر عند البشر.[١٠] أو ذكر هذا ليعلموا أن من في السماوات والأرض له، [وهم] عبيده وإماؤه. أو ذكر هذا ليعلموا أن التدبير فيهما جميعا لواحد، حيث اتّصل منافع السماء بمنافع الأرض على بُعد ما بينهما.

---

[١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣٠٤؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣.
[٢] ك: المعدودة.
[٣] ن: الناس.
[٤] ن: لأنه.
[٥] ع: إني.
[٦] ن + كأنه.
[٧] م – إنما يكون ببعث الرسل إليهم فينزل قول الرسول إنه رسول الله إليكم منزلة قول نفسه إني رسول الله إليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل إليهم كأنه هو بلغ ذلك وقال لهم إني رسول الله.
[٨] م: الآفاق.
[٩] ك ن: رسول من فقال.
[١٠] ع م – عند البشر.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، ذكر هذا لأن العرب سمّت كل معبود إلها، وهم كانوا يعبدون الأصنام دونه ويسمّونها آلهة، فنفى الألوهية عمن يعبدونهم[1] دونه، وأثبتها له. وأخبر أنه هو المستحق لاسم الألوهية والعبادة لا غير، لأنه **يحيي ويميت**، ومن يعبدون دونه[2] لا يملك الإحياء ولا الإماتة. وذكر[3] -والله أعلم- الحياة والموت، لأنه ليس شيء[4] أَلَذَّ وأشهى في الشاهد من الحياة، ولا أَمَرَّ ولا أشدّ من الموت، ليرغبوا في أَلَذّ ما غاب عنهم، ويَنفِروا عن الأَمَرّ والأَكْرَه[5] مما غاب عنهم. *والله أعلم*. أو ذكر أنه هو[6] **يحيي ويميت** ليدل أنه فعلُ واحدٍ لا عَدَد.

وقوله عز وجل: **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله**، كان صلى الله [٢٦٩ظ] / عليه وسلم هو السابق إلى كل خير، فعلى ذلك دعا الخلق إليه[7] كقوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ،[8] وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ.[9] فعلى ذلك إنما أمر بالإيمان به[10] بعد ما آمن هو. وجائز أن يكون قوله: **يؤمن بالله وكلماته**، أي آمن رسول الله **بالله وكلماته**، التي كانت في الكتب الماضية، فأخبر بها[11] على ما في كتبهم ليعرفوا أنه إنما عرفها بالله تعالى.

وقوله تعالى: **وكلماتِه**، اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: **كلماته**، القرآن. وذكر في بعض القراءات: وَكَلِمَتِه، بلا ألف.[12] فصُرِف التأويل إلى عيسى، كأنه قال: آمنوا بالله وبمحمد وبعيسى. ويحتمل أن يكون قوله: **وكلماته**، ما أعطاه من الحلال والحرام والأمر والنهي[13] والحكمة والأحكام التي أمر بها[14] وشرعها لنا، على ما ذكر في إبراهيم أنه ابتلاه بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ.[15] *والله أعلم*.

---

[1] ن ع: يعبدون هم.
[2] ن: ومن يعبدونه.
[3] ن ع م + هذا.
[4] ك - شيء.
[5] ع: والإكراه.
[6] ك ع ن - هو.
[7] ع م - إليه.
[8] سورة الأعراف، ١٤٣/٧. وذلك قول موسى عليه السلام.
[9] سورة الأنعام، ١٦٣/٦.
[10] ع م - به.
[11] ك: فأخبرونا.
[12] *روح المعاني* للآلوسي، ٨٣/٩. وهي قراءة شاذة.
[13] ن - والنهي.
[14] ع: أمرها.
[15] ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن﴾ (سورة البقرة، ١٢٤/٢).

وقوله عز وجل: **واتبعوه لعلكم تهتدون**، قد ذكرنا[١] الاتّباع له،[٢] فإذا اتّبعوه اهتدوا.

**﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٥٩]**

وقوله عز وجل: **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق**، قيل: **أمة** يدعون إلى سبيل الحق، **وبه يَعدِلون**، أي به يعملون، وهو كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ،[٣] فعلى ذلك يحمل[٤] الأول على إضمار[٥] الدعاء إلى سبيل الحق. وقال الحسن: **يهدون بالحق**، أي يعملون[٦] بالحق، **وبه يعدلون**، فيما بينهم. لكن الأول أقرب. *والله أعلم*. ثم قوله: **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق**، جائز أن يكون الأمة التي أكْرَم **مِن قوم موسى** كان في زمنهم، يدعون الناس إلى الإيمان برسول الله. أو أن يكون الأمةُ من قومه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَقِيّةً **من قوم موسى** مؤمنين به، يدعون الناس إليه، وبه يعملون.

**﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١٦٠]**

وقوله عز وجل: **وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أُمَما**، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو ما ذكر:[٧] وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا،[٨] أي جماعات.[٩] وقيل: **وقطّعناهم**، أي جعلناهم، **اثنتي عشرة أسباطا**، فِرَقا. وقال غيرهم: قوله: **وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أُمَما**، أي جاوزنا بهم البحر، وجعلنا لهم **اثنتي عشرة أسباطا**. قال[١٠] أبوعَوْسَجة: الأسباط الأفخاذ، والسِّبْط واحد.

---

[١] ن: قد ذكر.

[٢] انظر: الآية السابقة.

[٣] سورة النحل، ١٦/١٢٥.

[٤] ن: يحتمل.

[٥] ك: عي الإضمار.

[٦] ع م - وهو كقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة فعلى ذلك يحمل الأول عى إضمار الدعاء إلى سبيل الحق وقال الحسن يهدون بالحق أي يعملون.

[٧] ع: وهو مادكرنا؛ م: هو ماذكره.

[٨] سورة الأعراف، ٧/١٦٨.

[٩] جميع النسخ: أي جماعة.

[١٠] ع: وقال.

وقال القُتَبي: الأسباط القبائل، واحدها سِبْط.[1] وقيل: الأسباط لهم كالقبائل للعرب.[2] وقيل: الفخذ دون القبيلة. وقيل: إن أولاد إسحاق تُسَمَّى **أسباطا**، وأولاد[3] إسماعيل قبائل وأفخاذا.[4] ولذلك[5] يقال للعرب: قبيلةُ كذا وفخذ كذا. ولسنا ندري كيف هو. وقيل: سِبْط الرجل ولد ولده،[6] على ما رُوي أن الحسن والحسين سِبْطا رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه**، قيل: دل[8] قوله:[9] **إذ استسقاه قومه**، أنهم كانوا في المَفَازَة لا في البلدان والقرى، لأنهم لو كانوا[10] في القرى فالقرى[11] لا تخلو[12] عن أنهار تجري فيها أو عيون.[13] ألا ترى أنه قال: **وظللنا عليهم الغمام**، دل أنهم كانوا في المفازة، لأنه[14] هنالك تقع الحاجة إلى الغمام، وأما في القرى فلا.

وقوله: **فانبجست منه اثنتا عشرة عينا**، قال بعضهم: انفجرت، على ما ذكر في سورة أخرى.[15] وقيل: إن هذه الكلمة بلسانهم لا بلسان العرب. وقوله عز وجل: **قد علم كل أُناس مَشْرَبهم**، قال بعضهم: تعبّدهم عز وجل بمعرفة كل منهم مَشْرَبه.[16] وقال بعضهم: لا، ولكن لئلا يزدحموا في ذلك فيقع[17] في أولادهم التقاتل[18] والإفساد والتنازع والاختلاف.

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.
[2] ع م – وقيل الأسباط لهم كالقبائل للعرب.
[3] ك: والأولاد.
[4] ك م: وأفخاذ.
[5] ع: وكذلك.
[6] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «سبط».
[7] لم أجده بهذا اللفظ. لكن عن يَعْلَى بن مُرَّة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سِبْطان من الأسباط» رواه الطبراني، وإسناده حسن. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٨١/٩.
[8] ن – دل.
[9] ع م – قوله.
[10] ن: لأنهم كانوا.
[11] جميع النسخ: والقرى.
[12] ك: لا تخ؛ ن م: لا تخلوا.
[13] ع م + الأرض.
[14] ن: لأنهم.
[15] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (سورة البقرة، ٦٠/٢).
[16] ع: مشربة. وعبارة السمرقندي هكذا: «تعبّدهم الله تعالى بمعرفة كل منهم مَشْرَبه لئلا يتجاوز عنه إلى مشرب صاحبه، وكانوا مكلفين ذلك بطريق الابتلاء والامتحان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٣و–ظ).
[17] جميع النسخ: ليقع.
[18] ن ع م: التقابل.

وقوله عز وجل: **وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى**، فيه أن جميع مؤنتهم[١] كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب على أنفسهم.

وقوله عز وجل: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، ما ذكر من **المنّ والسلوى** وغيره. **وما ظلمونا**، لا أحد يقصد قَصْدَ ظلم الله، ولكن إذا تَعدَّوا حدود الله التي جعل لهم وجاوزوها فقد ظلموا أنفسهم لما رجع ضرر ذلك التعدي إليهم. وهذه النعم التي ذكر لهم جل وعلا إنما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من **المنّ والسلوى** والعيون والغمام. ويدل هذا على أن عقوبات الدنيا قد يشوبها لذة ونعمة. وكذلك لذات الدنيا قد يُمازِجها شدائد وهموم، فإنما تَخلُص وتصفو[٢] هذه النعم في الآخرة، وكذلك العقوبة هنالك تَخْلُص وتفارق اللّذّات.

﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١٦١]

وقوله عز وجل: **وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية**، قال عامة أهل التأويل: قوله: **اسكنوا هذه القرية**، بيت المقدس. وأمكن أن تكون **القرية** التي ذكر هاهنا هي الأرض التي ذكرت في سورة المائدة، وهو قوله: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ،[٣] أمرهم بالدخول فيها، ونهاهم عن الارتداد على أدبارهم.[٤] فأمرهم[٥] هاهنا[٦] بالسكون فيها وأباح لهم التناول منها مما[٧] شاءوا.[٨]

وقوله عز وجل: **وقولوا حِطّة**، أي ارجعوا إلى السبب الذي يحطّ الأوزار، لا قولهم: حُطَّ[٩] عنا كذا. وهو ما قال هود عليه السلام: وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[١٠] أي ائتوا بالسبب الذي به يغفر،[١١] وهو التوحيد.

---

[١] ك: مؤنهم.
[٢] ع: وتصفوا.
[٣] سورة المائدة، ٢١/٥.
[٤] ع م: عن أدبارهم.
[٥] ن: وأمرهم.
[٦] ك ن ع - هاهنا.
[٧] ن - مما.
[٨] م: مم شايوا.
[٩] ع: حط.
[١٠] سورة هود، ٩٠/١١.
[١١] ن: هو يغفر.

**وادخلوا الباب سُجَّدا**، الآية،[1] قد مضى ذكر هذا في السورة التي فيها ذكر[2] البقرة.[3]

**﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[١٦٢]**

وقوله عز وجل: **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون**، هذا أيضا ذكرنا فيها، سوى أنه ذكر هاهنا: **فأرسلنا عليهم**، وذكر في سورة البقرة: فَأَنْزَلْنَا،[4] والقصة واحدة، لِيُعلَم أن اختلاف الألفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والأحكام ولا تغييرها. وذكر هاهنا:[5] **بما كانوا يظلمون**، وهنالك:[6] بِمَا كَانُوا
[٢٧٠و] يَفْسُقُونَ. والفسق / هو الخروج عن الأمر، والظلم هو وضع الشيء غير موضعه. وقد كان منهم الأمران جميعا، الخروج عن أمر الله، ووضع الشيء[7] في غير موضعه. أكرم الله عز وجل هذه الأمة كرامات، من الطاعة[8] لرسولها[9] والخضوع له[10] والتعظيم له حتى لم يخطر ببال أحد الخلاف له بعدما اتبعه وآمن به، وما أكرمهم[11] أيضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر كأنهم من الفقه أنبياء،[12] وقوم موسى عليه السلام وغيره من الأمم لم يكونوا مثل ذلك. ألا ترى أن قوم موسى قد خالفوه في أشياء أمرهم موسى بها.

---

[1] ع – الآية.
[2] ن – ذكر.
[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٥٨.
[4] ﴿فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٩).
[5] ن – وذكر هاهنا.
[6] ك: وذكر هنالك.
[7] ن ع م + أيضا.
[8] ك: من الطاعات.
[9] ن: لرسوله.
[10] ن – له.
[11] م: وأكرمهم.
[12] لعله يشير إلى ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارا ولا درهما، وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (سنن *أبي داود*، العلم ١؛ وسنن *الترمذي*، العلم ١٩؛ وصحيح *ابن حبان*، ١/٢٨٩). وللحديث طُرق وشواهد؛ انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٨٣. أما العبارة المشهورة: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"، فهي من الأخبار الموضوعة، انظر: *المصنوع* لعلي القاري، ١٢٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٨٣.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١٦٣]

وقوله عز وجل: **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر**، قال بعض أهل التأويل: **القرية التي كانت حاضرة البحر**، هي[١] أَيْلَة. وقال آخرون: أَرِيحَا. ولسنا ندري ما تلك القرية، وليس لنا إلى معرفة تلك القرية حاجة، إذ لا منفعة لنا في معرفتها، ولو كانت لنا[٢] حاجة إليها[٣] لبيّن لنا عز وجل. وقوله: **واسألهم عن القرية التي كانت** كذا، أمره بالسؤال عنها، ثم كان[٤] هو المبيّنَ لهم بقوله: **إذ يَعْدُون في السبت**. والسؤال هو الاستخبار، والإخبار أبدا إنما يلزم المسئول دون المستخبر؛ لكن الاستخبار يكون من وجهين. أحدهما ابتداء[٥] إخبار. والثاني طلب التصديق. فهاهنا لم يحتمل ابتداء الخبر، وهو على طلب التصديق. كأنه قال: ألم يكن كذا؟ فيقولون: نعم، يصدقونه بما يقول لهم. وقال قائلون: لم يأمره بالسؤال حقيقة، ولكنه على التمثيل، كأنه قال: لو سألتهم يقولون لك كذا، كقوله: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ،[٦] ليس على الأمر أن يسألهم،[٧] ولكن لو سألتهم كان كذا وأجابوك بكذا، فعلى ذلك هذا.

وقوله عز وجل: **إذ يَعْدُون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[٨] ابتدعوا السبت فعظموه،[٩] فابتُلوا فيه، فحُرِمت عليهم فيه الحيتان.[١٠] وقال مجاهد: حُرِمت عليهم الحيتان يوم السبت، فكانت تأتيهم يوم السبت **شُرَّعًا** بلا مؤنة ولا تكلّف،[١١] ابتُلُوا به، ولا تأتيهم في غيره مثله.[١٢] وقال أبو عَوْسَجَة: قوله: **شُرَّعًا**، هي[١٣] التي قد دنت من الشَّطّ، والواحد[١٤] شارع.

---

[١] ن – هي.
[٢] ك + بها.
[٣] ك – إليها.
[٤] ن: ثم قال.
[٥] ن – ابتداء.
[٦] سورة البقرة، ٢/٢١١.
[٧] ن ع م: أن سألهم.
[٨] ك – قال.
[٩] ك ن ع: فعملوه.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٩/٩٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٨٨.
[١١] ن ع م: وتكلف.
[١٢] رواه مجاهد عن ابن عباس؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٥.
[١٣] ع م – هي.
[١٤] ن: الواحد.

وقوله: **لا يَسبِتون**، أي لا يدخلون في السبت، كما يقال: لا يُربِعون ولا يَخمِسون،[1] أي لا يدخلون فيه. و **يَسبِتون** أي يدخلون فيه، وكذلك يربعون ويخمسون. وقال القُتَبي: **شُرَّعًا**، أي شوارع.[2] **إذ يعدون**، أي يتعدّون الحق، ويقال: عدوت على فلان إذا ظلمته. وقال الكسائي: يُقرأ يُسبِتون بالرفع،[3] ويُقرأ بالفتح، فمن قرأها يَسبِتون بالفتح أراد سَبَتوا أي عَظَّموا، يقال: سَبَت يَسبِت سَبْتا وسُبُوتا، إذا عَظَّم. ومن قرأها برفع الياء أراد أنهم[4] دخلوا في السبت. وقال قائلون: قوله: **شُرَّعًا**، أي كثيرة، أي تكثر لهم الحيتان يوم السبت، وهو اليوم الذي حرّم عليهم الحيتان، وتَقِلّ[5] في غير ذلك. وقال بعضهم: ابتلاهم الله بتحريم السمك في السبت، ليرى الخَلْق المطيع منهم من العاصي. وقال قائلون: ابتلاهم بذلك لما كانوا يَفسُقون في السر، ليكون فسقهم وتَعَدّيهم ظاهرا عند الخلق، كما كان عند الله، لئلا يقولوا عند التعذيب: إنهم عُذِّبوا بلا ظلم ولا تَعَدٍّ.[6] *والله أعلم*. وذلك قوله: **كذلك نبلوهم بما كانوا يَفسُقون**. وقال قائلون في قوله: **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر**، إنما أمره أن يسألهم أمّا عذّبهم الله بذنوبهم، ثم أخبر عن ذنوبهم، فقال: **إذ يعدون في السبت**، أي يعتدون[7] في السبت. وقوله: **شُرَّعًا**، أي شارعات مِن غَمْرَة[8] الماء، أي خارجات.

**﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**[١٦٤]

وقوله عز وجل: **وإذ قالت أُمّة منهم لِمَ تعظون قوما الله مهلكهم أو معذّبهم عذابا شديدا**، ذكر في الأول[9] أنهم كانوا ثلاث فِرَق، فريق عَدَوْا وتركوا أمر الله وارتكبوا ما نُهُوا[10] عنه،

---

[1] لم أجد هذا الاستعمال بمعنى الدخول في يوم الأربعاء أو الخميس. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «ربع»؛ و*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «ربع».

[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.

[3] ذكرت هذه القراءة عن الحسن البصري، وهي شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٢.

[4] ع م – يسبتون بالفتح أراد سبتوا أي عظموا يقال سبت يسبت سبتا وسبوتا إذا عظم ومن قرأها برفع الياء أراد أنهم.

[5] جميع النسخ: وقل.

[6] ن: ولا تعدد.

[7] م: أي يتعدون.

[8] ك: من غمر.

[9] أي ذكر في ابتداء الآيات. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤و.

[10] ع: عما نهوا.

وفريق نَهَوا أولئك الذين اعتدوا وانتهكوا حُرُم الله، وفريق قيل: لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نَهَوا أولئك الذين اعتدوا، وهم الذين قالوا: **لم تعظون قوما**، الآية. وكذلك روي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: هم كانوا[١] ثلاث فرق، فرقة وَعَظَت، وفرقة مَوعُوظة،[٢] وفرقة ثالثة، وهم الذين قالوا: **لم تعظون قوما الله مهلكهم.**[٣] وهو ما ذكرنا أنه ذكرهم في الابتداء ثلاث فرق. وذكر في آخر[٤] الحال فرقتين. فرقة هي التي هلكت بالاعتداء، وفرقة هي التي نَهَت ونَجَت. ثم اختلف أهل التأويل في الفرقة الثالثة. قال بعضهم: كانوا في الفرقة التي هلكت لوجهين. أحدهما لما لم ينهوا أولئك الذين اعتدوا، وكان فُرِض عليهم[٥] النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فإذا لم ينهوا أولئك هلكوا وشَرِكوا في العذاب، كقوله: لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ،[٦] الآية. والثاني كانوا معهم لما نهوا الناهين بقوله: **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم.** وقال قائلون: كانوا في الناجين. قال الحسن: لأنهم كانوا نهوا أولئك عن الاعتداء والظلم الذي كان[٧] منهم، وكان قولهم: **لم تعظون قوما**، بعد ما نهوهم ووعظوهم[٨] فلم يتعظوا، فإنما قالوا لأولئك: **لم تعظون قوما**، بعد ما نهوا ووعظوا، فقالوا: كيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون، فإنما قالوا ذلك بعدما نهوا. وقال قائلون: هذا القول منهم نهي، لأنهم / أتوا بوعيد شديد بقولهم: **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا،** [٢٧٠ظ] فنفس هذا القول منهم نهي وزجر عما ارتكبوا، حيث[٩] أتوا بالنهاية من الوعيد، وهو الهلاك والعذاب الشديد. ولكنا لسنا نعلم أنهم كانوا في الهَلْكَى أو في الناجين، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، ولو كان لنا حاجة إلى ذلك لبين[١٠] لنا عز وجل و لم يترك[١١] ذلك إلى رأينا،[١٢]

---

[١] ن – كانوا.
[٢] ن ع م: موعظة.
[٣] روي بمعنى ذلك؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٢-٩٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٩٠.
[٤] جميع النسخ: الآخر.
[٥] ك – عليهم.
[٦] سورة المائدة، ٥/٦٣.
[٧] ن م: كانوا.
[٨] م: بعد ما نهوا هم وعظوهم.
[٩] ن: وحيث.
[١٠] ع م: ليبين.
[١١] ع م: و لم ينزل.
[١٢] ك ع م: لا رأينا؛ ن: إلا رأينا.

سوى أنه بيّن من نجّى[1] منهم بالنهي عن الظلم والعدوان، وبيّن من أهلك وعذّب بالظلم والعدوان، بقوله: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.[2]

وقوله عز وجل: **قالوا مَعْذِرة إلى ربكم**، قرئ[3] بالرفع والنصب أيضا: **معذرةً**،[4] فمن قرأ بالرفع أضمر[5] فيه "هذه"، كأنهم قالوا: هذه[6] **معذرة إلى ربكم**، كقوله: سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا،[7] قيل: هذه سورة أنزلناها. ومن قرأ بالنصب قال: **معذرةً**، أي اعتذارا[8] منهم إلى ربهم، **لعلهم يتقون** عما نهوا.

**﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١٦٥]**

وقوله عز وجل: **فلما نَسوا ما ذُكِّروا به**، أي تركوا وأعرضوا عن **ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس**، قال القُتَبي: شديد.[9] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة. وقال غيره: أي مُوجِع. وهو واحد. وقال الحسن: **وأخذنا الذين ظلموا بعذاب**، على الوقف، ثم قال: بِئْسَ **بما كانوا يفسقون**.[10]

**﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[١٦٦]**

وقوله عز وجل: **فلما عتوا عما نهُوا عنه**، قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **عتوا**، أي استكبروا،

---

[1] م: من ينجي.

[2] الآية التالية.

[3] ع: قرأ.

[4] هما قراءتان متواترتان؛ فروى حفص عن عاصم: معذرةً بالنصب؛ وقرأ الباقون جميعهم بالرفع: معذرةٌ؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٢.

[5] ك: أضمير.

[6] ك + هذه.

[7] سورة النور، ١/٢٤.

[8] م: أي اعتذار.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.

[10] رويت هذه القراءة عن الحسن. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٠٩/٧. وأما القراءات المتواترة فهي أربعة: بِيسٍ، وهي قراءة نافع وأبي جعفر؛ بِئْسٍ، وهي قراءة ابن عامر؛ بَيْئَسٍ، وهي رواية أبي بكر عن عاصم؛ بَئِيسٍ، وهي قراءة الباقين من الأئمة. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

يقال: عَتَا يَعْتُو[١] عُتُوًا، وكأن العتو هو النهاية في اليُبْس،[٢] فلذلك قيل[٣] في قوله: عِتِيًّا،[٤] يابسا، لكن سمي مرة قساوة ومرة استكبارا.[٥]

وقوله عز وجل: **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**، قال بعضهم: حُوِّلت صورتهم وجسدهم صورة القردة،[٦] وكانت عقولهم على حالها عقول البشر لم تحوَّل، ليعلموا تعذيب الله إياهم[٧] وما أصابهم بهتكهم حُرُم الله. وقال قائلون: حَوَّل طباعهم طباع القردة،[٨] وأما الصورة والجسد على حاله. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. وقوله: **خاسئين**، قال بعضهم: هو من خسأ الكلب، صار قاصيا مُبْعَدا، يقال: خسأته. وقال أبو عوسجة: **خاسئين**، مبعدين. وكذلك قال في قوله: اخْسَئُوا فِيهَا،[٩] أي ابعُدُوا فيها وارجعوا فيها، يقال: أخسأت فلانا وخسأته،[١٠] أي باعدته، فخسأ، أي تباعد. وقيل: الخاسئ الذليل.[١١]

وفي قوله: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ...،[١٢] إلى آخر ما ذكر من القصة وجهان. أحدهما دليل إثبات الرسالة والنبوة له،[١٣] حيث أخبر على ما كان مِن غير نظر له في كتبهم ولا اختلاف[١٤] إلى أحد ممن له علم في ذلك، دل أنه إنما عرف بالله تعالى. والثاني إنباء عن عواقب الظَّلَمة والفَسَقة وما حلّ بهم بظلمهم وانتهاكهم حُرُم الله، ليكون ذلك به زجرا لنا عن ارتكاب مثله.

---

[١] ع: يعتوا.

[٢] ن ع م: في البئس.

[٣] ع: وقيل.

[٤] ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكِبَر عِتِيًا﴾ (سورة مريم، ٨/١٩)؛ ﴿ثم لَنَنزِعَنَّ من كل شِيعةٍ أيُّهم أشدّ على الرحمن عِتِيًا﴾ (سورة مريم، ٦٩/١٩).

[٥] عَتَا يَعْتُو عُتُوًا وعِتِيًا: استكبر وجاوز الحد... وعتا الشيخ عُتِيًا وعَتِيًا بفتح العين: أسَنّ وكبر... وقيل: كل شيء قد انتهى فقد عَتَا يَعْتُو عِتِيًا وعُتُوًا، وعَسَا يَعْسُو عُسُوًا وعُسِيًا (لسان العرب لابن منظور، «عتو، عسو»؛ والقاموس المحيط للفيروزآبادي، «عتو، عسو»). وفُسِّرت كلمة العُتُوّ في التفاسير مرة بمعنى القساوة ومرة بمعنى الاستكبار حسب السياق الذي يرد فيه. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨٤/١١. وهناك تشابه في المعنى بين عتا وعسا، وعسا بمعنى يبس. انظر: المصادر السابقة. وروي عن ابن مسعود ومجاهد أنهما قرآ: عُسِيًا، بضم العين وبالسين مكسورة، وهو من عَسَا العُود يَعْسُو إذا يَبِس؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٦٧/١٦.

[٦] ك: القرد.

[٧] ن: عليهم.

[٨] ك ن ع: القرد.

[٩] ﴿قال اخسَئُوا فيها ولا تُكلِّمونِ﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣). أي قال الله تعالى لأصحاب النار...

[١٠] ن ع م: خسأت فلانا وأخسأته.

[١١] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «خسأ».

[١٢] سورة الأعراف، ١٦٤/٧-١٦٦.

[١٣] ن – له.

[١٤] ع: ولا اختلافهم.

**﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٦٧]

وقوله عز وجل: **وإذ تأذن ربك**، قيل:[١] **تأذن**، أي قال **ربك ليبعثن**. وقيل: أمر **ربك**.[٢] وقال أبو عَوْسَجَة: **وإذ تأذن**، هو من الأذان، أي أعلم **ربك**. وقوله: **وإذ تأذن ربك**، الآية، قال[٣] [بعضهم]:[٤] نزلت هذه الآية بمكة في شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الكفار كانوا يمنعون من أراد[٥] الإسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام، فوعدهم الله **ليبعثن عليهم** من يقاتلهم ويأخذ منهم الجزية **إلى يوم القيامة**، جزاءً ما كانوا[٦] يمنعون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإجابة له فيما يدعو[٧] إليه. وقال قائلون: هو في بني إسرائيل، وهو ما قال: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ -إلى قوله- عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[٨] أخبر إن عادوا عُدْنَا، و لم يبيّن إن عادوا عُدْنا بماذا، ثم بيّن في هذه الآية بقوله: **لَيَبْعَثَنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**. وقال قائلون: هذا إنما كان في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله:[٩] أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ.[١٠] قال أبو بكر الأصم: الآية لا تحتمل[١١] في هؤلاء، لأن من آمن منهم لم يحتمل[١٢] ذلك،[١٣] ومن صار منهم قرودا[١٤] لم يحتمل[١٥] أيضا بعدما صاروا قرودا. فهو[١٦] -والله أعلم- على الوجهين اللذين ذكرناهما.

---

[١] ع م - قيل.
[٢] ع م - ليبعثن وقيل أمر ربك.
[٣] ن ع م: قالت.
[٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤و.
[٥] ع: من دار.
[٦] ع: بما كانوا.
[٧] ع: فيما يدعون.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/٤-٨.
[٩] ع م: في قولهم.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/١٦٥.
[١١] ع م: لا يحتمل.
[١٢] ك: لا يحتمل.
[١٣] ن - ذلك.
[١٤] ك: قردا.
[١٥] ن - لم يحتمل.
[١٦] ن - فهو.

وقوله عز وجل: **إن ربك لَسريع العقاب**، يأخذهم في حال أمنهم، ليس كما يأخذ ملوك الأرض قومهم بعدما يتقدم[١] منهم إليهم[٢] تخويف، فعند ذلك يأخذهم بالعذاب.[٣] أو أن يقال: **لَسريع العقاب**، أي عن سريعٍ يأخذهم عقابُه. وقوله: **لسريع العقاب**، لمن كفر وكذّب، **لغفور رحيم**، لمن آمن وصدّق بالله ورسوله.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٦٨]

وقوله عز وجل: **وقطعناهم في الأرض أمما**، يحتمل فرّقناهم في وقت بعدما كانوا مجموعين. ثم يحتمل الجمع وجوها.[٤] كانوا مجموعين ثم تفرّقوا فصار بعضهم كفارا وبعضهم مؤمنين. أو كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماء والكلأ ثم تفرقوا فصاروا متفرقين في المكان والمعاش وغيره. أو كانوا في الدين واحدا [ثم] صاروا أصحاب أهواء. ويحتمل قوله عز وجل: **وقطعناهم في الأرض أمما**، أي أمة بعد أمة، وجماعة بعد جماعة، بعضهم[٥] خلفاء لبعض على ما ذكر: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ.[٦]

وقوله عز وجل: **منهم الصالحون ومنهم دون ذلك**، فإن كان قوله: **وقطعناهم في الأرض**، في الدين والمذهب، فيكون تأويله: **منهم الصالحون** المؤمنون، **ومنهم دون ذلك** الكفار، ويكون قوله: **دون ذلك**، أي غير ذلك، كقوله: تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ،[٧] أي غير الله. وإن كان في المعاش فبعضهم دون بعض / في المعاش. وسّع على بعض المعاش وشدّد على بعض وضيّق، [٢٧١و]
فيكون بعضهم دون بعض في المعاش[٨] والرزق. أو بعضهم دون بعض في الدين، بعضهم على الصلاح، وبعضهم أصحاب أهواء. ***والله أعلم***.[٩]

---

[١] م: يقدم.
[٢] ك: إليهم منهم.
[٣] ك: العداب.
[٤] جميع النسخ: وجهين؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤ظ.
[٥] ن – بعضهم.
[٦] الآية التالية.
[٧] انظر مثلا: سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٨] ع – وسع على بعض المعاش وشدد على بعض وضيق فيكون بعضهم دون بعض في المعاش.
[٩] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **وبلوناهم بالحسنات والسيئات**، ابتَلَى بعضهم بالخصب والسعة، وبعضَهم بالشدة والضيق، ليذكّرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب، [أو] ليرغّبهم الموعود من الثواب[1] في الحسنات،[2] ويزجرهم الموعود من العقاب عن السيئات. **لعلهم يرجعون**، يتوبون ويرجعون عن ذلك.

وقوله عز وجل: **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**، فهو يخرج على وجوه. أحدها **بلوناهم** بالنعم والخصب والسعة، ليعرفوا فضل الله وإحسانه، فيرجعوا إليه بالشكر والثناء، **والسيئات**، أي بالبلايا في أنفسهم والمصائب والضيق، ليعرفوا قدرة الله وسلطانه، فيرجعوا[3] إليه بالشكر[4] والتضرع[5] والفزع والدعاء والتوبة.

والثاني معناه أي **بلوناهم بالحسنات والسيئات**، ليتقرّر عندهم أن غيرهم[6] أملك بهم من أنفسهم، فيرجعوا إليه بتسليم[7] النفس لأمره وحكمه.

والثالث **بلوناهم بالحسنات والسيئات**، المؤمنَ منهم والكافرَ، حتى إذا رأوا الاستواء في الدنيا -وفي الحكمة التفريق بينهم- فيضطر الجميع إلى الإيمان بالبعث، إذ خروجهم من الدنيا على سواء.

والرابع أنه إنما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا لذة الموعود في الآخرة، وكذلك الشدة، فابتلاهم بالأمرين جميعا ليستعدوا للرجوع[8] إلى الموعود لهم في الآخرة. *والله أعلم*.

**﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٦٩] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١٧٠]**

[٢٧١و س٣٦ وقوله عز وجل: **فخلف من بعدهم خَلْف**؛* وقال القُتَبي: الخَلْف الرديء من الناس
٢٧١و س٣٧] ومن الكلام، يقال: هذا **خَلْف** من القول.[9]* قال قائلون: هو صلة قوله: مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ

---

[1] ك: في الثواب؛ ع م - والموعود من العقاب ليرغبهم الموعود في الثواب.
[2] ك: من الحسنات.
[3] ع م: فيرجعون.
[4] ك ع م - بالشكر.
[5] ك ع م: بالتضرع.
[6] ن: أن غيره.
[7] ع م - بتسليم.
[8] م: الرجوع.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٦-٣٧.

وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ،[1] والصالحون[2] هم الذين آمنوا بالله، وحفظوا[3] حدوده وحلاله وحرامه. **فخلف من بعدهم**، يعني الصالحين،[4] **خَلْفٌ**، من لم يحفظوا[5] حدوده ومحارمه. وقال قائلون: هو صلة ما تقدم من ذكر الأنبياء والرسل، كأنه أخبر أنه **خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ**، يعني خَلَف الرسل والأنبياء، **وَرِثوا الكتاب**. وهو كما ذكر في سورة مريم، وهو قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ،[6] وإنما ذكر هذا من بعد ذكر الأنبياء والرسل.[7] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ورثوا الكتاب**، وعلموا ما فيه، **يأخذون عَرَض هذا الأدنى**؛ إن أهل الكتاب كانوا يأخذون الدنيا على أحد وجوه ثلاثة. منهم من كان يأخذها مستحلًا لها، كقوله تعالى: أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وكقوله: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.[8] ومنهم من كان يأخذها بالتبديل، أعني تبديل[9] الكتاب، كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ،[10] الآية، وقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.[11] ومنهم من كان تناول على ما تناول أهل الإسلام على قدر الحاجة. وهاهنا لا يحتمل الأخذ إلا أخذ[12] الاستحلال أو التبديل. والأخذ بالاستحلال هاهنا أقرب. كانوا **يأخذون عَرَض هذا الأدنى**، مستحلين له.[13]* قال بعضهم: قوله: **يأخذون عرض هذا الأدنى**، قال: يأخذونه[14] إن كان [٢٧١و س٣٣] حلالا أو حراما، **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه**. وقال: قوله:[15] **فخلف من بعدهم خلف**، سوء،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع: الصالحون.
[3] ع: وحفظو.
[4] ع: الصالحون.
[5] ك: ولم يحفظوا.
[6] سورة مريم، ٥٩/١٩.
[7] يقول الله تعالى قبل الآية المذكورة: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم...﴾ (سورة مريم، ٥٨/١٩).
[8] سورة التوبة، ٣٤/٩.
[9] ع م: بتبديل.
[10] سورة آل عمران، ٧٨/٣.
[11] سورة البقرة، ٧٩/٢.
[12] ن – إلا أخذ، صح هـ.
[13] ن – له.
[14] ن: يأخذونها.
[15] ع: قومه.

**ورثوا الكتاب**، بعد أنبيائهم، وَرَّثهم الله الكتاب وعهد إليهم، [كما قال] في سورة مريم: فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، **يأخذون عرض هذا الأدنى**.

[٢٧١و س٣٦] وهو ما ذكرنا.*

**ويقولون سيغفر لنا**، يحتمل هذا وجوها. يحتمل ما قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١] فيغفر لنا. كانوا يستحلون[٢] أموال الناس ويأخذونها، ثم **يقولون سيغفر لنا**، لأنّا من أبناء الله و أحبائه. والثاني يحتمل أنهم قالوا **سيغفر لنا** مع علمهم أنه لا يغفر لهم، لما كان في كتابهم أن لا يغفر لهم إذا تناولوا[٣] مستحلين. أو أنهم إذا عوتبوا على ما فعلوا قالوا **سيغفر لنا**.

وقوله عز وجل: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحقّ ودرسوا ما فيه**، يحتمل قوله: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب**، أنهم إذا استحلوا ذلك أضافوا ذلك إلى الله،[٤] فقالوا: الله[٥] أمرنا بذلك، فقال الله:[٦] **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق**، أي لا يضيفون إلى الله ما استحلوا. أو أن يقال: أخذ عليهم أن لا يقولوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. وقال بعضهم: قوله: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق**، فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون عنها.*

وقوله عز وجل: **ودرسوا ما فيه**، أي قرءوا ما فيه وعلموه. **والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا** يعقلون،[٧] أي **يتقون** الشرك، أو **يتقون** مخالفة الله ومعاصيه، أفلا يعقلون ما في كتابهم

[٢٧١ظ] أن ترك مخالفة الله خير في الآخرة. ثم أخبر عن المؤمنين فقال: **والذين / يُمَسِّكون بالكتاب**، ما فيه من الحلال والحرام، **وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين**.

---

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٣-٣٦.

[١] سورة المائدة، ١٨/٥.

[٢] ع: ويستحلون.

[٣] م: إذا تناولو.

[٤] ن – إلى الله.

[٥] م – فقالوا الله.

[٦] ع م – الله.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية متأخرين عن موضعهما، فقدمناهما إلى موضعهما؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٣-٣٧.

[٧] ع م: تعقلون. أفلا يَعقلون و أفلا تَعقلون، قراءتان متواترتان؛ فقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالخطاب مثل رواية حفص عن عاصم؛ وقرأ الباقون بالغيب؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٥٧.

*وقيل: **فخلف من بعد** بني إسرائيل **خَلف** السوء، وهم اليهود، **ورثوا الكتاب**، قيل: [٢٧١ظ س١١
التوراة عن آبائهم وأوائلهم، **يأخذون عرض هذا الأدنى**، قالوا:[١] رشوة، **ويقولون سيغفر لنا**، وكانوا يرتشون ويقولون: يغفر لنا، لأنهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، **وإن يأتهم عرض مثله**، قيل: رشوة مثله، أخذوها. وقوله عز وجل: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب**، قالوا: لقد أخذ عليهم في التوراة أن لا يستحلوا محرما و **لا يقولوا على الله إلا الحق**، في التوراة،[٢] **ودرسوا ما فيه**. وقوله: **والدار الآخرة خير للذين يتقون** استحلال المحارم وأكلهم الحرام. وقوله عز وجل: **يمسكون بالكتاب**، قيل: بالتوراة،[٣] ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون
محرما، **وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين**.* ٢٧١ظ س١٧]

**﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[١٧١]

وقوله عز وجل: **وإذ نَتَقْنا الجبل فوقهم كأنه ظُلّة**، قيل: رفعنا **الجبل**، كقوله: **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ**.[٤] وقيل: نَتَق قَلَع.[٥] وقال بعضهم: حَرْف أُخِذ من كتبهم. فلا ندري كيف كان.[٦] وقيل: حرّكنا. وهو قول القُتَبي.[٧] وقال أبو عُبَيد:[٨] كل شيء قلعته من موضعه فرميت به.

ذكر هذا –والله أعلم– ليصبر[٩] رسول الله على سفه قومه، لأن قوم موسى مع كثرة ما عاينوا

---

[١] ع م: قال.
[٢] ن – في التوراة.
[٣] ك: التوراة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١ظ/سطر ١١-١٧.
[٤] سورة النساء، ٤/١٥٤.
[٥] ك ع: قطع وقطع؛ ن: قطع قطع؛ م: قطع. والتصحيح مستفاد من *لسان العرب* لابن منظور، «نتق»، ومن المعاجم ومصادر التفسير.
[٦] ك ن ع – كان.
[٧] يقول ابن قتيبة: «﴿وإذ نتقنا الجبل﴾ أي زعزعناه. ويقال نَتَقْتَ السِقاء إذا نفَضْتَه لتقتلع الزبدة منه. وكان نتْقُ الجبل أنه قُطع منه شيء على قدر عسكر موسى فأظل عليهم. وقال لهم موسى إما ان تقبلو التوراة وإما أن يسقط عليكم» (*تفسير غريب القرآن*، ١٧٤).
[٨] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.
[٩] ك: يصبر.

من الآيات التي جرت على يدي موسى، وعظيم[1] ما كان لهم من موسى من النعم، من استنقاذه[2] إياهم من استرقاق فرعون وإخراجه [إياهم] من يده، وفَرْق البحر لهم[3] ومجاوزته بهم، وتفجير الأنهار من الحجر، وإنزال المن والسلوى لهم، فـ[مع] جميع ما كان لهم من موسى [على] ما ذكرنا لم يقبلوا التوراة و لم يُقرّوا[4] به إلا بعد رفع الجبل عليهم والإرسال،[5] فعند ذلك قبلوا. يُصبّر رسولَنا لئلا يضجر على مخالفة قومه إياه وكثرة سفههم.

ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من رفع الجبل فوقهم وجهين.[6] أحدهما أنهم لما عاينوا ذلك آمنوا به[7] وقبلوا الكتاب. لكن ذلك منهم إيمان دفع، إذ ذلك قهر، ولا يكون في حال القهر إيمان. والثاني صيّر ذلك آية عظيمة وحجة واضحة معجزة، فقبلوها، وحققوا الإيمان به، ثم تركوا ذلك. يدل على ذلك[8] ما ذكر في السورة[9] الأولى حيث قال: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ.[10]*

وقوله: **وظنوا أنه واقع بهم**، أي أيقنوا أنهم إن لم يقبلوا **[أنه] واقع بهم**.

وقوله عز وجل: **خذوا ما آتيناكم بقوة**، قد[11] ذكرنا هذا فيما تقدم.[12] قوله: **خذوا ما آتيناكم بقوة**، يحتمل وجهين. أحدهما **خذوا**، أي اقبلوا ما فيه. والثاني اعملوا بما فيه. وفيه دلالة كون القوة[13] مع الفعل.[14]

وقوله: **واذكروا ما فيه**، قيل: اعملوا بما فيه من الحلال والحرام، **لعلكم تتقون**، العقوبة والمعصية.

---

[1] ن: وعظم.
[2] ن: واستنقاذه.
[3] ك - لهم.
[4] ع: ولم يقرءوا.
[5] أي والتهديد بإرسال الجبل عليهم.
[6] ك - وجهين.
[7] ع م - به.
[8] ك: يدل ذلك؛ ن ع: بدل ذلك.
[9] جميع النسخ: في سورة.
[10] سورة البقرة، ٢/٦٤.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧١ظ/سطر ١١-١٧.
[11] ن - قد.
[12] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٦٣؛ وسورة الأعراف، ٧/١٤٥.
[13] م: الفعل.
[14] وهي مسألة خلافية مع المعتزلة، انظر لإيضاح المسألة تفسير سورة الأعراف، ٧/١٤٥.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[١٧٢] ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٧٣]

تكلم الناس في تأويل قوله: **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم**، الآية. فمنهم من[١] يقول: ذلك عندما خلق آدم أخرج مَن يكون مِن ذريته مثل الذَّر، فعرض عليهم قوله: **ألست بربكم، قالوا بلى**.[٢] لكنهم اختلفوا. فمنهم من يقول: جُعِلوا[٣] بالمبلغ[٤] الذي يجري على مثله القلم،[٥] وهو قول الحسن.[٦] ومنهم من يقول: عرض ذلك على الأرواح[٧] دون ذلك. ومنهم من يقول -بلا عَرَض- أنه خلق صنفين، فقال: «هؤلاء للجنة[٨] ولا أُبالي،[٩]

---

[١] ك: الآية فمن.

[٢] روي ذلك مرفوعا وموقوفا من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة. فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان -يعني عَرَفَة- فأخرج مِن صُلْبه كل ذريةٍ ذَرَأها، فنَثَرهم بين يديه كالذَّرّ، ثم كلّمهم قِبَلا، قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٢/١؛ و*تفسير الطبري*، ١١١/٩) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٢٥/٧). وانظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١١١/٩-١١٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٨/٣-٦٠٨. ولكن قال ابن كثير بعد استعراض الأحاديث والروايات: «فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صُلبه، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث... ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم. ومِن ثَمّ قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم على التوحيد... أي أوْجَدَهم شاهدين بذلك قائلين له حَالًا» (*تفسير ابن كثير*، ٢٦٥/٢). ووفق بعضهم بين القولين بأن الله أرسل الرسل ونصب الأدلة العقلية والنقلية لتذكير الناس بذلك العهد المأخوذ منهم؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٤/٩. وهناك نقاش طويل حول تفسير الآية؛ فانظر للتفصيل: *روح المعاني* للآلوسي، ٩٩/٩-١٠٩.

[٣] ع م: جعل.

[٤] ع: بالبلغ.

[٥] أي جعل ذرية آدم كلهم كأنهم وصلوا إلى سن البلوغ الذي يجري على من كان مثله الخطاب الإلهي.

[٦] لم أجده هكذا، لكن أخرج ابن أبي الدنيا في *الشُّكر* وأبو الشيخ والبيهقي في *الشُّعَب* عن الحسن قال: لما خلق الله آدم عليه السلام، وأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فدَبُّوا على وجه الأرض، منهم الأعمى والأصم والأبرص والمُقْعَد والمبتلَى بأنواع البلاء، فقال آدم: يا رب، ألا سوّيت بين ولدي؟ قال: يا آدم، إني أردت أن أُشكَر، ثم ردّهم في صُلبه (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٣/٣).

[٧] م + دون الأجساد.

[٨] م: في الجنة.

[٩] ع م - ولا أبالي.

وهؤلاء للنار ولا أُبالي».[1] ومنهم من يقول: عرض الكل على ما عليه أحوالهم وآجالهم في الدنيا. والله[2] أعلم كيف كانت القصة، أو كيف يرى أحوال الفقر والغناء في الذَّرّ،[3] أو كيف قال:[4] هؤلاء في كذا ولا أُبالي. مع اجتماعهم على القول بِبَلى لما عرض عليهم في قوله: **ألست بربكم**. وقد رأينا في تلك الأخبار ما كان الحفظ -ولخاصّةٍ[5] حِفظُ العوام وأهل الضعف- عن تبليغها ألزمَ وأعظم في النفع، وأبعد عن الشُّبَه من روايتها وتَكلُّف الكشف عنها. فنسأل الله العصمة عما به الهلاك، والتوفيقَ للنصح بما به نجاة[6] كل سامع، ودفع كل شبهة وحيرة. فإنه لا قوة إلا بالله.[7]

ومنهم من ذهب في تأويل الآية إلى المعروف مِن أَمْر[8] ذرية آدم والأخذ عن الأصلاب والإنشاء في الأرحام على ما كان ويكون[9] إلى يوم القيامة، على ما قال الله سبحانه وتعالى: فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ -إلى قوله- يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ،[10] وقال: إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ،[11] الآية،

[1] عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: "هؤلاء في الجنة، ولا أُبالي، وهؤلاء في النار، ولا أبالي"» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٦/٤؛ وصحيح *ابن حبان*، ٥٠/٢). وعن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية، فقال: "خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون"، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: "خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون"»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ -قال- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله الله النار» (*سنن أبي داود*، السنة ١٦؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٧)؛ وذكر الترمذي أن في هذا الإسناد رجلا مجهولا. وانظر ما نقلناه عن ابن كثير آنفا.

[2] ك: فالله.

[3] ك: في الذار.

[4] ع – قال.

[5] ك: والخاصة؛ م: ما كان الكف عما له المراد ومخاصة.

[6] ن: فيه نجاة؛ ع: به نجا.

[7] ك ن: إلا به.

[8] م – أمر.

[9] ن – ويكون.

[10] ﴿فليظر الإنسان ممّ خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصّلب والترائب﴾ سورة الطارق، ٥/٨٦–٧.

[11] ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبيّن لكم ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُرَدّ إلى أَرْذَل العُمُر لكيلا يعلم مِن بعدِ علمٍ شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ورَبَت وأنبتت من كل زوجٍ بَهِيج﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

وقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ،[١] الآية، وقال: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا،[٢] الآية،[٣] وغير ذلك مما احتج الله به من أول ما جرى به تدبير البشر إلى آخر ما ينتهي به أمره، مما يعجز عن تقديره وُسْع الخَلْق ويستتر عن عقولهم كيفية بَدْء ذلك وما عليه تَنَقُّلُه من حال إلى حال في كل طَرْف عين ولَحْظ بصر.[٤] مع ما فيه من عجيب التدبير وحسن التقويم الذي لو تكلّف[٥] الخلق تصوير[٦] مثله بكل أنواع الحيل[٧] من الأصول الظاهرة بحيث يبصره كل بصر لكان يعجز عنه، فكيف في الظلمات الثلاث.[٨] مع ما ركّب[٩] فيه من العقل والسمع والبصر، وما جعل في كل ما أنشأ فيه ومنه مما لا يبلغه[١٠] الأوهام، فضلا عن الإحاطة[١١] بما في ذلك من الحكمة. ولذلك قال الله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[١٢] فكان ذلك هو العهد إلى جميع الذرية، وإشهاد أنفسهم عليهم بِتَعالي مَن دبّرهم على ذلك وأنشأهم على ما فيهم عن أن يكون له كذا[١٣] أو يُقَدِّر / أحد قَدْره.[١٤] فذلك هو معنى إشهادهم **على أنفسهم**، أي جعلهم [٢٧٢و] **على أنفسهم**[١٥] شهودا، أن يعلموا أنّ مدبّرهم هو ربهم، لا رب لهم غيره، وأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١٦] مع ما في جَعْل ذلك ذريةً يعرف كلٌ بما يرى مِن عَجْزه عن تدبير[١٧] ولده

[١] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٢/٢٣-١٤).

[٢] ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارا﴾ (سورة نوح، ١٣/٧١-١٤).

[٣] ن: وقالوا.

[٤] ع: وبصر.

[٥] ك: الذي تكلف.

[٦] ك: تصويرا.

[٧] ن ع: الجبل.

[٨] أي في رحم الأم كما يقول الله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[٩] ن: مع ركب.

[١٠] ع م: لا يبلغ.

[١١] ن ع م: من الإحاطة.

[١٢] سورة الذاريات، ٢١/٥١.

[١٣] أي شركاء أو أولاد أو بنات كما يقول المشركون.

[١٤] ع: على قدره.

[١٥] ن – أي جعلهم على أنفسهم.

[١٦] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[١٧] م: عجزه تدبير.

وجَهْلِه بأحواله في حال كونه في رَحِم أبويه[1] بيان على أنه لا كان[2] بآبائه وأمهاته علمٌ، ولكن برب العالمين. وذلك المعنى[3] هو الذي يمنعهم عن القول بالغفلة[4] عن ذلك، إذ قد علمه كل منهم، لا حال كونهم في الوقت الذي لا يذكره[5] أحد.

والذي يبين أن هذا التأويل أحق من الأول ما دل عليه سياق الآية. من ذلك قوله[6] عز وجل: **وإذ أخذ ربك من بني آدم**، وأقاويل من ذَكرتُ على الأخذ من ظهر آدم. والثاني قوله: **من ظهورهم**، وفي قولهم: من ظهر آدم.[7] والثالث قوله: **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**، وفي التأويل: أن لا تقولوا؛ فكيف يحذّرهم عن القول بذلك، وقد علم أنهم كذلك ليس أحد منهم يذكر ذلك، ولا مما يتقرّر عنده لو نُبِّه بكل أنواع التنبيه. والرابع قوله: **أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم**، ما في ذلك العرض مما يمنع عن هذا القول.[8] وأيضا أنه ذُكر في ذلك[9] القول بأن «هؤلاء[10] في النار ولا أُبالي»، وفي القرآن الجمع بينهم في القول بِبَلى،[11] وذلك عُدَّ توحيدا منهم. مع ما في القرآن: وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا،[12] الآية، و قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ،[13] الآية. وفي إثبات[14] ذلك

---

[1] الرحم للأم وليس للأب، لكن قد يكون سمى صُلب الأب رحما تغليبا، كما يقال: القمران، للشمس والقمر تغليبا. والله أعلم.

[2] ن: إلا كان.

[3] ع م – المعنى.

[4] م: بالفضلة.

[5] ع – لا يذكره.

[6] ن ع م: وقوله.

[7] وعبارة السمرقندي هكذا: «والثاني قوله: ﴿من ظهورهم﴾، وعلى ما قالوا يكون: من ظهر آدم. وهو خلاف الظاهر أيضا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ).

[8] قال الشارح: «والرابع قوله: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾، وفيه وجهان. أحدهما ليس في ذلك العرض ما يمنعهم عن هذا القول، إذ لم يكن عندهم بذلك [علم]. و[الثاني] لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: كنا ذرية من بعدهم وقد أشرك آباؤنا من قبل، ولم يَرُدّ عليهم: إنكم كنتم ذرية من قبل أنْ أشرَك آباؤكم، فإنكم كنتم ذرية بعد وجود آدم عليه السلام. دل أن التأويل الثاني أحق (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٥١ظ)».

[9] م: في بعض ذلك.

[10] ك ن ع: القول بهؤلاء.

[11] ن – في القول ببلى.

[12] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢٨/٢).

[13] ﴿قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ مِن سبيل﴾ (سورة المؤمن، ١١/٤٠).

[14] ك ن ع: وفي ثبات؛ م: وفي بيان.

إثبات الموت والحياة أكثر من العدد الذي[1] جاء به القرآن في الكل.[2] *ولا قوة إلا بالله*.

ثم قد يتوجه التأويل الثاني في قوله:[3] **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**، إلى أوجه. فأما ابتداء الآية فهو ذلك عند التحقيق، لأنه ذكر الأخذ **من بني آدم**، ثم[4] **من ظهورهم**، والمأخوذ **من بني آدم ثم من ظهورهم**[5] هو النُّطَف، وهو الماء الدافق الذي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ.[6] **وأشهدهم على أنفسهم**، أعلمهم ما منه أنشأهم وقلّبهم من حال إلى حال، إلى أن تمت النَّسَمة[7] وظهرت البشرية. على ما عَلِم[8] كلٌّ في[9] ذريته خروج بَدْئِه مِن تدبير والديه، وقيامه على ما عليه مداره وقراره بتدبير[10] من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر؛ ليقولوا أن الذي ذكر هذا هو ربهم الذي ربّاهم على ذلك، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[11] فكان ذلك إعلاما[12] من الله إياهم على أنفسهم، وشهادةً منها بالخلقة أنه ربهم الذي ربّاهم[13] ومَلّكهم[14] على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه، ولئلا يقولوا غدا أنهم [كانوا] **عن هذا غافلين**؛ إذ قد عرف ذا كل ذي عقل، وعرف أنه كان بالله سبحانه وتعالى، لا بوالديه، ليجعلوا شرك الآباء والأمهات لأنفسهم حجة من حيث كانوا منهم. *والله أعلم*.

---

[1] ن - الذي.

[2] قال الشارح: «والخامس أنهم قالوا: إنه جعل الذّر قسمين، فقال: "هؤلاء في النار ولا أبالي، وهؤلاء في الجنة ولا أبالي"، وفي القرآن الجمع بينهم جميعا في القول ببلى، حيث قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، ليس فيه أنه أمر البعض دون البعض، وذلك عُدَّ توحيدا منهم، فكيف قال: "هؤلاء في النار ولا أبالي". والسادس في القرآن: ﴿ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾، ذكر الموت والحياة مرتين، وعلى ما قال هؤلاء يكون إثبات الحياة والموت أكثر من العدد الذي جاء به القرآن في الكل (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ)».

[3] م - في قوله.

[4] م - ثم.

[5] ن + والمأخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم؛ ع - والمأخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم.

[6] ﴿خُلِق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (سورة الطارق، ٦/٨٦-٧).

[7] النسمة تأتي بمعنى الرُّوح والإنسان والنَّفَس (*لسان العرب* لابن منظور، «نسم»).

[8] جميع النسخ: ما اعلم.

[9] ع: في كل.

[10] ع م: وبتدبير.

[11] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[12] ن ع: إعلام.

[13] ك - على ذلك ليس كمثله شيء فكان ذلك إعلاما من الله إياهم على أنفسهم وشهادة منها بالخلقة أنه ربهم الذي رباهم.

[14] ن + الذي.

والثاني أن يكون الله **أشهدهم على أنفسهم** بما أراهم من أحوال ذريتهم في الانتقال على أحوال، على أن أنفسهم كذلك كانت، [و]دَخَل كلُّ مَن بجوهرهم في ذلك[1] التدبير، ليعلموا أن الذي[2] دبّرهم[3] على ذلك دبّر[4] الكل،[5] فيزول عنهم شُبَه[6] الكون بغير الرب الذي لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۚ.[7] فيزول عنهم به عذر الغفلة، وعلاقة الشبهة بكفر الوالدين[8] من حيث حق التبعيّة، أو سَفَه[9] التقليد، بما يُعلّم خروج الجميع من التدبير،[10] ورجوع التدبير إلى غير، ليكون موضع الاستدلال بما أراهم هو ودعاهم إليه، لا بما أمرهم به الآباء والأمهات.

ثم القول **بِبَلَى** يكون نُطْقا ويكون خِلْقَة، ويكون جواب الفطرة بحق التأمل. فالنطق[11] أنه لا يُسأل أحد قبل التلقين إلا وهو يقول بالرب والخالق. وعلى ذلك قوله: وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ.[12] والخِلْقة بما كان من حاجته إلى مُقيم وإلى مُدبِّر، على شركة كل [شيء] في ذلك إقرار له بالربوبية. وذلك معنى نَفْي التفاوت عن خَلْقِه[13] وفطرته، بما يُقلِّبه على أحوالٍ[14] لو تأمّل الخلائق إدراك كل حال منها ووجه التنقّل[15] وقَدْر التغيُّر في كل حالٍ لَمّا تهيأ لهم. لِيُعلَم[16] أن في الفطرة شهادة بالتوحيد. وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»،[17]

---

[1] ع: وذلك.
[2] ك ن ع: أن الله.
[3] م: ذكرهم.
[4] ع – على ذلك دبر.
[5] ع: لكل.
[6] ك + الكل.
[7] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[8] أي ويزول عنهم عذر التعلّق بشبهة كفر الوالدين...
[9] ن ع: أو سعة.
[10] ك: التدبير من الجميع.
[11] ن: وفالنطق.
[12] سورة لقمان، ٢٥/٣١؛ وسورة الزمر، ٣٨/٣٩.
[13] ع: عن حلقته. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما تَرَى في خَلْق الرحمن مِن تَفَاوُت﴾ (سورة الملك،٣/٦٧).
[14] م: عن أحوال.
[15] ن: التنقبل.
[16] م – ليعلم.
[17] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه» (صحيح *البخاري*، الجنائز ٩٣؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٢).

أي على حالٍ لو تُركت العقول والفِكَر فيها لشهدت بالتوحيد. وذلك معنى[١] قوله: **بَلَى**، لا أن ثَمَّة[٢] قولُ لسانٍ، بل نُطْق حالٍ، كما قال الحكيم: كل صامت ناطق؛ لأن صَمْته دليل تدبيرِ آخر، فهو ناطق باللسان[٣] عن الواحد العزيز. *ولا قوة إلا بالله*.

وقد يحتمل الإشهاد أنْ جَعَلهم شهداء **على أنفسهم** بالعُبُودَة لله، وأنه ربهم والمالك عليهم، والقول بِبَلَى بما يُلزِم ذلك بالتأمل، فكأنه قال.[٤] *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة إثبات خلق الله فعل الخلق لما بهم الدَّفْق،[٥] وقد أخبر الله أنه أخذ ذلك. *والله أعلم*.

فإن قيل: على ماذا يخرج تأويل السلف؟

قيل: لعلهم وجدوا فيه خبرا ظنّوا أن الآية تخرج عليه، فأوّلوها على ذلك. فإذا أُرِيد تسويةُ ذلك[٦] بالآية لا بُدّ مِن زيادات تُلحَق بها أو تُخرَج عنها، وإلا لا يُخرَج[٧] من ذلك. مِن[٨] [ذلك] أنْ يقول: **وإذ أخذ ربك من بني آدم**، أن يجعل "مِن" صلة، كأنه قال: وإذ أخذ ربك[٩] بني آدم، وقد يكون[١٠] كقوله: وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ.[١١] وبنو[١٢] آدم[١٣] يُؤخذون[١٤] من ظهر آدم، كما يؤخذ ابنُ كلٍّ من ظهره،[١٥] أي أصل ابنِ كلٍّ من ظهره. وذَكَر **ظهورهم** لما كان منسوبا إليهم، وإن كان لو طرح حرف الصلة يزول الشُّبَه. فحفظ / في ذِكْرهم حقّ الوصل وإن كان حقُّه الإسقاط، [٢٧٢ظ]

---

[١] ن ع م – معنى.
[٢] ك م: لا أن ثم.
[٣] جميع النسخ: بالبيان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ. فهو ناطق باللسان: أي لسان الحال.
[٤] أي فكأنه قال: بلى، باللسان، وإن كان المقصود هو الإفادة بلسان الحال لا المقال.
[٥] م – لما بهم الدفق. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِق. خُلِق من ماء دافق. يخرج مِن بَيْنِ الصُّلْب والتَّرَائِب﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٧).
[٦] ك: ذاك.
[٧] م: وإلا يخرج.
[٨] ن ع – من.
[٩] ك ع م + من.
[١٠] ن م: وقد تكون.
[١١] سورة البقرة، ٢/٢٧١. وانظر تأويل هذه الآية.
[١٢] ن ع: وبنوا.
[١٣] ك ن ع – آدم.
[١٤] جميع النسخ: يؤخذ.
[١٥] م: من ظهورهم.

كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ،[1] الآية، وغير ذلك، مما كني عن أهل القرية باسمها، وعلى ذلك أجرى ذِكْر الفعل وإن لم يكن[2] لها في[3] الحقيقة فعل. فعلى ذلك هذا. فيصير في التحصيل كأنه قال: وإذ أخذ ربك[4] بني آدم من ظهره. ثم يكون المأخوذ الذي عرض عليه مجعولا على حيٍّ يَعقِل الخطاب، ومعنى قوله: **ألست بربكم**، فأجاب بالذي ذكر. والخبر الذي فيه القسمة[5] إما أن كان لا في هذا، فوُصِل به؛ أو كان في الآية ذِكْر إجابةِ أحدِ الفريقين؛ أو كان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف، واختلاف فيما جاوز هذا، فالقسمة لما عدا [ذلك]. وقد يوجد في هذا القدر أيضا اتفاق.[6]

ثم قوله: **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**، على إضمار بَعْث الرسل وإنزال الكتب[7] بالإخبار عن ذلك، لئلا يَدَّعُوا الغفلة بما قد كانت[8] منهم عن ذلك،[9] بما أُوقِظوا[10] ونُبِّهوا،[11] أو لا يحتجوا[12] بما اعترضهم من الغفلة، إذ قد قطع عذرهم بغير ذلك من الأدلة والرسل. ***والله أعلم***.

**أو لا تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل**، أي بَعَث الرسل وأنزل الكتب لقطع هذا النوع من الشُّبَه على الوجهين اللذَيْن ذكرت، كقوله:[13] وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ،[14] الآية،

---

[1] سورة الطلاق، ٦٥/٨.

[2] ع – يكن.

[3] ك + الفعل.

[4] ع + من.

[5] أي قسمة المأخوذين من ظهر آدم عليه السلام إلى قسمين، أهل الجنة وأهل النار.

[6] قال الشارح: «وأما الخبر الذي فيه القسمة: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي"، كأنه ورد لا في هذه الحادثة، لكن وصل تأخر حديث القدر، فيظن أنه قد ورد فيه. ولإن كان في حديث الذر فمحتمل أن يكون في الآية ذكر إجابة أحد الفريقين بقوله: ﴿قالوا بلى﴾، أريد به البعض الذي قال فيهم: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي"، ويحتمل أن يكون بين الجميع اتفاق في هذا الحرف، وقالوا بأجمعهم: بلى، جوابا لقوله: ألست بربكم، لكن وقع الإختلاف بينهم فيما جاوز أصل الإقرار بالألوهية والربوبية، فالقسمة لما عدا الإقرار بالربوبية، وصاروا فريقين للإختلاف بينهم في أشياء أخر. وقد يوجد في هذا القدر اتفاق بين عامة الكفرة وأهل الإسلام وإن كان بينهم اختلاف فيما وراءه، ويثبت لهم... الكفر لما أنكروا دون ما أقروا (شرح التأويلات، ورقة ٣١٥ظ-٣١٦و)».

[7] ك ع م: الكتاب.

[8] م ع: بما كانت.

[9] م: منهم ذلك.

[10] ك: أوقضعا.

[11] ع: وتنهوا؛ م: أو انبهوا.

[12] ك ن ع: أو بما لا يحتجوا؛ م: أو بما لا يحتجون.

[13] ع م – كقوله.

[14] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ ونَخزَى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).

وقوله: وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ،[١] الآية، وقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ،[٢] الآية. ويكون في التأويل[٣] الأول ظهور أمر الذرية للأولاد في الخروج عن تدبير الآباء والأمهات بقطع[٤] الحجاج بهذين الحرفين. وفي الثاني نزول الكتب وإرسال الرسل مع ما أمكن جعل هذا في التأويلين[٥] جميعا. *والله أعلم.*

[٢٧٢ظ س ١٥] *وقوله: **أفتهلكنا بما فعل المبطلون**، يخرج على وجوه. أحدها أن يكون ذلك الإهلاك ليس هو التعذيب، لكنه[٦] الإماتة، كقوله تعالى: إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ.[٧] أي لك أن[٨] تميتنا، إذ فعل السفهاء ما فعل، وأن لا تُبقيهم[٩] لما يُرجى من التوبة أو يُحدِث مِن التوبة[١٠] منهم مَن لم يَسْفَه. والإضافة إلى الجملة بوجهين. أحدهما[١١] على إرادة من سَفِه منهم. والثاني على الكل، إذ الموت حق مكتوب على جميع البشر، لا على[١٢] التعذيب.

والثاني على التعذيب،[١٣] على معنى لا تفعل أنت لذلك، كما يقول الرجل: أنا أفعل هذا؟ أو أنت تفعل هذا؟ على التَّبَرِّي والتَّبرِئَة. وقوله: إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ،[١٤] أي تفعله ابتلاء لا تعذيبا.

والثالث أن يكون على الإيجاب بجمعهم في ذلك -وإن كان الذي استحق بعضهم- بحق[١٥] المحنة،

---

[١] ﴿ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ (سورة القصص، ٤٧/٢٨).
[٢] ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٥/١٧).
[٣] م: في تأويل.
[٤] ك: لقطع.
[٥] ع م: في التأويل.
[٦] ن: ولكنه.
[٧] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[٨] ع م - لك أن.
[٩] ك ن ع: لا تنقصهم؛ م: لا يبقيهم.
[١٠] ك ع م - من التوبة.
[١١] م - أحدهما.
[١٢] ع م: إلا على.
[١٣] ع م - والثاني على التعذيب.
[١٤] ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ (سورة الأعراف، ١٥٥/٧).
[١٥] ع م: في حق.

إذ له ذلك ابتداء، وذلك نحو أَمْر أُحُد،[1] بما ابتلاهم وإن لم يكن منهم جميعا المعصية. وعلى ذلك أمر جميع أنواع المصائب،[2] يجمع فيها بين أهل الخير والشر بحق المحنة لا العقوبة، ٢٧٢ظ س٢٣] وإن كان ذلك[3] في بعضهم عقوبة. *والله أعلم*.*

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٧٤]

وقوله: **وكذلك نُفَصِّل الآيات**، على وجهين. أحدهما على البيان، أن نبيّن ما يكشف العَمَه[4] ويُزيل الشُّبَه.[5] والثاني أن نفرّقها[6] ونضع كل واحدة منها في أحقّ مواضعه وأولى ذلك، لقطع العذر ودفع العلل.

وقوله: **ولعلهم يرجعون**، أن تأمّلوا ما هم[7] عليه من الباطل. *والله أعلم*.*

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١٧٥]

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**، اختلف أهل التأويل في نبأ[8] هذا. قال بعضهم: كان هذا نبيا، **فانسلخ منها**، يعني من النبوة وكفر بها. لكن هذا بعيد محال: أن يجعل الله الرسالة فيمن يعلم أنه يكفر به، أو يختاره لوحيه وهو يعلم أنه ليس هو بأهل لها، بقوله:[9] اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[10] وقال بعضهم: كان بَلْعَم بن[11] باعورا، أعطاه الله تعالى آيات، فكفر بها و **انسلخ منها**. وقيل: أُعطِي الاسم المخزون،

---

[1] لعل المقصود هو ما حصل من انهزام المسلمين يوم أحد بسبب ترك الرماة منازلهم التي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوها، وهم لم يكونوا جميع المحاربين، وإنما كانوا بعضهم.
[2] ن + بجمع أنواع المصائب.
[3] ع م – ذلك.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٢ظ/سطر ١٥-٢٣.
[4] ع م: النعمة.
[5] ع م: الشبهة.
[6] ع م: أن نفرق.
[7] ن م: عما هم؛ ع: أعمالهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٢ظ/سطر ١٥-٢٣.
[8] ع م – نبأ.
[9] م: بقول.
[10] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[11] ك ع: ابن.

كان يستجاب له به[1] جميع ما يسأل ربه.[2] وقال بعضهم: كان أميّة بن أبي الصَّلْت،[3] على ما قيل عنه[4] عليه السلام أنه[5] «آمن شِعْرُه وكفر قلبه».[6] وقال بعضهم: نزلت الآية في منافقي أهل الكتاب، قد كان أعطاهم الله الآيات، فكفروا بها وكذّبوها. ولكن لا ندري فيمن نزلت، وهو في جميع مكذِّبي الآيات، ليس يجب أن تَنُصّ واحدا، أو يُشار إلى واحد أنه[7] نزل فيه، ولكن نقول: إنها في جميع[8] مكذِّبي الآيات. وقوله: **فانسلخ منها**، قيل:[9] خرج منها، وقيل:[10] نزع منها، وقيل: تركها. وكله واحد. ثم يحتمل قوله: **فانسلخ منها**، أي كانوا قبلوها مرة، ثم ردّوها من بعد القبول. ويحتمل أن لم يقبلوها في الابتداء[11] فيخرجوا منها،[12] وكذّبوها.

---

[1] ك - به.

[2] أي أعطي الاسم الأعظم المخزون علمه عن الناس؛ وانظر لما روي في ذلك عن ابن مسعود وغيره من الصحابة والتابعين: *تفسير الطبري*، ٩/١١٩-١٢١.

[3] وهو مروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٢١-١٢٢. وهو أمية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي الشاعر المشهور. كان أمية في الجاهلية نظر الكتب وقرأها، وتَعَبّد بذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وحرّم الخمر وتجنب الأوثان. وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث بالحجاز. ورثى أمية بن أبي الصلت قتلى بدر بقصيدته المشهورة، لأنه كان من رءوس من قُتِل بها عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله. فلم يُسلِم حتى مات بالطائف سنة ٩هـ/٦٣٠م. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١/٢٥٠.

[4] ك - عنه.

[5] ن - أنه.

[6] قال العَجْلوني: «رواه أبو بكر بن الأنباري في كتاب المصاحف والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس. قال المُناوي ما حاصله: وسند الحديث ضعيف. ورواه أيضا عن ابن عباس الفاكِهي وابن منده. وسبب ذِكْره أن الفارِعة بنت أبي الصَّلْت أخت أمية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدته مِن شِعْر أمية أخيها، فذَكَره» (*كشف الخفاء*، ١/١٩). عن عمرو بن الشَّرِيد عن أبيه قال: رَدِفْت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هِيه»، فأنشدته بيتا، فقال: «هِيه»، ثم أنشدته بيتا، فقال: «هِيه»، حتى أنشدته مائة بيت؛ وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كاد ليُسلِم في شِعْره» (*صحيح مسلم*، الشعر ١؛ و*سنن ابن ماجة*، الأدب ٤١).

[7] ن م - أنه.

[8] ل - جميع.

[9] م - قيل.

[10] ع م - وقيل.

[11] م: في ابتداء.

[12] أي لم يخرجوا منها حقيقة، لأنهم لم يدخلوا فيها ابتداء، ولكن سمي ذلك انسلاخا وخروجا على سبيل المجاز؛ انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٦و.

[٢٧٣و س١٠ *وقال الحسن في قوله: **فأتبعه الشيطان**، الآية، قال: حال الشيطان بينه وبين أن يصحب الهدى
٢٧٣و س١١] بما مَنّاه وزيّن له.*

وقوله عز وجل: **فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**، فيه دلالة أن الله لا يُتبع[١] الشيطانَ أحدا ولا يُزيغه إلا بعد أن كان منه الاختيار للضلال والميل إليه، حيث قال: **فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**، إنما أتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ والنَّزع. وقوله: **فكان من الغاوين**، قيل: **كان** في علم الله أن يكون في ذلك الوقت **من الغاوين**.[٢] وقيل: **كان من الغاوين**، أي صار من الغاوين إذا انسلخ منها وخرج. والغاوي: الضالّ.

**﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[١٧٦]

[٢٧٣و س٦ وقوله: **ولو شئنا لرفعناه بها**؛* قال قتادة: قوله: **لو شئنا لرفعناه بها**، يقول: **لو شئنا لرفعناه**، بإيتائه[٣] الهدى، فلم يكن للشيطان عليه سبيل، ولكن يبتلي من عباده[٤]
٢٧٢و س٧] من يشاء.[٥]* يحتمل قوله: **لرفعناه بها**، عصمناه[٦] حتى لا ينسلخ منها ولا يُكذّب بها، أي **لو شئنا** لوفّقناه لها[٧] حتى يعمل بها. أو أن يقال: **لو شئنا** لعصمناه حتى لا يختار ما اختار، لكنه إذ علم[٨] منه أنه يختار ذلك ويميل إليه شاء أن لا يعصمه ولا يوفّقه. فكيف ما كان فهو على المعتزلة، لأنه أخبر أنه[٩] لو شاء لرفعه[١٠] بها، وكان له مشيئةُ الرفع،

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ١٠-١١.
[١] ع م: لا يتبعه.
[٢] ن + إنما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ.
[٣] ك ن م: من إيتائه؛ ع: من إتيانه.
[٤] ع: من عبادة.
[٥] ك: من يشاء من عباده. أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦١٠.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٦-٧.
[٦] ع: أصمناه.
[٧] ن ع م: بها.
[٨] ع: إذا علم.
[٩] ع م – أنه.
[١٠] ع: لرفع.

ثم أخبر أنه[١] لم يرفع، ولو رفعه[٢] بها كان أصلح له في الدين، دلّ أنه قد يفعل به ما ليس هو بأصلح في الدين. وهم يقولون: إن[٣] المشيئة هاهنا مشيئة / القهر والقَسْر، لا مشيئة الاختيار. [٢٧٣و] لكن ما ذكرنا[٤] أنّ الإيمان في حال الاضطرار والقهر لا يكون إيمانا، فلا معنى لذلك، ولا يكون ذلك رفعا، فيبطل قولهم.

وقوله عز وجل: **ولكنه أخلد إلى الأرض**، وهو ما ذكرنا، لمّا علم منه أنه يُخْلِد إلى الأرض ويميل إليها[٥] لم يعصمه ولم يرفعه. والإخلاد **إلى الأرض**،[٦] قال الحسن: سكن إلى الأرض. وكذلك قال الكسائي: إن[٧] الإخلاد في كلامهم السكون إلى الشيء والركون إليه. وقال أبو عبيدة: هو اللزوم للشيء.[٨] وفي قوله:[٩] **ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**، دلالة أن الإزاغة من الله وترك العصمة له، لما يكون من[١٠] العبد الميل والركون[١١] إلى مخالفته[١٢] وترك الائتمار له واتباع الهوى.[١٣]*

وقوله: **أخلد إلى الأرض**، ذكر الأرض يحتمل أن يكون كناية عن الدنيا،[١٤] كقوله:[١٥] وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.[١٦] ويحتمل أن يكون كناية عن الذلّ والهوان، لأن كل خير وبركة إنما يُطلَب من السماء، وهم إذا اختاروا ذلك اختاروا الذلّ والهوان.*

---

[١] ن – أنه.
[٢] ع: ولو رفع.
[٣] ن ع م – إن.
[٤] ن: ما ذكر.
[٥] ن: إليه.
[٦] جميع النسخ: في الأرض.
[٧] ع م – إن.
[٨] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٣٣.
[٩] ع م: في قوله.
[١٠] ن + العصمة.
[١١] ع: الركون.
[١٢] م: إلى مخافة.
[١٣] أي إذا كان من العبد الميل إلى مخالفة الله وترك الائتمار له واتباع الهوى فعند ذلك يكون من الله الإزاغة وترك العصمة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٦-٧.
[١٤] ع م: من الدنيا.
[١٥] ك: كقولهم.
[١٦] سورة الأنعام، ٦/٧٠، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٧/٥١.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ١٠-١١.

**واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب**، قال [الحسن]: هذا مَثَل الكافر أُمِيت فؤادُه كما أُمِيت فؤادُ[1] الكلب، قال: سَاءَ مَثَلاً،[2] صَدَق الله،[3] ولبئس[4] المَثَل، **فاقصص القصص لعلهم** [٢٧٣و س٢١] **يتفكرون**، فتدبّروا وتفكّروا[5] في أمثال الله التي ضَرَب واعقلوها، إلى هذا ذهب الحسن.* وقال قتادة: هذا مَثَل الكافر، ميت الفؤاد كما أُمِيت فؤادُ الكلب.[6]* وقال غيره:[7] وَجْه ضَرْب مَثَل الذي كذّب بالآيات بالكلب[8] هو[9] أن الكلب[10] من عادته أن يَذِلّ ويخضع لكل أحد، لما يطمع أن ينال[11] منه أدنى شيء، ولا يُبالي ما يصيبه من الذلّ والهوان في ذلك بعد أن ينال منه بشيء. فعلى ذلك الكافر والمكذِّب بالآيات لا يُبالي ما يلحقه من الذلّ والهوان بعد أن يصيب من الدنيا شيئا.[12] ويشبه أن يكون وَجْه ضَرْب المَثَل بالكلب لما أنّ من عادة الكلاب أنها إذا ظفرت بالجِيَف تَنكَبّ لها، حتى إذا يُنادَى لها وتُدعَى[13] لا تكترث[14] إليه ولا تلتفت. فعلى ذلك هذا الكافر، يَنكَبّ لكل جيفة ويخضع، ولا يلتفت إلى ما نُودي ودُعي إليه.

وقوله عز وجل: **إن تحمل عليه يلهث**، أي يخرج لسانه ويتنفّس تنفّسا شديدا،[15] **أو تتركه يلهث**، ومعناه –والله أعلم– أن الكلب إذا أصابه العطش والجوع لَهَث وإذا لم يصبه لَهَث[16] أيضا.

---

[1] ك ن ع + هذا.
[2] الآية التالية.
[3] ن: والله؛ ع – الله.
[4] م: وبئس.
[5] م: فتفكروا.
[6] *تفسير الطبري*، ٩/١٢٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٢١.
[7] ن – وقال غيره.
[8] ن – بالكلب.
[9] ك ن م: وهو.
[10] ع – هو أن الكلب.
[11] ك: أنه ينال.
[12] ك: شئ.
[13] ن: ويدعي.
[14] ع م: وتكثرت.
[15] ع م – شديدا.
[16] ع: لهثه.

فعلى ذلك الكافر يميل إلى ذلك ويختار، أصابه[١] شدة أو لم تُصِبْه،[٢] أو كلام[٣] نحو هذا.*

**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا**، ضرب الله عز وجل[٤] مَثَل الكافر مرة بالكلب، ومرة[٥] بالميت، ومرة بالأعمى، ومرة بالتراب، ومرة بالأنعام،[٦] ونحو هذا، وذلك لما فيه من معاني ما ذكر.

وقوله: **فاقصص القصص لعلهم** كذا، وهو قوله: **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**، أمر رسوله ليقصّ أنباء الأمم السالفة على هؤلاء، ليكون زجرا وتحذيرا للكفار، ليعلموا ما حلّ بأولئك بصنيعهم، ليحذروا عن مثل صنيعهم، ويكون عظة وتذكيرا للمؤمنين،[٧] كقوله: وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٨]

**﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[١٧٧]**

وقوله عز وجل: **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا**، الآية، وقد ذكرنا في غير موضع[٩] أن آياته قيل:[١٠] دينه، وقيل: حججه[١١] وبراهينه. وقوله: **ساء مثلا، أي ساء مثل**[١٢] الأفعال التي ضرب الله مثلها بالذي[١٣] ذكر في القرآن.

**﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٧٨]**

وقوله عز وجل: **من يهد الله فهو المهتدي**، شهد الله تعالى أن[١٤] من هداه **فهو المهتدي**،

---

[١] ن: اصابة.
[٢] ع: أو ألم تصبه؛ م: أو ألم تصيبه.
[٣] ع: وكلام.
* وقع هنا سطر من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٢١.
[٤] ن + مرة بالكلب.
[٥] ك – ومرة.
[٦] ﴿إنك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمِع الصُّمَّ الدعاء إذا وَلَّوْا مُدبِرين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠)؛ ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكّرون﴾ (سورة هود، ١١/٢٤)؛ ﴿والبلد الطيب يَخْرُج نَبَاتُه بإذن ربه والذي خَبُثَ لا يَخرُج إلا نَكِدا كذلك نُصَرِّف الآيات لقوم يشكرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٨)؛ ﴿أولئك كالأنعام بل هم أَضَلّ أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧٩).
[٧] م: وللمؤمنين.
[٨] ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيِّنات ومَثَلاً مِن الذين خَلَوْا مِن قَبْلكم وموعظةً للمتقين (سورة النور، ٢٤/٣٤).
[٩] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٤/٥٦.
[١٠] ن – قيل.
[١١] ع م: حجته.
[١٢] ن: مثلا.
[١٣] ك: الذي.
[١٤] ع م – أن.

أي من هداه الله في الدنيا **فهو المهتدي**[1] في الآخرة، **ومن يضلل**، في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة. فلو كانت[2] الهداية البيان والأمر والنهي على ما ذكره قوم لكان الكافر والمؤمن في ذلك سواءً، إذ كان البيان والأمر والنهي للكافر[3] على ما كان للمؤمن فلم يهتد. فدل أن في ذلك من الله زيادة معنى للمؤمن[4] لم يكن ذلك منه إلى الكافر، وهو التوفيق والعصمة والمعونة.[5] ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى[6] المؤمن. ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم[7] على قولهم. وكذلك قوله: **ومن يضلل**، الله، **فأولئك هم الخاسرون**، أخبر أن من أضله فقد خسر، دل أنه كان منه زيادة معنى، وهو الخذلان والترك، أو خلق فعل الضلال منه.[8] وليس على ما يقوله المعتزلة أنه قد هداهم جميعا لكن لم يهتدوا. فيقال لهم: أنتم أعلم أم الله، كما قال لليهود: قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ.[9] فظاهر الآية على خلاف ما يقولون ويذهبون.

**﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**[١٧٩]

وقوله عز وجل: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**، قالت المعتزلة: لم يخلقهم الله تعالى **لجهنم**، ولكن خلقهم وذرأهم وأعطاهم من القوة ما يكسبون الجنة، غير أنهم عملوا أعمالا استوجبوا بها النار، فصاروا للنار بما عملوا من الأعمال، لا أن خلقهم **لجهنم**. ثم اختلفوا في تأويل[10] قوله: **ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**، قال بعضهم:

---

[1] ع – أي من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي.
[2] ك ع م: فلو كان.
[3] ك: وللكافر.
[4] ن: بمعنى المؤمن.
[5] ن: والمؤنة.
[6] م – كما اهتدى.
[7] جميع النسخ: وغيره. وعبارة السمرقندي هكذا: «ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل عليهم السلام وغيرهم من الخلفاء والعلماء رحمهم الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٦ظ).
[8] ع م – منه.
[9] ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٠).
[10] ع م: في تأويله.

ذكر بما إليه آلَ عاقبةُ أمرهم، كقوله: فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١] هم[٢] / لم يلتقطوه [٢٧٣ظ] ليكون لهم عدوا،[٣] ولكن إنما التقطوه ليكون لهم ما ذكر، كقوله: عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا،[٤] لهذا التقطوه، لكنه صار لهم ما ذكر، أخبر عما إليه آلَ أمره، فعلى ذلك هذا. وكما يقال: لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب،[٥] ولا أحد يَلِد[٦] للموت ولا يبني للخراب، ولكنه إنباء عما يؤول[٧] إليه عاقبة أمره من الموت والخراب، إلى هذا يذهب عامة المعتزلة. وقال أبو بكر الأصم: الآية على التقديم والتأخير، كأنه قال: **ولقد ذرأنا**[٨]... **كثيرا من الجن والإنس، هم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها**، أولئك لجهنم، و **أولئك كالأنعام**. لكن هذا بعيد، لأنه لو جاز هذا في هذا[٩] لجاز مثله في جميع القرآن، أن يُجعل أول الآية في آخرها وآخرها في أولها، فهذا محال فاسد.[١٠] وأما قولهم: إنه إخبار عما آل إليه[١١] عاقبة أمرهم، واستشهادهم بقوله: فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ كذا، فهو يصلح[١٢] لمن يجهل عواقب الأمور، يخرج ذلك منه على التنبيه والإيقاظ لما لم يعرفوا عاقبة ما صار[١٣] إليه الأمر. فأما الله سبحانه عالم السر والعلانية، وما كان ويكون في الأوقات التي يكون، لا يحتمل ذلك. وقول الناس: لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب، فهو: إنما يذكرون هذا عند التنبيه والإيقاظ لجهلهم بعواقب الأمور، وإن كانوا[١٤] لا يبنون ولا يَلِدون للموت والخراب، ولا قصدوا[١٥] له.

---

[١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[٢] م – هم.
[٣] ك ع م: هم ما ذكر.
[٤] سورة القصص، ٢٨/٩.
[٥] روي مرفوعا وموقوفا بسند ضعيف، وقال الشاعر: له مَلَك ينادي كل يوم: لِدُوا للموت وابنوا للخراب؛ انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/١٨٣-١٨٤.
[٦] ك: يبني.
[٧] ن: عما يول؛ ع م: ما يؤل.
[٨] ع + لجهنم.
[٩] ع + في هذا.
[١٠] ع م + فاسد.
[١١] ن ع م: إليه آل.
[١٢] جميع النسخ + هذا.
[١٣] ك ن ع: ما به صار.
[١٤] ك: وإن كان.
[١٥] ع: وأما قصدوا؛ م: وما قصدوا.

وأما التأويل عندنا على ما ذكر في ظاهر الآية، أنه خلق **لجهنم كثيرا من الجن والإنس،** لما علم[١] في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر والأعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار، خلقهم **لجهنم** لما علم منهم ذلك في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر[٢] والأعمال[٣] الخبيثة،[٤] فذرأهم على ما علم[٥] منهم أنهم يختارون ويكون منهم. وكذلك خلق المؤمنين للجنة، لما علم في الأزل أنهم يختارون فعل الهدى ويعملون أعمالا طيبة يستوجبون بها الجنة، خلقهم للجنة، لا أنْ خَلَقَهم للجنة مُرسَلاً[٦] أو خلقهم لجهنم مرسلا،[٧] ولكن[٨] لما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وأما قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[٩] إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده ويطيعه، وأما من علم أنه يكفر به ويعصيه فهو إنما خلقه لما علم أنه[١٠] يكون منه. فمن كان علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة،[١١] ومن كان علم منه أنه يكون منه الكفر خلقه لذلك، لأنه لا يجوز أن يعلم منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه على خلاف ذلك. دل أنه على ما ذكرنا.[١٢] ***والله أعلم.*** [وعلى هذا ينصرف][١٣] قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، [إلى] الفريق[١٤] الذي علم منهم[١٥] العبادة لا الكل، دليله قوله: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس،** ولم يقل: ذرأنا[١٦] الكل، فهذه في فريق، وهذه في فريق آخر.

---

[١] ع م: لما أعلم.
[٢] ع م – فعل الكفر.
[٣] ع م: الأعمال.
[٤] ن – التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما عدم منهم ذلك في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر والأعمال الخبيثة.
[٥] ع م: ما عمل.
[٦] أي بلا سبب يوجب ذلك.
[٧] ك – أو خلقهم لجهنم مرسلا.
[٨] ع – ولكن.
[٩] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[١٠] ع م + خلقه.
[١١] ع – خلقه للعبادة.
[١٢] ع م: على ما ذكرناه.
[١٣] جميع النسخ + أو أن يقال. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٧و.
[١٤] ك: لفريق.
[١٥] ع م: منه.
[١٦] ن +لجهم كثيرا.

وهذا التأويل يرجع إلى الخصوص؛ ألا ترى[١] أن الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه. أو أن يكون قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي إلا لأكلّفهم العبادة وآمرهم بها، فإن كان هذا فهي على الكل، على الكافر والمؤمن جميعا. *والله أعلم*. ويحتمل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي ما خلقت الجن والإنس إلا لتشهد خلقتهم على وحدانية[٢] الله وصرف العبادة إليه، وقد شهد خلقة[٣] كل كافر ومؤمن على وحدانية الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **لهم قلوب لا يفقهون بها**، الفقه هو[٤] معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره، أو معرفة الشيء بمعناه الدال على مدبّره. فهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لِمَا لم ينظروا إلى الأشياء لمعناها وحقائقها، إنما نظروا إلى الأشياء لظواهرها. وكذلك قوله: **ولهم أعين لا يبصرون بها**، لما نظروا[٥] إلى ظواهرها، لم ينظروا إلى معانيها وحقيقتها ليدلهم على تدبير منشئها وحكمته. وكذلك قوله: **ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام**، لما كانت للأنعام قلوب وأعين وآذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وإن كانوا يسمعون النداء وينظرون ظواهر الأشياء، فعلى ذلك[٦] هؤلاء[٧] الكفار وإن كانوا يسمعون ويبصرون ما ذكرنا بعد أن لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها، فهم **كالأنعام**. وأصله أنهم لَمَّا لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم – وإنما جعلت لهم[٨] لمعرفة حقائق الأشياء وما أدرج فيها من المعاني والحكمة– صاروا[٩] في الحقيقة كمن لا حواس له، إذ لم ينتفعوا[١٠] بها انتفاع من لهم تلك،[١١] لذلك[١٢] نَفى عنهم. *والله أعلم*. وقال قائلون: نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها[١٣] انتفاع من لهم تلك،

---

[١] ن: ألا ألا ترى.
[٢] ك: على واحدانية.
[٣] ن: خلقته.
[٤] ع: وهو.
[٥] ع: لما نظرا.
[٦] ع + ظواهر الأشياء فعلى ذلك.
[٧] ع – هؤلاء.
[٨] ع م – وإنما جعلت لهم.
[٩] جميع النسخ: فصاروا.
[١٠] ع م: أو لم ينتفعوا.
[١١] ع + بل كانوا كمن ليس لهم تلك لذهاب؛ م + بل كانوا كمن ليس لهم تلك.
[١٢] ن: ولذلك؛ ع – لذلك.
[١٣] ك – بها.

بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس [لعدم استعمالهم لها] في المعنى الذي جعلت تلك الحواس [له].[1] فهم **كالأنعام بل هم أضل**، لأن هؤلاء[2] إذا ضلوا الطريق فهُدُوا وأُرشِدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك، والدواب إذا ضلوا الطريق فهُدُوا[3] اهتدوا وعرفوا الحق[4] ومالوا إليه، فهم **أضل** من الأنعام لما ذكرنا.[5] *والله أعلم*.

وقوله: **بل هم أضل**، لأن بنية الأنعام لا تحتمل[6] فهم[7] ذلك، وبنية هؤلاء تحتمل،[8] إذ جعل لهم عقولا تُميّز وتعرف حكمة مدبّرها ومنشئها، لكنهم ضيعوها، و لم يكن من الأنعام تضييع،[9]

[٢٧٤و] لذلك كان أولئك أضل. قال ابن عباس / رضي الله عنه: قوله: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**، لِمَا ختم الله على قلوبهم كقوله: خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ،[10] فمن ثم[11] لم تفقه[12] قلوبهم و لم تبصر[13] أعينهم و لم تسمع آذانهم، وقال: ثم ضرب لهم مثلا فقال: **أولئك كالأنعام**، في الأكل، لأن همتهم ليست[14] إلا الأكل والشرب، كهمة الأنعام والبهائم ليست همتهم إلا الأكل والشرب وقضاء الشهوة، فهي تسمع النداء ولا تعقل، فعلى ذلك الكافر.

وقوله: **أولئك كالأنعام**، في فهم[15] ما ألقي إليهم، **بل هم أضل**، لأنهم أُعطُوا سبب فَهْم ذلك، والأنعام لا. وقوله عز وجل: **بل هم أضل**، لأن الأنعام تَعرف ربها وتوحّده وتَذكره،

---

[1] الزيادتان مستفادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٧و. والعبارة فيها تكرار، لكن قد يكون ذلك لاختلاف القائلين والزيادة التي توجد في دوام القول الأخير.
[2] ع + هؤلاء.
[3] ك – وأرشدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والدواب إذا أضلوا الطريق فهدوا.
[4] ن ع م – الحق.
[5] م: لما ذكر.
[6] ن ع م: لا يحتمل.
[7] ك – فهم، صح هـ.
[8] ن ع م: يحتمل.
[9] ع: تضيع.
[10] سورة البقرة، ٧/٢.
[11] ن م: فمن لمة.
[12] ن ع م: لم يفقه.
[13] ع م: و لم يبصر.
[14] م: ليس.
[15] ع: في فيهم.

لقول الله[1] تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[2] الآية، وكقوله: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ،[3] وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحّدونه،[4] فهم **أضل**. أو أن يقال: **هم أضل**، لأنهم[5] لا يهتدون وإن هُدُوا ودُعُوا، والأنعام تهتدي. أو **هم**[6] **أضل**، لأنهم يَضلون ويُضلون غيرهم، والأنعام لا. أو **هم أضل**، لأنهم[7] لا يُنتفَع بهم، والأنعام يُنتفَع بها.

وقوله عز وجل: **أولئك هم الغافلون**، عن فهم ما أُلقي إليهم وأُمروا به. أو غافلون[8] عما أُوعدوا.

**﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٨٠]

وقوله عز وجل: **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أنهم قد ظنوا أن في إثبات عدد الأسماء إيجاب إثبات عدد من الذات، فأخبر أنْ ليس في إثبات عدد الأسماء إثبات أعداد من الذات، إذ قد يسمَّى الشيء الواحد بأسماء مختلفة، ثم لا يوجب ذلك إثبات عدد ذلك[9] ولا تجزئته، من نحو ما يسمَّى الحركةُ حركةً، عَرَضا، شيئا، خلْقا، من غير أنْ أَوْجب ذلك إثبات عدد الحركة أو تجزئته. وكذلك في جميع الأشياء. فعلى ذلك يخبر أنه ليس في إثبات عدد الأسماء إثبات عدد من الذات على ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون خرج هذا مقابل قولٍ كان منهم، وهو أنْ وصفوا الله بشيء لا يَحْسُن أن يوصف به، وأضافوا إليه أشياء لا يصلح أن تضاف،[10] من نحو[11] قولهم: يا خالق الخنازير، ويا خالق الخبائث، ويا إله القِرْد، ونحوه.

---

[1] ن: لقوله.
[2] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[3] سورة النور، ٤١/٢٤.
[4] ع: ولا يوحدونه.
[5] ع م – لأنهم.
[6] م: وهم.
[7] ن – لا يهتدون وإن هدوا ودعوا والأنعام تهتدي أو هم أضل لأنهم يضلون ويضلون غيرهم والأنعام لا أو هم أضل لأنهم.
[8] م: وغافلون.
[9] ن – عدد ذلك.
[10] ع: أن يضاف.
[11] ع م – نحو.

فأخبر أن ادعوه بالأسماء الحسنى مما ثبت عند الخلق[1] أنه مسمى بها،[2] من نحو ما أعطاهم، يقال: يا هادي، يا مرشد، ونحوه. ويقال بما[3] أعطاهم من النعم: يا كريم، يا جواد، يا لطيف، ونحوه. ويقال: يا خالق، يا رازق،[4] يا الله، يا رحمن، يا رحيم، لما ظهر[5] في أنفسهم من ألوهيته وربوبيته. فقال: لا تدعوا بكذا، ولكن ادعوا بالأسماء التي ثبت عند الخلق تحقيقها، وأنه مسمّى[6] بها،[7] وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*. وقد روي على المعنى [الأول][8] خبر.[9] روي أن رجلا دعا[10] في صلاته، فقال: يا الله، ويا رحمن، ويا رحيم. فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون إلها واحدا، فما بال هذا يدعو[11] ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى: **ولله الأسماء الحسنى.**[12] ويحتمل قوله: **ولله الأسماء الحسنى**، أي له **الأسماء الحسنى**، لا للأصنام التي تعبدونها، من[13] نحو ما سموها آلهة وأربابا، فقال: هذه الأسماء التي تدعون[14] بها الأصنام لله، **فادعوه بها**، ولا تدعوا[15] الأصنام.

وقوله عز وجل: **وذروا الذين يلحدون في أسمائه**، يحتمل: أي لا تكافئهم بصنيعهم ولا تُجازِهم بأذاهم إياك، فإن الله هو المكافئ لهم والمجازي بصنيعهم. ألا ترى أنه قال في آخره: **سيجزون ما كانوا يعملون**. وقوله: **يلحدون في أسمائه**، قيل: الإلحاد هو الجور والميل عن الحق والوضعُ في غير موضعه. وهم سُمُّوا ملحدين لما سَمَّوا غيره بأسمائه، أو لإشراك غيره في أسمائه.

---

[1] م: عنه الخلق.
[2] جميع النسخ: به.
[3] ع - ويقال بما؛ م: ويقال ما.
[4] ن: ويا رازق.
[5] ع: لما أظهر.
[6] ع م: يسمى.
[7] جميع النسخ: به.
[8] جميع النسخ: على هذا المعنى؛ والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٧ظ.
[9] ك ن: خبرا؛ ع م - خبر.
[10] م: دعى.
[11] ع: يدعوا.
[12] ذكره القرطبي وعزاه إلى مقاتل؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٧/٣٢٥.
[13] ع م - اثنين فأنزل الله تعالى ولله الأسماء الحسنى ويحتمل قوله ولله الأسماء الحسنى أي له الأسماء الحسنى لا للأصنام التي تعبدونها من.
[14] ك: يدعون.
[15] ن: ولا تدعوا بها.

أو سُمّوا بذلك لما صرفوا شكر نعمه إلى غيرٍ، وعبدوا دونه مع علمهم أنه لم يكن منهم إليه[١] شيء من ذلك، إنما كان ذلك لهم[٢] من الله. قال ابن عباس: الإلحاد الميل في جميع القرآن. وقيل: الإلحاد[٣] التكذيب. قال القُتَبي: **يلحدون**، أي يجورون عن الحق ويَعدِلون،[٤] وأصله[٥] الجور والميل.

وقوله[٦] عز وجل: **سيجزون ما كانوا يعملون**، قيل:[٧] هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر[٨] على أعدائه في الدنيا. وقال قائلون: هو حرف[٩] وعيد، أوعدهم عز وجل بأذاهم رسول الله.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٨١]

وقوله: **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق**، أي **يهدون** الخلق **بالحق** الذي عندهم، وهو القرآن والكتب التي عندهم. وأمكن أن يكون **الحق** هو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، به يهدون الناس وبه يعملون. وجائز أن يكون قوله: **يهدون**[١٠] **بالحق**، أي يدعون[١١] الخلق إلى سبيل الله، على ما ذكر في آية[١٢] أخرى حيث قال: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[١٣] ويحتمل[١٤] **الحق** هاهنا هو الله، كقوله: [وَيَعْلَمُونَ] أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.[١٥] وقوله: **وبه يعدلون**، أي بالحق الذي يهدون يعملون، كقوله: وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ،[١٦] الآية.

---

١ ن ع م: إليهم.
٢ ك - ذلك لهم.
٣ ك: إلحاد.
٤ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٥.
٥ ع: وأصل.
٦ م - وقوله.
٧ جميع النسخ: قال.
٨ ع: بالنصر والظفر.
٩ ع: حروف.
١٠ ن - قوله يهدون.
١١ ن ع م: أي يهدون.
١٢ ن: في سورة.
١٣ سورة النحل، ١٦/١٢٥.
١٤ ع: يحتمل.
١٥ سورة النور، ٢٤/٢٥.
١٦ سورة هود، ١١/٨٨.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٨٢]

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا**، قد ذكرنا هذا في غير موضع.[١] وقوله عز وجل: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**، قال قائلون: هو[٢] صلة قوله: سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا،[٣] الآية. وقال بعضهم: فيه الوعد لرسول الله بالنصر له والظفر على أعدائه. والاستدراج هو الأخذ في حال الغفلة من حيث أَمْنُ الرجلِ بغتة، كقوله: فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.[٤] وقال قائلون: الاستدراج [٢٧٤ظ] المكر، لكن معنى ما يضاف / الاستدراج والمكر إلى الخلق غير المعنى الذي يضاف إلى الله، والجهةُ التي تضاف إلى الله[٥] غير الجهة التي تضاف إلى الخلق؛ والجهةُ التي تضاف إلى الخلق[٦] مذمومة،[٧] والجهة التي تضاف إلى الله محمودة.[٨] وكذلك ما أضيف إلى الله[٩] من المكر والخداع والاستهزاء ونحوه هو[١٠] ما ذكرنا على اختلاف[١١] الجهات. والمعنى في الجهة التي تضاف إلى الله غير الجهة التي تضاف إلى الخلق، لأن الله تعالى يأخذهم بما يستوجبون[١٢] ويستحقون[١٣] بحق الجزاء والمكافأة،[١٤] فلا يلحقه في ذلك ذم. وأما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على الاستحقاق والجزاء. وعن الحسن في قوله: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**، قال: كلما جدّدوا[١٥] لله[١٦] معصية[١٧] جدّد الله[١٨] لهم نعمة،[١٩]

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٥٦/٤.
[٢] ع م: هذا.
[٣] سورة الأعراف، ١٧٧/٧.
[٤] سورة الأعراف، ٩٥/٧.
[٥] ن – إلى الله.
[٦] ك ع – والجهة التي تضاف إلى الخلق.
[٧] جميع النسخ: مذموم.
[٨] جميع النسخ: محمود.
[٩] ع + محمود وكذلك ما أضيف إلى الله.
[١٠] ع م: وهو.
[١١] ع: عن اختلاف.
[١٢] ع م: مما يستوجبون.
[١٣] ن: ويستحقونه.
[١٤] ن ع م: والمكافات.
[١٥] م: جددوا.
[١٦] ع – لله.
[١٧] ع: المعصية.
[١٨] م – معصية جدد الله.
[١٩] ن – نعمة.

ليستهزئوا ويَأْشَروا ويَبْطَروا[١] ثم يهلكهم. وقال بعضهم: يُظهر لهم النعم ويُنسيهم الشكر. وجائز أن يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب، أي إن أخذي إياهم وعذابي شديد، حيث قال: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ،[٢] أي عقوبتي شديدة.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[١٨٣]

وقوله عز وجل: **وأملي لهم إن كيدي متين**، أي كيدوه أنتم، وأُمهلهم وأكيد لهم، كقوله:[٣] إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا،[٤] الآية. فيخرج قوله: أَكِيدُ لهم مخرج جزاء كيدهم. وكذلك قوله: وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا،[٥] أي جزيناهم جزاء مكرهم. وكذلك[٦] قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ،[٧] أي نجزيهم جزاء استدراجهم وكيدهم. وأمكن أن يكون قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ، وقوله: **وأملي لهم إن كيدي متين**، أي نفعل بهم ما هو عندهم[٨] استدراج وما هو عندهم كيد. وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وإن لم يكن من الله مكرا وخداعا، كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[٩] أي إعادة الشيء عندكم أهون من الابتداء وإن كان الإعادة والابتداء على الله سواء.[١٠] فعلى ذلك قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ، و **كيدي متين**، ونحوه، أي نفعل بكم ما هو استدراج وكيد[١١] عندكم. ***والله أعلم***.

ودل قوله: **وأملي لهم**، على أنه لم ينشئهم[١٢] لحاجة له إليهم أو لمنفعة له فيهم، ولكن أنشأهم لحوائج أنفسهم ولمنافع ترجع إليهم، حتى إن عملوا نفعوا[١٣] أنفسهم، وإن تركوا ضَرّوا أنفسهم. وقوله: **متين**، قيل: شديد، أي عقوبتي شديدة. والمتين هو[١٤] المحكم القوي.

---

[١] أَشِر يأشَر أشَرا بمعنى المرح، وبطِر يبطَر بطَرا بمعنى الطغيان عند النعمة (*لسان العرب* لابن منظور، «أشر، بطر»).

[٢] الآية التالية.

[٣] ك – كقوله.

[٤] سورة الطارق، ١٥/٨٦-١٦.

[٥] سورة النمل، ٥٠/٢٧.

[٦] م: ولذلك.

[٧] الآية السابقة.

[٨] ع م – استدراجهم وكيدهم وأمكن أن يكون قوله سنستدرجهم وقوله وأملي لهم إن كيدي متين أي نفعل بهم ما هو عندهم.

[٩] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

[١٠] م: سواء على الله.

[١١] ن: وكيدي.

[١٢] ع: لم ينسيهم.

[١٣] ع: أنفعوا.

[١٤] ع م – هو.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١٨٤]

وقوله عز وجل: **أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**، إن الكفرة كانوا ينسبون رسول الله إلى الجنون أحيانا. والذي حملهم على ذلك -والله أعلم- لأنهم كانوا أهل العز والشرف في الدنيوية،[١] وكان لا يخالفهم أحد، ولا يستقبلهم بالمكروه إلا أحد رجلين:[٢] رجل ذو هيبة وقوة[٣] وله أعوان وأنصار، أو رجل به جنون، لأنهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الأمر. فلما رأوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون[٤] و لم يروا معه أنصارا ولا أعوانا ظنوا أنه لا يخالفهم[٥] إلا بجنون فيه، فنسبوه[٦] إلى الجنون لذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون نسبتهم إياه إلى الجنون لما حرّم عليهم عبادة الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوا الأصنام[٧] و لم يحرّموا ذلك. فلما حرّم ذلك عليهم[٨] ظنوا أنه إنما حرّم ذلك لآفة فيه، فذلك[٩] حملهم على نسبته[١٠] إلى الجنون. *والله أعلم*.

ثم عاتبهم بتركهم التفكّر فيه بقوله: **أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة**، ليتبين لهم أنه ليس به جنون. وذلك يحتمل وجهين. إنهم لو تفكّروا في رسول الله بما أخبر لهم من المرغوب والمرهوب والمحذور في كتابهم[١١] على لسانهم[١٢] و[من غير][١٣] اختلاف منه[١٤] إلى أحد منهم ولا تعلّم لعلموا[١٥] أنه رسول، وأن ما أخبر[١٦] إنما أخبر بالله.[١٧] أو أن يكون[١٨] قوله:

[١] ن ع م: في الدنياوية.
[٢] ع – رجلين.
[٣] ك: ذو قوة وهيبة.
[٤] ك م: بما يكرهون.
[٥] ع م: ولا أعوانا أنهم لا يخفهم.
[٦] ع: فينسبون.
[٧] ن: الصنم.
[٨] ن: عليهم ذلك.
[٩] جميع النسخ: لذلك.
[١٠] جميع النسخ: بالنسبة.
[١١] أي الكتاب الذي أرسل إليهم، وهو القرآن
[١٢] جميع النسخ: على غير لسانهم.
[١٣] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٨و.
[١٤] ع: منهم.
[١٥] جميع النسخ: ليعلموا.
[١٦] م: وأنما ما أخبر.
[١٧] ع – إنما أخبر بالله.
[١٨] ع م: وأن يكون.

**أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**، أي قد تفكّروا فيه وعرفوا أنْ ليس به[1] جنون. وكذلك في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] الآية، أي قد تفكّروا في ذلك[3] وعرفوا أن مثل هذا[4] لم يُخلَق عبثا باطلا، كما يقال: أو لم تفعل كذا، أي قد فعلت، لكنهم عاندوا وكابروا آياته وحججه. وأمكن أن يكون قوله: **أولم يتفكروا**، أي[5] في أنفسهم وفي أولئك الذين عبدوا من الأصنام والأوثان لِيَظهر لهم أنهم على باطل وسفه، وليتبين لهم أن الحق هو ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، لا ما كانوا هم عليه. وفيه دلالة أن الحق يَلزم وإن كان لا يُعلَم[6] ذلك إلا بالتفكّر والتدبّر[7] لما لحق هؤلاء من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا هم التفكّر، وكان لهم سبيلُ الوصول إلى معرفة ذلك. وقوله: **أولم يتفكروا**، في صاحبهم أن[8] ليس له **جِنَة**، هذا جواب من الله. ويحتمل: لو تفكروا في صاحبهم لعرفوا أنه ليس به جنة. ثم أخبر أنه **نذير مبين**، ليس كما يقولون: إنه مجنون، إذ معه آيات وبراهين، فهو **نذير مبين**.

**﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾**[١٨٥]

وقوله: **أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض**، الآية، يحتمل هذا على الابتداء. ويحتمل على الصلة بالأول،[9] وهو أنهم إذا تفكروا **في ملكوت السماوات والأرض** عرفوا ألوهية[10] الله وربوبيته، لما يرون من اتصال منافع بعض ببعض على بُعْد ما بينهما واتساق التدبير في ذلك، فعرفوا أن ذلك كله مسخّر لمن له التمييز، وأن المقصود في خلقه أهل التمييز. فإذا عرفوا ذلك عرفوا أنهم يحتاجون إلى من يُعَرِّفهم ذلك، ويُعَلِّمهم ما يحتاجون في ذلك.

---

[1] ك: فيه.
[2] الآية التالية.
[3] ن: تفكروا ذلك.
[4] ك: مثل ذلك.
[5] ع - أي.
[6] ع + لا يعلم.
[7] م: والتدبير.
[8] ع م: ما بصاحبهم أنه.
[9] ك: للأول.
[10] ع: ألوهيته.

[٢٧٥ر] ويحتمل على ابتداء الأمر بالتفكر **في ملكوت السماوات** / **والأرض وما خلق الله من شيء**، ليدلهم على وحدانية[١] الله[٢] وربوبيته.

وقوله عز وجل: **وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**، كان هذا نزل[٣] فيمن عَرف صِدقَه لكنه عاند في تكذيبه، فقال: **وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**، يحذّرهم ليرجعوا إلى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه.

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، هذا يتوجّه وجهين. أحدهما أنكم ممن تقبلون الأخبار[٤] والحديث، فإذا لم تقبلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تصدقوه **فبأي حديث بعده** تقبلون وتصدّقون، ومعه حجج وبراهين. ***والله أعلم***.

والثاني أن يكون قوله: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، يعني[٥] **بعد** القرآن **يؤمنون**، وهو كما وصفه: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[٦] الآية، وقال: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[٧] فإذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو بالوصف الذي ذكر وأنتم ممن يقبلون[٨] الحديث **فبأي حديث**[٩] تقبلون **بعده**. وجائز أن يكون قوله: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، يريد به في الآخرة، يقول: إذا **اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**، أي لا **حديث بعده يؤمنون**، والتأويل الآخر[١٠] في الدنيا.

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٨٦]

وقوله عز وجل: **من يضلل الله فلا هادي له**، وفي موضع آخر: وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ،[١١] ولو كان الهداية الأمر والبيان على ما قاله قوم لكان ذلك من غير، وكذلك

---

[١] ع: وعلى وحدانية.
[٢] م – الله.
[٣] م: ترك.
[٤] ك: بالأخبار.
[٥] م – يعني.
[٦] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[٧] سورة الإسراء، ٨٨/١٧.
[٨] ك ع م: تقبلون.
[٩] م + بعده.
[١٠] ن – الآخر.
[١١] سورة الزمر، ٣٧/٣٩.

لو كان الإضلال والإزاغة والنهي هو التخليةَ لكان ذلك يكون من غيره، وكل من أراد الله أن يهديه أضله غيره، وكل من أضلّه الله هداه غيره، فذلك محال. مع ما في كل ما أضاف الله الإضلال إلى الخلق ذمّه، وفيما أضاف الهداية إليه مدحه، ثم أضافهما جميعا[١] إلى نفسه، دل أن هنالك زيادة معنى ليس ذلك في الإضافة إلى الخلق، وهو ما ذكرنا[٢] في غير موضع،[٣] إما خلق فعل الضلال من الكافر وخلق فعل الاهتداء والإيمان من المؤمن، أو كان منه التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان في الكفر. وهذان الوجهان اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق إنما يكونان من الله، لذلك كان معنى الإضافة إليه. وإنما يكون[٤] من الخلق الدعاء وغيره، لا ما قاله[٥] المعتزلة من البيان والأمر والنهي والتخلية، إذ يكون ذلك من الخلق. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **من يضلل الله فلا هادي له**، أي من أهانه الله بالضلال[٦] فلا أحد يملك إكرامه بالهدى.

وقوله عز و جل: **و يذرهم في طغيانهم يعمهون**، ولا ضرر يلحقه في طغيانهم، لذلك تركهم فيه. ودل ذلك على أنه لم ينشئهم[٧] لحاجة نفسه ولا لدفع مضرة[٨] نفسه، ولكن لحاجة أنفسهم، كقوله. سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ،[٩] وكقوله: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ،[١٠] وهو حرف الوعيد.

**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٨٧]

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الساعة أيان مرساها**، قيل: **أيان**، متى قيامها. وقال القُتَبي:

---

[١] ن – ثم أضافهما جميعا، صح هـ.
[٢] ع م: ما ذكر.
[٣] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الفاتحة، ٦/١.
[٤] جميع النسخ: يكونان.
[٥] ع م: ما قالته.
[٦] ع م: بالضلالة.
[٧] ع: لم ينشهم.
[٨] ع م: ضرر.
[٩] سورة الأعراف، ١٨٢/٧.
[١٠] سورة الأعراف، ١٨٣/٧.

**أيان مرساها**، أي متى ثبوتها، يقال: رَسَا[1] في الأرض إذا ثبت، ورَسَا في الماء. ويقال للجبال رواسي[2] لثبوتها.[3] ثم اختلف في السؤال ممَّ[4] كان. قال بعضهم: كان السؤال عن الفناء، فناء الخلق وهلاكهم، لأنه قال في آخره: **لا تأتيكم إلا بغتة**، ونحوه، وكقوله: مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[5] الآية،[6] وذلك يكون في الدنيا. وقال قائلون: كان السؤال عن البعث[7] وقيام الساعة إنكارا منهم إياها[8] واستعجالا للعذاب، كقوله: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[9] وقولهم: أَإِذَا مِتْنَا،[10] الآية، وغير ذلك من الآيات. يدل على أن السؤال كان عن الساعة.[11] وليس قوله: **لا تأتيكم إلا بغتة**، أنه كان عن الفناء،[12] إذ كانوا[13] يعاينون الفناء، فلا يحتمل[14] أن يكون السؤال عن ذلك. ثم يحتمل بعد[15] هذا وجهين. أحدهما أن كان السؤال من المكذب[16] لها، فهو سؤال استهزاء واستعجال لما ذكرنا. وإن كان من المصدّق[17] فهو سؤال[18] استعلام وإشفاق، ليتأهّبوا لها ويستعدّوا، كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا.[19] لمّا سمعوا من الآيات ما يُقَرِّب وقوعها،

[1] ك ن: رسى.
[2] ن ع م: رواس.
[3] م – لثبوتها. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ١٧٥؛ وانظر: لسان العرب لابن منظور، «رسو».
[4] ك: عم.
[5] ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ (سورة يس، ٤٨/٣٦-٤٩).
[6] ك – الآية.
[7] ع: على البعث.
[8] ن – إياها.
[9] سورة الشورى، ١٧/٤٢-١٨.
[10] ﴿قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ (سورة المؤمنون، ٨٢/٢٣).
[11] ن: من الساعة.
[12] ن: من الفناء.
[13] ن: إذ لو كانوا.
[14] ع م: ولا يحتمل.
[15] ع: بعده.
[16] جميع النسخ: عن المكذب.
[17] جميع النسخ: عن المصدق.
[18] ك – سؤال.
[19] ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (سورة الشورى، ١٧/٤٢-١٨).

كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[1] وقوله: اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[2] وقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ،[3] ونحوه من الآيات، وما سمعوا من رسول الله: «أنا والساعة كهاتين»،[4] وفي بعض الأخبار قال:[5] «كادت الساعة أن تَسبِقني»،[6] وغير ذلك من الأخبار، حملهم ذلك على السؤال عنها، ليتأهبوا لها ويستعدّوا.[7]

ثم أمره أن يقول: **إنما**[8] **علمها عند ربي لا يُجلّيها لوقتها إلا هو**، أي لا يكشفها ولا يظهر[9] وقتها إلا هو، ليس كالأمور التي تجري على أيدي الخلق ويكون لغيره فيه[10] تدبير، من إخراج[11] الثمار والنبات والأمطار وغير ذلك من الأمور[12] التي تجري على أيدي الخلق ويكون لهم فيها تدبير، أعني الملائكة الذين سُلّطوا على حفظ المطر والنبات؛ وأما الساعة[13] فإنها تقوم من غير أن كان لأحد من الخلائق تدبير فيها أو علم. وهو ما وصفها الله عز وجل: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ / إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[14] أخبر أن أمر الساعة خارج عن تدبير الخلق، بل تقوم [٢٧٥ظ] بتدبير الله من غير أن يُجريها على يدي[15] أحد من الخلق.[16] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثَقُلت في السماوات والأرض**، قيل: **ثقلت** على أهل **السماوات والأرض**. ثم اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **ثقلت**، أي خفيت على أهل **السماوات والأرض**،

---

[1] ع + الآية. سورة القمر، ١/٥٤.
[2] سورة الأنبياء، ١/٢١.
[3] سورة النحل، ١/١٦.
[4] عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْن»، قال: وضَمّ السَّبَّابَة والوُسْطى (صحيح *البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ١٣٣).
[5] ك – قال.
[6] عن بُرَيدة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «بُعثتُ أنا والساعة جميعا، إنْ كادت لتسبقني» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٤٨/٥). وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٣١١/١٠).
[7] ع: ليتأهبوا ويستعدوا.
[8] جميع النسخ: ان.
[9] ك: ويظهر.
[10] ن – فيه.
[11] ع م: عن إخراج.
[12] ن: فمن الأمور.
[13] ن: فأما الساعة.
[14] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[15] ع م: على يد.
[16] ك ع م – من الخلق.

فذَكَر الثقل لأن كل من خفي عليه شيء ثقل عليه،[1] فذكر أنها ثقيلة عليهم لخفائها عليهم. وقال قائلون: ثقل وقوعها على أهل **السماوات والأرض**، لكثرة أهوالها وشدة وقوعها. وأمكن أن يكون[2] قوله: **ثقلت في السماوات والأرض**، على نفس **السماوات والأرض**، على ما ذكر في قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[3] الآية، وذلك من شدة هولها. ولكن إن كان على نفس **السماوات والأرض**، أي لو كانت هي بحيث تعرف[4] وتميّز وبِنيتها بنية من يعرف ثِقَل شيء لثَقُلَت. وهو ما قلنا في قوله: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[5] والدنيا[6] لا تغر أحدا،[7] أي ما كان منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **يسألونك كأنك حَفِيّ عنها**، اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **كأنك حَفِيّ عنها**، أي مُكَرَّم مُشَرَّف عنده، ذو منزلة، فيُعلمك عنها. وكذلك قيل في قوله: إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا،[8] قيل: بارّا رحيما. وقال قائلون: **كأنك حَفِيّ عنها**، أي عالم بها.[9] وقال قتادة: **كأنك حفي** بهم، كأنك تحب[10] أن يسألوك[11] عنها.[12] وقال غيره: هو على التقديم والتأخير، يسألونك عنها كأنك حَفِيّ، يعني كأنك[13] استَحْفَيت عنها[14] السؤال[15] حتى علمتها.

---

[1] ن – شيء ثقل عليه.
[2] ع: أن يقول.
[3] سورة مريم، ١٩/٩٠.
[4] ك: بحيث لو تعرف.
[5] سورة الأنعام، ٦/٧٠.
[6] ك – والدنيا.
[7] ع: أحد.
[8] ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حَفِيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٤٧).
[9] ع – اختلف فيه قال قائلون قوله كأنك حفي عنها أي مكرم مشرف عنده ذو منزلة فيعلمك عنها وكذلك قيل في قوله إنه كان بي حفيا قيل بارا رحيما وقال قائلون كأنك حفي عنها أي عالم بها.
[10] ن ع: يجب؛ م: يحب.
[11] ن ع م: أن يسألونك.
[12] عن قتادة: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾، أي حَفِيّ بهم، قال: قالت قريش: يا محمد، أَسِرّ إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٤٠.
[13] ع م – حفي يعني كأنك.
[14] ن – عنها.
[15] م: استحفيت السؤال عنها. والمعنى أي أكثرت في السؤال عنها «*لسان العرب* لابن منظور، «حفو»).

ثم قال: **قل**، ما لي بها من علم، و **إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنها كائن. ويحتمل **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنك لا تعلم أنها متى تكون، أو **لا يعلمون** ما عليهم وما لهم.

وقال الحسن في قوله: **ثقلت في السماوات والأرض**، إذا جاءت **ثقلت** على أهل **السماوات والأرض**،[١] وكبرت عليهم.[٢] وقال بعضهم: ثقل ذكرها على أهل **السماوات والأرض**. وقال قتادة: ثقل علمها على أهل **السماوات والأرض**.[٣] وأصله ما ذكرنا، أي خفي علمها على أهل السماء والأرض،[٤] وإذا خفي الشيء ثقل. وقوله: **كأنك حفي عنها**، ما ذكرنا من التأويل. *والله أعلم*. وعلى قول بعضهم: الحَفِيّ الخبير العالم. وقالوا: هو المُشَرَّ ف[٥] المُكَرَّم البارّ الذي لا يستخفي[٦] منه شيء ولا يُلَبَّس عليه.

**﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[١٨٨]

وقوله عز وجل: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**،[٧] [أي] الهدى والضلالة. وقال قائلون من أهل التأويل: **لا أملك** جرّ النفع[٨] إلى نفسي، ولا دفع الضرّ عنها، **إلا ما شاء الله**، أي إلا إن أقدرني الله على ذلك فأملك ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، قال[٩] ذلك لئلا يتخذوه معبودا، أولا ينسبوه[١٠] إلى الله بالذي لا يليق[١١] النسبة به، نحو[١٢] ما قالت النصارى: المسيح ابن الله،

[١] ع – إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض.
[٢] *تفسير الطبري*، ٩/١٣٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي ٣/٦٢١.
[٣] أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي ٣/٦٢٠-٦٢١.
[٤] ك – وقال قتادة ثقل علمها على أهل السماوات والأرض وأصله ما ذكرنا أي خفي علمها على أهل السماء والأرض.
[٥] ع: هو الشرف.
[٦] ك ن ع: لا يستحق.
[٧] ن – قال بعض أهل التأويل قوله لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا.
[٨] ن + جر النفع.
[٩] م: أو قال.
[١٠] ع م: ولا ينسبوه.
[١١] ك: لا تليق.
[١٢] ع م – نحو.

وقالت[1] اليهود: عُزَيْر ابن الله،[2] وقال[3] مشركو[4] العرب: الملائكة بنات الله،[5] لعظيم ما وقع عندهم[6] من محل هؤلاء وقدرهم، فقال: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضَرا**، لئلا ينسبوه إلى الله من الوجه الذي نسب أولئك. أظهر من نفسه العجز والعُبُودَة،[7] وهو ما قال عيسى حيث قال:[8] إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[9] الآية.[10] وقال ابن عباس في قوله: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضَرا**، وذلك أن[11] أهل مكة قالوا: ألا يخبرك[12] ربك يا محمد[13] بالتجارة المُربِحة فنَتَّجِر فيها فنربح، أَوَلا يخبرك لسنة القحط والجُدُوبة، أو يخبرك بوقت السَّعة[14] والخِصْب، فقال عند ذلك: **ولو كنت أعلم الغيب**، من جُدُوبة الأرض والقحط،[15] **لاستكثرت من الخير**، يقول: لتهيأت[16] لذلك،[17] **وما مسني السوء**، من الضر والشدة.[18] إلى هذا ذهب عامة أهل التأويل، وقالوا في قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**. وقال بعضهم: **لو كنت أعلم الغيب**، متى أموت، **لاستكثرت من الخير**، يعني[19] من العمل الصالح.

---

[1] ع: وقال.
[2] ﴿وقالت اليهود عُزَيْر ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سوروة التوبة، ٩/٣٠).
[3] ن ع م: وقالت.
[4] جميع النسخ: مشركوا.
[5] ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٧).
[6] ع: عنهم.
[7] ع م: والعبادة.
[8] ع م – حيث قال.
[9] سورة مريم، ١٩/٣٠.
[10] ن – الآية.
[11] ن – أن.
[12] ع م: لا يخبرك.
[13] ن – يا محمد.
[14] ن – السعة.
[15] ك ن ع: وقحط.
[16] ن م: لهيأت.
[17] ع: لهيأت لك.
[18] أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾، قال: لعلمت إذا اشتريت شيئا ما أربح فيه، فلا أبيع شيئا إلا ربحت فيه، ﴿وما مسني السوء﴾، قال: ولا يصيبني الفقر. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٢/٣. وروي عن الكَلْبي أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فنشتري فنربح، وبالأرض التي تريد أن تُجْدِب، فنرتحل منها إلى ما قد أَخْصَب، فنزلت. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٣٦/٩.
[19] ك – يعني.

ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا إليه، لأنه إن كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل[١] الصالح.[٢] أو لو كان يعلم الغيب لاستكثر المال، على ما قال بعضهم. هذا بعيد. ولكن التأويل -والله أعلم- أن يجعل قوله: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، أي لا أعلم لكم **نفعا ولا ضرا**،[٣] **ولو كنت أعلم**، لكم، **الغيب لاستكثرت من الخير**، عند الله، أي **لو كنت أعلم** لكم ذلك لصدّقتموني وآمنتم بي، **لاستكثرت من الخير** عند الله بإيمانكم بالله وتصديقكم إياي. أو أن يقال: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت**، أملك لكم ذلك، **لاستكثرت من الخير**، لأنكم إذا رأيتموني أملك لكم نَفْع ما غاب عنكم ودَفْع ضرّ ما غاب[٤] لآمنتم بي وصدقتموني، فأنا بذلك أستوجب[٥] عند الله خيرا كثيرا، يجعل قوله: **لو كنت أعلم الغيب**، جواب ما تقدم من الكلام. *والله أعلم*. وقال[٦] بعضهم: قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، أي لا أعلم[٧] الغيب إلا قدر ما أوحي[٨] إليّ، **ولو كنت أعلم** أكثر مما أوحي إليّ[٩] **لاستكثرت من الخير**. وقال بعضهم: لا أعلم الغيب قبل أن أوحي إليّ، **ولو كنت أعلم**[١٠] ذلك **لاستكثرت من الخير** بذلك.

وحاصل التأويل في قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**، ما ذكرنا، بتصديقكم إياي وإيمانكم بي. أو ما ذكرنا / من السّعة والخِصْب في الدنيا لأهله ولأصحابه. أو ما ذكرنا، [٢٧٦و] أي **لو كنت** أملك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب أيضا لآمنتم بي وصدقتموني، فأنا بذلك أستوجب[١١] عند الله خيرا كثيرا. وجائز أن يكون قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**، أي **لو كنت أعلم**، مَن المصدّق ومن المكذّب **لاستكثرت من الخير**، لأنه لا يشتغل بمن يعلم أنه يَرُدّ ولا يجيب، وإنما يشتغل بمن يعلم منه أنه يجيب[١٢] ولا يكذّب، فيستكثر أتْباعَه والمطيعين لله.

---

[١] م: من العمل.
[٢] ك – ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا إليه لأنه إن كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل الصالح.
[٣] ع – أي لا أعلم لكم نفعا ولا ضرا.
[٤] ك – ودفع ضر ما غاب.
[٥] ك ن ع: استوجبت؛ ن + بذلك.
[٦] ع: قال.
[٧] ن ع م: أو لا أعلم.
[٨] ك: ما يوحي.
[٩] ع م – ولو كنت أعلم أكثر مما أوحى إلي.
[١٠] ك – أكثر مما أوحى إلى لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا أعلم الغيب قبل أن أوحي إلي ولو كنت أعلم.
[١١] ك ن ع: استوجبت.
[١٢] ع – وإنما يشتعل بمن يعلم منه أنه يجيب.

وقال بعضهم: قوله:[1] **وما مَسَّنِيَ السوء**، هو صلة قوله:[2] أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ،[3] كانوا يقولون: إن به جنونا،[4] فقال: **وما مسني السوء**، من النسبة إلى الجنون. أو يقول:[5] **ما مسني السوء** منكم، سوء ردّ وتكذيب، لأنه لو علم الذي يجيبه ويصدّقه[6] مِن الذي لا يجيبه ولا يصدّقه لم يمسّه منه سوء[7] الرد والأذى، لأنه لا يشتغل به بعد ما أقام عليه الحجة مَن المجيب منكم ومَن الرادّ.[8]

وقوله[9] عز وجل: **إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.**[10]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١٨٩] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٩٠]

وقوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا**، الآية، قال عامة أهل التأويل: إن آدم وحوى لما أُهبِطا **تَغَشّاها** آدم فحملت. فأتاها إبليس، فقال: يا حوى، ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم، ناقة أو شاة أو بقرة. قالت: لا أدري. فأعرض عنها. **فلما أَثْقلتْ** أتاها، فقال:[11] كيف تَجِدِينَكِ؟ قالت: إني لأخاف[12] أن يكون الذي ذكرت، ما أستطيع القيام[13] إذا قعدت إلا بجهد. قال: أفرأيت[14] إن دعوت الله [أن] يجعله إنسانا مثلكِ ومثل آدم أتُسمّينه بي؟

[1] ع م – قوله.
[2] ن – قوله.
[3] سورة الأعراف، ١٨٤/٧.
[4] جميع النسخ: جنون.
[5] م: ويقول.
[6] م: ويصدق.
[7] جميع النسخ: سوء منه.
[8] ع م: ومن الرد.
[9] ن: قوله.
[10] لا يوجد تفسير لهذه الجملة من الآية في جميع النسخ ولا في شرح *التأويلات*.
[11] ك: قال.
[12] ن ع م: لا أخاف.
[13] ن: القيا.
[14] ك: أرأيت.

قالت: نعم. فانصرف عنها. وقالت لآدم: لقد أتاني آتٍ فخوّفني بكذا، وإني لأخاف[١] مما ذكر. فدعوا الله في ذلك. فذلك قوله: **دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا**، يقول:[٢] جعلته إنسانا، **لنكوننّ من الشاكرين**، فكان هذا دعاءهما[٣] قبل أن تلد. فلما ولدت أتاها إبليس، وقال: ألا تسمّينه بي[٤] كما وعدتِني؟ قالت: نعم، ما اسمك؟ قال: اسمي الحارث. فسمّته عبد الحارث.[٥] فذلك قوله: **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما**.[٦] على هذا حمل أهل التأويل الآية، وإلى آدم[٧] وحوى صرفوها. وذلك وَحْش من القول، قبيح في آدم وحوى ذلك. ولو ثبت ما قالوا: إنهما سمّيا ولدهما[٨] باسمه ونسبا إليه، لم يكن في ذلك إشراك، إذ لو كان في مثله إشراك لكان فيما أضاف العبيد والمماليك إلى الخلق إشراك في ألوهيته.

ثم التأويل عندنا على غير ما ذهبوا إليه -والله أعلم- وهو أن قوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، يعني من آدم، **وجعل منها زوجها**، حوى، أنْ خَلَق الذكور كلهم من آدم، وخلق الإناث كلهن من حوى، كقوله: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[٩] أخبر أن الأزواج خلقهن من أنفس[١٠] الأزواج، فلما أضاف الزوجات إلى أنفس[١١] الأزواج[١٢] وأنهن[١٣] من أنفسهم[١٤] خُلِقن كان قوله: **خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**،

---

[١] ع م: لا أخاف.
[٢] م: بقوله.
[٣] م: دعاؤهما.
[٤] ع: في.
[٥] ع - فسمته عبد الحارث.
[٦] أخرج نحوه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور* لسيوطي، ٦٢٤/٣. وقد روي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما وَلدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سَمِّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمَّته عبد الحارث، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١١/٥؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٧). والحديث ضعيف كما بين ذلك الحافظ ابن كثير. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٧٥/٢-٢٧٦.
[٧] م: إلى آدم.
[٨] م - ولدهما.
[٩] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[١٠] ع م: من نفس.
[١١] ع م: إلى نفس.
[١٢] جميع النسخ: الروج.
[١٣] ك: والتي.
[١٤] ع م: من أنفسهن.

[أنّ] كل زوجة وزوج إذا **تغشاها** وحملت [يكون كأنه] دَعَا[1] آدم وحوى: **لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين**، إذ جميع الأولاد أولادهما، [فهما] يدعوان[2] الله في ذلك ليكون **صالحا**، فمن كان مسلما منهم[3] كان بدعائهما.[4] فعلى هذا التأويل يحصل[5] دعاؤهما لأولادهما الذين يولدون إلى يوم القيامة، لأنهما أب وأم، وقد يدعو[6] الوالدان لأولادهما بالصلاح والخير.[7] على هذا يجوز أن يخرج تأويل الآية. وأما ما قاله أولئك فهو بعيد محال. *والله أعلم*.

وقال بعضهم: إن العرب كان إذا وُلد لهم أولاد ذكور ينسبون إلى الأصنام التي يعبدونها ويضيفون إليها، تعظيما لها، يقولون: ابن اللّات وابن العُزّى وابن المَنَاة ونحو ذلك. وكانوا يقتلون البنات. وكان إذا أصابتهم الشدة يفزعون إلى الله ويتضرعون إليه،[8] كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[9] وكقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ،[10] الآية،

---

[1] ن: دعاء.

[2] ع م: يدعون.

[3] جميع النسخ: منهما.

[4] ك: يدعا بهما.

[5] ن – يحصل.

[6] ع: وقد يدعوا.

[7] لكن الشارح يقول: «وهو أن قوله: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿وجعل منها زوجها﴾، أي حواء وغيرها من أزواج أولاده إلى يوم القيامة، أخبر أنه خلق بني آدم وبناته من نفس آدم عليه السلام، كأنه في كل نفس جزء منه، قد اجتمعت الأجزاء كلها في آدم عليه السلام، فيكون الجملة نفسا واحدة. ثم جعل من تلك النفس زوجها، وزوجة كل واحد من بنيه إلى قيام الساعة، إذ الكل أجزاؤه منه، فيصير في التقدير كأنه خلق الزوجات كلها من أنفس الأزواج. وهو كقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾، الآية، أخبر أن الأزواج خلقهن من أنفس الأزواج، فإنهن من أنفسهم خُلقن. فينصرف قوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾، إلى كل زوج وزوجة. وإذا ثبت [هذا] كان قوله: ﴿فلما تغشاها حملت حملا خفيفا﴾، ينصرف إلى كل زوجة حملت من زوج من أولاد آدم وحواء عليهما السلام. ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾، يمكن أن يصرف إلى كل زوج وزوجة يدعون عند ظهور الحمل بالمرأة بالصلاح والخير لأولادهما الذين يولدون إلى يوم القيامة، فمن كان مسلما من أولادهما كان بدعائهما، إذهما أب وأم، ويدعو الوالدان للأولاد بالصلاح والخير (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٩و-ظ).

[8] ن – إليه.

[9] ﴿فإذا ركبوا في الفُلْك دَعَوا الله مُخلِصين له الدين فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).

[10] ﴿وإذا مسّ الإنسان ضُرٌّ دعا ربّه مُنِيبًا إليه ثم إذا خَوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا لِيُضِلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٨).

[وكقوله:] وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ،[١] الآية.[٢] فلما ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا إلى ما كانوا من قبل، كقوله: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ، وقوله: ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ، الآية. فإذا كان من عادة العرب ما ذكرنا كان إذا حملت زوجة أحد[٣] منهم وثَقُل ما في بطنها جعلا يدعوان **الله ربهما لئن آتيتنا صالحا**، ذَكَرًا وسَلِمَت من الولادة، **لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا**، يعني ذَكَرا، **جعلا له شركاء فيما آتاهما**، أي **جعلا** لله[٤] **شركاء** في الولد الذي وُلد لهما، وينسبونه إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها، فذلك قوله: **جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**. *والله أعلم بذلك*.

وقال الحسن: الآية في مشركي العرب، إلا قوله: **خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها**، فإن ذلك في آدم وحوى؛ ألا ترى أنه قال: أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ،[٥] دل[٦] أنه ما ذكرنا.[٧] وقال أبو بكر الأصم: قوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، وهو نفس آدم، **وجعل منها زوجها**، أي خلق كل نفس منكم من تلك النفس، وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك / النفس، **ليسكن إليها**. فعلى هذا التأويل يصرف آخر الآية [٢٧٦ظ] إلى غير آدم وحوى.

وقال القُتَبي: قوله: **فمرت به**، أي[٨] استمرت بالحمل.[٩]

وقوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، إن العرب كانت تعبد الأصنام تقليدا لآبائهم وسلفهم؛ فيذكر سفههم أن النفس التي خُلِقتم[١٠] منها لم تقلّد[١١] أحدا ولم تشرك أحدا،

---

[١] ﴿وإذا غَشِيَهُم موج كالظُّلَل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البرّ فمنهم مُقتصِد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختّارٍ كفور﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣٢).

[٢] ن – الآية.

[٣] ع م – أحد.

[٤] م: الله.

[٥] سورة الأعراف، ١٩١/٧.

[٦] ن – دل.

[٧] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن الحسن أنه قال: عُنِي بهذا ذرية آدم مَن أشرك منهم بعده. وفي رواية أخرى أنه قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. وفي رواية أخرى: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا، فهوّدوا ونصّروا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٨/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٦/٣.

[٨] ع م – أي.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٥.

[١٠] ع م – خلقتم.

[١١] ك: لم تقلدا.

إنما اتبعت ما في العقل حُسْنُه أو ما في السمع من الأمر. فكيف لا اتبعتم[1] أنتم النفس التي خُلِقتم منها وهي لم تتبع إلا ما ذكرنا دون ما اتبعتم في الإشراك له آباءكم؟ ولو كانت القصة في آدم على ما يقوله[2] أهل التأويل لكان[3] للعرب تعلق واقتداء به،[4] فيقولون: إنه أشرك، ونحن نشرك.[5] فدل أنه ليس على ما قالوا، ولكن على الوجوه التي ذكرنا.

وفي قوله: **خلقكم من نفس واحدة**، دلالة أنْ ليس لأحد من البشر على آخر فضل[6] من جهة الخلقة والنسبة، إذ كلهم إنما خلقوا **من نفس واحدة**، وهم إخوة وأخوات. وإن كان لأحد فضل على آخر فإنما يكون لأعمال يكتسبها وأخلاق محمودة ومحاسن يختارها، وأما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض، كقوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ.[7]

**﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[١٩١]**

وقوله عز وجل: **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون**، يذكر سفههم أنهم يشركون في عبادته وألوهيته من يعلمون أنه لم يخلقهم، وإنما خلقهم الله سبحانه، وهم مخلوقون، فصرف العبادة إلى غير الذي خلقهم سفه وجور.

**﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[١٩٢]**

وقوله عز وجل: **ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون**، يُسَفِّههم أيضا أن في الشاهد لا يخضع أحد لأحد[8] ولا يشكر له إلا مجازاة[9] لما سبق منه إليه[10] من النعمة، أو لما يأمل في العاقبة من المنفعة. وأنتم تعبدون هذه الأصنام ولم يسبق منها إليكم شيء[11] ولا لكم رجاء يقع في العاقبة، فكيف تعبدون؟ أو **لا يستطيعون** لكم **نصرا**، يدفعون عنكم الضر،

[1] م: فكيف اتبعتم.
[2] م: على ما يقول.
[3] ع م – لكان.
[4] ع م – به.
[5] ك + به.
[6] م – فضل.
[7] سورة الحجرات، ٤٩/١٣.
[8] جميع النسخ: أحدا.
[9] ع: إلا مجازات.
[10] ن –إليه.
[11] ع: شيئا.

**ولا أنفسهم ينصرون**، أي ولا مَن قصد قصدهم بالكسر والإتلاف يملكون دفعه عن أنفسهم.[١] *والله أعلم*.

**﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾**[١٩٣]

وقوله عز وجل: **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتّبعوكم**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **وإن تدعوهم**، يعني الأصنام، **إلى الهدى**، ليهتدوا، **لا يتبعوكم**، أي لا يجيبوكم ولا هم يهتدون. والثاني **وإن تدعوهم إلى** ما لكم إليه من حاجة، **لا يتبعوكم**، لا يقضون ولا يملكون ذلك. [و]يحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين، يقول: **وإن تدعوهم**، أهل مكة، **إلى الهدى لا يتبعوكم**، أي لا يجيبوكم. وجائز أن يكون يخاطب به أهل مكة، يقول: وإن تدعوا[٢] الأصنام التي تعبدونها، **إلى الهدى**، لا يملكون إجابتكم. يُسَفِّههم في عبادتهم مَن حاله[٣] ما وصف.

وقوله عز وجل: **سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون**، أمكن أن[٤] تكون الآية في قومٍ علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا، كقوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[٥] وقال بعضهم:[٦] قوله: **وإن تدعوهم**، يعني المشركين، **إلى الهدى لا يتبعوكم**، فعلى ذلك يخرج قوله: **سواء عليكم أدعوتموهم**. وأمكن أن يكون قوله: **سواء عليكم أدعوتموهم**، في الأصنام. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[١٩٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**، يحتمل قوله: **تدعون**، أي تعبدون **من دون الله**، وقد كانوا يعبدون من دون الله أصناما وأوثانا. ويحتمل **تدعون**، أي تسمونهم **من دون الله** آلهة. وقوله: **عباد أمثالكم**، في الخلقة والدلالة على وحدانية[٧] الله، وفي التدبير[٨] دونهم،

---

[١] ع م: من أنفسكم.
[٢] ن: وإن تدعو.
[٣] ك ن ع: من حال.
[٤] م: أم أن.
[٥] سورة البقرة، ٦/٢.
[٦] ن – بعضهم.
[٧] م: على حدانية.
[٨] ع م: في التدبير.

لِمَا قال: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا،[1] إلى آخر ما ذكر، أي ليس لهم ما ذكر، فهم[2] دونهم في التدبير والمعونة. ويحتمل قوله: [إن الذين] **تدعون من دون الله عباد أمثالكم**، الملائكة[3] الذين عبدتموهم،[4] **عباد أمثالكم**، فلا تسمّوهم[5] آلهة، أي لا تعبدوا عبادا **أمثالكم**،[6] ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير له. وإن كان[7] قوله: **عباد أمثالكم**، الملائكة، فقوله: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا، الآية، هو منه مقطوع منصرف إلى الأصنام.[8]

وقوله عز وجل: **فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين**، ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيما ذا يستجيبونهم، ولا يجب[9] أن تُفسَّر[10] الاستجابة في الشفاعة أو في التقريب[11] إلى الله أو في غيره، إلا أن يُعلَم أنهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا. وقوله: **إن كنتم صادقين**، أنهم آلهة على ما تزعمون. أو **إن كنتم صادقين**، فيما تزعمون أن عبادتكم إياها تقربكم إلى الله زُلْفَى.[12]

---

[1] الآية التالية.
[2] م: ما ذكرتم.
[3] ك: الملئكة.
[4] ك ن: عبدوهم هم؛ ع م: عبدوهم.
[5] جميع النسخ: فلا تسمونهم.
[6] ن ع: مثالكم.
[7] جميع النسخ: أو إن كان.
[8] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وعلى هذين التأويلين جواب إشكال أورده الملحدة في هذه الآية. فقالت: فيها تناقض، لأنه قال: ﴿عباد أمثالكم﴾، ثم قال في آخرها: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، الآية، فإذا لم يكن لِما تعبدون هذه الأشياء فكيف تكون أمثالا لهم؟ فعلى التأويل الأول المراد هو المماثلة في أصل الخلقة والحديثة والحاجة إلى الخالق والمُحدِث وإن كان بينهم تفاوت في الصورة والتدبير والمعونة ونحوها. وعلى الثاني المراد بهم الملائكة، وبينهم تماثل فيما ذكر من الأيدي والأرجل والآذان والأعين ونحوها. وإن كان المراد هو التأويل الأول فقوله: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، مبني على قوله: ﴿عباد أمثالكم﴾. وإن كان المراد هو الملائكة فقوله: ﴿ألهم رجل يمشون بها﴾، الآية، مقطوع عن الأول مُنصرِف إلى الأصنام. والله أعلم. وبعضهم أجابوا عن هذا لإشكال وقالوا: إن قوله: ﴿عباد أمثالكم﴾، ذكر على الاستفهام، أي أعباد أمثالكم؟ على حذف حرف الاستفهام، أي ليسوا عبادا أمثالكم. لذلك قال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، الآية، أي ليس لهم ذلك، حَقَّق نَفْيَ المماثلة وسَفَّهَهم بعبادة من ليس بمثل لهم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٥٦ظ).
[9] ع: ولا يجيب.
[10] ن ع م: أن يفسر.
[11] م: إلى التقريب.
[12] ع م– وقوله إن كنتم صادقين أنهم آلهة على ما تزعمون أو إن كنتم صادقين فيما تزعمون أن عبادتكم إياها تقربكم إلى الله زلفى. ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾[١٩٥]

وقوله: **ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**، يُسفِّه عقولهم بعبادتهم الأصنام التي لا **أرجل** لهم **يمشون بها**، يهربون [مِن] مَن يقصدهم بالسوء، أو يقصدون هُم[١] قَصْد مَن أراد[٢] الضر بهم والسوء. وكذلك يعبدون[٣] ما لا أيدي لهم **يبطشون [بها]**، يدفعون عن أنفسهم من أراد السوء بهم،[٤] أو يأخذون من يقصدهم. وكذلك قوله: **أم لهم أعين يبصرون بها**، يبصرون[٥] من يقصدهم بالسوء. **أم لهم آذان يسمعون [بها]** من يشتمهم ويَذكرهم بالسوء. يُسَفِّههم في عبادتهم من لا يملك دفع من يقصده بالسوء، إما هربا منه، وإما قصدا منه إليه بالسوء، فإذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدونه؟[٦] وهو كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٧] فإذا كانوا لا يملكون[٨] / دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع إليكم أو دفع الضر عنكم؟ [٢٧٧و]

وقوله عز وجل: **قل ادعوا شركاءكم**، قال بعض أهل التأويل: خاطب به كفار مكة بقوله: **قل ادعوا شركاءكم**، الذين[٩] تزعمون أنهم آلهة دون الله. ويحتمل قوله: **شركاءكم**، أي ادعوا من شاركوكم في عبادة من دونه، **ثم كِيدونِ**. ويحتمل أن يكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، قال ذلك لهم رسول الله بين ظهرانيهم: **ثم كيدون فلا تنظرون**، فلم يقدر[١٠] أحد [على] الكيد به والضرر[١١] مع قوتهم وعُدّتهم بالكثرة والأعوان،

---

[١] ك ن م: يقصدون بهم؛ ع: يقصدوهم.
[٢] ع: من إرادة.
[٣] ك +بها.
[٤] ع م – بهم.
[٥] م: يبصر.
[٦] ك ع م: تعبدون.
[٧] سورة مريم، ٤٢/١٩.
[٨] ن – ذلك كيف تعبدون وهو قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فإذا كانوا لا يملكون.
[٩] ك: التي.
[١٠] ن: ثم لا يقدر؛ ع م: ثم لم يقدر.
[١١] ك: والقهر.

وضَعْف رسول الله وقلة أعوانه. دل عجزهم عن ذلك أنه كان آية في نفسه، وأنه بالله تعالى ينتصر، وبه قَوِي[1] على أعدائه. وذلك من عظيم[2] آياته،[3] لأنه قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم فيما هم فيه، ثم لم يقدر أحد[4] منهم [على] الضرر به، دل أنه كان بالله حِفْظُه. وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم، حيث قالوا بين ظهراني قومهم من نحو هود ونوح وهؤلاء، [حيث قال هود عليه السلام:] فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ،[5] وقول[6] نوح: قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ،[7] الآية.

**﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[١٩٦]**

وقوله عز وجل: **إن وليي الله الذي نزل الكتاب**، الآية، ذكر هذا على إثر قوله: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ،[8] كما ذكر هود:[9] إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ،[10] وكما قال نوح: إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ،[11] فزِعوا إلى الله عز وجل عند وعيد قومهم بالإهلاك، وعليه اعتمدوا، وبه وَثِقوا، فعلى ذلك رسول الله قال: **إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**، أي هو **وليي**[12] يحفظني، **وهو يتولى** حفظ **الصالحين**، أي يتَوَلّيه صَلَحُوا. أو **يتولى**[13] ويحفظ **الصالحين**، مقابل قول[14] من ذكرنا من الرسل لقومهم.[15]

---

[1] ك: وإنه قوي.
[2] ن: من عظم.
[3] ع: آية.
[4] ع: أحدا.
[5] سورة هود، ٥٥/١١.
[6] م: وقال.
[7] سورة هود، ٣٨/١١.
[8] الآية السابقة.
[9] ن ع: هودا.
[10] سورة هود، ٥٤/١١-٥٦.
[11] سورة يونس، ٧١/١٠.
[12] ع: ولي.
[13] ك: ويتولى.
[14] ع م: قوله.
[15] جميع النسخ: قومهم.

ثم قوله: **وليي الله**، يحتمل حافظي وناصري، أو ولي[١] تدبيري **الله الذي نزل الكتاب**، أو ولي أمري، أو أولى بي، **الله الذي نزل الكتاب**، الذي عجزت الخلائق عن إتيان مثله، **وهو يتولى الصالحين**.

**﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[١٩٧]**

وقوله عز وجل: **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون**، يذكر[٢] سفههم بعبادتهم مَن عَجَز عن دفع الضرر عن نفسه، فضلا أنْ يَدفع ذلك عنهم، أو يجروا إلى أنفسهم منفعة.

**﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١٩٨]**

وأخبر عن جهلهم أنهم يعبدون من لا يملك دفع ضرّ ولا جرّ نفع، بقوله: **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، الهدى. هذا يخرج على وجهين. أحدهما يخاطب به المؤمنين بقوله: **وإن تدعوهم**،[٣] [أي] وإن تدعوا أهل مكة،[٤] **إلى الهدى لا يسمعوا**، أي لا يجيبوا.[٥] **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، أي لا ينتفعون[٦] به، أو لشدة تَعنُّتهم **لا يبصرون**. وجائز أن يكون يقول: وإن تدعوا[٧] الأصنام التي تعبدون[٨] **إلى الهدى لا يسمعوا**، أي لا يجيبوا، ولا يملكون الإجابة. ويحتمل **لا يسمعوا**، حقيقة السمع. **وتراهم ينظرون إليك**، على التمثيل، أي كأنهم **ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، حقيقة.

**﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١٩٩]**

وقوله: **خذ العفو**، يتوجه وجهين. أحدهما على حقيقة الأخذ. والثاني على العمل بالعفو. فإن كان على الأخذ فهو على وجهين. يحتمل أنْ **خذ**، الفضل الذي لا حق فيه، وهو القليل من ذلك واليسير. والثاني أنْ **خذ**، ما يفضل من أنفسهم وحوائجهم من غير مسألة،

---

[١] ن: وولي؛ ع: أو وليي.
[٢] ع م: ويذكر.
[٣] ن ع م - وإن تدعوهم.
[٤] ك - وإن تدعوا أهل مكة.
[٥] ع م: أي يجيبوا.
[٦] ع: أي ينتفعون.
[٧] م: وإن تدعو.
[٨] ن: التي تعبدونها.

أي اقبل منهم ما أعطوك، ولا تُلِحّ في المسألة، كقوله: وَلَا يَسْأَ لْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَ لْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا،[1] الآية، أخبر إنْ يَسْأَلْهم أموالهم حملهم ذلك على البخل. وإن كان على العمل فهو على وجوه. أي اعف عن الظلمة[2] عن ظلمهم، وأعرض عن السفهاء، واحْلُم معهم. أُمِر رسول الله[3] أن يعامل الخلق بأشياء ثلاثة. أُمِر أن يعفو عن الظلمة عن ظلمهم [وأن] لا يُكافِئهم[4] بظلمهم، وأُمِر أن يعرض عن السفهاء و الجهّال ويَحْلُم معهم،[5] وأُمِر أن يعامل المؤمنين باللين والرفق. وكذلك[6] وصفه بالرحمة والرأفة، بقوله: بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.[7] وروي عن عبد الله بن الزبير قال: **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**، قال:[8] ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.[9] وعن قتادة قال:[10] **خذ العفو وأمر بالعرف**، قال: خُلُق حسن أمر الله به نبيه، ودعاه إليه.[11] إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل، وإلى ذلك[12] صَرَف تأويل الآية. وقال بعضهم: هو أخذ الفَضْل من المال على ما ذكرنا؛ فهو منسوخ بآية الزكاة. وروي في حرف ابن مسعود وأُبَيّ: **خذ العفو وأمر** بالمعروف[13] وانه عن المنكر **وأعرض عن الجاهلين**، وفيه دلالة أنه[14] أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمعروف هو اسم كل خير. وأمره بأن يأخذ بالعفو عن الظلمة على ما ذكرنا، وعلى ذلك روي عن عائشة قالت: كان رجل يشتم رسول الله ويؤذيه، فدخل على رسول الله، فأوسع له وأدناه ورحّب به. قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس هذا كان يشتمك؟

---

[1] سورة محمد، ٣٦/٤٧-٣٧.
[2] ك: اعف الظلمة.
[3] ن: رسوله.
[4] جميع النسخ: لا تكافهم.
[5] ن + معهم.
[6] ك: ولذلك.
[7] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٢٨/٩).
[8] ع م + خلق حسن.
[9] *صحيح البخاري*، التفسير ٥/٧؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ٤؛ و*تفسير الطبري*، ١٥٤/٩. ورواه غيرهم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٨/٣.
[10] ك م – قال.
[11] *تفسير الطبري*، ١٥٦/٩. وأخرجه كذلك عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٩/٣.
[12] ن: وإلى هذا.
[13] ن ع م: بالعرف.
[14] ك – أنه.

/ قال: «بلى يا عائشة، إن من شرار الناس الذين يُكرَمون اتّقاءَ شرورهم[١] وألسنتهم».[٢] إلى مثل[٣] [٢٧٧ط] هذا دُعِي رسول الله بالعفو والصفح عن الظَّلَمة وترك المكافأة.

وقوله: **وأمر بالعرف**، أي مُر الناس **بالعرف**، وهو ما تَشهَد[٤] [به] خِلقتُك وتأمرك به. [وهي] أشياءُ ثلاثةٌ؛ اثنان منها[٥] فيما بينه وبين ربه، والواحد فيما بينه وبين الناس.[٦] أما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه[٧] أحدهما تَأْمُر خِلقَتُه وتشهد على وحدانية الله والدلالة على ألوهيته. والثاني تشهد على نعم الله إليه، فتدعوه[٨] إلى الشكر له فيما أنعم[٩] عليه. وأما الوجه الذي تدعو[١٠] [إليه] خِلقتُه فيما بينه وبين الناس هو[١١] ما تَرغَب[١٢] نفسُه في كل المَحَاسِن[١٣] و[كل] مَرغُوبٍ فيه، وتَنفِر[١٤] نفسُه عن كل أذى وسوء. فأُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعامل الخلق بما تَرغَب[١٥] نفسُه وتطمع[١٦] في المحاسن، وتَنفِر عنه وتكره، [أي] يفعل[١٧] إليهم كل[١٨] ما تَرغَب نفسه فيه وتطمع،[١٩] ويمتنع عن كل أذى وسوء. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م: شرهم.

[٢] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة»، فلما دخل انبسط إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه، فلما خرج قلت: يا رسول الله، لما استأذن قلت: «بئس أخو العشيرة»، فلما دخل انبسطت إليه، فقال: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفاحش المتفحّش» وفي رواية أخرى زاد: «يا عائشة، إن مِن شِرار الناس الذين يُكرَمون اتّقاء ألسنتهم» (*صحيح البخاري*، الأدب ٨٢؛ و*صحيح مسلم*، البر ٧٣؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ٥). واللفظ لأبي داود.

[٣] ع: على مثل.

[٤] ن ع م: ما يشهد.

[٥] ن ع م − منها.

[٦] ع − الناس.

[٧] ن − والواحد فيما بينه وبين الناس أما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه، صح، هـ.

[٨] جميع النسخ: فيدعوه.

[٩] م + الله.

[١٠] جميع النسخ: يدعو.

[١١] ك: وهو.

[١٢] جميع النسخ: ما يرغب.

[١٣] جميع النسخ: محاسن.

[١٤] جميع النسخ: وينفر.

[١٥] ن ع م: بما يرغب.

[١٦] ع م: وطمع.

[١٧] ن ع م: تفعل.

[١٨] جميع النسخ: إليهم في كل.

[١٩] ع م: وطمع.

**﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠٠]**

وقوله عز وجل: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**، قال بعضهم: النزغة هي أدنى أفعال المعصية. وكذلك فسره ابن عباس رضي الله عنه. يقول: إذا أذنبت[1] ذنبا فاستعذ بالله.* فإن كان[2] على هذا [٢٧٧ظ س٢٦ فهو يخرج على النهي عن ذلك، فهو كالمخاطبات التي خاطب بها رسول الله، كقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[3] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[4] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[5] وإن كان يعلم أنه لا يشك ولا يجهل ولا يُشرِك غيرَه في أمره. فعلى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله: **ينزغنك من الشيطان**. وإن كان ما ذكر هو من أدنى ذنب يرتكبه فهو يخرج[6] ذلك على تعليمه أمّته أن كيف يفعلون إذا اعترض لهم ذلك.[7] *والله أعلم*.* وقال القُتَبي: **وإما ينزغنك من الشيطان** ٢٧٧ظ س٣٠] **نزغ**، أي يستخفّنك، ويقال: نزغ شيئا، إذا أفسد.[8] وقال أبو عَوْسَجة: النزغ التحريك للفساد.[9] وقال بعضهم: قوله: **ينزغنك من الشيطان نزغ**، أي يوسوسك الشيطان وسوسة، **فاستعذ بالله**.

ثم في الاستعاذة[10] وجهان. أحدهما أمره بالفزع إلى الله عندما يوسوسه الشيطان، والالتجاءِ[11] إليه لما رأى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس إليه وردِّه، ليكون[12] هو الدافع عنه ذلك وهو الرادّ. وقال[13] الخليل: أعوذ بالله، أي ألجأ إلى الله تعالى، وكذلك قوله: أستعيذ[14] بالله، ومعاذ الله، معناه أعوذ بالله، ومنه الإعاذة والتعوّذ والتعويذ.[15] وقال غيره: أعوذ بالله، أي أمتنع بالله.

---

[1] ع: يقول أذنبت.
[2] ع م: وإن كان.
[3] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.
[4] سورة الأنعام، ٣٥/٦.
[5] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.
[6] ن: ويخرج.
[7] ن + على تعليمه أن كيف.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٧ظ/سطر ٢٦-٣٠.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٦.
[9] ن: بالتحريك الفساد.
[10] ع: ثم الاستعاذة.
[11] ك ن ع: والتجا؛ م: والتجاء.
[12] ع م: ورد ما يكون.
[13] ع: قال.
[14] ن ع م: استعذ.
[15] قال الخليل: «أعوذ بالله، أي ألجأ إلى الله، عَوْذا وعِياذا. ومَعَاذ الله معناه أعوذ بالله، ومنه العَوْذة والتعويذ» (*كتاب العين*، ٢٢٩/٢).

وقيل: أعوذ بالله، أي أتحصّن بالله. و[الثاني] قيل: الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع ما اعترض له من الشيطان. وكلّه قريب بعضه من بعض.

ثم الحكمة فيما جعل عدوهم من غير جنسهم من حيث لا يرونه ويراهم وجهان. أحدهما ليكونوا أبدا على التيقّظ والانتباه، غير غافلين عنه. والثاني ليكونوا أبدا فَزِعين[1] إلى الله تعالى متضرّعين إليه مبتهلين، ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شرّه ووسواسه.

وفيما أمر بالفزع إلى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نَقْض على المعتزلة، لأنهم يقولون: قد أعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونَزَغاتِه حتى لم يَبق عنده شيء يُعِيذه. فعلى قولهم يخرج طلب الإعاذة مخرج كتمان النعمة، أو مخرج الهُزْء به. [أما كتمان النعمة فلأنه إذا كان ذلك عنده فيكون السؤال كتمانا، وفي ذلك كفرانها]،[2] وأما الهُزْء[3] به لأنه يسأله ما يعلم أنه ليس ذلك عنده.[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٢٠١]

وقوله عز وجل: **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان**، وقيل: طَيْفٌ[5] **من الشيطان**، فمن قرأ طَيْف قال: اللَّمَة.[6] [وقيل:][7] الخَطْرة، [و]الشيء يَغشاك؛ وقال: وأما الطائف فهو من الطواف. وقيل: الطيف الوسوسة. وقيل: الطيف ما يأتيك من الشيطان. وقيل: الطائف والطيف سواء. وعن ابن عباس **إذا مسهم** طيف **من الشيطان**، قال: إذا أذنبوا ذنبا، **تذكّروا فإذا هم مبصرون**، يقول: **تذكّروا** ذنوبهم فتابوا منها.[8] وكذلك قال في قوله: يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[9] هو أدنى ذنب يرتكبه.*

---

[1] ع: افزعين.

[2] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠ظ.

[3] ك ن م: أما الهزء.

[4] أي عند الله على قول المعتزلة.

[5] قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٥.

[6] اللَّمَة واللَّمَم كلاهما الطائف من الجنّ، وكذلك اللَّمّة: الهمّة والخَطْرة تقع في القلب (*لسان العرب* لابن منظور، «لمم»).

[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠ظ.

[8] روي بمعناه، وفسر على قراءة "طائف". انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٥٨، ١٥٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٣.

[9] الآية السابقة.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٧ظ/سطر ٢٦-٣٠.

وقوله: **إن الذين اتقوا إذا مسهم** كذا، يحتمل أن يكون[1] قوله: **اتقوا** مكايد الشيطان، إذا أصابهم شيء من ذلك **تذكروا** ذلك، فعرفوا أنه من الشيطان، **فإذا هم مبصرون**، أي أبصروا أنه من الشيطان. أو أن يقال: أي هم من أهل البصر، يبصرون عما **اتقوا** به أنه من الشيطان. ويحتمل قوله:[2] **إن الذين اتقوا**، المعاصي إذا أصابهم وسوسة من الشيطان، **تذكروا** ذلك. وقال بعض أهل التأويل: قوله: **إن الذين اتقوا**، أي **اتقوا** الشرك. لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر.

وقوله: **إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا**، الآية، يحتمل وجوها. أحدها **إذا مسهم** بذلك فأَبَوْا عما كان منهم، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[3] الآية. والثاني **تذكروا**، وجوه حيل[4] دفع وساوسه. والثالث **تذكروا**، استعاذوا به حيث[5] أمرهم بالاستعاذة[6] عند النزغة.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[٢٠٢]

وقوله عز وجل: **وإخوانهم يَمُدُّونهم في الغي ثم لا يُقصِرون**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **وإخوانهم**، يعني إخوان الكفار الشياطين، **يَمُدُّونهم في الغي**، قالوا: في الشرك والمعصية، **ثم لا يُقْصِرون** عنها، أي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها[7] كما أبصر الذين اتقوا عنها حين / أبصروها. ويحتمل أن يكون [٢٧٨و] قوله: **وإخوانهم**، يعني أصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم من الإنس، يدعونهم إلى دينهم، لكنْ هم[8] لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون إليه. إذ يجوز أن يكون لكل مؤمن شيطان من الإنس[9] وشيطان من الجن، كقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ،[10] فقد دعا أولئك شياطينُ الجن فتذكروا فلم يجيبوهم،[11] ثم دعاهم شياطين[12] الإنس أيضا فلا يجيبونهم. *والله أعلم*.

---

[1] ك – أن يكون.
[2] ن – قوله.
[3] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٣٥).
[4] ن ع: حبل.
[5] جميع النسخ: حين.
[6] ع م: بالاستعانة به.
[7] ك: ولا يبصرون.
[8] ع – هم.
[9] ن – يدعونهم إلى دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون إليه إذ يجوز أن يكون لكل مؤمن شيطان من الإنس.
[10] سورة الأنعام، ٦/١١٢.
[11] ن ع: ولم يجيبوهم.
[12] ع: ثم دعا سيلطين.

**﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٠٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها**، ظاهر الآية في سؤال أهل الكفر رسول الله الآية. فإنهم[١] كانوا إذا أتى بهم آية[٢] استهزءوا بها وتعنّتوا، وإذا لم يأتهم بها سألوه الآية سؤال المستهزئين المتعنّتين. وإذا لم يأتهم بها **قالوا لولا اجتبيتها**، لولا ابتدعتها وأحدثتها وأنشأتها، وهلاّ أنبأتها مِن قِبَل نفسك؟ فقال: **قل إنما أتَّبع ما يوحى إليَّ من ربي**، أي لا أفتعلها ولا أنشئها من نفسي، **إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي**. وأمكن أن يكون سؤال الآية من المؤمنين، فإن كان منهم فهو سؤال الاسترشاد لما يزداد لهم بكل آية تنزل عليهم يقينا وقوة في دينهم، كقوله: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا،[٣] الآية، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا،[٤] الآية، وكقوله:[٥] فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ،[٦] الآية. فإذا كان السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد وطلب زيادة الهدى، وإن كان من الكفار فهو سؤال الاستهزاء والتعنُّت. ثم أخبر أنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه. ثم أخبر أنه **بصائر من ربكم**، قيل: بيان، أي هذا القرآن[٧] بيان[٨] **من ربكم**، يُبصِر به من لم يعاند ولم يكابِر عقلَه كل ما له وكل ما عليه،[٩] وإنه البيان من الحق والباطل، **وهدى**، من الضلالة، **ورحمة لقوم يؤمنون**، أي ورحمة من العذاب.

**﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٠٤]**

وقوله: **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**، الآية، أمر الله تعالى بالاستماع إلى هذا القرآن

---

[١] جميع النسخ: إنهم.

[٢] ن - آية.

[٣] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[٤] ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رِجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٥/٩).

[٥] ع م: كقوله.

[٦] ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نُزِّلت سورة فإذا أُنزِلت سورة مُحكَمَة وذُكِر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المَغشِيِّ عليه من الموت﴾ (سورة محمد، ٢٠/٤٧).

[٧] ن - أي هذا القرآن.

[٨] ك ن - بيان.

[٩] ن ع م: وما عليه.

والإنصات له[1] إذا قرئ.[2] وإن كان في العقل أن من خاطب آخر بمخاطبات[3] يلزمه الاستماع إلى ما يخاطبه ويشافهه، فالله سبحانه إذا خاطب بخطابٍ أولى أن يستمع له. مع ما ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع إليه، كقوله: هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ،[4] وقوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[5] وغير ذلك من الآيات. ولا سبيل إلى أن يعرف أنه بصائر وأنه هدى وما ذكر إلا بالاستماع[6] إليه والتفكر فيه. فدل أن الاستماع لازمٌ في العقل مَن له أدنى عقلٍ على ما ذكرنا من المخاطبات. لكنه ذكر هاهنا الاستماع إليه –والله أعلم– لوجهين. أحدهما مقابل ما كانوا يقولون: لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ،[7] أمر عز وجل المؤمنين بالاستماع إليه مكان قولهم: لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ، وأمر بالإنصات مكان ما يقولون: وَالْغَوْا فِيهِ.

والثاني يجوز أن يكون أمر بالاستماع إليه في الصلاة على ما قاله[8] بعض أهل التأويل: إنه في الصلاة. وقال بعضهم: في حال الخطبة. لِما يسبق إلى أوهامهم أنه لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم أنواع القُرَب أن يسقط عنهم حق الاستماع، فأمر بالاستماع إليه والإنصات له ليعلموا أن حق الاستماع لازم في كل حال. ثم الاستماع إليه يكون لتفهُّم ما أودع فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيره، والإنصاتُ للتعظيم له والتبجيل. ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة، ولكن إنما يلزم لما أودع فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيره، ليفهموا ما فيه ويقبلوا ويقوموا بوفاء ذلك. وأما سائر الأذكار إنما صار عبادة لنفسها، لذلك لم يلزم الاستماع إلى سائر الأذكار، ولزم لتلاوة القرآن. ولأن القرآن[9] كلام الله وكتابه، ومن الجفاء[10] والاستخفاف أن يكتب إنسان إلى أخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له،

---

[1] ك: إليه.
[2] ن: وإذا قرئ.
[3] ك: بخطابات.
[4] الآية السابقة.
[5] سورة الأعراف، ٣/٧.
[6] ع م: ذكر بالاستماع.
[7] سورة فصلت، ٢٦/٤١.
[8] ن ع: على ما قالوا؛ م: على ما قال.
[9] ع: ولزم التلاوة والقرآن ولا القرآن.
[10] ع: من الجفاء.

فترك الاستماع إلى كتاب الله أعظم في الجفاء والاستخفاف. ولأن القرآن يُجهَر [به]، وسائر الأذكار لا تُجهَر [بها]، فإن كانت تُجهَر فيستمع لها[١] كما يستمع إلى القرآن.[٢] *والله أعلم*.

وذكر[٣] في بعض القصة أن الآية نزلت في الصلاة، لأن رسول الله إذا قرأ في صلاته كانوا يقولون مثل ما قال،[٤] فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والأمر بالاستماع إليه والإنصات له.[٥] وذكر أنهم كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فنزلت الآية لذلك.[٦] فلا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت، وقد يحتمل ما ذكرنا آنفا. ثم إن كانت الآية في الصلاة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الإمام، لأنه أمر بالاستماع إليه والإنصات له. وعلى ذلك جاءت[٧] الأخبار. روي عن أبي العالية قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قرأ أصحابه أجمعون خلفه حتى نزل:[٨] **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**، فسكتوا.[٩] وعن علي بن[١٠] أحمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة الفجر الواقعة، وقرأها رجل خلفه، فلما فرغ من الصلاة قال: «من الذي ينازعني في هذه السورة؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فأنزل الله: **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**. وغير ذلك من الأخبار. / فقال قوم: [٢٧٨ظ] إن الإنصات الذي أمر به المُؤْتَمّ معناه أن لا يجهر بقراءته، وليس فيه نهي عن أن[١١] يقرأ في نفسه. وزعم بعضهم أن القارئ خَفِيًا يسمى نَاصِتا مُنصِتا.[١٢] واستدل بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان[١٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبّر سكت بين التكبير والقراءة، قلت له:[١٤]

---

[١] ع م: بها.
[٢] ك: للقرآن.
[٣] ن: أو ذكر.
[٤] ع م: مثل ذلك.
[٥] روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٦٣، ١٦٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٤.
[٦] أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٧.
[٧] ن – جاءت.
[٨] م – نزل.
[٩] أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٥.
[١٠] ع: علي ابن.
[١١] م: نهي أن.
[١٢] ك – منصتا؛ م: ومنصتا. قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «نصت».
[١٣] ع م – كان.
[١٤] ع م – له.

بأبي أنت، أرأيتَ إسكاتَك[1] بين التكبير والقراءة، أخبرني ما تقول؟ قال:«أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي[2] كما باعدت بين المشرق والمغرب»،[3] وغير ذلك من الدعوات. فقال هذا القائل: قد سمى النبي القارئ مخفيا ساكتا، والصامت مثل الساكت، فيجوز أن يسمى صامتا، وهو أن يقرأ مخفيا كما يسمى ساكتا. قال القُمِّي:[4] غلط هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت، لأن الأسماء لا تقاس، وإنما يطلق في كل واحد منهما ما أطلقته اللغة فيه. ومما يبين غلطه أن الله يقول: **فاستمعوا له وأنصتوا**، فلو كان القارئ مخفيا يسمى صامتا ناصتا ما كان مستمعا، وإنما يكون مستمعا صامتا إذا صمت فلم يقرأ، فمن أطلق له أن يقرأ والإمام يقرأ[5] فلم يستمع ولا أنصت. ومما يدل على غلطه أيضا أن العلماء جميعا[6] ينهون المؤتم عن القراءة وإمامه يجهر بالقراءة. وإنما يأمره[7] من يأمره بالقراءة خلف الإمام أن يقرأ إذا سكت إمامه، ويأمر هؤلاء الإمام أن يقف ساعة إذا فرغ من قراءته[8] حتى يقرأ المؤتَمُّون. فلو كانوا يجعلون القارئ في نفسه -والإمام يقرأ جهرا- صامتا ما أمروه[9] بتأخير القراءة حتى يفرغ إمامه من القراءة. فهذا يبين غلط المستدل بحديث أبي هريرة في استدلاله. ومما يدل أن المؤتم[10] منهي عن أن يقرأ والإمام يجهر ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة، -نظن[11] أنها الصبح-[12] فلما سلم أقبل على الناس وقال:[13] هل يقرأ منكم أحد؟[14] فقال رجل: أنا، فقال النبي:

---

[1] جميع النسخ: سكاتك.

[2] ك: خطاي.

[3] ع م: بين المغرب والمشرق. صحيح *البخاري*، الأذان ٨٩؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٤٧.

[4] لعله علي بن موسى بن يَزْداد -وقيل: يزيد- القُمِّي، صاحب *أحكام القرآن*، إمام الحنفية في عصره، سمع محمد بن حُمَيد الرازي وغيره، روى عنه أبو الفضل أحمد بن أحمد الكاغدي وغيره، وتوفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م. انظر: *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ٣٨٠/١؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٢٣٦/١٤.

[5] ع - والإمام يقرأ.

[6] ن - جميعا.

[7] م: يأمر.

[8] ك: من القراءة.

[9] جميع النسخ: ما أمره.

[10] م: وما يدل على أن المؤتم منهم.

[11] جميع النسخ: فظن.

[12] هذا من كلام الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[13] ع م: قال.

[14] م: أحد منكم.

«إني أقول: ما لي أُنازَع القرآنَ»، قال أبو هريرة: فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي.[١] فقال قوم: إن أبا هريرة قال: انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه. فيقال: إن أبا هريرة لم يرو ذلك عن النبي. ثم مما يدل على أن[٢] المؤتم لا يقرأ[٣] -جهر الإمام أو خافت- قول النبي: «ما لي أُنازَع القرآن»، وقد علمنا أن المؤتم لم يجهر بقراءته فيتأولَ متأولٌ منازعته النبي[٤] عليه السلام على أنه شُغِل، فلا وجه لقوله: «ما لي أنازع القرآن»، إلا بنهيه[٥] المؤتم عن أن يقرأ، جهَرَ إمامه أو خافت. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الإمام فيما جهر[٦] فيه أو خافت. [من ذلك] ما روي عن عِمْران أن النبي[٧] صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الظهر، فلما قضى صلاته قال: «أيكم قرأ[٨] بِسَبِّحِ[٩] اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى؟»،[١٠] فقال بعض الناس: أنا يا رسول الله، فقال: «قد عرفت أن بعضكم خالَجَنِيها»،[١١] فبيَّن عِمْران بن حُصَين أن الرجل خافت بقراءته، ودل أن النهي الذي رواه أبو هريرة لم يكن في حال جهر الإمام دون مخافتته، وأن المؤتم منهي عن القراءة خلف الإمام في كل الصلوات.[١٢] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الإمام أحاديث كثيرة. [منها] ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه،[١٣] وما روي عن عبد الله قال:[١٤] كنا نقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله[١٥] صلى الله عليه وسلم: «خَلَطتم عليّ القرآن».[١٦]

---

[١] *سنن أبي داود*، الصلاة ١٣٢-١٣٣؛ *وسنن الترمذي*، الصلاة ١١٦ وحسّنه الترمذي.
[٢] م: مما يدل أن.
[٣] م: لا يجهر يقرأ.
[٤] ن: النهي.
[٥] ن ع: إلا بنهية.
[٦] م: فيما يجهر.
[٧] ن – ما يبين النهي عن القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه أو خافت ما روي عن عمران أن النبي.
[٨] ع – قرأ
[٩] ك: سبح.
[١٠] سورة الأعلى، ١/٨٧.
[١١] *صحيح مسلم*، الصلاة ٤٧؛ *وسنن أبي داود*، الصلاة ١٣٣-١٣٤ وخالج أي نازع (*لسان العرب* لابن منظور، «خلج»).
[١٢] ع: الصلوة.
[١٣] ع – عنه.
[١٤] ع م – قال.
[١٥] ك ن: النبي.
[١٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٥١/١؛ إلا أنه قال: كانوا يقرءون... وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ١١٠/٢).

فإن قيل: لعلهم كانوا يجهرون بالقرآن،[1] فنهي عن الجهر؟

قيل له: لم يُنقَل لنا[2] في شيء من الأخبار أن المؤتمين كانوا يقرءون جهرا، ولو كانوا[3] يقرءون جاهرين لأُدِيَ ذلك إلينا كما أُدِيَ أنهم كانوا يقرءون.[4] وفي ذلك وجه آخر، أنه لم يكن النهي عن الجهر خاصة، ولكن عن القراءة نفسها.[5] روي[6] عن أبي وائل قال: سألت عبد الله بن مسعود[7] عن القراءة خلف الإمام، فقال: أنصت، فإن في الصلاة شغلا، وسيكفيك ذلك الإمام.[8] وعن عبد الله بن[9] شدّاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة».[10] وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى[11] ورجل خلفه يقرأ، فنهاه رجل من أصحاب النبي عن القراءة في الصلاة، فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي عليه السلام، فقال:[12] «من صلى خلف إمام فقراءة الإمام له قراءة».[13] وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وإذا قرأ الإمام فأنصتوا».[14] وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[15] «إنما جعل الإمام ليؤتم به،[16] فإذا كبر فكبروا،

---

[1] ك: القرآن.

[2] جميع النسخ: لم ينقلنا.

[3] ع: ولو كان.

[4] ن - في شيء من الأخبار أن المؤتمين كانوا يقرءون جهرا ولو كانوا يقرءون جاهرين لأدي ذلك إلينا كما أدي أنهم كانوا يقرءون.

[5] جميع النسخ: للقراءة نفسه.

[6] جميع النسخ: ما روي.

[7] ع: عبد الله مسعود.

[8] *المصنف* لعبد الرزاق، ١٣٨/٢؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٣٠/١؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ٢٦٤/٩؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله مُوَثَّقون» (*مجمع الزوائد*، ١١١/٢).

[9] ك م: عبد الله ابن.

[10] روي مرسلا عن عبد الله بن شداد، وروي عن عبد الله بن شداد عن جابر رضي الله عنه موصولا؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٣٠/١، ٣٣١؛ وسنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ وسنن *الدارقطني*، ٣٢٣/١. والحديث فيه كلام طويل، وله طرق يشد بعضها بعضا؛ انظر للتفصيل: *نصب الراية* للزيلعي، ٦/٢-١١.

[11] م - صلى.

[12] ن ع - فقال.

[13] أخرجه ابن عدي؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ١٠٩/٢.

[14] سنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٧٧-١٧٨.

[15] ن ع + قال.

[16] ن - به.

وإذا قرأ فأنصتوا»،[١] وغير ذلك من الأحاديث. وأكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا رحمهم الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن»،[٢] يرويه عبادة بن الصامت. قال سفيان: هذا عندنا فيمن يصلي وحده.[٣] فذلك[٤] محتمل. والأحاديثُ التي جاءت مفسّرةً في النهي عن القراءة خلف الإمام.

فإن قال: يترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه إمامه بحديث أبي هريرة، ويقرأ فيما يُخافِت بحديث عبادة بن الصامت، ليصلح حديث أبي هريرة وحديث عبادة جميعا.

[٢٧٩و] قيل له: فهلّا جعلته في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث / عمران بن حصين، لأن حديث عمران بن حصين[٥] ينهى عن القراءة[٦] خلف الإمام[٧] فيما خافت، وحديث أبي هريرة عن القراءة فيما جهر به.[٨] فإن جعلت حديث[٩] أبي هريرة خارجا عن عموم[١٠] حديث عبادة فذلك يوجب أن لا يقرأ المؤتم فيما جهر[١١] فيه إمامه أو خافت.[١٢] ويقال له: هل رأيت فرضا من فرائض الصلاة بمسقّط عن المؤتم في حال، ويجب عليه في حال؟ فإن قال: لا، قيل: ففي إسقاطك تلك القراءة عنه في حال الجهر ما أوجب عليك أن تسقطها عنه في حال المخافتة.[١٣]

---

[١] *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٦٨.

[٢] *صحيح البخاري*، الأذان ٩٥؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٣٦.

[٣] انظر: *سنن أبي داود*، الصلاة ١٣١-١٣٢. والقائل هو سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي مولاهم، الكوفي، أحد الأعلام، من حفاظ الحديث المشهورين، وهو من فقهاء المحدثين. قال سفيان: دخلت الكوفة و لم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظُ عِلم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأول من صيّرني محدثا أبو حنيفة. مات سنة ١٩٨هـ/٨١٣م. انظر: *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ١/٢٥٠؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٨/٤٥٤-٤٧٥؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٢٤٥.

[٤] ن + فذلك.

[٥] ع م – بن حصين.

[٦] ع: عن القرآن.

[٧] ع م – خلف الإمام.

[٨] ن: جهر فيه؛ ع م: يجهر فيه.

[٩] ن: جعلت.

[١٠] ك: من عموم.

[١١] ك + به؛ ع م: فيما يجهر.

[١٢] ع: إمامة وخافت؛ م: وحافت.

[١٣] ع م: المحافة.

وقد احتج بعض أصحابنا في ذلك بأن قالوا: وجدنا الرجل إذا جاء إلى الإمام وهو راكع فكبر ودخل في صلاته ولم يقرأ فكلٌ يُجمِع أن صلاته تجزئه، فدل ذلك على أن[1] القراءة غير فرض عليه. فإن قال: إنما أطلق له ذلك للضرورة، قيل: لو جاء إلى الإمام وهو ساجد لم يعتدّ بتلك الركعة، والضرورة قائمة، فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لأزالت الركوع عمّن لحق إمامه وهو ساجد، فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق إمامه راكعا،[2] ولكن لا يلزمه[3] القراءة خلف الإمام، فلذلك أَجْزَتْه صلاتُه،[4] لا للضرورة[5] التي ذكرت. **والله أعلم.**

وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم قالوا: لا قراءة على من تخلّف الإمام، منهم علي وابن مسعود وجابر وسعد[6] وأبو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت[7] رضي الله عنهم. أما عن علي رضي الله عنه قال: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. وعن عبد الله قال:[8] من قرأ خلف الإمام مُلِئَ فُوه ترابا. وعن زيد بن[9] ثابت قال: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له. وعن سعد قال: وَدِدت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فمه جمرةٌ. وعن ابن عمر [أنه] كان إذا سئل[10] هل يقرأ أحد خلف الإمام قال: لا، فإذا صلى أحدكم وحده فليقرأ. وكان ابن عمر لا يقرأ خلف الإمام.[11] وعن أبي سعيد أنه سئل عن القراءة خلف الإمام، قال: يكفيك ذلك الإمام. وعن ابن عباس أن رجلا سأله: أقرأ خلف الإمام؟ قال: لا.[12] إلى مثل هذه الأحاديث ذهب أصحابنا، وعلى ذلك دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.[13] **وبالله التوفيق.**

---

[1] ع م: ذلك أن.
[2] ع م - راكعا.
[3] ع: لا يلزم.
[4] ن - وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق إمامه راكعا ولكن لا يلزمه القراءة خلف الإمام فلذلك أجزته صلاته.
[5] م: صلاته للضرورة.
[6] ع م - وسعد.
[7] ع - وزيد بن ثابت.
[8] ك - قال.
[9] م: زيد ابن.
[10] ن + عن ابن عمر.
[11] *الموطأ* للإمام مالك، الصلاة ٤٣.
[12] انظر للآثار المذكورة مجموعة: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٣٠-٣٣١؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٢١٩-٢٢٠؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ٢/١٢-١٣.
[13] روي عن عدد من الصحابة خلاف ذلك، فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وإنما يثبت ذلك [أي عدم القراءة] عن ابن عمر وجابر وزيد بن ثابت وابن مسعود، وجاء عن سعد وعمر وابن عباس وعلي... وقد أثبت البخاري عن عمر وأبي بن كعب وحذيفة وأبي هريرة وعائشة وعبادة وأبي سعيد في آخرين القراءة خلف الإمام» (*الدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ١/١٦٤).

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢٠٥]

وقوله عز وجل: **واذكر ربك في نفسك تضرُّعا وخِيفة ودون الجهر من القول بالغُدُوّ والآصال**، اختلف أهل التأويل في الذكر الذي ذكر في الآية. منهم من صرف التأويل إلى كل ذكر. ومنهم من صرف إلى التلاوة. فإن كان ذكر **الغدو والآصال** كناية عن الليل والنهار[١] فهو ذكر أحواله.[٢] يَذكُر اللهَ عز وجل بنعمه[٣] وإحسانه، وذِكْرُه بنِعَمِه شُكْرُه. أو يَذكُره[٤] بقدرته وسلطانه، وذلك يحمله[٥] على الخضوع له والتواضع. أو يَذكُر أمره ونهيه ووعده ووعيده، وذلك يوجب الإقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبةَ في وعده. كأنه قال: **واذكر ربك** في كل[٦] حال من الليل والنهار، [فهو] إما شكر نعمته[٧] وإحسانِه، وإما الإقرار بالتقصير في أمره ونهيه، وإما الخوف لوعيده، والرغبة[٨] لوعده. فكأنه قال: اذكر ربك **تضرُّعا**، متواضعا،[٩] **وخِيفة**، مع الخوف. وإن كان تأويل **الغدو والآصال** كناية عن الغداة والعشي، فهو كناية عن التلاوة. وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ،[١٠] وقوله: هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ.[١١] وهو كقوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا.[١٢] وتأويله –والله أعلم– وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ، في بعض صلاتك، وَلَا تُخَافِتْ في بعضها. أو أن يقال: لا تجهر جهر العالي، ولا تخافت غاية المخافتة، ولكن بين ذلك. أو أن يقول: لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة، ولكن اقرأ لما فيه. فعلى ذلك قوله:[١٣] **واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال.**

---

[١] ع: والنها.
[٢] وعبارة الشارح هكذا: «فإن كان ذكر الغدو والآصال كناية عن الليل والنهار فهو أمر بأن يذكر الله تعالى في جميع أحواله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢١ظ).
[٣] ن: وبنعمه.
[٤] جميع النسخ: أو يذكر.
[٥] ع م: يحتمله.
[٦] ك – كل.
[٧] جميع النسخ: النعمة.
[٨] جميع النسخ: وإما الرغبة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٢و.
[٩] ع م: وتواضعا.
[١٠] الآية السابقة.
[١١] سورة الأعراف، ٢٠٣/٧.
[١٢] ﴿ولا تَجْهَرْ بصلاتك ولا تُخافت بها وابْتَغِ بين ذلك سبيلا﴾ (سورة الإسراء، ١١٠/١٧).
[١٣] ك – قوله.

وقرأ بعضهم: وخُفْيَة،[1] وهو من الإخفاء، حيث قال: **واذكر ربك في نفسك**. وأما ظاهر القراءة فهو: **خِيفة**،[2] وهو من الخوف. وقال مجاهد: رخص الله أن تذكره **في نفسك تضرعا وخيفة** وأنت خلف الإمام تسمع قراءته. **والآصالِ**، قال أبو عَوْسَجة: العَشِيّات، الواحد أُصُل وأَصِيل.[3]

وقوله عز وجل: **ولاتكن من الغافلين**، معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين في حال، ولكن على النهي لأمته، كقوله: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[4] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[5] ونحوه. نهاه أن لا يكوننّ[6] ما ذكر لما ذكرنا نَهْيًا لغيره. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٢٠٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**، قالت المشبهة: لو لم يكن بين الله وبين الملائكة قُرْب الذات لكانوا هم والبشر بقوله: **عند ربك**، سواء، [و]لكان[7] لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك. لكن التأويل عندنا في قوله: **عند ربك**، في الطاعة له[8] والخضوع، أو في الكرامة والمنزلة. ليس على قرب الذات، ولكن على ما وصف عز وجل: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[9] وقوله: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،[10] وصفهم بالطاعة له والخضوع. فعلى ذلك الأول، ليس على قرب الذات، ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع. ألا ترى أنه / قال: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ،[11] ليس على أنه في الأرض يقترب[12] [٢٧٩ظ]
منه إذا سجد. وأصل ما يضاف إلى الله من جزئية[13] الأشياء يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات،[14]

---

[1] ن ع م: وخيفة. وهي قراءة شاذة.
[2] أي القراءة المعروفة المتواترة هي: خِيفَة.
[3] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أصل».
[4] سورة البقرة، ٢/١٤٧؛ وسورة يونس، ١٠/٩٤.
[5] سورة الأنعام، ٦/١٤؛ وسورة يونس، ١٠/١٠٥؛ وسورة القصص، ٢٨/٨٧.
[6] ع م: أن يكونن.
[7] م: لكن.
[8] ن ع م – له.
[9] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[10] سورة الأنبياء، ٢١/١٩–٢٠.
[11] سورة العلق، ٩٦/١٩.
[12] ك: يقرب.
[13] ك: من جروية؛ ن: من جزوية.
[14] ن: الجزوية؛ ع: الجزويات.

كقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[١] خصّ المساجد بالإضافة إليه وإن كانت[٢] البقاع كلها له تعظيما لها. وكذلك قولهم:[٣] الكعبة بيت الله، وإن كانت البيوت كلها له، ونحو ذلك مما أضاف ذلك إلى نفسه من جزئيات[٤] الأشياء تعظيما لذلك وإجلالا. فعلى ذلك الأول، أضافهم إلى نفسه إما لطاعتهم إياه وخضوعهم له،[٥] وإما للكرامة[٦] لهم والمنزلة. وإضافة كلية الأشياء إلى الله تخرج[٧] مخرج تعظيم الرب. من ذلك قوله: لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،[٨] وقوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[٩] وقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[١٠]

ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية. لكنا[١١] نقول: إن الأفضل عند الله الأطوعُ له[١٢] والأخضع والأتقى والأقوم لأمره ونهيه على ما ذكر:[١٣] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ،[١٤] [و]لا تشير [الآية] إلى أن هؤلاء أفضل من هؤلاء. وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[١٥]

وتأويل الآية -والله أعلم- في قوله: **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**، الآية، أي إنهم وإن لم يكن لهم حاجة إلى المأكل والمشرب وأنواع الحاجات **لا يستكبرون عن عبادته**، فأنتم مع حاجتكم إلى الأكل والشرب وأنواع الحوائج أحرى وأولى أن لا تستكبروا[١٦] عن عبادته. أو أن يقول: إن الذين تعبدون[١٧] من الملائكة **لا يستكبرون عن عبادته**، فأنتم أحق[١٨] أن لا تستكبروا عن عبادته، لأن من الناس من يعبد الملائكة، فخرج هذا[١٩] جواب ذلك. ***والله أعلم.***

---

[١] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[٢] م: وإن وإن كانت.
[٣] جميع النسخ: قوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] ن ع: من جزويات.
[٥] ك ن م: لطاعة لهم إياه والخضوع؛ ع: الطاعة لهم إياه والخضوع.
[٦] ع: الكرامة؛ م: لكرامة.
[٧] م: يخرج.
[٨] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٩] سورة المائدة، ١٢٠/٥؛ وغيرها.
[١٠] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وغيرها.
[١١] م: لكن.
[١٢] ن - له.
[١٣] ع م: ما ذكرنا.
[١٤] سورة الحجرات، ١٣/٤٩.
[١٥] انظر تفسير الآية من سورة النساء ١٧٢/٤.
[١٦] ع: لا تستكبرون.
[١٧] ع م: يعبدون.
[١٨] م - أحق.
[١٩] ن + ذلك.

وقوله عز وجل: **ويسبحونه**، التسبيح هو وصف الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الأشباه والأمثال وعما وصفه الملحدون. والتسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق.

وقوله عز وجل: **وله يسجدون**، السجود[1] هو الخضوع في الغاية.

وليس في الآية دليل وجوب السجدة على من تلاها أو سمعها، إنما فيها الإخبار عن الساجدين أنهم سجدوا غير مستكبرين، وفي ذلك ترغيب في السجود. إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم رُوي عنه[2] أنه سجد، وسجد من معه. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد، ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضعا يسجد فيه.[3] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[4] رأيت النبي[5] صلى الله عليه وسلم سجد في ص.[6] وفي بعض الأخبار عن ابن عمر قال: كان رسول الله يقرأ القرآن في غير صلاة فيسجد، ونسجد معه.[7] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد فيها، ولم يبق معه أحد إلا سجد، إلا شيخ كبير من قريش، أخذ كفًا من حصىً[8] فرفع إلى جبهته، فلقد رأيته قُتِل كافرا.[9] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ذكر سجود القرآن أو عَدّ فقال: الأعراف والرعد والنحل وبنو إسرائيل[10] ومريم والحج سجدة واحدةً، والفرقان وطس[11] والم تنزيل[12] وص وحم تنزيل،[13]

---

[1] ن ع م – السجود.

[2] م – عنه.

[3] *صحيح البخاري*، سجود القرآن ٩؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٣.

[4] ع م – قال.

[5] ن – يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال رأيت النبي.

[6] *صحيح البخاري*، الأنبياء ٣٩؛ وسنن *أبي داود*، سجود القرآن ٥؛ وسنن *الترمذي*، الجمعة ٥٣.

[7] انظر مصادر الحديث المروي عن ابن عمر قبل قليل.

[8] ك ع م: من حص؛ ن: من حص.

[9] *صحيح البخاري*، سجود القرآن ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٥.

[10] جميع النسخ: وبني إسرائيل. أي سورة الإسراء.

[11] أي سورة النمل.

[12] ك – تنزيل. أي سورة السجدة.

[13] ع م – تنزيل. أي سورة فصّلت.

وقال: وليس في المُفَصَّل[١] سجود.[٢] وعن ابن مسعود قال في السورة يكون في آخرها السجدة نحو الأعراف والنجم: إن شئت فاسجد ثم قم فاقرأ، وإن شئت فاركع.[٣] وعن ابن مسعود [أنه] كان يسجد في الأعراف وفي بني إسرائيل والنجم و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[٤] و اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.[٥] واحتج بعض مشايخنا [على] أن السجود على من تلا آية السجدة واجب بما أجمع[٦] أهل العلم أن على المصلي إذا تلا الآية فيها السجدة أن يسجد في صلاته، فلو كان السجود تطوعا ما كان لأحد أن يزيد في صلاته ما ليس منها، فدل ذلك على أن السجود واجب في الصلاة، وإذا كان في الصلاة واجبا[٧] فهو على كل حال واجب. ومن الحجة لنا أيضا ما روي[٨] أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ آيات فسجد فيها، فكان السجود بها واجبا، كما أنه لمّا صلى صلاة العيدين كانت واجبة.[٩]

---

[١] المُفَصَّل قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه. وآخره سورة الناس، وفي أوله اثنا عشر قولا، أشهرها أنه سورة ق (٥٠)، أو سورة الحجرات (٤٩)، وقيل غير ذلك. انظر: *البرهان في علوم القرآن* للزركشي، ١/٢٤٥؛ *والإتقان في علوم القرآن* للسيوطي، ١/١٣٩.

[٢] *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٧٧. وروي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحوّل إلى المدينة. انظر: *سنن أبي داود*، سجود القرآن ٢.

[٣] روي بمعناه؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٨٠.

[٤] سورة الانشقاق، ٨٤/١.

[٥] سورة العلق، ٩٦/١. وانظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٧٧.

[٦] جميع النسخ: ما أجمع.

[٧] م: واجبا في الصلاة.

[٨] ع: أيضا روي.

[٩] «إذ مواظبته على الشيء دليل الوجوب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٢و).

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[١]

قوله عز وجل: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**، اختلف فيه. قال بعضهم: **الأنفال** هي المغانم التي يغنمها المسلمون من أهل الحرب. وقال بعضهم: **الأنفال هي الفُضُول** عن حقوق أصحاب الغنائم.[١] فإن كانت **الأنفال** الغنائم فالسؤال يحتمل وجهين. يحتمل[٢] أنهم سألوا عن حِلّها وحرمتها، لأن الغنائم كانت لا تحلّ في الابتداء. قيل: إنهم كانوا يغنمونها ويجمعون في موضع فتجيء[٣] نار فتحرقها.[٤] سألوا[٥] عن حِلّها وحرمتها، فقال: **الأنفال لله والرسول**، أي الحكم فيها لله، يجعلها لمن يشاء. ويحتمل السؤال عنها عن قسمتها. وهو ما روي في بعض القصة أن الناس كانوا يوم بدر ثلاثةَ أَثْـلَاث، ثُلث في نَحْر العدو، وثُلث[٦] خَلْفهم رِدْء لهم، وثُلث مع رسول الله يحرسونه. فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم. فقال الذين كانوا في نحر العدو: نحن[٧] أحق بالغنائم، نحن وَلِينا القتال. وقال الذين كانوا رِدْءً لهم: لستم بأولى بها[٨] منا، وكنا لكم رِدْءً. وقال الذين أقاموا مع رسول الله:

---

[١] نَفَّلْت فلانا تنفيلا: أعطيته نَفَلا وغُنْما... و نَفَّل الإمام الجند: جعل لهم ما غَنِموا... والنَّفَل: الغنيمة والهبة والزيادة التي يجعلها الإمام للجنود تشجيعا لهم... والجمع أَنْفَال (*لسان العرب* لابن منظور، «نفل»).

[٢] ك: ويحتمل.

[٣] جميع النسخ: فجاءت.

[٤] كان ذلك في الأمم الماضية قبل أمتنا؛ انظر: صحيح *البخاري*، فرض الخمس ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣٢.

[٥] ك:فسألوا.

[٦] ك: وثلثهم.

[٧] ع: ونحن.

[٨] ع م – بها.

[٢٨٠و] لستم بأحق[1] بها منا، كنا نحن حرسا لرسول الله. فتنازعوا / فيها إلى رسول الله. فنزل: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول.**[2] وقال أبو أُمامة الباهلي: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال:[3] فينا نزلت[4] معشرَ أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله، فقسمه على السواء.[5] ومجاهد وعكرمة قالا: كانت **الأنفال لله والرسول**، فنسخها: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.[6] وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الأنفال** المغانم، كانت لرسول الله خالصة، ليس لأحد فيها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أَتَوْه به، فمن حبس منه إبرة أو سِلْكا فهو غُلُول، فسألوا[7] رسول[8] الله صلى الله عليه وسلم أن[9] يعطيهم منها، فقال: **قل الأنفال لله والرسول**، ليس لكم فيها شيء.[10] ويحتمل أن يكون **الأنفال** هي فضول المغانم على ما قال بعضهم. نحو ما روي في الأخبار أن منهم من أخذ[11] كُبَّة[12] فقال: اجعلها لي يا رسول الله، وأخذ الآخر سيفا وقال: اجعلها لي، ونحو ذلك، كانوا يسألون رسول الله ذلك،

[1] ع: بحق.
[2] روي نحو ذلك عن عبادة بن الصامت، وابن عباس، وابن جريج؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٥؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٤٤–١٤٥؛ و*تفسير الطبري*، ١٧٢/٩، ١٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤، ٦؛ وذكر الهيثمي أن رواة أحمد ثقات؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٦/٧.
[3] ع – قال.
[4] م: زلت.
[5] ع م: على السوال. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٢/٥؛ و*تفسير الطبري*، ١٧٢/٩–١٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤؛ وذكر الهيثمي أن رواة أحمد ثقات؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٦/٧.
[6] سورة الأنفال، ٤١/٨. انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٥/٩، ١٧٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٩/٤.
[7] م – فسألوا.
[8] م: ولرسول.
[9] ع: وسلم عليهم.
[10] انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٣/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤.
[11] ع – أخذ.
[12] جميع النسخ هكذا. والكُبّة تأتي بمعنى الإبل العظيمة؛ وليس لها معنى آخر يناسب هذا السياق؛ انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «كبب». و لم أجد ذلك في الروايات. وقد وردت لفظة "ذا الكتيفة" في رواية لحديث سعد رضي الله عنه. فلعلها هي. عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم بدر قُتِل أخي عُمَير، وقَتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكَتِيفة، فأتيت به نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «اذهب فاطرحه في القَبَض»، قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سَلَبي. قال: فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فخذ سيفك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٠/١). والله أعلم. والسيف الكَتِيف أي العَرِيض (*لسان العرب* لابن منظور، «كتف»).

فقال: **قل الأنفال لله والرسول.**[١] ويحتمل[٢] أن يكون سؤالهم عن التنفيل، أن يُنَـفِّلَهم الرسول بعد ما وقع في أيديهم، أو بعد ما انهزم الكفار وأدبر العدو، وإنما يجوز للإمام التنفيل في حال إقبال الحرب. وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: النَّـفَل ما لم يلتق الزحفان أو الصفان، فإذا التقيا فهو مَغْنَم.[٣] وروي عن مصعب بن سعد [عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه] قال: نزلت فيَّ أربعُ آيات -يُرَى[٤] أنه يوم بدر- أَصَبْتُ سيفا، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: نَـفِّلْنِيه، فقال: «ضعه»، ثم قام، فقلت: يا نبي الله، نَـفِّلْنِيه، أُجْعَل كمَن لا عمل له؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ضعه من حيث أخذته»، فنزلت هذه الآية: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول،** ثم قال سعد: دعاني رسول الله، فقال: «اذهب فخذ سيفك».[٥] فدل حديث سعد أن النبي لم يُنَفِّل قبل الحرب أحدا[٦] منهم مالاً[٧] يأخذه، لأنه لو كان نَـفَّلهم لم يمنع سعدا[٨] رضي الله عنه السيف الذي جاء به. ويدل على أن النبي لم يأمر في الغنيمة بشيء حتى نزلت آية النَّـفَل، فرد الله الأمر في الغنيمة إلى رسوله، فأطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رُدَّ الأمر [إليه]. ويجوز أن يكون النبي لم يُنَفِّل أحدا قبل الحرب شيئا، ولكنه كان يُنفِّل مما يؤتَى به من شاء[٩] ممن قَتَل، بغير إيجاب متقدم، بيّن ذلك[١٠] قول سعد: أُجْعَل كمن لا عمل[١١] له؟ وحديث[١٢] عبادة يخبر أن النبي نَفَّل ما يأخذون من أهل الحرب قبل أن يأخذوه. فهذا[١٣] موضع الاختلاف بين الحديثين.

---

١ روي نحو ذلك عن سعيد بن أبي وقاص؛ انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٣٣؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨؛ وتفسير *الطبري*، ١٧٣/٩.

٢ ع: يحتمل.

٣ *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٩٩/٦.

٤ أي يظن ذلك. والله أعلم. ولا توجد كلمة "يرى" في مصادر الرواية.

٥ مسند *أحمد بن حنبل*، ١٨٠/١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣٤.

٦ جميع النسخ + شيئا.

٧ جميع النسخ: منه مما لا يأخذه.

٨ ن: سعد.

٩ ع: من يشاء؛ م: من يشاء.

١٠ م: يبين ذلك.

١١ م: لا عمله.

١٢ ن: ووحديث.

١٣ م: وهذا.

والظاهر من ذلك أن النَّفَل[1] قد كان وقع في الغنائم، لأن الله قد سماها أنفالا قبل أن يُحِلّها، فلو لا أن النبي كان[2] نَفَّلهم إياها قبل الحرب أو بعدها لم يسم الله أنفالا. *والله أعلم*. وفي حديث[3] عُبادة أن قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ،[4] نزل[5] بعد ذكر النَّفَل، وأنه الحكم[6] الناسخ الثابت.[7] وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك.[8] وقد أجمع أهل العلم على ما ذكره عبادة في آخر حديثه، فقالوا جميعا: إن الغنيمة يُخرَج خُمسها[9] للأصناف الذين ذكرهم الله،[10] إلا ما اختلفوا فيه من سهم ذوي القربى،[11] ثم تُقسَم[12] الأربعة الأخماس[13] بين أهل القسمة. وجعَلوا للإمام أن يَنفِّل السَّلَب[14] وغيره، فيقولَ: «مَن قَتَل قَتِيلا فله سَلَبُه»،[15] يُحرِض بذلك المُقاتِلة، ويُنَفِّلَ السَّرِيَّة تخرج[16] من العسكر[17] شيئا بعد الخُمس. ومما أجمعوا عليه قسمة[18] الغنيمة أخماسا لنزول[19] القرآن [بذلك]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الغنيمة لم تَحِلّ[20] لأحد قبلنا، وقد أُحِلَّت لنا».[21]

---

[1] جميع النسخ: الفعل.
[2] ن – كان.
[3] ع: وفي الحديث.
[4] سورة الأنفال، ٨/٤١.
[5] ع م: ذكر.
[6] ع م: وأنه حكم.
[7] أخرجه ابن مَرْدَوَيْه عن عبادة بن الصامت؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧١.
[8] *تفسير الطبري*، ٩/١٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٨.
[9] ن: خمسه.
[10] أي الذين ذكروا في الآية: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٤).
[11] م: ذو القربى.
[12] ن – يقسم، صح، هـ؛ ن + يقيم؛ ع م: ثم يقسم.
[13] ك: اخماس.
[14] السَّلَب: هو ما يأخذه المُقاتِل من عدوّه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب وغيرها (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «سلب»).
[15] وهو لفظ حديث نبوي؛ انظر: صحيح *البخاري* فرض الخمس ١٨؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٤١.
[16] ن ع م: يخرج.
[17] ن: عن العسكر.
[18] جميع النسخ: عليه من قسمة.
[19] جميع النسخ: نزول.
[20] ع: لم تحمل.
[21] روي بمعناه؛ انظر: صحيح *البخاري*، فرض الخمس ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣٢.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تَحِلّ الغنيمة لقومٍ سُودِ الرءوس[١] قبلكم، كانت[٢] تنزل نار[٣] من السماء فتأكلها»، فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم، فأنزل الله تعالى: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا،[٤] ونحو ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الأنفال**، يحتمل وجوها. أحدها **يسألونك** عمن له **الأنفال**، فقال: **قل الأنفال لله والرسول**. والثاني **يسألونك**[٥] **الأنفال**، على إسقاط "عَنْ"، وقد كانوا يسألون[٦] **الأنفال** والمغانم. والثالث يسأل كلٌّ عن نَفَله[٧] الذي جُعِل له. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله وأصلحوا**، قال أهل التأويل: **اتقوا الله** في أخذ **الأنفال**، ولكن في **الأنفال** وفي غيرها **اتقوا**[٨] معصية الله ومخالفته في أمره ونهيه. **وأصلحوا ذات بينكم**، أمر بإصلاح ذات البين، لما ذكر من عظيم[٩] مِنّته ونِعَمه التي أنعم عليهم، بقوله: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[١٠] أخبر أنهم كانوا أعداء فألّف بين قلوبهم،[١١] وذلك من[١٢] عظيم نعمه عليهم. فأمر هاهنا بإصلاح ذات البين ليكونوا على النعمة التي أنعمها عليهم مجتمعين غير متفرّقين.

وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله ورسوله**، أي **أطيعوا الله**،[١٣] في أمره ونهيه، **ورسوله**، / في آدابه وسننه، **إن كنتم مؤمنين**. أو يقول: **أطيعوا الله**، فيما دعاكم إليه ورغّبكم فيه، **ورسوله**، فيما بين لكم، **إن كنتم مؤمنين**، يعني مصدّقين به. [٢٨٠ظ]

---

[١] م: الرأس. «والمراد بسود الرءوس بنو آدم، لأن رءوسهم سود» (*تحفة الأحوذي* للمباركفوري، ٣٧٧/٨).
[٢] ن + تترك.
[٣] م: نار تنزل.
[٤] سورة الأنفال، ٦٨/٨-٦٩. وانظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٢/٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨. وصححه الترمذي.
[٥] م + عن.
[٦] ن ع م: يسألونك.
[٧] جميع النسخ: عن نفل له.
[٨] ن: واتقوا.
[٩] ن: من عظم.
[١٠] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[١١] ن - قلوبهم؛ ع م: قلوبكم.
[١٢] ع + أمر.
[١٣] ن + ورسوله.

**﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلت قلوبهم**، إلى آخر ما ذكر، يحتمل وجوها. [الأول] يحتمل قوله: **إنما المؤمنون الذين** حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال. والثاني[١] **إنما المؤمنون الذين** ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الأفعال مِن وَجَل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه. ليس[٢] كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في إيمانهم،[٣] كما وصفهم في آية أخرى، حيث قال: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى،[٤] وكانوا إذا أنفقوا أنفقوا كارهين،[٥] وكانوا لا يذكرون الله إلا قليلا مراءاة للناس.[٦] وأما المؤمنون فهم الذين يقومون بوفاء ذلك كله حقيقة، فيظهر صدقهم بذلك. وهو ما وصفهم في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.[٧] و[الثالث] يحتمل[٨] أن يكون على الاعتقاد خاصة، ليس على نفس العمل، كأنه قال: **إنما المؤمنون الذين** اعتقدوا في إيمانهم ما ذكر مِن وَجَل القلوب، والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه. وما يرتكب المؤمن من المعاصي إنما يرتكب عن جهالة، ثم يتوب عن قريب، كقوله: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ،[٩] يرتكب ذلك إما لغلبة[١٠] شهوة، أو يعتقد التوبة من بعده، أو يرجو[١١] رحمة الله وفضله[١٢] في العفو عن ذلك.

---

[١] ع – قوله إنما المؤمنون الذين حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال والثاني؛ م – إنما المؤمنون الذين حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال والثاني.
[٢] ن – ليس، صح هـ.
[٣] م: في إيمانكم نهم.
[٤] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[٥] ﴿وما مَنَعهم أنْ تُقْبَل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (سورة التوبة، ٥٤/٩).
[٦] ﴿إن المنافقين يُخَادِعون الله وهو خادِعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالَى يُرَاءُون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).
[٧] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.
[٨] ع: يحتمل.
[٩] سورة النساء، ١٧/٤.
[١٠] ن: إما العلبة.
[١١] ع: أو يرجوا.
[١٢] ع م: من فضله.

فيكون قوله: **إنما المؤمنون** [هم] الذين اعتقدوا[1] ما ذكر من الأفعال. وهو كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[2] هو على[3] الاعتقاد والقبول له، أنهم إذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلّي سبيلهم وإن لم يقيموا الصلاة وما ذكر، فعلى ذلك الأول[4] يحتمل ذلك. والرابع يحتمل قوله: **إنما المؤمنون** هم الذين فعلوا هذا وأتوا بذلك كله. لكنهم أجمعوا أنّ مَن آمن بقلبه وصدّق كان مؤمنا وإن لم يأت بغيره من الأفعال، نحو أن يؤمن ثم يُخْتَرَم[5] ويموت من ساعته، [فإنه] يموت[6] مؤمنا. فدل أنه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا، ولكن على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا.[7] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**، يخرج على وجوه. أحدها يخبر أن المؤمن[8] هو على وصف ما ذكر. أو يقول:[9] إن المؤمنين [هم] الذين ينبغي أن يكونوا ما ذكر.[10] أو يقول:[11] **إنما المؤمنون** [هم] المختارون ما ذكر. جَعَل الله تعالى ما ذكر مِن وَجَل القلب[12] وغيره عَلَما بين الذين حققوا[13] الإيمان في الظاهر والباطن وبين الذين أظهروا الإيمان وأضمروا[14] الكفر والخلاف. وكذلك ما ذكر في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا.[15]

---

[1] جميع النسخ + إيمانهم.
[2] سورة التوبة، ٩/٥.
[3] م – على.
[4] ع م: الأفعال.
[5] م: ثم يخرم. أُخْتُرِم فلان عنا: مات وذهب، واخْتَرَمَته المَنِيّة مِن بين أصحابه: أخذته من بينهم، واخْتَرَمَهم الدهر وتَخَرَّمَهم أي اقتطعهم واستأصلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «خرم»).
[6] ن ع م: مات.
[7] لعله يقصد الوجه الثاني واللذين بعده.
[8] م: أن المؤمنين.
[9] ع م: أو نقول.
[10] ن: أما ذكر.
[11] ك: أو يقولون.
[12] ع: القلوب.
[13] ك: تحققوا.
[14] ك: وأظهر ضمروا.
[15] ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ (سورة النور، ٢٤/٦٢).

وقوله عز وجل: **وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**، يحتمل قوله: **آياته**، حججه وبراهينه، **إذا تُليت عليهم** تلك[1] يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا. وأما المنافقون فإن الآيات التي تنزل[2] كانت تزداد لهم بها[3] رجسا وبُعدا؛ وأما المؤمنون[4] يزيد لهم ذلك[5] ثباتا وقوة. أو ذكر الزيادة[6] لأن للإيمان حكم التجدّد والحدوث في كل وقت وكل ساعة،[7] فإذا كان له حكم الحدوث والتجدّد فهو زيادة على ما كان، فإن شئت سميتها زيادة، وإن شئت سميتها[8] ثباتا. وقال أبو حنيفة رحمه الله: يزيد الإيمان، بالتفسير على الإيمان بالجملة، فإذا فسّروا لهم وقالوا: فلان رسول ونبي، ازداد بذلك له إيمانا، وإن كان قد آمن به بالجملة. وكذلك الإيمان بجميع الكتب والأمْر، وإنْ كُنّا نؤمن في الجملة أن له الخَلْق والأمر، فإذا عرف ذلك الأمْر ازداد له إيمانا في ذلك. *والله أعلم*. لأنّ[9] مَن آمن بالله وأنّ له الخلق والأمر فقد أتى بِعُقْدة الإيمان، فإذا جاء بالتفسير واحدا بعد واحد ازداد له إيمانا بالتفسير على إيمانه بالجملة.

وقوله عز وجل: **وعلى ربهم يتوكلون**، أي **على ربهم** يَثِقون ويعتمدون في كل أمورهم، لا يَتّكِلون[10] على غيره، إنما **يتوكلون** على الله. وليس كالمنافقين، هم إنما **يتوكلون** على النعم التي أُعطُوا، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[11] ونحو ذلك. وأما المؤمن فإنه في جميع أحواله يتوكّل على الله ومنه يخاف، وإن كان يصل ذلك إليه ويجري على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**، بحق الله الذي عليهم.

---

[1] جميع النسخ: ذلك.
[2] م: التي نزلت.
[3] م – بها.
[4] ع: وبعد فإن المؤمنون؛ م: فإن المؤمنون.
[5] ع – ذلك.
[6] ك: للزيادة.
[7] م: وساعة.
[8] ك ن ع: سميته.
[9] م + كل.
[10] ع: لا يكلمون.
[11] سورة الحج، ١١/٢٢.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **أولئك هم المؤمنون حقا**، يحتمل وجهين. يحتمل **أولئك** الذين حقّقوا إيمانهم. والثاني **أولئك** [**هم**] **المؤمنون** الذين وعد لهم وعدا **حقا**، وهو ما وعد[١] لهم من الدرجات والمغفرة، حقّ لهم ذلك الوعد. *والله أعلم*.

**لهم درجات عند ربهم**، قيل: فضائل **عند ربهم ومغفرة**، أي يستر عليهم ذنوبهم -التي كانت لهم في الدنيا- في الجنة وينسونها، لأنّ ذِكر ذلك يُنَغِّص[٢] عليهم نعمهم[٣] التي أنعم عليهم، **ورزق كريم**، قال[٤] الحسن: **ورزق** يُكرَم أهلُه به.[٥]

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[٥]

[٢٨١و] وقوله عز وجل: **كما أخرجك ربك / من بيتك بالحق**، لم يخرج لهذا الحرف جواب في الظاهر، لأن جوابه أن يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** يفعل بك كذا. ثم أهل التأويل اختلفوا في جوابه. قال بعضهم: هو صلة قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ،[٦] يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون** يُجَادِلُونَكَ،[٧] [أي] كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الأنفال جادلوك في أمر السَّيْر.[٨] ومنهم من يقول: جوابه في أمره بالقتال، يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** وهم كارهون لذلك كذلك يُكلّفك القتال وهم كارهون لذلك. ومنهم من يقول: جوابه في قوله: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ،[٩]

---

[١] ن - ما وعد.

[٢] م: ينقص. نَغَّص عليه عَيْشه تَنغيصا، أي كَدَّره... نَغَّص علينا أي قَطَع علينا ما كان نُحب الاستكثار منه (*لسان العرب* لابن منظور، «نغص»).

[٣] ن ع م: نعمتهم.

[٤] جميع النسخ: قيل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٣و.

[٥] م: به أهله.

[٦] سورة الأنفال، ١/٨.

[٧] الآية التالية.

[٨] ن ع م: الغير. أي السَّيْر إلى القتال. وعبارة الشارح كما يلي: «يقول: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾ لهم كذلك يجادلونك في قسمة الأنفال ويسألونك عنها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٣و).

[٩] سورة الأنفال، ١١/٨.

يقول: كما أجبتم الله في الخروج[1] للقتال على غير تدبير منكم في ذلك ولا نظر[2] فعلى ذلك يجيبكم في النعاس أَمَنَةً منه وإنزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الأقدام على غير علم[3] منكم ولا تدبير. ومنهم من يقول: قوله: **كما أخرجك ربك من بيتك**، غير مُتَأَهِّبين للقتال ولا مُستعدّين له كذلك يَعِدكم النصر والظفر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **بالحق**، يحتمل وجوها. يحتمل **بالحق** الذي لله عليهم من الأمر بالخروج والقتال. ويحتمل **بالحق**، بالوعد الذي وعد، إذ وعد[4] لهم النصر والظفر. وقال بعض أهل التأويل: **بالحق**، أي بالقرآن. ولكن إن كان[5] فهو ما ذكرنا بالأمر الذي[6] يأمر القرآن.

وقوله عز وجل: **وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**، يحتمل وجهين. يحتمل **فريقا من المؤمنين** في الظاهر، وهم المنافقون، كرهوا الخروج للقتال. ويحتمل أن يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار، لما أُمِروا بالخروج للقتال وهم غير مُتأَهِّبين للقتال[7] ولا مُستعدِّين له،[8] فكرهت أنفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم أسباب القتال، لا أنهم[9] كرهوا أمر الله كراهة الاختيار. وفي هذه الآية دلالة أنّ الأمر قد يكون في الشيء وإن لم يُعلَم وقتَ الأمر فيما يؤمر. وفيه دليل جواز تأخر[10] البيان، لأنهم أُمِروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا[11] وقت الخروج على ماذا يؤمرون.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يجادلونك في الحق**، قيل: في القتال. وقيل: قوله: **في الحق**، الذي أُمِرت به أن تسير إلى القتال. ويحتمل أن يكون قوله: **في الحق**، الوعد الذي وعد لهم بالنصر والظفر **بعد ما تبيّن** لهم.

---

[1] ك: بالخروج.
[2] ع: وعلى نظر.
[3] ن - علم، صح هـ.
[4] ع م - إذ وعد.
[5] ع م: ولكن كان.
[6] ك: بالذي.
[7] ع م - وهم غير متأهبين للقتال.
[8] ع م - له.
[9] ع: لأنهم.
[10] ع + جواز تأخر.
[11] م: و لم يعلموا.

يحتمل[١] قوله: **بعد ما تبيّن** لهم الوعد الذي[٢] وعد لهم الله[٣] عز وجل بالنصر.

وقوله عز وجل: **كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون**، فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر، وهم كذلك وُصِفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً.[٤] وإن كان في المؤمنين الذين حققوا الإيمان فهو لما كانوا غير مستعدين للقتال ولا متأهِّبين له، كانوا كارهين لذلك[٥] كراهة الطبع لا كراهة الاختيار.

وقال قائلون: قوله: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**، أي[٦] **وإن فريقا من المؤمنين** أجابوا ربهم وإن كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف، وإن كانوا من الخوف **كأنما**[٧] **يساقون إلى الموت**، فأجاب الله تعالى لهم بالنصر والظفر وآمَنَهم من ذلك الخوف. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**، ذكر في بعض القصة أنّ عِير[٨] قريش حين أقبلت من الشام خرج أصحاب رسول الله نحوهم على ما يُخرَج إلى العِير غير مُتأهِّبين[٩] للحرب. وخرجت قريش من مكة تُغيث عِيرها، فهي الطائفة الأخرى. وعد لهم أن **إحدى الطائفتين** لهم، إما العِير وإما العسكر أنهم يُنصَرون عليهم. **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**، أي التي ليس فيها حرب، ثم يكون لكم العِير، وهي أهون شوكة وأعظم غنيمة، كانوا يَودّون ذلك. وقوله عز وجل: **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**، لما لم تكونوا مُعدّين للقتال[١٠] والحرب، وكان بهم ضَعف، وفي أولئك قوة وعُدّة. ***والله أعلم***.

---

[١] م: ويحتمل.
[٢] ن: والذي.
[٣] ك ن – الله.
[٤] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[٥] ع م: كذلك.
[٦] ع: وأي.
[٧] ن: كأنهم.
[٨] العِير القافلة (*لسان العرب* لابن منظور، «عير»).
[٩] ع م + إنها لكم ذكر في بعض القصة.
[١٠] ك: القتال.

قال الله تعالى: **ويريد الله أن يُحِقّ الحقّ بكلماته**، يحتمل[1] -والله أعلم- يريد أن يُظهِر الحق بآية[2] منه[3] من غير وجود الأسباب منهم. وهو كما ذكر في قوله: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ،[4] أخبر أن في غلبة أولئك مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم وقصور أسباب الحرب من السلاح والعُدة وغير ذلك، وقوة أبدان أولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتأهبهم واستعدادهم لذلك، آيةً عظيمة. فأراد أن يُظهِر الحق بالآية، ليعلم كل منهم أنه إنما كان ذلك بالله لا بهم. وهو ما قال: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَى،[5] أخبر أنه كان بالله ذلك لا بهم. ويحتمل قوله: **بكلماته**، بالوعد الذي وعد رسول
[٢٨١ظ] الله بمكة بالنصر والظفر لهم، فأراد أن يُظهِر / ذلك ويحقِّقه. ويحتمل **بكلماته**، بعلمه وأمره. ويحتمل **بكلماته**، بحججه،[6] أي يوجب الحق ويُظهِره[7] بحججه وبراهينه. ويحتمل **بكلماته**، البشارات التي بَشّر بها المؤمنين[8] بالنصر لهم والظفر والعِدَات[9] التي كانت[10] منه[11] [لهم]. ويحتمل **بكلماته**،[12] ملائكته الذين بعثهم مَددا لهم[13] يوم بدر على ما ذكر، فأضافهم إليه تعظيما لهم وإجلالا[14] على ما سمّى عيسى روح الله وكلمته، وموسى كليمَ الله، تعظيما لهم وإجلالا، فعلى ذلك هذا.[15] *والله أعلم*.

**ويقطع دابر الكافرين**، يحتمل يقطع[16] آثار الكافرين، يُقتَلون جميعا ويستأصلون حتى لا يبقى لهم أثر. ويحتمل يقطع ما أدبرهم حتى لا يأتيهم مَدد.

---

[1] ع: ويحتمل.
[2] م: بأنه.
[3] ع - منه.
[4] سورة آل عمران، ١٣/٣.
[5] سورة الأنفال، ١٧/٨.
[6] ن: حججه.
[7] جميع النسخ: ويظهر.
[8] ن + لهم.
[9] ك ن: والعداة؛ ع م: والعداوة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٣ظ.
[10] ن ع: كان.
[11] جميع النسخ: منهم.
[12] ك ن ع + كلماته.
[13] ك: لهم مددا.
[14] ك + لهم.
[15] م - هذا.
[16] ع م - يقطع.

﴿**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ليُحِقّ الحقّ**، أي ليُظهِر الحق ويوجب، يقال: حَقَّ كذا، أي وجب. ويحتمل ليُظهِر حقّ الحقّ، ويُظهِر بطلان الباطل. أو أن يقال: قوله: **ليحق الحق ويبطل الباطل**، ما ذكرنا، يجب الحق ويجيء،[١] ويذهب[٢] الباطل، كقوله: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[٣] أي ذهب. فعلى ذلك[٤] هذا، يجيء الحق ويجب، ويذهب الباطل، وإن كره المشركون.*

﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[٩] ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١٠]

ثم اختلف في قوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي مُمِدُّكم**، الآية. قال[٥] بعضهم: هو صلة قوله: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ،[٦] قالوا: قوله: **بألف من الملائكة مُرْدِفين**، ألفان، وقوله: بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، فيكون خمسة آلاف مُسَوِّمِين. ومنهم من يقول: ثلاثة [آلاف] كان في أُحُد، إذ ذكر على أثر قصة أُحُد. فإن كان ما ذكروا فكان قوله:[٧] **بألف من الملائكة مُرْدِفين**، إما في إرداف الكفرة، وهو التتابُع،[٨] [أي يتابعون المشركين يوم بدر في حال ما][٩] تَابَع أهلُ بدر المشركين وهم منهزمون. أو أن يكون الإرداف الإمداد، فيكون ألفان. وقال بعض أهل التأويل: إن قوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**، هو رسول الله. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم [لمّا] رأى كثرة المشركين ببدر[١٠] علم أنه لا قوة لهم إلا بالله،

---

[١] ن: ونجيء؛ م – ويجيء.

[٢] م: يذهب.

[٣] سورة الإسراء، ٨١/١٧.

[٤] ن – ذلك.

* وقع هنا مقطع من التفسير متعلق بمجموع هذه الآيات، فأخرناه إلى تفسير الآية التالية؛ انظر: ورقة ٢٨١ظ/سطر ٩-٢٣.

[٥] ع م: وقال.

[٦] ﴿ولقد نصركم الله بِبَدْرٍ وأنتم أدلّة فاتّقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألَنْ يكفيَكم أن يُمِدَّكم ربّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين. بلى إنْ تصبروا وتتّقوا ويأتوكم مِن فَوْرِهم هذا يُمْدِدْكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِين﴾ (سورة آل عمران، ١٢٣/٣-١٢٥).

[٧] ع + ما ذكروا فكان قوله.

[٨] جميع النسخ: المتتابع.

[٩] والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٤و.

[١٠] ن – ببدر.

فدعا ربه وتضرّع إليه.[1] ولكن ذلك قولهم عندنا -والله أعلم- أعني قول المؤمنين. ألا ترى أنه قال: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بكذا. *والله أعلم بذلك*. وليس لنا[2] إلى معرفة ذلك حاجة، سوى أن فيه البِشارة لهم بالنصر والطُّمَأْنِينة لقلوبهم، وإنباء أنّ حقيقة النصر إنما يكون بالله، لا بأحد سواه. وذلك قوله: **وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز،** لا يُذِلّه شيء ولا يُعْجِزه، **حكيم،** في أمره ونهيه، لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شئ إلا وفيه حكمة. وفائدة ما ذكر مِن بَعْث مَدَدِ ألف ملك وثلاثة آلاف وما ذكر،[3] لطمأنينة قلوب أولئك المؤمنين، وإلا مَلَك واحد كافٍ لهم وإن كَثُروا، لأنه يراهم ولا يرونه،[4] وإهلاك مثله سهل.

[٢٨١و س٩] * فإن قيل: في قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ،[5] وقوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم،** كيف خافوا كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ، وقد وعد لهم النصر والظفر بقوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ،[6] وكيف[7] استغاثوا ربهم في ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالظفر والنصر؟[8]

قيل:[9] يمكن أن تُصرَف[10] الآية إلى المنافقين، وهو قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ،[11] غير أنه ذكر في بعض القصة أنه لم يكن ببدر منافق،[12] بل كانوا كلهم مؤمنين، حتى افتخر بذلك مَن شَهِد بدرا. وإن كان[13] في المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم وضعفهم

---

[1] ع م – إليه. وللحديث انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨؛ وتفسير *الطبري*، ١٨٩/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨/٤.
[2] ع م – لنا.
[3] ع: وذكر.
[4] ع: ولا يرون.
[5] سورة الأنفال، ٦/٨.
[6] سورة الأنفال، ٧/٨.
[7] م: كيف.
[8] ك: بالنصر والظفر.
[9] جميع النسخ: وقد.
[10] م: يمكن تصرف.
[11] سورة الأنفال، ٦/٨.
[12] ورد معناه في حديث طويل قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «... وما يُدريك لعلّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر فقال: "اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم"» (صحيح *البخاري*، الجهاد ١٤١؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ١٦١»).
[13] ك: البدر أو إن كان.

وكثرة أولئك وعُدّتهم كانوا كما وصف. *والله أعلم*. لكن الآية تحتمل[1] وجوها. أحدها أمكن أن يكون الوعد لهم بالنصر بُيِّن لرسوله ولم يُبَيَّن لهم، فأُلقِي في قلوبهم الرعبُ والخوفُ لما لم يُبَيَّن لهم الوعد بالنصر. أو بُيِّن[2] لهم وبلغهم الوعد بذلك، لكن لم يُبَيَّن لهم الوقت متى يكون ذلك؛ ألا ترى أنهم أُمِروا بالخروج ولا يدرون إلى ماذا يؤمرون. والثالث يجوز[3] أيضا أنّ بيّن لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك،[4] غير أنهم خافوا ذلك وكرهوا خوف طَبْع وكراهة النفس، لا كراهة الاختيار. وجائز[5] الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع، وإن كانوا على يقين بالنصر والظفر وتحقيق ذلك لهم. والرابع يجوز أن يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرّع إليه والاستغاثة منه، على ما يكون في الدعوات،[6] يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمعاصٍ[7] يرتكبها، وسعادة آخر ودخوله الجنة بخيرات يأتي بها، فيصير من أهلها. والخامس جائز أن يكون ذلك من الله تعالى لهم محنة يمتحنهم بها، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[8] الآية. يحتمل[9] معنى الآية الوجوه التي ذكرنا.[10] *والله أعلم*.* [٢٨١ظ س٢٣]

**﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **إذ يُغَشِّيكم النعاس أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به**، ذكر **النعاس** بعد شدة خوفهم، و **النعاس** لا يكون ممن اشتدّ به الخوف، ولا يغشاه إلا بعد الأمن، فذكر[11] لطفه ومنّته،

---

[1] ن: يحتمل.
[2] ن ع: أو يبين.
[3] ع: ويجوز.
[4] ع + ذلك.
[5] ن + أن يكون.
[6] ع: في الدعواة.
[7] ك: بمعاصي.
[8] سورة البقرة، ١٥٥/٢.
[9] ن + أن يكون.
[10] ع: ذكر.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨١ظ/سطر ٩-٢٣.
[11] ك: وذكر.

[وهو] الأمن بعد شدة الخوف. ذَكَر عظيم ما منّ عليهم من الأمن، لما ذكر من إلقاء **النعاس** عليهم، و **النعاس** إنما يكون بعد الأمن، بعد ما كان من حالهم ما ذكر حيث قال: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.[1]

وقوله عز وجل: **وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به**، ذكر في بعض[2] القصة
[٢٨٢و] / أن المشركين سبقوا فأخذوا الماء، فبقي المسلمون في رَمْل لا يثبت أقدامهم عَطْشَى، فوسوس إليهم الشيطان أنهم لو كانوا على حقٍ ما بُلُوا بمثل ذلك في رَمْل لا تثبت أقدامهم عَطْشَى، فأبدل الله تعالى لهم[3] مكان الخوف أَمْنًا يأمَنون به، وأنزل عليهم **من السماء ماء** ليطهّرهم به، ويشربون ويَشُدّ[4] به الرَّمْل، وتثبت[5] أقدامهم، فذلك قوله: **إذ يُغَشِّيكم النعاسَ أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به ويُذهِب عنكم رِجز الشيطان وليَربِط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام**. قال أهل التأويل: [**رجز الشيطان**] وسوسة الشيطان التي وسوس إليهم. وقيل: الرجز الإثم، ذَهَب ذلك عنهم، كقوله: فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا.[6] وقوله عز وجل: **وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به**، ذكر هذا -والله أعلم- على المبالغة في المنة،[7] أنه[8] أخبر أنه أنزل **من السماء** ما فَضَل[9] عن حوائجهم حتى وجدوا ما يطهّر[10] أنفسهم وأبدانهم. وذَهَب عنهم[11] **رجز الشيطان**، ذكر السبب الذي به يذهب الرجز، لأن الرجز[12] هو العذاب، فذكر الرجز والمراد منه[13] سبب الرجز.

[1] سورة الأنفال، ٨/٦.
[2] ن - بعض.
[3] ع م - لهم.
[4] جميع النسخ: ويشدد.
[5] ن ع م: فثبت.
[6] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرّما على طاعم يَطْعَمُه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فِسْقًا أُهِلَّ لغير الله به﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٥).
[7] ع - في المنة.
[8] م - في المنة أنه.
[9] ن: ماء فضل.
[10] ك ن: وجدوا لتطهير؛ ع: وجدوا ليطهر.
[11] ك: عنه.
[12] ع - لأن الرجز.
[13] ك ن ع: منهم.

*وقوله: **ويذهب عنكم رجز الشيطان**، قيل: وسوسة الشيطان. وهو ما ذكر في بعض [٢٨٢و س١٣
القصة أن المسلمين أصابهم ضَعْف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم القُنُوط[١] و[هو] يوسوسهم ويقول لهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تُصلّون مُجْنِبين،[٢] فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرب المسلمون وتطهروا وذهب[٣] عنهم **رجز الشيطان**، ونَشِف الرَّمْل حين أصابه المطر، [و]مشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمدّ الله عز وجل نبيّه والمؤمنين بألف من الملائكة، فذلك قوله: بِأَلْفٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ.[٤]* ٢٨٢و س١٨]

وقوله عز وجل: **وليَرْبِط على قلوبكم ويُثَبِّت به الأقدام**، يحتمل حقيقة تثبيت **الأقدام**. ويحتمل الثبات على[٥] ما هم عليه. والربط هو الشدّ لشيء. فيحتمل قوله: **وليَربِط على قلوبكم**، أي شدّها حتى لا يزول[٦] أحد عما هو[٧] فيه ولا يزيغ عن ذلك، وإن ابتلاه الله تعالى بأنواع الشدائد والبلايا. ذكر في التوحيد والإيمان الربط والتثبيت،[٨] بقوله:[٩] كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[١٠] وقوله: **وليَربِط على قلوبكم**، وقوله: وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.[١١] وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقُفْل،[١٢] ونحوه. فهو -والله أعلم- عقوبة لهم لما اختاروا[١٣] ذلك.[١٤]

---

[١] ك ن ع: القنط.
[٢] ع: مجنبين. أي تصلون في حال الجنابة غير طاهرين.
[٣] م: وأذهب.
[٤] سورة الأنفال، ٨/٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨٢و/سطر ١٣-١٨.
[٥] ع + هؤلاء.
[٦] ع م: لا يزال.
[٧] ن - هو.
[٨] ع: والتثبت.
[٩] ك: فقوله.
[١٠] سورة الفرقان، ٢٥/٣٢.
[١١] سورة الكهف، ١٨/١٤.
[١٢] ع: والفعل. ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٠١)؛ ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ (سورة البقرة، ٢/٧)؛ ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٤).
[١٣] ع: ما اختاروا.
[١٤] ك: لذلك.

**﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾**[١٢]

ثم قال: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا**، الوحي كأنه[١] يسمّى وحيًا لسرعة قَذْفه في القلوب ووقوعه[٢] فيها. ولذلك سمّي -والله أعلم- وساوس الشيطان وحيا بقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ،[٣] أي يقذفون في قلوبهم ويَدْعون إلى أشياء من غير أنْ عَلِموا بذلك أنه ممن جاء ذلك. وما سبب ذلك [إلا] لسرعة قَذْفه ووقوعه في القلوب. وكذلك سمّي الإلهام وحيًا لسرعة وقوعه في القلب.[٤] قال الله[٥] تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ،[٦] قيل:[٧] هو الإلهام، أي ألهم النحل لتتخذ[٨] من الجبال بيوتا. وقال عز وعلا: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ،[٩] أخبر أنْ ليس له أن يُكلّمه إلا وحيا، وهو ما ألهمه. سمّي وحيا لسرعة وقوعه في القلب وقذفه فيه[١٠] على غير علم منهم أنه من[١١] أين كان وممّ كان. وفيه دلالة أنّ غيره هو الذي أَخْطَر ذلك في القلوب وقذفه[١٢] فيها، لا أنه يَحدُث ذلك بنفسه[١٣] على غير إخطار أحد ولا قذفه. فإن كان ما قذف فيه خيرا فهو من المَلَك، وإن كان شرا فهو من قذف الشيطان ووسوسته. ففيه دليل ثبوت المَلَك والشيطان. ***والله أعلم***.

وقوله: **أنيّ معكم**، قيل: **أنّي معكم** في النصر والمعونة ودفع العدو عنكم. أو يقول: **أنّي معكم** في التوفيق. ويحتمل أن يكون قوله: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة**، أي أخبر[١٤] المؤمنين **أني معكم**، لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع.

---

[١] ك: وكأنه؛ ع م: كان.
[٢] ع: وقوعه.
[٣] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٤] م: في القلوب.
[٥] ك م - الله.
[٦] سورة النحل، ٦٨/١٦.
[٧] جميع النسخ: وقيل.
[٨] ع: تتخذ.
[٩] سورة الشورى، ٥١/٤٢.
[١٠] م - فيه.
[١١] ع + كان.
[١٢] جميع النسخ: وقذف.
[١٣] ن ع: سفه.
[١٤] ك ن ع: أي أخبروا.

وقوله عز وجل: **فثبتوا الذين آمنوا**، أمر ملائكته أن يثبّتوا الذين آمنوا بالنصر لهم والأمن بعد ما كانوا خائفين فَشِلين[1] جَبِينين[2] لما أجابوا ربهم مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم. فأبدلهم الله مكان الخوف لهم أَمْنا، ومكان الضَّعْف القوة والنصر، ومكان الذُّلّ العِزّ، وأبدل[3] المشركين مكان الأمن لهم خوفا، ومكان العِزّ الذُّلّ، ومكان الكثرة الضَّعْف والفَشَل. فذلك[4] –والله أعلم– قوله: **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**. وقوله: **فثبتوا الذين آمنوا**، جائز أن يكون نفسُ نزول الملائكة تثبيتَهم، لأنهم[5] سبب تثبيتهم.[6] أو يثبّتهم[7] من غير أنْ عَلِم[8] المؤمنون بهم.

وقوله: **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بَنَان**، قال قائلون: قوله: **فاضربوا فوق الأعناق**،[9] إذا ظفروا بهم ووقعوا في أيديهم، فعند ذلك يضرب **فوق الأعناق**، وهو المَفْصِل الذي يَبِين[10] الرأس [منه] بالضرب، لما نهي عن المُثْلة،[11] وفي الضرب في غير ذلك مُثْلَة. ويحتمل قوله: **فاضربوا فوق الأعناق**، أي اضربوا الأعناق وما فوق الأعناق. **واضربوا منهم كل بَنَان**، معناه –والله أعلم– أي اضربوا على ما تهيأ لكم من الأطراف وغيرها. وأما قوله: **واضربوا منهم كل بنان**، في الحرب، لأنه لا سبيل في الحرب إلى أن يضرب ضربا لا يكون مُثْلة، فكأنه قال: **فاضربوا فوق الأعناق**، إذا قدرتم عليهم ووقعوا[12] في أيديكم، **واضربوا منهم / كل بنان**، بحيث[13] ما تقدرون. *والله أعلم*. [٢٨٢ظ]

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٣]**

وقوله: **ذلك**، يعني –والله أعلم– **ذلك** الضرب والقتل، **بأنهم شاقوا الله**، أي حاربوا **الله ورسوله**، والمُشَاقَّة الخلاف، خالفوا الله ورسوله. **ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**، له[14] في الآخرة.

---

[1] الفَشِل: الرجل الضعيف الجبان (*لسان العرب* لابن منظور، «فشل»).
[2] جميع النسخ: جبنين. وجَبِين بمعنى جبان (*لسان العرب* لابن منظور، «جبن»).
[3] م: وإبدال.
[4] ن – فذلك.
[5] ن: لأنه.
[6] ك: تثبتهم؛ م – لأنهم سبب تثبيتهم.
[7] ع: أو تثبيتهم.
[8] ن: أن علموا؛ ع: غير علم.
[9] ع + أي اضربوا الأعناق.
[10] ك ن ع: بيان.
[11] انظر: صحيح *البخاري*، المظالم ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣.
[12] ع: وقعوا.
[13] م: كيف.
[14] ن م – له.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[١٤]

وقوله: **ذلكم**، أي **ذلكم**[١] العقاب والعذاب، **فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار**، بالخلاف لله ورسوله والمحاربة معهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[١٥] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٦]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم الذين كفروا زَحفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبار**، كأنّ أولَ الأمرِ بالقتال وفرضِه كان لبذل الأنفس للهلاك،[٢] لأنه ذكر الزَّحف، والزَّحف هو الجماعة والعَدد[٣] الذي لا يُعَدّ،[٤] وليس للواحد[٥] القيام[٦] للجماعة، فكان فرض القتال لبذل الأنفس للقتل. وعلى ذلك يخرج قوله: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ،[٧] وليس[٨] في وسع الواحد القيام لعشرة إذا أحيط به. ويجوز أن يُفرَض بذل الأنفس للقتال، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ،[٩] أخبر أنه لو أمر بذلك لم يفعل إلا القليل منهم، فجائز الأمر بذلك امتحانا منه لهم. فإن احتمل ما ذكرنا كان قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ،[١٠] هو على التحقيق، إذ إلى ذلك يُساقُون. ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله عز وجل أمر بذلك ليكون آيةً ويَعرفَ كلُّ أحدٍ أنه إنما قام بالله، لا بقوة نفسه، إذ ليس في وُسْعِ أحدٍ القيامُ لعشرةٍ أو لجماعةٍ بقوّته إذا أحيط[١١] به، فهو على الآية[١٢] إن كان فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ك + أي.
[٢] ن – للهلاك، + للقتل وعلى ذلك يخرج قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.
[٣] م: والعدو.
[٤] ن: لا يحد؛ ع م: لا يحد.
[٥] م + للواحد.
[٦] ك: للقيام.
[٧] سورة الأنفال، ٨/٦٥.
[٨] ن – وليس.
[٩] سورة النساء، ٤/٦٦.
[١٠] سورة الأنفال، ٨/٦.
[١١] ك: إذ أحيط.
[١٢] أي على وجه المعجزة.

وقوله:[١] **فلا تُوَلُّوهم الأَدْبَار ومن يُوَلِّهم يومئذ دُبُرَه إلا مُتَحَرِّفًا لِقتالٍ أو مُتَحَيِّزًا إلى فئة**، والمُتَحَرِّف للقتال هو المتنقِّل من مكان إلى مكان للحرب، والمتحيِّز إلى فئة هو الملتجئ إلى فئة على جهة العَوْد إليهم والحرب. يُقال: تحوَّزت وتحيَّزت بالواو والياء[٢] جميعا، [إذا توجّه][٣] نحو الحرب. وفيه النهي عن الانهزام والتولّي عن العدو إلا ما ذكر من التحرُّف للقتال أو التحيُّز إلى الفئة على جهة العَوْد إليهم. ثم أخبر أن من ولَّى دُبُرَه بسوى ما ذكر، **فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**.

قالت المعتزلة: دل ما أوعد المتحرّف بغير قتال والمتحيّز إلى غير الفئة بقوله: **فقد باء بغضب من الله**، أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار، لأنه ذكر في أول الآية المؤمنين، ولهم خرج الخطاب بقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا**، ثم أوعد لهم الوعيد الشديد ما يوعد أهل النار غير أهل الإيمان. دلّ أنه يخرج عن الإيمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار. وقالوا: لا يجوز صرف الآية إلى أهل النفاق، لما ذكر في القصة أنه لم يكن يوم بدر منافق.

لكن هذا غلط، قال الله تعالى: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ،[٤] وإنما قالوا ذلك يوم بدر، كذلك ذكر. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إلا متحرّفا لقتال أو متحيّزا إلى فئة**، فإن كان مستثنى من قوله: **فقد باء بغضب من الله**، لم يكن فيه رخصة التولّي، ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر. وإن كان مستثنى من قوله: **ومن يولهم يومئذ دبره**، ففيه رخصة التولّي إلى ما ذكر. ثم الدلالة على أنه مستثنى من هذا دون الأول ما جاء عن غير واحد من الصحابة تَوْلِيَة الدبر إلى ما ذكر، وكذلك ما روي[٥] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا فئة لكل مسلم».[٦] وبَعد، فإنه لم يكن لأهل الإسلام فئة يوم بدر يتحيّزون إليها، فدل أنها في المنافقين وأهل[٧] الكفر. *والله أعلم*.

---

[١] ك: ثم قوله.

[٢] ك ن ع: بالياء والواو.

[٣] جميع النسخ + وهما. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٥و.

[٤] سورة الأنفال، ٨/٤٩.

[٥] ك: وكذلك روي.

[٦] عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَرِيَّة، فحاص الناس حَيْصَة، فقَدِمْنا المدينة، فاختَبَيْنا بها، وقلنا: هَلَكْنا، ثم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله، نحن الفَرَّارُون، قال: «بل أنتم العَكَّارُون، وأنا فِئَتُكم» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٩٦؛ و*سنن الترمذي*، الجهاد ٣٧). وفي رواية: «وأنا فئة كل مسلم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/١١٠). قال الترمذي: «هذا حديث حسن... ومعنى قوله: فحاص الناس حَيْصَة، يعني أنهم فَرُّوا من القتال، ومعنى قوله: "بل أنتم العَكَّارُون"، والعَكَّار الذي يفِرّ إلى إمامه لينصره، ليس يريد الفرار من الزحف» (المصدر السابق).

[٧] ن: أهل.

ثم يُقال: يجوز أن يكون ما ذكر من الوعيد لمعنىً في التولية عن الدبر والإعراض، لا لنفس التولية عن الدبر، إذ قد ذكر التولية عن الدبر في آية أخرى والعفو عن ذلك، وهو قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا،[1] الآية.[2] فإن قيل: لعل التوبة مضمرة فيه، تابوا فعفا عنهم، قيل: إن جاز أن يجعل التوبة مضمرة فيها جاز أن يضمر في التولية عن الدبر الردّةُ، فليس تلك أولى بإضمار التوبة من هذه بإضمار الردة. وفي الآية مَعانٍ تدلّ على الإضمارِ، إضمارٍ[3] ما يوجب الوعيد الذي ذكر. *والله أعلم*. أحدها ذكر[4] التحيُّز إلى فئة، وإذا لم يكن للمسلم فئة يتحيّز إليها فإذا تحيّز إنما يتحيّز ليصير إلى العدو، فهو الردة التي ذكرنا. والثاني ما ذكر في بعض القصة أنه لما اصطفّ القوم[5] رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: «يا رب، إنْ تَهلِكْ هذه العصابةُ[6] فلن تُعبَدَ في الأرض أبدا».[7] ومن هرب أو ولّى الدبر عن مثل تلك الحال لم يولِّ إلا لِقَصْد أن لا يعبد، فهو كُفْر. والثالث قد وعد لهم النصر والظفر على العدو، فمن ولّى عن الدبر لم يولِّ إلا لتكذيبٍ بالوعد الذي وعد لهم.

**﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميتَ إذْ رميتَ ولكنّ الله رمى**، قيل فيه بوجوه. يحتمل قوله: **فلم تقتلوهم**، أي لم تكن جِراحاتكم التي أصابتهم مصيبةً[8] المَقْتَلَ، ولا عاملةً في استخراج الروح، ولا كانت قاتلةً، ولكن الله تعالى صيَّرها قاتلةً[9] مصيبةً المَقْتَل[10] عاملةً في استخراج الروح،

---

[1] ﴿إن الذين تولَّوا منكم يوم التقَى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفَا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ١٥٥/٣).
[2] ن– الآية.
[3] بدل من "الإضمار".
[4] ن: ما ذكر.
[5] ن – القوم.
[6] رويت أيضا على وجه آخر: "إن تُهلِكْ هذه العصابةَ".
[7] روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨.
[8] ع: مصيبته؛ م: بمصيبة.
[9] ن + المقتل.
[10] م: القتل.

لأن[١] من الجراحات ما إذا[٢] أصابت لم تصب المَقْتَل، ولا عملت في استخراج / الروح. وقوله: [٢٨٣و]
**فلم تقتلوهم**، الآية، تخرج[٣] على وجوه. أحدها أن العبد لا صُنع له في القتل واستخراج الروح منه، إنما ذلك فِعل الله، وإليه ذلك، وهو المالك لذلك، لأن الضربة والجَرح قد يكون ولا موت هنالك. وكذلك الرمي،[٤] ليس كل من أرسل شيئا من يده هو[٥] رَمَى، إنما يصير رَمْيًا بالله، [لأنه هو الذي][٦] أنشأ السهم حتى يَصِل[٧] بطبعه المَبْلَغَ الذي بَلَغ، فكأنه لا صنع له في الرمي؛ ألا ترى أنه لا يملك[٨] ردّ السهم[٩] إذا أرسله، ولو كان فعله لَمَلَكَ[١٠] ردّه. ولهذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إن الاستئجار على القتل باطل.[١١] والثاني[١٢] قتلوا بمعونة الله ونصره، كما يقول الرجل لآخر: إنك لم تقتله، وإنما قتله فلان، أي بمعونة فلان[١٣] قَتَلْتَه،[١٤] فعلى ذلك الأول. وقوله:[١٥] **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**، أي ما أصاب رميُك المقصدَ الذي قصدت، ولكن الله بالغٌ[١٦] ذلك المقصدَ الذي قَصدتم. والثالث[١٧] **فلم تقتلوهم**، أي لم تطمعوا بخروجكم إليهم قتلهم، لأنهم كانوا بالمحلّ الذي وصفهم من الضَّعْف وشدة الخوف والذلّة،

---

[١] ع - لأن.
[٢] ك: من إذا.
[٣] ك: يخرج.
[٤] ن: المرمى.
[٥] م: وهو.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٥و؛ حيث قال الشارح: «لأنه هو الذي أنشأ فِعْلَ المُضِيّ في السهم وفِعْلَ الإصابةِ والانجراحِ».
[٧] ع: حتى يصلي.
[٨] ن - لا يملك.
[٩] ع + حتى يصلي بطبعه المبلغ الذي بلغ فكأنه لا صنع له في الرمي ألا ترى أنه لا يملك رد السهم.
[١٠] ع: الملك.
[١١] «ولو قال الأمير لمسلم حر أو عبد: إن قتلت ذلك الفارس من المشركين فلك عليّ أجر مائة دينار، فقَتَلَه، لم يكن له أجر؛ لأنه لما صرّح بالأجر لا يمكن حَمْلُ كلامِه على التَّنفِيل، والاستئجارُ على الجهاد لا يجوز... وأصلُ جوازِ الاستئجار على القتل عنده [أي الإمام محمد] لا عندهما [أي الإمامين أبي حنيفة وأبي يوسف] لأنه إزهاق الروح، وليس مِن عملِه» (*رد المحتار على الدر المختار* لابن عابدين، ١٥٤/٤-١٥٥).
[١٢] ع: والثالث.
[١٣] ع - أي بمعونة فلان.
[١٤] ك ن ع: قتله.
[١٥] ن: قوله.
[١٦] ن + ولكن الله بالغ.
[١٧] جميع النسخ: والثاني؛ ك هـ: لعله الثالث.

كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ،[1] فإذا كانوا بالمحلّ الذي ذكر فيقول -والله أعلم- لم تطمعوا[2] بخروجكم[3] إليهم وقصدِكم[4] إياهم قتلَهم لما كان فيكم من الضَّعْف وقوةِ أولئك، ولكن الله أذلَّهم وألقى في قلوبهم الرعب والخوف[5] حتى قتلتموهم. وكذلك قوله: **وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى،** لا يطمع الإنسان برميٍ كفٍّ مِن ترابٍ النكبةَ بأعدائه، **ولكن الله رمى،** حيث بلَّغ ذلك وغطَّى أبصارَهم وأعينَهم بذلك الكفِّ من التراب على ما ذكر في القصة أنه[6] رمى كفًّا من تراب، فغَشِيَ أبصارَ[7] المشركين، فانهزموا لذلك.[8] ويحتمل أن يكون نسبةُ هذه الأفعال إلى نفسه وإضافتُها إليه لما نَسب وأضاف كلَّ خير ومعروف إلى نفسه. من ذلك قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا،[9] الآية، وقولُه: وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[10] وقولُه: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ،[11] الآية، وغير ذلك من الآيات التي فيها إضافة الأفعال التي خَلُصَت لله وصَفَت[12] له،[13] فعلى ذلك نَسب[14] فعلهم إلى نفسه لخُلُوصه وصَفائه له. ***والله أعلم.***

وقوله: **وليُبلي المؤمنينَ منه بلاءً حَسَنًا،** أي نعمة عظيمة، حيث[15] نصرهم على عدوهم مع ضَعْف أبدانهم وقلّة عددهم وكثرة أعدائهم وقوة أبدانهم وعُدّتهم، وهو ما ذكر في هلاك فرعون وقومه أنه بلاء من ربكم عظيم، بقوله: وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ،[16] فعلى ذلك[17] هذا. ***والله أعلم.***

[1] سورة الأنفال، ٦/٨.
[2] ن ع م: لم يطمعوا.
[3] م: بخرجكم.
[4] ن: ولا قصدكم.
[5] ن - والخوف.
[6] أي النبي عليه السلام.
[7] ع: أبصارهم.
[8] *تفسير الطبري*، ٢٠٥/٩.
[9] ﴿يمنُّون عليك أن أسلَموا قُل لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم بل الله يَمُنُّ عليكم أنْ هَدَاكُم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).
[10] سورة البقرة، ٢٧٢/٢.
[11] سورة الفاتحة، ٦/١.
[12] من الصَّفَاء.
[13] ع م - له.
[14] ن: وصف.
[15] ن - حيث.
[16] سورة البقرة، ٤٩/٢.
[17] ن - ذلك.

وقوله عز وجل: **إن الله سميع**، أي سميع لدعائكم الذي دعوتم وتضرُّعِكم الذي تضرَّعتم إليه. أو أن يقول:[١] **سميع**، أي مجيب لدعائكم، **عليم** بأقوالكم وأفعالكم التي[٢] تُسِرّون وتُعلِنون. *والله أعلم.*

**﴿ذٰلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[١٨]**

وقوله: **ذلكم وأنّ الله مُوهِنُ كيدِ الكافرين**، قوله: **ذلكم**، أي ذلك الذي[٣] كان بهم من القتل والأسر والهزيمة لِما أَوْهَن وأَضْعَف كيدَهم تعالى. ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا،[٤] أي ذلك الإنعام والإبلاء الذي مَنَّ الله إليكم لما أوهن كيدهم، وذلك يكون في جملة المؤمنين، ما من مؤمن إلا وله من الله إليه إبلاءٌ[٥] وإنعامٌ[٦] في كل حالٍ لإيهانه كيدَ الكافرين.

**﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٩]**

وقوله: **إن تَستفتِحوا فقد جاءكم الفتح**، الاستفتاح يحتمل وجوها ثلاثة. يحتمل الاستكشاف وطلب البيان. ويكون طلب النصر والمعونة، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[٧] أي يستنصرون. ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل، يقال: فتح بكذا، أي حكم به وقضى. فهو يخرج على وجهين. على طلب بيان المُحِق من المُبْطِل[٨] وطلبِ بيانِ أحقِ الدينين بالنصر والحكم. فقد بين الله لهم أَحَقَّ الدينين [على] ما ذكر في القصة أن أبا جهل قال: اللهم اقض بيننا وبين محمد، فقال: اللهم أيّنا كان أَوْصَل للرحم[٩] وأَرْضَى عندك[١٠] فانصره؛ ففعل الله ذلك ونصر المؤمنين وهزم المشركين، فنزلت هذه الآية.

---

[١] ن: أو أن يكون.
[٢] ع م - التي.
[٣] ع م - الذي.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ك: بلاء.
[٦] ن - وإنعام.
[٧] ﴿ولَمّا جاءهم كتابٌ مِن عندِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا معهم وكانوا مِن قبلُ يَستفتحون على الذين كفروا فلَمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ اللهِ على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٩).
[٨] ع: والمبطل.
[٩] ع م: الرحم.
[١٠] جميع النسخ: عنك.

وقيل: إنه دعا: اللهم انصر أَعَزَّ الجُندين وأَكْرَمَ الفئتين وخيرَ القبيلتين، فكان ما ذكرنا.[1] **فقد** بيّن الله عز وجل أحقّ الدينين وأعزّ الجندين لما هزم المشركين مع قوتهم وعُدّتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة الأبدان والأسباب، دلّ أنه قد بيّن لهم الأحق من غيره. وقيل: إنهم استفتحوا بالعذاب، وكان استفتاحهم ما قالوا: اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[2] فجاءهم العذاب يوم بدر،[3] وأخبرهم [عن] يوم أحد: **وإن تعودوا نَعُدْ ولن تُغنيَ عنكم فئتُكم شيئا**، الآية. والاستفتاح هو ما ذكرنا. قال الحسن: الفتح القضاء. وكذلك[4] قال قتادة. قالوا: إن تستقضوا فقد[5] جاءكم القضاء في يوم بدر،[6] كقوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ،[7] الآية. وقال القُتَبي: قوله: **إن تستفتحوا**، تسألوا[8] الفتح وهو النصر،[9] **فقد جاءكم**، وهو ما ذكرنا.

وقوله: **وإن تنتهوا فهو خير لكم**، يحتمل قوله: **وإن تنتهوا**، عما كنتم [فيه]، **فهو خير لكم**، يغفر لكم، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[10] وقيل: **وإن تنتهوا**، عن قتال محمد، **فهو خير لكم**، من أن ينتهي محمد عن قتالكم.

وقوله: **وإن تعودوا نَعُدْ**، يحتمل **وإن تعودوا**، إلى قتال محمد، **نَعُدْ**، إليكم من القتل والقتال والأسر والقهر. ويحتمل **وإن تعودوا**، بعد البيان[11] والكشف إلى ما كنتم من قبل[12] / البيان من التكذيب والكفر لمحمد، **نَعُدْ**، إلى الانتقام والتعذيب، كقوله: وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ. [٢٨٣ظ]

وقوله تعالى: **ولن تُغنيَ عنكم فئتُكم شيئا ولو كَثُرَتْ وأنّ الله مع المؤمنين**، بالنصر والمعونة.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٩/٢٠٧-٢٠٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢.
[2] سورة الأنفال، ٨/٣٢.
[3] م: البدر.
[4] ك ن م: ولذلك.
[5] ع: وفقد.
[6] لم أجده عن الحسن وقتادة، لكن روي ذلك عن ابن عباس والضحاك وعكرمة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٠٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢.
[7] سورة الأعراف، ٧/٨٩.
[8] ن ع م: فسألوا.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٨.
[10] ﴿قُل لِلَّذين كفروا إن يَنتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يَعودوا فقد مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨).
[11] جميع النسخ: نعد إلى البيان. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٥ط.
[12] ك: كنتم قبل.

فإن قيل: ذكر أنه **لن تغني عنكم فئتكم**[١] وكَثْرَتُكم[٢] وقد أغناهم كَثْرَتُهم وفئتُهم يوم أُحُد حيث ذكر[٣] أن الهزيمة كانت على المؤمنين.

قيل: هذا لوجهين. أحدهما أنَّ عاقبةَ الأمر كانت للمؤمنين، وإن كان في الابتداء كان عليهم، فلن يغني عنهم ذلك على ما ذكر، لأنه لو أغناهم ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة. والثاني أنه لم تكن[٤] النَّكْبَةُ والهزيمةُ على المؤمنين إلا لعصيانٍ كان[٥] منهم، كقوله: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ،[٦] الآية، فما أصاب المؤمنين من النَّكَبات إنما كان بسببٍ كان منهم، لا بالعدو، لذلك كان الجواب ما ذكر.[٧] *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله**، أي **أطيعوا الله** في أمره ونهيه، **ورسولَه** في بيانه وفيما دعا إليه. وقيل: **أطيعوا الله** في فرائضه، **ورسوله**[٨] في سننه وآدابه. **ولا تَوَلَّوْا عنه وأنتم تسمعون**، آياته وحُجَجه.

**﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٢١]**

**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**، أي لا تكونوا[٩] في الإيمان والتوحيد والآيات **كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**، ولا يجيبون ولا يؤمنون.[١٠] ويحتمل أن يكون قوله:[١١] **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**،[١٢] الآيات والحجج، **وهم لا يسمعون**، أي لا ينتفعون بسماعهم،

---

[١] ع + شيئا.
[٢] ك: وكثرتم.
[٣] ن - أنه لن تغني عنكم فئتكم وكثرتهم وقد أغناهم كثرتهم وفئتهم يوم أحد حيث ذكر.
[٤] م: لم يكن.
[٥] ن ع م - كان.
[٦] ﴿ولقد صَدَقَكم الله وعده إذ تَحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ (سورة آل عمران، ١٥٢/٣).
[٧] ع: ما ذكروا.
[٨] ن + أي أطيعوا الله في أمره ونهيه ورسوله في بيانه وفيما دعا إليه وقيل أطيعوا الله في فرائضه ورسوله.
[٩] ع م: أي لا يكونوا.
[١٠] ع: كالذين قالوا سمعنا ذلك وهم لا يسمعون أي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون؛ م: كالذين قالوا سمعنا بذلك وهم لا يسمعون أي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون.
[١١] ع م - قوله.
[١٢] ك - وهم لا يسمعون ولا يجيبون ولا يؤمنون ويحتمل أن يكون قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا.

أو لا يعقلون، كالدوابّ وغيرها. قال أبو بكر الأصمّ: قوله: **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**[1] **وهم لا يسمعون**، استثقالا وبُغضا، أي لا يستمعون إليه، لأنّ مَن استثقل شيئا وأبغض لم يستمع إليه، كقوله: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ.[2]

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إنّ شرّ الدوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون**، تأويله -والله أعلم- أن الذين[3] هم[4] من **شر الدواب عند الله** هم **الصُّمُّ** الذين[5] لا ينتفعون بسمعهم، **والبُكْمُ الذين** لا ينتفعون بألسنتهم ونطقهم،[6] لأنهم لم ينتفعوا بسمعهم لِما جعل لهم[7] السمع، ولم ينتفعوا بنطقهم لِما جعل لهم[8] النطق، ولم ينتفعوا بعقلهم لِما جعل لهم[9] العقل. **فهم شرّ الدوابّ**، كقوله: أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.[10] كانوا أضلّ[11] وأشرّ، لأن الدوابّ والأنعام انتفعت بهذه الحواسّ لِما جُعلت لها هذه الحواسّ، عَرفت بهذه الحواسّ المَهالِكَ والمَضارَّ، فتَوَقَّتْ عنها وعَرفت المَلَاذَّ والمنافعَ بها فترغب فيها وتَقَع. فانتفعت الدوابّ بالحواسّ التي جُعلت[12] لها لِما جُعلت، ولم يُجعَل لها هذه الحواسُّ إلا للمقدار الذي عَرفت وفَهمت وانتفعت بها.[13] وهؤلاء الكَفَرة لم ينتفعوا بالحواسّ التي جُعلت لهم لِما جُعلت، وإنما جُعلت[14] لهم ذلك ليعرفوا المنافع لهم والملاذّ في العاقبة فيعملوا لذلك، ويعرفوا الضارّ لهم في العاقبة والمُهلِكَ فيَتوقَّوْا عنه،

---

[1] ع - الآيات والحجج وهم لا يسمعون أي لا ينتفعون بسماعهم أو لا يعقلون كالدواب وغيرها قال أبو بكر الأصم قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا.

[2] ﴿وقال الذين كفروا لا تَسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه لعلكم تَغلِبون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦).

[3] ك ع م: ان الذي.

[4] جميع النسخ: هو.

[5] ك ن: الذي؛ ع م: البكم.

[6] جميع النسخ: لا ينتفع بسمعه والبكم الذي لا ينتفع بلسانه ونطقه.

[7] ع م: له.

[8] م: له.

[9] م: له.

[10] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.

[11] ع م - كانوا أضل.

[12] ع م: التي جعل.

[13] ع م - بها.

[14] ع - وإنما جعلت.

فلم ينتفعوا بحواسّهم لِما جُعلت الحواسُّ، فالدوابُّ انتفعت بها، لذلك كانوا أَضَلَّ وأَشَرَّ منها.[١]

[ويحتمل][٢] **إنّ شرّ الدوابِّ** [هم] الذين اكتسبوا الصَّمَمَ الدائم والعَمَى الدائم، وذلك في الآخرة، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[٣] وقوله: اِخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ،[٤] أي تَركوا اكتساب البصر الدائم والسمع الدائم والحياة الدائمة. والثاني[٥] سَمّاهم صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا[٦] لِما لم يكتسبوا بصر القلب ونُطق القلب وسمع القلب، فهذه هي الحواسّ[٧] التي تكون بالاكتساب، ولم يكتسبوها، إنما لهم الحواسّ الظاهرة. أو يقول:[٨] **إنّ شرّ الدوابّ**، [هم] الذين[٩] لم ينتفعوا بالذي ذكر من الحواسّ وتركوا استعمالها. **والله أعلم**.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ولو عَلِمَ الله فيهم خيرًا لأَسْمَعَهم**، قيل: نزلت الآية في المَرَدَة من الكفرة. وقال ابن عباس: هم نفر من بني[١٠] [عبد] الدار،[١١] كانوا يسألون رسول الله آيةً بعد آية، وقد أعطاهم آياتٍ[١٢] قَبْل ذلك لم يقبلوها، فقال: **لو علم الله فيهم خيرا**، أنهم يقبلون جواب المسائل التي سألوا لأَوْحَى إليهم ولأَسْمَعَهم، ولكن عَلِم أنه وإن أسمعهم جواب مسائلهم لا يقبلون. وقالت المعتزلة: دلت[١٣] الآية أنه قد كان أعطاهم[١٤] جميع ما كان عنده، لكنهم لم يقبلوا، لأنه قال: **لو علم... فيهم خيرا لأسمعهم**، فدلّ أنه لم يكن عنده ما يعطي، وإلا لو كان[١٥] عنده ما يقبلون لأسمعهم.

---

[١] م - منها.
[٢] جميع النسخ + وقوله عز وجل. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٦و.
[٣] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[٤] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.
[٥] ع م: والباقي.
[٦] م: بكما وعميا وصما.
[٧] ك ن: فهي هذه الحواس هي.
[٨] ك - أو يقول.
[٩] جميع النسخ: التي.
[١٠] ن - بني.
[١١] تفسير *الطبري*، ٢١٢/٩. وبنو عبد الدار من قبائل قريش المشهورة. فهم بطن من قصي بن كلاب من القبائل العدنانية. وكانوا يسكنون في شعب مكة. انظر: معجم *قبائل العرب* لعمر رضا كحالة، ٧٢٣/٢، ٩٤٨/٣.
[١٢] ع م: وقد أعطاهم آية بعد آية.
[١٣] ن - دلت.
[١٤] ك: كان قد أعطاهم.
[١٥] جميع النسخ + ذلك.

لكن هذا بعيد، لأنه لم يقل: لو علم الله عنده خيرا لأسمعهم، ولكن قال: **لو علم الله فيهم خيرا**، فإنما نفى أنه ليس عندهم خير، والوجه فيه ما ذكرنا: أنه لو علم فيهم خيرا يعملون به لأَوْحَى إليهم وأسمعهم، لكنه علم أنهم[1] لا يقبلون، بقوله:[2] **ولو أسمعهم لَتَوَلَّوْا وهم معرضون**، أي مكذِّبون جوابَ ما سألوا تَعَنُّتا وتمرُّدا منهم، وأخبر أنهم يسألون سؤالَ تعنُّتٍ وتمرُّدٍ لا سؤالَ استرشاد.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٤]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لِما يُحْيِيكم**، قال بعضهم: هذه الآية صلة قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ،[3] يقول -والله أعلم- أجيبوا لله وللرسول[4] إلى ما يدعوكم وإن كانت أنفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف أبدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم. وقوله عز وجل: **إذا دعاكم لما يحييكم**،

[٢٨٤و] أي دعاكم لما يحييكم[5] بالذكر / والشرف والثناء الحسن في الدنيا والحياةِ في الآخرة اللذيذة الدائمة، وإن متُّم وهلكتم فيما يدعوكم إليه يكون لكم في الآخرة حياةُ الأبد. ويحتمل أن تكون[6] الآية في جملة المؤمنين، أي **استجيبوا لله**، في أوامره[7] ونواهيه، **وللرسول**، فيما يدعوكم إليه. وإنما كان يدعو[8] إلى دار الآخرة، كقوله تعالى: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[9] ودار الآخرة هي دار الحياة، كقوله: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[10] كأنه قال -والله أعلم- أجيبوا لله وللرسول، فإنه إنما دعاكم إلى ما تَحْيَوْن فيها، ليس كالكافر الذي لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا،[11] بتركه الإجابة.

---

[1] ع - أنهم.
[2] ك: فقوله.
[3] سورة الأنفال، ٨/٥.
[4] ك: والرسول.
[5] ن ع م - أي دعاكم لما يحيكم.
[6] ن م: أن يكون؛ ع + ويحتمل أن يكون.
[7] جميع النسخ: في أموره.
[8] ع: يدعوا.
[9] سورة يونس، ١٠/٢٥.
[10] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٤.
[11] ﴿إنه مَنْ يأتِ ربّه مُجرِما فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٤)؛ ويقول تعالى: ﴿الذي يَصْلَى النارَ الكبرى. ثم لا يموت فيها ولا يَحْيا﴾ (سورة الأعلى، ٨٧/١٢-١٣).

وقوله: **واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه**، أمكن أن يخرج هذا على الأول، أي **اعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**، يجعل القويَّ ضعيفا والعزيزَ ذليلا، والضعيفَ قويا والذليلَ عزيزا، والشُجاعَ جَبانا، والخائفَ آمِنا[١] والآمِنَ خائفا، فأجيبوا للرسول بالخروج للجهاد وإن كنتم تخافون لضَعْفكم وقوتهم. ويحتمل في جملة المؤمنين أنّ مَن أجاب لله[٢] وللرسول[٣] إذا دعاه يجعل قلبه هو الغالبَ على نفسه والحائلَ بينه وبين ما يدعو إليه النفس، وإذا ترك الإجابة يجعل نفسه هي الحائلةَ بينه وبين ما يدعو إليه قلبه والداعيةَ[٤] إلى ذلك؛ **وأنه إليه تحشرون**.

وقيل: **استجيبوا لله وللرسول**، بالطاعة في أمر القتال، **إذا دعاكم**، إلى الحرب، **لما يحييكم**، يعني بالحرب التي أعزّكم الله [بها]، يقول: أحياكم الله بعد الذلّ وقوّاكم بعد الضَّعْف، فكان[٥] ذلك حياةً. **واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه**، يقول:[٦] يحول بين قلبِ المؤمن وبين الكُفْر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان.

وقوله: **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**، يخرج على وجهين. أحدهما يستعجل[٧] التوبة قبل أن ينزل به الموت، يقول: أجيبوا لله وللرسول قبل أن يُحال بين المرء وبين التوبة بالموت. والثاني **يحول بين المرء وقلبه** بالأعمال التي يكتسبها، يُنشئ الفعلُ[٨] الذي يفعله طَبْعَ قلبِه وخَتْمَه، ويُنشئ ظُلْمَةً تحول بينه وبين ما يقصِده ويُدْعَى إليه. ***والله أعلم***.

**﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[٢٥]

وقوله: **واتقوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّةً**، قال بعضهم: "لا" هاهنا صلة زائدة، كأنه قال: واتقوا فتنة تصيبن[٩] الذين ظلموا منكم خاصة، أي اتقوا فتنة[١٠] تُصيب الظَّلَمَةَ منكم خاصّة بظلمهم،

---

[١] ن ع م: أمينا.
[٢] ع: الله.
[٣] ك: والرسول.
[٤] معطوفة على "الحائلة".
[٥] ع م: وكان.
[٦] م: وقلبه يخرج على وجهين.
[٧] ك: يستعمل.
[٨] ك: بفعل.
[٩] ع: لا تصيبن.
[١٠] جميع النسخ + التي.

وهو العذاب، كقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[1] فعلى ذلك قوله [هذا، أي] واتقوا فتنة تصيبنّ الذين ظلموا في الآخرة، وهو العذاب. وذلك جائز في الكلام، نحو ما قرأ بعضهم قوله: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ،[2] بفتح[3] الألف وطَرْح "لا": أنها إذا جاءت يؤمنون، أي إنها[4] وإن جاءت لا يؤمنون.[5] وأما على إثبات "لا" فإنه يحتمل وجوها. قيل: **اتقوا فتنة لا تُصِيبَنّ الذين ظلموا،** أي اتقوا أن لا تكونوا[6] فتنة للذين ظلموا، كقوله: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا،[7] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[8] ووجهُ جعلِه إياهم فتنةً للذين كفروا هو أن يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون، فيظنّون أنهم على حق والمؤمنين[9] على باطل، فذلك معنى دعائهم رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[10] لئلا يقولوا: لو كانوا على حق ما غُلِبوا ولا قُهِروا ولا انتصروا منهم.

وقيل: قوله: **واتقوا فتنة لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا،**[11] نهى[12] الأتباعَ منهم أن لا يَسْعَوْا[13] فيما بين الظَّلَمَة بالفساد ولا يُغْروا[14] بعضَهم على بعض فيقعَ فيما بينهم الفساد فيكونَ هؤلاء الأتباعُ فتنةً لأولئك الظَّلَمَة[15] بإغراء[16] بعضهم على بعض. وذلك معروف فيما بين الخَلْق في الظَّلَمَة، يُغري الأتباعُ بعضَهم على بعض، فذلك فتنة.

---

[1] سورة آل عمران، ٣/١٣١.
[2] سورة الأنعام، ٦/١٠٩.
[3] جميع النسخ: بكسر.
[4] ن – أي إنها.
[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/١٠٩. والآية فيها قراءتان متواترتان بفتح همزة أنّ، وكسرها. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٥.
[6] ك: أن لا تكون؛ ع م: أن تكونوا.
[7] سورة الممتحنة، ٦٠/٥.
[8] سورة يونس، ١٠/٨٥.
[9] جميع النسخ: والمؤمنون.
[10] ك – ووجه جعله إياهم فتنة للذين كفروا هو أن يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون فيظنون أنهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين.
[11] ن + أنه.
[12] ن – نهى، صح، هـ.
[13] ن: لا يسعون؛ ع م: لا يسمعون.
[14] جميع النسخ: ولا يغري.
[15] ع م: للذين ظلموا.
[16] ع: أبا غراء.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله تعالى[١] يغير[٢] الأحوال في الخلق مرةً سَعَةً وخِصْبًا، ومرةً قَحْطا وضِيقا، ومرةً غلبةَ العدو[٣] على الأولياء، ونحوه، ويدفع العذاب عن الظَّلَمَةِ بمن لم يظلم ما لم يشاركوا الظَّلَمَة، فإذا شاركوا أولئك يحلّ بأولئك بظلمهم وأهلِ الصلاح والعدلِ بتركِهم الظَّلَمَةَ وأهلَ الفساد عن الظلم والفساد[٤] ولهم قوة المنع لهم عن ذلك، فيقول: **لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصّة**، ولكن تصيبهم وتصيبكم، فقال:[٥] **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم**،[٦] أخذَ الظَّلَمَةَ العذابُ لمشاركةِ أهلِ العدل أولئك، فيكونون فتنة لهم، كقوله: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ.[٧] أو أن يدفع عن الظَّلَمَة البلاء والعذاب ما دام أهلُ العدل يأمرونهم بالمعروف ويُغَيِّرون[٨] عليهم المنكر، فإذا تركوا ذلك [و]لا يغيّرون[٩] عليهم المنكر نزل[١٠] بهم البلاء، فيَعُمُّهم البلاءُ: الظالمَ وغيرَه. والفتنة على وجهين. فتنة الجزاء، جزاءِ أعمالهم، وذلك يأخذ أهله خاصّة؛ وفتنةُ المحنة، وذلك يعمّ الخلق. *والله أعلم*.[١١]

**﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[٢٦]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستضعَفُون في الأرض تخافون أن يتخطّفَكم الناسُ**، الآية. إن أهل الإسلام في ابتداء الأمر كانوا قليل العدد مستضعَفين عند الكفرة،[١٢] حتى كانوا يخافون أن يَسلُب الكفرةُ أرواحهم، وكانوا لا يأمنون على أنفسهم بالمُقام في البُلدان لقلة عددهم وضَعْفِهم خوفا على أنفسهم وإشفاقا، فتركوا المقام بالبُلدان، / وخرجوا إلى الجبال والغِيران،[١٣] [٢٨٤ظ]

---

[١] ك: أنه تعالى.
[٢] ع م: تغير.
[٣] ع: غلبت العدوة.
[٤] ن - عن الظلم والفساد.
[٥] ن: فقالوا.
[٦] ك + خاصة.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٥١.
[٨] ع: ويغيرن.
[٩] ع م: فإذا تركوا ولا يغيرون.
[١٠] ن ع م: ترك.
[١١] ع - والله أعلم.
[١٢] ع: عند الكفر.
[١٣] الغيران جمع غار.

فأقاموا فيها، وأكلوا الحشيش والكلأ طعامَ الأنعام خوفا على أبدانهم، وإشفاقا على دينهم.[1] ثم إن الله عز وجل آواهم وأنزلهم في البُلدان والأمصار، وأيّدهم ونصرهم على عدوهم، ورزقهم الطيباتِ طعامَ البشر بعدما أكلوا الحشيشَ طعامَ البهائم لعلهم يشكرون، ليلزمهم الشكر على ذلك، ولا يجوز لهم أن لا يشكروا بعدما أصابوا ما أصابوا.[2] ذكر[3] هذا -والله أعلم- لنا لنكون[4] نحن من الإشفاق في الدين مثل أولئك حين هربوا منهم، واتخذوا الجبال والغِيرانَ بيوتا، والحشيش طعاما، وتركوا أموالهم ونِعمَهم، ورَضُوا بذلك إشفاقا على دينهم. وقال عامة أهل التأويل: نزلت الآية في أهل بدر، وكانوا قليلَ[5] العدد والعُدَّةِ ضعيفَ الأبدان، والعدوُّ كثيرَ العدد وقويَّ الأبدان، فاشتدّ عليهم الخروج لذلك، كقوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ،[6] الآية. فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **واذكروا إذ أنتم قليل مُستضعَفون**، أي إذ كنتم قليلا. وفيه دلالة لقول أبي حنيفة رحمه الله فيمن قال: هذا الشيء لفلان، اشتريته منه، صُدِّق، ويصير كأنه قال: هذا الشيء كان لفلان، اشتريته منه.[7] دليله قوله: **واذكروا إذ أنتم قليل مُستضعَفون في الأرض**، أي إذ كنتم قليلا.

وقوله: **وأيّدكم بنصره**، على هذا التأويل، أي[8] بالملائكة، **ورزقكم من الطيبات**، المغانم التي رزقهم وأحلّ لهم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم**، جعل الله[9] عز وجل هذه الأمة وَسَطا عَدْلا بقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،[10]

---

[1] لعله يشير إلى ما حدث من حصار مشركي قريش للمسلمين في شِعب أبي طالب في مكة ثلاث سنين حتى جاعوا وأصابهم الضُرُّ الشديد؛ انظر لتفاصيل القصة: *البداية والنهاية* لابن كثير، ٣/٨٤-٨٨.
[2] م - ما أصابوا.
[3] ن - ذكر.
[4] ن: ليكون.
[5] ك: قليلين.
[6] ﴿وإنّ فريقا من المؤمنين لَكارهون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥).
[7] انظر: *المبسوط* للسرخسي، ١٨/١٨٠.
[8] ع م - أي.
[9] م - الله.
[10] سورة البقرة، ٢/١٤٣.

فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد جعلكم الله أُمَنَاءَ عَدْلًا وَسَطًا، فلا تخونوا الله فيه، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[١] الآية، وقال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى،[٢] وقال: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٣] أخبر أنه ألزمهم الأمانة، أعني البشر دون ما ذكر من الخلائق. ثم منهم من ضَيَّع تلك الأمانة من نحو المنافقين والمشركين، وخانوا فيها، فلحقهم الوعيد بالتضييع، وهو قوله: لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، الآية. فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد قبلتم أمانة الله، فلا تضيّعوها، ولا تخونوا فيها، كما قال: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ،[٤] وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[٥] وغيرها من الآيات التي فيها ذكر[٦] الأمانات؛ نهاهم أن يخونوا فيها، فيكونون كأنهم خانوا[٧] أماناتهم. ويحتمل قوله [وجها آخر، كأنه قال:][٨] يا أيها الذين آمنوا إن أنفسكم وأموالكم لله، وهي عندكم أمانةٌ استَحْفَظَكم فيها، فلا تستعملوها في غير ما أُذِن لكم، لأن من استَحْفَظ أحدا في شيء ووضع عنده أمانة فاستعملها في غير ما أُذِن له صار خائنا فيها ضامنا لها،[٩] فعلى ذلك أنفسكم وأموالكم لله[١٠] عندكم أمانةٌ استَحْفَظَكم فيها، فإن استعملتم[١١] في غير ما أُذِن لكم فيها خُنْتُم الله والرسول فيها، فتخونوا أماناتكم التي لكم عند الله؛ وإذا حفظتم[١٢] الأمانة [كان] كقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.[١٣] وقال بعضهم: قوله: **وتخونوا أماناتِكم**، أي لا **تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم**، التي فيما بينكم.

---

[١] سورة النساء، ١٣٥/٤.

[٢] سورة المائدة، ٨/٥.

[٣] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها وحَمَلها الإنسان إنه كان ظَلوما جَهولا. ليعذِّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢-٧٣).

[٤] سورة النحل، ٩١/١٦.

[٥] سورة البقرة، ٤٠/٢.

[٦] م: التي ذكر فيها.

[٧] ن: خافوا.

[٨] من *الشرح* ورقة ٣٢٧و.

[٩] ع م – لها.

[١٠] ن: الله؛ م – لله.

[١١] م: فإذا استعملتم.

[١٢] م: إذا ضيعتم.

[١٣] أي وإذا حفظتم الأمانة وأوفيتم بعهد الله أوفى الله بعهده تجاهكم وكافأكم.

وأصله أن الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافعِ أنفسهم ولحاجتهم، فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كأنهم[1] خانوا أنفسهم وخانوا[2] أماناتهم، كقوله: وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ،[3] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[4] وقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[5] الآية. ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين، وخيانة المؤمنين في أفعالهم، فوعد لهم التوبة عن خيانتهم، ووعد أولئك على ما خانوا بقوله: لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[6]

وقوله عز وجل: **وأنتم تعلمون،** أن أنفسكم وأموالكم ليست لكم، إنما هي لله عندكم أمانة، فلا تخونوا فيها. وعن ابن عباس قال: الأمانة الأعمال التي ائتَمَن اللهُ عليها العبادَ، يعني الفريضة، يقول: **لا تخونوا الله،** أي لا تَنقُصُوا.[7]

ثم اختلف أهل التأويل في نزول الآية. قال بعضهم: نزلت في أبي لُبَابة. وذلك ما قيل في بعض القصة: إن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قُرَيْظَة،[8] فسألوا الصلح على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أَذْرِعَات،[9] فأبى النبي إلا أن ينزلوا على الحكم، فأَبَوْا، فقالوا:[10] فأَرْسِل إلينا أبا لُبَابَة، وكان مُناصِحَهم. فبعثه النبي إليهم، فلما أتاهم قالوا: يا أبا لُبَابَة،[11] أَتَنزِل على حكم محمد؟ فأشار أبو لُبَابَة[12] بيده أنْ لا تَنزِلوا على الحكم، فأطاعوه. وكان أبو لُبَابَة[13] مالُه وولدُه معهم،

---

[1] ك ع م: كانوا؛ ن: كان.

[2] ع - أنفسهم وخانوا.

[3] سورة البقرة، ٥٧/٢؛ وسورة الأعراف، ١٦٠/٧.

[4] سورة الإسراء، ٧/١٧.

[5] سورة فصلت، ٤٦/٤١؛ وسورة الجاثية، ١٥/٤٥.

[6] سورة الأحزاب، ٧٣/٣٣.

[7] *تفسير الطبري*، ٢٢٣/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٩/٤. ويقول الطبري عقيب ذلك: «... لا تَنقُصُوا اللهَ حقوقَه عليكم من فرائضه، ولا رسولَه من واجبِ طاعتِه عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تَنقُصُوهما وتخونوا أماناتكم وتَنقُصُوا أديانكم وواجبَ أعمالِكم ولازِمَها لكم، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحُجَج التي قد ثبتت لله عليكم» (المصدر السابق).

[8] ع م: وقريظة.

[9] موضع بالشام، كان يُنسَب إليها الخمر (*لسان العرب* لابن منظور، «ذرع»).

[10] ع م: قالوا.

[11] م: يا با لبابة.

[12] ع م: أبو لبانة.

[13] ع: أبو لبانة.

فخان المسلمين، فنزلت الآية في شأنه.[١] وقال بعضهم: نزلت[٢] في شأن حاطب[٣] بن [أبي] بَلْتَعَة،[٤] ففعل ما فعل أبو لُبَابَة.[٥] وقيل: نزلت في شأن قومٍ بينهم وبين رسول الله عهدٌ،[٦] كانوا يعبدون الأوثان والأصنام. لٰكِنَّا لا ندري[٧] في شأن من نزلت، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنَّ فيه ما ذكرنا من النهي في الخيانة في أمانة الله، والأمرِ بحفظها. *والله أعلم*.

**﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة**، أي لم يعطهم الأولاد والأموال[٨] لعبا وباطلا، أو ليكون لهم الأموال والأولاد، ولكن أعطاهم محنةً وابتلاءً. وكذلك/ جميع ما أنشأ في الدنيا من [٢٨٥و]
الأشياء إنما أنشأ لنا فتنةً ومحنةً، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[٩] الآية، وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[١٠] وقال: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ،[١١] الآية، وغيره[١٢] من الآيات. يدلّ أن جميع ما أنشأ في الدنيا إنما أنشأ[١٣] فتنةً ومحنةً يمتحن به[١٤] البشر، كقوله:[١٥] **أنما أموالكم وأولادكم فتنة**، أي محنة وابتلاء امتحنَنَا[١٦] به في أنواع التأديب والتعليم والحفظ والحقوق التي جعلها لهم علينا.

---

[١] رويت القصة بمعناها. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٢١-٢٢٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨-٤٩. ولم يكن أبو لبابة رضي الله عنه من المنافقين، وقد تاب بعد ذلك. وهو أبو لُبَابة الأنصاري، اسمه بَشِير، وقيل: رِفَاعة بن عبد المنذر، صحابي مشهور، وكان أحد النُّقَبَاء، وشهد بدرا، وعاش إلى خلافة علي رضي الله عنه. انظر: *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* لابن عبد البر، ٤/١٧٤٠-١٧٤٢؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ٦٦٩.

[٢] ع م - في شأنه وقال بعضهم نزلت.

[٣] م: خاطب.

[٤] ك ن ع: بن فلان.

[٥] ع: أبو لبانة. لم أجد هذه الرواية، لكن الصحيح المشهور أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب إلى قريش قبل فتح مكة يخبرهم بذلك، فنزل فيه أول سورة الممتحنة، ٦٠/١.

[٦] جميع النسخ + الذين.

[٧] م: لكنا ندري.

[٨] ع - والأموال.

[٩] سورة البقرة، ٢/١٥٥.

[١٠] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.

[١١] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٨).

[١٢] ع م: أو غيره.

[١٣] ع م - في الدنيا إنما أنشأ.

[١٤] ك: بها.

[١٥] ن ع م: بقوله.

[١٦] ن م: امتحنا.

وهو[١] كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ،[٢] الآية. وأوجب في الأموال حقوقا امتحنَنَا بأداء تلك الحقوق التي فيها. وكذلك في جميع ما أمر الله[٣] الخلائق بأمورٍ ونهاهم، إنما أمر ونهى لمنفعة الخلائق ودَفْعِ الضرر عنهم، لا لمنفعةِ نفسِه أو ضَرَرٍ أو حاجةٍ[٤] يدفع به عن نفسه، إذ له ملك ما في السماوات والأرض، وهو العزيز بذاته، لا يمسّه حاجةٌ، يتعالى عن ذلك.

وقوله عز وجل: **وأن الله عنده أجر عظيم**، لمن لم يخن الله[٥] والرسول. وَعَدَ لهم الأجر العظيم إذا قاموا[٦] بوفاء ما امتحنهم الله[٧] وابتلاهم به من الأموال والأولاد، حيث قال: **وأن الله عنده أجر عظيم**.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**، قال بعض أهل التأويل: إن هذه الآية صلة لما سبق[٨] من الأمر بالجهاد بِبَدْر والخروج إليه، كأنه قال: **إن تتقوا الله**، أطعتم[٩] الله وأجبتم له فيما دعاكم إليه، **يجعل لكم فرقانا**. يحتمل قوله: **يجعل لكم فرقانا**،[١٠] أي يجعل[١١] خروجكم إليه وجهادكم آية عظيمة يُظهر بها المُحِقّ من المُبْطِل،[١٢] كقوله: **وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**،[١٣] وقال: **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**،[١٤] أي لِيُظْهِر الحقّ من الباطل،

---

[١] م: جمعها ها عليهم هو.
[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكُم نارا وَقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦).
[٣] م + به.
[٤] ك ن ع: أو حاجته.
[٥] م – الله.
[٦] ن: إذ قاموا.
[٧] ك + به.
[٨] ن ع م: ما سبق.
[٩] م: وأطعتم.
[١٠] م – يحتمل قوله يجعل لكم فرقانا.
[١١] م + لكم.
[١٢] ع: والمبطل.
[١٣] سورة الأنفال، ٨/٧.
[١٤] سورة الأنفال، ٨/٨.

وقد كان بحمد الله[١] ذلك، وبان الحقُّ من الباطل والمُحِقُّ من المُبْطِل. وقيل: قوله: **فرقانا**، أي مُخْرِجا في الدين من الشُّبُهات. وقيل: مَخْرَجا في الدنيا والآخرة. و يحتمل **فرقانا**، أي بيانا لما ذكرنا. جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير، وأصلا لكل برّ، وصيّره مُخْرِجا من كل شبهة ومن كل ضِيق وشدة، وجعله سبيلا[٢] يُوصَل به إلى كل لذّة وسرور، ويُنال به كل خير وبركة، على ما ذكر في غير آي من القرآن.

وقوله عز وجل: **ويُكَفِّرْ عنكم سيئاتِكم**، التي سبقت، **ويَغفرْ لكم**، أي يستر عليكم ذنوبكم، لا يُطْلِعُ[٣] أحدا عليها، وذلك من أعظم النعم. وأصل المغفرة السَّتْر.[٤] وقوله عز وجل: **والله ذو الفضل العظيم**، أي عند الله فضل، يعطيكم خيرا مما تطمعون[٥] بالتقوى[٦] الذي ذكر.[٧]

**﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**[٣٠]

وقوله عز وجل: **وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخْرِجُوك**، من الناس من يقول بأن هذه الآية هي[٨] صلة قوله تعالى: إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ،[٩] كانوا ضُعفاءَ أَذِلَّاءَ فيما بين الكفرة، خائفين فيما بينهم؛ فهَمُّوا[١٠] أن يَمْكُروا برسول الله. والمكر به ما ذكر من القتل والإثبات، وهو الحبس، أو الإخراج، كأنهم تشاوروا فيما بينهم، واستأمروا ما يفعلون به.[١١] فذكر في القصة أنّ بعضَهم أشاروا إلى القتل، وبعضَهم إلى الحبس، وبعضَهم إلى الإخراج.[١٢] فكان مشاورتهم وأَمْرُهم رجعت إلى أحد هذه الوجوه،

---

[١] ع: لله.
[٢] ع م + ثم.
[٣] ن: ولا يطلع.
[٤] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «غفر».
[٥] ن ع: مما تطعمون.
[٦] ع – بالتقوى.
[٧] م – بالتقوى الذي ذكر.
[٨] م – هي.
[٩] سورة الأنفال، ٢٦/٨.
[١٠] أي الكافرون.
[١١] جميع النسخ: ما يفعل بهم.
[١٢] ن ع م: بالإخراج.

إما القتل، وإما الحبس، وإما الإخراج.[١] ثم أخرج الله رسوله من بين أظهرهم على الوجه الذي يكون مطيعا لله متعبِّدا له، فيما كان خروجه بأمره، ليكون خروجُه على غير الجهة التي أرادوا هم[٢] به، وسمَّى خروجَه هجرة، ولِيَعلموا أنه إنما علم بكيدهم[٣] ومكرهم به بالله، ليكون آيةً من آيات نبوتِه ورسالتِه بعد خروجه من بين أظهرهم ومُفارقتِه إياهم، كما كان له من الآيات وقتَ مُقامه بين أظهرهم. وهو كما كان لعيسى آياتٌ وقتَ مقامِه بين أظهرهم،[٤] وآيةٌ كانت له بالرفع بعد مفارقته قومه.[٥] فعلى ذلك الأول. ولو كانوا لم يَتوافَقُوا بما ذكرنا من القتل أو الحبس[٦] دون الإخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين أظهرهم وهم قد همُّوا بإخراجه. **والله أعلم**.

وفي قوله: **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك**، إلى آخر ما ذكر، تذكيرُ ما أنعم على رسوله وأصحابه، لأنه آواهم إلى الأمن بعدما كانوا خائفين فيهم،[٧] وأنزلهم المدينة بعدما كانوا في الغِيران في الجبال هاربين منهم، ورزقهم[٨] الطيباتِ طعامَ البشر بعدما كانوا يتناولون من طعام البهائم والسباع.

يذكر نعمه عليهم باستنقاذه إياهم من بين ظَهْرَانَيْهم، والحيلولةَ بينه وبين ما قصدوا وهمُّوا بالمكر به والهلاك، بقوله: **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**. فيه [أنواعٌ] من الوجوه احتجاجا عليهم. أحدها[٩] ما ذكرنا أنهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر له، لم يُطْلِعُوا أحدا، ثم علم ذلك هو فخَرَج، ليعلموا أن الله هو الذي أَطْلَعَه على ذلك. والثاني كان يخوِّفهم الهلاك بمكرهم برسوله، فخَرَج من بينهم من غير أن أصابه ما همُّوا به، وقد أصابهم من الهلاك الذي كان يخوِّفهم، وحَلَّ بهم ما كانوا هَمُّوا[١٠] به وقصدوه، وذلك ما ذكر مِن مَكْرِ الله بهم.

---

[١] ع م – وإما الإخراج.
[٢] م: أرادوهم.
[٣] ك: مكيدهم.
[٤] ع – أظهرهم.
[٥] ن ع: قومهم؛ م: مفارقة قومهم.
[٦] ك: والحبس.
[٧] ن – فيهم.
[٨] ع م + من.
[٩] م: أحدهما.
[١٠] ع م – هموا.

وقوله عز وجل: **و يمكر الله والله خير الماكرين،** قال بعضهم: أرادوا هم[١] بمكرهم به شرا، وهو أن يطفئوا هذا النور ليَذهَب هذا الدين ويَدرُس آثارُه، وأراد الله أن يُسلِم منهم نفر / ليكونوا أعوانا ونُصَراءَ له ليأخذوا حظّهم بذلك، فهو **خير الماكرين**. وقيل: **ويمكرون** [٢٨٥ظ] **ويمكر الله،** أي أرادوا قتله، **ويمكر الله،** أراد قتلهم، فقتلهم ببدر. **والله خير الماكرين،** أي أفضل مكرا منهم، غلب مكرُه مكرَهم. وقال بعضهم: قوله: **ويمكرون ويمكر الله،** أي يجزيهم جزاء مكرهم.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **وإذا تُتلَى عليهم آياتنا،** يحتمل قوله: **آياتنا،** آيات القرآن التي كان يتلو[٢] رسول الله.[٣] ويحتمل آياتُه حُجَجَه وبراهينَه التي توجب التوحيد وتصديق الرسل.

وقوله: **قالوا قد سمعنا لو نشاء لَقُلْنَا مِثلَ هذا،** قالوا ذلك مُتَعَنِّتِين، إذ كان يَقْرَعُ أسماعَهم قولُه: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[٤] وقولُه: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٥] الآية، ثم لم يكن يطمع أحد منهم أن يأتي بمثله، وتَكلَّفوا[٦] في ذلك، دلّ أنّ قولهم **لو نشاء لَقُلْنَا مِثلَ هذا،** تعنُّتٌ وعناد. **إن هذا إلا أساطير الأولين،** كذلك كان يقول العرب: إنه **أساطير الأولين.**

**﴿وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣٢]**

وقوله: **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأَمْطِرْ علينا حجارةً من السماء،** الآية، يذكر نهايةَ سَفَهِهم، وغايةَ جَرَاءَتِهم على الله، وبُغْضَهم الحقَّ، مع علمهم أن الله هو الإله، وأنه قادر على إنزال العذاب، وله السلطان على إمطار الحجارة، بقولهم: **اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأَمْطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم،**

---

[١] م: أرادوهم.
[٢] ع: يتلوا.
[٣] ع م – الله.
[٤] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢٣.
[٦] ن ع م: أو تكلفوا.

فلم يُبالوا[1] إهلاكَ[2] أنفسهم لشدةِ سَفَهِهم وجُرأَتِهم على الله وبُغضِهم الحق. وهذا ذُكِر -والله أعلم- لِيَعلم الناسُ ما لَحِق رسولَ الله بدعائه هؤلاء السفهاء إلى دين الله الذين لم يُبالوا[3] إهلاكَ أنفسهم لشدة بُغضِهم الحقَّ وجُرأَتِهم على الله، وما يَتحمَّل منهم من المُؤَن[4] العظيمة.[5]

[٢٨٥ظ س٣٦ * وفي إثبات قول السفهاء ودعائِهم بإمطار الحجارة عليهم، وجَعلِ ذلك كتابا يُتلَى في الصلوات أوجه ثلاثة من الحكمة. أحدها[6] تعريفٌ لهذه الأمة المعاملةَ مع السفهاء عند ارتكاب المناكير، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنهم إذا تَمَادَوْا[7] في غَيِّهم واستقبلوا بالمكروه والأذى أنْ لا يُترَك الأمرُ لهم بالمعروف،[8] ولا يُؤْيَس[9] مِن خيرهم، اقتداءً بالنبي، [٢٨٦و] أنه لم يَترك[10] دعاءهم وأَمْرَهم بالمعروف مع شدة / سَفَهِهم وتمرُّدِهم. والثاني لِيَعلم الخلقُ أن حجة الله تلزم العباد[11] وإن كانوا قد جهلوه إذا كان التضييع جاء مِن قِبَلهم في ترك النظر والتفكُّر، إذ لو عَلِموا حقيقة العلم أنه الحق لم يكونوا لِيَدْعُوا على أنفسهم بالهلاك. ٢٨٦و س٣] والثالث يكون فيه بيان [ما لَحِق النبيَّ صلى الله عليه وسلم منهم].[12]*

**﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣٣]**

وقوله: **وما كان الله لِيعذِّبهم وأنت فيهم**، يحتمل قوله: **وأنت فيهم**، أي في جملة المؤمنين، أنه لا يعذب أحدا في الدنيا ما دام هو فيهم، وما دام مؤمنٌ فيهم، بقوله: **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**، أي يؤمنون. وهو كما ذكر أنه أرسله رحمةً، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[13]

---

[1] ن ع: فلم ينالوا.
[2] ع: إهلاكهم.
[3] ع: لم ينالوا.
[4] ع: من المؤمن؛ م - المون.
[5] ن ع م: العظيم.
[6] ع: أحدهما.
[7] ع م: إنما تمادوا.
[8] ن - والنهي عن المنكر أنهم إذا تمادوا في غيهم واستقبوا بالمكروه والأذى أن لا يترك الأمر لهم بالمعروف.
[9] ن: ولا يوئس؛ ع: ولا يونس.
[10] ن: لم ينزل.
[11] ن: العبادة.
[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٧ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨٥ظ/سطر ٣٦ - ٢٨٦و/سطر ٣.
[13] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.

ومن رحمته أن لا يعذِّب أحدا من أمّته في الدنيا، إنما يؤخِّر ذلك إلى يوم التَّنَاد،[1] بقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ كذا،[2] وقوله: وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[3] ويحتمل أن يكون قوله: **وأنت فيهم**، في أهل مكة خاصة، أنه لا يعذبهم ما دام هو فيهم، وما دام[4] فيهم أحد[5] من المسلمين، من نحو النساء والذراري، كقوله: وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[6] الآية. أي لا نعذبهم **وأنت** يا محمد **فيهم**، أي بين أظهرهم، حتى نخرجك[7] من بينهم، **وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون**، أي يُصَلُّون، وقيل: يؤمنون، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[8] ولكن يعذبهم تعذيبَ القتال والجهاد، ولا يعذبهم تعذيبَ استئصالٍ وإهلاكٍ جملةً، أي تعذيبَ استئصالٍ[9] على ما هلك سائر الأمم.

ثم إن المعتزلة[10] تعلّقت بظاهر قوله تعالى: **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**، أي سيؤمنون، أي لا يعذبهم ما دام يعلم أن فيهم أحدا يؤمن في آخر عمره؛ إذ من[11] قولهم أنْ لا يجوزُ لله أن يهلك أحدا إذا كان في علمه أنه سيؤمن في آخر عمره، لقولهم في الأصلح: إن الله لا يفعل بخلقه إلا ما هو أصلح لهم في الدين. فعلى ذلك تأوّلوا ظاهر هذه الآية، أنه لا يعذبهم **وهم يستغفرون**، أي سيؤمنون. لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم أبدا، ويسقط الأمر بالقتال، إذ لعل فيهم من يُسلِم. فإذا أمره بالجهاد والقتال معهم دلّ أن ذلك ليس ما توهموا. ***والله أعلم***.

---

[1] ﴿ويا قومِ إني أخاف عليكم يوم التَّنَاد﴾ (سورة المؤمن، ٣٢/٤٠). ويوم التناد يوم القيامة. والتناد من النداء، أي يوم ينادي الناس بعضهم بعضا. وقيل: من نَدَّ البعير إذا شَرَد وهرب، أي يجتمع الناس ويركضون إلى المحشر. وقيل غير ذلك (*لسان العرب* لابن منظور، «ندد، ندى»).

[2] ﴿ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

[3] ﴿بل الساعةُ مَوْعِدُهم والساعةُ أدْهَى وأَمَرُّ﴾ (سورة القمر، ٤٦/٥٤).

[4] ع – هو فيهم وما دام.

[5] ن – والساعة أدهى وأمر ويحتمل أن يكون قوله وأنت فيهم في أهل مكة خاصة أنه لا يعذبهم ما دام هو فيهم وما دام فيهم أحد.

[6] سورة الفتح، ٢٥/٤٨.

[7] ك ن: حتى يخرجك.

[8] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٩.

[9] ع م – وإهلاك جملة أي تعذيب استئصال.

[10] م: ثم المعتزلة.

[11] م: أو من.

وقال بعضهم في قوله: **وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون**، أي وهم يدخلون في الإسلام.[١] وقيل: يُسلِمون. وقال بعضهم: **وهم يستغفرون**،[٢] بقيةُ مَن بَقي في مكة من المسلمين، فلما خرجوا منها قال: وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ،[٣] الآية. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان[٤] فيكم أَمَانَان.[٥] أحدهما رسول الله، لقول الله:[٦] **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**. والآخر[٧] الاستغفار، لقول الله:[٨] **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**. قال: فذهب أَمَانٌ، وهو رسول الله، و بقي أَمَانٌ، وهو الاستغفار.[٩] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله[١٠] جعل في هذه الأمة أَمَانَين، لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما دام بين أظهُرهم؛ فأمانٌ قَبَضَه الله إليه، وأمانٌ بَقي فيكم، وهو الاستغفار الذي ذكر.[١١] وروي عن عبد الله بن عمرو[١٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في آخِرِ سجودِهِ في صلاة الآيات،[١٣] فقال: «أُفٍّ، أُفٍّ»، فقال: «ربِّ، ألم تَعِدْني[١٤] أن لا تعذبهم وأنا فيهم، ربِّ، ألم تَعِدْني[١٥] أن لا تعذبهم وهم يستغفرون».[١٦] وعن بعضهم: أَمَانَان أنزلهما الله؛ أمّا أحدهما فمضى، وهو نبي الله، وأما الآخر فأبقاه الله تعالى بين أظهُركم، وهو الاستغفار والتوبة.*

---

[١] ع: في السلام.

[٢] ن - وهم يستغفرون.

[٣] الآية التالية.

[٤] ع م - كان.

[٥] ن: أمانا.

[٦] ن: لقوله.

[٧] ع: وآخر.

[٨] ن: لقوله.

[٩] أخرجه أبو الشيخ والحاكم -وصححه- والبيهقي في *شُعَب الإيمان*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧.

[١٠] ك - الله.

[١١] *تفسير الطبري*، ٩/٢٣٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧.

[١٢] جميع النسخ: عبد الله بن عمر.

[١٣] أي الحوادث الطبيعية العظيمة مثل الكسوف والزلازل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الكسوف.

[١٤] ع م: ألم تعد.

[١٥] م: ألم تعد.

[١٦] ع: وهم يستغفر. وذلك حين انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: *سنن أبي داود*، صلاة الاستسقاء ٩؛ *وسنن النسائي*، الكسوف ٢٠.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٢٨٥ظ/سطر ٣٦ - ٢٨٦و/سطر ٣.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وما لهم أنْ لا يعذِّبَهم الله وهم يَصدُّون عن المسجد الحرام**، أي ما لهم مِن عُذر في صَرْف العذاب عن أنفسهم، إذ قد كان منهم مِن أنواعٍ ما كان لو كان واحدٌ مِن ذلك لكانوا يستوجبون العذاب، مِن تكذيبِهم الرسولَ والآياتِ التي أرسلها إليهم، وصَدِّهم[١] الناسَ عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة، وسؤالِهم بقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.[٢] أي ليس لهم عُذر في صَرْف العذاب عن أنفسهم، والاحتجاجِ على الله أنه لم يرسل رسولا بقولهم:[٣] لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا،[٤] الآية. بل أرسل إليهم الرسول فكذّبوه، وبعث إليهم الآيات فكذّبوها، وصَدُّوا الناس عن المسجد الحرام، فلا عذر لهم في وجه من الوجوه أن يَصرف[٥] العذاب عنهم،[٦] إلّا أن الله بفضله ورحمته يَصرف العذاب عنهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفار المؤمنين، وإلا[٧] قد كان منهم جميع أسباب العذاب التي يستوجبون بها.

وقوله: **وهم يَصدُّون عن المسجد الحرام**، أي عن الصلاة فيها. ويحتمل أن يكون صَدُّوا الناس عن رسول الله، لكنه ذكر المسجد لِما كان[٨] رسول الله فيه، لئلا لا يَروا رسول الله فيتبعوه.[٩]

وقوله عز وجل: **وما كانوا أولياءَه**، أي لم[١٠] يكونوا أولياءه ليصرفوا العذاب عن أنفسهم بالولاية، وهو صلة قوله: **وما لهم أن لا يعذبهم الله**، وهم ليسوا بأوليائه. ويحتمل قوله:[١١] **وما كانوا أولياءه**، أنهم كانوا يصدُّون الناس عن المسجد الحرام لِما ادَّعَوا[١٢] أنهم أولياؤه،

---

[١] م + وصدهم.
[٢] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[٣] ك ن: لقولهم.
[٤] سورة طه، ١٣٤/٢٠؛ وسورة القصص، ٤٧/٢٨.
[٥] ن - من الوجوه أن يصرف، صح هـ؛ ن + من.
[٦] م - عنهم.
[٧] ع: إلا.
[٨] ن: لمكان.
[٩] ك ن: فيتبعونه؛ ع م: فيتبعوا.
[١٠] ك: إذ لم؛ ن ع: ان لم.
[١١] ع - وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم ليسوا بأوليائه ويحتمل قوله.
[١٢] ن: لما اعوا.

وأنهم أولى بالمسجد الحرام منهم،[1] ثم أخبر أنهم ليسوا أولياءَه،[2] إنما أولياؤه **المتقون**، الذين اتَّقَوْا ما أَتَوْا هم،[3] أو أولياؤه[4] الموحِّدون. لا الذين أشركوا غيرَه في عبادته وألوهيّته.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**، قال بعضهم: كان أحسنَ حالِهم التي هُم عليها هي حالُ الصلاة، فإذا كان صلاتهم **مكاء وتصدية**[5] فكيف حالهم في غير الصلاة؟ وقال بعضهم: قوله: **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابَه إذا صَلَّوْا في المسجد الحرام قام[6] طائفة من المشركين عن يمين النبي وأصحابِه، فيُصَفِّرون كما يُصَفِّر المُكَّاءُ،[7] وطائفة تقوم عن يسارهم، فيُصَفِّقُون بأيديهم لِيَخلِطوا على النبي وأصحابِه صلاتَهم، فنزل قوله تعالى: **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**.[8] ثم[9] اختلف في المُكَاء والتَّصْدِيَة. قال بعضهم: المُكَاء هو مثل نَفْخ البُوق، والتَّصْدِيَة هو طوافهم[10] على الشمال. وقال القُتَبي: المُكَاء الصَّفِير، يقال: مَكَا يَمْكُو، وهو مثل ما قيل للطائر: مُكَّاء، لأنه يَمْكُو، أي يُصَفِّر،[11] يعني يُصَوِّت؛ والتَّصْدِيَة هو التصفيق، يقال: صَدَّى،[12] إذا صَفَّق بيديه.[13] وقال أبو عَوْسَجَة: المُكَاء شِبْه[14] الصَّفِير؛ والتَّصْدِيَة ضَرْبٌ باليدين، وهو من الصَّدَى مِن الصوت. وقيل: المُكَاء صَفِير كان أهل الجاهلية يلعبون به، والتَّصْدِيَة الصدّ عن سبيل الله ودينه.

---

[1] م – منهم.

[2] ع – أنهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما ادعوا أنهم أولياؤه وأنهم أولى بالمسجد الحرام منهم ثم أخبر أنهم ليسوا أولياءه.

[3] ن ع: ما أتوهم؛ م: لما أتوهم. أي الذين اتقوا أفعال المشركين واجتنبوها.

[4] ع م: وأولياؤه.

[5] ك – قال بعضهم كان أحسن حالهم التي هم عليها هي حال الصلاة فإذا كان صلاتهم مكاء وتصدية.

[6] ع: قال.

[7] المُكَّاء نوع من الطير، سمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرا حسنا. ومَكَا الإنسان يَمْكُو مَكْوًا ومُكَاء: صفر بفمه. وقال بعضهم: هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يُدخلها في فيه ثم يصفر فيها (*لسان العرب* لابن منظور، «مكو»).

[8] روي بمعناه عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٤٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦١.

[9] ع – ثم.

[10] ع: في طوافهم.

[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.

[12] ع م: صدا.

[13] ع: بيده.

[14] ع: يشبه.

وقوله: **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**، قال بعض أهل التأويل: ذوقوا العذاب يوم بدر، وهو الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر. ويحتمل قوله: **فذوقوا العذاب**، في الآخرة بكفرهم في الدنيا.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله**، الآية، يُذكّرهم -والله أعلم- النعم التي أنعمها عليهم من أنواع النعم. أحدها[١] ما أنزلهم في بُقْعَة خُصَّت تلك البُقْعَة وفُضِّلت على غيرها من البقاع، وهي[٢] مكان العبادة، ثم صدّوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها. ومِن ذلك بَعْثُ الرسول منهم فيهم، فكذّبوه؛ وما أعطاهم من الأموال، فأنفقوها في الصدِّ، صدِّ الناس[٣] عن مكان العبادة وإقامة العبادة فيه. ثم اختلف في معنى الصّدّ. قال بعضهم: إن كفار قريش استأجروا لقتال بدر رجالا من قبائل العرب عَوْنا لهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فذلك نفقتهم التي أنفقوا، فصار ذلك حسرةً عليهم لما كانت الهزيمة عليهم. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال: تلك قد خَلَتْ، إن ناسا في الجاهلية كانوا يعطون أموالهم ناسا،[٤] فيقاتلون نبي الله، فأسلموا[٥] عليها، فغُلِبُوا،[٦] فكانت عليهم حسرة.[٧] وعن سعيد بن جُبير قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحُد أُجَرَاء من الأَحَابِيش من كِنَانَة،[٨] فقاتلهم النبي.[٩]

---

[١] ع م: أحد.

[٢] ع م: وهو.

[٣] ع م: الإنسان.

[٤] ن: كان يعطون الناس أموالهم؛ ع م: يعطون ناسا أموالهم.

[٥] أي الذين أخذوا الأموال.

[٦] جميع النسخ: فطلبوا.

[٧] ع م – حسرة. روي بمعناه. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٤٥/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٣/٤.

[٨] والأَحَابِيش أحياءٌ من القارَة من كِنَانَة. سُمُّوا بذلك لاسوِدَادِهم. وقيل: الأَحَابِيش مأخوذ من حَبْش الشيءِ بمعنى جَمعه، لأنهم ناس ليسوا من قبيلة واحدة. وكِنَانَة قبيلة من مُضَر. والقَارَة قبيلة من كِنَانَة سُمُّوا قَارَة لاجتماعِهم والتِفافِهم لَمَّا أراد ابن الشَّدَّاخ أن يُفرِّقهم في بني كِنانة، وهم مشهورون بالرَّمْي (*لسان العرب* لابن منظور، «قور، حبش، كنن»).

[٩] *تفسير الطبري*، ٢٤٤/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٣/٤.

ويحتمل أن يكون قوله:[١] **ثم تكون عليهم حسرة**، يوم القيامة، أي النفقة التي أنفقوها تصير[٢] عليهم حسرة في الآخرة لما أنفقوها في غير حِلّ[٣] لصد الناس عن سبيل الله. وقوله: **والذين كفروا إلى جهنم يُحشَرون**، أي يُجمَعون، وهو ظاهر، يُجمَعون إلى جهنم بكفرهم بالله.

**﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣٧]**

وقوله: **لِيَمِيزَ اللهُ الخبيثَ من الطيب**، جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا، في سمعهم[٤] وبصرهم ونطقهم وجميع / جوارحهم، ولباسهم وطعامهم وشرابهم، وجميع منافعهم من الغنى والفقر [٢٨٦ظ] وأنواع المنافع. جعل بعضهم ببعض مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا، لكنه ميّز بين الطيب والخبيث[٥] في الآخرة بأعلام يُعرَف بتلك الأعلام[٦] الخبيث من الطيب، من نحو ما ذكر في الطيب قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[٧] و وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ،[٨] وقال في الكافر: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ،[٩] وقال: وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا،[١٠] وقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[١١] وقال: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا،[١٢] الآية، وغير ذلك من الآيات. ميّز الله تعالى بين الخبيث والطيب بالأعلام[١٣] التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم ومَأْكَلِهم ومَشْرَبِهم حتى يُعرَفوا جميعا بالأعلام. ويحتمل ما ذكر من التمييز بين الخبيث والطيب بالمُبَاهَلَة[١٤] التي جرَت بين أبي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[١] ع م - قوله.
[٢] ع م - تصير.
[٣] م - في غير حل.
[٤] ن: بسمعهم.
[٥] ك: بين الخبيث والطيب.
[٦] ك: العلامات.
[٧] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.
[٨] سورة عبس، ٨٠/٣٨-٣٩.
[٩] سورة عبس، ٨٠/٤٠-٤١.
[١٠] سورة طه، ٢٠/١٠٢.
[١١] سورة الإسراء، ١٧/٩٧.
[١٢] ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٢٤).
[١٣] جميع النسخ: بأعلام.
[١٤] بَاهَل القومُ بعضُهم بعضا وتَبَاهَلُوا وابْتَهَلُوا: تَلاعَنُوا. والمُبَاهَلَة: المُلاعَنَة. ويقال: بَاهَلْتُ فلانا، أي لاعَنْتُه، ومعنى المُبَاهَلَة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم مِنّا (*لسان العرب* لابن منظور، «بهل»).

حيث قال أبو جهل: اللهم[١] انصر أَهْدَانا[٢] سبيلا وأبرَّنا قَسَما[٣] وأَوْصَلنَا[٤] رَحِما، فأُجيب، فنصر رسولَه وأصحابَه، فميّز بين المُحِقّ والمُبْطِل. ويحتمل ما ذكر من التمييز في الآخرة، كقوله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.[٥]

وقوله عز وجل: **ويجعلَ الخبيث بعضه على بعض فيَرْكُمَه جميعا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يجعلهم دَرَكاتٍ بعضُها أسفلُ من بعض، كقوله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.[٦] ويحتمل أن يجعل بعضهم على بعض مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ،[٧] **فيَرْكُمَه جميعا**، قيل: يجمعه جميعا،[٨] بعضهم على بعض. ويحتمل قوله:[٩] **فيَرْكُمَه جميعا**، إخبارا عن الضِّيق،[١٠] كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا.[١١] وقال القُتَبي: **فيَرْكُمَه جميعا**، أي يجعله رُكاما بعضه[١٢] فوق بعض.[١٣] وكذلك قال أبو عَوْسَجة: يُقال: رَكَمْت المتاع، إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقوله: **فيجعَله في جهنم**، جهنم[١٤] هو[١٥] المكان الذي يجمع أهل النار في التعذيب.

**﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾**[٣٨]

وقوله عز وجل: **قل للذين كفرو إن يَنتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف**، ذكر عز وجل غايةَ كَرَمِه وجُودِه بما وعد لهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الإشراك في ألوهيته،

---

[١] ع م – اللهم.
[٢] جميع النسخ: انصر من أهدانا.
[٣] أَبَرَّ فُلانٌ قَسَم فُلان: أجابه إلى ما أَقْسَم عليه (*لسان العرب* لابن منظور، «برر»).
[٤] جميع النسخ: وأوصل.
[٥] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[٦] سورة النساء، ١٤٥/٤.
[٧] هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وترى المجرمين يومئذٍ مُقَرَّنِين في الأصْفَاد﴾ (سورة إبراهيم، ٤٩/١٤). مُقَرَّنِين أي مربوطين بعضهم مع بعض (*لسان العرب* لابن منظور، «قرن»). الأصفاد جمع الصِّفاد، وهو حبل يُوثَق به أو غُلّ (*لسان العرب* لابن منظور، «صفد»).
[٨] ن – قيل يجمعه جميعا.
[٩] ع م – قوله.
[١٠] ن + كذا.
[١١] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.
[١٢] ع م: بعضها.
[١٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.
[١٤] جميع النسخ: الجهم.
[١٥] ن – هو.

وصرفِ العبادة إلى غيره، وصدِّ الناس عن عبادته وطاعته، ونَصْبِ الحروب التي نَصَبوا بينهم وبين المؤمنين، وغيرِ ذلك من أنواع الهلاك. فمع ما كان منهم وَعَد لهم المغفرة بالانتهاء من ذلك، لِيُعلَم غايةُ كَرَمِه وجُودِه. والمغفرة تحتمل[١] التجاوز، أي يتجاوز[٢] عنهم ما كان منهم، لا يؤاخذهم[٣] بذلك. ويحتمل: يستر عليهم معاصيَهم التي كانت[٤] منهم، ولا يَذكُرون ذلك، لأنهم لو ذَكَروا ذلك يُنَغِّص[٥] عليهم[٦] النعم.

وفيه دلالةُ نقضِ قولِ المعتزلة، لأنه أخبر أنهم إن انتهوا وتابوا غفر لهم ما قد كان منهم، وإنما كانوا مُنتهين بالإيمان، ولم يجعل بين الإيمان والكفر منزلة ثالثة، وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة، ويقولون: إذا ارتكب كبيرة خرج من الإيمان، ويخلد في النار أبدا، ولم يكن داخلا في الكفر. وفيه دليلُ نقضِ قولِ مَن يقول بأن على الكافر فعلَ العبادات من نحو الصلاة والزكاة والصيام، لأنه ذكر الانتهاء، والانتهاءُ عما كان منهم[٧] مِن ترك العبادات القيامُ بقضائها وأداءٍ[٨] ما تَركوا. فلمّا لم يجب عليهم أداءُ شيءٍ من ذلك دلّ أنه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعلُ تلك العبادات. إنما عليهم اعتقاد تلك العبادات،[٩] إذ لو كانت عليهم لكان الانتهاءُ عنها بقضاء[١٠] ذلك، كقوله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن صلاة أو نسيها فعليه أن يصليها[١١] إذا ذكرها [و]إذا استيقظ،[١٢] وذلك[١٣] كفارته».[١٤]

---

[١] ع م: يحتمل.

[٢] ع م - أي يتجاوز.

[٣] ع م: لا يؤخذهم.

[٤] ن ع م: كان.

[٥] نَغَّص عليه عَيْشه تَنْغِيصا، أي كَدَّره... نَغَّص علينا أي قَطَع علينا ما كان نُحب الاستكثار منه (*لسان العرب* لابن منظور، «نغص»).

[٦] ع: وعليهم.

[٧] م - منهم.

[٨] ع م: وإذا.

[٩] ع: العبادة.

[١٠] ك ن ع: قضاء.

[١١] ع: أن يصلها.

[١٢] ك: أو استيقظ.

[١٣] ن: وكذلك.

[١٤] ذكر المؤلف الحديث بمعناه. وقد روي الحديث بألفاظ متقاربة، منها: «مَن نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصلِّيها إذا ذكرها» (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٣٧؛ *وصحيح مسلم*، المساجد ٣١٥). واللفظ لمسلم. وزيادة الواو في الحديث من *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤١٢/١.

وكذلك تأويل[1] قوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[2] ليس على الفعل، ولكن في حق الاعتقاد؛ إذ لا سبيل[3] إلى القيام بفعل ما ذكر إلا بعد حَوْل[4] ووقت طويل. وفي هذه الآية دلالةٌ على أنْ ليس بين الشرك والإيمان منزلة ثالثة، على ما يقوله المعتزلة في صاحب الكبيرة، لأنه لو كان بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة لكانوا إذا انتهَوْا عن الكفر ولم ينتهوا عن تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم، فدلّ ما ذكر من المغفرة على أنْ ليس بينهما منزلة، ولكن إذا انتهوا عن الكفر دخلوا في الإيمان.

وقوله عز وجل: **وإن يعودوا فقد مَضَتْ سُنة الأولين**، قال بعضهم: **وإن يعودوا**، إلى الكفر وقتال محمد بعدما انتهوا عنه فقد مضى كذا، يعني القتال. ويحتمل أن يكون قوله: **يعودوا**، أي داموا فيه،[5] لا أنْ كانوا خرجوا منه، نحو قوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[6] كانوا فيه، لا أنْ كانوا خرجوا منه ثم دخلوا في غير ذلك. ثم يحتمل وجهين بعد هذا. أحدهما أنّ للكفر[7] حكمَ التجدُّد في كل وقت. والثاني ما ذكرنا أنّ ذِكرَ[8] العَوْدِ فيه لدوامهم فيه[9] وإن لم يخرجوا منه، وذلك جائز في اللسان، كقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، ابتداءَ إخراجٍ من غير أنْ كانوا فيه،[10] وكقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[11] ابتداءَ رَفْعٍ، لا أنْ كانت موضوعة فرفعها مِن بَعْدُ. فعلى ذلك قوله: **وإن يعودوا**، يحتمل أي داموا فيه. وقوله: **فقد مَضَتْ سُنة الأولين**، **مَضَت**، يحتمل ما ذكرنا من القتال. والثاني **سنة الأولين**، الهلاك الذي كان.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله: **وقاتلوهم / حتى لا تكون فتنة**، قيل: الفتنة الشرك، أي قاتلوهم حتى لا يكون الشرك، [٢٨٧و]

---

[1] م – تأويل.
[2] سورة التوبة، ٥/٩.
[3] ن: أنه لا سبيل؛ ع: لأنه لا سبيل.
[4] حَوْل أي قوة لأداء العبادة، أو حولان الحول أي السنة لأداء الزكاة وغيرها (*لسان العرب* لابن منظور، «حول»).
[5] ك: فيها؛ ن – فيه.
[6] ﴿الله وَلِيُّ الذين آمنوا...﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).
[7] ع: أن الكفر.
[8] ك: إنه ذكر.
[9] م – لدوامهم فيه.
[10] ن – فيه.
[11] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرونها﴾ (سورة الرعد، ٢/١٣).

**ويكون الدين كله لله**. ويحتمل قوله: **حتى لا تكون فتنة**، أي محنة القتال، كأنه قال: قاتلوهم إلى الوقت الذي يرتفع المحنة،[1] وهو يوم القيامة. وفيه دلالة لزوم الجهاد إلى يوم[2] الدين. والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة. **ويكون الدين كله لله**.

وقوله[3] عز وجل: **ويكون الدين كله لله**، هو يخرج على وجهين. أحدهما **ويكون** من **الدين** الذي هو الدين **كله لله**، لا نصيب لأحد فيه، وهو السبيل التي كانت للشيطان، كأنه قال: ويكون الأديان التي يُدان بها دينا واحدا، وهو دين الله الذي يُدعَى الخلق إليه، وبذلك بُعث الرسل[4] والكتب. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون[5] الحكم **كله لله**، كقوله: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ،[6] أي في حكم الملك.

وقوله:[7] **فإن انتهَوْا فإن الله بما يعملون بصير**.

**﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٤٠]**

وقوله: **وإن تَوَلَّوْا فاعلموا أن الله مولاكم**، قيل: ناصركم. وقيل: المولى المليك. **نعم المولى ونعم النصير**، أي نعم الناصر والمعين، **ونعم النصير**، لأنه لا يُعجزه شيء. وقيل: **مولاكم**، أي أولى بكم.

**﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **واعلموا أنّ ما غَنِمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربى**، قال عامة أهل التأويل: إن الغنيمة هي التي أصاب المسلمون من أموال المشركين بالقتال عَنْوَةً،[8]

---

[1] ك: ترتفع الفتنة.

[2] ع: إلى يو.

[3] ن: قوله.

[4] ن: الرسول.

[5] ك: ويكون.

[6] ﴿فبدأ بأوْعِيَتِهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كِدْنَا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ (سورة يوسف، ١٢/٧٦).

[7] ن – وقوله.

[8] مِن عَنَا يَعْنُو إذا ذلّ وخضع، وفُتحت هذه البلدة عَنوة، أي فُتحت بالقتال، قُوتل أهلُها حتى غُلبوا عليها، وفُتحت البلدة الأخرى صُلحا، أي لم يُغلَبوا، ولكن صُولحوا على خَرج يؤدّونه، وفي حديث الفتح أنه دخل مكة عَنْوَة، أي قَهرا وغَلَبة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنو»).

والفيء ما يعطون بأيديهم صُلحا. والغنيمة يأخذ الإمام الخمس منها، والباقي يقسم بينهم، والفيء يأخذه الإمام فيضعه في مصلحة المسلمين، وليس فيه الخمس. وقال بعضهم: الغنيمة والفيء واحد.

ثم قوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه**، إلى آخر ما ذكر، ذكر الخمس ولم يذكر الأربعة الأخماس[1] أنها لِمَن. لكنها للمُقاتِلة، بقوله:[2] فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا.[3] فكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الآية، إلا ما استثنى الله منها[4] بالآية الأولى، وهو الخمس. وهذا مما أجمع عليه أهل العلم، وعلى ذلك تواترت الأخبار[5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته موقوفةً مِن بَعده. رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال، يعني الغنيمة، قال: «لي خمسه، وأربعة أخماسه[6] لهؤلاء»، يعني المسلمين.[7] وروي أنه قسمها بين المُقاتِلة، يعني الأربعة الأخماس.[8] وفي بعض الأخبار أن أبا الدرداء وعُبادة بن[9] الصامت[10] والحارث بن معاوية كانوا جلوسا، فقال أبو الدرداء:[11] أيكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى إلى بعير من المَغْنَم،[12] فلما انصرف تناول[13] من وَبَر البعير فقال: «ما يحل لي من غنائمكم ما يَزِن هذه إلا الخمس، ثم هو مَردُود فيكم».[14] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت الغنائم تُجَزَّأ[15] خمسة أجزاء، ثم يُسهَم عليها، فما صار لرسول الله فهو له.[16]

---

[1] ك: أخماس.
[2] ك: لقوله.
[3] سورة الأنفال، ٦٩/٨.
[4] ع م: عنها.
[5] ك - الأخبار.
[6] م: أخما.
[7] أخرجه ابن أبي شيبة والبغوي وابن مردويه والبيهقي في شعب *الإيمان*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩/٤.
[8] ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة؛ انظر مثلا: صحيح *مسلم*، الجهاد ٤٧-٥٠؛ وسنن *أبي داود*، الخراج ٢٣-٢٤. وانظر للمزيد من الروايات: *نصب الراية* للزيلعي، ٤١٢/٣.
[9] ك: ابن.
[10] ع: وعباد بن صامت.
[11] ع: أبوا الدرداء.
[12] ع: من الغنم.
[13] ك ن: فناول؛ ع م: فتناول.
[14] روي بمعناه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣١٦/٥، ٣١٩، ٣٢٦؛ وسنن *النسائي*، قسم الفيء ١.
[15] ك: تجزئ.
[16] روي عن ابن عمر بلفظ: ... فما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له يَتَخَيَّرُ. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت الغنيمة تُقسَم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتل عليها،[1] وغير ذلك من الأخبار. وعلى ذلك اتفاق الأمة.[2] ومنهم من يقول: يُقسَم [الخُمس] على ستة، سَهمٌ لله يُجعَل في ستر الكعبة، وسهمٌ لرسوله ينتفع به. ومنهم من قال: يُقسَم[3] على خمسة، سهمٌ لرسول الله،[4] وأربعة أخماس[5] لمن غنم. ومنهم من يقول: يُقسَم[6] على أربعة، سهمٌ لرسوله، وثلاثة أرباعه لمن غنم.

ثم قوله: **فأن لله خمسه وللرسول**، يحتمل إضافة ذلك إلى نفسه وجهين. أحدهما لِما جعل ذلك لإقامة العبادات وأنواع البر والخير والقُرَب التي هي لله، فأضيف إليه على ما أضيف المساجد إليه، بقوله:[7] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[8] وإن كانت البقاع كلها لله. وكذلك ما سمى الكعبة بيت الله -وإن كانت البيوت كلها لله- لِما جعلها[9] موضعا[10] لإقامة العبادات وأنواع القُرَب، فأضيف إلى الله لذلك.[11] فعلى ذلك يحتمل إضافة ذلك السهم إلى الله لما جعله لإقامة العبادات والقُرَب وأنواع البر. *والله أعلم*.

والثاني أضاف ذلك إلى نفسه خصوصية لرسول الله، إذ كان[12] ذلك لرسوله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله وأموره لله خالصا، لم يكن لنفسه ولا لأحد من الخلق، فعلى ذلك جميع ماله وما كان تَحْوِيه يدُه لم يكن له، إنما كان ذلك[13] لله خالصا يصرف ذلك في أنواع القُرَب والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل، الأحياء منهم والأموات جميعا، والقريب منهم والبعيد جميعا. ألا ترى أنه قال: «إنّا معشرَ الأنبياء لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ».[14]

---

[1] *تفسير الطبري*، ١٠/٤؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٤/٦٦.
[2] ك: الأئمة.
[3] ك: تقسم.
[4] ع – الله؛ م: لرسوله.
[5] ك: أخماسه.
[6] ك: تقسم.
[7] ك: لقوله.
[8] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[9] ع: ما جعلها.
[10] ع م – موضعا.
[11] ع م: دلك.
[12] ن: إدا كان.
[13] ك – ذلك.
[14] روي قريبا منه. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٣؛ و*صحيح البخاري*، فرض الخمس ١؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٥١.

هذا يدل أن ما يترك[١] صدقة[٢] لا يُورَث منه، ولو كان له لَوَرِث[٣] ورثتُه ما يُورَث مِن غيرِه. دلّ أن نفسه وماله كان لله خالصا. وكذلك جميع أموره لله خالصا.[٤] ألا ترى أنه رُوي في الخبر أنه كان يجوع يوما ويشبع يوما، ويشبع يوما[٥] ويجوع ثلاثا،[٦] وكان يربط الحجر على بطنه للجوع.[٧] فإذا كان كذلك كان[٨] إضافة ذلك الخمس[٩] إلى الله لخصوصيته[١٠] له، وخُلوصِ نفسِه ومالِه له.[١١] وإن كان جميع الخلائق[١٢] وما تَحْويه أيديهم لله حقيقة، لٰكِنْ لهم فيها الانتفاعُ وقضاءُ الحوائج والتدبيرُ لأنواع التصرّف في ذلك ومشاركةُ غيرٍ في ذلك، لم يُخَصّ بالإضافة إليه، وإن كان ذلك كله[١٣] لله حقيقة. ولَمَّا كان نفسُ رسولِ الله وما تَحْويه[١٤] يدُه لله، لا تدبيرَ له في ذلك، ولا شِركَ لأحدٍ فيه، خُصّ بإضافة[١٥] ذلك إليه.[١٦] وهذا / كما قال -والله أعلم- ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ،[١٧] وقال: لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلّٰهِ،[١٨] وقال: مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ،[١٩] وقال: وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا،[٢٠] [٢٨٧ظ]

---

[١] ن ع: ما ينزل.
[٢] ع + هذا يدل أن ما ينزل صدقة.
[٣] ك ن ع: ليورث؛ م: ليوارث.
[٤] ع م – خالصا.
[٥] ع م – ويشبع يوما.
[٦] عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَرَض عليَّ ربّي لِيَجعل لي بَطْحاء مكّة ذَهَبا، قلت: لا يا ربّ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما -أو قال- ثلاثا -أو نحو هذا- فإذا جُعْتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٤/٥؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ٣٥). وحسّنه الترمذي.
[٧] وذلك في غزوة الخندق. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٠/٣؛ وصحيح *البخاري*، المغازي ٢٩. وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يربط حَجَرَين. انظر: سنن *الترمذي*، الزهد ٣٨.
[٨] ع م – كذلك كان.
[٩] م: الجنس.
[١٠] م: لخصوصية.
[١١] ن – له.
[١٢] م: الخلق.
[١٣] ن – كله.
[١٤] ك: وما يحويه.
[١٥] جميع النسخ: بالإضافة.
[١٦] م + كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله.
[١٧] سورة الحج، ٥٦/٢٢.
[١٨] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١٩] سورة الفاتحة، ٤/١.
[٢٠] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

خصّ[1] بالذكر مُلْكَ ذلك اليوم له[2] والبُروزَ له لما ينقطع يومئذٍ تدبيرُ جميعِ ملوكِ الأرض ويذهب سلطانهم عنهم ويصفو[3] البروزُ له، وإن كان المُلك له[4] في الأحوال كلها والأوقات جميعا، وكذلك البروزُ له والمصيرُ إليه، وإن كان ذلك راجعا إليه في كل الأحوال. فعلى ذلك الأول. **والله أعلم**.

ثم ليس في ظاهر الآية دليل أن المراد[5] بقوله: **ولِذِي القُرْبَى**، قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل في ظاهره دلالة أنه أراد به قرابة أهل السهام في ذلك؛ لأنه خاطب به الكل، بقوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى**، وظاهره أنه أراد به قُرْبَى مَن خاطب، وكان الخطاب لهم جميعا. ألا ترى أنه لم يفهم من قوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ،[6] قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن قرابة المخاطبين جميعا.[7] وكذلك لم يرجع قوله: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ،[8] إلى قرابة رسول الله، بل إلى قرابة المخاطبين به.[9] فعلى ذلك الظاهر من قوله: **ولذي القربى**. إلّا أن يقال: أراد قرابة[10] رسول الله بدلالة أخرى سوى ظاهر الآية، وهو ما رُوي أنه[11] قسم الخمس بين بني هاشم،[12] وما رُوي أنه قال: «ما لي من هذا المال إلا الخمس، والخمس مردود فيكم»،[13] وما رُوي أن نَجْدَة[14] كتب إلى ابن عباس[15] يسأله عن سهم ذي القربى،

---

[1] ع – بإضافة ذلك إليه وهذا كما قال والله أعلم الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله وقال مالك يوم الدين وقال وبرزوا لله جميعا خص.

[2] ع م – له.

[3] ك: عنه ويصفوا؛ ع م: ويصفوا.

[4] ع م – له.

[5] م: دليل المراد.

[6] سورة النساء، ٧/٤.

[7] ع م – جميعا.

[8] سورة البقرة، ١٨٠/٢.

[9] ن – به.

[10] ع: بالقرابة.

[11] ع م – أنه.

[12] روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى بني هاشم وبني المطلب من الخمس. انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨؛ وسنن *أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠.

[13] روي نحوه عن طريق عدد من الصحابة. انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١٨٤/٢، ٣١٦/٥، ٣١٩، ٣٢٦؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٢١، ١٤٩؛ وسنن *النسائي*، قسم الفيء ١.

[14] نَجْدَة بن عامر بن عمير اليَمَامِي، من رءوس الخوارج. خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية. وله مقالات معروفة، وأتباع انقرضوا. مات مقتولا في سنة ٧٠هـ/٦٩٠م. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر، ١٤٨/٦.

[15] م: كتب إلى إلى.

فكتب إليه: كتبتَ[1] تسألني عن سهم ذي القربى[2] لمن هو، وهو لنا أهلَ البيت، وقد كان عُمَر دعانا إلى أن يُنكِح منه أَيِّمَنا ويقضي[3] عنه[4] مَغْرَمنا، فأَبَيْنا إلّا أن يُسَلِّمَه إلينا، فأبى ذلك علينا.[5] فدل فِعل عُمَر هذا على أن التأويل في الخمس كان عنده أن رسول الله كان يَصِل[6] به قرابته، ويَسُدّ بالخمس حاجتهم، إذ كان[7] سبيل الخمس ما ذكرنا أنه لله،[8] بمعنى أنه يصرف في وجوه القُرَب إليه، فلو كان الخمس حقًا لجميع[9] القرابة أعطى من ذلك غنيّهم وفقيرَهم. وما يأخذه الأغنياء من الخمس فإنه لا يجري مجرى الصدقة ولا مجرى القُربة، فبان بذلك أنه [كان] لا يُعطِي منه أغنياءَهم بل يَصرف[10] إلى فقرائهم على قدر حاجتهم، إذ لم يكن له مَكاسِب سواه يَصِل بها كما يكون لغيره من الناس من المكاسب وأنواع الحِرَف. ومما يدل على أن رسول الله أعطى بعض القرابة دون بعض ما رُوي عن جُبَير بن[11] مُطعِم قال: لما قسم رسول الله سهم ذوي القربى[12] بين[13] بني هاشم وبني المُطَّلِب أتيت أنا وعثمان، فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشم[14] لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم، أرأيت بني المُطَّلِب، أَعطيتهم ومَنعتَنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال:[15] «إنهم لم يفارقوني[16] في جاهلية ولا إسلام، وإنما بنو هاشم وبنو المُطَّلِب شيء واحد»، وشَبَّك بين أصابعه.[17]

---

[1] ك ن ع: كتب.
[2] م – فكتب إليه كتبت تسألني عن سهم ذي القربى.
[3] ن ع م: ونقضي.
[4] ع – عنه.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٠؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١. وروي مختصرا؛ انظر: *صحيح مسلم*، الجهاد ١٣٧؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩–٢٠.
[6] ع: يصلى.
[7] ع م + جعل.
[8] ن: أن لله.
[9] ن ع م: بجميع.
[10] ن: بل يعطى؛ م – يصرف.
[11] ن ع: ابن.
[12] م: وذي القربى.
[13] ك: بني.
[14] ك: بني هاشم.
[15] ع م: يقال.
[16] ع م: لا يفارقوني.
[17] *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩–٢٠؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٩.

وقوله: **فأن لله خمسه وللرسول**، إلى آخر ما ذكر، بَيّن أنّ خُمُس الغنيمة يُصرَف في وجوه البر والقُرَب إلى الله، ثم فسّر تلك الوجوه، فقال: **وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**، فكانت تسمية هذه الأصناف -والله أعلم- تعليما لنا أن الخمس يُصرَف فيمن ذكر من أهلها دون غيرهم. وليس ذلك إيجابا منه لكل صنف منها شيئا[1] معلوما، ولكن على بيان الأهل والموضع. وهو كقوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[2] الآية. حمل أصحابنا ذلك على أن الصدقة لا تجوز[3] إلا لمن كان من أهل هذه الأصناف[4] دون غيرهم، ولم يحملوا الأمر على أن لكل صنف منهم شيئا معلوما محدودا، ولكن على بيان أهلها. وعلى ذلك رُوي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف ما يَكثُر عددهم، قالوا: إذا وَضعتَ الصدقة في صنف واحد أَجزأَك،[5] فلو كان لأهل كل صنف الثُّمُن[6] منها كان المُعطِي بها صنفا واحدا مخالفا لما أمر به. فعلى ذلك قوله: **فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى**، الآية، معناه -والله أعلم- أن الخمس الذي يُتَقَرَّب به من الغنيمة إلى الله لا يستحقه إلا الرسول، ومن كان من الأصناف التي ذكرها[7] فإلى أيهم[8] دفع ذلك الخمس أجزأه. وإذا كان التأويل ما وصفنا لم يكن لأحد من أهل هذه الأصناف أن يدّعي منه خمسا ولا ربعا، ولكن يُعطَى كلُّ مَن حضر منهم بقدر فَاقَتِه وحاجته وعلى قدر ما يراه الإمام، فإذا جاء فريق آخرون أُعطُوا مما يُدفَع إلى الإمام من ذلك الخمس من المال كفايتَهم. وكذلك رُوي عن ابن عمر أن ابن[9] عباس قال: كان عمر يعطينا من الخمس نحوا[10] مما كان يرى أنه لنا، فرَغِبنا عن ذلك وقلنا: حق[11] ذي القربى خمس الخمس، فقال عمر:

---

[1] ك: شيئا منها.

[2] ﴿إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبهُم وفي الرِّقاب والغارِمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[3] ك ع م: لا يجوز.

[4] ك: الأصنام.

[5] انظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١٠/١٦٦-١٦٧.

[6] أي لو أعطى لكل صنف من الأصناف الثمانية المذكورين في آية الصدقة الثُّمُن...

[7] ن: أذكرها.

[8] م: فإلى رأيهم.

[9] ع م - ابن.

[10] ع: نحو.

[11] ن + حق.

إنما جعل الله الخمس لأصنافٍ سمّاها، فأسْعَدُهم بها أكثرُهم عددا وأشدُّهم فاقة، فأخذ ذلك ناس وتركه ناس.[١] وكذلك فَعل عمر لَمّا وَلِيَ الأمرَ، كما روي[٢] عن ابن عباس قال: عَرَض علينا عمر أن يُزَوِّج من الخمس أيِّمَنا ويقضي[٣] منه مَغْرَمنا، فأبينا[٤] عليه إلا أن يُسلِّمه إلينا، فأبى ذلك علينا. فدل فِعل عمر على أن القرابة يُعطَون من الخمس قدر حاجتهم وما يسدّ به فاقتهم، إذ لو كان الخمس حقا لجميع[٥] القرابة أعطى من ذلك غنيّهم وفقيرَهم. ومما يدل أيضا على أن الخمس لو كان حقا لجميع[٦] القرابة غنيّهم / وفقيرِهم[٧] لَقَسمه[٨] رسول الله [٢٨٨و] صلى الله عليه وسلم فيهم كما قسم الأربعة الأخماس بين المُقاتِلة، بل أَعطى منه بعض القرابة وحَرَم بعضا، لما ذكرنا في [حديث] جُبَير بن مُطعِم. ومما يدل أيضا أن ذلك لأهل الحاجة منهم[٩] دون الكل ما روي أن الفضل بن[١٠] عباس وفلانا[١١] دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ عند زينب بنت جحش، فقالا:[١٢] يا رسول الله، أنت أبرّ الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئناك لِتُؤَمِّرنا على هذه الصدقات، فنؤدي إليك ما يؤدي العُمّال، ونُصيبُ منها ما يُصيبون. فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه[١٣] ثانيا، حتى جعلت زينب تَلْمَع[١٤] إلينا من وراء الحجاب أنْ لا تُكلّماه. ثم قال: «ألَا إن الصدقة لا تنبغي[١٥] لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا[١٦] لي مَحْمِيَة[١٧] –وكان على الخمس–

[١] روي قريبا منه؛ انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٦/٣٤٤.
[٢] جميع النسخ: ما روي.
[٣] ن ع م: ونقضي.
[٤] ع م: بينا.
[٥] ن ع م: بجميع.
[٦] ن ع م: بجميع.
[٧] م – ومما يدل أيضا على أن الخمس لو كان حقا لجميع القرابة غنيهم وفقيرهم.
[٨] ع: لقسمة؛ ن: بقسمة.
[٩] ل – منهم، صح هـ.
[١٠] ن: ابن.
[١١] جميع النسخ: وفلان. وهو عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.
[١٢] م: فقال.
[١٣] ع م – أن نكلمه.
[١٤] لمع يَلْمَع وألمع يُلمِع أي أشار بيده (*لسان العرب* لابن منظور، «لمع»).
[١٥] ع م: لا ينبغي.
[١٦] ع – ادعوا.
[١٧] ع: إلى محية.

ونوفل[1] بن الحارث بن عبد المطلب»،[2] فجاءاه.[3] فقال لمَحْمِيَة:[4] «أَنْكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك»، للفَضْل، فأَنْكَحَه؛ وقال لنوفل:[5] «أَنْكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك»، فأَنْكَحَني،[6] ثم قال لمَحْمِيَة:[7] «أَصْدِقْهما[8] من الخمس كذا وكذا».[9] دل هذا على أن[10] الحق لهم فيه لأهل الحاجة منهم. ومما يدل أيضا على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما لي من هذا[11] المال إلا الخمس، والخمس مردود فيكم».[12] لم يخص القرابة بشيء منه. كان سبيلُهم سبيلَ أمر المسلمين، يعطي من يحتاج منهم كفايته. وعلى هذا [كان] أمر[13] الأئمة الراشدين، ولم يغيره علي رضي الله عنه لَمّا وَلِيَ الأمر، وكان ذلك عندنا مما لا يجوز مخالفتهم عليه.

فإن قيل: لو كان قرابة النبي إنما يُعطَوْن من الخمس على سبيل الفقر والحاجة فهم على هذا يدخلون في عموم المساكين، فما وجه ذِكره إياهم إذًا؟

قيل: إن الله تبارك وتعالى قال في الصدقات: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[14] الآية،[15] ثم رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لآل محمد»،[16] فلو لم يُسهِم الله في الخمس جاز أن يقول قائل: لا يجوز أن يُعطَوْا من الخمس وإن كانوا[17] فقراء، كما لا يجوز أن يُعطَوْا من الصدقة إذ كانوا[18] فقراء، فكان[19] سبب ذِكر الله إياهم في الخمس لذلك. **والله أعلم**.

---

[1] م: ونوافل.
[2] ع: ونوافل ابن الحارث ابن عبد المطلب.
[3] م: فجاؤه.
[4] ع: لمحية.
[5] ع م: النوفل.
[6] م: فأنكحه.
[7] ع: لمحية.
[8] م: اصدقها. أي أعطهما الصَّدَاق وهو المهر.
[9] *صحيح مسلم*، الزكاة ١٦٧؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠.
[10] ن: هذا أن.
[11] ع م: من هذه.
[12] تقدم تخريجه قريبا.
[13] جميع النسخ: مما أمر.
[14] سورة التوبة، ٩/٦٠.
[15] ع م - الآية.
[16] *سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٩٥.
[17] ك: وإن كان؛ ع م: وإن يكونوا.
[18] ع م: أو كانوا.
[19] ع م: فكانوا.

ثم اختلف أهل العلم بعد وفاة رسول الله في سهم الرسول وسهم ذي القربى. فقال طائفة منهم:[1] سهم الرسول للخليفة من بعده، وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة. وقال طائفة: سهم القربى لقرابة الرسول.[2] وقال الحسن [بن محمد]: سهم القرابة لقرابة الخلفاء.[3] وقال غيره: القرابة قرابة رسول الله. وقد ذكرنا أنه يحتمل أنه كان[4] له، يَصِل به قرابتَه بحق الصلة، أو يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا. ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ»،[5] فإذا لم يُورَث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يُورَث عنه ما غُنِم بعد وفاته. ولو كان سهمه الذي لم يَلْحَقْه موروثا عنه كان سهمه الذي قد حازه أَحْرَى أن يُورَث عنه، فإذا لم يُورَث الذي قد حازه ومَلَكه عنه لا يُورَث الآخر. *والله أعلم*.

وعن عائشة أن فاطمة والعباس[6] أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله، وهما حينئذ[7] يطلبان أرضه مِن فَدَك وسهمَه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ»، إنما يأكل آل محمد في هذا المال -أي من[8] الغنائم- والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه فيه إلّا أصنعه.[9] وفي بعض الأخبار قال: «لا يَقسِم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومَئُونة عاملي[10] فهو[11] صدقة».[12] وعن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق مما أفاء الله عليه سنة، ويجعل ما بقي [مَجْعَلَ] مال الله. وروي أيضا عنه[13] قال: كانت أموال بني النَّضير[14] مما أفاء الله على رسوله،

---

[1] ك ع م - منهم.
[2] ن: رسول الله.
[3] *تفسير الطبري*، ١٠/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٥. والقائل هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب؛ وليس الحسن البصري كما يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق.
[4] ع: أن يحتمل كان.
[5] تقدم تخريجه قريبا.
[6] ن: وعباس.
[7] ك: ح.
[8] ع م: أي حق.
[9] صحيح *البخاري*، فرض الخمس ٤١ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٥٢.
[10] جميع النسخ: نفقة عاملي ومئونة نسائي.
[11] م + فهو.
[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٤؛ وصحيح *البخاري*، الوصايا ٣٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٥٥. ولفظ الصحيحين: «لا يَقْتَسِم...».
[13] ع: عنه أيضا.
[14] م: بني النضر.

وكانت له خالصا، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جَعَلَه في الكُرَاع[1] والسلاح.[2] فهذه الأخبار تبين أنه لم يُورَث سهمُ النبي بعد وفاته، فهي تدل على أن لا نُقَدِّر[3] بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيئا، وأن ذلك إنما[4] كان خصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كالصَّفِيّ الذي كان له خاصة دون غيره،[5] وكما لم يُوجِف[6] عليه المسلمون بخَيْل ولا رِكَاب فكان له ذلك خاصة، فليس لأحد لغير النبي صلى الله عليه وسلم خصوص من الخمس كما[7] ليس له خصوص من الصَّفِيّ وغيره،[8] فكان ذلك له خاصة.[9] وإذا كان الأمر في سهم الرسول كما وصفنا ولم يَنقص من الخمس الذي هو لله شيءٌ بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة، فذلك يدل على أن الخمس ليس لأهل هذه السهام حقا مقسوما، ولكن يُعطَوْن منه بقدر فاقتهم. ويدل ذلك أيضا على أنه لا يجب لكل صنف من هذه الأصناف سهم معلوم، لأنا قد رددنا سهم النبي من الخمس على سائر السهام، فكما جاز أن يُرَدّ عليهم سهمُ النبي فكذلك يجوز أن يُجعَل سهمُ اليتامى أو بعضُه للمساكين إذا حضروا وطلبوا ولم يحضر اليتامى؛ لأن المعنى في الآية –والله أعلم– أن لا يُعطىَ إلا من كان من أهل هذه الأصناف، وإذا أُعطِيَ واحدٌ من أهل هذه الأصناف[10] فقد وُضِع الحقُّ في موضعه ولم يُتَعَدَّ به إلى غيره.

---

[1] الكُرَاع: اسم يجمع الخيل. والكُرَاع: السلاح. وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح (*لسان العرب* لابن منظور، «كرع»).

[2] *صحيح البخاري*، الجهاد ٨٠، فرض الخمس ١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٤٨.

[3] ن: أن نقدر؛ ع م: أن لا نقد.

[4] م – إنما.

[5] *سنن أبي داود*، الخراج ١٨-١٩؛ وسنن *النسائي*، قسم الفيء ١. والصَّفِيّ من الغنيمة ما اختاره الرئيس من المَغْنَم واصطفاه لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيره. وهو الصَّفِيّة أيضا. وجمعه صَفَايَا (*لسان العرب* لابن منظور، «صفو»).

[6] الوَجْف: سرعة السير. وَجَف البعيرُ والفرسُ يَجِف وَجْفا و وَجِيفا: أسرع. والوَجِيف: ضَرْب من سير الإبل والخيل. وأَوْجَف دابته: إذا حَثَّها. وقوله تعالى: ﴿فما أَوْجَفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٦)، أي ما أَعْمَلتم، يعني ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير مما لم يُوجِف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا، والركاب: الإبل. وفي الحديث: لم يُوجِفوا عليه بخيل ولا ركاب، الإيجاف: سرعة السير (*لسان العرب* لابن منظور، «وجف»).

[7] ع – كما.

[8] ع: وغير.

[9] ن ع م – فكان ذلك له خاصة.

[10] ع م – وإذا أعطى واحد من أهل هذه الأصناف.

ثم الخطاب في قوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء**، لا يحتمل كُلًّا في نفسه كالخطاب بأداء الزكاة وغيرها من الحقوق، بل الخطاب راجع إلى الجماعة الذين غنموا؛ ألا ترى أن العسكر أو السرايا إذا دخلوا دار الحرب فتفرّقوا فيها فغنم واحد منهم يجب ضمُّ ذلك / إلى جميع العسكر والسرايا، فعند ذلك يخرج الخمس منه. دلّ أن الخطاب بذلك راجع [٢٨٨ظ] إلى جماعة، وهي الجماعة التي لهم مَنَعَة يقومون للعدو، لا أنه خاطب كلَّ أحد في نفسه. فهذا يدل على أن الواحد أو الاثنين إذا دخلوا دار الحرب بغير إذن الإمام فغَنِموا[١] غنائمَ لا تُخَمَّس، ولكن يُسَلَّم الكلّ له.[٢] وأمّا الغنيمة نفسها لا يحتمل[٣] أن ترجع إلى حدّ[٤] معلوم أو مقدار محدود كالزكاة وسائر الحقوق، لأن الغنيمة شيء يؤخذ من أيدي الكفرة، وإنما يؤخذ قَدْرُ ما يُظْفَر به ويوجد، فلا يحتمل أن يرجع الخطاب به إلى قَدْر دون قَدْر، بل القليل[٥] من ذلك والكثير سواء، لا حدَّ في ذلك ولا مقدار، ليس كالزكاة وغيرها من الحقوق التي جعل [الشارع] فيها حدّا ومقدارا للوجه الذي ذكرنا. وأما المصيبون لها والآخذون فلهم في ذلك مقدار، وهم الذين لهم مَنَعَة.

ثم نذكر[٦] مسألة في قسمة السهام بين الرَّجّالة[٧] والفُرسان وإن لم يكن في الآية ذِكرُ ذلك. رُوي عن ابن عمر قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر الرجل سهما والفرس سهمين، ثلاثة أسهم له ولفرسه.[٨] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للراجل سهما، وللفارس ثلاثة أسهم، سهما له وسهمين للفرس.[٩]

---

[١] جميع النسخ: فغنم.
[٢] م – له.
[٣] ن: لا تحتمل.
[٤] ع م: إلى أحد.
[٥] ع: قدر القليل.
[٦] ن ع: ثم تذكر.
[٧] رَجِل الرَّجُل رَجَلا، فهو راجل ورَجِل، إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه، والجمع رِجال ورَجّالة... (*لسان العرب* لابن منظور، «رجل»).
[٨] روي الحديث بألفاظ مختلفة، فلفظ البخاري هكذا: عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفرس سهمين، وللراجل سهما. قال: فسّره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم. انظر: صحيح *البخاري*، المغازي ٣٨. ولفظ مسلم: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قسم في النَّفَل للفرس سهمين وللرجل سهما. وفي رواية أخرى لم يذكر: "في النَّفَل". انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٥٧.
[٩] رواه إسحاق بن راهويه وغيره؛ ولم يذكر: "يوم خيبر". انظر: نصب *الراية* للزيلعي، ٣/٤١٢، ٤١٤.

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر أربعة أسهم، سهمَ ذي القربى، وسهما[1] له مع المسلمين، وسهمين للفرس.[2] ثم رُوي أيضا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم لنفارس سهمين وللراجل سهما.[3] وعن المقداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أسهم له يوم بدر سهما، ولفرسه سهما.[5] وعن علي قال: للفارس سهمان.[6] وعن المنذر قال: بعثه عمر في جيش إلى حِمْص،[7] فأصابه غنائم، فقسم لنفارس سهمين وللراجل سهما،[8] فرضي بذلك عمر.[9] فجعل بعض أهل العلم ما ذكره في هذه الأحاديث من الإسهام للخيل، وقولِ بعضِ الرواة: ثلاثة أسهم، للفرس سهمين،[10] وقولِ بعضِهم: أَسْهَم لنفارس سهمين، اختلافا وتضادّا، فحملوا على التناسخ. وقد يجوز أن لا يكون ذلك كذلك. وقد تكون زيادته التي زاد[11] النبي للفرس على سهم -إن كان محفوظا ثابتا- لِنَفَلٍ نَفَّلَه الأَفْرَاسَ حينئذ[12] ترغيبا منه للمقاتِلة في اتخاذها، وتحريضا، كما يجوز أن يقول الإمام: من قتل قتيلا فله سَلَبُه، ومن جاء برأس كذا فله كذا،[13] يحرِّض بذلك المقاتلة في القتال. فعلى ذلك زيادة سهم لمكان الأَفْرَاس ترغيبا منه وتحريضا على اتخاذها. فأما إن كَثُرت الأَفْرَاس فإن سُهْمانَها لا تكون أكثر من سُهْمَانِ أصحابها، لأن الفارس أكثر غَنَاءً من فرسه، فإن لم يزد عليه لم ينقص عما يُسهَم [له]. وكان أبو حنيفة رحمه الله يُسهِم للفارس بسهمين،

---

[1] ك ن: وسهم.

[2] ع م - وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر أربعة أسهم سهم ذي القربى وسهما له مع المسلمين وسهمين للفرس. وانظر للحديث: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٦/١؛ وسنن *النسائي*، الخيل ١٧.

[3] جميع النسخ: سهم. والحديث رواه ابن أبي شيبة والدارقطني؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٤١٧/٣.

[4] ك - كان يقسم للفارس سهمين وللراجل سهما وعن المقداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[5] رواه الطبراني؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٤١٧/٣.

[6] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٨٩/٦.

[7] جميع النسخ: إلى مصر.

[8] جميع النسخ: سهم.

[9] *كتاب الآثار* لأبي يوسف، ١٧١.

[10] ع م - وللراجل سهم فرضي بذلك عمر فجعل بعض أهل العلم ما ذكره في هذه الأحاديث من الإسهام للخيل وقول بعض الرواة ثلاثة أسهم للفرس سهمين.

[11] ع + به؛ م: التي زادته.

[12] ك: ح.

[13] ع - كذا.

وأبو يوسف[١] يرى أن يُسهم للفرس سهمين، ولصاحبه بسهم. والحجة في ذلك قوله[٢] تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ،[٣] فكانت النضير خالصة لرسول الله، و لم يكن لمن حضرها من المسلمين شيء، إذ لم يُوجِفوا عليها[٤] بِخَيْل ولا رِكَاب، وقد أَتَوْها مُشَاةً، فلما منع الرَّجَّالة من السُّهْمَان لاستغنائهم في فتحها عن الخيل جاز أن يُزاد الخيل في السُّهمان على سُهمان الرَّجَّالة إذا كان الرجال يُمتعون السهام وإن حضروا إذا لم يُلْحَقُوا إلى ركوب الخيل. لكن الحجة على هذا ما ذُكِر أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا على النضير فُرسانا ولا رَجّالة، ولو احتاجوا إلى الحرب لاحتاجوا إلى الخيل، فمن حيث لم يحاربوا[٥] عليها لم يستحقوا منها شيئا. وإنما ذَكَّرنا الله تعالى على سهولة أمرها وأنهم لم يحاربوا عليها خيلا ولا رِكَابا. وإذا لم يُحَارَبْ على مدينة فغَنِموا بمال فهو مصروف في مصالح المسلمين، لا يجري فيه السهام. فكانت النضير على ما ذُكِر خالصةً للنبي، يأخذ منها نفقة نسائه، ويصرف سائرها إلى مصالح المسلمين. ومن الدليل على أن النضير لو احتيج منها[٦] إلى حربٍ لحَارَبهم [فيه] النبيُ وأصحابُه رَجّالةً لجَرَتْ[٧] في غنائمهم القسمةُ أنّ قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مدائن الشرك رَجّالة قُسِم ما يُغنَم منها كما يُقسَم لو كان معهم فُرسان. ومن الدليل على ذلك أيضا أن الرَّجّالة إذا كانوا مع الفُرسان في الحرب قُسم لهم[٨] كما يُقسم للفارس خاصة، فلو كانت الغنيمة إنما تُقسم لسبب الخيل ما أُعطي الرَّجّالة منها شيئا، إذ لا أَفْراس لهم، وذلك يفسد ما ذكرنا لأبي يوسف.

وقوله عز وجل: **إن كنتم آمنتم بالله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ،[٩] ثم قال: وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ،[١٠] أي وَإِنْ تَوَلَّوْا هُمْ[١١]

---

[١] م: فأبو يوسف.

[٢] جميع النسخ: بقوله، + قال الله.

[٣] ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكنّ الله يُسَلِّط رُسُلَه على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٦).

[٤] ك: عليه.

[٥] ع م: حيث يحاربوا.

[٦] ن – منها.

[٧] جميع النسخ: جرت.

[٨] ن – لهم.

[٩] سورة الأنفال، ٨/٣٩.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] م: وإن تولوهم.

وقد آمنتم أنتم فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ، ليس بمولى لهم. وقالت طائفة: قوله: **إن كنتم آمنتم بالله**، ليس على الشرط على أن لا يكون غنيمة إذا لم يكونوا مؤمنين، ولا يجب[1] العدل في القسمة إذا كانوا غير مؤمنين، ولكن على التنبيه والإيقاظ، كقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[2] وكقوله: وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[3] ليس على أنه لا يجب أن يذروا إذا لم يكونوا مؤمنين، ولا يجب أن يطيعوا إذا لم يكونوا مؤمنين، ولكن على ما ذكرنا، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**، قيل: قوله:[4] **ما أنزلنا على عبدنا**، الملائكة الذين أرسلهم يوم بدر لنصرة[5] المؤمنين،[6] وأنزل عليهم المطر حتى شدّ الأرض بذلك، فاستقرت أقدامهم وثبتت بعد ما لا تقرّ[7] الأقدام فيها ولا تثبت، وشربوا منه ورَوَوْا بعدما أصابهم العطش، إذ كان[8] المشركون أخذوا الماء. وقوله: **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان**، يوم بدر. وقوله: **يوم الفرقان**، قيل: يومَ فَرْقٍ بين الحق والباطل، لأنه عز وجل جعل يوم / بدر آية، [٢٨٩و] حيث غَلَب المؤمنون المشركين[9] مع قلة عددهم وضَعْف أبدانهم وفَقْد الأسباب التي بها يحارَب ويقاتَل، وكثرةِ العدو وقوتهم ووجودِ أسباب الحرب والقتال، ليعلموا أنهم غَلبوا أولئك وهزموهم بنصر الله إياهم، فكان آيةَ فَرْقِ المُحِقّ منهم والمُبْطِل. وقيل: هو **يوم الفرقان**، ويومُ الجَمْعِ، جَمْعِ النبي والمؤمنين وجَمْعِ المشركين، ويومُ الافتراقِ افتراقِ[10] المشركين من المؤمنين وانهزامِهم،[11] وهو كما سمي يوم القيامة يوم الجمع ويوم الفراق بقوله:[12] يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ،[13]

---

[1] ع م + في.
[2] سورة البقرة، ٢٧٨/٢.
[3] م – وكقوله وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين. وانظر للآية: سورة الأنفال، ١/٨.
[4] ن – قوله.
[5] ع: النضرة.
[6] ك: المسلمين.
[7] ن م: لا يقر؛ ع: لا يقرأ.
[8] ع: إذ كانوا.
[9] م: حيث غلب المشركون.
[10] ع: افتران.
[11] م: انهزامهم.
[12] ك: لقوله.
[13] سورة التغابن، ٩/٦٤.

وقال في آية أخرى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ،[١] فهو يوم الجمع[٢] في حال، ويوم الافتراق في حال أخرى. **والله أعلم.**

**﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٤٢]

وقوله عز وجل: **إذ أنتم بالعُدْوَة الدُّنيا وهم بالعُدْوَة القُصْوَى**، قال بعضهم: العُدْوَة القُصْوَى شَفِير الوادي الأقصى،[٣] والعُدْوَة الدُّنيا شَفِير الوادي الأدنى. وكذلك قال القُتَبي: العُدْوَة الشَّفِير، شَفِير الوادي.[٤] وقال أبو عَوْسَجَة: العُدْوَة ناحية الوادي التي تَلِيهم. وقال: إنما سميت "الدُّنيا" لأنها دَنَتْ منك، و"الآخرة" لأنها استأخرت. وقيل: في حرف ابن مسعود "إذ أنتم بالعُدْوَة العُلْيَا وهم بالعُدْوَة السُّفْلَى." وقال[٥] أبو معاذ:[٦] العُدْوَة والعِدْوَة لغتان.[٧] **والرَّكْب** والرُّكْبَان والرِّكَاب والراكبون كله[٨] لغة. وقال في حرف حفصة: "إذ أنتم بالعُدْوَة القُصْيَا."[٩] وقال بعضهم: **إذ أنتم**، معشر المؤمنين، **بالعُدْوَة الدُّنيا**، من دون الوادي على الشَّطّ مما يلي المدينة، **وهم بالعُدْوَة القُصْوَى**، من الجانب الآخر مما يلي مكة، يعني مشركي مكة.

وقوله: **والرَّكْب أسفلَ منكم**، يعني أصحاب العِير على ساحل البحر، أو على الماء. وقال قتادة: جمع الله المشركين والمسلمين ببدر على غير ميعاد، وهما شَفِيرا[١٠] الوادي، كان المسلمون بأعلاه،[١١]

---

[١] سورة الروم، ١٤/٣٠.

[٢] ع م – ويوم الفراق بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال في آية أخرى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فهو يوم الجمع.

[٣] ع م: والأقصى.

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.

[٥] ك: قال.

[٦] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري ويقال الدامغاني (ت. ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٤٣٤/١؛ *وطبقات المفسرين* للسيوطي، ٤٢/١.

[٧] وقد قرئ بهما في المتواتر، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب من القراء العشرة بكسر العين، والباقون بضم العين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٦/٢.

[٨] م – كله.

[٩] نُسبت هذه القراءة إلى زيد بن علي؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٦/١٠.

[١٠] ن ع م: شفير.

[١١] ن: بأعاه.

والمشركون بأسفله، **والرَّكْب أسفلَ منكم**، أبو سفيان انطلق بالعِير[1] في رَكْب نحو البحر.[2] وقيل: **إذ أنتم** بأدنى المدينة وهم بأقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا.

وقوله: **ولو تَواعَدتم لاختلفتم في الميعاد**، يحتمل أي لو علمتم أنكم[3] تخرجون إلى الحرب دون العِير لم تخرجوا إلا بميعاد[4] لتتأهَّبوا للحرب والقتال،[5] فاختلفتم في الميعاد، إما للخروج نفسه، وإما للميعاد نفسه، أتخرجون أو لا تخرجون، أو منكم من يؤخِّر الخروج عن وقت الميعاد، ومنكم من لا يخرج رأسا لينقضي ذلك.

وقوله عز وجل: **ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا**، يحتمل ليُنجِز الله ما كان وَعد من الظفر والنصر. أو **ليقضي الله أمرا كان** في علمه **مفعولا**،[6] أن إحدى الطائفتين[7] لكم، كأنه[8] قال: [**كان**] وعد الله **مفعولا**، أي مُنجَزا. ويحتمل القضاءُ ابتداءَ إنشاءٍ وخَلْقٍ، أي **ولكن** لينشئ الله ما قد علم أنه يكون كائنا؛ أو ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا.[9] *والله أعلم*.

وقوله: **لِيَهلِك من هلك عن بينة ويَحيا من حَيَّ عن بينة**، قال بعض أهل التأويل: ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة أن رسول الله كان على الحق وكان صادقا، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.[10] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **لِيَهلِك من هلك عن بينة**، قال: ليموت من مات عن بينة، **ويحيا من حي عن بينة**، يقول: عن بيان وحجة. وهو -والله أعلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أتاهم بآيات حِسّية فسمَّوه ساحرا،[11]

---

[1] م: بالعين.

[2] جميع النسخ: الحرب؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٣١و. وقد رويت الرواية بمعناها. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٤/٤.

[3] ن - أنكم.

[4] م: إلا لميعاد.

[5] ن: أو القتال.

[6] ع م + لا.

[7] جميع النسخ + أنها.

[8] ع: كافة.

[9] ك - كائنا.

[10] ع: هذا.

[11] ﴿وعَجِبوا أنْ جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (سورة ص، ٤/٣٨). والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأخبرهم[١] بالأنباء الماضية[٢] التي كانت في كتبهم فقالوا: إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٣] وقالوا: إنه مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ،[٤] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[٥] وقد كان رسول الله يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم الأصنام والأوثان دون الله، وكان يخوِّفهم ويُوعِدهم بأشياء، وكان لا يخافهم، وهم كانوا رؤساء كُبَراء لا يخالفهم أحد في أمرهم ونهيهم إلا من كان به جنون. فلما رأوا رسول الله خالفهم في جميع أمورهم[٦] نسبوه إلى الجنون، وقالوا:[٧] ساحر، مجنون، و مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ.[٨] فأراد الله أن يجعل له آية عظيمة حتى لا يقدروا بالنسبة إلى شيء مما كانوا ينسبونه[٩] من قبل، فوعد هم النصر والفتح يوم بدر بعدما عَلِم أولئك ضَعْفَ المؤمنين وقِلّةَ عددهم وقوةَ أنفسهم وكثرةَ عددهم، ليكون حياةُ مَن حَيَّ بعد ذلك عن بينة وآية،[١٠] وموتُ من مات على مثل ذلك، وإن كان له من الآيات ما لو لم يعاندوا[١١] ولا كابروا عقولهم لكانت واحدةٌ[١٢] منها كافية.

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر القصة من أولها إلى أخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا؟

قيل: يُذكِّرهم[١٣] -والله أعلم- الحال التي كانوا هم عليها من الضَّعْف والقلّة والخوف وفَقْدِ أسباب الحرب والقتال وكثرةِ العدو[١٤] وقوتِهم ووجودِ أسباب[١٥] الحرب والقتال ليعلم الخلق أن النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة[١٦] والقوة والأسباب، ولكن بالله عز وجل،

---

[١] ع: أو أخبرهم.
[٢] جميع النسخ: بأنباء ماضية.
[٣] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦.
[٤] ﴿ثم تولّوا عنه وقالوا مُعلَّمٌ مجنون﴾ (سورة الدخان، ١٤/٤٤).
[٥] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمه بشر لسان الذي يُلحِدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦).
[٦] ك: أمرهم.
[٧] ع + هذا.
[٨] ع – ومعلم مجنون. ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلَّم مجنون﴾ (سورة الدخان، ١١/٤٤).
[٩] ع: ينسبون.
[١٠] ع م – وآية.
[١١] ك: لو يعاندوا.
[١٢] ع + لكانت واحدة.
[١٣] ع م + الله.
[١٤] ع + وكثرتهم.
[١٥] ع: أسبابهم.
[١٦] م – من الضعف والقلة والخوف وفقد أسباب الحرب والقتال وكثرة العدو وقوتهم ووجود أسباب الحرب والقتال ليعلم الخلق أن النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة.

لئلا يَكِلوا إلى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يَضْعُفوا لقلّةٍ[1] ولا يَجْبُنوا ولا يخافوا غيره، [و]ليعرفوا أن ما أصابهم من الهزيمة والغلبة إنما[2] أصابهم لمعصيةٍ كانت منهم أو إعجابا بالكثرة واعتمادا بالقوة والأسباب. *والله أعلم.*

**﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[٤٣]

وقوله عز وجل: **إذ يُرِيكَهم الله في مَنامِك قليلا**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **في منامك قليلا**، المنام نفسه، كان الله يُرِي رسولَه المشركين في منامه قليلا، فأخبر[3] بذلك أصحابه بما رأى، فقالوا: رؤيا النبي حقّ، القوم قليل، ليس كما بلغنا أنهم كثير. فلمّا التقَوْا ببدر[4] قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين تصديقا لرؤيا رسول الله.[5] وقال الحسن: قوله: **إذ يريكهم الله في منامك قليلا**، أي في عينيك التي تنام بهما، وهو في اليقظة،[6] لأنه ذكر أنه قال رسول الله[7]
[٢٨٩ظ] صلى الله عليه وسلم: «تنام / عيني، ولا ينام قلبي»،[8] وإنما أراه إياهم قليلا في العين الذي به ينام، وهو عَيْنَا الوجه. ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر حتى قُلْتُ لصاحبٍ لي: تراهم سبعين، فقال: أراهم مائة، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه، فقال: كنا ألفا.[9] فإن كان التأويل هذا الثاني أنه أراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام فهو ظاهر. فإن كان أراه إياهم في المنام حقيقةً فلقائلٍ أن يقول: إن رؤيا الرسول وحي، فكيف أراه إياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة؟ قيل: يحتمل أن يكون أراه[10] بعضهم، لا الكل، فهو حقيقةُ ما أراه إياهم، فذلك قليل.[11] *والله أعلم.*

---

[1] ع م – لقلة.
[2] م – إنما.
[3] ع م + الله.
[4] ن – ببدر.
[5] روي مختصرا عن مجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٤.
[6] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/٦.
[7] ك ن – رسول الله.
[8] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٤؛ و*صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ١٢٥.
[9] *تفسير الطبري*، ١٠/١٣-١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٤.
[10] ن: رآه.
[11] ع م: فلذلك قيل.

وجائزٌ أن يكون أرى أصحابه إياهم قليلا وإن أضاف ذلك إلى رسول الله. دليله ما ذكر في آخره حيث قال: وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ.[١] وذلك كثير في القرآن، يخاطب[٢] به رسوله والمراد به غيره. ألا ترى أنه قال: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ،[٣] ومعلومٌ أنّ نزول هذه الآية بعد وفاة[٤] والديه.

وقوله عز وجل: **ولو أرَاكَهم كثيرا لَفَشِلْتم**، أي لجبُنتم، **ولتنازعتم في الأمر**، أي اختلفتم[٥] في أمر القتال والحرب. **ولكن الله سلّم**، قيل: **سلّم** وأتمّ للمسلمين أمرهم على عدوهم، فهزمهم ونصرهم عليهم. ويحتمل قوله: **سلّم**، أي أجاب للمسلمين لمّا استغاثوا واستنصروه بالنصر والظفر لهم. **إنه عليم بذات الصدور**، أي **عليم** بما في قلوب المؤمنين من الجُبْن والفَشَل وأمر عدوهم. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **وإذ يُرِيكُمُوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويُقَلِّلُكم في أعينهم**، يحتمل قوله: **وإذ يريكموهم**، الآية، لما رأوا الملائكة لأنفسهم أنصارا وأعوانا، إذ كان قد وعد لهم النصر والإعانة بالملائكة، وكان[٦] العدو مع الملائكة فاستقلّوا، لأن العدو وإن كانوا كثيرا فهم قليل مع الملائكة، فرأوهم قليلا على ما كانوا. وقلّل هؤلاء في أعين أولئك، لأنهم كذلك[٧] كانوا[٨] قليلا، فرأوا على ما كانوا، ولم يروا الملائكة. وقال بعض[٩] أهل التأويل: قلّل هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء[١٠] إذا التقوا، ليُضْرِيَ بعضَهم على بعض، وليجترئ بعضهم على بعض على القتال. *والله أعلم*.

---

١ الآية التالية.
٢ ع م: القرآن أن يخاطب.
٣ سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
٤ ع م: وفت.
٥ ع: أي اختلفتم.
٦ ك: فكان.
٧ ع م: لذلك.
٨ ن + به.
٩ ع: بعضهم.
١٠ ن - وهؤلاء في أعين هؤلاء.

وقوله: **ليقضي الله أمرا كان مفعولا**، هو ما ذكرنا أنه ليُنجِز ما كان وعد لهم من النصر والظفر للمؤمنين، والغلبة والهزيمة على أولئك.[1] وكذلك ذكر في القصة أن قوله: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ،[2] في بدر،[3] فيه وعد ذلك لهم،[4] كقوله: كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً.[5] ويحتمل قوله: **ليقضي الله**، أي ليخلق الله وينشئ ما قد علم أنه يكون كائنا، أو ليفصل بين الحق والباطل مما قد علم أنه يكون. وقال بعض أهل التأويل: **ليقضي الله أمرا كان**، في علمه، **مفعولا**، كائنا، يقول: فيوجب أمرا لا بُدّ[6] كائن، ليعزّ الإسلام وأهله بالنصر، ويذلّ الشرك وأهله بالقتل والهزيمة. ***والله أعلم***. وهو قريب مما ذكرنا.

**وإلى الله تُرجَع الأمور**، أي إلى الله يرجع تدبير الأمور وتقديرها،[7] له التدبير في ذلك في الدنيا والآخرة. وذكر في بعض القصة أن أبا جهل[8] لما رأى قلة المؤمنين ببدر قال: والله لا يُعبَد الله بعد اليوم،[9] فأكذبه الله وقتَله، فقال: **وإلى الله تُرجَع الأمور**، لا إلى الخلق. ***والله أعلم***. وأمر بدر من أوله إلى آخره كان آية حتى عرف كل أحد ذلك إلا من عاند وكابر[10] عقله.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم فئة فاثبُتوا**، قيل:[11] الفئة اسم جماعة يُنْحَاز[12] إليها، وهو من الفيء، وهو الرجوع،[13] يَفِيئون[14] إليها ويرجعون. ذكر هاهنا الفئة وذكر في الآية التي تقدمت الزّحف، وهو قوله: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا،[15] مكان الفئة،[16]

---

[1] ن - أولئك.
[2] سورة القمر، ٥٤/٤٥.
[3] *صحيح البخاري*، الجهاد ٨٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٨٠-٦٨١.
[4] ع م - لهم.
[5] سورة المزمل، ٧٣/١٨.
[6] ن + لا بد.
[7] جميع النسخ: وتقديره.
[8] ك + لعنه الله.
[9] روي عن قتادة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٢١.
[10] ك: من كابر وعاند.
[11] ع: قليل.
[12] ن ع م: ينحاز.
[13] م: من الفيء والرجوع.
[14] ك ع: يفئون؛ ن: يعنون.
[15] يقول الله تعالى: ﴿إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبار﴾ (سورة الأنفال، ٨/١٥).
[16] ك - وذكر في الآية التي تقدمت الزحف وهو قوله إذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفئة.

ونهى أولئك عن تولية الأدبار بقوله: فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ،[١] وقال هاهنا: **فاثبتوا**، لِيُعلَم أن في النهي عن تولية الأدبار أمرٌ بالثبات، وفي الأمر بالثبات نهيٌ عن تولية الأدبار، فيكون في النهي عن الشيء أمرٌ بضدّه، و[في] الأمر بالشيء[٢] نهيٌ عن ضدّه. ***والله أعلم***.

وقوله: **واذكروا الله كثيرا**، قال أبو بكر الكيساني: قوله: **اذكروا الله كثيرا**، أي اذكروا الله فيما تعبّدكم مِن طاعته ووَعَدكم مِن نصره، ولا تنظروا إلى الكثرة، فتظفروا.[٣] ويحتمل قوله: **اذكروا الله**، فيما له[٤] من أنفسكم وأموالكم، أي إن أنفسكم وأموالكم له، إن شاء أخذها منكم بوجهٍ تتقرّبون به إلى الله، فاذكروا الله[٥] على ذلك. وهو ما ذكر [في] قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[٦] الآية. ويحتمل **اذكروا الله كثيرا**، في النعم التي أنعمها عليكم. أو يقول: اذكروا المُقام بين يدي رب العالمين، وذلك بالذي يمنعكم عن المعاصي[٧] والخلاف لأمره، و[فيه] بعض ما يُرغّبكم في طاعته. فيكون على هذا التأويل الأمر بذكر الأحوال. ويحتمل الأمر بذكر الله باللسان، وذلك بعض ما يُستعان به[٨] في أمر الحرب. **لعلكم تفلحون**، لكي تفلحوا بالنصر والظفر، أو **تفلحون**، أي تظفرون.

**﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[٤٦]

وقوله: **وأطيعوا الله ورسوله**، أطيعوا الله فيما يأمركم بالجهاد والثبات مع العدو، ورسولَه فيما يأمركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب. وذلك بعض ما يُستَعان به في أمر الحرب. **ولا تَنازعوا فتفشَلوا**، أي لا تُنازِعوا[٩] / رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٩٠و]

---

[١] ن - بقوله فلا تولوهم الأدبار.
[٢] ع: بشيء.
[٣] ك ن ع: فتضطروا.
[٤] ع م: لكم.
[٥] ن + فيما له من أنفسكم وأموالكم أي إن أنفسكم وأموالكم له إن شاء أخذها منكم بوجه تتقربون به إلى الله فاذكروا الله؛ ع - الله.
[٦] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعدا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[٧] ع م: من المعاصي.
[٨] م - به.
[٩] ع: أي تنازعوا.

فيما يأمركم في أمر الحرب وعما ينهاكم، كقوله: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ،[1] لأنكم إذا تنازعتم اختلفتم، فإذا اختلفتم[2] تفرقتم، فإذا تفرقتم فَشِلتم وجَبُنتم، فلا تُنصَرون ولا تَظفَرون[3] على عدوكم، بل ظفر بكم عدوكم. أو أن يقال: **لا تنازعوا**، لأنكم إذا تنازعتم تباغضتم، فيشغلكم التباغُض بأنفسكم [عن الجهاد]، ويترك[4] الجهاد مع العدو.[5] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وتذهب ريحُكم**، قال بعضهم: يذهب[6] نصركم وظفركم. وقال بعضهم: يذهب ريح دولتكم. ويحتمل **ريحكم**،[7] الريح التي بها تُنصَرون، على[8] ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[9] قال: «نُصِرتُ بالصَّبَا، وأُهلِكَ عاد بالدَّبُور».[10] وهو ما ذكر:[11] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا.[12]

وقوله: **واصبروا**، أي اصبروا للجهاد ولقتال[13] عدوكم. **إن الله مع الصابرين**، بالنصر لهم والظفر. وفي هذه الآية تأديب من الله المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا، أي في أمر الحرب وأسباب القتال والمجاهدة مع العدو، لأنه[14] أمرهم بالثبات، وأمرهم بذكر الله، ونهاهم عن التنازع والاختلاف، وذلك بعض ما يُستَعان[15] به في الانتصار على عدوهم.

---

[1] ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦).
[2] ع: فإذا أخفقتم.
[3] م: ولا ولا تظفرون.
[4] جميع النسخ: فيبقى.
[5] وعبارة الشارح هكذا: «فيشغلكم التباغُض بأنفسكم عن الجهاد، فيظفر بكم العدو، أو يُترَك الجهاد معهم ولا يقوم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٢و).
[6] ع م – يذهب.
[7] ن – ريحكم، صح ه؛ ع م – ريحكم.
[8] م: وعلى.
[9] ن ع م – أنه.
[10] *صحيح البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.
[11] ع م: ما ذكرنا.
[12] ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٩).
[13] ن: والقتال.
[14] ع م: ولأنه.
[15] ن: ما يستفاد.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بَطَرا ورِئَاء الناس**، قوله: **بَطَرا**، أي كُفْرا بنعم الله، كقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً،[1] الآية، فعلى ذلك هؤلاء[2] خرجوا من ديارهم كفرا بأَنْعُم الله، لأنهم خرجوا إلى قتال محمد، وهو من أعظم نعم الله تعالى على خلقه، وهم كفروا تلك النعمة حيث خرجوا لقتاله. وكذلك قالوا في قوله: بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا،[3] أي كفرت. وقوله: **بَطَرا**،[4] كُفْرانا وتكبُّرا، أي خرجوا متكبرين كافرين. **ورِئَاء الناس**، يحتمل مراءاتهم وجهين، أحدهما مراءاتهم في الدين،[5] لأنهم قالوا: اللهم[6] انصر أهدانا سبيلا وأَوْصَلَنا رَحِما وأَقْرَانا ضَيْفا، عندهم أنهم على حق وأن المؤمنين على باطل. ويحتمل مراءاتهم في أمر الدنيا، لأنهم كانوا أهل ثروة ومال وأهل عُدّة وقوة، خرجوا[7] مرائين للناس. وقوله: **ورِئَاء الناس**، لأنهم كانوا أهل شرف عندهم، فخرجوا لمراءاة[8] الناس. **ويصدون عن سبيل الله**، أي يصدون الناس عن دين الله. أخبر عز وجل عن خروج أولئك الكفرة أنهم خرجوا لما ذكر، فكان فيه أمر للمؤمنين بالخروج على ضد ذلك، كأنه قال: اخرجوا أنتم شاكرين لنعم الله، قابلين منته، متواضعين، مخلصين له الدين، داعين الناس إلى دين الله، اخرجوا[9] على ضد ما خرجوا هم.[10]

وقوله عز وجل: **والله بما يعملون محيط**، أي علمه محيط بهم، لا يغيب عنه شيء، أو لا يتخلّص[11] أحد عن ملكه ولا يغيب. وقوله: **والله بما يعملون محيط**، يخرج على وجهين،

---

[1] ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنةً مُطْمَئِنّةً يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكفرت بأَنْعُم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١١٢/١٦).

[2] ع م – هؤلاء.

[3] ﴿وكم أهلكنا من قرية بَطِرَتْ معيشتَها﴾ (سورة القصص، ٥٨/٢٨).

[4] ع م – الله تعالى على خلقه وهم كفروا تلك النعمة حيث خرجوا لقتاله وكذلك قالوا في قوله بطرت معيشتها أي كفرت وقوله بطرا.

[5] ع: في الذين.

[6] ع – اللهم.

[7] ع: خرجوا ا.

[8] ع: المراءاة.

[9] ع م – أنتم شاكرين لنعم الله قابلين منته متواضعين مخلصين له الدين داعين الناس إلى دين الله اخرجوا.

[10] ع: على ما ضد ما خرجوهم؛ م: ما خرجوهم.

[11] ن: شيء لا يتخلص.

أحدهما **والله بما يعملون محيط**،[1] من مكايدهم وحِيَلهم والمكر برسول الله، في الدفع عنه والنصر له. والثاني **محيط**، بما يعملون، يَجْزيهم ويكافئهم، ولا يفوت عنه شيء، على الوعيد. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[٤٨]

وقوله: **وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم**، قال بعضهم: **زيّن لهم الشيطان أعمالهم**، بالوساوس. **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس**، وإنما قال لهم هذا ووسوس لهم لَمّا أَلْقى إليهم: إنكم أهلُ حَرَمِ الله، وسُكّانُ بيتِه وحُفّاظُه، فيقول: يدفع عنكم نَكْبَة هؤلاء، يعني أصحاب محمد، كما دفع عنكم فيما كان من قبل.

وقوله عز وجل: **وإنّي جارٌ لكم**، قيل: مُجير لكم مُغيث. فعلى هذا التأويل كان قوله: **إني جار لكم**، كأنّه يخبر عن الله أنه يغيثهم كما أغاثهم[2] من قبل في غير مرة. وقال بعضهم: إن الشيطان تمثّل بصورة[3] رجلٍ يُقال له: سُراقة بن مالك بن[4] جُعْشُم، فأتاهم فقال: لا ترجعوا حتى تستأصلوهم،[5] فإنكم كثير وعدوكم قليل، فيأمَن غيركم،[6] ونحو[7] هذا من الكلام.[8] وقال صاحب التأويل الأول: لا يحتمل هذا، لأن أهل مكة كانوا جبابرة وأهل قوة وبَطْش وبأس، فلا يحتمل أن يَصْدُروا لآراء[9] رجلٍ هو دونهم، وهم بالوصف الذي ذكرنا.

---

[1] ع م – أو لا يتخلص أحد عن ملكه ولا يغيب وقوله والله بما يعملون محيط يخرج على وجهين أحدهما والله بما يعملون محيط.

[2] ن: كما أعانهم.

[3] م: في صورة.

[4] ع: ابن.

[5] م: حتى تستأصلوا.

[6] أي إن قتلتم المسلمين سيأمن غيركم من الناس أيضا، ولن يخافوا من المسلمين بعد ذلك.

[7] ن: وغير.

[8] في هذا المعنى روايات كثيرة. وكانت بين قريش وبين بني بكر عداوة، فخافوا أن يستغل بنو بكر هذه الفرصة ويهجموا عليهم من ورائهم. فلذلك تمثل لهم الشيطان في صورة سراقة الذي هو من أشراف بني بكر وطمأنهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٨–٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٧–٧٨. وسُراقة بن مالك مشهور بقصته حين اتبع النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة للهجرة، ثم ساخت قوائم فرسه في الرمل...، وهو من مُسلِمة الفَتْح، (ت. ٢٤هـ/ ٦٤٤م). انظر: *الكاشف* للذهبي، ١/٤٢٦؛ وتقريب *التهذيب* لابن حجر، ٢٢٩.

[9] ك: لآرا.

وعلى هذا[١] التأويل[٢] -أنه تمثّل به فلان- يكون قوله: **وإني جار لكم**، ما ذكر في بعض القصة أن أبا جهل وأصحابه اعتزلوا واستشاروا[٣] فيما بينهم، فأتاهم إبليس مُتمثِّلا بسُرَاقَة، فامتنعوا عنه واستأخروا، فلما رأى ذلك منهم فقال: **إني جار لكم**، وكان جارا[٤] لهم، فتأويل هؤلاء أشبه بما ذكر في آخر الآية.

وقوله عز وجل: **فلما تَرَاءَت الفئتان نَكَصَ على عَقِبَيْه**، أي رجع مُستأخِرا مُقبِلا وجهه إليهم، فقال **إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب**، إذا عاقب. قيل: رأى جبريلَ مع الملائكة ينزلون،[٥] فخاف منهم.[٦] ففيه دلالة أنه كان يخاف[٧] الهلاك قبل اليوم[٨] المعلوم.[٩]

**﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، قال بعضهم: **الذين في قلوبهم مرض**، هم المشركون، **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وعن الحسن: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، قال:[١٠] هم قوم لم يشهدوا[١١] القتال يوم بدر، فسُمُّوا منافقين.[١٢] وقال بعض أهل التأويل: إن قوما كانوا أسلموا بمكة، فأقاموا بها مع المشركين، ولم يهاجروا إلى المدينة. فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر[١٣] خرج هؤلاء معهم،[١٤] فلما عاينوا قلّة المؤمنين وضَعْفَهم شَكُّوا في دينهم وارتابوا،

---

[١] ك ن ع + أهل.
[٢] م - الأول لا يحتمل هذا لأن أهل مكة كانوا جبابرة وأهل قوة وبطش وبأس فلا يحتمل أن يصدروا لآراء رجل هو دونهم وهم بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا التأويل.
[٣] ك: وأشاروا.
[٤] ن + لكم.
[٥] ع: تنزلون.
[٦] جميع النسخ: عنهم.
[٧] ع - يخاف.
[٨] جميع النسخ: يوم.
[٩] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال فإنك من المُنظَرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٧-٣٨).
[١٠] ن + بعضهم.
[١١] ع: قوم يشهدوا.
[١٢] *تفسير الطبري*، ١٠/٢١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٩.
[١٣] ع م: إلى بدر.
[١٤] ع - معهم.

وقالوا:[1] **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يعنون أصحاب محمد.[2] يقول الله: **ومن يتوكل على الله**، فيثق بوعده في النصر ببدر لقولهم: **غَرَّ هؤلاء دينُهم. فإن الله عزيز**، لا يُعجزه شيء. وقوله: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لأنه لم يكن معهم عُدَّة ولا أسباب الحرب من السلاح وغيره، فلم يكونوا يقاتلون إلا لقوة دينهم.

وقوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينُهم**؛ فإن قيل لنا: ما الحكمة[3]
[٢٩٠ظ] في ذكر قول المنافقين في القرآن حتى نتلوه في الصلاة؟ قيل: ذكر -والله أعلم- / لنعرف نحن عظيمَ منزلةِ الدين وخطيرَ قَدْرِه[4] في قلوبهم، أعني قلوب المؤمنين. وذلك أنهم بذلوا أنفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضَعْفِهم وقلّة عددهم وكثرة أعدائهم وقوتهم، رَجَاءَ أن يَسْلَمَ لهم دينُهم. يَذكر [ذلك] لنا[5] لنعرف عظيمَ محلِّ الدين في قلوبهم، ليكون محلُّ الدين في قلوبنا على مثل قَدْرِه في قلوبهم.[6] وفي قوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينُهم**، دلالة إثبات رسالة محمد، لأنهم إنما قالوا ذلك سرا فيما بينهم، فأَطْلَعَ اللهُ رسولَه[7] على ذلك، لِيُعلَم أنه عرف بالله.

ثم اختلف في قوله: **والذين في قلوبهم مرض**. قال بعضهم: هم المشركون، قال المنافقون والمشركون للمؤمنين: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وقال بعضهم: هم قومٌ أسلموا، وقد كانوا ضُعَفاء في الإسلام والدين، فلما خرجوا إلى بدر فرأَوْا ضَعْفَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة أولئك القوم قالوا عند ذلك: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وقد ذُكر في بعض القصة أن قوما كانوا أسلموا بمكة، ثم أقاموا مع المشركين، ولم يهاجروا إلى المدينة. فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر خرج هؤلاء معهم. فلما عاينوا قلّة المسلمين شَكُّوا في دينهم وارتابوا، فقالوا مع المنافقين: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يعنون أصحاب رسول الله[8] صلى الله عليه وسلم. فقال الله[9] تعالى: **ومن يتوكل على الله**، من المؤمنين فيثق به[10] في النصر ببدر، لقولهم: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**.[11]

---

[1] ن: فقالوا؛ ع م: فقال.
[2] روي عن الكلبي وغيره؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٢١؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٤/٧٩.
[3] ك: ما الحكمة لنا.
[4] ع: قدرته.
[5] م + عظيم.
[6] ع م - في قلوبهم.
[7] ع: ورسوله.
[8] ن: محمد.
[9] ك ن - الله.
[10] ن - به.
[11] وقد تكررت هذه العبارات أعلاه، ولعل ذلك نتيجة لأسلوب الإملاء المتَّبَع في تأليف الكتاب.

وقوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، يجيء أن يكونوا[1] هم المنافقين[2] على ما فسّره في آية أخرى.[3] فإن كان على ذلك فيكون على إسقاط الواو، كأنه[4] قال:[5] يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض. إلّا أنْ يُقال: إن المنافقين هم الذين أَضمروا الكفر حقيقةً، **والذين في قلوبهم مرض**، هم الذين لم يُضمِروا الكفر، لكنهم[6] ارتابوا وشَكُّوا، واعترض شَكٌّ وارتيابٌ مِن بَعد إذ رأَوْا[7] تأخُّر الموعود.

وقوله عز وجل: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يخرج على وجهين. أحدهما قالوا: **غَرَّ** الموعودُ الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر في الدنيا. يقولون: **غَرَّ [هؤلاء]** ذلك الموعودُ الذي كانوا [وُعِدوا] به من الفتوح والنصر.[8] والثاني يقولون: **غَرَّ هؤلاء**، الموعودُ الذي وُعِدوا في الآخرة من النعيم الدائم والحياة الدائمة. فيكون أحد التأويلين بالموعود في الآخرة، وهو بالإسلام يكون. والثاني بالموعود في الدنيا، وهو الفتح والنصر الذي ذكرناه. وقوله: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لما رأوا أنهم تركوا آباءهم وأولادهم وجميع شهواتهم وبذلوا أنفسهم للقتال ليَتسلَّم لهم دينُهم؛ لذلك قالوا: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لما لم يكن خروجُهم وبذلُهم أنفسَهم لذلك إلا إشفاقا وخوفا على دينهم. أو طلبوا[9] لما بذلوا أنفسهم حياة الأبد في الآخرة، فقالوا: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يتوكل على الله**، أي اعتمد على الله في حرب بدر –على ما ذكر أهل التأويل– والنصرِ فيه. وقوله: **فإن الله عزيز**، لا يُعجِزه شيء، يُعِزّ من يشاء بالنصر، ويُذِلّ من يشاء بالقتل والهزيمة. أو **من يتوكل على الله**، في جميع أموره ويَكِل إليه أمورَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **عزيز حكيم**، العزيز في هذا الموضع هو الغالب، **حكيم**، مما أمر بالقتل.

---

[1] ك ع م: أن يكون.
[2] جميع النسخ: المنافقون.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (سور البقرة، ١٠/٢).
[4] ن ع: وكأنه.
[5] ن: يقول.
[6] ن – لكنهم.
[7] جميع النسخ: إذا رأوا.
[8] ك ع م + الذي وعد لهم؛ ن – وعدهم رسول الله من الفتوح لهم والنصر في الدنيا يقولون غر هؤلاء ذلك الموعود الذي كانوا وعدوا به من الفتوح والنصر.
[9] م: وطلبوا.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم،** قال بعضهم: الآية [في] مقابلة قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ.[1] يقول -والله أعلم- **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا،** أي تُقبَض[2] أرواح الذين كفروا، كيف يقبضون أرواحهم وكيف يضربون وجوههم وأدبارهم. كأنه قال -والله أعلم- لو رأيت الحال التي تقبض[3] فيها أرواحهم وما ينزل لرأيت أنّ ما عملوا مِن صدّ الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المؤمنين وخروجهم لقتال أصحاب رسول الله إنما عملوا[4] بأنفسهم لا بالمؤمنين. وقوله: **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم،** يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم بدر، لأن الآية ذُكرت في قصة بدر. ويحتمل أن يكون ذلك في كل كافر أنّ الملائكة يفعلون به ما ذكر، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ،[5] الآية، هذا في كل كافر. وقوله: **يضربون وجوههم وأدبارهم،** ليس على إرادة حقيقة الوجه والدبر، ولكن على إرادة إيصال الألم إليهم بكل ضَرْب وكل جهة، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] ليس على إرادة التحت والفوق، ولكن على إرادة إحاطة العذاب بهم،[7] فعلى ذلك الأول. وقال بعضهم: **يضربون وجوههم،** في حال إقبالهم[8] [على] المؤمنين، **وأدبارهم،** في حال إدبارهم وانهزامهم منهم.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ذلك بما قدّمت أيديكم،** ذكر تقديم اليد وإن كان الكفر من عمل القلب لما باليد يُقَدَّم في العُرف. وقوله: **ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس بظلّام للعبيد،**

---

[1] سورة الأنفال، ٨/٤٧.
[2] ك: أي يقبض.
[3] ن ع م: يقبض.
[4] ع: إنما علموا. أي إنما ضَرُّوا بأعمالهم أنفسهم ولم يضروا المؤمنين.
[5] ﴿ولو ترى إذِ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذابَ الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٣).
[6] سورة الزمر، ٣٩/١٦.
[7] ن - بهم.
[8] م: في إقبالهم.

وفي الآية دلالة الرد على المجبرة،[١] لأنهم لا يجعلون[٢] للعبيد في أفعالهم صُنعا، يجعلون حقيقة الأفعال لله. وذكر **بما قدّمت أيديكم**، فلو لم يكن لهم صُنع لم يكن[٣] لقوله: **بما قدّمت أيديكم**، معنى. وكذلك قوله: **وأن الله ليس بظلّام للعبيد**، فلو لم يكن لهم حقيقة[٤] الفعل لكان التعذيب[٥] ظلما، دلّ أن لهم فِعلا. ***والله أعلم***. قوله: **ليس بظلّام للعبيد**،[٦] فيما شرع من القتال والإهلاك والتعذيب في الآخرة، لأنه مَكَّن لهم ما يكسبون به من النجاة والحياة[٧] الدائمة، فما لحقهم مما ذكر / إنما كان باكتسابهم واختيارهم. [٢٩١و]

**﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[٥٢]

وقوله عز وجل: **كدَأْب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله**، قال بعضهم: صنيع هؤلاء، أي صنيع أهل مكة بمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسى، يعني[٨] في التكذيب[٩] والكفر بآياته. وقال قائلون: صُنع الله بأهل مكة بالعقوبة والتعذيب[١٠] كصنيعه بفرعون وآله ومن سبق من الأمم من الإهلاك والتعذيب. وقد فعل بأهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون وآله[١١] بسوء معاملتهم موسى.[١٢] و **كدَأْب**، قيل: كصنيع، وقيل: كفِعل، وقيل: كأشباه، وقيل: كعمل، وهو واحد.

وقوله عز وجل: **فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب**، وقوله: **شديد العقاب**، أي لا يُضعِفه شيء يمنعه عما يريد.

---

[١] أي الجبرية.
[٢] ن: لا لا يجعلون.
[٣] ع – لم يكن.
[٤] ع: لحقيقة.
[٥] ع: لكانت تعذيب.
[٦] ك – فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما دل أن لهم فعلا والله أعلم قوله ليس بظلام لعبيد.
[٧] ن: إذ الحياة.
[٨] ع م– يعني.
[٩] ع: فالتكذيب.
[١٠] ع م – والتعذيب.
[١١] ن: بفرعون والله اعلم.
[١٢] ع: بموسى.

**﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٥٣]

وقوله: **ذلك**، أي **ذلك** العذاب والعقاب الذي ذكره، **بأن الله لم يَكُ مُغيّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، قال قائلون: النعمة التي أنعمها عليهم هم الرسل التي بعثهم إليهم، والكتب التي أنزلها عليهم، **لم يَكُ مُغيّرا**، لتلك النعم، **حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، بالتكذيب والرد وترك القبول. وهو كقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً،[١] وقولِه: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا،[٢] الآية. وقال قائلون: قوله: **لم يَكُ مُغيّرا نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، أي حتى يصرفوا[٣] شُكر نعمه إلى غير الله ويعبدوا[٤] دونه، أي لا يغير النعم التي أنعمها عليهم، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، يعبدون غير الله ويشكرون غير الذي أنعم عليهم، فعند ذلك غَيَّرَ الله[٥] ما بهم من النعمة. وكذلك قال ابن عباس: نعمة من النعم، إن تولَّوْا عن شكرها غَيَّرَ الله عليهم وأخذها منهم. والثاني يحتمل[٦] النعمة الدينية، وهو تكذيبهم الرسل وردُّهم الكتب بعدما أقسموا أنهم يكونون أهدى مِن إحدى الأمم،[٧] واختيارُهم الشركَ والكفرَ على الإسلام والتوحيد، فإذا اختاروا تغيير[٨] ذلك غَيَّرَ عليهم.

وقوله عز وجل: **ذلك بأن الله لم يَكُ مُغيّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، يخرج على وجهين، أحدهما النعمة الدنيوية،[٩] لا تتغير تلك عليهم إلا بتغيير مِن قِبَلهم، إمّا بترك الشكر[١٠] لها، وإمّا بصَرفه إلى غير الذي أنعمها عليهم. ولو غُيّرت عليهم غُيّرت ببَدَل، فليس ذلك في الحقيقة تغيرا.[١١] **وأن الله سميع عليم**، قيل: أي **سميع** لشكر من يشكره ويحمده،

---

[١] سورة الإسراء، ١٥/١٦.

[٢] سورة القصص، ٥٩/٢٨.

[٣] ك: أي يصرفوا.

[٤] ع م: ويعبدون.

[٥] ن – غير الله.

[٦] ك: تحتمل.

[٧] ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءهم نذير لَيكونُنّ أَهْدَى مِن إحدى الأُمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفُورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

[٨] ن: تغير؛ م: التغيير.

[٩] ن ع م: الدنياوية.

[١٠] ع: الشرك.

[١١] جميع النسخ: تغير.

**عليم**، لزيادة النعمة إذا شكر. ويحتمل **سميع**، أي مجيب، **عليم**، بمصالحهم. ويحتمل أنه **سميع**، لما أسَرّوا من القول وجَهَروا به، **عليم**، بما أضمَروا من العمل والشُّرُور.

**﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[٥٤]

وقوله عز وجل: **كَدَأْبِ آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآيات ربهم**. فإن قيل: ما فائدة تخصيص ذِكر آل فرعون مِن بينهم،[١] وما الحكمة في تكرار قوله: **كدأب آل فرعون**؟[٢] قيل: يحتمل تخصيص[٣] ذكر آل فرعون لِما كانوا أقرب إلى هؤلاء من غيرهم ممن كان قبلهم؛ ألا ترى أنه قال: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً.[٤] أو أنْ يُذَكِّرُ[٥] أهلَ الكتاب منهم لِما كانوا ينكرون بعث الرسول[٦] من غيرهم، ويقولون: إن محمدا أُمي بُعث إلى الأُمّيين مثله، فقال: إن موسى لم يكن من القِبْط فبُعث رسولا إليهم، فعلى ذلك محمد وإن[٧] كان أُمّيا فبُعث[٨] إلى الأُمّيين وغيرهم. ***والله أعلم بذلك***. وأما فائدة التكرار -والله أعلم- فهو[٩] أنه ذكر[١٠] في الآية الأولى الأخذ بالذنوب والتعذيب، ولم يبيّن ما كان ذلك العذاب، فبيّن في الآية الأخرى أن ذلك العذاب هو الإهلاك والاستئصال حيث قال: **فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون**، الآية. ويحتمل قوله: فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ،[١١] في الآخرة بكفرهم بآيات الله في الدنيا، ذكر في إحدى[١٢] الآيتين العذاب في الآخرة وفي الآية الأخرى الإهلاك في الدنيا. ولأنه ذكر في الآية الأولى[١٣] الكفر بآيات الله ولم يبين ذلك،

---

[١] ع: من دينهم.
[٢] تكرر ذلك قبل آيتين؛ انظر: سورة الأنفال، ٥٢/٨.
[٣] م - تخصيص.
[٤] سورة المزمل، ١٥/٧٣.
[٥] م: وأن يذكر.
[٦] ع م: الرسل.
[٧] م - وإن.
[٨] ك: بعث.
[٩] جميع النسخ: وهو.
[١٠] ن: أن ذكر.
[١١] سورة الأنفال، ٥٢/٨.
[١٢] ع م: في أحد.
[١٣] ن - الأولى، صح هـ.

وذكر في الآية[١] الأخرى التكذيب[٢] بآياته، فبيّن[٣] أن الكفر بآياته هو تكذيبها. ثم التكذيب[٤] إنما يكون في الأخبار، وكذلك التصديق،[٥] وفيه دلالة أن الإيمان هو التصديق، لأنه جُعل مقابِله، وضده التكذيب. وفيه أن الإيمان ليس هو المعرفة، لأن مقابِله الجهل، والجهل[٦] بالله ليس هو التكذيب، لكن بالمعرفة يكون التصديق،[٧] وبالجهل يكون التكذيب.[٨]

**﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٥] ﴿اَلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٥٦]**

وقوله عز وجل: **إنّ شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون**، ذكر هاهنا: **إن شر الدواب عند الله الذين... لا يؤمنون**، وقال[٩] في آية أخرى: **إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون**، هم شرّ دوابٍّ حيث سمعوا الآيات والحق وعقلوها فلم يؤمنوا بها، أي لم ينتفعوا بما عقلوا مما وقع في مسامعهم ومما درسوا، كمن لا سمع له[١٠] ولا لسان، نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا. ويحتمل أن يكون في الآخرة،[١١] أي يبعثون يوم القيامة صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا لما لم ينتفعوا في هذه الدنيا[١٢] بهذه الحواسّ،[١٣] كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[١٤] الآية. وقوله: **إن شر الدواب عند الله**، أي شرُّ[١٥] مِن الدوابّ عند الله، **الذين كفروا فهم لا يؤمنون**. وهو كما ذكر في آية أخرى:

---

[١] ع: وذكر الآية.
[٢] م – التكذيب.
[٣] ك: نبين.
[٤] ك ن ع: فمن التكذيب.
[٥] ع – التصديق.
[٦] ع م – والجهل.
[٧] ع م: بالتصديق.
[٨] م: بالتكذيب.
[٩] ك: وذكر.
[١٠] ك – له.
[١١] جميع النسخ + هم.
[١٢] ن ع م: في الدنيا.
[١٣] ع م – الحواس.
[١٤] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[١٥] ك: أي إن شر.

أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ،[1] أخبر أن الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته أضلّ من الأنعام. وقد ذكرنا / فائدة قوله: بَلْ هُمْ أَضَلُّ، في موضعه. ويحتمل قوله: **شرّ الدوابّ**، أي شرُّ مَن يَدِبّ [٢٩١ظ] على وجه الأرض من الممتحَنين، **الذين كفروا فهم لا يؤمنون**. ثم يكونون بهذا الوصف إذا خُتموا بالكفر وترك الإيمان. ثم اختلف فيه. قال بعضهم: نزل في بني قُرَيْظَة، عاهدوا رسول الله ثم أعانوا مشركي مكة[2] على رسول الله بالسلاح وغيره، فأَقَالهم رسول الله، وكانوا يقولون: نسينا وأخطأنا. ثم عاهدهم ثانية، فنقضوا[3] العهد، فذلك قوله: **ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**، نَقْضَ العهد، أو **لا يتقون**،[4] الشرك. وقال بعضهم: نزل قوله: **إن شرّ الدوابّ**، إلى آخر الآية[5] في المَرَدَة والفراعنة من الكفار، كانوا عقلوا ما سمعوا ودرسوا ولكن غيّروها فلم يؤمنوا به. على هذا حمل أهل التأويل تأويل الآية، وإلى ما ذكرنا صرفوا. وإلّا صَرْفُ الآية إلى أهل النفاق أولى، لأنهم هم المعروفون بنقض العهد مرة[6] بعد مرة.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **فإما تَثقفنَّهم في الحرب**، قيل: تأسرنهم في الحرب، وقيل: تَلقينَّهم في الحرب، وقيل: تجدنهم في الحرب. **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، قيل: نَكِّلْ بهم مَن بعدهم، أي اصنع بهم ما يَنكُلون مَن خلفهم،[7] أي يمتنعون. وقيل: فعِظْ بهم مَن خلفهم، أي مَن سِواهم. الآية نزلت في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون، وكان عادتهم نقض العهد، فأمر[8] عز وجل رسوله أن يُنَكِّل هؤلاء ليكون ذلك عبرة وزجرا لمن بعدهم، إن لم يكن ذلك لهم زجرا[9] فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم، إذا رأى غيرهم أنه فعل بهؤلاء ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم. ولهذا ما قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[10] مَن رأى أنه يُقتَل به امتنع عن قتل آخر، فيكون في ذلك حياة الخلق.

---

[1] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[2] ن – مكة، صح هـ.
[3] ك: ثم نقضوا.
[4] ع – نقض العهد أو لا يتقون.
[5] ن – الآية.
[6] ع م: ومرة.
[7] ك: من بعدهم.
[8] ع م: فأمرهم.
[9] ك: زجرا لهم.
[10] سورة البقرة، ١٧٩/٢.

وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمةً، لأن في الطِّباع النِّفار عن القتل، فإذا رأى أنه يُقتَل بتركه الإسلام أجاب إلى ذلك إشفاقا على نفسه وخوفا على تلف مُهْجَتِه،[١] فيكون في القتال رحمة. وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات في النفس[٢] وما دون النفس، جعل زَوَاجِرَ ومَوَانِعَ[٣] عن المعاودة إلى مثله. فعلى ذلك قوله: **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، عظةً وزجرًا لمن بعدهم، **لعلهم يذَّكَّرون**، لكي يذكروا[٤] النكال فلا ينقضوا العهد. وكذلك كل مرغوب في الدنيا ومرهوب[٥] جُعل دواعي وزواجر لموعودٍ في الآخرة، وجُعل كل لذيذ وشَهِيّ في الدنيا داعيا[٦] لما وُعد في الآخرة في الجنة،[٧] وكلُّ كَرِيهٍ وقبيح زاجرا له عن الموعود في الآخرة في النار، على هذا بناءُ أمرِ الدنيا. والتَّشرِيد[٨] قال أبو عبيدة: معناه من التفرقة، أي فَرِّق بهم.[٩] وقال القُتَبِي: قوله: **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، أي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرّق به مَن وراءَهم من الأعداء. قال: ويقال: شَرِّدْ[١٠] بهم: سَمِّعْ بهم بلغة[١١] قريش. وقيل: نَكِّلْهم، أي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة،[١٢] وهو ما ذكرنا. وقال[١٣] أبو عوسجة: التنكيل التخويف والرد عما يكره، والنكال العذاب. وقال غيره: قوله:[١٤] **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، أي أَخِفْهم[١٥] بهم، بما صنع هؤلاء. وقال أبو عُبَيد: التشريد في كلامهم التبديد والتفريق. وبعضه قريب من بعض. قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **فشَرِّد بهم**، أي نَكِّل بهم حتى يخافك مَن خلفهم.[١٦] والشَّرِيد الطَّرِيد، والشريد أيضا القليل.

---

[١] ك: نفسه.
[٢] ع م: في النقض.
[٣] ك: زواجرا ومانعا؛ ن ع م: زواجرا وموانعا.
[٤] ع م: يذكرون.
[٥] ك ن ع: ومرغوب.
[٦] ن: وداعيا.
[٧] ع م – في الجنة.
[٨] ن – والتشريد.
[٩] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٤٨/١.
[١٠] ع م: وشرد.
[١١] ن – بلغة.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٠.
[١٣] ع: قال.
[١٤] ن م – قوله.
[١٥] م: أي أحلفهم.
[١٦] ك: من بعدهم.

**﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٥٨]**

وقوله: **وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبِذ إليهم على سواء**، قال بعضهم: قوله: **تخافنّ**، أي تعلمنّ،[١] **من قوم خيانة فانبِذ إليهم على سواء**،[٢] أي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون أنت وهم[٣] في الخيانة سواء، لأنّ عندهم أنكم معاهِدون لقيام العهد بَعد،[٤] ولكن انبِذ إليهم العهد،[٥] ثم نَاصِبْ فيما بينهم الحرب. وقال بعضهم: هو على حقيقة الخوف، يقول: إذا خفت منهم النقض أو الخيانة **فانبِذ إليهم**، أي أَلْقِ إليهم نقضك، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء. قال أبو عبيدة: قوله: **فانبِذ إليهم على سواء**، أي أَظْهِرْ[٦] لهم أنك عدو، وأنك مُناصِب لهم، حتى يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء.[٧] وقال بعضهم: **[على] سواء**، أي على أمر بَيِّن. قال أبو عُبَيد:[٨] قال غير واحد من أهل العلم: **فانبِذ إليهم على سواء**، أَعْلِمْهم[٩] أنك تريد أن تحاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم، فذلك السواء. وقال[١٠] الكيساني: السواء العدل، وقال: **فانبِذ إليهم على سواء**، أي سِرْ إليهم وقد علموا بك وعلمتَ بهم. وبعضهم قريب من بعض. وحاصل التأويل هو التأويلان اللذان[١١] ذكرتهما. *والله أعلم*.

وأصل العهد ما ذكر عز وجل في آية أخرى، وهو قوله: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ،[١٢] أمر عز وجل بإتمام العهد إلى المدة إذا لم يَنْقُصُونا شيئا[١٣] ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا أحدا منهم،

---

[١] ك: تخافن تعلمن.
[٢] م – قال بعضهم قوله تخافن أي تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء.
[٣] ك – وهم، صح هـ.
[٤] جميع النسخ: معاهدون على عهد بعد عهد؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٣ظ.
[٥] ع م – العهد.
[٦] ع: سواء أُظهر.
[٧] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٤٩/١.
[٨] ع: أبو عبيدة.
[٩] ع: علمهم.
[١٠] ع م: قال.
[١١] ن ع: هو التأويلين الذين؛ م: هو التأويلين الدين.
[١٢] سورة التوبة، ٤/٩.
[١٣] ن ع: لم ينقضوناشيا؛ م: لم ينقضوا ناسيا.

فإذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا[1] أن ننقض العهد الذي كان بيننا وبينهم. وكذلك ابتداء العهد فيما[2] بيننا وبينهم، إذا سألونا ليس للإمام أن يعطي لهم[3] العهد إذا لم يكن في العهد منفعةٌ للمسلمين منفعةٌ ظاهرة وخيرًا لهم. فعلى ذلك ما دام يرجو في العهد منفعةً للمسلمين وخيرًا لهم [فيجب] مراعاة ذلك العهد وحفظه. فإذا خاف منهم أو اطّلع على خيانة منهم فله نقضُه.
[٢٩٢و] *والله أعلم*. ثم إذا كان تلك الخيانة من جملتهم أو ممن له مَنَعَة[4] فله أن يُناصِب / معهم الحرب وإن لم ينبِذ إليهم، وإذا كان ذلك من بعضٍ على سبيل التلصُّص والسَّرِقة فليس له أن يحاربهم إلا بعد النَّبْذ إليهم.

**﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يُعجِزون**، قال بعضهم: لا يحسبنّ الذين نَجَوْا وتخلَّصوا منك -يا محمد- من المشركين يوم بدر[5] أنّي لا أُظفِرك[6] بهم في غيره من الحروب والمغازي، وأنهم يفوتون[7] ويُعجِزون الله عن ذلك. وقال بعضهم: لا يحسبنّ الذين كفروا أنهم يُعجِزون[8] ويفوتون عن نِقْمَة الله وعذابه. وقرأ بعضهم بنصب الألف: أنهم لا يعجزون، فمن قرأ بالنصب طرح "لا"، وجعلها صلة، وقال: يحسبنّ أنهم يُعجِزون. وأما قراءة العامة فهي بالخفض: إنهم، فهو على الابتداء،[9] فقال: **إنهم لا يعجزون**.[10] وقيل: المُعجِز والسابق[11] والفائت واحد. وقال القُتَبي: **سبقوا**، أي فاتوا،[12] وجعل قولَه: **إنهم لا يُعجِزون**،[13] على الابتداء.

[1] ع: قلنا.
[2] ع م - فيما.
[3] ك - لهم.
[4] ن ع م: منفعة.
[5] ع م - يوم بدر.
[6] ع م: لأظفرك.
[7] م: يقولون.
[8] ع: أنهم لا يعجزون.
[9] ع م: فهو بالابتداء.
[10] قرأ ابن عامر من الأئمة العشرة بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٧.
[11] ع م: السابق.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٠.
[13] ك - وقيل المعجز والسابق والفائت واحد وقال القتبي سبقوا أي فاتوا وجعل قوله انهم لا يعجزون.

**﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **وأَعِدُّوا لهم**[١] **ما استطعتم من قوة**، قال بعضهم: **وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة**، ولا تخرجوا إلى الحروب والمغازي[٢] كما خرجتم إلى بدر بلا سلاح ولا قوة، لأنه أراد أن يجعل حرب بدرٍ آية ليميز بين المُحِقّ[٣] والمُبْطِل وبين الحق والباطل، لذلك أمركم بالخروج إليه بلا سلاح ولا عُدّة، وأما غيرها من الحروب والمغازي فلا تخرجوا إليها إلا مستعدّين لها.[٤] وبَعد، فإنهم إنما تركوا الاستعداد طاعة لربهم، وفي الاشتغال بالاستعداد تركُ الطاعة[٥] له. وأمر عز وجل بالاعتداد[٦] لهم بما استطاعوا[٧] من الأسباب لِما أنّ ذلك أَرْهَبُ للعدو من ترك الاستعداد، وإن كان عز وجل قادرا[٨] أن ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعله[٩] لأنفسهم، وهو كقوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ﴾،[١٠] فأمر الله بالأسباب في الحروب وإن كان قادرا على نصر أوليائه على عدوه بلا سبب. لكنه أمر بالأسباب لِما أنّ جميع أمور الدنيا جعلها بالأسباب من نحو الموت والحياة وجميع الأشياء، وإن كان يقدر على إبقاء الإنسان والخلائق جميعا بلا غذاء يجعل لهم، و[على] الموت بلا مرض ولا سبب، ولكن فعل بما ذكرنا.[١١]

ثم اختلف في قوله: **من قوة**، قال بعضهم: القوة الرمي، وعلى ذلك رَوَوْا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: **وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة**، فقال: «ألا إن[١٢] القوة الرمي»،

---

[١] ع م – والفائت واحد وقال القتبي سبقوا أي فاتوا وجعل قوله إنهم لا يعجزون على الابتداء وقوله عز وجل وأعدوا لهم.
[٢] م: من المغازي.
[٣] ع: بين الحق.
[٤] ن: إليها.
[٥] ن ع م: للطاعة.
[٦] إعداد الشيء واعتِداده و استعداده وتَعْداده: إحضاره (*لسان العرب* لابن منظور، «عدّ»).
[٧] جميع النسخ: ما استطاعوا.
[٨] ع: قادر.
[٩] جميع النسخ: يجعلها.
[١٠] سورة الحشر، ١٣/٥٩.
[١١] ع: ما ذكرنا.
[١٢] ك: فقال إن.

قال ذلك ثلاثا.[١] ويحتمل قوله: **ما استطعتم من قوة**، ما تَقْوَوْن به [على] الحرب،[٢] لا ما لا تَقْوَوْن به.[٣] وقال بعضهم: القوة السلاح. وقال غيره: الخيل. وأمكن أن يكون[٤] جميع أسباب[٥] الحرب. وفيه دلالة أن القوة التي هي أسباب الفعل يجوز أن تتقدم،[٦] ويكون قوله: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ،[٧] أراد استطاعة الأسباب لا استطاعة الفعل. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ومن رباط الخيل تُرهِبون به عدو الله وعدوكم**، أَمَر برباط الخيل والإعداد للحرب رهبةً للعدو. **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**، اختلف أهل التأويل[٨] فيه. قال بعضهم: تُرهبون برباط الخيل المشركين، وقال: **وآخرين من دونهم**، اليهود والنصارى، وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم، يُرهَب هؤلاء أيضا. وقال بعضهم: **وآخرين من دونهم**، المنافقين[٩] الذين كانوا فيما بينهم، لا يعرفونهم، كانوا طلائع[١٠] للمشركين وعيونا لهم، يخبرونهم عن حال المؤمنين، يرهب هؤلاء أيضا. وقال آخرون: قوله: **وآخرين من دونهم**، هم الشياطين، ورووا على ذلك خبرا[١١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم الشياطين –وقال– لن يُخبِّل[١٢] الشيطان[١٣] إنسانا في داره فرس عَتِيق».[١٤]

---

[١] *صحيح مسلم*، الإمارة ١٦٧؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٨.

[٢] ع م: الحروب.

[٣] ك: لا ما تقوون به؛ ن + الحرب. قال الشارح رحمه الله تعالى: «ويحتمل قوله: ﴿ما استطعتم من قوة﴾، أي أَعِدُّوا من السلاح ما تَقْوَوْن به وتقدرون على استعماله، لا ما لا تَقْوَوْن به ولا تقدرون على استعماله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٣٤و).

[٤] ك: أن تكون.

[٥] م: الأسباب.

[٦] ن ع م: أن يتقدم.

[٧] ﴿لو كان عَرَضًا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بَعُدت عليهم الشُّقَّة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يُهلِكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ (سورة التوبة ٤٢/٩).

[٨] ك ن – أهل التأويل.

[٩] ع م – المنافقين.

[١٠] ن ع م: طلائعا.

[١١] ع م – خبرا.

[١٢] ن ع: لن يخيل. الخَبَل هو الجنون ومس الجن، وتَخَبَّله أي جَنَّنه (*لسان العرب* لابن منظور، «خبل»).

[١٣] ع م: الشياطين.

[١٤] أخرجه الطبراني بلفظ "الجن" بدلا عن الشيطان. وفي إسناده رواة مجاهيل. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٧/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٩٧/٤. والعَتيق: الكريم الرائع من كل شيء، والخيار من كل شيء... والعِتق: الكرم، يقال: ما أبين العِتق في وجه فلان، يعني الكرم. والعِتق: الجمال. وفرس عتيق: رائع كريم بَيِّن العِتق (*لسان العرب* لابن منظور، «عتق»).

ويحتمل أن يكون قوله: **وآخرين من دونهم**، هم[١] الأعداء الذين يكونون مِن بَعد إلى يوم القيامة، **لا تعلمونهم الله يعلمهم**، فإن كان ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: **وآخرين من دونهم**، هم الشياطين. **لا تعلمونهم الله يعلمهم**، وهو كقوله: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[٢] فإن قيل: أي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من **رباط الخيل**، والسلاح الذي ذكر؟ قيل: يكون لهم رهبة في قَمْع أوليائهم. أو يكون لأوليائهم[٣] رهبة، [ولكن] نسب ذلك إليهم، وذلك كثير في القرآن. وقوله: **عدوَّ الله وعدوَّكم**، سمي عدو الله عدوا للمؤمنين،[٤] لِيُعلَم [أن] من اعتقد عداوة الله صار عدوا للمؤمنين، ومن اعتقد ولاية الله صار وليا للمؤمنين، ومن كان ولي المؤمنين[٥] يكون وليا لله.

وقوله عز وجل: **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم**، أخبر أن ما أنفقوا في سبيل الله يُوَفَّر[٦] عليهم ذلك.[٧] أما الخَلَف في الدنيا كقوله: وَمَا أَنفَقْتُم مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ،[٨] وأما في الآخرة الثواب. **وأنتم لا تُظلَمون**، يحتمل وجهين. يحتمل **وأنتم لا تُظلَمون**، فيما يأمركم[٩] بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العُدَّة والإنفاق فيها، إذ أنفسكم وأموالكم[١٠] لله، له أن يأخذها منكم. والثاني **وأنتم لا تُظلَمون**، في الثواب[١١] في الآخرة، أي يعطيكم الثواب في الآخرة، أو الخَلَف في الدنيا. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦١]**

وقوله: **وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها**، قرئ بالنصب: للسَّلْم، وقرئ بالخفض: للسِّلْم.[١٢]

---

١ ك – هم.

٢ ﴿يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبَوَيْكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهما سَوْآتهما إنه يراكم هو وقَبِيلُه من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٢٧/٧).

٣ ع – أو يكون لأوليائهم.

٤ ك: عدو المؤمنين.

٥ م: وليا للمؤمنين.

٦ م: يوف.

٧ ن – ذلك.

٨ ﴿قل إن ربي يَبْسُط الرزق لمن يشاء من عباده ويَقْدِر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُه وهو خير الرازقين﴾ (سورة سبأ، ٣٩/٣٤).

٩ ع: فيما أمركم.

١٠ ع: وأموالهم.

١١ ع: والثواب.

١٢ قراءة الكسر هي رواية أبي بكر عن عاصم. وقرأ الباقون بفتح السين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٧/٢.

وقال أهل اللغة: من قرأ بالنصب: للسَّلْم، حمل على المصالحة والموادعة، ومن قرأ[1] بالخفض للسِّلْم، جعل ذلك في الإسلام. وتأويله -والله أعلم- أي إذا خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم، أي مِلْ إليهم [٢٩٢ط] / ولا يمنعك[2] عن الصلح معهم ما كان منهم من نَقْض العهد على ما ذكر في قوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[3] يقول: لا يمنعك عن الصلح إذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النَّقْض ونَكْث العهود.[4] **وتوكل على الله**، ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد، فإن الله يُطلعك ويكفيك على ذلك. ومنهم من قال:[5] قوله: **وإن جنحوا للسَّلْم**، أي إذا خضعوا وتواضعوا للإسلام فاقبل منهم واخضع لهم، كقوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ،[6] أمره بخفض الجناح لهم.[7] ذكر هاهنا أنهم إذا طلبوا الصلح منا يلزمنا[8] أن نعطيهم، وإذا لم يطلبوا منا ذلك لا يحل لنا أن نطلب منهم الصلح إلا أن نضطر[9] إلى ذلك. وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ،[10] نهانا أن ندعوهم إلى الصلح ولنا قوة وعُدّة للقتال معهم، وأما إذا كانوا طلبوا منا ذلك أولا فيجاب لهم[11] إلى ذلك. ويحتمل ما ذكرنا، أي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد.

وقوله: **فَاجْنَحْ لها**، يحتمل ذكره بالتأنيث، أي للمسالمة والمصالحة. وقال بعضهم: السَّلْم هو مؤنث، كقول القائل:

السَّلْمُ تَأخذُ منها[12] ما رضيتَ به ... والحَرْبُ يَكفيكَ مِن أَنْفاسِها جُرَعُ.[13]

---

[1] ع - قرأ.
[2] ع م: ولا يمنعنك.
[3] سورة الأنفال، ٨/٥٦.
[4] ع: المعهود.
[5] ع: من قالوا.
[6] سورة الحجر، ١٥/٨٨.
[7] م + وكقول أبي بكر.
[8] ن - يلزمنا.
[9] ك: أن يضطر.
[10] سورة محمد ٤٧/٣٥.
[11] م: فيجابون.
[12] م: منا.
[13] ك ن ع + وكقول أبي بكر. والبيت للشاعر عباس بن مِرداس، يقول: إن السَّلْم وإنْ طالتْ لا تضرك ولا يلحقك منها أذى، والحربُ أقلّ شيءٍ منها يَكفيك (*لسان العرب* لابن منظور، «أبس»). وجَرَع الماء وجَرِعه يَجْرَعه جَرْعا: بَلَعَه... والجُرْعة: مِلْء الفم يبتلعه، وجمع الجُرعة جُرَع (*لسان العرب* لابن منظور، «جرع»). والعباس بن مرداس من الصحابة، شهد فتح مكة وغزوة حُنين، وهو من شُجعان الشعراء. انظر: *الإصابة في حياة الصحابة* لابن حجر، ٣/٦٣٣.

فإن قيل: ما المعنى في قول من قال بالإسلام بقوله:[١] **فاجنح لها**، وهو كان يدعو إلى الإسلام، ولا شك[٢] أنه كان يقبل منهم الإسلام؟

قيل: يحتمل أن يكون الأمر بالقبول أمرا بترك المؤاخذة بما كان[٣] منهم في حال نقض العهد، لأن من قولنا: إن ما أصابوا في حال العهد من الجراحات والأَخذ[٤] يُتبَعون بها ويؤاخذون إذا أسلموا، وإذا نقضوا[٥] العهد ثم أصابوا[٦] شيئا من ذلك ثم أسلموا لم يؤاخذوا بذلك. فيحتمل أن يقول لهم: **فاجنح لها**، ولا تؤاخذهم[٧] بما كان منهم في حال نقض العهد. وقال الحسن: هذا منسوخ، نسخه[٨] قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،[٩] الآية.[١٠] وقال بعضهم: نسخه[١١] قوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ،[١٢] الآية. وقال بعضهم: نسخه[١٣] قوله: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ. والوجه فيه ما ذكرنا أن الإمام إذا رأى الصلح والموادعة نظرًا للمسلمين أجابهم إلى ذلك وصالحهم، وإذا طلبوا هم منه الصلح وبالمسلمين قوة للقتال[١٤] والحرب معهم لم يجبهم إلى ذلك. وما ذكر هؤلاء من نسخه فذلك لا نعرفه. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٢]**

وقوله عز وجل: **وإن يريدوا أن يخدعوك**، في الصلح ويخونوك، **فإن حسبك الله**، أي أمكنك الله منهم، كقوله: وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ.[١٥]

---

[١] ك: لقوله.
[٢] ع م: وهو لا شك.
[٣] جميع النسخ: ما كان.
[٤] والأخذ يأتي بمعنى الأسْر والقتل (*لسان العرب* لابن منظور، «أخذ»).
[٥] ع: وإذا انقضوا.
[٦] ن – في حال العهد من الجراحات والأخذ يتبعون بها ويؤاخذون إذا أسلموا وإذا نقضوا العهد ثم أصابوا.
[٧] ع: ولا تؤاخذوهم.
[٨] جميع النسخ: نسخها.
[٩] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحَرِّمون ما حَرَّم الله ورسوله ولا يَدِينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).
[١٠] *تفسير الطبري*، ٣٤/١٠.
[١١] جميع النسخ: نسخها.
[١٢] ﴿فإذا انْسَلَخَ الأشهرُ الحُرُمُ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذُوهم واحْصُروهم واقْعُدُوا لهم كلَّ مَرْصَد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٥/٩).
[١٣] جميع النسخ: نسخها.
[١٤] ن ع م: القتال.
[١٥] سورة الأنفال، ٧١/٨.

وإن كان قوله: فَاجْنَحْ لَهَا،[1] في الإسلام، فيكون قوله: **فإن حسبك الله**، أي يُطلِعك الله على ما في قلوبهم من النفاق، أي وإن خفت منهم أنهم يُظهِرون لك الإسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبول الإسلام منهم، فإن الله يُطلِعك ذلك ويكفيك على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**، يحتمل قوله: **وبالمؤمنين**، بالملائكة الذين أنزلهم معونةً للمؤمنين يوم بدر. ويحتمل **بالمؤمنين**، المؤمنين الذين[2] كانوا معه. فأخبر أنه يؤيده بنصره وبنصر المؤمنين، وكان النصر له بالله في الحقيقة، بقوله:[3] وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.[4] النصر من الله يكون مرة[5] بالأسباب: بالمؤمنين وبغير ذلك من الأسباب، ومرة باللطف منه بلا سبب.

**﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٦٣]

وقوله عز وجل: **وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم**، قال بعضهم: **ألّف بين قلوبهم**، بالدين الذي اجتمعوا عليه، كقوله: إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ [فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا]،[6] أخبر أنهم كانوا أعداء ما داموا في الكفر، فلما أسلموا صاروا إخوانا. ولكن عندنا الإسلام يوجب التأليف بين القلوب[7] والاجتماع بينها، ولكن يجوز أن لا يوجد التأليف وإن وجد الإسلام[8] ليعلم أن الله هو الذي يؤلّف بينهم بلطفه وفضله، بقوله:[9] **ولكن الله ألّف بينهم**. وقد يجوز أن يكون ما ذكر من تأليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله، فإذا كان الخلاف والعداوة[10] بينهم بسبب الدين فإنه إذا وجد الوفاق ارتفع الخلاف والعداوة،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ن - الذين.
[3] م: فقوله.
[4] سورة آل عمران، ١٢٦/٣؛ وسورة الأنفال، ١٠/٨.
[5] ك: مرة يكون.
[6] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[7] ع م - بين القلوب.
[8] ع م - الإسلام.
[9] ك: لقوله.
[10] م - والعداوة.

وإذا كان للأطماع فهو يرتفع باللطف من الله. **إنه عزيز حكيم، عزيز:**[١] لا يُعجِزه شيء، **حكيم:** في أمره وحُكمه.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي حَسْبُكَ الله ومن اتبعك من المؤمنين،** قال بعضهم: **حَسْبُكَ الله** و حَسْبُكَ **من اتبعك من المؤمنين،** أي كفاك الله[٢] في العون والنصر[٣] لك، وكفاك للمؤمنين أيضا فيما ذكرنا. وقال بعضهم: **حَسْبُكَ الله** و حَسْبُكَ **من اتبعك من المؤمنين،** أي **حَسْبُكَ**[٤] نصر الله،[٥] وحَسْبُكَ نصر المؤمنين، وهو على ما ذكر: هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.[٦] والأول أشبه. *والله أعلم.*

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي حَرِّض المؤمنين على القتال،** التحريض على القتال يكون بوجهين.[٧] أحدهما أن يَعِد لهم من المنافع في الدنيا و يُطمِع لهم ذلك، من نحو ما جاء مِن التنفيل، أنّ مَن فعل كذا فله كذا، أو يَعِد لهم المنافع في الآخرة، كقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[٨] الآية. وما ذكر من الثواب في الآخرة بالنفقة التي ينفقونها[٩] في سبيل الله، قوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ،[١٠] الآية. فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم في الدنيا والآخرة / ووعد النصر لهم. [٢٩٣و]

---

[١] ن – عزيز.
[٢] ع – الله.
[٣] ك: النصر في والعون.
[٤] ع م – وحسبك من اتبعك من المؤمنين أي حسبك.
[٥] ع: نصرك الله.
[٦] سورة الأنفال، ٦٢/٨.
[٧] ع: وجهين.
[٨] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشِروا ببَيْعِكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[٩] ك: تنفقونها.
[١٠] ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يَغفِرْ لكم ذنوبكم ويُدخِلْكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً في جنات عَدْنٍ ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قريب وبَشِّر المؤمنين﴾ (سورة الصف، ١٠-١٣).

والثاني يكون التحريض بضرر[1] يلحق أولئك ونكبةٍ تَصِل إليهم، كقوله: أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ -إلى قوله- قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ،[2] جمع الله عز وجل في هذه الآية جميع أنواع الخير الذي يكون في القتال مع العدو مِن النصر[3] للمؤمنين عليهم وإدخال السرور في صدورهم[4] ونَفْيِ الحزن عنهم وتعذيب أولئك بأيديهم. وفيه إغراء على العدو بقوله: أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، فذلك كله يحرّض على القتال ويرغّبهم في الحرب مع العدو. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا**، الآية، اختلف في معنى هذا. قال بعضهم: قوله: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا** كذا، على الأمر، كأنه قال: لِيَكُنْ **منكم عشرون صابرون يغلبوا** كذا، أَمَر العشرةَ القيامَ لمائةٍ، وقال: دليله أنه على الأمر قوله: اَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ،[5] ولو لم يكن على الأمر والعزيمة لم يكن لذكر التخفيف معنى. وقال آخرون: هو على الوعد[6] أنهم إذا صبروا وثبتوا لعدوهم غلبوا عدوهم على ما أخبر: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ،[7] ليس على الأمر، لأنه قال: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**، أخبر أنهم إذا صبروا غلبوهم وهم[8] كذلك -والله أعلم- إذ ظاهرُه وعدٌ وخبرٌ.[9] والأشبه[10] أن يكون على الأمر، ليس على الخبر، على ما ذكرنا من قوله: اَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ.[11]

وقوله: **ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**، ما لهم وما عليهم.

---

[1] ك: لضرر.

[2] ﴿أَلَا تُقَاتِلُون قوما نَكَثُوا أَيْمَانَهم وهَمُّوا بإخراج الرسول وهُم بَدَءُوكم أوّل مرّة أتخشَوْنهم فالله أحقُّ أن تخشَوْه إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ٩/١٣-١٥).

[3] ك ن ع: من وعد النصر.

[4] ن: في قلوبهم.

[5] الآية التالية.

[6] ن ع م: على الوعيد.

[7] ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٩).

[8] جميع النسخ: وهو.

[9] وعبارة الشارح هكذا: «أخبر أنهم إذا صبروا غلبوا على ما وعد الله تعالى وأخبر عنه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٤ظ).

[10] ع: ولا شبه.

[11] الآية التالية.

﴿ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[٦٦]

وقوله: **الآن خفف الله عنكم وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفا.**

فإن قيل: ما معنى قوله: **وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفا**، وقد كان يعلم أن فيهم ضَعْفا[1] وَقْتَ ما أَمَر العشرةَ القيامَ لمائةٍ، والعشرين لمائتين؟

قيل: أمر بذلك مع علمه أن فيهم ضَعْفًا وإن كان في[2] ذلك إهلاك أنفسهم، وذلك منه عدل، إذ له الأنفس، إن شاء أتلفها بالموت، وإن شاء بالقتل، بقتل العدو، والتخفيفُ منه رحمة وفضل. أَمَر الواحدَ القيامَ لعشرةٍ على علم منه بالضعف ابتداءَ امتحان منه، وله أن يمتحن عباده بما فيه وُسْعُهم وبما لا وُسْعَ لهم فيه. وفي الحكمة ذلك، إذ له[3] الأنفس، له[4] أن يُتلِفَها كيف شاء بما شاء. وهو ما ذكر [في] قوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ.[5] ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل أن يكتب ذلك عليهم. والثاني يعلم فيهم الضَّعْف كائنا شاهدا كما علم أنه يكون. وهو ما ذكرنا في قوله: حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[6] أي يعلم مجاهدا كما علم أنه يجاهد. فعلى ذلك هذا.

ثم ذكر العشرين والمائتين [وذكر المائة والألف][7] يحتمل على التحديد. ويحتمل لا على التحديد؛ ألا ترى أنه ذكر في الناسخ عددا غَيْرَ العدد الذي في المنسوخ، لأن في المنسوخ ذكر العشرين لمائتين، وفي الناسخ ذكر ألْف لألْفين،[8] بقوله:[9] **وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله.** فإن كان لا على التحديد فيلزم لواحدٍ القيامُ لاثنين، وفي الأول الواحدُ لعشرةٍ، وعلى ذلك روي[10] عن عمر رضي الله عنه قال: إذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاسْتُأْسِرَ فلا فداء له علينا،

[1] ن ع م: ضعف.
[2] ك: وأن في.
[3] ع: أذلة.
[4] ن – له.
[5] ﴿ولو أنَّا كتبنا عليهم أنِ اقْتُلُوا أنفسكم أوِ اخرُجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يُوعَظون به لكان خيرا لهم وأشدَّ تثبيتا﴾ (سورة النساء، ٦٦/٤).
[6] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم ﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).
[7] جميع النسخ: العشرة والعشرين؛ والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٥و.
[8] ع: لا لغير.
[9] ك: لقوله.
[10] ن – روي.

وإذا[1] لقي ثلاثة فأُسِر فعلينا فداؤه. ولم يجعل للواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب عليه الفداء، وقد جعل له الفرار من ثلاثة[2] حيث جعل عليه الفداء. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ذلك.[3] ويحتمل على التحديد، إذا كَمُل العدد الذي ذكر لم يسع الفرار، ويلزمهم القيام لهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يلزم. وكذلك قال الحسن: أمر أن يصبر عشرون لمائتين، إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، وأن يصبر مائة لألف،[4] إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، قال: ثم أنزل الله: **الآنَ خفّف الله عنكم وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفًا**، فأمر أن يصبر مائة لمائتين، وإن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، وأن يصبر الألف لألفين، إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا. فإن كان على التحديد فهو على ما[5] يقولون أنهم ما لم[6] يكونوا [في] مَنَعَة[7] فإنه يسعهم أن لا يقاتلوا.

وقوله عز وجل: **فإن يكن منكم مائة صابرة**، قال بعض أهل التأويل:[8] الصبر هو حبس النفس على ما أمر الله، وكفّها[9] عن جميع شهواتها ولذّاتها، فإذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره. وقال بعضهم: الصبر هو أن يوطّن نفسه في القتال مع العدو، ويحبسها في ذلك. والشكر قيل: هو أن يبذل نفسه[10] وما يحويه لله، لا يجعل لغيره. فيكون الشكر والصبر في الحاصل سواء، وإن كانا في العبارة مختلفين، لأن الشكر هو بذل النفس وما حَوَتْه يدُه لله، والصبر هو الكفّ والاحتباس على جميع ما أمر الله، وأداءُ ما افترض[11] الله عليه، فإذا حبسها عن غيره يكون باذلا له.[12] ولهذا سمي الصبر إيمانا بقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[13]

---

[1] م: فإذا.
[2] جميع النسخ: عن ثلاثة؛ ع + حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار عن ثلاثة.
[3] أي إنه كان في بدء الأمر يجب أن لا يفر الواحد من العشرة، ثم نسخ ذلك وخُفّف بأنه يجب على الواحد عدم الفرار من الاثنين؛ انظر: *صحيح البخاري*، التفسير سورة ٨/٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/٣٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٠٢، ١٠٣.
[4] م: وأن يصبر الألف لألفين.
[5] ك ع م: فهو ما.
[6] م: أنهم لم.
[7] فلان في مَنَعَة، أي في قوم يحمونه ويمنعونه (*لسان العرب* لابن منظور، «منع»).
[8] ك ع م: قال بعضهم.
[9] ك ن ع: ويكفها.
[10] ك: لنفسه.
[11] ن ع م: ما افرض.
[12] ع م - له.
[13] سورة هود، ١١/١١.

ذكر الصبر هاهنا مكان ما ذكر في غيره[١] الإيمان بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[٢]

وقوله: **والله مع الصابرين**، في النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم.

**﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٦٧]

وقوله عز وجل: **ما كان لنبي أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن في الأرض**، قال أبو بكر الكيساني:[٣] عاتب الله رسولَه[٤] وأصحابَه في أخذ الأَسَارَى بقوله: **ما كان لنبي أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن في الأرض**، وبالغ في العتاب في أخذ / الفداء من الأُسَارَى بقوله: **تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة**. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما استشار أصحابه في الأُسَارَى أشار أبو بكر إلى أخذ الفداء، وعُمَرُ إلى القتل، فقال: «لو نزل من السماء عذاب ما نجا إلا عمر».[٥] عاتبهم بالأخذ، أَخْذِ الأُسَارَى، و[عاتبهم] أشدَّ العتابِ في أخذ الفداء. وأمر[٦] بالقتل وضَرْبِ الرقاب بقوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٧] إنما أمر بضرب الرقاب وضرب البنان. وكذلك يخرج قوله:[٨] لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ،[٩] على العتاب. إلى هذا يذهب[١٠] أبو بكر[١١] الأصم. وعن ابن عباس قال:[١٢] لم يكن[١٣] الأنبياء صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم أُسَارَى حتى يُثْخِنوا في الأرض.[١٤] [٢٩٣ظ]

---

[١] ك ن: في غير.

[٢] انظر مثلا: سورة الشعراء، ٢٢٧/٢٦.

[٣] م: الكسائي.

[٤] ع: ورسوله.

[٥] روي عن ابن زيد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٤٨/١٠. وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٨/٤.

[٦] ع م: أو أمر.

[٧] سورة الأنفال، ١٢/٨.

[٨] ن: يخرج من قوله.

[٩] الآية التالية.

[١٠] ك – يذهب.

[١١] ن: أبي بكر.

[١٢] ك – قال.

[١٣] ك: لم تكن.

[١٤] *تفسير الطبري*، ٤٥/١٠، ٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٩/٤.

وعن سعيد بن جبير قال: لا يُفادَى أُسَارَى المشركين ولا يُمَنُّ عليهم حتى يُثْخَنوا بالقتل،
[٢٩٤ظ س٨ ثم تلا: حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ.[١] إلى هذا ذهب هؤلاء.* والإثخان قال ابن عباس:
القتل. وقال[٢] أبو معاذ: يُثْخِنوا،[٣] أي يُذَلِّلوا، المُثْخَن: الذليل. وقال[٤] أبو عوسجة: **حتى يُثْخِن**
**في الأرض**، أي يُثْخِن في أهل الأرض، يُكثِر القتلى والجِراحات، يقال: أَثْخَنْت في القوم،
إذا أكثرت[٥] فيهم القتل والجراحات، ويقال: ضربه حتى أَثْخَنه، أي ضربه[٦] حتى لا يقدر
على القيام. وهو ما ذكر محمد في بعض مسائله أنه إذا رمى صيدا بسهم فأصابه حتى أَثْخَنه،
ثم رمى آخر بسهم فأصابه، فإنه للأول، لِما أنه صيّره بالإثخان خارجا من أن يكون صيدا.
وهو الضرب الذي وصفنا.[٧] وثَخُن يَثْخُن ثَخَانة، فهو ثَخِين، وثَخُن يَثْخُن ثُخُونة، واحد،
٢٩٤ظ س١٣] أي غَلُظ.[٨]*

وقوله: **ما كان لنبي أن يكون له أَسْرَى**، يخرج تأويل الآية على وجهين. أحدهما يقول: **ما كان لنبي**، أن يأخذ من الأسرى الفداء، **حتى يُثْخِن في الأرض**، أي يَغلب، حتى إذا أخذ الفداء وسرّحهم بعدما غَلب في الأرض يكون رجوعهم إلى غير مَنَعَة وشوكة، وإذا لم يَغلب في الأرض ثم أخذ الفداء يكون رجوعهم إلى مَنَعَة، وذلك لا يحل.

والثاني يقول: **ما كان لنبي**، أن يأسر الأُسَارَى حتى يغلب في الأرض،[٩] أي حتى يصير الدين كله لله، كقوله: وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[١٠] الآية، هذا كان لمن قبله، فرخص لرسوله ذلك.

---

[١] ﴿فإذا لَقِيتُم الذين كفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتى إذا أَثْخَنتموهم فشُدُّوا الوَثَاقَ فإمّا مَنًّا بَعدُ وإمّا فِداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾ (سورة محمد، ٤/٤٧). وانظر: *تفسير الطبري*، ٤٣/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٧/٧.

[٢] م: قال.

[٣] ع م: يثخنون.

[٤] ع م: قال.

[٥] ع م: إذا كثرت.

[٦] ع – حتى أثخنه أي ضربه.

[٧] م: وصفناه.

[٨] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «ثخن».

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٤ظ/سطر ٨-١٣.

[٩] ع م – ثم أخذ الفداء يكون رجوعهم إلى منعة وذلك لا يحل والثاني يقول ما كان لنبي أن يأسر الأسارى حتى يغلب في الأرض.

[١٠] ﴿وقاتلُوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (سورة الأنفال، ٣٩/٨).

[٢٩٣ظ س٣٦] *وقال بعض أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في أُسَارَى[1] يومِ بدرٍ أصحابَه، فقال لأبي بكر: «يا أبا بكر، ما تقول فيهم؟»،[2] فقال: يا رسول الله، قومك وأهلك، فاسْتَبْقِهِم واستَأْنِ بهم،[3] لعل الله يتوب عليهم.[4] وقال عمر: يا رسول[5] الله، كذّبوك وأخرجوك، قَدِّمْهم فاضرب أعناقهم. وقال[6] عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه واضْرِمْه عليهم نارا، فقال له العباس: قطعتَ رَحِمَك، فسكت رسول الله، فلم يجبهم شيئا. / ثم قام فدخل، فقال ناس: يقول بقول[7] أبي بكر، وقال ناس: [٢٩٤و] يقول بقول عمر، وقال ناس: يقول بقول عبد الله. ثم خرج عليهم رسول الله، فقال: «إن الله لَيُلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألْيَنَ من اللبن، وإن الله لَيُشدّد قلوب رجال فيه[8] حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر[9] كمثل إبراهيم، قال: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ،[10] وإن مثلك يا أبا بكر[11] كمثل عيسى حيث قال: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ،[12] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال: رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ[13] -وقال- يا عمر، ومثلك[14] كمثل نوح حيث قال: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا.[15] ولا يَنْفَلِتَنَّ[16] أحدٌ منهم[17] إلا بفداء أو ضربة عُنُق».

---

[1] م: في الأسارى.
[2] ن ع م: ما تقولون فيه.
[3] ك ن: واستأنهم؛ ع م: واسقانهم. استأنِ بهم: أي ترفق بهم وأمهلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «أنى»).
[4] ن - عليهم.
[5] ك: يرسول.
[6] ن: قال.
[7] ع - بقول.
[8] م - فيه.
[9] م: يا با بكر.
[10] ن ع م - ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وانظر: سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[11] م: يا با بكر.
[12] ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المائدة، ١١٨/٦).
[13] ﴿ربَّنا اطْمِسْ على أموالهم واشدُد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (سورة يونس، ٨٨/١٠).
[14] م: إن مثلك.
[15] سورة نوح، ٢٦/٧١.
[16] جميع النسخ: ولا يسالن.
[17] جميع النسخ: منكم.

قال عبد الله: إلا سُهَيْل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله. فما رأيتني في يومٍ أَخْوَفَ[1] مني[2] أن يقع عليّ حجارة[3] في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله: «إلا سُهَيْل بن بيضاء». فأنزل الله: **ما كان لنبي أن يكون له أسرى**، إلى آخر ما ذكر.[4]

ثم يحتمل قوله:[5] **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثْخِن في الأرض، قَبْلَكم**، وأما أنتم فقد أُحِلَّت لكم الأُسَارَى[6] والغنيمة. ويدل أيضا ما روي من الأخبار والآيات على أنه إذا أثخن في الأرض جاز له الأسر، لأنه لو لم يجز ذلك كما لا يجوز قبل الإثخان في الأرض زالت فائدة الخصوص. وقد بيّن الله ذلك بقوله: حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ.

ثم اختلف أهل العلم في فداء الأُسَارَى بالمال. قال ابن عباس رضي الله عنه قال كان[7] ذلك يوم بدر والمسلمون قليل، فلما كَثُروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى بعد هذا[8] في الأُسَارَى: فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً، فجُعِل النبي والمؤمنون بالخيار، [إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، و]إن شاءوا فَادَوْهم.[9] وعن الحسن قال: يصنع به[10] ما صنع رسول الله بالأُسَارَى،[11] يمنّ عليه أو يفادي.[12] وقال غيرهم بخلاف ذلك. وقال أصحابنا: إن احتاج الإمام إلى مال فاداهم. وقد دل ما ذكرنا من الآيات والأخبار على جواز الفداء بعد الإثخان فيهم. فإن لم يكن إلى المال محتاجا فله قتلهم، لأن ذلك أنكأ في العدو، وأشد [في] رهبتهم من المؤمنين. وقال[13] بعضهم:[14]

---

[1] ع: بدخوف.
[2] ك – مني.
[3] ك + مني.
[4] روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٣/١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٨؛ و*تفسير الطبري*، ٤٣/١٠-٤٤.
[5] ن – قوله.
[6] ن: الأسرى.
[7] ن ع م – كان.
[8] ك ع م: تعاهدا؛ ن: تعاهدوا. والتصحيح من مصادر الرواية.
[9] جميع النسخ: فدوهم. والتصحيح مع الزيادة من مصادر الرواية. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٨/٤-١٠٩.
[10] أي بالأسير.
[11] جميع النسخ: بأسارى.
[12] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٩٤/٦؛ وأخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٨/٧.
[13] ع: قال.
[14] ع م – بعضهم.

وله[1] أن يَسْتَرِقهم. فهو كما قالوا إذا كان الأسير من أهل الكتاب أو من العجم. فأما عَرَبُ عَبَدَةِ الأوثان فلا يُسْتَرَقُّون، لأنّا لا نعلم أحدا منهم استرقه النبي لمّا أسره، و لم يبلغنا أن أبا بكر استرق[2] واحدا من أهل الردة. وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[3] وأما الفداء والقتل فقد ظهر من فعل رسول الله في أُسَارَى بدر.[4] وفيما رُوي من الاستشارةِ، استشارةِ النبي أصحابه في الأُسَارَى دلالةُ العمل بالاجتهاد. وما روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال لأبي بكر وعمر: «يا أبا بكر[5] ويا عمر، إن ربي يوحي إليّ أن أشاوركما، ولولا أنكما تختلفان ما عصيتكما، أو ما عملت بخلاف رأيكما».[6] فيه أنه لا يجوز لأحدٍ أن يخالفهما ورسول الله يقول: «لولا أنكما تختلفان ما عصيتكما، أو ما عملت بخلاف رأيكما». ثم ما أخذ من الأُسَارَى من الفداء لا يُدرَى على أي وجه أخذ، على الترك والرد إلى أوطانهم[7] من غيرِ أنْ تَرَكَهم بالجزية، إذ من قولهم أنْ لا يجوز أخذُ الجزية منهم، والتركُ على ذلك، وفي الآية دلالة ذلك، وهو قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، وفي الخبر: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»،[8] إلا أن يقال: إن المفاداة التي[9] ذُكرت[10] كان قبل[11] هذا، وهذا كان بعده. **والله أعلم**.* [٢٩٤و س٢٦]

[1] جميع النسخ: فمه.

[2] ن – استرق.

[3] ﴿قل لمُخَلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦). وقد روي أن الآية تشير إلى قتال المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

[4] وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النَّضْر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط وطُعْمة بن عدي من أسرى بدر، لأنهما كان من رؤساء المشركين في أذى المسلمين. انظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣/١٩٣-١٩٤؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١١٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٠٧.

[5] م: يا با بكر.

[6] لم أجده بهذا اللفظ؛ ولكن رواه الطبراني في *المعجم الكبير والمعجم الأوسط* بلفظ: «لو اجتمعتما ما عصيتكما»، وذلك في شأن أسرى بدر، وفي إسناده أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض، وهو ليِّن، وبقية رجاله ثقات. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٩/٦٨.

[7] ع: إلى الأوطانهم.

[8] روي بهذا اللفظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا؛ انظر: *الموطأ* للإمام مالك بن أنس، الجامع ١٨. وروي بمعناه في مصادر أخرى؛ انظر: صحيح *البخاري*، الجهاد ١٧٦؛ وصحيح *مسلم*، الوصية ٢٠، الجهاد ٦٣.

[9] ع م: المفاد إلا التي.

[10] جميع النسخ: ذكر.

[11] ع م – قبل.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٣٦-٢٩٤و/سطر ٢٦.

[٢٩٣ظ س٢٤ *ثم قالت المعتزلة: في قوله: **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**، دلالة على أن الله لا يريد ما أراد العباد إذا أرادوا المعاصي، لأنه[1] أخبر أنهم أرادوا **عَرَض الدنيا**، وهو يريد الآخرة، فهم أرادوا المعصية، وهو يريد لهم الآخرة. ولكن التأويل عندنا أنّ قوله: **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**، أي **تريدون عرض الدنيا والله يريد**، حياة، **الآخرة**، وعَرَضَها. وبَعدُ، فإنه قد كان الله أراد لهم الآخرة وحياتها، وهم أرادوا العِير وعَرَض الدنيا، وقد كان ما أراد الله لهم، لا ما أرادوا هم،[2] أي اختار لهم غير ما اختاروا هم. وأصله أن الله عز وجل أراد الآخرة لأهل البدر،[3] فكان ما أراد، وأراد لأولئك الكفرة النار، فكان ما أراد، كقوله: يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ.[4] والأشبه أن تكون الإرادة هاهنا المودة والمحبة، أي تودون وتحبون **عَرَض الدنيا والله يريد الآخرة**. وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ،[5] كانوا يودون أن القتال[6] مع غير ذات الشوكة، حتى يكون لهم الغنائم. والإرادة التي تضاف إلى الله تخرج[7] على وجوه ثلاثة. أحدها الرضاء، كقوله:[8] سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا،[9] كانوا يستدلون بتركه إياهم وهم على أن الله قد رضي[10] بصنيعهم. والثاني الإرادة: الأمر، كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[11] والثالث الإرادة: هي صفةُ فِعلِ كلِ فاعلٍ يَخرُج فِعلُه على غير سهو وغفلة ولا طَبْع، بل ٢٩٣ظ س٣٦] يخرج على الاختيار.*

[1] ع + لو.
[2] م: لا ما أرادوهم.
[3] ك: بدر.
[4] ﴿ولا يَحْزُنْكَ الذين يُسارِعون في الكفر إنهم لن يَضُرُّوا الله شيئا يريد الله ألّا يجعل لهم حظّا في الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ١٧٦/٣).
[5] سورة الأنفال، ٧/٨.
[6] ن: إلى القتال.
[7] ن م: يخرج.
[8] ع – كقوله.
[9] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[10] ع: قدر رضى.
[11] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٢٤-٣٦.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦٨]

وقيل في قوله: **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**، بوجوه.[١] أحدها ما قال أبو بكر الأصم: تأويله: **لولا كتاب من الله سبق**، أن لا يعذب المخطئين في عملهم على خلاف أمره وإلا، **لمَسَّكم**[٢] **فيما أخذتم**، من الأُسَارَى والفداء منهم، **عذاب عظيم**. وقال آخرون: قوله: **لولا كتاب من الله**، أنْ أحلّ الغنائم لهذه الأمة وإلا، **لمَسَّكم**[٣] **فيما أخذتم**، واستحللتم، **عذاب عظيم**. وقال بعضهم: **لولا كتاب من الله سبق**، أنهم يتوبون عما عملوا من الأخذ وغيره وأنه يتوب عليهم وإلا، **لمَسَّكم**، العذاب من ذلك.[٤] وأمكن أن يكون[٥] التأويل في هذا غير هذا. كان في قوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٦] دلالة إباحة الأسر[٧] ورخصته، لأنه قال: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، والضرب فوق الأعناق[٨] هو الإبانة من المفصل الذي يُبان به الرءوس، وذلك قلّ ما[٩] يمكن في القتال، ولا يقدر إبانة الرءوس في الحرب، إنما يمكن ذلك بعدما أخذوا ووقعوا[١٠] في أيديهم. وأما ما ذكر من ضرب البنان فهو في الحرب، لأنه في الحرب[١١] إنما يضرب[١٢] فيما ظفر ووجد السبيل إلى ذلك، ففيه دلالة وتأويل قوله: **لولا كتاب من الله سبق لمسكم**، الآية. ويحتمل[١٣] أن يكون ملحقا على ما سبق من قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ،[١٤] الآية، أي **لولا كتاب من الله سبق**، أي لولا مِن حُكم الله أن يجعل لكم الظفر على إحدى[١٥] الطائفتين

---

[١] ع: وجوه.
[٢] جميع النسخ + العذاب.
[٣] جميع النسخ + العذاب.
[٤] ك: بذلك.
[٥] ع م – من ذلك وأمكن أن يكون.
[٦] سورة الأنفال، ١٢/٨.
[٧] ن ع م: الأمر.
[٨] ع م – والضرب فوق الأعناق.
[٩] ك: قلما.
[١٠] م: ودفعوا.
[١١] ن + إنما يمكن ذلك.
[١٢] ن + ذلك.
[١٣] ك ن م: يحتمل.
[١٤] سورة الأنفال، ٥/٨-٦.
[١٥] ع: في إحدى.

وإلا، **لمسّكم**، العذاب بمجادلتكم رسول الله ومخالفتكم إياه في الخروج وإرادتكم[1] العِير. أو أن يقال: لولا مِن حُكم الله أن لا يعذب أحدا ولا يؤاخذ له في الخطأ في العمل بالاجتهاد[2] وإلا، **لمسّكم**، كذا، ويكون قوله: **أخذتم**، أي عملتم.[3]*

**﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٦٩]

وقوله عز وجل: **فكلوا مما غَنِمتم حلالا طيبا**، قال بعضهم: قوله: **حلالا طيبا**، واحد، كل حلال طيب، وكل حرام خبيث، وإنما يطيب إذا حل، ويخبث إذا حرم. ولكن يحتمل قوله: **حلالا طيبا**، **حلالا**،[4] بالشرع، **طيبا**، في الطبع، وكذلك الحرام هو حرام بالشرع، وخبيث بالطبع. وإنما يُتكلَّم بالحل والحرمة من جهة الشرع، والطِيب والخُبث[5] بالطبع. والطيب هو الذي يُتَلذَّذ به ولا تَبِعة فيه، لأن خوف التَّبِعة يُنَغِّص عليه[6] ويَذهب بطِيبه ولذته. وجائز ما ذكر من الطيب هاهنا لِما أن أهل الشرك كانوا يأخذون الأموال ويجمعونها من وجه لا يحل[7] وبأسباب فاسدة، فيكرهون التناول منها إذا غنموا لتلك الأسباب الفاسدة، فطيّب قلوبهم بقوله: **طيبا**. وفيه دليل جواز [التصرّف و]التقلّب[8] في [المقبوض في] البيع الفاسد، وطِيب التناول منه وإن كان مكتسبا بأسباب فاسدة بعد أن يكون بإذن،[9] فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا. وفيه دلالة أنّ أهل الكفر لا يؤاخذون بالأفعال التي كانت لهم في الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادات لما ليست عليهم، إنما يؤاخذون بالاعتقاد.

وقوله: **واتقوا الله**، فيما أمركم به ونهاكم عنه، فلا تعصوه. **إن الله غفور رحيم**، لمن تاب ورجع عما فعل.

---

[1] ع: وإردتكم.
[2] ن - بلاجتهاد.
[3] ع م: أي علمتم.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٢٤-٣٦؛ وكذلك انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٣٦-٢٩٤و/سطر ٢٦.
[4] ع م - حلالا.
[5] ن ع م: والخبيث.
[6] ع: وعليه.
[7] ك: لا تحل.
[8] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٦ط.
[9] أي بإذن البائع. وزاد الشارح: «كأموال الكفرة المستفادة بأسباب فاسدة في حق من يملكها بالاستيلاء والاستغنام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٦ظ). وانظر لأحكام البيع الفاسد بالتفصيل: *البحر الرائق في شرح كنز الدقائق* لابن نجيم، ٩٩/٦؛ ورد *المحتار على الدر المختار* لابن عابدين، ٨٨/٥.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، قال عامة أهل التأويل: إن الآية نزلت في العباس بن[١] عبد المطلب وأصحابه. وكذلك يقول ابن عباس: قالوا للنبي: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، فنزل: **إن يعلم الله في قلوبكم خيرا**، أي إن يعلم الله اعتقاد الإيمان والتصديق له في قلوبكم، **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، أي إيمانا وتصديقا، فيُخلِف عليكم خيرا مما أصيب عليكم.[٢] لكنها فيه وفي غيره، مَن / فَعل مثل فِعله فهو في ذلك سواء، يكون من الموعود الذي ذكر[٣] ما يكون له. [٢٩٤ظ]
وقوله: **إن يعلم الله في قلوبكم خيرا**، هو[٤] الإيمان الذي علم أنهم اعتقدوا في قلوبهم. وقوله: **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، أي آتاكم خيرا، وهو الإيمان، **مما أُخِذ منكم**، من المال الذي ذكر في القصة. ويجوز "يَفعَل" مكان "فَعَل"، كقوله: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ،[٥] أي قال المنافقون،[٦] وذلك كثير في القرآن. فعلى ذلك قوله: **يؤتكم خيرا**، أي آتاكم **خيرا**. ويحتمل قوله **يؤتكم**، أيضا، أي يُثِيبكم ويُعطيكم أفضل مما أُخِذ منكم في الآخرة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويغفر لكم والله غفور**، لما كان في الشرك، كقوله: فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ،[٧] للذنوب، وذو تجاوز،[٨] **رحيم**، يرحمهم في الإسلام. ويحتمل قوله أيضا[٩] **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، من الفداء. أو ما أُخِذ[١٠] منهم بمكة، أخبر أنه يؤتيهم[١١] خيرا من ذلك في الدنيا من الأموال وغيرها.*

---

[١] ن: ابن.
[٢] *تفسير الطبري*، ١٠/٤٩-٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١١٢-١١٣.
[٣] م: ذكرنا.
[٤] جميع النسخ: وهو.
[٥] ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٩).
[٦] ع - اعتقدوا في قلوبهم وقوله يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أي آتاكم خيرا وهو الإيمان مما أخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز يفعل مكان فعل كقوله إذ يقول المنافقون أي قال المنافقون.
[٧] سورة البقرة، ٢/١٩٢.
[٨] م: وذ تجاوز.
[٩] ع م - أيضا.
[١٠] ع: وما أخذ.
[١١] جميع النسخ: يؤتهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٤ظ/سطر ٨-١٣.

**﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٧١]**

وقوله عز وجل: **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم**، يحتمل أن يكون الآية صلة ما سبق من الآيات، وهو قوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[1] الآية، وقوله: وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ،[2] الآية، وغير ذلك، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً،[3] ونحوه، فقال: **وإن يريدوا خيانتك**، في نقض العهد وغير ذلك من الأمانات، **فقد خانوا الله من قبل**. يحتمل قوله: **فقد خانوا الله**،[4] فيما عاهدوا[5] أن يُوفُوا بذلك.[6] من ذلك[7] قولهم: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[8] فقد أنجاهم الله عن ذلك، فلم يكونوا من الشاكرين، وكقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ،[9] فقد آتاهم الله ذلك، فلم يَفُوا بما عاهدوا،[10] وغير ذلك من العهود التي عاهدوا،[11] والأمانات التي اؤْتُمِنوا فيها، فخانوا الله في ذلك.[12] أو ما عَهِد إليهم في أمر محمد وإظهار نَعْته وصفته في كتبهم، فكتموا ذلك وحرّفوه، وأظهروا خلاف نَعْته وصفته، فذلك منهم خيانة. فيقول إنهم قد **خانوا الله من قبل فأمكن**، الله، **منهم**، فإذا خانوك يمكنك الله[13] منهم أيضا. وقوله: **فأمكن منهم**، قال بعضهم: أمكن منهم،[14] أي انتقم منهم جزاء خيانتهم. وقال بعضهم:[15] أمكنك حتى انتقمت منهم. وقوله: **وإن يريدوا خيانتك**،

[1] سورة الأنفال، ٥٦/٨.
[2] سورة الأنفال، ٦٢/٨.
[3] سورة الأنفال، ٥٨/٨.
[4] ن + من قبل يحتمل قوله فقد خانوا الله من قبل؛ ع م - يحتمل قوله فقد خانوا الله.
[5] جميع النسخ: عهدوا.
[6] جميع النسخ: ذلك.
[7] ع م - من ذلك.
[8] ﴿حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْن بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحِيط بهم دَعَوا الله مخلصين له الدين...﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).
[9] سورة التوبة، ٧٥/٩.
[10] جميع النسخ: ما عهدوا.
[11] جميع النسخ: عهدوا.
[12] م - في ذلك.
[13] ن ع م - الله.
[14] ع م - قال بعضهم أمكن منهم.
[15] ع م - بعضهم.

ليس على الإرادة، ولكن على وقوع فعل الخيانة، كأنه قال: وإن خانوك **فقد خانوا الله من قبل**، لكنه ذكر الإرادة لما هي صفة كل فاعل مختار، لما لا يكون الأفعال إلا بإرادة.

وقوله: **والله عليم**، بما يُسِرّون ويُضمِرون من الخيانة ونقض العهود، **حكيم**، في أمره وحكمه، حيث أمكنك منهم. وقال بعضهم في قوله: **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل**، أي إن خانوك[1] بعد إسلامهم بالكفر بك، **فقد خانوا الله من قبل**، أي فقد كفروا بالله قبل هذا، يقول: إن خانوك أمكنك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما فعلت بهم ببدر، **والله عليم**، بخلقه، **حكيم**، في أمره.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٧٢]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**، قوله: آمنوا، أي صدّقوا آيات الله وحججه، أو صدّقوا رسوله في جميع ما جاء به. كأنه مقابل قوله: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ،[2] و كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ،[3] ذكر هاهنا التصديق مكان التكذيب في ذلك. وقوله: **وجاهدوا**، في إظهار دين الله ونصره، **بأموالهم وأنفسهم**، أي بذلوا ذلك، **والذين آوَوْا**، أي ضَمُّوا[4] النبي، **ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**، قال ابن عباس وعامة أهل التأويل: الولاية التي ذكرت في الآية في التوارث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام الذين آمنوا و لم يهاجروا إلى المدينة، وكذلك قالوا في قوله: **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء**، يعني الميراث.[5] وروي عن عبد الله [بن مسعود] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطُّلَقَاء من قريش والعُتَقَاء[6] من ثَقِيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة».[7]

---

[1] م: أي خانوك.
[2] سورة الأنفال، ٥٢/٨.
[3] ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآيات ربهم﴾ (سورة الأنفال، ٥٤/٨).
[4] ن: آووا ضموا.
[5] *تفسير الطبري*، ٥١/١٠-٥٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١٤/٤-١١٥.
[6] الطُّلَقَاء هم من أسلم من قريش يوم فتح مكة، والعُتَقَاء من أسلم من ثقيف بعد غزوة حُنَين.
[7] *المعجم الكبير* للطبراني، ١٨٧/١٠، ومسند *أبي يعلى*، ٤٤٦/٨ ومسند *البزار*، ١٣٧/٥؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار، وفيه عاصم ابن بَهْدَلَة، وفيه خلاف، وبقية رجال البزار رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٥/١٠).

وعن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[1] كذلك.[2] وعن المسعودي عن القاسم قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فآخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام أخوة يتوارثون بها، لأنهم هاجروا وتركوا قراباتهم، حتى أنزل الله آية المواريث. وعن ابن عباس في قوله: وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ،[3] قال: كان المهاجرون حين
[٢٩٥و] قدموا المدينة يرث [المهاجري] الأنصاري[4] دون [ذوي][5] رحمه بالأخوة التي / آخى النبي بينهم، فلما نزل قوله: وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، نسخها، [ثم قال:] وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ، من النصر والنصيحة والرِّفادة،[6] ويوصي له، ولا ميراث.[7] وعن الحسن في قوله تعالى: [**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله** -إلى قوله- **ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**]:[8] فكان[9] المسلمون يتوارثون بالهجرة، فكان الأعرابي لا يرثه المهاجر، والمهاجر[10] لا يرثه[11] الأعرابي، فحرّضهم بذلك على الهجرة، حتى كثر المسلمون، فأنزل الله تعالى: وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ،[12] الآية، فورث الأعرابي المهاجر، وتوارثوا بالأرحام.[13] إلى هذا يذهب عامة أهل التأويل.

---

[1] ك – قال.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٣/٤؛ وصحيح *ابن حبان*، ٢٥٠/١٦؛ *والمعجم الكبير* لطبراني، ٣١٣/٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٤٣؛ وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٥/١٠).

[3] ﴿ولكلٍ جعلنا مواليَ مما ترك الوالدان والأقربون...﴾ (سورة النساء، ٣٣/٤).

[4] جميع النسخ: الأنصار. والتصحيح مع الزيادات من مصادر الرواية.

[5] من مصادر الرواية ومن شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٧و.

[6] الرِّفْد بالكسر: العطاء والصلة، والرَّفْد بالفتح: المصدر. رَفَده يَرْفِده رَفْدا: أعطاه، ورَفَده وأرْفَده: أعانه... وفي حديث ابن عباس: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾، من النُّصْرة والرِّفادة: أي الإعانة (*لسان العرب* لابن منظور، «رفد»).

[7] *صحيح البخاري*، التفسير ٧/٤؛ وسنن *أبي داود*، الفرائض ١٦.؛ *وتفسير الطبري*، ٥٣/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٠٩/٢.

[8] جميع النسخ: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٥٣/١٠.

[9] ن: وكان.

[10] م – والمهاجر.

[11] م: ولا يرثه.

[12] سورة الأنفال، ٧٥/٨.

[13] *تفسير الطبري*، ٥٣/١٠.

وكانوا[1] يرون أن الهجرة[2] كانت مفترَضة، فزال فرضها بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكنه جهاد ونية».[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: انقطعت الهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، فإنما كانت الهجرة إلى الله ورسوله والمؤمنون يَفِرّون بدينهم مِن أنْ يُفْتَنُوا[4] عنه،[5] وقد أفشى الله الإسلام.[6] هذا الذي ذهب هؤلاء [إليه] في قوله:[7] **بعضُهم أولياء بعض**، في التوارث محتمل. ويحتمل غير هذا، وهو أن قوله: **إن الذين آمنوا وهاجروا**[8] -إلى قوله- **والذين آوَوْا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**، أي **بعضهم**[9] **أولياء بعض** في تمام الوَلاية في التناصر والتعاون والحقوق والديانة، فهم أولى بعضُهم ببعض من **الذين آمنوا ولم يهاجروا**، لأنهم آمنوا وهاجروا، أي تركوا منازلهم وأهلهم وقَراباتِهم وبلدهم الذي كانوا فيه مقيمين، إشفاقا على دينهم واستسلاما له[10] ولأنفسهم، والأنصار آوَوْهم وأنزلوهم في منازلهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، وتحمّلوا جميع مُؤَنِهم من غيرِ أنْ كان سبق منهم إليهم[11] شيء، فصاروا لهم أعوانا وأنصارا، فصار[12] **بعضهم أولياء بعض**، في تمام ما ذكرنا من الولاية. **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء حتى يهاجروا**، أي **ما لكم من وَلايتهم**، أي من تمام ما ذكرنا من الوَلاية[13] لهم وَلاية الدين، وليس لهم وَلاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التي تُكتسَب بالدين.

---

[1] ك: وكان.

[2] ع – حتى كثر المسلمون فأنزل الله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الآية فورث الأعرابي المهاجر وتوارثوا بالأرحام إلى هدا يذهب عامة أهل التأويل وكانوا يرون أن الهجرة.

[3] *صحيح البخاري*، الجهاد ١؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٨٦.

[4] جميع النسخ: أن يقيموا؛ والتصحيح من مصدر الرواية ومن شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٧و.

[5] ن – عنه.

[6] *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ٤٥.

[7] م: في قول.

[8] ن + إلى قوله والذين آمنوا وهاجروا.

[9] ن: أي أو بعضهم.

[10] جميع النسخ: لهم. والمعنى: طلبا لسلامة دينهم وأنفسهم. وقد استعمل المؤلف نفس العبارة في تفسير الآية رقم ٧٤.

[11] م – إليهم.

[12] ك – فصار.

[13] ك – والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي ما لكم من ولايتهم أي من تمام ما ذكرنا من الولاية.

[٢٩٥و س٣٠ *وقوله[1] عز وجل: **ما لكم من وَلايتهم من شيء**، قرئ بالخفض: وِلايتهم، وبالنصب جميعا: وَلايتهم، أعني بنصب الواو وخفضها. وكذلك التي في الكهف: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ،[2] بالخفض والنصب جميعا [لكلمة] الولاية.[3] ثم قال بعض أهل الأدب: الوَلاية بفتح الواو: النُّصْرَة[4] والمعونة، والوِلاية بخفض الواو: السلطان،[5] أي السلطان لله. وقال بعضهم: الوِلاية بالخفض: المعونة والنُّصْرَة، والوَلاية: السلطان. وقال[6] آخرون: هما سواء، وهو النُّصْرَة[7] والمعونة والولاية[8] في الأمارة والسلطان، والولاية في الدين.* ٢٩٥و س٣٤]

وفي قوله: **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء**، دلالةُ نقضِ قول المعتزلة، لأنه جل وعلا أبقى للذين[9] لم يهاجروا اسم الإيمان، وكانت الهجرة عليهم مفترَضة، و[كانوا] في تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة، فدل أن صاحب الكبيرة لا يزول عنه اسم الإيمان.*

وقوله عز وجل: **وإن استَنصَرُوكم في الدين**، يعني الذين[10] لم يهاجروا. ويحتمل[11] وجهين. يحتمل إذا طلبوا منكم المعونة والنُّصْرَة على عدوهم، **فعليكم النصر**، والمعونة لهم إذا لم يكن بينكم وبين أولئك ميثاق. والثاني إذا علمتم أنهم يخشون على أنفسهم من عدوهم ويخافونه[12] فانصروهم، **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**، أي إذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم، أي[13] وليس عليكم أن تنصروهم.

---

[1] ن – وقوله.
[2] سورة الكهف، ١٨/٤٤.
[3] ع م: الآية. والقراءتان متواترتان، فقرأ حمزة بكسر الواو في الموضعين، ووافقه الكسائي وتخلّف في سورة الكهف، وقرأ الباقون بفتح الواو في الموضعين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٧.
[4] ع م: والنصرة.
[5] ك: اللسطان.
[6] ن ع م: قال.
[7] ك: النصر.
[8] ع: والولالة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ٣٠-٣٤.
[9] ك: الذين.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ١٩-٢٢.
[10] ن – الذين.
[11] ك ن م: يحتمل.
[12] ك: وتخافونه.
[13] ك – أي.

تأويله: حتى تَنبِذوا إليهم العهد. يقول: **إن استنصروكم**، يا معشر المهاجرين، إخوانُكم المؤمنون الذين لم يهاجروا إليكم، فأتاهم عدوهم من المشركين فقاتَلوهم ليَردوهم[1] عن الإسلام فانْصُروهم. ثم استثنى فقال: **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**، يقول:[2] إن استنصركم[3] الذين لم يهاجروا إلى المدينة على أهل عَهْدكم فلا تنصروهم. **والله بما تعملون بصير**، في المعونة والنُّصْرَة ونحوه.*

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**، على قول ابن عباس وعامة أهل التأويل: **بعضهم أولياء بعض**، في التوارث،[5] على ما قالوا في المهاجرين والأنصار: **بعضهم** أولياء بعض. ويحتمل ما ذكرنا أنّ **بعضهم أولياء بعض**، في التناصر والتعاون والدين والحقوق جميعا، على ما ذكرنا في المؤمنين.

وقوله: **إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**، قيل فيه بوجوه. أحدها أن إخوانكم الذين لم يهاجروا إذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم تكون **فتنة في الأرض وفساد كبير**، أي إن لم تكونوا بعضُكم أعوانا وأنصارا لبعض على ما كان[6] أهل الكفر بعضهم أنصارا لبعضٍ غلبكم العدو وقهركم،[7] فيكون في ذلك فتنة وفساد. ويكون كأنه قال: وَقَاتِلُوهُمْ / حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.[8] وقال بعضهم: قوله: **إلّا تفعلوه** [٢٩٥ظ]
**تكن فتنة**، مُلْحَق[9] بقوله: إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ،[10] أي إن استنصركم إخوانكم على قوم بينكم وبينهم عهد[11] فنصرتموهم **تكن فتنة... وفساد كبير**. وقال بعضهم:

---

[1] جميع النسخ: لتردوهم.
[2] ك + إن استنصروكم يا معشر المهاجرين إخوانكم المؤمنون الذين لم يهاجروا إليكم فأتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم لتردهم عن الإسلام فانصروهم ثم استثنى فقال إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول.
[3] ك ن م: إن استنصروكم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ٣٠-٣٤.
[5] *تفسير الطبري*، ٥٦/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١٦/٤.
[6] ك: ما كانوا.
[7] ع: وقهرك.
[8] سورة الأنفال، ٣٩/٨.
[9] ك ن م: ملحقا؛ ع – ملحقا.
[10] الآية السابقة.
[11] ع م: ميثاق.

قوله: **إلّا تفعلوه**، فيما أمركم به مِن جَعْل التوارث فيما بين المؤمنين، وجعلتم الميراث[1] والتوارث فيما بينكم وبين الكفار، **تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**، لأن الله عز وجل ذكر المواريث، ثم ذكر في آخر الآية: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ،[2] وما ذكر؛ فمَن تَرَكَ[3] حدود الله وطاعة رسوله وجَعَل الميراث في غير ما أمر عز وجل **تكن** [بسببه] **فتنة في الأرض وفساد كبير**.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[٧٤]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آوَوْا ونصروا**، أي ضمّوا رسول الله والمهاجرين ونصروهم، **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي المهاجرون والأنصار الذين ضمّوا، **أولئك هم المؤمنون حقا**، لِما حقّقوا إيمانهم بأعمالهم، لأنهم هاجروا [من] بلادهم وأهلهم وأموالهم إشفاقا على دينهم واستسلاما له، وأجابوا رسول الله وأطاعوه في ذلك، وأولئك الأنصار ضمّوا إلى أنفسهم وأنزلوهم في منازلهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم ونصروهم على عدوهم، فقد حقّقوا جميعا إيمانهم بأعمالهم التي عملوا. ويحتمل قوله: **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي صدقا في السر والعلانية، ليس كإيمان المنافقين يكون في العلانية ولا يكون في السر، كقوله: وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ،[4] وقال: وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ.[5] ويحتمل قوله: **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي وعد لهم وعدا حقا، وهو ما ذكر في آخر الآية:[6] **لهم مغفرة ورزق كريم**. ويحتمل **أولئك هم المؤمنون حقا**،[7] أي أولئك المؤمنون الذين حققوا الإيمان به.[8] وقوله: **لهم مغفرة ورزق كريم**، أي حسن يكرم أهله به.

---

[1] ع: المتراث.

[2] ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسولَه يُدْخِلْه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يَعْصِ الله ورسوله ويتعدّ حدوده يُدْخِلْه نارا خالدًا فيها وله عذاب مُهين﴾ (سورة النساء، ٤/١٣-١٤).

[3] جميع النسخ: من ترك.

[4] سورة العنكبوت، ٢٩/٣.

[5] سورة العنكبوت، ٢٩/١١.

[6] ن ع م: في آية أخرى.

[7] ك – أي وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في آخر الآية لهم مغفرة ورزق كريم ويحتمل أولئك هم المؤمنون حقا؛ م + أي أولئك المؤمنون حقا.

[8] ن – به.

*ثم لزوم الهجرة على الذين[1] هاجروا مع رسول الله وعلى الذين تأخر هجرتهم سواء، [٢٩٥ظ س ٢٩
قد سوّى بينهم في اللزوم، وجمع بين المهاجرين والأنصار في حق الشهادة لهم بالتصديق والإيمان حيث قال: **أولئك هم المؤمنون حقا**، وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال: أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[2] وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال: **لهم مغفرة ورزق كريم**، وجمع بينهم في هذه الخصال -وإن قدّم ذِكرَ المهاجرين في غير واحد من الآيات- لِما كانوا مُستوين في الأسباب التي[3] استوجبوا ذلك؛ لأنه[4] [كان] من المهاجرين ترك الأوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن أهليهم وأموالهم وكان من الأنصار مقابلَ ذلك إنزالهُم في منازلهم وأوطانهم وبذل أموالهم وقيام أهليهم في خدمتهم،
لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.* ٢٩٥ظ س ٣٥]

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا مِن بَعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم**، أي مَن آمن بعد هؤلاء وهاجر[5] بعد مهاجرة أولئك فإنهم يلحقون أوائلهم في جميع ما ذكر في أولئك الذين هاجروا من قبل. يذكر هذا -والله أعلم- لنعمل[6] نحن على ما عمل أولئك من الهجرة والنُّصْرة وبذل الأنفس والأموال وغير ذلك للدين على ما بذل أولئك وأشفقوا على دينهم.

وقوله عز وجل: **فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**، هو ما ذكرنا أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين، فإذا لم يكن أولو[7] الأرحام فجملة المؤمنين أولى. وعلى ذلك يخرج قول أصحابنا: إن أولي الأرحام بالميراث أولى من جملة المؤمنين،[8] وهو بيت المال، فما دام واحد من هؤلاء فهو أولى بالميراث.

---

[1] ك: على الذي.
[2] سورة الأنفال، ٧٢/٨.
[3] ن: الذي.
[4] جميع النسخ: لأن.
* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٩-٣٥.
[5] م: وهاجروا.
[6] ن: لنعلم.
[7] ك ع م: أولوا.
[8] ك - وعلى ذلك يخرج قول أصحابنا إن أولي الأرحام بالميراث أولى من جملة المؤمنين.

وعلى ذلك يخرج قولهم في العَقْل:[1] إنه على ذوي الأرحام ما داموا هم،[2] فإذا لم يكن أحد منهم فهو على جملة المؤمنين في بيت المال.

[٢٩٥و س١٩ * وقوله عز وجل: **وأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، أي أُولُو[3] الأرحام إذا آمنوا وهاجروا، **بعضهم أولى ببعض**، من غيرهم، لأنهم إذا آمنوا وهاجروا ولهم قرابةٌ سابقةٌ ورَحِمٌ متقدِّمٌ كانوا هم أولى من غيرهم الذين[4] لا قرابة بينهم ولا رَحِم. إذا اجتمع فيهم الرحم والمعونة والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيهم[5] أشياء أربعة، وفي أولئك ثلاثة، فهم أولى بهم من غيرهم.

٢٩٥و س٢٢] هذا على التأويل الذي ذكرنا. *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، أي **بعضهم أولى ببعض**، في حق التوارث من المؤمنين الذين هاجروا، فنسخت[6] هذه الآية حكم الميراث الذي ذكر في قوله: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**،[7] لأنه كان جَعل التوارث بينهم بحق الإيمان والهجرة، ثم نَسخ ذلك، وجعل الميراث بالرحم، حيث قال: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**. وكذلك ما ذكر في سورة الأحزاب حيث قال: وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ.[8] فإذا لم يبق من الرحم أحد فبعد ذلك يكون لجملة[9] المؤمنين.

وقوله عز وجل: **في كتاب الله**، في حكم الله، أو في كتاب الله، لأنه ذكر في كتاب الله.*

[٢٩٥ظ س٢٣ * وقوله عز وجل: **إن الله بكل شيء عليم**، بالعباد وما يكون منهم، و **بكل شيء عليم**،

٢٩٥ظ س٢٤] بما يحتاجون وما[10] لا يحتاجون،[11] وهو حرف وعيد. *والله أعلم*.*

---

[1] أي الدية.
[2] م: ما داموهم.
[3] ك: أي أولوا.
[4] جميع النسخ: الذي.
[5] ن ع م: فيه.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ١٩-٢٢.
وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٣-٢٤.
[6] جميع النسخ: فنسخ.
[7] سورة الأنفال، ٧٢/٨.
[8] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[9] م: جملة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٩-٣٥.
[10] ن: وبما.
[11] ع - وما لا يحتاجون.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٣-٢٤.

## سورة التوبة[1]

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**، قال بعض أهل[3] التأويل: ذلك في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على غير مدة مبيّنة، فأمر بنقض العهد المرُسَل، وجعله في الأربعة الأشهر[4] التي ذكر في قوله: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.[5] وقال بعضهم: هو[6] في قوم كان لهم عهد دون أربعة أشهر، فأمر بإتمام أربعة أشهر. / دليله [٢٩٦و] قوله: فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ.[7] وقال أبو بكر الكيساني: الآية[8] في قوم كانت عادتهم نقض العهد ونكثه، كقوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[9] فأمر أن يعطي العهد أربعة أشهر التي ذكر[10] في الآية، ثم الحرب بعد ذلك. وقال بعضهم: لما نزل قوله: **براءة من الله ورسوله**، بعث رسول الله عليا[11] إلى الموسم ليقرأه على الناس، فقرأ[12] عليهم: **براءة من الله ورسوله**، من العهد غير أربعة أشهر، **إلى الذين عاهدتم من المشركين**،[13] على ما ذكرنا. حمل هؤلاء كلهم قوله: براءة، على النقض. وعندنا يحتمل غير هذا.

---

[1] ك ن: سورة براة؛ ع م: سورة براءة.
[2] ن ع: وقوله.
[3] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[4] ك: أشهر.
[5] الآية التالية.
[6] جميع النسخ: هم.
[7] سورة التوبة، ٤/٩.
[8] ع م: في الآية.
[9] سورة الأنفال، ٥٦/٨.
[10] ن + ذكر.
[11] ع: علينا.
[12] جميع النسخ: فقرأه.
[13] سيأتي تخريج الحديث قريبا.

وهو أن قوله: **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**، في إمضاء العهد ووفائه. والبراءة هي الوفاء وإتمامه، ليس على النقض، لأنه: قال: **إلى الذين عاهدتم من المشركين**، والبراءة إليهم هو الأمان والعهد إليهم. ولو كان على النقض لقال: "من الذين عاهدتم من المشركين". فدل أنه هو إتمام إعطاء العهد لهم[1] وإمضاؤه إليهم. ويؤيد هذا[2] ما قال بعض أهل الأدب: إن البراءة هي الأمان،[3] يقال: كتبت له براءة، أي أمانا. هذا الذي ذكرنا أشبه مما قالوا، أعني أهل التأويل.

**﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**، أي سيروا واذهبوا **في الأرض أربعة أشهر**، أي في مدة العهد.

وقوله عز وجل: **واعلموا أنكم غير مُعْجِزِي الله**، أي اعلموا أن المؤمنين وإن أعطوا لكم العهد في وقت فإنكم غير فائتين عن الله بعد تلك المدة. ويحتمل: **أنكم غير معجزي أولياء الله**، عن النقض بعد تلك المدة.[4] **وأن الله مُخْزِي الكافرين**، الخزي هو العذاب الفاضح الذي يفضحهم ويظهر عليهم. ويحتمل أن يكون ذلك العذاب والإخزاء الذي ذكر في الآخرة.

**﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٣]

وقوله عز وجل: **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر**: قال القُتَبِي: **وأذان من الله ورسوله**، أي إعلام، ومنه أذان الصلاة هو الإعلام، يقال آذنتهم إيذانا.[5] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.

---

[1] ك: إليهم.

[2] ع م – هذا.

[3] ن – هي الأمان.

[4] جميع النسخ: أي اعلموا أن المؤمنين وإن أعطى لكم العهد في وقت فإنكم غير معجزي الله أولياء ولا فائتين عنكم في تلك المدة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٩و.

[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٨٢.

وقوله عز وجل: **أن الله بريء من المشركين ورسوله**، يكون في قوله: **أن الله بريء من المشركين ورسوله**،[1] دلالة ما قال[2] أهل التأويل من النقض، لأن قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ،[3] يكون فيه إمضاء العهد وإتمامه إلى المدة التي ذكر. ويكون ما روي في الخبر وذكر[4] في القصة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزل برآءة بعث أبا بكر على حج الناس، يقيم للمؤمنين حجهم، وبعث معه ببراءة،[5] السورة،[6] [إلى رأس أربعين آية]،[7] ثم أَتْبَعَه عليَّ بن[8] أبي طالب، فأدركه، فأخذها منه، ورجع أبو بكر إلى النبي، فقال للنبي: بأبي أنت وأمي، نزل فيَّ شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يُبَلِّغ [عَنِّي][9] غيري أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر[10] أنك [كنت][11] صاحبي في الغار، وأنك[12] أخي في الإسلام، وأنك[13] تَرِد عليَّ الحوضَ يوم القيامة؟»، قال: بلى يا رسول[14] الله، فمضى أبو بكر على الناس، ومضى علي بن أبي طالب بالبراءة، فقام علي بالموسم، فقرأه[15] على الناس: **براءة من الله ورسوله**، من العهد غير أربعة أشهر، فإنهم يَسِيحون فيها.[16]

---

[1] ك - يكون في قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله.
[2] ن: ما قالوا.
[3] سورة التوبة، ٩/١.
[4] ع م - وذكر.
[5] ن ع م: براءة.
[6] مثل قولهم: براءة...، الآية.
[7] من *تفسير الطبري*، ١٠/٦٥.
[8] ن: ابن.
[9] من مصادر الرواية.
[10] م: يا با بكر.
[11] جميع النسخ: أنت؛ والتصحيح مع الزيادة من *تفسير الطبري*، ١٠/٦٥.
[12] جميع النسخ: أنت.
[13] جميع النسخ: أنت؛ والتصحيحان من *تفسير الطبري*، ١٠/٦٥.
[14] ك: يرسول.
[15] ك: فقرأ.
[16] روي قريبا منه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٥١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٩؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/٦٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٢٤. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر يؤذّنون بمِنًى: أنْ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان -قال حُمَيْد بن عبد الرحمن- ثم أَردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة -قال أبو هريرة- فأذّن معنا عليٌ يوم النحر في أهل مِنًى ببراءة، وأنْ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٩؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٣٥.

ثم قوله: **يوم الحج الأكبر**، قال عامة أهل التأويل: هو يوم النحر، لأنه[1] فيه ذكر طواف البيت وحج البيت. وقال بعضهم: هو يوم عرفة، لأنه هو الذي يوقف [فيه] بعرفة، وبه يتمّ الحج، على ما روي[2] في الخبر: «الحج عرفة»،[3] و«من أدرك عرفة بليل [أو نهار] وصلى معنا بجَمْع فقد تمّ حجه، وقضى تَفَثَه»،[4] بإدراكه يتم الحج،[5] وبفوته يفوت. وعن الحسن أنه سئل، فقيل له: ما الحج الأكبر؟ فقال: سَنَةٌ حجَّ المسلمون والمشركون جميعا، اجتمعوا بمكة، وفي ذلك اليوم كان[6] لليهود عيد، وللنصارى عيد، لم يكن قبله ولا بعده، فسماه الله الحج[7] الأكبر.[8] قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل أن يسمي الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الأكبر، وهو يوم نزول السَّخطَة عليهم واللعنة، ولكن جائز أن يسمى بذلك لاجتماع[9] الخلائق فيه من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يوما عظيما،[10] كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[11]

[٢٩٧و س٢٤] *واختلفت[12] الصحابة والروايات في الحج الأكبر. روي عن عبد الله بن الزبير[13] قال: قال النبي[14] صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة: «هل تدرون أي يوم هذا؟»، قالوا: نعم،[15]

[1] ن م: لأن.
[2] ع: وما روي.
[3] عن عبد الرحمن بن يَعْمَر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعَرَفة، فسألوه، فأمر مناديا، فنادى: «الحج عرفة، من جاء ليلة جَمْع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج، أيامُ مِنًى ثلاثة، فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه» (*سنن أبي داود*، المناسك ٦٨؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٥٧). وجَمْع: مُزْدَلِفة.
[4] عن عروة بن مُضَرِّس الطائي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُزْدَلِفة حين خرج إلى الصلاة... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد أتمّ حجّه وقضى تَفَثَه»، قال أبو عيسى [الترمذي]: هذا حديث حسن صحيح -قال- قوله: تَفَثَه، يعني نُسُكه. (*سنن أبي داود*، المناسك ٦٨؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٥٧).
[5] ك – الحج عرفة ومن أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقضى تفثه بإدراكه يتم الحج.
[6] ن ع م: بمكة وكان في اليوم.
[7] ع م: حج.
[8] *تفسير الطبري*، ١٠/٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٢٨.
[9] ع م: الاجتماع.
[10] م – عظيما.
[11] سورة المطففين، ٨٣/٥-٦.
[12] م: واختلف.
[13] ك ن + عن أبيه؛ ع –أبيه.
[14] ع: رسول الله.
[15] ن + هذا.

اليوم الحرام،[١] يوم الحج الأكبر، قال: «فإن الله قد حرم دماءكم وأموالكم عليكم إلى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا».[٢] وعن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الحج الأكبر، فقال: يوم عرفة.[٣] وعنه أنه وقف عليهم يوم عرفة، فقال: إن هذا يوم الحج الأكبر، فلا يصومنه أحد. وعن ابن الزبير يقول: يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر.[٤] وفي بعض الأخبار عنه[٥] صلى الله عليه وسلم أنه خطب على ناقة حمراء يوم النحر، فقال رسول الله: «أتدرون[٦] أي يوم هذا؟ هذا يوم النحر، وهذا يوم الحج الأكبر».[٧] وفي بعض الأخبار عن ابن عمر قال: رأيت، أو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمرات[٨] في حجة الوداع، فقال: «أي يوم هذا؟»، قالوا: هذا يوم النحر، قال: «فأي بلد هذا؟»، قالوا: هذا بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا»، قالوا: شهر حرام، قال: «هذا يوم الحج الأكبر، فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم»، ثم قال: «هل بلَغتُ؟».[٩] وعن الحارث قال: سألت عليا عن الحج الأكبر، فقال: يوم النحر.[١٠] وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب يوم العيد، فقال: هذا يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر.[١١] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الحج الأكبر يوم النحر.[١٢] وفيه قول ثالث، ما روي أنه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم: «والحج الأصغر العمرة».[١٣] وعن ابن عباس قال: العمرة هي[١٤] الحجة الصغرى.[١٥]

---

[١] م – اليوم الحرام.

[٢] روي قريبا منه، لكن ليس فيه قوله: "يوم الحج الأكبر"؛ «رواه الطبراني في *الأوسط والكبير*، وفيه فُرات بن أحنف، وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٧٠/٣).

[٣] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٨/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٦٨/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢٩/٤.

[٤] للروايتين الأخيرتين انظر: *تفسير الطبري*، ٦٨/١٠.

[٥] ن: عن النبي.

[٦] ع: أتدر؛ م: أتدري.

[٧] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٧٣/٣، ٤١٢/٤؛ و*تفسير الطبري*، ٧٣/١٠-٧٤.

[٨] جميع النسخ: المحراب؛ والتصحيح من مصادر الرواية.

[٩] صحيح *البخاري*، الحج ١٣٢؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٦٦.

[١٠] *سنن سعيد بن منصور*، ٢٣٧/٥؛ و*تفسير الطبري*، ٦٩/١٠. ورواه الترمذي مرفوعا وموقوفا، ورجح أنه من قول علي رضي الله عنه، موقوفا عليه؛ انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٩.

[١١] *سنن سعيد بن منصور*، ٢٣٩/٥؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٩/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٧٠/١٠.

[١٢] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٩/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٧٠/١٠.

[١٣] *صحيح ابن حبان*، ٥٠٤/١٤؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥٥٣/١.

[١٤] ن + هي.

[١٥] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٢٢٤/٣.

وسئل عبد الله بن شَدَّاد عن الحج الأكبر، فقال: الحج الأكبر يوم النحر، والأصغر العمرة.[1] فأما حديث عمرو بن[2] حزم فهو حكاية عن كتاب، وليس فيه بيان عن يوم الحج الأكبر، إنما يذكر فيه الحج الأصغر. ولو لا خبر علي وابن عمر لجاز أن يقال: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر، لأنه يُقضَى فيه فرض الحج، وهو الوقوف، ومن فاته ذلك فقد فاته[3] الحج. وجاز أن يقال:[4] هو يوم النحر، لأن[5] فيه يُقضَى طواف الزيارة، وهو فرض، ويُقضَى[6] فيه
[٢٩٧ظ] أكثر[7] مناسك الحج. بل يوم النحر أولى / أن يكون يوم الحج الأكبر، لأن الحاج يفعل في[8] يوم عرفة فرضا من فرائض الحج، وهو الوقوف، ويقضي في يوم النحر فرضا آخر من فرائضه، وهو طواف الزيارة، ويقضي مع ذلك أكثر المناسك.[9] فقد استوى هذان اليومان في أنه يُقضَى في كل واحد منهما فرضٌ من فرائض الحج. وزاد يوم النحر على يوم عرفة بما يُفعَل في يوم النحر من مناسك الحج، ولا يفعل في يوم عرفة شيئا من النُسُك إلا الوقوف بعرفة. واحتج بعض الناس لفرضية[10] العمرة بما رواه عمرو بن حزم أن الحج الأصغر هو العمرة، والأكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[11] وعن علي وأبي هريرة وابن أبي أوفى رضي الله عنهم أنهم قالوا: الحجة الكبرى يوم النحر.[12] وعن عمر وابن عباس
٢٩٧ظ س٧] أنهما قالا: [هو] يوم عرفة.[13]*

---

[1] سنن سعيد بن منصور، ٥/٢٣٤؛ *والمصنف* لابن أبي شيبة، ٣/٣٧٩؛ *وتفسير الطبري*، ١٠/٧١.
[2] ك: ابن.
[3] ن: فقد فاتت.
[4] ع + يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر لأنه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز أن يقال.
[5] ع: لأنه.
[6] ن: يقضي.
[7] ن ع م: أكبر.
[8] ع - في.
[9] م: أكبر مناسك الحج.
[10] ن ع: بفرضية.
[11] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٩٦.
[12] سبق تخريج قول علي رضي الله عنه قبل قليل؛ وانظر لقول أبي هريرة: *صحيح البخاري*، الجزية ١٦؛ ولقول ابن أبي أوفى: *سنن سعيد بن منصور*، ٥/٢٣٧؛ *والمصنف* لابن أبي شيبة، ٣/٣٧٨، ٣٧٩؛ *وتفسير الطبري*، ١٠/٦٩.
[13] سبق تخريج قول عمر رضي الله عنه قبل قليل؛ أما لقول ابن عباس فانظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٦٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٢٩.
* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية رقم ٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٧و/سطر ٢٤-٢٩٧ظ/سطر ٧.

وقوله: **فإن تبتم فهو خير لكم**، أي إن تبتم عما كنتم عليه **فهو خير لكم**، لأنهم يأمنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم، ويكون ذلك الخوف والرعب في قلوب المشركين، على ما روي في الخبر أنه قال: «نُصِرتُ بالرُّعْب مَسِيرةَ شهرين».[١] وقوله: **وإن تولّيتم**، عما ذكرنا، **فاعلموا أنكم غير مُعْجِزي الله**، أي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه. ويحتمل قوله: **فإن تبتم**، عن نقض العهد، **فهو خير لكم**، في الدنيا.[٢] والأولى:[٣] **فإن تبتم**، وأسلمتم، **فهو خير لكم**، في الدنيا والآخرة.

ثم روي في بعض الأخبار عن علي رضي الله عنه أنه سئل: بأي شيء بُعِثتَ؟ قال: بأربع: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة،[٤] ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهده أربعة أشهر، ولا يطوف بالبيت عُريان، ولا يدخل الحَرَم مشرك بعد هذا».[٥] وفي بعض الأخبار: «ولا يحج المشرك[٦] بعد عامه هذا». وكذلك قال في الآية:[٧] فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا.[٨] ففيه دلالة إثبات رسالة محمد، لأنه قال[٩] في ملأٍ مِن الناس بالموسم:[١٠] «لا يحج مشرك بعد هذا»، مع كثرة أولئك وقوتهم وقلة المؤمنين وضَعْفهم، ثم لم يتجاسر بعد ذلك النداء أحد أن يدخل مكة للحج وغيره، دلّ أن ذلك كله كان بالله تعالى، لا بهم.

[وقوله تعالى: **وبَشِّر الذين كفروا بعذاب أليم**، هو القتل والأسر. ويحتمل أن يكون المراد به هو العذاب في الآخرة].[١١]

ثم من الناس من استدل بالخبر الذي روي أنه بعث أبا بكر الصديق على الحج، وبعث معه ببراءة، ثم أَتْبَعَه عليا، فأدركه[١٢] فأخذها منه، ورجع أبو بكر إلى النبي، فقال: هل نزل فيّ شيء؟

---

[١] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤. لكن الرواية المشهورة: «... مسيرة شهر» (*صحيح البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[٢] م – في الدنيا.

[٣] جميع النسخ: والأول.

[٤] ع: مؤتنة.

[٥] *سنن الترمذي*، الحج ٤٤؛ و*سنن النسائي*، مناسك الحج ١٦١. وحسّنه الترمذي. وانظر: تخريج الحديث السابق قريبا.

[٦] ك: مشرك.

[٧] ع م + الأخرى.

[٨] سورة التوبة، ٢٨/٩.

[٩] ن – لأنه قال. أي أمر بذلك، مكأنه قاله.

[١٠] ع: الموسم.

[١١] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٩ظ.

[١٢] م: فأدركها.

قال: «لا، ولكن لا يُبَلِّغ عني غيري أو رجل مني»، على أن عليا هو المستحق للخلافة، [٢٩٦ط] وهو / الأحق بها دون أبي بكر، حيث قال: «لا يبلغ عني إلا رجل مني». لكن[١] يحتمل أنه ولّى ذلك[٢] عليا لِما كان من عادة العرب أنهم إذا عاهدوا عهدا أنه لا ينقض ذلك عليهم إلا من هو من قومهم، فولّى ذلك عليا لأن لا يكون لهم الاحتجاج عليه، فيقولون: لم ينقض علينا العهد. أو أن يقال:[٣] ولّى عليا أمر الحرب، وهو كان أبصر وأقوى بأمر الحرب من أبي بكر، وولى أبا بكر أمر إقامة الحج والمناسك، وكان أبو بكر هو المُوَلَّى أمرَ العبادات،[٤] وعليّ أمرَ الحروب، فالحاجة إلى الخلافة[٥] لإقامة العبادات.[٦] أو أن يقال: إن أبا بكر كان أمير الموسم، وعليا كان مناديه، فالأمير في شاهدنا أجلّ قدرا وأعظم منزلة من المنادي،[٧] وأمر عليا ذلك لما أنّ ذلك كان[٨] أَقْبَلَ وأَسْمَعَ مِن غيره مِن الأمير نفسه. **والله أعلم**.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يَنْقُصُوكم شيئا**، قال بعضهم: هذا صلة قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٩]... **إلا الذين... لم يَنْقُصوكم شيئا**[١٠] **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، أمر بإتمام العهد للذين لم يَنْقُصُوا[١١] المسلمين ولا ظاهروا عليهم أحدا،[١٢] وأما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فإنه لا يتم لهم، ولكن ينقض. وكذلك تأولوا قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، النقض.

---

[١] ع + لكن.
[٢] م – ذلك.
[٣] ع م + وليا.
[٤] ن: العباداة؛ ع: العبادة.
[٥] ن – إلى الخلافة.
[٦] ع: العباداة.
[٧] ع: والمنادي.
[٨] ك ن: ان كان كان؛ ع م: ان كان.
[٩] سورة التوبة، ٩/١.
[١٠] م – قال بعضهم هذا صلة قوله براءة من الله ورسوله إلى الدين عاهدتم من المشركين إلا الذين لم ينقصوكم شيئا.
[١١] ن ع م: لم ينقضوا.
[١٢] ن – أحدا.

ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[١] ويكون العذاب الأليم هو القتل[٢] والأسر، كأنه يقول: وبشر الذين كفروا بالقتل والأسر[٣] **إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يَنقُصُوكم شيئا ولم يُظاهِروا عليكم أحدا**. ثم يحتمل قوله: **لم يَنقُصُوكم شيئا**، أي لم يخونوكم شيئا ما داموا في العهد، **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا**، أي لم يعاونوا ولا أَطْلَعُوا أحدا من المشركين عليكم، **فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، كقوله: وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ،[٤] أمر بالنبذ إليهم عند خوف الخيانة، وأمر بالإتمام إذا لم يخونوا و لم يظاهروا عليهم أحدا. ودل قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[٥] **إلا الذين عاهدتم من المشركين**، على أن قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ،[٦] أي غير معجزي أولياء الله في عذاب الدنيا، لأنهم جميعا سواءٌ في عذاب الآخرة مشتركون[٧] فيه. وقوله عز وجل: **إلى مدتهم**، قال بعضهم: مدة القوم أربعة أشهر بعد يوم النحر، لعشرٍ مَضَيْنَ مِن ربيع الآخر، لمن كان له عهد، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحَرَّم[٨] خمسون ليلة. وقال بعضهم: **إلا الذين عاهدتم من المشركين**، بالحديبية، فلم يبرأ[٩] الله ورسوله من عهدهم في الأشهر الأربع، **ثم لم يَنقُصُوكم**، في الأشهر الأربع،[١٠] **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا**، أي لم يُعِينوا على قتالكم أحدا من المشركين، أي لم[١١] يفعلوا ذلك، **فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، وهو الأربعة الأشهر، **إن الله يحب المتقين**، الذين اتقوا المعاصي والشرك.

**﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم**، قال بعضهم: **الأشهر الحُرُم**، هي أشهر العهد والأمان، **فإذا انسلخ**، تلك الأشهر ومضت، **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ن + والقتل.
[٣] ن – كأنه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والأسر.
[٤] سورة الأنفال، ٥٨/٨.
[٥] الآية السابقة.
[٦] سورة التوبة، ٢/٩.
[٧] جميع النسخ: مشتركين.
[٨] ع: المحرم.
[٩] ك: فلم يبر.
[١٠] ن: الأربعة؛ م – ثم لم يقصوكم في الأشهر الأربع.
[١١] ك: أي إن لم.

وقال بعضهم: **الأشهر الحُرُم**، هي الأشهر التي خلقها الله وجعلها حراما، كقوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ.[1] وقوله عز وجل: **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذُوهم**، قال بعضهم: **حيث وجدتموهم وخُذُوهم**، في الأماكن كلها، لأن "حيث" إنما يُتَرجِم عن مكان؛ أَمَرَ[2] بقتلهم في الأماكن كلها، لأنه لم يخصّ مكانا دون مكان. وقال آخرون: هو في الأماكن كلها إلا مكان الحَرَم، دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة، وهو قوله: وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ -وقال- وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،[3] أمرهم بقتالهم في الأماكن كلها إلا المسجد الحرام. وأمكن أن يكون أنهم يُقتَلون إلا أن يدخلوا الحَرَم،[4] فإذا دخلوا الحَرَم[5] وقد نُهُوا عن الدخول فيه[6] والحجِ هنالك على ما روي أن عليا نادى بالموسم: «ألا لا يحجّنّ بعد العام مشرك»، فإذا دخلوا يُقتَلون، ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم إيانا، فإذا قاتلونا عند المسجد الحرام قاتلناهم، كقوله: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ. *والله أعلم*.

وقوله: **وخُذُوهم**، قيل: اسروهم، وقوله: **واحصروهم**، قيل: احبسوهم،[7] **واقْعُدُوا لهم كلَّ مَرْصَد**، والمَرْصَد الطريق، كأنه أمر بقوله: **فاقتلوا المشركين**، بقتلهم إذا قدروا عليهم وأمكن لهم ذلك، والأسرِ[8] عند الإمكان، والحبسِ إذا دخلوا الحصن، وحفظ المراصد عند غير الإمكان لأن لا يفرّوا. ويقال: أَرْصَدت له، أي انتظرت أن أجد فرصتي. ويقال: تَرَصَّدته، أي انتظرته. وقال بعضهم: قوله: **كلَّ مَرْصَد**، أي كل طريق يَرصُدونكم، كأنه أمر بذلك ليَضِيق عليهم الأمر فيَضْجَروا[9] وينقادوا. وفيه دليل النهي

---

[1] سورة التوبة، ٣٦/٩. والأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.

[2] ن - أمر.

[3] ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ (سورة البقرة، ١٩١/٢).

[4] ع م: الحرام.

[5] ع م: الحرام.

[6] ك ع م: فيها؛ ن - فيها.

[7] ع م: واحبسوهم.

[8] ع م: والأمر.

[9] جميع النسخ: ليضجروا.

عما يُحمَل[1] إلى دار[2] الحرب من أنواع الثياب[3] والأمتعة وما ينتفعون به، لأنه أمر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليَضِيق عليهم الأمر[4] ويشتدّ فينقادوا، وفيما يحملون إليها[5] توسيعٌ عليهم. وقوله: **وخُذُوهم واحْصُرُوهم واقْعُدُوا لهم كل مَرْصَد**، يحتمل أن يكون / قوله: [٢٩٧و] **وخُذُوهم واحْصُرُوهم**، أي أقيموا عليهم الحجج[6] والبراهين ليضطرّوا إلى قبول ذلك، فإذا انقادوا[7] لكم وإلّا فاقتلوهم حيث وجدتموهم.

وقوله عز وجل: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم**، قال بعضهم: أمر الله في أول الآية بقتل المشركين، فقال: **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**، وقال: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم**،[8] فوجب بظاهر الآية أن نقاتل[9] من آمن ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة، لأن الله تعالى إنما رفع القتل عنهم[10] بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم يأتوا بذلك فالقتل واجب عليهم. وكذلك فعل أبو بكر[11] الصديق، لَمّا ارتدّت العرب بمنعهم[12] الزكاة حاربهم حتى أذعنوا بأدائها إليه. روي عن أنس قال: لَمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّت العرب كافة، فقال عمر: يا أبا بكر،[13] أتريد أن تقاتل العرب كافةً؟ فقال أبو بكر: إنما قال رسول الله: «إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة منعوني[14] دماءهم وأموالهم»، والله لو منعوني عَنَاقًا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتُهم عليه. قال عمر:

---

[1] ع م: عما يحل.
[2] ن: عما يحل دار.
[3] ع: الثبات.
[4] ك – الأمر.
[5] ك ن: إليهم؛ ع م – إليها.
[6] ع: الحج.
[7] ن ع م: فإذا انقدوا.
[8] ع م – قال بعضهم أمر الله في أول الآية بقتل المشركين فقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.
[9] ك: أن يقاتل.
[10] ك: عنهم القتل.
[11] ن: أبي بكر؛ ع م: فعلى أبي بكر.
[12] جميع النسخ: ومنعتهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[13] م: يا با بكر
[14] م: منعوا لي.

فلما رأيت رَأْيَ أبي بكر قد شُرِحَ عرفت أنه الحق.[1] وفي بعض الأخبار: قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله ونصلّي ولكن لا نزكّي، فمشى عمر والبَدْرِيون إلى أبي بكر، فقالوا:[2] دعهم، فإنهم إذا استقرّ الإسلام في قلوبهم وثبت أدَّوْا، فقال: والله لو منعوني عِقَالاً[3] مما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتُهم عليه. قال: وقاتل[4] رسول الله على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال الله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم**، والله لا أسأل فوقهن ولا أُقَصِّر دونهن. فقالوا: إنا نزكّي، ولكن لا ندفعها إليك،[5] فقال: والله حتى آخذها كما أخذها رسول الله، وأضعها مواضعها.[6] وقال آخرون: قوله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة**، في قبولهما والاعتقاد بهما دون فعلهما، لما لا يحتمل[7] حبسهم ومنعهم إلى أن يحول الحَوْل[8] فيؤخذون[9] بأداء الزكاة، دلّ أنه على[10] القبول والإقرار بذلك.

---

[1] سنن *النسائي*، الجهاد ١. وقال النسائي عقيب الحديث: «عمران القَطّان ليس بالقوي في الحديث، وهذا الحديث خطأ، والذي قبله الصواب: حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة». والرواية التي صوّبها النسائي هي الرواية المشهورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلِف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (*صحيح البخاري*، استتابة المرتدين ٣؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢). والعَناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنق»).

[2] ك: فقال.

[3] قال الكسائي: العقال صدقة عام. يقال: أُخذ منهم عقال هذا العام، إذا أُخذت منهم صدقته. وقيل: أراد بالعقال الحبل الذي يُعقَل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة، لأن على صاحبها التسليم وإنما يقع القبض بالرباط. وقيل: أراد ما يساوي عقالاً من حقوق الصدقة. وقيل: إذا أخذ المتصدق أعيان الإبل قيل: أخذ عقالا، وإذا أخذ أثمانها قيل: أخذ نقدا. وقيل: أراد بالعقال صدقة العام. يقال: أخذ المصدِّق عقال هذا العام، أي أخذ منهم صدقته. وبُعث فلان على عقال بني فلان، إذا بُعث على صدقاتهم. واختاره أبو عُبَيد، وقال: هو أشبه عندي. قال الخَطّابي: إنما يُضرَب المَثَل في مِثل هذا بالأقل لا بالأكثر، وليس بسائرٍ في لسانهم أن العقال صدقة عام، وفي أكثر الروايات: «لو منعوني عَنَاقا»، وفي أخرى: «جَذيا» [أي الذَّكَر من أولاد المعز]. وقد جاء في الحديث ما يدل على القولين... (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير «عقل»؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»).

[4] جميع النسخ: قيل أو قاتل؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٤٠و.

[5] ع م - إليك.

[6] ك: موضعها. روي نحوه عن قتادة مرسلاً؛ انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٨/١٧٧.

[7] ع: إلى لا يحتمل.

[8] لأن من شروط وجوب الزكاة حَوَلان الحَوْل، أي مُضِيّ سنة كاملة على المال الذي يجب فيه الزكاة.

[9] ن: الجواب فيؤاخذون؛ ع م: فيأخذون.

[10] م: دل على أنه.

واستدلوا بما روي في بعض الأخبار عن رسول الله قال: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».[١] وقالوا: في بعض الأخبار: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله[٢] وأني رسول الله، فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا»،[٣] وفي بعضها: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا[٤] الصلاة ويؤتوا[٥] الزكاة، فإذا فعلوا[٦] ذلك منعوا مني[٧] كذا»،[٨] دل ما ذكرنا من الزيادات[٩] والنقصان أن ذلك في قوم مختلفين، وأنه على القبول لذلك والاعتقاد لا على الفعل نفسه. فمن كان لا يقر بشيء من ذلك فإذا قال: لا إله[١٠] إلا الله، كان ذلك منه إيمانا[١١] في الظاهر، ومن كان يقول: لا إله إلا الله، ولا يقول: محمد رسول الله، فإذا قال ذلك كان ذلك منه إيمانا، ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلاة والزكاة فإذا أقر بذلك كان ذلك منه إيمانا، فهو على الإقرار به والاعتقاد لا على الفعل. ألا ترى أن للأئمة أن يأخذوا منهم الزكاة شاءوا أو أبَوْا، فلو كان الأداء من شرط الإيمان لكانوا غير مؤمنين بأخذ هؤلاء [جبرا].*

**﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْه حتى يسمع كلام الله**، وقد قال: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ

---

[١] سبق تخريجه في الحاشية قريبا.

[٢] ع م – فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وقالوا في بعض الأخبار أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

[٣] روي نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٣٣.

[٤] جميع النسخ: وأقاموا.

[٥] جميع النسخ: وآتوا.

[٦] م: وإذا فعلوا.

[٧] ع م – مني.

[٨] سبق تخريجه عن أبي بكر رضي الله عنه قريبا؛ وروي عن ابن عمر رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٦.

[٩] م: من الزيادة.

[١٠] ن – لا إله.

[١١] ك: إيمانا منه.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية رقم ٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٧و/سطر ٢٤-٢٩٧ظ/سطر ٧.

وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ،[1] الآية، فأمر بالآية الأولى عند الوجود بالإجارة[2] وفي هذه[3] بالقتل والأسر، وأمر في الأولى بتبليغه مَأمَنَه، وفي هذه[4] بأن يُقعَد له كل مَرصَد. وحال هذه هي حال[5] الأولى في رَأْيِ العين، ويتهيأ له في كل وقتٍ يظفر به أنْ يَستجير لِما ذُكر، وفي كل[6] حال يرصد له أن يحتال ليردّ إلى مَأمَنِه، وفي ذلك زوال القيام بما في إحدى الآيتين في الظاهر. فألزم ذلك طلب المعنى الموفِّق بين الأمرين من طريق التأمُّل بالأسباب التي هي[7] تدل على حق المعاملة بالآيتين جميعا. فقال أصحابنا: إنه إذا قصد نحو مَأمَن أهل الإسلام غير مُظهِر أعلام الحرب ولا بما يدل أنه على ذلك مجيئُه، بل يمشي مَشْيَ من يتقلّب لحاجة ومن يتعاهد من ينادي إليه بالاستجارة فيُجَار. ولو كان مقبلا نحو مَأمَنِنا كالطالب لأحدٍ، عليه أعلام الحرب، لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له أو الذين[8] لهم مَنَعَة وقوة[9] به فلا يُقبَل قوله. وذلك على تسليم الأمر للغالب[10] من الأحوال، إذ لا وجه لعلم الحقيقة في ذلك، وعلى ذلك عامّة الأمور من أهل[11] الدارين.[12] وما ذكرت من الآية في لزوم ذلك الاعتبار -إذ لا وجه[13] له غيره- هو دليله.[14] ***والله أعلم.***

ثم دل قوله: **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك** -بعد العلم بأنه مِن مأمنه لا يقدر على الاستجارة لبُعْدِ مأمن كل مِن مأمن الآخر، ثم لا يكون مأمن الفريقين في حدّ الدارين لما كان تحقيقُ أمنِ كل فريق منهما نَفْيَ أمنِ الآخر، إذ به خوفُه،[15] فثبت- أنه قد يؤذن له الخروج للاستجارة من مأمنه،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع م - بالإجارة.
[3] ع: وفي هذا.
[4] م: في هذه.
[5] ع م: في حال.
[6] م - كل.
[7] ن - هي.
[8] ع م: والذين.
[9] ع م: ولا قوة.
[10] ع م: الغالب.
[11] ع م: بين أهل.
[12] أي دار الإسلام ودار الحرب.
[13] ن - لعلم الحقيقة في ذلك وعلى ذلك عامة الأمور من أهل الدارين وما ذكرت في الآية في لزوم ذلك الاعتبار إذ لا وجه.
[14] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «وفي هذه الآية على الوجه الذي ذكرت دلالة القول بالقياس والاعتبار، إذ لا وجه سوى الاجتهاد والاعتبار بأحوالهما، وهذا مما لا يعرف إلا بغالب الرأي. وكل قياس هو الحمل بغالب الرأي بناء على أسباب ودلائل. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).
[15] أي لا يكون المأمن في الحدود بين الدارين، لأن كل فريق يراقب الفريق الآخر ولا يكون آمِنا من هجوم الفريق الآخر عليه.

والدخول في مأمن المسلمين إلى أنْ يَبْلُغَ[1] مَصَالِحَه[2] فيستجير،[3] فلذلك لا يوجب ذلك الوجود حق الأسر ولا القتل [بقوله: حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ].[4] ويجب ردّه لو لم يُجِزْ، ولا يسع[5] تَعَرُّضُه لشيء من ذلك.[6]

ثم قوله:[7] **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك**، من غير أنْ بَيّنَ استجارته لماذا؟ يحتمل أن يكون ترك[8] بيانه لما في الجواب ذلك، بقوله: **حتى يسمع كلام الله**، وذلك كقوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ،[9] أنه في الجواب بيان ما استفتوا. ويحتمل أن يكون ذلك لازمَ أنْ **يسمع كلام الله**، بمعنى حجّته، لأي وجه دخل بأمان، وذلك قريب، لأنّا أُمِرنا بالتضييق[10] عليهم ليُسلِموا، فإذا أبحنا لهم الدخول للحاجات بلا غرض يذهب منفعة التضييق،[11] فيكون المقصود بالعهد لما يرون من آثار الإسلام وحسن رعاية أهل الإسلام ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء أن يجيبوا، فلذلك يُؤذَنون وإن كان في ذلك قضاء حاجاتهم. وقد روى عن نبي الله[12] صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يقاتل حتى يدعو[13] إلى الإسلام،[14]

---

[1] ك: إلى يبغوا؛ ن ع م: أن يبلغوا.

[2] ك ع م: مسابحهم؛ ن: مصالحهم.

[3] جميع النسخ: فيستجيروا. أي إلى أن يَبلُغ الكافر إلى القرى أو المدن حيث يقضي فيها مَصالحه التجارية وغيرها، ثم يمكنه أن يستجير بأهلها.

[4] الآية السابقة. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.

[5] ك: ولم يسع؛ م: ولا يوسع.

[6] أي إن المشرك أو الكافر الحربي لا يقدر على الاستجارة بالمسمين وهو في مأمنه في دار الحرب. فلا بد من أن يخرج من دار الحرب إلى دار الإسلام ويخترق حدود الدارَيْن ويَصِل إلى مكان آمِن أو مدينة يستطيع أن يستجير فيها بالمسلمين. ولذلك لا يجوز للمسمين إذا وجدوا أي مشرك أن يقتلوه أو يأسروه حتى يعرفوا مقصده. وإن لم يقبل المسلمون أن يجيروه فإنه يُرَدّ إلى دار الحرب، ولا يجوز قتله أو أسره بدون سبب. والله أعلم.

[7] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.

[8] ن: نزل.

[9] سورة النساء، ١٧٦/٤.

[10] ك: بالتضيق.

[11] ك: التضيق.

[12] ع: عن النبي.

[13] ع: حتى يدعوا.

[14] روي عن ابن عباس رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣١/١؛ و*سنن الدارمي*، السير ٨. وورد في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه دعاء الناس إلى الإسلام قبل القتال أحاديث كثيرة؛ انظر مثلا: *صحيح مسلم*، الجهاد ٣؛ و*سنن أبي داود*، الجهاد ٨٢؛ و*سنن الترمذي*، السير ١١٩.

فيما قد كان دعاهم غير مرة، فذلك المعنى عند الأمان أولى.[1] *والله أعلم*.

وقوله: **حتى يَسْمَعَ كلام الله**، فالأصل أن حقيقة الكلام لا تُسمَع بالكلام نفسه، إذ الذي[2] به يؤدَّى حروفُ الكلام [هو] بما يقلّب الحروف ويؤلّفها،[3] ولا صوت له يُسمَع، نحو اللسان والشفة ونحو ذلك، وإنما يُسمَع بصوتٍ يَهيج[4] من حيث الجارحة التي تتكلم،[5] فيَبلُغ كلامُه أو حروفُ[6] كلامِه المَسامِع، فالسمع يقع على الصوت الذي به يُدرَك الكلام ويُفهَم، فصار سمع الكلام في الأصل مجازا لا حقيقة، فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله.[7]

ثم هو يخرج على وجوه. أحدها أن يسمع المعنى الذي جُعِل له الكلام، وهو الأمر والنهي والتحريم والتحليل ونحو ذلك، وذلك مما يُنسَب إلى الله، فقيل بذلك: كلام الله، لِما إليه يُنسَب الأمر[8] به والنهي ونحو ذلك.

والوجه الثاني أن يكون الله[9] ألّفه ونَظَمه على ما أَعْجَزَ خَلْقَه عن مثله، فنُسِب إليه بما منه تأليفُه على ما هو عليه وإن كان مسموعا من غيره، على ما نُسِب القصائد إلى مُبْدِيها

---

[1] وعبارة الشارح كما يلي: «ويحتمل أنه ألزم الإجارة بقوله: فأجره حتى يسمع كلام الله على أي وجه دخل إذا استجار وطلب الأمان فيسمع كلام الله أي يسمع حجته وإن لم يذكر بطلب الأمان شيئا وهو أحسن لأنا أمرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فإذا أبحنا لهم الدخول للحاجات بلا غرض يذهب منفعة التضييق، فيكون المقصود بالعهد لما يرون من آثار الإسلام ومحاسنه وحسن رعاية أهل الإسلام وجميل معاملتهم ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء أن يجيبوا، ولذلك يؤذَنون وإن كان في ذلك قضاء حاجاتهم. وقد روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يقاتل حتى يدعو إلى الإسلام، فيما قد كان دعاهم غير مرة، فذلك المعنى عند الأمان أولى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).

[2] ع: إذا الذي.

[3] جميع النسخ: ويؤلفه.

[4] ن ع م: بهيج.

[5] ك: تكلم؛ ن ع م: يتكلم، + وقوله.

[6] م: أو حروفه.

[7] قال الشارح: «ثم قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾، تعلّق المعتزلة بهذه الآية على أن كلام الله مخلوق، لأنه أخبر أن كلامه مسموع، ولا يُسمَع إلا الصوت، فدلّ أن كلامه هو الحروف المنظومة، وأنه مخلوق. ولكِنّا نقول: إن كلام الله تعالى و صفته، قائمة بذاته، أزلية. وحقيقة الكلام لا تُسمَع في الشاهد، إذ الكلام صفة المتكلم، قائمة به. فإن الذي به يؤدَّى الكلام ويُفهَم ويُدرَك -وهو الحروفُ التي تتألّف وتنتظم بوضع اللسان مخارج الحروف- لا يُسمَع إذا لم يكن ثَمّةَ صوت. بأن لم يُستعمَل اللسان في مواضع الحروف على وجه الشدة، وإنما يُسمَع بصوتٍ يَهيج من حيث الجارحة التي تتكلم، فيَبلُغ حروفُ كلامِه المَسامِع، فالسمع يقع على الصوت الذي به يُدرَك الكلام ويُفهَم، فصار سمع الكلام في الأصل مجازا لا حقيقة، فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).

[8] ك ن ع: ينسب إلى الأمر؛ م: ينسب الكلام.

[9] ع م - الله.

والكتب إلى مؤلّفيها والأقاويل إلى الأوائل[١] التي منهم ظهرت، وإن لم يكن الذي يقوله في الحقيقة قوله أو كلامه، بما كان منه البَدْء الذي عليه يتكلم، فمثله معنى قوله: **حتى يسمع كلام الله**.

والثالث أن يكون ذلك لما لكلامه يعبّر، وبه يوصف أن له كلاما،[٢] وبه يرجع إلى ذلك، وإن كان الله تعالى يجلّ عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والأبعاض ونحو ذلك، فلما كان إليه المرجع وإن كان حدّ ذلك غير متوهَّم هنالك ولا متصوَّر، فنُسِب إليه كما قال الله تعالى: / خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٣] وقال: خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ،[٤] من غير توهُّم كلّيّة العالم [٢٩٨و] في ذلك التراب أو النفس الواحدة، [بل] لِما إليه مرجع الكل نُسِب[٥] إليه، وعلى ذلك أمر الكلام. وذلك على ما قيل مِن لقاء الله والمرجع إلى الله والمصير، بما لا تدبير لأحدٍ هنالك ذُكِر المصير إليه، لا أنّ ذلك[٦] مِن صيرورةٍ إليه في الحقيقة ورجوعٍ لم يكن من قبل، فمثله لما قيل:[٧] **كلام الله**. ثم الله تعالى يجلّ عن التصوير في الأوهام أو التقدير في العقول، فعلى ذلك صفته، بل ذلك أحق وأولى، إذ تجد صفات الخلق لا تُحَدّ ولا تُصوَّر في الأوهام ولا يُقدِّرها[٨] العقول إلا من طريق القول [دون] حقائقها[٩] [مثل السمع والبصر والعقل] على ما هي[١٠] أغيار لهم. فالله[١١] تعالى المتعالي عن التصوّر في الأوهام، ووَصْفُه بالعلم والكلام ونحو ذلك أحق في إبطال توهُّم ذلك، فتدبَّرْ[١٢] فيه. وقال الثَّلْجي:[١٣] يقال: **كلام الله**، على الموافقة، لا على الحقيقة،

---

[١] ع: والأقاويل الأوائل.
[٢] ك: كلامه؛ ن ع م: كلام.
[٣] سورة النساء، ٤/١؛ وسورة الأعراف، ٧/١٨٩؛ وسورة الزمر، ٣٩/٦.
[٤] سورة الروم، ٣٠/٢٠؛ وسورة فاطر، ٣٥/١١؛ وسورة المؤمن، ٤٠/٦٧.
[٥] ن: ينسب.
[٦] جميع النسخ: أن لذلك.
[٧] ع – فمثله لما قيل.
[٨] ك: ولا تقدر بها.
[٩] جميع النسخ: بالحقيقة.
[١٠] جميع النسخ: ما هن؛ والتصحيحان مع الزيادتين من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[١١] ن ع م: والله.
[١٢] ك ن – فتدبر.
[١٣] هو محمد بن شُجاع الثَّلْجي، ويقال: البلخي (ت. ٢٦٦هـ/٨٨٠م). من أصحاب الحسن بن زياد. وكان فقيه أهل العراق في وقته، والمقدَّم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة. مات فجأة ساجدا في صلاة العصر. له *كتاب المناسك*، و*كتاب تصحيح الآثار*، و*كتاب النوادر*، و*كتاب المضاربة*، و*كتاب الرد على المشبهة*. وله ميل إلى مذهب المعتزلة. انظر: *العبر في خبر من غبر* للذهبي، ٢/٣٩؛ و*الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ١/٦٠–٦١.

كما يقال: ذا قول فلان، وكلام فلان، وليس غيره، [وإنما هو][1] كلام المتكلم به، [لكن المقصود] المعاني القائمة به.[2] وقال أبو بكر [الأصم]: فهذا يدل أن كلام الله يُسمَع من وجوه، فكأنه يذهب إلى مثل ما يقال: يُعرَف الله من وجوه، على تحقيق الوجوه [لغيره]،[3] من غير توهُّم المعنى الذي به يُعرَف الله [منه]،[4] كذلك[5] سماع كلامه.

وفي قوله: **ثم أبْلِغه مَأمَنَه**، دلالة أنه لم يَقبل ما أُسْمِع وعُرِض عليه، إذ لو قَبِل لكان يكون مأمنه هذه الدار، لا تلك، ولكان يحقّ عليه الخروج منها، لا العَوْد إليها. ثم معلوم أن **كلام الله** هو حجته، وأن الحجة قد لزمته لوجهين. أحدهما ما ظهر عَجْزُ الخلق عن مثله، وانتشر الخبر في الآفاق على قَطْعِ طَمَعِ المُقابِلين لرسول الله بالردّ الباذلين مُهَجَهم وما حَوَتْه أيديهم في إطفاء نوره، فكان ذلك حجة بيّنة لزمتهم.

والثاني أن جميع ما يُتلَى منه لا يُؤتَى على آيات[6] إلا وفيها ما يُشهَد بالعقول[7] على قصور أفهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة، مما لو قوبل بما فيه من المعنى وما يَحدُث به من الفائدة لَعُلِم[8] أن ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء. وإذا كان كذلك صار هو بالرد مُكابِرا، وحقُّ مثلِه الزجر والتأديب، ثم لم[9] يُفعَل لِما لم يكن[10] تَضَمَّنَ[11] أمانةَ القبول ولا أنْ لا يُعارِضَه[12] بالرد، وذلك أعظم مما فيه الحدود، فالحد أحق أن لا يُقام[13] عليه.[14] *والله أعلم*.

---

[1] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[2] جميع النسخ: فالقائل الشاهد؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[3] جميع النسخ + فمثله كلامه والله أعلم.
[4] جميع النسخ + عن الله سبحانه؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[5] ن: لذلك.
[6] ع م: عن آيات.
[7] ك: مما يشهد العقول.
[8] جميع النسخ: ليعلم.
[9] جميع النسخ: انه لم.
[10] ع م - لما لم يكن.
[11] جميع النسخ: يضمن.
[12] ك: ولا أن يعارضه.
[13] م: لا يقاوم.
[14] أي لم يعاقب هذا الرجل بعدم قبوله للإسلام لأنه لم يكن التزم بأحكام الإسلام بَعْدُ و لم يؤمن، فلو كان آمن ثم صرّح بالكفر لَعُوقِب، والكفر أعظم جرما من الحدود، ولذلك لا يعاقب المستأمن بالحدود لعدم التزامه أحكام الإسلام.

ثم قوله: **أَبْلِغْه مَأْمَنَه،** يحتمل وجهين. أحدهما أن يدعه ولا يمنعه عن العَوْد إلى مَأمَنِه، ليُعلَم[١] أن حكم[٢] تلك الدار لم يَزُلْ عنه وأنه لا يُلزَم[٣] الجزية إلا عن طَوْع أو دلالة عليه. والثاني أن يكون عليه حِفظُه إلى أن يُبْلِغَه مَأْمَنَه بدفع المسلمين عنه،[٤] وفي ذلك لزومُ حقِّ الأمانِ الجميعَ بإجارةِ[٥] بعضٍ،[٦] وعلى ذلك كل مسلم.

ثم سماع كلام الله يخرج على القرآن،[٧] وفيه ما ذكرت من الدلالة، وعلى سماع أوامر الله ونواهيه في حق العَرْض عليه، وعلى سماع حجج النبوة وآيات الرسالة أو التوحيد من القرآن. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قوم لا يعلمون،** أي ما لهم وعليهم. ويحتمل نفي العلم بما لم ينتفعوا بما عَلِموا.[٨] ويحتمل ذلك تعليم مَن مع[٩] رسول الله مِن كيفية معاملة الكفرة، إذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل. *والله أعلم.*

**﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٧]**

ثم قوله عز وجل: **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله،** هو -والله أعلم- أنْ كيف يستحقّون العهد، وكيف يعطى لهم العهد وهم قد[١٠] نقضوا العهود التي بينهم وبين ربهم، والعهود التي بينهم وبين رسول الله. فأما العهود التي بينهم وبين ربهم هو عهد الخلقة، إذ في خلقة كل أحد الشهادة على وحدانية الله وألوهيته والشهادة على الرسالة وما عهد إليهم في كتبهم[١١] من إظهار صفة محمد ونعته للخلق، فنقضوا ذلك كله.

[١] ن + ليعلم.
[٢] ن - حكم، صح هـ.
[٣] ك: لا تلزمه.
[٤] جميع النسخ: منه.
[٥] ع م: بإجازة.
[٦] ع م - بعض.
[٧] ع م: عن القرآن.
[٨] ع م: بما اعلموا.
[٩] ن ع م: تعليم مع.
[١٠] ن ع م: العهد وقد.
[١١] أي في الكتب التي أنزلها برسله إليهم.

ونقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله و لم يحفظوها. يقول -والله أعلم- كيف **يستحقّون** أن يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد الذي عهد الله إليهم والعهود التي أعطاهم رسول **الله،** لا يستحقون ذلك، إلّا أن الله عز وجل بفضله وإحسانه أَذِن أن يعطى لهم العهود.*

وقوله عز وجل: **إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام**، استثنى الذين عاهدوا **عند المسجد الحرام**، يحتمل أن لا يعطي العهد **إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام**. ويحتمل قوله: **إلا الذين عاهدتم**، كذا، فإنهم إن وفَّوا[1] لكم فأوفوا لهم.[2]

[٢٩٨و س٣١ * **فما استقاموا لكم**[3] **فاستقيموا لهم**،[4] أي أوفوا لهم العهد إذا وفَّوا لكم وإن انقضت المدة، يقول -والله أعلم- إذا **استقاموا**[5] **لكم**، في وفاء العهد، **فاستقيموا لهم**، في وفائه

٢٩٨و س٣٣] وإن[6] انقضت[7] المدة.*

**إن الله يحب المتقين**، **إن الله يحب** من اتقى الشرك واتقى كل جَوْر[8] وظلم. *والله أعلم*.

**﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **كيف وإن يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**، يقول: **كيف** تعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم **لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**. وقال بعضهم: وكيف لا تقاتلونهم **وإن يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**، **قيل**:[9] الإلّ: الله، والذمة: العهد. وقيل: الإلّ: القرابة. وقيل: الإلّ: العهد والذمة. وكذلك ذكر في حرف حفصة: لا يَرْقُبُوا فيكم عهدا ولا ذمة. وقال القُتَبي: الإلّ: العهد، قال: ويقال: القرابة.[10]

---

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٨و/سطر ٣١-٣٣.

[1] م: إذا وفوا.

[2] ع م: لكم.

[3] ن + في وفاء العهد.

[4] ن + في وفائه.

[5] م: إذ استقاموا.

[6] م: وفائه العهد.

[7] ع: وإذ انقضت.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٨و/سطر ٣١-٣٣.

[8] ع: واتقى جور؛ م: واتقى من جور.

[9] جميع النسخ: قال.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٣.

/ وقال أبو عَوْسَجَة: الإلّ: القرابة. وقال أبو عُبَيْدَة: الإلّ: العهد، والذمة: التذمُّم.[١] وقال ابن عباس: [٢٩٨ظ]
الإلّ: الله، بمنزلة جبريل، تفسيره[٢] عبد الله، لِما قيل: جبريل هو عبد الله.[٣] وقيل: الإلّ: الحُرُم. يقول: **كيف** تعطونهم العهد وهم إن[٤] **يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم** القرابة ولا العهد، ولا يرقبون الحُرُم فيكم. وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرَّحِم حتى يُعاوِن بعضهم بعضا ويُناصِر إذا وقع بين قرابتهم ورَحِمهم وبين قوم آخرين مُباغَضة[٥] وعداوة. وكانوا يَرْقُبُون حُرُم الله، حتى لا يقاتلون في الأشهر الحُرُم[٦] وعند المسجد الحرام، وكانوا يحفظون[٧] العهود فيما بينهم من قبل، ولا يَرْقُبُون فيكم ولا يحفظونها. هذا –والله أعلم– تأويل قوله: **لا يَرْقُبُوا فيكم إلًّا ولا ذمة**، وقد كانوا يَرْقُبُونه من قبل.

وقوله عز وجل: **يُرْضُونكم بأفواههم**، [أي يقولون بألسنتهم:] إنهم[٨] يوفون بالعهد[٩] ويحفظونه، **وتأبى قلوبهم**، إلا النقض. وقوله: **وأكثرهم فاسقون**، في نقض العهد، والفسق هو الخروج عن أمر الله، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.[١٠]

**﴿اِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **اشتروا بآيات الله**، يحتمل حججه وبراهينه. ويحتمل آيات القرآن ومحمدا.[١١] ويحتمل آياته دينه.

وقوله عز وجل: **فصَدُّوا عن سبيله**، أي صَدُّوا الناس عن متابعة النبي. وقيل: صَدُّوا الناس عن دين الله الإسلام. **إنهم ساء ما كانوا يعملون**، أي بئسما[١٢] عملوا بصدهم الناس عن دين الله[١٣] الإسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

---

[١] يقول أبو عبيدة: «مجاز الإل: العهد والعقد واليمين، ومجاز الذمة: التذمم ممن لا عهد له» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٥٣).
[٢] ن: وتفسيره.
[٣] لم أجده عن ابن عباس، وروي عن مجاهد وعكرمة وأبي مِجْلَز من التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٨٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٣٤.
[٤] جميع النسخ: وإن.
[٥] ك: ومباغضة.
[٦] ع: الحرام.
[٧] ك: يتحفظون.
[٨] جميع النسخ: بأنهم. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤١ظ.
[٩] جميع النسخ: العهد.
[١٠] سورة الكهف، ١٨/٥٠.
[١١] جميع النسخ: ومحمد.
[١٢] ن م: أي بئس ما.
[١٣] م – الله.

**﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **لا يَرْقُبُون في مؤمن إلّا ولا ذمة**، هذا قد ذكرنا. **وأولئك هم المعتدون**، في نقض العهد. والاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم.

**﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١١]**

وقوله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فإخوانكم في الدين**. قال بعض أهل التأويل: انظروا إلى كرم ربكم وجُوده، قومٌ قد افترَوْا على الله كذبا وكذّبوا رسول الله وهمّوا بقتله وإخراجه من بين أظهرهم وطعنوا في دينهم وعملوا كل بليّة من نصب الحروب[١] والقتال فيما بينهم، ثم إنه وعد لهم بالتوبة والمغفرة[٢] والتجاوز عما كان منهم، بقوله: إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[٣] وجعل فيما بينهم الأخوّة[٤] والمودّة، بقوله: **فإخوانكم في الدين**، وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً،[٥] وقال: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[٦] وغير ذلك من الآيات. وفيه أن من كان[٧] له بمكانٍ آخَرَ ذنب أو جفاء فإذا رجع عن ذلك وتاب لزم[٨] أن يُتجاوز عنه وأن لا يُذكَر بعد ذلك ما كان منه من الذنب،[٩] على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الأخوّة والمودّة إذا تابوا، وقال: **فإخوانكم في الدين**، وقد كان منهم ما كان، ومن حق الأخوّة أن لا يُذكَر ما كان منهم من المساوئ. ثم قوله: **فإن تابوا**، من الشرك وما كان منهم.

وقوله عز وجل: **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**، يحتمل قوله: **أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**، وجهين. يحتمل الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة زكاة المال، وهو ما ذكرنا فيما[١٠] تقدم

---

[١] ع: الحرب.
[٢] ن ع: المغفرة.
[٣] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٤] ن: بالأخوة.
[٥] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[٦] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[٧] ع م: أن كان.
[٨] جميع النسخ: لزمه.
[٩] م: منه الذنب.
[١٠] م: في ما.

من الإقرار هما[١] والاعتقاد[٢] والقبول لذلك[٣] دون فعلهما. وهو في الكُبَراء والقادة الذين كانوا يَأْنَفون عن الخضوع لأحد ولا يؤدون الزكاة ولا يتصدقون، لما ظنوا أنهم يخدون في الدنيا، إشفاقا على أنفسهم. ويحتمل أن يكون المراد من الصلاة والزكاة الخضوع والخشوع، لا الصلاة المعروفة، والمراد من الزكاة زكاة النفس وإصلاحها. فإن كان هذا فهو لازم في الأوقات كلها. ما من وقت إلا وله على كل أحد الخضوع له[٤] والخشوع له، ويزكي نفسه ويصلحها، وهو كقوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا.[٥]

وقوله: **ونُفَصِّل الآيات لقوم يعلمون**، أي نُبَيِّن **الآيات لقوم يعلمون**، ينتفعون بعلمهم. ويحتمل **لقوم يعلمون**، أي لقوم إذا نظروا فيها وتدبَّروا لعَلِموا،[٦] لا لقوم لا يعلمون.

**﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم**، يحتمل[٧] قوله:[٨] **أيمانهم**، العهود نفسها، كقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ[٩] -ذكر العهود، ثم قال-[١٠] وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[١١] ويحتمل قوله: **وإن نكثوا أيمانهم من بعد**[١٢] **عهدهم**،[١٣] أيمانا يحلفون [بها] بعد إعطاء العهد توكيدا لأن لا ينقضوا العهد، إذ عادتهم[١٤] نقض العهد ونكثه. وقوله: **وطعنوا في دينكم**، طعنهم[١٥] في الدين ظاهر.

---

[١] ع: لها.
[٢] ن + لهما.
[٣] ع: كذلك.
[٤] ع م - له.
[٥] سورة الشمس، ٩/٣١.
[٦] ع م: يعملوا.
[٧] ك - يحتمل.
[٨] م - يحتمل قوله.
[٩] ع م + ثم.
[١٠] ك - ذكر العهود ثم قال.
[١١] سورة النحل، ٩١/١٦.
[١٢] ع - توكيدها ويحتمل قوله وإن نكثوا أيمانهم من بعد.
[١٣] ك + أيمانهم.
[١٤] ن ع م: إذا عاهدتم.
[١٥] ع م - طعنهم.

وقوله عز وجل: **فقاتلوا أئمة الكفر**،[1] وتخصيص الأمر بمقاتلة الأئمة لِما أن الأتباع أبدا يقلّدون الأئمة ويَصدُرون عن آرائهم وتدبيرهم، فإذا قاتلوهم اتّبع الأتباع لهم. والثاني لنفي الشُّبَه أنْ ليس الأئمة منهم كأصحاب الصوامع وإن كانوا هم أئمة في العبادة، فلا تُترَك[2] مقاتلتهم كما تُترَك[3] مقاتلة أصحاب الصوامع، لأن أصحاب الصوامع قد عزلوا أنفسهم عن الناس [و]عن جميع المنافع، وحبسوها للعبادة، والأئمة ليسوا كذلك. والثالث خص الأئمة بالقتال لأنهم إذا قتلوهم لم يبق لهم إمام في الكفر، فيذهب الكفر رأسا، وهو كقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[4] الآية.[5]

وقوله:[6] **إنهم لا أيمان لهم**، يحتمل **لا أيمان لهم**، أي لا[7] عهد لهم بعد نقضهم العهد، أي لا توفوا لهم بالعهد[8] الذي كان لهم إذا نقضوا. ويحتمل **لا أيمان لهم**، أي لا يعطى لهم العهد مبتدأ بعدما نقضوا العهد، لأنهم اعتادوا نقض العهد. والثاني قال ذلك في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يوفون بالعهد[9] أبدا.[10] وفيه لغة أخرى: / "لا إيمان لهم" بكسر الألف.[11] لا إيمان لهم، أي [٢٩٩و] لا[12] يؤمنون[13] أبدا. فإن كان[14] كذلك فذلك[15] في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا. وفائدة قوله: **إنهم لا أيمان لهم**، تخرج على وجهين. أحدهما أن أهل العهد إذا نقضوا العهد[16] يُنقَض ذلك ويُترَكون على النقض ويُقاتَلون بعد النقض، وليس كأهل الذمة إذا نقضوا الذمة،

---

[1] ك ع م + أي أئمة الكفر.
[2] ن: فلا ينزل؛ ع م: فلا يترك.
[3] ك ع م: كما يترك؛ ن: كما ينزل.
[4] سورة البقرة، ١٩٣/٢؛ وسورة الأنفال، ٣٩/٨.
[5] ك – الآية.
[6] ن ع م – وقوله.
[7] ع م: لهم لا.
[8] ك ع م: العهد؛ ن – العهد.
[9] ك ن: العهد؛ ع م – مبتدأ بعدما نقضوا العهد لأنهم اعتادوا نقض العهد والثاني قال ذلك في قوم علم الله أنهم لا يوفون بالعهد.
[10] ن – أبدا.
[11] وهي قراءة متواترة قرأ بها ابن عامر؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٨/٢.
[12] ك – أي.
[13] ع + أي لا يؤمنون.
[14] م: فإذا كان.
[15] جميع النسخ: وذلك.
[16] ع – إذا نقضوا العهد.

[فإنهم] لا يُترَكون [على] ذلك، ولكن يُرَدّون إلى الذمة، ولا تنتقض[1] الذمة فيما[2] [بيننا و]بينهم. وقال الحسن: قوله: "لا إيمان لهم"، يقول: لا تصديق لهم.[3] وقوله: **لعلهم ينتهون**، عن نقض العهد.

**﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم**، أي كيف **لا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم**. و **أيمانهم** ما ذكرنا.[4] وهو حرف الإغراء على مقاتلة من اعتاد[5] نقض العهود والتحريش عليهم.

**وهمّوا بإخراج الرسول**، يحتمل قوله: **وهموا بإخراج الرسول**، القتل، أي همّوا بقتله، وفي القتل إخراجه. وهمّوا بإخراجه[6] من المدينة على ما ذكر في بعض القصة[7] أن اليهود قالوا لرسول الله: إن مكان[8] الأنبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة، فانتَقِلْ إليه. وفي الآية دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه معلوم أنهم أسرّوا في أنفسهم وفيما بينهم إخراجه وقتله، لا أنهم أظهروا ذلك، ثم أخبرهم بذلك، دلّ أنهم إنما علموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

وقوله: **وهم بدءوكم أول مرة**، يحتمل قوله: **وهم بدءوكم أول مرة**، في نقض العهد، أي **هم بدءوكم**، بنقض العهد. ويحتمل **هم بدءوكم**، بالقتال أول مرة والإخراج.

وقوله عز وجل: **أتخشَوْنهم فالله أحق أن تخشَوْه**، أي لا تخشَوْهم واخشَوا الله، فإنهم لا يقدرون أن يوصلوا[9] إليكم نَكْبَة إلا بإقدار الله إياهم، فلا تخشَوْهم واخشَوا[10] الله.

---

[1] ن: ولا ينتقض؛ ع م: ولا ينقض.

[2] ن ع م – فيما.

[3] يقول الطبري: «وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: "إنهم لا إيمان لهم"، بكسر الألف، بمعنى لا إسلام لهم. وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك أنهم لا أمان لهم، أي لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم، كأنه أراد المصدر من قول القائل: آمنته فأنا أؤمنه إيمانا» (*تفسير الطبري*، ٨٩/١٠).

[4] انظر تفسير الآية السابقة.

[5] ع م: من اعتقاد.

[6] جميع النسخ: إخراجه.

[7] م: في القصة.

[8] ع م: إن كان.

[9] ك ع م: أن يصل؛ ن: أن يصلوا.

[10] م: فاخشوا.

ويحتمل قوله: **أتخشونهم**، فالله قادر ينصركم ويقهر عدوكم. **فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**، إذ هو القادر[1] على منعهم عنكم ونصرِكم عليهم.[2]

**﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **قاتِلوهم يعذِّبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم**، الآية، عَلِم الله عز وجل كراهة القتل وثِقَله على الخَلْق، فأمر المؤمنين بمقاتلة الكفرة، ووعد لهم النصر والتعذيب بأيديهم. والتعذيب بأيديهم[3] يحتمل وجهين. يحتمل القتل والإهلاك، ويحتمل الأسر والسَّبْي. **ويُخْزِهم**، يحتمل أيضا وجهين.[4] يحتمل[5] الهزيمة والإذلال. ويحتمل قوله: **ويُخْزِهم**، في الآخرة، كقوله: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ.[6] الخِزْي هو العذاب الذي فيه الفضيحة والذلّة. وفي قوله: **قاتِلوهم يعذِّبهم الله بأيديكم**، دلالة نقض قول المعتزلة، لقولهم أنْ لا قدرة لله على أفعال الخَلْق، وقد أخبر أنه يعذبهم بأيديهم، ولو كان غير قادر على أفعالهم كان يعذبهم بيده، لا بأيديهم.

**وينصرْكم عليهم**، وعد لهم النصر عليهم والظفر وخِزْيَ الكفرة، وهو ما ذكر: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا.[7] وكذلك في قوله: أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[8] دلالة نقض قولهم أيضا،[9] لأنه أخبر أنه يصيبهم العذاب من عنده أو بأيدي المؤمنين لما ذكرنا.

وقوله: **ويَشْفِ صدور قوم مؤمنين**، يحتمل أن يكون قلوبهم توجّعت وتألّمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول، فوعد لهم شفاء صدورهم. وذلك يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يُسلِمون فيصيرون إخوانا، فيدخل فيهم السرور والفرح بإزاء ما حزنوا وتألّموا، وذلك شفاء صدورهم.[10]

---

[1] ع م: قادر.
[2] ع م: عيه.
[3] ع م – والتعذيب بأيديهم.
[4] ع م + أيضا.
[5] م: ويحتمل.
[6] سورة آل عمران، ١٩٢/٣.
[7] سورة التوبة، ٥٢/٩.
[8] م – وكذلك في قوله أن يصيبكم الله بعذاب من عده أو بأيدينا.
[9] ن ع م – أيضا.
[10] ك: صدور قلوبهم.

والثاني **ويَشْفِ** صدورهم بالقتل والهزيمة، يُقتَلون ويُهزَمون، ففي ذلك شفاء صدورهم لما[١] تألّمت وتوجّعت بالتكذيب والكفر بالله وآياته.

**﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **ويُذهِبْ غيظ قلوبهم**، هذا يحتمل أيضا وجهين. يُذهب الغيظ الذي كان في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله بإسلامهم، يُسلِمون فيكونون إخوانا. أو يُقتَلون ويهلكون، فيذهب عنهم الغضب[٢] الذي كانوا[٣] غَضِبوا عليهم بالذي ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ويتوب الله على من يشاء**، أي من شاء عذّب منهم[٤] ومن شاء تاب عليه. وفي الآية دلالة الرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: شاء أن يتوب على جميع الكفرة، لكنهم لا يتوبون. فأخبر[٥] أنه يعذّب بعضا ويتوب على بعض، فإنما شاء أن يعذّب غير الذي شاء أن يتوب عليه، وشاء أن يتوب على[٦] غير الذي شاء أن يعذّب.

**والله عليم**، أي **عليم** بما كان ويكون، أي عن عِلمٍ بما كان منهم خلَقهم، لا عن جهل، إذ خلقُه إياهم ليس لمنافع نفسه وحاجته، إنما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم، **حكيم**، واضع[٧] كل شيء موضعه. ويحتمل **عليم**، بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر بآياته، **حكيم**، أي ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزي كان[٨] وَضْعَ الشيء[٩] موضعه.

**﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **أم حسبتم أن تُترَكوا ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا**، وقوله أيضا:[١٠]

---

[١] ن – لما.

[٢] م – الذي كان في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله بإسلامهم يسلمون فيكونون إخوانا أو يقتلون ويهلكون فيذهب عنهم الغضب.

[٣] ع م + في قلوبهم.

[٤] ع م – منهم.

[٥] ن + أنهم.

[٦] ع م – عليه وشاء أن يتوب على.

[٧] جميع النسخ: وضع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢و.

[٨] ع م: كأنه.

[٩] م: وضع كل شيء.

[١٠] ع – أيضا.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا[1] مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ،[2] **وقوله** أيضا:[3] أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ،[4] الآية، **وقوله:** الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا،[5] الآية، هذه الآيات كلها في المنافقين الذين أظهروا الإيمان باللسان وأَرَوا المؤمنين الذين حقّقوا الإيمان وأخلصوا الإسلامَ الموافقةَ[6] لهم، فقال: **أم حسبتم أن تُترَكوا،** على ما أظهرتم من الإيمان[7] باللسان،[8] فلا تُبتَلَوْا[9] بالقتال؟ جعل الله تعالى القتال مع الكفرة -والله أعلم- وأمر به لمعنيين. أحدهما تطهيرا للأرض من الكفر، كقوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.[10] والثاني امتحانا للمنافقين ليتبيّن نفاقُ مَن أظهر الإيمان باللسان مراءاةً، وصدقُ مَن أظهره حقيقةً،[11] ليُعرَف المحقّق المخلص من المنافق [٢٩٩ظ] المرائي. لأن / القتال[12] هو مِن أرفع[13] الأعلام[14] [التي] يظهر بها نفاق المنافق، لأنهم إنما كانوا يُظهِرون الموافقة لهم طمعا في الدنيا،[15] لتَسلَم[16] لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها. ففي الأمر بالقتال خوف الهلاك، فإذا خافوا الهلاك على أنفسهم امتنعوا عنه، كقوله:[17] قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا،[18] الآية، خوفا وإشفاقا على أنفسهم.

---

[1] م - وقوله أيضا أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا.
[2] سورة آل عمران، ٣/١٤٢.
[3] ع م: وأيضا قوله.
[4] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكُمْ مَثَلُ الذين خَلَوْا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤).
[5] ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتَنون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١-٢).
[6] جميع النسخ: والموافقة.
[7] ن - من الإيمان.
[8] ن: من اللسان.
[9] جميع النسخ: فلا تبتلون.
[10] سورة الأنفال، ٨/٣٩.
[11] ن: أظهر وحقيقة.
[12] ع: أن القتال.
[13] م: هو أرفع.
[14] ك ن م: أعلام؛ ع: بإعلام.
[15] م: طمعا لهم الدنيا.
[16] جميع النسخ: ليسلم.
[17] ك: لقوله.
[18] ﴿قد يعلم الله المُعَوِّقِين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٨).

لِما ذكرنا أنهم إنما كانوا يُظهِرون الإيمان باللسان ليَسلَم لهم ما طمعوا من المنافع، كقوله: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[١] الآية. هذا وصف المنافق. وأما المؤمن المحقّق للإيمان المخلص للإسلام، فإنه يُسلِم نفسه لله في جميع أحواله وإن كان فيه تَلَفُ نفسِه، لِما لم تكن[٢] عبادته لله[٣] على حَرْف ووَجْه كالمنافق، ولكن على الوجوه كلها والأحوال جميعا، عبادته تكون[٤] لله، لا يمنعه[٥] خوف الهلاك عن القتال، بل نفسه تَسْخُو[٦] لذلك وترضى، ولا كذلك المنافق. وقد ذكرنا أن حرف الاستفهام[٧] من الله يكون على الإيجاب والإلزام.[٨]

ثم قوله: **أم حسبتم،** يحتمل وجهين. أحدهما أي قد حسبتم **أن تُترَكوا،** على ما أظهرتم من الموافقة والخلاف في السرّ ولا تُبتَلَوْا[٩] و[لا] تُمتَحَنوا[١٠] بما يُظهِر[١١] عنكم ما أضمرتم،[١٢] فلا تحسبوا ذلك. والثاني **أم حسبتم،** أي لا تحسبوا، **أن تُترَكوا،** على ذلك ولا تُمتَحَنوا بالجهاد والقتال. أحد التأويلين يخرج على النهي، والثاني على الإخبار عما حسبوا وعما عندهم.

ثم قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم،** أي ليعلم من قد علم أنه يجاهد مجاهدا، ويعلم ما قد علم أنه يكون كائنا، لا على حدوث عِلمِه بذلك، إذ هو موصوف بالعلم بكل ما يكون في وقت ما يكون على ما يكون.[١٣] فيكون قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم،** أي ليعلم من قد علم أنه يجاهد مجاهدا، ويعلم[١٤] ما قد علم أنه يكون كائنا؛ لأنه لا يجوز أن يوصف الله بالعلم بما ليس يكون أنه يعلمه كائنا، كما لا يجوز أن يوصف أنه يعلم مِن الجالس القيامَ في حال جلوسه،

---

[١] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ فإن أصابه خيرٌ اطْمَأنّ به وإن أصابته فتنةٌ انْقَلَب على وَجْهه خَسِر الدنيا والآخرة ذلك هو الخُسْران المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[٢] ع م: لم يكن.

[٣] ك ن: الله.

[٤] ك: يكون.

[٥] ن ع: لا تمنعه.

[٦] ن: تسخوا.

[٧] ك: أن الاستفهام.

[٨] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٩٣.

[٩] ك ع م: ولا تبتلون؛ ن: لا تبتلون.

[١٠] جميع النسخ: وتمتحنون.

[١١] جميع النسخ: ما يظهر.

[١٢] جميع النسخ: مما أضمرتم.

[١٣] ن – على ما يكون.

[١٤] ع: أو ليعلم؛ م: وليعلم.

ومِن المتحرّكِ السكونَ في حال حركته، ومِن المتكلِّم السكوتَ في حال كلامه، إنما يوصف بالعلم على الحال التي الخَلْقُ عليه، لا يوصف بالعلم في حالٍ غيرِ الحال التي هو عليه. **والله الموفق**. ويحتمل هذا وجها[١] آخر، أن فيما أضاف العلم إلى نفسه كان المراد منه أولياءه، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ،[٢] أي إن تنصروا أولياء الله[٣] ينصركم،[٤] أو إن[٥] تنصروا دينه ينصركم، أو إن[٦] تنصروا رسوله ينصركم. فعلى ذلك قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم**، أي ليعلم أولياؤه المنافقَ المرائي والمؤمن المحقّق المخلصَ، وليتبيّن لهم، وكقوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ،[٧] أي يخادعون أولياءه، إذ الله لا يخادَع ولا ينصر، إذ هو ناصر كل أحد، ولا يخفى عليه شيء، عالمٌ بما يكون في وقت ما يكون. أو أن يكون المراد من العلم[٨] الذي ذكر المعلومَ،[٩] وذلك جائز، في اللغة جارٍ، وفي القرآن كثير.

وقوله عز وجل: **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وَلِيجَة**، أي لم يجدوا[١٠] ملجأ يلجئون إليه من دون ما ذكر، ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك، ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا، كقوله: وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً،[١١] الآية، أخبر أنهم لو وجدوا ملجأ يلجئون إليه لَوَلَّوْا،[١٢] ولا يُظهِرون ذلك. وقوله:[١٣] **وَلِيجَة**،

[١] ن: وجهان.
[٢] سورة محمد، ٤٧/٧.
[٣] ن: أولياءه؛ م - الله.
[٤] ع - أي إن تنصروا أولياء الله ينصركم.
[٥] ن: وإن.
[٦] ن: وإن.
[٧] سورة البقرة، ٢/٩؛ وسورة النساء، ٤/١٤٢.
[٨] ن + العلم.
[٩] م: العلوم. وهو تكرار لما سبق في القول الأول بعبارة مغايرة، أي يوصف الله بالعلم على الحال التي يكون المعلوم -أي الموجودات كلها- عليها، لا على غير تلك الحال، وإن كان يعلم بجميع ما يكون على ما يكون. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٢و.
[١٠] ك: ل[م] يجدون.
[١١] ﴿ويحلفون بالله إنهم لَمِنكُمْ وما هم منكم ولكنهم قوم يَفرَقُونَ لو يجدون مَلْجَأً أو مَغاراتٍ أو مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إليه وهم يَجْمَحُون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٦-٥٧).
[١٢] ك م: ولولوا؛ ن: ولولو.
[١٣] ع - ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي لم يجدوا ملجأ يلجئون إليه من دون ما ذكر ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ الآية أخبر أنهم لو وجدوا ملجأ يلجئون إليه لولوا ولا يظهرون ذلك وقوله.

قال بعض[1] أهل الأدب:[2] الوَلِيجَة: البِطانة من غير المسلمين، وأصلها من الوُلُوج، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دَخِيلا من المشركين وخَلِيطا وودّا،[3] وجمعه الوَلَائِج. وقال بعضهم:[4] الوَلِيجَة أصلها من الدخول، كقوله: حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ،[5] يقال أيضا: فلان وَلِيجَة فلان، أي خاصّته. وقال بعضهم: الوَلِيجة: الخيانة. وقال بعضهم: الوَلِيجَة ما يُلجَأ إليه.[6] وقال بعضهم: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وَلِيجَة. وبعضه قريب من بعض. **والله خبير بما تعملون**، هو على الوعيد[7] خرج.

**﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر**، قال بعض أهل التأويل: نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب أنه أُسِر يوم بدر، فأقبل ناس من المهاجرين والأنصار منهم علي بن أبي طالب وغيره، فعيّروه بالكفر بالله والقتال مع النبي[8] وقطيعة الرحم، فقال: مالكم تذكرون مساوئنا وتذرون محاسننا؟ فقالوا: أولكم[9] محاسن؟ قال: إي والله، إنّا لَنَعْمُرُ المسجد الحرام، ونَحْجُب البيت، ونسقي الحاج، ونَفُكّ[10] العاني،[11] فأنزل الله [ذلك] ردا عليه.[12] لكن في آخر الآية دلالة أنه لا يحتمل أن يكون[13] في العباس على ما قالوا،

---

[1] ن: بعضهم.
[2] ن – أهل الأدب، صح هـ.
[3] الودّ بمعنى المُحِبّ، ويجوز في الواو الضم والفتح والكسر (*لسان العرب* لابن منظور، «ودد»).
[4] ع م: البعض.
[5] سورة الأعراف، ٧/٤٠.
[6] ع م – إليه.
[7] ن ع م: هو الوعيد.
[8] ن: مع رسول الله.
[9] م: ولكم.
[10] ن ع: ونفد؛ م: ونفل.
[11] ع: المعاني. والعاني: الأسير (*لسان العرب* لابن منظور، «عنا»).
[12] ذكره القرطبي بدون إسناد أو عَزْو؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٨٩. لكن روي هذا في سبب نزول الآية الآتية برقم ١٩، وفيها ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٩٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٤٥. والسياق واحد. فيحتمل أن تكون هذه الآيات نزلت في نفس القصة. والله أعلم.
[13] ك: أن تكون.

لأنه قال: **أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون**، والعباس قد أسلم مِن بَعد، فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الإسلام. وقال غيرهم من أهل التأويل: قوله:[1] **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، أي ما كان بالمشركين[2] عمارة مساجد الله، إنما كان بهم خراب مساجد الله، لأن المساجد[3] إنما تُعْمَر بالذكر فيها والصلاة وإقامة الخيرات، كقوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ،[4] الآية، وهم لم يَعْمُرُوها لذكر[5] اسم الله فيها، إنما عَمَروها لذكر الأصنام والأوثان، فكان بهم خراب المساجد،[6] لا العمارة. وقال بعضهم: قوله: **ما كان**، ينبغي، **للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، على ما عندهم، لأن الذي منعهم عن الإيمان بالله حبّهم الدنيا وميلهم إليها، فما ينبغي لهم أن يَعْمُرُوها وينفقوا عليها[7] ويُضيعوا[8] أموالهم فيها ولا ينتفعوا،[9] إذ الذي[10] منعهم عن التوحيد والإيمان بالله[11] حبّهم الدنيا وشهواتهم وميلهم إليها، فعلى
[٣٠٠و] ما عندهم ما ينبغي لهم أن يَعْمُرُوها. وقال بعضهم: قوله: / **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، أي **ما كان**، على، **المشركين أن يعمروا مساجد الله**،[12] لأنهم لا ينتفعون بها في الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وإنما يُقصَد بعمارة المساجد والإنفاق عليها الثوابُ في الآخرة، وهم لا يؤمنون بها، فتضيع نفقتهم في ذلك، إذ لا مقاصد لهم فيها[13] ولا منفعة، إنما ذلك على المسلمين، ويجوز "له" بمعنى "عليه"، كقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[14] أي فعليها. وقوله: **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، يحتمل هذا؛

---

[1] ع م: وقوله.
[2] ك: للمشركين.
[3] ع م: إن المساجد.
[4] ﴿في بيوت أذن الله أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغُدُوّ والآصال. رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٦-٣٧).
[5] ن – فيها والصلاة وإقامة الخيرات كقوله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية وهم لم يعمروها لذكر.
[6] ع م: المسجد.
[7] جميع النسخ: وينفقوها.
[8] جميع النسخ: ويضيعون.
[9] جميع النسخ: ولا ينتفعون.
[10] ع: إذا الذي؛ م – إذ الذي.
[11] م – بالله.
[12] ن – أي ما كان على المشركين أن يعمروا مساجد الله.
[13] ع م – فيها.
[14] سورة الإسراء، ١٧/٧.

أي ما كان بالمشرك عمارة[١] مساجد[٢] الله، إنما يكون عمارته بمن آمن[٣] بالله واليوم الآخر، لا بمن أشرك بالله وكفر بالآخرة.

وقوله: **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، قال بعضهم: **شاهدين على أنفسهم**، أي على نفس محمد ومن آمن[٤] معه، سماهم أنفسهم لأنهم من قرابتهم وأرحامهم. وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك، كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٥] وقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[٦] فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا. أو **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، عند الضرورات، عند نزول العذاب بهم وعند الهلاك، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[٧] الآية، وغير ذلك من الأحوال التي كانوا [فيها] يقرّون بالكفر ويرجعون[٨] عنه، شهدوا عليهم بالكفر. وقال[٩] بعضهم: قوله: **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، أي أنفسهم تشهد بالكفر عليهم،[١٠] لأن خلقتهم تشهد على وحدانية الله، وأنفسهم تشهد على فعلهم بالكفر، وهو كما قال[١١] تعالى: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ،[١٢] قيل: بل الإنسان من نفسه بصيرة، أي [على] بيان من نفسه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أولئك حبطت أعمالهم**، إلى آخر الآية، في قوم ماتوا على الكفر.

**﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾**[١٨]

وقوله: **إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**، [يحتمل] الوجوه التي ذكرنا[١٣] في قوله: مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ.[١٤] إن لم يكن عليهم فذلك كله على المسلمين،

---

[١] ك + هذا.
[٢] ع م – مساجد.
[٣] ك: ممن آمن.
[٤] ك – آمن.
[٥] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[٦] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).
[٧] ﴿فلما رَأَوْا بأسنا قالوا آمنا بالله وَحْدَه وكفرنا بما كُنّا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).
[٨] م: يرجعون.
[٩] ن: وقوله.
[١٠] ك: عليهم بالكفر.
[١١] جميع النسخ: ما قال؛ ك ن + الله.
[١٢] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[١٣] ع: ما ذكرنا.
[١٤] الآية السابقة.

أي عليهم عمارة المساجد، وبهم تُعْمَر[1] المساجد، ولهم ينبغي أن يَعْمُرُوها. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة**، قد ذكرنا فيما تقدم.[2]

وقوله عز وجل: **ولم يَخْشَ إلا الله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**،[3] أمر أن يخشوا الله ولا يخشوا[4] غيره. ثم ذكر هاهنا: **من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله.**[5] وقال بعضهم: الخشية العبادة، كأنه قال: ولم يعبد إلا الله. **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**، و"عسى"[6] من الله واجب، أي كانوا مهتدين.

**﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[١٩]

وقوله: **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر.** في الآية إضمار فِعْل أو فاعل لكي تصحّ[7] المقابلة، لأنه إنما يُقابَل فِعْل بفِعْل أو فاعل بفاعل، لا يقابل فِعْل بفاعل ولا فاعل بفِعْل، فهاهنا ذكر السقاية وعمارة المسجد مُقابِل من آمن بالله، **فهو** -والله أعلم- **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام**، كإيمان من، **آمن بالله واليوم الآخر.** أو أن يُقال: أجعلتم القائم بإصلاح سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن **بالله**، ليكون مقابلة شخص بشخص أو فعل بفعل. ثم لا يصحّ أن يُجمَع[8] بين الكافر **والمؤمن** فيقال: لا يستويان عند الله وإن كان الكافر قد أتى بالمحاسن، إلا أن يقال: أنْ ليس[9] **مَن** فعل محاسن[10] في حال كفره ثم آمن مِن بعد[11] كمن آمن[12] وفعل[13] محاسن[14] **وهو مؤمن.**

---

[1] ع: تعمير؛ م: بهم يعمر.
[2] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة التوبة، ١١/٩.
[3] سورة التوبة، ١٣/٩.
[4] ع: ولا يخشو.
[5] ن + ثم ذكر هاهنا من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة و لم يخش إلا الله.
[6] جميع النسخ: والعسى.
[7] ن م: لكي يصح؛ ع: لكن يصح.
[8] م: أن تجمع.
[9] م: يقال ليس.
[10] جميع النسخ: محاسنا.
[11] ع م: من بعده.
[12] ع – آمن.
[13] م: كمن فعل.
[14] جميع النسخ: محاسنا.

هذا يجوز أن يُجمَع فيقال: **لا يستوون عند الله**. وأما الكافر الذي مات على الكفر وإن عمل خيرات والمؤمنُ الذي عمل الصالحات فمات على ذلك فيُجمَع فيُقال: لا يستويان، فلا. أو أن يقابل[1] بالجهاد الذي ذكر، لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف ومن[2] سقى[3] الحاجّ وعمر المسجد الحرام و لم يبذل نفسه لذلك. فأما أن يُقال: لا يستوي الكافر والمؤمن، فذلك غير محتمل، لأنه إنما يُقابَل[4] الشيء بالشيء إذا قَرُب بعضه من بعض، وأما عند[5] البُعد منه فلا يُقال ولا يُقابَل.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الظالمين**، ماداموا في ظلمهم، وما داموا اختاروا الظلم لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم. أو لقوم[6] مخصوصين. وقد ذكرنا[7] معناه في غير موضع.[8]

**﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[٢٠]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله**، قوله: **آمنوا**، أي صدّقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن الله أنه صادق وفي جميع ما دعا إليه وأمرهم به ونهاهم عنه أنه مُحِق. وإلا كانوا مؤمنين بالله. كقولهم:[9] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[10] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ،[11] كانوا مؤمنين بالله. لكنهم يكذّبون الرسل[12] ورسالتهم. [وقوله: **وهاجروا**،] أي فارقوا[13] آباءهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم ومنازلهم وبلدهم، هاجروا جميع ما تحبه[14] أنفسهم وتهواه وتميل إليه القلوب،

---

[1] ع م: أن يقال.
[2] جميع النسخ: كمن.
[3] ن: يسقي.
[4] ع: إنما يقاتل.
[5] م: وأما عندنا.
[6] ع: أو القوم.
[7] ن: وقد ذكرناه.
[8] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة آل عمران، ٨٦/٣.
[9] ع: كقوله.
[10] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[11] سورة يونس، ١٨/١٠.
[12] ن: للرسل.
[13] ع: إذا فارقوا.
[14] ن: ما تحبهم.

[وذلك][1] ما ذكر في الآية التي تتلو هذه الآية،[2] وفارقوا ذلك الكل إشفاقا على دينهم لِيَسلَم. ما لو أُعطُوا قبل الإسلام الدنيا وما فيها أو أُوعِدوا[3] بكل وعيد وخوف ما فارقوا آباءهم[4] وإخوانهم وعشائرهم وأولادهم الذين ذكر في الآية، ثم إذا أسلموا فارقوهم وأجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضاة[5] الله وطلبا لرضوانه. [أخبرنا بذلك] لِيُعلَم عظيمُ[6] قدرِ الدين في قلوبهم / وخطيرُ منزلتِه عندهم، [و]لِيُعلَم أنّ مِحَنَ أصحابِ رسول الله أعظمُ وأشدُّ من مِحَنِنا، [٣٠٠ظ] لأن مِحَنَهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف ما طُبِعوا [عليه]، لأن الإنسان مطبوع على حب ما ذكرنا مجبولٌ عليه، فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحمّلوا كراهة ذلك ابتغاء مرضاة[7] ربهم،[8] وأما مِحَنُنا فإنها على ما سبق[9] من العادة، فهي[10] أهون وأيسر.[11]

وقوله: **وجاهَدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم**، أي بذلوا لله[12] ألذّ الأشياء وأحبّها، وهي[13] الأموال والأنفس.

وقوله عز وجل: **أعظم درجة عند الله**، قال بعض أهل التأويل: من صدّق بتوحيد الله وهاجر إلى المدينة وجاهد العدو بماله ونفسه،[14] **أعظم درجة عند الله**، من الذي افتخر بعُمْران البيت وسقاية الحاجّ وهم كفار. وكذلك قالوا في قوله:[15] أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ.[16]

---

[1] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ن – الآية؛ ع + التي. لعله يشير إلى الآية رقم ٢٤.
[3] ن ع م: إذ أوعدوا.
[4] ع + وطلبا لرضوانه.
[5] م: مرضات.
[6] ن ع م: عظم.
[7] ن م: مرضات.
[8] ن: الله.
[9] ع م: على سبق.
[10] ك: فهن؛ ن ع م: فهو.
[11] ك: أيسر وأهون.
[12] ع: الله.
[13] ع: واجتهاد بين؛ م: بين.
[14] جميع النسخ: بأموالهم وأنفسهم.
[15] ن: وقوله.
[16] الآية السابقة.

ولكن الوجه في ذلك عندنا[١] ومعنى المقابلة: أولئك الذين ذكر **أعظم درجة عند الله**، من الذين أسلموا مِن بعد[٢] ولحقوا[٣] أولئك.

وقوله: **وأولئك هم الفائزون**، الفوز هو الظفر في اللغة، أي أولئك هم الظافرون[٤] بنعيم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونِقْمته.

**﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾**[٢١]

**يبشّرهم ربهم برحمة منه**، يحتمل قوله: **يبشّرهم ربهم برحمة منه**، أي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم، كقوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ،[٥] إلى آخر ما ذكر، كله إنما كان برحمته. ويحتمل **برحمة منه**،[٦] الثواب لهم في الآخرة والكرامة.

وقوله عز وجل: **ورضوان**، أي يبشّرهم أيضا أن ربكم عنكم[٧] راضٍ. **وجنات هم فيها نعيم مقيم**، أي يبشّرهم[٨] بجنات **هم فيها نعيم مقيم**، دائم، وكرامة.

**﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[٢٢]

**خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**، قال الحسن:[٩] ما سمّى الله عظيما فهو عظيم لا يُدرَك عِظَمُه.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[٢٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون**، يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين،

---

[١] ك: عندنا في ذلك.
[٢] ع م – من بعد.
[٣] ن: وسحقوا؛ ع م: ويحقوا.
[٤] م: الكافرون.
[٥] سورة التوبة، ١٤/٩.
[٦] ع م – برحمة منه.
[٧] م: بمسكم.
[٨] ع: أي بشرهم.
[٩] ك: الله.

ومن تولاّهم في الحقيقة فهو منهم، وهو ظالم لا شك.[1] فإن كان هذا فهو ظالم لا شك، فلم يكن لقوله: **ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**،[2] معنى. ويحتمل الولاية إظهار الموافقة لهم في الظاهر على غير حقيقة، لكن [فيه] إظهار[3] على غير حقيقة،[4] [وذلك] يُباح في حال اضطرار عند خوف الهلاك وذهاب الدين. فيجوز أن يكون قوم أسرّوا[5] الإيمان في أنفسهم وكتموه، ويُظهِرون الموافقة لهم في الظاهر إشفاقا على دينهم وخوفا على أنفسهم، فيباح لهم ذلك لما ذكرنا. فلمّا أن جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين مأوى وأنصارا يلجئون ويأوُون إليهم لم يُعذَروا في إظهار الموافقة لهم، وإن كانوا في السرّ ليسوا على دينهم، لما ذكرنا. فهذا يدل على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه في غير اضطرار يصير كافرا، على ما جعل هؤلاء أولياء الكفرة حقيقة ظَلَمَةً مثلهم إذا تَوَلَّوْهم[6] في الظاهر وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك.[7] وهذا أشبه. وهو كما قال[8] عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ،[9] الآية، لم يُعذَروا في تركهم الهجرة. فعلى ذلك هؤلاء إذا أظهروا[10] الموافقة لهم بعدما جعل لهم المأوى والأنصار صاروا هم في الحقيقة كذلك. [وقد] نهانا [الله تعالى] عن موالاة[11] الكفرة جملة بقوله: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ،[12] وقال: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[13] هذا النهي لنا في جملة الكافرين.

---

[1] ك – لا شك.

[2] ع – يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين ومن تولاهم في الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك فإن كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.

[3] ع: إظهارا.

[4] ع – لكن إظهارا على غير حقيقة.

[5] ن: أمروا.

[6] جميع النسخ: إذا تولاهم.

[7] ن: كذا.

[8] جميع النسخ: ما قال.

[9] ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كُنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ (سورة النساء، ٩٧/٤).

[10] ع: إذا ظهروا.

[11] ن: عوالاة.

[12] ع م + كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تُقَاةً ويحذّركم اللهُ نفسَه وإلى الله المصير﴾ (سورة آل عمران، ٢٨/٣).

[13] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلْقُون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرِجون الرسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربّكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تُسِرُّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة الممتحنة، ١/٦٠).

ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بقوله:[١] لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.[٢] ثم نهانا أن نوالي المتّصلين من الآباء والأمهات وغيرهم من القرابات لما يقع[٣] الشبه في موالاة المختصّين بهم،[٤] فخص النهي فيه. وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى، لما بيننا وبينهم موافقة في التوحيد والكتب، فخص النهي في ذلك. ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه. أحدها المودة والمحبة، أي لا تودُّوهم ولا تحبوهم. والثاني أن لا تتخذهم موضع سرّنا وبطانتنا،[٥] كقوله: لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً،[٦] الآية. والثالث ولاية الطاعة لهم، أي لا تطيعوهم، كقوله: إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ،[٧] الآية، وقوله: إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ.[٨] نهانا أن نحبهم ونودّهم، ونهانا أيضا أن نتخذهم موضع سرّنا ونفشي إليهم سرائرنا، ونهانا أن نطيعهم فيما يدعوننا إليه[٩] -والله أعلم- للخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين. وقوله عز وجل: **إن استحبوا الكفر على الإيمان**، أي اختاروا الكفر على الإيمان، والمحبة هاهنا محبة الاختيار والإيثار.

**﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[٢٤]

وقوله عز وجل: **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها**، هو مقابل قوله: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،[١٠] إلى آخره.*

---

[١] جميع النسخ: كقوله.

[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥١).

[٣] ك: لما يقع يقع.

[٤] ن: لهم.

[٥] ك: بطانتنا وسرنا.

[٦] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٨).

[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٠).

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٩).

[٩] جميع النسخ + ويسرون.

[١٠] ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٠).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٠ظ/سطر ٣٨-٣٠١و/سطر ١.

ودل ما ذكر في قوله: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم،** على أن المراد من قوله: لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ، الآباء والأبناء جميعا، وَإِخْوَانَكُمْ،[1] الإخوان وجميع المتصلين بهم، دليله ما ذكر في آخره حيث قال: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم،** ذكر الأبناء والأزواج والعشيرة.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **وأموال اقترفتموها،** قال بعضهم: اكتسبتموها. وقال أبو بكر الأصم: **وأموال اقترفتموها،** أي أموال جعلوها حلالا وحراما، ويقولون: الله أذن لنا في ذلك، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا [قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ].[3] وقوله عز وجل: **وتجارة تخشون كسادها،** كانوا يخشون فواتها وذهابها، لا الكساد [فقط]، إذ في الهجرة تركها رأسا.

[٣٠٠ظ س٣٨] * وقوله عز وجل: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم،** وما ذكر، أي إن كان طاعة **هؤلاء** ورضاهم، **أحب إليكم من،** طاعة، **الله و** طاعة، **رسوله،** ورضاه، **و** أحبّ من، **جهاد في سبيله**

[٣٠١و] **فتربصوا حتى يأتي الله بأمره،** هو حرف وعيد، أي انتظروا / **حتى يأتي الله بأمره،** أي بعذابه.

[٣٠١و س١] قال أهل التأويل: حتى يأتي بأمره في فتح مكة.*

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لقد نصركم الله في مَوَاطِنَ كثيرة ويوم حُنَين،** أي نصركم في مواضع[4] **كثيرة** كان [فيها] فَزَعُكم إلى الله تعالى، و نصركم **يوم حُنَين** أيضا بعدما هزمكم العدو بإعجابكم الكثرة بصَرْفكم الفزعَ إلى الله. و نصركم أيضا **يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئا،** يعني الكثرة. يُذَكِّرهم[5] عز وجل منته[6] عليهم وفضله أن النُّصْرَة والظفر متى كان إنما كان بالله،[7] لا بكثرتهم وقوتهم، لأنه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين قوة وكثرة ما كان[8] يوم حنين،

---

[1] الآية السابقة.

[2] ك: والعشرة.

[3] ك ن ع + ويقولون الله أذن لنا في ذلك؛ م + ويقولون أذن لنا في ذلك. وانظر للآية: سورة يونس، ٥٩/١٠.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٠ظ/سطر ٣٨-٣٠١و/سطر ١.

[4] ع: في مواطن.

[5] ن: يذكر.

[6] ك ن ع: مننه.

[7] ك: الله.

[8] ع: وما كان.

ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لإعجابهم الكثرة واعتمادهم عليها،[١] لِيُعلَم أن النُّصْرَة والظفر إنما يكون بالله، لا بالقوة والكثرة، لأن لا يعتمدوا على الكثرة ولا يَكِلوا إليها.

فإن قيل: قد أمرنا بأخذ العُدَّة والقوة ما استطعنا بقوله: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[٢] الآية، فإنما أمرنا بما يُعْجِبنا، فما معنى النهي عن الإعجاب بالكثرة والقوة؟ وكذلك نهانا عن الأَسَى على ما[٣] فاتنا، ونهانا أن[٤] نفرح بما يؤتينا،[٥] وقد كلّفنا الشكر لما آتانا[٦] والصبر على ما فات عنا،[٧] فلو لم نفرح بما آتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر بما فاتنا، فما معناه؟

[قيل:] معناه[٨] -والله أعلم- أنه نهانا أن نفرح بما يؤتينا لنفس[٩] الإيتاء وتَأَسَى[١٠] لنفس ما يصيبنا ويفوتنا، إنما علينا أن نفرح بفضل الله ومنّته الذي[١١] منّ علينا وخصّنا به، وعلى ذلك نشكره، وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا، لِما جعل لنا لذلك ثوابا في الآخرة وأجرا عظيما. وكذلك الكثرة أمرنا بها، فإذا آتانا ذلك يُعْجِبُنا فضلُ الله ومنته[١٢] في ذلك الكثرة، لا الكثرة لنفسها والقوة. *والله أعلم*.

فإن قيل: الإعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل، فكيف هُزِم الكل؟ وكذلك العصيان يوم حُنَيْن إنما كان من بعضٍ، كيف عاقب الجميع؟

قيل: لأن له أن يُتلِف الكل ابتداء؛ ألا ترى في أمر الواحد القيام لاثنين،[١٣] ثم في الأمر بالجهاد أمرا[١٤] على غير وُسْع، ولا كذلك في سائر العبادات، لأنه أَمَر الواحد القيام لاثنين[١٥] منهم،

---

[١] جميع النسخ: بها.
[٢] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[٣] جميع النسخ: التأسي بما. الأسى بمعنى الحزن، والتأسي بمعنى الاقتداء (*لسان العرب* لابن منظور، «أسى»).
[٤] ن: ونهانا عن أن.
[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لكي لا تَأْسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلَّ مُختالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٣).
[٦] ك: لما أتينا.
[٧] م – عنا.
[٨] ن م – معناه.
[٩] ع: النفس.
[١٠] جميع النسخ: ونتأسى.
[١١] ك: التي.
[١٢] ك ن ع: ومننه.
[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ الله عنكم وعَلِم أنَّ فيكم ضَعْفًا فإن يَكُنْ منكم مائة صابرة يَغلِبوا مائتين وإن يَكُنْ منكم أَلْفٌ يَغلِبوا أَلْفَيْن بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٦).
[١٤] ك ع م: أمر.
[١٥] ن – ثم في الأمر بالجهاد أمرا على غير وسع ولا كذلك في سائر العبادات لأنه أمر الواحد القيام لاثنين.

وليس في وُسْع أحد القيام لاثنين. فهو –والله أعلم– لِما أن له أن يكلّف قتل أنفسهم وإتلافها؛ ألا ترى[1] أنه قال: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ،[2] الآية، ولو لم يجز له أن يكتب قتل أنفسهم لم يكن ليذكره. دلّ أن ذلك له، وأن له أن يميتهم ويهلكهم. فعلى ذلك له[3] أن يأمر بقتل أنفسهم. فإذا كان له ذلك –إذ في وُسْعهم قتلُ أنفسِهم– فعلى ذلك له[4] أن يكلّف[5] الواحد القيام لاثنين ولعدد، وإن كان في ذلك تَلَفُ أنفسِهم. وكذلك أمرنا بمجاهدة الشيطان عدونا، وأخبر أنه يرانا ولا نراه[6] نحن[7] بقوله: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ،[8] والمحاربة مع عدو لا نراه وهو يرانا أمر صعب شديد. لكن الله علّمنا أسباب ما نحارب معه ونجاهده فنغلبه. وقال في الشياطين: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[9] وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[10] الآية. علّمنا أسبابا نقاتل[11] بها الشيطان فنغلبه ونقهره. وما ذكر مِن ذِكره لا يقوم هو لذلك.[12] وكذلك قال في العدو الذي نراه من البشر، حيث قال: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا،[13] وقال: وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ،[14] قد علّمنا أسباب الجهاد معه[15] وأعلمنا الحيل التي تُجَوِّز لواحدٍ القيامَ لاثنين فصاعدا بالحيل، وإن لم[16] يكن لنا[17] الوُسْع[18] به بالقوة نفسها.

---

[1] ك: ألا يرى.
[2] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يُوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).
[3] م – له.
[4] ك ع – له.
[5] ع: لا يكلف.
[6] جميع النسخ: ولا نراهم.
[7] ن – نحن.
[8] ﴿يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبَوَيْكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهما سوآتهما...﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧).
[9] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٣٦.
[10] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[11] ن: نقابل.
[12] أي إن الشيطان لا يستطيع أن يقوم أمام ذكر الله تعالى والتعوّذ به وتزول قوته.
[13] سورة الأنفال، ٨/٤٥.
[14] سورة الأنفال، ٨/٤٦.
[15] أي مع العدو البشري.
[16] م: وإذا لم؛ ع: وإذ لم.
[17] جميع النسخ: له.
[18] م: الواسع.

ثم الفرق[١] بين الجهاد وبين غيره من العبادات لِما يحتمل أنْ جعل[٢] الله الجهاد آية من آيات الحق أو الرسالة،[٣] ليعلم الخلائق أن النصر والظفر كان بالله لا بغيره، ليظهر الحق من الباطل والمُحِقّ من المبطل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ**، هذا على التمثيل. يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها الغاية والنهاية:[٤] ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت، يقال ذلك لِسَعة الأرض في أوهام الخلق.[٥]

**﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **ثم أنزل الله سَكِينته على رسوله وعلى المؤمنين**، قال بعضهم: السكينة الملائكة، كقوله: وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ،[٦] الآية. وقال بعضهم: أنزل سكينته، أي نصرته، وقيل: وقاره، وقيل:[٧] رحمته، وقيل: طُمَأْنِينَته.[٨] وأصله: سكنت قلوبهم واطمأنّت بعد شدة الخوف والحزن بأي وجهٍ ما تسكن، بالملائكة أو بغيره. فأَسْكَنَ[٩] قلبَ رسول الله لمّا اشتدّ[١٠] عليه رجوعُ / أصحابِه ومفارقتُهم إيّاه. **وأنزل جنودا لم تروها**، [٣٠١ظ] وهم الملائكة، **وعذّب الذين كفروا**، بالقتال والهزيمة. وذلك جزاؤهم.

وفي قوله: **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**، دلالةُ نقضِ[١١] قول المعتزلة؛ لأنه[١٢] سماهم مؤمنين بعدما كان منهم التولّي، والتولّي لم يخرجهم من الإيمان على ما قالوا.[١٣]

[١] ن + بينه.
[٢] ك: أن يجعل.
[٣] م: والرسالة.
[٤] ن ع م – الغاية والنهاية.
[٥] ع: أوها لخلق.
[٦] ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم مِن فَوْرِهم هذا يُمْدِدْكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين...﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٢٥-١٢٦).
[٧] ع م – وقيل.
[٨] ع: طمأنينة.
[٩] ك: وأسكن.
[١٠] ع م: لما اشتدت.
[١١] ن – نقض.
[١٢] ك: لأنهم.
[١٣] جميع النسخ: ما قال.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢٨]

[٣٠١ظ س٣٨] * وقوله: **إنما المشركون نَجَسٌ**، أي أفعال المشركين نَجَس، والعبادات التي يأتون فيها نَجَس.
[٣٠٢و] وهو ما ذكر حيث قال: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ / الشَّيْطَانِ،[١] صيّر عمل الشيطان رجسا. فعلى ذلك العبادات التي يقيمونها نجسة. فالنهي عن الحج **نهي** عن إقامة العبادات لغير الله، لأن تلك البقعة نُزِّهت عن إقامة العبادة لغير الله. ثم اختلف في قوله: **إنما المشركون نَجَس**، قال بعضهم: هم[٢] نَجَس الأفعال. وقال بعضهم: هم[٣] نَجَس الأحوال. والأشبه أن يكونوا[٤] نَجَس الأفعال، لأن قوله: **إنما المشركون نَجَس**، يخرج مخرج الذم، ولا يحتمل أن يُذَمُّوا ويُشتَموا بنجاسة الأحوال. دلّ أنه إنما لحقهم ذلك الذم بما اكتسبوا من الأفعال الذميمة. وهو كقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، أخبر[٥] أن عمل الشيطان رجس ونجس؛ فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **إنما المشركون نَجَس**، أي نجسة الأفعال، لأن ذلك من كسبهم، فاستوجبوا المَذَمَّة لكسبهم.
[٣٠٢و س٧] وأما الأحوال فلا صنع لهم فيها.*

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**، اختلف فيه. قال بعضهم: النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه. وعندنا أن النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن دخول مكة نفسها[٦] للحج وإقامة العبادات.[٧] دليله وجوه. أحدها قوله: **بعد عامهم هذا**، ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام أحق عن المنع في دخوله من غيره.[٨] والثاني قوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغنيكم الله من فضله.**

---

[١] سورة المائدة، ٥/٩٠.
[٢] ع م: هو.
[٣] ن – هم؛ م: هو.
[٤] ن: أن يكون.
[٥] ع + أنهم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠١ظ/سطر ٣٨-٣٠٢و/سطر ٧.
[٦] ك ع م: نفسه.
[٧] ع: العباداة.
[٨] م: في غيره.

والثالث قوله: «ألَا لا يحجَنّ بعد العام مشرك».[١] وفي آخر الآية دلالة ذلك، لأنه قال: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**،[٢] وخوف العَيْلَة إنما يكون لنفيهم[٣] عن دخول مكة، لأنه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك، لأنهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة، فلا خوف عليهم في ذلك. أو أنْ يُقال: إنه ذكر المسجد الحرام لِما أنهم كانوا يقصدون البيت والحج به، فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه. وهو ما رُوي في الخبر أنه بعث عليا إلى الموسم[٤] بأربع، وأمره أن ينادي في الناس أنْ لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأَجَلُه إلى مدته، فإذا مضى مدته فإن الله[٥] بريء من المشركين ورسوله، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان، ولا يحجّ بعد العام مشرك.[٦] فالنهي الذي ورد عن دخول المسجد إنما هو نهي عن الحج نفسه، لأن البيت هو الذي يُقصَد إليه فيه. ألا ترى[٧] أنه قال: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[٨] الآية، وقال:[٩] فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ،[١٠] الآية، وقال: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[١١] ذكر البيت، وهو[١٢] المقصود بالحج في الإسلام والكفر جميعا. فعلى ذلك خرج النهي، لكنه ذكر المسجد لِما أن البيت فيه. فإذا كان ما ذكرنا فإن شئت فاجعل آخرَ الآية تفسيرَ أولِها، وهو[١٣] قوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**. وهو ما ذكرنا أن النهي لو كان لدخول المسجد نفسه دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم خوف العَيْلَة، لأنهم يدخلون مكة ويَتَّجِرون فيها، ولا يدخلون المسجد. وإن شئت فاجعل أول الآية تفسيرَ آخرِها، وهو قوله: **فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**. وهو ما ذكرنا.

---

[١] *صحيح البخاري*، التفسير٩/٣؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٣٥.
[٢] ع م – والثالث قوله ألا لا يحجن بعد العام مشرك وفي آخر الآية دلالة ذلك لأنه قال وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله.
[٣] ن ع م – لنفيهم.
[٤] ع م: في الموسم.
[٥] ع – الله؛ م: فإنه.
[٦] *سنن الترمذي*، الحج ٤٤؛ و*سنن النسائي*، مناسك الحج ١٦١. وحسّنه الترمذي.
[٧] ك: ألا يرى.
[٨] سورة آل عمران، ٩٧/٣.
[٩] ن – وقال.
[١٠] سورة البقرة، ١٥٨/٢.
[١١] سورة الحج، ٢٩/٢٢.
[١٢] ع: هو.
[١٣] ع م – وهو.

فإذا كان ما ذكرنا دل أن المشرك لا يدخل[1] المسجد الحرام. وخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضا يدل على ذلك. فأما مَن كان مِن أهل الذمة والعبيد منهم فليسوا -والله أعلم- بداخلين في الآية إذا كانوا ممن لا يحج. فإن قيل: فقد روي عن علي[2] رضي الله عنه أنه نادى: «ألَا لا يدخل الحَرَم مشرك»، ولم يذكر الحج. قيل له: روي عنه أنه[3] قال: ناديت أنْ «لا يحجّ بعد العام مشرك»،[4] فيكون قوله: لا يدخل الحَرَم مشرك، على الحج، على ما ذكرنا. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رخص في دخول المسجد للعبيد والإماء. وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي[5] قال: «لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا، إلا أن يكون عبدا أو أمة».[6] يحتمل استثناء[7] العبد والأمة، لأن العبد لا يدخل للحج ولإقامة العبادة، إنما يدخل لخدمة المولى إذا كان مسلما. وفي بعض الأخبار: «إلا أحدا[8] من أهل الذمة». وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك: أو أحدا من أهل الذمة.[9] وفيه دلالة لقول[10] أبي حنيفة أنْ لا بأس للكافر أن يدخل المسجد،[11] وقال: أرأيت لو أراد أن يَسمع كلام الله ليؤمن أيُمنَع[12] عن ذلك ويُؤمَر المُسمِعُ[13] إتيانَ ذلك المشرك فيَسمع كلامه،

---

[1] ن م: لا يدخلوا؛ ع: لا يدخلون.

[2] م + بن أبي طالب.

[3] ن - أنه، صح هـ.

[4] ورد في أكثر الروايات ذكر الحج؛ انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٩/٣؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٣٥. وورد في بعضها: «لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا»، وفي بعضها: «ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا»، انظر: *تفسير الطبري*، ٦٤/١٠، ٦٥. وورد في رواية: «ولا يجتمع مسلم ومشرك في الحَرَم بعد عامهم هذا»؛ انظر: *مسند الربيع بن حبيب*، ١٦٨.

[5] ع م - أنه رخص في دخول المسجد للعبيد والإماء وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي.

[6] روي بلفظ: «لا يدخل مسجدنا هذا بعد عامنا هذا مشرك إلا أهل العهد وخدَمهم»؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٣٩/٣، ٣٩٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٤/٤. «وفيه أشعث بن سوار، وفيه ضَعف، وقد وُثِّق» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٤).

[7] ع: الاستثناء.

[8] ك: أو أحدا.

[9] ولفظه: ... إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة؛ انظر: *المصنف* لعبد الرزاق، ٥٣/٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٠٨/١٠؛ و*صحيح ابن خزيمة*، ٢٨٥/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٤/٤.

[10] ع: القول.

[11] يقول الجصاص رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾، قد تنازع معناه أهل العلم. فقال مالك والشافعي: لا يدخل المشرك المسجد الحرام. قال مالك: ولا غيره من المساجد، إلا لحاجة، مِن نحو الذمي يدخل إلى الحاكم في المسجد للخصومة. وقال الشافعي: يدخل كل مسجد إلا المسجد الحرام خاصة. وقال أصحابنا: يجوز للذمي دخول سائر المساجد...» (*أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٨/٤-٢٧٩).

[12] جميع النسخ: فيمنع.

[13] ع: المستمع؛ م: ويوم المستمع.

فيكون الأمر بإبلاغ المأمن لذلك للمشرك[١] [لا] الإمام؟[٢] دل أنه لا بأس بذلك. وقد ذكرنا أنْ ليس في ظاهر الآية دلالة النهي عن دخول المسجد، بل المراد من ذكر المسجد ما ذكرنا من الحج وإقامة العبادة لغير الله. ألا ترى إلى قول الله: وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ،[٣] وأن سبيل مكة كلها هذا السبيل.[٤] وكذلك قوله: ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[٥] والحَرَم كله مَنْحَر.[٦] إلا أن المعنى في ذلك -والله أعلم- ما ذكرنا أنْ لا يدخل المشركون حُجّاجا. ألا ترى أنّا نعلم[٧] أن المشركين لم يزالوا مقيمين في الحَرَم بعد النداء، ولم يُخْلُوا عنه. ومما يدل على ذلك أيضا[٨] قول الله: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ،[٩] فإن كان يعني به موضع العهد فإن ذلك العهد[١٠] يوم الحديبية عند الشجرة، فقد صار ذلك الموضع من المسجد الحرام، وهو في المسافة بعيد منه؛ وإن[١١] كان[١٢] يعني به الذين عُوهِدوا فإنهم كانوا[١٣] يوم[١٤] نادى علي رضي الله عنه بذلك خارجا[١٥] مِن مكة، لأنّ أهل مكة قد كانوا أسلموا[١٦] قبل ذلك حين فتحها النبي، فحاضرو[١٧] المسجد الحرام هم من كان نازلا[١٨] خارج مكة في الحَرَم وما حوله.[١٩]

---

[١] جميع النسخ: المشرك.

[٢] لعل المقصود أنه في هذه الحالة يكون المأمور بإبلاغه مأمنه هو المشرك، لأن المؤمن هو الذي يذهب إلى المشرك ليُسمِعه كلام الله، ولا يكون إمام المسلمين هو المأمور بإبلاغ المشرك إلى مأمنه، فينقلب الأمر الوارد في الآية رأسا على عقب، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (سورة التوبة، ٩/٦).

[٣] سورة الحج، ٢٢/٢٥.

[٤] أي سواء من قدم من خارج مكة ومن هو من أهل مكة من حيث حق الإقامة في مكة.

[٥] سورة الحج، ٢٢/٣٣.

[٦] أي مَحِلّ الذبائح ومكان ذبحها هو الحرم كله، وليس الكعبة نفسها.

[٧] ع م: أنا لا نعلم.

[٨] ك - أيضا.

[٩] سورة التوبة، ٩/٧.

[١٠] ع - فإن ذلك العهد.

[١١] ك ن ع: فإن.

[١٢] م - فإن كان.

[١٣] ن ع م: كان.

[١٤] ع م + بدر.

[١٥] جميع النسخ: فذلك خارج.

[١٦] ع م - أسلموا.

[١٧] جميع النسخ: فحاضري.

[١٨] م - كان نازلا.

[١٩] أي إن كان المراد بقوله تعالى: ﴿عند المسجد الحرام﴾ هو المكان فمكان العهد كان الحديبية، وهي بعيدة عن المسجد الحرام، وإن كان المراد هو أهل المسجد الحرام الذين عُوهِدوا بنداء علي رضي الله عنه يوم الحج الأكبر فيكون المقصود من كان نازلا حول مكة من الحجاج القادمين من خارج مكة، لا أهل مكة، لأنهم كانوا أسلموا قبل ذلك.

وقوله: **إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**، يخرج على وجوه. أحدها[١] لا تَدَعوهم يقربوا المسجد الحرام. والثاني قولوا لهم: لا تقربوا[٢] المسجد الحرام. والثالث على البِشارة، أي إذا قلتم لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك.*

وقوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**، قيل: خافوا من العَيْلة لمَا نُفِي المشركون من مكة، لأن مَعايِش أهل مكة إنما كان من الآفاق، وبأهل[٣] الآفاق كان سَعَتُهم وتجارتهُم، لكن الله وعد لهم السَّعَة والغَناء بقوله: **فسوف يُغْنِيكم الله من فضله إن شاء**. قال بعضهم: دل قوله: **إن شاء**، على أنه إنما وعد لهم الإغناء في بعض الأوقات. وقال بعضهم: قوله:[٤] **إن شاء**، كان من رسول الله،[٥] لأنه أمر رسوله أن يخبرهم[٦] أنه[٧] يُغْنِيهم إن شاء، وهو مأمور أن يستثني في جميع ما يَعِده،[٨] كقوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[٩] ويحتمل أن يكون قوله: **فسوف يُغْنِيكم الله من فضله إن شاء**، بهؤلاء الذين نُفُوا عنه، لأنه[١٠] حَبَّب إليهم التجارة والمكاسب وما ينالون من الأرباح[١١] بها، يحملهم ذلك على الإسلام، فيُسلِمون،[١٢] فيدخلون فيه،[١٣] يحملهم حب التجارة على الإسلام،[١٤] فيكون لهم بهم غِنى، كما كان يحملهم حب التجارة والربح على [ترك] الهجرة،[١٥] بقوله:[١٦] وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا،[١٧] فعلى ذلك الأول.

[١] ك – أحدها.
[٢] جميع النسخ: لا يقربوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠١ظ/سطر ٣٨-٣٠٢و/سطر ٧.
[٣] ع: بأهل.
[٤] ع – قوله.
[٥] ع: كان رسول الله، + لأنه أمر رسول الله.
[٦] م – أن يخبرهم.
[٧] ع – يخبرهم أنه.
[٨] ن ع م: ما بعده.
[٩] سورة الكهف، ١٨/٢٣-٢٤.
[١٠] ك: لأنهم.
[١١] ن ع م: ينالون الأرباح.
[١٢] ن م: مسلمون.
[١٣] جميع النسخ: فيها.
[١٤] ع – فيسلمون فيدخلون فيه يحملهم حب التجارة على الإسلام.
[١٥] جميع النسخ: عن الهجرة.
[١٦] ع م: وقوله.
[١٧] سورة التوبة، ٩/٢٤.

وقال بعضهم: قوله: **فسوف يغنيكم الله من فضله**، الجزية التي ذكرها في الآية[١] التي[٢] تتلو[٣] هذه.

وقوله عز وجل: **إن الله عليم**، بما أضمروا من خوف العَيْلَة. أو **عليم**، بما لهم وعليهم، وبمن يكون[٤] لهم الغِنى. **حكيم**، في أمره وحكمه.

وفي قوله:[٥] **وإن خفتم عَيْلَة**...، دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه معلوم أنهم أُضمروا ذلك في أنفسهم، ثم أخبرهم رسول الله بذلك، دلّ أنهم علموا[٦] أنه إنما عرف ذلك بالله.

**﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، الآية، ذكر أهل الكتاب اليهود والنصارى، وأخبر أنهم **لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله واليوم الآخر، فما المعنى[٧] منه؟ قيل: هم وإن آمنوا في الظاهر بالله واليوم الآخر فإنما يؤمنون بإله له ولد كما ذكره على إثره، وهو قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ.[٨] فالإيمان بإله له ولد ليس بإيمان بالله، فهم غير مؤمنين. وكذلك آمنوا بالبعث واليوم الآخر، ولكن لم يؤمنوا بالموعود في الآخرة. فالإيمان باليوم الآخر بغير[٩] الموعود فيه ليس بإيمان به. أو أن يقال: إنهم وإن أقروا بما ذكرنا وآمنوا به فقد استحلّوا أشياء حرّمها الله عليهم، وحرّموا أشياء أحلّها الله لهم، ومن آمن[١٠] بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن بآية منها أو برسول[١١] منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر ولا مصدِّقٍ له.

---

[١] ع: ذكرها الآية.
[٢] م – التي.
[٣] ع: تتلوا.
[٤] ع م: يكن.
[٥] ع م – وفي قوله.
[٦] ع: عملوا.
[٧] ع م: في المعنى.
[٨] الآية التالية.
[٩] ك: لغير.
[١٠] ن: من آمن.
[١١] ن: أو برسوله.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، إلى آخر[1] الآية.

فإن قال لنا ملحد:[2] إنكم تقاتلون[3] الكفرة للكفر، ثم إذا أعطوكم شيئا من المال تركتم مقاتلتهم، فلو كان قتالكم إيّاهم لذلك لا لطمع في الدنيا لكنتم[4] لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونه لكم.[5] وكذلك لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء في ذلك والرجال سواء، إذ هم في الكفر شرعا سواء. وقالوا: لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا وهو حكمةً والآمر بذلك حكيما لكان الناس جميعا[6] في ذلك سواء، ولا يتركون أحدا لشيء[7] من ذلك، بل يقاتلون أبدا ولا ترضون منهم غيره.

فيقال لهم: إنّا لا نقاتل[8] الكفرة للكفر، ولٰكِنّا ندعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا إلى ذلك وإلّا قاتلناهم ليضطرّهم القتل إلى الإسلام، لهذا ما نقاتلهم لا لشيء سواه. فإذًا كان في أخذ الجزية معنى ما ندعوهم إلى الإسلام، فإذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون في الإسلام إذا رأوا[9] شرائعنا وأحكامنا، لا أنّا تركناهم رغبة فيما نأخذ منهم أو طمعا في ذلك. وأصله المحنة، إذ الدار دار المحنة، ليست بدار الجزاء. والمحنة تكون بمختلف الأشياء، لا بمؤتلفها، مرّة يمتحنهم بالقتال، ومرة بأخذ الأموال، ومرة بالشدائد، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[10] الآية، وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ [فِتْنَةً]،[11] وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[12] ونحو ذلك. فإذا كان ذلك[13] محنةً لا جزاءً جاز[14] ذلك، وكان ذلك حكمة. وأما قولهم بأنّا نقاتل الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقّهن، لأنهن[15] أتباع للرجال في جميع الأحوال وخدم لهم،

---

[1] ع م – إلى آخر.
[2] ك ن ع: ملحدي.
[3] ع: قاتلون.
[4] ع: لكنهم.
[5] جميع النسخ: يبذلونكم.
[6] ع – جميعا.
[7] ع م: بشيء.
[8] جميع النسخ: لن نقاتل.
[9] ع: رأو.
[10] ﴿ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونَقْصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).
[11] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[12] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[13] ك: كذلك.
[14] ع م: أجاز.
[15] ك: لأنهم.

فإذا أسلموا أسلمن، هذا معروف / فيما بينهم، إذ هن في أيدي الرجال، يفعلون بهن ما شاءوا. [٣٠٢ظ]
وأصله ما ذكرنا أن القتال محنة ليس هو جزاء الكفر، إذ الدار دار محنة،[1] فله أن يمتحن بعضا بالقتل، وبعضا بأخذ المال، وبعضا[2] لا بذا ولا ذاك. ولو كان جزاء لسوّى بينهم، وهو[3] التخليد في النار أبدا.

فإن قيل: ما الحكمة في أخذ الجزية من سائر الكفرة إذا كانوا أهل الكتاب أو المجوس، وتَرْكِ الأخذ من مشركي العرب؟

قيل: لوجوه. أحدها أنْ ليس لمشركي العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين، ولا لهم أصل يعتمدون عليه، أو كتابٌ يَكِلون إليه، إنما هم قوم يقاتلون عن قبائلهم، ويتناصرون بهم. ولغيرهم[4] من الكفرة دين يدينون به،[5] وأصل يعتمدون عليه،[6] ويحاجّون الناس بالحِجاج التي لهم.[7] فإذا كان كذلك أمكن إقامة الحُجَج[8] على هؤلاء، وإلزامُ البراهين. ولا كذلك مشركو[9] العرب، إذ لا دين لهم يُنسَبون[10] إليه، ومذهب[11] يدعون غيرهم إليه بالحِجاج. وأمكن في غيرهم. لذلك افترقا. **والله أعلم بذلك**.[12]

والثاني أنهم تمنّوا[13] أن يكون[14] لهم رسول[15] من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم إليه ونذير يجيبونه، حتى أقسموا على ذلك وأكّدوا[16] القول[17] في ذلك، كقوله:[18] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾،[19] الآية،

---

[1] ع: المحنة.
[2] ع م - وبعضا.
[3] ع م: هو
[4] ع: لغيرهم.
[5] ن - به.
[6] ن - عليه.
[7] ن - لهم.
[8] ع: الحج.
[9] جميع النسخ: مشركوا.
[10] ك: ينتسبون.
[11] ن ع م: ومذاهب.
[12] ع - افترقا والله أعلم بذلك.
[13] ع - تمنوا.
[14] ع م: أن تكون.
[15] ن: رسولا.
[16] ن - وأكدوا.
[17] ن: والقول.
[18] م - كقوله.
[19] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى مِن إحدى الأمم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

ولم يكن من غيرهم من الكفرة ما كان منهم. فإذا كان كذلك فهم يقاتَلون أبدا حتى يوفوا بما وعدوا،[1] كقوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[2]

والثالث لفضل رسول الله، إذ كان[3] منهم ومن جنسهم، فلا يُترَك أحد في تلك البقعة على غير دينه. وأمكن أن يكون لوجه[4] آخر، وهو أن مشركي العرب في حد القليل، أمكن المقاتلة معهم والقيام لهم، فلا يُرضَى منهم إلا الإسلام. وأما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة وهم كثير[5] إذا اجتمعوا لم يكن في وُسْع أهل الإسلام القيامُ لهم والقتالُ معهم، فيلحق المسلمين في ذلك ضرر بَيِّن، لذلك كان ما ذكر.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون**، الآية، قد ذكرنا أنهم وإن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر عند أنفسهم، أنهم في الحقيقة غير مؤمنين به،[6] لأن شرط إيمانهم الإيمان بالرسل جميعا والكتب أجمع، فهم قد تركوا الإيمان ببعض الرسل وببعض الكتب، ومن كفر برسول من الرسل أو بكتاب من الكتب أو بحرف[7] منها كان كافرا بالله.

وقوله عز وجل: **ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله**، يحتمل أنهم لا يحرّمون[8] تحريف الكتب وكتمان نعت رسول الله، والله حرّم ذلك عليهم. أولا يحرّمون عبادة الأوثان، والله ورسوله يحرّم ذلك. أو لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله من الخمر والخنزير وغيره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا يَدِينون دين الحق**، وهو الإسلام، لأنه دين توجبه[9] العقول كلها،[10] وتشهد [به] خِلقةُ الخلائق كلها. أو أن يقول: **لا يَدِينون دين**، الذي له، **الحق**، إنما يَدِينون بدين الذي لا حق له، وهو دين الشيطان، وهو ما يدعوهم إلى عبادة الأصنام فيجيبونه. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ما وعدوا.
[2] ﴿قل للمُخَلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلِمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦).
[3] ع: إذا كان.
[4] ن ع: اوجه؛ م: وجه.
[5] ع: كثر.
[6] ك - به.
[7] ع: أو لحرف.
[8] ع: أنهم يحرمون.
[9] ن ع م: يوجبه.
[10] ك - كلها.

وقوله عز وجل: **حتى يعطوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون**، يحتمل[١] قوله: **يعطوا الجزية**، أي يقبلوها، لا على الإعطاء نفسه. وهو ما ذكرنا في قوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ،[٢] هو على القبول لها، لا على الفعل نفسه. ويحتمل نفس الإعطاء. وهو -والله أعلم- لِما جُعِلت الجزية لحقْن الدماء، فتُقَدَّم ليُحْقَن بها الدم.[٣]

وقوله: **عن يَدٍ وهم صاغرون**، قال بعضهم: قوله:[٤] **عن يَدٍ**، أي لا يؤخر[٥] قبضها عن وقت قبولها، بل تؤخذ يدا بيد. وقال بعضهم: **عن يَدٍ**، أي عن قهر وغلبة. وقيل: **عن يَدٍ**، أي عن طَوْع[٦] وطِيب. وقيل: عن جماعتهم. لٰكِنا لا ندري ما يعنون بالجماعة.

وقوله: **صاغرون**، قيل: ذليلون، وهو من الذل، يقال: صَغُر الرجل، يَصْغُر صَغَارا، **فهو** صاغر، أي ذَلّ، **فهو** ذليل. وقيل: **صاغرون**، أي مذمومون.[٧] وعن ابن عباس رضي الله عنه: يمشون بها مُلَبَّبِين.[٨] وأصله الذلة، وهو الخضوع. وهو[٩] -والله أعلم- الذلة التي ذكر الله في قوله: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا،[١٠] فإذا قبلوا ذلك فقد أذعنوا[١١] بالذل والصَّغار.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله**، الآية، أما اليهود[١٢] والنصارى فلا خلاف[١٣] بين أهل العلم في أن من بذل منهم الجزية أُخذت[١٤] منه وأُقر على دينه. وأما المجوس فإنه يؤخذ منهم الجزية،

---

[١] ع م: ويحتمل.

[٢] ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم﴾ (سورة التوبة، ٩/٥)؛ ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (سورة التوبة، ٩/١١).

[٣] ع: الدماء.

[٤] ن ع م - قوله.

[٥] ع: أي يؤخر.

[٦] م: عن طبع.

[٧] ك: صاغرون مذمومون.

[٨] ك ن: متلبيين؛ ع م: متلبين. ولَبَّبَ الرجلَ: جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قبضه وجرّه. وأخذ بتَلْبِيبِه وتَلَابِيبِه كذلك. والمُتَلَبِّب: المتحزِّم بالسلاح وغيره، وكل مجمِّع لثيابه: متلبِّب. و المتلبَّب: موضع القلادة (*لسان العرب* لابن منظور، «لبب»).

[٩] ع م - وهو.

[١٠] ﴿ضُرِبَتْ عليهم الذلَّة أين ما ثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضُربت عليهم المسْكَنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٢). والآية في اليهود.

[١١] ع: اذهنوا؛ م: اذهبوا.

[١٢] ع: وأما اليهود.

[١٣] ن ع م: ولا خلاف.

[١٤] ك: أخذ.

لما روي عن عمر[1] رضي الله عنه أنه قال: ما أدري ما أصنع بالمجوس، فإنهم ليسوا بمسلمين ولا من أهل الكتاب؟ قال عبد الرحمن بن[2] عوف: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب».[3] وفي بعض الروايات: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هَجَر.[4] وعن علي أن أبا بكر وعمر أخذا[5] الجزية من المجوس.[6] وقال علي بن أبي طالب: أنا أعلم الناس بهم، كانوا أهل كتاب يقرءونه، وأهل علم يدرسونه، فنُزِع ذلك من صدورهم.[7] وعن أبي[8] رَزِين[9] عن أبي موسى [عن حذيفة][10] قال:[11] لولا أني رأيت أصحابي أخذوا الجزية من المجوس[12] ما أخذتها.[13] وعن أبي عُبَيدة[14] [عن أبيه عبد الله بن مسعود][15] قال: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر أنه قال: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، ومن أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية».[16] وفي بعض الروايات: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا، وعليه ما علينا، ومن ترك ذلك فعليه الجزية».[17]

---

[1] م: من عمر.

[2] ن م: ابن.

[3] انظر: *الموطأ* للإمام مالك، الزكاة ٤٢؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٣٥/٢.

[4] *صحيح البخاري*، الجزية ١؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ٣١؛ و*سنن الترمذي*، السير ٣١. وهَجَر موضع بالبحرين.

[5] ع: أخذ.

[6] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٤٨/٨.

[7] *المصنف* لعبد الرزاق، ٧٠/٦؛ ورواه أبو يعلى أيضا، وإسناده ضعيف؛ انظر: *مجمع الزوائد*، ١٢/٦. وانظر للتفصيل: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٧٤/٣-١٧٥.

[8] ع م: عن أبي.

[9] ن: أبي زرين.

[10] من مصادر الرواية.

[11] م: قالوا.

[12] م - من المجوس.

[13] *سنن الدارقطني*، ١٥٥/٢.

[14] ك ن م + بن الجراح؛ ع: عن أبي عبيدة ابن الجراح.

[15] والتصحيح مع الزيادة من مصادر الرواية.

[16] روي إلى قوله: «...وذمة الرسول» (*المعجم الكبير* للطبراني، ١٥٢/١٠)؛ «وفي إسناده الحسن ابن إدريس الحلواني، ولم أر أحدا ذكره، وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه، ولم يسمع منه» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٨/١). والمنذر بن سَاوَى الذي كتب إليه النبي كان رأس المجوس بالبحرين؛ انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ١٢٨/٨.

[17] ع م - وفي بعض الروايات من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن ترك ذلك فعليه الجزية. والحديث المذكور روي عن الحسن مرسلا؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦.

وعلى ذلك مضت الأئمة، / ولم ينكره[١] أحد[٢] من السلف. حتى قال قوم: إن المجوس إنما أُخذت [٣٠٣و] منهم الجزية[٣] لأنهم أهل كتاب،[٤] فأحلّوا ذبائحهم ونساءهم، وذهبوا إلى ما روي عن علي. وقال آخرون: ليسوا من أهل الكتاب، ولكن الجزية تؤخذ[٥] منهم اتّباعا لقول[٦] رسول الله:[٧] «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب، غيرَ ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم»،[٨] وما روي عن الصحابة وأئمة الهدى.

ثم المسألة في تقدير الجزية. روي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث معاذا[٩] إلى اليمن، فقال له: «خذ من كل حالِمٍ دينارا أو عِدْلَه مَعَافِر».[١٠] وروي[١١] عن عمر رضي الله عنه أنه بعث عثمان بن[١٢] حنيف إلى السواد، وأمر أن يضع على أهل السواد الخراج، ثمانية وأربعين درهما، وأربعة وعشرين درهما، واثني عشر درهما.[١٣] وفي بعض الروايات أنه ضرب على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوَرِق أربعين درهما، مع ذلك أرزاق المسلمين[١٤] وضيافة ثلاثة أيام.[١٥] وأصحابنا يجعلونهم ثلاث طبقات: أغنياءَ وأوساطا وفقراء،

---

[١] جميع النسخ: ولم ينكر.

[٢] ك: واحد.

[٣] ك: الجزية منهم.

[٤] ع: الكتاب.

[٥] ع م: يؤخذ.

[٦] ع - لقول.

[٧] ع: لرسول.

[٨] روي أنه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هَجَر يدعوهم إلى الإسلام، فمن أسلم قُبِل منه الحق، ومن أبى كُتِبَ عليه الجزية، ولا تؤكل لهم ذبيحة ولا تُنكَح منهم امرأة. انظر: *المصنف* لعبد الرزاق الصنعاني، ٦٩/٦؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦. قال البيهقي: «هذا مرسل، وإجماع أكثر المسلمين عليه يؤكده». انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٢/٩.

[٩] ع: معاذ.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٣/٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٤٤ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٥. ولفظ أبي داود يفسر بعض ألفاظ الحديث الغريبة: عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمّا وجّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ... من كلّ حالِمٍ يعني مُحتلِما، دينارا أو عِدْلَه من المَعَافِر ثياب تكون باليَمَن. وقد تكرر ذكر العِدْل والعَدْل بالكسر والفتح في الأحاديث، وهما بمعنى المِثْل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل: العكس (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عدل»).

[١١] ن: فروي.

[١٢] ع م + عفان.

[١٣] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٦/٩؛ و*فتح الباري* لابن حجر، ٢٦٠/٦.

[١٤] جميع النسخ: أرزاقا للمسلمين؛ والتصحيح من مصدر الرواية.

[١٥] *الموطأ* للإمام مالك، الزكاة ٤٣؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٥/٩، ١٩٦.

فيؤخذ من الغني المُوسِر[١] ثمانية وأربعين درهما، ومن الوسط أربعة وعشرين درهما، ومن الفقير المحترف[٢] اثني عشر درهما. وفي بعض الأخبار: أربعين درهما أو أربعة دنانير، وضيافة ثلاثة أيام، وعشرين درهما أو دينارين.[٣] وهو[٤] ما ذكرنا، ثمانية وأربعون[٥] بغير الضيافة[٦] وغير مؤنة،[٧] وما روي من أربعين درهما أو أربعة[٨] دنانير[٩] مع الضيافة والرزق الذي ذكر في الخبر. وهذا مِن عُمَرَ بحضرة المهاجرين[١٠] والأنصار، فلم يأت عن أحد منهم النكير[١١] عليه ولا الرد، فهو كالاتفاق[١٢] منهم على ذلك. ثم لا يحتمل أن يكون عمر قدّر ذلك التقدير رأيا منه، لأن المقدّرات[١٣] والمحدودات سبيلُ معرفتِها التوقيفُ والسَّمْعُ لا العقل، فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما روي من حديث[١٤] معاذ حين أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أهل اليمن من كل حالم دينارا، فذلك يحتمل أن يكون أمر بذلك لما كانوا أهل ضَعْف وفقر، على ما روي عن عمر في الضعفاء من أهل مصر والشام.[١٥] وليس هو الحد الذي لا يلزم أكثر من ذلك، لما ذكرنا أن عمر ألزم المياسير[١٦] أكثر من دينار، ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة، فدل فعلهم على ما وصفناه.[١٧]

---

[١] ك: الموثر.
[٢] ن: المتحرف، صح هـ.
[٣] ك ن: ودينار؛ ع: ودينارا؛ م - ودينار.
[٤] م: أو هو.
[٥] جميع النسخ: وأربعين.
[٦] ع: ضيافة.
[٧] ك: المؤنة.
[٨] ع: درهما أربعة.
[٩] جميع النسخ: دينار.
[١٠] ع: بحضرة من المهاجرين.
[١١] ع: التكبير.
[١٢] ن ع م: كالإنفاق.
[١٣] ع م: المقدورات.
[١٤] جميع النسخ: عن حديث.
[١٥] قارن: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/١٩٥، ١٩٦.
[١٦] ع: المياسر.
[١٧] ع: ما صفناه.

ثم المسألة في تمييز أصحاب الطبقات بين الموسر الغني وبين الوسط والفقير. قال[١] بعضهم: الفقير ممن يحترف وليس له مال يجب في مثله الزكاة على المسلمين، وهم الفقراء المحترفون، فمن كان[٢] له أقل من مائتي درهم فهو من أهل هذه الطبقة. والطبقة الثانية[٣] أن يبلغ مال الرجل مائتي درهم. وقال[٤] بعضهم: إذا بلغ ماله أربعة آلاف درهم وزاد[٥] عليها صار من أهل الطبقة الثالثة، واحتجوا من قول علي بن[٦] أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر حيث قالا:[٧] أربعة آلاف فما دونها نفقة، وما فوق ذلك كنز.[٨] وقد يجوز أن يُجعَل الطبقةُ الثانية مَن مَلَك مائتي درهم إلى عشرة آلاف درهم، وما زاد على ذلك يُجعَل من الطبقة الثالثة، لحديث روي[٩] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرويه[١٠] أبو هريرة، قال: «من ترك عشرة آلاف درهم جُعِلت صفائحَ يُعذَّب بها يوم القيامة».[١١]

وقال بعضهم:[١٢] ثم[١٣] في قوله: **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، دلالة على أن الجزية إنما تؤخذ ممن يجب أن يُقاتَل إن لم يبذلها، والنساء والصبيان لا يُقاتِلون ولا يُقتَلون[١٤] إن ظُهِر بهم، فلا يجب أن توضع[١٥] عليهم الجزية بدليل الكتاب إذ الله[١٦] إنما أمر أن تؤخذ[١٧] الجزية ممن يُقاتِل. وكذلك فعل عمر والأئمة بعده. روي أن عمر[١٨] رضي الله عنه

---

[١] ع: وقال.
[٢] جميع النسخ: كانت.
[٣] ع م – الثانية.
[٤] جميع النسخ: فقال.
[٥] ك: فزاد.
[٦] ع م – علي بن.
[٧] ع: حيث قال.
[٨] انظر لقول علي رضي الله عنه: *المصنف* لعبد الرزاق ١٠٩/٤؛ و*تفسير الطبري*، ١١٨/١٠، ١١٩.
[٩] ع: لحديث ما روي.
[١٠] ك: يروريه.
[١١] لم أجد من أخرجه؛ وذكره القرطبي بدون عَزْو؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ١٣١/٨.
[١٢] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي الهامش: كذا في الأصل بياض؛ ع م – وقال بعضهم.
[١٣] ن – ثم.
[١٤] جميع النسخ: ولا يقتلن.
[١٥] ن ع م: أن يوضع.
[١٦] جميع النسخ: إذا كان الله.
[١٧] ن ع م: أن يؤخذ.
[١٨] ع: عن عمر.

كتب إلى أمراء[1] الجيوش أن لا تقاتلوا إلّا من قاتلكم، ولا تقتلوا الصبيان والنساء، ولا تقتلوا إلا مَن جَرَتْ عليه المَوَاسِي.[2] وكتب إلى عُمَّاله أن اضربوا[3] الجزية، ولا تضربوها على النساء والصبيان، وفي بعض الروايات أنه كتب إلى أمراء[4] الأجناد أن لا يضربوا[5] الجزية إلا على من جَرَت عليه المَوَاسِي، قال: والجزية أربعون درهما أو أربعة دنانير.[6] وفي خبر[7] معاذ دلالة لذلك، حيث قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وأمرني أن آخذ من كل حالِمٍ دينارا أو عِدْلَه مَعَافِرَ،[8] بيّن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ ذلك من الرجال دون الصبيان، ودون[9] النساء.

فإن قيل: روي عن معاذ [أنه] قال: أمرني رسول الله أن آخذ من كل حالِمٍ وحالِمَةٍ دينارا، وفي بعض الروايات عنه أنه قال: أمرني[10] أن آخذ من كل حالِمٍ ذكرا وأنثى دينارا.[11]

[قيل:] فإن كان هذا مُثْبَتا محفوظا فهو دليل لما يؤخذ من نصارى بني تَغْلِب،[12] ويكون حكمُ نساء العرب من أهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلافَ نساء[13] العجم منهم. أو أن يقال: إنه غير محفوظ، لما عمل[14] الأمة[15] بخلافه، لأن الوفاق قد جرى على أن لا جزية[16] على النساء،

---

[1] ع م: إلى أمير.

[2] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٦/٤٨٣، ٤٨٤. والمواسي جمع المُوسَى، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه كتب أن يقتلوا مَن جَرَت عليه المَوَاسِي، أي نبتت عانته، لأن المَوَاسِي إنما تجري على من أنبت، أراد مَن بلغ الحُلُم من الكفار (*لسان العرب* لابن منظور، «موس»).

[3] ك ن م: ان تضربوا؛ ع: اذ اضربوا.

[4] ع م: إلى أمير.

[5] جميع النسخ: لا يأخذوا؛ والتصحيح من مصدر الرواية.

[6] لروايتين انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/١٩٥، ١٩٨.

[7] ك: في خبر.

[8] ع: معاذ. وتقدم تخريجه قريبا.

[9] ع – الصبيان ودون.

[10] ع م – أمرني.

[11] *المصنف* لعبد الرزاق، ٦/٨٩، ١٠/٣٣٠. وانظر للتفصيل: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/٤٤٥؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢/١٣٣.

[12] ن ع: بني ثعلب. وقد صالح عمر رضي الله عنه نصارى بني تغلب على أن يؤدوا ضِعف مقدار الزكاة، وقال: هذه جزية، فسمُّوها ما شئتم، لأنهم قالوا: نحن عرب، وأَنِفوا عن الجزية؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/٣٦٢. ولعله كان يؤخذ من نسائهم أيضا.

[13] م: لنساء.

[14] ن ع م: لما عدم.

[15] ك: الأئمة.

[16] ع – على أن لا جزية.

ولو كان محفوظا لظهر العمل به.[1] أو أن يكون قوله: «خذ[2] من كل حالم وحالمة[3] دينارا»،[4] أي خذ منهما[5] دينارا، ولا تأخذ من كل واحد دينارا، كقوله: «لكل[6] سهو سجدتان»،[7] لا يلزمه أكثر من ذلك.

ثم تذكر[8] مسألة ليس في الآية ذكرها، وهي أن الجزية إذا ضُرِبت فدخلت سنة أخرى قبل أن يؤديها أُخِذت منه للسنة الثانية ولم تؤخذ للسنة الأولى الماضية، ليس كسائر الديون؛ [٣٠٣ظ] لأن مجوسيا لو أسلم بعد مُضِيّ السنة لم يُطالَب بجزية العام الماضي، فلو كانت كسائر الديون لَطُولِب بها المسلم كما يُطالَب بمال يكون عليه إذا أسلم أو بقي على مجوسيته، فلمّا لم يُطالَب دلّ أنها ليست كسائر الديون.[9] فإن قيل: أليس الخراج يُطالَب به من أخّره من سنة إلى سنة؟ قيل: ليست الجزية مثل الخراج، لأن الخراج[10] يجب على المسلم في أرضه، فهو كسائر الديون. فإن قيل: إن المجوسي إذا أسلم بعد مُضِيّ السنة طُولِب بالجزية للسنة الماضية. قيل: روي عن عمر أنه رفع الجزية بالإسلام، فقال: والله إن في الإسلام لمَعَاذا،[11] إن فعل يرفع عنه الجزية. وروي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس على مسلم جزية»،[12] فمن طالبه بالجزية بعد الإسلام[13] فقد خالف الخبر. فإن قال: إنما يزول عن المسلم ما كان عليه من الجزية في حال كفره، لأنه صار إلى حال لا يجوز أن توضع عليه ابتداء.

---

[1] ن - به.
[2] ع - خذ.
[3] ع م - وحالمة.
[4] ن: دينا.
[5] م: عنهما.
[6] ع - لكل.
[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٨٠/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣٦؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٩٤-١٩٥. وانظر للتفصيل: *الدراية* لابن حجر، ٢٠٧/١.
[8] ع م + من ذلك.
[9] ع م - لأن مجوسيا لو أسلم بعد مضي السنة لم يطالب بجزية العام الماضي فلو كانت كسائر الديون لطولب بها المسلم كما يطالب بمال يكون عليه إذا أسلم أو بقي على مجوسيته فلما لم يطالب دل أنها ليست كسائر الديون.
[10] ع م - لأن الخراج.
[11] ع: لمعاذ. وانظر: *المصنف* لعبد الرزاق، ٩٤/٦، ٣٣٦/١٠.
[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٢٣/١، ٢٨٥؛ وسنن *أبي داود*، الخراج ٣٢-٣٤؛ وسنن *الترمذي*، الزكاة ١١.
[13] ن - بعد الإسلام.

قيل: إن الذمي[١] إذا اجتمع عليه جزية سنتين فصار إلى حال لا يجوز أن يُلزَم[٢] في الابتداء في مثلها أكثرُ من اثني عشر درهما لفقره لم يجز أن يُلزَم أكثر منها، لأنه جُعِل حكمُ مُستدبَرِ[٣] الجزية التي وجبت فأسلم صاحبها حكمَ الابتداء في توظيف الجزية عليه، فوجب أن يُجعَل حكمُ مُستدبَرِ[٤] مَن أتت عليه سنتان حكمَ ابتدائه. وأصله أن الجزية إنما جُعِلت لحَقْن الدم،[٥] فإذا مضى سنة صار دمه محقونا في السنة الماضية، لذلك لم تؤخذ.

وقوله عز وجل: **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله**، إلى آخره، تضمّنت هذه الآية أحكاما. منها الأمر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وهم[٦] يقرّون بالأمرين، لكنه يخرج[٧] على وجوه ثلاثة. أحدها أنهم[٨] مشبِّهة،[٩] ومن تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم[١٠] القولَ له[١١] بالولد، إذ الذين[١٢] شَهِدوا مِن الخلائق على ذلك وُجِدوا: يُولَد بعضٌ مِن بعض. وإذا كان[١٣] كذلك فهو غير مؤمن في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به،[١٤] وأنه[١٥] به يكون الآخرة[١٦] دون الذي ادَّعَوْه.

والثاني أن الذي جُبِل عليه الخَلْق هو تعظيم رسل الملوك وأجِلَّتِهم، حتى يوجد مِن بِرّ الرسل [ألفة] بين ملوكٍ قد ظهرت بينهم العداوة، فلما كذّبوا رسول الله مع البراهين التي قد أعجزت[١٧] الخلائق و[مع] شهادةِ كتبهم به وتَظاهُرِ مَن عرفوا أنهم مكذِّبون بكتبهم وبرسلهم على من صدّق بذلك

---

[١] ع: قيل الذمي.
[٢] ك: أن تلزم.
[٣] ك ع: مستدير. لعله يقصد بالمستدبَر ضد المستقبل، أي جزية السنة السابقة.
[٤] ك ع: مستدير.
[٥] ع: الذم.
[٦] أي أهل الكتاب.
[٧] ع: تخرج.
[٨] ن – أنهم.
[٩] ن ع: مشبة.
[١٠] ن – قلوبهم.
[١١] ن: لقولهم له.
[١٢] ع: إذا الذين.
[١٣] ع: فإذا كان.
[١٤] أي حتى يكونوا مؤمنين به في الحقيقة.
[١٥] ك ن: وأن.
[١٦] ع: يكون في.
[١٧] ك: التي أعجزت.

ثبت أنهم في الحقيقة مكذِّبون[١] جميع الرسل والكتب وإن أظهروا[٢] الوفاق، وأن ذلك لا يكون إلا لتكذيب منهم بالله. فعلى ذلك إيمانهم بالله يكون بإيمانهم[٣] بالرسل. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبدِ قَيْسٍ أنه قال: «آمُرُ بأربع، آمُرُكم بالإيمان بالله»، ثم قال: «أتدرون ما الإيمان بالله؟[٤] أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله».[٥] فبذلك لم يكن إيمانهم بالله إيمانا حتى يؤمنوا برسول الله. وعلى هذا يحارَبون.

والثالث أن يكون نَفَى عنهم الإيمان بنفي منفعة الإيمان عنهم، إذ أقل المنفعة به الإيمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم، فإذا ظهرت منه هذه المنفعة يترك[٦] القتال.

ثم الترك على قبول الجزية جائز وإن كان الأمر قد تقدّم بالقتل من غير أن يكون في ذلك[٧] دليل أنّا لأجل[٨] ذلك المال نقاتل؛ كما كُتِب على كل نفس الموت ثم قد يُترَكون على ما هم عليه من اختلاف الأديان وتفرُّق الأهواء وإن كان لا يدل ذلك على الأمر بما هم عليه والرضاء بما اختاروا، فمثله في الأول لا يدل على الرضا بكفرهم ولا على القتال لأخذ تلك الأموال عنهم.

ثم الأصل أن القتال لم يُجعَل ليكون القتل[٩] عقوبة للكفر،[١٠] إذ نوع القتل ومعناه قد يوجد في الأخيار والأشرار جميعا، وهو الموت، ثبت أنه لم يُجعَل لذلك، ولكن لوجهين. أن يضطرّهم على الإجابة[١١] إلى ما فيه نجاتُهم، وبه تَنَلُ كرامة الأبد، وكان ذلك بعد أن ألزمناهم[١٢] كل أنواع الحجج[١٣] فلم يُقنِعهم. قاتلناهم بما كان الذي يمنعهم عن النظر في الحجج حبُّ اللّذات، وألذُّها الحياة.

---

[١] ن ع م: مكذبين.
[٢] ع: ظهروا.
[٣] ع – بالله يكون بإيمانهم.
[٤] ع – بالله.
[٥] والحديث طويل؛ انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ٤٠؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٤.
[٦] ك ن: تركوا؛ ع م: وتركوا.
[٧] ع م – في ذلك.
[٨] ن ع م: أما لأجل.
[٩] ع م – القتل.
[١٠] ع: لكفر.
[١١] ك: إلى الإجابة.
[١٢] ع: الرضا هم.
[١٣] ن ع: الحج.

قاتلنا حتى يَيْأَسوا[1] عن تلك اللذة المانعة عن النظر في الحجج والصادّة[2] عن الإجابة، [و]تزولَ[3] عنهم. وفي قبول الجزية قبولُ[4] بعضِ الذل والصَّغار الذي تنفر[5] عنه الطباع، ويدعو[6] إلى ما فيه الزوال؛ فينظروا في الحُجَج، ويقبلوا ما دُعُوا إليه، فيكون به نجاتهم، وزيادة لنا في الكرامة.

والثاني أن المِحَن كلها منقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات والشرور، ولذلك[7] جُعِل [الامتحان] بالموت والحياة، وعلى ذلك جميع أمور الدنيا، هو التقلُّب على مختلف الأحوال. فمثله الدعاء إلى الإسلام يكون مرة بمحاجّة اليد[8] ومرة باللسان ومرة بالترك، لا أنْ جُعِل شيءٌ من ذلك لشيء، ولكن بما عليه أَمْرُ المِحَن لِيُتَذَكَّر به وجوه[9] الموعود بالآثار له في أحوال المِحَن. فعلى هذا أُمِر القتالُ في قومٍ، والعفوُ عن قومٍ، والدعاءُ إلى الإسلام في قومٍ، وإلى قبول[10] الذل في قومٍ، على ما في علم الله من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة.

ثم الفرق بين مشركي العرب وغيرهم يخرج على وجوه. أحدها أنهم قد كانوا أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[11] فجاءهم فكذّبوه. ثم أقسموا لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[12] فجاءتهم آيات فلم يؤمنوا، فاستوجبوا القتال إلى أن يَفُوا بالعهد الذي سبق، والقَسَم الذي جَهَدوا به. وليس لغيرهم هذا. أو على قوله: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ،[13] الآية، فبيّن الإياس عن إيمانهم إلا أن يشاء الله، فهو يخرج
[٣٠٤و] على وجهين. أحدهما الإياس عن إيمانهم، / وقبولُ الجزية ليخالطوا أهل شريعة الله، فيسمعوا منهم الحجج ويُعايِنوا الأفعال المحمودة في العقول والأخلاقَ الكريمة التي جاء بها الرسول، فيؤمنوا.

---

[1] ك ع م: حتى يايسوا؛ ن: حتى يئسوا.
[2] ع: والصادمة.
[3] ن ع م: يزول.
[4] جميع النسخ: قبل؛ والكلمة في نسخة ك غير منقوطة.
[5] ن ع م: ينفر.
[6] ع: ويدعوا.
[7] ع: وكذلك.
[8] م: إليه.
[9] ك: وجود.
[10] ع م – الموعود بالآثار له في أحوال المحن فعلى هذا أمر القتال في قوم والعفو عن قوم والدعاء إلى الإسلام في قوم وإلى قبول.
[11] سورة فاطر، ٣٥/٤٢.
[12] سورة الأنعام، ٦/١٠٩.
[13] يقول الله تعالى: ﴿ونُقلِّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّلَ مرّة ونَذَرُهم في طغيانهم يَعْمَهون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٠).

وهؤلاء قد أيأس الله عن إيمانهم وأخبرهم أنهم ييأسون أبدا. فلذلك لم يُعطَ لهم عهد. وعلى ذلك ظهر نقضهم العقود مرة بعد مرة. *والله أعلم*.

والثاني أنه استثنى فيهم أن لا يؤمنوا[1] بالآيات إلا أن يشاء الله.[2] فلعل الله شاء أن يكون إيمانهم بالقتال خاصة، ففرض فيهم ذلك إلى أن يؤمنوا.

ووجهٌ آخر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِث[3] فيهم ومنهم،[4] فأوجبت لهم الفضيلة به أن لا يُقبَل منهم غيرُ الإيمان، كما فُضِّلت البُقعة التي فيها بُعِث رسول الله، ومنها أن لا يُترَك فيها غيرُ المؤمن تفضيلا.

ووجهٌ آخر، أنهم قوم ليس لهم[5] أُسّ ولا أئمة في الدين إليهم يَرجعون في التأسيس. ومعلوم أنْ لا قِوامَ[6] في العقول لأمر الدين إلا بالأئمة كالسياسات كلها والأمور [التي] فيها[7] القِوام من الملك وغيره.[8] بل إنما كانوا جَرَوْا على عادة، وقاتَلوا[9] عن القبائل، فلا يرجعون في الحقيقة إلا إلى عادة خارجة عن التدبير. وغيرُهم يرجعون إلى مذاهب أُسِّست مما أُسِّس أمرُ الديانات، فقد تعلّقوا بضَربٍ مِن ذلك، فتُرِكوا إذا خضعوا -لا [إذا] رفعوا- وأذعنوا لهم بحق التَّبَع، فيُترَكون رجاءَ أن يتأملوا، إذ لكل مذهبٍ نَظَر. وليس لأولئك سوى[10] العادة وتقليد الآباء، ومَن ذلك وَصْفُه لا يَنظر فيُمْهَلَ للنظر. *والله أعلم*.

وأيضا إن لسائر المذاهب أصول يَتكثَّر[11] [بسببها] أهلُها، وفي الإقامة على القتال إلى الفناء يَنضمُّ[12] بعضٌ إلى بعض فيتناصرون،[13] فيُخاف على المسلمين -بما به رجاء التكثُّر- الفناءُ.

---

[1] ع: لا يؤمنون.
[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).
[3] ك ن: بعث هو؛ ع م: هو بعث.
[4] ع: ومنها.
[5] م – لهم.
[6] قِوَام العيش: عِماده الذي يقوم به، وقِوَام كل شيء: ما استقام به (*لسان العرب* لابن منظور، «قوم»).
[7] ك: فيما.
[8] ن – وغيره.
[9] ع م: على عادتهم وقاتلوهم.
[10] ع م: سواء.
[11] ع: يتكسر.
[12] ع م: يتضمن.
[13] ك: فينتاصرون؛ ن ع م: فيناصرون.

والعرب يَقِلّ عددهم حتى لم يكونوا يقدرون على المُناوَأة إلّا بمعونة أهل الكتاب وغيرهم، فأمكن أن يُضطرّوا به إلى القتل.

مع ما ليست لهم مذاهب معلومة، إذ لا يُذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب، وقد ذُكِر لجميع الفِرَق،[1] فإنما أمرهم على العادة، وقد تُترَك[2] العادات بما يعترض[3] فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب، فيتركونها. وأهل المذاهب عندهم أنهم لَزِموا [مذهبهم] بالحجج، ومثل ذلك لا يُترَك إلا بالحجج، وذلك يكون بقبول الذمة والعهد.

وأيضا إنه يمكن إلزام[4] كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يُثبِت القول بالإسلام، وبالعهد رجاءُ الوصول[5] إليه. وليس لمشركي العرب ذلك، لِما لم يُبْنَ مذهبُهم على الحُجَج أو الشُّبَه،[6] إنما هو تقليد وعادة. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**، وقال في آية أخرى: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا،[7] أخبر أن السماوات تكاد أن تنفطر[8] وتنشق الأرض وتخرّ الجبال لعظم[9] ما قالوا في الله سبحانه من البهتان[10] والفرية عليه أن له ولدا. ثم بيّن الذي ذكر ذلك، فقال: **وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**، فذكر الآية، وأخبر -والله أعلم- أنهم قالوا في الله ما قالوا[11] لوجوه. أحدها فيه[12] دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،

---

[1] جميع النسخ: بجميع الفريق. والمعنى أي ذُكِر لكل فريق من الناس مذهب يذهبون إليه...
[2] ن: يترك؛ ع م: ينزل.
[3] ع م: بما لا يعترض.
[4] ع م: ألزم.
[5] ك: الموصول.
[6] ن ع م: أو السنة. والشبه: جمع شبهة. ويستعمل لفظ الشبهة بمعنى دليل الخصم، أي كأنه دليل في زعمه وحجة.
[7] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[8] م: أن ينفطر.
[9] ع م: لعظيم.
[10] ن: عن البهتان.
[11] ع - في الله ما قالوا.
[12] ن: فيها؛ م - فيه.

لأن هؤلاء المتأخرين لم يقولوا هذا، ولكن إنما قال ذلك أوائلهم، لكن كتموا ذلك، فأخبر رسول الله أن أوائلهم قالوا ذلك، وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك، ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله.

والثاني يخبر رسولَه سفة أوائلِهم ويُصبّره على سفه هؤلاء ليصبر على سفههم وأذاهم.

والثالث يخبر أنهم مشبّهة، لأنهم نسبوا المخلوق إليه، وقالوا: إن فلانا ابنه، لما رأوا منه أشياء، فلولا أنهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق وإلاّ ما قالوا ذلك ولا اعتقدوا ما اعتقدوا[1] من التشبيه وغير ذلك. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ذلك قولهم بأفواههم،** أي ذلك قول قالوه[2] بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك. أو قالوا ذلك **بأفواههم،** على غير شُبَه[3] اعترضت لهم تحملهم على ذلك.

وقوله عز وجل: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل،** يحتمل هذا أنْ قد كان قبل[4] هؤلاء من قد قال مثل قول هؤلاء. أو **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل،** من الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافتراء على الله، كقوله: تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ،[5] بالكفر. وكقوله:[6] كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى،[7] ليس أنْ يحي الموتى كلهم إحياءً كما أحيا ذلك القتيل بضرب بعضٍ من البقرة، ولكن يحييهم إحياء. فعلى[8] ذلك قوله: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل،** في الكفر نفسه. ويحتمل: ضَاهَأَ قولُ النصارى قولَ اليهود، والمُضاهأة[9] المشابهة والإشباه. وقوله: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل،** أي يشبه[10] النصارى بقولهم لعيسى: إنه ابن الله،

---

[1] ع م – ما اعتقدوا.

[2] ع: قالوا.

[3] أي دلائل عند ظنهم وإن كانت فاسدة في الحقيقة.

[4] ع: قيل.

[5] يقول الله تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يُكلِّمُنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين مِن قبلهم مِثلَ قولهم تَشَابهت قلوبُهم﴾ (سورة البقرة، ١١٨/٢).

[6] ع م – أو يضاهئون قول الذين كفروا من قبل من الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافتراء على الله كقوله تشابهت قلوبهم بالكفر وكقوله.

[7] يقول الله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسـا فادّارَأتم فيها والله مُخرِجٌ ما كنتم تكتمون. فقُلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحْيِي الله الموتى ويُريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (سورة البقرة، ٧٢/٢-٧٣).

[8] م – فعلى.

[9] ن: والمضاهات.

[10] جميع النسخ: أن يشبه.

قولَ اليهود من قبل: عُزَير ابن[1] الله، فضَاهَأَت[2] النصارى في عيسى اليهود[3] قبلهم في عُزَير.

وقوله عز وجل: **قاتَلهم الله أنَّ يُؤفَكون**، هذه الكلمة كلمةُ اللعن تُستعمَل عند مناكير القول والفعل من غير حصول المنفعة. وقوله: **أنَّ يُؤفَكون**، يحتمل: مِن أين **يُؤفَكون**،[4] ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم. ويحتمل **أنَّ يُؤفَكون**، أي كيف **يُؤفَكون**،[5] بلا منفعة تحصل لهم.

**﴿اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهًا وَاحِدًا لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **اتّخذوا أحبارهم ورُهبانَهم أربابا**، قيل: الأحبار[6] هم العلماء، والرُّهبان العُبَّاد. وقيل: / الأحبار هم أصحاب الصوامع من اليهود، والرُّهبان من النصارى. وقوله: [٣٠٤ظ]
**اتّخذوا أحبارهم ورُهبانَهم أربابا من دون الله**، يحتمل أن يكون هذا في السفهاء والأتباع، [وقوله]: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[7] في العلماء منهم والرؤساء، فاتّخذ الأتباع أولئك أربابا يتبعونهم في جميع ما يدعونهم إليه، ويَأْتَمِرُونهم[8] في جميع أوامرهم ونواهيهم. لا أنهم عبدوهم، ولكن ذكر أربابا، لما ذكرنا من اتباعهم وانتظارهم إياهم فيما هم يدعونهم إليه ويأمرونهم. كقوله: [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ] يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[9] وقول إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[10] ولا أحد يَقصِد قَصْدَ[11] عبادةِ الشيطان وطاعته، ولكن[12] نسب العبادة إليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به، فعلى ذلك هذا.

---

[1] ع – ابن.
[2] م: فمضاهاة.
[3] م: اليهو.
[4] ع – من أين يوفكون.
[5] ن + أي كيف يوفكون.
[6] ن + العلماء.
[7] الآية السابقة.
[8] يأتمرونهم أي يُشاوِرونهم (*لسان العرب* لابن منظور، «أمر»). وإن كان المقصود "يطيعونهم" فينبغي أن يقال: ويأتمرون بأمرهم.
[9] سورة يس، ٦٠/٣٦.
[10] سورة مريم، ٤٤/١٩.
[11] ك – قصد.
[12] ن: لكن.

ويحتمل ما روي في الخبر -إن ثبت- أنهم لم يعبدوهم،[١] ولكنهم أحلّوا لهم أشياء حرّمها [الله] عليهم فاستحلّوها، أو حرّموا لهم أشياء أحلّ الله ذلك[٢] لهم، فحرّموا ذلك، فقيل: اتّخذوهم أربابا. **والله أعلم**. يخرج هذا في الأحبار والرُّهبان على التمثيل، أي اتخذوا[٣] في الطاعة لهم والاتباع لأمرهم، لأنهم[٤] اتّخذوهم **أربابا** لا على التحقيق. وهو[٥] ما ذكر[٦] من عبادتهم الشيطان،[٧] لا أحد يقصد قَصْدَ عبادةِ الشيطان، لكن صاروا بالطاعة للشيطان والاتباع لأمره كأنهم عبدوه. وأما في المسيح فهو على التحقيق، لأنهم قالوا: إنه إله،[٨] وقالوا: ابن الإله[٩] إله،[١٠] فهو يخرج[١١] في المسيح على التحقيق، وفي الأحبار والرهبان على التمثيل.

وقوله عز وجل: **وما أُمِروا إلّا ليعبدوا إلها واحدا**، يحتمل إلّا ليُوَحِّدوا **إلها واحدا**، الذي، **لا إله إلا هو**. ويحتمل أي ما أُمِروا أن يعبدوا آلهة على ما يعبدون من الأصنام والأوثان، ولكن[١٢] أُمروا أن يعبدوا[١٣] إلها واحدا.

**﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[٣٢]

وقوله عز وجل: **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم**، قيل: **نور الله**، ذكر الله وتوحيده.

---

[١] عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوه وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه»، قال أبو عيسى [الترمذي]: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغُطَيف بن أعْيَن ليس بمعروف في الحديث (*سنن الترمذي*، التفسير ٩؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١١٤). وروي موقوفا على حذيفة وابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر: *سنن سعيد بن منصور*، ٥/٢٤٥؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٠/١١٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١١٤-١١٥.

[٢] ن – ذلك.

[٣] م: أي اتخذونها.

[٤] جميع النسخ: كأنهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٦ظ.

[٥] ع – وهو.

[٦] ع: وما ذكر.

[٧] م – الشيطان.

[٨] ع + وقالوا إنه إله.

[٩] ن ع م – الإله.

[١٠] ع: له.

[١١] ع: المخرج.

[١٢] ن: لكن.

[١٣] ن – أن يعبدوا، صح هـ.

وقيل: **نور الله**، القرآن؛ وقيل: **نور الله**، دينه، وهو الإسلام. فإن[1] كان النور هو الذكر والتوحيد **فهو** -والله أعلم- أنهم[2] لم يكونوا[3] يعرفون ذكر الله ولا يذكرونه، إنما كانوا يعرفون ذكر الأصنام وإياها يذكرون،[4] وبحق القرابة والرحم يتناصرون فيما[5] بينهم. فلما أنْ بعث الله رسوله محمدا بذكر[6] **الله** وتوحيده وأمر بالتناصر بحق الدين أرادوا أن يطفئوا ذلك النور.[7] ومن قال: أراد بنور الله القرآن،[8] [فقد][9] أرادوا إطفاءه كقوله:[10] ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾،[11] و ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾،[12] و ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾،[13] ونحوه، أرادوا إطفاءه بنحو[14] ما ذكرنا،[15] [وقولهم:] ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾،[16] وقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾،[17] الآية. ومن قال: **نور الله**، هو الدين، فهو[18] كقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾،[19] وقال:[20] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾.[21]

---

[1] ع: وإن.
[2] ك - أنهم.
[3] ع: أنهم يكونوا؛ م: أنهم ليكونوا.
[4] جميع النسخ: يذكرونها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[5] ن ع م: فيها.
[6] ع: يذكرون.
[7] ن: نور الله.
[8] ن - القرآن.
[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٦ظ.
[10] ك ن: كقولهم.
[11] يقول الله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتَعِدانِني أن أُخرَج وقد خلَتِ القرونُ مِن قبلي وهما يستغيثان الله وَيْلَكَ آمِنْ إنّ وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ سورة الأحقاف، ١٧/٤٦. وورد وصفهم للقرآن بأنه "أساطير الأولين" في آيات أخرى كثيرة، انظر: سورة الأنفال، ٣١/٨؛ وسورة النحل، ٢٤/١٦؛ وسورة الفرقان، ٥/٢٥؛ وسورة القلم، ١٥/٦٨؛ وسورة المطففين، ١٣/٨٣.
[12] سورة سبأ، ٤٣/٣٤؛ وسورة الصافات، ١٥/٣٧.
[13] سورة فصلت، ٢٦/٤١.
[14] ع: وبنحو.
[15] ن: ما ذكروا.
[16] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[17] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[18] ع م - فهو.
[19] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.
[20] ع م: فقال.
[21] يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصباحٌ المِصباحُ في زُجاجةٍ الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتُها يضيء ولو لم تَمْسَسْه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله لِنُورِهِ مَن يشاء ويَضرب اللهُ الأمثالَ للناس والله بكل شيء عليم﴾ (سورة النور، ٣٥/٢٤).

وفي حرف[١] أُبَيّ: مَثَلُ نور المؤمن؛[٢] أرادوا إطفاء هذا النور[٣] لِتَسْلَمَ[٤] لهم المنافع التي كانت لهم.

وقوله: **يريدون أن يطفئوا**، يحتمل وجهين. **يريدون**، أي يجتهدون أن يطفئوه،[٥] فما يقدرون على إطفائه. ويحتمل **يريدون**، أي يحتالون أن يطفئوه[٦] بأسباب يتكلّفون ويحتالون.

وقوله عز وجل: **ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره**، بالحجج والبراهين، أو بالنشر والإظهار. وقد أتمه، كقوله: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.[٧]

وقوله عز وجل: **ولو كره الكافرون**، وقد كره الكافرون.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**، يحتمل قوله: **بالهدى**، هُدًى يهديهم إلى ما به يكون جميع المحاسن والخيرات محاسنَ وخيراتٍ، لأن المحاسن والخيرات[٨] إنما تقوم[٩] بالإيمان، وبه يُنتفَع بها، بعثه لذلك.[١٠] ويحتمل قوله: **بالهدى**،[١١] القرآن، يهديهم ويبيّن لهم المحاسن من المساوئ والحسنات من السيئات،[١٢] وهو هدى يهديهم إلى ذلك.[١٣]

وقوله عز وجل: **ودينِ الحق**، وهو دين الحق،[١٤] أي الإيمانُ الذي يُصيّر المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو **دين الحق**. ويحتمل قوله: **ودين الحق**، أي أرسله بالهدى وبدين الحق.

---

[١] م: في حرف.

[٢] جميع النسخ + ومثله. وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في ذلك قراءات أخرى: "كذلك مثل المؤمن"، أو "مثل نور من آمن به"؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٣٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/١٩٦، ١٩٧. ولعل ذلك تفسير وليس بقراءة.

[٣] ن: نور الله.

[٤] ن ع م: ليسلم.

[٥] ع: أن يطفئوا.

[٦] ع: أن يطفئوا.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).

[٨] ع – لأن المحاسن والخيرات.

[٩] ن م: إنما يقوم؛ ع: وإنما يقوم.

[١٠] ع: كذلك.

[١١] جميع النسخ + وهو.

[١٢] ع م: والسيئات.

[١٣] ع – ذلك.

[١٤] م – وهو دين الحق.

ويحتمل قوله: **ودين الحق**،[1] أي دين الله، كقوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.[2]

وقوله عز وجل: **لِيُظهره على الدين كله**، يحتمل وجوها. يحتمل[3] **لِيُظهر رسوله على** أهل **الدين كله**، بالحجج والآيات. فقد أظهره بحمد الله على الأديان كلها بالحجج والبراهين، حتى لم يتعرّض أحد [لإثارة] الشُّبَه[4] [في] ذلك فضلا أن يتعرّض لإبطاله.[5] ويحتمل **لِيُظهره على** أهل[6] **الدين كله**، بالقهر والغلبة والإذلال. فقد كان حتى خضعوا له كلهم وذلّوا، حتى لم يَبْقَ في جزيرة العرب مشركٌ ولا كافر إلا خضع له، وصار أهل الكتاب ذليلين صاغرين في أيدي المسلمين. فإن[7] كان المراد من قوله: **ليظهره على الدين كله**، [ظهورَ دينه على غيره بالحجج والبراهين] فهو [ظاهر] بالحجج[8] والبراهين كلها، وإن كان أراد به الدين أن **يُظهره**[9] على الأديان كلها [من حيث القهر والغلبة][10] فبَعدُ لم يكن، ويكون إن شاء الله هو الظاهر على الأديان كلها يوم القيامة.[11]

وقوله عز وجل: **على الدين كله**، ولم يقل: على الأديان كلها، فالدين يتناول الأديان كلها، كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[12] يدخل فيه كل إنسان. وجائز أن يكون [سمّى ذلك دينا لأنه وإن كان][13] أديانا مختلفة فهو واحد، لأن الكفر كله ملة واحدة، وهو دين الشيطان، فسماه بذلك.

---

[1] ن – وهو دين الحق أي الإيمان الذي يصير المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق أي أرسله بالهدى وبدين الحق ويحتمل قوله ودين الحق؛ ع م – أي أرسله بالهدى وبدين الحق ويحتمل قوله ودين الحق.

[2] سورة النور، ٢٤/٢٥.

[3] ك – يحتمل؛ ع: ويحتمل.

[4] جميع النسخ: أحد في شبه.

[5] جميع النسخ: في إبطاله.

[6] ك: ليظهر أهل.

[7] ك ن م: وإن.

[8] ع: وبالحجج.

[9] ع: ليظهره.

[10] الزيادات الثلاثة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.

[11] انظر تفسير الآية ٤٨/٢٨ من سورة الفتح، وتفسير الآية ٦١/٩ من سورة الصف. فعبارات المؤلف رحمه الله في ذينك الموضعين أتم مما هنا.

[12] سورة الانفطار، ٨٢/٦؛ وسورة الانشقاق، ٨٤/٦.

[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرُّهبان**، أما **الأحبار والرهبان**، قد ذكرنا.[١]

وقوله عز وجل: **لَيأكلون أموال الناس بالباطل**، لأنهم كانوا يأكلون أموالهم بما يحرّفون[٢] كتاب الله ويبدّلونه، كقوله: / يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[٣] وقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ،[٤] الآية. فهم إنما حرّفوا ذلك وبدّلوه لِتَسلَم[٥] لهم تلك الأموال، فذلك أكل بباطل، لأنهم خافوا ذهاب تلك المنافع والأموال إذا أسلموا. فيجوز أن يكون إنما سماهم أربابا في الآية الأولى[٦] لما أنهم جعلوا أموالهم أموالا[٧] لأنفسهم وأنفسهم عبيدا لهم، فهم كالأرباب لهم. [٣٠٥و]

وقوله عز وجل: **والذين[٨] يَكنِزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**، يحتمل أن يكون هذا صلة ما قال: **لَيأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله**، أي أخذوا أموالهم لِصدّ الناس عن سبيل الله وكَنَزوها ولم ينفقوها[٩] في سبيل الله، إنما أنفقوها لِصدّ الناس عن سبيله. ومن الناس من حمل الآية على منع[١٠] الزكاة، روي في الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أن «كل مال أُدِّيَ الزكاة عنه فهو ليس بكنز وإن كانت تحت[١١] سبع أَرَضِين، وكل مال لم يُؤَدَّ[١٢] الزكاة [عنه]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ٣١/٩.
[٢] ك: بما يحرفونه.
[٣] سورة النساء، ٤٦/٤؛ وسورة المائدة، ١٣/٥.
[٤] سورة آل عمران، ٧٨/٣.
[٥] جميع النسخ: ليسلم.
[٦] أي في سورة التوبة، ٣١/٩.
[٧] ن: أموا.
[٨] ك – أنهم جعلوا أموالهم أموالا لأنفسهم وأنفسهم عبيدا لهم فهم كالأرباب لهم وقوله عز وجل والذين، صح هـ.
[٩] ك: ولم ينفقوها.
[١٠] جميع النسخ: في منع.
[١١] ع – تحت.
[١٢] ك: لم تؤد.

فهو كنز وإن كان على وجه الأرض».[1] ومن أصحابنا من استدل بلزوم ضمّ الفضة والذهب بعضه إلى بعض في الزكاة بهذه الآية، لأنه ذكر كنز الذهب والفضة[2] جميعا، وألحق الوعيد بترك الإنفاق من الفضة بقوله: **ولا ينفقونها في سبيل الله**، فلولا أن الضمّ واجب ويكون[3] المؤدي عن أحدهما مؤديا[4] عن الآخر[5] وإلاّ[6] لم يكن لذلك[7] معنى. ثم في مُتعارَف الناس أنهم يؤدّون من الفضة عن الذهب، لأن الذهب أعزّ عندهم والفضة دونه. ثم إن كانت الآية في الكفرة فهو[8] في القبول، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[9] وقوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ،[10] وذلك على القبول لا في الأداء نفسه.

**﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **يوم يُحمَى عليها في نار جهنم فتُكوَى بها جباهُهم وجُنُوبهم وظهورهم،** الآية، جعل الله تعذيب الكفرة في الآخرة بالأسباب التي منعتهم[11] عن طاعة الله ودعتهم إلى مخالفة أمره، ويجمع بينهما في النار، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[12] وقوله: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ] يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ،[13]

---

[1] أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٧/٤. وروي مختصرا أن ما أدي زكاته فليس بكنز؛ انظر: *سنن أبي داود*، الزكاة ٤. والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة؛ انظر: *الموطأ* لمالك، الزكاة ٢١؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ٧/٩؛ و*تفسير الطبري*، ١١٨/١٠-١١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٧/٤-١٧٩.

[2] م: ووالفضة.

[3] م: أو يكون.

[4] ك ن م: مودي.

[5] ع: مودي الآخر.

[6] ك: وإنما.

[7] ع م: كذلك.

[8] ك: فهي.

[9] سورة التوبة، ٥/٩.

[10] سورة فصلت، ٧/٤١.

[11] ع م: منعهم.

[12] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.

[13] سورة الزخرف، ٣٨/٤٣.

وقوله:[١] ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[٢] ونحو ذلك. فعلى ذلك ما كنزوا **يُحمَى عليها... فتُكوَى بها جِباههم وجُنُوبهم وظهورهم**، يعذبهم[٣] بها لما منعتهم تلك الأموال عن طاعته[٤] ودعتهم إلى صدّ الناس عن سبيل الله، يجعل عذابهم في الآخرة بها.[٥] ويحتمل قوله: **جِباههم**، كناية عن التقديم إلى الآخرة، أي لم يقدّموها ولم ينفقوها في سبيل الله، وقوله: **وجُنُوبهم**، لما أخذوها مما يحلّ ومما لا يحلّ من كل جهة، وقوله: **وظهورهم**، لما أنفقوها في الصدّ عن سبيل الله. ويحتمل ذكر هذا [كناية عن][٦] إحاطة العذاب بهم من كل الجهات، كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾،[٧] وقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾،[٨] أي يحيط العذاب بهم، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*. وكقوله: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾،[٩] أي يحيط بهم حتى لا يقدروا على رفعه عن وجوههم.

وقوله: **يوم يُحمَى عليها في نار جهنم**، الآية. وروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من[١٠] صاحب ذهب ولا فضة[١١] لا يؤدّي حقها إلا جُعلت له يوم القيامة صفائح، ثم أُحمي عليها في نار جهنم، يُكوَى[١٢] بها جنبه وجبهتُه وظهره، [كلّما بَرَدَتْ أُعيدت له][١٣] في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضَى بين الناس، فيرى سبيله إمّا إلى الجنة، وإما إلى النار، وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدّي حقها إلا أُتي بها يوم القيامة تطؤه بأظلافها وتنطحه[١٤] بقرونها»، ثم ذكر فيه ما ذكر في الأول. قالوا: يا رسول[١٥] الله، فصاحب الخيل؟

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الصافات، ٢٢/٣٧.
[٣] ع: يعذب.
[٤] ك: من طاعته.
[٥] ن - بها.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.
[٧] سورة الأعراف، ٤١/٧.
[٨] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[٩] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[١٠] ع: قال من.
[١١] ك: وفضة.
[١٢] ع: تكوى.
[١٣] من مصادر الرواية.
[١٤] ع م: وتنطحها.
[١٥] ك: يرسول.

قال: «هي لثلاث:[1] لرجلٍ أَجْرٌ،[2] ولرجلٍ سِتْرٌ، ولرجلٍ وِزْرٌ. فأما من ربطها عُدَّةً في سبيل الله فإنه لو أنه طَوَّل لها في مَرْجٍ[3] خصب أو في روضة كتب الله له عدد ما أكلتْ حسناتٍ وعدد أرواثها حسناتٍ، ولو انقطع طِوَلُها[4] ذلك فاستَنَّتْ[5] شَرَفا أو شَرَفين[6] كتب الله له عدد آثارها حسناتٍ، ولو مرت بنهر عَجَّاجٍ[7] لا يريد السَّقْي به فشربتْ كتب الله له عدد ما شربتْ حسناتٍ،[8] ومن ارتبطها فَخْرا وعِزّا على المسلمين كان له وزرا إلى يوم القيامة، ومن ارتبطها تغنيًا وتعفُّفا ثم لم ينس حقّ الله في رقابها وظهورها كانت له سترا من النار يوم القيامة».[9] فإن ثبت هذا الخبر عن رسول الله ففيه دلالة وجوب الزكاة في الخيل، وهو حجة لأبي حنيفة، لأنه قال: «ثم لم ينس حق الله في رقابها»، والحق الذي في رقابها هو الزكاة، والذي في ظهورها هو الجهاد عليها. **والله أعلم.**

**﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **إنّ عِدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله**، من الناس من يقول: إن الشهور كانت التبست عليهم واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدّمونها، حتى لم يكونوا[10] يعرفون الشهور بعينها، كل شهر على حدة. فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم / بمكة [٣٠٥ظ] بالموسم، فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته[11] يوم خلق الله[12] السماوات والأرض،

---

[1] ك: لثلث.

[2] ع: أجر.

[3] المَرْج: الفَضاء، وقيل: المَرْج أرض ذات كلإ ترعى فيها الدواب، وقيل: أرض واسعة فيها نبت كثير تَمْرُج فيها الدواب، والجمع مُرُوج (*لسان العرب* لابن منظور، «مرج»).

[4] ن – طولها، صح هـ. الطِوَل: الحبل الذي يُطَوَّل للدابة فترعى فيه (*لسان العرب* لابن منظور، «طول»).

[5] ع: فاسنت.

[6] «وفي حديث الخيل: "استنت شَرَفا أو شَرَفين"، استنّ الفرس يستنّ استنانا، أي عَدَا لِمَرَحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب عليه» (*لسان العرب* لابن منظور، «سنّ»).

[7] نهر عَجَّاج: تسمع لمائه عَجيجا أي صوتا، وقيل: كثير الماء، وفي حديث الخيل: "إن مرت بنهر عَجَّاج فشربت منه كتبت له حسنات"، أي كثير الماء كأنه يَعِجّ من كثرته وصوت تدفّقه (*لسان العرب* لابن منظور، «عجج»).

[8] ن – حسنات.

[9] *صحيح البخاري*، الزكاة ٣، والشرب ١٢؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ٢٤.

[10] ع: لا يكونوا.

[11] ن م: كهيئة.

[12] ع م – الله.

السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم،[١] ورجب[٢] الذي[٣] بين جُمادَى وشعبان».[٤] ثم قال لهم: «أيُّ[٥] بلد هو، وأي شهر هو، وأي يوم هو؟»[٦] قالوا: «بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرامٌ»، فقال:[٧] «ألا هل بلّغتُ؟»، قالوا: بلى، فقال: «اللهم اشهد».[٨] وفي بعض الأخبار زيادة: فقال: «[أَلَا] وإنّ النسيء[٩] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٠] الآية».[١١] وقالوا: وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما وعاما حلالا، ويجعلون[١٢] المحرّم عاما حراما وعاما حلالا، فكان النسيء من الشيطان. وصف رسول الله في هذه الأحاديث الأشهر الحُرُم وبيّنها فدل ذلك على أن النبي[١٣] كان يحرّم القتال فيها على ما كان أهل الجاهلية يحرّمونه، وزاد ذلك بيانا بِعَيب[١٤] أصحاب النسيء، إذ كانوا يستحلّون القتال في المحرّم ويؤخرونه إلى صفر، فيحرّمون صفر مكان المحرّم، فعاب الله عليهم تحليل ما حرّم من الشهر، وجعله زيادة في الكفر. وقال: يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ،[١٥] أي عِدّة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، وقال: فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ.[١٦] ومنهم من قال: إن الله جعل عِدّة الشهور اثني عشر شهرا بالأهلّة على ما عرفته العرب، لما وُفِّقوا[١٧] إلى معرفة[١٨] ذلك ولم يُوَفَّق غيرُهم،

---

[١] ع: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم.
[٢] ن: رجب.
[٣] ك + هو.
[٤] ن + وشعبان.
[٥] ن: هو.
[٦] ن – هو.
[٧] ع م: وقال.
[٨] روي نحوه عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٧٧؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٢٩.
[٩] ع: إنما النسيء.
[١٠] الآية التالية.
[١١] أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٣/٤؛ وأخرج نحوه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عمر؛ انظر: نفس المصدر، ١٨٨/٤.
[١٢] ع: يجعلون.
[١٣] ع م: أن النسيء.
[١٤] ك: لعيب.
[١٥] الآية التالية.
[١٦] الآية التالية.
[١٧] ك: لما وقفوا.
[١٨] جميع النسخ: على معرفة.

وإنما يعدّون السنة بالأيام، والعرب تعرفها بالأهلّة على ما خلقها[1] الله **يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُم**.

*وقوله عز وجل: **في كتاب الله**، يحتمل **كتاب الله**، اللوح[2] المحفوظ على ما[3] قيل. ويحتمل [٣٠٥ظ س١٩
**في كتاب الله**،[4] أي في حكم الله ذلك. وقوله: **عند الله**، يحتمل ما ذكرنا من اللوح المحفوظ، أنّ ذلك
عند الله لم يَطّلع عليه غيره. ويحتمل **عند الله**، أي[5] في علمه على ما عرفته العرب. ***والله أعلم***.* ٣٠٥ظ س٢١]

*وقوله: **ذلك الدين القيّم**، قيل: ذلك الحساب حساب الأشهر قيّم، أي صحيح مستقيم [٣٠٥ظ س١٧
على ما خلقه الله. وقيل: ذلك الحِساب هو القضاء العدل.* ٣٠٥ظ س١٩]

**فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم**، قال بعضهم: في الأشهر كلها، لِما جعل هذه الأشهر شهودا عليهم تشهد[6] بما يعملون فيها من المعاصي والخيرات، وبها تنقضي آجالهم. يخبر[7] أنْ لا تظلموا[8] في هذه الأشهر التي تأتي[9] لكم[10] بكل خير وبكل نعمة، فإنها تنصرف بما تعملون فيها من الخير والشر. وقال بعضهم: قوله: **فلا تظلموا فيهن أنفسكم**، أي في الأربعة الحُرُم.[11] خصّ الأربعة وإن كان الظلم في الأشهر كلها لا يحلّ[12] على ما خصّ مكة بترك الظلم فيه[13] وإن كان الظلم حراما في الأماكن كلها، كقوله: سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ،[14] الآية. أي لا تقاتلوا فيها، إذ كلُّ ظُلْم.

---

[1] ع م + خلقها.
[2] ع: في اللوح.
[3] ع – على ما.
[4] ع – في كتاب الله.
[5] ك – أي.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٥ظ/سطر ١٩-٢١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٥ظ/سطر ١٧-١٩.
[6] جميع النسخ: يشهدون.
[7] ن ع: بخير.
[8] ع م: لا تظلمون.
[9] ع: يأتي.
[10] ن ع م: بكم.
[11] ن ع: المحرم.
[12] ع: كله ألا يحمل؛ م: كله لا يحمل.
[13] ع م – فيه.
[14] يقول الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويَصُدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذِقْه من عذاب أليم﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢٥).

وقوله عز وجل: **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**، يحتمل قوله: **كافة**، أي مجتمعين،[١] أي قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم هم مجتمعين.[٢] ويحتمل **كافة**، أي جماعة. ويحتمل **كافة**، إلى الأبد، إلى يوم القيامة، أي قاتلوهم إلى الوقت الذي يقاتلونكم كما يقاتلونكم. **واعلموا أن الله مع المتقين**، في النصر والمعونة.

**﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[٣٧]

[٣٠٦و س١٢ * قال أبو عَوْسَجة: **النَّسِيء**،[٣] التأخير،[٤] يقال:[٥] نَسَأت الشهر، أي أخرته، ويقال: أَنْسَأَ الله في أجلك، أي أخّر الله. وقوله: **لِيُواطِئوا**، والمُواطأة أن يُدخِلوا شهرا مكان شهر، وهو التتابُع، يقال: تواطأ القوم على حديث كذا وكذا، أي تتابعوا، وواطأتُ فلانا، أي تابعتُه. وقال القُتَبي: **النَّسِيء**، التأخير، وكانوا يؤخرون تحريم المحرّم منها سنة، ويحرّمون غيره مكانه لحاجتهم إلى القتال فيه، ثم يردّونه[٦] إلى التحريم في سنة[٧] أخرى، كأنهم يَستَنْسِئون ذلك.[٨] **لِيُواطِئوا**، أي ليوافقوا **عِدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله**، يقول: إذا حرّموا من الشهور عدد الشهور المحرّمة لم يُبَالُوا[٩] أن يحلّوا الحرام ويحرّموا الحلال.* ٣٠٦و س١٨]

[٣٠٦و س٣ * وقوله: **إنما النسيء زيادة في الكفر**، أي لمّا أحدث أولئك الملوك من تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ[١٠] الله [أحدثوا] زيادةً في كفر أولئك[١١] مِن وقتِ إحداثهم. وقوله عز وجل: **يُضَلّ به الذين كفروا**، يحتمل وجهين. يحتمل **يُضَلّ به الذين كفروا**، أي يُهلَك به **الذين كفروا**،

---

[١] ن: أي يجتمعون؛ ع م: أي يجتمعون.
[٢] ع – على ما يقاتلونكم هم مجتمعين.
[٣] م – النسيء.
[٤] ن – التأخير، صح هـ.
[٥] ع – يقال.
[٦] ن: ثم يرونه.
[٧] ع م: في صفة.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٦.
[٩] ن ع م: لم ينالوا.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ١٢-١٨.
[١٠] ك: ما حلل.
[١١] جميع النسخ + أحدثوا.

أي الذين أحدثوا. ويحتمل **يُضَلّ به الذين كفروا**، أي ما أحدث أولئك الملوك إنما أحدثوا ليُضَلّ به الأتباع. **يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما**، على ما ذكر في القصة أنهم كانوا[1] يستحلّون المحرّم عاما فيصيبون فيه الدماء والأموال، **ويحرّمونه عاما**، فلا يستحلّون فيه الدماء والأموال.

وقوله عز وجل: **لِيُواطِئوا عِدّة ما حرّم الله**، قيل: ليوافقوا عدد ما حرّم الله. كان عندهم أن التحريم إنما كان لعدد[2] الأشهر لا للأشهر[3] لما في الأشهر [من زيادة معنى يقتضي الحرمة]،[4] فحفظوا عدد الأشهر ولم يحفظوا[5] الوقت. وذلك تأويل قوله: **لِيُواطِئوا عِدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله زُيِّن لهم سوءُ أعمالهم**، أي زُيِّن تأخيرُ المحلَّل وتقديمُ المحرّم. **والله لا يهدي القوم الكافرين**، قيل: لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر، أو لا يهديهم في الآخرة طريق[6] الجنة

[٣٠٦و س١٢] لكفرهم في الدنيا. وقد ذكرنا تأويله في غير موضع.[7]*

وقوله عز وجل: **إنما النسيء زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا**، الآية، كأن هذه الآية والآية[8] التي قبلها [وهو] قوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا،[9] في مشركي العرب، وسائرَ الآيات التي قبلها وهو قوله: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ،[10] وقوله: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،[11] في أهل الكتاب، يخبر أن ملوك العرب اتخذوا أنفسهم أربابا والأتباع عبيدا من دون الله حتى [إنهم] يتبعونهم في جميع ما يحلّونه ويحرّمونه، كما أن اليهود والنصارى اتخذوا أنفس أولئك عبيدا. فكأنه[12] قال للمؤمنين: إن ملوك العرب وأحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا أنفسهم أربابا والأ تباع عبيدا،[13]

---

[1] ك: كا.
[2] ع م: بعدد.
[3] ع م: الأشهر للأشهر.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٨و.
[5] ع – عدد الأشهر ولم يحفظوا.
[6] ع م: طريقة.
[7] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة آل عمران، ٨٦/٣.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٣-١٢.
[8] ع م – والآية.
[9] الآية السابقة.
[10] سورة التوبة، ٣١/٩.
[11] سورة التوبة، ٣٤/٩.
[12] ع: فكافة.
[13] ن + فكأنه قال للمؤمنين.

فأنتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا أنفسكم أربابا والأتباع عبيدا. ألا ترى أنه قال في الآية التي تتلو[١] هذه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ.[٢]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣٨]**

* وقوله: **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله**، الآية، عاتب المؤمنين [٣٠٦و س٢
بالتثاقل بالخروج إلى الأرض ونهاهم عن الركون إلى الدنيا.* قال بعضهم: الآية في المنافقين ٣٠٦و س٣]
الذين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، كقوله: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،[٣] الآية، ففيهم[٤] ذكر ذلك الوعيد. وقال بعضهم: الآية في المؤمنين، أُمِروا أن ينفروا في سبيل الله. **اثّاقلتم إلى الأرض**، قيل: استثقلتم النَّفر[٥] في سبيل الله وأقمتم. ويحتمل التثاقل هو أن يُرُوا مِن أنفسهم الثقل من غير أن أقاموا، كما يقال: يتصامم ويتعامى من غير أن كان به الصمم أو العمى،[٦] ولكن لما يُرِي مِن نفسه ذلك.[٧] وقال بعض[٨] أهل الأدب: قوله: **اثّاقلتم**، أي تثاقلتم وركنتم إلى المُقام، وذلك في القرآن كثير، كقوله: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا،[٩] أي تداركوا.

وقوله: **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**، أي ما مَتَّعكم في الدنيا قليل بما وعد[١٠] أن يُمَتِّعكم في الآخرة. أو أن يقال: **متاع الحياة الدنيا**، من أولها إلى آخر ما تنتهي،[١١] **قليل**، من متاع الآخرة وكراماتها، لأن كرامات الدنيا على شرف الزوال،

---

[١] ن ع م: تتلوا.
[٢] الآية التالية.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٢-٣.
[٣] سورة التوبة، ١٠١/٩.
[٤] جميع النسخ: فيفهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٨و.
[٥] ن: النفس.
[٦] ك ع: والعمى.
[٧] ن + ذلك.
[٨] ع: بعضهم.
[٩] سورة الأعراف، ٣٨/٧.
[١٠] ك: وعدكم.
[١١] ن ع م: ما ينتهي.

[٣٠٦و] وكرامات الآخرة على الدوام أبدا. أو أن يقول: **متاع الحياة الدنيا** قليل من متاع / الآخرة، لأن متاع الدنيا ومنافعها تشوبه[١] الآفات والمَضَرّات، ومتاعَ الآخرة ومنافعَها[٢] لا تشوبه[٣] الآفات والمَضَرّات.*

**﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٣٩]

وقوله عز وجل: **إلّا تنفروا يعذّبكم عذابا أليما**، أي إن لم[٤] **تنفروا يعذّبكم عذابا أليما**.[٥] فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر. وإن كانت في المؤمنين فيحتمل قوله: **يعذّبكم عذابا أليما**،[٦] يَحِلّ بهم ولم يبيّن ما ذلك العذاب. وقال بعضهم: شدد الله الوعيد في تركهم النَّفْر والخروج في سبيل الله على ما شدّد[٧] ببدر في تولية[٨] الدُّبُر[٩] بقوله:[١٠] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾،[١١] الآية. غير أنه شدّد يوم بدر[١٢] لما لم يكن ملجأ، وكان نِفارهم نِفار نفاق، وهاهنا شدّد لغير ذلك لوجوه. أحدها لما[١٣] في تخلُّف المؤمنين عنه موضع العذر للمنافقين بالتخلُّف عنه، أنهم إن تخلّفوا[١٤] للعذر فنحن نتخلّف أيضا للعذر، ولنا في ذلك عذر.

---

[١] جميع النسخ: يشوبه.
[٢] ع م − ومنافعها.
[٣] جميع النسخ: لا يشوبه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٢-٣. ووقع هنا مقطعان طويلان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٣-١٢، وسطر ١٢-١٨.
[٤] ن: أي لم.
[٥] ن − أليما.
[٦] م − أي إن لم تنفروا يعذبكم عذابا أليما فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر وإن كانت في المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا أليما.
[٧] ع: على شدد.
[٨] ك ع م: في التولية.
[٩] ع: الدر.
[١٠] ع: بقولهم؛ م: بقولهم.
[١١] ﴿... فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال، ١٦/٨).
[١٢] م − بدر.
[١٣] ع: الما.
[١٤] ع م − إن تخلفوا.

والثاني يكون للكفار موضع الاحتجاج عليهم. يقولون: إنهم يُرغِّبوننا في الآخرة ويحثّوننا في ذلك ثم إنهم ينفرون عن ذلك ويَرغبون عنه. والثالث يكون في تخلّفهم الشَّوْكَة على المؤمنين، إذ يَقِلّون إذا تخلّفوا.

وقوله عز وجل: **ويستبدلْ قوما غيركم**، قيل بوجوه. قيل: يستبدل الملائكة فينصروا رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حُنين ويوم الأحزاب. وقيل: **ويستبدلْ قوما غيركم**،[١] على ما استبدلكم يا أهل مكة، فينصرونه. وقال بعض أهل[٢] التأويل: **يستبدل قوما غيركم**، أي ينشئ قوما غيركم. لكن تأويل الأول أشبه. ألا ترى أنه قال في آخره: **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**.[٣]

وقوله: **ولا تضرّوه شيئا**، هو ما ذكرنا، أي لا تضرّوا رسول الله بالتخلّف عنه. وقال بعضهم: لا تضرّوا الله شيئا. والأول أشبه لما ذكرنا.

**﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **إلّا تنصروه فقد نصره الله**، يقول: إن لم تنصروا[٤] رسول الله فالله ينصره على ما نصره في الوقت الذي كان في الغار، لم يكن معه أحد من البشر إلا واحد. فإن لم تنصروه فالله كافيه[٥] في نصره على ما كفاه ونصره في الحال التي لم يكن معه من البشر[٦] إلا واحد، فاليوم لا ينصره ومعه من الأنصار والأعوان ما لا يحصى؟ وكان ما استنفرهم رسول الله وأمرهم بالخروج إلى العدو لم يكن يستنفرهم لمكان نفسه، إذ يعلم أن الله كافيه[٧] في نصره، ولكن إنما كان[٨] يستنفرهم[٩] ويأمرهم بالخروج لمكان أنفسهم،

---

[١] ع م – قيل بوجوه قيل يستبدل الملائكة فينصروا رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حنين ويوم الأحزاب وقيل ويستبدل قوما غيركم.
[٢] ك: بعض من أهل.
[٣] الآية التالية.
[٤] ع م: لم تنصره.
[٥] ع: كان فيه.
[٦] ك + أحد.
[٧] ع م: كافية.
[٨] ن – كان.
[٩] ع م: يستنفر.

ليكتسبوا بذلك[1] قربا وثوابا عند[2] الله وزُلْفَى. ألا ترى أنه قال: **إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** -وقال- **وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا**،[3] أي إن لم تنفروا و لم تنصروا رسول الله فلا تضرّوه شيئا، إذ الله كافيه[4] في نصره. وإنما[5] عاتبهم بترك النَّفْر والخروج لئلا يَركَنوا إلى الدنيا ولا يَرضَوْا **بالحياة الدنيا** من الآخرة على ما رَكَن أولئك الكفرة؛ لأن ركونهم إلى الدنيا وحُبَّهم إياها[6] هو الذي منعهم عن اتباع محمد، وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الإجابة له فيما يدعوهم إليه. فيقول[7] -والله أعلم- للمؤمنين: لا تَركَنوا[8] إلى الدنيا ولا تَرضَوْا بها من الآخرة لِيَمنعكم ذلك عن النَّفْر والخروج إلى ما يأمركم رسول الله، على ما منع أولئك الكفرة على ما ذكرنا. وأصله أنه إنما استنصرهم لا لحاجة له[9] إلى نصرهم، إذ هو قادر أن ينصر رسوله بما شاء، لكن [٣٠٦ظ] طلب منهم / النصر له ليكسبوا[10] بذلك ثوابا[11] لأنفسهم وذِكْرا[12] في الآجل. وكذلك ما طلب منهم الشكر له على نِعَمه لا لحاجة له[13] في ذلك، ولكن ليستديموا[14] النعمة ويَصِلوا إلى الباقية الدائمة.

وقوله عز وجل: **إذ أخرجه الذين كفروا**، أي اضطرّوه إلى الخروج حين همّوا بقتله حتى خرج من بين أظهرهم.

وقوله عز وجل: **ثانيَ اثنين إذ هما في الغار**، **ثانيَ اثنين**، أي لم يكن معه من البشر[15] إلا واحد، لِيَعلموا أن النصر لم يكن بأحد[16] من البشر، إنما كان بالله تعالى؛ إذ بالواحد

[1] ن ع م – بذلك.
[2] ع: وثوابا من عند.
[3] الآية السابقة.
[4] ن: كافية.
[5] ك: إنما.
[6] ع: إياه.
[7] ن ع م: فنقول.
[8] ع: ولا تركنوا.
[9] ك – له.
[10] ك م: ليكتسبوا.
[11] ن – ثوابا.
[12] ك ع م: وذكر.
[13] ع م – له.
[14] م: يستديموا.
[15] ع: من اليسر.
[16] ع: ماجد.

لا تكون النُّصرة والحفظ مِن أُلوف. أو يَذكر فضل أبي بكر، وكان[١] هو[٢] ثانِيَه في كل أمره.

وقوله عز وجل: **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا،** لم يكن حزن أبي بكر[٣] خوفا[٤] على نفسه، ولكن إشفاقا على رسول الله أن يُصاب. وكذلك روي في الخبر أنه قال لرسول الله: يا رسول الله، إنك إن تُصَبْ[٥] يَذهب دين الله ولن يُعبَد الله على وجه الأرض. وفي بعض الأخبار أن أبا بكر[٦] كان يبكي إشفاقا على رسول الله، فقال له رسول الله: «ما يُبكيك؟»، فقال ما ذكرنا، فقال له: «يا أبا بكر،[٧] ما ظنُّك[٨] باثنين ثالثهما الله؟». وقيل: إنهما لمّا[٩] أتيا باب الغار سبق أبو بكر فدخل الغار، وكان الغار معروفا بالهوامّ، فألْقَمَها[١٠] أبو بكر قَدَمَيْه فأطال ذلك، فقال: إن كان فيه[١١] شيء بدا لي، أو كلام نحو هذا.[١٢] *والله أعلم*. وقوله: **[لا تحزن] إن الله معنا،** ليس بنهي عن الحزن والخوف على رسول الله،[١٣] ولكن على تخفيف الأمر عليه وتيسير الحال التي هو عليها.

---

[١] ع: وكا.
[٢] ن – وكان هو.
[٣] ن + الصديق.
[٤] ع م – خوفا.
[٥] جميع النسخ: إن تصاب.
[٦] ن + الصديق.
[٧] م: با بكر.
[٨] ك: ما ما ظنك.
[٩] ع م – لما.
[١٠] أي سدَّ جحور الهوام بقدميه لمنع خروجها، مأخوذ من لَقّم الطريق وغيره بمعنى سدّه. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «لقم». ويفسر ذلك بعض الروايات الآتية.
[١١] ك: فيها.
[١٢] روى أبو نعيم عن أنس بن مالك أنه قال «لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك فان كانت حية أو شيء كانت لي قبلك. قال: أُدْخل. فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جُحرا جاء بثوبه فشقه ثم ألْقَمَه الجُحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جُحر فوضع عَقِبَه عليه ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع. فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة. فأوحى الله تعالى إليه إن الله قد استجاب لك (*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ٣٣/١). وعن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدّثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (*صحيح البخاري*، المناقب ٢؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ١). وانظر لمجموع الروايات في ذلك: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٦/٤-٢٠٤.
[١٣] ن ع م – والخوف على رسول الله.

وقوله عز وجل: **فأنزل الله سَكِينته عليه،** قيل:[1] أنزل سَكِينته على أبي بكر حين قال له رسول الله: «ما ظنُّك باثنين ثالثهما الله؟»، حتى[2] سكن قلب أبي بكر من الحزن والخوف على رسول الله. وقال بعضهم: أنزل السَّكِينة على رسول الله. فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه أنزل السَّكِينة عليه حتى رأى هو جنودا لم يَرَوْها هم، حيث قال: **وأيَّده بجنود لم تروها.** والثاني أنزل سَكِينته[3] بالحجج والبراهين. لكنه إن كان ما ذكر فهو قد أنزل السَّكِينة عليه في البدء، لأنه كان رسول الله لا يخاف[4] سوى الله ويعلم أنه ينصره. وكذلك روي عن ابن عباس [أنه] قال: **فأنزل الله سكينته،** على أبي بكر،[5] لأن النبي لم تَزَل السَّكِينة معه.[6] وهو أشبه.

وقوله: **وأيَّده بجنود لم تَرَوْها،** يحتمل في ذلك الوقت. ويحتمل في الغزوات التي نصره بالملائكة يوم بدر وغيره. يخبر أنه قادر أن ينصره لا بالبشر، لِيَعلموا أنه إنما يأمرهم بالنَّفْر لا لنصر رسول الله، ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب.

وقوله عز وجل: **وجعل كلمةَ الذين كفروا السُّفلى،** يحتمل **كلمة الذين كفروا،**[7] ما مكروا برسول الله وهمّوا بقتله. جعل مكرهم ومكيدتهم واجتماعهم على ذلك هي **السُّفلى.**[8] **وكلمةُ الله هي العُليا،** أي مَكْرُ الله بهم ونُصرةُ رسوله **هي العُليا،** كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية. ويحتمل قوله: **كلمة الذين كفروا،** دينهم الذي يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه، **السُّفلى،** أي جعل ذلك **السُّفلى،** بالحجج، وجعل دين محمد[10] **العُليا،**

---

[1] ع: وقيل.
[2] ك: حين.
[3] ن: السكينة؛ ع: سكينة.
[4] ع: فلا يخاف.
[5] ع – بكر.
[6] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في *دلائل النبوة* وابن عساكر في *تاريخ دمشق* عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٠٧.
[7] ك ن + وهو.
[8] ع م – يحتمل كلمة الذين كفروا ما مكروا برسول الله وهموا بقتله جعل مكرهم ومكيدتهم واجتماعهم على ذلك هي السفلى.
[9] يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[10] ن ع م + هو.

بالحجج والبراهين على[١] ما كان. ويحتمل قوله: **كلمة الذين كفروا السُّفلى**، أي جعل أهل الكلمة الذين كفروا هم **السُّفلى**، وأهلَ[٢] دين الله هم الأَعْلَوْن، كقوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ.[٣]

وقوله عز وجل: **والله عزيز**، لا يُعجِزه شيء، **حكيم**، في أمره.

**﴿اِنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **انفروا خِفافا وثِقالا**، اختلف فيه. قيل: شُبَّانا[٤] وشيوخا. وقيل: مرضى وأصِحّاء. وقيل: مَشاغيل وغير مَشاغيل. وقيل: فقراء وأغنياء. وقيل: نَشاطا وغير نَشاط.[٥] وأصله: **انفروا**، مُستخِفّين ومُستثقِلين، أي **انفروا**، خَفَّ عليكم الخروج أو ثَقُل. وما ذكر أهل التأويل من الشيخوخة والتشغّل والفقر والمرض لأن ذلك بالذي يُثقِل الخروج والنَّفر. وأصله ما ذكرنا أنْ **انفروا**، خَفَّ[٦] عليكم ذلك أو ثَقُل. وقوله: **انفروا خِفافا وثِقالا**، **انفروا** خَفَّ على النفس أو ثَقُل، أو خَفَّ على الطبع أو ثَقُل، أو خَفَّ على العقل أو ثَقُل.[٧]

وقوله عز وجل: **ذلكم خير لكم**، في الدنيا والآخرة، أي اعلموا أن **ذلك خير لكم**، من المُقام[٨] وترك النَّفْر،[٩] **إن كنتم تعلمون**.

**﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **لو كان عَرَضا قريبا وسفرا قاصدا لاتّبعوك**، قال بعض أهل التأويل: **لو كان عَرَضا قريبا**، أي غنيمة قريبة، **وسفرا قاصدا**، أي هَيِّنا، **لاتّبعوك**، في غَزَاتِك،[١٠]

---

[١] ع م + ذلك.
[٢] ن: فأهل.
[٣] يقول الله تعالى: ﴿ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٩/٣)؛ ويقول تعالى: ﴿فلا تَهِنُوا وتدعوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالَكم﴾ (سورة محمد، ٣٥/٤٧).
[٤] ن ع م: شبابا.
[٥] من باب الوصف بالمصدر، كما يقال: رجل عَدْل.
[٦] ن: واخف.
[٧] ك – وقوله انفروا حفافا وثقالا انفروا خف على النفس أو ثقل أو خف على الطبع أو ثقل أو خف على العقل أو ثقل، صح هـ.
[٨] ع: في المقام.
[٩] ك: النفير.
[١٠] ك: في غزواتك؛ ن: في غزايك.

**ولكن بَعُدت عليهم الشُقَّة**، يعني المسير. وقيل: العَرَض: الدنيا، **وسفرا قاصدا**، ليس فيه مشقة. وأصل قوله: **لو كان عَرَضا قريبا**، أي منافع حاضرة، **وسفرا قاصِدا**، أي منافع غائبة. والعَرَض هو المنافع. يقول: لو كانت لهم منافع حاضرة أو منافع غير حاضرة، **لاتّبعوك**، فيما استتبعتهم،[1] لأن عادتهم اتباع المنافع، يعني المنافقين. كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ.[2] أخبر أنهم يعبدون الله على حرف، وهو ما ذكر: فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، فمِن عادتهم أنهم إنما يتبعون المنافع وإليها يميلون. وأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله في كل حال في حال السّعة وفي حال الضِّيق، ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه، كانت لهم منافع أو لم تكن، أصابتهم مشقة أو لا، هم لا يفارقون رسول الله على كل حال.

وقوله عز وجل: **وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم**، أي لو كان لنا ظَهْر
[٣٠٧و] وسلاح **لخرجنا معكم**، ولو كان [لنا] زادٌ / وما نشتري ما نحارب به **لخرجنا معكم**. ثم أخبر أن لهم استطاعة على ذلك، وأنهم كاذبون أنه لا استطاعة لهم، حيث قال: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.[3]

وقالت المعتزلة: دل قوله: **لو استطعنا لخرجنا معكم**، أن الاستطاعة تتقدم[4] الفعل، لأنه أخبر أنهم كاذبون فيما يقولون: إنه ليس معنا[5] ما نُنفق وما نشتري به السلاح. لكنا نقول: إن الاستطاعة على وجهين. استطاعة الأسباب والأحوال، واستطاعة الأفعال. واستطاعة[6] الأسباب والأحوال يجوز أن تتقدم،[7] وهذه الاستطاعة هي استطاعة[8] الأسباب والأحوال. ألا ترى أنه قال: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً. ومن قولهم أيضا: إن استطاعة الأفعال لا تبقى أوقاتا، ثم إن هذه [الآية] أخبرت[9] أنها كانت باقية أوقاتا. دل أنها هي استطاعة الأسباب والأحوال.

---

[1] ع: استتبعهم؛ م: استبقتهم.
[2] سورة الحج، ١١/٢٢.
[3] سورة التوبة، ٤٦/٩.
[4] ع م: يتقدم.
[5] ع: معناه.
[6] ن: والستطاعة؛ ع: والاستطاعة.
[7] ع م: أن يتقدم.
[8] ع: الاستطاعة.
[9] جميع النسخ: أخبر.

وقوله عز وجل: **يُهلِكون أنفسهم**، قيل: **يُهلِكون أنفسهم**، بأيمانهم الكاذبة أنهم لا يستطيعون. وقيل: **يُهلِكون أنفسهم**، بتركهم الخروج، لأنهم يُقتَلون إذا تركوا الخروج، كقوله: مَلْعُونِينَ،[1] الآية. ويحتمل: **يُهلِكون أنفسهم**، في الآخرة بنفاقهم في الدنيا.

﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، بالتخلّف، **حتى يتبيّنَ لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين**، يحتمل قوله: **حتى يتبيّنَ لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين**، أي يُطلِعك الله على نفاقهم، فيكون ذلك آية من آيات النبوة إن لم تأذن لهم بالتخلُّف. أو إن لم تأذن لهم يتبيّن لك نفاقهم، لأنهم يتخلّفون ويفارقونك وإن لم تأذن لهم، والذين صدقوا لا يفارقونك، فيتبيّن لك[2] هؤلاء من هؤلاء، ويَظهر كذب هؤلاء مِن صدق هؤلاء المؤمنين.[3]

وفي قوله: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، دلالة أن النبي إنما أذن لهم بالتخلّف بلا أمر، وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد،[4] لأنه لو كان أذِن لهم بالتخلّف بالأمر لم يكن لِيُعاتِبه على الإذن. دلّ أنه إنما أذن لهم بالتخلّف بالاجتهاد لِما ظنّ أنهم إنما يستأذنونه[5] بالقعود[6] للعذر.

فإن قيل: كيف عاتب رسوله بما أذن لهم بالقعود[7] وقد أخبر أنه إنما كان يحكم بما أراه الله، بقوله: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ؟[8]

قيل: يحتمل أنه إنما عاتبه على ترك الأفضل، لأن ترك الإذن[9] لهم بالقعود[10] أفضل من الإذن، إذ به[11] يتبيّن له[12] الصادق من الكاذب، ويكون فيه آية من آيات الرسالة.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿لَئِن لم يَنْتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. ملعونين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٠/٣٣-٦١).

[2] ع م – لك.

[3] ك: ويظهر صدق هؤلاء من كذب هؤلاء.

[4] ن + وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد.

[5] ك: تستأذنونه.

[6] م: بالعقود.

[7] م: بالعقود.

[8] يقول الله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ (سورة النساء، ١٠٥/٤).

[9] ك: الآن.

[10] م: بالعقود.

[11] ك: لأن به.

[12] ك – له.

ويجوز أن يعاتب على ترك الأفضل. ويحتمل أن يكون قوله: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، تعليم من الله أنْ كيف يُعامِل الناسُ بعضُهم بعضا، ليس على العتاب.

ومن الناس من استدل على تفضيل رسول الله على غيره من الأنبياء[1] صلوات الله عليهم بهذه الآية، لأنه بدأ[2] بذكر العفو. وكذلك في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلّته [أولاً]، وذكر في سائر[3] الأنبياء الزلاّت.

**﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[٤٤] ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر**، الآية، أي **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله**، بالتخلّف لغير عذر، إنما يستأذنونك[4] لعذر.[5] **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر**، بالقعود لغير عذر، **وارتابت قلوبهم فهم في رَيبِهم يتردّدون**، أي عن شكّهم يتردّدون. وعن[6] الحسن قال: **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله**[7] -إلى قوله- **يتردّدون**،[8] نسختها الآية التي في سورة النور: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.[9] لكن[10] هذا لا يحتمل، لأنه ذكر أن سورة التوبة من آخر ما نزلت. أو إنهم إذا كانوا في أمر[11] جامع لم يذهبوا إلا بعد الاستئذان، لأنهم كانوا يُظهِرون الموافقة للمؤمنين في الأمور الجامعة، وأما في الخَلَوات[12] فلا.

---

[1] ن: ومن الأنبياء.
[2] ن ع م - بدأ.
[3] ع: في رسائر.
[4] ك ع م: يستأذنك.
[5] ن - إنما يستأذنونك لعذر.
[6] ع: أو عن.
[7] م - واليوم الآخر بالقعود لغير عذر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون أي عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله.
[8] ك - أي عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله إلى قوله يترددون.
[9] سورة النور، ٦٢/٢٤. وانظر لقول الحسن: *تفسير الطبري*، ١٤٣/١٠.
[10] ع - لكن.
[11] ن: من أمر.
[12] ع م: في الحلوان.

**﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾**[٤٦]

وقوله عز وجل: **ولو أرادوا الخروج لأَعَدُّوا له عُدَّة**، يحتمل أن يكون هذا في غزوة تبوك على ما قاله أهل التأويل. أُمِروا بالخروج والتأهُّب للغزو، فعزموا أن لا يخرجوا، فعُوتِبوا[١] على ذلك. ويحتمل أن يكون في جميع الغزوات[٢] عزموا واعتقدوا أن لا يخرجوا ولا يتأهَّبوا له قَطّ، فقالوا: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ،[٣] فأَكْذَبهم الله تعالى أنهم كَذَبَة وأنهم أغنياء، لكنهم عزموا أن لا يخرجوا[٤] ولا يُعِدّوا له عُدَّة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولكن كَرِه الله انْبِعاثَهم**، يحتمل قوله: **كَرِه الله انْبِعاثَهم**، أي لم يرض الله[٥] بخروجهم[٦] وانبعاثهم. ثم بيّن الوجه الذي لم يرض ما ذكر في قوله: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا،[٧] أي فسادا، أي[٨] لم يُرِد الله خروجهم لما علم منهم أنه[٩] لا يزيد خروجهم[١٠] في الجهاد إلا ما ذكر من الخبال والفساد.

وقوله عز وجل: **فثَبَّطَهم**، قيل: حبسهم، أي إذ علم منهم أن خروجهم وانبعاثهم لم يزدهم إلا فسادا حبسهم. ويحتمل أنْ خلق منهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتثاقل. وفيه دلالة خَلْقِ الله فِعلَ الشر،[١١] ويكون في ذلك خيرٌ[١٢] لغيره وإن كان شرا لهم. فعلى ذلك خلق فعل[١٣] المعصية من العاصي[١٤] وهو شر له، ويكون ذلك خيرا لغيره.

---

[١] م: فعوتوا.
[٢] جميع النسخ: الغزاة.
[٣] سورة التوبة، ٤٢/٩.
[٤] ع: لا تخرجوا.
[٥] ك – الله.
[٦] ع: يخرجهم.
[٧] الآية التالية.
[٨] ن ع م – أي.
[٩] ك: أن، + خروجهم وانبعاثهم.
[١٠] ك – خروجهم.
[١١] ك: البشر.
[١٢] جميع النسخ: خيرا.
[١٣] ن – فعل.
[١٤] ن ع م: من المعاصي.

[٣٠٧ظ س٤ * والانبعاث هو الخروج. وكذلك في[1] حرف ابن مسعود: "ولكن كره الله خروجهم". والتَّثْبِيط
٣٠٧ظ س٥] الحبس.[2] وأصل التثبيط: التثقيل. وقال أبو عَوْسَجَة: الانبعاث هو القيام.*

وقوله عز وجل: **وقيل اقعدوا مع القاعدين**، يحتمل قوله: **قيل اقعدوا**، لمّا استأذنوا رسول الله بالقعود أذن لهم في ذلك على ما وقع عنده أن لهم عذرا[3] في ذلك. وإن كان من الله
[٣٠٧ظ] عز وجل فهو على التهدُّد / والتوعُّد. ويحتمل أن يكون من الشيطان وسوس إليهم أن اقعدوا ترغيبا منه إياهم بالقعود والتخلّف. *والله أعلم*.

**﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالا**، قوله: **لو خرجوا فيكم، أي** لو كانوا[4] خرجوا فيكم؟[5] ألا ترى أنه قال: وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[6] دلّ هذا أنهم لم يكونوا خرجوا، ولو كانوا خرجوا لم يكن يُثَبِّطهم، دلّ أنه ما ذكرنا.* والخَبَال قيل: الفساد والشر. وقيل: الغَيّ. وهو[7] واحد. وقوله: **ما زادوكم إلا** كذا، يحتمل زيادة الخَبَال وجوها. يحتمل أن يكونوا[8] عيونا للعدو ويخبروهم عن عورات المسلمين. أو كانوا يُجَبِّنون[9] أهل الإسلام، كقولهم: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[10] ونحوه. [ويحتمل ما ذكر من الإيضاع بعد هذا بقوله: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكم**.][11]

---

[1] ع – في.
[2] ثَبطتُ الرجلَ ثَبْطا: حَبَسْتُه... وثَبَّطَه عن الشيء تَثْبِيطا: إذا شَغَله عنه... والتَّثْبِيط هو التَّعْوِيق والشُّغْل عن المراد (*لسان العرب* لابن منظور، «ثبط»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٧ظ/سطر ٤-٥.
[3] جميع النسخ: عذر.
[4] ع: لو كان.
[5] ن – أي لو كانوا خرجوا فيكم، صح هـ.
[6] الآية السابقة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٧ظ/سطر ٤-٥.
[7] ع: هو.
[8] ك: أن يكون.
[9] ع م: يجيبون.
[10] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.
[11] من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.

وقوله عز وجل: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكم**، قيل: هو من إيضاع الإبل، **خِلَالَكم**، تتخلّل[١] فيما بينكم. وقيل: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكم**، أي رَوَاحِلَهم حتى[٢] يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم[٣] الأذى. كانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من البلاء والشدة. وقال القُتَبي: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكم**، من الوَضْع،[٤] وهو سرعة السير.[٥] وقال أبوعَوْسَجَة: هو من الإيضاع[٦] يكون على الإبل. وهو عندي مِن عَدْوِ الإبل، يقال: أَوْضَعْتُ البعيرَ، ورَكضتُ الفرس، وأَجريتُ الحمار. **خِلَالَكم**:[٧] بينكم. وقيل: الخِلَال: القتال. وهو ما ذكرنا، أنهم يُدخِلون فيهم النقصان والقتال[٨] والفشل.

وقوله عز وجل: **يَبغُونكم الفتنة**، قيل: يَبغُون منكم **الفتنة**، وهو الشرك الذي كانوا هم عليه. ويحتمل ما ذكرنا من القتال[٩] وإدخال الفشل والجبن فيهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وفيكم سمّاعون لهم**، هذا يحتمل وجهين أيضا. يحتمل أن هؤلاء المنافقين يكونون سمّاعين للكفرة[١٠] وعيونا[١١] يخبرونهم عن عورات المسلمين وضَعْفهم. ويحتمل قوله: **وفيكم**، من المؤمنين، **سمّاعون لهم**، لأنه[١٢] قيل: إنه[١٣] كان في أصحاب النبي أهل محبّة لهم وطاعة لشرفهم فيهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **يَبغُونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم**، كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم، ثم يقول: أُبلغكم ما بلغني، بلغني[١٤] أن العدو أمامكم قد غوّروا المياه وفعلوا كذا وهيّئوا.

---

[١] جميع النسخ: يتخلل.

[٢] ك: خلالكم رواحلهم أي حتى. الوَضْع: أَهْوَنُ سَيْرِ الدوابّ والإبل، وقيل: هو ضَرْب مِن سَيْرِ الإبل دون الشَّدّ... يقال: وَضَع البعير، إذا عَدَا، وأَوْضَعْتُه أنا، إذا حملته عليه... وقيل: الإيضاع السَّيْر بين القوم (*لسان العرب* لابن منظور، «وضع»).

[٣] ع م: لا يصيبكم.

[٤] ع: من الموضع.

[٥] ك: المسير. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٧.

[٦] ع: هو الإيضاع.

[٧] ع: خلال.

[٨] ن: والقتل.

[٩] ن ع م: من القتل.

[١٠] جميع النسخ: سماعا لهم وخبرا؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠و.

[١١] م: وعيوبا.

[١٢] ع م: الآية.

[١٣] ع: إنهم.

[١٤] ع م – بلغني.

ويحتمل قوله: **وفيكم سمّاعون لهم**، أي فيكم من المنافقين الذين قعدوا و لم يخرجوا يُسمِعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا أيضا ما يكرهون، يقولون: الدَّبْرة[1] على المؤمنين، ونحو ذلك من الهزيمة.

وقوله عز وجل: **والله عليم بالظالمين**، أي لا عن جهلٍ أَمْهَلَهم[2] على ما هم عليه، ولكن أخرهم ليوم، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا،[3] الآية.

**﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **لَقَدِ ابْتَغَوُا الفتنة من قبل**، تحتمل[4] الفتنة الوجهين اللذين ذكرتهما.[5]

وقوله عز وجل: **وقَلَّبوا لك الأمور**، أي تكلّفوا واجتهدوا لِيُطفئوا هذا النور. **وظهر أمر الله**، قيل: دين الله الإسلام. ويحتمل حُجج الله وأدلته. وهو ما ذكر: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.[6] ويحتمل قوله: **وقَلَّبوا لك الأمور**، ظَهْرًا لِبَطْن ليمكروا برسول الله ويقتلوه، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ،[7] الآية؛ وقوله:[8] **وظهر أمر الله**، ما ذكرنا[9] من دين الله وحُججه. **وهم كارهون**، لذلك،[10] كقوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[11] فظهر دين الإسلام وهم كارهون له.

**﴿وَمِنهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **ومنهم من يقولُ ائْذَنْ لي**، فيه دلالة أنه[12] لا كل المنافقين قالوا [ذلك]، إنما قال ذلك بعضهم، وبعضهم قالوا غير هذا.

---

[1] ع: الدابرة.
[2] ع م: مهلهم.
[3] يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[4] ن ع م: يحتمل.
[5] انظر تفسير الآية السابقة.
[6] سورة التوبة، ٣٢/٩.
[7] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[8] ن ع م - وقوله.
[9] ع: ما ذكر.
[10] ع: كذلك.
[11] يقول الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ المشركون﴾ (سورة التوبة ٣٣/٩؛ وسورة الفتح، ٢٨/٤٨؛ وسورة الصف، ٩/٦١).
[12] ك - أنه.

وقوله عز وجل: **ولا تَفْتِنِّي**، قيل: لا تُؤَثِّمْنِي، وقيل: لا تُحْرِجْني،[1] وقيل: لا تُكَفِّرْنِي.[2] وهو[3] واحد. يقول من قال: **ولا تَفْتِنِّي**، أي لا تكن سبب فتني ومعصيتي:[4] أي لا تأمرني بالخروج، ولكن ائذن لي بالقعود، لأنك إن أمرتني بالخروج ولم[5] تأذن لي[6] بالقعود والتخلّف فقعدت وتخلّفت كنت عاصيا تاركا لأمرك، فكنت أنت سبب عصياني وفتني. والثاني قوله: **ولا تَفْتِنِّي**، أي لا تأمرني بالمشقّة[7] والشدة، ولكن بالدَّعَة[8] والسَّعة. هم كانوا عُبّاد السَّعة والرخاء حيث كانوا[9] مالوا إليهم، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[10] الآية، يقول: لا تكن سبب إثمي وانقلابي. ومنهم من قال: إن رجلا منهم[11] يقال له الجدّ بن[12] قيس [قال]: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفْتَتِن، ولكن أُعِينك بمال، ففيه نزل[13] قوله:[14] قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ.[15] وهو قول ابن عباس، يقول: لا تأمرني بالخروج، فإني مُولَع بالنساء لا أصبر إذا رأيتهن.[16] ولا ندري كيف كانت القصة. لكن الوجه فيه ما ذكرنا آنفا. وقوله: **ولا تَفْتِنِّي**، أي ولا تمتحنّي[17] بالمحنة التي فيها الهلاك والمشقة.

---

[1] ك ن: ولا تخرجني؛ ع م: لا تخرجني. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٠/١٤٩. أي لا تُوقِعني في الحَرَج، وهو الإثم.

[2] ك ن: ولا تكفرني.

[3] ك: والكل.

[4] ك + أي لا تكن سبب فتني ومعصيتي.

[5] ع: وإن لم.

[6] ك: ولم تأمرني؛ ع م – لي.

[7] جميع النسخ: المشقة.

[8] جميع النسخ: الدعة.

[9] ك ن ع: كان.

[10] يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فإن أصابه خير اطْمَأَنَّ به وإن أصابته فتنة انْقَلَبَ على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخُسْرَان المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[11] ك م + قال؛ ن + من قال؛ ع – إن رجلا منهم.

[12] ن ع: ابن.

[13] ن ع: ترك.

[14] م – قوله.

[15] سورة التوبة، ٩/٥٣.

[16] *تفسير الطبري*، ١٠/١٥٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٧. والمشهور أن قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾، نزلت في الجد بن قيس، ويحتمل أن يكون مجموع الآيات نزلت في نفس القصة. انظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١٠/١٤٨–١٤٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٣–٢١٥.

[17] ن: لا تمتحني؛ ع: ولا تمتحن.

فقال: **ألا في الفتنة سقطوا**، أي ألا في المشقة[1] والبلاء والهلاك **سقطوا**.[2] هذا يدل أن أهل النفاق هم كَفَرَة. وقوله عز وجل: **ألا في الفتنة سقطوا**، أي[3] ألا في الشر والإثم **سقطوا**، على تأويل من تأوّل قولَه: **ولا تَفْتِنِّي**: لا تُؤَثِّمْنِي ولا تخرجني. وعلى تأويل من قال: **ولا تَفْتِنِّي**: لا تَشُقَّ عليَّ،[4] ولا تأمرني بالمشقة والشدة والضِّيق، يقول: ألا في الشدة والضِّيق يسقطون.[5]

[٣٠٨و] وقوله عز وجل: / **وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**، أي تحيط[6] بهم حتى لا يجدون منفذا ولا مَخْلَصا. أو تحيط بهم من تحت وفوق[7] وأمام وخلف ويمين وشمال، تحيط بهم حتى تصيب كل جارحة[8] منهم، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ،[9] الآية، أخبر أنها تحيط بهم. وفيه دلالة أن المنافقين هم كُفّار، لأنه ذكر في أول الآية صفة المنافقين، ثم أخبر أن جهنم تحيط بالكافرين.

**﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾**[٥٠]

وقوله عز وجل: **إن تُصِبك حسنة تَسُؤْهم وإن تُصِبك سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل**، قيل: **إن تُصِبك حسنة**، أي الغنيمة والنصر والظفر[10] على الأعداء،[11] يَسُؤْهم ذلك، **وإن تُصِبك مصيبة**، النكبة والهزيمة فَرِحوا بها، يقولون:[12] **قد أخذنا أمرنا من قبل**، أي أخذنا أمرنا بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى يصبنا[13] ما أصابهم.

---

[1] ك + والفتنة.
[2] ك ع م + الآية.
[3] ن - أي.
[4] ع - علي.
[5] ك: تسقطون.
[6] ع: أي يحيط.
[7] ن ع م: ومن فوق.
[8] ع: خارجة.
[9] يقول الله تعالى: ﴿لهم مِن فوقهم ظُلَلٌ مِن النار ومِن تَحْتِهِم ظُلَلٌ ذلك يُخَوِّفُ الله به عباده يا عبادِ فاتَّقُونِ﴾ (سورة الزمر، ١٦/٣٩).
[10] ع م: والظفر والنصر.
[11] ك - والظفر على الأعداء، صح هـ.
[12] ك ع م: يقولوا.
[13] ع: حتى يصيبنا.

ويحتمل أن يكون قوله: **قد أخذنا أمرنا من قبل**، أي قد أظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر، وكنا مع الكافرين في السر ووَالَيْنَاهم[١] في الحقيقة. وهو ما ذكر من انتظارهم أحدَ أمرَين في قوله: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[٢] الآية.

**ويَتولَّوْا وهم فَرِحون**، يحتمل يتولَّوْا أولئك الكفرة **وهم فَرِحون**. وفي الآية دلالة إثبات رسالة محمد ونبوته، لأنه معلوم أن ما يَسُوءُهم كانوا يُضمِرون ويُسِرّون عنهم، ثم أخبر عما أسرّوا وأضمروا، دل أنه[٣] إنما عَلِم ذلك بالله.

**﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**، قال بعضهم: **إلا ما كتب الله لنا**،[٤] أي قضى الله لنا، أي **لن يصيبنا إلا ما قضى الله لنا**. وقال بعضهم: **إلا ما كتب الله لنا**، أي ما جاء به القرآن، وهو قوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[٥] ويحتمل قوله: **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**، من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائم[٦] في الآخرة، أي **لن يصيبنا إلا** ذلك، وإن كنتم أنتم تفرحون بذلك. فذلك الذي **كتب الله لنا هو مولانا**، أي هو[٧] ربنا، ونحن عبيده، يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر، أي ما أكرمنا الله،[٨] أو ما[٩] أحلّ لنا وأباح. وأما القضاء فإنه قَلَّ ما يقال[١٠] فيما يكون لهم، وإنما يقال فيما قضى عليهم. وأما الكتاب لهم هو فيما[١١] [يكون لهم وعليهم][١٢] ويُحِلّ[١٣] لهم ويُبيح.

---

[١] ن ع م: واليناهم.

[٢] يقول الله تعالى: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤).

[٣] م – أنه.

[٤] م – قال بعضهم إلا ما كتب الله لنا.

[٥] سورة التوبة، ١١١/٩.

[٦] ن ع م: الدائمة.

[٧] ك – هو.

[٨] جميع النسخ + لنا.

[٩] جميع النسخ: أي ما.

[١٠] ع م: ما يقابل.

[١١] في ك ن ع بياض بمقدار عدة كلمات، ك هـ: كذا بالأصل بياض.

[١٢] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠ظ.

[١٣] م: يحل.

وقوله: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، يحتمل وجهين. يحتمل على الإخبار، أي على الله يتوكل المؤمنون، لا يتوكلون على غيره. ويحتمل أن يكون على الأمر، أي[1] على الله توكلوا أيها المؤمنون.

**﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **قل هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَين**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[2] **هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَين**، يعني الشهادة والحياة والرزق الدائم والكرامة،[3] كقوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا،[4] الآية. ويحتمل قوله:[5] **إلا إحدى الحُسْنَيَين**، في الدنيا الغنيمة والظفر، يقول: **هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَين**، إما الحياة الدائمة في الآخرة والرزق الحسن والكرامة، وإما الغنيمة والنصر في الدنيا، هذا تتربصون[6] بنا.

**ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ مِن عنده**، العذاب في الآخرة إن قُتِلتم، **أو بأيدينا**، أي القتل بأيدينا. **فتربّصوا**، بنا الشر، **إنّا معكم مُتربّصون**، العذاب بكم. هم كانوا لا يتربّصون بنا إلا الدوائر والهلاك، وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ،[7] هم كانوا لا يتربّصون بنا الحسنى، ولكن ما ذكرنا من الدوائر، لكن ذلك[8] وإن كان عند أولئك المنافقين هلاكا[9] ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى في الآخرة.

**﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها لن يُتَقَبّل منكم**، قال بعضهم: الآية في الجهاد،

---

[1] ن – أي.
[2] ع م: قل.
[3] عن ابن عباس: قوله: ﴿هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْن﴾، يقول: فَتْحٌ أو شهادة. وقال مرة أخرى: يقول: القتل، فهي الشهادة والحياة والرزق، وإما يخزيكم بأيدينا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٥١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٧.
[4] ﴿... بل أحياء عند ربهم يُرْزَقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩).
[5] ك ع م – قوله.
[6] ن ع: تربصون؛ م: يتربصون.
[7] يقول الله تعالى: ﴿ومِن الأعراب مَن يتخذ ما يُنفق مَغْرَما...﴾ (سورة التوبة، ٩/٩٨).
[8] «ولكن الذي تربصوا بنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠ظ).
[9] جميع النسخ: هلاك.

وإن المنافقين[١] كانوا يؤمرون[٢] بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما أُمِر[٣] أهل الإيمان بذلك. ثم منهم من كان يخرج للجهاد، ومنهم من كان يُجَهِّز غيره ويقعد، ومنهم من كان يخرج[٤] كارها، ونحوه، فنزل قوله: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها**، أي خوفا، **لن يُتَقَبَّل منكم**. ومنهم من قال: الآية في الزكاة، أنّ الله[٥] عز وجل فرض الزكاة في أموال المؤمنين، والمنافقون قد أظهروا الإيمان، وكانوا ينفقون ويؤدّون الزكاة، لكن منهم من كان يؤدي **طَوْعا**، ومنهم من يؤدي[٦] **كَرْها**، فقال: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها لن يُتَقَبَّل منكم**، لأنهم كانوا لا يَرون قُرْبَة، وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن؛[٧] ألا ترى أنه قال: وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[٨] دلّ أنهم كانوا ينفقون جميعا وهم كارهون لذلك في الباطن.[٩] ثم بيّن ما به لم تُقبَل[١٠] نفقاتهم، وهو ما ذكر: **إنكم كنتم قوما فاسقين**.

* وقوله عز وجل: **إنكم كنتم قوما فاسقين**، أي إنكم كنتم فاسقين. ويحتمل قوله: [٣٠٨ظ س٣
**كنتم**، أي صِرْتم **فاسقين** بما أنفقتم وأنتم كارهون. إذ هم قد أظهروا الإيمان ثم تركوه،[١١]
كقوله: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا،[١٢] أخبر أنهم آمنوا ثم كفروا، فعلى ذلك الأول.* ٣٠٨ظ س٥]

**﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٥٤]**

وقال: **وما منعهم أنْ تُقبَلَ منهم نفقاتهم**،[١٣] الآية، في الآية وجهان. أحدهما دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنهم **لا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى**،

---

[١] ك ن ع: ان المنافقين.
[٢] ن ع م: يأمرون.
[٣] ك: ما أقر.
[٤] ن – يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان يخرج.
[٥] أي لأن الله...
[٦] ع: ومنهم يؤدي.
[٧] ع: في الباطل.
[٨] الآية التالية.
[٩] ع: في الباطل.
[١٠] ك: لن تتقبل؛ ع م: لم يتقبل.
[١١] ك + هم.
[١٢] سورة المنافقون، ٦٣/٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٨ط/سطر ٣-٥.
[١٣] ن – وهو ما ذكر إنكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم.

وهم في الظاهر كانوا يأتون الصلاة على ما كان يأتي المؤمنون، ثم أخبر أنهم يأتونها **كُسَالَى،** دلّ أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. وكذلك أخبر أنهم ينفقون **وهم كارهون** لذلك، وكانوا ينفقون في الظاهر مُراآة لموافقتهم، ثم أخبر أنهم كانوا كارهين / لذلك في السر. دلّ أنه إنما علم ذلك بالله تعالى. [٣٠٨ظ]

والثاني أنْ لا تقومُ قُرْبَة ولا تُقبَل إلا على حقيقة الإيمان. الإيمان[1] هو شرط قيام هذه العبادات وقبول القرب، لا أنّ أنفُسَها إيمان، لأنهم كانوا يُظهِرون الإيمان ويُسِرّون الكفر، دلّ أنه ما ذكرنا.[2] *وبالله التوفيق.* *

وقوله عز وجل: **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى،** وكَسْلى[3] وكَسَالى فيه لغات ثلاثة،[4] والمعنى واحد، وهو أنهم **لا يأتون الصلاة إلا** مستثقلين، لأنهم كانوا لا يرونها[5] قُربة.

**﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا،** قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال بعضهم: هو على ما ذكر: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها،** في الآخرة[6] وفي الحياة الدنيا. والتعذيب في الدنيا هو ما فرض عليهم الجهاد وأُمِروا بالخروج للقتال، فكان يشقّ ذلك عليهم ويشتدّ، فذلك التعذيب لهم. وهو ما ذكر في آية أخرى: **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ،**[7] الآية. أو التعذيب في الدنيا هو القتل، يُقتَلون إن لم يَخرجوا.

---

[1] ع م – الإيمان.
[2] م: ما ذكر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٨ظ/سطر ٣-٥.
[3] ع: وكشلى.
[4] وفيه لغة أخرى أيضا، وهي كِسَالَى (*لسان العرب* لابن منظور، «كسل»).
[5] م: لا يردونها.
[6] ك – وقال بعضهم هو على ما ذكر فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.
[7] ﴿... ينظرون إليك تَدُور أَعْيُنُهم كالذي يُغْشَى عليه مِن الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقُوكم بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ **أَشِحّةً** على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٩/٣٣).

وفي الآية دلالة الرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: لا يعطي [الله] أحدا شيئا إلا ما هو أصلح له في الدين. ثم قال لرسول الله: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**، ولو كان لم يعطهم الأموال[١] والأولاد إلا للخيرات والصلاح فكأنه قال: لا يعجبك[٢] ما أعطيتُهم من الخيرات والصلاح، فذلك بعيد. فدل أنه قد يعطي خلقه ما ليس بأصلح لهم في الدين. وكذلك في قوله: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، الآية، دلالة الرد على قولهم، لأنه قال: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ[٣] -ثم قال- بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[٤] أنه[٥] يمدهم به لا للخيرات. دل أنه قد يعطي خلقه ما ليس هو بأصلح لهم في الدين. وفي قوله: **إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا**، دلالة الرد على المجبرة[٦] أيضا، لأنه أخبر أنه يعذبهم في الدنيا والآخرة، ولا يعذبهم مَجَّانًا[٧] فيما لا فعل لهم في ذلك. دل أن لهم صُنعًا[٨] في ذلك، وأنه إنما يعذبهم بفعل اكتسبوه. وفي قوله: **إنما يريد الله ليعذبهم بها**، دلالة أنْ ليس كل ما يعطيهم إنما يعطيهم ليرحمهم به، ولكن يعطيهم لِما علم منهم. فإن كان علم منهم أنهم يستعملون ما أعطاهم من الأموال وغيرها فيما فيه هلاكهم أعطاهم لذلك، ومن علم منهم أنه يستعمله لنجاته أعطاهم[٩] ليرحمهم به. فإنما أعطى كُلًّا ما علم أنه يكون منهم، لأنه لو أعطاهم على غير ما علم منهم فإنه[١٠] يكون في إعطائه مخطئا.

وقوله عز وجل: **وتزهق أنفسهم وهم كافرون**، قيل: تخرج أنفسهم وتهلك خوفا. قال أبو عَوْسَجَة: يُقال: خرج نفسه من فمه. وقيل: تذهب أنفسهم، كقوله: وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[١١] أي ذهب.

---

١ ع: الأموالهم.
٢ ع: فلا يعجبك.
٣ ك - الآية دلالة الرد على قولهم لأنه قال أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات.
٤ سورة المؤمنون، ٢٣/٥٥-٥٦.
٥ م: انما.
٦ جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.
٧ المَجّان: عطيّة الشيء بلا مِنّة ولا ثمن. وقيل: المَجان: الباطل. ويقال: ماء مَجان وتمر مَجان، يريدون أنه كثير كافٍ (*لسان العرب* لابن منظور، «مجن»).
٨ جميع النسخ: صنع.
٩ ك ن م: أعطاه.
١٠ جميع النسخ: انه.
١١ سورة الإسراء، ١٧/٨١.

وكذلك قال أبو عُبَيدة: زهق،[1] أي ذهب.[2] وفي الآية دلالة إثبات رسالة[3] رسول الله، لأنه أخبر أن أنفسهم تزهق وهم كافرون، فكان ما ذكر. دلّ أنه علم ذلك بالله.

**﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾**[٥٦]

وقوله عز وجل: **ويحلفون بالله إنهم لمنكم**، في الباطن في الدين، لأنهم كانوا منهم[4] في الظاهر. وقال: **وما هم منكم**، في الباطن في الدين، **ولكنهم قوم يَفْرَقون**، أي يخافون القتل، فيُظهِرون الموافقة لهم.

**﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[٥٧]

وقوله عز وجل: **لو يجدون مَلْجَأً أو مَغَاراتٍ أو مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إليه**، قيل: لو وجدوا حِرْزا، **أو مَغَارَاتٍ**، يعني الغِيران في الجبال، **أو مُدَّخَلًا**، أي[5] سِرْبا في الأرض،[6] **لَوَلَّوْا إليه**، أي رجعوا[7] إليه، **وهم يَجْمَحُون**، أي يَشتَدّون. وعن ابن عباس قال: المَلْجأ: الحِرْز في الجبال، والمَغَارات: الغِيران، والمُدَّخل: السِّرْب.[8] قال أبو عَوْسَجة: المَغَارات مثل المَلْجأ، وهو شيء يتحصّنون فيه، ومُدَّخلا هو موضع يدخلونه أيضا، **وهم يَجْمَحُون**، أي يُسرِعون، يقال: جَمَحت الدابة، تَجْمَح[9] جِماحا،[10] فهي[11] جامح،[12] وهو من الإسراع.[13] وكذلك قال القُتَبي.[14]

---

[1] ن ع م: أبو عبيد تزهق.

[2] يقول أبو عبيدة: «﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي تخرج وتموت وتهلك، ويقال: زهق ما عندك أي ذهب كله» (*مجاز القرآن* لابن قتيبة، ١/٢٦٢).

[3] ع - رسالة.

[4] ن: منكم.

[5] ن: يعني.

[6] جميع النسخ + في الجبال؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.

[7] ع: أي يرجعوا.

[8] *تفسير الطبري*، ١٠/١٥٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٨.

[9] ك: تجمع.

[10] م - جماحا.

[11] جميع النسخ: فهو.

[12] والذكر والأنثى في هذا الوصف سواء (*لسان العرب* لابن منظور، «جمح»).

[13] ع: من الأسرع.

[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٨.

وقال أبو معاذ:[١] الجَمُوح: الراكبُ رأسَه وهَواه. وقال بعضهم: قوله: **أو مُدَّخَلا**، لو يجدون[٢] ناسا يدخلون بينهم، **لَوَلَّوْا إليه**، دونكم. وأصله[٣] أنهم[٤] لو وجدوا مأمنا يأمنون به،[٥] **لَوَلَّوْا إليه**، أي لصاروا إليه مسرعين ولا يُظهِرون لكم الإيمان، ولكن ليس لهم ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **ومنهم**، يعني المنافقين، **من يَلْمِزُك في الصدقات**، اختلف فيه. قال بعضهم: **يَلْمِزُك**، يزورك لمكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم الصدقات. و[قيل:] **يَلْمِزُك**، أي يزورك ليسألك من الصدقات، أي إنما يزورونك لمكان الصدقات لتعطيهم، لا يزورونك ولا يأتونك لمكان الرسالة أو رغبةً في الدين، ولكن لمكان الصدقات. **فإن أُعطُوا** / **منها** [٣٠٩ر] **رَضُوا**، عنك ويعظّمونك، وإن لم تعطهم[٦] **إذا هم يَسخَطون**، لأن إتيانهم رسول الله وزيارتهم إياه لمكان الصدقة، فإذا لم يُعطَوْا منها شيئا سَخِطوا. ومنهم من قال: قوله: **ومنهم من يَلْمِزُك في الصدقات**، أي يطعن عليك في الصدقات، أي في قسمة الصدقات. روي عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَا رسول الله يقسم قَسْمًا له فجاءه رجل يقال له: ابن ذي الخُوَيْصِرة التميمي، فقال: اعْدِلْ يا رسول[٧] الله، فقال له النبي: «وَيْلَكَ! ومَن يعدل إذا لم أعدل أنا؟»، فقال عمر: ائذن لي يا رسول[٨] الله فأضرب عنقه، فقال له النبي: «دَعْه، فإن له أصحابا[٩] يحتقر أحدكم صلاته إلى صلاته وصيامه إلى صيامه - [أي] لحسن صلاته وصيامه، فيحتقر صلاته عند صلاة أولئك- يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيَّة»،

---

[١] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري ويقال الدامغاني (ت. ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤٣٤/١؛ وطبقات المفسرين للسيوطي، ٤٢/١.

[٢] ع م: لا يجدون.

[٣] ع + أنكم.

[٤] ك: أنه.

[٥] ع م - به.

[٦] ع: أو إن لم يعطهم؛ م: وإن لم يعطهم.

[٧] ك: يرسول.

[٨] ك: يرسول.

[٩] م - أصحابا.

ذكر[1] حديثا طويلا.[2] كان[3] [هذا الرجل][4] من الخوارج، وهو الذي قتله علي بن[5] أبي طالب رضي الله عنه.[6]

**﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **ولو أنهم رَضُوا ما آتاهم الله ورسوله، ما آتاهم الله**، من الرزق، **ورسوله**، من الصدقات، **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله**. وقيل: **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله**، من فضله، أي من دينه، **ورسولُه وقالوا حسبنا الله**، كان خيرا لهم مما طمعوا في هذه الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك. وقال بعضهم: **رَضُوا ما آتاهم الله**، من فضله مما رزقهم[7] لكان خيرا لهم[8] مما فعلوا. وقال بعض أهل التأويل: **ولو أنهم رَضُوا ما آتاهم الله**، من فضله، أي من الصدقات التي كان أعطاهم رسول الله منها وإلى الله رغبوا لكان خيرا لهم[9] مما طمعوا في تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسَخِطوا عليه. ويُقرأ: يَلْمِزك، ويَلْمُزك، برفع الميم.[10] قال أبو عَوْسَجة: اللَّمْز: العيب، يقال:[11] لَمَّاز ولامِز، وهَمَّاز وهامِز. وقال القُتَبي: **يَلْمِزك**، أي يعيبك ويطعن عليك، يقال: هَمَزت فلانا ولَمَزته، إذا اغتبته وعِبْته، وكذلك قول الله: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.[12]

---

[1] ن – ذكر.

[2] جميع النسخ + وهو كأنه.

[3] ن: قال.

[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.

[5] ن: ابن.

[6] وفي آخر الحديث: «... آيتهم رجلٌ إحدى يديه -أو قال: ثدييه- مثل ثدي المرأة... يخرجون على حين فُرقة من الناس»، قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عَلِيًا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فنزلت فيه: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ (*صحيح البخاري* استتابة المرتدين ٤٧ و*صحيح مسلم*، الزكاة ١٤٨؛ و*تفسير عبد الرزاق*، ٢/٢٧٧-٢٧٨؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٩). فالرجل المقتول إذًا هو غير ذي الخويصرة.

[7] ك ع: رزق لهم.

[8] ن – مما طمعوا في هذه الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما آتاهم الله من فضله مما رزقهم لكان خيرا لهم.

[9] ع م – لهم.

[10] قرأ يعقوب البصري من الأئمة العشرة بضم الميم، والباقون بكسرها؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

[11] ك ع م: + له.

[12] سورة الهمزة، ١٠٤/١. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٨.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **إنما الصدقات للفقراء والمساكين**، يشبه أن تكون الآية في بيان موضع الصدقة[١] على ما تقدم من الذكر بقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا،[٢] الآية، [على] ما ذُكِر أن المنافقين كانوا يأتون[٣] رسول الله ويسألونه من الصدقات، فإن أعطاهم منه رَضُوا،[٤] وإن لم يعطهم طعنوا فيه وعابوا عليه، فبيّن أن الصدقات ليست لهؤلاء، ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين من المسلمين، وكذلك ما ذكر من الأصناف المكاتَبين والغارمين، أنها لهؤلاء من المسلمين لا لهم. ويدل على ذلك ما جاء من الأخبار. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وضع صدقات بأعيانها حُمِلت إليه في صنف واحد. فروي[٥] أنه أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى فلانا كذا.[٦] وروي عن الصحابة أنهم[٧] وضعوا الصدقة في صنف واحد. روي عن حذيفة أنه قال: هؤلاء أهلها، ففي أي صنف وضعتها أجزأك.[٨] وعن ابن عباس أنه قال كذلك.[٩] وعن عمر أنه كان إذا جمع[١٠] صدقات المواشي والبقر والغنم[١١] نظر ما كان مُنتِجة للّبَن، فيعطي لأهل البيت على قدر ما يكفيهم، فكان يعطى العشرة[١٢] للبيت الواحد، ثم يقول:[١٣] عطية تكفي خير من عطية لا تكفي، أو كلام نحو هذا.

---

[١] يقول السمرقندي رحمه الله تعالى: «يشبه أن تكون الآية في بيان موضع الصدقة، لا لإثبات الشركة من الأصناف الثمانية. وإنما ذكرها لبيان أسباب الاستحقاق والتي ترجع إلى معنى واحد، وهو الحاجة. يدل على ذلك ما ذكرنا من سبب نزول الآية أن المنافقين كانوا يأتون...» (*شرح التأويلات* ورقة ٣٥١ظ). والقول المذكور هو قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

[٢] سورة التوبة، ٥٨/٩.

[٣] ع: يأتوك.

[٤] ن ع م: رضوا منه.

[٥] جميع النسخ: ما روي.

[٦] ن – كذا. وانظر للحديث: *صحيح البخاري*، فرض الخمس ١٩؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ١٤٠.

[٧] ن ع م: أنه.

[٨] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٠٥/٢؛ و*تفسير الطبري*، ١٦٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٤.

[٩] *تفسير الطبري*، ١٦٧/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٤.

[١٠] ع – جمع.

[١١] ن – والغنم.

[١٢] جميع النسخ + شاة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١ظ.

[١٣] ك: ويقول.

وقد روي عنه أنه سئل عن ذلك فقال: والله لأردّنّ عليهم الصدقة حتى يروح على أحدهم مائة ناقة أو مائة بعير.[1] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أُتي بصدقة، فبعثها إلى أهل بيت واحد. هؤلاء نجباء[2] الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف واحد، ولو كان حق كل صدقة أن تُقسَم بين هؤلاء الأصناف الذين ذكر بالسَّوِيّة على ما قال القوم لكان[3] قال الله عز وجل: إنما الصدقات بين الفقراء وبين من معهم من الأصناف. كما يقال: الميراث لقرابة فلان، أي ليس للأجنبيين في ذلك حق، وإذا قيل: الميراث بين قرابة فلان، كان لكلٍّ في ذلك حقا، لأن حرف "بين" يقتضي التسوية لجميعهم،[4] وقوله:[5] "لهم" يقتضي أنه لا حق فيه لغيرهم. ألا ترى أنه يقال:[6] الخلافة لولد العباس، يُراد أنه لا حظ فيها لغيرهم، والسِّقاية لبني هاشم، ونحوه، ليس يُراد ذلك بينهم[7] بالسَّوِيّة، وإنما يُراد بذلك[8] أنْ لا حق لغيرهم فيها. وبَعْدُ فإنه لو كان في الآية: إنما الصدقات بين الفقراء وبين من ذكر معهم، لكان لا يجب قسمة كل صدقة بين هؤلاء الأصناف المذكورة في الآية، لأنه ليس للصدقات انقطاع، بل لها مَدَد،[9] إذا دفع صدقة واحد إلى صنف واحد فإذا أُتي بصدقة أخرى دفع إلى صنف آخر، هكذا يعمل في الأصناف كلها. وبَعدُ، فإنه لم يُذكَر عن أحد من الأئمة أنه تكلّف طلب هؤلاء الأصناف فقسمها بينهم. وكذلك لم يُذكَر عن أحد من أرباب الأموال أنهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكروا.[10] فدل أنه خرج على ما ذكرنا، لأنه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز[11] أن لا يقسموها كذلك ويُضيعوا[12] حق البعض من هؤلاء.

---

[1] روي عن عمرو بن مُرّة عن أبيه قال: سئل عمر عمّا يؤخذ من صدقات الأعراب كيف يصنع بها؟ فقال عمر: والله لأردّنّ عليهم الصدقة حتى تروح على أحدهم مائة ناقة أو مائة بعير؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٢/٤٢٢.

[2] ن: نجبار.

[3] ن ع م: لكان.

[4] ع م: بجميعهم.

[5] ع: وقولهم.

[6] ك: قال.

[7] ن – بينهم.

[8] ع م: ذلك.

[9] ن: مددا.

[10] ع م: ذكر.

[11] ن – الأموال أنهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكروا فدل أنه خرج على ما ذكرنا لأنه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز.

[12] جميع النسخ: ويضيعون.

وبَعُدَ، فإنه لو تكلّف الإمام أن يظفر بهؤلاء الثمانية ما قدر على ذلك. دل أنه لم يخرج الخطاب على ما توهّم / خصومنا. ولأن الحق لو كان التسوية بينهم في كل صدقة لكان إذا لم يجد [٣٠٩ظ] في بلدة مُكاتَبين[١] أو واحدا من هؤلاء الأصناف فيجب[٢] أن يسقط مقدار حصة[٣] من لم يجد عن أربابها، فذلك بعيد. فقد[٤] جاء في الخبر أنه بعث معاذا إلى اليمن، فقال له: «خُذْ من أغنيائهم، ورُدّ في فقرائهم».[٥] ويكره إخراج صدقة كل بلد إلى غيره من البلدان.

ثم تحتمل[٦] الآية جميع الصدقات التي يُتصدَّق[٧] بها على الفقراء والمساكين من الفيء وغيره. فبيّن أنّ هؤلاء موضعٌ لذلك كله، من نحو قوله: وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ،[٨] وقوله: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.[٩] ويحتمل زكاة الأموال[١٠] المفروضة. والوجه فيه ما ذكرنا.[١١]

فإن قيل: إن الرجل إذا أوصى فقال: ثلث مالي لفلان وفلان وفلان،[١٢] أليس هو مقسوما[١٣] بينهم بالتّسوية، ما منع أنّ الأول مثله؟[١٤]

قيل: لا يشبه الصدقات الوصايا. وذلك أن الوصية إنما[١٥] وقعت في مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيء،[١٦] ولا يُتوهَّم لها مَدَد، والصدقات يزيد بعضها بعضا، وإذا فني مال جاء مال آخر، وإذا مضت سنة جاءت سنة أخرى بمال جديد. فإذا دفع الإمام صدقة بجميع ما عنده إلى الفقراء ثم حضره غارمون فتُحمَل إليه صدقة أخرى يجعلها فيهم،

[١] ع - مكاتبين.
[٢] ك ن: ليجب.
[٣] ك: حصته.
[٤] ك ن: وقد.
[٥] روي نحوه؛ انظر: صحيح *البخاري*، الزكاة ٤١ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.
[٦] ن ع م: ثم يحتمل.
[٧] ن + التي يتصدق.
[٨] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[٩] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[١٠] ك: المال.
[١١] أي إن الآية في الزكاة.
[١٢] م - وفلان.
[١٣] ن ع م: مقسوم.
[١٤] جميع النسخ: بمثله.
[١٥] ك - إنما.
[١٦] جميع النسخ: شيئا.

فيصلح بذلك أحوال الجميع لِما لا انقطاع للأموال إلى يوم القيامة. وكيف يقسم الصدقة على ثمانية أسهم ولا خلاف في أن للعاملين[١] [عليها حصتهم] بقدر عَمَالَتِهم، زاد ذلك على الثُّمُن[٢] أو نقص منه؟[٣] فإذا زالت القسمة في أحد الأصناف زالت في الجميع، فأُعطي كل صنف منهم بقدر حاجته[٤] كما أُعطي العاملون. وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك ونُسِخ، وعلى ذلك[٥] جاء عن بعض الصحابة من نحو أبي بكر وعمر أنهم لم يعطوهم[٦] شيئا؟ أليس يُرَدّ ذلك على سائر السهام؟ فإذا جاز أن يُزاد على الثُّمُن في وقت جاز أن يُنقَصوا[٧] منه في وقت.*

ثم اختلف في الفقراء والمساكين. قال بعضهم: الفقراء هم من المهاجرين، كقوله: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ،[٨] والمساكين من الذين لم يهاجروا. وقال بعضهم: الفقير الذي به زَمَانة، والمسكين الذي ليست به زَمَانة وهو محتاج. وقال بعضهم: الفقراء هم المُتَعَفِّفُون الذين لا يخرجون ولا يسألون الناس،[٩] كقوله تعالى: يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ،[١٠] والمساكين هم الذين يسألون. وكذلك قال الحسن.[١١] وعن عمر قال: ليس المسكين الذي لا مال له، ولكن المسكين الذي[١٢] لا يصيب المَكْسَب. وعن ابن عباس قال: الفقراء فقراء المسلمين، والمساكين الطَّوَّافون.[١٣] وهو قريب مما قاله الحسن. وعن الأصم قال: الفقير الذي لا يسأل -وهو ما ذكرنا بَدْءً- والمسكين الذي يسأل إذا احتاج ويُمْسِك إذا استغنى.

---

[١] ك: أن العاملين؛ ن ع: أن للعالمين.
[٢] ن - الثمن.
[٣] ك: عنه.
[٤] ع م: حاجة.
[٥] ن - ذلك، صح هـ.
[٦] جميع النسخ: لم يعطهم.
[٧] ع: أن ينقضوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٩ط/سطر ١٥-١٧.
[٨] سورة الحشر، ٨/٥٩.
[٩] م + إلحافا.
[١٠] يقول الله تعالى: ﴿للفقراء الذين أُحصِروا في سبيل الله لا يستطيعون ضَربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفُّف تَعرِفهم بِسِيمَاهم لا يسألون الناس إلحافا﴾ (سورة البقرة، ٢٧٣/٢).
[١١] *تفسير الطبري*، ١٥٨/١٠.
[١٢] ع: المسلمين الذين.
[١٣] *تفسير الطبري*، ١٥٨/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٤.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [في حديث] يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «ليس المسكين هذا الطوّاف الذي يطوف على الناس، تَرُدُّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان»، قيل: فما المسكين يا رسول[١] الله؟ قال: «الذي لا يجد ما يُغنِيه ولا يُفطَن به فيُتصدَّق عليه ولا يقوم فيسأل[٢] الناس».[٣] فهذا لو حُمِل على ظاهره لدفع قول من قال: إن المسكين هو الذي لا يسأل الناس، ولكن يجوز أن يكون معناه -والله أعلم- أن الذي يسأل[٤] وإن كان عندكم مسكينا فإن الذي لا يسأل أشدّ مَسكنةً منه. ولا يُحمَل على غير ذلك، لأن الله قد سمّى الذين لا يسألون الناس فقراء، ولا يجوز أن يُجعَل الحديث مخالفا للآية ما أمكن أن يكون موافقا لها. قال الله تعالى: يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ،[٥] فقوله: ذَا مَتْرَبَةٍ، قيل: هو الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره. فدل بذلك -والله أعلم- على أن المسكين هو الشديد الفقر، والفقير هو الذي لا يملك[٦] شيئا و لم يبلغ في الفقر والضرورة حال المسكين. ويدل لذلك قول عمر: ليس المسكين من لا مال له، ولكن المسكين من لا مكسب له، كأنه يقول: إن الذي لا مال له وله مكسب هو فقير، والمسكين أشدّ حالا من الفقير، وليس له مال ولا مكسب. وإن حُمِل قول النبي عليه السلام: «ليس المسكين الذي[٧] يسأل، ولكن المسكين الذي لا يُفطَن به ولا يَسأل»، على أن ذلك الذي لا يُفطَن به هو أشدّ مَسكنةً من الآخر وإن كان الآخر مسكينا أيضا، كان موافقا للمعنى الذي ذكرنا؛ لأنّا قلنا: إن المسكين هو الشديد الفقر، وقد يكون فقيرا[٨] وإن لم يبلغ به[٩] الضر مبلغ الضر[١٠] الأول. وقد يخرج قول من قال: إن المسكين [هو] الذي[١١] يخرج هذا المخرج، لأن من شأن المسلم الفقير أنه يتحمّل ما كانت له حيلة ويتعفّف،

---

[١] ك: يرسول.
[٢] ن: ويسأل.
[٣] *صحيح البخاري*، الزكاة ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٠١.
[٤] ع م: لا يسأل.
[٥] سورة البلد، ٩٠/١٥-١٦.
[٦] ك: الذي يملك.
[٧] ن + الذي.
[٨] ن: شديدا.
[٩] ن: فيه.
[١٠] ن – مبلغ الضر.
[١١] ع: الذين.

ولا يخرج[1] فيسأل وله حيلة،[2] فخروجه يدل على شدة ضيقه وعلى الزيادة في سوء حاله.
[٣١٠و] فكان القولان جميعا يرجعان إلى معنى واحد. وإذا كان الفقير أحسن حالا / من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز أن تُدفَع[3] الصدقة إلى من له مال قليل، لأنه فقير،[4] وإن لم يكن حاله في فقره حال المسكين الذي لا يملك شيئا. **والله أعلم.**

[٣١١و س٩] * والفقير الذي يجوز أن يُعطَى من الصدقة روي [فيه] عن الحسين[5] بن[6] علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للسائل[7] حق وإن جاء على فرس».[8] وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس».[9] وجاء في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يسأل عبد -أو قال: أحد- مسألة وله ما يُغنِيه إلا جاءت [مسألته][10] يوم القيامة خُدُوشا -أو كُدُوحا- في وجهه»،[11] قال: يا رسول الله، وماذا يُغنِيه؟ -أو ما غناه؟-[12] قال: «خمسون درهما أو حسابها من الذهب».[13] وفي بعض الأخبار يقول: «من سأل وله أربعون درهما فقد ألحَف».[14]

---

[1] ك: فلا يخرج.
[2] ع م: حيل.
[3] ن ع م: أن يدفع.
[4] ن: قليل.
[5] ن: من الحسن؛ ع م: عن الحسن.
[6] م: ابن.
[7] ع: المسائل.
[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٠١/١؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٣٣. وسنده جيد؛ انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ١٩٣/٢.
[9] *الموطأ* لمالك، الصدقة ٣؛ عن زيد بن أسلم مرسلا.
[10] من مصادر الرواية.
[11] كُدُوح جمع كَدْح بمعنى خَدْش (*لسان العرب* لابن منظور، «كدح»).
[12] ع م: ما أغناه.
[13] *سنن ابن ماجة*، الزكاة ٢٦؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ وسنن *الترمذي*، الزكاة ٢٢.
[14] في الحديث: «وله أُوقِيَة»، وكانت الأوقية أربعين درهما على عهد الرسول؛ انظر: سنن *أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ وسنن *النسائي*، الزكاة ٨٩. الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. وفي التنزيل: ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ (سورة البقرة، ٢٧٣/٢). وقد ألحَف عليه. ويُقال: وليس للمُلْحِف مِثلُ الردّ. وألحف السائل: ألحّ... روي عن النبي أنه قال: «من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف»، وفي رواية: «فقد سأل الناس إلحافا»... ومعنى ألحف: أي شَمِل بالمسألة وهو مستغنٍ عنها، واللِّحَاف مِن هذا اشتقاقُه، لأنه يَشمل الإنسان في التغطية (*لسان العرب* لابن منظور، «لحف»).

وعن علي وعبد الله قالا: لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما أو عِوَضُها من الذهب.[١] وعن عمر كذلك. وعن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي أربعون درهما، أمُستكثِرٌ[٢] أنا؟ قال: «نعم». وفي بعض الأخبار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[٣] «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ»،[٤] وفي بعض الأخبار: «ولا[٥] لقوي مُكتسِب».[٦] وإنما يُحْمَل قولُه: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ»، [أنه] خرج على الزجر[٧] عن التعرُّض للصدقة والمسألة لها.[٨] ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدقة لا تحل[٩] إلا في إحدى ثلاث»، فذكر أحدها:[١٠] «أو فقر مُدْقِع»،[١١] فذلك يُبيح لذي المِرّة السَّوِيّ أن يَقبل. ألا ترى أن الرجلين[١٢] اللذين سألا رسول الله قال لهما: «إن شئتما أعطيتكما»،[١٣] فلو كان حراما عليهما[١٤] ما أعطاهما الحرام، ولكن ذلك على الزجر عن المسألة. وروي عن سلمان أنه حمل إلى رسول الله صدقة، فقال لأصحابه: «كلوا»، ولم يأكل هو.[١٥] ولا يتوهّم متوهِم أن أصحابه كانوا زَمْنَى، فهذا يبيّن أن النبي إنما[١٦] أراد الزجر عن المسألة والتعرُّض لها إلا في[١٧] حال الضرورة، لا على التحريم لها،

---

[١] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٠٣/٢؛ وروي ذلك مرفوعا عن عبد الله بن مسعود؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٦٦/١.
[٢] ع م: مستكثر.
[٣] ن ع + قال.
[٤] *سنن ابن ماجة*، الزكاة ٢٦؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٢٣. وحسّنه الترمذي. المِرّة: القوة وشدة العقل أيضا. ورجل مَرير، أي قوي ذو مِرّة. وفي الحديث: ﴿لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ﴾، المِرّة: القوة والشدة، والسّوِيّ: الصحيح الأعضاء (*لسان العرب* لابن منظور، «مرر»).
[٥] ع م – ولا.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٤/٤، ٣٦٢/٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٩١.
[٧] ع م: عن الزجر.
[٨] جميع النسخ: عن العرض على الصدقة والمسألة عليها.
[٩] ن – لا تحل.
[١٠] ك: ثلث فقد ذكر إحداها.
[١١] يأتي تخريجه قريبا.
[١٢] ع م: أن الرجل.
[١٣] وهو الحديث الذي فيه: «ولا تحل لغني ولا لقوي مكتسب».
[١٤] ن: عليها.
[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٨/٥، ٤٣٩، ٤٤٣.
[١٦] م – إنما.
[١٧] ع م: لها في.

وأن من أخذها وله أقل من مائتي درهم أو قيمتها فله فيما يملك سَدادٌ مِن عَيْش، فذلك مكروه. ألا ترى أنه روي عن الحسن أنه قال: كان أصحاب رسول الله يأخذون الصدقة ولأحدهم من السلاح والكُراع[1] والعقار قيمة عشرة آلاف درهم. فهذا حسن. والتعفُّف عنها أحسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استغنى أغناه الله، ومن استَعَفّ[2] أَعَفَّه الله»،[3] وقولِه:
٣١١و س٢٧] «لَأَنْ يأخذَ أحدكم حبلا فيحتطب[4] خير له من أن يسأل الناس شيئا أعطَوْه أو منعوه».[5]*

وقوله عز وجل: **والعاملين عليها**، اختلف فيه. قال بعضهم:[6] يعطى لهم الثُّمُن. وقال بعضهم: يعطى لهم قدر عُمَالتهم.[7] وقال بعضهم: يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم. أما قول من قال: يعطى لهم الثُّمُن، لا معنى له، لِما يجوز[8] أن يبلغ الثُّمُن الوفاء، وعُمَالته لا تبلغ عُشْرَ عَشِيرٍ[9] ذلك. ومن قال: يعطى لهم قدر كفايتهم[10] وكفاية عيالهم، فهو -والله أعلم- إذا كان هو[11] يُسلِم نفسه لذلك واستعمله الإمام في جميع أمور المسلمين، فإذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله، وأمّا إذا تولى شيئا من ذلك العُمَالة في وقتٍ فيعطى له الكفاية فلا. والأشبه عندنا أن يعطى لهم قدر عُمالتهم، وهكذا الإمام إذا استعمل أحدا في عمل من أعمال اليتيم فإنه يعطى له قدر أجر عمله.

[٣٠٩ظ س١٥ * وفي قوله: **والعاملين عليها**، دلالة أنْ لا بأس للأئمة والقضاة [في] أخذ الكفاية من بيت المال، ولكل عاملٍ لِلمسلمين أخذُ كفايتِه ورزقِه من ذلك إذا فرّغ نفسه لذلك وكفّها عن غيرها
٣٠٩ظ س١٧] من المنافع والأعمال.*

---

[1] الكُراع: اسم يجمع الخيل. وقيل: السلاح. وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح... (*لسان العرب* لابن منظور، «كرع»).
[2] ن + أغناه الله.
[3] *سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٨٩.
[4] ع: فيحطب.
[5] روي نحوه؛ انظر: صحيح *البخاري*، البيوع ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٠٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١١و/سطر ٩-٢٧.
[6] ن ع م - بعضهم.
[7] العُمالة بالضم: رزق العامل الذي يُجعل له على ما قُلِّد من العمل، ويجوز فتح العين وكسرها أيضا (*لسان العرب* لابن منظور، «عمل»).
[8] ع م: لما لا يجوز.
[9] ع م: عشر. والعُشْر والعَشِير بمعنى واحد (*لسان العرب* لابن منظور، «عشر»).
[10] ن - وعيالهم أما قول من قال يعطى لهم الثمن لا معنى له لما يجوز أن يبلغ الثمن الوفاء وعمالته لا تبلغ عشر عشير ذلك ومن قال يعطى لهم قدر كفايتهم.
[11] ك: إذا هو.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٩ظ/سطر ١٥-١٧.

وقوله عز وجل: **والمُؤَلَّفَةِ قلوبُهم**، قد ذكرنا فيما تقدم أن النبي[1] عليه السلام كان يعطي الرؤساء من المنافقين من الصدقات يتألّف به قلوبَهم ليُسلِموا،[2] على ما روي أنه كان أعطى[3] فلانا مائة من الإبل وفلانا[4] كذا.[5] وروي[6] أنه قسم ذَهَبَةً[7] في أَدِيم مَقْرُوظٍ[8] بعثها علي رضي الله عنه من اليمن بين الأقرع بن حابس وبين فلان وفلان.[9] والحديث في هذا كثير أن النبي كان يخصّ به الرؤساء منهم بالصدقة يتألّفهم والإسلامُ في ضَعْف وأهلُه في قِلّة، وأولئك كثير ذو قوة وعُدّة. فأمّا اليوم فقد كَثُر أهل الإسلام وعَزّ الدين وصار أولئك أذِلّاء بحمد الله،[10] فقد ارتفع ذلك وذهب إذ قَوِي المسلمون وكَثُروا، فيُقاتَلون حتى يُسلِموا. وعلى ذلك جاء الخبر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مما دل[11] على ما ذكرنا. روي أن الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن فلان جاءوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرض سَبِخَة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تُقْطِعَناها، فأَقْطَعَهما إياها،[12] وكتب لهما عليها كتابا، وأشهد[13] عمر رضي الله عنه وليس في القوم،[14] فانطلقا إلى عمر ليُشهِداه. فلمّا سمع عمر ما في الكتاب تناوله[15] من أيديهما، ثم نظر فيه فمحاه، فتذمّرا[16] وقالا له مقالة سيئة. وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألّفكما

---

[1] ع م: أنه.
[2] ع: ليسكموا.
[3] ع – أعطى؛ م: يعطي.
[4] ع: فلانا.
[5] تقدم تخريجه قريبا.
[6] جميع النسخ: روي.
[7] الذَّهَبَة: القطعة من الذّهَب (*لسان العرب* لابن منظور، «ذهب»).
[8] القَرَظ: شجر يُدبَغ به. وقيل: هو ورق السَّلَم يُدبَغ به الأَدَم. ومنه: أَدِيم مَقرُوظ، أي مدبو غ بالقَرَظ (*لسان العرب* لابن منظور، «قرظ»).
[9] صحيح *البخاري*، المغازي ٦١؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٤٤.
[10] ع: لله.
[11] جميع النسخ: ما دل.
[12] جميع النسخ: فأقطعنا إياها؛ والتصحيح من من مصادر الرواية.
[13] ع: وأشد.
[14] ع م: في قوم.
[15] جميع النسخ: فتناوله.
[16] تَذَمّر: لام نفسه... وسمعت له تَذَمُّرا أي تَغَضُّبا. وفي حديث موسى عليه السلام أنه كان يتذمّر على ربه، أي يجترىء عليه ويرفع صوته في عتابه... ويقال: ظَلّ يتذمّر على فلان، إذا تَنَكَّر له وأَوْعَدَه (*لسان العرب* لابن منظور، «ذمر»).

والإسلامُ يومئذٍ قليلٌ،[1] وإن الله[2] تعالى قد أعزّ الإسلام، اذهبا فاجْهَدا جَهْدَكما، لا أَرْعَى الله عليكما إن أَرْعَيتما.[3] ونحن نذهب إلى هذا الحديث، لأن أبا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله، فصار ذلك وِفاقا منه له، فكفى بقولهما حجة لنا. ولنا في ذلك وجوه من الحجج. أحدها أن النبي عليه السلام كان يُعاهِد قوما وهو إلى مداراتهم[4] ومعاهدتهم[5] محتاج لما ذكرنا من قلة أهل الإسلام وضَعفهم، فلما أعزّ الله الإسلام وأكثر أهله رُدّ إلى أهل العهود عهودُهم ثم أُمِر بمحاربتهم جميعا. والثاني ما قال الله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ،[6] فكانت الحالُ الثانية التي فيها الإسلام وقَوِي أهلُه وعَزُّوا مخالفةً للحال الأولى[7] في هذه الأشياء، فكذلك أمر المنافقين جائزٌ [دفع] الرِّشَا[8] [إليهم] في الحال الأولى،[9] محظور[10] في الحال الثانية. ***والله أعلم.***

وفي الآية دلالة جواز النسخ بالاجتهاد لارتفاع[11] المعنى الذي به كان، لِيُعلَم أن النسخ قد يكون بوجوه. وفي خبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دلالة أنّ إذن الإمام شرط في إحياء أرض[12] المَوَات لا تُملَك إلا بالإذن، لأن ذانك الرجلين اللّذَين أتيا أبا بكر قالا:[13] أرض لا كلأ فيها، وذلك صورة أرض المَوَات.

وقوله عز وجل: **وفي الرقاب**، اختلف فيه. قال بعضهم: معناه العتق، ويجوز أن يُعتق عن الزكاة. وقال بعضهم: هم المكاتَبون يَستأدُونهم في كتابتهم، وقالوا: لا يشبه الإعتاق

---

[1] ع: فيومئذ قيل.
[2] ن: والله.
[3] ع م: إن رعيتما. وانظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٧/٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٢٤. وأرْعَى عليه: أبقى عليه ورحمه. وأرعى: انتظر الشيء وراقبه (*لسان العرب* لابن منظور، «رعى»). فلعل معناه: لا أبقى الله عليكما إن انتظرتما شيئا.
[4] ن: وهو مداراتهم؛ م: إلى مدارتهم.
[5] م: ومعادتهم.
[6] سورة الأنفال، ٨/٦٧.
[7] ن ع م: الأول.
[8] ك: الرسا؛ ن: الرؤسا؛ ع م: الرؤساء؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٦٣. والرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة (*لسان العرب* لابن منظور، «رشو»).
[9] جميع النسخ: الأول.
[10] جميع النسخ: محظورا.
[11] ع: ولارتفاع.
[12] ع: المرض؛ م: الأرض.
[13] ك ن م: فقالا؛ ع: فقال.

ما يدفع إلى المكاتَب فيؤدّي فيعتق، لأن العتق ليس بتمليك، وإنما هو إبطالُ مِلك، وما يدفع[١] إلى المكاتَب فهو تمليك، فذلك مختلف، وإنما تكون[٢] الزكاةُ زكاةً إذا زالت من مالك إلى مالك. والثاني أن العتق يوجب الولاء[٣] للمعتق، فحقه فيه باقٍ، والذي يدفع فيه الزكاة إلى مكاتَب لغيره[٤] لا يرجع[٥] إليه بذلك حق ولا يجب فيه ولاء، فهما مختلفان. والثالث وهو أن الله تعالى قال:[٦] **والغارمين**، ولو أن رجلا قضى عن غارمٍ[٧] دينَه بغير أمره لم يُجْزِه[٨] من زكاة ماله، وإنما يكون زكاةً إذا دفعها إلى الغارم. فعِتْقُ[٩] المزكّي العبدَ بمنزلة قضاء[١٠] دين الغارم، لأنه لا يحتاج في واحد منهما إلى قبول من الغارم[١١] والعبد، وإعطاؤه المكاتَب في الزكاة[١٢] كدفعه إياها إلى الغارم، لأنه قد دفعها[١٣] في كلا الحالين إلى مَن قَبِلها منه من زكاة وقبضها. وفي ذلك وجه آخر؛ وذلك [أنّي] إن اشتريتُ[١٤] عبدا من رجل لأعتقه فقد صار ثمنه دينا في ذمتي قبل أن أنقد[١٥] المال، فإذا قضيته فإنما قضيته عن ذمتي دينا قد لزمني،[١٦] ولا يجوز [في الزكاة] أن أقضي عن ديني.

* بقية من الآية الأولى: وقوله:[١٧] **والغارمين**، جعل الله الغارم موضعا للصدقة، وهو الذي عليه [٣١٠ظ س ٢٤ الدَّيْن والغُرْم من أي وجهٍ لحِقَه. وعلى ذلك[١٨] روي في الخبر. روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

[١] ع: ما يدفع.
[٢] ع: يكون.
[٣] ع: الو.
[٤] ن - لغيره.
[٥] جميع النسخ: ولا يرجع.
[٦] ك - قال.
[٧] ع م: من غارم.
[٨] م: لم يجز.
[٩] ك: فيعتق.
[١٠] ك: قضائه.
[١١] ع م: من الغارمين.
[١٢] ن + في.
[١٣] جميع النسخ + إليه.
[١٤] جميع النسخ: إن اشترى.
[١٥] ن: أن أنفذ.
[١٦] ن - قد لزمني.
[١٧] ك: قوله.
[١٨] ع م: على ذلك.

قال: «إن المسألة لا تحل إلا بإحدى ثلاث: من فقرٍ مُدْقِع[1] أو غُرْمٍ مُفْظِع[2] أو لذي[3] دم مُوجِع».[4] وفي بعض الأخبار: «إن الصدقة لا تحل إلا لخمس: للعاملين[5] عليها، أو رجلٍ اشتراها،[6] أو غارم، أو غازٍ في سبيل الله، [أو لرجل كان له جار مسكين فتُصُدِّق على المسكين فأهداها المسكين للغني]».[7] وروي عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر أن رجلا سألهم شيئا، فقالوا: إن كانت مسألتك في إحدى ثلاث[8] فقد وجب حقك: في فقرٍ مُدْقِع أو غُرْمٍ مُفْظِع[9] أو دم مُوجِع.[10] هذه الأخبار كلها تدل على أن الغارم موضع للصدقة قَلّ دَينُه أو كَثُر.[11] فإن قيل: في الخبر: «أو غُرْم مُفْظِع»؟[12] قيل: لا خلاف بينهم[13] في أنّ مَن دَينُه غير مُفْظِع[14] فله أن يأخذ بقدر دينه من الصدقة، فهذا يدل أن الذي روي في الخبر إنما هو لكراهة المسألة، لا على التحريم. وهكذا نقول: إن المسألة لا تحل له إذا كان غُرمه غير مُفْظِع،[15] ولكن يحل وَضْعُه فيه وأَخْذُه له.* ٣١٠ظ س٣٢]

وقوله عز وجل: **وفي سبيل الله**، / قيل: هم[16] الغُزاة. ويحتمل **في سبيل الله**، أي في طاعة الله، أنّ كل مَن سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات فإنه داخل في ذلك. [٣١٠ظ]

---

[1] فقر مُدْقِع: أي مُلْصِق بالدَّقْعاء أي التراب (*لسان العرب* لابن منظور، «دقع»).

[2] فَظُع الأمر يَفْظُع فَظَاعَة فهو فظيع وفَظِع... وأَفْظَعَ الأمر: اشتدّ وشَنُع وجاوز المقدار... فهو مُفْظِع. وفي الحديث: «لا تحل المسألة إلا لذي غُرْمٍ مُفْظِع»، المُفْظِع: الشديد الشنيع... (*لسان العرب* لابن منظور، «فظع»). والغُرْم: الدَّين... وفي الحديث: «لا تحل المسألة إلا لذي غُرْمٍ مُفْظِع: أي ذي حاجة لازمة من غَرامة مُثْقِلة (*لسان العرب* لابن منظور، «غرم»).

[3] ن ع: والذي.

[4] *سنن ابن ماجة*، التجارات ٢٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٢٣.

[5] ع: المعاملين.

[6] أي لرجل اشترى الشيء المتصدَّق به ممن تُصُدِّق عليه.

[7] *الموطأ* لمالك، الزكاة ٢٩؛ و*سنن ابن ماجة*، الزكاة ٢٧؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٥.

[8] ك م: ثلث.

[9] ع: مقطع.

[10] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٦/٢.

[11] م: أو أكثر.

[12] ن ع: مقطع.

[13] ع + أو غرم مقطع قيل لا خلاف بينهم.

[14] ن ع: مقطع.

[15] ن ع: مقطع.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٢٤-٣٢.

[16] ن + هم.

* مسألة: قوله: **وفي سبيل الله**، هو ما ذكرنا[١] أنه المنقطع عن ماله، جعله الله موضعا للصدقة [٣١٠ظ س٣٢
وإن[٢] كان غنيا في مقامه للحاجة التي بدت له. وعلى ذلك روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله أو ابنِ السبيل أو رجلٍ له جارٌ مسكينٌ تُصُدِّق عليه فأهدى له».[٣] وفي بعض الأخبار عنه ما ذكرنا، قال: «لا تحل الصدقة إلا لخمس -وفيه- أو فقيرٍ تُصُدِّق عليه فأهداها للغني». وقد يكون الرجل غنيا بأن يكون له دار[٤] يسكنها ومتاع يتهيّأه وثياب، [فإذا][٥] عزم على الخروج في سفرِ غزوٍ احتاج -من آلاتِ سفرِه وسلاحٍ يستعمله في غزوه[٦] ومركبٍ يغزو عليه وخادمٍ يستغني بخدمته- إلى ما لم يكن محتاجا إليه في حال إقامته، فيجوز أن يُعطَى من الصدقة ما يستغني به في حوائجه التي يُحدِثُها لسفره، فهو في مُقامه غني بما يملكه،[٧] لأنه غير محتاج حينئذ إلى ما وصفنا، وهو في حال سفره غير غني. فيحتمل أن يكون معنى قوله: «لا تحل الصدقة لغني / إلا في سبيل الله»، [٣١١و]
على من كان غنيا في حال مقامه، فيُعطَى بعضَ ما يحتاج إليه لسفره لما أحدث له[٨] السفرُ من الحاجة. ألا ترى أن الرجل قد يكون له المتاع لا يحتاج إليه أو الدابة[٩] لا يركبها، فإذا صار ذلك مائتي[١٠] درهم لم يجز له أن يأخذ من الزكاة، فإن عرض له مرض أو سفر فاحتاج إلى دابة ليركبها أنه يخرج من الغَناء بما حدث له من الحاجة إلى الركوب، وكان له أن يأخذ من الصدقة عندنا؛ لأنه[١١] لا يستغني عما هو له،[١٢] وإنما[١٣] الغني من استغنى عمّا[١٤] يملكه.

---

[١] أي في تفسير قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾، الآتي قريبا.
[٢] ع م: فإن.
[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣١، ٩٧؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٢٥.
[٤] ن: ار؛ ع: أدار.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٣و.
[٦] ك ن: في غزوة.
[٧] ع: بما لا يملكه.
[٨] م – له.
[٩] م: والدابة.
[١٠] م: ماتي.
[١١] ع م – لأنه.
[١٢] ك ن: هو ماله.
[١٣] ك: وأما.
[١٤] ك: عمن.

فكذلك العازم على الغزو[1] قد يحدث له الحاجة إلى أكثر مما يملك، وصار ممن يجوز أن يُعان وإن كان ملكه الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينقص. فهذا[2] -والله أعلم- يحتمل.* ٣١١و س٦]

وقوله: **وابن السبيل**، قيل: الضيف يَنزل به. وقيل: هو المارّ عليك -وإن كان غنيا- المنقطعُ عن ماله.* **وابن السبيل**، أيضا [على] ما ذكرنا من الخبر أنْ «لا تحل الصدقة لغني إلا لابن السبيل»، ومن ذكر معه. وعلى ذلك اتفاق الأمة. وهو ما قيل: المجتاز من أرض إلى أرض. وعن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله: إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ،[3] هو المسافر.[4] وهو ما ذكرنا أنه المنقطع عن ماله وإن كان غنيا في مقامه.* [٣١١و س٦ ... ٣١١و س٩]

وقوله: **فريضة من الله**، يحتمل بيانا من الله، وإعلاما أهلَ الصدقات منهم[5] من غيرهم. ويحتمل قوله: **فريضة من الله**، أي واجبا من الله وفرضا. **والله عليم حكيم**.

**﴿وَمِنهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦١]**

وقوله عز وجل: **ومنهم الذين يؤذون النبي**، أخبر أنهم **يؤذون النبي**، و لم يبين بما كانوا **يؤذون**، فيحتمل **يؤذون النبي**، بتكذيبهم إياه وتركهم الإجابة له والطاعة فيما يدعوهم إليه. ويحتمل يؤذونه بكلماتٍ يُسمِعونه وطَعْنٍ يطعنونه ويعيبون عليه.[6] **ويقولون هو أُذُن**،[7] قيل: **الأُذُن** هو الذي يقبل العذر ممن اعتذر إليه ويسمع من كل أحد يعتذر إليه ويقبل. وكذلك كان النبي[8] صلى الله عليه وسلم يقبل العذر ممن اعتذر إليه[9] ويسمع منه سواء كان له عذر أو لا عذر[10] له

[1] جميع النسخ: الغارم على العرف؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٣و.
[2] ك: فهذ.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٣٢-ورقة ٣١١و/سطر ٦.
[3] سورة النساء، ٤٣/٤.
[4] *تفسير الطبري*، ٩٧/٥.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١١و/سطر ٦-٩.
[5] ك + منهم.
[6] ع + ويقولون عليه.
[7] ن + قيل أذن.
[8] ك - النبي.
[9] ع - ويسمع من كل أحد يعتذر إليه ويقبل وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل العذر ممن اعتذر إليه.
[10] ع: أو عذر.

لكرمه وشرفه وحسن خلقه، فظنّ أولئك لمّا رأوه أنه كان يعاملهم معاملة أهل الكرم والشرف والمجد أنه إنما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه وصغر همّته وقصور يده، وهم كانوا أهل كبر وأَنَفَة، قالوا: **هو أُذُن**، نقول ما شئنا ثم نحلف[١] ونعتذر إليه فيصدّقنا ويقبل عذرنا. قال الله تعالى: **قل**، يا محمد، **أُذُنُ خيرٍ لكم**، أي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم مِن الذي لا يقبل ولا يسمع، فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون[٢] عليه ولا تصدّقونه ولا تؤمنون به؟ يخبر عن سفههم. قال أبو عَوْسَجة: الأُذُن الذي من قال له شيئا أو حدّثه حديثا صدّقه واستمع منه. وكذلك كان[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدّق كل من قال له شيئا أو حدّثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه، لا لما ظنّ[٤] أولئك. وقيل: **يقولون هو أُذُن**، أي يُسِرّ[٥] في نفسه ويكتم ولا يكافئ من أذاه ولا يجازيه، قال الله: **قل**، هو، **أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**. قال بعضهم: **يؤمن بالله**، أي يصدّق **بالله**، [أي] بما ينزل عليه من آياته،[٦] **ويؤمن للمؤمنين**، أي يصدّقهم فيما بينهم من شهاداتهم وأيمانهم على حقوقهم وفروجهم وأموالهم. ويحتمل قوله: **يؤمن بالله**، ويصدّقه بما يخبره من سرّ المنافقين وما استكتموه منه من الكيد له والمكر به، **ويؤمن للمؤمنين**، بما يخبرونه مِن قِبَل أولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه. والإيمان بآخر هو التصديق بجميع ما فيه، والإيمان له مِن خبرِه وحديثه. و[يحتمل] قوله: **يؤمن للمؤمنين**، فيما يشهدون في الآخرة[٧] له[٨] بالتبليغ إليهم، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[٩] أو أن يكون قوله: **ويؤمن للمؤمنين**، أي يؤمن بالمؤمنين فيما بينهم بالأخوة في الدين،[١٠] كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.[١١]

---

[١] ك: ثم يحلف؛ نع: ثم نحلف.
[٢] ع: وتعينون؛ م – وتعيبون.
[٣] ن – كان.
[٤] ع: لما لا ظن.
[٥] م: أي ليس.
[٦] ع: من آية.
[٧] م: يشهدن وفي الأخرة.
[٨] ن – له.
[٩] سورة الأعراف، ٦/٧.
[١٠] أي يؤمن بالأخوة التي هي للمؤمنين وبين المؤمنين.
[١١] سورة التوبة، ١١/٩.

وقوله عز وجل: **ورحمة للذين آمنوا منكم**، كان النبي[1] صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لِما استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ومن الهلاك إلى النجاة، يشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا. **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**، في الآخرة.*

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **يحلفون بالله لكم ليُرْضُوكم**، بما حلفوا عليه. ذكر بعض أهل التأويل أن الأنصار مشت إليهم، يعني إلى المنافقين، فقالوا: قد عُيِّرنا بما[2] نزل فيكم، حتى متى؟ فكانوا يحلفون للأنصار: والله[3] ما كان شيءٌ مِن ذلك، فأكذبهم الله، فقال: **يحلفون بالله لكم**، ما كان الذي بلغكم، **ليُرْضُوكم**، بما حلفوا. **والله ورسوله أحق**، منكم يا معشر الأنصار، **أن يُرْضُوه**، حيث اطَّلَع على ما حلفوا وهم كَذَبَة، **إن كانوا مؤمنين**، يقول: ولكن ليسوا بمصدِّقين. والأشبه أن تكون الآية نزلت في معاتبةٍ جَرَت بين المؤمنين والمنافقين باستهزاءٍ كان منهم برسول[4] الله أو طعنٍ فيه أو استهزاءٍ بدين الله، فاعتذروا إليهم وحلفوا على ذلك ليُرضوهم،[5] فقال الله: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه إن كانوا مؤمنين**، حقيقة، ولكن[6] ليسوا بمؤمنين. وأما ما قاله بعض أهل التأويل: إن رجلا من المنافقين قال: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحُمُر.[7] فسمعها رجل من المسلمين، فأخبر بذلك رسول الله. فدعاه فقال: «ما حملك على الذي قلت؟» فحلف والْتَعَن ما قاله، فنزل قوله: **يحلفون بالله لكم ليُرْضُوكم**،[8] هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله، لا يحلفون لهم.[9] دل أن الآية في غير ما ذكر.

[1] ك م – النبي؛ ع: رسول الله.

* وقعت هنا أربعة مقاطع من تفسير الآية متأخرة عن مواضعها، فقدمنا كلا منها إلى المواضع المناسبة من تفسير الآية؛ انظر على الترتيب: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٢٤-٣٢؛ وورقة ٣١٠ظ/سطر ٣٢-ورقة ٣١١و/سطر ٦؛ وورقة ٣١١و/سطر ٦-٩؛ وورقة ٣١١و/سطر ٩-٢٧.

[2] جميع النسخ: وما؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٣ظ.

[3] ن + أعلم.

[4] ع: رسول.

[5] ع م: ليرضوا.

[6] م – ولكن.

[7] ن: من الحمير؛ ع: من الخمر.

[8] روي عن قتادة نحوه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٧٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٢٨.

[9] ن: لكم.

ويذكر عن ابن عباس أن الآية نزلت في ناس من المنافقين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع أنهم لا يتخلّفون عنه أبدا.[١] وكذلك قال غيره من أهل التأويل. ولكن لو كان ما قالوا لكانوا[٢] يحلفون لرسول الله ويُرْضُونه، لا للمؤمنين. دل أن الأشبه ما ذكرنا. / وفيه وجوه. أحدها أن فيه دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم [٣١١ظ] ليعلموا أنه حق حيث أَطْلَعَه على ما أسرّوا[٣] في أنفسهم وكتموا من المكر به وأنواع السفه. والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة إليه لما علموا أنه يَطَّلِع على جميع ما يسرّون عنه ويكتمون. والثالث تنبيها للمؤمنين وتعليما لهم منه بأنه إذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا إرضاءَ بعضِهم بعضا، ولكن يتوبون إلى الله ويطلبون به مرضاته.

وقوله[٤] عز وجل: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه**، ذكر نفسه ورسوله ثم أضاف الرضاء إلى رسوله بقوله: **أحق أن يُرْضُوه**، ولم يقل: أحقّ أن يُرْضُوهما. فهو -والله أعلم- لأنهم إذا أَرْضَوْا رسولَه رضي الله عنهم، وكان في إرضائهم رسولَه إرضاءُ الله.[٥] وهو ما ذكر أنهم إذا دُعُوا[٦] إلى الله ورسوله ليحكم بينهم،[٧] ثم أضاف الحكم إلى رسوله، لأنهم إنما دُعُوا إلى أن يحكم الرسول بينهم. وقوله: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه**، لأن الخلاف والخيانة كان[٨] في حق الله وفي حق[٩] رسوله، لم يكن في حق المؤمنين، لذلك قال: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه**، من المؤمنين. ثم ذكر مُحادَّة[١٠] الله[١١] ورسوله،[١٢] ثم اقتصر على رضى[١٣] رسوله،

---

[١] ذُكر ذلك عن مقاتل والكلبي؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/١٢٨.

[٢] ن – لكانوا.

[٣] ك ع م: حيث أطلع عيه بما أسروا؛ ن: حيث أطلع عيه بما أمروا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٤و.

[٤] ن: قوله.

[٥] ك ن: لله.

[٦] ن ع م: أنهم دعوا.

[٧] ن ع م – ليحكم بينهم. يقول الله تعالى: ﴿وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم مُعرِضون. وإن يكُنْ لهمُ الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنين﴾ (سورة النور، ٢٤/٤٨-٤٩).

[٨] م: كانت.

[٩] ك: وحق.

[١٠] ن ع م: مخادعة.

[١١] م – الله.

[١٢] أي في الآية التالية.

[١٣] ن ع م: على رضاء.

لأنهم لم يقصدوا قصد مخالفة الله، وإنما قصدوا قصد مخالفة[1] رسوله. أو أن يكون ذكر إرضاء أحدهما لأن في رضى[2] رسوله رضى[3] الرب، كقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ.[4]

**﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾**[٦٣]

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله**، في الآية دلالة أنهم علموا أنهم معاندون[5] في صنيعهم، وعلموا أن من عاند وكابر بغير حق، **فأن له نار جهنم**. وقوله: **يحادد الله**، يحتمل يعاند الله. وقيل: **يحادد الله**، يشاقق الله ويخالف الله. وهو واحد. ثم قوله:[6] **ألم يعلموا**، يخرج على وجهين. أحدهما أي قد علموا، **أنه من يحادد الله ورسوله فأن له**، ما ذكر، لكنهم عاندوا [في] الخلاف والمحادّة له مع علمهم. والثاني أي اعلموا،[7] **أنه من يحادد الله ورسوله فأن له**، ما ذكر، على ما ذكرنا[8] أن حرف الاستفهام من الله يخرج على الإيجاب والإلزام.[9]

وقوله عز وجل: **ذلك الخزي العظيم**، يحتمل وجهين. يحتمل **الخزي**، أي الفضيحة العظيمة في الدنيا. ويحتمل **ذلك الخزي العظيم**، في الآخرة، أي نار جهنم خزي عظيم.

**﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾**[٦٤]

وقوله[10] عز وجل: **يحذر المنافقون أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهم بما في قلوبهم**، يحتمل قوله: **يحذر المنافقون**، أي الحقّ عليهم أن يحذروا، لِما أَطْلَعَ اللهُ رسولَه[11] مرارا على ما[12] أسرّوا وكتموا.

---

[1] ع م - الله وإنما قصدوا قصد مخالفة.
[2] ن ع م: في رضاء.
[3] ن ع م: رضاء.
[4] سورة النساء، ٨٠/٤.
[5] ن ع م: معاندين.
[6] ن: ثمة وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[7] ع: أي علموا.
[8] ن: ما ذكر.
[9] انظر: تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٣/٦.
[10] ن: قوله.
[11] ع: ورسوله.
[12] ك ن ع: بما.

ويحتمل على الخبر، أنهم كانوا يحذرون **أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهم بما في قلوبهم،**[١] لكثرة ما أَطْلَعَ الله رسولَه[٢] على سرائرهم[٣] وسفههم.

وقوله عز وجل: **قل استهزئوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون،** فهو -والله أعلم- ليس على الأمر، ولكن على الوعيد، يقول: **استهزئوا،** فإن الله مظهر ومبين ما أسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾**[٦٥]

وقوله[٤] عز وجل: **ولئِن سألتهم لَيقولُنَ إنما كنا نخوض ونلعب،** ذكر السؤال ولم يبين[٥] ممّ يسألهم. ولكن في الجواب بيان أن السؤال إنما كان عن الاستهزاء،[٦] حيث قال: **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.** ذكر أن نفرا من المنافقين كانوا اختفَوْا في بعض الطريق ليمرّ رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلونه، فأَطْلَعَ الله نبيّه على اجتماعهم[٧] في ذلك أنه لماذا، فقال: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب.** وذكر بعض أهل التأويل أن النبي لما رجع من غزوة[٨] تبوك بينا هو يسير إذا هو برهطٍ يَسيرون بين يديه يضحكون ويستهزئون، فأَطْلَعَ الله رسولَه[٩] أنهم يستهزئون بالله وكتابه ورسوله، فقال: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب.**[١٠] وقيل بغير ذلك. وقيل: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض،** أي لو سألتهم ما تقولون، فيقولون لك: ممّا يخوض[١١] فيه الرَّكْب إذا ساروا.

---

[١] م - يحتمل قوله يحذر المنافقون أي الحق عليهم أن يحذروا لما أطلع الله رسوله مرارا على ما أسروا وكتموا ويحتمل على الخبر أنهم كانوا يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم.

[٢] ع م: ورسوله.

[٣] جميع النسخ: من سرائرهم.

[٤] ع - وقوله.

[٥] ن: ولم يقل.

[٦] م: على الاستهزاء.

[٧] ن: عن احتماعهم؛ ع م: عن اجماعهم.

[٨] ن: عن غزوة.

[٩] ع: ورسوله.

[١٠] روي عن قتادة وسعيد بن جبير نحوه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٧٢-١٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٣٠-٢٣١.

[١١] ع: مما نخوض.

وليس لنا إلى معرفة كيفية استهزائهم حاجةٌ ولا مائيّتِه[1] سِوَى أنّ فيما ذكر لنا من خبر المنافقين تنبيها[2] للمؤمنين وتحذيرا[3] لهم ليحذروا أسرار ما لم يُظهِروا على ألسنتهم، ليعلموا أن الله مُطَّلِعٌ على ما يسرّون ويُضمِرون.

وقوله: **قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**، قوله: **أ بالله**، يحتمل الإضافة إلى نفسه إضافةً إلى أنفس المؤمنين، لأنه لا أحد يقصد قصد الاستهزاء بالله، ولكنهم كانوا يستهزئون برسول الله وبالمؤمنين، فأضاف إلى نفسه، كقوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ،[4] وكذلك قوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ[5] الآية، فعلى ذلك الأول، كانوا يستهزئون برسول الله وبالمؤمنين، فأضاف الله إلى نفسه تعظيما لهم وإكراما.

وقوله: **وآياته**، يحتمل أنهم كانوا يستهزئون بالأحكام التي لها آيات، فاستهزءوا بتلك الأحكام، فأضاف الاستهزاء إلى الآيات، كقوله: وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا -الآية- وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا،[6] هم لم يتخذوا آيات الله هُزُوا، ولكن هَزِئُوا بالأحكام التي لها آيات. أضاف الهزء إلى آياته، ولكن من استخفّ بحكم من الأحكام[7] التي لها[8] آيات كان ذلك استخفافا بآياته. *والله أعلم*.

[٣١٢و س ١٠ * وقوله: **قل أ بالله وآياته ورسوله**، يحتمل وجهين. أحدهما على الإيجاب، أي يفعلون

٣١٢و س ١١] بالله ورسوله ذلك. ويحتمل على التوعيد والتوبيخ: أبالله يفعلون هذا؟ *والله أعلم*.*

## ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**، أي **لا تعتذروا**، فإنه لا يُقبَل اعتذارُكم لِما لا عذر لكم فيما تعتذرون[9] بعدما قلتم: إنه أُذُن، لِما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك،

---

[1] ع: ولا مائية.
[2] ك ن م: تنبيه؛ ع: وتنبيه.
[3] جميع النسخ: وتحذير.
[4] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.
[5] سورة محمد، ٧/٤٧.
[6] سورة البقرة، ٢٣١/٢.
[7] جميع النسخ: من أحكام.
[8] ن + لها.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٢و/سطر ١٠-١١.
[9] ع م: يعتذرون.

كقوله: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ / إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، [١] [٣١٢و]
أخبر أنه لا يصدقهم[٢] فيما اعتذروا لِما ظهر كذبهم وتبيّن خلافهم.

وقوله: **قد كفرتم بعد إيمانكم**، يحتمل **كفرتم**، في الباطن بعدما أظهرتم باللسان. ويحتمل **قد كفرتم بعد إيمانكم**، حقيقةً، قد كفروا بعدما آمنوا.

وقوله عز وجل: **إن نَعْفُ عن طائفة منكم نُعَذِّبْ طائفة**، قال بعضهم: قوله: **إن نَعْفُ عن طائفة**، وذلك أن المنافقين[٣] [منهم من] قد آمن[٤] بعد النفاق وتاب، فأخبر أنه إن يَعْفُ عنهم يُعَذِّب الطائفة الذين لم يؤمنوا و لم يتوبوا. وقيل: **إن نَعْفُ عن طائفة منكم نُعَذِّبْ طائفة**،[٥] لأن من المنافقين[٦] من قد ماتوا على الإيمان، ومنهم من قد مات على الكفر، فوعد العفو عمّن مات على الإيمان، كقوله: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،[٧] أخبر أنه إن شاء تاب عليهم، فقوله:[٨] **إن نَعْفُ عن طائفة منكم**، الطائفة التي يتوب الله[٩] عليهم.*

**﴿اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**، ذكر في أهل الإيمان أن[١٠] بعضهم أولياء بعض بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[١١] وذكر في الكافرين ولاية بعضهم لبعض[١٢] بقوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[١٣] وقال في المنافقين: **بعضهم من بعض.**

---

[١] سورة التوبة، ٩/٩٤.
[٢] ع م: لا تصدقهم.
[٣] ك: أن من المنافقين.
[٤] جميع النسخ + منهم.
[٥] م + وذلك أن المنافقين قد آمن منهم بعد النفاق وتاب فأخبر أنه إن يعف عنهم يعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل إن يعف عن طائفة منكم يعذب طائفة.
[٦] ع م: لأن المنافقين.
[٧] سورة الأحزاب، ٣٣/٢٤.
[٨] ك: وقوله.
[٩] ن ع م - الله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٢و/سطر ١٠-١١.
[١٠] ع م - أن.
[١١] سورة التوبة، ٩/٧١.
[١٢] جميع النسخ: الولاية لبعضهم بعض.
[١٣] سورة الأنفال، ٨/٧٣.

فهو -والله أعلم- أنّ لأهل الإيمان دينا[1] يَدِينون به ويتناصرون، ويدعون الناس إليه، وأهل الكفر يَدِينون أيضا بدين ويتناصرون به، ويُعاوِن[2] بعضهم بعضا. فصار لكل واحد من الفريقين مُوالاةٌ[3] فيما بينهم موالاةَ[4] الدين. وأما المنافقون فإنه لا دينَ لهم يَدِينون به ولا مذهبَ يَنتَحِلونه،[5] ولا يُناصِر بعضُهم بعضا ولا يُعاوِن بعضُهم [بعضا]، ولا يجري بينهم التناصر والتعاون، فإنما هم[6] عُبّادُ النعمة والسَّعَة، مالوا حيثما[7] مالت النعمة والسَّعَة، فلا موالاة[8] فيما[9] بينهم لما ذكرنا.

وفي قوله: **والمنافقات**، دلالة أنّ مَن نافق بالتقليد لآخر أو كفر بالتقليد لآخر[10] أو نافق لا بتقليد سواءٌ في استيجاب الاسم[11] والتعذيبِ في ذلك والوعيدِ، لأن النساء هنّ أتباعٌ[12] وأهلُ تقليدٍ للرجال، ثم سَوّى بينهم وبين النساء في الاسم والوعيد.

وقوله عز وجل: **يأمرون بالمنكر**، يحتمل قوله: **يأمرون بالمنكر**، أي ما ينكره العقول، وهو الشرك بالله والخلاف له، **وينهون عن المعروف**، أي ينهون عمّا تعرفه[13] العقول وتستحسنه، وهو التوحيد لله والإيمان به. ويدخل في ذلك كل خير وحسن، وفي المنكر يدخل فيه الشرك وكل معصية.

وقوله عز وجل: **يقبضون أيديهم**، قيل: **يقبضون أيديهم**، من الإنفاق في سبيل الخير. لكن يحتمل أن يكون على التمثيل، لا على تحقيق قبض اليد، ولكن على كفّ النفس ومنعِها عن الاشتغال[14] بالخيرات وخوضِها فيها وفي جميع الطاعات. لكنه ذكر اليد[15] لِما بالأيدي يُعمَل،[16]

[1] جميع النسخ: دين.
[2] جميع النسخ: ويتعاون.
[3] ن ع: موالات.
[4] ن: موالات.
[5] ن: ينتحلون به.
[6] ن: فإنهم؛ ع - هم.
[7] ك: حيث.
[8] ن ع: موالات.
[9] ك - فيما.
[10] م - أو كفر بالتقليد لآخر.
[11] ن: الإثم.
[12] ن ع م: من أتباع.
[13] ن ع م: يعرفه
[14] ع م: من الاشتغال.
[15] جميع النسخ: باليد.
[16] جميع النسخ + بها.

وبها يُكتسَب الخيرات والسيئات، كقوله: وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[١] وذلك ممّا لم تُقدِّمه[٢] الأيدي ولا كسبت، إنما ذلك كسب القلب، لكنه ذكر اليد لما ذكرنا أنه باليد [يُقدّم] ما يُقدّم، وبها يقبض في الشاهد. وجائز أن يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة إنفاقهم في الجهاد، كقوله: وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ.[٣]

وقوله عز وجل: **نسوا الله فنسيهم**، قيل: جعلوا الله عز وجل كالشيء المنسي، لا يذكرونه أبدا، **فنسيهم**، أي جعلهم كالمنسيّين في الآخرة من رحمته، لا ينالونها. ويحتمل **نسوا الله**، أي **نسوا**، نِعَم، الله، التي أنعمها عليهم[٤] فلم يشكروها، **فنسيهم**، على المجازاة لذلك وإن لم يكن نسيانا،[٥] كما سمّي جزاء السيئة سيئة وإن لم يكن الثاني سيئة، فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازاة النسيان وإن لم يحتمل النسيان. والثالث **نسوا الله**، أي بسؤال المعونة والنُّصْرَة[٦] وسؤال التوفيق، **فنسيهم**، الله، أي لم ينصرهم و لم يوفقهم.

وقوله عز وجل: **إن المنافقين هم الفاسقون**. فإن قيل: اسم النفاق أشرّ وأقبح من اسم الفسق،[٧] فما معنى[٨] ذكر الفسق لهم؟ فهو[٩] -والله أعلم- لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فأخبر أنهم ليسوا على ما أظهروا. ***والله أعلم***. أو أن يكون[١٠] اسم النفاق أشرّ وأقبح عند الناس من اسم الفسق،[١١] فعندهم يحتمل[١٢] أن يكون اسم الفسق أكبر في القبح. أو سماهم فاسقين لِما أن كل أهل الأديان يَأْنَفون عن النسبة إلى[١٣] الفسق والتسمية به. أو أن يكونوا يعلمون[١٤] في أنفسهم أنهم أهل نفاق ولا يعرفون أنهم فَسَقَة. وأصل الفسق هو الخروج عن أمر الله.

---

[١] سورة الأنفال، ٨/٥٠-٥١.
[٢] ن ع م: لم يقدمه.
[٣] سورة التوبة، ٩/٥٤.
[٤] ك: عليكم.
[٥] ع م: نسيا.
[٦] ع: والنصر.
[٧] ع - الفسق.
[٨] ك: فما ينبغي.
[٩] ن - فهو.
[١٠] ع م: وأن يكون.
[١١] ع: النفاق.
[١٢] ك: فيحتمل عندهم.
[١٣] ك - النسبة إلى.
[١٤] ك: يعملون.

**﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾**[٦٨]

وقوله عز وجل: **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم**، وعد لهم **نار جهنم**، كأنّ **جهنم** هي المكان الذي يُعذَّبون فيه، والنارُ فيه بها يُعذَّبون. **خالدين فيها هي حَسْبُهم**، [٣١٢ظ] أي **هي حَسْبُهم**، جزاءً لصنيعهم. يقول الرجل لآخر: حَسْبُك / كذا، أي كفاك ذلك جزاءً لك. وقوله: **ولعنهم الله**، قيل: اللعن هو الطرد في اللغة، أي طردهم عن رحمته. **ولهم عذاب مُقِيم**، لا يفارقهم ألبتّة.

**﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٦٩]

وقوله عز وجل: **كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة**، أي هؤلاء المنافقون[١] والكفرة **كالذين من قبلكم**، و لم يبيّن كأولئك في ماذا، ولكن يحتمل قوله: **كالذين من قبلكم**، أي صرتم إلى العذاب **كالذين** صاروا **من قبلكم**، و **كانوا أشد منكم قوة**، وبطشا، **وأكثر أموالا وأولادا**. وفي الشاهد إنما يُدفَع العذاب أو العقوبة بهذا، وبه يتناصر[٢] بعضهم من بعض. ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن أنفسهم، فأنتم دونهم في القوة وما[٣] ذكر، كيف تقدرون على دفع ذلك؟ هذا قد قيل. وقيل: **كالذين من قبلكم**، أي صرتم بما اخترتم[٤] من الأعمال كما صار[٥] أولئك بما اختاروا[٦] من الأعمال وكلِّ أنواع الخلاف لله وتكذيبِ الرسل وتعاطي ما لا[٧] يحل، فصرتم أنتم كما صاروا هم. **فاستمتعوا بخَلَاقهم فاستمتعتم بخَلَاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخَلَاقهم**، قيل: انتفعوا **بخَلَاقهم**، أي أكلتم أنتم الدنيا بدينكم كما أكل[٨] أولئك الدنيا بدينهم.

---

[١] جميع النسخ: المنافقين.
[٢] ع: وبه يتناصرون.
[٣] ك: وكيف ما.
[٤] جميع النسخ: ما اخترتم.
[٥] ك: ما صار.
[٦] جميع النسخ: ما اختاروا.
[٧] ع: وتعاطي لا.
[٨] ن - أكل.

وقيل: **فاستمتعوا بخَلَاقهم**، أي بنصيبهم من الدنيا، و لم[1] يقدِّموا[2] شيئا للآخرة،[3] **فاستمتعتم**، بنصيبكم من الدنيا و لم تقدِّموا للآخرة شيئا، **كما استمتع** أولئك، أي بنصيبهم[4] من الدنيا و لم يقدموا شيئا للآخرة.[5] والخَلَاق: النصيب، كقوله: أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ،[6] أي لا نصيب لهم. وقال أبو هريرة: الخَلَاق: الدين.[7] وكذلك قال الحسن في قوله:[8] **بخلاقهم**، أي بدينهم.[9]

وقوله عز وجل: **وخُضْتُم كالذي خاضوا**، أي خُضْتُم أنتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض أولئك من الأمم الخالية. قال أبو عبيدة: قوله: **وخُضْتُم**، أي لعبتم، **بالذي خاضوا**، أي لعبوا بالتكذيب. **أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**، فلا ثواب لها في الدنيا والآخرة، لأنها كانت في غير إيمان، فثواب الأعمال إنما يكون في الآخرة بالإيمان. **وأولئك هم الخاسرون**، خُسْرانا بيّنا. وبطلانُ أعمالهم في الدنيا لِما لم يَقبل[10] واحد من الفريقين من المؤمنين والكفار صنيعَهم، لأنهم يُرُون من أنفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد من الفريقين، كقوله: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ.[11]

**﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد**، إلى آخره، يحتمل هذا وجهين. أحدهما قوله: **ألم يأتهم**، أي قد أتاهم خبر الذين من قبلهم وما حلّ بهم وما انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسَعيِهم في قتلهم وإهلاكهم، وهم من جنس أنفسكم وأشد قوة وبطشا منكم،[12]

---

[1] ع - ولم.
[2] ك ن: لم يقدموا.
[3] ك: من الآخرة.
[4] ن: أي نصيبهم.
[5] ك: للآخرة شيئا؛ ع م - فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا و لم تقدموا للآخرة شيئا كما استمتع أولئك أي بنصيبهم من الدنيا و لم يقدموا شيئا للآخرة.
[6] سورة آل عمران، ٧٧/٣.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٣٣/٤.
[8] ك ن: في قولهم.
[9] *تفسير الطبري*، ١٧٦/١٠.
[10] ع م: لما يقبل.
[11] سورة النساء، ١٤٣/٤.
[12] ك: من أنفسكم.

وأنتم تقلدونهم في ذلك. ثم حلّ بهم ما حلّ بتكذيبهم الرسل[1] والخلاف[2] لهم. فأنتم دونهم في كل شيء، وأقلُّ منهم في القوة والبطش، فأولى[3] بذلك أن يصيبكم. ويحتمل قوله: **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم**، أي يأتيهم،[4] **نبأ الذين من قبلهم**، وما حلّ بهم، كقوله: ألم تر كذا،[5] أي سترى، فعلى ذلك هذا يحتمل. وهو حرف وعيد، يحذّرهم ما حلّ بأولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم.

وقوله[6] عز وجل: **والمُؤْتَفِكاتِ أتتهم رسلهم**، قال أهل التأويل: هي قَرَيات لوط، مُؤْتَفِكات، أي مُنقلِبات. قال القُتَبي: ائتفكت، أي انقلبت.[7] وقال أبو عَوْسَجة: المُؤْتَفِكات، هي من الأَفْك،[8] وهو الصَّرف، أَنَّى يُؤْفَكُونَ،[9] أي يُصرَفون. وقال بعضهم: **المُؤْتَفِكات:** المكذِّبات، **أتتهم رسلهم بالبينات**، فكذّبوهم فأُهلِكوا، وهو من الانقلاب، كأنه أشبه. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فما كان الله ليظلمهم**، بتعذيبهم إياهم، أي لا يعذّبهم[10] وهم غير مستوجبين لذلك العذاب، **ولكن**، هم[11] ظلموا أنفسهم حيث كذّبوا رسله وردّوا ما جاءوا به[12] من البيّنات والبراهين.

**﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٧١]**

وقوله عز وجل: **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**، يحتمل قوله: **بعضهم أولياء بعض**، على الإيجاب والإخبار، أنّ الدين الذي اعتقدوا وتمسّكوا به يوجب لهم الولاية،

[1] ع م – الرسل.
[2] ع: والخلاق.
[3] جميع النسخ: أولى.
[4] ع: أي يأتهم.
[5] ن – كذا، صح هـ.
[6] ن: قوله.
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٠.
[8] الأَفْك بالفتح: مصدر قولك: أَفَكه عن الشيء يَأْفِكه أَفكا: صرفه عنه وقلبه. وقيل: صرفه بالإفك (*لسان العرب* لابن منظور، «أفك»).
[9] انظر مثلا: سورة المائدة، ٥/٧٥.
[10] ع م: ولا يعذبهم.
[11] ن – هم.
[12] ن ع م: بهم.

ويصير **بعضهم أولياء بعض**، كقوله: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ،[١] الآية، وقولِه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ،[٢] ونحوه، فهي أخوّة الدين وولايته. ويحتمل قوله: **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض،** على الأمر، أي اتَّخِذوا بعضكم[٣] أولياء بعض ولا تَتَّخِذوا غيركم[٤] أولياء، كقوله: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ،[٥] وقوله:[٦] لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.[٧] نهى المؤمنين أن يتخذوا[٨] أولياء من غيرهم، فكأنه أمر أن يتخذ[٩] المؤمنون بعضهم بعضا أولياء،[١٠] ولا يتخذوا من غيرهم. ثم تحتمل[١١] الولاية وجهين. ولاية روحانية، وهي ولاية في الدين توجب مراعاةَ حقوقٍ تَحْدُث[١٢] بالدين الذي جمعهم وحِفْظَها.[١٣] والثانية ولاية نفسانية، وهي الولاية التي تكون في الأنفس والأموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره، فهذه الولاية هي الولاية النفسانية التي كانت بالرحم والنسب، فإذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية لهم، وهي الولاية نفسها. والولاية[١٤] الروحانية هي المحبة والمودة، فيجب مراعاتها[١٥] بالدين وتعاهدُها.[١٦] وهذا كما تقول: حياة روحانية وحياة جسدانية.[١٧] فالحياة[١٨] الروحانية هي العلم والآداب،[١٩] تَرى[٢٠] [بها] أشياء وتعرفها[٢١] مِن بُعد.

---

[١] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.
[٢] سورة الحجرات، ٤٩/١٠.
[٣] جميع النسخ: بعضهم.
[٤] جميع النسخ: غيرهم.
[٥] سورة المائدة، ٥/٥١.
[٦] ك: وكقوله.
[٧] سورة الممتحنة، ٦٠/١.
[٨] ع: أن تتخذوا.
[٩] ن ع: أن يتخذوا.
[١٠] ن – أولياء.
[١١] ن ع م: ثم يحتمل.
[١٢] ع م: تحديث.
[١٣] ع: واحفظها.
[١٤] جميع النسخ: وولاية.
[١٥] جميع النسخ: مراعاته.
[١٦] جميع النسخ: وتعاهده.
[١٧] ن + وهي الروح الذي به يحي الجسد.
[١٨] جميع النسخ: وحياة.
[١٩] ك: والادات.
[٢٠] جميع النسخ: يرى.
[٢١] جميع النسخ: ويعرفها.

[٣١٣و] والحياة[1] الجسدانية هي[2] الروح الذي[3] / به يحيى[4] الجسد، وبذهابه يموت الجسد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يأمرون بالمعروف**، يحتمل المعروف الذي يوجبه العقول، وهو التوحيد لله والإيمان به. **وينهون عن المنكر**، أي ينهون عمّا تُنكِره[5] العقول، وهو الشرك بالله والتكذيب له. وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو[6] فيما بين الكفرة، يأمرهم المؤمنون بذلك ويدعونهم إلى ذلك وينهونهم[7] عن ضد ذلك. وإن كان فيما بين المؤمنين فهو أمرُ شرعٍ ونهيُ شرعٍ،[8] يأمر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع، وينهاه عمّا لم يجئ به الشرع، أو يأمر بعضهم بعضا بكل خير وبِرّ، وينهى عن كل شرّ ومعصية. **ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**، في كل أمره ونهيه. **أولئك سيرحمهم الله**، وعد أنه يرحمهم. **إن الله عزيز حكيم**، قيل: **عزيز**،[9] يُرَى آثارُ عِزِّه في كل شيء، **حكيم**، يُرَى آثارُ حكمتِه وتدبيرِه في كل شيء.

**﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٧٢]

وقوله عز وجل: **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن**. وقوله عز وجل: **ورضوان من الله أكبر**، أي رضاء الله عنهم أكبر،[10] مِن كلّ ما أعطاهم، لأن فيه حياةَ الروح ولذّته، وما أعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة ففيه حياة[11] الجسد ولذّته، وحياة الروح أرفع وأكبر من حياة الجسد، لأنه لا يؤثّر زيادةً في الجسد. وكذلك العِزّ والحَمْد والذكر[12] الحَسَن فيه حياة الروح ولذّته،

[1] جميع النسخ: وحياة.
[2] جميع النسخ: وهي.
[3] يجوز في الروح التذكير والتأنيث (*لسان العرب* لابن منظور، «روح»).
[4] ك: تحيى.
[5] ن ع م: عما ينكر به.
[6] ن – هو.
[7] جميع النسخ: وينهاهم.
[8] ن ع م – ونهي شرع.
[9] ن ع م: حكيم.
[10] م + أي رضاء الله عنهم أكبر.
[11] ك: فهو حياة؛ ن ع م: في حياة.
[12] جميع النسخ: وذكر.

إذ ليس فيه زيادة في الجسد، إنما هو فرح وسرور يدخل فيه. وإذا أصابه شيء من الذل أو سمع مكروها حزن واهتمّ من غير أن يتألم جسده، أو يجد ألما وشدة في نفسه، وذلك لِما أصاب[١] روحَه لم يصب جسده. وأصله أن العمل في الدنيا لطلب مرضاة[٢] الله ورضائِه[٣] أكبر من العمل لطلب[٤] ثوابه، لأن العمل لطلب[٥] رضائه أَمَرُّ عليه، والعمل لطلب[٦] الثواب أَمَرُّ له. فالذي قام بأداء ما عليه أعظمُ درجةً وأكبرُ فضلاً من الذي قام بعمل ما له؛ لأن كل أحد يعمل ما له وله فيه نَفْعٌ، ولا كل أحد يعمل لغيره، لذلك كان ما ذكر. وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**، لأنه فوز ونجاة لا خوفَ بعده ولا هَوان ولا ذل.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٧٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**، يحتمل الأمر بالجهاد [مع] الفريقين جميعا جهادا بالسيف، ويحتمل مجاهدةً بالحُجج والبراهين [مع] الفريقين جميعا. ويحتمل أيضا الأمر بالمجاهدة [مع] الكفار، يجاهدهم بالسيف، ويُغلِظ القول ويشدِّده على المنافقين ويقيم عليهم الحدود. فإن كان على مجاهدة الفريقين جميعا[٧] بالسيف فهو -والله أعلم- في المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين أظهرهم وأظهروا الخلاف للمؤمنين بعدما أظهروا الموافقة لهم. فأمثال هؤلاء يجاهَدون بالسيف ويقاتَلون به. وهو كقوله: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ -إلى قوله- مَلْعُونِينَ،[٨] الآية، أخبر أنهم يؤخذون ويُقتَلون أينما وُجِدوا، فيشبه أن تكون الآية في الأمر بالجهاد في هؤلاء المنافقين. ويحتمل وجها آخر، وهو أن المنافقين كانوا يطعنون في رسول الله ويعيبون عليه، فأطلع الله رسوله على ذلك، وهم قد علموا أن الله أطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء، فيقول -والله أعلم- جاهِدْهم إذا طعنوا فيك وذكروك[٩] بسوء بعد ذلك.

---

[١] ن: ما أصاب.

[٢] ك: مرضات.

[٣] ك: ورضاؤه؛ ع: ورضيا به؛ م: ومرضاته.

[٤] م: يطلب.

[٥] ع – ثوابه لأن العمل لطلب.

[٦] م – رضائه أمر عليه والعمل لطلب.

[٧] ك – جميعا.

[٨] يقول الله تعالى: ﴿لئن لم يَنتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ثم لا يُجَاوِرُونك فيها إلا قليلا. مَلْعُونِين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقتيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).

[٩] ن: وذكروا.

وإن كان الأمر على المجاهدة[1] مجاهدةً[2] بالحُجج فهو صلى الله عليه وسلم قد كان حاجَ[3] الفريقين جميعا بالحُجج. وخاصَّةً سورةُ براءة إنما نزلت[4] في محاجّة المنافقين. ويحتمل الأمر بالجهاد في الكفار خاصة، وفي المنافقين تغليظُ القول والتشديدُ وإقامةُ الحدود [على] الذي ذكرنا، والتعزير إذا ارتكبوا شيئا مما يجب فيه الحد والتعزير - والله أعلم بذلك - لِما أقاموا بين أظهر المؤمنين مُظهِرين لهم الموافقة.

وقوله: **ومأواهم جهنم وبئس المصير**، هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق.[5]

**﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٧٤]**

وقوله عز وجل: **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر**، قال بعض أهل التأويل: الآية نزلت في شأن رجل منافق، قال يوما: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير. فسمع[6] ذلك غلامٌ وهو رَبِيبُ ذلك القائل، فقال له: تُبْ إلى الله. وجاء الغلام إلى النبي فأخبره. فأرسل إليه النبي، فأتاه فجعل يحلف ما قال ذلك، فنزلت الآية فيه: **يحلفون بالله ما قالوا.**[7] لكن غير هذا كأنه أشبه، لأن [في] الآية: **ولقد قالوا كلمة الكفر**، وقول الرجل: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير، هذا القول نفسُه ليس هو كلامَ كُفر، إنما [هو] كلامُ[8] ذَمٍ ذَمَّ به نفسه. وبَعدُ، إن في الآية: **يحلفون بالله**، فهو قول جماعة. وقيل: نزل في شأن عبد الله بن أُبيّ، قال لأصحابه: فوالله ما مثلنا ومثلُ[9] محمد إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبَك يأكُلْك، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.[10] فأُخبِر النبي بذلك.

---

[1] ن: بالمجاهدة.
[2] ن - مجاهدة.
[3] ع: خاج.
[4] م: أنزلت.
[5] ع م - وقوله ومأواهم جهنم وبئس المصير هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق.
[6] ن ع: فسمعه؛ م: فسمه.
[7] *تفسير الطبري*، ١٠/١٨٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤٠.
[8] ع م - كفر إنما كلام.
[9] ع م - ومثل.
[10] يقول الله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ ولله العِزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/٨).

فدعاه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله.[1] لكن يشبه أن تكون[2] الآية صلة قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ،[3] الآية، كانوا يستهزئون بالله وبآياته وبرسوله، والاستهزاء بذلك كفر. أو إن قالوا قول كفر لم يبيّن الله[4] / لنا ذلك، فلا نفسره أنهم قالوا كذا، لِما ليس لنا [٣١٣ظ] إلى معرفة ذلك القول الذي قالوه حاجة.

وقوله عز وجل: **وكفروا بعد إسلامهم**، يحتمل كفروا[5] بعدما أسلموا إسلام حقيقة. ويحتمل قوله: [**بعد إسلامهم**]، بعد ما أظهروا الإسلام، أي رجعوا عما أظهروا من الإسلام. وفي الآية دلالة أن الإسلام والإيمان واحد، لأنه[6] قال: **وكفروا بعد إسلامهم**، وقال في آية أخرى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ -ثم قال- كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ،[7] وقال في آية أخرى: كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا،[8] فدل أن الإسلام والإيمان واحد.

وقوله عز وجل: **وهَمُّوا بما لم يَنالوا**، قيل: هَمُّوا بقتل رسول الله والمكرِ به، فلم يَنالوا ما هَمُّوا به. وفيه دلالة إثبات الرسالة له،[9] لأنهم أسرّوا ما هَمُّوا به، ثم أخبر عن ذلك، وهو غيب، دل أنه بالله علم ذلك.[10]

وقوله عز وجل: **وما نَقَموا إلّا أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله**، قال بعض أهل التأويل: إن الرجل الذي قال ذلك تاب عن ذلك، فقبل منه ذلك، وكان له قَتِيل[11] في الإسلام، فوَدَاه[12] رسول الله، فأعطاه ديته، فاستغنى بذلك.[13] وقال ابن عباس رضي الله عنه:

---

[1] *تفسير الطبري*، ١٨٦/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٤١/٤.
[2] ن ع م: أن يكون.
[3] سورة التوبة، ٦٥/٩.
[4] ن ع م - الله.
[5] ن - كفروا، صح هـ.
[6] ع م - لأنه.
[7] ن - وقال في آية أخرى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم. وانظر: سورة آل عمران، ٨٥/٣-٨٦.
[8] سورة آل عمران، ٩٠/٣.
[9] ك - له.
[10] ع م: بذلك.
[11] ن ع م: قتل.
[12] ن: فواده.
[13] *تفسير الطبري*، ١٨٧/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٤١/٤-٢٤٢، ٢٤٤-٢٤٥. وروي عن ابن عباس قال: قَتل رجل رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ديته اثني عشر ألفا، فذلك قوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾، بأخذهم الدية (*سنن ابن ماجة*، الديات ٦؛ *وسنن الدارمي*، الديات ١١).

**وما نَقَموا منهم إلّا أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله،** كان رسول الله يعطي المنافقين من الغنائم والصدقات، يقول: ما نَقَموا إلّا ما أعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة.[1] وقوله:[2] **نَقَموا،** قال بعض أهل الأدب، أبو معاذ وغيره: **نَقَموا،** أي طعنوا. فيه لغتان، نَقِموا بالخفض،[3] ونَقَموا بالنصب، يُقال:[4] نَقَم يَنْقِم ونَقِم يَنْقَم بكسر القاف. فهو -والله أعلم- يقول: ما طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء **إلّا أن أغناهم الله،**[5] لأنهم لو كانوا أهل فقر وحاجة ما اجْتَرءُوا[6] على الطعن على رسول الله وما ذكروه بسوء، ولكن طعنوا عليه لما أغناهم الله. ويحتمل قوله: **ورسولُه مِن فضلِه،** ما عاملهم رسول الله معاملةَ الكِرام وبَسَط إليهم، حتى قالوا: إنه أُذُن يَقبل العذر، فذلك الذي[7] حملهم على الطعن.

وقوله عز وجل: **فإن يتوبوا يك خيرا لهم،** فيه أن المنافق يُقبَل منه التوبة. **وإن يَتولَّوْا يُعذِّبهم الله عذابا أليما،** يحتمل قوله: **يَتولَّوْا،** بعد ما أسلموا. ويحتمل قوله: **[يَتولَّوْا]،** أي داموا على الكفر والنفاق، **يُعذِّبهم الله عذابا أليما[8] في الدنيا والآخرة،** بما ذكرنا، في الدنيا الأمر بالجهاد والقتل والخوف، هذا التعذيب في الدنيا، والتعذيب في الآخرة ظاهر.

وقوله عز وجل: **وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير،** قد ذكرنا هذا في غير موضع.[9]

**﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٥]**

وقوله عز وجل:[10] **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ،** قال بعضهم: نزلت الآية في ثعلبة بن حاطب،[11] سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو[12] الله[13] ليرزقه مالا،

---

[1] ذكر نحو ذلك عن الكلبي؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٨/٨؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٤٠/١٠.

[2] ن + وقوله.

[3] ن + وما نقموا بالخفض.

[4] ع: فقال.

[5] ك – الله.

[6] ع: ما اجروا.

[7] م – الذي.

[8] ك – يحتمل قوله تولوا بعد ما أسلموا ويحتمل قوله أي داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا أليما.

[9] ع م: هذا في موضع غير هذا. وانظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ١٢٠/٢.

[10] ع م + وما لهم في الأرض.

[11] ن: الحاطب؛ م: خاطب.

[12] ع: أن يدعوا.

[13] ن: يدعو إلى الله.

وقال: **لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكوننّ من الصالحين.**[١] ومنهم من قال: إنها نزلت في حاطب[٢] بن أبي بَلْتَعة، أنه كان له أموال في الشام، فقال: لئن آتاني [الله] تلك الأموال لأصَّدَّقَنّ[٣] وأكُنْ من الصالحين، فقد آتاه الله تلك الأموال، فبَخِل ومنع ما وعد.[٤] ومنهم من قال: نزلت في المنافقين جملةً، ليست في شأنٍ واحدٍ منصوصٍ مُشارٍ إليه، ولكن في المنافقين جملة. وهكذا كانت عادتهم أنهم إذا وعدوا شيئا أحلفوا و لم يوفوا الوعد.

ثم يحتمل قوله: **ومنهم من عاهد الله**، أنه كان منافقا وقت ما وعد الله لئن آتاه من فضله ليصَّدَّقَنّ. ويحتمل أنه لم يكن منافقا في ذلك الوقت، لكنه صار بما بخل[٥] وكذّب واعتقد[٦] الخلاف واستحل الخُلْف لما وعد منافقا. فإن كان إنما صار منافقا بما بخل واستحلّ الخلاف[٧] له والمنع فيكون قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾،[٨] أي صار في قلوبهم نفاقا. وإن كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾،[٩] أي أعقبهم الدوامَ على النفاق إلى يوم القيامة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا، فيكون هذا كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾،[١٠] الآية. وفي قوله: **ومنهم من عاهد الله** -إلى قوله- ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾،[١١] دلالة أنّ النذور تلزم أهلَها، ويجب[١٢] الوفاء بها، ويؤاخذون بها إن تركوا الوفاء، ويكفرّون إن استحلّوا[١٣] نقض ما عَهِدوا.[١٤]

---

[١] والرواية طويلة مشهورة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٨٩-١٩٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤٦-٢٤٧. وضعّف ابن عبد البر هذا الحديث، وأيده القرطبي مبينا أن ثعلبة من أهل بدر، وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٢١٠. وقد ضعّف ابن حجر أيضا هذا الحديث، وذكر أنه إن صح هذا الخبر فتكون الآية نزلت في شخص آخر يوافقه في الاسم، وهو ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب، من بني أمية بن زيد، وليس هو البَدْرِي، لأنه قد استشهد بأُحُد رضي الله تعالى عنه؛ انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١/٤٠٠.

[٢] م: في حاطب.

[٣] ع: الأصدقن.

[٤] نُقِل ذلك عن ابن عباس وغيره بلا إسناد؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٢٠٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٠/١٤٤. لكن حاطب رضي الله عنه أيضا من أهل بدر. فلعل الآية نزلت في غيره من المنافقين كما رجحه القرطبي؛ انظر: المصدر السابق، ٨/٢١٠.

[٥] ع: يحل.

[٦] ع: واعتقه.

[٧] ع م - الخلاف.

[٨] سورة التوبة، ٩/٧٧.

[٩] ك - أي صار في قلوبهم نفاقا وإن كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم.

[١٠] سورة التوبة، ٩/٥٨.

[١١] سورة التوبة، ٩/٧٧.

[١٢] ك - ويجب.

[١٣] ع: إن استحلبوا.

[١٤] ع: مما عهدوا.

وقوله عز وجل: **ولنكوننّ من الصالحين**، قال بعضهم: من المؤمنين، فهو على تأويل من قال: إنه كان منافقا وقتئذ. ويحتمل **ولنكوننّ من الصالحين**، أي من الشاكرين. وكذلك ذكر في الخبر أنّ ثعلبة لما سأل رسول الله أن يسأل الله له مالا، فقال له: «قليلٌ تُؤَدِّي شُكرَه خيرٌ مِن كثيرٍ لا تُؤَدِّي حقّه»،[1] أو كلام نحو[2] هذا.

**﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٧٦]**

وقوله:[3] **فلمّا آتاهم مِن فضله بخلوا به وتَوَلّوْا وهم مُعرِضون**، يحتمل **تَوَلّوْا**، عن وفاء ما وعدوا. أو **تَوَلّوْا**، عن طاعة الله، **وهم مُعرِضون**، أيضا عن طاعة الله،[4] أو **مُعرِضون**، عمّا وعدوا وعهدوا أن يوفوا.

**﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٧٧]**

وقوله عز وجل: **فأَعْقَبهم نفاقا في قلوبهم إلى يومِ يَلْقَوْنه**، قال بعضهم: أثابهم **نفاقا**، بما بخلوا، إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: أَعْقَبَهم الدوامَ على النفاق، **بما أَخْلَفُوا الله ما وعدوه وبما كانوا يَكذِبون**. ينبغي للمسلم أن يجتنب الكذب والخُلْف في الوعد، فإنه سبب النفاق أو نوع من النفاق. وعلى ذلك[5] روي في الخبر أنْ «اجتنبوا الكذب، فإنه باب من النفاق، وعليكم بالصدق فإنه باب من الإيمان».[6]

[٣١٤و] وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم: / «أربعٌ مَن كُنّ فيه كان منافقا: إذا[7] حَدَّث كذب، وإذا وعد أَخلَف، وإذا عاهد[8] غدر، وإذا خاصم فَجَر»، وفي بعضها: «وإذا اؤْتُمِن خان».[9]

---

[1] سبق تخريج الرواية المتعلقة بذلك قريبا.

[2] ع م: كلام من نحو.

[3] ن – وقوله.

[4] ع م – وهم معرضون أيضا عن طاعة الله.

[5] ك: على ذلك.

[6] لم أجده بهذا اللفظ؛ لكن روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصِّدق يهدي إلى البِرّ، وإن البِرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يَصْدُق ويتحرّى الصدق حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتَب عند الله كذّابا» (صحيح *مسلم*، البر والصلة ١٠٣؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٨٠؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٤٦).

[7] ك ع م: منافقا من إذا.

[8] ع م: خلف وإذا عهد.

[9] أي ورد في بعض الروايات: «وإذا اؤتمن خان» بدلا من: «وإذا وعد أخلف»؛ فانظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ٢٤، الجزية ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٠٦-١٠٨.

فإن قيل: إن أولاد يعقوب اؤتُمِنوا فخانوا، وحدَّثوا فكَذَبوا بقولهم: فَأَكَلَهُ الذِّئبُ،[١] ووعدوا فأَخْلَفُوا، فترى أنهم نافقوا؟

قيل: ما روي أنّ مَن «إذا حَدَّث كَذَب»، أي كَذَب في أمر الدين، وأما الكذب في غير أمر الدين فإنه لا يوجب النفاق. وفي الآية دلالة أنْ لا يَنُصّ[٢] بالسؤال في شيء على غير طلب الخِيَرة[٣] في ذلك من الله؛ ألا ترى أن ثعلبة لمّا أَلَحّ على رسول الله في السؤال أن يسأل ربه ليرزقه مالا ففعل فأَعْقَبَه اللهُ النفاقَ إلى يوم القيامة. ولأنّ أولاد يعقوب قد قدّموا التوبة والإصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوف منهم بما فعلوا، فلم يصيروا منافقين.[٤] وأصله أن اعتقاد الكذب، واستحلالَ الخلاف لِما عَهِد، والخُلْفَ[٥] في الوعد هو الموجِبُ للنفاق، فأمّا تركُ[٦] فعلِ الوفاء على غير استحلالٍ منه فلا يُوجب ما ذكر.[٧] ***والله أعلم.***

**﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٧٨]**

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، يحتمل هذا وجهين. أنْ قد عَلِموا **أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، لكثرة ما يُطلِع رسولَه على ما أسرّوا من الخلاف له وذِكرِهم[٨] السوءَ في رسول الله. والثاني **ألم يعلموا**، أي ألم يَأْنِ لِلذين نافقوا، **أن**[٩] **يعلموا**[١٠] **أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، فيُطلِع[١١] رسولَه على **سرّهم ونجواهم**، فيتركون[١٢] الطعنَ في رسول الله وذِكرَ السوءِ فيه والخلافَ له.

---

[١] يقول الله تعالى: ﴿قال إنّي لَيَحْزُنُني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ إنّا إذًا لخاسرون... قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نَسْتَبِق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٣-١٤، ١٧).

[٢] النَّصّ أصله منتهى الأشياء ومَبلغ أقصاها. ومنه قيل: نَصَصْت الرجل، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده (*لسان العرب* لابن منظور، «نصص»).

[٣] الخِيَرة أي الخير أو الاختيار (*لسان العرب* لابن منظور، «خير»).

[٤] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «ولأنّ أولاد يعقوب قد قدّموا العَزْم على التوبة والإصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوفٍ منهم بما فعلوا، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿[اقتلوا يوسف أو اطرَحُوه أرْضًا] يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾، فلم يصيروا منافقين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٥٦و).

[٥] ع: الخلف.

[٦] ن ع م: نزل.

[٧] ع: ذكره.

[٨] م: وذكر.

[٩] ع م - يأن للذين نافقوا أن.

[١٠] ن: أن لم يعلموا.

[١١] ن ع م: يطلع.

[١٢] جميع النسخ: فاتركوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[٣١٤و س٣١ *والسر هو ما يُسِرّ المرء في نفسه. والنَّجْوَى هو اجتماع جماعة على نَجْوَة[1] من الأرض،
٣١٤و س٣٢] أي المرتفع من المكان.*

وقوله عز وجل: **وأن الله علّام الغيوب**، أي **علّام** بالغيوب[2] التي غابت[3] عن الخلق، وإلا ليس شيء يغيب عنه. ما غاب عن الخلق وما لم يَغِب بمحل واحد عنده.[4] أو **علّام الغيوب**، أي **علّام**[5] بما يكون أبدا في الأوقات التي يكون. وفيه دلالة أنه لم[6] يَزَلْ علّاما، لأن علم الغيب هو ما علم أنه يكون، لا ما علم وهو كائن، دل أنه كان لم يَزَلْ عالما لما ذكرنا.

**﴿اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **الذين يَلْمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات**، الآية، يشبه أن تكون الآية صلة قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ –إلى قوله– وَتَوَلَّوْا.[7] إن أهل النفاق كانوا أهل بخل لا ينفقون إلا مُراءاة وسُمْعةً، فظنّوا بمن أنفق من المسلمين وتصدّق ظنَّهم[8] بأنفسهم، فقالوا: إنهم أنفقوا وتصدقوا مُراءاةً وسُمْعةً. ذُكر في بعض القصة أن عبد الرحمن بن عوف أتى بنصف ماله في غزوة تبوك يتقرّب به إلى الله، وقال: يا نبي الله، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي. فدعا له نبي الله أن يُبارَك له[9] فيما أعطى وفيما أمسك. فلَمَزه المنافقون وقالوا: ما أعطى إلا رياء وسُمْعةً. وجاء رجل آخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر، فنَثَره[10] في تمر الصدقة، فقال له نبي[11] الله خيرًا ودعا له. فقال المنافقون: إن الله لَغَنِيّ عن صاع هذا. فذلك لَمْزُهم.

---

[1] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «نجو».
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٤و/سطر ٣١-٣٢.
[2] ن م: الغيوب؛ ع – بالغيوب؛ ع م + أو علام بما يكون.
[3] ع م: غائب.
[4] جميع النسخ: عنده بمحل واحد.
[5] ع م: أو علام.
[6] ع: أن لم.
[7] ﴿ومنهم مَن عاهد الله لئن آتانا مِن فضلِه لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنكونَنّ من الصالحين. فلمّا آتاهم مِن فضلِه بَخِلُوا به وتَوَلَّوْا وهم معرضون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦).
[8] جميع النسخ: ظنا.
[9] ع م – له.
[10] م: فنشره.
[11] ع: له يا نبي.

فأنزل الله تعالى: **الذين يَلْمِزون المُطَّوِعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهدهم،** يعني الذي[١] جاء بصاع.[٢] قال القُتَبي: **الذين يلمزون المُطَّوِعين،** أي يَعيبون المتطوعين بالصدقة، **والذين لا يجدون إلا جُهدهم،** أي طاقتهم. والجُهد: الطاقة -قال- والجَهد: المشقّة.[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: الجُهد: إنفاق الرجل من الشيء القليل. يقال: جُهِد الرجلُ، إذا كان من الضَّعف أو من الفقر. ويقال: جَهَد في العمل يَجْهَد جَهْدا، فهو إذا بالغ[٤] في العمل. قال أبو عُبَيد: الجُهد مثل الوُسع، والجَهد: الطاقة.[٥] وكذلك قال[٦] أبو معاذ.[٧] وفي الآية معنيان. أحدهما دلالة إثبات رسالة رسول الله، لأنه معلوم أن ما كان منهم[٨] من اللَّمز لم يكن ظاهرا ولكن كان سرا، ثم أخبرهم رسوله بذلك. دل أنه إنما عرف ذلك بالله. والثاني أن الأمور التي فيما بين الخلق إنما يُنظَر[٩] إلى ظواهرها وإن كان في الباطن على خلاف الظواهر، حيث عُوتِبوا هم[١٠] بما طعنوا فيهم بالرياء والسُّمْعة، ليُعلَم[١١] أن الأمور التي فيما بين الخلق تُحمَل على ظواهرها ولا يُنظَر فيها إلى غير ظاهرها. والحقيقة هو ما بَطَن وأُسِرّ، وبه[١٢] يَخْلُص العمل لله.*

وقوله عز وجل: **فيسخَرون منهم سَخِر الله منهم،** قال بعضهم:[١٣] إن من اعتذر إلى[١٤] آخر فقَبِل[١٥] عذرَه على علمٍ مِن المعتذَر إليه أنه لا عذر له فيما يعتذر[١٦] وأنه كاذب في ذلك

---

[١] ع: الذين.

[٢] *تفسير الطبري*، ١٠/١٩٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤٩-٢٥٠. وروي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لمّا أُمِرنا بالصدقة كُنّا نَتَحامَل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه. فقال المنافقون: إن الله لَغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء. فنزلت: ﴿الذين يَلْمِزون المُطَّوِعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهدهم﴾ الآية (*صحيح البخاري*، التفسير ٩/١١، و*صحيح مسلم*، الزكاة ٧٢).

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٠.

[٤] ع م: إذا بلغ.

[٥] ك + والجهد الطاقة.

[٦] ن - قال.

[٧] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «جهد».

[٨] جميع النسخ: منه.

[٩] ن ع م: ينظروا.

[١٠] ن ع: عوتبوهم.

[١١] ع م: ليعلموا.

[١٢] ن ع م: وأسروا به.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٤و/سطر ٣١-٣٢.

[١٣] ن - بعضهم.

[١٤] ن - إلى.

[١٥] جميع النسخ: فيقبل.

[١٦] جميع النسخ + إليه.

فقبول المعتذَر إليه ما يُعتذَر من المُعتذِر سُخرية مِن المعتذرَ[1] إليه بالمعتذِر.[2] وقال بعضهم: قوله: **سَخِرَ الله منهم،** أي يجزيهم جزاء السُّخرية، فسمّى جزاءه باسم السخرية وإن لم يكن[3] الجزاء سخرية، كما سمّى جزاء السيئة سيئة وإن لم تكن الثانية سيئة.[4] وكذلك سمّى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني اعتداء.[5] فعلى ذلك سمّي جزاء السُّخرية سُخرية وإن لم يكن[6] سخرية. ويحتمل قوله: **سَخِرَ الله منهم،** أي سَخِر[7] أولياءُ الله منهم، فأضيف إليه. وكذلك يحتمل قوله: ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ،[8] أي يستهزئ بهم[9] أولياؤه، وهو قوله:[10] ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا،[11] فذلك استهزاؤهم بهم. وذلك جائز في اللغة، إضافةُ الشيء إلى آخر والمرادُ منه غير المضاف إليه.

**﴿اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٨٠]**

[٣١٤ظ] وقوله عز وجل: **استغفر لهم / أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم،** قال عامة أهل التأويل: إنه لمّا مات عبد الله بن أُبيّ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: ما أمرك الله بهذا، قال: **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم.** فقال: «قد خيّرني ربي، فقال:[12] افعل أو لا تفعل». وفي بعض الروايات قال له عمر: لا تستغفر، فإن الله قد نهاك عن هذا.

---

[1] ع – سخرية من المعتذر.

[2] جميع النسخ: إلى المعتذر. أي من اعتذر إلى آخر فقبل عذره وهو يعلم أنه كاذب في ذلك فقبول عذره –بأن لم يعامله بالرد أو بالجزاء العاجل– يكون سخرية من المعتذر إليه بالمعتذر. فهذا معنى قوله: ﴿سخر الله منهم﴾.

[3] ع: لم تكن.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).

[6] ن ع م: لم تكن.

[7] ع: أي سخروا.

[8] سورة البقرة، ٢/١٥.

[9] ع م – أي يستهزئ بهم.

[10] ع م: وقوله.

[11] ﴿يومَ يقول المنافقون والمنافقات لِلذين آمنوا انظُرونا نَقتبِس مِن نورِكم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمِسُوا نورا فضُرِب بينهم بِسُورٍ له باب باطنُه فيه الرحمة وظاهِرُه مِن قِبَلِه العذاب﴾ (سورة الحديد، ٥٧/١٣).

[12] ك – فقال.

فقال: «يا عمر، أفلا أستغفر إحدى[1] وسبعين مرة؟»، أو كلاما[2] نحو هذا. فأنزل الله عند ذلك: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.[3] لكن هذا يَبْعُد: يَفهَم رسولُ الله من الآية التخيير، وعمر يمنعه عن ذلك! ولا يجوز أن يُفهَم التخيير في ذلك أو يخرج ذلك على التحديد[4] أو تكون هذه منسوخة بالتي في [سورة] المنافقين، لأنه وعيد، والوعيد لا يحتمل النسخ.[5] والوجه فيه -والله أعلم- [أنك] إن استغفرت[6] لهم فإنّ استغفارك ليس بالذي يُرَدّ فلا يجاب. لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله، وقد تَعلم مِن حُكمي أنْ لا أغفر[7] لمن[8] مات على ذلك. يخرج على الاعتذار لرسوله في ذلك والنهي له عن الاستغفار لهم، كقوله: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى.[9] وقد عَلم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله، فنهاه عن الاستغفار لهم. إذ لا يحتمل أن يكون ذلك قبل أن يُطْلِع رسولَه على كفرهم، فدل أنه بعد العلم بذلك نهاه. وفيه دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم: إن صاحب الكبيرة لا يُغفَر له.[10] لأنه أخبر أنه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله. فدل أن من لم يكن كَفَر بالله ورسوله فإنه يُغفَر له، وأن له الشفاعة، و[أن] صاحب الكبيرة ليس بكافر. دل أنه ما[11] ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: احد.

[2] جميع النسخ: أو كلام.

[3] سورة المنافقون، ٦٣/٦. وروي عن ابن عمر قال: لمّا تُوفي عبد الله [بن أُبَيّ بن سَلُول] جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله، فسأله أن يعطيه قميصه يُكفِّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ليصلي، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله، فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله: «إنما خيّرني الله، فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾، وسأزيد على السبعين». قال: إنه منافق -قال- فصلى عليه رسول الله. فأنزل الله: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (*صحيح البخاري*، التفسير ٩/١٣؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٢٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٩). أما عن نزول قوله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾، بسبب هذه القصة وغير ذلك من الروايات فانظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٩٩-٢٠٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٥٣-٢٥٥.

[4] م: على التحذير.

[5] قال الشارح رحمه الله تعالى: «ولا يجوز أن يُفهَم التخيير في ذلك ويخرج ذلك على التحديد في السبعين. ولا يحتمل أن لو كان نُسِخ بقوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾، لأن ذلك وعيد، والوعيد لا يحتمل النسخ. دل أن ما حمل الآية عليه أهل التأويل لا يستقيم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٥٦ظ).

[6] ع: إن تستغفرت.

[7] ع: أن لأغفر.

[8] جميع النسخ: من.

[9] سورة التوبة، ٩/١١٣.

[10] م - له.

[11] م: أن ما.

ثم طلبُ المغفرة من الله والشفاعةُ لغيرٍ يجيء أن لا يكون إلا للخواص[1] من الخَلْق، وهم الرسل والأنبياء، على ما يكون في الشاهد لا يَرفع إلى ملوك الأرض الحاجةَ لغيرهم إلا الخواصُّ لهم، ولا يُشَفِّعون[2] إلا أهلَ الشرف عندهم والمنزلة. لكن الله تعالى أذن لنا في الاستغفار لغيرنا[3] بقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.[4] وقولُه: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ؛[5] يحتمل قوله: عَلَيْهِمْ، أي سواء عندهم، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ. ويكون طلبُ استغفارِهم مِن رسول الله استهزاءً منهم به[6] حيث قال: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا؛[7] يخرج قولهم: فَاسْتَغْفِرْ لَنَا، مخرج الاستهزاء على هذا التأويل. ويحتمل قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ، أي سواء عند الله، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، فإنه لا يغفر لهم بكفرهم بالله ورسوله.

ثم قوله: **إن تستغفر لهم سبعين مرة**، يحتمل ذكر السبعين لأن السبعين[8] هو النهاية والغاية في الاستغفار، على ما روي أنه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا،[9] فأخبر: إنك وإن انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الفاسقين**، وَقْتَ اختيارهم الفسق. أو لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة لفسقهم في الدنيا إذا ماتوا على ذلك.

**﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾**[٨١]

وقوله عز وجل: **فرح المُخَلَّفون بمَقْعَدهم خِلافَ رسول الله**، الآية، جمعوا -أعني المنافقين-

---

[1] ن: يكون للخواص.

[2] أي لا يقبلون الشفاعة إلا من أهل الشرف.

[3] جميع النسخ: استغفار غيرنا.

[4] سورة الحشر، ٥٩/١٠.

[5] سورة المنافقون، ٦٣/٦.

[6] جميع النسخ: له.

[7] سورة الفتح، ٤٨/١١.

[8] م - لأن السبعين.

[9] م: مرة. روي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (صحيح *البخاري*، الدعوات ٣). وفي رواية: «سبعين مرة» (سنن *الترمذي*، التفسير ٤٧).

جميع خصال الشر بالتي[١] فعلوا. أحدها ما ذكر من فرحهم بالتخلّف عن رسول الله. والثاني كراهتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم بأموالهم. والثالث صدّهم الناس عن الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم: **لا تنفِروا في الحَرّ**. جمع الله جميع خصال المنافقين في هذه الآية. وقوله عز وجل: **فرح المُخَلَّفون**، ذُكر "**المُخَلَّفون**" وهم كانوا "متخلّفين" في الحقيقة. لكنه يحتمل وجهين. مُخَلَّفون [أي] خلّفهم الله لِما ذَكر أن خروجهم لا يزيدهم إلا خبالا وأنهم يَبغُون الفتنة.[٢] خلّفهم عن ذلك، كقوله: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[٣] قيل: حبسهم. فعلى ذلك هم[٤] مُخَلَّفون، خلّفهم الله لِما علم أن خروجهم لا يزيدهم إلا خبالا وفسادا. ويحتمل مُخَلَّفون [أي] خلّفهم أصحابُ رسول الله، لأنهم لو أرادوا أن يُخرجوهم كَرْها لَقَدروا على ذلك، فهم كالمُخَلَّفين من هذا الوجه لِما لو أرادوا إخراجهم أخرجوهم وإن كانوا[٥] متخلِّفين في الحقيقة. وقوله: **بمَقْعَدهم خِلافَ رسول الله**، أي مخالفةَ رسول الله. وقُرئ: خَلْفَ رسول الله،[٦] أي فرحوا بقعودهم بعد خروج رسول الله. وقوله: **بمَقْعَدهم**، يحتمل القعود، أي بقعودهم خلفه. ويحتمل **بمَقْعَدهم**، أي موضع قعودهم، وهو منازلهم وأوطانهم.

**وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم**، ببخلهم[٧] وخِلافهم الذي في قلوبهم.

وقوله عز وجل: **[وقالوا] لا تَنفِروا في الحَرّ**، هذا في الظاهر يخرج على إظهار الشفقة للمؤمنين، ولكن لم يكن أرادوا ذلك، إنما أرادوا حبسهم عن الخروج في سبيل الله. لكن المؤمنين[٨] لا يمتنعون عن الخروج في سبيل الله إذا قالوا لهم مطلقا: **لا تنفِروا في الحَرّ**. وهو كقوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[٩] كانوا يُجبّنون[١٠] المؤمنين عن الخروج إلى العدو،[١١]

---

[١] جميع النسخ: التي.

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾ (سورة التوبة، ٤٧/٩).

[٣] سورة التوبة، ٤٦/٩.

[٤] ن ع م – هم.

[٥] م: كان.

[٦] رُويت هذه القراءة عن أبي حَيْوَة شُريح بن يزيد (ت. ٢٠٣هـ/٨١٩م). وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير القرطبي*، ٢١٦/٨؛ و*فتح القدير* للشوكاني، ٣٨٨/٢.

[٧] ك م: بخلهم. أي بسبب بخلهم.

[٨] ع م: المؤمنون.

[٩] ﴿الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهم فزادهم إيمانا﴾ (سورة آل عمران، ١٧٣/٣).

[١٠] ع: يجتنبون.

[١١] ع: إلى الغلو.

وكانوا يحتالون في منعهم المؤمنين عن الخروج في سبيل الله. ولو أطلقوا القول في المنع وصرّحوه لفهم المؤمنون[1] / ذلك، ويظهر[2] نفاقهم. وجائز أن يكون قولهم: **لا تنفروا في الحرّ**، قالوا [٣١٥و] ذلك لأتباعهم لا للمؤمنين، كقوله: وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى.[3]

وقوله عز وجل: **قل نار جهنم أشدّ حرّا لو كانوا يفقهون**، أي **لو كانوا يفقهون**، ما أنزل على رسول الله لعلموا أن، **نار جهنم أشدّ حرّا**، من حرّ الدنيا. أو **لو كانوا يفقهون**، أنهم لم يُخلَقوا في الدنيا للدنيا خاصّة، ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم، لعلموا[4] أن الموعود في الآخرة أشدّ ممّا امتحنوا في الدنيا. ***والله أعلم***.

**﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٢]**

وقوله عز وجل: **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا**، يشبه أن يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور، والبكاء[5] كناية عن الحزن. يقول: افرحوا وسُرّوا قليلا، وتحزنون في الآخرة طويلا كثيرا. وأمكن أن يكون على حقيقة الضحك، لأنهم كانوا يضحكون ويستهزئون بالمؤمنين في الدنيا. يقول: ضَحِكوا قليلا لأن الدنيا قليلة تنقطع، ويَبكون كثيرا في الآخرة لأنها لا تنقطع.[6] **جزاء بما كانوا يكسبون**.

**﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[٨٣]**

وقوله عز وجل: **فإن رَجَعَك اللهُ إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج**، دل قوله: **رجعك الله إلى طائفة منهم**، أنْ ليس كل من تخلّف عنه في ذلك فهو منافق، ولا كل المنافقين امتنعوا وتخلّفوا عنه. وقوله عز وجل: **فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا**، لأنه أخبر أن خروجهم معهم لا يزيدهم إلا خبَالا وفسادا،[7]

---

[1] ع م: المؤمنين.

[2] ك: ويظهرون.

[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلُوا لِيَجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ (سورة آل عمران، ١٥٦/٣).

[4] جميع النسخ: ليعلموا.

[5] ع: والنكا.

[6] ع: لا يقطع.

[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالا ولأَوْضَعُوا خِلالَكم يَبْغُونَكم الفتنة﴾ (سورة التوبة، ٤٧/٩).

فيقول: **لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة**، أي عوقبوا بالقعود أول مرة لنفاقهم. وقوله: **فقل لن تخرجوا معي أبدا**، أي لن آذن لكم أن تخرجوا معي[1] أبدا، ولن آذن لكم أن تقاتلوا معي عدوا[2] أبدا. ويحتمل **لن تخرجوا**، أي وإن أذنت[3] لكم بالخروج فلن تخرجوا أبدا.

**فاقعدوا مع الخالفين**، قيل: مع المتخلّفين، وهم المنافقون [على] ما ذكر. ويحتمل أنْ اقعدوا مع أصحاب الأعذار. وقال بعضهم: مع النساء والزَّمْنَى. وهو واحد.

**﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٨٤]**

وقوله عز وجل: **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا**، يعني المنافقين، **ولا تَقُمْ على قبره**. ذُكر في بعض[4] القصة أنه لمّا مات عبد الله بن أُبيّ فجاء ابنه إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن أبي مات، وأوصانا[5] أن يُكفَّن في قميصك[6] وأن تصلي عليه. فخلع النبي قميصه فأعطاه، ومشى فصلّى وقام على قبره.[7] وروي في بعض الأخبار أنه صلّى عليه وألبسه قميصه، وقيل له:[8] تُلبِس عدوَّ الله قميصَك؟ وقال: «إني[9] لأرجو[10] أن يُسلِم بقميصي من بني الخزرج أَلْفٌ». فذُكر أنه لمّا فعل ذلك أسلم ألف رجل من المنافقين.[11] وروي أنه لم يصل عليه.[12]

---

[1] ن – معي.
[2] ن ع م – عدوا.
[3] م: أي وأذنت.
[4] ك: في في بعض.
[5] م: وأوصاني.
[6] ع م: يكفن قميصك.
[7] تقدم تخريجه قريبا. لكن لم يُذكَر فيه أن عبد الله بن أبي أوصى بذلك. وذكر ذلك في بعض الروايات. انظر: *سنن ابن ماجة*، الجنائز ٣١؛ و*تفسير الطبري*، ٢٠٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٨/٤-٢٥٩.
[8] ن: أنه.
[9] ن – إني، صح هـ.
[10] ن ع: لأرجوا.
[11] روي عن قتادة مرسلا، وليس في آخره: فذكر أنه لما فعل ذلك... انظر: *تفسير الطبري* ٢٠٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٤.
[12] روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أُبي، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه وقال: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾. انظر: *مسند أبي يعلى*، ١٤٥/٧؛ و*تفسير الطبري* ٢٠٥/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٤. ومن رواته يزيد الرَّقَاشِي، وهو ضعيف. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٨٠/٢.

فلا ندري كيف كان الأمر بعد أن جاء النهي عن الصلاة على المنافقين بقوله: **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون،** سمّاهم فَسَقَة، واسم الكفر[1] أقبح وأذم، لكنهم جمعوا مع الكفر أنواع الفسق، لِيُعلَم أنّ اعتقادهم الكفرَ والمذهبَ الذي يذهبون إليه إنما اعتقدوا لهواهم. إذ الفسق[2] مما يحرّمه كل ذي[3] مذهب ودين، وكلٌّ يأنَف عن الفسق ويتبرّأ[4] منه. ولا كذلك الكفر، لأن كل من آمن بشيء كفر بضده. وأصل الفسق هو الخروج عن الأمر. *والله أعلم.*

**﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾**[٨٥]

وقوله عز وجل: **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا،** قال بعض أهل[5] التأويل: إنه على التقديم والتأخير، كأنه قال: **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم،** في الدنيا، **إنما يريد الله أن يعذبهم بها،** في الآخرة. وفيه نقض قول المعتزلة في الأصلح. وقد ذكرنا الوجه الذي يدل على نقض قولهم فيما تقدم.[6] ويحتمل قوله: **إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا،**[7] القتال والحروب[8] التي أُمروا بها،[9] [فكان يشقّ ذلك عليهم ويشتدّ، فذلك التعذيب لهم. وهو ما ذكر في آية أخرى: **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ،**[10] الآية. أو التعذيب في الدنيا هو القتل، يُقتَلون إن لم يَخرجوا][11] كقوله:[12]

---

[1] ع م: الكفرة.
[2] ع: إذا الضيق.
[3] ن ع م - ذي.
[4] ع: عن الضيق وتبرأ.
[5] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[6] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/٥٥.
[7] جميع النسخ + وهو.
[8] ع م: والحروف.
[9] جميع النسخ: فيها.
[10] ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إليك تَدُور أَعْيُنُهم كالذي يُغْشَى عليه مِن الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقُوكم بألْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٩/٣٣).
[11] الزيادة من تفسير سورة التوبة، ٩/٥٥.
[12] ع م - كقوله.

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً،[١] وهو التعذيب الذي ذكر، لأنهم يَصيرون[٢] مقتولين. وقوله عز وجل: **وتَزْهَقَ أنفسهم**، قيل: تذهب وتهلك، **وهم كافرون**.

**﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾**[٨٦]

وقوله عز وجل: **وإذا أُنزلت سورة أنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله**، أي إذا أُنزلت سورة فيها **أنْ آمِنوا بالله**، لا أنها تنزل سورة بهذا الحرف، ولكن فيها ذِكرُ **أنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله**. وهو كقوله: فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ.[٣] وقولُه: **أنْ آمِنوا بالله**، بقلوبهم، لأنهم قد أظهروا الإيمان باللسان،[٤] وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة.

وقوله عز وجل: **استأذنك أُولُوا الطَّوْل منهم**، قيل:[٥] **أُولُوا الطَّوْل**، هم أهل الغَناء والسَّعة. وقيل: **أُولُوا الطَّوْل**، أهل الفضل والشرف الذين كانوا يَصْدُرون لآرائهم وينظرون إلى تدبيرهم. وقد كان في أهل النفاق أهل السَّعة والغَناء وأهل النظر والتدبير.

وقوله: **وقالوا ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين**، استأذنوا القعود عن الجهاد -والله أعلم- لِما كانوا يُوالون أهل الكفر سرا، فكرهوا القتال مع الأولياء. أو كانوا يتخلّفون ويمتنعون عن الخروج إلى القتال لِفَشَلهم وجُبْنهم، لأنهم كانوا لا يعملون لِعواقبَ تُتأمّل، إنما كانوا يعملون لمنافعَ حاضرة. لذلك كانوا يمتنعون عن الخروج إلى القتال.[٦] وأما أهل الإيمان فإنهم إنما يعملون للعواقب. وكذلك أهل الكفر إنما يقاتلون أهل الإيمان إما [لِنَيْل] غنيمة في العاقبة يتأمّلون [أو لدفع الشر عن أنفسهم لِلحال].[٧] لكنهم كانوا يستأذنون / القعود ويكونون مع [٣١٥ظ] القاعدين، يُرون مِن أنفسِهم أنّ لهم العذر في القعود. ثم قوله: **ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين**،

[١] ﴿لَئِن لم يَنْتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّك بهم ثم لا يُجاوِرُونك فيها إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).
[٢] ك: يصيروا.
[٣] ﴿فإذا أُنزلت سورة مُحْكمة وذُكر فيها القتال رأيتَ الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نَظَرَ المَغْشِيّ عليه مِن الموت﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٠).
[٤] ك + أو أن آمنوا بالله؛ ن + أو أن أن آمنوا بالله.
[٥] ع: قبل.
[٦] ع م - لفشلهم وجبنهم لأنهم كانوا لا يعملون لعواقب تتأمل إنما كانوا يعملون لمنافع حاضرة لذلك كانوا يمتنعون عن الخروج إلى القتال.
[٧] الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٣٥٧ظ.

يحتمل **مع القاعدين**، من الضعفاء والمرضى[1] والصبيان، حتى إذا أتاهم العدو مِن بَعد ما خرج الرجال منهم إلى قتال العدو يقومون[2] لدفع العدو عن هؤلاء. أو يكون قولهم: **ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين**، من أهل العذر. يُرون من أنفسهم[3] أنهم أهل العذر، ولم يكن لهم عذر في ذلك، كقوله:[4] إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ،[5] الآية.[6] فعلى ذلك الأول يحتمل هذا.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوالِف**، قيل: مع النساء. فهذا حرف تعيير وتوبيخ، أي **رضوا بأن يكونوا** في مَشاهد[7] النساء دون مَشاهد الرجال.

وقوله عز وجل: **وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**؛ إن للإيمان نورا يُبصَر به عواقبُ الأمور ويُرفَع الحجاب والسِّتْر[8] من القلوب ومن الأمور، فيُرِيها[9] باديةً ظاهرة. وللكفر[10] ظُلمةٌ تَستر[11] الظاهر من الأمور والباديَ منها، فتَستر تلك الظُّلمة قلبَه، فذلك الطبع. وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع.[12] *والله أعلم*. **فهم لا يفقهون**، ما يلحقهم من التعيير[13] برضاهم بالقعود مع الخَوالِف. والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالِّ[14] على نظيره. مَنعت[15] تلك الظلمةُ أن تُعرَف الأشياءُ بمعانيها وبنظائرها[16] للحجاب الذي ذكرنا.

---

[1] ع: والرضى.
[2] ع م: ويقومون.
[3] ع م: يرون أنفسهم.
[4] ن: كقولهم.
[5] ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يَثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[6] ن – الآية.
[7] م: في مشاهدة.
[8] ع: والسر.
[9] ك ن م: فتريها.
[10] ك: والكفر.
[11] ك: يستر.
[12] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأعراف، ١٠٠/٧.
[13] ع: من التعبير.
[14] ن – والله اعلم فهم لا يفقهون ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال.
[15] جميع النسخ: منع.
[16] ك: وتظائرها؛ ن م: وبنظارها؛ ع: بنظارها.

**﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم**، يقول -والله أعلم- إن الرسول والذين حقّقوا الإيمان والتصديق **جاهدوا بأموالهم وأنفسهم**، أي بذلوا أنفسهم وأموالهم لنصر دين الله وإظهار سبيله، ولم يبخلوا كما بخل أهل النفاق في بذل أموالهم وأنفسهم في نصر دينه بالمجاهدة مع أعدائه ولم يحقّقوا الإيمان والتصديق.

ثم أخبر أنّ لِلمؤمنين الذين حققوا الإيمان والتصديق وبذلوا أنفسهم وأموالهم وجاهدوا بها في نصر دين الله وإظهار سبيله **لهم الخيرات**، قال بعضهم: **لهم الخيرات**، الذِّكْر في الدنيا والثناء الحَسَن وسلوك الناس طريقهم،[١] وفي الآخرة الثواب والجزاء. وقيل: **لهم الخيرات**، في الآخرة لِما بذلوا أنفسهم وأموالهم في نصر دينه والمجاهدة مع عدوه. وقيل: **لهم الخيرات**، الحور العين، كقوله: فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ.[٢] ***والله أعلم***.

**وأولئك هم المفلحون**، المفلح هو الذي يظفر بحاجة. يقال: أفلح.[٣] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٤]

**﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٨٩]

وقوله عز وجل: **أَعَدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم**، لِيُعلَم أن العِظَمَ[٥] ليس يقع فيما فيه الغِلَظ والكثافة ولكن القَدْر والمنزلة.

**﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٩٠]

وقوله: **وجاء المُعَذِّرون من الأعراب لِيُؤْذَنَ لهم**، قال بعض أهل[٦] التأويل: **المُعَذِّرون**، هم الذين يستأذنون القعود ولا عذر لهم في ذلك. وقال الكَلْبي: **المُعَذِّرون**، هم الذين لهم عذر وبهم علة.

---

[١] ك: طريقتهم.

[٢] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فبأي آلاء ربكما تكذبان. حُورٌ مَقْصُوراتٌ في الخِيام﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧٠-٧٢).

[٣] ك: يقال قد أفلح.

[٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٥.

[٥] م: أن العظيم.

[٦] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

وبعضهم قال: **المُعَذِّرون**، هم المعتذرون. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: المُعْذِرون، بالتخفيف، وقال: لعن الله المُعَذِّرين.[1] كأنه ذهب إلى أن المُعْذِر هو الذي[2] له عذر، والمُعَذِّر بالتشديد الذي لا عذر له، لذلك لعن المُعَذِّر. قال أبو معاذ: وأكثر كلام العرب المُعْذِر: الذي له عذر، وهو قولهم: قد أَعْذَر مَن أَنْذَر.[3] وقال أبو عَوْسَجة: المُعَذِّر بالتشديد الذي لا يُناصِح،[4] إنما يريد أن يُعذَر. ويقال: عَذَرتُ في الأمر، إذا لم يبالغ فيه، وأَعْذَرت في الأمر، أي بالغت فيه. وقال القُتَبِي: **المُعَذِّرون**، بالتشديد، هم الذين لا يَجِدُّون، إنما يَعرِضون ما لا يريدون أن يفعلوه. يقال: عَذَّرت في الأمر، إذا قصرت، وأَعْذَرت: جَدَدْت.[5] ثم قال بعض أهل التأويل: دل هذا على أن أهل النفاق كانوا صنفين: صنف كانوا يستأذنون القعود، وصنف لا يستأذنون، ولكن يقعدون، بقوله: **وجاء المُعَذِّرون من الأعراب لِيُؤْذَنَ هم وقعد الذين كَذَبوا الله ورسولَه سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم**. دل قوله: **الذين كفروا منهم عذاب أليم**، على أنّ مِن أهل النفاق مَن قد آمن[6] وتاب، وأنّ مَن تاب يُقبَل ذلك منه، لأنه قال: **سيصيب الذين كفروا منهم**، و لم يقل: سيصيبهم عذاب أليم. وقال بعضهم: المُعْذِرون، بالتخفيف، هم المؤمنون الذين لهم عذر التخلّف،[7] أتوا رسول الله لينظر[8] في أمرهم الأَوْفَق، إن كان الخروج لهم أَوْفَق يخرجون، وإن كان القعود أَوْفَق يقعدون. يدل على ذلك الآية التي تتلو هذه، وهو قوله[9] عز وجل: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ، الآية.

---

[1] أخرجه ابن الأنباري في *كتاب الأضداد*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٦٠. وروي عن الضحاك قال: كان ابن عباس يقرأ: وجاء المُعْذِرُون، مخفَّفة، ويقول: هم أهل العذر. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٢١٠. وقراءة التخفيف المذكورة من القراءات المتواترة، قرأ بها يعقوب من الأئمة العشرة؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٠.

[2] ن + هو.

[3] «أعذر من أنذر: أي من أنذرك ما يحل بك فقد أعذر إليك أي صار معذورًا عندك» (*فرائد الأدب* للويس معلوف، «عذر»).

[4] أي لا يخلص في اعتذاره.

[5] ك ن ع: جدوت. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩١. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عذر».

[6] ك: من آمن.

[7] ع م: والتخلف.

[8] ك: لينظروا.

[9] ن: وقوله.

فإن قيل: كيف احتمل أن تكون[1] آية واحدة في فريقين[2] مختلفين، إذا قرئ بالتخفيف فهي في الذين لهم عذر، وإذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم؟

قيل: تصير على اختلاف القراءة كآيتين[3] في حالتين ووقتين مختلفين إن كان تأويل المُعَذِّر بالتشديد هو الذي يَعتذر ولا عذر له والمُعْذِر بالتخفيف هو الذي له عذر، أو كان تأويل إحدى القراءتين على ضد[4] الأخرى، [أي] كان لهم عذر في حالٍ ولا عذر لهم في حالٍ أخرى. وإلّا لا يحتمل / أن تكون[5] القراءتان[6] جميعا في وقت واحد وتأويلهما على الاختلاف [٣١٦و] الذي ذكروا. وهو كقوله: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[7] وربُّنا -بالرفع- بَاعَدَ بين أسفارنا،[8] أحدهما على الدعاء، والآخر على الإيجاب، هما آيتان، فصارتا[9] آية واحدة لاختلاف القراءة. *والله أعلم.*

**﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٩١]**

وقوله: **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَج**، لو لم يذكر[10] **المرضى**، ولا **الذين**[11] **لا يجدون ما ينفقون**، لكان المفهوم من قوله: **ليس على الضعفاء**، المريض[12] والذي لا يجد ما ينفق. وكذلك إذا ذُكِر المريض كان في ذكره ما يُفهَم منه كلُّ ضعيف وكلُّ من[13] لا يجد ما ينفق. وفي كل حرف من هذه الحروف ما يُفهَم منه معنى الآخر. فلمّا ذكر دل أن المراد مِن ذِكر **الضعفاء** الزَّمْنَى، مِن نحو الأعمى والأعرج،

---

[1] ع م: أن يكون.
[2] جميع النسخ: في الفريقين.
[3] ن م: كائنين.
[4] م: على ضدي.
[5] ع م: أن يكون.
[6] ع: القرانان.
[7] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[8] وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب من الأئمة العشرة؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٥٠.
[9] جميع النسخ: صارت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[10] ك: لم تذكر.
[11] ن: ولا على الذين.
[12] ك: المرضى.
[13] جميع النسخ: وكل ما.

فكان كقوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ.[1] فتكون الآيتان واحدة، أعني معناهما واحد.

وفيه دلالة أنْ ليس في ذكر عدد من الأشياء حَظْرُ دخولِ غير المذكور في حكم المذكور[2] إذا كان في معناه. ولهذا قال أصحابنا أنْ ليس فيما ذكر رسول الله عددا [معينا] في الربا بقوله: «الحنطة[3] بالحنطة، والذهب بالذهب، والفَضْلُ ربا»،[4] على أنه لا لمعنى وَرَد[5] ولا يَدْخل[6] فيه ما لم يَذْكر. لِما ذكرنا أنه لو ذُكِر الضعفاء لِذِكْرِ المريض والأعمى والأعرج وجميع من ضَعُف عن الخروج[7] من أنواع الأعذار ثم لم يَدلّ ما ذُكِر من العدد وتخصيصِه على أنه لا لمعنىً ذُكِر، فعلى ذلك خبر[8] الربا.[9]

ثم جُعِل العَمَى والعَرَج والمرض وعدم النفقة ونحوه عذرا في ترك الخروج، ولم يُجعَل شدة الحر وبُعد المسافة ونحوه عذرا، بقوله: وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا.[10] وأصله -والله أعلم- أنّ كل ما لم يَعمل في المنع عن الخروج كشهوة أو طمعٍ[11]

---

[1] ﴿قل للمُخلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قومٍ أولي بأس شديد تُقاتلونهم أو يُسْلِمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولَّوْا كما تولَّيتم من قبل يعذِّبْكم عذابا أليما. ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يعذِّبه عذابا أليما﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦-١٧).

[2] م - في حكم المذكور.

[3] ع م: والحنطة.

[4] روي في هذا المعنى أحاديث كثيرة. فمن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُرّ بالبُرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مِثلا بِمِثل يَدا بِيَد، فمَن زاد أو استزاد فقد أربَى، الآخذ والمعطي فيه سواء» (*صحيح البخاري*، البيوع ٤٧٨؛ وصحيح *مسلم*، المساقاة ٨٢). وهذا لفظ مسلم.

[5] ن ع: وزد.

[6] ن ع م: ولا تدخل.

[7] ع: على الخروج.

[8] ك: جزاء.

[9] ذكر الله تعالى فيمن يقبل عذرهم في التخلف عن الجهاد الضعفاء والمرضى ومن لا يجد النفقة، فعدّدهم وخصه بالذكر. ولكن مع هذا التخصيص بالذكر فقد دخل في معنى "الضعفاء" جميع أصحاب الأعذار ممن يضعف عن الخروج وإن لم يُذكَروا في الآية، ولم يدل التخصيص بالذكر على تخصيص الحكم بهؤلاء المذكورين في الآية. فدل ذلك على أن الأموال التي خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر في حديث الربا لا يختص حكم الربا بها، بل يتعداها إلى غيرها إذا وجد نفس المعنى في أموال أخرى.

[10] سورة التوبة، ٩/٨١.

[11] جميع النسخ: لشهوة أو لطمع.

يرجو[١] نَيْلَه من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج؛ إذ شدة الحر وبُعد السفر وخوف العدو مما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة، فلم يَصِر ذلك عذرا في التخلّف عن الخروج للجهاد. وأمّا حال المرض والزَّمَانة وعدم النفقة فيمنعهم[٢] ويُعجِزهم عن الخروج في كل ما يَهْوون[٣] ويشتهون، فصار[٤] ذلك عذرا لهم بالتخلّف عن الخروج للجهاد. والثاني أنّ كل ما يُقدَّر على دفعه بحالٍ[٥] لم يُجعَل ذلك عذرا في التخلّف، وكل ما لا سبيل لهم إلى دفعه فهو عذر. والحر وبُعد السفر وخوف العدو يجوز[٦] أن يُدفَع، فيصير كأنْ ليس [بمُقابِله ما هو أعظم منه].[٧] وهو ما ذكر: قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا. فإذا ذكر شدة حر جهنم وبُعد سفر الآخرة وأهواله هان عليه الخروج وسَهُل فارتفع ذلك. فلذلك[٨] صار أحدهما عذرا والآخر لا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إذا نصحوا لله ورسوله**، قيل: لم يخدعوا أحدا في دينه ولم يَغُشُّوا [أحدا] في دنياه. وقيل: **إذا نصحوا لله ورسوله**، أي أطاعوا الله[٩] ورسوله في الحَضْرَة[١٠] ولم يتركوا طاعته.

وقوله:[١١] **ما على المحسنين من سبيل**، أي **ما على المحسنين من سبيل**، في تركهم الخروج إذا لم يقدروا على الخروج لِما ذكرنا من الزَّمَانة وعدم ما ينفقون.[١٢]

وقوله[١٣] عز وجل: **والله غفور رحيم**، بتركهم الخروج وتخلّفهم عن الجهاد مع الأعذار.

---

[١] ن ع: يرجوا.
[٢] جميع النسخ: يمنع.
[٣] ك: كل يهوون.
[٤] جميع النسخ: صار.
[٥] ك: بمال.
[٦] ع: ويجوز.
[٧] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[٨] ع: ولذلك.
[٩] ع م: الله.
[١٠] أي لأنهم لم يستطيعوا السفر إلى الجهاد.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع م – وقوله ما على المحسنين من سبيل أي ما على المحسنين من سبيل في تركهم الخروج إذا لم يقدروا على الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما ينفقون.
[١٣] ن: قوله.

**﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾**[٩٢]

وقوله عز وجل: **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه،** ذُكِر في بعض الأخبار عن النبي[١] صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أشق[٢] على أمتي -أو قال: على المؤمنين- وإلّا لخرجت في كل سَرِيّة بعثتها، لأنهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون، ولا أجد ما أحملهم عليه فيشقّ عليهم مفارقتهم إيّانا».[٣] فلا حرج[٤] عليهم[٥] بتركهم الخروج إذا لم يجدوا ما ينفقون ولا ما يُحمَل عليه.

**﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٩٣]

ثم قال: ولكن السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج، بقوله: **إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوَالِف،** يعني النساء، **وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون.**[٦] قد ذكر[٧] ههنا: **وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون،** وذكر في الآية الأولى: وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ،[٨] والفقه هو معرفة الشيء بغيره، والعلم هو وقوع العلم لا بغيره. ولذلك يقال لله: عالم، ولا يجوز أن يقال: فقيه. فأخبر عز وجل أنهم لا عرفوا الشيء بغيره[٩] ولا بنفسه عنادا منهم ومُكابَرة.

---

[١] ع: أن النبي.

[٢] ع م: لولا أشق.

[٣] روي الحديث بألفاظ مختلفة قريبة بعضها من بعض، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد في يده، لولا أنْ أَشُقَّ على المؤمنين ما قعدت خلف سَرِيّة تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سَعَةً فأَحْمِلُهم، ولا يجدون سَعَةً فيتّبِعُوني، ولا تَطِيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي» (*صحيح البخاري*، الجهاد ٧؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ١٠٦). وهذا لفظ مسلم.

[٤] ع: فلا خرج.

[٥] ن ع م – عليهم.

[٦] ن ع م + هذا.

[٧] ع: ما ذكر.

[٨] سورة التوبة، ٨٧/٩.

[٩] ك – بغيره.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**، فيه إنباءٌ عما يقول هم المنافقون إذا رجعوا إليهم، وتعليمٌ من الله لرسوله والمؤمنين ما يقول لهم وماذا يجيبون لهم. فقال: **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**، أي لن نصدقكم بما تعتذرون، أي بما تُظهِرون لأنفسكم من العذر. وقوله: **لا تعتذروا**، ليس على النهي، ولكن على التوبيخ والتعيير.

وقوله[1] عز وجل: **قد نبأنا الله من أخباركم**، يحتمل قوله: **قد نبأنا الله من أخباركم**،[2] أنكم لا تَصلُحون أبدا، كما قال: إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ،[3] الآية، أخبر أنهم رجس وأن مأواهم جهنم. وقيل: **قد نبأنا الله من أخباركم**، حين قال لهم: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا -إلى قوله- يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ،[4] وقالوا: هذا[5] الذي نبأنا الله من أخباركم.

وقوله عز وجل: **وسيرى الله عملكم ورسوله**،[6] قال بعضهم: سيرى[7] الله عملكم ورسوله فيما تستأنفون. ويحتمل قوله: **وسيرى الله عملكم ورسوله**، أي سيرى[8] الله ورسوله / عملكم باطلا. أو يقول: [٣١٦ظ] **وسيرى الله عملكم**، أي يجزيكم[9] جزاء عملكم، **ورسوله**[10] **والمؤمنون**، يشهدون عليكم بذلك.

وقوله[11] عز وجل: **ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، قد ذكرنا أنْ ليس شيءٌ يَغِيب عنه أو يكون[12] شيءٌ عنده أَظْهَرَ مِن شيء، ولكن ما يَغيب عن الخلق وما لا يَغيب عنده بمحلّ واحد.

وقوله: **فينبِّئكم بما كنتم تعملون**، يخرج على الوعيد.

[1] ن: قوله.
[2] ن – يحتمل قوله قد نبأنا الله من أخباركم.
[3] الآية التالية.
[4] سورة التوبة، ٩/٤٧.
[5] جميع النسخ: وهذا.
[6] ن + أي يجزيكم جزاء عملكم.
[7] ع: سير.
[8] ع: أي سير.
[9] ع: أي يخرجكم.
[10] ع + عملكم باطلا أو يقول سير الله عملكم أي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله.
[11] ن: قوله.
[12] ع: أو أن يكون.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩٥]

وقوله[1] عز وجل: **سيحلفون بالله لكم إذا انْقَلَبْتم إليهم لِتُعرِضوا عنهم فأَعرِضوا عنهم**، يحتمل قوله: **لِتُعرِضوا**، أي لتتجاوزوا[2] عنهم ولا تُكافئوهم، فيكون قوله: **فأَعرِضوا عنهم**، لِما سألوا من المجاوزة عنهم وتركِ المكافأة.[3] ويحتمل قوله: **لِتُعرِضوا عنهم فأَعرِضوا عنهم**، أي لا تُحاجّهم ولا تشتغل[4] بهم، فإنهم لا يصلحون أبدا، و **إنهم**[5] **رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٩٦]

وقوله: **يحلفون لكم لِتَرْضَوْا عنهم**، وتقبلوا[6] منهم ما يُظهِرون من العذر. ثم أخبر أنكم إن رضيتم عنهم[7] وقَبِلتم ما يذكرون من عذرهم **فإن الله لا يرضى** عنهم لِما يَعلم أنه لا عذر لهم فيما يُظهِرون لكم من العذر. *والله أعلم*. ليس على النهي عن إرضاء أولئك، لأن إرضاء الخلق بعضهم لبعض إنما يكون بالحَلِف[8] وما يكون من الظاهر، ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن، وفيه يتحقّق رضاء الله.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: **طائفة من الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا**.[9] وهو أن رسول الله دعا كفّار المدينة ومنافقيها، فأَيْأَس [الله] عن إيمانهم بقوله: فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ،[10] الآية، فلمّا أُويِس عن إيمان هؤلاء

[1] ن: قوله.
[2] ك ن: أي لتحاوزوا؛ ع م: أي ليتجاوزوا.
[3] ع: المكافات.
[4] م: ولا يشتغل.
[5] ن: أو إنهم.
[6] ن ع م: وتقبلون.
[7] ن: منهم.
[8] ع م: بالخلف.
[9] ن ع م – يحتمل هذا وجهين يحتمل طائفة من الأعراب أشد كفرا ونفاقا.
[10] سورة التوبة، ٩/٩٥.

أقبل نحو طائفة من الأعراب، الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها، فأخبر أنهم **أشدّ كفرا ونفاقا**، من أهل المدينة. ويحتمل أنه أراد بالأعراب **الأعراب**[1] جملةً، أنهم **أشدّ**، أي الكفّار منهم وأهل النفاق، **كفرا ونفاقا**، من أهل الأمصار والمدن. فهو لوجهين. أحدهما أن أهل الأمصار والمدن كانوا يسمعون الآيات والحجج ويُخالِطون أهلَ رحمةٍ ورأفةٍ وأهلَ مودةٍ، وأمّا الأعراب وأهل البادية كانوا لا يسمعون الآيات والحجج، ولا خالطوا أهلَ رحمةٍ ورأفةٍ، فهؤلاء أقسى قلوبا وأَضْيَق صدورا، وأهل المدن والأمصار أَلْيَن قلوبا وأوسع صدورا، فهم أسرع للإجابة، وأولئك أَبْعَدُ وأَبْطَأُ إجابة. والثاني أنهم وُصِفوا بفضل الجهل ما لم يُوصَف أهل المدن والأمصار بذلك. فروي[2] عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَؤُمَّنَّكم أعرابي»، وفي بعضها: «لا يَؤُمَّنَّ أعرابي مهاجرا».[3] وفي بعض الأخبار: «مَن بَدا جَفا».[4] وذلك -والله أعلم- لأنهم كانوا لا يَدخلون الأمصار والمدن ليتأدّبوا ويتعلموا[5] الآداب، فإذا كانوا كذلك فهم أجْهَل. والإيمان هو التصديق، والتصديق إنما[6] يكون بعد العلم، لأنه ما لم يَعلم لم يُصدِّق. فإذا كانوا من الجهل[7] [على] ما وصفنا كانوا أشد إنكارا وتكذيبا من غيرهم. وهو ما ذكر: **وأَجْدَرُ أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**، وصفهم بالجهل، وبالجهل يكون التكذيب، وبالعلم [يكون] التصديق. وهو ما ذكرنا. **وأَجْدَر**، وأَخْلَق وأَحْرَى واحد. وقوله عز وجل: **حدودَ ما أنزل الله على رسوله**، قال بعضهم: هم أقلّ علما بالسنن،[8] وقيل: بالفرائض. ويقال: الحدود ما بيّن مِن طاعة الله ومعصيته. وأصله أنهم أهل جهل بجميع الأوامر والنواهي[9] وجميع الآداب وما لا يحلّ وما يحلّ.[10]

---

[1] ع م - الأعراب.

[2] جميع النسخ: ماروي.

[3] ورد بلفظ: «ولا يؤم أعرابي مهاجرا»، خلال حديث طويل؛ انظر: *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ٧٨. وإسناده ضعيف جدا؛ انظر: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ٣٢/٢-٣٣.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧١/٢، ٤٤٠، ٢٩٧/٤؛ *وسنن أبي داود*، الضحايا ٢٤-٢٥؛ *وسنن الترمذي*، الفتن ٦٥. وصححه الترمذي. وانظر للتفصيل: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ٣٠٩/٢، ٣٣٨.

[5] ك ن م: ويتعلمون.

[6] ع: أيما.

[7] جميع النسخ: بالجهل.

[8] م: بالسنين.

[9] ن م: والمناهي.

[10] ع م - وما يحل.

[٣١٦ظ س٣٤ * وقوله: **وأجدَر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**، ليس على حقيقة الإنزال من موضع، ولكن على خلق ذلك، كقوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ كذا،[١] [وقوله:] يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا.[٢] * ٣١٦ظ س٣٥]

**والله عليم**، أي على علم بما يكون منهم خلقهم، **حكيم**، حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانية الله وألوهيته[٣] لو تدبّروا فيه ونظروا.

**﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٩٨]

وقوله عز وجل: **ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مَغرَما**، أي كان لا ينفق حِسبة. وقال بعضهم: ينفق ولا يراه حقا، إنما يراه غُرْما يَلحقه وغُرْما يَغْرَمه. وأصله أنهم لو كانوا علموا حقيقة أنهم وما حوته أيديهم لله ليس[٤] لهم لم يَعُدّوا ذلك غُرْما غَرِموا وتَبِعَةً لَحِقَتْهم، ولكن لمّا لم يَرَوا[٥] لله[٦] تعالى في أموالهم حقا ولم يعلموا أن أموالهم لله حقيقة لا لهم عَدُّوا ذلك غُرْما وتَبِعَة.

وقوله عز وجل: **ويتربّص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء**، قيل: الدوائر هو انقلاب الأمر، وهو من الدَّوَران. ثم يحتمل[٧] قوله: **يتربّص بكم**، ما قال بعضهم: موت محمد. وقيل: دوائر[٨] الزمان وحوادثها. **عليهم دائرة**، أي عليهم انقلاب الأمر، وعليهم ما تربصوا[٩] على المؤمنين. *

وقوله: **والله سميع**، لِما قالوا،[١٠] **عليم**، بما أسرّوا وأضمروا.

---

[١] ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[٢] ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يُواري سَوْآتِكم وريشا﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٦).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٦ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[٣] ع م: على وحدانيته وأولوهيته.
[٤] ن – ليس.
[٥] ن ع م: لما يروا.
[٦] م: الله.
[٧] ع: ويحتمل.
[٨] م: الدوائر.
[٩] ع: ما يتربصون؛ م: ما تربصون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٦ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[١٠] ع م: لما قال.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله**، ذكر في الآية أن من الأعراب **من يؤمن بالله واليوم الآخر**، لِيُعلَم أن قوله: ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا،[١] كان في طائفة مُشارٍ إليها لا كل الأعراب؛ لأنه ذكر هاهنا أن منهم من قد آمن، وذكر أيضا أن منهم[٢] من ينفق **ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله**، وذكر في الآية الأولى أن منهم مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا،[٣] أي لا يراه حقا واجبا، ولكن غُرْما يَلحقه. / فمنهم[٤] من يرى ذلك حقا لله [٣١٧و] واجبا في أموالهم فيجعلون ذلك قُربة لهم عند الله، وأولئك يرون [ذلك] غُرْما لَحِقهم لا قربة.

ثم في الآية[٥] خوفُ دخولِ المؤمنين في وعيد هذه الآية، الذين لا يؤدّون الزكاة ولا ينفقون، وخوفُ لحوقِ النفاق؛ لأنه أخبر أنهم يتخذون ما ينفقون مَغْرَما، فمن ترك أداءه إنما يَترك لأنه[٦] لا يرى ذلك حقا. لأنه لو رأى ذلك حقا[٧] واجبا لأدّاه على ما أدّى غيره من الحقوق، أو لو كان موقنا بالبعث لأنفق وجعل ذلك قُربة له عند الله؛ لأن المؤمن إنما ينفق ويعمل للعاقبة، فإذا ترك ذلك يُخاف دخولُه في وعيد الآية ولُحُوقُ اسم النفاق به وإن كنا لا نشهد على[٨] ذلك.

وقوله: **ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله وصَلَوَات الرسول**، قال بعضهم: جعلوا ما أنفقوا **قُرُباتٍ عند الله** بصلوات الرسول، لأنهم إذا أنفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر، فكان ذلك لهم **قُرُباتٍ**[٩] **عند الله** باستغفار الرسول ودعائه. وقال بعضهم: جعلوا ما أنفقوا **وصَلَوَات الرسول** قُرُباتٍ عند الله،[١٠] ويكون لهم ما أنفقوا قربةً عند الله، **وصلوات الرسول** طُمأنينةً لهم وبراءةً من النفاق؛ لأن الرسول كان لا يدعو[١١] لأهل الكفر والنفاق،

[١] سورة التوبة، ٩/٩٧.
[٢] ع م – من قد آمن وذكر أيضا أن منهم.
[٣] الآية السابقة.
[٤] جميع النسخ: ومنهم.
[٥] أي في كل من الآية السابقة وفي هذه الآية.
[٦] ن + إنما.
[٧] ن – حقا.
[٨] ن ع م: عليه.
[٩] ك: قربات لهم.
[١٠] ك – باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما أنفقوا وصلوات الرسول قربات عند الله.
[١١] ع م: لا يدعوا.

فإذا دعا لهؤلاء[1] وصلّى عليهم كان ذلك طُمأنينةً لقلوبهم وعَلَما لهم بالبراءة[2] من النفاق. وعلى ذلك يخرج قوله: إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ،[3] أي تَسكن[4] قلوبهم بصلاة الرسول وتطمئنّ بأنهم ليسوا من أهل النفاق وأنهم بُرَآءُ[5] من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ألَا إنها قُربةٌ لهم**، ذَكر هذا مقابل ما ذُكر في الآية الأولى، وهو قوله: وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ،[6] أخبر[7] أن ما يتربّصون هم بهم من الدوائر عليهم ذلك، وهاهنا أخبر أن ما ينفق المؤمنون ويطلبون بذلك قُربة عند الله أنها قُربة لهم.

ثم وعد[8] لهم الجنة بقوله: **سيُدخِلهم الله في رحمته**، أي جنته،[9] سمّى جنته رحمة لِما برحمته يدخلون لا استيجابا لهم منه بذلك، بل رحمةً منه وفضلا.

**إن الله غفور**، لِما كان منهم من المساوئ والشرك إذا تابوا وآمنوا، **رحيم**، حيث لم يؤاخذهم بذلك.

**﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[١٠٠]

وقوله عز وجل: **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان**، يحتمل هذا أن يكون مربوطا معطوفا على قوله: سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ،[10] [أي] مع السابقين الأولين، أي أولئك الذين آمنوا مِن بعدِ أولئك المهاجرين والأنصار يُدخِلهم في الجنة مع السابقين الأولين. ويحتمل أن يكون على الابتداء لا على العطف على الأول. ثم اختُلف فيه. قال بعضهم: **والسابقون الأوّلون**، في الإسلام والنصرة. وقال بعضهم: **الأوّلون**، في الهجرة والنصرة. **والذين اتّبعوهم بإحسان**، أي والذين اتبعوا أولئك في الإسلام،[11] على تأويل من جعل المسابقة في الإسلام.

---

[1] ن: لهم.
[2] ك ن: للبراءة؛ ع: للبرأة.
[3] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[4] ن ع م: أي يسكن.
[5] ن:براة؛ ع م: براءة.
[6] الآية السابقة.
[7] ك ن م + هاهنا؛ ع + أنهم هاهنا.
[8] ع: لهم وعد.
[9] ن: أي جنة.
[10] الآية السابقة.
[11] ع م – أي والذين اتبعوا أولئك في الإسلام.

وعلى تأويل من جعل [المسابقة] في الهجرة[١] [أي] اتبعوهم [في الهجرة] بإحسان. وذُكر عن عمر أنه قرأ على طرح الواو: والأنصارِ الذين اتّبعوهم بإحسان،[٢] يجعلهم فريقَين المهاجرين والأنصار، ولا يجعل طبقة ثالثة.[٣] وأما قراءة العامة من القراء[٤] فهي على إثبات الواو، وجَعْلِ طبقة ثالثة. ثم منهم مَن قال مِن أهل التأويل: **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار**، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان. وقال بعضهم: هم الذين صلَّوا القبلتين. وقال بعضهم: **والسابقون**، إلى الإسلام، **الأوّلون من المهاجرين والأنصار**، الذين صلَّوا القبلتين، **والذين اتّبعوهم**، على دينهم إلى يوم القيامة، **بإحسان**. ثم خصوصُ تسميةِ أهل المدينة أنصارا وإن كانوا هم والمهاجرون[٥] جميعا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أنصارا له فهو –والله أعلم– لأنهم نصروا المهاجرين حيث آوَوْهم وأنزلوهم في منازلهم وأوطانهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم لهم، وإن كانوا جميعا في النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شَرْعا[٦] سواء.

ثم في الآية دلالة الرد على الروافض؛ لأنهم يجعلون أبا بكر وعمر وهؤلاء رضي الله عنهم ظَلَمة لا[٧] على الحق بتولِّيهم أمر الإمامة والخلافة. لأنه معلوم أنهم كانوا فيما ذَكر عز وجل بقوله: **من المهاجرين والأنصار**، ثم أخبر أن الله راضٍ عنهم وأنهم راضُون عنه. دل أنهم كانوا على حق وصواب من الأمر، وأنّ مَن وصفهم بالظلم والتعدّي هو الظالم والمتعدّي [و]واضع الشيء غير موضعه.

وفيه دلالة[٨] جواز تقليد الصحابة والاتّباع لهم والاقتداء بهم؛ لأنه مدح عز وجل مَن اتّبع المهاجرين والأنصار بقوله: **والذين اتبعوهم بإحسان**، ثم أخبر عن جملتهم أن الله راضٍ عنهم. دلّ –والله أعلم– أن التقليدَ لهم لازم، والاقتداءَ بهم واجب، وإذا أخبروا بخبر أو حدّثوا[٩] بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه. ***والله أعلم بذلك***.

[١] ن ع م: على الهجرة.
[٢] ع م – وذكر عن عمر أنه قرأ على طرح الواو والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان.
[٣] لكن رجع عمر رضي الله عنه عن هذه القراءة عندما علم أن أبي بن كعب يقرؤها بالواو. انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٦٨-٢٦٩.
[٤] م: من القراة.
[٥] م: والمهاجرين.
[٦] نحن في هذا شَرَعٌ سواء وشَرْع واحد: أي سواء لا يفوق بعضنا بعضا، يُحرّك ويسكّن (*لسان العرب* لابن منظور، «شرع»).
[٧] ك – لا.
[٨] ع م – دلالة.
[٩] ع م: أو أحدثوا.

**﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾**[١٠١]

وقوله: **ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق**، أخبر أنّ مِن حولهم من الأعراب ومن أهل المدينة أيضا منافقون مَرَدُوا على النفاق. فقال بعضهم: المُرُود على الشيء[١] هو [بلوغ] النهاية في الشيء.[٢] وقال بعضهم: **مَرَدُوا على النفاق**،[٣] أي ثبتوا عليه وداموا. وقال بعضهم: **مَرَدُوا**، أي عَتَوْا عليه وبالغوا فيه.

أخبر أنهم لشدة مكرهم وخداعهم وعُتُوِّهم **لا تعلمهم**، أنت، **نحن نعلمهم**؛ لأن من المنافقين من كان يعرفهم الرسول / في لَحْن القول، كقوله: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ،[٤] ومنهم من كان يعرفهم في صلاته، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى،[٥] ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلّفه عن رسول الله، يعني عن الغزو، فأخبر عز وجل أن هؤلاء لشدة عُتُوِّهم ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم، نحن نعرف[٦] نفاقهم. [٣١٧ظ]

ثم أخبر أنه يعذبهم **مرّتين**. قال بعضهم: القتل والسَّبْي. وعن الحسن قال: عذاب في الدنيا وعذاب في القبر.[٧] وقال بعضهم: يعذبهم بالجوع مرتين. وقال أبو بكر الأصم: **قوله: سنعذبهم مرّتين**، القتل والسَّبْي قبل[٨] الموت، والعذاب الآخر يُعذَّبون في القبر، **ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم**. ويشبه أن يكون تعذيبه[٩] إياهم مرتين حيث أُخِذوا بالإنفاق على المؤمنين وبينهم وبين المؤمنين عداوة، وأُمِروا أيضا بالقتال مع الكفار وهم أولياؤهم. هذا أحد العذابين. لأنهم أُمِروا بالإنفاق على أعدائهم، وأُمِروا أيضا أن يقاتلوا أولياءهم. والعذاب الثاني القتل في القتال.

---

[١] ن ع م: المرد في الشيء. مَرَدَ على الأمر بالضمّ يَمْرُد مُرُودا ومَرادة، فهو مارد ومَريد، وتَمَرَّد: أقبل وعَتَا. وتأويل المُرُود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف. والمُرُود على الشيء: المُرُون عليه. ومَرَد على الكلام، أي مَرَن عليه، لا يَعبأ به (*لسان العرب* لابن منظور، «مرد»).

[٢] ن ع م: في الشر.

[٣] ك – فقال بعضهم المرود على الشيء هو النهاية في الشيء وقال بعضهم مردوا على النفاق.

[٤] سورة محمد، ٤٧/٣٠.

[٥] سورة النساء، ٤/١٤٢.

[٦] ن – نعرف.

[٧] *تفسير الطبري*، ١١/١١.

[٨] ك ع: قيل.

[٩] ن: تعذيبهم.

فإن قيل: لم يُذكَر أن منافقا قُتِل.[١] قيل: لم يُذكَر لِعلّة أنهم كانوا لا يعرفونهم، لقوله: **لا تعلمهم**، فإذا لم[٢] يُعرَفوا فيُقتَلون كما يُقتَل غيرُهم من المؤمنين. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **سنعذبهم مرتين**، عند الموت ضَرْبُ الملائكة الوجوهَ والأدبار، كقوله: يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ،[٣] وفي القبر [ضرب] مُنْكَر ونَكِير. **ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم**، في الآخرة.

**﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وآخَرون اعترفوا بذنوبهم خَلَطُوا عملا صالحا وآخَرَ سيّئا**، قال عامة أهل التأويل: الآية نزلت في أبي لُبَابة وأصحابه، تخلّفوا[٤] في غزوة[٥] تبوك عن رسول الله، فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا، فقبل الله توبتهم ووعد لهم المغفرة بقوله: **عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم**. وذُكر في بعض القصة أنه لمّا رجع رسول الله عن غزوته[٦] تلك جاء هؤلاء الذين تخلّفوا عنه بأموالهم إلى رسول الله، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خَلَّفَتْنا عنك، فخُذْها فتصدَّقْ بها عنّا، فكره أن يأخذها، فقال: «لم أؤمر بذلك». فنزل قوله:[٧] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ.[٨] وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه من الإيمان ثم ندم على ذلك وتاب يُرجَى -والله أعلم- أن يكون في وعد[٩] هذه الآية؛ لأنه ذكر المؤمنين وما هم عليه، وذكر المنافقين وما هم عليه، ثم ذكر الذين خَلَطُوا أعمالهم الصالحة بأعمالهم السيّئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا، فوعد[١٠] لهم قبول التوبة والمغفرة.

---

[١] ن: قتيل؛ وفي نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات.
[٢] ن ع م: إذا لم.
[٣] ﴿ولو ترى إذ يَتَوَفَّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوهَهم وأدبارَهم وذوقوا عذابَ الحريق﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥٠).
[٤] ع م: تخلفون.
[٥] جميع النسخ: عن غزوة.
[٦] ع: في غزوته.
[٧] ك ع م - قوله.
[٨] الآية التالية. وانظر للروايتين السابقتين: *تفسير الطبري*، ١١/١٢-١٤، ١٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٧٥.
[٩] ع م: في عد.
[١٠] جميع النسخ: وعد؛ ن ع م + الله.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **خذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم وتُزكّيهم بها.** اختُلف في هذه الصدقة التي أمر الله رسوله بأخذها من أموالهم. قال[١] بعضهم: هي صدقة فريضة. ثم اختُلف فيها أيّةُ فريضةٍ هي. فقال بعضهم: فريضة زكاة الأموال. وقال بعضهم: هي فريضة كفارة المآثم. وذلك أن أولئك الذين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة[٢] تبوك ندموا على تخلّفهم. فلمّا رجع رسول الله جاءوا بأموالهم فقالوا له: تصدَّقْ بأموالنا عنّا، فإن أموالنا[٣] هي التي خلّفَتْنا عنك. فأمر الله رسوله أن يأخذ منهم ذلك ويتصدّق بها كفارةً لِما ارتكبوا.[٤] ومن قال هي فريضة زكاة المال [فذلك] لِما روي عن أبي أُمامة قال: إن ثعلبة بن حاطب[٥] أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. قال رسول الله: «ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه». ثم جاءه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا.[٦] فقال:[٧] «ويحك يا ثعلبة، أما ترضى أن تكون مثل رسول الله، لو سألتُ الله أن يُسِيل الجبال عليّ[٨] ذهبا[٩] لسألتُ». ثم أتاه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، فوالله لَئِن[١٠] آتاني الله مالا لأوتِيَنَّ كلَّ ذي حقٍ حقَّه. فدعا له فقال: «اللهم ارزق ثعلبة مالا»،[١١] ثلاث[١٢] مرات. وذُكر أنه اتخذ غَنَما، فنَمَت كما يَنْمُو[١٣] الدُّود حتى ضاقت عليه أَزِقّةُ المدينة، فتنحّى بها. وكان يصلي الصلوات كلها مع رسول الله، ويخرج إليها. ثم ضاقت عليه مَراعي المدينة فتنحّى بها، فكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله، ثم يتبعها.

---

[١] ع: وقال.
[٢] جميع النسخ: عن غزوة.
[٣] ع - عنا فإن أموالنا.
[٤] تقدم تخريجه قريبا.
[٥] م: خاطب.
[٦] م - مالا.
[٧] ن ع م: قال.
[٨] ك: علي الجبال.
[٩] ن: ذهب.
[١٠] ك: لو.
[١١] ع م - مالا.
[١٢] ك: ثلث.
[١٣] ع م: يمموا.

ثم تنحّى[1] بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها. ثم بلغ أمرُه إلى أنْ ترك الجمعة والجماعات، فتنحّى بها. و[كان] يتلقّى الرُّكبانَ فيسألهم عن الخبر وعما أُنزِل[2] على رسول الله. فأنزل الله:[3] **خذ من أموالهم صدقة**، الآية. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة رجلَين، فكتب لهما فرائض الصدقة،[4] وأمرهما أن يَسعيا في الناس ويأخذا صدقاتهم، وأن يمرّا[5] بثعلبة ورجلٍ من بني سُلَيم فيأخذا صدقاتهما. فخرجا يُصَدِّقان[6] الناس، فمرّا بالسُّلَيْمي، فأَقْرَآه كتابَ رسول الله، فأطاع بالصدقة. ومرّا بثعلبة، فأَقْرَآه كتابَ رسول الله، فقال: والله ما أدري، ما هذه إلا جزية أو أُخت الجزية، فإذا فرغتما فمُرّا بي حتى أرى رأيي. فلما فرغا من الناس مرّا به، فقال لهما مثل مقالته الأولى، وقال: انطلِقا، فإني سَأَلْقَى رسول الله. فأنزل الله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ -إلى قوله- فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ.[7] إلى هذا ذهب / عامة أهل التأويل، أنها نزلت في شأن ثعلبة. ومنهم من قال ما ذكرنا: [٣١٨و] إنها نزلت في شأن أهل تبوك الذين تخلّفوا عن رسول الله.

ومنهم من قال: إن الصدقة[8] التي أمر الله رسولَه[9] أن يأخذها من أموالهم هي صدقةُ تطوُّع وتبرُّع.[10] وهو ما ذُكر أن رسول الله كان يحثّ الناس على الإنفاق في غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا، وفلانٌ بكذا، فأخذها منهم، وفيه نزل قوله: اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ.[11] ومنهم من قال: هو في كل صدقةِ تطوُّع، قَلَّت الصدقة أو كَثُرت. أَمر رسولَه أن يأخذ[12] من أموالهم ما رأى، [و]لا يأخذ الكل؛ لأنّ أَخذَ الكل يُحْوِجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات، ولكن أَمر أن يأخذ قَدْرًا منها وطائفةً مقدارَ ما يكفّر ما ارتكبوا من المآثم.

---

[1] ن: ثم يتنحى؛ ع م: ثم ينحي.
[2] ع م: عما أنزل.
[3] ع م - فأنزل الله.
[4] ع م - الصدقة.
[5] ك: وأن يمروا.
[6] أي يأخذان الصدقات.
[7] سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٧. وقد مضى تفسير هذه الآيات قريبا، ومر هناك تخريج الحديث المذكور.
[8] ع م: قال الصدقة.
[9] ع م: ورسوله.
[10] ك: تبرع وتطوع.
[11] سورة التوبة، ٩/٧٥. ومضى تخريج الرواية المذكورة في تفسير هذه الآية قريبا.
[12] ك: أن يأخذوا.

وقوله:[1] **تُطهّرهم وتُزكّيهم بها**، إن كان صدقةَ الزكاة فهي تطهّر[2] آثامهم، وتزكّي أخلاقهم حتى يتيسّر عليهم إخراج الصدقة وأداؤها إلى أهلها. وإن كان صدقةَ كفارةٍ لمن تخلّف عن غزوة تبوك فهي تكفّر آثامهم التي لحِقَتهم بذلك. **وتزكّيهم**، قيل: وتصلحهم.[3] وهو ظاهر. وإن كان صدقةَ تطوّعٍ فهي مما يطهّرهم[4] أيضا ويزكّيهم لِما يَنفي عنهم البخل ويؤدّي[5] إلى الجود والكرم؛ ألا ترى[6] أنه مدح من أعطى، وذمّ من بخل ومنع، بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ -الآية- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾،[7] الآية.

وقوله: **وصلّ عليهم إن صلاتك سَكَنٌ لهم**، قال بعضهم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى أحدٌ بصدقةٍ دعا له ويستغفر، وكان لا يستغفر لأهل النفاق، وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي لِما علموا بذلك أنهم ليسوا من أهل النفاق. هذا يحتمل.[8] ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله أمر رسوله أن يستغفر لهم ويصلي عليهم، ثم لا يحتمل أن يأمره بذلك فلا يفعل، أو يفعل[9] فلا يجيبه، فكانت قلوبهم تسكن[10] وتطمئنّ باستغفار النبي لهم[11] لِما قُبِلت توبتهم وكُفِّرت سيئاتهم. *والله أعلم*.

**والله سميع عليم**، قد ذكرنا هذا غير مرة.

وفي قوله: **خذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم**، دلالة أنّ الصدقة إذا وقعت في يد المتولّي والعاملِ عليها سقطت عن أربابها وإن لم تقع في أيدي الفقراء ولم تَصِلْ إليهم؛ لأن النبي كان لا تَحِلّ[12] له الصدقة، ثم أخبر أنه إذا أخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع: تطهير.
[3] م: ويصلحهم.
[4] جميع النسخ: يطهر.
[5] ن ع: وتودي.
[6] ع م: ألا يرى.
[7] ﴿فأما من أعطى واتّقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسّره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذّب بالحسنى. فسنيسّره للعُسرى. وما يُغني عنه ماله إذا تَرَدّى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-١١).
[8] ك: محتمل.
[9] جميع النسخ: أو فعل.
[10] ك: فكان تسكن قلوبهم.
[11] جميع النسخ: إياهم.
[12] ن ع م: لا يحل.

وفيه استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف أن الواقف إذا وَقَف وأخرجه من يده وجعله في يَدَيْ آخر ممن[١] لا حق له في ذلك كان ذلك[٢] جائزا، ويكون وقفا صحيحا.

ومن الناس من استدل بهذه الآية على أن للإمام أن يُطالب[٣] بزَكَوَات الأموال. وكذلك مَضَت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث المُصَدِّقِين إلى أحياء العرب والبلدان والآفاق لأخذ صدقات الأنعام والمواشي[٤] في مواضعها. وعلى ذلك فَعَل الأئمةُ مِن بعدِه[٥] أبو بكر وعمر والأئمة الراشدون، وظهر العمل بذلك مِن بعدِهم إلى هذا الوقت. حتى قال أبو بكر لمّا امتنعت العرب من إعطائه الزكاة: والله لو منعوني عِقَالاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله حاربتُهم عليها.[٦] فذلك يؤيّد ما ذكرنا من مطالبة الإمام أصحابَ الأنعام والمواشي بزكاة أنعامهم ومواشيهم. وقد بيّن الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[٧] الآية، فجعل للعامِلين عليها حقّا، فلو لم يكن على الإمام أن يطالب صدقات الأنعام في أماكنها وكان أداءُ ذلك إلى أرباب الأموال ما كان لِذِكر العاملين[٨] وجه. و لم يبلغنا أن النبي بعث في مطالبة المسلمين بزَكَوَات[٩] الوَرِق وأموال التجارة. ولكن الناس كانوا يعطون ذلك. أو مَن حمله منهم إلى الأئمة يقبلون ما يُحمَل إليهم[١٠] منه، ولا يسألون أحدا عن مَبْلَغ مِلْكِه ولا يطالبونه به إلّا ما كان من توجيه عُمَر العُشّار في الأطراف. وكان ذلك منه عندنا -والله أعلم- للتخفيف عمّن بَعُد عن داره وشقّ عليه أن يحمل صدقته إلى إمامه. فجعل في كل طَرَف من الأطراف عاشر التجّار أهلِ الحرب والذمة، وأمر أن يأخذوا من تجّار[١١] المسلمين ما يدفعونه إليه. وكان ذلك من عُمَر تخفيفا على المسلمين،[١٢]

١ جميع النسخ: من.
٢ ن: له؛ م - ذلك.
٣ ع م: أن يطلب.
٤ م: والموشي.
٥ ع: من بعد.
٦ صحيح *البخاري*، الاعتصام ٢؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
٧ ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).
٨ ع م: العالمين.
٩ ع: بزكوة.
١٠ ك: الهيم.
١١ ع: من تجارة.
١٢ ن: للمسلمين.

لا أنَّ على الإمام مطالبة أرباب الأموال أموالِ العين وأموالِ التجارة بأداء الزكاة **إليهم**[1] -سِوَى المواشي والأنعام، فإن مطالبة ذلك إلى الأئمة- إلّا أن[2] يأتي أحد منهم الإمام **بشيء** من ذلك، فيقبله منه، ولا يتعدّى ما جرت به السنة إلى غيره. ***والله أعلم***.

**﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[١٠٤]

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده**، يحتمل قوله: **ألم يعلموا، أي قد** علموا **أن الله يقبل** توبة من تاب. ويحتمل على الأمر، أي اعلموا **أن الله هو يقبل التوبة**،[3] ممن تاب.

**ويأخذ الصدقات**، قيل: يقبل. ويشبه إضافة الأخذ إلى نفسه إضافتَه إلى رسوله[4] **بقوله**: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً.[5] وذلك كثير في القرآن.

وقوله عز وجل: **وأن الله هو التواب الرحيم**، قال أبو بكر الأصم: **التواب**: هو صفة **العاني**، وهو اسم للتائب. والتواب عندنا / هو الموفِّق للتوبة. [٣١٨ظ]

ثم الكافر إذا أسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة أخرى سِوى التوبة[6] وإن كان ارتكب مَساوِئ وفواحش[7] سِوى الشرك والكفر. والمسلم إذا ارتكب مَساوِئ[8] لزمته[9] التوبة والكفارة جميعا. وذلك **لأن** المسلم لمّا أسلم[10] اعتقد حِفْظَ ما لزمه من الشرائع، فإذا ارتكب ما ذكرنا جَرَح[11] شرائعَه وأدخل **نقصانا** فيما اعتقد حِفْظَه. فإذا ترك حِفْظَه وأدخل[12] فيه النقصان لزمته الكفارة، يَجْبُر بها النقصان الذي **أدخل** فيه. وأما الكافر فليس عليه شيء من الشرائع، إنما عليه أن يتوب عن الشرك[13] ويأتي بالإيمان. **لذلك افترقا.**

---

[1] ع م - إليهم.
[2] ع: لا أن.
[3] م + عن عباده يحتمل قوله ألم يعلموا أي قد علموا أن الله.
[4] ن: إلى رسول الله.
[5] الآية السابقة.
[6] م: للتوبة.
[7] جميع النسخ: مساوئا وفواحشا.
[8] جميع النسخ: مساوئا.
[9] ك: لزمه.
[10] ع: إذا أسلم.
[11] جميع النسخ: خرج؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٠و.
[12] ن ع م: فأدخل.
[13] ك: من الشرك.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك في الذين كانوا[١] تخلّفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك، فتاب الله عليهم. يقول: **اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، أي إن عُدتم إلى ما عنه[٢] تُبتم -وهو التخلُّف- يُطلِع اللهُ رسولَه[٣] والمؤمنين على ذلك، **وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، أي تُرَدُّون إلى ما أعدّ لكم **عالم الغيب والشهادة**.[٤] وقال بعضهم: الآية في المنافقين. يقول: **اعملوا**،[٥] فيما تستأنفون، فإن الله يُطلِع رسولَه والمؤمنين على نفاقكم، فتفتَضِحون[٦] حيث يَطَّلِعون على سرائركم، **وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، أي تُرَدُّون إلى ما أعدّ لكم **عالم الغيب والشهادة**، **فينبّئكم بما كنتم تعملون**، أي يجزيكم جزاء ما **كنتم تعملون**. يخرج ذلك على الوعيد. وذُكر في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازةً، والمؤمنون[٧] أيضا شهدوها، فأُثْنِيَ عليها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ».[٨] فقيل: يا رسول الله، ما وجبت؟[٩] قال: «الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فإذا شهدتم وجبت»،[١٠] ثم قرأ قوله: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**.[١١] فإن ثبت هذا ففيه دلالة جواز حجّة[١٢] الإجماع، لأنه قال: «الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فإذا شهدتم وجبت»،[١٣] فإذا شهدوا على شر فهو شر، وإذا شهدوا على خير فهو خير، فعلى ذلك إذا شهدوا على حكم يلزم العمل به.

---

[١] ك - كانوا.
[٢] ن: ما عته.
[٣] ع: ورسوله.
[٤] ن ع م - أي تردون إلى ما أعد لكم عالم الغيب والشهادة.
[٥] ع - اعملوا.
[٦] م: فتفضحون.
[٧] ع: المؤمنون.
[٨] ع: وحيت.
[٩] ع: ما وحيت.
[١٠] ع: وحيت.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مَرْدَوَيْه عن سلمة بن الأكوع؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٨٣. وروي الحديث نحو ذلك بدون قراءة الآية؛ انظر: صحيح *البخاري*، الجنائز ٨٦؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ٦٠.
[١٢] ك: حوا حجية.
[١٣] ع: وحيت.

وقوله: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، ليس على الأمر، أنْ يقولُ لهم جميعا: **اعملوا**، كذا، ولكن أنْ كلُّ مَن بَلغتْه[1] هذه الآية يتفكّر فيها ويتدبّر، فلا يُقْدِمِ على عمل لا يستحسنه [حَشْيَةَ] أن يكون رسول الله والمؤمنون بحضرته، فإذا خَلَا به لا يعمله. وكذلك قوله: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[2] ليس على الأمر بالسير في الأرض، ولكن على الأمر[3] بالتفكّر والتدبّر فيما نزل بهم بالتكذيب. وكذلك قوله: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،**[4] ليس على الأمر، أنْ يقولُ لهم ذلك، ولكن يتفكّر كلٌّ فيه فيعرف[5] أنه واحد.

**﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[١٠٦]

وقوله عز وجل: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم**، قال بعضهم: هو صلة قوله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.[6] كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم، أيعذّبهم[7] أو يتوب عليهم، فنزل قوله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. وقال بعضهم: هو صلة قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا.[8] كانوا اتخذوا مسجدا، وكانوا **مُرْجَوْن لأمر الله**. ثم بيّن أن اتخاذهم المسجد [كان] ضِرارا[9] وكفرا وتفريقا. وقال بعضهم: قوله: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله**،[10] هم الثلاثة[11] الذين خُلِّفوا.[12] وقال أبو عَوْسَجَة: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله**، أي محبوسون. يقال: أَرْجَيْته، أي حبسته. وقال القُتَبي: **مُرْجَوْن لأمر الله**، أي **مُرْجَوْن** على أمره.[13] كأن هذه الآية نزلت في الذين تخلّفوا عنه للركون إلى الدنيا ورغبةً فيها، وهم المؤمنون، والآيةَ التي كانت قبل هذه الآية في المنافقين الذين تخلّفوا للركون في الدنيا وكُفرا ونفاقا.

---

[1] ع: ما بلغته.
[2] سورة الأنعام، ١١/٦.
[3] ن - بالسير في الأرض ولكن على الأمر.
[4] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[5] ع م - فيعرف.
[6] سورة التوبة، ١٠٢/٩.
[7] ن ع م: أو يعذبهم.
[8] الآية التالية.
[9] ع م - كانوا اتخذوا مسجدا وكانوا مرجون لأمر الله ثم بين أن اتخاذهم المسجد ضرارا.
[10] جميع النسخ + قال.
[11] ك: الثلثة.
[12] وتأتي قصتهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾ (سورة التوبة، ١١٨/٩).
[13] يقول ابن قتيبة: «مُرْجَوْن لأمر الله، أي مؤخَّرون على أمره» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢).

**﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٠٧]**

وقوله: **والذين اتخذوا مسجدا ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين،** عن ابن عباس رضي الله عنه أن المنافقين **اتخذوا مسجدا**، فلمّا فرغوا منه جاءوا إلى نبي الله، وهو يتجهّز لغزوة تبوك، فقالوا: يا رسول الله، بنينا مسجدا لِذِي العِلّة والحاجة والليلة المَطِيرة،[١] وإنا نحب يا رسول[٢] الله أن تأتينا فتصلي فيه. قال رسول الله: «أنا على سفر وحالِ شُغْلٍ، ولو قَدِمْنا من سفرنا أتيناكم فصلّينا لكم[٣] فيه إن شاء الله». فأنزل الله على رسوله: **والذين اتخذوا مسجدا ضِرارا**، الآية.[٤] أخبر فيه أنهم لم يقصدوا ببناء مسجدهم ذلك ما ذكروا: إنّا بنينا لِذِي[٥] العِلّة والحاجة والليلة المَطِيرة، والإشفاق على الدين، وحِفظَ الصلاة بالجماعة، ولكن يقصدون به **ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين.**

وقوله: **ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين**، يكون قوله: **تفريقا بين المؤمنين**، تفسيرا لقوله: **ضِرارا**، يقصدون ببناء المسجد الذي بَنَوْا رِيبَةً، أنْ يفرّقوا بين المؤمنين وبين رسول الله، حتى إذا جاءهم العدو وجدهم متفرّقين، فيكون أيسر وأهون عليهم في الكسر عليهم والظفر بهم مِن أنْ كانوا مجموعين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يُغلَب اثنا عشر ألفا كلمتهم واحدة».[٦] / وقوله: وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[٧] جعل الاجتماع في الدين [٣١٩ر] نعمة، ونهاهم عن التفرّق،[٨] وهم كانوا[٩] يقصدون قَصْدَ التفريق بينهم لِما ذكرنا. أو كانوا يقصدون بذلك أن يفرّقوا بين ضَعَفَةٍ مِن المؤمنين وبين رسول الله، فيُلبِسوا[١٠] عليهم الدين، لأنهم كانوا أهل لسان وجَدَل. وذلك كله كُفْر على ما ذكر.

---

[١] ن: المطرة. والمطيرة أي كثيرة المطر.

[٢] ك: يرسول.

[٣] ع: فصليناكم.

[٤] *تفسير الطبري*، ١١/٢٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٨٦.

[٥] ع: الذي.

[٦] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... ولن يُغلَب اثنا عشر ألفا مِن قِلّةٍ» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٨١؛ و*سنن الترمذي*، السير ٧). وحسّنه الترمذي.

[٧] ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٣).

[٨] ع: عن التفريق.

[٩] ن – كانوا.

[١٠] ع م: فيلبسون.

وفيه دلالة إثبات رسالة نبينا[1] محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه معلومٌ أنهم أسرّوا وأضمروا فيما بينهم من الضِرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، فأطلع الله نبيه على ما أسرّوا، لِيُعلَم أنه إنما عرف ذلك[2] بالله تعالى.[3]

وقوله عز وجل: **وإرصادا لمن حارب الله ورسوله**، أي بَنَوْا ذلك المسجد إرصادا لمن حارب الله ورسوله. قال عامة أهل التأويل: هو أبو عامر.[4] ذُكر أن أبا عامر حارب رسول الله، ثم فرّ منه. فقال للمنافقين: ابنوا مسجدا، واستعدّوا، فإني ذاهب إلى قيصر بالشام، فآتي بجند، فنُخرِج محمدا وأصحابه من المدينة. فذهب إلى قيصر بالشام.[5] فبَنَوْا مسجدا إرصادا لمن حارب الله ورسوله، يعني أبا عامر.[6]

قال القُتَبي: **ضِرارا**، أي مُضارّة، **وإرصادا**، أي ترقُّبا بالعداوة.[7] وقال أبو عَوْسَجة: **ضِرارا**،[8] أي مُضارّة، **وإرصادا لمن حارب الله ورسوله**، أي وقوفا وانتظارا للفرصة،[9] **لمن حارب الله ورسوله**، على المؤمنين.[10]

وقوله عز وجل: **ولَيَحْلِفُنَّ إنْ أردنا**، أي حلفوا[11] ما أردنا باتخاذ المسجد، **إلا الحسنى**، والخير. **والله يشهد إنهم لكاذبون**. فيه ما ذكرنا من الدلالة على إثبات الرسالة.[12]

---

[1] ك - نبينا.

[2] ع م: بذلك.

[3] ع + والله أعلم.

[4] هو أبو عامر عبدُ عَمْرو بن صَيْفِي، من قبيلة الأوس. وكان أبو عامر قد تَرَهَّب في الجاهلية ولبس المُسُوح (جمع المِسْح، وهو الكساء من الشَّعر). وكان يقال له: الراهب. ولكنه أبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام. فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق».فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها. انظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣/١٢٧-١٢٨.

[5] ك - فآتي بجند فنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذهب إلى قيصر بالشام.

[6] ع م: عمر. وانظر: *تفسير الطبري*، ١١/٢٤-٢٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٨٤-٢٨٥.

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢.

[8] ك: ضرار.

[9] ك ن م: لفرصة؛ ع: لفرضة.

[10] ك - على المؤمنين.

[11] ع: أي خلفوا.

[12] ك: رسالة محمد.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **لا تَقُمْ فيه أبدا**، قيل: لا تُصَلِّ[١] فيه، لأنهم سألوه أن يصلي فيه.[٢] وقيل: **لا تَقُم**، أي لا تأته ولا تدخل. وهو واحد.

**لمَسجدٌ أُسِّس على التقوى من أول يوم أحقّ أن تقوم فيه**، قال بعضهم: هو مسجد قباء، وقال بعضهم: هو مسجد رسول الله. روي عن أبي سعيد الخدري أنه[٣] قال: اختُصِم -أو قال: اختصمنا- في المسجد[٤] الذي **أُسِّس على التقوى**. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو مسجدي هذا».[٥] وعن أبي بن[٦] كعب قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم سئل[٧] عن المسجد الذي **أُسِّس على التقوى**، فقال: «هو مسجدي هذا».[٨] وظاهر ما ذكر أن يكون مسجد قباء؛ لأنه ذُكر [أنه] لمّا نزل: **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهّرين**، قال لأهل قباء: إن الله قد أحسن عليكم[٩] الثناء في الطُّهور، فماذا تصنعون؟ قالوا: إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول.[١٠] وفي بعض الأخبار: قالوا: يا رسول[١١] الله، إنا نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء، فلا نَدَعُه. فقال: «لا تَدَعُوه».[١٢]

وقوله عز وجل: **فيه رجال يحبون أن يتطهروا**، يحتمل أي **فيه رجال**، يؤثرون التطهّر بالإيمان والتوحيد والصلاة فيه. وكلُّ مسجدٍ هذا فيه فهو مؤسَّس[١٣] **على التقوى**،

---

[١] ن - قيل لا تصل، صح هـ.

[٢] ع م + لأنهم سألوه.

[٣] ن ع م - أنه.

[٤] ع م: اختصمنا المسجد.

[٥] صحيح *مسلم*، الحج ٥١١؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٩.

[٦] ع: ابن.

[٧] ع - سئل.

[٨] مسند *أحمد بن حنبل*، ١١٦/٥. «وفيه عبدالله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٤).

[٩] ن: إليكم.

[١٠] ع م: أو البول. روي نحو ذلك عن عدد من الصحابة؛ انظر: سنن *ابن ماجة*، الطهارة ٢٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٨/٤-٢٩١.

[١١] ك: يرسول.

[١٢] روي نحوه عن محمد بن عبد الله بن سلام، وهو صحابي تحول من اليهودية إلى الإسلام. وانظر للحديث: مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٩/٤. وفيه شهر بن حوشب، وقد اختلفوا فيه، ولكنه وثّقه أحمد وابن مَعين وأبو زُرْعَة ويعقوب بن شيبة. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢١٣/١.

[١٣] ع م: مؤمن.

أي تقوى الشرك والخلاف لأمر الله ومناهيه. أو يقول: **فيه رجال يحبون**، أي يؤثرون التطهّر بالتقوى والأعمال الصالحة على غيرها من الأعمال التي تنجّسهم. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل من التطهّر[١] من الأقذار والأنجاس، كأنه قال: **فيه رجال**، يؤثرون الإبلاغ في التطهر[٢] من الأقذار والأنجاس التي تصيبهم.

**﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[١٠٩]

وقوله عز وجل: **أفمن أَسَّس بُنيانَه على تقوى من الله**، أي على الطاعة لله[٣] والإخلاص له، **ورضوان**، له وطلبِ مرضاتِه، **خيرٌ أم من أَسَّس بُنيانَه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، أي بُني للاختلاف والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله. هذا[٤] مُقابلة[٥] مكانٍ بمكان. يقول: من بنى بناء على قرار من الأرض مما يَقِرّ به[٦] ويُنتفَع به خير ممّن بنى بناء على المكان الذي لا يَقِرّ ويؤدي إلى الهلاك ولا يُنتفَع به. والأول مُقابلةُ فعلٍ بفعل. وهو قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،[٧] كالذي بنى لضد ذلك؟ أي ليسا بسواء. ثم قال: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ،[٨] هذا مقابلة فعلٍ بفعل. يقول: الذين بَنَوا المسجد على الطاعة لله والإخلاص له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خيرٌ أم مَن بنى للكفر بالله والتفريق بين المؤمنين وضِرارٍ بهم؟[٩] هذا مقابلة فعلٍ بفعل. وقوله: **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار**، هذا مقابلة[١٠] مكانٍ بمكان لما ذكرنا.

وقوله: **أَسَّس**، أصل الأُسّ والأُسُس والتأسيس والأساس واحد.

---

[١] جميع النسخ: من التطهير.
[٢] جميع النسخ: في التطهير.
[٣] ع: الله.
[٤] جميع النسخ + المثل.
[٥] جميع النسخ: مقابل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[٦] ن – به.
[٧] سورة التوبة، ١٠٧/٩.
[٨] الآية السابقة.
[٩] ع: وضرارهم.
[١٠] ن ع م: مقابل.

وقوله عز وجل: **شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، قال أبو عَوْسَجَة: **شَفَا جُرُف**، قال: شَفَاه فَمُه، والجمع أَشْفَاء.[١] و **جُرُف**: أرضٌ يَسيل فيها السيل حتى يحفرها.[٢] والجِرَفَة جمع. وقوله: **هارٍ**، قال: الهار: الهَشّ الذي ليس بِصَلْب. ويقال: انهار يَنهار، أي انهدم. ويقال: رجل هارٍ، أي ضعيف. وأرض هَشَّة، أي رَخْوَة سريعة الانهدام. والهَشّ: الرَّخْوة. وقال القُتَبي: **شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، أي حَرْفِ[٣] جُرُفٍ[٤] هائر. والجُرُف: ما يتجرّف بالسيول [من] الأودية. والهائر: الساقط. ومنه يقال: تهوّر البناء، إذا سقط وانهار.[٥] وقال أبو عُبَيدة: **على شَفَا جُرُف**، الشَّفَا هو الشَّفِير. والجُرُف: ما تَجْرِف السيول[٦] / من الأودية. و **هارٍ**، يريد هائر.[٧] [٣١٩ظ]

وقوله عز وجل: **فانهار به في نار جهنم**، قال بعضهم: خَسَف الله مسجدهم في نار جهنم.[٨] وفي حرف ابن مسعود: فخرّ من قواعده في نار جهنم.[٩] ويقال:[١٠] حُفِرت فيه بقعة فرُئِي[١١] منها دخانٌ سَطَع. وقال [بعضهم]:[١٢] يَهْوِي ببنائهم الذي بَنَوا في نار جهنم.[١٣] ولا ندري كيف هو وما معناه.

**﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١١٠]**

وقوله: **لا يزال بنيانهم الذي بَنَوْا رِيبةً في قلوبهم**، قال بعضهم: **بَنَوْا رِيبةً**، أي حسرة وندامة. وقال بعضهم: **رِيبةً**، أي شكا ورَيْبا. ومن قال: حسرة وندامة، فهو على وجهين.

---

[١] ع: أشفاه.
[٢] م: حتى يحضرها.
[٣] ن ع م: أي جرف.
[٤] م: أي جرف.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢.
[٦] ك ن ع: تجرف من السيول؛ م: يتجرف من السيول.
[٧] ك: هار. قارن: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٦٩/١. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «هور»، «جرف»، «شفي».
[٨] ع – قال بعضهم خسف الله مسجدهم في نار جهنم.
[٩] أخرج أبو الشيخ عن الضحاك قال: في قراءة عبد الله بن مسعود: "فانهار به قواعدُه في نارجهنم"، يقول: خرّ من قواعده في نار جهنم. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٣/٤؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ٢٣/١١.
[١٠] جميع النسخ: قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[١١] ن ع: فزوى.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[١٣] ع – جهنم.

يحتمل أنهم تابوا وندموا على ما صنعوا. ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما أرادوا بقوله: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[١] ومن قال: شكا ونفاقا، [وقال:] **إلا أن تَقَطَّعَ قلوبهم،** إلى الممات، [فمعناه] أي هم على الشك والنفاق إلى الموت.[٢] وهو كقوله: **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا** فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ.[٣] وأصل الرِّيبة التُّهمة. يقال: فلان مُرِيب، إذا كانت به تهمة.[٤]

وقوله عز وجل: **إلا أن تَقَطَّعَ قلوبهم،** هذا أيضا على وجهين. أحدهما على التمثيل أن الخوف والحزن إذا بلغ غايته يقال: فلان متقطِّع[٥] القلب. [فمعناه -والله أعلم- أنهم على الشك والنفاق أبدا، **إلا أنْ تَقَطَّعَ قلوبهم،** أي غير أن قلوبهم متقطِّعة، أي خائفة حَزِنة في غاية الخوف والحزن. والثاني على الاستعارة، غير حقيقة القطع، أي هم على النفاق، **إلا أنْ تَقَطَّعَ قلوبهم،** أي إلى أن يموتوا. فيكون تَقَطُّع القلب كناية عن الموت. ***والله أعلم.***][٦]

**﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[١١١]

وقوله عز وجل: **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة،** يحتمل قوله: **اشترى،** أي استام،[٧] لأنّ قوله: **اشترى،** خبر، ولكن يحتمل الاستيام،[٨] أي استام أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم لله ليجعل لهم الجنة،[٩] ثم بيّن فقال: **يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتَلون.** ويحتمل أن يكون قوله: **اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم،** خبرا عن قومٍ باعوا أنفسهم وأموالهم،

---

[١] سورة التوبة، ١٠٧/٩.

[٢] ك: إلى الممات.

[٣] سورة التوبة، ٧٧/٩.

[٤] و التهمة أصلها الوُهمة. والتهمة: الظن. والجمع تُهَم. واتَّهمته: ظننت فيه ما نُسِب إليه (*لسان العرب* لابن منظور، «وهم»).

[٥] جميع النسخ: منقطع.

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ. ومعناه موجود في كلام المؤلف قبل ذلك. ولعله حذفه لهذا. وقد أكملنا ذلك من *الشرح*، ورقة ٣٦١و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٠٢ظ.

[٧] السَّوْم: عَرْض السلعة على البيع. يقال: ساومته واستام عليّ... (*لسان العرب* لابن منظور، «سوم»).

[٨] ك: يحتمل على الاستيام.

[٩] وعبارة الشارح هكذا: «يحتمل قوله: اشترى، استام، لأنّ قوله: اشترى، خبر عن الماضي، والمراد بهذا إلى يوم القيامة. دل أن المراد منه في المستأنف. وذلك هو الاستيام، أي استام وطلب منهم أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦١و).

كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[١] وقوله: يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٢] الآية. فإذا صاروا بائعين أنفسهم كان الله عز وجل مشتريها منهم.

ثم بيّن أنْ كيف يُباع وكيف يُشترى، فقال: **يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتَلون**، أي يَقتلون العدو،[٣] **ويُقتَلون**، أي يقتلهم[٤] العدو. وقد قرئ الأول بالرفع: فيُقتَلون، والثاني بنصب الياء،[٥] فهو ليس على الجمع أنْ يُقتَلوا ويَقتلوا، ولكن أن يَقتلوا العدو أو يَقتلهم العدو أيهما[٦] كان. أو يقاتلون العدو وإن لم يَقتُلوا، كقوله: وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وقال: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٧] الآية، سمّى الإيمان بالله والمجاهدة في سبيله تجارة.[٨] ثم قال: **بأنّ لهم الجنة**، بحق الوعد لهم فضلا منه لا بحق البدل.[٩]

ثم قوله: **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**، ذكر شَرْيَ أنفسهم وأموالهم منهم، وأنفسُهم وأموالهم[١٠] في الحقيقة لله،[١١] له[١٢] أن يأخذ منهم أنفسَهم وأموالهم وأن يُتلِفهم بأي وجه[١٣] شاء، لكنه عامل عباده معاملةَ مَن لا يملك له في ذلك ولا حق، كَرَما منه وفضلا وجُودا،

[١] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.

[٢] ﴿فليُقاتِلْ في سبيل الله الذين يَشرُون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتِل في سبيل الله فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٧٤).

[٣] ن – أي يقتلون العدو.

[٤] م: أي تقبلهم.

[٥] وهي قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلَف من الأئمة العشرة. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٤٦.

[٦] ن ع م: وأيهما.

[٧] سورة الصف، ٦١/١٠-١١.

[٨] وعبارة الشارح هكذا: «أو أن يقاتلوا العدو وإن لم يَقتُلوا. عرفناه بنص آخر، وهو قوله: ﴿ومن يُقاتِلْ في سبيل الله فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾. وقال: ﴿هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾، جعل الإيمان بالله تعالى والمجاهدة في سبيله تجارة مُنجية عن النار، ولم يشترط قَتْلَ العدو لا محالة. دل أن المراد بما ذكرنا هو نفس الجهاد والمقاتلة مطلقا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦١و).

[٩] م: البذل.

[١٠] ن – ذكر شري أنفسهم وأموالهم منهم وأنفسهم وأموالهم؛ م – وأموالهم.

[١١] ك: لله حقيقة.

[١٢] ع م – له.

[١٣] جميع النسخ + ما.

ووَعَد لهم على ذلك أجرا وبدلا. وكذلك[1] ما ذكر من القرض[2] له، ووعد لهم على ذلك **الأجر** مُضاعَفا. وكذلك ما وعد لهم من الثواب فيما يعملون لأنفسهم كالعاملين له، حيث **قال:** جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[3] وقال: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا،[4] ونحوه، وإن **كانوا** في الحقيقة عاملين لأنفسهم، بقوله:[5] إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ،[6] الآية، لكن ذكر **ما ذكر** فضلا منه وإكراما، إذ هي له[7] في الحقيقة. وهو كما قال: لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ.[8] فإنما طلب منهم بَذْل أنفسهم وأموالهم له. أو ذكر -والله أعلم- شَرْيَ مالِه في الحقيقة[9] ليعلم الخلق أنْ كيف يعامل بعضهم بعضا.[10] وكذلك قال **الله:** مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[11] عامَلهم معاملةَ مَن لا حق له في أموالهم **وأنفسهم،** ليعامل[12] الناس بعضهم بعضا في أموالهم وأنفسهم كمن لا حق له في ذلك.

وقوله: **وَعْدًا عليه حَقًّا**، أي **وَعْدًا** واجبا **حَقًّا**،[13] **في التوراة والإنجيل والقرآن، أي** وعد ذلك **في التوراة والإنجيل والقرآن**. وفي حرف ابن مسعود: عَهْدًا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن.[14]

وقوله: **وعدا عليه حقًا في التوراة والإنجيل،** هذه الآية تنقض قول من يقول بأن الإنجيل نزل[15] على التخفيف والتيسير، والتوراةَ بالشدائد. وكذلك قوله: فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

[1] ن + وكذلك.

[2] ع م: من الفرض.

[3] ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (سورة السجدة، ١٧/٣٢).

[4] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نُضِيع أجرَ مَن أحسنَ عملا﴾ (سورة الكهف، ٣٠/١٨).

[5] ك: لقوله.

[6] سورة الإسراء، ٧/١٧.

[7] ن ع م + حق.

[8] سورة الحج، ٣٧/٢٢. والآية في ذبح القَرابين.

[9] ع - وهو كما قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فإنما طلب منهم بذل أنفسهم وأموالهم له أو ذكر والله اعلم شري ماله في الحقيقة.

[10] ن ع م - بعضا.

[11] سورة البقرة، ٢٤٥/٢؛ وسورة الحديد، ١١/٥٧.

[12] ع: بعامل؛ م: يعامل.

[13] ع م - حقا.

[14] ك: والفرقان.

[15] ع: ترك.

وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ[١] وذلك مذكور في حكم الإنجيل. إلّا أنْ يقال بأنّ قوله: **وعدا عليه حقّا في التوراة والإنجيل**، أي كان هذا مذكورا[٢] لهذه الأمة في التوراة والإنجيل[٣] وما ذكر.

ثم قال: **ومن أوفى بعهده من الله**، هذا على[٤] أن قوله: **اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**، الآية، إنما هو عهد[٥] إليهم[٦] حيث قال: **ومن أوفى بعهده من الله**، أي لا أحد أوفى وأصدق **بعهده من الله**، إن وفيتم أنتم بعهده الذي عهد عيكم. *والله أعلم*.

وقوله: **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**، يشبه أن يكون الاستبشار الذي ذكر وَقْتَ الموت، أن يقول لهم الملائكة: استبشروا **ببيعكم الذي بايعتم به**، في الحياة. هذا[٧] يدل أن البيع يكون بيعا بالبدل وإن لم يتلفّظ بلفظة البيع. وقد ذكرنا فيما تقدم أن الأحكام لم تُعَلَّقْ[٨] بالألفاظ والأسامي، إنما عُلِّقَتْ بمعاني[٩] فيها، فإذا وُجد[١٠] المعاني حُكم بها.

**وذلك هو الفوز العظيم**، / الذي ذكر. [٣٢٠و]

**﴿اَلتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٢]**

وقوله عز وجل: **التائبون العابدون الحامدون**، إلى آخره، قال بعضهم: على الصلة بالأول فيما ذكر من الشّري والوعد لهم بالجنة[١١] إذا كانوا على الوصف الذي ذكر. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأُبي رضي الله عنهما: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، التائبين العابدين الحامدين -على الصلة بالأول بالكسر، إلى قوله: **والحافظون لحدود الله**، قرأها- والقائمين على حدود الله،

---

[١] ﴿يا أيها الذين آمنوا كُونُوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريّين مَن أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ (سوة الصف، ٦١/١٤).

[٢] ن م: مذكور.

[٣] ع - أي كان هذا مذكورا لهذه الأمة في التوراة والإنجيل.

[٤] ع: على هذا.

[٥] ك + عهد.

[٦] ك: عليهم.

[٧] ك: وهذا.

[٨] م: لم تتعلق.

[٩] ن: بالمعاني.

[١٠] ن + وجد.

[١١] جميع النسخ: الجنة.

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.[1] ومنهم من قال: على الابتداء بالرفع: **التائبون العابدون الحامدون**، إلى آخره. ويشبه[2] أن يكون هو[3] الشراءَ الذي ذكر في أول الآية.[4] وما وعد لهم ببذل أنفسهم وأموالهم في الجهاد يكون ذلك أيضا في غيره من الطاعات والخيرات. مَن بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر في الآية فهو بَايَع نفسه منه، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[5] ونحوه.

وقوله: **التائبون**، يحتمل التائبون من الشرك، أو من جميع المعاصي. **العابدون**، يحتمل الموحّدون؛ ويحتمل **العابدون**، جميع أنواع العبادة.[6] **الحامدون**، قيل: الشاكرون؛ وقيل: المُثْنُون على الله. فإن كان قوله: **العابدون**، من العبادة فيكون **الحامدون**، المُثْنُون على الله؛ لأن العبادات كلها شكر. وإن كان قوله: **العابدون**، الموحّدون فيكون قوله: **الحامدون**، الشاكرون للنعم[7] التي أنعمها الله عليهم.

**السائحون**، قيل: الصائمون. وعلى ذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن السائحين، فقال: «هم الصائمون».[8] وقال: «وسِياحة أمتي الصيام».[9] وقال القُتَبي: وأصل السائح: الذاهب في الأرض. ومنه يقال: سائح، إذا جرى وذهب.[10] والسائح في الأرض ممتنع من الشهوات. فشبه الصائم[11] به لإمساكه في صومه عن المَطعم والمَشرب وجميع اللّذات.[12]

---

[1] الآية السابقة. «وفي مصحف عبدالله: "التائبين العابدين"، إلى آخرها» (*تفسير القرطبي*، ٢٧١/٨). «ويدل على ذلك قراءة عبدالله وأبي: "التائبين"، بالياء، على أنه منصوب علىالمدح أو مجرور على أنه صفة للمؤمنين» (*روح المعاني* للآلوسي، ٣٠/١١).

[2] ن: يشبه.

[3] ن ع م - هو.

[4] ك - أول.

[5] سورة البقرة، ٢٠٧/٢.

[6] ن: العبادات.

[7] م: والشاكرون المنعم.

[8] *تفسير الطبري*، ٣٧/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٧/٤-٢٩٨. وذكر ابن كثير أنه مُرسَل جيد؛ انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٩٣/٢.

[9] لم أجده مرفوعا بهذا اللفظ. لكن روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٣٩/١١. وروي عن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة. قال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٦؛ و*المستدرك* للحاكم، ٨٣/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٨/٤).

[10] ك: إذا ذهب وجرى.

[11] ع م: الصيام.

[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٣.

وقال أبو عَوْسَجَة: هم الذين يمَضون على وجوههم في الأرض، ليست لهم منازل. يقال: ساح يَسِيح سَيْحا وسِياحة.

**الراكعون الساجدون**، قيل: المصلّون، وقيل: الخاضعون لله والخاشعون له. وكذلك ذكر في حرف حفصة. **الآمرون بالمعروف**، يحتمل التوحيد، أي آمرون الناس بتوحيد الله. ويحتمل **الآمرون** لهم بالخيرات[١] كلها. **والناهون عن المنكر**، الشرك. ويحتمل كل معصية. **والحافظون لحدود الله**، قال بعضهم: لفرائض الله التي فرضها على عباده، وقال بعضهم: لسنن الله. ولكنْ حافظون لجميع[٢] أحكام الله، لا يجاوزون ما حدّ لهم ولا يُفرّطون فيها.

**وبشر المؤمنين**، يحتمل[٣] البِشارة لهؤلاء الذين سبق[٤] ذكرهم. ويحتمل على الابتداء، أي بَشِّر جميع[٥] المؤمنين، كقوله:[٦] ﴿وَبَشِّرِ[٧] الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾.[٨] ***والله أعلم***.[٩]

**﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**[١١٣]

وقوله عز وجل: **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**، دلت الآية بما نهانا أن نستغفر لمن عَلِمنا أنه من أهل النار[١٠] [على] أن الله لا يغفر[١١] له لِما عَلِم أنه لا يؤمن. فعلى ما عَلِمنا أنه لا يغفر له لم نستغفر[١٢] له. [وعليه] لم يجز لنا أن نقول: إنه أراد الإيمان لمن يَعلم أنه لا يؤمن أبدا، كما لم يجز[١٣] أن يغفر لمن وجبت[١٤] له النار. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم: إن الله قد أراد لكل كافر الإيمان، لكنه لم يؤمن.

---

[١] جميع النسخ + والمعروف.
[٢] ك ع م: جميع.
[٣] ع: ويحتمل.
[٤] ع م: سبقوا.
[٥] ن م: بجميع؛ ع: لجميع.
[٦] ك – وبشر المؤمنين يحتمل البشارة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ويحتمل على الابتداء أي بشر جميع المؤمنين كقوله.
[٧] ع – المؤمنين كقوله وبشر.
[٨] سورة الأحزاب، ٤٧/٣٣.
[٩] ك ن + بذلك.
[١٠] جميع النسخ + لما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.
[١١] ع: لا يستغفر.
[١٢] ع م: لم يستغفر.
[١٣] جميع النسخ: لم يجب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.
[١٤] ع: لمن وحيت.

ثم قوله:[1] **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**، قال بعض أهل التأويل: إن رسول الله قد استغفر لأحد والدَيْه.[2] وذُكر أنه دخل على[3] أبي طالب عمّه، فدعاه إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فأبى. ثم استغفر له، وقال: «لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك».[4] أو كلام نحو هذا. فنزل قوله: **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**، الآية.[5]

قال الحسن:[6] لا يحتمل أن يكون رسول[7] من رسل الله لا يعلم أن الله لا يغفر للكافر؛[8] إذ في العقل والحكمة[9] أنْ لا يغفر له، والتعذيب له أبدا.

وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر أبدا وأن لا يغفر له لوجوه. أحدها أن في ذلك تسويةً بين العدو ووليّه، ومَن سَوَّى بين عدوه ووليّه فهو ليس بحكيم؛ إذ في الحكمة التمييز بينهما. والثاني أنه إذا عَبد غير الله معه إنما يَعبد غيرَه لجهله، وتلك الجهالة لا ترتفع أبدا؛ لأنه إذا غُفِر له فيقع عنده أنه إنما جُزِي[10] بما جُزِي [به] وغُفِر [له] لعبادته[11] غير الله. والثالث أنه[12] لو غفر للكافر لذهبت[13] حكمة الأفعال؛ لأن الأفعال إنما يؤمر بها لِعواقبَ[14] تُتَأَمَّل إمّا حمدا وإمّا ذمّا. فإذا غفر له حُمِد بأفعالٍ كان الحق له الذمّ بها، ففي ذلك خروجها عن الحكمة.

---

[1] ن: وقوله.

[2] *تفسير الطبري*، ١١/٤٢، ٤٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٠١، ٣٠٢-٣٠٤.

[3] ع + بن.

[4] جميع النسخ: عنه؛ والتصحيح من مصادر الحديث.

[5] صحيح *البخاري*، التفسير ٩/١٦، وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٩.

[6] كذا في جميع النسخ. ولم أجده عن الحسن. ولعله الحسين بن الفضل؛ فقد ذُكر عنه أنه ضعّف هذه الرواية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٢٧٣؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١١/٣٣. وهو أبو علي الحسين بن الفضل البَجَلي الكوفي ثم النيسابوري. ألّف في معاني القرآن. وهو مفسّر لغوي محدِّث. (ت. ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٤١٤.

[7] م: رسول الله.

[8] م: الكافر.

[9] ن: في الحكمة والعقل.

[10] جميع النسخ + به.

[11] م: لعبادة.

[12] ك - أنه.

[13] جميع النسخ: لذهب.

[14] ع: العواقب.

وجائز أن يكون رسول الله يستغفر للمنافقين قبل أن يتبيّن له أنهم منافقون، فلما تبيّن له نفاقهم كفّ عن استغفارهم. فأمّا أنْ يستغفر للكافر على علمٍ[١] منه أنه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض أهل التأويل: إنه استغفر لعمّه ولأحد والدَيْه.

**﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إيّاه**، قال بعضهم: وَعْدُه إيّاه الإسلام، فكان استغفاره لأبيه على وعد الإسلام. فإنما كان استغفاره بعد إسلامه؛ ألا ترى أنه قال: رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي / وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،[٢] فإنما طلب له المغفرة [٣٢٠ظ]
في ذلك اليوم، وقد كان وعد له الإسلام، لذلك كان استغفر له. ألا ترى أنه تبرّأ منه إذ تبيّن[٣] له أنه من أهل النار. ويحتمل أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه [هو] طلب السبب الذي به منه يستوجب المغفرة، وهو التوحيد والإسلام.[٤] وهو كقول هود[٥] لقومه: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[٦] وكقول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[٧] ليس يأمرهم أن يقولوا:[٨] نستغفر الله، ولكن يأمرهم بالإسلام لِيَغفر لهم ويكونوا من أهل المغفرة. فعلى ذلك استغفار إبراهيم لأبيه. وكذلك قوله: وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ،[٩] أي أعطه السبب الذي به يستوجب المغفرة، وهو التوحيد. كان سؤاله سؤال التوحيد؛ إذ لا يحل طلب المغفرة للكافر، وفي الحكمة لا يجوز أن يغفر له.

فإن قيل: فإن كان على ما[١٠] ذكرتم كيف استثنى: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ،[١١]

[١] ك: على عمل.
[٢] سورة إبراهيم، ١٤/٤٠-٤١.
[٣] جميع النسخ: إذا تبين.
[٤] ع م – والإسلام.
[٥] ع + من أهل النار.
[٦] سورة هود، ١١/٥٢.
[٧] سورة نوح، ٧١/١٠.
[٨] ن: أن يقول.
[٩] سورة الشعراء، ٢٦/٨٦.
[١٠] م: فإن كان ما.
[١١] يقول الله تعالى: ﴿قد كانت لكم أُسْوَةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون مِن دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاّ قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء ربّنا عليك توكلنا وإليك أنَبْنا وإليك المصير﴾ (سورة الممتحنة، ٦٠/٤).

بعدما أخبر أن لنا[1] في إبراهيم قدوة بقوله: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ؟

قيل: يحتمل الاستثناء: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، أي حتى يُعلَم المعنى من استغفاره؛ لأنّا لا نعرف مراد إبراهيم من استغفاره لأبيه. وكذلك استغفار الأنبياء عليهم السلام لقومهم والمتصلين بهم. فاستثنى ذلك إلى أن نعلم مرادهم من استغفارهم.

وقوله عز وجل: **إن إبراهيم لأوّاهٌ حليم**، قيل: الأوّاه: الدَّعَّاء. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأوّاه. قال:[2] «الدَّعَّاء الخاشع المتضرّع».[3] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأوّاه: المؤمن.[4] وقيل: الأوّاه: الفقيه المُوقِن، وقيل: المُسبِّح، وقيل: الأوّاه: المُتَأَوِّه حُزنا وخوفا. **وحليم**، قيل: الحليم ضدّ السفيه، وقيل: العليم. والحليم هو الذي[5] لا يغضب ولا يَنْفَه عند سَفَه السفيه.

**﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[١١٥] **﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[١١٦]

وقوله عز وجل: **وما كان الله لِيُضِلَّ قوما بعد إذ هداهم حتى يُبيِّن لهم ما يتقون**؛ اختلف أهل التأويل. قال بعضهم: الآية في استغفار المؤمنين للمشركين.[6] وقال بعضهم: الآية في نسخ الأحكام والشرائع التي تحتمل النسخ. فإن كان في الاستغفار للمشركين[7] فإنه ليس هنالك[8] نسخ، لأنه لم يسبق لهم الأمر بالاستغفار ولا الإباحة لهم في ذلك. فكأنه[9] قال: ما كان الله ليجعل قوما ضُلّالاً بالاستغفار بعد إذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك. *والله أعلم*. وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل أن يتبيّن لهم.

---

[1] جميع النسخ: لنا أن.

[2] م: وقال.

[3] لم ترد كلمة "الدعاء" في الحديث؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٥١/١١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٥/٤.

[4] *تفسير الطبري*، ٥٠/١١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٦/٤.

[5] ن – الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الأواه المتأوه حزنا وخوفا وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم والحليم هو الذي.

[6] ن ع: المشركين.

[7] جميع النسخ: في استغفار المشركين.

[8] ك ن: هناك.

[9] ع م: فإنه.

يقول:[١] لا يجعلهم ضُلَّالاً بذلك حتى يبيّن لهم ذلك. وإن كان[٢] في نسخ الأحكام فكأنه -والله أعلم- قال: ما كان الله ليجعل قوما ضُلَّالاً جُهَّالاً بفعلهم الذي فعلوا بالأمر، **حتى يبيّن لهم ما يتقون**، أي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتهاء عنه، وهو النسخ. هذا في الأحكام التي[٣] تحتمل[٤] النسخ. وأما الأحكام التي لا تحتمل النسخ فلا. وأصله أنّ كل ما كان في العقل امتناعُ نسخِه فإنه لا يَرِد فيه النسخ، وكلّ ما كان في العقل لا امتناعَ على نسخه فإنه يجوز أن يَرِد فيه النسخ.

ثم المسألة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ، ما حال العمل الذي عملوا به: يُحَرَّجُون[٥] ويَأثمون في عملهم بذلك في حال نسخه أو يُثابون ويُؤجرون على ذلك؟

فإن كان الفعلُ فعلَ طاعة وقربة فإنه يُثاب في قصده وفعله[٦] ولا يُحَرَّج[٧] فيه.[٨] وإن كان الفعل[٩] ليس بفعل قربة وطاعة ولكن فِعل حِلّ وحرمة فإنه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يُحَرَّج[١٠] في فعله. نحو ما روي أنهم كانوا يشربون الخمر، ثم أتاهم آت، فقال: ألا إن الخمر قد حُرِمت، فصَبُّوها[١١] وكَفُّوا عنها.[١٢] فهم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر إليهم لا يُحَرَّجون.[١٣] وأما الفعل الذي هو فعل قربة وطاعة فإن لهم القربة في فعلهم، وهو الصلاة ونحوه، [نحو] ما روي أن نفرا كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فمرّ عليهم مارّ فقال:[١٤] ألا إن القبلة قد حُوِّلت، وهم في الركوع إلى الكعبة، فتحوّلوا نحوها. فأخبروا عن ذلك رسول الله،

---

[١] ك: بقول.
[٢] ك: فإن كان.
[٣] ن: الذي.
[٤] ع م: يحتمل.
[٥] ع: يخرجون. حرّج فلانا أي أثّمه وألقى عليه الإثم. أمّا الثلاثي منه فلم يسمع بمعنى ارتكاب الإثم (*لسان العرب* لابن منظور، «حرج»).
[٦] ك: وقوله.
[٧] ع: ولا يخرج.
[٨] ع م + ولكن.
[٩] ك: فعله.
[١٠] ع: لا يخرج.
[١١] ع: فضبوها.
[١٢] *صحيح البخاري*، التفسير ٥/١٠؛ و*صحيح مسلم*، الأشربة ٣.
[١٣] ن ع: لا يخرجون.
[١٤] ن - فقال.

فلم يأمرهم بالإعادة.[1] لأن الفعل فعل قربة وطاعة، فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم. لأن الأفعال التي فُرِضت لم تُفرَض لنفس الأفعال، إنما فُرِضت للطاعة والقربة لله فيها. فإنه يُؤجر على ذلك. **والله أعلم.**

وقوله[2] عز وجل: **إن الله بكل شيء عليم**، بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم.[3] كأن هذا -والله أعلم- خرج لإنكار من أنكر النسخ في الشرائع. يقول: إن الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وأنتم لا تعلمون، وفي الناسخ مصالح لهم وأنتم لا تعلمون. ويؤكد ذلك قوله[4] عز وجل: **إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت**، وأنتم عبيده، وليس للعبد إنكار شيء على سيده، وإنما على العبد الطاعة لسيده والائتمار لأوامره والانتهاء عن نواهيه. **يحي ويميت**، أي كما له أن يميت[5] بعد الحياة ويحيي بعد الموت فله أن يتعبّدهم في حالٍ بعبادة وفي حالٍ بعبادة[6] أخرى.

**﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١١٧]

وقوله عز وجل: **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**، الآية، قال بعض أهل[7] التأويل: تاب الله عليهم لزلّات سبقت منهم ولِهَفَوات تقدّمت مِن غيرِ أنْ كان منهم زلّات في هذا -يعني
[٣٢١و] غزوة تبوك- / وهَفَوات. أما التوبة على النبي [فهي] بقوله: عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا،[8] وعلى المهاجرين والأنصار فيما كان[9] منهم يوم أُحد ويوم[10] حُنَين، وهو قوله:[11]

---

[1] ليس في الحديث: "فأخبروا عن ذلك رسول الله، فلم يأمرهم بالإعادة". ولعله استنباط من حيث إنهم لو كانوا أُمِروا بالإعادة لذُكِر ذلك في الرواية. انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١٩/٢؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٣.

[2] ن: قوله.

[3] ع م - مصالحهم.

[4] ن ع م: وقوله.

[5] ن - أي كما له أن يميت.

[6] ع م: عبادة.

[7] جميع النسخ: بعض من.

[8] سورة التوبة، ٤٣/٩.

[9] جميع النسخ: ما كان.

[10] م: يوم.

[11] ع م: وقوله.

إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ.[١] وقال بعضهم: تاب عليهم لِهَفَوات كانت منهم في غزوة تبوك. همّوا أن ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غير إذنٍ لِشدائدَ أصابتهم. فقال: تاب عليهم لِما همّوا بالانصراف في غير وقت الانصراف. ويشبه أن تكون التوبة التي ذُكر على وجهين سوى ما ذكروا. وهو أنه تاب عليهم، أي جدّد عليهم التوبة للهَفَوات التي تقدّمت أو الثبات عليها مِن غيرِ أنْ كان منهم في الحدوث شيء. ولكن يكون لذلك حكم التجديد أو الثبات[٢] عليها. فيكون كسؤال الهدى وهم على الهدى، كقوله عز وجل: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٣] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،[٤] أي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، فيما مضى من الوقت، آمِنُوا، في حادث الوقت أو اثْبُتوا على ذلك.[٥] فعلى ذلك يحتمل أن يكون قوله: **لقد تاب الله عليهم**، أي جدّد[٦] عليهم التوبة مِن غيرِ أنْ كان منهم هَفْوة أو ثبّتهم على التوبة التي كانت منهم. والثاني أنه ذَكر التوبة، وذلك أنهم حيث صبروا على ما أصابهم من الشدائد والجهد كشف الله عنهم أشياء كانت مستورة عندهم، وجلّى عنهم[٧] أغطية كانت لا تنجلي[٨] لهم مِن قبل. لكن انجلى ذلك لهم وانكشف لصبرهم على الشدائد التي أصابتهم، كقوله: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،[٩] لمّا صبروا على ما أصابهم من المصائب ازداد لهم تفويض[١٠] وتسليم[١١] الأمر والمَرجِع إليه. وكقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[١٢] الآية، ازداد لهم بما صبروا هدى، وتجلّى لهم أشياء لم تكن مِن قبل.

---

[١] هذا في يوم أحد؛ يقول الله تعالى ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٥). أما عن يوم حنين فيقول الله عز وجل: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويومَ حُنَين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَت ثم ولّيتم مُدبِرين﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٥).

[٢] ع م: والثبات.

[٣] سورة الفاتحة، ١/٦.

[٤] سورة النساء، ٤/١٣٦.

[٥] ع م: في ذلك.

[٦] ك: لقد جدد.

[٧] جميع النسخ: وجلاهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[٨] ك: لا تتجلى.

[٩] ﴿أولئك عليهم صَلَوَات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٦-١٥٧).

[١٠] جميع النسخ: تفويضا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[١١] ك: وتسليما.

[١٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ومن يؤمنْ بالله يَهدِ قلبَه والله بكل شيء عليم﴾ (سورة التغابن، ٦٤/١١).

فعلى ذلك يحتمل التوبة التي ذَكر أنهم لمّا صبروا على ما أصابهم من الشدة والجهد تجلّى لهم أشياء كانت مُغَطّاة. *والله أعلم*. وبَعدُ،[1] فإنه ذكر: **مِن بَعدِ ما كاد يَزيغ قلوب فريق منهم**، ولم يذكر[2] أنها زاغت، وذكر **قلوب فريق منهم**، ولم يذكر قلوب الكل، فهو ما ذكرنا. ويحتمل ذكر التوبة على النبي على الإشراك له مع المؤمنين مِن غيرِ أنْ كان له دنب؛ لأنه أخبر أن ذنبه معفور بقوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.[3] فهو كما أشركه في الاستغفار كقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[4] أمره بالاستغفار لذنبه على الإشراك له مع الاستغفار للمؤمنين؛[5] إذ أخبر[6] أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

والتوبة من الله تعالى تخرج[7] على وجوه. أحدها التوفيق، وفقهم للتوبة وأكرمهم بها، كقوله: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا،[8] أي وفّقهم للتوبة فتابوا. والثاني التوبة منه قبولها منهم، أي يقبل منهم التوبة، كقوله: إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.[9] والثالث تاب عليهم، أي تجاوز عنهم وعفا وصفح عنهم. على هذه الوجوه الثلاثة[10] تخرج[11] إضافة التوبة إلى الله.

وقوله عز وجل: **الذين اتّبعوه في ساعة العُسْرة**، قيل: في عُسْرة النفقة وعُسْرة[12] الظَّهْر. وقوله عز وجل: **مِن بَعدِ ما كاد يَزيغ قلوب فريق منهم**، ذُكر في بعض القصة أنه قد أصابهم من الجهد والشدة حتى إن الرجلين ليقسمان التمرة بينهما، وكانت التمرة يتداولونها[13] بينهم، يمصّها هذا ثم يشرب عليها الماء، ثم يمصّها هذا.[14] ذُكر نحو هذا. ولكن لا ندري كيف كان الأمر سِوَى أنه أخبر أن قلوبهم كادت تزيغ من الجهد.

---

[1] ع م – وبعد.
[2] ن ع م: تذكر.
[3] سورة الفتح، ٤٨/٢.
[4] سورة محمد، ٤٧/١٩.
[5] جميع النسخ: مع استغفار المؤمنين.
[6] ك: إذ أخبره.
[7] م: يخرج.
[8] الآية التالية.
[9] الآية التالية.
[10] ك: الثلثة.
[11] ك ع م: يخرج.
[12] م: وعشرة.
[13] جميع النسخ: يتداولون.
[14] روي نحوه عن مجاهد وقتادة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٥٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٠٩.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا**، قال بعضهم: **خُلِّفوا**[١] عن التوبة، نحو قوله: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،[٢] فكانوا يبتهلون[٣] ويدعون الله حتى تاب الله عليهم، فتابوا.[٤] وقال قائلون: **خُلِّفوا** عن رسول الله لمّا تقدّمهم القوم، فهم مُخلَّفون[٥] بتقدّم أولئك. وقال قائلون: **خُلِّفوا**: خلّفهم الله، أي خلَق[٦] منهم تخلُّفهم.[٧] ويشبه أن يكون[٨] قوله: **وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا**، هم الذين تخلّفوا عن رسول الله، ثم ندموا على[٩] تخلُّفهم، فلحقوا رسول الله.[١٠] وهو ما ذكرنا.

وقوله: **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت وضاقت عليهم أنفسهم**، يحتمل هذا على التحقيق. ويحتمل أن يكون على التمثيل. وللتحقيق وجهان. أحدهما **ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت**، ما ذُكر أنهم شدُّوا أنفسهم بالسواري والأسطوانات، وأتَوْا بأموالهم التي منعتهم عن الخروج مع رسول الله، وتصدّقوا بالأَرَضِين التي منعتهم عن الخروج،[١١] و **ضاقت عليهم الأرض** بعدما كانت عليهم مُتَّسِعة يَتَّسِعون فيها؛ لأنه ذُكر في القصة أن واحدا[١٢] من هؤلاء مما حبسته أرضه عن الخروج فتصدّق بها على الفقراء، وكان له التوسّع بتلك الأرض ثم ضاقت عليه. والثاني **ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت**، لما حبسوا أنفسهم عن أراضيهم[١٣]

---

[١] ع م – قال بعضهم خلفوا.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ع م: ينتهلون.
[٤] وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع رضي الله عنهم، وقد روى قصتهم كعب بن مالك في حديث طويل؛ انظر: صحيح *البخاري*، المغازي ٧٩؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ٥٣.
[٥] ع: المخلفو؛ م: المخلفون.
[٦] ع م: أي خلفهم.
[٧] ع م – منهم تخلفهم.
[٨] ك: أن أن يكون.
[٩] ع م – تخلفوا عن رسول الله ثم ندموا على.
[١٠] إن كان المقصود أنهم الثلاثة المشهورون الذين أشرنا إلى مصادر قصتهم آنفا فهم لم يلحقوا برسول الله. ولكن ذكر في نفس الحديث أن بعض الصحابة تخلفوا عن رسول الله ثم لحقوا به. انظر: المصادر السابقة.
[١١] *تفسير الطبري*، ١١/١٢-١٤، ١٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٧٥.
[١٢] ع: أن واحد.
[١٣] ك: عن أرضيهم.

وتركوا شهواتهم وأمانيهم[1] وما يتلذّذون به، فذلك ضِيق الأرض. **وضاقت عليهم أنفسهم،** لما شَدُّوا[2] أنفسهم بالأسطوانات. ويحتمل أن يكون على التمثيل. وذلك أن الخوف إذا اشتدّ
[٣٢١ط] على الإنسان[3] وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار[4] في الأرض والتلذُّذ فيها / يقال: ضاقت عليه[5] الأرض بسَعتها. **وضاقت عليهم أنفسهم،** لِما ذُكر: كان الناس لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم أهاليهم.

وقوله عز وجل: **وظنّوا أنْ لا مَلجأ من الله إلا إليه،** قال بعضهم: ظنوا أنه لا[6] نجاة من عقوبة الله إلا عفوه، أي أيقنوا أنْ لا تخلّص لهم ولا احتراز لهم[7] من عقابه. وقيل:[8] ظنوا[9] أنْ لا مَلجأ من عذاب الله إلا إلى رحمته. وقيل: **وظنّوا أنْ لا مَلجأ،** من رسول الله إلا إلى الله؛ لأنه ذُكر أنهم سألوا رسول الله التجاوز عن ذلك، فلم يجبهم، فأيقنوا عند ذلك أنّ المَفزَع والمَلجأ إلى الله لا إلى أحد دونه.

وقوله عز وجل: **ثم تاب عليهم،** أي وفّقهم للتوبة[10] فتابوا.[11] **إن الله هو التواب الرحيم،** أي يقبل التوبة، أي قابِلُها.[12]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١١٩]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين،** في ظاهر[13] الآية أن قوما عُرِفوا بالصدق،[14] فأُمِروا بالكون معهم. ويشبه أن يكون أمر هؤلاء الذين[15] تخلّفوا عن رسول الله

---

[1] م – وأمانيهم.
[2] ع: لما شددوا.
[3] ن: بالإنسان؛ ع م: إذا اشتدت الإنسان.
[4] ع: عن الإقرار.
[5] ع م: عليها.
[6] ن ع: أن لا.
[7] ك ن – لهم.
[8] ع: قيل.
[9] ن ع م: فظنوا.
[10] ن ع م: التوبة.
[11] ك: فابوا.
[12] ع: أي قائلها. وعبارة الشارح هكذا: «وقوله تعالى: ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾، أي الموفق للتوبة أو القابل لها» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٦٢ظ).
[13] ع: الصادقين ظاهر.
[14] ك: با بالصدق.
[15] ع م – الذين.

بالكون مع المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله. وفيه دلالة على أن[١] الإجماع حجة؛ لأنه أمر بالكون مع الصادقين[٢] في دين الله، فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للأمر بالكون معهم وجه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وكونوا من الصادقين.[٣] وهو ظاهر. وقوله:[٤] **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين،**[٥] يحتمل وجوها. أحدها يقول:[٦] احفظوا الله في حقه ولا تضيعوه، **وكونوا مع الصادقين،** في وفاء ذلك وحفظه. أو **اتقوا الله،** فيما في تَرْكِ ما امتحنكم به من الخروج والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المِحَن. أو يقول: **اتقوا** مخالفة الله ورسوله فيما يأمركم به، **وكونوا** مع الموافقين لأمره. ***والله أعلم.***

**﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١٢٠]

وقوله عز وجل: **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله،** يشبه أن يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التي[٧] جرت بينهم وبين رسول الله. يقول -والله أعلم- **ما كان،** أي لم يكن، **لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله،** بعدما قبلوا النصر له والمعونة وبايعوه على ذلك. هذا محتمل. ويحتمل[٨] وجها آخر. وهو أن يكون صلة ما ذكر على أثره، وهو قوله: **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظَمَأ ولا نَصَب ولا مَخْمَصَة في سبيل الله.** يقول -والله أعلم- **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله،** وقد جعل بكل[٩] ما يصيبهم في أنفسهم من العَناء والشدة

---

[١] ك ع: دلالة أن.

[٢] ن – في ظاهر الآية أن قوما عرفوا بالصدق فأمروا بالكون معهم ويشبه أن يكون أمر هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة أن الإجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين، صح هـ.

[٣] ن ع: مع الصادقين. وانظر: *تفسير الطبري*، ٦٣/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣١٦/٤.

[٤] ن: وهو قوله.

[٥] ن + في وفاء ذلك وحفظه.

[٦] ع م – يقول.

[٧] ن – التي.

[٨] ع: يحتمل.

[٩] ك ن: لكل.

وفي أموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلةً كانت أو كثيرةً أو يصيبون من العدو من القتل[1] والغنيمة، **إلّا كُتِب لهم**، بذلك، **عمل صالح.**[2] أي ما كان ينبغي لهم أن يتخلّفوا عنه وقد كُتِب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعَناء[3] وما يصيبون من الخير العملُ الصالح والأجر لهم. ***والله أعلم.*** أو يقول: **ما كان لأهل المدينة**، إذا تخلّفوا عن[4] رسول الله أن يتخلّفوا عنه.

وقوله عز وجل: **ولا يَرغبوا بأنفسهم عن نفسه**، يحتمل قوله: **ولا يَرغبوا بأنفسهم عن نفسه**، أي **ولا يَرغبوا**، بالتخلّف، **عن نفسه**. يقال: جاء فلان بنفسه، ورأيت أنا بعيني، ونحوه. أي جاء هو، ورأى هو. فعنى ذلك هذا. **ولا يَرغبوا**، أي ما كان ينبغي[5] لهم أن يَرغبوا **عن رسول الله**. ويحتمل **ولا يَرغبوا بأنفسهم**، أي لأنفسهم، **عن نفسه**. وذلك جائز.[6]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظَمَأ**، قيل: عَطَش. **ولا نَصَب**، قيل:[7] العَناء والمشقّة. **ولا مَخْمَصَة في سبيل الله**، أي مَجاعَة. **ولا يَطَئُون مَوْطِئًا يَغِيظ الكفار**، قال بعضهم: ولا يقفون موقفا. وقال بعضهم: هو من الوطء.[8] والمَوْطِئ: الشيء الذي يُوطَأ. **ولا يَنالون من عدو نَيْلا**، قيل: مِن قتلٍ[9] فيهم أو إغارة[10] عليهم، **إلا كُتِب لهم به عمل صالح**، أي يكتب ما لهم وما عليهم عملا صالحا[11] مكان من تخلّف[12] منهم مخافة أن يصيبه ما ذكر من العَناء[13] والشدة. يقول: كُتِب لهم بكل ما يصيبهم عملٌ صالح.[14] **إن الله لا يضيع أجر المحسنين.**

---

[1] م: ومن القتل.
[2] م: العمل الصالح.
[3] ع: والعناد.
[4] م: إذا اختلفوا من.
[5] ك - ينبغي، صح هـ.
[6] جميع النسخ + ما ذكرنا.
[7] م - قيل.
[8] ع: من الموطئ. وَطِئ الشيءَ يَطَؤُه وَطْئًا: داسه برجله (*لسان العرب* لابن منظور، «وطئ»).
[9] ع م - من قتل.
[10] ع م: وإغارة.
[11] جميع النسخ: العمل الصالح.
[12] ك: ما تخلف.
[13] ع: من الغناء.
[14] جميع النسخ: العمل الصالح.

**﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٢١]

وقوله عز وجل: **ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كُتِب لهم**، هو ما ذكرنا أنه يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعَناء في أنفسهم وفي أموالهم من النقصان وما ينفقون، **ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون**، أي يجزيهم لصالح أعمالهم وأحسنها، ولا يجزيهم لسيئاتهم. وهو كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[١] أخبر أنه يتقبّل منهم أحسن ما عملوا ويكفر عنهم سيئاتهم، فعلى ذلك الأول يخبر أنه يجزيهم أحسن ما عملوا في الغزو، ولا يجزيهم سيئاتهم.[٢]

**﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**[١٢٢]

وقوله عز وجل: **وما كان المؤمنون لِيَنفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين**، الآية؛ اختلف أهل التأويل. قال بعضهم: إن نبي الله كان إذا خرج للغزو خرجوا[٣] جميعا معه،[٤] فتبقى[٥] المدينة خالية عن الرجال، فنهى الله عن ذلك، وقال[٦] [فيما معناه]: وما ينبغي للمؤمنين **أن ينفروا كافة**، مع رسول الله، **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين**. وقال بعضهم: كان رسول الله صلى الله عليه / وسلم إذا بعث سريّة [٣٢٢و]
خرجوا جميعا، فبقي هو وحده، و لم يبق[٧] معه أحد ممن يشهد التنزيل ليخبر[٨] أولئك إذا حضروا.[٩]

---

[١] ﴿حتى إذا بلغ أَشُدَّه وبلغ أربعين سنة قال رب أَوْزِعْنِي أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدَيّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصدق الذي كانوا يُوعَدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٥-١٦).

[٢] ع م: ويتجاوز عن سيئاتهم.

[٣] ع: وخرجوا.

[٤] ع م - معه.

[٥] ك ن: فيبقى؛ ع: فبقي.

[٦] ك: فقال.

[٧] ك ن م: لم يبق.

[٨] ن ع م: ليخبروا.

[٩] ع م: أولئك حضروا.

وقال آخرون: الآية في الوفود. وذلك أن الوفود إذا قدموا من الآفاق المدينة قدموا مع النساء والذراري جميعا، فأُمِروا أن ينفر الرجال منهم دون النساء والذراري، أو مِن[1] كل قومٍ نفرٌ ليتفقّهوا في الدين.

ذكر[2] في هذه الآية: **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة،** نهى الكل أن ينفروا، وأمر في الآية الأخرى بنفر الكل، بقوله: فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا.[3] فهو يخرج على وجهين. أحدهما أمر بالنفر الجميع عند قلة المؤمنين ليكون[4] لهم الكفاية مع العدو. والثاني أمر بالنفر[5] الكلّ عند النفير. فتكون[6] إحدى الآيتين في حال النفير، والأخرى أنها في غير حال النفير. أو ما[7] ذكرنا في وقت القلة والكثرة. فمن يقول: إن الآية في الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله إذا خرج، كأنه نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على أهاليهم وذراريهم[8] [مِن أنْ يَسبيهم] العدو ويأخذ[9] أموالهم. يقول الله: **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين،** أي هلاّ نفر طائفة منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما أنزل الله على رسوله من النصر والمعونة والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله، فيكون ذلك سبب دعائهم إلى الإسلام. وإلى هذا يذهب[10] الحسن والأصم، ويقولون: إن هذه الآية نسخت الآية التي قبله، وهو قوله:[11] مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ.[12] يقول الحسن: إن عليهم أن يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج، فيقول: هذا منسوخ بالآية التي تليها: **وما كان المؤمنون لينفروا كافة،** الآية.[13]

---

[1] ع م: ومن.
[2] ع: وذكر.
[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا خُذوا حِذركم فانفِروا ثُباتٍ أو انفِروا جميعا﴾ (سورة النساء، ٤/٧١).
[4] ع: لكون.
[5] ع م: بنفر.
[6] جميع النسخ: فيكون.
[7] م: وما.
[8] جميع النسخ + لعل.
[9] جميع النسخ: وأخذ.
[10] ك: ذهب.
[11] ع: وهو قول.
[12] سورة التوبة، ٩/١٢٠.
[13] روي عن الحسن وقتادة: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾، قالا: كافةً ويَدَعُوا النبي. وروي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾، قال: ليتفقه الذين خرجوا بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٦٩-٧٠.

ومن يقول بأن الآية في الوفود الذين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة[١] بالنساء والذراري[٢] فالنهي لذلك لِما كانوا يضيّقون على أهل المدينة أوطانهم ويُغْلُون أسعارهم ونحوه. يقول:[٣] **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم**، أي يتعلمون الدين وأحكامه، ثم ليرجعوا إلى قومهم فيعلموهم. ومن يقول: الآية في الذين خرجوا ونفروا مع السرايا، نهاهم عن خروج الكل لِما لعله إذا نزل على رسول الله شيء[٤] فلم يكن معه أحد يبلّغه إليهم ثم يبلّغ هو إلى من[٥] غاب عنه ضاع[٦] ذلك. فيقول: **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم**، أي ليعلّموا قومهم ما نزل على رسول الله وليبلّغوا ذلك إلى من غاب عنه.[٧]

وقوله: **من كل فرقة منهم طائفة**، قيل: من كل عُصْبَة ومن كل قبيلة ومن كل حي. ففي الآية دلالة سقوط فرض السفر لتعلّم العلم والتفقه في الدين عن الكل إذا قام بعض بذلك. يخرجون ويتعلّمون ثم يعلّمون قومهم؛ لأنه قال: **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة**، الآية. وفيه أيضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة إذا قام بعضهم عن بعض. وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الآحاد[٨] وإن احتمل الغلط؛ لأن ما ذكر من الطائفة يحتمل أن يجتمعوا على ذلك كذبا أو غلطا، ثم ألزم قومهم قبول خبرهم وإن احتمل الغلط والكذب بقوله: **ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**. والآية[٩] تخرج على وجهين. أحدهما أن أهل بلدةٍ وأهل قبيلةٍ يختارون مَن يَصلُح للتفقّه في الدين والتعلّم، فيَنفِر، حتى إذا تفقّه وتعلّم رجع إلى قومهم فيُعلِّمهم. والثاني يأمر مَن يَصلُح للتفقّه بالتخلّف عن الجهاد إذا كان بهم غُنْيَة ليتفقّه عند رسول الله فينذر قومه[١٠] إذا رجعوا إليه من غزاتهم.[١١]

---

[١] ن – المدينة.
[٢] م: ووالذراري.
[٣] ن + يقول.
[٤] جميع النسخ: شيئا.
[٥] م: ثم يبلغ إلى من هو.
[٦] ن: صاع.
[٧] ن: منه.
[٨] ن: الواحد.
[٩] ع: الآية.
[١٠] م: قومهم.
[١١] ن: من غزواتهم؛ ع م: من غزائهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار**، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية قبل أن ينزل قوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،[١] كان الأمر بالقتال للأدنى[٢] فالأدنى، ثم جاء الأمر بقتال الكفار عامة. وقال بعضهم: إن رسول الله كان إذا غزا ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم[٣] وراءه[٤] ويقاتل غيرهم ليكون ذلك آية لنبوته، لِيُعلَم[٥] أنه لا يُبالي بمن يقاتل ولا يخاف من تركهم وراءه، ثم أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الأقرب فالأقرب منهم والأدنى فالأدنى، وأن لا يتركوا العدو وراءهم. إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل. وأمكن أن يكون هذا تعليما[٦] من الله المؤمنين أمرَ الحرب وأسبابَه كما علّمهم[٧] جميع ما يقع لهم من الحاجة إلى أسباب الحرب في غير آيٍ من القرآن. من ذلك قوله[٨] عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا،[٩] وقوله: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا،[١٠] الآية، وقوله:[١١] وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[١٢] الآية، وغير ذلك من الآيات. أو يحتمل أن يكون أمر بقتال الأقرب فالأقرب منهم كسائر العبادات.

وقوله عز وجل: **قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار**، يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا أنه يخرج على تعليم أمر[١٣] القتال منه للمؤمنين. والثاني إنباء عن دوام الجهاد والقتال مع الأعداء أبدا؛ لأنه كلما فتح ناحية وقوما صار الذين / بَقُوا وراء هؤلاء الذين يَلُونهم. [٣٢٢ظ]

[١] سورة التوبة، ٩/٣٦.
[٢] جميع النسخ: بالأدنى.
[٣] م: وتركهم.
[٤] ن - وراءه، صح هـ.
[٥] م: وليعلم.
[٦] ن ع م: تعليم.
[٧] ن: علمه.
[٨] ن ع م: وقوله.
[٩] سورة التوبة، ٨/٤٥.
[١٠] إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبار﴾ (سورة الأنفال، ٨/١٥).
[١١] ك: وكقوله.
[١٢] سورة التوبة، ٨/٦٠.
[١٣] م: على أمر.

وقوله عز وجل: **وليجدوا فيكم غِلظة**، قيل: شدة عليهم. وفي حرف ابن مسعود وأُبي: وليجدوا فيكم عليهم غلظة، أي شدة. ويُقرأ: غُلظة، برفع الغين، ويُقرأ: غِلظة، بكسرها.[١] وهما لغتان، ومعانيهما واحد.

**واعلموا أن الله مع المتقين**، أي من اتقى الخلاف له بالنصر لهم والمعونة[٢] على عدوهم. وقوله: **أن الله مع المتقين**، يخرج على وجوه. أحدها ما ذكرنا إذا [اتقوا][٣] الخلاف[٤] له فيما علّمهم من أمر الحرب يكون معهم بالنصر. والثاني معهم في التوفيق والهداية. والثالث في الجزاء.

**﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[١٢٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[١٢٥]**

وقوله عز وجل: **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا**، قال أهل التأويل: قوله: **فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا**، يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض إذا تخلّوا عن المؤمنين: **أيكم زادته هذه إيمانا**، استهزاء منهم بها وسخرية. فأجاب الله تعالى فقال: **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض**، أي شك ونفاق، **فزادتهم رجسا إلى رجسهم**، أي تكذيبا وكفرا إلى تكذيبهم الذي كان منهم؛ لأن أهل النفاق والكفر ليسوا هم[٥] بأهل إنصاف يقبلون الحجة والدلالة إذا قامت عليهم، إنما همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلائل. فكلما ازدادت[٦] [لهم] الحجج والبراهين ازداد لهم العناد[٧] في التكذيب والرد. وأما أهل الإيمان فإن همتهم قبول الحجج والإنصاف، فكلما ازدادت[٨] لهم الحجج والبراهين ازداد لهم الإيمان والتصديق[٩] على ما كان لهم.

---

[١] قرئ بضم الغين في الشاذ؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١١/٥٠.
[٢] ع م – والمعونة.
[٣] في نسخة ك بياض بمقدار كلمة؛ و ن بياض بمقدار عدة كلمات. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.
[٤] م: إذ الخلاف.
[٥] ك: هل؛ م: ليسوهم.
[٦] ك ن ع: ازدادوا؛ م: زادوا.
[٧] جميع النسخ: عنادا.
[٨] جميع النسخ: ازداد.
[٩] جميع النسخ: إيمانا وتصديقا.

ثم قوله: **فزادتهم إيمانا**،[١] زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قام[٢] لهم من الحجج والبراهين. وكذلك ازداد لأهل النفاق والكفر[٣] بها الثبات[٤] على العناد في تكذيب الحجج والآيات. والثاني ازداد لهم الإيمان[٥] بالتفسير[٦] على إيمانهم بالجملة وإن كانوا مصدّقين لذلك كله جملة، فإذا نزلت[٧] لهم نوازل وفرائض ازداد لهم بذلك التصديق والثبات.[٨] وأصله أنه لولا ما كان منهم من الإيمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداءَ إيمانٍ وإحداثَ تصديقٍ. وكذلك لو لم يكن من أهل النفاق ما سبق من العناد لكان ذلك منهم إحداثَ تكذيبٍ وعنادٍ. فإذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا. وقال بعضهم: يزداد لأهل الإيمان خيرات، ولأهل النفاق شر. ولكن هو واحد. وهو ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فزادتهم إيمانا**... **فزادتهم رجسا**، يخرج على وجهين. أحدهما زادت للمؤمنين إيمانا على الذي[٩] كان لهم من الإيمان والتصديق. والثاني زادت[١٠] لهم حجة وبرهانا لما كان.

وكذلك يزداد لأهل النفاق ضد ذلك.

وقوله عز وجل: **وهم يستبشرون**، قيل: يفرحون بنزولها.

ثم إضافة الزيادة إلى السورة بقوله: **فزادتهم إيمانا**، لوجهين. أحدهما أضيف إليها الزيادة على ما أضيف الغرور إلى الدنيا. وهو لما ذكرنا[١١] أنه يبدو[١٢] منها لهم[١٣] من التزيين[١٤]

---

[١] ع + زادتهم إيمانا.
[٢] جميع النسخ: قامت.
[٣] ك: الكفر والنفاق.
[٤] ن – الثبات.
[٥] جميع النسخ: إيمانا.
[٦] ع: في التفسير.
[٧] ك: نزل.
[٨] ك ن ع: تصديقا وثباتا.
[٩] ع: على الذين.
[١٠] ك ن ع: ازداد؛ م: زاد.
[١١] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥١/٧.
[١٢] م: يبدوا.
[١٣] ك: لهم منها.
[١٤] ع م: لهم التزيين.

ما لو كان ذلك[١] من ذوي[٢] الأفعال والتغرير كان ذلك غرورا. والثاني أضاف التغرير إليها[٣] لما بها اغترّ أهلها. وكذلك إضافة الزيادة إلى السورة لما بها ازداد لهم التكذيب والكفر وازداد لأهل الإيمان بها التصديق، فأضيف الزيادة إليها. وقال بعضهم: هو[٤] ما ذكرنا أنها حجة ودلالة. فبالحجة يزداد لأهل الإيمان الإيمان[٥] بها؛ إذ هم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلائل. وأما أهل النفاق والكفر فإنهم أهل عناد ومكابرة؛ إذ قد اعتقدوا العناد وردّ الحجج. فكلما ازداد لهم الحجة[٦] ازداد لهم العناد والكفر.[٧] وقال أبو بكر الأصم: إنما أضيف الزيادة إليها لأنها كانت سبب الزيادة. وقد تضاف الأشياء إلى أسبابها كما تضاف إلى حقيقة الأفعال. ولكن لا يحتمل[٨] أن تكون[٩] السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر. لكن الوجه فيه ما ذكرنا. **والله أعلم**.

**﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**[١٢٦]

وقوله عز وجل: **أَوَلَا يَرون أنهم يُفتَنون في كل عام مرة أو مرتين**، قيل: يُبتَلَون بالجهاد والغزو، فيتخلّفون[١٠] عنه، فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم. وقيل:[١١] يُبتَلَون بالشدة والجوع، فيظهر أيضا بذلك نفاقهم، كقوله:[١٢] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ.[١٣] وقيل: **يُفتَنون في كل عام مرة أو مرتين**، وذلك أنهم كانوا إذا خَلَوْا[١٤] تكلموا بالكفر فيما بينهم، ثم إذا أتوا النبي أخبرهم بما تكلموا به في الخلوة، فيفتضحون بذلك، فذلك افْتِتَانه إياهم وابتلاؤه لهم. كان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل الله، ومرة بالشدة والخوف،

---

[١] م – ذلك.
[٢] م: من دون.
[٣] ع: إليهما.
[٤] ن ع م – هو.
[٥] ن ع م – الإيمان.
[٦] ع م– ازداد لهم الحجة.
[٧] جميع النسخ: عنادا وكفرا.
[٨] م: ولكن يحتمل.
[٩] ع م: أن يكون.
[١٠] ع: فيخلفون؛ م: فيحلفون.
[١١] ع – وقيل.
[١٢] ع – كقوله.
[١٣] سورة الحج، ١١/٢٢.
[١٤] م: إذا دخلوا.

ومرة بما يُطلِع الله نبيه مما يُضمِرون ويتكلمون به في الخلاء.[1] وتحتمل[2] هذه الآية الوجوه الثلاثة: الجهاد معه، والابتلاء بالشدائد[3] والأفزاع، ويحتمل إظهار الأسرار التي[4] أسرّوا في أنفسهم والافتضاح مما أخفوا. لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم، أعني كتمان النفاق وإسرار الخلاف لهم. لكن ذكر المرة والمرتين يرجع إلى الافتضاح[5] والإظهار. فذلك يحتمل أن يكون في العام مرة أو مرتين.

وقوله عز وجل: **ثم لا يتوبون**، عن نفاقهم، **ولا هم يذَّكَّرون**، بما ابتُلُوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم. *والله أعلم.*

**﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾**[١٢٧]

[٣٢٣و] / وقوله عز وجل: **وإذا ما أُنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم**، قال بعضهم: الآية صلة قوله: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا،[6] أي كان ينظر[7] بعضهم إلى بعض ثم يقولون ما ذكر. ومنهم من يقول: إذا كانت السورة التي نزلت حجة في إظهار الدين والإيمان يسمعون ويقولون: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا، وإذا نزلت[8] في إظهار نفاقهم وافتضاحهم **نظر بعضهم إلى بعض... ثم انصرفوا**، ولا يسمعون منه السورة إشفاقا، لئلا يظهر نفاقهم.

وقوله: **صرف الله قلوبهم**، يحتمل خلق الله منهم انصرافهم، فأضيف إليه الصرف. ويشبه أن يكون قوله: **صرف الله قلوبهم**،[9] عقوبة، أي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردّهم[10] الحجج وتركهم[11] التفهم والنظر والتأمل في الحجج[12] وتركهم القبول.

---

[1] م – في الخلاء.
[2] ن ع م: ويحتمل.
[3] ن: بالشدة.
[4] ك: الذي.
[5] ع م: يرجع الافتضاح.
[6] سورة التوبة، ١٢٤/٩.
[7] م: نظر.
[8] م: أنزلت.
[9] م – يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فأضيف إليه الصرف ويشبه أن يكون قوله صرف الله قلوبهم.
[10] ك: ورد.
[11] ك: وترك.
[12] ع م – وتركهم التفهم والنظر والتأمل في الحجج.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **لقد جاءكم رسول من أنفسكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **من أنفسكم**،[١] أي[٢] من البشر. وهو امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر، وله أن يبعث من غير البشر، لكنه بعث من البشر[٣] ليعرفوا[٤] الآيات التي يأتي بها من التمويهات؛[٥] لأنهم يعرفون مَبلغ وُسع البشر في الأشياء وقَدْرَ إمكانهم بعلم الأشياء، فإذا جاء بالأشياء التي هي خارجة عن الطباع[٦] ووُسع البشر في التعلّم[٧] عرفوا أنها آيات[٨] لا تمويهات. مع ما أنْ يتألّفُ كل ذي[٩] جنس بجنسه وينفر من غير جنسه. هذا ظاهر في الخلائق أنّ كل ذي جنس يألف بجنسه ولا يألف بغير جنسه. فبعث الرسولَ من البشر ومن جنسهم ليتألّفوا[١٠] به ويقبلوا منه ما يأتيهم به ويجيبوه إلى ما يدعوهم إليه. وقال[١١] بعضهم: **رسول من أنفسكم**، أي من المكان الذي أنتم فيه، وهو الحَرَم. وقال آخرون: **من أنفسكم**، أي من أنسابكم. وهو أيضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من أنسابهم، يعرفون نسبه ومولده ونشأته[١٢] مِن بين أظهرهم سليما عن جميع الآفات بريئا عن جميع المطاعن والعيوب؛ لأن المرء إذا كان مولده ونشأته[١٣] في قبيلة أو في مكان لا يُعرَف له النسب ربما يتمكّن فيه الطعن والعيب ويقع التناكُر في نسبه لجهلهم[١٤] بنسبه ومولده[١٥]

---

[١] ع + اختلف فيه قال بعضهم من أنفسكم.
[٢] ك – أي.
[٣] ع – لكنه بعث من البشر.
[٤] م: لتعرفوا.
[٥] ع: من التمويها.
[٦] ع م: من الطباع.
[٧] ك: في التكلم؛ م: في التعليم.
[٨] ك: الآيات.
[٩] ن – ذي.
[١٠] ن ع: لتألفوا.
[١١] ع: قال.
[١٢] ك: ونشأه.
[١٣] ك: ونشؤه؛ ع م: ونشأه.
[١٤] ع: لجهلم؛ م: لجلهم.
[١٥] ن – ونشأته في قبيلة أو في مكان لا يعرف له النسب ربما يتمكن فيه الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه لجهلهم بنسبه ومولده.

ونشأته[١] على السلامة والصحة والبراءة[٢] من العيوب. فبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لئلا يتمكّن فيه ما ذكرنا[٣] من المطاعن، ولا يُعرَف[٤] بشيء[٥] من العيوب والآفات التي ذكرنا فيه.[٦] وقال[٧] بعضهم: قوله: **من أنفسكم**، أي[٨] من العرب أُمّيًا كما هم، لا يكتب ولا يقرأ ولا يخطّه بيمينه على ما وصفه في كتابه: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ،[٩] الآية، وقال: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ.[١٠] وذلك أن العرب كانت تتمنى أن يُبعَث رسول منهم[١١] بقوله: لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[١٢] الآية.[١٣] ذكر مجيء الرسول من أنفسهم ليكون أبعد عن المطاعن[١٤] التي طعنوا فيه والآفات التي ذكروا فيه، وأبْرَأ له[١٥] عن العيوب التي قذفوها[١٦] به من نحو السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله، وأقربَ إلى المعرفة بأنه رسول؛ لأنه لِما يأتيهم به[١٧] من الآيات والحجج يعرفون أنها سماوية، لِما عرفوا أنه لم يتعلم السحر ولا أخذوا عليه بكذب قط، ولا جُنَّ قط، بما كان نُشوءه[١٨] فيما بين أظهرهم.

---

[١] جميع النسخ: ونشاه.
[٢] ع: والبراءت.
[٣] جميع النسخ + فيه.
[٤] ك: يقترف.
[٥] م: شيء.
[٦] ك - فيه.
[٧] ع: قال.
[٨] م - أي.
[٩] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأُمّيّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[١٠] ﴿وما كنت تتلو مِن قَبْلِه من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لارتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).
[١١] ك: منهم رسول.
[١٢] ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى مِن إحدى الأمم﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[١٣] ن ع م - الآية.
[١٤] ع م: من المطاعن.
[١٥] ك ن: وابراه؛ ع م: وابراءه.
[١٦] ك ن ع: قرفوا؛ م: فرقوا.
[١٧] جميع النسخ: يأتي بهم.
[١٨] ن: إنما كان نشأه؛ ع م: نشأه.

وقوله: **عزيز عليه ما عَنِتُّم**، قيل: شديد عليه ما أَعْنَتَكم، أي ما ضَيّق عليكم وضَرّكم. وقال القُتَبي: العَنَت:[١] الضيق.[٢] وقال بعضهم: العَنَت:[٣] الإثم، أي شديد عليه ما أثمتم. وقال أبو عَوْسَجَة: هو إلى الإثم أقرب. وهو يحتمل كل إثم: الكفر وغيره.

**حريص عليكم**، قال بعضهم: حريص على من لم يسلم أن يسلم. و **حريص عليكم**، بالهدى والرشد.

**بالمؤمنين رءوف رحيم**، رحمة الدين والإسلام لا رحمة الطبع.

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} في قوله: **بالمؤمنين رءوف رحيم**، سمّاه بفعله العمل الحسنَ وبرأفته ورحمته بذلك، أي استحق ذلك الاسم بفعله. وإنما سمّاه بذلك لأن عمله كان لله، لم يكن عمله لنفسه شيئا. وكذلك ماله واكتسابه[٤] له.[٥] فلذلك لم يكن ماله ميراثا بين ورثته.

**﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١٢٩]**

وقوله: **فإن تولوا**، عنك أي أعرضوا عن إجابتك ودعائك إياهم إلى الإيمان والتوحيد، **فقل حسبي الله**، أي يكفيني الله، **لا إله إلا هو**. ويحتمل[٦] قوله: **فإن تولوا**، عنك وردّوا إجابتك والطاعة[٧] لك والانقياد وهمّوا أن يَكيدوك[٨] ويمكروا بك،[٩] **فقل حسبي الله**، أي كفاني الله،[١٠] **لا إله إلا هو عليه توكلت**، أي[١١] على ما وعدني من النصر والظفر **توكلت**، أي اتّكلت على وعده ووَكّلت أمري إليه.[١٢] ويحتمل قوله: **فإن تولوا**، عن نصرك ومعونتك على الأعداء،

---

[١] ن: العنة.

[٢] قال ابن قتيبة: «﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي شديد عليه ما أعنتكم وضركم» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٣).

[٣] ن: العنة.

[٤] ن ع م: واكسابه.

[٥] جميع النسخ: به.

[٦] ع: يحتمل.

[٧] ع: والطاعات.

[٨] ع: أي يكيدوك.

[٩] م: ويمكرو بك.

[١٠] ع - الله؛ م - أي كفاني الله.

[١١] ن - أي.

[١٢] م: إلى الله.

**فقل حسبي الله**، في النصر والمعونة على الأعداء ويكفيني عليهم. هذا في هذا الموضع أقرب؛ لأنه ذكر على إثر ذكر المنافقين. ويحتمل[1] ما ذكرنا من الإعراض عن التوحيد والإجابة له.

وقوله عز وجل: **وهو رب العرش العظيم**، قيل: هو رب الملك العظيم، أي كل ملك عند ملكه صغير[2] ليس بملك. فإن كان العرش هو السرير على ما قاله بعض أهل التأويل فهو[3] -والله أعلم-[4] السرير الذي يكرم به الأخيار[5] من الخلائق والأبرار منهم. وقد ذكرنا[6] ما قيل[7] فيه فيما تقدم.[8] والله أعلم بالصواب.[9]

---

[1] م - قوله فإن تولوا عن نصرك ومعونتك على الأعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة على الأعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع أقرب لأنه ذكر على إثر ذكر المنافقين ويحتمل، صح هـ.
[2] م - صغير.
[3] م - فهو.
[4] ن - والله اعلم.
[5] ع: الأخبار.
[6] ع: وقد ذكر.
[7] م - ما قيل.
[8] ن: ما تقدم. وانظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٥٤.
[9] ك ن ع - بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[١]**

وقوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب الحكيم**، قد ذكرنا الوجه في الحروف المقطّعات في صدر الكتاب.[١] وقوله:[٢] **تلك آيات الكتاب الحكيم**، قال بعضهم: **الحكيم**، هو الله. كأنه قال: ذلك[٣] الكتاب آيات الله. وقال بعضهم: **الحكيم**، هو صفة القرآن والكتاب. ثم يحتمل[٤] وجهين. / يحتمل أنه سماه حكيما، فعيلا بمعنى إنه مُحكَم، وجائز تسمية[٥] المفعول [٣٢٣ظ] باسم الفعيل، نحو قتيل بمعنى مقتول،[٦] وجريح بمعنى مجروح، ونحو ذلك.[٧] فيه الحلال والحرام والأمر والنهي. أو مُحكَم مُتقَن مُبرَم من الباطل والكذب والاختلاف. وهو ما وصفه تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ،[٨] الآية. والثاني سماه[٩] حكيما لِما أنّ من[١٠] تأمّل فيه ونظر وفهم ما أُودِع فيه وأُدرِج صار حكيما. وهو ما وصفه وسمّاه مجيدا،[١١] أي من تأمّله ونظر فيه صار مجيدا شريفا. والحكيم هو المصيب في الحقيقة إن كان صفة القرآن أو صفة الله.

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١/٢.

[٢] ك ن: قوله.

[٣] ع م – ذلك.

[٤] م: والكتاب يحتمل.

[٥] م: تسميته.

[٦] ك: المقتول.

[٧] ك + ونحو ذلك.

[٨] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).

[٩] م – سماه.

[١٠] ع: أن أن.

[١١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (سورة ق، ١/٥٠)؛ وقوله تعالى:﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥).

فإن كان صفة الله[1] فهو حكيم[2] واضع كل شيء موضعه. فإن كان صفة[3] للقرآن فهو كذلك أيضا واضع كل شيء موضعه.

وقوله: **آيات**، يحتمل آيات الكتاب المعروف. ويحتمل الحجج والبراهين، أي حجج الكتاب وبراهينه[4] أو أعلامه. وقد تقدم ذكر الآيات في غير موضع. ***والله أعلم***.

**﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **أكان للناس عَجَبا**، يحتمل وجهين. يحتمل أي قد[5] عجبوا، **أن أوحينا إلى رجل منهم**. ويحتمل أيعجبون، **أن أوحينا إلى رجل منهم**، على الاستنكار.[6] كانوا يعجبون من ثلاث: من إنزال[7] القرآن على رجل منهم يَعجز الخلائق عن إتيان مثله. و[كانوا] يعجبون من الوحي إلى رجل منهم وإرساله رسولا مِن بين الكل أو من البشر، كقوله:[8] أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا،[9] وكقوله:[10] أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا.[11] وكانوا يعجبون من البعث، كقوله:[12] أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا،[13] الآية. ثم يحتمل قوله: **إلى رجل منهم**، أي من البشر، أي لا يعجبوا[14] **أن أوحينا إلى رجل**، من البشر. فإن الإيحاء[15] إلى من هو من البشر أبلغ في الحجاج

---

[1] م – فإن كان صفة الله.

[2] ع: حكم.

[3] ع – فإن كان صفة.

[4] ك: والبراهين.

[5] ك: أن قد.

[6] جميع النسخ: على الاستئناف. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله تعالى: ﴿أكان للناس عجبا﴾، حرف الاستفهام متى كان من الله يحتمل وجهين. أحدهما حقيقة الإخبار، أي قد عجبوا أن أوحينا إلى رجل منهم. والثاني يحتمل على الاستنكار، أيعجبون أن أوحينا إلى رجل منهم، أي لا تعجبوا أن أوحينا إلى رجل من البشر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٤ظ).

[7] ع م: من أنزل.

[8] ك ن: كقولهم.

[9] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).

[10] ك ن ع: أو كقوله.

[11] سورة ص، ٨/٣٨.

[12] ك ن م: كقولهم.

[13] ﴿قالوا أإذا مِتنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ (سورة المؤمنون، ٨٢/٢٣).

[14] ك: لا تعجبوا؛ ع م: لا يعجبون.

[15] ع: الإيجاء.

وأقطع للعذر وأقرب إلى الرأفة والرحمة؛ لأن البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طَوْق البشر ووُسعهم،[١] ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم، ويألف كل جنس بجنسه وكل جوهر بجوهره، ولا يألف غيرَ جوهره ولا غيرَ جنسه. فإذا كان ما وصفنا كان بعث الرسل[٢] من جنس المبعوث إليهم[٣] وجوهرهم أبلغ في الحجاج وأقطع للعذر وأقرب إلى الرأفة والرحمة.

ويحتمل قوله: **أن أوحينا إلى رجل منهم**، أي من الأُمّيين، أي لا يعجبوا[٤] **أن أوحينا إلى رجل منهم**، أي أُمّيّ، فإن ذلك أبلغ في التعريف والحجاج؛ لأنه بعث أُمّيًا لم يَعرفوه بدراسته الكتب المتقدمة أو تلاوة شيء منها، ولا عرفوه اختلف إلى أحد منهم في تعلّم[٥] كتبهم، ولا عُرِف[٦] أنه كتب شيئا أو خطّ[٧] خطًا قط، ثم أخبر عما في كتبهم[٨] على موافقة ما فيها، وكانت كتبهم بغير لسانه. دل أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. فذلك أبلغ في إثبات الرسالة والحجاج. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أنْ أَنذِر الناس**، قال بعضهم: الإنذار يكون في كل مكروه مرهوب، والبِشارة في كل محبوب مرغوب. وقال بعضهم: **أنْ أَنذِر الناس**، يعني الكفار بالنار.

**وبشِر الذين آمنوا أنّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند ربهم**. ثم[٩] اختلفوا في قوله: **قَدَمَ صِدْقٍ عند ربهم**، قال بعضهم: **أن لهم**، الجنة، **عند ربهم**. وقيل: **أن لهم**، الأعمال الصالحة يَقْدَمون عليها. وقيل: **قَدَمَ صِدْقٍ**: محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم، **عند ربهم**.[١٠] وقيل: **أن لهم**، ثواب[١١] أعمالهم[١٢] الصالحة التي[١٣] قدّموها بين أيديهم **قَدَمَ صِدْقٍ**، أي سَلَفَ خيرٍ أو سَلَفَ وعدٍ وُعِد لهم بذلك.

---

[١] ع: وسعهم.
[٢] م: الرسول.
[٣] ع م – إليهم.
[٤] ك: لا تعجبوا.
[٥] م: في تعييم.
[٦] ن: ولا أنه عرف.
[٧] ك: ولا خط.
[٨] ع م: عما كتبهم.
[٩] م – ثم.
[١٠] ك ع م + وقيل ان لهم الجنة عند ربهم.
[١١] ع م – ثواب.
[١٢] ع م: الأعمال.
[١٣] م – التي.

وكأن أصله من القَدَم. قال أبو عَوْسَجَة: يقال في الكلام: لفلان عندي قَدَمُ صِدق ويَدُ صِدق، أي نعمةٌ قد أسلفها إليّ. وقال القُتَبي: **قَدَمَ صِدْقٍ**، يعني عملا صالحا قدّموه.[1] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سبق لهم السعادة في الذكر الأول.[2] مَن قال: **قدم صدق**، هو الشفاعة. فالقَدَم كناية عن الشفاعة، والصِدق أي واقعة.[3] ومَن قال: وَعْد ثواب[4] أعمالهم، أي تُقدّم لهم وَعْدَ حقٍ وصدقٍ. ويحتمل **قَدَمَ صِدْقٍ**، أي ثبتت[5] قدمهم لا تزلّ،[6] على ما وصف مِن ثبوت قدم المؤمنين والقرار فيه،[7] وتزلّ قدم الكافرين كقوله: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا.[8]

وقوله عز وجل: **قال الكافرون إن هذا لَساحر مبين**، ومَن قرأ: لَسِحر، عنى [بـ]"هذا" القرآن. ومَن قرأ: **لَساحر**، بالألف، عنى به النبي.[9] ثم السحر هو الذي يتراءى في الظاهر أنه حق وهو في الحقيقة باطل لا شيء. ثم هو يأخذ الأبصار ويأخذ العقول. فأما الذي يأخذ الأبصار هو[10] ما يتراءى الشيء على غير ما هو في الحقيقة، والذي يأخذ العقول هو أن يَذهب بعقله فيصير مجنونا. وقال فرعون لموسى:[11] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[12] أي مجنونًا. لكن هؤلاء لم يريدوا بقوله: **لساحر مبين**، السحر الذي يأخذ العقول، ولكن أرادوا السحر الذي يأخذ الأبصار. يقولون:[13] إنه وإن كان أخذ الأبصار في الظاهر فهو لا شيء في الحقيقة. ولكن في قولهم: **إن هذا لساحر مبين**، دليل أنهم عجزوا عن رده وعرفوا[14] أنه حق.

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٤.

[2] *تفسير الطبري*، ١١/٨٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٤١.

[3] ن: والصدق وقعة.

[4] ك: وثواب.

[5] ن: أي تثبت؛ ع: أي ثبت.

[6] ن: لا نزل.

[7] ع م – فيه.

[8] ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دَخلا بينكم فتزلّ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ١٦/٩٤).

[9] قراءتان متواترتان. قرأ من الأئمة العشرة نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: لسحر؛ وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلَف: لساحر. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٥٦.

[10] ك: وهو.

[11] ك: موسى.

[12] سورة الإسراء، ١٧/١٠١.

[13] ن ع م: يقول.

[14] م: وعرفوه.

لكنهم[١] أرادوا التمويه على الناس كقول فرعون لسحرته حيث آمنوا برب موسى: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[٢] أراد أن يموّه على الناس. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]**

**وقوله عز وجل: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام،** أنّ القوم[٣] كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويتخذون الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، يقول: **إن ربكم،** الذي / يستحق العبادة والألوهية هو الذي خلقكم و **خلق السماوات والأرض،** لا الذي تعبدونه. [٣٢٤و]

وقوله عز وجل: **في ستة أيام ثم استوى،** قد تقدّم ذكره في صدر الكتاب.[٤]

وقوله عز وجل: **يدبر الأمر،** هو[٥] أيضًا على الأول، أن الذي يستحق صرف العبادة إليه وتوجيه[٦] الشكر إليه هو الذي **يدبر الأمر،** في مصالح الخلق في جرّ المنافع إليهم ودفع المضارّ عنهم، لا الذين لا يملكون جرّ[٧] المنافع إلى أنفسهم أو دفع المضارّ عنهم[٨] فضلا أن يملكوا جرّها[٩] إلى من يعبدهم أو دفع المضارّ[١٠] عنهم. وقال[١١] بعض أهل التأويل: **يدبر الأمر،** أي يقضيه.[١٢] والتدبير والقضاء واحد. وقال بعضهم: **يدبر،** يقدّر، وهو ما ذكرنا؛ التدبير والتقدير سواء.

وقوله عز وجل: **ما من شفيع إلا من بعد إذنه،** الشفيع هو[١٣] ذو المنزلة والقدْر عند الذي يشفع إليه. لا أحدَ[١٤] في الشاهد يشفع لآخر إلى آخر إلا بعد أن يكون الشفيع عند الذي يشفع إليه ذا منزلة وقدْر.

---

[١] م: ولكن هم.
[٢] سورة طه، ٧١/٢٠؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.
[٣] أي لأن القوم...
[٤] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٥] م: وهو.
[٦] ء: توجيه.
[٧] م – جر.
[٨] ن – عنهم.
[٩] م: أجرها.
[١٠] ع: مضار.
[١١] ع م: قال.
[١٢] ع: أي يقبضه.
[١٣] ك – هو.
[١٤] ع: لأحد.

فإذا كان كذلك فمع ذلك أيضا لا يشفع إلا مِن بعد ما أُذِن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد.

وقوله: **ذلكم الله ربكم فاعبدوه**، يقول: **ذلكم**، الذي يستحق العبادة هو **ربكم**، الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض ودبّر أموركم، **فاعبدوه**،[1] ولا تعبدوا الذي لا يملك شيئا من ذلك.

**أفلا تذكّرون**، أنه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب للشكر، لا الذين تعبدون أنتم. أو أن يقول: **أفلا تذكّرون**، أن الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض هو ربكم، وهو يدبّر أمور الخلائق في مصالحهم: ما يرجع إلى مصالحهم في دنياهم ودينهم،[2] لا الذي يعبدون.[3] *والله أعلم*.

**﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **إليه مرجعكم جميعا**، إليه مرجع الخلائق كلهم في جميع الأوقات، لكنه خصّ ذلك اليوم بالمرجع إليه لِما أن الخلائق كلهم يعلمون يومئذ أنهم راجعون إليه. وكذلك قوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[4] هم بارزون له في الدنيا والآخرة، لكنهم يومئذ[5] يَعرفون ويُقِرّون بالبروز له. وكذلك قوله:[6] اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ،[7] الملك لله في الدنيا والآخرة وفي الأوقات جميعا، لكنه خصّ ذلك اليوم لِما لا يُنازَع في الملك في ذلك اليوم، ويُقِرّون بالملك له في ذلك اليوم،[8] وفي الدنيا مَن قد نازع في ملكه. هذا -والله أعلم- وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وإن كان الملك له[9] في الدارين جميعا، فعلى ذلك المرجع. أو سَمّى البعث رجوعا إليه لِما [أن] المقصود من إنشائه الرجوع،[10]

---

[1] م - فاعبدوه.

[2] م - لا الذين تعبدون أنتم أو أن يقول أفلا تدكرون أن الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض هو ربكم وهو يدبر أمور الخلائق في مصالحهم ما يرجع إلى مصالحهم في دنياهم ودينهم.

[3] ع + الله؛ م + من دون الله.

[4] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[5] ن + بارزون.

[6] ك ع م - قوله.

[7] سورة الحج، ٥٦/٢٢.

[8] ع م - ويقرون بالملك له في ذلك اليوم.

[9] ك - له.

[10] جميع النسخ: البعث.

فسماه بذلك لما ذكرنا؛[١] لأنه لو لم يكن المقصود من إنشائه[٢] إياهم سوى الإنشاء والإفناء كان خلقه إياهم[٣] عبثا باطلا،[٤] كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[٥]

وقوله عز وجل: **وَعْدَ الله حقا**، يحتمل **وَعْدَ الله حقا**، البعث الذي ذكر: **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**. ويحتمل **وَعْدَ الله حقا**، من الثواب والعقاب في الآخرة، الثواب للمحسن منهم والعقاب للمسيء.

وقوله: **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**، أي عرفتم أنه هو الذي بدأكم والخلق جميعا، فكذلك[٦] هو يعيدكم بعد إفنائكم؛ إذ بَدْء الشيء على غير مثال أشدّ عندكم[٧] من إعادته على مثال، كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[٨] أي إعادة الشيء أهون عندكم من بدئه.

وقوله عز وجل: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**، قيل: بالعدل. لكن ما يجزيهم إنما يجزيهم إفضالا وإحسانا لا استيجابا[٩] واستحقاقا. ثم يحتمل قوله: **بالقسط**، وجوها. أحدها أنه يجزي المحسن[١٠] جزاء الإحسان والمسيء جزاء الإساءة، ويفصل بين الولي والعدو[١١] في الآخرة في الجزاء، ويجعل[١٢] للولي علامة وأثرا يُعرَف بها من العدو؛ إذ لم يفصل في الدنيا بين الأولياء والأعداء في الرزق وما يُساق إليهم من النعيم، ولا يجعل علامة يُعرَف بها الولي من العدو. وجعل في الآخرة ذلك حتى يُعرَف هذا من هذا. فهذا العدل الذي ذكرنا يشبه أن يكون هو ذلك. ويحتمل القسط الوزن، أي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع، لا على القَدْر، أي [لا] يجزي بالحسنة قَدْرا لا يزيد على ذلك، ولكن يجزي للخير خيرا وللحسنة حسنة وللسيئة سيئة. ويحتمل قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات** بالعدل،

---

[١] ع: لما ذكرها.
[٢] ن + إنشائه.
[٣] ع م – إياهم.
[٤] ك: وباطلا.
[٥] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٦] ك: فنذلك؛ م: وكذلك.
[٧] ع: عكم.
[٨] سورة الروم، ٢٧/٣٠.
[٩] ع: لا استحسانا.
[١٠] ك: المحسنين.
[١١] ك: بين العدو والولي.
[١٢] م: ونجعل.

أي يجزي[1] الذين عملوا بالعدل، لم يجوروا[2] فيه ولا جاوزوا الحدّ الذي حدّ لهم، ولكن عملوا بالعدل فيه. ويشبه أن يكون على تقديم العدل: **ليجزي الذين آمنوا**، بالعدل، أي لا يعذبهم في النار إذ [هم قد] آمنوا.[3] ثم الذين عملوا الصالحات يوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.[4] والله أعلم بالصواب من ذلك.

وقوله عز وجل: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**، أي يجزيهم في الآخرة بما أقسطوا في الدنيا وعدلوا. فيكون[5] القسط على هذا التأويل نعتا لهم. وإن كان ما ذكر من القسط راجعا إلى الله ووصفا له فهو يخرج على وجوه. أحدها يجزي فريقا من المؤمنين بالعدل. يجزي لإحسانهم جزاء[6] الإحسان ولإساءتهم جزاء الإساءة، فيكون جزاء بالعدل. ويجزي فريقا آخر منهم بالفضل والإحسان. يجزي لحسناتهم جزاء الحسنة،[7] ويكفّر[8] عن سيئاتهم. وهو كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[9] الآية، وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ،[10] الآية. والثاني يجزيهم بالفضل؛ إذ العدل هو وضع الشيء موضعه. أي يضع الفضل في أهله، لا يضعه في غير أهله. ووضع الفضل في أهل الإيمان عدل؛ إذ هم أهل له. *والله أعلم*.
[٣٢٤ظ] / وهو كقوله:[11] وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ.[12] والثالث العدل الذي هو مقابل لإحسان، وهو الفضل، لا العدل الذي هو ضد الجور. كقوله: وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ،[13] الآية.

---

[1] ن: أي ليجزي.
[2] ع: لم يجوزوا.
[3] جميع النسخ: إذا آمنوا.
[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ (سورة النساء ١٧٣/٤).
[5] م: ويكون.
[6] ع م: جزاءهم.
[7] ع م - ولإساءتهم جزاء الإساءة فيكون جزاء بالعدل ويجزي فريقا آخر منهم بالفضل والإحسان يجزي لحسناتهم جزاء الحسنة.
[8] ن ع: ونكفر.
[9] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[10] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (سورة النساء، ٤٨/٤، ١١٦).
[11] م: كقولهم.
[12] ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُمَتِّعْكم متاعا حسنا إلى أجل مسمًّى ويُؤْتِ كلَّ ذي فضلٍ فضلَه﴾ (سورة هود، ٣/١١).
[13] ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلّقة﴾ (سورة النساء، ١٢٩/٤).

لا يحتمل أن يقول: لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء، في العدل الذي هو ضد الجور. [فإنهم] في مثل هذا يستطيعون أن يعدلوا بينهم. فعلى ذلك قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات،** بالعدل الذي هو مقابل الإحسان، وهو[١] الفضل؛ إذ للفضل درجات. وأصله أن جزاء الآخرة كلَّه إفضال وإحسان وإنعام لا استحقاق واستيجاب.[٢]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا لهم شراب من حميم،** قيل: الحميم هو الشراب الذي انتهى[٣] حرّه [إلى] غايته.

**﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا،** ذكر في الشمس الضياء وفي القمر النور. فهو -والله أعلم- لأن الليل مُظلِم، يَظهر نور القمر فيه ويَغلب على ظُلمة الليل ويَقهرها؛ وأما النهار فهو مُبصِر على ما ذكره[٤] عز وجل: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٥] جعل فيه النور. فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا يَظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار، فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق. فجعل[٦] عز وجل بلطفه فيها ضياء ليَظهر نورُها على نور النهار[٧] ويغلبه ويقهره، ليُظهِر المنافع التي جعل فيها. ولو كان نورا مثله لم يَظهر نورُ هذا مِن هذا، و لم يُوصَل إلى المنافع التي جُعلت فيها[٨] للخلق. وهو ما ذكر أنه مد الظل وأخبر أنه لو شاء لجعله ساكنا. ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل، بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[٩] لكان لا يُعرَف الظل. ثم أخبر أنه جعل الشمس دليلا عليه ليُعرَف بها الظل، فنسخ الشمسُ ذلك الظلَّ الممدود شيئا[١٠] بعد شيء،

[١] ع م: هو.
[٢] جميع النسخ: لا استحقاقا وإيجابا.
[٣] ع: النهي.
[٤] ك: ما ذكر.
[٥] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[٦] م: وجعل.
[٧] ك - فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق فجعل عز وجل بلطفه فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار.
[٨] ع م - ولو كان نورا مثله لم يظهر نور هذا من هذا و لم يوصل إلى المنافع التي جعلت فيها.
[٩] ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا. ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٤٥).
[١٠] م: وشيئا.

فصارت الشمس بها يُعرَف[1] الظل وبها يظهر. فعلى[2] ذلك [كان] الضياء الذي في الشمس.[3] به يُعرَف نورُها مِن نور النهار، وبه يُوصَل إلى منافع الشمس. ولو كان نورا لكان[4] لا يُعرَف ولا يَظهر؛ إذ لا[5] يَغلب أحدهما صاحبه -والله أعلم- ولا يُعرَف آية الشمس من آية النهار. ثم جعل آية الشمس غالبة على جميع الآيات حتى[6] لا يُبصَر النجومُ بالنهار أصلا. والقمرُ وإن كان يُبصَر ويُرَى بحالٍ فإن نور الشمس قد يغلبه ويقهره حتى لا يظهر أبدًا.

وقوله عز وجل: **وقدّره مَنازلَ لتعلموا عدد السنين والحساب**، يشبه أن يكون التقدير الذي ذكر لهما جميعا، ويُعرَف الحساب وعدد السنين بهما جميعا. وكذلك ذكر في حرف حفصة: وقدّرهما منازل. وجائز أن يكون جعل الشمس بالذي يُعرَف بها أوقاتُ الصلوات والأزمنةُ من الشتاء والصيف، لا يُعرَف ذلك بالقمر. وجعل في القمر معرفة الشهور والسنين، وفي الشمس معرفة أوقات الصلوات[7] والأزمنة، لا يُعرَف بها[8] الشهور والسِّنُون إلا بعد جهد، وبالقمر لا يُعرَف أوقات الصلوات والأزمنة. جعل الله في الشمس منفعتين: منفعة التقلُّب ومعرفة الأزمنة، ومنفعة[9] نضج الأشياء ويَنْعها؛[10] وفي القمر منفعتين أيضا: أحد هما معرفة حساب الأيام والشهور والسنين، ومنفعة[11] نضج الأَنْزال[12] والأشياء.

وقوله عز وجل: **لتعلموا عدد السنين والحساب**، ليس أنْ يُعرَفُ هذا بهما ولا يُعرَف غيره، بل يُعرَف ما ذُكر وأشياءُ[13] كثيرة.

وقوله: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، قال أبو بكر الأصم الكيساني:[14] **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، أي ما خلق الله ذلك إلا وقد جعل فيه دلالة معرفته. وقال قائلون: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**،

[1] م: يعرف بها.
[2] ك: فعل.
[3] جميع النسخ + كان.
[4] ن – لكان.
[5] ع: إذا لا.
[6] ع م – حتى.
[7] ع: الصلواة.
[8] ع م – بها.
[9] ك: ومعرفة.
[10] ع: ويبعها.
[11] ك: ومعرفة.
[12] الأنْزال جمع النُّزُل، وهي الأرزاق. وأصل النُّزُل ما يَنزل الضيف عليه ويُهَيّأ له (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).
[13] ع م: ما ذكروا شيئا.
[14] م: الكسائي.

أي ما خلق الله ذلك إلا وقد جعل فيه[١] الشهادة له على الخلق، وهي شهادة الوحدانية والألوهية. وقال بعضهم: **ما خلق الله ذلك** إلا بالأمر الكائن لا محالة، وهو البعث. ويحتمل قوله: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، أي بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا، وهو كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[٢] ولكن بحكمة.

وقوله عز وجل: **يفصّل الآيات لقوم يعلمون**، قيل: يبين أو يصرفها[٣] لقوم ينتفعون بعلمهم. إنما ذكر الآيات فيما ذكر لقوم يعقلون، ولقوم يتفكرون، ولقوم يفقهون الآيات التي ينتفعون بها ويعقلون الشيء. إنما[٤] يكون[٥] الشيء[٦] للذي[٧] يَنتفع به لا للذي لا يَنتفع به.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون**، إن في اختلاف الليل والنهار آية[٨] البعث ودلالةَ تدبير صانعهما. أما دلالة البعث أنّ كل واحد منهما إذا جاء ذهب الآخر وفني حتى لا يبقى له الأثر، ثم يتجددان ويحدثان. على ذلك أمرهما. ويُتلِف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له الأثر. فمن قَدَر على ما ذكرنا قَدَر على بعثهم وإنشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا. وأما دلالة التدبير هو جريانهما وسيرهما على سَنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما أو تفاوت أو نقصان يقع فيهما أو زيادة وإن كان أحدهما يدخل في الآخر. دل ما ذكرنا -أنهما إنما[٩] يجريان ويختلفان[١٠] على سَنن واحد وجريان واحد- أن فيهما تدبيرا[١١] غير ذاتي وعِلما أزليّا،[١٢] وأنه واحد.

[١] ك + معرفة.
[٢] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[٣] جميع النسخ: نبين أو نصرفها.
[٤] ع م + يعقلون.
[٥] م: بكون.
[٦] ك: لشيء؛ ن ع م - للشيء.
[٧] ك: الذي.
[٨] جميع النسخ + آية.
[٩] م - إنما.
[١٠] م: وتختلفان.
[١١] جميع النسخ: تدبير.
[١٢] جميع النسخ: وعلم أزلي.

إذ لو كان التدبير فيهما لِعَدَد[١] لكانا يختلفان[٢] ولا يجريان على قدر واحد / من غير تفاوت فيهما[٣] [٣٢٥و]
أو نقصان أو زيادة. دل أنه واحد. *وبالله التوفيق*.

وفي ذلك[٤] دلالة وحدانية منشئهما وخالقهما؛ لأنه أنشأهما وبيهما مِن البُعد ما بينهما،[٥] وجعل منافع أحدهما متصلة بمنافع الآخر على بُعد ما بينهما. دل أن منشئهما واحد؛ إذ لو كان فِعل عددٍ منع كلُّ فِعله عن الوصول[٦] إلى الآخر[٧] على ما هو فعل ملوك الأرض.

وقوله: **لقوم يتقون**، مخالفة الله، ويتقون جميع الشرور والمساوئ.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾**[٧] **﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يرجون لقاءنا**، قال قائلون: **لا يرجون لقاءنا**، من الرَّجاء. أي لا يرجون ما وعد لنخلق من الثواب ولا يرغبون فيما يُرجَى ويُطمَع من الرغائب. وقال بعضهم: **لا يرجون لقاءنا**، أي لا يخافون لقاءنا. وما مِن خوف إلا وفيه رجاء، وما مِن رجاء إلا وفيه خوف؛ لأن الخوف الذي لا رجاء فيه هو إياس، والرجاء الذي لا خوف فيه أَمْن.[٨] لكن الغالب في الحسنات والخيرات الرجاء، وفيه خوف، والغالب في السيئات والشرور الخوف، وفيه أدنى الرجاء. وهو ما ذكرنا في الشكر والصبر أنهما واحد؛[٩] لأن الصبر هو كفّ النفس عن الشهوات واللّذات،[١٠] والشكر هو استعمالها في الخيرات. فإذا كفّها عن الشهوات استعملها في الخيرات. لذلك قلنا: إنهما في الحقيقة[١١] واحد. ولأن[١٢] الشكر هو القبول،

---

[١] ع: العدد؛ م: فيها العدد.
[٢] ك: مختلفين.
[٣] ع م: أن فيهما، + تدبير.
[٤] ك – ذلك.
[٥] ك + من لبعد؛ ع – من البعد ما بينهما.
[٦] ع: عن لأصول.
[٧] جميع لنسخ: بالآخر.
[٨] أي أمن من مكر الله.
[٩] انظر تفسير لآية من سورة الأنفال، ٨/٦٦.
[١٠] ع م: ولشهوات.
[١١] ك: في الخيرات.
[١٢] ع م: لأن.

وكذلك الصبر أيضا، غير أن الشكر في قبول النعم، والصبر في قبول البلايا والمصائب. *والله أعلم*. يصير كأنه قال: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة.

وقوله عز وجل: **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها**، أي اختاروا المُقام فيما عملوا له[١] كأنهم[٢] مقيمون فيها أبدا. **والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون**، من ردهم الآيات وكفرهم بها.[٣] وقوله:[٤] **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها**، يحتمل وجهين. أحدهما سُرُّوا بها وآثَرُوا[٥] ثواب محاسن الدنيا على ثواب الآخرة. والثاني رضاهم بالدنيا والطمأنينة فيها مَنَعهم عن التفكر والنظر في أمر الآخرة.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم**، يحتمل[٦] وجوها. يحتمل **يهديهم ربهم بإيمانهم**، في الدنيا طريق الجنة في الآخرة. وهو معنى ما ذكر في القصة: إن المؤمن إذا خرج[٧] من القبر يُصوَّر له عمله في صورة حسنة.[٨] والثاني **يهديهم ربهم بإيمانهم**،[٩] فيصيرون مهتدين[١٠] بهدايته إياهم. ويشبه **يهديهم ربهم بإيمانهم**، أي يدعوهم[١١] إلى الخيرات في الدنيا بإيمانهم. *والله أعلم*. فهذا على المعتزلة؛ لأنهم يمتنعون عن تسمية[١٢] صاحب الكبيرة مؤمنا ومعه إيمان،

---

[١] ك ن: لها؛ ع م: بها.
[٢] ع: كانوا.
[٣] ع م - بها.
[٤] ن - وقوله.
[٥] ن: وأشروا.
[٦] ن: يحتمله.
[٧] ك ن ع: إذا اخرج.
[٨] روي عن قتادة في قوله: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾، قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن إذا خرج من قبره صُوّر له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة. وأما الكافر فإذا خرج من قبره صُوّر له عمله في صورة سيئة وريح منتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار» (*تفسير الطبري*، ٨٨/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٤/٤). وهو مرسل، فقتادة من التابعين.
[٩] ك ن + أي يهديهم ربهم بإيمانهم.
[١٠] م: مهتدون.
[١١] ع م: أو يدعوهم.
[١٢] م: عن تسميته.

فيلزمهم أن يمتنعوا عما وعد له وإن كان معه إيمان. فإذ ذكر له الوعد مع هذا لزمهم أن يسموه مؤمنا لما معه من الإيمان.[1]

وقوله عز وجل: **تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم**، يقول أهل التأويل: من تحت أهل[2] الجنة. وقد ذكرنا هذا.[3]

**﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **دعواهم فيها سبحانك اللهم**، قال قائلون: قوله: **دعواهم**، دعوى الإيمان. أي يدّعون[4] في الآخرة من الإيمان والتوحيد لله والتنزيه[5] له كما ادّعوا في الدنيا وحدانية الله ونزّهوه. وقوله: **سبحانك اللهم**، هو حرف تنزيه وتبرئة[6] الرب عن الأشباه[7] وجميع الآفات التي وصفته المشبّهة الملحدة.[8] فهذا يدل أن ما خرج مخرج الدعوى فإنه لا يختلف باختلاف الدُّور.[9] وقال عامة أهل التأويل: هو من الدعاء لا من الدعوى. يقولون: إنهم إذا اشتهوا طعاما أو شرابا أو تمنّوا[10] شيئًا فيَدْعون بقوله:[11] **سبحانك اللهم**، فيُؤتَوْن ما تمنّوا واشتهوا. لكن ذُكر أنْ لا تنقطع[12] اللّذّات في الجنة. ولو كان ما يقولون لكان فيه انقطاع اللّذّات والشهوات. إلا أن يقال: إنهم[13] يُلهَمون شهوات وأماني،[14] فيشتهون. وقال الله عز وجل: **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**،[15]

---

[1] ن – الإيمان.
[2] م + أهل.
[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥/٢؛ ومن سورة الأعراف، ٤٣/٧.
[4] ع: أن يدعون.
[5] ع: والتنزية.
[6] ن: وتنزيه.
[7] ع: عن الأشياء.
[8] ع: المتحدة.
[9] والدور: جمع الدار. أي لا يختلف بأن تكون الدار دار دنيا أو الدار الآخرة.
[10] ع م: وتمنوا.
[11] ع م: بقول.
[12] ن ع م: لا ينقطع.
[13] ن + طمعوا.
[14] ع: وأما في.
[15] سورة فصلت، ٣١/٤١.

وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ.[١] ولا نعلم ما أراد به.[٢] وقوله:[٣] **سبحانك اللهم**، يخرج على وجوه. أحدها يخبر أنه ليس على أهل الجنة من العبادات شيء سوى التوحيد، وهو كلمة التوحيد. والثاني يقولون ذلك لعظيم[٤] ما رأوا من النعيم وعجيب ما عاينوا. والثالث شكرا لما أعطاهم من ألوان النعيم والأطعمة.[٥]

وقوله عز وجل: **وتحيتهم فيها سلام**، قال أهل التأويل: إن الملائكة يأتون من ألوان النعيم[٦] بما اشتهوا، ويسلمون عليهم ويردون السلام على الملائكة، فذلك قوله: **وتحيتهم فيها سلام**. فإذا طَعِموا وفرغوا قالوا عند ذلك: **الحمد لله رب العالمين**. وهو قول ابن عباس وغيره من أهل التأويل.[٧] ويشبه أن يكون قوله: **وتحيتهم فيها سلام**، الكلام[٨] الذي لا عيب فيه ولا مطعن.[٩] أي كلام بعضهم لبعض كلام[١٠] منزه منفي عن جميع العيوب والمطاعن، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا،[١١] الآية، وقوله: إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا،[١٢] ونحوه.

وقوله: **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**، قال أهل التأويل: يقولون على إثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك. / وقال الحسن: إن الله رضي من عباده[١٣] بالشكر [٣٢٥ظ] لما أنعم عليهم في الدنيا والآخرة بالحمد لله رب العالمين. ويشبه أن يكون قوله: **وآخر دعواهم**، أي دعواهم[١٤] في الآخرة **الحمد لله رب العالمين**، كما كان دعواهم في الدنيا الحمد لله رب العالمين.

---

[١] سورة الواقعة، ٥٦/٢٠-٢١.
[٢] أي لا نعلم ذلك على سبيل القطع.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن: لعظم.
[٥] ع: ولا طعمة.
[٦] ك ن – من ألوان النعيم.
[٧] ع: من أهل القسم وبل. روي عن ابن جريج؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٨٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٤٦.
[٨] ع م: والكلام.
[٩] ع: أو لا مطعن.
[١٠] ك م – كلام.
[١١] سورة مريم، ١٩/٦٢؛ وسورة الواقعة، ٥٦/٢٥؛ وسورة النبأ، ٧٨/٣٥.
[١٢] سورة الواقعة، ٥٦/٢٦.
[١٣] ك: عن عباده؛ ع: من عبادة.
[١٤] م – أي دعواهم.

**﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **ولو يُعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لَقُضِي إليهم أجلهم**، كأن الآية على الإضمار. كأنه قال: **ولو يُعَجِّل الله للناس الشر** إذا استعجلوه كما يُعَجِّل لهم الخير إذا استعجلوه[1] **لَقُضِي إليهم أجلهم**؛ لأنه ليس يذكر في ظاهر الآية استعجالهم الشر، إنما يذكر تعجيله. ولكن فيه ما ذكرنا[2] من الإضمار إضمارِ الاستعجال.[3] وهو ما ذكر في غير آيٍ من القرآن استعجالهم العذاب، كقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[4] الآية، وقوله:[5] فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[6] الآية، ونحو ذلك. كانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع. فيقول: لو عجّل لهم العذاب إذا استعجلوه كما يعجّل لهم الخير إذا استعجلوه[7] لقضي أجلهم. يقول: لهلكوا وفَنُوا.[8] هذا التأويل في أهل الكفر خاصة عند استعجالهم العذاب استعجال تضرع وسؤال. ويشبه أن يكون هذا في جملة الخلق على غير تصريح سؤال، ولكن عند ارتكابهم الشر. يقول: **ولو يعجّل الله للناس الشر**، باكتسابهم الشر وبارتكابهم إياه وقت اكتسابهم كما يعجّل لهم الخير وقت اكتسابهم الخير **لقضي إليهم أجلهم**، أي لو عجّل[9] لهم جزاء شرهم وقت اكتسابهم الشر كما يعجّل لهم جزاء خيرهم لكان[10] ما يستوجبون بارتكابهم الشر وقتَ فعلِهم إياه [و]لقضي إليهم أجلهم، لكنه لم يجعل لهم[11] ذلك، وأخره إلى المدة التي جعل لآجالهم. ويمكن وجه آخر، وهو ما يدعو[12] بعضهم على بعض باللعن والخزي.

[1] ع – كما يعجل لهم الخير إذا استعجلوه.
[2] ك: ما ذكر.
[3] ن + لقضي إليهم أجلهم لأنه ليس يذكر في ظاهر الآية استعجالهم الشر إنما يذكر تعجيه ولكن فيه ما ذكرنا من الإضمار إضمار الاستعجال.
[4] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ (سورة النحل، ١/١٦).
[5] ك ن: وقولهم.
[6] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).
[7] م + كما يعجل لهم الخير إذا استعجلوه.
[8] ك: أو فنوا.
[9] ع م – أي لو عجل.
[10] ك ن + ما ذكر.
[11] جميع النسخ: له.
[12] ع: ما يدعوا.

يقول الرجل عند شدة الغضب: اللهم العن فلانا، اللهم أَخْزِه، ونحو ذلك من الدعوات. يقول: لو عجّل لهم هذا كما يعجّل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة **لقضي إليهم أجلهم**، لهلكوا وفَنُوا، ويكون ذلك انقضاء أجلهم.[١] يكون هذا على وجوه ثلاثة. أحدها استعجال سؤال وتضرع [على] الذي ذكرنا. والثاني[٢] بأفعالهم وارتكابهم الشر وقت ارتكابهم. والثالث في الأسباب التي بها يرتكبون ويفعلون.

وقوله: **لَقُضِي إليهم أجلهم**، يحتمل لقضي أجلهم قبل المدة التي جُعل لهم. والثاني لقضي أجلهم، أي يُجعل أجلهم ذلك. ففيه دلالة أنْ لا يهلك أحد قبل أجله،[٣] لا يقدّم ولا يؤخّر. وهو ما ذكر: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[٤]

وقوله عز وجل: **فَنَذَرُ الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**، هو ما ذكرنا أنّ مِن حكمه[٥] أن لا يعاقب أحدا من الكفرة في الدنيا[٦] بصنعه[٧] الذي صنع. وقد يعجّل لهم جزاء خيراتهم في الدنيا لما ساق إليهم من أنواع النعم. ولكن مِن حكمه[٨] أن يؤخر عقوبتهم إلى يوم القيامة. فذلك تأويله. *والله أعلم*. **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**، أي نتركهم يتردّدون في عماهم[٩] وحيرتهم إلى الوقت الذي وعد لهم العذاب. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **وإذا مسّ الإنسان ضُرّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما**، قال بعض أهل التأويل: إن[١٠] جميع ما ذكر في القرآن [من] "الإنسان" فالمراد منه الكافر. مِن ذلك قوله:

---

[١] ك: آجالهم.
[٢] ع: والدي.
[٣] ع م – أجلهم قبل المدة التي جعل لهم والثاني لقضي أجلهم أي يجعل أجلهم ذلك ففيه دلالة أن لا يهلك أحد قبل أجله.
[٤] ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧؛ وسورة النحل، ٦١/١٦).
[٥] ع: من حكمة؛ م: من حكمته.
[٦] ع: في الكفرة؛ م: في الكفر.
[٧] م: بصنيعه.
[٨] ع: من حكمة.
[٩] ع: في عملهم؛ م: في أعمالهم.
[١٠] ع م – إن.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ،[1] وقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[2] وقوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،[3] ونحوه. لكن هذا لا نعلم أنه أراد به الكافر. فَلَئِنْ كان ما ذكروا فإن أهل الإيمان يدخلون في هذا[4] الخطاب إذا كان منهم ما يكون من الكفرة؛ لأن من أهل الإيمان من يُقبِل على الدعاء والتضرّع إلى الله عند مَسّ[5] الحاجة والشدة، فإذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء الذي كان دعا وذلك التضرّع الذي كان يتضرّع إليه، فدخل في ذلك.

ثم قوله:[6] **دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما**، ليس على إرادة حقيقة الجنب والقعود والقيام، ولكن على الدعاء[7] في كل حال، أي يدعوه في كل حال.[8] لمّا عرفوا أن الذين[9] كانوا يعبدون من دون[10] الله لا يملكون دفع ما حلّ بهم من الشدائد والمضارّ أقبلوا على الله بالتضرّع والدعاء إليه في كشف ذلك عنهم.

ثم أخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعودهم إلى الحال[11] التي كانوا من قبل، فقال: **فلما كشفنا عنه ضُرّه مَرّ كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه**، يقول -والله أعلم- **مَرّ كأنْ لم يَدْعُنا**، قد نَسِيَنا في الرخاء كأنْ لم يعرفنا واستمرّ على ترك الدعاء في الرخاء.

وقوله:[12] **كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون**، الإسراف هو العدوان[13] والتعدي[14] عن الحد الذي جُعِل له. وهو وضع الأموال والأنفس في الموضع الذي لا ينتفعون بها، في عبادة الأصنام وغيرها. ***والله أعلم.***

---

[1] ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كَدْحا فمُلاقيه﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٦).
[2] سورة الانفطار، ٨٢/٦.
[3] سورة العصر، ١٠٣/١-٢.
[4] ك ن: ذلك.
[5] ك ن ع: عند مسه.
[6] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[7] ن: مع الدعاء.
[8] ع م - في كل حال.
[9] ع م: أن الذي.
[10] ك ن: يعبدون دون.
[11] ع: إلى الحلال.
[12] ن - وقوله.
[13] ع م - واستمر على ترك الدعاء في الرحاء وقوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون الإسراف هو العدوان.
[14] ع م: وإن التعدي.

**﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا.**

فإن قيل: قد أهلك من قد ظلم ومن لم يظلم، فما يُعلَم[١] أنّ مَن[٢] أهلك[٣] من الظلمة أنه إنما أهلكهم لظلمهم أو أهلك لصلاح من لم يظلم؟

قيل: إنه[٤] أهلك الظلمة إهلاك استئصال وعقوبة،[٥] وأهلك من لم يظلم لا إهلاك عقوبة واستئصال، إنما هو إهلاك بآجالهم التي جعل لهم.[٦] ويحتمل قوله: **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات،** [أنه] إنما أهلك أولئك لسؤالهم الذي سألوا -سؤالَ تعنُّتٍ رسلِهم- الآيات، فإذا جاءوا بتلك الآيات كذّبوها، فأُهلِكوا عند ذلك. فأنتم يا أهل مكة إذا سألتم رسولكم[٧] الآية ثم كذّبتموها يعذّبكم[٨] كما عذّب أولئك؛ إذ مِن حُكمه[٩] الإهلاك على إثر السؤال. كأنه ينهى أهل مكة عن سؤال الآيات، / فإن على إثره [٣٢٦و] الإهلاك إذا لم يقبلوها.

وقوله عز وجل: **وجاءتهم رسلهم بالبينات،** يحتمل[١٠] البينات التي تبين ما يؤتّى وما يُتّقَى.[١١] وقد ذكرناها في غير موضع.[١٢] **وما كانوا ليؤمنوا،** يخبر رسوله أنهم وإن سألوك الآيات فإذا جئت[١٣] بها فإنهم لا يؤمنون، يعني أهل مكة. **كذلك نجزي القوم المجرمين،** كل مجرم.

---

[١] ك: نعلم.
[٢] م: يعلم من.
[٣] ع - من قد ظلم ومن لم يظلم فما يعلم أن من أهلك.
[٤] م: له.
[٥] ن: أو عقوبة.
[٦] ن - لهم.
[٧] ن + الآيات فإذا جاءوا بتلك الآيات كذبوها فأهلكوا عند ذلك فأنتم يا أهل مكة إذا سألتم رسولكم.
[٨] ن ع ن: لعذبكم.
[٩] ع: من حكمة.
[١٠] ك: تحتمل.
[١١] م: نبقى.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٨٧، ٩٩.
[١٣] ع: وجبت.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم**، يحتمل قوله: **خلائف**، أي جعل أنفسكم خَلَف أنفس أولئك الذين لم يهلكهم. يخرج هذا مخرج تذكير[١] النعمة والامتنان والرحمة. يذكّرهم أنه لو شاء أهلك الكل، فلا يكون هؤلاء خَلَف أولئك، ولكن بفضله ورحمته أبقاكم. ويحتمل قوله: **جعلناكم خلائف** أولئك في المحنة[٢] والعبادة. أي جعل عليكم من المحنة والعبادة كما كان على آبائكم من المحنة والعبادة. ويشبه أن يكون قوله: **جعلناكم خلائف** الذين لم يظلموا، فكيف لا تتبعونهم؛ لأن الذين ظلموا قد أهلكهم فأنتم خلائف أولئك الذين لم يظلموا ولم يكذّبوا[٣] الرسل، فكيف لا تتبعونهم؟ كأنهم ادّعوا أن آباءهم كانوا على ما هم عليه وأنهم على مذاهب آبائهم. يقول: **جعلناكم خلائف** الذين لم يظلموا، إذ الذين ظلموا قد أُهلِكوا، فقد تركتم مذهب آبائكم. وجائز أن يكون قوله: **جعلناكم خلائف**[٤] **في الأرض من بعدهم**، أي لست أنا بأول رسول أُرسِلت إليكم، بل لم يَزَل الله يرسل[٥] رسلاً[٦] في الأمم، فكان فيهم[٧] لهم أتباع يتبعون رسلهم إلى ما يدعونهم إليه ويجيبونهم، فاتبعوني[٨] أنتم يا أهل مكة فيما دُعِيتم إليه.

وقوله عز وجل: **لننظر كيف تعملون**، لم يَزَل الله تعالى عالما بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة، ولكن لِيَعلمهم عُصاةً ومطيعين؛ لأن المعصية إنما تكون[٩] بعد ما يكون النهي، والطاعة إنما تكون بالأمر. فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم أنه يكون منكم[١٠] معصية، ويعلمكم مطيعين كما علم أنه يكون منكم الطاعة. وقد ذكرنا أمثال هذا فيما تقدم.[١١] *والله أعلم.*

---

[١] م: تذكر.
[٢] م: في محنة.
[٣] م: ويكذبوا.
[٤] ع م – الذين لم يظلموا إذ الذين ظلموا قد أهلكوا فقد تركتم مذهب آبائكم وجائز أن يكون قوله جعلناكم خلائف.
[٥] ع م: يزل.
[٦] م: رسولا.
[٧] م: فيه.
[٨] ك: فاتبعون؛ ن: فا فاتبعوني.
[٩] ن: يكون.
[١٠] ع: منهم.
[١١] نظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٤٣.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، البينات قد ذكرنا في غير موضع.[١] والبينات هي التي تبين أنها آيات نزلت من عند الله لم يخترعها أحد من الخلق. وقد ذكرنا قوله أيضا: **قال الذين لا يرجون لقاءنا**.[٢]

وقوله عز وجل: **ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّلْه**، يشبه أن يكون قولهم: **ائت بقرآن غير هذا أو بدله** [متوجها إلى التبدين]، [لأن إتيان غير هذا القرآن وتبديله واحد، فيكون "أو" بمعنى الواو، كأنهم قالوا: ائت بقرآن غير هذا وبَدِّلْه].[٣] ألا ترى أنه قال: **قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي**، إنما أجابهم في التبديل؛ دل أن السؤال كان سؤال تبديل، ولكن كانوا يسألون سؤال استهزاء وتكذيب. ثم اختلف أهل التأويل في التبديل الذي سألوا. قال بعضهم: سألوا أن يبدّل ويجعل مكان آية العذاب آية الرحمة، أو يبدّل[٤] أحكامه. ويحتمل قوله: **ائت بقرآن غير هذا**، أي بدّل أحكامه واترك[٥] رسمه. ويحتمل ما ذكرنا أنهم سألوا أن يتلو[٦] مكان آية العذاب آية الرحمة ومكان ما فيه سب آلهتهم مدحها[٧] ونحو ذلك. ***والله أعلم***. ونحن لا نعلم ما أراد بالتبديل تبديل الأحكام أو تبديل[٨] الرسم والنظم. إنما نعلم ذلك بالسماع. ثم أخبر أنه لا يقول ولا يتبع[٩] إلا ما يوحى إليه[١٠] ويؤمَر به بقوله: **قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلا ما يوحَى إليّ**.

وقوله عز وجل: **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**، إن تركت تبيغ[١١] ما **أُمِرت** بالتبليغ إليكم.

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٨٧/٢، ٩٩.
[٢] انظر تفسير الآية من سورة يونس، ٧/١٠.
[٣] سقط ما بين المعقوفتين الأخيرتين من جميع النسخ؛ فأكملناه من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.
[٤] ك ن ع: أو بدل؛ م: لو بدل.
[٥] ع م: وانزل. واترك رسمه: أي أبق نظمه ولا تبدله.
[٦] ع م: أن يتلوا.
[٧] ع: مدحا.
[٨] ع م: وتبدين.
[٩] ن: ولا تبع.
[١٠] م: الله.
[١١] ن: تبليغ.

وهكذا[1] كل مَن عرف ربه خافه إن عصاه وخالف[2] أمره ونهيه، ومن لم يعرف ربه لم يخفه إن عصاه وخالف.

وقوله: **ائت بقرآن غير هذا أو بَدّله**، سؤالهم سؤال تعنّت واستهزاء؛ لأنه لا منفعة[3] لهم لو أتى بغيره وبدّله سوى ما في هذا. ولو جاز لهم هذا السؤال جاز ذلك في كل ما أتى به[4] واحدا بعد واحد.[5] فذلك مما لا ينقطع أبدا ولا غاية ولا نهاية [له]. فهو سؤال[6] تعنّت واستهزاء.

**﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به**، هو صلة ما تقدم من قوله حيث قالوا: اِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[7] قد ذكرنا أن هذا يحتمل وجهين. يحتمل أنهم سألوه أن يبدّل أحكامه على ترك رسمه ونظمه. ويحتمل قوله: اِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ، أي ارفع[8] رسمه ونظمه وأحكامه، كأنهم ادّعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن من نفسه واختلاقَه من عنده. فقال: **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم**، تأويله -والله أعلم- لو شاء الله أن لا يُظهِرَ دينَه فيكم ولا يُلزِمَكم[9] حجته[10] ولا يبعثني[11] إليكم رسولا **ما تلوته عليكم**[12] **ولا أدراكم به**، أي ولا أعلمكم به. ويحتمل قوله: **ولا أدراكم به**، ولا أعلمكم ما فيه من الأحكام. أو يقول: لو شاء الله لم يوحِ إليّ ولا أمرني بتبليغ[13] ما أُوحي إليّ إليكم ولا بالدعاء إلى ما أمرني أن أدعوكم إليه.

---

[1] م: وهذا.
[2] م: خالف.
[3] ع م: لأنه منفعة.
[4] ع م - به.
[5] م - بعد واحد.
[6] ع م: فسؤال.
[7] الآية السابقة.
[8] ع: أي رفع.
[9] ك ن: ولا ألزمكم؛ ع م: ولا الزمه.
[10] م: حجة.
[11] جميع النسخ: ولا بعثني.
[12] ع م + تأويله والله أعلم لو شاء الله.
[13] ك: بالتبليغ.

وفي قوله: **لو شاء الله ما تلوته عليكم**، دلالة أن الله إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأنه أخبر أنه لو شاء ما تلوته عليكم،[١] فلو لم يشأ أن يتلوه ما تلاه.[٢] دل أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وذلك يرد على المعتزلة قولهم: شاء الله أن يؤمن الخلائق كلهم، لكنهم[٣] لم يؤمنوا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فقد لبثتُ فيكم عُمُرا من قبله أفلا تعقلون**، أي **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله**، فلم أَدَّعِ ما أدّعي[٤] للحال ولا تلوت ما أتلو.[٥] **أفلا تعقلون**، أي لم أخترع هذا من نفسي، ولكنه[٦] وحي أوحي إليّ؛ إذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك مني فيما مضى من الوقت وكنت لابثا[٧] فيكم. فإذ[٨] لم يكن مني ذلك **أفلا تعقلون**، أي لم أخترع [ذلك] من نفسي. يحتمل هذا الكلام وجوها. أحدها / أنهم لما ادّعوا عليه الاختراع من عنده قال: إني قد لبثت فيكم[٩] من قبله، [٣٢٦ظ]
أي قبل أن يوحى[١٠] هذا إليّ، فلم تروني خطَطْت بيميني ولا اختلفت[١١] إلى أحد في التعلّم والدراسة، فكيف أخترع [هذا] من عندي؟ إذ التأليف[١٢] لا يلتئم[١٣] ولا يتم إلا بأسباب تتقدم.[١٤]

والثاني فقد لبثت عمرا سِنين لم تعرفوني ولا رأيتموني كذبت قط. فكيف أفتري على الله وأخترع القرآن من عند نفسي؟ ألا ترى أنه قال على إثر[١٥] هذه:[١٦] فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[١٧] أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا.

---

[١] ع م – دلالة أن الله إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن لأنه أخبر أنه لو شاء ما تلوته عليكم.
[٢] ع: من تلاه.
[٣] ع م – لكنهم.
[٤] م – ما أدعي.
[٥] م: ما أتلوا.
[٦] جميع النسخ: ولكن.
[٧] ع م: لابسا.
[٨] م: فإذا.
[٩] ن – فيكم.
[١٠] ن: أن حي.
[١١] ن: ولا اختلف.
[١٢] ع م: أو التأليف.
[١٣] التأم أي اتفق واجتمع (*لسان العرب* لابن منظور، «لأم»).
[١٤] ع م: متقدم.
[١٥] ع م: على إثره.
[١٦] ع م – هذه.
[١٧] الآية التالية.

والثالث يحتمل قوله: **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله**، فلم أسمع أحدا ادّعى البعث ولا أقام حجة عليه. وأنا قد ادّعيت البعث وأقمت على ذلك حجة. **أفلا تعقلون**،[1] أني لم أخترع [هذا] من عند نفسي.

**﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾**[١٧]

وقوله: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**، يشبه أن [يكون] هذا صلة قوله: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ،[2] أي كيف تطلبون مني[3] إتيان غيره وتبديل أحكامه وقد تعرفون[4] قبح الكذب وفحشه. فكيف تسألونني الافتراء على الله وتكذيب آياته؟ ويحتمل أن يكون صلة ما ادّعوا عليه[5] أنه افتراه من عند نفسه.[6] يقول: إنكم لم تأخذوني[7] بكذب قط وقد[8] لبثت فيكم عمرا، فكيف تنسبونني[9] إلى الكذب على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله وفحشه؟ ويحتمل على الابتداء. ثم قد ذكرنا أن قوله: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، استفهام. فجوابه ما قاله أهل التأويل: لا أحد أبين ظلما ولا أفحش[10] ممن افترى على الله كذبا، لا أنّ تفسيره[11] ما قالوه.[12] وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[13]

**أو كذب بآياته**؛ الافتراء على الله تكذيب بآياته، وتكذيب آياته افتراء على الله.

---

[1] جميع النسخ + هذا.
[2] سورة يونس، ١٠/١٥.
[3] ع: حتى.
[4] ع: تعرفوني.
[5] م: إليه.
[6] ك: من نفسه.
[7] ع: لم تأخذوني.
[8] م: فقد.
[9] جميع النسخ: تنسبوني.
[10] ع م: ظلما وأفحش.
[11] ع م: لأن تفسيره.
[12] وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل على الابتداء. وقد ذكرناه في غير موضع أن قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾، هو استفهام يقتضي الجواب. وجوابه ما قال أهل التأويل: لا أحد أبين ظلما ولا أفحش ممن افترى على الله كذبا. فيكون ما قاله أهل التأويل جواب الاستفهام الذي أضمر في الكلام، لا أنه تفسير الآية وتأويلها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٠٩ظ).
[13] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٩٣.

**﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم،**[١] يحتمل وجهين. **ما لا يضرهم،**[٢] لو تركوا عبادته، **ولا ينفعهم،** إن عبدوه. والثاني **ما لا يضرهم،** أي ما لا يملكون الضرر بهم، **ولا ينفعهم،** لو تركوا عبادته.[٣] أي ولا يملكون جر[٤] النفع إليهم. يسفّههم[٥] في عبادتهم من لا يملك بهم دفع الضر[٦] ولا يملك جر النفع، وتركِهم عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذائهم ومنه يكون كل خوف وضر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله،** يحتمل هذا القول منهم تقليدا لآبائهم، كقولهم: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[٧] ظنوا أن آباءهم لمّا تُرِكوا وما هم عليه [و] لم يعذَّبوا أنهم على الحق وأن الله قد رضي بذلك. أو قالوا ذلك لِما لم يروا[٨] أنفسهم أهلا لعبادة الله والقيام بخدمته. وقد يكون مثل هذا في ملوك الأرض أن كل أحد[٩] لا يرى نفسه يصلح لخدمة الملك، فيخدم من دونه المتصين به رجاء أن يكون مَن خَدَمَه[١٠] شفيعا له عند الملك. فعلى ذلك هؤلاء طمعوا أن عبادتهم هؤلاء تقرّبهم إلى الله زُلْفَى[١١] ويكونون لهم شُفَعاء عند الله. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض،** يقول **أتنبئون الله،** أتخبرون الله،[١٢] **بما لا يعلم،** أي تعمون[١٣] أنه عالم. أي أ تُعلِّمون[١٤]

[١] ن + أي ولا يملكون جزاء النفع.
[٢] م + ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم.
[٣] ن ع م – لو تركوا عبادته.
[٤] ن: جزاء.
[٥] ع م: يسفههم.
[٦] ك: الضرر.
[٧] يقول الله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٨] ع: لما يروا.
[٩] ع: أحدا.
[١٠] ع م: من خدمة.
[١١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[١٢] ع م – أتخبرون الله.
[١٣] ك: أي تعمون.
[١٤] ن: أي تعلمون.

من تَعلمون[1] أنه يَعلم ما ذُكر وأنتم لا تَعلمون ذلك، وقد تعلمون أنه لو كان كذلك لكان هو أعلم به منكم. والثاني أي أتقولون[2] ما لا يعلم، أي يعلم[3] أنه ليس كما تقولون. كقول الناس:[4] ما شاء الله كان وما لا يشاء[5] لا يكون، أي ما شاء[6] أن لا يكون لا يكون.[7]

وقوله: [**سبحانه وتعالى عما يشركون**]؛ **سبحانه**، كلمة جُعِلت لإجلال الله عما يحتمله غيره[8] من الأشكال والأضداد ومن العيوب والآفات. وهو في هذا الموضع يتوجه إلى وجهين. إذ كانوا[9] يعبدون ما ذكر ويقولون هم شفعاؤنا عند الله. فيقول: **سبحانه**، أن يجعل لأمثال[10] أولئك شفاعة عنده؛ إذ الشفيع إنما[11] يكون من له منزلة وقدر عند من يشفع له. والمنزلة تكون لعبيد[12] بما يتعبّدهم[13] فيقومون بتوفير ما يحتمل وُسعهم من العبادة. فأما من لا يحتمل التعبّد فهو بعيد عما ذكر. يعني[14] **سبحانه** أن يجعل[15] الشفاعة لمن ذُكر دون[16] الأنبياء والرسل وهم قد أخبروا أنها لا تملك ضررا ولا نفعا، وفي الشفاعة ذلك. والثاني أن يكون عما أشركوا في العبادة. فسبحانه عن أن يكون معه معبودٌ أو يأذنَ لأحد بعبادة غيره. ***والله أعلم***.

---

[1] م: من يعلمون.
[2] جميع النسخ: والثاني أن تقولوا.
[3] أي على إسقاط "لا".
[4] ك: للناس.
[5] ن ع م: لم يشأ.
[6] ع: ما يشاء؛ م: وما يشاء.
[7] وعبارة الشارح هكذا: «وقوله تعالى: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾، يحتمل وجهين. أحدهما أن هذا وإن كان نفي العلم عن نفسه فيما ادّعوا من كون الأصنام شفعاء عند الله بقوله: ﴿بما لا يعلم﴾، لكن في الحقيقة نفي ما ادّعوا. يقول أتخبرون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض. أي تعلمون أنه عالم بما في السماوات وما في الأرض، ولو كان ما تدّعون من كون الأصنام شفعاء عند الله لكان هو أعلم به منكم. فيكون نفيا لما ادّعوا. والثاني قريب من هذا. يقول: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم﴾، أي تُعلِّمون من يَعلم أنه ليس كما تدّعون. وهو كقول الناس: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، أي ما شاء الله كان وما شاء أن لا يكون لا يكون» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٧و-ظ).
[8] ع م: غير.
[9] م: إذا كانوا.
[10] م: الأمثال.
[11] جميع النسخ: انه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.
[12] م: لعبيد.
[13] ع م: يتعه هم.
[14] ن ع: بمعى؛ م - بمعنى.
[15] جميع النسخ: أي يجعل.
[16] ع: دونه.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا**، اختلف[١] فيه. قال بعضهم: قوله: **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، أي أهل مكة كانوا كلهم أهلَ شرك، عُبَّادَ الأصنام والأوثان،[٢] لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب. فلما بُعِث محمد[٣] صلى الله عليه وسلم اختلفوا. فمنهم من آمن به وصدّقه وأخلص دينه لله. ومنهم من[٤] عاند وكابر في تكذيبه بعد أن عرف أنه رسول الله.[٥] ومنهم من شكّ فيه.[٦] ومنهم من لم ينظر في أمره قط ولا تفكّر فيه. فصاروا أربع فرق. وقال[٧] بعضهم: قوله:[٨] **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، بالفطرة. أي كانوا جميعا على الفطرة.[٩] وفي فطرة كل أحد[١٠] الشهادة على وحدانية الله تعالى وألوهيته، كقوله: وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا،[١١] وقوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.[١٢] في[١٣] خلقة[١٤] كل أحد الشهادة لله بالوحدانية له والألوهية. **فاختلفوا**، فمنهم[١٥] من كان على تلك الفطرة، ومنهم من كذّب واختار الكفر. وهو ما روي: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أنّ أبَوَيه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه».[١٦] أخبر أنهم على الفطرة لو تُرِكوا على ذلك، لكن أبَوَيه يمنعانه عن الكون[١٧] عليها.

---

[١] ع م – اختلف.
[٢] ن ع: الأوثان والأصنام.
[٣] م: محمدا.
[٤] م + كان.
[٥] ك ن – الله.
[٦] ع – فيه.
[٧] ع: قال.
[٨] ن ع م – قوله.
[٩] ع – أي كانوا جميعًا على الفطرة.
[١٠] ع م – أحد.
[١١] سورة آل عمران، ٨٣/٢.
[١٢] ﴿فأقِم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).
[١٣] م - في.
[١٤] ن: في خلقته.
[١٥] ك: منهم.
[١٦] «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه...» *صحيح البخاري*، الجنائز ٩٢؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٢.
[١٧] ن: على الكون.

[٣٢٧و] وقيل: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾، أي كان الخلائق جملةَ أُمَمٍ. كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[1] كأنه يعاتب هذه الأمة. يقول: إن الأمم مع اختلاف جواهرها وأجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له. فأنتم أيها الناس أمة من تلك الأمم. فكيف اختلفتم[2] وأشركتم غيره في ألوهيته وربوبيته مع ما ركّب فيكم من العقول[3] والتمييز بين ما هو حكمة وما[4] هو سَفَه؟ وقد فضّلكم على غيرها من الأمم في خلق[5] ما خلق في السماوات وما في الأرض لكم، وسخّر لكم ذلك كله،[6] ما لم يفعل ذلك بغيرها من الأمم. ومنهم من قال من أهل التأويل في قوله: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾، زمن نوح[7] ومن دخل معه في السفينة. كانوا على دين واحد. فاختلفوا بعد ما خرجوا. ومنهم من قال: آدم، فاختلف أولاده. ومنهم من قال: زمن[8] إبراهيم. لٰكِنّا لا نشهد[9] كيف كان الأمر. فلا نعلم إلا بخبر[10] عن الله تعالى.

وقوله عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لَقُضِي بينهم فيما فيه يختلفون﴾، قيل: لولا أنّ مِن حُكمه[11] أن لا يعذّب هذه الأمة عند تكذيبهم الآيات إذا سألوها وإلّا لأهلكها[12] كما أهلك الأمم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال. ولكن أخّر تعذيب هذه الأمة إلى يوم القيامة. والثاني ﴿سبقت من ربك﴾، أن لا يستأصل هذه الأمة عند تكذيبهم[13] الرسل والعناد لهم. أحد التأويلين في ترك استئصالهم. والآخر في تأخير العذاب عنهم[14] إلى وقت. وقوله: ﴿لَقُضِي بينهم﴾، ببيان يضطرّهم إلى القبول.

---

[1] سورة الأنعام، ٣٨/٦.
[2] ع: إذا اختلفتم.
[3] ع م: من القول.
[4] ك: وبين ما.
[5] ك: في ظن.
[6] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢)؛ وقوله: ﴿ألم تروْا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبَغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً﴾ (سورة لقمان، ٢٠/٣١)؛ وقوله: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ (سورة الجاثية، ١٣/٤٥).
[7] ك ع + نوح.
[8] ع م – زمن.
[9] ع م: لكنا نشهد.
[10] ع: إلا بخبر.
[11] ع: من حكمة.
[12] ك ن ع: وإلا لأهلك؛ م - وإلا لأهلك.
[13] م: تكذيب.
[14] م – عنهم.

**﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[٢٠]**

وقوله: **ويقولون لولا أُنزِل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله**، جوابه -والله أعلم- ما ذكر: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ،[١] أن لا يعذّب هذه الأمة بتكذيبهم[٢] الآيات عند سؤالها وإلّا لَعُذِّبتم أنتم كما عُذِّبت الأمم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال.

وقوله عز وجل: **فقل إنما الغيب لله**، أي إنكم تعلمون أن علم الغيب لله. وقد أنزل من الآيات ما يبيّن ويدل على رسالتي.

وقوله: **فانتظروا إني معكم من المنتظرين**، قيل:[٣] انتظروا هلاكي، إني منتظر[٤] هلاككم. لأنهم كانوا يُوعِدونه الهلاك. وقيل: انتظروا مواعيد الشيطان، إني منتظر[٥] مواعيد الله. وهو حرف وعيد. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[٢١]**

وقوله: **وإذا أذقنا الناس رحمة مِن بَعد ضرّاء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا**، قال أهل التأويل: **أذقنا الناس**، يعني أهل مكة. إذا أصابهم سَعة وفرح ونجاة مما يخافون عادوا إلى ما كانوا من التكذيب وعبادة الأصنام. ولكن [يشمل] أهل مكة وغيرهم. إنهم إذا أَيِسوا[٦] عما يعبدون من الأصنام[٧] والأوثان فَزِعوا إلى الله ويخلصون له الدين؛ كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[٨] الآية، وقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا،[٩] الآية،[١٠]

---

[١] لآية السابقة.
[٢] م: بتكذيب.
[٣] م: وقيل.
[٤] ع: منتظرين.
[٥] م + في.
[٦] ك: إذ أيسوا.
[٧] م: يعبدون الأصنام.
[٨] ﴿فإذا ركبوا في الفُلْك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[٩] ﴿وإذا مسّ الإنسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنبِه أو قاعدا أو قائما فلمّا كشفنا عنه ضُرَّه مر كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه كذلك زُيِّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ (سورة يونس، ١٢/١٠).
[١٠] م - الآية.

وقوله: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ،[1] الآية، وغير ذلك من الآيات مما يكثر عددها. كانت عادتهم الفزع إلى الله عند إصابتهم الشدائد والبلايا لِعلمهم أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك.

وقوله عز وجل: **إذا لهم مكرٌ في آياتنا،** المكر في الآيات تكذيبها وردّها. فيشبه أن يكون الآية هاهنا محمدا. كان هو[2] من أول أمره[3] إلى آخره آية. فمكروا به لما همّوا بقتله غير مرة، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[4] الآية. ويحتمل سائر الآيات والحجج. مكروا فيها، أي كذّبوها وردّوها.

**قل الله أسرع مكرا،** المكر الأخذ مِن غير أن يعلم هو به. يقول: **الله أسرع** أخذا. يأخذكم وأنتم لا تعلمون به. ولا تَقدِرون أن تأخذوا رسول الله وتمكروا[5] به إلا وهو يعلم بذلك. فهو[6] أسرع أخذا منكم.

**إن رسلنا يكتبون ما تمكرون،** فهم الحَفَظة. ويحتمل قوله: **قل الله أسرع مكرا،** أي أسرع لجزاء المكر منكم. أو أسرع أخذا[7] من حيث لا تعلمون أنتم. وقال بعض أهل اللغة: المكر بالآيات هو الردّ والجحود لها، وقال بعضهم: استهزاء بها، فهو واحد. ***والله أعلم.***

**﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر،** اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **هو الذي يُسَيِّركم،** أي هو الذي سخر لكم ما به تَسِيرون[8] في البر والبحر. وهو الدوابّ والسُّفُن التي يُقطَع بها البراري والبحار. وهو كقوله: لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ.[9]

---

[1] ﴿وإذا مسّ الناسَ ضُرٌّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٣).

[2] م – هو.

[3] ك: الأمر.

[4] ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويَمْكُرُون ويَمْكُر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة لأنفال، ٨/٣٠).

[5] م: ويمكروا.

[6] م: وهو.

[7] ع: أخذ.

[8] ع: يسرون.

[9] ﴿وجَعَل لكم من الفُلْكِ والأنعام ما تركبون. لِتَسْتَوُوا على ظهوره ثم تَذكُروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مُقْرِنِين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/١٢-١٣).

وقيل: قوله:[١] **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر**، أي سخر لكم البر والبحر[٢] وهما[٣] مكانا[٤] الخوف والهلاك. أي حَفِظكم فيهما[٥] حتى قضيتم فيهما حوائجكم. وليس في وُسع الخلق حفظ البراري والبحار عما فيهما من الأهوال. فتولّى الله بفضله حفظ السائرين فيهما حتى قَضَوا فيهما حوائجهم. وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا،[٦] إلى آخر ما ذكر من أنواع[٧] المنافع. فلو لا أنّ الله سخر لهم ذلك وحَفِظهم فيه وإلّا لم يكن في وُسعهم[٨] القيام بذلك وحِفظُ أنفسهم فيه من الأهوال التي فيه. يُذَكِّرهم نعمه ومِنَنَه التي أنعمها عليهم[٩] لِيُوجّهوا شكر نعمه إليه.

ثم قوله:[١٠] **يُسَيِّركم في البر والبحر**، يحتمل يخلق وينشئ سَيْركم في البر والبحر. وهو كقوله: وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ،[١١] الآية. والتقدير هو التخليق.[١٢] والمقدَّر المخلوق. ففيه دلالة خلق أفعال الخلق؛ لأن السير هو فعل / الخلق، أضافه إلى نفسه. دلّ أنه منشئُ فعلِهم. ***والله أعلم***. [٢٢٧ظ]

ويشبه أن يكون قوله: **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر**، لم يرد به[١٣] البر والبحر نفسه. ولكنه أراد تذكير نعمه عليهم في كل حال وكل وقت ليشكروا له في كل حال. وهو كقوله: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[١٤] لم يُرِد به البر والبحر أنفسهما،[١٥] ولكن أراد المكان الذي فيه المياه والمكان الذي لا مياه فيه. أي ظهر الفساد في الأماكن كلها. فعلى ذلك الأول، يُذَكِّرهم نعمه التي أنعمها عليهم في الأماكن كلها والأحوال جميعا. ***والله أعلم***.

---

[١] م – قوله.
[٢] ن – أي سخر لكم البر والبحر.
[٣] م: وهو.
[٤] ن: مكان.
[٥] م: فيها.
[٦] ﴿وترى الفلك مَوَاخِرَ فيه ولِتَبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٤).
[٧] م: ذكر أنواع.
[٨] م: في وسعه.
[٩] ع م – عليهم.
[١٠] ع: وقوله.
[١١] ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السَّيْر سِيرُوا فيها لياليَ وأياما آمنين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٨).
[١٢] ع: التحلق.
[١٣] ك: لم به.
[١٤] سورة الروم، ٣٠/٤١.
[١٥] ع. أنفسه ما.

وقوله عز وجل: **حتى إذا كنتم في الفُلْك**، أي ركبتم الفُلْك. **وجَرَيْن بهم بريح طيبة**، أي تجري[1] بهم السفن بريح طيبة. يخبر أن السفن ليست تجري في البحار بجريان الماء، لأن ماءها راكد[2] في الظاهر، ولكن[3] الريح هي التي[4] تُجريها وتُسَيِّرها. وكذلك الأمواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الماء، ولكن[5] الريح هي التي تُهيج الأمواج وتُزعجها لا نفس[6] الماء. **وفرحوا بها**، قيل: **فرحوا بها**: سُرُّوا بها. ويحتمل **فرحوا بها**، أي بَطِروا بها وأَشِروا.

وقوله عز وجل: **جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان**، أخبر أنّ مِن الريح[7] ما هي[8] طيبة[9] تَجري بها السفن، ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفرّق السفن، وتُهلك أهلها، لِيُعلَم أن الأشياء تُصلِح مرة[10] وتُفسِد تارة لا لأنفسها ولكن لحفظ الحدود فيها. وكذلك النار تُحرق مرة[11] وتُفسد، ومرةً تُصلح. وذلك لحفظ الحدود[12] فيها. وكذلك الماء مرة يُصلح ومرة يُفسد. وذلك إذا حُفظ فيه[13] الحدُّ أَصلح[14] وإن لم يُحفَظ أفسد.[15] وإلّا لا[16] يحتمل الشيء الواحد لنفسه يُصلح مرة ويُفسد تارة، ولكن لحفظ الحدود فيه.[17] *والله أعلم*.

---

[1] ك: أي يجري.
[2] ك – راكد.
[3] م: لكن.
[4] ع – هي التي.
[5] ك: لكن.
[6] ك ن: لا بنفس؛ ع: إلا نفس.
[7] ن ع م: أن الريح.
[8] ع م: اما هي.
[9] ع م + هي.
[10] ك: تارة.
[11] م: تارة.
[12] م – الحدود.
[13] ن: فيها؛ م: في.
[14] ع: وأصبح.
[15] جميع النسخ: أفسده.
[16] ن: وإلا لا لا.
[17] قال الشارح. «...فيدل أنّ غيرًا يَحفظ الحدّ فيها على ما يرى من المصلحة والحكمة، فيدل على إثبات صانع حكيم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٨و).

وقوله عز وجل: **وظنّوا أنهم أُحيط بهم**، قيل: أيقنوا أنهم مُهلَكون. ولكن الإيقان بالشيء الذي يصيب[١] في حادث الأوقات إنما يكون بالخبر [الصادق].[٢] لأنه لا يُدرَى[٣] لعل الله[٤] يصرف ذلك عنهم، فلا يقع به الإيقان. ولكن جُعِل غالبُ الظن[٥] في كثير من الأشياء كالإيقان به. ألا ترى أن الله أباح الميتة في حال الضرورة لغالب[٦] الظن. إذ قد يجوز أن لا يَهلك بذلك. وكذلك[٧] ما أُبيح لمكرَه بالقتل أن[٨] يُجري كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن. وإلا ليس يَعلم بالإحاطة أنه يَقتله لا محالة. لكن جُعل لغالب الظن في بعض المواضع حُكمُ اليقين والإحاطة. فعلى ذلك قولهم: أيقنوا أنهم أحيط بهم، لغالب الظن به.[٩]

وقوله[١٠] عز وجل: **دَعَوا الله مخلصين له الدين**. إنهم لمّا أَيِسوا عن الأصنام التي عبدوها في دفع ما حلّ بهم عنهم فَزِعوا إلى الله وأخصوا الدعاء له وقالوا: **لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين**.

**﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٣]**

ثم أخبر عن سفههم[١١] بعودهم إلى ما كانوا من قبل: **فلما أنجاهم إذا هم يَبغُون في الأرض بغير الحق**. وهكذا كانت عادتهم. كانوا يفزعون إلى الله عند[١٢] خوف الهلاك والإياس[١٣] عن آلهتهم التي عبدوها ويخصون الدعاء له،[١٤] فإذا كشف ذلك الكرب عنهم ودفع عادوا إلى ما كانوا عليه[١٥] من قبل. والبغي في الأرض هو الفساد فيها.

---

١ جميع النسخ + به.
٢ من *الشرح* ورقة ٣٦٨و.
٣ م: لا ندري.
٤ ك – الله.
٥ جميع النسخ + فيه.
٦ ن: نغالب.
٧ ع م: وكذا.
٨ ك: أني.
٩ ك – به.
١٠ ن: قوله.
١١ م: عن بسفههم.
١٢ ك: إلى عند.
١٣ م: والايس.
١٤ م – له.
١٥ ك ع م – عليه.

وقوله[1] عز وجل: **يا أيها الناس إنما بَغْيُكم على أنفسكم متاعَ الحياة الدنيا**، يحتمل قوله: **على أنفسكم**، أي بعضكم على بعض. ويحتمل **على أنفسكم**، أي حاصل بَغيِكم يرجع على أنفسكم. والبغي هو الظلم. فإن كان التأويل من قوله: **إنما بَغْيُكم على أنفسكم**، أي حاصل بَغيِكم يرجع على أنفسكم[2] في العاقبة، فيكون الوعيد لهم في ذلك بعينه. وإن كان التأويل: مِن أنفسكم[3] بعضكم على بعض، فيكون الوعيد في قوله: **ثم إلينا مرجعكم**.

وقوله عز وجل: **ثم إلينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون**، هذا قد ذكرنا.[4] وهو حرف وعيد. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **إنما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**، الآية، قيل[5] في ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا[6] بالزرع الذي ذكر بوجوه. قال بعضهم: قوله: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، في سرعة فنائها وانقطاعها ووَحْيَة[7] زوالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه. أو أنْ يُقال: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، فيما يُسَرّ [بها] ويُبتهَج[8] مَثَلُ صاحب الزرع الذي ذكر[9] فيما سرّ به[10] وابتهج ثم كان ما ذكر **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**. وقال بعضهم: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، فيما ينفقون فيها للحياة الدنيا[11]

---

[1] ن: قوله.
[2] ن + والبغي هو الظلم فإن كان التأويل من قوله إنما بغيكم على أنفسكم أي حاصل بغيكم يرجع على أنفسكم؛ م: إلى أنفسكم.
[3] م: التأويل أنفسكم.
[4] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٥/١٠٥؛ وسورة التوبة، ٩/١٠٥.
[5] م – قيل.
[6] ن ع – الدنيا.
[7] الوَحَى: العجلة والإسراع. ووَحَى وتَوَحَّى: أسرع. وشيء وَحِي: عَجِل مُسرِع. ووَحَّاه تَوْحِيَة: عَجَّله (*لسان العرب* لابن منظور، «وحى»).
[8] ع م: ويتهيج.
[9] ع – ذكر.
[10] ع: شربه.
[11] جميع النسخ: للحياة الدنيا فيما ينفقون فيها.

مَثَلُ صاحب الزرع الذي ذكر ينفق عليه لِما يَأْمُل من المنافع ويطمع منه ثم كان ما ذكر.[1] ولو عَلم في الابتداء أنّ أَمْرَ زَرعِه يئول ويصير إلى ما صار لكان لا ينفق. فعلى ذلك صاحب الحياة الدنيا لو علم أن عاقبة أمر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما أنفق. كما أن صاحب الزرع الذي ذكر وبَلَغ المَبْلَغ الذي ذكر[2] لو عَلم أن عاقبته كما كان ما أنفق عليه. أو لو علم[3] أنه لا ينتفع به ما أنفق تلك النفقة، أي لو[4] علم أن سروره وابتهاجه به[5] لا يبقى ولا يدوم إلى آخره ما تكلّف ذلك. أو لو علم أنها تزول عنه وتنقطع عن تلك السرعة ما أنفق ذلك وما تكلّف الذي تكلّف.[6] ويحتمل ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا بما ذكر من النبات وجهين. أحدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي ذكر أنه يتسارع إلى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الآفة، فعلى ذلك الدنيا. والثاني يخبر عن تغيّرها[7] وانقلاب أمرها[8] كالنبات الذي يتغيّر في أدنى مدة ووقت.

وقوله عز وجل: **حتى إذا أخذت الأرض زُخرُفَها**، قيل: حُسْنَها، **وازَّيَّنت**،[9] وحَسُنَت، **فأنبتت** من ألوان النبات. وقال أبو عَوْسَجة: **زخرفها**: زينتها من النَّبْت. و **حَصِيدًا**، / أي محصودا كما [٣٢٨و] يُحصَد الحَصَاد. والحصاد:[10] الزرع. **كأنْ لم تَغْنَ**، أي لم تَعِش. والمَغَاني هي[11] المواضع التي يَعيش فيها[12] الناس. قال: وواحد المَغَاني مَغْنَى. وقال القُتَبي: وأصل الزُّخرُف الذهب. يقال للنَّقْش والزَّهْر[13] وكل شيء زُيِّن [به]: زُخْرُف.[14] وقال: **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**، والمَغَاني المنازل، واحدها مَغْنَى.

---

[1] ع م – ما ذكر.
[2] ع م – وبلغ المبلغ الذي ذكر.
[3] ع: لم علم.
[4] ن: التي لو.
[5] ن – به.
[6] ع م – الذي تكلف.
[7] ن: عن تغييرها.
[8] ع م – كالنبات الذي ذكر أنه يتسارع إلى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الآفة فعلى ذلك الدنيا والثاني يخبر عن تغيرها وانقلاب أمرها.
[9] ع م – قيل حسنها وازينت.
[10] ع م – والحصاد.
[11] م: هو.
[12] ن ع م: منها.
[13] جميع النسخ: والذهبة. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٥.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٥.

وقال بعضهم: **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**، أي لم تَنْعَم. وقيل: لم تُعمَر.[1] وقال بعضهم: هو من الغِنَى، أي كأن لم تكن غنيًا بالأمس. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها**، أي ظنّ أهلُ الدنيا فيما ينفقون أنهم قادرون على تلك النفقة كما ظنّ[2] صاحب الزرع أنه قادر على ذلك الزرع.

وقوله: **أتاها أمرُنا**، قيل: عذابنا. سُمّي أمرا لأنه بأمره أتاه. وفيه أنه لم يأته عن غفلة وسهو ولكن عن علمٍ وأمرٍ عِظَةً لهم وتنبيها. ألا ترى أنه قال: **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**، كأن الآيات في هذا الموضع المواعظ. أي فيما[3] ذكر مِن ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا[4] بالنبات والزرع الذي ذكر عِظَةٌ وتنبيهٌ لمن تفكّر فيه. *والله أعلم*.

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والله يدعو إلى دار السلام**، اختلف فيه. قيل:[5] الجنة. والسلام: الله، أضافها إلى نفسه، كقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[6] فأضاف الجنة إلى السلام. إن كان **دار السلام** هي الجنة فهو -والله أعلم- لأن المساجد هي أمكنة يقام فيها القُرَب، والجنة هي مكان اللذة وقضاء الشهوة. فأضافها إلى السلام لِما يَسلَم أهلُها عن جميع الآفات. والمساجد خُصّت بالإضافة إلى الله لأنها أمكنة يقام فيها القُرَب. وقال بعضهم: **دار السلام**: الإسلام. ثم يحتمل كل واحد من التأويلين وجهين بما سمى الإسلام دار السلام والجنة كذلك. سمى الإسلام **دار السلام** لأنه يَأمَن[7] ويَسلَم كل من دخل فيه عن جميع الأهوال والآفات التي تكون. والثاني سمى الإسلام دار **السلام**.[8] أضاف إلى نفسه، كقوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ،[9] الآية.[10] أخبر أنه على نور من ربه. فعلى ذلك إضافة الإسلام إليه. ومن قال: **دار السلام**: الجنة،

---

[1] ن ع: لو تعمر.
[2] ع م - ظن.
[3] ك ن: أن فيما.
[4] ن - الدنيا.
[5] ن: قال. أي قيل: دار السلام هي الجنة.
[6] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[7] ن: لأنه لا يأمن.
[8] ك ن ع: سمي السلام الدار الإسلام
[9] ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (سورة الزمر، ٢٢/٣٩).
[10] ن - الآية.

سمي دار السلام لأن كل من دخل الجنة سَلِم وأَمِن عن الأهوال كلها والآفات جميعا. والثاني الدار:[١] الجنة، والسلام: الله. أضاف[ها] إليه[٢] لأنها دار أوليائه. وقد يضاف[٣] [الشيء] إلى الله على إرادة أوليائه. *والله أعلم*. وروي في بعض الأخبار عن أبي قِلَابَة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قيل لي: لِتَنَمْ عينُك[٤] وليَعقِلْ قلبُك ولتسمعْ[٥] أذنُك. فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني. ثم قيل لي:[٦] سيدٌ بَنَى دارا[٧] وجعل مَأْدُبَة[٨] وأرسل داعيا. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدُبَة[٩] ورضي[١٠] عنه السيد. ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المَأْدُبَة[١١] ولم يرض عنه السيد. فالله[١٢] السيد، والدار الإسلام، والمَأْدُبَة[١٣] الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم».[١٤] إن ثبت هذا الخبر ففيه أن الدار الإسلام على ما قاله بعض أهل التأويل. وفي خبر[١٥] آخر عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «رأيت في المنام كأن[١٦] جبريل عند رأسي وميكائيل[١٧] عند رجلي. قال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا. قال: اسْمَعْ سَمِعَتْ أذنُك، واعْقِلْ عَقَلَ قلبُك. إنما مَثَلُك ومَثَل أمتك كمَثَل مَلِك اتخذ دارا. ثم بنى فيها بنيانا فأتمّ. ثم جعل فيها مائدة.[١٨] ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه. فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه. فالله المَلِك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول.

---

[١] جميع النسخ: دار.
[٢] ع: إليها.
[٣] ك: تضاف.
[٤] م: أنتم عبيد.
[٥] جميع النسخ: ويسمع.
[٦] ن – لي.
[٧] ن ع: دار.
[٨] ن ع م: مائدة.
[٩] ن ع م: من المائدة.
[١٠] ن: رضي.
[١١] ن ع م: من المائدة.
[١٢] ن: والله.
[١٣] ن ع م: والمائدة.
[١٤] *سنن الدارمي*، المقدمة ٤؛ و*تفسير الطبري*، ١١/١٠٣-١٠٤.
[١٥] ع م: في خبر.
[١٦] ك + عند؛ م: وكان.
[١٧] ن. وميكائل.
[١٨] ك: مادبه؛ ن: مئدة.

من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[1] هذا[2] يدل أيضا –إن ثبت– أن الدار التي ذكر في الآية هو الإسلام. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والله يدعو إلى دار السلام**، الآية، ذكر الاستثناء في الهداية،[3] و لم يذكر في الدعاء لِيُعلَم أن لا[4] كل من يدعو[5] إلى دار السلام يهديه. وإنما يهدي[6] من يعلم منه أنه يختار الهُدَى. وذلك على القَدَرِيّة. ثم الهُدَى على وجوه ثلاثة. أحدها الدعاء، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.[7] والثاني هو البيان، كقوله: هُدًى وَرَحْمَةً،[8] يعني القرآن. والثالث التوفيق والعصمة. إذا وُفِّق اهتدى. والهُدَى هاهنا هو[9] التوفيق.

**﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **للذين أحسنوا الحُسنَى وزيادة**، اختلف فيه. قال بعضهم: **للذين أحسنوا**، في الدنيا لهم **الحسنى**، في الآخرة جزاءَ ذلك الإحسان. وهي الجنة. سمى الجنة الحسنى لأنها جزاء الإحسان،

---

[1] *سنن الترمذي*، الأدب ٧٦. وقال الترمذي عقب رواية الحديث: «وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصحّ من هذا... هذا حديث مرسل. سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله. وفي الباب عن ابن مسعود». وقد رواه البخاري بلفظ آخر: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مَثَلا، فاضربوا له مَثَلا. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مَثَله كمَثَل رجل بنى دارا وجعل فيها مَأْدُبَة وبعث داعيا. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدُبَة. ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المَأْدُبَة. فقالوا: أَوِّلُوها له يَفْقهها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله. ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله. ومحمد صلى الله عليه وسلم فَرْقٌ بين الناس» (*صحيح البخاري*، الاعتصام ٢).

[2] ع م – هذا.

[3] والاستثناء هو قوله: ﴿من يشاء﴾ في الآية.

[4] ك: ليعلم لا؛ ن ع: ليعلم الا.

[5] ع م: من يدعوا.

[6] جميع النسخ: يهديه.

[7] سورة الرعد، ٧/١٣.

[8] ورد ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناه على علمٍ هدى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٥٢/٧). وانظر: سورة الأنعام، ١٥٧/٦؛ وسورة الأعراف، ٢٠٣/٧؛ وسورة يونس، ٥٧/١٠ وغير ذلك.

[9] ك م – هو.

كما سمى النار لسُّوءَى، [كقوله: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ،][1] [و] كقوله: أَسَاءُوا السُّوءَى؛[2] لأنها[3] جزاء[4] السوء. **وزيادة**، قيل: محبة[5] في قلوب العباد، يحبه كل محسن، وهيبةٌ له في قلوب الناس، يهابه كل أحد على غير سلطانٍ له ولا يَد.[6] وقال قائلون: قوله: **للذين أحسنوا الحُسْنَى وزيادة**، أي مِثْلُ تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون عشرا أو سبعمائة[7] وما شاء الله. يدل على ذلك قوله: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا.[8] وقال قائلون:[9] الزيادة: الرؤيةُ، رؤيةُ[10] الرب والنظر [إليه]، كقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[11] وقال قائلون: الزيادة هو[12] قبول حسناته مع ما فيها من الخلط بالسيئات، / يَقبل حسناته بفضله وإن كانت تشوبها السيئات، ورِضاه منه. وذلك طريقة الفضل والإحسان؛ إذ قد سبق من الله تعالى إليه[13] من النعم ما لا يقدر القيامَ على وفاءِ نعمةٍ منها طولَ عمره. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة أبواب.[14] فلا ندري ما الزيادة التي ذكرها عز وجل في الآية إلا بالخبر عن الله. وقال قائلون: الحُسْنَى ما تقدّرها[15] العقول وتدركها وتصوّرها الأوهام، وأما الزيادة فهي التي لا تقدّرها[16] العقول ولا تدركها ولا تصوّرها الأوهام، [٣٢٨ظ]

---

[1] سورة الرحمن، ٥٥/٦٠. وقد وقع ما بين المعقوفتين في جميع النسخ بعد قول المؤلف: السوء، في آخر الجملة.

[2] ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوءى أنْ كَذَّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٠).

[3] ن – ذلك الإحسان وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لأنها جزاء الإحسان كما سمي النار السوءى كقوله أساءوا السوءى لأنها، صح هـ.

[4] ن – جزاء.

[5] جميع النسخ: المحبة.

[6] ع م: ولابد.

[7] ك ن ع: وسبعمائة.

[8] الآية التالية.

[9] ع م + قوله.

[10] ن: رؤيته.

[11] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣. روي عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: إن لكم عند الله موعدا. قالوا: ألم يُبيِّض وجوهَنا ويُنجنا من النار ويُدخلنا الجنة؟ قالوا: بلى. -قال- فيكشف الحجاب -قال- فوالله ما أعطاهم شيئا أحبّ إليهم من النظر إليه» (*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٧؛ وسنن *ابن ماجة* المقدمة ١٣؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ١٠).

[12] م – هو.

[13] ع م – من الله تعالى إليه.

[14] *تفسير الطبري*، ١١/١٠٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٥٨.

[15] جميع النسخ: ما يقدره.

[16] ن: لا تدركها.

كقوله صلى الله عليه وسلم: «ما لا[1] عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».[2]

وقوله عز وجل: **ولا يَرْهَق وجوههم قَتَرٌ ولا ذلة**، قيل: لا يَغشى وجوههم الغبار[3] والرَّهْج على ما وصف وجوه أهل النار، وهو قوله: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ،[4] ولكن على ما وصف وجوه أهل الجنة بقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ.[5] وذلك -والله أعلم- آثار إحسانهم الذي[6] أحسنوا في الدنيا ولِما لم يروا النعم التي كانت لهم مِن سواه ولم يصرفوا شكرها إلى غيره. والغَبَرَة والقَتَرَة التي ذكر لأهل النار هي آثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادتهم دون الله وصَرْفِهم شكر النعم إلى غيره ونحو[7] ذلك من صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا. *والله أعلم*. **أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.**

**﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئةٍ بمثلها، جزاءُ سيئةٍ** مما يوجبه الحكمة أن يُجزَى بمثلها. وأما جزاء الإحسان والخير طريق وجوبه الإفضال والإحسان، ليس طريق وجوبه الحكمة؛ إذ سبق[8] من الله إلى كل أحد من النعم ما ليس في وسعه القيامُ بمكافأة واحدة منها عمرَه[9] وإن طال واجتهد كل جهده فَضْلاً أن يستوجب قِبَلَه جزاءَ ما كان منه من الخيرات.

وقوله: **وتَرْهَقهم ذلة**، هو ما ذكرنا من آثار السيئات التي عملوها في الدنيا ذُلًّا وهَوَانا لهم. **ما لهم من الله من عاصم**، وذلك أنهم -والله أعلم- كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن يكونوا شفعاء لهم[10] عند الله،

[1] ك ما لا.
[2] «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (*صحيح البخاري*، التفسير ١/٣٢؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٢).
[3] م: النار. الرَّهْج والرَّهَج: الغبار (*لسان العرب* لابن منظور، «رهج»).
[4] سورة عبس، ٨٠/٤٠-٤١.
[5] سورة عبس، ٨٠/٣٨-٣٩.
[6] جميع النسخ: التي.
[7] ع م: نحو.
[8] م: إذا سبق.
[9] ع: عمرة.
[10] ل ع م: هم شفعاء.

فأخبر أنْ ليس لهم من عذاب الله[1] مانع يمنع ذلك[2] عنهم، كقولهم: هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[3]

وقوله عز وجل: **كأنما أُغْشِيَتْ وجوهُهم**، قيل: أُلبِست وأُغطِيت، **قِطَعًا**: مُثقّلا، ومخفّفا: قِطْعا.[4] قيل: القِطَع بالتثقيل هو جمع القِطْعة. والقِطْع بالتخفيف جزء من الليل. يقال: سِرْنا بقِطْع من الليل، أي بجزء من الليل. وقوله: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ،[5] أي بجزء منه. *والله أعلم*. ثم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبّه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه[6] في الدنيا. فذلك -والله أعلم- أن سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايتَه؛ إذ قد يَرغَب مَن كان جنسه ونوعه في ذلك، ويَحسُن ذلك عنده. فإذا كانت الرغبة قد تقع[7] لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح نهايته.[8] وأما ظلمة الليل فإن الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة فيها بحال. لذلك شبه وجوه أهل النار بها. *والله أعلم*.

**﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾**[٢٨]

**ويوم نحشرهم جميعا**، قال أهل التأويل: يعني العابد والمعبود الذي[9] عبدوا[10] دونه. ولكن [معناه عندنا] نحشر الخلائق جميعا. **ثم نقول للذين أشركوا مَكانَكم أنتم وشركاؤكم**. وقوله عز وجل: **مَكانَكم أنتم وشركاؤكم**، هذا الحرف هو حرف وعيد. يقال: مَكانَكَ أنت كذا. وإنْ[11] كان هذا الحرف يجوز أن يُستعمل في الكرامات وبِرّ[12] بعضهم[13] بعضا

---

[1] ن: من الله.
[2] م - ذلك.
[3] سورة يونس، ١٠/١٨.
[4] قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.
[5] ن - وقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل. وانظر: سورة هود، ١١/٨١؛ وسورة الحجر، ١٥/٦٥.
[6] ع - على ما يكون من سواد الوجوه.
[7] ن: قد تنفع.
[8] م: غايته.
[9] ن ع م: الذين.
[10] ع - عبدو .
[11] م: وإن.
[12] م: دبر.
[13] ع: وبعضهم.

ولكن إنما يُعرَف ذا مِن ذا بالمقدِّمات. فما تقدّم هاهنا يدل أنه لم يرد به الكرامة، ولكن أراد به الوعيد. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **فَزَيَّلْنا بينهم**، قيل: فرّقنا بينهم وميّزنا[1] بينهم،[2] أي بين العابد والمعبود. ثم يحتمل التفريق بينهم وجوها. أحدها فرّقنا بينهم في الحساب مما عَمل ومما صَحِب.[3] والثاني يحتمل فرّقنا بينهم لِما طمعوا بعبادتهم إياها الشفاعة،[4] أن يكونوا لهم شفعاء عند الله. ففرّق بينهم في الشفاعة. ويحتمل فرّقنا بينهم فيما ضلّ عنهم ما كانوا يَفْتَرُون.[5] فصار ما عبدوا ترابا، وهم في النار.

وقوله عز وجل: **وقال شركاؤهم**، يحتمل قوله: **شركاؤهم**،[6] سماهم[7] شركاء وإن لم يكونوا شركاء في الحقيقة[8] لِما عندهم[9] أنهم شركاء. كما سمى الأصنام آلهة لِما عندهم أنها[10] آلهة. والثاني **شركاؤهم**، لِما أشركوها في العبادة فهم شركاؤهم. **والله أعلم**.

وقوله: **وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون**، يُنطِق الله عز وجل هذه الأصنام يوم القيامة وإن لم يكن في خِلقَتها النطق في الدنيا. كقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[11] وقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ،[12] الآية. أنطقهم ليشهدوا عليهم. وقوله:[13] **ما كنتم إيانا تعبدون**، يحتمل الملائكة أن يكونوا هم[14] الذين أنكروا؛ لأن منهم من يعبد[15] الملائكة.

---

[1] ع: وميزانا.
[2] م – وميزنا بينهم.
[3] قال الشارح السمرقندي: «يحتمل فرقنا بينهم في وقت الحساب مع الكفرة [عندما يُسألون] ماذا عملتم، ولمن عملتم، ومن صحبتم في الدنيا؟ وهم صحبوا الأصنام وما عبدوهم، وقد عملوا لهم. فيفرّق بينهم وبين معبوديهم الذين عبدوهم في الدنيا في هذا الوقت» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٩و).
[4] ك: والشفاعة.
[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿هنالك تَبْلُو كل نفس ما أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق وضَلّ عنهم ما كانوا يَفترون﴾ (سورة يونس، ١٠/٣٠).
[6] م – يحتمل قوله شركاؤهم.
[7] ع – سماهم.
[8] ك ن: في الحقيقة شركاء.
[9] ع: لما عندنا.
[10] م – أنها.
[11] سورة الزلزلة، ٩٩/٤.
[12] سورة النور، ٢٤/٢٤.
[13] ن ع م – وقوله.
[14] ع م: عليهم.
[15] ع: من يعبدوا.

أنكروا أن يكونوا عبدوهم،[١] لأن العبادة لآخر إنما تكون عبادة إذا كان من المعبود أمرٌ بها. وكانت عبادتهم الأصنام عبادةً للشيطان لأنه هو الآمر لهم بالعبادة للأصنام. كقوله: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ.[٢] ولا أحد يقصد قَصْدَ عبادة الشيطان. لكنه لمّا كان الآمر لهم / بالعبادة [٣٢٩و]
للأصنام[٣] صار كأنهم عبدوه وإن لم يقصدوه بها. ويحتمل ما ذكر من الإنكار من الأصنام.

﴿فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم**، أي كفى الله[٤] القاضي والحاكم بيننا وبينكم أنّا لم نأمركم[٥] بعبادتنا، وهو العالم بأنّا كنا عن عبادتكم[٦] إيّانا غافلين.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **هنالك تَبْلُو كل نفس**، قيل: عند ذلك. وقيل: يومئذ، أي يوم القيامة. وقوله: **تبلو** وتتلو، بالباء والتاء.[٧] قيل:[٨] [تتلو، أي] تَقْرأ في الصحف ما كُتِب مِن أعمالهم. و **تبلو**، بالباء، من الابتلاء. يقال: بَلَوْتُه وابتليته واحد. وخَبَرْته واختبرته أيضا. وقيل: **تبلو**، تجد وتعلم كل نفس ما قدّمت من الأعمال. وقيل: تُجْزَى كل نفس بما عملت. وقيل: تتلو،[٩] بالتاء أيضا: تتبع كل نفس ما قدّمت من الأعمال.[١٠] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**، قيل: مَلِكِهم الحق. لأن غيره من الآلهة التي عبدوها قد بطل عنهم وضلّ في الآخرة. ويحتمل **ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**، أي حقٌّ ما تجد كل نفس ما قدّمت من أعمالها. أو حقٌّ أن تَقرأ كل نفس ما عملت. **وضلّ عنهم ما كانوا يفترون**،

---

[١] م: يعبدونهم.
[٢] سورة مريم، ٤٤/١٩.
[٣] م: بالأصنام.
[٤] ك - الله.
[٥] ع: لم تأمركم.
[٦] جميع النسخ: بعبادتكم.
[٧] قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاءين من التلاوة. وقرأ الباقون بالتاء والباء من البلوى. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٣/٢.
[٨] ع م: وقيل.
[٩] ن: تبلوا.
[١٠] ع م - وقيل تجزى كل نفس بما عملت وقيل تتلو بالتاء أيضا تتبع كل نفس ما قدمت من الأعمال.

من العبادة للأصنام وقول الكفر. وقوله:[1] **وردُّوا إلى الله مولاهم الحق**، يحتمل وجهين.[2] أي رُدُّوا إلى ما[3] أَعَدّ لهم **مولاهم الحق**. والثاني أي رُدُّوا[4] إلى أمر **مولاهم الحق**، لا إلى أمر الأصنام التي كانوا يعبدونها.

**﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار**، الآية، يُحاجُهم -يعني أهل مكة- في التوحيد والربوبية. وكأن هذه السورة نزلت في محاجة أهل مكة في التوحيد،[5] لأنها مكية. وقوله عز وجل: **قل من يرزقكم من السماء والأرض**، أي من يدبر الرزق في السماء، ومن يدبر في الأرض.[6] يحتمل وجهين. أي من ينزل[7] لكم الرزق من السماء، ومن يستخرج لكم الرزق من الأرض.[8] والثاني **من يرزقكم من السماء والأرض**، أي من يدبر الرزق في السماء، ومن يدبر الرزق في الأرض. ولا أحد[9] يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الأرض. وكذلك لا أحد يملك تدبيره في السماء والأرض سواه. ولا أحد[10] يملك إنشاء السمع والبصر. ولا أحد[11] أيضا يملك إخراج الحي من الميت ولا إخراج[12] الميت من الحي ولا تدبير الأمر. لا يعرفون[13] حقيقة ماهية[14] السمع والبصر ولا[15] كيفيتهما،[16]

---

[1] م – وقوله.
[2] م: الوجهين.
[3] ع م: ردوا ما.
[4] ن ع م: ولثاني ردوا.
[5] ع م – والربوبية وكأن هذه السورة نزلت في محاجة أهل مكة في التوحيد.
[6] ك ن – أي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر في الأرض.
[7] م: من نزل.
[8] ع م – من الأرض.
[9] ك ن: لا أحد.
[10] ن: أحدا.
[11] ن: أحدا؛ م: لا أحد.
[12] ع م – الحي من الميت ولا إخراج.
[13] م: الأمر يعرفون.
[14] ك: مايية؛ ن: مائية؛ ع: مائيته.
[15] ن + ولا.
[16] م: يكتفيهما.

فكيف يملكون إنشاء السمع والبصر ونَصْبَهما. ولا يملك[1] أحد سواه إصلاح ما ذكر إذا فسد ذلك. فأقرّوا أنه لا يملك أحد[2] سوى الله ذلك. وهو قولهم: **فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**. يقول -والله أعلم- إذا عرفتم وأقررتم أنه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم أن له السلطان والقدرة على ذلك **أ فلا تتقون**[3] بوائقه ونقمته. أو يقول: **أ فلا تتقون** عبادة غيره دونه وإشراكَ غيره في ألوهيته وربوبيته.[4] أو يقول:[5] **أ فلا تتقون**، صرف شكره إلى غيره وقد أقررتم أنه هو المنعم عليكم هذه النعم[6] لا من تعبدون[7] دونه. أو يقول -والله أعلم- إذا عرفتم ما ذكر[8] **أ فلا تتقون** مخالفته وعصيانه. فإذا أقرّوا أن الذي[9] يملك تدبير ما بين السماء والأرض هو[10] الذي له[11] السماوات والأرض عرفوا الذي يستحق العبادة والقيام بشكره. فإذا ضيّعوا ذلك جمعهم عليه اسم الضلال. فذلك قوله: فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.[12]

**﴿فَذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[٣٢]**

وقوله: **فذلكم الله ربكم الحق**، أي ذلكم الذي ذُكِر ربُّكم بالحجج والبراهين. **فماذا بعد الحق**، الذي هو حق بالحجج والبراهين، **إلا الضلال**؛ لأن ما لا حُجة[13] له ولا برهان فهو ضلال.[14] وقوله عز وجل: **فأنّى تُصرَفون**، عن عبادته إلى عبادة غيره. أو **فأنّى تُصرَفون**، عن شكر المنعم إلى شكر غير[15] المنعم.[16] أو يقول: فأنّى تَعدِلون من لا يملك ما ذكر بمن يملك. ***والله أعلم***.

---

[1] م: يمكون.
[2] ع: إحدى.
[3] ع م - يقول و لله أعلم إذا عرفتم وأقررتم أنه لا يمك ما ذكر سواه وعرفتم أن له السلطان والقدرة على ذلك أفلا تتقون.
[4] ك - أو يقول أفلا تتقون عبادة غيره دونه وإشراك غيره في ألوهيته وربوبيته.
[5] م: أو يقولون.
[6] ع م - النعم.
[7] ع: من لا تعبدون.
[8] ك: ذلك.
[9] ن - أن الذي.
[10] ع م: وهو.
[11] ع م + ملك.
[12] الآية التالية.
[13] جميع النسخ: لا حجج.
[14] م: الضلال.
[15] ن ع: إلى غير شكر؛ م: أي غير شكر.
[16] ن + إلى غير شكر المنعم.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **كذلك حقّت كلمة ربك**، حَقّت: وجبت. وقيل: **كذلك حقّت كلمة ربك**،[١] على الذين خُتموا بالفسق، **أنهم**[٢] **لا يؤمنون**، أي لا ينتفعون بإيمانهم بعد ذلك.

وقوله: **كلمة ربك**، يحتمل[٣] وجهين. يحتمل[٤] **كلمة ربك**، مواعيد ربك، **على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون**؛ فإن كان على هذا فهو في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون. ويحتمل[٥] **كلمة ربك**، حجج ربك وبراهينه، **على الذين فسقوا**.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٣٤]

وقوله: **قل هل من شركائكم من يَبدأ الخلق ثم يعيده**، قال عامة أهل التأويل: **ثم يعيده**، البعث بعد الموت. أي لا أحد من شركائكم الذين تعبدون يملك بَدْءَ الخلق ولا بعثه. وقال[٦] بعضهم: قوله: **ثم يعيده**، لا يحتمل البعث؛ لأنهم كانوا لا يُقِرّون[٧] بالبعث، فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك. ولكن[٨] قوله: **ثم يعيده**،[٩] ما سوى البشر؛ لأنهم إنما ينكرون[١٠] إعادة البشر، فأما إعادة غيره من الأشياء لا ينكرونه نحو إعادة الليل والنهار وإعادة الأنْزال والنبات[١١] ونحو الأشياء التي يشاهدونها. أي ثم يعيد[١٢] مِثْلَه، الليلَ ليلا مثله، والنهارَ[١٣] نهارا مثله. وكذلك الخلائق تَفنَى ثم يعيد[١٤] مِثلَه. فإذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر.

---

[١] ع – حقت وجبت وقيل كذلك حقت كلمة ربك.
[٢] ن: لأنهم.
[٣] ك: تحتمل.
[٤] ك: تحتمل.
[٥] ن ع م – كلمة ربك مواعيد ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون فإن كان على هذا فهو في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويحتمل.
[٦] ع: قال.
[٧] ع: لا يقرؤن.
[٨] ع + ولكن.
[٩] ن + قال عامة أهل التأويل ثم يعيده البعث بعد الموت أي لا أحد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدء الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل.
[١٠] ن – ما سوى البشر لأنهم إنما ينكرون.
[١١] ع: والساة.
[١٢] ع م: ثم يعيده.
[١٣] ع: والنها.
[١٤] ع: ثم يعيده.

ويحتمل الأمرين جميعا عندنا، البعثَ وأشياءَ مثله؛ لأنه تعليم منه لهم. ألا ترى أنه قال: **قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون**، قيل: تكذّبون بتوحيد الله وقد عرفتم أنه هو[١] بدأ الخلق ثم هو[٢] يعيده، لا أحد يملك ذلك. ألا ترى أنه احتج[٣] عليهم بما يلزمهم[٤] ذلك بقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ،[٥] الآية.

**﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**[٣٥]

وقوله عز وجل: **قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق**، يحتمل قوله: **يهدي إلى الحق**، يدعو[٦] إلى الحق. فإذا كان هؤلاء الأصنام التي تعبدونها[٧] لا يملكون الدعاء إلى شيء فلا يملكون الضر والنفع. ومن الخلائق من لا يملك النفع والضر[٨] ويملك الدعاء إلى خير أو إلى[٩] نفع.[١٠] فهؤلاء دون الخلائق جميعا إذ لا يملكون الدعاء؛ فكيف يملكون النفع والضر؟[١١] يبيّن / عز وجل [٣٢٩ظ] سَفَهَهم بعبادتهم هؤلاء الأصنام لعلمهم أنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا. ويحتمل قوله: **من يهدي إلى الحق**، أي يبيّن ويقيم الدلائل والبراهين على استحقاق العبادة لهم. فإذا[١٢] لم يملكوا الدعاء إلى العبادة لهم فكيف يملكون نصب الدلائل والحجج على استحقاق العبادة؟

**قل الله يهدي للحق**، أخبر أن الله هو الذي يهدي للحق. ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا: هو يملك الدعاء إلى الحق ويقيم[١٣] الدلائل والحجج على ما دعا[١٤] إليه. وهو يستحق العبادة له والربوبية.

---

[١] ع - هو.
[٢] م - هو.
[٣] ك + به.
[٤] جميع النسخ: ما يلزمهم.
[٥] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٨).
[٦] ع: يدعوا.
[٧] م + كيف.
[٨] ع - ومن الخلائق من لا يملك النفع والضر.
[٩] م: وإلى.
[١٠] ك: أو نفع.
[١١] م: لضر والنفع.
[١٢] ع: وإذا.
[١٣] م: ويقيموا.
[١٤] ن ع م: ما دعاه.

**أفمن يهدي إلى الحق**، الذي يبيّن البراهين والحجج، **أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أم مَن لا يَهِدِّي**، أي لا يبيّن ولا يدعو، **إلا أن يُهْدَى**. فإن قيل: ما معنى[1] الاستثناء والصنم[2] وإن هُدِي لا يهتدي؟ قيل: يشبه أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ.[3] يُنْطِقهم الله عز وجل يوم القيامة، فيشهدون عليهم أنهم لم يأمروهم بالعبادة لهم ولا دَعَوْهم[4] لإشراكهم في العبادة. فيكون قوله: **إلا أن يُهْدَى**، لِما أنْ يجعلُهم الله بحيث يهتدون إذا هُدُوا، ويجيبون إذا دُعُوا. **فما لكم كيف تحكمون**، بالجور[5] وصرف العبادة والشكر إلى من لا يملك ما ذكر.[6]

وقوله عز وجل: **أم من لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى**، قال بعضهم: **إلا أن يُهْدَى**، لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وإن[7] هُدِي، ولكن المراد منه الإنسان. وقال بعضهم: **إلا أن يُهْدَى**، إلا أن يُحمَل الصنم ويُوضَع. فأمّا أن يهتدي هو بنفسه فلا. لكن يحتمل ما ذكرنا أنه[8] إذا صيّره بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق وأذن له في النطق احتمل الإجابة والاهتداء. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **وما يتّبع أكثرهم إلا ظنا**، قال بعضهم: هذا في الأئمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الأصنام والأوثان وقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[9] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[10] ونحو ذلك من القول. يقول: ما يتبع[11] أكثرهم في عبادتهم الأصنام[12] بأنهم يكونون لهم شفعاء[13] عند الله إلا ظنّا ظنّوه. وقال بعضهم: هذا في الأتباع والعوام ليس في الأئمة.

---

[1] ع: ما معنا.
[2] جميع النسخ: وهي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[3] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ٢٨/١٠).
[4] م: ادعوهم.
[5] ع: بالجوز.
[6] ك: ذلك.
[7] ن: أو إن.
[8] ع م – أنه.
[9] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[10] سورة يونس، ١٨/١٠.
[11] ن: ما يقع.
[12] ن ع م – الأصنام.
[13] ع: شفعائنا.

وذلك أن الأئمة قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم والآيات التي جاء بها رسول الله. لكن ما قالوا: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[١] و مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[٢] و إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[٣] ونحو ذلك من الكلام أرادوا أن يُلَبِّسوا على العوام ويُشَبِّهوا عليهم، فاتبع العوام الأئمة[٤] فيما قالوا: إنه كذا[٥] وإنه كذا، وصدّقوهم. يقول: **وما يتبع أكثرهم**، الأئمة في ذلك، **إلا ظنا**، ظنوا. ويشبه أن يكون قوله: **وما يتبع أكثرهم**، يعني أهل مكة. أي ما يتبع أكثر أهل[٦] مكة[٧] الأوائل والأسلاف في عبادة الأصنام والأوثان، **إلا ظنا**؛ لأنهم عبدوا الأصنام ويقولون: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ،[٨] الآية، و [وَجَدْنَا] آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ.[٩]

ثم أخبر: **إن الظن لا يغني من الحق شيئا**، أي الظن لا يدرك به الحق. إنما يدرك الحق[١٠] باليقين. **إن الله عليم بما يفعلون**، وهو حرف وعيد، ليكونوا[١١] أبدا على حَذَر.

**﴿وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣٧]

وقوله عز وجل: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[١٢] فيقول: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، كقوله: قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ -أي ما أتبع-[١٣] إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ.[١٤] وقال بعضهم: إن كفار قريش قالوا: إن محمدا افترى هذا القرآن من عند نفسه وتقوّله[١٥] من نفسه، فقال: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، أن يُضاف إلى غيره أو يُختَلَق.

---

[١] نظر مثلا: سورة الأنعام، ٧/٦.
[٢] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[٣] سورة ص، ٧/٣٨.
[٤] ع م: العوام إلى الأئمة.
[٥] م – إنه كذا.
[٦] ع – ما يتبع أكثر أهل؛ م – مكة أي ما يتبع أكثر أهل.
[٧] ع م + أهل.
[٨] سورة الزخرف، ٢٢/٤٣.
[٩] سورة الشعراء، ٧٤/٢٦. والآية وإن كانت في قوم إبراهيم عليه السلام فإن شأن المشركين واحد في كل زمان.
[١٠] ع م – إنما يدرك الحق.
[١١] ك: لتكونوا.
[١٢] سورة يونس، ١٥/١٠.
[١٣] ن ع – أي ما أتبع.
[١٤] سورة يونس، ١٥/١٠.
[١٥] م: وتقول.

[٣٢٩ظ س ٣١ *وقوله عز وجل: **وما كان هذا القرآن أن يُفتَرى من دون الله**، يخرج على وجهين. أحدهما ما كان هذا القرآن بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طَوْق[1] البشر ووُسعهم، فذلك[2] بالذي يُحِيله كونَه مفترى بجوهره. والثاني لِما أودع فيه من الحكمة[3] والصدق [الذي] يدل على كونه من عند الله. إذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب ٣٢٩ظ س ٣٤] ويحتمل الاختلاف.*

**ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه**، أي يصدّق هذا القرآن الكتب التي كانت من قبل. ولو كان محمد هو الذي افتراه واختلقه[4] من عند نفسه لكان خرج هو وسائر الكتب المتقدمة[5] مختلفا.[6] إذ لم[7] يعرف محمد سائر الكتب المتقدمة؛ إذ كانت بغير لسانه. ولم يكن له اختلاف إلى من يعرفها ليتعلم. ثم خرج هو أعني القرآن مصدِّقا وموافقا لتلك[8] الكتب.[9] دل أنه من عند الله جاء. كقوله: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[10] الآية.*

**وتفصيلَ الكتاب لا ريب فيه**، قيل: فيه بيان الكتب التي نزلت قبله. وتمامه[11] أن هذا وإن كان في اللفظ مختلفا فهو في الحكمة والصدق مبيّن موافق للأول. وقيل: **وتفصيل الكتاب**، أي تفصيل[12] ما كتب لهم وما عليهم. أو أن يُقال: إلى الله[13] تفصيل الكتب ليس إلى غيره،[14] **لا ريب فيه**، أنه، **من**، عند، **رب العالمين**. أو يقول: مُفَصَّل من اللوح المحفوظ.

---

[1] ع: عن طول.
[2] ك + فذلك.
[3] م: فيه الحكمة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٢٩ظ/سطر ٣١-٣٤.
[4] م: واختنفه.
[5] م: المقدمة.
[6] ك ن: مختنقا.
[7] م: إذا لم.
[8] م – لتلك.
[9] م: لكتب.
[10] ﴿وما كنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِه من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارْتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٢٩ظ/سطر ٣١-٣٤.
[11] أي وتمام هذا الكلام. انظر: شرح *التأويلات*، ٣٧٠ظ.
[12] ك – أي تفصيل.
[13] ن – إلى الله.
[14] ك: إلى الله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله**، يقول: إن كان محمد[١] افتراه من عند نفسه، **فأتوا**، أنتم، **بسورة مثله**؛ إذ لسانه ولسانكم واحد. فأنتم قد عُرِفتم بالفِرْيَة والكذب، ومحمد لم يُعرَف به قط، ولا أُخِذ عليه بكذب قط.[٢] فأنتم أولى أن تأتوا **بسورة مثله**.

**وادعوا / من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**، اختلف فيه. قال بعضهم: ادعوا بآلهتكم [٢٣٠و]
التي تعبدونها ليعينوكم على إتيان مثله. وقال بعضهم: **ادعوا من استطعتم**، أي بمن لسانه مثل لسانكم ليعينوكم على ذلك. أو يقول: استعينوا بدراسة[٣] الكتب لتقدروا[٤] على مثله، **إن كنتم صادقين**، أن محمدا افتراه من نفسه. فدل ترك اشتغالهم بذلك على أنهم قد عرفوا أنه ليس بمفترى[٥] وأنه سماوي.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**، قال بعضهم: ما لم يحفظوا نظمه ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبّروا ليعلموا معناه، بل كذّبوه[٦] بالبديهة. والشيء إنما يُعرَف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكّر والتدبّر لا بالبديهة. فذلك -والله أعلم- تأويل قوله: **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**. والثاني **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**،[٧] أي كذّبوا[٨] على علمٍ منهم أنهم كَذَبَة فيما يقولون ويتقوّلون[٩] أنه مُفْتَرَى[١٠] ليس بمُنَزَّل.

**ولمّا يأتهم تأويله**، أي ولمّا يأتهم العلم بتأويله، أي بتأويل القرآن. ومعناه -والله أعلم- أنهم كذّبوه من غير أن حفظوا نظمه ووَعَوْا لفظه ولا أتاهم العلم بعاقبته وآخره. وقيل:[١١]

---

[١] ع م: محمدا.
[٢] ع - ولا أخذ عليه بكذب قط.
[٣] ع م: بدراسته.
[٤] جميع النسخ: ليعينوكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[٥] ع م: بمفتر.
[٦] ن: بل كذبوا.
[٧] ك - والثاني بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.
[٨] م: بعلمه كذبوا.
[٩] م: وينقلون.
[١٠] م: مفتر.
[١١] م: قيل.

التأويل هو رد كل شيء إلى أوّليّة الأمر. وقالت الحكماء: التأويل آخِرُ كل فعلٍ هو قُصِدَ في أوّله، وقَصْدُ كل شيء في أوّله[1] هو آخِر في فعله، أو نحوه.[2] وقال بعضهم: **ولمّا يأتهم تأويله**، قال: ما وعد الله أن يكون قبل أن يكون. وقال ابن عباس رضي الله عنه: تأويل القرآن بما يكون منه في الدنيا[3] وبما يكون منه يوم القيامة؛ وهو العذاب الذي وعد.[4] وقال بعضهم: **تأويله**: ثوابه؛ وقيل: عاقبته. وقال الواقدي:[5] أي لم[6] يأتهم عاقبةُ بيانِ ما وعد الله في القرآن في الآخرة من الوعيد. وأصل التأويل[7] هو النظر إلى ما يَئُول [إليه] عاقبةُ الأمر.

وقوله عز وجل: **كذلك كذّب الذين من قبلهم**، أي كذلك كذّب[8] الأمم السالفة رسلهم كما كذّب كفار مكة رسولهم. أي لست أنت بأوّل مُكذَّب، بل كُذِّب من كان قبلك من إخوانك. ليكون له التسلّي عما هو فيه من تكذيبهم إياه وردّهم عليه[9] أنه ينزل بهم ما نزل بأولئك إن هم أقاموا على ما هم عليه. والثاني أن يكون الخطاب وإن[10] كان خارجا لرسول الله فهو راجع إلى قومه، يأمرهم بالنظر فيما نزل بالأمم السالفة وأن يتأمّلوا أحوالهم، ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**، بالتكذيب. أي كيف [كانوا] يعاقَبون ويعذَّبون. ***والله أعلم***.

---

[1] ع + في أوله.

[2] لعل المقصود أن التأويل هو الغاية والنتيجة التي يريدها الإنسان ويتوقع حصولها من الفعل قبل أن يفعل ذلك الفعل.

[3] ع + وبما يكون منه في الدنيا.

[4] روي مختصرا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٨١/٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٤٧/٢.

[5] هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، نزيل بغداد، صاحب التصانيف. وهو رأس في علم المغازي والسير. كان من أوعية العلم، لكنه لا يتقن الحديث. وكان يروي عن كل ضَرْب، فلذلك ضعفه المحدثون. ولي قضاء بغداد. وكانت له رئاسة وجلالة. ت. ٢٠٧هـ/٨٢٢م. انظر: *تذكرة الحفاظ* للذهبي، ٣٤٨/١؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٥٤/٩-٤٦٩؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٩٨.

[6] ك: إن لم؛ م: الواقدي لم.

[7] ن: لتأويل.

[8] ن: أي كذب.

[9] ن – عليه.

[10] ع: فإن.

**﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾** [٤٠]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يؤمن به**، قيل: من أهل مكة،[١] **ومنهم من لا يؤمن به**، يحتمل بالرسول،[٢] ويحتمل بالقرآن.[٣] ثم يحتمل قوله: **من يؤمن به**، أي من قد آمن به،[٤] **ومنهم من لا يؤمن به**،[٥] أي من لم يؤمن به. ويحتمل على الوعيد[٦] فيما يستقبل، أي **منهم**: مِن أهل مكة، **من يؤمن** بهذا القرآن، **ومنهم من لا يؤمن به**. وهم كذلك كانوا، منهم من قد آمن به، ومنهم من لم يؤمن به. وقال بعضهم: هي[٧] في اليهود، ليست في أهل[٨] مكة. وظاهره أن يكون[٩] في كفار[١٠] مكة. وعلى ذلك قول عامة أهل التأويل. كأن[١١] هذا[١٢] يخرج على البِشارة أنّ منهم من يؤمن به، لئلا يقطع[١٣] ويمنع دعاءهم. وأخبر أن منهم من لا يؤمن به، يُؤيِسُه[١٤] حتى لا يشتد حزنه على كفرهم. وجائز أن يكون هذا: أي منهم من قد يولَد من بعد ويؤمن،[١٥] ومنهم من يولد فلا يؤمن.

وقوله عز وجل: **وربك أعلم بالمفسدين**، يشبه[١٦] أن يكون معناه أي على علمٍ بما يكون منهم من الفساد. خَلَقَهم وأنشأهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علمٍ بذلك. لِما لا يضره فسادُ مُفسِد ولا ينفعه صلاحُ مُصلِح. إنما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم. ويحتمل أن يكون على الوعيد. أي عالمٌ بفسادهم، فيجزيهم جزاء فسادهم.[١٧] *والله أعلم*.

---

[١] م + من يؤمن بهذا القرآن ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد آمن به.
[٢] جميع النسخ: الرسول.
[٣] جميع النسخ: القرآن.
[٤] م – ومنهم من لا يؤمن به يحتمل الرسول ويحتمل القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به أي من قد آمن به.
[٥] ك – يحتمل الرسول ويحتمل القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به أي من قد آمن به ومنهم من لا يؤمن به.
[٦] ك: على الوعد.
[٧] م: وهي.
[٨] م: من أهل.
[٩] ك: أنه يكون.
[١٠] ع: في كفارة.
[١١] ك: كأنه.
[١٢] ع: ذلك.
[١٣] ع: لا تقطع.
[١٤] ن: يوئسه.
[١٥] ع م: ومن يؤمن.
[١٦] م: ويشبه.
[١٧] م: الفساد.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤١]

وقوله: **وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم**، تأويله -والله أعلم- أي إن[١] كَذّبتُ فيما أخبرتكم أنه جاء من عند الله فلي عملي،[٢] أي فعليَّ عملي فيما أبلغكم. أي فعليَّ وزر عملي. **ولكم عملكم**، أي فعليكم جرم ما رددتم عليّ فيما بلّغتكم عن الله. وهو كقوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ،[٣] أي عليّ جرم ما افتريت إن افتريت، وعليكم جرم ما رددتم عليّ فيما بلّغتكم عن الله.[٤] ويحتمل ما قاله[٥] أهل التأويل: **لي عملي**، أي لي ديني، **ولكم عملكم**، أي لكم دينكم.

**أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**، تأويله -والله أعلم- أي أنا لا أؤاخذ بما دِنْتُم أنتم ولا أنتم تؤاخذون[٦] بما دِنْتُ أنا وعملت.[٧] وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٨] الآية، وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ -الآية- وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ،[٩] الآية، وكقوله: لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا،[١٠] الآية.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤٢]
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمعون إليك**، أخبر أن منهم من يستمع إليه، يعني إلى رسول الله وإلى ما يتلو من القرآن، لكنه لا يؤمن.[١١] يخبر[١٢] أنه لا كل مستمع إلى شيء ينتفع بما يستمع أو يعقل ما يستمع ويفهم. إنما ينتفع بالاستماع ويعقل على قَدْر[١٣] المقصود والحاجة إليه.

---

[١] ن: أعلم إن.
[٢] ع: فعلي عمل.
[٣] سورة هود، ٣٥/١١.
[٤] ك ن - علي فيما بلغتكم عن الله.
[٥] ن: ما قال.
[٦] ن ع م: مؤاخذون.
[٧] م: عملت.
[٨] ﴿ولا تَطْرُدِ الذين يدعون ربهم بالغَداة والعَشِيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).
[٩] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).
[١٠] ﴿قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ (سورة سبأ، ٢٥/٣٤).
[١١] م - لا يؤمن.
[١٢] ك: أخبر؛ ع: يخبر.
[١٣] م: ويعقل قدر.

فهم[1] كانوا يستمعون لمَعانٍ: مرةً يستمعون لقبول[2] القول منهم والمنزلة. ومنهم من كان يستمع إليه ليُسمِع غيرَه، كقوله: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ.[3] ومنهم من كان يستمع[4] ويطيعه في ذلك، فإذا خرج[5] من عنده غيّره وبدّله. كقوله: وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا [٣٣٠ظ] مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ.[6] ومنهم من كان[7] يستمع إليه استهزاءً منه وطلبَ الطعن فيه والعيب. كانوا مختلفين في الاستماع.

ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين. أحدهما ما ذكرنا أنهم لمّا لم ينتفعوا بأسماعهم وعقولهم وأبصارهم وبهذه الحواس انتفاعَ من ليست له هذه الحواس نفى عنهم ذلك؛ إذ هذه الحواس[8] إنما جعلت لينتفع بها لا لتُترَك سُدًى[9] لا يُنتفع بها. والثاني كأن العقل والسمع والبصر وهذه منها ما يكون[10] مكتسبا بالاكتساب، ومنها ما يكون غريزة. فهم تركوا اكتساب الفعل الذي جعل مكتسبا، فنفى عنهم لما تركوا اكتساب ذلك. يحتمل نَفْي هذه الحواس لهذين الوجهين اللذين ذكرتهما. *والله أعلم*.[11]

ثم نفى عمن لا يستمع العقل، حيث قال: **لا يعقلون**، ونفى عنهم الاهتداء والإبصار بترك النظر، فقال:[12] **أفأنت تهدي العُمْيَ ولو كانوا لا يبصرون**، لأن[13] بالبصر يُوصَل إلى اهتداء الطرق والسلوك فيها. ألا ترى أن البهائم قد تبصر الطرق وتسلك فيها[14] وتتقي بها المهالك، ولا تعقل لما ليس[15] لها سمع العقل. فلا تعقل لِما يَسمع القلبُ بعقلٍ، وبظاهر البصر تُبصِر الأشياء.[16]

---

[1] جميع النسخ: ومنهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[2] م: بقبول.
[3] ﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكَذِب سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).
[4] ك ن: يسمع؛ م: يسمعه.
[5] ع: فأخرج.
[6] سورة المائدة، ٨١/٥.
[7] ن: من قال.
[8] ع م – نفى عنهم ذلك إذ هذه الحواس.
[9] م: هدى.
[10] جميع النسخ: وهذه يكون منها.
[11] ن – والله أعلم.
[12] ن ع م: وقال.
[13] ك: كان.
[14] جميع النسخ: بها.
[15] م: ما ليس.
[16] وعبارة الشارح هكذا: «فلا تعقل لِما يَسمع القلبُ بالعقل ويبصر به. وبظاهر البصر تُبصِر الأشياء، وبظاهر السمع تسمع الألفاظ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧١و).

**﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.** يخبر أن ما حلّ بأولئك من عذاب استئصال وعقوبة إنما حلّ[1] بظلمهم لا بظلم[2] من الله تعالى.

**﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار**، قال: في قبورهم. **يتعارفون بينهم**، إذا خرجوا من قبورهم. وقال بعض أهل[3] التأويل: **كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار**، في الدنيا. وأصله: كأنهم استقلّوا طول مقامهم في الدنيا وما أُنعِموا فيها لما عاينوا من أهوال ذلك اليوم وشدائده. أو استقلّوا لُبْثَهم في الدنيا[4] ومُقامهم لطول مقامهم[5] في الآخرة في العذاب.[6] وفيه وجه ثان؛ وهو أنه يَذكر من شدة سَفَهِهم وغاية جهلهم أن [استقلّوا][7] ما يَعِدُهم من الحشر والعذاب الأبد كأنهم لا يلبثون[8] فيها إلا ساعة من النهار، حتى لا يُبالون ما يلحقهم من ذلك وما يستوجبون عليه من العذاب باكتسابهم تلك الأسباب.

وقوله عز وجل: **يتعارفون بينهم**، أي يعرف بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم بعضا،[9] كقوله: وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[10] وعلى قدر ما يتبرّأ بعضهم من بعض.[11] ثم يفرق بينهم، كقوله: فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ،[12] أي فرّقنا بينهم.

---

[1] ع – حل.
[2] م – لا بظلم.
[3] جميع لنسخ: بعضهم من أهل.
[4] ك – في الدنيا.
[5] ع – لطول مقامهم.
[6] جميع النسخ + واستقلوا.
[7] من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[8] ع: لا يبثوا؛ م: لا يببسون.
[9] م: بعضهم عبى نعض.
[10] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مَوَدَّةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).
[11] ن – عبى قدر ما يلعن بعضهم بعضا كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعبى قدر ما يتبرأ بعضهم من بعض.
[12] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزَيَّلْنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨).

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله**، أي خسروا ما وُعِدوا[1] في الآخرة من النعم الدائمة بترك اكتسابهم إياها؛ إذ قد[2] أُعطوا ما يكتسبون به نعم الآخرة، فاكتسبوا ما به خسروا ذلك. فهو كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[3] أي ما أصبرهم على اكتساب ما به يستوجبون النار.[4]

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وإمّا نُرِيَنَّك بعض الذي نَعِدُهم أو نتوفّينك**، حرف[5] "إمّا" حرف شك، وكذلك حرف "أو". لكن يكون تأويله -والله أعلم- على حذف "إمّا" وإضمار حرف "إن"، كأنه[6] يقول: إن أريناك إنما نُرِيَنَّكَ بعض ما نَعِدُهم لا كل ما نَعِدُهم أو نتوفّينك ولا نُرِيَنَّك شيئا. أو أن يكون قوله [بمعنى]: إنْ نُرِيَنَّك بعض ما نَعِدُهم، أي لقد نُريك بعض ما نَعِدُهم. وهو كقوله: إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً.[7] فعلى هذا التأويل يُرِيه بعض ما يَعِدهم[8] ولا يُرِيهم كل ما وعدهم.[9] وعلى التأويل الأول إن أراه إنما يُرِيه بعض ذلك أو لا[10] يُرِيه شيئا.

فإن قيل: حرف "إمّا" حرف شك، وكذلك حرف "أو". كيف يستقيم[11] إضافته[12] إلى الله وهو عالم بما كان ويكون، وإنما يستقيم إضافته إلى من يجهل العواقب؟

قيل: جميع حروف الشك الذي أضيف إلى الله هو على اليقين والوجوب، نحو حرف[13] "عسى" و"لعل"، ونحو ذلك. فعلى ذلك[14] حرف "إما" و"أو". وهو لم يزل عالما بما كان ويكون في أوقاته.

---

[1] جميع النسخ: بما وعدوا.
[2] م: إذا قد.
[3] ﴿أولئك الذين اشتَرَوُا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصْبَرَهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).
[4] ك ع + والثاني خسروا؛ ن م + والثاني قد خسروا. ويوجد بعده في نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات. لكن لا يوجد في الشرح إلا الوجه الأول، ولا توجد إشارة إلى وجه آخر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧١و.
[5] ك - حرف.
[6] ع م: كان.
[7] ﴿ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعدُ ربنا لمفعولا﴾ (سورة الإسراء، ١٠٨/١٧).
[8] م: ما نعدهم.
[9] ع: وعد لهم.
[10] ك م: ولا.
[11] ك: يستقيم.
[12] أي إضافة الشك.
[13] م: حروف.
[14] ع - فعلى ذلك.

وأما حرف[1] الاستفهام والشك يخرج على مخرج الإيجاب[2] والإلزام على ما ذكرنا في حرف التشبيه.[3] أو أن يكون رسول الله وعد لهم أن يُرِيَهم شيئا، فقال عند ذلك [فيما معناه]: إمّا نُرِيَنَّك بعض ما نَعِدُهم أو نتوفّينك فلا نُرِيَنَّك شيئا، كأنه[4] يقول: ليس إليك ما وعدتهم، إنما ذلك إلينا، كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.[5]

وقوله عز وجل: **فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون**، هذا يحتمل **ثم الله شهيد**، لك يوم القيامة على ما فعلوا من التكذيب بالآيات وردها. وهو كقوله: قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ،[6] الآية. ويحتمل أنه عالم بما يفعلون[7] لا يغيب عنه شيء. وهو وعيد، كقوله تعالى: وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ،[8] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[9] ونحوه. ***والله أعلم.***

**﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤٧]**

وقوله[10] عز وجل: **ولكل أمة رسول**، أي لكل أمة فيما خلا رسولٌ[11] بُعِث إليهم، لست أنا أول رسول بُعِثت[12] إليكم، كقوله تعالى: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ.[13]

---

[1] ك: حرم.

[2] ك: على الإيجاب.

[3] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢١٠/٢. ويقول السمرقندي رحمه الله شارحا: «وهذا لأن الألفاظ [و]إن كانت موضوعة لغة لذلك لكنها تستعمل عند أرباب اللسان أيضا للوقوع والإيجاب دون الشك أيضا. فإذا أضيفت إلى الله يجب حملها على ما يليق به. وهو كما ذكرنا في نسبة ألفاظٍ الى الله توجب التشبيه من حيث الظاهر من العين واليد والإتيان والمجيء ونحو ذلك. [فهذه الألفاظ] وإن كانت في وضع اللغة لمعان لا تجوز على الله تعالى ولكنها لما استعملت لمعان على المجاز تجوز إضافتها إليه وتليق بصفاته صُرفت إلى ما يُحتمل [عليها]. فهاهنا كذلك. والله أعلم. (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧١و).

[4] ع م – كأنه.

[5] ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).

[6] ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ (سورة الأنعام، ١٩/٦).

[7] ع م: يفعل.

[8] سورة البقرة، ٩٦/٢؛ وسورة آل عمران، ١٦٣/٣؛ وسورة المائدة، ٧١/٥.

[9] سورة البقرة، ٢٩/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦؛ وسورة الحديد، ٣/٥٧.

[10] ع: قوله.

[11] م + الله.

[12] ع م: بعث.

[13] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.

**فإذا جاء رسولهم قُضِيَ بينهم بالقسط**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **فإذا جاء رسولهم قُضِيَ بينهم بالقسط**، أي يُقضَى[١] بين الرسل[٢] وبين الأمم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة إليهم والدعاء إلى دين الله، ومن الأمم من التكذيب للرسل والرد للآيات. **قُضِيَ بينهم**، بالعدل، **وهم لا يظلمون**، لا يُزاد على ما كان ولا يُنقَص. ويحتمل قوله: **قُضِيَ بينهم**، أي يُهلَك المكذّبون منهم ويُنجى[٣] الرسل[٤] ومن صدّقهم،[٥] كقوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا،[٦] الآية. ويجوز أن يُقضَى / بين المعرضين وبين المجيبين والمطيعين يوم القيامة. [٢٣١و]

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، وذلك أنه لمّا أوعدهم العذاب حين[٧] قال: وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ،[٨] من العذاب، فقالوا: **متى هذا**، العذاب[٩] الذي تُوعِدنا[١٠] يا محمد إن كنت صادقا بأن العذاب نازل بنا في الدنيا. وهو على التأويل الثاني الذي ذكرنا: لقد نُرِيَنَّك بعض ما وعدناهم.[١١]

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤٩]

فقال: **قل لا أملك لنفسي ضَرّا**، أي دفعه[١٢] عنها،[١٣] **ولا نفعا**، ولا أملك أيضا جرّ منفعة إليها. يقول: لا أقدر على أن أدفع عن نفسي سوء[١٤] حين ينزل بي، ولا أملك

---

[١] ع: أي قضي.
[٢] ك: بين المرسل.
[٣] ع: ينجى.
[٤] ع م – الرسل.
[٥] ك ن: صدق منهم.
[٦] سورة يونس، ١٠٣/١٠.
[٧] ع م – حين.
[٨] سورة يونس، ٤٦/١٠.
[٩] م: الوعد.
[١٠] ك + هذا.
[١١] م: ما وعدتهم.
[١٢] ن: أو دفعه.
[١٣] ك ع م – أي دفعه عنها.
[١٤] ن ع: سواء.

على أن أسوق إليها حيرا[1] البتّة. فإذا لم أملك هذا كيف أملك إنزال العذاب عليكم؟[2] إنما ذلك إلى الله، هو المالك عليه والقادر على ذلك، لا يملك[3] أحد ذلك سواه. وهو[4] كقوله: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[5]

[٣٣١و س١٦] *ويذكر[6] عجزه في إنزال[7] العذاب عليهم في قوله: **قل لا أملك لنفسي ضَرًا ولا نفعا**.*

وقوله عز وجل: **لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، أي إذا جاء أجلهم لا يقدرون على تأخيره، **ولا يستقدمون**، أي لا يقدرون[8] على تقديمه. ليس على أنهم لا يطلبون[9] تأخيره ولا تقديمه فيسألون ذلك. ولكن لا يؤخَّر إذا جاء ولا يقدَّم قبل أجله. وفيه دلالة أنْ لا يَهلِك أحد قبل انقضاء أجله. وهو[10] رد على المعتزلة، حيث قالوا: مَن قَتَل آخر فإنما قتله قبل أجله. والله يقول: **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، وهم يقولون: يستقدمون. *والله الموفق*.

[٣٣١و س١٤] *ويخبر في قوله: **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، أن عذاب الله إذا نزل[11] وجاء وقته لا يملك أحد[12] تقديمه ولا تأخيره، ولا يحتمل[13] استقدامه ولا استئخاره[14] بالقدر[15] والمنزلة

[٣٣١و س١٦] كما يحتمل[16] ذلك في الدنيا، [أي] التقديم والتأخير بالشفاعة والفداء.*

---

[1] ع: خير.
[2] ك: عيهم.
[3] ك: لا يقدر.
[4] ك: وذلك.
[5] سورة الكهف، ١٨/١١٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٦.
[6] ع: ويذكره.
[7] ع: في انزل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٦-١٧.
[8] ع م: لا يقدرونه.
[9] م: لا يبطلون.
[10] ك: فهو.
[11] ع م: إذا ترك.
[12] ع: أحدا.
[13] ك: ولا يملك أحد.
[14] م: ولا استيئاخاره.
[15] ع: بالقدرة.
[16] ع م: كما لا يحتمل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٤-١٦.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون**، يقول -والله أعلم- أيّ منفعة لكم إن أتاكم عذابه؟ لا منفعة لكم في ذلك، بل فيه ضرر لكم. فاستعجال ما لا منفعة فيه سَفَه وجهل. يُسفِّههم[1] في سؤالهم العذاب.*

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به آلآن**، قيل: أي العذاب إذا نزل[2] بكم، **آمنتم به آلآن؟** يخبر عنهم أنهم إذا نزل بهم العذاب يؤمنون به.[3] ثم يحتمل قوله: **آمنتم به**، أي بالله وبرسوله، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.[4] ثم أخبر أن إيمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب، وهو كقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[5] وقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ.[6] ويحتمل قوله: **آمنتم به**، أي بالعذاب،[7] لأنهم يكذّبون رسول[8] الله فيما يُوعِدهم[9] العذاب، وهم يستعجلون به استهزاءً وتكذيبا، فإذا نزل[10] بهم آمنوا، أي صدقوا بذلك العذاب. يقول:[11] **آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون**، استهزاءً وتكذيبًا أنه غير نازل بكم ذلك.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ع: بسفههم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٤-١٦، وسطر ١٦-١٧.

[2] ع: إذا أنزل.

[3] ع م - به.

[4] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.

[5] سورة المؤمن، ٤٠/٨٥.

[6] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

[7] ك: أي العذاب.

[8] ن: برسول.

[9] ع م: يدعوهم.

[10] ع: فإذا أنزل.

[11] ع: بقول.

[12] ك: ذلك بكم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ثم قيل للذين ظلموا**. قيل: أشركوا في ألوهيته وربوبيته وعبادته غيره. **ذوقوا عذاب الخلد**، لأنهم يخلَّدون فيه. يقال ذلك بعد ما أُدخِلوا النار. **هل تُجْزَوْن إلا بما كنتم تكسبون**، أي لا تُجْزَوْن إلا بما[١] كسبتم في الدنيا.

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **ويَستنبِئُونك**، أي يستخبرونك، **أَحَقٌّ هو**. يحتمل هذا وجوها. يحتمل قوله: **أَحَقٌّ هو**، العذاب الذي كان يُوعِدهم أنه ينزل[٢] بهم على ما قاله[٣] عامة أهل التأويل. ثم قال: **قل إي وربي إنه لحق**، أي **قل**، نعم، **وربي إنه لحق**،[٤] أنه نازل بكم. **وما أنتم بمعجزين**، أي بفائتين عنه ولا سابقين له. ويحتمل قوله: **أَحَقٌّ هو**، ما يدعوهم إليه من التوحيد، كقولهم لإبراهيم: أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ،[٥] الآية. فعلى ذلك قولهم: **أَحَقٌّ هو**. ثم أخبر أنه لحق بقوله: **قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين**، غائبين فائتين عنه. ويحتمل الآيات أو محمدا أو القرآن.

**أحق هو قل إي وربي**، قل[٦] نعم، **إنه لحق**، كقوله: [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ] إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[٧] أخبر أن ما يأمرهم به ويدعوهم إليه ليس هو هزوا[٨] ولا لعبا، ولكنه[٩] حقٌّ أمرٌ من الله تعالى. فعلى ذلك قوله: **أَحَقٌّ هو**.

وقوله عز وجل: **ويَستنبِئُونك أَحَقٌّ هو**، هذا الحرف يحتمل أن يكون من الشاكّين منهم[١٠] في ذلك طلبوا منه أنه حقٌّ ذلك أو لا، ومِن المعاندين استعجال العذاب

---

[١] ك + كنتم.
[٢] ع: نزل.
[٣] ع: ما قوله.
[٤] م – أي قل نعم وربي إنه لحق.
[٥] سورة الأنبياء، ٢١/٥٥-٥٦.
[٦] ن – قل.
[٧] سورة البقرة، ٢/٦٧.
[٨] ك: هزأ.
[٩] ن ع م: لعب ولكن.
[١٠] ك – منهم.

الذي كان يُوعِدهم رسول الله استهزاءً به وتكذيبًا له، ومِن المتبعين له والمطيعين التصديق[١] له[٢] والإيمان به، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا.[٣] كانوا فرقا ثلاثا:[٤] فرقة قد آمنوا[٥] به، وفرقة قد شكّوا فيه، وفرقة قد كذّبوه.

**﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[٥٤]

وقوله عز وجل: **ولو أنّ لكل نفسٍ ظَلَمت ما في الأرض لَافْتَدَت به**، يخبر عنهم أنهم يَفْدُون[٦] ويَبذُلون جميع ما في الأرض لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وإن كان الذي منعهم عن الإيمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها بقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[٧]

وقوله عز وجل: **وأَسَرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب**، / **الندامة** لا تكون إلا سرا[٨] بالقلب؛ [٣٣١ظ] فكأنه قال: حقّقوا الندامة في قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالآيات والعناد في ردها. وقال بعضهم: **وأَسَرّوا الندامة**، أي أظهروا الندامة،[٩] وهو مما يستعمل في الإظهار والإخفاء، كقولك:[١٠] شَعَب: جَمَع، وشَعَب: فَرّق، ونحوه.[١١] وبَعدُ، فإنه إذا أسرّ في نفسه لا بدّ من أن يضع ذلك في آخر ويخبره[١٢] بذلك، فذلك منه إظهار.

وقوله عز وجل: **وقُضِي بينهم بالقسط**، يحتمل قوله: **وقُضِي بينهم بالقسط**، ما يوجبه الحكمة؛ لأن الحكمة توجب تعذيب[١٣] كلِّ كافرِ نعمةٍ وكلِّ قائل في الله ما لا يليق به.

---

[١] ع: لصديق.
[٢] ن - له.
[٣] ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفِقون منها ويعلمون أنها الحق ألَا إنّ الذين يُمَارُون في الساعة لَفِي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٨).
[٤] جميع النسخ: ثلاثة.
[٥] م: فرقة آمنوا.
[٦] ع: يعذبون.
[٧] ﴿إن الذين لا يرجُون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطْمَأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧-٨).
[٨] ع م: الإسرار.
[٩] ع + أي أظهروا الندامة.
[١٠] ع م: كقوله.
[١١] أي قد يأتي اللفظ الواحد لمعنيين متضادين مثل شَعَب. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «شعب».
[١٢] ع: ويخبر.
[١٣] ك - تعذيب.

أو أن يكون تفسير قوله: **بالقسط**، ما ذكر: **وهم لا يُظلَمون**. ويحتمل قوله: **بالقسط**، ما ذكر: ﴿اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ﴾[1] الآية. والقِسْط هو العدل. وهم يومئذ عرفوا أنه كان يقضي بالعدل في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.

**﴿أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **أَلَا إنّ لله ما في السماوات والأرض**، أي إن ما في السماوات والأرض كلهم عبيده وإماؤه ومِلْكُه،[2] لا لمن تعبدون[3] دونه[4] من الأصنام والأوثان. فمِن عند من يملك[5] الدنيا والآخرة اطلبوا ذلك،[6] لا مِن[7] عند من لا يملك. يُبيّن سَفَهَهم في طلبهم الدنيا مِن عند من يعلمون[8] أنه لا يملك ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أَ لَا إنّ وعد الله حق**، في كل وعد ووعيد أنه كائن لا محالة عذابا أو رحمة. **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم. فنفى عنهم العلم وإن عَلِموا لما لم ينتفعوا به. ويحتمل قوله: **لا يعلمون**، أي لم يكتسبوا سبب العلم، وهو التأمّل[9] والنظر في آياته وحججه. ويحتمل نفي العلم عنهم لِما [لم] يُعطَوْا أسباب العلم،[10] فلم يعلموا. فإن كان على هذا فيكونون معذورين. وإن كان على الوجهين الأولين فلا عذر لهم في ذلك.

وفي قوله: **أَلَا إنّ لله ما في السماوات والأرض**، دلالة إثبات البعث من وجهين. أحدهما فيما يَذكر[11] مِن قدرته مِن خَلْقِ السماوات والأرض وما بينهما بغِلَظِها[12] وكثافتها[13] وشدتها وعظم خلقها[14]

---

[1] ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٤).
[2] ك: وملكه وإماؤه.
[3] ك: تعبدونه.
[4] ك - دونه.
[5] ن - من يملك.
[6] جميع النسخ + منه.
[7] ن ع م: لأن من.
[8] ن ع م: من تعلمون.
[9] ع م: التأويل.
[10] ك - وهو التأمل والنظر في آياته وحججه ويحتمل نفي العلم عنهم لما يعطوا أسباب العلم.
[11] ع: تذكر.
[12] ن ع م: بغلظهما.
[13] ع م: وكثافتهما.
[14] ع م: حلقتهما.

وأن تلك القدرة خارجة عن وُسع[1] البشر وتوهمهم.[2] فمَن قدر على ذلك فهو قادر على إحياء الخلق بعد فنائهم. والثاني يخبر عن حكمته من تعليق منافع الأرض بالسماء على بُعد ما بينهما، والإفضال على الخلق بأنواع النعم التي تَكْثُرُ[3] الإحصاءَ، وأنّ كل شيء منها قد وضع مواضعها. فلا يحتمل مَن هذا وصفُه في الحكمة يخلق شيئا[4] عبثا باطلا. ولو كانوا[5] لفناء لا حياة بعده كان يكون خارجا عن الحكمة. فظهر أنه خلقهم لأمرٍ أراد بهم. *والله أعلم*.

**﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[٥٦]

وقوله عز وجل: **هو يحيي ويميت وإليه ترجعون**، أي تعلمون أنه هو أحيا الأحياء وهو يميت[6] الأموات أيضا. وهو كقوله:[7] فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[8] فإذا عرفتم أنه هو يحيي[9] الأحياء وهو يميت[10] الأموات لا غير فاعلموا أنه هو يبعثكم **وإليه ترجعون**. ألزمهم الحجة أوّلا[11] بالكائن، ثم أخبر[12] عما يكون[13] بالحجة التي ذكر.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[٥٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم**، وهو هذا القرآن. قال بعضهم: الموعظة النهي، كقوله: يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا،[14] قيل: نهاكم أن تعودوا لمثله.[15]

---

[1] ع: في وسع.
[2] م: وتوهم.
[3] كَثَر الشيءَ وكَثَّره بمعنى غلبه في الكثرة (*لسان العرب* لابن منظور، «كثر»).
[4] ن ع م: بخلق الشيء.
[5] م: ولو كان.
[6] م: ويميت.
[7] ع م - وهو كقوله.
[8] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢٨/٢).
[9] ك ن م: محيي.
[10] ك ن: مميت.
[11] ع: ولا؛ م: دلالة.
[12] ك: ثم أخبرهم.
[13] ن + عما يكون.
[14] سورة النور، ١٧/٢٤.
[15] ك + أبدًا؛ ع - قيل نهاكم أن تعودوا لمثله

وقال آحرون: الموعظة هي التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب. وقال بعضهم: العظة[1] هي التيّ[2] تُلين كل قلبٍ قاسٍ وتُجلي كل قلبٍ[3] مُظلِم. وفي القرآن جميع ما ذكرنا.[4] فيه النهي، وفيه الدعاء إلى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب، وهو يُلين القلوب القاسية ويُجلي القلوب المُظلِمة إذا تأمّلوا فيه ونظروا وتفكّروا[5] تفكُّر[6] المسترشد وطالب الحق. وقيل: الموعظة[7] هي التي تُلين القلوب القاسية وتُدمع العيون اليابسة وتُجلي الصدور المُظلِمة.

وقوله عز وجل: **وشفاءٌ لما في الصدور**، إن للدين[8] آفات وأَدْوَاء[9] تضرّ به وتُتلفه كما لهذه الأبدان آفات وأمراض تعمل في إتلافها وإهلاكها. ثم جُعلت لآفات[10] الأبدان وأمراضها أدوية يُشفَى بها الأبدان المَئُوفَة[11] المريضة. فعلى ذلك جُعل هذا القرآن شفاء[12] لهذا الدين ودواء[13] يداوَى به،[14] فيذهب بآفات الدين وأمراضه، كما تعمل[15] الأدوية في دفع آفات الأبدان وأمراضها. لذلك سمّاه موعظة وشفاء لما في الصدور.[16] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهدى ورحمة**، قيل: **هدى** من الضلالة **ورحمة** من عذابه. أو يقول: **وهدى ورحمة**، **هدى** أي يدعو[17] إلى كل خير ويهديه إليه،[18] **ورحمة** لمن اتبعه.[19]

---

[1] ك – العظة.
[2] ك – التي.
[3] ع م: قاس.
[4] ع م: ما ذكر.
[5] ع – وتفكروا.
[6] م – تفكر.
[7] ع م + التي.
[8] ن: في الدين.
[9] ك ن م: وداء؛ ع: دواء.
[10] ع: لافاب.
[11] المَئُوف أي الذي أصابته الآفة (*لسان العرب* لابن منظور، «أوف»).
[12] م – شفاء.
[13] م: دواء.
[14] م – به.
[15] ن ع م: يعمل.
[16] ن ع: وشفاء للصدور.
[17] م: أي يدعوا.
[18] ك – إليه.
[19] م: تبعه.

هو هدى[1] ورحمة لمن اتبعه وتمسك به، وعَمًى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه. وهو ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى،[2] وقال: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[3] أي زاد للمؤمنين إيمانا إلى إيمانهم، و فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا،[4] أي زاد للكافرين رجسا[5] إلى رجسهم، ونحوه.[6] **والله أعلم.**

**﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **قل بفضل الله وبرحمته**، قال[7] بعضهم: فضل الله ورحمته القرآن. وقال قائلون:[8] فضل الله القرآن، ورحمته الإيمان. وفيه أنه[9] بإنزال القرآن *مُفْضِل*؛ إذ له أن لا يُنزِل. وفيه أن أهل الفترة يؤاخذون في حال فترتهم.[10] **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **فبذلك / فليفرحوا هو خير مما يجمعون**، أي فرحكم[11] بما ذكر[12] خير[13] مما [٣٣٢و]
تجمعون[14] من الدنيا. وقال بعضهم: قوله: **قل بفضل الله وبرحمته**، إنما خاطب[15] المؤمنين، يقول: **قل**، للمؤمنين، **بفضل الله**، الإسلام، **وبرحمته**، يعني القرآن، **فبذلك**، يعني فبهذا[16] الفضل والرحمة، **فليفرحوا**، يعني المؤمنين، **هو خير مما يجمعون**، يعني مما يجمع الكفار من الأموال من الذهب والفضة[17] وغيره.

---

[1] م - هدى.
[2] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى﴾ (سورة فصلت، ٤٤/٤١).
[3] ﴿وإذا ما أُنزِلَتْ سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).
[4] ﴿وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٥/٩).
[5] ع - أي زاد للكافرين رجسا.
[6] م - ونحوه.
[7] ع: وقال.
[8] ك - قائلون، صح هـ.
[9] ع: آية.
[10] زاد الشارح رحمه الله: «...لأنه لما كان مُفْضِلا في إنزال القرآن دل أنه قد أقام حججا عقلية قبله يتوجه التكليف بها. وإلا فيكون إنزال القرآن أمرًا حتمًا لا يؤاخذون بدونه. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧٢و).
[11] م: أي في حكم.
[12] ع م + هو.
[13] ن: هو.
[14] ن ع: يجمعون.
[15] ن + إنما خاطب.
[16] ع م: فبذلك.
[17] ن - والفضة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق**، يحتمل **ما أنزل الله لكم من رزق**،[١] أضاف إنزاله إلى السماء وإن كانت الأرزاق إنما تخرج من الأرض لما كانت أسبابها متعلقة بالسماء، [بها] يكون نضج الأنزال ويَنْع الأعناب[٢] وإصلاح الأشياء كلها. أعني أسباب الأرزاق مِن نحو المطر[٣] الذي به تُنبت الأرض النبات، وبه تُخرِج جميع أنواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر والدواب، ومِن نحو الشمس الذي بها تَنضُج[٤] الأنزال وبها تَيْنَع[٥] الأعناب وجميع الفواكه ونحوه. أضاف[٦] ذلك إلى السماء لما ذكرنا. وكذلك قوله: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٧] أي أسباب ذلك في السماء، لا أن عين ذلك في السماء. ويحتمل قوله: **ما أنزل الله لكم من رزق**، أي ما خلق الله لكم.[٨] وكذلك جميع ما يُضاف إلى الله إنما يُضاف إليه[٩] بحق الخلق. أي خَلَقَه مُنْزِلا، كقوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[١٠] ونحو ذلك، أي خلق لكم من الأنعام[١١] ما ذكر.[١٢] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فجعلتم منه حراما وحلالا**، قال[١٣] بعضهم: ما حرّموا من البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة وما ذكر في سورة الأنعام والمائدة.[١٤] وقال بعضهم: ما حرّموا للآلهة[١٥] التي كانوا عبدوها،

---

[١] ك – يحتمل ما أنزل الله لكم من رزق.
[٢] ع م: الأعشاب.
[٣] م: مطر.
[٤] جميع النسخ: ينضج.
[٥] ع م: ينبع.
[٦] ن + أضاف.
[٧] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[٨] م – لكم.
[٩] م: إلى الله.
[١٠] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[١١] ك – من الأنعام.
[١٢] ع: ما ذكروا.
[١٣] ع م: وقال.
[١٤] يقول الله تعالى. ﴿ما جعل الله من بَحِيرة ولا سائبة ولا وَصِيلة ولا حَامٍ ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥). ويقول تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطعمها إلا من نشاء بزَعْمهم وأنعام حُرِّمَت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيَجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتةً فهم فيه شركاء سيَجزيهم وَصْفَهم إنه حكيم عليم﴾ (سورة الأنعام، ١٣٨/٦ - ١٣٩).
[١٥] م: الآلهة.

أي جعلوها[1] للأصنام؛ وهو ما ذكر في الأنعام،[2] وهو قوله: وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا،[3] الآية، نحو[4] ما ذكرنا في الآية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قل آلله أَذِنَ لكم أم على الله تفترون**، أي أالله[5] أذِن لكم في تحريم ما حرمتم[6] وتحليل ما أحللتم، **أم على الله تَفْتَرون**، بل[7] على الله تَفْتَرون.[8] وذلك أن هذه السورة[9] نزلت في محاجّة أهل مكة. وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب. وإنما يُوصَل إلى معرفة المحرَّم والمحلَّل[10] بالرسل والكتب والخبر عن الله. وهم[11] لم يكونوا مؤمنين بواحد مما ذكرنا. فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وأنتم لا تؤمنون ما به يُعرَف الحلال من الحرام؟[12] فكيف حرّمتم ما أحلّ لكم أو أحللتم ما حرّم عليكم؟ يخبر عن سفههم وعنادهم وافترائهم على الله. فإذا اجترءوا أن يفتروا على الله [فهم] على غيره[13] أجرأ.[14] *والله أعلم*.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة**. فإن قيل: كيف أُوعِدوا بيوم القيامة وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث؟ قيل: قد ألزمهم الحجة بكون البعث بما أظهر من كذبهم[15] وافترائهم على الله في التحريم والتحليل. فكذلك[16] يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث.

[1] م: أي بعلوها.
[2] ن: في سورة لأنعام والمائدة.
[3] ﴿وجعلوا لله مما ذَرَأَ مِن الحَرْث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يَصِل إلى الله وما كان لله فهو يَصِل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الأنعام، ١٣٦/٦).
[4] ع: ونحو.
[5] م: أي الله.
[6] ن + وتحليل ما حرمتم.
[7] ن: بلى.
[8] ع م – بل على الله تفترون.
[9] ن – السورة.
[10] ك: المحلل والمحرم.
[11] ع: وهي.
[12] ن ع م: والحرام.
[13] جميع النسخ: فعسى عيره.
[14] ن ع: أجره.
[15] ع: ما كذبهم.
[16] ن ع م: فذلك.

وتعدُ، فإنه قد يُوعَد المرء بما لا يتيقّن به[١] ويُخَوَّف[٢] عليه ويُحَذَّر وإن لم يُحِط علمه به، فكذلك هذا. وبَعدُ، فإنه قد جعل في عقولهم ما يُلزِمهم الإيمانَ بالبعث والجزاء للأعمال؛ إذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن يقول: **وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب**، لو خرج الأمر حقا وكان صدقا على ما أخبر رسول الله وقاله[٣] من البعث والجزاء لما اكتسبوا.

وقوله عز وجل: **إن الله لَذُو فضل على الناس**، هو ذو فضل على جميع الناس من جهة[٤] ما ساق إلى الكل من الرزق -كافرِهم ومؤمنِهم- وأنواعِ النعم وما أخّر عنهم العذاب إلى وقت. أو لِما بعث إليهم الرسل والكتب مِن غير أنْ كان منهم إلى الله سابقةُ صُنعٍ يستوجبون به ذلك. ومنه[٥] خُصوصُ فضلٍ على المؤمنين، ليس ذلك على الكافرين. **ولكن أكثرهم لا يشكرون**، لفضله وما أنعم عليهم.

**﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[٦١]

وقوله عز وجل: **وما تكون في شأن**، قال بعض أهل[٦] التأويل: **في شأن**، من أمرك[٧] وحالاتك، **وما تتلو منه من قرآن**، تبلّغهم به[٨] الرسالة. وقال بعضهم: قوله: **وما تكون في شأن**، أي في عبادة، **وما تتلو منه من قرآن**، تبلّغهم به الرسالة، **ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا**، يخاطب[٩] نبيه تنبيها منه وإيقاظا،[١٠] والمراد منه هو وغيره. ألا ترى أنه قال: **ولا تعملون من عمل**، عَمَّهم[١١] جميعا في ذلك،

[١] ك: ويتخوف.
[٢] ك: ويتخوف.
[٣] م: وقال.
[٤] ك ن ع + وهو.
[٥] م + ذلك.
[٦] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[٧] ك ع: في أمرك؛ م: شأن أمرك.
[٨] م - به.
[٩] ع - يخاطب.
[١٠] ع: وإيقاضا.
[١١] ك ع م: عملهم.

يخبر أنكم في كل أمر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل أمر بينكم وبين الناس فالله لكم وعيكم شاهد.[١] وكل عمل تعملون لكم وعليكم **إلا كنا عليكم شهودا**، ينبّههم[٢] ويوقظهم ليكونوا عىى حذرٍ أبدا منتبهين متيقظين. **إذ تُفِيضون فيه**، قال بعضهم: **تُفِيضون فيه**، تأخذون فيه، وقيل: تخوضون فيه، وقيل: تقولون فيه،[٣] وقيل: تُكثِرون[٤] فيه. وكله واحد. ثم يحتمل قوله: **فيه**، في الحق،[٥] ويحتمل في الدين، ويحتمل في القرآن، ويحتمل في رسول الله. يقول: أنا شاهد فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله أو في دينه أو فيما يتلو[٦] عيكم.

* وقال أبو بكر الأصم في قوله: **إذ تُفِيضون**[٧] **فيه**، أي تنتشرون فيه. وتأويله: **ولا تعملون من عمل**، تنتشرون فيه، **إلا كنا عليكم شهودا**.* [٣٣٢ظ س٥ * ٣٣٢ظ س٦]

**وما يَعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ لا يَعزُب**،[٨] أي لا يغيب عنه[٩] ما في الأرض[١٠] ولا في السماء فيما لا أمر فيه ولا[١١] / نهي ولا كُلْفَة، فالذي فيه [٣٣٢ظ] السؤال والأمر والنهي والكُلْفَة أحرى وأولى أن لا يغيب عنه شيء. وقوله عز وجل: **وما يَعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض**، هو تحذير وتخويف بتمثيل لا وعيد بتقرير وتصريح؛ لأن الوعيد على وجهين. أحدهما على التمثيل،[١٢] والآخر على التقرير في عينه والتصريح.[١٣] وقوله عز وجل: **إلا في كتاب مبين**، قيل: ما قلّ[١٤] وما كَثُر **إلا في كتاب**،

---

[١] جميع النسخ: شهودا.
[٢] ن: ينبهم؛ ع م: بينهم.
[٣] ع م – متيقظين إذ تفيضون فيه قال بعضهم تفيضون فيه تأخذون فيه وقيل تخوضون فيه وقيل تقولون فيه.
[٤] ن ع م: يكثرون.
[٥] ع:فيه الحق.
[٦] م: يتىوا.
[٧] ن – وقال أبو بكر الأصم في قوله إذ تفيضون.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٢ظ/سطر ٥–٦.
[٨] م + عن ربك من مثقال ذرة.
[٩] ن + بيان.
[١٠] م – أي لا يغيب عنه ما في الأرض.
[١١] م + ولا.
[١٢] ن ع م: على التمثال.
[١٣] جميع السخ: وتصريح.
[١٤] م: ما قال.

أي إلا في اللوح المحفوظ.[1] ويحتمل **إلا في كتاب مبين**، في[2] الكتب المنزلة من السماء.
*والله أعلم.*[3]*

**﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٦٢] **﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[٦٣]

وقوله[4] عز وجل: **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون [الذين آمنوا وكانوا يتقون]**، قالت المعتزلة: دلت الآية على أن أصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم لو كانوا[5] مؤمنين لكانوا أولياء الله، وإذا كانوا أولياء الله لكان لا خوف عليهم ولا حزن.[6] فإذا كان لا شك أن على أصحاب الكبائر خوفا وحزنا[7] دل أنهم ليسوا بمؤمنين، ولا لهم ولاية الإيمان. لكن التأويل عندنا –والله أعلم– **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون**،[8] في وقت دون وقت.[9] ويجوز أن يكون[10] لأصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت. وليس في الآية أنْ ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره. ويحتمل قوله:[11] **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون**، على ما يكون لأهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن، إنما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم.[12] ويشبه أنْ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**، في الجنة. وهكذا يكون إذا دخلوا الجنة، يَأمَنون عن جميع ما يُنَغِّصهم.[13]

---

[1] ع م + مبين.
[2] م: مبين أي في.
[3] ن – في اللوح المحفوظ ويحتمل إلا في كتاب مبين في الكتب المنزلة من السماء والله أعلم.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ما بين النجمتين متأخرة عن موضعها، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٣٢ظ/سطر ٥-٦.
[4] ن: قوله.
[5] ع: لأنهم كانوا.
[6] ك: ولا هم يحزنون.
[7] جميع النسخ: خوف وحزن.
[8] ك – ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون؛ ع م – دل أنهم ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الإيمان لكن التأويل عندنا والله أعلم ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.
[9] ع – دون وقت.
[10] م – أن يكون.
[11] ك ن – في وقت دون وقت ويجوز أن يكون لأصحاب الكبائر لا خوف عيهم ولا حزن في وقت وليس في الآية أن ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره ويحتمل قوله.
[12] ع: لغافيتهم.
[13] ع م: ما ينفعهم.

وقال بعضهم: **أولياء الله**، هم أهل التوحيد. لكن تلك البشارة وذلك الوعد لأهل[١] التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا، لا لأهل الاعتقاد خاصة.[٢]

[٣٣٢ظ س ٢٩] *وقال بعض أهل[٣] التأويل: **لا خوف عليهم**، من النار، **ولا هم يحزنون**، أن يحرجوا من الجنة أبدا. والوجه[٤] فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.* [٣٣٢ظ س ٣٠]

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، قال[٥] بعضهم: **لهم البشرى في الحياة الدنيا**، الرؤيا الصالحة. وعلى ذلك رويت[٦] الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية، ففسّر بالرؤيا الصالحة.[٧] فإن ثبت فهو[٨] الحق. وقال[٩] بعضهم:

---

[١] ع م: كأهل.

[٢] قال الشارح رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، قالت المعتزلة: دلت الآية على أن أصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين لكانوا أولياء الله، وإذا كانوا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإذا كان لا شك أن على أصحاب الكبائر خوفا وحزنا دل أنهم ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الإيمان. لكن التأويل عندنا -والله أعلم- ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، أي في وقت دون وقت. وليس في الآية أنْ ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره أو في الأحوال كلها. ويجوز أن يكون لأصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت، وهو وقت التوبة أو حال ما يعفو الله تعالى عنهم أو في الجنة إذا ختموا على الإيمان وعُذِّبوا بالنار على قدر ذنوبهم. والمطلق يجوز تقييده بالدليل. ويحتمل قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، ليس لأولياء الله على ما يكون لأهل الدنيا من الخوف والحزن بسبب الأموال والأولاد، إنما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم. والمراد من الأولياء هاهنا هو الخواصّ من المؤمنين على ما يستعمل هذا الاسم فيهم بحكم العرف وإن كان كل مؤمن وليا ولاية الإيمان. والعام يجوز تخصيصه بالعرف واستعمال أهل اللسان. وقال بعضهم: إن أولياء الله اسم لأهل التوحيد جملة. لكن البشارة والوعد لأهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا، لا لأهل الاعتقاد خاصة. عرفنا ذلك بدلائل. فكان المراد من هذا العام هو الخاص. والله أعلم. ويشبه أنْ ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، في الجنة، لقوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ وهكذا يكون إذا دخلوا الجنة، يأمنون عن جميع ما يُنَغِّصهم ويحزنهم. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٢ظ، ونسخة المدينة، ورقة ٤١٥ظ-٤١٦و).

[٣] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

[٤] م: الوجه.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٦٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٢ظ/سطر ٢٩-٣٠.

[٥] ن ع م: وقال.

[٦] ع: رؤيت.

[٧] «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له» (*سنن ابن ماجة*، تعبير الرؤيا ١؛ وسنن *الترمذي*، الرؤيا ٣). وحسّنه الترمذي. وانظر لتفصيل طرق الحديث ورواياته: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٧٤/٤.

[٨] ع: هو.

[٩] م: قال.

لا تحتمل الرؤيا الصالحة، لأنه نَسَق البشرى في الآخرة على البشرى في الحياة الدنيا، ولا شك أنه لا يكون في الآخرة الرؤيا الصالحة.[1] ولكن إن ثبت ما ذكرنا من الخبر[2] فهو ذلك. ويشبه أن يكون البشارة التي ذكر هاهنا نحو قوله: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ،[3] الآية، وقوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[4] وقوله: ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[5] وأمثال ذلك. وقال بعض أهل التأويل: **لهم البشرى في الحياة الدنيا**، يبشرهم الملائكة عند الموت، **وفي الآخرة**، الجنة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **لا تبديل لكلمات الله**، يحتمل **لا تبديل لكلمات الله**، من وعده ووعيده، وذلك مما لا تبديل له ولا تحويل. ويحتمل **لا تبديل لكلمات الله**، القرآن، لا تبديل لما فيه من الوعد والوعيد وغيره. ويحتمل لا تبديل لما مضى من سننه في الأولين والآخرين من الهلاك والاستئصال بتكذيبهم الرسل والآيات،[6] كقوله: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً و تَحْوِيلاً،[7] وقوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ.[8] ويحتمل قوله: **لا تبديل لكلمات الله**، أي لا تبديل[9] للبشرى التي[10] ذكر هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم. ويحتمل لا تبديل لحجج الله وبراهينه. أو لا تبديل لوعد الله ووعيده،[11] ونحوه.[12] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**، أي **ذلك**، البشرى، **هو الفوز العظيم**. أو **ذلك**، الذين لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[13] **هو الفوز العظيم**؛ إذ لا خوف بعده.*

[1] ك – لأنه نسق البشرى في الآخرة على البشرى في الحياة الدنيا ولا شك أنه لا يكون في الآخرة الرؤيا الصالحة.

[2] ن ع م: في الخبر.

[3] ﴿فبشر عبادِ. الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ (سورة الزمر، ٣٩/١٧-١٨).

[4] سورة يونس، ١٠/٢.

[5] سورة الشورى، ٤٢/٢٣.

[6] ن: الآيات والرسل.

[7] ﴿استكبارًا في الأرض ومَكْرَ السَّيِّئِ ولا يَحِيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٣).

[8] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مَضَتْ سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨).

[9] ك: لا لا تبديل.

[10] ك: لبشرى الذي؛ ن ع م: لبشرى الذين.

[11] ك: لوعيد الله ووعده.

[12] م: وفوه.

[13] سورة يونس، ١٠/٦٢.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٢ظ/سطر ٢٩-٣٠.

**﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **ولا يحزنك قولهم**، يحتمل **قولهم**،[١] ما قالوا في الله بما لا يليق به من الولد والشريك. يقول: لا يحزنك ذلك، فإن العزة لله جميعا. ويحتمل قوله: **ولا يحزنك قولهم**، الذي قالوا في القرآن: إنه سحر[٢] وإنه مفترى، أو قالوا في رسول الله: إنه ساحر وإنه يفتري على الله كذبا. ويشبه أن يكون قوله: **ولا يحزنك قولهم**، مكرهم الذي مكروا به وكيدُهم الذي كادوه. ويؤيد[٣] ذلك[٤] قوله: **إن العزة لله جميعا**، أي **إن العزة**، في المكر والكيد، **لله**. وهو كقوله: وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[٥] أي مكره ينقض مكرهم ويمنعه، وكيده يفسخ كيدهم.[٦] فعلى ذلك قوله: **إن العزة لله جميعا**، أي ينقض جميع ما يمكرون بك ويكيدونك. والعزة: القوة. يقول: إن القوة لله ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم الذي هموا بك. **وهو السميع**، لقولهم[٧] الذي قالوا،[٨] **العليم**، بمصالحهم. أو **السميع**: المجيب للدعاء، **العليم**، بما يكون منهم.

**﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض**، أي تعلمون أن **من في السماوات ومن في الأرض** كلهم عبيده وإماؤه، فكيف قلتم: إن فلانا ولده وإن له شريكا، ولا أحد منكم يتخذ من / عبيده وإمائه ولدا ولا شريكا، كقوله: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٩] الآية. فعلى ذلك [٣٣٣و]
هذا. أو كيف يحتمل أن يتخذ ولدا وله ملك ما في السماوات والأرض. وإنما يُتَّخذ في الشاهد الولد لإحدى خصال ثلاث: إمّا للاستنصار على غيره، وإمّا لحاجة[١٠] تمسّه، وإمّا لوحشة[١١] أصابته.

---

[١] ن - يحتمل قولهم.
[٢] ع: إن سحروا.
[٣] ك ن ع: يؤيد.
[٤] ع: بذلك.
[٥] سورة الرعد، ٤٢/١٣.
[٦] م - كيدهم.
[٧] ك - لقولهم.
[٨] ك: قالوه.
[٩] ﴿ضَرَبَ لكم مَثَلاً مِن أنفسكم هل لكم مِن ما ملكت أيمانكم مِن شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواءٌ تخافونهم كَخِيفَتِكم أنفسَكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة الروم، ٢٨/٣٠).
[١٠] ع: الحاجة.
[١١] ع: الوحشة.

فهو غني له ملك السماوات والأرض، لا حاجة تمسّه. فكيف نسبتم الولد إليه والشريك وما قلتم[1] فيه مما لا يليق به. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم. أو يخبر[2] عن غناه[3] عما يأمرهم وينهاهم ويتعبّدهم. أي ليس يأمر وينهى ويتعبّد بأنواع العبادات ويمتحنهم بأنواع المحن لحاجة له أو لمنفعة له في ذلك، ولكن لمنفعة لهم في ذلك.

وقوله عز وجل: **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء [إن يتبعون إلا الظن]**، أي ما يتّبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء الحجج[4] والبراهين أو اليقين بكتاب[5] أو رسول، إنما[6] يتّبعون بالظن والحذر. **وإن هم إلا يَخْرُصون**، أي ما هم إلا يَكْذِبون[7] فيما يتّبعون بدعائهم دون الله؛ لأنهم كانوا أهل شرك، لم يكونوا أهل كتاب ولا آمنوا برسول. فهم[8] قد عرفوا أنهم مفترون كاذبون في اتّباعهم دون الله؛ إذ سبيل معرفة ذلك الكتاب أو الرسول، و لم يكن لهم واحد من ذلك. *والله أعلم*.

**﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصِرا**،[9] يُبصَر فيه. وقال في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ -يعني في الليل- وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ،[10] يعني في[11] النهار. فهو في موضع الامتنان وتذكير[12] النعم، يَستأدي بذلك شكر ما أنعم عليهم.[13] وفيه أن الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير؛ لأنهما لو كانا يجريان على غير تدبير ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سَنَن واحد،[14]

---

[1] جميع النسخ: قالوا.
[2] م: أو يخبره.
[3] ن: عن غنائه.
[4] جميع النسخ: بالحجج.
[5] م: أو الكتاب بيقين.
[6] ع + إنما.
[7] ع: لا يكذبون.
[8] ن – فهم.
[9] ن ع + مبصرا.
[10] سورة القصص، ٧٣/٢٨.
[11] ع م – الليل ولتبتغوا من فضله يعني في.
[12] ع: ويذكر.
[13] جميع النسخ: عليه.
[14] ع – ولا سنن واحد.

ولكان[1] يدخل فيهما الزيادة والنقصان ولا يجريان على تقدير واحد. ولكان[2] يدخل بعضه في بعض. فدلّ جريانهما على تقدير واحد أنهما يجريان على تدبيرِ آخر فيهما؛ إذ لو كان على غير تدبير [لكانا] يجريان على الجُزاف:[3] على الزيادة والنقصان[4] وعلى القلة[5] والكثرة. وفيه أيضا أن مدبرهما واحد؛ لأنه لو كان مدبرهما عددا لكان إذا غلب أحدهما الآخر[6] دام غلبته،[7] ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا. فإذا صار ذلك ما ذكرنا دل أن مدبرها واحد لا عدد.

وفيه دلالة البعث بعد الموت؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء أتلف صاحبه تلفا حتى لا يبقى له أثر ولا شيء منه، ثم يكون مثله حتى لا يختلف[8] الذاهب من الحادث ولا الأول[9] من الثاني. فدل أن الذي قَدَرَ على إنشاء ليل قد ذهب أثره وأصله لَقادرٌ[10] على البعث، ومن قدر على إحداث نهار وقد فني وهلك لقادر على إحداث ما ذكرنا من [الحياة بعد][11] الموت.

وفيه أن الشيء إذا كان وجوبه لشيئين لم يجب إذا عُدِم أحدهما؛ لأنه قال: **والنهار مُبصِرا**، وإنما يُبصَر بنور البصر ونور النهار جميعا. لأنه إذا فات أحد النورين لم يُبصِر [الإنسان] شيئا من النور، نور البصر أو نور النهار. دل أن الحكم إذا وجب بشرطين لا يُوجَب إلا باجتماعهما جميعا. والليل يستر وجوه الأشياء، لا أنه لا يُرَى[12] نفسه، والنهار يكشف وجوه الأشياء. وفي الليل فيما[13] يستر وجوه الأشياء دلالة أنّ الحكم إذا كان وجوبه بشرطين يجوز منعه[14] بعلة واحدة؛ لأنه يستر نور النهار ونور البصر جميعا.

---

[1] جميع النسخ: ولكن.
[2] جميع النسخ: وان كان.
[3] ع: على الحراف. وعلى الجزاف أي بدون حساب ولا تقدير دقيق.
[4] م - ولا يجريان على تقدير واحد ولكان يدخل بعضه في بعض فدل حريانهما عى تقدير واحد أنهما يجريان على تدبير آخر فيهما إذ لو كان عى غير تدبير يجريان على الجزاف على ازيادة والنقصان.
[5] ع م: على القلة.
[6] ن: أحدهما على الآخر.
[7] ع: غبة.
[8] م: حتى يختلف.
[9] م: لا الأول.
[10] م: قادر.
[11] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٧٣و.
[12] ع: ألا يرى.
[13] م - فيما.
[14] ع م: صنعه.

وفي قوله: **جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصِرا،** وجوه من الدلالة. أحدها ما ذكرنا من تذكير النعم، يدعوهم به إلى الشكران[1] وينهاهم عن الكفران. وفيه تذكير القدرة له حيث أنشأ هذا وأحدثه وأتلف الآخر؛ فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء. وفيه دليل السلطان حيث يأخذهم الليل[2] ويستر عليهم الأشياء شاءوا أو أبَوْا. وكذلك النهار يأتيهم[3] حتى يكتشف وجوه الأشياء ويُجلي شاءوا أو أبَوْا. وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتّساق جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد. وفيه دلالة وحدانية منشئهما.[4]

بيّن هاهنا فيما جعل الليل حيث قال: **لتسكنوا فيه،** أخبر أنه جعل الليل للسكون والراحة. فدل ذكر السكون في الليل على أنه جعل النهار[5] للسعي وطلب العيش. ألا ترى أنه قال في النهار: **مُبصِرا،** أي يُبصِرون فيه ما يتعيّشون[6] [به]. وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ]،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون،** ولم يقل: يبصرون. فظاهرُ ما سبق من الذكر يجب أن يقال: لقوم يبصرون؛ لأنه قال: **والنهار مُبصِرا.** لكن يحتمل قوله: **يسمعون،** أي يعقلون، كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ.[8] ويحتمل[9] قوله: **يسمعون،** ما ذكر من الآيات من أول السورة إلى هذا الموضع، **لآيات لقوم يسمعون،** ينتفعون بسماعهم. أو **يسمعون،**[10] أي يجيبون،[11] كقوله [عليه الصلاة والسلام]: «سمع الله لمن حمده»،[12] أي أجاب الله.

---

[1] ن ع: إلى الشكر؛ م: إلى شكره.
[2] م – الليل.
[3] ع م: تأتيهم.
[4] ع: منشئيهما.
[5] ن + مبصرا.
[6] ك ع م: ما يعيشون.
[7] سورة القصص، ٧٣/٢٨.
[8] سورة يونس، ٤٢/١٠.
[9] ع: يحتمل.
[10] ع م – ما ذكر من الآيات من أول السورة إلى هذا الموضع لآيات لقوم يسمعون ينتفعون بسماعهم أو يسمعون.
[11] ع: أي يجيبون
[12] صحيح *البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧١.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني**، قال بعضهم: أرادوا بقولهم: **اتخذ الله ولدا**، حقيقة الولد، كقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ،[١] وقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ -كذا- وَقَالَتِ النَّصَارَى،[٢] كذا. فنزّه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله: **سبحانه هو الغني**، إنه لم يَلد أحدا ولا وُلِد هو مِن أحد. ولهذا قال: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ؛[٣] إذ في الشاهد لا يخلو[٤] إمّا أن يكون وُلِد مِن آخر أو [يكون] والدا.[٥] والخَلق كله لا يخلو[٦] من هذا. فأخبر أنه لم يَلد هو أحدا[٧] ولا وُلِد مِن أحد.

وقوله: **سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما / في الأرض**، تأويله -والله أعلم- [٣٣٣ظ] أن في الشاهد من اتخذ ولدا إنما يتخذ لأحد وجوه ثلاثة: إمّا لحاجةٍ تمسّه أو لشهوةٍ تَغلبه أو لما يَستنصر به على آخر ممن يخافه. فإذا كان له ملك السماوات والأرض وملك ما فيهما، كلهم عبيده[٨] وإماؤه، فلا حاجة تقع له إلى الولد؛ إذ هو الغني، وله ملك ما في السماوات والأرض. ومَن هذا وَصْفُه فلا يحتاج إلى الولد. ولأنه لا أحدَ[٩] في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده وإمائه. فإذا كان اللهُ[١٠] سبحانه الخلائقُ كلهم عبيده وإماؤه كيف احتمل اتخاذ[١١] الولد منهم لو جاز؟ وقد بيّنّا إحالة[١٢] ذلك وفساده. ولأن الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه، كالشريك يكون من شكل الشريك ومن جنسه، فكان في نفي الشريك نفي الولد؛ لأن معناهما واحد. وكل ذي شكل له ضد، ومن له ضد[١٣] أو شكل فإنه لا ربوبية له ولا ألوهية.

---

[١] في نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات. يقول الله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ٥٧/١٦).
[٢] ﴿وقالت اليهود عُزَيْر ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٣٠/٩).
[٣] سورة الإخلاص، ٣/١١٢.
[٤] ك: لا يخ؛ ع م: لا يخلو.
[٥] ن: ووالدا؛ ع م: أو والد.
[٦] ك: لا يخ؛ ع: لا يخلوا.
[٧] ع م: أحد.
[٨] م: عبده.
[٩] ع: ولا أنه لأحد.
[١٠] ن م: لله.
[١١] ن: اتخذ.
[١٢] م: إحالته.
[١٣] ع م - ومن له ضد.

وقال بعضهم: قولهم: **اتخذ الله ولدا**، لم يريدوا حقيقة الولد، ولكن أرادوا منزلة الولد وكرامته. فهو أيضا منفي عنه؛ لأن مَن لا يحتمل الحقيقة أعني حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته. لأن الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه، فإذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة والكرامة دخل[1] فيه عيب[2] الحقيقة.[3]

وقوله عز وجل: **إنْ عندكم مِن سلطان بهذا**، قيل: ما عندكم مِن حجة على ما تقولون [من] أن له ولدا.[4] لأنهم كانوا أهل تقليد لآبائهم وأسلافهم، وكانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب والحجج. وإنما يستفاد ذلك من جهة الرسالة والكتب. وهم كانوا ينكرون ذلك.

وقوله عز وجل: **أتقولون على الله ما لا تعلمون**، أي تقولون على الله: إنه[5] اتخذ الولد،[6] ما تعلمون[7] أنه لم يتخذ.[8]

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٦٩]

**قل إن الذين يفترون على الله الكذب**، هو ما ذكرنا أنهم علموا أنه لم يتخذ ولدا،[9] لكن قالوا[10] ذلك افتراء[11] على الله، **لا يفلحون**، في الآخرة لِما طمعوا في الدنيا بعبادتهم دون الله الأصنام بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[12] وقولهم:[13] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[14] **لا يفلحون**، أي لا يظفرون بما طمعوا في الآخرة.

---

[1] ن: ودخل.
[2] ن ع م: عيبه.
[3] ك - وقال بعضهم قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن أرادوا منزلة الولد وكرامته فهو أيضا منفي عنه لأن من لا يحتمل الحقيقة أعني حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته لأن الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه فإذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة والكرامة دخل فيه عيب الحقيقة.
[4] م: ولد.
[5] ع - إنه.
[6] ك - الولد.
[7] ع: ما لا تعلمون.
[8] أي أتقولون على الله ما تعلمون أنه ليس كذلك.
[9] انظر تفسير الآية السابقة.
[10] م: لكن من قالوا.
[11] ع: افترى.
[12] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[13] ك ع: وقوله؛ م: وقولهم.
[14] سورة يونس، ١٨/١٠.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٧٠]

**متاع في الدنيا**، أي ذلك هم **متاع في الدنيا**، ليس لهم متاع في الآخرة، **ثم إلينا مرجعهم**، يخاطب رسوله بذلك، لم يخاطبهم[1] [قائلا:] إلينا مرجعكم. فهو -والله[2] أعلم- لِما اشتد على رسول الله ما افترَوْا به على الله. يقول:[3] **إلينا مرجعهم**، فنجزيهم جزاء فِرْيَتِهم.[4] والثاني يقول: **إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد**، لا ما طمعوا من الشفاعة عندنا والزُّلْفَى. *والله أعلم*.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ نوح**، أي خبره وحديثه.

[٣٣٣ظ س ٢٣] *وفي قوله:[5] **واتل عليهم نبأ نوح**،[6] وجوه. أحدها اتل مُنابذةَ نوحٍ قومَه وما أرادوا به من الكيد والمكر به. والثاني اذكر عواقب قوم نوح وما حلّ بهم من سوء معاملتهم رسولهم.

[٣٣٣ظ س ٢٥] والثالث اذكر لهؤلاء[7] عواقب متّبعي قومه ومخالِفِيه.[8]*

**إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم مَقامي وتذكيري بآيات الله**، قال بعضهم: **إن كان كَبُرَ عليكم**، طول، **مَقامي**، ومُكثي فيكم ودعائي[9] إياكم إلى عبادة الله والطاعة له، **وتذكيري**، إياكم[10] بآياته. قال بعضهم: **وتذكيري**، بعذابه بتَرْكِكم إجابتي ودعائي. ويحتمل قوله: **إن كان كَبُرَ عليكم مَقامي**، بما أدّعي من الرسالة، **وتذكيري بآيات الله**، أي بحجج[11] الله على ما ادّعيت من الرسالة.*

---

[1] ع: لم يخاطب.
[2] م: الله.
[3] ع: يقولون.
[4] ع: قرينهم.
[5] ع م: في قوله.
[6] ن ع م + فيه.
[7] ع م: لهم لا.
[8] جميع النسخ: ومخالفه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٣ظ/سطر ٢٣-٢٥.
[9] م: دعائي.
[10] م - إياكم.
[11] ع م: أي لحجج.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٣ظ/سطر ٢٣-٢٥.

وقوله عز وجل: **فأَجْمِعوا أمرَكم وشركاءَكم**، قال بعضهم: أي احتمعوا أنتم وشركاؤكم ثم كِيدونِ، **ثم لا يكن أمرُكم عليكم غُمَّةً**، أي اجعلوا ما تسرّون[1] من الكيد والمكر بي ظاهرا غير ملتبس ولا مشتبه.[2] وقال بعضهم: قوله:[3] **فأَجْمِعوا أمرَكم**، أي أَعِدُّوا أمرَكم وادعوا شركاءكم. وكذلك روي في حرف أُبيّ: فأجمعوا أمركم وادعوا[4] شركاءكم. **ثم اقْضُوا إليّ ولا تُنظِرونِ**، أي اقْضُوا ما أنتم قاضون. وقال بعضهم: قوله: **ثم لا يكن أمرُكم عليكم غُمَّةً**، أي لا يَكبُرْ عليكم أمرُكم. وقال الكسائي:[5] هو من التغطية واللَّبْس، أي لا تغطّوه ولا تَلْبِسوه،[6] اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: لا يكن أمركم اغتماما عليكم، أي فرّجوا عن أنفسكم، كقوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **ثم اقْضُوا إليّ ولا تُنظِرونِ**، أي اعملوا بي ما تريدون **ولا تُنظِرونِ**. وهو كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[8] وقال الكسائي:[9] هو من الإنهاء[10] والإبلاغ. وهو كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ،[11] الآية، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ،[12] أي أنهَيْنا إليه وأبلغنا إليه. وقال أبو عَوْسَجَة: إن شئت جعلتها ظُلْمَةً فلا يبصرون أمرَهم، يعني **غُمَّةً**، وإن شئت[13] جعلتها شكًا. واشتقاق الغُمّة من غَمّ يَغُمّ غمًا، أي غطّى يغطّي. تقول: غَمَمْت رأسه، أي غطّيته. **ثم اقْضُوا إليّ**، أي افعلوا بي ما أردتم.

---

[1] ع م: ما تريدون.
[2] ك: ولا مشبه.
[3] ع م - قوله.
[4] م - وادعوا.
[5] ع: الكيساني.
[6] ن: تلبسوا.
[7] ﴿من كان يَظن أنْ لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فلْيَمدُدْ بسببٍ إلى السماء ثم لْيَقطَعْ فلْيَنظُرْ هل يُذهِبَنَّ كيدُه ما يَغيظ﴾ (سورة الحج، ١٥/٢٢).
[8] ﴿قالوا لن نُؤْثِرَك على ما جاءنا من البينات والذي فَطَرَنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٧٢/٢٠). القائلون لهذا الكلام هم سحرة فرعون بعدما آمنوا وهددهم فرعون بالقتل.
[9] ن ع: الكيساني.
[10] ع: من الانهار.
[11] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفسِدُنَّ في الأرض مرتين ولَتَعْلُنَّ عُلُوًا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤/١٧).
[12] ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابرَ هؤلاء مَقطوعٌ مُصبِحين﴾ (سورة الحجر، ٦٦/١٥).
[13] م: إن شئت.

* وقال بعضهم في قوله: **ثم اقْضُوا إليَّ**، أي[1] فافرُغوا إليَّ. يقال:[2] قضى[3] [أي] فَرَغ. [٣٣٣ظ س ٣٩]
وهو قول أبي بكر[4] الأصم. / وقال بعضهم:[5] **ثم اقْضُوا إليَّ**، أي امْضُوا إليَّ،[6] كقوله: فَرَاغَ [٣٣٤و]
إِلَى أَهْلِهِ،[7] و فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[8] ونحوه.* [٣٣٤و س ١]

وفي قول نوح لقومه: **فأَجْمِعوا أمرَكم وشركاءَكم** -إلى قوله- **ولا تُنظِرونِ**، وقول هود: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ،[9] وقول رسول الله: قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ،[10] دلالة إثبات رسالتهم؛ لأنهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين أظهرهم و لم يكن معهم أنصار ولا أعوان. دلّ أنهم[11] إنما[12] قالوا ذلك اعتمادا على الله واتّكالا على معونته[13] ونصره إياهم.*

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر**، التولي اسم لأمرين. اسم للإعراض والإدبار، كقوله: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ.[14] واسم للإقبال والقبول أيضا، كقوله: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[15] الآية، ونحوه. فهاهنا يحتمل الأمرين[16] جميعا.

---

[1] ن - أي.
[2] م: إلي أن يقال.
[3] ك ن - قضى.
[4] ن - أبي بكر.
[5] م: وبعضهم.
[6] ع م - أي امضوا إلي.
[7] ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمين﴾ (سورة الذاريات، ٢٦/٥١).
[8] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٤و/سطر ١.
[9] سورة هود، ٥٥/١١.
[10] سورة الأعراف، ١٩٥/٧.
[11] ن - أنهم.
[12] م - إنما.
[13] جميع النسخ: بمعونته.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٤و/سطر ١.
[14] ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلِك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة، ٢٠٥/٢).
[15] ﴿ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (سورة المائدة، ٥٦/٥).
[16] م: أمرين.

أي **فإن تولّيتم**، أي أقبلتم وقبلتم ما أَعرِضه عليكم وأدعوكم إليه، **فما سألتكم من أجر**، أي ما أجري إلا على الله. وإن كان في الإعراض فكأنه يقول: كيف أعرضتم عن قبوله ولم أسألكم على ذلك أجرا فيكون لكم عذر في الإعراض والرد؟ كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا،[1] الآية،[2] أي لم أسألكم على ما أَعرِضه عليكم وأدعوكم إليه غُرْما حتى يَثقُل عليكم ذلك الغُرْم فيمنعكم ثِقَل الغُرْم عن الإجابة.

ففي هذه الآية وغيرها دلالة منع أخذ الأجر على تعليم[3] القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجر على ذلك لكان لهم عذر أن لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيئا من ذلك. وفي ذلك هدم شرائع الله وإسقاطها. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وأمرت أن أكون من المسلمين**، أي مسلما نفسي إلى الله، أي سالما[4] لا أجعل لأحد سواه فيها حقا ولا حظا. أو أمرت[5] أن أكون من المخلصين لله[6] والخاضعين له. هو[7] يحتمل ذلك كله.

**﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾**[٧٣]

وقوله عز وجل: **فكذّبوه**، يعني نوحا، كذّبه قومه فيما ادّعى من الرسالة أو ما أتاهم[8] من الآيات أو ما أوعدهم[9] من العذاب بتكذيبهم إياه. **فنجيناه**، يعني نوحا، **ومن معه في الفلك**، أي من ركب معه الفلك[10] من المؤمنين. **وجعلناهم خلائف**، يحتمل **خلائف**،[11] خلفاء في الأرض وسكّانا يَخلُف بعضهم بعضا. ويحتمل **جعلناهم خلائف**، أي خَلَف قومٍ أُهلِكوا واستُؤصِلوا[12] بالتكذيب.

---

[1] ﴿أم تسألهم أجرا فهم مِن مَغرَمٍ مُثقَلون﴾ (سورة الطور، ٥٢/٤٠؛ وسورة القلم، ٦٨/٤٦).
[2] ك + أي لم أسألكم على ذلك أجر فيكون لكم عذر في الإعراض والرد كقوله أم تسألهم أجرا الآية.
[3] ن: على تعلم.
[4] م: إلى الله سالما؛ ن + لما.
[5] ع: ولا خطاء وأمرت؛ م: وأمرت.
[6] ك – لله.
[7] ع م – هو.
[8] م: ما أتاكم.
[9] م: ما أودهم.
[10] ع: الملك.
[11] ن – يحتمل خلائف.
[12] ع: أو استوصوا

**وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا**، يحتمل الآيات الحجج[١] والبراهين التي أقامها على ما ادّعى من الرسالة. ويحتمل قوله: **كذبوا بآياتنا**، العذاب الذي أوعدهم بتكذيبهم إياه فيما وعد.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين**، كان أنذر[٢] الفريقين جميعا، المؤمن والكافر جميعا، كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ.[٣] فإذا[٤] كان ما ذكرنا فيكون تأويله: **فانظر كيف كان عاقبة** من أجاب ومن لم يجب. عاقبة من أجاب الثواب، وعاقبة من لم يجب العذاب. ويحتمل **المنذَرين**، الذين لم يقبلوا الإنذار ولم يجيبوا، أي انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستئصال. ويكون تأويل قوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ، أي إنما يقبل الإنذار من اتّبع الذكر، أو إنما[٥] ينتفع بالإنذار من اتبع الذكر، وأمّا من لم يتّبع الذكر لم ينتفع. ***والله أعلم.***

**﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾**[٧٤]

وقوله عز وجل: **ثم بعثنا من بعده رسلا**، أي من بعد نوح رسلا، **إلى قومهم**، أي بعثنا إلى كل قوم رسولا، لا أنه[٦] بعث الرسل جملة[٧] إلى قومهم، ولكن واحدا على إثر واحد. **فجاءوهم بالبينات**، يحتمل البينات الحجج والبراهين التي أقاموها على ما ادّعوا من الرسالة والنبوة. ويحتمل البينات بيان ما عليهم أن يأتوا ويتّقوا. ويحتمل البينات ما أخبروهم[٨] وأنبئوا قومهم بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل**، قال[٩] بعضهم: ما كان كفار مكة ليؤمنوا وليصدّقوا[١٠] بالبينات[١١] كما لم يصدّق به أوائلهم. وقال بعضهم: قوله: **بما كذّبوا به من قبل**،

---

[١] ك: والحجج.
[٢] م: إنذار.
[٣] ﴿إنما تُنذِر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشِّره بمغفرة وأجر كريم﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[٤] ع: فإن.
[٥] م: وإنما.
[٦] م: ألا أنه.
[٧] ع م – جملة.
[٨] جميع النسخ: بما أخبروهم.
[٩] م: وقال.
[١٠] ن ع + بالآيات.
[١١] ن ع: والبينات.

أي قبل بعث الرسل. ففيه دلالة أن أهل الفترة يؤاخذون بالتكذيب في حال الفترة. ويحتمل قوله: **بما كذّبوا به من قبل**، أي من قبل[1] إتيان البينات، أي ما كانوا ليؤمنوا[2] بعد ما جاءوا بالبينات بما كذّبوا به من قبل مجيء البينات.

**كذلك نطبع على قلوب المعتدين**، أي هكذا نطبع على قلوب أهل مكة كما طبعنا على قلوب أوائلهم؛ إذ عَلم أنهم لا يقبلون الآيات ولا يؤمنون بها. والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذي جعل.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل**، هو يخرج على وجهين. أحدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات إذا جاءتهم البينات على السؤال. وهكذا عادتهم أنهم لا يؤمنون بالآيات إذا أتاهم على السؤال. والثاني ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا على علم منهم أنها آيات وأنه رسول. ***والله أعلم***.

**﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾**[٧٥]

وقوله: **ثم بعثنا من بعدهم**، أي من بعد من ذكرنا من الرسل، **موسى وهارون إلى فرعون ومَلَئِه**، بعثهما إلى الملأ وغير الملأ، **بآياتنا**، يحتمل الوجوه التي ذكرنا. **فاستكبروا**، هذا يدل أنهم قد عرفوا أن ما جاءهم الرسل[3] من الآيات أنها آيات، لكنهم عاندوا وكابروا و لم يخضعوا في قبولها، **وكانوا قوما مجرمين**.[4]

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾**[٧٦]

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين**، قال بعضهم: قوله: **فلما جاءهم الحق من عندنا**، أي الحجج والآيات من عندنا، **قالوا إن هذا**، يعنون الحجج والبراهين التي جاءهم[5] بها[6] موسى، **لسحر مبين**، يسمّون الحجج والبراهين سحرا لِما أن السحر عندهم باطل.

---

[1] ع م – أي من قبل.
[2] ع م: يؤمنوا.
[3] م: الرسول.
[4] ع – وقوله ثم بعثنا من بعدهم أي من بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه بعثهما إلى الملأ وغير الملأ بآياتنا يحتمل الوجوه التي ذكرنا فاستكبروا هذا يدل أنهم قد عرفوا أن ما جاءهم الرسل من الآيات أنها آيات لكنهم عاندوا وكابروا و لم يخضعوا في قبولها وكانوا قوما مجرمين.
[5] ك ن: جاء.
[6] ن: بهم؛ ع م – بها.

لذلك قالوا / للحجج: إنها سحر. وذلك تمويه منهم، يُمَوِّهون على الناس لئلا يظهر الحق [٣٣٤ظ]
عندهم فيتّبعوه.[١] وقال بعضهم: **الحق**، هو الإسلام والدين، كقوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ.[٢]
**قالوا إن هذا لسحر مبين**، يعنون الحجج والآيات التي جاءهم بها للدين؛ لأنه جاءهم[٣] بالدين،
وجاءهم أيضا بحجج الدين وآياته. قالوا لحجج[٤] الدين والإسلام: سِحْر.[٥] ففي التأويلين جميعا
سَمَّوْا الحجج سحرا. وقوله: **جاءهم الحق من عندنا**، أي بأمرنا. وكذلك قوله: إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ، أي الإسلام هو الدين[٦] الذي أمر الله به. لا أنه يُفهَم للعِنْد مكان، [وأن الله]
ينتقل من مكان إلى مكان، ولكن معنى العِنْد معنى الأمر. وعلى هذا يخرج قوله: إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ -يعني الملائكة- لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،[٧] أي إن الذين[٨] بأمر[٩] ربك يعبدونه
ولا يستكبرون[١٠] عن عبادته. لِما أنه لم يُفهَم مِن مجيء الحق من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز
أن يُفهَم مِن قوله: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ، المكان أو قُرب[١١] المكان منه. ولكن التأويل ما ذكرنا
أن المفهوم مِن عِنْد الله أمره. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾[٧٧]**

وقوله عز وجل: **قال موسى أتقولون للحق لمّا جاءكم أسحر هذا**، والحق ما ذكرنا.[١٢]
**ولا يفلح الساحرون**، الإفلاح هو الظفر بالحاجة. يقول: **ولا يفلح الساحرون**، أي لا يظفر[١٣]
الساحر[١٤] بالحاجة ولا يَغلب؛ لأن السحر باطل، ولا يغلب الباطل الحق،[١٥] بل الحق هو الغالب،

---

[١] جميع النسخ: فيتبعونه.
[٢] سورة آل عمران، ١٩/٣.
[٣] م: جاء.
[٤] ن: الحجج.
[٥] جميع النسخ: سحرا.
[٦] ك - الدين.
[٧] سورة الأعراف، ٢٠٦/٧.
[٨] ك: أي الذين.
[٩] ع: يأمر.
[١٠] ك ن ع: لا يستكبرون.
[١١] ع م: أقرب.
[١٢] انظر تفسير الآية السابقة.
[١٣] م: لا يظفرون.
[١٤] م - الساحر.
[١٥] ع م - الحق.

والسحر هو المغلوب، على ما غَلب[1] الحق الذي جاء به موسى السحر الذي جاء [به] سَحَرة فرعون. أو يقول: **ولا يفلح الساحرون**، في الآخرة بسحرهم في الدنيا. ويحتمل قوله: **ولا يفلح الساحرون**، بسحرهم في حال سحرهم، كقوله: لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ،[2] و لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ،[3] أي لا يفلحون بظلمهم في حال ظلمهم. وأمّا إذا تركوا الظلم فقد أفلحوا. فعنى ذلك السَّحرة إذا تركوا السحر فقد أفلحوا. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾**[٧٨]

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لِتَلْفِتَنا**، قيل: لتَصرِفنا وتَصُدّنا. قال القُتَبي: لَفَتَ فلانا عن كذا إذا صرفته، والالتفات منه، وهو الانصراف.[4] وقال أبو عَوْسَجة: **لِتَلْفِتَنا**، أي تردّنا وتصرفنا[5] على ما ذكر القُتَبي. قال: يُقال: لَفَتَه يَلْفِته لَفْتا.

وقوله عز وجل: **عما وجدنا عليه آباءنا**، من عبادة الأصنام والأوثان. ويحتمل **عما وجدنا عليه آباءنا**، من عبادة فرعون والطاعة له.

**وتكونَ لكما الكبرياء في الأرض**، قال عامة[6] أهل التأويل: **الكبرياء**: المُلْك[7] والسلطان والشرف. أي الملك الذي كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما، لأن كل متبوع مطاع معظَّم مشرَّف. ويحتمل قوله:[8] **وتكون لكما الكبرياء في الأرض**، أي الألوهية التي كان[9] يدّعي فرعون لنفسه [تكون] لكما؛ لأن عندهم أن كل من أُطِيع[10] واتُّبِع فقد عُبِد ونُصِب إلها.

**وما نحن لكما بمؤمنين**، أي بمصدّقين[11] فيما تدعوننا إليه أو ما تدّعون من الرسالة.

---

[1] ع: ما أغلب.
[2] سورة الأنعام، ٦/٢١، ١٣٥؛ وسورة يوسف، ١٢/٢٣؛ وسورة القصص، ٢٨/٣٧.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٧؛ وسورة القصص، ٢٨/٨٢.
[4] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٩٨.
[5] ن – وتصدنا قال القتبي لفت فلانا عن كذا إذا صرفته والالتفات منه وهو الانصراف وقال أبو عوسجة لتلفتنا أي تردنا وتصرفنا.
[6] ع م – عامة.
[7] ك ن ع: والملك.
[8] ك ن – قوله.
[9] م: كانت.
[10] ع: من أطيع.
[11] ن: أي مصدقين.

**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم**، هذا من فرعون ينقض ما ادّعى من الألوهية حيث أظهر الحاجة إلى غيره، ولا يجوز أن يكون المحتاج إلها.

**﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[٨٠] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٨١]**

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء السحرة قال لهم موسى أَلْقُوا ما أنتم مُلْقُون فلمّا أَلْقَوْا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيُبْطِلُه**، أي سيُبْطِل عَمَل السحر الذي قصدوا به. أي يجعله[١] مغلوبا، كقوله: وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ،[٢] أي لا يَغلب الساحرون[٣] ولا يَظفرون بالحاجة.

**إن الله لا يصلح عمل المفسدين**، أي لا يُصلِح ما أفسدوا من أعمالهم فيجعلهم صالحين. وقوله: **إن الله لا يصلح عمل المفسدين**، هو ما ذكرنا، أي لا يجعلهم بأعمالهم الفاسدة صالحين. أو لا يجعل أعمالهم الفاسدة صالحة. وقال بعضهم: **لا يُصلِح**، أي لا يرضى بعمل المفسدين.

**﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[٨٢]**

وقوله عز وجل: **ويُحِقّ الله الحق بكلماته ولو كَرِه المجرمون**، ذكر أن يُحِقّ الحق، والحق حق وإن لم يُحِقّ الحق. وكذلك ذكر[٤] في الباطل: وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ،[٥] والباطل[٦] باطل وإن لم يُبطِل. ولكن يحتمل قوله: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ، أي ليجعل الحق في الابتداء حقا فيصير حقا،[٧] ويجعل الباطل في الابتداء[٨] باطلا فيكون باطلا. أي[٩] بإبطاله الباطل يكون باطلا، وبتحقيقه الحق يكون حقا. وهو ما يقال:[١٠] هَداه فاهتدى، وأَضلّه فضلّ. أي بهدايته اهتدى وبإضلاله ضلّ. فعلى ذلك بإبطاله الباطل بَطَل، وبتحقيقه[١١] الحق حَقّ. ***والله أعلم***.

---

[١] م: أي يجعبوه.
[٢] سورة يونس، ٧٧/١٠.
[٣] ع: الساحر.
[٤] ع م: وذكر كذلك.
[٥] ﴿لِيُحِقّ الحق ويُبْطِلَ الباطل ولو كَرِه المجرمون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٨).
[٦] ن - والباطل.
[٧] م - فيصير حقا.
[٨] ع - حقا فيصير حقا ويجعل الباطل في الابتداء.
[٩] م - أي.
[١٠] م: وهو يقال.
[١١] ك: وتحقيقه.

وقوله: **بكلماته**، يحتمل وجوها. يحتمل **ويُحِقّ الله الحق بكلماته**، أي برسله؛ إذ بالرسل يظهر الحق، وبهم يظهر بطلان الباطل. وهم حجج الله في الأرض، وبالحجج يظهر الحق، وكذلك الباطل. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل: **بكلماته**، آياته التي أنزل عليه. بها ظهر حقيقة ما أتى به موسى، وبها ظهر بطلان ما أتى به السَّحَرة من السحر. ويحتمل كلماته[1] ما وَعد موسى قومَه من العذاب وما[2] وَعد من الظفر بأعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك [و]ما وَعد[3] من النعمة لهم، كقوله:[4] أُذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[5]

**﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٨٣]**

وقوله عز وجل: **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه**، يحتمل قوله: **من قومه**، من قوم موسى. لِما قيل: إن موسى كان من أولاد إسرائيل، فهم من ذريته من هذا الوجه. يقال: أهل بيت فلان، وإن لم يكن[6] البيت له. ويحتمل قوله:[7] **إلا ذرية من قومه**،[8] من قوم فرعون، فهو نسب إليه لما ذكرنا. وقال أهل التأويل: أراد بالذرية القليل منهم، أي ما آمن منهم إلا القليل.[9] ولكن لا ندري ذلك.

وقوله: **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون ومَلَئِهم**، يحتمل:[10] ما آمن مَن آمن مِن قومه إلا **على خوف من فرعون ومَلَئِهم**، أي آمنوا وإن خافوا من فرعون ومَلَئِهم.[11] ويحتمل: ما ترك مِن قومه الإيمان بموسى مَن ترك إلا على / خوف من فرعون، [٣٣٥و]

[1] ع م – أي برسله إذ بالرسل يظهر الحق وبهم يظهر بطلان الباطل وهم حجج الله في الأرض وبالحجج يظهر الحق وكذلك لباطل ويحتمل ما ذكر أهل التأويل بكلماته آياته التي أنزل عليه بها ظهر حقيقة ما أتى به موسى وبها ظهر بطلان ما أتى به السحرة من السحر ويحتمل كلماته.

[2] جميع النسخ: التي.

[3] ع م – من الظفر بأعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك ما وعد.

[4] ع – كقوله.

[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[6] م: وإن لم تكن.

[7] ك ن – قوله.

[8] م – من قومه.

[9] م: إلا قليل.

[10] ع م + قوله.

[11] ك: وملائه.

**أن يَفْتِنَهم**،[1] أي يقتلهم ويعذبهم. ففيه دلالة أن الخوف لا يُعذَر المرء [به] في ترك الإيمان حقيقة، وإن كان يُعذَر [به] في ترك إظهاره؛ لأن الإيمان هو التصديق، والتصديق[2] يكون بالقلب. ولا أحد من الخلائق يطّلع على ذلك. لذلك لم يُعذَر في ترك إتيانه؛ لأنه يقدر على إسراره. ألا ترى إلى قوله: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ.[3] كان مؤمنا فيما بينه وبين[4] ربه[5] وإن لم يُظهِر [ذلك].

وقوله عز وجل: **وإن فرعون لَعالٍ في الأرض**، وهو ما قال عز وجل: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[6] أي قهر وغلب على أهل الأرض، **وإنه لمن المسرفين**.

**﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾**[٨٤]

وقوله[7] عز وجل: **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**، فيه دلالة أن الإيمان والإسلام واحد في الحقيقة؛ لأنه بدأ بالإيمان بقوله: **إن كنتم آمنتم بالله**، وختم بالإسلام بقوله: **إن كنتم مسلمين**. دل أنهما واحد. [الإيمان] هو اعتقادُ تركِ تضييعِ كلِّ حقّ. والإسلام اعتقادُ تسليمِ[8] كلِّ حقّ وتركِ تضييعه. ***والله أعلم***. والإسلام[9] هو جَعْل كلّيّة الأشياء لله سالمة. والإيمان هو التصديق بكلّيّة الأشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية له والألوهية.

وقوله: **فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**؛ يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد فرعون وعقوباته، كقوله للسحرة لما آمنوا: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ،[10] الآية، فقال عند ذلك: **فعليه توكلوا**، في دفع ذلك عنكم.[11]

---

[1] ن: أن يفتنهم.
[2] ع – والتصديق؛ م: لأن التصديق.
[3] سورة المؤمن، ٢٨/٤٠.
[4] م – وبين.
[5] م: وربه.
[6] سورة القصص، ٤/٢٨.
[7] ن: قوله.
[8] م – تسليم.
[9] ع – والإسلام.
[10] سورة الأعراف، ١٢٤/٧؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.
[11] ن: عنهم؛ م – عنكم.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٨٥]

**فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين**. وقوله:[١] **لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين**، يحتمل ما قاله: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ،[٢] ما قيل:[٣] أي يقتلهم ويعذبهم. *والله أعلم*. هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي لا تجعل لهم علينا الظفر والنصر، فيظنوا[٤] أنهم على هدى وعلى حق[٥] ونحن على ضلال وباطل. والثاني لا تجعلنا تحت أيدي الظَّلَمَة[٦] فيعذّبونا،[٧] فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة، على ما فعل فرعون بالسحرة لما آمنوا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **ونَجِّنا برحمتك من القوم الكافرين**، فيه أن قوله:[٨] الظَّالِمِينَ،[٩] و **الكافرين**، واحد. *والله أعلم*.[١٠]

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى وأخيه أنْ تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة**، الآية، يحتمل[١١] وجهين.[١٢] يحتمل[١٣] قوله: **أنْ تَبَوَّآ لقومكما**، أي اتَّخِذا لقومكما مساجد[١٤] يصلّون فيها، **واجعلوا بيوتكم**، أي اجعلوا في بيوتكم التي اتخذتم مساجد،[١٥] **قبلةً**.

[١] ن ع م: قوبه.
[٢] سورة يونس، ٨٣/١٠.
[٣] ع: ما قبل.
[٤] جميع النسخ: فيظنون.
[٥] م: حوف.
[٦] م + الظلمة.
[٧] م: فيعذبون.
[٨] م: فيه قوله.
[٩] الآية لسابقة.
[١٠] ن – والله أعلم.
[١١] ن م: تحتمل.
[١٢] م + أحدهما.
[١٣] ن: تحتمل.
[١٤] ن ع: مساجدا.
[١٥] ن ع: مساجدا؛ م: المساجد.

**أنْ تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا**، الأمر باتخاذ المساجد. ويكون في قوله: **واجعلوا بيوتكم قبلةً**، الأمر باتخاذ القبلة في المساجد التي أمر ببنائها.[١] والثاني قوله: **أن تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا**، أي اتخذا[٢] لقومكما بمصر مساجد،[٣] على ما ذكرنا.

[٣٣٥و س٣٩ *وقال أبو عَوْسَجَة: قوله: **أنْ تَبَوَّآ لقومكما**، تَهَيَّآ،[٤] مِن التَّهْيِئَة. / أي هَيِّآ لهم موضعا،

٣٣٥ظ س١] كقوله: وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ،[٥] أي هيأنا لهم مُهَيَّأَ صِدْق.*

وقوله عز وجل: **واجعلوا بيوتكم قبلةً**، أي اجعلوا في بيوتكم التي بنيتم لأنفسكم قبلة تتوجهون إليها. ويكون فيه دلالة أنّ نَصْب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة مُتوارَثة مَسنُونة،[٦] ليست ببديعة لنا وفي شريعتنا خاصة. ويؤيد ما ذكرنا أن فيه الأمر باتخاذ المساجد. وقوله: **وأقيموا الصلاة**، دل الأمر بإقامة الصلاة على أن الأمر بتَبْوِئَة[٧] البيوت أمرٌ باتخاذ المساجد واتخاذ القبلة. فإن قيل: هذا في الظاهر أمرٌ باتخاذ المساجد،[٨] والآية التي ذكر فيها اتخاذ المساجد تخرج مخرج الإباحة لنا، وهو قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ.[٩] هو في الظاهر إباحة.[١٠] قيل: هو أمرٌ في الحقيقة وإن كان في الظاهر إباحة. ألا ترى أنه قال: وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا، الآية. ولا شك أنّ ذِكر اسمه والتسبيح له أمرٌ فيه.[١١] دل أنه ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: بنبائها.
[٢] ع م: أي اتخذ.
[٣] ك ن ع: مساجدا.
[٤] ك: تهيبا.
[٥] سورة يونس، ١٠/٩٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٥و/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١.
[٦] ع م – مسنونة.
[٧] م: بتوبة.
[٨] ع م – واتخاذ القبلة فإن قيل هذا في الظاهر أمر باتخاذ المساجد.
[٩] ﴿في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذكَر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغُدُوّ والآصال. رجالٌ لا تُلْهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٦-٣٧).
[١٠] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي هامشها: كذا في الأصل بياض.
[١١] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «فإن قيل: هذا في الظاهر أمرٌ باتخاذ المساجد، وفي الآية التي ذكر فيها اتخاذ المساجد، وهي قوله: ﴿في بيوتٍ أذِنَ الله أنْ تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمه﴾، دلالة الإباحة، حيث قال: ﴿أَذِنَ الله﴾. قيل: معناه: في بيوتٍ أَمَرَ الله أنْ تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه. ألا ترى أنه قال: ﴿ويُذكَرَ فيها اسمه يُسبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال﴾. ولا شك أنّ ذِكر اسمه والتسبيح له فيها والصلاة مأمور به على الوجوب، فكذلك المعطوف عليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧٥و).

وأما أهل التأويل فإنهم قالوا: إنهم كانوا يخافون فرعون وملأه، فأُمِروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجدَ[1] مُستقبِلةَ[2] الكعبة، يصلّون فيها سرّا خوفا من فرعون. هذا يحتمل إذا كان[3] قبل هلاك فرعون وقبل أن يستولوا على مصر. وإذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولَوْا وملكوا على مصر وأهله فالأمر فيه -ما ذكرنا- أمرٌ باتخاذ المساجد ونَصْبِ الجماعات فيه وإقامةِ الصلاة فيها. وقال بعض أهل[4] التأويل: وَجّهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة. لكن هذا بعيد؛ لأنه لا يكون بيتا إلا ويكون جهة من جهاته إلى القبلة، فلا معنى له. والوجه فيه ما ذكرنا. ويحتمل الأمر بتَبْوِئَة[5] البيوت لقومهما بمصر وجَعْلِ البيوت قبلةً وجهين. أحدهما الأمر بالانفصال من فرعون وقومه حتى إذا أرادوا الخروج من عندهم قَدَروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم. وكأن ذلك الانفصال إنما كان من جهة القبلة. والثاني ما ذكرنا:[6] أرادوا أن يعتزلوهم حتى[7] يتهيأ لهم الصلاة فيها، وكان لا يتهيأ[8] لهم[9] في بيوت فرعون.

وقوله عز وجل: **وبشّر المؤمنين**، يحتمل البِشارة في الآخرة بالجنة وأنواع النعم.[10] ويحتمل أن يبشّرهم بالمُلْك في الدنيا والظفر على فرعون وأنواع النعم بعد ما أصابوا الشدائد من فرعون، كقوله: أُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[11] *

---

[1] ن ع م: مساجدا.

[2] ن: مستقبل.

[3] م: إذ كان.

[4] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

[5] م: بتوية.

[6] ع م: ما ذكر.

[7] ن - حتى.

[8] ك: لا يتهنا.

[9] ع - الصلاة فيها وكان لا يتهيأ لهم.

[10] ك: النعيم.

[11] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٢٠/٥).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٥و/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١.

**﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة**، يحتمل قوله: **زينة**،[١] مِن أنواع ما آتاهم من الأنزال والنبات، كقوله: حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ،[٢] ونحوه. ويحتمل الزينة الزينة[٣] التي كانوا يتزينون بها من المَرْكَب[٤] والمَلْبَس وما يتحلَّوْن بها من أنواع الحُلِيّ. **وأموالا**، كثيرة سِوى ذلك.

وقوله عز وجل: **ربَّنا لِيُضِلُّوا عن سبيلك**؛[٥] قالت المعتزلة: تأويل قوله: **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربَّنا لِيُضِلُّوا عن سبيلك**، أي آتاهم لئلا يُضلوا الناس عن سبيله، ولكن أضلّوهم عن سبيله.[٦] وقالوا: هذا كما يقال: لم أُوتِك[٧] كذا لِتفعل كذا ولكن فعلتَ، ونحوه من الكلام. ولكن عندنا هو ما ذكر: آتاهم[٨] الأموال وما ذكر لِيُضلوا عن سبيله؛ لأنه إذا عَلم[٩] منهم[١٠] أنهم يُضلون الناس عن سبيله آتاهم[١١] ما آتاهم لِيُضلوا. وهو كما ذكرنا في قوله: إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[١٢] وقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ،[١٣] الآية، وأمثاله. فكذا هذا.[١٤] ***والله أعلم.***

---

[١] ن – يحتمل قوله زينة.

[٢] سورة يونس، ٢٤/١٠.

[٣] ن ع م – الزينة.

[٤] ن ع م: من المراكب.

[٥] ن + الآية.

[٦] م – عن سبيله.

[٧] ك: لم أتي؛ ن ع: لم أتك؛ م: لم تك؛ ع م + هذا.

[٨] م: ما ذكرناهم.

[٩] ن ع: إذ علم.

[١٠] م – منهم.

[١١] م – آتاهم.

[١٢] ﴿ولا يحسَبنّ الذين كفروا أنمّا نُملِي لهم خير لأنفسهم إنما نُملِي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مُهين﴾ (سورة آل عمران، ١٧٨/٣).

[١٣] ﴿أ يحسَبون أنما نُمِدُّهم به مِن مالٍ وبَنِين. نُسارِع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ (سورة المؤمنون، ٥٥/٢٣-٥٦).

[١٤] ع م – هذا.

[٣٣٥ظ س١٨ * [ربنا اطْمِس على أموالهم]، والطَّمْس قال أبو عَوْسَجَة: هو الذهاب بها، أي اذْهَبْ بها. وقال[1] القُتَبي: قوله: **ربنا اطْمِس.** أي أَهْلِكْها. وهو من قولك: طَمَس الطريقُ، إذا عَفَا ودَرَس.[2] وقال غيره: الطَّمْس، هو المَسْخ، كقوله:[3] فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ،[4] أي مسخناهم. وقال بعضهم:
٣٣٥ظ س٢٠] الطَّمْس[5] هو التغيير عن جوهرها.*

وقوله عز وجل: **ربنا اطْمِس على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم**؛ يحتمل هذا وجهين. يحتمل أي **اطْمِس على أموالهم**، واجعل في قلوبهم قساوةً وغِلظةً تُنَفِّر الأَتْباع ومن يُقلِّدهم[6] عن اتّباعهم وتقليدهم، فيكون ذلك أَهْوَن علينا في استنقاذ الأَتْباع منهم[7] وأَدْعَى لهم إلى الإيمان، أعني الأَتْباع ومن يُقلِّدهم،[8] ويكون ذلك سببا لإبعادهم عن اتّباعهم وتقليدهم إياهم.[9] هذا وجه. والثاني قوله: **ربنا اطْمِسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم**، أي اجعل ذلك آيةً تَضطرهم إلى الإيمان؛ فإنهم لم يؤمنوا بالآيات التي أرسلتَها عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من البلايا.[10] فيكون قوله: **فلا يؤمنوا حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، هذا مِن طَمْس الأموال وقساوة القلوب وشدّتها. *والله أعلم*.

وقال[11] بعض أهل التأويل: **واشْدُدْ على قلوبهم**، واطْبَعْها، **فلا يؤمنوا حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، وهو الغرق، فعند ذلك يؤمنون. وأما[12] بهذه الآيات فلا. هذا[13] يحتمل إذا كان الله عز وجل

---

[1] م: قال.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٨.
[3] ع م: وكقوله.
[4] ﴿ولقد رَاوَدُوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونُذُرِ﴾ (سورة القمر، ٣٧/٥٤). والآية في قوم لوط عليه السلام.
[5] م: اطمس.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١٨-٢٠.
[6] م: يقلد.
[7] م - منهم.
[8] ع م: من يقلدهم.
[9] م: آباءهم.
[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).
[11] ع م: قال.
[12] م: أما.
[13] م - هذا.

أخبر موسى أنهم لا يؤمنون فيَسَع[١] له هذا الدعاء. وأما قَبْل[٢] أن يخبره بذلك فلا يَسَع له أن يدعو بهذا وهو إنما أرسله إليهم[٣] ليدعوهم إلى الإيمان.*

دعا[٤] موسى بهذا الدعاء عليهم[٥] لما[٦] أيس من إيمانهم، وهو كقول نوح: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ،[٧] الآية، عند الإياس منهم. فعلى ذلك موسى. *والله أعلم.*

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **قال قد أُجيبت دعوتكما**، قال بعضهم: إن موسى كان يدعو وهارون يؤمِّن على دعائه، فقال الله[٨] عز وجل: **قد أُجيبت دعوتكما**، سمى كليهما دعاء. ولهذا[٩] قال محمد بن الحسن رحمه الله في بعض كتبه: إن الإمام يدعو[١٠] في القنوت[١١] في الوتر، والقوم يؤمِّنون.[١٢]

وقوله عز وجل: **فاستقيما**، على الرسالة وما أمرتكما به،[١٣] **ولا تتّبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون**، وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ،[١٤] وكقوله: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ،[١٥] ونحوه، وإن كان العلم محيطا أن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يتّبعون سبيل أولئك، ولا يتّبعون أهواءهم لِما عصمهم عز وجل. ولكن ذكر هذا -والله أعلم- لِيُعلَم أن العصمة لا تُزيل النهي والأمر، بل تزيد حظرا ونهيا. *والله أعلم.*

---

[١] ع: فيسع.
[٢] ع م: وأما ما قبل.
[٣] م: عيهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١٨-٢٠.
[٤] ن: ودعا.
[٥] ك ن ع: بالامر؛ م: بالأمراء.
[٦] م - لما.
[٧] سورة نوح، ٢٦/٧١-٢٧.
[٨] ك - الله.
[٩] ع: لهذا.
[١٠] ع: يدعوا.
[١١] م: في القوت.
[١٢] انظر لتفصيل: *بدائع الصنائع* للكاساني، ١٧٤/١.
[١٣] ك: أمر بكتابه.
[١٤] ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ (سورة الجاثية، ١٨/٤٥).
[١٥] سورة المائدة، ٤٨/٥، ٤٩؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأَتْبَعهم فرعونُ وجنوده**، هذا ظاهر. وفي قوله: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**، دلالةُ خلقِ أفعال العباد؛ لأنه أضاف إلى نفسه أنه[1] جاوز بهم، وبنو[2] إسرائيل هم الذين تجاوزوا. دل[3] ذلك أنه خالق فعلهم.

وأما قوله: **حتى إذا أدركه الغرق**، أي حتى إذا غرق؛ لأنه ذُكر في بعض القصة أنّ فرعون لمّا انتهى إلى[4] ساحل البحر فرأى البحر مُنفرِجا طُرُقًا[5] فقال: إنما انفرج البحر لي، فلما دخل غرق. فعند ذلك **قال** غريقا: **آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**. ثم إيمانه لم يُقبَل في ذلك الوقت لوجهين. أحدهما لِما يحتمل أن يكون إيمانه عند رؤية البأس وخوف الهلاك. فهو إيمان دفع البأس لا إيمان حقيقة. وهو على ما أخبر عن إيمان الكفرة في الآخرة لمّا عاينوا العذاب كقوله:[6] رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ،[7] وكقوله تعالى: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ،[8] وكقولهم:[9] نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[10] وأمثاله، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ؛[11] فما عاينوا هم[12] من العذاب أكبر وأشد مما عاين فرعون. ثم أخبر أنهم لو رُدُّوا لعادوا[13] إلى ما كانوا يعملون، لكنهم قالوا ذلك قول دفع. فعلى ذلك إيمانُ فرعون إيمانُ دفعِ البأس عن نفسه لا إيمانُ حقيقةٍ واختيار.

---

[1] ع م – أنه.

[2] ك ع: وبنوا.

[3] ع: اول.

[4] م – انتهى إلى.

[5] م – طرقا.

[6] جميع النسخ: كقولهم.

[7] يقول الله تعالى: ﴿وأَنذِر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أَخِّرنا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتك ونتّبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ (سورة إبراهيم، ٤٤/١٤).

[8] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعونِ. لعلّي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣-١٠٠).

[9] جميع النسخ: كقولهم.

[10] يقول الله تعالى: ﴿وهم يَصطرِخون فيها ربنا أَخرِجنا نعملْ صالحا غيرَ الذي كنا نعمل أو لم نُعَمِّرْكم ما يَتذكَّر فيه مَن تَذكَّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (سورة فاطر، ٣٧/٣٥).

[11] ﴿ولو ترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين. بل بَدا لهم ما كانوا يُخفون مِن قبل ولو رُدُّوا لَعادوا لِما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٢٧/٦-٢٨).

[12] ن م: فما عاينوهم.

[13] ع م + لما نهوا.

والثاني أن الإيمان والإسلام هو تسليم النفس إلى الله؛ فإذا آمن في وقتٍ خرجت نفسه من يده لم يصر مسلما نفسَه إلى الله، إذ نفسه / ليست في يده. ولذلك لم يُقبَل الإيمان في ذلك الوقتِ وقتِ [٣٣٦و] الإشراف على الهلاك. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن الإيمان بالله إنما[١] يكون بالاستدلال بالشاهد على الغائب. ولا يمكن الاستدلال بالشاهد[٢] على الغائب[٣] في ذلك الوقت؛ إذ لا يكون ذلك إلا بالنظر والتفكر، وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر.[٤] لذلك لم يكن إيمان حقيقة. *والله أعلم*.

**﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٩١] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[٩٢]**

وقوله:[٥] **فاليوم ننجّيك ببدنك**، قيل فيه[٦] بوجوه. قيل:[٧] قوله: **ننجّيك**، من النَّجْوَة، أي نُلقِيك على النَّجْوة، وهو مكان الارتفاع والإشراف، ليراه كل أحد أنه هلك [و]ليظهر لهم أنه لم يكن إلها على ما ادّعى.[٨] وأما سائر أبدان قومه لم تُلْقَ على النَّجْوة، ولكن بقيت في البحر. والثاني قيل: **ننجّيك**، أي نخرجك من البحر ولا نتركك فيه، **لتكون لمن خلفك آية**. والثالث **ننجّيك ببدنك**، ولا نُتبِع بدنك روحك؛ لأنه ذُكر في القصة أنهم لمّا غَرِقوا هَوَوْا[٩] غَرْقَى[١٠] إلى النار، كقوله: مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا.[١١] أخبر أنه لم يَهْوِ جسدُه بروحه إلى النار، ولكن أخرج بدنه[١٢] [من البحر][١٣] وهَوَتْ روحُه إلى النار مع سائر قومه -والله أعلم-[١٤] ليُرَى جسدُه ويَظهر كذبُه ولا يَشتبه أمره عليهم.

---

[١] ك + هو.
[٢] ع - بالشاهد.
[٣] م - ولا يمكن الاستدلال بالشاهد على الغائب.
[٤] ع - وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر.
[٥] ك ع م: وأما قوله.
[٦] م - فيه.
[٧] ع م - قيل.
[٨] ك + لعنه الله.
[٩] ن ع م: هو.
[١٠] ك: هم واغرق؛ ن م: هووا غرق؛ ع: هو واغرق.
[١١] سورة نوح، ٢٥/٧١.
[١٢] ع م: بدونه.
[١٣] من *الشرح*، ورقة ٣٧٥ظ.
[١٤] ن - أعلم، صح هـ.

وقوله عز وجل: **لتكون لمن خلفك آية**، يحتمل وجهين. يحتمل ليكون هلاكك آية. فلا يدّعي أحد الربوبية والألوهية مثل ما ادّعى هو. أو يقول: **لتكون لمن خلفك آية**، أي مَن شاهدك كذلك غريقا مُلقًى كان آية له.

وقوله عز وجل: **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**، قال بعض أهل التأويل: يعني أهل مكة **عن آياتنا لغافلون**، عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[1] و مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ.[2] يقول: هم غافلون عما[3] أصاب أولئك؛ إذ مثل هذا لا يُفترى، أعني هذه[4] القِصص.[5] ويحتمل **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**، أي [إن] كثيرا منهم كانوا غافلين عما أصابهم. والغفلة تكون[6] على وجهين. أحدهما غفلة إعراض وعناد بعد العلم به[7] ومعرفة أن ذلك حق. والثاني يَغفل بترك النظر والتفكر. فكلا الوجهين مذموم.

**﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٩٣]**

وقوله عز وجل: **ولقد بَوَّأْنا بني إسرائيل مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، قال عامة أهل التأويل: **بَوَّأْنا**، أنزلنا، **بني إسرائيل**، منزل، **صِدق**. وقال بعضهم: **بَوَّأْنا**، هيّأنا[8] لبني إسرائيل **مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، **مُهَيّأً صِدق**، حَسَنًا. كقوله: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ،[9] الآية، أي تهيّئ[10] للمؤمنين. وقال بعضهم: قوله:[11] **بَوَّأْنا بني إسرائيل مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، أي مكّنّاهم تمكين صِدق.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وإذا تُتلَى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سورة سبأ، ٤٣/٣٤).

[2] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات. يقول الله تعالى: ﴿فلمّا جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مُفترًى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة القصص، ٣٦/٢٨).

[3] ن - فرعون وقومه لما قالوا ما هذا إلا إفك مفترى وما هذا إلا سحر يقول هم غافلون عما.

[4] م: هذا.

[5] ن + عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا ما هذا إلا إفك مفترى وما هذا إلا سحر يقول هم غافلون عما أصاب أولئك إذ مثل هذا لا يفترى أعني هذه القصص.

[6] ك ن: يكون.

[7] ن ع م - به.

[8] ك: بيانا.

[9] ﴿وإذ غَدوتَ مِن أهلك تُبَوّئُ المؤمنين مَقاعدَ للقتال والله سميع عليم﴾ (سورة آل عمران، ١٢١/٣).

[10] م: أي تهئ.

[11] ع م + من أهلك تبوئ المؤمنين الآية أي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله.

وهو كقوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ،[١] الآية. يحتمل ما ذكر من التَّبْوِئَة[٢] التمكين[٣] الذي ذكر في هذه الآية. وقوله: **مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، قال[٤] بعضهم: منزل **صِدق**، أي كريم.[٥] وقيل:[٦] منزل صِدق، أي حَسَن. ويحتمل وجهين آخرين. أحدهما أنه وعد لهم أن يمكّن لهم في الأرض، فأنجز ذلك الوعد، فهو **مُبَوَّأ صِدْق**، أي تمكين صِدق، حيث أنجز ذلك الوعد وصَدَق الوعد [على] ما ذكر: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ،[٧] الآية. والثاني **مُبَوَّأ صِدْق**، أي مُبَوَّأ أهل صِدق؛ لأن الشام كان لم يَزَلْ منزل أهل صِدق. وعلى هذا يخرج قوله: رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ،[٨] الآية، أي أخرجني مخرج أهل صِدق وأدخلني مدخل أهل صِدق. *والله أعلم*.

وقوله: **ورزقناهم من الطيبات**، قال أهل التأويل: يعني المَنّ والسَّلْوَى. ولكن الطيبات هي التي[٩] طابت بها[١٠] الأنفس مما حلّ بالشرع، مما لا تَبِعَة على أربابها مما لم يُعْصَ فيها.

وقوله: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أي **فما اختلفوا**، في الدين، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه حق. وقيل: **فما اختلفوا**، في محمد في أنه رسول الله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه رسول الله. وقيل: **فما اختلفوا**، في القرآن والآيات التي أنزلها على رسوله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**،[١١] أنه مُنزَّل من عند الله. ويحتمل قوله: **فما اختلفوا**، في موسى أنه رسول الله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه رسول الله.

---

[١] ﴿ونُمَكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥-٦)
[٢] ن: من التوبة.
[٣] م: التمكن.
[٤] م: وقال.
[٥] جميع النسخ: كريمة.
[٦] جميع النسخ: وقال.
[٧] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مَشارق الأرض ومَغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعرِشون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٧).
[٨] ﴿وقل رب أدخلني مُدْخَلَ صِدقٍ وأخرجني مُخْرَجَ صِدقٍ واجعل لي مِن لَدُنْكَ سلطانا نَصيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٠).
[٩] ل - التي.
[١٠] ن: به.
[١١] ك - أنه رسول الله وقيل فما اختلفوا في القرآن والآيات التي أنزلها على رسوله إلا من بعد ما جاءهم العلم.

وقوله عز وجل: **إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**، الآية ظاهرة من الوجوه التي ذكرنا.[1] وقوله: **إن ربك يقضي بينهم**، يحتمل وجهين. أحدهما الجزاء والثواب. والثاني في تبيين[2] المُحِق من المُبْطِل.[3]

**﴿فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**[٩٤]

وقوله عز وجل: **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، اختلف فيه. قال بعضهم: الخطاب به لرسول[4] الله، والمراد منه غيره. وقال بعضهم: المخاطَب[5] به والمراد [به] جميعا غيره. وقال بعضهم:[6] المخاطَب[7] به والمراد به[8] رسول الله. [أي] ما كنت في شك مما أخبرتهم وأنبأتهم.[9] فمَن قال: الخطاب لرسول الله والمراد به غيره، فهو[10] ما ظهر في الناس أنهم يخاطبون من هو أعظم منزلةً عندهم وقَدْرًا ويريدون[11] به غيره.[12] وإلّا لا يحتمل أن يكون رسول الله يشك فيما أنزل إليه قط أو يرتاب. كقوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[13] الآية، ومعلومٌ أنه في وقتٍ ما خاطب به لم يكن أبواه أحياء. دل أنه أراد به غيره، فعلى ذلك الأول. ومَن قال: المخاطَب[14] والمراد به مَن حَضَر[15] رسول الله.

---

[1] ع م: ذكر.
[2] ك ن: في تبين.
[3] ع م: والمبطل.
[4] ك: رسول.
[5] ك: الخطاب.
[6] ن ع م – الخطاب به لرسول الله والمراد منه غيره وقال بعضهم المخاطب به والمراد جميعا غيره وقال بعضهم.
[7] جميع النسخ: الخطاب.
[8] ن – والمراد به، صح هـ.
[9] أي على نفي الشك. وهو قول أبي بكر الأصم كما سيأتي قريبا.
[10] جميع النسخ: وهو.
[11] ن: أيريدون.
[12] ع – به غيره.
[13] ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحسانا إمّا يَبلُغَنَّ عندك الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تَنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[14] جميع النسخ: الخطاب.
[15] ك: من حض.

يقول: إن الوفود[1] من الكفرة كانوا يَقْدَمُون[2] [على] رسول الله فيسألونه شيئا،[3] فيخاطب الذي[4] يَقْدَم[5] [منهم]. وقد كان[6] يحضره الوُحْدَان[7] والجماعة. يقول: **فإن كنت في شك** [٣٣٦ظ] **مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**. وقوله: **أنزلنا إليك**، على هذا التأويل هو مُنزل إليه؛ إذ كل مُنَزَّل على رسول الله مُنَزَّل[8] عليه وإليه وإلى كل أحد. كقوله:[9] ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾،[10] أمرهم[11] باتباع ما أنزل إليهم. دل أن كل مُنَزَّل على رسول الله مُنَزَّل[12] عليهم. ومَن قال: الخطاب لرسول الله[13] والمراد به غيره لِما لا يحتمل أن يكون رسول الله يشك في شيء مما أنزل إليه. ولكنه يريد به التقرير عنده لقول الكفار: إن الذي[14] يُلقِي على محمد شيطان، فيريد به التقرير عنده. أو يخاطب به كل شاك، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾،[15] هو يخاطب إنسانا واحدا، ولكن المراد به كل إنسان مغرور وكل كافر. وذلك جائز -وفي القرآن[16] كثير- أنْ يخاطب به كُلًّا في نفسه. ومَن قال: خاطب به رسوله وأراده[17] أيضا فهو[18] كان[19] في الابتداء على غير يقين أنه يوحي إليه أو لا،

---

[1] ع: إن الوقود.
[2] جميع النسخ: يتقدمون.
[3] ك + فشيء؛ ن ع + فشيئا.
[4] م: الذين.
[5] جميع النسخ: يتقدم.
[6] م: وكان.
[7] ع: الواحدان؛ م: الوفد. والوُحْدَان جمع الواحد (*لسان العرب* لابن منظور، «وحد»).
[8] م – منزل.
[9] ع م: لقوله.
[10] سورة الأعراف، ٣/٧.
[11] م: أمر.
[12] ن – عليه وإليه وإلى كل أحد كقوله اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أمرهم باتباع ما أنزل إليهم دل أن كل منزل على رسول الله منزل؛ م: نزل.
[13] ك ن ع – لرسول الله.
[14] ع م: الكفار الذي.
[15] سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[16] ع م: في القرآن.
[17] جميع النسخ: وأراد هو.
[18] جميع النسخ: وهو.
[19] ع: ما كان.

كقوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ،[1] وقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.[2] فقال: **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، ليخبروك أنه نزل إليك. وقال أبو بكر الأصم: تأويله: ما كنت **في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**،[3] الأنباء التي أخبرتهم وأنبأتهم وادّعيت أنها أُوحِيَتْ إليك ليخبروك على ما أخبرتهم.[4]

وقوله: **فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**، قال بعضهم: **فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، يعني مَن آمن منهم. وقال بعضهم: سل أهل الكتاب منهم يخبرونك؛ لأنه مكتوب عندهم، كقوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ،[5] الآية.

وقوله عز وجل: **لقد جاءك الحق من ربك**، قيل: **الحق**، القرآن[6] جاء من ربك.[7] وقيل: جاء البيان أنه مِن عند الله. وقوله: **فلا تكوننّ من المُمْتَرين**، الشاكّين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٩٥]

**ولا تكوننّ من الذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين**، هو ما ذكرنا أنه يريد بالخطاب غيره. وإلّا لا يحتمل أن يكون رسول الله يكون من الشاكّين[8] أو يكون من الذين يكذّبون[9] بآيات الله أو يكون من الخاسرين.

---

[1] ﴿وما كنتَ تتلو مِن قَبله مِن كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارْتاب المُبْطِلُون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).

[2] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا مِن أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[3] ك ع م - ليخبروك أنه نزل إليك وقال أبو بكر الأصم تأويله ما كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرءون الكتاب.

[4] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وقال أبو بكر الأصم: تأويله: ما كنت في شك مما أنزلنا إليك، لكن فاسأل الذين يقرءون الكتاب، الأنباء التي أخبرتهم وأنبأتهم وادّعيت أنها أُوحِيَتْ إليك وكذّبوك في ذلك، ليخبروك على ما أخبرتهم، ليزيدك تقريرا وطمأنينة وتثبيتا. والزيادة في التثبيت ليس مما يدل على الشك والوهن في العلم، كقوله في حق إبراهيم: ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (سورة البقرة، ٢٦٠/٢)، وكقوله لموسى وهارون: ﴿ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧)، وقال لنوح: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ (سورة هود، ٤٦/١١). فعلى ذلك هذا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٦و).

[5] ﴿الذين يتّبعون الرسول النبي الأُمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلّ لهم الطيبات ويُحَرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعَزَّرُوه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[6] ن: القرآن ان.

[7] ك: جاء ربك.

[8] ع: من الشاكرين.

[9] ك: كذبوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة ربك لا يؤمنون**، قوله: **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، هو قوله عز وجل: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[1] هذا يكون في الخَتْم، مَن يُختم به يعني بالكفر فقد حَقَّتْ [عليه] كلمة ربك:[2] لأملأنّ جهنم. أو **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، ما ذكر في آية أخرى: أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ،[3] الآية. أو **كلمة ربك**، ما ذكر: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ.[4] وقوله: **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، أي عِلمُ ربك بأحوالهم. أي مَن كان في علمه[5] أنه لا يؤمن فلا يؤمن[6] وقت اختياره الكفر، كقوله: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،[7] أي من يضلل الله فلا هادي له وقت اختياره[8] الكفر. وكذلك قوله: وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[9] وقت اختيارهم[10] الظلم، ونحو ذلك. فالتأويل الأول يرجع إلى الختم به، والثاني[11] إلى وقتٍ. [أي] مَن ثبت[12] عليه علم ربه أنه لا يؤمن إلى وقتٍ فإنه[13] لا يؤمن[14] إلى ذلك[15] الوقت.

---

[1] سورة هود، ١١٩/١١؛ وسورة السجدة، ١٣/٣٢.

[2] ن - هو قوله عز وجل لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين هذا يكون في الختم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك.

[3] ﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كَذِبا أو كَذّب بآياته أولئك يَنالُهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يَتوفَّوْنهم قالوا أين ما كنتم تَدعون من دون الله قالوا ضَلُّوا عنا وشَهِدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ (سورة الأعراف، ٣٧/٧).

[4] ﴿ولو أنّنا نَزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قُبُلاً ما كانوا لِيؤمنوا إلّا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٧).

[5] م: كان علمه.

[6] م - فلا يؤمن.

[7] سورة الأعراف، ١٨٦/٧.

[8] ع: احتباره.

[9] سورة البقرة، ٢٥٨/٢؛ وسورة آل عمران، ٨٦/٣؛ وسورة التوبة، ١٩/٩، ١٠٩؛ وسورة الصف، ٧/٦١؛ وسورة الجمعة، ٥/٦٢.

[10] ن ع م: احتياره.

[11] ع: والثالث.

[12] م: من يثبت.

[13] ك ن ع: انه.

[14] م - إلى وقت انه لا يؤمن.

[15] جميع النسخ: في ذلك.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **ولو جاءتهم كل آية حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، قيل: في الآخرة،[١] [فيؤمنون] إيمانَ دفعِ العذاب. ويحتمل في الدنيا. وقد ذكرنا هذا.[٢]

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فلولا كانت قريةٌ آمنت فنَفَعَها إيمانها إلا قوم يونس لمَا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي**، الآية، أي لم تكن القرى آمنت عند معاينة البأس إيمانا[٣] نَفَعَها إلا إيمانَ قوم يونس، فإنهم آمنوا إيمانَ حقيقة، وعَلِم الله صدقهم من إيمانهم، فنفعهم إيمانهم. هذا يخرج على وجوه. أحدها إن سائر القرى كان إيمانها عند إقبال العذاب إليهم ووقوعه[٤] عليهم، فلم ينفعهم إيمانهم[٥] **إلا قومَ يونس**، فإن إيمانهم إنما كان لتخويف العذاب، فنفعهم.[٦]

والثاني يحتمل أن يكون قوم يونس[٧] كان نزول العذاب بهم على التخيير والتمكين، إن قبلوا الإيمان وآمنوا دفع العذاب عنهم، وإن لم يقبلوا نزل[٨] بهم.

والثالث كان إيمان سائر القرى بعد ما عاينوا مقامهم في النار، فآمنوا، فيكون إيمانهم إيمان اضطرار. وقوم يونس آمنوا قبل أن يعاينوا[٩] ذلك.

ويشبه أن يكون قوله: **فلولا كانت قريةٌ آمنت**، بعد وقوع العذاب والبأس، **فنَفَعَها إيمانها إلا قوم يونس**، فإنهم آمنوا إذ عاينوا[١٠] العذاب قبل أن يقع بهم. وإيمان فرعون وقومه إنما كان بعد ما غرقوا وبعد ما خرجت أنفسهم من أيديهم، فلم يُقبَل. وإيمان قوم يونس كان قبل أن يقع العذاب بهم وأنفسهم في أيديهم بَعدُ، فقُبِل. وهو ما ذكر عز وجل:

---

[١] جميع النسخ: في الدنيا.

[٢] ن – هذا. وانظر تفسير الآية من سورة يونس، ١٠/٩٠.

[٣] ن ع م: إيمانها.

[٤] ع م: وقوعه.

[٥] ك ن – إيمانهم.

[٦] م: فينفعهم.

[٧] ك – فإن إيمانهم إنما كان لتخويف العذاب فنفعهم والثاني يحتمل أن يكون قوم يونس.

[٨] ع: وإن يقبلوا أنزل؛ م: أنزل.

[٩] ن + قيل.

[١٠] جميع النسخ: إذا عاينوا.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ،[١] الآية، آمنوا عندما[٢] عاينوا قبل أن يقع بهم. وسائر الأمم الخالية كان منهم الإيمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وأمثالهم.[٣] وأصله ما ذكرنا آنفا.

[٣٣٧و س٢٨ * وقال بعضهم في قوله: **فلو لا كانت قريةٌ آمنت فنفَعَها إيمانها.** أي لم تكن[٤] **قريةٌ آمنت فنفَعَها إيمانها**، عند نزول العذاب، **إلا قومَ يونس.** وقال بعضهم: فهلّا كانت آمنت إذا رأت بأسنا فكانت مثل قوم يونس. فإنهم آمنوا حين رأوا[٥] العذاب. وأصله ما ذكرنا[٦] أنه لا يحتمل أن يكون الله تعالى يَعلم مِن خلقه اختيار عداوته والخلاف له [ثم] يشاء لهم[٧] الولاية، لأنه يخرج ذلك[٨] مخرج العجز. لأن في الشاهد [أن] مَن اختار[٩] عداوة أحد والآخر[١٠] يختار ولايته[١١] أنه إنما يختار [ذلك] لِضَعفه وعجزٍ[١٢] فيه.[١٣] *والله أعلم.** ٣٣٧و س٣٣]

وقوله عز وجل: **لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا**؛ قوله: **كشفنا عنهم**، الوعد بحلول العذاب بهم. و **عذاب الخزي** هو العذاب الفاضح، وإلّا[١٤] الخزي هو العذاب.

**﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٩٩]**

وقوله[١٥] عز وجل: **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا.**

---

١ ﴿وإذ نَتَقْنَا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ (سورة الأعراف، ١٧١/٧).
٢ ك: بعدما.
٣ جميع النسخ: وأمثاله.
٤ ن: لم يكن.
٥ ن ع م: يروا.
٦ انظر تفسير الآية من سورة يونس، ١٠٠/١٠.
٧ ن: يشابهم؛ ع م: يسألهم.
٨ ن - ذلك.
٩ م: من اختيار.
١٠ جميع النسخ: فالآخر.
١١ ع م + إنه إنما يختار ولايته.
١٢ ع: وعجزه؛ م: ولعجزه.
١٣ م - فيه.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٧و/سطر ٢٨-٣٣.
١٤ ع: ولا.
١٥ ن: قوله.

قالت المعتزلة: قوله: **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض،**[1] مشيئة القهر والقسر. لو شاء لأجبرهم[2] وقهرهم جميعا فيؤمنوا. وإلّا فقد شاء أن يؤمنوا مشيئة الاختيار، لكنهم لم يؤمنوا.
[٣٣٧و] واستدلوا على ذلك بقوله: **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.**

فيقال لهم: إن مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم، ومشيئة الجبر والقهر غايته. فإذا وُجِد منه مشيئة الاختيار فلم يؤمنوا ولم تَنْفُذْ[3] مشيئته فيهم كيف يُصَدَّق هو في الإخبار عن المشيئة التي هي غايته أنها لو كانت لآمنوا. هذا فاسد على قولهم. وبَعدُ، فإن المشيئة لو كانت مشيئة القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشيئة. وهي خِلْقَة؛[4] لأن كل كافر مؤمن[5] بخلقته؛ لأن خلقة كل أحد تشهد على وحدانية الله. فإذا كانوا[6] مؤمنين بالخلقة ثم[7] ذَكَر أنه لو شاء لآمنوا دل أنه لم يرد به مشيئة القهر، ولكنه أراد مشيئة الاختيار. وتأويله عندنا هو أنّ عند الله تعالى لُطْفا[8] لو أعطاهم كلهم لآمنوا جميعا. لكنه إذ عَلِم أنهم لا يؤمنون لم يعطهم، وهو التوفيق والعصمة. لكنه إذ عَلِم منهم أنهم لا يؤمنون[9] شاء أن لا يؤمنوا. ثم لا يحتمل أن يتحقق الإيمان بالجبر والقهر؛ لأنه عمل القلب، والجبر[10] والإكراه مما[11] لا يعمل على القلب. فهو وإن تكلم بكلام الإيمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب. فيكون التأويل على قولهم: **ولو شاء ربك** فلا يؤمنوا. فهذا[12] متناقض[13] فاسد. وبَعدُ، فإن الإيمان لا يكون في حال الإكراه والإجبار؛[14] لأن الإكراه يُزيل الفعل عن المكرَه كأنْ لا فعل له في الحكم.

وقوله: **أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين.**

---

[1] ن – جميعا قالت المعتزلة قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض، صح هـ.
[2] ن: لأجبروهم.
[3] ن ع: ينفذ.
[4] م: حلفه.
[5] ك: ومؤمن.
[6] ع: كان.
[7] م + إنه.
[8] جميع النسخ: لطف.
[9] ن + لكنه إذ علم أنهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه إذ عم منهم أنهم لا يؤمنون.
[10] ع – لأنه عمل القلب والجبر.
[11] م – مما.
[12] ع – فهذا.
[13] ن: تناقض.
[14] ع: والإحبار.

فإن قيل: أليس قال الله[1] عز وجل: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ،[2] أي[3] حتى يسلموا.[4] وذلك إكراه.[5] وقال رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».[7] فذلك إكراه. فكيف يُجمَع بين الآيتين؟[8]

قيل: لوجهين. أحدهما ما ذُكِر أن هذه السورة مكية. وقوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، مدنية. فيحتمل قوله: **أ فأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين**، أي لا تُكرِههم. ثم أمر بالمدينة بالقتال[9] والحرب والإكراه عليه.

والثاني يجوز أن يُجمَع بين الآيتين. وهو أن يكون قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، أي تقتلونهم حتى يقولوا قول إسلام ويتكلموا بكلام الإيمان. دليله[10] ما روي: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله». والقول[11] بلا إله[12] إلا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بإيمان. وفي هذه الآية: **حتى يكونوا مؤمنين**. وبالإكراه لا يكونون[13] مؤمنين حقيقة، لأنه عمل القلب، والإكراه مما لا يعمل عليه. ***والله أعلم***.

وتأويل[14] قوله: **أفأنت تُكرِه الناس**، أي لا تملك أن تُكرِهم. وكان رسول الله لشدة حرصه ورغبته في إيمانهم كاد أن يُكرِههم على الإيمان إشفاقا عليهم، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.[15]

---

[1] ك – الله.
[2] ﴿قل لمُخَلَّفِين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦).
[3] م – أي.
[4] جميع النسخ: حتى يسلمون.
[5] ن + فكيف.
[6] ك – رسول الله.
[7] *صحيح البخاري*، استتابة المرتدين ٣؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
[8] ن ع م: آيتين.
[9] ك: بالقتال بالمدينة.
[10] ك: حتى.
[11] م + بقول.
[12] م: لا إله.
[13] ك: لا يكونوا.
[14] ع م: وتأويله.
[15] سورة الشعراء، ٢٦/٣.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله**، قيل: بمشيئة الله، وقيل: بعلم الله، وقيل: بأمر الله وبإرادته. وهو ما ذكرنا: لا تؤمن نفس إلا بمشيئة الله وإرادته في ذلك. ولا يحتمل قوله: **إلا بإذن الله**، سوى المشيئة والإرادة؛ لأنه كم من مأمور بالإيمان لم يؤمن، فلم يحتمل الأمر. ولا يحتمل الإباحة، لأنه[١] لا يباح ترك الإيمان في حال. وأصله ما ذكرنا أنه[٢] لا يحتمل أن يكون الله[٣] عز وجل يعلم مِن خَلْقِه اختيارَ[٤] عداوته والخلاف له [ثم] يشاء لهم[٥] الولاية؛ لأنه[٦] يخرج ذلك مخرج العجز. لأن في الشاهد [أن] مَن اختار عداوة أحد والآخر[٧] يختار ولايته أنه إنما يختار [ذلك] لِضَعفه وعجزٍ[٨] فيه.

وقوله عز وجل: **ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**، قيل: الإثم **على الذين لا يعقلون**.[٩] وقيل: **ويجعل**، العذاب، **على الذين لا يعقلون**، أي لا يستعملون عقولهم حتى يعقلوا.[١٠] أو على الذين لا ينتفعون بعقولهم.*

وقوله عز وجل: **وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله**، قيل: **وما كان لنفسٍ**، في علم الله أنها لا تؤمن فتؤمن، أي لا تؤمن نفس في علم الله[١١] أنها لا تؤمن، إنما يؤمن مَن في[١٢] علم الله أنه يؤمن. وأمّا مَن في علم الله أنه لا يؤمن فلا يؤمن. وقيل: **وما كان لنفس**،[١٣] أي لا تؤمن[١٤] نفس إلا بمشيئة الله، أي إذا آمنت إنما تؤمن بمشيئة الله، ما يفعل إنما يفعل بمشيئة الله،

---

[١] ع م – لأنه.
[٢] ع م: لأنه.
[٣] م – الله.
[٤] ع م: اختياره.
[٥] ن: يشابهم؛ م: شيئا لهم.
[٦] ع م – لأنه.
[٧] جميع النسخ: فالآخر.
[٨] ع: وعجزه.
[٩] ع – قيل الإثم على الذين لا يعقلون.
[١٠] ع م: حتى يعقلون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٩٨، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٧و/سطر ٢٨-٣٣.
[١١] ع – الله.
[١٢] ن ع م: يؤمن في.
[١٣] ن + ألا تؤمن نفس.
[١٤] ن ع: ألا تؤمن.

كقوله: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[١] وقال بعضهم: قوله:[٢] **إلا بإذن الله،** أي بأمر[٣] الله. فمعناه إذا آمنت إنما تؤمن بأمره، لا تؤمن[٤] بغير أمره.[٥] فالأول أقرب. ***والله أعلم.***

وقوله: **ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون،** أي يجعل جزاء الرجس، أي جزاء الكفر، **على الذين لا يعقلون،** أي الذين لا ينتفعون بعقولهم. ***والله أعلم.***

**﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠١]**

وقوله عز وجل: **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض،** تأويله -والله أعلم- أي انظروا إلى آثار نعمه وإحسانه التي في السماوات والأرض / لكي تشكروه. أو يقول:[٦] انظروا إلى آثار[٧] ربوبيته وألوهيته [٢٣٧ظ] في السماوات والأرض فتوحّدوه وتؤمنوا به. أو يقول: انظروا إلى آثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه. أو انظروا إلى أجناس الخلق واتّساقه على تقدير واحد ليدلكم على وحدانيته ونحو ذلك. ليس[٨] شيء في السماوات والأرض يقع عليه البصر إلا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظةَ البصر.

وقوله عز وجل: **وما تغني الآيات والنُّذُر عن قوم لا يؤمنون،** يحتمل وجوها. يحتمل **وما تغني الآيات والنذر عن قوم،** هِمّتهم المكابرة والمعاندة. إنما تغني الآيات مَن هِمّته القبول والانقياد، وأمّا مَن هِمّته[٩] المكابرة والعناد فلا تغني. وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[١٠] الآية. ويحتمل **وما تغني الآيات والنُّذُر،** في الآخرة، **عن قوم لا يؤمنون،** في الدنيا. إنما تنفع وتغني لقوم يؤمنون، فأمّا[١١] من لا يؤمن فلا تغني. والثالث **وما تغني الآيات والنُّذُر...**[١٢] ثم النُّذُر يحتمل الرسل. ويحتمل المواعيد[١٣] التي أُوعِدوا والأحوال التي تغيرت على أوائلهم. ***والله أعلم.***

---

[١] سورة الإنسان، ٧٦/٣٠؛ وسورة التكوير، ٨١/٢٩.
[٢] ك ن - قوله.
[٣] ن: أي إلا بأمر.
[٤] ن: ولا تؤمن.
[٥] ك: بأمر غيره.
[٦] م: تشكروه يقول.
[٧] م - آثار.
[٨] م - ليس.
[٩] م: من همة.
[١٠] ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).
[١١] ع م: وأما.
[١٢] كذا في جميع النسخ.
[١٣] ع م: الوعيد.

**﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾**[١٠٢]

وقوله عز وجل: **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خَلَوْا من قبلهم**، أي **فهل ينتظرون**، بي يوما من الهلاك، **إلا مثل أيام الذين خَلَوْا من قبلهم**، أي إلا مثل ما انتظر[1] الذين خلوا من قبلهم[2] برسلهم من الهلاك. فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاكَ الرسل وذهابَ أمرِهم. ويحتمل وجها آخر: **فهل ينتظرون**، مِن نزول العذاب بهم إلا مثل ما انتظر أولئك من نزول العذاب بهم، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل. ويحتمل قوله: **فهل ينتظرون**، مِن تأخيرهم الإيمان إلى وقت نزول العذاب بهم إلا مثل ما أَخّر أولئك الذين خَلَوْا من قبلهم الإيمانَ إلى وقت نزول العذاب بهم.[3] فهذا يخرج على الإياس من إيمانهم. أي لا يؤمنون إلى ذلك الوقت الذي لا ينفعهم إيمانهم. والوجه الأول على التوبيخ والتعيير.

وقوله: **قل فانتظروا**، بي ذلك، **إني معكم من المنتظرين**، ذلك.

**﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ثم ننجّي رسلنا والذين آمنوا**؛ قوله: **ننجّي**، أي أنجينا الرسل، **والذين آمنوا**؛ لأنه لم يكن بعده رسول. وتأويله -والله أعلم- أنه وَعَده أن ينجي الرسل والذين آمنوا. **كذلك حقا علينا**، أن نُنجز ما وَعَدْنا أن ننجي[4] الرسل والذين آمنوا. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٠٤]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني**؛ قوله: **إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدين به، **أو إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدعوكم إليه، **فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله**. إذا شككتم[5] في ديني الذي أدعوكم إليه[6] كنتم شاكّين في دينكم الذي[7] أنتم عليه.

---

[1] ع م: ما انظروا.
[2] ن - أي فهل يتطروں بي يوما مں الهلاك إلا مثل أيام الديں حلوا مں قبلهم أي إلا متل ما انتطر الذيں خىوا مں قىلهم.
[3] ع م - إلا مثل ما أخر أولئك الذين خلوا من قبلهم الإيمان إلى وقت نزول العذاب بهم.
[4] ن: أن ينجي.
[5] ك: إذادا شككتم؛ ع: إذادا شكلتم.
[6] ن + فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله.
[7] ن - ديىكم الدي، صح هـ.

فتركتم ديني الدي أنا عليه بالشك، ثم تدعونني إلى دينكم[١] الذي أنتم عليه بالشك. يذكر سَفَهَهم بتركهم إجابته[٢] بالشك ودعائهم إياه بالشك إلى دينهم؛ لأن الشك[٣] يوجب الوقف في الأشياء ولا يوجب الدعاء إليه. إنما يوجب الدعاء إليه[٤] بطلان غيره لا الشك. هذا -والله أعلم- محتمل. وهو يخرج على وجهين أيضا.[٥] أحدهما على الإضمار، والآخر عى المنابذة. والإضمار ما ذكرنا: **إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدين[٦] به وأدعوكم إليه فأنا لا أشك فيه، هذا وجه الإضمار. ووجه المنابذة يقول: **إن كنتم في شك**، مما أعبد وأدين به فلا تعبدون ذلك ولا تدينون[٧] به[٨] فأنا لا أعبد ما تعبدون ولا أدين ما تَدينون به.[٩] وهو كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[١٠]

وقوله عز وجل: **ولكن أعبد الله الذي يتوفّاكم**، والتوفي هو النهاية والغاية في الإضرار. وما تعبدون من الأصنام دونه لا يملكون[١١] تَوفِيَكم[١٢] ولا الإضرار بكم[١٣] إن لم تعبدوها. يذكر سَفَهَهم ويُلزِمهم الحجة أن الذي يتوفاهم هو المستحق للعبادة لا الأصنام[١٤] التي تعبدونها.

وقوله عز وجل: **وأُمرت أن أكون من المؤمنين**، يشبه أن يكون قوله: **من المؤمنين**، من المرسلين، كقوله:[١٥] وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ،[١٦] وقال: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.[١٧]

---

[١] م - لذي أنا عيه بالشك ثم تدعونني إلى دينكم.
[٢] ك: إجابتهم.
[٣] ع م - إلى دينهم لأن الشك.
[٤] ن - إليه؛ ع م - إنما يوجب الدعاء إليه.
[٥] م - أيضا.
[٦] ن: أودين.
[٧] ع م: يدينون.
[٨] ن - به.
[٩] م - به.
[١٠] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١١] ك + العبادة.
[١٢] ع م - توفيكم.
[١٣] ع م: لكم.
[١٤] ع: ولا الأصنام.
[١٥] ن - كقوله.
[١٦] سورة الصافات، ١٧١/٣٧.
[١٧] سورة الصافات، ٨١/٣٧، ١١١، ١٣٢. وقد وردت هذه الآيات في نوح وإبراهيم وإلياس عليهم السلام.

فعلى ذلك هذا. ويحتمل[1] الإيمان نفسه على ما نهُي أن يكون من المشركين أو الشاكّين. فعلى ذلك أُمر أن يكون من المؤمنين المخلصين له المسلمين أنفسهم. *والله أعلم*.

**﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وأنْ أَقِمْ وجهك للدين حنيفا**، أي أُمرت أن أقيم نفسي لله خالصة سالمةً لا أُشرك فيها غيره ولا أجعل لسواه فيها نصيبا. أو أن يقول: إني أُمرت أن أقيم نفسي[2] على ما عليها شهادةُ خِلقتِها،[3] إذ خِلقةُ كل نفس تَشهد على وحدانية الله وألوهيته.[4] أو يقول: **أقم وجهك**، وَجْهَ أمرِك لِما تدين به وتقيم عليه. **ولا تكوننّ من المشركين**، هذا ما ذكرنا.[5] *والله أعلم*.

**﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[١٠٦]

وقوله عز وجل: **ولا تَدْعُ مِن دون الله ما لا ينفعك**، إن أطعته وأجبته، **ولا يضرك**، إن تركت إجابته وطاعته. وقوله: **ولا تَدْعُ مِن دون الله**،[6] يحتمل لا تعبد مِن دون الله ما لا يملك جرَّ المنفعة. ويحتمل الدعاء نفسه، أي لا تُسَمِّ مَن دون الله إلها.

وقوله عز وجل: **فإن فعلتَ فإنك إذًا من الظالمين**، ذكر هاهنا[7] الظلم إن فعل ما ذكر، والمراد منه الشرك. وذكر في قصة آدم وحواء: وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[8] وقد قَرِبَاها و لم يكونا[9] مشركين، إنما كانا عُصَاةً، لِيُعلَم أنْ ليس في الموافقة في الأسماء موافقةٌ في الحقائق والمعاني. إنما تكون[10] الموافقة في الحقائق في موافقة الأسباب. لذلك كان ما ذكر.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ن: يحتمل.
[2] ن + لله خالصة.
[3] ع م: خنقها.
[4] ع: وألوهية.
[5] انظر تفسير الآيتين من سورة يونس، ٩٤/١٠-٩٥.
[6] ن - إن أطعته وأجبته ولا يضرك إن تركت إجابته وطاعته وقوله ولا تدع من دون الله.
[7] ك: هاهنا ذكر.
[8] سورة البقرة، ٣٥/٢؛ وسورة الأعراف، ١٩/٧.
[9] ع: يكونوا.
[10] ن ع م: يكون.
[11] ع م: ما ذكروا.

**﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[١٠٧]

وقوله عز وجل: **وإن يَمْسَسْك الله بضُرٍّ فلا كاشف له إلا هو**، فيه نهي الرجاء والطمع / إلى مَن دونه، إذ أخبر[١] أنه لا يوجد ذلك من عند غيره.[٢] [٢٣٨و]

وقوله عز وجل: **وإن يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله**، أخبر أنه إن أراد[٣] خيرا وفضلا[٤] فلا رادّ لذلك الفضل والخير. والإيمان من أعظم الخيرات وأفضلها، فإذا أراده[٥] لإنسانٍ[٦] كان، ولا يملك[٧] أحد دفع ما أراد ولا ردّه. دل أنه إذا أراد الإيمان لأحد كان مؤمنا. فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا: إنه أراد الإيمان للخلق كلهم، لكنهم لم يؤمنوا، إذ أخبر أنه إذا أراد[٨] به خيرا فلا رادّ لذلك[٩] الفضل.[١٠] وهم يقولون: بل يملك العبد ردّ ما أراد له[١١] ودفعه. *وبالله العصمة*.

وفيه أنْ ليس على الله فِعل،[١٢] أعني فِعل الخير؛[١٣] لأنه سماه فضلا. والفضل هو فعل ما ليس عليه. وهو المفهوم في الناس أنّ ما عليهم من الفعل لا يسمون فضلا. إنما يسمون الفضل ما ليس عليه. *والله أعلم*.[١٤]

وقوله عز وجل: **يصيب به من يشاء من عباده**، يصيب[١٥] به من يشاء من الفضل والخير أو من الشر. وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال: **يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**، لا يَعْجَل بالعقوبة.

---

[١] ع: وإذا أخبر.
[٢] ن: غير.
[٣] ع: إذا أراد.
[٤] م: فضلا.
[٥] ع م: أراد.
[٦] ن ع م: الإنسان.
[٧] م: لا يملك.
[٨] م: أنه أراد.
[٩] ع م – لذلك.
[١٠] ع م: لفضله.
[١١] ن – له.
[١٢] م + هذا.
[١٣] ع: الخيرات.
[١٤] ن – والله اعلم.
[١٥] ع: ويصيب.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم**، قيل: **الحق**، محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **الحق**، القرآن الذي أنزل عليه. وأمكن أن يكون **الحق** هو الدين الذي كان[١] يدعوهم[٢] رسول الله إليه؛ لأنه قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي.[٣] فيشبه أن يكون **الحق** هو الدين الذي[٤] شكوا فيه. أي **قد جاءكم**، ما يُزيل عنكم ذلك الشك إن لم تُكابِروا لِما أقام عليهم الحجج والبراهين. ويحتمل **الحق**، محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكره[٥] بعض أهل التأويل. وكان[٦] رسول الله من أول[٧] نشوئه إلى آخره آية.[٨] ويحتمل **الحق**، القرآن[٩] على ما ذكره بعضهم. وهو ما ذكر: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.[١٠] سماه بأسماء مختلفة. سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحوه. وفيه كل ما ذكر لمن تأمّله[١١] وتفكّر فيه وتمسّك به.

وقوله عز وجل: **فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها**، أي من اهتدى فإنما منفعة اهتدائه له في الدنيا والآخرة، ومن ضل فإنما يرجع ضرر ضلالته إليه وخيانته عليه. أي ما يأمر[١٢] وينهى ليس يأمر وينهى لمنفعة تحصل له أو لحاجة نفسه، إنما يأمر وينهى لمنفعة للخلق ولحاجتهم.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بوكيل**، أي بمسلَّط. قال بعض أهل التأويل: هو منسوخ، نسخته آية القتال. لكنه لا يحتمل؛ لأنه[١٣] وإن كان مأمورا بالقتال فهو ليس بوكيل ولا مسلَّط على حفظ أعمالهم،

---

[١] م: كانوا.
[٢] ع: يدعو لهم.
[٣] سورة يونس، ١٠/١٠٤.
[٤] ع م – لذي.
[٥] م: ما ذكر.
[٦] ع م: كان.
[٧] جميع النسخ: في أول.
[٨] م – آية.
[٩] ع م – القرآن.
[١٠] سورة فصلت، ٤١/٤٢.
[١١] جميع النسخ: من تأمله.
[١٢] ن ع: ما يؤمر.
[١٣] م – لأنه.

إنما عليه التبليغ، كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[١] وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٢] وكقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٣] الآية.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **واتبع ما يوحى إليك**، يحتمل القرآن وغيره من الوحي.[٤]

وقوله عز وجل: **واصبر حتى يحكم الله**، أي اصبر على[٥] أذاهم، لأنهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه بما لا يليق به. يقول: اصبر على أذاهم ولا تعجل عليهم[٦] بالعقوبة **حتى يحكم الله**، عليهم بالعقوبة[٧] وقت عقوبته، **وهو خير الحاكمين**. أو اصبر[٨] على تكذيبهم إياك **حتى يحكم الله**، بينك وبين مكذِّبيك، **وهو خير الحاكمين**. أو اصبر[٩] على تبليغ الرسالة والقيام لِما أُمرتَ به.[١٠] *والله الموفق*.[١١]

---

[١] ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إنْ عليك إلّا البلاغ﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٨).
[٢] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حُمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).
[٣] ﴿ولا تطردِ الذين يَدْعُون ربهم بالغَدَاة والعَشِيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٢).
[٤] جميع النسخ + غير القرآن.
[٥] م: اصبر حتى على.
[٦] ك – عليهم.
[٧] ع – حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة.
[٨] ع م: واصبر.
[٩] م: واصبر.
[١٠] م – به
[١١] ك: أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١]

قوله عز وجل: **الر كتابٌ أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، قال الحسن: **أُحكِمَتْ آياته**، بالأمر والنهي، **ثم فُصِّلَتْ**، بالوعد والوعيد.[١] وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، بالوعد والوعيد، **ثم فُصِّلَتْ**، بالأمر والنهي. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**،[٢] حتى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك أحد التبديل، **ثم فُصِّلَتْ**، بَيَّنت ما يؤتَى وما يُتَّقَى.[٣] أو بَيَّنت ما لهم وما عليهم وما لله عليهم. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، فلم تُنسَخ، **ثم فُصِّلَتْ**، بالحلال والحرام. وقيل: **فُصِّلَتْ**، أي فُرِّقَتْ في الإنزال؛ أُنزِل[٤] شيء بعد شيء على قدر النوازل والأسباب، فلم ينزل[٥] جملة؛ لأنه لو أُنزِل جملة لاحتاجوا إلى أن يَعرِفوا الكلِ[٦] سببَه وشأنَه وخصوصَه وعمومَه. فإذا أُنزِل متفرِّقا في أوقات مختلفة على النوازل والأسباب عرفوا ذلك على غير إعلام ولا بيان. والتفصيل هو[٧] اسم التفريق واسم التبيين. وذلك يحتمل المعنيين جميعا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أُحكِمَتْ آياته**، أي **أُحكِمَتْ** حتى لا يَرِد عليها[٨] النقض[٩] والانتقاض. أو **أُحكِمَتْ** حتى لا يملك أحد التبديل والتغيير. أو **أُحكِمَتْ** عن أن يقع فيها الاختلاف. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، بالفرائض، **ثم فُصِّلَتْ**، بالثواب والعقاب. ثم الآيات تحتمل[١٠] وجوها.

---

[١] *تفسير الطبري*، ١١/١٧٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٩٩.
[٢] ن - بالوعد والوعيد ثم فصلت بالأمر والنهي وقال بعضهم أحكمت آياته.
[٣] ك: ويتقى.
[٤] م: إنزال.
[٥] ك: لم ينزل.
[٦] ع: الكل.
[٧] م: هم.
[٨] م: عليه.
[٩] ك: النقيض.
[١٠] ع م: يحتمل.

أحدها العِبَر، والثاني الحجج، والثالث العلامة. ثم الآية كل كلمة في القرآن تمت؛ فهي حجة أو عبرة[1] أو علامة، لا تخلو عن أحد هذه الوجوه الثلاثة.

[٣٣٨ط] وقوله عز وجل: **مِن لَدُنْ حكيم خبير**، مِن عند / حكيم عليم[2] جاءت هذه الآيات.

[٣٣٨ظ س ١٢] * وقال[3] بعض أهل الفقه: في قوله: **الر كتاب أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، دلالة تأخير البيان؛ لأنه قال: **أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، وحرف ثم[4] من حروف الترتيب، ففيه جواز تأخير[5] البيان.

[٣٣٨ظ س ١٤] *والله أعلم*.*

**﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **أنْ لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير**، أي من الله[6] يُنذِر مَن يُنذِر ومِن عنده يبشر مَن يبشر. يبشّر[7] من اتّبع وينذر من خالف. وقوله: **أنْ لا تعبدوا إلا الله**، في شهادة خِلقتكم [أنه] هو المستحق للعبادة. ويحتمل **أنْ لا تعبدوا**،[8] أي لا[9] توحِّدوا إلا الذي في شهادة خِلقتكم وحدانيته.[10]

**﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وأنِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، إن كانت الآية في الكفار فيكون قوله: **استغفروا ربكم**، أي أسلموا، **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه عن كل معصية وكل مأثم[11] تأتونه.[12] وإن كان في المسلمين فهو ظاهر. فيكون قوله: **استغفروا**، و **توبوا**، واحدا.

---

[1] ع م: عبرة أو حجة.
[2] م: عليهم.
[3] م: قال.
[4] ك: وحرف الثم.
[5] ع: اما خير.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٨ظ/سطر ١٢-١٤.
[6] ع + أي من الله.
[7] ع م - من يبشر يبشر.
[8] ك - في شهادة خلقتكم هو المستحق للعبادة ويحتمل أن لا تعبدوا.
[9] ن ع م: أن لا.
[10] ع: وحدانية.
[11] ع: ثم.
[12] جميع النسخ: تأتونها

وقوله عز وجل: **يُمَتِّعْكم متاعا حسنا**، أي **يُمَتِّعْكم**، في الدنيا، **متاعا**، تستحسنون في الآخرة ذلك التمتُّع. وأما الكفار فإنهم لا يستحسنون في الآخرة ما مُتِّعوا [به] في الدنيا؛ لأن تمتُّعهم في الدنيا للدنيا. والمؤمن ما يَتمتّع [به] في الدنيا يتمتع لأمر الآخرة والتزوُّد لها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضلَه**، يحتمل قوله: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**، في الدنيا جزاء فضله في الآخرة. ويحتمل **يؤتِ**، بمعنى آتى. أي ما آتى كل ذي فضل في الدنيا إنما آتاه بفضله. وقوله: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضلَه**، أي **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**،[1] في دينه في الدنيا، **فضلَه**، في الآخرة. أو يقول: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**، في الدنيا والآخرة، **فضلَه**؛ لأن أهل الفضل في الدنيا هم أهل الفضل في الآخرة.

**وإن تَولَّوْا**، ولم تسلموا،[2] **فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير**، الآية ظاهرة. وقال: عَظِيمٍ،[3] في موضع آخر. وهذا[4] لِما يَكبُر على الخلق ويعظُم ذلك اليوم.*

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إلى الله مرجعكم**، أي إلى ما أَعَدَّ لكم مرجعكم مِن وَعْدٍ ووعيد. **وهو على كل شيء قدير**، أي **وهو على كل**، ما وعد وأوعد، **قدير**.

**﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ألَا إنهم يَثْنُون صدورهم لِيَستَخفُوا منه**، عن عبد الله بن شداد قال:[5] كان أحدهم إذا مر بالنبي تَغشَّى بثوبه[6] وحَنَى[7] صدره.[8] وقال قتادة: كانوا يَحْنُون[9] صدورهم

---

[1] م – فضله أي ويؤت كل ذي فضل.

[2] جميع النسخ: ولم يسمموا.

[3] ﴿قل إني أخاف إنْ عَصيتُ ربي عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/١٣).

[4] م: هدا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٨ظ/سطر ١٢-١٤.

[5] ع م – قال.

[6] ع: بثوته.

[7] ن: وجنى.

[8] ع: صدوره. وانظر: *تفسير الطبري*، ١١/١٨٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠٠.

[9] ن: يجنون؛ ع م: يخفون.

لكيلا يسمعوا كتاب الله وذِكْرَه.[١] وقال[٢] بعضهم: نزلت الآية في رجل[٣] يقال له: الأَخنَس بن[٤] شُرَيْق الثقفي.[٥] كان يجالس النبي ويُظهِر له أمرا حسنا، وكان حَسَن المنظر حسن الحديث. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويُقَرِّبُه [في] مجلسه. وكان يُضمِر خلاف ما يُظهِر.[٦] فأنزل الله: **أَلَا إنهم يَثْنُون صدورهم.**[٧] يقول: يكتمون ما في صدورهم ويستترون، وهو قول ابن عباس.[٨] وأصل تثنية الصدور هو أن يُضَمَّ أحدُ طرفَي الصدر إلى الطرف[٩] الآخر ليكون ما أُضمِر وأُسِرّ أَخْفَى.[١٠] ويشبه ما ذكر من ثَنْيِ الصدور أن يكون كناية عن ضيق الصدور، كقوله: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا.[١١] أو عبارة عن الكِبْر، كقوله: ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،[١٢] الآية. وكأن أصله الميل إلى غيره. وهو ما قال أبو عَوْسَجة: **يَثْنُون صدورهم**، أي يميلون إلى غيره. وكذلك قوله: **ثَانِيَ عِطْفِهِ.**

وقوله: **لِيَستَخفُوا منه**، قال بعضهم: من الله، وقال بعضهم: **منه**، أي من رسول الله. لكن إن كانت الآية في المنافقين على ما ذكره بعض أهل التأويل فهو الاستِسْرار والاستِتار من رسول الله؛ لأنهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون الخلاف[١٣] له والعداوة. وإن كانت الآية[١٤] في المشركين فهو على الاستِسْرار والاستِتار من الله؛ لأنهم لا يُبَالُون الخلاف لرسول الله وإظهارَ العداوة له.[١٥]

---

[١] *تفسير الطبري*، ١١/١٨٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠١.
[٢] م: قال.
[٣] ع م + له.
[٤] ك: الأخنس ابن.
[٥] الأَخنَس بن شُرَيْق الثقفي اسمه أُبَيّ، وإنما لُقِّب الأخنس لأنه رجع ببني زُهْرَة مِن بَدْر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعِير. فقيل: خَنِس الأخنس ببني زُهْرَة، فسُمِّي بذلك. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلَّفة قلوبهم. وشهد غزوة حُنَيْن. ومات في أول خلافة عمر. انظر: *الإصابة* لابن حجر العسقلاني، ١/٣٨.
[٦] م: ما يظهره.
[٧] ذُكر بغير إسناد؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٩/٥؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ١١/٢٠٩.
[٨] «عن ابن عباس قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾، يقول: يكتمون ما في قلوبهم» (*تفسير الطبري*، ١١/١٨٥).
[٩] ع م: إلى طرفي.
[١٠] جميع النسخ: واخفى.
[١١] ﴿فمَن يُرِدِ الله أنْ يَهديه يَشرحْ صدره للإسلام ومَن يُرِدْ أن يُضلّه يجعل صدره ضيِّقا حَرَجا كأنما يَصَّعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٥).
[١٢] ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مُنِير. ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سبيل الله له في الدنيا خِزْيٌ ونُذِيقُه يوم القيامة عذاب الحَرِيق﴾ (سورة الحج، ٢٢/٨-٩).
[١٣] ع م – الخلاف.
[١٤] ن – الآية.
[١٥] ع م – له.

وعندهم أن الله لا يَطَّلِع على ما يُسِرّون ويضمرون في قلوبهم. فأخبر أنه يعلم ما أسرّوا وما أعلنوا. ففيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم[١] كانوا يُسِرّون ذلك عنه[٢] ويضمرونه.[٣] فأخبرهم بذلك لِيُعلَم [أنه] إنما عَلِم ذلك بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **ألَا حين يَستَغشُون ثيابهم**، أي يستترون بها. قال الحسن: **ألَا حين يَستَغشُون ثيابهم**، في ظلمة الليل وفي أجواف بيوتهم، **يعلم**، تلك الساعة، **ما يُسِرّون وما يُعلنون**.[٤] وأصله أنهم يعلمون أن الله هو الذي أنشأ هذه الصدور والقلوب، والثيابُ هم الذين نَسَجوها[٥] واكتسبوها. ثم لا يملكون الاستِتار بما كسبوا هم،[٦] فلئلا يملكوا[٧] الاستتار بما تولّى هو إنشاءَه أَحَقُّ. وقوله: **ألَا حين يَستَغشُون**، **ألَا**، إنما هو تأكيد الكلام، وهو قول أبي عُبَيدة[٨] وغيره.

وقوله عز وجل: **إنه عليم بذات الصدور**، قال أهل التأويل: عليم بما في الصدور. لكن[٩] يشبه أنّ قوله: **عليم بذات الصدور**، عبارة عن صدور لها تدبير وتمييز، وهي[١٠] [في] البشر.

**﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** [٦]

وقوله عز وجل: **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**، قال بعضهم: عَنَى بالدابة المتحَن منها،[١١] وهو [جنس] البشر. وأما غيره من الدواب فقد سخرها للممتحَن منها.[١٢] وقال قائلون: أراد كل دابة تَدِبّ على وجه الأرض من الممتحَن[١٣] وغيره. وتمامه: ما من دابة في الأرض جُعِل قِوامُها

---

[١] ن: أنهم.
[٢] م - عنه.
[٣] م: ويضمرون.
[٤] *تفسير الطبري*، ١٨٤/١١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٠/٤.
[٥] ن ع: نسموها.
[٦] م: كسبوهم.
[٧] ن ع م: لا يملكون.
[٨] يقول أبو عبيدة: «﴿ألَا حين يَستَغشُون﴾ والعرب تدخل "ألا" توكيدا وإيجابا وتنبيها» (*مجاز القرآن*، ٢٨٥/١).
[٩] ك: ولكن؛ م: لكنه.
[١٠] جميع النسخ: وهو.
[١١] ك ن: به؛ ع م: بها.
[١٢] جميع النسخ: به.
[١٣] جميع النسخ + به.

وحياتها بالرزق إلا على الله إنشاء[1] ذلك الرزق لها. ثم من الرزق ما جعله بسبب، ومنه ما جعله بغير سبب.

وقوله عز وجل: **إلا على الله رزقها،** اختلف فيه[2] أيضا. قال بعضهم: قوله: **على الله رزقها،** أي على الله إنشاء رزقها وخَلْقُه لها الذي به / قِوامها وحياتها. وهو كقوله: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[3] [٣٣٩و] أي ينشئ ويخلق رِزقَنا بسبب من السماء من المطر وغيره. فعنى ذلك قوله: **على الله رزقها،** أي على الله إنشاء رزقها وخَلقُه لها. وقيل: **على الله رزقها،** أي على الله أن يبلِّغ إليها رزقها وما قدّر لها وما به معاشها، كقوله: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا،[4] الآية، [أي] عليه تبليغ رزقها وما به معاشها.[5] ثم قوله: **على الله،** قال بعضهم: ما جاءها من الرزق إنما جاء من الله لم يأتها من غيره. و **على الله،** بمعنى من الله. وذلك جائز في اللغة، كقوله: اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[6] أي من الناس.[7] وهو قول مجاهد.[8] ويحتمل قوله: **على الله رزقها،** أي على الله وفاء ما وعد. وقد كان وعد أن يرزقها، فعليه وفاءُ وعدِه[9] وإنجازُه. ويحتمل وجها آخر، وهو أنه لمّا خلقها[10] لِيُبقِيها[11] إلى وقتٍ فعليه[12] تبليغ ما به تعيش إلى ذلك الوقتِ والأجلِ؛ [لأنه هو][13] الذي خلقها لِيُبقِيَها إلى ذلك. وبعضه قريب من بعض.

وقوله عز وجل: **ويعلم مُستقَرَّها ومُستَوْدَعَها،** اختلف فيه. قال بعضهم: **مستقرها،** بالليل، **ومستودعها،** بالنهار في معاشها. وقال بعضهم: المستقر الرَّحِم، والمستودع الصُّلْب. وقال بعضهم: المستقر الصُّلْب،[14] والمستودع الرَّحِم. وقال بعضهم: المستقر المتقلِّب في الدنيا،

---

[1] ك: إن شاء.
[2] ع م – فيه.
[3] ﴿وفي السماء رِزْقُكم وما توعدون﴾ (سورة الذاريات، ٢٢/٥١).
[4] ﴿قل أ إنكم لَتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسيَ مِن فوقها وبارك فيها وقَدّر فيها أَقْوَاتَها في أربعة أيام سواءً للسائلين﴾ (سورة فصلت، ٩/٤١-١٠).
[5] ع م – كقوله وقدر فيها أقواتها الآية عليه تبليغ رزقها وما به معاشها.
[6] ﴿الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يَستَوْفُون﴾ (سورة المطففين، ٢/٨٣).
[7] ن ع م: عن الناس.
[8] *تفسير الطبري*، ٤١/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٠١/٤.
[9] ع: وعد.
[10] ع – أنه لما خلقها؛ جميع النسخ + انه.
[11] جميع النسخ: يبقيها.
[12] جميع النسخ: عليه.
[13] والتصحيحات مع الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٨و.
[14] م – وقال بعضهم المستقر الصب.

والمستودع مثواها في الآخرة،[1] كقوله: وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ،[2] [أي يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ][3] في الدنيا وتحرُّكَكم في معاشكم، وَمَثْوَاكُمْ، أي قراركم ومقامكم في الآخرة. وقال بعضهم: **مُستقرَّها**، في الدنيا، **ومُسْتَودعَها**، في القبر. ويشبه أن يكون هذا إخبارا[4] عن العلم بها في كل حالٍ، في حال[5] سكونها وفي حال حركتها؛[6] لأنها لا تخلو إما أن تكون ساكنة قارّة[7] أو متحركة. أي يعلم عنها كلَّ حالها. ويشبه أن يكون صلة ما تقدم، وهو قوله: أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ،[8] الآية. يخبر أنه إذ لم[9] يَخْفَ عليه كونُ كل دابة في بطن الأرض وما تَغِيض[10] به الأرحام وما استودع في الأصلاب كيف يخفى عليه أعمالكم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب وفيها الأمر والنهي. ***والله أعلم***.

**كلٌّ في كتاب مبين**، أي مبيَّن في كتابه. قيل: في اللوح المحفوظ. ويحتمل القرآن وغيره.

**﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾**[٧]

وقوله عز وجل: **وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام**، وقال في موضع آخر: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،[11] وقال في موضع آخر: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ -وقال- وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ -وقال-

---

[1] ن - في الآخرة.

[2] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومَثْوَاكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٠).

[3] من *الشرح*، ورقة ٣٧٨و.

[4] ن ع م - إخبارا.

[5] ع م - في حال.

[6] ن: حركاتها.

[7] ن ع م: تارة.

[8] الآية السابقة.

[9] ن م: إذا لم.

[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تَغِيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ (سورة الرعد، ٨/١٣). وغاص الماء يَغيض غَيْضا أي نقص أو غار فذهب (*لسان العرب* لابن منظور، «غيض»).

[11] سورة الفرقان، ٥٩/٢٥؛ وسورة السجدة، ٤/٣٢.

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.[1] يجوز أن يكون جَعل للأرض يومين، يوما لوجودها ويوما لعدمها. وكذلك السماء جَعل يوما لوجودها ويوما لعدمها، كقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] الآية،[3] وكقوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[4] وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ.[5] وكذلك ما بينهما جَعل يوما لوجوده ويوما لعدمه. فيكون اليوم[6] السابع يوم البعث. يكون لكلٍّ مِن ذلك يومين، يوما لوجوده ويوما لعدمه.[7] وقد ذكرنا شيئا في ذلك مما احتمل وُسْعُنا في سورة الأعراف.[8] وفي هذه[9] الآية دلالة أنّ السماء[10] والأرض دخلتا تحت الأوقات بقوله: **في ستة أيام**؛ إذ الأيام عند الناس إنما هو مُضِيّ الأوقات. فإذ[11] دخلتا تحت الأوقات فليستا[12] بأزليّتين على ما يقول بعض الملحدة أنهما أزليّتان،[13] كانا كذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكون اليوم السابع هو اليوم الذي أنشأ[14] الممتحَن فيه؛ وهو المقصود في خَلْقِ ما ذكر من الأشياء، أعني البشر.[15]

وقوله عز وجل: **وكان عرشه على الماء**؛ إن كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال بعض أهل التأويل فتأويله -والله أعلم- كان أَظْهَرَ مُلكَه عن الماء. على[16] بمعنى عن.

[1] جميع النسخ: وقال فقضاهن سبع سماوات في يومين وقال وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام. وهذا مخالف ترتيب الآيات. يقول الله تعالى: ﴿قل أإنكم لَتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسيَ مِن فوقها وبارك فيها وقَدّر فيها أَقْوَاتَها في أربعة أيام سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائْتِيا طَوْعا أو كَرْها قالتا أتينا طائعين. فقضاهُنّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرَها وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وحِفْظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٢).

[2] ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرض غيرَ الأرض والسماواتُ وبَرَزُوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٨).

[3] ن - الآية.

[4] ﴿يومَ نَطْوِي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكتب كما بدأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعيده وَعْدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٠٤).

[5] ﴿ويومَ تَشَقَّقُ السماء بالغَمَام ونُزِّل الملائكةُ تنزيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٥).

[6] جميع النسخ: يوم.

[7] م: لوجودها ويوما لعدمها.

[8] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٥٤.

[9] ع م - هذه.

[10] ن: أن السماوات.

[11] ع م: فإن.

[12] جميع النسخ: ليستا.

[13] جميع النسخ: أزليين.

[14] م - أنشأ.

[15] ك: أعني من البشر.

[16] ع م - على.

وذلك[1] جائز في اللغة، لأنه بالماء ظهور[2] كل شئ وبَدْؤُه، كقوله: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.[3] وإن كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله بعض الناس فهو عرش المُلك وسريره، خَلَقَه[4] لِيُكرِم به أولياءه [و]لِيَمتحن ملائكته بحمله والخدمة له على ما يكون لملوك الأرض سرير يستخدمون خَدَمَهم في ذلك. وهو خَلْقٌ من خلائقه أضافه إليه كما تُضاف[5] الأشياء إلى الله.[6] لكنه يضاف الأشياء[7] إليه مرة بالإجمال[8] جملة، ومرة بالإشارة والإفراد. لكن[9] ما أضاف إليه بالإشارة فهو على تعظيم ذلك الشيء. وما أضيف إليه [من] الأشياء بالإجمال والإرسال فهو على ذكر عظمته وكبريائه، كقوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] و خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[11] ونحوه، فيه ذِكرُ سلطانِه وعظمتِه؛ وقوله: بَيْتِيَ،[12] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[13] ونحوه،[14] هو[15] يخرج على ذكر تعظيم البيت والمساجد. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **لِيَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملا**، أي خلق السموات والأرض وما فيهما للممتحَن، لم يخلق هذه الأشياء لأنفسها، إنما خلقها للممتحَن فيهما، كقوله: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا؛[16] لأن خلقها لأنفسها عبث. لأنها مخلوقة للفناء خاصة. فكل مخلوق للفناء خاصة[17] فهو عبث. لذلك كان ما ذكر. **والله أعلم**.

---

[1] ع: ذلك.
[2] ع: طهور.
[3] سورة الأنبياء، ٣٠/٢١.
[4] ن + خلقه.
[5] ن ع م: يضاف.
[6] ع – الله.
[7] م – الأشياء إلى الله لكنه يضاف الأشياء.
[8] ك + مرة.
[9] م: ولكن.
[10] سورة البقرة، ١٠٧/٢؛ وسورة المائدة، ٤٠/٥؛ وسورة الأعراف، ١٥٨/٧؛ وغيرها.
[11] سورة الأنعام، ١/٦، ٧٣؛ وسورة الأعراف، ٥٤/٧؛ وسورة التوبة، ٣٦/٩؛ وغيرها.
[12] ﴿وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طَهِّرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّعِ السُّجُود﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢).
[13] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[14] ك – فيه ذكر سلطانه وعظمته وقوله بيتي وأن المساجد لله ونحوه.
[15] م: وهو.
[16] ﴿وسَخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون﴾ (سورة الجاثية، ١٣/٤٥).
[17] ن - فكل مخلوق للفناء خاصة.

وقوله عز وجل: **ولَئِنْ قلتَ إنكم مبعوثون من بعد الموت لَيقولَنَّ الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**؛ قوله:[١] **ولَئِنْ قلتَ إنكم مبعوثون من بعد الموت**، هذا القول نفسه **إنكم مبعوثون من بعد الموت**، ليس يقولون: هذا سحر، ولكن إذا أخبرهم أنهم / مبعوثون [٣٣٩ظ] من بعد الموت وأقام الحجج والبراهين على البعث فحينئذ قالوا لحجج[٢] البعث وبراهينه: ما هذا إلا سحر. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أنْ يَذكر سفههم أنهم اعتادوا نسبة كل شئ إلى السحر حتى الأشياءَ التي[٣] لا تحتمل السحر، وهي[٤] الأخبار؛ لأن السحر إنما يكون في تقليب الأشياء، وأما فيما يخبر عن شئ يكون فلا.

**﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **ولَئِنْ أَخَّرنا عنهم العذاب إلى أُمَّة مَعدودة**، قيل: إلى وقت معلوم، وهو[٥] البعث. ذَكر **أُمّة** -والله أعلم- لأنه وقتٌ به ينقضي[٦] آجال الأمم جميعا. **لَيقولُنَّ ما يَحبِسه**، أي كانوا يقولون: ما يحبس عنا العذاب الذي يَعِدنا؟ لم تَزَلْ[٧] عادتهم استعجال العذاب استهزاءً بهم.

وقوله عز وجل: **ألَا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم**، ذلك العذاب[٨] إذا جاء[٩] لا يملك أحد صَرْفَه عنهم، كقوله: لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ،[١٠] وقوله: وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ،[١١] ونحوه. وقوله: **وحاق بهم**، قيل: نزل بهم، وقيل: لحق[١٢] بهم.[١٣] **ما كانوا به يستهزئون**،

---

[١] ك: وقوله.
[٢] ك ن: بحجج؛ ع م: الحجج.
[٣] ع – التي.
[٤] جميع النسخ: وهو.
[٥] م: هو.
[٦] ك: ينقضي به.
[٧] م: لم يزل.
[٨] ع م – العذاب.
[٩] ع م: إذ جاء.
[١٠] ﴿وأنذِرْ به الذين يخافون أن يُحشَروا إلى ربهم ليس لهم مِن دونه وليٌّ ولا شفيعٌ لعلهم يتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥١).
[١١] سورة الرعد، ١٣/٣٤.
[١٢] ع: يحق؛ م: يحق.
[١٣] ك: به.

جزاء استهزائهم[١] بالرسول والكتاب. وقوله: **ألَا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم**، أي لا يُصرَف عنهم بشفاعة مَن طَمِعوا شفاعتَه،[٢] كقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا،[٣] أي لا يكون، ردًّا على ما طَمِعوا ورَجَوْا لعبادتهم، وقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً[٤] لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[٥] ونحو ذلك، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رَجاءَ أن تَشفع لهم.

**﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **ولَإنْ أَذَقْنا الإنسان منا رحمة**، قيل: سَعَة في المال ونعمة، **ثم نزعناها منه إنه لَيَئُوس**، أَيْأَسَه ذهابُ ذلك المال عنه ونَزْعُه منه عن عَوْد[٦] ذلك إليه وأَقْنَطَه.[٧] والإياس قد يكون كفرا، كقوله: إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[٨] ويحتمل قوله: **إنه لَيَئُوس**، في حال ذهاب النعمة، والكُفُور في حال النعمة والسَّعَة. **كَفُور**، لما رأى نَزْع ذلك المال والسَّعَة منه جَوْرا وظلما، فهو كَفُور. وعن ابن عباس قال: **ولَإنْ أَذَقْنا الإنسان**، يعني الكافر، **منا رحمة**، يقول: نعمةَ العافية وسَعَةً في المال[٩] وما يُسَرُّ به، **ثم نزعناها منه**، يعني الرحمة، **إنه لَيَئُوس**، يعني قَنُوط، [أي] أَيِس وأَقْنَطَه [ذلك] من رحمة الله. وهو كقوله: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ.[١٠]

*ويحتمل قوله: **لَيَئُوس**، في حال الشدة، **كَفُور**، لله في نِعَمِه في الرَّخاء.[١١] وأصلُ ذلك[١٢] [٣٣٩ظ س ٢٢] أنهم كانوا لا ينظرون في النعم إلى من أنعم عليهم، إنما ينظرون إلى أَعْيُن[١٣] النعم[١٤] وأنفسها.

---

[١] ع: استهزاء بهم.
[٢] ك ن: بشفاعته؛ ع: بشفاعة؛ م: شفاعة.
[٣] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًا. كَلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨١-٨٢).
[٤] ع م – ليكونوا لهم عزا كلا أي لا يكون ردا على ما طمعوا ورجوا لعبادتهم وقوله واتخذوا من دون الله آلهة.
[٥] سورة يس، ٣٦/٧٤.
[٦] جميع النسخ: عن العود.
[٧] جميع النسخ: ويقنطه.
[٨] سورة يوسف، ١٢/٨٧.
[٩] م: وسعة المال.
[١٠] سورة الروم، ٣٠/٣٦.
[١١] ع م: والرخاء.
[١٢] جميع النسخ: وأصله وذلك.
[١٣] م: على أعين.
[١٤] ع – إلى من أنعم عليهم إنما ينظرون إلى أعين النعم.

لذلك حملهم نَزْع ما أُعطوا[1] منهم على الإياس والقُنوط، وإعطاؤها إياهم على الكفران والفرَح والفخر. ولو نظروا في تلك النعم إلى المُنعِم لم يقع لهم الإياس[2] عند النَّزْع ولا الكفران والفرَح
٣٣٩ظ س٢٦] عند النَّيْل، بل يصبرون عند النَّزْع من أيديهم ويشكرون[3] للمُنعِم عليهم في حال النَّيْل.*

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[١٠]

**ولَإِنْ أَذَقْناه نَعْماءَ بعد ضَرَّاءَ مسَّتْه لَيقولَنَّ ذهب السيئات عني إنه لَفَرِح فَخُور،** الفرَح هو الرضاء، كقوله: وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[4] أي رَضُوا بها. وقيل: الفرِح البَطِر. يَبطِر في حال السَّعَة والرَّخاء، كقوله: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ.[5] والفرَح قد يبلغ كفرا، و[قد] يكون الفرَح سرورا ولا يكون كفرا. **فخور،** يفتخر على الفقراء بالمال الذي أُعطي، أو يفتخر على الأنبياء والرسل بالتكذيب. وكذلك كان عادة رؤسائهم أنهم كانوا ذوي مال[6] وسَعة، فلا[7] يرون الرسالة تكون فيمن دونهم[8] في المال والسَّعة،[9] كقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[10] وكقولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا،[11] ونحوه.*

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١١]

ثم استثنى فقال: **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات،** قال بعض أهل التأويل: **إلا الذين صبروا،** على البلايا والشدائد، **وعملوا الصالحات،** يعني الطاعات. ويشبه أن يكون قوله: **إلا الذين صبروا،**[12]

---

[1] ن: مما أعطوا.
[2] جميع النسخ: إياس.
[3] م: وتشكرون.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٢٢-٢٦.
[4] ﴿الله يَبسُط الرزق لمن يشاء ويَقدِر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ (سورة الرعد، ٢٦/١٣).
[5] سورة القصص، ٧٦/٢٨.
[6] م: ذو مال.
[7] ك + بد.
[8] ع: دونه.
[9] م – والسعة.
[10] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[11] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٥/٣٤).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٢٢-٢٦.
[12] ع م – على البلايا والشدائد وعملوا الصالحات يعني الطاعات ويشبه أن يكون قوله إلا الذين صبروا.

أي آمنوا على ما ذكر في غير[١] واحد من الآيات: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[٢] كقوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا.[٣] ويكون قوله: **إلا الذين صبروا**، عن المعاصي فلم يرتكبوها، **وعملوا الصالحات**، أي الطاعات. والإيمان نفسه هو اعتقادُ الانتهاءِ عن المعاصي كلها والاتِّقاءِ عن جميع ما يُدخِل نقصا[٤] فيها وإتيانِ الطاعات جميعا. وهكذا يَعتقد كل مؤمن أن يتقي وينتهي[٥] [عن] كل معصية ويأتي بكل طاعة ويعمل بها. هذا اعتقاد كل مؤمن. وحقيقته الوفاء بذلك[٦] كله.

وقوله عز وجل: **أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**، يشبه أن يكون قوله: **لهم مغفرة**، لما ارتكبوا من الصغائر[٧] من الذنوب وانتهَوْا عن الكبائر منها، **وأجر كبير**، على ما أَتَوْا وعملوا من الكبائر من الطاعات. ويحتمل قوله:[٨] **لهم مغفرة**، الستر في الدنيا. ستَر عليهم تلك الذنوب في الدنيا فلم يطلع عليها الخلق. **وأجر كبير**، بما أظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس إليهم بعين التعظيم[٩] بما ظهر منهم من الخيرات وخَفِي عليهم ما ارتكبوا[١٠] من المعاصي. هذا[١١] التأويل يكون في الدنيا. والأول في الآخرة.

**﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يوحَى إليك**، حرف "لعل" يحتمل وجهين. **[الأول]** يحتمل على النهي، أي لا تترك[١٢] **بعض ما يوحَى إليك**،[١٣] وإن كان معلوما[١٤] أنه لا يترك،[١٥]

---

[١] ك: في غيره.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٧؛ وسورة ص، ٣٨/٢٤؛ وسورة الانشقاق، ٨٤/٢٥؛ وسورة التين، ٩٥/٦؛ سورة العصر، ١٠٣/٣.
[٣] سورة العصر، ١٠٣/١-٣.
[٤] ع: نقضا.
[٥] ك ن: ينتهي ويتقي.
[٦] م: ذلك.
[٧] ك ن: على الصغائر؛ ع: عن الصغائر.
[٨] ك ن ع - قوله.
[٩] جميع النسخ: عظيم.
[١٠] جميع النسخ: بما ارتكبوا.
[١١] م: وهذا.
[١٢] ن: لا تنزل.
[١٣] ك - حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهى أي لا تترك بعض ما يوحى إليك.
[١٤] ك: معلوم.
[١٥] ن: لا ينزل.

كقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[1] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[2] وأمثاله. نهاه وإن كان معلوما[3] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك. وإنما احتمل النهي كما يقول[4] الرجل لآخر: لعلك تريد أن تفعل كذا، فهو ينهاه عن ذلك. والثاني يقال عند القُرْب إلى الفعل والدُّنُوّ[5] منه،
[٢٤٠و] كقوله: لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً،[6] فاستعمل[7] حرف كاد عند الميل / إليهم[8] والقرب منهم[9] طمعا منه في إيمانهم، وذلك[10] فيما يَحِلّ له الترك. وذلك ما قيل مِن نحو سَبِّ آلهتهم وذِكر العيب فيها، ويَحِلّ[11] له ترك سَبّ آلهتهم وشَتْمها. وكذلك[12] يخرج قوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[13] على هذين[14] الوجهين: على المنع أن لا يحمل على نفسه -إشفاقا على أنفسهم أن لا يؤمنوا- ما يوجب تَلَفَه. والثاني على التخفيف، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[15] الآية، وقوله:[16] وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[17] هو على التخفيف ليس على النهي. وفي قوله: **فلعلّك تاركٌ**، الآية، وجه آخر؛ وهو نهي يخرج مخرج البِشارة له[18] مما كان يخاف من ضِيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم إياه فيقع له[19] تأخير[20] في إبلاغ ما أُمِر بتبليغه، فأَمَّنَه الله عن ذلك وعَصَمَه.

---

[1] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.
[2] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١١٤/٦؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.
[3] ك: معلوم.
[4] ن ع م: كما يقال.
[5] ن: في الدنو.
[6] ﴿ولولا أنْ ثبّتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قليلا﴾ (سورة الإسراء، ٧٤/١٧).
[7] جميع النسخ: يقال.
[8] جميع النسخ: إليه.
[9] جميع النسخ: منه.
[10] م: ذلك.
[11] ع: ولا يحل.
[12] ع: وذلك.
[13] ﴿لعلّك باخعٌ نفسَك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[14] ن: على هذا.
[15] سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وسورة النمل، ٧٠/٢٧.
[16] ع م - وقوله.
[17] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أنْ أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين﴾ (سورة القصص، ٧/٢٨).
[18] ن ع م - له.
[19] ك ع م + فيه.
[20] ع م - تأخير.

**والوجه الثاني** في النهي عن دلك هو ما يقع له فيه الرجاء. وذلك أن الأخيار إذا ابتُلُوا بالأشرار قد يؤذَن لهم بمفارقتهم وترك الأمر فيهم. فلعلّه كان يقع له في مثله الرجاء أنه[١] قد يؤذَن له في حال من الأحوال بتأخير التبليغ. فأَيْأَسه عن ذلك وكلّفه بتبليغ ما أُمِر[٢] في جميع أحواله. و **بعض ما يوحَى إليك**، يحتمل ما ذكر أهل التأويل مِن سَبِّ آلهتهم وعيبها وما تدعو[٣] إليه.

وقوله عز وجل: **وضائقٌ به صدرك**، يضيق صدره بما يقولون له استهزاء. وكذلك[٤] الحق أنّ كل مَن استهزئ به[٥] [يمكن] أن يضيق صدره. أو يضيق صدره لما لا يقدر على إتيان ما طلبوا منه من الكنز[٦] وإنزال الملك وقد وَعَدوا أن يؤمنوا لو فَعَل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لولا أُنزِل عليه كنز أو جاء معه مَلَك**، لأن للكنز والمَلَك محل في قلوب أولئك وقَدْر. فقالوا: **لو لا أُنزِل عليه كنز**، فيعظّموه[٧] فيُصَدَّقَ على ما[٨] يوحَى [إليه] ويدَّعي.[٩] وكذلك[١٠] المَلَك له محل عظيم عندهم، إذا كان معه عظّموه وصدّقوه.

وقوله عز وجل: **إنما أنت نذير**، على إثر قولهم: **لولا أُنزِل عليه كنز أو جاء معه مَلَك**، أي **إنما أنت نذير**، ليس عليك إتيان ما سألوا، إنما ذلك[١١] تحكُّم منهم على الله وأماني. فعليك إبلاغ ما أُنزِل إليك، كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١٢] **والله على كل شئ وكيل**، أي حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتفوَّهون به. أو هو الوكيل والحفيظ لا أنت،[١٣] كقوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ،[١٤] وقوله: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ،[١٥] ونحوه. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م – قد يؤذن لهم بمفارقتهم وترك الأمر فيهم فلعله كان يقع له في مثله الرجاء أنه.
[٢] جمي النسخ + له.
[٣] ن ع: تدعوا.
[٤] ك ن: وكذا.
[٥] ع: من استهزاله؛ م: من استهزاء به.
[٦] ع م: من الملك.
[٧] م: فيعضمونه.
[٨] م: فيصدق ما.
[٩] ك ن: على ما يدعي.
[١٠] ن: وكذا.
[١١] ن – ذلك؛ صح هـ.
[١٢] سورة الشورى، ٤٨/٤٢.
[١٣] ن: إلا أنت.
[١٤] سورة الغاشية، ٢٢/٨٨.
[١٥] سورة الأنعام، ١٠٧/٦؛ وسورة الزمر، ٤١/٣٩؛ وسورة الشورى، ٦/٤٢.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه**، أي قالوا: إنه افتراه، أي محمد افترى هذا القرآن من عند نفسه. **قل**، يا محمد إن كان افتريته[١] على ما تقولون، **فأتوا**، أنتم، **بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، لأنكم أقدر على الافتراء من محمد، لأنكم قد عوّدتم أنفسكم الكذب والافتراء، ومحمد لم تأخذوه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء. فمن عوّد نفسه الافتراء والكذب أقدر عليه[٢] ممن لم يُعرَف به[٣] قط.[٤] **فأتوا بعشر سور مثله... وادعوا**، أيضا شهداءكم من الجن والإنس ممن استطعتم[٥] من دون الله يُعينوكم على إتيان مثله، **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه من عنده. أو يقول: **فأتوا بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، أي إن محمدا قد جاء بسُوَر فيه أنباءُ ما أَسْرَرْتم وأخفيتم ما لا سبيل إلى معرفة ذلك والاطِّلاع عليه إلا مِن جهة الوحي من السماء وإطْلاع الله إياه؛ **فأتوا**، أنتم بسورة مفتراة[٦] فيها أنباءُ ما أَضْمَرَ هو وأَسَرّ وتُطْلِعون أنتم على سرائره كما[٧] أَطْلَعَ هو على سرائركم. **وادعوا من استطعتم**، من تعبدون مِن دون الله من الآلهة،[٨] **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه. أو يقول: إن لسانكم مثل لسان محمد، فإن قَدَّر هو على الافتراءِ افتراءِ[٩] مثلِه من عنده فتَقدِرون أنتم على افتراء[١٠] مثله؛ فأتوا به وادعوا أيضا ممن لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك، **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأتوا بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، وقال في موضع آخر: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.[١١] قال بعضهم: بِعَشْرٍ، نزل قبلُ، ولم يقدروا على مثله،[١٢] [ثم نزل] قوله:[١٣] فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

[١] م: افتريه.
[٢] ك - عليه؛ صح هـ.
[٣] ن م - به.
[٤] ك - قط.
[٥] ع م: من استطعتم.
[٦] ن: مفتريات؛ ع: مفترات.
[٧] ك ن ع: ما؛ م - كما.
[٨] م: من آلهة.
[٩] ك: افترى؛ ع: افتراه.
[١٠] ع م: على الافتراء.
[١١] ﴿وإن كنتم في رَيبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مِن مِثلِه وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).
[١٢] ن: على إتيان مثله.
[١٣] جميع النسخ: وقوله.

دُعُوا أوّلا أن يأتوا بعشر سور، فلما عجزوا عن ذلك، عند ذلك قيل لهم: ائتوا بسورة من مثله.

وقوله: **بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**؛ فإن قيل: كيف ذكر: فأتوا بسور مفتريات؟ قيل: معناه إن كان هذا مما يحتمل[١] الافتراء على ما تزعمون فأتوا بمثله أنتم، لأنكم أقدر على الافتراء من محمد، فإن[٢] لم تقدروا لم يقدر أحد[٣] على ذلك.

**﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **فإن لم يستجيبوا لكم**، أي فإن لم تقدروا[٤] أنتم و لم يجيبوكم أولئك على الإعانة على إتيان[٥] مثله، **فاعلموا**، أنه[٦] إنما، **أُنزِل بعلم الله**، وبأمره أتاه ومن عنده نزل، ليس بمفترى[٧] على ما تزعمون، **وأن لا إله إلا هو**، لا ألوهية لمن تعبدون دونه من الأصنام والأوثان. والثاني **فإن لم يستجيبوا لكم**، يا أصحاب رسول الله و لم يقدروا[٨] على مثله، **فاعلموا**، أنتم أنه إنما، **أنزل بعلم الله**، ومن عنده نزل؛ على التنبيه والتذكير لهم وإن كانوا علموا أنه من عنده نزل، كقوله: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ،[٩] على التنبيه والتذكير ليس على أنه لا يعلم،[١٠] فعلى ذلك الأول. وقوله عز وجل: **فهل أنتم مسلمون**، خاضعون له مخلصون. وعلى التأويل الأول على حقيقة الإسلام والإيمان.[١١] *والله أعلم*.

*وقوله عز وجل: **فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله**، فيه دلالة نقض قول الجهمية[١٢] والمعتزلة [٣٤٠ظ س١٥] بنفيهم العلم عن الله، وفي الآية إثبات العلم له بقوله: **أُنزل بعلم الله**.*

---

[١] ع: مما لا يحتمل.
[٢] ك: فإذ.
[٣] ع: واحد.
[٤] م: فإن تقدروا.
[٥] م: على البيان.
[٦] ك – أنه.
[٧] ن: بمفتر.
[٨] ك: و لم تقدروا.
[٩] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[١٠] م: أنه يعلم.
[١١] ك: الإيمان والإسلام.
[١٢] ع: الجهيمية.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٠ظ/سطر ١٥-١٧.

٣٤٠ط س١٧] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[١٥]

[٣٤٠ظ] وقوله عز وجل: **من كان يريد الحياة / الدنيا وزينتها**، الآية، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية في أهل الإيمان الذين[١] عملوا الصالحات مراءاة[٢] للخَلْق. يقول: **نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها**، من الذكر فيها والشرف؛ وما طلبوا بأعمالهم في الدنيا من المُباهاة[٣] وغيرها[٤] آتاه الله في الدنيا جزاءً لتلك[٥] الأعمال التي عملوها، وبَطَلَ ما صنعوا، وَبَاطِلٌ[٦] مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛[٧] لأنهم عملوا لغير[٨] الله، فلا يُجزَون في الآخرة بأعمالهم تلك. وإلى هذا يذهب ابن عباس.[٩] وروي في بعض الأخبار أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سئل: ما بال العبد المعروف بالخير يشدَّد عليه عند الموت، والرجلِ المعروف بالشر يهوَّن عليه الموت؟ فقال: «المؤمن تكون له ذنوب فيُجازَى بها عند موته، فيُفضَي إلى الله في الآخرة ولا ذنب عليه. والكافر يكون له الحسنات فيُجازَى بها[١٠] عند الموت يخفَّف عنه بها[١١] كَرْب الموت ثم يفضي إلى الآخرة وليست له حسنة»،[١٢] أو كلام نحوه.[١٣] وقال بعضهم: الآية في أهل الكفر يعملون أعمالا هي[١٤] في الظاهر صالحة،

---

[١] ن ع م: الذي.
[٢] ك: مرآة؛ ع م: مراءات.
[٣] ن ع: من المباهات؛ م: من المباحات.
[٤] جميع النسخ: وغيره.
[٥] ك: بذلك.
[٦] ن: وبطل؛ ع م – ما صنعوا وباطل.
[٧] من الآية التالية.
[٨] م: الغير.
[٩] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾، الآية، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يُظلَمون نَقِيرا. يقول: من عمل صالحا التماسَ الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله: أُوفيه الذي التمس في الدنيا من المَثابة وحَبِط عمله الذي كان يعمل التماسَ الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين» (*تفسير الطبري*، ١٢/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠٧).
[١٠] ع م – بها.
[١١] ع م – بها.
[١٢] روي نحو دلك: «عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن نَفْس المؤمن تخرج رَشْحا، وإن نَفْس الكافر يَسيل كما تخرج نَفْس الحمار. فإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدَّد بها عليه عند الموت ليكفَّر بها، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهَّل عليه عند الموت ليُجزى بها». رواه الطبراني في *الكبير*، وفيه القاسم بن مُطَيِّب، وهو ضعيف (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢/٣٢٦).
[١٣] ن: نحو هذا.
[١٤] م – هي.

نحو التصدّق على الفقراء وعِمارات الطرق واتخاذ القناطر[١] والرباطات، هي في الظاهر صالحة. يقول: **نُوَفِّ إليهم**، جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا لا ننقص[٢] منها شيئا. فهو ما وسّع عيبهم الدنيا. وجائز أن يكون قوله: **نُوَفِّ إليهم أعمالهم**، أي نردّ إليهم أعمالهم التي عملوها[٣] فلا نقبلها،[٤] ويكون إيفاء أعمالهم الرد.

وقوله عز وجل: **وهم فيها لا يُبخسون**، أي لا يُنقّصون ما قدّر لهم من الرزق إلى انقضاء مدتهم وآجالهم بشركهم بالله.

**﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار**، على هذا التأويل ظاهر. ليس لأهل الكفر في الآخرة إلا النار.[٥] وعلى التأويل الأول[٦] الذي قال: إنها في أهل الإيمان، أي لا يستوجبون بتلك الأعمال التي عملوها مراءاة إلا النار؛ لأنه إذا راءى فيها لم يخلصها لله[٧] وضيّع أمره. وكل من ضيّع أمر الله وفريضته يستوجب التعذيب عليه. وله العفو. وليس في الآية أنه لا محالة[٨] يعذبهم بعملهم المراءاة. *والله أعلم.**

**﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**؛ قوله: **أفمن**، حرف يقتضي الجواب. لكن الجواب[٩] له لم يخرج في الظاهر؛ لأن جوابه أن يقول: **أفمن كان على بينة من ربه**،

---

١ ع: القناطير.
٢ ن ع: لا تنقص.
٣ ن - عملوها.
٤ ك: ولا يقبلوها؛ ن ع م: فلا يقبلوها.
٥ م - ظاهر ليس لأهل الكفر في الآخرة إلا النار.
٦ ع م - الأول.
٧ ع: الله.
٨ ع: لا بحالة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٤، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٠ظ/سطر ١٥-١٧.
٩ ع م - لكن الجواب.

كمن ليس على بينة من ربه، كما قال في آية أخرى: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ،[1] وكقوله: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى،[2] [أي] لا يعلم. فعلى ذلك جواب قوله: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن لا يكون على بينة من ربه. لكن الجواب عندنا يكون على وجوه. مرة يكون بالتصريح، وهو ما ذكرنا. ومرة بالإشارة، ومرة بالكناية على غير تصريح. ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم. وهو قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[3] الآية. يقول: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها،[4] أي لا يكون كذلك. ومنهم من يجعل جوابه فيما تأخر؛ وهو قوله: **ومن يكفر به من الأحزاب،** كأنه يقول: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن يكفر به من الأحزاب،[5] أي لا يكون كذلك. وقالوا: يجوز تقديم الجواب وتأخيره، كقوله: أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ،[6] لم يخرج لهذا أيضا جواب التصريح. ثم اختلفوا في جوابه. قال بعضهم: جوابه فيما تأخر في قوله: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. [فقوله:] أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ، وَصْفُ الذين يعلمون.[7] فكأنه يقول:[8] أفمن يعلم[9] كمن لا يعلم. ومنهم من يجعل جوابه في قوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ،[10] يقول: أفمن[11] جعل لله أندادا وضلّ[12] عن سبيله وصار من أصحاب النار كمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما، أي ليسا بسواء. وقال مقاتل: ليس الذي على بيان من ربه كالذي موعده النار.[13] ***والله أعلم.***

---

[1] سورة النحل، ١٦/١٧.
[2] سورة الرعد، ١٣/١٩.
[3] سورة يونس، ١٠/١٥.
[4] ع م – يقول أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها.
[5] م: به الأحزاب.
[6] ﴿أم مَن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكّر أولو الألباب﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٩).
[7] ك: الذين لا يعلمون.
[8] ك: قال.
[9] ع + يعلم.
[10] سورة الزمر، ٣٩/٨.
[11] جميع النسخ: من.
[12] ع م: وأضل.
[13] يقول مقاتل بن سليمان: «ليس الذي عمل على بيان من ربه كالكافر بالقرآن موعده النار، ليسوا سواء» (*تفسير مقاتل*، ٢/٢٧٦).

وجائز أن يكون على طرح الألف: فمن **كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى**، الآية، يقول: فمن كان على بيان من ربه،[١] **أولئك يؤمنون به**. ثم قوله:[٢] **بينةٍ من ربه ويتلوه شاهد منه**، قال بعضهم: دينٍ مِن ربه، أي [هل يكون] مَن كان على دين من الله، **ويتلوه شاهد منه**، أي يتلو[٣] لما هو عليه مِن الدين[٤] **شاهد منه** كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد[٥] له عليه؟ وقال بعضهم: قوله: **أ فمن كان على بينة من ربه**، أي على برهان من ربه وحجج، **ويتلوه شاهد منه**، على ذلك كمن لا على برهان من ربه ولا[٦] حجج[٧] ولا[٨] شاهد[٩] له على ذلك. ثم[١٠] قال بعضهم: قوله: **يتلوه شاهد منه**، جبريل أو ملك غيره يتلو[١١] عليه القرآن. وقال بعضهم: **يتلوه شاهد منه**، لسانه. وقال بعضهم: **يتلوه شاهد منه**،[١٢] هو القرآن[١٣] ونحوه. ثم قوله:[١٤] **أ فمن كان على بينة من ربه**، يحتمل أصحاب عيسى الذين آمنوا به، **ومن قبله كتاب موسى**، أصحاب التوراة الذين آمنوا به،[١٥] **أولئك يؤمنون به**،[١٦] أي هؤلاء الذين آمنوا بهؤلاء هم الذين يؤمنون بمحمد عليه أفضل الصلوات وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة**، قيل فيه بوجوه. قيل: ومن قبل[١٧] القرآن **كتاب موسى**، جاء به جبريل إلى موسى كما جاء بهذا القرآن، **إماما**، يُقتدَى به، **ورحمة**،

---

[١] م – كالذي موعده النار والله أعلم وجائز أن يكون على طرح الألف فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الآية يقول فمن كان على بيان من ربه.
[٢] ن م: وقوله.
[٣] ع م: منه يتلو.
[٤] ع: من الذين.
[٥] ع: وله شاهد.
[٦] ك – ولا.
[٧] ك: وحجج.
[٨] عم – ولا.
[٩] ع م: وشاهد.
[١٠] ع – ثم.
[١١] ع: يتلوا.
[١٢] م – لسانه وقال بعضهم يتلوه شاهد منه.
[١٣] ع – وقال بعضهم يتلوه شاهد منه لسانه وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القرآن.
[١٤] ن: وقوله.
[١٥] ك – به.
[١٦] ع + أي هؤلاء الذين آمنوا به أولئك يؤمنون به.
[١٧] ن ع – قبل.

[٣٤١و] من العذاب لهم. ويحتمل قوله: **ومن قبله**، يعني قبل القرآن. **كتاب موسى**، التوراة، / **إماما**، فيها أنباء هذا القرآن وأنباء محمد أنه رسول، كقوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ،[١] وقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٢] وأمثاله.[٣] وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: **إماما ورحمة**، كان كتاب موسى وهو التوراة إماما يُقتدَى به، وكان رحمة. **أولئك يؤمنون به**، قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا به من أهل الكتاب وغيرهم. ويحتمل قوله: **أولئك يؤمنون به**، أي مؤمنو[٤] أهل التوراة، يؤمنون بالقرآن ويقتدون به كما آمنوا بالتوراة واقتدَوْا بها.

وقوله عز وجل: **ومن يكفر به**، أي بالقرآن، **من الأحزاب**، الأحزاب: الفِرَق والأصناف. يحتمل **ومن يكفر به**، أي بالقرآن مِن الفِرَق. ويحتمل **يكفر به**، أي بمحمد. ويحتمل الدين الذي هو عليه ويدعوهم إليه. **فالنار مَوعِده**، إن مات على ذلك.[٥] وأما إذا أسلم[٦] ومات على الإسلام فلا تكون[٧] النار موعده.

وقوله عز وجل: **فلا تكُ في مِريَة منه**، يحتمل قوله:[٨] [منه] الوجوه الثلاثة التي[٩] ذكرنا من الدين والقرآن والنبي.[١٠] [ثم الخطاب] يحتمل للنبي[١١] نفسه. ويحتمل الخطاب غيره لما ذكرنا في قوله: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[١٢] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[١٣] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[١٤]

---

[١] ﴿الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[٢] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وسورة الأنعام، ٢٠/٦).

[٣] جميع النسخ + ويحتمل قوله إماما ورحمة.

[٤] جميع النسخ: أي مؤمني.

[٥] م – على ذلك.

[٦] ع: إذا سلم.

[٧] ن ع م: يكون.

[٨] ع م: في قوله.

[٩] ع م: الذي.

[١٠] ك ن: والنهي.

[١١] جميع النسخ: هو.

[١٢] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١١٤/٦؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.

[١٣] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.

[١٤] ﴿وإن كان كَبُر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغيَ نَفَقا في الأرض أو سُلّما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ من الجاهلين﴾ (سورة الأنعام، ٣٥/٦).

وأمثاله، فكذلك هذا. وقد ذكرنا[١] أن العصمة لا تُزيل النهي والأمر، بل تزيدهما؛ لأن بالعصمة تَظهر[٢] موافقة[٣] الأمر ومخالفة النهي والمحظور.

وقوله عز وجل: **إنه الحق من ربك**، يحتمل القرآن، ويحتمل الدين الذي عليه ويدعوهم إليه. ويحتمل هو نفسه الحق من ربه،[٤] **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.**

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، هو ما ذكرنا[٥] أنْ لا أحد أظلم على نفسه ممن أخذ نفسه من معبوده[٦] وشغلها في عبادة من لا يملك له نفعا إن عبده، ولا ضُرّا إن ترك عبادته. أو يقول: لا أحد أظلمَ على نفسه ممن ألقى نفسه الطاهرة[٧] في عذاب الله ونقمته أبدا بافترائه على الله. ***وبالله العصمة والقوة.*** وفي التأويل: لا أحد أظلم على نفسه **ممن افترى على الله**[٨] **كذبا**. وفي المعنى: لا أحد أفحشَ ظلما **ممن افترى على الله كذبا**، بعد معرفته أن جميع ما له من الله.

وقوله عز وجل: **أولئك يُعرَضون على ربهم**، أي أولئك الذين تُعرَض[٩] أعمالهم على أنفسهم عند ربهم. فإن وافقت أعمالهم ما في شهادةِ خِلْقَتهم أُدخِلوا الجنة، وإن خالفت أعمالهم شهادةَ خِلْقَتهم أُدخِلوا النار. تُعرَض أعمالهم[١٠] على أنفسهم عند ربهم، لأن الله عز وجل عالم بما كان منهم من الأعمال والأقوال. **على ربهم**، أي عند ربهم، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[١١] أي عند ربهم. وتأويله ما ذكرنا: **يُعرَضون على ربهم**، لأنفسهم،

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٠٥.
[٢] ن ع م: يظهر.
[٣] م: بموافقة.
[٤] أي يكون الضمير في "إنه" ضمير الشأن ويفيد معنى التحقيق.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٢١، ٩٣.
[٦] أي منع نفسه من عبادة ربه.
[٧] ن: الظاهرة.
[٨] ن – ونقمته أبدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة وفي التأويل لا أحد أظلم على نفسه ممن افترى على الله.
[٩] ع: تعرضوا.
[١٠] ع م – أعمالهم.
[١١] ﴿ولو تَرَى إذ وُقِفُوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣٠).

لأنهم إنما يؤمرون ويُنهَون ويُمتَحَنون لأنفسهم ولمنفعة أنفسهم. فيكون عَرْضُهم[1] لهم.[2] أو أن يكون قوله [بمعنى] **أولئك يُعرَضون** على ما وعدهم ربهم في الدنيا. أو يقول:[3] **أولئك يُعرَضون**، لأنفسهم، **على ربهم**، من غير غيبة كان منه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**، اختلف فيه. قيل: **الأشهاد** الرسل والأنبياء. وقال بعضهم: **الأشهاد** الملائكة، وقال بعضهم: **الأشهاد** المؤمنون. فمن قال: هم الأنبياء والمؤمنون، فهو كقوله:[4] لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[5] وكقوله: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[6] ومن قال: هم الملائكة، [فهو] كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[7] وقوله: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ،[8] الآية، ونحوه. ومعناه -والله أعلم- أنه[9] تُعرَض أعمالهم وأقوالهم[10] على أنفسهم؛ فإن أقروا بها بُعثوا إلى النار، وإن أنكروا يَشهد عليهم ما ذكر من الشهداء، فإن أنكروا يقال لهم:[11] اِقْرَأْ كِتَابَكَ،[12] الآية، فإن أنكروا ذلك فعند ذلك تَشهد عليهم جوارحهم، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ،[13] الآية. ويحتمل أن يكون[14] الملائكة نادَوْا في ملأ الخلق قبل أن يدخلوا النار: **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**. ويحتمل [أن يكون] ما ذكر في شهادة[15] الذين كانوا مُوَكَّلين بكتابة أعمالهم وأقوالهم[16] يخبرون مما كتبوا في الكتب.

---

[1] ع: غرضهم.
[2] ن - لهم.
[3] ن + أو يقول أولئك يعرضون على ما وعدهم ربهم في الدنيا.
[4] ع م: لقوله.
[5] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وَسَطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣).
[6] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/٤١).
[7] سورة ق، ٥٠/١٨.
[8] ﴿وإنّ عليكم لحافظين. كِرامًا كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢).
[9] ع م: أن قوله.
[10] ك: أقوالهم وأعمالهم.
[11] جميع النسخ: له.
[12] ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٤).
[13] ﴿يوم تَشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[14] ن ع: أن تكون.
[15] ك: من شهادة.
[16] م: وأقوالكم.

وقوله عز وجل: **ألَا لعنة الله على الظالمين**؛ اللعنة قال بعضهم: هي الطرد عن جميع المنافع والإبعاد عن رحمة الله في الدنيا [أي] عن دينه[١] وفي[٢] الآخرة[٣] عن ثوابه. وقال بعضهم: اللعنة هي العذاب.

**﴿اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **الذين يَصُدّون عن سبيل الله**؛ **يصدون** يحتمل وجهين. يحتمل[٤] أنْ أعرضوا هم[٥] بأنفسهم عن دين الله، ويحتمل [أنهم] صرفوا[٦] الناس عن دين الله. لكنه يتبين ذلك بالمصدر أنه أراد ذا أو ذا. يقال في الإعراض بنفسه: صَدّ يَصُدّ صُدودا، كقوله: يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.[٧] ويقال في صرف غيره: صَدّ يَصُدّ صَدّا.

وقوله عز وجل: **يبغونها عِوَجا**، قال بعضهم: هم[٨] بُغاة على دين الله بالجَوْر. وقال بعضهم: يبغون من الناس[٩] الميل عن دين الله إلى دينهم، فذلك هو بَغْي العِوَج. كل سبيل غير سبيل الله فهو عِوَج وبَغْي، كأنه قال: يبغون سبيلا غير سبيل الله. **وهم بالآخرة هم كافرون**، في الدنيا.[١٠]

**﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **أولئك لم يكونوا / مُعْجِزين في الأرض**، أي أولئك لم يكونوا مُعْجِزي الله [٣٤١ظ] في الدنيا مِن أنْ يعذبهم وينتقم منهم إن شاء. والثاني أولئك لم يكونوا سابقي الله في الآخرة في دفع العذاب عن أنفسهم. وجائز أن تكون[١١] الآية في الأئمة منهم والجبابرة، يخبر أنهم غير معجزي[١٢] الله فيما يريد منهم من التعذيب لهم.

---

[١] ن ع م – عن دينه.
[٢] ع – وفي.
[٣] ع: والآخرة.
[٤] ع م – يحتمل.
[٥] م: إذا عرضوهم.
[٦] م: صرف.
[٧] ﴿وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يَصُدّون عنك صُدُودا﴾ (سورة النساء، ٦١/٤).
[٨] م – هم.
[٩] ك: من الناء؛ ن ع م: من النساء.
[١٠] م – في الدنيا.
[١١] ك ن م: أن يكون.
[١٢] ك ع م: غير معجزين.

وقوله عز وجل: **وما كان لهم من دون الله من أولياء**، هم حسبوا أن أولئك الذين عبدوهم[1] دون الله يكونون لهم أولياء؛ لأنهم يقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[3] كانوا يطمعون في شفاعة الأصنام التي كانوا يعبدونها، أو الذين[4] اتّبعوهم يكونون لهم أولياء. فأخبر أنْ ليس لهم أولياء على ما ظنّوا وحسبوا، بل يكونون لهم أعداء، كقوله: وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً،[5] الآية، وأمثاله كثير، وكقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[6] وكقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا -أي لم يكن لهم ما طمعوا، وقوله- سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[7] صاروا لهم أعداء على ما ذكر. ويحتمل **وما كان لهم من دون الله من أولياء**، أي لا ينفعهم ولاية من اتخذوا أولياء، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[8] ونحوه.

وقوله عز وجل: **يُضاعَف لهم العذاب**، هذا يدل على أن قوله: اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،[9] في الأئمة الذين صرفوا الناس عن دين الله؛ لأنه أخبر أنه **يُضاعَف لهم العذاب**. وهو يحتمل وجهين. أحدهما لِما ضلّوا هم[10] بأنفسهم، والآخر لِما صرفوا الناس عن دين الله.

وقوله عز وجل: **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**، قالت[11] المعتزلة فيه بوجهين. أحدهما أنهم كانوا يسمعون ويبصرون، لكنه أخبر[12] [أنهم] لا يستطيعون السمع[13]

---

[1] ن ع م: عبدوا.

[2] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[3] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقرّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[4] م: والذين.

[5] ﴿وإذا حُشِر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٦).

[6] ﴿وقال إنما اتخذتم مِن دون الله أوثانا مودّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[7] ﴿واتخذوا مِن دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًا. كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدًّا﴾ (سورة مريم ١٩/٨١-٨٢).

[8] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.

[9] الآية السابقة.

[10] م: لما ضلوهم.

[11] م: قال.

[12] ك ع: قال؛ م: قالوا.

[13] ن – وما كانوا يبصرون قالت المعتزلة فيه بوجهين أحدهما أنهم كانوا يسمعون ويبصرون لكنه أخبر لا يستطيعون السمع.

ولا يبصرون استثقالا منهم لذلك. وهو كما يقول الرجل:[1] ما أستطيع أن أنظر إلى فلان ولا أسمعَ كلامه، وهو ناظرٌ إليه سامعٌ كلامَه، لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظرَ إليه وسماعَ كلامِه. فعلى ذلك الأول، كانوا يسمعون ويبصرون، لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر إليهم. فنفى عنهم[2] ذلك. والثاني **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**، أي كانوا كأنهم لا يستطيعون السمع ولا النظر. وهو ما أخبر أنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ.[3] كانوا يتصامّون ويتعامّوْن [عن] الحق.

وأما عندنا فالجواب[4] للتأويل الأول أنهم كانوا[5] لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون السماعَ سمعَ الرحمة والنظرَ إليه بعين الرحمة والقبول، فهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون. والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب. وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمعَ القلب وبصرَ القلب، كقوله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.[6] وهذه الاستطاعة عندنا هي استطاعة الفعل لا استطاعة[7] الأحوال، إذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة. فدل أنها الاستطاعة التي بها يكون الفعل لما ذكرنا. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع. ثم سئل الحسن عن ذلك فقال: هو قول الله: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا،[8] إذا سمعوا الوحي تَقنّعوا[9] في ثيابهم، فلم يستطيعوا احتمال ذلك. وفي حرف حفصة: وما كانوا يستطيعون السمع، بالواو. وأما في حرف ابن مسعود فظاهرٌ[10] تأويله، أي **يضاعف لهم العذاب**، بما كانوا[11] يستطيعون السمع، فلم يسمعوا عنادا وإبطاءً. وأصله ما كانوا يستطيعون السمع[12] المكتسَب والبصر المكتسَب.

---

[1] ع م – الرجل.
[2] جميع النسخ: فنفاهم.
[3] سورة البقرة، ٢/١٨، ١٧١.
[4] جميع النسخ: الجواب.
[5] ع م – كانوا.
[6] سورة الحج، ٢٢/٤٦.
[7] ع – الفعل لا استطاعة.
[8] سورة الكهف، ١٨/١٠١.
[9] ن: تعتعوا.
[10] ك ن ع: ظاهر.
[11] ع: ما كانوا.
[12] م – بالواو وأما في حرف ابن مسعود ظاهر تأويله أي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وإبطاء وأصله ما كانوا يستطيعون السمع.

فعندنا[1] ما ذكر[2] من السمع والبصر هو السمع المُكتسَب والبصر المُكتسَب والحياة المُكتسَبة؛ لأن سمع الآخرة وحياتها مكتسَبة،[3] وحياةَ الدنيا وسمعها وبصرها[4] مخلوقة.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين خسروا أنفسهم**، في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فعبادتهم[5] غير معبودهم الذي كان منه جميع النعم والمنافع، وما لحقهم بذلك من الذُّل والصَّغار. وأما في الآخرة فالعذاب والهَوَان الدائم بَدَلا عن النعم الدائمة. **وضَلَّ عنهم**، أي بطل عنهم، **ما كانوا يفترون**، [كقوله:] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ،[6] و مَا نَعْبُدُهُمْ.[7] الآية، وأمثاله.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **لا جَرَم أنهم في الآخرة هم الأخسرون**، قال أبو عَوْسَجة: **لا جَرَم**، واجب من الكلام، أي لَحَقٌّ[8] **أنهم في الآخرة هم الأخسرون**. وقال بعضهم: **لا جَرَم**، أي نَعَمْ، **أنهم في الآخرة هم الأخسرون**. وقال الفَرّاء: قوله: **لا جَرَم**، أي لا بُدّ، لكن[9] الناس أكثروا استعماله، فصار في مُتعارَفهم:[10] حقًا.[11] و"لا بُدّ" في الحقيقة "حقّا"، لأنه إذا كان لا بُدّ فهو حقّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأَخبَتُوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة**، تأويله -والله أعلم- **إن الذين آمنوا**، بالله وبجميع ما أنزل على رسوله، **وعملوا الصالحات**،

---

١ جميع النسخ: عندنا.
٢ م: وما ذكر.
٣ ك: مكتسب؛ ن ع م: مكتسبا.
٤ جميع النسخ: والسمع والبصر.
٥ جميع النسخ: عبادتهم.
٦ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
٧ ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
٨ ن: أي بحق.
٩ ع م: ولكن.
١٠ ع: فصا في معارفهم.
١١ *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٢٨.

ولزموا ذلك حتى صاروا إلى الله، **أولئك أصحاب الجنة**. وهو كقوله: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى،[1] أي من تاب من الشرك وآمن بالله وعمل صالحا ثم اهتدى، أي ثم لزم ذلك حتى صار[2] إلى الله هكذا. فعلى ذلك قوله: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم**، أي[3] لزموا ذلك كله / حتى صاروا إلى الله. ويحتمل قوله: ثُمَّ اهْتَدَى، [٣٤٢و]
سنن الذين أولئك كذا.

وقوله عز وجل: **وأخبتوا إلى ربهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: الإخبات التخشُّع والتواضع، أي تخشَّعوا وتواضعوا فَرَقا مِن ربهم. وقال بعضهم: **أخبتوا**، أي اطمأنوا على ذلك، أولئك كذا. وعن ابن عباس رضى الله عنه: **أخبتوا**، قال: خافوا من ربهم.[4] وقال القُتَبي: **أخبتوا**، أي تواضعوا لربهم. وقال: الإخبات التواضع والوقار.[5] وقال أبو عَوْسَجة: الإخبات التوبة، والمُخْبِت التائب. وقال غيرهم: الإخبات الإنابة، **أخبتوا**، أي أنابوا إلى الله. وبعضه قريب من بعض. ومن قال: الإخبات هو التواضع والخشوع، فمعناه -والله أعلم- أي تواضعوا وخشعوا بالإجابة إلى ما دعاهم إليه ربهم وندَبَهم إليه.

**﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **مَثَل الفريقين**، أي الصنفين اللذين[6] سبق وصفهما. وهو قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[7] الآية، فهو وصف الكافر. والفريق الآخر قوله: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ،[8] إلى آخر ما ذكر، وفيه وصف المؤمن. أو يكون وصف الكافر ما ذكر: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ -إلى قوله- وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.[9] هو وَصْفُ أحد الفريقين، وهم الكفار. والفريق الآخر ما ذكر:

---

[1] سورة طه، ٨٢/٢٠.
[2] ك: حتى صاروا؛ ع: حتى صارو.
[3] م - أي.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٤/١٢.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٢.
[6] ن م: الذين.
[7] سورة هود، ١٥/١١.
[8] سورة هود، ١٧/١١.
[9] سورة هود، ١٨/١١-٢١.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ.[1] هذان[2] -والله أعلم- الفريقان[3] اللذان[4] ضُرِب مَثَلُهما بالأعمى والأصمّ[5] والبصير والسميع.[6] ثم وَجْهُ ضَرْبِ مَثَلِ[7] الكافر بالأعمى والأصمّ والمؤمن بالبصير والسميع[8] فهو -والله أعلم- أن الكافر أعمى القلب وأصمّ السمع، لم يبصر ما غاب عنه من الموعود، ولا سَمِع ما غاب عنه من الموعود.[9] إنما أبصر[10] ظواهر الأمر، وكذلك إنما سمع ظواهرَ مِن الأمور وباديَها. لم ينظر إلى الغائب من الموعود، ولا سَمِع ذلك. وهو لم يُخلَق لمعرفة ذلك الظاهر خاصة، إنما خُلِق لِما وُعِد وأُوعِد في الغائب. والمؤمن أبصر ذلك الغائب، وسمع ما غاب من الموعود. فيقول: كما لم يَستوِ[11] عندكم في الظاهر البصير والأعمى والسميع[12] والأصمّ لم يَستوِ من كان أعمى[13] القلب بما غاب[14] [و]بصير[15] القلب بذلك. ولم يَستوِ أيضا مَن به صَمَم القلب [و]من كان سميعا بذلك.

**أفلا تَذَكَّرون**، أنهما لا يستويان.[16] أو يقول: **أفلا تَذَكَّرون**، أي أفلا تتّعظون[17] بما نزل من القرآن وتَنتهُون[18] عما تُنهَون.[19] *والله أعلم*.

---

[1] سورة هود، ١١/٢٣.

[2] ن ع م: هذا.

[3] ك - وهم الكفار والفريق الآخر ما ذكر إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم هذان والله أعلم الفريقان؛ ن ع م: الفريقين.

[4] ك ن ع: اللذين؛ م: الذين.

[5] ع م - والأصم.

[6] ك: والسميع والبصير.

[7] م - مثل.

[8] ع: بالسميع والبصير.

[9] م - ولا سمع ما غاب عنه من الموعود.

[10] م: وإنما أبصر.

[11] ع م: كما يسبق.

[12] ن ع: والسمع.

[13] ن ع م: عمى.

[14] ن ع م: كان.

[15] ن ع م: بصر.

[16] ن ع م: لم يستوياد.

[17] ن: فلا تتعظون.

[18] ع م: وتهود.

[19] ن ع م: تنتهون.

وفي قوله: **مَثَل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مَثَلا أفلا تذكَّرون**، وجوه من الأسئلة.[١] أحدها أنْ يقال: كيف احتجّ عليهم وهو ما ذكر أنهم عُمْيان وصُمّ أو كالعُمْيان والصُّم. ولا يُكَلَّف[٢] الأعمى الإبصار والنظرَ، ولا الأصمُّ[٣] السماعَ؟ والثاني يقولون: إنا بُصَراء سُمَعاء[٤] ليس بنا صَمَم ولا عَمًى، بل أنتم العُمْيان والصُّمّ؟ والثالث كيف ذكر المَثَل لهم وهم لا يتفكّرون ولا ينظرون في المَثَل ولا يلتفتون إليه؟

أما جواب الأول بأنه احتج عليهم لأنهم تركوا اكتسابَ بصرِ الآخرة وسَمْعَ سماعِ الآخرة. فنفى عنهم السمع والبصر والحياة؛ لأنه[٥] بالبصر[٦] المخلوق يكتسب بصرًا في الدين وسمعًا في أمر الدين وحياةَ الدين، فيصير بذلك مُكتسِبا للحياة[٧] الدائمة والبصر الدائم والسمع الدائم. فيكونون في الآخرة بُصَراء سُمَعاء[٨] أحياء، كقوله: اِسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ.[٩] والثاني نفى عنهم هذه الحواسّ لأنهم لم ينتفعوا بها؛ لأن هذه الحواسّ إنما أُنشِئت لهم وخُلِقت لينتفعوا بها، وهو المقصود[١٠] بإنشائها، فإذا تركوا الانتفاع بها فكأنها[١١] ليست لهم.

وأما جواب ما قالوا: إنّا بُصَراء وسُمَعاء وأنتم العُمْيان والصُّمّ؛ فيقال لهم: إن أهل الإسلام إذا سمعوا ذلك قد اشتغلوا بالتفكُّر فيما قَرَع أسماعَهم من الآيات والنظرِ فيها، وأنتم لا، بل تَعَامَوْا عنها وتَصامُّوا. فدل تفكُّرهم ونظرهم فيها على أنهم بُصَراء وأحياء وسُمَعاء،[١٢] وأنتم يا أهل الكفر العُمْيان والصُّمّ والأموات. والثاني أن هذه الآيات إنما نزلت في محاجّة أهل مكة، وهم قد علموا أن آباءهم لم يكونوا حُكَماء ولا علماء،[١٣] فلم يكونوا ما ذكر: بُصَراء ولا أحياء ولا سُمَعاء،

---

[١] ن ع م: من الأسولة.
[٢] ع: ولا تكلف؛ م: ولا يتكلف.
[٣] م: ولا الصمم.
[٤] ك: إنا سمعاء بصراء.
[٥] أي لأن الإنسان.
[٦] ك: ببصر؛ ن ع م: يبصر.
[٧] جميع النسخ: مكتسب الحياة.
[٨] ع: وسمعاء.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال، ٢٤/٨).
[١٠] م – المقصود.
[١١] ن ع م: كأنها.
[١٢] ن: وسموا؛ ع م: وسمعاء وأحياء.
[١٣] م: ولا عالما.

فصاروا صُمّا عُمْيانا أمواتا. ولأن أحد[1] الفريقين لا محالة ما ذكر: نحن أو هم، ثم قد استوَوْا في هذه الدنيا، وفي العقل والحكمة التفريق بينهما،[2] فدل أنهم بما ذكر أولى.

وأما جواب ذِكر المَثَل لهم على علمٍ منهم أنهم لا يقبلون المَثَل ولا ينظرون، بأنه إنما ذكر لأهل الإسلام، ولأن ذِكر المَثَل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكُّر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه**، أخبر أنه أرسله إلى قومه ولم يُفهَم منه الإرسال[3] من مكان إلى مكان. وكذلك قوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[4] ولم يكن مجيئه من مكان إلى مكان. فهذا يدل أنه لا يُفهَم مِن ذِكر المجيء الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك الإرسال.[5]

وقوله عز وجل: **إني لكم نذير مبين**، أي نذير لمن عصى بالنار وبعقابه، بَيِّنُ الإنذار.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **أن لا تعبدوا**، أي لا تجعلوا عبادتكم إلا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم؛ لأن خلقتكم[6] تشهد على أنه هو المستحق للعبادة، / لا مَن تعبدون من الأصنام والأوثان. [٣٤٢ظ]

ويحتمل قوله: **أن لا تعبدوا إلا الله**، أي وحِّدوا الله ولا تَصرفوا الألوهية إلى غيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم**، أضاف الألم إلى اليوم واليوم ليس بمؤلِم. لكنه[7] -والله أعلم- أضاف إليه [لأن] ما فيه[8] يؤلم. وهو[9] كقوله:[10] وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،[11]

[1] ع: إحدى.
[2] أي بين الفريقين.
[3] ك: الإسال.
[4] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يريد أن يشير إلى بعض الصفات الإلهية التي تشير بظواهر معناها إلى أفعال البشر، كقوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب... فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (سورة الحشر، ٢/٥٩)، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩)، وقوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ (سورة نوح، ١/٧١).
[6] ك ن: خلقتهم؛ ع م - لأن خلقتهم.
[7] ك: ولكنه.
[8] جميع النسخ: لما فيه.
[9] م - وهو.
[10] م: وكقوله.
[11] سورة الأنعام، ٩٦/٦.

والليل لا يَسكُن ولا يوصف به،[١] لكنه يُسكَن فيه. وكذلك قال: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٢] والنهار لا يُبصِر، لكنه يُبصَر فيه. فعلى ذلك قوله: **يومٍ أليم**، لما فيه يكون العذاب الأليم.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم**؛[٣] الخوف على غيره[٤] لا يكون في الحقيقة خوفا، وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة[٥] رجاء. وعلى[٦] نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاءً لِما يلحقه ضرر في نفسه إن حَلّ[٧] به ذلك[٨] ويلحقه نفع. فيكون الخوف على نفسه[٩] حقيقة خوفٍ والرجاءُ حقيقة رجاءٍ. وأما على غيره[١٠] [فلا] لِما لا يلحقه ضرر وإن حَلّ ذلك بغيره،[١١] ولا ينال من النفع في الرجاء إن نال[١٢] ذلك الغير. لكنه يخرج على وجهين. أحدهما على العلم، أي إني أعلم أنه ينزل بكم العذاب، نحو قوله: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا،[١٣] أي علمتم، وقوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ،[١٤] أي فإن علمتم أن يُضيّعا حدود الله. والثاني يخاف عليهم[١٥] إشفاقا منه؛ لأن الخَلْق جُبِلوا على أن يتألم بما يحلّ بغيرٍ حتى لا يكون في وُسْع بعضٍ أن يَروا ذلك في غيرهم.[١٦] على هذين الوجهين يخرج الخوف على غيره.[١٧] وفي الخوف رجاء، وفي الرجاء خوف، لأن الخوف إذا لم يكن فيه رجاء فهو إياس.

---

[١] ع م – به.

[٢] سورة يونس، ٦٧/١٠؛ وسورة النمل، ٨٦/٢٧؛ وسورة المؤمن، ٦١/٤٠.

[٣] جميع النسخ + أي.

[٤] جميع النسخ: في غيره.

[٥] ن – خوفا وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة.

[٦] جميع النسخ: وفي.

[٧] م: إن جعل.

[٨] م + لغيره.

[٩] جميع النسخ: في نفسه.

[١٠] ك ن م: في غيره؛ ع – لا يكون في الحقيقة رجاء وعلى نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر في نفسه إن حل به ذلك ويلحقه نفع فيكون الخوف على نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء وأما على غيره.

[١١] ن ع م: لغيره.

[١٢] ع: أي نال.

[١٣] ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾ (سورة النساء، ٣٥/٤).

[١٤] ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افْتَدَتْ به﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).

[١٥] م: عليكم.

[١٦] جميع النسخ: في غيره.

[١٧] ن: في غيره.

قال[1] الله عز وجل: إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[2] والرجاء إذا لم يكن فيه خوف[3] فهو أمن. قال[4] [الله عز وجل]: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.[5]

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فقال الملأ الذين كفروا من قومه**، قيل: أشراف قومه وأئمتهم، **ما نراك إلا بشرا مثلنا**؛ وكذلك قال عامة القوم لرسلهم الذين بُعِثوا إليهم: مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[6] كان هذا احتجاجهم في رد الرسالات.[7] يحتجون على الرسل فيقولون -والله أعلم- إن الرسل في الشاهد إنما يجيئون[8] مِن عند المرسِل، وأنتم نشأتم[9] بين أظهُرنا، لم تأتونا مِن أحد في الظاهر. والرسول هو الذي يأتي مِن عند غيرٍ. ويكون للرسول[10] خصوصية[11] عند المرسِل، ولا نرى لك خصوصية لا في الخلقة ولا في القدرة والمال وغيره. فكيف بُعثتم إلينا رسلا دون أن نُبعَث[12] نحن إليكم رسلا، إذ أنتم ونحن في الخلقة سواء، وفي الأمور الظاهرة سواء؟ أو نحوه[13] من الكلام. احتجوا[14] على رسلهم في رد الرسالة. وكذلك كان عادة الكفرة يقولون للرسل. إذا لزمتهم الحجة وأقيم عليهم نسبوها إلى السحر، ونسبوا الرسل [إلى] أنهم بشر مثلهم. فجواب هذا كله ما ذكر: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ،[15]

---

[1] ع م: وقال.
[2] سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[3] ن - فهو إياس قال الله عز وجل إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون والرجاء إذا لم يكن فيه خوف.
[4] ن ع م: وقال.
[5] سورة الأعراف، ٩٩/٧.
[6] ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ (سورة يس، ١٥/٣٦).
[7] م: الرسالة.
[8] ن ع م: يجيون.
[9] ع م + من.
[10] م: للرسل.
[11] ن: حصوصيته.
[12] ن: أن يبعث.
[13] ع: أو نحو.
[14] ع م: واحتجوا.
[15] ﴿قالت لهم رسلهم إنْ نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (سورة إبراهيم، ١١/١٤).

وما قال لهم نوح: يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ،[١] أي آتاني رحمة من عنده[٢] وجعل لي بينة وبرهانا[٣] على ما آتاني رحمةً مِن عنده. بمثل هذا يُحتَجّ عليهم. ويقال أيضا: إنكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض لِما جعلكم أئمة ورؤساء بأمور الدنيا على غيركم.[٤] فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض بفضل الدين والرسالة؟

وقوله عز وجل: **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأي**، احتجوا أيضا في رد الرسالة، يقولون: إن الأَراذِل هم أتْباع لكل مَن دعاهم وأهلُ طاعةٍ لكل متبوع. فليس في اتّباع الأراذل إياك والضعفاء دلالة ثبوت رسالتك، إذ هم يتبعون بلا دليل ولا حجة. وهم فروع وأتْباع لغيرٍ، ولم يتبعك أحد من الأصول. لكن يقال: إن هؤلاء الأراذل لمّا اتبعوا الرسل[٥] ولم يتبعوا الأئمة[٦] والرؤساء الذين معهم الأموال والدنيا ولم يكن في أيدي الرسل ذلك ثم تركوا اتّباع أولئك وفي أيديهم ما يدعوهم إليه واتّبعوا الرسل دل أنهم إنما اتّبعوا[٧] الرسل بالحجة والبراهين[٨] التي أقاموها عليهم، أو نحوه.

والأراذل قيل: هم السَّفَلة[٩] والضعفاء. وقال القُتَبي: **أراذلنا**: شرارنا.[١٠] و **بادي الرأي**، قال[١١] بعضهم: ظاهر الرأي، مِن قولك: بَدَا لي ما كان خَفِيّا. وقال بعضهم: **بادي الرأي**، خفيف الرأي، لا يعرفون حقائق الأمور، إنما يفهمون[١٢] ظواهرها. كأنهم يقولون: إنما اتّبعك[١٣] من كان خفيف الرأي وباديَه، لم يتّبعوك من يعرف حقائق الأمور والأصول. وقد قُرِئ: بادئ الرأي، بالهمز.[١٤] وقد قرئ بغير همز.[١٥] ومن قرأ بالهمز فهو من الابتداء، أي في أول الرأي وابتدائه،

---

[١] الآية التالية.
[٢] ع م – أي آتاني رحمة من عنده.
[٣] م: وبرها.
[٤] جميع النسخ: عى غيرهم.
[٥] ك ن ع: الرسول.
[٦] ن: الرسل.
[٧] ن: لما اتبعوا.
[٨] ع م: والبرهان.
[٩] ك: السفهاء.
[١٠] ن: أشرارنا. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٣.
[١١] ع: وقال.
[١٢] م: يعرفون.
[١٣] ك: اتبعوك.
[١٤] قرأ أبو عمرو بالهمز. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٨.
[١٥] ع: نعيرهم.

لا ينظر في عواقب الأمور. ومن قرأ بغير همز فهو من الظهور، أي ظاهر الرأي[1] على غير تفكُّر[2] ونظر فيه.

وقوله عز وجل: **وما نرى لكم علينا مِن فضل**،[3] يحتمل هذا[4] فضلا في الخلقة أو في[5] ملك أو مال أو لا[6] في شيء. لكن جواب هذا ما سبق.

وقوله عز وجل: **بل نظنكم كاذبين**، هكذا كانت عادة[7] الكفرة، يردّون دلالات الرسل والحجج بالظن، لم يردّوا لحقيقةٍ[8] ظهرت.

**﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾**[٢٨]

[٣٤٣و] وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم** / **إن كنتُ على بينةٍ مِن ربي**، أي على بيان من ربي، أو على حجة من ربي وبرهان، فيما آتاني من رحمته. والرحمة تحتمل النبوة؛ لأنهم كانوا ينكرون رسالته لِما أنه بشر مثلهم، فكيف خُصّ هو بها دونهم وهو مثلهم؟ فيقول: **وآتاني رحمة**، أي النبوة، وآتاني أيضا على ذلك بينة وحجة. وتحتمل[9] الرحمة الدين الذي كان يدعوهم إليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فعُمِيَتْ عليكم**، قُرئ بالتخفيف والتشديد.[10] أي لُبِّسَتْ[11] أو الْتَبَسَ عليكم حيث أعرضتم عنه. ومن قرأ بالتشديد: **فعُمِّيَتْ عليكم**، يرجع إلى الأتباع والسَّفَلة، أي عَمَّتْ[12] عليهم القادة والرؤساء منهم ولَبَّسَتْ. وعَمِيَتْ بالتخفيف، أي الْتَبَسَ وعَمِيَ على القادة والرؤساء.

---

[1] ن ع م: بالرأي.
[2] ع م: على تفكر.
[3] ع م+ الآية.
[4] جميع النسخ + أي.
[5] ع: وفي.
[6] جميع النسخ: ولا.
[7] ع + عادة.
[8] ع: بحقيقة؛ م: بحقيقته.
[9] ن ع م: ويحتمل.
[10] قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بضم العين وتشديد الميم: فعُمِّيَتْ. وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم: فعَمِيَتْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٨.
[11] ع: أي ليست.
[12] م: أي عميت.

وقوله عز وجل: **أَنُلْزِمُكُمُوها**، أي أنوجبها[1] عليكم؟ وهي [النبوة] التي ذكر أنه آتاها إياه، أو البينة[2] التي ذكر أيضا، أو الدين[3] الذي كان يدعوهم إليه. أي لا نوجبها[4] عليكم[5] ولا نُلزِمها **وأنتم لها كارهون**، بلا حجة ولا برهان،[6] أي لا نُلزِمها لكم بلا حجة شئتم أو أبيتم، ولكن بحجة. وفيه أن الدين لا يُقبَل بالإكراه.

* وما روي في حرف أبي بن كعب: أنلزمكموها شطر أنفسنا،[7] فمعناه أنلزمكموها [٣٤٣و س٣٣
نحو[8] أنفسنا وأنتم قوم معاندون. وفي حرف[9] ابن عباس: أنلزمكموها مِن شطر أنفسنا،[10]
أي مِن تلقاء أنفسنا، أي لا نقدر أن[11] نُلزِمكم ذلك من تلقاء أنفسنا وأنتم[12] كارهون لذلك.* ٣٤٣و س٣٦]

**﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً**، على تبليغ الرسالة إليكم،[13] أو على إقامة الحجة على ما أدّعي من الرسالة، أو على[14] الدين الذي يدعوهم[15] إليه. أي لا أسألكم على ذلك أجرا، فلماذا تُعرِضون عما أدعوكم إليه وأقيمه عليكم ليكون لكم الاحتجاج أو الاعتذار.

---

[1] ن م: أي أنوحيها، ع: أي نواحيها.
[2] ع: والبينة؛ م: إياه البينة.
[3] ع م: والدين.
[4] ع: لا نواحيها.
[5] ن – وهي التي ذكر أنه آتاها إياه أو البينة التي ذكر أيضا أو الدين الذي كان يدعوهم إليه أي لا نوجبها عليكم، صح هـ.
[6] جميع النسخ + وأنتم لها كارهون.
[7] روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ: أنلزمكموها مِن شطر أنفسنا، كما روي عنه أنه قرأ: أنلزمكموها مِن شطر قلوبنا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٢٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤١٦.
[8] ع م: نحن.
[9] ن – أبي بن كعب أنلزمكموها شطر أنفسنا فمعناه أنلزمكموها نحو أنفسنا وأنتم قوم معاندون وفي حرف، صح، هـ.
[10] *تفسير الطبري*، ١٢/٢٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤١٦.
[11] ع – أن.
[12] ع: وهم.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٣و/سطر ٣٣-٣٦.
[13] ن: عليكم.
[14] ن: وعلى.
[15] ك: ويدعوهم.

وكذلك يخرج[1] قوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[2] أي لا تسألهم أجرا على ما تبلّغه إليهم[3] وتدعوهم[4] إليه فيمنعهم[5] ثِقَل ذلك الغُرْم إجابتهم لك،[6] فعلى ذلك الأول. ذكر هذا لأن ما يلحق الإنسان من الضرر إنما يمنعه عن الإذعان بالحق والإقبال إليه والقيام بوفائه، أو يمنع ذلك لما[7] لا يتبين له الحق، لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتِلال عند الله وإن لم يكن لهم حجة. وهو[8] كقوله:[9] لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.[10] ليس على أنه إذا سألهم على ذلك أجرا يكون لهم عذر في رد ذلك وترك الإجابة له؛ إذ لله أن يكلفهم الإجابة والطاعة له بالمال وبغير[11] المال. والثاني [أي] يقول:[12] **لا أسألكم**، على ما أدعوكم إليه وأبلغه إليكم،[13] **مالاً**، مع حاجتي وقلة مالي، فيقع عندكم أني أدعوكم إليه رغبةً فيما في أيديكم[14] من الأموال أو لمنفعة نفسي. بل إنما أدعوكم إلى ما أدعوكم[15] إليه لمنفعة أنفسكم.

وقوله عز وجل: **إنْ أجريَ إلا على الله**، أي ما أجري إلا على الله في ذلك، ليس عليكم.

وقوله عز وجل: **وما أنا بطاردِ الذين آمنوا**، فيه دلالة أنهم[16] كانوا[17] سألوا رسولهم أن يتخذ لهم مجلسا على حِدَةٍ ويُفرِد لهم ذلك دون الأراذل والضعفاء الذين اتّبعوه ويَطردَ الضعفاء، وهو كقوله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[18] الآية.

---

[1] ن – يخرج.
[2] سورة الطور، ٥٢/٤٠؛ وسورة القلم، ٦٨/٤٦.
[3] ن ع م: ما نبلغه إليكم.
[4] ك: ويدعوكم؛ ن ع م: وندعوكم.
[5] ك: فيمنعكم؛ ن ع م: فنمنعكم.
[6] جميع النسخ: إجابتكم إياه.
[7] ع م: بما.
[8] ع م – وهو.
[9] ع م: وكقوله.
[10] ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٥).
[11] م: وغير.
[12] جميع النسخ: بقوله.
[13] ك: وأبلغكم إياه.
[14] م: فيما أيديكم.
[15] ع – إلى ما أدعوكم.
[16] م – أنهم.
[17] م: كأنهم.
[18] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغَدَاة والعَشِيِّ يريدون وجهه ما عليك مِن حسابهم مِن شيء وما مِن حسابك عليهم مِن شيء فتطردَهم فتكونَ مِن الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٢).

وقال أهل التأويل: **وما أنا بطارد الذين آمنوا**، أي ما أنا بالذي لا يقبل[١] الإيمان من الأراذل والضعفاء عندكم، لقولهم[٢] حيث قالوا: وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ،[٣] [أي] ظاهر الرأي؛[٤] لأنهم يقولون: اتّبعوك الأراذل ظاهرا، وأما في الباطن فليسوا على ذلك. ولذلك قال: وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ،[٥] يعني ما في قلوب السَّفَلة. فيقول: **وما أنا بطارد الذين آمنوا**، ظاهرا، الله أعلم بما في قلوبهم.

وقوله عز وجل: **إنهم مُلَاقُوا ربهم**، يحتمل وجهين. أي **مُلَاقُوا ربهم**، فيَشكُون[٦] مِنّي إليه في رد إيمانهم ويخاصمونني في ذلك ويطالبونني في طردي إياهم. والثاني **إنهم مُلَاقُوا ربهم**، بإيمانهم،[٧] ظاهرا كان إيمانهم أو باطنا. أي في أي حالٍ هم يلاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه. كقوله: إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ.[٨]

وقوله عز وجل: **ولكنّي أراكم قوما تجهلون**، يحتمل **تجهلون** ما أدعوكم إليه. أو **تجهلون** في قولكم:[٩] إنهم إنما آمنوا واتبعوا في ظاهر الحال، وأما[١٠] في السر فلا. أو **تجهلون** ما يلحقني في طردهم.

**﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**[٣٠]

وقوله عز وجل: **ويا قوم مَن ينصرني مِن الله**، أي مَن يمنعني مِن عذاب الله، **إن طردتهم**، على ما تدعونني إليه. أو مَن يمنعني مِن عذاب الله إن لم أقبل منهم[١١] الإيمان. **أفلا تذكّرون**، أنه لا يسع لي ما تدعونني إليه[١٢] مِن طرد هؤلاء أو ردّ إيمانهم. أو **أفلا تذكّرون**، فتؤمنون.*

---

[١] ن ع: لا أقبل.
[٢] ع: لقوله.
[٣] سورة هود، ٢٧/١١.
[٤] ع م – ظاهر الرأي.
[٥] سورة هود، ٣١/١١.
[٦] ك: فيشكوا.
[٧] م – بإيمانهم.
[٨] ﴿قالوا أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون. قال وما عِلْمِي بما كانوا يعملون. إنْ حسابهم إلا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين. إنْ أنا إلا نذير مبين﴾ (سورة الشعراء، ١١١/٢٦-١١٥).
[٩] ع: في قلوبكم.
[١٠] ع: وما.
[١١] ع: من
[١٢] ن – إليه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٣و/سطر ٣٣-٣٦.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣١]

وقوله: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، يخرج على وجوه. أحدها يقول: ليس عندي خزائن الله والسَّعة فأبذل لكم لتؤمنوا رغبةً في المال والسَّعة. والثاني يقول: ليس عندي سَعة فيقع عندكم أني أدعوكم إلى ما أدعوكم إليه افتعالاً رغبةً في المال على ما يفعل المُفتعِلون للرغبة في المال، ولكن لتعلموا أني مكلَّف في ذلك. والثالث يحتمل ما ذكرنا من أسئلةٍ كانت منهم.

وقوله: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني مَلَك**، هذا القول

[٣٤٣ظ] منه لهم يحتمل الوجهين.[1] أحدهما / أنه قال ذلك لهم على إثر أمور وأسئلة كانت منهم من نحو قولهم: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ،[2] وقولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ -وقولهم- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ،[3] وأمثال ما كان منهم. فيقول لهم: ليس ذلك عندي وبيدي، إنما ذلك عند الله وبيده. **ولا أعلم الغيب**، يحتمل أن يكونوا[4] سألوه أن يخبرهم عن أمورٍ تَستقبلهم قَبْل أن يستقبلهم. إن كان شرا فيُعِدّوا له في دفعه، وإن كان منافع فيستقبلوا[5] لها ويتأهّبوا. فيقول لهم: ذا غيبٌ، وأنا[6] لا أعلم الغيب، إنما العلم في ذلك إلى الله.

**ولا أقول إني مَلَك**، أعلم أخبار السماء والأمور التي فيها، إنما أنا بشر مثلكم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[7] **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، أي مفاتيح الله في الرزق. فهذا كأنهم سألوه السَّعة فيتبعونه، فيقول: ليس عندي ذلك. ويحتمل أن يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشُّبَه عنهم.

---

[1] أي يحتمل أنه نزل جوابا على أسئلتهم، ويحتمل غير ذلك.

[2] سورة هود، ١٢/١١.

[3] ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنبُوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمت علينا كِسَفًا أو تأتِيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيت من زُخرف أو تَرقى في السماء ولن نؤمن لرُقِيِّك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩٣).

[4] ن ع م: أن يكون.

[5] ن: فليستقبلوه.

[6] ن ع ن: فأنا.

[7] ع – قال.

وذلك أنّ مِن الكفار مَن اتخذ الرسول إلهًا فعبدوه بعد ما عايبوا أنه من البشر. ومنهم من قال: إنه ابن الله،[١] ومنهم من قال:[٢] إنه مَلَك -وكانوا يعبدون الملائكة- وكانوا يخبرونهم عن أشياء غابت[٣] عنهم. فظنوا[٤] أنه إنما عَلِم ذلك لأنه إله. فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم[٥] تلك الشُّبَه ويتبرّأ من ذلك. ولذلك قال عيسى: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا.[٦] هو[٧] عليه السلام كان يعلم في نفسه أنه عبد الله، ولكن يقول لهم[٨] [ذلك] لئلا ينسبوه إلى الألوهية والربوبية على ما نسبوا إليه، فأقر بالعُبُودَة له. *والله أعلم بذلك*.

وقال بعض أهل التأويل: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، أي مفاتيح الله بأنه يَهدي السَّفَلة دونكم، **ولا أعلم الغيب**، أي لا أقول:[٩] إن عندي علم[١٠] ذلك [من] أنّ الله يهديهم وهم مؤمنون في السر. وذلك كقوله: وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[١١] وقولِه: **الله أعلم بما في أنفسهم**، مِن الصدق. **ولا أقول إني مَلَك**، أي إنما أنا[١٢] بشر، لقولهم: مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا،[١٣] إلى آخر الآية.

ثم قال: **ولا أقول للذين تَزْدَري أعينكم**، قيل: الذين حقرتموهم، يعني السَّفَلة والأَتْباع. وقال ابن عباس: الذين لم تأخذهم أعينكم. **لن يؤتيهم الله خيرا**، يعني إيمانا،[١٤] **الله أعلم بما في أنفسهم**، مِن الصدق، **إني إذًا لمن الظالمين**، لهم إن لم أقبل منهم الإيمان أو طردتهم. *والله أعلم*.

---

[١] م – ومنهم من قال إنه ابن الله.
[٢] ك: من قالوا.
[٣] ع: غايب.
[٤] ك: وظنوا.
[٥] ك: عنكم.
[٦] ﴿قال إني عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمتُ حيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٣٠-٣١).
[٧] أي نوح.
[٨] م – لهم.
[٩] ك: ولا أقول.
[١٠] ن ع م: غيب.
[١١] سورة الشعراء، ١١٢/٢٦.
[١٢] ك – أنا.
[١٣] سورة هود، ٢٧/١١.
[١٤] ع: يما.

**﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣٢]**

وقوله عز وجل: **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا**. قالوا ذلك لأنه قد كان طال عمره وهو بين أظهرهم ويدعوهم إلى الإيمان، فأكثرَ حِجاجَه[١] ومجادلته إياهم، فقالوا: **فأكثرت جدالنا فأتنا بما تَعِدُنا إن كنت من الصادقين**، وكان يَعِدُهم العذاب إن لم يجيبوه، كقوله: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ،[٢] وما كان وعد لهم في غير آية من القرآن إن لم يجيبوه، فقالوا: ائتنا بما تَعِدُنا من العذاب.

**﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٣٣]**

**قال إنما يأتيكم به الله إن شاء**، أي ليس إليّ[٣] إتيان ذلك، إنما ذلك إلى الله، إن شاء عجّل، وإن شاء أخر إلى ما بعد الموت. وهو كقول رسول الله لقومه: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.[٤]

وقوله عز وجل: **وما أنتم بمُعجِزين**، أي لا تُعجِزون الله عن تعذيبكم فتفوتون[٥] عنه. وقيل: وما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها. وهو واحد. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣٤]**

وقوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**، تأويله -والله أعلم- لا ينفعكم دعائي إلى ما به نجاتكم **إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**. ثم اختلف في وقت ذلك. قال بعضهم: لا ينفعكم نُصْحِي عند إقبال العذاب عليكم[٦] إن كان مِن حُكم الله أن تكونوا مِن الغاوين في ذلك الوقت. وقال بعضهم: قوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي... إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**،[٧]

---

[١] ع: حجاجة.
[٢] سورة هود، ٢٦/١١.
[٣] م: لي.
[٤] سورة الأنعام، ٥٨/٦.
[٥] ك: فيفوتون.
[٦] ن: إليكم.
[٧] ع م – ثم اختلف في وقت ذلك قال بعضهم لا ينفعكم نصحي عند إقبال العذاب عليكم إن كان من حكم الله أن تكونوا من الغاوين في ذلك الوقت وقال بعضهم قوله ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم.

أي لا ينفعكم نُصْحِي إن كان الله يريد[1] أن يعذبكم في نار جهنم، ويقول: الغَيّ العذاب، كقوله: فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا،[2] أي عذاب جهنم، ونحوه[3] من الكلام. وأما عندنا[4] فهو على ما أخبر. إن كان الله يريد إغواء قوم أبدا فهم في الغِواية أبدا.[5] وأصله أن الله أراد غِواية مَن في علمه أنه يختار الغِواية، وأراد ضلال كل مَن في علمه أنه يختار الضلال؛ لأن مَن في علمه أنه يختار الغِواية[6] والضلال اختار عداوته.[7] ولا يجوز أن يريد هو هداية مَن يعلم أنه يختار عداوته؛ لأن ذلك يكون من الضَّعْف أن يختار المرء ولاية من يختار هو[8] عداوته. فدل أنه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغِواية والضلال.

ثم إضافة الإغواء والإزاغة والإضلال إلى الله يخرج على وجهين. أحدهما أنه ينشئ ذلك الفعل منهم غيًّا وزَيْغًا وضلالًا، لأن[9] فِعلَهم فِعلُ غِواية وزَيْغ. والثاني أنه خذَلهم فلم[10] يوفِّقْهم ولم يرشدهم ولم يَعصمهم ولا سَدَّدهم. فمِن ذا الوجه ليس فِعلُه فِعلا يُذَمّ[11] عليه حتى يُتَحَرَّج[12] بالإضافة إليه. ومِن [وَجه] الإضافة إلى الخلق يكون على الذم، لأن فِعلَهم نفسَه فِعلُ غِواية وضلال.[13] فاستوجبوا الذمّ عليه بذلك. والإغواء من الخلق هو الدعاء إلى ذلك أو الأمر[14] به، فهو مذموم، يُذَمُّون على ذلك.[15] وليس مِن الله مِن هذا الوجه، ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما.

---

[1] ع م − يريد.
[2] ﴿فخلَفَ مِن بَعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا﴾ (سورة مريم، ٥٩/١٩).
[3] ن ع − ونحوه.
[4] ن ع م: وما عندنا.
[5] ن ع م − أبدا.
[6] ع م − وأراد ضلال كل من في علمه أنه يختار الضلال لأن من في علمه أنه يختار الغواية.
[7] ن: عداته.
[8] ع م − هو.
[9] ك + لأن.
[10] جميع النسخ: ولم.
[11] ن ع م: فعل الذم.
[12] ع: حتى يتحرج.
[13] م: الغواية والضلال.
[14] م: والأمر.
[15] ع م + وليس على دلك.

وفي قوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم،** دلالة تعليق الشرط على الشرط.[1]

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[٣٥]

[٣٤٤و] وقوله عز وجل: **أم يقولون،** أي بل يقولون[2] إنه، **افتراه،** مِن عند / نفسه، **قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون،** اختلف فيه. قال بعضهم: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: إنه افترى على الله أنه رسول إليهم من الله على ما سبق من دعائه[3] قومَه إلى دين الله. فقالوا له: إنه افتراه. وقال بعضهم: هو قول[4] قوم محمد صلى الله عليه وسلم. قالوا: افترى محمد هذا القرآن من نفسه، ليس هو من الله على ما يزعم. وهو ما قال في صدر السورة، وهو قوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ،[5] إلى آخر ما ذكر. فعلى ذلك هذا هو قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه افترى هذا القرآن -الذي يقول: هو مِن الله- مِن نفسه. فقال: **قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون،** أي إن افتريته فعليّ جُرم افترائي وجزاؤه، **وأنا بريء مما تجرمون،** معناه -والله أعلم- أي لا تؤاخذون أنتم بجُرم افترائي إن افتريتُه، وأنا لا أؤاخذ بإجرامكم،[6] كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[7] وكقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[8] فعلى ذلك **إجرامي.** وأمكن أن يكون هذا القول لهم لما أيس من إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[9]

---

[1] قال أبو السعود العمادي رحمه الله تعالى: «"إن اردت أن أنصح لكم"، شرط حُذِف جوابه لدلالة ما سبق عيه. والتقدير: إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي. وهذه الجملة دليل على ما حُذِف من جواب قوله تعالى: "إن كان الله يريد أن يغويكم". والتقدير: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي. هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط. وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا: "ولا ينفعكم نصحي"، جزاء للشرط الأول. والجملة جزاء للشرط الثاني. وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول، وتعلقُه به مُعلَّق بالشرط الثاني» (*إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* لأبي السعود، (٤/٢٠٤).

[2] ك: تقولون.

[3] ع: من عائه.

[4] ع: بعضهم وقول.

[5] سورة هود، ١١/١٣.

[6] ع: لا أؤاخذنا جرامكم.

[7] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تَوَلَّوْا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلْتُم وإن تطيعوه تهتدوا وما عى الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).

[8] سورة الأنعام، ٦/٥٢.

[9] ﴿فلذلك فادْعُ واستَقِمْ كما أُمِرتَ ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرتُ لأعْدِلَ بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٥).

لمّا أيس عن إيمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه عن[١] إسلامهم قال لهم ذلك أنْ لا محاجّة[٢] بيننا وبينكم بعد هذا. *والله أعلم*.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**، قال بعضهم: إن نوحًا عليه السلام لم يَدْعُ على قومه بالهلاك ما دام يرجو[٣] ويطمع من قومه الإيمان، فلما[٤] أيس وانقطع رجاؤه وطمعه[٥] فحينئذ دعا عليهم بالهلاك، كقوله: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا –أي أحدا– إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ،[٦] الآية. وعَرَف الإياس عن إيمانهم بقوله: **وأوحي إلى نوح**، الآية. وكذلك سائر الأنبياء والرسل لم يؤذَن لهم[٧] بالدعاء على قومهم بالهلاك والخروج مِن بين[٨] أظهرهم ما داموا يَرجون ويطمعون منهم الإيمان والإجابة لهم. فإذا[٩] أيسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك أُذِن لهم بالدعاء عليهم بالهلاك والخروج مِن بين أظهرهم. وعلى ذلك عوتب يونس بالخروج مِن بين أظهرهم قبل أن يؤذَن له بالخروج مِن بينهم.[١٠]

وفي قوله: **لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**، دلالة أن للإيمان حكم التجدُّد والابتداء في كل وقت وكل حال؛ لأنه أخبر أن الذي قد آمن قد يؤمن في حادث الوقت. وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت في الإيمان: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[١١] ونحوه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يفعلون**، قيل: لا تحزن[١٢] بما كانوا يفعلون. فهو يحتمل وجهين. أحدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم[١٣] إياك. ليس على النهي عن الحزن في ذلك،

---

[١] م + عن.
[٢] ع: لا محالة.
[٣] ع: يرجوا.
[٤] جميع النسخ: فإذا.
[٥] ع م – وطمعه.
[٦] سورة نوح، ٧١/٢٦-٢٧.
[٧] ك – لهم.
[٨] ع: والخروج بين.
[٩] ع م: إذا.
[١٠] ع م – وعلى ذلك عوتب يونس بالخروج من بين أظهرهم قبل أن يؤذن له بالخروج من بينهم.
[١١] يقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[١٢] ع: لا يحزن.
[١٣] ع: تكديبهم.

ولكنْ[1] على رفع الحزن عنه والتسلّي به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجَعلِهم[2] أنفسَهم أعداء له، كقوله لرسول الله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[3] الآية، وقوله:[4] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[5] وأمثاله. كان الأنبياء عليهم السلام أشد الناس حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم آياته، وأشدّهم رغبةً في إيمانهم. وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم. ألا ترى أن نوحًا دعا عليهم بالهلاك، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام. دل[6] أن حزنهم كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم آياته، لا لمكان هلاكهم إشفاقا على أنفسهم.

والثاني قوله: **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**، يحتمل أنهم كانوا همّوا قتله والمكر به، فقال: لا تحزن بما كانوا يَسْعَوْن في هلاكك، فإني أُكَافِئُهم.[7] قال أبو عَوْسَجة: قوله: **فلا تبتئس**، هو من الحزن، يقال: ابتأس يبتئس ابتئاسا. قال الكسائي[8] أيضا: **لا تبتئس**، أي لا تحزن. هو من البائس. يقال: لا تبتئس بهذا الأمر.

**﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**، قال بعض أهل التأويل: **بأعيننا**: بأمرنا ووحينا. وقال بعضهم: بمَنْظَرنا ومَرْأًى مِنّا. ولكن عندنا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **بأعيننا**، أي بحفظنا ورعايتنا. يقال: عين الله عليك، أي حفظه عليك. ثم لا يُفهَم من قوله: **بأعيننا**، نفس العين على ما لا يُفهَم من قوله:[9] ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[10] و كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[11] [نفس الأيدي]. ولكن ذكر الأيدي لما في الشاهد إنما يُقدَّم باليد ويُكتسَب باليد. فعلى ذلك ذكر العين لما[12] بالعين يُحفَظ في الشاهد.

---

[1] ك: بل.
[2] ك: وجعل.
[3] ﴿لعلّك باخِعٌ نفسَك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[4] ك – وقوله.
[5] ﴿أفمَن زُيِّن له سُوءُ عمله فرآه حَسَنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حَسَرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).
[6] ع م – دل.
[7] م: كافيهم.
[8] ن ع: الكيساني.
[9] ك – قوله.
[10] ﴿ذلك بما قَدَّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ (سورة آل عمران، ١٨٢/٣).
[11] ﴿وما أصابكم مِن مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[12] ك + في.

والثاني قوله: **بأعيننا**، أي بإعلامنا إياك؛[١] لأنه لو لا تعليم الله إياه اتخاذ السفينة ونَجْرَها لم يكن ليعرف أنْ كيف يتخذ وكيف يَنْجُر.[٢] إنما عرف ذلك بتعليم الله إياه. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرَقون.** هذا يحتمل وجهين. يحتمل أي لا تشفع إليّ في نجاة[٣] الذين ظلموا، فإنهم مُغرَقون في حُكم الله. والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في حُكم الله أنهم يموتون ظَلَمَة، أي لا تسألني إيمان مَن في علم الله أنه لا يؤمن. وفيه نهي السؤال عما في علم الله أنه لا يكون؛ لأنه إذا أخبر أنه لا يكون أو لا يفعل فإذا سأله كأنه[٤] يسأله أن يُكذِّب خبره الذي أخبر أنه لا يكون. وفيه أن مَن أراد الله إيمانه[٥] آمن، / ومَن لم يُرد إيمانه لا يؤمن.[٦] [٣٤٤ظ]

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ويصنع الفُلْكَ وكلما مرّ عليه ملأ من قومه**، الملأ هم الأشراف والرؤساء من قومه، **سخروا منه**، هم الذين سخروا منه. قال بعضهم: سخريتهم منه أن قالوا: صار نجّارا بعد ما ادّعى لنفسه الرسالة. وقال بعضهم: سخريتهم منه[٧] لِما رأوه يتخذ الفُلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية، إنما هي آبار لهم.[٨] فقالوا: يتخذ[٩] السفينة ليسيّرها في البَرَاري والمَفاوِز، ونحوه من الكلام.

**قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم**، وقالوا: سخريتهم[١٠] منهم أنه إذا ركبوا الفُلك [و]رأوهم يغرقون[١١] قالوا: كنتم على حق وعلى هدى، ونحوه من الكلام. لكن هذا [مما] لا نعلم.

---

[١] ع: أيدك.
[٢] النَّجر: القطع. ومنه نَجْر النجار. وقد نَجَر العود نَجْرا. والنَّجر عمل النجار ونَحْته. والنَّجر نَحْت الخشبة. نَجَر الخشبة يَنْجُرها نَجْرا: نَحَتها. والنجار صاحب النَّجر. وحرفته النِّجارة (*لسان العرب* لابن منظور، «نجر»).
[٣] ع: من نجاة.
[٤] ع م: كان.
[٥] جميع النسخ: إيمان أحد.
[٦] ك: لم يؤمن.
[٧] م - منه أن قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه.
[٨] ك: لكم.
[٩] م: يتخذوا.
[١٠] جميع النسخ: سخريته.
[١١] ع: يعرفون؛ م: رأوا هم يعرفون.

ولا حاجة لنا إلى معرفة سخريتهم أنْ كيف كانت سِوى أنّ فيه أنهم[1] سخروا منه. ويحتمل قوله: **فإنا نسخر منكم**، أي نجزيهم[2] جزاء سخريتهم.

**﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **فسوف تعلمون**، هو وعيد. أي سوف تعلمون أن حاصل سخريتكم يرجع[3] إليكم، كقوله: وَمَا يَخْدَعُونَ،[4] الآية. أي سوف تعلمون إذا نجونا نحن وغرقتم[5] أنتم **من يأتيه عذاب يخزيه**، أي عذاب يفضحه ويهلكه، وهو الغرق. **ويَحِلّ عليه عذاب مُقيم**، أي عذاب يدوم. وقال بعضهم: **عذاب مُقيم**، هو عذاب الآخرة، كقوله: أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا.[6] وأما قول أهل التأويل: إن سفينة نوح كان طولها كذا وعرضها كذا وقامتها كذا،[7] فليس لنا بذلك علم، ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك. فإن صح ذلك فهو ما قالوا. وقولهم: كان لها ثلاثة أبواب وثلاثة أطباق، فذلك أيضا لا نعرفه. ***ولا قوة إلا بالله***.

**﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنُّور**، قوله: **جاء أمرنا**، أي جاء وقت أمرنا بالعذاب[8] الذي استعجلوه، كقولهم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[9] وكذلك كانت عادة الأمم السالفة استعجال العذاب من رسلهم. وسمي[10] العذاب أمر الله لما لا صنع لأحد فيه. وكذلك المرض سمي أمر الله لما لا صنع لأحد من الخلائق فيه، وسمي الصلاة أمرَ الله لما بأمره يصلّى.

---

[1] م – أنهم.
[2] ع م: أي يجزيهم.
[3] جميع النسخ: رجع.
[4] ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٩/٢).
[5] ع م: وعرفتم.
[6] ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ (سورة نوح، ٢٥/٧١).
[7] ع – وقامتها كذا.
[8] ن + بالعذاب.
[9] سورة هود، ٣٢/١١.
[10] م: سمي.

وقوله عز وجل: **وفار التنُّور،** قال أبو عَوْسَجَة: **وفار التنُّور،** يقال: فار الماء، أي خرج، يفور فورًا، أي غلى كما تَغلِي القِدْر. وتصديقه قوله: وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ.[١] قالوا: فار، أي خرج وظهر. **والتنُّور** اختلف فيه. قال بعضهم: التنُّور هو وجه الأرض. قالوا: إذا رأيت الماء خرج[٢] ونبع وظهر على وجه الأرض فاركب. وقال بعضهم: **التنُّور** هو التنُّور الخابزة التي يُخبَز فيها. قالوا: إذا رأيت الماء نبع من تنُّورك فاركب. قالوا: كان الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض، كقوله: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا.[٣] لكن جعل علامة وقت ركوبه السفينة هو خروج الماء من الأرض وتَنبّعه منها.

وقوله عز وجل: **قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين،** يحتمل[٤] هذا وجهين. يحتمل أنْ كنا قلنا له إذا فار التنُّور **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين.**[٥] ويحتمل أنْ قلنا له وقت فَوْر الماء من التنُّور **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين.**[٦] وقوله عز وجل: **من كلٍ زوجين اثنين،** الزوج هو اسم فردٍ لذي شَفْع. ليس هو اسم الشَّفْع حتى يقال عند[٧] الاجتماع[٨] ذلك. ولكن ما ذكرنا أنه اسم فَرْد لذي شَفْع. كان الإناث صنفا وزوجا[٩] والذكور صنفا وزوجا.[١٠] فيكون الذكر والأنثى زوجين. ***والله أعلم.***[١١] وقوله عز وجل: **زوجين اثنين،** أي من ذكر وأنثى. ثم يحتمل زوجين من ذوي الأرواح التي تكون[١٢] لها[١٣] النسل لئلا ينقطع نسلهم. ويحتمل ذوي الأرواح وغيره. ***والله أعلم.***

---

[١] ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير. إذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور. تكاد تَمَيَّزُ من الغيظ﴾ (سورة الملك، ٦٧/٦-٨).

[٢] ع م: وخرج.

[٣] ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء مُنْهَمِر. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١١-١٢).

[٤] ع م: ويحتمل.

[٥] ك - يحتمل هذا وجهين يحتمل أن كنا قلنا له إذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين، صح هـ.

[٦] ك + ويحتمل.

[٧] ك: هذا.

[٨] ع: الإجماع.

[٩] جميع النسخ: صنف وزوج.

[١٠] جميع النسخ: صنف وزوج.

[١١] ك - والله أعلم.

[١٢] ك ن: يكون.

[١٣] جميع النسخ: لهم.

وقوله عز وجل: **وأهلَك إلا من سبق عليه القول**، قال بعضهم: قوله: **وأهلك**، أراد أهله والذين آمنوا معه. يقول: **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين**، واحمل أهلك أيضا، **إلا من سبق عليه القول**، أي إلا من كان في علم الله أنه لا يؤمن. أو إلا[1] من كان في علم الله أنه يهلك. وقال بعضهم: قوله: **وأهلك**، أراد أهله خاصة، ثم استثنى من سبق عليه القول، وهو ابنه وزوجته، وهما من أهله. ألا ترى أنه ذكر[2] مِن بعدُ[3] مَن آمن معه. وهو قوله: **ومن آمن**، أي احمل أهلك الذين آمنوا معك، **إلا من سبق عليه القول**، مِن أهلك وغيره أنه في الهالكين. أو يقول: **إلا من سبق عليه القول**، أنه لا يؤمن. فهذا يدل أن في أهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى مِن أهله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما آمن معه إلا قليل**، يذكر هذا -والله أعلم- تذكيرًا لرسول الله[4] صلى الله عليه وسلم بمِنَنِه[5] ونعمه التي أنعمها عليه؛ لأن نوحا عليه السلام مع طول مُكثه بين أظهُر قومه وكثرة دعائه قومَه إلى دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه إلا القليل منهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة مُكثه وقِصَر[6] عمره آمن من قومه الكثير؛ يُعرِّفه نعمه عليه. وفيه دلالة ردّ قول من يقول: إن المواعظ إنما تنفع الموعوظ على قدر استعمال الواعظ.[7] وليس هكذا. ولكن على قدر قبول الموعوظ إياها وقدر الإقبال إليها؛ لأن نوحا عليه السلام كان أشد الناس استعمالا للمواعظ وأكثرهم دعاء،[8] ثم لم يؤمن من قومه إلا القليل. دل أنه ليس لِما فهموا، ولكن لِما ذكرنا. وأما ما ذكر أهل التأويل أنه حمل في السفينة حبّات العِنَب، فأخذها[9] إبليس، فلم يعطه إلا أنْ أعطى له / الشركة.[10] فذلك [٣٤٥و] شيء لا علم لنا به. فإن ثبت ذلك فيكون فيه دلالة أنْ ليس له في سائر الأنبذة والأشربة نصيب،

---

[1] ع م: وإلا.
[2] ك: ذلك.
[3] ع م – بعد.
[4] ن ع م – الله.
[5] ك ن م: منته؛ ع: ومننه.
[6] ك: وقطر.
[7] أي اتعاظ الواعظ بما يقول والعمل به.
[8] ن ع م – دعاء.
[9] جميع النسخ: فأخذه.
[10] روي في ذلك بعض الآثار. منها ما أخرجه النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نوحا عليه السلام نازعه الشيطان في عُود الكَرْم. قال هذا: لي، وقال هذا: لي. فاصطلحا على أن لنوح ثلثها، وللشيطان ثلثيها. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢٣، ٤٢٥.

إنما يكون له فيما يخرج من العنب. وتقدير الثلث والثلثين إنما يكون في عصير العنب خاصة، ليس في غيره.[١] *والله أعلم.*

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وقال اركبوا فيها باسم الله مَجْراها ومُرْساها**؛ يحتمل قوله: **باسم الله مَجْراها**، أنه لِما قال لهم نوح: **اركبوا فيها**، [و]قولوا: **باسم الله مَجْراها ومُرْساها**. وهو كقول الناس: باسم الله مِن أوّله، على ما يقال ويُذكَر اسم الله[٢] في افتتاح كل أمر وكل عمل من ركوب ونزول وغيره. ويحتمل[٣] قوله: **باسم الله مَجْراها ومُرْساها**، أي بالله **مَجْراها ومُرْساها**، أي به تَجْري وبه تَرْسُو. أو إنه ليس كسائر السفن التي بأهلها تجري وبهم تقف، وهم الذين يتولّوْن ويتكلّفون إجراءها ووُقوفها.[٤] وأما سفينة نوح كانت جرْيَتُها بالله، وبه رَسْوُها، لا صنع لهم في ذلك. *والله أعلم.*

*وقال القُتَبي: **مُرْسَاها**، أي تَقِف.[٥]* [٣٤٥و س٣٣]

وقوله[٦] عز وجل: **إن ربي لغفور رحيم**، هو ظاهر لمن آمن به وصدّق رسولَه، يُنجيه من الغرق والهلاك.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال**، هذا يدل على ما ذكرنا أنها كانت بالله تجري وبه تَرْسُو حيث لم يخافوا الغرق مما كان[٧] من الأمواج. وأما سائر السفن فإن أهلها خافوا من أمواجها لما كانوا هم الذين يتولّوْن ويتكلّفون إجراءها ووَقْفَها. *والله أعلم.*

---

[١] زاد الشارح رحمه الله تعالى: «فيكون حجة لأبي حنيفة رحمه الله في المثلَّث. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٣ظ). والمقصود بالمثلَّث هو ما ذكره المَرْغيناني: «وعصير العنب إذا طُبِخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه حلال وإن اشتدّ. وهذا عند أبي حنيفة وأبي يوسف وقال محمد ومالك والشافعي رحمهم الله: حرام» (*الهداية في شرح البداية* للمرغيناني، ١١٢/٤).

[٢] ك – اسم الله.

[٣] ع: يحتمل.

[٤] ن ع م: ووقفوها.

[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣.

[٦] ن: قوله.

[٧] جميع النسخ: ما كان.

وقوله: **وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال**، هذا يدل على أنها كانت آية؛ لأن الأمواج تمنع عن جَرَيان السفينة وسَيْرها، فإذ[1] أخبر أنها لم تمنع هذه من جَرَيانها دلّ أنه أراد أنْ تصير آية لهم.[2]

وقوله عز وجل: **ونادى نوح ابنه وكان في مَعْزِل**؛ يحتمل قوله: **وكان في مَعْزِل**، أي بمَعْزِل مِن نوح. أو كان بمَعْزِل مِن السفينة أو ما كان.

وقوله عز وجل: **يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين**، يحتمل[3] لا تكن مع الكافرين لتغرق. أو لا تكن من الكافرين[4] لنعم الله.

**﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **قال سَآوِي إلى جبل**، أي سأنضمّ إلى جبل، **يَعْصِمُني من الماء**، ظن المسكين[5] أن هذا الماء كغيره[6] من المياه[7] التي يُسْلَم منها[8] بالالتجاء إلى الجبال. فأخبر عليه السلام أنه لا مانع اليوم **مِن أمر الله**، أي من عذاب الله. سمى عذابه أمر الله لما ذكرنا.[9] أمر الله، أمر تكوين؛ لأنه هو النهاية في الاحتجاج، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ،[10] الآية.[11] وهو كما يُسمَّى البعث لقاء الله، لأنه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر البعث. فعلى ذلك سُمِّي عذابه أمر الله. وهو أمر تكوين، لأنه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر العذاب.

وقوله عز وجل: **إلا مَن رَحِم**، الله[12] بهدايته إياه. أو[13] إلا مَن سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة.

---

[1] ع م: فإذا.
[2] ك: لهم آية.
[3] م – يحتمل.
[4] ع م: مع الكافرين.
[5] جميع النسخ: مسكين.
[6] م: لغيره.
[7] ع: في المياه.
[8] ك – منها؛ ن ع م: إليها.
[9] ك: ذكر. وانظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/٤٠.
[10] ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٠).
[11] ن – الآية.
[12] ك ن – الله.
[13] ع م – أو.

* وقوله عز وجل: **يَعْصِمُني من الماء**، يمنعني من الماء. وقال: **لا عاصم اليوم من أمر الله**، [٣٤٥و س٣٣
قال القُتَبي: لا معصوم اليوم من عذاب الله، كقوله: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[1] أي مدفوق.[2] وأصله: **لا عاصم اليوم من أمر الله**،[3] أي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم، ولا دافع لهم منه.* ٣٤٥و س٣٥]

وقوله: **وحال بينهما الموج**، يحتمل قوله: **بينهما**، بين ابنه وبين نوح. ويحتمل بينه وبين السفينة. **فكان من المُغرَقين**،[4] يحتمل: صار من المُغرَقين، ويحتمل: كان في علم الله أنه يغرق. وهذا يدل على أن قوله في إبليس: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[5] أنه يخرج على وجهين. أحدهما أنه كان في علم الله أنه يكفر. أو صار من الكافرين، كما ذكر: **فكان من المُغرَقين**، إذ لم[6] يكن من المُغرَقين في الأزل.

**﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤٤]**

وقوله: **وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعِي**، قال بعضهم: عاد كل ماء إلى مِن حيث خرج. ما أُرسِل من السماء عاد إليها، وما خرج من الأرض غاض في الأرض[7] وغار فيها. وقال بعضهم: لا، ولكن أمسكت[8] السماء من إرساله وأمسكت الأرض من نَبْعِه.

وقوله عز وجل: **وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعِي**، ليس على القول لهما،[9] ولكن الله أمسكهما من إرساله ونَبْعِه. ويحتمل على القول منه[10] لهما[11] باللُّطف، وجَعَل[12] فيهما[13] ما يفهم هذا.[14]

---

[1] ﴿ فلينظر الإنسان مِمّ خُلِق. خُلِق من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤.
[3] ك ن – اليوم من أمر الله.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣-٣٥.
[4] ك ن + وقوله فكان من المغرقين.
[5] سورة البقرة، ٢/٣٤؛ وسورة ص، ٣٨/٧٤.
[6] ن: إذا لم؛ م: و لم.
[7] ع – غاض في الأرض.
[8] جميع النسخ: أمسك.
[9] جميع النسخ: لهم.
[10] ن ع م: منهم.
[11] جميع النسخ: لهم.
[12] ك ن ع: جعل.
[13] جميع النسخ: فيهم.
[14] ن – هذا. وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل على القول منه لهم باللُّطف جَعَل فيهم ما يفهم به أمره من الحياة وغيرها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٤و).

**وغِيض الماء**، أي غار[1] الماء في الأرض. **وقُضي الأمر**، بهلاك قوم نوح. ويحتمل على التكوين على ما ذكر. **واستوَتْ على الجُودِيّ**، أي استقرّت على الجُودِيّ.[2] وهو جبل. **وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين**، أي هلاكا. ويحتمل **بُعْدًا للقوم الظالمين**، مِن رحمة الله.*

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٤٥] ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **ونادى نوحُ ربَّه فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وَعْدك الحق**، الآية، فقال: **يا نوح إنه ليس مِن أهلك**، هذا -والله أعلم- كان عند نوحٍ أنّ ابنه كان على دينه لِما لعلّه كان يُظهِر الموافقة له، وإلا لا يحتمل أن يقول: **إن ابني من أهلي**، ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال:[3] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ.[4] ولا يحتمل أن يكون يعلم أنه على غير دينه ثم يسأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين [٣٤٥ظ] ظلموا. / فقال: **إنه ليس من أهلك**، في الباطن والسر، وإلا خرج هذا القول مخرج تكذيب رسوله. لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه كان في الظاهر عنده أنه على دينه لِما كان يُظهِر له الموافقة، وكان لا يعرف ما يُضمِره، فسأله على الظاهر الذي عنده. وكذلك أهل النفاق كانوا يُظهِرون الموافقة[5] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويُضمِرون[6] الخلاف له، وكانوا لا يعرفون نفاقهم إلا بعد إطّلاع الله إياه. فعلى ذلك نوح كان[7] لا يعرف ما يُضمِر[8] هو، لذلك خرج سؤاله، فقال: **إنه ليس من أهلك**، الذي وعدت[9] النجاة لهم. أو **ليس من أهلك**، لأنه لم يؤمن بي ولم يصدّقك فيما أخبرت.*

---

[1] ع: أي غاز.
[2] ع - أي استقرت على الجودي.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤١، ٤٣ فقدمناهما إلى موضعهما. انظر: ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣-٣٥.
[3] م - قال.
[4] سورة هود، ٣٧/١١.
[5] ع م + وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك أهل النفاق يظهرون.
[6] ع: يضمرون.
[7] ن: أن.
[8] ك: ما كان يضمر.
[9] م: وعد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآيتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٣٤٥ظ/سطر ٧-١١.

وقوله: **إن ابني من أهلي**، ثم قال: **إنه ليس من أهلك**، هذا في الظاهر[١] يخرج على التكذيب له. لكن الوجه فيه أنه مِن أهلك على ما عندك، وليس هو[٢] من أهلك فيما بَشّرتُك مِن نجاة أهلك.

وقوله: **وإنّ وَعْدَك الحق**، يحتمل وجهين. يحتمل **وإنّ وَعْدَك**، بإغراق الظَّلَمة حق. والثاني **وإنّ وَعْدَك**، بنجاة المؤمنين حق، **وأنت أَحْكَمُ الحاكمين**.

[٣٤٥ظ س ٧] * **إنه عَمَلٌ غيرُ صالح**؛ روي عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ: عَمِلَ غيرَ صالح، بغير تنوين.[٣] وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ: **عَمَلٌ غيرُ صالح**، بالتنوين. فمن قرأ بالنصب: عَمِل[٤] غيرَ صالح، أي إن ابنك عَمِل غيرَ صالح.[٥] ومن قرأ: **عَمَلٌ**، يكون معناه -والله أعلم- إن سؤالك **عَمَلٌ غيرُ صالح**.[٦] وكلا[٧] القرائتين يجوز أن يُصرَف إلى ابنه؛ أي إنه عَمِل غيرَ صالح، وهو عَمِل الكُفر. و **عَمَلٌ غيرُ صالح**، أي الذي كان[٨] عليه عَمَلٌ غيرُ صالح. ***والله أعلم***.* [٣٤٥ظ س ١١]

وقوله عز وجل: **فلا تَسألنِ ما ليس لك به علم**، يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذَن له مِن بَعدُ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يسألون شيئًا إلا بعد الإذن لهم في السؤال وإن كان يَسَع لهم السؤال. أو أن يكون عتابا لِما سبق. والأنبياء عليهم السلام كانوا يُعاتَبون في أشياء تَحِلّ[٩] لهم،[١٠] نحو قوله لرسول الله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا.[١١] وقد كان منه الأمر بالقعود[١٢] والنهي عن الخروج بقوله: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[١٣] ونحوه.

---

[١] ن: في الظ.
[٢] ع م - هو.
[٣] سنن أبي داود، الحروف والقراءات ١؛ وسنن الترمذي، القراءات ٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٤/٤٣٨-٤٣٩. وهي قراءة الكسائي ويعقوب. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٨٩.
[٤] ع م: على.
[٥] ع - أي إن ابنك عمل غير صالح.
[٦] ع م + بالتنوين.
[٧] ن ع: وكل.
[٨] م: كانوا.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآيتين، فأخرناه إلى هنا. انظر: ورقة ٣٤٥ظ/سطر ٧-١١.
[٩] ن ع م: يحل.
[١٠] جميع النسخ + ذلك.
[١١] سورة التوبة، ٩/٤٣.
[١٢] ع: والقعود.
[١٣] ﴿فإن رَجَعَكَ الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ (سورة التوبة، ٩/٨٣).

وقوله عز وجل: **إني أَعِظُك أن تكون من الجاهلين**، هو كما نهى رسولَ الله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾،[1] وأمثاله، وإن كان معلوما[2] أنه لا يكون من الجاهلين. وهو ما ذكرنا[3] أن العصمة[4] لا تمنع النهي عن الشيء، بل بالنهي تَظهر[5] العصمة.

**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم**، [أي] إني أعوذ بك أن أعود إلى سؤالٍ لا أعلم بالإذن في [ذلك] السؤال. هذا[6] يحتمل.

وقوله: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني أكنْ من الخاسرين**، أي[7] إن لم ترحمني[8] بالعصمة عن العود[9] إلى مثله **أكن من الخاسرين**، هذا يشبه أن يكون. ويحتمل أن يكون[10] ذكر هذا لِما لا يستوجبون المغفرة والرحمة إلا برحمة الله وفضله، على ما روي عن رسول الله أنه قال: «لن يدخل أحد[11] الجنة إلا برحمة الله».[12] قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[13] وقوله عز وجل: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني**، هو طلب المغفرة[14] بالكناية. وهو أبلغ وأكبر من قوله: اللهم اغفر لي؛ لأن[15] في قوله: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني**،

---

[1] ﴿وإن كان كَبُر عليك إعراضهم فإن استطعتَ أن تبتغي نَفَقا في الأرض أو سُلَّما في السماء فتأتيَهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونَنَّ من الجاهلين﴾ (سورة الأنعام، ٣٥/٦).

[2] ك ن: معلوم.

[3] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.

[4] ع: عن العصمة.

[5] ن ع م: يظهر.

[6] ن: وهذا.

[7] ع م – أي.

[8] ع م: لم تغفر لي.

[9] ع م: من العود.

[10] ع م – ويحتمل أن يكون.

[11] م – أحد.

[12] ع – الله.

[13] روي الحديث بألفاظ متقاربة، وهذا لفظ أحمد. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/٣. وللروايات الأخرى انظر: *صحيح البخاري*، المرضى ١٩؛ و*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.

[14] ن: الرحمة.

[15] ن ع م: كان.

قَطْعُ رجاء[١] المغفرة من غيره، وإخبار أنْ لا يملكُ أحد ذلك. وليس في قوله: اغفر لي، قَطْعُ كونِ ذلك من غيره، لذلك كان ذلك أبلغ من هذا. وكذلك سؤال آدم وحوّى المغفرة حيث قالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[٢] الآية، هو سؤال بالكناية، فهو أبلغ في السؤال.

**﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **قيل يا نوحُ اهْبِطْ**، قال بعضهم: أي انزل من الجُودِيّ إلى قرار الأرض. وقال بعضهم: قوله: **اهبط**، أي[٣] انزل وأَقِمْ، على المُقام والمكث في المكان، ليس على الهبوط من مكان مرتفع إلى مكان منحدر.

وقوله عز وجل: **اهبِطْ بسلامٍ مِنّا وبركاتٍ عليك**، السلامة هو أن يَسلم عن الشرور والآفات. والبركة هي نَيْل كل خير وبِرّ على غير تَبِعة. ثم هما في التحصيل واحد، لأنه إذا سَلِم عن كل شر وآفة نال[٤] كل خير وبر. وإذا نال كل خير سَلِم عن كل شر وآفة. هما في الحقيقة واحد، لكنهما في العبارة مختلفان.[٥] وهو كالبرّ والتقوى مِن العبد؛ البر هو كسب كل خير، والتقوى هو اتّقاء كل شر ومعصية. هما في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد؛ لأنه إذا اتّقى كل شر ومعصية عَمِل كل خير وبر،[٦] وإذا كسب كل خير وبر اتّقى كل شر ومعصية.[٧] وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر. الصبر هو كَفُّ النفس عن كل مأثم، والشكر هو استعمال النفس في كل طاعة. هما أيضا في العبارة مختلفان، وفي الحقيقة واحد؛ لأنه إذا كَفَّ نفسه عن كل[٨] مأثم استعملها[٩] في الطاعة، وإذا استعملها في الطاعة كَفَّها عن كل مأثم ومعصية. وعلى ذلك يخرج الإسلام والإيمان. الإسلام هو تسليم النفس لله خالصةً سالمةً[١٠] لا يجعل[١١] لغيره فيها حقا،

---

[١] ع م - رجاء.
[٢] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٣).
[٣] ك ن ع - أي.
[٤] ن: قال.
[٥] جميع النسخ: مختلف.
[٦] م: بر وخير.
[٧] م: معصية وشر.
[٨] ع م: من كل.
[٩] ع: استعمالها.
[١٠] ن - سالمة.
[١١] ن ع م: لا تجعل.

[٣٤٦و] والإيمان هو أن يُصدّق[١] الله بالربوبية في نفسه وفي كل شيء. / وهما في الحقيقة واحد، وفي العبارة مختلفان؛ لأنه إذا جعل نفسه وكلَّ شيء لله سالما[٢] أقر بالربوبية له[٣] في نفسه وفي كل شيء. وإذا صدّقه وأقر له بالربوبية في نفسه وفي[٤] كل[٥] شيء جعلها لله وكلَّ شيء له. هذه أشياء[٦] في العبارة مختلفة، وفي التحصيل واحد.

ثم قوله: **اهْبِطْ بسلامٍ مِنا**، جائز[٧] أن يكون جواب قوله: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي.[٨] آمَنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة. والثاني السلام له منه[٩] هو الثناء الحسن، كقوله: سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ.[١٠]

وقوله عز وجل: **وبركاتٍ عليك**، يحتمل أن يكون جواب قوله: أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا.[١١] والبركة هي اسم كل خير لا انقطاع[١٢] له،[١٣] أو اسم كل شيء لا تَبِعة له عليه فيه.[١٤]

ثم قوله:[١٥] **بسلامٍ مِنا وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك وأُمَمٌ سنُمَتِّعهم**، على قول بعض أهل التأويل ذلك السلام[١٦] وتلك البركات في الدنيا. السلام لِما سَلِموا من الغرق، والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع. وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا في الآخرة. ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها، وجعل منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة، بقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ،[١٧] وبقوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

---

[١] ن: أن تصدق؛ ع: أن يتصدق.
[٢] م: سالما لله.
[٣] ع م – له.
[٤] ن ع م – وفي.
[٥] ن ع م: وكل.
[٦] ع: الأشياء.
[٧] ع م: وجائز.
[٨] الآية السابقة.
[٩] م: السلامة منه.
[١٠] سورة الصافات، ٧٩/٣٧.
[١١] ﴿وقل رب أنزلني مُنْزَلا مباركا وأنت خير المنزلين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٩/٢٣).
[١٢] م: لانقطاع.
[١٣] ن – له.
[١٤] م – فيه.
[١٥] ع: وقوله.
[١٦] م: الإسلام.
[١٧] ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ (سورة القصص، ٨٣/٢٨).

-ثم قال- قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[١] أشرك[٢] المؤمن والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة[٣] يوم القيامة. فذلك قوله: **وأُمَمٌ سنُمَتِّعهم ثم يمسُّهم منا عذاب أليم**، أخبر أنه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب أليم. ويمتع المؤمن أيضا في هذه الدنيا بأنواع المنافع، ثم أخبر: إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ؛[٤] ثم جعل العاقبة للمتقين[٥] بازاء ما جعل لهم عذابا أليما، أعني الكفرة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وعلى أُمَمٍ ممن معك**، و لم يكن مع نوح أمم يومئذ، إنما كانوا معه نَفَرا. لكنه أراد -والله أعلم- الأمم التي كانوا مِن بَعده، كأنه قال: وعلى أمم يكونون[٦] من بعدك. فهذا يدل أن دين الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا[٧] دين واحد[٨] وإن اختلفت[٩] شرائعهم؛ لأن تلك الأمم لم يكونوا بأنفسهم مع نوح، ولا كانوا معه في العبادات التي كان فيها نوح. دل أنهم كانوا جميعا على دينه، وهو واحد. وعلى ذلك يخرج دعاؤه: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[١٠] لأنه[١١] دعاء بالمغفرة منه[١٢] لكل مؤمن ومؤمنة يكون من بعده. وكذلك يلحق على كل كافر دعاؤه: وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.

* وقال بعض أهل التأويل: في قوله: **اهبط**، من السفينة، **بسلام مِنّا**، فسلّمه الله ومَن [٣٤٦و س٣٣] معه من المؤمنين[١٣] من الغرق، **وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك**، يعني بالبركة أنهم تَوالَدوا وكَثُروا بعد ما خرجوا من السفينة. وعن ابن عباس رضى الله عنه في قوله:

---

[١] سورة الأعراف، ٣٢/٧.
[٢] ع م: شرك.
[٣] ك: خالصة للمؤمنين.
[٤] الآية التالية.
[٥] ع م - للمتقين.
[٦] ع: يكون.
[٧] ع م - جميعا.
[٨] جميع النسخ: دينا واحدا.
[٩] م: اختلف.
[١٠] ﴿رب اغفر لي ولوالدَيَّ ولمن دخل بيتيَ مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تَزد الظالمين إلا تَبارا﴾ (سورة نوح، ٢٨/٧١).
[١١] ن ع م: الآية.
[١٢] جميع النسخ: له.
[١٣] ع: معه المؤمنين.

**وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك**، ممن سبق[1] له في علم الله البركات والسعادة
٣٤٦و س٣٦] من النبيين[2] وغيرهم.[3]*

**﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٤٩]

وقوله عز وجل: **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك**؛ يحتمل قوله: **تلك**، أي قصة نوح، **من أنباء الغيب**،[4] غابت عنك، لم تشهدها، و لم تعلمها **أنت ولا قومك من قبل هذا**. إن كان[5] المراد من قوله: **تلك من أنباء الغيب**، قصةَ نوح خاصة وأنباءَه كان يجيء أن يقول: هذه من أنباء الغيب نوحيها إليك. لكنه كأنه على الإضمار، أي هذه الأنباء تلك الأنباء التي ذُكرت في كتبهم. وإن كان المراد هذه وغيرها من الأنباء يصير كأنه قال: هذه من تلك الأنباء. ويحتمل[6] قوله: **تلك من أنباء الغيب**، القِصص كلها، قصة نوح وغيره من الأنبياء عليهم السلام، **من أنباء الغيب**، غابت عنك، لم تشهدها **ولا تعلمها أنت ولا قومك**. خص قومه لأن غيره من الأقوام قد كانوا عرفوا تلك الأنباء، فيخبرونهم، فيعرفون به صِدْقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبرهم على ما أخبر أولئك الذين عرفوا تلك الأنباء بكتبهم، لِيُعلَم أنه إنما عرف ذلك بالله. إذ تلك الأنباء كانت بغير لسانه،[7] و لم يُعرَف أنه اختلف إلى أحد[8] منهم. دل أنه إنما عرف ذلك[9] بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **فاصبر**؛ يحتمل قوله: **فاصبر**، على تكذيبهم إياك وعلى أذاهم، أو اصبر على ما أُمرت ونُهيت،[10] أو اصبر على ما صبر إخوانك من قبل، كقوله: كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[11] ونحوه.

---

[1] ع: من سبق.
[2] ن ع: من البنين.
[3] روي نحو ذلك عن الضحاك؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥/١٢.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٦و/سطر ٣٣-٣٦.
[4] ع + نوحيها إليك يحتمل قوله أي قصة نوح من أنباء الغيب؛ م + نوحيها إليك يحتمل قوله تلك أي قصة نوح من أنباء الغيب.
[5] ع – كان.
[6] ن: يحتمل.
[7] ع: لساں.
[8] م: لأحد.
[9] ن ع م – ذلك.
[10] ن: ما نهيت وأمرت.
[11] ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغٌ فهل يُهلَك إلا القوم الفاسقون﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

وقوله عز وجل: **إن العاقبة للمتقين**؛ يشبه أن يكون قوله: **للمتقين**، الذين اتّقوا الشرك، وأمكن الذين اتّقوا الشرك والمعاصي كلها. والأشبه أن يكون المراد منه اتّقاء الشرك؛ لأنه ذكر بازاء قوله: وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ،[1] فهو في العَقْد[2] أشبه.*

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وإلى عاد أخاهم هودا**، هذا[3] -والله أعلم- صلة قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ،[4] فيقول: وقد[5] أرسلنا هودا إلى عاد أخاهم. ثم يحتمل قوله: **أخاهم**،[6] [وجوها]. فالأخوّة[7] تكون على وجوه. أخوة جنس، يقال: / هذا أخو هذا، نحو مِصْراعَي الباب يقال لأحدهما: هذا أخو هذا، ونحو أحد زوجي الخُفّ وأمثاله. وأخوة في النسب، وأخوة في الدين،[8] كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.[9] فهو[10] لم يكن أخا لهم في الدين. فهو يحتمل أنه أخوهم في الجنس وفي النسب؛ لأن الناس كلهم يُنسَبون إلى آدم، فيقال: بنو[11] آدم، مع[12] بُعد ما بينه وبينهم.[13] فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض إخوة مع بُعد النسب الذي بينهم. *والله أعلم*. [٣٤٦ظ]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**، يُعبَد، أي الذين تَعبدون ليسوا بآلهة، لا يستحقون العبادة؛ إنما الإله الذي يستحق العبادة اللهُ الذي خلقكم وخلق لكم أشياء.[14]

---

[1] الآية السابقة.
[2] أي في الاعتقاد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٦و/سطر ٣٣-٣٦.
[3] ع م - هذا.
[4] سورة هود، ٢٥/١١.
[5] ع: ولقد.
[6] ن - ثم يحتمل قوله أخاهم، صح هـ.
[7] جميع النسخ: الأخوة.
[8] ك: وأخوة النسب وأخوة الدين.
[9] سورة الحجرات، ١٠/٤٩.
[10] أي هود عليه السلام.
[11] ك ع: بنوا.
[12] ع - فيقال بنو آدم مع.
[13] ن - وبينهم.
[14] م: الأشياء.

وقوله عز وجل: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**، أي ما أنتم إلا مُفتَرُون. لا يحتمل أن يكون هود قال لهم هذا في أول ما دعاهم إلى التوحيد وفي أول ما ردّوا إجابته وكذّبوه؛ لأنهم[١] أُمروا بلِين القول لهم وتذكير النعمة عليهم، كقوله لموسى وهارون حيث بعثهما إلى فرعون بقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا،[٢] الآية. ولكن كأنه[٣] قال لهم ذلك بعد[٤] ما سبق منه إليهم دعاءً غير مرة. وأقام عليهم الحجة والبراهين فردّوها. فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[٥] الآية.[٦]

وقوله عز وجل: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**، يحتمل في تسميتهم الأصنام التي عبدوها آلهة،[٧] يقول: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**،[٨] في ذلك. ويحتمل أنه سمّاهم: **مُفتَرُون**، فيما قالوا: الله أمرهم بذلك،[٩] يقول:[١٠] أنتم مُفتَرُون فيما ادّعيتم الأمر بذلك؛ أو **مُفتَرُون**، في إنكارهم البعث أو الرسالة.

**﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إنْ أجريَ إلا على الذي فطرني**، هذا قد ذكر[١١] في غير موضع.[١٢] يقول لهم –والله أعلم– أي لا أسألكم[١٣] على ما أدعوكم إليه أجرا يمنعكم **ثِقَلُ** ذلك الأجر وغُرْمُه عن الإجابة. فما الذي[١٤] يمنعكم عن الإجابة لي ويحملكم على الرد؟ بل أَعِدُكم[١٥] على ما أدعوكم إليه ما ترغبون فيه.[١٦] فكيف يمنعكم [ذلك] عن الإجابة والنظر فيما أدعوكم إليه؟

---

[١] أي الأنبياء عليهم السلام.
[٢] ﴿فقُولا له قَوْلا لَيِّنًا لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ (سورة طه، ٤٤/٢٠).
[٣] أي هود عليه السلام.
[٤] م – بعد.
[٥] سورة هود، ٥٣/١١.
[٦] ع – الآية.
[٧] ع م – آلهة.
[٨] ك: يقول أنتم مفترون.
[٩] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[١٠] ع: يقولون.
[١١] ك ن: قد ذكرنا.
[١٢] انظر مثلا تفسير الآية من سورة هود، ٢٩/١١.
[١٣] ك: لأسألكم.
[١٤] م: ما الذي.
[١٥] جميع النسخ: بل أدعوكم.
[١٦] وهو الثواب الأخروي.

**أفلا تعقلون**، أني رسولُ إليكم بآيات وحججٍ جئتُ بها. أو[1] **أفلا تعقلون**، أنها آيات وحجج ونحوه. أو يقول: **أفلا تعقلون**، أن الله واحد وأنه رب كل شيء وخالقُ كل شيء ومُنشِئُه.

**﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾**[٥٢]

وقوله عز وجل: **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، يحتمل أن يكون قوله: **استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، واحدا.[2] ويحتمل على التقديم والتأخير: توبوا إليه ثم استغفروا لما كان[3] منكم من المساوئ. أي أَقْبِلوا إلى طاعة الله واندَموا على أفعالكم. وقوله: **استغفروا ربكم**، معلومٌ[4] أنّ هودا لم يُرِدْ بقوله: **استغفروا**، أن يقولوا: نستغفر الله. ولكن أمرهم أن يطلبوا السبب الذي به[5] يجب لهم المغفرة وتحق،[6] وهو[7] التوحيد. كأنه قال: وَحِّدوا ربكم فآمنوا به ثم توبوا إليه. أو يقول: اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر، كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[8]

وقوله عز وجل: **يُرْسِلِ السماء عليكم مِدْرَارًا ويَزِدْكم قوة إلى قوتكم**، قال بعض أهل التأويل: إنه قد كان[9] انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم،[10] فأخبر أنكم إن تبتم إلى الله واستغفرتم[11] ربكم **يُرسل السماء عليكم مدرارًا**، الآية، حتى تتناسلوا[12] وتتوالدوا. ويحتمل قوله: **ويَزِدْكم قوة**، أي يَزِدْكم قوةَ أفعالِكم إلى قوة أبدانكم؛ لأنهم[13] كانوا أهل قوة وأهل بطش،

---

[1] م – أو.
[2] ع: واحد.
[3] جميع النسخ: ما كان.
[4] ن ع: معلوما.
[5] م – به.
[6] ن ع م: ويحق.
[7] ع: هو.
[8] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[9] م + قد.
[10] ع: نسأهم.
[11] ن م: واستغفروا.
[12] ع م: حتى تناسلوا.
[13] ك: لأنها.

بقوله:[1] ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.[2] ويحتمل[3] على الابتداء: **يُرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكم**. فقوله: **ولا تتولَّوْا**، مما أدعوكم إليه فتكونوا، **مجرمين**. المجرم[4] قال أبو بكر: هو الوَثَّاب في الإثم.[5] وقيل: هو المُكتَسِب المسيء.[6]

**﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة**، على ما تدعونا إليه، أو على ما تدَّعي[7] من الرسالة. فعند ذلك قال لهم هود:[8] ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.[9]

**وما نحن بِتَارِكِي آلهتِنا**، أي ما نحن بتاركي عبادةِ آلهتنا، **عن قولك**، أي بقولك. كان لا يدعوهم هود[10] إلى ترك عبادة[11] آلهتهم بقوله خاصة، ولكن قد دعاهم وأقام على فساد ذلك الحجج والبراهين. لكنهم قالوا[12] متعنِّتين مكابِرين:[13] **وما نحن لك بمؤمنين**، فيما تدعونا إليه وتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا.

**﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **إن نقول إلا اعْتَرَاكَ بعضُ آلهتنا بسوء**، قيل: هو كان[14] يسبّ آلهتهم ويَذكرهم بالعيب، فيقولون: إنه يَعتريك مِن بعض آلهتنا سوءٌ،[15] أو يصيبونك[16] بجنون أو تخبّل،

---

[1] جميع النسخ: بقولهم.
[2] سورة فصلت، ١٥/٤١.
[3] ع: يحتمل.
[4] ن – المجرم.
[5] ع: الثواب في الاسم.
[6] ك ن ع – المسيء.
[7] ن + إليه.
[8] ك: قال هود لهم.
[9] سورة هود، ٥٠/١١.
[10] ن – إن أنتم إلا مفترون وما نحن بتاركي آهتنا أي ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا عن قولك أي بقولك كان لا يدعوهم هود.
[11] ن: عبادتهم.
[12] ن: كانوا.
[13] م: متكابرين.
[14] ك: قيل كان هو.
[15] ن ع م: بسوء.
[16] جميع النسخ: أو يصيبوك.

فلا نحب أن يصيبك منها [ضرر]، فاجتَنِبْها سالمًا. فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان، أي إنّا إنما ننهاك عن سب آلهتنا وذكر العيب فيها إشفاقا عليك لئلا يصيبك منها شيء.[1] وقال ابن عباس رضي الله عنه: قالوا: شتمت آلهتنا فخَبَّلَتْك وأصابتك بالجنون.[2] فتأويله -والله أعلم- إنك إنما تدعونا إلى ما تدعونا[3] إليه وتدَّعي ما تدَّعي لما أصابتك آلهتنا بسوء واعتَرَتْك بجنون. كانوا يخوّفونه أن تصيبه[4] آلهتهم بسوء بتركه عبادتَها، على ما كانوا يَرجون ويطمعون بعبادتهم إياها شفاعتَها لهم.[5]

*وقال أبو عَوْسَجَة: الاعتراء هو الأخذ. يُقال: اعْتَرَتْه الحُمَّى، أي أخذته. وقال القُتَبي: [٣٤٧و س١٦
الاعتراء: الإصابة. يقول: **إلا اعتراك**، أصابك. يُقال: اعتريت: أصبت.[6] وهو ما ذكرنا.* ٣٤٧و س١٧]

**قال إني أُشهِدُ الله واشهَدُوا أني بريء مما تشركون،** به وتعبدونه[7] من الآلهة. واشهدوا /أنتم أيضًا بأني بريء من ذلك. [٣٤٧ظ]

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[٥٥]

**[من دونه] فَكِيدُونِي جميعًا،** أنتم وآلهتكم بما تَعِدُونني[8] من الهلاك أو السوء. **ثم لا تُنظِرُونِ،** أي ثم لا تُمهِلُونِ في ذلك. ويحتمل قوله: **فكِيدُونِي جميعًا،** أنتم وآلهتكم. يقول: اعملوا أنتم وآلهتكم جميعًا التي تزعمون أنها خبَّلَتْني وأجَنَّتْني، **ثم لا تُنظِرُونِ،** أي لا تُمهِلُونِ. وهذا مِن أشدّ آيات النبوة؛ لأنه يقول لهم [ذلك] وهو بين أظْهُرِهم وحيدًا. فلولا أنه يقول ذلك لهم بقوة من الله والاعتماد منه[9] عليه والانتصار به وإلا ما اجترأ[10] أحد أن يقول مثل هذا بين أعدائه، عُلِم أنه قال ذلك بالله تعالى. وكذلك قول رسول الله: قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ،[11] الآية،

---

[1] م: لا يصيبك شيء منها.
[2] *تفسير الطبري*، ١٢/٥٩.
[3] ع: ما تدعوننا.
[4] ك: أن يصيب؛ ن ع م: أن تصيب.
[5] ع: عبادتهم إياها شفاعتهم الهم؛ م: شفاعتهم لهم.
[6] يقول ابن قتيبة: «﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي أصابك بخَبَل. يقال: عراني كذا وكذا واعتراني: إذا ألمّ بي» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤).
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٥٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٧و/سطر ١٦-١٧.
[7] ن: وتعبدون.
[8] جميع النسخ: فيما تدعونني.
[9] جميع النسخ: له.
[10] ع: ما اخبر.
[11] ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدونِ فلا تُنظِرونِ﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٩٥).

وقول نوح: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾،[١] الآية،[٢] وقول شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾،[٣] الآية، وأمثاله. قالوا ذلك بين أَظْهُر الأعداء و لم يكن معهم أنصار[٤] ولا أعوان. دل أنهم إنما[٥] قالوا ذلك بالله. وذلك من آيات النبوة.

**﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٦]**

وقوله[٦] عز وجل: **إني توكلت على الله**، أي فوّضت أمري إليه، أو وَكّلت في جميع عملي إليه، أو وَثِقت به واعتمدت عليه فيما تُوعِدونني من الهلاك، أو توكّلت عليه في دفع ما أَوْعدتموني. **ربي وربّكم**، أي كيف تُوعِدونني[٧] بآلهتكم التي تعبدون ولا تخافون الذي[٨] تعلمون أنه هو[٩] ربي وربكم؟[١٠] وهو كما قال إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ﴾،[١١] الآية.

وقوله عز وجل: **ما مِن دابة إلا هو آخِذٌ بناصيتها**، يميتها متى[١٢] شاء. وقوله: **آخِذٌ بناصيتها**، أي في ملكه وسلطانه. يقال: فلان آخِذٌ بحُلْقُوم[١٣] فلان، وفلان[١٤] في قبضة فلان، ليس أنه في قبضته بنفسه أو آخِذٌ[١٥] بحُنْقُوم[١٦] فلان، ولكن يُراد أنه في سطانه وملكه[١٧] وفي قبضته.

---

[١] ﴿واتْلُ عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُر عليكم مَقامي وتذكيري بآيت الله فعلى الله توكلت فأجمِعُوا أمْرَكم وشركاءكم ثم لا يكن أمْرُكم عليكم غُمَّةً ثم اقضُوا إليّ ولا تُنظِرونِ﴾ (سورة يونس، ٧١/١٠).
[٢] ك – الآية.
[٣] ﴿ويا قوم اعملوا عىى مكانَتِكم إني عامل سوف تعلمون مَن يأتيه عذاب يُخزِيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ (سورة هود، ٩٣/١١).
[٤] ن: أنصارا.
[٥] م – إنما.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ: توعدوني.
[٨] م: الذين.
[٩] ع م – هو.
[١٠] ع م + أي كيف توعدونني.
[١١] سورة الأنعام، ٨١/٦.
[١٢] ك + ما.
[١٣] ع م: بخنقوم.
[١٤] ع: فلان بن فلان.
[١٥] ع م: وآخذ.
[١٦] م: بخلقوم.
[١٧] م: وفي ملكه.

**إن ربي على صراط مستقيم**، أي على الذي أمرني ربي ودعاني إليه. أو يكون قوله: **إن ربي على صراط مستقيم**، أي إن الذي أمرني ربي ودعاني إليه هو صراط مستقيم، كقوله: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.[1]*

**﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾**[٥٧]

وقوله عز وجل: **فإن تَوَلَّوْا فقد أَبلغتكم ما أُرسِلت به إليكم**، يحتمل على الإضمار، أي فإن تَوَلَّوْا عن إجابتك وطاعتك فقل: قد أبلغتكم[2] رسالات ربي؛[3] لأن قوله: **تَوَلَّوْا**، إنما[4] هو خبر، وقوله عز وجل: **أبلغتكم**، خطاب. وأمكن أن يكونا جميعًا على الخطاب؛ يقول: فإن تَوَلَّيتم عن إجابتي فيما أدعوكم إليه **فقد أَبلغتكم ما أُرسِلت به إليكم**، وليس عليّ إلا تبليغ الرسالة إليكم، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ،[5] وكقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[6] يقول: إنما عليّ إبلاغ رسالته[7] إليكم، ليس عليّ جُرْمُ تَوَلِّيكم عن إجابتي، كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[8] ونحوه. ***والله أعلم***.

وقوله: **ويَستخلف ربي قومًا غيركم**، فيه وجهان. أحدهما الخبر عن هلاكهم؛ لأنه أخبر أنه يستخلف **قوما غيركم**، لأنه ما لم يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم[9] خَلَفَهم، لأنهم كانوا يقولون: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[10] يقول -والله أعلم- إن قوة أبدانكم وبَطْشكم[11] لا تُعجِز[12] الله عن إهلاككم. [الثاني] وفيه أن عادا ليسوا هم النهاية في العالم، بل يكون بعدهم قوم غيرهم. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الفجر، ١٤/٨٩.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٧و/سطر ١٦-١٧.

[2] ع م: قد أبلغتك.

[3] ك ن: رسالاتي.

[4] ع - إنما.

[5] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[6] سورة الشورى، ٤٨/٤٢.

[7] م: الرسالة.

[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.

[9] ع م - فيه وجهان أحدهما الخبر عن هلاكهم لأنه أخبر أنه يستخلف قوما غيركم لأنه ما لم يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم.

[10] سورة فصلت، ١٥/٤١.

[11] ن + وبطشكم.

[12] ع م: لا يعجز.

وقوله عز وجل: **ولا تَضُرّونه شيئًا**، أي لا تَضُرّونه بتَوَلّيكم[1] عن إجابتي وردّكم رسالةَ الله إليكم. ليس كملوك الأرض إذا تولىّ عنهم خَدَمُهم وحَشَمُهم[2] ضَرّهم ذلك. والثاني لا تَضُرّونه كما يَضُرّ ملوكُ الأرض بالقتال والحرب بعضَهم بعضًا. والثالث لا تَضُرّونه؛ لأنه لا منفعة له[3] فيما يدعوكم حتى يضره[4] ذلك، إذ ليس يدعوكم إلى ما يدعو[5] لحاجة نفسه ولا لمنفعةٍ له،[6] إنما يأمركم ويدعوكم لحاجة أنفسكم والمنفعة لكم. ويحتمل أن يكون: **ولا تَضُرّونه شيئًا**، جواب قوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا،[7] الآية.[8]

**إنّ ربي على كل شيءٍ حَفِيظ**، لا يخفى عليه شيء وإن لَطُف، فكيف يخفى عليه أعمالكم وأحوالكم[9] مع ظهورها وبُدُوّها؟ أو يقول: **إن ربي على كل شيءٍ حَفِيظ**، فيجزيه عليه، أي لا يَذهب عنه شيءٌ ولا[10] يفوته. *والله أعلم*.

**﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **ولمّا جاء أَمْرُنا نجّينا هودًا**، قوله: **جاء أَمْرُنا**، أَمْرُ تكوين لا أَمْرٌ يقتضي الساعة، كقوله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[11] فعلى ذلك هذا هو أَمر تكوين.[12] وقد ذكرناه.[13]

وقوله عز وجل: **نجّينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة منا**، هذا يدل أنّ مَن نجا إنما نجا برحمة[14] منه لا بعمله.[15] وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

[1] ن ع م: بتوليتكم.
[2] ع: وخشمهم.
[3] ع م + فيه.
[4] ك ن + عند.
[5] ن: إلى ما يدعوكم؛ ع: إلى ما يدعوا.
[6] ع م – له.
[7] سورة هود، ١١/٥٥.
[8] ن – الآية.
[9] ك ن: وأموالكم.
[10] ع م: أي لا.
[11] سورة يس، ٣٦/٨٢.
[12] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿ولمّا جاء أمْرُنا نجّينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾، أي أمْر تكوين. وقوله: "جاء"، أي ظهر أثره الساعة؛ وهو التكوين لا نفس الأمر؛ فإنه أزلي. وهو كقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾. فعلى ذلك هذا أن المراد منه العذاب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٥ظ).
[13] ع: ذكرنا. انظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/٤٣.
[14] ع: برحمته.
[15] ع م: لا بعلمه.

«لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول[١] الله؟ قال: «ولا أنا إلّا أنْ يتغمَّدني الله برحمته».[٢] لا على ما يقوله[٣] المعتزلة: إنّ مَن نجا إنما ينجو بعمله[٤] لا برحمته. ثم يحتمل قوله: **برحمة منا**، وجوها. تحتمل[٥] الرحمة هاهنا هودا، أي رَحِمَهم به حيث بُعث إليهم رسولا فنجا من اتّبعه. فإن كان هذا ففيه أن أهل الفترة مُعاقَبون في حال فترتهم؛[٦] لأنه أخبر أنّ مَن نجا إنما نجا بهود. فدل أنهم مُعاقَبون قبل بَعْث الرسل إليهم. ويحتمل قوله: **برحمة منا**، أي بتوفيقٍ منا إياهم نجا من نجا منهم. والثالث [**برحمة منا**: بفضلٍ منا لا بعملهم].[٧]

**ونجّيناهم من عذاب غليظ**، قال بعضهم: نجّيناهم من العذاب الذي أهلك هؤلاء. ويحتمل أن يكون على الوعد، أي ينجيهم في الآخرة من عذاب / غليظ. [٣٤٧ظ]

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وتلك عادٌ جَحدوا**، أي وتلك أهل قرية عاد. **جَحدوا بآيات ربهم وعَصَوْا رُسُلَه**، الكفر بالآيات كفر بجميع الرسل.[٨] والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعًا وبالله؛[٩] لأن كل واحد من الرسل يدعو[١٠] إلى الإيمان بالله وبجميع الرسل. فالإيمان بواحد منهم إيمان بالله وبجميع الرسل والآيات، والكفر بواحد من هذا[١١] كفر بالله وبجميع الرسل. وإنما كان الكفر بالآيات كفرا بالله لأن الله[١٢] إنما يُعرَف من جهة الآيات، فالكفر[١٣] بالآيات كفر به.[١٤]

---

[١] ك: يرسول.
[٢] روي الحديث بألفاظ متقاربة. وأقربها إلى ما هنا لفظ أحمد؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/٣. وللروايات الأخرى انظر: *صحيح البخاري*، المرضى ١٩؛ و*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.
[٣] م: ما يقول.
[٤] ع م: ينجي بعلمه.
[٥] ن ع م: يحتمل.
[٦] ع م – فترتهم.
[٧] من *الشرح*، ورقة ٣٨٥ظ.
[٨] ن + والواحد.
[٩] ع م + التوفيق.
[١٠] ك ع: يدعوا.
[١١] م: منها.
[١٢] ن: الآيات.
[١٣] جميع النسخ: والكفر.
[١٤] ع – به.

وقوله عز وجل: **واتبعوا أَمْرَ كلِّ جبّارٍ عَنِيد**، قيل: أخبر أنهم اتبعوا أمر الجبابرة وأطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم. قيل: الجبار[1] هو[2] المُتَجَبِّر الذي يتجبر على الرسل ويتكبّر عليهم؛ لأن الرؤساء منهم كانوا يتجبّرون على الرسل ويتكبّرون. ثم الأتباع اتّبعوا الرؤساء في عملهم. قال أبو عَوْسَجَة: الجبار هو المُتَجَبِّر، والعَنِيد هو المُعانِد المُخالِف. وقال القُتَبي: العَنُود والعَنِيد والعَانِد: المُعارِض لك بالخلاف عليك.[3] وقال أبو عُبَيدة: العَنِيد والعَنُود[4] والعَانِد[5] هو الجائر.[6]

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وأُتبِعُوا في هذه الدنيا لعنةً ويومَ القيامة**، قال بعضهم: اللعن هو العذاب، أي أُتبِعُوا في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب،[7] كقوله: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ،[8] أي عذاب الله.

وقوله عز وجل: **وأُتبِعُوا**، أي أُلحِقُوا. وقيل: إن اللعن هو الطَّرد؛ طُرِدُوا[9] عن رحمة الله حتى لا ينالونها[10] لا في الدنيا ولا في الآخرة.

**أَلَا إنّ عادًا كفروا ربهم أَلَا بُعْدًا لِعادٍ قومِ هود**، أي أَلَا بُعْدًا لهم[11] مِن رحمة الله.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وإلى ثمود أخاهم صالحًا**، هو ما ذكرنا،[12] أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا.[13] وقوله: **أخاهم**، قد ذكرنا أيضا[14] أن الأُخُوّة تتجه إلى وجوه ثلاثة: أخوة في الدين،

---

[1] ع م – الجبار.
[2] ن: قيل.
[3] م – عليك. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٥.
[4] ع م – والعنود.
[5] ك ن: والمعاند.
[6] ع م: الجابر. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٩٠.
[7] ع م – بالعذاب.
[8] سورة هود، ١١/١٨.
[9] ع: وطردوا.
[10] ن: لا ينالوانها.
[11] ن ع م – لهم.
[12] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٥.
[13] ن – هو ما ذكرنا أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا.
[14] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٥.

وأخوة في الجنس، وأخوة في النسب. فهو لا يحتمل أن يكون أخاهم في الدين، لكنه يحتمل أن يكون أخاهم من الوجهين الآخرين في الجنس والنسب.[١]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**. إن الرسل جميعًا[٢] صلوات الله عليهم أوّلَ ما دَعَوْا قومهم إنما دَعَوْا إلى توحيد الله وجَعْل العبادة له. لأن غيره من العبادات إنما يقوم بالتوحيد. فكان[٣] [ذلك] أوّل ما دَعَوْا[٤] قومهم إليه. [و] لم يَزَل عادة الرسل وعملهم[٥] الدعاء إلى توحيد الله والعبادة له.

وقوله عز وجل: **هو أنشأكم من الأرض**، قال[٦] بعض أهل التأويل: **هو أنشأكم من الأرض**، يقول: هو خلقكم من آدم، وخلق آدم من الأرض. لكنه أضاف خَلْقَ الخلائق إليها كما أضاف في قوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٧] الآية، أخبر أنه خلقنا من نفسه، أي آدم وإن لم تكن أنفسنا فيه. فعلى ذلك إضافته إيانا بالخَلْق من الأرض وإن لم يَخلق أنفسَنا منها. أي خَلَق أصلَنا وأنشأه من الأرض، فأضاف[٨] إنشاءنا إلى ما أنشأ أصلنا. ويشبه أن يكون قوله: **هو أنشأكم من الأرض**، أي جعل نَشْءَ الخلائق كلهم ونماءهم وحياتهم ومعاشهم بالخارج من الأرض؛ إذ به نَشْؤُهم[٩] ونماؤهم وحياتهم، وقوامهم منها.

وقوله عز وجل: **واستَعْمَرَكم فيها**، قال بعضهم: أسكنكم فيها، وقال بعضهم: استخلفكم فيها. وقال غيره: قوله: **واستَعْمَرَكم فيها**،[١٠] أي جعلكم عُمَّارَ الأرض، تَعمُرونها لمعادكم ومعاشكم.[١١] جعل عمارة هذه الأرض إلى الخَلْق، هم الذين يقومون بعمارتها وبنائها وأنواع الانتفاع بها. ويرجع كله إلى واحد. وقال بعضهم في قوله: **واستَعْمَرَكم**، أي جعل عُمركم طويلا.

---

١ ع م - فهو لا يحتمل أن يكون أخاهم في الدين لكنه يحتمل أن يكون أخاهم من الوجهين الآخرين في الجنس والنسب.
٢ ك - جميعا.
٣ ع م: وكان.
٤ جميع النسخ: ما دعاهم.
٥ ع م: وعلمهم.
٦ م: وقال.
٧ سورة الأعراف، ١٨٩/٧.
٨ ع: وأضاف.
٩ ن ع: نشأهم؛ م: نشايهم.
١٠ ك - قال بعضهم أسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال غيره قوله واستعمركم فيها.
١١ ن ع م: لمعادهم ومعاشهم.

وقوله عز وجل: **فاستغفروه ثم توبوا إليه**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم في قصة هود،[1] أي كونوا بحالٍ يغفر لكم. وهو[2] كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[3] كأنه قال: فإن انتهوا عن الكفر يغفر لهم.[4]

وقوله عز وجل: **إن ربي قريب**، لحفظ الخلائق، أو **قريب**، لمن أنعم عليهم، وأمثاله، أو **قريب**، إلى كل من يفزع[5] إليه. **مجيب**، لدعاء كل داع استجاب له، كقوله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي،[6] الآية، وكقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي،[7] الآية.

**﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾**[٦٢]

وقوله عز وجل: **قالوا يا صالحُ قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا قبل هذا أتنهانا أن نَعبد ما يَعبد آباؤنا**، قال بعضهم: قولهم: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، كنتَ تَرحم الضعفاء وتعود المرضى -ونحوه[8] من الكلام- فالساعةَ صِرتَ على خلاف ذلك. وقال بعضهم: **كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، كنا نرجو[9] أن ترجع إلى ديننا قبل هذا الذي تدعونا[10] إليه، فالساعةَ صِرتَ تَشتم آلهتنا وتَذكرها بعَيب. **أتنهانا أن نَعبد ما يَعبد آباؤنا**، أي ما كنا نعرف أن آباءنا[11] عندك سفهاء من قبل هذا، فالساعةَ تُسَفِّهُ[12] أحلامهم في عبادتهم الأصنام. **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مُرِيب**. أو كانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه[13] فيما دعاهم إلى توحيد الله وعبادتهم إياه. فقالوا: إنا على يقين أن آباءنا قد عبدوا هذه الأصنام،

---

[1] جميع النسخ: في قصة نوح. وانظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٢/١١.
[2] م: هو.
[3] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[4] ن ع م: لكم.
[5] ع: من نفرع.
[6] ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أُجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وَلْيؤمنوا بي لعلهم يَرْشُدُون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).
[7] ﴿وأَوْفُوا بعهدي أُوفِ بعهدكم﴾ (سورة البقرة، ٤٠/٢).
[8] ك: ونحو ذلك.
[9] ن ع م: نرجوا.
[10] ع: تدعوننا.
[11] ع م: أن آباؤنا.
[12] ن: تسفههم.
[13] ن – عليه.

وإنا على شك **مما تدعونا إليه مُريب**،[1] أي يُرِيبنا أمرُك ودعاؤك لنا إلى هذا الدين. قد قيل هذا. ولكنا[2] لا نعلم ما كانوا[3] يرجون فيه، وما معنى[4] الذي قالوا له: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، سوى أنا نعلم أنه كان مَرْجُوًّا فيهم بالعقل[5] والدين والعلم والبصيرة ونحوه، فكان مَرْجُوًّا فيهم بالأشياء التي ذكرنا. هذا نعلم، ولا نعلم ما عَنَى أولئك بقولهم: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا قبل هذا**. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾**[٦٣]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي**، أي إن كنت على حجة وبرهان وبيان من ربي فيما أدعوكم إلى توحيد الله وصرف العبادة إليه. والثاني قوله: **أرأيتم إن كنت على بينة من ربي**، أي قد كنت على بينة من ربي.[6]

**وآتاني منه رحمة**، يحتمل قوله: **رحمة**، أي آتاني هدى ونبوة من عنده.

/ **فمن ينصرني من الله**، أي من يمنعني من عذاب الله، **إن عصيته**، ورجعت إلى دينكم. أي لا أحد [٣٤٨و]
ينصرني لو أجبتكم[7] إلى ما دَعَوْتموني إليه. أي لا أحد ينصرني دون الله لو أجبتكم وأطعتكم فيما دَعَوْتموني إليه. ثم الذي دَعَوْه إليه يحتمل ترك[8] تبليغ الرسالة إليهم، أو دعوة إلى عبادة الأصنام التي عبدوها.

وقوله عز وجل: **فما تزيدونني غير تخسير**، قيل فيه بوجوه. قيل: **فما تزيدونني**، بمجادلتكم إياي فيما تجادلونني إلا خسرانًا. وقال بعضهم: فما تزدادون[9] بمعصيتكم إياي إلا خسرانًا لأنفسكم. وقال القُتَبي: **غير تخسير**، أي غير[10] نقصان.[11] وقال أبو عَوْسَجَة: **غير تخسير**، هو من الخسران. يُقال: خَسَّرته، أي ألزمته الخسران.

---

[1] م – أو كانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم إلى توحيد الله وعبادتهم إياه فقالوا إنا على يقين أن آباءنا قد عبدوا هذه الأصنام وإنا على شك مما تدعونا إليه مريب.
[2] ع: وكنا.
[3] م: ما كان.
[4] ك ن م: المعنى.
[5] م: في العقل.
[6] ع م – أي قد كنت على بينة من ربي.
[7] ك: إن أجبتكم.
[8] ن – ترك.
[9] م: فما تزيدون.
[10] ع م: أو غير.
[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٥.

﴿وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[٦٤] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذَرُوها تأكل في أرض الله**. قال لهم هذا حين سألوا منه الآية. فقال: **هذه ناقة الله لكم آيةً**، على صدق صالح فيما ادّعى من الرسالة. أو **هذه ناقة الله لكم آيةً**،[1] أي لكم الآية[2] التي سألتموها من [صاحب] الرسالة.

وقوله عز وجل: **ناقة الله**، أضاف إليه لخصوصيةٍ كانت فيها نحن لا نعرف ذلك. ليست تلك الخصوصية في غيرها من النُّوق لِما جعلها آية لرسالته ونبوته خارجةً عما عاينوا من النُّوق وشاهدوها. وهكذا كانت آيات الرسل، كانت خارجةً عن وُسْع البشر وطَوْقهم لِيُعلَم أنها سماوية. ثم لا نعرف[3] أيّة[4] خصوصيةٍ كانت لها [غير] عِظَم جسمها وغِلَظ بدنها حيث قُسِم الشِّرْب بينهم وبينها حتى جُعل يوما لها ويوما لهم، بقوله: لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[5] ولم يُقسَم مراعيها بينها وبينهم، بقوله: **فذَرُوها تأكل في أرض الله**. وأما ما قاله بعض الناس: إنها خرجت من صخرة كذا، وإنها كانت تُحلَب كل يوم كذا، وأشياء أخرى[6] ذكروها، فإنا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول فيه أنه كان كذلك، سوى أنا نعرف أنها كانت لها[7] خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النُّوق. ولو كانت لنا إلى تلك الخصوصية حاجة لبيّنها لنا. وأصله ما ذكرنا[8] أنه إذا أضيف جزئية الأشياء إلى الله فهو على تعظيم تلك الجزئيات المضافة إليه، وإذا أضيف[9] إليه[10] كلية الأشياء فهو على إرادة التعظيم لله والتبجيل له، نحو قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[11] وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ،[12] ونحوه.

---

[1] ع م + فذروها تأكل في أرض الله قال لهم هذا حين سألوا منه الآية فقال هذه ناقة الله لكم.
[2] ك ن م: آية؛ ع – أي لكم آية.
[3] ع م: لا يعرف.
[4] م: أنه.
[5] سورة الشعراء، ١٥٥/٢٦.
[6] جميع النسخ: اخر.
[7] جميع النسخ: نعرف أن لها كانت.
[8] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٧/١١.
[9] ع: أضيفت.
[10] م: إلى.
[11] سورة البقرة، ١٠٧/٢؛ وسورة المائدة، ٤٠/٥؛ وسورة الأعراف، ١٥٨/٧؛ وغيرها.
[12] سورة النمل، ٩١/٢٧.

وقوله عز وجل: **ولا تَمَسُّوها بسوء**، نهاهم أن يَمَسُّوها[1] بسوء، ولم يبيّن ما ذلك السوء. فيحتمل أن يكون ذلك شيئا[2] عَرفوا هم ونهاهم[3] عن ذلك. وقال بعض أهل التأويل: **ولا تَمَسُّوها بسوء**، أي لا تَعْقِروها، **فيأخذَكم عذاب قريب**، لِما كان ذلك على إثر عَقْرِهم الناقة بثلاثة أيام؛ حيث قال:[4] **فعَقَرُوها فقال تَمَتَّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوب**. وما ذُكر أيضا أنّ وجوههم اصفرّت في اليوم الأول ثم احمرّت في اليوم الثاني ثم اسودّت في اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع فذلك أيضا مما لا نعرفه. وقوله عز وجل: **عذاب قريب**، قيل: [يقع] سريعا، لا تُمْهَلون[5] حتى تُعَذَّبوا. وقوله: **ذلك وَعْدٌ**، من الله، **غيرُ مَكْذُوب**، ليس فيه كذب. وكان عذابهم إنما نزل[6] على إثر سؤال[7] الآية. سألوا ذلك، فلمّا أنْ جاءهم بها كذّبوها، فنزل بهم العذاب. وهكذا السُّنة في الأمم السالفة، أنهم إذا سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا[8] بها نزل بهم العذاب. وهو قوله: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا،[9] الآية. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾**[٦٦]

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء أمرنا**، أي جاء ما أُمر به، كما يُقال: جاء وَعْد ربنا، أي جاء مَوْعُود ربنا؛ لأن وعده وأمره لا يجيء، ولكن جاء ما أُمر به وما وُعد[10] به؛ وهو العذاب. أو يقول:[11] **جاء**، أي أتى[12] وقتُ وقوعِ ما أُمر به ووُعد؛[13] وهو العذاب الذي وُعد وأُمر به. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: أن يمسوا.
[2] جميع النسخ: شيء.
[3] ن ع: فنهاهم.
[4] ع: قالوا.
[5] جميع النسخ: لا تمهلوا.
[6] ع - نزل.
[7] م: السؤال.
[8] ع: تؤمنوا.
[9] ﴿وما مَنَعَنا أن نرسل بالآيات إلا أنْ كَذَّب بها الأوّلون وآتينا ثمود الناقة مُبصِرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٩).
[10] ك: ووعد.
[11] ك: أو نقول.
[12] ع: أي إلى.
[13] ع م: وعد.

**نجّينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا**، بنعمة منا، أو بفضل[1] منا. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[2]

وقوله عز وجل: **ومِن خِزْيِ يومِئذ**، قيل: الخِزْي هو العذاب الذي يَفضحهم. وقيل: كل عذاب فهو خِزْي، أي نجّاهم مِن خِزْي ذلك اليوم.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو القوي العزيز**، قيل: **القوي**، هو الذي لا يُعجِزه شيء. والعزيز هو الذي يُذِلّ مَن دونه. وقيل: **القوي**، هو[3] المنتقم المنتصر لأوليائه من أعدائه. **العزيز**، هو المَنِيع في ملكه وسلطانه الذي لا يُعجِزه شيء.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وأَخَذَ الذين ظلموا الصيحةُ**، قيل: عذابهم كان صيحةً صاح بهم جبريل. وقيل: الصيحة: الصاعقة. و[قيل:][4] كل عذاب فهو صيحة. لكن لا ندري كيف كان. أو أن يكون عذابهم قَدْرَ صيحةٍ لسرعة وقوعه بهم. أو يُسمِّي ذلك العذاب صيحة [لأنهم] لمّا رأوه [كانوا] يصيحون[5] فيما بينهم، أو ما ذكرنا.

وقوله[6] عز وجل: **فأصبحوا في ديارهم جاثمين**، قال هاهنا: **ديارهم**، وقال في سورة الأعراف: دَارِهِمْ،[7] والقصة واحدة. قال بعضهم: دارهم: قُرَاهُم، وديارهم: منازلهم. ولكن هو واحد. أصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم سواء. وقوله: **جاثمين**، قيل: خامدين موتى. وأصل قوله: / **جاثمين**، أي [٣٤٨ظ] مُنْكَبِّين على وجوههم. يُقال: جَثَم الطائر، إذا انْكَبّ[8] على وجهه مخافة الصيد. وقد ذكرنا فيما تقدم.[9]

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **كأنْ لم يَغْنَوْا فيها**، قيل: كأنْ لم يعيشوا فيها. وقيل: كأنْ لم يسكنوا فيها.[10] وقيل: كأنْ لم يَعمُروا فيها. وأصله أنهم صاروا كأنْ لم يكونوا فيها لِما لا يُذكَرون بعد هلاكهم،

---

[1] ك: وبفضل.
[2] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٨/١١.
[3] ع م – هو.
[4] من *الشرح*، ورقة ٣٨٦ظ.
[5] جميع النسخ: ما يصيحون.
[6] ن: قوله.
[7] ﴿فأخذتهم الرَّجفَة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٧٨/٧).
[8] ع: إذا نكب.
[9] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٨/٧.
[10] ن – وقيل كأن لم يسكنوا فيها.

فصاروا مِن حيث لا يُذكَرون كأنْ لم يكونوا. وأما الأخيار والأبرار فإنهم وإن ماتت أبدانهم وصارت كأنْ لم تكن ففي الذكر كأنهم أحياء حيث يُذكَرون[١] بعد موتهم.

وقوله عز وجل: **ألَا إنّ ثمود كفروا ربهم**، قيل: كفروا[٢] نعمة ربهم،[٣] أو كفروا بآيات ربهم. فذلك كله كفر بالله.

وقوله عز وجل: **ألَا بُعْدًا لثمود**، أي ألَا بُعْدًا[٤] لثمود مِن رحمة الله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**، اختلفوا في هذه البشارة. قال بعضهم: جاءوهم[٥] ببشارة[٦] إسحاق وحافد،[٧] وهو قوله: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ.[٨] وقال بعضهم: جاءوا ببشارة إهلاك قوم لوط وإنجاء لوط وأهله. قيل: لأن لوطا كان ابن أخي[٩] إبراهيم. وكان لوط فَزِع إلى الله بسوء عمل قومه وصنيعهم[١٠] ودعا بالنجاة منهم، وهو قوله: إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ،[١١] الآية. حتىّ ذُكِر في بعض القصة أن سارة قالت لإبراهيم: ضُمّ ابن أخيك إلى نفسك، فإن قومه يُعَذَّبون. كأنها عَرفت أنه[١٢] لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم. قالوا: جاءوا[١٣] بالبشارتين جميعا: ببشارة[١٤] الولد والحافد، وبشارة هلاك[١٥] قوم لوط ونجاة لوط وأهله. إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.

---

[١] ع: أحياء يذكرو؛ م: يذكر.
[٢] ن – قيل كفروا.
[٣] ع – قيل كفروا نعمة ربهم.
[٤] ع: ألا بعد.
[٥] ك: جاؤا هم.
[٦] ع: بشارة.
[٧] الحافد والحفيد: ولد الولد (*لسان العرب* لابن منظور، «حفد»).
[٨] سورة هود، ٧١/١١.
[٩] ن: أخ.
[١٠] م: وصنعهم.
[١١] سورة الشعراء، ١٦٨/٢٦.
[١٢] أي عرفت أن الله تعالى...
[١٣] ع – جاءوا.
[١٤] م – ذكر في بعض القصة أن سارة قالت لإبراهيم ضم ابن أخيك إلى نفسك فإن قومه يعذبون كأنها عرفت أنه لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم قالوا جاءوا بالبشارتين جميعا ببشارة.
[١٥] ع: هلاكهم.

وقوله عز وجل: **قالوا سلاما قال سلام**، هذا يدل أن[1] السلام هو[2] سنة الأنبياء والرسل والملائكة في الدنيا والآخرة، و لم تُخَصّ[3] هذه الأمة به،[4] بل كان سنة الرسل الماضية والأمم السالفة. وكذلك[5] هو تحية أهل الجنة بقوله:[6] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ،[7] ونحوه. هذا يدل على[8] ما ذكرنا. ثم انتصاب قوله: **سلاما**، وارتفاع الثاني، لأن الأول انتصب لوقوع[9] القول[10] عليه،[11] كقولك:[12] قال قولا، والثاني حكاية لقولهم.

وقوله عز وجل: **فما لَبِثَ أنْ جاء بِعِجْلٍ حَنِيذ.** وقوله: **فما لَبِثَ أنْ جاء**، أي ما لَبِثَ عندهم حتى اشتغل بتقديم شيء إليهم. وإلّا قد يكون في ذبح العِجْل وشَيِّه[13] لُبثٌ إلّا أن يكون العِجْل مَشْوِيًا. فإن لم يكن مَشْوِيًا فتأويله ما ذكرنا أنْ لم يَلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم على ما يُفعَل مع الأضياف[14] حتى جاء بما ذكر. وفيه ما ذكرنا من الأدب. وفيه دلالة فيمن نزل به ضيف أنْ لا يَشتغل بالسؤال عن أحوال ضيفه من أين وإلى أين[15] وما حاجتهم، ولكن يَشتغل بقِرَاهم[16] وإزاحة حاجتهم؛ لأن إبراهيم صلوات الله عليه إنما اشتغل بقِرَاهم، لم يَشتغل بالسؤال عن أحوالهم، ولكن اشتغل[17] بما ذكرنا، فجاء بعِجْلٍ حَنِيذ. وهذا هو الأدب في الضيف.[18]

---

[1] ع – أن.
[2] م – هو.
[3] ن ع م: لم تخص.
[4] ن ع: له؛ م – به.
[5] ن ع م – وكذلك.
[6] ك: لقوله.
[7] ﴿وسِيقَ الذين اتَّقَوْا ربهم إلى الجنة زُمَرا حتى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خَزَنَتُها سلام عليكم طِبْتُم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٧٣/٣٩).
[8] ن ع م – على.
[9] ن + لوقوع؛ م: لوع.
[10] ك: الفعل.
[11] أي وقعت كلمة "سلاما" مقول القول، وهي مفعول الفعل "قال".
[12] م: كقوله.
[13] جميع النسخ: وشويه. وهو مصدر شَوَى اللحم، يَشْوِيه شيًا (*لسان العرب* لابن منظور، «شوى»).
[14] ع: مع الأصناف.
[15] ع: من ابن وإلى ابن؛ م: إلى أين.
[16] أي تقديم ما ينبغي تقديمه للضيف.
[17] ع + بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن أحوالهم ولكن اشتغل.
[18] م: بالضيف.

ألا ترى أنه لو كان سأل عن أحوالهم فعرف أنهم من الملائكة لكان لا يَشتغل بما ذكر إذ عَرف أنهم من الملائكة، والملائكة لا يتناولون شيئًا من الطعام.

وقوله: **بِعِجْلٍ حَنِيذ**، قال بعضهم: الحَنِيذ: السمين. وهو ما ذكر في موضع آخر: فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ.[1] وقال بعضهم: الحَنِيذ هو المَشْوِي الذي يُخَدّ[2] [له] في الأرض خَدٌّ،[3] فأُحْمِيَ[4] فشُوِي[5] بالحجر المُحْمَى. وقال بعضهم: الحَنِيذ هو المَشْوِي الذي يَسيل[6] منه الماء. وقال ابن عباس: هو[7] نَضِيج، الحَنِيذ: النَّضِيج.[8]

**﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **فلمّا رأى أيديَهم لا تَصِل إليه نَكِرَهم**، قال بعضهم: **نَكِرَهم** وأنكرهم واستنكرهم واحد. وهو من الإنكار، أي لم يعرفهم. ظن أنهم لصوص؛[9] لأن اللصوص من عادتهم أنهم كانوا إذا أرادوا السَّرِقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم يأكلوا[10] شيئا عندهم. وقيل: **نَكِرَهم**، أنهم من البشر.

**وأَوْجَسَ**[11] **منهم خِيفة**، قيل: أضمر منهم **خِيفة**، أي خوفا.[12] قال بعضهم: خاف لما ظن أنهم سُرّاق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدّم إليهم. وقال بعضهم: **خِيفة**، أي وحشة. أي أضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما[13] قرّب إليهم. فحينئذ[14] علم أنهم ليسوا من البشر؛

---

[1] سورة الذاريات، ٥١/٢٦.

[2] تخدّ أي حفر في الأرض. والخَدّ والأُخْدُود: الحفرة (*لسان العرب* لابن منظور، «خدد»).

[3] م – خد.

[4] جميع النسخ: فحمي. أَحْمَى الحديدة وغيرها إذا أسخنها ولا يقال: حماها (*لسان العرب* لابن منظور، «حمي»).

[5] ع م: مشوي.

[6] ع: يسئل.

[7] ع + هو ابن عباس.

[8] *تفسير الطبري*، ١٢/٦٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٤٦.

[9] ع: نصوص.

[10] ع: تأكلوا.

[11] م – واحد وهو من الإنكار أي لم يعرفهم ظن أنهم لصوص لأن اللصوص من عادتهم أنهم كانوا إذا أرادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم يأكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم أنهم من البشر وأوجس.

[12] ع م – أي خوفا.

[13] م – مما.

[14] ك: فحي.

لأن منزل إبراهيم كان بِنَأْيٍ[1] من البلد، و لم يَنْزِله أحد[2] من البشر إلا وقد احتاج إلى الطعام. فلما لم يتناولوا[3] علم أنهم ليسوا من البشر، فما جاءوا إلا لأمرٍ عظيم: لتعذيب قوم وهلاكهم، فخاف لذلك.[4]

**قالوا لا تَخَفْ إنا أُرسلنا إلى قوم لوط**، وقال في موضع آخر: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً،[5] الآية، وقال هاهنا: **لا تَخَفْ إنا أُرسلنا إلى قومِ لوطٍ**، وقال في موضع آخر:[6] لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ،[7] وقال: فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ.[8] يذكر هاهنا أن قولهم: إِنَّا أُرْسِلْنَا، على إثر سؤال، وفيما نحن فيه لا كذلك. فالمعنى فيه -والله أعلم- أن ذلك كان على إثر سؤال إبراهيم بقوله: فَمَا خَطْبُكُمْ. لكنه جمع ذلك فيما نحن فيه بالحكاية عن قولهم وإن كان مفصولا عنه. وخرجت الحكاية في موضع آخر على ما كان في الحقيقة. وذلك مستقيم في كلام العرب. ***والله أعلم.***

**﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٧١]**

وقوله[9] عز وجل: **وامرأته قائمة فضحكت**، قال بعضهم: **قائمة**، على رؤس الأضياف؛[10] لأنها كانت عجوزة، ولا بأس لعجوز[11] [في] ذلك. ألا ترى إلى قول الله تعالى: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ،[12] الآية. وقال بعضهم: **قائمة**، مِن وراء الباب. لكن لسنا ندري أي ذلك كان.

*وقال في هذه السورة: **وامرأته قائمة فضحكت**، وقال في موضع آخر: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ؛[13] فإن كان على ما قالوا: إنها كانت قائمة وراء الباب، فيكون إقبالُها خروجَها إلى القوم؛ [٣٤٩و س٦]

---

[1] النَّأْي هو البُعد (*لسان العرب* لابن منظور، «نأى»).
[2] م: له.
[3] ع: لم يتأولوا.
[4] ع: كذلك.
[5] ﴿قالوا إنا أُرْسِلنا إلى قوم مجرمين. لِنُرْسِلَ عيهم حجارةً مِن طِينٍ﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٣٢-٣٣).
[6] ع م - إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة الآية وقال هاهنا لا تخف إنا أرسنا إلى قوم لوط وقال في موضع آخر.
[7] سورة الذاريات، ٥١/٢٨.
[8] سورة الذاريات، ٥١/٣١.
[9] ن: قوله.
[10] ع: الأصناف.
[11] ع: بعجوز.
[12] ﴿والقَوَاعِدُ مِن النساء اللاتي لا يَرْجُون نكاحًا فليس عليهن جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثيابهن غيرَ مُتَبَرِّجاتٍ بزينة وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لهنّ والله سميع عليم﴾ (سورة النور، ٢٤/٦٠).
[13] ﴿فأَقْبَلَتِ امرأته في صَرَّةٍ فصَكَّتْ وَجْهَها وقالت عجوزٌ عَقِيمٌ﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٩).

وإن كان قيامُها على رءوسهم فيكون معنى الإقبال هو الإقبال في ضَرْب وجهها وصَكِّها. [أي] ليس[1] ذلكَ مِن القُدوم، لكنه على الإقبال بفعلٍ ما أخبر[2] عنها مِن صَكِّ وجهها. *والله أعلم*.* [٣٤٩و س ١٠]

وقوله عز وجل: **فضحكت**، قال بعضهم: ضحكت تعجُّبا مِن خوف إبراهيم أنهم لصوص. وهم كانوا ثلاثة أو أربعة[3] دون عشرة. وكان خَدَم إبراهيم عليه السلام يَبلغ عددُهم ثلاثمائة على ما ذُكر في القصة. ضحكت تعجُّبا أنه كيف يخاف مِن نفرٍ عددُهم دون عشرة[4] وعنده من الخَدَم ما يَبلغ عددُهم ما ذكرنا. وقال بعضهم: ضحكت تعجُّبا مما بشَّروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكِبَر، وهو كذلك،[5] وقالت: أحقٌّ أن أَلِدَ[6] وقد كَبِرْتُ من السن كذا. وقال بعضهم: ضحكت أي حاضت، مِن قولهم: ضحكت الأرنب، إذا حاضت.[7] وهو قول ابن عباس وعكرمة.[8] / وقال الفَرّاء: ضحكت[9] [بمعنى] حاضت غيرُ مسموع ولا معروف. [٣٤٩و] فعلى تأويل من قال: إنها ضحكت تعجُّبا مما بُشِّرت بالولد فهو على التقديم والتأخير، كأنه قال: **فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب**، فضحكت. وقال بعضهم: ضحكت سُرورًا بالأمن[10] منهم، لأنهما خافا منهم.[11]

وقوله: **ومن وراء اسحاق يعقوب**[12] ظاهرُ هذا أنها بُشِّرت بإسحاق ومِن وراءِ وِلَادِ[13] إسحاق بِوِلادِ[14] يعقوب. ولكن لم يكن يعقوب وُلد مِن إبراهيم، إنما وُلد مِن إسحاق،

---

[1] جميع النسخ: لكن.

[2] ن ع م: ما أخبر.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٩و/سطر ٦-١٠.

[3] ع م: وأربعة.

[4] ك ن: عشر.

[5] أي زوجها إبراهيم عليه السلام كذلك بلغ الكِبَر.

[6] ع: أن الولد.

[7] ع: إذا خاضت.

[8] روي عن ابن عباس وعكرمة؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٥١-٤٥٢. وروي عن مجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٧٣.

[9] م: فضحكت.

[10] ع: بالأرمن.

[11] *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٣٨.

[12] ع م + فضحكت وقال بعضهم.

[13] ك ع م: اولاد.

[14] ك: اولاد.

وهو حافِد إبراهيم [و]ابنُ[1] إسحق. فتأويله: مِن وراءِ إسحاق حافِدٌ. فإنما البشارة بالولد وبالحافد. وهو[2] كقوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً.[3]*

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قالت يا ويلتَى أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخًا**، وقال في موضع آخر: وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ،[4] وقالت[5] هاهنا: **يا ويلتَى أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخًا[6] إنّ هذا لَشيء عجيب**، هي لم تتعجّب قدرة الله أنه قادر على أن يَهَبَ الولد في كل وقت، ولكنها تعجّبت[7] لما رأت العادة في النساء والرجال أنهم إذا بلغوا المَبْلَغ الذي كانوا هم لم يَلِدوا. فتعجُّبها أنها تَلِد في الحال التي[8] هما عليها أو يُرَدَّان[9] إلى حال[10] الشباب فعند ذلك يولد لهما.[11] وكِلاهما عجيب بحيث الخروج على خلاف العادة لا بحيث قدرة الرب. وهو كما ذكرنا مِن قول زكريا: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ،[12] وفي موضع آخر: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا.[13] قوله: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ، في الحال التي أنا عليها، أو يُرَدُّ إليّ شبابي.[14] فعلى ذلك قولها: **أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخا إنّ هذا لَشيء عجيب**.

---

[1] ع م: بن.

[2] ع م: وهم.

[3] سورة الأنبياء، ٧٢/٢١.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٩و/سطر ٦-١٠.

[4] سورة الذاريات، ٢٨/٥١-٢٩.

[5] ك: وقال.

[6] ع م - وقال في موضع آخر وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقالت هاهنا يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا.

[7] ع: تعجب.

[8] ك + هي.

[9] م: أو تردان.

[10] ع: أي حال.

[11] م: هما.

[12] سورة آل عمران، ٤٠/٣.

[13] ﴿قال ربّ أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغتُ مِن الكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (سورة مريم، ٨/١٩).

[14] ع: شابي.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **قالوا أتعجبين مِن أمر الله**، قال أهل التأويل: أتعجبين مِن قدرة الله [على] هذا.[١] لكنه يحتمل وجهين. أحدهما أي لا تعجبي[٢] مِن أمر الله هذا، وكثيرا ما رأيتِ[٣] أمثالَ ذلك في أهل بيتك. والثاني.[٤]

وقوله عز وجل: **رحمةُ الله وبركاتُه عليكم**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: قَالُوا سَلَامًا؛[٥] لأنه معلوم أنهم لم يقولوا: سَلَامًا، حَسْبُ لم يزيدوا على هذا، بل زادوا. فكأنهم قالوا: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أو قالوا: سلام الله ورحمته وبركاته عليكم.

**أهلَ البيت**، بالنصب، كأنه قال: يا أهلَ البيت، كقوله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «تركتُ بَعدي[٦] الثَّقَلَين: كتابَ الله وعِترَتي[٧] أهلَ بيتي»،[٨] أي يا أهل بيتي.[٩]

---

[١] في نسخة ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي الهامش: كذا في الأصل بياض.

[٢] جميع النسخ: لا تعجبين.

[٣] جميع النسخ: مما رأيت.

[٤] في نسخة ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي الهامش: كذا في الأصل بياض. ع م - لكنه يحتمل وجهين أحدهما أي لا تعجي من أمر الله هذا وكثيرا ما رأيت أمثال ذلك في أهل بيتك والثاني. وعبارة الشارح هكذا: «وقوله: ﴿قالوا أتعجبين مِن أمر الله﴾، قال أهل التأوين: أتعجبين مِن قدرة الله هذا. لكنه لا يحتمل أن تتعجّب من قدرة الله، لكن تعجُّبها مما ذكرنا من العادة الجارية. ومعناه لا تَعجبين مِن أمر الله هذا ومِن نَقْضِ العادة الجارية على طريق الآية. وكثيرا ما رأيتَ أمثالَ ذلك في أهل بيتك». (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٣٢و).

[٥] سورة هود، ٦٩/١١.

[٦] ع م: بعد.

[٧] ع: وعشرتي.

[٨] روي الحديث مِن عِدّة طُرُق نحو هذا اللفظ. وأقرب الألفاظ إلى ما هنا ما رواه الإمام أحمد. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤/٣، ١٧، ٢٦، ٥٩؛ ١٨١/٥؛ و*سنن الترمذي*، المناقب ٣١. وحسّنه الترمذي. وسُمّي الكتاب وأهل البيت بالثَّقَلَين لأن الأخذ بهما ثقيل، والعمل بهما ثقيل. وأصل الثَّقَل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مَصُون: ثَقَل، فسمّاهما ثَقَلَين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما. وأصله في بَيْض النَّعَام المَصُون (*لسان العرب* لابن منظور، «ثقل»). وعِترَة الرجل: أقرباؤه مِن وَلَد وغيره. وقيل: هم رَهْطه وعشيرته الأدْنَوْن مَن مَضَى منهم ومَن غَبَر. وقيل: العِترة: ولد الرجل وذريته وعَقِبُه مِن صُلْبِه... فعترة النبي وَلَد فاطمة رضي الله عنها. وقيل: عترة النبي عبد المطلب وولده. وقيل: عترته أهل بيته الأقربون، وهم أولاده، وعلي وأولاده. وقيل: عترة الرجل أقرباؤه مِن وَلَد عَمِّه. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال للنبي حين شاور أصحابه في أُسَارَى بدر: عترتك وقومك، أراد بعترته العباس ومن كان فيهم من بني هاشم، وبقومه قريشا. والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته، وهم الذين حُرِّمَتْ عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذَوُو القربى الذين لهم خُمس الخُمس (*لسان العرب* لابن منظور، «عتر»).

[٩] هذا الإعراب فيه نظر. والصواب أن يكون "أهل" بدلا أو عطف بيان من "عترتي"، ولا محل للنداء هنا.

**إنه حميد مجيد**، يحتمل **حميد**: الذي يَقبل اليسير من المعروف[1] ويعطي الجزيل كالشَّكُور.[2] والمَجِيد مِن المجد والشرف. وقيل: الحَمِيد: المحمود، والمَجِيد: الماجِد، وهو الكريم. *والله أعلم*.

**﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾**[٧٤]

وقوله عز وجل: **فلمّا ذهب عن إبراهيم الرَّوْعُ**، قيل: **الرَّوْع** هو الفَرَق والفَزَع الذي دَخَل فيه بمجيء الملائكة. **وجاءته البُشرى**، في الولد والحافد وفي نجاة لوط وأهله. وهو ما ذكرنا في قوله: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى.[3]

وقوله عز وجل: **يجادلنا في قوم لوط**، قال بعض أهل التأويل: مجادلته إياهم في قوم لوط ما ذكر في القصة أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم من المؤمنين كذا أتعذّبونهم؟ قالوا: لا، ونحوه من الكلام.[4] فإن ثبت هذا، وإلّا لا نعلم ما[5] مجادلته إياهم. وأمكن أن يكون مجادلته إياهم[6] في دفع العذاب عنهم أو تأخيره، دليله قوله: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.[7] ويحتمل مجادلته إياهم في استبقاء قوم لوط شفقةً عليهم ورحمةً لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يُدْعَوْن إليه لئلا يَنْزل بهم العذاب [و]ما أُوعِدوا. يَتشفَّع إليهم ليسألوا ربهم أن يُبْقِيَهم. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾**[٧٥]

وقوله[8] عز وجل: **إنّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ مُنِيب**، قيل: الحليم هو الذي لا يكافئ مَن ظَلَمَه ولا يجازيه به؛ أو يَحْلُم عَن سَفَه كل[9] سفيه. **أوّاه**، قيل: الأَوَّاه: المُوقِن، بلغة الحَبَش.

---

[1] ع: بالمعروف.

[2] ع: بالشكور.

[3] سورة هود، ٦٩/١١.

[4] رويت في ذلك آثار كثيرة. منها ما روي عن قتادة: قوله: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، ذُكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمُعَذِّبوها أنتم؟ قالوا: لا، حتى صار ذلك إلى عشرة. قال: أرأيتم إن كان فيها عشرة أمُعَذِّبوهم أنتم؟ قالوا: لا. وهي ثلاث قُرَى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد. انظر: *تفسير الطبري*، ٧٩/١٢-٨٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٤/٤.

[5] ن ع م - ما.

[6] ع م - وأمكن أن يكون مجادلته إياهم.

[7] سورة هود، ٧٦/١١.

[8] ن: قوله.

[9] م - سفه كل.

وقيل: الأَوَّاه: المُتَأَوِّه، وهو الدَّعَّاء، وهو كثير[١] الدعاء. وقيل: الأَوَّاه: المتّقي[٢] الذي لا يَفْتُر لسانُه عن ذِكره. وقيل: الأَوَّاه: الحَزِين فيما بينه وبين ربه. جمع في هذه الأحرف الثلاثة جميع أنواع الخير والطاعة: ما كان فيما[٣] بينه وبين ربه، وما كان بينه[٤] وبين الخلق. حيث ذكر أنه حليم وأنه **أَوَّاه** وأنه[٥] **مُنِيب**. والمُنِيب قيل: المُخلِص لله، وقيل: هو[٦] المُقْبِل إلى الله بِقَلْبِه وبدنه. وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة.[٧]

**﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾**[٧٦]

وقوله عز وجل: **يا إبراهيم أعرض عن هذا**، يعني عن المجادلة التي كان يجادلهم. **إنه قد جاء أمر ربك**، أي جاء ما[٨] أَمَرَ به ربك، وجاء مَوْعُود ربك.[٩] **وإنهم آتيهم عذابٌ غيرُ مَرْدُود**، أي غير مدفوع، لا يحتمل الرد بالشفاعة. ويحتمل قوله: **يا إبراهيم أعرض عن هذا**، عن المجادلة[١٠] التي ذكر. **إنه قد جاء أمر ربك**، بالانصراف والرجوع عنك.[١١] ويحتمل **جاء أمر ربك**، مِن إنزال العذاب بهم.

**﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾**[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولمّا جاءت / رسلنا لوطًا سِيءَ بهم**، قوله: **سِيءَ بهم**، قيل:[١٢] أي ساءه مجيئُهم ومكانهم وكَرِهَهُم لِصنيعِ قومِه بالغُرَباء مخافةَ أن يَفضحوه.[١٣] **وضاق بهم ذَرْعًا**، [٣٤٩ظ]

[١] م: وكثير.
[٢] ك: التقي.
[٣] ك - فيما.
[٤] ع - وما كان بينه.
[٥] م - وأنه.
[٦] م - هو.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ١١٤/٩.
[٨] ع - ما.
[٩] ع م - ربك.
[١٠] ك - التي كان يجادلهم إنه قد جاء أمر ربك أي جاء ما أمر به ربك وجاء موعود ربك وإنهم أتيهم عذاب غير مردود أي غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا إبراهيم أعرض عن هذا عن المجادلة.
[١١] أي بانصراف الملائكة عنك وذهابهم إلى قوم لوط.
[١٢] م: قيل قوله سيئ بهم.
[١٣] جميع النسخ: أن يفضحوهم.

أي لم يَدْرِ كيف يَصنع بهم وكيف يحتال لِيدفع عن ضيفه سوء قومه. والذَّرْع قيل:[1] هو المقدرة والقوة، أي ضاق مقدرتُه وقوتُه. **وقال هذا يومٌ عَصِيب**، قيل: فَظِيع شديد؛ لأنه يوم يَهْتِك[2] الأَسْتار ويَفْضَح الرجال. وفيه دليل جواز الاجتهاد؛ لأنه[3] قال: **يومٌ عَصِيب**،[4] فَظِيع، فبَعْدُ لم يَظهر له شِدّتُه، لكنه قاله[5] اجتهادًا. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **ولماّ جاءت رسلنا لوطًا سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**، يحتمل أن يكون قوله: **سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**، لما جاءته الرسل بإهلاك قومه ساءه ذلك، وضاق به ذَرعا لذلك.[6] ويحتمل قوله: **سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**،[7] بسوء صنيع قومه بأضيافه. الحرفان جميعا ينصرفان[8] إلى لوط لمكان قومه أو لمكان أضيافه. أو يكون أحد الحرفين لمكان ضيفه والآخر لمكان[9] ما يَنْزِل[10] بقومه. ***والله أعلم.***

**﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾**[٧٨]

وقوله عز وجل: **وجاءه قومه يُهْرَعُون إليه**، قال بعضهم: يسرعون إليه؛ وقال بعضهم: **يُهْرَعُون إليه**، أي يُهَرْوِلُون إليه. وهو سَيْرٌ بَيْن السَّعْي وبَيْن المَشْي، بَيْنَ بَيْن.[11] وقال بعضهم:[12] **يُهْرَعُون إليه**، أي يَرُوعُون إليه، مِن الرَّوْع، أي فَزِعِين إليه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ومِن قبلُ كانوا يعملون السيئات**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[13] قوله: **ومِن قبلُ**، [أي مِن قبلِ] أنْ يُبعَث لوطٌ رسولًا إليهم **كانوا يعملون السيئات**. ويحتمل قوله: **ومِن قبلُ**،

---

[1] ك – قيل.
[2] ع: يهتلك.
[3] ع: ولأنه.
[4] ن – قيل فظيع شديد لأنه يوم يهتك الأستار ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لأنه قال يوم عصيب، صح هـ.
[5] ع م: قالوا.
[6] ك + أيضا.
[7] ع م – يحتمل أن يكون قوله سيئ بهم وضاق بهم ذرعا لما جاءته الرسل بإهلاك قومه ساءه ذلك وضاق به ذرعا لذلك ويحتمل قوله سيئ بهم وضاق بهم ذرعا.
[8] جميع النسخ: ينصرف.
[9] ع – والآخر لمكان؛ م + ضيفه.
[10] ع م: وما ينزل.
[11] جميع النسخ: بين بينين.
[12] ع م + قوله.
[13] ن ع م – يحتمل.

أي مِن قبلِ نزول الأضياف[1] بلوط **كانوا يعملون السيئات**. والسيئات تحتمل[2] الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها. *والله أعلم.*

وقوله: **قال يا قومِ هؤلاء بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، اختلف في قوله: **بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، قال بعضهم: أراد بنات قومه؛ لأن الرسل هم كالآباء لأولاد قومهم، فيُنْتَسبُون[3] إليهم. ألا ترى إلى قوله: ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.[4] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وهو أَبٌ لهم.[5] سمّى[6] أزواجه أمهاتهم والنبي أبًا لهم. فعلى ذلك يحتمل قول لوط: **هؤلاء بناتي**، أراد بنات قومه، فنَسَبَهُنَّ إلى نفسه لما ذكرنا أنه كالأب لهم. ثم يحتمل معنى جَعْلِ النبي لأولاد قومه كالأب وأزواجه كالأم وجهين. أحدهما نُسِبُوا[7] إليه للشفقة، هو أَشْفَقُ بهم مِن الأب والأم. أو لِحَقِّ[8] التربية وتعليم[9] الدين كالأب لهم. فهو أَوْلَى بهم مِن أنفسهم لهذين الوجهين.

وقال بعضهم: أراد بناتِ نَفْسِه. ثم اختُلِف فيه. قال بعضهم: كان ذلك مِنه تَعريضا[10] لهم بالنكاح.[11] يقول: **هؤلاء بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، نكاحًا إن كنتم قابلين[12] للإيمان.

ومنهم مَن قال: هو[13] تعريض منه بما[14] هو زنى عندهم، لا أنّه عَرَّض بذلك[15] عند نفسه. وهذا كما يقولون: إنّ[16] مَن أُكْرِهَ على أنْ يَشتم محمدًا صلى الله عليه وسلم فلا بأس بأن يَشتم ويَقصد بِشَتْمِه محمدًا آخر يَحِلُّ له شَتْمُه وإن كان عند المُكْرِه أنه يَشتم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ع م: الضياف.
[2] ع: يحتمل.
[3] جميع النسخ: ينسبون.
[4] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[5] روي ذلك مِن قراءة أُبَيّ بن كعب وعبد الله بن عباس؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٦٧/٦.
[6] ن ع م: مما.
[7] ع: نسبو.
[8] ن: أو بحق.
[9] ع: ولتعيم.
[10] جميع النسخ: تعريض.
[11] جميع النسخ: للنكاح.
[12] ع م: قائلين.
[13] م - هو.
[14] جميع النسخ: لما.
[15] جميع النسخ: ذلك.
[16] ك: بأن.

بَعْدَ أنْ أَخْطَرَ الشاتم في قلبه غيرَه.[1] وكذلك إذا أُكْرِهَ[2] على[3] أن يَشتم الإله فيَقصد بالشَّتْم شَتْمَ آلهتِهم وإن كان عندهم أنه إنما[4] يَشتم إلهَه الذي يَعبده. فعلى ذلك يحتمل قول لوط: **هنّ أَطْهَرُ لكم**، تعريض بالزنى[5] عندهم وإن كان عنده أنه ليس لذلك[6] يَقصد. وقال قائلون: قال هذا لِيُرِيَهم قُبْحَ الفِعلِ الذي كانوا يَقصدون بأضيافه؛ لأن الزنى كان عندهم محرما،[7] فعَرَضَ عليهم بناته لِيَعرفوا قُبْحَ ذلك الفعل -حيث احتمل قلبه في بناته و لم يحتمل في أضيافه- ليمتنعوا عن ذلك. أو يحتمل أن يكون قال ذلك وإن كان كِلاهما لا يَحِلّان لكن أحدهما أيسر وأهون. ويجوز الجمع بين شَرَّيْن فيُقال: هذا أطهر وأحلُّ مِن هذا، وهذا أيسر مِن هذا وأهون[8] وإن كان كِلاهما شَرَّيْن. فالزنى وإن كان حراما فذلك[9] مما يَحِلّ بالنكاح،[10] وأَدْبارُ الرجال لا تَحِلّ[11] بحال. وقال بعضهم: إنهم كانوا يَخْطُبُون بناته، وكان أَبَى أن يُزَوِّجَهن منهم لِما لم يكونوا كُفْوًا لهنّ، ثم عَرَضَهن[12] عليهم في ذلك الوقت لِيَعلموا قُبْحَ ذلك الفعل الذي قَصَدُوا بأضيافه، أو كلام نحو هذا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله ولا تُخْزُونِ في ضيفي**، وقال في موضع آخر: **إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ**،[13] لِيُعْلَمَ أن الإخزاء هو الفضيحة. هذا يدل أنّ الخِزْيَ هو الذي يَفضح مَن نَزل به.

وقوله عز وجل: **أليس منكم رجل رَشِيد**، قال بعضهم: هَمَّ أن يُزَوِّجَ بعضَ بناته مَن يُصْدَرُ لِرأيه فيَمْنَعَهم عنهم،[14] كأنه يقول: أليس منكم مَن يُرْشِدُ ويُصْدَرُ لِرأيه. و[قيل:]

---

[1] ك - غيره.
[2] ع م: إن أكره.
[3] ك ن - على.
[4] ك - إنما.
[5] جميع النسخ: زنا.
[6] ك: لذكر.
[7] ن ع م: محرم.
[8] ع: أو أهون.
[9] أي جماع النساء.
[10] ع م - بالنكاح.
[11] ع م: لا يحل.
[12] جميع النسخ: ثم عرض.
[13] سورة الحجر، ٦٨/١٥.
[14] م: عنه.

قوله عز وجل: **أليس منكم رجل رَشِيد**،[١] أي أليس[٢] منكم رجل يَقبل الموعظة ويُرشِدُكم ويَعِظُكم. أو يقول: **أليس**، أي ليس[٣] **منكم رجل رَشِيد**، على النفي، فيَمنعهم عما يريدون ويَقصدون.

**﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **قالوا لقد عَلمتَ ما لنا في بناتك مِن حق**، على التأويلين اللذَيْن[٤] ذكرناهما يكون[٥] الحق حق النكاح أو حق الاستمتاع. وفي بعض التأويلات: **مِن حق**: مِن حاجة.[٦] وبذلك يقول عامة أهل التأويل: **ما لنا في بناتك مِن حق**، أي مِن حاجة. **وإنك لَتعلم ما نريد**، يعنون الأضياف.

[٣٥١ظ س٣٩] *وقوله عز وجل: **ما لنا في بناتك مِن حق**، / تأويله -والله أعلم- إنك تعلم أنْ ليس لنا في بناتك مِن حق كما ليس لنا في أضيافك[٧] حق؛ فكيف تمنعنا عنهم وتَعرِض علينا بناتك؟
[٣٥٢و س٢] فهنّ فيما ليس لنا فيهن حق كأولئك. ***والله أعلم***.*

**﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٨٠]**

**قال لو أنّ لي بكم قوةً**، أي قوة في نفسي، **أو آوِي إلى رُكنٍ شديد**، قيل: عشيرته. والركن الشديد عند العرب العشيرة. يقول: **لو أنّ لي بكم قوةً**، في نفسي أو[٨] عشيرةً يُعينوني لَقاتلتُكم. فيه دلالة أنّ مَن رأى آخر على[٩] فاحشة فله أن يقاتله.*

**﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٨١]**

**قالوا يا لوطُ إنّا رُسُلُ ربك لن يَصِلُوا إليك**، قيل: قالوا ذلك لِلُوط: **لن يَصِلُوا إليك**،

---

[١] ن + على النفي.
[٢] ع م: أي ليس.
[٣] ع: أي أليس؛ م - أي ليس.
[٤] ن: الذين.
[٥] ع: ليكون؛ م - يكون.
[٦] جميع النسخ + له.
[٧] م: من أضيافك؛ ك + من.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥١ظ/سطر ٣٩ - ٣٥٢و/سطر ٢.
[٨] ن ع م - أو.
[٩] ع م - على.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥١ظ/سطر ٣٩ - ٣٥٢و/سطر ٢.

لمّا طَمَسُوا[1] أعينهم. وهو كقوله: وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ.[2] وقال قائلون: قالوا ذلك لِلُوط لمّا أَوْعَدُوا لِلُوط[3] حين طُمِسَتْ أَعْيُنُهم [قائلين]: إنّ ضيفك سَحروا أبصارنا، فستعلم غدا ما تَلقى أنت وأهلُك، فقالوا عند ذلك: **لن يَصِلوا إليك** بسوءٍ غدًا بأنهم يُهلَكون.[4] ودل قوله: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ،[5] على أنهم قد هَمُّوا لِلُوط وأَوْعَدُوه حتى قال ما قال. ألا ترى أن الملائكة قالوا له: إنهم لن يصلوا إليك. فهذا على ما ذكرنا.

وقوله[6] عز وجل: **فأَسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ مِن الليل،** قيل: قِطْع من الليل: آخِره، وهو وقت السَّحَر. وقيل: هو ثلث الليل أو ربعه مِن آخِره.[7] وهو واحد. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا يَلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتَك،** قيل: لا يتخلّف أحد منكم **إلا امرأتك،** فإنها تتخلّف ويصيبها ما أصاب أولئك. وقال بعضهم: **ولا يَلتفت،** مِن الالتفات والنظر. وقيل: لا يتركْ أحد منكم متابعتك **إلا امرأتك،** فإنها لا تَتبعك، فيصيبها ما أصاب أولئك. وقوله عز وجل: **ولا يَلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك،** يحتمل النهي عن الالتفات، كأنه يقول: لا يَلتفتْ أحد؛ ويحتمل الخبر، كأنه يقول: لا يَلتفتُ[8] منكم أحد إلا من ذكر، وهو زوجته. فذلك علامة لخلافها له.

وقوله عز وجل: **إنّ مَوْعِدَهم الصبح،** فقالوا:[9] **أليس الصبح بقريب،** كأنّ لوطًا استبطأ الصبح لعذابهم، فقالوا: **أليس الصبح بقريب.** هذا مِن لوط لا يحتمل أن يكون قال ذلك وهو بين أَظْهُرِهم ويَعلم أنّ قُرَاه يُقلَبُ أعلاها أسفلَها[10] وأسفلُها أعلاها، ولكن قال ذلك[11] -والله أعلم- بعد ما أخرجوه وأهلَه مِن بين أَظْهُرِهم. فعند ذلك قال ما قال واستبطأ وقتَ نزولِ العذاب بهم. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م: لما طمعوا.
[2] سورة القمر، ٥٤/٣٧.
[3] ع – لما أوعدوا للوط؛ م – للوط لما أوعدوا للوط.
[4] أي لأنهم سيهلكون غدا.
[5] الآية السابقة.
[6] ن: قوله.
[7] م – من آخره.
[8] ك: لا تلتفت.
[9] ع: قالوا.
[10] ن: وأسفلها؛ ع – أسفلها.
[11] ع م – ذلك.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [٨٢]

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء أَمْرُنا**، يحتمل جاء المراد[١] بأمرنا، وأَمْرُه[٢] هو جَعْلُه عالِيَها سافِلَها.[٣] ثم قال أهل التأويل: قوله: **جعلنا عالِيَها سافِلَها**، أدخل جبريلُ جناحَه تحت قُرَيَات لوط فرفعها إلى السماء ثم قَلَبَها فجعل ما هو أعلاها أسفلَها[٤] فهَوَتْ إلى الأرض.[٥] فذلك قوله: وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى،[٦] قيل: أهوى بها[٧] جبريل من السماء إلى الأرض. وأمكن أن يكون إذا أهلكهم[٨] جعلهم تحت الأرض، فذلك جَعْلُ أعلاها أسفلَها. لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا[٩] وأجمعوا على ذلك. وقال بعضهم: قُلِبت القُرَى وجُعِل أعلاها أسفلَها[١٠] على ما ذكر[١١] وأُرْسِل الحجارة على من كان غائبًا عنها.

وقوله عز وجل: **وأَمْطَرْنا عليها حجارة مِن سِجِّيل**، قال بعضهم: أُمْطِر الحجارة عليها ثم قَلَبَها جبريلُ. وقال بعضهم: أُمْطِر عليها الحجارة بعد ما قَلَبَها جبريلُ[١٢] فسَوَّاها. وكلُّ أحدٍ[١٣] منهم كان غائبا عن بلده جاءت حجارة مكتوبٌ عليها اسْمُه فقَتَلَتْه[١٤] حيث كان. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **مِن سِجِّيل**، قال بعضهم:[١٥] السِّجِّيل هو اسم المكان الذي منه رُفِع الحجر الذي أُمْطِر. وقال[١٦] بعضهم: هو طين مطبوخ كالآجُرّ. وعن ابن عباس رضى الله عنه: قال: سَنْك كِلْ.[١٧] **مَنضُود**، نُضِد الحجرُ بالطين وأُلْصِق بعضُه ببعض.

---

[١] جميع النسخ: جاء الأمر بالمراد.
[٢] جميع النسخ: أو أمره. والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٣٨٨و.
[٣] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «وقوله: ﴿فلمّا جاء أمْرنا جعلنا عالِيَها سافِلَها﴾، أي جاء المراد بأمرنا، وأمْرُه هو جَعْلُه عالِيَها سافِلَها. وهو أمر تكوين، أي جاء وقت صيرورة قرى قوم لوط عاليها سافلها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٨و).
[٤] ك - أدخل جبريل جناحه تحت قريات لوط فرفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل ما هو أعلاها أسفلها، صح ﻫ.
[٥] روي عن مجاهد وقتادة وغيرهم؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٦-٩٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٦٢-٤٦٣.
[٦] سورة النجم، ٥٣/٥٣.
[٧] ع: أهويها؛ م: أهواها.
[٨] م: أن تكون إذا أهلكم.
[٩] ن + وأجمعوا على ما ذكرنا.
[١٠] ك - لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا وأجمعوا على ذلك وقال بعضهم قلبت القرى وجعل أعلاها أسفلها.
[١١] ع م: ما ذكرنا.
[١٢] ك ن - جبريل.
[١٣] ع م: واحد.
[١٤] ن: فقتله؛ ع م: من بلدة جاءت عجلاً مكتوب عليها اسمه فقتله.
[١٥] ك - بعضهم.
[١٦] ع: قال؛ م: أمطرنا قال.
[١٧] جميع النسخ: وكل. قال ابن عباس: هو بالفارسية سَنْكُ وكِلْ، سنك هو الحجر، وكل هو الطين، يقول: أرسلنا عليهم حجارة من طين. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٦٣-٤٦٤.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٨٣]

**مُسَوَّمَةً**، قيل:[1] مُعَلَّمة مُخَطَّطَة بسَواد وحُمْرَة [وبياض].[2] وقال بعضهم: **مُسَوَّمَةً**، أي مكتوب عليها اسم صاحبها.

وقوله عز وجل: **وما هي مِن الظالمين ببعيد**، قال بعضهم: ما هي مِن ظَلَمَةِ قومِ لُوط ببعيد.[3] وقال بعضهم: ما هي مِن ظالمي أهلِ مكة وحَوَالَيْهم ببعيد، أي عذاب الله ليس ببعيد منهم،[4] يعذّبهم إن شاء. ويحتمل قوله: **وما هي مِن الظالمين ببعيد**، أي تلك القُرى والأمْكِنة التي أُهْلِك أهلُها ليست ببعيدة مِن مشركي[5] أهلِ مكة؛ وهو ما ذكر:[6] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾[7] الآية.[8] وفيه تذكيرُ مِنَّتِه[9] على هذه الأمة حيث لم يجعل عذابهم عذابَ استئصال بحيث لا يملِكون العَوْدَ عنه والرجوع. ولكن جَعَل عذابَهم الجهادَ حتى لو أرادوا الرجوع عنه مَلَكوا.[10] *والله أعلم*.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وإلى مَدْيَنَ**، أي إلى مَدْيَنَ أرسلنا، **أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**، هذا قد ذكرنا فيما تقدّم[11] أنّ كلَّ نبيٍ أَوّلَ ما دعا[12] قومَه إنما دعا إلى توحيد الله وجَعْلِ العبادة له. وفي قوله: **أخاهم شعيبًا**، وما ذكر في غيره[13] من الأُخُوّة دلالةٌ على[14] أنّ الرسل مِن قَبْلُ كانوا مِن البشر مِن جنس قومهم لا مِن الملائكة حيث قال: **أخاهم شعيبًا**،

---

[1] م – قيل.
[2] جميع النسخ: سود الحمرة. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٨٨و.
[3] ع – قال بعضهم ما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد.
[4] ع م – منهم.
[5] ع: ومن مشركي.
[6] ع: ما ذكرنا.
[7] ﴿وإنكم لَتمُرُّون عليهم مُصْبِحين. وَبِالليل أفلا تعقلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨).
[8] ك – الآية.
[9] م: منه.
[10] ع: وملكوا.
[11] انظر مثلا تفسير الآية ٦١ من سورة هود، ١١.
[12] ع: ما عاد.
[13] أي في الأنبياء الذين تقدم ذكرهم مثل هود وصالح عليهما السلام. انظر: سورة هود، ١١/٥٠، ٦١.
[14] ن – على.

ومعلومٌ أنهم لم يكونوا[1] إخوة لهم[2] في الدين. وفيه أن الأُخُوّة لا توجب فضيلة المؤاخَى له؛ لأنه ذكر أن الرسل[3] إخوةُ أولئك الأقوام وهم كَفَرَة. وذلك يَرُدّ قول الروافض في تفضيل عليّ على أبي بكر بالمؤاخاة التي كانت بين رسول الله وبين علي، والخُلّة توجب الفضيلة. وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو اتخذتُ سِوى ربي خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا».[4]

وقوله عز وجل: **ولا تَنقُصُوا المكيال والميزان**، ذكر أنهم كانوا[5] ينقصون المكيال [٣٥٠ظ] والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم، فنهاهم عن ذلك. فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما أنهم إنما نُهُوا عن ذلك لِحَقِّ[6] الربا؛ لأن النقصان إذا كان برضاء مِن صاحبه يجوز. فدل أنه إنما نهاهم بحق الربا، وفيهما[7] يجري الربا. والثاني فيه أنّ هبة المشتري للبائع وتَقَلُّبه فيه[8] قَبْلَ قبضه على قيام البيع فيما بينهما غير جائز.[9] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إني أراكم بخير**، قيل: في سَعَةٍ[10] مِن المال؛ وقيل:[11] في رُخصٍ مِن السِّعر.[12] وإنما يَحْمِلُ المَرْءَ على النقصان والظلم على آخر عِزَّةُ[13] الشيء وضِيقُ الحال؛ فكيف تنقصون أنتم في حال السَّعَة ورُخصِ السِّعر.[14] أو يقول: **إني أراكم بخير**، في غير هذا، فلا تَظلموا الناسَ في هذا ولا تَمنعوا[15] حقوقهم. **وإني أخاف عليكم عذابَ يومٍ مُحِيط**، أي يوم يحيط بهم العذاب.

---

[1] م: لم تكونوا.
[2] ك: لم يكونوا لهم إخوة.
[3] م: المؤاخى له لأن الرسل.
[4] صحيح *البخاري*، المناقب ٣؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٦.
[5] م - كانوا.
[6] ن: بحق.
[7] أي في المكيال والميزان.
[8] ع م - فيه.
[9] وعبارة الشارح رحمه الله هكذا: «والثاني النهي يرجع إلى التصرف في المَبيع قبل القبض. وذلك مَنهِي مع البائع وغيره؛ لأن الذي انتقص مِن حقه برضاه يكون هبةَ المَبيع من البائع قبل قبضه مع قيام البيع بينهما. فدل أن التصرُّف والتقلُّب في المَبيع قبل القبض مَنهِي مع البائع. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٨و).
[10] ن: في وسعة؛ ع م: وسعة.
[11] ع - وقيل.
[12] ع م: من السعة.
[13] العِزة أي القِلّة.
[14] ن - وإنما يحمل المرء على النقصان والظلم على آخر عزة الشيء وضيق الحال فكيف تنقصون أنتم في حال السعة ورخص السعر؛ ع م: السعة.
[15] ع: ولا تمنعون؛ م: وتمنعوا.

إن كانت الإحاطةُ مضافةً إلى اليوم فهو محيط بالكل، وإن كانت الإحاطةُ مضافةً إلى العذاب فهو محيط بالكَفَرَة خاصة. وهو -والله أعلم- أنه ما مِن جارحةٍ مِن ظاهرةٍ وباطنةٍ إلا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها، ليس كعذاب الدنيا يأخذ جزءً[1] دون جزء، بل يحيط به.

النهي بتخصيص نقصانِ الكيلِ والميزانِ لا يدل[2] على أنْ لم يكن فيهم[3] مِن المَآثم والأَجْرَامِ سِوى ذلك؛ لكنه خصَّ هذا لما كان[4] الظاهرُ فيهم نقصانَ الكيل[5] والوزنِ، فذكر ذلك. وهو كما خصّ[6] قوم لوط بقوله: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،[7] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا،[8] الآية، ذَكر هذا وخصَّهم [به] ليس على أنهم لم يكونوا يأتون مِن الفواحش غيرَها؛ لكن خصَّ هذا لأن الظاهر فيهم[9] هذا. فعلى ذلك نقصان الكيل والميزان في قوم شعيب. ***والله أعلم.***

**﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[٨٥]

وقوله عز وجل: **ويا قومِ أَوْفُوا المِكْيالَ والميزان بالقسط ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** خصَّ المِكْيالَ والميزان[10] لما كانوا يُطَفِّفُون المِكْيالَ ويَنقصون الميزانَ رغبةً فيهما، وفيهما يجري الربا، لما ذكرنا.[11]

وقوله عز وجل: **ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** فيه دلالة أنّ المشتري يَملِك المَبِيع قبلَ أنْ يَقبضَه؛ لأنه قال: **ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** أضاف إلى الناس أشياءَهم، فلو كان لا يَملِك[12] لم يكن أشياءَ الناس، إنما كان أشياءَ البائع،[13] فإنما نَقَصَ مالَه.[14]

---

[1] ع - جزء.
[2] ن: ولا يدل.
[3] م: فيه.
[4] ع: هذا المكان.
[5] ع - الكيل.
[6] جميع النسخ: ما خص.
[7] سورة الشعراء، ١٦٥/٢٦.
[8] ﴿ولوطًا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ مِن العالمين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).
[9] ع: فيهما.
[10] ك + والله أعلم.
[11] انظر تفسير الآية السابقة.
[12] أي لو كان المشتري لا يملك المبيع قبل القبض...
[13] م: أشياءهم.
[14] أي مال المشتري لا مال البائع، بدلالة ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾.

وقوله:[1] **ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين**، وهو ما ذكر في موضع آخر: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا.[2]

﴿**بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **بَقِيَّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**، قال بعضهم: ما أبقى الله لكم مِن ثوابه في الآخرة خيرٌ لكم إن آمنتم به وأطعتموه مما تجمعون من الأموال. وقال[3] بعضهم:[4] **بَقِيَّةُ الله خير لكم**، أي ما جعل الله لكم مما يَحِلُّ خيرٌ لكم[5] مما يحرم عليكم مِن نقصان الكيل والوزن **إن كنتم مؤمنين**، بالحلال أو بالآخرة.[6] وقال بعضهم: طاعة الله -وهو ما يأمركم به ويدعوكم إليه- خيرٌ لكم مما تفعلون. وقال الحسن: رزق الله خيرٌ لكم مِن بَخْسِكم الناسَ حقوقَهم.[7] لكن هذا يرجع إلى ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بحفيظ**، يحتمل **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي لستُ أشهَدُ بِيَاعَاتِكم وأشرِيَتَكم حتى أعلمَ بِبَخسِكم[8] الناسَ المِكْيَالَ والميزانَ، لكن إنما أعرف[9] ذلك بالله. وفيه دلالة إثبات رسالته.[10] والثاني **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي بمُسَلَّطٍ عليكم، إنما أُبلغ إليكم، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[11]

﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، قال بعض أهل التأويل: **صلاتك**، أي[12] قِراءتُك[13] تأمرك هذا.

---

[1] ك ن ع - وقوله.
[2] سورة الأعراف، ٧/٥٦.
[3] م: قال.
[4] ع - ما أبقى الله لكم من ثوابه في الآخرة خير لكم إن آمنتم به وأطعتموه مما تجمعون من الأموال وقال بعضهم.
[5] م - مما يحل خير لكم.
[6] ع: أو الآخرة.
[7] أخرجه أبو الشيخ عن الحسن؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٦٦.
[8] ع: بخنسكم.
[9] ع: عرف.
[10] ك: رسالة محمد.
[11] سورة المائدة، ٥/٩٩.
[12] م - أي.
[13] ك ع م: قرآنك.

وقال ابن عباس: قالوا ذلك له لأن شعيبًا كان[1] يُكثِر الصلاة. كأنه يخرج على الإضمار، يقولون: **أصلاتك تأمرك** بأن تَأْمُرَنا بِتركِ عبادةِ ما عَبَدَ آباؤنا. وقوله: **صلاتك** وصَلَوَاتُك،[2] يحتمل أن يكون له صَلَوَاتٌ[3] مَعروفة يَفعلها، فيقولون: أَصَلَوَاتُك[4] التي تَفعلها **تأمرك أن نترك** كذا، أو صلاةٌ[5] واحدةٌ تُكْثِرُها [**تأمرك أن نترك** كذا]،[6] فقالوا ذلك. فتخصيص الصلاة مِن بين غيرِها مِن الطاعات لِما لعلّها كانت[7] مِن أَظْهَرِ طاعاتِه عندهم، فقالوا له هذا.

ثم يحتمل وجهين. أحدهما كأنهم قالوا: **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل** كذا، على التسفيه له والتجهيل،[8] كمن يُوَبِّخُ آخرَ ويُسَفِّهُه يقول: أَعِلْمُكَ يأمرك بذلك،[9] أو إيمانك يأمرك بهذا،[10] كقوله: قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ،[11] ونحوه من الكلام، يخرج على التسفيه له والتجهيل.[12]

والثاني يُقال ذلك على الإنكار. يقول الرجل لآخر: إيمانك يأمرك بذلك، أو عِلْمُكَ يأمرك بهذا، أي لا يأمرك بذلك. فعلى ذلك يحتمل قول هؤلاء: **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، أي لا تأمرك[13] بذلك.[14] هذا إذا كانت[15] الصلاة التي ذكروها مَرْضِيَّةٌ عندهم؛ فإن لم تكن[16] مَرْضِيَّةً فالتأويل هو الأول.

---

[1] ن: قال.

[2] قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلّف بحذف الواو على الإفراد، وقرأ الباقون بإثبات الواو على الجمع. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٩٠.

[3] م: صلوة.

[4] م: أصلوتك.

[5] جميع النسخ: أم صلاة.

[6] التصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٨٨ظ.

[7] ن - كانت.

[8] م: أو التجهيل.

[9] ك: بكذا.

[10] ع م: وإيمانك يأمرك هذا.

[11] سورة البقرة، ٩٣/٢.

[12] م: أو التجهيل.

[13] ن ع م: لا يأمرك.

[14] ك: بهذا.

[15] ن ع: إذ كانت.

[16] ع: لم يكن.

وقوله[1] عز وجل: **أصلاتك تأمرك**، الآية، حَبَّبَ إليهم تقليدَ آبائهم في عبادة الأصنام اتِّباعُهم[2] آباءَهم[3] والأموالُ[4] التي كانت لهم. فمَنَعَهم هٰذَانِ عن النظر في الحجج والآيات لما حُبِّبَ إليهم ذلك. وهكذا جميع الكفرة إنما مَنَعَهم عن النظر في آيات الله والتأمُّلِ في حججه أحدُ هذه الوجوه التي ذكرنا: حُبُّ اللَّذَّات ودَوَامُ / الرِّئَاسَات [٣٥١و] والمَيْلُ إلى الشهوات، ظَنُّوا أنهم لو اتَّبعوا رُسُلَ الله وأجابوهم إلى ما دَعَوْهم إليه لَذَهَبَ عنهم ذلك.

ثم قوله:[5] **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، يحتمل قضاء جميع الشهوات، ويحتمل ما ذكر مِن نقصان المِكْيَال والميزان. يقولون: أموالنا لنا،[6] ليس لأحدٍ فيها حَقٌّ، نفعل فيها ما نشاء. وقال[7] بعضهم: قوله: **أو أن نفعل**، الألف صلة، [أي] وأن نفعل **في أموالنا ما نشاء**.

وقوله عز وجل: **إنك لأنت الحليم الرشيد**، قال أهل التأويل: قالوا ذلك له استهزاءً به وسُخْرِيَةً. كَنَّوْا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال، أي أنت السفيه حيث سَفَّهْتَ آباءَك[8] في عبادتهم الأصنام، الضال حيث تركت مِلَّتَهم ومذهبهم. وقال بعضهم: على النفي والإنكار، أي ما أنت[9] الحليم الرشيد. ويشبه أن يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد؛ لأنهم لم يأخذوا عليه كذبا قط، ولا رأوه على خلاف ولا على[10] سفاهة قط، فقالوا:[11] **إنك لأنت الحليم الرشيد**، أي كنتَ هكذا، فكيف تركتَ ذلك؟ وهو ما قال قوم صالح لصالح حيث قالوا: قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا.[12]

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: واتباعهم.
[3] ك: إياهم.
[4] ع: في الأموال.
[5] ن: وقوله.
[6] م: لما.
[7] ع: قال.
[8] م: آباءنا.
[9] ع: أي مانت.
[10] ك ن – على.
[11] ن: وقالوا.
[12] سورة هود، ٦٢/١١.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي**، أي على بيان[١] وحجج وبرهان من ربي، على ما ذكرنا فيما تقدّم.[٢] أي تعمون أنّي كنتُ على بيان من ربي وحجج.

**ورَزَقَني منه رزقًا حسنًا**، يحتمل هذا مِنه مكانَ ما قال أولئك الأنبياء: وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ،[٣] أي قال شُعَيب:[٤] **ورَزَقَني منه رزقا حسنًا**، الدين والهدى أو النبوة[٥] على ما ذكرنا.[٦] وأمكن أن يكون الرزق الحسن هو الأموال الحلال الطيبة التي لا تَبِعَة عليه [فيها]، فقال ذلك، وما رَزَقَ أولئك عليهم تَبِعَةٌ في ذلك، لأنهم اكتسبوها مِن وجهٍ لا يَحِلّ.

وقوله عز وجل: **وما أريد أن أُخالِفَكم إلى ما أنهاكم عنه**، مِن الناس مَن يقول: قال لهم ذلك بإزاء ما قالوا فيما ذكر في الأعراف: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا،[٧] يقول: أدعوكم إلى الإيمان بالله والتوحيد له وأنهاكم عن الكفر به ثم أَرْتَكِب ما أنهاكم عنه وأترك ما أدعوكم إليه؟ وقال قتادة: لم أكن لأنهاكم[٨] عن أمرٍ وأَرْكَبَه.[٩] وهو واحد.

**إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ**، أي ما أريد إلا الإصلاح لكم ما استطعت.[١٠] **وفيه** دلالة أنّ الاستطاعة تكون مع الفعل. [لأنه] لا يخلو[١١] إمّا أن[١٢] يكون أراد استطاعة الإرادة أو استطاعة الفعل. فكيف ما كان فقد أخبر أنه يريد[١٣] لهم من الصلاح ما استطاع. ففيه ما ذكرنا.

---

[١] م: أي عى علم وبيان.

[٢] ك ن: ما تقدم. انظر مثلا تفسير الآية ٢٨ من سورة هود، ١١.

[٣] سورة هود، ٢٨/١١. كان هذا مِن قول نوح عليه السلام. وقال صالح عليه السلام: ﴿وآتاني مِنه رحمة﴾ (سورة هود، ٦٣/١١).

[٤] جميع النسخ: قال هود.

[٥] م: والنبوة.

[٦] ع- عى ما ذكرنا. انظر تفسير الآيتين ٢٨ و٦٣ من سورة هود، ١١.

[٧] سورة الأعراف، ٨٨/١١.

[٨] م: أنهاكم.

[٩] *تفسير الطبري*، ١٠٣/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٦٧/٤.

[١٠] ع م - أي ما أريد إلا الإصلاح لكم ما استطعت.

[١١] م: لا يخلوا.

[١٢] ع: من أن.

[١٣] ع م: يزيد.

وهو[١] ينقض[٢] على المعتزلة مذهبهم؛ لأنهم يقولون: إن[٣] الاستطاعة تتقدّم على[٤] الفعل، وهي لا تَبْقَى وَقْتَين. فيَصِيرُ على قولهم[٥] إرادةُ الصلاحِ لهم بما عُدِمَ مِن الاستطاعة.

وقوله عز وجل: **وما تَوْفِيقِي إلا بالله**، قال بعضهم: التوفيق هو صفة كل مطيع، والخِذْلان هو صفة كل عاصٍ. وقال بعضهم: التوفيق هو ما يُوَفِّقُ بين قوله وفعله[٦] في الطاعة، والخِذْلان[٧] ما يُفَرِّقُ بين قوله وفعله في المعصية. وقال الحسين النَّجّار:[٨] التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة، والخِذْلان هو قدرة كل شر ومعصية. وعندنا التوفيق هو أن يُوَفِّقَ[٩] بين عمل الخير والاستطاعة؛ والخِذْلان هو أن يُفَرِّق بين عمل الخير والاستطاعة،[١٠] أو أن نقول:[١١] هو أن يُوَفِّقَ بين عمل الشر والاستطاعة، وهما واحد.

وقوله عز وجل: **عليه توكّلتُ**، أي عليه اعتمدتُ في جميع أمري وإليه وَكَّلْتُ.[١٢] **وإليه أُنِيب**، أي أَرْجِعُ؛ أو يقول: إليه أُقْبِلُ بالطاعة.

**﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾**[٨٩]

وقوله عز وجل: **ويا قومِ لا يَجْرِمَنَّكم شِقَاقِي أنْ يُصِيبَكم مثلُ ما أصاب قومَ نوحٍ**، بالغرق، **أو قومَ هودٍ**، بالريح الصَّرْصَر،[١٣] **أو قومَ صالحٍ**، بالصيحة على ما ذكر. قال بعضهم: **لا يَجْرِمَنَّكم**، أي لا يَحْمِلَنَّكم، **شِقَاقِي**، قيل: خِلافي، **أنْ يُصِيبَكم مثلُ ما أصاب** أولئك.

---

[١] ن: فهو.
[٢] ع: وينقض.
[٣] ك ع م - إن.
[٤] ك ن - على.
[٥] ك: وعلى قولهم.
[٦] ك: فعله وقوله؛ م: ما يوافق قوله فعله.
[٧] ع: في الخذلان.
[٨] الحسين بن محمد النجار رئيس الفرقة النجارية. له مناظرة مع النَّظَّام. ومن كتبه *إثبات الرسل*، و*كتاب القضاء والقدر*، و*كتاب اللطف والتأييد*، و*كتاب الإرادة الموجبة*، وغير ذلك. توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٥٤.
[٩] م: أن يوافق.
[١٠] ع - والخذلان هو أن يفرق بين عمل الخير والاستطاعة.
[١١] ن ع م: أن يقول.
[١٢] ك: توكلت.
[١٣] ك - بالريح الصرصر، صح، هـ.

وقال بعضهم: قوله: **لا يَجْرِمَنَّكم**، أي لا يُؤَثِّمَنَّكم، **شِقَاقِي**، أي عداوتي، **أَنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصاب** أولئك. وقيل: **لا يَجْرِمَنَّكم**،[1] لا يُكْسِبَنَّكم عداوتي. وقال[2] الحسن: **شِقَاقِي**: ضِرَارِي. لكن كله[3] يرجع إلى معنى واحد؛ لأنه إذا ثبتت[4] العدواة ثبتت[5] المخالفة والبُغْض والضرر. فكل ما ذكروا فهو واحد. وأصل الجُرْم الإثم والكَسْب.

ثم يخرج إنذاره إياهم بمَن هَلَكَ مِن الأُمَم[6] على وجهين. أحدهما أنّ قومَ شعيب قومٌ لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة، فأنذرهم بمَن هَلَكَ مِن الأُمَم السالفة؛ لأنه لو كان يُنذِرهم بالبعث لكان لا يَنْجَع[7] فيهم لأنهم[8] لا يؤمنون به. والثاني أنذرهم بأولئك لأنهم كانوا يقلدون آباءهم في عبادة الأوثان ويتبعونهم. فيقول: إنكم تقلدون[9] آباءكم وتتبعونهم[10] في عبادة الأوثان، فاتبعوهم أيضًا[11] بما بَلَغوا إليكم مِن هلاك أولئك بعبادتهم الأوثان وتكذيبهم الرسل؛ فإذا قَدَّمتموهم في ذلك فهَلّا تقلدونهم وتتبعونهم فيما أصابهم بما أصابهم؟ أو يقول[12] لهم:[13] إنكم تقلدون آباءكم الذين عبدوا الأوثان وقد هَلَكُوا؛ فهَلّا[14] تقلدون مَن لم يَعبد منهم ونجا وقد عرفتم[15] أنّ مَن هَلَكَ منهم[16] بمَ هلك ومَن نجا منهم[17] بمَ نجا؟ *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما قومُ لوطٍ منكم ببعيد**، أي إن نسيتم مَن مَضَى منهم فلا تَنْسَوُنّ [٣٥١ظ] / ما نزل بقوم لوط، وليسوا هم ببعيد منكم.

---

[1] ك - أي لا يؤثمنكم شقاقي أي عداوتي أن يصيبكم مثل ما أصاب أولئك وقيل لا يجرمنكم.
[2] م: قال.
[3] ع م - كله.
[4] جميع النسخ: إذا ثبت.
[5] م: ثبت.
[6] ك: على الأمم.
[7] أي لا ينفع.
[8] م: أنهم.
[9] م: تتقلدون.
[10] ع - فيقول إنكم تقلدون آباءكم وتتبعونهم.
[11] م - أيضًا.
[12] ك: أو نقول.
[13] م - لهم.
[14] ع م: فلا.
[15] ك - عرفتم.
[16] م: منكم.
[17] ع م: معهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **واستغفروا ربكم**، أي اطلبوا مِن ربكم[١] المغفرة. أي اطلبوا السبب الذي يَقَعُ لكم المغفرةُ مِن ربكم [به]، وهو التوحيد. **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه ولا تعودوا إلى ما كنتم [فيه] مِن[٢] قبل. وقوله عز وجل: **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه[٣] رجوعًا حتى لا تعودوا إلى مثل صنيعكم أبدًا.

**إنَّ ربي رحيم**، يَرحم مَن تاب إليه.[٤] **وَدُود**، يحتمل وجهين. أحدهما **وَدُود**، أي حقّ أنْ يُوَدَّ؛ إذ مِنه كلُّ شيء وكلُّ إحسان، والناسُ جُبِلُوا على حب مَن أحسن إليهم. والثاني **وَدُود**، لمن توسّل إليه وتقرّب.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا يا شعيبُ ما نَفْقَهُ كثيرًا مما تقول**، قوله: **ما نَفْقَهُ**، يحتمل ما نَفهم وما نَعقل **كثيرًا مما تقول**. كأنهم يقولون ذلك على الاستهزاء والهُزْءِ[٥] به كأنهم نَسَبُوه إلى الجنون. يقولون: لا نَفهم ما تقول،[٦] لأنّ كلامَك كلامُ مجانين. وهذه هي عادة القوم، كانوا يَنْسُبون الرسل إلى الجنون. ويحتمل **ما نَفْقَهُ**، ما نَقْبَلُ،[٧] **كثيرًا مما تقول**. فإن كان على الفهم فهو كقوله: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.[٨] وهم كانوا فريقين: فريق[٩] كانوا يقولون: قلوبنا أَوْعِيَة للعلم، كقولهم: قُلُوبُنَا غُلْفٌ،[١٠] فإن كان ما تقول حقا فنَفْهَمُه[١١] ونَعقِله[١٢] كما نَعقِل غيرَه. وفريق قالوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ،[١٣]

---

[١] ك: رمن ربكم.
[٢] ك - من.
[٣] ك - إليه.
[٤] جميع النسخ + والله يرحمه.
[٥] ك: والهزؤ.
[٦] ن ع م: مما تقول.
[٧] ع - ما نقبل.
[٨] سورة الملك، ١٠/٦٧.
[٩] م - فريق.
[١٠] سورة البقرة، ٨٨/٢؛ وسورة النساء، ١٥٥/٤.
[١١] ك ن م: نفهم؛ ع: يفهم.
[١٢] جميع النسخ: ونعقل.
[١٣] سورة فصلت، ٥/٤١.

كانوا يَعقِلون[1] أنهم لا يَفهمون ولا يَفقهون؛ لأن قلوبهم في أَكِنَّة وفي آذانهم وَقْر. والفريق الأول يقولون:[2] إن قلوبنا أَوْعِيَة للعلم، فلو كان حقًّا لَعَقَلْنَاه[3] كما عَقَلْنَا[4] غيرَه. فهؤلاء كانوا يَصرِفون العيب إلى الرسول، وأولئك إلى[5] أنفسهم. فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل أن يكونوا[6] كذلك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإنّا لَنَراكَ فينا ضعيفا**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أي إنك لست مِن كُبَرائِنا وأَجِلَّتِنا، إنما أنت مِن أَوْسَاطِنا. وعلى ذلك الأنبياء إنما بُعِثُوا مِن أَوْسَاطِ الناس لا مِن كُبَرائِهم في أمر الدنيا.[7] فالقوي والعزيز[8] عند أولئك القوم مَن عنده الدنيا والمالُ. وأمّا مَن لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل؛ لأنهم لا يعرفون الدين ولا يؤمنون بالآخرة. لذلك قالوا ما قالوا. والثاني لست أنت بِذِي قوةٍ وبَطْشٍ في نفسك. وقد ذُكِر أنه كان ضعيفًا في بَصَرِه ونَفْسِه. يحتمل وَصْفُهم [له] بالضَّعْف لهذين الوجهين. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولَوْلَا رَهطُكَ**، أي قبيلتك، وقيل: عَشِيرَتُك، **لَرَجَمْنَاكَ**، الرَّجْم يحتمل القتل، ويحتمل اللَّعْن والشَّتْم. ثم يحتمل قوله: **ولَوْلَا رَهطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**، وجهين. أحدهما **ولَوْلَا رَهْطُكَ**، أي لَوْلَا حُرْمَةُ رَهْطِكَ وإلّا[9] **لَرَجَمْنَاكَ**، كأنهم كانوا يحترمونه[10] لموافقة رَهْطِه إياهم في العبادة، أعني عبادة الأوثان وعلى ما هم عليه. والثاني **ولَوْلَا رَهطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**، خوفًا مِنهم لِما ذُكِر أنه كان كثير العَشِيرة والقبيلة. كانوا يخافون عشيرته فلم يُؤْذُوه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وما أنت علينا بعزيز**، أي ما أنت مِن[11] أَجِلَّتِنا وكُبَرائِنا إنما أنت مِن أَوْسَاطِنا. أو **وما أنت**[12] **علينا بعزيز**؛[13] لأن العزيز عندهم مَن كان عنده المال والدنيا

[1] أي يظنون.
[2] ع: تقولون.
[3] ك ن ع: لنعقل؛ م: لعقل.
[4] ك: نعقل.
[5] ع – إلى.
[6] م: أن يكون.
[7] ع: الدين.
[8] ع: العزيز.
[9] م – وإلا.
[10] جميع النسخ: يحترمون.
[11] م – من.
[12] ع م – أو وما أنت.
[13] ك + أي ما أنت من أجلتنا.

لا يَعرفون العِزَّ في غيرِ[1] ذلك. ولم يكن عند شعيب الدنيا، لذلك نَسَبُوه إلى ما ذُكِر. أو أنت ذليل عندنا لستَ بعزيز، فيكونُ صلةَ قولِه: **وإنا لنراك فينا ضعيفًا**. *والله أعلم*.

﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **قال يا قومِ أرَهطِي أعَزُّ عليكم مِن الله**، هذا يخرج على وجهين. يحتمل[2] **يا قومِ أرَهطِي**، أعْظَمُ حقًا عليكم مِن الله وأكثرُ حُرْمَةً حتى تَركتم ما أوْعَدتموني مِن النِّقْمَةِ لِحَقِّهم وحُرْمَتِهم. والثاني قوله: **يا قومِ أرَهطِي أعَزُّ عليكم**، أي رَهطِي أشَدُّ خوفًا عليكم وأكثرُ نِكايةً مِن الله؛ لأنّا قُلنا في قوله: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ:[3] إنه يخرج على وجهين. أحدهما على[4] الاحترام لِرَهطِه لموافقتهم إياهم في جميع ما هم عليه والمساعدةِ لهم. والثاني على الخوف والنِّكايَةِ لقوتهم وكثرتهم وفَضْلِ بَطْشِهم تَركوا ما أوْعَدُوا[5] له خوفًا مِن رَهطِه. فقال: خَوفُكم مِن رَهطِي أشَدُّ وأكثرُ عليكم مِن الخوف مِن الله وقد بَلَغَكم مِن نِكاية الله ونِقْمَتِه فيما حَلَّ بالأُمَمِ الماضية. أو حُرْمَةُ رَهطِي عندكم وحَقُّهم أعظمُ مِن حق الله وحُرْمَتِه وقد تَعلمون إحسانَه إليكم وإنعامَه عليكم.

وقوله عز وجل: **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**، قال بعضهم: قوله:[6] **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**،[7] أي حَمَلْتُمُوه على ظهركم. وحَمْلُهم إياه على ظهرهم[8] إسْخاطُهم إياه. قال:[9] تقول العرب: فلانٌ حَمَلَ الناسَ على ظهره، أي أسْخَطَهم على نفسه. ولكن لا ندري أيُقال هذا أم لا. فإن قيل هذا فهو محتملٌ ما قال. وهو قول أبي بكر الأصَمّ. وقال غيره مِن أهل التأويل: قوله: **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**، أي نَبَذْتُم الله وراءَ ظهركم، أي نَبَذْتُم حَقَّ الله[10] وأمْرَه وكتابه

---

[1] م: بغير.
[2] ع + قالوا.
[3] م + ولو لا رهطك لرجمناك. انظر: الآية السابقة وتفسيرها.
[4] م - على.
[5] جميع النسخ: ما وعدوا.
[6] ك - قوله.
[7] ع + قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا.
[8] ع - وحملهم إياه على ظهرهم.
[9] أي قال بعضهم كما ذُكِر آنِفا.
[10] م - وراء ظهركم أي نبذتم حق الله.

الذي أنزل إليكم وراءَ ظهركم لا تعملون به ولا تَكْتَرِثُون إليه. هو كالمَنْبُوذ وراءَ ظهركم. هذا على التمثيل، أي جَعَلُوا أَمْرَ الله ودينَه الذي دُعُوا إليه كالمَنْبُوذ وراءَ ظهورهم لا يَنظرون إليه ولا يَكْتَرِثُون. وهو ما ذكر[1] في قوله: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[2] وقوله: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[3]

[٣٥٢و] على التمثيل، أي الذي أنتم عليه في القُبْح كالانقلاب / على الأعقاب.

**إن ربي بما تعملون محيط**، هذا يخرج على وجهين أيضا. أي **إن ربي بما تعملون**، مِن الأعمال الخبيثة، **محيط**، فيَجزيكم بها. أو يقول: **إن ربي بما تعملون**، مِن الكَيْد برسول الله والمَكْر به، **محيط**، فيَنصره عليكم.

**﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٩٣]**

وقوله عز وجل: **ويا قومِ اعملوا على مكانَتِكم إني عامل**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنْ كُونُوا على دينكم الذي أنتم عليه وأنا أكون على ديني، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ؛[4] لأن قوم شعيب قالوا لشعيب: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا،[5] فقال[6] لهم [هذا] عند ذلك. وهذا إنما يُقال عند الإياس[7] عن إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[8] وأمثاله.

والثاني قوله: **اعملوا على مكانَتِكم إني عامل**، أي **اعملوا** في كيدي والمكر في هلاكي، **إني عاملٌ** ذلك بكم. وهو كما قال غيره من الرسل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[9] وقوله:[10] فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ،[11] ونحوه.

---

[1] م: وما ذكر.
[2] سورة الأنفال، ٨/٤٨.
[3] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.
[4] سورة الكافرون، ١٠٩/٦.
[5] سورة الأعراف، ٧/٨٨.
[6] ن: فقالوا.
[7] م: الأيس.
[8] ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٥).
[9] سورة هود، ١١/٥٥.
[10] ك ن: أو قوله.
[11] سورة الأعراف، ٧/٧١؛ وسورة يونس، ١٠/٢٠، ١٠٢.

وقوله عز وجل: **سوف تعلمون**، في العاقبة، [وهذا] وعيد، **مَن يأتيه عذابٌ يُخزِيه. أو سوف تعلمون**، في العاقبة مَن يأتي مِنّا **عذابٌ يُخْزِيه**، نحن أو أنتم، **ومَن هو كاذب**. وتعلمون أيضًا في العاقبة[1] مَن الكاذب مِنّا نحن أو أنتم؛ لأنّ كلَّ واحدٍ مِن الفريقين يَدَّعِي[2] على الفريق الآخَر الكذبَ والافتراءَ على الله. فيقول: **سوف تعلمون**، في العاقبة[3] الكاذبَ مِنّا والمُفترِيَ على الله والصادقَ عليه.

**وارْتَقِبُوا إنِي معكم رقيب**، أي[4] ارْتَقِبُوا هلاكي، وأنا أَرْتَقِب هلاكَكم. أو ارْتَقِبُوا لمن العاقبة مِنّا، لنا[5] أو لكم، **إني معكم رقيب**. *والله أعلم*.

**﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٩٤] ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٩٥]**

وقوله عز وجل: **ولمّا جاء أَمْرُنا نَجَّيْنا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمةٍ مِنّا**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم.[6]

وقوله عز وجل: **وأَخذتِ الذين ظلموا الصيحةُ**، قيل: **الصيحةُ**: صيحةُ جبريل، أي هلكوا بصيحته. وقال بعضهم: **الصيحة**: اسمُ كلِّ عذاب. وكذلك الرَّجْفَة.[7] سُمِّيَ العذابُ بأسماءٍ مختلفة؛ مرةً صاعقة،[8] ومرةً صيحة، ومرةً رَجْفَة.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأنْ لم يَغْنَوْا فيها ألَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمود**، هذا أيضًا قد ذكرنا فيما تقدّم.[9] قال بعض أهل التأويل: قوله: **ألَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ**، في الهلاك، **كما بَعِدَتْ ثمود**، كما أُهلِكَتْ ثمود، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما هَلَكَ بالصيحة.

---

[1] ك: ويعلمون في العاقبة أيضًا.
[2] ع: تدعي.
[3] م + من.
[4] ع م – أي.
[5] ن – لنا.
[6] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٨/١١.
[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأَخذَتْهُم الرَّجْفَةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٧٨/٧، ٩٢). وانظر: سورة الأعراف، ١٥٥/٧؛ وسورة العنكبوت، ٣٧/٢٩.
[8] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿فإنْ أَعْرَضُوا فقُلْ أَنْذَرْتُكم صاعقةً مِثْلَ صاعقةِ عادٍ وثمود﴾ (سورة فصلت، ١٣/٤١). وانظر: سورة البقرة، ٥٥/٢؛ وسورة النساء، ١٥٣/٤؛ وسورة فصلت، ١٧/٤١؛ وسورة الذاريات، ٤٤/٥١).
[9] انظر تفسير الآيتين ٦٧-٦٨ من سورة هود، ١١.

فمِن ثَمَّ اختصّ ذِكر ثمود مِن بين الأمم. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال:[١] لم يُعذِّبْ بعذابٍ واحدٍ إلّا قومُ شعيب وصالح. فأمّا قومُ صالح فأخذتهم الصيحة مِن تحتهم، وقومُ شعيب مِن فوقهم.[٢] قال: فنشأت لهم سحابةٌ فيها عذابهم -فلم يعلموا[٣] كهيئة الظُّلَّة[٤] - فيها ريحٌ. فلمّا رَأَوْها أَتَوْها يَستظِلُّون تحتَها مِن حَرِّ الشمس، فسَالَ عليهم العذابُ مِن فوقِهم. فذلك قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[٥]

وقوله: **ألَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ**، مِن رحمة الله، **كما بَعِدَتْ ثمود**، مِن رحمته. ويحتمل الهلاك الذي ذكرنا.[٦] *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٩٦]

وقوله[٧] عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسُلطانٍ مُبِين**، وهي الحجج. يحتمل قوله: **بآياتنا وسُلطانٍ مُبِين**، [أن يكون] واحدًا[٨] على التكرار. فإن كانت الآياتُ هي الأَوامِرَ والنَّوَاهِيَ[٩] وما يُؤتَى وما يُتَّقَى[١٠] فقوله: **وسُلطانٍ مُبِين**، هي الحججُ والبراهينُ على ذلك.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **إلى فرعون ومَلَئِه**، قد ذكرنا أن الْمَلأَ هو اسمٌ لِشيئين: اسم الجماعة واسم الأَجِلَّة والأَشْرَاف. وهو كان مبعوثا إلى الأَشْرَاف مِن قومه وإلى الجماعة جميعًا. [لكن] خُصَّ بَعْثُه إلى فرعونَ ومَلَئِه[١١] وإن كان مبعوثا إلى الكل لِما [كان] العُرْفُ في الملوك أنهم إنما يخاطبون الكُبَرَاءَ منهم والأَشْرَافَ وإن كان المقصود مِن الخطاب[١٢] الكلَّ.

---

[١] ع م - قال.
[٢] رواه الكلبي -وهو ضعيف- عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ٩٢/٩؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٢٩/١٢.
[٣] ع م: فلم تعملوا.
[٤] ع: الظلمة. والظُّلَّة والمِظَلَّة سواء، وهو ما يُستَظَلُّ به مِن الشمس. والظُّلَّة: الشيءُ يُسْتَتَرُ به مِن الحرّ والبرد. وهي كالصُّفَّة. والجمع ظُلَل وظِلال. والظُّلَّة: ما سَتَرَكَ مِن فوق (*لسان العرب* لابن منظور، «ظلل»).
[٥] سورة الشعراء، ١٨٩/٢٦. وانظر لمجموع الروايات في عذاب قوم شعيب عن ابن عباس وغيره: *تفسير الطبري*، ١٠٩/١٩-١١١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣١٨/٦-٣٢٠.
[٦] ن - ذكرنا.
[٧] ن: أو قوله.
[٨] جميع النسخ: واحد.
[٩] ن ع م: والمناهي.
[١٠] ك: ويتقي.
[١١] ك: وقومه.
[١٢] ك: وإن كان من المقصود خطاب.

وقوله عز وجل: **فاتّبعوا أَمْرَ فرعونَ وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، قال بعضهم: هو ما ذكر في حم المُؤْمِن حيث قال لهم: مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ،[1] فأطاعوا فرعونَ في قوله. يقول الله: **وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، أي[2] بهُدَى. أو يقول: ما الأَمْرُ الذي عليه فرعونُ **بِرَشِيد**، بل هو ضلال. ولكن عندنا أنهم أطاعوا فرعونَ في جميع أمره ونهيه في عبادة الأصنام وغيره. وهو ما ذكر: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ.[3] وقوله عز وجل: **وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، أي ليس بهُدَى بل كان أَمْرُه ضلالاً حيث كان هو ضالًّا مُضِلًّا.

**﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **يَقْدُمُ قومَه يومَ القيامة**، قال بعضهم: أي صار قُدَّامَهم. وقال بعضهم: **يَقْدُمُ**، أي[4] يَقُودُ قومَه إلى النار حتى[5] يُورِدَهم[6] النار. ويحتمل قوله: **يَقْدُمُ قومَه**، أي يكون إماما لهم في الآخرة[7] يتّبعون أثرَه كما كان إمامَهم في الدنيا فاتّبعوه، كقوله: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ،[8] وكقوله: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ،[9] أخبر أنهم يكونون أئمةً لهم في الآخرة.

ويشبه أن يكون قوله: **فأَوْرَدَهم النارَ**، أي دعاهم في الدنيا وأَمَرَهم بأُمورٍ تُورِدُهم النارَ تلك الأعمالُ، كقوله:[10] فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[11] أي ما أَصْبَرَهم على عَمَلِ أهل النار. وقال[12] بعضهم: يتبعونه حتى يُدْخِلَهم النار.

وقوله عز وجل: **وبئس الوِرْدُ المَوْرُودُ**، قال بعضهم: بئس المَدْخَلُ المَدْخُولُ. والوِرْدُ[13] هو الدخول، والمَوْرُود المَدْخُول. سُمِّيَ الجزاءُ باسم سببه. قال ابن عباس رضي الله عنه:

[1] سورة المؤمن، ٤٠/٢٩.
[2] ك – أي.
[3] سورة الزخرف، ٤٣/٥٤.
[4] م – يقدم أي.
[5] ن ع + لا.
[6] م + إلى.
[7] ك: يوم القيامة.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٧١.
[9] سورة القصص، ٢٨/٤١.
[10] م – كقوله.
[11] سورة البقرة، ٢/١٧٥.
[12] م: قال.
[13] م: والورود.

[٢٥٢ظ] جميع ما ذُكِر في القرآن مِن الوُرُود فهو دُخول. مِنه[١] قولُه: **وبئس الوِرْدُ المَوْرُودُ**، / وقولُه:[٢] وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا،[٣] وقولُه: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٤] وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا.[٥] فقال: والله لَيَرِدَنَّها كلُّ بَرٍّ وفاجر، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا.[٦]

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[٩٩]

وقوله: **وأُتبِعُوا في هذه لَعْنَةً ويومَ القيامة**، يحتمل اللعنةُ في الدنيا العذابَ الذي نزل بهم. ويحتمل لَعْنَ الخلائقِ [لهم]،[٧] يَلْعَنُهم مَن ذَكَرَهم. وفي الآخرة يحتمل الوجهين جميعًا. يحتمل[٨] يُعَذَّبُون في الآخرة أيضًا كما عُذِّبُوا[٩] في الدنيا. ويحتمل لَعْنَ الخلائقِ[١٠] أيضًا، مَن رآهم لَعَنَهم.[١١] واللَّعْن هو الطَّرْد في اللغة. طُرِدُوا عن رحمة الله و لم يُرْحَمُوا في عذاب الدنيا ولا يُرْحَمُون في عذاب الآخرة.

وقوله عز وجل: **بئس الرِّفْدُ المَرْفُودُ**، عن ابن عباس: **بئس الرِّفْدُ المَرْفُودُ**، يقول: لعنة الدنيا والآخرة.[١٢] وقال[١٣] قتادة: تَرَادَفَتْ عليهم لعنتان مِن الله: لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.[١٤] ولكن على زعمهم يجيء أن[١٥] يُقال: "الرِّدْف" مِن التَّرَادُف. وقال بعضهم: الرِّفْد:[١٦] العَوْن. وهو قول القُتَبي. وقال القُتَبي: الرِّفْد: العَطِيَّة، والمَرْفُود: المُعْطَى. يُقال: رَفَدْتُه، إذا أعطيتُه وأَعَنْتُه،

---

[١] م: منهم.
[٢] ن: قوله.
[٣] ﴿وإنْ مِنكم إلا وَارِدُها كان على ربك حَتْمًا مَقْضِيًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٧١).
[٤] ﴿إنكم وما تعبدون مِن دون الله حَصَبُ جهنمَ أنتم لها وَارِدُون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٨).
[٥] سورة مريم، ١٩/٨٦.
[٦] سورة مريم، ١٩/٧٢. وانظر لقول ابن عباس رضي الله عنه: *تفسير الطبري*، ١٢/١١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٧٢، ٥/٥٣٥.
[٧] ع م + أيضا من رآهم.
[٨] ك: تحتمل.
[٩] ن: كما يعذبون.
[١٠] ن ع: الخلق.
[١١] ع م + الله.
[١٢] *تفسير الطبري*، ١٢/١١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٧٢.
[١٣] ع م: قال.
[١٤] *تفسير الطبري*، ١٢/١١١.
[١٥] ع م: يجيئان.
[١٦] ك م: الردف.

كما يُقال: بئس العَطاء المُعْطَى.[١] وكذلك[٢] قال أبو عَوْسَجَة: بئس ما أُعْطُوا وأُعِينُوا، وبئس المُعْطَى. *والله أعلم.*

**﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[١٠٠]**

وقوله عز وجل: **ذلك مِن أنباء القُرَى نَقُصُّه عليك منها قائمٌ وحَصِيد**، قوله: **ذلك مِن أنباء القُرَى**، **ذلك** ما سبق[٣] مِن ذِكر القُرَى والقرون في هذه السورة، **مِن أنباء** الغيب، **نَقُصُّه عليك**، لِيُعلَم بها رسالتُك،[٤] ولِتكون آيةً لِنبوّتك؛ لأنك لم تشاهدها، ولا اختلفتَ إلى أحدٍ[٥] منهم فتعلّمتَ منهم، ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون: نَظرتَ فيها فأخذتَ ذلك منها[٦] ثم أنبأتَ على ما كان وقَصصتَ عليهم، لِيُعلَم أنك إنما عرفتَ [ذلك] بالله، فتكونَ آيةً لِرسالتك.

وقوله: **مِنها قائمٌ وحَصِيدٌ**، قال بعض أهل التأويل: **مِنها قائمٌ**، تَرَى مكانَها وتَنظُر إليها، ومنها حَصِيد، لا تَرَى لها[٧] أثرًا ولا مكانًا. وقال بعضهم: **قائم**، أي خاويةٌ على عُرُوشها،[٨] **وحَصِيد**، مُستأصَلَة. وعن الحسن قال: **منها قائمٌ**، وما حَصَد اللهُ أكثرُ، أي وما أهلك[٩] اللهُ مِن القُرَى أكثرُ. وأصله عندنا: **منها قائمٌ**، نحو قُرَى عاد وثمود ومَدْيَن أُهْلِكَ أهلُها وبَقِيت القُرَى لأهل الإسلام؛ لأنه يقول في قُرَى عاد: فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ،[١٠] الآية. ومنها حَصِيد، ما أُهْلِكَ أهلُها والقُرَى جميعًا نحو قوم نوح أُهْلِكُوا بِبُنْيَانِهم ونحو قَرْيَاتِ قومِ لُوط أُهْلِكَتْ بأهلها أيضًا حتى لم يَبْقَ لا الأهلُ ولا البُنْيَانُ. فذلك -والله أعلم- تأويلُ قولِه: **منها قائمٌ**، هَلَكَ أهلُها وبَقِيَ البُنْيَانُ، ومِنها حَصِيدٌ، هو ما أُهْلِكَ البُنْيَانُ بأهلِه حتى لم يَبْقَ لها أثرٌ.

---

[١] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٩.
[٢] ع: ولذلك.
[٣] ك: من سبق.
[٤] ك: لتعلم رسالتك بها.
[٥] م: ولا اختلف لأحد.
[٦] ن – منها.
[٧] ن ع م: له.
[٨] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فكأيِّن مِن قريةٍ أهلكناها وهي ظالمةٌ فهي خاويةٌ على عُرُوشها وبئرٍ مُعَطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَشِيد﴾ (سورة الحج، ٤٥/٢٢). قال ابن منظور: خَوَت الدار: تَهَدَّمَتْ وسَقَطَتْ. ومنه قوله تعالى: ﴿خاويةٌ على عُرُوشها﴾، أي خالية. وقيل: ساقطة على سُقُوفها. وخَوَتِ الدار وخَوِيَتْ خَوَاءً وخَواية: خَلَتْ مِن أهلها. وأرضٌ خاويةٌ: خالية مِن أهلها... وعُرُوشها: سُقُوفها (*لسان العرب* لابن منظور، «عرش، حوي»).
[٩] م: ما أهلك.
[١٠] سورة الأحقاف، ٢٥/٤٦.

وفيه وجوه ثلاثة. أحدها آيةً لرسالته[١] لما ذكرنا. و[الثاني] عبرةٌ[٢] لأهل التقوى؛ وهو ما ذكر في آخره:[٣] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ،[٤] أي عبرة[٥] لمن خاف عذاب الآخرة.[٦] و[الثالث] زَجرًا لأهل[٧] الشرك والكفر، لأنهم يَذكرون ما نزل[٨] بأولئك فيَنزَجِرُون عن صَنيعهم. فيه هذه[٩] الوجوه التي ذكرنا.[١٠] *والله أعلم.*

**﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾**[١٠١]

وقوله عز وجل: **وما ظَلَمْناهم ولكنْ ظَلَمُوا أنفسَهم**، قوله:[١١] **وما ظَلَمْنَاهم**، فيه وجهان. أي لم نَظلمهم[١٢] لأنهم وبُنيانَهم ملكُ الله تعالى، وكلُّ ذي ملكٍ له أن يُهلِكَ ملكَه، ولا يُوصَف بالظلم مَن أتلفَ ملكَه. وهم **ظَلَمُوا أنفسَهم**، إذ أنفسُهم[١٣] ليست لهم في الحقيقة، وكذلك بُنيانُهم، ومَن أتلفَ ملكَ غيرِه فهو ظالم.

والثاني أن الظلم هو[١٤] وَضْعُ الشيء[١٥] غيرَ مَوْضِعِه. يقول: **وما ظَلَمْنَاهم**، بالعذاب، إذ هم[١٦] يَستَوْجِبُون ذلك بما ارْتَكَبُوا، فلم نَضَعِ العذابَ في غير مَوْضِعِه، بل هم الذين وَضَعُوا أنفسَهم في غير مَوْضِعِها حيث صَرَفُوها إلى غير مالكها [و]عبدوا غيرَه، فهو الظلم.[١٧] هذا التأويل في أنفسهم.

---

[١] م: الرسالة.
[٢] ن ع م: وغيره.
[٣] ع + إن في آخره.
[٤] سورة هود، ١٠٣/١١.
[٥] م: أي غيره.
[٦] ع – أي عبرة لمن خاف عذاب الآخرة.
[٧] ع: الأهل.
[٨] ن ع م: ما ترك.
[٩] ع: هذا.
[١٠] ن: ذكرانا؛ ع م: ذكرها.
[١١] ن ع م: وقوله.
[١٢] ن: لم يظلمهم.
[١٣] م – إذ أنفسهم.
[١٤] م – هو.
[١٥] ك + في.
[١٦] ع م – هم.
[١٧] ك ن م: ظلم.

وأمّا البُنيان فإنه[١] إنما جَعَلَه لهم، فإذا هَلَكُوا هم أَهلكَ ما جَعَلَ لهم. إنما أَبْقَى لهم ما داموا هم،[٢] فأمّا إذا بَادُوا هم[٣] فلا معنى لإبقاء البُنيان.

وما ذكر مِن ظُلْمِهم أنفسَهم يحتمل وجوها. أحدها **ظَلَمُوا أنفسَهم** بعبادتهم غيرَ الله. والثاني **ظَلَمُوا أنفسَهم** بِصَرْفِهم الناسَ وصَدِّهم عن سبيل الله [و]عن عبادة الله[٤] وتوحيده إلى عبادةِ غيرِ الله. والثالث **ظَلَمُوا أنفسَهم** بسؤالهم العذابَ.

وقوله: **فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهم التي يَدْعُون مِن دون الله مِن شيءٍ لمّا جاء أَمْرُ ربِّك**، في هذا وجهان. أحدهما ما أَغْنَتْ عنهم عبادةُ آلهتِهم التي عبدوها مِن دون الله **لمّا جاء أَمْرُ ربِّك**، أي عذابُ ربِّك، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ،[٥] الآية، يخبر أنّ عبادتَهم الأصنامَ لا تنفعهم المنفعةَ التي طَمِعوا. والثاني **فما أَغْنَتْ عنهم**، أنفُسُ آلهتِهم في دَفْعِ العذاب عنهم في أحوج حالٍ[٦] إليها، لِعَجْزِهم[٧] في أنفسهم وضَعْفِهم، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ؛[٨] فإذا لم يَمْلِكُوا ذلك في وقت الحاجة إليهم فكيف يَمْلِكُون في غيره[٩] مِن الحال. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما زادُوهم غيرَ تَتْبِيبٍ**، يحتمل ما زَادَهُم[١٠] عبادتُهم إياها **غيرَ تَتْبِيبٍ**. أو ما زَادَهُم[١١] آلهتُهم التي عبدوها **غيرَ تَتْبِيبٍ**. والتَّتْبِيب قال عامة أهل التأويل: هو التَّخْسِير. وقال أبو عَوْسَجَة: **غيرَ تَتْبِيبٍ**: غيرَ فساد، والتَّتْبِيب: الفساد. وكذلك قال في قوله: وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ،[١٢] أي فساد. وقال غيرُه: إلا في خَسَار. وقال غيرُه: غيرَ تَخْسِير. وكذلك قالوا في قوله: تَبَّتْ،[١٣] أي خَسِرَتْ. وقال أبو عُبَيدة: **غيرَ تَتْبِيبٍ**: غيرَ تَدْمِير وإهلاك.[١٤]

---

[١] ك: فهو انه.
[٢] ع م - هم.
[٣] ن ع م: بادوهم.
[٤] م - الله.
[٥] ﴿والذين اتَّخذُوا مِن دونه أولياءَ ما نَعبُدهم إلّا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[٦] م - حال.
[٧] ع: بعجزهم.
[٨] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٩] ع: في غير.
[١٠] جميع النسخ: ما زاد.
[١١] جميع النسخ: ما زاد.
[١٢] سورة المؤمن، ٣٧/٤٠.
[١٣] انظر الحاشية بعد التالية.
[١٤] ك - وكذلك قالوا في قوله تبت أي خسرت وقال أبو عبيدة غير تتبيب غير تدمير وإهلاك؛ ن + وإهلاك. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٣٩/١.

[٣٥٣و] وكذلك قالوا في قوله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.[١] وكذلك / قالوا[٢] في قول[٣] الناس: تَبًّا لَكَ. وقال بعضهم: **غيرَ تَتْبِيبٍ:**[٤] غيرَ شَرّ، وقال: التَّتْبِيب:[٥] الشَّرّ، والتَّبّ: الشَّرّ والخُسران. وهما واحد.

**﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك أَخْذُ ربِّكَ إذا أَخَذَ القُرَى**، أي هكذا يَأخذ كُفّارَ هذه الأمة كما أَخذَ[٦] أولئك، أي كما عذَّبْنا الأُمَمَ الخالية **وهي ظالمةٌ**، مشركةٌ كافرةٌ كذلك نُعذِّبُ هذه الأمة. لكن أَخَّرَ [العذاب] عن هذه الأمة.[٧] وفيه[٨] رحمة[٩] [لهم].

**إنّ أَخْذَه أَليمٌ شديد**، أي **إنّ أَخْذَه** بالعذاب، **أَليمٌ شديد**، الأَخْذُ نفسُه يُوصَف بالشدة، ولكن لا يُوصَف بالألم، والعذابُ يُوصَف بالألم، لكن لمّا وَصف بالألم والشدة دلّ أنّ الأَخْذَ أَخْذٌ بعذابٍ. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾**[١٠٣]

وقوله عز وجل: **إنّ في ذلك لَآيةً لمن خاف عذابَ الآخرة**، هو ما ذكرنا.[١٠] فيه عبرةٌ[١١] لأهل التقوى ولمن خاف عذابَ الآخرة.

وقوله عز وجل: **ذلك يومٌ مَجْمُوعٌ له الناس**، خصّ الناسَ بالذكر وإن كان الجَمْعُ لهم ولغيرهم لأنّ الآيةَ التي ذكر تكون[١٢] لهم آية؛ أو لِما هم المقصودون بالجَمْع بذلك[١٣] اليوم. *والله أعلم*. قيل: يُجْمَعُ فيه الأَوّلُون والآخِرُون.

---

[١] سورة تبت، ١/١١١.
[٢] م + في قوله تبت يدا أبي لهب وتب وكذلك قالوا.
[٣] م: في قوله.
[٤] ع م – غير تتبيب.
[٥] م: والتتبيب.
[٦] ع – أخذ.
[٧] ع م – لكن أخر عن هذه الأمة.
[٨] ع: وفي.
[٩] ن + وفيه رحمة.
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة هود، ١٠٠/١١.
[١١] ن ع م: غيره.
[١٢] ك: يكون.
[١٣] ن ع م: وبذلك.

**وذلك يومٌ مَشْهُود،** قال[١] بعضهم: يَشهده أهلُ السماء وأهلُ الأرض لَلعَرْض والحساب. *والله أعلم.*

**﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **وما نُؤَخِّرُه إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ،** أي ما نُؤَخِّر[٢] العذابَ عن هذه الأمة **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ.** ذَكَر هذا -والله أعلم[٣]- جوابَ ما استعجلوه مِن العذاب[٤] بقولهم: **فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،**[٥] ونحوه. فقال: وما نُؤَخِّر العذابَ[٦] عنهم **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ،** إلّا لِوقتٍ مَوْقُوت.[٧] أي[٨] **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** عند الله. ولو كان ما ذَكَر ابن عباس أنه سبعة آلاف[٩] فيكون مَعْدُودًا عند الناس، ويكون وقت القيامة معلومًا على قوله، وقد أخبر الله:[١٠] لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.[١١] *والله أعلم.*[١٢]

**﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[١٠٥]**

وقوله عز وجل: **يومَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه،** أي **لا تَكَلَّمُ نفسٌ** بالشفاعة لأحد **إلا بإذنه،**

---

[١] م: وقال.

[٢] م: ما نؤخرهم.

[٣] ن – وقوله عز وجل وما نؤخره إلا لأجل معدود أي ما نؤخر العذاب عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم.

[٤] ع – من العذاب.

[٥] ن + وقوله وما نؤخره إلا لأجل معدود أي ما نؤخر العذاب عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم جواب ما استعجلوه من العذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء وائتنا بعذاب أليم. يقول الله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ مِن عندِك فأَمْطِرْ علينا حجارةً مِنَ السماء أَوِ ائْتِنا بعذابٍ أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).

[٦] م – عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم جواب ما استعجلوه من العذاب بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحوه فقال وما نؤخر العذاب.

[٧] ع: موتوف.

[٨] ن – أي.

[٩] لا تصح الروايات التي تَذكر أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأننا في آخر ألف منها، وما في معناها؛ لأنها معارضة للقرآن. انظر: *كشف الخفاء* للعَجْلوني، ٤١٧/٢.

[١٠] ن ع م – الله.

[١١] ع + الآية. ﴿يسألونك عن الساعة أيَّانَ مُرْسَاهَا قل إنما عِلْمُها عند ربي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلا هو ثَقُلَتْ في السماوات والأرض لا تَأْتِيكم إلّا بَغْتَةً يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها قل إنما عِلْمُها عند الله ولكنّ أكثرَ الناس لا يَعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٨٧/٧).

[١٢] ك ن ع – والله أعلم.

كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[1] أو[2] **لا تَكَلَّمُ نفسٌ**، لِأَهْوَال[3] ذلك اليوم ولِفَزَعِه، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[4] وكقوله:[5] لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ.[6] أو **لا تَكَلَّمُ نفسٌ** مِن الأَجِلَّة والعُظَماء لأحدٍ مِن دونهم بالشفاعة **إلا بإذنه**. وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فمِنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ**، [أي] **فمِنهم شَقِيٌّ** بأعماله[7] الخبيثة التي إذا اختارها وعملها أَدْخَلَتْه النارَ، **ومِنهم سَعِيدٌ** بما أُكْرِمَ[8] مِن الطاعة والخيرات التي إذا اختارها وعملها[9] أَدْخَلَتْه الجنةَ. وكلّ عملٍ يَعمل فيُدْخِلُه[10] الجنةَ فهو سَعِيدٌ به،[11] وكلّ عملٍ يَعمل فيُدْخِلُه[12] النارَ فهو شَقِيٌّ به. رُوِيَ في ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. رُوِيَ عن عمر رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: **فمِنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ**، سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا نبيَّ الله، فَعَلَامَ[13] نَعمل:[14] على شيءٍ قد فُرِغَ مِنه أو شيءٍ لم يُفْرَغْ مِنه؟ قال: «بل على شيءٍ قد فُرِغَ منه وجَرَتْ به الأقلامُ يا عمر، ولكن كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له».[15] فإن ثبت هذا[16] فهو يدل لِما ذكرنا. ***والله أعلم***.

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[١٠٦]**

وقوله عز وجل: **فأمّا الذين شَقُوا فَفِي النار**، لِما ذكرنا، **لهم فيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ**، قال بعضهم:

[1] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[2] ع م – أو.
[3] ك: الأهوال.
[4] سورة إبراهيم، ٤٣/١٤.
[5] م: كقوله.
[6] سورة النبأ، ٣٨/٧٨.
[7] ع م: بأعمال.
[8] ع: أكره.
[9] ك – أدخلته النار ومنهم سعيد بما أكرم من الطاعة والخيرات التي إذا اختارها وعملها.
[10] ع: فيه خله.
[11] م – به.
[12] ك ن: يدخله؛ ع م: يدخل.
[13] ع: فغلام؛ م: فعلى من.
[14] ك ن ع: يعمل.
[15] *سنن الترمذي*، التفسير ١٢؛ و*تفسير الطبري*، ١١٧/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٥/٤. وحسّنه الترمذي.
[16] م – هذا.

الزَّفِير هو كزَفِير الحمار في الصَّدْر، وهو أول ما يَنْهَق؛ وأمّا الشَّهِيق فهو[1] كشَهِيق الحمار في الحَلْق،[2] فهو آخِر ما يَفرغ مِن نَهيقِه، فهو شَهِيق. وقال بعضهم: الزَّفِير هو ما لا يُفْهَمُ مِنه شيءٌ، إنما[3] هو كالأَنِين والجَزَع مِن شيءٍ يُصِيبه لا يَتبيَّن[4] مِنه [معنى]، كقوله: سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا؛[5] والشَّهِيق هو ما يَرتفع مِنه الصوتُ، يُسَمَّى شَهِيقا. ويحتمل ما ذكر مِن الزَّفِير والشَّهِيق أنهم يَصِيرون -بعد كثرة دعائهم وندائهم حتى يكون منهم الزَّفِيرُ والشَّهِيقُ- لا يُفْهَمُ [صَوْتُهم] كصوتِ الدَّوَابِّ إذا أصابها أَلَمٌ.

**﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾**[١٠٧]

وقوله عز وجل: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، عن الحسن قال: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، تُبَدَّلُ سماءٌ غيرَ هذه السماء وأرضٌ غيرَ هذه الأرض،[6] فما دامت تلك السماء وتلك الأرض.[7] لأنّ السماءَ[8] هذه أخبر أنها تَنشَقُّ وتُطْوَى وتُبَدَّلُ، كقوله: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ،[9] و يَوْمَ نَطْوِي،[10] و يَوْمَ تُبَدَّلُ،[11] ونحوه. وقال بعضهم: قوله: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، إنما هو[12] صِلَةُ الكلام، كأنه قال: خالدين فيها إلّا ما شاء ربُّك، وقد يُتَكَلَّمُ بمثل هذا على الصِّلَة. وقال بعضهم: يَدوم لهم العذابُ أبدًا **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ** لأهل الدنيا ما كانوا فيها؛ لأنهما إنما يَفْنَيَان[13] بعد فناء أهلِهما[14] وبعد إحياءِ الأهل والبَعْث. فأخبر أنّ العذابَ يَدُوم لهم كما يَدُوم لأهل الدنيا السماءُ والأرضُ.

---

[1] ك: وهو.
[2] ع: في الخلق.
[3] ك + كا.
[4] ع: لا يتين.
[5] ﴿إذا رَأَتْهُم مِن مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظًا وزَفِيرًا﴾ (سورة الفرقان، ١٢/٢٥). أي سَمِعوا لجهنم.
[6] ع م - الأرض.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٧/٤.
[8] ن ع م - السماء.
[9] ﴿ويومَ تَشَقَّقُ السماءُ بالغَمَامِ ونُزِّلَ الملائكةُ تَنْزِيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٥).
[10] ﴿يومَ نَطْوِي السماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْدًا علينا إنّا كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).
[11] ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ وبَرَزُوا للهِ الواحدِ القهّار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).
[12] ع م - هو.
[13] ك: تفنيان.
[14] م: أهلها.

وقال بعضهم: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، أي ما دَامَتْ سماءُ الجنة وأرضُ الجنة وسماءُ النار وأرضُ النار. لكن ذكر هذا لئلا يُتَوَهَّمَ [هلاكُ] أهلِ الجنة والنار قبل هلاك سمائها وأرضها على ما يُتَوَهَّمُ في تَوَهُّم[1] هلاكِ أهلِ الدنيا قبل هلاك سمائها وأرضها. وقال بعضهم: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، أي ما دَامَتِ الأرضُ أرضًا[2] والسماءُ سماءً، يُتَكَلَّمُون على ما بَعُدَ مِن أَوْهَامِهم فَنَاؤها.[3] أو على الصِّلَة يقول الرجل لآخر: لا أكلّمك ما دام الليل والنهار، أي أبدًا. هذا تأويل قوله: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**.

وأمّا قولُه: **إلّا ما شاء ربُّك**، قال بعضهم: إنّ ناسًا مِن أهل التوحيد يُعَذَّبُون في النار على قَدْرِ ذُنُوبهم[4] وخطاياهم ثم يخرجون منها. وقد رُوِيَ في ذلك آثارٌ.[5] رُوِيَ[6] عن أبي سعيد الخُدْرِي / وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستثناء في الآيتين كِلْتَيْهما[7] لأهل الجنة».[8] يعني الذين يخرجون من النار مِن أهل التوحيد. **إلّا ما شاء ربُّك**، يقول: لم يَشْقَوْا شَقَاءً[9] مَن يخلد في النار. وقال[10] في الذين سُعِدُوا: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ،[11] هُم أولئك الذين لم يَنالوا مِن السعادة ما نال أهلُ الجنة الذين لم يدخلوا النار. وفي بعضها عن النبي[12] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمّا مَن يُريد الله إخراجه مِن النار[13] فإنهم يُمَاتُون فيها[14] إِمَاتَةً».[15] [٣٥٣ظ]

---

[1] م – في توهم.
[2] ك ن ع: أرض.
[3] ك ن ع: فناؤهم.
[4] ن: ذنوهم.
[5] ك ن: آثارا؛ ع م – آثار.
[6] ع – روي.
[7] ع م: كلتاهما.
[8] لم أجده. لكن أخرج ابن مَرْدُوَيه عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فأما الذين شَقُوا –إلى قوله– إلّا ما شاء ربُّك﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شاء الله أنْ يُخْرِج أُناسًا مِن الذين شَقُوا مِن النار فيُدْخِلَهم الجنةَ فَعَل». انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٧٦.
[9] م: شقاق.
[10] م: قال.
[11] الآية التالية.
[12] ك ن: عنه.
[13] ك ن ع: منها.
[14] م – فيها.
[15] «إنّ أهلَ النار الذين لا يُريد الله إخراجَهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن، وإنّ أهلَ النار الذين يُريد الله إخراجَهم يُميتُهم فيها إمَاتَةً حتى يَصِيرُوا فَحمًا ثم يُخرَجُون...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١١، ٢٠؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٠٤؛ وسنن *ابن ماجة* الزهد ٣٧).

وقال في خبرٍ آخر: «أمّا مَن يُريد الله له الخلودَ فلا يخرجون منها»،[١] وأمثال هذا من الأخبار. فإن ثبت هذا فهو المعتمد. وقال بعضهم: قوله: **إلّا ما شاء ربُّك**، أي قد شاء لأهل النار الأبدَ والخلودَ وشاء لأهل الجنة عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ،[٢] أي غير منقطع. ويؤيّد هذا التأويلَ ما ذُكِر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، في الآيتين، وفي الآية[٣] الأولى: **إلّا ما شاء ربُّك**، وفي الأخرى: ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ عطاءً غيرَ مجذُوذٍ؛ وكذلك ذُكِر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ أنهما لم يَذكرا[٤] الثُّنْيَا في أهل الجنة.

وأصل هذا ما ذَكر أبو عُبَيْد [حيث] قال: الاستثناء الذي هو في أهل السعادة فهو المُشْكِل؛ لأنه يُقال: كيف يَستثني وقد وَعدهم خلودَ الأبد في الجنة؟ وقال في ذلك أقوالا لا أدري إلى مَن يُسْنِدُها[٥] إلّا أنّ لها مَخَارِجَ[٦] في كلام العرب وشَوَاهِدَ[٧] في الآثار. وإنما يَتكلَّم الناسُ في هذا على معاني[٨] العربية. والله أعلم بما أراد. قال: فأحد هذه[٩] الوجوه في الاستثناء فيما يُقال كالرجل يُوجِب على نفسه الشيءَ لَيَفْعَلَنَّه[١٠] ثم يقول: إن شاء الله، وعَزْمُه [في] ضَمِيرِه -مع استثنائه- أنه فاعِلُه لا يُريد غيرَه. ومما[١١] يُقَوّي هذا[١٢] المذهبَ[١٣] قولُ الله تعالى: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ،[١٤] فاستثنى وقد عَلِم أنهم داخِلُوه الْبَتَّة. ومِنه ما رُوِيَ في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلّا لِمُنْشِد»،[١٥] وقال بعضهم: استثنى المُنْشِد وهي لا تَحِلّ له كما لا تَحِلّ لغيره.

---

[١] انظر: المصادر السابقة. وهو نفس الحديث وليس حديثا آخر.
[٢] الآية التالية.
[٣] ن ع م - الآية.
[٤] ك ع م: لم يذكر.
[٥] جميع النسخ: من يسند.
[٦] جميع النسخ: مخارجا.
[٧] ن ع: وشواهدا.
[٨] م: على مغان.
[٩] م: هذا.
[١٠] ع م - ليفعلنه.
[١١] ع م: وهما.
[١٢] م: هذه.
[١٣] ع: المذاهب.
[١٤] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمِنين مُحَلِّقِين رءوسَكم ومُقَصِّرين لا تخافون فعَلِمَ ما لم تَعلموا فجَعَلَ مِن دون ذلك فَتْحًا قريبًا﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٧).
[١٥] *صحيح البخاري*، اللقطة ٧؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٤٥.

والوجه الثاني بأن يكون[1] "إلّا" في معنى "سِوَى". فإنّ العرب تَفعل ذلك. تقول: عليك ألف درهم مِن قِبَلِ كذا وكذا إلّا الألف التي قَبْلَ ذلك، أي سِوَى الألف التي قَبْلَ ذلك وغير الألف التي قَبْلَ ذلك.[2] فيكون المعنى على هذا أنه وَعَدَهم خلودَ الأبد سِوَى ما أَعَدَّ لهم مِن الزيادة في الكَرَامَة والمَنْزِلة التي لم[3] يَذكرها لهم. ومما يُقَوِّي هذا التأويلَ ما رُوِيَ عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ[4] على قلبِ بَشَرٍ بَلْهَ[5] ما أُطْلِعْتُم[6] عليه»، ثم قرأ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ،[7] الآية.[8] أفلا ترى أنّ هاهنا مِن الزيادة ما لم يُطْلِعْهم عليه.

والوجه الثالث أن يكون[9] الاستثناء مِن خلودهم في الجنة احتباسَهم عنها ما بَيْن البعث والحساب. وقد قيل [غير] ما ذكرنا أنه ما بَيْن الموت والبعث؛ وهو البَرْزَخ الذي ذُكِر إلى أن يَصِيروا إلى الجنة، ثم هو خلودُ الأبد. يقول: فلم يَغِيبوا[10] عن الجنة إلّا بِقَدْرِ إقامتِهم في الحساب. ومما يُقَوِّي هذا المذهبَ ما قيل في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[11] قيل: ما بَيْن الموت والبعث. والله أعلم بذلك.

**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**[١٠٨]

وقوله عز وجل: **وأمّا الذين سُعِدُوا**، فقد اختلف القُرّاء في قراءتها. قرأها الكسائي وحمزة بضم السين: **سُعِدوا**، وأمّا أبو عمرو[12] وأهل المدينة وغيرهم مِن القُرّاء قَرَءُوا بفتح السين: سَعِدوا،

[1] ن: تكون.
[2] ك ن + وإلا الألف التي قبل ذلك.
[3] ك – لم.
[4] ع: وعى خطر.
[5] ع م + الذي. بَلْهَ: اسم فِعل أَمر بمعنى اترُك.
[6] ك ع م: ما أطنعتهم.
[7] سورة السجدة، ١٧/٣٢.
[8] صحيح *البخاري*، التفسير ١/٣٢؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٤.
[9] ع م: أن تكون.
[10] ع: فلم يعينوا.
[11] سورة المؤمنون، ١٠٠/٢٣.
[12] م: أبو عمر.

على قياس شَقُوا.[١] قال أبو عَوْسَجَة: لا أعرف سُعِدوا بضم السين، وإنما هو سَعِدوا بفتح السين. وقال أبو عَوْسَجَة: **غيرَ مجذُوذٍ**، أي غيرَ مَقْطوع، كقوله: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا،[٢] أي أقْطَاعًا.[٣] وقد ذكرنا قولهم في الزَّفِير والشَّهِيق على قَدْرِ حِفظِنا له.[٤]

**﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾**[١٠٩]

وقوله عز وجل: **فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مما يَعبد هؤلاء ما يَعبدون إلا كما يَعبد آباؤهم مِن قبل**، تأويله -والله أعلم- لا تَكُنْ يا محمد في شكٍّ بأنّ هؤلاء قد بَلَغُوا في عبادتهم الأصنامَ والأَوْثَانَ الحدَّ الذي بَلَغَ آباؤُهم في عبادتهم الأصنامَ والأَوْثَانَ[٥] فأُهْلِكُوا إذا بَلَغُوا ذلك الحدَّ. فهؤلاء أيضًا قد بَلَغُوا ذلك[٦] المَبْلَغَ، أي مَبْلَغَ الهلاك، لكن الله برحمته وفضله أَخّرَ [ذلك] عنهم إلى وقتٍ. أو يُقال: إنّ هؤلاء قد بَلَغُوا في العبادة لِغيرِ الله بَعد نزولِ القرآنِ والحجّةِ المَبْلَغَ الذي كان بَلَغَ آباؤُهم قَبلَ نزولِ الحجّةِ والبرهان في عبادتهم غيرَ الله. أو كان في قومٍ قد أَظهروا الموافقةَ لهم وكانوا يَعبدون الأصنام في السِّرّ على ما كان يَعبد آباؤُهم، فقال: هؤلاء وإنْ أَظهروا الموافقةَ لك فقد بَلَغُوا بِصَنِيعهم في السِّرّ مَبْلَغَ آبائِهم. ***والله أعلم***. [ثم] هذا يحتمل وجهين. أحدهما [أنه] إخبارٌ عن قومٍ خاصّ أنه لا يؤمن أحدٌ مِنهم، لِيَجعل شُغْلَه[٧] بِغيرِهم. والثاني [أنه] إخبارٌ أنْ لا يؤمنُ جميعُ قومِك كما لم يؤمن قومُ موسى بأَجْمَعِهم، بل قد آمَن مِنهم فريقٌ و لم يؤمن فريقٌ. فعلى ذلك يكون قومك.

وقوله[٨] عز وجل: **وإنا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم غيرَ مَنْقُوصٍ**، قال بعضهم: قوله:[٩] **وإنا لَمُوَفُّوهم نَصِيبَهم**، في الدنيا مِن الأَرْزَاق وما قُدِّرَ لهم / مِن النِّعَم، **غيرَ مَنْقُوصٍ**، لا يُنْقَص[١٠] ما قُدِّر لهم، [٣٥٤و]

---

[١] "شَقُوا" في الآية ١٠٦. وقد قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخَلَف بضم السين: سُعِدُوا، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب بفتح السين: سَعِدُوا. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

[٢] سورة الأنبياء، ٢١/٥٨. أي جَعَلَ إبراهيم عليه السلام الأصنام قِطَعًا.

[٣] م: أي قطاعا. وأَقْطَاع جمع قِطْع وهو الغُصْن يُقْطَع من الشجرة (*لسان العرب* لابن منظور، «قطع»)، ففي الكلام تشبيه.

[٤] انظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/١٠٦.

[٥] ك ن - والأوثان.

[٦] ع - أيضا قد بلغوا ذلك.

[٧] م: شغلهم.

[٨] ك - وقوله.

[٩] ن - قوله.

[١٠] م: ولا ينقص.

أي لا يَهْلِكُون حتى يُوَفَّى لهم الرزقُ.[1] وقال قائلون: **وإنّا لَمُوَفُّوهُم** بأعمالهم **غيرَ مَنْقُوصٍ**، أي لا يُنْقَصُون مِن أعمالهم شيئًا ولا يُزَادُون[2] عليهم، إنْ كان حسنًا[3] فحسن وإن كان شرًّا فشر، وهو[4] على الجزاء. وقال بعضهم: قوله:[5] **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم**، يقول: إنّا نُوَفِّرُ لهم[6] حَظَّهم مِن العذاب في الآخرة **غيرَ مَنْقُوصٍ**، عنهم ذلك العذابُ. وقوله: **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم غيرَ مَنْقُوصٍ**، إن كان التأويل في قوله: **فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مما يَعبُد هؤلاء ما يَعبُدون إلّا كما يَعبُد آباؤُهم مِن قَبْلُ**، على الإياس مِن قومٍ عَلِمَ اللهُ منهم[7] أنهم لا يؤمنون فيكون تأويلُه ما ذُكِر في آية أخرى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ،[8] الآية؛ وإن كان الثاني فهو ما ذُكِر في آية أخرى:[9] وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ،[10] الآية.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾**[١١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الكتاب**، أي التوراة، **فاختُلِفَ فيه**، أي اختُلِفَ في الكتاب. والاختلاف فيه يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها في الإيمان به والكفر. مِنهم مَن آمَن به ومِنهم مَن كَفَر. والثاني اختَلَفُوا فيه في الزيادة والنقصان والتبديل والتحويل والتحريف، كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ،[11] الآية، وكقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[12] الآية،[13] وقوله: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[14] وأمثالِه من الآيات.

---

[1] ع م – الرزق.
[2] ع: ولا يزدادون.
[3] ع + فهو.
[4] ع م: هو.
[5] ك ن – قوله.
[6] ن: نوفرهم.
[7] ن ع م – منهم.
[8] ﴿مَن كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يَعملون﴾ (سورة هود، ١١/١٥-١٦).
[9] ك ن ع + قوله.
[10] سورة هود، ١١/١١١.
[11] ﴿وإنّ مِنهم لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهم بالكتاب لِتَحْسَبُوه مِن الكتاب وما هو مِن الكتاب ويقولون هو مِن عند الله وما هو مِن عند الله ويقولون على الله الكَذِبَ وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٧٨).
[12] ﴿فوَيْلٌ لِلَّذِين يَكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا مِن عند الله لِيَشتروا به ثمنا قليلا فوَيْلٌ لهم مما كَتَبَتْ أيديهم ووَيْلٌ لهم مما يَكْسِبُون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٩).
[13] ع م – الآية.
[14] سورة النساء، ٤/٤٦؛ وسورة المائدة، ٥/١٣.

والوجه الثالث مِن الاختلاف اخْتَلَفُوا[١] في تأويله وفي معناه بعد ما آمنوا به وقَبِلوه. فالاختلاف في التأويل مما احْتَمَلَ كتابُنا. وأمّا التبديل والتحويل[٢] والتحريف والزيادة والنقصان فإنه لا يحتمل لِما ضَمِنَ اللهُ حِفظَ هذا الكتاب بقوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[٣] وقال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ،[٤] الآية،[٥] وجَعَلَه مُيَسَّرًا[٦] على أَلْسُنِ الناس وقلوبهم حتى مَن زاد أو نَقَصَ أو بَدَّلَ أو حَرَّفَ شيئًا أو قَدَّمَ أو أَخَّرَ عُرِفَ ذلك. فهو –والله أعلم– لِما[٧] لا يَحْتَمِلُ أحكامُ[٨] هذا نَسْخَها ولا شَرَائِعُه[٩] تبديلَها. وأمّا الكُتُب السالِفة فإنما[١٠] جُعِلَ حِفظُها إليهم بقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.[١١] فهو –والله أعلم– لِما احْتَمَلَ شَرَائِعُها وأحكامُها نَسْخَها[١٢] وتبديلَها. لذلك كان الأمر ما ذكرنا.

وقوله:[١٣] **ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِفَ فيه**، ذَكَرَ هذا لِرسول الله يُصَبِّرُه على ما اخْتَلَفَ[١٤] قومُه في الكتاب الذي[١٥] أنزل[١٦] عليه. يقول: وقد اخْتُلِفَ فيما أنزل على مَن كان قبلك كما اخْتُلِفَ فيما أنزل[١٧] عليك.

وقوله عز وجل: **وَلَوْلَا كلمةٌ سَبَقَتْ مِن ربِّك لَقُضِيَ بينَهم**، بالهلاك إهلاكَ استئصالٍ واستيعابٍ. وكلمته التي سَبَقَتْ تحتمل[١٨] ما كان مِن حُكْمِه أنْ يَخْتِمَ الرسالةَ بمحمد وأنْ يَجعلَه[١٩] خاتمَ النبيين،

---

[١] ع – اختلفوا.
[٢] ن ع م – والتحويل.
[٣] سورة الحجر، ١٥/٩.
[٤] ﴿لا يَأْتِيهِ الباطلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حكيمٍ حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).
[٥] ك – الآية.
[٦] ع م: مبشرًا.
[٧] م – لما.
[٨] م – أحكام.
[٩] ع: ولا شرائعها.
[١٠] ع + ما.
[١١] ﴿إنّا أنزلنا التوراةَ فيها هُدًى ونورٌ يَحْكُمُ بها النبيون الذين أسلموا لِلذين هادوا والربانيون والأحبارُ بما اسْتُحْفِظُوا مِن كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (سورة المائدة، ٥/٤٤).
[١٢] ع م: بنسخها.
[١٣] ع م: قوله.
[١٤] ك + فيه.
[١٥] ع + الذي.
[١٦] ك: نزل.
[١٧] ع م + على من كان قبلك كما اختلف فيما أنزل.
[١٨] ع م: يحتمل.
[١٩] جميع النسخ + من.

وأُمّته آخِرَ[1] الأُمَم عليهم[2] تقوم الساعة. يحتمل أن يكونَ كلمتُه التي ذَكَرَ هذا الذي ذكرنا. وتحتمل[3] وجها آخر، وهو أنْ كان مِن حُكْمِه أنهم إذا اختلفوا في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يَهتدون إلى شيء ولا يجدون سبيلا إلى الدين أنْ يَبعثَ رسولاً يُبين لهم الدين ويَدعوهم إلى الهدى. لَوْلَا هذا الحكمُ الذي[4] سَبَقَ وإلّا **لَقُضِيَ بينَهم** بالهلاك. والثالث لَوْلَا[5] ما سَبَقَ مِنه أنْ يُؤَخِرَ العذابَ عن هذه الأمة إلى وقتٍ وإلّا **لَقُضِيَ بينَهم** بالهلاك.

وقوله عز وجل: **وَلَوْلَا كلمةٌ سَبَقَتْ مِن ربِّك لَقُضِيَ بينَهم**، يحتمل[6] الكلمة التي ذَكَرَ أنها سَبَقَتْ [كانت] في قومِ موسى؛ وهو أنّه لا يُهلِكُهم بعد الغَرَقِ[7] إهلاكَ استئصالٍ. والتوراةُ إنما أُنزلتْ مِن بَعدُ، فقد[8] آمَن مِن قومه قوم؛[9] وهو ما قال: وَمِنْ[10] قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِ،[11] الآية.

وقوله عز وجل: **وإنهم لَفِي شَكٍّ مِنه مُرِيب**، يحتمل قوله: **لَفِي شَكٍّ مِنه**، في الدين، **مُرِيب**.[12] وقال بعضهم: **لَفِي شَكٍّ مِنه**، يعني مِن العذاب، **مُرِيب**. وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم.[13]

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **وإنّ كُلًّا لمَا لَيُوَفِّيَنَّهم**، قيل: "لَمَا"[14] هاهنا صِلَة. يقول: -والله أعلم[15]- وإنّ كُلًّا لَيُوَفِّيَنَّهم ربُّك جزاءَ أعمالِهم في الآخرة، إن كان شرًّا فشرّ وإن كان حسنًا فحسن.

---

[1] ك: خير.
[2] جميع النسخ: بهم.
[3] ن ع م: ويحتمل.
[4] م – الذي.
[5] ك – لولا.
[6] ن + الكتاب.
[7] لعله يقصد أنه لا يهلكهم إهلاك استئصال بَعْدَ إغراقِ فرعون وجنوده.
[8] ع م + من.
[9] أي لم يؤمنوا كُلُّهم، بل آمن بعضهم وكَفَرَ بعضهم.
[10] ع م – قومه قوم وهو ما قال ومن.
[11] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[12] ك – الآية وقوله عز وجل وإنهم لفي شك منه مريب يحتمل قوله لفي شك منه في الدين مريب.
[13] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ١١٠/٩.
[14] قرأ بتخفيف الميم "لَمَا" نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب وخَلَف. وقرأ بالتشديد "لَمَّا" ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩١/٢.
[15] ع م – أعلم.

ومَن قرأ "لمّا" بالتشديد فتأويله يحتمل[1] وجهين. أحدهما "إلّا". والثاني "لَمَنْ ما"،[2] أي لما اجتمع فيه[3] مِيمَاتٌ [ثلاثٌ][4] طُرِحَتْ واحدة [فبَقِيَتْ ثِنْتَان] وأُدْغِمَتْ إحداهما[5] في الأخرى. وقوله عز وجل: **إنه بما يعملون خبير**، هو وعيد.

**﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[١١٢]

وقوله عز وجل: **فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ومَن تاب مَعَكَ ولا تَطْغَوْا**، وقال في موضع آخر: فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ.[6] قال[7] بعضهم: قوله:[8] **فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ ومَن تاب مَعَكَ**، الاستقامة هو التوحيد، أي استَقِمْ عليه حتى تأتي[9] به ربّك،[10] كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[11] [أي استقاموا] على ذلك حتى أَتَوُا[12] اللهَ به. وقال[13] بعضهم: قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، [أي] بما تَضَمَّنَ قولُه: رَبُّنَا اللَّهُ؛ لأن قولَه: رَبُّنَا اللَّهُ، إقرارٌ مِنه له بالربوبية. فيَجعل في نفسه وجميع أموره الربوبيةَ لله والألوهيةَ له ويَجعل في نفسه العبوديةَ له. هذه هي الاستقامة التي ذَكَرَ[14] -والله أعلم- أنْ يَجعلَ في نفسه وجميع أموره الربوبيةَ لله والألوهيةَ له ويأتِيَ ما يَجِبُ أن يُؤتَى[15] ويَنتهِيَ [عن] ما يَجِبُ أنْ يُنتَهَى[16] [عنه] ويَتَّبِعَ جميعَ أوامِره ونَواهِيه. *والله أعلم*.

---

[1] م: ومن قرأ بالتشديد ويحتمل.
[2] جميع النسخ: والثاني لما. والتصحيح مع الزيادتين من *الشرح*، ورقة ٣٩١ظ. وانظر للتفصيل: *تفسير القرطبي*، ١٠٥/٩.
[3] ع م: فيها.
[4] لأنه يحصل بإدغام النون في الميم ميم ثالثة.
[5] ن: أحدهما.
[6] ﴿فلِذلك فادْعُ واستَقِمْ كما أُمِرْتَ ولا تَتَّبِعْ أهواءهم﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).
[7] ع: وقال.
[8] ع - قوله.
[9] ع: يأتي.
[10] ع: حتى يأتي ربه.
[11] سورة فصلت، ٣٠/٤١.
[12] جميع النسخ + على.
[13] ع: وقالوا.
[14] م: ذكروا.
[15] ن ع م: ما يؤتى.
[16] ع - ما يجب أن ينتهى.

وقوله عز وجل: **فاستَقِمْ**، لِرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة إليهم.[1] وقوله: **فاستَقِمْ كما أُمِرتَ**، يخرج على وجهين. أحدهما استَقِمْ على ما أُمِرتَ ومَن آمَنَ مَعَكَ أيضًا يَستقيم
[٢٥٤ظ] على ما أُمِر.[2] والثاني يقول: امْضِ إلى ما أُمِرتَ. حرف "كما" يخرج / على هذين الوجهين اللذَين[3] ذكرناهما: "على ما أُمِرتَ" و"إلى ما أُمِرتَ".

وقوله: **ومَن تاب مَعَكَ**، مِن الشرك، ادْعُهم إلى أن[4] يستقيموا على ما أَقَرُّوا وأَدَّوْا بلسانهم. **ولا تَطْغَوْا**، قال[5] بعضهم: الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي جُعِلَ له. وقوله: **إنه بما تعملون بصير**، هذا وعيد.

**﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾**[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، قال الحسن: هو صِلَةُ قولِه: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا،[6] **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النارُ**، قال الحسن: بيْنَهما دينُ الله، بيْنَ الرُّكُون إلى الظَّلَمَة والطغيان في النعمة.[7] الآيةُ وإنْ كانت في أهل الشرك فهي فيهم وفي غيرهم مِن الظَّلَمَة. إنّ كُلَّ مَن رَكَنَ إلى الظَّلَمَة يُطيعُهم أو يَوَدُّهم فهو يُخَافُ أنْ يكونَ في وعيدِ هذه الآية. **وما لكم مِن دونِ الله مِن أولياءَ**، في دفع العذاب عنهم أو جَرِّ النفع إليهم.[8] **ثم لا تُنصَرُون**، لا ناصِرَ لهم دونَه ولا مانع. ***والله أعلم.***

وتأويل قوله: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، في ظُلْمِهم، **فتَمَسَّكُمُ النارُ**، الآيةُ وإنْ خَرجتْ مَخرجَ[9] العموم فهي خاصة؛ لأنه لا كُلُّ [مَن] يَرْكَنُ إلى ظُلْمٍ[10] تَمَسُّه النارُ. وكأنه[11] إنما خاطَبَ به الأَتْباعَ.

---

[1] ن – إليهم.
[2] م: ما أمروا.
[3] م – اللذين.
[4] جميع النسخ: ادعوهم على أن.
[5] م: وقال.
[6] الآية السابقة.
[7] أخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: خصلتان إذا صَلُحتا للعبد صَلُحَ ما سِواهما مِن أمْرِه: الطُّغيان في النعمة، والرُّكُون إلى الظلم، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النارُ﴾. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨٠.
[8] جميع النسخ: او احدا نفع لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩١ظ.
[9] ن: يخرج.
[10] جميع النسخ: لا كل ظلم يركن إليه.
[11] ع م: وكان.

يقول: لا تَرْكَنُوا إلى الكُبَرَاء مِنهم والقادةِ في ظُلْمِهم وفيما يَدْعُونكم إليه **فتَمَسَّكُمُ النارُ**، الآية. وقال بعض أهل التأويل: نَزَلَ قولُه: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، في رسول الله حين دعاه أهلُ الشرك إلى مِلَّة آبائه.[١] يقول: ولا تَمِيلُوا إلى أهل الشرك ولا تَلْحَقُوا بهم.

**﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **وأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النهار وزُلَفًا مِن الليل**،[٢] ظاهِرُ هذا أنْ يكونَ فيها ذِكْرُ صَلَوَاتٍ ثلاث: صلاة الفجر في الطرف الأول، وصلاة العصر في الطرف الآخر،[٣] **وزُلَفًا مِن الليل**، صلاة المغرب. لأنه ذَكَرَ زُلَفًا مِن الليل. والزُّلَف يعني[٤] القُرَب.[٥] لأنَّ الزُّلْفَى هي القُرْبَة والوسيلة إليه.[٦] فيكون[٧] قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**، أي قريبا مِن طَرَفِ[٨] النهار مِن الليل، وهو المغرب. ويكون ذَكَرَ سائرَ الصلوات في قوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ،[٩] ذَكَرَ دُلُوكَ الشمس، وهو زوال الشمس، وغَسَقُ الليل: العشاء. أو في قوله: فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ،[١٠] حِينَ تُمْسُونَ: صلاة العصر، وَحِينَ تُصْبِحُونَ: صلوة الفجر، وَعَشِيًّا: صلاة العشاء، وَحِينَ تُظْهِرُونَ: صلاة الظهر. وليس لصلاة المغرب ذِكْرٌ في الآية، لكنها ذُكِرَتْ في قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**. وقال بعضهم: **وزُلَفًا مِن الليل**، هو[١١] ساعات الليل إلّا أنَّ بعضَ أهل التأويل صَرَفُوها إلى الصلوات[١٢] الخمس، وقالوا: قولُه: **طَرَفَيِ النهار**: صلاة الصبح والظهر[١٣] والعصر،

---

[١] ع: آياته.
[٢] ك + صلوة المغرب.
[٣] ن ع م: الأخير.
[٤] ك ن: هي؛ م – يعني.
[٥] ك ن + منه.
[٦] ع م – إليه. ولعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقَرِّبُكم عندنا زُلْفَى إلّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحًا﴾ (سورة سبأ، ٣٧/٣٤). وانظر: سورة ص، ٢٥/٣٨، ٤٠؛ وسورة الزمر، ٣/٣٩.
[٧] ع م: ليكون.
[٨] ك ن ع: من طرفي.
[٩] سورة الإسراء، ٧٨/١٧.
[١٠] سورة الروم، ١٧/٣٠-١٨.
[١١] م – هو.
[١٢] ع: إلى الصلوة.
[١٣] م: الظهر.

**وزُلَفًا مِن الليل**: صلاة المغرب والعشاء. وقال الحسن: هما زُلْفَتان مِن الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء.[1]

[٣٥٥و س٦ *قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**، ساعات مِن الليل. وقال: الزُّلْفَة: المَرْحَلَة، والزُّلْفَة: القُرْبَة، كقوله: وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى،[2] أي القُرْبَة. وقال أبو عُبَيْدة: الزُّلَف [جمع] زُلْفَة، ٣٥٥و س٧] وهي الساعة.[3] وهي المَنْزِلة على ما قلنا.[4]*

وعلى ذلك[5] جاءت الآثار في قوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، الحسنات هنّ[6] الصلوات الخمس.[7] ورُوي أنّ رجلا أصاب مِن امرأة كُلّ شيء إلا الجماع فنَدِم على ذلك. فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسأله.[8] فقال رسول الله: «ما أدري ما أَرُدُّ عليك حتى يأتِيَني[9] فيك شيءٌ مِن الله». قال: فبينما هم كذلك إذ حضرت الصلاة. فلمّا فَرَغَ مِن صلاته نزل عليه جبريل بتوبته.[10] فقال: **وأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النهار**، غُدْوَةً وعَشِيَّةً: صلاة الغَدَاة والظهر والعصر، **وزُلَفًا مِن الليل**، صلاة المغرب والعشاء، **إنّ الحسناتِ**، يعني الصلوات الخمس، **يُذْهِبْنَ السيئات**، **ذلك**، يعني الصلوات[11] الخمس، **ذِكْرَى لِلذَّاكِرِين**، قال: توبة للتائبين.[12] فقرأ[ها] رسول الله. فقال عمر: يا رسول الله، أخاصٌّ له أم عامٌّ؟ قال: «لا بل عامٌّ للناس كلهم».[13] فإن ثبت[14] هذا فهو الأصل في ذلك.

---

[1] م: المغرب والعشاء. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/١٣٠؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٤/٤٨١.
[2] سورة ص، ٣٨/٢٥، ٤٠.
[3] يقول أبو عبيدة: «﴿وزُلَفًا مِن الليل﴾ أي ساعات، وواحدتها زلفة، أي ساعة ومنزلة وقربة، ومنها سميت المزدلفة» (*مجاز القرآن*، ١/٣٠٠).
[4] م – على ما قلنا.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٥و/سطر ٦-٧.
[5] م: على ذلك.
[6] ع: بين.
[7] ن – الخمس. انظر للآثار: *تفسير الطبري*، ١٢/١٣٢.
[8] م – فسأله.
[9] ك ن ع: حتى يأتني؛ م: حتى يأتي.
[10] م – بتوبته.
[11] م: صلوات.
[12] ع م: للتائب.
[13] روي نحو ذلك من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة. لكن لا يوجد فيها قوله: «ما أدري ما أَرُدُّ عليك حتى يأتِيَني فيك شيءٌ مِن الله». ولا يوجد تفسير الآية إلا في روايةٍ لابن مردويه إلى قوله: والعشاء. انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١١/٦؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ٤٢؛ و*تفسير الطبري*، ١٢/١٣٤-١٣٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨١-٤٨٤.
[14] ع: فاثبت.

وعن عثمان في بعض الأخبار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الصلوات الخمس[١] الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات». فقالوا: فما الباقيات الصالحات[٢] يا عثمان؟ فقال: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[٣] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات كفّارات[٤] الخطايا، واقرءوا[٥] إن شئتم: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**».[٦] وعن ابن عباس: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، قال: الصلوات[٧] الخمس.[٨] وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الصلوات الخمس كمَثَلِ[٩] نهرٍ جارٍ على بابِ أحدِكم يَغتسل مِنه كُلَّ يومٍ خمس مرات».[١٠] والأخبار في هذا كثيرة. وقال بعضهم: فيه ذِكْرُ أربعِ صلوات، يقول: **طَرَفَيِ النهار**: الفجر والعصر، **وزُلَفًا مِن الليل**، المغرب والعشاء. وقد جاءت الآثار في أنّ الحسنات هنّ خمس صلوات.

وقوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، قال بعضهم: فِعْلُ الصلوات نفسِها. وهو ما ذكرنا من الأخبار إن ثبتت.[١١] وقال بعضهم: نفسُ الصلاة لا تُكفِّر ولكن تُذَكِّرُ[١٢] ما ارتكب مِن الذنوب فيَتندَّم عليها فذلك يُكَفِّر. وهو كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[١٣] الآية، أخبر أن الصلاة تَنهى عن الفحشاء،[١٤] ولا تَنهى إلّا بَعدَ أنْ تُذَكِّرَ ذلك.

---

[١] ن + الصلوات الخمس.

[٢] لعلهم قصدوا قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (سورة الكهف، ٤٦/١٨).

[٣] ك – العلي العظيم. روي بمعناه بسند صحيح. انظر: *مسند أحمد*، ٧١/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٥/٤.

[٤] ع: الصلوة كفارة؛ م: كفارة.

[٥] ن ع: واقرءو.

[٦] روي عن أبي مالك الأشعري بلفظ قريب. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٣/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٤/٤–٤٨٥. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير. وفيه محمد بن إسماعيل بن عَيَّاش، قال أبو حاتم: لم يَسمع مِن أبيه شيئا. قلت: وهذا مِن روايته عن أبيه. وبَقِيّة رجاله مُوَثَّقُون» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٩٩/١).

[٧] ك: الصلوة.

[٨] *تفسير الطبري*، ١٣٢/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨١/٤.

[٩] م: كثل.

[١٠] *مصنف ابن أبي شيبة*، ١٦٠/٢. وله شاهِد مِن حديث أبي هريرة. انظر: *صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٤١؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٢٨٤.

[١١] جميع النسخ: إن ثبت؛ ن ع م + وقوله يذهبن السيئات.

[١٢] ن ع م: يذكر.

[١٣] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.

[١٤] ك ع م – عن الفحشاء.

وقال بعضهم: قوله: إنَّ الصَّلَاةَ[1] تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ، أي تمنع عن الفحشاء، أي ما دام فيها. ويحتمل قوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، الصلوات[2] وغيرها مِن الحسنات. فيه إخبار أنّ مِن الحسنات[3] [ما] تُكَفِّر شيئا مِن السيئات. ***والله أعلم***.

[٣٥٥و] وقوله: **ذلك** / **ذِكْرَى لِلذَّاكِرِين**، **ذلك**، الذي سَبَقَ ذِكْرُه[4] **ذِكْرَى**، عِظَةٌ لِلمُتَّعِظِين.

**﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١١٥]

وقوله[5] عز وجل: **واصْبِرْ فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**، ظاهرُ ما ذَكَرَ مِن الكلام أنْ يقول: فإنّ الله لا يُضِيع أجرَ الصابرين، لأنه ذَكَرَ الصبر بقوله: **واصْبِرْ**. لكن يحتمل قوله: **واصْبِرْ**، عن الشُّرور كُلِّها وأَحْسِنْ[6] **فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**، بل يَجْزِيهم جزاءَ إحسانِهم. أو يقول: اصْبِرْ على أداء ما كُلِّفْتَ مِن الطاعات أو تبليغِ ما كُلِّفْتَ[7] التبليغَ إليهم. ويحتمل وجها آخر: اصْبِرْ على أذاهم ولا تُكَافِهِم، فإذا لم تُكَافِهِم[8] فقد أحسنتَ إليهم، **فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**. أو يَصِلُه[9] بقوله:[10] إِنَّ الْحَسَنَاتِ.[11] ***والله أعلم***.*

**﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾**[١١٦]

وقوله عز وجل: **فلَوْلَا كان مِن القُرُون مِن قبلِكم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنهَوْن عن الفساد في الأرض إلّا قليلًا**، ظاهرُ[12] هذا يخرج على المُعاتَبة أو التنبيه[13] والتذكير؛ لأنه يقول: **فلَوْلَا كان مِن القُرُون**،

[1] ع م – بعضهم قوله إن الصلوة.
[2] ع: الصلواة.
[3] ع – فيه إخبار أن من الحسنات.
[4] م: ذكرها.
[5] ن: قوله.
[6] ع م: من الشرور كلها فأحسن.
[7] ن + من الطاعات أو تبليغ ما كلفت.
[8] ع م – فإذا لم تكافهم.
[9] ك ن ع – يصله.
[10] ك + بقوله.
[11] الآية السابقة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٥و/سطر ٦-٧.
[12] ع: ظاهرًا.
[13] ن: والتبيه.

أي لِمَ لا كانوا[١] كذا؟ فليس ثَمَّ مِن أولئك مَن يُعاتَب أو يُنَبَّه. لكنها تخرج[٢] على وجهين. أحدهما **فَلَوْلَا كان مِن القُرُون مِن قبلِكم أُولُو بَقِيَّةٍ**، أي فهَلَّا كانوا ذَوِي بَقِيَّةٍ **يَنْهَوْنَ عن الفساد في الأرض**، ومعناه[٣] -والله أعلم- هَلَّا كَثُرَ أهلُ الإسلام فيهم حتى[٤] قَدَرُوا على النهي عن الفساد في الأرض؛ لأنهم إذا كانوا قليلا لم يَقدِروا على النهي عن الفساد في الأرض،[٥] نحو لوطٍ وأهلِه كانوا عددًا قليلا، كيف كان يَقدِر على النهي عن الفساد أو المَنْعِ عن ذلك؟ وكنوحٍ أيضًا كان معه نَفَرٌ[٦] يَقِلُّ عددُهم فلم يَقدِر[٧] على مَنْعِ قومِه عن الفساد ونحوه. فإذا كان ما ذكرنا[٨] فكأنه -والله أعلم- يقول: هَلَّا كَثُرَ أهلُ الإسلام و **أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْن عن الفساد في الأرض**. والثاني **فلولا كان مِن القرون مِن قبلِكم**، أي قد كان مِنهم **أُولُو بَقِيَّةٍ**، لكنهم لم يَنْهَوْا **عن الفساد في الأرض**، فأُهْلِكُوا جميعًا،[٩] **إلّا قليلاً ممّن أنجينا مِنهم**، وذلك القليل قد نَهَوْا عن الفساد في الأرض فنَجَوْا [مِن] بَيْنِ أولئك. حاصلُ هذا يخرج على هذين الوجهَين[١٠] اللذَين ذكرناهما. أحدهما لم يكن مِنهم **أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عن الفساد في الأرض**، على ما قاله بعض أهل التأويل. والثاني كان فيهم **أُولُو بَقِيَّةٍ**، لكنهم لم يَنْهَوْهم **عن الفساد في الأرض**[١١] **إلّا قليلاً**، مِنهم فإنهم قد نَهَوْهم عن ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **واتَّبَعَ الذين ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فيه**، هو يخرج على وجهين.[١٢] يحتمل **واتَّبَع**، الأَتْبَاعُ والسَّفَلَةُ **الذين ظَلَمُوا** مَنْ **أُتْرِفُوا فيه**، مِن الأموال، أي وُسِّعَ عليهم وأُعْطُوا[١٣] الأموالَ، وهُم الأَجِلَّة والأئمة منهم، أي آثَرُوا اتِّباعَ الأئمة والأَجِلَّة الذين **أُتْرِفُوا فيه** على اتِّباع الرسل والأنبياء.

---

[١] م: لا يكونوا.
[٢] ن م: يخرج.
[٣] م: معناه.
[٤] ع – حتى.
[٥] ع م – في الأرض.
[٦] ع م – نفر.
[٧] جميع النسخ: لم يقدر.
[٨] م – ما ذكرنا.
[٩] ع – الأرض والثاني فلولا كان من القرون من قبلكم أي قد كان منهم أولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الأرض فأهلكوا جميعا.
[١٠] ن: على هذا من الوجهين.
[١١] ع – الأرض على ما قاله بعض أهل التأويل والثاني كان فيهم أولو بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد في الأرض.
[١٢] ع – وجهين.
[١٣] ع: وأعطوهم؛ م: إليهم وأعطوهم.

والثاني **واتَّبَعَ الذين ظَلَمُوا**، وهم الأجلة والأئمة **ما أُتْرِفُوا فيه**، أي ما أُعْطُوا مِن الأموال، أي[1] آثَرُوا الدنيا وما فيها على اتِّباع الرسل والأنبياء. أحد التأويلين يَرْجِعُ إلى السَّفَلَة والأَتْبَاع، وهو الأول، والثاني[2] إلى الأَجِلَّة[3] والأئمة. هم آثَرُوا اتِّباعَ الدنيا على اتِّباع الرسل، ثم تَبِعَهم الأَتْبَاعُ والسَّفَلَةُ في ذلك. *والله أعلم.*

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **وما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأهلُها مُصْلِحون**، أي ما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى إهلاكَ استئصالٍ وانتقامٍ وأهلُها كلُّهم مُصْلِحون أو أكثرُ أهلِها مُصْلِحون، إنما يُهلِك القُرَى إذا كان أهلُها كلُّهم مفسدين أو عامّةُ أهلِها مفسدين.[4] هذا يدل أنّ الحكمَ في الدار إنما يكون بِغَلَبَةِ أهلها، إن كان أكثرُ أهلِها أهلَ الإسلام فالحُكم حُكم الإسلام، وإن كان عامّةُ أهلِها أهلَ الحرب والكفرِ فالحُكم حُكمهم. ولا يُسمَّى أهلُها[5] كلُّهم بالكفر والفساد إذا كان أكثرُ أهلِها مُصلِحين.[6] ألا ترى أنه قال في قوم لوط: إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] سَمّى أهلَ قريةٍ [بالفسق] وإن كان فيها لوطٌ وأهلُه،[8] [وهم] مُصْلِحون. [فـ]لم يَعُدَّ لوطًا وأهلَه مِن أهلِها.

وقوله: **وما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ**، أي لا يكون في إهلاكهم ظالمًا. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما أنّ الخَلْقَ له، فهو بإهلاكه لم يكن ظالما، لأنه أَهْلَكَ مالَه. والثاني أنه إنما يُهْلِكُهم بِظُلْمٍ كان مِنهم، كقوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ،[9] الآية، أي[10] إنما يُهْلِكُهم بشيءٍ اكْتَسَبُوه، فهُم[11] بما اكْتَسَبُوا ظَلَمُوا أنفسَهم. وهو كقوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.[12]

---

[1] ع م – أي.
[2] م – والثاني.
[3] م: والأجنة.
[4] ك: مفسدون؛ ن: مصلحون.
[5] م – مفسدين هذا يدل أن الحكم في الدار إنما يكون بغلبة أهمها إن كان أكثر أهلها أهل الإسلام فالحكم حكم الإسلام وإن كان عامة أهمها أهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى أهلها، صح هـ.
[6] ن: مصلحون.
[7] ﴿إِنّا مُنزِلون على أهل هذه القرية رِجْزًا مِن السماء بما كانوا يَفْسُقُون﴾ (سورة العنكبوت، ٣٤/٢٩).
[8] ن: وأهلها.
[9] ﴿وما ظَلَمْناهم ولكن ظَلَمُوا أنفسَهم فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهم التي يَدْعُون مِن دون الله مِن شيء لمّا جاء أَمْرُ ربِّك وما زادُوهم غيرَ تَتْبِيبٍ﴾ (سورة هود، ١٠١/١١).
[10] ن ع م – أي.
[11] ن ع م: فهو.
[12] سورة النحل، ٣٣/١٦.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[١١٨]

وقوله: **ولو شاء ربُّك**[١] **لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً،** قالت المعتزلة: هذه المشيئة مشيئة القَهْر والقَسْر، وذلك ممّا يَرفع[٢] المحنةَ ويَزول[٣] لديه المَثُوبَةُ والعقوبةُ. وكذلك في قوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا.[٤] وأمّا عندنا فلو شاء لَجَعَلَهم أمةً واحدةً مشيئةً لا تَزول معها المحنة. والذي[٥] يدل عليه خِصال. أحدها[٦] أن الله قد عَرَّفَنا الإيمانَ والدينَ الذي يَقَعُ به اجتماعٌ أو فيه الاختلافُ بما رَكَّبَ فينا مِن العقول التي بها نَعرف حقائقَ الأشياء ومجازاتِها ومَحاسنَ الأمورِ وقبيحَها بمعونة السَّمْع أو بالتأمُّل فيما يُحَسّ[٧] [أو] بالأَمْرَيْن جميعا. وذلك[٨] لا يكون إلا بالاختيار،[٩] ولا يُوصَلُ إلى السبب الذي به يُدَانُ إلا بالاستدلال أو التعليم،[١٠] إذ هو طاعةٌ وتصديق. وذلك[١١] مما[١٢] لا يُحَسّ،[١٣] وطريقُ[١٤] [معرفتِه] الاجتهاد. وكلُّ ذِي [وجوه فهو] أَضدادُ القَسْر. فمُحالٌ أنْ يعودَ الكَوْنُ **لو شاء** على وجهٍ قد عرفنا أنه لا يكون سمعًا وعقلاً. / فيكون في الحقيقة كأنه قال: [٣٥٥ظ] لو شاء أنْ يكونَ لا يكون. على أنّ ذا[١٥] مَن يَقبل عنه هذا الدعوى على قولهم -وهو منذ كان الخَلْقُ بَيْنَ أنْ كان فيما شاء إثباتَه مِن أفعالِ الخَلْقِ فلم يَكُنْ و[بَيْنَ ما] لم يشأ فكان عندهم- فهو كمن ظَهَرَ عَجْزُه بجميع أدلة العجز ثم يدَّعي أنّ له القدرة بها يَقهَر ما يشاء. فذلك كمن لا يقوم[١٦] للانتصاب والنُّهوض فيَدَّعِي أنه يَقدِر على الصعود؛ أو كمَن[١٧] لا يَملِكُ إمساكَ مِثْلِ ذرةٍ

---

[١] ع + ليهلك القرى بظلم أي لا يكون في إهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على وجهين أحدهما أن الخلق له فهو بإهلاكه.
[٢] ن ع م: يدفع.
[٣] ك: وتزول.
[٤] سورة يونس، ٩٩/١٠.
[٥] ن: الذي.
[٦] ك: إحداها.
[٧] م: يحسن.
[٨] جميع النسخ: انه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.
[٩] م: إلا باختيار.
[١٠] م: أو بالتعليم.
[١١] جميع النسخ + يكون.
[١٢] ن ع م: ممن.
[١٣] ع م: لا يحسن.
[١٤] جميع النسخ: وطريقه.
[١٥] أي الله تعالى على رأي المعتزلة.
[١٦] أي لا يقدر أن يقوم.
[١٧] جميع النسخ: أو من.

[فيدعي] أنه مُمسِكُ السماوات والأرض. على أنه لو كان كذلك لَيَجِيء أنْ يكونَ يَقدِرُ على فِعل الكفر والسَّفَه والكَذِب. إذ مَن يَقدِر على فِعل شيءٍ لا يَقدِر[1] على فِعل ضِدِّه[2] عندهم ليس ذلك بقدرة. ثم لو كان ذلك كلُّه بِلَا غَيْرٍ يَصِيرُ[3] له فِعلاً لكان[4] يكون في الحقيقة سفيهًا كَذُوبًا. ومَن كان ذلك وَصْفُه فهو غيرُ[5] ربٍّ ولا حَكِيم. ومَن رُبوبيتُه تحت قدرةِ غيرِه أو حِكمتُه تَحتمِل المُضَادَّاتِ فهو مسئولٌ عمّا يَفعل مُطالَبٌ بالحجة؛ فأنّى يكون لِمَنْ ذلك وَصْفُه ربوبيةٌ؟[6] جَلَّ عن ذلك.[7]

---

[1] ن – على فعل شيء لا يقدر.

[2] جملة "لا يقدر على ضده" صفة لِ"شيء".

[3] ن: بلاء غير تصبير؛ ع م: بلاء غير تصيير.

[4] جميع النسخ: فكان.

[5] ن ع م – غير.

[6] ع م: ربوبيته.

[7] قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربُّك لَجعَلَ الناسَ أُمّةً واحدةً﴾، قالت المعتزلة: هذه المشيئة مشيئة قَسْر وقَهْر، وذلك مما يَرفع المحنةَ ويَزول لديه المَثُوبَةُ والعقوبةُ. وكذلك في قوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ (سورة يونس، ١٠/٩٩). وأمّا عندنا فهو لو شاء لَجَعَلَهم أمةً واحدةً مشيئةً لا يَزول معها المحنة، فصاروا كلهم مؤمنين عن اختيار لا جبرا كما قالوا. والذي يدل على ما قلنا خِصال. أحدها أن الله تعالى قد عَرَّفَنا الإيمانَ والدينَ الذي يَقَعُ به اجتماعٌ أو فيه الاختلافُ بما رَكَّبَ فينا مِن العقول التي بها يُعرَف حقائقُ الأشياء ومجازاتُها ومَحاسنُ الأمورِ ومَقابِحُها بالتأمُّل فيما يُحَسّ مِن الأمور وبالسمع. وذلك إنما يكون بالاختيار إمّا بالاستدلال العقلي أو بالتعلُّم ممن أُكرِمَ به أو معرفة ما لا يحس بصفاته. والدين الذي هو طاعةٌ له وعبادة إنما يكون بالاستدلال. وطريقُه الاجتهاد أو التعلُّم عن اختيار. وما يَحصل مِن المعرفة جَبْرًا لا اختيارَ فيه ولا طاعةَ فيه ولا فِعلَ يكون غيرَ الذي أُمِرَ به وطُلِبَ مِنه. فكأنه قال: ولو شاء أنْ يكونَ منهم الإيمان لا يكون؛ إذ الإيمانُ الذي هو طاعةٌ مِن العبد هو الإيمان الذي هو في حال الاختيار، فأمّا في حال القَهْر والاضطرار لا يكون إيمانا هو طاعةُ الله؛ إذ المُضْطَرُّ والمجبورُ لا فِعلَ له. والله الموفق. على أنّ صَرفَ الآية إلى مشيئة القَهْر لا يَستقيم منهم، ودعوى مشيئة القَهْر مِن الله على قول مذهبهم غيرُ مقبولة، وهو منذ كان الخَلْقُ تَبَيَّنَ أنْ كان شاء مِن أفعالِ الخَلْقِ فلم يَكُنْ ولم يشأ فكان على زعمهم. فإنه على زعمهم شاء إيمانَ الخَلْقِ كلِّهم و لم يكن، ولم يشأ كُفرَ كافرٍ وكان. ومَن ظَهَرَ عجزُه كلَّ هذا العجز على قِيلهم كيف يُقبَل مِنه دعوى قَهْرِ كلِّ الخَلْق لو شاء، كمن ظَهَرَ عَجْزُه بجميع أدلة العجز ثم يُبين أنّ له قدرة بها يَقهَر ما يشاء. فذلك كمن لا يقوم ولا يقدر على الانتصاب والنُّهوض فيَدَّعِي أنه يَقدِر على الصعود؛ أو مَن لا يَملِكُ إمساكَ مِثلِ ذرّةٍ أنه مُمسِكُ السماوات والأرض. على أنه لو كان كما قالوا: إن له قدرة أن يخلق فيهم الإيمان جبرا لَيَجِيء أنْ يكونَ يَقدِرُ على خلق فِعل السَّفَه والكفر والكَذِب فيهم جبرا. إذ مَن يَقدِر على فِعل شيءٍ ولا يَقدِر على فِعل ضِدِّه عندهم ليس ذلك بقدرة. ثم لو كان له قدرة ذلك كله بِلَا غَيْرٍ يَصِيرُ فِعلاً له بناء على وجود اختياره يكون في الحقيقة الخالق له سفيهًا كَذُوبًا كافرا، إذ عندهم الفاعل مَن يوجد الفعل. ومَن ذلك وَصْفُه فهو غيرُ ربٍّ ولا حَكِيم. ومَن رُبوبيتُه تحت قدرةِ غيرٍ أو حِكمتُه تَحتمِل المُضَادَّة فهو مسئولٌ عمّا يَفعل مُطالَبٌ بالحجة؛ فأنّى يكون لِمَنْ ذلك وَصْفُه ربوبيةٌ؟ جَلَّ الله تعالى عن ذلك. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩٢ظ).

والثاني أن الذي يكون بالقَسْر والقَهْر يكونُ أمْرَ الخِلْقَة لا أمْرَ فِعلِ العبد. وذلك في الحقيقة لله لا للبشر. وما هو له مِن جهة الخِلْقة موجودٌ، لأنّ نَفْسَ كلِّ أحدٍ بالخِلْقة مؤمن. وقد شاء الله تلك المشيئة، فالقول بِلَوْ شاء لا معنى له. بل قد شاء وكان. **ولا قوة إلا بالله**.

والثالث أنه وَعَدَ أنْ **لو شاء** أن يَجعل كذا لَفَعَل.[1] وهو لو فَعَلَ لَكان يَجعل مَن قد آمَنَ مِنهم في الحقيقة مؤمنًا في المجاز كافرًا في الحقيقة؛ لأنهم بهذا يَصِيرون أمةً واحدةً. إذ صار كثيرٌ مِنهم مؤمنين بالاختيار لا يحتمل أن يجعلَهم على غير ذلك فيكونَ محمودًا عَدْلًا. **والله الموفق**.[2]

ثم الأصلُ أنّ الله تعالى قد جَعَلَ أدلةَ كلِّ مَوْعُودٍ في الحِسّ[3] ظاهرًا، وكلُّ مَقْدُورٍ عليه بالوَعْد[4] والدَّعْوَى له [فهو] ممّا جَعَلَ[5] عليه أمْرًا بَيِّنًا.[6] وهذا النوعُ مِن[7] المشيئة عندهم والدعوى -بما جَعَلَ جميعَ ما شاء[8] لِأَنْ يكونَ- كذلك.[9] فيصير بالذي به ادَّعَى لنفسه مِن القدرة مُكَذِّبًا بما جَعَلَ، لِمَنْعِ مِثلِه الأدلة.[10] ومَن ذلك وَصْفُه فهو غيرُ حَكِيمٍ. جَلَّ الله عن هذا. على أنّ المتأمِّلَ بما أخبر[11] يجد حقيقتَه[12] -دون أن يَحتاج إلى دليلٍ يُوَضِّح قدرتَه على ما[13] ادَّعَى[14] على بقاء المحنة-

---

[1] ع: الفعل.

[2] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «ووجه آخر. وهو أنّ الله تعالى وَعَدَ أنه لو شاء لجعلهم أمة واحدة. لو كان المراد مشيئة الجبر فهو لو فعل حتى صاروا مؤمنين جبرا لَكان يَجعل مَن قد آمَنَ مِنهم في الحقيقة مؤمنًا في المجاز كافرًا في الحقيقة؛ لأن كثيرا مِنهم كانوا مؤمنين بالاختيار، ولا يَصِيرون أمةً واحدةً إلا بعد أن يبطل الإيمان الاختياري فيمن كان ويثبت الإيمان الجبري الضروري. لأن الإيمان الاختياري مخالفٌ للإيمان الضروري. فلا يكونون أمة واحدة. فلا يتحقّق معنى التَّمَدُّح ببيان القدرة على جعلهم أمة واحدة لو شاء. فيكون الحَمْلُ على مشيئة الجبر يتضمّن إبطالَ الإيمان الاختياري وتبديلَه بالإيمان الضروري ولا يتحقّق معنى التَّمَدُّح بجعلهم أمة واحدة. وعلى ما قلنا مِن المشيئة بطريق الاختيار لا يؤدي إلى هذا؛ لأنه قد آمَنَ البعضُ عن اختيارٍ، فيؤمن الباقي عن اختيارٍ لو شاء. فصاروا أمة واحدة. فوجب الحَمْلُ على ما قلنا. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩٢ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٣٨ظ-٤٣٩و).

[3] جميع النسخ: في الحسن.

[4] ع - بالوعد.

[5] جميع النسخ: جبل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.

[6] ك: امر باينا (غير منقوط)؛ ن: اقر باسا؛ ع: اقر عثا.

[7] ع - من.

[8] جميع النسخ: جميع مانعا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.

[9] م: كائنًا. أي وهذه المشيئة والدعوى أيضا مما جعل الله لها أدلة بينة.

[10] ن - الأدلة.

[11] م: بما اختبر.

[12] ع: حقيقة.

[13] ع - ما.

[14] م - على ما ادعى.

سبيلاً سَهْلاً -بحمد الله- لا يحتاج إلى ما ذكروا مِن المكابَرة. وهو ما قال الله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[1] الآية. ومعلومٌ أنهم لو كفروا جميعًا بما ذَكَرَ لَكانوا مختارين، وإلى ما جاءوا به غيرَ مُضْطَرِّين. فإذا[2] استقام كَوْنُهم على دين الكفر بذلك لا يحتمل أنْ لا[3] يُوجِبَ ذلك بقاءً على الإيمان لو كانوا مختارين. لِذلك يَستقيم كَوْنُهم على دين الإيمان مختارين[4] لو جعل[5] ذلك للمؤمنين.[6] فيَقدِر[7] على قولهم أنْ يَجعلهم كفّارا بالمحنة لا يَقدِر على أن يجعلهم مؤمنين بها، لأنّ ذلك وَصْفُ العجز عندهم. وإنْ كان لا يكون كذلك عندنا؛ لأنه يستقيم[8] القول بالإقدار على إحْداثِ غيرِه، ومحالُ القولُ [بقدرته] على بجعْلِ غيرِه[9] قديمًا،[10] أو [يستقيم القول بقدرته] على إخراج غيرِه إليه، [و]لا يحتمل الوَصْف بالقدرة على إغناء غيرِه[11] عنه. و[الحجة] عليهم أَوْضَح؛ إذ أَجازوا[12] له[13] القدرة على كل حركةٍ لِلعبد وسكونٍ بالاضطرار، و لم يُجَوِّزُوا في ذلك الاختيار.[14] اللهمّ إلّا أنْ يقولوا: لا يجوز أن يكون العبد غيرَ كاملِ القدرة، وهي القدرة على مُضَادَّة[15] الأشياء، والله يجوز الوَصْفُ له بالقدرة الناقصة. فيكون قريبًا ممّا جعلوا لِلعبد قدرةً على ما يُجَهِّلُ الربَّ ويَجعلُه كاذبًا فيما يُخْبِر على بقاء الربوبية له. والله لا يَقدِر على مِثله في العبد على بقاء العُبُودَة له بالمحنة. أو[16] أَقْدَرُوا العبدَ[17] على إهلاك مَن وَعَدَ الله فيه الإبقاءَ ويُريد ذلك -وذلك فَضْلُه- ووَعَدَ له مع ذلك أنْ يُعطيَه كذا،

---

[1] ﴿ولولا أنْ يكونَ الناسُ أمةً واحدةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرحمن لِبيوتهم سُقُفًا مِن فِضَةٍ ومَعَارِجَ عليها يَظْهَرُون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣)

[2] م: وإذا.

[3] ن - لا.

[4] م: مختارا.

[5] م: ولو جعل.

[6] ك ن ع - مختارين لذلك يستقيم كونهم عى دين الإيمان مختارين لو جعل ذلك للمؤمنين.

[7] م: فيقدرون.

[8] ن ع: مستقيم.

[9] ع + ومحال القول عى جعل غيره.

[10] م: قائمًا.

[11] ن: الغير.

[12] ع: إذ جاوزوا.

[13] ك - له.

[14] ك: بالاختيار.

[15] ن: عى مضاداة؛ ع م: عى مضادات.

[16] ك ن + ما.

[17] م: أو مما قدروا لعبد.

فيأتي مُعانِدٌ فيَقتل ويمنع الربَّ[١] عن إنجاز[٢] وَعْدِه وعن سلطانِ بقائِه. جَلَّ الربُّ عن هذا. وذلك في قولهم فيما يَضرب الله لنبي[٣] أو صِدِّيقٍ أَجَلاً يَرى به مصلحةَ عبادِه فيَقدِرُ[٤] الكافِرُ[٥] على قَتْلِه قبل مجيء ذلك الأجل وإبطالِ جميعِ ما وَعَد والإيفاءِ بما هو صَنِيعُه مِن إبقاء الحياة[٦] فيه، ولا يَقدِرُ الله على إنجاز ما وَعَد وإيفائِه على ما أراد، والعبدُ[٧] بحالِه إلّا أنْ يُعْجِزَه أو يُميتَه أو يَجعلَه زَمِنًا.[٨] *والله المستعان*.

ثم الأصل أنّ كُلَّ مريدٍ بِفعله فيما فَعَلَه أمرًا [ثم] لا يكون ذلك[٩] -وهو لم يكن فَعَلَه إلا لِذلك- يُوجِبُ أحدَ أمرَين في الحكمة: إمّا جهلاً بالعواقب أو خطأً[١٠] بالفعل. كمن يَفعل فِعلا يَحزن عليه أو[١١] يَلحقه به مكروه -هو[١٢] لا يَفعله له- يَظهر [عند] فاعلِه أنّه عن جهلٍ فَعَلَ أو على[١٣] الخطأ خَرج فِعلُه. وعلى ذلك معنى التحذير في الخَلْق والتنبيهِ بقولهم: لِدُوا لِلموت وابْنُوا لِلخَراب،[١٤] وسَرَق لِيُقْطَع، وبَارَزَ لِيُقْتَل، مِن حيث كان الثاني متصلا بالأول يُنَبِّهُ عن الغفلة على إرادة التحذير أنه إليه يَئُول أمْرُ فِعلِه. وعلى ذلك[١٥] قوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ،[١٦] الآية. أو أنْ يُقال: ذلك على أنه كذلك في فِعلِه عند الله وإنْ جَهِلَه هو.

---

[١] ن - الرب.
[٢] ع: على انحاذ.
[٣] ك ن ع: لنبي.
[٤] ك م: يقدر؛ ن: تقدير.
[٥] ع: تقديرًا لكافر.
[٦] ع: لحياة.
[٧] ع: ما أرادوا العبد.
[٨] قارن هذه المسألة بما جاء في *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٣٤٨-٣٤٩.
[٩] ن: كذلك.
[١٠] جميع النسخ: وخطأ.
[١١] م - أو.
[١٢] جميع النسخ: فهو.
[١٣] ك ن: وعلى؛ ع م: وعن.
[١٤] «له مَلَك ينادي كل يوم لِدُوا للموت وابنوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا مِن طُرُق ضعيفة. وقال الإمام أحمد: هو مما يدور في الأسواق ولا أصل له. انظر: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ١٨٣/٢-١٨٤.
[١٥] م: على ذلك.
[١٦] ﴿فالتَقَطَه آلُ فرعون لِيكونَ لهم عدوًّا وحَزَنًا إنّ فرعون وهامانَ وجنودَهما كانوا خاطِئِين﴾ (سورة القصص، ٨/٢٨).

أو يُوجِبُ السَّفَهَ في الفعل والعَبَثَ؛[1] إذ هو يَقصِد بِفعله ما يعلم أنه لا يكون أو يُريد ما يَتيقَّن أنه لا يَبلُغ. وإذا كان كذلك فإعطاءُ[2] الله تعالى القدرة [للإنسان] لِيؤمن [به] أو خَلقُه [له] لِيَعبُدَه[3] -وأرادَ[4] أنه يَفعلَ[5] ذلك واختار[6] ذلك الفعل لذلك- يُوجِبُ أحدَ ذَيْنِكَ الوجهين.
[٣٥٦و] جَلَّ الله عنهما وتعالى. / وقد ثبت أنَّ الله عالمٌ بالعواقبِ مُتعَالٍ عن العَبَث. ثبت أنه خَلَقَ مَن خَلَقَ وأعطى ما أعطى لِما عَلِمَ أنه يكون وقد عَلِمَ[7] ما يكون. وعلى هذا التقدير[8] يخرج الأمر في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ،[9] الآية، وقوله: وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ،[10] الآية.

[٣٥٦و س ١١] *وتأويل المعتزلة في قوله: **ولو شاء ربُّك لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً**، أنها مشيئة القَسْر والقَهْر[11] فذلك بعيد؛ لأنه لا يكون في حال القَهْر والاضطرار إيمانٌ. لأنَّ مَن أُكرِه واضطُرَّ على الإيمان حتى آمَن فإنه لا يكون إيمانُه[12] إيمانًا،[13] إنما يكون الإيمانُ إيمانًا في حال الاختيار إذا آمَن مختارًا
[٣٥٦و س ١٤] ممتحنًا فيه. فعند ذلك يكون إيمانُه إيمانًا. دَلَّ أنَّ تأويلَهم فاسد.*

وقوله عز وجل: **ولا يَزَالُون مختلفين**، أنه خَلَقَهم لِلَّذي[15] عَلِم أنهم يَصِيرون إليه مِن اختلافٍ أو اتِّفاقٍ أو عداوةٍ[16] أو ولايةٍ، لا يُريد غيرَ الذي عَلِم، ولا يَعلم غيرَ الذي يكون ممن يَعلم ما يكون. ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ع م: والعتب.
[2] ن: فأعطاه.
[3] ك ن م: ليعبد.
[4] ع: ليعبدوا أراد.
[5] ن ع: يفعله.
[6] ن ع: واختيار.
[7] ع م + أنه.
[8] ك: التقرير.
[9] ﴿ولَقَدْ ذَرَأْنَا لجهنمَ كثيرًا مِن الجنّ والإنس﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧٩).
[10] ﴿ولا تُعْجِبْكَ أموالُهم وأولادُهم إنما يريد الله أن يُعذِّبَهم بها في الدنيا وتَزْهَقَ أنفسُهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٨٥).
[11] ك: مشيئة القهر والقسر.
[12] ع – إيمانه.
[13] م – إيمانه إيمانًا.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٦و/سطر ١١-١٤.
[15] م: للذين.
[16] ك: وعداوة.

**﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**[١١٩]

وقالت المعتزلة: قوله: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ[١] **إِلَّا مَن رَحِمَ ربُّك ولِذلك خَلَقَهم**، أي للرحمة خَلَقَهم. فقال بعض مُتَكَلِّمِي أصحابِنا: إن الرحمة تُذْكَر بالتأنيث، وهو إنما ذَكَر بالتذكير حيث قال: **ولِذلك خَلَقَهم**، ولم يَقُل: ولِتلك خَلَقَهم. دَلّ أنه ليس على ما يقولون. وقال[٢] قائلون: للاختلاف خَلَقَهم **إلّا مَن رَحِمَ ربُّك**. وقال بعضهم: هو صِلَةُ قولِه: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ،[٣] أي خَلَقَهم لِئَلَّا يُهلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأهلُها مُصْلِحون. وعندنا ما ذكرنا أنه خَلَقَهم لِلذي عَلِمَ أنه يكون مِنهم وأنهم يَصِيرون إليه مِن الاختلاف أو الاتّفاق أو العداوة أو الولاية،[٤] لا يَخلقهم لِغير الذي عَلِمَ أنه يكون مِنهم، ولا يُريد أيضًا غيرَ ما عَلِمَ أنهم يَصِيرون إليه، ولا يَعلم غيرَ ما يكون مِنهم. *والله الموفق*.*

**﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وكُلًّا نَقُصُّ عليك مِن أنباء الرُّسُل ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، تأويله -والله أعلم- كلُّ الذي **نَقُصُّ عليك** أو قَصَصْنا عليك **مِن أنباء الرسل** نبأً[٦] بعد نبإٍ ونبأً على إثْرِ نبإٍ **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**.

وقوله: **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، يحتمل وجوهًا. أحدها **نُثَبِّتُ به فؤادَك**، لما يحتمل أنّ نَفْسَه كانت تُنازِعُه وتُناقِشُه بأنّ الذي أُنزل عليه[٧] أَوَيأتِي به مَلَكٌ أو كان ذلك مِن إيحاء[٨] الشيطان وإلقائِه عليه وَسَاوِسَه.[٩] فقَصَّ عليه مِن أنباء الرسل وأخبارِهم لِيكونَ له آيةً بَيْنَه[١٠] وبَيْنَ ربِّه لِيَعلم أنّ ما أُنزل عليه

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ع م: قال.
[٣] سورة هود، ١١/١١٧.
[٤] ع م: والعداوة والولاية.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٦و/سطر ١١-١٤.
[٦] م - نبأ.
[٧] ع م - عليه.
[٨] م: من إلجاء.
[٩] ك ن ع: ووساوسه.
[١٠] ع م: بينة.

وما يأتي به[1] إنما هو مَلَكٌ مِن الله. جاء لِيَدفع به نَوَازِعَ نَفْسِه وخَطَرَاتِه؛ إذ لا سبيل للشيطان إلى معرفة تلك الأنباء ولا في وُسْعِه إلقاؤها عليه. فيكون له بها طُمَأْنِينَةُ قلبِه. وهو كقول إبراهيم حيث قال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى،[2] الآية، كان نَفْسُ إبراهيم تُنازِعُه في كيفية إحياء الموتى، فسأل[3] ربَّه لِيُرِيَه ذلك لِيَطْمَئِنَّ بذلك قلبُه وإن كان يَعلم أنه يُحيي الموتى وأنه قادر على ذلك.

والثاني قَصَّ عليه أنباءَ الرسل واحدًا[4] بعد واحدٍ لِيُثَبِّتَ به فؤادَه لِيَعلمَ كيفيةَ مُعاملتِهم قومَهم[5] وماذا لَقُوا مِن قومهم وكيف[6] صبروا على أذاهم، لِيَصبر هو على ما صبر أولئك، ولِيُعامِلَ هو[7] قومَه بمثل مُعاملتِهم. ويُشبِهُ أن يكون قولُه: **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، بنبأٍ[8] بعد نبأٍ لِيَنظر ويَتفكّر[9] في كلِّ نبأٍ وخبرٍ ويَعرِفَ ما فيه، فيكونَ ذلك أَثْبَتَ في قلبه.[10] وهو كقوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[11] بإنزال الآية واحدةً بعد واحدة وسورةً بعد سورة، وذلك أَثْبَتُ في فؤاده مِن إنزاله جملةً؛ لأنه يَزدحم في مَسامِعه وفؤاده، وإذا كان بالتَّفَارِيق نَظر وتَفكّر، فهو أَثْبَتُ في قلبِه وفؤادِه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجاءك في هذه الحقُّ**، قال بعضهم: **وجاءك في هذه**، أي في هذه الأنباء التي قَصَّها عليك جاءك فيها **الحقُّ**، وهو ما ذكرنا. وقال بعضهم: **وجاءك في هذه**، أي في هذه السورة **الحقُّ**؛ وهو ما ذَكَر مِن الأنباء نبأً[12] بعد نبأٍ، وهو كالأول. وقال بعضهم: **وجاءك في هذه الحقُّ**، أي في هذه الدنيا **الحقُّ**، يعني الآيات والحجج والبراهين لرسالته ودينه،

[1] ع - به؛ م - وما يأتي به.
[2] ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرِني كيف تحيي الموتى قال أوَ لَمْ تؤمن قال بلى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبي﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٠).
[3] ك: فسأله.
[4] ع: واحد.
[5] ع م - قومهم.
[6] ن ع م: فكيف.
[7] ع: من.
[8] ن ع م: نبأ.
[9] ك: لتنظر وتتفكر.
[10] ك: في قوله.
[11] ﴿وقال الذين كفروا لَوْلَا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادَك ورَتَّلْناه تَرْتِيلًا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣٢).
[12] ن م - نبأ.

**ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلمؤمنين**، أي جاءك[١] ما تَعِظُ به قومَك وتُذَكِّرُ به المؤمنين. وقوله: **ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلمؤمنين**، خَصَّ المؤمنين بذلك لِما يكون منفعةُ المَوْعِظَةِ والذِّكْرَى لِلمؤمنين،[٢] وإلّا هو مَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلكُلّ.

**﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾[١٢١]**

وقوله عز وجل: **وقُل لِلذين لا يؤمنون اعملوا على مَكَانَتِكم**، المكانة هي[٣] المَنْزِلة والقَدْر، يقول:[٤] **اعملوا** أنتم **على مَكَانَتِكم** ومَنْزِلتكم التي لكم[٥] عند أَتْبَاعِكم، كأنه يخاطب به الأشرافَ منهم والرؤساءَ، **إنّا عامِلُون**، على المَكانة[٦] والمَنْزِلة التي[٧] لنا عند الله، فننظر[٨] أيُّنا أَرْجَحُ نحن أو أنتم، وأيُّنا أَخسَرُ نحن أو أنتم.

وقوله عز وجل: **اعملوا على مَكَانَتِكم إنّا عامِلُون**، يخرج على وجهين. أحدهما على التوبيخ والتخويف عندما بالَغَ في الحِجاج فلم يَنْجَعْ فيهم، فقال [ذلك] عند ذلك، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٩] ونحوه. والثاني على الإعجاز مما[١٠] أرادوا به مِن المكْر والكَيْد، بقوله: اعملوا ما تريدون، وأنا أعمل.

**﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[١٢٢]**

وقوله عز وجل: **وانتظِروا**، أنتم بنا ذلك، **إنّا مُنتظِرون**، بكم ذلك. أو يقول هذا لِما كانوا يُوعِدُونه / ويُخَوِّفُونه مِن أنواع الوعيد، فيقول: انتظِروا بنا ذلك [أي] ما تُخَوِّفُوننا مِنه،[١١] **إنّا مُنتظِرون**، [٣٥٦ظ]
بكم ما نُخَوِّفُكم[١٢] نحن [مِنه]. **والله أعلم**.

---

[١] ع – أي جاءك.
[٢] ك – وقوله وموعظة وذكرى للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكرى للمؤمنين.
[٣] ع م – هي.
[٤] ع م: ويقول.
[٥] م – لكم.
[٦] ع: على المكانت.
[٧] م – التي.
[٨] ك: فينظر.
[٩] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٠] م: لما.
[١١] جميع النسخ: ما تخوفون بنا.
[١٢] ع: ونخوفكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، قال[١] بعض أهل التأويل: **ولله غيبُ** نزولِ العذاب، وغيبُ ما في الأرض، كأنه خرج جوابَ ما سألوه مِن العذاب، كقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ،[٢] وكقوله: وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[٣] وقوله: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[٤] فقال: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، أي عِلْمُ ذلك عند الله. وكقوله: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ،[٥] وأمثاله. ويُشْبِهُ[٦] أنْ يكونَ جوابَ ما تَحَكَّمُوا على الله مِن إنزال القرآن وجَعْلِ الرسالة في غيره، كقولهم:[٧] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٨] ولَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً،[٩] فقال: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ،[١٠] الآية، وقال: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[١١] فعلى ذلك قوله: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، لا إلى الخَلْق. والله أعلم بما أراد.[١٢]

**وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه**، إليه يُرْجَعُ أمرُ الخَلْقِ كلِّه وتدبيرُهم، **فاعبُدْه**، أي اعبُدْه[١٣] في خاصّ نَفْسِك، **وتَوَكَّلْ عليه**، في تبليغ الرسالة إليهم، أي[١٤] لا يَمْنعنَّك كَيْدُهم ومَكْرُهم بك عن تبليغ الرسالة، ولا تَخافَنَّ مِنهم، فإن الله يحفظُك مِن كَيْدِهم ومَكْرِهم بك، كقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[١٥]

---

[١] م: وقال.
[٢] سورة العنكبوت، ٥٣/٢٩.
[٣] سورة يونس، ٤٨/١٠؛ وسورة الأنبياء، ٣٨/٢١؛ وسورة النمل، ٧١/٢٧؛ وسورة سبأ، ٢٩/٣٤؛ وسورة يس، ٤٨/٣٦؛ وسورة الملك، ٢٥/٦٧.
[٤] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.
[٥] سورة الأنعام، ٥٨/٧.
[٦] ع: يشبه.
[٧] ع م: كقوله.
[٨] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[٩] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[١٠] ﴿أَهُمْ يَقْسِمون رحمةَ ربِّك نحن قَسَمْنا بينهم مَعِيشَتَهم في الحياة الدنيا ورَفَعْنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ لِيَتَّخِذَ بعضُهم بعضًا سُخْرِيًّا ورحمةُ ربِّك خيرٌ مما يَجْمعون﴾ (سورة الزخرف، ٣٢/٤٣).
[١١] سورة الأنعام، ١٢٤/٧.
[١٢] ع: أرادوا.
[١٣] ع – أي اعبده.
[١٤] ن – أي.
[١٥] سورة المائدة، ٦٧/٥.

**وما ربك بغافلٍ عما تعملون**، هذا[1] يؤيد ما ذكرنا، أي ما ربُّك بغافلٍ عما يريدون بك مِن كَيْدِهم ومَكْرِهم، بل يَعلم ذلك ويَنصرك ويَنتصر منهم. وهو كقوله لموسى وهارون: فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[2] أي أَسْمَعُ قولَه وجوابَه إيّاكما وأَرَى ما يَفعل، أي أَنْصُرُكما فلا تَخافا. فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.[3]

[1] ع م + ما.
[2] سورة طه، ٢٠/٤٤-٤٦.
[3] م - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة يوسف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[١]

قوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب المبين**، ذَكَرَ "**تلك**" وهي كلمةُ إشارةٍ إلى شيءٍ سَبَقَ ذِكرُه ولم يتقدَّمْ فيه ذِكْرُ شيءٍ يُشار إليه. وذَكَرَ "**آيات**" أيضًا وليس هنالك[2] ذِكْرُ آياتٍ أو شيءٍ يكون آيةً في الظاهر. لكن[3] يُشْبِهُ أنْ يكونَ قولُه: **تلك**، بمعنى "هذه" آيات. ويجوز استعمالُ "تلك" مكان "هذه" على ما يجوز ذِكرُ "ذلك" مكان "هذا" كقوله: الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ،[4] أي هذا الكتاب.[5] أو أن يكون قوله: **تلك**،[6] إشارةً إلى ما في السماء، أي الذي في السماء آياتُ الكتاب. أو يقول: **تلك**، إشارةً إلى ما في اللَّوح المحفوظ، أو إشارةً[7] إلى ما في الكتب[8] المتقدِّمة، أي **تلك آيات الكتاب المُبِين**. يحتمل **المُبِين**، أنها آياتُ الرسالة، أو بَيَّنَ أنها مِن عند الله.

وقوله: **آيات الكتاب**، هذا أيضًا يُشْبِهُ أن يخرج على وجهين. أحدهما إشارة إلى الحروف المُقَطَّعَة المُعْجَمَة. فقال: تلك الحروف المُقَطَّعَة[9] إذا جُمِعَتْ كانت[10] **آيات الكتاب**.[11]

---

[1] ك: السورة التي فيها ذكر يوسف النبي؛ ن: السورة التي فيها ذكر يوسف؛ ع: السورة التي ذكر فيها يوسف؛ م: سورة يوسف عليه السلام.

[2] م: هناك.

[3] ك: لكنه.

[4] سورة البقرة، ٢/١-٢.

[5] ع - أي هذا الكتاب.

[6] ع - تلك.

[7] ع م - إلى ما في اللوح المحفوظ أو إشارة.

[8] ع م: الكتاب.

[9] ع - المقطعة؛ م - تلك الحروف المقطعة.

[10] ن ع م + تلك.

[11] ن - الكتاب.

أو أن يكون الله أراد[1] أمرًا لا تَعلم ما أراد، فنقول: **تلك آيات الكتاب**، أي ذلك الذي أراد هو آيات الكتاب. والله أعلم بما أراد به.[2]

[٣٥٧و س٤ * وقوله: **تلك آيات الكتاب**، يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون[3] سألوا عنه رسولَ الله عن قصة يوسف وصَيْرُورَةِ بني إسرائيل بمصر وقد كانوا مِن قبلُ بالشام، فقال: تلك الأنباء والقِصَص نجعلها[4] آياتِ هذه السورة التي هي مِن الكتاب المبين. أو **تلك آيات** [و]حجج وبراهين لرسالة[5] محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ هي مِن أنباء الغيب عنهم، فعَلِمَ [محمد] الأنباءَ
٣٥٧و س٨] عنها بالله سبحانه وتعالى.*

وقوله: **المُبِين**، قيل: **المُبِين**، أي لِيُبَيِّنَ فيه الحلال والحرام وما يُؤتَى وما يُتَّقَى، كقوله: تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.[6] وقال بعضهم: لِيُبَيِّنَ بركته وهداه ورُشْدَه. أو بَيَّنَ فيه الحقَّ مِن الباطل والعَدْلَ مِن الجَوْر.[7] والكتاب هو اسمُ ما يُكْتَب، وسُمِّيَ قُرْآنًا[8] لِما يُقْرَأ. أو [سُمِّيَ] كتابًا[9] لِما عن كتابٍ أُخِذَ ورُفِعَ، وقُرْآنا[10] لِما قُرِئَ عليه.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنّا أنزلناه قُرآنًا عَرَبِيًّا**، قوله: **أنزلناه**، الهاء[11] كناية عن الكتاب الذي تقدّم ذِكْرُه.[12] **قُرآنًا عَرَبِيًّا**، أنزله بلسان العرب. ولا ندري بأيّ لسانٍ كان في اللَّوْح المحفوظ غيرَ أنّه أخبر أنّه أنزله بلسان العرب. وهكذا كلُّ كتابٍ أُنزل إنما أُنزل بلسان المُنْزَلِ عليهم، لم يُنْزَلْ بغير لسانهم.

---

[1] م - أراد.
[2] ك: أراده.
[3] جميع النسخ + الذي.
[4] ع: يجعلها؛ م: بجعلها.
[5] ع: الرسالة.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٤-٨.
[6] ﴿وَنَزَّلْنَا عليك الكتاب تِبْيانًا لِكُلِّ شيءٍ وهُدًى ورحمةً وبُشْرَى لِلمسلمين﴾ (سورة النحل، ٨٩/١٦).
[7] ع م: والجور.
[8] الآية التالية.
[9] م: وكتابا.
[10] جميع النسخ: والقرآن.
[11] ع م: لها.
[12] م + وقوله.

وقوله عز وجل: **لعلكم تعقلون**، ما لكم وما عليكم وما تأتون وما تتقون. أو **تعقلون**، أنّ هذه[١] الأنباء التي يخبركم[٢] بها محمد صلى الله عليه وسلم مِن الله تعالى؛ لأنها كانت في كتبهم بغير لسانه، فأخبر على ما كانت في كتبهم. دَلَّ أنه إنما عَرَفَ ذلك بالله تعالى. أو **لعلكم تعقلون**، بأنّ فيه شرفَكم؛ لأنكم تَصِيرون مَتْبُوعِين، لِما يَحتاج الناسُ إلى معرفةِ ما فيه، ولا يُوصَل [إلى] ذلك إلّا بِكُم، فتكونون مَتْبُوعِين، والناسُ أَتْبَاعًا[٣] لكم. وهو كقوله: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[٤] قال أهل التأويل: أي فيه شرفُكم. *والله أعلم*.

**﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾**[٣]

وقوله عز وجل: **نحن نَقُصُّ عليك أحسن القَصَصِ**، قال بعضهم: قوله: **نَقُصُّ عليك**، أي نُبين عليك أحسن البيان، **بما أوحينا إليك هذا القرآن**. وقال بعضهم: **نَقُصُّ عليك**، أي نخبرك أحسنَ ما في كتبهم مِن القِصَص وأحسنَ ما في كتبهم مِن الأنباء والأحاديث.

وقوله: **أحسن القَصَص**، أَصْدَقُه. وكذلك قوله: اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا،[٥] وأحسنُ الحديث[٦] أَصْدَقُه. هو **أحسن القَصَص**، أي أَصْدَقُه، وأحسنُ[٧] الحديث أَصْدَقُه.

*وقال ابن عباس رضي الله عنه: **أحسن القَصَص**، كلام الرحمن.[٨] وقال مجاهد: اَللّٰهُ نَزَّلَ [٣٥٧و س ٣]
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، كلام رب العالمين.[٩]* [٣٥٧و س ٤]

وقوله عز وجل: **وإنْ كُنتَ مِن قبلِه**، أي وقد كُنتَ[١٠] مِن قبلِه، **لَمِنَ الغافلين**، /عن هذه الأنباء [٣٥٧ر] وعن قِصَصِهم. فهذا يَدلّ أنّ الإيمان بجملة الأنبياء والرسل إيمانٌ وإن لم يُعْرَفْ أَنْفُسُ الأنبياء

---

[١] ع: وهذه؛ م: إن هذا.
[٢] ن: نخبركم.
[٣] جميع النسخ: أتباع.
[٤] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[٥] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.
[٦] ن – كتابا وأحسن الحديث، صح هـ.
[٧] ع: والحسن.
[٨] لم أجده. لكن روي عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله، لو قَصَصْتَ علينا. قال: فنَزَلَتْ: ﴿نحن نَقُصُّ عليك أحسنَ القَصَص﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٠/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٦/٤.
[٩] *تفسير الطبري*، ٢١٠/٢٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٣-٤.
[١٠] م: كنتم.

وأَنْفُسُ الرسل وأَسَامِيهِم؛ لأنه أخبر أنه كان غافلا عن أنبائهم وعن قِصَصِهِم، ولا شكَّ أنه كان مؤمنًا بالله مخلصًا. *وبالله العصمة.**

**﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **إذ قال يوسف لأبيه يا أَبَتِ إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين**، دَلّ[١] قولُه: **إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا**، أنّ إخوةَ يوسف كانوا علماءَ وعيونَ الأرض نجُومًا يُقْتَدَى بهم ويُهتَدَى؛[٢] إذ بالنجوم يُقْتَدَى في الأرض وبها يُهْتَدَى[٣] الطُّرُقُ والمَسالِكُ. ودَلَّ قولُه: **والشمسَ والقمرَ**، حيث[٤] خرج على أبويه، أنه كان بهما جميعُ مَنَافِعِ الخَلْقِ؛ إذ بهما صَلَاحُ جميعِ الأغذية في الأرض[٥] ونُضْجُ جميعِ الفواكه والأَنْزَال[٦] وجميعُ المنافع التي[٧] بالناس حاجةٌ إلى ذلك.

ودَلَّ قولُه: **إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين**، أنّ الرؤيا تخرج على عَيْنِ ما رَأَى، وتخرج على غيرِه بالمعنى الذي يَتَّصِل به؛ لأنه رأى الكَوَاكِبَ[٨] والشمسَ والقمرَ، فخرج على إخوته وأبَوَيْه. كان المرادُ بالكَوَاكِب والنجومِ غيرَ الكَوَاكِب[٩] وغيرَ[١٠] الشمس والقمر،[١١] وذلك لِمعنى.[١٢] وذَكَرَ السجود، وخرج على عين السجود وحقيقتِه. وكذلك[١٣] ما رأى إبراهيمُ في المَنَام ذَبْحَ ولدِه، خرج الذَّبح على حقيقة الذَّبح،[١٤] وهو[١٥] ذَبح الكَبْش،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٣-٤. ووقع بعده مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٤-٨.

١ م - دل.

٢ جميع النسخ: ويهتدون.

٣ جميع النسخ: يهتدون.

٤ ن ع م - حيث.

٥ م - الأرض.

٦ الأنزال جمع نُزُل بمعنى القُوت (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

٧ جميع النسخ + ما.

٨ ع: الكوكب.

٩ م - والنجوم غير الكواكب.

١٠ م: غير.

١١ ع - فخرج على إخوته وأبويه كان المراد بالكواكب والنجوم غير الكواكب وغير الشمس والقمر.

١٢ م: المعنى.

١٣ م: وكذا.

١٤ ع م - الذبح.

١٥ م: هو.

ورأى ابنَه وكان المراد مِنه الكَبْش.[١] فهذا أصلٌ لنا أنّ الخطاب يخرج والمراد منه على عين[٢] ذلك الخطاب لا غير، وقد يخرج لِمعنًى فيه. فإذا اتَّصَلَ ذلك المعنى بعيرٍ وَجَبَ[٣] ذلك الحُكم. وفيه جوازُ الاجتهادِ وطَلَبِ المعنى في المُخاطَبات. وكذلك ما ظَهَرَ في الناس مِن تعبير الرؤيا على الاجتهادِ يدلّ على جواز العمل بالاجتهاد.

قال بعض أهل التأويل: إنّ يوسف لمّا قَصّ رؤياه على أبيه بَيْنَ يَدَيْ إخوتِه قال له: هذه رؤيا النهار ليس بشيء، وقال ليوسف في السِّرّ: إذا رأيتَ رؤيا بعد هذا فلا تَقُصَّها على إخوتك. لكن هذا كذب، فلا يجوز أن يَكذب[٤] رسولُ الله يعقوب، يقول له: رؤيا النهار ليس بشيء،[٥] ثم يُعَبّر له في السِّرّ. ولا يُتَوَهَّم على نبيٍ مِن أنبياء[٦] الله الكذب؛ وهو كَذِب، فإن كان فهو بالأمر.[٧]

**﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **قال يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك**، دل قوله: **لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك**، على أنّ ما رأى يوسف مِن سجود الكواكب[٨] له وسجود الشمس والقمر أنه إنما كان رأى ذلك في المنام. ويدل ما ذكر في آخره أيضًا على ذلك، وهو قوله: يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ.[٩] ودل قوله: **لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك فيَكِيدُوا لك كيدًا**، أنّ يعقوب إنما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله: **فيَكِيدُوا لك كيدًا**، و لم يَستثنِ في ذلك. وقد فعلوا به ما قال. وفيه دلالة أنّ إخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا، وكانوا علماء حكماء حيث قال:[١٠]

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بُني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتَلَّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذِبْحٍ عظيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٠٢-١٠٧).

[٢] ع م: على غير.

[٣] ع م: وجبت.

[٤] ع: أن تكذب.

[٥] ع م: يعني.

[٦] جميع النسخ: من نبي.

[٧] أي إن كان هناك كذب مِن يعقوب عليه السلام فلا بُدّ أنّ ذلك حصل بأمر مِن الله ووَحْي.

[٨] ك: من السجود له لكواكب.

[٩] ﴿ورَفَعَ أبوَيه على العرش وخرّوا له سُجّدًا وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤيايَ مِن قبلُ قد جعلها ربي حقا﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٠).

[١٠] ن - قال.

**لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك**؛ لأنهم لو[1] كانوا لا يعرفون تأويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لِينهاه عن أن يقصّ على إخوته. لأنه لو قصّها أو لم يقصّها -إذا لم يعلموا-[2] سواءٌ. وفيه[3] دلالة أنّ الأخ لا يُتَّهَم[4] في أخيه،[5] ويكون مِن الأخ الخيانةُ إلى أخيه، والأبَ والأمَّ[6] يُتَّهَمان في الابن، والولدَ[7] يُتَّهَم في والِدَيه، ولا يكون مِن بعضٍ إلى بعضٍ خيانةٌ في الغالب؛ لأنّ يعقوبَ نَهَى ولدَه يوسف أن يقصّها على إخوته، وأخبر أنهم إذا علموا بذلك كادوه وحسدوه، ولم يَنْهَه بمثله في أمه. دلّ أنّ الأخ لا يُتَّهَم في شهادة أخيه، ويُتَّهَم[8] الأبُ والأمُّ في شهادتهما لولدهما. وكذلك[9] الولد يُتَّهَم في والِدَيه.[10] ولهذا قال أصحابنا: إن شهادةَ الوالد لولده لا تُقبَل، وكذلك شهادة الولد لوالِدَيه، وأمّا شهادة[11] الأخ لأخيه تُقبَل. وإنما كان كذلك[12] لِما يَنتفع الولد بمال والِدَيه، والوالدُ بمال ولده، ولا يَنتفع[13] الأخ بمال أخيه. وكلّ مَن انتفع بمالِ آخرَ اتُّهِم[14] في شهادته له، ولم تُقبَل شهادتُه،[15] وكلّ مَن لم يَنتفع به قُبِلت. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الشيطان للإنسان عدو مبين**، ظاهر العداوة. وقال موسى حين قَتَل ذلك الرجل:[16] هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.[17] بَدْءُ كلِّ شرّ يكون مِن الشيطان، يَقذِف في القلوب

---

[1] ك – لو.
[2] ن: لم يعرفوا.
[3] م: فيه.
[4] ع: لا ينهم.
[5] أي تقبل شهادة الأخ لأخيه، ولا يُتَّهم الأخ بأنه قد يكذب في الشهادة لمنفعة أخيه.
[6] م + لا.
[7] م + لا.
[8] ع: وينهم.
[9] ع: ولذلك.
[10] ن ع: في الدية.
[11] م: وشهادة.
[12] م – وإنما كان كذلك.
[13] ع – الأخ لأخيه تقبل وإنما كان كذلك لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد بمال ولده ولا ينتفع.
[14] ع: انهم.
[15] ع – له ولم تقبل شهادته.
[16] ن ع م – الرجل.
[17] ﴿ودخل المدينةَ على حينِ غفلةٍ مِن أهلِها فوجد فيها رَجُلَين يَقْتَتِلان هذا مِن شِيعَتِهِ وهذا مِن عدوِّه فاستغاثه الذي مِن شِيعَتِه على الذي مِن عدوِّه فوَكَزَه موسى فقَضَى عليه قال هذا مِن عَمَلِ الشيطان إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مُبين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٥).

ويُخطِر في الصدور،[١] ثم تكون العزيمةُ على ذلك والفعلُ مِن العبد.[٢] وهو ما قال: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[٣] وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ،[٤] الآية، والطَّيْف والنَّزْغ هو القذف والوسوسة، فإذا ذكر الله ذهب.

وقيل: الكيد والمكر سواء. وهو قول أبي عَوْسَجة. وقال القُتَبي:[٥] / الكيد هو الاحتيال [٢٣٥٧ظ]
والاغتيال.[٦] وقيل: الكيد هو أن يُطلَب إيصالُ[٧] الشرّ[٨] به على غيرِ[٩] علمٍ مِنه، وكذلك المكر.

**﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وكذلك يَجتَبِيك ربُّك ويُعَلِّمُك مِن تأويل الأحاديث ويُتِمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتَمَّها على أبوَيك مِن قبل**، تأويله -والله أعلم- أي كما اجتبى[١٠] ربُّك أبوَيك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بأنواع الخيرات وأتمّ[١١] نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته[١٢] عليك وعلى آل يعقوب. ويحتمل قوله: **وكذلك يَجتَبِيك ربُّك**، أي كما اجتباك ربُّك بالرؤيا التي أراك يَفعل ذلك بك.

وقوله عز وجل: **ويُعَلِّمُك مِن تأويل الأحاديث**، قيل: تعبير الرؤيا. وقال بعضهم: عَلَّمَه تأويلَ الصُّحُف التي كانت لإبراهيم وغيره. و[قد] عَلَّمَه تأويلَ[١٣] تلك[١٤] الصُّحُف والأحاديث.

---

[١] م: في الصدر.
[٢] ن: من العمد.
[٣] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧؛ وسورة فصلت، ٣٦/٤١.
[٤] ﴿إنّ الذين اتَّقَوْا إذا مَسَّهم طائفٌ مِن الشيطان تَذَكَّروا فإذا هم مُبصِرون﴾ (سورة الأعراف، ٢٠٠/٧).
[٥] ن - وقال القتبي.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٢.
[٧] ع - إيصال.
[٨] م: شر.
[٩] ع - غير.
[١٠] ع: اجتبى.
[١١] ن ع: وأتمه.
[١٢] م - عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته.
[١٣] ع + تأويل.
[١٤] م - تلك.

وقوله عز وجل: **ويُتِمُّ نعمتَه عليك وعلى آل يعقوب كما أَتَمَّها**، قال بعضهم: **كما أَتَمَّها على أبوَيك مِن قبلُ إبراهيمَ وإسحاقَ**، حينَ أَراد[1] ذبح ابنه فجَعَل مكانَه كَبْشًا، فعنى ذلك **يُتِمُّ نعمتَه عليك** ويُسجِد لك إخوتَك وأبوَيك. ثم مِن الناس مَن استدل بهذا أنَّ الذبيح كان إسحاق، لأنه ذكر إتمام[2] نعمته على إبراهيم وإسحاق. ودل قوله: **وعلى آل يعقوب**، على أنه قد اجتباهم بالنبوة مِن بعدُ، أعني أولاد يعقوب؛ لأنّ ولده مِن آله، وقد أخبر أنْ يَجْتَبِيهم ويُتِمُّ نعمتَه عليهم كما فعل بأبوَيه[3] إبراهيم وإسحاق. وكذلك رُوي عن الحسن أنه قال في إخوة يوسف: نُبِّئُوا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا.

وقال بعضهم: **تأويل الأحاديث**، العلم والكلام. قال: وكان يوسف أَعْبَرَ الناس، وهو ما قال الله[4] تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا.[5]

وقوله عز وجل: **إن ربك عليم**، بما صنع به إخوته، أو **عليم**،[6] بما ذكر مِن التمام، **حكيم**، وَضَعَ كلَّ شيءٍ موضعَه. *والله أعلم*.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **لقد كان في يوسف وإخوتِه آياتٌ للسائلين**، الآيةُ آيةٌ للسائل إذا كان السائل مُسترشِدًا.[7] وكذلك القرآن كله هو حجة وآية للمُسترشِد، وأمّا المُتَعَنِّت فهو آيةٌ عليه. ثم يحتمل قوله: **آيات للسائلين**، السائلين[8] الذين[9] سألوا على ما ذُكِر في بعض القصة أن اليهود سألوا النبي عن أمر يوسف ونَبَئِه، فأخبرهم بالحق في ذلك على ما كان.[10] فهو آية لهم إن ثبت ذلك. ويحتمل قوله: **آيات للسائلين**، السائلين الذين يَسألون مِن بعدُ إلى آخِر الدهر عن نبأ يوسف.

---

[1] ع م: أراه.
[2] ع: إتمامه.
[3] م: بأبويهم.
[4] ك ن – الله.
[5] سورة يوسف، ٢٢/١٢.
[6] م: وعليم.
[7] ع م: يسترشد.
[8] ك: للسائلين؛ ن – السائلين.
[9] ك: الذي.
[10] لم أجده هكذا. لكن روي أن رجلا من اليهود سأل النبي عن أسماء الكواكب التي سجدت ليوسف، فأخبره بها. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥١/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٨/٤-٤٩٩.

كلُّ مَن سأل عن خبره ونَبَئِه فهو آيةٌ له.[١] ثم وَجْهُ جَعْلِه[٢] آيةً يحتمل وجوها. أحدها أنه جَعَل قصةَ يوسف ونبأَه سورةً، وتلك السورة هي آيات الكتاب، على ما ذكر: الٓرۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ.[٣] جَعَل قصةَ يوسف ونبأَه آياتٍ مِن الكتاب. ويحتمل أيضًا أنه جُعِل آيةً،[٤] أي حجةً لنبوّة رسولِه ورسالتِه؛[٥] لأنّ قصته ونبأه كان في كتبهم بغير لسانه مِن غير ترجمةِ أحدٍ مِنهم ولا تعليم، ثم أخبرهم على ما كان في كتبهم مِن غير زيادة ولا نقصان. دل أنه[٦] إنما عَلِمَه بالله تعالى لا أنه[٧] أَخَذَه مِن كتبهم. وهو ما ذكر في القصة أن اليهود سمعوا النبي يقرأ سورة يوسف، فقالوا: يا محمد، مَن عَلَّمَكها؟[٨] قال: «الله عَلَّمَنِيها». فعَجِبُوا مِن قراءته إياها على[٩] ما كانت في كتبهم.[١٠] دل أنه إنما عَرَفَها بالله. ثم يحتمل أنه يكون آيةً لمن سأل عن[١١] حجةِ رسالتِه. أو هي[١٢] آيةٌ لمن سأل[١٣] عنها. **والله أعلم.**

**﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **إذ قالوا لَيوسفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا مِنّا ونحن عُصْبَةٌ**، في الآية دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يَخُصَّ بعضَ ولدِه بالعطف عليه والميل[١٤] إليه إذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره. ولهذا قال أصحابنا: إنه[١٥] لا بأس للرجل أن يَخُصَّ بعضَ ولدِه بالهبة[١٦] له أو الصدقة عليه[١٧]

---

[١] م: ضم.
[٢] ك ن: بنائه؛ ع: بنبائه.
[٣] ك - جعل قصة يوسف ونبأه سورة وتلك السورة هي آيات الكتاب على ما ذكر الر تلك آيات الكتاب المبين. وانظر للآية: سورة يوسف، ١/١٢.
[٤] ع: آيته.
[٥] ك: في رسالته.
[٦] م - أنه.
[٧] ع م: لانه.
[٨] م: من علمك.
[٩] ع - على.
[١٠] أخرجه البيهقي بمعناه في *دلائل النبوة* من طريق الكَلْبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٥/٤. والكلبي معروف بالضَّعْف.
[١١] ن: يكون لمن سأل آية عن.
[١٢] ك: أو هو؛ ن: وهي.
[١٣] م: لمن يسأل.
[١٤] ع: بالعطف علو الميل.
[١٥] ك ن: ان.
[١٦] ع: بالهية.
[١٧] ع م: عليها.

إذا لم[1] يَقصِد بها الجَوْرَ على غيرهم مِن الأولاد. ثم يحتمل تخصيصُ يعقوبَ يوسفَ وأخاه بالحبّ لهما وجوها. أحدها لما رأى فيهما مِن الضَّعْف في أنفسهما والعَجْز في أبدانهما؛ فازدادت شفقتُه لهما وعَطْفُه عليهما لذلك. وهذا مما يكون فيما بين الخَلْق. أو كان ذلك مِنه لهما لِصِغَرِهما. وهذا أيضًا معروفٌ في الناس أنّ الصِغارَ مِن الأولاد يكونون[2] عندهم أَحَبّ، و[تكون] قلوبُهم إليهم أَمْيَلَ، وعليهم[3] أَعْطَفَ، ولهم أَرْحَمَ مِن الكبار منهم.[4] أو خصَّهما بذلك لِفَضْلِ خُصوصيةٍ كانت لهما، إمّا[5] مِن جهة الدين أو العلم أو غيره؛ أَمَرَه الله بذلك لِذلك مِن دون غيرهما. أو لِما بُشِّرَ يعقوبُ بنبوّة يوسف؛ فكان يُفَضِّلُه[6] على سائر أولاده ويُؤْثِرُه عليهم لذلك. وإنما قالوا: **لَيوسفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا مِنّا**، بآثارٍ تَظهر عندهم، وإلّا حقيقةُ المحبّة لا تُعرَف.

وقوله عز وجل: **ونحن عُصْبَةٌ**، قيل: العُصْبَة: الجماعة. وقال بعضهم: العُصْبَة مِن عشرة إلى أربعين. والعُصْبَة: الجماعة. أي نحن جماعة ولنا مَنَعَة. ولهذا ما قال أصحابنا: إن التسعة[7] مع الإمام تكون مَنَعَةً[8] يَستوجِبون ما تَستوجِب[9] السَّرِيّةُ إذا دخلت دار الحرب فغَنِمَت غنائمَ يُخَمَّسُ[10] مِنها.

وقوله: **ونحن عُصْبَةٌ إنّ أبانا لَفي ضلالٍ مُبِين**، لم يَعْنُوا ضلالَ الدين، إنما قالوا ذلك -والله أعلم- [بمعنى] إنّا جماعةٌ نَقدِر على دَفْعِ مَن يَرُوم الضررَ[11] به ويَقصِد[12] قَصْدَ الشرّ بنفسه وماله، ونحن أُولُو قوّةٍ، بنا يَقُوم مَعاشُه وأسبابُه، فكيف يُؤْثِر[13] هؤلاء علينا؟ وكذلك قوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى،[14]

---

[1] ع: ذا لم.
[2] جميع النسخ: يكون.
[3] جميع النسخ: وعليه.
[4] م – منهم.
[5] ع م – إما.
[6] ع: بفضله.
[7] ع: إن السعة.
[8] م – تكون منعة.
[9] ن ع: ما يستوجب؛ م – ما تستوجب.
[10] ن ع م: بخمس.
[11] ع: النصر.
[12] ن + به؛ ع: ويقصده.
[13] ن – يؤثر.
[14] سورة الضحى، ٧/٩٣.

لم يُرِد[١] به ضلالَ الدين، ولكن وجهًا[٢] آخر. أو[٣] قالوا[٤] ذلك[٥] لِمَا كانت له / مَنافِعُ مِن أنفسهم [٣٥٨ر] لم تكن[٦] تلك المنافع مِن يوسف وأخيه. وأبدًا إنما يُؤثِر المرءُ حُبَّ مَن له مَنافِعُ مِن قِبَلِه لا حُبَّ مَن لا منفعةَ له مِنه. فهو فيه في ضلالٍ مُبِين حيث يُؤثِر حُبَّ[٧] مَن لا منفعةَ له مِنه على حُبِّ[٨] مَن كانت له مِنه[٩] مَنافِعُ وأمثالِه.[١٠] *والله أعلم*.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[٩]

وقوله:[١١] **اقتلوا يوسفَ أوِ اطْرَحوه أَرْضًا يَخْلُ لكم وَجهُ أبيكم**، لا يحتمل أن يكونوا عزموا على قتله، ولكن [قالوا ذلك] على المشاورة فيما بينهم: نَفعل ذا أو ذا. كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ،[١٢] الآية، ليس على العزيمة[١٣] على واحد، ولكن على المَشُورَة فيما بينهم. يدل على ذلك قوله: **يَخْلُ لكم وَجهُ أبيكم**، أنهم أرادوا أنْ يَخْلُوَ[١٤] وَجهُ أبيهم لهم لا قَتْلَه، إنما أرادوا غَيْبَتَه عنه. وقال بعضهم: **يَخْلُ لكم وَجهُ أبيكم**، أي يُقْبِلُ عليكم أبوكم بوجهه. وقال بعضهم: أي يَفرُغُ لكم مِن الشُّغل بيوسف.

وقوله عز وجل: **وتكونوا مِن بعدِه قومًا صالحين**، يحتمل **صالحين**، أي تائبين. وقال بعضهم: تكونوا **صالحين** عند أبيكم مِن بعدُ. وقال بعضهم:[١٥] يَصْلُحُ أمرُكم وحالُكم عند[١٦] أبيكم بعد ذهاب يوسف. وجائزٌ أنْ يكونوا[١٧] **قوما صالحين** في الآخرة. وقالوا:[١٨] إنهم تابوا قبل أن يَزِلُّوا ويَعصوا.

---

[١] ن: ولم يرد.
[٢] ع: وجه.
[٣] ع – آخر أو.
[٤] م: وقالوا.
[٥] ع م – ذلك.
[٦] ن ع م: لم يكن.
[٧] ع م – حب.
[٨] م – حب.
[٩] ن – على حب من كانت له منه.
[١٠] أي وحُبِّ أمثالِه.
[١١] ك ع م: وقولهم.
[١٢] ﴿وإذ يَمكُرُ بِكَ الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يخرجوك﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[١٣] ع م – على العزيمة.
[١٤] ن: أن يخلوا.
[١٥] ع + تكونوا صالحين عند أبيكم من بعد وقال بعضهم.
[١٦] ع م: منه.
[١٧] ك: أن تكونوا.
[١٨] ع م: وقال.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قال قائلٌ مِنهم لا تَقتلوا يوسف وأَلْقُوه في غَيَابَة الجُبِّ**، قال أبو عَوْسَجَة: يعني في قَعْر البئر. والغَيَابَة: ما يُغَيِّبه ويُوَارِيه؛ والجُبّ: البئر،[1] والجِبَاب جمع.[2] وقال أبو عُبَيدة: الغَيابة: كل شيء غَيَّب[3] عنك شيئا فهو غَيَابَة.[4]

وقوله عز وجل: **يَلْتَقِطْه بعضُ السيّارة**، أي يَرفعه بعض السيّارة. ولذلك يقال للطائر: يَلْتَقِط[5] الحَبّ ويَلْقِط،[6] أي يَرفع. **إن كنتم فاعلين**، إن كنتم لا بُدّ فاعلين[7] أن تُغَيِّبُوه عنه. وأمّا قول أهل التأويل: إن قوله: **لا تَقتلوا يوسف**، قاله[8] فلان أو فلان، فذلك مما لا نعرفه، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. *والله أعلم*. وقال أبو عَوْسَجَة: **السيّارة**، أصلُها مِن السَّير، هو مثل المسافر، وهي القافلة، يعني العِير. وقيل: **الجُبّ**: الرَّكِيّة[9] التي لم تُطْوَ[10] بالحجارة، فإذا طُوِيَت فليس بجُبّ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا ما لك لا تَأْمَنَّا على يوسف**، دل قوله: **ما لك لا تَأْمَنَّا على يوسف**، على أنهم قد[11] طلبوا[12] إخراجه مِن أبيهم غير مرّة؛ لأن مثل هذا الكلام لا يُتَكَلَّم به[13] مُبتدَأً على غير مسابقةِ شيءٍ مِن أمثاله. فدل أنهم قد استأذنوه في إخراجه غير مرّة. **وإنّا له لَناصحون**، الناصح هو الدال على ما به نجاته، أو الدال على كل خير.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ع: والبئر.
[2] ن: جميع.
[3] ع م: غيبت.
[4] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٠٢/١.
[5] ن: يالتقطه.
[6] م: الجب ويلتقط.
[7] ع – إن كنتم لا بد فاعلين.
[8] ن: قال.
[9] ع م: الركبة. والرَّكِيّة: البئر (*لسان العرب* لابن منظور، «ركو»).
[10] طَوَى الرَّكِيّةَ طَيّا: عَرَشَها بالحجارة والآجُرّ (*لسان العرب* لابن منظور، «طوي»).
[11] م – قد.
[12] ن – قد طلبوا؛ ع – دل قوله ما لك لا تأمنا على يوسف على أنهم قد طلبوا؛ ع + على أنه.
[13] ن – به.
[14] ع – خير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **أَرْسِلْه معنا غدًا يَرْتَعْ ويلعبْ وإنّا له لحَافظون.** كان يعقوب خاف على نفسه -أعني يوسف- الضَّيْعَةَ بتركِهم حِفظَه،[١] فأَمَّنُوه على ذلك بقولهم:[٢] **وإنّا له لحَافظون.** وخاف عليه الضَّياع مِن جهة الجوع بِتركِهم حِفظَ[٣] أوقاتِ الأكل، فأَمَّنُوه على ذلك بقولهم: **يَرْتَعْ**، أي يأكل. وخاف عليه[٤] أن يُكَلِّفوه أمرًا يَشُقّ عليه ويَشتدّ، فأَمَّنوه أيضًا على ذلك[٥] بقولهم: **ويلعب**، لأنه[٦] ليس في اللعب مشقة ولا شدة. فخاف عليه الضَّياع بالوجوه التي ذكرنا،[٧] فأَمَّنوه على تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه. وقوله: **يَرْتَعْ ويلعبْ**، قال بعضهم: **يَرْتَعْ**: يأكل،[٨] **ويلعبْ**: يَلْهُ. كأنه خرج جوابًا لقوله:[٩] إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ،[١٠] قالوا له: لا تحزن عليه فإنه يَرْتَع ويلعب، على التقديم والتأخير. وقال بعضهم: **يَرْتَعْ**: يَنْشَطْ،[١١] ويلعبْ: يَتَلَهَّ.[١٢] وقُرئ بالنون: نَرْتَع ونلعب.[١٣] قال القُتَبي: نَرْتَعْ: أي نأكل؛ يُقال: رَتَعت الإبل، إذا رَعَت، وأَرْتَعْتها، إذا تركتها تَرعى. ويُقرَأ:[١٤] نَرْتَعِ، بكسر العين. والمراد منه أن نَتَحارَس[١٥] ويَرعى[١٦] بعضُنا بعضًا، أي يحفظ[١٧] [بعضُنا بعضًا].

---

[١] ك: حفظهم.
[٢] ك ن: بقوله؛ ع + بقوله.
[٣] م: حفظه.
[٤] ع م: قبله.
[٥] ك: فأمنوه على ذلك أيضا.
[٦] ن + لأنه.
[٧] ع م: ذكر.
[٨] م - يأكل
[٩] م - لقوله.
[١٠] الآية التالية.
[١١] م: ينبسط.
[١٢] م: يتلهى.
[١٣] ع: يرتع ويلعب. قرأ من الأئمة العشرة نافع وأبوجعفر بالياء وكسر العين: يَرْتَعِ ويلعبْ، وقرأ ابن كثير بالنون وكسر العين: نَرْتَعِ ونلعبْ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون وإسكان العين: نَرْتَعْ ونلعبْ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالياء وإسكان العين: يَرْتَعْ ويلعبْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣.
[١٤] ع: ونقرأ.
[١٥] ك: أن يتحارس.
[١٦] ن + يقال رتعت الإبل إذا رعت وأرتعتها إذا تركتها ترعى.
[١٧] م: يحفظه.

ومنه يُقال: رَعَاك[1] الله، أي حفظك الله.[2] وقوله:[3] **يَرْتَعْ ويلعبْ**، قالوا:[4] يلعبْ فيما يَحِلّ ويَسَع مِن نحو الاستِباق وغيره. وهو ما ذكروا: إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا.[5] واللعب في مثل هذا يحلّ. وقد رُوي أيضًا في الخبر أنه قال: «لا يحلّ اللعب إلا في ثلاث -وفيه- مُعالَجة الرجلِ فَرَسَه أو قَوْسَه ومُلاعبة[6] الرجلِ امرأتَه»،[7] أخبر أنه لا يحل إلا ثلاث. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **قال إني لَيَحْزُنُني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب. قال إني لَيَحْزُنُني**، عند الواقع به والغائب عنه من النعمة التي أنعمها عليه، لأنه[8] كان نعمة عظيمة له. فات النظرُ إليه فذَكَر الحزن على ما فات عنه، وذَكَر الخوف لِما خاف وقوعَه في وقتٍ يأتي وما سيقع.[9] فهذا تفسير قوله: وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[10] لا يحزنون[11] لأنه موجودٌ لِلحال غيرُ فائت، ولا خوف عليهم، أي لا يخافون فوته لأنّ خوفَ فوتِ النعمة يُنَغِّص[12] على صاحبه النعمة، فأمَّنهم على ذلك. وهو ما ذكرنا أن الحزن يكون بالواقع للحال، والخوف على ما سيقع. *والله أعلم*.

وقوله: **وأخاف أن يأكله الذئب**، قال بعض أهل التأويل: كان يعقوب عليه السلام رأى في المنام أنّ يوسف أخذه الذئب،[13] فمِن ثَمَّ[14] قال: **وأخاف أن يأكله الذئب**. لكن هذا لا يحتمل،

---

[1] ن ع: أرعاك.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٢.
[3] م: قوله.
[4] م: وقالوا.
[5] سورة يوسف، ١٧/١٢.
[6] ع: وملاغبة.
[7] روي نحوه. فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... كُلُّ ما يَلْهُو به الرجل المسلم باطل إلّا رَمْيَه بقوسه وتأديبَه فرسَه ومُلاعبتَه أهلَه، فإنهنّ مِن الحق» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٢٣؛ و*سنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١١). وصححه الترمذي، وهذا لفظه.
[8] أي لأن يوسف عليه السلام.
[9] أي وخاف ما سيقع.
[10] ورد ذلك في آيات كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة، ٦٢/٢).
[11] م - لا يحزنون.
[12] ع م: ينقص.
[13] ذُكِر عن الكَلْبي. انظر: *تفسير القرطبي*، ١٤٠/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٩٥/١٢.
[14] ن ع م: فمن ثمه.

لأنّ رؤيا الأنبياء أكثرها[١] حقّ وصِدق،[٢] فلا يحتمل أنْ رأى ذلك ثم يقول: **أخاف أن يأكله الذئب،** / أو يَدَعه يذهب معهم. لكنه خاف عليه أكل الذئب على ما يُخاف على الصبيان في المَفاوِز [٣٥٨ط] والبَرارِي؛ إذ الخوف على الصبيان في المَفاوِز والبَرارِي والضَّياعُ عليهم يكون بالذئب أكثرَ مِن وجهٍ آخر. لأنه جائزٌ أنْ يَفْتَرِسَه سَبُعٌ مِن السِّباع عند مُغَافَصَةِ[٣] إخوته واشتغالهم بما ذكر من الاستباق، ولا يحتمل[٤] الضَّياع من الناس يأخذه واحد مِن بَيْن نَفَر. وقال بعض أهل التأويل: إن قوله: **وأخاف أن يأكله الذئب،** كناية عن بَنِيه، أي أخاف أن تُهلكوه وتُضيّعوه.[٥]

* فإن قيل في قوله: / **وأخاف أن يأكله الذئب،** كيف خاف[٦] ذلك وقد قال له يعقوب: [٣٥٨ط س ٣٩] وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ،[٧] الآية، أنبأه أنه يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث[٨] ويتم نعمته عليه،[٩] فكيف خاف عليه[١٠] أكل الذئب والضياع[١١] وذلك لا يحتمل أن يقول له إلا بعلمٍ مِن الله والوحيِ إليه؟

قيل: يحتمل أن يكون ما ذكر على شرط الخوف أنه يخاف مما ذكر فيكون له ما قال من الاجتباء وتعليم الأحاديث وإتمام النعمة عليه.[١٢] أو خاف ذلك على ما خافوا جميعًا -على[١٣] ما هم عليه من الدين- وإن عُصِموا[١٤] عما خافوا جميعًا. حيث قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[١٥] ومعلوم أنّ إبراهيم لا يعبد الأصنام،

---

[١] ع: أكثر.
[٢] م: صدق وحق.
[٣] غافَصَ الرجلَ مُغافصةً وغِفاصًا: أخذه على غِرّةٍ فركِبه بمَساءة... وفي نوادر الأعراب: أخذتُه مُغافصةً، أي أخذتُه مُعازّةً (*لسان العرب* لابن منظور، «غفص»). ولعل المقصود بذلك المُصارَعة والمُغالَبة والملاعبة على ما تقع بين الإخوة.
[٤] ن ع م: لا يحتمل.
[٥] ك: أن يهلكوه ويضيعوه.
[٦] ع م – خاف.
[٧] سورة يوسف، ١٢/٦.
[٨] ع + ويتم عليك نعمته وعلى آل يعقوب الآية أنبأه أنه يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث.
[٩] ع: عليك؛ م: ويتم عليك نعمته.
[١٠] ن ع م – عليه.
[١١] ع: بالضياع.
[١٢] ع – عليه.
[١٣] م – على.
[١٤] م: اعتصموا.
[١٥] سورة إبراهيم، ١٤/٣٥.

وقال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[1] وأمثاله.[2] وهو[3] ما ذكرنا في غير موضع[4] أنّ العصمة لا تُزِيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب مُضادّاتِه، بل يَزيد الخوفَ على ذلك.
٣٥٩و س٩] وعلى ذلك[5] الأخيار والأبرار كان خوفُهم وإشفاقُهم على دينهم أكثرَ مِن غيرهم. *والله أعلم*.*

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قالوا لَئِنْ أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ إنّا إذًا لخاسرون**، تأويله[6] -والله أعلم- **لَئِنْ أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ**، أي جماعة، **إنّا إذًا لخاسرون**، أي كأنا نحن سلّمناه إلى الذئب وعرّضناه للضّياع. هذا -والله أعلم- معنى الخسران الذي ذكروا. وإلّا لم يلحقهم الخسران إذا أكله الذئب؛ لأنه إذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكأنهم ضيّعوه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فلمّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غَيَابَة الجُبّ، غَيَابَة الجُبّ**[7] قد ذكرنا.[8]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**، يحتمل قوله: **أوحينا إليه**، وَحْي نبوة، أو وَحْي بِشارة النجاة[9] من ذلك الجُبّ، أو بِشارة المُلك له والعِزّ. ثم قوله: **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**، قال بعضهم: هو قول يوسف حيث قال لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ -الآية- قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي،[10] هذا الذي نبّأهم يوسف، **وهم لا يشعرون** بذلك. ويشبه أن يكون قوله: **وأوحينا إليه**، أي إلى يعقوب، **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**. ويكون قوله: **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**،

[1] سورة يوسف، ١٠١/١٢.
[2] ع م: ومثاله.
[3] م: هو.
[4] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.
[5] ك م - وعلى ذلك.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٨ظ/سطر ٣٩-٣٥٩و/سطر ٩.
[6] م: وتأويله.
[7] ع م - غيابة الجب.
[8] نظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٠/١٢.
[9] ع: النجارة.
[10] سورة يوسف، ٨٩/١٢-٩٠.

هو ما قال لهم: يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ،[١] الآية، أمرهم أن يطلبوه ويتحسسوا مِن أمره، كأنّه عَلِم أنه حي لقوله:[٢] **وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**،[٣] أنه حي. ألا ترى أنه قال: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ.[٤] ولهذا قال حين ألقى الثوب على وجهه فارتدّ[٥] بصيرًا: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.[٦] وذلك تأويل قوله: **وهم لا يشعرون**، إن كانت الآية في يعقوب. وإن كانت في يوسف فهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.[٧]

**﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[١٦] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **وجاءوا أباهم عِشاءً يَبكون**، الآية، في الآية دلائل. أحدها أنّ مَن ارتكب[٨] صغيرة فإنه يُخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرًا، ومَن ارتكب كبيرة لم يَخرج[٩] من الإيمان؛ لأن إخوة يوسف هَمُّوا بقتل يوسف أو طَرْحِه في الجُبِّ والتغييبِ عن وجه أبيه وإخلائِه عنه، وذلك لا يخلو[١٠] منهم إمّا أن يكون[١١] صغيرة أو كبيرة. فإن كانت صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم:[١٢] يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا،[١٣] الآية؛ دل أنهم إنما استغفروا لما خافوا العذاب عليها. وإن كانت كبيرةً فلم يخرجوا من الإيمان[١٤] حيث صاروا أنبياء[١٥] مِن بعدُ وصاروا قومًا صالحين حيث قالوا: وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.[١٦]

---

١ سورة يوسف، ٨٧/١٢.
٢ ن ع: كقوله.
٣ م – هو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الآية أمرهم أن يطلبوه ويتحسسوا من أمره كأنه علم أنه حي لقوله وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون.
٤ سورة يوسف، ٩٤/١٢.
٥ م: وارتد.
٦ سورة يوسف، ٩٦/١٢.
٧ ك + بذلك.
٨ ن – ارتكب.
٩ ع م: لم تخرج.
١٠ ك ن: لا يخ.
١١ ن ع م: أن تكون.
١٢ م: بقولهم.
١٣ سورة يوسف، ٩٧/١٢.
١٤ ن: عن الإيمان.
١٥ م: أنباء.
١٦ سورة يوسف، ٩/١٢.

دل ما ذكرنا على نقض[1] قول المعتزلة في صاحب الصغيرة أنْ لا تعذيب عليه، وصاحبِ الكبيرة أنه يخرج[2] من الإيمان، ونقضِ قول الخوارج في قولهم: إنه إذا ارتكب كبيرة أو صغيرة صار به كافرًا مشركًا. وفيه نقضُ قولِ مَن[3] يقول: إنّ مَن كذب متعمّدًا[4] أو وعد فأخلف[5] أو اؤتمن[6] فخان يصير منافقًا. لأن إخوة يوسف اؤتمنوا[7] فخانوا، ووعدوا فأخلفوا، وحدّثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين؛ لأنهم قالوا: **أكله الذئب**، ولم يأكله،[8] وهو كذب. واؤتمنوا فخانوا حين أَلْقَوْه في الجُبِّ. ووعدوا أنهم يحفظونه ولم يحفظوه.

فإن قيل: رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثٌ مِن علامات النفاق: مَن إذا حدّث[9] كذب، وإذا اؤتمن[10] خان،[11] وإذا وعد[12] أخلف».[13] فكيف يُوفَّق بين الآية[14] والخبر، إذ هو لا يحتمل النسخ لأنه خبر، والخبر لا يحتمل النسخ؟

قيل: يشبه أن يكون هذا في قوم خاصّ مِن الكَفَرَة اؤتمنوا بما أُودِع في التوراة مِن بعثِ محمد فغيّروه، ووعدوا أن يبيّنوه فأخلفوا وكتموه، وحدّثوا أنهم بيّنوه[15] فكذبوا. أو يصير[16] منافقًا بما ذُكر إذا كان ذلك في أمر الدين، وأمّا في غيره فإنه لا يصير به منافقًا، ولا يكون تلك مِن أعلام المنافق. *والله أعلم*.

---

[1] ع – نقض.

[2] ع – يخرج؛ م: خرج.

[3] ع – من.

[4] ع م – متعمدًا.

[5] م: وأخلف.

[6] ع م: والتمن.

[7] ع: أو ائتمنوا.

[8] ك: ولما أكله.

[9] م: إذا احدث.

[10] ع: وأو التمن.

[11] ك ن ع: فخان.

[12] ك: فإذا وعد.

[13] ك ن ع: فأخلف. والحديث رُوي بلفظ أحسن مما في المتن: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (صحيح *البخاري*، الإيمان ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٠٧).

[14] ع: يوق بين الآلة.

[15] ن: يبينوه.

[16] ن: ويصير؛ م: فيصير.

[٣٥٩و س٩ * وقوله عز وجل: **ذهبنا نَسْتَبِق،** قال بعضهم:[١] نشتدّ إلى الصيد. وقال أبو عَوْسَجة: **نَسْتَبِق،** هذا من السِّباق، أي يَغْدُون حتى يَنظروا أيُّهم[٢] يَسْتَبِق،[٣] أي يتقدّم مِن صاحبه ويَغلبه في العَدْو. وقال القُتَبي: **نَسْتَبِق،** أي نَنْتَضِل:[٤] يُسابِق بعضُنا بعضًا في الرمي، يُقال:
٣٥٩و س١٢] سابَقْتُه فسَبَقْتُه.[٥] *والله أعلم.* *

وقوله عز وجل: **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين،** هذا القول منهم له في الظاهر عظيم؛ لأنهم قالوا: **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين،** ولا يحتمل[٦] أن يكونوا عنده صَدَقَةً[٧] ثم يُكذِّبهم. يكون نبي من الأنبياء يَعلم صِدقَ إنسان ثم لا يُصدِّقه، هذا بعيد. لكن يحتمل قولهم: **وما أنت بمؤمن لنا،** في هذا، **ولو كنا صادقين،** عندك مِن قبلُ في غير هذا. أو يكون قوله: **وما أنت بمؤمن لنا،** أي تتّهمنا ولا تصدّقنا، لأنه اتّهمهم حيث[٨] قال: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٩] فاعترضَت له التُّهمة. وليس في الاتّهام تكذيب، إنما فيه[١٠] الوَقْف؛ لأن مَن ائتَمن آخَرَ في شيء ثم اتّهمه فيه لا يكون في اتّهامه إياه تكذيبُه. فعلى ذلك قولهم: **وما أنت بمؤمن لنا،** أي تتّهمنا لِما سبقت من التُّهمة، **ولو كنا صادقين.** على هذين[١١] الوجهين يخرج تأويل[١٢] الآية. وإلّا لم يَجُز أن يكون نبي مِن الأنبياء يُكذِّب مَن يَعلم أنه صادق في خبره وقولِه.*

---

[١] ك + أي.
[٢] ع: إليهم.
[٣] م: يسق.
[٤] ع: نتضل. انتضل القوم أي تسابقوا في الرمي بالسهام (*لسان العرب* لابن منظور، «نضل»).
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩و/سطر ٩-١٢.
[٦] ن: لا يحتمل.
[٧] جمع صادق، مثل كاذب وكَذَبَة.
[٨] ع: هذا.
[٩] سورة يوسف، ١٢/١٣.
[١٠] ع: إنما هو فيه؛ م: إنما هو في.
[١١] ن: على هذا.
[١٢] ع: دلائل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٨ظ/سطر ٣٩-٣٥٩و/سطر ٩. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩و/سطر ٩-١٢.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وجاءوا على قميصه بدمٍ كَذِب**، الدم لا يكون كَذِبًا، ولكنه[١] -والله أعلم- جاءوا[٢] على قميصه بدمٍ قد كذبوا فيه أنه دمُ يوسف وأنّ الذئب أكله و لم يكن. وقال الفَرّاء: **بدمٍ كَذِب**، بدمٍ[٣] مكذوب، والعرب قد تَستعمل[٤] المصدر في موضع المفعول.[٥] ثم قال: **بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم**، أي زيّنت لكم أنفسكم، والتَّسْوِيل هو التزيين[٦] في اللغة. وتأويله -والله أعلم- أي زيّنت لكم أنفسكم ودَعَتْكم[٧] إلى أمرٍ تَفصِلون وتُفرِّقون بيني وبين ابني. لٰكِنّا لا نعلم ما ذلك الأمر الذي زيّنت أنفسهم لهم. ويشبه أن يكون ذلك قوله: يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا.[٨] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فصبرٌ جميلٌ**، يحتمل وجهين. يحتمل[٩] **صبرٌ** لا جَزَعَ فيه، **جميلٌ** نَرضى بما ابتُلِينا به، لأن الصبر هو كَفّ النفس عن الجَزَع.[١٠] والثاني **صبرٌ**، كَفّ النفس عن الجَزَع، **وجميلٌ** لا مكافأة فيه. *والله أعلم*.[١١]

وقوله عز وجل: **والله المستعان**[١٢] **على ما تَصِفون**،[١٣] أي وبالله أستعين على الصبر بما تَصِفون. أو يقول:[١٤] به أستعين على ما تقولون من الكذب حين تزعمون أن الذئب أكله ونحوه.

---

[١] م: لكنه.
[٢] ع: وحاؤا.
[٣] م - بدم.
[٤] ع م: يستعمل.
[٥] *معاني القرآن* للفراء، ٣٥١/١.
[٦] ع: اليرنين.
[٧] ع: ودعيكم.
[٨] سورة يوسف، ٥/١٢.
[٩] ع م - يحتمل.
[١٠] م + بذلك وجميل لا مكافأة فيه لأنهم بما فعلوا بيوسف كانوا مستوجبين للمكافأة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم.
[١١] م - والثاني صبر كف النفس عن الجزع وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم.
[١٢] ع + لأنهم بما فعلوا بيوسف كانوا مستوجبين المكافات فقال صبر كف النفس عن الحزع بذلك وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم وقوله عر وحل والله المستعان.
[١٣] ع م + الآية.
[١٤] ك ن ع + أي.

**﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **وجاءت سيارة**، السيّارة هي جماعة السائرين كالمسافرين،[١] **فأرسلوا وارِدَهم**، الوارِد[٢] هو طالب الماء ومُسْتَقِيه، **فأَدْلَى دَلْوَه**، أي أرسل دَلْوَه في البئر [فـ]وَجَدَه.[٣] **قال يا بُشْرَى هذا غلام**، قال بعضهم: **بُشْرَى** هو اسم ذلك الرجل الذي[٤] كان مع المُدْلِي الدَّلْو، فقال له: **يا بُشْرَى هذا غلام**، كما يقال: يا فلان، هذا غلام. وقال بعضهم: هو من البِشارة، كأنه قال له:[٥] أَبْشِرْ بهذا الغلام. وفي بعض القرآت:[٦] يا بُشْرَايَ،[٧] على الإضافة إلى نفسه.[٨] فكأنه بَشَّر نفسه، أي البُشْرَى لي بهذا الغلام. ويشبه أن يكون هذا كناية كلامٍ كان هنالك، لكن[٩] لم يبيّن لنا ذلك. والله أعلم بذلك. كقوله: وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ،[١٠] أخبر أنه أقسم، لكن لم يبيّن لنا[١١] ما ذلك القَسَم.

وقوله عز وجل: **وأَسَرُّوه بضاعة**، قال بعضهم: الإسرار هو اسم الإخفاء والإظهار جميعًا، كقوله: وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ،[١٢] أي أظهروا الندامة. فإن كان ما ذُكر أنه اسم لهما جميعًا فكأنه قال: أظهروه[١٣] بضاعةً. فإن كان[١٤] على حقيقة الإخفاء والإسرار فهو على الإضمار كأنه قال: وأَسَرُّوا على ما كان وأظهروا بضاعة لئلا يَطلب أصحابهم[١٥] في ذلك شِرْكَة. **والله عليم بما يعملون**، أي **عليم** بما عَمِل إخوةُ يوسف بيوسف.[١٦] أو **عليم** بما عَمِل السيّارة مِن الإسرار والإظهار. *والله أعلم*.

---

[١] ع م: كالمسافر.
[٢] ك – الوارد.
[٣] ك ن ع: وجدوه.
[٤] م – الذي.
[٥] م – له.
[٦] ع: القراأة؛ م: القراة.
[٧] م: يا بشرى اي.
[٨] قرأ من الأئمة العشرة عاصم وحمزة والكسائي وخلف: يا بُشْرَى، وقرأ الباقون: يا بُشْرَايَ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣.
[٩] م – لكن.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/٢١. والآية في قَسَم إبليس لآدم وحوّى عليهما السلام.
[١١] ك + ذلك.
[١٢] سورة سبأ، ٣٤/٣٣.
[١٣] ن ع م: أظهروا.
[١٤] ك: وإن كان.
[١٥] ع: أصابهم.
[١٦] م: يوسف.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وشَرَوْه بثمنٍ بَخْسٍ**، أي باعوه بثمنٍ بَخْسٍ،[١] **دراهمَ معدودةٍ**، قال بعضهم: البَخْس هو النقصان، أي باعوه بثمنٍ لا يُباع مثلُه بمثله. وقال بعضهم: البَخْس: الظلم. باعوه[٢] ظلمًا وأخذوا ثمنه ظلمًا، لأنهم باعوا حرًا، وبيعُ الحر[٣] حرام، وأخذوا ثمنه ظلمًا حرامًا، لأن ثمن الحر حرام. وقال بعضهم: **بثمنٍ بَخْسٍ دراهمَ**، أي دراهم نَبَهْرَجَة[٤] وزَيْف. **وكانوا فيه من الزاهدين**، أي كانت السيّارة في يوسف مِن الزاهدين حيث باعوه[٥] بثمن الدُّون والنقصان بما لا يُباع مثلُه[٦] بمثل ذلك الثمن خشيةَ أنْ يجيئهم طالبٌ لِما عَلِموا أنّ مِثلَ هذا لو كان مملوكًا لا يُترَك[٧] هكذا لا يُطلَب، فباعوه بأدنى ثمن يكون لهم لا كما يبيع الرجل مِلكَه على رغبةٍ مِنه خشيةَ الطلب والاستنقاذ مِن أيديهم. وقال عامة أهل التأويل: قوله: **وشَرَوْه بثمنٍ**، أنّ إخوة يوسف هم الذين باعوه مِن السيارة بثمن **بَخْسٍ دراهمَ**
[٣٥٩ظ] **معدودةٍ وكانوا فيه من / الزاهدين**،[٨] أي لم يعرفوا مَنْزلته ومكانه. والأول أشبه. وقوله: **وكانوا فيه من الزاهدين**، أي[٩] كانوا في شرائه من الزاهدين لِما خافوا ذهاب الثمن[١٠] إن كان مسروقًا.

[٣٥٩ظ س١٠ * وقال[١١] أهل التأويل: إنه بِيع بعشرين درهمًا أو بعشرين[١٢] ونَيِّف. ذلك مما لا يُعلَم إلا بخبرٍ سِوَى أنّ فيه أنه بِيع بثمن الدُّون والنقصان بقوله:[١٣] **بَخْس**. والبَخس هو النقصان، يُقال: بَخَسْتُه أي نَقَصْتُه، كقوله: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ،[١٤] أي لا تنقصوا، وهو ما قال: وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ
٣٥٩ظ س١٣] وَالْمِيزَانَ.[١٥] وقيل: البَخس: الظلم والحرام. وقد ذكرنا. *والله أعلم*.*

---

١ ع – بخس.
٢ ن ع م: باعوا.
٣ م: حرامًا وبيع الحرام.
٤ درهم بَهْرَج ونَبَهْرَج أي رديء، فِضّته رديئة. مأخوذ من اللغة الفارسية (*لسان العرب* لابن منظور، «بهرج»).
٥ ع م: باعوا.
٦ ع: مثل.
٧ ن ع: لا ينزل.
٨ ن + أي كانوا فيه من الزاهدين.
٩ ك – أي؛ ن ع – أي لم يعرفوا منزلته ومكانه والأول أشبه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين أي.
١٠ ع م: أي خافوا من الثمن.
١١ م: وقول.
١٢ ك – أو بعشرين.
١٣ ع: بقول.
١٤ سورة الأعراف، ٨٥/٧.
١٥ سورة هود، ٨٤/١١.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ١٠-١٣.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وقال الذي اشتراه مِن مِصرَ لامرأته أَكْرِمِي مَثْوَاه**، أي مقامه ومنزلته. **عسى أن ينفعنا**، إن صَدَّق التّجار أنه بضاعة عندهم، **أو نتخذه ولدًا**، إن ظَهَر أنه مسروق وأنه حر، لِما وَقَع عندهم أنّ البضاعة لا تُباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه.

وقوله:[1] **وكذلك مَكَّنَّا لِيوسف في الأرض**، تأويله:[2] كما مَكَّنّا لِيوسف[3] عند العزيز وامرأته كذلك تُمَكِّنُك[4] عند أهل الأرض. ولكن ذكر **مَكَّنَّا** على الخبر لأنه كان مُمَكَّنًا في ذلك[5] اليوم عند العزيز والمَلِك. ويشبه أن يكون قوله:[6] **مَكَّنَّا**، أي كذلك جعلنا ليوسف مكانًا ومنزلةً عند الناس وفي قلوبهم مكانَ ما خَذَلَه إخوتُه ولم يعرفوا مكانه ومنزلته، وبَعْدَ[7] ما كان شِبْهَ المملوك عند أولئك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولِنُعَلِّمَه مِن تأويل الأحاديث**، هذا قد ذكرناه[8] فيما تقدم.[9]

وقوله عز وجل: **والله غالب على أمره**، أي لا مَرَدَّ لقضائه، إذا قضى أمرًا كان، كقوله:[10] ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾،[11] **ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**.*

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ولمّا بلغ أَشُدَّه**، الأَشُدّ هو اشتداد كل شيء ونهايةُ كلِّ نوع[12] في الكمال. يحتمل **أَشُدَّه**: انتهاء بلوغه، أو انتهاء[13] شبابه، أو انتهاء عقله في التمام، لا يخلو من هذه الوجوه الثلاثة.

---

[1] ك ن ع - وقوله.
[2] ك ن + والله أعلم.
[3] ع - تأويله كما مكنا ليوسف.
[4] ع: بمكنك.
[5] م: في هذا.
[6] ع م: قولنا.
[7] م: بعد.
[8] ن: قد ذكرنا.
[9] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٢/٦.
[10] ع م: لقوله.
[11] سورة الرعد، ١٣/٤١.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ١٠-١٣.
[12] م: ونهاية كانوا.
[13] ع م: وانتهاء.

وقول أهل التأويل: [الأَشُدّ] مِن[1] ثماني عشرة سنة إلى أربعين،[2] لأنه به[3] يَتِمّ ويَكْمُل كلُّ نوعٍ مِن ذلك إلى ذلك. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **آتيناه حُكمًا وعِلمًا**، يحتمل[4] قوله: **حُكمًا**، الحكم بين[5] الناس، والعِلم في الحكم. ويحتمل قوله: **حُكمًا**، أي أعطيناه النبوة، **وعِلمًا**، عِلم الأحاديث وتأويلها على ما تقدم ذكره.[6] أو أن يكون إذا أعطاه الحكم أعطاه العلم[7] وإذا أعطاه العلم أعطاه الحكم.

وقوله[8] عز وجل: **وكذلك نجزي المحسنين**، يحتمل الإحسان في الأعمال، أي عَمِل أعمالا حسنة صالحة. ويحتمل الإحسان إلى الناس، أي أحسن إليهم. أو أحسن إلى نفسه. لا يخلو[9] من هذه الأوجه الثلاثة. أو أن يكون[10] قوله: **وكذلك نجزي المحسنين**، أي كذلك نجزي مَن أحسن صُحبةَ نِعَمِ الله وإحسانِه وقام بشكر ذلك. **وكذلك**، أي مِثل الذي جَزَى[11] **يوسف**، لا يريد أنه يجزي[12] غيره عين ما جزى يوسف، ولكن يجزيه جزاء الإحسان.

**﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **ورَاوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه**، دلّ قوله: **في بيتها**، أن البيت قد يجوز أن يضاف إلى المرأة وإن كان[13] البيت في الحقيقة لزوجها على ما أضاف بيت زوجها إليها.

وقوله عز وجل: **ورَاوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه**، المُرَاوَدَة قيل: هي الدعوة والطِّلْبَة. **رَاوَدَتْه**، أي دَعَتْه إلى نفسها.[14] وقال أهل التأويل: **رَاوَدَتْه**، أي أرادته.

---

[1] ع م - من.
[2] انظر للأقوال في ذلك: *تفسير الطبري*، ١٢/١٧٦-١٧٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥١٨.
[3] ع - به.
[4] ع م - يحتمل.
[5] ن ع م: من.
[6] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٢/٦.
[7] ع - العلم.
[8] ع: قوله.
[9] ك: لا يخ؛ ن ع: لا تخلوا؛ م: لا تخلو.
[10] م: من أوجه ثلاثة أو يكون.
[11] ن ع م: جزاء.
[12] ن: نجزي؛ م: أن يجزي.
[13] ن ع: كانت.
[14] م: إلى نفسه.

**وغَلَّقت الأبواب وقالت هَيْتَ لك**، قيل: إن هذه كلمة[1] أُخِذَت مِن الكتب المتقدمة ليست بعربية، ونحن لا نعرف ما أرادت بها. لكن أهل التأويل[2] قال بعضهم: هَلُمَّ لك. وقال بعضهم: تَهَيَّأْتُ لك. وفي بعض القراآت: هِئْتُ لك، بالهمز،[3] ومعناه ما ذكرنا، أي تَهَيَّأْتُ لك. ويشبه أن يكون قوله: **هَيْتَ لك**، هَا أَنَا لك.

**قال مَعَاذَ الله**، أي أعوذ بالله وألجأ إليه، **إنه ربي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، قال أهل التأويل: **ربي**، أي سيدي الذي اشتراني،[4] **أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، أي أكرم مقامي ومكاني. دليله قوله لزوجته: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ.[5] هذا يدل أن قوله: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، أي أحسني مثواه. ولكن يشبه أن يكون أراد بقوله: **إنه ربي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، ربه الذي خلَقَه. وقوله عز وجل: **إنه لا يفلح الظالمون**، بظلمهم وقتَ ظُلمهم. والمَثْوَى: الموضع الذي يُثْوَى فيه، والثَّواء[6] المُقام،[7] والثَّاوِي: المُقِيم. و **مَعَاذَ الله**، قيل: أعوذ بالله وألجأ إليه وأتحصّن به. أو **لا يفلح الظالمون**، إذا خُتموا بالظلم، وأما إذا انْقَلَعُوا عنه فقد أفلحوا.[8]

**﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**[٢٤]

وقوله عز وجل: **ولقد هَمَّتْ به وهَمَّ بها لولا أنْ رأى برهان ربه**، أما ما قاله أهل التأويل: إنها استَلْقَتْ[9] له **وهَمَّ بها**، أي حَلَّ سراويله وأمثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يَحِلّ أن يُقال فيه شيء مِن ذلك. والدلالة على فساد ذلك مِن[10] وجوه.[11] أحدها قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي،[12] ولو كان منه الإرادة والمُرَاوَدَة لم يكن لِيقولَ ذلك لها ويبرّئَ نفسه مِن ذلك.

---

[1] م: الكلمة.

[2] ن + بل.

[3] فيها قراءات متواترة عديدة. فقرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان: هِيتَ لك، وقرأ هشام: هِئتَ لك، وقرأ هشام أيضا: هِئتُ لك، وقرأ ابن كثير: هَيْتُ لك، وقرأ الباقون: هَيْتَ لك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣-٢٩٤.

[4] جميع النسخ: اشتراه.

[5] سورة يوسف، ٢١/١٢.

[6] م: والثوى.

[7] أي الإقامة.

[8] ع – وقوله عز وجل إنه لا يفلح الظالمون بظلمهم وقت ظلمهم والمثوى الموضع الذي يثوى فيه والثواء المقام والثاوي المقيم ومعاذ الله قيل أعوذ بالله وألجأ إليه وأتحصن به أو لا يفلح الظالمون إذا ختموا بالظلم وأما إذا اقلعوا عنه فقد أفلحوا.

[9] م: اسلفت.

[10] ن ع م – من.

[11] ن ع: وجوها، ن ع + منصوب بنزع الخافض.

[12] سورة يوسف، ٢٦/١٢.

والثاني قوله: **كذلك لِنَصْرِفَ عنه السوء والفحشاء**، ولو كان شيء مما ذكروا مِن حَلِّ السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء مصروفًا عنه.

[٣٦٠و] والثالث قوله: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ،[1] ولو كان/منه ما ذكروا [لكان] قد[2] خانه بالغيب.

والرابع قوله:[3] مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ – وقوله[4] – ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ،[5] هذا كله يدل أنّ ما قاله أهل التأويل فاسد لا يَحِلّ أنْ يُتكلَّم فيه بشيء مِن ذلك. وليس في ظاهر الآية شيء مما قالوا لا قليل[6] ولا كثير؛ إذ ليس فيه سِوَى أنْ هَمَّت به وهَمَّ بها.

ثم تحتمل[7] الآية وجوهًا عندنا.[8] أحدها **هَمَّت به**، هَمَّ[9] عَزْمٍ، **وهَمَّ بها**، هَمَّ[10] خَطْرٍ. ولا صُنعَ للعبد فيما يَخْطِر بالقلب، ولا مؤاخذة عليه. وهو قول الحسن.[11]

والثاني **هَمَّت به**، هَمَّ الإرادة والتمكُّنِ، **وهَمَّ بها**، هَمَّ دَفْعٍ. لكنه يدخل عليه قوله: **لولا أن رأى برهان ربه**، لو كان هَمُّه بها هَمَّ دَفْعٍ لم يكن لقوله:[12] **لولا أن رأى برهان ربه**، معنى. لكنه يشبه أن يكون **هَمَّ بها**، أي هَمَّ بقتلها،[13] فإذًا كان[14] هَمَّ بقتلها فرأى برهان ربه[15] فتَرَكها لِما لا يَحِلّ قتلُها.

والثالث[16] كان يَهُمّ بها **لولا أن رأى برهان ربه**، على الشرط، [أي] كان يَهُمّ بها لولا ما رأى مِن برهان ربه، وهو كقوله:[17] وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ،[18]

---

[1] سورة يوسف، ٥٢/١٢.
[2] جميع النسخ: لقد.
[3] جميع النسخ: قولها.
[4] جميع النسخ: وقولها.
[5] ﴿قال ما خَطْبُكُنّ إذ رَاوَدْتُنّ يوسفَ عن نفسه قُلْنَ حَاشَ لله ما عَلِمْنا عليه مِن سُوءٍ قالت امرأةُ العزيز الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا رَاوَدْتُه عن نفسه وإنّه لَمِنَ الصادقين﴾ (سورة يوسف، ٥١/١٢).
[6] ن ع م: من قليل.
[7] ن ع م: ثم يحتمل.
[8] ن – عندنا.
[9] ك + بها؛ ن + به.
[10] ع – هم.
[11] *تفسير القرطبي*، ١٦٧/٩.
[12] م: كقوله.
[13] جميع النسخ: قتلها.
[14] م + كان.
[15] ع: به.
[16] جميع النسخ: والثاني.
[17] ن: وكقوله؛ ع: لولا أن رأى برهان ربه وكقوله.
[18] سورة الإسراء، ٧٤/١٧.

[أي] لولا ما[1] كان مِن تثبيتنا[2] إياك. وكذلك يخرج قول إبراهيم: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[3] أي لو كان هو الذي يَنطق لَفَعل هو.[4]

ثم اختلف في قوله: **لولا أنْ رأى برهان ربه**، قال بعض أهل التأويل: رأى يعقوب عاضًا على شَفَتَيْه. وقال بعضهم: مُثِّلَ له يعقوبُ وصُوِّرَ له فرأى عاضًّا على إصبعه. وقال بعضهم:[5] رأى آيةً مِن كتاب الله: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً،[6] الآية. هذا كله لا يُدرَى. وأصل البرهان الحجة، أي لولا ما رأى مِن حجة الله وإلا كان يَهُمّ بها. ولكن لا ندري ما تلك الحجة. والله أعلم بذلك. والبرهان هو الحجة والآية، [أي] لولا أنْ رأى حجة ربه وبرهان ربه وآياته. أو [البرهان هو] الرسالة. ويشبه الحجة، أي النبوة.

**﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٢٥]

وقوله عز وجل: **واستَبَقَا البابَ**، قال بعضهم: **استَبَقَا الباب**، استَبَقَتْ هي لِتُغلقَ[7] الباب،[8] واستَبَقَ هو لِيَخرج ويَفِرّ. لكن قوله: لِتُغلقَ الباب، لا يحتمل؛ لأنّ الأبواب كانت مُغلقة بقوله: وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ،[9] ولكن استَبَقَتْ هي لِتَحبسه وتمنعه، واستَبَقَ هو لِيخرج ويهرب.

وقوله عز وجل: **وقَدَّتْ قميصَه مِن دُبُرٍ**، لما جرّته لِتَحبسه.

وقوله عز وجل: **وأَلْفَيَا سيدَها**، أي وجدا سيدها. هذا يدل أنّ قوله: رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ،[10] لم يُرِدْ به العزيز الذي اشتراه، ولكن العزيز الذي خَلَقَه؛ لأنه قال: **سيدها**، و لم يقل: سيدهما.

* وقال[11] أبو عَوْسَجَة: قوله: **وقَدَّتْ قميصَه**، أي شقت[12] / ومزقت. ومَقْدُود أي مشقوق. [٣٥٩ظ س٣٩]
**مِن دُبُر**، أي مِن خلف، و **مِن قُبُل**، أي مِن قُدّام. وهو مأخوذ من القُبُل، من قُبُل المرأة.

---

[1] ع م – ما.
[2] ع: من تثبيتا.
[3] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[4] ع – هو.
[5] ك ع + رأى برهان ربه قال بعضهم؛ ن + رأى برهان قال بعضهم؛ م + رأى برهان ربه وقال بعضهم.
[6] سورة الإسراء، ٣٢/١٧.
[7] ع: لتعليق.
[8] ك: الأبواب.
[9] سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[10] نفس الآية.
[11] ع: قال.
[12] ع: أي شققت.

وقوله: **وأَلْفَيَا سيدها لَدَى الباب**، ولم يقل: سيدهما، فهذا يدل على[1] ما ذكرنا. **لَدَى الباب**، ٣٦٠و س٣] أي عند الباب. وهو ظاهر، أي وجدا سيدها عند الباب.*

وقوله عز وجل: **قالت ما جزاء مَن أراد بأهلك سوءًا إلا أن يُسجَن أو عذابٌ أليم**، هذا يدل أنَّ الإرادة تكون مع الفعل؛ لأنها كانت لا تعلم إرادة ضميره، فإنما[2] أخبرت عما عرفت مِن الميل وإظهار الفعل. وكذلك قول إخوة يوسف: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا،[3] وكانوا[4] هم لا يَعرفون ما في ضميره مِن الحب سِوَى ما ظهر لهم منه مِن الميل إليه وإبداء الشفقة له. فهذا يدل على[5] ما ذكرنا من كون الإرادة مع الفعل. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٢٦] ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **قال هي رَاوَدَتْني عن نفسي**، أي دَعَتْني. والمُرَاوَدَة قد ذكرنا[6] أنها هي الدعوة، كقوله: سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ،[7] أي سندعو[8] منه ونطلب. فإن قيل: كيف هَتَكَ سِتْرَها بقوله: **هي رَاوَدَتْني عن نفسي**؟ قيل: ليس فيه هَتْكُ السِّتر عليها، بل فيه نَفْيُ العيب والطعن عن نفسه. فالواجب على المرء أن يَنفي العيب وما يُشِينُه عن نفسه على ما فعل يوسف.

وقوله عز وجل: **وشَهِدَ شاهدٌ مِن أهلها إنْ كان قميصُه قُدَّ مِن** كذا فهو كذا وإن كان كذا فهو كذا مِن كذا، قال بعض أهل التأويل: ذلك الشاهد هو ابنُ عمٍّ لها، رجلٌ حليم يُقال [له] كذا. وقال بعضهم: شَقُّ القميص مِن دبر هو الشاهد، وأمثاله. لكن هذا لا يُعلَم مَن كان ذلك الشاهد. وقيل: صبي في المهد. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

وقوله عز وجل: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُلٍ فصَدَقَتْ وهو مِن الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُرٍ فكَذَبَتْ وهو مِن الصادقين**، هذا لأن القميص إذا كان قُدَّ مِن قُبُل[9]

[1] ن ع م – على.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآيتين التاليتين، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ٣٩-٣٦٠و/سطر ٣.
[2] ع م: فإذا.
[3] سورة يوسف، ٨/١٢.
[4] ع: وكانو.
[5] ك ن ع – على.
[6] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[7] سورة يوسف، ٦١/١٢.
[8] جميع النسخ: أي سندعوا.
[9] ن – فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا لأن القميص إذا كان قد من قبل.

فهو إنما يَنْقَدّ[1] مِن دَفْعِها إياه[2] عن نفسها، وإذا كان القميص مَقْدُودًا مِن دُبُر[3] فهو إنما يَنْقَدّ[4] مِن جَرِّها إياه إلى نفسها لا مِن دَفْعِها إياه عن نفسها. هذا هو الظاهر في العُرف. لذلك قال الشاهد: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُل فصَدَقَتْ فهو مِن** -كذا- **وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُر فكَذَبَتْ وهو مِن الصادقين،** فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ،[5] الآية، استدل على أنه إنما تمزّق مِن جَرِّها إياه لا مِن[6] دَفْعِها عن نفسها. ففيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد؛ لأن القميص في الغالب لا يتمزَّق مِن دُبُر إلا عن جَرٍّ[7] مِن وراء ولا مِن قُبُل[8] إلا عن دَفْعٍ[9] مِن قُدّام. لذلك دل على ما ذكرنا. *والله أعلم*. وإن كان يجوز أن يكون في الحقيقة على غير ذلك لكن نظر إلى الغالب.*

وفي قوله: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُل** -فهو كذا- **وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُر** فهو من كذا، دلائل يُستدَل بها لِمسائلَ[10] لأصحابنا. مِن ذلك قولهم في حانوتٍ فيه لؤلؤٌ وإهابٌ تَنَازَعَ فيه دَبّاغ ولُؤلؤِيّ فإنه يُقضَى باليَدِ لكلِّ واحدٍ منهما في ذلك، لِلُّؤلؤِيّ باللؤلؤ،[11] وللدَّبّاغ بالإهاب باليَد. يُستدَل بغالب الأمر وظاهر[12] اليد، على ما قضى عليها بالمُراوَدَة بتَمَزُّقِ[13] القميص مِن دُبُر. وأمثالُ هذا مسائلُ يَكثُر عددها[14] يُقضَى [فيها] بالدلالة الغالبة وإن كان يجوز [أن تكون] في الحقيقة على خلاف الظاهر.

---

[1] ع م: يتقدم.
[2] ع م - إياه.
[3] ك - من دبر.
[4] ع م: يتقدم.
[5] الآية التالية.
[6] ن: لأن من.
[7] ع - جر؛ م: عن دفع.
[8] ع م: عن قبل.
[9] ن: من دفع.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة لهاتين الآيتين، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ٣٩- ٣٦٠و/سطر ٣.
[10] ع م: المسائل.
[11] ن - باللؤلؤ.
[12] ك: فظاهر.
[13] ن: يتمزق.
[14] ع: عددهما.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **فلمّا رأى قميصه قُدَّ مِن دُبُر قال إنه مِن كَيْدِكُنّ إنّ كَيْدَكُنّ عظيم**، يشبه أن يكون كَيْدُها أنها[١] لمّا رَاوَدَتْه[٢] عن نفسه[٣] وأَمَّنَته على إظهار ذلك وإفشائه عليه فأَفْشَتْ عليه ذلك حيث أبى إجابتها، فقالت: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا.[٤] ذلك القول مِنها مِن كَيْدِهِنّ. وأصل الكيد والمكر هو الأخذ على الأَمْن. *والله أعلم*. وفي الآية دلائل لقول أصحابنا[٥] في المتاع يختلف فيه الزوجان، فإن كان مِن متاع الرجال فهو في يد الرجل، وإن كان مِن متاع النساء فهو في يد المرأة في قول أبي يوسف ومحمد.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **يوسف أعرض عن هذا**، يحتمل قوله: **أعرض عن هذا**، أي عن قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[٦] ويشبه أن يكون قوله: **أعرض عن هذا**، عن جميع ما كان بينهما، أي استر عليها ولا تَهتِك عليها سِترها.

وقوله عز وجل: **واستغفري لذنبكِ**، قال ليوسف ذلك القائل:[٧] **أعرض عن هذا**، وقال للمرأة: **واستغفري لذنبكِ إنكِ كنتِ مِن الخاطئين**، لما ظهر عنده أنها هي[٨] التي رَاوَدَتْه ودَعَتْه إلى نفسها.[٩] ثم اختُلف في قائل[١٠] هذا القول. قال بعضهم: هو زوجها، قال ليوسف: **أعرض عن هذا**،ولا تَهتِك عليها سِترها. لكنهم قالوا:[١١] إنه كان قليل الغِيرة. وقال بعضهم: ذلك القائل هو رجل آخر،هو ابن عمٍّ لها. وهذا أشبه. وقوله: **واستغفري لذنبك**، قال بعضهم: قال هذا لها لأنهم وإن كانوا يعبدون الأصنام فإنما يعبدونها ليقرّبوهم إلى الله زُلْفَى، حيث قال لها: **واستغفري لذنبك**. وقال بعض أهل[١٢] التأويل:

[١] ك – أنها.
[٢] ع م: لما راودتها.
[٣] ك ن ع: من نفسه.
[٤] سورة يوسف، ٢٥/١٢.
[٥] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض؛ ن ع + وقوله.
[٦] سورة يوسف، ٢٦/١٢.
[٧] ع: القابل.
[٨] ع م – هي.
[٩] ع م: في نفسها.
[١٠] ن ع م: في تأويل.
[١١] م – قالوا.
[١٢] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

قوله: **واستغفري لذنبك**، أي[1] إلى زوجكِ حيث خُنْتِيه. فإن كان التأويل هذا فذلك يدل أن القائل لذلك رجل آخر لا زوجها. فإن كان التأويل[2] هو الأول فإنه يحتمل كِلَيْهما[3] أيهما كان. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[٣٠]

وقوله عز وجل: **وقال نِسْوَةٌ في المدينة امرأة العزيز تُراوِد فتاها عن نفسه**، يشبه أن يكون استَكْتَمَت سرّها[4] عند نِسوَةٍ في المدينة،[5] فأَفْشَيْنَ سرّها[6] عند أهل المدينة لِيَبلغ ذلك الخبر المَلِك. أو إن لم تكن أعلمت بذلك[7] النِّسوة فلا بدّ مِن أنْ يَعلم ذلك بعضُ خَدَمِها، فالخادم أعلمت سرّها وأفشت عند نِسوة في المدينة، فقُلْنَ عند ذلك: **تُراوِد فتاها عن نفسه**، أي تدعو عبدها[8] إلى نفسها.[9]

وقوله عز وجل: **قد شَغَفَها حبًّا**، قال بعضهم: الشَّغاف هو حجاب القلب وغلافه. **قد شَغَفَها حبًّا**، أي بلغ حبُّها إياه الشَّغَاف. ومنه يُقال: مشغوف.[10] والمشغوف قيل: المجنون حبًّا، وهو من العشق. قال الحسن: الشَّغَف أن يكون قد بَطَنَ بها حبًّا.[11] والشَّغَف أن يكون مشغوفًا به. قال أبو عَوْسَجَة: **شَغَفَها حبًّا**، أي دخل الحب في شَغَاف القلب، وهو غطاؤه. وقال:[12] من قرأها: شَعَفَها،[13] أي ذهب بعقلها، أي عَشِقَها. لكن هذا قول أولئك النسوة، فلا ندري ما أردن بذلك، إنما ذلك خبر أخبر عن قولٍ قُلن هنّ. *والله أعلم*.

---

[1] ن ع م – أي.
[2] ع + هذا فذلك يدل أن القائل لذلك رجل آخر لزوجها فإن كان التأويل.
[3] ك: كلاهما.
[4] ن ع م: سترها.
[5] ع + امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه أن يكون استكتمت سترها عند نسوة المدينة.
[6] ن ع م: سترها.
[7] ك: تلك؛ ن ع م: ذلك.
[8] ع: عبد.
[9] م: في نفسها.
[10] ع م – الشغاف ومنه يقال مشغوف.
[11] جميع النسخ: لها حبه؛ والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٢/١٩٩. وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٢٨.
[12] ن – وقال.
[13] جميع النسخ: شغفها؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٩٦ظ. وقد رويت هذه القراءة الشاذة عن بعض التابعين. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٢٠٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٢٨، ٥٢٩. وشَعَفَة القلب رأسُه عند مُعلَّق النِّياط. والشَّعَف شدة الحب... وشَعَفَني حبُّها أصاب ذلك مني... (*لسان العرب* لابن منظور، «شعف»).

وقوله عز وجل: **إنّا لَنَراها في ضلال مبين**، حيث خانت زوجها. أو **في ضلال مبين**، أي في حيرة مِن حُبه. *والله أعلم*.

**﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **فلمّا سمعت بمكرهن**، أي بقولهن. المكر هو الأخذ في حال الأمن، وهو الخيانة[١] فيما اؤتُمِن واستُكتِم. فهذه كأنها استكتمت سرّها[٢] وحُبّها ليوسف عن الناس وأفشت ذلك لِنسوةٍ[٣] في المدينة على أن يَستكتِمن عن الناس، فأفشين عليها ذلك، فذلك المكر الذي سمعت. *والله أعلم*. إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل. وأمكن أن تكون[٤] المرأة لم تُفْشِ سرّها[٥] إليهن، لكن بعض خدَمِها الذي اطّلعت على ذلك هي التي أفشت إليهن، فأفشَين هنّ ذلك. **فلمّا سمعت** ذلك منهن **أرسلت إليهن**، إما تَنْوِيشًا[٦] ودعاء للضيافة، وإما استِزارَة يَزُرْنَها.[٧] وأما قول أهل التأويل: إن النسوة كانت امرأة الخبّاز والساقي -ولا أدري مَن ذا-[٨] فذلك لا نعلمه، وليس لنا إلى معرفة[٩] ذلك حاجة.

وقوله تعالى: **وأَعْتَدَتْ لهن مُتَّكَأً**، قال الحسن: **مُتَّكَأً**: طعامًا وشرابًا وتُكَأَة.[١٠] وقال بعضهم: الأُتْرُنْج[١١] والتُّرُنْج.[١٢] وقال بعضهم: **مُتَّكَأً**: وسائد أو ما يُتَّكَأ عليه. وقال أبو عَوْسَجَة: **مُتَّكَأً**، ممدودا،[١٣]

---

[١] ك: الخيانة.
[٢] ن: سترها.
[٣] ع م: للنسوة.
[٤] ع م: أن يكون.
[٥] ن: سترها.
[٦] ع: إما تنويشاء. التَّنْوِيش لِلدعوة: الوعد وتَقْدِمَتُه (*لسان العرب* لابن منظور، «نوش»).
[٧] ع م: استزادة يزدنها.
[٨] ك ن م: من ماذا.
[٩] ك ن – معرفة.
[١٠] روي بمعناه. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٢/١٢.
[١١] ع: الإبرنج.
[١٢] الأُتْرُنْج والتُّرُنْج لغتان في اسم الثمر المعروف (*لسان العرب* لابن منظور، «ترج»).
[١٣] جميع النسخ: ممدود.

يعني[1] هيأت المجلس وما يُتَّكَأُ[2] عليه، ومَن قرأ "مُتْكًا"[3] مقصورا،[4] / فهو[5] الأُتْرُنْج[6] والطعام[7] [٣٦١و] على ما قال الحسن.[8] وكذلك قال[9] القُتَبي، قال: ويُقال: البَزْمَاوَرْد.[10]

وقوله عز وجل: **وآتَتْ كلَّ واحدةٍ منهن سِكِّينًا**، أي أعطت **كلَّ واحدةٍ منهن سِكِّينًا**، ظاهر. **وقالت اخرج عليهن فلمّا رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه**، هاهنا كلامُ أنْ كيف أطاع يوسف بالخروج على النساء[11] بقولها له:[12] **اخرج عليهن**، فذلك مما لا يحل. لكنه يخرج على وجوه. أحدها أنه إنما يُكرَه الدخول عليهن والخلوة بهن، وأما الخروج عليهن فهو ليس بمكروه، إذ فيه الخروج منهن، لأنه إذا خرج عليهن كان يقدر أن يخرج منهن. فكأنه[13] لمّا أذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة أن يخرج مِن عندهن؛ إذ لم يكن[14] يقدر أن يخرج من البيت عليهن بغير إذن منها. فالأمر بالخروج عليهن أفاد له إذنًا بالخروج من البيت؛ إذ لا سبيل له إلى الخروج منه بلا إذن له منها. فخرج عليهن ثم[15] مِن عندهن إلى غيره من المكان، وذلك مما لا يُكرَه إذا كان مما لا سبيل إلى ما سِوَاه. ويشبه أن يكون منها الأمر بالخروج [فـ]حَسْب:[16] أنِ اخرُجْ،[17] ولم تَقُل: عليهن، ولم يَعلم[18] يوسف أنها إنما تأمره بالخروج على النساء، فخَرَج. لكن الله عز وجل أخبر عن مقصودها،

---

[1] ك: أعني.
[2] ع م: ما يتكأ.
[3] في التنزيل العزيز: ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾، قرأ أبو رجاء: وأعتدت لهن مُتْكًا، على وزن فُعْل، رواه الأعمش عنه. وقال الفَرّاء: واحدة المُتْك مُتْكة، مثل بُسْر وبُسْرة، وهو الأُتْرُج (*لسان العرب* لابن منظور، «متك»).
[4] جميع النسخ: مقصور.
[5] جميع النسخ: وهو.
[6] ن: الترنج.
[7] جميع النسخ: وطعام.
[8] ورويت هذه القراءة في بعض الآثار، وهي قراءة شاذة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٢٩/٤-٥٣٠.
[9] ع: وقال.
[10] أصله: الزُمَاوَرْد، معرب، وهو طعام من البيض واللحم والعامة يقولون: البَزْمَاوَرْد (*القاموس المحيط* لفيروزآبادي، «ورد»).
[11] ع: على الساء.
[12] جميع النسخ: إياه.
[13] ع م + أما الخروج.
[14] ع م - يكن.
[15] ع م: ثمه.
[16] ن: حيث
[17] ك ع م: اذا خرج؛ ن: اذاذا خرج.
[18] ع م: ولم تعلم.

وكان مقصودها[١] مِن الأمر بالخروج[٢] خروجًا عليهن،[٣] فأخبر عن مقصودها بقوله: **وقالت اخرج عليهن**. ومثل[٤] هذا قد يكون في الكلام. وجائزٌ أن يكون قوله: **اخرج عليهن**،[٥] أي عنهن. وذلك جائز في اللغة: "على" مكان "عن"، كقوله: إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[٦] أي عن الناس. وأمثاله كثير. وفي هذه الآية دلالة أنّ مشتري يوسف كان يمنع يوسف عن أن يخرج إلى البلد والسوق وعن أنْ يخالطه[٧] الناس، إمّا إشفاقًا على نفسه، أو لئلا يُفْتَنَ به النساء، أو لئلا يُطَّلَعَ على[٨] نَفْسِ يوسف،[٩] لِما وقع عنده أنه مسروق. فكيف ما كان ففيه أنّ على المرء[١٠] أن يحفظ ولده أو عبده إشفاقًا عليه.

وقوله: **فلما رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه**، أي أَكْبَرْنَه وأَعْظَمْنَه[١١] مِن حُسنه[١٢] أن يكون مثل هذا بشرا.[١٣] ألا ترى أنهن قلن: **حاشَ لله ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**. وقوله:[١٤] **وقَطَّعْن أيديَهن**، قيل: حَزًّا[١٥] بالسكين. وقوله عز وجل: **وقُلْنَ حاشَ لله ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**، **حاشَ لله**، قال أهل التأويل: أي مَعَاذَ الله. وقال بعضهم: **حاشَ لله**، كلمة تنزيه مِن القبيح. ودل هذا القول منهن أنهن كنّ يؤمنّ بالله حيث قُلْنَ: مَعاذ الله، **ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**. قوله: **ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**، كان المَلَك وإن لم يروه[١٦] حَسَنًا[١٧] عندهم،

---

[١] ع – وكان مقصودها.
[٢] ك + على النساء فخرج لكن الله عز وجل.
[٣] ك – خروجًا عليهن.
[٤] م: وفعل.
[٥] ك – ومثل هذا قد يكون في الكلام وجائز أن يكون قوله اخرج عليهن.
[٦] ﴿ويل للمُطَفِّفِين. الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفون﴾ (سورة المطففين، ٨٣/١-٢).
[٧] ن ع م: ومن أن تخالطه.
[٨] ن – على.
[٩] ع م: يعقوب.
[١٠] ك + على.
[١١] ع: وأحطمته.
[١٢] ن: من حسنهن.
[١٣] ن ع م: بشر.
[١٤] ع م – وقوله.
[١٥] ن ع م: قيل جزعا جزعا.
[١٦] جميع النسخ: لم يرونه.
[١٧] جميع النسخ: حسن.

يَنسِبون كلَّ حَسَنٍ إلى الملائكة، والشيطان -لعنه الله- عندهم قبيح، فنَسبوا كلَّ قبيح إليه.
وقوله:[١] **بشرًا**، قرأ بعضهم: بِشِرًى[٢] بالتنوين، أي ما هذا بمشترًى.[٣]

**﴿قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾**[٣٢]

وقوله عز وجل: **قالت فذٰلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه**، بقولهن: إِمْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ،[٤] أي إنكن **لُمْتُنَّني فيه**، أنّي[٥] أُرَاوِدُه عن نفسه، وأنتن قطّعتن[٦] أيديَكنّ إذا رأيتنّ وأنكرتنّ أن يكون هذا بشرًا، فذلك أعظم.

وقوله عز وجل: **ولقد رَاوَدْتُه عن نفسه**، أي دعوته إلى نفسي، **فاستَعْصَم**، قيل: امتنع، كقوله: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ،[٧] أي لا مانع. ويشبه قوله: **استَعْصَم**، بالله أو بدينه أو نبوته[٨] أو بعقله.[٩] هذا يدل على أنه لم يكن منه ما قال أهل التأويل مِن حَلِّ السراويل ونحوه، حيث قالت: **فاستَعْصَم**.

وقوله عز وجل: **وَلئِنْ لم يفعل ما آمُرُه**، قالت ذلك امرأة العزيز، **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا مِن الصاغرين**، يشبه أن يكون قولها: **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا**، في السجن، **من الصاغرين**. أو **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا**، مِن المُذَلِّين. الصاغر[١٠] هو الذليل. لأنه قال لامرأته: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ،[١١] فكان مُكَرَّمًا عندها مُعَظَّمًا، فلمّا أَبَى[١٢] إلى ما رَاوَدَتْه فقالت: **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا مِن الصاغرين**، أي من الذليلين.

---

[١] ع م: قوله.
[٢] جميع النسخ: بشرا؛ والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٢٠٩/١٢.
[٣] رويت هذه القراءة الشاذة عن بعض التابعين. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٩/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٣١/٤.
[٤] سورة يوسف، ٣٠/١٢.
[٥] ع م - أني.
[٦] م: قطعن.
[٧] سورة هود، ٤٣/١١.
[٨] ن ع م: ونبوته.
[٩] ع: أو بفعله.
[١٠] ع م: الصاغرين.
[١١] سورة يوسف، ٢١/١٢.
[١٢] ع م: أتى.

**﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **قال ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه،** فيه دلالة أنه قد كان مِنهن مِن المُرَاوَدَة والدعاء ما كان مِن امرأة العزيز مِن المُرَاوَدَة والدعاء إلى نفسها، حيث قال: **السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه.** ألا ترى أنه قال في موضع آخر: مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ.[١] وكذلك[٢] قالت امرأة العزيز: فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ،[٣] أي كنتنّ لُمْتُنَّنِي[٤] فيه أنّي رَاوَدْتُه عن نفسه،[٥] وأنتنّ قد رَاوَدْتُنَّه عن نفسه. وقول يوسف: **ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه،** أي ذلك الذل والصَّغار **أحبّ إليّ،** أي آثَرُ عندي وأَخيَرُ في الدين، **مما يَدعونَني إليه،** وإن كان ما يدعونه إليه تَهواه نفسه وتميل إليه وتحبه. فأخبر أن السِّجن أحبّ إليه، أي آثَرُ وأَخيَرُ[٦] في الدين، إذ النفس[٧] تَكره السجن وتَنفر عنه. ألا ترى أنه قال: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن أَصْبُ إليهن وأكنْ مِن الجاهلين،** فهذا يدل على[٨] أن ما قال: **السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه،** إنما أراد به محبة الاختيار والإيثار في الدين / لا محبة النفس واختيارها. بل كانت النفس تحب وتهوى ما يدعونه[٩] إليه. دليله[١٠] قوله: **أَصْبُ إليهن وأكنْ مِن الجاهلين.** وليس الدعاء في قوله: **ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه،** كما يقول[١١] بعض الناس: إنه إنما وقع في السجن لأنه سأل ربه السجن فاستجيب له في ذلك، ولكن الدعاء في قوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن.** وهو كقول آدم وحواء: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[١٢] الآية،[١٣] [٣٦١ظ]

[١] سورة يوسف، ١٢/٥١.
[٢] ن: ولذلك.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ن ع: تمتني.
[٥] ك – وكذلك قالت امرأة العزيز فذلكن الذي لمتني فيه أي كنتن لمتني فيه أني راودته عن نفسه.
[٦] ن ع: وأخبر.
[٧] ن: إذا النفس.
[٨] ك ن – على.
[٩] ن ع م: ما تدعونه.
[١٠] ع: دليل.
[١١] ع م: كما تقول.
[١٢] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ (سورةالأعراف، ٢٣/٧).
[١٣] ن – الآية.

ليس الدعاء في قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا؛ لأنه إخبارٌ[١] عما كان منهم، إنما الدعاء في قوله: وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكذلك قول نوح: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَ لَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي [أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ].[٢]

وفي قوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن أَصْبُ إليهن**، دلالة أنّ عند الله لُطْفا[٣] لم يكن أعطى يوسف ذلك؛ إذ لو كان أعطاه لكان كيدهن وشرّهن مصروفًا عنه، حيث قال: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن**، ولو كان[٤] أُعطي ذلك لم يكن لسؤاله ذلك معنى. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا:[٥] إن الله قد أعطى كلًّا قدرةً [على] كل طاعة وقوةً [على] كل خير، والدفعَ عن كل شر.

وقوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن**، أي لا أحد يملك صَرْفَ كيدهن عنّي لو لم تَصرفه أنت. وكذلك قوله: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي. وهو أبلغ في الدعاء من قوله: اللهم اغفر لي وارحمني. وقوله: **أَصْبُ إليهن**، قال بعضهم: أَمِيل[٦] إليهن. وقال بعضهم: قال: لو لم تَصرف عنّي كيدهن لَأُتابعهن. ويُقال: الصَّبْو[٧] هو الخروج من الأمر. يُقال: كل مَن خرج مِن دينه فقد صَبَا. وبهذا كان المشركون يُسمّون النبي صلى الله عليه وسلم صابِيًا، أي خرج مما نحن عليه. وقال أبو بكر الأصم: الصَّبْو[٨] هو الأمر المُعجِب. وقوله: **وأكنْ مِن الجاهلين**، أي يكون فِعلي فِعلَ الجهّال لا فِعلَ العلماء والحكماء[٩] إن لم تَصرف عنّي كيدهن.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **فاستجاب له ربه فصَرَفَ عنه كيدهن**، أي أجاب له ربه، **فصَرَفَ عنه كيدهن**. هذا يدل على أن الدعاء كان في قوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[١٠]

[١] ن: أخبر.
[٢] سورة هود، ٤٧/١١.
[٣] جميع النسخ: لطف.
[٤] ك – كان.
[٥] ع: قال.
[٦] ك ن: أمل.
[٧] ع: الصبوء؛ م: الصبؤ.
[٨] جميع النسخ: الاصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٧و.
[٩] ك ن: فعل الحكماء والعلماء.
[١٠] الآية السابقة.

ليس في قوله: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[1] إنما هو خبرٌ أخبره، حيث أخبر أنه أجاب له ربه **فصرف عنه كيدهن.**

وقوله عز وجل: **إنه هو السميع العليم، السميع** لكل قول وكلام خفيًا كان على الخَلْق أو ظاهرًا، **العليم** به لا يخفى عليه شيء.

وفي قوله:[2] وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ،[3] **فصَرَف عنه كيدهن،** دلالة أنهن كنّ يدعونه إلى ذلك مِن وجهٍ كان يخفى عليه ولم يَشعُر به، فالتجأ إلى الله في صَرْف ذلك عنه.

**﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[٣٥]**

وقوله[4] عز وجل: **ثم بَدَا لهم مِن بعدِ ما رَأَوُا الآيات لَيَسْجُنُنَّه حتى حين،** ذُكر في بعض القصة أنها قالت لزوجها: ما زال يوسف يُرَاوِدُني مِن نفسي، فأبَيْتُ عليه، **فصدّقها** فحَبَسه في السجن. وقوله عز وجل: **مِن بعدِ ما رَأَوُا الآيات،** قال[5] أهل التأويل: هو قَدُّ القميص مِن دُبُره وخَمْشُ الوجه وغيره. ولكنه يشبه أن يكون الآيات التي رأوها هي آيات نبوته ورسالته. وقال بعضهم: حبسوه لِيَنفوا عن المرأة ما رُمِيَتْ به ولِينقطع ذلك عن الناس ويموتَ ذلك الخبر ويَذهَب. فيه أنهم حبسوه بعد ما رَأَوْا آياتِ[6] عصمتِه وبراءتِه عما اتهموه وأنهم[7] ظَلَمَةٌ في حبسه. *والله أعلم.*

**﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٦]**

وقوله: **ودخل معه السجن فَتَيَان،** قيل: [إنهما] عبدَيْن للمَلِك غَضِب عليهما المَلِك، **قال أحدهما إني أَرَاني أَعْصِرُ خمرًا،** وقال بعضهم: أرضٌ يُدْعَى العنبُ بها خمرًا. أو سُمّي [العنب] خمرًا باسم سببه وباسم أصله، وجائزٌ في اللغة تسميةُ الشيء باسم سببه وباسم أصله.[8]

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع م: وقوله.
[3] الآية السابقة.
[4] ع م – وقوله.
[5] ع + بعض.
[6] ع: الآيات.
[7] م – وأنهم.
[8] ك – وجائز في اللغة تسمية الشيء باسم سببه وباسم أصله.

**وقال الآخر إني أَرَاني أحمل فوق رأسي خبزًا**، كان أحدهما خبّازًا للمَلِك، والآخر ساقِيَه. **نَبِّئنا بتأويله إنّا نَراك من المحسنين**، قال بعضهم: إحسانه في السجن لما كانوا رَأَوْه يُداوي المرضى ويُعَزِّي حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه. هذا يحتمل. لعلّه كان يَبَرّ[1] أهلَ السجن ويَصِلهم ويجتهد في العبادة لله في الصلاة له والصوم وأنواع العبادة التي تكون[2] فيما[3] بينه وبين ربه، فسمّياه[4] محسنًا لذلك. ويشبه أن يكون قالوا: **إنّا نَراك من المحسنين**، لما رَأَوْا به[5] سِيما[6] الخير وآثاره أو يدعوهم إلى توحيد الله والعبادة له وخَلْعِهم[7] عن عبادة الأصنام والأوثان[8] والانتزاع من ذلك، فسمّياه محسنًا لذلك. ويحتمل قوله: **إنّا نَراك من المحسنين**، لما رَأَوْه أحسن إلى أهل السجن. ويحتمل الإحسان هاهنا العلم: إنّا نَرَاك من العالِمِين، وهو قول الفرّاء.

وقوله عز وجل: **نَبِّئنا بتأويله**، سُمّي التعبير تأويلا، لأن التأويل هو الإخبار عن العواقب، لذلك سَمَّوْه[9] تأويلا. ثم خرج تأويل الذي كان يَعصِر الخمر على العَوْد إلى ما كان في أَمرِه مِن السَّقْي للمَلِك، وهو كان ساقِيَه على ما ذُكر. فلمّا رأى أنه دام على أمره أَوَّلَ له[10] بالعَوْد إلى أمره الذي كان فيه. والآخر كان خبّازًا على ما ذُكر، وهو إنما كان يَخْبِز للناس، فلمّا رأى أنه حمل الخبز على رأسه وأنه يأكل / الطير [منه] علم أنه يخرج من الأمر الذي [٣٦٢و] كان فيه. وخروجُه يكون بهلاكه؛ لأنه كان مِن قبلُ يَخْبِز للناس، فصار يَخْبِز لغيرهم. فاستدل بذلك على خروجه من أمرِه وعملِه. لكنه أخبر أنه يُصْلَب لأنه كان قائمًا مُنتصِبًا، فأَوَّلَ على[11] ما كان أمرُه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: يبراء.
[2] م: يكون.
[3] ك – فيما.
[4] جميع النسخ: فسماه.
[5] ع: لما تاويه؛ م: لما أتاه ربه.
[6] ن: سيماء.
[7] ن ع م: وخلقهم.
[8] ع: والأثان.
[9] جميع النسخ: سموا.
[10] ع م – له.
[11] ع م – على.

**﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾**[٣٧]

وقوله عز وجل: **قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانِه إلا نَبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما**، هذا -والله أعلم- كان يقول لهم ذلك لِيُعَرِّفَهم أنّ عنده عِلمَ ذلك، [أي] عِلمَ ما لا يُحتاج إليه، فعِلمُ ما يُحتاج[1] إليه أَحْرَى[2] أن يَعلم ذلك. وهذا -والله أعلم- مِنه احتيالٌ لِيَنزِعَهم عمّا هم فيه من عبادة الأوثان وعبادتهم غيرَ الله ولِيُرَغِّبَهم[3] في توحيد الله وصَرفِ العبادة إليه. ولهذا قال: **ذلكما مما علّمني ربي**، هذا باللُّطف. أضاف[4] إليه أنه علّمه، وإلّا [ف]التعليم لا يكون إلا باختلاف الملائكة إليه، وذلك لُطْفٌ مِن الله تعالى للرسل عليهم الصلاة والسلام. وقوله: **لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانِهِ إلا نَبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، تأويله** -والله أعلم- أي **لا يأتيكما طعامٌ**، رأيتما آثارَ ذلك في المنام، **إلا نَبَّأتكما** بتأويل ذلك قبل أن يأتي ذلك.

وقوله عز وجل: **إني تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، أخبر أنه ترك **ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، الآية. وقوله: **تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، ليس أنه كان فيه ثم تركه، ولكنْ تَرْكُه[5] ابتداءُ ما لو لم يكن تَرْكه كان آخِذًا[6] بغيره. وهو كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[7] ليس أنها كانت موضوعة فرفعها، ولكن رَفَعها أولَ ما خلقها. وكذلك قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا،[8] ليس أنها مرفوعة ثم وضعها. أي أنشأها[9] مرفوعة وموضوعة.[10] وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[11] ليس أنهم كانوا فيها فأخرجهم، ولكن عَصَمهم حتى لم يدخلوا فيها. فعنى ذلك الأول.[12] *والله أعلم*.

[٣٦٢و س٢٥ *وفي قوله: **إني تركت ملّة قوم لا يؤمنون**، دلالة أنّ الكفرَ كلّه ملّة واحدة، حيث أخبر أنه
٣٦٢و س٢٦] ترك ملّة قوم لا يؤمنون، على اختلاف مذاهبهم.*

---

[1] ع: ما لا يحتاج.
[2] ن + ولا؛ ع م: أحرى.
[3] ع م: ويرغبهم.
[4] جميع النسخ: ما أضاف.
[5] ع م - ولكن تركه.
[6] ع: اخذا.
[7] سورة الرعد، ١٣/٢.
[8] سورة الرحمن، ٥٥/١٠.
[9] م: أي نشأها.
[10] أي أنشأ السماوات مرفوعة والأرض موضوعة.
[11] ﴿الله وَلِيُّ الذين آمنوا يُخرجُهم مِن الظلمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[12] ع: الا.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٢و/سطر ٢٥-٢٦.

**﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**[٣٨]

وقوله عز وجل: **واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**، قال في الآية الأولى: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[١] وأخبر أنهم كافرون بالله واليوم الآخر. وفيه أنّ مَن لم يؤمن بالله واليوم الآخر فهو كافر.[٢] فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والإيمان رتبة ثالثة، ويوسف يخبر أنّ مَن لم يؤمن بالله فهو كافر، وهم يقولون: صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر. ثم أخبر أنه ترك ملّة أولئك الذين لا يؤمنون بالله واتبع ملّة آبائه[٣] إبراهيم ومن ذكر. ثم أخبر عن ملة آبائه، وهو ما ذكر: **ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء**، عرّفهم ملّة آبائه ودينهم، وهو[٤] تَرْكُ الإشراك بالله وجَعْلُ الألوهية له وصَرْفُ العبادة إليه.[٥] وفيه أن الملّة ليس إلا ملّتَين: ملّة كفر وملّة إسلام.[٦] وأخبر أنّ مَن لم يكن في ملّة الإسلام كان في ملّة الكفر. ثم خصّ بذكر هؤلاء: **إبراهيم وإسحاق ويعقوب**؛ لأن هؤلاء كانوا مُكْرَمِين عند الناس كافة، كلُّ أهل الدين يَدَّعُون أنهم على دين أولئك، فأخبر أنهم على دين الإسلام والحَنِيف المُخلِص ليس على ما تزعمون أنتم.[٧] ولهذا قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[٨]*

وقوله عز وجل: **ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس**، أي **ذلك** الدين والملّة التي أنا عليها وآبائي[٩] **من فضل الله علينا وعلى الناس**؛ لأنه عز وجل فَطَر الناسَ على فطرةٍ يَعرفون وحدانيةَ الله وربوبيتَه بعقولٍ رَكَّبها[١٠] فيهم، **ولكنّ أكثرَ الناس لا يشكرون**، فضلَ الله وما رَكّب فيهم مِن العقول.

---

[١] الآية السابقة.

[٢] ن – فهو كافر، صح هـ.

[٣] ن – آبائه.

[٤] ك + على.

[٥] ن: له.

[٦] ع م: الإسلام.

[٧] م: أنتم.

[٨] سورة آل عمران، ٦٧/٣.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٢و/سطر ٢٥-٢٦.

[٩] ن ع: وإياي.

[١٠] جميع النسخ: ركب.

أو ذلك الدين والهداية الذي أعطاهم مِن فضلِ الله، لكن أكثر[1] الناس يَتركون ذلك الدين[2] وتلك الهداية. *والله أعلم.*[3]

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **يا صاحِبَيِ السجن أأرباب مُتفرِّقون خيرٌ أمِ الله الواحد القهار**، يوسف لمّا سُئل عن تأويل الرؤيا دعاهم إلى توحيد الله ودلهّم عليه، فقال: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي،[4] وقال: **يا صاحِبَيِ السجن أ أرباب مُتفرِّقون خيرٌ أمِ الله الواحد القهّار**، أي عبادةُ ربٍّ واحدٍ وإرضاؤه خيرٌ أم عبادة عددٍ وإرضاءُ نَفَر؛ لأنه إذا عبد بعضًا واجتهد في إرضائهم أسخط الباقين، فلا سبيل إلى الوصول إلى مقصوده والظفر بحاجته، إذ لا يَقدر على إرضائهم جميعًا وإن اجتهد. وأما الواحد فإنه يَقدر على إرضائه؛ إذ لا يَزال يكون في عبادته وإرضائه فيَصِل إلى حاجته والظفر بمقصوده. والثاني يخبر أن **الواحد القهّار** يَقهَر غيرَه مِن الأرباب ومَن تعبدون، فعبادة الواحد القهّار خيرٌ مِن عبادة عددٍ مَقهورين.

[٣٦٣و س٦] *وقال أبو بكر الأصم: قوله:[5] **يا صاحِبَيِ السجن**، سماهم أصحاب السجن لأنهم كانوا في السجن، كما يقال: أصحاب النار وأصحاب الجنة، ونحوه. لكنه لو كان ما ذُكر لقال: يا صاحبا السجن،[6] بالألف؛ فلما لم يقل هذا دل أنه أضاف إلى نفسه، كأنه قال: يا صاحِبَيَّ في السجن، لأنهما كانا[7] معه في السجن.[8]*

[1] ن ع م – أكثر.

[2] ع م – الدين.

[3] ن – والله أعلم.

[4] سورة يوسف، ٣٧/١٢.

[5] ع: وقوله.

[6] ع م – سماهم أصحاب السجن لأنهم كانوا في السجن كما يقال أصحاب النار وأصحاب الجنة ونحوه لكنه لو كان ما ذكر لقال يا صاحبا السجن.

[7] ن: كان.

[8] فيه نظر. وقد تعقب الشارح هذا الكلام بقوله: «وكأن هذ الرد وقع غلطا من الكاتب الذي تلقفه، لأن النداء المضاف منصوب، يقال: يا صاحبي الدار. ولكن الرد من وجه آخر فإن التسمية بصاحب السجن من باب التحقير، وغرضه تعظيمهما، وذلك في إضافتهما إلى نفسه، أي يا صاحبي في السجن. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩٨و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٤٥و).

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٦-٨.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٠] ٣٦٣و س٨]

وقوله عز وجل: **ما تعبدون من دونه،** مِن الأصنام والأوثان، **إلا أسماءً سمّيتموها،** آلهة، **أنتم وآباؤكم،** ولا يستحقّون[1] العبادة ولا التسمية بالألوهية، إنما المستحقّ لذلك الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض، **ما أنزل الله بها من سلطان،** أي ما أنزل الله على ما عبدتموهم وسمّيتم أنتم / وآباؤكم آلهةً مِن[2] حجةٍ ولا برهانٍ، **إنِ الحُكمُ إلا لله،** [٣٦٢ظ] أي ما الحُكم في الألوهية والربوبية والعبادة إلا لله، ليس كما تقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[3] وقولهم: هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[4] يقول: ما الحُكم في العبادة[5] والألوهية إلا لله.[6] أو يقول: ما الحُكم في الخَلْق إلا لله،[7] كقوله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،[8] أي له الخَلْق وله الأمر في الخَلْق. **أَمَرَ أنْ لا تعبدوا إلا إياه،** حُكمُه [هو] هذا: **أَمَرَ أنْ لا تعبدوا إلا إياه.**

وقوله عز وجل: **ذلك الدين القَيِّم،** أي عبادة الله وتوحيده هو **الدين القَيِّم**؛ لأنه دينٌ قام عليه الحجة والبرهان، وأمّا سائر الأديان فليست بقَيِّمَةٍ، إذ لا حجة قامت عليها ولا برهان. و **القَيِّم** هو القائم الذي قام بحجة وبرهان. وقال أهل التأويل: **القَيِّم**: المستقيم.

وقوله عز وجل: **ولكنّ أكثرَ الناس لا يعلمون،** يحتمل **لا يعلمون،** لما لم يتفكّروا فيه ولم ينظروا فلم يَعلموا، ولو نَظروا فيه وتفكّروا لَعَلِمُوا. وهذا يدل أنّ العقوبة تَلزَم وإن جَهِل؛ إذ أَمْكَنَ[9] له العلمُ به، فلا عذر له في الجهل إذ أَمْكَنَ العلمُ به. أو عَلِمُوا لكنهم لم ينتفعوا بعلمهم، فنَفَى عنهم العلم لذلك. *والله أعلم.*

---

[1] ن: تستحقون.

[2] ن + غير.

[3] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[4] سورة يونس، ١٨/١٠.

[5] ع – إلا لله ليس كما تقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول ما الحكم في العبادة.

[6] ع: إلا الله؛ م – إلا لله ليس كما تقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول ما الحكم في العبادة والألوهية إلا لله.

[7] ع: إلا الله.

[8] سورة الأعراف، ٥٤/٧.

[9] ع م: إن أمكن.

**﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾** [٤١]

وقوله عز وجل: **يا صاحِبَيِ السجن أمّا أحدكما فيَسقي ربّه خمرا وأمّا الآخَر فيُصلَب فتأكل الطير مِن رأسه**، هو ما ذكرنا[١] أنه تأوّل رؤيا الساقي وعَبّرَها على العَوْد[٢] إلى ما كان يَعمل[٣] مِن قبلُ لما رأى أنه كان عَمِلَ على ما كان يَعمل مِن قبلُ، وعَبّرَ[٤] رؤيا الخبّاز بالهلاك لما رأى أنه حمل الخبز على الرأس، والخبزُ إذا خَبَزَه[٥] الخبّازُ لا يحمله على رأسه، فرأى أنه قد انتهى أمرُه، إذ عَمِلَ[٦] على خلاف ما كان يَعمل مِن قبلُ. **فتأكل الطير من رأسه**، فعَبّرَ أنه يُصلَب وتأكل مِن رأسه لما رأى أنه حمل الخبز على رأسه، لما كان يَخبِز مِن قبلُ لِلعباد فلمّا رأى أنه يَخْبِز[٧] لغيره عَبّرَ أنه يَهلِك **فتأكل الطير مِن رأسه**.

وقوله عز وجل: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، قال بعض أهل التأويل: إنه لما عَبّر لهما رؤياهما قال الذي عَبّر له الصَلْبَ والقتلَ: لم أَرَ شيئا، إنما كنّا نَلعب، فقال لهما يوسف: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، أي فَرَغَ وانتهى. لكن هذا لا يُعلَم أقالا ذلك أم لم يقولا، سِوَى أنّ فيه أنه[٨] عَبّرَ رؤياهما[٩] وكان ما عَبّرَ لهما، وقد عَلِمَ ذلك بتعليمٍ مِن الله إياه، بقوله: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي.[١٠]

[٣٦٣و س٨] * وقوله: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، قيل: فَرَغ، وقيل: انتهى **الأمر الذي فيه تستفتيان**، وأُنهِي، كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١١] الآية. وقوله:[١٢] **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**،[١٣]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٣٦/١٢.
[٢] ع م: عن العود.
[٣] ع م – يعمل.
[٤] ن – رؤيا الساقي وعبرها على العود إلى ما كان يعمل من قبل لما رأى أنه كان عمل على ما كان يعمل من قبل وعبر؛ ع: وغير.
[٥] جميع النسخ: إذا خبز.
[٦] ع م: إن عمل.
[٧] ن ع م: خبز.
[٨] ن – أنه.
[٩] م – رؤياهما قال الذي عبر له الصلب والقتل لم أر شيئا إنما كنا نلعب فقال لهما يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم أقالا ذلك أم لم يقولا سوى أن فيه أنه عبر رؤياهما.
[١٠] سورة يوسف، ٣٧/١٢.
[١١] ﴿وقضَينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفسِدُنّ في الأرض مرّتين ولَتَعلُنّ عُلُوًّا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤/١٧).
[١٢] م – وقوله.
[١٣] ع + قيل فرغ وقيل انتهى الأمر الذي فيه تستفتيان وأنهى كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل الآية وقوله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

كأنه بَلَّغَ إليهما وحيًا أُوحِيَ[1] إليه وأُمِر به، أي هو كائن مِن غير رجوعٍ كان منهما على ما يقوله أهل التأويل. *والله أعلم*.* ٣٦٣و س ١٠]

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وقال لِلذي ظَنّ أنه ناجٍ منهما**، قال بعضهم: ظن الذي صَدَّق يوسف أنه يسقي ربه وأنه ناجٍ. وقال بعضهم: قال يوسف **لِلذي ظَنّ أنه ناجٍ منهما**، يجعل الظن ليوسف. فإن كان الذي ظن[2] هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن، وإن كان الظانّ هو يوسف فهو عِلم ويقين، أي عَلِم وأَيقن **أنه ناجٍ منهما**؛ لأنه لا يحتمل أن يشكّ فيما يُعَبِّر وقد علّمه الله تأويل الأحاديث بقوله: وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ،[3] وقال: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي.[4] ويحتمل[5] على حقيقة الظن من يوسف، أي وقال لِلذي [هو] ناجٍ منهما [و]ظنّ أنه يذكره عند ربه، وهو على التقديم والتأخير.

وقوله[6] عز وجل: **اذكرني عند ربك**، قال[7] بعض أهل التأويل: إن يوسف لما فَزِع إلى غير الله وطَلَب إخراجه من السجن مِن المَلِك أنساه الله فيه سِنين وأقرّه[8] فيه عقوبةً له[9] حين رَجَا غيرَ ربه. لكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يكون يوسف يَفزع إلى غير الله ويرفع[10] قلبه عن[11] الله ويشغله بمن دونه. لكنه رأى -والله أعلم- أنّ الله عز وجل جَعَلَ سببَ نجاتِه على يديه، وأنه بَقِي فيه مَنْسِيًّا لِما عَلِم أنه لم يكن منه سببٌ يُلزِمهم الحَبْسَ في السجن سِوى الاعتذار إلى الناس والاعتِلال لهم على نَفْيِ ما قُرِفَتْ به[12] زوجتُه،

[1] ع م - أوحي.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٨-١٠.

[2] ع م - يوسف أنه يسقي ربه وأنه ناج وقال بعضهم قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما يجعل الظن ليوسف فإن كان الذي ظن.

[3] سورة يوسف، ٦/١٢.

[4] سورة يوسف، ٣٧/١٢.

[5] ع م - أن يشك فيما يعبر وقد علمه الله تأويل الأحاديث بقوله ويعلمك من تأويل الأحاديث وقال ذلكما مما علمني ربي ويحتمل.

[6] ن - وقوله.

[7] ن: وقال.

[8] ع م: وافرة.

[9] ن - له.

[10] جميع النسخ: ويدفع.

[11] ن: عبر.

[12] قَرَف الذنب أي ارتكبه. وقَرَفَه بالشيء أي اتهمه به (*لسان العرب* لابن منظور، «قرف»). أي سجنوا يوسف عليه السلام حتى يدفعوا الافتراء -على زعمهم- عن روجة العزيز.

أو لينقطع ذلك الخير عن[1] ألسُن الناس ويَبعُدَ عن أوهامهم؛ فرأى[2] أنه إذا ذَكَرَه لعلّه أخرجه مِن ذلك لِما رأى أنه جُعل سببُ نجاته على يديه لا أنه[3] رأى ذلك مِنه ورفع قلبه عن الله. وهكذا جعل الله تعالى أمور الدنيا كلَّها بأسبابٍ،[4] وعلى ذلك تَعَبَّد عبادَه باستعمال الأسباب مع اعتقاد القلب القَدَرَ[5] مِن الله، نحو ما جعل الأَنْزال[6] والزراعة بأسبابٍ يَكتسبونها، ونحو الأسلحة التي اتُّخِذت للحرب والقتال[7] بها مما يَكثُر عدد ذلك وإنما يحاربون بالله وبه يقاتلون ومِن عنده يُنصَرون. وقد أَمَر بذلك كلِّه وبتلك الأسباب فقال: **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**،[8] وليس كلُّ مَن فَعل هذا كان فَزِع إلى غير الله أو رأى النصر والنجاة مِن ذلك الشيء والسبب، بل رأى ذلك كلَّه مِن الله ومِن عنده. فعلى ذلك يوسف لا يجوز أن يُتوهَّم أنه فَزِع إلى مخلوقٍ مِثلِه ورأى نجاته مِن عند ذلك، ولكن للوجه الذي ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **اذكرني عند ربك**، يحتمل وجهين. أحدهما **اذكرني عند ربك**، لعلّي[9] حُبستُ بلا عِلمٍ مِنه وبغير أمرِه؛ لأن تلك المرأة هي التي أَوعدت له السجن، فوقع عنده أنها هي[10] التي احتالت في حبسه، فقال لذلك ما قال. والثاني يقول: **اذكرني** بالذي رأيتَ مِنّي وسمعتَ؛ لأنه دعاهما في السجن إلى التوحيد حيث قال: **أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**.[11]

وقوله عز وجل: **فأنساه الشيطانُ ذِكرَ ربه**، قال بعض أهل التأويل:[12] أنسى الشيطانُ يوسفَ دعاءَ ربه الذي أنشأه وخلَقَه، فلم يَدْعُ[13] ربَّه الذي هو في الحقيقة رب. وقال بعضهم: قوله: **فأنساه الشيطانُ** –الذي قال له يوسف: **اذكرني عند ربك**– **ذِكرَ ربه**، وهذا أشبه.

---

[1] ك + الخلق.
[2] ن + أنهم.
[3] م: لأنه.
[4] ع م – بأسباب.
[5] ع: القدرة.
[6] أي الأقوات.
[7] ع: والقبال.
[8] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[9] ن: لعله.
[10] ع م – هي.
[11] سورة يوسف، ١٢/٣٩.
[12] ن: التوحيد.
[13] ع – يدع.

والأول بعيد؛ لأنه قال في آخره: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ -أي بعد حين- أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ.[1] دل هذا أنه إنما أنسى الشيطانُ على ذلك الرجل فلم يَذكُره عنده حينًا. وقال بعضهم: لم يُنسِه الشيطان، ولكن تَركه عمدًا لم يَذكُره عنده لعلَّه يتذكّر ما تقدم مِن المقال فيزداد غضبًا عليه، فتَركه عمدًا إلى أن[2] جاء وقتُه. *والله أعلم*.[3]

وأضاف الإنساءَ[4] / إلى الشيطان، وكذلك قال موسى عليه السلام: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ،[5] [٣٦٣و] فهو -والله أعلم- لأنّ بَدْءَ كلّ شرٍ يكون مِن الشيطان؛ لأنه يُخطِر بباله ويَقذِف في قلبه ويُوسوسه، ثم يكون من العبد العزيمةُ على ذلك والفعلُ. وفائدة النسيان -والله أعلم- هو أنّ الله تعالى أراد أن يُظهِر آيةَ[6] رسالتِه وحجةَ نبوتِه بكونه في السجن، ويُظهِرَ براءته في شأن تلك المرأة بشهادة أولئك النِسْوان، وذلك عِلم الأحاديث التي ذَكَر، والرؤيا[7] التي عَبّرها.

وقوله عز وجل: **فلَبِث في السجن بِضْعَ سِنين**، قال بعضهم: خمس سنين، وقال بعضهم: سبع سنين، ونحو ذلك. ولكن لا نَعلم ذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ سِوى أنّ فيه أنه لَبِث فيه حينًا.*

**﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك إني أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ**، ذكر أنه رأى، وليس فيه ذِكر أنه رأى[8] في المنام، ولكن ذكر في آخره[9] الرؤيا؛ دل أنه رأى في المنام بقوله: **إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**. وفيه أنّ مِن الرؤيا ما هو حق ولها حقيقة، ومنها باطل لا حقيقة لها؛

---

[1] سورة يوسف، ١٢/٤٥.
[2] م - أن.
[3] ع م + لأن بدء كل شر يكون من الشيطان.
[4] ع م: الإنسان.
[5] سورة الكهف، ١٨/٦٣.
[6] ن - آية.
[7] ن ع م: ذكروا الرؤيا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٦-٨. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية السابقة؛ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٨-١٠.
[8] ك - وليس فيه ذكر أنه رأى، صح هـ.
[9] ك: في آخر.

لأنه قال: **يا أيها الملأُ أفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون** قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ،[1] فكأنّ[2] الرؤيا هي حق ولها حقيقة يُتأمّل[3] عواقبُها، وأضغاثُ أحلامٍ لا حقيقة لها.[4]

وقوله عز وجل: **إني أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ**، أما البقرات فهنّ[5] السِّنُون، والسِّمان هنّ[6] المُخْصِبات[7] الواسعات، **يأكلهن سبعٌ عِجافٌ**، العِجاف هنّ المُجْدِبات،[8] **وسبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ**، السُّنبلات: سُنبلات، وخُضْر: عبارة عما يُحصَد، **وأُخَرَ يابساتٍ**، عبارة عما لا يُحصَد، أي لا يكون فيه ما يُحصَد.[9] فيه دلالة[10] أنّ في الرؤيا ما يكون مصرّحًا مشارًا إليه يُعلَم بالبديهة،[11] ومنها ما يكون كناية مُبهَمًا غير مُفسَّر لا يُعلَم إلا بالنظر فيها والتفكّر[12] والتأمّل؛ لأنه قال:[13] **أرى سبع بقراتٍ**، وسبع: هو سبع لا غير، وبقرات: هنّ كناية عن السِّنين،[14] وسِمان: كناية عن الخِصب والسَّعة، **يأكلهن**: على حقيقة الأكل لا غير، وكذلك **سبعٌ عِجاف**، السبع هو سبع، والعِجاف كناية عن الشدة والجَدْب،[15] **وسبعَ سُنبلاتٍ**، هنّ[16] عين السُّنبلات، وخُضْر: هنّ كناية عما يُحصَد، ويابسات: كناية عما لا يكون فيه ما[17] يُحصَد. ففيه أنّ مِن[18] الخطاب ما يكون[19] مصرّحًا مبيّنًا مشارًا[20] إليه

[1] الآية التالية.
[2] ك: وكان.
[3] ك: تتأمل؛ م: بتأويل.
[4] ن – لها.
[5] ك ن: هن؛ ع م: هي.
[6] م: هي.
[7] ع: هي المحصنات. خصِب ومُخصِب بمعنى واحد (*لسان العرب* لابن منظور، «خصب»).
[8] جميع النسخ: المحذبات.
[9] ع م – أي لا يكون فيه ما يحصد.
[10] ن + في.
[11] ع: إليهما بعلم بالبديهية؛ م: مشار إليها بعلم بالبديهية.
[12] ك: والفكر.
[13] ن – قال.
[14] ن: عن سنين؛ ع: عن السنن.
[15] ك: والعجاف الجذب والشدة؛ ن ع: والجذب.
[16] ن: هو.
[17] ن – يكون فيه ما، صح هـ.
[18] ع م: أن هن.
[19] ك: ما لا يكون.
[20] ن ع م: مشار.

يُفهَم المرادُ منه بالبديهة[١] وقتَ قَرْعِ الخطاب السمعَ، ومنه ما يكون مُبهَمًا غيرَ مُفسَّر. فهو على وجهين: مِنه[٢] ما يُفهَم بالنظر فيه والتفكّر؛ والثاني لا يُفهَم بالبديهة[٣] ولا بالنظر فيه والتفكّر إلا ببيان يُقرَن به سِوى ذلك. على هذا يخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يا أيها الملأُ أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**، خاطب الأشرافَ مِن قومه والعلماءَ بقوله: **يا أيها الملأُ**، على ما ذكرنا فيما تقدم أنّ الملأ هو اسم للأشراف منهم والرؤساء.[٤] وهكذا العادة في الملوك أنهم إذا خاطبوا إنما يخاطبون أعقلَهم وأعظمَهم منزلةً عندهم وأكرمَهم[٥] مثواهم.[٦] ودل قوله: **أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**، أنه إنما رأى ذلك في المنام. *والله أعلم*.

وقوله: **أَفتوني في رؤيايَ**، الآية، كأنه[٧] نهاهم أن يتكلّفوا التعبير للرؤيا التي رآها إذا لم يكن لهم بها علم. وكذلك[٨] الواجب على كل مَن سُئل عن شيء لا يَعلم أن لا يَشتغل به ولا يتكلّف عِلمَه إذا لم يكن له به علم، حيث قال: **أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **قالوا أَضغاثُ أحلامٍ**، قال بعضهم: أباطيل أحلام كاذبة؛[٩] وقال بعضهم: أَخلاط أحلام كاذبة،[١٠] مِثل **أضغاث** النبات تُجمَع فيكون فيها ضُروب مختلفة. وهو كما[١١] قيل في قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِهِ وَلَا تَحْنَثْ،[١٢] أي جماعة مِن أَغصان الشجر. وقال بعضهم: **أَضغاثُ أحلامٍ**، الضِغْث والأَضغاث ما لا يكون له تأويل، ويقال لِنوعٍ مِن الكَلَأ: ضِغْث،

---

[١] ع م: بالبديهية.
[٢] ن: منها.
[٣] ع م: بالبديهية.
[٤] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[٥] جميع النسخ: وأكرم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٨ظ.
[٦] ن: مثوبهم.
[٧] ك: كأنهم.
[٨] ن: وكذا.
[٩] جميع النسخ: الكاذبة.
[١٠] ك ن - كاذبة؛ ع م: الكاذبة.
[١١] م: وكما.
[١٢] سورة ص، ٤٤/٣٨.

وهو الحَلْفَاء[1] شِبه البَرْدِي[2] وغيره.[3] وقيل: إن الضِغْث والأحلام هما اسمان لشيء لا معنى له ولا تأويل، وهما واحد. وأصل الأحلام كان مخرجه من وجهين. أحدهما العقول؛ دليله قوله: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا -أي عقولهم- أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ.[4] والثاني من الاحتلام، وهو[5] من الحُلُم، كقوله: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ،[6] الآية،[7] فيشبه أن يكون يخرج[8] على هذا؛ لأن الصبي ما لم يَعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم، لأن[9] الاحتلام هو مِن لَعِب الشيطان به، فسُمِّي الرؤيا الباطلة الكاذبة أحلامًا
[٣٦٣ظ] لأنها من لَعِب الشيطان به، كما سُمِّيَ احتلام الصبي حُلُمًا لأنه إذا بلغ العقلَ لَعِبَ به / الشيطان.

وقوله عز وجل: **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، يحتمل قوله تعالى: **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، لما لا تأويل لها، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى،[10] وقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[11] أي لا شفيع لهم. ويحتمل قوله:[12] **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، لها تأويل ولكن نحن لا نعلمها. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٤٥] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **وقال الذي نجا منهما**، مِن الهلاك، وهو الساقي الذي ذكر. وقوله عز وجل: **وادَّكَرَ بعد أمة**، أي تذكّر بعد أمة، قيل:[13] الأمة هاهنا الحِين، أي ذَكَر بعد حِين ووقت،

---

[1] ع: الخلفا. الحلفاء نبات حِمْلُه قَصَب النُّشّاب (السهم)... الحلفاء: نَبْت أطرافه محدّدة كأنها أطراف سَعَف النخل والخُوص يَنبُت في الماء (*لسان العرب* لابن منظور، «حلف»).

[2] نوع من النبات معروف، يَنبت في الماء. وكان المصريون القدماء يستعملون أوراقه للكتابة عليها.

[3] نقل ابن منظور عن الفَرّاء أن الضِغْث ما جمعته من شيء مثل حُزمة الرَّطْبة وما قام على ساق واستطال ثم جمعته (*لسان العرب* لابن منظور، «ضغث»).

[4] سورة الطور، ٥٢/٣٢.

[5] ع م + ما ذكرنا.

[6] سورة النور، ٢٤/٥٩.

[7] ك – الآية.

[8] ع: تخرج.

[9] ع م: كان.

[10] سورة الأنبياء، ٢١/٢٨.

[11] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.

[12] ك ن – قوله.

[13] جميع النسخ: قال.

كقوله: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ،[١] قيل: حين ووقت مَعدُود. وقال الحسن: **وادَّكَرَ بعد أمة**، أي بعد[٢] أمة مِن الناس.[٣] ويُقرأ: بعد أَمَهٍ.[٤] قال أبو عَوْسَجة: الأَمَهُ النسيان والسهو، أي تذكَر بعد نسيان وسهو، كقوله: فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ،[٥] يقال منه في الكلام: أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهًا فهو آمِهٌ وأَمِهٌ،[٦] أي نَسِي.[٧] والأُمَة من الأُمَم والقرون التي مَضَت، والأُمَة: النعمة، والأُمَم جَمْع.[٨] والأُمَة أيضًا الدِّين والسُنّة، كقوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[٩] أي على دين. ويقال: الأُمَة القَامَة أيضًا، يقال: فلان حَسَنُ الأُمَة، أي حَسَن القَامَة. ويقال: الأَمَم: القريب.[١٠] فهو يحتمل هاهنا الوجهين اللذَين ذكرناهما، أي ذكر بعد حِين ووقت؛ أو بعد نِسيان [على قراءة] مَن قرأه[١١] بالنصب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أنا أُنبِّئكم بتأويله**، معناه أي أنا آتيكم[١٢] ببيان تأويلها لا أنه كان يُنبّئهم هو بنفسه؛ ألا ترى أنه قال:[١٣] **فأَرسِلُونِ يُوسُفُ**، فيه إضمار كأنه قال: أَرْسِلُونِ[١٤] إلى يوسف. وليس في تلاوة الآية أنه أُرسِل إليه ولا إتيانُه إليه، ولكن فيه دليل أنه[١٥] أُرسِل[١٦] إليه فأتاه، فلمّا أتاه قال له: **أيها الصِّدّيق**، قيل: الصِّدّيق هو كثير الصدق، كما يقال: شِرِّيب[١٧] وفِسِّيق وسِكِّير، إذا كَثُر ذلك منه. والصِّدّيق هو الذي لم يؤخذ عليه كذب قط. أو سمّاه صِدّيقًا لِما عَرَفَ أنه رسول الله. وهو ما قال في إبراهيم: إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.[١٨] أو يقول: **أنا أُنبّئكم بتأويله**، أي أنا أتعلّم منه **فأُنبّئكم بتأويله**.

---

[١] سورة هود، ٨/١١.
[٢] م - بعد.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٤/٤.
[٤] قراءة شاذة رويت عن ابن عباس وبعض التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٨/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٤/٤.
[٥] سورة يوسف، ٤٢/١٢.
[٦] ن - وأمه.
[٧] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أمه».
[٨] ن م: جميع.
[٩] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[١٠] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أمم».
[١١] ع: من قراء.
[١٢] م: أنبئكم.
[١٣] ن - قال، صح هـ.
[١٤] ع م: فأرسلون.
[١٥] ع م - أنه.
[١٦] ن - فيه إضمار كأنه قال أرسلون إلى يوسف وليس في تلاوة الآية أنه أرسل إليه ولا إتيانه إليه ولكن فيه دليل أنه أرسل.
[١٧] ن ع م: شريت.
[١٨] سورة مريم، ٤١/١٩.

وقوله عز وجل: **أَفْتِنا في سبعِ بقراتٍ سِمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعِ سُنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابساتٍ**، فأَفتاها له وعَبَّرها عليه، وهو ما قال: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا - إلى آخر ما ذكر، وقوله- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ،[1] هذا تعبير[2] رؤيا الملك لِلذي[3] سأله.

وقوله عز وجل: **لعلّي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون**، هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل **يعلمون**، أن هذه الرؤيا حق ولها حقيقة، ليس كما قال أولئك: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ.[4] والثاني **يعلمون**، فَضْلَكَ على غيرك[5] مِن الناس. أو **يعلمون**، أنك تَصلُح لحاجاتهم[6] التي في حال يَقَظَتِهم فيَرفعونها إليك كما صَلُحتَ لما كان[7] لهم في حال نومهم.

**﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[٤٧]**

ثم عَلَّمَهم[8] الزراعةَ وجَمْعَ الطعام[9] والادِّخارَ أنْ كيف يُدَّخر حتى يَبقى[10] إلى ذلك الوقت، فقال: **تزرعون سبعَ سِنين دَأَبًا**، قال[11] بعضهم: أي دائمًا، أي تُداومون الزراعة فيها. وقال أبو عَوْسَجة: **دَأَبًا**، مِن الدَّوْب، [وهو] مِن الجِدّ[12] والتعب. وقال القُتَبي: **دَأَبًا**، أي جِدًّا في الزراعة[13] ومتابعة؛ وكله واحد.[14]

وقوله عز وجل: **فما حصدتم فذَرُوه في سُنبلِه**، لا تُنَقُّوه؛[15] لأن ذلك أَبقَى له مِن [ما] إذا نُقِّي[16] ومُيِّز، **إلا قليلاً مما تأكلون**، فتُنَقُّونه[17] إن شئتم، أي قَدْرَ ما تأكلون.

---

[1] سورة يوسف، ١٢/٤٧-٤٨.
[2] ك: تفسير.
[3] ع م: الذي.
[4] سورة يوسف، ١٢/٤٤.
[5] ن ع م: عنى غيرهم.
[6] ع م: لحاجتهم.
[7] جميع النسخ: ما كان.
[8] ك: ثم علمهم، صح هـ.
[9] ع م: الطاعات.
[10] ع م: تبقى.
[11] ع: فقال.
[12] م – من الجد.
[13] م: في الزرعة.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٩.
[15] ن ع: لا تبقوه؛ م: لا ينقوه.
[16] ع م: بقي.
[17] ن ع م: فتبقونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[٤٨]

وقوله: **ثم يأتي مِن بعد ذلك سبعٌ شِدادٌ**، قيل: مُجْدِبات،[١] مِن الشدة، **يأكلْنَ ما قَدَّمتم لهن**، أي ما ادَّخرتم لهن. **إلا قليلاً مما تُحْصِنون**، قال بعضهم: تدَّخِرون؛ وقال بعضهم: تُحْرِزون. قال أبو عَوْسَجة:[٢] أحصنته، أي[٣] ادَّخرته.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ثم يأتي مِن بعد ذلك عامٌ فيه يُغاث الناس**، قال بعضهم: هو مِن الغَيْث، وهو المطر، أي يُمْطَرون. وقيل: يُغاثون بالمطر، مِن الإغاثة والغَوْث. وقوله: **وفيه يَعصِرون**، قال بعضهم: هو مِن عَصْر الأعناب والدهن والزيت وغيره. إنما هو إخبار عن الخِصب والسَّعة. وقال بعضهم:[٤] **يَعصِرون**، أي يَنْجُون،[٥] يقول: مِن العَصَر يعني المَلْجأ، أي يَلْجئون إلى الغَيْث،[٦] والعُصْرة: المَنْجاة؛[٧] وهو قول أبي عُبَيدة.[٨] وأمّا قول غيره مِن أهل الأدب والتأويل فهو مِن العَصْر، يعني عَصْر العنب وغيره. *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك ائْتُوني به**، يعني يوسف. **فلمّا جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن**، فيه دلالة أنّ قول يوسف[٩] للرجل: اُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ،[١٠] إنما طَلب بذلك براءةَ نفسِه فيما اتُّهِم به، ليس كما قاله[١١] أهل التأويل؛ لأنه لو كان غير ذلك لكان[١٢] لا يردّ الرسول إليه ولكنه [كان] يخرج.[١٣] *والله أعلم*.

---

[١] ك ن ع: مجذبات.
[٢] ن - قال أبو عوسجة.
[٣] م - أي.
[٤] ع + قوله يعصرون قال بعضهم؛ م + قوله.
[٥] ع: أي ينحون.
[٦] ع: إلى الغيب.
[٧] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عصر».
[٨] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٣١٣.
[٩] ع م - فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فيه دلالة أن قول يوسف.
[١٠] سورة يوسف، ١٢/٤٢.
[١١] ك: قال.
[١٢] ع م - لكان.
[١٣] جميع النسخ: خرج.

وقوله: **فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أَهُنَّ على كيدهن بعدُ أم رجعن عن ذلك؟[1] والثاني لِيَعلم المَلِك براءتَه مما قُرِف به واتُّهِم [و]لِيَظهر عنده أنه كان بريئًا مما قُرِف به واتُّهِم.[2]

وقوله عز وجل: **إن ربي بكيدهن عليم**، أنهن كِذْن.

**﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾**[٥١]

ثم **قال** لهن الملك **ما خَطْبُكن إذ رَاوَدْتُنّ يوسفَ عن نفسه**، هذا يدل أنّ المَلِكَ قد علم أنهن رَاوَدْنَ يوسف عن نفسه؛ لأنه قال: **ما خَطْبُكن إذ رَاوَدْتُنّ**، و لم يقل لهن:[3] أَرَاوَدْتُنّ أم لا، ولكنه قطع القول فيه.

[٣٦٤و] وقوله عز وجل: **قُلْنَ حاشَ لله ما علمنا عليه مِن سُوء**، بدأ بهن حتى أقْرَرْنَ أنه / كان[4] بريئًا مما قُرِف به واتُّهِم، ثم أقرّت[5] امرأة المَلِك بعد ذلك لما أقرّت[6] النسوة، **فقالت: الآن حَصْحَصَ الحق**، قيل: الآن تبيّن الحق وتحقّق، **أنا رَاوَدْتُه عن نفسه وإنه لَمِنَ الصادقين**، في قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[7]

وقوله: **ما خَطْبُكُن**، ما شأنكن وأمركن، والخَطْب: الشأن. و **رَاوَدْتُن**،[8] قد ذكرناه.[9] وقوله: **قُلْنَ حاشَ لله**، قيل: معاذ الله؛ وقيل: هي كلمة تنزيه وتَبْرِئَة مِن القبيح.[10] وقوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، قال أهل التأويل: الزنا. ولكن قوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، هو[11] الذي قالت: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا،[12]

---

[1] ع م: على ذلك.
[2] ع م – ليظهر عنده أنه كان بريئا مما قرف به واتهم.
[3] م + من.
[4] م – كان.
[5] ن: ثم أقر.
[6] جميع النسخ: لما أقر.
[7] سورة يوسف، ٢٦/١٢.
[8] ن ع م: راودتن.
[9] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[10] م: من الصبيح.
[11] ك ن + السوء.
[12] سورة يوسف، ٢٥/١٢.

هو ذلك السوء [الذي] قالت: إنه أراد[١] بها. قُلْنَ: ما علمنا مِنه ذلك. وقوله: **حَصْحَص الحق**، قد ذكرناه أنه تبيّن وتحقق.[٢]

وفي قوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، دلالة أنْ لم يكن مِنه ما قاله أهل[٣] التأويل مِن حَلّ السراويل وغيره؛ لأنه لو كان مِنه ذلك لكان[٤] قد عَلِمْنَ مِنه السوء.

﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ذلك لِيَعلمَ أَنِّي لم أَخُنه بالغيب**، قوله: **ذلك**، الردّ الذي كان منه وتَرْكُ الإجابة لِرسول المَلِك حيث قال: اِئْتُونِي بِهِ،[٥] **لِيَعلم**، المَلِك، **أَنِّي لم أَخُنه بالغيب**، في أهله إذا غاب عني، ردًّا لقولها: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا،[٦] وتصديقًا[٧] لقوله حيث قال: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[٨] وقال بعض أهل التأويل: **ذلك لِيَعلم**، الله،[٩] **أَنِّي لم أَخُنه**، يعني الزوج، **بالغيب**. لكن هذا بعيد، أنه[١٠] قد عَلِم يوسف أنّ الله قد عَلِم أنه لم يَخُنه بالغيب.

*وقوله عز وجل: **وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين**، أي لا[١١] يجعل[١٢] فِعلَ الكيد والخيانة [٣٦٤و س٢٢
هدًى ورشدًا، إنما يجعل فِعلَ الكيد والخيانة ضلالًا وغوايةً.* ٣٦٤و س٢٣]

﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٥٣]

وقول أهل التأويل: لمّا قال يوسف: لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ،[١٣] قال له المَلِك: ولا حينَ هَمَمْتَ ما هَمَمْتَ، فقال: **وما أُبَرِّئُ نفسي إنّ النفس لَأَمّارةٌ بالسوء**، هذا مما لا نعلمه.[١٤]

---

[١] ع م + به.
[٢] ع م: الحق.
[٣] ك – أهل.
[٤] ن – لكان؛ ع م: لكن.
[٥] سورة يوسف، ١٢/٥٠.
[٦] سورة يوسف، ١٢/٢٥.
[٧] ع: تصديقًا.
[٨] سورة يوسف، ١٢/٢٦.
[٩] ك – الله.
[١٠] أي لأنه.
[١١] ك – لا.
[١٢] ع م: لا يحتمل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٤و/سطر ٢٢-٢٣.
[١٣] الآية السابقة.
[١٤] ع م: لا يعلمه.

وقد ذكرنا في تأويل قوله:[1] وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا،[2] ما يَحِلّ ويَسَع أن يُتَكَلَّم به وفسادَ تأويلِ أهلِ التأويل من الوجوه التي ذكرنا. ومعنى قوله: **وما أُبَرِّئُ نفسي إنّ النفس لَأَمَّارةٌ بالسوء إلا ما رَحِم ربي** -أي عَصَم ربي، والله أعلم- أنه لمّا قال: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ، لِما عَصَمَني الله عن ذلك ولو لم يكن عَصَمَني لَكُنْتُ أَخونُه،[3] **إنّ النفس لَأَمَّارةٌ بالسوء إلا ما رَحِم ربي**، أي ما[4] عَصَمَ ربي؛ لأن النفس جُبلت وطُبعت على المَيْل إلى الشَّهوات واللّذّات والهَوَى فيها والرغبة والتوقي عن المكروهات والشدائد. ألا ترى أنه قال: فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ،[5] أثبت للنفس الهَوَى وإيثارَ الحياة الدنيا وشَهَواتِها. هذا يدل أن قوله: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[6] هو محبة الاختيار والإيثار في الدين، لا ما تختار النفس وتُؤثِر. النفس أبدًا تختار وتُؤثِر ما هو أَلَذّ وأَشْهَى وتَنْفِر عن الشدائد والمكروهات، على هذا طُبعت وجُبلت.*

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك ائْتُوني به أَسْتَخْلِصْه لنفسي**، أي أجعله لنفسي خالصًا لحوائجي. أو أن يكون قوله: **أَسْتَخْلِصْه لنفسي**،[7] أَصْدُرُ لِرأيه وأُطيع[8] أَمْرَه. في هذا يَقَع استخلاصُه إياه. ولذلك[9] قال: مَكَّنَّا لِيُوسُفَ،[10] الآية. لا[11] أنْ يجعله لحاجة نفسه خالصًا دون الناس لا يُشرِك غيرَه فيه. دليله[12] ما ذكر في حرف حفصة: إنك اليوم لدينا مطاع[13] أمين.

---

[1] جميع النسخ: ذكرنا التأويل في قوله.
[2] سورة يوسف، ١٢/٢٤.
[3] ع: اخونه.
[4] ك - ما.
[5] سورة النازعات، ٧٩/٣٧-٤١.
[6] سورة يوسف، ١٢/٣٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٤و/سطر ٢٢-٢٣.
[7] ع م - أي أجعله لنفسي خالصا لحوائجي أو أن يكون قوله استخلصه لنفسي.
[8] ن ع م: وأطيع.
[9] ع: وكذلك.
[10] سورة يوسف، ١٢/٥٦.
[11] ع - لا.
[12] ن ع م: دلالة.
[13] ع: مكين.

وقوله عز وجل: **فلمّا كلّمه قال إنك اليوم لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِين**، و لم يذكر فيه أنه أُتِيَ به، ولكن قال: **فلمّا كلّمه**، فهذا يدل أنه قد أُتِيَ به وإن لم يذكر أنه[1] أُتِيَ به،[2] حيث قال: **فلمّا كلّمه قال إنك اليوم لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِين**. قيل: المَكِين: الوَجِيه؛ وقيل: المَكِين: الأمين المَرْضِي عندنا، والأَمِين على ما استَأْمَنّاك.[3]

**﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **قال اجعلني على خزائن الأرض**، سأل هذا لما عَلِم أنه ليس في وُسْعِهم القيامُ بإصلاح ذلك الطعام، وعَلِم أنه لو وَلّى غيرَه الخزائنَ لم يَعرف إنزالَ الناسِ مَنازِهَم في تقديم مَن يجب تقديمه والقيامِ بحاجة الأحقّ[4] مِن غيره، وعَلِم أنه إليه يَرجع ويَقَع حوائجُ أكثرِ الناس[5] وبه قِوامُ أبدانِهم. فسأله ليقوم بذلك كلِّه وعلى يديه يجري. ولذلك[6] قال: **إني حفيظ عليم**، قال بعضهم:[7] **حفيظ**، بما وُلِّيتُ عليهم بأمره. وقيل: **حفيظ**، أي حاسب؛ **عليم**، أي[8] بالأَلْسُن كلِّها. وقيل: **حفيظ**،[9] لِما في الأرض مِن غَلّة، عالمٌ بها. وعن ابن عباس رضى الله عنه: **حفيظ**، لِما تحت يَدَيَّ، **عليم**، بالناس. وقيل: **حفيظ**، بصير بتقديره، عالمٌ بساعات الجوع حين يَقَع. [أو] **إني حفيظ**، لِما استُحفِظتُ، **عليم**،[10] بحوائج الناس. أو **عليم**، بتقديم الأحق.

**﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٦]**

وقوله[11] عز وجل: **وكذلك مَكَّنّا ليوسف في الأرض**، يقول –والله أعلم– كما برأنا يوسف مما قُرِف به وأظهرنا براءتَه مِنه مَكَّنّاه[12] في الأرض حتى احتاج أهل نَواحي مصر وأهلُ الآفاق إليه.

---

[1] ع + قد.
[2] ن + ولكن فىما كلمه فهذا يدل أنه قد أتى به وإن لم يذكر أنه أتى به.
[3] ن: على ما استأمنك.
[4] ع: لاحق.
[5] ع م + منازلهم.
[6] م: وكذلك.
[7] ك + بعضهم.
[8] ن – أي.
[9] ع م – أي حاسب عليم أي بالألسن كلها وقيل حفيظ.
[10] ع م: عليهم.
[11] ن: قوله.
[12] ك ن: ملكناه.

أو أن يقال: كما حفظناه وأنجيناه مما قَصَد به إخوتُه مِن الهلاك نمكّن[1] له[2] في الأرض. وجائزٌ أن يكون قوله: **وكذلك مَكَّنَّا ليوسف**، جوابه: كما مَكَّنَّا ليوسف في الأرض بعد ما أَخْرَجه[3] مَن عليه الإيواء[4] والضَّمُّ كذلك نمكّنك في الأرض ونُؤوِيك[5] بعد ما أَخرَجَك[6] مَن عليه إيواؤك.[7]

[٣٦٤ظ] وقوله عز وجل: / **يَتبوَّأ منها حيث يشاء**، أي يَنْزل منها حيث يشاء،[8] أو يَسكُن[9] منها حيث يشاء.[10] وقوله عز وجل: **نُصِيب برحمتنا مَن نشاء**، يحتمل قوله: **برحمتنا**، سَعَةَ الدنيا[11] ونعيمَها، كقوله: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا.[12] ويحتمل **برحمتنا**، أَمْرَ الدين مِن النبوة والعِصمة. وهو على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: ليس لله[13] أن يختصّ أحدًا بالرحمة،[14] ولا يُصيب من رحمته إنسانًا دون إنسان. وعلى قولهم لم يكن مِن الله إلى رسول الله[15] مِن الرحمة إلّا وكان إلى إبليس مِثلُه.

وقوله عز وجل: **ولا نُضِيع أجرَ المحسنين**، أي لا نُضِيع أجرَ مَن أحسن صُحبةَ[16] الله في الدنيا والآخرة، أي نجزيه جزاءَ إحسانِه. أو يقول: ولا نُضِيع أجرَ مَن أحسن صُحبةَ نِعَمِ الله وقَبِلَها[17] بالشكر له.

[٣٩٠و س ١١] * ثلاث[18] آيات في سورة يوسف على المعتزلة. قوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[19] أخبر أنه لو لم يَصرف عنه[20] كيدهن مال إليهن، وهم يقولون: قد صَرف عن كل أحد السوء والكيد،

---

[1] ك ن ع: نمكن.
[2] ع م – له.
[3] جميع النسخ: ما أخرج.
[4] ع م: الابراء.
[5] جميع النسخ: ونؤوي.
[6] ع م: ما أحوجك.
[7] ع: ابوابك؛ م: ابراك.
[8] ع م – أي ينزل منها حيث يشاء.
[9] ع م: أو تسكن.
[10] ن: نشاء.
[11] ن + يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا.
[12] سورة فاطر، ٣٥/٢.
[13] ع م – لله.
[14] ع م: برحمته.
[15] ك ن – الله.
[16] ع: ضحبة.
[17] م: وقلبها.
[18] ع: ثلاثة.
[19] سورة يوسف، ١٢/٣٣.
[20] ن ع م: عني.

لكن لم يَنصرف عنه ذلك. وكذلك[1] قوله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[2] أخبر أنه[3] إذا رَحِمَه امتنع عن السوءِ والأمرِ به، وهم يقولون: إنه وإن رَحِم لا يمتنع السوءُ ولا الأمرُ به. وكذلك قوله: **نصيب برحمتنا من نشاء**، وهم يقولون: ليس له أن يصيب أحدًا[4] دون أحد مِن رحمته ولا أن يخصّ أحدًا بذلك.* [٣٩٠و س١٦]

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **وَلَأَجرُ الآخرة خيرٌ للذين آمنوا**، أي ثواب الآخرة وأجرها خير لهم من ثواب الدنيا وأجرها. وقوله: **آمنوا**، صدّقوا، **وكانوا يتقون**، الشرك. أو **آمنوا**، صدّقوا، **وكانوا يتقون**، المعاصي والفواحش.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له مُنكِرون**، لمّا أراد الله أن يَبلُغَ أمرُ يوسف فيما أراد أن يَبلُغَ جَعَلَهم بحيث لا يَعرفونه. لذلك قال: **فعرفهم وهم له مُنكِرون**، أي لا يَعرفونه، كقوله: قَوْمٌ مُنكَرُونَ،[5] أي غير معروفين عند إبراهيم. والمنكر هو الذي لا يُعرَف في الشرع ولا في العقل.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **ولمّا جهّزهم بجَهازهم**، أي أعطى لهم الطعام الذي طلبوا منه. قال أبو عَوْسَجة: الجَهاز: المتاع، والجَهاز أيضًا: متاع المرأة الذي[6] تُجَهَّز به. ولا يقال: جِهاز، بخفض الجيم. وقال أهل التأويل: إن يوسف عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه: أنتم عُيُون، بَعَثَكم مَلِكُكم تَنظرون إلى أهل مصر ثم تأتونه[7] بالخبر، وتأتوننا[8] بكذا. ذلك مما لا نعلمه أنه قد كان قال[9] لهم ذلك أم لا.

---

[1] ع م: عنه كذلك.
[2] سورة يوسف، ١٢/٥٣.
[3] ن ع م – أنه.
[4] م: أحد.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ١١-١٦.
[5] سورة الذاريات، ٥١/٢٥.
[6] ك ع م: التي.
[7] ع: مصر تأتون.
[8] ك ع م: وتأتنا؛ ن: وتأتينا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٠و.
[9] ع – قال.

وغير ذلك من الكلمات التي قالوا: إنه قال لهم كذا، وقالوا هم له:[1] نحن[2] كذا وكذا[3] رجالاً، فهلك منّا كذا، ولنا أبٌ كذا، مِثلُ هذا لا يكون كلامَ الأنبياء، إنما هو[4] كلامُ بعضِ العوامّ الغَوْغَاء.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال ائتُوني بأخٍ لكم مِن أبيكم ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ وأنا خير المُنْزِلين،** مِثلُ هذا لا[6] يحتمل أن يقوله يوسف ابتداءً على غير سببٍ أو كلامٍ كان هنالك، لكنه لم يذكر الذي كان، ونحن لا نعرف ما الذي كان جرى هنالك فيما بينهم.

[٣٦٤ظ س٢٧ * ويحتمل قوله: **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ،** وجهين. أحدهما قال ذلك لهم أنه يُوفي[7] لهم الكَيْلَ؛ لأن أهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويخسرون الكَيْلَ في الضِيق، فقال هو: **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ،** ولا أَبْخَس. والثاني **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ،** على غير المُحاجَة، وكان يجعل لغيرهم الطعام على المحَاجَة لِضِيق الطعام. **[ألا ترون] أنّي أُوفِي الكَيْل،** على قَدْر الحاجة، **وأنا خير المُنْزِلين،** في الإحسان إليكم والتوسيع عليكم؛ لأن أهل ذلك المكان لا يحسنون إلى النازلين بهم ولا يُوَسِّعون عليهم[8] لِضِيق الطعام. وكأنّ قولَه:[9] **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ،** مؤخّر عن قوله: **فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ،**[10] كأنه قال: ائتُوني لي بأخٍ لكم مِن أبيكم فإن لم تأتوني به

٣٦٤ظ س٣٤] فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ، فعند ذلك قال: **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْل.** *والله أعلم*.*

## ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾[٦٠]

وكذلك قوله: **فإن لم تأتوني به فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ،** أمّا أهل التأويل فإنهم قالوا: قال لهم: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ،[11] إلى آخر ما ذكر؛ لأنه لمّا قال لهم:[12] إنكم جئتم عُيُونًا لمَلِكِكم،

[1] ن – له؛ ك ن + كذا.
[2] ع م – نحن.
[3] ك ن: كذا كذا.
[4] ع م – كلام الأنبياء إنما هو.
[5] انظر لما قالوا تفسير الآية التالية.
[6] ع – لا.
[7] م: يؤتي.
[8] ك ن – عليهم.
[9] ع: أنه.
[10] الآية التالية.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٤ظ/سطر ٢٧-٣٤.
[11] الآية السابقة.
[12] ن ع م – لهم.

فأَمَرَ بحبسهم، فقالوا: نحن بنو[١] يعقوب النبي، وكُنّا اثْنَيْ عشر رجلاً، فهَلَكَ مِنّا رجلٌ في الغَنَم، ووجدنا على قميصه دمًا، فأتينا[٢] أبانا[٣] فقلنا كذا، وقد خَلَّفْنا عند أبينا أخًا له مِن أُمِّه.[٤] فعند ذلك قال لهم:[٥] اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. لكن هذا الذي ذكروا لا يكون سببًا لقوله[٦] ولا جوابًا له. وقد ذكرنا أنه لا يصح هذا الكلام مُبتدأً. لَكِنّا[٧] نَعلم بالعقل[٨] أنه كان هنالك[٩] سببٌ ومعنى أَمَرَ يوسفَ أن يقول لهم ذلك. وإلا لا يحتمل أن يقول[١٠] لهم يوسف: **لا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ**، وهو كان يَعلم أنّ أباه يعقوب يحتاج إلى طعام ويعرف حاجتهم في ذلك. هذا لا يَسَع[١١] إلا بسبب كان ثَمَّ،[١٢] فأَمَرَ[١٣] يوسف بذلك. وقوله: **فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ**، فيما يستقبل، أي لا تأتوني. *والله أعلم*.*

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قالوا سنُراوِد عنه أباه وإنّا لَفاعلون**، هذا الكلام في الظاهر ليس هو جوابَ قولِ يوسف[١٤] حيث قال: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ.[١٥] وجوابه أن يقولوا له: نأتي به، أو لا نأتي. فأمّا أن يُجعَل قولهم: **سنُراوِد عنه أباه وإنّا لَفاعلون**، جوابًا له فلا يحتمل. مع ما أنّ في قولهم:[١٦]

---

[١] ك: بنوا.
[٢] ع: فأتنا.
[٣] م: آباءنا.
[٤] جميع النسخ + الذي هلك.
[٥] ك – لهم.
[٦] ك – لقوله.
[٧] ع: الكنا.
[٨] ع م: بالتعقل.
[٩] ع: هناك.
[١٠] ع م – يقول.
[١١] ن – لا يسع.
[١٢] ن: ثمه.
[١٣] ع: أمر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٤ظ/سطر ٢٧-٣٤.
[١٤] ع + وإنا لفاعلون جوابا فلا يحتمل.
[١٥] سورة يوسف، ٥٩/١٢.
[١٦] ن: مع أن ما في قولهم؛ ع م: في قلوبهم.

**سنُراوِد عنه**، اضطرابا،[1] يَملِكون أو لا يَملِكون، وقولهم:[2] **وإنّا لَفاعلون**، على القطع. لكن يشبه أن يخرج على وجهين.[3] أحدهما على الإضمار: **سنُراوِد عنه أباه**، فإن أَذِن له، **وإنّا لَفاعلون**، ذلك. أو على التقديم والتأخير، يكون جواب قوله: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ، في قولهم:
[٣٦٥و] **وإنّا لَفاعلون**، كأنه لمّا قال لهم يوسف: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ / مِنْ أَبِيكُمْ، قالوا: إنّا لَفاعلون، ثم قالوا فيما بينهم: **سنُراوِد عنه أباه**. على هذين الوجهين يشبه أن يخرج. ***والله أعلم***.

وقوله: **سنُراوِد عنه أباه**، قال أبو عَوْسَجَة: المُراوَدَة: المُمارَسة، وهي شِبه المخادعة، وهي المعالجة. وقيل: **سنُراوِد**، أي سنَجْهَد وسنطلب.

**﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[٦٢]

وقوله عز وجل: **وقال لِفِتْيانِه**، و[قُرِئَ]: "لِفِتْيَتِه".[4] الفِتْيَة: الخَدَم، والفِتْيان: المماليك. **اجعلوا بضاعتهم في رِحالهم**، قيل: اجعلوا دراهمهم في أوعيتهم. في الآية[5] دلالة أنّ الهبة قد تصح وإن لم يصرّح بها إذا وقع في يَدَي الموهوب له وقَبَضَه وإن لم يَعلم هو بذلك وَقْتَ ما جُعِل له؛ لأن يوسف جَعل بضاعتهم في رحالهم هبةً لهم مِنه وهم لم يَعلموا بذلك، وهو وَقْتَ ما جعل ذلك لهم[6] [كان] مِلكًا ليوسف. ولهذا قال أصحابنا: إنّ مَن وَضع[7] ماله في طريق مِن طرق المسلمين ليكون ذلك مِلكًا لمن رفعه كان ما فَعل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لعلّهم يَعرفونها إذا انْقَلبوا إلى أهلهم لعلّهم يَرجعون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **يرجعون**، مخافة أن يُقرَفوا[8] بالسرقة لِما عسى يَقع عندهم [ويقولوا:] إنّ واحدًا مِنّا جَعل هذا في متاعنا وأوعيتنا سرًا منهم، ففَعل يوسف هذا ليرجعوا مخافةَ أنْ يُقرَفوا بالسرقة.[9]

---

[1] جميع النسخ: اضطراب.
[2] ع م: قولهم.
[3] ن: على الوجهين.
[4] قراءتان متواترتان. فقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف: لفِتْيانِه، وقرأ الباقون: لفِتْيَتِه. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.
[5] ك ن: فيه؛ ع – الآية.
[6] ك: جعل لهم ذلك؛ ن – لهم.
[7] ع: من موضع.
[8] ع م: أن يعرفوا. قرف بالشيء أي اتهم به (*لسان العرب* لابن منظور، «قرف»).
[9] ع م – لما عسى يقع عندهم أن واحدا منا جعل هذا في متاعنا وأوعيتنا سرا منهم ففعل يوسف هذا ليرجعوا مخافة أن يقرفوا بالسرقة.

والثاني ما قاله أهل التأويل: لمّا تخوّف يوسف أن لا[١] يكون عند أبيه من الوَرِق ما يَرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في أوعيتهم لكي يرجعوا إليه،[٢] فلا يحبسهم[٣] عنه[٤] عدم الدراهم، لأنهم كانوا أهل ماشية.[٥]

**﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٦٣]**

وقوله عز وجل: **فلمّا رَجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِع مِنّا الكَيْلُ**، فيما يُستقبَل ويُستأنَف، بقوله:[٦] فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ،[٧] **فأَرسِل معنا أخانا نَكْتَلْ**، بالنون، و[قُرِئَ] بالياء: يَكْتَلْ.[٨] وبالنون أقرب؛ لأنهم قالوا: **مُنِع مِنّا الكَيْلُ فأَرسِل معنا أخانا نَكْتَلْ**، نحن بسببه،[٩] ويَكْتَل هو إن أرسلته. **وإنّا له لحَافظون**، لا يحتمل أن يقولوا له هذا مِن غيرِ سببٍ كان هنالك مِن خوفٍ خاف عليه أبوهم مِن ناحيتهم وتهمةٍ اتهمهم؛[١٠] لأنه كان أخاهم[١١] مِن أبيهم، خاف عليه أن يُضيعوه أو إن[١٢] استقبله أمرٌ[١٣] لا يُعينونه.[١٤] أو أمرٌ كان لم يُذكر، ولسنا ندري ما ذلك المعنى. والله أعلم بذلك.

**﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٦٤]**

**قال هل آمَنُكم عليه إلا كما أَمِنتُكم على أخيه مِن قبلُ**، وفي[١٥] حرف ابن مسعود رضى الله عنه: هل تحفظونه إلا كما حفظتم أخاه يوسف مِن قبلُ. في هذا دلالة أنّ مَن ظهرت منه

[١] ع م – لا.
[٢] جميع النسخ: إلينا.
[٣] ع: فلا يحسبهم؛ م: فلا يحيبهم.
[٤] جميع النسخ: عنا.
[٥] أي كانت أمواهم الرئيسية الحيوانات من الغنم وغيرها، وكانوا يتعاملون بينهم بالمقايضة ويبيعون ويشترون بالغنم مثلا بدلا عن الدراهم والدنانير.
[٦] ك م: لقوله.
[٧] سورة يوسف، ١٢/٦٠.
[٨] قراءتان متواترتان. فقرأ حمزة والكسائي وخلف: يَكْتَلْ، وقرأ الباقون: نَكْتَلْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.
[٩] م: بشبه.
[١٠] ن ع: أتمهم.
[١١] جميع النسخ: أبوهم.
[١٢] ن: وإن.
[١٣] ع: أمره.
[١٤] ع م: أمر يعيبونه.
[١٥] ع: وهو.

تهمةٌ أو خيانةٌ في أمرٍ يجوز أن يُتَّهم فيما لم يَظهر منه[1] شيء، حيث اتهمهم يعقوب في بِنْيَامِينَ[2] بخيانةٍ كانت منهم في يوسف وإن لم يظهر له منهم في أخيه شيء. وهو حجة لأصحابنا أنّ مَن ظَهر فِسقُه في شيء أو كَذِبه في أمرٍ[3] صار مجروحَ الشهادة في غيره.

وقوله: **فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين**، أي إن[4] أرسلته فإنما أعتمد على حفظ الله وإليه أَكِلُ في حفظه، لستُ أعتمد على حفظكم، **وهو أرحم الراحمين**، أي هو بكلّ مكروبٍ وملهوفٍ أرحمُ مِن كل راحم؛ لأن كلَّ مَن يَرحم[5] إنما يَرحمه برحمةٍ[6] نالها منه. *والله أعلم*.

**﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **ولمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم**، هذا قد ذكرنا.[7] وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا**، وقوله: **ما نبغي**، هذا يحتمل ما نبغي[8] سِوى الثَّمن، فقد رُدَّ إلينا دراهمُنا. أو يكون قوله: **ما نبغي**، وراءَ هذا كبيرَ[9] شيءٍ، إنما نبغي ثمن بعير واحد، وثمن بعير واحد[10] يسير؛ لأنه قد رُدَّتْ بضاعتُنا وهو ثمن عشرة أَبْعِرَة. **ونَمِيرُ أهلَنا ونحفظ أخانا ونزداد كَيْلَ بعير**، لأنه ذُكِر أنّ يوسف كان لا يعطي كلَّ رجل إلا حِمْلَ بعير واحد ولا يعطي أكثرَ مِن ذلك، فقالوا: **ونزداد كَيْلَ بعير**، به ومِن أَجْلِه. **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، قال بعضهم: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي سريعٌ لا حبسَ فيه. وقال بعضهم: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي يُيَسِّر[11] علينا الكَيْلَ ولا يَحبِس عنّا الطعام ولا يَثقُل عليه ذلك بقوله: **أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ**،[12]

---

[1] ع م – منه.
[2] جميع النسخ: ابن يامين.
[3] ع م: في شيء.
[4] ع – إن.
[5] ن – لأن كل من يرحم.
[6] ع – برحمة.
[7] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٦٢/١٢.
[8] ع م – هذه بضاعتنا ردت إلينا وقوله ما نبغي هذا يحتمل ما نبغي.
[9] ع: كبير؛ م: أكبر.
[10] ن ع م – وثمن بعير واحد.
[11] ع م: أي يسير.
[12] سورة يوسف، ٥٩/١٢-٦٠.

فإن لم نأته[١] به فلا كَيْلَ لنا[٢] وقد حَبَسَنا عنه. **والله أعلم**. ويشبه أن يكون فيه وجهُ آخرُ أقربُ مما قالوا، وهو أنّ قوله: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي طَلَبُ ثمنِ كَيْلِ بعيرٍ يسيرٌ؛ لأنه قد رُدَّتْ إليهم بضاعتُهم وهو ثمنُ كَيْلِ عشرةِ أَبْعِرَةٍ، فإنما احتاجوا إلى ثمنِ كَيْلِ بعير واحد، فقالوا: طَلَبُ ثمنِ كَيْلِ بعير واحد يسيرٌ،[٣] وتَكَلُّفه سَهل، وهو ثمنُ كَيْلِ بعيرِ بِنْيَامِين.[٤] **والله أعلم**.

**﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾**[٦٦]

وقوله عز وجل: **قال لن أُرسِلَه معكم حتى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِن الله**، أي حتى تَأْتُونِي[٥] بمَوَاثِيقَ مِن الله وبعهودٍ مِنه، **لَتَأْتُنَّنِي به**، فيه دلالة أنه وإن قال:[٦] فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[٧] واعتَمَد في الحفظ على الله[٨] ورأى الحفظَ مِنه لم يُرسِله معهم إلا بالمواثيق والعهود مِن الله؛ وهذا أمرٌ ظاهر بين الناس أنهم وإن كان اعتمادهم على الله وإليه يَكِلون في جميع أمورهم في الأموال والأنفس ومنه يَرَوْن الحفظَ فإنه يأخذ بعضُهم مِن بعضٍ المَواثِيقَ والعهود. فعلى ذلك يعقوب أنه وإن أخبر أنّ اعتمادَه وتوكُّلَه[٩] في حفظ ولدِه على الله لم يُرسِلْه معهم إلا بعد ما أخذ منهم العهودَ والمَواثِيقَ **لَتَأْتُنَّنِي به إلا أن يُحاطَ بكم**، أي إلا أن يجمعَكم أمرٌ ويَعُمَّكم ويحيطَ بكم الهلاكُ جميعًا، فعند ذلك تكونون / معذورين، فأمّا أن يَخُصَّ به أمرٌ فلا. والثاني إلا أن يجيء [٣٦٥ظ] أمرٌ عظيم يَمنعُكم عن ردِّه، كأنه خاف عليه مِن المَلِك حيث طَلَب منهم أن يَأتوه به.

وقوله عز وجل: **فلمّا آتَوْه مَوْثِقَهم قال**، يعقوب، **الله على ما نقول وكيل**، أي الله على المَواثِيق والعهود التي أخذتُها منكم شهيدٌ. أو يقول: الله له[١٠] حفيظٌ، كما قال: فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا.[١١] **والله أعلم**.

---

[١] ع م: لم تأته.
[٢] ن – ولا تقربون فإن لم نأته به فلا كيل لنا.
[٣] ن – يسير، صح هـ.
[٤] جميع النسخ: ابن يامين.
[٥] ن: حتى تؤتوني.
[٦] ع م: وإن كان.
[٧] سورة يوسف، ٦٤/١٢.
[٨] ك: واعتمد على الله في الحفظ.
[٩] ك: وكلاته؛ ن ع م: وكلامه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٠ظ.
[١٠] ك – له.
[١١] سورة يوسف، ٦٤/١٢.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وقال يا بَنِيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة،** قال بعض أهل[١] التأويل: إن يعقوب خاف عليهم العَيْنَ؛ لأنهم كانوا ذَوِي صُوَر وجمال وبَهاء، فخَشِيَ عليهم العَيْنَ، لذلك أمرهم أن يدخلوا متفرقين. وقال بعضهم:[٢] خشي عليهم البَيَاتَ[٣] والهلاك؛ لأنهم كانوا أهل قوة ومَنَعة، فيخافهم أهل البلد ويَفْرَقُون[٤] منهم السرقة، فأمرهم بالتفرق، وهو قول ابن عباس. فإذا كانوا متفرقين فلا يَهلِكون الكُلُّ، وإنما يَهلِك بعضٌ[٥] ويَنجو بعضٌ. أو لا يُدرَى ما أراد بهذا. وقال بعضهم: عَلِم يعقوب أنهم لا يَهلِكون لِما رأى يوسفُ مِن الرؤيا أنْ يسجد له إخوته، ولكن خاف عليهم أن تصيبهم[٦] النَّكْبَة، لذلك أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، أو مِن سِكَكٍ[٧] متفرقة، أو من طرق مختلفة،[٨] أو ما قالوا.

[٣٦٥ظ س٣٦] *وعن الحسن -فيما أَظُنّ- في قول يعقوب لِبَنِيه: **لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبوابٍ متفرقة،** قال: أمَا والله ما كانت به طِيَرَةٌ تَطَيَّرَ بها، ولكن قد عَلِم أو ظَنَّ أنّ يوسفَ

٣٦٥ظ س٣٧] سيَلْقَى أخاه فيقول: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ.[٩]*

وقوله عز وجل: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء،** أي لا أدفع عنكم **مِن الله مِن شيء،** إن أصابكم نَكْبَة[١٠] أو عَيْن.

فإن قيل: لو كان أمرُه إياهم بالتفرق[١١] لخوف العَيْن أو لخوف أهل البلد منهم السرقةَ والإغارةَ كيف لم يأمرهم بذلك[١٢] في المرة الأولى، وخَوْفُ العين وخَوْفُ

---

[١] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[٢] ع م + حتى.
[٣] أي أن يهجم عليهم العدو بَيَاتًا في الليل.
[٤] ك ن: ويقرفون. يفرقون أي يخافون (*لسان العرب* لابن منظور، «فرق»).
[٥] ك: بعضهم.
[٦] ن ع م: أن يصيبهم.
[٧] ع: أو من طرق.
[٨] ن م: متفرقة؛ ع – أو من طرق مختلفة.
[٩] سورة يوسف، ٦٩/١٢.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٥ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[١٠] ك: بحبه.
[١١] ع م: بالتفريق.
[١٢] ك – بذلك.

ما ذكر ابن عباس[١] رضى الله عنه أنه يخافهم أهل البلد إذا رأوهم مجتمعين أنهم لصوص وأنهم كذا [موجود في المرة الأولى أيضا]؟

ولكن جائزٌ[٢] أن يكون في المرة الأولى لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع في أمثال ذلك[٣] من الرُّفَقاء والصحابة، فلا يكون في ذلك الخوف الذي ذكروا، وإذا عادوا في المرة الثانية[٤] قد يحتمل ذلك الخوف من العَيْن وغيره إذا عَلِم أهلُ البلد أنّ ذلك العدد[٥] تحت أبٍ واحدٍ. أو أمرهم[٦] بالتفرق في الأبواب[٧] بمحنةٍ امتَحَن بذلك وأَمر به. أو لمعنى[٨] غاب عنّا لا نحتاج[٩] إليه. ***والله أعلم.***

وقوله: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء**، أي لا أدفع عنكم مِن الله مِن شيء إن أصابكم نَكْبَة أو عَيْن وإن تفرقتم، **إنِ الحكمُ إلا لله**، هذا تفسير قوله: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء**، أي لا أدفع عنكم[١٠] بما أحتال ما قَدَّر الله وقضاه أن يصيبكم[١١] لا محالة وينزل بكم، **إنِ الحكمُ إلا لله**، أي ما الحكم في ذلك إلا لله،[١٢] ما في حُكمه وقضائه[١٣] أن يصيبكم فيصيبكم لا محالة.

وقوله عز وجل: **عليه توكلتُ وعليه فليتوكلِ المتوكلون**، هذا أصل كل أمرٍ يَخاف المرءُ: أنْ يأخذ[١٤] بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله، على ما أمر يعقوب عليه السلام بَنِيه بالحذر في ذلك ثم تَوكَّلَ على الله في ذلك. والحذر هو العادة في الخَلْق. والتوكُّل تفويضُ الأمر إلى الله والاعتمادُ عليه. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع وذكر ابن عباس؛ م: وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس.
[٢] ع م – جائز.
[٣] ك: أولئك.
[٤] ن: الثالثة.
[٥] ك: العدو.
[٦] ن: وأمرهم.
[٧] م: بالتفرق الأبواب.
[٨] ك: أو بمعنى.
[٩] ن: لا تحتاج.
[١٠] ع م – من الله من شيء إن أصابكم نكبة أو عين وإن تفرقتم إن الحكم إلا لله هذا تفسير قوله وما أغني عنكم من الله من شيء أي لا أدفع عنكم.
[١١] ع + يصيكم.
[١٢] ع: إلا الله.
[١٣] ع م: قضائه.
[١٤] ع م: وأن يأخذ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **ولما دخلوا مِن حيثُ أَمَرَهم أبوهم**، مِن أبواب متفرقة، **ما كان يُغني عنهم مِن الله مِن شيء**، أي ما كان يدفع ذلك عنهم[١] ما حَكَمَ الله عليهم أنه يصيبهم. وقوله عز وجل: **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، الحاجة في النفس أحد شيئين. إمّا الرغبة، وإمّا الرهبة، كقوله: وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً.[٢] فعلى ذلك حاجة يعقوب لا تخلو إمّا أنْ كانت رغبةً منه في تفرُّقهم أو رهبةً في اجتماعهم، قَضَى تلك الحاجة.

وقوله عز وجل: **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلّمناه**، يشبه أن يكون هذا صِلَةَ ما قال يعقوب لِبَنِيه: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ،[٣] أي **وإنه لَذُو عِلمٍ**، لِما أمرهم بالدخول على التفرُّق والنهيِ عن الاجتماع. وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنه ما أراد بقوله: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **ولما دخلوا مِن حيثُ أَمَرَهم أبوهم**، مِن السِّكَك المتفرقة، **ما كان يُغني عنهم**، مِن قضاء الله شيئًا، **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، يقول: أبداها[٤] فتكلّم بها، **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمناه**، يقول: حافظ[٥] **لِما عَلّمناه**. وقيل: حافظٌ[٦] له[٧] عالمٌ[٨] به. وقيل: **لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمناه**، أي عَمِل[٩] بجميع ما عَلِم وانتفع به،[١٠] **ولكن أكثر الناس**، لم ينتفعوا بما عَلِموا.[١١] ويحتمل: **وإنه لَذُو عِلمٍ**، بقصة يوسف مِن أولها إلى آخرها لِما أخبرناه، **ولكن أكثر الناس**[١٢] **لا يعلمون**، ذلك. وجائزٌ أن يكون قوله: **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلّمناه**،

---

[١] ك: يدفع عنهم ذلك.

[٢] ﴿والذين تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩). حاجة: أي رهبة وخوفا أن يصيروا فقراء محتاجين.

[٣] الآية السابقة.

[٤] جميع النسخ: بداها.

[٥] جميع النسخ: حافظا؛ ع + له.

[٦] جميع النسخ: حافظا.

[٧] م + لما علمناه وقيل حافظا له.

[٨] جميع النسخ: عالما.

[٩] م: أي يحمل.

[١٠] م – به.

[١١] ع: بما عملوا.

[١٢] ن – لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل وإنه لذو علم بقصة يوسف من أولها إلى آخرها لما أخبرناه ولكن أكثر الناس.

أي ما أصابه مِن الحزن بذهاب يوسف وأخيه وما أصابه[١] من الشدة والنَّكْبَة لم يُؤَثِّر ذلك في عِلمه الذي عَلّمناه[٢] وإن أَثَّرَ ذلك في نفسه وبدنه. أي عِلمُه بما عَلّمناه بعدَ ما أصابه ما أصابه[٣] كَهُوَ ما كان قبلَ ذلك، لم يَعمل فيه ولم يُؤَثِّر.*

وأكثر أهل التأويل قالوا: قوله:[٤] **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، أي خِيفةَ العَيْن على بَنِيه لجمالهم وبهائهم وحُسنِ صُوَرِهم. أو لِما يكون لواحدٍ كذا وكذا[٥] عددًا مِن البَنِين فيَقصِدون قَصْدَهم بالنِّكاية عليهم لِما ذكرنا. أو ما أراد / بذلك. **والله أعلم**. [٣٦٦و]

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ولمّا دخلوا على يوسف آوَى إليه أخاه**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[٦] أنهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف أخاه وضَمَّه إليه. ويحتمل أنهم دخلوا جميعًا[٧] على يوسف فضَمَّ أخاه[٨] إلى نفسه، فقال: **إني أنا أخوك**، قال بعض أهل التأويل: لم يقل له:[٩] **أنا أخوك**، بالنسبة،[١٠] ولكنه قال: **أنا أخوك** مكانَ أخِيك الهالِك.

[٣٦٦و س١٨ *وضَمُّ يوسفَ أخاه يحتمل وجهين. يحتمل لمكان سؤاله إياهم أن يأتوا به، أو لمكان فضله ومنزلته ليَعلموا أنّ ما كان ليوسف وأخيه عند أبيهم مِن فضل المحبة والمنزلة [هو] مِن الله؛ إذ جَعل ذلك لهما عند الملك وغيره. **والله أعلم**.* ٣٦٦و س٢٠]

وقوله عز وجل: **فلا تَبْتَئِسْ**، يقول: لا تحزن، **بما كانوا يعملون**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل: لا تَبْتَئِسْ بما كان عَمِلَ إخوتُك،[١١] كأنه لمّا دعاه فضَمَّه إلى نفسه شَكَا إليه من إخوته،[١٢]

---

[١] ع: وما أصاب.
[٢] ن – أي ما أصابه من الحزن بذهاب يوسف وأخيه وما أصابه من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك في عدمه الذي علمناه.
[٣] ع م – ما أصابه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٥ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[٤] ك – قوله.
[٥] ك ن: كذا كذا.
[٦] ن – يحتمل.
[٧] ن – جميعًا.
[٨] ن + هذا يحتمل أنهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف أخاه وضمه إليه ويحتمل أنهم دخلوا جميعا على يوسف فضم أخاه.
[٩] ك – له.
[١٠] أي بالقرابة.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٦و/سطر ١٨-٢٠.
[١١] م: أخوك.
[١٢] جميع النسخ: عن إخوته.

فقال عند ذلك: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يعملون**. ويحتمل قوله:[١] **فلا تَبْتَئِس**،[٢] بما يَعمل بك هؤلاء، أي خَدَمُه وعُمّالُه، كأنه أخبره بما كان يريد أن يَكِيد بهم مِن جَعْلِ الصاع في رَحْلِه، فقال: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يعملون**، بك؛[٣] لأنه لا[٤] يجوز أن يجعل أخاه مُتَّهَمًا يُقرَف[٥] به مِن غير أنْ ظَهَرَ مِنه شيء وقد أخبر[٦] أنه أخوه. ***والله أعلم***. دل أنه أراد أن يُعلّمه مما يريد أن يَكيد بهم ليكون هو على عِلمٍ مِن ذلك.

**﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾**[٧٠]

وقوله: **فلمّا جهّزهم بجهازهم**، الجَهاز[٧] هو ما يُهَيّأ للخروج. ولذلك يقال لمتاع المرأة: جَهاز.[٨] وقوله عز وجل: **جعل السِّقاية في رَحْلِ أخيه**، السِّقاية قيل: هي الإناء[٩] الذي كان يشرب فيه الملك. وقيل: هو الصاع الذي كان يُكال به الطعام. ولكن لا نعلم ما كان ذلك سِوى أنّا[١٠] نعلم أنها كانت ذات قيمة وثمن.[١١] ألا ترى أن ذلك الرسول قال: وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ.[١٢] فلولا أنها كانت ذات قيمة وثمن[١٣] لم يُعطَ لمن جاء به حِملُ بعيرِ الطعام، وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك الوقت ما كان. **ثم أذّن مؤذّن**، أي نادى منادٍ،[١٤] **[أيتها العير] إنكم لسارقون**، لا يحتمل أن يكون يوسف يأمر رسولَه أن يقول لهم: **إنكم**[١٥] **لسارقون**،

---

[١] ن ع م – قوله.
[٢] ن – بما كان عمل إخوتك كأنه لما دعاه فضمه إلى نفسه شكا إليه عن إخوته فقال عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل فلا تبتئس، صح هـ.
[٣] ن + ويحتمل فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء أي خدمه وعماله كأنه أخبره بما كان يريد أن يكيد بهم.
[٤] ع م – لا.
[٥] م: يعترف.
[٦] ع م أخبره.
[٧] ك – الجهاز.
[٨] ن: جهاز؛ ع م – وقوله فلما جهزهم بجهازهم الجهاز هو ما يهيأ للخروج ولذلك يقال لمتاع المرأة جهاز.
[٩] ع: هما لانا.
[١٠] ع: إنما.
[١١] ك: ذات ثمن وقيمة.
[١٢] سورة يوسف، ٧٢/١٢.
[١٣] ك: ذات ثمن وقيمة؛ ك ن ع + وإلا.
[١٤] ن ع م: منادي.
[١٥] ع م: بأنكم.

وقد عَلِم أنهم ليسوا بسارقين، ولكن قال لهم ذلك المنادي الذي[1] ناداه -والله أعلم-[2] **إنكم لسارقون**، مِن نفسه، وهو مِن بعض مَن يتولّى كَيْلَ الطعام على الناس، وأمثالُه لا يُبالون الكذب. أو قال لهم ذلك[3] قوم كانوا بحضرتهم: **أيتُها العِير إنكم لسارقون**. أو أن يكون على الاستفهام التقرير.[4] فإن كان هذا[5] فهو يحتمل مِن يوسف، وأمّا غيره فلا، لأنه كذب.*

**﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾[٧١] ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **قالوا وأَقبلوا عليهم ماذا تَفقِدون قالوا نَفقِد صُوَاعَ الملك**، أي إناء الملك، سمّاه مرة صُوَاعًا[6] ومرة سِقايةً، فيجوز أن يُستعمل في الأمرين جميعًا في الاستسقاء والكَيْل جميعًا. قالوا لمناديه: **ماذا تَفقِدون**، قال أبو عَوْسَجَة: أي أَضْلَلْتُم، يقال: افْتَقَدْتُك وتَفَقَّدتُك، أي تَعَهَّدتُك. وقال القُتَبي: فَلَا تَبْتَئِسْ،[7] هو مِن البُؤس.[8] والسِقَايَة:[9] المِكيال. وقيل: مَشْرَبة الملك. وصُوَاع[10] **الملك** وصاعه واحد.

وقوله عز وجل: **ولمن جاء به حِمْلُ بعيرٍ وأنا به زعيم**، قيل: ضَمِينٌ لذلك الطعام وكفيلٌ[11] به. والزعيم كأنه أيضًا اسم الرئيس[12] مِن القوم.

**﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **قالوا تالله لقد عَلِمتم ما جئنا لِنُفسدَ في الأرض وما كنا سارقين**، هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل أنهم قالوا: ذلك لأنكم رددتم إلينا الدراهم وجعلتم في أوعيتنا[13]

---

[1] ع م - الذي.
[2] ن - والله أعلم.
[3] ن - ذلك.
[4] جميع النسخ: والتقرير.
[5] ك - هذا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٦و/سطر ١٨-٢٠.
[6] جميع النسخ: صاعا.
[7] سورة يوسف، ٦٩/١٢.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٩.
[9] انظر: سورة يوسف، ٧٠/١٢.
[10] ع: وصوامع.
[11] ك: وكيل.
[12] جميع النسخ: لرئيس.
[13] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾ (سورة يوسف، ٦٥/١٢).

ثم رددنا[ها] عليكم[١] مخافة أن نُقرَف[٢] بالسرقة[٣] والفساد في الأرض، فكيف تَقرِفوننا[٤] بهذا؟ والثاني إنكم تَعلمون أنّا أبناءُ النبي والرسول، والأنبياءُ لا يكون منهم السرقة ولا الفساد[٥] في الأرض. ومِثلُ هذا لم يَظهر في أهل بيتنا قط ولا قُرِفنا به، فكيف قَرَفتمونا بهذا؟ والثالث إنكم تَرَوننا صوّامين قوّامين، ومَن هذا فِعلُه ودَأْبُه[٦] فإنه لا يُتَّهم بالسرقة. أو أن يكون قوله: **لقد عَلِمتم ما جئنا لِنُفسدَ في الأرض،** لما رَأَوْهم دخلوا مِن أبواب متفرقة، ولو كانوا سُرَّاقًا لدخلوا مجموعين؛ لأن عادةَ السُّرّاق الاجتماعُ لا التفرق.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾[٧٤]

ثم **قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين،** أي إن كان فيكم مَن يَكذب ويَظهر ذلك منه **فما جزاؤه.**

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٧٥]

**قالوا جزاؤه مَن وُجِد في رَحلِه فهو جزاؤه،** هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله: **فهو جزاؤه،** أي يَصير رقيقًا مملوكًا بها له؛ أو يصير محبوسًا بها عنده. ***والله أعلم.***

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه،**[٧] ظاهر هذا الكلام أن يكون يوسف هو الذي فتّش أوعيتهم وطلب ذلك فيها، حيث نسب ذلك إليه بقوله: **قبل وعاء أخيه.** لكنه نسب إليه لِما بأمره[٨] فُتِّش؛ إذ الملوك لا يتولّون[٩] ذلك بأنفسهم. وفيه أنه قد فَصَلَ بينهم وبين بِنْيامين،[١٠] حيث[١١] سمّى هذا أخاه و لم يُسَمِّ أولئك بقوله: **فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه.**

---

[١] أي في قدومهم الثاني.
[٢] م: أن نعرف.
[٣] ك: السرقة.
[٤] ك م: تقرفونا؛ ع: تفرفولنا.
[٥] م: والفساد.
[٦] ن ع م - ودأبه.
[٧] ن + لكنه نسب إليه لما بأمره؛ ع + لكنه نسب إليه.
[٨] ع: يأمره.
[٩] ع: لا يتلون؛ م: لا يأتون.
[١٠] جميع النسخ: ابن يامين.
[١١] ع م - حيث.

وهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه قد ذكر لهذا[1] أنه أخوه، حيث قال له: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ،[2] ولم يَذكر لأولئك،[3] فسمّى هذا أخًا له ونسب إليه بالأخوة لما كان ذَكر له، ولم يُسمِّ أولئك لما لم يَذكر لهم / أنه أخوهم. [٣٦٦ظ]

والثاني أنه لم يكن لهذا -أعني بِنْيَامِين-[4] لِمكان يوسفَ سوءُ صنيعٍ ولا شرٌّ،[5] بل هو على الأخوة[6] والصداقة التي كانت بينه وبينه،[7] وأمّا أولئك -أعني غيره من الإخوة- فقد كان منهم إليه ما كان[8] مِن سوءِ صنيعِهم وقُبحِ فِعالِهم، فيخرج[9] ذلك مخرج التَّبَرِّي مِن الأخوة بسوءِ ما كان منهم[10] إليه. وهو كقول نوح[11] عليه السلام[12] حين قال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ،[13] نَفَى أن يكون مِن أهله بسوءِ عملِه، وفِعلُه غيرُ صالح.[14] فعلى ذلك الأول يشبه أن يكون على[15] هذا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ثم استخرجها من وعاء أخيه**، دل هذا أنه قد كان منه أيضًا التفتيش والطلب[16] في وعاء أخيه على ما كان في أوعيتهم، لم يستخرجها[17] على غير تفتيش. وقوله عز وجل: **كذلك كِدْنا ليوسف**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[18] **كذلك كِدْنا**، أي علَّمْنا يوسف مِن أول الأمر إلى آخره ما يَكِيد ويَحتال في إمساك أخيه عنده ومَنْعِه عنهم لِأَنْ يَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم[19]

---

[1] ع م: هذا.
[2] سورة يوسف، ١٢/٦٩.
[3] ع م: أولئك.
[4] ك ن م: ابن يامين؛ ع: بابن يامين.
[5] ع م: ولا شريك.
[6] ع: في الأخوة.
[7] ع - وبينه؛ م: بينه.
[8] ع: ما كانوا.
[9] ع م: فخرج.
[10] ع م - منهم.
[11] ع م: كقوله لنوح.
[12] ع م + انه.
[13] سورة هود، ١١/٤٥-٤٦.
[14] ن - وفعله غير صالح.
[15] ع - على.
[16] ع: الطلب.
[17] ك: لم يخرجها؛ ع: لما يستخرجها؛ م: لا يستخرجها.
[18] ع - يحتمل.
[19] ع: أبيه.

جزاءَ ما طَلبوا هم أن يَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم بتغييب[1] يوسف عن أبيه. لأن أباهم قال: حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ،[2] فلمّا بَلَغَه ذلك الخبر تولّى عنهم، وهو قوله:[3] وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَىٰ يُوسُفَ،[4] الآية. هذا -والله أعلم- جزاء كيدهم الذي كادوا بيوسف لِيَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم [و] لِيتولّى عنهم أبوهم. هذا يشبه أن يكون. والثاني **كِذْنا ليوسف،** أي عَلَّمْناه أنْ كيف يُفَتِّش[5] أوعيتهم لئلا يَشعروا هم أنه[6] عن عِلْمٍ استخرجها[7] مِن وعاء أخيه لا عن جهل وظنّ، فعَلَّمه البداية في التفتيش بأوعيتهم لئلا يَقَعَ عندهم أنه عن عِلْمٍ ويقينٍ يأخذه. يشبه -والله أعلم- أن يخرج قوله: **كذلك كِدْنا ليوسف،** على هذين الوجهين. أو **كِدْنا**[8] **ليوسف،** أي أمرنا يوسف[9] بالكيد بهم جزاءَ ما عَمِلوا بمكانه لِما اهتمّوا بإمساك أخيهم.[10]

وقوله عز وجل: **ما كان لِيَأخذَ أخاه في دين الملك،** أي في حُكم الملك. ذُكِر أنّ حُكمَ إخوةِ يوسفَ وقضاءَهم فيهم أنّ مَن سَرق يكون عبدًا بسرقته للمسروق[11] منه[12] ويُستَعبَد بسرقته، ومِن حُكمِ الملك أنْ يُغَرَّم[13] السارقُ ضِعْفَيْ ما سرق ويُضرَب ويُؤدَّب ثم يُخَلَّى عنه. ولا نعلم ما حُكم الملك في السرقة سِوى أنه أخبر أنْ ليس له أخذُ أخيه في دين الملك.

وقوله[14] عز وجل: **إلا أن يشاء الله،** أن يجعل ذلك الحُكمَ حُكمَ الملك؛ أو يجعلَ له حقَّ[15] الأخذِ وحَبْسِه وإن لم يكن ذلك في حكمه. أو أن يكون قوله: **إلا أن يشاء الله،** على ما كان من إبراهيم: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[16] **الآية.**

---

[1] ع: بتغيث؛ م: بتغيب.
[2] سورة يوسف، ٦٦/١٢.
[3] ع - وهو قوله.
[4] سورة يوسف، ٨٤/١٢.
[5] ع م: تفتيش.
[6] ن ع: أنهم؛ م - أنه.
[7] ع: استخراجها.
[8] ن: وكدنا.
[9] ن: ليوسف؛ ع: بيوسف؛ م - أي أمرنا يوسف.
[10] أي أمرنا يوسف بالكيد بهم حتى يجعلهم يهتمّون بإمساك أخيهم، وذلك جزاء ما عملوا به و لم يكونوا اهتموا بفقدانه.
[11] ن ع: للمسرق.
[12] م - منه.
[13] ع م: أن يغرق.
[14] ن: قوله.
[15] ن: أخذ.
[16] سورة الأنعام، ٨٠/٦.

وكان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يَذكرون الثُّنْيا[١] على حقيقة المشيئة. أو يقول: إلا أن يكون في عِلم الله مِنّي[٢] زلّة، فأستوجب عند ذلك الكون في دين ذلك الملك، فيشاء ما عَلِم مِنّي. وكذلك قول إبراهيم حيث قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا، أي لا أخاف ما تشركون به إلا أن يكون مني ما أستوجب ذلك بزلّة، فيشاء الله ذلك مِنّي.

وقوله عز وجل: **نرفع درجاتٍ مَن نشاء**، الدرجات هن الفضائل، يَرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم وفي كل شيء. **وفوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ عليمٌ**، ما مِن عالم وإن لَطُفَ عِلمُه وكَثُر إلا وقد[٣] يكون فوقه مَن هو ألطف علمًا منه وأكثرُ وأعلمُ في شيء. أو يكون قوله: **وفوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ عليمٌ**، وهو الله تعالى فوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ[٤] يُعَلِّمهم العلم. *والله أعلم*.

مَن يقول: إنه[٥] عالم لا بِعلم،[٦] يحتجّ بظاهر هذه الآية، حيث قال: **وفوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ عليمٌ**، أثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه، بل قال: **عَلِيم**. لكنه إذا قال: **عَلِيم**، أثبت العلم. ولأنه إذا قال: وفوق كل العلماء عليم، يكون كذلك.

﴿**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **قالوا إن يَسرق فقد سَرق أخٌ له مِن قبلُ**، قال بعض أهل التأويل: كانت سرقته أنه كان صنمٌ مِن ذهب لجده أبي أمه يعبده، فسرق ذلك منه[٧] لئلا يعبد دون الله. ولكنا لا نعلم ذلك. ونعلم أنهم كذبوا في قولهم: **فقد سَرق أخٌ له مِن قبلُ**، وأرادوا أن يتبرّءوا منه ويَنفُوا ذلك عن[٨] أنفسهم لِيَعلم أنه ليس منهم. **فأَسَرَّها يوسفُ في نفسه ولم يُبدِها لهم قال أنتم شرٌّ مكانًا**، عند الله. قيل: إن يوسف أَسَرَّ هذه الكلمة في نفسه[٩] ولم يُظهرها[١٠] لهم.

---

[١] أي الاستثناء بمعنى التعليق على مشيئة الله.
[٢] ع م: مني.
[٣] ك: قد.
[٤] ن + عليم وهو الله سبحانه فوق كل ذي علم.
[٥] أي إن الله تعالى.
[٦] ك: الا بعلم؛ ن ع: لا يعلم.
[٧] ع م - منه.
[٨] م - عن.
[٩] ع + ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا عند الله قيل أن يوسف أسر هذه الكلمة في نفسه.
[١٠] ك ن م: لم يظهرها.

أو أَسَرُّوا ما اتَّهموه بالسرقة، وجائزٌ أن يكون قولهم:[1] **إن يَسرق فقد سَرَقَ أخٌ له مِن قبلُ،** خاطبوا به أخاه بِنْيَامِين[2] دون يوسف: إن سرقتَ[3] فقد سَرق أخٌ لك[4] مِن قبلُ، يقولون فيما بينهم. وقد ذُكِر في بعض الحروف: إن يَسرق فقد سُرِّق أخٌ له مِن قبلُ، بالتشديد،[5] فإن ثبت فالتأويل هو لقولهم.

وقال بعضهم: قوله: **أنتم شرٌّ مكانًا،** أي أنتم أشَرُّ[6] صُنعًا بيوسف.[7] **والله أعلم بما تَصِفون،** مِن الكذب أنه سَرق أخٌ له مِن قبلُ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧٨]

وقوله[8] عز وجل: **قالوا يا أيها العزيز إنّ له أبًا شيخًا كبيرًا فخُذْ أحدَنا مكانَه،** أرادوا -والله أعلم- أن يُرِقُّوا قلبَه بهذا: **إنّ له أبًا شيخًا كبيرًا،** لِما يكون قلبُ الشيخ بولده الصغير أَمْيَل، و[قالوا:] هو عنده آثَرُ وأكثرُ منزلةً مِنا، **فخُذْ أحدَنا مكانَه إنّا نَراك مِن المحسنين،** لمّا أحسن / إليهم في الكَيْل والإنزال في المنزل والضيافة والقِرَى[9] قد رَأَوْه وعَلِموه محسنًا. [٣٦٧و]

﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده،** قيل: هذا قول يوسف: **معاذ الله،** أي أعوذ بالله أن[10] نأخذ ونحبس بالسرقة، **إلا من وجدنا متاعنا عنده. فإن قيل:** كيف تعوّذ على تركِ أخذِه وأخذِ غيرِه مكانَه ولم يكن وجب له حق الأخذ، إذ لم يكن سرقة، وإنما يُتعوَّذ على ترك ما لا يَسَع تركُه؟ قيل: إنه لم يتعوَّذ على تركِ أخذِ أخيه، إنما تعوّذ على أخذِ[11] غيرِ مَن وُجد المتاعُ عنده. **إنّا إذًا لَظالمون،** عندكم لو أخذنا غيرَ مَن وجدنا متاعنا عنده؛ إذ في حُكمهم أخذُ مَن سَرق بالسرقة والحبسُ بها. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م - قولهم.

[2] جميع النسخ: ابن يامين.

[3] ك ن ع: اسرقت.

[4] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٢و.

[5] وهي قراءة شاذة. قال الآلوسي: «وقرأ أحمد بن جُبَير الأنطاكي وابن أبي سُرَيح عن الكسائي والوليد بن حسّان وغيرهم: ﴿فقد سُرِّق﴾، بالتشديد مبنيا للمفعول، أي نُسِب الى السرقة» (روح *المعاني* للآلوسي، ١٣/٣٢).

[6] ع: شر.

[7] أي مما أصنع أنا ببنيامين في رأيكم.

[8] ن: قوله.

[9] هو ما يقدَّم للضيف.

[10] ع م: أي.

[11] ع م - أخذ.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **فلمّا استيأسوا منه**، قيل: أَيِسوا عن أن يُرَدَّ إليهم[١] أخوهم. **خَلَصُوا نَجِيًّا**، قيل: خَلَوْا مِن الناس وخَلَصُوا منهم يَتَنَاجَوْن فيما بينهم في أمرِ أخيهم أو في الانصرافِ إلى أبيهم أو في المُقام في البلد.[٢] **قال كبيرهم ألم تعلموا**، قال أهل التأويل: **كبيرهم**، في العقل، ليس في السن، وهو فلان. قال بعضهم: وهو يَهُوذا، وقال بعضهم: هو شَمْعُون. ولكن لا نعلم مَن كان قائل هذا هم، ولا نحتاج إلى معرفة ذلك سِوى أنّ فيه **قال كبيرهم**، إمّا أنْ كان كبيرهم في العقل أو كبيرهم في السن. **ألم تعلموا أنّ أباكم**، "ألم تعلموا" و"ألم تَرَوْا"[٣] حرفان يُستعمَلان في أحد أمرين. في الأمر[٤] أنِ اعْلَمُوا كذا؛[٥] أو في موضع التنبيه والتقرير. وهاهنا كأنه قال ذلك على التقرير والتنبيه، أي قد عَلِمتم **أنّ أباكم قد أخذ عليكم مَوْثِقًا مِن الله ومِن قبلُ ما فَرَطتم في يوسف**، هذا يدل أن التأويل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ،[٦] هو إلا[٧] أن يَعُمَّكم أمرٌ ويجمعَكم فتهلكون فيه جميعًا، وليس كما قال بعض أهل التأويل: إلا أن يجيء ما يمنعكم عن ردّه، أي[٨] إلا أن تُغلَبوا فتَعجزوا عن ردّه؛ لأنه قد جاء ما يمنعهم عن ردّه ثم أَبَى أكبرُهم الرجوعَ إلى أبيه. دل أن التأويل هو هذا. ومن يقول: إن التأويل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ، إلا أن يجيء ما يمنعكم عن الرد، استدل بقوله: اِرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ؛[٩] فلو كان على[١٠] ما يَعُمُّهم ويجمعُهم لم يكن لِيأمرَهم[١١] بالرجوع إلى أبيهم. دل أنه ما ذكر. وأمّا أهل التأويل الأول يقولون: إنّ قوله: اِرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ، ليس على الأمر، ولكن إذا رجعتم إلى أبيكم، فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ.

---

[١] ك: عليهم.
[٢] جميع النسخ: فيه.
[٣] ن: و أو لم تروا؛ ع م: أو ألم تروا.
[٤] ع: فالأمر.
[٥] ك: ذلك.
[٦] سورة يوسف، ٦٦/١٢.
[٧] ع م: هؤلاء.
[٨] ع م - أي.
[٩] الآية التالية.
[١٠] ع - على.
[١١] ن: يأمرهم.

وكذلك يخرج قوله: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا،[1] ليس على الأمر، ولكن [على معنى أنه] لو سألتَ أهلَ[2] القرية وأهلَ العير لأخبروك أنه كما قلنا. فعلى ذلك قوله: ارْجِعُوا، ليس على الأمر، ولكن لو رجعتم إليه فقولوا كذلك.[3]

وقوله عز وجل: **ومن قبل ما فرّطتم**، أي مِن قبل ما ضيّعتم أمرَ أبيكم، **في يوسف**. أو ضيّعتم أمرَ[4] الله ووعدَه، **في يوسف فلن أبرحَ الأرضَ حتى يأذنَ لي أبي**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل **حتى يأذنَ لي أبي**، بالرجوع إليه إذا ظَهر عنده عُذرُنا وصِدقُنا في أمر ابنه. أو **يأذنَ لي أبي**،[5] بالمنازعة في القتال مع الملك حتى أستنقذ أخي وأستخلصه منه، **أو يحكمَ الله لي**، في الرجوع أيضًا أو في القتال **معه، وهو خير الحاكمين. أو يحكمَ الله لي**، بإظهار عُذرِنا وصِدقِنا عند أبينا، **وهو خير الحاكمين**، في إظهار العُذر؛ لأنه إذا حَكم[6] بإظهار العذر ظَهر ذلك في الخَلْق جميعًا، ولا كذلك[7] حُكمُ غير**ه**. لأنّ كلَّ مَن حَكم[8] بحكمٍ يجوز [أن يقال:] إنما يَحكم بحكمٍ هو حُكم الله، فهو **خير الحاكمين**. وكذلك قوله: وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛[9] لأنّ مَن رَحِم مِن الخلق إنما يَرحم برحمته، فهو أرحم الراحمين.

**﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ﴾**[٨١]

وقوله عز وجل: **ارجعوا إلى أبيكم**، يحتمل على الأمر، على ما هو في[10] الظاهر. ويحتمل ما ذكرنا،[11] أي لو رجعتم إليه **فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سَرق**، يشبه أن يكون هذا منه تعريضًا في التَّخطِئة على ما كان يُؤْثِره على غيره من الأولاد، أي الذي كنت تُؤْثِره علينا بالمحبّة ومَيْل القلب **إليه** قد سَرق. ويشبه أن يكون ليس على التعريض، ولكن على الإخبار على ما ظهر **عندهم** مِن ظاهر الأمر. **وما شَهِدنا إلا بما عَلِمنا**، بما أخرج المتاع مِن وعائه، **وما كنا للغيب حافظين**،

---

[1] سورة يوسف، ٨٢/١٢.
[2] م + أهل.
[3] ك: كذا.
[4] ع م – أمر.
[5] ك – هذا يحتمل وجهين يحتمل حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه إذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في أمر ابنه أو يأذن لي أبي.
[6] ن + العذر.
[7] ع م: وكذلك.
[8] ك: من يحكم.
[9] سورة يوسف، ٦٤/١٢، ٩٢.
[10] ك – في.
[11] انظر تفسير الآية السابقة.

هذا على التأويل الذي قيل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ،[1] أي يَعُمّكم ويجمعكم. أي ما كنا نعلم وقتَ إعطاءِ العهد[2] والميثاقِ أنه يَسرق، وإلّا لم نُعطِك العهدَ على ذلك. ويحتمل **وما كنا للغيب حافظين**، وقتَ ما أخرج المتاع مِن وعائه واتُّهِم أنه سَرق أو لم يَسرق، أو هو وَضَعَ الصاعَ في رَحْلِه أو غيرُه وَضَعَ. أي ما كنا نعلم في الابتداء أنّ الأمر يَرجع إلى هذا، وإلّا لم نُخرِجه معنا.

**﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**[٨٢]

وقوله عز وجل: **واسأل القرية التي كنا فيها والعِيرَ التي أقبلنا فيها**، أي لو سألت أهلَ القرية وأهلَ العِير لأخبروك أنه على ما نقول،[3] **وإنّا لَصادقون**، على ذلك، على ما ظَهَر لنا مِن استخراج الإناء مِن وعائه. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾**[٨٣]

وقوله عز وجل: **قال بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا**.

فإن قيل: كيف قال لهم: **بل سَوَّلَت لكم أنفسكم أمرًا**، وجعَل ما أخبروه مِن تَسْوِيل أنفسِهم وتزيينها و[هم] لم يخالفوه[4] / فيما أمرهم في أمر بِنيَامِين،[5] ولا تركوا شيئًا مما أمرهم به، وليس هذا [٣٦٧ظ] كالأول الذي قال لهم في أمر يوسف: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا؛[6] لأنه قد كان منهم خلافٌ لِما أمرهم به والسعيُ على إهلاكه، فكان ما ذكر مِن تَسْوِيل أنفسِهم وتزيينها في موضع التَّسْوِيل والتزيين، وأمّا هاهنا فلم يأتِ مِنهم إليه خلافٌ ولا تركٌ لأمره، فكيف قال: **بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا؟**

لكن يشبه أن يكون قال ذلك لأنهم[7] لمّا اتُّهِموا[8] جميعًا بالسرقة فقيل: إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ،[9] قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ،[10] قطعوا فيه القول أنهم لم يكونوا سارقين،

---

[1] سورة يوسف، ٦٦/١٢.
[2] ع م: الوقت.
[3] ع: ما تقول.
[4] ع م: ولم يخالفوهم.
[5] جميع النسخ: ابن يامين.
[6] ك + الآية. سورة يوسف، ١٨/١٢.
[7] ع – لأنهم.
[8] ن: لما اتهم.
[9] سورة يوسف، ٧٠/١٢.
[10] سورة يوسف، ٧٣/١٢.

وهو كان فيهم. فكيف قطعتم فيه القول بالسرقة: إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ،[1] ولكن **سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا**، مِن البغض والعداوة مِن الإيثار له ولِيوسف عليهم والمَيْل إليهما[2] دونهم، حيث قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ.[3] *والله أعلم*. فسَوَّلَتْ لكم أنفسكم بِبُغضِكم[4] وعداوتكم حتى تركتم التَّفَحُّصَ[5] عن حاله وأمره أنْ لا[6] كلُّ مَن وُجِد في رَحْلِه شيءٌ يكون هو واضع ذلك الشيء، بل قد يَضَع غيرُه فيه على غير عِلمٍ منه.

وقوله:[7] **فصبر جميل**، قد ذكرناه.[8] وقوله: **عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا**، قال أهل التأويل: قال: **يأتيني بهم جميعًا**، لأنهم صاروا جماعةً: يوسف وبِنْيَامِين[9] أخوه ويَهُوذا وشَمْعُون قد تخلَّفا لسببِ حبسِ يوسفَ أخاه. أو [هما] يوسف وأخوه [فقط].[10] وقال بعض أهل التأويل: إن جبريل أتى يعقوب على أحسن صورةٍ فسأله عن[11] يوسف:[12] أفي الأحياء أم في الأموات؟ فقال: بل هو في الأحياء، فقال عند ذلك: **عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا**. أو عَلِم يعقوبُ أنّ يوسف في الأحياء وأنه غير هالك لِما رأى يوسفُ مِن الرؤيا مِن سجود الكواكب والشمس والقمر له. عَلِم أنه في الأحياء وأنه لا يهلك إلا بعد خروج رؤياه، ولغير[13] ذلك مِن الدلائل. لكنه كان لا يعلم أين هو فقال ذلك: **إنه هو العليم الحكيم**.

**﴿وَتَوَلَّى عَنهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٨٤]**

وقوله عز وجل: **وتولّى عنهم**، أي أعرض عنهم وعاتَبَهم حين أخبروه أنّ ابنه سَرَق، **وقال يا أَسَفَى على يوسف**، قيل: يا حُزنًا على يوسف، وقيل: يا جَزَعًا. وقال القُتَبي: الأَسَف أشدُّ الحسرة.[14]

---

[1] سورة يوسف، ٨١/١٢.
[2] م: إليها.
[3] سورة يوسف، ٨/١٢.
[4] ع: بيعضكم.
[5] ع: التفخص؛ م: الفحص.
[6] ن ع م: الا.
[7] ن – وقوله.
[8] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٨/١٢.
[9] جميع النسخ: وابن يامين.
[10] في نسخة ك بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.
[11] ع – عن.
[12] ن م: من يوسف.
[13] جميع النسخ: وغير.
[14] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٢١.

وأصله أنّ الأَسَف كأنه النهاية في الحزن،[١] إذا بلغ غايته ونهايته يقال: أَسِف. وهو النهاية في الغضب أيضًا، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا -أي لمّا[٢] أغضبونا- إنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.[٣]

وقوله عز وجل: **يا أَسَفَى على يوسف.** يحتمل أن يكون لا على إظهار القول باللسان، ولكن إخبارٌ عمّا في ضميره. وذلك جائز، كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ،[٤] أخبر عما في قلوبهم لا أنْ[٥] قالوا ذلك باللسان. ويحتمل القول به على غير قَصدٍ منه.

وقوله عز وجل: **وابيَضَّتْ عيناه مِن الحُزن فهو كَظِيم،** الكَظْمُ[٦] هو كَفُّ النفس عن الجَزَع وترديدُ الحُزن في الجَوف[٧] على غير إظهارٍ في[٨] أفعاله. والجَزَع هو ما يَظهر في أفعاله. والذي يُهَيِّج الحُزن هو الذي[٩] يُهَيِّج[١٠] الغضب، إلّا أنّ الحُزن يكون على ما فوقه،[١١] والغضب على[١٢] مَن تحتَ يدِه، وسببُ هيجانهما واحد. أو أن[١٣] يكون الكَظِيم[١٤] هو الذي يمسك الحُزن في قلبه. والغَمُّ كأنه[١٥] هو الذي يَستر ويُغطّي القلبَ إذا حَلَّ به. والهَمُّ هو ما يَبعث على القَصْد مِن الهَمّ[١٦] به. والحُزنُ هو على ما يُؤَثِّرُ التغييرَ في الخِلقة ولا يَظهر في الأفعال. والجَزَعُ يَظهر في الأفعال[١٧] ولا يُغيّر الخِلقة عن حالها. لذلك عَمِل[١٨] في ضَعْف نفسِ يعقوب،

---

[١] ك + إن الحزن.
[٢] ع: لنا؛ م – لما.
[٣] سورة الزخرف، ٤٣/٥٥.
[٤] ﴿ويُطعِمون الطعام على حُبِه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نُطعِمُكم لِوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شُكُورا﴾ (سورة الإنسان، ٧٦/٨-٩).
[٥] م: لأن.
[٦] ن ع م: الكظيم.
[٧] ع: في الخوف.
[٨] ع م + غير.
[٩] ع م – يهيج الحزن هو الذي.
[١٠] ع م: يهيج.
[١١] ن ع م: من فوقه.
[١٢] ع م – على.
[١٣] ع م: وأن.
[١٤] ع: الكظم.
[١٥] ع م – هو الذي يمسك الحزن في قلبه والغم كأنه.
[١٦] م + هو ما يبعث على القصد من الهم.
[١٧] م – والجزع يظهر في الأفعال.
[١٨] ع م – عمل.

وعَمِل في إهلاك[1] بَعضِه[2] حيث ذهبت عيناه وابْيَضَّتْ مِن الحُزن. والكَظِيم -ما ذكرنا- هو الذي يُردِّد الحُزنَ في جَوْفِه[3] ولا يُظهِر ويَكُفُّه عن الجَزَع.

﴿قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله**، هو[4] يمينهم مكان والله أو بالله. وكذلك قال إبراهيم: وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ.[5] وقوله عز وجل: **تَفْتَؤُ تَذكر يوسف**، أي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذِكرَه حتى تَسْلُوَ[6] مِن حُزنه. كأنهم دَعَوْه إلى السَّلْوِ مِن حُزنه؛ لأنه بالذكر يتجدّد الحُزن[7] ويحدُث، فقالوا له: لا تزال تذكر يوسف، **حتى تكونَ حَرَضًا**، قيل: دَنَفًا.[8] وقيل: **حَرَضًا**: هَرِمًا. وأصل الحَرَض الضَّعف. **أو تكونَ من الهالكين**، كذلك صار يعقوب، ضَعُفَ في بدنه مِن الحُزن، وصار بعضُ بدنِه **مِن الهالكين**، حيث ابْيَضَّتْ عيناه وذهبت[9] مِن الحُزن.

[٣٦٧ظ س٣٦ * وقال بعضهم: الحَرَض: الذي قد[10] ذهب عقله مِن الكِبَر، **أو تكون من الهالكين**،
٣٦٧ظ س٣٧] فتموت. ***والله أعلم***.*

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **قال إنما أشكو بَثّي وحُزني إلى الله**، قال القُتَبي: الحَرَض: الدَّنَف، والبَثّ: أشدُّ الحُزن؛ لأن[12] صاحبه لا يصبر عليه حتى يَبُثَّه، أي يشكوه.[13] وكذلك روي في الخبر:

---

[1] ع م: في الهلاك.
[2] ن ع م: بغضه.
[3] ع: على جوفه.
[4] م - هو.
[5] سورة الأنبياء، ٢١/٥٧.
[6] ن ع: حتى تسلوا.
[7] ع: يتجد والحزن.
[8] الدَّنَف: المرض اللازم. وقيل: هو المرض ما كان. ورجل دَنَف ودَنِف: أضعفه المرض حتى أَشْفَى على الموت (*لسان العرب* لابن منظور، «دنف»).
[9] ن ع: ذهبت؛ م: ذهب.
[10] ن ع م - قد.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[12] ن ع م: لأنه.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢١، ٢٢٢.

«مَن بَثَّ فلم يَصبر»،[١] أي شَكَا. وما ذكر مِن الشكاية إلى الله ليس على إظهار ذلك باللسان، ولكن إمساكٌ في القلب. وقال الحسن: **أشكو بَثِّي**، أي حاجتي، **وحُزني إلى الله**.[٢] ويشبه أن يكون البَثُّ والحُزنُ واحدًا، ذكر على التكرار.*

وقوله عز وجل: **وأَعلمُ مِن الله مالا تعلمون**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **وأَعلمُ مِن الله**، مِن تحقيق رؤيا يوسف أنه كائن، **ما لا تعلمون**، أنتم وأنا ستسجُد له. وقال ابن عباس رضي الله عنه: قوله:[٣] **وأَعلمُ مِن الله ما لا تعلمون**، أنه حي[٤] لم يمت،[٥] وهو ما ذكر أنه كان يَعلم مِن الله / ما لا يعلمون هم.[٦] ويشبه أن يكون قوله: **وأَعلمُ مِن الله**، أي أنتفع بعلم [٣٦٨و] ما لا تنتفعون أنتم. وأصله أنّ إخوة يوسف لو علموا أنّ أمرَ يوسفَ يَبلُغ ما بَلَغ مِن المُلْك والعِزّ ما قَصَدُوا قَصْدَ تَغييبه عن والده، ولا سَعَوْا فيه فيما سَعَوْا مِن إفساد أمرِه، لكنهم لم يَعلموا. *والله أعلم*. أو عَلِم[٧] مِن الله شيئًا لم يُبيّن، ما لا يعلمون هم، كقول[٨] إبراهيم[٩] [لأبيه: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ].[١٠] وما ذكر أهل التأويل أن يعقوب قال كذا مِن النِّياح على يوسف والجَزَع عليه لا يحتمل ذلك؛ لأنه قال حين أخبروه بذلك: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ،[١١] وما ذكروا هم مِنه ليس هو بصبرٍ فضلاً أن يكون جميلاً.

---

[١] روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من بث فلم يصبر»، ثم قرأ: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾. انظر: *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٣٢٧-٣٢٨؛ و*تفسير الطبري*، ١٢/١٦٦؛ و*شعب الإيمان* للبيهقي، ٧/٢١٤-٢١٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٢.

[٢] *تفسير الطبري*، ١٣/٤٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٣.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.

[٣] ك ن - قوله.

[٤] م: هي.

[٥] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾، يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنّي سأسجد له. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٤٥.

[٦] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما أنْ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٩٦).

[٧] ع: أو أعلم.

[٨] ع: كقوله.

[٩] في نسخة ك بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.

[١٠] من *الشرح*، ورقة ٤٠٣و. يقول الله تعالى حاكيا عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أَهْدِكَ صراطا سَوِيًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٤٣).

[١١] سورة يوسف، ١٢/١٨، ٨٣.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٧]

وقوله: **يا بَنِيَّ اذهبوا فتَحَسَّسُوا مِن يوسف وأخيه**، قال أهل التأويل: تَحَسَّسُوا: اطْلُبُوه واستَخْبِرُوا[١] عنه وعن أخيه. لكن غير هذا كأنه أقرب، وهو[٢] مِن وقوع الحِسّ عليه، كأنه قال: اذهبوا فانظروا إليه وإلى أخيه؛ لأنهم إن لم يكونوا يَعلمون أنّ يوسف أين هو فلقد كانوا يَعلمون عن حال[٣] أخيه بِنْيَامِين[٤] أنه أين هو. فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله أهل التأويل إن احتمل في[٥] يوسف فذلك لا يحتمل في أخيه؛ إذ هم كانوا يعلمون مكانه وأين هو وإن[٦] كانوا لا يعلمون[٧] مكان يوسف ولا أين[٨] هو. وهو إنما أمرَهم أن يَتَحَسَّسُوا عنهما جميعًا. فدل -والله أعلم- أنه مِن[٩] وقوع الحِسّ والبصر عليهما لا مِن البحث والطلب. *والله أعلم*. فكأنه عَلِمَ[١٠] بالوحي أنه هنالك[١١] وأخوه معه، لكنه لم يخبر بَنِيه أنه هنالك[١٢] لِما عَلِم أنهم يَتَكاسلون ويَتَثاقلون عن الذهاب إليه، فإنما[١٣] أمرهم بذلك أمرَ تعريضٍ لا أمرَ تصريحٍ. أو أن يكون قوله: **فتَحَسَّسُوا من يوسف وأخيه**، على الإضمار، أي تَحَسَّسُوا مِن يوسف واسألوا مِنه ردَّ أخيه[١٤] لِما عَلِم أنّ أخاه يكون معه. وقال عامة أهل التأويل: إنما قال لهم هذا وعَلِم أنه في الأحياء لأنه رأى[١٥] مَلَكَ الموت فقال له: هل[١٦] قبضت روح يوسف مما قبضت من الأرواح؟ قال: لا. وقال بعضهم: رأى في المنام مَلَكَ الموت فقال له ما ذكرنا، فعند ذلك قال هذا القول.

---

[١] ع م: طلبوه واستخبروه.
[٢] ن: هو.
[٣] ع م: من حال.
[٤] جميع النسخ: ابن يامين.
[٥] ك - في.
[٦] ك ن: فإن.
[٧] ع - مكانه وأين هو وإن كانوا لا يعلمون.
[٨] ك: وأين.
[٩] ع - من.
[١٠] ع: على.
[١١] ن ع: هالك.
[١٢] ن ع: هالك.
[١٣] ن: وبما.
[١٤] ن: منه وأخيه.
[١٥] ع + أي.
[١٦] ع: هن.

لكنا نقول: إنه كان عالمًا بأنه[١] في الأحياء ليس بهالك لِما رأى مِن الرؤيا[٢] وغيره،[٣] فعَلِم أنه لا يهلك إلا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق. لكنه لم يكن يعلم أنه أين هو مِن[٤] قبلُ، ثم عَلِم مِن بعدُ بالوحي[٥] عن مكانه وحاله، فأمر بَنِيه أن يأتوه فينظروا[٦] إليه وإلى أخيه. وأصل هذا أنّ ما حَلَّ بيعقوب مِن فَوْتِ يوسفَ وغيبتِه عنه محنةٌ امتحَنه ربُّه وبَلِيَّةٌ ابتلاه بها، يُبتلَى بذلك حسرةً عليهما.[٧] ألا ترى أنّ يوسف لو أراد أن[٨] يُعْلِمَ أباه يعقوب عن مكانه وحاله لَقَدَرَ عليه؛ لأنه كان يَعلم بمكان أبيه وإن كان[٩] يعقوب لا يَعلم بمكان يوسف، فلم يُعْلِمْه[١٠] إلا بعد الأمر[١١] بالإعلام.[١٢] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ولا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ الله**، قيل: مِن رحمةِ الله،[١٣] **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون**، أخبر أنه لا يَيْأَس مِن رحمة الله إلا القومُ الكافرون؛ لأنّ[١٤] مَن آمن يَعلم أنه مُتقلِّب في رحمة الله ونعمته فلا يَيْأَس مِن رحمته،[١٥] وأما الكافر فإنه[١٦] لا يَعرف[١٧] رحمةَ الله ولا تَقلُّبَه في رحمته فيَيْأَس مِن رحمته. نهاهم عن الإياس لِما كان عندهم أنه هالك حيث قالوا: تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ،[١٨] لمّا قال لهم: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ.[١٩] وأخوه كان محبوسًا بالسرقة،

---

[١] ن: أنه؛ ع م – بأنه.
[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (سورة يوسف، ٤/١٢).
[٣] ن: أو غيره.
[٤] ع – من.
[٥] ع: الوحي.
[٦] ع: فينتظروا.
[٧] ك ن ع: عليها.
[٨] ع – أن.
[٩] م – كان.
[١٠] ع م: فلم يفعله.
[١١] أي أمر الله.
[١٢] ع: بالأعلام.
[١٣] ع – قيل من رحمة الله.
[١٤] م – لأن.
[١٥] ع م – فلا ييأس من رحمته.
[١٦] ع: بأنه.
[١٧] ك: لا يعلم.
[١٨] سورة يوسف، ٩٥/١٢.
[١٩] سورة يوسف، ٩٤/١٢.

والمحبوسُ لا يُرَدُّ في حُكمهم. أو نقول:[1] نهاهم وإن لم يكونوا آيِسين، ثم قوله:[2] **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون**، خبرٌ عن الله، أخبر أنه لا يَيْأَس مِن رحمته إلا القومُ الكافرون،[3] وكذلك ما بُشِّرَ إبراهيمُ بالولد حيث قالوا: بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ،[4] **نهاه** عن القُنوط، ولا يحتمل أن يكون إبراهيم قانطًا عن ذلك، لكنه نهاه، ثم أخبر [إبراهيم] فقال: وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ.[5]

والآية تَرُدّ على المعتزلة قولَهم:[6] إنّ صاحب الكبيرة خالد مخلَّد[7] في النار، وإنه ليس بكافر، وهو آيِس -على قولهم- مِن رَوْح الله.[8] وقد أخبر: **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْح الله إلا القومُ الكافرون**، وهم يقولون: إنّ صاحب الكبيرة آيِسٌ مِن رَوْح الله،[9] وهو ليس بكافر.

**﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **فلما دخلوا عليه**، أي على يوسف، **قالوا يا أيها العزيز**، سَمَّوْه عزيزًا لِما لعلهم يسمُّون كلَّ ملكٍ عزيزًا. أو سَمَّوْه عزيزًا[10] لِما كان عند ذلك عزيزًا بقوله: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ.[11] أو لِما[12] كان بالناس إليه حاجة[13] بالطعام الذي في يده، وهو كان غنيًا عما في أيديهم. *والله أعلم*.

---

[1] ك ع م: أو يقول.
[2] ع م: ثم يقول.
[3] م – خبر عن الله أخبر إنه لا ييأس من رحمته إلا القوم الكافرون.
[4] ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٥٥).
[5] سورة الحجر، ١٥/٥٦.
[6] ك ع م + لقولهم.
[7] ن ع م: خالدًا مخلدًا.
[8] م – الله.
[9] ع + وقد أخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وهم يقولون إن صاحب الكبيرة آيس من روح الله؛ م + وقد أخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وهم يقولون إن صاحب الكبيرة آيس من روح.
[10] ع: عزيز.
[11] ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ (سورة يوسف، ١٢/٢١).
[12] ع م: ولما.
[13] م: حجة.

وقوله:[١] **مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ**، قال[٢] أهل التأويل: أصابنا الشدة والبلاء من الجوع،[٣] **وجئنا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ**، قيل: دراهم نُفَايَة[٤] نَبَهْرَجَة لا تَنْفُق في الطعام[٥] كاسدة، لأنه كان في عِزَّة،[٦] وتَنْفُق في غيره. وقال أبو عَوْسَجَة: **وجئنا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ**،[٧] أي قليلة. وكذلك قال القُتَبي: أي قليلة.[٨] وقال ابن عباس: هي الوَرِق الرَّدِيئة التي[٩] لا تَنْفُق حتى يُوضَع منها.[١٠] وقال أبو عُبَيد:[١١] الإزجاء في كلام العرب الدَّفْع والسَّوْق، / وهو كقوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا،[١٢] أي يسوق ويدفع. [٣٦٨ظ]
وقال بعضهم: ناقصةٍ. وقال بعضهم: جاءوا بسَمْن وصُوف. وقيل: جاءوا بصَنَوْبَر وحبّة الخضراء، وأمثال هذا. قالوا:[١٣] ويشبه أن يكون **مُزْجَاة**، مِن التَّزْجِيَة، كما يُقال: تُزَجّي[١٤] يومًا بيوم.[١٥]

وقوله عز وجل: **فأَوْفِ لنا الكَيْلَ**، قال بعضهم: أَوْفِ لنا الكَيْلَ بسِعر الجِياد، وتأخذ النُّفَايَة، وتَكِيل لنا الطعام بسِعر الجِياد. لكن قوله: **فأَوْفِ لنا الكَيْلَ**، أي سَلِّم لنا الكَيْلَ تامًّا؛ لأن الإيفاء هو التسليم على الوفاء، كقوله: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ.[١٦] **وتَصدَّقْ علينا**، بفضلٍ ما بين الثَّمَنَين في الوزن، وقيل: ما بين الكَيْلَين. وقال بعضهم: **وتَصدَّقْ علينا**، أي زِدْ لنا[١٧] شيئًا يكون ذلك صدقةً لنا مِنك.[١٨] لكن يشبه -على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة- حَطَّ الثَّمَن؛ لأن الصدقة لا تحل للأنبياء، ويجوز الحَطُّ لهم.

---

[١] جميع النسخ: وقولهم.
[٢] ع م: وقال.
[٣] ع م: والجوع.
[٤] النُّفاية بالضم: ما نَفَيْتَه مِن الشيء لرداءته... و نفيت الدراهم أَثَرتُها واخترتُها للانتقاد (*لسان العرب* لابن منظور، «نفى»).
[٥] ع: في الصعام.
[٦] أي لأن الطعام كان عزيزا قليل الوجود.
[٧] م - قيل دراهم نفاية نبهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لأنه كان في عزة وتنفق في غيره وقال أبو عوسجة وجئنا ببضاعة مزجاة.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.
[٩] ع م - التي.
[١٠] ن ع م - منها. أي لا تنفق حتى يوضع من قيمتها. انظر للرواية: *تفسير الطبري*، ١٣/٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٥.
[١١] ع: أبو عبيدة.
[١٢] سورة النور، ٢٤/٤٣.
[١٣] ع م - قالوا.
[١٤] ن ع: تزجي.
[١٥] زَجَّيْتُ الشيء تَزْجِيَة: إذا دفعته برفق. يقال: كيف تُزَجِّي الأيام، أي كيف تُدافِعها (*لسان العرب* لابن منظور، «زجو»).
[١٦] ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٢).
[١٧] ن: زدنا.
[١٨] ن: يكون لنا صدقة منك.

ويجوز الحَطُّ لمَن[1] لا تجوز[2] الصدقة له،[3] نحو العبد المأذون له في التجارة يجوز الحط له[4] ولا يجوز الصدقة له.[5] وكذلك نبي الله كان يجوز الشراء له بدون ثمنه، ولا تحل[6] له الصدقة.[7]

ويحتمل أن يكون[8] قوله: **مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ**، بذهاب بصر أبيهم، مَسَّهم بذلك وأهلَهم الضُّرّ، وقوله عز وجل: **وتَصدَّقْ علينا**، أي رُدّ علينا بنيامين[9] لعل الله يَرد بصرَه عليه.[10]

**إن الله يجزي المتصدّقين**، قال أهل التأويل: **إن الله يجزي المتصدّقين**، إن كانوا على دين الإسلام، كأنهم ظنوا أنه ليس على دين الإسلام. ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بالصدقة.[11]

﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **قال هل عَلِمتم ما فعلتم بيوسفَ وأخيه**، هو ظاهر لا يحتاج[12] إلى ذكره. وأمّا ما فعلوا[13] بأخيه قال أهل التأويل: هو ما قالوا: إنه سرق.[14] لكنهم لم يقولوا إلا قَدْرَ ما ظهر عندهم، فلم يلحقهم بذلك القول فَضْلُ تعيير. لكن يشبه أن يكونوا آذَوْه[15] بأنواع الأذى. ولا شك أنهم كانوا يبغضون يوسف وأخاه، حيث قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا.[16] وقوله: **هل عَلِمتم ما فعلتم بيوسفَ وأخيه**، قد كانوا عَلِموا هم[17] ما فعلوا بيوسف،

---

[1] جميع النسخ: حط من.
[2] ك ع م: لا يجوز.
[3] جميع النسخ: صدقته.
[4] جميع النسخ: حطه.
[5] جميع النسخ: صدقته.
[6] ن ع م: يحل.
[7] عبارة المؤلف رحمه الله تدل على أنه كان موافقا للرأي القائل بأن إخوة يوسف عليه السلام كانوا من الأنبياء.
[8] ع م - أن يكون.
[9] ك: ابن يامين؛ ن م: بابن يامين؛ ع: يامين.
[10] وانظر أيضا لهذا التأويل آخر تفسير الآية من سورة يوسف، ٩٠/١٢.
[11] وعبارة الشارح هكذا: «﴿إن الله يجري المتصدّقين﴾، قال أهل التأويل: ﴿إن الله يجزي المتصدّقين﴾، إن كانوا على دين الإسلام. ولكن عندنا كأنهم ظنوا أنه ليس على دين الإسلام، ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بالصدقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠٣ظ).
[12] ك ن: لا نحتاج.
[13] ك: ما فعلوه.
[14] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ (سورة يوسف، ٧٧/١٢).
[15] م: أذه.
[16] سورة يوسف، ٨/١٢.
[17] ع: علموهم.

لكنه كأنه[١] قال: هل تَذكُرون ما فعلتم بيوسف أو أنتم جاهلون ذلك ناسُون؟ يقول لهم: اذكروا ما فعلتم بيوسف وتوبوا إلى الله عن ذلك، ولا تكونوا جاهلين عن ذلك. أو يقول لهم: هل رجعتم وتُبتم عن ذلك، أو أنتم بَعدُ فيه؟

وقوله عز وجل: **إذ أنتم جاهلون**، قال بعض أهل التأويل: **إذ أنتم جاهلون**، أي مُذنِبون. ولكن **إذ أنتم جاهلون**، قَدْرَ يوسف ومنزلته؛ لأنهم لو عَلِموا ما قَدْرُ يوسف[٢] عند الله وما منزلته ما قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا، وما خطَّئُوا أباهم[٣] في حبّه إياه، حيث قالوا: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[٤] وما فعلوا به ما فعلوا.[٥] ***والله أعلم***.

**﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٩٠]

**قالوا أإنك لأنت يوسف**، كأنهم عرفوا أنه يوسف بقول[٦] يوسف لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ.[٧] أو عرفوا بقول أبيهم، حيث قال لهم:[٨] يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ.[٩] لمّا ذكر[١٠] أخاه ورأَوْه معه عرفوا أنه يوسف، لذلك قالوا [ما قالوا]. ***والله أعلم***.

**قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنّ الله علينا إنه مَن يَتّقِ ويَصبر**، يحتمل[١١] من يَتَّقِ معاصيَه[١٢] ويَصبر على بلاياه. أو اتّقى مَناهيَه وصبر على أداء ما أمر به. أو مَن اتّقى وصبر فقد أحسن. أو يقول: إنه من يَتَّقِ الجفاء ويَصبر[١٣] على البلاء فقد أحسن، **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**. ويشبه أن يكون قوله: وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا،[١٤] أي رُدّ أخانا علينا. وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ك - كأنه.
[٢] ع + ومنزلته.
[٣] ن: آباءهم.
[٤] سورة يوسف، ٨/١٢.
[٥] م - به ما فعلوا.
[٦] ن: يقول.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ع م - لهم.
[٩] ك - أو عرفوا بقول أبيهم حيث قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه. وانظر: سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[١٠] ن ع م: ذكره.
[١١] ع: ويحتمل.
[١٢] أي ما كان سببا لمعصيته.
[١٣] م: وصبر.
[١٤] سورة يوسف، ٨٨/١٢.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله لقد آثَرَكَ الله علينا، تالله،**[١] قَسَم قد اعتادوه في فَحْوَى كلامهم على غير إرادة يمين بذلك، هكذا عادة العرب. وإلّا كان يَعلم يوسف أنّ الله قد آثَرَه عليهم. ويشبه أن يكون يخرج القَسَم هاهنا على تأكيد معرفتهم فضلَه ومنزلته، أي لم تَزَلْ كنتَ مُؤْثَرًا مُفَضَّلاً علينا، **وإنْ كنّا لخَاطئين،** أي وقد كنّا خاطئين[٢] فيما كان مِنّا إليك مِن الصَّنيع. أو[٣] أن يكون قوله: **لقد آثَرَك الله علينا،** فيما قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا،[٤] أي لما كان يُؤثرهما عليهم فقالوا: كنتَ مُؤْثَرًا على ما كان أبونا يُؤْثِرك علينا وقد كنّا لخَاطئين.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٩٢]

فقال يوسف: **لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم،** قال القُتَبي: قوله: **لا تَثْرِيبَ،** أي لا تَعييرَ عليكم بعد هذا اليوم مما[٥] صنعتم.[٦] وقال بعضهم: **لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم،** أي لا تَنْغِيصَ عليكم. وقيل:[٧] أصل التَّثْرِيب الإفساد، يُقال: ثَرَّبَ علينا الأمرَ، أي أفسده.[٨] وقال أبو عَوْسَجَة: التَّثْرِيب: المَلامَة، يقول: لا لَوْمَ عليكم في صنيعكم. وقال ابن عباس رضي الله عنه: **لا تَثْرِيبَ عليكم،** أي لا أُعَيِّرُكم بعد هذا اليوم أبدًا، ولا أُعَيِّره عليكم. وهو[٩] يحتمل هذين الوجهين. أحدهما لا تعييرَ عليكم ولا مَلامَة، أي ليس عليكم[١٠] في العقل[١١] تعييرٌ ولا مَلَامَةٌ إذا تُبتم وأقررتم بالخطأ. وهكذا كلُّ مَن أَذنب ذنبًا

[٣٦٩ر] أو ارتكب كبيرة / ثم انتزع عنها وتاب منها لا يُعَيَّر هو عليه ولا يُلَام.[١٢] وكذلك قيل في قوله: وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ،[١٣] ذُكِر أنهم كانوا يُعَيِّرون أهلَ الكفر في كفرهم ويُنابِزونهم ثم أسلموا،

[١] ع م – تالله.
[٢] ن – لخاطئين أي وقد كنا خاطئين.
[٣] ع م – أو.
[٤] سورة يوسف، ٨/١٢.
[٥] ع: ليوم بما؛ م: بما.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.
[٧] ك ن: وقال.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.
[٩] ك: وهذا.
[١٠] ع م – عليكم.
[١١] ن: أي ليس في العقل عليكم.
[١٢] ع: ولا يلايم.
[١٣] سورة الحجرات، ١١/٤٩.

فنُهُوا أن يُنابِزوهم[1] ويصنعوا بهم مِثلَ صنيعهم بهم في حال كفرهم. ولو وجب التعيير والمَلَامَة بعد الانتزاع عنه والتوبة أو جاز[2] ذلك لكان أصحاب رسول الله مُعَيَّرين مُلَامِين؛ لأنهم كانوا أهلَ الكفر في الابتداء، فهذا مما لا يَحِلّ في العقل.

والثاني قوله: **لا تَثْرِيبَ عليكم**، لا أُعَيِّركم، على ما قال ابن عباس رضى الله عنه، أي لا أذكر[3] ما كان مِنكم إلينا. آمَنَهم عن أنْ يَذكُر شيئًا مما كان منهم إليه. ولذلك قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي،[4] ذَكر أنّ الشيطان هو الذي فَعل[5] ما كان بينه وبين إخوته. وكذلك فَعل حيث قال: مِن بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، أضاف ذلك إلى الشيطان ولم يُضِف إلى إخوته.

وقوله عز وجل: **يغفر الله لكم**، قطع فيه القول بالمغفرة لهم حين أقرّوا بالخطايا وتابوا عمّا فعلوا. وهكذا كلُّ مَن تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنه أنْ يُقطَع القول فيه بالمغفرة والرحمة. وقوله: **يغفر الله لكم**، يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة، أو على[6] الإخبار بالوحي أنه يغفر لهم، أو قد غفر لهم. أو يقول:[7] استغفروا اللهَ الذي كان بين الله وبينكم يَغفِرْ لكم،[8] **وهو أرحم الراحمين**؛ لأنّ[9] كلَّ مَن يَرحم مِن الخلائق إنما يَرحم برحمةٍ[10] مِنه إليه، فهو أرحم الراحمين بما قلنا، على ما قلنا[11] في قوله: خَيْرُ الْحَاكِمِينَ،[12] و أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ:[13] لأنّ مَن يَحكم[14] مِن الخلائق بحُكمٍ يجوز[15] إنما يَحكم بحُكمٍ نَالَه مِنه.

---

[1] ن: أن ينابزونهم.
[2] جميع النسخ: أو يجوز.
[3] م: أي لأذكر.
[4] سورة يوسف، ١٢/١٠٠.
[5] ع م + الذي فعل.
[6] ع م: وعلى.
[7] ع م: أو نقول.
[8] ك: لهم.
[9] ع: أن.
[10] م: برحمته.
[11] ن – على ما قلنا.
[12] سورة الأعراف، ٧/٨٧؛ وسورة يونس، ١٠/١٠٩؛ وسورة يوسف، ١٢/٨٠.
[13] سورة هود، ١١/٤٥.
[14] ع: من الحكم.
[15] ن: يحكم بجوز؛ م – يجوز.

﴿اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَائْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرًا**، دل هذا مِن يوسف -حيث قَطَعَ فيه القول أنه يصير بصيرًا- أنه عن وحيٍ[١] قال هذا لا عن رأيٍ منه واجتهاد؛ إذ قَطع[٢] القول فيه أنه إذا أُلقِيَ على وجهه يَصير بصيرًا. وقوله: **يأتِ بصيرًا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يَصير[٣] بصيرًا، على ما ذكرنا. والثاني يأتيني بصيرًا.

وقوله عز وجل: **وائتُوني بأهلكم أجمعين**، أراد -والله[٤] أعلم- حيث أمرهم أن يأتوا بأهلهم أجمعَ أنْ يَبَرَّهم ويُكرمهم حين تابوا عمّا فعلوا به وأقرّوا له بالخطأ في أمره.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **ولمّا فَصَلَتِ العِيرُ**، قيل: خرجت. وفَصَلَتْ وانْفَصَلَت، واحد. **قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف**، قال أهل التأويل: كان بينهما ثمانين فَرْسَخًا،[٥] يعني[٦] بين مصر وبين كَنْعَان مكان يعقوب.[٧] وقيل:[٨] مَسِيرةَ ثمانية[٩] أيام، ما بين الكوفة والبصرة.[١٠] ولا[١١] حاجة لنا إلى معرفة ذلك أنْ كَمْ كان بينهما سِوَى أنّا نَعلم أنه كان بينهما مَسِيرة أيام. ثم وجد يعقوب ريح يوسف مِن ذلك المكان، ولم يجد [ذلك] غيرُه ممّن كان معه. فذلك آيةٌ مِن آيات الله حيث وجد ريحه مِن مكان بعيد ولم يجد[١٢] ذلك غيره، وذلك مِن آثار البِشارة والسرور الذي يَدخل فيه بقدومه. قال بعض أهل التأويل: ذلك القميص هو مِن كسوة الجنة، كان الله كساه إبراهيم،

---

[١] ع م: أنه عز وجل.
[٢] ن: أو قطع.
[٣] ع م - يصير.
[٤] ع: أرادوا الله.
[٥] الفَرْسَخ: مقياس من مقاييس المسافات مقداره ثلاثة أميال=إثنا عشر ألف ذراع=٥٥٤٤ مترا (*معجم لغة الفقهاء*، للقلعجي والقنيبي، «الفرسخ»).
[٦] ع: يعتر؛ م: يعتبر.
[٧] وقد ذُكر أن يعقوب عليه السلام كان يسكن في بادية فلسطين. وكان يُطلق اسم "أرض كنعان" -بن سام بن نوح وإليه يُنسب الكنعانيون- قديمًا على بلاد الشام وفلسطين والأردن. وقيل أن مقام يعقوب كان بنابُلُس من قرى فلسطين وبه الجُبّ الذي أُلقي يوسف فيها. انظر: *تفسير الطبري*، ٧١/١٣؛ *معجم البلدان* لياقوت الحموي، «كنعان».
[٨] ن + ثمانية.
[٩] ع م - ثمانية.
[١٠] المسافة بين الكوفة والبصرة فهي أربعمائة كيلومتر تقريبا.
[١١] ع: ولنا.
[١٢] ك ع م: لم يجد.

وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكساه[١] يعقوب يوسف، لذلك[٢] وجد ريحه؛ لأنه كان مِن ثياب[٣] الجنة. فهو -وإن ثبت ما قالوا- [يدل على] ذلك[٤] أيضًا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيرُه، وكان أيضًا هو[٥] لا يجد ذلك الريح قبل فُصُول[٦] العير وكان [ذلك القميص] مع يوسف. احتمل ما قالوا أو احتمل أن يكون قميصًا مِن قُمُصه.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لولا أنْ تُفَنِّدُونِ**، قيل: تُحزنونِ، وقيل: تُهرِمونِ، وقيل: تُكذِّبونِ، وقيل: تُضعِفونِ، وقيل: تُعجِزونِ، وقيل: تُجهِّلونِ، وقيل: تُسفِّهونِ، وقيل: تُحمِّقونِ،[٨] وقيل: لولا أن تقولوا: ذهب عقلُك. والمُفَنَّد معروف عند الناس، هو الذي يَبلُغ في الكِبَر غايته، كقوله: وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ.[٩] وقوله: **لولا**، إذا كان على الابتداء فهو[١٠] على النهي، أي لا تُفَنِّدُونِ، وإذا كان على الخبر فهو على النفي، كقوله: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا،[١١] أي لم ينفع.[١٢]

**﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٩٥]**

وقوله عز وجل: **قالوا تالله**، هو[١٣] ما ذكرنا،[١٤] أنه يمينٌ اعتادوه في كلامهم على غير إرادة القَسَم به، **إنك لَفِي ضلالك القديم**، قيل: في حبّ يوسف وذِكرِه القديم. كان عندهم أنه[١٥] هالِك،[١٦] لذلك[١٧] أنكروا عليه وخطّئوه فيما يجد مِن ريحه، وعِنده أنه في الأحياء.[١٨] لذلك كان ما ذكروا. *والله أعلم*.

---

[١] ع: وكذلك.
[٢] ع م: كذلك.
[٣] ع: في ثياب.
[٤] جميع النسخ: فذلك.
[٥] ك: وكان هو أيضا.
[٦] فَصَلَ فلان مِن عندي فُصُولا: خرَج (*لسان العرب* لابن منظور، «فصل»).
[٧] ع م - من قمصه.
[٨] أي قيل في تفسير ذلك: تتهموني بالحزن أو الهرم أو الكذب أو الضعف أو العجز أو الجهل أو السفه أو الحمق.
[٩] سورة النحل، ٧٠/١٦؛ وسورة الحج، ٥/٢٢.
[١٠] ك: فهي.
[١١] سورة يونس، ٩٨/١٠.
[١٢] ع: أي لا ينفع.
[١٣] ع - هو.
[١٤] ن: ما ذكر. انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٩١/١٢.
[١٥] جميع النسخ: بأنه.
[١٦] ن: هالك.
[١٧] ن - لذلك؛ ع م: لذكر.
[١٨] م: في الأخبار.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فلمّا أنْ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرًا**، أي رجع بصيرًا على ما كان. قال أهل التأويل: البشير[١] كان يَهُوذا، وقيل: البريد. ولا ندري مَن كان، وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنّ المدفوع إليه الثوب كان واحدًا، وإن قال[٢] في الابتداء: اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي.[٣]

وقوله عز وجل: **قال ألم أَقُلْ لكم إني أعلم مِن الله مالا تعلمون**، قال بعض أهل التأويل: وذلك أنّ يعقوبَ قال لهم قبل ذلك: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ،[٤] أنتم مِن تصديق رؤيا يوسف وأنه حي. وكان يعلم هو مِن الله[٥] ما لا يعلمون هم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٩٧] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٩٨]

[٣٦٩ظ] وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين / قال**، يعقوب، **سوف أستغفر لكم ربي**، طلبوا مِن أبيهم الاستغفار، فأخرهم ذلك إلى وقتٍ، وطلبوا مِن يوسف العفو وأقرّوا له بالخطأ[٦] والذنب، فعَفَا[٧] عنهم وقتَ سؤالهم العفو. فمِن الناس مَن يقول: إنما أخّر يعقوب الاستغفار وعَفَا عنهم يوسف لأنّ قلبَ الشابّ يكون[٨] أَلْيَنَ وأَرَقَّ مِن قلب الشيخ، لذلك كان ما كان. لكن هذا ليس بشيء إنما يكون هذا في عوامّ مِن الناس. فأمّا الأنبياء كلّما مضى وقتٌ فتزداد قلوبهم لينًا ورِقّةً وخُشوعًا. ومنهم مَن يقول: إنما كان كذلك لأنّ وَجْدَ[٩] يعقوب كان أكثر مِن وَجْدِ يوسف، لذلك كان أجابهم يوسف وقتَ سؤالهم العفوَ وأخّر يعقوب إلى وقت.

---

[١] ع: البشر.
[٢] ن: وإن كان.
[٣] سورة يوسف، ٩٣/١٢.
[٤] سورة يوسف، ٨٦/١٢.
[٥] جميع النسخ + أشياء.
[٦] ع: بالخطاب.
[٧] ع: ضعفا.
[٨] م - يكون.
[٩] الوَجْد يستعمل بمعنى الغضب أو الحزن أو الحب (*لسان العرب* لابن منظور، «وجد»).

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} والوجه فيه عندنا -والله أعلم- أنهم إنما سألوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار مِن ربهم ليكون لهم شفيعًا، فأخر ذلك إلى وقت الاستغفار والشفاعة؛ إذ ليس كلُّ الأوقات يكون وقتًا للاستغفار. وطلبوا مِن يوسف العفوَ مِنه، فعَفَا عنهم وقتَ طلبِهم مِنه العفو. لهذا الوجه يحتمل أن يخرج معناه. *والله أعلم*. أو أن[1] يكون يعقوب أخّر الاستغفار لأنّ الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم، وأخر إلى أن يجيء الإذن مِن ربه. وأمّا الذنب في يوسف فيما بينهم وبين يوسف،[2] فعَفَا عنهم مِن ساعتِه.

ويحتمل قوله: **سوف أستغفر لكم ربي**، إن استغفرتم أنتم.[3] أو قال: **سوف أستغفر لكم ربي**، إذا جاء وقتُه، وهو[4] ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إنه أخّر[5] وقتَ الاستغفار[6] إلى[7] السَّحَر.[8] أو أن يكون أخّره إلى أن يُقَدِّمَ شيئًا بين[9] يدَي الاستغفار والشفاعة ليكون أسرعَ إجابةً.[10]

**﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾**[٩٩]

وقوله عز وجل: **فلمّا دخلوا على يوسف آوَى إليه أَبَوَيْه وقال ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**، ظاهرُ هذا أنّ يوسفَ كان تَلَقَّاهم خارجًا مِن مِصر،[11] فقال لهم: **ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**، ثم لمّا دخلوا مصر[12] آوَى إلى نفسه أبَوَيْه وضَمَّهما إليه. ويشبه أن يكون قال لهم[13] هذا القول وقتَ ما قال لهم: وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ،[14] و **ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**،

---

[1] م: وأن.
[2] ن - فيما بينهم وبين يوسف.
[3] ك - أنتم.
[4] ع م: فهو.
[5] ك ن م: أخره.
[6] ك - وقت الاستغفار.
[7] ك + وقت.
[8] *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٤/٤. وروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٦٤/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، نفس الموضع.
[9] ك - بين.
[10] ك: إلى الإجابة.
[11] جميع النسخ: من المصر.
[12] جميع النسخ: المصر.
[13] ع م: قالهم.
[14] سورة يوسف، ٩٣/١٢.

ثم لمّا جاءوا هُم[١] ودخلوا مِصرَ ضَمَّ إليه أبَوَيْه وأَمَرَهم[٢] أن يَدخلوا مِصر آمِنِين؛ لأن مصر[٣] كان أهلُه أهلَ كفر،[٤] فكأنهم خافوا الملِك الذي كان فيه،[٥] فذَكر لهم الأمْنَ لذلك. *والله أعلم*.
وذَكَرَ الثُّنْيَا فيه لأنه[٦] وَعْدٌ مِنه وَعَدَ لهم، والأنبياء عليهم السلام كانوا[٧] لا[٨] يَعِدُون شيئًا إلا ويَستثنون في آخِره، كقوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[٩] وإنما ذكر الثُّنْيَا في الأمْن [و] لم يذكر في الدخول لأنّ الدخول مِنه أمرٌ، وما ذكر مِن الأمْن[١٠] فهو وَعْدٌ، فهو ما ذكرنا أنه يُستثنَىٰ في الوعد ولا يُستثنَىٰ في الأمر.

**﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾**[١٠٠]

وقوله عز وجل: **ورفع أبَوَيْه على العرش**، يشبه أن يكون قوله: آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ،[١١] هو ما ذكر مِن رفعِه إياهما على العرش. وخَصّ بذكر[١٢] أبَوَيه بالرفع على العرش. فيحتمل أن يكون رفع أبَوَيه والإخوة جميعًا؛ لأنه لو لم يَرفعهم وقد كان عفا عنهم لما أقرّوا بالخطأ وقال: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ،[١٣] لَكان يقع عندهم أنه قد بَقِي شيءٌ مما كان منهم إليه. لكنه خصّ أبَوَيْه بالذكر لِشرفهما[١٤] وتَجْدِهما على ما يُخَصّ الأشرافُ والأعاظمُ، نحو قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[١٥] ونحوه.

---

[١] م: لما جاءوهم.
[٢] جميع النسخ + إياهم.
[٣] جميع النسخ: المصر.
[٤] ع: الكفر.
[٥] ع: فيهم.
[٦] ع: لأن.
[٧] ع م: كان.
[٨] م – لا.
[٩] سورة الكهف، ١٨/٢٣-٢٤.
[١٠] ك: من الأمر.
[١١] الآية السابقة.
[١٢] ن – بذكر.
[١٣] سورة يوسف، ١٢/٩٢.
[١٤] ع: فهما؛ م: فهم.
[١٥] سورة هود، ١١/٩٦-٩٧.

ودل رَفْعُ أبَوَيْه على العرش على أنّ اتّخاذَ العرش والجلوسَ عليه لا بأس به؛ إذ لو كان لا يَحِلّ أو لا[1] يُباح ذلك لكان يوسف لا يتّخذه ولا كان يعقوب يجلس عليه. دل ذلك منهما أنّ ذلك مباح لا بأس به.[2] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، قال بعض أهل[3] التأويل: كانت تَحِيَّتهم يومئذ فيما بينهم السجود، يَسجد بعضهم لبعض مكانَ ما يُسلّم بعضنا على بعض. وأما اليوم فهو غير مباح، وإنما التحية في السلام. لكن السجود لغير[4] الله ليس يُكرَه لنفس السجود، وإنما[5] يُكرَه ويُنهَى عمّا في السجود،[6] وهو العبادة والتَّسَفُّل. لا يَحِلّ لأحدٍ أنْ يجعل العبادة[7] والتَّسَفُّلَ لدون الله.[8] وأمّا نفس السجود فإنه كالقيام والقعود وغيره مِن الأحوال يكون فيها المرء. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، أي خَرُّوا له خاضعين له ذَلِيلين. وقال بعضهم: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، أي خَرُّوا لله[9] سُجّدًا شُكْرًا له لما جمع بينهم ورفع ما كان بينهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقوله عز وجل: **وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤيايَ مِن قبلُ قد جعلها ربي حقًا**، أي حقق تلك الرؤيا التي رأيتُها مِن قبلُ وجعلها صِدقًا لي.[10] رأى يوسف رؤيا فخرجت[11] رؤياه بَعد[12] حين ووقت وزمان طويل، فهذا يدل أنّ الخطاب إذا قَرَعَ السَّمْعَ يجوز أن يأتي بيانُه[13] مِن بعدِ حين وزمان، ويجوز أن يكون مَقْرُونًا به، وليس في تأخُّر بيانِ الخطابِ تلبيسٌ ولا تشبيهٌ على ما قال بعض الناس.

---

[1] ع: ولا.
[2] ع: فيه.
[3] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[4] ن م: لدون.
[5] ك: إنما.
[6] ع - بعضهم لبعض مكان ما يسلم بعضنا على بعض وأما اليوم فهو غير مباح وإنما التحية في السلام لكن السجود لغير الله ليس يكره لنفس السجود وإنما يكره وينهى عما في السجود.
[7] ع + والعبادة.
[8] ع م: له دون الله.
[9] ن ع م: له.
[10] ن ع م - لي.
[11] م - رؤيا فخرجت.
[12] ك: بعين.
[13] ع: بنايه؛ م: نبائه.

وقوله[1] عز وجل: **وقد أَحسن بي إذ أخرجني من السجن،** ذكر إحسانه إليه ومِنّتَه ولم يذكر محنته بالتصريح، إنما ذكرها بالتعريض حيث قال: **وقد أَحسن بي إذ أخرجني من السجن،**[2] ولم يقل: سُجنت أو حُبست،[3] وأمثاله مما كان[4] ابتلاه الله به.

وقوله عز وجل: **وجاء بكم من البَدْو،** قيل: من البادية، لأنهم كانوا أهلَ باديةٍ، أصحابَ المَوَاشي.

[٣٧٠و] / وقوله عز وجل: **مِن بعدِ أنْ نَزَغَ الشيطان بيني وبين إخوتي،** قال بعضهم: **نَزَغَ،** أي فرَق، [أي مِن] بعدِ ما فرّق الشيطان بيني وبين إخوتي.[5] وكأنّ النَّزْغ هو الإفساد على ما ذكره أهل التأويل، أي بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي. وأضاف[6] ذلك إلى الشيطان لما كان قال لهم: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ،[7] حين أقرّوا له بالفضل والخطأ في فعلهم.

وقوله عز وجل: **إن ربي لطيفٌ لِما يشاء،** اللطيف[8] هو اسمٌ لشيئين،[9] اسم البِرّ والعطف، يُقال: فلان لطيف، أي بارّ عاطف. والثاني يقال: **لطيف،** أي عالم بما يَلْطُف من الأشياء ويَصْغُر كما يَعلم بما يَعْظُم ويَجْسُم. أو يقال: **لطيف،** أي يَعلم المستور من الأمور الخَفِيّة[10] على الخَلْق كما يَعلم الظاهرة منها والبادية، لا يخفى عليه شيء، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.[11] يقال له: عظيم و**لطيف،** لِيُعلَم أنْ ليس يُفهَم مِن عِظَمِه ما يُفهَم مِن عِظَم الخَلْق؛ إذ لا يجوز في الخَلْق أن يكون عظيمًا لطيفًا، ويجوز في الله لِيُعلَم أنّ ما يُفهَم مِن هذا غيرُ ما يُفهَم مِن الآخر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إنه هو العليم الحكيم،** أي **العليم** بما كان ويكون وما ظَهَر وما بَطَن وما يُسَرّ وما يُعْلَن[12] وبكل شيء. أو[13] عليم بعَوَاقِب الأمور وبِدايتها. **الحكيم،**

[1] م: ووقوله.
[2] ع م - ذكر إحسانه إليه ومننه ولم يذكر محنته بالتصريح إنما ذكرها بالتعريض حيث قال وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن.
[3] ع م: وحبست.
[4] جميع النسخ: ما كان.
[5] ك - قال بعضهم نزغ أي فرق بعد ما فرق الشيطان بيني وبين إخوتي.
[6] ن: أضاف.
[7] سورة يوسف، ٩٢/١٢.
[8] م: لطيف.
[9] ع م: لشئين.
[10] ن ع: والخفية.
[11] ﴿وإن تَجْهَرْ بالقول فإنه يَعلم السِّرَّ وأَخْفَى﴾ (سورة طه، ٧/٢٠).
[12] ن: ويعلن.
[13] ع م - أو.

حَكَم بعلمٍ ووَضَعَ كلَّ شيءٍ مَوْضِعَه، لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم الخَلْق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.[1]*

**﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾**[١٠١]

وقوله عز وجل: **ربِّ قد آتيتني مِن المُلْك**، قال أبو بكر الأصم: ذكر: **مِن المُلْك**[2] لأنه لم يُؤتِه كلَّ المُلْك؛ إذ كان فوقه مَلِكٌ أكبرُ منه. لكن لا لهذا ذكر: **مِن المُلْك**؛ إذ معلوم أنه لم يؤتِ لأحد كلّ مُلك الدنيا. قال الله تعالى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.[3] ويكون في وقت واحد ملوك. وقال مُقاتِل: "مِن" صِلَة،[4] كأنه قال: ربِّ قد آتيتني[5] المُلك. لكن الوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله: **ربِّ قد آتيتني مِن المُلك وعلّمتني من تأويل الأحاديث... توفَّني مسلمًا**، إلى آخر ما ذكر، قدّم [على] دعائه وسؤاله[6] ربه ما سأل إحسانَه إليه وتحامِدَه وصَنائِعَه ليكون ذلك له وسيلةً[7] إلى ربه في الإجابة. وفي ذلك دلالةُ نقضِ قولِ المعتزلة من وجهين. أحدهما يقولون: إنّ كلَّ أحدٍ شفيعُه[8] عملُه، فيوسف لم يذكر ما كان منه: إني فعلت كذا فافعل بي كذا، ولكن ذكر نعم الله وإحسانه إليه.

والثاني مِن قولهم: إنه لا يُؤتِي أحدًا مُلكًا ولا نبوة إلا بعد الاستحقاق به، ولا يكون من الله إلى أحد نعمةٌ وإحسانٌ إلا بعد الاستحقاق.[9] ومِن قولهم: إنّ كلَّ أحدٍ هو المتعلّم لا أنّ[10] الله يعلّم أحدًا. وقد أضاف يوسف التعليم إلى الله حيث قال: **وعلّمتني من تأويل الأحاديث**، وهم يقولون: لم يعلّمه ولكن هو تعلّم.[11]

---

[1] في نسخة ك و ن بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.
* وقع هنا مقطع متعلق بتفسير الآيات السابقة برقم ٣٣، ٥٣، ٥٦، فقدمناه إلى تفسير الآية رقم ٥٦؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ١١-١٦.
[2] ع - ذكر من الملك.
[3] سورة آل عمران، ٢٦/٣.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٥٢/١.
[5] ك ع م + من.
[6] م: سؤاله.
[7] ك: ذلك وسيلة له.
[8] ع م: شفيعة.
[9] ن ع م - به ولا يكون من الله إلى أحد نعمة وإحسان إلا بعد الاستحقاق.
[10] ع: لأن.
[11] ك: يعلم.

وقوله عز وجل: **وعلّمتني من تأويل الأحاديث**، قال أهل التأويل: تعبير الرؤيا. ولكن **الأحاديث** هي الأنباء، والتأويل هو عِلم العاقبة وعِلم ما يَئول إليه الأمر، كأنه قال: علّمتني مُستقَرَّ الأنباء ونهايتها، كقوله تعالى: لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ.[1] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاطرَ السماوات والأرض**، كأنه على النداء والدعاء ذكر: يا فاطر السماوات والأرض.[2] لذلك انتصب.

وقوله عز وجل: **أنت وَلِيِّي في الدنيا والآخرة**، يشبه أن يكون تأويله: **أنت** ولي نعمتي **في الدنيا والآخرة**، كما يقال: فلان ولي نعمة فلان. ويحتمل **أنت** أَوْلَى بي **في الدنيا والآخرة**. أو **أنت** ربي وسيدي **في الدنيا والآخرة**.

وقوله[3] عز وجل: **تَوَفَّني مسلمًا**، تمنّى صلى الله عليه وسلم التوفيَ على الإسلامِ والإخلاصِ لله[4] والإلحاقَ بالصالحين. فهو -والله تعالى أعلم بذلك-[5] أنّ الله قد آتاه النهاية في الشرف والمَجْد في الدنيا دِينًا ودُنيا؛ لأن نهاية الشرف في الدين هي النبوة والرسالة، ونهايةَ الشرف في الدنيا المُلك، فأحَبَّ[6] أن يكون له في الآخرة مِثلُه، فقال: **تَوَفَّني مسلمًا وأَلحقني بالصالحين**. ثم يحتمل سؤاله أن يُلحِقَه بالصالحين، بكل صالح. ويحتمل أنه سأله أن يُلحِقَه بالصالحين،[7] بآبائه وأجداده وبجميع الأنبياء والرسل.

وقوله عز وجل: **تَوَفَّني مسلمًا وأَلحقني بالصالحين**،[8] هو يَنقض على المعتزلة أيضًا، ومِن قولهم: إنه أَعطى كلَّ أحدٍ[9] [أنه] ليس له أنْ لا يَتَوَفَّاه[10] مسلمًا، فيكون في دعائه عابثًا على قولهم. والثاني على قولهم:[11] لا يملك أن يتوفّاه مسلمًا؛ لأن مِن قولهم:

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٦٧.
[2] ن - كأنه على النداء والدعاء ذكر يا فاطر السماوات والأرض.
[3] ن: قوله.
[4] جميع النسخ: بالله.
[5] جميع النسخ: وذلك.
[6] ع م + له.
[7] ع - بالصالحين بكل صالح ويحتمل أنه سأله أن يلحقه بالصالحين.
[8] ن - بآبائه وأجداده وبجميع الأنبياء والرسل وقوله عز وجل توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، صح هـ.
[9] ك ن - إنه أعطى كل أحد.
[10] ع: لا يتوف.
[11] م - والثاني على قولهم.

إنه أعطى كلَّ أحدٍ ما به يكون مؤمنًا حتى لم يَبْقَ عنده شيء،[١] ومَن سأل آخَرَ شيئًا يَعلم أنه ليس عنده فهو يَهْزَأ به، أو يكون فيه[٢] كِتمانُ النعمة، وفي كتمان النعمة[٣] كُفرانها.

**﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[١٠٢]**

وقوله عز وجل: **ذلك من أنباء الغيب**، الآية،[٤] **ذلك**، أي خبر يوسف وإخوته وقصصهم التي قصصنا[٥] عليك / وأخبرناك به مِن أوله[٦] إلى آخِره، لم تَشهدها أنت ولم تَحضرها، كقوله:[٧] [٣٧٠ظ]
مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا،[٨] لِيُعلَم أنك إنما عَلِمتَ وعرفتَها بالله وَحْيًا لِيدلهم على رسالتك ونبوتك. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وما كنتَ لديهم إذ أجمعوا أمرَهم وهم يَمْكُرون**، أي ما كنتَ لديهم ولا بحضرتهم، ثم أنبأتَ على ما كان، لِيَدل على ما ذكرنا من الرسالة.

وقوله[٩] عز وجل: **وهم يَمْكُرون**، بأبيهم وأخيهم. أمّا مكرهم بأبيهم حيث قالوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ،[١٠] أخبروه أنهم له ناصحون، فخانوه. ومَكْرُهم بأخيهم حيث قالوا: أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[١١] ضَمِنُوا له[١٢] الحفظ، فلم يحفظوه، مَكَرُوا بهما[١٣] جميعًا. والمكر هو الاحتيال[١٤] في اللغة، والأخذُ على جهة الأمْن، وقد فعلوه[١٥] هم[١٦] بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف عليهما السلام.

---

[١] ن ع م: شيئًا.
[٢] ع م – فيه.
[٣] م – النعمة.
[٤] ن – الآية.
[٥] ع: قصصناك.
[٦] ع: وأخبرناك في أوله.
[٧] م: لقوله.
[٨] سورة هود، ٤٩/١١.
[٩] ن: قوله.
[١٠] سورة يوسف، ١١/١٢.
[١١] سورة يوسف، ١٢/١٢.
[١٢] ع – له.
[١٣] م: بها.
[١٤] ع: الاختبال.
[١٥] جميع النسخ: وقد فعلوا.
[١٦] ع م: فعلوهم.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **وما أكثر الناس ولو حرصتَ بمؤمنين**، أي ما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصتَ[١] يا محمد أن يكونوا مؤمنين، كقوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[٢] كان النبي[٣] صلى الله عليه وسلم بَلَغَ مِن شَفَقَته ورحمته على الخَلْق ورغبته[٤] في إيمانهم حتى كادت نفسُه تَهلك في ذلك، حيث قال: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[٥] الآية: وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ،[٦] وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ.[٧] كان حرصُه على إيمانهم بَلَغَ ما ذكر حتى خفّف ذلك عليه بهذه الآيات.[٨] وقال بعض أهل التأويل: قوله تعالى: **وما أكثر الناس**، يعني أهل مكة، **ولو حرصتَ بمؤمنين**، وهم كذلك كانوا، كان[٩] أكثرهم غير مؤمنين. وأهل مكة وغيرهم سواء، كلهم كذلك كانوا.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وما تسألهم عليه من أجر**، أي على[١٠] ما تُبَلِّغ إليهم وتدعوهم إلى طاعة الله وجَعْلِ العبادة له وتوجيهِ الشكر إليه، لا تسألهم على ذلك أجرًا، فما الذي يمنعهم عن الإجابة لك فيما تدعوهم[١١] والائتمارِ بأمرك؟ هذا يدل أنه لا يجوز أخذُ الأجر على الطاعات والعبادات، حيث نهى وأخبر أنه لا يسألهم على ما يُبَلِّغ إليهم أجرًا. وهو لم يتولَّ تبليغَ جميعِ ما أُمِرَ[١٢] بتبليغه بنفسه إلى الخَلْق كافّة، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ،[١٣] الآية، ولكنه وَلَّى[١٤] بعضَه غيرَه،

---

١ ع: حرمت.
٢ سورة القصص، ٢٨/٥٦.
٣ ك ن - النبي.
٤ م: ورغبة.
٥ ﴿لعلّك باخِعٌ نفسَك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣).
٦ ﴿أفمَن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حَسَنا فإنّ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٨).
٧ ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضَيْقٍ مما يمكرون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٧٠).
٨ ع م: الآية.
٩ ك - كان.
١٠ ك - على.
١١ ن ع م - فيما تدعوهم.
١٢ ع: ما أمره.
١٣ سورة سبأ، ٣٤/٢٨.
١٤ ك - ولى؛ ع: أولى.

كقوله:[١] «ألَا فليُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ».[٢] فإذا لم يجز له أخذُ الأجر فيما يُبلّغ هو فالذي كان مأمورًا أن يُبلّغ عنه أيضًا لا يجوز أن يأخذ الأجرَ[٣] على ما يُبلّغ. وفي قوله: **وما تسألهم عليه من أجر**، وجهان. أحدهما أنه ليس يسألهم على الذي يُبلّغه إليهم[٤] ويدعوهم أجرًا حتى يَمنع بَذْلُ ذلك وثِقَلُه عن الإجابة له.[٥] والثاني إخبار أنْ ليس له أن يأخذ وأن يجمع من الدنيا شيئًا، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ،[٦] الآية. ومعلومٌ أنه لا يمدّ عينيه إلى[٧] ما لا يحلّ، فيكون النهي عن أخذِ[٨] المباح.

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي هذا القرآن الذي تُبلّغهم ليس إلا ذِكرى وموعظة[٩] للعالمين. أو هو نفسه عِظة وذِكرى[١٠] للعالمين، أعني النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي شَرَف وذِكر[١١] لمن اتّبعه وقام به؛[١٢] وهو ما ذكر في آية أخرى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ،[١٣] وقوله: لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ،[١٤] أي منفعته[١٥] تكون[١٦] لمن اتّبعه، فعلى ذلك هذا.

**﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وكأيّن من آية**،[١٧] أي كم مِن آيةٍ، **في السماوات والأرض**. قال بعض أهل التأويل: الآيات التي في السماء مثل[١٨] الشمس والقمر والنجوم والسحاب وأمثاله،

---

[١] ع م + تعالى.
[٢] ع م + فإنه. ورد الحديث بهذا اللفظ في مسند *أحمد*، ٣٧/٥، وهو من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. وورد بألفاظ قريبة في صحيح *البخاري*، العلم ٩؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٢٩.
[٣] ن – الأجر.
[٤] ع م – إليهم.
[٥] ع م – له.
[٦] ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما مَتَّعْنا به أزواجا منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهم فيه ورِزقُ ربك خيرٌ وأبقى﴾ (سورة طه، ١٣١/٢٠).
[٧] ع: إلا.
[٨] ع م: من أخذ.
[٩] ع م: وهو عظة.
[١٠] ع م: وذكر.
[١١] ع م: وذكرى.
[١٢] ع م: وما قام.
[١٣] ﴿إنّ في ذلك لَذِكْرى لمن كان له قلبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وهو شهيد﴾ (سورة ق، ٣٧/٥٠).
[١٤] ﴿إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٧٧/١٥؛ وسورة العنكبوت، ٤٤/٢٩).
[١٥] م: منفعة.
[١٦] ع: يكون.
[١٧] ع م + الآية.
[١٨] ع م – مثل.

والآيات التي في الأرض مِن نحو الجبال والأنهار والبحار[١] والمَدَائِن ونحوها. لكن السماء نفسها آية، والأرض نفسها آية،[٢] وما يخرج منها من النبات آية.[٣] **يَمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُون**، أي هم[٤] معرضون[٥] عمّا[٦] جُعِلت لهن[٧] آياتٍ؛ لأنها إنما جُعِلت آياتٍ لوحدانية الله وألوهيته، فهم عمّا جُعِلت لهن[٨] آيات معرضون. *وبالله الهداية والعصمة.*

وقال بعضهم: في قوله: **وكَأَيِّنْ مِن آية**، أي كم مِن[٩] دليلٍ وعلامةٍ على وحدانية الله في خَلْق السماوات والأرض. وهو قريب مما ذكرنا. وقال بعضهم: آيات السماء ما ذكرنا[١٠] مِن نحو الشمس والقمر والكواكب، وآياتُ[١١] الأرض فمِثلُ آثارِ[١٢] الأُمَم التي أُهلِكوا مِن قبلُ مِن[١٣] نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممّن قد أُهلِكوا. **يمرون عليها**، ويَرَوْنها ولا يتعظون بهم. والوجه فيه ما ذكرنا أنهم **مُعرِضون** عمّا جُعِلت تلك آياتٍ [لها]، وإنما جُعِلت آياتٍ لوحدانية الله[١٤] وألوهيته.[١٥] أو **مُعرِضون**، عن التفكُّر فيها والنظر[١٦] إعراضَ معاندةٍ ومكابرة. ثم يحتمل الإعراض وجهين. أحدهما أعرضوا، أي لم ينظروا فيها و لم يتفكّروا لِيَدلهم على وحدانية الله وألوهيته، فهو إعراضُ عنها. والثاني نَظَروا وعَرفوا أنها آياتٍ لوحدانيته، لكنهم أَعرَضوا عنها[١٧] مكابرين معاندين. ليس في السماوات ولا في الأرض شيءٌ وإن لَطُف إلا وفيه دلالةُ[١٨] وحدانيةِ الله[١٩] وآيةُ ألوهيتِه.

[١] ك: الجبال والبحار والأنهار.
[٢] ع + وما يخرج منها آية.
[٣] ن – آية؛ ع م: منها آية من النبات.
[٤] ك ن م + عنها.
[٥] ع – أي هم معرضون.
[٦] ع: لما.
[٧] جميع النسخ: هن.
[٨] جميع النسخ: هن؛ ع م + من.
[٩] ك + آية.
[١٠] ع: ما ذكر.
[١١] ع: وإياهن.
[١٢] ن ع م: آيات.
[١٣] ك – من.
[١٤] ن م: الوحدانية له.
[١٥] ع: الآيات الوحدانية له والوهية.
[١٦] ع: أو النظر.
[١٧] ع م – عنها.
[١٨] ع + الله؛ م + على.
[١٩] ع م + وألوهيته.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما في الاعتقاد، أي[1] **وما يؤمن أكثرهم بالله**، بأنه[2] الإله، **إلا وهم مشركون**، الأصنامَ والأوثانَ [٣٧١و] في التسمية، وسمَّوْها آلهةً. كقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً.[3] والثاني إشراكٌ في الفعل، أي **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم**، عَبدوا غيرَه مِن الأصنام والأوثان. أو أن يكون **وما يؤمن أكثرهم بالله**، تعالى بلسانهم، **إلا وهم مشركون**، بقلوبهم. أو يقول: **وما يؤمن أكثرهم بالله**، في النعمة أنها مِن الله سبحانه وتعالى، **إلا وهم مشركون**، في الشكر له تعالى.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **أفأَمِنُوا أنْ تأتيَهم غاشيةٌ مِن عذابِ الله أو تأتيَهم الساعة بغتةً وهم لا يشعرون**، أي كيف أَمِنُوا أن يأتيَهم[4] عذابُ الله، **أو تأتيَهم الساعةُ بغتةً**؛ وقد سمعوا إتيانَ[5] العذاب لمن[6] قبلهم وهلاكَهم، وقد جاء ما يخوّفهم إتيانَ الساعة وخافوا منها[7] وإن لم يعلموا بذلك حقيقةً، لِما تَركوا العلم بها تَرْكَ[8] معاندةٍ ومكابرةٍ لا تَرْكَ من[9] لم يُبَيَّن[10] له[11] ومَن لم يأتِ له التخويفُ والإعلامُ. و **غاشيةٌ مِن عذاب الله**، تعالى، قال أبو عَوْسَجة رحمه الله: أي مُجَلِّلَةٌ[12] تَغْشَاهم، ومِنه قوله:[13] هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ،[14] وهو ما يأتيهم [مِن] العذاب مِن فوقهم.

---

[1] ع م – أي.
[2] ع – بأنه.
[3] سورة الإسراء، ٤٢/١٧.
[4] ن: أن تأتيهم.
[5] ع م: الإتيان.
[6] جميع النسخ: بمن.
[7] جميع النسخ: عنها.
[8] ع م: نزل.
[9] جميع النسخ: ما.
[10] ك: لم يبن.
[11] جميع النسخ: لهم.
[12] جلّل أي غطّى (*لسان العرب* لابن منظور، «جلل»).
[13] ك: قولهم.
[14] سورة الغاشية، ١/٨٨.

وقال غيره: **غاشيةٌ مِن عذاب الله**، أي عذابٌ مِن عذاب الله سبحانه وتعالى، وهو كقوله: وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ.[١] يجب أن يكون أهل الإسلام معتبرين بقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا،[٢] وكذلك بقوله: **أفَأَمِنُوا أن تأتيهم غاشيةٌ مِن عذاب الله أو تأتيهم الساعةُ بغتةً**، وإن كانت الآيتان[٣] نَزَلَتَا فيهم لأنهم يَمُرُّون بما ذكر مِن الآيات ولا يعتبرون بما ذكر، وكذلك يكونون[٤] آمِنِين عن غاشيةٍ مِن عذاب الله سبحانه.

**﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[١٠٨]

وقوله عز وجل: **قل هذه سبيلي**، قيل:[٥] السبيل يؤنَّث ويذكَّر.[٦] ويحتمل **هذه** الطاعة أو العبادة لله تعالى. يحتمل قوله تعالى: **سبيلي**، هذه التي أنا عليها. ويحتمل **هذه سبيلي**، التي أدعوكم **إلى الله**، **على بصيرةٍ أنا ومَن اتبعني**، البصيرة: العلم والبيان والحجة النيِّرة؛ **أي هذه سبيلي**، التي أنا أدعوكم إليها إنما أدعوكم **على بصيرة**، أي على علم وبيان وحجة **قاطعة** وبرهان نيِّر، ليس كسائر الأديان التي يُدْعَى إليها على الهوى[٧] والشهوة بغير حجة ولا برهان. **ومَن اتبعني**، أي **ومَن اتبعني** أيضًا فإنما يدعوكم أيضًا على حجة[٨] وبرهان؛ إذ من **يجيبني** فإنما يجيب على بصيرة وبيان وحجة.

**وسبحان الله وما أنا من المشركين**، قيل: كأنّ[٩] هذا صِلَةُ قوله: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ،[١٠] سبحان الله، تنزيها لما قالوا وتبرئة عما قالوا في الله بما لا يليق به، **وما أنا من المشركين**، في ألوهيته وربوبيته غيرَه أو في عبادته. ***والله أعلم.***

---

[١] سورة الأنبياء، ٤٦/٢١.
[٢] سورة يوسف، ١٠٥/١٢.
[٣] ع + الآيتان.
[٤] جميع النسخ: يكون.
[٥] ك – قيل؛ ع: قبل.
[٦] ك: السبيل يذكر ويؤنث.
[٧] ن ع م: على الهواء.
[٨] ن: على جهة.
[٩] ع م – كان.
[١٠] سورة يوسف، ١٠٦/١٢.

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[١٠٩]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا مِن قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، ذكر رجالاً -والله أعلم- أي لم نبعث رسولاً مِن قبلُ إلا بشرًا، لم نبعث[١] مَلَكًا ولا جِنًّا، فكيف أنكرتم رسالة محمد بأنه بشر ولم تروا[٢] رسولاً مِن قبلُ ولا سمعتم[٣] إلا مِن البشر؟ كقوله:[٤] أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٥] وكقوله: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا.[٦] هذا -والله أعلم- **إلا رجالاً**، مِثلَك، بشرًا لا مَلَكًا ولا جِنًّا. أو ذكر **رجالاً**، لأنه لم يبعث امرأة رسولاً.[٧]

وقوله عز وجل: **نوحي إليهم مِن أهل القُرَى**، أي إنما أُرسِل الرسلُ[٨] جملةً مِن أهل الأمصار والمُدُن، لم يُبْعَثُوا[٩] مِن أهل البَوَادِي وأهل البَرَارِي والقُرَى، إنما يريد الأمصار والبنيان. وقال الله تعالى: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[١٠] قيل: هي مكة. جميع ما ذُكِر في القرآن مِن القرية والقُرَى يريد به الأمصار والمُدُن. وإنما[١١] بَعَث الرسلَ والأنبياء مِن الأمصار ولم يَبعثهم مِن البَوَادِي ومِن أهلِ البَرَارِي لوجهين. ***والله أعلم***. أحدهما لأنّ لِأهلِ الأمصار والمُدُن اختلاطًا بأصناف الناس وامتزاجًا بأنواع الخَلْق، ويكونُ لهم تَجارِبُ[١٢] بالخَلْق، فهم أعقل وأحلم[١٣] وأبصر مِن أهل البادية والبَرِّيَّة؛ إذ اختلاطُهم وامتزاجُهم إنما يكون بالماشية وأنواع البهائم.[١٤] لذلك بُعثوا مِن الأمصار دون البادية.

---

[١] ع: ألم نبعث.
[٢] ك: ولم يروا.
[٣] جميع النسخ: سمعوا.
[٤] ك ن م: كقولهم.
[٥] ﴿وما مَنَعَ الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلّا أنْ قالوا أبَعَثَ اللهُ بشرًا رسولاً﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٦] ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه مَلَكٌ ولو أنزلنا مَلَكًا لَقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنظَرون. ولو جعلناه مَلَكًا لجعلناه رجلاً ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦-٩).
[٧] ع + وبالله العصمة.
[٨] ع م – الرسل.
[٩] ن: لم يبعث.
[١٠] سورة النحل، ١١٢/١٦.
[١١] ع: إنما.
[١٢] ك + بالعقل.
[١٣] ك: فهم أحلم وأعقل.
[١٤] ع م – البهائم.

وبَعدُ فإنّ الرسل يكون لهم أسباب وأعلام تتقدّم عن وقت الرسالة تحتاج[1] إلى أنْ يَظهر ذلك للخَلْق ليكون ذلك أسرع إلى الإجابة لهم وأَدْعَى وأَنْفَذَ إلى القبول. فإذا كانوا من أهل البوادي لا يَظهر ذلك لِلخَلْق.

والثاني إنه يُراد مِن الرسالة إظهارُها في الخَلْق في الآفاق والأطراف. والأمصارُ والمُدُنُ هي الأمكنة التي يَنْتابها الناس[2] في التجارات[3] وأنواع الحوائج مِن الآفاق والأطراف، فيظهر ذلك فيها وفي أهل الآفاق. وأمّا[4] البَوَادِي[5] والبَرَارِي ليس يَدخلها ولا يَنْتابها[6] إلا الشاذّة مِن الناس، ولا يُقْضَى فيها الحوائج، فلا يَظهر في الخَلْق الرسالةُ وما يُراد بها.

[٣٧١ظ] وقوله عز وجل: / **أفلم يَسِيروا في الأرض فيَنظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلِهم،** أي ألم يَنظروا[7] ولم يتفكّروا[8] فيمن هلك مِن قبلهم مِن الأمم بتكذيبهم الرسل أنْ كيف كان عاقبتُهم بالتكذيب في الدنيا لِيَمتنعوا عن تكذيب رسولهم. وقوله:[9] **أفلم يسيروا في الأرض،** الآية، يخرج على وجهين. أحدهما أي قد ساروا ونظروا **كيف كان عاقبة المكذبين،** لكنهم عاندوا ولم يعتبروا. والثاني أي سِيروا في الأرض وانظروا، ولكن ليس على نفس السَّيْر في الأرض ولكن على السؤال عمّا نَزَل بأولئك.

وقوله عز وجل: **ولَدَارُ الآخرةِ خيرٌ لِلذين اتَّقَوْا،** الشركَ، أو خلافَ الله ورسوله. **أفلا تعقلون،** أنّ[10] ذلك أفضل وأخيَر ممن[11] لم يَتَّقِ ذلك.[12] *والله أعلم.*

**﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**[١١٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا استيأس الرسلُ وظَنُّوا أنهم قد كُذِبُوا،** وكُذِّبُوا،[13] كِلاهما لغتان.

---

[1] ن ع م: يحتاج.
[2] ك ع م: التي ينتاب الناس إليها؛ ن: التي ينتاب إليها الناس.
[3] ن ع م: في التجارب.
[4] ك + أهل؛ ع م – وأما.
[5] ع م: والبوادي.
[6] جميع النسخ: ولا ينتاب إليها.
[7] ع م: لم ينظروا.
[8] ك: ويتفكروا.
[9] ع م– وقوله.
[10] م – أن.
[11] جميع النسخ: من.
[12] ع م: بذلك.
[13] قراءتان متواترتان، فقرأ بالتخفيف عاصم وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلَف، وقرأ الباقون بالتشديد. **انظر:** *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٦.

قال بعضهم: أَيِس الرسل عن إيمان قومهم وتصديقِهم الرسل. ثم يحتمل استيئاسُهم عن إيمانهم لكثرة ما رَأَوْا مِن اعتنادهم الآيات وتفريطِهم في[1] ردّها، فأَيِسوا[2] عن إيمانهم. أو كان[3] إياسُهم بالخبر عن الله أنهم لا يؤمنون، كقوله: وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[4] الآية، وأمثاله. وقوله: **وظنّوا أنهم قد كُذِبُوا**، قال بعضهم: وظنّ الرسل أنّ أتباعهم الضَّعَفَة قد[5] كَذَّبُوهم. لكن هذا إن كان من الرسل فهو ظنٌّ مِن الرسل[6] أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لكثرة ما أصابهم من الشدائد وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، فوقع عند الرسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لكثرة ما أصابهم.[7] وإن كان [التكذيب] مِن الأعداء فقد استيقن الرسل أنهم قد[8] كذّبوهم. وروي عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة، قال: فقلت: أرأيتِ قولَ الله: **حتى إذا استَيْأَس الرسل وظنّوا أنهم قد كُذِبُوا**، أو كُذِّبُوا؟[9] قال: فقالت:[10] بل كَذَّبهم[11] قومُهم.[12] قال: فقلت:[13] والله لقد استيقنوا أنّ قومَهم قد كذّبوهم، وما هو بالظن. فقالت: يا عروة، لقد استيقنوا بذلك. قال: قلت: فلعلهم ظنّوا أنْ قد كُذِبُوا. قالت:[14] مَعاذَ الله، لم تكن الرسل لِتَظنّ ذلك بربها.[15] [قلت:] وما هذه الآية؟ قالت: هم أتْباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استَيْأستِ الرسل ممّن كذّبهم مِن قومِهم وظنّوا أنّ أتباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصرُ الله عند ذلك.[16] وقال بعضهم: **حتى إذا استيأس الرسل**،عن إيمان قومهم، وظنّ قومُهم أنّ الرسل قد كَذَبُوا فيما أَوْعَدُوا[17] مِن العذاب

---

[1] م – في.
[2] جميع النسخ: أيسوا.
[3] ع م: وكان.
[4] سورة هود، ٣٦/١١.
[5] ك – قد.
[6] ع م – فهو ظن من الرسل.
[7] ك ن – لكثرة ما أصابهم.
[8] ك – قد.
[9] م – أو كذبوا.
[10] ع م: فقال.
[11] ك: كذبوهم.
[12] أي قالت: كُذِّبُوا.
[13] ع م + أرأيت قول الله حتى.
[14] ن ع م: قال.
[15] ك: بها. أي ما كانت الرسل لتظن أن الله قد كَذَب عليهم. ولكن للقراءة بالتخفيف وجوه أخرى، ذكر بعضها المؤلف.
[16] صحيح *البخاري*، التفسير ٦/١٢؛ وتفسير *الطبري*، ٨٧/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٥/٤.
[17] ع م: وعدوا.

أنه نازلٌ بهم لما أبطأ[1] عليهم العذاب. وقال بعضهم: **وظنّوا أنهم**، أي ظنّ قومُهم أنّ رسلهم[2] قد كَذَبُوهم خبرَ السماء، **جاءهم نصرنا**. فإن كانت[3] الآية في أَتْبَاع الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ؛[4] وإن[5] كانت[6] في غيرهم مِن المكذِّبين فقد[7] جاء الرسلَ نصرُ الله.

وقوله: **فنُنَجِّي مَن نشاء**، مِن المؤمنين، فهو في ظاهره خبرٌ على المستقبل أنه[8] ينجي من يشاء مِن هؤلاء مِن[9] المؤمنين. ويشبه أن يكون على الخبر في أولئك [من المؤمنين].[10] فإن كان على هذا فيجيء[11] أن يكون: نَجَّينا مَن نشاء[12] منهم وأهلكنا من نشاء منهم. لكن يجوز هذا في اللغة. أو يكون: في الآخرة نُنَجِّي من نشاء.

وقوله عز وجل: **ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المجرمين**، أي لا يُرَدّ عذابُنا إذا نزل عن المجرمين.

**﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١١١]**

وقوله عز وجل: **لقد كان في قَصصهم عبرةٌ لأولي الألباب**، يحتمل قوله:[13] **في قَصصهم**، قصة يوسف وإخوته،[14] **عبرةٌ لأولي الألباب**. ويحتمل[15] قصص الرسل والأمم السالفة جميعًا، **عبرة لأولي الألباب**، والاعتبار إنما[16] يكون **لأولي الألباب**، الذين ينتفعون بلُبِّهم وعقلهم.

---

[1] ع: لما أبطال.
[2] م: أن أرسلهم.
[3] جميع النسخ: كان.
[4] ﴿أم حَسِبتم أن تَدخلوا الجنة ولمّا يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِن قَبلِكم مَسَّتْهم البأساء والضرّاء وزُلزِلُوا حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصرُ الله ألا إنّ نصرَ الله قريب﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤).
[5] جميع النسخ: فإن.
[6] ك ن: كان.
[7] ع: فيما.
[8] ك: أي.
[9] م – من.
[10] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٠٦و.
[11] ع: فنجي.
[12] ك ن ع: من شئنا.
[13] ع م: قولهم.
[14] ك – وغيره.
[15] ك ن + قصصهم.
[16] ك: انها.

وقوله عز وجل: **ما كان حديثًا يُفترَى**، يحتمل أي ما حَدّث محمد صلى الله عليه وسلم وما أخبر[1] مِن القصص وأخبار الرسل والأمم السالفة بالذي افترى، بل إنما أخبر ما كان في الكتب السالفة على غير تعلُّمٍ مِنه ولا دراسةِ كُتب.[2] ويحتمل **ما كان**. هذا القرآن بالذي يُقدَر **أن يُفترَى ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه**، أي تصديقُ الذي نزل على رسول الله الكتبُ التي كانت مِن قبل، **وتفصيلَ كل شيء**، أي تفصيل[3] ما للناس حاجة إليه، **وهدى**، مِن الضلالة لمن اهتدى، **ورحمةً**، للمؤمنين.

وفيما ذكر مِن قصة يوسف وإخوته على رسول الله دلالةُ التصبير على أذى[4] قريش. يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين والنسب والموالاة عَمِلوا بيوسف ما عَمِلوا مِن الكَيْد والمَكْر به، فقومُك مع مخالفتهم إياك في الدين أَحْرَى أن تصبر على أذاهم. ***والله أعلم***.[5]

[1] ك: وأخبر.
[2] ع م: دراسته.
[3] ن: أو تفصيل.
[4] ك – أذى.
[5] ك ن – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الرعد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **المر تلك آيات الكتاب**، يحتمل أن يكون قوله: **المر**، كناية عن الأحرف المقطّعة المُعْجَمَة، فيكون قوله: **تلك آيات الكتاب**، تفسير **المر**. هذا هو الظاهر أن يُقال في كل الحروف[3] المُعْجَمَة والمقطّعة أن يكون ما ذكر مِن بعدها على إثْرِها[4] تفسيرًا لها. والثاني يشبه أن يكون قوله: **المر**، كناية عن الحجج والبراهين وسائر الكتب، كأنه / قال: **تلك** الحجج والبراهين [٣٧٢و]
وسائر الكتب جعلناها **آيات** القرآن وحججه. وقد ذكرنا القول في الحروف المقطّعة فيما تقدّم.[5]

ثم[6] اختلف في قوله: **تلك آيات الكتاب والذي أُنزل إليك من ربك**،[7] قال بعضهم: **تلك آيات الكتاب**: التوراة والإنجيل وسائر الكتب المتقدمة، وقوله: **والذي أنزل إليك من ربك**، هو[8] القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلوة والسلام. وقال بعضهم: **تلك آيات الكتاب**، هو القرآن، **والذي أنزل إليك من ربك**، أيضًا هو القرآن،[9] لكنه أخبر أنه منزل مِن ربك.[10]

وقوله: **الحقُّ**، يحتمل هو الحق، أي منزل من الله، ليس كما قال أولئك: إنه ليس من الله إنما يقوله محمد مِن تِلقاء نفسه. ويحتمل **الحق**، أي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[11] ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ذكر أنها مكية.
[2] ع: وقوله.
[3] جميع النسخ: حروف.
[4] جميع النسخ + كان.
[5] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١.
[6] ع م – ثم.
[7] ع م + هو القرآن الذي أنزل.
[8] ك + الحق.
[9] ع م – والذي أنزل إليك من ربك أيضا هو القرآن.
[10] جميع النسخ + الحق.
[11] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون،** أنه[1] مِن الله. أو **أكثر الناس لا يؤمنون،** أنه آيات الله وحججه. *والله أعلم.*

**﴿اَللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **الله الذي رفع السماوات،** قوله **رفع،** أي أنشأها مرفوعة، لا أنها كانت موضوعة فرفعها، ولكن جعَلها في الابتداء مرفوعة. وكذلك قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ،[2] و مَدَّ الْأَرْضَ،[3] وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا،[4] ونحو ذلك، أي أنشأها مرفوعة ممدودة، لا أنها كانت مرفوعة[5] فوضعها أو كانت منقبضة فبسطها، ولكن أنشأها[6] كذلك.

وقوله عز وجل: **بغير عَمَدٍ تَرَوْنها،** قال بعضهم: هي بعَمَد[7] لكن لا تَرَوْنها، أي تَرَوْنها بغير عَمَد وهي بعَمَد؛[8] وقال بعضهم: هي بغير عَمَد على ما أخبر. ولكن اللطف والأعجوبة بما يمسكها بعَمَد لا تُرَى كاللطف والأعجوبة فيما يمسكها[9] بغير عَمَد؛ لأنه[10] في الشاهد لم يُعرَف ولا قُدِر على رفع سقفٍ فيه سَعَةٌ[11] وبُعْدٌ بغير عَمَد لا تُرَى، لكن[12] ما يُرفَع إنما يُرفَع بعَمَد[13] تُرَى.[14] فاللطف في هذا كاللطف في الآخر. وفيه دلالة قدرته على البعث؛ لأنه ذكر هذا ثم قال: **لعلكم بلقاء ربكم توقنون،** أي مَن قَدَرَ على رفع السماء مع سَعَتِها وبُعْدِها بلا عَمَد[15] لَقادر[16] على إعادة الخلق وبعثهم وإحيائهم بعد الموت.

---

[1] م + منزل.
[2] سورة الرحمن، ٥٥/١٠.
[3] الآية التالية.
[4] سورة النازعات، ٧٩/٣٢.
[5] ع م: مرفوعها.
[6] ك: أنشأ.
[7] ع م + ترونها.
[8] ع م - وهي بعمد.
[9] ع - بعمد لا ترى كاللطف والأعجوبة فيما يمسكها.
[10] جميع النسخ: لأن.
[11] ع - فيه سعة.
[12] ن + لا ترى.
[13] ك: بغير عمد.
[14] ع: ثرى.
[15] ع م + وبعدها بلا عمد.
[16] ع م: بقادر.

بل رَفْعُ السماء مع سَعَتِها وبُعْدِها بلا عَمَدٍ أكبرُ مِن إعادة الشيء بعد فنائه؛ إذ في الشاهد [يوجد] مَن قد يَقدر على إعادة أشياء بعد فنائها ولا يَقدر على رفعِ سقفٍ ذِي سَعَةٍ وبُعْدٍ بغير[1] عَمَد. مِن ذا الوجه[2] أَمْكَن أن يُحتجّ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم استوى على العرش**، لمّا لم[3] يُفهَم مِن قوله: سَمِيعٌ بَصِيرٌ،[4] عَلِيمٌ،[5] مدبِّر،[6] المكانُ[7] -وإن كان في الشاهد يُفهَم منه[8] المكان إذا أضيف إلى المخلوق- لم يجز أن يُفهَم مِن استوائه ما يُفهَم مِن استواء[9] الخَلْق. وبَعدُ، فإن في الشاهد إذا قيل: فلان استولى [على] أمر بلدة كذا، أو استوى [على] أمره، لم يُفهَم مِنه المكان، بل فُهِم مِنه[10] نَفَاذُ الأمر والسلطان والمشيئة. فعلى ذلك لم يجز أن يُفهَم مِن الله [المكان] إذا أضيف إليه.[11] وأصله ما ذكرنا فيما تقدم[12] أنه أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[13] فهو في كل شيء وكل وجه لا يشبه الخَلْق؛ إذ الخَلْق في الشاهد ليس[14] يشبه بعضهم[15] بعضًا مِن جميع الجهات، إنما يشبه بعضهم بعضًا بجهةٍ،[16] ثم صاروا جميعًا[17] أشكالاً وأشباهًا بتلك الجهة التي وقعت بينهم تَشابهٌ [بسببها]. فإذًا[18] الله سبحانه وتعالى لمّا أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،

---

[1] ع: تعبير.
[2] ع م: لوجه.
[3] ع: ما لم.
[4] ع م – بصير. انظر: سورة الحج، ٦١/٢٢، ٧٥؛ وسورة لقمان، ٢٨/٣١؛ وسورة المجادلة، ١/٥٨.
[5] وردت في مواضع كثيرة جدا. انظر مثلا: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢).
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يدبِّر الأمر﴾ (سورة يونس، ٣/١٠، ٣١؛ وسورة الرعد، ٢/١٣؛ وسورة السجدة، ٥/٣٢).
[7] لعله ذكر "المكان" تجوزا، والأولى ما قاله الشارح: «كما أن الله تعالى يوصف بأنه سَمِيع بَصِير عَلِيم مدبِّر ولا يُفهَم مِنه مِثلُ ما يُفهَم مِن الخَلْق مِن الآلات والجوارح وإن كانت لا يَنفَكّ عنها في الشاهد فكذا لم يجز أن يُفهَم مِن استوائه ما يُفهَم مِن استواء الخَلْق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠٦ظ).
[8] ع م: عنه.
[9] م – ما يفهم من استواء.
[10] ع م – المكان بل فهم منه.
[11] جميع النسخ + المكان.
[12] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[13] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[14] ك: لا.
[15] جميع النسخ: بعضه.
[16] ع – بجهة.
[17] م – جميعًا.
[18] ك ن ع: فإذ.

دل أنه إنما نَفَى عنه الجهات التي يقع بها[1] التشابُه والمِثل، فهو يخالف الخَلْقَ مِن جميع الوجوه. وهذه مسألة مذكورة فيما تقدم.

اختلف في **العرش**. قال بعضهم: **العرش**، هو المُمْتحنون، بهم استوى تدبيرُ إنشاءِ غيرِهم مِن العالم؛ لأنهم هم المقصودون في إنشاء ذلك كله. وقال بعضهم: **العرش**: البَعْث، به استوى وتمّ تدبيرُ إنشاءِ الخلائق،[2] ما لولا البعث يكون إنشاؤهم عبثًا باطلًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[3] جَعَلَ[4] عدمَ الرجوع إليه [عَلَمًا على][5] إنشاء الخَلْقِ عَبَثًا. وقال بعضهم: **العرش**، هو المُلْك، وبه تمّ[6] ما ذكر. وقيل: هو سرير المُلك.

وقوله عز وجل: **يدبّر الأمر**، على ما في العقل أنه عن تدبيرِ مدبّرٍ خَرَج، وعن عِلمٍ وحكمةٍ وُضِع، ليس على الجُزَاف بلا تدبير ولا علم.

وقوله عز وجل: **يفصّل الآيات**، يحتمل يبيّن الحجج والبراهين. ويحتمل **يفصّل الآيات**، أي آيات القرآن، أنزلها بالتَّفَارِيق لا مجموعة، **لعلكم بلقاء ربكم توقنون**، هو ما ذكرنا أن[7] فيما ذكر من الآيات والتدبير ورفع السماء بلا عَمَد دلالةَ البعث والإحياء بعد الموت.

وقوله عز وجل: **بلقاء ربكم توقنون**، هو كما[8] ذكرنا في قوله: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا،[9] ومَصِيرهم[10] وبُرُوزهم،[11] وأمثاله. *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي مَدَّ الأرض**، وقال في آية أخرى: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا،[12]

---

[1] ك: التي بها يقع.
[2] ع: الخلق.
[3] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[4] ع – جعل.
[5] من *الشرح*، ورقة ٤٠٦ظ.
[6] ن: ثم.
[7] ع م + ما.
[8] ع – كما؛ م: ما.
[9] سورة يونس، ٤/١٠.
[10] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وإلى الله المَصِير﴾ (سورة آل عمران، ٢٨/٣).
[11] ك + جميعًا. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبَرَزُوا لله جميعا﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).
[12] سورة النازعات، ٣٠/٧٩.

وقال في موضع آخر: وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ،[1] وكله[2] واحد. وقال: ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا،[3] و مِهَادًا،[4] يُذكّرهم نِعَمَه[5] التي أنعمها عليهم. **مَدَّ الأرض**، أي بَسَطَها، **وجعل فيها / رَوَاسِيَ**، [٣٧٢ظ] ذُكِر أنها بُسِطَت على الماء فكانت تَكَفَّأُ[6] بأهلها وتضطرب كما تَكَفَّأُ السفينة، فأَرْسَاها بالجبال الثِّقَال فاستقرت وثبتت. وذُكِر أنها مُدَّتْ وبُسِطَتْ على الهواء ثم أَثْبَتَها بما ذكر مِن الجبال. ولكن لو كان[7] ما ذُكِر لكان يجيء أن لا يكون بالجبال ثباتُها واستقرارُها؛ لأن الأرض والجبال مِن طَبْعِها التَّسَفُّل والانحدارُ في الماء والهواء، فكلّما[8] زِيدَ مِن ذلك النوع كان في التَّسَفُّل والانحدار أكثر وأزيَد، فلا يكون بها الثباتُ والاستقرارُ. بل إنما يكون الثبات والاستقرار[9] بشيءٍ مِن طَبْعِه العُلُوّ والارتفاع، فيمنع ذلك الشيء الذي مِن[10] طبعه العُلُوّ عن التَّسَفُّل والانحدار. إلّا أنْ يُقال: إنها كانت لا تَتَسَفَّل ولا تَتَسَرَّب ولكن تضطرب وتَمِيد بأهلها، على ما ذكره عز وجل: وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ.[11] فإن كان على هذا فيكون بالجبال[12] ثباتها واستقرارها ومنعها عن الاضطراب[13] والمَيَلان. أو ذكر[14] هذا لِيُعلَم لُطفُه وقدرتُه، حيث أمسكها بشيءٍ مِن طَبْعِه التَّسَفُّل والانحدار -وهي في نفسها كذلك- لِيُعلَم قدرةُ الله ولُطفُه في كل شيء. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **مَدَّ الأرض**، أي أنشأها ممدودة، لا أنها[15] كانت مجموعة في مكان فبَسَطَها، على ما ذكر مِن رفعِ السماء ونحوه.

---

[1] سورة الغاشية، ٨٨/٢٠.
[2] ك: والكل.
[3] ﴿الذي جعل لكم الأرضَ فِرَاشًا﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢).
[4] ﴿ألم نجعلِ الأرضَ مِهَادًا﴾ (سورة النبأ، ٧٨/٦).
[5] ن ع: نعمة.
[6] أي تتكفأ بمعنى تضطرب. كَفَأَ الشيءَ والإناءَ يَكْفَؤُه كَفْئًا، وكَفّأَه فتكَفّأَ، وهو مَكْفُوء، و اكْتَفَأه مثل كَفَأه: قَلَبَه (*لسان العرب* لابن منظور، «كفأ»).
[7] ك - كان؛ ع م + أنها.
[8] ك: وكنما.
[9] م - بل إنما يكون الثبات والاستقرار.
[10] ن ع م - من.
[11] سورة الأنبياء، ٢١/٣١.
[12] ك: الجبال.
[13] ع: على الاضطراب.
[14] ن: وذكر.
[15] ع: لأنها.

**وجعل فيها رَوَاسِيَ وأنهارًا**، جعل[1] الله عز وجل الأشياءَ أكثرَها بأسبابٍ تعليمًا مِنه الخَلْقَ ليكون ذلك عليهم أَهْوَن وإن كان جَعْلُ الأشياء عليه بأسباب وبغير أسباب[2] سواء، إذ هو قادر بذاته. يَذْكُر هذا إمّا بحق النعم التي أنعمها عليهم مِن مَدِّ الأرض وبَسْطِها وإثباتها بالرَّوَاسِي التي ذَكَر وجَعْلِ الأنهارِ فيها لِيَصِلُوا إلى الانتفاع بها لِيَستأدِيَ بذلك شُكرَه. أو يذكر بحق الإخبار عن قدرته وسلطانه؛ لأنه جعل الأرض بحيث لا يدخل فيها شيء، فأخبر أنه أدخل فيها الجبال مع كثافتها وعظمتها ليعرفوا قدرته.

وقوله عز وجل: **وأنهارًا**، أي جعل[3] فيها أنهارًا. أخبر أنه[4] مَدَّ الأرض وبَسَطَها وجعلها مستقرة ثابتة ليستقروا[5] عليها، ثم أخبر أنه جعل فيها أنهارًا لينتفعوا بها مِن جميع أنواع المنافع.

ثم أخبر[6] أنه جعل فيها مِن كلّ الثمرات زوجين، قال بعض أهل التأويل: **زوجين اثنين**، أي لَوْنَيْن. وقال بعضهم: ذو[7] طَعْمَين. لكن يكون منها ألوان[8] أكثر مِن لَوْنَين:[9] أحمر وأبيض وأسود وأصفر ونحوه. وكذلك الطَّعْم، يكون [منه] حامض[10] وحُلْو ومُرّ ومُزّ.[11] إلّا أنْ يُقال: **زوجين اثنين**، الطيب والخبيث، فلا يكون ثالث. وأما اللون فإنه يكون ذو ألوان وذو طُعُوم. وقال بعضهم: الذكر والأنثى. فهذا يصح إذا أراد به الشجر، فمِنه ما يُثمِر ومنه ما لا يُثمِر، فالذي يُثمِر هو أنثى والذي لا يُثمِر هو ذكر. وأما على غير هذا فإنه لا يصح. وأصل الزوجين هو اسم أشكال وأمثال واسم أضداد. ففيه دليل نَفْيِ ذلك كلِّه[12] عن الله. وأصل الزوج هو مَن له المُقابِل مِن الأشكال والأضداد. أخبر أنه جعل الخَلْق كلَّه ذا أشكال وأضداد مِن نحو الليل والنهار والذكر والأنثى، فهو[13] في حق المنافع كشيء واحد، وفي حق[14] أنفسهم كالأشياء.

---

[1] ع: اجعل.
[2] م – وبغير أسباب.
[3] ك: وجعل.
[4] ع م: أنها.
[5] ن ع م: ليقروا هم.
[6] ع + أخبر.
[7] ن ع: ذوا.
[8] ن: أنواع.
[9] ن ع م: من اثنين.
[10] ع م: خامض.
[11] ن – ومز. المُزّ مِن الرمّان ما كان طَعمه بين حُموضة وحلاوة. والمُز بين الحامض والحلو. وشراب مُزّ: بين الحلو والحامض (*لسان العرب* لابن منظور، «مزز»).
[12] ن – كله.
[13] ك: فهي.
[14] م: في حق.

وقوله عز وجل: **يُغْشِي الليلَ النهارَ**، أي يُذهِب ظلمةَ الليل بضوء النهار،[١] وضوءَ النهار بظلمة الليل، أو يُلبِس أحدَهما الآخر؛ أو يُغطّي بالليل[٢] ما هو بالنهار باديًا ظاهرًا للخَلْق، و[يظهر] بالنهار ما هو مستور خَفِيّ على الخَلْق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون**، فيما ذكر دلالة البعث والإحياء،[٣] ودلالة التدبير والعلم والحكمة، ودلالة الوحدانية **لقوم يتفكّرون**، في آياته وحججه، لا لقوم يعاندون آياته ويكابرونها. وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون**، ذَكَر أنّ الآيات تكون آياتٍ[٤] لهم بالتفكُّر والنظر فيها -والله أعلم-[٥] لا أنْ تصير آياتٍ مجانًا[٦] بالبديهة.[٧] أو يقول: إنّ منفعة الآيات[٨] تكون لمن تفكّر فيها، لا[٩] لمن ترك التفكُّر والنظر. *والله أعلم*.

**﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وفي الأرض قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجناتٌ مِن أعناب**، دل قوله: **قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ**، أن التجاور إنما يُذكر ويثبت إذا كانت الأرض قِطَعًا، وأما إذا كانت الأرض[١٠] أرضًا واحدة فإنه لا يقال فيها التجاور. فهذا يُبطِل قولَ مَن يقول: إن التجاور إنما يُذكَر فيما فيه الشِّركة، فتجب[١١] الشفعة فيما فيه الشِّرْكة،[١٢] وأمّا في غيره فلا تجب. وأمّا عندنا هو ما ذكر[١٣] عز وجل، أنه إنما أثبت التجاور في الأرض التي صارت قِطَعًا.

---

[١] ع - بضوء النهار.
[٢] جميع النسخ: الليل.
[٣] ن + بعد الموت.
[٤] ك: الآيات.
[٥] ك - والله أعلم.
[٦] المجان: ما كان بلا بدل ولا عوض، ويقصد هنا: ما حصل بلا تفكر ولا رويّة.
[٧] ع م: بالبديهية.
[٨] ن - آيات لهم بالتفكر والنظر فيها والله أعلم لا أن تصير آيات مجانًا بالبديهة أو يقول إن منفعة الآيات.
[٩] ن: إلا.
[١٠] ع م - قطعا وأما إذا كانت الأرض.
[١١] ن ع م: فيجب.
[١٢] ع + فيجب الشفعة فيما فيه الشركة.
[١٣] ع: ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجناتٌ مِن أعناب**، القِطَع المُتَجَاوِرَات هي الأَرَضُون الضَّوَاحِي[1] التي تصلح للزرع، **وجناتٌ مِن أعناب**، أي جنات متجاورات أيضًا. والجنات هي البساتين المحفوفة بالأشجار فيها ألوان الثمار. **وزرعٌ ونخيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ**، قيل: **صِنْوَان**. هو النخلتان في أصل واحد، **وغيرُ صِنْوَان**، النخل المتفرق.[2] وقيل: الصِّنْوَان ما كان أصله واحدًا وهو متفرق،
[٣٧٣و] **وغيرُ صِنْوَان**، التي تَنبت[3] وحدها. ، وقيل: **صِنْوَانٌ**، هي النخلة تخرج فإذا خرجت انْشَعَبَت بعد خروج الأصل، فهو الصِّنْوَان. ولهذا[4] قيل: عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه. **يُسقَى بماء واحد**، أي **يُسقَى** ما ذكر مِن الزروع والنخيل والثمار[5] والجِنان، **بماء واحد ونُفضِّل بعضها على بعض في الأُكُل**، يَذكُر هذا -والله أعلم- أنّ جوهر[6] الأرض كلها واحد، وهي **قِطَع مُتَجَاوِرَة** بعضها ببعض، ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه. وكذلك الأشجار والنخيل كلُّها مِن جوهر واحد مِن جنس واحد، والأرض في جوهرها واحد،[7] وتُسقَى كلُّها **بماء واحد**، ثم يخرج مختلفًا في ألوانها وطُعومها وطيبها وخبثها ومناظرها، ليُعلَم أنها لم تكن بنفسها ولا بالأسباب التي جعل لها[8] ولكن بلُطفِ واحدٍ مدبرٍ عليمٍ حكيمٍ؛ لأنها[9] لو كانت بأنفسها وطِباعها أو بالأسباب[10] لكانت كلُّها واحدةً متفقةً في طِيبها وخُبثها وألوانها وطُعومها. فلمّا لم يكن ما ذكرنا على لون واحد ولا طَعْم واحد ولا منظر واحد دل أنه كان بتدبيرِ مدبرٍ واحدٍ[11] عليمٍ لطيفٍ.

وقوله عز وجل: **ونُفضِّل بعضها على بعض في الأُكُل**، قيل: في الحِمْل، بعضُها أكثرُ حِمْلاً مِن بعض، وبعضها يحمل وبعضها لا. ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبث[12] والطَّعم واللون والمنظر

---

[1] ضَحَا الشيءُ يَضْحُو ضُحُوًا: بَدَا وظَهَر وبَرَز. وضاحية كل شيء: ما برز منه... وضواحي البلدة: نواحيها، والأراضي البارزة للشمس، والأراضي التي لا حائط عليها (*لسان العرب* لابن منظور، «ضحو»).
[2] ك: المتعرف.
[3] ك: نبتت.
[4] ك: ولذا.
[5] ن ع م - والثمار.
[6] ع م: أن جواهر.
[7] ع م- واحد.
[8] ع م: جعلها.
[9] ن ع م: لا أنها.
[10] ع م: وبالأسباب.
[11] ك: بتدبير واحد مدبر.
[12] ك ع م: والخبيث.

مُفَضَّلٌ بعضُه على بعض. وأصله أنّ الأرض واحدة متجاورة متّصلة بعضُها ببعض، والماء واحد أيضًا، ثم خرجت الثمار والفواكه والزروع والأعناب[1] مختلفة متفرّقةً لِيُعلَم أنّ ذلك ليس هو عمل الأرض ولا عمل الماء ولا عملَ الأسباب والطِّبَاع، ولكن باللُّطْف مِن الله؛ لأنه لو كان بالماء أو بالأرض أو بالأسباب أو الطِّبَاع لكانت متفقة مستوية.

**إن في ذلك لآيات**، لِما ذكرنا مِن وحدانيته وتدبيره وعِلمه وحِكمته، **لقوم يعقلون**، أي لقومٍ هِمَّتُهم العقل والفهم والنظر والتفكُّر في الآيات، لا لقومٍ هِمَّتُهم العناد والمكابرة. أو لقوم[2] ينتفعون بعقلهم وعِلمهم.[3]

وقال الحسن: هذا مَثَلٌ ضَرَبَه[4] الله[5] لقلوب بني آدم.[6] كانت الأرض في الأصل طِينَةً[7] واحدة، فسَطَحَها الرحمن ثم بَطَحَها[8] فصارت الأرض قِطَعًا مُتَجَاوِرَات. فينزل عليها الماء مِن السماء، فتُخرِج هذه زَهرتها وثمرتها وشجرها وتُخرِج نباتَها ويُحْيِيَا مَوَاتَها،[9] وتُخرِج[10] هذه سَبَخَها[11] ومِلْحها[12] وخبثها، وكِلتاهما تُسقَى بماء واحد. فلو كان الماء مالحًا قيل: استَبَخَت هذه مِن قِبَلِ الماء. كذلك الناس خُلِقُوا مِن آدم عليه السلام، فينزل عليهم[13] مِن السماء تذكرةٌ واحدة، فتَرِقّ قلوب[14] فتخشع وتخضع، وتَقْسُو قلوب[15] فتَسْهُو[16] وتَلْهُو وتَجْفُو، أو كلام نحوه.

---

[1] ع م – والأعناب.
[2] ن – همتهم العقل والفهم والنظر والتفكر في الآيات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة أو لقوم.
[3] ع: وعمبهم.
[4] م: ضرب.
[5] ن م – الله.
[6] ع: هذا ضرب مثل ضرب بني آدم.
[7] ن ع: طية.
[8] بطح المكان بمعنى بَسَطه، وكذلك بمعنى ألقى فيه البَطْحاء وهو الحَصَى الصغار (*لسان العرب* لابن منظور، «بطح»).
[9] ك: نباتها.
[10] ن ع م: ويخرج.
[11] السَّبَخة: الأرض المالحة. السَّبَخ: المكان يَسْبَخ فيُنْبِت الملح وتَسُوخ فيه الأقدام. وأرضٌ سَبِخَة: ذات سِبَاخ. سِبَاخ: جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها المُلُوحَة ولا تكاد تُنبِت إلا بعض الشجر. السَّبَخَة: ما يعلو الماء مِن طُحْلُب ونحوه. ويقال: قد عَلَتْ هذا الماء سَبَخَة شديدة كأنه الطُّحْلُب مِن طُول التَّرك (*لسان العرب* لابن منظور، «سبخ»).
[12] ع م + فصارت الأرض قطعا متجاورات.
[13] ع م – فينزل عليهم.
[14] جميع النسخ: قلوبا.
[15] جميع النسخ: قلوبا.
[16] ن – فتسهو؛ ع: فتخشع وتقسوا وتخضع قلوبًا فتسهوا.

ثم قال الحسن: والله ما جالس القرآنَ أحدٌ إلا قام مِن عنده بزيادة أو نقصان، ثم تلا قوله: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.[1]

**﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **وإن تعجب فعَجَبٌ قولهم**، قال الحسن: إن تَعجَب يا محمد مِن تكذيبهم إياك في الرسالة،[2] **فعَجَبٌ قولهم**، حيث قالوا: **أإذا كنا ترابًا أإنا لَفِي خَلْقٍ جديد**. وقال بعضهم: **وإن تَعجَب**، يا محمد مما أوحينا إليك مِن القرآن، كقوله في الصافّات: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ،[3] **فعَجَبٌ قولهم**، أي فاعجَب[4] أيضًا لقولهم.[5] يقول: لكن قولهم أعجب عندك حين قالوا: **أ إذا كنا ترابًا أإنا لَفِي خَلْقٍ جديد**، تكذيبًا للبعث. وأصله -والله أعلم- يقول: إنك إن عجبتَ لقولهم[6] في تكذيبهم إياك في الرسالة و[في أنك] لم تكن[7] رسولاً[8] مِن قَبلُ فقولهم وإنكارهم قدرةَ الله على البعث والإحياء بعد الموت أعجب؛[9] إذ قد رَأَوْا و شاهَدوا مِن قدرة الله وآياته بعد الهلاك أعجبَ مِن تكذيبهم[10] ما لو تفكَّروا وتأمَّلوا و لم يعاندوا عرفوا أنه قادر على ذلك كلِّه. فوَصْفُهم اللهَ تعالى بالعجز وأنه لا يَقدر على البعث والإحياء بعد الهلاك أعجبُ مِن تكذيبهم إياك في الرسالة. و لم يكن سَبَقَ مِنك إليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك، وقد سَبَقَ مِن الله إليهم ما يُعرِّفهم[11] قدرتَه على ذلك وعلى[12] أكثر مِنه. وأصله[13] -والله أعلم- **وإن تَعجَب**، لإنكارهم رسالتَك وتكذيبهم إياك و لم يكن مِنك إليهم حقيقةُ الهداية والنِّعَمُ والآياتُ والحججُ وإنما كان مِنك البيان والدعاء،

[1] سورة الإسراء، ٨٢/١٧. وانظر للرواية: *تفسير الطبري*، ١٠١/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٤/٤.
[2] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٦/٤.
[3] سورة الصافات، ١٢/٣٧.
[4] ك: اعجب.
[5] جميع النسخ: قولهم.
[6] ك ن: قولهم؛ ع م: وقولهم.
[7] ع: يكن.
[8] ك: إياك في الدنيا له و لم رسولا.
[9] م: أعجبت.
[10] ك ن - بعد الهلاك أعجب من تكذيبهم.
[11] ن: ما يعرفه.
[12] ع م: أو على.
[13] ن - وأصله.

فاعجَبْ لقولهم[١] في إنكارهم قدرةَ الله على البعث وقولهم في الله سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقةَ ذلك كلِّه بالله.[٢] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **أولئك الذين كفروا بربهم،** يشبه أن يكونوا لمّا كفروا بالبعث كان كفرُهم بالبعث كفرًا بالله؛ لأنهم عرفوه عاجزًا[٣] حيث قالوا: لا يقدر على بعث الخلق، ومن عَرَفَ ربَّه عاجزًا فهو لم يَعرف الربّ الحقيقة والإله الحقيقة.[٤]

وقوله عز وجل: **وأولئك الأغلال في أعناقهم،** قال بعضهم: صار الكفر[٥] في أعناقهم أغلالًا، حيث أنكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الأصنام / والأوثان معبودهم يَعْكُفُون لها[٦] [٣٧٣ظ] ويَخضعون، فذلك هو الأغلال في أعناقهم.[٧] وقال بعضهم: قوله: **وأولئك الأغلال في أعناقهم،** في الآخرة، كقوله: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ،[٨] الآية، **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.**

**﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة،** الاستفعال يكون على وجهين. يكون طلب الفعل، ويكون الفعل[٩] نفسه، كقوله: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ،[١٠] قيل: أُجِبْ[١١] لكم، وقوله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي،[١٢] أي ليجيبوا لي. وقوله: **ويستعجلونك،** فإن كان على طلب الفعل فهو ما سألوا رسولَ الله العذاب،[١٣] كقوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[١٤]

---

[١] جميع النسخ: قولهم.
[٢] جميع النسخ + إليهم.
[٣] ع: بما خرا؛ م: بما جزا.
[٤] أي الرب الحق والإله الحق.
[٥] ع م: الكفرة.
[٦] ك: عليها.
[٧] ن – في أعناقهم، صح هـ.
[٨] سورة الحاقة، ٣٠/٦٩.
[٩] ع م – ويكون الفعل.
[١٠] سورة المؤمن، ٦٠/٤٠.
[١١] ن ع م: أجيب.
[١٢] ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دَعانِ فليَستجيبوا لي ولْيُؤمنوا بي لعلهم يَرْشُدُون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).
[١٣] ك: ما سألوا العذاب رسوله؛ ن: رسوله العذاب.
[١٤] سورة المعارج، ١/٧٠.

وكقوله:[1] وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ،[2] وقوله:[3] إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[4] الآية، فبدءوا بسؤالهم الهلاك قبل سؤالهم[5] بتأخير العذاب[6] وإمهالِه، وتأخيرُ العذاب عندهم وإمهالُه من الحسنة، فاستعجلوا بهذا قبل هذا. وإن كان الفعلَ نفسه فقوله: **ويستعجلونك**، أي عجلوك يا محمد[7] بالسيئة إليك قبل أن تكون[8] منهم إليك حسنة، حيث كذّبوك في الرسالة وآذوْك في نفسك و لم يكن منهم إليك إحسان[9] مِن قبلُ. والله أعلم بذلك.

وقيل: **بالسيئة**، العذاب، على ما ذكرنا، **قبل الحسنة**، أي قبل العفو. وسؤالهُم السيئةَ والعذابَ بجهلٍ[10] مِنهم أنه رسول وأنه صادق؛ لأنهم لو عَلِموا أنه رسول[11] وأنه صادق فيما يخبر ويُوعِد مِن العذاب كانوا لا يسألون. لأنهم يَعلمون أن الله يَقدر على أن يُنزِل عليهم العذاب، لكن سألوا ذلك بجهلهم بأنه رسول سؤالَ استهزاء وسخرية. فإن كان[12] على هذا سؤالهم كان فيه دلالة أنّ العقوبة والعذاب قد يَلزم[13] مَن جَهِل الأمرَ إذا كان بسبيل العلم به والنظر والتفكّر فيه. وهؤلاء جَهِلوا أنه رسول الله لِتركهم النظر والتفكّر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقد خَلَتْ مِن قبلهم المَثُلَات**، قال بعضهم: العقوبات، أي قد كان في الأمم الخالية العقوباتُ بسؤالهم العذابَ والمعاندةِ في الآيات إذا جاءت. كأنه -والله أعلم- يُصَبِّرُ[14] رسولَه على سَفَهِ قومِه[15] لسؤالهم العذابَ والآياتِ[16] ثم المعاندةِ فيها. يقول:

[1] ع م - وكقوله.
[2] سورة ص، ٦/٣٨.
[3] جميع النسخ: وقولهم.
[4] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[5] ن - قبل سؤالهم؛ ع م - الهلاك قبل سؤالهم.
[6] ع - العذاب؛ م: بتأخيره.
[7] ع - يا محمد.
[8] ك: أن يكون.
[9] ع: الحسان.
[10] ع م: يجعل.
[11] ع م - وأنه صادق لأنهم لو عسموا أنه رسول.
[12] ع م: وإن كان.
[13] ن: قد تلزم.
[14] ع: يصير.
[15] ع م: قومهم.
[16] ك + المقترحة.

كان في الأمم الماضية مِن سؤال العذاب والآيات ثم المعاندةِ[1] مِن بعد نزولها، فنزلت[2] لهم العقوبات، فعلى ذلك هؤلاء. وقال بعضهم: **المَثُلات**، الأمثال والأشباه. وكذلك ذُكِر في حرف حفصة: وقد خَلَتْ مِن قَبلهم الأمثال. وتأويله -والله أعلم- أي وقد[3] خَلَتْ مِن قَبلهم[4] الأمثال ما لو اعتبروا بها كان مَثَلاً لهم، ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن أمثال ذلك.

وقوله عز وجل: **وإنّ ربّك لَذُو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم**، قال بعضهم: **لَذُو مغفرةٍ**، أي ذو[5] سترٍ على ظُلمِهم وتأخيرِ العذاب إلى وقتٍ، كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[6] وقوله: وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ.[7] وقال بعضهم: **لَذُو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم**، إذا تابوا وماتوا عليها. أو يكون قوله: **لَذُو مغفرةٍ**، لسؤمنين، **على ظُلمِهم وإنّ ربّك لَشديد العقاب**،[8] للكفار[9] لمن لم يتب ومات[10] على الظلم والشرك. فقوله:[11] **وإنّ ربّك لَشديد العقاب**، للكفار. وعلى التأويل الأول: **وإنّ ربّك لَشديد العقاب**، إذا عاقب.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه**، وقال في موضع آخر: فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ،[12] وقال في آية أخرى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا،[13] إلى آخر ما ذكر، فيحتمل سؤالهم الآية كما أُرسِل الأوّلون[14] عينَ تلك الآيات التي أتت بها الرسل الأوّلون.

---

[1] ع: من سؤالهم العذاب والمعاندة.
[2] ك ن: فنزل.
[3] م: قد.
[4] ك + المثلات.
[5] ك: لذو.
[6] ع + الآية. ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[7] سورة هود، ١٠٤/١١.
[8] ع م - للناس على ظلمهم إذا تابوا وماتوا عليها أو يكون قوله لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب.
[9] ك - لكفار.
[10] م + على.
[11] جميع النسخ: وقوله.
[12] سورة الأنبياء، ٥/٢١.
[13] ﴿وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تَفجُرَ لنا مِن الأرض يَنبُوعا. أو تكونَ لك جنة مِن نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمت علينا كِسَفًا أو تأتِيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيتٌ مِن زُخرُفٍ أو تَرْقَى في السماء ولن نؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنتُ إلّا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٠/١٧-٩٣).
[14] ك: الأول.

وليس عليه أن يأتي بعين[1] تلك الآية، إنما عليه أن يأتي بآيةٍ تَخرج عن عُرفهم وطِباعهم. والرسل جميعًا[2] لم يأتوا بآية واحدة، إنما جاءوا بآيات مختلفات، كلٌّ[3] جاء بآيةٍ سِوَى ما جاء بها الآخر، فقال له: ليس عليك ذلك،[4] **إنما أنت منذر**. أو سألوا آياتٍ سؤالَ الإعتناد[5] [مما يكون] لديها هلاكهم على ما فعل الأوّلون، فقال: **إنما أنت منذر**، قد عفا [الله] هذه الأمة [عن] إحضار آياتٍ وإنزالِها [ويكون] لديها هلاكهم[6] وإن كانوا هم في سؤالهم الآيات معانِدين، لأنهم قد جاءهم مِن الآيات على إثبات رسالته وإظهارِها ما كَفَتْهم،[7] لكنهم يعاندون.

وقوله[8] عز وجل: **إنما أنت منذر**، لا تملك إتيان الآيات، [كما قال:] قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ،[9] وقال: قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[10] الآية. أو يقول: **إنما أنت منذر**، ليس إليك[11] إنشاءُ الآيات واختراعُها، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ.

وقوله[12] عز وجل: **ولكل قومٍ هادٍ**، أي داعٍ يدعو[13] إلى توحيد الله ودينه، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[14] وقوله: **ولكل قومٍ هادٍ**، يحتمل[15] لكل وقتٍ هادٍ. ثم اختلفوا أنه مَن ذلك الداعي. قال بعضهم: الله، وقال بعضهم: نبي مِن الأنبياء، وقال بعضهم: داعٍ دليلٌ سِوَى النبي. وقالت الباطنية: هو إمام يكون معصومًا مِثل النبي لئلا يَزِيغَ عن الحق. ولكن عندنا معصومًا كان[16] أو لم يكن معصومًا[17] فإن في القرآن ما يمنع عن الزَّيْغ

---

[1] ع م: بعض.
[2] ع + ثم.
[3] ع + ما.
[4] ع م – ذلك.
[5] ك: الإعناد.
[6] ك – على ما فعل الأولون فقال إنما أنت منذر قد عفا هذه الأمة إحضار آيات وإنزالها لديها هلاكهم.
[7] ن: ما كفهتهم، صح هـ.
[8] ن: قوله.
[9] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ (سورة العنكبوت، ٥٠/٢٩).
[10] سورة الأنعام، ٥٨/٦.
[11] ن: عليك.
[12] ن: قوله.
[13] ع: يدعوا.
[14] سورة فاطر، ٢٤/٣٥.
[15] ع: ويحتمل.
[16] ك – كان.
[17] ع م – كان أو لم يكن معصوما.

ويُعْرَف ذلك مِنه إذا زاغ وضلّ عن الحق. **ولكل قومٍ هادٍ**، أي داعٍ، وهو كما قال: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ / إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[١] [٣٧٤و]

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **الله يعلم ما تحمل كل أنثى**، قيل: يعلم[٢] أنها حملت أنثى أو ذكرًا،[٣] مستويًا أو غيرَ مستوٍ مَئُوفًا.[٤] يخبر عز وجل عن علمه[٥] وقدرته أنه لا يَخفى عليه شيءٌ ولا يُعجزه شيءٌ.[٦] فإن قيل: هذا دعوى، ما الذي يُعلِمنا أنه يَعلم ذلك؟ قيل: اتّساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه،[٧] حيث ربّاه فيه وأنشأه مستويًا غيرَ مَئُوفٍ سليمًا عن الآفات، ونماء الجوارح[٨] كلها على الاستواء، لا يكون بعضها أكبرَ[٩] وأعظم من بعض،[١٠] وبعضها[١١] أنقص وبعضها أتمّ، نحو[١٢] العينين تراهما مستويتين لا زيادة في إحداهما دون الأخرى، بل تَنْمُوَان على الاستواء. وكذلك [ترى] اليدين والرجلين والأذنين وأمثالَه. فدل ذلك على العلم له به والتدبير.

وقوله عز وجل: **وما تَغِيض الأرحام وما تزداد**، أي يَعلم ما تَغِيض الأرحام[١٣] وما تزداد.[١٤] قال عامة أهل التأويل: ما تَغِيض الأرحام: ما تَنقص[١٥] عن التسعة الأشهر، **وما تزداد**: على التسعة الأشهر. فكان الحسن يقول: غَيْضُوضَة الرحم أن تضع لستة أشهر أو لسبعة أشهر[١٦] أو ثمانية،

---

[١] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.
[٢] ع: تعليم.
[٣] ك: ذكرًا أو أنثى؛ م: أذكرًا.
[٤] مئوف أي أصابته آفة (*لسان العرب* لابن منظور، «أوف»).
[٥] ع م: من علمه.
[٦] ن – ولا يعجزه شيء.
[٧] أي اتساق تدبيره يدل على وجود ذلك العلم في الله عز وجل حيث ربّى الإنسان في علمه وعنايته وتدبيره.
[٨] ع م: الحوائج.
[٩] ك: لكبر.
[١٠] ك – من بعض.
[١١] ع م – أكبر وأعظم من بعض وبعضها.
[١٢] ع – نحو.
[١٣] ع م – الأرحام.
[١٤] ن – أي يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد.
[١٥] ن: وما تنقص.
[١٦] ع م – أو لسبعة أشهر.

وأما الزيادة[1] فما زاد على تسعة أشهر.[2] وفي حرف أُبَيّ: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تضع.[3] ولكن يحتمل قوله: **وما تَغِيض الأرحام وما تزداد**، وجهين. أحدهما ما تَغِيض الأرحام، أي ما لا تحمل شيئًا، وهي التي تكون عقيمًا لا تَلِد. والعَيْضُوضَة تكون ذهاب الشيء. قال الله تعالى: وَغِيضَ الْمَاءُ،[4] أي ذهب. **وما تزداد**، أي ما تحمل. أو ما تَغِيض[5] الأرحام، فتَلِد بدون الوقت الذي تَلِد النساء، **وما تزداد**،[6] على الوقت الذي تَلِد النساء. أو ما تَغِيض الأرحام **وما تزداد**، في زيادة عدد الأولاد ونقصانهم، ما تحمل[7] واحدًا أو أكثر مِن واحد. أو يكون في زيادة قَدْرِ نَفْسِ الولد ونقصانه؛ لأن مِن الولد ما يصيبه في البطن آفة فلا يزال يزداد له[8] نقصانٌ[9] في البطن، ومنه ما ينمو[10] ويزداد، وأمثاله. ***والله أعلم***.

**وكل شيء عنده بمقدار**، مقدَّر بالتقدير، ليس على الجُزاف على ما يكون عند الخَلْق، ولكنه بتقدير وتدبير.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٩]

**عالم الغيب والشهادة**، قال بعضهم: لا يغيب عنه شيء، ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق و[الذي] يشهده الخلق، أي ما يغيب عنهم وما يشهدونه عنده بمحل واحد في العلم به. وقال بعضهم: **عالم الغيب والشهادة**، ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه. فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعدُ ولم يكن، والشهادة ما قد وُجد. وكان يعلم ما لم يوجد بعدُ أنه يوجد أو لا يوجد، وإذا[11] وُجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي أي وقت يوجد، وما وُجد[12] وشَهِد يعلمه شاهدًا موجودًا. على هذين الوجهين يجوز أن تخرج[13] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] ن – وأما الزيادة.
[2] *تفسير الطبري*، ١١١/١٣، ١١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٩/٤.
[3] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٩/١٣.
[4] سورة هود، ٤٤/١١.
[5] ع م: وما تغيض.
[6] ن: ولا تزداد.
[7] ع: ما يحتمل.
[8] ع م: وله.
[9] جميع النسخ: نقصانا.
[10] م: ما ينموا.
[11] ع: إذا.
[12] ع: ما وجد.
[13] ن ع م: أن يخرج.

ويعلم ما غاب عنهم مما شَهِدوا مِن نحو قوة الطعام في الطعام والقوة التي في الماء ومائية البصر والسمع والعقل والروح وكيفيتها، وهذا[١] كله مما غاب عن الخلق.

وقوله عز وجل: **الكبير المُتَعَالِ، المتعال**[٢] عن جميع ما يحتمله[٣] الخلق. يقال: هذا[٤] عظيم القوم وكبيرهم، وهذا واحدُ زمانِه، لا يَعْنُون عظيمَ النفس وكبيرَه[٥] أو تَوَحُّدَه مِن حيث العدد، ولكن مِن حيث نفاذ الأمر له والمشيئةِ فيهم والعزُّ والسلطان وذلّة الخلق له[٦] والخضوع له.[٧] فعلى ذلك لا يُفهَم فيما وُصف[٨] هو به ما يُفهَم مِن الخلق مِن عِظَم الجسم وكِبَرِ النفس. وعلى ذلك ما وُصف هو بأسماء لا يحتمل[٩] ذلك في الخلق، يقال: أوّل وآخِر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف،[١٠] لِيُعلَم أنه ليس يُفهَم مما أضيف إليه ووُصف هو به ما يُفهَم مما يُضاف إلى الخلق. إذ مَن قيل في الشاهد: إنه عظيم، لم يُقَل: إنه لطيف، ومَن قيل: إنه أوّل، لم يُقَل له:[١١] آخِر. وكذلك الظاهر والباطن[١٢] إذا وُصف بأحدهما انتفى عنه الآخِر، وذلك[١٣] مما وُصف به الغائب وأضيف إليه، لِيُعلَم أنه لا يُفهَم مما يوصف هو[١٤] به ويُضاف إليه ما يُفهَم مما وُصف به الخلق وأضيف إليهم. ***والله أعلم***.

﴿سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **سواءٌ مِنكم مَن أَسَرَّ القولَ**، في نفسه في حال انفراده، **ومَن جَهَرَ به**، لغيره،[١٥] **ومن هو مُستَخفٍ بالليل**، في ظُلمة[١٦] الليل، **وسارِبٌ بالنهار**، قيل: ظاهر بالنهار.

---

[١] ك: هذا.
[٢] ك ن – المتعال.
[٣] ن: ما تحتمله.
[٤] ن – هذا.
[٥] ن ع م: وكبره.
[٦] ع م: والسلطان وله الخلق.
[٧] ك ع م – له.
[٨] ن: يوصف.
[٩] ن: لا تختلف.
[١٠] ع + أنه ليس؛ م + ليعلم أنه ليس.
[١١] ع م: به.
[١٢] م: وكذلك الباطن والظاهر.
[١٣] م: وكذلك.
[١٤] ن – هو.
[١٥] ن ع م: بغيره.
[١٦] ع: وظلمة.

وقال بعضهم: **وسارِبٌ بالنهار**، مَن[1] يكون في السَّرَب،[2] وهو الفارّ بالنهار. وقال بعضهم: مَن هو **مُسْتَخْفٍ بالليل**، أي ساكن بالليل في[3] مَقَرّه، **وسارِبٌ بالنهار**، أي متصرّف[4] متقلّب بالنهار في حوائجه. ذكر هذا صِلَةَ ما تقدّم، وهو قوله: يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى،[5] ويعلم ما تَغِيض الأرحام، ويعلم أيضًا[6] ما تزداد، وما ذَكَر أنه عالم الغيب والشهادة، يقول: أيضًا يَعلم مَن أَسَرّ القولَ ومَن جَهَرَ به ومَن كان مُستخفِيًا بالليل أو سارِبًا بالنهار، أي يَعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، مَن عَمِل سِرًّا مِن الخلق أو عَمِل بظاهرٍ مِنهم. يَذكر هذا -والله أعلم- [٣٧٤ظ] ليكونوا على حذر مِن المعاصي؛ لأن مَن عَلِم أنّ[7] عليه / رقيبًا حفيظًا يكون أحذر وأخوف[8] ممن يعلم أن ليس عليه ذلك. وقال مُقاتِل: **سواءٌ منكم**، عند الله، **مَن أَسَرَّ القولَ ومَن جَهَرَ به**، وسواءٌ منكم من **هو مُسْتَخْفٍ بالليل وسارِبٌ بالنهار**، أي مَن هو[9] مُستَخْفٍ بالمعصية في ظُلمة الليل، أو هو منتشر بتلك المعصية بالنهار مُعلِن بها، فعِلمُ ذلك كله عند الله سواء.[10] في ذلك تذكير أمرين. أحدهما يُذكّرهم نعمه[11] التي أنعمها عليهم من أول حالهم إلى آخر ما ينتهون إليه، يَتَأَدّي بذلك شكرَه ليستديموا بذلك تلك النعم أبدًا ما كانوا. والثاني يُذكّرهم عِلمَه بجميع أحوالهم وأفعالهم ليكونوا أبدًا على حذرٍ مِن معاصيه والخلاف له. أمّا عِلمُه هو ما ذكر: اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى[12] -إلى قوله- **سواءٌ منكم**، الآية، وأمّا نعمه[13] **[فهي]** ما ذكر: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ.[14]

[1] ع م - من.
[2] السَّرَب هو البيت أو الحفرة تحت الأرض، والسِّرْب هو الطريق (*لسان العرب* لابن منظور، «سرب»).
[3] ع م - في.
[4] ع: متصرب.
[5] سورة الرعد، ٨/١٣.
[6] ن - أيضًا.
[7] ن + من علم.
[8] ع: وأو أخوف.
[9] م - هو.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٦٩/١.
[11] ن: نعمة؛ ع: يذكر النعمة.
[12] سورة الرعد، ٨/١٣.
[13] ع: وأما نعمة.
[14] الآية التالية.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [١١]

وقوله: **له مُعَقِّبات**، قال بعضهم: هم[١] الأمراء والشُّرَط الذين[٢] يحفظونه في ظَواهرَ مِن أمره. يخبر أنه محفوظ عليه الخَفِيّات مِن أمره، حيث قال: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ،[٣] الآية، حيث أخبر أنه يعلم ذلك و[أنه كذلك] محفوظ عليه الظواهر[٤] مِن أمره.[٥] وقال بعضهم: **له مُعَقِّبات**، الملائكة الذين يحفظونه. وعلى ذلك رُوي في الخبر أن النبي[٦] صلى الله عليه وسلم قال: «يجتمعون فيكم[٧] عند صلاة العصر وصلاة الصبح».[٨] **مِن بَين يَدَيْه ومِن خَلْفِه يَحفظونه**، مثل قوله: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ.[٩] قال:[١٠] الحسنات **مِن بَين يَدَيْه**، والسيئات مِن خَلْفِه، الذي عن يمينه [يكتب الحسنات، والذي على يساره لا يكتب إلا بشهادة الذي على يمينه، فإذا مشى كان أحدهما أمامه والآخر وراءه...].[١١]

---

[١] ك: هو.

[٢] م: الذي.

[٣] الآية السابقة.

[٤] ن: ومحفوظ والظواهر.

[٥] يقول السمرقندي رحمه الله: « قال بعضهم: هم الأمراء والشُّرَط الذين يحفظونه في ظَواهرَ مِن أمره حتى إذا عَلِموا منه بشيءٍ مما هو مَزجورُ الشرع يعاقبونه على ذلك ويعزرونه. أخبر تعالى أنه كما هو محفوظٌ عليه الظواهر مِن أمره فهو محفوظٌ عليه الخَفِيّات مِن أمره، حيث قال: ﴿سواءٌ مِنكم مَن أَسَرَّ القولَ ومَن جَهَر به﴾، الآية. أخبر أنه يعلم ذلك و[أنه] محفوظٌ عليه الظواهر مِن أمره تأكيدا للحذر عن المعاصي المختفية عن الناس» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠٨ظ).

[٦] ك ن م: عن النبي.

[٧] ع م: منكم.

[٨] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعرُج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» (صحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ١٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢١٠).

[٩] ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُه ونحن أقرب إليه مِن حبل الوَرِيد. إذ يَتلقّى المتلقِّيانِ عن اليمين وعن الشمال قَعيدٌ﴾ (سورة ق، ٥٠/١٦-١٧).

[١٠] القائل هو مجاهد، والكلام ابتداء من قوله: ﴿له معقبات﴾، الملائكة الذين يحفظونه... من قول مجاهد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦١٣.

[١١] التتمة من المصدر السابق.

وقوله عز وجل: **له مُعَقِّبَات**، يحتمل قوله: **له**،[١] أي لله، **مُعَقِّبَات... يَحفظونه**. ويحتمل **له**،[٢] أي لكلّ[٣] ذكر وأنثى، [و]يكون مثله قوله: يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى.[٤]

وقوله عز وجل: **يَحفظونه مِن أمر الله**، يحتمل قوله: **يَحفظونه مِن أمر الله**،[٥] أي يحفظون[٦] نفسه مِن البلايا والنَّكَبات التي تَنزِل على بني آدم. فإن كان في حفظ نفسه فقوله: **مِن أمر الله**، أي مِن عذاب الله وبلاياه، كقوله:[٧] حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا،[٨] وهو عذابنا. ويحتمل قوله: **[يحفظونه]** يَحفظون أعمالَه بأمر الله.

ثم يحتمل قوله: **مِن بَين يَدَيه ومِن خَلْفِه**، وجوهًا. يحتمل **مِن بَين يَدَيْه**، الخيرات التي يعملها،[٩] **ومِن خَلْفِه**، الشرور والسيئات. ويحتمل قوله: **مِن بَين يَدَيْه**، ما قدّم مِن الأعمال، **ومِن خَلْفِه**، ما بقي وأخر، كقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[١٠] ويحتمل **مِن بَين يَدَيْه**، ما مضى[١١] مِن الوقت، **ومِن خَلْفِه**،[١٢] ما بقي. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، يشبه أن يكون هذه النعمة نعمة الدين مِن رسول الله أو القرآن[١٣] أو ما كان مِن أمر[١٤] الدين، لا يُغيّر ذلك عليهم إلا بتغيير يكون منهم، كقوله: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ،[١٥] وكقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.[١٦]

---

[١] ك + له.
[٢] ع م – له.
[٣] جميع النسخ: من كل.
[٤] سورة الرعد، ٨/١٣.
[٥] ع – يحتمل قوله يحفظونه من أمر الله.
[٦] ن: أي يحفظونه.
[٧] ع م – كقوله.
[٨] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).
[٩] ع م – ومن خلفه وجوها يحتمل من بين يديه الخيرات التي يعملها.
[١٠] سورة الانفطار، ٥/٨٢.
[١١] ع: ما معنى.
[١٢] ك – ومن خلفه، صح هـ.
[١٣] ك ن: أو قرآن؛ ع: أو اقرآن.
[١٤] ك ن ع: في أمر.
[١٥] ﴿وإذا ما أُنزلت سورةٌ نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم مِن أحد ثم انصرفوا صَرَف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ١٢٧/٩).
[١٦] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قومِ لِمَ تؤذونني وقد تَعلمون أنّي رسول الله إليكم فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (سورة الصف، ٥/٦١).

ويحتمل أن يكون ذلك في النعمة الدنيوية[1] مِن الصحة والسلامة والمال، لا يُغيّر ذلك عليهم إلا بتغيير ذلك مِن أنفسهم.

فإن قيل: إنّ الأنبياء قد كانوا[2] بُلُوا بشدائد وبلايا، ولا يحتمل أن يكون ذلك منهم البداية في التغيير؟

قيل: أُبدلت لهم مكانَ تلك النعمة خيرٌ[3] منها، فليس ذلك بتغيير، ولكن لِما ذكرنا أنه أُبدلت لهم مكان النعمة نعمةٌ هي خيرٌ منها.

ثم ما كان مِن النعم والأفضال مِن الطاعات [التي] لها حق التجدُّد والحدوث يكون التغيير عليهم [فيها] حالة اختيارهم وتغييرهم[4] على أنفسهم. وأمّا الأفعال التي لها حق البقاء يكون التغيير [عليهم فيها] مِن الله مِن بعدُ، وهو مِن نحو السلامة والصحة والسَّعَة. والذي[5] له حق التجدُّد والحدوث الطاعات والمعاصي.[6]

وقوله عز وجل: **وإذا أراد الله بقومٍ سوءً فلا مَرَدَّ له**، الآية تردّ[7] على المعتزلة قولهم؛ لأنهم يقولون: إنه لا يريد إلا ما[8] هو أصلح لهم في الدين. وقد أخبر أنه إذا[9] أراد بهم سوءً فلا مَرَدَّ له،[10] دل هذا أنه قد يريد بهم[11] السوء إذا غيّروا هم[12] ما أنعم الله عليهم. أراد أن يغيّر عليهم. والمعتزلة يقولون: يَملِك الخَلقُ[13] دَفْعَ سوءٍ أراده الله بهم، وإذا أراد الخير يَملكون ردَّ ذلك، والله يقول: فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ،[14] ولا مَرَدَّ لِسُوئِه.

---

[1] ن ع م: الدنياوية.

[2] م – كانوا.

[3] جميع النسخ: خيرا.

[4] ن ع: وتغيير.

[5] ع: الذي.

[6] يقول الشارح رحمه الله تعالى موضحا: «ثم النعم التي لها حق الحدوث والتجدد من الطاعات وأفعال الخير يكون التغيير عليهم حال اختيارهم أضداد ذلك. فتُغيَّر عليهم تلك النعم بمنع التوفيق والعصمة وإعطاء الخذلان. وما كان من النعم مما له بقاء من الأحوال والأعيان أو ما له حكم الدوام بتجدد أمثالها بحيث لا ينقطع مثل السلامة في الذهن والفهم ونحو ذلك يكون التغيير من الله من بعد وجود التغيير منهم بصرف تلك النعم في غير مواضعها والامتناع عن قضاء حق الشكر لها. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠٨ظ).

[7] ع: تردد.

[8] ع – ما.

[9] م – إذا.

[10] ع + الآية ترد على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون إنه لا يرد؛ م + الآية وعلى المعترلة قولهم لأنهم يقولون إنه لا يريد.

[11] ن ع م – بهم.

[12] ع: السوال إذا غيروهم؛ م: غيروهم.

[13] ع: الحق.

[14] ﴿وإن يَمْسَسْكَ الله بضُرٍ فلا كاشف له إلا هو وإن يُرِدْكَ بخير فلا رادَّ لفضله يُصيب به مَن يشاء مِن عباده وهو الغفور الرحيم﴾ (سورة يونس، ١٠/١٠٧).

وقوله عز وجل: **وما لهم مِن دونه مِن والٍ**، أي ليس لهم في[1] دفع العذاب الذي أراد بهم وليٌّ يدفع عنهم أو نصيرٌ ينصرهم، كقوله: وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.[2]

[٣٧٥و س٣٤ * وقال أبو عَوْسَجَة: المُعَقِّبات: الحَفَظَة الذين يحفظونه بأمر الله. ويقال: عَقَّبته، أي حفظته.[3] وأمّا قوله:[4] لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،[5] أي لا رادّ لحكمه. قال: ويقال في[6] غير هذا: أَعْقَب فلان فلانًا، أي ذهب هو وجاء هذا. ويقال عَقَّبْتُ، أي رجعت، ومَأخذهما مِن العَقِب. ويقال: رجع على عَقِبَيه، أي مِن حيث جاء. وقال القُتَبي: **مُعَقِّبات**، ملائكة يَعْقُب بعضُها بعضًا في الليل والنهار، إذا مَضى فريقٌ خَلَفَ بعدَه فريقٌ آخر، **يحفظونه مِن أمر الله**، أي بأمر الله. وقوله:
٣٧٥و س٣٩] **وماهم مِن دونه مِن والٍ**، أي وليّ، مِثل قادر وقدير[7] وحافظ وحفيظ،[8] وذلك جائز في اللغة.*

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي يُرِيكم البَرْقَ خوفًا وطَمَعًا**، أي مُخَوِّفًا ومُطْمِعًا،[9] أو ما تخافون وتَطمعون. وقال أهل التأويل: **خوفًا**، للمسافر، **وطمعًا**، للمقيم. وقيل: **خوفًا**، لأهل البنيان، **وطمعًا**، لأهل الأَنْزَال.[10] وعندنا يَطمعون ويَخافون [في] قوم واحد يَطمعون نفعه في وقت المنفعة، ويَخافون ضرره في غير وقت النفع. أو يَطمعون نفعه ويَخافون ضرره. أو يَطمعون مُضِيّه ويَخافون نُزوله[11] والضرر به في غير وقت النفع ونحوه. ويحتمل وجه[12] آخر في قوله: **يُرِيكم البَرْقَ خوفًا وطمعًا**،

---

[1] م – في.
[2] سورة البقرة، ١٠٧/٢.
[3] م: عقبة أي حفظة.
[4] ن: قول.
[5] ﴿والله يَحكُم لا مُعَقِّبَ لحكمه﴾ (سورة الرعد، ٤١/١٣).
[6] ع م – في.
[7] ع: قدير.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٥.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٧٥و/سطر ٣٤-٣٩.
[9] ع م: ومطموعا؛ ع + مطمعا.
[10] الأَنْزَال أي الأَقْوَات والأطعمة، جمع نُزُل (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»). أي أهل المزارع، وهي تكون بعيدا عن البنيان.
[11] م – وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون ضرره في غير وقت النفع أو يطمعون نفعه ويخافون ضرره أو يطمعون مضيه ويخافون نزوله.
[12] جميع النسخ: وجها.

أي يُرِيكم خوفًا موعودًا وطمعًا موعودًا؛ لأن البَرْق نور ونار، فالنور[1] يُطمِع[2] النور الموعود في الجنة، والنار تُخَوِّف[3] النار الموعودة في الآخرة، لأن[4] فيها نارًا. ألا ترى أنه إذا اشتدّ يخيف على مَن أصابه.

وقوله عز وجل: **وينشئ السَّحاب الثِّقَال**، قيل: أي يرفع **السَّحَاب الثِّقَال**، الذي فيه المطر والماء. قال أبو عَوْسَجَة: **ويُنشِئ السَّحَاب الثِّقَال**،[5] يقال: نشأت السماء، إذا ارتفع الغيم فيها، ويُسمَّى الغيم نشْأً. وقوله: أنشأ، أي أخذ فيه. ويقال: أنشأ الله الخلق، أي خلقهم. نشأ: ارتفع، / وأنشأ:[6] رفع. وهو مِن هذا. ***والله أعلم***. [٣٧٥ر]

**﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**[١٣]

**ويسبح الرعد بحمده**، اختلف في الرعد والبرق. قال بعضهم: هو اسم مَلَك مِن الملائكة مُوَكَّلٍ[7] بالسحاب صَوْتُه تسبيحُه. وعلى ذلك[8] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم[9] أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «مَلَك مِن الملائكة مُوَكَّل[10] بالسحاب معه مَخَارِيق[11] مِن نار يَسوق بها السحاب حيث شاء الله». فقالوا: فما هذا[12] الصوت الذي نسمع؟ قال: «زَجْرُه السحاب، إذا زَجَره حتى ينتهي إلى حيث أمر». قالوا: صدقت.[13]

---

[1] ع م – فالنور.
[2] ع م: ويطمع.
[3] م: يخوف.
[4] م – لأن.
[5] ع م – قيل أي يرفع السحاب الثقال الذي فيه المطر والماء قال أبو عوسجة وينشئ السحاب الثقال.
[6] ع: ونشاء.
[7] ع م: مؤكل.
[8] م – وعلى ذلك.
[9] ك: القسم.
[10] ع م: مؤكل.
[11] مَخَارِيق هو جمع مِخْرَاق، وهو في الأصل عند العرب ثوب يُلَفّ ويَضرِب به الصبيانُ بعضُهم بعضا. أراد أنها آلة تَزجُر بها الملائكة السحاب وتَسُوقه، ويفسّره حديث ابن عباس: البرق سَوْط مِن نور تَزجُر به الملائكة السحاب (*لسان العرب* لابن منظور، «خرق»).
[12] ك: ما هذا.
[13] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٤/١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢١/٤. وحسنه الترمذي.

فإن ثبت هذا فهو هو. وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الرعد والبرق،[1] فقال:[2] الرعد: المَلَك، والبرق: ضَرْبُه السحاب بمِخْرَاقٍ مِن حديد.[3] وقيل: الرعد مَلَك[4] على ما ذكرنا يَزْجُر السحاب بالتسبيح ويَسُوقه، فإذا شذّت سحابة[5] ضمّها وإذا اشتدّ غضبُه صار مِن فِيه[6] النار، فهي الصواعق. وقيل: هي الريح تَسُوق السحاب، فإذا تراكمت السحاب فلم تجد مَنْفَذًا صَوَّتت، فذلك صوتها. وقال[7] بعض الفلاسفة: الرعد اصطكاك الأَجْرَام، فيَحدُث هذا الصوت بمنزلة الحجر يَصُكّ[8] الحجر. وقال بعض الفلاسفة:[9] إنما هي ريحٌ تَخْتَنِق تحت السحاب فتُصَدِّعُه، فذلك الصوت منه. وأي شيء كان الرعد: المَلَك أو الريح أو ما كان فالتسبيح يحتمل مِن كل شيء على ما أخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء، حيث[10] قال: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[11] فيحتمل تسبيحَ الخِلقة [حيث] جُعل في خِلقة كل شيء حَمْدُ صانعِه وبَراءةُ مُنشِئه مِن كل ما وصفه الملحدون ودلالةُ ألوهيته وربوبيته. ويحتمل تسبيحَ قولٍ[12] [حيث] جُعل في سِرّية كل شيء تسبيحُه وتنزيهُه [على] ما لا يفهمه الخلق. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: الرعد مَلَك، وهذا تسبيحه، والبرق صوته الذي يُزجِي به السحاب. قيل: أمثال هذا كثير. والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنه هَوْلٌ هائل، يُهَوِّل الخلق ويُذكّرهم سلطانه وعظمته، ولولا أنهم اعتادوا ذلك وإلا لم تَقُم[13] أنفسهم لسماع[14] ذلك.

---

[1] ن ع م: عن البرق والرعد.

[2] ن ع م: قال.

[3] *تفسير الطبري*، ١/١٥٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٢١.

[4] ع + الرعد ملك.

[5] ع: اشذت سحانة.

[6] أي من فمه.

[7] ع م: فقال.

[8] ك: يحك.

[9] بعضهم من الفلاسفة.

[10] ن – على ما أخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء حيث.

[11] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.

[12] ع – قول.

[13] ك: لم يقم.

[14] م: أسماع.

وقوله: **ويسبح الرعد بحمده**، أي يُذكّرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك وما ذكروا مِن سلطانه وعظمته تسبيحه.[١] **والملائكة مِن خِيفته**. أي تسبح[٢] الملائكة مِن خوفه. الرعد يسبح ويُذكّر الخلقَ عظمةَ الله وسلطانَه، فذلك[٣] الثناء عليه، والملائكة يسبحونه[٤] فيما بينهم وبين ربهم، فلم يَذكر فيهم[٥] التسبيح بحمده وذَكَر في الرعد. **والملائكة مِن خِيفته**، أي مِن خوفه. ثم الخوف يخرج على وجهين. أحدهما خوفًا مِن عقوبته؛ لأنه قد جاء فيهم الوعيد إذا زَلُّوا، كقوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٦] الآية. والثاني خوف رهبة وهيبة[٧] لا خوف عقوبة؛ لأن الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام، كقوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[٨] وقوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[٩] الآية، ونحو[١٠] ذلك. ثم خوف الهيبة لا يزول في الآخرة، وخوف العقوبة يزول.

وقوله عز وجل: **ويُرسِل الصّواعق**،[١١] قيل: الصَّعْقَة الصيحة التي فيها موت البعض ويَذهب عقلُ البعض، كقوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ.[١٢] وقيل: هي[١٣] اسم العذاب. وقد ذكرنا فيما تقدم.[١٤] ذُكر في بعض الأخبار أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن شيء مِن أمر الرب، فجاءت صاعقة فأحرقته،[١٥] فنزل:[١٦] **ويُرسِل الصّواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المِحَال**.[١٧]

---

[١] ك ع م: فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته؛ ن – فيكون ذلك وما ذكروا من سلطانه وعظمته تسبيحه.
[٢] ن: أي يسبح؛ ع م: أي تسبيح.
[٣] ع م: فذل.
[٤] ع: يسبحون.
[٥] ك: فلم يذكرهم.
[٦] سورة الأنبياء، ٢٩/٢١. والآية في الملائكة.
[٧] ك: والثاني هيبة ورهبة.
[٨] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[٩] ﴿وله مَن في السماوات والأرض ومَن عنده لا يَستكبرون عن عبادته ولا يَستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يَفْتُرون﴾ (سورة الأنبياء، ١٩/٢١-٢٠).
[١٠] ن ع: ونخوف.
[١١] ع + الصيحة.
[١٢] ﴿ونُفِخَ في الصُّور فصَعِقَ مَن في السماوات ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله ثم نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ يَنظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
[١٣] ك: هم.
[١٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٥٥/٢.
[١٥] ع: فأحرقته.
[١٦] م: ونزل.
[١٧] *تفسير الطبري*، ١٢٥/١٣-١٢٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٥/٤-٦٢٦.

وقوله عز وجل: **وهم يجادلون في الله**،[1] أي في توحيد الله؛ لأن أهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **وهو شديد المِحَال**، قال بعضهم: شديد الانتقام والعقوبة. وقيل: شديد القوة. وقيل: شديد[2] الأخذ. وقال القُتَبي: **المِحَال**، مِن الكيد والمكر، وأصل **المِحَال**: الحيلة،[3] لكن سمّي باسم الأول لأنه جزاء الحيلة، فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء.[4] والكيد[5] والمكر هو[6] ما ذكرنا[7] أنه الأخذ[8] مِن حيث الأمن[9] مِن حيث لا يشعرون به.[10] وقال أبو عَوْسَجة: **المِحَال** عندي مِن المكر.[11]*

**﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **له دعوة الحق**، يحتمل وجهين. يحتمل أي له عبادة الحق، وليس [٣٧٥ظ] لمَن دونه عبادة الحق، / أي هو[12] المستحق للعبادة ليس[13] من[14] يُعبَد دونه[15] بالذي يستحق العبادة، وعبادة الحق له[16] ليس لمن دونه. والثاني **له دعوة الحق**، أي له إجابةُ دعوةِ الحق،[17]

---

[1] ع – وقوله عز وجل وهم يجادلون في الله.
[2] م: شد.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٦.
[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠)، وإلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[5] ع م – والكيد.
[6] ع م – هو.
[7] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٢/٥، ٢٨.
[8] ع: الا احذ.
[9] ع م – من حيث الأمن.
[10] ع: وبه.
[11] ع م – من المكر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٧٥و/سطر ٣٤-٣٩.
[12] ك – هو.
[13] ع: وليس.
[14] جميع النسخ: ممن.
[15] م: يعبدونه.
[16] ك – له.
[17] ن + أي.

ليس يَملك مَن دونه إجابةَ مَن دعا بالحق. فعلى التأويل الأول الدعوة العبادة. وعلى الثاني الدعوة الإجابة، أي له إجابةُ دعوةِ مَن دعا بالحق. *والله أعلم*. هو يَملك إجابةَ دعوةِ الخلق،[١] فأمّا مَن عبد دونه ودعا دونه [فهو] لا يَملك ذلك. يدل على ذلك قوله: **والذين يدعون مِن دونه لا يستجيبون لهم بشيء**، أي **والذين يَدعون مِن دونه** لا يَملكون الإجابة، أو لا يملكون[٢] ما يَأْمُلُون مِن عبادتهم الأصنام، فيكون مَثَلُه ما ذَكر: **إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء لِيَبلُغ فاه وما هو ببالغِه**، وجه[٣] ضَرْبُ[٤] مَثَلِ مَن يَدعو[٥] مِن دون الله بِباسطِ كَفَّيْه إلى الماء هو -والله أعلم- [أنه] ليس مَن يدعو[٦] مِن دون الله **إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء**، فيدعو[٧] الماء، فكما[٨] لا يُجيبه الماء وإن دعاه فعلى ذلك مَن يدعو[٩] الأصنام لا يملكون إجابته. والله أعلم بذلك. أو أنْ يكونَ وَجْهُ ضَرْبِ هذا المَثَل أنّ مَن عَبد دون الله أو دَعا مَن دونه ليس **إلا كباسط كَفَّيْه إلى الماء**، وهو على بُعْدٍ مِن الماء، فكما لا يَصِل هو إلى الماء لا يَصِل مَن عَبد دون الله إلى ما يَأْمُل[١٠] ويطمع. أو يحتمل وجها آخر،[١١] وهو أنّ الماء يُغتَرَف إذا قُبض الكفّ، ولا سبيل[١٢] إلى الاغتراف إذا بُسطت، فعلى ذلك مَن عَبد دون الله.

وقوله عز وجل: **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**، أي دعاؤهم وعبادتهم لا يُعقِب لهم إلا الخسار في الآخرة. حاصله: يَضِل ذلك كلُّه عنهم، لا يَصِلون إلى ما يَأْمُلُون بالدعاء والعبادة، كقوله: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ،[١٣] أو يَفْتَرُونَ.[١٤]

---

[١] ع م - الخلق.
[٢] م + أو لا يملكون الإجابة.
[٣] ك: وهو.
[٤] ن م: صرف.
[٥] ع م: من يدعون.
[٦] ع م: من يدعون.
[٧] ع: فيدعوا.
[٨] ك: فكذا.
[٩] ع: من يدعوا.
[١٠] ن ع م: ما يؤمل.
[١١] جميع النسخ: أو يحتمل من وجه.
[١٢] ن + إلى الكف.
[١٣] سورة فصلت، ٤٨/٤١.
[١٤] ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٢٤/٦).

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولله يسجد مَن في السماوات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا**، يحتمل قوله: **يسجد**، على حقيقة السجود، يسجد[١] له المؤمن والكافر جميعًا. أمّا المؤمن فإنه يسجد له بالاختيار والطَّوْع، [وأما الكافر فإنه يسجد في حالة الضرورة كَرهًا في حال الشدة والضِيق].[٢]

ويحتمل ما ذكر مِن السجود وجوهًا. أحدها حقيقة السجود؛ فإن كان هذا فهو في الممتحنين خاصة.

والثاني سجود الخِلقة؛ فإن كان على هذا فهو في جميع الخلائق [حيث] جَعل الله في خِلقة كل شيء دلالةَ وحدانيته وآيةَ ألوهيته وربوبيته.

والثالث سجود الأحوال، فهو في المؤمن والكافر جميعًا. أمّا المؤمن فهو يسجد له في كل حال، وأما الكافر فإنه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضِيق ولا يسجد له[٣] في حال السَّعة والرخاء. ويشبه أن يكون الكافر يكون سجوده لله اختيارًا وطوعًا حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٤] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٥] إنهم[٦] وإن عبدوا الأصنام فيرون السجود والعبادة لله، لكنه لم يقبل ذلك منهم لإشراكهم غيره في ذلك.

وقوله عز وجل: **وظلالهم بالغُدُوّ والآصال**، أي يسجد ظلالهم **بالغُدُوّ والآصال**،[٧] ينتقل ظل كل أحد بانتقال نفسه، ينتقل حيث ينتقل[٨] نفسه. فذَكَر الغدو والآصال[٩] **لأنه** بالغُدُوّ والعَشِيّ يَظهر الظل.

ويحتمل السجود أنه يسجد له،[١٠] أي يخضع له[١١] **مَن في السماوات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا**؛ فإن كان على الخضوع فهو في الخلائق كلهم في البشر وغير البشر وذي الروح وغير ذي الروح.

---

[١] ع: ويسجد.
[٢] من *الشرح*، ورقة ٤٠٩ظ.
[٣] ك: والضيق له ولا يسجد.
[٤] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[٥] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفَعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٦] ع – إنهم.
[٧] ع – أي يسجد ظلالهم بالغدو والآصال.
[٨] ك: تنتقل.
[٩] م + أي.
[١٠] ع م – له.
[١١] ن – له.

**وظلالهم بالغُدُوّ والآصال**، أي ظلالهم تخضع له أيضًا **بالغُدُوّ والآصال**. ويحتمل أن يكون المراد مِن السجود سجودَ[1] الخِلقة،[2] فيسجد له خِلقةُ كل أحد.

فإن قيل: ما معنى الغُدُوّ والآصال؟ قيل: يحتمل أبدًا دائمًا ليس على مراد[3] الوقت، ولكن على الأوقات كلها.

**﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **قل من رب السماوات والأرض قل الله**، أمره أن يسألهم **مَن رب السماوات والأرض**، ثم أمره أن يجيب هو لهم فيقول: **الله**، وهو في الظاهر دعوى. أكثر ما في هذه الآية دعوى، وبعضه[4] حِجَاج، وهو[5] قوله:[6] **لا يَمْلِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، وقوله: **خَلقوا كخَلْقِه**؛ لأنهم يُقِرّون بهذا [أنهم] لا يَخلقون كخَلْقِه ولا يَملِكون دفع الضَّر ولا جرّ النفع. وقوله:[7] **قل من رب السماوات والأرض**، إنما أمره أن يسألهم **مَن رب السماوات والأرض**، ولم يقل: مَن ربكم، فإنما أمره[8] أن يسألهم[9] ما لا يتجاسرون أن يقولوا: الأصنام التي يعبدونها هي أرباب السماوات والأرض، فلا بدّ مِن[10] أن يُقِرّوا [أن] الله رب السماوات والأرض،[11] فإذا أقروا بهذا أنه رب السماوات والأرض قد دخل ما في السماوات والأرض في ربوبيته؛ إذ السماوات[12] والأرض إنما خلقهما لأهلهما،[13] فإذا كان ربَّ السماوات والأرض كان ربَّ ما فيهما.

---

[1] م- سجود.
[2] م: والخلقة.
[3] م: على المراد.
[4] ك: بعضه.
[5] ع - وهو.
[6] ع: وقوله.
[7] م: قوله.
[8] ك ن ع: أمرهم.
[9] ك - أن يسألهم.
[10] ك - من.
[11] ع م - والأرض.
[12] ع م: أو السموات.
[13] ع: خلقها لأهلها.

وقال بعضهم: **قل من رب السماوات والأرض قل الله**، أمره أن يسألهم ثم يَسبقهم[1] بالإجابة؛ لأنه هو السابق بكل[2] خير، وهم يجيبون له أنه رب السماوات والأرض. دليله حرف أُبيّ وابن مسعود وحفصة حيث قرءوا:[3] من رب السماوات والأرض قالوا الله، يدل أنه أمره أن يَسبقهم بالإجابة كما كان هو السابق على كل خير.

[٣٧٦و] وقوله عز وجل: **قل أفاتخذتم مِن دونه أولياء**، يقول –والله أعلم– / إذا أقررتم أن رب السماوات والأرض هو الله وهو الإله فكيف اتخذتم مِن دونه هذه الأصنام آلهة أربابًا وعبدتموها؟ أو كيف جعلتم مَن ليس هو برب[4] السماوات والأرض أولى ممن[5] أقررتم بالعبادة له أنه ربهما؟ ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، إذ لا[6] يَملِكون نفعًا[7] لأنفسهم ولا دفع الضرّ عنها، فكيف يَملِكون نفع غيره أو دفع ضرٍ عن غيره؟ فعرّفهم أنهم[8] لا يملكون ذلك وأن الله هو المالك، فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك؟ فيخرج تأويله على وجهين. أحدهما يقول: **لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، فكيف اتخذتم دون الله آلهة؟ والثاني **لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، مع وجود الحاجة فيها، فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم بقولكم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ.[9]

وقوله: **قل هل يستوي الأعمى والبصير**، أي تَعلمون أن الأصنام التي تعبدونها أنها أعمى لا تبصر شيئًا والله هو البصير، فكيف تركتم عبادة من يُبصِر وعبدتم من لا يُبصِر، هل يستوي ذلك، أي لا يستوي. أو يقول لهم:[10] إنكم بعبادتكم الأصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عُمْي وأنتم بُصَراء، فهل رأيتم أعمى يقود بصيرًا في الشاهد؟ أو هل[11] رأيتم من لا يُبصِر يكون دليلاً لبصير؟ فإذا لم تروا ذلك فكيف طمعتم من الأصنام ذلك؟

---

[1] ع م: أن يسبقهم.
[2] ع: كل.
[3] ع م: فرقا.
[4] م: رب.
[5] ع م: من.
[6] م: أو لا.
[7] ع – نفعا.
[8] ن ع م: أنه.
[9] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفَعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[10] ك – لهم.
[11] ع م – أو هل.

وقال أهل التأويل: **قل هل يستوي الأعمى والبصير**، الأعمى الكافر والبصير المؤمن، **أم هل تستوي الظلمات والنور**. الظلمات الكفر والنور الإيمان. ووجهُ قولِهم حيث شَبّهوا الكفر بالظُّلْمة والإيمان بالنور؛ لأن الظُّلْمة تحجب وتستر كل شيء، والنور يَرفع ذلك الحجاب وذلك السِّتْر. فالإيمان له دلائل وحُجج تَرفع تلك الحُجُب والسِّتْر، فيُتَنَوَّر له كل شيء، والكفر ليس له حُجج ودلائل تَرفع ذلك، فهو ظُلْمة لم يُضِئ له شيئا. والإيمان نور حيث أضاء له ونَوّر كل شيء له[1] بالدلائل والحجج التي ذكرنا. فصار الكافر كالأعمى لا يبصر شيئا، لأنه في الظلمة، والمؤمن كالبصير،[2] لأن[3] معه الدلائل والحجج.

وقوله عز وجل: **أم جعلوا لله شركاء**، أي بل **جعلوا لله شركاء**، في العبادة بعد ما علموا أنهم لا يملكون نفعًا إن عبدوها ولا ضرًا إن تركوا العبادة لها. وقوله: **خلقوا كخَلْقِه فتَشَابَهَ الخَلْقُ عليهم**، أي خَلَقَ هؤلاء الأصنام التي عبدوها وأشركوها في ألوهيته كخَلْقِ الله فتَشَابَهَ عليهم خَلْقُه[4] مِن خَلْق الأصنام، أي عرفوا أنها لم تخلق شيئًا كما خَلَقَ الله، فكيف أشركوا هذه الأصنام في عبادة الله وألوهيته وهم كأنهم قد أقروا أن الله هو خالق كل شيء؟ وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا: إن الله لم يخلق أفعال الخَلْق[5] ولا يَقدر على خَلْقِها.[6] فإذا كان الله لم يخلقها فهم[7] خلقوها على زعمهم، فيكون موضع تَشَابُه الخَلْق عليهم[8] على قولهم، فيدل على بطلان قولهم وفساد مذهبهم. *والله الموفق.*

وقوله: **قل الله خالق كل شيء**، في السماوات والأرض، **وهو الواحد القهار**، أي كل شيء دونه[9] تحت قدرته وقهره وسلطانه، والأصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة.

---

[1] ع م – له.
[2] ع + والمؤمن.
[3] ع: لأنه.
[4] م – خلقه.
[5] ك: العباد.
[6] ن – على خلقها.
[7] ن ع: فهو.
[8] ع + فدل.
[9] ع م – دونه.

**﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **أَنزل من السماء ماء فسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا** -إلى آخر ما ذكر من الأمثال إلى قوله- **كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمّا الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً وأمّا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُثُ في الأرض**، قال بعض أهل التأويل: هذا مَثَلٌ ضربه الله لليقين والشك، فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكِّها، فأمّا الشك فلا يَنفع معه[١] عمل، وأمّا اليقين فينفع اللهُ به أهلَه، وهو قوله: **فأما الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، وهو الشك،[٢] **وأمّا ما يَنفع الناس فيَمْكُث في الأرض**، وهو اليقين. وكما يُجعَل[٣] الحُلِيُّ في النار فيؤخذ خالِصُه ويُترَك[٤] خبيثُه في النار كذلك يَقبل الله اليقين ويَترك الشك، وهو قول ابن عباس.[٥] وقال قتادة: قوله: **أَنزل مِن السماء ماءً فسالت أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها**، الصغير بصِغَره والكبير بكِبَره،[٦] **فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا**، يقول: عاليًا،[٧] **ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمّا الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، والجُفاء ما يتعلّق بالشجر مِن الزَّبَد، **وأمّا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُث في الأرض**، فضرب المَثَل للحق والباطل، يقول -والله أعلم- كما اضْمَحَلَ هذا الزَّبَدُ الذي ظهر[٨] فوق الماء فصار جُفَاءً لا يُنتفَع به ولا تُرْجَى[٩] بركتُه كذلك يَضْمَحِلّ الباطل عن أهله كما اضْمَحَلّ هذا الزَّبَد، وكما مَكَثَ هذا الماء في الأرض[١٠] وقَرّ قرارُها[١١] فأَمْرَعَتْ[١٢] ورُجِيَتْ بركتُه[١٣] وأخرجت له نباتها كذلك يَبقى الحقُّ لأهله كما بَقي هذا الماء في الأرض.

---

[١] جميع النسخ: منه.
[٢] ك - وهو الشك.
[٣] ع: كما لا يجعل.
[٤] ع م: وينزل.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٣/١٣٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٣٢.
[٦] بصغيرة والكبير بكبيرة.
[٧] ك: رابيا.
[٨] ن ع م + على.
[٩] ن ع م: يرجى.
[١٠] م + ومما توقدون عليه في النار.
[١١] ع: قراها. أي وقَرّ قرار الأرض.
[١٢] أَمْرَعت الأرض أي أَخصبَت وأَكْلأت وأَعْشَبَت (*لسان العرب* لابن منظور، «مرع»).
[١٣] ع: تركته؛ ع م + كذلك.

**وممّا يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ**، يقول: يَبقى خالصُ[١] هذا الذهب والفضة حين أُدْخِلَ في النار وذَهَبَ خَبَثُه، كذلك يَبقى الحقُّ لأهله. **أو متاعٍ**، يعني هذا الحديد والصُّفْر الذي يُنتفَع به وفيه مَنافع، يقول: كما بَقي خالصُ هذا[٢] الحديد، وهذا الصُّفْر حين أُدْخِلَ النار وذهب خَبَثُه [٣٧٦ط] كذلك يَبقى[٣] الحقُّ لأهله كما بَقي خالصُهما.[٤]

وقال الكَلْبي: قوله: **أنزل من السماء ماء**، وهو القرآن، فاحتمله القلوب بأهوائها، ذو[٥] اليقين على قدر يقينه وذو الشكّ[٦] على قدر[٧] شكّه، فاحتملت الأهواء باطلاً كثيرًا وجُفَاءً. فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسَّيل[٨] الأهواء، والزَّبَد الباطل، والحق المتاع والحلية. قال: **كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمّا الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً وأمّا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُث في الأرض**، فالزَّبَد وخَبَثُ الحديد وخَبَثُ المتاع هو الباطل، مَن أصاب مِن هذا شيئًا لم ينتفع به، فكذلك [صاحب] الباطل يوم القيامة لا يَنتفع بباطله. وأمّا الحلية والماء والمتاع فهو الحق، مَن أصاب شيئًا مِنه انتفع به، وكذلك صاحب الحق يوم القيامة يَنتفع بالحق. أمّا الحلية فالذهب والفضة، وأمّا المتاع فالصُّفْر[٩] والحديد والرصاص والنحاس ونحوه، ليس[١٠] شيء مِن هذا يُنتفَع به حتى يُدخَل النار فيُميَّز صَفْوُه مِن خَبَثِه.

وقال الحسين بن واقد[١١] وهو قول مُقاتِل: ضرب الله مَثَل[١٢] الكفر والإيمان ومَثَل الحق والباطل، فقال:[١٣] **أنزل مِن السماء ماء فسالت أَوْدِيَةٌ بقَدَرِها**، سال الوادي الكبير على قدر كِبَره والصغير على قدر صِغَره،[١٤] **فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا**، أي عاليًا، ثم قال: **وممّا يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ**،

---

[١] ع م – خالص.
[٢] ن – هذا.
[٣] ع م: تبقى.
[٤] *تفسير الطبري*، ١٣٦/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٣٤/٤.
[٥] ع م: دون.
[٦] ن ع م: شك.
[٧] ن – قدر.
[٨] ع: والسبيل.
[٩] ع م: فالصفرة.
[١٠] ع: وليس.
[١١] الحسين بن واقد، قاضي مرو. محدث ثقة، وكان من خيار الناس. (ت ١٥٩هـ/ ٧٧٦م). انظر: *الكاشف* للذهبي، ٣٣٧/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ١٦٩/١؛ و*تهذيب التهذيب* له، ٣٢١/٢.
[١٢] ع م – مثل.
[١٣] ع م – فقال.
[١٤] ع م: على صغرها.

الذهب والفضة،[1] ثم قال: **أو متاعٍ**، الشَّبَه[2] والحديد والصُّفْر والرصاص، **زَبَدٌ مِثلُه**، أي للسَّيْل زَبَدٌ[3] لا يُنتفَع به، والماء يُنتفَع به،[4] وللحُلِيّ والمتاع أيضًا زَ بَدٌ[5] مِثلُ زَبَد السَّيْل **إذا أُدخِل النار**، وهو خَبَثُه لا يُنتفَع به، والحُلِيّ والمتاع ما خَلُص منهما يُنتفَع به. فمَثَل الأودية مَثَل القلوب، ومَثَل السَّيْل مَثَل الأهواء، ومَثَل[6] الماء والحُلِيّ والمتاع الذي يُنتفَع به مَثَل الحق، ومَثَل زَبَد الماء وخَبَث الحُلِيّ[7] والمتاع الذي لا يُنتفَع به مَثَل الباطل. فكما يُنتفَع بالماء وما خَلُص مِن الحُلِيّ والمتاع الذي يَنتفع به أهلُه[8] في الدنيا فكذلك الحق يَنفع أهلَه في الآخرة، وكما[9] لا يَنفع الزَّبَد وخَبَث الحُلِيّ وخَبَث المتاع أهلَه في الدنيا فكذلك الباطل لا يَنفع أهلَه في الآخرة.[10]

**كذلك**، أي هكذا، **يضرب الله الحق والباطل**، أي يُبين الله ما ذكر مِن مَثَل الحق والباطل. **فأما الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، قال: يعني يابسًا، فلا يُنتفَع به، **وأمّا ما يَنفع الناس**، مِن الماء، **فيَمكُث في الأرض**، فيَسقُون ويَزرعون عليه وينتفعون به. فهذه ثلاثة أمثال ضربها الله[11] في مَثَل واحد. يقول: هكذا يُبين الله الأمثال والأشباه، **لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا**،[12] أي أجابوا،[13] **لِرَبِّهِم**، في الدنيا بالإيمان والتوحيد، **الْحُسْنَىٰ**، لهم وهي الجنة في الآخرة.

فضَرب[14] الله مَثَل الإيمان والحق ووَصَفهما بالثبات والقرار والطِّيب، بالأرض الطيبة مرة، وشجرة طيبة ثانيًا، وضَرب مَثَل الكفر والباطل بالأرض الخبيثة والشجرة الخبيثة، ووَصَفهما بالخُبْث والذهاب،

---

[1] ن: حبية الفضة والذهب.

[2] ن: الذهب؛ ع م: المشية. الشِّبه والشَّبَه: النحاس يُصبَغ فيَصْفَرّ، وفي التهذيب: ضَرب مِن النحاس يُلقَى عليه دواء فيَصْفَرّ. قيل: سمّي به لأنه إذا فُعل ذلك به أشبه الذهب بلونه (*لسان العرب* لابن منظور، «شبه»).

[3] ك + مثله.

[4] ك – والماء ينتفع به.

[5] ن + مثل زبد.

[6] ن: أو مثل.

[7] ن ع م – والمتاع الذي ينتفع به مثل الحق ومثل زبد الماء وخبث الحلي.

[8] ع م: أصله.

[9] ن: كما.

[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ١/٣٧٤.

[11] ع م – الله.

[12] ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (الآية التالية).

[13] ن – أي أجابوا.

[14] ك ن: ضرب.

فقال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ،[1] وقال:[2] وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ،[3] وقال:[4] وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ،[5] الآية. وضَرب مَثَل المؤمن مرة بالبصير[6] والسميع،[7] ومَثَل الكافر بالأعمى والأصم، فقال: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً.[8] وضَرب مَثَل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت،[9] ومَثَل الإيمان بالنور والضياء والحياة[10] ونحوه.[11] فهذه الأمثال التي[12] ضَرَب الله عز وجل تخرج كلها مخرج الدعوى في الظاهر؛ إذ ليس فيها بيان الحق منها[13] وبيان المحُق مِن غير المحُق سِوَى أنّ فيها: هل يستوي ذا مع ذا -لا يستوي، على ما ذكر-[14] وهل يستوي الطيب [و]الخبيث[15] أو البصير والسميع [مع] الأصم والأعمى أو الميت [و]الحي أو الظلمات [و]النور وأمثاله. هذا كله غير مُستوٍ. وكل أهل الأديان -وإن اختلفت مذاهبهم-[16] يقول كلٌّ: أنا الذي عليه هو الحق،

---

[1] ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كلَّ حِينٍ بإذن ربها ويَضرب الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكّرون﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٥).

[2] ع م: قال.

[3] سورة إبراهيم، ١٤/٢٦.

[4] ك: قال.

[5] ﴿والبلد الطيب يَخرج نباته بإذن ربه والذي خَبُثَ لا يَخرج إلا نَكِدًا كذلك نُصَرِّف الآيات لقوم يشكرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٨).

[6] ن: بالبصر؛ ع: والبصير.

[7] ك: مرة بالسميع والبصير.

[8] سورة هود، ١١/٢٤.

[9] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تَستوي الظلماتُ والنور﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦)، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الذين كفروا بربهم أعمالُهم كرَمَادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ لا يَقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٨).

[10] انظر الآيات المذكورة، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُهم كمَثَلِ الذي استوْقَدَ نارا فلمّا أَضَاءت ما حوله ذَهَب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يُبصِرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧)، وقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كان مَيْتًا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مَثَلُه في الظلمات ليس بخارجٍ منها كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٢)، وغير ذلك من الآيات.

[11] ع: ونحو.

[12] ع م - التي.

[13] م: عنها.

[14] م: ما ذلك.

[15] يقول الله تعالى: ﴿قل لا يَستوي الخبيث والطيب ولو أَعْجَبَكَ كثرةُ الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، ٦/١٠٠).

[16] ع م: مذاهبه هو.

والباطل هو الذي عليه غيري، وينفي كلٌّ[1] عن نفسه العَمَى والصَمَم وكونَه في ظُلْمة ويَدَّعِي كونَه في النور ونحوه. فليس في نفس الأمثال التي ضُربت بيانُ الحق من الباطل والمُحِقّ من غيره، فذلك يُعرَف بغيرها: بالدلائل والحجج والبراهين. وهو ما ذكر: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾،[2] الآية. فبالدلائل والحجج والبراهين يُعرَف الحق من الباطل والمُحِقّ من غير المُحِقّ. فللإيمان والحق دلائل وحجج، يَعرف ذَوُو[3] العقول بالعقول حُسنَه وطِيبَه وما يَعقُب مِن ثمرته، ويَبِينُ قُبْحُ الكفر والباطل لِذَوِي[4] العقول بالعقول واستخباثُهم الباطل وما يَعقُب لأهله مِن الخُبْث والقُبح والشر.

وقال القُتَبي: **زبدًا رابيًا**، أي عاليًا على الماء. **ابتغاءَ حِلْيَةٍ**، أي حُليّ، **أو متاعٍ**، آنية، يعني مِن فِلِزّ[5] الأرض وجواهرها[6] مِثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب[7] والفضة حيث تَغْلُوها إذا أُذِيبَت مِثلُ زَبَد الماء. والجُفَاء ما رَمى به الوادي إلى جَنَبَاتِه، يقال: أَجْفَأَت القِدْر بزَبَدِها، إذا أَلْقَتْ[8] زَبَدَها عنها.[9]

وقال أبو عَوْسَجة: **رابيًا**، أي مرتفعًا فوق ظهر الماء. وهو واحد. ويقال: زَبَدَ الماءُ، إذا صار له زَبَد. **ابتغاءَ حِلْيَةٍ**، هو من الحُلِيّ من الذهب والفضة مما / يُتَحَلَّى به، **فيَذهب جُفَاءً**، أي [٣٧٧و] باطلًا لا يُنتفَع به. وأمّا الجَفَاء فهو إظهار التهاون بالإنسان وقلّة الاكتراث له والاستخفاف به. وقال: الجُفَاء هو الغُثَاء. ويقال: قد انْجَفَى الوادي، إذا علاه ذلك ثم جرى به الماء. قال أبو عَوْسَجة: والغُثَاء عندي ما حمله السيل[10] من العِيدان والبَعر وما يشبه ذلك. وقال القُتَبي: قوله: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾،[11] أي يَبَسًا. قال أبو عُبَيْد:[12] الجُفَاء الجُمُود.[13] ويَذهب إلى أن الزَّبَد يَجْمُد ويجتمع على الماء ثم يذهب بمائها. وقال الفَرّاء: **فيَذهب جُفَاءً**: أي يذهب سريعًا كما جاء.[14]

---

[1] ن: الكل.
[2] ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٣/٢٩).
[3] ن ع م: ذو.
[4] ك: لذي؛ ن ع: الذي.
[5] الفِلِزّ و الفِلَزّ و الفُلُزّ: النحاس الأبيض تُجعَل منه القُدُور العظام... و الفِلِز و الفِلَزّ: الحجارة. وقيل: هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهها وما يُرمَى مِن خَبَثها (*لسان العرب* لابن منظور، «فلز»).
[6] ع: جواهرها.
[7] ن: من الذهب.
[8] جميع النسخ: إذا ألقيت.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٧.
[10] ن: السبيل.
[11] ﴿والذي أخرج المرعى. فجعله غُثاءً أحوَى﴾ (سورة الأعلى، ٤/٨٧-٥).
[12] ع م: أبو عبيدة.
[13] ك: والجمود؛ ع: الحود؛ م: الحمود.
[14] *معاني القرآن* للفراء، ٣٧٠/١.

{وقال الشيخ رحمه الله:} ويشبه أن يكون المَثَل الذي ضُرب بالماء هو للدين، وهو أن الدين الحق الذي أُنزل من السماء واحد، لكن الناس اتخذوا أديانًا متفرقة ومذاهبَ[١] مختلفة، كقوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ.[٢] فالدين الذي أُمر[٣] بسلوكه[٤] واتباعه واحد، وهو كالماء الذي أُنزل من السماء واحدٌ صافٍ وهو الأصل، فحدث[٥] منه أشياء لا يُعبأ بها[٦] ولا يُكترث،[٧] فعلى ذلك السيل. أو أن يكون وجهُ ضربِ مَثَله بالماء هو[٨] أنّ الماء إذا أُنزل من السماء أُنزل طَيِّبًا عَذْبًا،[٩] لكن اختلف ألوانه وطُعُومه باختلاف جواهر الأرض. بعضُه خرج مالحًا أُجَاجًا وبعضُه مُرًّا لا يُنتفَع به وبعضُه عَذْبا.[١٠] وذلك على اختلاف جواهر الأرض،[١١] وإلّا كان المُنزَل من السماء كلُّه عَذْبًا طيبًا.[١٢] فالذي يُنتفَع به واحد، وهو العَذْب، فعلى ذلك الدين الذي يُنتفَع به واحد، والبَوَاقي لا يُنتفَع بها كالمياه المُرّة والمالحة. أو يكون[١٣] غير هذا، ونحن لا نعرفه. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **كذلك يضرب الله الأمثال**.

**﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[١٨]

**للذين استجابوا لربهم الحسنى**، أي أجابوا ربهم[١٤] فيما دعاهم إليه. وإنما دعاهم إلى السبب الذي يُوجِب لهم دار السلام، وهي الجنة بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[١٥]

---

[١] ك: ومذاهبنا؛ ن ع م: ومذاهبا.
[٢] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[٣] ن: آمن.
[٤] ع م: لسلوكه.
[٥] ك: فحذف.
[٦] جميع النسخ: به.
[٧] ك: ولا يكترف.
[٨] جميع النسخ: وهو.
[٩] ك: أنزل عذبا طيبا.
[١٠] ك ع م: عذب.
[١١] ن – بعضه خرج مالحا أجاجا وبعضه مرا لا ينتفع به وبعضه عذبا وذلك على اختلاف جواهر الأرض.
[١٢] جميع النسخ: عذب طيب.
[١٣] ن: ويكون؛ م: أو أن يكون.
[١٤] م: لربهم.
[١٥] سورة يونس، ٢٥/١٠.

دعاهم إلى دار السلام ومَكَّن[1] لهم مِن الإجابة له والردّ، فمن أجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى الذي ذكر، ومن[2] ردّ دُعاءَه كان له النار ودار الهَوَان.[3] فأيهما[4] اختار[5] فله[6] الموعود الذي وعد، إن اختار إجابته إلى ما دعاه فله النعيم الدائم الذي وعد ودار[7] السلام، وإن اختار الردّ وتَرْكَ الإجابة فله ما وعد من العذاب الدائم والهَوَان. والأمثال التي ذَكر[8] أنها **للذين استجابوا لربهم الحسنى**، هو هكذا للمؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بها. وكذلك ما ذكر من القرآن أنه هدى ورحمة للمؤمنين،[9] وأمّا على أهل الكفر فهو عَمًى وضلال.[10] وكذلك قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾،[11] وأمّا قلوب الكفرة فما ذكر:[12] ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾،[13] و ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾،[14] وأمثاله.

وقوله عز وجل: **والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومِثلَه معه لَافْتَدَوْا به**، أي ضِعْفَه معه **لَافْتَدَوْا به**، يَذكُر هذا -والله أعلم- أنّ الذين[15] كان يمنعهم عن الإجابة **إلى ما** دعاهم[16] إليه رغبتُهم في هذه الدنيا ومَيْلُهم إليها يَتمنَّوْن لِما يَحِلّ فيهم مِن العذاب والشدائد

---

[1] ع: وأمكن.
[2] ع م: ذكره من.
[3] م: لهوان.
[4] ن: وأيهما.
[5] ع + الرد.
[6] م – فله.
[7] ع م: دار.
[8] في الآية السابقة.
[9] ﴿وإنه لَهُدًى ورحمةٌ للمؤمنين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٧٧).
[10] ن: وكذلك. يقول الله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجميٌّ وعربيٌّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى أولئك يُنادَوْنَ مِن مكان بعيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).
[11] ﴿قاتِلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم ويَنصرْكم عليهم ويَشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ٩/١٤). ولعل الأوفق بما هنا هو مثل قوله تعالى: ﴿ونُنَزِّل مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خَسارا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٢).
[12] م – فما ذكر.
[13] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يَستبشِرون. وأمّا الذين في قلوبهم مَرَضٌ فزَادَتْهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[14] سورة البقرة، ٢/١٠.
[15] ك ن: أن الذي.
[16] ع م: إلى ما وهم.

أنْ يكون لهم ما في الأرض جميعًا لِأَنْ[١] يفتدوا به. **أولئك لهم سُوء الحساب**، أي يحاسَبون[٢] حسابًا يَسُوءهم؛ لأن حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم، بل صارت كالسراب الذي ذكر: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا،[٣] ولم يتجاوز عن سيئاتهم، **ومأواهم جهنم وبئس المهاد**، الذي[٤] يَأْوُون إليه هو جهنم، **وبئس المهاد**، لِما يَسُوءهم ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **أفمن يَعلم أنّ ما أُنزل إليك مِن ربك الحق كمن هو أعمى**، أي مَن يَعلم الحق حقًّا كمن هو يَعْمَى[٥] عنه ولا يعلم؟ أو مَن يَعلم الحق أنه حق كمن يَعلمه باطلاً؟[٦] ليسا بسواء، كقوله: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.[٧]

وقوله عز وجل: **إنما يتذكّر أولو الألباب**،[٨] **إنما يتذكر**، بالتذكير، **أولو الألباب**، وذَوُو[٩] العقول الذين يَنتفعون بعقولهم ولُبّهم.

**﴿اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٢٠]**

ثم بَيّن مَن هم[١٠] فقال: **الذين يُوفُون بعهد الله**، يحتمل عهد الله[١١] عهد خِلقة، يُوفُون ما في خِلقتهم[١٢] مِن العهد؛[١٣] إذ في خِلقة كل أحدٍ دلالةُ وحدانيته وشهادةُ ألوهيته، فوَفَّوا ذلك العهد. ويحتمل عهد الله ما جرى على أَلسُن الرسل. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٤]

---

[١] جميع النسخ: أن.

[٢] م: أو يحاسبون.

[٣] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووَجَدَ اللهَ عنده فوَفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).

[٤] ك: المهاد أي الذين.

[٥] ع م + هو.

[٦] م: بالجلا.

[٧] سورة الزمر، ٩/٣٩.

[٨] ع م + أي.

[٩] ن ع م: وذو.

[١٠] ع: منهم.

[١١] ع م – عهد الله.

[١٢] م: في خلقهم.

[١٣] ك – من العهد.

[١٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢.

وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ،[1] الآية، وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[2] الآية. **ولا يَنقضون الميثاق**، العهد والميثاق واحد. وسمّي العهد ميثاقًا **لأنه** يُوثِق المرءَ ويمنعه[3] عن الاشتغال بغيره. ***والله أعلم***.

**﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **والذين يَصِلُون ما أمر الله به أن يُوصَل**، الصِّلَات[4] التي أمر الله بها أن تُوصَل على جهات ومراتب. أمّا ما بينه وبين المؤمنين أن لا يحبّ لهم[5] إلا ما يحبّ لنفسه[6] ولا يَصْحَبهم إلا بما يحبّ هو أن يُصحَب. وأمّا فيما بينه وبين محارِمه أن يُؤدّي ويحفظ الحقوق التي جعَل الله لبعضهم[7] على بعض ولا يُضيعها. وأمّا فيما بينه وبين الرسل / فهو أنّ مِن حقهم أن يُوصَل الإيمانُ بالنبيين [٣٧٧ظ] جميعًا والكتب كلها. هذا –والله أعلم– الصلة التي أمر الله أن يُوصَل بها. **ويخشون ربهم**، إمّا في التقصير فيما أمر أن يُوصَل، وإمّا بالتفريط في ذلك وتَرْكِ الصلة. **ويخافون سُوء الحساب**، أي شدة الحساب حين لم تنفعهم[8] حسناتهم ولا يُتجاوز عن شيء مِن سيئاتهم، فذلك يَسُوءهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **والذين صبروا**، قد ذكرنا فيما تقدم[9] أن الصبر هو كَفُّ النفس وحَبْسُها عما تهواه على ما تكره ويَثْقُل عليها. ثم يحتمل كفها وحبسها عن الجزع في المصائب وعلى أداء ما افترض الله عليهم وأمرهم بها. أو كَفُّوا أنفسهم وحبسوها عن المعاصي. يكون الصبر على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتُكم مِن كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدقٌ لِمَا معكم لَتُؤمِنُنّ به ولَتَنصُرُنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرِي قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (سورة آل عمران، ٨١/٣).

[2] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تَكْتُمُونَه فنَبَذُوه وراءَ ظهورهم واشتَرَوْا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[3] ع م: يمنعه.

[4] ن ع م: الصلوة.

[5] جميع النسخ: لا يحبهم.

[6] ع م – لنفسه.

[7] ك: بعضهم.

[8] ك: لم ينفعهم.

[9] انظر تفسير الآية من سورة الأنفال، ٦٦/٨.

[10] ن: ذكرناه.

قوله: **ابتغاءَ وجهِ ربهم،** يحتمل[1] وجهين. يحتمل ابتغاء رضوان الله. ويحتمل ابتغاء وجهٍ يكون لهم عند الله، وهو المنزلة والرِفْعة. ولذلك سمّي الرفيع[2] وذو المنزلة[3] وجيهًا، كقوله: وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[4] أي ذو منزلة ورِفعة في الدنيا والآخرة. وعلى ذلك يخرج قوله: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ،[5] أي ثَمّ الجهة التي أَمر الله أن يُتوجَّه إليها. فعلى ذلك هذا، **صبروا ابتغاءَ وجهِ ربهم،** أي ابتغاءَ المنزلة والرِّفعة التي عند ربهم. أو ابتغاءَ[6] رضوان الله ومَرضاته. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وأقاموا الصلاة،** أي داموا على إقامتها، ليس أنهم أقاموا مرة ثم تركوها، ولكن داموا على إقامتها. وعلى ذلك قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[7] أي دُومُوا على إقامتها. ويحتمل قوله: **وأقاموا الصلاة،** أي جعلوها قائمة أبدًا.

وقوله عز وجل: **وأنفقوا مما رزقناهم سِرًّا وعَلانيةً،** يحتمل كل نفقة الصدقة والزكاة وما يُنفِق على عياله وولده، **سِرًّا وعَلانيةً،** أي ينفق في كل وقتٍ سِرًّا مِن الناس وعَلانيةً منهم، أي ينفق على جهلٍ مِن الناس وعلى عِلمٍ منهم، ينفقون على كل حال، لا يمنعهم عِلمُ[8] الناس بذلك عن الإنفاق[9] بعد أن يكون ابتغاءَ وجهِ ربهم.

وقوله عز وجل: **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة،** أي يَدفعون **بالحسنة السيئة.**[10] ثم يحتمل وجهين. أحدهما يَدفعون بالإحسان إليهم العداوة التي كانت بينهم، كقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ،[11] الآية. والثاني يَدرَءُون الإساءة التي كانت منهم[12] إليهم[13] بالخير إليهم والمعروف،[14]

---

[1] ن: ويحتمل.
[2] ك ع م: الرفع.
[3] جميع النسخ: منزلة.
[4] ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يُبَشِّرك بكلمةٍ منه اسمُه المسيح عيسى ابن مريم وَجيهًا في الدنيا والآخرة ومِن المُقَرَّبين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٥).
[5] ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تُوَلُّوا فثَمّ وجه الله إن الله واسع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٥).
[6] ن ع م: وابتغاء.
[7] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٤٣.
[8] ك: حال.
[9] ع: على الإنفاق.
[10] م – أي يدفعون بالحسنة السيئة.
[11] ﴿ولا تَستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حَميم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٤).
[12] جميع النسخ: لهم.
[13] ع م – إليهم.
[14] ع م: بالمعروف.

ولا يُكافِئُون بالسيئ السيئ وبالشر الشرَّ، ولكن يدفعونه بالخير. وقال بعضهم في قوله: **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة،** أي[1] إذا سُفِه عليهم حَلمُوا، والسَّفَه سيئة، والحِلْم حسنة. **أولئك لهم عُقْبَى الدار،** أي[2] عُقْبَى أولئك الذين صبروا على ما ذكر مِن[3] وفاء العهد والصلة التي أُمروا بها أن يَصِلُوا والصبر على أداء ما أُمر به وافتُرِض عليه والانتهاءِ عما[4] نُهي عنه الدارُ[5] التي دعاهم إليها، بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[6] والثاني **أولئك لهم عُقْبَى الدار،** أي عُقْبَى حسناتهم دارُ الجنة. أو[7] أولئك[8] لهم عُقْبَى هذه الدارِ: الجنةُ. أو عاقبتهُم دارُ الجنة.

**﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[٢٣]**

ثم نَعَتَ تلك الدار، فقال: **جناتُ عَدْنٍ يَدخلونها،**[9] قال أهل[10] التأويل: **عَدْن،** هو بُطْنَان الجنة، وهو وسطها. وقال بعضهم: **عَدْن،** هو الإقامة، أي جناتٌ يُقيمون فيها. يقال: عَدَن، أي أقام.

وقوله عز وجل: **ومن صَلَح مِن آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.** فإن قيل: كيف خصّ بالذكر الآباء والأزواج والذرية وهم قد دخلوا في قوله: ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ،[11] وفي قوله: **يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ،**[12] وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ،[13] فما معنى تخصيصهم بالذكر؟ [قيل:] هذا يحتمل وجوهًا. أحدها أنهم أسلموا فاختُرِمُوا، أي ماتوا كما أسلموا، ولم يكن لهم مما ذكر[14] مِن الخيرات والحسنات،

[1] ع – أي.
[2] ع م – أي.
[3] ع – من.
[4] ك: الذي.
[5] هذه الكلمة مع اسم الموصول وصلته خبر المبتدأ: عقبى أولئك.
[6] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[7] ن ع م – أو.
[8] ك: وأولئك.
[9] ن ع م + عدن.
[10] ع – أهل.
[11] سورة الرعد، ٢٠/١٣.
[12] سورة الرعد، ٢١/١٣.
[13] الآية السابقة.
[14] ع: ما ذكر.

فأخبر أنّ هؤلاء يَدخلونها[1] أيضًا[2] ويَلحقون[3] بأولئك. والثاني لم يَبْلُغوا الدرجة التي بَلَغ أولئك، فأخبر عز وجل أنه يُبلغهم درجةَ أولئك[4] ويُلحقهم بها،[5] كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ،[6] الآية، يَضُمّ بعضَهم إلى بعض في الآخرة كما كانوا في الدنيا. تضُمّ كلُّ ذي قَرِينٍ في الدنيا قَرِينَه[7] إليه في الآخرة. وفي قوله:[8] **وَمَن صَلَح مِن آبائهم**، وما ذكر دلالة أنّ صلاح غيره وإن قَرُب منه لا يَنفعه حتى يكون في نفسه صلاح، حيث قال: **وَمَن صَلَح مِن آبائهم**، إلى آخر ما ذكر، وهو ما قال لنوح:[9] إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.[10] دل هذا أنّ صلاح والده[11] أو قريبه لا يُجْدِي له نفعًا في الآخرة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والملائكة يَدخلون عليهم مِن كلِّ باب**، هذا يحتمل أن يكون لمقامهم ومنازلهم أبواب فيَدخُل[12] عليهم مِن كل بابٍ مَلَك. والثاني يحتمل أن[13] يأتي كل مَلَك بتُحْفَة غير التُّحْفَة[14] التي أَتَى[15] بها الآخر على اختلاف خيراتهم وقدر أعمالهم، **من كل باب**، أي من كل نوع من التُّحف. وفيه وجهان. أحدهما أنّ الملائكة يكونون خَدَمَ أهلِ الجنة، وفي ذلك تفضيل البشر[16] عليهم. أو أن يكون على حق المُصاحَبَة لما أحبّوا هُم أهلَ الخير مِن البشر في الدنيا لخيرهم، فجعل الله بينهم الرُّفْقَة والصُّحْبَة في الآخرة. والله أعلم بذلك.

---

[1] ن ع م: يدخلوها.
[2] ع م – أيضا.
[3] ع: ويلحقوا.
[4] ن: أولياء.
[5] جميع النسخ: به.
[6] ﴿والذين آمنوا واتَّبَعَتْهم ذريتُهم بإيمانٍ أَلْحَقْنا بهم ذريتَهم وما أَلَتْناهم من عملِهم مِن شيء كلُّ امرئٍ بما كَسَبَ رَهِين﴾ (سورة الطور، ٢١/٥٢).
[7] ع: قرينة.
[8] ن: في قوله؛ م: على قوله.
[9] وذلك في حق ابنه الذي غرق في الطوفان.
[10] سورة هود، ٤٦/١١.
[11] ع: والمده.
[12] ن: فيدخلون.
[13] م + يكون.
[14] م – غير التحفة.
[15] ن: يأتي.
[16] ع م – البشر.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **سلامٌ عليكم بما صبرتم**، كقوله: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[١] وقوله عز وجل: [٣٧٨و] **فنِعْمَ عُقْبَى الدار**، هو[٢] ما ذكرنا في قوله: أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ.[٣]

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والذين يَنقضون عهد الله مِن بعدِ ميثاقه**، العهد قد ذكرناه في غير موضع، وكذلك النقض.[٤]

وقوله عز وجل: **ويَقطعون ما أَمر الله به أن يُوصَل ويفسدون في الأرض**، كل حرف من هذه الحروف[٥] يقتضي معنى الحرف الآخر: إذا نقضوا العهد والميثاق قد قطعوا[٦] ما أمر الله به أن يُوصَل وسَعَوْا في الأرض بالفساد. وإذا قطعوا ما أمر الله به[٧] أن يُوصَل نقضوا[٨] العهد[٩] وسَعَوْا في الأرض بالفساد، إلاّ أن يقال: إنّ نقض العهد يكون بالاعتقاد، وذلك يكون بينهم[١٠] وبين ربهم،[١١] وكذلك[١٢] قَطْعُ ما أَمر الله به أن يُوصَل إذا كان الأمر الذي أَمر به صِلةَ الإيمانِ بالنبيين والكتب جميعًا. فإن كان صِلةَ الأرحام فهو فِعل، والسعي في الأرض بالفساد فِعل أيضًا مِن زنا أو سَرِقة أو قطع الطريق وغير ذلك من المعاصي ما كان، فهو الإفساد في الأرض. ***والله أعلم***. والإفساد في الأرض يحتمل مَنعهم الناس [عن] الإيمان به وتصديقه أو غيرِه من المعاصي[١٣] أو قطع الطريق.[١٤]

---

[١] سورة إبراهيم، ٢٣/١٤.
[٢] م: وهو.
[٣] سورة الرعد، ٢٢/١٣.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢؛ وسورة الرعد، ٢٠/١٣.
[٥] ن: الأحرف.
[٦] ع: أي قطعوا.
[٧] م – به.
[٨] ع: بقضوا.
[٩] ن + والميثاق قد قطعوا ما أمر الله به أن يوصل.
[١٠] م: منهم.
[١١] ن ع م: نسائهم.
[١٢] ن: وكذا.
[١٣] ن م – ما كان فهو الإفساد في الأرض والله أعلم والإفساد في الأرض يحتمل منعهم الناس الإيمان به وتصديقه أو غيره من المعاصي.
[١٤] ع – ما كان فهو الإفساد في الأرض والله أعلم والإفساد في الأرض يحتمل منعهم الناس الإيمان به وتصديقه أو غيره من المعاصي أو قطع الطريق.

وقوله عز وجل: **ويَقطعون ما أَمر الله به أن يُوصَل**، يحتمل **ما أَمر الله به أن يُوصَل**، ما ذكرنا[١] مِن وَصْلِ الإيمان ببعض الرسل بالكل وبجميع[٢] الكتب. ويحتمل صِلةَ الأرحام التي فرض عليهم صِلتهم، قطعوا ذلك. أو أَمرهم[٣] أن يَصِلُوا أعمالهم بما اعتقدوا.

وقوله عز وجل: **أولئك لهم اللعنة ولهم سُوءُ الدار**، اللعنة هي الطرد في اللغة والإبعاد، كأنهم طُردوا وأُبعدوا عن رحمة الله في الآخرة. أو طُردوا وأُبعدوا من هداية الله وإرشاده في الدنيا. **ولهم سُوءُ الدار**، قد ذكرنا[٤] أنهم دُعُوا إلى دارٍ وحُذِّرُوا عن دارٍ. دُعُوا إلى دار السلام،[٥] فإن أجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر،[٦] وحُذِّرُوا عن دار الهَوَان، فإن[٧] لم[٨] يحذروا فلهم[٩] دار[١٠] السوء و[١١] الهوان. أو سمّاها[١٢] **سُوء الدار**، لما يَسُوء مُقامهم فيها. أو ذُكر[١٣] لأهل النار **سُوءُ الدار**، مقابل ما ذُكر لأهل الجنة حُسْنُ الْمَآبِ،[١٤] و حُسْنُ الثَّوَابِ،[١٥] و الحُسْنَى.[١٦]

**﴿اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **الله يَبسُط الرزق لمن يشاء ويَقدِر**، يُرغِّبهم فيما عنده ويُؤيِسُهم عما في أيدي الخَلْق ويَقطع رجاءهم عن ذلك؛ لأن الذي كان يمنعهم عن الإيمان به ويحملهم على تكذيب الرسل

---

[١] ن: بما ذكرنا.
[٢] ع م: وجميع.
[٣] ن: أو أمروا.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية السابقة برقم ٢٢.
[٥] ع م: الإسلام. يشير إلى قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ (سورة يونس، ٢٥/١٠).
[٦] يقول الله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (سورة الرعد، ١٨/١٣).
[٧] ن ع م – فإن.
[٨] ن ع م: فلم؛ ع + لم.
[٩] ع م – فلهم.
[١٠] ن: عن دار.
[١١] ن – السوء و، صح هـ.
[١٢] ن: وسماها.
[١٣] ن: وذكر.
[١٤] ﴿والله عنده حُسْنُ المَآب﴾ (سورة آل عمران، ١٤/٣)؛ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طُوبَى لهم وحُسْنُ مَآب﴾ (سورة الرعد، ٢٩/١٣).
[١٥] ﴿والله عنده حُسْنُ الثواب﴾ (سورة آل عمران، ١٩٣/٣).
[١٦] ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (سورة الرعد، ١٨/١٣).

وتَرْكِ الإجابة هذه الأموالُ التي كانت في أيدي أولئك، وبها رَأَوْا دوام الرئاسة والعزّ والشرف لهم في هذه الدنيا، فقال:[1] هو الباسط لذلك والقاتِر لأولئك،[2] هو يُوسِعُ على من يشاء ويَقْتُر على من يشاء، ليس ذلك إلى الخَلْق. وذَكر أنه يَبسُط الرزق لمن يشاء مِن أوليائه وأعدائه ويَقْتُر على من يشاء[3] مِن أعدائه وأوليائه لِيُعلَم أنّ[4] التوسيع في الدنيا والبَسْطَ لا يدل على الولاية، ولا التقتير والتضييق على العداوة. ليس كما يكون في الشاهد يُوسَّع على الأولياء ويُبسَط، ويُضيَّق على الأعداء؛ لأن التوسيع في الدنيا والتضييق بحق المِحْنة، وفي الآخرة[5] بحق الجزاء، ويستوي[6] في المِحْنة الولي والعدو، ويُجمَع بينهما في المِحْنة، ويُفرَّق بينهما في الجزاء.

وقوله عز وجل: **وفرحوا بالحياة الدنيا**، يحتمل قوله: **وفرحوا**، [أن يكون] صِلة ما تقدم، وهو قوله: وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ -إلى قوله-[7] وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ،[8] [أي] ويفرحون بالحياة الدنيا. ثم الفرح يحتمل وجوهًا. يحتمل **وفرحوا بالحياة الدنيا**، أي رَضُوا بها، كقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[9] أو فرحوا: سُرُّوا بها.[10] فإن قيل: إنّ المؤمن قد يُسَرّ بالحياة الدنيا. قيل: يُسَرّ، ولكن[11] لا يُلهِيه[12] سُروره[13] بها ولا يَغفل[14] عن الآخرة. وأمّا الكافر فإنه[15] لشدة سروره بها وفرحه عليها يَلْهَى عن الآخرة وعن جميع الطاعات. وهكذا العُرْف[16] في الناس[17] أنه إذا اشتدّ بالمرء السرور بالشيء فإنه يَلْهَى عن غيره ويَغفل عنه.

---

[1] ك: فقالوا.
[2] ع: لا أولئك؛ م: أولئك.
[3] ن + ليس ذلك إلى الخلق وذكر أنه يبسط الرزق لمن يشاء من أوليائه وأعدائه ويقتر على من يشاء.
[4] ع م: ليعلموا.
[5] ع م: في الآخرة.
[6] ن ع م: ويسوي.
[7] ع - إلى قوله.
[8] الآية السابقة.
[9] ﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧).
[10] م: سرورا.
[11] ع: لكن.
[12] جميع النسخ: لا يلهي.
[13] ع: سرور.
[14] ن: ولا يعقل بها.
[15] ن ع م: فإنهم.
[16] ن: يعرف.
[17] ع م: يعرف الناس.

أو يكون قوله: **وفرحوا**، أي أَشِرُوا وبَطِروا، كقوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ،[1] وهو الأَشَر والبَطَر.[2] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، تأويله -والله أعلم- أي ما الحياة الدنيا مع طُولِ تمتُّعِهم بها بتمتُّع الآخرة إلا كمتاعِ ساعةٍ، أو كمتاعٍ بشيءٍ[3] يَسير. وهو كقوله: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا،[4] وكقوله: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،[5] يظنّون مع طول ما مُتِّعُوا في هذه الدنيا عند متاع الآخرة كأنهم ما مُتِّعُوا بها إلا ساعة. فعلى ذلك قوله: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، وهو ما ذكر في موضع آخر: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ،[6] عند متاع الآخرة؛[7] لأن متاع الآخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يَشُوبُه آفة ولا حُزن ولا خوف، ومتاعَ الدنيا منقطعٌ غيرُ متصلٍ مَشُوبٌ بالآفات والأحزان. لذلك كان قليلاً عند متاع الآخرة ونعيمها. وقال بعض أهل التأويل: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، أي إلا لَهْو وباطل، لكن الوجه فيه ما ذكرنا.

**﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آيةٌ مِن ربه**، يحتمل سؤالُهم الآية أنفُسَ الآيات التي أَتَتْ بها[8] الرسل مِن قَبْلُ قومَهم. أو سألوا آياتٍ سَمَّوْها، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا -الآية- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ،[9] إلى آخر ما ذكر من الآيات [التي] سألوها منه.

---

[1] ﴿إنّ قارون كان مِن قوم موسى فبَغَى عليهم وآتيناه مِن الكنوز ما إنّ مَفَاتِحَه لَتَنُوء بالعُصْبة أُولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفَرِحِين﴾ (سورة القصص، ٧٦/٢٨).

[2] م: أو البطر.

[3] ك: شيء.

[4] ﴿ كأنهم يوم يَرَوْنها لم يَلبثوا إلا عَشِيَّةً أو ضُحَاها﴾ (سورة النازعات، ٤٦/٧٩).

[5] كأنهم يوم يَرَوْن ما يُوعَدون لم يَلبثوا إلا ساعةً مِن نهار﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[6] سورة التوبة، ٣٨/٩.

[7] ع - كأنهم ما متعوا بها إلا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وهو ما ذكر في موضع آخر فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل عند متاع الآخرة.

[8] ك: ابها.

[9] ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا مِن الأرض يَنْبُوعا. أو تكون لك جنة مِن نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمتَ علينا كِسَفًا أو تأتِيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيت مِن زُخْرُفٍ أو تَرْقَى في السماء ولن نؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٠/١٧-٩٣).

[٣٧٨ظ] / أو سألوه آياتٍ تَضطرُّهم وتَقهَرهم[١] على الإيمان، كقوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ.[٢] وفيه دلالة أنه[٣] لو شاء لأنزل عليهم آياتٍ آمنوا[٤] كلُّهم بها واهتَدَوْا، وعنده[٥] أشياءُ لو أعطاهم لكان ذلك سببَ اهتدائهم وتوحيدهم. وكذلك[٦] لو أعطى أشياءَ لكان ذلك سببَ كفرهم جميعًا، كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ،[٧] الآية. لكنه لا يُنزل الآية على شَهَواتهم وأَمانيهم، ولكن يُنزل[٨] أشياءَ تكون[٩] عند التأمّل[١٠] والنظر[١١] حجة. فمن تأمّل فيها وتفكّر اهتدى[١٢] وآمَن بالاختيار، ومن أعرض عنها و لم يتفكّر ضلّ[١٣] وزاغ بالاختيار. ويحتمل[١٤] قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً، أي [إن] نَشَأْ إيمانهم واهتداءهم نُنزل عليهم[١٥] آية. وذلك تأويل قوله على إثر سؤالهم الآية: **قل إنّ الله يُضل من يشاء ويَهدي إليه من أناب**، أي يُنزل مِن الآيات ما يَهتدي بها المُنِيب إليها والمُقبِل ويَضل[١٦] المعرض عنها والصادر[١٧] بالاختيار، ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالهُم باختيارهم[١٨] لا بالاضطرار[١٩] والقهر.

---

[١] ع: نضطرهم وتقررهم؛ م: وتقررهم.
[٢] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[٣] ن ع م: آية.
[٤] جميع النسخ: لآمنوا.
[٥] م: عنده.
[٦] ن ع م: ولذلك.
[٧] ﴿ولولا أن يكونَ الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارجَ عليها يَظهَرون. ولبيوتهم أبوابًا وسُرُرًا عليها يتكئون. وزُخرفًا وإنْ كلُّ ذلك لَمّا متاعُ الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣-٣٥).
[٨] ن ع م: ننزل.
[٩] ن ع م: يكون.
[١٠] م: عند التأويل.
[١١] ك: عند النظر والتأمل.
[١٢] ك ن ع: لاهتدى.
[١٣] ك: وضل.
[١٤] ن ع: يحتمل.
[١٥] م – فمن تأمل فيها وتفكر اهتدى وآمن بالاختيار ومن أعرض عنها و لم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية أي نشأ إيمانهم واهتداءهم ننزل عليهم.
[١٦] ن ع م: ويضر.
[١٧] م: والمصادر.
[١٨] ك – وضلالهم باختيارهم.
[١٩] ن: لا باضطرار.

﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢٨]

ألا ترى[١] أنه قال: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، وهو القرآن الذي أَنزله على رسوله. فهو وَصْفُ المُقبِل المُنِيب إلى ذكر الله، تسكن[٢] وتَطمئنّ[٣] قلوبهم بالتأمّل[٤] والتفكّر فيها. وأصله أنّ الله عز وجل شاء اهتداءَ[٥] مَن عَلِم أنه يختار الاهتداء والإيمان، وشاءَ ضلالَ مَن عَلِم أنه يختار فِعلَ الضلال والزَّيْغ، فشاء[٦] لكلٍ ما عَلِم[٧] منه أنه يختار ذلك.

وقوله عز وجل: **أَلَا بذكر الله تَطمئنّ القلوب**، وتسكن إليه. وقال بعض أهل التأويل: هو في الحنف[٨] في الخصومات، [أي] أَلَا في الحَلْف[٩] بالله تَطمئنّ وتَسكن[١٠] قلوب الذين آمنوا، لا تَطمئنّ بالحلف بغير الله. وقال بعضهم: أَلَا بالقرآن وبما في القرآن مِن الثواب تَسكن[١١] وتَطمئنّ[١٢] قلوب الذين آمنوا.

ويشبه أن يكون قوله: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، أي تفرح وتستبشر قلوب الذين آمنوا بذكر الله، **أَلَا بذكر الله**، تستبشر وتفرح قلوب الذين آمنوا؛ لأنه ذكر في الكفرة الفرح بالحياة الدنيا، وهو قوله: وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[١٣] وَاطْمَأَنُّوا بِهَا،[١٤] فذكر[١٥] في المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله. وفي أولئك ذكر أنّ قلوبهم تَشْمَئِزّ بذكر الرحمن وتَستبشر بذكر مَن دونه، وهو قوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ.[١٦]

---

[١] لاحظ أن كلام المؤلف مرتبط بكلامه في تفسير الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ: يسكن.
[٣] ك ن ع: ويطمئن.
[٤] ك: والتأمل.
[٥] ع م: اهتدى.
[٦] جميع النسخ: يشاء.
[٧] ك ن ع: لما عنم.
[٨] ع م: في الخنف.
[٩] ع: في الخنف.
[١٠] ك: بالله تسكن وتطمئن.
[١١] ن ع م: يسكن.
[١٢] ن م: ويطمئن.
[١٣] سورة الرعد، ٢٦/١٣.
[١٤] ﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ٧/١٠).
[١٥] جميع النسخ: وذكر.
[١٦] سورة الزمر، ٤٥/٣٩.

أخبر عز وجل أنّ قلوب المؤمنين تَستبشر[١] وتفرح بذكر الله، وقلوبَ[٢] أولئك تَستبشر وتَفرح[٣] بذكر مَن دونه.

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، يخرج على وجهين. أحدهما تَطمئنّ قلوبهم بذكر الله لهم، وذِكرُ الله لهم التوفيقُ والتسديد[٤] والعصمة ونحوه. والثاني تَطمئنّ قلوبهم بذكرهم[٥] الله، وذِكرُهم الله [يكون بذكر] إحسانه ونِعَمه وعظمته وجلاله ونحوه.

**﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طُوبَى لهم وحُسْنُ مَآب، طُوبَى،**[٦] قيل: خيرٌ لهم وغِبْطة، وقيل: حُسْنَىٰ[٧] لهم ونُعْمَى لهم، وقيل: يقال:[٨] طُوبَى لك إن أصبتَ خيرًا. وقيل: هو اسم الجنة بلسان الحبشة، وقيل بالهندية. وقيل: اسم شجرة في الجنة أصلُها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغصانها في دار أُمّته. فإن كان هذا وهو اسم شجرة[٩] فذلك لا يستقيم إلا على[١٠] تقدُّمه، كأنْ [كان] أهل الكتاب ادَّعَوْها لأنفسهم فأخبر أنها للذين آمنوا لا لهم، كقولهم:[١١] لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[١٢] ثم قال عز وجل: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ.[١٣] ادَّعَوا الجنة لأنفسهم، فأخبر أنها ليست لهم، ولكن للذي أسلم وأخلص وجهه لله. فعلى ذلك يشبه أن يكونوا ادَّعَوْا طُوبَى لأنفسهم، فأخبر أنها ليست لهم، ولكن للذين آمنوا. وإن كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار، فيشبه أن يكونوا قالوا: إن كان [هناك] بعثٌ على ما تقولون[١٤] وجنةٌ وطُوبَى فهي لنا،

---

١ ن ع م: يستبشر.
٢ م: قلوب.
٣ ن ع م: أولئك تشمئز وتستبشر.
٤ ن ع: والتشديد.
٥ ع م: بذكر.
٦ ع م – طوبى.
٧ ن: وحسنى.
٨ ن – يقال.
٩ ن: شجر.
١٠ ع م – على.
١١ ع: كقوله.
١٢ سورة البقرة، ١١١/٢.
١٣ ﴿بلى مَن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة، ١١٢/٢).
١٤ ع م: ما يقولون.

كقوله: لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.[١] وقال بعضهم: **طُوبَى**، كلمة مَدَحَ الله بها[٢] ثوابهم وغَبَّطَهم بها. وقال بعضهم: **طُوبَى**، كرامةٌ أَعَدَّ[٣] الله تعالى لأوليائه، وهي مذكورة في الكتب.[٤]

**﴿كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾**[٣٠]

وقوله عز وجل: **كذلك أرسلناك في أمة قد خَلَتْ مِن قَبْلِها أُمَم**، أي كما أرسلنا إلى أُمَم مِن قَبلِك رسلاً -**وهم يكفرون بالرحمن** وقال[٥] كلُّ واحدٍ مِن الرسل:[٦] ربُّنا **لا إله إلا هو عليه توكلت**، الآية، أي كلُّ رسول كان أُرسِلَ قبلك كان أُمِر أن يقول ما ذكر- **كذلك أرسلناك** إلى قومك رسولاً وإن كانوا[٧] **يكفرون بالرحمن**. فقُلْ أنت ما قال أولئك الرسل: **رَبِّيَ لا إله إلا هو**، الآية. لم تَخْلُ أمةٌ عن رسول، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[٨]

**لِتَتْلُوَ عليهم الذي أوحينا إليك**، يشبه أن يكون هذا صِلةَ قوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ،[٩] يقول: أرسلناك **لِتَتْلُوَ** أنباءَ الرسل والأُمَم الذين كانوا مِن قَبلك **عليهم** ليكون آيةً[١٠] لرسالتك، لِيَعلموا أنك إنما عَلِمتَ تلك الأنباء بالله تعالى.[١١]

وقوله عز وجل: **وهم يكفرون بالرحمن**، يقول -والله أعلم- هم **يكفرون بالرحمن**، وفي كل الخلائق آيةُ توحيدِ الرحمن وألوهيتِه، ولا في كل الخلائق آيةٌ لرسالتك، وهم مع هذا[١٢] كلِّه **يكفرون** / **بالرحمن**، فعلى ذلك يكفرون بآيات رسالتك. وقال أبو بكر [٣٧٩ظ]
الأصم: **وهم يكفرون بالرحمن**، هو صِلةُ قولِه: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، وكانوا هُم[١٣]

---

[١] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولَئِن رُدِدتُ إلى ربي لَأَجِدَنَّ خيرا منها مُنْقَلَبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[٢] ك - بها.
[٣] ع م: أعداء.
[٤] لعله يقصد الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين.
[٥] ن ع م: وقالوا.
[٦] ن ع م - كل واحد من الرسل.
[٧] ع: كان.
[٨] سورة فاطر، ٢٤/٣٥.
[٩] سورة الرعد، ٢٧/١٣.
[١٠] ك - يقول أرسلناك لتتلو أنباء الرسل والأمم الذين كانوا من قبلك عليهم ليكون آية؛ ن - آية.
[١١] ع + والله أعلم.
[١٢] ك: ذلك.
[١٣] ع م - هم.

أهلَ[1] التعنُّت[2] مِن الكُبَرَاء، فقال: لو جئتهم[3] بقرآنٍ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى،[4] يقول: لو جئت بذلك كلِّه كان أَمْرُهم التكذيب[5] والعناد. وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[6] الآية، وقوله: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] الآية. يخبر عز وجل عن عنادهم[8] أنهم لا يؤمنون بالآية وإن عَظُمَتْ إلا أن يشاء الله. وقوله عز وجل: بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا،[9] كقوله: مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ،[10] أي الأمر لله، مَن شاء أن يؤمن فيؤمن، ومَن شاء أن لا يؤمن فلا يؤمن ألبتّة.[11]

وقال بعضهم: قوله: **وهم يكفرون بالرحمن**، أي يكفرون باسم الرحمن؛ لأنهم قالوا: إنّ محمدًا كان يدعونا إلى عبادة الله وتوحيده، فالساعةَ يدعونا[12] إلى عبادة الرحمن وألوهيته، فذلك عبادة اثنين. فقال: **قل هو ربي لا إله إلا هو**، أي دعائي إلى عبادة الرحمن وألوهيته هو دعائي إلى عبادة الله،[13] وهو[14] واحد ليس هو باثنين ولا عدد، كقوله: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ.[15] أي عددُ الأسماء لا يوجب عددَ الذات؛ إذ يكون[16] لشيء واحد في الشاهد أسماءٌ مختلفة، فاختلاف الأسماء لا يوجب اختلاف الذات، فعلى ذلك في الله. وقال بعضهم: الرحمن اسم من أسماء الله في الكتب الأُوَل،

---

[1] ع: هل.
[2] جميع النسخ: التعهد؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤١٢و.
[3] ع: لو جئتم.
[4] الآية التالية.
[5] ع: بالتكذيب.
[6] ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).
[7] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يَعرُجون. لقالوا إنما سُكِّرَتْ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٤/١٥-١٥).
[8] ن ع م: عن عبادهم.
[9] الآية التالية.
[10] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[11] ع - ألبتة.
[12] ع م: تدعونا.
[13] ع - الله.
[14] ن ع: هو.
[15] ن + وألوهيته هو دعائي إلى عبادة الله واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن. يقول الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (سورة الإسراء، ١١٠/١٧).
[16] ع م: أو يكون.

قالوا: كَتَبَها رسول الله [و]أَبَوْا أن يُقِرّوا[1] به، قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ،[2] إنّا لا نعرفه، فنزل: **وهم يكفرون بالرحمن.**[3] *والله أعلم.*

**﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **ولو أنّ قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ**، إلى آخر[4] ما ذكر، قال بعض أهل التأويل: تأويله لو أنّ قرآنًا ما[5] غيرَ قرآنِك[6] **سُيِّرَتْ به الجبالُ**، مِن أماكِنِها، **أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى**، لَفعلناه بقرآنك[7] أيضًا،[8] ولكن لم نفعل [ذلك] بكتابٍ مِن الكتب التي أنزلناها[9] على الرسل الذين مِن قَبلك، ولكن [ذلك] شيءٌ أعطيناه أنبياءنا ورسلنا.[10] **بل لله الأمر جميعًا**، يقول: بل جميع ذلك الأمر كان مِن الله، وليس مِن قِبَل القرآن، أي لو فُعِل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك مِن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **بل لله الأمر جميعًا**،[11] إن شاء فعل[12] ما سألتم، وإن شاء لم يفعل. ويشبه أن يكون غيرُ هذا أقرب، [وهو] أن يكون صِلةَ ما تقدم مِن سؤالهم الآيات، وهو قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ.[13] فيقول: لو أنّ قرآنَك[14] الذي تقرؤه عليهم

---

[1] ع م: أن يقرؤا.

[2] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لِما تأمرنا وزادهم نُفُورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

[3] روي عن قتادة في قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ قال: ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الحديبية حين صالح قريشًا كَتَبَ في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم. فقالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه، وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم. فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم. قال «لا، ولكن اكتبوا كما يريدون» (*تفسير الطبري*، ١٣/١٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٥٠).

[4] م: إلى آخره.

[5] ك - ما.

[6] ن: غير قراءتك.

[7] ن: بقراءتك.

[8] جميع النسخ + ذلك.

[9] جميع النسخ: أنزلتها.

[10] جميع النسخ: أعطيته أنبيائي ورسلي.

[11] ن - يقول بل جميع ذلك الأمر كان من الله وليس من قبل القرآن أي لو فعل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك من الله تعالى وقوله عز وجل بل لله الأمر جميعا.

[12] ن: ما فعل.

[13] سورة الرعد، ١٣/٢٧.

[14] ن: أن قراءتك.

لو **سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى** لَمَا آمنوا بك ولَمَا صدّقوك[1] على رسالتك، على ما لا يؤمنون بالرحمن وكلُّ الخلائق له آيةٌ لوحدانيته وألوهيته. يخبر عن شدة تعنُّتهم وتمرُّدهم في تكذيبهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لِيَعلم رسولُ الله[2] أنَّ سؤالَهم الآية سؤالُ تعنُّت وتمرُّد، ليس سؤالَ استرشاد واستهداء.

وقال بعضهم: قوله: **ولو أنّ قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ**، أي لو أنّ قرآنًا ما[3] عَمِل ما ذكر لكان هذا[4] القرآنَ، تعظيمًا لهذا القرآن. والتأويل الذي ذكرنا قبل[5] هذا كأنه أقرب. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أفلم يَيْأس الذين آمنوا**، قال بعضهم: هو صِلةُ ما تقدم مِن قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[6] **ولو أنّ قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ**، الآية. يقول -والله أعلم- **أفلم يَيْأس الذين آمنوا**، عن إيمان مَن كان على ما وَصَف الله. وتمام هذا كأنّ المؤمنين سألوا لهم[7] الآيات[8] ليؤمنوا لِما سألوا[9] هُم آياتٍ مِن رسول الله، فيقول: **أفلم يَيْأس الذين آمنوا**، عن إيمان هؤلاء. وهو كما قال: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[10] كأنّ المؤمنين سألوا لهم الآيات ليؤمنوا، فقال: وَمَا يُشْعِرُكُمْ، أنتم يا أيها المؤمنون،[11] أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ، أي يؤمنون، على طرح "لا" على هذا التأويل. وقال بعضهم: **أفلم يَيْأس الذين آمنوا**، أفلم يتبيّن[12] للذين آمنوا أنهم[13] لا يؤمنون لكثرة ما رَأَوْا منهم مِن العناد والمكابرة، فَسَرُوا الإياس بالعلم واليقين؛[14]

[1] ع: صدقوا.
[2] ع م - ليعلم رسول الله.
[3] ك - ما.
[4] ع م: هذه.
[5] ع: قيل.
[6] الآية السابقة.
[7] م: هم.
[8] ك: آيات.
[9] ك: سألوهم.
[10] ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية لَيُؤْمِنُنّ بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشعِرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٩).
[11] ك - يا أيها المؤمنون؛ م: المؤمنين.
[12] م: تبين.
[13] ن - إذا جاءت لا يؤمنون أي يؤمنون على طرح لا على هذا التأويل وقال بعضهم أفلم ييأس الذين آمنوا أفلم يتبين للذين آمنوا أنهم.
[14] جميع النسخ: الايس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٢ط.

لأن الإياس إذا غَلَب[1] يَعمل عَمَل العلم كالخوف والظن ونحوه. جعَلُوه يقينًا وعِلمًا للغَلَبة؛ لأنه إذا غَلَب يَعمل عَمَل اليقين والعِلم. وقال بعضهم: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، أي أفلم يَعلم الذين آمنوا أنّ الله[2] يَفعل ذلك،[3] لو شاء **لَهَدَى الناس جميعًا**. وقوله: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، قالت عائشة رضي الله عنها: قوله: **أفلم يَيأس**، خطأ مِن الكاتب، إنما هو أفلم يتبيّن[4] للذين آمنوا أن لو يشاء الله.[5] فمعناه أي قد تبيّن[6] للذين آمنوا. وقال بعضهم: قوله:[7] **أفلم يَيأس**، أي أفلم يَعلم الذين آمنوا، أي قد عَلِم الذين آمنوا لو شاء الله إيمان الناس واهتداءهم لآمنوا واهتَدَوْا. وقال صاحب هذا التأويل: إنّ هذا[8] جائز في اللغة، يَيأس: يَعلم، وذكر أنها لغة نَخَع[9] وغيرها. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: قوله: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، مقطوع مِن قوله: **أن لو يشاء الله**، الآية، وهذا موصول بما تقدم مِن قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ / عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾،[10] ثم قال[11] [٣٧٩ظ]
جوابًا لِما قالوا. كأنه قال: **لو يشاءُ الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**، ولكن يُضل من يشاء ويَهدي من يشاء، أي مَن[12] عَلِم منه أنه يختار الضلال[13] ويُؤثِره يشاء ذلك له، ومَن عَلِم[14] منه[15] أنه يختار الهدى يشاء ذلك[16] له. ويكون قوله: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، مقطوعا[17] لا جواب له،

---

[1] ن ع: عدت؛ م: غلبت.
[2] ع - الله.
[3] م - ذلك.
[4] ع م: يبين.
[5] روي ذلك عن ابن عباس. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٤/١٣. وهو باطل عن ابن عباس، لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٢٠/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٥٦/١٣.
[6] ن: قد يتبين.
[7] ك - قوله.
[8] ع م - هذا.
[9] النَّخَع قبيلة مِن الأزد، وقيل: النَّخَع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النَّخَعي (*لسان العرب* لابن منظور، «نخع»).
[10] سورة الرعد، ٢٧/١٣.
[11] ع م: ثم قالوا.
[12] ن ع م - من.
[13] ك - الضلال.
[14] م: من علم.
[15] ك - منه.
[16] ع م - ذلك.
[17] جميع النسخ: مقطوع.

كأنه قال: **أفلم ييأس الذين آمنوا**، عن إيمانهم لكثرة ما رَأَوْا منهم من العناد والتعنُّت بعد رؤيتهم الآيات والحجج. كأنّ أهل الإيمان والإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات التي سألوا هُمْ[1] رغبةً في إسلامهم وإشفاقًا عليهم، فيقول -والله أعلم- ألم يَأْنِ للذين آمنوا الإياسُ مِن إيمانهم، أي قد أَنَىَ للذين آمنوا أن يَيأسوا مِن إيمانهم،[2] كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[3] الآية. فعلى ذلك هذا. يقول: قد أَنَىَ للذين آمنوا أن يَيأسوا مِن إيمانهم،[4] ولو شاء[5] الله[6] لَهَدَى الناسَ جميعًا. وقوله:[7] **أنْ لو يشاء الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**، صِلتُه قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ،[8] **و أنْ لو يشاء الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**،[9] كقوله: مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[10]

وقوله عز وجل: **ولا يزال الذين كفروا**، قال بعضهم: الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، **تصيبهم بما صنعوا قارعة**، القارعة هي اسم[11] ما يَقرع[12] القلوب ويكسرها. ثم قَرْعُهم يكون بعذابٍ وقتلٍ[13] وغيرِه مِن الهزيمة ونحوِهِ[14] وبِسَبْيِ[15] ذَرَارِيهم[16] وبِغُنْم[17] المسلمين أموالَهم، **أو تَحُلُّ**، أنت، **قريبًا مِن دارِهم**. وقال[18] بعضهم: أو يكون القارعة بجيرانهم

---

[1] ع م: سألوهم.
[2] ن - أي قد أنى للذين آمنوا أن ييأسوا من إيمانهم.
[3] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عيهم كل شيء قُبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).
[4] ك - إيمانهم كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية فعلى ذلك هذا يقول قد أنى للذين آمنوا أن ييأسوا من إيمانهم.
[5] ك ن: ولو يشاء.
[6] ن ع م - الله.
[7] ن: ووقوله.
[8] الآية السابقة.
[9] ع م - وقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا صلته قوله وهم يكفرون بالرحمن وأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا.
[10] سورة الأنعام، ٦/١١١.
[11] ك ن - اسم.
[12] ع: بالقرع.
[13] ع م: وقيل.
[14] ع م - ونحوه.
[15] جميع النسخ: ويسبي.
[16] ن: ودراريهم.
[17] جميع النسخ: ويغنم.
[18] ك ن م: قال.

الذين[١] قَرُبَتْ[٢] منهم[٣] دارهم.[٤] وقال بعضهم: لا تزال[٥] سرية مِن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَحُلّ ببعضهم[٦] أو يَنزل[٧] هو[٨] قريبًا منهم، **حتى يأتي وعد الله.** ووعد[٩] الله[١٠] يكون بوجهين. أحدهما أن يُظفِره بهم جميعًا وأن يُورِث المؤمنين أرضهم وديارَهم وأموالهم.[١١] والثاني يكون **وعد الله** فتح مكة، كقوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا،[١٢] الآية. **إن الله لا يخلف الميعاد،** ما وَعد رسوله مِن الفتح والنصر وغيره.

وقوله عز وجل: **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ،** يحتمل[١٣] ما ذكر مِن إصابة القارعة الجوع والشدائد التي أصابتهم. ويحتمل القتال والحروب التي كانت[١٤] بينهم وبينهم. وقوله: **أو تَحُلّ قريبًا مِن دارهم،** نزول السرايا بقربهِ[١٥] مِن دارهم، **حتى يأتي وعد الله،** يحتمل فتح مكة، أي **تَحُلّ قريبًا من دارهم حتى يأتي،**[١٦] ما وعد[١٧] الله مِن فتح مكة عليك. أو أن يكون **وعد الله** هو البعث. *والله أعلم.*

---

[١] ن + الذين.
[٢] ث ن ع: اقرب.
[٣] جميع النسخ: منكم.
[٤] ن ع: دراهم.
[٥] ك: ولا تزال.
[٦] ن: ببغضهم؛ ع: بغضهم.
[٧] ن: أو يترك.
[٨] أي رسول الله.
[٩] ع م: ووعيد.
[١٠] ك - الله؛ ن - ووعيد الله.
[١١] كأن المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَيَاصِيهِم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٢٦-٢٧).
[١٢] ﴿وَعَدَكم الله مَغانِمَ كثيرةً تأخذونها فعَجَّلَ لكم هذه وكَفَّ أيديَ الناس عنكم ولِتكون آية للمؤمنين ويَهدِيَكم صراطا مستقيما. وأخرى لم تَقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٠-٢١).
[١٣] ن ع م: محتمل.
[١٤] جميع النسخ: كان.
[١٥] ن + بقرب.
[١٦] م + وعد الله يحتمل فتح مكة أي تحل قريبا من دارهم حتى يأتي.
[١٧] ن: ما عد.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد استُهزِئ برسلٍ مِن قبلك**، يقول:[١] وقد استَهزأ[٢] برسلٍ مِن قبلك قومُهم كما استَهزأ[٣] بك قومُك، يُعَزِّي نبيَّه[٤] لِيَصبر على تكذيبهم. وقال أبو بكر الأصم: **ولقد استهزئ برسل من قبلك**،[٥] مَن تَقدّم مِن الرسل سألهم[٦] قومُهم الآيات والعذاب بالهُزْء. ثم بَيّن بهذا أنّ ما سألوه مِن الآية أرادوا [به] الهُزْء، وهو صلة ما تقدّم مِن قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ.[٧]

وقوله عز وجل: **فأَمْلَيتُ للذين كفروا**، يقول:[٨] أَمهلتهم في كفرهم وهُزءهم. هذا يدل أنّ تأخير العذاب عنهم لا يُؤَمِّنهم.[٩]

وقوله عز وجل: **ثم أخذتهم**، وهم آمِنُون. **فكيف كان عقابِ**، يقول أَحْلَلْتُ بهم[١٠] جزاءَ ما كانوا يَهْزَءون منه.[١١] وقال[١٢] بعضهم: **فكيف كان** عقاب الله، أي شديدُ عقابِه، وهو كقوله: وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا،[١٣] الآية. وقيل:[١٤] كيف رأيتَ عذابي لهم، أي أليس[١٥] وجدوه شديدًا؟ والثالث **فكيف كان عقابِ**، أي أليس ما أَوْعَدهم الرسل مِن العذاب كان حقًّا وصدقًا؟[١٦]

---

[١] ن - يقول.
[٢] ن ع م: ولقد استهزئ.
[٣] ع م: استهزئ.
[٤] ع: بنية.
[٥] ن - قومهم كما استهزأ بك قومك يعزي نبيه ليصبر علي تكذيبهم وقال أبو بكر الأصم ولقد استهزئ برسل من قبلك.
[٦] ن: ماهم.
[٧] سورة الرعد، ٢٧/١٣.
[٨] ع م: فامليت للذين كفولهم يقول.
[٩] ن - وقوله عز وجل فامليت للذين كفروا قولهم يقول أمهلتهم في كفرهم وهزءهم هذا يدل أن تأخير العذاب عنهم لا يومنهم.
[١٠] ك: لهم.
[١١] ع: ومنه.
[١٢] م: قال.
[١٣] ﴿وكَأَيِّن مِن قرية أَمْلَيْتُ لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾ (سورة الحج، ٤٨/٢٢).
[١٤] ن: قيل.
[١٥] ع: أي ليس.
[١٦] ن ع م: صدقا.

**﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، قال أبو بكر الأصم: يقول: مَن الذي هو **قائمٌ على كل نفس بما كسبت**: الله أم شركاؤكم؟ فالقائم هو المدبّر الحافظ لكل[1] ما فيه الخَلْق. ويشبه أن يكون تأويله: **أفمن هو قائم**، أي حافظ وعالم، **على كل نفس بما كسبت**، أو بالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو أعمى عن ذلك؟[2] ليسا بسواء، كقوله: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ،[3] الآية. أو يقول: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت** كمن هو غير[4] قائم عليه؟ ليسا بسواء. وقال مُقاتِل: **أفمن هو قائم على** رزقِهم وطعامِهم.[5] ثم قال: **وجعلوا لله شركاء**، أي وصفوا لله شركاء وعبدوها، والله أحقُّ أنْ يُعبَد مِن غيره. يقول الله: أنا القائم[6] على كل نفسٍ أَرزقهم وأُطعِمهم، أفأكون أنا وشركائي الذين لا يفعلون ذلك سواءً؟ والوجه فيه ما وصفنا: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، أي يرزق ويُبصِر ويَعلم[7] ما تعمل وتكسب ويحفظها[8] عن أنواع البلايا، كمن هو أعمى جاهل عاجز عن ذلك كله؟ أي ليس هذا كذاك.[9] ويُسَفِّهُهم في إشراكهم الأصنام التي عبدوها في الألوهية والعبادة وهي بالوصف الذي ذكر: كَمَنْ هُوَ أَعْمَى، عاجز عن ذلك،[10] أي ليسا بسواء.

وقوله: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، يحتمل **قائمٌ على كل نفس بما كسبت** فيما قَدّر لها وقوّاها، أو في الجزاء، يجزي على ما تكسب. **وجعلوا لله شركاء**، في العبادة أو في تسميتهم / آلهةً لا يَعلمون ما كُسِب لها ولا يملكون جزاء ما كَسبوا لها أيضًا، [٣٨٠ر]

---

[1] جميع النسخ: بكل.

[2] ع م + من ذلك.

[3] ﴿أفمَن يَعلم أنّما أُنزل إليك من ربك الحق كمَن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (سورة الرعد، ١٩/١٣).

[4] جميع النسخ: غيره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٣و.

[5] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٨١/٢.

[6] م: أن القائم.

[7] ع م: ويعمل.

[8] ك: ويحفظ؛ ن: وتحفظ؛ ع م – ويحفظ.

[9] م: كذلك.

[10] ك: من ذلك.

يُبيّن سَفَهَهم في جَعْلهم هذه الأصنامَ والأوثانَ شركاءَ لله[1] في العبادة وتسميتهم آلهةً مع عِلمهم أنهم لا يَقدرون ولا يَملكون شيئًا مِن ذلك.

وقوله عز وجل: **قل سَمُّوهم**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **قل سَمُّوهم**، بذلك الاسم،[2] ولو سَمَّوْهم سَمَّوْهم[3] بكذب وباطل وزُور. وعندنا قوله: **قل سَمُّوهم**، أي لو سمّيتموها آلهة واتخذتموها معبودًا فسَمُّوهم أيضًا بأسماءَ سَمّيتم اللهَ [بها] مِن نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه. يقول[4] -والله أعلم- إذ سمّيتم[5] هذه الأصنام آلهةً ومعبودًا سَمُّوهم أيضًا خالقًا ورازقًا ورحمانًا ورحيمًا، وهم يَعلمون أنها ليست كذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أم تُنبّئونه بما لا يعلم في الأرض**، أي أم تُنبّئون الله -وهو عالم بما في السماوات وبما[6] في الأرض وعالم بكل شيء- وهو لا يعلم في الأرض ما تقولون[7] مِن الآلهة وما تَصِفُونه بالشركاء؟ وكذلك يخرج قوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.[8] **أم تُنبّئونه**،[9] بما ليس في الأرض شيءٌ مما تقولون وتصفون،[10] أي يقول: أتُنبّئون[11] الله بما لا يعلم في السماوات[12] والأرض وهو عالم بكل شيء، أي[13] تُقِرّون[14] أنه[15] عالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون وتُسمّونه من الشركاء وغيره. والثاني **أم تُنبّئونه بما لا يعلم**، أي ليس في الأرض.

---

[1] م: الله.
[2] أي باسم من الأسماء، أو بأي اسم فيه وصفهم.
[3] م - سموهم.
[4] ع م - يقول.
[5] م: أو سميتم.
[6] ع م: وما.
[7] م: مما تقولون.
[8] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[9] ن - بما لا يعلم في الأرض أي أم تنبئون الله وهو عالم بما في السماوات وبما في الأرض وعالم بكل شيء. وهو لا يعلم في الأرض ما تقولون من الآلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض أم تنبئونه.
[10] ع م: وتصفونه؛ جميع النسخ + شيء.
[11] ن: أتنسبون.
[12] ن + ولا في الأرض أم تنسبونه بما ليس في الأرض شيء مما تقولون وتصفون بشيء أي يقول أتنسبون الله بما لا يعلم في السموات.
[13] ن م - أي.
[14] ن: وتقرون.
[15] ك: بأنه.

وقوله عز وجل: **أم بظاهرٍ مِن القول**، قال أهل التأويل: **بظاهرٍ مِن القول**، أي بل بباطلٍ مِن القول وزُور. ويشبه أن يكون **بظاهرٍ مِن القول**، أي بضعيفٍ[١] مِن القول وخفيف، يُسمُّون الشيء الذي لا حقيقة له ولا ثبات[٢] ظاهرًا باديًا، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ،[٣] أي ضعيف الرأي وخفيفه لا حقيقة له ولا قرار. ويحتمل قوله: **أم بظاهرٍ مِن القول**، في الخَلْق والأسلاف،[٤] أي لم يَظهر ما يقولون ويصفون[٥] [مِن] إشراك هذه الأصنام وتسميتها آلهة ومعبودًا؛ فيكون "أم" في موضع حقيقةٍ ويقينٍ على هذا التأويل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل زُيِّن للذين كفروا مكرُهم**، قال بعض أهل التأويل: **مكرهم**، قولهم الذي قالوه مِن الكذب والزور أنها آلهة وأنها[٦] شركاء لله.[٧] لكن يشبه أن يكون قوله: **مكرهم**، أي مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احتالوا حِيَلًا ليقتلوه لئلا يَظهر هذا الدين في الأرض ويُطفِئوا[٨] هذا النور لِيَدُوم[٩] عِزُّهم وشرفهم في هذه الدنيا، وهو كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.[١٠] والمكر هو الاحتيال والأخذ مِن حيث الأمن. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وصُدُّوا عن السبيل**، صُدُّوا لما عُلِم[١١] مِن مكرهم واختيارهم ما اختاروا.[١٢] والسبيل المطلق هو سبيل الله، وإلّا كان جميع الأديان والمذاهب[١٣] يسمَّى سبيلًا، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[١٤]

---

[١] ع: أي تضعيف.

[٢] م: ولا ثابت.

[٣] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نَراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأي وما نَرى لكم علينا مِن فضلٍ بل نظنّكم كاذبين﴾ (سورة هود، ١١/٢٧).

[٤] أي في الأمم الماضية.

[٥] ع م: ويضيفون.

[٦] ع – وأنها.

[٧] م: الله.

[٨] جميع النسخ: ويطفئون.

[٩] ن: ليدم.

[١٠] ﴿وإذ يَمكُرُ بك الذين كفروا لِيُثبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويَمكُرون ويَمكُرُ الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[١١] ك: لما علموا.

[١٢] ع: ما اختياروا.

[١٣] م: والمذهب.

[١٤] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُل فتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).

لكن كما ذكرنا[1] أن السبيل المطلق هو سبيل[2] الله، والكتاب المطلق كتاب الله، والدين المطلق[3] دين الله.

وقوله عز وجل: **ومَن يُضْلِلِ اللهُ فما له مِن هادٍ**، مَن أضلّه[4] الله فلا يملك أحدٌ هدايتَه، ومَن هَداه[5] فلا يملك أحدٌ إضلالَه.[6]

**﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **لهم عذابٌ في الحياة الدنيا**، العذاب لهم في الحياة الدنيا يحتمل القتل والقتال والخوف والجوع وأنواع البلايا، كقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **ولَعذاب الآخرة أَشَقُّ**، أي[8] أشدّ، **وما لهم مِن الله مِن واقٍ**، أي ما لهم مِن عذاب الله **مِن واقٍ**، يَقِيهم مِن عذابه.

**﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون**، يحتمل وَصْف **الجنة التي وُعِدَ المتقون**، أو صفة **الجنة التي وُعِدَ المتقون**.[9] ويحتمل[10] أي [أيكون] شبه **الجنة التي وُعِدَ المتقون**،[11] كشبه النار التي وُعِدَ الكافرون؟ أي ليسا بشَبِيهَين[12] ولا مِثْلَين، لا تكون هذه مِثْلَ هذه ولا شَبِيهَها،

[1] جميع النسخ: ما ذكرنا.
[2] ع م: المطلق وسبيل.
[3] ن + هو.
[4] ن: ومن أضله.
[5] ع: وهداه؛ م: أو هداه.
[6] ع + والله أعلم.
[7] ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكان فكفرت بأَنْعُمِ الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).
[8] م + أي.
[9] ن ع – أو صفة الجنة التي وعد المتقون.
[10] ع م + الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية يقول والله أعلم.
[11] ع م – أي شبه الجنة التي وعد المتقون.
[12] م: شبيهين.

كقوله: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ،[١] الآية. يقول -والله أعلم-[٢] الذي وَصْفُه كذا مِن النعم الدائمة كالذي يكون عذابه ووَصْفُه كذا؟ أي لا يكون، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **تجري مِن تحتها الأنهار أُكُلُها دائمٌ**، أي ثمارها[٣] دائمة لا تزول ولا تنقطع، ليس كثمار الدنيا[٤] ونعيمها. ليس مِن ثمرةٍ مِن ثمار الدنيا إلّا وهي تزول وتنقطع في وقتٍ. فأخبر أنّ ثمار الآخرة وما فيها مِن النعيم غيرُ زائلة ولا منقطعة، وكذلك عذابها دائم لا يزول. **وظِلُّها**، أيضًا، أخبر أنّ ظِلَّ الجنة لا يزول ولا ينقطع،[٥] لا يكون فيها شمسٌ يزول ظِلُّها بزوالها، وَصَفَ جميعَ ما فيها بالدوام والمنفعة. الظلّ[٦] شيءٌ لا أذى فيه وفيه منافع، والشمس فيها أذى ومنافع. وكذلك جميع ما يكون مِن الأشياء في الدنيا يكون[٧] فيها منافع ومَضارّ وإنها تزول وتنقطع، فأخبر أنّ ظِلّ الآخرة وما فيها مِن النعم دائمة باقية غير زائلة ولا منقطعة ولا مَضَرَّةَ فيها، / ليس كنعيم الدنيا وظِلّها. ***والله أعلم***. [٣٨٠ظ]

وقوله عز وجل: **تلك عُقْبَى الذين اتَّقَوْا وعُقْبَى الكافرين النار**،[٨] أي جزاء الكافرين النار.[٩] ظاهرُ هذا أنْ يكون الذين اتَّقَوْا[١٠] الشرك؛[١١] لأنه ذكر عُقْبَى الكافرين[١٢] النار[١٣] وعُقْبَى ما ذكرنا، أي تلك الجنة جزاء الذين اتّقوا الشرك، **وعُقْبَى الكافرين النار**، أي جزاء[١٤] الكافرين[١٥] النار. أو عُقْبَى هذه للذين اتّقوا الجنة، وعُقْبَى أولئك النار. وقال بعضهم: **تلك عُقْبَى الذين اتَّقَوْا**، أي عاقبة أعمالهم وحسناتهم الجنة، وعاقبة أعمال الذين كفروا بتوحيد الله النار.

---

[١] ﴿مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهار من ماء غير آسِنٍ وأنهار من لبن لم يتغير طَعْمُه وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهار من عسل مُصَفًّى وهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماءً حميمًا فقطَّع أمعاءهم﴾ (سورة محمد، ٤٧/١٥).
[٢] جميع النسخ + يقول.
[٣] ك: أي ثمار الجنة.
[٤] ع م + الا وهي تزول.
[٥] ن – ينقطع.
[٦] ن: والظل.
[٧] ع م + من الأشياء.
[٨] ن + الآية.
[٩] ك ن – أي جزاء الكافرين النار.
[١٠] ك ن + تقى.
[١١] ع: لشرك.
[١٢] ع م + اتقوا وعقبى الكافرين.
[١٣] ع م + أي جزاء.
[١٤] م: أي جزاؤه.
[١٥] ع – الكافرين.

**﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، يشبه أن تكون[1] الآية صِلَةَ قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[2] فأخبر عز[3] وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، بذكر الرحمن. ثم اختُلف في قوله: **والذين آتيناهم الكتاب**، قال بعضهم: أصحاب محمد فرحوا بما[4] أُنزل إلى رسول الله. وقال بعضهم: **والذين آتيناهم الكتاب**، أهل التوراة، **يَفرحون بما أُنزل إليك**، يَذكُر هاهنا أنهم يَفرحون بما أُنزل إليك[5] **ويَذكُر** في موضع آخر: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ،[6] **وقال**[7] في موضع آخر: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[8] فمَن تَلَا **منهم** الكتاب حقَّ تلاوته ولم يُبدله ولم يُغيره فهو يؤمن به ويَفرح بما أُنزل على محمد، ومَن **غيّره** وبدّله فهو لم يفرح بما[9] أُنزل عليه.[10] وقوله: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، تأويله[11] –والله أعلم– كأنه قال:[12] **والذين آتيناهم**، مَنافع الكتاب أولئك، **يَفرحون بما أُنزل إليك**، وهو ما قال في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ لأن أكثرهم لا[13] يَفرحون[14] بما أُنزل على محمد.

---

[1] ن ع م: أن يكون.
[2] سورة الرعد، ٣٠/١٣.
[3] ع: وعز.
[4] ع – بما.
[5] ع + بذكر هاهنا أنهم يفرحون بما أنزل إليك.
[6] ﴿ما يَوَدُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (سورة البقرة، ١٠٥/٢).
[7] م + بعضهم.
[8] سورة البقرة، ١٢١/٢.
[9] ك + لم.
[10] ن: إليه.
[11] ك: تا.
[12] ع م – كأنه قال.
[13] م – لا.
[14] ك: لا يومنون.

وقوله عز وجل: **ومِن الأحزاب مَن يُنكِر بعضَه**، يحتمل أهل الكتاب كانوا يُنكِرون بعضَ ما أُنزل إليه لا يُنكِرون كلَّ ما أُنزل إليه، وإنما يُنكِرون نَعْتَه وصفتَه، لأنهم كَتَمُوا نَعْتَه وصفتَه[١] التي في كُتبهم. ويحتمل قوله: **ومِن الأحزاب مَن يُنكِر بعضَه**، مشركي العرب، وهم أيضًا أنكروا بعضَ ما أُنزل إليه، وهو ما ذكر: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ، وقوله:[٢] أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا،[٣] ونحوه. لم يُنكِروا كلَّه.

وقوله عز وجل: **قل إنما أُمرتُ أن أعبد الله ولا أُشركَ به إليه أدْعُو**،[٤] كأنَّ هذا قاله على إِثْرِ قولٍ كان مِنهم، كأنهم دَعَوْه[٥] إلى أن يُشاركهم في عبادة الأصنام أو دَعَوْه أن يكون على ما كان آباؤهم، فقال: **قل إنما أُمرتُ أن أعبد الله**، وأُمرتُ أن لا أشركَ به. ويحتمل قوله: **ولا أُشركَ به**، قال ذلك مِن نفسه، **إليه أدعو**، يقول: إلى توحيد الله أدعو[٦] غيري ثم أخالف وأعبد غيره؟ **وإليه مَآبِ**، أي إليه مرجعي.[٧]

**﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾**[٣٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك أنزلناه**، أي كما علّمناك آدابًا وأعطيناك النبوة كذلك أنزلنا عليك، **حكمًا عربيًا**، قيل: حكمة عربية، وكانت العرب لا تفهم الحكمة. أو أنزلنا ما فيه حُكمٌ. وتفسيرُ قولِه: **وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا**، ما ذكر في[٨] آية أخرى، وهو قوله: الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،[٩] سَمّى القرآنَ حُكمًا لأنه للحُكم أُنزل.

وقوله عز وجل: **ولئِنِ اتبعتَ أهواءهم بعد ما جاءك مِن العلم**، هذا يدل أنهم كانوا يَدعونه إلى أن يشاركهم في بعض ما هم فيه، **ما لك مِن الله مِن وليٍّ**، يَنصرك ويَمنعك مِن عذاب الله، **ولا واقٍ**، يَقِي[١٠] العذاب.

---

[١] م: وصفه.
[٢] ك: في قوله؛ ع - وقوله.
[٣] سورة ص، ٣٨/٥.
[٤] ك + إليه.
[٥] ك: كأن دعوهم.
[٦] جميع النسخ: أدعوا.
[٧] جميع النسخ: المرجع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٣ظ.
[٨] ك + قوله.
[٩] سورة يوسف، ١٢/١-٢.
[١٠] ع: بقي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا رسلاً مِن قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية**، قال بعض أهل التأويل: نزل هذا[١] لأنّ[٢] اليهود عَيّروا رسول الله وطعنوا في كثرة النساء والأولاد، وقالوا: لو كان نبيًا على ما يزعم لكان لا يتمتّع بالنساء ولا يطلب الأولاد[٣] كما يفعله غيره، وكانت النبوة تشغله عن ذلك، فأنزل الله: **ولقد أرسلنا**، الآية.[٤] أي الاستمتاع بالنساء واستكثارهم مِنهن[٥] لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غيرَه مِن الرسل الذين كانوا مِن قبله. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما كان لرسولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذن الله**، أي لا يَملكون إنزالَ الآيات مِن أنفسهم، إنما يَتَوَلَّى الله إنزالها إذا شاء ذلك، وهو كقول[٦] عيسى حيث قال: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾،[٧] الآية، أخبر أنّ ما يأتي [به] مِن الآيات إنما يأتي بها[٨] بإذن الله وبأمره لا مِن نفسه. [هذا] يحتمل أن يكون جوابَ ما ذكر أهل التأويل [من الطعن بكثرة النكاح][٩] وجوابَ غير ذلك أيضًا، وهو طَعْنُهم الرسل بالأكل والشرب والمشي في الأسواق وسؤالُهم الآيات التي سألوهم، وجوابَ إنكارِهم الرسل مِن البشر. يقول: لست أنت بأول رسولٍ طُعِنَت بما طَعَنَكَ[١٠] به قومُك؛ ولكن كان قبلك رسلٌ طَعَنَهم[١١] قومُهم بما طَعَنَ به قومُك وسألوهم مِن الآيات ما سأل به قومُك، فلم يكن ذلك لهم عذرًا في ردّ ما رَدُّوا وتَرْكِ ما تَرَكُوا، بل نَزَلَ[١٢] بهم العذاب، فعلى ذلك قومُك.

وقوله عز وجل: **لكل أجلٍ كتابٌ**، اختُلف فيه. قال قائلون: لكل كتابٍ أجل، وهي الكتب التي أُنزلت على الرسل، يُعمَل بها إلى وقتٍ ثم تُنسَخ[١٣] أو يُترَك العمل بها. وقال قائلون:

---

[١] جميع النسخ + وذلك.
[٢] جميع النسخ: أن.
[٣] ك – وقالوا لو كان نبيا على ما يزعم لكان لا يتمتع بالنساء ولا يطلب الأولاد.
[٤] ذُكر ذلك عن الكلبي؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٢٧/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٦٨/١٣.
[٥] ك – منهن.
[٦] ع م: قول.
[٧] ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، ٤٩/٣).
[٨] جميع النسخ: يأتيها.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٣ظ.
[١٠] ك: طعن.
[١١] جميع النسخ: طعن.
[١٢] ن: بل ترك.
[١٣] ك: ثم ينسخ.

هو ما قال: **لكل أجلٍ كتاب**، أي لكل ذي[1] أجلٍ أجلُه إلى وقت انقضائه، ليس يُراد[2] به الكتابة باليد، ولكن الإثبات، كقوله: أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ،[3] أي أثبت، ليس أنْ كتب هنالك باليد، فعلى ذلك قوله: **لكل أجلٍ كتاب**، أي إثباتٌ / إلى وقت. ويحتمل [٣٨١و] قوله [أن يكون بمعنى] لكل كتابٍ أجل، أي لكلّ ما كُتب له الأجلُ وجُعل له الوقتُ مِن العذاب يَنزل بالمعاندين والنصرِ للرسل، فإنه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتأخر أيضًا عن ذلك الوقت، وهو كقوله: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً،[4] الآية.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **يَمْحُو الله ما يشاء ويُثبِت**، قال قائلون: قوله: **يَمْحُو الله ما يشاء**، المَحْو هاهنا [بمعنى] أنّ إنشاءه[5] في الابتداء [كان] مَمْحُوًّا،[6] ليس على أن كان مُثْبَتًا فمَحَاه،[7] ولكن أنشأه هكذا مَمْحُوًّا.[8] وهو كقوله: فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ،[9] ليس[10] أنه كان مُثْبَتًا[11] كذا ثم مُحِيَ، ولكن أنشأه في الابتداء مَمْحُوًّا،[12] وكقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[13] ليس أنها كانت موضوعة ثم رفعها،[14] ولكن أنشأها مرتفعة كما هي؛ فعلى ذلك هذا. ثم يحتمل ذلك الأعمالَ التي كانت مَعْفُوّة في الأصل مِن نحو[15] أعمال الصبيان والأعمال التي لا جزاء عليها.

---

[1] ن – ذي، صح هـ.
[2] ك: يرا.
[3] سورة المجادلة، ٥٨/٢٢.
[4] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٣٤).
[5] م: أن إنشاء.
[6] ن: محوًّا؛ ع: يمحوا؛ م: يمحو.
[7] ع م: فمحا.
[8] ع: يمحو؛ م: يمحو.
[9] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتَين فمَحَوْنا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصِرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكلَّ شيء فصّلناه تفصيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٢).
[10] ع – ليس.
[11] ك: منشئا.
[12] ع: في الآية يمحو؛ م: في الآية يمحو.
[13] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرونها﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢).
[14] ك: فرفعها.
[15] ع م – نحو.

وقال قائلون: [إنه محمول] على إحداث مَحْو. ثم هو[1] يحتمل وجوها. يحتمل[2] ما يُنسَخ من الأحكام، فهو على مَحْو الحكم به والعمل، ليس على مَحْو نفسه، **ويُثبِت**، وهو ما لا يُنسَخ ولا يُترَك العمل به والحكم. ويحتمل المَحْوُ مَحْوَ الأحوال، وهو ما يَنقل ويحوّل مِن حال إلى حال، مِن حال النطفة إلى حال العَلَقَة ومِن حال العلقة إلى حال المُضْغَة،[3] يحوّله وينقله مِن حال إلى حال أخرى،[4] فذلك هو المَحْو.[5] ويحتمل المَحْو أيضا هو ما يُختَم به العمر [من] السعادة أو الشقاء؛[6] إذا كان كافرا ثم أسلم في آخر عمره مُحِيَت الأعمال التي كانت له في حال كفره فأُبْدِلَت حسنات، وإذا كان مسلما ثم خُتِم بالكفر مُحِيَت أعماله التي كانت له مِن الصالحات فلم ينتفع[7] بها. أو أن يكون ما ذكر مِن المَحْو والإثبات هو ما يَكتب الحَفَظَة مِن الأعمال والأفعال، يُمحَى عنها ما لا جزاء لها ولا ثواب ويَبْقَى ما له الجزاء والثواب ويُترَك[8] مكتوبًا كما هو. أو يكون[9] للخَلْق مقاصد في أفعالهم والحَفَظَة لا يَطَّلِعون على مقاصدهم فيَكتبون[10] ما هو في الحقيقة حسنةٌ لِقصده سيئةً على ظاهر[11] ما عَمِل، أو [يكتبون] حسنةً في الظاهر وهو في الحقيقة سيئة، فيغيِّر[12] ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة شرٌّ وفي الظاهر خيرٌ شرًا بالقصد، وما هو في الحقيقة خيرٌ وفي الظاهر شرٌّ خيرًا.[13] أو يكون[14] في كتابة الحَفَظَة، لكنه من وجه آخر، وهو أنّ الحَفَظَة يَكتبون الأعمال ثم يُعارَض ذلك بما[15] في اللوح المحفوظ فيُمحَى من كتابة الحَفَظَة من الزيادة ويُثبَت فيها ما كان فيه من النقصان. ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع م – هو.
[2] ع م – يحتمل.
[3] انظر: سورة الحج، ٢٢/٥؛ وسورة المؤمنون، ٢٣/١٤.
[4] ع – أخرى.
[5] ن ع م: المحل.
[6] ع م: أو الشقاوة.
[7] جميع النسخ: ينتفعوا.
[8] ن: وينزل.
[9] ع: أن يكون.
[10] ك + هم؛ ن ع م: فيكتبونهم.
[11] ك: على ظاهره.
[12] ع: ميعفر؛ م: فيغفر.
[13] م: خير.
[14] ك: أو أن يكون.
[15] م – بما.

وقوله عز وجل: **وعنده أم الكتاب**، هذا يحتمل: عنده الذي يعارض به كتب الملائكة. ويحتمل: **وعنده أم الكتاب**، الذي يُستَنسَخ منه الكتب التي أُنزلت على الأنبياء والرسل، وهو في[١] اللوح المحفوظ. وفيه دلالة أنّ اختلاف الألسن لا يوجب تغيير المعنى؛ لأنه لا يُدرَى أنّ تلك الكتب في اللوح بأي لسان هي،[٢] ثم أُنزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي نزل عليه. وكذلك[٣] الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم لا يحتمل أن يكتبوا بلسان الخَلْق؛ لأنه يَظْهَر لو كانوا يكتبون بلسان هؤلاء،[٤] فدل أنهم إنما يكتبون بلسان أنفسهم. فهذا كله يدل أنّ اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف[٥] المعنى. *والله أعلم*.

**﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **وإن ما نُرِيَنّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نَتَوَفَّيَنّك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**، كأنه صلوات الله عليه طَمِع أو سأله أن يُرِيَه جميع ما وعد له[٦] مِن إنزال العذاب عليهم وأنواع ما وعد، فقال: إن شئنا نُرِيك[٧] بعضَ ما وعدناهم وإن شئنا نتوفاك[٨] و لم نُرِك، **فإنما عليك البلاغ**، أي ليس لك من الأمر شيء، أي ليس إليك هذا، إنما[٩] عليك البلاغ. وهو كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ،[١٠] الآية،[١١] فيَخرج مَخرج العتاب والتوبيخ ليس مَخرج الوعد والعِدَة؛ إذ قوله ذا أو ذا[١٢] حرفُ[١٣] شكّ، ولا يجوز أن يُضاف إليه ذلك. وقوله: **وإمّا نُرِيَنّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نَتَوَفَّيَنّك**، هذا في الظاهر حرفُ شكّ،[١٤] فهو يخرج على الوعد أو على النهي عن سؤالٍ كان مِن رسول الله.

---

[١] ن ع م - في.
[٢] ع م: هو.
[٣] ع - وكذلك.
[٤] لعل المؤلف يشير إلى ما سيكون يوم القيامة.
[٥] ع - اختلاف.
[٦] ك - له.
[٧] ن ع م: نرينك.
[٨] ن ع م: نتوفينك.
[٩] ع: فإنما.
[١٠] ﴿ليس لك مِن الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).
[١١] جميع النسخ + إنما عليك كذا.
[١٢] ك: اذا او ادا.
[١٣] ع: عرف؛ م: بحرف.
[١٤] ع م - ولا يجوز أن يضاف إليه ذلك وقوله وإما نريك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك هدا في الظاهر حرف شك.

فإن كان على النهي فكأنه نهاه أن يَسأل إنزال العذاب عليهم، يقول: إن شئنا أنزلنا وإن شئنا لم ننزل. وإن كان على الوعد يقول:[1] نُرِيك بعض ما وعدنا ولا نُرِيك كله. وإلّا ظاهرُه حرفُ شكّ.

وقوله: **وعلينا الحساب**، يحتمل حساب ما وعد وجزاءه. ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم يوم القيامة. ***والله أعلم***. أي لا يتركهم هَمَلاً سُدًى. أو قوله: **وعلينا الحساب**، أي إلينا الحساب، أو لنا الحساب، وذلك جائز في اللغة.[2]

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[٤١]

وقوله عز وجل: **أولم يَرَوْا**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه إنما هو حرف تعجُّب[3] وتنبيه. فهو يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر، أي قد رأَوا[4] أنّا فعلنا ما ذكر. والثاني على الأمر، أي رَوْا[5] أنّا فعلنا ما ذكر،[6] وهو ما ذكر من قوله: **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**،[7] أي قد ساروا في الأرض، أو سِيرُوا.[8] **أنّا نأتي الأرض نَنْقُصُها مِن أطرافها**، قال بعضهم: هو ما جَعل مِن أرض الكَفَرَة للمسلمين بالفتح لهم[9] والنصر على أولئك، والإخراجِ مِن سلطان أولئك الكَفَرَة وأيديهم وإدخالِها في أيدي المسلمين، فذلك النقصان. وهو[10] -والله أعلم- لمّا وعد لرسوله أن يُرِيَه بعض ما وَعد لهم فقال الكفرة عند ذلك: أين ما وعد أن **يُرِيَك**؟ فقال عند ذلك: **أولم يَرَوْا أنّا نأتي الأرض نَنْقُصُها**، أي ألم يَرَوْا أنه جَعل بعض ما كان لهم مِن الأَرَضِين للمسلمين، فإذا قَدَرَ على جعل البعض الذي كان لهم لهؤلاء [فإنه] يَقدِر[11] أن يجعل الكل لهم، فهلّا يعتبرون؟[12] هذا -والله أعلم- ما أراد بما ذكر من النقصان.

---

[1] ع: نقول.

[2] ك ع م – أي لا يتركهم هملا سدى أو قوله وعلينا الحساب أي إلينا الحساب أو لنا الحساب وذلك جائز في اللغة.

[3] ن ع م: تعجيب.

[4] ع م: قد رأو.

[5] ك ن: أي رأوا؛ ع م: أي رأو. رَوْا فعل أمر مِن رأى.

[6] ك: ما ذكرنا.

[7] ﴿أوَ لم يَسيروا في الأرض فيَنظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهم﴾ (سورة الروم، ٣٠/٩).

[8] ع م: أي سيروا.

[9] ك: عليهم.

[10] ع م – وهو.

[11] جميع النسخ: لقادر.

[12] ن: يفترون؛ ع: فلا يعبرون؛ م: فلا يعتبرون.

وقال قائلون: نقصان الأرض موت فقهائها وعلمائها.[١] ووَجهُ / هذا[٢] أنّ الفقهاء والعلماء هم [٣٨١ظ] عُمّار الأرض وأهلِها،[٣] وبهم صلاحُ الأرض. فوَصَفَ الأرضَ بالنقصان بذهاب أهلها، وهو كما وَصَفَ الأرضَ بالفساد، وهو قوله: لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ،[٤] وقوله: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.[٥] فالأرض لا تفسد بنفسها، ولكن وُصِفت بالفساد لفساد أهلها، فعلى ذلك لا تَنقُص هي بنفسها، ولكن وُصِفت بالنقصان لذهاب أهلها وعُمّارِها، وعُمّارُها[٦] فقهاؤها وعلماؤها. ثم يحتمل ذهاب العلماء المتقدمين الذين تقدموا رسولَ الله في الأمم السالفة، وهم علماء أهل الكتاب. فيقول:[٧] ألا يعتبرون بأولئك الذين قُبِضُوا وتَفَانَوْا[٨] مِن علمائهم، فلا بُدّ مِن رسولٍ يُعلّمهم الآداب[٩] والعلوم ويجدّد لهم ما دَرَسَ مِن الرسوم وذهب مِن الآثار، فكيف أنكروا رسالته وفي بَعث الرسول[١٠] حُدوث العلماء، وذلك وقتُ حُدوثِ العلماء وزمانُه. فإن كان أراد العلماء المتأخرين وفقهاءهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له، أي تصير الأرض بحالٍ تُوصَف[١١] بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والله يَحكُم لا مُعَقِّبَ لحُكمِه**، قيل: لا رادّ لحُكمه، وحُكمُه يحتمل العذاب الذي حكم على الكَفَرَة. يقول: لا رادّ للعذاب الذي حكم عليهم، وهو كقوله: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[١٢] أي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم.[١٣] ويحتمل قوله: **لا مُعَقِّبَ لحُكمِه**، أي لا يتعقّب أحدٌ حُكمَه ولا يَعْقُبُ أحدٌ سلطانه كما يكون في حكم الخلائق يتعقّب[١٤] بعض عن بعض،

---

[١] ك + فنايها؛ ن ع م + فناها.
[٢] جميع النسخ + وهو.
[٣] ع م: وأهلهم.
[٤] ﴿ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥١).
[٥] ﴿ظَهَرَ الفساد في البَرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يَرجعون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٤١).
[٦] ن ع م – وعمارها.
[٧] ع: فنقول.
[٨] ن: أو تفانوا.
[٩] ع: الأدب.
[١٠] ن + يعلمهم الآداب والعلوم.
[١١] م: يوصف.
[١٢] ﴿قال ربِّ احكم بالحق وربُّنا الرحمن المستعان على ما تَصِفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١١٢).
[١٣] ك – وهو كقوله رب احكم بالحق أي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم.
[١٤] م: يتعد.

وكما ذكر في الحَفَظَة: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ،[1] يتعقّب بعض عن بعض في الحفظ وفيما سُلّطوا. *والله أعلم*. **وهو سريع الحساب**، هذا قد ذكرنا في غير موضع.[2]

**﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾**[٤٢]

وقوله عز وجل: **وقد مَكَرَ الذين مِن قبلهم**، أي مَكَرَ الذين مِن قبلهم برسلهم كمكر هؤلاء بك، يُصَبِّرُ رسولَه على أذاهم به. ثم يحتمل المكر به وجهين. أحدهما مكروا بنفسه،[3] هَمُّوا بقتله[4] وإهلاكه. والثاني مكروا بدينه الذي دعاهم إليه وأراد إظهاره، هَمُّوا[5] بإطفاء[6] ذلك النور[7] وإبطاله. وكذلك مَكْرُ الذين مِن قبلهم برسلهم يَخرُج على هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فللّه المكر جميعا**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: فللّه جزاء المكر جميعا، يجزي كلاًّ بمكره. والثاني أي لله حقيقة المكر، يأخذهم[8] جميعًا بالحق مِن حيث لا يشعرون. وأمّا[9] هم[10] فإنما يأخذون ما يأخذون لا بالحق ولكن بالباطل، ولا يقدرون على الأخذ مِن حيث لا يشعرون[11] إلا قليلاً مِن ذلك، فحقيقة المكر الذي هو مَكْرٌ بالحق في الحقيقة لله لا لهم.[12] ويحتمل قوله: **فللّه المكر جميعا**، أي لله تدبير المكر[13] جميعا، إن شاء أمضاه وإن شاء منعه، إليه ذلك لا إليهم. أو لله حقيقة المكر، يَغلب مكرُه مكرَ أولئك.

وقوله[14] عز وجل: **يعلم ما تكسب كلُّ نفس**، مِن خير أو شر. **وسيعلم الكُفّار لمن عُقْبَى الدار**،

---

[1] ﴿له مُعَقِّباتٌ مِن بين يديه ومِن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ (سورة الرعد، ١١/١٣).
[2] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٠٢/٢.
[3] ع: مكرا وبنفسه.
[4] ك ع م: قتله.
[5] ك ن ع + هم؛ م: هموهم.
[6] جميع النسخ: إطفاء.
[7] ك ع م – النور.
[8] ن: بأخذهم.
[9] ك: فأما.
[10] ع: وأمامهم.
[11] ك: لا يشعر.
[12] ن: بالحق لله في الحقيقة لا لهم.
[13] ك: الأمر.
[14] ن: قوله.

يشبه أن يكون عُقْبَى الدار[١] معروفًا عندهم، وهي الجنة، فيكون صلة قولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٢] فيقول[٣] -والله أعلم- سيعلمون هم[٤] لمن عُقْبَى الدار أهي[٥] لهم أم هي للمؤمنين. أو أن يكون جواب قوله: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[٦] أنهم لمَا رَأَوْهم مُفضَّلين في أمر الدنيا ووُسِّعَ عليهم الدنيا ظَنُّوا أن لهم في الآخرة كذلك، فقال ذلك جوابًا لهم.

**﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[٤٣]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا**، أي قالوا، **لستَ مُرْسَلاً**، أي لن يبعثك الله رسولاً. وهم كانوا يقولون كذلك له، فأَمَرَه أن يقول لهم: **قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم**، أنّي نبيٌّ [و]رسولُ الله إليكم بالآيات[٧] التي أتى بها. أو كان قال ل[هم هذا[٨] لمّا بالغ في الحِجاج والبراهين في إثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فأَيِسَ مِن تصديقهم، فعند ذلك قال: **كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومَن عنده عِلمُ الكتاب**، أي يَعلم مَن كان عنده **عِلمُ الكتاب**، يعني التوراة، فيَشهَد أيضًا أنّي رسولُ نبيٌّ.[٩] أي يَعلم مَن كان عنده علم الكتاب أنّي على حق وأنّي رسول الله. وهو كقوله: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً،[١٠] الآية، وقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ.[١١] ومَن قرأ بالخفض: ومِن عندِه علمُ الكتاب،[١٢] فتأويله -والله أعلم- أي مِن عندِ الله جاء علمُ هذا الكتاب الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[١٣]

---

١ ع - يشبه أن يكون عقبى الدار.

٢ ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ١١١/٢).

٣ ع - فيقول.

٤ ع م: سيعلمونهم.

٥ ع: هي.

٦ ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رُدِدتُ إلى ربي لأجدنّ خيرا منها مُنقلَبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).

٧ ع: بالامات.

٨ ك: ذلك.

٩ ن - يعني التوراة فيشهد أيضا أني رسول نبي.

١٠ ﴿أوَلم يَكُن لهم آيةً أن يَعلمه علماء بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ١٩٧/٢٦).

١١ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ٤٣/١٦).

١٢ روي ذلك مرفوعا بإسناد ضعيف، وروي عن ابن عباس وعدد من التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٧/١٣-١٧٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٨/٤. وهي قراءة شاذة لم تتواتر.

١٣ ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١)

وكذلك رُوي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ: ومِن عنده علمُ الكتاب، بالخفض. وأما القراء جميعا فإنهم يختارون النصب:[1] **ومَن عندَه علمُ الكتاب**. **قال** أبو عُبَيد: وقرأ بعضهم: ومِن عندِه عُلِمَ الكتابُ، بخفض الميم والدال ورفع العين، وقال: لكن لا أدري[2] عن مَن هو.[3] وروي عن عبد الله بن[4] سلام أنه قال: فيَّ نزل: **قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومَن عندَه علمُ الكتاب**.[5] هذا يؤيد -إن ثبت- قولَ[6] أهل التأويل حيث قالوا: **ومَن عندَه علمُ الكتاب**، عبد الله بن سلام وأصحابه.[7]

---

[1] ع م: بالنصب.

[2] م: قال لا أدري.

[3] هذه قراءة شاذة. ونُسبت إلى علي رضي الله عنه والحسن البصري وغيرهما؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٣٦/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧٦/١٣.

[4] ن م: ابن.

[5] *تفسير الطبري*، ١٧٦/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٨/٤.

[6] م: إن يثبت قوله.

[7] ك ن ع + والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة إبراهيم

عليه السلام، قيل: مكية. بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**[١]

قوله[١] عز وجل: **الر كتاب، الر** كناية عن حروف مُقَطَّعَة جَعَلَها بالحكمة كتابًا، **أنزلناه**، أي جمعناها[٢] وجعلناها كتابًا، أعني [جعلنا] تلك الحروف المُقَطَّعَة كتابًا وأنزلناه إليك بعد ما لم تكن[٣] تدري ما الكتاب، / وهو كما قال: مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ[٤] وَلَا الْإِيمَانُ،[٥] وقوله: وَلَا تَخُطُّهُ [٣٨٢و] بِيَمِينِكَ.[٦] **لِتُخرِجَ الناس**، ما[٧] يُضاف [مِن] الإخراج إلى الله فإنه يكون بإعطاء الأسباب وحقيقة ما يكون به الأفعال وهي القدرة، وما يُضاف [مِن] الإخراج إلى الرسل فإنه لا يكون إلا بإعطاء الأسباب؛ لأنه لا يملك أحدٌ سِواه إعطاءَ ما به يكون الفعل. ثم الأسباب تكون[٨] بوجهين. أحدهما الدعاء إلى ذلك. والثاني ما أتاهم به[٩] مِن البيان والحجة على ذلك.[١٠] فهذه[١١] [هي] الأسباب التي يملك[١٢] الرسل إتيانها، وأمّا ما به حقيقة الفعل فإنه لا يملك [ذلك] إلا الله.

---

[١] ن ع: وقوله.

[٢] ك + وأنزلناها.

[٣] ع: لم يكن.

[٤] ع – وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب.

[٥] ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحا مِن أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[٦] ﴿وما كنتَ تتلو مِن قبله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).

[٧] جميع النسخ: وما.

[٨] ن ع م: يكون.

[٩] جميع النسخ: ما أتى بهم.

[١٠] ع: فعلى ذلك.

[١١] جميع النسخ: فهو.

[١٢] ك: تملك.

وقوله: **لِتُخرِجَ الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور**، قيل: مِن الكفر إلى الإيمان.[١] سمّى الكفر ظُلُمات، وهو واحد؛ لأنه يَستر جميعَ مَنَافِذِ الجوارح مِن البصر والسمع واللسان، يُبصِر ما لا يَصلُح ويَسمع ما لا يَصلُح،[٢] وكذلك القول يقول[٣] ما لا يَصلُح، وكذلك جميع الجوارح، والإيمان يَرفع ويَكشِف جميعَ الحُجُب والسُّتُور ويضيء[٤] له كل مستور. والثاني قوله: **مِن الظُّلُمات**، أي مِن الشُّبهات، **إلى النور**، أي[٥] إلى الإيمان والهدى.

وقوله: **لِتُخرِجَ الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور**، الإخراج المضاف إلى الله والهداية يخرج[٦] على وجوه أربعة. أحدها يأمر ويدعوهم إلى ما ذكر. والثاني يَكشِف ويبيّن. والثالث يُرَغِّب ويُرَهِّب حتى يَرغبوا في المرغوب ويَحذروا[٧] المرهوب. والرابع تحقيق ما يكون به الهداية، وذلك لا يكون إلا بالله، وهو التوفيق والعصمة. وأمّا الوجوه الثلاثة الأُوَل فإنها تكون برسول الله، يأمر ويدعو ويُرَغِّب ويُرَهِّب ويُبيّن ويَكشِف. ***والله أعلم.***

وقوله: **الر كتابٌ أنزلناه إليك لِتُخرِجَ الناسَ**، كأنه قال: **كتابٌ أنزلناه إليك**، لِتأمر الناس بالخروج مما ذكر إلى ما ذكر. والثاني[٨] أنزلناه لِتُخرِجَ به الناس مما ذكر.

**بإذن ربهم**، قيل: بأمر[٩] ربهم، أي تدعوهم[١٠] بأمر ربهم. وقال قائلون: بعلم ربهم، أي أنزل هذه الحروف المُقَطَّعَة[١١] بعلمه. والثالث يحتمل بتوفيق ربهم. الإذن مِن الله يحتمل أحد[١٢] هذه الوجوه التي ذكرنا: الأمر والعلم والتوفيق.

وقوله عز وجل: **إلى صراط العزيز الحميد، العزيز الحميد**[١٣] هو الله، أي يدعوهم إلى طريق الله الذي مَن سَلَكَه نجا. **العزيز الحميد**، سُمِّيَ عزيزا لأنّ كلَّ عزيزٍ به يَعِزّ.[١٤]

---

[١] ع م + التي يملك الرسل إتيانها.
[٢] ع – ويسمع ما لا يصلح.
[٣] م: بقول.
[٤] ن ع: وقضي.
[٥] ع م – أي.
[٦] ك: تخرج.
[٧] ن: ويحذر.
[٨] ك: الثاني.
[٩] ن: يأمر.
[١٠] ن ع م: يدعوهم.
[١١] ن – المقطعة.
[١٢] ك – أحد.
[١٣] ع م – العزيز الحميد.
[١٤] ع: تعز.

أو يقال: عزيز لأنه عزيز بذاته ليس بغيره كالخلائق. أو **العزيز**، هو الذي لا يُغلَب،[١] و **الحميد**، هو الذي لا يَلحقه الذم في فعله كالحكيم هو الذي لا يَلحقه الخطأ في تدبيره. وقال أهل التأويل: **العزيز**: المنيع، و **الحميد**: الذي[٢] يَقبل اليسير مِن العبادة.[٣]

**﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **اللهِ الذي له ما في السماوات وما في الأرض**، مَن قرأ بالخفض صَيَّره مَوْصُولاً بالأول وجَعَلَه كلامًا واحدًا[٤] وأتبع الخفض بالخفض. ومَن قرأ بالرفع: اللهُ الذي، جَعَلَه مَقْطُوعًا عن الأول على حق الابتداء، فقال: اللهُ الذي **له ما في السماوات وما في الأرض**. ذَكَرَ قولَه: **اللهِ الذي له ما في السماوات وما في الأرض**،[٥] لِيُعلَم أنه بما يأمر الخَلْقَ ويدعوهم إلى دينه ويمتحنهم بأنواع المِحَن لا يفعل ذلك لمنافع نفسه أو لحاجته[٦] في ذلك، بل لحاجة[٧] الممتحَنين ولمنافعهم.

وقوله عز وجل: **وويلٌ للكافرين مِن عذابٍ شديدٍ**، قال[٨] قائلون: الوَيل هو[٩] الشدة. وقيل: الوَيل هو اسم وادٍ في جهنم. وقال الأصم: الوَيل هو نداءُ كلِّ مَكْرُوب ومَلْهُوف مِن شدة البلاء. وقول الحسن كذلك.

**﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة**، وَصَف أولئك الذين ذكر أنّ فيهم الوَيل مَن هم،[١٠] فقال:[١١] **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة**، أي آثَرُوا واختاروا الحياة الدنيا على الآخرة،

[١] ع م: لا يطلب.
[٢] ع م + هو.
[٣] ن ع م: من العباد.
[٤] ع: واحد.
[٥] ع + ذكر قوله الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.
[٦] ك: أو لحاجة.
[٧] ع: بل للحاجة.
[٨] ن: وقال.
[٩] ع م – هو.
[١٠] ع: منهم.
[١١] ن + الدين ذكر أن فيهم الويل من هم فقال.

أي رَضُوا بها واطمأنّوا فيها، كقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[1] اختاروا الحياة الدنيا للدنيا، لم يختاروا للآخرة. فالدنيا أُنْشِئَت لا للدنيا، ولكن إنما[2] أُنْشِئَت للآخرة؛ فمن اختارها لها لا لِيَسلُكَ[3] بها إلى الآخرة ضَلّ وزاغ عن الحق. وقوله: **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة،**[4] يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة حتى يَلْهُوا[5] عن الآخرة ويَسْهُوا[6] **فيها** ويَغفلوا. وإلّا أهلُ الإسلام ربما يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة، وهو ما ذكرنا أنهم يختارون ذلك للآخرة، وأولئك للدنيا.

وقوله عز وجل: **ويَصُدُّون عن سبيل الله،** يحتمل يَصُدُّون وجهين. أحدهما[7] **أعرضوا** هم[8] بأنفسهم. والثاني صَرَفُوا الناس عن سبيل الله الذي مَن سَلَكه نَجَا. لكن إنما يتبيّن[9] ويظهر ذلك بالمصدر: صَدّ يَصُدّ صَدًّا: صَرَفَ غيرَه، وصَدّ يَصُدّ[10] صُدُودًا: أعرض هو بنفسه.[11] **ويَبْغُونَهَا عِوَجًا،** أي طَعْنًا وعَيْبًا[12] فيه. دل هذا على أن الآية في الرؤساء منهم والقادة الذين كانوا يَصُدُّون الناس عن سبيل الله ويَبْغُون[13] في دين الله الطعن والعيب،[14] فما وجدوا إلى ذلك سبيلاً قط.

وقوله عز وجل: **أولئك في ضلال بعيد،** الضلال يحتمل وجوها. يحتمل الهلاك،[15] أي هلكوا هلاكًا لا نجاةَ فيه[16] قط. ويحتمل الحيرة والتِّيه، / أي تَحَيَّرُوا فيه وتَاهُوا حتى لا يهتدون أبدًا. [٣٨٢ظ]

---

[1] ﴿إنّ الذين لا يَرجُون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ٧/١٠).
[2] ن – إنما.
[3] م: لا يسلك.
[4] ع م + وهو ما ذكرنا.
[5] ك: يلهو.
[6] ك: ويسهو.
[7] ك: أحدها.
[8] أعرضوهم.
[9] ع: يبين.
[10] ن ع: يصده.
[11] قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «صد».
[12] ن: وعينا.
[13] ن ع م: ويبغونها.
[14] ن: والطعن.
[15] جميع النسخ: الضلال.
[16] م – فيه.

ويحتمل الضلال البطلان، أي في بطلان بعيد حتى[1] لا يَصْلُحُوا أبدًا، وهو في قومٍ عَلِمَ الله أنهم لا يهتدون أبدًا ويُخْتَمُون[2] على الضلالة.[3]

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا مِن رسول إلا بلسان قومه**، لو كان غيره مِن الكتب أُرْسِلَ[4] بغير لسان الأُمَم لكان هذا الكتاب يجب أن يكون مبعوثًا بلسان قومه؛ لأنه جُعِل هذا الكتاب نفسُه حجةً وآيةً لرسالته، لأنهم يعجزون عن إتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا أنه من الله جاء. إذ لو كان مِن اختراع الرسول لَقَدَرُوا هم[5] على اختراع مثله؛ لأن لسانهم مثل لسانه، فإذا عجزوا عن إتيان مثله دل أنه منزل من الله تعالى لا من عند الخلْق. ثم يحتمل قوله: **وما أرسلنا مِن رسول إلا بلسان قومه**، وجوها. قال قائلون: هذا بعد ما اختلفت[6] الألسن، أرسل هذا وفيه أنباءُ أوائِلِهم الذين كان[7] لسانهم غير لسان هؤلاء وأخبارُهم[8] لِيَعلموا أنه إنما عرف تلك الأنباء والأخبار التي كانت بغير[9] لسانهم بالله. وقال بعضهم: أرسل بلسان قومه لئلا يكون لهم مقال، كقوله:[10] لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ،[11] الآية.[12] والثالث أنه إذا كان بلسانهم يكون آلَفَ وأقربَ إلى القبول مِن[13] إذا كان بغيره؛ إذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه آلَفَ مِن غير نوعه وجوهره، وهو[14] كقوله: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[15]

---

[1] ن: وحتى.
[2] ك: ويجتمعون.
[3] ك ن م: على الضلال؛ ك ن + والله أعلم.
[4] جميع النسخ: أرسلت.
[5] ع م – هم.
[6] ن ع م: ما اختلف.
[7] م: كانوا.
[8] ن ع م: واختارهم.
[9] ن: تغير؛ ع م: كان تغير.
[10] ن ع م: لقوله.
[11] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أ أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى أولئك يُنَادَوْنَ من مكان بعيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).
[12] م – الآية.
[13] ك: عنده.
[14] ع م – وهو.
[15] ﴿ولو جعلناه مَلَكًا لجعلناه رجلا ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩).

إذ ليس في وُسْع البشر رؤية الملك والنظر إليه على ما هو عليه؛ فعلى ذلك كل ذي **لسان** يكون بلسانه أفهم وأقرب للقبول وآلَف مِن غيره.

وقوله عز وجل: **لِيُبيِّنَ لهم**، قال قائلون: ليكون أَبْيَنَ لهم وأفهم. وقال قائلون: **لِيُبيِّنَ لهم**، فيَفهموا[1] قول رسولهم. وقوله عز وجل: **لِيُبيِّنَ لهم فيُضِلُّ الله مَن يشاء ويَهدِي مَن يشاء**، أي يُضِلُّ الله مَن آثَرَ سببَ الضلال ويَهدِي[2] مَن آثَرَ سببَ الذي به يَهتدي، يَهدِيه ذلك. وقال **قائلون**: **فيُضِلُّ الله مَن يشاء ويَهدِي مَن يشاء**، هذا حُكمُ الله أن يُضِلَّ المكذِّبين ويَهدِي المصدِّقين. لكن الوجه فيه ما ذكرنا بَدْءً أنه يُضِلُّ مَن آثَرَ سببَ الضلال ويَهدِي مَن يشاء،[3] أي مَن آثَرَ سببَ الاهتداء. **وهو العزيز الحكيم**، **العزيز**[4] لأنّ جميع[5] الخلائق مُفتقِرون إليه[6] أَذِلّاء، به يَعِزّ مَن عَزّ. أو أن يكون **العزيز** هو الذي لا يُغلَب. و **الحكيم** هو الذي لا يَلحقه الخطأ في الحكم والتدبير. أو **الحكيم** في بعث الرسل وفي جميع فعله و لم يؤخذ عليه في فعله خطأ قط، مُصِيبٌ، وَضَعَ[7] كل شيء موضعه.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**، يحتمل آياته حججه وبراهينه التي أرسل **بها** على وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل آياته التي بعثها إلى موسى ليقيمها على رسالته. إن شئت **قلت**:[8] آياته حججه،[9] وإن شئت سمّيتها أعلاما. والآيات والأعلام والحجج كله واحد. فيكون[10] [المقصود] أعلام وحدانية الله وألوهيته أو أعلام رسالته. وقال قائلون: **بآياتنا**، أي بديننا، أي أرسلنا موسى بديننا[11] ليدعوهم إليه، **أنْ أَخْرِجْ قومَك مِن الظلمات إلى النور**، وعلى ذلك بعث جميع الرسل والأنبياء، بُعِثُوا لِيُخرِجوا قومهم من الظلمات إلى النور. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.

---

[1] ع م: فيفهمون.
[2] ن ع م + من يشاء.
[3] ع م + هذا حكم الله أن يضل المكذبين ويهدي المصدقين.
[4] ع م – العزيز.
[5] ع: أن جميع.
[6] ن: به.
[7] ع: ضع.
[8] ع: قبلت.
[9] ع: وحججه.
[10] ك: فتكون.
[11] ع – أي أرسلنا موسى بديننا.

وقوله عز وجل: **وذَكِّرْهم بأيام الله**، التذكير[1] هو العِظَة، أي عِظْهم **بأيام الله**. قال قائلون: أيام الله نِعَمُه. قال قتادة: أمره[2] أن يُذكِّرهم بنعم الله التي أنعمها عليهم،[3] فإنّ لله[4] عليكم أيامًا مِن النعم كأيام القوم، كم مِن خير قد أعطاه الله لكم وكم مِن سوء قد[5] صرفه الله عنكم، وكم مِن كرب[6] نَفَّسَه الله عنكم،[7] وكم مِن غَمٍّ[8] قد[9] فَرَّجَه الله عنكم، فاللهم ربنا لك الحمد. وقال قائلون: أيام الله وقائعه، أي ذَكِّرْهم بوقائع الله في الأمم السالفة كيف أهلكهم لما كذّبوا الرسل. هذا يحتمل: أن[10] يُذكّرهم بنعم الله التي كانت على المصدقين بتصديقهم وهو ما أَنجى المصدقين مِن التعذيب والإهلاكِ إهلاك تعذيب،[11] ويُذكِّر[12] المكذّبين[13] منهم بالوقائع التي كانت على أولئك بالتكذيب، وهو الإهلاك. ويشبه أن يكون قوله: **بأيام الله**، الأيام المعروفة نفسها، أمره أن يُذكّرهم بها لأن الأيام تأتي بأرزاقهم وتَمضي[14] بأعمالهم وأعمارهم،[15] إن كان[16] خيرًا فخير وإن كان شرًّا فشر، وتُفنِي أعمارَهم وآجالَهم. وفيما تأتي[17] بأرزاقهم نعمة[18] من الله عليهم، وفي ذهاب أعمارهم وآجالهم إظهارُ سلطانِ الله وقدرته. فأمره أن يُذكّرهم بذلك.[19] ***والله أعلم***.

---

[1] ع: لتذكير.
[2] ك ن ع: أمرهم؛ م: أمر.
[3] *تفسير الطبري*، ١٣/١٨٤. روى الطبري هذا القسم فقط.
[4] ن ع: فإن الله.
[5] ك – قد.
[6] ن + قد.
[7] ع م – وكم من كرب نفسه الله عنكم.
[8] ك: من كرب.
[9] ك م – قد.
[10] ع م – أن.
[11] م: تعذيبا.
[12] ك ن م: وذكر؛ ع: أو ذكر.
[13] ن: المصدقين.
[14] م: ويمضي.
[15] ك: بأعمارهم وأعمالهم.
[16] ع م: وإن كان.
[17] ن م: يأتي.
[18] ن ع م: نعم.
[19] ع – بذلك.

هذا يشبه أن يكون أُمِرَ موسى أن يُذكّر بني إسرائيل ما كان عليهم من فرعون من أنواع التعذيب ثم الإنجاء مِن بَعد. يقول -والله أعلم- ذَكِّرهم الأيام الماضية وما يتلوها.[1] وهذا أشبه وأقرب.[2] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكُور**، قد ذكرنا[3] أن الصبر هو كفّ النفس عن معاصي الله وعن جميع مناهيه، والشكر هو الرغبة في طاعته. أخبر أنّ فيما ذكر آياتٍ لمن كفّ[4]
[٣٨٣و] نفسه عن المعاصي ورَغِب في طاعته لا لمن تَطاوَل على الرسل وتكبّر عليهم وترك[5] / إجابتهم ولم يرغب فيما دَعَوْهم إليه. ليس لأمثال هؤلاء عبرة وآية، ولكن[6] لمن ذكرنا. ويشبه أن يكون الصبّار[7] والشّكُور كناية عن المؤمن؛ لأن كل من[8] آمن بالله ووحّده اعتقد الكفّ عن جميع معاصيه[9] والرغبة في كل طاعته وإن كان يقع أحيانًا في معصيته، فكأنه قال: إن في ذلك لآيات للمؤمنين، على ما ذكر في غيره من الآيات، مِن ذلك[10] قوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ،[11] و لِلْمُوقِنِينَ،[12] و لِلْمُتَّقِينَ،[13] ونحوه. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون**، يشبه[14] أن يكون هذا[15] على الإضمار، وهو ما ذكر في آية أخرى:[16] **اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**،[17] الآية، واذكروا أيضًا **إذ أنجاكم من آل فرعون يَسُومُونكم**،

[1] م: يتلونها.
[2] ع + عليهم من فرعون من أنواع التعذيب ثم الإنجاء من بعد يقول والله أعلم ذكرهم الأيام الماضية وما يتلوها وهذا أشبه وأقرب.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأنفال، ٦٦/٨.
[4] ع م + هو.
[5] ن ع: ونزل.
[6] ع – ولكن؛ م: وآية.
[7] ع + وتكبر عليهم وترك إجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم إليه ليس لأمثال هؤلاء عبرة وآية لمن ذكرنا ويشبه أن الصبار.
[8] ع م: كل مؤمن.
[9] ع م – معاصيه.
[10] ن – طاعته وإن كان يقع أحيانا في معصيته فكأنه قال إن في ذلك لآيات للمؤمنين على ما ذكر في غيره من الآيات من ذلك.
[11] سورة الحجر، ٧٧/١٥؛ سورة العنكبوت، ٤٤/٢٩.
[12] ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (سورة الذاريات، ٢٠/٥١).
[13] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٨/٣).
[14] ن: ويشبه.
[15] ك – هذا.
[16] ك ن ع + أي.
[17] سورة المائدة، ٢٠/٥.

قيل: يعذبونكم،[١] **سوء العذاب**. وقال قائلون: يُكلّفونكم **سوء العذاب ويُذبِّحون أبناءكم ويَستحيون نساءكم**، السَّوْم الإذاقة والتعريض، يقال: سَامَنِي كذا، أي أذاقني وعَرَّضَني[٢] [لكذا]، ويقال: سُمْتُ الدابة على الحوض، أي عَرَضتها. **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**، هذا أيضًا قد ذكرناه[٣] فيما تقدم في سورة البقرة والأعراف.[٤] *والله أعلم*.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإذ تَأَذَّنَ ربكم**، قال بعضهم: وإذ[٥] قال ربكم. وقيل: إذ أعلم ربكم وأخبر. والعرب ربما قالت:[٦] أفعلت في معنى تفعّلت، فهذا من ذاك،[٧] ومِثلُه في الكلام أَوعدني وتوعّدني، وهو قول الفَرّاء.[٨] وحقيقته[٩] وَعَد ربكم[١٠] أو كَفَل ربكم، **لَئِن شكرتم لأزيدنّكم**، لم يقل: لئن شكرتم[١١] نعمة كذا، ولا بَيّنَ أيّ نِعَمِه، النعم كلها أو نعمة دون نعمة، ولا قال: شكرتم بماذا.[١٢] وقال: **لأزيدنّكم**، لم يذكر الزيادة فيما ذا مما ذا[١٣] ومِن أي شيء هي. فيشبه أن يكون قوله: **لَئِن شكرتم**، بالتوحيد، أي [لئن] وحّدتم الله في الدنيا فيما خلقكم خَلْقًا وركّب فيكم ما تتلذّذون[١٤] وتتنعّمون في الدنيا وفيما قوّمكم مِن أحسن تقويم، **لأزيدنّكم**، النعم الدائمة في الآخرة. فيَصير على هذا التأويل كأنه قال: لَئِن أتيتم شاكرين في الآخرة **لأزيدنّكم** النعم الدائمة. وإلى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه أو قريب منه.[١٥] ألا ترى أنه قال: **ولَئِن كفرتم إنّ عذابي لشديد**، أي **ولَئِن كفرتم**،

---

[١] ع: يعذبكم.
[٢] ع: وعرضي.
[٣] ع: قد ذكر.
[٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٤٤٩/٢؛ وسورة الأعراف، ١٤١/٧.
[٥] ع: وإذ؛ ع م + تأذن.
[٦] ن: قال.
[٧] م: من ذلك.
[٨] *معاني القرآن* لفراء، ٤/٢.
[٩] ع م: حقيقته.
[١٠] ن: بكم.
[١١] ع – لأزيدنكم لم يقل لئن شكرتم.
[١٢] أي شكرتم بأي شكل من الأشكال من قول أو فعل.
[١٣] ع م – مما ذا.
[١٤] ن ع: ما يتلذذون.
[١٥] ذُكر عن ابن عباس: لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٤٣/٩؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٩٠/١٣.

ولم توحّدوه وأشركتم غيره فيه وصرَفْتُم شُكْرَ تلك النعم إلى غيره، **إنّ عذابي لشديد**. ويحتمل[1] أن يكون كل نعمة يَشكرها يَزيد له مِن نوعها في الدنيا ويَدُوم ذلك له.

وفي قوله: **لئِن شكرتم لأَزيدنّكم**، لُطف وفضل؛ لأن الشكر هو المجازاة والمكافأة[2] لما سبق،[3] والله تعالى[4] لا يكافَأ فيما أنعم، لأنهم يَستزيدون لأنفسهم الزيادة بالشكر الذي ذكر، فهو ليس بشكر في الحقيقة، لكن هذا منه لُطفٌ[5] ذَكَرَه. وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾،[6] الآية، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾،[7] الآية. فهذه الأنفس والأموال في الحقيقة لله ليست لهم، فهم فيما يُقرِضون يُقرِضون[8] لأنفسهم، وكذلك في الشراء يَشترون لأنفسهم من مولاهم، لكنه ذكر شراءه من أنفسهم[9] لطفًا منه وفضلاً. فعلى ذلك فيما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لأنفسهم لطفًا منه. وإن كان الشكر في الظاهر موضوعه المكافأة لما سبق[10] فهو فيما بين الرب والعباد ليس بمكافأة،[11] ولكن سبب الزيادة، ولكن سُمِّيَ شكرًا لطفًا[12] منه وفضلاً على ما ذكر التصدُّق[13] قَرْضًا. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[8]

ألا ترى أنه قال: **وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد**، أي غني بذاته، ليس يأمر ما يأمر لحاجة نفسه ولا لمنفعةٍ[14] له، ولكن ما امتحنكم إنما امتحنكم

---

[1] ع: يحتمل.
[2] ع: المجازات والمكافات.
[3] ع - لما سبق.
[4] ع: والله أعلم.
[5] ك: هذا لطف منه.
[6] ﴿إنّ المُصَّدِّقين والمُصَّدِّقات وأَقْرَضُوا الله قَرضًا حسنًا يُضاعَفُ لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).
[7] ﴿إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعْدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومَن أَوْفَى بعهده مِن الله فاستبشِروا بِبَيعكم الذي بايَعْتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[8] ن ع م - يقرضون.
[9] ع م - من أنفسهم.
[10] ن + لما سبق.
[11] ع: بمكافات.
[12] ن - لطفا.
[13] ع م: التصديق.
[14] م: لا لمنفعة.

لحاجة أنفسكم ولمنفعة أبدانكم. وقال بعضهم: قوله: **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد**، أي غني عن عبادة خَلْقِه حميد عند خَلْقِه، وهو ما ذكرنا أنه ليس يأمرهم فيما يأمر لمنفعة نفسه أو لحاجة نفسه، ولكن لمنافع تحصل للخلق ولحوائج[١] تَبْدُو لهم. وكذلك النهي عما يَنهى ليس يَنهى[٢] لخوفِ مضرةٍ تَلحقه ولكن للضرر يَلحقهم ولآفةٍ تتوجه إليهم. يخبر عز وجل عن غِناه عمّا يأمر خَلْقَه في طاعته[٣] وعبادته وتوجيه الشكر إليه. والحميد هو الذي لا يَلحقه الذمّ في فعله. يقول -والله أعلم- إنهم إن يكفروا[٤] وكان عَلِمَ منهم أنهم يكفرون فعِلمُه[٥] بذلك لا يجعله في إنشائهم مذمومًا. *والله أعلم*.

**﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم قومِ نوح**، الآية، يشبه[٦] أن يكون الخطاب[٧] لأهل الإيمان منهم والرسل. خاطبهم عز وجل تصبيرًا منه لهم[٨] وتنبيهًا على تكذيب الكفرة إياهم وأذاهم واستهزائهم بهم،[٩] فقال: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم**، أي قد أتاكم [من] نبأ الذين مِن قبلكم ما فيه مَزجَر لكم[١٠] عن مِثل مُعاملتهم الرسول. وهو ما ذكره: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ،[١١] أنه ماذا نزل[١٢] بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء بأتباعهم. يَذكُر[١٣] هذا لهم[١٤] لِيَهُون ذلك عليهم ولِيَخِفّ؛

---

[١] م: والحوائج.
[٢] ن - ليس ينهى؛ ع: نهى.
[٣] ك: من طاعته.
[٤] ن ع م: وإن كفروا.
[٥] ن: فعله.
[٦] ك ع: ويشبه.
[٧] ك - الخطاب.
[٨] ع م - منه لهم. لهم: أي للرسل.
[٩] ك: به.
[١٠] أي لأهل الإيمان.
[١١] سورة القمر، ٥٤/٤.
[١٢] ع م: ما نزل.
[١٣] ك: يذكرهم.
[١٤] أي للرسل.

لأنّ مَن عَلِم أنّ له شركاء فيما بُلِيَ به وامتُحِن كان ذلك عليه أهون[1] وأخف مِن أن يكون هو المخصوص به.[2] ويحتمل أن يكون الخطاب[3] / لأهل الكفر[4] منهم، يقول: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم**، أي قد أتاكم خبر الذين مِن قبلكم أنه[5] ماذا نزل[6] بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم بأتباعهم، فينزل بكم[7] ما نزل بهم؛ لأن الذي أنزل ذلك[8] عليهم حي قادر على إنزال مثله، فيَخرُج ذلك مَخرج التوقُّع[9] والتوبيخ[10] والتعيير[11] والوعيد لِيَحذروا عن صنيع أولئك. ***والله أعلم.*** [٣٨٣ظ]

وقوله عز وجل: **لا يَعلمهم إلا الله، فيه دلالة أنّ تكلُّف معرفة الأنساب**[12] وحفظها إلى آدم شُغل وتكلُّف؛ لأنه أخبر أنّ فيهم مَن لا يَعلمه إلا الله. ورُوي في الخبر أنه[13] كان ينسب إلى مُضَر[14] ولا ينسب إلى أكثر من ذلك.[15] قال أبو بكر الأصم: قوله: **لا يَعلمهم إلا الله**، يُكذِّب مَن ادّعى معرفة الأنساب المتقدمة؛ لأنه قال: **لا يَعلمهم إلا الله**،[16] وقد أخبر أيضًا أنه لم يَقُصّ[17] عليه خبر الكل بقوله: مِنهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ،[18] فمِن البعيد أن يُتكلَّف تعرُّفُ ما لم يَقصّ على رسوله. ***والله أعلم.***

---

[1] ك: ذلك أهون عليه.

[2] ن ع م: فيه.

[3] ع − الخطاب.

[4] ع: لأهل الخطاب.

[5] ع − أنه.

[6] ك ن م: أنزل.

[7] ك − خبر الذين من قبلكم أنه ماذا أنزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم بأتباعهم فينزل بكم.

[8] ع: إليك.

[9] ن ع م − التوقع.

[10] ن ع م: التوبيخ.

[11] ن ع: والتغيير.

[12] م: الأسباب.

[13] أي النبي صلى الله عليه وسلم.

[14] ن: إلى مضمر.

[15] لم أجده هكذا. لكن مُضَر هو أب للكثير من القبائل العربية، ومنها قريش. وذُكر أنه كان مؤمنا على دين إبراهيم عليه السلام. وهو مُضَر بن نِزَار بن معد بن عدنان، والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام مختلف فيه. وأمّا مِن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان فمتفق عليه. انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ٦/٥٢٨−٥٢٩. وأخرج أبو عُبَيْد وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون. وأخرج أبو عُبَيْد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير قال: ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥/١٠.

[16] ك − يكذب من ادعى معرفة الأنساب المتقدمة لأنه قال لا يعلمهم إلا الله.

[17] ع: لم يقض.

[18] ن + الآية. ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قَصَصْنا عليك ومنهم من لم نَقْصُصْ عليك﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٨).

وقوله عز وجل: **جاءتهم رسلهم بالبينات**، قيل: البينات بينات على وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل الحجج التي أَتَوْا بها الرسل على إثبات الرسالة والنبوة. وقال بعضهم: البينات ما يَتَّقون وما يَأتُون وما يَحِلّ عليهم وما يَحْرُم.

وقوله عز وجل: **فرَدُّوا أيديَهم في أفواههم**، يحتمل أن يكون هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الإجابة؛ لأن ردّ الأيدي في أفواههم يمنعهم عن التصديق، كقوله: كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ،[1] الآية، إذا ترك إجابته، وقوله: يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ،[2] وأمثاله. ويشبه أن يكون على تحقيق جعل الأيدي في أفواههم. ثم يخرج على وجهين. أحدهما رَدُّوا **أيديَهم في أفواههم**، في أفواه[3] الرسل، فيقولون: إنكم كَذَبَة. ويحتمل ردّ الأيدي في أفواه أنفسهم، يُصَوِّتُون ويستهزءون بهم وبأتباعهم، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ،[4] الآية. وقد ذكرنا معناه في موضعه. فعلى ذلك هذا يحتمل ذلك.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقالوا إنّا كفرنا بما أُرسِلتم به**، الآية[6] يحتمل قوله: **بما أُرسِلتم به**، التوحيد، لأنهم أُرسِلُوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له. يدل على[7] ذلك قولهم: **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه مُرِيب**، وقولُ الرسل: أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ،[8] الآية.[9] ويحتمل قوله: **إنّا كفرنا بما أُرسِلتم به**، من إثبات الرسالة وإقامة الحجة عليها، **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه**، من التصديق بالرسالة والنبوة، **مُرِيب**. هذا يدل أنهم كانوا على شكّ مما يعبدون من الأوثان والأصنام؛ لأنه[10] لو كان لهم بيان في ذلك وحجة ودعاء إليه لكانوا لا يقولون: **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه مُرِيب**، ولكن كانوا يَقطعون فيه القول، فدل أنهم كانوا على شكّ ورَيْب في عبادتهم الأصنام والأوثان التي عبدوها.

---

[1] ﴿له دعوة الحق والذين يَدْعُون مِن دونه لا يَستجيبون لهم بشيء إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء لِيَبْلُغَ فاه وما هو ببالِغِه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٤).

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يَرُدُّوكم على أعقابكم فتَنْقَلِبُوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٩).

[3] ع: في أفوه.

[4] ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَةً﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٥).

[5] ع م – هذا يحتمل ذلك.

[6] ع – الآية؛ ع + وقد ذكرنا معناه.

[7] ن ع – على.

[8] الآية التالية.

[9] م – يحتمل قوله بما أرسلتم به التوحيد لأنهم أرسلوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له يدل على ذلك قولهم وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب وقول الرسل أفي الله شك الآية.

[10] ك: لأنهم.

ثم الشك والريب قال بعضهم: هما سواء. وقال بعضهم: الشك هو الشك المعروف، والرَّيْب هو النهاية في الشك.[1]

وقال[2] بعض أهل التأويل في قوله تعالى: **فرَدُّوا أيديَهم في أفواههم**، أي عَضُّوا[3] على أصابعهم غَيْظًا على ما دُعُوا. وقال بعضهم: رَدُّوا عليهم قولَهم وكذَّبوهم،[4] وهو ما ذكرنا بَدْءً. وقال [بعضهم:] رَدُّوا عليهم بأفواههم.

**﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **قالت رسلهم أفي الله شك**، أي أفي ألوهية[5] الله شك، أو في[6] عبادة الله شك، أي ليس في ألوهيته ولا في عبادته شك؛ إذ تُقِرّون[7] أنتم أنه إله وأنه معبود، وكذلك أَقَرّ آباؤكم أنه إله وأنه معبود، فليس في ألوهيته ولا في عبادته شك. إنما كان الشك في عبادة[8] مَن تعبدون دونه من الأوثان والأصنام وألوهيتها؛ لأن آباءكم أقروا بألوهية[9] الله وأنه معبود حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[10] وقالوا:[11] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[12] وأَقَرُّوا أنه خالق السماوات والأرض وفاطر[13] جميع ما فيهما بقوله:[14] وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[15]

[1] ك + والريب قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك المعروف والريب هو النهاية في الشك.
[2] ع: قال.
[3] ع م: اعضوا.
[4] ك: أو كذبوهم.
[5] ن م: ألوهيته.
[6] م: شك أفي.
[7] ع م: أو تقرون.
[8] ع: في عبادته.
[9] ع: بألوهيته.
[10] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[11] م: قالوا.
[12] سورة يونس، ١٨/١٠.
[13] ع م: فاطر.
[14] ك: بقولهم.
[15] سورة لقمان، ٢٥/٣١.

وأن الأصنام التي عبدوها لم[١] تخلق شيئًا. فليس في الله شك عندكم، إنما الشك فيما تعبدون دونه أو في وحدانية الله. أو يقول: **أفي الله شك،**[٢] أنه معبود، أي ليس في الله شك[٣] أنه لم يَزَلْ معبودًا، إنما الشك في الأصنام التي قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، فأما في الله فلا شك أنه لم يزل معبودًا فاطر السماوات والأرض. يشبه أن يكون على الإضمار، أي **أفي الله شك** وقد تُقِرّون أنه فاطر السماوات والأرض وتَعلمون أنه خالقهما. ويحتمل أن يكون على الاحتجاج، أي **أفي الله شك** وهو فاطر السماوات والأرض، أي تَعلمون أنه فاطر السماوات والأرض وتُقِرّون أنه خالقهما.

وقوله عز وجل: **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم،** هذا يحتمل وجهين. يحتمل ليغفر لكم ذنوبكم[٤] التي كانت لكم في حال الفترة إذا أسلمتم. وفيه دلالة -والله أعلم- أنّ المَآثم التي كانت لهم في وقت الفترة مأخوذة[٥] عليهم، ثم وعد لهم المغفرة إذا أسلموا.[٦] والثاني وعد المغفرة[٧] والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول فيه بما لا يليق به إذا أسلموا وتابوا عن ذلك، أي إنكم وإن افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذّبتم رسله فإذا أسلمتم وتُبتم وصدّقتم رسله غفر لكم ذلك كله. وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه. ويحتمل أيضًا قوله: **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخرَكم إلى أجل مسمًّى،** جواب ما قالوا: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا،[٨] يقول: إذا أسلمتم وتُبتم لا تُتَخطَّفون ولكن تبلغون إلى آجالكم / المسمّاة **ويؤخّركم إلى أجل مسمًّى.**[٩] [٣٨٤و]

تعلّق[١٠] المعتزلة بظاهر هذه الآية أنّ لكل إنسان أجلين: أجل في حال إذا كان فَعَلَ فِعلَ كذا، وأجل في حال إذا فَعَل كذا. لكن جَعْل الأجلين إنما يكون بجهلٍ في العواقب ممن يَجهل[١١] العواقب،

---

[١] ع - لم.
[٢] ع م + أنه لم يزل.
[٣] ن - أنه معبود أي ليس في الله شك.
[٤] ن + ذنوبكم.
[٥] م: مأخوة.
[٦] ن: أسلم.
[٧] ك: المغفر.
[٨] ع م + ويحتمل أيضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم. سورة القصص، ٥٧/٢٨.
[٩] ن + جواب ما قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا.
[١٠] ن ع م: يتعلق.
[١١] ن ع م: من يجهل.

فأمّا الله[1] سبحانه وتعالى هو[2] عالم بما كان ويكون، فلا يحتمل أن يَجعل له أجلين وهو عالم بما يكون، فإنما جَعَلَ[3] أجلَه بالذي عَلِمَ أنه يكون منه في الوقت الذي جَعَل. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **قالوا إنْ أنتم إلا بشرٌ مِثلُنا تريدون أن تَصُدُّونا عما كان يَعبد آباؤنا،** في قولهم تناقض من وجهين. أحدهما أنهم تركوا طاعة رسلهم واتّباعهم لأنهم بشر مثلهم، ثم أطاعوا آباءهم واتّبعوهم في عبادة الأصنام وهم بشر مثلهم،[4] حيث قالوا: **تريدون أن تَصُدُّونا عما كان يَعبد آباؤنا،** فذلك تناقض في القول. والثاني أنهم لم يَرَوا الرسل متبوعين لأنهم[5] بشر، ثم لا يخلو هم بأنفسهم مِن أن يكونوا متبوعين استَتْبَعوا غيرهم مِن[6] دونهم، أو كانوا أتباعًا لغيرهم، حيث قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[7] فذلك تناقض في القول.

**فأْتُونا بسلطان مبين،** سألوا الحجة على ما دُعُوا إليه من ألوهية الله تعالى وربوبيته، أو على ما ادَّعَوْا من الرسالة من الله، وفي كل شيءٍ وَقَعَ عليه بصرُهم دلالةُ وحدانيةِ الله وألوهيتِه. لكنهم سألوا ذلك سؤالَ تعنُّت وعناد. وكذلك [الرسل] قد أقاموا الحجج على ما ادَّعَوْا من الرسالة، لكنهم تعاندوا وكابروا في رد ذلك، فسألوا[8] آية وحجة تَضطرهم وتَقهرهم على ذلك أو[9] يكون عند إتيانها هلاكهم. فأجابهم الرسل فقالوا: وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[10] أي ما كان لنا أن نأتيكم بآية يكون[11] بها هلاككم، إنما ذلك إلى الله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

---

[1] ع م – الله.
[2] ك: فهو.
[3] ك: جعله.
[4] ع م – ثم أطاعوا آبائهم واتبعوهم في عبادة الأصنام وهم بشر مثلهم.
[5] ع م – لأنهم.
[6] ك – من.
[7] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[8] جميع النسخ + سؤال.
[9] ع + أن.
[10] الآية التالية.
[11] ع م: تكون.

**﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١١]**

وقوله: [**قالت لهم رسلهم**] **إنْ نحن إلا بشر مثلكم**، أي ما نحن إلا بشر مثلكم. فيه دلالة[١] ردّ قول الباطنية؛ لأنهم ينكرون كون الرسالة في جوهر البشرية ويقولون: إنما تكون[٢] الرسالة في جوهر الروحانية. فهم صلوات الله عليهم إنما أجابوا قومهم حيث قالوا لهم: ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، بقولهم:[٣] **إنْ نحن إلا بشرٌ مثلكم**، لم يَذكروا شيئًا سِوى البشرية، فدل أن قول الباطنية باطل حيث قالوا: **إنْ نحن إلا بشرٌ مثلكم**.

**ولكنّ الله يَمُنّ على من يشاء من عباده**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة؛ لأنهم يقولون: إن الله لا يختص أحدًا بالرسالة إلا من كان منه ما يستحق به الرسالة. وهم صلوات الله عليهم لم يَذكروا سِوى مِنّة الله عليهم. دل أنه يَمُنّ عليهم[٤] ويختصهم لا بشيء من الاستحقاق[٥] يكون منهم من الأعمال ولكن بالمِنّة[٦] والفضل منه عليهم.

وقوله عز وجل: **وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله**، هو ما ذكرنا:[٧] الإذن موضوعه الإباحة، هو مقابل الحَجْر. لكن الإذن المذكور في القرآن ليس كله على وجه واحد، ولكن يتّجه[٨] في كل موضع ويُحمَل[٩] على ما[١٠] يَلِيق به. قال الله تعالى: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ،[١١] أي بنصر الله، لأن الهزيمة هي موضع النصر، يُحمَل[١٢] عليه. وقال: وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ،[١٣] أي بإنشاء الله، فعلى ذلك الإذن هاهنا، حيث قال: **وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله**،[١٤]

---

[١] ن ع م – فيه دلالة.
[٢] ن ع م: يكون.
[٣] ك ع م: وقولهم؛ ن: وقوله.
[٤] ع – دل أنه يمن عليهم.
[٥] ك ن – من الاستحقاق.
[٦] ك: المنة.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢١٣/٢؛ وسورة يونس، ١٠٠/١٠؛ وسورة إبراهيم، ١/١٤.
[٨] ع: يجة.
[٩] جميع النسخ: ويحتمل.
[١٠] ن + لا.
[١١] ﴿فهَزَمُوهم بإذن الله وقَتَلَ داودُ جالوتَ وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء﴾ (سورة البقرة، ٢٥١/٢).
[١٢] ع: يحتمل.
[١٣] سورة آل عمران، ٤٩/٣. وهذا محكي في الآية من كلام عيسى عليه السلام.
[١٤] ك – أي بإنشاء الله فعلى ذلك الإذن هاهنا حيث قال وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله.

أي بإنشاء الله السلطانَ وإجرائِه على أيدينا. ويُحمَل[1] الإذن المذكور في القرآن على ما يَصلُح ويَلِيق بما تقدم ذكره. ويحتمل الإذن هاهنا الأمر، أي[2] بأمر الله نأتي.[3] أي إن أمرنا الله بذلك نأتي به.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، يتشبه أن يكون ذكر هذا على إثر وعيد وأذًى كان منهم إليهم، فقالوا: على الله يَتَّكِل ويعتمد المؤمنون في دفع وعيدكم وأذاكم. وقوله: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر، أي على الله توكّلوا أيها المؤمنون في جميع ما يتوعّدكم[4] أهل الكفر وفي جميع أموركم. ويحتمل على الإخبار عن صنيع المؤمنين أنهم إنما يتوكّلون على الله، وعليه[5] يعتمدون[6] في جميع أمورهم، ومنه يَرَوْن كل خير وبِرّ، لا بالأسباب التي لهم ولا يَرَوْن [حصولها] منها. وأمّا أهل الكفر فإنما يتوكّلون ويعتمدون على الأسباب،[7] ومنها يَرَوْن كل سَعَة وخير. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، كأنّ هذا يخرج على إثر جواب كان منهم لَمّا قال الرسل: وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ،[8] فأجابوهم بحرف، فعند ذلك قال الرسل: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، لكنه لم يذكر ما كان منهم، ولكن ذكر جواب الرسل لهم: **وما لنا أن لا نتوكل على الله**.

**وقد هَدانا سبلَنا**، قال بعضهم: وقد بيّن لنا سلوك سبلنا. وعندنا قوله: **وقد هَدانا**، أي وَفَّق لنا السلوك في السبل التي علينا أن نَسلكها وأكرم لنا ذلك. أي ما لنا أن[9] لا نتوكل[10] عليه في النصر والظفر عليكم

---

[1] ع م: ويحتمل.
[2] ع – أي.
[3] ن ع: يأتي.
[4] ن ع م: ما يوعدكم.
[5] ن ع م: وبه.
[6] ك: على الله ويعتمدون به.
[7] جميع النسخ: بالأسباب.
[8] الآية السابقة.
[9] ع – أن.
[10] م: ما لنا ألا نتوكل.

وقد وَفّقنا وأكرمنا السلوك في السبل التي علينا سلوكها، وذلك أعسر من القيام للأعداء والنصر بهم. وقد أكرمنا ما هو أعسر وأعظم، فأنْ ينصرَنا أولى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولنَصبرنَ على ما آذيتمونا**. يحتمل أن يكون هذا قبل أن يؤمَروا[1] بالقيام / لهم والاستنصار منهم، أُمِروا بالصبر على أذاهم، فقالوا: **ولنَصبرنَ على ما آذيتمونا**. [٣٨٤ظ]

ويشبه أن يكون قوله: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، أنهم قالوا ذلك لما كان أهل الكفر في كثرة وكان أهل الإسلام وأتباع الرسل في قلة، يَستَقِلّون أهل الإسلام ويُعاتِبون على ذلك، فقالوا عند ذلك: وما كان لنا أن لا نتوكل على الله بالنصر[2] على أعدائنا والغَلَبَة عليهم وقد أكرمنا بما ذكر.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المتوكلون**، كأنه يخرج على الأمر، أي على الله فتوكلوا لا تتوكلوا على[3] غيره. ويشبه أن يكون على الخبر، أي لا يتوكل المؤمن إلا على الله، لا يتوكل على غيره، كقول الرسول حيث قال: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،[4] الآية، وهو قول هود وقول المؤمنين: عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا،[5] الآية، ونحوه.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا لرسلهم لَنُخرجنّكم من أرضنا**، الإخراج يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على حقيقة الإخراج من البلد إلى غيره من البلدان والأَرَضِين. ويحتمل الإخراج الحبس،[6] أي لَتَحبسنّكم عن الانتفاع[7] بالبلد وبأهله وبما فيه. ويحتمل الإخراج القتل، أي لَنَقتلنّكم.[8] وقد كان أهل الكفر يُوعِدون ويخوّفون الرسل وأتباعهم بهذه الوجوه[9] الثلاثة،

---

[1] ن ع م: أن يامروا.

[2] ن ع + لنا.

[3] م - على.

[4] ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ (سورة هود، ٥٦/١١).

[5] ﴿على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧).

[6] ك ن ع + لنخرجنكم؛ ع: الجنس.

[7] ك + بها.

[8] ك ع م: نقتلكم؛ ن: نقتنكم.

[9] ك ع م - الوجوه.

كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[1] الآية، ونحوه. ثم في وعيدهم الذي أَوعدوا الرسل[2] وجوهٌ[3] ثلاثة حيث تجاسروا [على] الإقبال[4] [على] الرسل بمثل هذا الوعيد[5] ومع الرسل آيات وحُجج. أحدها أنهم رأَوْا أنفسهم مسلَّطين على أولئك قاهرين عليهم وكانوا أهل كبر وتجبُّر.[6] ألا ترى أنه قال: وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.[7] دل هذا أنهم كانوا رأَوْا أنفسهم كما ذكرنا أهل تسليط وتجبُّر.

والثاني قالوا ذلك لهم لِما لم يكن عندهم ما يَدفعون حُجج الرسل وبراهينهم، فهَمُّوا بقتلهم[8] وإخراجهم لعجزهم[9] عن دفع ما أَلزمهم الرسل. وهكذا الأمر المتعارَف بين الخَلْق أنّ الخصم لا يقصد إهلاك خصمه ما دام له الوصول[10] إلى الحِجاج، فإذا عجز عن ذلك فعند ذلك يَهُمّ بقتله ويقصد[11] إهلاكه.

والثالث جواب الرسل إياهم عند القول السيء[12] بالقول الذي ليس فوقه أحسن منه.

وقوله عز وجل: **أو لَتَعُودُنَّ في ملتنا**، الملة الدين، كقوله: «لا يَتَوَارَثُ أهلُ مِلَّتَين»،[13] وقوله: مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا،[14] أي دين إبراهيم. وقوله: **لَتَعُودُنَّ**، ليس أنهم كانوا فيها فتركوها،[15] ولكن على ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا.[16]

وقوله عز وجل: **فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين.**

---

[1] ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويَمْكُرُون ويَمْكُرُ الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[2] ن: الرسول.

[3] جميع النسخ: وجوها.

[4] جميع النسخ: إقبال.

[5] وعبارة *الشرح* هكذا: «حيث تجاسروا بمثل هذا الوعيد على المشافهة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤١٧و).

[6] ع: وتجبر.

[7] سورة إبراهيم، ١٤/١٥.

[8] جميع النسخ: قتلهم.

[9] ع: بعجزهم.

[10] ن – الوصول.

[11] ع: بهم بقتله وبقصده؛ م: وبقصده.

[12] ع: السيئ.

[13] جميع النسخ: الملتين. وانظر للحديث: *سنن ابن ماجة*، الفرائض ٦؛ و*سنن أبي داود*، الفرائض ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٦.

[14] ﴿وقالوا كُونُوا هُودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملةَ إبراهيمَ حَنِيفًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٥).

[15] ك: وتركوها.

[16] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٨٨.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١٤]

**ولَنُسْكِنَنَّكم الأرض مِن بَعدهم**، وَعَدَ لهم النصرَ والظفرَ عليهم والتمكينَ في أرضهم مع قلة عدد[١] أتباع الرسل وضَعْفِ أبدانهم ومع[٢] كثرة الأعداء وقوة أبدانهم، لِيَعلموا أنهم إنما قالوا ذلك بوحيٍ مِن الله ووَعْدِه إياهم لا مِن حيث أنفسهم. *والله أعلم*. فكان على ما أخبروا، فكان ذلك مِن آيات رسالتهم.[٣] وما [كان] يَنبغي لهم أن يَطلبوا[٤] مِن الرسل الآيات والحُجج على ما ادَّعَوْا؛ لأنهم لم يَدعوهم إلى طاعة أنفسهم أو عبادتها،[٥] إنما دَعَوْهم[٦] إلى وحدانية الله تعالى وألوهيته وجَعْلِ الطاعة[٧] والعبادة له دون ما عبدوها مِن الأصنام، وذلك في شهادة خِلْقَتِهم وشهادةِ كلِّ خِلْقَةٍ وإنْ لَطُفَ وصَغُر. فلم يحتاجوا[٨] إلى أن يقيموا[٩] البراهين والحُجج على ما ادَّعَوْا[١٠] ودَعَوْهم إليه؛ لكنهم كانوا قومًا معانِدين مكابِرين لا يَقبلون قولهم ولا يصدّقونهم تعنُّتًا منهم وتكبُّرًا، لم يَنظروا في خَلْق الله لِيُدركوا آثار وحدانية الله[١١] وألوهيته، فكُلِّفُوا إقامةَ الحُجج والآيات لئلا يكون لهم مقال واحتجاج وإن لم يكن لهم الاحتجاج. *والله أعلم*.

وقوله عز و جل: **ذلك لمن خاف مَقامي**، الآية، قوله تعالى: **ذلك**، يحتمل وجوها؛ لأنه قد سبق خصال ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف إلى كل واحد[١٢] مِن ذلك. أحدها قوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ،[١٣] فيحتمل قوله: **ذلك**، المَنّ والفضل، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**. وسبق أيضا قوله: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ،[١٤] أي[١٥] **ذلك**،

[١] م: عددهم.
[٢] م: مع.
[٣] ن: رسلهم.
[٤] ك + لهم.
[٥] ع م: أو عبادتهم.
[٦] ن – إنما دعوهم.
[٧] م: الطاعات.
[٨] جميع النسخ: فلم يحتجوا.
[٩] جميع النسخ: إلى أن يقوموا.
[١٠] ع + هم؛ م: ما ادعوهم.
[١١] ك ن ع: وحدانيته.
[١٢] ع: أحد.
[١٣] سورة إبراهيم، ١٤/١١.
[١٤] سورة إبراهيم، ١٤/١٢.
[١٥] م + على.

الهدى والسُّبل التي هدانا إليها، أي **ذلك**، الهدى والهداية، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**. وسبق أيضا: فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ،[1] الآية، أي **ذلك**، النصر والظفر بهم والتمكين في الأرض، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**.

ثم[2] قوله: **ذلك لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**، قال بعضهم: **خاف مقامي**، في الدنيا والآخرة. وتأويله -والله أعلم- أي خاف سلطاني ونِقْمَتي وعذابي في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا لِما نَزَلَ بمكذِّبِي رُسلِه وأنبيائه، وخاف وعيده[3] وعذابه في الآخرة حيث وعد أنه يَحُلّ بهم بالتكذيب وتَرْكِ الإجابة. وقال[4] بعضهم: **خاف مَقامي**، في الآخرة، وهو كقوله: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] يخاف ذلك المَقام، وخاف ما وعد من العذاب في النار.

ثم قوله: **مَقامي**، حيث أضاف إليه ليس في الاشتباه[6] بأقلّ مِن قوله: اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[7] وأقلّ مِن[8] قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ،[9] وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[10] الآية، وأمثاله. [٣٨٥و] فكيف اشتَبَهَ هذا على أهل[11] التشبيه و لم يَشْتَبِهْ قوله: **مقامي**، / حيث سألوا في ذلك و لم يَسألوا[12] في هذا، وهذا إن لم يكن أكثر في الاشتباه فليس بأقلَّ. والأصل في هذا وأمثاله مِن قوله: إِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[13] وإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ،[14] وَإِلَيْهِ مَآبِ،[15] وَإِلَيْهِ مَتَابِ،[16] ذكر هذا وإن كان الخلائق جميعًا في الدارين جميعًا[17] يكون مصيرهم ومرجعهم إليه لأنه جلّ وعلا لم يخلقهم للمُقام في الدنيا والدوام فيها،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع - ثم.
[3] ن ع م: وعيد.
[4] ن: قال.
[5] سورة المطففين، ٨٣/٦.
[6] ن: في الاشباه.
[7] سورة الأعراف، ٧/٥٤؛ وسورة يونس، ١٠/٣، وغيرها.
[8] م - على العرش وأقل من.
[9] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).
[10] سورة البقرة، ٢/٢١٠.
[11] ع م - أهل.
[12] م - في ذلك و لم يسألوا.
[13] سورة المؤمن، ٤٠/٣.
[14] سورة الأنعام، ٦/٦٠؛ وسورة يونس، ١٠/٤.
[15] سورة الرعد، ١٣/٣٦.
[16] سورة الرعد، ١٣/٣٠.
[17] م - جميعا في الدارين جميعا.

إنما خلقهم للزوال عنها والفناء والمقام في الآخرة والدوام فيها. لكنْ خَلَقَهم في هذه الدنيا[١] لِيَمتحنهم، ويُبْتَلَوْن فيها ثم يَصيرون إلى دار المقام. فالآخرة هي المقصودة[٢] في خَلْقِهم في الدنيا لا الدنيا. فإذا كان[٣] كذلك أضاف المصير إلى نفسه لما هو المقصود في خَلْقِهم وإن[٤] كانوا في الدنيا والآخرة صائرين[٥] إليه غيرَ غائبين عنه طَرْفَةَ عين ولا فائتين. ***وبالله النجاة.***

ذَكَرَ الله[٦] عز وجل أنباء الرسل الماضية وأتباعهم وأنباء أعدائهم، وما عامل بعضُهم بعضًا وما نزل بالأعداء بما عاملوا رسلهم مِن العذاب والاستئصال وأنواع البلايا، وما أكرم رسلَه وأتباعهم وأولياءهم مِن النصر على أعدائهم والظفر بهم والتمكين في الأرض، وجَعَلَ ذلك كلَّه كتابًا بالحكمة يُتلَى لِيُعلَم أنْ كيف[٧] يُعامَل[٨] الأعداء والأولياء ولِيُرغَب[٩] فيما استوجب الأولياء مِن الكرامات ولِيَحذروا عن مثل صنيع الأعداء،[١٠] ولِيَعلموا أنْ كيف عامل الله رسلَه وأولياءه وكيف عامل الرسل ربَّهم. أضاف الرسلُ جميعَ ما نالوا[١١] مِن الخيرات والكرامات إلى الله كأنْ لا صنعَ لهم في ذلك حيث قالوا: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.[١٢] ذكر قوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، لِيُعلَم أنّ الخير ليس يكون بالجوهر، ولكن بفضلٍ[١٣] مِن الله وبرحمته، وقوله عز وجل: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا،[١٤] وأمثاله، أضافوا[١٥] ذلك إليه كأنهم لا صنعَ لهم في ذلك. وذَكَرَ الله[١٦] عز وجل ما أكرم أولياءه ورسلَه مِن النصر والتمكين والإنزال في الديار كأنهم استوجبوا ذلك بفعلٍ[١٧] كان منهم،

[١] م – في هذه الدنيا.
[٢] ع م: المقصود.
[٣] ك: فإذ لكان.
[٤] م – وإن.
[٥] ع م: صابرين.
[٦] ك – الله.
[٧] ع م – أن كيف.
[٨] م: مقابل.
[٩] ع م: ليرغب.
[١٠] ن – والأولياء وليرغب فيما استوجب الأولياء من الكرامات وليحذروا عن مثل صنيع الأعداء.
[١١] م: ما يأتوا.
[١٢] سورة إبراهيم، ١٤/١١.
[١٣] ن: يفضل.
[١٤] الآية السابقة.
[١٥] ع: وأضافوا.
[١٦] ن – الله.
[١٧] م: بفضل.

وهو قوله: **ذلك**، أي ذلك النصر والتمكين وما ذكرنا مِن الوجوه، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**، ذَكَرَ كأنهم[1] استوْجبوا ذلك، لا أنْ كان مِن الله ذلك[2] بحقّ إفضالٍ وامتنانٍ، لِيَعلموا معاملةَ الله رسلَه وأولياءَه ومعاملةَ الرسل والأولياء سيدَهم ومولاهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **واستَفْتَحوا**، يحتمل وجهين. أحدهما الاستنصار، استنصروا الله على أعدائهم، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[3] أي يستنصرون. والثاني **واستفتحوا**، أي تحاكموا إلى الله في النصر للأحقّ منهم والأقرب إلى الحق، كقوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا،[4] الآية،[5] وهو التحاكم إليه.

وقوله عز وجل: **وخاب كلُّ جبّار عنيد**، هو ما ذكرنا، تحاكموا إلى الله فنَصَر أولياءه وأهلك أعداءه على ما ذُكر أنّ أبا جهل قال: اللهم دينك القديم وأياديك الحسنة، أيّنا كان أحبّ إليك وأقرب مِن الحق[6] فانصره. فنَصَر المؤمنين وأهلك الأعداء. وقوله: **وخاب كلُّ جبّار عنيد**، أي [من] تجبّر على رسله وأوليائه. والعَنيد قيل: المُعرِض المُجانِب عن الحق والطاعة. وقال بعضهم: الجبّار القاتل على الغضب، والضارب على الغضب.[7] وهو ما ذكرنا.[8]

**﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **مِن ورائه جهنمُ**، أي مِن وراء عذاب[9] الدنيا لهم[10] جهنم وعذابه. وقوله:[11] **مِن ورائه جهنمُ**، الوراء قد يُستعمَل[12] في أمام وخلف، أي مِن أمام ما حَلّ بهم جهنم. ويحتمل وراء ما أصابهم ما ذكر.

[1] ع م: أنهم..
[2] ك: كان ذلك من الله؛ ع م + من الله.
[3] ﴿ولمّا جاءهم كتاب مِن عند الله مُصَدِّقٌ لِمَا معهم وكانوا مِن قبلُ يَستفتِحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عَرَفُوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٩).
[4] ﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٩).
[5] ك – الآية.
[6] ك: إلى الحق.
[7] ن – والضارب على الغضب.
[8] انظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/٥٩.
[9] ع: العذاب.
[10] م + عذاب.
[11] ك: قوله.
[12] ن: قد تستعمل.

وقوله عز وجل: **وَيُسقَى مِن ماءٍ صَدِيد**، أي يُسقَى في جهنم صَدِيدًا[١] مكانَ ما يُسقَون في الدنيا الماء،[٢] وهو الذي يَسِيل مِن القُروح[٣] والجروح.[٤] جَعَل الله للكافرين[٥] في الآخرة مكانَ ما كان لهم في الدنيا لباسًا وشرابًا وطعامًا ما كانت تَكرهه أنفسهم. جَعَل مكانَ ما يُسقَون في الدنيا من الماء في النار الصَّدِيدَ والغِسْلِين[٦] والحَمِيم،[٧] ومكانَ الطعام في الدنيا في النار الزَّقُّوم[٨] والضَّرِيع،[٩] ومكانَ اللباس القَطِرَان[١٠] ونحوه. ومكانَ القَرِين والصديق في الدنيا يجعل قَرِينه الشيطان، كقوله: وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ؛[١١] إذ[١٢] ذلك كلّه كان[١٣] يمنعهم عن دين الله ويصدّهم عن ذكره[١٤] ليكون جزاؤهم مِن نوع ما كان يمنعهم في الدنيا عن طاعته. ثم قال بعضهم: إن الصَّدِيد الذي يُسقَون هو أنّ[١٥] النار تجرحهم وتَقْرَحهم، فيَسِيل مِن ذلك الصَّدِيد فيُسقَون مِن ذلك. وقال[١٦] بعضهم: لا، ولكن يجعل شرابهم فيها صَدِيدًا كشراب أهل الجنة وطعامهم مِن غير أصل. وقوله: **وَيُسقَى مِن ماءٍ صَدِيد**، يحتمل[١٧] يُسقَى مِن ماءٍ في ظنّهم ماء وهو في الحقيقة صَدِيد. ويحتمل أن يكون في الحقيقة والظاهر صديدًا،[١٨] لكن يَشربون رجاءَ أنْ يَدفع عطشَهم.

---

[١] ن ع م: صديد.
[٢] ك ع م – الماء.
[٣] القروح جمع القَرْح والقُرْح، لغتان بمعنى الجرح الحاصل من السلاح ونحوه مما يَجرَح الجسد، وما يَخرُج بالبدن من الجراحات بسبب الأمراض (*لسان العرب* لابن منظور، «قرح»).
[٤] ع م – والجروح.
[٥] ك ع م: للكافر.
[٦] م: في النار الغسلين والصديد. يقول الله تعالى: ﴿ولا طعامٌ إلا مِن غِسْلِين﴾ (سورة الحاقة، ٣٦/٦٩).
[٧] ﴿فشَارِبُون عليه مِن الحَمِيم﴾ (سورة الواقعة، ٥٤/٥٦).
[٨] ﴿إنّ شجرةَ الزَّقُّوم. طعامُ الأَثِيم﴾ (سورة الدخان، ٤٣/٤٤-٤٤).
[٩] ﴿ليس لهم طعامٌ إلا مِن ضَرِيع﴾ (سورة الغاشية، ٦/٨٨).
[١٠] ﴿سَرَابِيلُهم مِن قَطِرانٍ وتَغْشَى وجوهَهم النارُ﴾ (سورة إبراهيم، ٥٠/١٤).
[١١] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.
[١٢] ع م: أنه.
[١٣] ع م – كان.
[١٤] م: عن ذكر الله.
[١٥] ن – أن.
[١٦] ع م: فقال.
[١٧] ع م: ويحتمل.
[١٨] ن ع م: صديد.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يَتَجَرَّعُه**. قال أبو عَوْسَجَة: التجرُّع ما يَشربه مُكرَهًا عليه، **ولا يَكاد يُسِيغُه**، يقال: أَسَغْتُه، أي أدخلته في الحَلْق.[١] [و]يقال: أَسَغْتُه فساغ، أي دخل سهلاً مِن غير أن يؤذيه. وكذلك قيل في قوله: سَائِغٌ شَرَابُهُ،[٢] أي سهل في الحَلْق. وساغ[٣] في حَلْقه،[٤] إذا دخل دخولاً سهلاً لا يؤذيه.

[٣٨٥ظ] وقوله[٥] عز وجل: **ويأتيه الموت مِن كل / مكان**، قال قائلون: يأتيهم الغَمّ والهَمّ مِن كل مكان. وكذلك المتعارَف في الخَلْق إذا اشتدّ بهم الغَمّ والهَمّ والشدة يقال: كأنك ميت أو تموت غَمًّا. وقال بعضهم: **ويأتيه الموت**، أي أسباب الموت ما لو كان مِن قضائه الموت فيها لمَاتوا لشدة ما يَحُلّ بهم، ولكن قضاؤه أنْ لا[٦] يموتون فيها. **وما هو بميّت**، موتَ حقيقةٍ يَستريح مِن العذاب. وقوله: **من كل مكان**، قال بعضهم: من كل ناحية، مِن فوق ومِن تحت ومِن خلف ومِن قدّام، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٧] وقال: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.[٨] أخبر أنّ النار تأتيهم وتأخذهم مِن كل جانب ومِن كل جهة. ويحتمل **من كل مكان**، أي مِن كل سبب مِن تلك الأسباب التي تأتيهم ما لو كان قضاؤه الموت لمَاتوا بكل سبب مِن تلك الأسباب. وقال بعضهم: أي ليس مِن موضعٍ مِن جسده ومِن سائر جوارحه[٩] إلا الموت يأتيه منها مِن شدّة ما يَحُلّ بهم حتى يجدوا طَعْمَ الموت وكَرْبَه.[١٠]

وقوله: **ومِن ورائه**، أي مِن وراء[١١] ذلك العذاب، **عذابٌ غليظ**، لا ينقطع ولا يَفْتُر. وَصَفَه بالغِلَظ والشدة لِدوامه والإياس عن انقطاعه. *والله أعلم*.[١٢]

---

[١] ع: في الحق.
[٢] سورة فاطر، ١٢/٣٥.
[٣] ع م - أي دخل سهلا من غير أن يؤذيه وكذلك قيل في قوله سائغ شرابه أي سهل في الحلق وساغ.
[٤] ع: في خنقه.
[٥] ن: قوله.
[٦] ع م: أي لا.
[٧] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[٨] سورة الأعراف، ٤١/٧.
[٩] ع: خوارجه.
[١٠] ك: وكرمه.
[١١] ك: ومن وراء.
[١٢] ن - والله أعلم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **مَثَلُ الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ**، هو[١] -والله أعلم- على التقديم والتأخير،[٢] أي مَثَلُ أعمالِ[٣] الذين كفروا بربهم **كرمادٍ اشتدّت به الريح**. ثم يحتمل[٤] **أعمالهم**، الأعمال التي كانت لهم في حال إيمانهم ثم كفروا، [و]ما أحدثوا[٥] مِن الكفر أَبْطَلَ[٦] الأعمالَ الصالحة في الإيمان، وهو ما ذكر: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.[٧] أو يكون [**أعمالهم**] محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر طَمِعوا أن يَنتفعوا بتلك المحاسن في الآخرة، فما انتفعوا بها، فصارت كالرماد الذي تَذْرُوه الريح[٨] الشديدة، لم يَنتفع صاحب ذلك الرماد به بعد ما عَمِلَت به الريح ما عَمِلَت. فعلى ذلك الأعمال الصالحة التي عَمِلُوها في حال كفرهم أو أعمالهم[٩] الصالحة التي كانت لهم في حال الإيمان ثم أحدثوا الكفر لا ينتفعون بها. وقال في آية آخرى: أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ،[١٠] فيشبه أن يكون هذا في أعمالهم السيئة في أنفسها فرأَوْها صالحة حسنة، كقوله: سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا.[١١] فيُشَبِّه[١٢] ما كان في نفسه سَيِّئًا[١٣] بالسراب[١٤] لأنه لا شيءَ هنالك، إنما يَرَى خيالاً، فعلى ذلك أعمالهم السيئة في أنفسها فرأَوْها حسنة صالحة وما كانت[١٥] [كذلك]. وما شَبَّهه بالرماد فهي أعمال صالحة[١٦] في أنفسها[١٧] لكن الكفر أَبْطَلَها.

---

[١] ك: وهو.
[٢] ن ع م – والتأخير.
[٣] ك: أعمالهم.
[٤] ك: تحتمل.
[٥] ع م: بما أحدثوا.
[٦] جميع النسخ + ذلك؛ ن ع: بطل.
[٧] سورة المائدة، ٥/٥.
[٨] ع: الرياح.
[٩] ك: وأعمالهم.
[١٠] ﴿والذين كفروا أعمالُهم كسَرابٍ بِقِيعَةٍ يحسَبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووَجَدَ اللهَ عنده فوَفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[١١] ﴿أفمَن زُيِّنَ له سُوءُ عمله فرآه حَسَنا فإنّ الله يُضِلّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حَسَرَاتٍ إنّ الله عليم بما يَصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).
[١٢] ك: فشبه.
[١٣] ن: شيا؛ م: سيا.
[١٤] ن – بالسراب.
[١٥] جميع النسخ: كان.
[١٦] ع م: الصالحة.
[١٧] ع: في نفسها.

وقوله عز وجل: **في يومٍ عاصف**، اليوم لا يكون عاصفًا، ولكن على الإضمار كأنه قال: في يومٍ فيه ريحٌ عاصف،[١] كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٢] النهار لا يُبصِر ولكن يُبصَر فيه أو يُبصَر به. والعاصف قيل: هو القاصف الكاسر الذي يكسر الأشياء. أو يكون قوله: **اشتدّت به الريح**،[٣] والعاصف[٤] حرفين[٥] يؤدّيان جميعا معنى واحدا.[٦]

وقوله عز وجل: **لا يَقدِرون مما كسبوا على شيء**، كالرماد الذي ذكرنا أنّ صاحبه لا يَقدِر عليه[٧] بعد ما عَمِلَت به الريحُ وذَرَته. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك هو الضلال البعيد**، يحتمل **ذلك**، الكفر، **هو الضلال البعيد**، لا نجاة فيه أبدًا. أو **ذلك**،[٨] الكفر[٩] الذي أتَوْا به بعيد عن الحق. ***والله أعلم***.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **ألم ترَ أنّ الله خلق السماوات والأرض**، **ألم ترَ**، حرف تنبيه عن عجيبٍ بَلَغَه وعَلِمَ به [لكن] غَفَلَ عنه، أو نقول:[١٠] حرف تنبيه عن عجيب لم يَبلغه بَعدُ و لم يَعلم به. على هذين[١١] الوجهين يشبه أن يكون. ***والله أعلم***.

وقوله[١٢] عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قال عامة أهل التأويل: **بالحق**، أي للحق. وتأويل قولهم -والله أعلم- للحق، أي للكائن[١٣] لا محالة، وهي الآخرة؛ لأنه خَلَقَ العالم الأول للعالم الثاني، والمقصود في خَلْق[١٤] هذا العالم هو العالم[١٥] الثاني.

---

[١] ك – اليوم لا يكون عاصفا ولكن عىى الإضمار كأنه قال في يوم فيه ريح عاصف.
[٢] ﴿هو الذي جَعَلَ لكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنهارَ مُبصِرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[٣] م + والقاصف.
[٤] ك ن ع + والقاصف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٨و.
[٥] جميع النسخ: حرفان.
[٦] ع: واحد.
[٧] جميع النسخ: به.
[٨] ك: وذلك.
[٩] ع م – الكفر.
[١٠] ك ن: أو يقول؛ ع: أو تقول.
[١١] ع م: عىى هذا.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ن ع م: للكافرين.
[١٤] ك – حلق.
[١٥] ع – هو العالم.

فكان خَلْقُهما[١] للثاني لا للأول؛ لأنه لو كان للأول[٢] دون الثاني يَحصل خَلْقُهما للفناء، وذلك[٣] خارج عن الحكمة، وهو ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[٤] وقال قائلون: للحق الذي وَجَبَ له عليهم بالامتحان والابتلاء، خَلَقَهما للشهادة له على الممتحَن. أو يقول:[٥] خَلَقَهما **بالحق**، أي بالحكمة.

وقوله: **أن الله خلق السماوات والأرض بالحق**، إن كان الخطاب به لرسول الله فيَصِير كأنه قال: قد[٦] رأيتَ وعلمتَ أنّ الله خالق السماوات والأرض بالحق. وإن كان الخطاب به لغيره من أولئك يقول: اعلموا أنّ الله خلق السماوات والأرض بالحق، لم يخلقهما[٧] عبثًا باطلاً.

وقوله عز وجل: **إن يَشَأْ يُذهِبْكم ويأتِ بخَلْقٍ جديد**، قال بعض أهل التأويل: هذه المخاطبة يخاطِب بها أهلَ مكة، يَذكُر قدرتَه وسلطانَه على بَعثِهم بعد الموت والهلاكِ، [أي] يَقدِر على إذهابكم وإهلاككم ويَقدِر أيضًا أن يأتي بغيركم، فعلى ذلك يَقدِر على بَعثِكم بعد مماتكم.

**﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **وما ذلك على الله بعزيز**، قال أهل التأويل: أي عليه هَيِّن يَسِير. ولكن عندنا -والله أعلم- **وما ذلك**، أي ذهابكم وفناؤكم[٨] ليس بشديد عليه ولا شاق، ليس كملوك الأرض إذا ذهب[٩] شيء مِن مملكتهم[١٠] يشتدّ ذلك عليهم. فأمّا الله سبحانه وتعالى لا يَزيد الخَلْقُ في سلطانه ولا في ملكه ولا يَنقُص فناؤهم وذهابهم منه شيئا. كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[١١] أي أَشِدَّاء[١٢] عليهم، وهو / ما وصفهم عز وجل: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[١٣] [٣٨٦و]

---

[١] م: خلقها.
[٢] ع م - لأنه لو كان للأول.
[٣] ن - وذلك.
[٤] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٥] ع: أو تقول؛ م: أو نقول.
[٦] م - قد.
[٧] م: لم يخلقها.
[٨] جميع النسخ + عليه.
[٩] ع م - ذهب.
[١٠] م - من مملكتكم.
[١١] ﴿يا أيها الذين آمنوا مَن يَرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أَذِلَّةٍ على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).
[١٢] جميع النسخ: شديد.
[١٣] ﴿محمد رسول الله والذين معه أَشِدَّاءُ على الكُفَّار رُحَمَاءُ بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).

ذَكَرَ مكانَ الشدة العزة[1] ومكانَ الذلة هاهنا الرحمة. أو أن يكون قوله: **وما ذلك على الله بعزيز**، أي ما بَعْثُكم وإحياؤكم بعد الممات على الله بشاقّ ولا شديد.

**﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٢١]

وقوله عز وجل: **وبَرَزُوا لله جميعا**، قال مُقاتِل: خرجوا إلى الله مِن قبورهم جميعا. وقال: **جميعا**، لأنه لا يُغادر أحدٌ إلا بُعِث.[2] ويحتمل وجوها أُخرَ سِوى ذلك. وهو أنّ قوله: **وبَرَزُوا لله**، أي لأمر الله أو لوعده[3] الذي وعد أنهم يُبعَثون. أو بَرَزُوا لِحُكم[4] الله يَحكُم في بعثهم. **وبَرَزُوا**، أي ظَهَرُوا[5] له[6] ووُجِدُوا، فيكونون له[7] موجودين ظاهرين بعد أن كانوا فائتين ذاهبين غائبين. أي عندهم في الدنيا أنهم كانوا[8] فائتين غائبين عن الله، فيومئذ يَعلمون أنه كان لا يَخفَى عليه شيء مِن أفعالهم وأحوالهم. وهو ما ذكرنا في قوله: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ،[9] وقوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[10] وأمثاله أنْ يَعلمهم[11] مجاهدين صابرين كما عَلِمَهم غيرَ مجاهدين وغيرَ صابرين. وكقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[12] يَعلمهم[13] شُهُودًا كما عَلِمَهم غَيْبًا. فعلى ذلك قوله: **وبَرَزُوا لله جميعا**، أي يكونون له موجودين ظاهرين.[14] ***والله أعلم.***

---

[1] ك ن: مكان العزة الشدة.
[2] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٤٠٢.
[3] ع م: أي لوعده.
[4] جميع النسخ: أو يريد الحكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٨و.
[5] م: أظهروا.
[6] جميع النسخ: به.
[7] ك ن: به؛ ع م - له.
[8] ن ع م - كانوا.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لَيَبلُوَنَّكم اللهُ بشيء مِن الصيد تَنالُه أيديكم ورِماحُكم لِيَعلمَ اللهُ مَن يَخافه بالغيب﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٤).
[10] ﴿ولَنَبلُوَنَّكم حتى نَعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخبارَكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).
[11] ع: أي يعلمهم.
[12] سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة الرعد، ١٣/٩؛ وغيرها.
[13] ع م: ويعلمهم.
[14] ك: له ظاهرين موجودين.

وإضافة البُرُوز إليه في الآخرة وإن كان بُرُوزُهم له في الدارَين جميعا وكذلك مِن المصير إليه[١] والمرجع إليه[٢] والمآب[٣] ونحوه فهو -والله أعلم- لِما لا يُنازِع أحد في البُرُوز في ذلك اليوم وقد يُنازِعونه في الدنيا. أو خصّ ذلك البُرُوز بالإضافة إليه[٤] لِما هو المقصود مِن إنشائه إياهم وخَلْقِهم، ليس المقصود في خَلْقِهم وإنشائهم الأول ولكن الآخر، فخصّ ذلك بالإضافة إليه. *والله أعلم*.

وقوله: **وبَرَزُوا لله جميعا**، أي يومئذ يَعلمون أنه كان لا يَخفَى عليه شيء، وكأنهم لم يكونوا يَعلمون قبل[٥] ذلك.

وقوله عز وجل: **فقال الضعفاء للذين استَكْبَروا إنّا كُنّا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغنُون عنا مِن عذاب الله مِن شيء**، قال قائلون: قوله: **فهل أنتم مُغنُون عنا**، أي دافعون عنّا[٦] عذابَ الله إذ كنّا لكم أتباعًا[٧] وأنتم متبوعين، فادفعوا عنّا ذلك. لكن هذا بعيد أنْ يَطلبوا منهم دَفْعَ العذاب عنهم وقد رأَوْهم[٨] في العذاب، فلو قَدَرُوا على دَفعِ ذلك[٩] عنهم[١٠] لَدَفَعُوا أولاً عن أنفسهم إلا أن يكون فيهم حيرة وعَمًى كما كان في الدنيا، فللحيرة ما قالوا، كقوله: وَمَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى.[١١] والأشبه أنهم يَطلبون عنهم رفعَ بعضٍ[١٢] العذاب عنهم[١٣] وتَحَمُّلَ بعضٍ؛ لأن مؤنة الأتباع في العُرْف يتحمّلها المتبوع، فيَطلبون منهم رفعَ شيءٍ وتَحَمُّلَ بعضٍ ما حَلَّ بهم. وهو ما ذكر في آية أخرى:[١٤] فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ،[١٥] طلبوا منهم تحمُّلَ بعضٍ ما حَلَّ بهم.

---

[١] انظر مثلا: سورة المؤمن، ٣/٤٠.
[٢] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦٠/٦؛ وسورة يونس، ٤/١٠.
[٣] انظر مثلا: سورة الرعد، ٣٦/١٣.
[٤] ع م - إليه.
[٥] م: وقيل.
[٦] م + من.
[٧] م: تبعا.
[٨] ع م: رأوا هم.
[٩] ع م - ذلك.
[١٠] ك: عليهم.
[١١] سورة الإسراء، ٧٢/١٧.
[١٢] م - بعض.
[١٣] م - عنهم.
[١٤] م: في الآية الأخرى.
[١٥] ﴿وإذ يَتَحاجُّون في النار فيَقول الضعفاء لذين استَكْبَروا إنّا كُنّا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنُونَ عنا نصيبًا مِن النار﴾ (سورة المؤمن، ٤٧/٤٠).

وقوله عز وجل: **قالوا لو هدانا الله لهَديناكم**، قال بعض أهل العلم: إن الكفرة جميعًا أتباعهم ومتبوعَهم أعلمُ بهداية الله من المعتزلة؛ لأنهم قالوا: **لو هدانا الله لهَديناكم**،[١] عَلِمُوا أنّ الله عز وجل لو هداهم لاهْتَدَوْا ويملك هدايتَهم، والمعتزلة يقولون: قد هَدَى الله جميع الكفرة وجميعَ الخلائق فلم يَهتدوا، وإنه لو أراد أن يَهدي أحدًا لم يملك. والكفرة حيث قالوا: **لو هدانا الله لهَديناكم**، رأَوْا وعَلِمُوا أنّ الله لو هداهم لاهْتَدَوْا؛ لأنهم لو لم يَهتدوا بهدايته إذا هداهم[٢] لم يَعتذِروا إلى أتباعهم [بقولهم]: **لهَديناكم**. وكذلك[٣] قال[٤] إبليس: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[٥] أضاف الإغواء إليه، وهم[٦] يقولون:[٧] لا يُغْوِي الله أحدًا، فإبليس أعلم بهذا[٨] من المعتزلة.

وقولهم: **لو هدانا الله**، أي لو رزقنا الله الهدى وأكرمنا[٩] به، **لهَديناكم**، ولكن لم يرزقنا ذلك و لم يكرمنا. وقال أبو بكر الأصم: تأويل قولهم: **لو هدانا الله لهَديناكم**، لو كان الذي كنّا عليه هُدًى لهديناكم. فهذا صَرْفُ ظاهرِ[١٠] الآية عن وجهها بلا دليل، فلو جاز له هذا[١١] جاز لِغيره صَرْفُ جميعِ الآيات عن ظاهرها بلا دليل، مع ما[١٢] أنّ الأتباع قد عَلِمُوا أنّ الذي كانوا عليه لم يكن هُدًى، فلا معنى لهذا.

وقوله عز وجل: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**، قال أهل التأويل: إنهم قالوا فيما بينهم: تَعالَوْا حتى نَجْزَع لعلّ الله يرحمُنا، فجَزِعُوا حِينًا فلم يُرحَموا، ثم قالوا: **تَعالَوْا** تَصبِرْ لعلّ الله يرحمُنا، فلم يُرحَموا، فعند ذلك قالوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**. لكن لا يحتمل أن يقولوا ذلك بعد الامتحان والاختبار،[١٣] لكن كأنهم قالوا ذلك بالذي سمعوا،

---

[١] ن – قال بعض أهل العلم إن الكفرة جميعا أتباعهم ومتبوعهم أعلم بهداية الله من المعتزلة لأنهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم.
[٢] ع: إذ هداهم.
[٣] ع م – وكذلك.
[٤] ع م: وقال.
[٥] ﴿قال ربِّ بما أغوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض وَلَأُغوِيَنَّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩).
[٦] ك – وهم.
[٧] ك: ويقولون.
[٨] ك ن: فإبليس بهذا أعلم.
[٩] ع: وأكبر منا.
[١٠] ع م: هذه.
[١١] ع + جاز له هذا.
[١٢] ن ع م + مع.
[١٣] ع: والاختيار.

وهو قوله: اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ،[١] لمّا[٢] سمعوا ذلك عند ذلك قالوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص،** أي مَنْجًى ومَخْلَص. لا يحتمل أن يقولوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص،** في أول أحوالهم وأمورهم، ولكن يحتمل ما ذَكَرَ أهلُ التأويل أنهم يقولون ذلك عند الإياس.

**﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٢٢]

وقوله عز وجل: **وقال الشيطان لمّا قُضِيَ الأمرُ،** قال بعضهم: **قُضِيَ الأمرُ،** أي [إذا] أُدخِل أهلُ[٣] الجنة الجنةَ وأهلُ النار النارَ يقوم إبليس خطيبًا في النار فيخطب[٤] كما ذكر. وقال قائلون: **قُضِيَ الأمرُ،** أي [إذا] مُيِّزَ وبُيِّنَ[٥] أهلُ الجنة مِن أهل النار قبل أن يدخل أهل[٦] النار النار وأهل الجنة الجنة قام خطيبًا / فخطب لأتباعه كما ذكر. ويحتمل قوله: [٣٨٦ظ] **لمّا قُضِيَ الأمرُ،** أي لمّا فُرِغَ مِن الحساب ومِن أمرهم عند ذلك يخطب ما ذكر، وهو كقوله:[٧] فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ،[٨] أي لمّا فُرِغ مِن السماع، فعلى ذلك هذا. وقال بعضهم: **لمّا قُضِيَ الأمرُ،** أي[٩] لمّا نزل[١٠] بهم العذاب. ويشبه أن يكون قوله: **لمّا قُضِيَ الأمرُ،** هو أنّ الله كان وَعَدَ أن يقوم إبليس خطيبا لهم فقُضِيَ الأمرُ، أي أَنْجَزَ ما وَعَد أنه يخطب. أو أن يكون لأهل الكفر لحاجات[١١] ومنازعاتٌ فيما بينهم يوم القيامة،

[١] سورة الطور، ٥٢/١٦.
[٢] ع م: ولما.
[٣] ع – أهل.
[٤] ك ن ع: فخطب؛ م: وخطب.
[٥] ن: وأبين.
[٦] ع – أهل.
[٧] ع: قوله.
[٨] ﴿وإذ صَرَفْنا إليك نَفَرًا مِن الجِنّ يَستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أَنصِتُوا فلمّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم مُنذِرين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩).
[٩] ن ع م + قضي ولو.
[١٠] ك م: لا نزل.
[١١] ع م: لحاجات.

كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[1] وكقوله: فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[2] الآية، يَكذِبون في الآخرة ويكون لهم لَحَاجَة[3] على ما كان منهم في الدنيا. أو يحتجون[4] فيقولون: إنّ إبليس هو كان غَلَبَنا وقَهَرَنا لأنه كان يَرانا ونحن لم تكن نَرَاه، فالمغلوب المقهور غير مأخوذ بما كان منه في حُكمِك. يحتجّون بمثل هذه[5] الخرافات واللَّجَاجَات ويقولون: هو الذي أَضَلَّنا، فيقوم عند ذلك إبليس خطيبا بينهم ويقول:[6] **وما كان لِيَ عليكم مِن سلطان**، حتىّ أَقْهَرَكم وأَغْلِبَكم إلا الدعاء، **فاستَجَبْتم لي**، طائعين غير مقهورين ولا مُضطَرّين. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **إن الله وَعَدَكم وَعْدَ الحق**، يشبه أن يكون وَعْدُه ما وَعَدَ على أَلْسُنِ الرسل أنّ البعث والجنة والنار والحساب والعذاب كائنٌ لا محالة،[7] أو جميع ما أَوْعَدَ مِن مَوَاعِيده، فذلك كلُّه حقٌّ، أي كائنٌ لا محالة. **ووَعَدْتُكم فأَخْلَفْتُكم**، يحتمل ما ذكر حيث قال: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ،[8] وأمثاله مِن عِدَاتِه كانت كلُّها أَمَانِيَّ وغُرُورًا وكذبًا.

وقوله عز وجل: **وما كان لِيَ عليكم مِن سلطان**، يحتمل السلطان وجهين. أحدهما أي[9] ما كان لي عليكم مِن ملك وقهر وغلبة أَقْهَرُكم وأَغْلِبُ عليكم إلا الدعاء، **فاستَجَبْتم لي**، طَوْعًا. ويحتمل قوله: **مِن سلطان**، مِن حجة وبرهان، أي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دَعَوْتُكم إليه، إنما كان لي دعاء ووساوس وكان مع[10] الرسل[11] حُجَج وبراهين، فتركتم[12] إجابتهم،

[1] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[2] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).
[3] ن ع م: لحاجة.
[4] ع م: ويحتجون.
[5] ع: هذا.
[6] جميع النسخ: وقال.
[7] ع: كا محالة.
[8] ﴿وإذ زَيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلمّا تَرَاءَتِ الفِئَتان نَكَصَ على عَقِبَيْه وقال إني بريء منكم إني أَرَى ما لا تَرَوْن إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).
[9] ك - أي.
[10] ع م - مع.
[11] م: للرسل.
[12] ع: فتركتكم.

**فاستَجَبْتم لي**، بلا حجة وبرهان،[١] أي لم أَقْهَرْكم ولم أَغْلِبْ عليكم. لكن هذا لا يصح؛ لأنه لو كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا مَعْذُورِين غير مُعَذَّبِين، لأنّ المقهور والمغلوب مُضطَرّ، والمُضطَرّ[٢] معذور، ولكن السلطان هو[٣] الحجة.

وقوله عز وجل: **فلا تَلُومُونِي ولُومُوا أنفسكم**، ليس مراده -لعنه الله- أنه لا يُلَام، ولكن مراده أن[٤] ارْجِعوا إلى لائِمَةِ[٥] أنفسكم واشتغِلوا بها، فإنّ[٦] ذلك كان منكم، لم يكن منّا إلا الدعاء.

وقوله عز وجل: **ما أنا بمُصْرِخِكم وما أنتم بمُصْرِخِيّ**، قيل: ما أنا بناصركم وما أنتم بناصري. وقيل: ما أنا بمُغِيثكم وما[٧] أنتم بمُغِيثِيّ.[٨] وقيل: ما أنا بمانعكم[٩] وما أنتم بمانعِيّ ما نزل بي. هذا كله واحد. وقوله: **ما أنا بمُصْرِخِكم**، أي ما أنا بمالكِ إغاثتِكم وإنقاذِكم وما أنتم بمالِكِي[١٠] إغاثتي، وإلا لو كان لهم مَلْكُ ذلك لَفَعلوا.

وقوله عز وجل: **إني كفرتُ بما أشركتمونِ مِن قبلُ**، أي كفرتُ بما أشركتموني في عبادة الله وطاعته، أي كنتُ بذلك كافرًا.[١١] ويحتمل **إني كفرتُ**، أي تَبَرَّأْتُ اليوم مما[١٢] أشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة مِن قبلُ. أحدُ التأويلين يَرجع[١٣] إلى أنه يتبرّأ في ذلك اليوم وقتَ ما قام خطيبًا. والثاني أي[١٤] كنت تبرّأتُ مِن ذلك في الدنيا، [وذلك] وقتَ ما[١٥] أشركوه. **إنّ الظالمين لهم عذاب أليم**.

---

[١] م: ولا برهان.
[٢] ك ن ع: فالمضطر.
[٣] م – هو.
[٤] ن ع م – أن.
[٥] ع: إلى الأئمة.
[٦] ع: وإن.
[٧] ك: وأما.
[٨] ك: بمغيثين لي.
[٩] ع: بمناعكم.
[١٠] م: بمالك.
[١١] ك + ويحتمل إني كفرت بما أشركتموني من قبل أي كفرت بما أشركتموني في عبادة الله وطاعته أي كنت بذل ك كافرا.
[١٢] ن ع م: بما.
[١٣] ن ع م: ترجع.
[١٤] ن ع م: إني.
[١٥] م – ما.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وأُدْخِلَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات [جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار]**، أي أُذِنَ لهم بالدخول في الجنة.[١]

وقوله: **خالدين فيها بإذن ربهم**، الإذن هاهنا كأنه الرحمة، أي خالدين فيها[٢] برحمة ربهم. **تحيتهم فيها سلام**، يحتمل السلام، ويحتمل الثناء، أي يُثْنُون على ربهم، كقوله: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[٣] الآية. وقوله: **تحيتهم فيها سلام**، قال بعضهم: يُسَلِّم بعضهم على بعض ويُحَيِّي بعضهم بعضا بالسلام. وقال بعضهم: السلام هو اسم كل خير ويُمْن وبركة، كما قال: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[٤] *والله أعلم.*

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٢٤]
﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٥]
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ألم تَرَ**، قد ذكرنا[٥] أنّ كلمة **ألم تَرَ**، حرف تنبيه عن عجيبٍ كان بَلَغَه فغَفَلَ عنه، أو تنبيه عن عجيب[٦] لم يَبْلُغْه. وقال أبو بكر الأصم: هي كلمة يَفْتَتِح[٧] بها العرب عند الحاجة، يقول الرجل لآخر: ألم تر إلى ما فعل فلان، ونحوه. هذا يحتمل في غيره من المواضع، وأمّا في[٨] هذا فإنه غير محتمل.

وقوله عز وجل: **ألم تر كيف ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا**، قيل: بَيَّن الله مَثَلًا وأَظْهَرَ، **كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ**، قال أبو بكر الكيساني: **كلمة طيبة**، هو هذا القرآن، و **كلمة خبيثة**، هي الكتب التي أحدثها الناس. شَبَّهَ القرآنَ بالشجرة الطيبة، وهي النخلة على ما ذُكِر إن ثبت، أو كلُّ شجرةٍ مُثْمِرَة.

---

[١] ك + وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار؛ ن ع م + قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار.

[٢] ن + فيها.

[٣] ﴿وقالوا الحمد لله الذي أَذْهَبَ عنا الحَزَن إنّ ربَّنا لَغَفور شَكور﴾ (سورة فاطر، ٣٤/٣٥).

[٤] سورة مريم، ٦٢/١٩.

[٥] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ١٩/١٤.

[٦] ع: عن عجب.

[٧] ن ع م: تفتتح.

[٨] ك + غير.

وشَبّهَ الكتبَ التي أحدثها الناس بالشجرة الخبيثة، وهي التي لا تُثمِر. وقال: إنما شَبّهَ القرآنَ بالشجرة الطيبة لأن الشجرة الطيبة هي باقية إلى آخر الدهر يَنتفع بها الناس بجميع أنواع المنافع لا يَقطعونها، فهي تَدُوم وتبقى دهرًا. فعلى ذلك القرآن / يَنتفع به[1] الناس، وهو دائم أبدًا. [٣٨٧و]

وقوله عز وجل: **أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السماء، أَصْلُها ثابتٌ**، لها قرار. فعلى ذلك القرآن[2] هو ثابت بالحجج والبراهين، والكتب التي أحدثها أولئك هي باطلة فاسدة لا حجة معها ولا برهان، كالشجرة الخبيثة التي هي غير مُثمِرة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات. وقال بعضهم: الكلمة الطيبة هي الإيمان والتوحيد، شَبّهَها بالشجرة الطيبة وهي التي تُثمِر وتَنمُو وتَزْكُو،[3] [و]هي على ما وَصَفَها عز وجل في قوله: **تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها**، فعلى [ذلك] الإيمان والتوحيد لا يَزال يُثمِر لأهله الخيراتِ والأعمالَ الصالحة كالشجرة التي وصفها أنها تُؤتي أهلَها أُكُلَها في كل حين وكل وقت. **أَصْلُها ثابت**، بالحجج والبراهين، **وفَرْعُها في السماء**، في كل وقت يَرتفع ويَصعد به العمل[4] إلى السماء. والكلمة[5] الخبيثة[6] هي الكفر؛ لأنه لا منفعة لأهلها فيها، إذ لا عاقبة له ولا حجة معها ولا برهان، إنما [هو] شيءٌ أَخَذُوه عن شهوة وأَمَانيّ، فكان[7] كالشجرة الخبيثة التي لا ثمرة لها[8] ولا منفعة لأحد فيها، فهي لا تَبقى ولا تَدُوم، فذلك قوله: **اجْتُثَّتْ مِن فوق الأرض ما لها مِن قرار**.

ويشبه أن يكون ضَرْبُ المَثَلِ لغير[9] هذا المعنى، وهو أنه ذَكَرَ جواهرَ طيبةً وجواهرَ خبيثةً مما يقع عليها الحواسّ ويقع عليها البصر ليكون كلُّ جوهر مِن هذه الجواهر التي يقع[10] عليها الحواسّ ويقع عليها البصر مِن خبيث أو طيب دليلاً وشاهدًا على ما غاب عن الخَلْق ولا يقع عليها الحواسّ. وهكذا جعل الله تعالى هذه المحسوسات والأشياء الظاهرة دليلاً وشاهدًا لِما غاب عنهم ولا يقع عليه الحسّ، تُدرَك[11] بالعقول التي رَكّبَ فيهم لِيُرغَب [في] الطيب مما يقع عليه الحسّ والبصر على الموعود الغائب

---

[1] ع م – بها.
[2] ن – ينتفع به الناس وهو دائم أبدا وقوله عز وجل أصلها ثابت وفرعها في السماء أصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القرآن.
[3] ن: وتزكوا؛ ع م: وتنموا وتركوا.
[4] ك: العلمل.
[5] ك – والكلمة.
[6] ك: والخبيثة.
[7] م: مكان.
[8] ن: بها.
[9] م: بغير.
[10] ك: تقع.
[11] ك: يدرك.

ويُحذَر الخبيثُ المحسوس عما غاب وأوعد. وكذلك هذه الآلام والأمراض والشدائد[1] التي جَعَلَ في هذه الدنيا لِتَزْجُرَهم عن الأفعال التي بها يَستَوْجِبون مِثلَها في الآخرة. وكذلك[2] النِعَم التي في الدنيا واللَذَّات جَعَلَها لِتَدلهم[3] على النعم الدائمة. على هذا يجوز أن يخرج، لا أنه أراد بالشجرة[4] الطيبة الشجرة[5] نفسها، أو بالشجرة الخبيثة الشجرة[6] نفسها، ولكن ما وصفنا. *والله أعلم بذلك*.[7]

وقال قائلون: ضَرَبَ اللهُ مَثَلَ[8] الشجرة الطيبة مَثَلًا للمؤمن، هو في الأرض وعَمَلُه يَصعد في السماء[9] كلَّ يوم، فكما تُؤتي الشجرة أُكُلَها كلَّ حين كذلك المؤمن يَعمل لله[10] في ساعات الليل والنهار.

وقوله عز وجل: **كلَّ حين**، قال قائلون: كلّ عام؛ لأنها تُثمِر في كل عام مرة. وقال قائلون: ستة أشهر مِن وقت طلوعها[11] إلى وقت إدراكها. وقال قائلون: كل عَشِيّة وغُدْوَة، كقوله: فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.[12] وقال قائلون: شهرين، وأمثاله. ويشبه أن يكون ما ذكرنا أنه ليس في وقت دون وقت، ولكن الأوقات كلها، في كل وقت وكل ساعة.

فإن قال لنا مُلْحِد:[13] إنّ الكلمة التي ضَرَبَ اللهُ مَثَلَها بالشجرة الطيبة هي[14] كلمتُنا، ونحن المراد بذلك، والكلمة الخبيثة التي ضَرَبَ[15] الله مَثَلَها بالشجرة الخبيثة هي كلمتُكم، وأنتم المراد بها لا نحن.

---

[1] ع: والشديد.
[2] ع م: كذلك.
[3] ع: لتذلهم.
[4] ع: بالشجر.
[5] ك – الشجرة.
[6] ن – الشجرة؛ ع م – الخبيثة الشجرة.
[7] ن – بذلك.
[8] ع: مثلا.
[9] ك: إلى السماء.
[10] ع: بعمل الله؛ م: الله.
[11] أي طلوع الشجرة الطيبة. وطلع النخل طلوعا: خرج طَلْعه، وهو ما يبدو من تمرة النخل في أول ظهورها (*لسان العرب* لابن منظور، «طلع»).
[12] سورة الروم، ١٧/٣٠.
[13] ك ن ع: ملحدي.
[14] ع م – هي.
[15] م: ضربها.

قيل: قد سَبَقَ هٰذا المَثَل أمثال ودلائل على أنّ الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة وآخرة، وكلُّ أمرٍ له عاقبةُ وآخِرة[1] فهو الحق، والذي أنتم عليه لا عاقبة له[2] ولا آخرة. وفي الحكمة أنّ كل أمر لا عاقبة له فهو باطل، والكفر لا عاقبة له.[3] والثاني أنّ الإيمان والتوحيد له الحجج والدلائل، والكفر مما لا حجة له ولا دلائل،[4] إنما هو مأخوذ بالأَمَاني والشهوة مِن تَسوِيل الشيطان وتَزْيِينه، لذلك[5] كان ما ذكرنا.

وتحتمل[6] الكلمة الطيبة أيضا أن تكون[7] الوحي الذي أوحى الله إلى رسوله، والكلمة الخبيثة ما أوحى الشيطان إليهم، كقوله: **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ**،[8] الآية، فوَحْيُ الله هو ثابت دائم يَنتفع به[9] أهله[10] في الدنيا[11] والعاقبة، ووَحْيُ الشيطان هو باطل مُضْمَحِلّ لا عاقبة له ولا يَنتفع به أهله. ***والله أعلم***.[12]

وقوله عز وجل: **اجْتُثَّتْ مِن فوق الأرض**، قال بعضهم: اسْتُؤْصِلَت. وقيل: انْتُزِعَتْ. وقال أبو عَوْسَجَة: اقْتُلِعَت مِن أصلها، يُقال: جَثَثْتُ الشجرة[13] أَجُثُّها جَثًّا، إذا قَلَعْتُها[14] مِن أصلها.

وقوله عز وجل: **ما لها مِن قرار**، هو ما[15] ذكرنا. وقال[16] بعض أهل التأويل: شَبَّهَ كلمةَ الشرك بحَنظَلَةٍ قُطِعَت فلا أصل لها في الأرض ولا فرع في السماء، أي لا يَصعد له عمل ولا قول،[17] وشَبَّهَ كلمةَ الإيمان في نفعها وفضلها وثباتها[18] وقرارها في الأرض بما ذكر من الشجرة.[19] ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: له عاقبة والنظر في آخره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٩و.
[2] ك: عليه.
[3] م – له.
[4] ن: ولا دليل.
[5] ن – لذلك.
[6] ن ع م: ويحتمل.
[7] ن ع م: أن يكون.
[8] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[9] ن: بها.
[10] ك ن ع: أهلها.
[11] ع – في الدنيا
[12] ك ن + بذلك.
[13] ع: الشجر.
[14] م: أقلعتها.
[15] ع – ما.
[16] ن: قال.
[17] جميع النسخ: حمل؛ والتصحيح مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٣/١٣.
[18] ن ع: ونباتها.
[19] ع: من الشجر.

ثم مِن الناس مَن احتجّ بهذا المَثَل في خَلْق[1] الإيمان والكفر، فقال: لأنه ضَرَبَ مَثَلَه بما هو مَخلوق، وهو الشجرة، فعلى ذلك الإيمان. ولكن عندنا لا يجب أن يُستدَلّ بهذا[2] في خَلْقِه،[3] ولكن لِما ثبت أنّ مُنشِئَهما[4] واحد؛ لأنه لو كان مُنشِؤُهما[5] مختلفًا لكان لا يَضرِب مَثَلَ هذا بهذا ولا هذا بهذا، فإذا ضَرَبَ دلّ أنّ مُنشِئَهما[6] واحد، فإذا ثبت ذلك دلّ على ما وصفنا. ومِن الناس مَن استدل بهذا أنه يزداد ويَنتقِص[7] حيث شبّهه[8] بالشجرة وهي تزداد وتَنتقِص.[9] ونحن نقول: ليس فيه
[٣٨٧ظ] دلالة ما ذكروا؛ لأن الشجرة في نفسها ليست بذي حَدّ، والإيمان ذو حَدّ، / فما يزداد إنما[10] هو في حق التزيين والتحسين، وأمّا الإيمان نفسه فإنه لا يزداد؛[11] كالشجرة إذا تَوَرَّقَت وخرج[12] ثمارها تُوصَف بالزينة والحُسن، فأما نَفْس الشجرة فلا تُوصَف بالزيادة، فعلى ذلك الإيمان.

وقوله عز وجل: **ويَضرِب الله الأمثال للناس**، يحتمل يُبيّن الله الأمثال التي يقع عليها الحسّ[13] ويقع عليها البصر والأشياء الظاهرة لِيَدلهم على ما استتر وغاب عنهم، يُدرِكون بالعقول ما استتر وخَفِيَ بالظاهر والمحسوس، **لعلهم يتذكّرون**، لعلهم يتعظون.

وقوله: **ألم تَرَ كيف ضَرَبَ الله مَثَلاً كلمةً طيبةً**، الكلمة الطيبة تحتمل[14] التوحيد، وفُروعها هي الخوف والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة،[15] وأُكُلها هو الأعمال الصالحة والخيرات تكون منه،

---

[1] ع: في خلف.
[2] جميع النسخ: لا بهذا يجب أن يستدل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[3] ك: على خلقه.
[4] ن: أن منشيهما؛ ع: أن مشيتها؛ م: أن شبهها.
[5] ك ن: منشيهما؛ ع: مشيتهما؛ م: شبههما.
[6] ع: أن منشها؛ م: أن شبهها.
[7] ع م: وينقص.
[8] ك ع: شبه.
[9] م: وتنقص.
[10] م – إنما.
[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «ونحن نقول: ليس في الآية دلالة ما ذكروا، لأن الشجرة في نفسها ليست بذات حد. بل تزداد حقيقة وتنقص من ذاتها. فأما الإيمان له حد معلوم وهو التصديق فإنه لا يزداد ولا ينتقص، فما يزداد إنما هو في حق التزيين والتحسين. وأمّا الإيمان نفسه فإنه لا يزداد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤١٩ظ).
[12] ع م: وخرجت.
[13] ع: الحسن.
[14] ع م: يحتمل.
[15] ع م – والرهبة.

والكلمة الخبيثة هي الشرك، وفُروعها ما يكون منه في الشرك مِن القساوة[١] والتمرّد والعناد، وأُكُلها هو الأعمال التي تكون منه في[٢] الشرك. أو أن تكون[٣] الكلمة الطيبة هي الإيمان،[٤] وفُروعها هي الشرائع والأحكام التي تُعمَل، وأُكُلها هو[٥] ما يُثاب عليه في الدنيا والآخرة أبدا. *والله أعلم*.

**﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾**[٢٧]

وقوله عز وجل: **يُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة،** ذَكَرَ مرة بالتثبيت[٦] ومرة بذكر الزيادة بقوله:[٧] لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[٨] ومرة بذكر الابتداء والتحديد بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[٩] وقوله: إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.[١٠] فالتحديد والابتداء في حادث الوقت، لأن تلك الأفعال تنقضي وتذهب ولا تبقى، وأمّا الزيادة على ما كان بضَمّ شيءٍ[١١] إلى ما كان، والثبات على ما كان،[١٢] فكله[١٣] واحد في الحقيقة.

وقوله عز وجل: **ويُضِلّ الله الظالمين،** أضاف الإضلال مرة إلى نفسه ومرة إلى الشيطان، ولا شكّ أنّ ما أُضيف إلى الشيطان إنما أُضيف على الذّمّ، فإذا كان ما ذُكر فتكون[١٤] الجهة التي أُضيف إلى الله غيرَ الجهة التي أُضيف إلى الشيطان. الجهة التي أُضيف إلى الله هو أنْ خلَقَ فِعلَ[١٥] الضلال مِن الكافر، وما أُضيف إلى الشيطان هو على التَّزيِين والتَّسْوِيل، لِتَصِحَّ الإضافتان.

---

[١] م: من الفساد.
[٢] م – في.
[٣] ن م: أن يكون.
[٤] ك: الأعمال.
[٥] ك – هو.
[٦] جميع النسخ: بالتثبت.
[٧] ع م: وقوله.
[٨] سورة الفتح، ٤٨/٤.
[٩] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[١٠] سورة الفاتحة، ١/٦.
[١١] ك ن: شيئا.
[١٢] ع م – بضم شيء إلى ما كان والثبات على ما كان.
[١٣] ع م: وكله.
[١٤] ن ع م: فيكون.
[١٥] ك – فعل.

ولو كان [الأمر] على التسمية على ما يقوله المعتزلة أن سمّاه ضالا[1] لكان كلُّ مَن سمّى آخَرَ ضالًا [أو] كافرًا[2] [يكون مضلا له] فحاز[3] أن يُسَمَّى مُضِلاً. فإذا لم يُسَمَّ بتسميته[4] ضالاً أو كافرًا مُضِلاً دلّ أنه إنما سمّى الله نفسَه مُضِلاً لتحقيق الفعل له فيه. وهو ما ذكرنا أنْ خَلَقَ فِعلَ الضلال منه. والمعتزلة يقولون: إنّ الله هَدَى الخَلْقَ جميعا، لكنهم لم يَهتدوا وضَلُّوا مِن غير أنْ يكون الله أَضَلَّهم. فهذا صَرْفُ ظاهرِ الآية إلى غيره بلا دليل.

وقوله عز وجل: **ويفعل الله ما يشاء**، وعلى قول المعتزلة لا يَقدِر أنْ يفعل ما يشاء، لأنهم يقولون: إنه[5] شاء إيمانَ جميعِ البشر، لكنهم لم يؤمنوا. وكذلك قال: فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ،[6] وهم يقولون: أراد إيمانهم، لكنه لم يَفعل ما أراد ولا يَملِك، وقد أخبر أنه[7] فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ **ولما يشاء**، وهم يقولون: لم يَملِك أن يفعل ما شاء وأراد، بل العباد يَفعلون ما شاءوا[8] غيرَ ما شاء هو،[9] فتأويلهم خلافُ لظاهر[10] القرآن. *والله أعلم*.

وقوله: **يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً،[11] على تأويل مَن يقول: إنّ الكلمة الطيبة هي القرآن يكون القول الثابت هو القرآن. يقول -والله أعلم- **يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا... في الحياة الدنيا**، حيث تَلَقَّوْه بالإجابة والقبول[12] والعمل به، **وفي الآخرة**، أي بالآخرة والبعث يُقِرّون به. **ويُضِلّ الله الظالمين**، حيث تركوا الإجابة له[13] وتَلَقَّوْه[14] بالردّ والمكابرة والعناد.

[1] «... على ما يقول المعتزلة: إن الإضلال هو تسميته ضالا» (شرح التأويلات، ورقة ٤١٩ظ).
[2] ع: كافر.
[3] جميع النسخ: حاز. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[4] ن ع: بتسمية.
[5] ك - إنه.
[6] سورة البروج، ١٦/٨٥.
[7] ن ع + أراد.
[8] م: ما شاء.
[9] ن - هو.
[10] ع: الظاهر؛ م: ظاهر.
[11] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[12] م: والقول.
[13] م - له.
[14] ع - له وتلقوه.

ومَن يقول: الكلمة الطيبة [هي] التوحيد والإيمان يكون القول الثابت هو الإيمان، يُثَبِّتُهم **في الحياة الدنيا**، باختيارهم، **وفي الآخرة**، قيل: في قبورهم يُثَبِّتُهم[١] لإجابة مُنْكر ونَكِير ويُمَكِّنُ لهم ذلك، **ويُضِلّ الله الظالمين**، الذين تركوا الإجابة له في الحياة الدنيا وفي القبور حيث تركوا الإجابة في الدنيا. ويحتمل أن يكون قوله: **يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**، هو ما ذكر: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[٢] يُثَبِّتُ[٣] مَن أجاب الله إلى ما دعا في الدنيا، **وفي الآخرة**، يَهديه الطريق الذي به يُوصَل إلى دار السلام، والكافرُ حيث تَرَكَ إجابتَه إلى ما دعاه يُضِلُّه[٤] في الآخرة طريقَ دار السلام بترك إجابته في الدنيا. *والله أعلم بذلك*.

وقوله: **ويَفعل الله ما يشاء**، في هدايةِ مَن اختار الإجابةَ والاهتداءَ، وإضلالِ[٥] مَن اختار تَرْكَ الإجابة والغواية.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾**[٢٨] **﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **ألم تَرَ إلى الذين بَدَّلُوا نعمةَ الله كُفرًا**، اختُلِف في نزوله. قال بعضهم: هذه السورة كلُّها نزلت بمكة إلا هذه الآية فإنها نزلت بالمدينة. وقال بعضهم: نزلت بمكة كلُّها.[٦] فمَن يقول: نزلت بالمدينة يقول: قوله: **وأَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار جهنم**، هو بَدْر، أي حَمَلُوهم إلى بَدْر حتى[٧] قُتِلُوا؛ لأنه لم يكن بمكة بَدْر، إنما كان بالمدينة. ومَن يقول: نزلت بمكة يقول: **دارَ البَوَار**، هي[٨] جهنم على ما فسّره ظاهر الكتاب. وهو الأشبه بظاهر الآية؛ لأنه بَيّن تلك الدار، فقال: **جهنم**. وفي الآية دلالة أنّ الآية كانت[٩] في عُظَمائهم وكُبَرائهم حيث قال: **وأَحَلُّوا قومَهم**، الآية.

---

[١] م: ثبتهم.
[٢] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[٣] جميع النسخ: ثبت.
[٤] جميع النسخ: ويضله؛ ن + ويضله.
[٥] ع م: والإضلال.
[٦] ن - كلها.
[٧] ع - حتى.
[٨] ع - هي.
[٩] ع م - كانت.

[٣٨٨و] ثم اختُلِف في النعمة التي ذكر أنهم بَدَّلُوها كُفْرًا. فهو يحتمل وجوها. / أحدها أنّ الله عز وجل قد أنعم عليهم في هذه الدنيا ووَسَّعَها[١] عليهم فحَرَّمُوا تلك النعم على أنفسهم فجعلوها للأصنام التي عبدوها وسَيَّبُوها[٢] ولم يَنتفعوا بها مِن نحو البَحِيرة التي ذَكَرَ والسائبة والوَصِيلة والحامِي.[٣] وما جعلوا للأصنام هو ما ذكر: وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[٤] فذلك تبديل النعمة كُفْرًا حيث حَرَّمُوا ما أنعم الله[٥] عليهم[٦] وأحلّ لهم. والثاني تلك النعمة محمد أو القرآن أو الإسلام،[٧] وهو نعمة [عظيمة في حقهم][٨] فكذّبوه[٩] وكفروا به.[١٠] أو أن يكونوا بَدَّلُوا الشكر الذي عليهم بما أنعم عليهم كُفْرًا، جعلوها سببًا للكفر فلم يشكروه بما أنعم عليهم.

وقوله: **بَدَّلُوا نعمةَ الله كُفْرًا**، حقيقته[١١] تخرج[١٢] على وجهين. أحدهما[١٣] بَدَّلُوا وصَرَفُوا ما أنعم الله عليهم -وهو محمد صلى الله عليه وسلم- عن أنفسهم حتى أُخِذ منهم [وأُمِر بالهجرة إلى غيرهم]،[١٤] بَدَّلُوا به كُفْرًا. والثاني بَدَّلُوا به كُفْرَانًا[١٥] بعد ما سألوا ربهم، وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ،[١٦] الآية، فلم يَشكروا ما أنعم عليهم[١٧] وبَدَّلُوا الشكر كُفْرًا.

وقوله عز وجل: **وأَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار**، أي أَنْزَلُوا. دل هذا أنّ الآية نزلت في الرؤساء مِن الكفرة والأئمة منهم حيث أخبر أنهم أَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار. ذكر "أَحَلُّوا" على الماضي

---

[١] ن ع م: وسعها.
[٢] ع م + ولم ينتفعوا.
[٣] ك: والحام. يقول الله تعالى: ﴿ما جَعَلَ الله مِن بَحِيرَةٍ ولا سائِبَةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ ولكنّ الذين كفروا يَفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).
[٤] ﴿وجَعَلُوا لله مما ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بِزَعْمِهِم وهذا لِشُرَكائِنا﴾ (سورة المائدة، ١٣٦/٥).
[٥] ك ن - الله.
[٦] ع م + كفرا.
[٧] م: والإسلام.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[٩] جميع النسخ: كذبوهم.
[١٠] ك م: وكفروهم؛ ن + وهم؛ ع - وكفروا بهم.
[١١] م: حقيقة.
[١٢] ن ع م: يخرج.
[١٣] ك: أحدها.
[١٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[١٥] ك: كفرا.
[١٦] ﴿وأَقْسَمُوا بالله جَهْدَ أَيْمانهم لئِنْ جاءهم نذير لَيَكُونُنّ أَهْدَى مِن إحدى الأُمَم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفُورًا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[١٧] جميع النسخ: عليه.

لأنه قد وُجِد منهم الجنايةُ بالإحلال[1] في دار البَوَار. وذكر في دخولهم جهنم على الائتناف بقوله: **جهنمَ يَصْلَوْنَهَا وبئس القرار**، لِما لم يوجد بعدُ، [و]سيوجَد. ويجوز أن يُستدل بهذا لأصحابنا لمسئلةٍ، وهو أنّ العبد إذا حفر بئرًا ثم أُعْتِق فوقع في البئر إنسان يُنظَر إلى قيمة العبد يومَ حَفَر؛ لأن الحَفْر منه جنايةٌ إلى[2] الواقع فيه يومَ الوقوع لا يومَ الحفر، لأنه لم يوجد بَعدُ يومَ الحفر جناية. أو أن يُقال: أَحَلُّوا أرواحَهم دارَ البَوَار، فتَدخُل أجسادُهم يومئذ، لم تَدخُل بَعدُ.

﴿وَجَعَلُوا لِلهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[٣٠]

وقوله[3] عز وجل: **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، ثم فسّر أنهم لِمَ أَحَلُّوا قومَهم[4] دارَ البَوَار، فقال:[5] **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، أَعْدَالاً وأَمْثَالاً، **لِيُضِلُّوا عن سبيله**. يحتمل قوله: **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، في العبادة يُعبَدون كما يُعبَد الله، أو في التسمية يُسَمُّونهَا آلهة كما يُسَمَّى اللهُ، جعلوا له[6] أندادًا في هذين الوجهين. يَذكُر سَفَهَهم حيث جعلوا ما لا يَسمع[7] ولا يُبصر ولا يَنفع ولا يَدفع ولا يَضُرّ أمثالاً وأَعْدَالاً[8] لله على عِلمٍ منهم أنّ الله هو الذي خلقهم ورزقهم ويُنعِم عليهم، وهو الذي يَدفع عنهم كلَّ بلاء وشدة. وجائز أن يكون قوله: **وجعلوا لله أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عن سبيله**، هو تفسير ما ذكر مِن تبديل النعمة كفرًا.

وقوله عز وجل: **قل تَمَتَّعُوا**، بهذه النعم التي ذكر أنهم بَدَّلُوها كُفرًا، **فإنّ مَصِيرَكم إلى النار**، هذا في قومٍ ماتوا على الكفر. أو يقول:[9] **قل تَمَتَّعُوا**، في الدنيا، أو **تَمَتَّعُوا**، بالكفر، **فإنّ مَصِيرَكم إلى النار**، هذا في قومٍ عَلِمَ الله أنهم لا يؤمنون أبدًا. وفيه دلالة إثبات الرسالة.

وقال أبو عَوْسَجَة: البَوَار الهلاك والفناء، يُقال: بار الرجل يَبُور بَوْرًا فهو بائر. وقومٌ بُور، أي[10] هالكون. ويقال: بارَت السوق وبارَت السلعة، إذا كَسَدَت. ويقال: بارَت المرأة تَبُور بَوَارًا،[11]

---

[1] م: بالإهلال.
[2] جميع النسخ: وإلى.
[3] ن: قوله.
[4] م - قومهم.
[5] ع: وفقال.
[6] جميع النسخ: جعلوه.
[7] م: ما لا لا يسمع.
[8] ك: ولا يضر أعدالا وأمثالا.
[9] م: ويقول.
[10] م: بواري.
[11] ن ع م: بورا.

فهي بائرة،[1] إذا كَبِرَت. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «نعوذ بالله مِن بَوَار الأَيِّم»،[2] قيل: يعني مِن كَسَادِها. *والله أعلم.*

**﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **قُل لِعِبادِيَ الذين آمنوا يُقِيمُوا الصلاة،** يحتمل إقامة الإيمان بها، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[3] هو إقامة الإيمان به؛ إذ لا يحتمل الحبس إلى أن يُقِيمُوا إقامة الفعل والوفاء، إذ في ذلك حَبْسُهم أبدًا. ويحتمل إقامة الوفاء بها والفعل؛ لأنه إنما خاطب المؤمنين على إقامتها، وقد سبق[4] منهم الإيمان بها.

فإن قيل: كيف يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان به[5] وقد سبق منهم ما ذكرنا مِن الإيمان بها؟

قيل: هذا جائز،[6] يأمرهم[7] بإقامة الإيمان بها في حادث الوقت؛ إذ للإيمان حكم التجدُّد في كل وقت، وهو كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[8] أي آمِنُوا في حادث الوقت. فعلى ذلك هذا يحتمل[9] الأمر بإقامتها إقامة الإيمان بها. ويحتمل ما ذكر مِن إقامة الصلاة في الآية والإنفاقِ[10] [أن تكون] هي الصلاة المعروفة المعهودة والزكاة المعروفة[11] المفروضة والإدامة لهما واللزوم بهما. ويحتمل القبول والوفاء بهما.

---

[1] ن: بأمره.

[2] «عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك مِن غَلَبَةِ الدَّيْن وغَلَبَةِ العدو ومِن بَوَار الأَيِّم ومِن فتنة الدجال". رواه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير، وفيه عباد بن زكريا الصريمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح». (*مجمع الزوائد* لهيثمي، ١٠/١٤٣). بارَت السُّوق وبارَت البِيَاعَات إذا كَسَدَتْ. ومِن هذا قيل: نعوذ بالله مِن بَوَار الأَيِّم، أي كسادِها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب، مِن بارَت السُّوق إذا كَسَدَتْ، والأَيِّم التي لا زوج لها وهي مع ذلك لا يَرغب فيها أحد (*لسان العرب* لابن منظور، «بور»). وللأَيِّم استعمالات أخرى، فالأَيِّم مِن النساء أيضا: التي لا زوج لها بِكرًا كانت أو ثَيِّبًا، ومِن الرجال الذي لا امرأة له. والأَيِّم أيضا: الثَّيِّب من النساء (*لسان العرب* لابن منظور، «أيم»).

[3] سورة التوبة، ٥/٩.

[4] ن – يقيموا إقامة الفعل والوفاء إذ في ذلك حبسهم أبدا ويحتمل إقامة الوفاء بها والفعل لأنه إنما خاطب المؤمنين على إقامتها وقد سبق.

[5] ع م – وقد سبق منهم الإيمان بها فإن قيل كيف يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان به.

[6] ن – جائز.

[7] ع: بأمرهم.

[8] سورة النساء، ٤/١٣٦.

[9] ع: محتمل.

[10] ن – في حادث الوقت فعلى ذلك هذا يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان بها ويحتمل ما ذكر من إقامة الصلوة في الآية والإنفاق.

[11] ع – والزكاة المعروفة؛ م – المعهودة والزكاة المعروفة.

وقوله[1] عز وجل: **ويُنفِقوا مما رزقناهم سِرًّا وعَلانية**. قال الحسن: الأمر بالإنفاق **مما رزقناهم**، الزَّكَوات[2] المفروضات؛[3] ألا ترى أنه ذكر الوعيد في آخِره،[4] وقال: **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ**، ولا يحتمل الوعيد في صدقات التطوع. وهو ما ذكر أيضًا في آية أخرى: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[5] ولا يحتمل طلب الرجوع والتأخيرِ إلى أجل في النوافل. دل أنه أراد به الزَّكَوات[6] المفروضات. وقال بعضهم: **ويُنفِقوا مما رزقناهم سِرًّا**، هي التطوع، والعلانية الفريضة؛[7] لأن الفريضة لا بُدَّ مِن أنْ تُظهَر وتُعلَن، وليس في أدائها رياء. *والله أعلم*.

وقوله[8] عز وجل: **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ**، **يومٌ**[9] **لا بيعٌ فيه**،[10] أي يوم لا يَقدِر أحد أن يبيع نفسه مِن ربه، وفي الدنيا يَقدِر[11] أن يبيع نفسه مِن ربه، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[12] وقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى.[13] فقوله:[14] **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ**، لا يَقدِر أحد بيعَ نفسه مِن ربه. ويحتمل قوله:[15] **يومٌ لا بيعٌ فيه**، أي لا يَنفعه بيعُ نفسه منه في ذلك اليوم وإن باع، كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[16] وقوله: / فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[17] الآية، فعلى ذلك الأول. [٣٨٨ظ]

---

[1] ك – وقوله.

[2] ع: الزكوة.

[3] م: الزكوة المفروضة. لم أجده عن الحسن، لكن روي عن ابن عباس؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٢٤.

[4] م: في الآخره.

[5] ﴿وأَنْفِقُوا مِن ما رزقناكم مِن قبلِ أن يأتِيَ أحدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخَّرتَني إلى أجلٍ قريبٍ فأصَّدَّقَ وأكُنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/١٠).

[6] م: الزكوة.

[7] م: الفرائض.

[8] ك – وقوله.

[9] ع: أي.

[10] م – يوم لا بيع فيه.

[11] ع: بقدرة.

[12] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.

[13] ﴿إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنةَ﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[14] جميع النسخ: وقوله.

[15] ع م: نفسه.

[16] ﴿يومَ يأتي بعضُ آيات ربك لا يَنفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت مِن قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا قُلِ انتظروا إنّا مُنتظِرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

[17] ﴿فلمّا رَأَوْا بأسَنا قالوا آمَنّا بالله وَحْدَه وكفرنا بما كنّا به مشركين. فلم يَكُ يَنفعهم إيمانهم لمّا رَأَوْا بأسَنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

وقوله عز وجل: **ولا خِلال**، هو مصدر خالَلْت، وهو مِن الخُلة والصداقة. ثم هو[1] يحتمل وجهين. أحدهما أن لا تَنفعهم الخُلّة التي كانت بينهم في الدنيا؛ لأنّ كلّ خُلّة كانت في الدنيا مما ليست لله فهي تَصِير عداوة[2] في الآخرة، كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ،[3] الآية، أخبر أنّ الأَخِلاء الذين كانوا يُخَالُّون في الدنيا للدنيا فهم الأعداء إلا الخُلّة التي كانت لله فهي تَنفع أهلَها. وهو ما ذكر عز وجل: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[4] وأمثاله، يخبر أنّ الخُلّة التي[5] كانت بينهم في الدنيا لا لله فهي تَصِير عداوة في الآخرة حتى يتبرّأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضًا.[6] والثاني أن يكون لهم شُفَعاء وأَخِلاء، ولكن لا يَشفعون، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[7] أو يُشفَع[8] لهم لكن لا يُقبَل،[9] كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.[10]

[٣٨٨ظ س ٣٢] * واستدل بعض المعتزلة بقوله: **قُل لعباديَ الذين آمنوا يُقِيمُوا الصلاة ويُنفِقوا مما رزقناهم سِرًّا وعَلانيةً مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلال**، أنّ صاحب الكبيرة يُخَلَّد في النار؛ لأنه أَوْعَدَ بترك الصلاة والزكاة التخليد أبدًا، وتَرْكُ الصلاة والزكاة مِن غير عذر مِن الكبائر، دل أنه ما ذكرنا. فنقول نحن -وبالله التوفيق- إنّ الآية تحتمل[11] الأمر بإقامة الصلاة وما ذُكِرَ مِن الزكاة والصدقة إقامةَ الإيمان بها على ما ذكرنا مِن تأويل بعض المتأوِّلين. فإن كان على هذا على إقامة الإيمان بها فمَن تَرَكَ ذلك فهو يُخَلَّد أبدًا لا شكّ فيه. أو يكون مَن استَحَلّ تَرْكَها فهو بالاستحلال يَكفُر، فهو يُخَلَّد، أو يَترك لِعُذْر، فهو لا يُخَلَّد على اتفاق القول. فإذا كان ما ذكرنا محتملاً دل أنّ الآية مخصوصة. ثم معرفة تخليد صاحب الكبيرة إنما هي بالدلائل سِوَى هذا؛ إذ ليس في ظاهر الآية دلالة التخليد لما ذكرنا مِن احتمال الخصوص. دل أنه إنما / يُطلَب الدليل مِن وجه آخَر. [٣٨٩و]

---

[1] ع – هو.
[2] ك: عدواة.
[3] ﴿الأَخِلَّاءُ يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾ (سورة الزخرف، ٦٧/٤٣).
[4] ﴿وقال إنما اتخذتم مِن دون الله أوثانًا مَوَدّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يومَ القيامة يَكفُر بعضُكم ببعضٍ ويَلعنُ بعضُكم بعضًا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[5] ع م – التي.
[6] ن ع م: من بعض.
[7] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[8] ك: أو تشفع.
[9] ك: لا تقبل.
[10] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[11] ن ع م: يحتمل.

قال القُتَبِي: **ولا خِلال**، مصدر خالَلْت فلانًا خِلالًا ومُخَالَّةً، والاسم الخُلَّة والمُخَالَّة،[1] وهي[2] الصَّدَاقَة.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **ولا خِلال**، قال: مِن المُخَالَّة، يعني المَوَدَّة.* [٣٨٩و س ٢]

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾[٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[٣٣]

وقوله[4] عز وجل: **الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم**، إلى آخر ما ذكر، فيه دلالة أنّ تدبير الله محيط مُتَّسِق[5] بجميع ما في السماوات والأرض،[6] وعلمه محيط بجميع الخلائق[7] حيث ذكر:[8] **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم**، يعني البشر. إنه[9] جَعَل منافعَ السماء متّصلة بمنافع الأرض مع بُعدِ ما بينهما، دل أنه عن تدبيرٍ فَعَلَ هذا وعِلمٍ، وأنه[10] تدبيرُ واحدٍ عليم قدير. ثم ما ذكر مِن تسخير السماوات والأرض مع شدة السماء وصلابتها وغِلَظ الأرض وكثافتها وتسخير البحر مع أهواله وأمواجه وتسخير الأنهار الجارية وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار لهذا البشر، في ذلك كله وجهان. أحدهما يُذكِّرهم نِعمَه التي أنعمها عليهم مِن المنافع التي جَعَلَ لهم في تسخير هذه الأشياء التي ذَكَر لهم على جهل هذه الأشياء أنهن مُسَخَّرات لغيرهن،[11] يَسْتَأْدِي بذلك شُكْرَها. والثاني يَذْكُر سلطانَه وقدرتَه حيث سَخَّرَ هذه الأشياء[12] مع شدتها وصلابتها وغِلَظها وأهوالها،

---

[1] ك ن ع: والمخلة؛ م - والمخالة؛ والتصحيح من *لسان العرب* لابن منظور، «خلّ».
[2] م: هي.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٣.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٨٨ظ/سطر ٣٢-٣٨٩و/سطر ٢.
[4] ك - وقوله.
[5] ك - متسق، صح هـ.
[6] ن - إلى آخر ما ذكر فيه دلالة أن تدبير الله محيط متسق بجميع ما في السماوات والأرض.
[7] ن + من.
[8] ك ن + أنه.
[9] ع م - إنه.
[10] ن: أو علم أنه.
[11] ع م: لغيرهم.
[12] ن - التي ذكر لهم على جهل هذه الأشياء أنهن مسخرات لغيرهن يستأدي بذلك شكرها والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الأشياء.

ومَن قَدَرَ على تسخير[1] ما ذكر قادرٌ على البعث والإحياء بعد الموت. ويحتمل ما ذكر مِن تسخير الأشياء التي ذَكَر أنه أنشأ هذه الأشياء مُسَخَّرَةً مُذَلَّلَةً لنا. والثاني سَخَّر لنا، أي عَلَّمَنا مِن الأسباب والحِيَل التي يتهيأ لنا الانتفاعُ بها والتسخير.

[٣٨٩و س٢] * **دائِبَيْن**، قال:[2] يجريان أبدًا، وهو مِن الدَّوْب، أي مِن[3] التعب.*

﴿وَآتَاكُمْ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣٤]

وقوله[4] عز وجل: **وآتاكم مِن كل ما سألتموه**، فيه لغتان وتأويلان. قال بعضهم: وآتاكم مِن كلٍّ، على التنوين،[5] **ما سألتموه**، على الجَحْد، أي آتاكم مِن غيرِ أنْ سألتم الأشياء التي ذَكَر أنه سَخَّرها لكم،[6] أي آتاكم مِن غير سؤال ولا طِلْبَة. والثاني: **وآتاكم مِن كل ما سألتموه**، وما لم تسألوه؛ لأنه أعطانا أشياءَ قبل أن نَعلم أنه يجب أن نَسأل، حيث خَلَقَ هذه الأشياء التي ذَكَرَ مِن قبل أن يخلقنا. وقال الحسن: **مِن كل ما سألتموه**، قال: ما لم تسألوه،[7] وهو ما ذكرنا.[8]

فإن قيل: إنّا نَسأل أشياء لم نُعْطَها، فما معنى الآية؟

قيل لوجوه:[9] أحدها ذَكَرَ حرف التبعيض، وهو ما قال: **مِن كل ما سألتموه**. والثاني **وآتاكم**،[10] عِلمَ منافعِ ما سألتموه قبل أن تَسألوا[11] وَجْهَ[12] عِلمِ الانتفاع به. والثالث **وآتاكم مِن كل ما** يَحِق السؤال ويَلِيق به. على هذه الوجوه تخرج[13] الآية. **والله أعلم**.

---

[1] م - على تسخير.
[2] القائل هو أبو عَوْسَجَة.
[3] ك - من.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٨٩و/سطر ٢-٣.
[4] ك - وقوله.
[5] وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٢٦-٢٢٧؛ و*تفسير القرطبي*، ٩/٣٦٧.
[6] جميع النسخ: لنا.
[7] *تفسير القرطبي*، ٩/٣٦٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤٤.
[8] ك: ما ذكرناه.
[9] ع م: بوجوه.
[10] ع: وإياكم.
[11] ع: أن يسألوا.
[12] جميع النسخ: وجهه.
[13] ن ع م: يحرح.

وقوله[١] عز وجل: **وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تُحْصُوها**، قال بعضهم: **لا تُحْصُوها**. أي لا تشكروها، أي لا تَقدِروا شُكْرَها. وقال بعضهم: أي لا تَقدِروا إحصاءها وعدَّها.[٢] وهكذا إنَّ أقلَّ الناس نعمةً لو تَكلَّف إحصاءَ ما أعطاه ما قَدَرَ عليه مِن حُسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبِنْية وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل له[٣] إلى[٤] ذِكرها وإحصائها إلا بعد طُول التفكُّر والنظر. وقال بعضهم: **وإن تَعُدُّوا نعمة الله**، لا تُحيطوا بكُنْهِها ونهايتها.

وقوله[٥] عز وجل: **إنّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّار، لَظَلُوم**،[٦] أي ظَلَمَ نفسَه حيث صَرَفَها إلى غير الجهة التي جُعِلَت وأُمِر، وأَدْخَلَها في المَهَالِك وألقاها في التهلكة، **كَفّار**، لِنِعَمِه حيث صَرَفَ شُكْرَها إلى غير[٧] الذي جعلها له. ***والله أعلم***.*

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٣٥]

وقوله[٨] عز وجل: **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمِنًا**، أي مَأْمَنًا، سُمِّيَ آمِنا لِما يَأْمَن الخَلْقُ فيه كما سُمِّيَ النهارُ مُبْصِرًا[٩] والنهار لا يُبصِر ولكن يُبصَر فيه، ومثله كثير. ثم يحتمل قوله: **اجعل هذا البلد آمنًا**، قال بعض أهل التأويل: إنما طَلَبَ إبراهيم أن يجعله آمِنا على أهله وولده خاصّة لا على الناس كافّة؛ إذ قد سُفِكَ فيه الدماء وهُتِكَ فيه الحُرَم، دلّ أنه جعله[١٠] آمِنا على أهله وولده خاصة. ولكن لو كان ما ذكروا محتملاً ما يُصنَع بقوله: أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا،[١١] الآية،[١٢] وقوله: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا،[١٣] وغيره من الآيات،

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ع م: وعددها.
[٣] ن م – له.
[٤] ع م + ما.
[٥] ك – وقوله؛ ن: قوله.
[٦] ك – لظلوم.
[٧] م: إلى الغير.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٨٨ظ/سطر ٣٢-٣٨٩و/سطر ٢. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٨٩و/سطر ٢-٣.
[٨] ك – وقوله.
[٩] يقول الله تعالى: ﴿هو الذي جَعَلَ لكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنهارَ مُبْصِرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[١٠] م: جعل.
[١١] ﴿أَوَ لم يَرَوْا أنّا جَعلنا حَرَمًا آمِنًا ويُتَخَطَّفُ الناسُ مِن حَوْلِهِم أَفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يَكفُرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٦٧).
[١٢] ن – الآية.
[١٣] سورة البقرة، ٢/١٢٥.

أخبر أنه جَعَلَ تلك البُقْعَةَ مَأْمَنًا للخَلْق يَأمَنون فيها. ثم يحتمل وجهين. أحدهما جَعَلَه آمِنا بحق الابتلاء والامتحان، أَلْزَم الخَلْقَ حِفظَ تلك البقعة عن سَفْك الدماء فيها وهَتْكِ الحُرُم وغير ذلك مِن المعاصي وإن كانوا ضيّعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يَصلُح، كالمساجد التي بُنِيَت للعبادة وإقامة الخيرات أَلْزَمَ على[1] أهلها وعلى جميع الخلائق حِفظَها عن إدخال ما لا يَصلُح ولا يَحِلّ، ثم إنّ الناس قد ضيّعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يَليق بها ولا يَصلُح، فعلى ذلك الحَرَم الذي أخبر أنه جعله[2] مَأْمَنًا.

والثاني جعله مَأْمَنًا بالخِلْقَة. مِن ذا الوجه يجوز أن يقال: كيف سُفِك فيه الدماء وهُتِك فيه الحُرُم، وهو بالخِلْقَة جعله مَأْمَنًا؟ قيل: يجوز هذا بحق العقوبة وإن كان بالخِلْقَة[3] آمِنًا.[4] ألا ترى[5] أنه قال: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،[6] الآية. الطيبات[7] بالخِلْقَة حلال، لكنه حَرَّمَ عليهم ذلك بالظلم الذي كان منهم بحق العقوبة والانتقام. فعلى ذلك الحَرَم جعله مَأْمَنًا بالخِلْقَة ثم قُتِل[8] فيه عقوبةً لِما كان منهم مِن المعاصي. *والله أعلم.*

وقوله[9] عز وجل: **واجْنُبْني وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام**،[10] فإن قيل: كيف دعا وطَلَب منه العصمة وقد عَصَمَه بالنبوة والرسالة واختارها له[11] عن ذلك كله؟ قال بعض أهل التأويل: إنما سأل عصمة ولده وذريته لِما عَلِمَ أنّ ذريته قد يختلفون في دين الله وتوحيده، وما ذَكَرَ نفسَه لِما المعروف أنّ[12] مَن دعا لآخر[13] بَدَأَ بنفسه. قالت المعتزلة: دعاء إبراهيم وطَلَبُه العصمة مما[14] ذكر يدل أنه قد[15] يجوز أن يُدعَى بدعواتٍ عبادةً وإن كان قد أعطاه ذلك أو يَعلم أنه مغفور.

---

[1] ع م – على.
[2] ع: جعل.
[3] ع م – بالخلقة.
[4] م: مأمنا.
[5] ك: ألا يرى.
[6] سورة النساء، ٤/١٦٠.
[7] ك: الطلبات.
[8] ن ع م: ثم قيل.
[9] ك – وقوله.
[10] ع م + الآية.
[11] م – له.
[12] م – أن.
[13] ن ع م: الآخر.
[14] م: لعصمة ما.
[15] ك – قد.

قيل: دعاء إبراهيم وغيرِه مِن الأنبياء عليهم السلام يجوز أن يكون عِصمتُهم كانت مقرونةً بما طلبوه[١] منه وسألوه وتَضَرَّعُوا إليه؛ إذ معلومٌ أنهم لم يستفيدوا تلك العصمة بإهمالهم أنفسَهم وتَرْكِهم إياها سُدًى، بل إنما وَجَبَ[٢] لهم ذلك بما أَجْهَدُوا[٣] أنفسَهم في طاعة الله.

ثم الآية على المعتزلة من وجهين. أحدهما أنّ إبراهيم طَلَب منه العصمة عن عبادة الأصنام، وهو عَلِم أنه يعتصم إذا عَصَمَه عن ذلك ويَهتدِي[٤] إذا هَدَاه. وهم يقولون: الله يَعْصِم ولا يَعتصِم العبد، ويَهدِي ولا يَهتدِي العبد، ويقولون: إذا أَعْطَى أحدًا[٥] ذلك خَرَج ذلك مِن يده ولا يَملِك إعطاء ذلك. فعلى قولهم تخرج[٦] دعوات[٧] الرسل على الهُزْء[٨] أو على الكتمان؛ لأنّ مَن سأل مِن آخَرَ شيئًا يَعلم أنه ليس ذلك عنده فهو هُزْء، أو سأل وهو يَعلم أنه قد أعطاه ذلك فهو كِتمان. وكان خوفُ الأنبياء والرسل والكُبَرَاء مِن الخَلْق أشدَّ وأكثرَ على دينهم والزَّيْغ عما هم عليه لِما خافوا أن يكونوا عند الله على غير ما هو عند أنفسهم، كانوا أبدًا وَجِلين خائفين على سَلْب ما هم عليه. وهكذا الواجب أن يكون الخوف على مَن نِعَمُه عليه أكثر فخَوْفُه أشدّ.

وقال[٩] أبو عَوْسَجَة: **واجْنُبْنِي**، أي باعِدْني وجَنِّبْني أيضًا. وقال القُتَبي: أي جَنِّبْني وإياهم.[١٠]

**﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٦]**

وقوله[١١] عز وجل: **ربِّ إنهن أَضْلَلْنَ كثيرًا مِن الناس**، نسب الإضلال إلى الأصنام وإن لم يكن لها صُنع في الإضلال لأنهم بها ضَلُّوا وكانت الأصنام سَبَبَ إضلالهم. وقد تُنسَب[١٢] الأشياء إلى الأسباب وإن لم يكن للأسباب صُنعٌ فيها، نحو ما ذكرنا[١٣] مِن قوله:

---

[١] ع م - بما طلبوه.
[٢] ك ن: أوجب.
[٣] ع: اجتهدوا.
[٤] جميع النسخ: واهتدى.
[٥] م: أخذ.
[٦] ن ع م: يخرج.
[٧] ع: الدعوات.
[٨] ك: على الاستهزاء.
[٩] ن ع م: فقال.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٣.
[١١] ك - وقوله.
[١٢] ن ع م: ينسب.
[١٣] ع + من نحو ما ذكرنا.

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[1] والسورة لا تزيدهم رِجْسًا، لكن نُسِبَ[2] الرِّجْسُ إليها[3] لِما كانت هي سببَ[4] زيادةِ رِجْسِهم. وهو أنها لمّا نزلت يَزداد لهم[5] تكذيب وكُفْرٌ[6] بها، فنُسِبَ[7] ذلك إليها. فعلى ذلك الأول. والثاني يُنسَب إلى الأحوال التي كانت **بها** ما لو كانت تلك بذَوَاتِ الأرواح لكانت تُضِلّ وتُغْوِي ممن يكون منه الإضلال؛ لأنها تُزَيِّن وتُحَلَّى بالأشياء. نحو ما نُسِبَ الغُرورُ إلى الدنيا وإن كانت الدنيا لا تَغُرّ لأنها تكون[8] بحالٍ لو كانت تلك الأحوال مِن ذِي الروح لكان ذلك تَغْرِيرًا. فعلى ذلك نسبة الإضلال إلى الأصنام. ***والله أعلم***.[9]

[٣٨٩ظ] وقوله[10] عز وجل: **فمَن تَبِعَني فإنه مِنّي**، يشبه أن يكون / **مِنّي**، أي مُوَافِقِي في الدين أو في الولاية. وحاصله -والله أعلم- مَعِي في الدين وفي أمر الدين. وكذلك معنى ما رُوي:[11] «مَن غَشَّ فليس مِنّا»،[12] أي ليس بموافقٍ[13] لنا أو ليس معنا أو ليس مِن[14] مِلَّتِنا. وكذلك **قوله: فإنه مِنّي**، أي مِن مِلّتي. وحاصله: **فمَن تَبِعَني**، وأجابني فيما دعوته إليه وأمرته به، **فإنه مِنّي** أي مما أنا عليه. وكذلك قوله: «مَن غَشَّ فليس مِنّا»، أي ليس مما نحن عليه.

وقوله[15] عز وجل: **ومن عصاني فإنك غفور رحيم**، يشبه قوله: **ومن عصاني**، ليس عصيانَ **شرك** ولكن عصيانَ ما دون الشرك، **فإنك غفور رحيم**. أو **ومَن عصاني فإنك غفور**، أي ساترٌ عليه **الكفرَ** إلى وقت معلوم؛ إذ الغُفران هو السَّتر، فيستر[16] عليه إلى أجل، كقوله: **إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ**.[17]

---

[1] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[2] م: ينسب.
[3] ع - إليها.
[4] م: سب.
[5] جميع النسخ + بها.
[6] جميع النسخ: تكذيبا وكفرا.
[7] م: فينسب.
[8] ك: يكون.
[9] ن - والله أعلم.
[10] ك - وقوله.
[11] ع م - معنى ما روي.
[12] صحيح *مسلم*، الإيمان ١٦٤؛ وسنن *أبي داود*، البيوع ٥٠؛ وسنن *الترمذي*، البيوع ٧٤.
[13] ع: موافق.
[14] ع - من.
[15] ك - وقوله.
[16] جميع النسخ: فستر.
[17] ﴿ولا تحسَبَنَّ اللهَ غافلاً عمّا يَعمل الظالمون إنما يؤخرهم لِيومٍ تَشخَصُ فيه الأبصارُ﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

أو يقول: **ومن عصاني فإنك غفور رحيم**، أي تُمَكِّن[١] له مِن[٢] التوبة والإسلام فيُسلِم ويتوب فتَغفِر[٣] له ما كان منه مِن العصيان وتَرحَمه.[٤] وقوله: **ومن عصاني**، فيما دعوتُه إليه وأمرتُه به، **فإنك غفور رحيم**، تُمَكِّنُ له مِن التوبة والرجوع عما كان منه، فتَغفِرُ له وتَرحمُه.[٥]

**﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**[٣٧]

وقوله[٦] عز وجل: **ربَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذريتي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، لا يحتمل أن يكون قال هذا أوّلَ ما قَدِمَ تلك البقعة؛ لأنه قال: **عند بيتك المحرَّم**، ولا بيت هنالك، دل أنه إنما دعا بهذه الدعوات: **ربَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذريتي**، وما ذكر: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ،[٧] إلى آخر ما ذكر، بعد ما رَفَعَ البيت.

وقوله عز وجل: **أَسكَنتُ مِن ذريتي**، دل أنه إنما أَسْكَنَ بعضَ ذريته، لم يُسْكِن ذريتَه[٨] كلَّها، حيث قال: **مِن ذريتي**. قد امتحنه الله بمِحَن ثلاثة، لم يَمتحِن[٩] بمثلها أحدًا مِن الأنبياء. إحداها[١٠] امتحنه بإسكان ولده **بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، وغيرِ ذِي ماء، مما[١١] لا يحتمل قلبُ بشرٍ تَرْكَه في مِثلِ ذلك المكان مِثلَه. دل أنه إنما فَعَلَ بأمرٍ مِن الله تعالى. والثاني[١٢] امتحنه بذبح ولده حتى إذا أشرف على الهلاك فَدَاه الله بكَبْشٍ. وامتحنه بإلقائه في النار فأُلْقِيَ حتى إذا أشرف على الهلاك جعلها الله تعالى عليه بَرْدًا وسلامًا. ففي ذلك كلِّه دلالةُ رسالتِه. وكان[١٣] له هجرتان.

---

[١] ع: أي يمكن.
[٢] ن – من.
[٣] م: فنغفر.
[٤] جميع النسخ: وترحم عليه.
[٥] ن ع م: فيغفر له ويرحمه.
[٦] ك – وقوله.
[٧] ﴿وإذ يَرفع إبراهيم القواعدَ مِن البيت وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّلْ منّا إنك أنت السميع العليم. ربَّنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرِنا مَناسِكَنا وتُبْ علينا إنك أنت التوّاب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٧-١٢٨).
[٨] ع – لم يسكن ذريته.
[٩] ع – ثلاثة لم يمتحن.
[١٠] م: أحدها.
[١١] ع – مما.
[١٢] ن + إنما.
[١٣] ك: وكانت.

إحداهما إلى مكة حيث أسكن فيها ولده. والهجرة الثانية إلى بيت المقدس، وهو ما ذكر: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا،[1] الآية.

ثم قوله: **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، هو دعاءٌ بتعريض لا بتصريح. والدعاء بالتعريض والسؤال بالكناية أبلغ وأكثر من السؤال بالتصريح، وهو كدعاء[2] آدم وحوّاء:[3] رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا،[4] الآية، فهذا أبلغ في السؤال من قوله: اغفر لنا وارحمنا؛ لأنَّ مِثلَ هذا قد سُئِل مَن دونَه ولا يكون فيه ما ذُكِر فيه من الخسران.[5]

وقوله: **مِن ذريتي**، يحتمل أن تكون[6] كلمة "مِن" صلة، أي أسْكَنْتُ ذريتي. ويحتمل على التبعيض، أي أَسْكَنْتُ بعضَ ذريتي، على ما ذُكِر في بعض التأويلات إسماعيل وإسحاق.[7]

وقوله[8] عز وجل: **عند بيتك المحرّم**، يحتمل قوله: **المحرّم**، وجهين. أحدهما حَرَّمَه أنْ يُسْتَحَلَّ فيه ما لا يَحِلّ ولا يَصلُح. لكنه خصّ تلك البقعة بالذكر وإن كان ذلك لا يَحِلّ في غيرها مِن البقاع لِفَضْلِ الحُرْمَة التي جعلها الله لها، كما خصّ المساجد بأشياء لِفَضْلِها على غيرها مِن الأَمْكِنَة والبقاع.

والثاني قوله: **عند بيتك المحرّم**، أي الممنوع، يقال: حَرَّم، أي مَنَع، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[9] ليس ذلك على التحريم أنْ لا يَحِلُّ له المَرَاضِع، ولكن على المنع، أي مَنَعْنا عنه لِنَرُدَّه إلى أُمه. فعلى ذلك قوله: **عند بيتك المحرّم**، أي الممنوع عن الخَلْق لله حتى لم يَقدِر أحد[10] مِن الفَرَاعِنَة والملوك [على] الغَلَبَة عليها وإدخالها[11] في منافع أنفسهم، بل هي ممنوعة عنهم على ما كان. وفيه آية الوحدانية له والألوهية. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الأنبياء، ٧١/٢١.

[2] ن: لدعاء.

[3] ع: حوا.

[4] ﴿قالا ربَّنا ظَلَمْنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لَنكونن مِن الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٢٣/٧).

[5] أي لأن المغفرة والمرحمة قد تُسأَل مِن غير الله، لكن ليس في عدم ذلك الخسران الأبدي، بخلاف الحال مع الله سبحانه وتعالى كما ذكر في الآية: ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لَنكوننّ مِن الخاسرين﴾.

[6] ن ع م: أن يكون.

[7] والمعروف أنه إسماعيل عليه السلام كما هو في القصة المشهورة حيث أخذ إبراهيم عليه السلام إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وتركهما هناك بأمر الله. ولم يَذكر المفسرون إسحاق عليه السلام؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٣/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧/٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٧١/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٢٣٦/١٣.

[8] ك – وقوله.

[9] سورة القصص، ١٢/٢٨.

[10] م: واحد.

[11] ن + وإدخالها.

وقوله[١] عز وجل: **ربَّنا لِيُقِيمُوا الصلاة**، قال بعض[٢] أهل التأويل:[٣] فيه تقديم وتأخير،[٤] يقول: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] **لِيُقِيمُوا الصلاة**، لك[٦] عند بيتك. ويحتمل أيضًا غير هذا، وهو أنْ يقال: **أَسْكَنْتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، أي ليس فيه ما يَشغَلهم عن الصلاة؛ لأنَ الزرع وغيره مِن النعيم يمنع الناس عن إقامة الصلاة والعبادة له، أي **أَسْكَنْتُ مِن ذريتي بوادٍ**، ليس فيه زَرْعٌ يَشغَلهم عن إقامة الصلاة.[٧] ثم يحتمل الصلاة الصلاة المعروفة. ويحتمل الصلاة الدعاء والأذكار وغيرها من الدعوات. ويحتمل قوله: **ربَّنا لِيُقِيمُوا الصلاة**، الصلاة[٨] نفسها وغيرها من الطاعات. وكذلك قوله: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي.[٩]

وقوله[١٠] عز وجل: **فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِي إليهم**، يحتمل سؤالُه ربَّه أن يَجعل أفئدة الناس **تَهْوِي إليهم** وجهين. أحدهما لما أَسكَنَ ذريتَه في مكانٍ لا بناء فيه ولا نبات ولا زرع ففي مِثل هذا المكان يُستوحَش المُقامُ فيه، فسأل ربَّه أن يَجعل أفئدةَ الناس **تَهْوِي إليهم**، لِيَأْتُوا ذلك المكان فتَذهَب[١١] عنهم تلك الوحشة فيَستأنِسوا[١٢] بهم. أو سأله أن يَجعل أفئدة الناس **تَهْوِي إليهم**، لِيَتَعَيَّشوا بما يُنقَل إليهم مِن الزاد والأطعمة؛ إذ أَسكَنَهم[١٣] في مكانٍ لا زَرْعَ فيه ولا ما[١٤] يَتعيَّشون فيه[١٥] به. وقد جعل الله بنية هذا البشر أنْ لا قِوَامَ لهم إلا بالأغذية والأطعمة، فسأل ربَّه لِيَتعيَّشوا بما يُحمَل إليهم. وقال أهل التأويل: / **فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِي إليهم**، للحَجّ، وقالوا: [٣٩٠و]
لو قال: فاجعل أفئدة الناس تَهْوِي إليهم، ولم يَقُل: "مِن" لَحَجَّهُ[١٦] الخَلْقُ جميعًا الكافر والمؤمن.

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ن: بعضهم.
[٣] ن – أهل التأويل.
[٤] ك ع م – وتأخير.
[٥] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[٦] ك – لك.
[٧] ع م – والعبادة له أي أسكنت من ذريتي بواد ليس فيه زرع يشغلهم عن إقامة الصلاة.
[٨] ك – الصلاة.
[٩] سورة إبراهيم، ٤٠/١٤.
[١٠] ك – وقوله.
[١١] ن ع م: فيذهب.
[١٢] جميع النسخ: فيستأنس.
[١٣] ع: أو أسكنهم.
[١٤] ع م – ما.
[١٥] ن ع – فيه.
[١٦] ع م: حجه.

*ويحتمل قوله: **إنك تَعلم ما نُخفِي وما نُعلِن،** [أنه] كانت له حاجاتٌ أَخفَاها، طَلَبَ [٣٩٠و س٣٨
قضاءَها فقال:[١] تَعلم حاجاتي[٢] أَخفَيتُها أو[٣] أَعلَنْتُها، فاقْضِها لي. أو أن يكون قومُه طَعَنُوا في شيء،
فقال[٤] ذلك على التَّبَرِّي مِن ذلك: إنه يَعلم[٥] ما نُخفِي وما نُعلن، و لم يَعلم ذلك الذين يَطعنون [٣٩٠ط
فِيّ مِنِّي -والله أعلم- كقول[٦] عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي.[٧] أو أن يكون قال ذلك لأنّ أهلَ الأديان
جميعًا كانوا يُوَالُون إبراهيم ويَدَّعُون أنه على دينهم، ولذلك[٨] قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا،[٩] الآية، بَرَّأه[١٠] الله ممّا ادَّعَى[١١] كلُّ فريق. ثم منهم مَن كان مِن هذه الفِرَق يَدَّعُون
الإسرارَ عن الله والإخفاءَ عنه، فقال هذا لِيُعَلِّمَ الناسَ توحيدَه [و]أنه لا يَخفَى عليه شيءٌ أُخفِيَ[١٢]
أو أُعلِنَ لِيَعرفوا توحيدَه [و]أنه ليس شيءٌ يَخفَى عليه. *والله أعلم.** ٣٩٠ظ س٥]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ﴾[٣٩]

وقوله[١٣] عز وجل: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق،** قال أهل التأويل: إنه وهب له الولد[١٤] وهو ابن كذا وامرأته ابنة[١٥] كذا.[١٦] لكن لا نَعلم ذلك سِوَى ما ذكر أنه وهب له الولد على الكِبَر في وقت الإياس عن الولد، حيث بُشِّرَ بالولد فقال:

---

[١] ع: وقال.
[٢] ن: حاجتي.
[٣] ع م + إن.
[٤] ع: وقال.
[٥] ع: ولأنه نعلم.
[٦] ع: وقوله؛ م: كقوله.
[٧] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابنَ مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهَين مِن دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إنْ كنتُ قلته فقد عَلِمْتَه تَعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة النساء، ١١٦/٤).
[٨] ن ع م: وكذلك.
[٩] ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حَنيفًا مُسلمًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣).
[١٠] ع: فراه.
[١١] ع: الدعا.
[١٢] ع: أحقى.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ط/سطر ٥.
[١٣] ك - وقوله.
[١٤] ع م: والولد.
[١٥] ن: ابنت؛ ع م: بنت.
[١٦] «قيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مئة سنة، وقد ذَكرتُ الرواية فيما رُوِي في ذلك عن مجاهد قبلُ. وأما ابن إسحاق فإنه... قال: كانت سارة يومَ بُشِّرَتْ بإسحاق فيما ذُكر لي بعضُ أهل العلم ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة» (*تفسير الطبري*، ٧٦/١٢).

*ويحتمل قوله: **إنك تعلم ما نُخفِي وما نُعلِن،** [أنه] كانت له حاجاتٌ أَخفَاها، طَلَبَ [٣٩٠و س٣٨
قضاءَها فقال:[١] تَعلم حاجاتي[٢] أَخفَيتُها أو[٣] أَعلَنتُها، فاقْضِها لي. أو أن يكون قومُه طَعَنُوا في شيء،
فقال[٤] ذلك على التَّبَرّي مِن ذلك: إنه يَعلم[٥] ما نُخفي وما نُعلن، و لم يَعلم ذلك الذين يَطعنون [٣٩٠ط]
فِيَّ مِنِّي -والله أعلم- كقول[٦] عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي.[٧] أو أن يكون قال ذلك لأنّ أهلَ الأديان
جميعًا كانوا يُوَالُون إبراهيم ويَدَّعُون أنه على دينهم، ولذلك[٨] قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا،[٩] الآية، بَرَّأه[١٠] الله مما ادَّعَى[١١] كلُّ فريق. ثم منهم مَن كان مِن هذه الفِرَق يَدَّعُون
الإسرارَ عن الله والإخفاءَ عنه، فقال هذا لِيُعَلِّمَ الناسَ توحيدَه [و]أنه لا يَخفَى عليه شيءٌ أُخفِيَ[١٢]
أو أُعلِنَ لِيَعرفوا توحيدَه [و]أنه ليس شيءٌ يَخفَى عليه. *والله أعلم*.* ٣٩٠ظ س ٥]

﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣٩]

وقوله[١٣] عز وجل: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق،** قال أهل التأويل: إنه وهب له الولد[١٤] وهو ابن كذا وامرأته ابنة[١٥] كذا.[١٦] لكن لا نَعلم ذلك سِوَى ما ذكر أنه وهب له الولد على الكِبَر في وقت الإياس عن الولد، حيث بُشِّرَ بالولد فقال:

---

[١] ع: وقال.
[٢] ن: حاجتي.
[٣] ع م + إن.
[٤] ع: وقال.
[٥] ع: ولأنه نعلم.
[٦] ع: وقوله؛ م: كقوله.
[٧] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابنَ مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهَين مِن دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إنْ كنتُ قلتُه فقد عَلِمْتَه تَعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة النساء، ٤/١١٦).
[٨] ن ع م: وكذلك.
[٩] ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حَنيفًا مُسلمًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).
[١٠] ع: فراه.
[١١] ع: الدعا.
[١٢] ع: أحقى.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ط/سطر ٥.
[١٣] ك - وقوله.
[١٤] ع م: والولد.
[١٥] ن: ابنت؛ ع م: بنت.
[١٦] «قيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مئة سنة، وقد ذَكرتُ الرواية فيما رُوي في ذلك عن مجاهد قبلُ. وأما ابن إسحاق فإنه... قال: كانت سارة يومَ بُشِّرَت بإسحاق فيما ذَكر لي بعضُ أهل العلم ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة» (*تفسير الطبري*، ١٢/٧٦).

أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ،[1] وحيث قالت امرأته لمّا بُشِّرت بالولد: أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا.[2] فعُلِم[3] أنه وهب له الولد وهما كانا كبيرين في وقت الإياس عن الولد.

وقوله: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق**، يكون حمده على الأمرين جميعًا، على الهبة وعلى الولادة في حال الكِبَر، وهو حال الإياس؛ إذ كلُّ واحدٍ مما[4] يوجب الحمدَ عليه والثناءَ.

وقوله[5] عز وجل: **إنّ ربي لَسميع الدعاء**، قيل: لمَجيب الدعاء.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[٤٠]

وقوله[6] عز وجل: **ربِّ اجعلني مُقِيمَ الصلاة ومِن ذريتي**، قد سبق مِن الله الأمرُ بإقامة[7] الصلاة، وهو مقيمٌ[8] لها، فدلّ الدعاء منه والسؤال على أن يجعله مقيمَ الصلاة أنّ عند الله لُطفًا[9] سِوَى الأمر لم يُعطِه، فسأله[10] ذلك، وهو[11] التوفيق. و[هو يدل] على [فساد] قول المعتزلة لقولهم: إنه قد أعطى كلَّ شيءٍ حتى لم يَبْقَ عنده ما يُعطيه.

وقوله[12] عز وجل: **ربَّنا وتَقَبَّلْ دعاءِ**، قال بعضهم: تَقَبَّلْ دعائي، [أي] في إقامة الصلاة لنفسه وذريته. لكن لا يجب أن يُخَصَّ دعاءٌ مِن الدعوات التي سأل ربه، وقد دعا ربَّه بدعوات كثيرة، نحو ما قال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[13] وقوله: رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ،[14] وقال: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ،[15] وغير ذلك من الدعوات.

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٥٤.
[2] سورة هود، ١١/٧٢.
[3] ن ع م: يعلم.
[4] ع + مما.
[5] ك - وقوله.
[6] ك - وقوله.
[7] ع م: بإقامته.
[8] جميع النسخ: المقيم.
[9] جميع النسخ: لطف.
[10] ك: لم يعطه فسأل.
[11] ع م: هو.
[12] ك - وقوله.
[13] سورة إبراهيم، ١٤/٣٥.
[14] سورة إبراهيم، ١٤/٣٧.
[15] ﴿ربنا واجعلنا مُسلِمَين لك ومِن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرِنا مَناسِكَنا وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يَتلو عليهم آياتك ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة ويُزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٨-١٢٩).

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٤١]

وقوله[١] عز و جل: **ربَّنا اغفر لي ولوالدَيَّ**، طلب مِن ربه المغفرة لوالدَيْه.[٢] قال الحسن: إنّ أمه كانت مسلمة، وأمّا أبوه فكان[٣] كافرًا؛ لأنه قال: وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ،[٤] خَصَّ[٥] والدَه بالضلال، دلّ أنّ أمه كانت مسلمة.[٦] لكنّا لا نَعلم ما حال[٧] أمه[٨] [أن] كانت مسلمة أو كافرة، وأمّا[٩] أبوه فهو لا شكّ أنه كان كافرًا. ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران -إن كانت[١٠] أمه كافرة-[١١] على إضمار الإسلام، أي اغفر لهما إن أسلما. أو أن يكون سؤال المغفرة لهما سؤالَ الإسلام نفسه. أو أن[١٢] يكون طَلَبَ منه الستر[١٣] عليهما في الدنيا وأن لا يَفضَحهما[١٤] ولا يُخزيَهما.[١٥] لكنه سأل المغفرة يوم يقوم الحساب، ولا[١٦] يحتمل طَلَبُ الستر إلا أنْ يُفصَل[١٧] بين قوله: **ربنا اغفر لي ولوالدَيّ**، وبين قوله: **وللمؤمنين**، يُبْتَدَأ بالمؤمنين يوم يقوم الحساب. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٨] ودعاء إبراهيم وسؤاله[١٩] المغفرةَ لوالديه يكون سؤالَ السبب الذي يَستحقّان به المغفرة مِن ربهما ويكونان أهلاً لها،[٢٠] وهو التوحيد ومعرفة المولى.

---

[١] ك - وقوله.
[٢] ع: لوالدي.
[٣] ك ن: كان.
[٤] سورة الشعراء، ٨٦/٢٦.
[٥] م: خض.
[٦] ذكره الآلوسي مختصرا. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٤٣/١٣. ونسب القرطبي هذا القول إلى القشيري. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٧٥/٩.
[٧] جميع النسخ + الأم.
[٨] ك: أم.
[٩] ع: فأما.
[١٠] ك: إن كان.
[١١] جميع النسخ + إلا.
[١٢] ك - أن.
[١٣] ع: ستر.
[١٤] ع: لا يحفحهما.
[١٥] ك: يخزايما.
[١٦] ع: فلا.
[١٧] ع: أن يحصل.
[١٨] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ١١٤/٩.
[١٩] ع: فسؤاله.
[٢٠] ع: أهل الذها؛ م: لهما.

وهو ما ذكرنا[1] في أمر نوحٍ قومَه الاستغفارَ له،[2] وكذلك قول[3] هود حيث قال: وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[4] الآية.

وقوله[5] عز وجل: **يوم يقوم الحساب**، يحتمل قوله: **يقوم الحساب**، بالعدل. يقول الرجل لآخر: أَقِمْ حسابي، أي اعْدِلْ فيه. وإقامةُ الحساب العَدْلُ فيه على ما توجبه[6] الحكمة لا يُزاد ولا يُنقَص، كقوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ.[7] وقال بعضهم: **يوم يقوم الحساب**، يوم يُحاسَبون، [أي] قيامُ الحساب[8] هو المحاسبةُ نفسُها.[9] *والله أعلم*.*

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[٤٢] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٤٣]

وقوله[10] عز وجل: **ولا تحسَبَنَّ الله غافلًا عمّا يَعمل الظالمون**، قال بعضهم: المخاطبة بهذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة على عِلمٍ مِنه أنّ رسول الله كان لا يظن أنّ الله يَغفل عما يعمل الظالمون، لكنه خاطب به كما خاطبه[11] في قوله: وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ،[12] وقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[13] وأمثاله، نَهاه مع العلم أنه لا يفعل[14] ذلك. والأصل[15] في هذا أنّ العصمة لا ترفع المحنة، وليس المحنة إلا الأمر والنهي؛ إذ لو رَفعت العصمةَ المحنةُ

[1] ع: ما ذكر.
[2] ﴿فقلت استغفِروا ربَّكم إنه كان غفّارا﴾ (سورة نوح، ٧١/١٠).
[3] ع: قوله.
[4] سورة هود، ١١/٥٢.
[5] ك – وقوله.
[6] ن ع م: ما يوجبه.
[7] ﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليوم القيامة فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئًا وإنْ كان مثقالَ حبةٍ مِن خردلٍ أتينا بها وكفَى بنا حاسبين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٤٧).
[8] م – قيام الحساب.
[9] جميع النسخ: نفسه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٨، فقدماه إلى هنالك؛ انظر ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ظ/سطر ٥.
[10] ك – وقوله.
[11] جميع النسخ: كما خاطب به.
[12] سورة القصص، ٢٨/٨٨.
[13] سورة الأنعام، ٦/١٤؛ وسورة يونس، ١٠/١٠٥؛ وسورة القصص، ٢٨/٨٧.
[14] م: لا يغفل.
[15] جميع النسخ: وأصله.

والأمرُ والنهيُ لَذهبت فائدة العصمة ولا حاجةَ تَقَعُ إليها، فدلّ أنّ العصمة تَزيد في المحنة ومع المحنة يُحتاج إليها[١] ويُنتفَع بها. ويحتمل أن يكون الخطاب بالآية لغيره[٢] [أي] كلَّ[٣] ظانٍّ يَظن بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم، وهو كما خاطب بقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[٤] إنما خاطب به كلَّ مغرور[٥] بربه الكريم لا كلَّ إنسان، فعلى ذلك خاطب بقوله: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**، كلَّ ظانٍّ بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم. ثم إنّ الذي حَمَلَهم على الظنّ بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم حِلْمُه وتأخيرُه العذاب عنهم عن وقتِ ظُلمِهم وتَرْكُ أَخْذِهم بذلك. فمِنهم مَن ادَّعَى الغفلةَ عن ذلك لِمَا رَأَوْا مِن عادةِ مُلوكِ الأرض أنّ مَن ظَلَمَ[٦] أحدًا[٧] مِنهم انْتَقَمَ مِنه في أَعْجَلِ وقتٍ يَقدر على الانتقام مِنه، فحَمَلَ تأخيرَ الله[٨] العذابَ منهم والانتقامَ منهم على القول بالغفلة.[٩] ومنهم مَن ادَّعَى الرضاءَ بما اختاروا هم مِن الشرك والكفر بالله وادَّعَوْا الأمرَ بذلك لِمَا لم يَأخذهم ولم يَستأصِلْهم بصنيعهم، فاستدلّوا بذلك [على] رِضاه بفعلهم[١٠] وأمْرِه إياهم بذلك. فأخبر رسولَه أنّ تأخيرَه[١١] العذابَ عنهم وإمهالَه إياهم ليس عن غفلةٍ عنه ولا عن سهوٍ ولا لِرضاه به وأَمْرٍ،[١٢] ولكن إنما يُؤخِّره ليومٍ.

* وقوله: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**، يخرج على وجهين. أحدهما [٣٩٠ظ س٢٧ يقول: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**،[١٣] وَقْتَ خَلْقِه الخَلْقَ وأنشأهم، عمّا يكون منهم مِن الظلم، أي لا عن غفلةٍ وسهوٍ عن ظُلم الظالمين أنشأهم وخَلَقَهم،

[١] ن – إليها.
[٢] جميع النسخ: غيره.
[٣] ع: وكل.
[٤] سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[٥] جميع النسخ: كل غار.
[٦] ع م: من أظلم.
[٧] ك – أحدا.
[٨] ع + لله.
[٩] ع: الغفلة.
[١٠] ع م: بفعله.
[١١] ع م: أن تأخير.
[١٢] ع: عن سهو والرضا وأمر.
[١٣] ك – يخرج على وجهين أحدهما يقول ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون.

ولكن على علمٍ بما يكون منهم أنشأهم وخلَقَهم[1] لأنّ مَنافعَ ما يكون[2] منهم وضررَه يَرجع إليهم، فلم يَخرُج إنشاؤه إياهم[3] على علمٍ منه بذلك[4] عن الحكمة.

والثاني ما ذكرنا أنّ تأخيرَه العذابَ عنهم ليس لِغفلةٍ منه بذلك، ولكن لِمَا في أَخذِهم بالعذاب
٣٩٠ظ س ٣١] وَقتَ صَنيعهم زوالُ المحنة؛[5] لأنه يَصيرُ العذاب والثواب مشاهدةً.[6]*

ثم وَصَفَ ذلك اليوم لِشدة هَوْلِه وفَزَعِه[7] فقال: **لِيومٍ تَشْخَصُ فيه الأَبصارُ مُهْطِعِين مُقْنِعِي رُءوسِهِم لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**، قال بعضهم: هذا كلُّه يَرجع إلى الطَّرْف والبصر. يقولون: شاخصة أبصارهم، **مُهْطِعِين**، ناظرين إليه، أي إلى الداعي، **مُقْنِعِي رُءوسِهم**، **رافِعِي** رُءوسِهم، **لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**،[8] لِهَوْلِ ذلك اليوم. هذا كلّه يَصرفونه[9] إلى الأبصار دون النفس؛ لأنّ الإهْطاع والإقناع هو للنظر ولِشُخُوص[10] الأبصار. ومنهم مَن صَرَفَ **قولَه**: تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[11] و **لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**، إلى البصر، وصَرَفَ قولَه: **مُهْطِعِين مُقْنِعِي رُءوسِهم**، إلى الأنفُس، وهو ما ذكر في موضع آخر: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ،[12] أي مُسرِعين إليه بالإجابة[13] رجاءَ التخلُّص والنجاة عما حَلّ بهم بترك الإجابة. والإهطاع قيل: هو النظر الدائم، والإقناع هو الرفع، رَفْعُ الرءوس، **مُهْطِعِين**، أي مُدِيمِي النظر، **مُقْنِعِي رُءوسِهم**، أي[14] رافِعِيها.

---

[1] ك + لكن أنشأهم على علم منه بذلك؛ ن + ولكن أنشاهم على عسم منه بذلك؛ ع م + لكن أنشاهم.
[2] ن: ذلك.
[3] ع م – لأن منافع ما يكون منهم وضرره يرجع إليهم فلم يخرج إنشاؤه إياهم.
[4] جميع النسخ: ذلك.
[5] ك: المحبة.
[6] ك ن + والله أعلم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠ظ/سطر ٢٧-٣١.
[7] ع: وقرعه.
[8] ن – قال بعضهم هذا كله يرجع إلى الطرف والبصر يقولون شاخصة أبصارهم مهطعين ناظرين إليه أي إلى الداعي مقنعي رؤسهم رافعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم.
[9] جميع النسخ: يصرفون.
[10] ع م: هو النظر والشخوص.
[11] الآية السابقة.
[12] ﴿خُشَّعًا أبصارُهم يَخرجون من الأَجداث كأنهم جرادٌ مُنتشِر. مُهْطِعِين إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٧-٨).
[13] جميع النسخ: الإجابة.
[14] ن ع م – أي.

وعلى تأويل بعضهم: مُسرِعين، على ما ذكرنا. وقال بعضهم: **مُقْنِعِي رُءوسِهِم**، أي رافِعِيها[1] مُلْتَزِقَةً إلى أعناقهم.*

وقوله[2] عز وجل: **وأفئدتهم هَوَاء**، قيل:[3] خالية لِهَوْل ذلك اليوم، أي خالية عن التدبير؛ لأنّ في الشاهد أنّ[4] مَن بُلِيَ بِبَلايا وشَدائدَ يتدبّر ويتفكّر في دفع ذلك، فيُخبِر[5] أنّ أفئدتهم هَوَاءٌ يومئذ، أي خالية عن التدبير، إذ أفئدتهم لا تكون[6] معهم لِشدة أهواله. وقال بعضهم: **وأفئدتهم هَوَاء**، أي لا شيء فيها ما يَنتفعون بها، وهكذا الهَواء، هَواءُ كلِّ شيءٍ يُوصَف بالخَلاء[7] عن كل شيء. *والله أعلم*.

[٣٩١و س ٧ *وقال بعضهم في قوله: **وأفئدتهم هَوَاءٌ**، أي تُنْزَع قلوبهم حتى صارت في حَناجِرهم، فلا تَخرُج مِن أفواههم ولا تعود إلى أماكنها لِشدة هَوْلِ ذلك اليوم وفَزَعِهم عليه. وهو على التمثيل والكناية كقولهم: إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ،[8] الآية، لِشدة خوفِهم، وهو على التمثيل؛ إذ لا يحتمل بلوغ القلوب[9] الحناجر في الدنيا حقيقة، إذ لو بلغت ذلك لَخرجت فماتوا، إذ الدنيا يحتمل[10] الموت فيها، فدل أنّ ذلك على التمثيل لشدة خوفهم.* ٣٩١و س ١١]

**﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[٤٤]**

وقوله[11] عز وجل: **وأَنذِرِ الناسَ يومَ يَأتيهمُ العذابُ فيَقولُ الذين ظَلموا ربَّنا أَخِّرنا إلى أجلٍ قريبٍ**، يحتمل قوله: **وأَنذِرِ الناسَ يومَ يَأتيهمُ العذابُ**، قولهم الذي يقولون يومئذ: **ربنا أخرنا إلى أجل قريب**.

---

[1] ع: أي رافعها.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٠ظ/سطر ٢٧-٣١.

[2] ك - وقوله.

[3] ع م - قيل.

[4] ع: في المشاهدتان.

[5] ن: فيخبر.

[6] جميع النسخ: لا يكون.

[7] ع م: بالخلاص.

[8] ﴿إذ جاءوكم مِن فوقِكم ومِن أسفلَ مِنكم وإذ زاغتِ الأبصارُ وبلَغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظُّنُونا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٠).

[9] ك: القلب.

[10] ن ع: تحتمل.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩١و/سطر ٧-١١.

[11] ك - وقوله.

ويحتمل **وأَنذِرِ الناسَ يومَ يَأتيهمُ العذابُ**، الذي يَحِلُّ بهم، ثم أخبر عما يقولون إذا حَلَّ بهم العذاب: **ربَّنا أَخِّرنا إلى أجلٍ قريبٍ**، قال بعضهم: إلى الدنيا، والدنيا أجلُها قريب. لكن هذا لا يحتمل؛ لأن الدنيا أُولى والآخرة آخرة، فلو جاز هذا[1] تكون[2] الآخرة أُولى، فذلك بعيد. لكن طَلبوا -والله أعلم- الردَّ إلى حال الأَمْن لِيُجِيبُوا داعِيَه؛ إذ لم تَنفعهم[3] [٣٩١و] إجابتُهم في حال الخوف والهَوْل، وما حَلَّ بهم / إنما حَلَّ بِتَركِهم الإجابةَ[4] في حال الأَمْن، فطَلبوا الردَّ إلى الأَمْن لِيُجِيبُوا[5] داعِيَه[6] لِتَنفعهم إجابتُهم، حيث قالوا: **نُجِبْ دعوتَك ونَتَّبِعِ الرسل**.

وقوله[7] عز وجل: **أَوَلم تكونوا أَقسمتم مِن قبلُ ما لكم مِن زوال**، لم يبيّن بما أقسموا في هذه الآية، وهو ما بيّن في آية أخرى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ.[8]

ثم قوله: **ما لكم مِن زوال**، قال قائلون: **ما لكم مِن زوال**، مِن الدنيا، أي كنتم تقولون أنْ: ليس إلا الدنيا، لا زوالَ[9] لنا عنها أحياءً ومَوْتَى، كقولهم: إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا،[10] الآية، على ما ذكر مِن قَسَمِهم أنهم لا يُبْعَثون. وقال قائلون: قوله: **ما لكم مِن زوال**، جوابٌ لسؤالهم: **ربَّنا أَخِّرنا إلى أجلٍ قريبٍ**، على الاستئناف قال: **ما لكم مِن زوال**، عمّا أنتم فيه مِن العذاب إلى ما تَسألون[11] مِن المدة والتأخير، أي ما لكم إلى ذلك[12] سبيل.*

---

[1] ك - هذا.
[2] جميع النسخ: لتكون.
[3] ع م: لم ينفعهم.
[4] ع م - الإجابة.
[5] ك: ليجيبوا.
[6] ن - إذ لم تنفعهم إجابتهم في حال الخوف والهول وما حل بهم إنما حل بتركهم الإجابة في حال الأمن فطلبوا الرد إلى الأمن ليجيبوا داعيه.
[7] ك - وقوله.
[8] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[9] ع: إلى زوال.
[10] ﴿إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (سورة المؤمنون، ٣٧/٢٣).
[11] م: ما يتسائلون.
[12] ن + من.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩١و/سطر ٧-١١.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[٤٥]

وقوله[١] عز وجل: **وسَكَنتم في مَساكن الذين ظلموا أنفسهم**، بتكذيبهم الرسل. تأويله[٢] -والله أعلم- أنهم كانوا يَطلبون مِن ربهم الردَّ إلى حال الأَمْن لِيُجيبوا، بقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ،[٣] فقال: **وسَكَنتم في مَساكن الذين ظلموا أنفسهم،** بتكذيبهم الرسل،[٤] أي سَكَنتم في الدنيا في مِثل مَنازلِهم ومَساكنِهم فرأيتم ما نَزَلَ بأولئك الذين صَنَعُوا مِثلَ صَنيعِكم، وذلك قوله[٥] عز وجل: **وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم**، مِن التعذيب والاستئصال، ثم لم تَتَّعِظُوا[٦] بما حَلَّ بهم. فعلى ذلك إذا رُدِدْتم إلى حال الأَمْن لا تَتَّعِظُون[٧] بما حَلَّ بكم في هذه الحال، وهو ما قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[٨] فيما يقولون: إنهم يجيبون دعوته. هذا -والله أعلم- تأويلُه. وقال بعض أهل التأويل: **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم**، أي عَمِلتم[٩] مِثلَ أعمالِهم،[١٠] **وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم**، مِن الاستئصال بالتكذيب بتكذيبِهم الرسل،[١١] فلم تَتَّعِظُوا بذلك، فلا تَتَّعِظُون[١٢] بهذا أيضًا إذا رُدِدْتم. *والله أعلم.*

وفي قوله:[١٣] **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم**، إلى آخر ما ذكر، دلالةُ لزومِ النظر والاستدلال ولزومِ القياس. ودلالةُ لزومِ العقوبة -وإن كان لم يَعلموا به- بعد أنْ مُكِّنُوا مِن العلم به. أمّا دلالةُ النظر والاستدلال هو قوله: **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم،**

---

١ ك - وقوله.
٢ ع م: وتأويله.
٣ ع م + والله أعلم. وانظر: الآية السابقة.
٤ ك - تأويله والله أعلم أنهم كانوا يطبون من ربهم الرد إلى حال الأمن ليجيبوا بقولهم ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فقال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل.
٥ ن ع: وقوله؛ م: ذلك وقوله.
٦ ن ع م: لم يتعظوا.
٧ ك: لا تقبطون.
٨ سورة الأنعام، ٢٨/٦.
٩ ع م: أي علمتم.
١٠ ع: أعمالكم.
١١ ن - بتكذيبهم الرسل.
١٢ ع: فلا يتعظون.
١٣ ن: وقوله.

فهلّا نَظرتم [في] ما حَلَّ بهم مِن تكذيبهم الرسل واتَّعَظْتم[1] به. ودلالةُ القياس هو ما خَوَّفَهم أنْ يَنزلَ بهم ما نَزَلَ بأولئك؛ لأنهم اشتركوا في المعنى الذي نَزَلَ بأولئك ما نَزَل، وهو[2] تكذيبهم الرسل وسوءُ معاملتِهم إياهم.

وقوله[3] عز وجل: **وضَرَبْنا لكم الأمثال**، أي ضَرَبْنا لكم[4] مِن الأمثال ما لو تفكّرتم فيها ونَظرتم لَكان ذلك لكم موعظةً وزجرًا عن مِثل صَنيعكم. أو يقول: **وضَرَبْنا لكم الأمثال**، أي قد بَيّنّا لكم الأمثال والأشباه[5] وما[6] يُعَرِّفُكم لو تأمّلتم أنّ أولئك لكم أشباهٌ وأمثالٌ وصَنيعَهم لِصَنيعكم أشباهٌ وأمثالٌ، فيَنزل بكم ما نَزَلَ بهم. *والله أعلم*.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[٤٦]

وقوله[7] عز وجل: **وقد مَكَرُوا مَكْرَهم**، مَكَرُوا[8] واحتالوا على إهلاك الرسل وقتلِهم، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية، وكَيْدِهم الذي ذُكر في غير آيٍ مِن القرآن برسل الله حتى قال الرسل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا.[10] ومَكروا أيضًا بدين الله الذي أتت به الرسل، مَكَرُوا واحتالوا على إطفاء ذلك النور، فأَبَى الله ذلك عليهم وأَظْهَرَ دينَه وأَبْقَى نورَه إلى يوم القيامة، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ.[11] كانَ مَكْرَهم وحِيَلَهم يَرجع في أحد[12] التأويلين إلى أنفُس الرسل حين هَمُّوا وقصدوا[13] إهلاكهم.[14] والثاني يَرجع إلى إطفاء الدين الذي أتى به الرسل والنور الذي دَعَوْا إليه.

---

[1] ع: واتعظم.
[2] ع م: هو.
[3] ك - وقوله.
[4] م - لكم.
[5] ع: والأشبا.
[6] ن م: ما.
[7] ك - وقوله.
[8] ك - مكروا.
[9] ﴿وإذ يَمكُر بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتُلوك أو يُخرِجوك ويَمكُرون ويَمكُر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[10] سورة هود، ١١/٥٥. وهو من قول هود عليه السلام.
[11] ﴿يريدون أن يُطفِئوا نورَ الله بأفواههم ويَأبَى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نورَه ولو كَرِهَ الكافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٢).
[12] ن: إلى أحد.
[13] ع م: وبعدوا؛ وفي ك ن الكلمة غير واضحة وغير منقوطة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٢ظ.
[14] ك: هلاكهم.

وقوله[١] عز وجل: **وعند الله مَكْرُهم**، يحتمل عند الله جزاءُ[٢] مَكْرِهم الذي مَكَرُوا برسل الله وبدينه. أو[٣] **وعند الله مَكْرُهم**، أي عند الله العلمُ[٤] بمَكْرِهم محفوظٌ ذلك عنده لا يَفُوت ولا يَذهب عنه شيء، فيَجزِيهم بذلك في الآخرة. أو **وعند الله مَكْرُهم**، أي عند الله الأسبابُ التي بها مَكَرُوا، مِن عند الله استفادوا [ذلك]، وهو النعيم الذي[٥] أعطاهم والأموال التي مَلَّكَهم[٦] والعقول التي رَكَّبَ فيهم بما قَدَرُوا على المَكْر والاحتيال، عند الله ذلك كلُّه.[٧] ***والله أعلم***.

وقوله[٨] عز وجل: **وإنْ كان مَكْرُهم لِتَزُولَ مِنه الجبال**، اختُلف في تلاوته وقراءته وتأويله. قرأ بعضهم: وإن كاد مَكْرُهم، بالدال، وهو حرف عمر وابن[٩] مسعود وأُبَيّ وابن[١٠] عباس رضي الله عنهم.[١١] وقرأ بعضهم: **وإنْ كان مَكْرُهم**، بالنون. ثم اختُلف في قوله: **وإنْ كان**. قال الحسن وغيره: **وإنْ**، بمعنى[١٢] "ما"، أي ما كان مَكْرُهم لِتَزُولَ منه الجبال، قال: كان مَكْرُهم أَوْهَنَ وأَضْعَفَ مِن أنْ تَزول[١٣] مِنه الجبال.[١٤] / و"إنْ" بمعنى "ما" كثير في القرآن، كقوله: [٣٩١ظ]
لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ،[١٥] أي ما كنا فاعلين، وكقوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[١٦] أي ما نحن إلا بشر مثلكم. وقد يستعمل[١٧] "إنْ" في موضع "قد"، كقوله: إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا،[١٨] أي قد كان وَعْدُ ربِّنا لمَفعولاً. فمَن حَمَلَه على "ما" فقد استهان بمكرهم واستَخَفَّ به،

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ك – جزاء، صح هـ.
[٣] ن م – أو.
[٤] ك: العمل.
[٥] ك: النعم التي.
[٦] م: ملكتهم.
[٧] ع م – ذلك كله.
[٨] ك – وقوله.
[٩] ع م: بن.
[١٠] ع: ابن.
[١١] وهي من الشاذ لمخالفتها لرسم المصحف. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٦-٢٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٣، ٥٤.
[١٢] ع: معنى.
[١٣] ك ن ع: أن يزول.
[١٤] ع م + قال كان مكرهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٣.
[١٥] ﴿لو أردنا أن نتخذ لَهْوًا لاتّخذناه مِن لَدُنّا إنْ كنّا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٧).
[١٦] ﴿قالت لهم رُسلهم إنْ نحن إلا بشر مِثلكم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١١).
[١٧] ك: تستعمل.
[١٨] ﴿ويقولون سبحانَ ربِّنا إنْ كان وَعْدُ ربِّنا لمَفعولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠٨).

فقال: إنّ[1] مكرهم أوهن وأضعف مِن أنْ تزول[2] منه الجبال، والجبال أَوْهَن وأسرع زوالًا مِن رسالة الرسل ودين الله، بل رسالة الرسل ودين الله أَثْبَتُ مِن الجبال، لأنّ دينَ الله[3] ورسلَه معهما حُجَجُ الله وبراهينُه، فإذا لم يَعمل مكرُهم في إزالة الجبال لا يَعمل في إزالة دين الله[4] ورسالة الرسل ومعهما الحُجج والبراهين. ومَن قال: **وإنْ كان**، [أي] قد كان،[5] حمَلَه على الاستِعْظام[6] لمكرهم،[7] وعلى ذلك مَن قرأ: كاد،[8] بالدال، على الاستعظام لمكرهم،[9] كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا،[10] مِن عظيم[11] ما قالوا في الله كادت السماوات أن تَنْشَق، فعلى ذلك مكرُهم. [ثم لا يحتمل مكرهم الوصف بالوجهين] جميعًا[12] أن يُستَهان مرة ويُستعظَم [أخرى][13] إلا أن يقال: إنّ كلمتهم مِن حيث الشرك والكفر عظيمة،[14] ومِن حيث احتيالهم ومكرهم في إزالة ذلك النور وإطفائه ضعيفة.[15] *والله أعلم*.

[٣٩١ظ س١٦] * وأمّا ما[16] قال أهل التأويل في قوله:[17] **وقد مَكَرُوا مَكْرَهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهم لِتَزولَ منه الجبال**، إنه نزل في شأن[18] نُمْرُود، وإنه اتّخذ تابوتًا وربَطَ نُسُورًا على قَوائِمِه،

---

[1] ن – إن كان وعد ربنا لمفعولا أي قد كان وعد ربنا لمفعولا فمن حمله على ما فقد استهان بمكرهم واستخف به فقال إن.
[2] ن ع: أن يزول.
[3] ع م – أثبت من الجبال لأن دين الله.
[4] م + ورسله معهما حجج الله وبراهينه فإذا لم يعمل مكرهم في إزالة الجبال لا يعمل في إزالة دين الله.
[5] ك – كان.
[6] ك: على الاستفهام.
[7] جميع النسخ: بمكرهم.
[8] ك – كاد.
[9] جميع النسخ: بمكرهم.
[10] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[11] ن: من عظم.
[12] جميع النسخ + الوجهين.
[13] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٢٢ظ.
[14] ك: عظيم.
[15] جميع النسخ: ضعيف.
[16] ع – ما.
[17] ك ن – في قوله.
[18] ك ن ع + فلان.

وما ذكروا إلى آخره،[1] فلا علم لنا إلى ذلك، وأظنه أنه كله خيال، فلا نَقول إلا القَدْر الذي ذكر في الآية. و "لَتَزُولُ" بنصب اللام الأولى وبرفع الآخرة على معنى التوكيد،[2] و "لِتَزُولَ" بكسر الأولى[3] ونصب الآخرة على[4] الجحد، أي ما كانت الجبال لِتَزُولَ مِن مكرِهم. وهو ما ذكرنا. **والله أعلم**.* [٣٩١ظ س٢٠]

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[٤٧]

وقوله[5] عز وجل: **فلا تَحسَبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وَعْدِهِ رسلَه**، الخطاب به يحتمل ما ذكرنا، أي لا تَحسَبَنَّ أنّ ما تأخر مِن نزول ما وَعد أنه يُخلِف وعدَه الذي وعد رسله، كما لم يكن[6] تأخير العذاب عنهم مِن وقتِ ظُلمِهم عن غفلة وسهو، ولكن كان وَعدُه إلى ذلك الوقت. وخُلْفُ الوعد في الشاهد مِن الخَلْق إنما يكون لوجهين. أحدهما لِما لا يَملِك إنجازَ ما وعد. والثاني لِمَا يضرّه الإنجاز. فالله يَتعالى عن ذلك كله.

وقوله[7] عز وجل: **إن الله عزيز ذو انتقام**، قال بعضهم:[8] **عزيز**، لا يُعجِزه شيء. وقيل: **عزيز**، قاهر يَقهَر ويُذِلّ، فالخلائق[9] كلهم أَذِلّاءُ دونَه. وقوله: **عزيز**، أي غالبٌ قاهر، **ذو انتقام**، لأوليائه مِن أعدائهم، أي غالب الأعداء وقاهرهم[10] وناصر الأولياء.*

---

[1] روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿وإنْ كان مَكْرُهم لِتزولَ منه الجبالُ﴾، ثم فسّرها فقال: إن جبارا من الجبابرة قال: لا أنتهي حتى أنظر إلى ما في السماء. فأمر بفراخ النُّسور تُعلَف اللحم حتى شَبّتْ وغَلُظَتْ. وأمر بتابوت فنُجِر يَسَعُ رَجُلَين. ثم جعل في وسطه خشبة. ثم ربط أرجلهن بأوتاد. ثم جَوَّعَهن، ثم جعل على رأس الخشبة لحما. ثم دخل هو وصاحبه في التابوت. ثم ربطهن إلى قوائم التابوت ثم خَلّى عنهن يُرِدْن اللحم، فذَهَبْنَ به ما شاء الله تعالى. ثم قال لصاحبه: افتح فانظر ماذا ترى؟ ففتح فقال: أنظر إلى الجبال كأنها الذباب. قال: أغلق، فأغلق. فطِرْنَ به ما شاء الله، ثم قال: افتح، ففتح. فقال: انظر ماذا ترى؟ فقال: ما أرى إلا السماء، وما أراها تزداد إلا بُعدا. قال: صَوِّبِ الخشبة، فصَوَّبَها. فانْقَضَّتْ تريد اللحم، فسَمِعَ الجبالُ هَدَّتَها، فكادت تَزول عن مَراتِبها. وهناك روايات أخرى نحو ذلك. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٤-٢٤٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٤-٥٦.

[2] وهي قراءة متواترة قرأ بها الكسائي. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٠٠.

[3] ع م: اللام.

[4] ع: وعلى.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩١ظ/سطر ١٦-٢٠.

[5] ك - وقوله.

[6] ع: كما لم يكن؛ م: كما لين يكن.

[7] ك - وقوله.

[8] ع - بعضهم.

[9] ن: فالخلق.

[10] ن: أو قاهرهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩١ظ/سطر ١٦-٢٠.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٤٨]

وقوله[١] عز وجل: **يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ**، قال الحسن: تُفْنَى هذه[٢] الأرضُ ثم تُعاد مِن ساعته مُستويةً لا شجرَ فيها ولا جبالَ[٣] ولا آكامَ،[٤] قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٥] وقال بعضهم: تُبَدَّلُ هذه الأرضُ أرضًا غيرَ هده بيضاءَ نَقِيَّةً لم يُسفَك عليها دمٌ و لم يُعمَل عليها بالمعاصي، وكذلك السماوات. ومنهم مَن يقول: لا تُبَدَّلُ عينُها ولكن تَتغيّرَ[٦] صِفتُها وزينتُها، كما يقول الرجل لآخر: تَبَدَّلْتَ يا فلان، لا يريد تَبَدُّلَ أصلِه وعينِه ولكن تَغَيُّرَ الأخلاق والدين، فعلى ذلك[٧] ما ذكر مِن تبديل الأرض والسماوات. والأَشْبَه أن يكون على اختلاف الأحوال؛ لأنه ذكر في آية: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[٨] وقال: وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ،[٩] وقال: يَوْمَ تَشَقَّقُ،[١٠] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[١١] و إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[١٢] وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[١٣] وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ،[١٤] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ، وقال: فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا.[١٥] ذكر مرّةً [أنه] تُمَدُّ[١٦] الأرض، وذكر مرة[١٧] أنها تُخبِر وتُحَدِّث عمّا عُمِل عليها، وذكر في السماء التشقُّق[١٨] والانفطار، وفي الجبال السَّيْر[١٩] والمرور مرّةً ومرّةً الرَّفْع،[٢٠]

---

[١] ك – وقوله.
[٢] م: هذا.
[٣] ن ع م: جبل.
[٤] الآكام جمع أَكَمَة، وهي التَّل الذي يكون ارتفاعه دون الجبل (*لسان العرب* لابن منظور، «أكم»).
[٥] ﴿ويسألونك عن الجبال فقُل يَنسِفُها ربي نَسفًا. فيَذَرُها قاعًا صَفصَفًا. لا ترَى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا﴾ (سورة الكهف، ٢٠/١٠٥-١٠٧).
[٦] ن ع م: يتغير.
[٧] ن ع م – ذلك.
[٨] سورة الزلزلة، ٩٩/٤.
[٩] سورة الانشقاق، ٨٤/٣.
[١٠] ﴿يومَ تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم سِرَاعًا ذلك حَشْرٌ علينا يَسِيرٌ﴾ (سورة ق، ٥٠/٤٤).
[١١] سورة الانشقاق، ٨٤/١.
[١٢] سورة الانفطار، ٨٢/١.
[١٣] ﴿وترَى الجبالَ تَحسَبُها جامدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).
[١٤] ﴿ويومَ نُسَيِّرُ الجبالَ وترَى الأرضَ بارزةً وحَشرناهم فلم نُغادِر منهم أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٤٧).
[١٥] ﴿وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا. فكانت هَبَاءً مُنبَثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[١٦] ن: يمد.
[١٧] ع – تمد الأرض وذكر مرة.
[١٨] جميع النسخ: بالتشقق.
[١٩] جميع النسخ: بالسير.
[٢٠] جميع النسخ: بالرفع.

ومرة أخبر أنه جعلها[1] هباءً منثورًا، وأمثاله. فيُشبِه أن يكون هذا كلُّه على اختلاف الأحوال والأوقات؛ إذ يوم القيامة يوم ممتدّ، فيكون كلُّ ما ذكر على ما قال: يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ،[2] وقال[3] في آية: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ،[4] وقال: وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[5] وقوله: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[6] فهو -والله أعلم-[7] على اختلاف الأحوال والأوقات، فعلى ذلك الأول. **والله أعلم بذلك.**

وتبديل[8] الأرض والسماوات يحتمل وجهين. أحدهما تبديلُ[9] أهلِها على ما يُذكَر الأرضُ والقريةُ والمرادُ منها الأهل، كقوله: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا،[10] وقوله: قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً،[11] الآية، ونحوه كثير. والثاني تبديلُ نفسِ الأرض. ثم يحتمل كلُّ واحدٍ مِن الوجهين وجهين. أمّا تبديلُ أهلِها هو أن يكونوا[12] مُستسلمين خاضعين له في ذلك ولم يكونوا في الدنيا كذلك.[13] والثاني تَبديلُ[14] أهلِها هو أن يكون الأولياءُ في النعم الدائمة واللذة الباقية والأعداءُ في عذاب وألم وشدة، وكانوا في هذه الدنيا جميعًا مُشتركين -الأولياءُ والأعداءُ- في اللّذات والآلام. فإن كان تبديل نفس الأرض فهو يخرج على وجهين أيضًا.[15] أحدهما تغييرُ[16] زينتِها وصفتِها. والثاني تبديلُ عينِها وجوهرِها، وهو ما ذكر أنّ أرضَ الجنة تكون مِن مِسْك وزعفران، ونحو ما روي في الخبر.[17] **والله أعلم.**

---

[1] ن ع: جعلناها؛ م: جعلناه.
[2] ﴿فعَمِيَتْ عليهمُ الأنباءُ يومئذٍ فهم لا يتساءلون﴾ (سورة النمل، ٦٦/٢٧).
[3] ع م: قال.
[4] سورة الصافات، ٢٧/٣٧.
[5] ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[6] ﴿يَسألُه مَن في السماوات والأرض كلَّ يومٍ هو في شأن﴾ (سورة الرحمن، ٢٩/٥٥).
[7] ن ع م + ذلك.
[8] ن ع م: وتبدل.
[9] م: تبدل.
[10] سورة يوسف، ٨٢/١٢.
[11] ﴿وضَرَبَ اللهُ مثلاً قريةً كانت آمِنةً مُطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَدًا مِن كلِّ مكانٍ فكَفَرَتْ بأَنْعُمِ الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يَصنعون﴾ (سورة النحل، ١١٢/١٦).
[12] ع: أن يكون.
[13] ع م - كذلك.
[14] جميع النسخ: تبدل.
[15] ع م - أيصا.
[16] ك: تبديل.
[17] انظر لمختلف الروايات في ذلك: *تفسير الطبري*، ٢٤٩/٣-٢٥٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦/٥-٥٨.

[٣٩٢و] كأنّ قولَه: **يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض،** / صِلةُ قولِه: فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ،[١] الآية،[٢] فقالوا: متى يكون ذلك؟ فقال: **يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض،** يَخرُج[٣] جوابًا لسؤالهم.[٤] *والله أعلم.*

وقوله[٥] عز وجل: **وبَرَزُوا لله الواحد القهّار،** قد ذكرنا[٦] تخصيصَ بُروزِهم لله يومَ القيامة أنه –والله أعلم– أَنشأ هذا العالم الأول للعالم الثاني، فالعالم الثاني[٧] هو المقصود في إنشاء هذا[٨] العالم، فخَصَّ بُروزَهم يومئذ له لِما هو المقصود في إنشائهم. وقال قائلون: تخصيص البُرُوز له يومئذ لأنهم يخرجون مِن قبورهم للحساب لا لغيره، فهو يُحاسِبُهم، فأضاف البُرُوزَ إليه لِما لا يخرجون[٩] إلا له، وأمّا في الدنيا فإنما يخرجون لحوائج أنفسهم، لذلك خرج التخصيص له والإضافة.

وقوله: **وبَرَزُوا لله،** يحتمل وجهين. أحدهما بَرَزُوا له مُستسلِمين خاضعين قابلين[١٠] طائعين ولم يكونوا في الدنيا كذلك. والثاني يَبْرُزُون له، [أي] لِما وُعِدوا وأُوعِدُوا، بارِزُون لِوَعْدِه ولِوَعِيدِه ولِما دُعُوا إليه ورُغِبُوا فيه. وقيل:[١١] يَبْرُزُون له، [أي] لِما لا يَملِكون إخفاءَ[١٢] أنفسِهم وسَتْرَها، بل [يكونون] ظاهِرين له.

وقوله عز وجل: **لله الواحد القهّار، الواحد،**[١٣] الذي لا شريك له، و **القهّار،** يَقهَر الخلائق كلَّهم ويَغلِب[١٤] الجبابرة والفراعنة. أو يَبْرُزُون له لِيَجزِيَهم على ما ذكر تعالى: لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.[١٥] *والله أعلم.*

---

[١] سورة إبراهيم، ١٤/٤٧.
[٢] ك – الآية.
[٣] ع: تخرج.
[٤] ع: بالسؤالهم؛ م: لسؤال.
[٥] ك – وقوله.
[٦] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[٧] ن – فالعالم الثاني.
[٨] ع: هذه.
[٩] ع م: لا لما يخرجون.
[١٠] ع م: قائلين.
[١١] جميع النسخ: والثالث.
[١٢] ك: خفاء.
[١٣] ع م – الواحد.
[١٤] جميع النسخ: ويغلبهم.
[١٥] سورة إبراهيم، ١٤/٥١.

**﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٤٩] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[٥٠]**

وقوله[1] عز وجل: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد سَرابِيلُهم مِن قَطِرانٍ**، وذَكَرَ: **مِن قَطِرانٍ**، قيل: القِطْر هو النُّحاس،[2] والآنِي الذي قد انتهى حَرُّه، كقوله: حَمِيمٍ آنٍ.[3] وقيل: الصُّفْر. وقال بعضهم: **مِن قَطِرَانٍ**، أي مِن نُحاسٍ أُنِيَ لهم أنْ[4] يُعَذَّبوا به.[5] وقال بعضهم: هو مِن القَطِرَان المعروف الذي يُطْلَى به[6] الإبلُ، ذكر هذا لأنه أشد احتراقًا[7] واشتعالاً.

وقوله: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد**، إلى آخِر ما ذكر، جَعَلَ الله عذاب الكفرة في الآخرة بالأسباب والأشياء التي كانوا يَفتخِرون بها في الدنيا مِن اللباس والشراب والأصحاب وغيره، وهو كان سببَ مَنْعِهم عن إجابة الرسل فيما دَعَوْهم إليه، فجَعَلَ تعذيبَهم في الآخرة بذلك النوع مِن النار. فقال: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد**، يُقرَن[8] ويُقَيَّضُ بعضُهم ببعض، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[9] الآية؛ لأنه كان يَتبعه ويَأْتَمِر بأمره، وكقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا،[10] الآية، وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعون. وقوله: **سَرابِيلُهم مِن قَطِرانٍ**، لِما كانوا يَفتخِرون في الدنيا بلباسهم، وكذلك كلُّ نوعٍ كانوا[11] يَفتخِرون به في الدنيا ويمنعهم[12] عن الإجابةِ إجابةِ الرسل. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[13] **والأَصْفَاد** قيل: الأَغْلال، أي قد قُرِنَ بعضهم[14] إلى بعض في الأَغلال، واحِدُها صَفَد، وهو قول القُتَبي.[15]

---

[1] ك – وقوله.
[2] ذكر أن هناك من قرأ هذه الكلمة هكذا: قِطْرٍ آنٍ. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٥٦-٢٥٧؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «قطر».
[3] ﴿يَطوفون بينها وبين حَمِيمٍ آنٍ﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٤٤).
[4] أي لأن.
[5] م –به.
[6] ك: بها.
[7] م: إحراقا.
[8] ن: يقترن.
[9] ﴿ومَن يَعْشُ عن ذِكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانًا فهو له قَرِين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٦).
[10] ﴿احْشُرُوا الذين ظَلَمُوا وأزواجَهم وما كانوا يَعبدون. مِن دون الله فاهْدُوهم إلى صراطِ الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).
[11] ع م – كانوا.
[12] ك: ومنعهم.
[13] انظر مثلا تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/٣٥.
[14] جميع النسخ: بعضه.
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٤.

وكذلك قولُ أبِي عَوْسَجة[1] في الأَصْفَاد، إلا أنه قال: واحِدُها صِفَاد، والصَّفَد العَطِيَّة، **سَرَابِيلُهم:** قَمِيصُهم، واحِدُها سِرْبال، **مِن قَطِرانٍ،** القَطِر ما ذكرنا النُّحاس والآنِي الذي قد[2] اشتدَّ حَرُّه، وهو قول القُتَبِي[3] وأبي عوسجة. ذَكَرَ هذه المَوَاعِيد والشدائد وأنواعَ ما يُعَذَّبون به في الآخرة ونعيمَها على أَلْسُن مَن قد ظَهَرَ صِدقُهم بالآيات والحُجَج لِيَحذروا ما أُوْعَدُوا ويَرغبوا فيما رَغِّبُوا لئلا يكونَ لهم الاحتجاج يومئذ، كقوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[4] وقوله: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ،[5] الآية،[6] ونحوه. ***والله أعلم.***

وقوله[7] عز وجل: **وتَغشَى وُجوهَهم النارُ،** لأنَّ أيديَهم مَغلولةٌ إلى أعناقهم فلا يَقدِرون أن يَتَّقُوا النار بأيديهم. ذكر هذا لأنّ في الشاهد مَن أصاب[8] وجهَه[9] أذى يَتَّقِي عنه بيده، فيخبر أنهم إنما يَتَّقُون ذلك بوجوههم. ***والله أعلم.***

**﴿لِيَجزيَ اللهُ كُلَّ نَفسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [٥١]

**لِيَجْزِيَ اللهُ كلَّ نفسٍ ما كَسَبَت،** لما ذكرنا[10] يَبْرُزُون لله لِيَجزِيَهم [على أعمالهم] مِن خير وشر. وقوله:[11] **إن الله سريع الحساب،** قال بعضهم: كأنْ قد جاء حسابه.[12] والثاني ذَكَرَ هذا لأنّ الحساب إنما يُبطِئ لِما[13] لا يَتذكّر مَن له الحساب لمن يحاسبه في الشاهد فيما يحاسبه فيَطُول الحساب، أو للاشتغال[14] بشيءٍ يَشغَلُه[15] عنه، أو للجهل[16] بالحساب،

---

[1] ع + ذكر هذه المواعيد.
[2] ك – قد.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٤.
[4] ﴿رُسلاً مُبَشِّرين ومُنذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ١٦٥/٤).
[5] ﴿إذ أنتم بالعُدْوَة الدُّنيا وهم بالعُدْوَة القُصْوَى والرَّكْبُ أسفلَ مِنكم ولو تَوَاعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن لِيَقضي الله أمرًا كان مفعولاً لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عن بينة ويَحيا مَن حَيَّ عن بينة وإن الله لَسميع عليم﴾ (سورة الأنفال، ٤٢/٨).
[6] ن – الآية.
[7] ك – وقوله.
[8] ك: من أصابه.
[9] ك – وجهه.
[10] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ٤٨/١٤.
[11] ك – وقوله.
[12] وعبارة الشارح هكذا: «قال بعضهم: أي إذا حاسب فحسابه سريع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٣و).
[13] ع م – لما.
[14] جميع النسخ: أو الاشتغال.
[15] ع م – يشغله.
[16] ك: أو يجهل؛ ن: أو لجهل؛ ع م: أو الجهل.

فأمّا الله سبحانه وتعالى لا يَخفَى عليه شيءٌ ولا يَشغَلُه شيءٌ عن شيء، كلُّه محفوظ عنده، فهو **سريع الحساب**. ***والله أعلم***. أو نقول: إنما يَطُول الحساب في الشاهد ويمتدّ[1] لِما يحتاج إلى التفكُّر والنظر[2] والتذكُّر في ذلك، فالله سبحانه مُتعالٍ عن التفكُّر والنظر، بل كلُّ شيءٍ محفوظٌ عنده. ***والله أعلم***.

**﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٥٢]**

وقوله: **هذا بلاغٌ للناس ولِيُنذَروا به**، يحتمل قوله: **هذا بلاغ**، القرآن هو بلاغٌ للناس على ما ذكر في صدر السورة: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ،[3] الآية،[4] هو بلاغٌ على ما ذكر.[5] ***والله أعلم***. **ولِيُنذَروا به**، أي بالقرآن أيضًا على ما ذكر: وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا.[6] ويحتمل[7] قوله: **هذا بلاغ**،[8] ما ذكر مِن المَوَاعِيد، وهو قوله: وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ،[9] إلى آخِر ما ذكر، أي **هذا**، الذي ذكر، **بلاغٌ**، يَبلُغُهم لا محالة، **ولِيُنذَروا**، بما ذكر، **ولِيَعلموا أنما هو إله واحد**، لا شريك له بالآيات التي أقامها على وحدانية الله وألوهيته، **ولِيَذَّكَّر أُولُو الألباب**، أي ذَوُو[10] العقول.[11] ***والله أعلم***.[12]

---

[1] ن ع م: وتمتد.
[2] م - والنظر.
[3] ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لِتُخرِج الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراطِ العزيز الحميد﴾ (سورة إبراهيم، ١/١٤).
[4] م - الآية.
[5] ع + الآية.
[6] سورة الأنعام، ٩٢/٦.
[7] ع: يحتمل.
[8] م - هو بلاغ على ما ذكر والله أعلم ولينذروا به أي بالقرآن أيضا على ما ذكر وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ، صح هـ.
[9] سورة إبراهيم، ٤٩/١٤.
[10] ك م: أي ذووا؛ ن ع: أي ذو.
[11] ن: العدل.
[12] م - أي ذووا العقول والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحجر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[١]**

قوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين،** قد ذكرنا فيما تقدم أنه يحتمل أن الحروف المقطعة كناية عن كتابه[2] أو آياته، أنه حملها على ما توجبه الحكمة فجعلها كتابًا أو آياتِ كتابٍ يتلى. أو تكون[3] كناية عن الإنباء والإخبار / عن الأمم السالفة التي لم يشهدها [٣٩٢ظ] رسول الله صلى الله عليه وسلم، [أي جعلنا][4] تلك الأنباء والأخبار[5] كتابًا أو آيات ليعلموا أن هذا الكتاب إنما نزل من السماء وأنه إنما عُلم بالوحي من الله. وقد ذكرنا هذا في غير موضع[6] **وقرآن مبين،** قيل:[7] بُيِّن فيه ما يُؤتَى وما يتقى. أو **مبين،** [أي] يبيِّن[8] الحق والباطل. ***والله أعلم.***

**﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين،** قال عامة أهل التأويل: إنما يودون الإسلام والتوحيد بعد ما عذب في النار قوم من أهل التوحيد بذنوبهم ثم أخرجوا منها بالشفاعة أو بالرحمة، فعند ذلك يتمنى أهل الشرك ويودون الإسلام والتوحيد.[9]

---

[1] ن ع م + ذكر أنها مكية.
[2] ك + وآياته.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.
[5] جميع النسخ + التي جعلناها.
[6] انظر: السور المبدوءة بالحروف المقطعة.
[7] جميع النسخ: قال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.
[8] جميع النسخ + بين، والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.
[9] ن ع م + لو كانوا مسلمين.

لكن هذا بعيد: أن لا يتمنوا إلا في النار بعد ما أخرج أولئك، وقد أصيبوا الشدائد والبلايا من قبل أن يأتوا النار، قال الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا،[1] الآية. أخبر أنه يتمنى عند حلول الموت الإسلام، حيث طلب الرجوع إلى الدنيا، دل أنهم يودون الإسلام قبل الوقت الذي ذكروا. أو يتمنون الإسلام إذا حوسبوا، أو إذا بعث أهل الجنة الى الجنة[2] وبعثوا هم إلى النار، يتمنون الإسلام قبل ذلك في مواضع. وربما يتمنى الآحاد من الكفرة ويودون[3] لو كانوا مسلمين في أحوال وأوقات يظهر لهم الحق، و قد بان لهم الحق[4] لكن الذي يمنعهم عن الإسلام فوت شيء من الدنيا وذهاب شيء قد طمعوا فيه.

وقال الحسن في قوله: **الر تلك آيات الكتاب**، قسم لما ذكر: **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**، يقول: أقسم بالحروف المقطعة أنهم يودون الإسلام. ***والله أعلم***.

**﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا**، هذا ليس على الأمر، ولكن على الوعيد والتهديد،[5] وإبلاغ في الوعيد وتأكيد، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[6] الآية، هو[7] على الوعيد[8] حيث قال: إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، فعلى ذلك قوله: **ذر هم يأكلوا**، وعيد بقوله: **فسوف يعلمون**. ويشبه أن يكون: ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم.

[٣٩٢ظ س٢٢ * وقوله: **ذر هم يأكلوا ويتمتعوا**، الآية، في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، آيَسَ رسوله
٣٩٢ظ س٢٣] عن إيمانهم. وهو كقوله: وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.[9] *

---

[1] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٩-١٠٠).
[2] ع م – الى الجنة.
[3] ن: يودون.
[4] ك: و قد بين لهم الحق؛ ع – و قد بان لهم الحق.
[5] ن ع: علي التوعيد والتهدد؛ ع م: علي التوعيد.
[6] ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).
[7] م: وهو.
[8] ع: هو على التوعيد.
[9] ﴿ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّلَ مرة ونَذَرُهم في طغيانهم يعمهون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٠).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٢ظ/سطر ٢٢-٢٣.

وقوله: **ويلههم الأمل**، الأمل: الطمَع، اختلف فيه. قال بعضهم:[١] منَعَهم طمَعُهم أنهم وآباءهم[٢] قد أصابوا الحق،[٣] ذلك منعهم عن الإجابة والنظر في الآيات والحجج. والثاني تقديرهم بامتداد حياتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف. ذلك الذي كان يمنعهم عن الإجابة[٤] والانقياد له والنظر في الآيات والحجج. والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاعَ ملكه وأمره والعودَ إليهم، فذلك الذي كان منعهم. وفي حرف حفصة:[٥] ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الأمل.

* وقوله عز وجل: **فسوف يعلمون**، المحق من المبطل،[٦] وأن المحق والمبطل مَن: أنت أو هم؟[٧] [٣٩٢ظ س١٦
أو سوف يعلمون نصحك إياهم وشَفَقَتك لهم أنك نصحت لهم وأشفقت عليهم،[٨] لا أن خُنْتَهم.
أو يعلمون بما سخروا بكم وهَزَءوا.[٩] * ٣٩٢ظ س١٨]

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[٤]

وقوله: **وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**، قال الحسن: وما أهلكنا أهل[١١] قرية إهلاك تعذيب إلا وقد أرسلنا إليهم رسلاً بكتاب معلوم يتلون[١٢] ذلك الكتاب المعلوم عليهم. فإذا كذّبوهم وآيسوا[١٣] من إيمانهم، فعند ذلك يهلكون إهلاك تعذيب. وهو ما قال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ[١٤] الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا،[١٥] فعلى ذلك الأولُ.

---

[١] ن ع م + أي.
[٢] ع م: وآباؤهم.
[٣] أي منع الذين كفروا طمعهم وظنهم بأنهم و وآباءهم على طريق الحق.
[٤] ك + لهم له.
[٥] ن: وفي حرف ابن مسعود و حفصة.
[٦] ك ع م – من.
[٧] ع – وأن المحق والمبطل من أنت أو هم.
[٨] م – عيهم.
[٩] حتى وافوا جزاء ذلك.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٢ظ/سطر ١٦-١٨.
[١١] ك + من أهل.
[١٢] ك: يتلوا؛ ن ع م: تتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ. ويتلون: أي الرسل.
[١٣] ع م: وآيس.
[١٤] جميع النسخ: ليهلك؛ الا أن هذه ترد في آية أخرى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود، ١١/١١٧).
[١٥] ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عيهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (القصص، ٢٨/٥٩).

وقال بعضهم: **وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**، يقول: كتاب فيه أجل معلوم مؤقت لها؛ على هذا التأويل كأنه قد خرج جوابًا لقول[١] كان من أولئك الكفرة[٢] [في] استعجالهم الإهلاك.[٣]

**﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون، أي ما تسبق أمة أجلها**[٤] الذي جعل الله لها بالإهلاك وما تستأخر عنه. وهو ما قال: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[٥] أى ما يستأخرون ساعة عن الوقت الذى جعل لهم ولا يتقدمونه.[٦] فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا: إن الله يجعل لخلقه آجالاً ثم يجيء آخرُ فيقتله قبل الأجل الذي جعله الله له،[٧] والله يقول: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ؛ وقال: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ،[٨] يخبر أنه لجاءهم العذاب لولا ما جعل من أجل مسمى، قد وعد جل وعلا أنه يفي بما وعد من البلوغ إلى الأجل الذي سمي. وعلى قول المعتزلة لا يملك إنجاز ما وعد، لأنه يجيئ إنسان فيقتله فيمنع الله عن وفاء ما وعد، فذلك عجز وخُلف في الوعد. فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق.

**﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر**، يعني القرآن، **إنك لمجنون**، قال الحسن: قوله: **يا أيها الذي** تدعي أنه **نزل عليه الذكر إنك لمجنون** فيما تدعي من نزول الذكر. هو على الإضمار الذي قال الحسن، وإلا في الظاهر متناقض. لأنهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه، لأنهم لو أقرّوا بنزول[٩] الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدًا: **إنك لمجنون**، سموه مجنونًا.

---

[١] ن ع: بالقول.
[٢] جميع النسخ + من.
[٣] «جوابا لقول من كان من الكفرة يستعجلون الهلاك.» شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٣ظ.
[٤] ك ن: من أجلها.
[٥] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧).
[٦] ع م – أى ما يستأخرون ساعة عن الوقت الذى جعل لهم ولايستقدمونه.
[٧] ك: الذى جعل له.
[٨] سورة العنكبوت، ٥٣/٢٩.
[٩] ن م: نزول.

والذي حملهم على تسميتهم إياه مجنونًا وجوه. أحدها أنهم[١] لما رأوه أنه قد أظهر الخلاف لذوي العقول منهم والأفهام والدعاءَ إلى غير ما هم فيه،[٢] فرأوا أنه ليس يخالف[٣] أهل العقول والفهم إلا لجنون[٤] به، فسموه مجنونًا.

[٣٩٣و] والثاني رأوه / قد أظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والإهلاك لمن[٥] أظهر الخلاف لهم في أمر من أمورهم الدنيوية، فكيف من أظهر الخلاف لهم[٦] في الدين؟ فظنوا أنه ليس يخالفهم ولا يخاطر بنفسه[٧] وروحه إلا لجنون فيه.

والثالث، قالوا ذلك لما رأوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا أن ذلك لآفة فيه. ومن تأمل حقيقة ذلك علم أن من قَرَفه بالجنون به[٨] هو المجنون، لا هو، حيث قال: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِنْ جِنَّةٍ،[٩] الآية. وقال: مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ،[١٠] أخبر أنهم لو تفكروا عرفوا أنه ليس به جنة، ولكن عن معاندة ومكابرة وجهل يقولون.[١١] ثم سموه[١٢] ساحرًا، فذلك تناقض في القول، لأنه لا يسمى ساحرًا إلا لفضل بصر وعلم، فذلك تناقض[١٣]

**﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين**، تأويله -والله أعلم- يقولون له:[١٤] إنك تزعم أن الملائكة يأتونك بالوحي، فهلا أظهرتهم[١٥] لنا إذا أتوك فننظر إليهم،

---

[١] ك ن - أنهم.
[٢] ع م - فيه.
[٣] ك م: مخالف.
[٤] ك ع م: بجنون.
[٥] جميع النسخ: والهلاك من، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[٦] ك - هم.
[٧] خاطَرَ بنفسه يُخاطِر: أَشْفَى بها على خطَرِ هُلْكٍ أو نَيْلِ مُلْكٍ. (*لسان العرب*، «خطر»).
[٨] ك: فيه.
[٩] سورة الأعراف، ١٨٤/٧.
[١٠] سورة القلم، ٢/٦٨.
[١١] جميع النسخ: يقولون وجهل.
[١٢] جميع النسخ: وسموه.
[١٣] «ثم سموه ساحرا كما سموه مجنونا، والساحر عندهم يسمى من له فضل بصر وعلم وزيادة حذاقة فيكون ذلك تناقضا منهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٤و).
[١٤] ن - له.
[١٥] جميع النسخ: فهلا أظهرت

أملائكة هم، على ما تزعم، أم شياطين؟ وقال بعضهم: لو ما تأتينا بالملائكة فيشهدون أنك رسول[1] وأنك أُرسلت على ما تدعي من الرسالة فقال:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾[٨]

**ما ننزل الملائكة إلا بالحق،**[2] **وما كانوا إذًا منظرين.** قال بعضهم: إنه ليس[3] في وسع البشر رؤية الملائكة على صورتهم؛ فقال: **ما ننزل الملائكة إلا بالحق،** إلا بالموت، لو رأوهم[4] لماتوا، لما لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة. وهو كقوله: وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[5] الآية. أخبر أنه لو أنزل عليهم الملك لماتوا؛ إذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته.[6] ثم أخبر أيضًا أنه لو جعله ملكًا لجعله رجلاً،[7] ويكون في ذلك لبس على أولئك. وقال بعضهم: **ما ننزل الملائكة إلا بالحق،** أي إلا بالحجج والآيات والبراهين على الرسل وعلى من هو أهل لذلك، ليس على كل أحد. وقال بعضهم: **إلا بالحق،** أي بالعذاب الذي يكون فيه هلاكهم. وهكذا أن الملائكة لا تنزل إلا بالعذاب الذي فيه هلاكهم أو بالحجج والبراهين. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **إنا نحن نزلنا الذكر،** يعني القرآن، **وإنا له لحافظون،** حتى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[8] وفيما وَكَّلَ الحفظ إلى نفسه لم يقدر أحد من الطاغين مع كثرتهم منذ نزل موضع الطعن فيه. وذلك يدل أنه سماوي وأنه محفوظ. وقال بعضهم: **وإنا له لحافظون،** أي محمدًا عليه أفضل الصلوات، أي نحفظه بالذكر الذي أنزل عليه، كقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[9] وكقوله: قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي،[10] الآية.

---

[1] ع م: رسول الله.
[2] ع م + إلا بالموت.
[3] جميع النسخ: ان ليس.
[4] جميع النسخ: رأوا.
[5] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقُضِي الأمر ثم لا يُنظَرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).
[6] ك: صورتهم.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).
[8] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[9] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[10] ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يُوحِي إليّ ربي إنه سميع قريب﴾ (سورة سبأ، ٥٠/٣٤).

أخبر أنه إنما يهتدي بما يوحي إليه ربه، فعلى ذلك يحفظه بالقرآن الذي أنزل عليه. ويحتمل[١] **الذكر** النبوة، أي **إنا نحن نزلنا** النبوة، **وإنا له**، أي لرسوله **لحافظون**[٢] على النبوة[٣] والرسالة.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٠] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين،** قيل في مِلَل[٤] الأولين، وقيل في فِرَق[٥] الأولين، وقيل في جماعات[الأولين]، وهو واحد.

**وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون.** يصبّر رسوله على استهزاء قومه إياه وأذاهم له.[٦] يقول -والله أعلم- لست أنت المخصوصَ بهذا ولكن لك شركاء وأصحاب في ذلك، ليَخِفّ ذلك عليه ويهون. لأن العرف في الخلق أن من كان له شركاء وأصحاب في شدة أصابته أو بلاءٍ يصيبه[٧] كان ذلك أيسر عليه وأهون من أن يكون مخصوصًا به من بين سائر الخلائق. *والله أعلم.*

كأن هذه الآية صلة قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ،[٨] فكأنه لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك، فعند ذلك قال: **ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين،** إلى آخره، يصبّره على أذاهم وهُزئهم به. فإنما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم. وكان بلغ نصيحته وشفقته لهم ما ذكر: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[٩] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[١٠] كادت نفسه تَهلك. أو ذكر هذا له لما أن هؤلاء، أعني قومه، إنما استهزءوا به تقليدا لآبائهم واقتداءً بهم[١١] وتلقّنًا[١٢] منهم، لا أنهم أنشأوا ذلك من أنفسهم. وأولئك، أعني الأوائل،

---

[١] ك ع م + أن يكون.
[٢] ك: لحافظون له.
[٣] جميع النسخ: بالنبوة. وهو مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[٤] ن ع م: في ملك.
[٥] ن: فريق.
[٦] ع م - له.
[٧] ك ن: أو بلاء ومصيبة؛ ع: أو بلاء مصيبة.
[٨] سورة الحجر، ١٥/٦.
[٩] ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء، ٢٦/٣).
[١٠] سورة فاطر، ٣٥/٨.
[١١] ك: واستهزاء بهم.
[١٢] جميع النسخ: وتلقنوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.

إنما استهزءوا برسلهم لا تقليدًا بأحد ولكن إنشاء من ذات أنفسهم. فمن استهزأ بآخر وشتمه[1] تقليدًا وإقتداء وتلقنا كان ذلك أيسر عليه وأخف ممن[2] فعل به من ذاته؛ لأنه انما يلقَّن المجانين والصبيان ومن به آفة بمثل ذلك، فهم الذين يعملون بالتلقين. وأما العقلاء والسالمون عن الآفات فلا. فذلك أهون عليه من استهزاء أولئك برسلهم. *والله أعلم*.

**﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٢] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**، اختلف فيه. قال بعضهم: كذلك نسلك التكذيب والاستهزاء **في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به**، يقول: مِن حكم الله أن يَسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذّبه، ومِن حكمه، أن يسلك التصديق في قلب من صدقه واختاره، كقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[3] وكقوله: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ.[4] وقال بعضهم: قوله: [٣٩٣ظ] **كذلك**... نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين بكفرهم، كقوله: / وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ،[5] الآية، وقوله: وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً،[6] ونحوه. ويحتمل قوله: **نسلكه في قلوب المجرمين**، الحجج والآيات ليكون تكذيبهم وردهم الحجج والآيات[7] تكذيبَ عناد ومكابرة فلا يؤمنون به.

وقوله: **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**، أي مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الآيات والحجج والتصديق لها،[8] لما علمنا[9] أنهم يختارون ذلك، نسلك في قلوب المجرمين من تكذيب الآيات والحجج وردها، لما علمنا[10] منهم الرد والتكذيب لها. هذا يحتمل،[11] ويحتمل غير هذا، على ما ذكرنا،[12] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: فشتمه.
[2] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[3] سورة الصف، ٦١/٥.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[5] سورة الأنعام، ٦/٢٥.
[6] ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكَلِم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ (المائدة، ٥/١٣.)
[7] ن ع م: الآيات والحجج؛ جميع النسخ + وتكذيبهم.
[8] ن: بها.
[9] جميع النسخ: علم.
[10] جميع النسخ: علم.
[11] ن ع م: محتمل.
[12] ن ع م: ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **وقد خلت سنة الأولين**، يحتمل قوله: **وقد خلت سنة الأولين**، بالتكذيب والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والآيات. ويحتمل **وقد خلت سنة الأولين**، الإهلاك[١] والاستيصال عند مكابرة حجج الله ومعاندتهم إياها.

وقال بعض أهل التأويل: **كذلك نسلكه**، أي نجعل،[٢] على ما ذكرنا،الكفرَ بالعذاب في قلوب المجرمين. **لا يؤمنون به**، أي لا يصدقون بالعذاب، **وقد خلت سنة الأولين**، بالتكذيب لرسلهم [و] بالعذاب [لهم]. فهؤلاء يستنّون بسنتهم.

وقال أبو عَوْسَجة: **كذلك نسلكه**، أي تُدخله. يقال: السالك: الداخل، والسلوك: الدخول، وسلكت: أدخلت. وتصديقه قوله: كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ،[٣] وقال: أُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ،[٤] أي أدخِل.

**﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [١٤] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون**، يخبر جل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤالهم الآيات وطلبهم[٥] نزول الملائكة، بقوله: لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[٦] يقول: إنهم في سؤالهم[٧] الآيات وما سألوا متعنتون مكابرون[٨] ليسوا هم بمسترشدين، لكن أهل الإسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال:[٩] وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ، الآية، ثم قال: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.[١٠] وذلك[١١] أن المؤمنين كانوا يشفعون لهم بسؤالهم الآيات لعلهم يؤمنون فأخبر: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.

---

[١] جميع النسخ: والهلاك، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[٢] ن ع م: نجعله.
[٣] ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٠-٢٠١).
[٤] سورة القصص، ٢٨/٣٢.
[٥] جميع النسخ: وطلب.
[٦] سورة الحجر ١٥/٧.
[٧] جميع النسخ: إن سؤالهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[٨] جميع النسخ: متعنتين مكابرين، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[٩] «لما أخبر عنهم الله بقوله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٤ظ).
[١٠] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٩)
[١١] ع: ذلك.

فعلى ذلك قوله: **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون**، يخبر أنهم بسؤالهم نزول الملائكة معاندون مكابرون[1] ليسوا بمسترشدين.

ثم اختلف فيه، قال بعضهم: قوله:[2] **ولو فتحنا عليهم**، يعني على الملائكة بابًا حتى رأوا وعاينوا الملائكة ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون، **ولقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا**، قيل: حُيِّرت وسُدَّت؛ **بل نحن قوم مسحورون**، أي سحرت أعيننا فلا نرى ذلك. وقال بعضهم: قوله: **ولو فتحنا عليهم**، أي لهم **بابًا من السماء**، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[3] أي للنُّصب.

وقوله عز وجل: **فظلوا فيه** حتى[4] **يعرجون** فيه ويعاينون نزول الآيات ويشاهدون كل شيء. **لقالوا إنما سكرت أبصارنا**، يُؤيِس رسوله وأصحابه عن إيمانهم. وقوله: **لقالوا**[5] **إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**، يقولون ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة ذلك.

[٣٩٤و س ٢١ * قال أبو عَوْسَجة: **فظلوا فيه**، أي صاروا يومهم يعرجون يرتفعون ويصعدون. وقال غيره: **فظلوا**، أي مالوا، كقوله: فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ،[6] أي مالت. وقال: قوله: **سُكِّرت أبصارنا**، أي حُيِّرت. يقال: تَسكَّر بصره، إذا تحيّر. وقال: يقال[7] أيضًا: تحيّرت. يقال: سكَّر الله بصره، أي حيّره؛ و سكَرت الريح تسكُر سَكرًا إذا سكنت. ويقال: ليل ساكر، أي ساكن؛ وسكَرتُ الماء أسكُره سَكرا، أي حبسته. والسِّكر، السدّ، والسُّكور جمع. والسُّكر مصدر[8] سكِر يسكَر سُكْرا فهو سكران، وقوم سَكرى وسُكارى؛ والسَّكرة الغمرة، والغمرة الشدة. وقال عز وجل: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ،[9] أي شدته وعَلَزه.[10] وقال القُتبي: سُكِرت، غُشيت.

---

[1] جميع النسخ: معاندين مكابرين.
[2] ع – قوله.
[3] ﴿حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السَّبُعُ إلا ما ذكَّيتم وما ذُبح على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾ (المائدة، ٥/٣).
[4] ع – حتى.
[5] ع م – وقوله لقالوا.
[6] ﴿إن نشأ نُنَزِّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٤).
[7] ن: إذا تحير يقال.
[8] ك + والسُّكر مصدر.
[9] ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٩)
[10] العلز: القلق والضجر (*لسان العرب*، «علز»).

ومنه يقال: سُكِر النهر إذا سُدّ؛ فالسِّكر اسم ما سكرت، وسَكْر الشراب منه، إنما هو الغطاء على العقل والعين.[١] وقال الحسن: سُكرت بالتخفيف سحِرت.[٢]* ٣٩٤و س٢٨]

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[١٦] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[١٧] ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ولقد جعلنا في السماء بروجًا**، قيل: نجومًا. ويحتمل البروجُ المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر والنجوم. جعل لكل واحد من ذلك منزلاً ينزل في كل ليلة في منزل على حدة. ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع[٤] من الشمس والقمر والنجوم [ومغاربها].[٥]

وقوله عز وجل: **وزيناها للناظرين**، يعني السماء للناظرين.

وفي قوله: **زيناها للناظرين**، دلالة [على] نقض قول من ينهى عن النظر إلى السماء من القُرّاء،[٦] لأنه أخبر أنه زينها للناظرين؛ ولا يحتمل أن يزينها للناظرين[٧] ثم ينهى عن النظر إليها. دل أنه لا بأس للناظرين. وقال في آية أخرى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا،[٨] الآية، وقال في موضع آخر: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ.[٩] وجعل الله في الشمس والقمر والنجوم منافع يهتدون بها الطرق في ظلمات الليل وجعلها مصابيح في الظلمات.[١٠] وأخبر أنه زينها للناظرين؛ لأن ما يقبح في العين من المنظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر إليه، فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيها[١١] والنظر إليها، ليعلموا أنه تدبير واحدٍ،

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٥.

[٢] جميع النسخ: وسحرت، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ؛ وإلى قول الحسن انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢١-٢٨.

[٤] ن + ما ذكر.

[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.

[٦] يقال: قرأت أي صرت قارئا ناسكا، وتَقَرَّأْتُ تقرؤًا في هذا المعنى.. والقارئ والمتقرئ والقُرّاء كله: الناسك (*لسان العرب*، «قرأ»).

[٧] ع م - للناظرين.

[٨] ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (سورة الأنعام، ٩٧/٦).

[٩] ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (سورة الملك، ٥/٦٧).

[١٠] م: في ظلمات.

[١١] جميع النسخ: فيه.

حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما وجعل أشياء هي في الظاهر أشباهًا وهي في الحقيقة كالأضداد لها. ومنها ما هي في الظاهر أضدادًا وهي كالأشكال، نحو النور والظلمة، هي في الظاهر أضداد صارت كالأشكال حيث يضيء النجوم في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك أهل الأرض. وهما في الظاهر أضداد فصارت بما يظهر من منافعها كالأشكال. فإنه[1] لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس، وهن أشكال بما يذهب كل واحد منهما بسلطان الآخر، كالأضداد، ليعلم أنه تدبير واحد حيث صارت الأضداد كالأشكال والأشكال كالأضداد في حق المنفعة.

وقوله عز وجل: **وحفظناها**، يعني السماء، **من كل شيطان رجيم**. ذكر أن الشياطين كانوا يصعدون السماء فيستمعون من أخبار السماء من الملائكة مما يكون في الأرض من غيث وغيره. ثم زادوا فيها ما شاءوا فيُلْقون ذلك إلى الكَهَنة، فيخبر الكهنة الناس فيقولون: ألم نخبركم بالمطر في يوم كذا وكذا، وكان حقًا؟ ثم مُنعوا[2] عن صعودهم الى السماء وأمر بحفظ السماء عنهم.[3] فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله الشُّهُب عليهم حتى يُقذَفون. وهو قوله:
[٣٩٤و] وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا، / وقوله: فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ.[4]

ويحتمل **وحفظناها**، أي أهلها من الشيطان الرجيم، لما ذكرنا من ذكر أشياء من القرية والمصر والعير وغيره، والمراد منه، أهله.[5] فعلى ذلك هذا. إلا أن أهل السماء بأجمعهم أهل ولاية الله وأهل طاعته. وأما أهل الأرض ففيهم من الغاوين الضالين، فهم أولياء أهل الشيطان،[6] كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[7] الآية.

[٣٩٤و س٢٨ *وقوله عز وجل: **بروجا**، قال: إثني عشر برجا.[8] وأصل البرج[9] الحصن والقصر.

---

[1] جميع النسخ: وجعل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[2] ك ن + عن ذلك.
[3] جميع النسخ: الى السماء وحفظوا عنهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[4] ﴿لا يسمّعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (سورة الصافات، ٨/٣٧-١٠)
[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ (سورة يوسف،٨٢/١٢).
[6] ن: أهل أولياء الشيطان؛ ع: أهل أهل أولياء الشيطان.
[7] ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ٩٩/١٦-١٠٠).
[8] ن ع م: بروحا.
[9] ع م: البروج.

وقوله: **وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع**، يقول: حفظناها من أن يصل إليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئًا إلا استراقا ثم يَتبعه شهاب مبين، أي كوكب مضيء. وقال أبو عَوْسَجة: **إلا من استرق السمع**، يقال: استرقتُ السمع، أي تغفلت[١] قومًا حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون. وهكذا لو علم الملائكة أن الشياطين يسترقون السمع ويختطفون لَمتَعوا من[٢] ذلك وامتنعوا عن التكلم به حتى لا يستمعون كلامهم وحديثهم. **وشهاب**: كوكب. وقيل: الشهاب[٣] خشبة في طرفها نار. والشُّهْبان جماعة. وقال بعضهم: **شهاب مبين**، لرسول الله كان له خاصة لم يكن قبل.[٤] *والله أعلم*. * [٣٩٤و س ٣٤]

ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة، وهو ما ذكر: وَيُقْذَفُونَ،[٦] الآية. ويحتمل الشُّهُبَ[٧] التي في غير آي من القرآن.[٨]

وقال بعضهم: الرجيم، اللعين. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود: من كل[٩] شيطان لعين. واللعين في اللغة هو المطرود المُبْعَد وهو على ما ذكر: دُحُورًا.[١٠]

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي**، وقال في آية أخرى: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ،[١١] يعني الجبال. في ظاهر هذا أن الأرض كأنها تضطرب وتتكفئ[١٢] بأهلها فأثبتها بالجبال وإلا من طبعها التسفل والانحدار. وكذلك الجبال من طبعها التسفل والانحدار،

---

١ يقال: تغفلته واستغفلته،أي تحينتُ غفلته (*لسان العرب*، «غفل»).

٢ ن ع: عن.

٣ ن – الشهاب.

٤ ع م + قبل.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢٨-٣٤.

٦ ﴿لا يَسَّمَّعون إلى الملإ الأعلى ويُقذَفون من كل جانب دُحورا ولهم عذاب واصب﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨-٩)

٧ ن ع: بالشهب.

٨ يشير إلى آيات وردت في هذا السياق، مثل: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٠)، ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/٩).

٩ ك ع م + من كل.

١٠ ﴿لا يَسَّمَّعون إلى الملإ الأعلى ويُقذَفون من كل جانب دُحورا ولهم عذاب واصب﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨-٩).

١١ سورة الأنبياء، ٢١/٣١.

١٢ انكفأ: مال (*لسان العرب*، «كفأ»).

فكيف كان ثباتها بشيء طبعه التسفل والتسرب[1] إلا أن يقال: إن طبعها كان الاضطراب والانكفاء فأثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفاء. أو أن يقال: من طبعهما ما ذكرنا[2] [من] التسفل والانحدار، إلا أن الله بلطفه أثبت ما هو طبعه التسفل بما[3] هو طبعه كذلك ليعلم لطف الله وقدرته. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[4]

وقوله عز وجل: **وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**، قال بعضهم: **فيها**، يعني في[5] الجبال، **من كل شيء موزون**، أي ما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها. وهذا كأنه ليس بصحيح؛ لأنه لا يقال في الذهب والفضة والحديد إنه أُنبت في الأرض كما يقال ذلك لنبات وما ينبت فيها. وإنما يقال للذهب والفضة والحديد: جعلنا[6] فيها أو خلقنا[7] فيها. وقال بعضهم: **وأنبتنا فيها**، يعني في الأرض من كل ألوان النبات، **موزون**، أي معلوم مقدّر بقدر، كقوله: وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ،[8] *ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير. *والله أعلم*. ويحتمل **وأنبتنا** في الأرض ما يصير موزونا في الآخرة من الحبوب التي تخرج من الزروع. *والله أعلم*.*

ويحتمل قوله: **من كل شيء موزون**، ما لو اجتمع الخلائق لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات في لحظة واحدة وطرفة عين في أول ما يخرج ويبدو من الأرض، وذلك موزون عنده معلوم قَدرُه، ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وأنه تدبير واحدٍ حيث لم يختلف ذلك و لم يتفاوت. *والله أعلم*.[10]

---

[1] ن + ما ذكرنا التسفل.
[2] ع: ما ذكر.
[3] ع م: ما.
[4] انظر: سورة الرعد، الآية ٢.
[5] ك – في.
[6] ن: وجعلنا.
[7] ع: أي خلقنا.
[8] سورة الحجر، ٢١/١٥.
* ما بين النجمتين مأخوذ من *الشرح* ورقة ٤٢٥و، ومن نسخة مدينة ٤٧٩ظ. وفي عبارة جميع النسخ تقديم وتأخير مخل بالمعنى، وهي هكذا: «وأنبتنا فيها بمعنى في الأرض من كل ألوان النبات موزون أي معلوم مقدر بعدد كقوله وما ننزله إلا بقدر معلوم ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير».
[10] وقع هنا مقطعان من تفسير الآيات السابقة برقم ١٤-١٥، وبرقم ١٦-١٨ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢١-٢٨، و ٢٨-٣٤.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **وجعلنا لكم فيها معايش،** أي في الأرض والجبال. وقوله عز وجل: **ومن لستم له برازقين،** قال الحسن: أي جعلنا لكم[١] في الأرض معايش: ما تعيشون به ولمن حولكم أيضًا، جَعل فيها معايش لا ترزقونه أنتم، إنما ذلك على الله هو يرزقهم وإياكم. وقال بعضهم: **ومن لستم له برازقين،** الوحوش والطيور.[٢] وأما الأنعام فإنها تَشْرَك[٣] البشرَ في المعايش. و[لكن] كان غير هذا أقرب وأوفق، وهو أن أهل مكة كانوا[٤] يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: نحن ربّيناه وغَذَّيْناه وأنفقنا عليه ورزقناه ثم فعل بنا كذا، فخرج هذا جوابًا لهم: **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين،** / أي محمدًا. [٣٩٤ظ]

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه،** يحتمل هذا -والله أعلم- **وإن من شيء** يُخزَن في الخلق **إلا عندنا خزائنه،**[٥] أي إلا عندنا تلك الخزائن، أي ما تخزنون من الأشياء فتلك عندنا وفي خزائننا.

**وما ننزله إلا بقدر معلوم،** على هذا [التأويل] **وما ننزله،** أي ما نعطيه **إلا بقدر معلوم،** أي وإن كان عندكم مخزونًا محبوسًا فإن ذلك كله في[٦] خزائنه، أعطى من شاء وحرَم من شاء.

ويحتمل قوله: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه،** الخزائن هي الأمكنة الخفية التي تُخزن فيها الأموال، والبواطن[٧] من الأرض؛ يقول -والله أعلم- وإن من شيء كان في بواطن الأرض وأمكنة خفية إلا عندنا تدبير ذلك وعلمه. يخبر أن تدبيره وعلمه في الخفيّة من الأمكنة كهو في الظاهر؛ لا يخرج شيء عن تدبيره وعلمه، بل كل ذلك في تدبيره وعلمه.

وقال الحسن: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه،** أي الماء الذي به جعل[٨] حياة كل شيء

---

[١] ك - لكم.
[٢] ع م: الوحش؛ جميع النسخ: والطير، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥و.
[٣] جميع النسخ: فإنه قد أشركهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥و.
[٤] ن ع م: كأنهم.
[٥] ع - يحتمل هذا والله أعلم وإن من شيء يخزن في الخلق إلا عندنا خزائنه.
[٦] ع م - في.
[٧] جميع النسخ: وبواطن.
[٨] ك: جعل به.

ولا يخرج شيء عن منافعه، فهو خزائن الأشياء كلها، وبه قوام كل شيء.[1] وقال:[2] ألا ترى أنه قال: **وما ننزله إلا بقدر معلوم**، وذكر الإنزال وهو الذي ينزل من السماء طاهرًا.

هذا الذي قاله محتمل، لكن تمامه أن يقال: إن الماء خِزانة، والخزانة هي الموضع الذي يخزن فيه. وفي الماء قوة ومعنى يكون فيه حياة الخلق ومنافعُهم فيما جُعل فيه لا في نفس الماء. ألا ترى أنه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه في غصونها في أعلاها. فثبت أن فيه قوة سِرِّية ومعنًى يكون المنافع بها لا بنفس الماء. ***والله أعلم بذلك.***

ثم ما ذكر من الخزائن والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم؛ لأنه إنما أنشأ هذه الأشياء وخلقها لهؤلاء، لا أنه أنشأها لنفسها. فإذا كان أنشأها لهم فلا يحتمل أن يتركهم سدى:[3] لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون[4] [عليها]. ولذلك قال في آخره: وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ.[5]

وقوله عز وجل: **إلا بقدر معلوم**، على التأويل الأول ما ذكرنا، أي ما نعطيه إلا بقدر معلوم وإنْ نخزّنه وحبسه. ويحتمل: **إلا بقدر معلوم**، أي بقدر[6] سابق معلوم ذلك.[7] إن[8] كان على هذا فإنه يدل على أن ما[9] يكون ويحدث إنما يكون لقدر سابق لا يكون غيرُ ما سبق تقديره. أو **بقدر معلوم**، محدود؛ أي ليس ينزل جُزافا ولكن معلوما محدودا. ***والله أعلم.***

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وأرسلنا الرياح لواقح**، قال بعضهم: **لواقح**، حوامل. [و]قال بعضهم: هذا لا يصح؛ لو كان على هذا لكان مَلاقِح ومُلقِحات.

قال أبو عَوْسَجة: **لواقح** تُلقح الشجر، أي تُنبت ورقها وهي مُلقِحة. وقال: يقال ناقة لاقح، أي حامل قد حملت؛ ونُوق لواقح. ويقال: وحرب لاقح، أي شديدة. وسحاب لاقح،

---

[1] *تفسير القرطبي*، ١٤/١٠.
[2] ن – وقال، صح هـ.
[3] ع م – سُدًى.
[4] ك ع م: ويعاتبون.
[5] سورة الحجر، ٢٥/١٥.
[6] ع م – معلوم أي بقدر.
[7] ع م + أي.
[8] ك: و إن؛ م: إذا.
[9] م – ما.

الذي فيه ماء أي مطر. وريح لاقح، أي مُلقِح تُلقِح[١] الشجر أي تُنبت ورقه وحمْلَه. ويقال: [ريح] يُلقِح.[٢] ويقال: أَلقَح الرجل، إذا لقحتْ إبِلُه، أي حملت، ورجل مُلْقَح.[٣] واللَقوح، الناقة التي معها ولد صغير، والجمع لِقاح، وجمع الجمع لقائِح. واللُقَّح اللواقح وهي الحوامل من الإبل.

قال القُتبي: قال أبو عبيدة: لواقح إنما هي مَلاقح، جمع مُلقِحة.[٤] يريد أنها[٥] تُلقِح الشجر وتلقح السحاب كأنها تنتجه.[٦] واللواقح المنتجة الثمارِ من الأشجار والسحاب وغيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**، هو ما ذكرنا على التأويل الأول[٧] في قوله:[٨] وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ.[٩] **وما أنتم له بخازنين**. وعلى تأويل الحسن هو ما ذكر من الماء والمطر، **وما أنتم له بخازنين**، أي حابسين لِما جرى به الذكر من المطر والماء الذي ذكر أنه أنزل من السماء. ويحتمل **وما أنتم له**، أي لله **بخازنين**، أي ليست خزائنه في أيديكم ولا بيد أحد، ولكن بيد الله عز وجل. وعلى تأويل الآخر: **وما أنتم له بخازنين**، بمدبرين ما خُزن في الأرض ودُفن.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**، أي الباقون. يفني الخلق كله فيبقى هو. ولذلك سُمِّي مَن خلف الميت وارثا، لأنه يموت ويبقى الوارث وهو باق. وكذلك يخرج قوله:[١٠] إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[١١] *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م: يقحح.
[٢] ك: تنقح.
[٣] ك م: تنقح.
[٤] ن: مسحقة.
[٥] م – أنها.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٦.
[٧] ك ع م – الأول.
[٨] ك + في قوله.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ك – قوله.
[١١] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون﴾ (سورة مريم ١٩/٤٠).

**﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٢٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**، قال بعضهم: **ولقد علمنا المستقدمين**، من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب، وقد علمنا المستأخرين من المكذبين منكم. وقال بعضهم: ولقد علمنا من كان منهم[1] ومات، وعلمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد. ولذلك قال: **وإن ربك هو يحشرهم**، من مضى ومن بقي ولم[2] يكن بعد إلى يوم القيمة. وقال الحسن: **ولقد علمنا المستقدمين منكم**، في الخير والمستأخرين في الشر. وقال بعضهم: في الصف الأول والآخر، لكنه بعيد.

وقوله عز وجل: **إنه حكيم عليم**، الحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها؛ والثاني هو الذي يجعل الأشياء[3] مواضعها.[4] فالأول قد يعرف الخلق وضعَ الأشياء مواضعها. وأما الثاني فلا يكون ذلك إلا بالله. وقوله: **عليم**، [أي] عليم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم، أو عليم بوضع الأشياء مواضعها.

**﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**، وقال في آية أخرى:
[٣٩٥و] خَلَقَكُم مِّن طِينٍ،[5] وقال:[6] مِّن طِينٍ لَّازِبٍ،[7] وقال / في آية أخرى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ،[8] وقال: خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ.[9] ذكر مرة الحمأ المسنون -وقيل: هو الطين الأسود المتغير- وذكر مرةً التراب، ومرة الطين اللازب -وهو الملتزق- ومرة من سلالة الطين. فيشبه أن يكون على الأحوال واختلاف الأوقات؛ كان في حال الأول ترابًا، وفي حال طينا لازبًا،

---

[1] ع: منكم.
[2] جميع النسخ: لم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥ظ.
[3] ك ع م: للأشياء.
[4] ع م: موضعها.
[5] ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (سورة الأنعام، ٢/٦).
[6] ن + في آية.
[7] ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (سورة الصافات، ١١/٣٧).
[8] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[9] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

وفي حال حمأً مسنونا، وهو الذي اسوَدّ وتغير لطول مكثه، وصلصالاً وفَخّارا.[١] فقبل أن يكون خلقا مركَّبًا الجوارحُ فيه والعظام كان عليه هذه الأحوال الثلاثة على ما أخبر من تغير أحوال أولاده حيث قال: خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ،[٢] ذكر فيه أحوالا ثلاثة قبل أن يخلق لحمًا وعَظما، في حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة. فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في آدم من تراب وطين وحمأ ونحوه أن كان على اختلاف الأحوال على ما ذكرنا، أو أن يكون على التشبيه والتمثيل. ووجه التمثيل بالطين الذي ذكر، وهو أن الطين الذي يكون كالصلصال والفَخّار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذي يكون منه البنيان والأواني والقدور وجميع أنواع المنافع. وأما الطين الذي يَخبُث فإنه لا يُتخذ منه شيء مما ذكرنا،[٣] ولا يتهيأ اتخاذ شيء من ذلك. فشبه خلق آدم بالطين الذي يجتمع فيه جميع أنواع المنافع. فعلى ذلك جُمع في آدم جميع أنواع المنافع والخير كالطين الطيب. ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكرُ نعمه، حيث أخبر أنه خلق آدم من تراب وطين وما ذُكر؛ وليس في التراب ولا في الطين من أثر البشرية شيء؛ وكذلك ليس في النطفة التي خُلق البشر منها [مِن] أثر البشرية[٤] شيء، ليعلم أنه قادر على إنشاء الأشياء من شيء ومن لا شيء. إذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي خلق منه أبا البشر، من أثر البشرية[٥] شيء؛[٦] ولا في النطفة التي خلق منها أولاده من أثر البشرية والإنسانية: من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح وغير ذلك شيء؛ ليُعلم قدرته وسلطانه على خلق الأشياء لا من شيء وليَعرفوا نعمه التي أنعمها عليهم، حيث أخبر أنه خلق آدم من طين لازب وصلصال وما ذكر. وذلك[٧] وصف الطين الطيب، لأن ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصفه[٨] ولا يصير إلى تلك الحال، وإن طال مكثه، لأنه لا يُنتفع به لا من اتخاذ البنيان والأواني والقدور ولا يُنبت الزروع أيضًا. فيحتمل على التمثيل الذي ذكرنا،

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).

[٢] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٣] ع م + ولا يتخذ.

[٤] ن + فيه.

[٥] جميع النسخ + فيه.

[٦] ك – شيء؛ ن – ليعلم أنه قادر على إنشاء الأشياء من شيء ومن لاشيء. إذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي تخلق منه أبا البشر من أثر البشرية شيء.

[٧] ن: ولذلك.

[٨] ك ن: وصف.

لا على التحقيق أو على التحقيق على الأحوال المختلفة. فدل أنه إنما خلقه من طين طاب أصله، فعلى ذلك يحتمل النطفة التي يخلق منها البشر تكون طاهرة وهي لا تصيب شيئًا وهي على غير الوصف الذي[1] يخرج، لأنه قال: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[2] وقال: مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.[3]

والصلصال، قال بعضهم: هو التراب اليابس. والحمأ الطين الأسود. والمسنون المُنتِن المتغير.[4] وقال بعضهم: الصلصال هو الذي إذا ضربته تَصَوَّت، ومنه يقال: صلصلة اللجام والفرس، إذا كان يصلصل. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقال القُتبي: الصلصال الطين اليابس الذي لا يصيبه النار فإذا نقرته صوّت، فإذا مَسَّتْه النار فهو فَخّار. والمسنون، المتغير الرائحةِ، والمسنون أيضًا المصبوب. وسَنَنت الشيءَ، إذا صببته صبا سهلا. وسُنّ الماءُ على وجهك، وهو قول القُتبي.[5]

وقال أبو عَوْسَجة: **من حمأ مسنون**، الحمأ التراب الأسود يكون في أسفل البئر، ومن هذا سمي الحمأَ،[6] لأنه يحمي [من] أن يرعي، ويقال: حَمِيت الحربُ والشمس، والتنور يحمَي إذا أشتد حرُّه. **ومسنون**، أي مخلوق. وقال الحسن: المسنون، الذي سُنّ عليه خِلقة الخَلق، يعني [سن] أولاده على خِلقته،[7] أي على خلقته خلق الخلق، وأمثال هذا. ***والله أعلم بذلك.***

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **والجان خلقناه من قبل من نار السموم**، قال بعضهم: **الجان** هو إبليس. وقال[8] بعضهم: **الجان** هو أبو الجن، وإبليس هو أبو الشياطين. سُمُّوا شياطينَ لتمردهم في فعلهم، وذلك[9] مقتدر من فعلهم. ألا ترى أنه ذكر من الإنس والجن شياطين، وهو قوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[10] وذلك لتمردهم. والجان مقتدر من[11] الجن. ***والله أعلم بذلك.***

---

[1] ع م – الذي.
[2] ﴿فلينظر الإنسان مم خُلق. خلق من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).
[3] ﴿ ثم جَعَل نسله من سلالة من ماء مَهين﴾ (سورة السجدة، ٣٢/٨).
[4] ك: المتغير المتن.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٧-٢٣٨.
[6] ك: الحمى.
[7] ك م: خلقة. «فهو سنة للخلق من بعده من ذريته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٦و).
[8] ع م: قال.
[9] ك – ذلك؛ ن ع م: ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[10] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).
[11] جميع النسخ: عن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

والسَّموم، قال بعضهم: السموم[١] لهب النار[٢] وليس له دخان، وهو المارج من نار. والمارج هو المنقطع منها. وقال بعضهم: هو[٣] من جنس النار، كأنه أراد لهبها. وقال [بعضهم]:[٤] **نارِ السموم،** الحارة التي تقتل. فإن كان السموم -والمارج ما ذكر بعضهم أنه لهب النار- فمِن طبعه الارتفاع والعلوّ. فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع والعلو، وهو الجان الذي ذكر. والطين طبعه التسفل[٥] والانحدار إلى الأرض. فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهُوِيّ إلى الأرض والميل إليها.

**والجانّ،** قال[٦] أبو عَوْسَجة: الجن واحد الجان، والجمع جان؛ سمي بذلك[٧] لاستجنانه. وقال غيره: الجن الجماعة والجان الواحد.

[٣٩٥ظ س١٦ * وقال الحسن:[٨] في قوله: **من صلصال من حمأ مسنون،** قال: الصلصال هو الطين الحار[٩] الذي يتصلصل من صلابته ويبوسته. والحمأ الطين. والمسنون، قال: مسنون خِلْقتُه فهو سنّة للخلق بعده من ذريته أن يُخلقوا على خلقته. وقال في قوله:[١٠] وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ،[١١] يقول: استلّها من بين ظَهْراني الطين، لا من كل طين خلقه. وكذلك قال في تناسل ذريته، وهو قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ،[١٢] ليس من كل ما خلقه، ولكن استلها من بين ظهراني الماء. وقال: الجان إبليس هو أبو الجن. **خلقناه من قبل،** أي من قبل آدم، **من نار السموم.** يقول: السموم،[١٣] هو اسم من أسماء جهنم، ولها أسماء كثيرة. أخبر أنه خلقه من نار السموم، أي جهنم. ***والله أعلم.*** * ٣٩٥ظ س٢٢]

---

[١] ك ع م – هو.
[٢] ك م + كأنه.
[٣] ن + هو.
[٤] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[٥] م: السفل.
[٦] ع: وقال.
[٧] جميع النسخ: ذلك
[٨] ع – وقال الحسن.
[٩] جميع النسخ: الحر.
[١٠] جميع النسخ: وكقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[١١] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[١٢] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[١٣] ن – يقول السموم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٥ظ/سطر ١٦-٢٢.

**﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٢٨] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته**، أي أتممته **ونفخت فيه** / **من روحي**، وقال في آية أخرى: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا؛[١] لم يشتبه هذا على الناس ولم يفهموا من قوله: **ونفخت فيه من روحي**، ونَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا،[٢] ما فهموا من نفخ الخلق. فما بالهم فهموا من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٣] واسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[٤] ونحوه استواءَ الخلق، بل فَهْم نفخه[٥] من فهم نفخ الخلق أقرب[٦] من استوائه،[٧] لأنه أمكن صرف الاستواء إلى وجوه ولا يمكن صرف النفخ[٨] [إلا إلى وجه واحد]. لكنه اشتبه عليهم لأنهم اقتدروا[٩] فعل الله بفعل الخلق، ولا يجب أن يقتدروا بالخلق على ما لم يقتدروا في قوله: حدود الله،[١٠] وحكم الله،[١١] وعباد الله،[١٢] وخلق الله،[١٣] وأمثاله. وقد أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١٤] أو [هو] تلقين من الشيطان. [٣٩٥ظ]

وقوله: **من روحي**، ورُوحِنَا،[١٥] أي الروح الذي به حياة الخلق، أي [من] خلقي[١٦] الذي يكون به حياة الخلق على ما ذكرنا.[١٧]

---

[١] ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).

[٢] ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٩١/٢١).

[٣] ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (سورة الأعراف، ٥٤/٧).

[٤] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).

[٥] ن: نفخته.

[٦] جميع النسخ: أكثر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

[٧] أي فهم نفخ الله تعالى على نحو نفخ المخلوق أقرب وأسهل من فهم استوائه تعالى على نحو استواء المخلوق.

[٨] جميع النسخ + فيه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

[٩] قدر الشيء بالشيء: قاسه. واقتدر أيضا بمعنى قدر (*لسان العرب*، «قدر»).

[١٠] ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).

[١١] ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ (سورة الممتحنة، ١٠/٦٠).

[١٢] ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ (سورة الإنسان، ٦/٧٦).

[١٣] ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).

[١٤] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[١٥] سورة الأنبياء، ٩٢/٢١.

[١٦] ع م: خلق.

[١٧] «لكن أضافه إلى نفسه لأنه خلقه كسائر الخلائق فأضافه إلى نفسه من باب الكرامة، كقوله: ﴿ناقة الله﴾ [سورة الأعراف، ٧٣/٧] وقوله: ﴿أن طهرا بيتي﴾ [سورة البقرة، ١٢٥/٢] ونحو ذلك» ما (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٦و).

وقوله عز وجل: **فَقَعُوا له ساجدين**، يحتمل أن يكون [صلة] قوله: **[إني] خالق بشرًا**، مما ذكر أخبر [هم][١] أنه سيفعل وأمرهم[٢] بالسجود؛ فيكون الأمر بالسجود بعد[٣] خلقه إياه. فهذا يدل أنه قد يجوز تقدم الأمر على[٤] وقت الفعل. **والله أعلم**.

**﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٣٠] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**، ظاهر الأمر بالسجود، والاستثناء الذي ذكر يدل أن إبليس من الملائكة، لأن فيهم كان الأمر بالسجود ومنهم وقع الثُّنيا. وقد ذكرنا اختلافهم وأقاويلهم فيما تقدم مقدار ما حفظناه.[٥] والأصل بأن كل ما خرج مخرج الاستثناء يجب[٦] أن يُسقط[٧] اسم ما أجمل، نحو قول الرجل لآخر:[٨] "لك عليّ عشرة إلا درهما"[٩] يُسقط الاستثناءُ اسم[١٠] ما أجمل من الاسم حتى صار[١١] تسعة. وكذلك إذا قال: "ألفٌ إلا خمسين." وإذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد أن يكون الكل فيه مضمرًا، نحو قول الرجل: "رأيت[١٢] علماء بلدة كذا إلا فلانًا"، يجب أن يضمر فيه حرف الكل حتى يقع على كل، نحو أن يقول: "رأيت كل علماء بلدة كذا إلا فلانًا"، فعلى ذلك تخصيص العموم.

**﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣٢] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**، وقال في موضع آخر: إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ.[١٣]

---

١ جميع النسخ: خبر. والتصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
٢ جميع النسخ: وأمر لهم.
٣ جميع النسخ: بعد ما.
٤ جميع النسخ: عن.
٥ جميع النسخ: +قال. انظر: سورة البقرة، ٣٤/٢، وسورة الأعراف، ١١/٧.
٦ جميع النسخ: يحب.
٧ ن ع م: أن تسقط.
٨ ن – لآخر.
٩ جميع النسخ: درهم.
١٠ ن ع م – إسم.
١١ ك – صار.
١٢ ن: ما رأيت.
١٣ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٣٤/٢).

وقال له: يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[1] وقال في موضع آخر: مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ،[2] وقال في موضع آخر: مَا مَنَعَكَ أَنْ[3] تَسْجُدَ،[4] وقال في موضع آخر: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،[5] ذكر مثل هذا على اختلاف الألفاظ. ومعلوم أن هذه المخاطبات معه لم تكن[6] مرارًا ولكن بمرة واحدة.

وقال أبو بكر الأصم: ذكر الله قصة إبليس وقصة الأنبياء جميعًا في مواضع على اختلاف الألفاظ، لأنها كذلك كانت في كتبهم، فذكرها على ما في كتبهم، ليعلموا أن نبي الله إنما عرف ذلك بالله ليدلهم على صدقه. وفيه دلالة أن اختلاف الألفاظ وتغيرها[7] لا يوجب اختلاف الحكم بعد أن لا يُغيِّر المعنى. فهذا يدل أن الخبر إذا أدي معناه على اختلاف لفظه فإنه يجوز. وكذلك إذا قَرأه[8] بغير اللسان الذي أنزل فإنه يجوز إذا أتي بمعناه. *والله أعلم*.

## ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **قال فاخرج منها فإنك رجيم**، قوله: **فاخرج منها**، قال بعضهم: اخرج من السماء إلى الأرض؛ وقال بعضهم: اخرج من الأرض إلى جزائر البحر وقال بعضهم: اخرج من الجنة وأمثاله؛ أو اخرج من صورة الملائكة إلى صورة الأبَالِسة. وجائز أن يقال: اخرج من كذا، أي تحول من مكان كذا إلى مكان كذا، على غير حقيقة الخروج. ولسنا ندري كيف كان ذلك.[9]

وقوله **رجيم**، قيل: الرجيم: الملعون، وقيل: الرجيم ما يرجم بالكواكب.

## ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**، اللعنة هي الطرد في اللغة، والخذلان. طرد عن رحمة الله إلى يوم الدين حتى لا يهتدي إلى دين الله وهداه. ثم يومَ الدين له العذاب الدائم واللعنة القائمة.

---

[1] سورة الحجر، ٣٢/١٥.
[2] ع م – وقال في موضع آخر ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك. سورة الأعراف، ١٢/٧.
[3] ن: ألا.
[4] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[5] ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة الأعراف ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨).
[6] جميع النسخ + معه.
[7] جميع النسخ: وتغييرها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[8] ك م: إذا قرأ؛ ع: إذا قرء.
[9] ن ع م: كذلك.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **قال رب فانظرني إلي يوم يبعثون،**[١] لعن اللعين وطرد عن رحمة الله إلى يوم الدين، أي لا تدركه[٢] الهداية، لأن الهداية في الدنيا إنما تدركه[٣] برحمته، والرحمة في الآخرة هي العفو عما لزمه ووجب عليه.

**مسألة تكلموا فيها.** ما الحكمة في خلق الله تعالى إبليس مع علمه ما يكون من إفساد[٤] خلقه والدعاء إلى المعاصي، وإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم وقد علم أنه إنما ينظره ليفسد عباده، فمع ما علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه؟

قال بعضهم: خلق إبليس وأهل المعاصي مع علمه ذلك ليُعلم أنه لم يخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة نفسه وأن معاصيه / لا تضره ولا تدخل نقصانًا في ملكه؛ فخلقه مع علمه بما يكون [٣٩٦و] منه ليعلم أنه لم يخلق الخلق لمنافع[٥] نفسه ولا لحاجته ولكن لمنافع أنفسهم ولحاجاتهم. وقال بعضهم: خلق الأعداء والأولياء نظرا للأولياء، ليعلم أولياؤه الاختصاص الذي اختصهم به، ولو كانوا جميعًا أولياءه لم يعرفوا[٦] فضيلة الله واختصاصه إياهم. وهكذا النعم وإحسان الله لا تعرف[٧] بنفس النعم ونفس الإحسان، وإنما تعرف[٨] بالبلايا والشدائد التي تحل. فعلى ذلك الأولياء، لو لم يكن الأعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضائله التي أكرمهم بها.[٩]

وأصله أن الله عز وجل جائز أن ينشئ أشياء فيها حكمة وسرّية لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر، على ما جعل النعم الظاهرة فيها حكمة ومعنى[١٠] لا يبلغها[١١] علم الخلق ولا حكمة البشر. وكذلك البلايا والشدائد، فيها حكمة لا يبلغها علم الخلق.

---

[١] جميع النسخ + قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهي الآية التالية.

[٢] ن ع: لا يدركه.

[٣] ن ع م: يدركه.

[٤] ك ن ع: منه من إفساد.

[٥] م – لمنافع.

[٦] ك: لم يعلموا.

[٧] ن ع م: لا يعرف.

[٨] جميع النسخ: وإنما يعرف.

[٩] في نسخة ك وَ ن بياض قدر ربع سطر. جميع النسخ + وقال بعضهم خلق الأعداء نظرا للأولياء على ما ذكرنا، لكن من وجه آخر. لعل هذه العبارة زائدة، ولا توجد في الشرح. انظر: ورقة ٤٢٦ظ، ونسخة مدينة ٤١٨ظ.

[١٠] جميع النسخ: معنى.

[١١] جميع النسخ: لا يبلغه.

فعلى ذلك جائز أنه خلق إبليس والعصاة والغواة لحكمة[1] [له] في ذلك[2] لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا من النعمة الظاهرة والشدائد الظاهرة. والأصل[3] أن الله تعالى خلق الخلق على علم منه أنهم يعصون ويعادون، لكن كان لهم من الاختيار والإيثار ما به نجاتهم وهلاكهم إذا اختاروا ذلك. فإذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا، وإذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا. فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتُهم باختيارهم.[4] وأصله ما ذكرنا في غير موضع أنه أنشأهم في هذه الدنيا ليمتحنهم فيها، فخلق[5] ما ذكر من إبليس وغيره من الأعداء ليتم لهم المحنة، وفي ترك خلق ذلك ذهاب المحنة، وهي دار الامتحان.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[٣٧] ﴿إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**، قال بعض أهل التأويل: إلى النفخة الأولى، وقيل: إلى النفخة الثانية ونحوه، لكنا لا نعلم ذلك. وكأنه تعالى أنظره إلى الوقت المعلوم ولم يبين له ذلك الوقت ولم يُطلعه عليه، حيث قال: وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، الآية،[6] أخبر أنه يرى ما لا يرون هم وأنه يخاف الله. ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت. فهذا يدل على[7] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض**، قال الحسن: قوله: **بما أغويتني**، أي لعنتني. وهذا منه احتيال وفرار عن مذهب الاعتزال. وما يلزمهم في قوله: **أغويتني**، يلزم في قوله: لعنتني، لأن اللعن هو الطرد فإذا طرده عن رحمته فقد خذله في الطرد. والإغواء والاضلال سواء فيلزم في اللعن ما يلزمهم في الإغواء. وقال أبو بكر الأصم: الإغواء واللعن من الله شَتم. لكن هذا بعيد، [إذ] لا يجوز أن يضاف إلى الله الشتم [وأن يقال]: إنه يشتم؛[8]

[1] جميع النسخ + جعل.
[2] جميع النسخ + حكمة.
[3] جميع النسخ: وأصله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[4] ع – ونجاتُهم باختيارهم.
[5] جميع النسخ: وفي خلق، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[6] ﴿وإذ زَيَّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/ ٤٨).
[7] ك ن – علي.
[8] م: شتم.

لأن الشاتم والساب لآخر في الشاهد[1] مذموم عند الخلق. فلا يجوز أن يضاف إلى الله ما به يُذم. وأصله أن قوله: **رب بما أغويتني**، يحتمل أنه خلق فعل الغواية منه. أو أغواه لما علم أنه يختار الغواية والضلال.

وقوله: **رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**. كأنه يقول: رب بما أغويتني لأزيدنّ لهم في الغواية بما يغويهم.[2] وقد ذكرنا هذا وأمثاله فيما تقدم.[3]

فإن قيل: قوله: **أغويتني**، قول إبليس وهو كاذب بالإضافة إليه.

قيل: لو كان فيما أضاف إليه الإغواء كاذبًا لكذّبه فيه وورد عليه قوله، كما كذبه في قوله وردّ عليه: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن كذا وَخَلَقْتَهُ مِن كذا،[4] حيث قال:[5] قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا،[6] فلما لم يردّ عليه ولم يكذبه فيما أضاف إليه حرف الإغواء، دل أن إضافة الإغواء إليه[7] والإضلال حقيقة. أو أن يكون قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، إنما ذلك منه ذكرُ فضلِه وإحسانه، حيث أخبر أنه خلقه مما هو أفضل وأعظم مما خلق آدم فيخرج ذلك منه[8] مخرج الشكر. وأما قوله: [**بما**] **أغويتني**، ليس على ذلك، فلا يحتمل أن لا يكذبه ولا يرد عليه قوله إذا كان كاذبًا فيه، لأنه فِعلُ شرٍ أضافه إليه إذا لم يكن منه الإغواء، لذلك اختلفا. أو لو كان قول إبليس -لعنه الله- كذبًا فما تصنعون بقول نوح عليه السلام حيث قال:[9] إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ،[10] وقال موسى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.[11]

---

[1] جميع النسخ: بما يشتمه.
[2] جميع النسخ: بما أغويهم.
[3] انظر: سورة الأعراف، ٧/١٦.
[4] ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة، ص ٣٨/٧٦).
[5] ع م – قال.
[6] ﴿قال فهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٣).
[7] ن ع م: لإضافة إليه الإغواء.
[8] ع م – منه.
[9] ن – حيث قال.
[10] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (سورة يونس، ١٠/٣٤).
[11] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (سورة الصف، ٦١/٥).

ثم قوله: **رب بما أغويتني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينهم أجمعين،**[1] يحتمل أن يكون منه عزم على ما ذكر دون أن تَفَوَّه بذلك، فأخبر عز وجل عنه ما كان عَزَمَ من الإغواء وغيره بالقول، وذلك جائز [أن] يخبر عن العزم والقصد، كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،[2] لا يحتمل أن يكون هذا القول الذي أخبر عنهم قولا منهم، لأنه لا أحد من المتصدقين يقول بمثل ذلك عند التصدق، لكنه إخبار عما قصدوا وعزموا[3] بالتصدق. فعلى ذلك يشبه أن يكون هذا من الله إخبارًا عما عزم إبليس وقصد على غير التفوه به. و"القول"[4] وهو كما[5] ذكر: وَأَعْلَمُ[6] مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ،[7] أخبر أنهم[8] كتموا فيه وأضمروا. ويحتمل أن يكون على التفوّه بما ذكر؛ قال ذلك لما قال عز وجل: وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[9] لما شهد الله عليه باللعن إلى يوم الدين أيِس[10] -لعنه الله- عن الهدى، فقال: **رب بما أغويتني**، أي لعنتني وشهدت عليّ بذلك، **لأزينن هم في الأرض ولأغوينهم أجمعين.**

## ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٠]

[٣٩٦ظ] / **إلا عبادك منهم المخلصين**، المخلِص، بخفض اللام، هو الذي أخلص له الاعتقاد والعمل والوفاء، والمخلَص، بنصب اللام، هو الذي أخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك. والمخلَص لا يقال إلا بعد أن يكون لله فيهم[11] صنع ولهم اختصاص وفضائل اختصهم بذلك برحمة الله وفضله. والمعتزلة يقولون: لا يستوجب أحد الاختصاص والفضيلة إلا بفعل يكون منه، لا يستوجب بالله.

---

[1] جميع النسخ + إلا عبادك منهم المخلصين.
[2] سورة الإنسان، ٩/٧٦.
[3] ك: عزموا و قصدوا.
[4] أي مادة القول في صدر الآية، وهي: ﴿قال رب بما أغويتني﴾.
[5] جميع النسخ: ما.
[6] جميع النسخ: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون.
[7] ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال أ لم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٣٣/٢).
[8] أي الملائكة.
[9] سورة الحجر، ٣٥/١٥.
[10] ن: آيس.
[11] م: فهم.

ويقولون:[١] [إن] الله لا يغوى أحدًا إلا إبليس ولا أحدًا[٢] من أتباعه. فإبليس أعرف بالله من المعتزلة حيث رأوا أن الله لا يغوى أحدًا ولا يختص أحدًا إلا بصنع يكون منه.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **هذا صراط علي مستقيم**، قال بعضهم: قوله: **عَلَيَّ**، بمعنى إليّ، أي إليّ صراط مستقيم، يقول: هو بيدي ليس بيد أحد. وقال بعضهم: [**هذا صراط على مستقيم**، [أي]][٣] الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يُعْوَج عليه شيء.[٤] ويحتمل قوله. **عَلَيَّ مستقيم**، أي **عَلَيَّ** بيانه وهو مستقيم، كقوله: وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[٥] أي بيان قصد السبيل. وقال بعضهم: لما قال إبليس: لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ،[٦] قال الله تعالى: **هذا صراط على مستقيم**. يقول: عَلَيَّ[٧] مَمَرّ من أغويته و[مَن] تابَعَك، كقولك[٨] لآخر إذا أوعدته: إن طريقك عَلَيَّ. *والله أعلم*.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ[٤٢]

وقوله عز وجل: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، يحتمل قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، أي ليس لك عليهم حجة، **إلا من اتبعك من الغاوين**، فإنهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان. ويحتمل قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، تقهرهم وتضطرهم على ذلك، **إلا من اتبعك من الغاوين**، فإنهم يتبعونك على غير قهر واضطرار، أي من كان في عم الله أن يتبعك ويختار الغواية، وإن لم يكن إغواؤك[٩] إياه، فإن لك عليه سلطانا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٣]

وقوله: **وإن جهنم لموعدهم أجمعين**، أي لموعد إبليس وأتباعه.

---

[١] ن ع م: يقولون.
[٢] ع م: ولا واحدًا.
[٣] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٧و.
[٤] جميع النسخ: على شيء، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧و.
[٥] ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ (سورة النحل، ٩/١٦).
[٦] سورة الحجر، ٣٩/١٥.
[٧] م- على.
[٨] ع م: كقوله.
[٩] جميع النسخ. إغواك.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **لها سبعة أبواب**، يحتمل الأبوابَ المعروفة، ويحتمل الأبوابُ الموارد والجهات التي تكون لها. ألا ترى أنه قال: **لكل باب منهم جزء مقسوم**، فهذا يدل أن المراد بالأبواب الموارد[١] والدركات لا نفس الأبواب، إذ **جزء مقسوم** إنما يكون للدركات، لا يكون للأبواب نفسها.

قال الحسن والأصم: **لها سبعة أبواب**، يعنون بالأبواب الطبقات والدركات. **لكل باب منهم جزء مقسوم**، لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين أشركوا باب وللمنافقين[٢] باب ولأهل الكبائر باب. وذكرا[٣] أيضًا بابًا لفريق أدخلا[٤] أهل الكبائر فيه[٥] والصابئين والدهرية.

وعندنا أن ظاهر الآية في الكافرين، لأنه قال: لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الۡغَاوِينَ،[٦] والغاوون هم الكافرون، وكذلك قوله: وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ.[٧] فإذا كان كذلك فالأبواب السبعة[١٢] التي ذكر كلها لأهل الكفر لا يدخل أهل الكبائر فيها.[٨] ويحتمل باب لمتجاهلة وهم الذين ينكرون العالم: الشاهد والغائب لا يقرون بشيء، وباب لدهرية وهم الذين[٩] ينكرون الصانع، وباب لثنوية وهم الذين يقولون بالاثنين، وباب لذين أشركوا وهم يقولون بالواحد؛ لكنهم يشركون فيه غيره [و]يعبدون الأصنام والأوثان، وباب ليهود، وباب للنصارى، وباب للمنافقين. فذلك سبعة أبواب وليس لأهل الكبائر باب مسمى معلوم إنما ذلك كله لأهل الكفر.

﴿إِنَّ الۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في جنات وعيون**، إن دخل[١٠] أهل الكبائر في قوله: لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَابٍ،[١١] فيكون قوله: **إن المتقين**، [هم] الذين اتقوا الكبائر، وإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله: لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَابٍ، فيكون قوله: **إن المتقين**، [هم] الذين اتقوا الشرك.

---

[١] م: الوارد.
[٢] م: وللمنافق.
[٣] ن ع م: وذكر، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧و.
[٤] جميع النسخ: أدخلوا، والتصحيح من *الشرح*.
[٥] جميع النسخ: فيها، والتصحيح من *الشرح*.
[٦] سورة الحجر، ٤٢/١٥.
[٧] سورة الحجر، ٣٩/١٥.
[٨] جميع النسخ: فيه.
[٩] ن - الذين.
[١٠] جميع النسخ: إن كان؛ والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧و.
[١١] الآية السابقة. [١٢] جميع النسخ: فالسبعة لأبواب.

وقوله عز وجل: **في جنات**، أي في بساتين.[١] والبساتين هي التي التفت بالأشجار والنخيل والعيون، قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون غير[٢] جارية. فأخبر في آية أخرى أن عيون الآخرة تكون جارية بقوله: فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ.[٣] **وعيونٍ**. قال بعضهم: ذكر العيون ليعلم أن مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والأنهار العظام على ما تكون[٤] في الدنيا ولكن تنبع فيها. وقال بعضهم: ذكر العيون لأنه ينبع في بستان كل أحد عين[٥] على حدة، لا يأتي بستانه من ملك آخر ومن بستان آخر على ما يكون في الدنيا، ولكن تنبع في جنة كل أحد عين على حِدَة، على ما أراد الله. ليس إنها تتصل بالأرض كما ذكر في قصة بني إسرائل: فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا؛[٦] إن شاء الله[٧] في ذلك الحجر ماء يخرج لهم على غير اتصاله بالأرض، ولكن بلطفه ينشئ فيه ماء، فعلى ذلك في الجنان التي وعد.

ويشبه أن يكون ذِكْر هذا لما يختلف رغائب الناس في الدنيا، منهم من يرغب في العين[٨] ويتلذذ بالنظر إليها، ومنهم من يرغب في النهر الجاري. فذكر مرة العيون ومرة الأنهار، كقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.[٩] على ما ذكر مرة الخيام والقِباب [ومرة] الغُرَف وأنواع الفُرُش والبُسُط والكِيزان والأكواب والجواري والغلمان وغيرَ ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا؛ منهم من يرغب في نوع [و]لا يرغب في نوع[١٠] آخر فذكر فيها كل ما[١١] يرغبون في الدنيا ليبعثهم ذلك على العمل الذي به[١٢] يوصل إلى ذلك. ***والله أعلم***.

## ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **ادخلوها بسلام آمنين**، قال بعضهم: قوله: **ادخلوها بسلام**، أي اجعلوا دخولكم فيها بسلام، على ما أمرهم في الدنيا أن يجعلوا الدخول في المنازل بالسلام،[١٣]

---

[١] ع م: أي بساتين.
[٢] ع: - غير.
[٣] سورة الرحمن، ٥٥/٥٠.
[٤] ك ن ع: يكون.
[٥] ك ن ع+عين.
[٦] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٠).
[٧] ع م: ان الله.
[٨] ن ع م: في الدين.
[٩] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٢٥.
[١٠] ع م - لا يرغب في نوع.
[١١] ن ع م - ما.
[١٢] م - به.
[١٣] ع م - بالسلام.

كقوله: فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً،[1] الآية، وعلى ما أخبر أن الملائكة يسلمون
[٣٩٧و] عليهم كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ / طِبْتُمْ،[2] وكقوله: وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا.[3] وقال بعضهم قوله: **أدخلوها بسلام آمنين**، أي أدخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه، **آمنين**، لا ينغّصكم[4] خوف ولأحزن على ما أخبر: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.[5]

**﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، قال بعضهم: هو صلة قوله: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ،[6] أي نزعنا ما في صدورهم من الغل[7] الذي كان في الدنيا بالكفر، فصاروا إخوانًا بالإسلام الذي هداهم الله إليه فكانوا إخوانًا. ثم قيل لهم: أدخلوا الجنة بلا غل، وهو ما قال: فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا،[8] قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا إخوانا فدخلوا الجنة. وقال بعضهم: قوله: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، في الآخرة إذا دخلوا الجنة وتقابلوا واتّكئوا على سرر، فعند ذلك ينزع الغل من قلوبهم والمظالم التي كانت بينهم. فإن كان هذا فهو بين أهل الإسلام. وعلى ذلك يحتمل أن يكون كل[9] من جفا آخر في الدنيا أن يُنسي الله ذلك منهم في الجنة، لأن ذكر الجفاء ينغّص النعم التي فيها. وكذلك ما يكون بين الرجل وولده من الجفاء والعقوق يجوز أن ينسي [الله] ذلك عليهم. وعلى ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين[10] قال الله [فيهم]: **ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين.**[11]

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

[2] ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٧٣/٣٩).

[3] سورة الحجر، ٥٢/١٥.

[4] جميع لنسخ: ينغصهم.

[5] ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة يونس، ٦٢/١٠)؛ ك ع م + وقال بعضهم.

[6] سورة الحجر، ٤٥/١٥.

[7] جميع النسخ: غل، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧ظ.

[8] ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (سورة آل عمران، ١٠٣/٣).

[9] ع م – كل.

[10] ع م – من الذين.

[11] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٧/١٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٠٨/٧.

وقوله: **متقابلين،**[1] قال بعضهم: يجعل الله منازلهم بعضها مقابل بعض فينظر بعضهم إلى بعض[2] ويزور بعضهم بعضا.وقال بعضهم: يأمر الله السرر التي هم عليها جُلوس ليكون بعضها مقابل بعض إذا اشتهى بعضهم زيارة بعض، ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين. يخبر عن اجتماعهم في الآخرة في الشراب وأنواع المطاعم على ما يستحسن في الدنيا الإخوان بينهم الاجتماعَ على الشراب والطعام والتلذذ والنظرَ بعضهم إلى بعض، فعلى ذلك أخبر أن هم في الآخرة كذلك اجتماع في الشراب والنظر[3] وأنواع التلذذ. ***والله أعلم.***

**﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **لا يمسهم فيها نصب**، أي عناء ومشقة، أخبر أنه لا عَناء يمسهم كما يكون في الدنيا، لأن في الدنيا[4] من أطال المُقام في موضع يَمَلّ عن ذلك ويسأم. وكذلك إذا[5] أكثر من نوع[6] الطعام أو الشراب أو الفاكهة يمل عن ذلك ويسأم ويؤذيه ولا يوافقه. فأخبر أن أهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها[7] وإن أكثروا.

وقوله عز وجل: **وما هم منها بمخرجين**، أخبر أنهم لا يُخرَجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها، كقوله: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[8] لأن خوف زوال النعم ينغّص على صاحبها تلك النعمة وطعمها، فأخبر أنهم فيها أبدًا وتلك النعمة لهم دائمة غير زائلة عنهم. ***والله أعلم.***

**﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤٩] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم**، قال بعضهم: **نبئ عبادي**، أي أخبرهم، **أني أنا الغفور الرحيم**، لمن استغفرني وتاب عما ارتكب من معاصيه. **وأن عذابي هو العذاب الأليم**،

---

[1] ع م – وقوله متقابلين.

[2] ع – فينظر بعضهم إلى بعض.

[3] م – وأنواع المطاعم على ما يستحسن في الدنيا الإخوان بينهم الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم إلى بعض فعلى ذلك أخبر أن هم في الآخرة كذلك اجتماع في الشراب والنظر.

[4] ع – لأن في الدنيا.

[5] ع م – إذ.

[6] ن ع م + من.

[7] م: طعامهم.

[8] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا. خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٠٧-١٠٨).

لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب إليّ.[1] ويحتمل غير هذا وهو أن يقول: نبئ **عبادي أني أنا الغفور الرحيم**، لئلا ييأسوا من[2] رحمتي ولا يقنطوا[3] مني؛ ولكن يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته. ونبئهم أيضًا أن عذابي هو العذاب الأليم لئلا يكونوا[4] آمنين أبدًا، فيكون فيه أمرٌ بأن يبشِّر وينذر.[5] كأنه قال: بشر أوليائي أني أنا الغفور الرحيم لأوليائي وأن عذابي شديد أليم لأعدائي. وفي قوله: **نبئ عبادي**،[6] بشارة ونذارة. أما البشارة فهو قوله: **أني أنا الغفور الرحيم**، وأما النذارة فهو قوله:[7] **وأن عذابي هو العذاب الأليم**.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ونبئهم عن ضيف إبراهيم**، أي نبئ قومك عن ضيف إبراهيم، أي نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة، لأن في ذلك إخبار ما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسلَ، وهو الإهلاك، ونجاة من صدّق الرسل، ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب والترغيب. فإن فيه[8] آيةً لرسالتك ونبوتك، لأنه يخبرهم على ما في كتبهم [التي] لم يشهدها هو، فيَدُلُّهم أنه إنما عرف ذلك بالله. أو **نبئهم** فإن [في] ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم، وفيه ذكر نعم الله، لأنهم جاءوا بالبشارة: بشارة الولد، وجاءوا بإهلاك قوم مجرمين، فذلك بالذي يزجرهم عن مثله. والبشارة ترغّبهم في مثل صنيع إبراهيم، فنبئهم فإن فيه ما ذكرنا. ودل قوله: **عن ضيفِ إبراهيم**، أن الضيف اسم كل نازل[9] على آخر طعم عنده أو لم يطعم، وكان نزوله للطعام أو لا.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [٥٢]

وقوله عز وجل: **إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا**، أي سلّموا على إبراهيم فرد إبراهيم السلام عليهم. وقال أبو بكر الأصم: السلام[10] جعله الله أمانًا بين الخلق وعطفا فيما بنيهم

---

[1] جميع النسخ: إليه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧ظ.
[2] ن ع م: عن.
[3] ك: يقنطون.
[4] ع م: يكون.
[5] جميع النسخ: وأن ينذر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧ظ.
[6] جميع النسخ + فيه.
[7] ك ن ع: ونذارة قوله.
[8] جميع النسخ: فيهم.
[9] ع م: نازلة.
[10] ك – السلام.

وسببًا لإخراج الضغائن من قلوبهم. وقال بعضهم: جعل الله السلام تحية على كل داخل على آخر وهو ما ذكرناه.[١] وقال[٢] بعضهم: السلام هو اسم كل خير وبرّ وبركة، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[٣] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال إنا منكم وَجِلون**، أي خائفون. قال بعض أهل التأويل: إنما خاف لأنه ظن أنهم لصوص وأهل ريبة. لكن هذا لا يحتمل أن يخاف منهم ويظن أنهم لصوص وأهل ريبة وقد سلّموا عليه وقت ما دخلوا عليه، واللصوص وأهل الريبة[٤] إذا دخلوا بيتا آخر لا يسلمون عليه. لكنه إنما خافهم إذ[٥] رأي أيديهم لا تصل إليه، كما قال: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً،[٦] عند ذلك / خافهم. فلما رأي ذلك ظن إبراهيم [٣٩٧ظ] أنهم ملائكة إنما جاءوا لأمر عظيم حيث لم يتناولوا مما قرّب إليهم، وبين إبراهيم[٧] وبين المكان الذي يُرتّحل منه مكان يقع لهم الحاجة إلى الطعام.[٨]

**﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **لا توجل**، أي لا تخف، **إنا نبشرك بغلام عليم**، وقال في آية أخرى: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ[٩] -والحلم هو الذي ينفي عن صاحبه كل أخلاق دنيئة، والعلم هو الذي يدعو[١٠] صاحبه إلى كل خلق رفيع- ليعلم أنه اجتمع فيه جميع[١١] الخصال الرفيعة ونفى عنه كل خلق دنيء.

---

[١] ك ن: ذكرنا.
[٢] ع م: قال.
[٣] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[٤] ع م: ريبة؛ ن – لكن هذا لا يحتمل أن يخاف منهم ويظن أنهم لصوص وأهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه و للصوص وأهل الريبة.
[٥] ن ع م: إذا.
[٦] سورة هود، ٧٠/١١.
[٧] ك: وبين أيديهم.
[٨] يقول الإمام رحمه الله في تأويل الآية من سورة هود (٧٠/١١): «أي أضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرّب إليهم، فحينئذ علم أنهم ليسوا من البشر، لأن منزل إبراهيم كان يتأي من البلد ولم ينزله أحد من البشر إلا وقد احتاج إلى الطعام. فلما لم يتناولوا علم أنهم ليسوا من البشر، فما جاءوا إلا لأمر عظيم، لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك».
[٩] سورة الصفات، ١٠١/٣٧.
[١٠] م: يدعوا.
[١١] ك – جميع.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤]

وقوله عز وجل: **قال أبشرتموني على أن مسني الكبر**، أي **أبشرتموني** أن يولَد لي وأنا على الحال التي أنا عليها أو يُرَدّ إليّ شبابي وشبابُ امرأتي، **فبم تبشرون**، على الحال التي أنا عليها وامرأتي، أو يُردّ الشباب إلينا، وإلا لا يحتمل أن يخفى عليه قدرة الله [على] هبة الولد في حال الكبر. لكنه لم ير الوالد[1] يولِد في تلك الحال. فاستخبرهم أيولد[2] [له] في تلك الحال أو يُرَدّ إلى حالة أخرى حالة[3] الشباب. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **قالوا بشرناك بالحق**، أي بما هو كائن لا محالة، أي وعدٌ كائن لا محالة. والواجب على كل من أُنعم عليه بنعمة أن يشتغل بالشكر لمنعِم لا يستكشف عن الوجوه التي أُنعم [بها] والأحوال التي يكون عليها. ثم في البشارة بالولد[4] بشارتان. أحدهما بشارة بالغلام، والثاني بالبقاء والبلوغ إلى وقت العلم، حيث[5] قالوا: إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ،[6] وهو ما قال في آية[7] أخرى: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا،[8] ففي قوله: وَكَهْلًا، دلالة وبشارة إلى أنه[9] يبقى إلى أن يصير كهلا.[10]

وقوله عز وجل: **فلا تكن من القانطين**، قد ذكرنا فيما تقدم أن الأنبياء قد نهوا عن أشياء[11] عُصموا عنها ما لا يحتمل أن يكون منهم ما نُهوا عنه، نحو قوله:[12] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[13]

---

[1] ك ن: الولد.

[2] جميع النسخ: أنه، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٨و.

[3] ن ع م: حال.

[4] ك ن: في بشارة الولد.

[5] ن – حيث.

[6] سورة الحجر، ٥٣/١٥.

[7] ن – آية.

[8] ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ (سورة آل عمران، ٤٦/٣).

[9] ن ع م: وبشارة أنه.

[10] جميع النسخ + وإلا الكهل يضعف. «فيكون بشارة الولد والبقاء، فعنى ذلك هذا» (شرح *التأويلات* ورقة ٤٢٨و).

[11] ن ع م + قد.

[12] ك: كقوله.

[13] ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق فلا تكونَنَّ من الممترين﴾ (سورة الأنعام، ١١٤/٦).

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] وَمِنَ الظَّالِمِينَ،[٢] الكَافِرِينَ[٣] وأمثاله. وذلك[٤] مما لا يتوهم كونه[٥] منهم. وذلك لما ذكرنا أن العصمة لا ترفع المحنة، لأنها لو رفعت لذهبت فائدة العصمة، لأنه[٦] إنما يُحتاج إليها عند المحنة، فأما[٧] إذا لم تكن[٨] محنة فلا[٩] تقع إليها. فعلى ذلك إبراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه بأنه لا يهب له الولد في حال[١٠] كبره، ولكن لما[١١] ذكرنا.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٥٦]

ثم بين أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، أخبر أن القنوط من رحمة الله هو ضلال، والإياسَ من رحمته كُفر، فعندهم[١٢] تضيق[١٣] رحمته حتى لا يسع فيها الكبائر، والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم في أصحاب الكبائر ما يقولون.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٥٧]﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **قال فما خطبكم أيها المرسلون**، قيل: فما خبركم وما قصتكم وما شأنكم؟ والخطب الشان، أي على أيّ أمر وشان أُرسلتم؟

**قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين**، ثم يحتمل[١٤] أن يكون أولَ ما أخبروا إبراهيم وقالو له[١٥] هذا [القول]. ولكن كان فيه ما ذكر في آية أخرى: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ،[١٦]

---

[١] ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونَنَّ من المشركين﴾ (سورة يونس ١٠/١٠٥).
[٢] ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ (سورة يونس، ١٠/١٠٦).
[٣] ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٥٢).
[٤] ن: – وذلك.
[٥] ك – أمثاله.
[٦] ك: لأنها.
[٧] ك: وأما.
[٨] جميع النسخ: يكن.
[٩] ن: فلا حاجة.
[١٠] ن + في حال.
[١١] جميع النسخ: ما.
[١٢] أي عند المعتزلة.
[١٣] ن: تضييق.
[١٤] جميع النسخ: لم يحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[١٥] جميع النسخ: وقالوه.
[١٦] سورة العنكبوت، ٢٩/٣١.

و[قولهم]: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.[1] فقال إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾. يذكر [القصة] هاهنا على الاختصار، فذلك يدل أن الخبر إذا أدّى معناه يجوز وإن لم يؤت بلفظه على ما كان.

وقوله عز وجل: **قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين. إلا آل لوط**، كأن الثُّنيا منها تكون عن الأشخاص وأنفس أهل القرية [لا][2] عن قوله: **مجرمين**. لأن آل لوط لم يكونوا مجرمين، فلا يحتمل الاستثناء من ذلك؛ أو لا يكون على حقيقة الثُّنيا وإن كان في الخبر استثناء.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥٩] ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته**، أخبر أنهم يُهلِكون قومه، ثم استثنى آله منهم ثم امرأته من آله. ففيه دلالة أن الثُّنيا ليس برجوع، لأنه لو كان رجوعا لكان[3] يوجب الكذب في الخبر، ولكن في الثُّنيا بيان تحصيل المراد مما أجمل في اللفظ.

وفيه دلالة أيضًا أنه يجوز أن يُستثنَى من الاستثناء، لأنه استثنى امرأته من آله بقوله: **إلا آل لوط إلا امرأته**، فحصلت[4] المرأة من قومه حيث استثناها من آله. وفيه أنه قد يجوز أن يستثنى من خلاف نوعه، لأنه استثنى آل لوط من قومه، والمجرم ليس من نوع الصالح. ثم استثنى امرأته من آله[5] وهي ليست منهم.

وفيه أيضًا أن آل الرجل يطلق[6] على أتباعه حيث استثنى آله منهم. ثم يدخل فيه [أي في الآل][7] من تبعه، ألا ترى أنه قال: ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾[8] وإنما هم أتباعه، وآل موسى وآل هارون وآل عمران كل يرجع إلى أتباعهم فيدخل في قولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كل من تبعه. *والله أعلم*.

---

[1] سورة العنكبوت، ٣٤/٢٩.

[2] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٢٨و.

[3] ن – لكان.

[4] ن م: فجعلت.

[5] ن – من آله.

[6] جميع النسخ: يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.

[7] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.

[8] ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقولَ رَبِّيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ (سورة المؤمن، ٢٨/٤٠)

وقوله: **إلا امرأته قدَّرنا إنها لمن الغابرين**. قال أبو بكر الأصم: **قدرنا إنها**، أي أخبرنا، لكن هذ منه احتيال على تقوية مذهب الاعتزال. لأنهم ينكرون أن يكون أفعال العبيد مقدَّرة لله مخلوقة، وفي الآية[١] دلالة أن أفعالهم مخلوقة لله، مقدرة له. وأصه أي قدَرنا بقاءها من الأصل.[٢]

وقوله عز وجل: **لمن الغابرين**، أي الباقين. قال أبو عَوْسَجة: الغابرون البقون، والغابرون الماضون أيضًا، يقال: غبَر يغبُر غَبْرا، إذا بقي[٣] وإذا مضي أيضا.[٤]

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾[٦١] ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فلما جاء آل لوط المرسلون، قال إنكم قوم منكرون**، أي إنكم قوم منكرون لا تُعرَفون بأهل هذه البلدة، وإنما قال لهم هذا لأن قومه إنما يعملون ما يعملون/ بالغرباء، لا يعملون بأهل [٣٩٨و] البلدة، ألا ترى أنهم قالوا له: أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ،[٥] [عن] أن تضيف أحدًا منهم. ***والله أعلم***.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**، هذا ليس بجواب لما سبق[٦] من قوله: **إنكم قوم منكرون**، ولكن قالوا ذلك له[٧] -والله أعلم- بعد ما كان بين لوط وبين قومه[٨] [من] مجادلات ومخاصمات؛ من ذلك قوله:[٩] قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ،[١٠] وغير ذلك من المخاصمات. وقد كان لوط يَعِدهم العذاب على صنيعهم[١١] الذي كانوا يصنعون، ولذلك قالوا له: قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[١٢]

---

[١] جميع النسخ: ففي ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[٢] لعل المؤلف رحمه الله يقصد: قدرنا في الأزل كونها من المهلَكين.
[٣] ن: أبقي.
[٤] غَبَر الشيءُ يَغْبُر غُبورًا: مكث وذهب. وغبر الشيءُ يَغْبُر أي بقي. والعابر الباقي، والغابر الماضي، وهو من الأضداد (*لسان العرب*، «غبر»).
[٥] سورة الحجر، ٧٠/١٥.
[٦] ع م + من قومه.
[٧] ك: قالوا له ذلك.
[٨] ع: قوله.
[٩] ع م: وقوله.
[١٠] سورة الحجر، ٦٨/١٥-٦٩.
[١١] جميع النسخ: بصيعهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[١٢] ﴿أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩).

فعند ذلك قالوا: **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**، قال بعضهم: بما كانوا فيه يشكّون بما كان يعدهم من العذاب. وقال بعضهم: **بما كانوا فيه يمترون**،[١] أي بما كانوا يجادلون وينازعون؛ أو يقول: بل جئناك بجزاء ما كانوا يمترون. ثم امتراءهم يحتمل مجادلتهم إياه، ويحتمل[٢] ما كانوا عليه من الرِّيبة.

**﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **وأتيناك بالحق وإنا لصادقون**، قال بعضهم: **وأتيناك بالحق**، أي بنجاتك ونجاة أهلك وإهلاك قومك. وقال بعضهم: **وأتيناك بالحق**،[٣] أي بالعذاب الذي كنت تعدهم. **وإنا لصادقون**، بما نقول. يحتمل هذا إن لم يكن هذا منهم قولاً قالوه، لأن لوطا يعلم أنهم صادقون[٤] بما يقولون حيث علم أنهم ملائكة الله، لكن أخبر عنهم على ما كانوا عليه على غير قول كان منهم. ***والله أعلم***.

**﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **فاسر بأهلك بقطع من الليل**، أي ببعض من الليل. وقال بعضهم: بسَحَر، على ما قال: نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ،[٥] وهو بعض [الليل][٦] سحرا[٧] كان أو غيرَه. **واتبع أدبارهم**، أي سِر من ورائهم. وهكذا الواجب على كل مولى أمرٍ[٨] حيث أن يتبع أثرهم أو يأمر من يتبع أثرهم ليُلحق بهم مَن تَخلّف منهم -ويحتمل[٩] المنقطع منهم- وليكون ذلك أحفظَ لهم.

وقوله عز وجل: **ولا يلتفت منكم أحد**، قال بعضهم: **لا يلتفت**، أي لا يتخلف منكم أحد، **وامضوا حيث تؤمرون**. وقال في آية أخرى.[١٠] وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ،[١١]

---

[١] ك – قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون بما كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم بما كانوا فيه يمترون؛ ك ن + أي بما كانوا.
[٢] ع م + إياه و.
[٣] ن – وإنا لصادقون قال بعضهم وأتيناك بالحق أي بنجاتك ونجاة أهلك وإهلاك قومك وقال بعضهم وأتيناك بالحق.
[٤] م: لصادقون.
[٥] ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ (سورة القمر، ٣٤/٥٤).
[٦] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[٧] ن م: سحر.
[٨] ك: أمير.
[٩] ك: ويحمل.
[١٠] ع م – ولا يلتفت منكم أحد قال بعضهم لا يلتفت أي لا يتخلف منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقال في آية أخرى.
[١١] ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾ (سورة هود، ٨١/١١).

فإنها تَخلّفُ[١] عنكم[٢] فيصيبها ما أصاب أولئك. هذا يدل أن ليس في تقديم الكلام وتأخيره منع ولا في تغيير اللسان ولفظه بعد أن يؤدي المعنى نظما، لأن قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى اختلاف الألفاظ واللسان، فدل أن اختلاف ذلك لا يوجب تغييرًا في المعنى ولا بأس بذلك.

وقال بعضهم في قوله: **لا يلتفت منكم أحد**، أي لا ينظر أحد وراءه فهو –والله أعلم– لما لعلهم[٣] إذا نظروا وراءهم فرأوا ما حل بهم من تقليب الأرض وإرسالها عليهم لا يحتمل بِنيتُهم وقلوبهم فيَهلِكون أو يَصعَقون، ألا ترى أن موسى مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل ولكن صَعِق فصار مدهوشًا في ذلك الوقت،[٤] فهؤلاء أضعف وما حلّ بقومهم أشدّ، فبنيتهم أحرى أن لا تحتمل[٥] ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **وقضينا إليه ذلك الأمر**،[٦] قوله: **قضينا**، قيل: أوحينا إليه، كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ،[٧] أي أوحينا إليهم. وقال بعضهم: قوله:[٨] **وقضينا إليه**، أي أنهينا إليه وأعلمناه، وهو قول الكسائي والقُتبي.[٩] وقوله عز وجل: **ذلك الأمرَ**، يحتمل قوله: **ذلك الأمر**، هو ما ذكر [على أثره]:[١٠] **أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**، هذا الذي أوحى إليه وأعلمه. ويحتمل قوله: **وقضينا إليه ذلك الأمر**، أي أوحينا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن ذلك الأمر الذي بلغك مقطوع مصبحين. ويحتمل الوحي إلى لوط على البشارة، **أن دابر** قومه **مقطوع مصبحين**، أي مقطوع نسلُهم؛ فيه إخبار عن قطع نسلهم، وفي الخبر عن قطع نسلهم إخبار عن هلاكهم.

---

[١] ن: تخلفت.
[٢] ع م: عنهم.
[٣] ك: لعله.
[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما تجلّى ربُّه للجبل جعله دكًا وخر موسى صَعِقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).
[٥] ن ع م: يحتمل.
[٦] ع م + من.
[٧] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنَّ في الأرض مرتين ولتعلُنَّ علوا كبيرا﴾ (سورة الإسراء،٤/١٧).
[٨] ك ن – قوله.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٨.
[١٠] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.

وقوله عز وجل: **أن دابر هؤلاء**. قال بعضهم: أصل هؤلاء، وقال بعضهم: دابر هؤلاء، **مقطوع**. أي مستأصلون. **مصبحين**، ليس يريد به حين أصبحوا أي حين بدا طلوع الفجر، ولكن أراد طلوع الشمس. ألا ترى أنه قال: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ.[1] وإشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الأرض، دل أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*. والصيحة يحتمل وجوها. أحدها ذكر الصيحة لسرعة هلاكهم، أي[2] قدْرَ صيحة. والثاني أُهلكوا بالصيحة أو صاح أولئك لما أهلكوا. والصيحة اسم لكل[3] عذاب.

**﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **وجاء أهل المدينة يستبشرون**، يحتمل يُسَرُّون بنزول أضيافه، أو يبشر بعضهم بعضا لِما رأوا بهم من حسن الهيئة والمنظر ورفعة اللباس.

**﴿قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾[٦٨] ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [٦٩]**

وقوله: **إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**، يحتمل هذا وجهين: فلا تفضحونِ في ضيفي فإنهم إنما نزلوا بنا على أَمْنٍ منّا فلا تفضحون عندهم، وهو ما قال في آية أخرى: وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي.[4] ويحتمل، لا تفضحونِ في الخلق يقولون: إن في أهل بيت لوط يفعل بالأضياف كذا، وإنما عرف أهل بيتي عند الخلق بالصلاح والأمن،[5] فلا تفضحون في الخلق واتقوا الله في صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق. قيل: هو من الهوان. ويشبه أن يكون قوله: **واتقوا الله ولا تخزون**، أن يكون الإخزاء هو الفضيحة، دليله ما ذكر: **إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**، فيكون هذا تفسير ذلك، ويحتمل الهوان. وكذلك قيل في قوله: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ،[6] أي الهوانَ اليومَ.

**﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٧٠]**

[٣٩٨ظ] وقوله عز وجل: **قالوا أولم ننهك عن العالمين**، هذا يدل على أنه / قد كان سبق[7] النهي [إياه][8] عن إنزال الأضياف[9] لذلك قالوا: **أولم ننهك عن العالمين**. قال أبو بكر الأصم: يخرج قولهم:

---

[1] سورة الحجر ٧٣/١٥.
[2] ك ع م: أو.
[3] ك ن ع: كل.
[4] ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ (سورة هود، ٧٨/١١).
[5] ع م: وإلا.
[6] ﴿قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ (سورة النحل، ٢٧/١٦).
[7] م: قد سبق.
[8] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[9] ك ن + كأنهم قد نهوه عن إنزال الأضياف.

**أولم ننهك عن العالمين**[١] مخرج الاعتذار له، لأنهم كانوا يعظمون الرسل أعني أقوام الرسل جميعا إذا لم يكن من الرسل[٢] إليهم سوى الخلاف في الدين والدعاء إلى دين الله، فهم وإن كذبوا الحجج التي أتت بها[٣] الرسل فقد كانوا يعظمونهم. ألا ترى أنه قال لرسولنا صلوات الله عليه: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ،[٤] الآية. والأول أشبه. ***والله أعلم***.

### ﴿قَالَ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين، وفي موضع** آخر: هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ،[٥] وقد ذكرنا ذلك في السورة التي فيها ذكر هود. قال بعضهم: إنما عرض عليهم نساء قومه[٦] لأنه كالأب لهم،[٧] على ما ذكر أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاتهم.[٨] وقال بعضهم: في [ذكر] البنات إخبار منه لهم بنهاية فحش صنيعهم، لأنه يجوز[٩] وروود [حلّ][١٠] الشرع على بناته لهم ولا يجوز حِلّ ذلك بحال.

### ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**، قال الحسن: يقسم الله بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله، وإنما أقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: أقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم[١١] و لم يقسم بحياة غيره وبغيره [لفضيلته].[١٢]

---

[١] ع – هذا يدل على أنه كان قد سبق النهي عن إنزال الأضياف لذلك قالوا أو لم ننهك عن العالمين قال أبو بكر الأصم يخرج قولهم أو لم ننهك عن العالمين.

[٢] ع م – أعني أقوام الرسل جميعا إذا لم يكن من الرسل.

[٣] ن ع م: بهم

[٤] ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣٣).

[٥] سورة هود، ١١/٧٨.

[٦] جميع النسخ: قومهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

[٧] «قال بعضهم: إنما عرض عليهم نساء قومه لا بناته بطريق النكاح إلا أنه أضافها إلى نفسه بالبنتية لأنه كالأب لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٨ظ).

[٨] ع م: أمهاتي. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦).

[٩] ع – يجوز.

[١٠] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

[١١] م ع – وقال بعضهم أقسم بحياة محمد صلى الله عيه وسلم.

[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

وقال بعضهم: قوله: **لعمرك**، كلمة تستعملها العرب في أقسامهم على غير إرادة القسم بحياة أحد. ومنهم من قال: إنما ذلك على التعريض. وأصله أن الله قد أقسم بأشياء: أقسم بالشمس والقمر والليل والنهار، وأقسم بالجبال والسماء وغيرها من الأشياء التي تَعْظُم عند الخلق، فرسولُ الله[1] صلى الله عليه وسلم قد أخبر[2] أنه أرسله رحمة للخلق وهدى أولى أن يُعَظَّم بالقسم به. ألا ترى أنه قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[3] فمن كان رحمة للعالم كله أولى أن يَعظم من غيره إذ منافعه أعمّ وأكثر. وقال بعضهم: **لعمرك**، القسم ليس بحياة الرسول ولكن بدينه، وهو قول الضحاك.

وقوله عز وجل: إنهم لفي سكرتهم يعمهون، قال بعضهم: السكرة الشدة التي تحل بهم عند الموت. شبههم بحيرتهم التي فيهم بسكرة الموت. **يعمهون**،[4] يترددون. وقال بعضهم: في ضلالهم[5] وكفرهم **يعمهون**، يتحيرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصيحة**، قد ذكرنا في غير موضع اختلافهم في الصيحة.[6] قال بعضهم: الصيحة هي العذاب نفسه؛ أي أخذهم العذاب. وقال بعضهم: سمي [العذاب] صيحة لسرعة نزوله بهم وأخذه إياهم. وقوله عز وجل: **مشرقين**، قال بعضهم: أشرقَت الشمس إذا ارتفعت وأنارت، وشَرَقت إذا بَزَغت،[7] وهو قول الكسائي. وقال أبو عَوْسَجة: **مشرقين**، أي إذا أشرقوا، أي[8] إذا طلعت الشمس عليهم، وقد ذكرنا هذا.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **فجعلنا عاليها سافلها**، قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكر هود.[9]

---

[1] جميع النسخ: كرسول الله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[2] جميع النسخ: قد أخبره، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[3] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[4] ن + أي.
[5] ن: ضلالتهم.
[6] انظر: سورة هود، ٦٧/١١، ٩٤.
[7] برعت الشمس: بدا منها طلوع، ابتدأت في الطلوع (*لسان العرب*، «بزع»).
[8] ن ع م – أي.
[9] انظرمثلا سورة هود، ٨٢/١١.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات للمتوسمين**، قال بعضهم: **للمتوسمين** للمتفرسين، من الفِراسة. وروى في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه أبو سعيد الخدري[١] قال: «اتقوا فِراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله» قال: ثم[٢] قرأ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين.**[٣] فإن ثبت الخبر وثبت تلاوة هذه الآية على أثر ما ذكر فهو هو. وقال بعضهم: **للمتوسمين**، للمعتبرين، وقيل المتفكرين، وقيل الناظرين. ذكروا أنه آية للمعتبرين ولكن لم يبينوا من أيّ وجه يكون آية لمن ذكر،[٤] فيحتمل وجوها أحدها. **لآيات**[٥] **للمتوسمين**، المعتبرين لرسالته، لأنه ذكر قصة إبراهيمَ ولوطٍ على ما كان وهو لم يشهدها، فذلك يدل على صدقه وآية رسالته.[٦]

والثاني آية[٧] لصدق خبر[٨] إبراهيم وصدق لوط، لأنهم[٩] كانوا يخبرون قومهم أن العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد، فيدل ذلك على صدق خبر[١٠] الأنبياء عليهم السلام في كل ما يخبرون.

والثالث، في هلاك من أهلك منهم ونجاة من أنجي منهم آية لمن ذكر، [أن] من هلك منهم[١١] هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق، فيكون لهم آية.

والرابع، قد بقي من آثار من هلك منهم آية فيكون هلاكهم آية لمن ذكر.

وأصل هذا أن الله ذكر: **إن في ذلك لآيات للمتوسمين**، أي المؤمنين المتقين. والاعتبار والتفكر للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون.[١٢] والمتوسم هو الذي يعلم[١٣] بعلامة،[١٤] وكذلك المتفرس

---

[١] ن - الخدري.
[٢] ن ع + قال.
[٣] *سنن الترمذي*، التفسير ١٦؛ و*تفسير القرطبي*، ٤٣/١٠.
[٤] *تفسير القرطبي*، ١٨٩/١.
[٥] جميع النسخ: آية.
[٦] ن ع م: لرسالته.
[٧] ن: أنه.
[٨] ن ع م: أخبر.
[٩] أي لأن إبراهيم ولوطًا وغيرهما من الأنبياء، كما يدل عليه آخر كلام المؤلف.
[١٠] ن - خبر إبراهيم وصدق لوط لأنهم كانوا يخبرون قومهم أن العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فيدل ذلك على صدق خبر.
[١١] ع - منهم.
[١٢] جميع النسخ + قال.
[١٣] جميع النسخ: يعمل.
[١٤] م: بعلامته.

هو الذي يعلم[1] بعلامة في غيره، ينظر في غيره بأن هلاكه بم كان، فينزجر عن صنيعه ويتعظ به، وهو كالمتفقه الذي يعلم بالمعنى. *والله أعلم*.

**﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[٧٦]**

وقوله عز وجل: **وإنها لبسبيل مقيم**، أي طريق دائم لا يزال مَعْلَمًا.[2]

**﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧٧]**

**إن في ذلك لآية للمؤمنين**، وهو ما ذكرنا أن الآية تكون للمؤمن. والله أعلم. ذكر في الآية الأولى: **لآيات**، [لأن فيها][3] أنباء إبراهيم وقصته وقصةَ قوم لوط، ففي ذلك آيات لمن ذكر. وذكر في هذه الآية، **لآية للمؤمنين**، لأنه ذكر شيئًا واحدًا وهو السبيل.

**﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾[٧٨]**

وقوله عز وجل: **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين**، أي وقد كان أصحاب الأيكة لظالمين. والأيكة ذكر أنها الغَيْضَة[4] من الشجر وهي ذات آجام وشجر كانوا فيها، فبعث إليهم شعيب وهم في الغَيْضَة. وذكر بعض أهل التأويل أن شعيبا بعث إلى قومين، إلى أهل غيضة مرة، وإلى أهل مَدينَ مرة على ما ذكر: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا،[5] وقال في آية أخرى:[6] كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ.[7]

وقوله: **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين**، سمى الله تعالى الكفرة بأسماء مختلفة؛ سماهم

[٣٩٩و] مرة ظالمين، / ومرة فاسقين[8] ومشركين. واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر والشرك، وكذلك اسم الفسق يقع فيما دون الكفر والشرك. ثم الكفر[9] لم يَقبَح لاسم الكفر، وكذلك الإيمان لم يَحسُن لاسم الإيمان؛ إذ ما من مؤمن إلا وهو يكفر بأشياء ويؤمن بأشياء.

---

[1] جميع النسخ: يعمل، والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

[2] جميع النسخ: لا يزول معلم. المَعْلَمُ: ما جُعِلَ عَلامةً للشيء (*لسان العرب*، «علم»).

[3] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

[4] الغَيْضَة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف (*لسان العرب*، « غاض»).

[5] سورة الأعراف، ٨٥/٧.

[6] ن – أخرى

[7] سورة الشعراء، ١٧٦/٢٦–١٧٧.

[8] ع + وكافرين.

[9] ن – والشرك ثم الكفر.

قال الله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ.[١] المؤمن يكفر بالطاغوت وبالأصنام[٢] التي كان[٣] أهل الكفر عبدوها. وكذلك الكافر يؤمن بأشياء ويكفر بأشياء، يؤمن بالأصنام ويكفر بالله. فثبت أن الكفر لاسم الكفر ليس بقبيح، وكذلك الإيمان لاسم الإيمان ليس بحسن، ولكن إنما حسن لأنه إيمان بالله، والكفر إنما قبح لأنه كفر بالله. وأما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح. وكذلك الفسق لاسم الفسق قبيح، فسماهم بأسماء هي لاسمها[٤] قبيح، لكن الإيمان المطلق هو الإيمان بالله، والكفر المطلق هو الكفر بالله، وإن كان يسمى[٥] بدون الله كفرًا وإيمانًا، كما قلنا: [إن] الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله، وإن كان اسم الكتاب والدين يقع على ما دونه.

**﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، ذكر الانتقام منهم ولم يذكر ههنا بم[٦] كان[٧] الانتقام. وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ،[٨] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[٩] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[١٠] فيحتمل أن تكون[١١] الرجفة لقوم، والصيحة لقوم، وعذاب[١٢] يوم الظلة لقوم منهم، أو كان كله واحدا[١٣] فسماها باسماء مختلفة. وليس لنا إلى معرفة ذلك[١٤] حاجة سوى ما نعرف[١٥] أنهم إنما أهلكوا أو عذبوا بالتكذيب ليكون ذلك آية لمن بعدهم [و]ليحذروا مثل صنيعهم. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٥).
[٢] ع م: بالأصنام.
[٣] ك: كانوا.
[٤] جميع النسخ: باسمها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.
[٥] ن: مسمى.
[٦] م: لم.
[٧] م+كان.
[٨] ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٩١/٧).
[٩] ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ (سورة الحجر، ٨٣/١٥).
[١٠] ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الشعراء، ١٨/٢٦).
[١١] ن ع م: يكون.
[١٢] ن ع م – عذاب.
[١٣] جميع النسخ: واحد.
[١٤] ك + الكتاب؛ ن ع م + العذاب.
[١٥] جميع النسخ: عرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط بسوء صنيعهم وسوء[1] معاملتهم إياه، فعلى ذلك ننتقم من أهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم ومعاملتهم إياه، وقد كان ما نزل بأصحاب الأيكة كفاية زجر[2] لهم وعظة لا يحتاج إلى ذكر[3] ما نزل بقوم لوط.

وقوله عز وجل: **وإنهما لَبِإمام مبين**، قال بعضهم: يعني قوم لوط وقوم شعيب،[4] **لبإمام مبين**، أي طريق مستبين، أي بيّن هلاكُهم. وقوله عز وجل: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ،[5] **وإنهما لبإمام مبين**، واحد، أي بيّن واضح آثارهم، مَن سَلك ذلك الطريق أو دخلَ قراهم ومكانهم لاستبان لهم آثار هلاكهم وما حل بهم. وقوله: **لبإمام مبين**، أي طريق يُؤَمّ[6] ويُقصَد،[7] بيّن واضح.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**، قال أهل التأويل: أصحاب الحجر هم قوم صالح وثمود، وقالوا: الحجر هو اسم وادٍ، وقيل هو اسم القرية على شطّ الوادي نسبوا إليه. وقوله: **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**، قال أهل التأويل: يعني بالمرسلين صالحًا وحدَه، لكن ذكر المرسلين لأن صالحا كان يدعوهم إلى ما كان دعا سائر الرسل، فإذا كذبوه فكان قد كذبوا الرسل جميعًا؛ إذ كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعًا، فإذا كذب واحد منهم فقد كذب الكل. ***والله أعلم.***

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [٨١]

وقوله: **وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين**، يحتمل الآيات آيات وحدانية الله وحججه، ويحتمل جميع الآيات، آيات الوحدانية وحججه وآياتِ رسالتهم. **معرضين**، أي لم يقبلوها، فإذا لم يقبلوها فقد أعرضوا عنها. أو أعرضوا عنها، أي كذبوها.

---

[1] ع – وسوء.
[2] ع م: مزجر.
[3] جميع النسخ+ إلى ما ذكر.
[4] جميع النسخ + وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.
[5] سورة الحجر، ٧٦/١٥.
[6] جميع النسخ: يوم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٤٨٤ط.
[7] م: ويقصدون.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين،** يحتمل آمنين[١] عما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا: يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،[٢] كانوا آمنين عن ذلك. وقال بعضهم: كانوا آمنين عن أن يقع عليهم ما نحتوا لحذاقتهم، وهو ما قال: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ،[٣] على تأويل بعضهم: حاذقين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصيحة مصبحين،** يحتمل أخذتهم ظاهرة بالنهار.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون،** يحتمل قوله: **فما أغنى عنهم،** أي ما كانوا ينحتون لأنفسهم [لا يغنيهم][٤] من عذاب الله من شيء. ويحتمل **فما أغنى عنهم،** ما عملوا من عبادة الأصنام والأوثان، حيث[٥] قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٦] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٧] أي لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله. أو يقول: ما أغنى عنهم ما مُتِّعوا وأُنعِموا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله عن أنفسهم، كقوله: فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ،[٨] الآية، أي وإن أُعطُوا ما ذكر من السمع والبصر والأفئدة، إذا لم ينظروا ولم يتفكروا[٩] في آيات الله وجحدوها.[١٠]

---

[١] ع م – يحتمل آمنين.

[٢] ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾ (سورة الأعراف، ٧٧/٧).

[٣] سورة الشعراء، ١٤٩/٢٦.

[٤] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.

[٥] ع م – حيث.

[٦] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[٧] سورة يونس، ١٨/١٠.

[٨] ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ (سورة الأحقاف، ٢٦/٤٦).

[٩] ك: ويتفكروا.

[١٠] ك ن: فجحدوها.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**، يحتمل **بالحق**، الحق الذي جعل لنفسه[١] على أهلها، والحق الذي لبعض على بعض. والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل. والباطل اسم كل مذموم من القول والفعل. قال بعضهم: تأويله **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا** شهودا لله **بالحق** على أهلها. وقوله عز وجل: **إلا بالحق**، أي لم يخلقهما لغير شيء ولكن خلقهما للمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها، وإلى هذا ذهب الحسن. وقيل: خلقهما وما بينهما لأمر كائن، أي لعاقبة الثواب[٢] والجزاء، لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن
[٣٩٩ظ] للعاقبة، لأن خلق الشيء للفناء[٣] خاصة عبث، وهو / ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[٤] أخبر أنّ خلقهم لا للرجوع إليه ولا للعاقبة عبث،[٥] وقد ذكرنا هذا[٦] فيما تقدم. وجائز أن يكون قوله: **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية**، على الاحتجاج على أولئك لإنكارهم الساعة لوجهين. أحدهما ما ذكرنا أنه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما للفناء خاصة. وخلق الشيء للفناء خاصة عبثٌ باطلٌ كبناء الباني[٧] للنقض خاصة لا لعاقبة تُقصَد عَبَثٌ. والثاني أنه يكون في ذلك تسوية[٨] بين الأعداء والأولياء، وفي الحكمة التفريقُ بينهما، و[هو] ما قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[٩] الآية. لم يكن ظنهم أنه خلقهما باطلا، ولكن لما أنكروا البعث صار في ظنهم [أنه] خلقهما باطلا.

وقوله عز وجل: **وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**، قال بعضهم: **فاصفح الصفح الجميل**، أي أعرض عنهم[١٠] ولا تكافئهم بما آذوك بألسنتهم وفعلهم. **وإن الساعة لآتية**، فأنا أكافئهم عنك على أذاهم إياك وصنيعهم يومئذ. والصفح الجميل، هو مالا نقص فيه ولا مِنّة في العرف،

---

[١] ع م: تسمية؛ ن: تقية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[٢] جميع النسخ: للثواب، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[٣] م – للفناء.
[٤] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٥] ن – ما قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون أخبر أن خلقهم لا للرجوع إليه ولا للعاقبة عبث.
[٦] ع م: ذكرناها.
[٧] ك ن: البناء.
[٨] جميع النسخ: التسوية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[٩] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[١٠] ك – أي اعرض عنهم.

أي **فاصفح الصفح** [أي] ما يوصف فيه بتمام الأخلاق وما لا نقص[١] فيه ولا منة. يحتمل الصفح الجميل هو أن يصفح ولا يَمُنَّ عليهم، كأنه أمره أن يصفح صفحًا لا منة فيه. **وإن الساعة لآتية**، فتجزى أنت على صفحك الجميل وهم على أذاك. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٨٦]**

وقوله عز وجل: **إن ربك هو الخلاق العليم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه [خلقهم] على علم بما يكون منهم[٢] من المعصية والخلاف، لا خلقهم عن غفلة وجهل بذلك، ليُعلَم أنه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه ولا لمنفعة نفسه،[٣] ولكن خلقهم ليمتحنهم بما أمرهم به ونهاهم ولِمَا يرجع إلى منافعهم وحوائجهم. والثاني **إن ربك هو الخلاق**، لخلقه،[٤] **العليم**، بمصالحهم، بان الصفح الجميل لهم[٥] أصلح في دينهم من المكافاة. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٨٧]**

وقوله عز وجل: **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**، اختلف في قوله: **سبعًا من المثاني**، قال بعضهم: **سبعًا من المثاني**،[٦] المثاني هو القرآن كله،[٧] كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾.[٨] وقيل سمي مثاني لترديد الأمثال فيه والعبر والأنباء. فإن كان على هذا فيكون قوله: **سبعًا من المثاني**، أي سبعًا من القرآن العظيم.[٩] ثم يحتمل السبع الطوالَ على ما ذكر بعض أهل التأويل، كأنه قال: آتيناك سبعًا من القرآن العظيم. ويحتمل **سبعًا**، يعني فاتحة الكتاب من القرآن، أي آتيناك فاتحة الكتاب من القرآن. وقال قوم: يقولون: السبع[١٠] المثاني فاتحة الكتاب. ويروون على ذلك حديثًا عن رسول الله، روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:

---

[١] ك ع م: لا نقض.
[٢] جميع النسخ + خلقهم.
[٣] م – ولا لمنفعة نفسه.
[٤] ك – لخلقه، صح هـ.
[٥] جميع النسخ + ذلك.
[٦] ن – المثاني.
[٧] ن – كله.
[٨] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.
[٩] ك – العظيم.
[١٠] جميع النسخ: سبع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني.»[1] وعن أبي[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[3] «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.»[4] ومنهم من يقول: المثاني القرآن كله، يذهب إلى ما ذكرنا من الآية وبما يروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور والقرآن مثلها -يعني أم القرآن- وأنها السبع[5] من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت»[6] ذكروا أنها سبع من المثاني. فإن كان سبع المثاني فاتحة الكتاب يصير كأنه قال: ولقد آتيناك سبعًا وهي المثاني،[7] وإن كان **سبعًا من المثاني** هو[8] السبع الطوال[9] يكون هكذا: أي آتيناك سبعًا وهو المثاني. وروي أيضًا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[10] «آتاني السبع الطوال مكان التوراة، والمثاني مكان الإنجيل، وفضني[11] ربي بالمفصل.»[12]

ثم إن ثبت ما روي في الخبر أن السبع[13] المثاني فاتحة الكتاب[14] [فهو كما ثبت]، وإلا الكف والإمساك عن ذلك أولى؛ لأنه لا حاجة بنا إلى معرفة ذلك، وليس يكون تسميتنا إياها سوى الشهادة،[15] وما خرج مخرج الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والإمساك أولى. ومنهم من يقول: هن المفصل.[16] ومن قال: المثاني فاتحة الكتاب، قال لأنها تُثَنَّى في كل ركعة،

---

[1] *سنن الترمذي*، التفسير ١٦.

[2] ع م + رفيه، وكأنها محرفة من «رضي الله عنه» المكتوبة برمز: رض.

[3] ك – الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وعن أبي قال قال رسول الله صى الله عليه وسم.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٤/٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٦.

[5] جميع النسخ: سبع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.

[6] م – أعطيت. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ١/١، ٣/١٥، فضائل القرآن ٩؛ و*الموطأ* لمالك، الصلاة ٣٧؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢١١/٤، ١١٤/٥.

[7] ع: من المثاني.

[8] جميعالنسخ: هي.

[9] ك ن + مكان التوراة.

[10] م: وقال.

[11] ع م: فضلني.

[12] ع م: بالمفضل. *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٧/٤.

[13] ك م: سبع.

[14] ك ن + الكتاب.

[15] أي بالظن والتخمين.

[16] م: المفضل.

أو ما جعل فيها مكررة معادة، لأن كل حرف[١] منها يؤدي معنى حرف آخر فسمي مثاني بذلك. ومن قال: المثاني هو القرآن، قال لما ذكرنا، لأن أمثاله وأنباءه وعِبَره مُعادة مردودة. ومن قال: المثاني السبع الطوال، فقال لأنه يُثَنَّى فيها حدود القرآن وفرائضه وعامة أحكامه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والقرآنَ العظيم**، سماه عظيمًا وسماه مجيدًا وحكيمًا، وهذه أسماء[٢] الفاعلين ولا عمل له[٣] ولا فعل في الحقيقة، لكنه يخرج -والله أعلم- على وجوه. يحتمل [أنه] سماه عظيمًا مجيدًا لما عظمه وشرفه ومجّده؛ فهو عظيم مجيد حكيم، أي محكم، فعيل بمعنى مفعول،[٤] وذلك جائز في اللغة؛ أو سماه بذلك لأن من تمسك به وعمل به يصر[٥] عظيمًا مجيدًا حكيما؛[٦] أو سماه[٧] عظيما مجيدًا حكيمًا،[٨] أي جاء من عند عظيم مجيد حكيم. وأصل الحكيم[٩] المصيب الواضع[١٠] كل شيء موضعه. ***والله أعلم.***

**﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**، يحتمل المراد بقوله: **عينيك**، نفس العين. ثم هو[١١] يحتمل وجهين. أحدهما نهي رسوله أن ينظر إلى ما متّع أولئك مثلَ نظرهم، لأنهم ظنوا أنهم إنما مُتِّعوا بهذه الأموال في الدنيا لخطرهم وقَدرِهم عند الله، وعلى ذلك قالوا: وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[١٢] وقال: وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي،[١٣] الآية ونحوه.

---

[١] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بكل حرفٍ المعاني الدقيقة والأحكام الحِكَمية التي توجد فيها، فهي مكررة ومعادة في سور أخرى، لأن سورة الفاتحة أم القرآن.
[٢] جميع النسخ: وهو اسم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح* ورقة ٤٣٠و.
[٣] أي للقرآن.
[٤] ع م: المفعول.
[٥] جميع النسخ: يصير.
[٦] ع م: - حكيمًا.
[٧] ع م: وسماه.
[٨] ع م + وسماه.
[٩] ك ن + هو.
[١٠] ك ن ع: واضع.
[١١] ع م - هو.
[١٢] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[١٣] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٥٠/٤١).

[٤٠٠و] / ظنوا أنهم[1] إنما مُتِّعُوا في هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله، لذلك قالوا ما قالوا. فنهاه أن ينظر إلى ذلك بعين الذين نظروا هم[2] إليه ولكن بالاعتبار.

والثاني نهاه أن ينظر إلى ذلك نظرَ الاستكبار والتجبّر على المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروا هم،[3] لأنهم بما متعوا من أنواع المال استكبروا على الناس واستهزءوا بهم؛ إذ البصر قد يقع على ما ذكر[4] من غير تكلف. فيصير كأنه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا فيه، لأن ما متعوا به هو ما ذكر: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[5] وقال في آية أخرى: لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ.[6] وقوله: **لا تمدن عينيك**، فيما مُتِّعوا فإنهم إنما متعوا لما ذكر.

ويحتمل النهي عن مد العين لا [بقصد] العين نفسها،[7] ولكن [عنى] نفسها.[8] كأنه قال: لا تُمَنِّيَنَّ نفسَك فيما مُتعوا هم[9] ولا[10] تُرَغِّبَنَّها في ذلك، فإنه ليس يُوَسَّع ذلك عليهم لخطرهم وقَدرِهم، ولكن ليُعلم أن ليس لذلك[11] خطر عند الله وقدر حيث أعطى من افترى على الله وجحد نعمه وفضله.

وفي الآية تفضيل[12] الفقر على الغناء، لأنه نهي رسول الله أن يمدّ عينيه إلى ما متعوا. ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مَدَّ إلى ذلك ليس يمد للدنيا ولا لشهواته،[13]

---

[1] ع م – أنهم.
[2] م: نظروهم.
[3] م: نظروهم.
[4] ع م – عنى ما ذكر.
[5] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَقَ أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٥).
[6] ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم زهرةَ الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).
[7] جميع النسخ: نفسه.
[8] أي شخص المخاطب وذاته. قال علاء الدين السمرقندي: «عنى بالعين النفس إذ الصبر قد يقع عنى ما ذكر من غير تكلف، فيصير كأنه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متّعوا به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٠و).
[9] م: متعوهم.
[10] ن: لا.
[11] ك: ذلك.
[12] م: نفضل.
[13] ن: ولشهوته.

ولكن يستعين به في أمر جهاد عدوه، ويُعين به أصحابه في سبيل الخيرات، ثم نهاه مع ذلك عنه. دل أن الأخيَرَ والأفضَلَ[١] ما اختاره من الفقر وقصور ذات يده. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أزواجًا منهم**، أي أصنافًا من الأموال وألوانا من النعم. وقال بعضهم: **أزواجًا منهم**، أي الأغنياءَ منهم وأشباهَهم. فإن كان قوله: **أزواجًا منهم**، هو أصنافَ الأموال فهو على التقديم والتأخير، كأنه قال: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا منهم أزواجًا. وإن كان **أزواجًا منهم**، هو أصنافَ الناس فهو على النظم الذي جرى به التنزيل، أي لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به قومًا منهم.

وفي قوله: **لا تَمُدَّنَّ عينَيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**، دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله لا يعطي أحدا شيئًا إلا ما هو أصلح له[٢] في الدين. ولو كان ما مَتَّع هؤلاء أصلح لهم في الدين لم يَنهَ رسوله عن مد عينيه إليه، فدل[٣] أنه قد يعطي[٤] ما ليس بأصلح في الدين. وكذلك قوله:[٥] وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا.[٦] أخبر أنه إنما يملي[٧] لهم ليزدادوا إثمًا وهم يقولون: يملي[٨] لهم ليزدادوا خيرًا. وكذلك قوله: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ،[٩] الآية. هذه الآيات كلها تنقض عليهم قولهم، وقد ذكرنا هذا في غير موضع فيما تقدم.

وقوله عز وجل: **ولا تحزن عليهم**، يحتمل النهي نفسه، نهاه أن يحزن عليهم اشفاقًا عليهم، بل أمره أن يَغلُظ عليهم، كقوله: جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ،[١٠] وعلى هذا يخرج قوله: **واخفض جناحك للمؤمنين**، أي ارفُق بهم ولِن عليهم واشدُد على أولئك واغلُظ عليهم، وهو ما وصفهم: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[١١] أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.[١٢]

---

[١] ع: لا خير ولا فضل.
[٢] ن: له أصلح.
[٣] جميع النسخ: دل.
[٤] ع م: أعطى.
[٥] ن – قوله.
[٦] سورة آل عمران، ٣/١٧٨.
[٧] ع م: نملي.
[٨] ك ع م: نملي.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٨٠.
[١٠] ع م + يحتمل النهي بفسه. ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٣).
[١١] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).
[١٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).

أخبر أنهم أهل شدة على الكفار وأهلُ غِلظة، رحماءُ بينهم، وأهلُ ذلة[1] على المؤمنين، وأهل شدة عليهم، أي على الكفار،[2] فعلى ذلك هذا.

ويحتمل أن ليس على النهي ولكن على التخفيف والتسلّي ورفع الحزن عن نفسه، لأنه كان يحزن لكفرهم بالله وتركهم الإيمان حتى كادت نفسه تَتلَف لذلك، كقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ[3] الآية، وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ،[4] الآية وأمثاله. ويحتمل أيضًا وجهًا آخر وهو أنه كان يحزن عليهم ويضيق[5] صدره لما مَكَروا به وكايدوه، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[6] فإني أكافئهم. *والله أعلم*.

**﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[٨٩]**

وقوله عز وجل: **وقل إني أنا النذير المبين**، يحتمل **أنا النذير**، على معاصيه، **المبين** على طاعته، أو **النذير**،[7] على العصاة من عذاب الله، **المبين**، لأموره ونواهيه. *والله أعلم*.

**﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾[٩٠] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[٩١]**

وقوله عز وجل: **كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين**، قال الحسن: الكتب كلها قرآن، يعني كتب الله اقتسموها وجعلوها عضين، أي فرقوها بالتحريف والتبديل، فما وافقهم أخذوه وما لم يوافقهم غيّروه وبدلوه، كقوله: يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا،[8] ونحوه. فذلك اقتسامهم وتَعْضِيهم[9] على قوله، وكقوله: تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا،[10] وقوله: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا،[11] ونحوه.

[1] ن: أذلة.
[2] ع م: الكافرين.
[3] ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).
[4] ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة الروم، ٨/٣٥).
[5] ع: تضيق.
[6] سورة النمل، ٧٠/٢٧.
[7] ع: والنذير.
[8] ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).
[9] عَضَّيت الشيءَ تَعْضِية إذا فَرَّقته. والتَّعضِية: التَّفريقُ، وهو مأخوذٌ من الأعْضاءِ. (*لسان العرب*، «عضا»).
[10] ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ (سورة الأنعام، ٩١/٦).
[11] ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (سورة المؤمنون، ٥٣/٢٣).

وقال[1] بعضهم: اقتسامهم هو[2] أن نفرًا من قريش كانوا اقتسموا عَقار[3] مكة ليصدوا الناس عن رسول الله، فتقول[4] طائفة منهم إذا سئلوا عنه:[5] هو كاهن، وطائفه أخرى: هو شاعر ساحر مجنون ونحوه. **وعضين**، قولهم: هو سحر شعر كهانة،[6] أساطير الأولين، أفترى على الله كذبا، وأمثال ما قالوا. فذلك اقتسامهم وعِضيهم.[7] وقال بعضهم: هو على التقديم. أي آتيناك المثاني والقرآن العظيم، أنزلناه عليك كما أنزلنا التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى، فهم المقتسمون كتاب الله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال أبو عَوْسَجة: يقال عضَيتُ الجزور، أي قسّمتها عضوا عضوا.[8] / وقال غيره:[9] هو من العِضَة، وهو السحر بلسان قريش، يقال للساحر: عاضِه.[10] وقال القُتبي: [٤٠٠ظ] المقتسمون قوم تحالفوا[11] على عِضَة النبي صلى الله عليه وسلم وأن يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النُّزّاع[12] إليهم.[13] **وعضين**، أي فرّقوه وعَضَّوه. وقيل: فرّقوا القول فيه وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

**﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩٢] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٣]**

وقوله عز وجل: **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**، قوله: **فوربك**، قيل: قسم أقسم به تعالى. **لنسألنهم أجمعين**، قال بعضهم: الخلائق كلّها، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[14] أخبر أنه[15] يسألهم جميعًا: الرسلَ عن تبليغ الرسالة، والذين أُرسل إليهم عن الإجابة لهم.

---

[1] ن: قال.
[2] جميع النسخ: وهو.
[3] جميع النسخ: عقاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠و. والعقار: المنزل والأرض والضياع (*لسان العرب*، «عقر»).
[4] جميع النسخ: فيقول.
[5] أي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[6] وأما قوله تعالى: الذين جعلُوا القُرآنَ عِضِينَ، فقد اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره. فمنهم من قال: واحدُها عِضَةٌ وأصلها عِضْوَةٌ من عَضَّيْتُ الشيءَ إذا فَرَّقْته، جعلوا النُّقْصان الواوَ، المعنى أنهم فَرَّقُوا يعني المشركين أقاويلَهم في القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وشعرا وكهانة (*لسان العرب*، «عضه»).
[7] ع م: وعضتهم.
[8] ع م - عضوا.
[9] ن - غيره.
[10] جميع النسخ: عاضة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠و؛ وانظر: *لسان العرب*، «عضه».
[11] ع: تخالفوا.
[12] ونُزّاعُ القبائل: غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم، الواحد: نزيع ونازع (*لسان العرب*، «نزع»).
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٩.
[14] سورة الأعراف، ٧/٦.
[15] ن: أنهم.

وقال بعضهم قوله: **فوربك لنسألنهم أجمعين**، هؤلاء الذين[1] سبق[2] ذكرهم [من][3] المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين والذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يسألهم عن حجج ما فعلوا وعن السبب[4] الذي حملهم على سوء معاملة رسوله وكتابه: لأي شيء نسبتم رسولي وكتابي إلى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله؟[5] لا يسألون: ما فعلتم وأيّ شيء عملتم؟ لأن ذلك يكون مكتوبًا في كتبهم يقرءونه،[6] كقوله: إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[7] وهو[8] وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة، لأنه وعيد مقرون بالقسم، وكل وعيد قرن[9] بالقسم فهو في[10] غاية الشدة؛ إذ لو جاءنا ذلك الوعيد من ملك من ملوك البشر بحيث أن يخاف، فكيف من ربنا!

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٩٤]

وقوله عز وجل: **فاصدع بما تؤمر**، قال[11] بعضهم: **فاصدع بما تؤمر**، أي استقم كما تؤمر، كقوله: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ،[12] فهو في كل ما أمر به. وقال بعضهم: **فاصدع**، أي امض بما تؤمر من تبليغ الرسالة. **وأعرض عن المشركين**، أي أعرض عن مكافأتهم. ومعناه[13] -والله أعلم- امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة إليهم ولا تَخَفْهم ولا تَهَبْهم ولا يمنعنك[14] شيء عن تبليغ الرسالة [من] الخوف ولا القرابة ولا شيء من ذلك، ولكن امض على ما تؤمر، وهو كما قال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا،[15] وقال: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[16]

---

[1] م: الذي.
[2] ع م: سبقوا.
[3] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٣٠ظ.
[4] جميع النسخ: والمعنى؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.
[5] ع م - في.
[6] جميع النسخ: يقرؤون.
[7] سورة الإسراء، ١٧/ ١٤.
[8] أي قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾.
[9] ع + نفسك.
[10] ك ن + في.
[11] ك - قال.
[12] ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة هود، ١١/ ١١٢).
[13] ن ع م - ومعناه.
[14] ع م: يمنعك.
[15] سورة المائدة، ٥/ ٨.
[16] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٣٥).

أي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضُكم إياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم. فعلى ذلك قوله: **فاصدع بما تؤمر**، أي امض على ما أمرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك[1] عن ذلك الخوف والوعيد والقرابة التي فيما بينك وبينهم.

وقال القُتبي: **فاصدع بما تؤمر**، أي[2] أظهِرْ ذلك. وأصله،[3] الفَرق والفتح، يريد: اصدع الباطلَ بحقك[4] حتى يأتيك الموقن به وهو الموت. وقال أبو عَوْسَجة: **فاصدع**، أي امض على ما تؤمر. وصدعت، أي مضيتُ، وذلك من المضيّ، وأصل هذا كله الشَّقّ، ويقال: تصدّعوا، أي تفرّقوا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأعرض عن المشركين**، أي أعرض عن مكافأتهم، فأنا أكافئهم عنك على ما آذوك. وقال بعض أهل التأويل قوله: **وأعرض عن المشركين**، هو منسوخ بآية السيف، لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ. ويحتمل **وأعرض عن المشركين**، إن كان القتال والدعاء إلى التوحيد فهو في وقت دون وقت، أو في قوم خاص. علم الله أنهم لا يجيبونه ولا يؤمنون به فآيَسَ[5] رسوله عن إيمانهم فقال: أعرض عن هؤلاء ولا تشتغل بهم ولا تدعُهم، فإنهم لا يؤمنون ولكن أُدعُ قومًا آخرين. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٩٥]**

وقوله عز وجل: **إنا كفيناك المستهزئين**، قال بعضهم: قوله: **كفيناك المستهزئين**، الكفرةَ جميعًا فمنعناهم عن أن يَصِلوا إليك على ما قصدوك[6] من إهلاك[7] وغيره، كقوله: نُصِرتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ.[8] وقال بعضهم: قوله: **كفيناك المستهزئين**، الذين كانوا على الطرق والمراصد ليصدوا الناس عن رسول الله[9] صلى الله عليه وسلم، على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة أو خمسة، كفاه الله بأن أهلكهم بما ذكر أهل التأويل أن الذين استهزءوا به أُهلكوا جميعًا بعقوبات مختلفة.[10]

---

[1] ن ع م: يمنعك.
[2] ع م + أظهر صدع.
[3] أي الصدع.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٠.
[5] جميع النسخ: اياس.
[6] ع م: على ما قصدوا إليك.
[7] جميع النسخ: إهلاكك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.
[8] جميع النسخ: شهرين؛ و لم يرد الحديث عليه، وإنما ورد بلفظ: « نُصِرتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» *صحيح البخاري*، التيمم ١، والجهاد ١٢٢، والصلاة ٥٦؛ و*سنن النسائي*، الغسل ٢٦.
[9] ك: عن سبيل الله.
[10] *تفسير القرطبي*، ٦٢/١٠.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر**، قوله: **يجعلون**، ليس على الجعل، لأنهم لو جعلوا لكان لأن كل مجعول كائن موجود، ولكن قوله: **يجعلون**، أي يزعمون أن مع الله إلهًا آخر، إما في التسمية أو في العبادة. وكذلك قوله: جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ،[١] هم لا يقدرون على أن يجعلوه عضين ولكن زعموا أنه كذا، لأن الله وَكَّلَ حفظه إلى نفسه بقوله: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[٢] وقال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[٣] أخبر أنه يحفظه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلو قدَروا على جعله عضين لكان قد أتي الباطلُ من بين يديه، دل أنه على القول الذي قالوا وهو على المجاز. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٤] وقوله: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[٥] فهو كله على المجاز على ما عندهم؛ إما بحق التسمية لها أنها آلهة، وإما بصرف العبادة إليها. ظاهر هذا أن المستهزئين الذين ذكرهم [الله] أنه كفاه عنهم هم الكَفَرَة جميعًا، لكن يحتمل في الذين ذكرهم أهل التأويل، كانوا على مراصد مكة، أضاف ذلك إليهم ونَسَب لأنهم هم الذين أمروا غيرهم أن يجعلوا دونه إلهًا، فكأنهم فعلوا ذلك [بأنفسهم][٦] وهم قالوا. وقوله: كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ،[٧] الذين فعلوا به ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله: **الذين يجعلون**، على إضمار / "كان" أي الذين كانوا يجعلون مع الله [٤٠١و]
إلهًا آخر، وإن كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر: **يجعلون**،[٨] على المستقبل.

وقوله عز وجل: **فسوف يعلمون**، وعيد، أي سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعِضَة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا نزل العذاب بهم. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**، وما قالوا [هو ما تقدم ذكره][٩] من الاقتسام والعضة والاستهزاء به وأنوع الأذى الذي كان منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] سورة الحجر، ٩١/١٥.
[٢] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (سورة الحجر، ٩/١٥).
[٣] سورة فصلت، ٤١/ ٤٢.
[٤] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/ ٩١).
[٥] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/ ٥).
[٦] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٣٠ط.
[٧] الآية السابقة.
[٨] م: يجعلون.
[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ط.

أي نعدم ذلك، وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك، فلا يضيقَنّ صدرك لدلك. فهو على التصبير على الأذى والتسلي عن ذلك وترك المكافأة لهم. *والله أعلم*. وكان يضيق صدره مرة لتركهم الإجابة له، ومرة للأذى باللسان. والثاني [أي] على علم منا بما يكون منهم [من الأذى][١] ومن ضيق صدرك بذلك، لكن أنشأناهم ومكّنّاهم على علم منا بذلك امتحانا منا إياك بذلك[٢] وإياهم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فسبح بحمد ربك**، قال بعض أهل التأويل: أي صلّ بأمر ربك **وكن من الساجدين**، أي من المصلين. وقوله: **فسبح**، هو أمر، فإذا فعل ذلك كان بأمر ربه، فلا معنى لذكر الأمر من بعد[ه] بقوله: **بحمد ربك**، إن كان الحمد هو الأمرَ على ما قال بعض أهل التأويل. ويحتمل وجهًا آخر وهو أن قوله: **فسبح**، أي نزّه الله عن جميع[٣] ما قالت الملحدة[٤] فيه، إذ التسبيح هو التنزيه في اللغة. **بحمد ربك**، أي بثناء ربك، أي نزّه عن ذلك كله بثناء تُثنيه عليه. **وكن من الساجدين**، أي من الخاضعين إذ السجود هو الخضوع. أو أن يكون أمْرُه إياه بالتسبيح على التسلي وتوسيع صدره بالذي يكون منهم، أي فسبح ربك مكان ذلك.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **واعبد ربك**، يحتمل التوحيد، أي وحِّد ربك. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: كل عبادة ذكرت في القرآن فهي[٥] توحيد. يأمره باعتقاد الإخلاص له في كل أمر. ويحتمل العبادة نفسَها، يأمره بالعبادة له شكرًا له، على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلّى حتى تَوَرَّمَتْ ساقاه فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «بلى، أفلا أكون عبدا شكورا».[٦]

---

[١] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.
[٢] ن بذلك إياك.
[٣] م + عن جميع.
[٤] م: الملاحدة.
[٥] جميع النسخ: فهو.
[٦] ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح *البخاري*، الرقاق ٢٠، التفسير ٤٨، التهجد ٤؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٧٩-٨١.

وقوله عز وجل: **حتى يأتيك اليقين**، أي ما تيقّنتَ به، وهو الموقَن به. وكذلك قوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ،[1] أي من يكفر بالمؤمَن به فقد حبط عمله، لأن الإيمان لا يُكفَر به. فعلى ذلك اليقينُ لا يأتيه ولكن يأتيه الموقَنُ به. وكذلك ما ذُكر: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله وهو المأمور به، لأن الصلاة لا تكون أمر الله لكن بأمر الله. وكذلك ما يجيء من هذا النحو. ويحتمل قوله: **حتى يأتيك اليقين**، فيهم، وهو ما وعد من العذاب فيهم، أي يتيقنون بذلك. *والله أعلم*.

[1] ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النحل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]**

قوله عز وجل: **أتى أمر الله فلا تستعجلوه**، في قوله: **أتى أمر الله فلا تستعجلوه**، وجهان. أحدهما أن يُعرف قولُه: **أمر الله**، ما أراد[2] به،[3] [والثاني] ما[4] الذي استعجلوه؟ وإنما [الذي] استعجلوه الساعة والقيامة، بقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[5] الآية، ونحوه من الآيات. وقال بعضهم: **أمر الله**، هو عذابه، وكذلك جميع[6] ما ذكر في[7] القرآن من أمر الله، المعني منه عذابه، كقوله: جَاءَ أَمْرُ اللهِ،[8] أي عذابه، ونحوه. ويحتمل قوله: **أتى أمر الله**، رسولُه الذي كان يستنصر به أهل الكتاب على المشركين، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية. وكان يتمنى مشركوا العربِ أن يكون لهم رسول كسائر الكفَرة،

---

[1] ورد في جميع النسخ قبل البسملة: قال (ع م – قال) بعض أهل التأويل: سورة النحل كلها مكية إلا ثلاث آيات، فإنها (ن ع م: لأنها) نزلت بالمدينة. والله أعلم بالصواب.

[2] ع م: وأراد.

[3] ن ع م – به.

[4] ك: وما.

[5] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٧-١٨).

[6] ع م – جميع.

[7] ك ع م + جميع.

[8] انظر: سورة المؤمن، ٧٨/٤٠؛ وسورة الحديد، ١٤/٥٧. وقد ورد في آيات لفظ "أمر" بمعنى العذاب والهلاك، مثل: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ (سورة هود، ٥٨/١١) و﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ (سورة هود، ٧٦/١١).

[9] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٨٩).

كقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[1] الآية. **فلا تستعجلوه**، ذهاب ما كنتم تتمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أو شيءٍ آخر.[2] *والله أعلم*.

ثم إنه لم يُرد بقوله: **أتى أمر الله**، وقوعه ولكن قربه، أي قرب آثار أمر الله، كما يقال: أتاك الخير وأتاك أمر كذا، على إرادة القرب لا على الوقوع. وجائز أن يكون قوله: **أتى أمر الله**، أي ظهر أعلام أمر الله وآثاره، وليس[3] على إتيان أمره من مكان إلى مكان كقوله: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ.[4] وآثاره، هي[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يُختَم به[6] النبوة. فهو كان أعلام الساعة، على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال:[7] «بُعِثْتُ[8] أنا والساعةُ كهاتين، وأشار[9] إلى إصبعين»،[10] لقربها منه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فلا تستعجلوه**، لأنه لا منفعة لكم فيها فلماذا تستعجلونه كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ،[11] إذ لا منفعة لهم فيه،[12] بل فيه ضرر عليهم.

وقوله عز وجل: **سبحانه وتعالى عما يشركون**، سبحان هي[13] كلمة إجلال الله،[14] يُجرِيها على ألسن أوليائه، على تنزيه[15] ما قالت الملحدة فيه؛ و[على] تعاليه عن جميع ما نسبوا إليه من الولد والصاحبة والشريك وغيره من الأشياء والأضداد. تعالى عن ذلك.[16] سبحان الله،

---

[1] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير لَيَكُونُنَّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).

[2] «فلما أن بعث رسول الله لم يصدقوه وقصدوا قتله وإهلاكه فقال: أتى أمر الله فلا تستعجوه، أي أتى الرسول [الذي] كنتم تتمنونه فلا تستعجوه، أي فلا تستعجلوا ذهاب ما كنتم تمنونه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣١و).

[3] ك: بيس.

[4] ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨١).

[5] جميع النسخ: هو.

[6] جميع النسخ: به يختم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.

[7] جميع النسخ: فقال.

[8] ن ع م- بعثت.

[9] جميع النسخ: أشار؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.

[10] *صحيح البخاري*، الرقاق ٣٩، والطلاق ٢٥، والتفسير ٧٩/١؛ وصحيح *مسلم*، الجمعة ٤٣، والفتن ١٣٢-١٣٥.

[11] سورة يونس، ١٠/٥٠.

[12] ن: فيها.

[13] جميع النسخ: هو.

[14] م – الله.

[15] ن ع م: تبرئة.

[16] ن + علوا كبيرا.

حرف يذكر على أثر شيء مستبعَد أو مستعجَب أو مستعظَم جوابًا لذلك، وهو ما ذكره على أثر وصف وقول[١] / لا يليق بالله من الولد والشريك ونحوه، فقال: **سبحانه،**[٢] على التنزيه مما وصفوه. [٤٠١ظ]

**﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **ينزل الملائكة بالروح من أمره،** قال بعضهم: قوله: **بالروح،** أي بالوحي الذي أنزله على رسله؛[٣] أو الروح[٤] الرحمة، وهو الذي به نجاة كل من رحمه الله وهداه لدينه، وهو ما ذكر حيث قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[٥] وقيل: الرسالة والنبوة[٦] والقرآن[٧] [كلها سميت] روحًا لأنه به حياة الدين، كما سمي الذي به حياة الأبدان أرواحا. وقال الحسن: قوله: **بالروح من أمره،** أي بالحياة من أمره، وهو ما ذكرنا من حياة الدين.

وقوله عز وجل: **على من يشاء من عباده،** أي على من يشاء أن يختص من عباده ويختاره، وهو مشئية الاختيار وإن كان غيره يصلح لذلك.[٨] وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وإن كان غيره يصلح لذلك.

وقوله عز وجل: **أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون،** على هذا جاءت[٩] الرسل والأنبياء عليهم السلام جميعا: بالإنذار والدعاء إلى وحدانية الله وتوجيه العبادة إليه. وقوله: **أن أنذروا،** هو[١٠] صلة ما تقدم من قوله: **ينزّل الملائكة... أن أنذروا،** ولا يوصل بما يتأخر؛[١١] ثم يخرج على الإضمار، أي: **أنذروا** وقولوا [لهم][١٢] **أنه**[١٣] **لا إله إلا أنا فاتقون.**

---

[١] ع م: وقوله.
[٢] جميع النسخ: سبحان الله.
[٣] جميع النسخ + والرحمة.
[٤] ع م: والروح.
[٥] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[٦] ن + سمي القرآن ولرسالة، جميع النسخ + وما ذكر.
[٧] جميع النسخ – والقرآن.
[٨] «وإن كان غير الذي يختصه يصلح لذلك، إذ هو باختياره يختصه لا لاستحقاق راجع إلى ذات المختصّ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣١و).
[٩] ن ع م: أجاب.
[١٠] ك – هو.
[١١] ع م: توخر؛ ك ن: تأخر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.
[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.
[١٣] م – أنه.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قد ذكرنا قوله: **بالحق** في غير موضع، أنه لم يخلقهما وما فيهما عبثًا، إنما خلقهما[١] لأمر كائن، أو للمحنة والجزاء ونحوه.[٢]

وقوله عز وجل: **تعالى عما يشركون**، مِن [الذي] لا يَخلق ولا يَنفع[٣] ولا يَضرّ ولا يَدفع والذي[٤] يُخلَق ويُنفَع ويُضر ويُدفَع [عنه]، تعالى عن ذلك وتبرّأ.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من نطفة**، يذكّرهم عز وجل نِعمَه عليهم وقدرتَه وسلطانه وعلمه، لأنه لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يدركوا المعنى الذي به تصير النطفة نَسَمَة وإنسانًا ما قدروا عليه، حيث خلق من النطفة إنسانًا على أحسن تقويم وأحسن صورة. وفيه نقض قول الدهرية حيث أنكروا خلق الشيء من لا شيء، لأنهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الإنسان من النطفة، فيلزمهم أن يُقِرّوا بخلق الشيء مِن لا شيء وإن لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا.

وفيه دلالة [على] البعث، لأن من قدر على إنشاء الإنسان من النطفة، وليس فيها من آثار الإنسان شيءٌ، يقدر على البعث وإنشاء الأشياء لا من شيء.

وقوله عز وجل: **فإذا هو خصيم مبين**، قال بعضهم: الخصيم، هو الذي يجادل بالباطل، **مبين**، أي ظاهرٌ مجادلته بالباطل ومخاصمته. وقال بعضهم: الخصيم هو الجَدِل الذي يجادل فيم كان.[٥] قال أبو عَوْسَجة: الخصيم، هو المخاصِم والمخاصَم، كلاهما خصيم. ويقال: فلان خصيمي،[٦] أي مخصمي؛[٧] **مبين**، ظاهر خصومته. والخصيم[٨] هو الفعيل؛ والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعًا، فكأنه قال: **فإذا هو خصيم مبين**، أي منقطع عن الخصومة بيّن انقطاعه،

---

[١] جميع النسخ: خلقهم.
[٢] انظر: سورة الأنعام، ٧٣/٦؛ وسورة الحجر، ٨٥/١٥.
[٣] ك: لا يَنفع ولا يخلق.
[٤] جميع النسخ: في الذي.
[٥] ن ع م: فيما كان.
[٦] ع م: خصمي.
[٧] ع م - أي خصمي.
[٨] م - والخصم.

وهو ما ذكر من خصومته في آية أخرى وانقطاع حجته حيث قال:[١] أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ.[٢] فهذا الذي احتج[٣] عليه[٤] انقطعت،[٥] حجته وبُهِتَ الذي أنكر قدرته[٦] على البعث حيث لم يتهيأ له جوابُ ما احتجّ عليه.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والأنعام خلقها لكم**، يحتمل قوله: **خلقها لكم**، على الظاهر أنه[٧] خلق هذه الأشياء لنا وخلق لنا[٨] فيها دفء ومنافع، كقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[٩] وقوله: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا[١٠] مِنْهُ.[١١] ويحتمل قوله: **والأنعامَ خَلَقَها**،[١٢] أي هو خلقها. ثم أخبر أنه خلق[١٣] لنا فيها منافع بذكر أنواع المنافع والنعم التي أنعم علينا[١٤] مفسرة مبيّنة، واحدة بعد واحدة في هذه السورة وفي غيرها من السور إنما ذكرها مجملة غير مشار[١٥] إلى كل واحدة منها، على ما أشار ما[١٦] في هذه السورة ليقوموا بشكرها وليعلموا قدرته على خلق الأشياء لا من الأشياء.

ثم قوله: **[لكم] فيها دِفْءٌ**، قال بعضهم: الدفء نَسْل كل دابة، وقال بعضهم: ما يُنتج منه. وقال القُتبي: الدفء ما استدفأت به.[١٧] ويشبه أن يكون تفسير الدفء والمنافع التي

[١] ع: يقال.
[٢] سورة يس، ٣٦/٧٧-٧٨.
[٣] ن ع م: احتجاج.
[٤] ك: على.
[٥] ك: فانقطعت؛ ن ع م: فإذا انقطعت.
[٦] أي قدرة الله تعالى.
[٧] جميع النسخ: أن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[٨] ع م – وخلق لنا.
[٩] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[١٠] ك – وقوله: وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا.
[١١] سورة الجاثية، ٤٥/١٣.
[١٢] ك + لكم.
[١٣] ع م – أنه خلق.
[١٤] ع م: عليها.
[١٥] جميع النسخ: مشارة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[١٦] ك – ما.
[١٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤١.

ذكر هو ما فسر في آية أخرى، وهو قوله: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ،[1] الآية. جعل الله عز وجل الأنعام وما ذكر وقاية لجميع أنواع الأذى من السماوي وغيره[2] مما يهيج من الأنفس من الحرّ والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر عدّها[3] ويطول[4] ذكرها،[5] وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب والشرب والأكل، كما قال: وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ،[6] وقال: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ،[7] إلى أجل مسمى.

## ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[٦]

وأخبر أيضًا أن فيها جمالا وزينة بقوله: **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**. فإن قال قائل: أيّ جمال يكون لنا فيها حين[8] الإراحة وحين السّرح؟ قال[9] بعض أهل التأويل: وذلك أنه أعجب ما يكون إذا راحت عظامًا ضُروعها، طِوالاً أَسْنِمَتُها. **وحين تَسْرَحون**، إذا سَرَحت لرعيها. [٤٠٢و] أو أن يكون الجمال عند الإراحة، والسرح / شربُ ألبانها وقِرى الضيف من ألبانها في الرواح والمساء. وقال بعضهم:[10] **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**، وذلك أنهم كانوا[11] يُسَرُّون عند الإراحة والتسريح، وذلك السرور يظهر في وجوههم، فإذا ظهر ازداد لهم جمالاً وحسنًا.[12] وهكذا المعروف في الناس[13] أنهم[14] إذا سُرّوا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد[15] لهم بذلك جمالا،

---

[1] سورة النحل، ١٦/٨٠.
[2] ع م: غيره.
[3] ع م: مدها.
[4] م + مدها.
[5] ع م: وذكرها.
[6] ﴿ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحمَلون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٠).
[7] ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢١).
[8] ع م – حين.
[9] جميع النسخ: وقال؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٣١ظ.
[10] ك + قوله.
[11] ن – كانوا.
[12] ع م: حسنًا.
[13] ن: عند الناس.
[14] ن – أنهم.
[15] ع: ويزداد.

وإذا حزنوا وأصابهم[١] غمّ يُؤثر ذلك الغمّ نقصانا في خلقتهم[٢] فيزداد لهم قبحًا وتشويها. وقال بعضهم: إنهم[٣] إذا أراحوها أو سرحوها رأى الناس أن أربابها أهل غنى وأهل ثروة وأنهم لا يحتاجون إلى غيرهم[٤] ويكون[٥] لغير إليهم حاجة، فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف، وذلك جمالهم وشرفهم فيها. والجمال لهم فيها ظاهر، لأن ما يُبسَط وَيُفرَش إنما يُتَّخذ منها ومن أصوافها، وكذلك ما يُلبَس إنما يكون منها، وإنما يبسط ويفرش ويلبس للتجمل والبهاء. *والله أعلم*.

[٤٠٢و س ٣١ * قال أبو عبيد: **حين تريحون**، يقال منه: أَرَحتُ الإبل أُرِيحها إراحة.[٦] والإراحة عند العرب أن يُصدِر[٧] الرِعاء مواشيَها بالليل إلى مأواها،[٨] ولهذا سمي[٩] ذلك الموضع المُراح. وقوله: **وحين تسرحون**، هو إخراجها إلى المرعى. يقال: سرَحتها أسرَحها سَرْحًا وسُروحًا. وكذلك قال القُتَبي وأبو عَوْسَجة.[١٠] والدفء ما ذكرنا أنه من الاستدفاء.* ٤٠٢و س ٣٤]

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**، ذكر أيضًا ما جعل لنا فيها[١٢] من النَّعم ما تحمل[١٣] من الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد ما لو[١٤] لم يكن أنشأهن، أعني الأنعام التي أخبر أنها تحمل أثقالنا، [لا يوصل] إلى ذلك بدونها[١٥] إلا بجهد وشدة.[١٦]

---

١ ك: أصابهم.
٢ م: خلقهم.
٣ ن - إنهم.
٤ ك: لغيرهم؛ ع م + وأن يكون.
٥ جميع النسخ + يكون.
٦ ع: راحة.
٧ ع م: يصد.
٨ ك: مأويها.
٩ ك ن ع: يسمى.
١٠ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرًا عن موضعه آخر تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٠٢و/سطر ٣١-٣٤.
١٢ ن ع م: فيها لنا. أي في الأرض.
١٣ ع: يحمل.
١٤ ع م - لو.
١٥ جميع النسخ: بدونه؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
١٦ قال علاء الدين السمرقندي: «ذكر أيضًا ما جعل فيها من النعم ما تحمل من الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد ما لا يوصل إلى ذلك بدونها إلا بجهد وشدة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٢ظ).

وذلك -والله أعلم- أن الله جعل في هذه الأنفس حوائج وقواما ومما[1] لا قوام[2] لها إلا بذلك، فلعله لا يظفر بما به قوام النفس إلا في بلد آخر أو مكان آخر. فلو تحمّل ذلك بنفسه لكان في ذلك تَلَفُ نفسِه وذهابُ ما به قِوامُه، فذكر أنه خلق لنا ما يحمل به من بلد إلى بلد مما به قوام أنفسنا وحاجاتنا.[3] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إن ربكم لرءوف رحيم**، أي من رحمته ورأفته ما جعل لكم من المنافع في الأنعام وما ذكر، أو ذَكَرَ[4] هذا ليرحموا على هذه الأنعام التي خلقها لهم[5] في الإنفاق عليها والإحسان إليها. وذكر فيه: وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،[6] وذلك لا يوصل إلى أكله إلا بالذبح، ليعلم أن الذبح فيما يؤكل ليس بخارج من الرحمة والرأفة.

وذلك ينقض على الثَنَوِيّة قولَهم، حيث[7] أنكروا ذبحَ هذه الأشياء وقالوا: إنها تتألم[8] بالضرب والذبح[9] والقتل كما تتألمون أنتم، فمن قصد قصد أحدكم بالقتل فهو سفيه عندكم غير حكيم[10] ولا رحيم،[11] بل موصوف بالقساوة[12] والسفه، والله[13] سبحانه موصوف بالحكمة والرحمة والرأفة،[14] لا يجوز أن يأمر بالذبح والقتل لهذه الأشياء، إذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة.

فيجاب لهم بوجوه. أحدها أن الله خلق هذا البشر في هذه الدنيا للمحنة ولعاقبة قصدها؛ إما ثوابًا وإما عقابًا، وأخبر أنه خلق هذه الأشياء لنا وجعل لنا فيها منافع تتأمل وتقصد. وقد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرأفة[15] على نفسه، يجرّح نفسَه الجِراحات ويحمل عليها الشدائد

---

[1] جميع النسخ: ما.
[2] ع م: بالأقوام.
[3] ك: وحاجتنا.
[4] م: ذكروا وذكر.
[5] ك: لكم.
[6] ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥).
[7] ع م - حيث.
[8] جميع النسخ: ويقولون إنهم يتألمون.
[9] ك ن: بالذبح والضرب؛ ع: والذبح بالضرب.
[10] ن - غير حكيم.
[11] م: رحم.
[12] م: بالفساقة.
[13] جميع النسخ: فالله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[14] ك: والرأفة والرحمة.
[15] ك: وبالرأفة والرحمة.

والمكروهات لمنافع يقصدها[١] وخيرٍ يأمل[٢] في العاقبة. ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من نَحَا[٣] الحجامة والافتصادَ[٤] وشرب الأدوية الكريهة الشديدة؛ ما لو لم يأمل[٥] ما قصد من النفع في العاقبة ما تَحَمَّل تلك المكروهات والشدائد. فدل ما وصفنا أن تحمل الأذى والألم والمكروه غير خارج عن الحكمة والرحمة، ولا الفعل بما فعل سَفَهٌ إذا كان لمنافع تُقصَد في العاقبة وعاقبة تؤمَل،[٦] فيبطل قول الثنوية: إن ذلك مما يزيل الرحمة. على أن هذه الأنعام والبهائم لم تخلق[٧] للمحنة والجزاء[٨] في العاقبة، ولكن خلقت لمنافع البشر، فلهم الانتفاع بها؛ مرة بلحومها ومرة بحمل أثقالهم[٩] والانتفاع بظهورها. مع ما ذكرنا أنّ تحمل المكروهات وأنواع الشدائد[١٠] والآلام،[١١] لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرحمة والرأفة، إذا قصد به النفع في العاقبة وطمع فيه الخير. وهذا يدل أنه أبيح لنا الانتفاع بها والذبح؛ على غير جعل حقيقتها لنا حيث لم يُبَح لنا إتلافها، إذ لو كان أصول الأشياء لنا لكان لا يمنع عن الإتلاف. فدل أنه أبيح لنا الانتفاع بها، على غير جعل الحقيقة والأصول لنا. فيبطل قول من يقول: إن الأشياء في الأصل على[١٢] الحل والإباحة حتى يقوم ما يَحظُر.[١٣]

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**، وقوله: **وزينة**،[١٤] يحتمل وجهين. أحدهما أن الماشي هو دون الراكب، والمشي يؤثر نقصانا في الوجه والركوب لا،

---

[١] جميع النسخ: تقصد.
[٢] جميع النسخ: يتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[٣] جميع النسخ: نحو.
[٤] الفصد: شَق العِرق، وافْتَصدَ فلان إذا قطع عرقَه فَفَصَد (*لسان العرب*، «فصد»).
[٥] جميع النسخ: يتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[٦] جميع النسخ: تتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[٧] ن: يخلق.
[٨] ك ع م: وللجزاء.
[٩] ع م: أثقالها.
[١٠] ك: تحمل الشدائد وأنواع المكروهات.
[١١] م: والألم.
[١٢] ن – على.
[١٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٠٢و/سطر ٣١-٣٤.
[١٤] ع – وقوله وزينة.

وذلك زينة على ما ذكرنا في قوله: **ولكم فيها جمال**. والثاني أن الراكب[1] إذا نظر إلى الماشي سُرَّ بركوبه، فالسرور يظهر في وجهه،[2] وذلك يزيد في حسنه وجماله. وأصله ما ذكر عز وجل: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ، الآية.[3] **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**، بيّن أنه لماذا خلق الأنعام وما جعل فيها، وهو ما ذكر أنه جعل فيها الدِّفء والمنافع، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وبين أنه لماذا خلق الخيل وهو ما ذكر: **لتركبوها وزينة**. وسئل ابن عباس رضي الله عنه

[٤٠٢ظ] عن لحوم الخيل / فقرأ: **والخيل والبغال والحمير لتركبوها**، ولم يقل: لتأكلوها،[4] فكره أكلها لذلك. وتمام هذا [الاستدلال][5] أن الله ذكر الأنعامَ وما ذكر من النعم والانتفاعَ بها وبالغ في ذكرها لأنه قال: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وقال: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ،[6] الآية، وقال: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ [فِيهِ تُسِيمُونَ] وقال: يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ،[7] وقال: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا،[8] إلى آخر ما ذكر. ذكر جميع ما ينتفع به من أنواع المنافع ذكرا شافيا[9] مبالغا غير مكتف.[10] فدل ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب؛ إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء ليس على الاكتفاء، ولو كان هنالك منفعة أخرى لذكر على[11] ما ذكر في غيره. *والله أعلم*.

والثاني من الأشياء أشياءُ يعرَف خبثها بنفار الطباع [عنها]، والصبيان أولَ ما بلغوا يرغبون في ركوبها، لا أحد يرغب في أكلها إلا من غير طبعه عما كان مجبولا به، فهو يرغب في أكله. وأما من تُرك وطبعَه يستخبث وينفر طبعه عن أكله. *والله أعلم*.

---

[1] ن – والمشي يوثر نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك زينة على ما ذكرنا في قوله ولكم فيها جمال والثاني أن الراكب.

[2] ع: على وجهه.

[3] ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دِفْءٌ ومنافع ومنها تأكلون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥).

[4] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/٨٢.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.

[6] سورة النحل، ١٦/٥-٦.

[7] سورة النحل، ١٦/١٠-١١.

[8] سورة النحل، ١٦/١٤.

[9] ك ع م – شافيا.

[10] جميع النسخ: مكفي؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.

[11] ع – على.

وروي عن جابر قال: لما كان يوم خيبر أصاب الناس مجاعة وأخذوا الحُمُرَ[1] الأهلية فذبحوها، فحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الإنسية ولحوم الخيل والبغال وكلِّ ذي ناب من السباع وكل ذي مِخْلب من الطير، وحرم الخُلْسة،[2] و النُّهْبَة.[3] وروي عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك قال: أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر.[4] وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: نحرنا فرسًا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه.[5] وفي بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] نهي[7] عن لحوم الحمر وأذن لنا في لحوم الخيل.[8]

قلنا قد يجوز أن يكونوا أكلوه في الحال التي كان يؤكل فيها[9] الحمر، لأن النبي إنما نهي عن أكل لحوم الخيل صحيحًا فقد يجوز أن يكونوا أكلوا لحم الفرس في حال الإباحة، إذ لم يذكروا الوقت.

وعن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكلون لحوم الخيل في مغازيهم، وكان الحسن لا يرى بها[10] بأسًا على كل حال. وقول الحسن: إنهم كانوا يأكلون[11] لحوم الخيل[12] في مغازيهم يدل على أنهم كانوا يأكلونها[13] في حال الضرورة. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخيل لثلاثة، فهي لرجل كذا ولرجل آخر كذا وعلى رجل وِزْرٌ».[14] يبين أنها لا تصلح لغير ذلك، ولو صلحت للأكل لقال: الخيل لأربعة، ولَقال: ولرجل طعام. ومما يبين ما ذكرنا أن البغل حرام وهو من الفَرَسَة.

---

[1] ن: الحمير.

[2] خَلَسْتُ الشيء واختَلَسْته وتَخَلَّسْته إذا استَلَبته. والخُلْسَة النُّهزةُ. يقال: الفُرصَةُ خُلْسَةٌ (*لسان العرب*، «خلس»).

[3] النَّهْبُ: الغارةُ والسَّلْبُ؛ والنُّهْبَة والنُّهْبَى والنُّهَيْبَى كلُّه اسمُ الانْتِهاب (*لسان العرب*، «نهب»). انظر: *صحيح البخاري*، الجهاد ١٣٠، النكاح ٣١، الذبائح ٢٧-٣٨، الحيل ٤؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦-٣٨، النكاح ٢٩-٣٢.

[4] صحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦؛ وسنن *النسائي*، الصيد والذبائح، ٢٩).

[5] جميع النسخ: فأكلنا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و. صحيح *البخاري*، الذبائح، ٢٧؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٣٨.

[6] ن + لحوم الخيل.

[7] ن: نهانا.

[8] انظر: صحيح *البخاري*، الجهاد ١٣٠، الذبائح ٢٧-٣٨؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦.

[9] ن – فيها.

[10] ع م: فيها.

[11] ك ن: يأكلونها.

[12] ك ن – لحوم الخيل.

[13] ن ع م: يأكلون.

[14] «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل سِتْر، وعلى رجل وِزْر» (صحيح *البخاري*، الجهاد، ٤٨؛ وصحيح *مسلم* الزكاة، ٢٤).

فلو كانت[1] أمه حلالا[2] كان هو أيضًا حلالا؛ ولأن[3] حكم الولد حكم أمه لأنه منها أو هو كبعضها. فمن حرم لحم البغل لزمه أن يحرم لحم الفرسة في حكم النظر والمقاييس. ألا ترى أن حمار وحش لو نزا[4] على حمارة أهلية لم يؤكل ولدها. ولو أن حمارا أهليا[5] نزا على حمارة وحشية فولدت أكل ولدها. أفلا ترى أنه جعل حكم الولد حكم أمه [في الحل والحرمة][6] ولم يعتبر بالفحل. فلما كان لحم البغل حرامًا وجب أن يكون لحم الفرسة كذلك، إلا أن أبا حنيفة رحمه الله كان يطلق تحريم أكلها لما فيها من الشبهة ولاختلاف الأحاديث[7] المروية عن رسول الله، لكنه ذكر [عنه] الكراهة[8] للشبهة التي فيها. وكان أبو يوسف رحمه الله يبيح أكلها. وقد يجوز أن يُحتجّ لأبي يوسف في الفرق بين المولود من الفرسة وبين ولد الحمار الوحشية إذا نزا عليها حمار أهلي بأن ولد الحمار لم يتغير عن جنس[9] أمه فحكمه حكمها، والبغل ليس من جنس أمه [بل] هو من جنس ثالث، فلذلك لم يكن سبيلها بسبيله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويخلق ما لا تعلمون**، أخبر أنه يخلق ما لا نعلم، فليس لنا أن نتكلف في علم ذلك؛ أو يخلق[10] من النِّعَم فيما خلق ما لا تعلمون أنتم أنها نِعم. أو قال [ذلك لأنه] يقول قوم أن ليس لله أن يخلق شيئًا لا يُطلع[11] الممتحَن [عليه].

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وعلى الله قصد السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: أي على الله بيان قصد السبيل، وهو[12] يبين الهدى من الضلالة ويبين[13] السبل التي تفرقت عن سبيله، كقوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.[14]

---

[1] ن: فلو كان.
[2] م: حلا.
[3] ع م: وكذا.
[4] م: لو نرى.
[5] ع م: هليا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[7] جميع النسخ: والاختلاف والأحاديث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[8] ع: الكراهية.
[9] ن – جنس.
[10] ع م: مخلق.
[11] ك ن ع: لا يطلعه؛ م: لا يطعمه.
[12] م: وهدي.
[13] جميع النسخ + من.
[14] ﴿لا تُحرّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩).

وقوله عز وجل: **ومنها جائر**، أي عليه بيان ما يجور منها، قصد السبيل يُعدَل ويجار. أو يقال: وبالله يوصل إلى قصد السبيل. وقال بعضهم: **وعلى الله**، أي وبالله يوصل [إلى] **قصد**[1] **السبيل** -وهي السبيل التي ذكرنا- **ومنها جائر**، كقوله: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ.[2] وقال بعضهم: طريق الحق والعدل لله. وقد يستعمل حرف "على" مكان اللام،[3] كقوله:[4] وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[5] أي للنصب، وقوله: وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ،[6] أي لربهم، وكقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[7] **ومنها جائر**، وهي السبل المتفرقة عن سبيله.[8]

وقوله عز وجل: **ولو شاء لهداكم أجمعين**، قد ذكرنا تأويله.[9] وقوله: **ولو شاء لهداكم أجمعين**، يخرج على وجهين. أحدها، لو شاء أكرم الخلق كلهم[10] اللطف الذي أكرم أولياءه فاهتدَوا به فيهتدون. والثاني لو شاء اعطاهم جميعًا الحال التي يكون بها الاهتداء، وهو ما قال: وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[11] إلى آخر ما ذكر، لما لا يحتمل أنه إذا كان ذلك مع الكفار لكفروا جميعًا وإذا كان تلك الحال للمسلمين لا يُسلمون.

**﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **هو الذي أنزل من السماء ماء، هو**[12] موصول بقوله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ / بِالْحَقِّ،[13] وقوله: خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ[14] وقوله: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ،[15] [٤٠٣ر]

---

[1] جميع النسخ: بقصد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[2] ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[3] جميع النسخ: له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[4] ع م - كقوله.
[5] سورة المائدة، ٣/٥.
[6] سورة الأنعام، ٣٠/٦.
[7] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[8] ك - ومنها جائر وهي السبل المتفرقة عن سبيله.
[9] انظر: سورة الأنعام، ١٤٩/٦.
[10] جميع النسخ: كله.
[11] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).
[12] ع م - هو.
[13] سورة النحل، ٣/١٦.
[14] سورة النحل، ٤/١٦.
[15] سورة النحل، ٥/١٦.

[وقوله]: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ.[1] يقول: الذي خلق لكم ما ذكر من الأشياء **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر**. هذا يحتمل ما ذكرنا أنه أنزل من السماء ماء لنا.[2] ثم أخبر: **لكم منه شراب ومنه شجر**.

ثم يحتمل قوله: **منه شراب**، جميعَ ما يُشرَب من الأشربة، إذ منه تكون الاشربة جميعًا وجميع الأشياء. ويحتمل **منه شراب**، الماءَ خاصة، **ومنه شجر**، الشجر المعروف.[3] [و]هو الذي يعلو ويرتفع في الأرض، لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الأرض شجرا. فظاهر هذا أن يرجع إلى ذلك المعروف إلا أنه ذكر شجرا **فيه تُسيمون**، أي تَرْعَون،[4] دل هذا أنه إنما أراد بالشجر المنبسط على وجه الأرض والمرتفع عليها.

قال[5] القُتبي: السائمة الراعية، وكذلك قال أبو عَوسَجة. وقال أبو عبيدة:[6] أَسَمْتُ سائميّ، أي رعيتها، وكذلك قوله: وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ،[7] أي الراعية.

**﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات**، أي ينبت[8] لكم بالماء الذي ذكر أنه أنزل من السماء الزرعَ والزيتون وجميع ما ذَكر. جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الأشياء المختلفة والمتفقة، ليس كغيره من الدواب حيث لم يجعل لقاح شيء من جنسٍ آخر، إنما جعل لقاح كل نوع من نوعه. وجعل في الماء بلطفه سِرّيّةً توافق جميع الأشياء المختلفة، لو اجتمع الخلائق على إدراك ذلك -وإن اجتهدوا- لم يقدروا عليه؛

---

[1] ع م - والحمير. سورة النحل، ٨/١٦.

[2] جميع النسخ + هذا يحتمل ما ذكرنا أنه أنزل من السماء ماء لنا (ك - لنا) ثم أخبر لكم منه شراب ومنه شجر ثم أخبر أنه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي أنزل من السماء ماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

[3] جميع النسخ: معروف.

[4] جميع النسخ: تزرعون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

[5] جميع النسخ: وقال.

[6] ن: أبو عوسجة.

[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ (سورة آل عمران، ١٤/٣).

[8] ن ع م: تنبت.

يعرفون الماء ظاهرًا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية التي[١] بها[٢] تكون[٣] حياة[٤] كل أحد وموافقته.

وقوله: **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**، ذكر أن فيه آية لقوم يتفكرون ولم يذكر أنه [آيةٌ] لماذا، لكنه ذكر أنه آية لقوم يتفكرون،[٥] [أي] بالتفكر يعرفون[٦] أنه آية لماذا. وهذا[٧] يدل على [أن] الأشياء التي غابت عنا[٨] ظواهرها بالتفكر والنظر تدرك.

**﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٢]**

وقوله: **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمرَ والنجومُ**، وما ذكر. ووجه تسخير هذه الأشياء لنا هو[٩] أن الله خلق هذه الأشياء وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع إلى الخلق شِئْنَ أو أَبَيْنَ، أحببن أو كرهن. جعل في النهار معاشًا للخلق وتقلبا فيه يتعيشون ويتقلّبون، وجعل الليل راحة لهم وسكنا ينتفعون بهما شاءا أو أبيا، وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من إنضاج الفواكه والثمرات، وإدراك الزروع وبلوغها، ومعرفة الحساب والسنين والأشهر، ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك من المنافع ما ليس في وسع الخلق إدراكها.[١٠] ينتفع الخلائق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الأشياءُ أو أبت، فذلك وجه تسخيرها لنا.

ويحتمل ما ذكر[١١] من تسخير هذه الأشياء لنا ما جعل في وسعنا استعمال هذه الأشياء والانتفاع بها والحِيَلَ التي بها نقدر على استعمالها في حوائجنا. ويحتمل تسخيرها لنا [في] ما ننتفع[١٢] بهن شئن أو أبين بالطباع. *والله أعلم*.

---

[١] ن: الذي.
[٢] جميع النسخ: به.
[٣] ك: تكون به؛ ن ع م: يكون.
[٤] ع م + كل حياة.
[٥] ع – ذكر أن فيه آية لقوم يتفكرون و لم يدكر أنه لماذا لكنه ذكر أنه آية لقوم يتمكرون.
[٦] جميع النسخ: يعرف؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[٧] ع م: او هذا.
[٨] م: عنها.
[٩] جميع النسخ: وهو.
[١٠] جميع النسخ: إدراكه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[١١] ن – ما ذكر.
[١٢] جميع النسخ: ينتفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

وقوله عز وجل: **مسخَّراتٌ بأمره**، يحتمل وجهين. يحتمل، أي **بأمره**، تنتفع[1] الخلائق. ويحتمل **بأمره**، أي كونها في الأصل هكذا بأن ينتفع[2] الخلق [بها]. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون**، وقال[3] في الآية الأولى: لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.[4] جعل الله عز وجل التفكر سبيلا للعقول إلى إدراك [الأشياء] المغيَّبة بالحواس الظاهرة؛ إذ لا سبيل للعقل إلى إدراك ما غاب عنه إلا بالحواس الظاهرة والتفكر فيها، لأن ما غاب عن الحواس الظاهرة،[5] لا يدركه العقل. فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول إلى درك المغيَّب عنها. ذكر عز وجل: في الآية الأولى:[6] لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وذكر في الآية الثانية: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ،[7] وفي الآية الثالثة: لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ،[8] وفي الرابعة: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[9] فهو –والله أعلم– كرره على مراتب، لأنه بالتفكر فيها يَعقل ويعلم، ثم بعد العلم والعقل والفهم يتذكر، وإذا تذكر عند ذلك شكر نعمه.

ثم [في] قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**[10] وما ذكر فيه دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته، ودلالة بعث الخلائق، ودلالة قدرته وسلطانه، لأن الليل والنهار يأتيان الجبابرة والفراعنة ويُذهبان بعمرهم ويُفنيانه، شاؤا أو أبَوْا، فذلك آية سلطانه وقدرته، لِيُعلَم أن له السلطان والقدرة،[11] لا لهم. وفيهما[12] دلالة البعث، لأنه إذا أتي هذا ذهب الآخر حتى لا يبقي له أثر، ثم ينشئ مثله بعد أن لم يبق من الأول شيء ولا أثر. فالذي قدر على إنشاء الليل والنهار[13] بعد ما ذهب أثره وتلاشى لقادرٌ على إنشاء الخلق بعد ما ذهب أثرهم. وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكر،

---

[1] جميع النسخ: تنفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[2] جميع النسخ: تنفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[3] ع م: قال.
[4] الآية السابقة.
[5] ع م – والتفكر فيها لأن ما غاب عن الحواس الظاهرة.
[6] ن – الأولى.
[7] وهي التي يقوم بتأويلها.
[8] الآية التالية.
[9] جميع النسخ: لقوم يشكرون. سورة النحل، ١٦/١٤.
[10] جميع النسخ + يتفكرون.
[11] ك: القدرة والسلطان.
[12] أي في الليل والنهار.
[13] جميع النسخ: النهار أو الليل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.

لما اتسق هذا كله على سَنَن واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل، وعلى غير تقديم ولا تأخير، بل[١] جرى كله على سنن[٢] واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت ولا تفاضل[٣] [و]لا اختلاف. دل أنه على تدبيرٍ واحد خرج ذلك، لا على الجزاف، وأن مدبر ذلك كله واحد؛ إذ لو كان تدبيرَ عددٍ لخرج[٤] مختلفا متفاوتا؛ فدل أنه تدبير واحدٍ لا عدد، وأنه على تدبير غيرٍ خرج وجرى كذلك لا بنفسه، وأنه على حكمة[٥] / وعلم جرى كذلك، فيدل على لزوم [٤٠٣ظ]
الرسالة والعبادة له.[٦] فهذا[٧] -والله أعلم- تأويلُ قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.**

**﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه**، أي مختلفًا أصنافه وجواهره. يخبر عز وجل عن قدرته وسلطانه ونعمه التي أنعمها عليهم. أما سلطانه وقدرته، ما خلق في الأرض وأنبت فيها بالماء لم يرجع إلى جوهر الأرض وجنسها ولا إلى جوهر الماء وجنسه. وهما كالوالدين: الماء كالأب والأرض كالأم، فلم يرجع ما خرج منهما[٨] من جنسهما ولا من جوهرهما؛[٩] كما كان في سائر الأشياء رَجَع التوالد منها [مَثَلا] إلى جنس الوالدين وجوهرهما. بل رجع التوالد والمنشأ من الأرض والماء إلى جنس البِذر وجوهره، لتُعلَم[١٠] قدرته وسلطانه على[١١] إنشاء الأشياء بأسباب وبغير أسباب، ومن شيء ومن لا شيء، ويذكرَ نعمه حيث أخبر أنه خلق في الأرض من الأصناف المختلفة والجواهر المتفرقة لينتفعوا بها. ويحتمل قوله: **مختلفا ألوانه**، من جنس واحد ومن[١٢] شيء واحد، لأنه يكون من جنس واحد ألوان مختلفة، ومن قدر على إنشاء ألوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء.

---

[١] م – بل.
[٢] ن ع م – سنن.
[٣] ع م – ولا تفاضل.
[٤] ن ع م: يخرج.
[٥] جميع النسخ: حكمته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[٦] ن – له.
[٧] م – فهذا.
[٨] أي من الماء والأرض.
[٩] ع: جوهر.
[١٠] جميع النسخ: ليعلم.
[١١] ع م: إلى.
[١٢] ك ن م: واحد من شيء.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآية لقوم يَذَّكَّرون**، وفي آية: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.[1] وفي آية: لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ،[2] وفي آية:[3] لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[4] و[وفي آية][5] لِلْمُتَوَسِّمِينَ،[6] وفي آية: لِلْمُؤْمِنِينَ.[7] فيحتمل أن يكون كله كناية عن المؤمنين. كأنه قال: إن في ذلك لآية للمؤمنين، إذ يجمع الإيمان جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر وغيره.

ويحتمل: **إن في ذلك لآية لقوم** يتفكرون، ويعقلون، ويَذَّكَّرون،[8] أي لقوم همتهم الفكر والنظر في الآيات، ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها، لا لقوم همتهم العناد والمكابرة والإعراض عن النظر في الآيات والفكر فيها.[9] [أو] ذكر الآية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين، لما [كان][10] منفعة الآية تكون لهؤلاء، وإن كانت الآيات لهم ولغيرهم فمنفعتها لمن ذكر. *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا**، وتسخيره إياه لنا هو ما بذل للخلق ما فيه من أنواع الأموال التي خلق الله فيه من الحُلِيّ والجوهر واللؤلؤ، وبَذَل ما فيه من الدواب، السمك وغيره. فلولا تسخير الله إياه للخلق وتعليمه إياهم الحِيَل التي بها يوصل إلى ما فيه[11] من الأموال النفيسه، وإلا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول إليه لشدة أهواله وأفزاعه. وقوله عز وجل: **لتأكلوا منه لحمًا طريًا**، يحتمل السمك خاصة، ويحتمل السمك وما فيه[12] من الدواب من نوع ما لو كان بَرِّيًّا أُكِل[13] من نحو الجواميس وغيرها.

---

[1] سورة النحل، ١٦/١٢.
[2] سورة النحل، ١٦/١١.
[3] ع م - أخرى.
[4] ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣).
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[6] ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٧٥).
[7] ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٧٧).
[8] ك: ويذكرون ويعقلون.
[9] جميع النسخ + وفي.
[10] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[11] ع: في نفسه.
[12] أي في البحر.
[13] م - آكل.

وقوله عز وجل: **وتستخرجوا منه حِلْية تلبسونها**، يحتمل الحلية اللؤلؤ والمرجان الذي ذَكر[١] في آية أخرى حيث قال: يَخْرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ.[٢] ثم يحتمل قوله: **حلية**، أي[٣] ما يتخذ منه حلية، وهذا جائز أن يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير به في المتعقِب؛ أو يسمى حلية لأنه زينة. ولا شك أن اللؤلؤ والمرجان هما زينة، ألا ترى أنه ذكر في الأنعام زينة[٤] وجمالا[٥] وفي الخيل والبغال كذلك.[٦] فالزينة في اللؤلؤ والمرجان أكثر، والجمال فيها[٧] أظهر. أخبر أنه جعل لنا الوصول إلى ما في[٨] قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وأنواع الحِلْي، وما في بطن البحر وهو ما ذكر من اللحم الطَّرِيّ، وما هو على وجه الماء وهي السفن التي ذكر.

ووجه تسخيره إيانا الحِيَل والأسباب التي علَّمَنا حتى نصل إلى ما فيه، فكأنه قال: سخَّرتُ لكم البحر من أسفله إلى أعلاه. وفي ذلك دلالات. أحدها إباحة التجارة بركوب الأخطار، لأن الغائص[٩] في البحر يخاطر[١٠] بنفسه[١١] وروحه، وكذلك راكب السفن. فلولا أنه مُباح له طلبُ ذلك، وإلا ما ذكر هذا في مننه، إذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وترى الفلك مَواخِرَ فيه**، قال الحسن والأصم: المواخر السفن المشحونات[١٢] الوافرة أحمالها وأثقالها. يذكر مننه[١٣] التي منّ بها عليهم، حيث جعل لهم السفن والفلك التي تحمل[١٤] بها الأحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها التسفل والانحدار في البحر، فامسكها فيه بالسفن العظام الثقيلة. وقال بعضهم: **مَواخِرَ**، أي جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في البحر،

---

[١] ن – ذكر.
[٢] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.
[٣] ع – أي.
[٤] ع م – ألا ترى أنه ذكر في الأنعام زينة.
[٥] ع م: وجمال.
[٦] انظر: سورة النحل، ١٦/٥–٦، ٨.
[٧] جميع النسخ: فيه. وفيها: أي في الأنعام والخيل والبغال.
[٨] ع م: إلى التالي.
[٩] ع م: الغائطي.
[١٠] جميع النسخ: يخطر.
[١١] وخاطر بنفسه يُخاطر: أشفَى بها على خطرِ هُلْكٍ أو نَيْلِ مُلْكٍ. (*لسان العرب*، «خطر»).
[١٢] جميع النسخ: المحشوات؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[١٣] ع م: منته.
[١٤] ن ع م: يحمل.

لأن ماء البحر راكد فأجرى السفن فيه بالرياح حيثما[1] أرادوا وقصدوا؛ إذ الأشياء قد تجري على جرية[2] الماء إذا كان له جرية. وأما إذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل إلى ذلك. فيذكر عظيم مننه وقدرته على إجراء السفن في الماء الراكد بالريح. وقال بعضهم: **مواخرَ**، أي جواري تشُقّ الماء شقا وتخرُقه. يقال: مَخَرَت السفينةُ، ومنه: مَخْرُ الأرض، إنما هو شق الماء لها، وهو قول القُتبي.[3] وكذلك قال أبو عبيدة: إنه مِن شق السفنِ الماءَ.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: المواخر المستقبِله، يقال: إستَمخَر الإنسان الريحَ إذا استقبلها. وقال أبو عبيدة: مواخر من الاستدبار،[5] يقال: إذا أراد أحدُكم البولَ فليستمخِر الريح، أي يستدبرها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولتبتغوا من فضله**، يحتمل بالتجارة التي جعل فيها حيث جعل فيها[6] سبيل قِطع البحار إلى بلاد نائية بعيدة بالسفن ليبتغوا[7] ما به قوام أبدانهم وأنفسهم؛ إذ جعل بِنْيتهم بنية [٤٠٤و] لا تقوم إلا بالأغذية، ولعلهم لا يظفرون ما به قوام أبدانهم وبنيتهم في بلادهم فيحتاجون / إلى البلاد النائية البعيدة عنهم؛ فمنّ عليهم بذلك كما منّ بقطع المفاوز والبرارِي بالدواب بقوله: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ.[8] وقال:[9] **ولتبتغوا من فضله**، بما يستخرج منه.

**ولعلكم تشكرون**؛ جميعُ ما ذكر من أنواع[10] النِعم والمنافع من أول السورة إلى آخرها يَسْتَأدِي به شكره.

وفي قوله: **ولتبتغوا من فضله**،[11] دلالة إباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الأخطار واحتمال الشدائد، حيث أخبر أنه سخر البحر حتى أمكنهم ركوبه[12] بالحيل والأسباب التي علّمها[13] لهم، لأن الغوّاص يخاطر[14] بروحه ونفسه، وكذلك راكب السفينة.

---

[1] ع م – حيث.
[2] ع م: جري.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٢.
[4] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٥٧/١.
[5] ع: بالاستدبار.
[6] ع م – فيها.
[7] جميع النسخ: لتبتغوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[8] سورة النحل، ٧/١٦.
[9] جميع النسخ + أو قال.
[10] ك ع م: ألوان.
[11] ن – من فضله.
[12] ن: ركوبهم.
[13] ن: عملها.
[14] جميع النسخ: يخطر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٥]

وقوله[١] عز وجل: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**، أي ألقى في الأرض الجبال[٢] لئلا تميد بكم،[٣] لأنها بُسطت على الماء فكانت تَكَفَّأُ[٤] بأهلها كما تَكَفَّأُ السفينةُ في الماء، فأثبتها بالجبال لِتَقرّ بأهلها. لكن لو كان على ما ذكروا أنها بُسطت على الماء لكانت لا تَكَفَّأُ[٥] ولا تضطرب ولكن[٦] تتسرب في الماء وتنهار فيه، لأن من طبعها التسفُّل والتسرُّب في الماء، إلا أن يقال: إن[٧] الله عز وجل جعل[٨] بلطفه طَبْعها طبعَ ما يضطرب ويتَكَفَّأ[٩] [دون التسرب والانحدار مثل الخشب]،[١٠] فعند ذلك يحتمل ما ذكروا. *والله أعلم*.

ولو قالوا: إنها بُسطت على الريح لكان يحتمل ما قالوا[١١] ويكون أشبهَ بقولهم، ألا ترى أن السراج في الآبار والسروب لا يضيء، بل ينطفئ كلما[١٢] أُسرج، فيشبه أن يكون انطفاؤه لريح يكون في الأرض. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم،[١٣] والله أعلم بذلك. وقال بعضهم: بُسطت على ظهر[١٤] الثور فكانت تضطرب بتحركه فأرساها بما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قوله: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارًا وسبلًا**، يخرج ذكر ذلك منه [مخرج][١٥] ذكر الامتنان والنعمة، لأن له أن يترك الأرض على ما خلقها، ولا يثبتها بالجبال لتميد بأهلها وتُميلها

---

[١] ن – وقوله.

[٢] ع م: رواسي.

[٣] ك ن + قال بعض أهل التأويل قوله وألقى في الأرض رواسي لئلا تميد بكم.

[٤] جميع النسخ: تكفو. وكَفَأَ الشيءَ والإناءَ يَكْفَؤُه كَفْأً وكَفَّأه فتكفّأ، وهو مكفوء، واكتفأه مثل كفأه: قَلَبَه. ورجلٌ يتكفّأ به الصراطُ، أي يتميّل ويتقلّب. والتَّكَفِّي: التَّمايُلُ إلى قُدّام كما تتكفّأ السَّفينة في جَرْيِها. (*لسان العرب*، «كفأ»).

[٥] ك: لا تتكفو؛ م: لا تكفوا؛ ن ع: لا تكفو.

[٦] ن ع م: ولكنها.

[٧] م – إن.

[٨] ع م – جعل.

[٩] ك: تتكفو ن: وتنكفوا؛ ع م: تكفوا.

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

[١١] ك ن + و يحتمل ما قالوا.

[١٢] جميع النسخ: كما.

[١٣] انظر: تأويل سورة الرعد، ٣/١٣.

[١٤] ع م: ظهور.

[١٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

فلا يقدِروا[1] على القرار عليها والانتفاع بها، لكنه بفضله ومَنِّه أثبتها بالجبال ليَقرّوا عليها ويقدروا على الانتفاع بها. وكذلك له أن لا يجعل لهم فيها أنهارًا[2] جارية، فيكون مياههم من آبارها.[3] وكذلك له أن يُحْوجهم بأنواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التي بها[4] يصلون إلى قضاء حوائجهم ويكلّفهم طلب[5] الطرق والسبل التي[6] تُفضي إلى البلدان والأمكنة التي[7] فيها تقضى حوائجهم، وكذلك بفضله جعل لهم في الأرض أنهارا جارية وأثبت الأرض بالرواسي ليقروا عليها، وذلك كله بمنه وفضله.

وقوله عز وجل: **لعلكم تهتدون**، يحتمل **تهتدون**[8] الطرق والسبل التي تُفضيهم[9] إلى الحوائج. ويحتمل **تهتدون**، الهدى المعروف بما ذكر من نعمه ومننه. ***والله أعلم***.

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وعلامات وبالنجم هم يهتدون**، هذا أيضًا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم، لأنه لو ما جعل الله أعلامًا في البحار والبراري يعرفون بها السلوك فيها، وإلا لم يقدر أحد معرفة الطرق في البحار والبراري. ثم يحتمل الأعلام [في البحار][10] مرة بطعم الماء وبالجبال التي[11] فيها وبالرياح، ومرة تكون بالنجم. يعرفون بطعم الماء أن هذا الطريق[12] يفضي[13] إلى موضع كذا.[14] وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح[15] السبل إلى حوائجهم ومقصودهم.

---

[1] ع: تقدروا.
[2] ن ع: أنهار.
[3] ن ع م: آثارها.
[4] م: بما.
[5] ك – ويكلفهم طلب + لكنه بفضله ومنه بين.
[6] ك م + بها؛ ع + يصلون إلى قضاء حوائجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجهم بأنواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل لكنه بفضله ومنه يبين لهم الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجهم؛ ن + لكنه بفضله ومنه يبين لهم الطرق والسبل التي.
[7] ك – تفضي إلى البلدان والأمكنة التي.
[8] ع م – يحتمل تهتدون.
[9] ن ع: تقضيهم.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.
[11] جميع النسخ + جعل.
[12] ع: الطرق.
[13] ع: يقصي.
[14] ع: ذلك.
[15] ن ع م + يعرفون؛ ك – يعرفون بطعم الماء أن هذا الطريق يفضي إلى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون.

وكذلك بالنجم يعرفون الطرق. فالأعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل. ويحتمل **يهتدون**،[١] بما ذكر من الأعلام والنجم [أنها] سبب اهتدائهم إلى توحيد الله.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على[٢] الاحتجاج عليهم، أي لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا يُنعم كمن هو خالق الأشياء كلها، منعم النعم عليكم. **أفلا تذكرون**،[٣] أن صرف العبادة والشكر إلى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم. والثاني يخرج مخرج تسفيه أحلامهم، إنهم يعبدون من يعلمون أنه ليس بخالق، ويتركون عبادة من يعلمون أنه خالقُ الأشياءِ كلِّها، **أفلا تذكرون**. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٨]

وقوله عز وجل: **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**، هذا يحتمل وجوها. أحدها: **وإن تعدوا** أنفُس[٤] نعم[٥] الله التي أنعمها عليكم وأَعيُنها لا تقدروا على عدّها لكثرتها. والثاني **وإن تعدّوا** [أي] وإن تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم أن تقوموا لشكر ما أنعم الله عليكم[٦] ما قدرتم على القيام لشكر واحدة منها فضلاً [من] أن تقوموا للكل. والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ، أي كيف فرغتم لعبادة من لا يَخلق ولا يُنعم عن عبادة مَن خلق وأنعم، وكنتم لا تقدرون على إحصاء ما أنعم عليكم، فضلا [مِن] أن تقوموا لشكره.

وقال الحسن في قوله: **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**، لا تعرفوا كل النعم، لأنه كم من النعم ما لا يعرفه الخلق، كقوله: نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً،[٧] فإذا لم يعلموا لم يقدروا إحصاءها.

وقوله عز وجل: **إن الله لغفور رحيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما إنكم -وإن افتريتم على الله وعاندتم بحججه وآياته وكذبتم رسله- فإذا استغفرتم وتبتم عما كان[٨] منكم يغفر لكم ذلك كله،

---

[١] ع م: مهتدون.
[٢] ن + على الامتحان.
[٣] ع م + أي.
[٤] ن: يفس.
[٥] جميع النسخ: نعمة.
[٦] ك ن ع + ومن ما.
[٧] ﴿ألم تَرَوا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).
[٨] ن ع م + ذلك.

كقوله: إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[1] والثاني **لغفور**، أي يستر عليكم ما كان منكم ما لو أظهر ذلك لافتضحتم، لكنه برحمته ستر ذلك عليكم؛ **رحيم**، بالستر عليكم. أو [يحتمل أنه][2] ذكر **لغفور رحيم**، على أثر[3] ذكر النعم وأنواع المنافع ليكونوا رحماء/على ما ذكر مما سخر لنا وأذلّ. *والله أعلم*. [٤٠٤ظ]

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما ذكر هذا ليكونوا أيْقَظَ وأحذَرَ، لأن في الشاهد من يعلم أن عليه رقيبًا حافظا بما يفعل كان هو أرقَبَ وأحفَظَ لأعماله، ويكون أحذَرَ ممن يعلم أنه ليس عليه حافظ ولا رقيب. والثاني **يعلم ما تسرون** من المكر برسول الله والكيد له من القتل والإخراج وغير ذلك. أي يعلم ذلك[4] كله منكم: ما أسررتم و[ما] أعلنتم. وهو يخرج على نهاية الوعيد والتعيير.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والذين يدعون من دون الله**، يحتمل **يدعون** الدعاء نفسه.[5] **ويدعون**[6] أي يسمونها[7] آلهة، وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة. ويحتمل **يدعون**، يعبدون، أي الذين يعبدون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون. فهذا يرجع إلى الأول: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ.[8]

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أموات غير أحياء**،[9] يحتمل المراد بقوله: **أموات غير أحياء**، الذين عبدوا الأصنام والأوثان وجميع من كفر بالله، هم أموات غير أحياء، لأن الله تعالى سمّي الكافر في غير آي من القرآن ميتا، فيشبه أن يكون قوله: **أموات غير أحياء**، هم[10] أيضًا.

---

[1] ن – كله كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.
[3] ع + ذلك.
[4] ع م – أي يعلم ذلك.
[5] ع م – الدعاء نفسه.
[6] ن: وتدعون.
[7] ن: تسمونها.
[8] سورة النحل، ١٧/١٦.
[9] ع م: + الآية.
[10] ع م – هم.

**وما يَشعرون أيان يُبعَثون**، أي يُشعرون حين يُبعَثون، أي لو شَعَروا في هذه الدنيا[1] ما شعروا في الآخرة لم يعملوا ما [عملوا في الدنيا].[2] ويحتمل قوله: **أموات غير أحياء**، الأصنام التي عبدوها، هن أموات غير أحياء. قال بعضهم: **أموات**، لأنها لا تتكلّم[3] ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر كالميت، **غير أحياء**، أي ليس فيها أرواح يُنتفع بها كالبهائم والأنعام. ويكون قوله: **وما يشعرون أيان يبعثون**، راجعًا إلى الذين عبدوا الأصنام، لأنها لا تشعر أيان يبعثون، وهم يعلمون أنها لا تشعر ذلك، لكنهم يشعرون حين يبعثون. وقال بعضهم:[4] **وما يشعرون أيان يبعثون**، يُبعث الآلهة والذين عبدوها جميعًا، كقوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ،[5] وقولِه: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.[6] وقال بعضهم: يُحشر أولئك الذين عبدوا الأصنام وما يشعرون هم أيان يبعثون، أي حين يبعثون، وما شَعَروا ذلك في الدنيا مما[7] فعلوا.[8] وإن كان قوله: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ،[9] راجعًا إلى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله يكون تأويل قوله: **وما يشعرون أيان يبعثون**، أي لا يشعرون وقت يبعثون [وإن كانوا يشعرون بالبعث نفسِه]؛[10] وإن كان راجعًا إلى الأصنام، فقوله: **وما يشعرون أيان يبعثون**، أي لا يشعرون أنهم يبعثون. لا يحتمل أن يكون قوله: لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أن يقال[11] في الأصنام، لأن أولئك يعلمون أنهم لا يخلقون، وإنما يقال ذلك في الأصنام [التي] لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع، فدل أن ذلك راجع إلى الملائكة والذين عبدوهم.

---

[1] جميع النسخ + لو شعروا هذا في الدنيا.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[3] ع: يتكلم، م: تكلّم.
[4] ن ع م: + قوله.
[5] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ٢٨/١٠).
[6] سورة الصافات، ٣٧/ ٢٢-٢٣.
[7] جميع النسخ: ما.
[8] ك ن + ما فعلوا.
[9] الآية السابقة.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[11] جميع النسخ + ذلك.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إلهكم إله واحد**، قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين إبطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق بأمثالها العبادة[١] لها ونصبهم آلهة.[٢] ثم ذكر ما يبين جعل الألوهية والربوبية[٣] لواحد وأنه هو المستحق لذلك دون العدد الذي عبدوها فقال: **إلهكم إله واحد**، لا العدد الذي عَبَد أولئك.

وقوله عز وجل: **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة**، يحتمل قوله: **قلوبهم منكرة**، أي منكرة للإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت، أو **قلوبهم منكرة** بجعل[٤] الألوهية والربوبية لواحد وصرفِ العبادة إليه، كقولهم: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.[٥] ويحتمل قوله: **قلوبهم منكرة**، لما جاء به الرسول.

**وهم مستكبرون**، على ما جاء به من الله. وقوله عز وجل: **وهم مستكبرون**، يحتمل **مستكبرون**، على رسول الله لما[٦] لم يروه أهلا للخضوع من أمثالهم[٧] لمثله؛ أو **مستكبرون**، إلى ما دعتهم الرسل، لأن الرسل جميعًا دعَوا الخلق إلى وحدانية الله وجعلِ العبادة له.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**، يحتمل قوله: **ما يسرون**، من المكر برسول الله والكيد له. **وما يعلنون**، من المظاهرة عليه. أو **يعلم ما يسرون**، من أعمالهم الخبيثة التي أسروها وأعلنوها.[٨] يخبر أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم أسروا أو أعلنوا. وقوله: **لا جرم**، قال [أبو بكر] الأصم: لا جرم كلمة تستعملها العرب في إيجاب تحقيق أو نفي تحقيق، كقولهم: حَقًّا، ولَعَمْرِي، وآيْمُ اللهِ، ونحوه. وقال الحسن: هي كلمة وَعيدٍ. وقال بعضهم: لا جرم، [معناه][٩] حَقًّا وبَلَى، ولا بُدَّ، وكله في الحاصل يرجع إلى واحد؛ وهو وعيد، لأن قوله: **يعلم ما يسرون وما يعلنون** وعيد. *والله أعلم*.

---

[١] ع م: لعبادة.
[٢] انظر: عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة ١٦٣/٢.
[٣] جميع النسخ + أنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[٤] ك ن: لجعل.
[٥] سورة ص، ٥/٣٨.
[٦] ع م - لما.
[٧] جميع النسخ + لأمثالهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[٨] ن ع: وما أعلنوها.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

وقوله عز وجل: **إنه لا يحب المستكبرين،** لأنه لا يحب[١] الاستكبار ولا يليق لأحد من الخلائق أن يتكبر على غيره من الخلق، لأن الخلق كلهم أشكال وأمثال، ولا يجوز لكل ذي مثل وشكل[٢] أن يتكبر على شكله ومثله،[٣] لأن تكبُّر بعضهم[٤] على بعض كَذِب وزُور؛ إذ جعل كلهم أمثالا وأشكالا، لذلك كان زورًا وكذبًا، وقد حرم الله الكذب والزور وجعله قبيحًا في العقل.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين،** أي قال الأتباع للرؤساء: ماذا أنزل ربكم؟ قال الرؤساء: أنزل أساطير الأولين. يخرج على الإضمار، كأنهم قالوا لهم: ماذا أنزل ربكم عليه؟ فقالوا عند ذلك: **أساطير الأولين،** وإلا لا يحتمل أن يكون قولهم: أساطير الأولين[٥] جوابَ سؤالهم **ماذا أنزل ربكم** مفردًا، لأنهم كانوا يُقرون الله بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ / زُلْفَى،[٦] و[قوله]:[٧] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٨] فلا يحتمل أن يكونوا إذا سئلوا [٤٠٥ر]
**ماذا أنزل ربكم** فيقولون: **أساطير الأولين،** إلا أن يكون في السؤال زيادة قول، أو في[٩] الجواب إضمار، فيكون -والله أعلم- كأنه قال: وإذا قيل لهم:[١٠] ماذا يزعم هذا أنه أنزَل عليه ربكم، قالوا عند ذلك: إنه يقول **أساطير**[١١] **الأولين،** كقوله: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ،[١٢] أي قالوا يا أيها الذي تزعم أنه نزّل عليه الذكر. أو يكون قوله: **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم،** فقالوا: لم يُنزل الله شيئًا، إنّ ما يقول [هو] أساطير الأولين. ومثل هذا [الكلام] يحتمل أن يكون[على الاستهزاء].[١٣]

---

[١] ع: لا يجب.
[٢] ك: شكل ومثل
[٣] ع م - ومثله.
[٤] ك ع م: بعض.
[٥] ع م - يخرج على الإضمار كأنهم قالوا لهم ماذا أنزل ربكم عليه فقالوا عند ذلك أساطير الأولين وإلا لا يحتمل أن يكون قولهم أساطير الأولين.
[٦] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[٨] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٩] م: وفي.
[١٠] ن - هم.
[١١] ن ع م: بقول أساطير.
[١٢] ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ (سورة الحجر، ٦/١٥).
[١٣] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

وقوله: **أساطيرُ الأولين**، قال أبو عَوسَجة: أحاديث الأولين، والواحد أُسْطُور وهي الأحاديث المختلفة، كقوله: إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[1] أي لا أصل له وأصله الكذب. وهكذا عادة أولئك الكفرة يقولون للأنبياء: أساطير الأولين، وكانوا ينسبون ما يقرأ عليهم إلى السحر. ولو كان في الحقيقة سحرًا أو أحاديث الأولين لكان[2] دليلاً له.[3] أو قالوا ذلك على الاستهزاء،[4] وذلك جائز أن يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء. *والله أعلم*.

**﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾**[٢٥]

وقوله عز وجل: **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما[5] أنهم يحملون أوزارهم كاملة، يعني الذين قالوا للرسل "أساطير الأولين"، ومن أوزار الذين يقلدون رسلهم ووفدهم الذين بعثوهم[6] للسؤال[7] عن رسول الله، فَحَمَلوا أوزار[8] أنفسهم وأوزار[9] الذين يقلدون رسلهم[10] ويقتدون بهم، بغير علم؛ لأنهم لم يعلموا أن أولئك يقتدون بالرسل، فيَضِلون وهم؛[11] وإن لم يعلموا فذلك عليهم لأنهم هم الذين سَنُّوا ذلك، وهو كما روي: «من سَنَّ سنة سيئة[12] فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».[13]

---

[1] ﴿وقالوا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ (سورة ص، ٣٨/٧).
[2] جميع النسخ: كان.
[3] «ولو كان هو في الحقيقة أحاديث الأولين أو سحرا لكان دليلا على رسالته، على ما عرف أنه لم يعرف بتعلم الكتب المتقدمة ولا بتعلم السحر، فكان علمها بدون التعلم من البشر من آيات الرسالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٤و).
[4] ك ن: + له.
[5] ك ن + أنه يحتمل.
[6] جميع النسخ: بعثوا.
[7] جميع النسخ: عن السؤال.
[8] ع م: أوزارهم.
[9] ك ن + الرسل وأوزار.
[10] جميع النسخ: الرسل.
[11] أي يَضل الذين قالوا للرسل "أساطير الأولين" ويضل أيضا الذين يقتدون بهم، بسبب أولئك.
[12] ن ع + سيئة.
[13] «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح *مسلم*، الزكاة، ٦٩، العلم ١٥؛ وسنن *النسائي*، الزكاة، ٦٤).

ويحتمل **ليحملوا أوزارهم [كاملة يوم القيمة] ومن أوزار الذين**، طمعوا الإسلام[إذا أخبروهم بذلك أنه حق][١] إذا أسلموا سقط تلك الأوزار عنهم. وقوله: **ليحملوا أوزارهم**، هم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا أوزارهم ولكن معناه -والله أعلم- أي ليصيروا حاملين[٢] لأوزارهم والذين[٣] أضلّوهم. وقوله عز وجل: **بغير علم**، يحتمل **بغير علم**، أي بسفَهٍ.

**ألا ساء ما يزرون**، أي ساء ما يحملون. وقوله: **بغير علم**، أي لم يعلموا أن تصير أوزارهم عليهم، أو لم يعلموا ما يلحق بهم [من المأثم].[٤]

**﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[٢٦]

وقوله: **قد مكر الذين من قبلهم**، لم يزل[٥] كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم، وكذلك مَكْرُ كفار مكة برسول الله. يذكر هذا -والله أعلم- لرسول الله ليصبّره على أذاهم إياه،[٦] كما صبر أولئك على مكر قومهم وترك مكافأتهم إياهم، كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٧] ثم مكرهم الذي[٨] ذكر كان يخرج على وجهين. أحدهما فيما جاءت به الرسل، كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم. والثاني يرجع مكرهم إلى أنفُس الرسل من الهمّ بقتلهم وإخراجهم من بين أظهُرهم ونحوه. فخوّف بذلك أهلَ مكة بصنيعهم لرسول الله أن ينزل بهم كما نزل بأولئك الذين مكروا[٩] برسلهم لئلا يعاملوه بمثل معاملة أولئك رسلَهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأتى الله بنيانهم من القواعد**، قال الحسن: هذا على التمثيل بالبناء الذي بُني على غير أساس، ينهدم ولا يعلم من أي سبب انهدم. فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى، كالبناء الذي بني على غير أساس. ويشبه أن يكون على التمثيل من غير هذا الوجه،

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ط.
[٢] ن ع م: حاطين.
[٣] ن ع م: الذين.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ.
[٥] ع م: نزل.
[٦] ن - إياه.
[٧] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).
[٨] ع: الذين.
[٩] ن: كفروا.

وهو أنهم قد مكروا وأحكموا مكرهم، بهم فيتحصنون بذلك، كالبناء الذي يُتحصّن به، فأبطل الله مكرهم، كقوله: وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا،[1] الآية، وقوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ،[2] الآية.

وقوله عز وجل: **فخرّ عليهم السقف من فوقهم**، هو ما ذكرنا من إبطال مكرهم الذي به كانوا يتحصنون، كوقوع السقف الذي به يُتحصن من أنواع الأذى والشرور. ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخَسْف وتقليب البنيان وإمطار الحجر عليها. وأما ما ذكر بعض أهل التأويل من الصَّرْح الذي بنى نُمْرُود[3] وبنيانه[4] ووقوعه[5] عليهم فإنا لا نعلم ذلك.

وقوله عز وجل: **وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**، كذلك كان يأتي العذاب الظَّلَمَةَ الكَذَبَةَ من حيث لا علم لهم بذلك، كقوله:[6] فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً،[7] الآية.

وقوله: **فأتى الله بنيانهم**، هو من[8] الإتيان، ومعلوم أنه لا يفهم من إتيانه الانتقال من مكان إلى مكان ولكن إتيان عذابه. أضيف إليه الإتيان لما بأمره[9] يأتيهم ومنه. فعلى ذلك لا يفهم من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[10] وقوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ،[11] الآية، إتيانُ الانتقال ومَجيئُه من مكان إلى مكان، وقد ذكرنا هذا وأمثاله في غير موضع.[12]

**﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢٧]**

وقوله: **ثم يوم القيمة يخزيهم**، أخبر أنه يخزيهم يوم القيامة بعد ما عذبهم في الدنيا، بقوله: وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.[13] وقوله: **يخزيهم**، قال أهل التأويل: يعذبهم،

---

[1] ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ٥٠/٢٧).
[2] ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ٥٤).
[3] نُمْرُود ونُمْرُوذ: اسم ملك معروف. وكأن ثعلب ذهب إلى اشتقاقه من التمرد، فهو على هذا ثلاثي (لسان العرب، «نمر»).
[4] ع: بنيانه.
[5] ع: ووقو.
[6] ن - كقوله.
[7] ﴿ثم بدّلنا مكانَ السيئة الحسنةَ حتى عَفَوا وقالوا قد مسّ آباءنا الضرّاءُ والسرّاء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف ٩٥/٧).
[8] ع: من هو.
[9] ع: بأمره.
[10] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[11] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢١٠).
[12] انظر: سورة البقرة، ٢/ ٢١٠.
[13] الآية السابقة.

وكأن الإخزاء هو الإذلال والإهانة والفَضْح، يُذلهم ويُهينهم ويَفْضَحهم في الآخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبّر على النبي وأصحابه. وكذلك قوله: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[١] أي لا يُذلهم ولا يُهينهم لتواضعهم للنبي وخفض جناحهم له.[٢] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويقول أين شركائيَ الذين كنتم تُشاقُّون فيهم**، أي تُعادون أوليائي فيهم أو تعادونني فيهم. وقوله: **أين شركائي**، / ليست[٣] له بشركاء، ولكن أضاف إلى نفسه شركاء على ما زعمتم في الدنيا أنها[٤] شركاؤه. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٥] أي إلى ما في زعمهم وتسميتهم إياها آلهةً. [٤٠٥ظ]

وقوله عز وجل: **كنتم تشاقّون فيهم**، أي كنتم تخالفون فيهم وتعادون، أي تخالفون المؤمنين في عبادتهم إياها، لأنهم يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٦] وقولهم:[٧] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٨] ونحوه. كانوا يخالفون المؤمنين وكانوا[٩] يُشاقون في ذلك، إلا أنه أضاف ذلك إلى نفسه لأنهم[١٠] أولياؤه وأنصار دين الله. وأضاف[١١] إليه المخالفة والمشاقة لأنهم خالفوا أمر الله.[١٢]

وقوله: **قال الذين أوتوا العلم**، قال أهل التأويل: **الذين أوتوا العلم**، الملائكة الكرام الكاتبون[١٣] لكن[١٤] هم[١٥] وغيرهم من المؤمنين محتمل. وقوله عز وجل: **إن الخزيَ اليومَ والسوءَ على الكافرين**، أي الذلّ[١٦] والهوان والافتضاح وكلّ سوء على الكافرين. هكذا يقابَل كل معاند ومكابر في حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبّرهم في الدنيا. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ (سورة التحريم ٦٦/٨).
[٢] جميع النسخ: لتواضعه للمؤمنين وخفض جناحه لهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ، ونسخة مدينة، ورقة ٤٩١ظ.
[٣] جميع النسخ: لسن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ.
[٤] ن: أنهم.
[٥] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).
[٦] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[٧] ن ع – وقولهم.
[٨] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[٩] ن – كانوا.
[١٠] أي المؤمنون.
[١١] ن: أو أضاف.
[١٢] ع + وغيرهم.
[١٣] ك + لكن.
[١٤] ت ع م: – لكن.
[١٥] ع – هم.
[١٦] ع: الذ.

﴿اَلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **الذين تتوفاهم الملائكة**، قال الحسن: تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب إلى النار. وقال بعضهم: **تتوفاهم الملائكة**،[١] وقت قبض أرواحهم، **ظالمي أنفسهم**، بالشرك والكفر بالله. وعلى تأويل[٢] الحسن يكون قوله: **ظالمي أنفسهم** في الدنيا. ويجوز أن يوصفوا بالظلم في الآخرة أيضًا بكذبهم فيها في قولهم: **ما كنا نعمل من سوء**، وقولهم: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٣] وأمثاله من الكذب حيث ينكرون الإشراك في ألوهية الله وعبادته. كان هذا الإنكار والكذب منهم في أول حالهم ظنًّا منهم أن ذلك ينفعهم، فإذا لم ينفعهم إنكارهم طلبوا الرد إلى الدنيا أو إلى حال الأمن ليعملوا[٤] غير الذي عملوا، كقولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٥] فإذا لم يُردّوا وآيسوا عن ذلك فعند ذلك أنطق الله جوارحهم حتى[٦] تشهد عليهم بما كان منهم،[٧] فعند ذلك يُقرون ويعترفون[٨] بذنوبهم، كقوله: فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ.[٩]

وقوله عز وجل:[١٠] **فألقوا السَّلَم**، قال بعضهم: يُسلمون ويستسلمون لأمر الله، ولكن لو كان ما ذكروا لم يكونوا ينكرون عمل السوء، كقولهم: **ما كنا نعمل من سوء**. وقال بعضهم: **فألقوا السلم**، هو الاستخذاء[١١] والخضوع والتضرع. ويشبه أن يكون قوله: **فألقوا السلم** عند الموت، يؤمنون عند معاينة ذلك أو سلّموا عليهم في الآخرة على ما رأوا في الدنيا المؤمنين يسلّم بعضهم على بعض.

---

[١] م – قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب إلى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة.

[٢] ع م – على تأويل.

[٣] ﴿ثم لم تكن فتنتُهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

[٤] ع م: ليعلموا.

[٥] ﴿هل ينظرون إلا تأويلَه يوم يأتي تأويلُه يقول الذين نَسُوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[٦] ع: على.

[٧] ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه تُرجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

[٨] ع: فيعرفون.

[٩] ﴿فاعترفوا بذنبهم فسُحْقا لأصحاب السعير﴾ (سورة الملك، ٦٧/١١).

[١٠] ع م + الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم.

[١١] خَذِئ له وخَذَأَ له يَخْذَأ خَذْأ وخَذَءًا وخُذُوءًا: خضَع وانقادَ له، وكذلك استَخذأتُ له. (*لسان العرب*، «خذأ»).

وقوله عز وجل: **ما كنا نعمل من سوء**، في الآخرة -والله أعلم بذلك- فأكذبهم الله في قولهم: **ما كنا نعمل من سوء**، فقال: **بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون**، هذا وعيد يخبر أن كذبهم لا يجوز[١] في الآخرة[٢] كما جاز[٣] في الدنيا، و لم يظهر.[٤]

**﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**، [أي يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم]،[٥] وقوله:[٦] **فلبئس مثوى المتكبرين**، أي بئس مُقام المتكبرين الذين تكبروا على دين الله، أو تكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما أنزل الله عليهم.

**﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**، قال أهل التأويل: هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين: وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[٧] ثم[٨] اختلف في قوله: **قالوا خيرًا**، قال بعضهم: قوله: **قالوا خيرًا**، أي قولهم الذي[٩] قالوا "إنه أُرسل بحق وإنه كذا" خير. وقال بعضهم: قوله: **قالوا خيرًا**. حكاية عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. **وخيرًا**، أي أنزل عليه ربنا خيرًا أو أن يكون الناس الذين يأتون من الآفاق يسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سألوا المؤمنين: **ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**؛ وإذا سألوا الكفرة: قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[١٠] وجائز أن يكون أتباع المؤمنين سألوا كبراءهم: **ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**،[١١] مقابل ما كان من كبراء الكفرة لأتباعهم [قولهم]:[١٢] أساطير الأولين.

---

[١] جميع النسخ: لا يجوز كذبهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٢] جميع النسخ + ولا يحتمل.
[٣] ك: جا.
[٤] أي ولم يظهر مقول الكذب ولم يتحقق.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٦] ع م - وقوله.
[٧] سورة النحل، ٢٤/١٦.
[٨] ن - ثم.
[٩] ع: الذين.
[١٠] سورة النحل، ٢٤/١٦.
[١١] ن - وإذا سألوا الكفرة قالوا أساطير الأولين وجائز أن يكون أتباع المؤمنين سألوا كبراءهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.

وقوله عز وجل: **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة**، من النصر لهم والظفر على عدوهم. **ولدار الآخرة خير**، لهم مما كان أعطاهم في الدنيا. وقال بعضهم: **للذين أحسنوا** العملَ في هذه الدنيا[1] حسنة في الآخرة. **ولدار الآخرة خير**،[2] أي الجنة خير وأفضل للمؤمنين مما أوتوا في الدنيا. **ولنعم دار المتقين**، قال هذا للمؤمنين مكان ما قال[3] للكافرين: فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ.[4] ثم نَعَتَ الدار التي وَعد للمتقين فقال:

**﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾**[٣١]

**جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون**، من اللذات والشهوات.

فإن قيل: أرأيت لو شاءوا أن يكون لهم درجاتِ الأنبياء ومنازلَ الأبرار والصدّيقين، أيكون لهم ما شاءوا؟ قيل: لا يشاءون هذا، لأن مثل هذا إنما يكون في الدنيا إما حسدًا وإما تمنّيا، فلا يكون في الجنة حسد، لأن الحسد هو أن يرى[5] لأحد شيئًا ليس له فيحسد، أو يتمنى مثله، فأهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون و[جميع ما] يخطر ببالهم، فلا معنى لسؤالهم ربهم ما لغيرهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **كذلك يجزي الله المتقين**، ظاهر.

**﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٣٢]

وقوله عز وجل: **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**، على تأويل الحسن:[6] تتوفاهم الملائكة[7]

[٤٠٦و] وهم طيبون من بين يدي الله يوم الحساب، يقولون / لهم:[8] **سلام عليكم ادخلوا الجنة**. وقد ذكرنا[9] أن السلام هو تحيّة جعل[ها] الله بين الخلق في الدنيا والآخرة، وقد ذكرنا في غير موضع.[10]

---

[1] جميع النسخ + لهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[2] ع – وقال بعضهم للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا هم حسنة في الآخرة ولدار الآخرة خير لهم مما كان أعطاهم في الدنيا؛ م + لهم مما كان أعطاهم في الدنيا.
[3] ن + للمؤمنين.
[4] الآية السابقة.
[5] ك: أن لا يرى.
[6] ن: الحسين.
[7] ن + تقضهم الأرواح في الدنيا يقبضون أرواحهم.
[8] ن ع – لهم.
[9] ع م: ذكر.
[10] انظر: سورة الأنعام، ٦/٥٤.

وقال بعضهم: **الذين تتوفاهم الملائكة**، بقبضهم[١] الأرواح في الدنيا، يقبضون أرواحهم وهم طيبون. وقال بعضهم: [هم] طيبون أحياء وأمواتا، وهم المؤمنون الذين طابت أعمالهم في الدنيا.

يحتمل السلام وجهين. أحدهما يحييهم[٢] الملائكة بالسلام[٣] في الجنة كما يحيّي أهل الإيمان في الدنيا بعضُهم بعضًا. والثاني يكون السلام[٤] منهم [إخبارا][٥] بالأمن[٦] عن جميع الآفات والمكروهات. *والله أعلم*.

**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[٣٣]

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**، هذا الحرف يخرج على الإياس[٧] من إيمانهم، أي ما ينظرون لإيمانهم إلا وقت قبض أرواحهم أو وقت نزول العذاب عليهم، أي لا يؤمنون إلا في هذين الوقتين، ولا ينفعهم إيمانهم في هذين الوقتين، لأن إيمانهم إيمان اضطرار، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[٨] وكقوله: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ،[٩] يؤمنون[١٠] عند معاينتهم بأس الله،[١١] لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت. يخبر أنهم ينظرون ذلك الوقت ويُؤْيِس رسوله عن إيمانهم لِما علم أنهم لا يؤمنون، ليرفع عنه مُؤنة الدعاء إلى الإيمان والقتال معهم. وقوله: **أو يأتي أمر ربك**، يحتمل العذاب في الدنيا، ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الآخرة.

---

[١] ن ع: تقبضهم.
[٢] ن ع م: تحيتهم.
[٣] م: السلام.
[٤] جميع النسخ: السلام يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٦] جميع النسخ: أمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٧] ث + له.
[٨] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).
[٩] ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ (سورة النساء، ١٥٩/٤).
[١٠] م – يؤمنون.
[١١] م – بأس الله، + العذاب.

وقوله عز وجل: **كذلك فعل الذين من قبلهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما كذلك فعل المعاندون[1] والمكابرون الذين[2] كانوا من قبلُ[3] برسلهم من التكذيب لهم والعناد وتركهم الإيمان إلى الوقت الذي ذكر، كما فعل قومك من التكذيب لك يا محمد والعنادِ. ويحتمل **كذلك فعل الذين من قبلهم**، أي هكذا أنزل[4] العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما ظلمهم الله**، بما عذبهم، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**، حيث وضعوا أنفسهم في[5] غير موضعها الذي وضعها الله، وحيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وأنعمَ عليهم[6] واستحقّ ذلك عليهم إلى مَن لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا يستحق العبادة بحال، فهم ظلموا أنفسهم حيث صرَفوها عن الحكمة إلى غير الحكمة،[7] إذ[8] الله وضعها حيث تُوجب الحكمةُ ذلك. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه. فهم وضعوا أنفسهم في غير موضعها، فأما الله سبحانه وتعالى قد وضعها في المواضع التي توجب الحكمةُ وضعَها.

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**، كأنه[9] قال: ما ينظرون[10] للإيمان بعد الحجج السمعيات وبعد الحجج العقليات والحجج الحسيات إلا نزولَ الملائكة بالعذاب من الله تعالى عليهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات والحسيات، فلم يؤمنوا به ولم يصدّقوه. فيقول: إنهم ما ينتظرون إلا الحجج التي تقهرهم وتضطرهم، فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم. أو يقول: ما ينظرون بإيمانهم إلا الوقت الذي لا ينفعهم إيمانُهم، وهو الوقت الذي تخرج أنفسهم من أيديهم. فأخبر[11] أن إيمانهم لا ينفعهم في ذلك، وهو ما قال: فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[12] الآية.[13]

---

[1] ع: المعاندين.
[2] ع م: والذين.
[3] ع: قبلهم.
[4] ع م: إنزال.
[5] ع – في.
[6] ع + إلى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة بحال فهم ظلموا أنفسهم حيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وأنعم عليهم.
[7] جميع النسخ + لا الله.
[8] ع م: ان.
[9] ع: كأن.
[10] ك ن: ينتظرون.
[11] ع م: فأخبرهم.
[12] ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنةَ الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٥).
[13] ع – الآية.

**﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٣٤]**

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم**، وقال في سورة الأنعام: كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وقال: قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا.[١]

وقال ههنا: **فهل على الرسل إلا البلاغ المبين**. **وهل**، هو حرف استفهام في الظاهر، لكن المراد منه: ما على الرسل[٢] إلا البلاغ المبين، على ما قاله أهل التأويل لِما قد كان من الله من البيان أن ليس على الرسل إلا البلاغ المبين.[٣] وكذلك قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ،[٤] أي ما ينظرون إلا أن تأتيهم[٥] كذا. وكذلك قوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ،[٦] "أم" هو حرف شك ومراده: ما[٧] للإنسان ما تمنى وأمثاله، لما سبق من الله ما يبين لهم أنْ ليس للإنسان ما تمنى.[٨] وقد[٩] ذكرنا[١٠] تأويل[١١] قوله: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، في سورة الأنعام.[١٢]

ويحتمل قوله هذا وجوها. أحدهما قالوا ذلك على الاستهزاء، كقوله: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا.[١٣] والثاني قولهم: **لو شاء الله**، أي لو أمر الله أن نعبده ولا نعبد غيره لفعلنا،

---

[١] ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (سورة الأنعام، ١٤٨/٦).

[٢] جميع النسخ: الرسول.

[٣] ك – على ما قاله أهل التأويل لما قد كان من الله من البيان أن ليس على الرسل إلا البلاغ المبين.

[٤] سورة النحل، ٣٣/١٦.

[٥] ك ن: يأتيهم.

[٦] سورة النجم، ٥٣/ ٢٤.

[٧] ع م – ما.

[٨] ك: يتمنى.

[٩] ع: قد.

[١٠] ع م: ذكر؛ ن + وأمثاله.

[١١] ع م – تأويل.

[١٢] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.

[١٣] سورة مريم، ٦٦/١٩.

كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[1] الآية. والثالث قالوا: لو لم[2] يرض الله منا ذلك ما تركنا فعلنا ذلك، ولكن أهلكنا.

**﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا**، يخبر رسوله أنك لست بأول مبعوث إلى أمتك ولكن قد بعث إلى كل أمة رسولا،[3] وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[4] يصبّره على ما يصيبه منهم من المكروه والأذى. أي لست أنت بأوّل مَن يصيبه ذلك، بل كان لك[5] قبلك إخوان[6] أصابهم من أمتهم ما يصيبك من أمتك. وقوله: **ولقد**[7] **بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله**، هو على الإضمار، كأنه قال: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقلنا لهم: قولوا: **أن اعبدوا الله**[8] **واجتنبوا الطاغوت**. على ذلك كان بعثُ الرسل جميعًا إلى قومهم: بالدعاء إلى توحيد الله وجعلِ العبادةِ له والنهيِ عن عبادة الأوثان دونه، كقوله: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ،[9] ويكون قوله: **اجتنبوا**
[٤٠٦ظ] **الطاغوت** كقوله: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ، هما[10] واحد. **والطاغوت**، / قال بعضهم: كل ما[11] عُبد[12] دون الله فهو طاغوت. وقال الحسن: الطاغوت هو الشيطان، أضيف العبادة إليه بقوله: لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[13] لأن من يعبد دونه يعبد بأمره فأضيف لذلك[14] إليه، وقد ذكرنا هذا أيضًا فيما تقدم.[15]

---

[1] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[2] ن: ولم.

[3] ع – يخبر رسوله أنك لست بأول مبعوث إلى أمتك ولكن قد بعث إلى كل أمة رسولا.

[4] ع م – نذير. ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٢٤/٣٥).

[5] م: ذلك.

[6] ع م: – إخوان.

[7] م – ولقد.

[8] ك ع م + الآية أن اعبدوا الله.

[9] هذا خطاب لكل من نوح وهود وصالح وشعيب –على نبينا وعليهم الصلاة والسلام– إلى قومهم. انظر: سورة الأعراف، ٥٩/٧، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

[10] ع + وهما.

[11] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥ظ.

[12] ك + من.

[13] ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ (سورة مريم، ٤٤/١٩).

[14] ع: كذلك.

[15] انظر: سورة البقرة، ٢٥٦/٢.

وقوله عز وجل: **فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**، هذا يدل أنه لم يُرِد بالهدى البيانَ، على ما قاله بعض الناس؛ إذ قد سبق منه البيان لكل أحد، وما ذكر أيضًا: **ومنهم من حقت عليه الضلالة**. وهذا يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا: الهدى البيانُ من الله. لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو البيانَ، [بل] هو ما يكرم الله به عبده[1] ويوفِّقه[2] لدينه. وقوله: **فمنهم من هدى الله**، لاختياره الهدى، **ومنهم من حقت عليه الضلالة**، أي لزمت، للزومه الضلالة واختياره إياها.[3]

وقوله عز وجل: **فسيروا في الأرض**،[4] قال الحسن: قوله: **فسيروا**، ليس على الأمر، ولكن كأنه قال: لو سرتم في الأرض لرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين بالتكذيب. وقال بعضهم: **سيروا**، كأنه على الحجاج عليهم أنْ سيروا في الأرض فإنكم ترون[5] آثار من كان[6] قبلكم الذين أهلكوا بالتكذيب. كان النبي يخبرهم من أنباء الأمم الخالية وما نزل بهم فينكرون ذلك، فقال عند ذلك: **فسيروا في الأرض فانظروا**، إلى آثار من كان قبلكم. ويشبه أن يكون ليس على السير نفسه ولكن على التأويل والنظر في آثار[7] أولئك وأمورهم أنه بم نزل بهم ما نزل. ***والله أعلم***.

**﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**[٣٧]

وقوله عز وجل: **إن تحرص على هداهم**، قال أبو بكر الأصم:[8] كان يحب ويحرص على هدى قراباته، كقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ،[9] فقال: **فإن الله لا يهدي من يضل**،[10] أي لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم، أو لا يهدي وقت اختيارهم الضلال، أو لا يهدي من علم أنه يختار الضلال ويَهلك على الضلال،[11] أو لا يُنجي من يَهلك على[12] الضلال.

---

[1] ن: عبد.
[2] ن: وتوفيقه.
[3] ع م: إياه.
[4] ك + الآية.
[5] ع - ترون.
[6] ك - كان.
[7] ن - آثار.
[8] ك ن + قوله إن تحرص على هداهم.
[9] ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ (سورة القصص، ٥٦/٢٨).
[10] ع م + أي لا يهدي من يضل.
[11] ع م - ويهلك على الضلال.
[12] م: عن.

وفيه لغات ثلاث: **فإن الله لا يهدي**،[1] أي لا يهدي[2] من أضله الله، أي إذا أضله الله فليس أحد يهديه؛ ولا يهدي من يَضل ما ذكرنا؛ ولا يهدي من يُضل، أي لا يهتدي من أضله الله -والله أعلم بذلك- أو لا يهدي[3] في الآخرة طريقَ الجنة من أضله الله في الدنيا لاختياره الضلال، وهو كقوله: وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ،[4] وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[5] وقت اختيارهم الكفرَ والظلمَ، أو لا يهدي من علم منه أن يختار الضلال والظلم، أو لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه. وقوله عز وجل: **وما هم من ناصرين**، ظاهر تأويله.[6]

**﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٣٨]

وقوله عز وجل: **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت.**

فإن قيل لنا: ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم الذي أقسموا في القرآن وجعل ذلك آية تتلى، وذلك القسم الذي أقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم علموا ذلك، ليس كالأنباء والقِصص التي كانت[7] من قبل، إذ[8] كان ذلك شيء غاب عنه، لم يشهده[9] فأخبرهم[10] على ما كان. ففي ذلك إثبات رسالته ونبوته، فالحكمة والفائدة من ذكرها في القرآن وجعلها آيات تتلى، ليعلم أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. وأما القسم الذي أقسموا ليس فيه ما ذكرنا من إثبات الرسالة، وهم قد علموا ذلك، فما الفائدة في ذكره؟

قيل: يشبه أن يكون ذَكَره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفَهِ أولئك وقلة عقلهم[11] وحلم الرسول

---

[1] ن + من يضل أي لا يهدي من علم أنه يختار الضلال ويهلك على الضلال أو لا ينجي من يهلك على الضلال وفيه لغات ثلاث فإن الله لا يهدي؛ ع + من يضل.

[2] ك ن + من يضل أي لا يهدي.

[3] ع م: يهتدي.

[4] سورة البقرة، ٢٦٤/٢.

[5] سورة البقرة، ٢٥٨/٢.

[6] ن - تأويله.

[7] ع - كانت.

[8] ع م: إذا.

[9] جميع النسخ: يشهدها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥ظ.

[10] ك: فأشهدهم.

[11] ع م: عقولهم.

واحتمالَ ما احتمل منهم من الأذى والمكروه، لنعلم نحن أنْ كيف نعامل[١] السفهاء وأهل الفساد والعُصاةَ من الناس على ما عامل رسل الله أقوامهم[٢] مع عظيم سفههم وقلة عقلهم.[٣] فذلك[٤] فائدة ذكر قسمهم في القرآن. قد تكلّف أولئك الكفرة الكبراء منهم في تلبيس الآيات والحجج[٥] التي أتت بها الرسل مرة بالقَسَم الذي ذكر حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لا يُبعَثون، ومرة بالنسبة إلى السحر، ومرة بالافتراء، ومرة بالنسبة إلى الجنون، وفي الإنباء بأنه[٦] إنما يعلّمه بشر منا، يريدون بذلك التلبيس على الأتباع.

ثم البعث واجب بالعقل والحكمة وإخبار الرسل؛ إذ ليس خبر أصدق من أخبار الرسل وآثارهم، وهم[٧] ممن يقبلون الأخبار. فإخبار الرسل أولى بالقبول والتصديق من غيره، لأن معهم آيات صدقهم ودلالاتِ[٨] تحقيقهم. وأما العقل فهو أن يكون هذا العالم وإنشاؤه[٩] للفناء خاصةً خارجٌ عن الحكمة؛ إذ كل عمل لا يكون له عاقبة[١٠] عَبَثٌ، وهو كما[١١] قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[١٢] الآية. أخبر أنه إذا لم يكن رجوع إليه يكون خلقه إياهم عبثا. وأما الحكمة فهي أن الانتقام لأوليائه من الظَلَمة واجب لظلمهم، والإحسان لأهل الإحسان. فلو لم يكن البعث[١٣] والحياة بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويَجزي المحسن لإحسانه تذهب[١٤] فائدة الترغيب على الطاعة والإحسان ووعيد الظالم بالانتقام. فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتفريقِ بين الأولياء والأعداء، وقد جمعهم في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما.

---

[١] جميع النسخ: يعامل.
[٢] ن - أقوامهم.
[٣] ع م + فهذا.
[٤] ع م: ذلك.
[٥] ك: الحجج والآيات.
[٦] ك: أنه.
[٧] أي الناس أو الكفار.
[٨] ع: ودلالا.
[٩] ك: وإنشاه؛ ن ع م: وإنشائه.
[١٠] ك + حميدة.
[١١] م: ما.
[١٢] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[١٣] جميع النسخ: بعث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[١٤] ن ع م: يذهب.

وقوله: **جَهْدَ أيمانهم**، ذُكر أن مشركي العرب كانوا لا يُقسمون بالله إلا ما يَعظُم من الأمر ويشتدّ[1] عليهم، تعظيمًا له وإجلالا. إنما كانوا يقسمون بالأصنام والأوثان التي عبدوها، فإذا حلفوا بالله[2] فذلك جَهْد أيمانهم.

[٤٠٧و] وقوله عز وجل: **بلى وعدًا عليه حقًّا**. قوله: **بلى**، ردٌّ على قولهم: **لا يبعث الله من يموت**، فقال:[3] **بلى**[4] يَبعث. وقوله: **وعدًا عليه حقا**، يحتمل **وعدًا**، أي وعدا أنه يبعثهم، فحق عليه أن يُنجز ما وعد،[5] أو حقا عليه أن يَعِد[6] البعث والإنجاز له. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، هذا[7] يحتمل وجهين. أحدهما أنه نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم، فهو كما نفى عنهم السمع والبصر وغيرهما من الحواس[8] لما لم ينتفعوا بها انتفاعَ ما لذلك كان تَخلّقها، فنفي ذلك عنهم.

والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي، لأنهم لم ينظروا و لم يتأملوا في الآيات والأسباب التي بها جَعَل لهم الوصول إلى العلم فلم يعلموا. ثم لم يَعْذِرهم بجهلهم ذلك، لما جعل لهم سبيل الوصول إلى علم ذلك بالنظر والتأمل في الآيات والحجج، لكنهم شغلوا أنفسهم في غيرها و لم ينظروا في الأسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول إليه. فهذا يدل أن من جهل أمر الله ونهيه يكُنْ[9] مؤاخذا به بعد أن جعل له سبيل الوصول إليه بالدلائل والاشارات، فلا يخرج مؤاخذته إياه وعقوبته بترك أمره عن الحكمة. وأما في الشاهد من أمر عبده[10] شيئًا و لم يُعلمه ما أمره ثم عاقبه بذلك فهو خارج عن الحكمة؛ إذ لا سبيل إلى الوصول بما أمر به إلا بالتصريح، و لم يكن منه تصريح إعلام، لذلك كان ما ذكر. ألا ترى أنه أوعد لهم الوعيد الشديد في آخره[11] بقوله:

---

[1] م: ويشبه.
[2] ع م + إلا ما يعظم من الأمر.
[3] ك – فقال.
[4] ن: بل.
[5] ن – ما وعد.
[6] ن: الا بعد.
[7] م: وهذا.
[8] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٧٩).
[9] ن ع م: يكون.
[10] ع م: وعبده.
[11] م: في الآخرة.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾[٣٩]

**ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**، يحتمل قوله: **وليعلم الذين كفروا**، أي ليعلم أتباعهم أنّ الرؤساء كانوا كاذبين، وإلا كان الرؤساء منهم[١] كاذبين عند أنفسهم؛ أو أن يكون قال ذلك لما أدعى أولئك الكفرة أن الآخرة لهم، كقوله: وَلَئِن[٢] رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي،[٣] الآية. فقال جوابًا له: **وليعلَمَ الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**، لادعائهم الآخرة لأنفسهم.

ثم قوله: **ليبين هم الذي يختلفون فيه**، قال بعضهم: إنما اختلفوا في البعث، منهم من صدقه ومنهم من كذبه، يقول:[٤] فيبين[٥] لهم ذلك. ويحتمل قوله: **الذي يختلفون فيه**، أي في الدين والمذهب، لأنهم اختلفوا في الدين والمذهب. وكل من أدعى دينًا ومذهبًا حتى دعا[٦] غيره إلى دينه ومذهبه يتبين له[٧] المحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب.

وقوله: **وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**، يحتمل كفرهم بالبعث وإنكارهم[٨] إياه، أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم أو وحدانية الله، **أنهم كانوا كاذبين**، في إنكار ما أنكروا، يتبين لهم ذلك في الآخرة.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**، يخبر عن سرعة نفاذ أمره وسهولة الأمر عليه أنه[٩] يكون أسرع من لحظة بَصَر أو لَمْحَة عين. وفيه دلالة أن خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء، لأنه عبّر بكُنْ عن تكوينه، [وبقوله] فَيَكُون[١٠] عن[١١] المكوّن، وكذا كني عنه بالشيء لقوله: **إنما قولنا لشيء**، فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين؛

---

[١] جميع النسخ + كانوا.
[٢] ع م – ولئن.
[٣] ك + إن لي عنده للحسنى. ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولَنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٥٠/٤١).
[٤] ع م: بقوله.
[٥] ك ن: يبين؛ ع: ليبين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[٦] جميع النسخ: دعى.
[٧] جميع النسخ: لهم.
[٨] ع: إنكارهم.
[٩] ع: أن.
[١٠] جميع النسخ: ويكون؛ والزيادة مع التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[١١] ع: من.

ثبت أن التكوين غير المكوّن. ثم لا يخلو من أن يكون التكوين بتكوينٍ آخر إلى[1] ما لا نهاية له أو لا بتكوين، وقد بينا فسادهما جميعًا وهما وجها الحديث.[2] ثبت أن الله تعالى به موصوف في الأزل. *وبالله التوفيق*.

والثاني [أن] من [كان] فعله كسبا[3] سمي كاسبًا، ومن [كان] فعله [مختصا] باسم سمي به. فلو كان كلية فعل الخلق[4] يسمى [الله] به فيسمى ميتا متحركًا ساكنًا، خبيثًا طيبًا، صغيرًا كبيرًا ونحو ذلك. فإذا كان يتعالى عن هذا،[5] وقد سُمّي فاعلاً مميتًا محييًا محرّكا مسكّنًا، جامعًا مُفَرِّقا ثبت أن فعله هو غيرُ مفعوله[6] وأنه بذاته يفعل الأشياء لا بغيره. وفي ذلك لزوم الوصف له به في الأزل. **والله الموفق**.

**﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[٤١]

وقوله عز وجل: **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا**، كان ظلمهم إياهم على وجوه. منهم من ظُلم بالإخراج من الديار والطرد من البلد، كقوله: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ،[7] الآية. ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة، ومنهم من ظُلم بالمنع عن إظهار الإسلام والعمل له وأنواع ما أُوذُوا وظُلموا باظهارهم الإسلام وإجابتهم رسولَ الله واتّباعهم إياه. ثم وعد لهم في الدنيا حسنة فقال:

**لنبوأنهم**، قيل: لنعطينهم، وقيل: لنرزقنهم، وهو واحد. **في الدنيا حسنةً**، تحتمل[8] الحسنة في الدنيا العزّ بعد الذلّ، والسعة بعد الضِّيق، والشدة والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين مغلوبين في أيدي الأعداء، والذكر والشرف بعد الهوان، هذه الحسنة التي بوأهم في الدنيا. والمهاجرة المقاطعة، كأنه قال: والذين قاطعوا أرحامهم وأقاربهم[9] وأموالهم ومكاسبهم وديارهم،

---

[1] ع - إلى.

[2] أي كون التكوين بتكوين آخر أو بدون بتكوين، هذان الوجهان هما محل الاختلاف وإبداء الرأي في هذه المسألة.

[3] جميع النسخ: كسب؛ والزيادتان مع التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.

[4] جميع النسخ: فعل (م: فعمى) الله كلية الخلق.

[5] ك: ذلك.

[6] ع: مفعول.

[7] ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة الممتحنة، ٩/٦٠).

[8] ن ع م: يحتمل.

[9] م: وارقابهم.

فأبدل الله لهم مكان الأرحام والأقارب[1] أخلاءَ وإخوانًا، ومكان أموالهم أموالًا أخرى، وكذلك الدُّور وكل شيء تركوا هنالك، فأبدلهم مكان ذلك كله.

وأما قوله: **ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، يشبه أن يكون ذِكْر[2] هذا عن حسد[3] كان من الكفرة للمهاجرين لَمّا أنزلهم في المدينة[4] وبوّأهم فيها وأعزّهم ورفَع ذكرَهم وأمرَهم ونَصَرَهم، حسَدَهم أهل الكفر بذلك، فعند ذلك قال: **ولأجر الآخرة**، لهم أكبر وأعظم في الآخرة. **لو كانوا يعلمون**، ما وعد لهم في الآخرة. ويحتمل أيضا قوله: **ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، هؤلاء المهاجرون[5] فيخِفّ عليهم احتمال ما أُوذُوا وظُلموا ويَهُون. ***والله أعلم***.

**﴿اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون**، قال الحسن: / أي على ربهم يَثِقون [٤٠٧ظ] في إنجاز ما وعد لهم في الآخرة أنه ينجز ذلك. ويحتمل قوله: **صبروا**، على أمره أو صبروا على الهجرة [و]انقطاع ما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم.

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤٣]**
**﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، هذا -والله أعلم- يكون على أَثَر أمرٍ كان مِن الكفرة نحو ما قال أهل التأويل: إنهم قالوا: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[6] وقالوا: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ،[7] ونحوه من كلامهم، فقال: **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، أي إلا بشرا، أي لم نرسل من غير البشر،فيكون قوله: **إلا رجالًا**، كناية عن البشر. أو أن يكون قوله: **إلا رجالا نوحي إليهم**، أي لم نبعث من النساء رسولا، إنما بُعِث الرسل من الرجال إلى الرجال والنساء. ***والله أعلم***.

---

[1] م: والارقاب.
[2] ن - ذكر.
[3] ع م: حد.
[4] ن: بالمدينة.
[5] ع م: المهاجرين.
[6] ﴿وما منع الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[7] ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتَوا عُتُوًا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢١/٢٥).

وقوله عز وجل: **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**، قال بعضهم: ليس على الأمر بالسؤال، ولكن لو سألتم أهل الذكر لأخبروكم أنه لم يبعث الرسول من قبل إلا من البشر. وقال بعضهم: هو على الأمر بالسؤال، أي سَلُوا[1] أهل الذكر فقلدوهم، أي إن كان لا بد لكم من التقليد فاسألوا أهل الذكر فقلِّدوهم ولا تقلدوا آباءكم ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلّدوا أهل الذكر.[2]

قال بعضهم: **فاسألوا أهل الذكر**، فقلدوهم إن كنتم لا تعلمون **بالبينات** والحجج، لأنهم كانوا أهل تقليد، لم يكونوا أهل نظر وتفكر في الحجج والبينات. ويحتمل أن يكون قوله: **إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر**[3] التي أتت بها الرسل[4] ليخبروكم[5] أن الرسل إنما بعثوا من البشر بالبينات والكتب، فيكون على التقديم[6] الذي ذكره بعض أهل التأويل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم، بالبينات والزبر. ويحتمل قوله: **فاسألوا أهل الذكر**، أي أهل الشرف من أهل الكتاب ليبيّنوا[7] لكم البينات والزبر، لأنهم يأنفون الكِتمان والكذب. وإن كان أهل الذكر جميع أهل الكتاب فالسؤال عن الرسل أنهم كانوا من البشر والرجال لأنهم يعلمون ذلك.

وقوله: **وأنزلنا إليك الذكر**، قيل: أنزلنا[8] إليك القرآن، **لتبين للناس ما نُزّل إليهم**، يحتمل قوله: **لتبين للناس**، من أنباء الغيب، وما غاب عنهم، وما لله عليهم، وما لبعضهم على بعض، وتبين[9] لهم جميع ما يأتون[10] وما يتقون وما يحِلّ وما يحرُم. **ولعلهم يتفكرون**، في ذلك. ويحتمل قوله: **وأنزلنا إليك الذكر لتبين**، لهم[11] ما حرّفوا من كتبهم وبدّلوه وغيّروه، فيكون فيه آيةٌ لرسالتك، أو يكون الذي أنزل إليه كالمنزّل إليهم حيث ذكر أنه يبين لهم ما أنزل[12] إليهم.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ع: سمموا.
[2] ك + إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر.
[3] ك ن + والزبر؛ ع م + والرسل.
[4] ك ن + فيكون تأويله أي اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بلبينات والزبر التي أتت بها لرسل.
[5] م: ليخرجوكم.
[6] ن + والتأخير.
[7] ع م: لبينوا.
[8] جميع النسخ: أنزل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦ظ.
[9] ك: ولتبين.
[10] ن: يوتون؛ ع م: تؤتون.
[11] ع م – لهم.
[12] ع م: نزل.
[13] جميع النسخ: إليه؛ والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة، ورقة ٤٩٤و.

**﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **أفأمن الذين مكروا السيئات**، قوله: **أفأمن**، قد ذكرنا أنه حرف استفهام إلا أنه من الله غير محتمل ذلك، وهو على الإيجاب.[١] ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر أنهم قد أمِنوا[٢] مكرَه. والثاني[٣] على النهي، أي لا يأمَنوا،[٤] كقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾،[٥] هذا يشبه أن يكون على هذا الذي ذكرنا أنه إخبار عن أمنِهم مكرَ الله، وعلى النهي أن لا يأمنوا.[٦] ثم أخبر أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [أي] الكافرون، لأنهم كذبوا الرسل فيما أوعدوا لهم من العذاب فأمِنوا لذلك، أو لما لم[٧] يعرفوا الله و لم يعرفوا حقوقه ونعمته ونقمته فأمنوا لذلك. وأما من عرف الله وعرف حقه ونعمته وعرف نقمته فإنه لا يأمن مكره. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **مكروا السيئات**، قال بعضهم: مكرُهم السيئات هو ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لو أصابهم ذلك لساءهم[٨] وما ظاهروا عليهم عدوَّهم. وقال بعضهم: مكرهم السيئات هو أعمالهم التي عملوها. وكل ذلك قد كان منهم، كانوا مكروا برسول الله وأصحابه، وكانوا ظاهروا عليهم عدوَّهم، وقد عملوا أعمالهم الخبيثة السيئة.

وقوله عز وجل: **أن يخسف الله بهم الأرض**، أي أمنوا حين مكروا السيئات **أن يَخْسِفَ اللهُ بهم الأرض أو يأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون**، في الحال التي لا يكون لهم أمْنٌ ولا[٩] خوف.

**﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **أو يأخذهم في تقلبهم**، قيل في اسفارهم وفي تجاراتهم، لأن الناس إنما يسافرون ويتّجرون في البلدان في حال أمنهم. **أو يأخذهم على تخوف**، قال بعضهم: على تقريع،

---

[١] م: على إيجاب؛ جميع النسخ + ذلك.
[٢] ن: قد آمنوا.
[٣] ن + أنه حرف استفهام إلا أنه من الله غير محتمل ذلك وهو على الإيجاب.
[٤] جميع النسخ: لا تأمنوا.
[٥] سورة الأعراف، ٧/ ٩٩.
[٦] ك: أن لا تأمنوا.
[٧] م – لم.
[٨] م: أساءهم.
[٩] ع م: لا.

وقال بعضهم[1] على تنقيص[2] من الأموال وغيره، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[3] الآية. وقال بعضهم: **أو يأخذهم على تخوف**، أن يأخذ قريةً فَقَرية وبلدة فَبَلدة حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم، كلّما أخذ قرية كان لهم من ذلك خوف، فذلك أَخْذٌ بتخوف، وهو ما قال: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ،[4] الآية. وَعَد الله حلوله[5] قريبًا من دارهم، كان يخوفهم[6] حتى نزل بساحتهم، فذلك أَخْذٌ بالتخوف. يخبر أن عذابه لا يؤمَن حلولُه وأخذُه إياهم في كل حال، في الحال التي ليس لهم أمْن ولا خوف، أي لم يغلب هذا على هذا، وفي الحال التي يكونون آمنين في تقلبهم وحوائجهم، وفي الحال التي يكونون متخوفين.

وقوله عز وجل: **فإن ربكم لرءوف رحيم**، حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله، والتكذيب لرسله، والمكابرة والمعاندة لآياته وحججه وقتئذ، ولكن أمهلكم وأخر ذلك عنكم، أو **رءوف رحيم**، إذا تبتم ورجعتم عما كان منكم، يرحمكم ويغفر لكم ذلك، وقوله عز وجل:

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾**[٤٨]

[٤٠٨و] / **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله**، قوله: **أولم يروا**، يحتمل وجهين. أحدهما أن قال ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت أن كل شيء يسجد لله ويخضع له، فقال ذلك لهم على العتاب: إنكم قد علمتم أن كل شيء لم يركّب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والسمع يخضع لله ويسبح له، فأنتم لا تخضعون له مع ما[7] ركّب فيكم العقول وجعل فيكم الأفهام وغيرها. والثاني على الأمر،

---

[1] م – بعضهم.
[2] ك: تنقص.
[3] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).
[4] ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (سورة الرعد، ٣١/١٣).
[5] ع م: حلولا.
[6] ن ع م: تخوفهم.
[7] جميع النسخ: معما.

أي اعلموا[١] أن كل شيء من خلق الله يسجد له ويخضع. وقد أقام عليهم[٢] من الحجة على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا لَعَلموا أن كل ذلك يخضع ويسبح؛ وإلا ظاهر قوله: **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله**، أن يقولوا: لم نَرَ، إن كان الخطاب لأهل مكة، على ما ذكره أهل التأويل، لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرتهما.[٣] ويشبه أن يكون ذَكَر قوله: **أولم يروا إلى ما خلق الله**، الآية، لما استوحش أهل الإسلام مما عبد أولئك الكفرة الأصنام وعظيمَ ما قالوا في الله،[٤] فقال لذلك: **أولم يروا إلى ما خلق الله**.[٥]

وقوله: **يتفيأ ظلاله**، قال بعضهم: يريد بالظلال شخص ذلك الشيء، والظلال كناية عن الشخص كما يقال: رأيت ظل فلان، أي شخصه. وقال بعضهم: أراد بالظل الظل نفسه، لكن خضوعه وسجودُه يكون للشمس والقمر.[٦] وعلى تأويل من يجعل الظل كناية عن[٧] الشخص يجعل كل نفس يتفيأ [٨] خضوعًا وسجودًا.

ثم معنى سجود هذه الأشياء الموات وخضوعُهن من نحو قوله: **يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله**، ومن نحو قوله: يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ،[٩] وقوله: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[١٠] وقولِه: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[١١] وقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[١٢] وأمثاله يحتمل وجوهًا. أحدها أن يجعل الله عز وجل: بلطفه في سِرِّيَّة[١٣] هذه الأشياء معنى تعلّمِ السجود لله والخضوع له، وهو كما ذكر في الريح التي تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب،[١٤]

---

[١] ع: علموا.
[٢] ع م: لهم.
[٣] ع م: ذكرهما.
[٤] جميع النسخ + ما قالوا؛ ن + لما استوحش أهل الإسلام مما عبد أولئك الكفرة الأصنام وعظيم ما قالوا في الله ما قالوا.
[٥] ك ع م - ما خلق الله؛ ك ع م + كذا.
[٦] أي خضوع الظل لله يكون ويحصل بسبب الشمس والقمر.
[٧] ع م: من.
[٨] ك: تفيو؛ ع م تفيؤ.
[٩] ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ (سورة ص، ١٨/٣٨).
[١٠] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطير وألَنَّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).
[١١] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ٤٤/١٧).
[١٢] ﴿تكاد السماوات يتفطّرنَ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا أن دعَوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ٩٠/١٩-٩١).
[١٣] ع سيرته؛ م: سيرية.
[١٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فسخّرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب﴾ (سورة ص، ٣٦/٣٨).

أخبر أنها تجري بأمره، دل أنها تَعلم أمر الله. وقال:[1] ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] أخبر أنها تشهد وتنطق ولولا أنها[3] تفهم وتَعلم الخطاب وإلا[4] ما خوطبت وإن كانت مواتًا، فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز أن يكون الله [قد] جعل[5] في سِرِّيَّة هذه الأشياء ما تَعرف السجود والتسبيح وتَفهمه.

والثاني يكون سجود هذه الأشياء وتسبيحها بالتسخير، [أي] جعلها مسخرات لذلك وإن لم تعلم هي ذلك ولم تعرف، لكن جعلها بالخلقة كذلك.

والثالث أنه جعل خلقة هذه الأشياء دالةً وشاهدة على وحدانية الله وألوهيته، فهن مسبحات لله[6] وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله وألوهيته. هذا -والله أعلم- معنى سجودهن وخضوعهن. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وهم داخرون**، قيل: صاغرون ذليلون.

**﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون**، يذكر هذا -والله أعلم- أنه[7] يسجد له أعلى الخلائق وأعلمهم وهم الملائكة، ويسجد له أشد الخلق وأصْلَبُه وهو الجبال والسماوات والأرض، ويسجد له أيضا ويخضع أسْفَه الخلق وأجهله وهو الدواب وغيرها. وأنتم أبيتم السجودَ له[8] والخضوعَ، واستكبرتم عن عبادته، وهؤلاء[9] الذين ذكرتهم[10] [لا] يسجدون [لغير الله].[11] يخبر عن سفَهِ أولئك في إبائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه.

---

[1] جميع النسخ: وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[2] سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١.
[3] ن ع م: ولو أنها.
[4] أو إلا.
[5] جميع النسخ: يجعل.
[6] ن ع م - لله.
[7] ع م - أنه.
[8] ك: له السجود.
[9] جميع النسخ: فهؤلاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[10] جميع النسخ: ذكرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[11] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **يخافون ربهم من فوقهم**، قال بعضهم: خوفُ الملائكة والرسل خوفُ هيبة الله وجلاله، لا خوف نزولِ شيءٍ من نِقْمته عليهم. وخوف غيرهم[١] من البشر خوفُ نزولِ شيء يضرّ بهم، وكذلك رجاؤهم وطمعُهم رجاءُ نفع[٢] يصل إليهم. ورجاء[٣] الملائكة والرسل وطمعهم رجاءُ رضاءِ الله عنهم، لا رجاء نفع يصل إليهم.

وقال بعضهم: **يخافون**، خوف العقوبة والانتقام، لأنهم ممتحنون، وكل ممتحن يخاف عذابَ الله ونقمته. ألا ترى أنه كيف أوعدهم الوعيد الشديد وقال: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ،[٤] وقال إبراهيم عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] خاف عبادة غير الله، ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يخافون ربهم من فوقهم**، الفوق والتحت والأسفل ونحوه في الأمكنة والمجلس ليس فيه فضلُ عزّ وشرف ومرتبة، لِما يجوز أن يكون [هذا] الذي كان فوق هذا في المكان والمجلس تحته وأسفلَ منه فلا يزداد لهذا بما صار[٦] فوقه عزّا[٧] و شرفا ومرتبة، ولا لهذا بما كان تحته ذُلّ وهوان.[٨] فدل[٩] هذا أنه[١٠] لا يفهم من "فوقه" فوقُ المكان ولا تحتُه، لأن من صعد الجبال والأمكنة المرتفعة لا يوصف بالعلوّ والعظمة. فإذا[١١] قيل:[١٢] فلان أمير على العراق، أو على خراسان، كان في ذلك تعظيم، لأنه ذكره[١٣] بالقدرة والسلطان ونفاذ أمره ومشيئته[١٤] فيهم.

---

[١] ع م: غيره.
[٢] ع: يقع.
[٣] ع م: رجاء.
[٤] ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ... ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٦-٢٩).
[٥] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).
[٦] ع م: صاروا.
[٧] ن: عز.
[٨] ع م – وهوان، + وهو.
[٩] ك ن ع: دل؛ م: ذل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٠] م: لأنه.
[١١] جميع النسخ: وإذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٢] م + قيل.
[١٣] جميع النسخ: ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٤] جميع النسخ + وقدرته وسلطانه.

[ويحتمل][1] اطّلاعه[2] على جميع ما يُسرّون ويُضمرون ويُعلنون ويُظهرون، وعلمَه على جميع أفعالهم؛ على هذا يجوز أن يُتأول الفوق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويفعلون ما يؤمرون**، وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له وخضوعهم
[٤٠٨ظ] إياه وهو ما قال: / لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،[3] وقال:[4] لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[5]

**﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد**، لا نعلم [أن] الخطاب بهذا[6] لمن، إن[7] كان الخطاب بهذا لأهل[8] مكة فهم قد[9] اتخذوا آلهة، بقوله:[10] أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[11] الآية، إلا أن يخاطب به الثَّنَوِيّة والزّنادقة، فإنهم يقولون باثنين. ويشبه أن يكونوا[12] أهل مكة، وإن اتخذوا آلهة، فإنهم في الحقيقة عُبّاد إلهين، لأنهم إنما كانوا يعبدون تلك الأصنام بأمر الشيطان وطاعتهم إياه فتنسب العبادة إليه[13] لِما بأمره يعبدون هذه الأصنام،[14] ألا ترى أن إبراهيم قال لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[15] وإن كان في الظاهر لا يعبد الشيطان، لكن لِما بأمره يعبدون هذه الأصنام[16] أضاف العبادة إليه. أو أن يكون المراد من ذكر اثنين إنما هو على الزيادة على الواحد كأنه قال: لا تتخذوا ولا تعبدوا أكثر من إله واحد.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[2] جميع النسخ + أو اطّلاعه.
[3] سورة الأنبياء، ١٩/٢١–٢٠. جميع النسخ + وهو ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[4] جميع النسخ: وهو ما قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[5] سورة التحريم، ٦/٦٦. جميع النسخ + ومثله.
[6] جميع النسخ + أنه.
[7] ع م – إن.
[8] م: لأن أهل.
[9] ك – قد.
[10] جميع النسخ: بقولهم.
[11] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عُجاب﴾ (سورة ص، ٥/٣٨).
[12] ن ع م: يكون.
[13] ع م – إليه.
[14] ك ن + والله أعلم.
[15] ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عَصِيًا﴾ (سورة مريم، ٤٤/١٩).
[16] ع م – ألا ترى أن إبراهيم قال لأبيه يا أبت لا تعبد الشيطان وإن كان في الظاهر لا يعبد الشيطان لكن لما بأمره يعبدون هذه الأصنام.

وقوله عز وجل: **فإياي فارهبون،** [أي خافوني و][1] لا تخافوا[2] الأصنام التي تعبدونها، فإنكم إن تركتم عبادتها لا تضرّكم.

**﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **وله ما في السماوات والأرض،** أي وله يخضع[3] ما في السماوات والأرض وأنتم لا تخضعون له،[4] أو ما في السماوات والأرض كلُّهم عَبيدُه وإماؤه فكيف أشركتم عبيدَه في ألوهيّة الله تعالى وربوبيّته.

وقوله: **وله الدين واصبًا،** قال بعضهم: دائمًا، لأن غيره من الأديان كلها[5] يبطُل ويضْمَحِلّ ويبقى دينه في الدارين جميعًا. وقال بعضهم: **وله الدين واصبًا،** أي مخلصًا، من الوَصَب[6] والتعب. وتأويله -والله أعلم- أي وله دين لا يوصَل إليه إلا بتعب وجهد، فاجتهدوا واتعَبوا لتُخلصوا له الدين، هذا معنى قوله: [واصبا، أي][7] مخلصًا.

وقوله عز وجل: **أفغيرَ الله تتقون،** أي أمخالفةَ غيرِ الله تتقون، أي لا تخافوا ولكن اتقوا مخالفة الله، [و]لا تتقوا[8] مخالفة غيره. أو يقول: لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته.

**﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٥٣] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون،** أي تتضرعون. يخبر عن سفههم وقلة عقلهم أنهم يعلمون أن له ما في السماوات والأرض، وأن كل ذلك ملكه، وأن ما لهم من النعمة منه، وأن ما يحُلّ بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[2] ع م: لا تخافون.
[3] ع: تخضع.
[4] جميع النسخ: تخضعونه.
[5] ن: كما.
[6] ك + والنصب؛ ع: الوصف.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[8] ع م - مخالفة الله ولا تتقوا.

ثم يكفرونه[1] ويصرفون[2] شكر ما[3] منه إلى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء، فيقول: أنا المنعم عليكم تلك النعم وأنا المالك[4] الكشف عنكم لا الأصنام التي عبدتموها، فكيف كفرتم بي[5] في وقت[6] الرخاء والسعة وآمنتم[7] في وقت الضيق والبلاء. كانوا يُخلصون له الدين في وقت ويشركون غيره في وقت، فيقول: أَدِيموا إليّ الدين بقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[8] ولا تتركوا الإيمان في وقت وتؤمنوا بي في وقت؛ وكذلك كان عادتهم، كانوا[9] يكفرون بربهم في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال[10] البلاء والشدة، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ،[11] الآية.

ويحتمل أن يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال معهم لهذا المعنى، لأن من عادتهم الإيمان في وقت البلاء والشدة والخوف، ففرض عليهم القتال معهم ليضطرّوا إلى الإيمان فيؤمنوا ويُدِيموا الإيمان. ومنذ فرض القتال معهم كثر أهل الإسلام فدخلوا فيه فوجًا فوجًا، وكان قبل ذلك يدخل فيه[12] واحدًا واحدًا. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حيث[13] قال: **وما بكم من نعمة فمن الله**، فإنما أخبر عما عرفوا وتقرّر عندهم أن كل ذلك من عند الله ليعلموا أنه إنما عرَف ذلك بالله تعالى.

[٤٠٨ظ س٣٠] *وفي قوله: **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون**، أي تتضرعون، موعظة للمؤمنين أيضًا، لأن[14] [كثيرا منهم][15] يتضرعون إلى الله إذا أصابهم الضر والبلاء،

---

[1] أي يجحدون ما أنعم الله عيهم ويستررونه.
[2] ع م: ويعرفون.
[3] ع م: شكرها.
[4] ن ع م + عن.
[5] ع م – بي.
[6] ع م – وقت.
[7] ك ع م + بي.
[8] الآية السابقة.
[9] ن: كان.
[10] ن + ويؤمنون به في حال.
[11] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[12] م – فيه.
[13] ع م – حيث.
[14] جميع النسخ: لأنهم، + يجعلون.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

وإذا أنكشف ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع ونسوا ربهم، فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع أولئك، يقول -والله أعلم-[1] أي تعلمون أن ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها إلى غيره في حال.* [٤٠٨ظ س٣٣]

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **ليكفروا بما آتيناهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يجعلوا ما آتاهم الله وأنعم عليهم سببَ كفرهم بالله. والثاني يكفرون بنعم الله تعالى بعبادتهم الأصنام وصرفهم الشكر عنه. ويشبه أن يكون إخباره عن سفههم من وجه آخر، وهو أنهم لم يروا في البشر أحدًا يطاع ويخضع إلا أحدَ رجلين: دافعُ بلاء عنهم[3] أو جارُّ نفع إليهم،[4] فالأصنام التي عبدوها ليس منها دفعُ بلاء ولا جرُّ منفعة فلماذا يعبدونها؟ وقال أبو بكر [الأصم]: **ليكفروا بما آتيناهم**، أي بالقرآن.

وقوله عز وجل: **فتمتعوا فسوف تعلمون**، هذا وعيد من الله لهم، يقول: فسوف تعلمون ما ينزل بكم من كفران نعمه وصرف الشكر عنه. [أخبر] أنه مهلكهم ومنزلٌ بهم عذابه.[5]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **ويجعلون**، أي يقولون، **لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم**،[6] من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم. قال بعضهم: يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم[7] ولا يعلمون لهم نصيبًا في ذلك، وهو كقوله: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[8] حرموا على أنفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لآلهتهم. ويحتمل قوله: **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا**، وهو الشيطان، أي ما يجعلون للأوثان فذلك للشيطان في الحقيقة،

---

[1] ع م - ونسوا ربهم فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع أولئك يقول والله أعلم.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٠٨ظ/سطر ٣٠-٣٣.

[3] جميع النسخ: عنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

[4] جميع النسخ: إليه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

[5] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٠٨ظ/سطر ٣٠-٣٣.

[6] ن + قال بعضهم يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم.

[7] ن - قال بعضهم يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم.

[8] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.

لأنه[1] هو الذي أمرهم بذلك وهو الذي دعاهم إلى ذلك، وهو كقوله: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ.[2] ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان، لكنهم إذا عبدوا الأوثان فكأنهم[3] قد[4] عبدوا الشيطان، لأنه هو أمرهم بذلك وهو دعاهم[5] إلى ذلك. فعلى ذلك ما يجعلون للأوثان فذلك للشيطان لما ذكرنا، لكن لا يعلمون[6] أن له [في] ذلك نصيبا.[7]

[٤٠٩و] / ويحتمل قوله: **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا**، أي يعلمون أنْ ليس لها نصيب في ذلك، ولكن يجعلون ذلك لها على علم منهم، أي لا نصيب للأوثان في ذلك، وهو كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[8] أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس ونحوه، أي يعلم غير الذي تنبئون، وقد ذكرنا [آنفا] قوله: **يجعلون**، على القول، أي يقولون، وإلا لا يملكون جعل ذلك.

وقوله عز وجل: **تالله لتُسْأَلن عما كنتم تفترون**، يحتمل قوله: **تفترون**،[9] تسميتَهم الأصنامَ آلهةً، ويحتمل افتراءهم على الله كما[10] قالوا: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[11] زعموا أن[12] ما[13] فعل آباؤهم وفعلوا هم[14] كان بأمر من الله[15] ورضاه، حيث تركهم على ذلك، فذلك افتراؤهم. وقوله: **تالله لتسألن عما كنتم تفترون**، يحتمل السوال الجزاءَ، أي **تالله** لتجزوُنّ **عما كنتم تفترون**. ويحتمل السؤالُ سؤال حجة يسألون –على ما ادعوا على الله من الأمر– الحجةَ على ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ع م – لأنه.
[2] سورة مريم، ١٩/٤٤.
[3] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[4] ك – عبدوا الأوثان فكان قد، صح هـ.
[5] ن + بذلك.
[6] ن ع م: لا تعلمون.
[7] جميع النسخ: ذلك له نصيب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[8] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[9] ن + يحتمل قوله تفترون.
[10] جميع النسخ: ما.
[11] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[12] ع م: أنه.
[13] ن ع م – ما.
[14] م: وفعلوهم.
[15] ن: بأمر الله.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **ويجعلون لله البنات**، أي يقولون لله البنات. يخبر عن شدة سفههم حيث يأنفون ويستحيُون عن البنات ثم ينسبون[١] ذلك إلى الله ويضيفونها إليه. يصبّر[٢] رسوله على أذى الكفرة حيث قالوا فيه ما قالوا: إنه ساحر،[٣] وإنه مفترٍ[٤] ونحوه، على علم منهم ويقين أنه ربهم وخالِقهم. فمن أنكر رسالته [فالنبي] أولى بالصبر على قولهم والحلم منهم.[٥]

**سبحانه**، كلمة تنزيه عما قالوا فيه، وحرف تعجيب حيث نسبوا إلى الله ما كرهوا[٦] لأنفسهم.[٧]

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم**، قال بعضهم: قول العرب:[٨] قبّحَ الله وجهك، وسوّدَ الله وجهك، ليس على إرادة القبح والسّواد،[٩] ولكن على إرادة ما يكرهه. وقال الحسن: قوله: **ظل وجهه مسودًا**، أي متغيّرًا من الغم، **وهو كظيم**، أي حزين، وهكذا العرف في الناس أنه إذا اشتدّ بهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم قُبحًا وسَوادًا.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٥٩]

**يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون**، يذكر فيه كيف يصنع به، **أيمسكه على هون**، أي على هوان يضربه ويُسيءُ صحبتَه، **أم يدسه في التراب**، وهو حيّ فيقول: إن ربي اختار البنات فابعث بها إلى ربي فإنه أحق بها،[١٠] وهي الموءودة التي قال الله: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.[١١] وإنما كانوا يصنعو ذلك خشيةَ إملاق، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ.[١٢]

---

[١] ن ع: تنسبون.
[٢] ع + على.
[٣] انظر: سورة يونس، ١٠/٢.
[٤] م: مفتري؛ انظر: سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[٥] جميع النسخ: على قوله والحلم منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٦] ع م: يكرهون.
[٧] ك ن + ولهم ما يشتهون يجعلون لأنفسهم البنين ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم.
[٨] «قال بعضهم: قال ذلك على عادة العرب، يقولون: ... » (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣٨ظ).
[٩] ن ع م: السّواد والقبح.
[١٠] ع م + وهو.
[١١] ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قُتِلت﴾ (سورة التكوير، ٨١/٨-٩).
[١٢] ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطْأً كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٣١).

وقوله عز وجل: **ألا ساء ما يحكمون**، في جعلهم لله ما كَرِهوا لأنفسهم أو في[1] قولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] أو في قولهم: هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[3] ونحوه. *والله أعلم*.

**﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦٠]**

وقوله عز وجل: **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السَّوء**، قال بعضهم: قوله: **مثل السوء**، أي لهم جزاء السوء وهو النار. وقال الحسن: **مثل السوء**، أي صفة السوء[4] التي وصفوا بها ربهم أنه اختار البنات. **ولله المثل الأعلى**، أي الصفة الأعلى التي ليس لها شِبْه، فإن تلك الصفة من صفته. ويُشبه أن يكون قوله لهم **مثل السوء** بما سماهم مرة موتى،[5] ومرة فَسَقَة، ومرة ظَلَمَة، ومرة هم في الظلمات وأمثاله؛ لهم ذلك الوصف بما أنكروا الآخرة، وذلك مما توجبه[6] الحكمة والعقل والشريعة. فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما أنكروا ما توجبه الحكمة والعقل والشريعة.

ويحتمل **مثل السوء**، شِبْه السَّوء، ويحتمل **مثل السوء**،[7] النعت والصفة. فإن كان هو[8] على الشبه فهو في الدنيا، لما شبههم في غير آي من القرآن[9] بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة،[10] وبالرماد،[11] وبالزَّبَد،[12]

---

[1] ن: وفي.

[2] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[3] ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ (سورة الأنعام، ١٣٦/٦).

[4] ن ع – صفة السوء.

[5] ع + مرة.

[6] ك ن ع: يوجبه؛ م: يوجب.

[7] ن – شبه السوء ويحتمل مثل السوء.

[8] ع م + هو.

[9] ك – من القرآن.

[10] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ٢٦/١٤).

[11] يشير إلى قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٨/١٤).

[12] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زَبَدا رابيا ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حلية أو متاعٍ زَبَد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (سورة الرعد، ١٧/١٣).

والسراب[١] ونحوه. وإن كان على النعت والصفة فهو في الآخرة، وهو ما ذكر: ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ.[٢]

وقوله عز وجل: **ولله المثل الأعلى**، أي لأولياء الله المثل الأعلى، وهم المؤمنون؛ لِما أن الله وصف المؤمنين بالحياة والنور[٣] والعدل[٤] وغير ذلك من الأسماء الحسنة، وذلك لله في الحقيقة لكنه بفضله ومَنّه وصفهم وسماهم بذلك، فأضيف إلى الله[٥] لِما بفضله[٦] استوجبوا لا باستحقاق أنفسهم. وكذلك قوله: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا،[٧] [أي لأولياء الله الأسماء الحسنى][٨] أضيف ذلك إليه لما[٩] بفضله يستوجبون[١٠] تلك الأسماء التي سماهم. فيصير[١١] قوله: **ولله المثل الأعلى**، أي لأولياء الله[١٢] المثل الأعلى، كأنه قال: وللذين يؤمنون بالآخرة مثل الأعلى مقابِلَ ما ذكر حيث قال: **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء**.

**وهو العزيز الحكيم**، قال الحسن: **العزيز** بالغلبة منه في الأشياء كلها على ما أمره، وكل شيء دونه ذليل، **الحكيم** بالعدل منه في كل قضاء قضى.[١٣] وقد ذكرنا في غير موضع.[١٤] وقوله: **العزيز الحكيم**، في هذا الموضع كأنه قال: هو[١٥] العزيز بنفسه لا بخلقه[١٦] وأوليائه؛[١٧]

---

[١] ع م: التراب. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).

[٢] ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ (سورة الفرقان، ٣٤/٢٥).

[٣] انظر: سورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢.

[٤] انظر: سورة الأعراف، ١٨١/٧.

[٥] أي في قوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾.

[٦] ع - ومنه وصفهم وسماهم بذلك فأضيف إلى الله لما بفضله.

[٧] سورة الأعراف، ١٨٠/٧.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و. لعل المؤلف رحمه الله يقصد به أن في ألسن أولياء الله الأسماء الحسنى بها يصفون ربهم ويدعونه ويجتهدون أن يتسموا بها.

[٩] ع م - لما.

[١٠] م: تستوجبون.

[١١] جميع النسخ: ويحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.

[١٢] ع - الله.

[١٣] ع م - قضى.

[١٤] انظر: سورة البقرة، ١٢٩/٢.

[١٥] ك: وهو.

[١٦] ن: بخلقه.

[١٧] ك: لأوليائه.

كما يكون لملوك الأرض يكون عِزّهم بخَدَمهم[1] وحَشَمهم، فإذا ذهبوا أو عصوه يصير[2] مقهورًا مغلوبًا. فأما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته. **والحكيم**، أي إنشاؤه العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة. *والله أعلم*.

**﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦١]**

وقوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة**، دل قوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم**، أن له أن يستأصلهم ويهلكهم بما كان منهم، لكنه بفضله تركهم إلى المدة التي ضرب لهم، لأنه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد التي أوعد معنى. وقال أبو زيد البلخي: إن الله بما أوعد من الوعيد ليس يوعد لمضرة نفسه ولا لنفع يصل إليه، ولكن يوعد بما توجبه
[٤٠٩ظ] الحكمة. فدل / أن الوعيد لازم واجب. ونحن نقول: يوعد بما توجبه الحكمة وقد أمهلهم بعد الوعيد [رحمة منه وفضلا]،[3] فعلى ذلك[4] يجوز أن يخرجهم من النار بعد ما أدخلهم [فيها][5] بما ارتكبوا من الكبائر.

ثم في قوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم**، الآية، دلالةُ نقض قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس لله أن يهلك قومًا قد علِم منهم الإيمانَ في وقت، أو يكون في أصلابهم من يؤمن؛ إذ قد كان ممن أوعد ذلك الوعيد من بعضهم الإيمان، أو في أصلابهم من[6] كان يؤمن.[7] فدل الوعيد لهم[8] أنه قد يهلك من يعلم أنه يؤمن في آخر عمره [لو أبقاه]؛[9] إذ لا يوعد إلا بما له أن يفعل، لكنه بفضله أخّره إلى وقت. وفيه[10] دلالة أن له أن يفعل [بعباده][11] ما[12] ليس ذلك باصلح لهم في الدين.

---

[1] ك: خدمهم بعزهم.
[2] ك – يصير.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[4] ع: فذلك.
[5] جميع النسخ + النار؛ والتصحيح من *الشرح*.
[6] جميع النسخ + قد؛ والتصحيح من *الشرح*.
[7] جميع النسخ: آمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[8] أي في قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس...﴾
[9] الزيادة من *الشرح*.
[10] م – وفيه.
[11] الزيادة من *الشرح*.
[12] جميع النسخ: بما؛ والتصحيح من *الشرح*.

ثم اختلف في قوله: **بظلمهم**، قال بعضهم: هذا للكفرة خاصة. وقال بعضهم: لهم وللمؤمنين: كلِّ مرتكب زلة، إذ ما من أحد ارتكب زلة[١] إلا وقد استوجب العقوبةَ بذلك والمؤاخذةَ به، لكنه بفضله عفى [عمن شاء].[٢]

وقوله عز و جل: **ما ترك عليها من دابة**، قال بعضهم: أراد بالدابة الدابة التي خلقها لهم إذا أهلك[٣] الناس فقد أهلك الدواب، إذ خلقه إياها لهم. وقال بعضهم: قوله[٤] **ما ترك عليها من دابة**،[٥] أي على ظهر الأرض من دابة، لأن الدواب إنما تعيش[٦] بالذي يتعيش[٧] الناس، فإذا هلكوا هم[٨] هلكت الدواب أيضًا لِما ذهب سبب عيشها. وجائز[٩] أن يكون أراد بالدابة البشر، أي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم. وسماهم دابة لأنه[١٠] ذكرهم في موضع الظلم وإن كان سماهم في غير موضع بالأسماء الحسنة، وهو كما سماهم في موضع آخر[١١] دابة حيث قال: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا،[١٢] ولا شك أن البشر دخلوا في هذه التسمية، فعلى ذلك جائز دخولهم في الأخرى. وإن كان المراد ما ذكر من الدابة البشرَ فالأنبياء والرسل إنما يكون هلاكهم بقطع[١٣] نسلهم، لأن الأنبياء أكثرهم وُلِدوا من الآباء الظلمة، فإذا أُهلك[١٤] آباؤهم لم يُولَد الرسل والأنبياء، فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء ولكن بقطع[١٥] النسل. وإن كان المراد بتلك الدابة الدواب أنفسها، فلأن الدواب[١٦] إنما أنشأت للبشر ولمنافعهم، فإذا أهلكت الدواب أهلك[١٧] المُنْشَأُ لهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن ع م: ذلة، في الموضعين.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٣] ع: هلك.
[٤] ك ن – قوله.
[٥] ك ن – من دابة.
[٦] ع م: تعيش.
[٧] ع م: يعيش.
[٨] ع: هلكوهم.
[٩] ع م: أو جائز.
[١٠] جميع النسخ + إذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[١١] ن – آخر.
[١٢] ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومُستَوْدَعَها كل في كتاب مبين﴾ (سورة هود، ٦/١١).
[١٣] ن ع: يقطع.
[١٤] ع: هلك.
[١٥] ن: يقطع.
[١٦] ن – فلأن الدواب.
[١٧] ع م – الدواب أهلك.

وفي قوله: **لا يَستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، دلالة نقض[1] قول المعتزلة، لأنهم يقولون: يجعل الله للخلق آجالاً ثم يجيئ[2] كافر فيقتله دون بلوغ الأجل الذي جعله الله. وقد[3] أخبر أنهم لا يستأخرون ساعة بعد الأجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك، وهم يقولون: بل يستقدمه كافر فيقتله، فذلك سَرَف في القول. وهذا يخرج على وجهين. أحدهما لا يتأخر الأجل الذي جُعل لهم ساعةً ولا يتقدم عن ذلك. والثاني لا يُجاب في التأخير ولا في التقديم.[4]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ويجعلون لله ما يكرهون**، كانوا يجعلون لله أشياء يكرهون ذلك لأنفسهم من نحو البنات، يقولون: لله البنات ويكرهون لأنفسهم البنات، ويجعلون له الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لأنفسهم الشركاء من عبيدهم وأمثاله، كقوله: ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ،[5] الآية. يخبر عز وجل عن سَفَههم وسَرَفهم في القول،[6] ويخبر[7] عن حلمه حيث[8] لم يستأصلهم ولم يُهلكهم مما قالوا في الله من عظيم القول من الولد والشريك، لنعلم أنه لم[9] يمهلهم لغفلة ولا سَهوٍ ولكن لحلم،[10] لِأن يَحلُم الخلقُ في ذات الله ولا يَعْجَلوا[11] بالعقوبة؛ إذ لو أراد أهلاكهم[12] لأهلكهم ساعةَ قالوا[13] ذلك ولا يُمهلهم يَعيشون، لكن أخر ذلك ليوم،[14]

---

[1] ع م – نقض.
[2] م: تجيئ.
[3] جميع النسخ: حيث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[4] أي لا يستجيب الله تعالى دعاء الذين يسألون تأخير الأجل أو تقديمه.
[5] ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاءَ في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسَكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة الروم، ٢٨/٣٠).
[6] ع – في القول؛ م: في الله.
[7] م: يخبر.
[8] ع – حيث.
[9] م – لم.
[10] ع م: يحلم.
[11] ع م: يعجل.
[12] ع م: أهلكهم.
[13] ن: قال.
[14] ع م: لذلك اليوم.

وهو ما قال: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا،[١] الآية. وجائز أن يكون قوله: **ويجعلون لله**، أي يجعلون لأولياء الله ما[٢] يكرهون لأنفسهم، لأنهم يقولون: إن لهم الحسنى في الآخرة وهي الجنة، وإن للمؤمنين النارَ، بقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[٣]

وقوله عز وجل: **وتصف ألسنتهم الكَذِب**، قال أبو بكر الأصم: يقولون: إنا على[٤] دين الله وعلى الحق،[٥] ويقولون إن لهم الحسنى، يعنون أنهم محسنون في أعمالهم وبما هم عليه من دين. وقال بعضهم قوله: **أن لهم الحسنى**، يعنون البنين[٦] لأنهم كانوا يضيفون البنات إلى الله وينسبون البنين[٧] إلى أنفسهم، فذلك الحسنى الذي ذكروا. وقال بعضهم: أن[٨] لهم الحسنى، أي الجنة، كقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي،[٩] الآية. ثم كذبهم في قولهم فقال:

**لا جرم أن لهم النارَ**، ليس لهم الحسنى على ما زعموا ولكن [لهم] النار، وقد ذكرنا قوله: **لا جرم**، فيما تقدم.[١٠] كان أهل الكفر[١١] فِرَقا، منهم من ادّعى الاشتراك في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك[١٢] في نعيم الدنيا، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ.[١٣] ومنهم من ادعى الآخرة لأنفسهم كما كانت لهم الدنيا، فجائز أن يكون قوله: **ويجعلون لله ما يكرهون**، هم الذين ادعوا الحسنى، وهي الجنة، لأنفسهم.

وقوله عز وجل: **وأنهم مُفْرَطون**، هو من الفَرَط وهو[١٤] السّبق والتقدّم. كأن الآية

---

[١] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تَشْخصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[٢] ن ع م: مما.
[٣] ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضَرّاءَ مسته ليقولَنَّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ (سورة فصلت،٥٠/٤١).
[٤] ع م – على.
[٥] جميع النسخ + لعبادتنا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[٦] م: النبيين.
[٧] م: النبيين.
[٨] جميع النسخ: بأن.
[٩] سورة فصلت،٥٠/٤١.
[١٠] انظر: سورة يونس، ٢٢/١٠.
[١١] ن – الكفر.
[١٢] م – في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك.
[١٣] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).
[١٤] ن + من.

في الرؤساء منهم،[1] أخبر أنهم سابقون أتباعهم إلى النار، وهو كقوله: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ،[2] الأولى هم المَتبوعون، وأخراهم الأتباع. وقال بعضهم: [**مُفْرَطون**] مُعَجَّلون إليها بين يدَي أتباعهم. وقال بعضهم: **مفرطون**، أي مترَكون منسِيون في النار. وقال بعضهم: **مفرطون**، مبعَدون عن رحمة الله؛ لكن هذين ليس بتأويل الآية، إذ كل من في النار [٤١٠و] فهو[3] منسِيّ متروك فيها، مُبعَد عن رحمة الله.[4] وقال بعضهم: وإنهم مدخَلون فيها / والوجه فيه ما ذكرنا.

﴿**تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**،[5] لا يحتمل أن يكون هذا[6] القسم منه ابتداء، لكن كأنه عن إنكار كان منهم للرسالة، فعند ذلك أقسم بقوله: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**، وأكّد بما أنكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**،[7] كما أرسلناك إلى أمتك،[8] **فزيّن لهم الشيطان أعمالهم**، كما زين لأمتك، **فهو** كان وليّهم يومئذ كما هو وليّ لأمتك اليوم.[9]

وقوله عز وجل: **فزين لهم الشيطان أعمالهم**، يقول: ليس هؤلاء بأول مَن زيّن[10] لهم الشيطان أعمالهم، ولكن كان في الأمم الماضية من زيّن لهم الشيطان أعمالهم فيكذبون رسلهم، فلست أنت بأول مكذَّب بل كان لك[11] شركاء[12] في التكذيب.

---

[1] ع م – منهم.

[2] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٣٩/٧).

[3] ك – فهو.

[4] ع – الله.

[5] جميع النسخ + هذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.

[6] ن – هذا.

[7] ن – وأكد بما أنكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك؛ جميع النسخ + يا محمد قوله تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.

[8] ع م – أمتك.

[9] ك ن ع: يصيره؛ م: بصيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.

[10] م: يزين.

[11] م: ذلك.

[12] ع م: شركا.

**فهو وليهم اليوم**، قال بعضهم: **فهو وليهم اليوم**،[1] في الدنيا لأن الدنيا هي دار الولاية بينهم، كقوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[2] وقوله: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ.[3] وأما في الآخرة فيصيرون أعداء كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[4] وقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ،[5] الآية، وقوله: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ،[6] ونحوه. ولا يحتمل أن يكونوا أولياء في الآخرة ثم يلعن بعضهم بعضا[7] ويتبرأ[8] بعضهم من بعض، فذلك علامة العداوة. وقال بعضهم: قوله: **فهو وليهم اليوم**، في الآخرة، أي أولى بهم، فيُقرَن[9] بهم، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[10] **فهو وليهم**، أي صاحبهم [وقرينهم]،[11] كقوله: [فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وقوله:][12] احْشُرُوا [الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ]،[13] الآية.[14]

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، قال بعضهم: قوله: **الذي اختلفوا فيه**، الكتب التي كانت من قبلهم، لأنهم اختلفوا في كتبهم، فمنهم من بدّل ومنهم غيّر وحرّف، فيقول: -والله أعلم- **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي[15] في كتبهم، لأن هذا الكتاب أنزله مصدّقا لما بين يديه من الكتاب، يبين هذا الكتاب ما اختلفوا في كتبهم،[16]

---

[1] ع م – قال بعضهم هو وليهم اليوم.
[2] ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة الأنفال،٨/٧٣).
[3] ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[4] سورة الزخرف، ٤٣/٦٧.
[5] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).
[6] ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٧).
[7] ك – وقوله قال قرينه ربنا ما أطغيته ونحوه ولا يحتمل أن يكونوا أولياء في الآخرة ثم يلعن بعضهم بعضا.
[8] ع م: وتبرأ.
[9] جميع النسخ: فيقرون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[10] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[13] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢).
[14] جميع النسخ + وكقوله: قال قرينه ما أطغيته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[15] ن ع م – فيه أي.
[16] جميع النسخ: كتابهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.

[ويميز] الحقَّ من الباطل. وقال بعضهم: **إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي[1] في الرسل والأديان وفي[2] الكتاب المنزل عليه، اختلفوا[3] في ذلك كله، فبيّن[4] لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي أنزله عليه؛ إذ فيه أنباء الأمم الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف إلى من يخبره عنها،[5] ثم أنبأهم على ما كانت. فدل[6] أنه إنما عرف ذلك بالله ومنه نزل ذلك.[7]

وفيه دلالة أن الحوادث التي علم الله أنهم يُبتَلون بها إلى يوم القيامة أنه جعل لهم سبيل الوصول إلى بيانها في الكتاب: إما بيان كفاية،[8] وإما بيان تصريح، حيث قال: **وما أنزلنا عليك الكتاب**، الآية، حيث لم يدّعهم في الاختلاف على غير بيان. فعلى ذلك حيث[9] علم أنهم يُبتَلون بالحوادث التي ليست بمنصوص عليها[10] في الكتاب لا يحتمل أن لا يبين لهم ذلك ويدّعهم حيارى. لكن البيان على وجهين: بيانَ تصريح يُعقَل ببديهة[11] العقل،[12] وبيان كفاية[13] يدرك[14] بالنظر والتأمل والاستدلال. وأصله في قوله: **إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي إلا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه، لأنهم اختلفوا في المُحِقّ في ذلك، لأن كل فريق منهم ادعى أنه هو المُحِقّ وأن الذي هو عليه الحقُّ وأن غيره على باطل، فأخبر أنه أنزل الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

وقوله عز وجل: **وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون**، جعل الله تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة للمؤمنين، لأنهم آمنوا بهما وصدقوهما وقبِلوهما فصار ذلك لهم هدى ورحمة ونورًا.

---

[1] ن ع م – أي.
[2] ع م: في.
[3] ك + فيه.
[4] جميع النسخ: يبين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[5] ع م: منها.
[6] ن + أنهم عمموا.
[7] ن – ذلك.
[8] ع م: كناية.
[9] ك – حيث.
[10] جميع النسخ: ليس لها منصوص؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[11] ك: ببديه؛ م: بديهة.
[12] ع – ببديهة العقل.
[13] ع م: كناية.
[14] ع: يدارك.

وأما من[١] كذبهما ولم يقبَلهما فهو عذاب عليهم وعمًى، وهو كقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،[٢] الآية، وهو ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى.[٣]

**﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**[٦٥]

وقوله عز وجل: **والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**، يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث أخبر أنه ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض وهي ميتة ويُخرج منها نباتا وزروعًا[٤] وأشجارًا. فمن قدر على هذا لقادر[٥] على إحياء الأنفس[٦] بعد موتها، إذ[٧] لا فرق بين الإحيائين،[٨] فمن[٩] قدَر على أحدهما قدر على الآخر.

**إن في ذلك**، فيما ذكرنا،[١٠] **لآيةً لقوم يسمعون**؛ قال بعضهم: **لآية لقوم يسمعون**، المواعظ. وقال بعضهم: **لآية لقوم يسمعون**، الآيات والحجج، وأما من لم يسمع فلا يكون له آية. وأصله **إن في ذلك لآية لقوم** ينتفعون بسماعهم،[١١] ولآية لقوم يعقلون، أي ينتفعون بعقولهم. وأصله أن هذا كله يصير آية[١٢] للمؤمنين على ما ذكر كله، لأنهم هم[١٣] [الذين] يسمعون آياته ومواعظه، وكله كناية عن المؤمنين. *والله أعلم*.

---

[١] ع – من.
[٢] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[٣] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمًى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤)
[٤] ع: أو زروعًا.
[٥] ع: القادر.
[٦] ع م: الأرض.
[٧] ع م: إنه.
[٨] ع م + الأنفس.
[٩] ك: إذ من.
[١٠] م: ذكر.
[١١] ع: سماعهم.
[١٢] ع: لآية.
[١٣] جميع النسخ + الغافلون عن الله، ما أمرهم به ونهاهم عنه وهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **وإن لكم في الأنعام لعبرة**، العبرة[١] الآية، أي أنشأ لكم أنعامًا فيه الآية. هو صلة قوله: وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا،[٢] أي أنزل من السماء ماء وأنشأ الأنعام لكم فيه الآية. أنشأ جل وعلا في الأنعام لبَنًا غِذاء[٣] لأولادها[٤] في الوقت الذي لا تحتمل[٥] الغذاء[٦] بالعلف وجعل لأربابها الانتفاع بذلك اللبن، وفي[٧] الأشياء التي لا يؤكل [١٠٤ظ] لحمها لم يجعل لأربابها الانتفاع بما يفضل من / اللبن و لم يجعل[٨] لها فضل لبن.

وقوله عز وجل: **نُسقيكم مما في بطونه**، ذكر [ههنا] بالتذكير، فظاهره أن يذكر بالتأنيث، لأنه إما أن يريد به الأمهات التي يدرّ[٩] منها اللبن أو جماعةً من الذكران منها، فكيف ما كان فهو يذكر بالتأنيث، لكن بعضهم يقولون:[١٠] ذكر باسم التذكير على إرادة الأصل الذي به كان اللبن وهو الفحل.[١١] وهذا يدل لأبي[١٢] حنيفة وأصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل:[١٣] إنه يحرم. وقال بعضهم: ذكر باسم التذكير على إرادة[١٤] الجنس والجوهر من بين الأجناس، والجواهر دون العدد والجماعة.[١٥]

وقوله عز وجل: **مِن بين فَرْثٍ ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين**، قال ابن عباس رضي الله عنه: معنى استخراج اللبن من بين فرث ودم، وذلك أن العلف إذا وقع في الكرش طبخه الكِرْش[١٦]

---

[١] ك ن ع: والعبرة.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ع: غداء؛ م: غذ.
[٤] جميع النسخ: الأولاد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[٥] جميع النسخ: لا يحتمل.
[٦] م: الغداء.
[٧] ع م: في.
[٨] ن ع م: لم يجعل.
[٩] دَرَّ اللبنُ والدمع ونحوهما يَدِرُّ ويَدُرُّ دَرًّا ودُرُورًا، إذا كثر وسال (*لسان العرب*، «درر»).
[١٠] ك: يقول.
[١١] ك: النحل.
[١٢] م: إلى أبي.
[١٣] ك: النحل.
[١٤] ع – الأصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل لأبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل إنه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على إرادة.
[١٥] ك + والله أعلم.
[١٦] ع – طبخه الكرش.

فيجعل الفرث أسفله والدم أعلاه واللبن بين ذلك، ثم يسلِّط الكَبِد عليهم فيجلّي. الدم في العروق واللبن في الضروع[1] ويبقي الفرث في الكِرْش كما هو. وقال بعض الفلاسفة: إن العلف إذا وقع فيه[2] يصير منه فرثا ثم يصير منه[3] دمًا ثم يصير لبنًا خالصًا، فهو كالنطفة التي وقعت في الرَّحم تصير علقة ثم تصير مضغة مأكولة، فعلى ذلك اللبن الذي ذكر. ***والله أعلم***. ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة: إن العلف يصير فرثا ثم دمًا ثم لبنًا. ويحتمل أن يكون مجري اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم. فأي الوجهين كان[4] ففيه[5] اللطف الذي ذكرنا.

* وقال القُتبي: الفرث ما في الكِرْش، لأن اللبن كان طعامًا فخلص من ذلك الطعام دم [٤١٠ظ س٢٢
وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبنًا سائغًا-، أي سهلا في الشرب لا يَشجى به
شاربه ولا يَغَصّ،[6] وكذلك قال[7] أبو عَوسَجَة: أسَغْتُه، أي أدخلته في حلقي سهلا.[8]* ٤١٠ظ س٢٤]

ووجه ذكر هذا -والله أعلم- على الامتنان وكذلك[10] ما ذكر[11] من الثمرات والأعناب أنه بلطفه أخرج[12] اللبن الصافي: أصفى الأشياء وألطفه من بين[13] أخبث[14] الأشياء وأكدرها[15] في رأي العين، فمن قدر على حفظ هذ[16] مما ذكر بلا حجاب يدرك أو حاجز يعرف لَقادرٌ[17] على إنشاء الأشياء مِن لا شيء، لأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يدركوا السبب الذي به

---

[1] ك ن ع: الضرع.
[2] ن - فيه.
[3] م - فرثا ثم يصير منه.
[4] ن + كان.
[5] جميع النسخ: فيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٥.
[7] م: وقال.
[8] م: حملا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٠ظ/سطر ٢٢-٢٤.
[10] ع: وذلك.
[11] ع م - ما ذكر.
[12] ع: أخراج.
[13] ع م - بين.
[14] م: حيث.
[15] جميع النسخ: وأكدره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[16] م: هذه؛ ع م + الأشياء.
[17] ع: القادر.

كان حفظ هذا من هذا وامتناعه[1] عن الخلط بالخبيث[2] ما أدركوا ذلك. وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم والثمرات[3] الطيبة والأعناب الحلوة من غير أن يرى أثر ذلك فيها ومن غير أن يدركوا السببَ الذي كان به الأعناب والثمرات، دل أنه قادر على إنشاء الأشياء من لا شيء إذ هي خشبة يابسة. *والله أعلم*.

**﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[٦٧]

[٤١١ظ س١٦] *[قال][4] في قوله: **ومن ثمرات النخيل والأعناب**، يقول: ولكم عبرة ودليل [في] أن النخل أجذاعُ خشبٍ لا طَعْم فيها والكَرْم خشب[5] أيضًا، وما فيهما من سَعف[6] وورق لا[7] عسل فيها ولا عنب. فأخرج الله عنهما[8] ثمرات مختلفة[9] فيه عسل وفيه تمر وزبيب، وتتخذون منه ما تَلَذَّذون[10] من الشراب. وقال هذا قبل تحريم الخمر. والسَّكَر كل ما أسكرهم. وتتخذون منه أيضًا **رزقًا حسنًا**، أي طيبا، وهو ما تأكلون منها سوى ما تشربون. وتكسبون بها أموالا كثيرة منَّ الله به عليهم. وقال بعضهم: السَّكَر كل شيء حرّم[11] الله [ما يُتخذ] من ثمارها من الشراب: الخمر من العنب والسكر من التمر. والرزق الحسن ما أحلّ من ثمرها: الزبيب والتمر والنبيذ. وقال: السكَر ما أسكر، والرزق الحسن الخَل[12] وأشباهه.

**إن في ذلك لآية**، ودليلا وبيانا، **لقوم يعقلون**، ما يُنَبَّهون فيعلمون أن الذي لم يَعجِز عما خلق لهم من الثمار من خشب يابس يقدر أن يحيي الموتى ويخلق ما يشاء. وما عَرَّفه الخلقُ

---

[1] م: أو متاعه.
[2] ع م: بالخبث.
[3] ن: الثمرات.
[4] جميع النسخ: وقال.
[5] ع م - خشب.
[6] السَّعَفُ: أغصانُ النخة، وأكثر ما يقال إذا يبست، وإذا كانت رَطْبة فهي الشَّطْبةُ (*لسان العرب*، «سعف»).
[7] ن: ولا.
[8] ك ن: منهما.
[9] ك ن م: مختلفات، م: مختلفا.
[10] ن: تتلذذون.
[11] جميع النسخ: حرمه.
[12] ع م - الخل.

أنه يكون من النطفة الولدُ، ومن الماء والأشجار الفواكهُ، ومن العَلَف اللبنُ وغير ذلك من الحوادث التي تَحدث من الأشياء وتلك أسبابها [هو] مما لا يُدرَك[١] كون تلك الأشياء فيها ولا يرى [و]لا يعرف ذلك إلا بتعليم من هو عالم بذاته، لأن علم ذلك لو كان لا[٢] بتعليم -لو اجتهدوا كل جهدهم-[٣] لم يدركوا حدوث تلك الأشياء مما ذكرنا ولا كونها منها. دل أن الذي علّمهم هو عالم[٤] بذاته. فإذا ثبت كونه عالما[٥] بذاته -وإن كانوا لم يشاهدوا إلا عالمًا بغير- فعلى ذلك هو قادر على إنشاء الأشياء مِن لا شيء وإن كانوا لم يعاينوا في الشاهد شيئا إلا من شيء. وفيه أن ما يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذي يؤكل[٦] أو الطعام الذي[٧] يُتناول أو الفواكه والثمار التي[٨] تَخرج، ليس تكون[٩] بنفس الماء أو بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى، لأنه قد يَسقِي ذلك الماءُ الشجرَ والنخل في حال ثم لا يكون فيه التمر. وكذلك الدواب تُعلَف في حال فلا يكون[١٠] ذلك منه.* [٤١١ظ س٣١]

وقوله[١٢] عز وجل: **تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا،** قال بعضهم: السكَر ما يَحرم منه، والرزق الحسن ما يحل من ثمرها. وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه الشراب، والرزق الحسن ما[١٣] يؤكل ثمرا وزبيبا ونحوه. وقال بعضهم: السكَر خمر الأعاجم، والرزق الحسن ما يُنبِذون ويُخلّلون ويأكلون. وروي في بعض الأخبار أنه[١٤] حرم السكر ولم يفسر الآية. وفي بعض[١٥] الأخبار

---

[١] جميع النسخ: ما لم يدرك.
[٢] ع م - لا.
[٣] ع م: جهد هو.
[٤] ع: عامل.
[٥] جميع النسخ: بعالم.
[٦] جميع النسخ: يأكل.
[٧] ك - الذي.
[٨] ن: الذي.
[٩] ك: يكون.
[١٠] جميع النسخ: لا يكون.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١ظ/سطر ١٦-٣١.
[١٢] ك م - وقوله.
[١٣] ع م - ما يحل من ثمرها وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه الشراب والرزق الحسن ما.
[١٤] أي النبي عليه السلام.
[١٥] ك ع م - بعض.

أنه بعث معاذًا إلى اليمن وأمره أن ينهاهم عن نبيذ السكر.[1] وعن عبد الله قال: «إن أولادكم وُلدوا على الفطرة فلا تُسقوهم السكر، فإن الله تعالى لم يجعل في حرام شفاءً».[2] وليس بين فقهاء الأمصار في تحريم السكر وفضيخ[3] البُسْر ونقيع[4] الزبيب -إذا أسكر كثيرُها ولم يطبخ- اختلاف [في] أنها حرام، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة.[5] **إن في ذلك**، لما ذكر، **لآية لقوم يعقلون**.[6]

وقوله: **تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا**، أي تتخذون منه ما يحرم أكله، **ورزقًا حسنًا** ما يحل منه وهو[7] كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ،[8] الآية. أو يخرج على تذكير النِعم في الوقت[9] الذي كان السكر حلالًا، أي **تتخذون منه سكرًا**، ما تشربون، ورزقًا حسنًا سوى الشراب.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا**، إلى آخر ما ذكر. قال بعضهم: **أوحى**، أي قذف في قلوبها أنِ افْعَلِي ما ذكر. والوحي هو القذف، سمي بذلك لسرعة وقوعه ونفاذه في القلوب من غير أن يَشعر الملقَى فيه[10] والمقذوفُ في قلبه أن أحدا فعل ذلك أو ألقاه[11] فيه. وهو ما مكّن الله للشيطان من الوسوسة في القلوب من غير أن يعلم الموسوَس إليه والمقذوف في قلبه أن أحدا دعاه إلى ذلك أو زينه[12] ذلك.[13]

---

[1] والرواية وردت في صحيح مسلم بهذا اللفظ: حدثنا أبو بردة عن أبيه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذا إلى اليمن فقال: «ادْعُوَا الناس وبشِّرا وَلَا تُنفرا ويَسّرا وَلَا تُعسِّرا». قال فقلت: يا رسول الله أَفْتِنَا في شَرَابَيْنِ كنا نصنعهما باليمن: الْبِتْعُ وهو من الْعسل يُنْبَذ حتى يشتد، والْمِزْرُ وهو من الذُّرة والشعير يُنبذ حتى يشتد. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِم بِخَوَاتِمِهِ فقال: «أَنْهَى عن كل مسكر أسْكَرَ عن الصلاة» (*صحيح مسلم*، الأشربة، ٧١-٧٢)

[2] ورد في البخاري بهذا اللفظ: وقال ابن مسعود في السَّكَر: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم، (*صحيح البخاري*، الأشربة، ١٥).

[3] الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار (*لسان العرب*، «فضخ»).

[4] النقيع: شيء يُنقع فيه الزبيب وغيره ثم يُصَفَّى ماؤه ويشرب (*لسان العرب*، «نقع»).

[5] انظر: سورة البقرة، ٢١٩/٢.

[6] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٠ظ/سطر ٢٢-٢٤.

[7] ع م - وهو.

[8] ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ (سورة يونس، ٥٩/١٠).

[9] ع: وقت.

[10] ن - فيه.

[11] ع م: وألقاه.

[12] ن: زين.

[13] ن + وألقاه.

وكذلك ما يُلهم[١] الملائكةُ بني آدم من أشياء من غير أن يعلموا[٢] أن أحدا دعاه[٣] إلى ذلك أو ألقاه[٤] في قلوبهم. فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة. وهم طائفة من الملحدة يقولون: إن الشهوات والأمانيّ التي جعلت في أنفسهم هي التي تبعثهم وتهيجهم على ذلك لا الشيطان. فيقال لهم: إن الإنسان قد يناله أشياء من غير أن كان منه تفكر في ذلك أو أمانيّ أو سابق تدبير. فذلك يدل أن غيرًا ألقى ذلك في قلبه وقذف، لا عمل الأماني والشهوات. وهذا أيضًا يدل على لطف الله في البشر أنه يوفقهم على الطاعات ويحثهم عليها من غير أن يعلموا[٥] أن لغير[٦] في ذلك صنعًا، وكذلك الخذلان في المعاصي وأنواع الأجرام التي يكتسبونها.

ثم يحتمل قوله: **وأوحى ربك إلى النحل**، أي النحل[٧] وغيرها من البهائم وجهين. أحدهما يحتمل أنه أنشأ هذه البهائم على[٨] طبائع تعرف بالطبع مصالحها ومهالكها ومعاشها وما به قوام أبدانها وأنفسها وما به فسادها وصلاحها من غير أن تعلم[٩] أن أحدًا يدعوها[١٠] إلى ذلك أو يشير إليها أو يأمر وينهى، لكنها[١١] بالطبع تعرف[١٢] ذلك وتعلم[١٣] أشياءَ بالطباع من غير أن تعلم[١٤] أن أحدًا علمهن[١٥] ذلك: من نحو الوزّ يَسبَح في الماء بالطبع من غير أن تعلم[١٦] أنها تسبح، / وكذلك الطير الذي يطير في الهواء من غير أن يعلم بالطيران. فعلى ذلك يحتمل فهم هذه البهائم [٤١١و] وعرفانُها ما ذكرنا من المصالح والمهالك من غير أن تعلم[١٧] أنها تعرف ذلك. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: يبهم.
[٢] ن ع م: علموا.
[٣] ك: دعا.
[٤] ك + أو زينه ذلك وألقاه.
[٥] جميع النسخ: علموا.
[٦] ع م: بغير.
[٧] م: النحل.
[٨] ن + بهائم.
[٩] جميع النسخ: يعلم.
[١٠] جميع النسخ: يدعوهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١١] جميع النسخ: لكنه.
[١٢] جميع النسخ: يعرف.
[١٣] جميع النسخ: يعلم + من نحو أشياء تعلم.
[١٤] جميع النسخ: يعلم.
[١٥] جميع النسخ + علمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٦] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٧] جميع النسخ: يعلم.

والثاني يحتمل أن يكون الله عز وجل جعل[1] خلقة هذه الأشياء بالذي تقف[2] على المخاطبات من الأمر[3] والنهي، وتعرف[4] ما لا يعرف مثله البشر. ألا ترى أن البشر لا يعرف المهالك والمصالح إلا بالتعلم،[5] والبهائم وإن صغر [حجمها تعرف] ذلك[6] حتى تتوقى[7] المهالك وترغب في المصالح. ومما يدل أن هذه الأشياء مما يفهم الأمر والنهي والمخاطبات قوله: [حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآؤُوهَا] شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ. وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ.[8] ألا ترى أنهم فهموا الخطاب حيث ردّوا عليهم الجواب بقوله: أَنطَقَنَا ٱللَّهُ، فذلك ما ذكرنا. *والله أعلم*.

[٤١١و س ٣٥] *وقال بعضهم من أهل اللغة: إن الوحي[9] في[10] كلام العرب على وجوه. منها وحي النبوة، فهو إرسال الله الملائكة إلى أنبيائه ورسله، كقوله: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا.[11] ومنها وحي الإشارة، كقوله: فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا.[12] ومنها وحي الإلهام وهو قوله: **وأوحى ربك إلى النحل**، وقوله: وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ،[13] وقوله: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا،[14] ونحوه. ومنها وحي الإسرار كقوله: يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ،[15] الآية.

[٤١١ظ] وقال بعضهم: إن أصل[16] الوحي عندنا هو أن يُلقي الإنسان / إلى صاحبه شيئًا للاستتار والإخفاء،

---

[1] ع: جعله.
[2] جميع النسخ: يقفون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[3] جميع النسخ: والأمر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[4] جميع النسخ: ويعرفون + ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[5] ك: بالعسم.
[6] جميع النسخ + تعرف.
[7] ك ن: تتوق.
[8] سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١.
[9] ن: الأهل.
[10] ع م + كلهم.
[11] ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحيَ بإذنه ما يشاء﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥١).
[12] سورة مريم، ١٩/١١.
[13] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧).
[14] ﴿إذا زُلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تُحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ (سورة الزلزال، ٩٩/١-٥).
[15] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).
[16] ع م: وصل.

وقد يكون ذلك بالإيماء[١] والخط. وأصل الوحي ما ذكرنا أنه سمي به لسرعة وقوعه وقذفه في القلب. وقال أبو بكر [الأصم]: تأويل الوحي أن يعلم الذي يوحِي إليه ويرشده. وذلك من وجهين. أحدهما أن الله أرشد كل دابة سوى الإنسان إلى مصلحتها والهَرَبِ من[٢] مُهْلِكِها ومتلفها بما فطرها الله عليه كما أرشد الإنسان إلى ما يُصلحه في دينه ودنياه بالتعليم، فمثّل اللهُ تعليمَه لكلِّ[٣] دابة ما فيه مصلحتها ومفسدتها بما دبّرها عليه كما علم الإنسان بالقول والبيان، فقال: **وأوحى ربك إلى النحل**، أي أرشدها ودلّها بفطرتها، **أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر**، بيوتا فيها، **ومما يَعرِشون**، يعني واتخذي مما يبني الإنسان لمسكنهم. وقال: العريش، الحيطان التي لا سَمَاء لها [فهي][٤] بفطرتها[٥] تتخذ[٦] خلاياها. كل[٧] ذلك لمنافع الخلق.* [٤١١ظ س٧]

ثم ذلك[٩] الوحي والقذف لكل البهائم لا للنحل خاصة، لما ذكرنا من معرفتها المهالك والمصالح وما به معاشها وغذاءها وما[١٠] به[١١] فسادها وهلاكها، حتى تعرف[١٢] ذلك من غير أن تُعَلَّم.[١٣] والبشر لا يعرف إلا بالتعلم، فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما للمحنة، لأن البشر[١٤] امتُحنوا بالتعلم[١٥] فذلك من الله امتحان لهم، والبهائم لا محنة عليهم فعرفوا ذلك[١٦] على غير تعلم. أو كان ذلك[١٧] للبشر بالتعلم[١٨] لفضل بعض على بعض في العلم بالتعلم؛[١٩]

---

[١] ع م: بالإيمان.
[٢] ع م: عن.
[٣] جميع النسخ: كل.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[٥] جميع النسخ: بفطرها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[٦] ن: يتخذ.
[٧] جميع النسخ +في كل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٣٥-٣٩، ٤١١ظ/سطر ١-٧.
[٩] جميع النسخ: فذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٠] جميع النسخ: مما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١١] ع م - به.
[١٢] جميع النسخ: يعرفن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٣] ن: يعلم.
[١٤] جميع النسخ: ان البشر.
[١٥] جميع النسخ: بالتعليم.
[١٦] ك: فذلك عرفوا.
[١٧] م - ذلك.
[١٨] ع م - بالتعلم.
[١٩] ك: بالتعليم.

إذ البهائم يستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك، وفي بني آدم يتفاضل ويتفاوت [الناس] بالتعلم. *والله أعلم*.

فإن قيل: فإذا كانت[1] البهائم كلها مشتركة في دلك الإلهام والوحي، فما معنى تخصيص النحل بالذكر[2] من غيرها من البهائم؟

قيل: يحتمل تخصيص النحل بالذكر –والله أعلم– لِما أن هذه الأنعام[3] غير النحل لا تُعطي تلك المنافع التي جعلت فيها ولا تبذل للبشر إلا بالرياضة والتعلم،[4] والنحل تعطي[5] ذلك لهم وتبذل من غير[6] تعلم ولا رياضة. *والله أعلم*.

[٤١١و س٢٨ *وقوله عز وجل: **ومما يَعرِشون**، قيل: مما[7] يَبنون، ويحتمل[8] مما[9] يتخذ من العريش

٤١١و س٢٩] وهو الذي يتخذ من الخشب.*

**﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٦٩]

ثم قوله أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا،[11] وقوله: **ثم كلي من كل الثمرات** وقوله: **فاسلكي سبل ربك ذُلُلا**، ونحوه ظاهره[12] أمر[13] لكن حقيقته[14] تمكين وتسهيل، نحو قوله: سِيرُوا في كذا،[15] هو[16] في الظاهر أمر، وفي[17] الحقيقة تمكين وتيسير.

---

[1] ع م: كان.
[2] ن ع م: في الذكر.
[3] جميع النسخ: الأشياء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[4] ع م – والتعلم.
[5] م: نعطي.
[6] ع + أن.
[7] ع: ما.
[8] ع م: ويتخذ.
[9] ك: ما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٢٨-٢٩.
[11] الآية السابقة.
[12] ع م: ظاهرة.
[13] ع م – أمر.
[14] ن ع: حقيقة.
[15] ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٧/٣).
[16] ع م – هو.
[17] ع م: في.

ثم في هذه الآية وفي قوله: **يخرج من بطونها شراب**، وفيما سبق من الآيات وهو قوله: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ،[١] وفي قوله: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا،[٢] دلالةُ قدرتِه على إنشاء الأشياء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره، لأنه أخرج من هذه الجواهر المختلفة أشياءَ من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما أكل منها هذه البهائم من الجواهر التي أخرج منها، من نحو العسل الذي أخرجه[٣] من الفواكه التي أكلت، واللبن من العلف الذي أكلت،[٤] والعصيرِ والسكر والأعناب من الكروم؛ إذ ليس شيء خرج منها[٥] من جنس ما أُكل ولا من جوهر ما سُقي. دل أنه كان بعلمٍ[٦] قادرٍ على إنشاء الأشياء من لا شيء ولا سبب. وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته، لأن إنشاء ذلك اللبن في البطن على غير جوهر ما تناولت ومن خلاف لونه في تلك الظلمات دل أن علمه غير مقدَّر بعلم الخلق وأن حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق.

ثم قوله: **فاسْلُكِي سبل ربكِ**، قيل طرق[٧] ربك، **ذُلُلًا**، قيل:[٨] مطيعة، وقيل: من الذل، أي الرفق واللِّين، كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،[٩] وقوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ،[١٠] الآية، من الذل ومن الرفق واللين. وهذا يخرج على وجهين. أحدهما [أي] ذُللت سبل ربكِ وسُهّل [لك] السلوك فيها حتى تسلكي كيف شئت.[١١]

وقوله عز وجل: **مختلفا ألوانه**، قال الحسن: الشّهد والعسل.[١٢] وقال[١٣] بعضهم: مختلف في الطعم، وقيل: في الألوان: الأبيض والأحمر والأصفر.

---

[١] سورة النحل، ٦٦/١٦.
[٢] سورة النحل، ٦٧/١٦.
[٣] جميع النسخ: أخرج.
[٤] جميع النسخ: أكل.
[٥] ع: منها خرج.
[٦] ك ع م: بغير علم، ن: بغير علمهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[٧] ن: طريق.
[٨] جميع النسخ: وقيل.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).
[١٠] ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٨٨/١٥).
[١١] جميع النسخ: ذللت سبل ربها وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٢٨-٢٩.
[١٢] ع م + يحتمل.
[١٣] ع م: قال.

وقوله عز وجل: **فيه شفاء للناس**، قال بعضهم: **فيه شفاء**[١] من كل داء حتى القروح وكل شيء. وقال بعضهم:[٢] **فيه شفاء**، من داء دون داء. وقال بعضهم: **فيه شفاء**، يعني في القرآن، فيه شفاء القلوب للدين. ويحتمل قوله: **فيه شفاء**، للأجساد.[٣] فإن أراد هذا فهو ظاهر، لا[٤] شك أن فيه ذلك الشفاء. ويحتمل: **فيه شفاء**، للدين، فإن كان هذا فيكون ذلك من جهة النظر فيه [به] يدرك ويوصل إلى ذلك الشفاء.[٥]

وقوله: **ثم كُلي من كل الثمرات**، قال بعضهم: من نوع ما تأكل النحل. وقال بعضهم: من جميع الثمرات التي تكون[٦] في[٧] الجبال. عن عبد الله قال: القرآنُ والعَسَلُ هما الشِّفَاءانِ؛[٨] القرآن شفاء الدين والعسل شفاء الأبدان.[٩]

ثم قال: **ثم كلي من كل الثمرات**، والثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشمّ. **فاسلكي سبل ربك**، وهو ما سبّل[١٠] الله لها من الرزق والمأوى، **ذُلُلاً** {قال:}[١١] يقول:[١٢] ذلّل لكِ كل شيء قدّره لمرزقك ومسلكك، وذلك في طلب ما سبّل لك [و]لبني آدم وجعلها سببًا لمنافعهم، وصغّر قدركِ ليريهم بذلك قدرته وسلطانه على ما شاء، ليعلموا أن خالقهم لا يعجزه شيء وأنه القدير على ما يَعِدهم من البعث والثواب والعقاب.

وقوله: **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه**، يقول: الجنس واحد، ثم هو ضروب كألوان[١٣] التمر والعنب وسائر الثمار في مذاقه ومشامّه ومنظره، وكله[١٤] عسل فيه شفاء للناس لمنافعهم وملاذهم.

---

١ ك ع م + للناس.
٢ ع م + قوله.
٣ ع م - للأجساد.
٤ ع م + ولا.
٥ سيأتي إيضاح هذا التأويل فيما بعد.
٦ م: يكون.
٧ ع: فيها.
٨ عن عبد الله قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالشِّفاءَيْنِ الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ» (*سنن ابن ماجة*، الطب، ٧).
٩ وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٣٥-٣٩، ٤١١ظ/س ١-٧.
١٠ سبّلت الشيء إذا أبحته كأنك جعلت إليه طريقا مطروقة (*لسان العرب*، «سبل»).
١١ ع + ما.
١٢ جميع النسخ + ذلك.
١٣ ع م: كالألوان.
١٤ ع: كل.

وفيما أراهم[1] الله من قدرته على ما يشاء من ذلك فيه شفاء لهم[2] في الدين والعلم، يعدمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته على ما بينا.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآية**، يقول: لعبرة ودليلا وبرهانا، **لقوم يتفكرون**، فيما يشاهدون من تدبير الله وتقديره وقدرته على ما شاء. ***والله أعلم***.[3]

**﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا** فإن قيل لنا: أية[4] منة له[5] علينا في ذكر خلقنا ثم توفِّيه إيانا ورده لنا إلى الحال التي ذكر[6] وهي[7] حال الجهل حتى لا[8] نعلم شيئًا؟

قيل: ذِكْر هذا -والله أعلم- يحتمل[9] وجوهًا. أحدها يذكّرهم أنه هو الذي **خلقكم ثم يتوفاكم**، ثم هو يملك ردكم إلى الحال التي لا تعلمون شيئًا، وفي ملكه وسلطانه تتقلبون، فكيف عبدتم الأصنام والأوثان التي لا تملك[10] شيئًا من ذلك وأشركتموها في ألوهيته وعبادته. أو يذكر هذا أنه خلقكم ولم تكونوا شيئًا **ثم يتوفاكم** بعد ما أحياكم ثم يردكم إلى الحال التي لا تعقلون شيئًا بعد ما جعلكم عقلاء علماء، فمن يملك[11] هذا ويقدر على هذا يقدر على الإحياء بعد الموت، والبعث بعد الفناء. أو يذكر هذا ليعلموا[12] أنه لم يكن المقصود بخلقهم الفناء خاصة، لكن لأمر آخر قصد،[13] وهو ما ذكر فيما تقدم من أنواع النعم وتسخير ما ذكر من الأشياء لهم ليعلموا أن المقصود في خلقهم

---

[1] ع م: أداهم.
[2] ع م - هم.
[3] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١ظ/سطر ١٦-٣١.
[4] ك ن: أي.
[5] ع م - له.
[6] ع م - ذكر.
[7] جميع النسخ: وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[8] ع م - لا.
[9] ع م + هذا.
[10] جميع النسخ: لا تملكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[11] ن: تملك.
[12] ع م: أو يذكر ليعدم.
[13] جميع النسخ+ بخلقهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.

لم يكن الفناء خاصة؛ إذ لو كان للفناء[1] خاصة[2] فلا معنى لما خلق[3] لهم من الأغذية والنعم
[٤١٢و] التي أنشأ[ها] لهم والأشياء التي سخرها / لهم.

وقال أبو بكر الأصم: قوله: **والله**[4] **خلقكم**، وكنتم نُطَفًا أمواتًا فأحياكم، **ثم يتوفاكم** أطفالاً وشيوخًا، **ومنكم من يرد**[5] **إلى أرذل العمر**، يقول: يرده بعد قوة وعلم وتدبير الأمور إلى الْخَرَف[6] والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه[7] أن العمر والرزق ليس بهما رُبِّي وقوي،[8] لأنهما ثابتان، ثم يَبلى ويفنى بهما ويرجع إلى الجهل، ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالأغذية. **والله أعلم**.

**إن الله عليم**، بما دبر في خلقه مما يدركون به قدرة خالقهم وتصريفه الأمورَ وبما يكونون به حكماء وعلماء، إن الذي دبرها حكيم، **قدير**، على ما شاء.

والحكمة[9] فيما[10] ذكر من تفريق الآجال ليكونوا أبدًا خائفين راجين، لأنه لو كانت آجالهم واحدة يأمنون ويتعاطون المعاصي على أمن لِما يعلمون وقت نزول الموت بهم. والثاني ليعلموا أن التدبير في أنفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم، لأن التدبير والأمر لو كان إليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو أقوى وآكد.

**﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**[٧١]

وقوله عز وجل: **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**، قال بعض أهل التأويل: يذكر هذا مقابل ما أشركوا خلقه وعباده[11] في ألوهيته وعبادته.[12] يقول: **فضل**[13] **بعضكم على بعض في الرزق**

---

[1] جميع النسخ: الفناء.
[2] ن – إذ لو كان للفناء خاصة.
[3] جميع النسخ+ لم يحتج إلى ما خلق؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠ظ.
[4] ع م + أعلم.
[5] ك ن م: يعمر.
[6] الخرف: فساد العقل من الكبر (*لسان العرب*، «خرف»).
[7] م: بخلقه.
[8] «...ليبين لخلقه أن العمر والرزق ليسا مما يثبتان القوة والعلم والتدبير، فأنهما قائمان ثابتان...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤٠ظ).
[9] ك ن: الحكمة.
[10] م: فيها.
[11] ن: وعبادة.
[12] ك – وعبادته، ن – في ألوهيته وعبادته.
[13] ك + الله.

والأموال حتى بلغوا السادة والموالي، فلا ترضون أن يكون[١] عبيدكم ومماليككم شركاء في ملككم وأموالكم، فكيف ترضون لله[٢] أن يكون عبيده[٣] ومماليكه شركاء؟ إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.

وقال أبو بكر الأصم: قوله: **فضل بعضكم على بعض في الرزق**، أغني بعضكم وأفقر بعضًا وجعل منكم أحرارًا وعبيدًا. **فما الذين فُضِّلوا**، بالغني والتمليك، **برادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم**، من عبيدهم، **فهم فيه سواء**، أن يستوي المولى وعبده فيما ملكت يمينه. يقول: فليس أحد منكم يرضى أن يكون عبده بمنزلته فيما يملك سواء. فإذا رأيتم أنتم ذلك نقصًا بكم -لو فعلتم- فكيف زعمتم أن الله أشرك بينه وبين أحجار حتى أشركتم وما ملّككم الله بينه وبين الأوثان في العبادة وفيما آتاكم من رزق فقلتم: هذا لله وهذا لشركائنا.[٤]

**أفبنعمة الله يجحدون**، يقول: أنعم الله عليهم بأنفسهم وأرزاقهم وأموالهم وأولادهم فأشركوا غير الله فيها وجحدوا نعمة الله عليهم، بها عَصَوا[٥] وبها كفروا. ثم ألزمهم النظر في الفضل الذي ذكر أنه فضّل بعضَهم على بعض إلى عين الفضل الذي كان من الله لا إلى الأسباب التي اكتسبوها ليعلموا أنهم لم ينالوا تلك الفضائل باستحقاق منهم ولكن إنما نالوا[٦] بفضل منه ورحمة. فيكون ذلك دليلا لهم فيما[٧] أنكروا من إفضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وإن كانوا جميعًا من بشر ومن جنس واحد، على ما فضل بعضهم على بعض في الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وإن كانوا جميعًا في الجنس واحدا.[٨] فإذا لم تنكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف أنكرتم ذلك الفضل والاختصاص[٩] بالرسالة من فضله ورحمته،

---

[١] ك: يكونوا.
[٢] ع: الله.
[٣] ن + لله.
[٤] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ (سورة الأنعام، ١٣٦/٦).
[٥] ك - بها عصوا.
[٦] ع م: قالوا.
[٧] ن: بما.
[٨] ع م - واحدا.
[٩] ع + على بعض فكيف أنكرتم ذلك الفضل والاختصاص.

فلذلك قال -والله أعلم- أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ،[1] أخبر أنه برحمته وفضله[2] يُنال ما ينال[3] من الرسالة وغيرها، لا بالاستحقاق والاستيجاب كان منهم. أو أن يذكر سفههم بأنهم[4] يأنفون أن يشركوا عبيدهم ومماليكهم في ملكهم[5] وأموالهم ولهم منهم منافع من الخدمة والإعانة في الأمور،[6] فما بالهم يشركون أحجارًا وخشبًا لا منفعة لأحد فيهما[7] في ألوهية الله وربوبيته وفي عبادته.

**أفبنعمة الله يجحدون**؛ على[8] تأويل النبوة: أبفضل الله ورحمته **يجحدون** أنه لا يفضّل بعضًا على بعض بالرسالة، أو **يجحدون**، ما آتاهم الله من النعم فيصرفون[9] نعمه[10] إلى غيره وهي الأصنام التي عبدوها فقالوا: هذا لشركائنا،[11] أو[12] يصرفون شكر نعمه إلى غيره وهي الأوثان التي عبدوها. *والله أعلم*.

**﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾**[٧٢]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**، قال الحسن وغيره: الحفدة الخَدَم والمماليك، فهو على التقدم على تأويل هؤلاء يقول: جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وخدمًا من جنسكم، لأنه[13] ذكر فيما تقدم: وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، الآية.[14]

[1] سورة الزخرف، ٤٣/ ٣٢.
[2] ك: بفضله ورحمته.
[3] ن - ما ينال.
[4] ن + يقولون.
[5] م - في ملكهم.
[6] ن + في الأمور.
[7] ع م: منهما.
[8] ع م: وعلى.
[9] ن ع م: فتصرفون.
[10] ك: نعمته.
[11] سبقت قريبا الإشارة إلى هذه الآية من سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[12] ك: أي؛ ن - أو.
[13] ن + جعل.
[14] الآية السابقة.

يذكّرهم نعمه[١] وفضله الذي ذكر أنه **جعل لكم** من جنسكم **أزواجًا** وخدَمًا تحت أيديهم يستمتعون بالأزواج ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم وجوهرهم، يذكّرهم فضله ومنته عليهم.

أو يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا،[٢] الآية، كانوا يأنفون عن البنات ويدفنونهن أحياء إذا وُلدن أنفًا منهن. يقول: -والله أعلم- كيف تأنفون منهن وقد جعل لكم من البنات أزواجًا تستمتعون[٣] بهن حتى لا تصبروا عنهن، وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغب أنفسكم فيهم ما لولا البنات[٤] لم تكن لكم الأزواج التي تستمتعون بهن و لم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والأنصار والأعوان والخدم الذين ترغبون فيهم. يبين ويذكر تناقضهم في الأنَفَة منهن، يأنفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون فيهن.[٥]

/ فهذا يدل [على] أن النساء يصِرن كالمُلْك للأزواج ويصرن تحت أيديهم في حق [٤١٢ظ] ملك الاستمتاع كالمماليك في حق ملك الرقاب. ثم جعل عز وجل التناسل في الخلق على التفاريق وتقليبهم من حال إلى حال وتنقلهم[٦] أبدا كذلك ليكون أذكَرَ لتدبيره وأنظَرَ في آياته ودلالاته. ولو شاء لأنشأ الخلق كله بمرة واحدة وأفناهم بدفعَة واحدة. وكذلك ما جعل لهم من الأرزاق وأنواع النبات، لو شاء لأخرج لهم ذلك كله بمرة واحدة في وقت واحد، لكنه أنشأ لهم بالتفاريق ليذكّرهم[٧] النظر في آياته وتدبيره، ليكون[٨] ذلك لهم[٩] أدعى إلى المرغوب وأحذرَ للمرهوب. وكذلك ما ردد من الأنباء والقِصص والمواعيد وذكرِ الجنة والنار في القرآن في غير موضع لِيَبعثهم ويَحُثهم على النظر في آياته وتدبيره ويرغبّهم في كل[١٠] وقت في المرهوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب.

---

[١] ن – نعمه.
[٢] سورة النحل، ١٦/٥٨.
[٣] ن: تستمتعونهن.
[٤] ن + أزواجا.
[٥] ك: فيهم.
[٦] ع م: وتنقلبهم.
[٧] ن ع م: ليدكر لهم.
[٨] ع + وليكون.
[٩] ك: لهم ذلك.
[١٠] م – وقت.

ثم قوله: [والله] **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**، وقال في آية أخرى: قُوا أَنْفُسَكُمْ،[1] [وأراد حقيقة الأنفس]،[2] وقال: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[3] ونحوه، ذكر الأنفس في كله. ثم لم يفهم أهل الخطاب من هذا كله معنى واحدًا وشيئًا واحدًا، وإن كان في حق اللسان واللغة واحدا، لكنهم[4] فهموا في كلٍ غيرَ ما فهموا في آخر. فهذا يدل أنه لا يُفهَم الحكمةُ والمعنى في الخطاب بحقِ ظاهرِ اللسان واللغة، ولكن بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب.[5] ومن اعتقد في الخطاب الظاهر حَسَمَ باب طلب الحكمة فيه والمعنى، لأنه يجعل المراد منه الظاهرَ.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدَةً**، هو ما ذكرنا. **وحفدة**، اختلف فيه، قال بعضهم: الحفدة الخدم والمماليك.[6] وقال بعضهم: الحفدة ولد الولد. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الحفدة الأختان،[7] وروي عنه أنه قال: الحفدة الأصهار.[8] فالأصهار[9] والأختان عنده واحد. وقيل: الحفدة الأعوان والأنصار. يذكّرهم التناقض فيما يأنفون من البنات أن كيف يأنفون عنهن ومنهن يكون لهم[10] الأعوان والأنصار[11] والأختان في أمر الدنيا. وقال أبو عَوسَجة: الحفدة بنو البنين. وقال أيضًا: الحفدة الأعوان، والحافد المجتهد في العبادة وفي العمل. تقول:[12] حفَد يحفِد، أي خدَم واجتهد.[13] وقوله:[14] «وإليك[15] نَسْعَى ونَحْفِد»،[16] أي نجتهد.

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦).
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤١و.
[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).
[4] ع م: لكنه.
[5] «فهذا يدل أن الحكم غير متعلق بظاهر الخطاب بل بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤١و).
[6] م: المماليك.
[7] ع: الختان.
[8] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٤٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٤٣.
[9] ع م – فالأصهار.
[10] جميع النسخ: لكم.
[11] ك – يذكرهم التناقض فيما يأنفون من البنات أن كيف يأنفون عنهن ومنهن يكون لهم الأعوان والأنصار.
[12] ك ع م: يقول.
[13] ع: واجتهدوا.
[14] ع: في قوله.
[15] ع: وأولئك.
[16] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٤٧؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٤٣.

وقال القُتبي: «الحفدة، الخدم والأعوان، ويقال: هم[١] بنون وخَدَم.» وقال: «أصل الحفد[٢] مداركة الخَطْوِ والإسراع في المشي، وإنما يفعل[٣] ذلك الخدمُ، فقيل لهم حفدة، واحدها حافد[٤] [مثل كافر وكفرة]. ومنه يقال في دعاء الوتر: وإليك نسعى ونحفِد.»[٥] وقال أبو عبيد: وأصل الحفد العمل، وقال: ومنه الحرف في القنوت: نحفِد، أي نعمل.[٦] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ورزقكم من الطيبات**، قال بعضهم: **الطيبات**، الحلالات، وقال بعضهم: **الطيبات**، أي كل ما طاب ولان ولطُف. ورَزَق غيرَكم من الدواب والبهائم كلَّ ما خشُن وخبُث، يذكرهم مننه عليهم ونعمه[٧] ليستأدي[٨] بذلك شكره.

وقوله عز وجل: **أفبالباطل يؤمنون**، قال بعضهم: أفبالشيطان[٩] يصدّقون ويجيبونه إلى ما دعاهم من الأنَفة من البنات. **وبنعمة الله هم يكفرون**، أي هذه البناتُ لكم نعمة فكيف تكفرونها؟ وقيل:[١٠] **أفبالباطل يؤمنون**، أي أبالشيطان[١١] إلى ما دعاكم، **وبنعمة الله**، أي بمحمد يكفرون، أو بالإسلام أو بالقرآن. وقال أبو بكر الأصم: **أفبالباطل يؤمنون**، يقول: تُقِرّون بأنكم عبيد لأحجار تَذِلّون[١٢] لها وتعبدونها. **وبنعمة الله هم يكفرون**، يقول: وبما أنعم الله عليكم في أنفسكم وما خوّلكم[١٣] ورزقكم تكفرون به، وكان الشكر أولى بكم. *والله أعلم.*

---

١ ع: لهم.
٢ ك ع م: الحفدة؛ ع + وقال.
٣ ع: فعل.
٤ م: حافدة.
٥ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٦-٢٤٧.
٦ حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا وحَفَدانًا واحتفد: خفَّ في العمل وأسرع. وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا: خَدَم. وإليك نسعى ونَحْفِدُ: أي نسرع في العمل والخدمة. قال أبو عبيد: أصل الحَفْد الخدمة والعمل. والحَفَدُ والحَفَدَة: الأعوان والخدَمة، واحدهم حافد (*لسان العرب*، «حفد»).
٧ ع م + عليهم.
٨ ك م: يستأدى.
٩ ك ع م: أبالشيطان.
١٠ ع: جميع النسخ: فقال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤١و.
١١ ن: بالشيطان.
١٢ وتذلون.
١٣ م: حولكم.

**﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**[٧٣]

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا**، فائدةً. ذكر هذا لنا -والله أعلم- لئلا نتبع بعض المخلوقين بأهوائنا ولا نَكِلَ[١] أمورَنا إلى من نعلم أنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا يستطيع شيئًا من الرزق، كما تبع أولئك في عبادة من يعلمون أنه لا يملك شيئًا ولا نفعًا ولا ضرًا فيُعبَد.[٢] يذكر سفهَهم في[٣] عبادتهم مَنْ يعلمون أنه لا يملك شيئًا من النفع والضر والرزق، لئلا نعمل نحن مثل صنيعهم بمن[٤] دون الله من المخلوقين.

ثم أختلف في قوله: **مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئًا**، قال الحسن: هو على التقديم، أي يعبدون من دون الله شيئًا لا يملك لهم ما ذكر. وقال بعضهم: يعبدون من دون الله، ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض ولا يستطيعون شيئًا. وقال بعضهم: يعبدون من دون الله، ما[٥] لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض ولا شيئًا.[٦]

**﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٧٤]

**فلا تضربوا لله الأمثال**، أي لا تتخذوا لله أمثالا من الخلق وأشباها في[٧] ألوهيته وعبادته، أو لا تقولوا لله أن له أشباهًا وأمثالاً، أو يقول: فلا تجعلوا لله أمثالا في العبادة[٨] وأشباهًا في تسميتها آلهة على علم منكم أن ما يكون لكم إنما يكون[٩] بالله لا[١٠] بالأصنام التي تجعلونها أمثالا لله في العبادة والألوهية.[١١] وجائز أن يكون قوله:[١٢] **فلا تضربوا لله الأمثال**، أي فلا تضربوا لأولياء الله الأمثال، فإنه قد بين محل أوليائه ومكانهم.

---

[١] جميع النسخ + في.
[٢] جميع النسخ: فيعبدون.
[٣] ع م: من.
[٤] ك: ممن.
[٥] ن - ما.
[٦] ع + ولا يستطيعون.
[٧] ع: وفي.
[٨] ك ن + له.
[٩] ع: يكونوا.
[١٠] ع - لا.
[١١] ع: وألوهية.
[١٢] ع م - قوله.

وقوله عز وجل: **إن الله يعلم**، أن لا مثل له من الخلق ولا شِبه وأنتم لا تعلمون ذلك، أو **إن الله يعلم** بمصالحكم وأنتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم.

**﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء / ومن رزقناه منا رزقا** [٤١٣و] **حسنًا فهو ينفق منه سرا وجهرًا**، ضرب المثل بهذا من وجهين. أحدهما أن من لا يقدر ولا يملك أن ينفق في الشاهد عندكم ليس كمن يملك ويقدر أن ينفق، فهو كقوله: هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ،[١] وقوله:[٢] مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ،[٣] أي ليس يستوي البصير والأعمى ولا[٤] الأصمّ[٥] والسميع، فعلى ذلك لا يستوي من يملك الإنفاق والإنعام على الخلق وهو المعبود الحق[٦] ومن[٧] لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل.

والثاني ضَرَب مثلَ المؤمن والكافر، إن الكافر لا ينفق ما أنعم عليه[٨] من[٩] المال في طاعة الله ولا في خيراته،[١٠] والمؤمن ينفق جميع ما أُنعِم عليه وأُعطِي[١١] في طاعة الله وخيراته. فليسا بسواء: من أنفق في طاعة الله كمن لا ينفق شيئًا. أحدهما يكون ضَرْبَ مثلِ الإله الحق والمعبود الحق[١٢] بالمعبود الباطل، والثاني [يكون ضَرْبَ] مثلِ المؤمن بالكافر.

ثم في الآية وجوه من الدلائل. أحدها أن القدرة لا تفارق الفعل[١٣] حيث قال: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، ثم قال: **ومَنْ رَزقناه منا رزقا حسنًا فهو ينفق منه**، جعل مقابل الفعل القدرةَ؛

---

[١] ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (سورة الرعد، ١٦/١٣).
[٢] ن ع م: وكقوله.
[٣] ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون﴾ (سورة هود، ٢٤/١١).
[٤] ع – ولا.
[٥] ع: والأصم.
[٦] ع: الخلق.
[٧] جميع النسخ: كمن.
[٨] ك: على.
[٩] ع م: عن.
[١٠] ن – وفي خيراته.
[١١] ك – وأعطي.
[١٢] ع: الخلق.
[١٣] ك: العقل. "القدرة لا تفارق الفعل،" أي القدرة لا توجد قبل الفعل، كما تزعم المعتزلة، بل تكون مع الفعل يخلقها الله تعالى في العبد إذا أراد العبد أن ينجز الفعل.

فلو كانت تفارق الفعل[1] لكان ذكر مقابل القدرة قدرةً[2] مثلَها [و]مقابل[3] الفعل فعلا مثله، فلما ذكر[4] مقابل القدرة الفعلَ[5] دل[6] أنها لا تفارق الفعل.

و[الثاني] فيه أن[7] العبد لا يملك حقيقة[8] الملك حيث ذكر: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، وإن قدر ما[9] يملك إنما يملك بإذن من له الملك. وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الإملاك، إنما حقيقة الملك في الأشياء لله، وإن قَدَرَ ما يملكون إنما يملكون بالإذن على قدر ما أُذن لهم.

و[الثالث] فيه أن العبد لا يملك الإنفاق والتصدق حيث قال: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، ثم قال فيمن يملك: **ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق**، دل أنه لا يملك العبد الإنفاق والهبة.

وقوله: **ومن رزقناه منا**،[10] أي مِن أوليائنا،[11] أو مِن أولياء ديننا، وذلك جائز شائع[12] في اللغة. وقوله عز وجل: **هل يستوون الحمد لله**، قال بعضهم: ذكر الحمد لله على أثر ما ذكر، لأنه عرّف رسوله النعم وأنواع المنافع ثم عرفه على أثر ذلك الحمدَ لله. وقال بعضهم: **الحمد لله** ثناء، أخبر أن أكثرهم لا يعلمون حمد الله وثناءه.

ثم قوله: **لا يعلمون**، يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا، أو على حقيقة النفي لما لم ينظروا في الآيات والحجج ولم يتأملوا فيها فلم يعلموا. *والله أعلم*.

**﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[٧٦]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه**،

---

[1] ن – الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل الفعل القدرة فلو كانت تفارق الفعل.

[2] ع م – قدرة.

[3] ك ن ع: أو مقابل.

[4] ك ع: ذكروا.

[5] « أعني قوله: ﴿رَزَقْنَاهُ﴾» (من *الشرح*، ورقة ٤٤١ظ).

[6] ع م – دل.

[7] ن + ان.

[8] م + حقيقة.

[9] ع: مما.

[10] ك + رزقا.

[11] ن: من أولئك.

[12] ن ع م: سائغ.

إلى آخر[١] الآية، قالوا: هذا المثل كالأول يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الأول. أحدهما المؤمن والكافر، شبّه الكافر[٢] بالمملوك الأبكم الذي لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه لا يأتي المولى بخير ولا ينتفع به. وشبه المؤمن بالذي يأتي المولى بكل خير ونفع. يقول: هل استوى هذا مع هذا عندكم؟ لا يستوي. فعلى ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئًا من طاعة الله ولا يأتي بخير المؤمنَ[٣] الذي يعمل كل طاعة الله ويأتي بكل خير ويأمر[٤] بكل عدل.[٥]

والثاني ضَرَب[٦] مثل الإله المعبود الحق بالمعبود[٧] الباطل، يقول: هل يستوي من آتاكم بكل نعمة وكل خير ويأمر بكل عدل بمن[٨] هو أبكم لا يقدر على شيء ولا يضر ولا ينفع ولا يجيب وهو عِيال على من يعبده ويخدمه، هل يستوي هذا مع ذلك؟ لا يستويان مثلا البتّة، غير أن المَثَل ههنا ضَرَب بالذي لا ينطق بالحق ولا يأمر بالعدل الذي يأمر بالعدل[٩] ذكر مقابل الأبكم الذي لا[١٠] يأمر بالعدل، وفي الأول ضَرَب المثلَ الذي لا يملك الإنفاق بالذي يملك الإنفاق.

وقوله عز وجل: **وهو على صراط مستقيم**، أي هو على الحق المستقيم، وهو المعبود بالحق.

قال أبو عَوسَجة: الكَلّ العيال، وكذلك قال غيره من أهل الأدب. وقال بعضهم: الكَلّ الفقير، وهو واحد. والأبكم[١١] الأخرس[١٢] وهو[١٣] الذي لا ينطق البتة. وقالوا:[١٤] **ومن يأمر بالعدل**، بالتوحيد.

---

[١] ك – إلى آخر، صح هـ.
[٢] م – الكافر.
[٣] ع م: والمؤمن.
[٤] ن: ويأمن.
[٥] ع م + ممن هو أبكم.
[٦] ع + ضرب.
[٧] ع – الحق بالمعبود.
[٨] ع م: ممن.
[٩] ك – الذي يأمر بالعدل.
[١٠] ك ن ع – لا.
[١١] ع – والأبكم.
[١٢] ع: والأخرس.
[١٣] ك – وهو.
[١٤] ك: وقال.

﴿وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولله غيب السماوات والأرض**، هذا يحتمل وجوها. أحدها ما ذكر أهل التأويل من السؤال عن الساعة وعن وقتها، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١] لخفائها على أهلها، لأن كل خفي [على المرء] ثقيل [عليه].[٢] أخبر أنه **لا يجليها لوقتها [إلا هو]**، فوقت قيامها لا يعلمه غيره.

والثاني ولله علم ما غيّب أهلُ السماوات والأرض،[٣] أي ما غيّب بعضهم من بعض، فذلك ليس بمغيّب عن الله؛ بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك لله، كلُّه ظاهر بمحل واحد، وهو كقوله: يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[٤]

والثالث قوله: **ولله غيب السماوات والأرض**، أي له علم ما[٥] في سِرِّيَّة هذه الأشياء الظاهرة ما لا سبيل للخلق إلى علم ذلك وإن كانوا يعلمون[٦] هذه الأجسام والأشياءَ الظاهرة وتقع[٧] حواسهم عليها، لا يعلمون ما في سريتها مِن نحو الماء الذي أخبر أنه[٨] به[٩] حياة كل شيء، لا يدركون المعنى الذي به حياة كل شيء،[١٠] ونحوِ النطفة التي يخلق[١١] منها[١٢] الإنسان، لا يعلمون المعنى الذي به يصير إنسانا، ومِن نحو السمع والبصر والعقل؛ يعلمون ويرون[١٣] ظواهر الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يَسمع وبه يُبصر وبه[١٤] يَعقل ويفهم.

[١] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حَفِيٌ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٨٧).

[٢] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٤١ظ.

[٣] ع + وأهل الأرض.

[٤] ﴿سورة النحل، ١٦/١٩.

[٥] ع – ما.

[٦] ع م – يعلمون.

[٧] ن ع م: ويقع.

[٨] ع م – أخبر أنه.

[٩] ن – به.

[١٠] ع م – لا يدركون المعنى الذي به حياة كل شيء.

[١١] ع: تخلق.

[١٢] ع م: منه.

[١٣] ن ع م: ويريدون.

[١٤] ك: ويبصر به.

يقول: -والله أعلم- ولله علم ما غاب عن[١] الخلق ما في هذه الأشياء الظاهرة والأجسام المرئية. / أو يقول: ولله مُلكُ ما غاب عن أهل السماوات وأهل الأرض[٢] ومُلكُ ما لم يغب عنهم وظهر، [٤١٣ظ] فيكون كقوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٣] كأنه قال: -والله أعلم-[٤] ولله العلم الذي غُيِّب عن أهل السماوات وأهل الأرض وهي الساعة، لم يُطلع عليها غيره.

وقوله: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**، قال بعضهم: قوله:[٥] **وما أمر الساعة**، أي أمر الساعة[٦] أهون على الله وأيسر من لمح البصر؛ إذ ليس شيء أيسر وأهون على الإنسان من لمح البصر لأنه يَلمَح البصر وهو[٧] لا يشعر.[٨]

**أو هو أقرب**، أي[٩] بل هو أقرب، أي أيسر من لمح البصر. وقال الحسن: إعادة الخلق على الله أيسر وأهون من لمح البصر، لأنه يَلمح بصره فيُبصر به بلحظة ما بين الأرض إلى السماء[١٠] وهو مسيرة خمسمائة عام يقول: من قدر أن ينشئ في خلق من خلائقه ما يبصر[١١] بلمحة[١٢] البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على إعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء. بل هو أقرب، أي إعادته[١٣] إياهم أسرع وأقرب من لمح البصر، إلى هذا يذهب الحسن.

وقال بعضهم: **وما أمر الساعة**، أي ما وقت قيام الساعة إلا لمح البصر؛ أي ليس بين وقت قيامها وبين كونها إلا لمح البصر، بل هو أقرب من لمح البصر. لكنه مَثّل لمح البصر لِما ليس شيء عند الناس أسرعَ وأهونَ من لمح البصر، لِما ذكرنا أنه يلمح ولا يشعر به لسرعته ولخفته عليه. فذكر هذا على التمثيل، ليس على إرادة حقيقة الوقت بقدر لمح البصر

---

[١] ن - الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يسميع وبه يبصر وبه يعقل ويفهم يقول والله أعلم ولله علم ما غاب عن.
[٢] ع م: والأرض.
[٣] سورة آل عمران، ١٨٩/٣.
[٤] ن - كأنه قال والله أعلم.
[٥] ن - قوله.
[٦] ع م - أي أمر الساعة.
[٧] ك - إذ ليس شيء أيسر وأهون عى الإنسان من لمح البصر لأنه يلمح البصر وهو.
[٨] ك ع م - لا يشعر.
[٩] ك - أي.
[١٠] ك: السماء إلى الأرض.
[١١] ع م: يبصره.
[١٢] ك: بلمح.
[١٣] ك: إعادتهم.

ولكن على المبالغةِ في السرعة وذِكرِ أقصى ما يقع في الأوهام ويُتصوَّر، من نحو ما قال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ،[1] وما قال: مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ،[2] وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا،[3] وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا،[4] وأمثاله، كله[5] يذكر على التمثيل ليس على التحقيق. أي ما يَعمل من قليل أو كثير يره شرا كان أو خيرا، وكذلك لا يُظلَمون فتيلًا ونقيرًا، أي لا يظلمون شيئًا، وكذا مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، أي لا يملكون شيئًا، لأن القطمير لا يملك؛ فإنما يذكر هذا وأمثاله على التمثيل الذي ذكرنا، أو أن يكون تأويل قوله: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**، أي ليس ما بين الساعة[6] وبينكم مما مضى من الوقت إلا قدر[7] لمح البصر، أي لم يبق من وقت قيامها مما مضى إلا ما ذكر[8] من لمح البصر أو أقرب مما ذكر على الاستقصار مما بقي.

**إن الله على كل شيء قدير**، من[9] البعث[10] والإعادة، وهو على[11] كل شيء قدير[12] لا يعجزه شيء. وظاهر الآية ينقض على المعتزلة قولهم لإنكارهم خلق أفعال العباد، لأنه أخبر أنه على كل شيء قدير، وعلى قولهم: هو غير قادر على ألف ألف شيء.

**﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧٨]**

وقوله عز وجل: **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا**، يذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها والحكمة التي جَعَل في البعث فقال:

---

[1] سورة الزلزال، ٩٩/٧-٨.
[2] ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (سورة فاطر، ١٣/٣٥).
[3] ﴿ألم تر إلى الذين يُزكّون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يُظلَمون فتيلا﴾ (سورة النساء، ٤٩/٤). ع + ولا يظلمون فتيلا.
[4] ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (سورة النساء، ١٢٤/٤).
[5] ن – كله.
[6] ن: السماء.
[7] ع م: وقد.
[8] ع م: ذكرنا.
[9] ع م: وعلى.
[10] ن + قدير.
[11] ك ع م: وعلى.
[12] ك ع م – قدير.

**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**، خلق الولد في ظلمات ثلاث،[١] وجعل غذاءه بغذاء الأمهات وبقواهن، ثم[٢] تقلُّبه في تلك الظلمات من حال إلى حال ما لو اجتهد الخلائق أن يعلموا اغتذاءه[٣] بغذاء الامهات وتقلّبه[٤] من حال إلى حال ومن جوهر إلى جوهر ما قدروا على ذلك. فيدل هذا على أن من[٥] قدر على هذا وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر[٦] على البعث وإعادة الخلق بعد الفناء، وَعَلِم ما غاب عن الخلق. أو يذكر[٧] ابتداء أحوالنا أنه[٨] أخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئًا، ثم[٩] صيّرنا بحال صرنا عالمين أشياء؛ يذكرنا نعمه ومننه علينا في بلوغنا إلى الأحوال التي صرنا إليها بعد ما كنا ما ذكر. والثاني يذكرنا أنكم كنتم بالحال التي ذكر لنعلم أنه صيّرنا في البطون بلا استعانة بأحد منا ولا عون من أحد[١٠] [إليه]. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**، فمن قدر على جعل السمع حتى يَسمع الأصواتَ ويُميّز[١١] بينها، [جعل البصر] ليبصر[١٢] ويميز[١٣] بين ألوان الأجسام، والفؤادِ لِيفهم ويعقل ما له وما عليه، مما لا[١٤] يدركون ماهية[١٥] ما به يسمعون ويبصرون ويعقلون وما به يميزون بين ما ذكرنا، فمن قدر على إنشاء هذا قدر على إنشاء[١٦] الخلق بعد الفناء والإعادة بعد الموت. ثم ذكر على أثر قوله: **لا تعلمون شيئًا**، السمع والبصر والأفئدة،

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[٢] ع: في.

[٣] م: اغتداه.

[٤] ن ع م: وتقليبه.

[٥] ع م: ما.

[٦] جميع النسخ: لقدر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[٧] ك ع م: ويذكرنا.

[٨] م - أنه.

[٩] ع - ثم.

[١٠] جميع النسخ: منه إلى أحد؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[١١] ع م: وتميز.

[١٢] جميع النسخ: ويبصر.

[١٣] ع م: وتميز.

[١٤] جميع النسخ: ما لا.

[١٥] جميع النسخ: مائية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[١٦] ع م - هذا قدر على إنشاء.

فذلك يدل على أن هذه الأشياء من أسباب العلم بالأشياء، بها يوصل إلى العلم بالأشياء، فمن أعطى أسباب العلم بالشيء فكان قد أعطى له العلم به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لعلكم تشكرون**، هو[1] حرف شك في الظاهر، ذكر -والله أعلم- لأنه لا كُلُّ الناس يشكرون نعمه، أو لكي يُلزمهم الشكرَ.

**﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[٧٩]

وقوله عز وجل: **ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله**، أي من قدر على إمساك الطير وهي أجسام كغيرها من الأجسام في الهواء[2] بلا إعانة من الأسفل[3] ولا تعلق بشيء من الأعلى لقادر على إنشاء الخلق وإعادتهم بعد الفناء. أو يقول: أو لم يروا إلى اللطف الذي جعل في الطير والحكمة التي أنشأ فيها حتى قدرت على الاستمساك في الهواء والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق جميعًا أن يدركوا[4] ذلك اللطف أو تلك الحكمة ما قدروا على إدراكه. وفي ذلك نقض قول المعتزلة لأن الطيران فعل الطير، ثم أضاف ذلك إلى الله حيث قال: **ما يمسكهن إلا الله**، دل ذلك أن لله في ذلك[5] صنعا وفعلاً.[6]

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، جميع ما ذُكر يكون آية لمن آمن لأنه هو المنتفع.

[٤١٤و] قال أبو عَوسَجَة: / لمح البصر، سرعة النظر، وجو السماء، هواءها، ويقال: بطن السماء، ويقال: جوف السماء، ويقال: الجو ما اطمان من الأرض، والأول أشبه.

**﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾**[٨٠]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا**، ظاهر هذا أنه قد جعل لنا من البيوت أيضًا ما ليس بسكن لأنه قال: **جعل لكم من بيوتكم سكنا**، وهو ما ذكر في قوله:

---

[1] م – هو.
[2] ن: في الهوى.
[3] ك: من أسفل؛ ن ع م: في الأسفل.
[4] ع م: يدركوه.
[5] ك: في ذلك لله.
[6] ك: فعلا وصنعا.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ،[١] وهو كالمساجد والرباطات وغيرها. ويشبه أن يكون ذَكَر هذا ليعرفوا عظيم منته[٢] ونعمه[٣] حيث جعل الأرض بمحل يَتقِرّون عليها ويمكن لهم المُقام بها بالرواسي التي ذكر أنه أثبت فيها بعدما كانت تميد بهم ولا تقر[٤] بها،[٥] أخبر أنه جعل[٦] فيها رواسي. أو أن يكون حرف "مِن" صلة، أي جعل لكم بيوتا تسكنون فيها.

ثم قوله: **جعل لكم من بيوتكم سكنا،** يحتمل وجهين. أحدهما أي سخر لكم الأرض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها، تسكنون فيها. أو جعل لكم بيوتا، أي علمكم[٧] ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه إياكم ما تقدرون على بناء البيوت فيها، يذكر منته[٨] عليهم. *والله أعلم.*

وفي هذه الآيات[٩] في قوله: **جعل لكم من بيوتكم سَكَنًا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا،** ونحوه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه ذكر أنه جعل بيوتا سكنًا، والسكن فعل العباد، دل أن لله في فعلهم صنعًا،

**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا،** قال أهل التأويل: **جعل لكم من جلود الأنعام،** أي من[١٠] صوفها، لكنه أضافها[١١] إلى الجلود لِما من الجلود يخرج ومنها يُجَزُّ[١٢] ويؤخذ. وهو ما ذكر: **ومن أصوافها،** وهو صوف الغنم، **وأوبارها،** وهو[١٣] صوف الإبل، **وأشعارها،** ما يخرج من المعز.

---

[١] ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٩).

[٢] ع + هو.

[٣] ع: نعمه.

[٤] ك: يقر.

[٥] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسيَ أنْ تَميدَ بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٥).

[٦] ع م – جعل.

[٧] ع م + تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين أحدهما أي سخر لكم الأرض حتى قدر ثم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها أو جعل لكم بيوتا أي علمكم.

[٨] م: منته.

[٩] ع: الآية.

[١٠] ع – من.

[١١] ك ن: أضاف.

[١٢] ع: يجر.

[١٣] ن: وهي.

[٤١٤و س٣٥ **يَوْمَ ظَعْنِكُمْ**، قيل: يوم سفركم وسيركم. *وقال أبو عوسَجة: **يوم ظعنكم**،[1] يوم سيركم، [يقال]:[2]
ظعَن يظعَن: سار. * **ويوم إقامتكم**، قال بعضهم: [يوم إقامتكم][4] في المصر، وقال بعضهم:[5] في السفر ٤١٤و س٣٥]
حين النزول. و"الجعل" في هذا يحتمل الوجهين اللذَين ذكرنا[6] في قوله: **جعل لكم من بيوتكم سكنا**؛ أحدهما على التسخير لهم، والثاني على التعليم. ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدر[7] السكنى حيث قال: **من بيوتكم سكنا**،[8] ولم يذكر في البيوت المتخذة من الجلود والأوبار والأشعار، فكأنه ترك ذكره في هذا لذكره[9] في الأول؛ أو ذَكَر في الأول[10] ذكرَ تصريح، وذكر في الثاني ذكرَ دلالة.

وقوله عز وجل: **أثاثا**، قيل الأثاث والرياش واحد وهو المال. وقيل: ما يتخذ[11] من الثياب والأمتعة. وقوله عز وجل: **ومتاعًا إلى حين**، يحتمل **إلى حين**، إلى وقت بِلى[12] ذلك الأثاث، أو إلى[13] **حين**، وقت فنائهم.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم مما خلق ظلالا**، يحتمل قوله: **ظلالًا**، البيوت التي ذكر
[٤١٤و س٣٥ وهي تُظلّهم، ويحتمل الأشجار. *والسرابيل، القُمُص.[14] يقول: تَقِيكم، أي تستركم. وقال
٤١٤و س٣٦] القُتبي: **ظلالا**، أي ظلال الشجر والجبال.*

**وجعل لكم من الجبال أكنانا**، وهي الغِيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تَقِيهم عن الحر والبرد.

---

[1] ك ن + يقول.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[5] م – في المصر وقال بعضهم.

[6] ك: ذكرهما.

[7] ك: الوبر؛ م: المدار.

[8] ن – أحدهما على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدار السكنى حيث قال من بيوتكم سكنا.

[9] ع: الذكر.

[10] ع م – أو ذكر في الأول.

[11] ع: تتخذ.

[12] ع م: بل. وبَلِيَ الثوبُ يَبْلَى بِلًى وبَلاء: رثّ وفني (*لسان العرب*، «بلا»).

[13] ع: أولى.

[14] ع م: القميص.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥-٣٦.

**وجعل لكم سرابيل**، قيل القُمُص[١] والدروع. ثم ذكر أن ما ذكر من البيوت والأكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم بأسكم،[٢] أيضًا [أي] بأس العدو. **كذلك يُتمّ نعمته عليكم**،[٣] ما ذكر من أنواع النعم.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر**، ذكر أنها تقي من الحر وهي تقي الحر[٤] والبرد جميعًا، فكان في ذكر أحدهما ذكرُ الآخر ذكرَ كفاية.

وقوله: **كذلك يتم نعمته عليكم**، أي كذلك يتم ذكر[٥] نعمته عليكم ليُلزمكم[٦] الإسلام[٧] أو حجته. ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره، ويحتمل الرسول.

وقوله عز وجل: **لعلكم تُسلمون**؛ جميعُ ما ذكر من النعم والآيات في هذه السورة من أولها إلى آخرها إنما ذكر لهذا الحرف، وهو قوله: **لعلكم تسلمون**، وما ذكر: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[٨] ولَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ،[٩] يحتمل[١٠] أن يكون هذه الأحرف كلها واحدًا، ويحتمل أن يكون لكل حرف من ذلك معنى غير الآخر. *والله أعلم*.

[٤١٤و س٣٦ * وقوله: **كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**، هذا -والله أعلم- في قوم علم الله أنهم يؤمنون بما ذكر لهم من أنواع النعم والإفضال ليعلم أن الإسلام من أعظم نعم الله لا يناله[١١] أحد إلا بنعمته. وقال بعض أهل التأويل: سميت سورة النحل سورة النعم لما فيها من ذكر النعم وأنواع منافع الخلق من أولها إلى آخرها.* ٤١٤و س٣٨]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **فإن تولوا**، عن الإجابة لك وعما تدعوهم إليه، **فإنما عليك البلاغ المبين**، أي ليس عليك إجابتهم، إنما عليك التبليغ إليهم والبيان لهم.

---

[١] ع م: القميص.
[٢] ن ع م - بأسكم.
[٣] ك + عنى.
[٤] م - وهي تقي الحر.
[٥] ع م - ذكر.
[٦] جميع النسخ: ليلزمهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٧] ع: الإيمان.
[٨] سورة النحل، ١٤/١٦، ٧٨.
[٩] سورة النحل، ١٥/١٦.
[١٠] ع: ويحتمل.
[١١] ن: ينال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٦-٣٨.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٣]

وقوله[١] عز وجل: **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**، تحتمل[٢] النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم، كانوا يعرفونه لكنهم أنكروه، كقوله: يَعْرِفُونَهُ[٣] كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٤] وما ذكر: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.[٥] وتحتمل[٦] **نعمة الله**،[٧] ما ذكر [من النعم][٨] عرفوا[٩] أنها من الله. **ثم ينكرونها**، بعبادتهم الأصنام وصرفهم شكرها إلى غيره، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[١٠] مع ما يعرفون أن الله هو خالقهم وأنّ ما لهم كلّه من عند الله يعبدون الأصنام فتكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله.[١١]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا**، قال بعضهم: شهيدها أن يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة / جوارحهم عليهم، وهو قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم، الآية،[١٢] وقوله: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ، الآية،[١٣] وقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[١٤] ونحو ذلك من الآيات التي فيها ذكرُ الشهادة عليهم عند إنكارهم أعمالَهم التي[١٥] عملوها. [٤١٤ظ]
وقال بعضهم: شهيدها رسولها الذي بعث إليهم، يشهد[١٦] عليهم أنه قد بلّغ إليهم رسالات ربهم،

---

[١] ن – وقوله.
[٢] ن ع م: يحتمل.
[٣] ع م – لكنهم أنكروه كقوله يعرفونه.
[٤] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).
[٥] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[٦] جميع النسخ: ويحتمل.
[٧] جميع النسخ + يعرفون نعمة الله وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٩] جميع النسخ + عرفوها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[١٠] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[١١] وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٨٠-٨١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥-٣٨.
[١٢] ﴿يوم تشهد عيهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[١٣] ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٢٠/٤١).
[١٤] سورة الزلزال، ٤/٩٩.
[١٥] ن – فيها ذكر الشهادة عيهم عند إنكارهم أعمالهم التي.
[١٦] ن: تشهد.

وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[١] والنذير هو الرسول المبعوث إليهم. وهو ما ذكر أيضًا: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[٢] وكقوله: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[٣] وقال: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[٤] أخبر أنه يجئ[٥] بمحمد صلى الله عليه وسلم شهيدًا على أولئك أن الرسل قد بلغوا الرسالة إليهم، وهو ما ذكر: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ،[٦] وقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ، الآية،[٧] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ.[٨] **يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى قومهم ويسأل قومهم عما أجابوا الرسل، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل. *والله أعلم*.**

جميع ما ذكر في القرآن من مجيئه وإتيانه[٩] ونحوه جائز أن يكون ذلك البعث،[١٠] [و]تفسير ذلك كله قوله: [ويوم] **نبعث من كل أمة**، كذا؛ من ذلك قوله:[١١] وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ؛[١٢] هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[١٣] وقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[١٤] فهو البعث. ***والله أعلم*.**

وقوله عز وجل: **ثم لا يؤذَن للذين كفروا**، قال[١٥] الحسن: لا يؤذن لهم بالاعتذار لأنه لا عذر لهم، وهو ما قال: هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ،[١٦] لأنه لا عذر لهم،

---

[١] ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٢٤/٣٥).
[٢] فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤١/٤).
[٣] سورة البقرة، ١٤٣/٢.
[٤] سورة النساء، ٤١/٤.
[٥] ع: تجئ.
[٦] سورة الأعراف، ٦/٧.
[٧] ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ١٠٩/٥).
[٨] ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ (سورة القصص، ٦٥/٢٨).
[٩] ن ع م: وإنبائه.
[١٠] أي لا يجيئ الرب ذاته ولا يأتي، بل يبعث شهيدا يشهد عليهم.
[١١] ع م: وقوله.
[١٢] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[١٣] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجَع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢١٠/٢).
[١٤] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤١/٤).
[١٥] جميع النسخ: وقال.
[١٦] سورة المرسلات، ٣٥/٧٨-٣٦.

واعتذارهم لا ينفع لهم شيئًا؛ إذ اعتذارهم من نحو قولهم: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[1] وقولهم: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[2] ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك. **ولا هم يُسْتَعْتبون،** قال الحسن: ولا هم يُقالون،[3] وكذلك قال في قوله: وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ،[4] أي من الْمُقالِين، أي لا يقالون عما كان منهم. وقال بعضهم: **لا يؤذن لهم،** ولا يمكن لهم من التوبة والرجوع عما كانوا، لأن ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ، الآية، وقال: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[5] ونحوه. **ولا هم يستعتبون،** العتاب في الخلق هو[6] تذكير ما كان من الفرط ليرجع عما كان منه، وذلك في الآخرة لا يُحتمَل. ويحتمل قوله: **ثم لا يؤذن للذين كفروا،** أي[7] لا يؤذن لهم بالكلام، كقوله: [قَالَ] اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ،[8] أو لا[9] يؤذن لشفعاء أن يشفعوا للذين كفروا، ويؤذن للشفعاء أن يشفعوا للمؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وإذا رأي الذين ظلموا العذاب،** أي وقعوا فيه، دليله ما ذكر: **فلا يخفف عنهم،** دل هذا أنه لم يرد به رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه. **فلا يخفف عنهم،** لأنه يدوم ولا تخفيف مما يدوم عن[10] العذاب. **ولا هم ينظرون،** أي يمهلون من العذاب. والثاني لا يخفف عنهم عما[11] استحقوا[12] واستوجبوا، أو ما ذكرنا أنه لا يكون لعذابهم انقطاع.

---

[1] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[2] ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يَرجع بعضهم إلى بعض القولَ يقول الذين استُضْعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣١/٣٤).

[3] يقال: أقال الله عَثْرَته بمعنى الصفح عنه (*لسان العرب*، «قيل»).

[4] ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ (سورة فصلت، ٢٤/٤١).

[5] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥).

[6] ع م: وهو.

[7] ع - أي.

[8] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.

[9] ع: ولا.

[10] ع م: من.

[11] م + استخفوا.

[12] ع + واستحقوا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **وإذا رأي الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك،** قال الحسن: قوله: **شركاءهم،**[١] أي قرناءهم وأولياءهم من الشياطين، كقوله: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[٢] الآية، وكقوله: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ،[٣] الآية. وقوله: نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[٤] وقوله: وَيَوْمَ[٥] نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا،[٦] الآية، وقوله:[٧] **شركاءهم،** قرناءهم[٨] وأولياءهم[٩] الذين[١٠] كانوا لهم في الدنيا، فهم شركاؤهم الذين ذكروا.[١١]

وقوله:[١٢] **هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك،** على هذا التأويل: كنا ندعوك وإياهم من دونك. **فألقوا إليهم القول،** أي يقولون لهم: **إنكم لكاذبون.** وقال بعضهم: قولهم: **هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك،** الأصنام التي عبدوها، **فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون،** أي يكذبونهم، وهو ما ذكر: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ،[١٣] يكذبونهم فيما قالوا ويخبرون أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم.[١٤] وقال بعضهم: شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم، كقوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ،[١٥] أخبروا أنهم إنما عبدوا الجن بأمرهم و لم يعبدوهم.

---

١ ع م: شركاؤهم.

٢ ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧).

٣ ﴿وقيضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة فصلت، ٢٥/٤١).

٤ ﴿ومَن يَعشُ عن ذِكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).

٥ ع م – ويوم.

٦ ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة الأنعام، ٢٢/٦).

٧ ك + قال، ن + وقال.

٨ ع م – قرناءهم.

٩ ع م: أولياؤهم.

١٠ ك ع م – الذين.

١١ جميع النسخ: الذي ذكر.

١٢ جميع النسخ: وقولهم.

١٣ ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ٢٩/١٠).

١٤ ن – عن عبادتهم.

١٥ ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠–٤١).

أو يكون[1] شركاؤهم رؤساؤهم الذين انقادَ الاتباعُ لهم. ويحتمل[2] الأصنام وما ذكر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون**، هو ما ذكرنا، يقولون لهم: **إنكم لكاذبون**، أو يكذبونهم فيما يزعمون ويدّعون.

**﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٨٧]**

وقوله عز وجل: **وألقوا إلى الله يومئذ السلم**، أي يخضعون كلهم لله يومئذ ويخلصون له الدين ويسلّمون له الأمر والألوهية. **وضل عنهم ما كانوا يفترون**، أي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الأصنام والأوثانَ التي عبدوها من الشفاعة وغيرها، كقوله:[3] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[5] بطل عنهم ما طمعوا ورجَوا من عبادة أولئك من الشفاعة لهم والقربة إلى الله.

**﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[٨٨]**

وقوله عز وجل: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**، قال بعضهم: هؤلاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم[6] بأنفسهم /وأضلوا أتباعهم، فلهم العذاب الدائم بكفرهم بأنفسهم وزيادة العذاب بإضلال غيرهم، [٤١٥و]
وهو كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ،[7] وكقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ،[8] الآية، أخبر أنهم يحملون أوزارهم وأثقالهم[9] وأوزار الذين أضلوهم ومنعوهم عن الإسلام، فعلى ذلك قوله: **زدناهم عذابًا فوق العذاب**، بما أضلوا أتباعهم وسعوا في الأرض بالإفساد، وهو قول أبي بكر الأصم.

---

[1] ن: ويكون.
[2] ك: وتحتمل.
[3] جميع النسخ: كقولهم.
[4] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩)
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[6] ع م: ضلوهم.
[7] سورة النحل، ٢٥/١٦.
[8] ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وَلَيُسْأَلُنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (سورة العنكبوت، ١٣/٢٩).
[9] ك – الآية أخبر أنهم يحملون أوزارهم وأثقالهم.

وقال بعضهم: إن عذابهم كلما أراد أن يفتُر بنضج الجلود زيدت لهم بتبديل الجلود نارُها، [و] كلما أرادت أن تخمد[١] زيد لهم سعيرًا، كقوله: بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا،[٢] وقوله: كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا،[٣] فذلك هو الزيادة في العذاب. ويحتمل غير هذا، وهو أن عذاب الكفر دائم أبدًا فيزداد لهم عذابًا بما كان لهم في الكفر سوى الكفر أعمالٌ ومَساوٍ، كما يُعفَى ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم من المساوي، كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ،[٤] مقابلَ ما كان يعفى عن المؤمنين من[٥] المساوي زيد لأهل الكفر على عذاب الكفر لمساويهم.

وفي حرف ابن مسعود: زدناهم عذابا ضِعْفا بما كانوا يُفسدون. وأصله أن جزاء الآخرة من الثواب والعذاب على المضاعفة، لأنه دائم لا انقطاع له، وما ذكر من الزيادة والفوق وغيره فهو على المضاعفة.

**﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[٨٩]

وقوله عز وجل: **ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم**، يحتمل قوله: **من أنفسهم**، أي من البشر، ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم. وقوله عز وجل: **وجئنا بك شهيدا على هؤلاء**، هو ما ذكرنا، يشهد الرسول عليهم بالتبليغ ويشهد لمن أجابه بالإجابة والطاعة[٦] وعلى من رد وكذبه[٧] بالرد والتكذيب.

وقوله عز وجل: **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**، يحتمل قوله: **تبيانا لكل شيء**، ما ذكر في هذه السورة، لأنه ذكر فيها جميع أصناف النعم وجواهرها ووجوة الأسباب التي بها يوصل إليها، وذكر فيها ما سخر لهم من أنواع الجواهر؛ وفيه ذكر ما وعد[٨] وأوعد[٩] وأمر ونهي وذكر ما حل بالأعداء

---

[١] ع: تخمده.

[٢] ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نَضِجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٤/٥٦).

[٣] ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُميا وبُكما وصُما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٧).

[٤] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصدق الذي كانوا يوعَدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٦).

[٥] ع م – من.

[٦] ع م – بالإجابة والطاعة، ع + الطاعة، م + اطاعه.

[٧] ع م: كذبه.

[٨] ع: وعدوا.

[٩] ع: وأوعدوا.

وما ظفر أولياؤه به؛[1] وفيه ذكر سلطانه وقدرته وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يؤتَى ويُتَّقَى،[2] فذلك تبيان كل شيء. أو أن يكون في الكتاب تبيان كل شيء، أي في القرآن[3] ما ذكرنا من الأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضية وأمثالهم وجميع ما يؤتى ويُتَّقَى،[4] ففيه تبيان كل شيء من الوجه الذي ذكرنا. أو أن يكون أُنزل عليه الكتاب تبيانا[5] لكل ما دعا به الرسل وجاءت به الرسل والكتب جميعًا، [إذ][6] في هذا الكتاب جميع[7] ما أتى به الرسل والكتب من الأمر والنهي والوعد والوعيد، كقوله: وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.[8]

ثم اختلف في ذلك البيان. قال بعضهم: يحتمل الآية وجهين. أحدهما الخصوص على الأصول دون الفروع كذكر الكمال للدين،[9] لكن [فيه ضعف لأن][10] ذلك وصف الدين، وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة، وهذا للكتاب،[11] فلم يجز التقصير عن الاشتمال[12] عما لزمت الحاجة في أمر الديانة. وذُكِر أن الكتاب تبيان لكل ما وقعت إليه حاجة في أصول الدين من الإيمان وأنواع العبادات والأحكام مع الحدود والحقوق ومكارم الأخلاق التي[13] تنتظم [بها] صلة الرحم وعشرة الإخوان وصحبة الجيران ونحو ذلك، فتشتمل هذه الجملة على أصول الدين، وما وراءها[14] يكون موكولا إلى بيان الرسول ليفي الكتاب بما شُرط له تلاوة ودلالةً.[15]

---

[1] جميع النسخ: بهم.
[2] ع: وتبقى، م: ويبقى،
[3] جميع النسخ: وفي القرآن.
[4] ع: وتبقى، م: ويبقى، ن - فذلك تبيان كل شيء أو أن يكون في الكتاب تبيان كل شيء أي في القرآن ما ذكرنا من الأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضية وأمثالهم وجميع ما يؤتى ويتقى.
[5] ع م - تبيانا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣و.
[7] ع - جميع.
[8] ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ (سورة المائدة، ٤٨/٥).
[9] ع: للزين. يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣و.
[11] ع: لكتاب.
[12] من الاشتمال.
[13] ع م - التي.
[14] ع: وما ورعها.
[15] ع م + الوجه.

والوجه الثاني أن يكون **تبيانا لكل شيء**، منتظِما لما فيه [من] جُمَله ومبهمه[١] ومشكله،[٢] ولبيان الرسول جملَه، وتفسيرِه مبهمَه، وإيضاحِه ودلالتِه على مشكله. وقال:[٣] والسنن كلها بيان للكتاب[٤] لارتباط بعض ببعض.

ثم قد تحتمل[٥] الآيات التي فيها ذكر البيان والتفصيل وجوها غير الوجهين اللذين ذكرتهما. أحدهما أنه تبيان كل شيء ظهر فيه التنازع بين أهل الأديان وألزمتهم الضرورة فيه إلى البيان. فجعل الله الكتاب تبيانا ألزمهم بالتدبر[٦] [و]العلم بأنه من عند الله بخروجه عما عليه وُسْعُ القوم عن نوع ما ذكر فيه من الحجج والأدلة، وبما أعجزهم عن الطمع في تأليف مثله ونظمه، ليعرفوا أن الله قد أعانهم فيما مستهم الحاجة وألجأتهم الضرورة إلى من يُطْلعهم على الحق فيما لو أُهملوا عن ذلك لتولّد منه العداوة والعناد.[٧] فأنعم الله عليهم به وبيّن فيه جميع ما بهم[٨] إليه من الحاجة لدوام الأخوة.

والثاني أن يكون فيه تبيان كل شيء بالطلب من عنده وبالبحث[٩] فيه الظفر[١٠] بكل ما ينزل بهم من الحاجات إلى الأبد، فيكون هو أصلَ ذلك، لكن باختلاف الأسباب يوصَل إلى حقيقة العلم به،[١١] وذلك نحو ما جعل الماء حياة لكل شيئ،[١٢] ووصف أن في السماء رزقَ جميع الخلق،[١٣] وأخبر[١٤] أنه[١٥] أنزل من السماء اللباس والرياش،[١٦]

---

[١] ن ع م: جملة ومبهمة.
[٢] ع م: ومشكلة.
[٣] يبدو أن المؤلف رحمه الله ينقل آراء بعض من العلماء، وسيأتي بعد ذلك رأيه الخاص في المسألة.
[٤] ع: لكتاب.
[٥] ن ع م: يحتمل.
[٦] ع م: بالتدبير.
[٧] ك: والعتاب، ن: والعنا، ع: والعتا.
[٨] م: بين.
[٩] ع – وبالبحث.
[١٠] جميع النسخ + به.
[١١] ن – به.
[١٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٣٠).
[١٣] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٢).
[١٤] ك ن: فأخبر، ع م: فانه.
[١٥] م – أنه.
[١٦] ك + لكل شيء. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سَوْءاتِكم وَرِيشًا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يَذَّكَّرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٦).

وأخبر أنه خلقنا من تراب،[1] ثم أخبر أنه خلقنا جميعًا من نفس واحدة،[2] على رجوع كل ما ذكر باختلاف الأسباب والتوالد[3] إليه. *والله أعلم*. وذلك كما[4] قال أهل الكلام في جعل المحسوسات أدلة لكل غائب جعلها الله أدلة توصِل[5] إليه[6] بالتأمل والنظر، فيكون المحسوس [٤١٥ظ] مبينا عن[7] ذلك[8] دالاً على اختلاف الدرجات في حد[9] / البيان. مع ما قد جعله الله كذلك، حتى إن في الفلاسفة من تكلف استخراج كلية أمور العالم[10] العلوي والسفلي وما على ذلك مدار ما عليه من هذا المحسوس، فمثلُه أمرُ القرآن. *والله الموفق*.

والثالث أن يكون فيه بيان على الرمز والإشارة مرة، وعلى الكشف ثانيًا. فما كان منه على الرمز فهو مطلوب في المعاني. وطريق الوصول[11] إلى ما في تلك المعاني من الأمور مختلفة. منها ما يقع بمعونة الوحي من غير الكتاب على اختلاف وجوه الوحي: من إرسال على لسان ملك[12] أو رؤيا أو إلهام، أو التأملِ[13] في ذلك أو الاستدلال بما قد أوضحه، بعد توفيق الله للحق في ذلك وعصمته عن الزيغ، أو على ما شاء من ترتيب الحكماء في حق التفاهم لغوامض الأمور، أو غير ذلك مما يريد الله أن يُطْلِع عليه نبيه، فإن لطف رب العالمين بما عامل به الأخيار يَجِلّ[14] عن احتمال العبارة عنه أو تصويرِه في الأوهام نحوَ كتابة الحفظة وقبض ملك الموت أرواح الخلق في وقت واحد في أطراف الأرض ونحو ذلك.

[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).

[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (سورة النساء، ٤/١).

[3] ن ع: والتولد.

[4] ع: كمال.

[5] ك: يوصل.

[6] ن - إليه.

[7] ع م: من.

[8] ن + عن ذلك.

[9] ع: أحد؛ م: هذا.

[10] ع: عالم.

[11] ع م: الرسول.

[12] ن: الملك.

[13] ع م: والتأمل.

[14] ن: يحل.

وذلك كله حدُّ اللطف الذي يعجز البشر عن الإحاطة [به]، فعلى ذلك أمر تبيان كل شيء، مع ما يحتمل الرجوع بتأويل الآية إلى أغلب الأمور وأعمها، كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ،[١] وغيره. *ولا قوة إلا بالله*.

والأصل عندنا أن ليس للبيان عدد يجب حفظه[٢] على ما ذكره بعضهم[٣] أنه على خمسة أوجه. إنما هو أمران، أحدهما ما يبين هو، والثاني ما يبين غيره. لكن الوجوه[٤] التي بها يقع ما[٥] غاب عن الحواس بالبيان[٦] أصله [ما هو] الواقع تحت الحواس؛ إذ [هو] البيان[٧] الذي من جحد حُرم أولَ درجات البيان ومُنع[٨] عن فهم الجحود[٩] أنه[١٠] الجحود وكُفي كُلًّا مئونَة[١١] خصومته.[١٢] ثم [ما يبين][١٣] غيره مما يصير بالتأمل على الوجوه التي جعلت للوصول إليه -وإن بعُد أو قرب- [لا يصير مقبولا إلا] بدليله كالمحسوس؛ إذ التأمل في الأسباب هو سبب الوصول إلى ما غاب كاستعمال الحواس فيما يشاهد،[١٤] فمن أراد القطع على حدّ أو شيء يحتاج إلى دليل فيه.

وأصل البيان حقيقةً هو الظهور، وأسباب إظهار الأشياء متفاوتةٌ وعلى ذلك مقاديرها من الظهور. وجملتُه ارتفاع التواتر[١٥] عن القلوب وتجلي حقائق الأمور لها على قدر [استدلال] العقول في الإدراك وما يتجلى للقلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور.

وقوله عز وجل: **وهدًى ورحمةً**، يجب أن يكون قوله: **تبيانًا لكل شيء** وقوله: **وهدى ورحمة**،

---

[١] سورة الأنبياء، ٢١/٣٠.
[٢] جميع النسخ: حفظ العدد.
[٣] جميع النسخ: قوم.
[٤] ع م: الوجه.
[٥] ك: مما.
[٦] أي الوجوه التي يفهم بها ما غاب عن الحواس بطريق البيان.
[٧] جميع النسخ: البين؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[٨] ع م - ومنع.
[٩] جميع النسخ + عنه.
[١٠] ع م: أن.
[١١] م: مؤنته.
[١٢] لعله يشير إلى السوفسطائية.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[١٤] جميع النسخ: يشهد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[١٥] أي تتابع الاحتمالات والأفكار المختلفة.

كلّه واحدا:[1] الرحمة والهدى والبيان،[2] وبرحمته[3] وبهداه يتبين لهم ويتضح. لكنهم قالوا: البيان للناس كافة يتبين [الحق لهم] ويتضح إلا من عاند وكابر، والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر: **وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**، ذلك للمسلمين[4] خاصة. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [٩٠]

وقوله عز وجل: **إن الله يأمر بالعدل والإحسان**، إلى آخر ما ذكر. قال الحسن: قوله: **إن الله يأمر بالعدل**، فيما بينَ الناس، أي يأمر بالحكم فيما بينهم بالعدل والإحسان، هو ما كلفهم بالطاعة له.[5] أو أن يكون الأمر بالإحسان إلى أنفسهم، أو إلى الناس. وجائز أن يكون الأمر بالعدل فيما بينه وبين الله، والإحسان فيما بينه وبين الخلق، أي يعامل ربّه بالعدل، لأن العدل هو وضع الشيء موضعه، وهو لا يقدر على المجاوزة عن العدل حتى يكون في حد الإحسان فيما بينه وبين ربه، ويقدر أن يصنع[6] إلى خلقه أكثر مما يصنعون هم إليه فيكون محسنًا إليهم، وأما إلى الله فلا يكون محسنًا.

**وإيتاءِ ذي القربى**، أي إعطاء ذي القربى الصدقةَ من غير الزكاة المفروضة.

**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**، هي المعاصي، أي نهى عن المعاصي كلها.

وقال أبو بكر الأصم: **يأمر بالعدل**، أي بالحق الذي له[7] عليهم، **والإحسان**، هو[8] ما تعبّدهم من العبادات والطاعات التي جعلت[9] سبب عطف بعضهم على بعض. **وإيتاءِ ذي القربى**، صلة القرابة والأرحام. **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**. وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة وغيره:[10] قوله: **يأمر بالعدل**، بالتوحيد، **والإحسان**، أي أداء الفرائض، وهو قول ابن عباس وقتادة.

---

[1] جميع النسخ: واحد.
[2] ع: وإن البيان.
[3] ك ن ع: برحمته.
[4] ن – للمسلمين.
[5] ن – له.
[6] ع م: أن صنع.
[7] ن – له.
[8] ع – هو.
[9] جميع النسخ: جعل.
[10] جميع النسخ: وهؤلاء، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.

وقال[١] مقاتل:[٢] قوله: **والإحسان**، هو فيما بينهم، يحسن بعضهم إلى بعض، **وإيتاء ذي القربى**، صلة الأرحام، **وينهى عن الفحشاء**، أي عن الزنى، **والمنكر**، أي الشرك،[٣] **والبغي**، مظالم الناس.[٤] وقال بعضهم: المنكر ما لا يعرف في الشرائع والسنن. ويقال: المنكر، ما أوعد الله عليه النار، **والبغي**، قيل: الاستطالة والظلم.

ثم يجب أن يَعرف[٥] حقيقة العدل ما هو؟ فهو -والله أعلم- وضع كل شيء موضعه، فيدخل فيه كل شيء: التوحيد وغيره. يجعل الربوبية والألوهية لله لا يشرك[٦] فيها غيره ولا يصرفها إلى غيره ولا يضيف، بل ينسب الربوبية والألوهية إلى الله[٧] والعبودة[٨] إلى العباد ولا[٩] يضيف[١٠] العبودة إلى الله، ولا الربوبية والألوهية إلى العباد. فذلك العدل ووضع كل شيء موضعه: الربوبية في موضعها والعبودة في موضعها، هذا -والله أعلم- معنى العدل.

وأما الإحسان فهو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم، إن جبريل سأله عن الإحسان حين سأله[١١] عن الإيمان[١٢] والإسلام فقال: ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله[١٣] كأنك تراه، فإن لم تكن تراه[١٤] فإنه يراك.»[١٥] ومن يعمل لآخر[١٦] بحيث يراه وينظر إليه يكون أبدًا طالب رضاه في ذلك العمل وإخلاصه له وطالب[١٧] مرضاته فيه.

---

[١] ع: وقال.
[٢] ع: ومقاتل.
[٣] م: الشكر.
[٤] انظر: تفسير *الطبري*، ١٦٣/١٤؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٢١٨/١٤.
[٥] ع م - أن يعرف.
[٦] ع م: شريك.
[٧] ك: لله.
[٨] أي كونه عبدا ومكلفا ومربوبا.
[٩] ك ع: ولا يضاف.
[١٠] جميع النسخ: يضاف، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[١١] ع - عن الإحسان حين سأله.
[١٢] ك: الإحسان.
[١٣] ك ن ع: تعمل لله. م - الله.
[١٤] ع - فإن لم تكن تراه.
[١٥] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ٢/٣١، الإيمان ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٥٧.
[١٦] ع: الاخر.
[١٧] جميع النسخ: وطلب.

فهو يحتمل وجوهًا ثلاثة، أعني الإحسان. **أحدها** ما ذكر أنه يعمل له كأنه يراه، وذلك[1] فيما بينه وبين ربه.

[٤١٦و] **والثاني** فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يحب لهم كما يحب[2] لنفسه / فيما أُذن له في ذلك، أو تقول[3] على الإطلاق: يحب[4] لهم كما يحب[5] لنفسه. فإن عورض بالقتال والحروب[6] التي بيننا وبين أهل الحرب، وذلك بالذي[7] لا نحب[8] لأنفسنا ونحب[9] لهم. قيل: في ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدائم الأبدي، وذلك مما نحبه نحن لأنفسنا أن يسعى أحد في نجاة أحدنا من المهلكة. ألا ترى أنه قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[10] وليس في القتال[11] في الظاهر رحمة لكن في الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال على الإسلام، إذ[12] كان قبل نصب القتال والحروب معهم لم يسلم إلا قليل منهم، فلما نُصب الحروب معهم[13] والقتال دخلوا في الإسلام أفواجا أفواجًا فصار ذلك في الحقيقة رحمة وإن كان في رأي العين في الظاهر ليس برحمة.

و[**الثالث**] كذلك هذه المصائب والبلايا التي تحل بالخلق هي[14] في الحقيقة نعمة ورحمة، ولذلك[15] عدها وسماها بعض الناس نعمة[16] لما تَعقُب من الثواب والنعمة إذا[17] صبر عليها

---

[1] ع: ذلك.
[2] ع: يحبب.
[3] ع م: تقول.
[4] ع: يحبب.
[5] ع: يحبب.
[6] ك: بالحروب والقتال.
[7] ك: الذي.
[8] ع: نحبب.
[9] ع: بل نحب.
[10] سورة الأنبياء، ٢١/ ١٠٧.
[11] ع م – في القتال.
[12] ن ع م: إذا.
[13] ع – لم يسلم إلا قليل منهم فلما نصب الحروب معهم.
[14] ك – هي.
[15] ع: وكذلك.
[16] ع م – نعمة.
[17] م: إد.

ورأى ذلك منه حقا وعدلا[١] ورأى حال الضراء والسراء منه،[٢] فهو يَطِيب نفسه في جميع الأحوال التي[٣] تنصرف به من الشدة والضيق، إذا[٤] رأى [ذلك] نعمة لما تَعقُب من الخير والنفع في العاقبة. فمن هذه الجهة يجوز أن يقال: ذلك نعمة ورحمة، وأما في ظاهر الحال فلا. وذلك أن كل بلاء ينزل بأحد فصبر[٥] عليه كان في ذلك خصال أربعة. أحدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصي. والثاني معرفة العبودة وملك غيره عليه. والثالث ما يَعقُب من الثواب والنعيم[٦] الدائم. والرابع[٧] معرفة النعمة[٨] من الشدة، لأنه بالشدة[٩] يعرف النعم. وأما الإحسان إلى نفسه وهو أن يحفظها عما فيه هلاكها.

وقوله: **وينهى عن الفحشاء**، هو ما يَكبُر ويَفحُش[١٠] من الشيء، **والمنكر**، هو الشيء الغريب الذي لا يعرف، ألا ترى إلى قول إبراهيم: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[١١] سماهم منكرين لما لم يعرفهم، فالمنكر [هو] ما يَفعل مَن هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبًا، إذ لم يعرفوا بذلك، فذلك[١٢] منهم منكر.[١٣] والفحشاء ما يكون من[١٤] أهل الفساد والشرور، وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم. والبغي هو الظلم. ويحتمل أن يكون هذا كلُّه: المنكرُ والفحشاء والبغي، كلُّه واحدا:[١٥] الفحشاء هو المنكر، والفحشاء هو البغي، والمنكر هو الفحشاء والبغي. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **يعظكم**، قال بعضهم: أي ينهاكم عما ذكر كله، **لعلكم تَذَّكَّرون**، وتنتهون عنه. وقال بعضهم: والموعظة[١٦] هي التي تُلين القلوب القاسية وتَصرفها إلى طاعة الله، وقد ذكرنا.

---

[١] ك: عدلا وحقا.
[٢] م: عنه.
[٣] ع م - التي.
[٤] جميع النسخ: فإذا.
[٥] ن: فصار.
[٦] م: والنعم.
[٧] ع: والرافع.
[٨] ن ع م: النعم.
[٩] ع م - لأنه بالشدة.
[١٠] ع م: يفحش.
[١١] فلما جاء آل لوط المرسلون. قال إنكم قوم منكرون ﴾ (سورة الحجر، ١٥/٦١-٦٢).
[١٢] ع: لذلك.
[١٣] ع م - منكر.
[١٤] ع - من.
[١٥] ك ن م: وكله واحد؛ ع - كله المنكر والفحشاء والبغي كله واحدا.
[١٦] ع م: والموعظة.

**﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[٩١]

وقوله عز وجل: **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**، يحتمل أمره[١] بوفاء العهد[٢] العهودَ التي يعطي[٣] بعضهم لبعض، أمرهم بوفاء ذلك ونهاهم عن نقضها.[٤] ويَلزمهم وفاء عهد الله وإن لم يعاهدوا في ذلك. لكنه ذكر وفاء العهد إذا عاهدوا ونهى عن النقض، لأن ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما أعطوا على ذلك شرطا أقبح وأوحشُ مما[٥] لم يعاهدوا، وهو كقوله: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا،[٦] تركُ الوفاء ونقضه بعد قولهم: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، أوحش وأفحش من نقضه إذا لم يكن منهم[٧] عهد سابق وشرط متقدم. وهذا -والله أعلم- معنى أمره بوفاء العهد إذا عاهدوا، وإن كان وفاء العهد لازمًا لهم وإن لم يعاهدوا؛ إذ جعل الله البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام بذلك، كقوله:[٨] إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا،[٩] الآية، أي أبى خلقتهم وبنيتهم، أي لم يجعل خلقة هذه الأشياء وبنيتها بحيث[١٠] يحتمل ذلك، وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ، أي خلقته وبنيته تحتمل ذلك و[تقدر على][١١] القيام بها.

ويحتمل[١٢] أن يكون العهود التي أمر بوفائها إذا عاهدوا هي[١٣] الأيمانَ التي يُقْسِمون[١٤] بها حيث قال:

---

[١] ع م: أمرها.
[٢] ك: العهود.
[٣] ن ع: تعطى.
[٤] ن: بعضها.
[٥] ع م: ما.
[٦] سورة المائدة، ٥/٧.
[٧] ك ن: معهم، ع م: لهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.
[٨] ع: قوله.
[٩] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢).
[١٠] ع م - بحيث.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.
[١٢] ع م: وتحتمل.
[١٣] ع م: عنى.
[١٤] ع م: يقيمون.

**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها،** ذكر الأيمان ونهى[١] عن نقضها. ثم لا يحتمل أن يكون النهي عن النقض في الأيمان التي يأثم بها المرء إذا حلف[٢] لأنه نهى عن نقضها، ولو كان يأثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لأن الأيمان التي يأثم المرء بها[٣] إذا حلف[٤] يؤمر[٥] بنقضها، ولا[٦] يؤمر بوفاءها[٧] وحفظها. ثم ذكر فيه: **بعد توكيدها،** ولم يسغ[٨] نقض اليمين وإن لم يؤكدها إذا لم يكن[٩] في الوفاء بها إثم، لكنه ذكر التوكيد لأن النقض بعد ذلك أقبح وأفحش من النقض على غير التوكيد على ما ذكرنا[١٠] من القبح والفحش في نقض[١١] العهود بعد ما عاهدوا.

وقال بعضهم: قوله: **بعد توكيدها،** هو حَلْفُهم[١٢] بالله، لأن مشركي العرب كانوا لا يُقسمون[١٣] بالله إلا ما يعظم من الأمر ويَجِل،[١٤] وذلك آخر أقسامهم. ولذلك قال بعض أهل التأويل في قوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[١٥] يقول: جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، هو قَسَمُهم بالله.

وقوله عز وجل: **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا،** قيل: كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلاً عليهم. وقيل: الكفيل هو الشهيد الحافظ، وهكذا يؤخذ الكفيل فيما يؤخذ ليحفظ المال أو النفس.

وقوله عز وجل: **إن الله يعلم ما تفعلون،** / من الوفاء بما عاهدوا أو النقض.[١٦] ***والله أعلم.*** [٤١٦ظ]

---

[١] ك: أو ينهى.
[٢] ع: خلف.
[٣] ع م: بها المرء.
[٤] ع: خلف.
[٥] ع م – يؤمر.
[٦] ع م: او لا.
[٧] ع م: وفاءها.
[٨] ع م: ولم يسع.
[٩] ن – إذا لم يكن.
[١٠] ع م: ذكر.
[١١] ع م: بعض.
[١٢] ع: خلفهم.
[١٣] ع م: يقيمون.
[١٤] ن ع: يحل.
[١٥] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[١٦] ن: والنقض.

**﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [٩٢]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دَخَلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة.** اختلف في تأويل الآية، قال بعضهم: الآية نزلت في محالفة[١] أهل الكفر بعضهم بعضا، وهو أن يرث بعضهم بعضًا وينصر ويعين بعضهم بعضا،[٢] ويحلفون على ذلك ويُقسمون[٣] وإن[٤] هلكوا في ذلك، أي في نصر بعضهم بعضا وإعانة بعضهم بعضا.[٥] ثم إذا رأوا الكثرة والغلبة مع[٦] غير الذين حالفوهم[٧] نقضوا ذلك ورجعوا إلى الذين معهم الكثرة والغلبة؛ فنهوا عن ذلك. وقال بعضهم: الآية في الذين يكونون بعد رسول الله وأصحابه، لما علم أنه يكون خوارج وأهل اختلاف في الدين،[٨] فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على أهل العدل فنَهى مَن عاهد أهل العدل وبايعهم أن يترك[٩] بكثرتهم وغلبتهم الكون مع أهل العدل وإعانتهم ونقضَ ما عاهدوا، ولذلك قال: **إنما يبلوكم الله به،**[١٠] فهذا يدل أنه في أهل الإسلام. وقال بعضهم: الآية في أهل النفاق، إنهم كانوا يقسمون بالله أنهم ينصرون رسول الله وأصحابه ويقولون: إنا معكم، كقوله: وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ،[١١] الآية، كانوا يُرُون من أنفسهم الموافقة لهم والنصر والعون لهم على أعدائهم ويحلفون على ذلك، ثم إذا رأوو[١٢] الكثرة مع الكفرة والغلبة وقلةَ المؤمنين تحولوا[١٣] إلى أولئك ونقضوا أيمانهم وكانوا معهم، كقوله: فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ، الآية.[١٤]

---

١ ن ع م: مخالفة.
٢ ع - وينصر ويعين بعضهم بعضا.
٣ ع م: يقيمون.
٤ ع م: فإن.
٥ ع م - وإعانة بعضهم بعضا.
٦ ك: من.
٧ ن: خالفوهم، ع م: خالفوا.
٨ ع: الذين.
٩ ع م: ترك.
١٠ جميع النسخ + وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.
١١ ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقون﴾ (سورة التوبة، ٥٦/٩).
١٢ ع م: أراد.
١٣ م: تحولو.
١٤ ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٤١).

ويحتمل قوله: **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة**، أي لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمرأة التي تنقض غزلها من بعد قوة. وجائز أن يكون غير هذا، يقول: ولا تظنوا في الله أنه يكون في إنشاء الخلق كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، فلو لم يكن بعثٌ لكان يكون في إنشاء الخلق كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، وقد عرفتم قبح ذلك، فعلى ذلك إنشاء الخلق إذا لم يكن بعث يكون في القبح ما ذكر.

ثم ضَرَب الله مَثَل من أعطى العهد والمواثيق ووكد[١] الأيمان في ذلك ثم نقض ذلك بامرأة تَغزِل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة أنكاثا. يقول -والله أعلم- كما لم تنتفع[٢] هذه المرأة بغزلها إذا نقضت من بعد إبرامها[٣] إياه، كذلك لا تنتفع[٤] ولا يوثَق بمن[٥] أعطى العهد ثم نقض. يقول: فلا هي تركت الغزل تنتفع[٦] به ولا هي تركت القُطن والكَتّان كما هو، فكذلك الذي يعطي العهد ثم ينقضه؛ فلا هو حين أعطاه وَفَى به[٧] ولا هو ترك العهد[٨] فلم يعطه ونحوه.

ثم اختلف في تلك المرأة، قال بعضهم: هي امرأة من قريش حمقاء بمكة كانت إذا غزلت نقضت. وقال بعضهم: هذا على التمثيل، يقول -والله أعلم- أي لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أَحْمَقَ هذه! فعلى ذلك من أعطى العهد والميثاق ثم نقض فهو كذلك.

وقوله عز وجل: **تتخذون أيمانكم دَخَلا بينكم**، قال أبو بكر الأصم: الدَّخَل الذي لا يصح ولا يستقيم، يقال: هذا مدخول، أي غير صحيح. وقال غيره: **دخلا**، أي خديعة ومكرا، يخدع بعضكم بعضًا، وهو قول أبي عَوسَجَة أيضًا. وقال القُتبي: **دخلا بينكم**، أي خيانة ودَغَلاً[٩] بينكم. **أن تكون أمة**، أي فريق أربى من فريق.[١٠] وقال أبو عَوسَجَة: **أنكاثا**، هي جمع نِكْث، والنِكث من الحبل خيوط تنكث ثم تُطرَق وتصير صوفا ثم من[١١] بعد ذلك تُفتَل.

---

[١] ن: وكذا.
[٢] م: لم تنفع.
[٣] ن: إمرامها.
[٤] م: لا تنفع.
[٥] ن: من.
[٦] م: تنفع.
[٧] م: وفاته.
[٨] ع م – العهد.
[٩] جميع النسخ: وغلا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ. الدَّغَل: الفساد مثل الدخل (*لسان العرب*، «دغل»).
[١٠] انظر لقول القتبي: *لسان العرب*، «دحل».
[١١] ع – من.

قال: والمِطرَق قضيب يضرب به[1] الصوف حتى يَنفُش ويلين كما يُندَف القطن، يقال: طرَقت الصوف أطرُقه طَرْقا، أي ضربته. ويقال: نَفَشتُه أنفُشه نَفْشا، أي فرّقت بينه[2] فتفرق، ومنه قوله: كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ.[3] ويقال: حبل مُثَنًّى، إذا كان ذا طاقين، ومَثلوث ومَربوع ومَخموس ومسدوس ومسبوع ومثمون ومتسوع[4] ومعشور. وقال القُتبي: "الأنكاث ما نُقض من غزل الشعر وغيره، واحدها نِكْثٌ. يقول: لا تؤكّدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتَحْنَثوا فتكونوا[5] كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك [النسج] فجعلته أنكاثا."[6] *والله أعلم*.

**﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٣]**

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، قال الحسن: **ولو شاء الله**، المشيئة ههنا مشيئة الجبر والقسر،[7] أي لو شاء لجبرهم وقهرهم على الإيمان فآمنوا جميعا. فهذا فاسد لأنه لا يكون بالقهر والجبر إيمان، لأنه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر، فيبطل تأويله إذ لا يجوز أن يثبت[8] إيمان في تلك الحال. وقال أبو بكر [الأصم]: تأويله[9] لو شاء الله[10] لأنزل لهم آية حتى يؤمنوا جميعا لتلك الآية، كقوله: إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[11] أخبر أنه لو أنزل آية يكونون[12] لها خاضعين. لكن عندنا [معناه][13] أنهم ليسوا يؤمنون ويخضعون[14] للآية ولكن بما شاء لهم ذلك، ولا يحتمل أن تحملهم الآية على الإيمان شاءوا أو أبوا، ألا ترى أنهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الآيات

[1] ن: فيه.
[2] ك – بينه.
[3] ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ٥/١٠١).
[4] ع م – ومتسوع.
[5] ن ع م: فتكون.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٨.
[7] ع م: القهر والقسر.
[8] ن ع م: ثبت.
[9] ع م + قوله.
[10] ك ن م – الله.
[11] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[12] ع م: يكون.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.
[14] ن – ويخضعون.

وهو قوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ، إلى قوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١] أخبر أنهم يكذبون وقد عاينوا الآيات، وليست الآية التي تنزل / عليهم في الدنيا [٤١٧و] بأعظم من الآيات التي[٢] يعاينونها يوم القيامة، ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب. دل أن الآية ليست تحملهم على الإيمان ولا تضطرهم عليه ولكن لو شاء لآمنوا بالاختيار فيبطل تأويله.

ثم الآية تحتمل[٣] عندنا وجهين. أحدهما قوله: **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، بظاهر السبب[٤] الذي إذا أعطاهم لآمنوا له، كقوله:[٥] وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[٦] الآية، أخبر أنه لولا ما[٧] يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم وإلا جعل سُقُف أهل الكفر ومعارجهم من فضة. فلو أنه جعل ذلك بعينه لأهل الإسلام وفي أيديهم لآمنوا أيضا كلهم؛ لأنه لا يحتمل أن يكون[٨] ذلك في أيدي الكفرة فيحمل أهلَ الإسلام على الكفر وإذا كان ذلك بعينه لأهل الإسلام[٩] [وفي أيديهم][١٠] فلا يحمل[١١] أهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الإسلام.

والوجه الثاني، لو شاء[١٢] لجعلهم أمة واحدة بلطف منه، يشرح صدر[١٣] [كل واحد منهم] للإسلام من غير أن يُعلَم أن أحدا ألقى ذلك في قلبه، من نحو ما مكّن للشيطان عدوِّ الله حتى يَقذِفَ في قلوب الخلق ويُلقِيَ وساوسَ من غير أن يعلموا أن أحدا دعا إلى ذلك أو ألقى[١٤] في قلوبهم.[١٥]

---

[١] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعُمون. ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٢-٢٣).

[٢] م - التي.

[٣] ن: يحتمل.

[٤] ع م: السبت.

[٥] ع م - كقوله.

[٦] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣).

[٧] ن ع م: لوما.

[٨] م + الناس.

[٩] ن - وفي أيديهم لآمنوا أيضا كلهم لأنه لا يحتمل أن يكون الناس ذلك في أيدي الكفرة فيحمل أهل الإسلام على الكفر وإذا كان ذلك بعينه لأهل الإسلام.

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.

[١١] جميع النسخ: لا يحمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.

[١٢] ن + الله.

[١٣] جميع النسخ: صدره.

[١٤] ن: وألقى.

[١٥] ع م: إلى قلوبهم.

ألا ترى أن إبليس لما وسوس إلى آدم عليه السلام ليتناول من الشجرة التي نهى عنها[1] ربه، لو علم أنه إبليس لما أجابه، وكذلك ما مكّن للملائكة[2] من تثبيت قلوب الذين آمنوا وإلقاء أشياء في قلوبهم ويلهمونهم، وهو قوله:[3] إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[4] من غير أن يعلموا أن[5] أحدا دعاهم إلى ذلك أو ألقى أحد ذلك في قلوبهم. فمن مَلَكَ[6] تمكين عدوه وملائكته على ما ذكرنا يملك شرح الصدر للإسلام[7] والدعاء إلى ذلك من غير أن يعلموا أن أحدا فعل[8] ذلك.

وقوله[9] عز وجل: **ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء**، على قول الحسن على الحكم لذلك.[10] وقال أبو بكر[11] الأصم:[12] **يضل** بالنهي من نهي، **ويهدي**[13] بالأمر، لكن هذا فاسد لأنه لو كان بالنهي مضلا وبالأمر هاديًا لكان مضلا للأنبياء والرسل، لأنه قد نهاهم بمناهي فيكون مضلا لهم.

فإن قيل: لم يصر ما ذكرت، لأنهم لم يرتكبوا المناهي.

قيل: الارتكاب فعلهم، فلا يحتمل أن يكون بفعلهم ذلك، فدل أن ما ذكر[14] فاسد، وعلى قولهم يكون بالنهي عاصيا مضلا. وعندنا قوله: **يضل من يشاء**، أي يخلق فعل الضلال منهم، أو **يضل** من علم أنه يختار الضلال على الهدي ويخذلهم.[15]

وقوله عز وجل: **ولتسألن عما كنتم تعملون**، هو ظاهر.

---

[1] ع م: عنه.

[2] ع: لملائكة.

[3] ك: كقوله.

[4] ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ (سورة الأنفال، ١٢/٨).

[5] ع م – أن.

[6] ن – فمن ملك.

[7] ع: للأم.

[8] ع: دل.

[9] ك – وقوله.

[10] «قال الحسن: أي يحكم بالضلال لمن يشاء ويحكم بالهدى لمن يشاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤٤ظ).

[11] ك – أبو بكر.

[12] ن ع م – الأصم.

[13] ك: هدي.

[14] ع م: ذكرنا.

[15] ع م: ويحذلهم.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٩٤]

وقوله: **ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم**، قد ذكرنا ذلك.[١] وقوله عز وجل: **فتزل قدم بعد ثبوتها**، قال أبو بكر [الأصم]: دل قوله: **فتزل قدم بعد ثبوتها**، أن الآيات[٢] التي تقدم ذكرها في أهل الإسلام، لأنه أخبر أنه تزِلّ[٣] قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الإسلام. وعندنا ما ذكرنا أن قوله: **فتزل قدم**، بالخوف **بعد ثبوتها**، أي[٤] بعد ما كانوا آمنين، لأنهم بإيمانهم كانوا يأمنون، وبنقضهم[٥] العهد والأيمان يخافون، فيكون قوله: **فتزل قدم** كنايةً عن الخوف، والثبوت كناية عن الأمن، أي صاروا خائفين بنقضهم العهود والأيمان بعد ما كانوا آمنين بها.[٦] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتذوق السوء بما صددتم عن سبيل الله**، على هذا التأويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر، ويحتمل في الآخرة بما صدوا الناس عن دين الله واستبدلوا به الكفر بعد الإيمان، **ولكم عذاب عظيم**.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلا**، قال بعضهم: عهد الله دين الله، وقال بعضهم: عهد الله الذي عهد إليهم. ويحتمل عهد الله ما أَعطَوا من العهد والأيمان، أي [لا] تنقضوها[٧] بشيء يسير.

**إنما عند الله هو خير لكم**، لأنه[٨] دائم باقٍ وهذا زائل فانٍ، أو ما[٩] يجزي بوفاء ما عهدتم[١٠] خير لكم من هذا، أي [ما] يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره. *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م - ذلك. وهو في تأويل الآية السابقة.
[٢] ع: الآية.
[٣] ع: نزل.
[٤] ع م: أو.
[٥] ن ع: وتنفضهم.
[٦] ع م - بها.
[٧] ك ن م: ينقضوها.
[٨] ع م - لأنه.
[٩] ن: وما.
[١٠] جميع النسخ: عهدوا.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **ما عندكم ينفد وما عند الله باق**، أي ما أخذتم من الأموال واكتسبتم بنقض العهود والأيمان ينفد ويفنى، وما عند الله من الجزاء والثواب بوفاء العهد[١] باقٍ.

**ولنجزين الذين صبروا أجرهم**، يحتمل قوله: **صبروا**،[٢] على ما أمروا به[٣] ونهوا عنه، وصبروا على وفاء العهد، **بأحسن ما كانوا يعملون**، يحتمل قوله: **بأحسن**، أي الجزاء الذي نجزيهم[٤] على الصبر أحسن من وفاء العهد، أو نجزيهم[٥] بأحسن[٦] ما عملوا، أي نجعل سيئاتهم حسناتٍ، كقوله: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،[٧] وقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[٨] *والله أعلم*.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**، اختلف أهل التأويل في قوله:[٩] **فلنحيينه حياة طيبة**، قال بعضهم: قوله: **حياة طيبة**، في الآخرة وهي الجنة، وقال بعضهم:[١٠] **حياة طيبة**، في الدنيا. فمن قال: الحياة الطيبة هي الجنة في الآخرة يكون تأويله: من يكن عمله في الدنيا صالحًا فليحيينه[١١] الله في الآخرة حياة طيبة، وإلا ظاهر قوله: **من عمل صالحا**، إنما هو [يقع][١٢] على عمل واحد. وكذلك قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[١٣]

---

[١] ن ع م: بعهد الوفاء.
[٢] ع م – صبروا.
[٣] ك – به.
[٤] ع: يجزيهم.
[٥] ع: يجزيهم.
[٦] ن – من وفاء العهد أو نجزيهم بأحسن.
[٧] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).
[٨] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[٩] م – في قوله.
[١٠] ع – اختلف أهل التأويل في قوله فلنحيينه حياة طيبة قال بعضهم قوله حياة طيبة في الآخرة وهي الجنة وقال بعضهم.
[١١] ع م: فلنحيينه.
[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٥و.
[١٣] ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (سورة البقرة، ٢٠١/٢).

ظاهره[١] على حسنة واحدة. لكن الوجه فيه ما ذكرنا: من يكن عمله في الدنيا صالحًا فيفعل[٢] ما ذكر. وقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا / حَسَنَةً، أي ما تؤتينا في الدنيا آتنا[٣] حسنة. أو أن يكون [٤١٧ظ] على الختم[٤] به،[٥] أي من خُتِم بالعمل الصالح فيحييه الله حياة طيبة في الجنة، كقوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ كذا.[٦] وقال الحسن: الحياة الطيبة هي الجنة لأن في الدنيا ما ينغّص حياته. وقال بعضهم: الحياة الطيبة في الدنيا؛ فتأويله: من يكن همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حياة [طيبة]، أي نوفقه ونيسره للخيرات[٧] والعمل الصالح والطاعات، وهو ما روي أنه قال: «كلٌّ مُيَسَّر لِما خُلِقَ له»،[٨] وكقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،[٩] وكقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[١٠] ونحوه، فذلك هو الحياة الطيبة في الدنيا حيث يُيَسِّر عليه العمل الصالح ووُفِّق للطاعات والخيرات. وقال بعضهم: قوله: **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى**، أي قنع في الدنيا بما قسم الله له[١١] ورزقه ورضي به **فلنحيينه** في الدنيا،[١٢] **حياة طيبة** بما أزال[١٣] عنه همّ طلب الفضل وغمّه وذلة حرصه عليه، لأن أكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا[١٤] به، فهو يحيى حيوة طيبة لما عصم عن ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولنجزينهم**، أي في الآخرة، **بأحسن ما كانوا يعملون**، على تأويل من قال: الحياة الطيبة في الدنيا. وقال بعضهم وهو قول أبي بكر [الأصم]: **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**،

---

١ ك: ظاهرة.
٢ أي الله.
٣ م – آتنا. أي ربّنا ما تعطه إيانا في الدنيا من الأعمال والأموال فأعطه حسنة لا سيئة.
٤ ع: الختم.
٥ ن – به.
٦ ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مثلَها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
٧ ع م: الخيرات.
٨ ن ع م – له. *صحيح البخاري*، التفسير ٩٢/٣-٥، ٧، الأدب ١٢٠، القدر ٤، التوحيد ٥٤؛ و*صحيح مسلم*، القدر ٦-٨.
٩ سورة الليل، ٩٢/٥-٧.
١٠ ك + الآية. سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
١١ ن – له.
١٢ ن – في الدنيا.
١٣ م: زال.
١٤ ع: يصنعوا.

في الدنيا ما ذكر هؤلاء. وقال بعضهم: **حياةً طيبة**، الرزق الحلال، وقوله: **بأحسن ما كانوا يعملون**، قد[1] ذكرنا.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**، وقال في آية أخرى: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ، [2] وقال في آية أخرى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[3] الآية، فيجب أن يتعوذ[4] من همزاته على ما أمر رسوله؛ أو عند نزغ الشيطان على ما ذكر، لكنه إذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزغاته.[5]

فإن قيل: كيف خص قراءة القرآن بالتعوذ منه دون غيره من الأذكار والعبادات والأعمال الصالحة؟[6]

قيل: قد يتعوذ منه[7] في غيره من العبادات والأذكار بقولهم: بسم الله؛ إذ لا يفتتح شيء إلا به، فذلك تعوذهم منه. لكن التعوذ في هذا تعوذ بكناية،[8] والتعوذ في قراءة القرآن بالتصريح، وذلك أنه حجة وبرهان، فطعنُ الأعداء فيما هو حجة في نفسه أكثر من الأفعال التي فعلوها. ألا ترى أنه كان يلقن[9] -أعني الشيطان- أولياءه أنه سحر، وأنه أساطير الأولين، وأنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ[10] ونحوه. وقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[11] كانوا يطلبون الطعن في القرآن، لأنه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن فعل من الأفعال أو ذكر من الأذكار، فعلى ذلك يجوز أن يكون التعوذ منه فيما هو حجة بالتصريح وفي غيره بكناية.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: وقد.
[2] ك ن ع + من الشيطان الرجيم. سورة فصلت، ٣٦/٤١.
[3] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[4] ك: نتعوذ.
[5] ع: ونزاعاته.
[6] ع: صالحات.
[7] ن + أيضًا؛ ع م + دون غيره أيضًا.
[8] ع: بكتاية.
[9] ك ع م: يلقنهم؛ ن: بلغتهم.
[10] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦).
[11] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[12] ع: بكتاية.

ثم في هذه الآية[١] وفي غيرها من قوله: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ،[٢] وقوله: **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**، لم يفهم أهلها منها على ظاهر المخرَج ولكن فهموا على مخرج الحكمة، لأن ظاهر المخرج أن يفهم التعوذ بعد فراغه من القراءة، وكذلك يفهم من الأمر بالقيام إلى[٣] الصلاة الوضوء بعد القيام إليه، ثم لم[٤] يفهموا في هذا ونحوه هذا ولكن فهموا: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، وكذلك فهموا من قوله: إِذَا قُمْتُمْ، أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا كذا، ولم يفهموا كل قيام، إنما فهموا قيامًا دون قيام، أي إذا[٥] أردتم[٦] القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون، وفهموا من قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ،[٧] وفهموا من قوله: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا،[٨] وكذلك فهموا من قوله: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ،[٩] الفراغ منها. دل أن الخطاب لا يوجب المراد [منه] والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى.

وأصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا**، قال بعضهم: ليس له سبيل على الذين آمنوا. وقال بعضهم: السلطان الحجة، أي ليس له حجة على الذين آمنوا. وقال بعضهم: أي ليس له مُلْكٌ على الذين آمنوا، ملك القهر والغلبة، إنما ملكه على الذين يتولَّونه. لكن ليس له ملك القهر على الذين يتولونه أيضا، إنما يتبعونه[١٠] ويطيعونه بإشارات منه طوعا.

---

[١] أي في قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾، أو في قوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾.

[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ (سورة المائدة، ٦/٥).

[٣] ن + القيام.

[٤] م – لم.

[٥] م: إذ.

[٦] ع م – أردتم.

[٧] سورة الجمعة، ١٠/٦٢.

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث﴾ (سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣).

[٩] ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذِكْرا﴾ (سورة البقرة، ٢٠٠/٢).

[١٠] م: يتبعون.

فدل أن تأويل الملك لا يصح في السلطان، ويكون تأويله السبيل أو الحجة. ثم يحتمل قوله: [إنه] **ليس له سلطان على الذين آمنوا**، بالقرآن لأنه ذكر على أثر ذكر القرآن. ويحتمل **الذين آمنوا**، بربهم فهما واحد في الحاصل.

[٤١٧ظ س٣٨] * والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الأمر إليه في كل حال: في حال[1] السراء والضراء

٤١٧ظ س٣٩] وفي وقت الضِّيق والسَّعة فذلك التوكل به.*

**﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾**[١٠٠]

**إنما سلطانه**، حجته أو سبيله، **على الذين [يتولّونه**، أي] يتخذونه وليًا فيطيعونه في كل أمره وجميع إشاراته وما يُلقِي[3] إليهم. وأصله: [إِنَّهُ] لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ،[4] في جميع أحوالهم[5] وساعاتهم، أي لا سلطان له ولا سبيل على من آمن به[6] وتوكل عليه.

وقوله عز وجل: **والذين هم به مشركون**، يحتمل قوله: **به مشركون**،[7] إبليس، يتبعونه ويعدلون بربهم. ويحتمل: **به مشركون**، بربهم.[8]

**﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٠١]

وقوله عز وجل: **وإذا بدلنا آية مكان آية**، الآية[9] تحتمل[10] وجهين. أحدهما ما قاله أهل التأويل

[٤١٨و] على التناسخ: أن يبدل / آية مكان آية، وهو على تبديل حكم آية بحكم آية أخرى لا على رفع عينها. والثاني قوله: **وإذا بدلنا آية مكان آية**،[11] أي بدلنا وجددنا[12] حجة بعد حجة وآية بعد آية لرسالته،

---

[1] ع م – في حال.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٧ظ/سطر ٣٨-٣٩.

[3] ن ع م: وما يلقون.

[4] الآية السابقة.

[5] ن: أموالهم.

[6] م – به.

[7] م – يحتمل قوله به مشركون.

[8] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٩ظ/سطر ٣٨-٣٩.

[9] ن + الآية.

[10] ن ع م: يحتمل.

[11] ع م – مكان آية.

[12] ع م – وجددنا.

**قالوا إنما أنت مفتر**، كلما آتاهم حجة على أثر حجة وآية بعد آية يقولون:[١] **إنما أنت مفتر**، ينسبون إليه الافتراء أنه هو[٢] افترى. وكذلك كانت[٣] عادتهم المعاندة والمكابرة، كقوله: وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ،[٤] وكقوله: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ،[٥] ونحوه من الآيات، كلما[٦] أتي بهم حجة وآية بعد آية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبة رسول الله إلى الافتراء من نفسه فيزداد[٧] لهم بذلك كفرا، وهو ما قال:[٨] وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٩] أخبر أنه كان[١٠] يزداد لأهل الإيمان بما ينزل عليهم من سورة إيمانا ويزداد لأهل الشرك رجسًا وكفرًا إلى كفرهم مثل هذا. ***والله أعلم***.[١١]

ولو كان يحتمل أن يكون حرف "إذا" مكان "لو" لكان أقرب، ويكون تأويله: ولو أنزلنا حجة بعد حجة وآية على أثر آية جديدةً فما آمنوا، كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[١٢] وكقوله: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ،[١٣] الآية، أي لو أن هذا القرآن قرآن[١٤] سُيّرت به الجبال أو كُلّم به الموتى فما آمنوا به لعنادهم، فعلى ذلك الأول. ويحتمل قوله: **وإذا بدلنا آية مكان آية**، أي[١٥] إذا بدلنا آية بالسؤال مكان آية قالوا: **إنما أنت مفتر**.

---

[١] ك: ويقولون.
[٢] ع م - هو.
[٣] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[٤] سورة الأنعام، ٤/٦.
[٥] سورة الأنبياء، ٢/٢١.
[٦] ك: فكلما.
[٧] جميع النسخ: ويزداد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[٨] ع - وهو ما قال.
[٩] سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥.
[١٠] ن - كان.
[١١] ك - والله أعلم.
[١٢] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[١٣] ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قُطِعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾ (سورة الرعد، ٣١/١٣).
[١٤] م - قرآن.
[١٥] ع م - أي.

وقوله عز وجل: **والله أعلم بما ينزل**، يحتمل قوله: **والله أعلم بما يُنزَل**، ما[1] به صلاحهم وغير صلاحهم. أو أن يكون: **والله أعلم بما ينزل**،[2] من تثبيت قلوب الذين آمنوا، كقوله: لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا.[3] أو أن يكون: **والله أعلم بما ينزل**، جبريل على رسوله جوابًا لقولهم: **إنما أنت مفتر**، وكقوله: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ،[4] أي ليس بمفتر ولكن نزله جبريل من ربه.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **قل نزله روح القدس من ربك بالحق**، يحتمل قوله: **بالحق**،[5] أي بالحق الذي لله[6] عليهم، أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. والحق في الأقوال هو الصدق، وفي الأفعال صواب ورشد، وفي الأحكام عدل وإصابة؛ والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله.

وقوله عز وجل: **ليثبت الذين آمنوا**، هذا تفسير قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[7] الآية،[8] لأنه أخبر أنه أنزله[9] ليثبت الذين آمنوا، فما ذكر[10] من زيادة الإيمان هو التثبيت[11] الذي ذَكَر ههنا [من] قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وذكر قوله: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ،[12] مقابل قوله: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[13] ليعلم أن الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكر ههنا من التثبيت[14] والطمأنينة ونحوه.

---

[1] ع م – ما.

[2] ك – يحتمل قوله والله أعلم بما ينزل ما به صلاحهم وغير صلاحهم أو أن يكون والله أعلم بما ينزل.

[3] من الآية التالية.

[4] الآية التالية.

[5] ك ن – بالحق.

[6] ع م – لله.

[7] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[8] ك ن ع – الآية.

[9] ع م – أنزله.

[10] م: فاذكر.

[11] ك: لتثبيت.

[12] الآية السابقة.

[13] ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٥/٩).

[14] ك: التثبت.

وقوله عز وجل: **وهدى وبشرى للمسلمين**، أي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض لهم، أو من الضلالة. **وبشرى للمسلمين**، وقال في آية أخرى: وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ،[١] ليعلم أن الإيمان والإسلام واحد.

**﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾**[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**، هم لم يقولوا: **إنما يعلمه بشر**، ولكن كانوا يَنُصُّون واحدا فلانا، لكن الخبر من الله على ذكر البشر، ألا ترى أنه أخبر أنَّ **لسانُ الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**، دل أن البشر الذي أخبر عنهم أنهم يقولون: إنه يعلمه كان منصوصًا عليه مشارا[٢] إليه حيث قال: لسانُ هذا أعجميّ ولسان النبي عربي، فكيف فهم هذا عن هذا وهذا من هذا، ولسان هذا غير لسان هذا؟ وما قاله أهل التأويل: إنه كان يجلس إلى غلام يقال له كذا وهو يهودي يقرأ التوراة فيستمع إلى قراءته وكان يعلّمه الإسلام حتى أسلم فعند ذلك قالت له قريش: **إنما يعلّمه بشر**. ولو كان ما ذكروا أنه كان يعلمه الإسلام فأسلم[٣] فلقائل أن يقول: كيف فهم ذلك الرجل[٤] من[٥] لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه غير لسانه على ما أخبر؟ لكن يحتمل أن يكون ذلك[٦] في القرآن حيث **قالوا**: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ،[٧] ثم يقولون: **إنما يعلّمه بشر**، فيقول -والله أعلم- إنه كيف علمه هذا القرآن وهو لا يفهم من لسانه إلا يسيرًا منه، فأنتم لسانكم عربي لا تقدرون أن تأتوا بمثله ولا بسورة من مثلها ولا بآية منه،[٨] فكيف قدر على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه؟ يخرج ذلك على الاحتجاج عليهم.

---

[١] ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (سورة يونس، ٥٧/١٠).
[٢] ع م: مشار.
[٣] ع - فأسلم.
[٤] ن - الرجل.
[٥] جميع النسخ: منه.
[٦] ن - ذلك.
[٧] ن + إنما يعلمه. سورة النحل، ١٠١/١٦.
[٨] ع م - منه.

وبعدُ فإن في قولهم ظاهرَ التناقض لأنهم قالوا: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ، ثم قالوا: **إنما يعلّمه بشر**،
[٤١٨و س٣٩ فالذي علمه غيره ليس بمفترٍ،[١] إنما يكون الافتراء من ذات نفسه، فهو ظاهر التناقض. *وقوله:[٢]
[٤١٨ظ] **يلحدون إليه**، قال بعضهم: يميلون إليه / وهو قول أبي عَوسَجَة والقُتبي قالوا: الإلحاد الميل،[٣]
٤١٨ظ س٢] ولذلك سمي اللَّحد لَحدًا لميله إلى ناحية القبر. وقال الكسائي: هو من الركون إليه، أي[٤] يركنون.*

وقوله عز وجل: **عربي مبين**، يحتمل: **مبين**،[٦] ما لهم وما عليهم، أو **مبين**، للحقوق[٧] التي لله عليهم وما لبعضهم على بعض، أو **مبين**، أي بيّن أنه من عند الله نزل ليس بمفترٍ. وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم لأنهم يقولون: إن رسول الله هو الذي ألّف هذا القرآن بلسانه و لم ينزل[٨] الله عليه بهذا اللسان. فلو كان على ما ذكروا لكان[٩] لأولئك ادعاءُ ما ادّعَوا على رسول الله من الافتراء [أنه] ألف هذا القرآن بلسانه.[١٠]*

**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله**، قال الحسن: إنه –والله [أعلم]– من كذب بآيات الله فهو ليس بمهتد عند الله. وقال أبو بكر الأصم:[١١] **لا يهديهم الله**، بتكذيبهم الآيات. فهو كله خيال على كل من يُشكل ويَخفى [عليه] أن من كذّب بآيات الله فهو غير مهتد، ومن يظن هذا؟ وقول أبي بكر أيضًا: من يتوهم أن من كذب بآيات الله أنه يهديه، هذا فاسد خيال كله. وأصله عندنا قوله: **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم**[١٢] **الله**،[١٣]

---

[١] م: بمفترى.
[٢] ك ع م: قوله.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٩.
[٤] ع – أي.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٨و /سطر ٣٩ – ٤١٨ظ/سطر ٢.
[٦] م – يحتمل مبين.
[٧] ع: لحقوق.
[٨] ع: أو ينزل.
[٩] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[١٠] ك ن م – ألف هذا القرآن بلسانه.
* وقع هنا مقطع متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٤١٨و/سطر ٣٩ – ٤١٨ظ/سطر ٢.
[١١] ك ن ع – الأصم.
[١٢] ك – لا يهديهم.
[١٣] ك ع م – الله.

لعنادهم[١] ومكابرتهم، لأنهم كانوا يعاندون آيات[٢] الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم أنها آيات وأنها حق. أو قال ذلك لقوم علم أنهم لا يؤمنون ويموتون عليه، فمن علم[٣] أنه لا يؤمن لا يهديه.

**﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**، لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها، **وأولئك**، الذين كذبوها **هم الكاذبون**.

**﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[١٠٦]

وقوله عز وجل: **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**، قوله: **من كفر بالله من بعد إيمانه**، يحتمل وجهين حيث ذكر: **من كفر بالله**. أحدهما كفر بالله في زعم المكرِه لأنه أكرهه به؛ ففي زعمه [هو] كافر بالله لطلبه ذلك منه، وهو كقوله: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[٤] في زعمهم، لأنهم لم يكونوا آلهة، وكقوله: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ،[٥] سماه إلها لأنه في زعم السامري إله. والثاني **من كفر بالله**، شارحًا صدره بالكفر هو الكافر به، وأما من أظهر الكفر بلسانه بالإكراه وقلبه معتقد بالإيمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس بكافر.

وأصله أن من اعتقد مذهبًا ودينا إنما[٦] يعتقده بخصال ثلاث. أحدها يقلّد آخر لما رآه أبصر وأحذق[٧] وأعلمَ فيه، وهو لا يبلغ ذلك فيقلده لفضل بصره وعلمه فيه ورأيه. والثاني يعتقد للشبهة لما يتراءى عنده أنه الحق فيعتقده لذلك الشبهة[٨] التي ذكرنا. والثالث يعتقد لما[٩] يتضح له الحق فيعتقده.

---

[١] ن: لعبادتهم.
[٢] ك: بآيات.
[٣] ن ع م + منه.
[٤] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
[٥] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِسَاسَ وإن لك مَوعِدا لن تُخلَفَه وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفا لَنُحَرِّقَنَّه ثم لَنَنسِفَنَّه في اليمّ نَسفا﴾ (سورة طه، ٩٧/٢٠).
[٦] جميع النسخ: إنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[٧] ك ع م: واحد، ن: واحد واحد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[٨] جميع النسخ: لذلك للشبهة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[٩] ع م – يعتقد لما.

فلهذه الوجوه الثلاثة يعتقد من يعتقد دينًا أو مذهبًا. فأما أن يعتقد الإنسان مذهبًا مجانا على الجُزاف فلا.[١] فإذا[٢] كان إظهار كفر هذا لإكراه من أكرهه لم يصر كافرا. وأصله أن الإيمان والكفر إنما يكونان بالاختيار، فالإكراه يزيل الاختيار[٣] اختيارَ الكفر، لذلك[٤] يبقى على الإيمان على ما كان لما لم يوجد منه اختيار الكفر.

فإن قيل: أليس أمرنا أن نقاتل أهل الكفر ليسلموا وذلك إسلام بإكراه[٥] وعلى ذلك نطق الكتاب وهو قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ،[٦] وقال رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».[٨] ثم إذا أسلم لخوف السيف كان إسلامه إسلامًا في الظاهر، ما منع كذلك أنه إذا[٩] أُكره على الكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه كان كفره كفرًا في الظاهر فيُحكَم بحكمه[١٠] كما حكم في الإسلام على الإكراه، فما[١١] الفرق فيه؟

قيل: كذلك كان يجيء، إلا أن الله تعالى عفى عباده عن ذلك فأبقاهم على الإيمان وحكمه وإن أظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد أن تكون قلوبهم مطمئنة بذلك، فضلاً منه ونعمة، وإلا القياس أن يُحكَم بحكم الكفر إذا تكلم بكلام الكفر. وأما الطلاق والعتاق والنكاح ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به عامل واقع، لأن[١٢] الطلاق والعتاق ونحوهما مما تعلّق بالكلام نفسه لا غيره،[١٣] فهو[١٤] وإن أُكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد[١٥] له، لأن المكرِه لو أحب أن يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكر ما قدر عليه، دل أنه على الاختيار يتكلم.

---

[١] ع م: فلانا.
[٢] م: إذا.
[٣] ع – فالإكراه يزيل الاختيار.
[٤] ك ن + كان.
[٥] ن: بإكره.
[٦] ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦).
[٧] ك – رسول الله.
[٨] *صحيح البخاري*، الإيمان ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
[٩] ن: إذ.
[١٠] ع م: بحكم.
[١١] ك ن: وما.
[١٢] ك ن: ولأن.
[١٣] ن: غير.
[١٤] ن – فهو.
[١٥] ع: قاصدا.

وأما البيع والشراء ونحوه لم[١] يتعلق بالكلام نفسه، إذ قد يكون بالأخذ والتسليم دون التكلم به، لذلك عَمِل[٢] الإكراه في إبطاله. [وأما المكرَه على الكفر] فأبقاهم على الإيمان وحكمه وإن أظهر بلسانه كلام الكفر بعد أن يكون قلبه مطمئنا بذلك. وعلى ذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عفي[٣] عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه»،[٤] وذلك في الكفر ليس في غيره، لأن الإكراه على الكفر كان ظاهرًا يومئذ ولم يكن في غيره من طلاق وغيره.

وأما قتالنا إياهم ليسلموا فهو يحتمل [على] وجهين.[٥] [الأول] على المجازاة، كقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾،[٦] فنقاتلهم[٧] ليُظهروا[٨] الإسلام، وإن لم نعرف[٩] حقيقته، على المجازاة.

والثاني قَبِلْنا منهم الإسلام على الإكراه لِنُقِرّهم[١٠] فيما بين المسلمين فيرون الإسلام ويتعلمون[١١] منهم حقيقته. ألا ترى أنه قال: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾،[١٢] سماهن مؤمنات ثم أمرنا بامتحانهن بقوله: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾، فإنما يمتحنّ[١٣] لتظهر[١٤] حقيقة إيمانهن، وإلا لم يكن[١٥] للامتحان معنى لولا ذلك. وأصله أن الله جعل حقيقة الإيمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح، لأن غيره من الجوارح يجوز استعمالها بالإكراه. وأما القلب فإنه لا يملك أحد سواه استعمالَه، وذلك لفضله، ومنه: **ولكن من شرح بالكفر صدرا**،

---

[١] ع: ما.
[٢] ن + على.
[٣] ك ن ع: عفوت.
[٤] ورد الحديث على لفظ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٤٣٣-٤٣٤.
[٥] جميع النسخ: وجوها.
[٦] ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٦).
[٧] ن: فتقاتهم.
[٨] ن ع م + على.
[٩] ع م: يعرف.
[١٠] أي لنُثبتهم ونُسكنهم.
[١١] ن: يتعلمون.
[١٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ (سورة الممتحنة، ٦٠/١٠).
[١٣] ن – يمتحن.
[١٤] جميع النسخ: ليظهر.
[١٥] ع – يكن.

ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر به وإن[1] كان ذلك على الإكراه، لما ذكرنا أنه باختياره الكفر ينشرح له الصدر لما لا يعمل الإكراهُ على القلب.

**فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم،** ظاهر.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١٠٧]**

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم،** أي ذلك الغضب والعذاب بأنهم استحبوا الحياة **الدنيا**

[٤١٩و] **على الآخرة.** [هذا] يحتمل وجهين. أحدهما استحبوا / الحياة الدنيا على الآخرة جحودًا وإنكارًا، وإلا نفس الاستحباب قد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الإيمان، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلى قوله تعالى: أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ،[2] فلم يُزل عنهم اسم الإيمان باختيارهم واستحبابهم الحياة الدنيا، فدل أن الأول على الجحود[3] له والإنكار، وهذا على الميل إليه[4] دون الجحود. أو أن يكون كذلك لما لم يروا الآخرة كائنة لا محالةَ ولكن ظنا ظنوا لعلها[5] كائنة، كقولهم: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ.[6] وأما أهل الإسلام فإنهم[7] لم يكونوا فيها ظانين شاكين[8] ولكن متحققين مستيقنين فاستحقوا بذلك.

وقوله عز وجل: **وأن الله لا يهدي القوم الكافرين،** وقت اختيارهم الكفر، أو أن[9] الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الإيمان، أو قال[10] ذلك[11] لقوم علم الله أنهم يختارون الكفر وأنهم[12] يموتون على الكفر فلا يهديهم.

---

[1] ع م: إن.

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ (سورة التوبة، ٣٨/٩).

[3] ع م: عن الجحود.

[4] ع: له.

[5] ن: لأنها.

[6] ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٣٢/٤٥).

[7] ن ع م – فإنهم.

[8] ك – شاكين.

[9] ع م: وأن.

[10] ع م: وقال.

[11] م: لذلك.

[12] ك: أو أنهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم**، الطبع هو[١] التغطية، تُغطِّي ظلمةُ الكفر نور القلب و[نور][٢] السمع ونور[٣] البصر؛ كأن لكل أحد نورين وبصرين: ظاهرا وباطنا[٤] يبصر بهما جميعا، فإذا ذهب أحدهما أو عَمِي صار لا يبصر كمن يبصر ببصر الظاهر؛ إنما يبصر بنور بصره ونور الهواء، فإذا دخل في أحدهما آفة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا. فعلى ذلك القلب[٥] له[٦] بصر خفيّ وبصر ظاهر، الذي هو معروف، فإنما يبصر بهما فإذا غطّى ظلمةُ الكفر بصرَ القلب صار لا يبصر شيئا.[٧] ألا ترى أنه قال: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ،[٨] أخبر[٩] أن الأبصار الظاهرة لم تَعمَ ولكن عمِيت القلوب التي في الصدور. هذا يدل على ما ذكرنا، هذا[١٠] -والله أعلم- معنى طبع السمع والبصر.

وقوله عز وجل: **وأولئك هم الغافلون**، يحتمل غافلون عن النظر في آياته وحججه، ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم آيات الله وحججه. ***والله أعلم***.[١١]

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **لا جرم**، قد ذكرنا ما قيل في [قوله: **لا جرم**، أي][١٢] لا بد وحقا.[١٣] وقيل: هو حرف وعيد، **لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**. قال الحسن: إنهم والله خسروا الجنة ورحمة الله،

---

[١] ن + التخطئة.
[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[٣] ع م: نور.
[٤] جميع النسخ: ظاهر وباطن.
[٥] ع: للقلب.
[٦] م – له.
[٧] ع – فعلى ذلك القلب له بصر خفي وبصر ظاهر الذي هو معروف فإنما يبصر بهما فإذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا.
[٨] سورة الحج، ٤/٢٢.
[٩] ن: قد أخبر.
[١٠] ع م – هذا.
[١١] ع م – والله أعلم.
[١٢] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦ظ.
[١٣] انظر: سورة هود، ٢٢/١١.

وخسروا[1] أهلهم ومنزلهم الذي كان لهم في الجنة وخسروا[2] أنفسهم حيث[3] قذفوها في النار. وقال أبوبكر الأصم: خسروا النعم الدائمة الباقية بالزائلة الفانية، وخسروا أنفسهم حيث قُتِلوا وأسروا في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١١٠]

وقوله عز وجل: **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا**، قيل: عُذِّبوا على الإيمان بمكة[4] [من جهة الكفار]،[5] ثم جاهدوا مع النبي وأصحابه عدوَّهم وصبروا على ذلك. **إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، قيل: من بعد الفتنة، **لغفور**، لما كان منهم، **رحيم**. ذكر مرتين. أحدهما قوله: ثم **إن ربك للذين هاجروا**، ثم قال: **إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، قيل: من بعد الفتنة؛[6] فينبغي[7] أن يكتفي[8] بمرة واحدة فيكون قوله:[9] **لغفور رحيم**، موصولا بقوله: **للذين** فعلوا ما ذكر. لكنه ذكر مرتين -والله أعلم- [لأنه طال الكلام قبل وجود الجواب].[10] [ويحتمل] إنه غفور[11] لهم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعُذِّبوا ولغيرهم. ذكر أهل التأويل أن أناسًا من المؤمنين خرجوا إلى المدينة فأدركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم، فمنهم من قُتل ومنهم نجا فأنزل الله: **ثم إن ربك للذين هاجروا**، الآية.[12] ومنهم من يقول أيضًا: فيهم نزل قوله: الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا،[13] الآية. وأكثرهم قالوا:

---

[1] ع م: خسروا.
[2] جميع النسخ: وخسرانهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦ظ.
[3] ع م: حين.
[4] ن - بمكة.
[5] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[6] ك ن - لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة.
[7] جميع النسخ: فيجيء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[8] ع م: تكتفي.
[9] جميع النسخ: بواحد يقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[11] ع م: لغفور، ع م + رحيم.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨٤/١٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٢٤/١٣.
[13] ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (سورة العنكبوت، ١/٢٩-٢).

إن قوله: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، إنما نزل في عمار بن ياسر. وليس لنا إلى ذلك حاجة إنما الحاجة فيما ذكرنا[1] من الحكم فيه[2] والحكمة. *والله أعلم*.

**﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١١١]**

وقوله عز وجل: **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها**، قال الحسن: **تجادل**، أي تخبر عن نفسها عما عملت من خير أو شر.[3] وقال أبو بكر الأصم: إن كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائرا في عنقه.[4] ولكن ليس فيما ذكر هؤلاء مجادلة، المجادلة المخاصمة كأنها تخاصم عن نفسها من إنكار[5] أشياء ودعوى أشياء على ما ذكر في غير آية من قوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ.[6] وقال بعضهم: إن جهنم تزفِر زَفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقد جثا بركبتيه[7] خوفا منها،[8] فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها.

ويشبه أن يكون مجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا،[9] فتلك مجادلتهم أنفسهم، وكقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ،[10] وكذلك ما ذكر في المنافقين: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ،[11] الآية، وذلك كله مجادلتهم أنفسهم. أو أن يقال: **تجادل**، لكن لا يفسر ما تلك المجادلة، لأن الله تعالى ذكر المجادلة و لم يذكر ما تلك المجادلة.

---

[1] ع: ذكر.

[2] ع م: به.

[3] كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

[4] كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٣٨)، وقوله: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائرَه في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٣).

[5] جميع النسخ: ارتكاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.

[6] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣).

[7] ك: بركبته.

[8] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٠/١٩٣.

[9] سبق قريبا.

[10] سبق قريبا.

[11] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/١٨).

وقوله عز وجل: **وَتُوَفَّى كلُّ نفس ما عملت**[1] **وهم لا يظلمون**، أي لا يُنْقَصون من حسناتهم ولا يزاد[2] على سيئاتهم. وهذه الآية ترد[3] على المعتزلة، لأنهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد أخبر أنه تُوَفَّى كلُّ نفس[4] ما عملت، فما بالها توفَّر ما عملت[5] من سوء ولا توفر ما عملت من الخيرات والطاعات.

**﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**[١١٢]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة**، اختلف في ضرب المثل بهذه الآية وفي نزولها. قال بعضهم: ضَرب المثل لأهل مكة وفيها نزلت [الآية، ضرب المثل لهم][6] [بأهل القاراة][7] نزل بهم العذاب بتكذيبهم رسلهم[8] في بني اسرائيل؛ يحذر / أهل مكة [٤١٩ظ] بتكذيبهم رسول الله نزولَ العذاب بهم كما نزل بأوائلهم. وقال بعضهم: ضرب المثل[9] لأهل المدينة وفيهم نزل بأهل مكة، يحذر أهل المدينة لئلا يكذبوا محمدًا كما كذب أهل مكة فيحلّ بهم كما حل بأهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب.

وقوله عز وجل: **قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان**، قيل هي مكة، وهكذا كانت مكة، أهلها كانوا آمنين فيها من ضرّ[10] أو شر، مطمئنين يأتيهم رزقهم من كل مكان. ويحتمل قرية أخرى غيرها كانوا على ما ذكر.

وقوله عز وجل: **فكفرت بأنعم الله**، أي كفرت بالشكر لأنعم الله، أي لم يشكروها، ليس أنهم لم يروها من الله تعالى.

---

[1] جميع النسخ + أي توف كل نفس ما عملت.
[2] جميع النسخ: ولا يزدادون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[3] ك – ترد.
[4] ع – نفس.
[5] ع – بالها توفر ما عملت.
[6] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[7] جميع النسخ: بقريات. القارية والقاراة: الحاضرة الجامعة. ويقال: أهل القارية للحاضرة، وأهل البادية لأهل البدو (*لسان العرب*، «قرى»؛ وانظر: المنجد، «قرى»).
[8] م: ورسلهم.
[9] ك + بأوائلهم.
[10] جميع النسخ: من خير.

وقوله عز وجل: **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف**، اللباس هو ما يستر وجوه الجواهر، ألا ترى أنه سمى الليل لباسًا[١] لما ستر وجوه الأشياء. فعلى ذلك الجوع يرفع السِّتر واللباس الذي كان قبل[٢] الجوع، لأن الجوع إذا اشتد غيّر وجه صاحبه ورفع ستره. والجوع ما ذكر أنه أصابهم[٣] جوع حتى أكلوا الكلاب والجِيَف والعظام المحترقة.[٤] والخوف[٥] [ما] ذكر أنه [أراد به][٦] بعث رسول الله إليهم، ألا ترى أنه قال: «نُصرتُ بِالرُّعب مسيرة شهر».[٧] وقيل: الخوف القتل.

وقوله: **رَغَدًا**، قال الكسائي: أرْغَدَ الرجلُ، إذا أصاب مالاً أو عيشًا من غير عَناء وكدّ، وقال القُتبي: **رغدًا**، أي كثيرًا واسعًا.[٨]

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**،[٩] قوله: **رسول منهم**، أي من أنفسهم، من نسبهم وحسبهم يعرفونه، كقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ.[١٠] **فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**، بالتكذيب حيث وضعوا الشيء في غير موضعه، أو **ظالمون**، على أنفسهم. أخبر أنه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لأنه إذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الآية من غير الآية، ولا الحجة من الشبهة، لأنه إذا خرج على غير المعتاد والطَّوق عرفوا أنه آية وأنه حجة؛ إذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق، ويُعرف ذلك من جوهرهم، وكذلك يعرف صدق من نشأ بين أظهرهم مِن كذبه، ولا يعرف إذا كان من غيرهم.

---

١ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾ (سورة النبأ، ١٠/٧٨).

٢ ك: قيل.

٣ ك: أصاب.

٤ جميع النسخ: المحرقة.

٥ ن + أنه.

٦ والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.

٧ جميع النسخ: شهرين؛ ولم يرد الحديث عليه، وإنما ورد بلفظ: « نصرت بالرعب مسيرة شهر». صحيح *البخاري*، التيمم ١، الصلاة ٥٦، وسنن *النسائي*، الغسل ٢٦.

٨ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٩.

٩ ن + بالتكذيب.

١٠ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **فكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا**، قال بعضهم: الحلال والطيب واحد وهو الحلال، كأنه قال: كلوا مما أحل[١] لكم، كقوله: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ،[٢] أي ما حلّ لكم.[٣] وقال بعضهم: **حلالًا طيبًا**، أي حلالًا يَطيب لكم ما تتلذذون به، لأن من الحلال ما لا[٤] تتلذذ[٥] به[٦] النفس ولا تستطيب بل تكره. و[يحتمل] قوله: [طيبا]، تستطيب له أنفسكم وتلذذ[٧] به، لا ما تستخبث،[٨] لأن الله جعل غذاء البشر ما هو أطيب وألذّ، وجعل للبهائم والأنعام ما هو أخبث وأخشن، لأن ما هو أطيب أدعى للشكر له. ويحتمل أن يكون قوله: **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبًا**، لا تَبِعَة عليكم. وفي الآية دلالة أنه قد يَرزق ما يَخبُث ولا يحلّ على ما يختاره [المرء][٩] حيث شرط فيه الحلال.

وقوله عز وجل: **واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون**، الشكر له عليهم لازم وإن لم يعبدوا،[١٠] وهو كقوله: وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[١١] طاعتُه وطاعة رسوله واجبة وإن لم يكونوا مؤمنين. أو يقول: وجهوا شكر نعمه إليه إن كنتم عابدون له[١٢] بجهة، أي افعلوا العبادة له والشكر في الأحوال كلها.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**، أي حرم أكل الميتة وما ذكر.

---

١ ك ع: حل.
٢ ﴿وإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ (سورة النساء، ٣/٤).
٣ ع: لهم.
٤ ك – لا.
٥ ن م: يتلذذ.
٦ ع – لأن من الحلال ما لا تتلذذ به.
٧ ك ن: وتلذ.
٨ ك + به.
٩ والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
١٠ ع: تعبدوا.
١١ ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة الأنفال، ١/٨).
١٢ ع + عابدون له.

كأنه قال هذا وذَكَره[١] على أثر تحريمهم أشياء أُحل لهم، نحو ما حرموا على أنفسهم أشياء أحل لهم من الزرع والأنعام والبَحِيرة والسائبة[٢] وما ذكر فقال: لم يحرم ذاك ولكن إنما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه، على هذا[٣] يجوز أن يخرج تأويله، وأما على الابتداء فإنه يبعد. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فمن اضطُرّ**، إلى ما ذكر من المحرمات، **غيرَ باغٍ**، على ما نهى عنه وهو الشِّبَع، كقوله: فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ،[٤] **ولا عادٍ**،[٥] عليه.[٦] وقال بعضهم: **غير باغ**، يستحله في دينه، **ولا**[٧] **عاد** [أي] ولا متعدّ في أكله. وقال بعضهم:[٨] **غير باغ**، على المسلمين مفارقٍ لجماعتهم[٩] مشاقٍ لهم، **ولا عاد**، عليهم يشقّهم.[١٠] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وأقاويلهم.[١١]

وأما تأويله عندنا، **غيرَ باغ**،[١٢] سوى دفع الهلاك[١٣] عن نفسه، **ولا عاد**، متعدٍّ ومتجاوزٍ اضطرارَه. ولا يحتمل ما قاله بعض الناس: **غير باغ**، على الناس ولا متعد عليهم لوجهين. أحدهما أنه لا يحتمل البغي على الناس في حال الاضطرار، لأنه لا يقدر عليه والحال ما ذكر. والثاني أنه وإن كان باغيًا على ما ذكروا[١٤] [و]لم يُبَح له التناول من الميتة يكون باغيًا على نفسه، لأنه إن لم يتناول هلكت نفسه فيصير باغيًا على نفسه، فدل أنه على ما ذكرنا.

---

[١] جميع النسخ: وذكر.
[٢] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).
[٣] ك - على هذا.
[٤] سورة المائدة، ٥/٥.
[٥] ن + عليهم.
[٦] جميع النسخ: إليه.
[٧] جميع النسخ: فلا.
[٨] ع - غير باغ يستحله في دينه ولا عاد ولا متعد في أكله وقال بعضهم.
[٩] جميع النسخ: بجماعتهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧ظ.
[١٠] ن: يستفهم.
[١١] انظر: سورة البقرة، ١٧٣/٢.
[١٢] ع م + على المسلمين.
[١٣] جميع النسخ: الإهلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧ظ.
[١٤] م: ذكر.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام،**[١] أي لا تعودوا إلى ما وصفت[٢] ألسنتكم من الكذب: **هذا حلال وهذا حرام**، ولا تقولوا[٣] الكذب[٤] الذي تصف[٥] ألسنتكم: **هذا حلال وهذا حرام**. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لا تقولوا لما أحللتموه: **هذا حلال**، ولما حرمتموه: **هذا حرام**، وهو كقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾[٦] الآية. وفي هذه الآية دلالة أن لا يسعُ لأحد أن يقول: هذا مما أحله الله وهذا مما حرمه الله، إلا بأذن من الله. ومن يقُلْ[٧] بأن الأشياء في الأصل على الإباحة أو على الحَظْر[٨] فهو مفترٍ بذلك على الله الكذب، لأن الله لم يأذن له أن يقول ذلك، بل نهاه عن ذلك بما[٩] ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لتفتروا على الله الكذب**، أي تكونون[١٠] مفترين على الله الكذب إذا قلتم ذا.

[٤٢٠و] / فإن قيل: كيف سماهم مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حرامًا؟

قيل: لأن التحليل والتحريم والأمر والنهي ربوبية، فإذا حرموا شيئًا أحله الله أو أحلوا شيئًا حرمه الله فكأنهم على الله افترَوا أنه حرم أو أحل، أو حرموا هم[١١] أو أحلوا فأضافوا ذلك إلى الله تعالى أنه هو الذي حرم أو أحل فقد افتروا على الله، لأن من أحل شيئًا حرمه الله أو حرم شيئًا أحله الله فقد كفر، وليس من انتفع بالمحرم أو ترك الانتفاع بالمحلل كافرا،[١٢] إنما يصير آثما مجرمًا، وكذلك تارك الأمر ومرتكب النهي.

---

[١] ك ن + يحتمل.
[٢] ن: وصف.
[٣] ع م: وأن لا تقولوا؛ ك ن: أو أن لا تقولوا.
[٤] ك ن: للكذب.
[٥] ك: التي؛ ك ع م – تصف.
[٦] ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ (سورة يونس، ٥٩/١٠).
[٧] جميع النسخ: يقول.
[٨] ع: الحضر.
[٩] ع م: مما.
[١٠] م: تكونوا.
[١١] ن: حرموا لهم، ع م: حرموهم.
[١٢] جميع النسخ: كفر.

وقوله عز وجل: **إن الذين يفترون على الله الكذب**، في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما أحله، وقولهم: وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.[١]

وقوله عز وجل: **لا يفلحون**، أي لا يفلحون وهم مفترون على الله. وأما إذا انتزعوا من الافتراء وتابوا أفلحوا، أو **لا يفلحون**، في الآخرة إذا كانوا مفترين على الله في الدنيا.

**﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١٧]**

ثم قوله: **متاع قليل**، على الابتداء، وإنما سُمّي قليلا -والله أعلم- لوجوه. أحدها أن متاع الدنيا على الزوال والانقطاع.[٢] فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل، كما قيل: كل[٣] آت قريب، لما يأتي لا محالة، فعلى ذلك كل زائل منقطع قليل. والثاني سمي قليلا لما هو مشوب بالآفات والأحزان وأنواع البلايا والشدائد فهو قليل في الحقيقة. أو إنه[٤] سماه قليلاً لما أن متاع الدنيا قليل عما وعد في الآخرة، فمتاعها من متاع الآخرة قليل لما ليس فيها الوجوه التي ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١١٨]**

وقوله عز وجل: **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل**، وهو ما قص في سورة الأنعام وهو قوله: حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا، إلى قوله: ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ،[٥] وقوله: فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا،[٦] الآية.

وقوله عز وجل: **وما ظلمناهم**، بتحريم ما حرمنا عليهم، لأنا إنما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم وجزاء لبغيهم، وهو ما قال في سورة النساء:[٧] فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا،

---

[١] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[٢] ن + فهو قليل.

[٣] جميع النسخ: لكل.

[٤] ك ن ع: ان.

[٥] ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعَظْمٍ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٦).

[٦] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٦٠).

[٧] ن ع م + وهو قوله.

وهو ما قال: ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ، أخبر أنه إنما حرم[1] عليهم ذلك بظلم كان[2] منهم عقوبة وجزاء لبغيهم، لكن هم[3] ظلموا أنفسهم في ذلك. أو أن يكون قوله: **وما ظلمناهم**، لأنهم عبيده وإماؤه، ولله أن يمتحن عباده وإماءه بتحريمٍ مرة وبتحليلٍ ثانيًا، ولكن ظلموا أنفسهم حيث وجّهوها إلى غير مالكها وصَرَفُوا[4] شكر ما أُنعم عليهم إلى غيره.[5]

**﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١١٩]

وقوله[6] عز وجل: **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**،[7] عمل السوء بجهالة يحتمل[8] وجهين. أحدهما أن الفعل فعل جاهل وسفيهٍ وإن لم يجهل، يقال لمن عمل السوء: يا جاهل، يا سفيه! والثاني جهل ما يَحِلّ به بعمله[9] السوء. ثم قوله:[10] **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**، إلى آخره، يجيء أن يكون في الآية إضمار لم يذكر لأنه قال: **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**، ثم كرر ذلك[11] الحرف على الابتداء من غير أنْ ذَكَر له جوابا،[12] وهو قوله: **إن ربك**[13] **من بعدها لغفور رحيم**، فظاهر الجواب أن يقول: ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة[14] ثم تابوا من بعد ذلك [وأصلحوا] لغفور رحيم، على ما ذكرنا في قوله: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا،[15] الآية. لكن يخرج على الإضمار أو على التكرار على إرادة التأكيد،

---

[1] ع م – حرم.
[2] ك – كان.
[3] ع م: لكنهم.
[4] ع م: أو صرفوا.
[5] ك – غيره.
[6] ك: قوله.
[7] جميع النسخ: + أي.
[8] ن ع م + يحتمل.
[9] ن: بعلمه.
[10] ن ع م – ثم قوله.
[11] ن + لذين عملوا السوء بجهالة.
[12] جميع النسخ: جواب.
[13] ع م + للذين عملوا السوء بجهالة.
[14] ك – بجهالة.
[15] سورة النحل، ١٦/١١٠.

أو على الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره في[1] موضع آخر حيث[2] قال: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ،[3] هذا -والله أعلم- جوابه. أي[4] إن ربك من بعد التوبة، **لغفور رحيم**، كهو[5] قبل أن يعمل عمل السوء، والعرب قد تكرر أشياء على إرادة التأكيد. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٢٠]**

وقوله عز وجل: **إن إبراهيم كان أمة قانتًا**، قال عبد الله بن مسعود: الأمة الذي يُعلِم الناس الخير، والقانت المطيع لله.[6] وقال بعضهم:[7] **أمة قانتا**، أي مؤمنًا وحده والناس كلهم كفار. وقال بعضهم: **كان أمة**، أي إمامًا يقتدى به في كل خير، كقوله: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.[8] وقال الحسن: **كان أمة**،[9] أي سنة يقتدى به. ويحتمل أن يكون سماه أمة[10] لما كان كالأمة والجماعة من القيام مع الأعداء، لأنه وإن كان منفردا وحده فكان قيامه مع[11] الأعداء والأكابر منهم كالجماعة والأمة والممتنع عنهم، لا[12] كالمنفرد. وأصل الأمة قيل الجماعة والعدد. ويحتمل قوله: **كان أمة**، أي مَجمَع كل خير وكل طاعة، لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير[13] فسمي أمة لهذا الذي ذكرنا. أو أن يكون تفسير الأمة[14] ما ذكر على أثره: **قانتا لله حنيفا**، والقانت قيل: المطيع، والقنوت هو القيام،[15]

---

[1] ن - في.
[2] ع م: ثم.
[3] سورة آل عمران، ٣/٨٩.
[4] ن - أي.
[5] ك ن ع: فكهو؛ م: فهو.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٩١؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٩٨.
[7] م + أمة.
[8] ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/ ١٢٤).
[9] ك - أي إماما يقتدى به في كل خير كقوله إني جاعلك للناس إماما وقال الحسن كان أمة.
[10] ن - يقتدى به في كل خير كقوله إني جاعلك للناس إمامًا وقال الحسن كان أمة أي سنة يقتدى به ويحتمل أن يكون سماه أمة.
[11] ع م - مع.
[12] ع م - لا.
[13] ن - وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير.
[14] ع: لأمة.
[15] ع م - هو القيام.

كما ذكر أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال:[١] «طول القنوت»،[٢] أي طول القيام، فعلى هذا المعنى هو القائم لله في كل ما تعبّده[٣] وأمره[٤] به. وقيل: **أمة**، أي دينا، كقوله:[٥] إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً،[٦] أي دينكم دينًا واحدًا.

وقوله عز وجل: **حنيفًا**، قيل: [الحنيف]الحاج، وقيل: الحنيف المسلم، وقيل: المخلص؛ وفيه كل ذلك كان حاجًا مسلمًا مخلصًا لله. وأصل الحنيف الميل، أي كان مائلا إلى أمر الله وما تعبّده[٧] به. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولم يك من المشركين**، لا شك أنه لم يكن من المشركين، لكنه ذكر هذا لوجهين.[٨] أحدهما لِما ادّعى كل أهل الأديان أنهم على دينه وانتسب كل فرقة إليه، فبرّأه الله من[٩] ذلك وأخبر أنه ليس على ما هم عليه من الدين، وهو ما قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا،[١٠] الآية. / والثاني ذكر هذا أنه لم يكن[١١] من المشركين بقوله: هٰذَا رَبِّي،[١٢] لأنه[١٣] كان ذلك منه[١٤] على ظاهر ما نطق كان ذلك في الظاهر إشراكًا، ففيه[١٥] تشبيه[١٦] في ظاهره. فبرّأه الله عن ذلك وأخبر أن ذلك منه لم يكن إشراكًا ولكن على المحاجة خرج ذلك منه [لما] حاجّه[١٧] قومه، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[١٨] ***والله أعلم.*** [٤٢٠ظ]

---

[١] ك: قال.

[٢] انظر: صحيح مسلم، صلاة المسافرين ٢٢؛ وسنن الترمذي، الصلاة ١٠؛ وسنن النسائي، الزكاة ٤٩؛ وسنن ابن ماجة، الإقامة ٢٠٠.

[٣] ع م: يعبده.

[٤] ع: وأمر.

[٥] ع م: لقوله.

[٦] ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الأنبياء، ٩٢/٢١).

[٧] م: نعبده.

[٨] ع م: هذين الوجهين.

[٩] ك ن: عن.

[١٠] ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣).

[١١] ك: يك، م - يكن.

[١٢] يشير المؤلف رحمه الله إلى آيات تخبر محاجة إبراهيم عليه السلام واستدلاله في وجود الباري تعالى، في سورة الأنعام، ٧٥/٦-٧٩.

[١٣] جميع النسخ + هو.

[١٤] ع م: عنه.

[١٥] ك ن: فيه.

[١٦] جميع النسخ: شبه؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

[١٧] جميع النسخ: محاجة؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

[١٨] ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ (سورة الأنعام، ٦/ ٨٣).

**﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اِجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٢١]**

وقوله عز وجل: **شاكرًا لأنعمه**، أي لم يصرف شكر نعمه إلى غير المنعم بل صرف شكرها إلى[١] منعمها. والشكر في الشاهد هو المكافأة، ولا يبلغ أحد من الخلائق في المرتبة التي يكافئ الله في أصغر نعمة أنعمها عليه ولا يتفرغ أحد عن أداء ما عليه من إحسان[٢] الله عليه،[٣] فضلا أن يتفرغ لمكافأته. لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرًا، وإن لم يكن في الحقيقة شكرًا، كما ذكَر الصدقةَ التي يتصدّق[٤] بها العبد إقراضًا[٥] وكما[٦] سمّى تسليمه نفسه وبذله[٧] لأمر الله شراءً،[٨] وإن كانت أنفسهم وأموالهم في الحقيقة له. ولا يطلب المرء في العرف القرض من عبده وكذلك الشراء، لكنه بلطفه وفضله[٩] عامل عباده معاملةَ مَن لا مِلك له في أنفسهم وأموالهم، فعلى ذلك في تسمية الشكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **اجتباه**، قال بعضهم: لرسالته ونبوته، أو **اجتباه**، من بين ذلك القوم وجعله[١٠] إمامًا يقتدى به. وقوله عز وجل: **وهداه إلى صراط مستقيم**، وهو دين الإسلام وهو ما ذكر: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا،[١١] الآية.

**﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٢٢]**

وقوله عز وجل: **وآتيناه في الدنيا حسنة**، قال بعضهم: الثناء الحسَن، وقال بعضهم: الحسنةَ في الدنيا، لأن جميع أهل الأديان يتولّونه ويرضَونه. ويحتمل أن يكون قوله: **وآتيناه في الدنيا حسنة**،

---

١ ع + ما.
٢ م: حسان.
٣ ك: إليه.
٤ ع م: تصدق.
٥ يشير إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥).
٦ ع م: كما.
٧ ن: وبذلك له.
٨ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
٩ ع م - وفضله.
١٠ ع: واجعله.
١١ ك + ملة إبراهيم. ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦١).

أي ما آتاه الله لم يؤته إلا حسنة على ما ذكر في قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[1] أي ما آتيتنا[2] في الدنيا آتِنا كلها حسنة، لأن قوله: حَسَنَةً، إنما هي اسم حسنة واحدة. أو أن يكون قوله:[3] **وآتيناه في الدنيا حسنة**، عند قبض روحه، أي على الحسنة قبض روحه.

وقوله عز وجل: **وإنه في الآخرة لمن الصالحين**، أي لم يَنقص ما آتاه في الدنيا عما يؤتيه في الآخرة. وقال بعضهم: في قوله: **وآتيناه في الدنيا حسنة**، النبوة والرسالة. أو أن يقال: إنه لم يبين الحسنة التي أخبر أنه آتاها إياه، لكنه خص به كما[4] خص في قوله: اللهم صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم، قد كان من إبراهيم معنى حتى[5] خص الله إبراهيم به من بين غيره، فكذلك[6] الأول. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٢٣]**

وقوله عز وجل: **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا**، أي دين إبراهيم وسبيله. وذكر في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جاء جبريل إلى إبراهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به إلى مِنى فعلّمه المناسك كلها وأراها[7] إياه». فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين**، فنحن أمرنا أن نتبع ملته في الحج وفي غيره. وأصل الملة الدين –والله أعلم– كقوله: «لا يتوارث أهل ملتين»،[8] أي أهل دينين.

**﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٢٤]**

وقوله عز وجل: **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**، قال بعضهم: اختلافهم[9] أن موسى أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا في كل سبعة أيام يومًا للعبادة وهو يوم الجمعة وينزعوا فيه عمل دنياهم،

---

[1] ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠١).
[2] ن: آتينا، ع م: آتيناه.
[3] ع م – قوله.
[4] ع م + هو.
[5] ع – حتى.
[6] م: فذلك.
[7] ع: ورآه، م: وأراه.
[8] سنن *ابن ماجة*، الفرائض ٦؛ وسنن *أبي داود*، الفرائض ١٠؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ١٦.
[9] جميع النسخ + وذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

فقالوا: نتفرغ يوم السبت فإن الله لم يخلق يوم السبت شيئًا. فقال فريق منهم: انظروا إلى ما يأمركم نبيكم فخذوا به، فذلك اختلافهم. فجعل لهم يوم السبت على ما سألوا فاستحلوا فيه المعاصي فحرم الله[1] عليهم العمل فيه عقوبة لهم. وقال الحسن وقتادة: **إنما جعل السبت**، أي إنما لعنوا[2] في السبت فمُسخوا قردةً [أي] الذين اختلفوا فيه، وكان اختلافهم أنه حرمه بعضهم واستحله بعض. وقال أبو بكر [الأصم]: اختلافهم كان في تكذيب الرسل والأنبياء، فمنهم من صدّق ومنهم من كذّب، فحرم عليهم يوم السبت عقوبة لهم.[3] أو أن يكون اختلافهم ما سألوا موسى من الآيات العجيبة والأسئلة الوَحِشَة،[4] كقولهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً،[5] وكقولهم:[6] ٱجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[7] ونحوه بعد ما أقام عليهم من آيات[8] كانت لهم فيها كفايةٌ، فيُشبه أن يكون اختلافهم الذي ذكر ذلك.

وقوله: إنما **جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**، يخرج على وجهين.[9] أحدهما إنما جعل محنة السبت **على الذين اختلفوا فيه**،[10] أي على الذين فسقوا فيه، حيث قال: بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.[11] والثاني إنما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدَوا فيه دون الذين اختلفوا فيه، لأن فريقا منهم قد نهَوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا، فأهلك الذين اعتدوا دون الذين نهوهم. وقوله: **اختلفوا فيه**، يحتمل **فيه**، أي في[12] موسى أو في يوم السبت الذي اختلفوا فيه وعوقبوا فيه. *والله أعلم*.[13]

---

[1] م – الله.
[2] جميع النسخ: لعن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.
[3] ع م – لهم.
[4] م: الوحشية.
[5] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٥).
[6] ك ع م: وكقوله.
[7] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٣٨).
[8] ع م: من الآيات.
[9] ن: وجوه.
[10] ن + لأن فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا.
[11] ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرةَ البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعا ويوم لا يَسبِتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٦٣).
[12] ك – في.
[13] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**، يحكم بينهم بالجزاء، أو يحكم[1] بما بيّن لهم المحق من المبطل. لكن لو قيل: قد بيّن في الدنيا بين المحق والمبطل[2] حيث[3] أهلك[4] فريقًا وأنجى[5] فريقا، فكيف قال: **ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون**،[6] لكن يشبه أن يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا.

**﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٢٥]**

وقوله: **ادع إلى سبيل ربك**، قيل: دين ربك، **بالحكمة**، قال الحسن: الحكمة القرآن، أي ادعهم إلى دين الله بالقرآن. وقال بعضهم: **بالحكمة**، بالحجة والبرهان، أي ادعهم إلى دين الله بالحجج والبراهين، أي ألزِمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى يقرّوا به.

وقوله عز وجل: **والموعظة الحسنة**، قال الحسن: أي عظهم بالمواعظ التي وعظهم الله[7] تعالى
[٤٢١و] في الكتاب. وقال أبو بكر [الأصم]، أي ذكّرهم / النعم التي أنعم عليهم. **وجادلهم بالتي هي أحسن**، أي جادلهم أحسن[8] المجادلة بليّن القول وخفض الجانب والجناح لعلهم يقبلون دينه[9] ويخضعون لربهم.

وكذلك اختلفوا في قوله: وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[10] وقوله: لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ؛[11] قال الحسن: الكتاب والحكمة واحد، اسمٌ مثنًّى وهو القرآن. وقال بعضهم: الكتاب هو القرآن وهو سماع الوحي، والحكمة وحي الإلهام وهو السنة. وقال بعضهم: الكتاب هو التنزيل،

---

[1] ع م: ويحكم.
[2] ك: من المبطل؛ ع م – لكن لو قيل قد بين في الدنيا بين المحق والمبطل.
[3] م: خيب.
[4] ع م – أهلك.
[5] ع: وان جاء.
[6] ن – يحكم بينهم بالجزاء أو يحكم بما بين لهم المحق من المبطل لكن لو قيل قد بين في الدنيا بين المحق والمبطل حيث أهلك فريقا وأنجى فريقا فكيف قال يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.
[7] ك ن – الله.
[8] ع – أي جادلهم أحسن.
[9] جميع النسخ: دينهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.
[10] ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).
[11] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرُنّه﴾ (سورة آل عمران، ٨١/٣).

والحكمة هي[1] المعنى المودَع فيه. فمن يقول: إن الكتاب والحكمة واحد وهو[2] القرآن، يقول في قوله: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة،** القرآن؛ ومن يقول عنه: إنهما غير [واحد] يقول ههنا: إن الحكمة الحجة والبرهان؛ إما من جهة الإلهام أو من جهة الانتزاع من الكتاب.

ويحتمل أن يكون قوله: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة،** التي ذكر في هذه السورة.[3] من ذلك قوله: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ،[4] يعني من بطون النحل، وقوله: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ،[5] وما ذكر أنه يُخرج من الخشب اليابسة الأعناب وأنواع الثمرات ونحوَه، فذلك كله بحكمته. أي ادعهم إلى دينه وذكّرهم بهذا وهم يقرون به ليقبلوا دينه ويخضعوا لأمره.

**والموعظة الحسنة،** ما ذكر في قوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ،[6] الآية، وذلك كله مستحسن في العقل توجبه[7] الحكمة. لأن العدل والإحسان وما ذكر من إيتاء ذي القربى الصدقة مستحسن في عقل كل أحد، والانتهاء أيضًا عن الفحشاء والمنكر مستحسن، مستقبح ارتكابه وإتيانه. كأن الحكمة هي التي تشتمل على العلم والعمل جميعًا كأنه قال: ادعهم إلى دين الله بالعلم والعمل جميعًا حتى ينجع ذلك فيهم، أو ادعهم باللين وخفض الجناح مرة، وبالعنف[8] والخشونة ثانيًا، فيكون وضع الشيء موضعه. ثم قال: يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.[9]

وقوله عز وجل: **وجادلهم بالتي هي أحسن،** يحتمل -والله أعلم- أي جادلهم بالذي يقرون على ما ينكرون، وهو كما ذكر:[10] أَفَمَنْ يَخْلُقُ،[11] الآية، وقوله: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا،[12]

---

[1] ك: هو.

[2] ك ن: وهي.

[3] ن + التي.

[4] ﴿ثم كُلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربكِ ذُللًا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل، ٦٩/١٦).

[5] سورة النحل، ٦٦/١٦.

[6] ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (سورة النحل، ٩٠/١٦).

[7] ك ع م: وتوجبه.

[8] ع م: بالعطف.

[9] سورة النحل، ٩٠/١٦.

[10] جميع النسخ: ما ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.

[11] ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تَذَكّرون﴾ (سورة النحل، ١٧/١٦).

[12] سورة النحل، ٧٣/١٦.

وقوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا،[١] الآية، وقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ،[٢] الآية، وقوله: وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[٣] الآية، ونحو هذا. [أمر بأن][٤] يجادلهم بأحسن المجادلة بالذي يقرون أنه كذلك على الذي[٥] ينكرون ليُلزمهم القبول والخضوع له.

ثم في الآية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المعاملة بعضهم بعضا[٦] فيها حيث قال: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة،** التي عنده: بالقرآن أو غيره من الحجج والبينات، **والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.** هكذا يجب أن يناظر بعضهم بعضًا بالوجه الذي وصف الله. وعلى ذلك ما ذكر الله في كتابه مناظرة الأنبياء والرسل مع الفراعنة والأكابر وهو ما قال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ،[٧] إلى آخر ما ذكر،[٨] وقوله: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ،[٩] الآية، ومناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه حيث قال: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١٠] الآية، وما قال: قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ،[١١] وقوله: قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ،[١٢] وما قال: قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى،[١٣] وأمثاله مما يكثر.[١٤]

---

[١] سورة النحل، ١٦/٧٥.
[٢] سورة النحل، ١٦/٧٦.
[٣] سورة النحل، ١٦/٧١.
[٤] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.
[٥] ك ن م: على الذين.
[٦] جميع النسخ: لبعض؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.
[٧] ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربيَ الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).
[٨] ن + الله في كتابه.
[٩] ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨٠).
[١٠] ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٣-٢٤).
[١١] سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.
[١٢] ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣١-٣٢).
[١٣] سورة طه، ٢٠/٥٠-٥١.
[١٤] م – مما يكثر.

فهذه مناظرة الرسل والأنبياء مع الفراعنة والأعداء، فكيف المناظرة بين الأولياء. فهذا كله يردّ على من يأبى المناظرة في الدين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**، في الآية نسبتُهم إلى الضلال إشارةً وكنايةً لا تصريحا، لأنه[1] لم يقل لهم مصرحًا: إنكم قد ضللتم عن سبيله، لحسن معاملته التي علّم رسوله وأمره أن يعاملهم، لأن ذلك أقرب إلى القبول وأميَل إلى القلوب وآخذ،[2] ألا ترى أنه قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: **فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**.[3]

**﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾**[١٢٦]

وقوله[4] عز وجل: **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**، اختلف في سبب نزول ذلك، قال بعضهم: نزل[5] في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن[6] نفرا منهم قد مُثِّلوا يوم أُحُد مُثلة سيئة من قطع الآذان وتجديع الأنوف وبَقرِ البطون ونحوه فقال أصحابهم: لئن أَدَالَنَا[7] الله منهم لنفعلنّ ولنفعلنّ كذا وكذا، فأرادوا أن يُجازوا ذلك فأنزل الله: **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**، الآية. وفيه البِشارة لهم بالنصر والظفر على أعدائهم، لأنه لو[8] لم يكن لهم الظفر بهم كيف يَقدِرون على معاقبة مثلِ ما عوقبوا،[9] دل أنه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم. وفيه دلالة جواز أخذ[10] من لم يتولَّ القتل والأخذ والضرب لِما لعلهم لا يظفرون بأولئك الذين تَوَلَّوا ذلك، لكن يؤخذ إخوانهم بهم لما[11] بمعونة بعضهم بعضًا فعلوا. ويكون فيه دليل أخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وإن كان الذي[12] تولى ذلك بعضا منهم لِما أن من تولى ذلك إنما تولى بمعونة من لم يتول.

---

[1] م + لأنه.
[2] ن ع: واحد.
[3] سورة طه، ٢٠/٤٤).
[4] ك – وقوله.
[5] ع م – نزل.
[6] ع – أن.
[7] الإدالة الغلبة، يقال: أُدِيل لنا على أعدائنا، أي نُصِرنا عليهم وكانت الدولة لنا (*لسان العرب*، «دول»).
[8] م – لو.
[9] ع م: عاقبوا.
[10] ك – أخذ.
[11] ن – لما.
[12] ع: بالذي.

وقال بعضهم: إنما نزلت الآية في ابتداء الأمر الذي كان القتل مع الكفرة قتلَ مجازاة مثل قوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،[1] وكقوله: فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ،[2] ومثله. فإذا كان على المجازاة أمرَ أن[3] لا يتجاوزوا عقوبتهم ولكن مثله. وأما إذا كان القتال معهم لا قتالَ مجازاة فإنهم يُقتَلون جميعًا إذا أبَوا الإسلام / بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ،[4] الآية، [٤٢١ظ] وقوله عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»،[5] وقوله تعالى: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[6] وقال بعضهم: لا ولكن الآية نزلت في أهل الإسلام، وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس والجِراحات، أَمَر أن لا يتجاوزوا حقوقهم، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[7] وقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[8] الآية، وقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى،[9] الآية.

وقوله عز وجل: **ولئن صبرتم**، على ما ذكر، **لهو خير**، أي الصبر خير **للصابرين**. ودل قوله: **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**،[10] على أن الآية في القصاص لا في الحرب، لأنه في الحرب[11] لا يقال: اصبر، ولا يكون الصبر خيرا، دل أنه في غير المحاربة. ***والله أعلم***.

**﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللّٰهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[١٢٧]**

وقوله عز وجل: **واصبر**، يا محمد، **وما صبرك إلا بالله**، أي ما توفيقك على الصبر إلا بالله،

---

[1] ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة التوبة، ٣٦/٩).

[2] سورة البقرة، ١٩١/٢.

[3] ن: من أن.

[4] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).

[5] انظر: *صحيح البخاري*، الصلاة ٢٨، الزكاة ١، الجهاد ١٠٢؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ١٠.

[6] ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ١٦/٤٨).

[7] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٠/٤٢).

[8] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).

[10] ع – ودل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين.

[11] ع – لأنه في الحرب.

كقول[١] شعيبٍ: وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ.[٢] الآية. والثاني: **واصبر وما صبرك إلا بالله**، أي تَركُك القصاصَ لأمر الله حيث أمرك به لا لضعف أو عجز فيك.

وقوله: **ولا تحزن عليهم**، قال بعضهم: إنه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الإيمان بالله،[٣] كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٤] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٥] فقال: **ولا تحزن عليهم**، لذلك، على التسلي والتخفيف لا على النهي عن ذلك. ويحتمل أن يكون قوله: **لا تحزن**، على المؤمنين الذين قُتلوا واستُشهدوا،[٦] لأنهم مستبشرون فرحون عند ربهم بما آتاهم الله، كقوله: بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ[٧] مِنْ فَضْلِهِ،[٨] أي لا تحزن عليهم وهم فيما ذكر. أو **لا تحزن**، على المؤمنين ولا يَضِيقَنّ[٩] صدرك[١٠] بما[١١] يمكر بك أولئك الكفرة؛ إذ كانوا يمكرون برسول الله وبأصحابه[١٢] ويؤذونهم، أمر[١٣] أن لا يضيقنّ[١٤] صدرك لذلك.[١٥] وقال بعضهم: نزلت في أمر حمزة سيد الشهداء، إنه مُثِّل وجُرِح جِراحات عظيمة فاشتد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لئن ظفرنا بأولئك لنفعلنّ كذا ولنفعلنّ كذا،[١٦]

---

[١] ع: كقوله.
[٢] ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (سورة هود، ١١/٨٨).
[٣] ن + وتركهم الإيمان بالله.
[٤] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[٥] ﴿أفمن زُيّن له سوءُ عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٨).
[٦] ع: أو استشهدوا.
[٧] ع م - بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله.
[٨] ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩-١٧١).
[٩] ع: يضيق.
[١٠] ن + لذلك وقال بعضهم.
[١١] ن ع: مما.
[١٢] ع: وأصحابه.
[١٣] جميع النسخ: أمره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.
[١٤] ع: يضيق.
[١٥] ع: كذلك.
[١٦] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٩٥.

فنزلت الآية: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ.[1] لكن إن ثبت هذا فإنه يكون في الوقت الذي كان يؤخذ غير[2] القاتل والجارح بالقتل[3] وذلك قد كان في الابتداء، ألا ترى أنه قال: اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ،[4] كانوا همّوا أن يأخذوا الحرّ بالعبد والذكر بالأنثى حتى نزل هذا فصار منسوخًا به وبقوله: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[5] ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حياة. وإن[6] قالوا في الحرب مع الكفرة فذلك لا يحتمل، لأنه في الحرب لهم أن يقتلوا الكل وأن لا يتركوا واحدًا منهم. دل أنه يخرج على أحد وجهين: على النسخ الذي ذكرنا، أو على النهي عن أخذ أكثر من حقه، كقوله:[7] فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ،[8] الآية.

﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **إن الله مع الذين اتقوا**، يحتمل **اتقوا**، مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فإن الله ناصركم ومعينكم عليهم.[9] وقوله عز وجل: **والذين هم محسنون**، في العمل والتوحيد. أو يقول:[10] **إن الله مع الذين اتقوا**، محارم الله وارتكاب مناهيه بالنصر لهم والمعونة، **والذين هم محسنون**، إلى نعم الله بالقيامِ بالشكرِ[11] لها. ***والله أعلم***.[12]

---

[1] الآية السابقة.
[2] ن ع م: غيره.
[3] ع: بالقتيل.
[4] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[5] سورة البقرة، ٢/ ١٧٩.
[6] ك ن ع: أو.
[7] ن: كقولك.
[8] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).
[9] ع: والله أعلم.
[10] ن: ويقول.
[11] ع: وبالشكر.
[12] ن + بالصواب، ع + وبه ثقتي.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]**

قوله عز وجل: **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، سبحان**، كلمة إجلال الله عن الأكْفاء وتنزيهه عن الشركاء وتبرئته عما قالت المعطِّلة فيه وظنت الملحدة[١] به من الولد والحاجات والآفات وجميع معاني الخلق. وروى في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن تفسير سبحان الله قال: «هو تنزيه الله عن كل سوء».[٢] ومعنى قوله: **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**[٣] هو -والله أعلم- كأنه ذكر أن من قدر أن يُسريَ بعبده ليلا مسيرةَ شهر يقدر على إحياء الموتى بعد الموت ويملك حفظ رسوله والنصر له وإظهارَ آيات نبوته ورسالته وقطع جميع حِيَل المكذبين له والمخالفين.

وقوله: **من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**،[٤] سماه أقصى وهو الأبعَد من قَصِيَ يَقْصَى قَصًا[٥] فهو قاصٍ،[٦] كأنه لم يكن يومئذ إلا المسجد الحرام[٧] ومسجد بيت المقدس فسماه لذلك -والله أعلم- المسجد الأقصى.

---

[١] م: الملاحدة.

[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٩٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/١٤٠.

[٣] م + الذي.

[٤] ع - إلى المسجد الأقصى.

[٥] جميع النسخ: قصى.

[٦] قَصِيَ يَقْصَى قَصًا المكان: بعد. قصى الرجل عن القوم: تباعد (*المنجد* و*لسان العرب*، «قصا»).

[٧] جميع النسخ + ومسجده بالمدينة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و. ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة قد بني بعد الهجرة، وسورة الإسراء مكية.

وقوله عز وجل: **الذي باركنا حوله**، قيل: سمي [به] لكثرة أنزاله وخيراته وسعته. وقيل سمي مباركا[1] لأنه مكان الأنبياء[2] ومقامهم فبورك فيه ببركتهم ويمنهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لنريه من آياتنا**، أي لنريه من آياتنا الحسية بعد ما أريناه[3] الآيات العقلية، لأن الآيات الحسية أكبر في قطع الشبهة ودفع الوساوس، إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان، وقد يعترض ربما الشبه والوسواس[4] في العقلية،[5] لأنه[6] لا يشك أحد في نفسه أنه هو. فأحب عز وجل أن يُري رسوله آيات حسية تضطر المنصفين على قبولها والإيمان بها والإقرار له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لِما يعلمون أن ما[7] كان يخبرهم من أخبار –حيث قال: إنه رأى غير فلان[8] وأمورا– يعلمون أنه لا يقول إلا عن مشاهدة وعيان، لأنه كان ما أتى من الآيات العقليات قالوا: إنه سحر، وما ذكر من الأنباء [التي] كانت في كتبهم المتقدمة قالوا: أساطير / الأولين، وإنما يعلّمه بشر. ليس ذلك[9] عمل سحر[10] [٤٢٢و] ولا إفك ولا افتراء ولا أساطير الأولين على ما نسبوه إلى السحر مرة وإلى الإفك والافتراء ثانيا ونحوه.

وقوله عز وجل: **إنه هو السميع البصير**، أي من قدر على ما ذكر لا يحتمل أن يخفى عليه شيء من قول أو عمل.

ثم ما رويت من الأخبار أنه عُرِج به إلى السماء حتى رأى إخوانه الأنبياء الماضين قبله وما ذكر فيها فنحن نقول ما قال الصديق: لقد صدق[11] إن كان قال ذلك فأنا أشهد على ذلك.[12] وإلا نقول بمقدار[13] ما في الآية أنه أسرِي به إلى بيت المقدس، المسجد الأقصى، ولا نزيد عليه لأنه من أخبار الآحاد فلا تسع[14] الشهادة له.

---

[1] ع م – لكثرة أنزاله وخيراته وسعته وقيل سمي مباركا.
[2] ك: للأنبياء.
[3] جميع النسخ: أراه؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.
[4] ن م – إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه والوسواس.
[5] م: من العقليات.
[6] ن: إذ.
[7] جميع النسخ: انما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.
[8] لعله يقصد بغير فلان غير إنسان –وهو الذي يعرف الكل وجوده وماهيته– مثل الملك وغيره.
[9] أي الآيات الحسية التي شاهدها في الإسراء.
[10] ك: السحر.
[11] ع م – لقد صدق.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/٤٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٢٨٣.
[13] ع م: على مقدار.
[14] ن ع م: يسع.

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [٢]

وقوله عز وجل: **وآتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، **وجعلناه هدى لبني إسرائيل**، كلُّ كتب[١] الله هدى لمن استهدى ورشدا لمن استرشد وبيانا لمن استوضح، لأنها دعت إلى ثلاث خصال:[٢] دعت إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومصالح الأعمال؛ ونهت عن ثلاث: عن مساوي الأعمال، وعن سفاسف الأمور، ودناءة الأخلاق ورداءتها.[٣] ذكر أنه جعَل الكتاب هدى لبني إسرائيل لأن منفعة الكتاب حصلت لهم، لأنهم هم الذين استهدَوا به فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ألا تتخذوا من دوني وكيلا**، أي معتمَدا، أي قلنا لهم فيه أو ذكرنا لهم فيه أو أمرناهم فيه **ألا تتخذوا من دوني وكيلا**، أي معتمدا موكولا. الوكيل هو موكول الأمر إليه، معتمد في الأحوال عليه، قائم[٤] في جميع ما وُكِل إليه بالتبرع والتفضل. **ألّا تتخذوا من دوني وكيلا**، قيل: ربا وإلها، وقيل: شريكا، وأصله ما ذكرنا أن الوكيل هو المعتمد.[٥]

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ذرية من حملنا مع نوح**، قال بعضهم: يعني بالذرية الأنبياء الذين كانوا من قبل، أي كانوا مِن ذرية نوح ومَن حُمل معه وهم بشر. قال: ذكر هذا لإنكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً.[٦] والثاني يحتمل غيره،[٧] **ذرية مَن حملنا مع نوح**، أي هؤلاء [الكفرة][٨] من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا آباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا غيرهم. أو يذكر أن هؤلاء الرسل من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف أنكروا الرسل من بشر. ثم قال بعضهم: هو على النداء والدعاء، [أي يا] **ذرية من حملنا مع نوح**[٩] في السفينة في أصلاب الرجال وأرحام النساء زمان الطوفان.[١٠]

---

[١] جميع النسخ: كتاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٢] ك: خصال ثلاث.
[٣] ن: ورداءته.
[٤] ن ع: قائم.
[٥] وقع ما بين النجمتين أثناء تفسير الآية الآتية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٤٢٢و/سطر ١٨-١٩.
[٦] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٧] ك م + أي من؛ ن ع + أي من يا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٨] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٩] ك - وهم بشر فكيف أنكروا الرسل من بشر ثم قال بعضهم هو على النداء والدعاء ذرية من حملنا مع نوح.
[١٠] وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢و/سطر ١٨-١٩.

**إنه كان عبدا شكورا**، يعني نوحا. قال بعضهم: سماه شكورا لأنه كان يذكر ربه في كل أحواله. وقال بعضهم: الشكور هو الذي يبتغي مرضاة مُنعِمه ويجتنب مساخطه، وقال بعضهم: الشكور هو[1] المطيع لله. وقد ذكرنا معنى الشكر أنه اسم المكافأة. أو يقال: كانت عبادته لله عبادةَ[2] شكرٍ لا عبادة استغفار، أي كان شكورا في عبادته لا مستغفرا.

**﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين**، اختلف في قوله: **وقضينا**. قال الحسن وغيره: أوحينا إليهم وأخبرناهم وأعلمناهم في الكتاب، **لتفسدن في الأرض مرتين**. وقال بعضهم: قضينا عليهم، وقال بعضهم:[3] كتبنا عليهم. فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه أخبرهم وأعلمهم على تأويل من زعم أن القضاء ههنا هو الإعلام والإخبار[4] لهم. فيقال لهم: كان أخبرهم وأعلمهم ليَصدُق في خبره أولا؟ فإن كان أخبرهم ليصدق في خبره فذلك منه حكم أنهم لَيُفسدنّ في الأرض مرتين. فإن كان تأويل القضاء الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما نقول:[5] إن كل فاعل فعلا طاعة كانت أو معصيةً كان[6] بحكمه. ثم من سأل آخر عن المعصية أنها كانت بقضاء الله؟ فلا يجب أن يجيب[7] له على الإطلاق بنعم أو بلا[8] إلا أن يبين[9] أنه ما يريد بالقضاء وما يفهم منه، لأن القضاء يتوجه إلى وجوه. يرجع إلى الخلق، كقوله: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[10] أي خلقهن؛ والقضاء الأمر بقوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[11] أي[12] أمر ربك؛ والقضاء الحكم، كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ،[13]

[1] ك – هو.
[2] ن – لله عبادة.
[3] م – قضينا عليهم وقال بعضهم.
[4] ك: الإخبار والإعلام.
[5] ع: تقول.
[6] ك: كانت.
[7] جميع النسخ: أن يجاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[8] ن: بلى، ع: بلاء.
[9] ن: بين.
[10] ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (سورة فصلت، ١٢/٤١).
[11] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[12] ع م – أي.
[13] سورة طه، ٧٢/٢٠.

أي احكُم ما أنت حاكم. ولم يعرف القضاءُ الحَملَ والدفعَ على ما يقوله المعتزلة ونحوه فلا يجاب على الإطلاق إلا أن يبين أنه ما أراد بالقضاء؛ فإن أراد بالقضاء الحكم فعند ذلك يقال: نعم كان بقضائه[١] وحكمه وليس فيما قضى وحكم دفعُه في المعصية [وحمله على ذلك].[٢]

ثم اختلف في قوله: **مرتين**، قال بعضهم من أهل التأويل: إن بني إسرائيل عتوا ربهم فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم[٣] وسبى ذَراريهم وأموالهم، فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك، ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من بين[٤] يديه وردهم إلى مكانهم. ثم عادوا إلى ما كانوا من قبل، ثم سلط عليهم بختُنَصَّر ففعل بهم ما فعل جالوتُ ثم تابوا، فبعث الله[٥] محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: بعث أولا بختُنَصَّر ثم[٦] فلانا وفلانا وهو ما قال: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا، إلى قوله: وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[٧] أي عدتم إلى العصيان **عدنا** إلى العقوبة.

ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجوه الحكمة والدلالة. أحدها فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسم، لأنه أخبر عما كان في كتبهم من غير أن علم ما في كتبهم ولا اختلف إلى أحد منهم فكان على ما أخبر، دل أنه إنما عرف ذلك / بالله بما أخبره في كتابه. [٤٢٢ظ]

و[الثاني] في أنه لم يُهلَك قوم بنفس الكفر إهلاك استئصال حتى كان منهم مع الكفر السعي في الأرض بالفساد والعنادُ للآيات. و[الثالث] فيه أن ليس على الله حفظ الأصلح لهم وإعطاؤه في الدين، حيث لم يُمِتهم على الإيمان ولكن تركهم حتى عَصَوا ربهم، ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم إلى دينه وهو كفر، فلو كان عليه إعطاء الأصلح لأماتهم على الإسلام فذلك أصلح لهم في الدين.

---

[١] ع: بقضاء.
[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٣] ن: وقتلهم.
[٤] ك ع م – بين.
[٥] ع م – الله.
[٦] ع – ثم.
[٧] ع م – عدنا. سورة الإسراء من الآية ٥ إلى الآية ٨.

وقوله عز وجل: **ولَتَعْلُنَّ عُلُوّا كبيرا**، قيل: لتجترءون[١] جُرْأَةً[٢] عظيمة، وقيل: لَتَقهَرُنّ ولَتَغلبُنّ[٣] غلبة كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، أي قهر وغلب، ألا ترى أنه قال: وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ،[٤] ثبت أنه على الغلبة والقهر. وقيل: العلوّ هو القوة والجرأة والتكبر، وهو ما ذكرنا.

**﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **فإذا جاء وعد أولاهما**، أي جاء وعدُ هلاك من عصى منهم أوّلا وخالف أمر الله وكفر به. **بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد**، قال[٥] الحسن: قوله: **بعثنا عليكم**، ليس على بعث الوحي إليهم ولكن على التخلية، أي خلينا بينهم وبين عباد أولي بأس شديد، أي أولي[٦] بطش شديد وقوة، كقوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ،[٧] أي خلّينا بينهم وبين الشياطين. وقال بعضهم: **بعثنا عليكم**،[٨] أي سلطنا عليكم.

وقوله: **بعثنا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد**، ترد[٩] على المعتزلة، لأنه ذكر أنه[١٠] بعث عليهم[١١] عبادا أولي بأس شديد، وإنما بعثهم[١٢] لجزاء إساءتهم ولسوء صنيعهم، وذلك شر يُفعَل بهم. دل أن لله[١٣] صنعا في جميع أفعال العباد.[١٤]

---

[١] ك ن: لتحترون.
[٢] ن ع: والجراءة.
[٣] م: ولتعلن.
[٤] سورة القصص، ٢٨/٤.
[٥] ع: وقال.
[٦] ع + باس.
[٧] ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨٣).
[٨] ع م – أي خلينا بينهم وبين الشياطين وقال بعضهم بعثنا عليكم.
[٩] ك ع م – ترد.
[١٠] ع م – أنه.
[١١] ع: إليهم.
[١٢] ع: بعثكم.
[١٣] ع: أن الله.
[١٤] م: أن لله في جميع أفعال العباد صنعا.

وقوله عز وجل: **فجاسوا خلال الديار**، قال[١] بعضهم: **فجاسوا**، من التجسس،[٢] أي يتجسسون أخبارهم ويسمعون أحاديثهم وهم جنود جاءوا من فارس قتلوا الناس في الأزِقّة، وقيل: في الطرق.

*وقال أبو عبيدة: **فجاسوا خلال الديار**، معناه أي فَقَتلوا في ديارهم.* [٤٢٢ظ س٢٧]

وقوله عز وجل: **وكان وعدا مفعولا**، أي للذين[٤] قال [لهم]: لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ،[٥] وعدا كائنا مفعولا، أي كان وعدا موعودا مفعولا[٦] كائنا، وإلا الوعد لا يأتي. وكذلك قوله: إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،[٧] أي موعودا مأتيا، وكذلك ما أشبه هذا.

[٤٢٢ظ س٢٩ *ثم[٨] قوله: **فإذا جاء وعد أولاهما**، إلى قوله: **فجاسوا خلال الديار**، معلوم أنه لم يكن في كتابهم بهذا[٩] اللفظ: **بعثنا عليكم**... **فجاسوا**، على الابتداء ولكن كان -والله أعلم- **إذا جاء وعد أولاهما**، لَنَبعثَنّ[١٠] **عبادا لنا**[١١] **أولي بأس شديد**، يتجسسون أو يُجاسّون. لكنه خاطب بهذا -والله أعلم- الذين[١٢] كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم -وإن كانوا هم لم[١٣] يفعلوا ما ذُكر- لكن لما فعل أوائلهم[١٤] خاطب هؤلاء لما كانوا يفتخرون بأوائلهم ويقولون: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١٥] فيذكّر هؤلاء نعمه[١٦] التي أنعم على أولئك ويحذّرهم صنيعهم، وهو ما خاطبهم بقوله: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ،[١٧] الآية،

---

[١] ك: وقال.
[٢] ك ن - من التجسس.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٧.
[٤] جميع النسخ: الذين.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ن - مفعولا.
[٧] جميع النسخ: وكان وعدا مأتيا، ولم ترد الآية بهذا اللفظ، حيث قال تعالى: ﴿جنات عَدْنٍ التي وعد الرحمنُ عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا﴾ (سورة مريم، ٦١/١٩).
[٨] ع م + جاء.
[٩] ع م: هذا.
[١٠] م: لتبعثن.
[١١] ع م - لنا.
[١٢] ع م - الذين.
[١٣] ع - لم.
[١٤] ك ن ع + لكنه.
[١٥] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[١٦] ع - نعمه.
[١٧] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٥٥/٢).

وقوله: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ[1] ونحوه. خاطب هؤلاء الذين كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم[2] على صنيع أولئك وفعلهم، وإن كان هؤلاء لم يقولوا ذلك لما رضُوا بصنيع أولئك وفعلهم، استيداءً منهم الشكر لما أنعم على أولئك وتحذيرا لهم عن[3] مثل صنيعهم. *والله أعلم*.* [٤٢٢ظ س٣٦]

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ثم رددنا لكم الكرة عليهم**، أي الغلبة والهلاك عليهم. **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا**، أي أكثر رجالا منهم[5] قبل ذلك وعددا.[6] ثم إذا عصوا ثانيا وكفروا بربهم سلط الله عليهم قوما آخرين فدمروا عليهم، فذلك قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ، بالهلاك[7] والتدمير، أي موعود الآخرة، لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ.[8] ثم وعد لهم الرحمة إن تابوا ورجعوا عن ذلك بقوله: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ. ثم أوعدهم[9] العود إليهم بالعقوبة بقوله: وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[10] أي وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم[11] بالعقوبة.

ثم قول أهل التأويل: إنه سلط عليهم بُخْتُنُصَّر وجالوت ثم فلانا وفلانا، فذلك لا يعلم إلا بالخبر عن رسول الله، وليس في الآية سوى أنه بعث عليهم[12] عبادا[13] أولي بأس شديد، فلا يزاد[14] على ذلك إلا بالخبر سوى أنه ذكر هذا لنا وفيه وجوه من الحكمة. أحدها ما ذكرنا من إثبات نبوة محمد ومِن صدق رسولهم حيث حذَّرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال.

---

[1] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تُنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفُومها وعَدَسها وبصَلها﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).
[2] ع: وعاسبهم.
[3] ع: على.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٦.
[5] جميع النسخ: منكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٠و.
[6] ع: وعدا.
[7] ك ن: للهلاك؛ ع م: الهلاك.
[8] الآية الآتية.
[9] ع: أوعدكم.
[10] سورة الإسراء، ١٧/٨.
[11] ك: إليكم.
[12] ع: عبيكم.
[13] ن ع م + لنا.
[14] ن: نزاد.

وفيه تحذيرنا عن مثل صنيعهم لأنهم ليسوا بذلك أولَى من غيرهم. وقال القُتَبي: **فجاسوا خلال الديار**، أي عاشوا بين الديار وأفسدوا، ويقال: جاسوا وحاسُوا.[١] **ثم رددنا لكم الكرة**، أي الدولة.

وقوله عز وجل: **أكثرَ نفيرا**، أي عددا. وقال أبو عَوْسَجَة: **أكثر نفيرا**، هو من الخروج والنفر[٢] ومعناه أكثر عددا.[٣] وقال قتادة: النفير المقاتِلة الذين يُستَنفَرون للقتال، أي لو استنفرتم أنتم واستنفر أولئك كنتم[٤] أكثر منهم.[٥]

**﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**، لا لله، إذ إليكم يرجع منفعة ذلك وأنتم تُجزَون على ذلك.[٦] **وإن أسأتم فلها**، أي فعليها، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[٧] الآية، أي عليها ضرر ذلك. وعلى ذلك جميع ما أمر الله عباده من الأعمال ونهاهم[٨] عنها، إنما أمر ونهى لمنفعة أنفسهم ولحاجتهم لا لمنفعة له أو لحاجة له. وقال بعضهم: **وإن أسأتم فلها**، أي إليها، أي إلى أنفسكم تُسيئون.

[٤٢٣و] وقوله عز وجل: **فإذا جاء / وعد الآخرة**، أي إذا جاء وعد موعود الآخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله. وقوله: **فإذا جاء وعد الآخرة**، بالتغيير وتبديل[٩] الدين، **ليَسُوءوا وجوهكم**، بواوين على الجماعة، وبواو واحد على الواحد: ليسوءَ وجوهكم. ولم يبين من يسوء وجوههم، فيشبه أن يكون يبعث قوما يسوءون وجوههم كما ذُكر في الوعد الأول:

---

[١] م: جاسوا. تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥١. حاسَه يحوس حَوْسًا: والحَوْسُ انتشار الغارة والقتلُ والتحرك في ذلك، وقيل: هو الضربُ في الحرب، والمعاني مُقْتَرِبَةٌ. وحاس القومَ حَوْسا: طلبهم وداسَهُم (*لسان العرب*، «حوس»).

[٢] ن: والنفير.

[٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٧.

[٤] ع + أولئك.

[٥] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٦.

[٦] م: وعلى ذلك.

[٧] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤٦/٤١).

[٨] ع م: أو نهاهم.

[٩] ع: والتبديل.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ،[1] فهم يسوءون[2] وجوهكم. ومن قرأ بالنون: لِنَسُوءَ **وجوهكم**، أضاف إلى نفسه لما بأمره[3] كان يُفعَل [ما كان][4] وبتسليطه إياهم عليهم. وقال بعضهم: ذِكر الوجه ههنا كناية عن الحزن والهمّ والإهانة لهم، كما يقال في السرور: أَكْرِم وجهَه، أي أدخل فيه سرورا. أو ذكر الوجه لما بالوجه يظهر[5] ذلك التغيير والقبح. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولِيدخلوا المسجدَ كما دخلوه أولَ مرةٍ**، في ظاهر الآية أن يدخل الأولون المسجد في المرة الثانية كما دخلوا في المرة الأولى لأنه قال: **كما دخلوه أول مرة**، لكن يحتمل ليدخل عباد آخرون المسجد في المرة الثانية كما دخل الأولون في المرة الأولى. وقال بعضهم: المسجد ههنا الكنيسة والبِيعَة.

وقوله: **وليتبِّروا ما علَوا تتبيرا**، أي ليُهلكوا ما علوا به، أي ما غلبوا به وقهروا، أي الأسباب التي بها عصوا. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما علوا**، أي ليفسدوا ما هلكوا. والتَّبار الفساد، يقال: علوت الشيء، أي ملكت.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **عسى ربكم أن يرحمكم**، يحتمل[6] أن يكون ذلك لأولئك الذين تقدم ذكرهم، وفيهم نزل ما نزل، يرحمهم إن تابوا. ويشبه أن يكون على الابتداء، عسى ربكم أن يرحمكم بمحمد. **وإن عدتم عدنا**، أي وإن عدتم[7] إلى التكذيب[8] والعصيان عُدنا إلى العقوبة والقتال إلى يوم القيامة.

وقوله عز وجل: **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**، قيل: سِجْنا[9] لا يخرجون منها، وقيل: محبِسا وحصيرا يحصرون فيها. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الإسراء، ١٧/٥.
[2] ك ن – وجوههم كما ذكر في الوعد الأول فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عبيكم عبادا لنا أولي بأس شديد فهم يسوءون.
[3] ع: يأمره. جميع النسخ + ما.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٠و.
[5] ك – يظهر.
[6] ع – يحتمل.
[7] ك: إن عدتم.
[8] م: بالتكذيب.
[9] ن ع م: سجينا.

**﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**، معنى التأنيث في قوله: **للتي هي أقوم**، قيل [فيه] بوجوه. قيل: **إن هذا القرآن يهدي** للملة التي هي أقوم الملل وأعدلها.[١] والملة هي الدين، دين الله. وقال بعضهم: يهدي إلى الأمور التي هي أعدل الأمور وأصوبها. وقيل: يهدي إلى السبيل التي هي أقوم السبل وأعدلها. يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها.[٢]

وجائز أن يكون قوله: **يهدي للتي هو أقوم**، أي للأعمال الصالحات وللخيرات، لأن الأعمال الصالحات قِوامُها به. ثم قوله: **يهدي**، يحتمل وجهين. يحتمل يبين،[٣] والثاني يدعو.[٤] فهو يهدي الكل لو استهدَوا، لكن خص هؤلاء لما منفعته[٥] تكون لمن ذكر. وقد ذكرنا أن[٦] هذا القرآن وغيره من كتب الله هدى ورحمة، يدعو[٧] إلى ثلاث خصال: إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ومصالحها، وينهى عن مساوئ الأعمال، ودانئ الأمور، وسوء الأخلاق ودناءتها؛ فهو هدى ورحمة على ما أخبر لمن استهدى به ورُشْدٌ لمن استرشد.

وقوله عز وجل: **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات**، البشارة المطلقة إنما جعل للمؤمنين الذين عملوا[٨] الصالحات، لم يذكر للمؤمنين خاصة على غير العمل الصالح، فالمسألة فيهم غير المسألة في هؤلاء.[٩] وفيه دلالة أنه يقع اسم المؤمنين بدون العمل الصالح لأنه قال: المؤمنين الذين يعلمون الصالحات، دل أن ذلك الاسم يقع بدون ذلك الاسم. وفيه دلالة أن اسم الإيمان قد يستحق بدون العمل الصالح حيث شرط[١٠] فيه العمل الصالح.

---

[١] ن: وأعدالها.
[٢] ك: ذكرنا.
[٣] ع: بين.
[٤] ع م: يدعوا.
[٥] ع م: منفعة.
[٦] ك + ذكرنا، مشطوب.
[٧] ع م: يدعوا.
[٨] ع: يعملون.
[٩] ع: وهؤلاء.
[١٠] ع م: يشرط.

وقوله عز وجل: **أن لهم أجرا كبيرا**، سماه "كبيرا" لكبير خطره عند الله كما سمى النار "عظيما" لعظم خطرها[1] عنده. أو سماه "كبيرا" لأنه أكبر ما يُقصَد إليه ويرغب فيه وهو ثواب الجنة، والنار أعظم[2] ما يُحذَّر بها ويُرهَب عنها.

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما**، إنكارهم البعث وكفرهم به هو الذي حملهم على تكذيبهم الرسلَ وكفرهم بالله لتسلم[3] لهم شهواتهم في الدنيا، لأن الرسل جميعا دعوهم إلى ترك شهواتهم في الدنيا ورغّبوهم بما يوجب لهم الثواب في الآخرة وحذّروهم[4] عما يوجب العقاب، فأنكروا الآخرة والبعث رأسا لتسلم[5] لهم الدنيا، فذلك الذي حملهم على إنكار الرسل وتكذيبهم إياهم. ألا ترى أنه قال: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[6] أي بالقرآن أو بمحمد، أي[7] إيمانهم بالبعث حملهم على الإيمان بالقرآن والرسول، وتكذيبهم الآخرة حملهم على تكذيب الرسل. *والله أعلم*.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير**، قال بعضهم: إذا غضب الإنسان يدعو على نفسه وولده وأهله ويلعن، كدعائه عليهم بالخير، لذلك[8] انتصب قوله: **دعاءَه**. وقال الحسن: إن الإنسان يتضايق صدره وقلبه بأدنى شيء يكره فيلعن على نفسه وأهله فلا يجيبه الله، ثم يدعو بالخير فيعطيه، أو نحوه من الكلام. وقوله: **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما **ويدعو الإنسان بالشر** على العلم منه بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك. والثاني **ويدعو الإنسان بالشر** لو أجيب فيه على الجهل منه والغفلة
[٤٢٣ظ] كدعائه بالخير لو أجيب في ذلك. ثم إن كان ذلك / الإنسان هو الكافرَ فهو يدعو على الاستهزاء،

---

[1] جميع النسخ: خطره.
[2] ع: وأعظم.
[3] ن ع م: ليسلم.
[4] ن ع م: وحدرهم.
[5] ن ع م: ليسلم.
[6] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدِّقُ الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٢).
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٠ظ.
[8] ع: كذلك.

كقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[١] الآية، وكذلك قوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[٢] ونحوه. وإن كان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه وأهله عند الغضب على علم منه أنه شرّ،[٣] ويدعو أيضا بالشر على السهو والغفلة منه، نحو ما يسأل الأموال[٤] والنكاح، ولعل ذلك شر له.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان عجولا**، قال بعضهم: هذا لآدم لأنه لما خلقه الله فنفخ الروح في بعض جسده همّ[٥] أن يقوم فسماه عجولا. لكن كل الإنسان خلق في الطبع من الأصل عجولا، ألا ترى أنه لا يصبر على أمر واحد ولا على شيء واحد،[٦] وإن كان نعمة لم يصبر[٧] عليها ولكن يَمَلّ عنها. وكذلك في أدنى شدة وبلاء إذا بُلِي[٨] به لم يصبر عليه، فأبَدًا يريد الانتقال من حال إلى حال. ألا ترى أن قوم موسى قد أكرمهم الله بكرامات من إنزال المنّ والسلوى عليهم من غير كدّ ولا جهد ولا مئونة، وكذلك اللباس، ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ،[٩] فسألوا ربهم الفُوم والبصل ونحوه. على هذا طبع الإنسان ملولا عجولا. ألا ترى أن الله مكن في باطنه وجعل في وسعه[١٠] رياضة نفسه وصرفها إلى أحد الوجهين اللذين[١١] يحمد[١٢] عليه ولا يذمّ وهو أن يروّضها ويعوّدها على الصبر والحلم[١٣] والوقار، ويصرف تلك العجلة إلى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها المرء بالعجلة، وإلا ففي ظاهر الخلقة والطبع منشأ على العجلة وما ذكر. ألا ترى أنه قال: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا [الْمُصَلِّينَ]،[١٤] كذا، وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٢).
[٢] سورة المعارج، ٧٠/١.
[٣] ع م – شر.
[٤] ن – الأموال؛ ع: الأمور.
[٥] ع – هم.
[٦] ع – ولا على شيء واحد.
[٧] ن: ويصبر.
[٨] ع: أبلي.
[٩] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).
[١٠] م: سعة.
[١١] ك: اللذي؛ ن – اللذين.
[١٢] ع م: يجهد.
[١٣] ن ع م: والحكم.
[١٤] سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢٢.

لكن بما امتحنه من الأمر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صيّره بحيث يملك إخراجه عما طبع وأنشئ[١] إلى حال أخرى بالرياضة التي ذكرنا. ألا ترى أنه ذكر الهَلَع والجَزَع ثم استثنى إلا كذا، وعلى ذلك خلق الله[٢] الخلق على هِمَمٍ مختلفة وأطوار متشتِّتة،[٣] لم يخلقهم جميعا على هِمَة واحدة بحيث يرغبون جميعا في معالي الأمور ومعاظم الحِرَف وأرفع الأسماء، بل طبعهم على أطباع مختلفة. فمنهم من يرغب في معالي الأمور ومعاظم[٤] الحِرف.[٥] ومنهم من كانت هِمَّته الرغبة في الدون من الأمور والحِرف كالحجامة[٦] والدِّباغة والحِياكة ونحوها، وكذلك في الأسماء. ومنهم من كانت هِمته في معالي الأمور ومعاظم الأعمال.[٧] و لو كانت همتهم همة واحدة لذهبت[٨] المنافع والمعارف جميعا. **والله أعلم.**

**﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **وجعلنا الليل والنار آيتين**، اختلف فيه، قال بعضهم: المراد بالليل والنهار الشمس[٩] والقمر، أي جعلنا في الشمس والقمر آية؛[١٠] ألا ترى أنه[١١] أضاف الآية إلى الليل والنهار[١٢] حيث قال: **فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**، وحيث[١٣] قال أيضا: **ولتعلموا عدد السنين والحساب**، وإنما يعلم ذلك بالقمر، ألا ترى أنه قال أيضا: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا،[١٤] الآية، إنما أضاف معرفة عدد السنين والحساب إلى القمر،

---

[١] ن: والشيء.
[٢] م - الله.
[٣] ع م: متشتة.
[٤] ع - ومعاظم الحرف وأرفع الأسماء بل طبعهم على أطباع مختلفة فمنهم من يرغب في معالي الأمور ومعاظم؛ ع م + الأمور.
[٥] ع م: والحرف.
[٦] ن ع م: في الحجامة.
[٧] م - من كانت همته في معالي الأمور ومعاظم الأعمال؛ م + بخلاف ذلك.
[٨] ع م: لذهب.
[٩] ع: والشمس.
[١٠] ن: انه؛ ع م - آية.
[١١] ك + قال.
[١٢] ن + آيتين.
[١٣] ن: حيث.
[١٤] ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازلَ لِتَعلموا عدد السنين والحساب﴾ (سورة يونس، ١٠/٥).

دل أنه بالقمر يعلم ذلك. وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما[١] وغيرهم من أهل التأويل. ويكون تأويل المحو الذي ذكر في قوله: **فمحونا آية الليل**، ما قالوا في محوه وهو السواد الذي يُرى فيه[٢] والنقصان الذي يكون[٣] في آخره. وقال بعضهم: تُمحَى منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا. إلى هذا يذهب[٤] هؤلاء. وأما الحسن وأبو بكر [الأصم] وهؤلاء فهم يقولون: ليس في الآية ذكر الشمس والقمر، إنما ذكر الليل والنهار، وأخبر أنه جعلهما آيتين، فهما كذلك آيتان، وبهما يعلم عدد السنين والحساب، لأنه[٥] بالأيام يعرف[٦] ذلك. فأما الشهور فإنها[٧] إنما تعرف بالقمر لا تعرف بالأيام. ويكون تأويل قوله:[٨] **فمحونا آيةَ الليل وجعلنا آية النهار مُبْصرة**، أي جعلنا آية[٩] الليل في الابتداء ممحوّة[١٠] مُظْلِمة، **وجعلنا آية النهار مبصرة**، مضيئة في الابتداء ليس أن كانا جميعا مبصرتين مضيئتين، ثم مُحِيت[١١] آية الليل وأبقيت آية النهار مضيئة. ولكن أَنشأ آية الليل في الابتداء مبصرة،[١٢] وهو كقوله: وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ،[١٣] أي أنشأهما في الابتداء كذلك، لا أن[١٤] السماء كانت[١٥] موضوعة فرفعها، وكذلك الجبال[١٦] كانت[١٧] مبسوطة ثم نصبها، ولكن أنشأهما في الابتداء كذلك. فعلى ذلك قوله: **فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**، أي جعلهما في الابتداء؛ هذا مظلما ممحوا[١٨] وهذا مبصرا مضيئا.

---

١ ع: عنهم.
٢ ع م - فيه.
٣ ك ع م + فيه.
٤ ك: ذهب؛ ع + يذهب.
٥ ع: لابه.
٦ ك: يعلم.
٧ جميع النسخ: فإنه.
٨ ع م: قوله تأويل.
٩ ع: أنه.
١٠ ع: فمحوه.
١١ جميع النسخ: محى؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٠ظ.
١٢ ن - مضيئتين ثم محيت آية الليل وأبقيت آية النهار مضيئة ولكن أنشا آية الليل في الابتداء مبصرة.
١٣ سورة الغاشية، ١٨/٨٨-١٩.
١٤ ع: أثريته؛ جميع النسخ + كان.
١٥ م - كانت.
١٦ ع - الجبال.
١٧ ك ن - كانت.
١٨ ع: لأن.

**وجعلنا الليل والنهار آيتين،**[1] هما آيتان مختلفان بل متضادتان، يُضادّ كل واحدة منها صاحبتها،[2] إذ كل واحدة تنسخ الأخرى حتى لا يبقى لها أثر. وهما آيتان دالتان[3] على وحدانية الله تعالى، لأنه لو كانا فعل عدد[4] لكان إذا أتى هذا على هذا وغلب عليه منع عن أن يكون للآخر سلطان أو أمر، فإذا لم يكن دل أنه صنع واحدٍ. وفيهما دلالة تدبيره حيث جريا على سَنَن واحد ومقدار واحد[5] على غير تفاوت يكون فيهما وتفاضل أو تغيرٍ على ما كان ومضى، دل أنه عن تدبير واحد[6] خرجا وكانا كذلك. وفيه دلالة علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسِه ولو كان النهار سرمدا لذهب منفعة النهار رأسا.
[٤٢٤و] وفيه دلالة البعث لأنه يَتلف أحدهما إذا جاء الآخر حتى لا يبقى له أثر[7] بتّة ثم يعيده / على ما كان من غير أن يُعلَّم أنه غير الأول. ثم قوله: آيتين، والآية علامة، وعلامتهما لا تعرف إلا بالتأمل والنظر فيهما، فعلى ذلك لا يفهم[8] مراد ما في القرآن والمعنى المودَع فيه إلا بالتأمل والنظر فيه. وفيهما دلالة نقض قول أصحاب الطبائع[9] وأصحاب النجوم والدهرية وجميع الملحدة.[10] أما نقض قول أصحاب الطبائع لما ذكرنا مِن اتساق مجراهما[11] على سَنَن واحد وأمر واحد،[12] دل أنه بالتدبير[13] صار كذلك، لا بالطبع.[14] وأما[15] نقض قول أصحاب النجوم لما جُعل النجوم[16] مسخرة لمنافع الخلق ومغلوبة يغلبها ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى،

[1] ن ع – آيتين.
[2] ع م: صاحبتهما.
[3] ك – دالتان.
[4] أي فعل أكثر من إله واحد.
[5] ن – ومقدار واحد.
[6] ك ع م – واحد.
[7] ع: أثريته.
[8] ك – لا يفهم.
[9] ن + وأصحاب الطبائع.
[10] م: الملاحدة.
[11] م: مجراها.
[12] ع– وأمر واحد.
[13] ع م + ما.
[14] ن – أما نقض قول أصحاب الطبائع لما ذكرنا من اتساق مجراها على سنن واحد وأمر واحد دل أنه بالتدبير صار كذلك لا بالطبع.
[15] ن: أما.
[16] ع م – لما جعل النجوم.

دل أنه لا تدبير لها وأن التدبير لغيرها. و[الرد] على غيرهم من الملحدة ما[1] ذكرنا من اتصال منافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا،[2] دل أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لتبتغوا فضلا من ربكم**، يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاشَ الذي ذكر في آية أخرى، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا.[3] ويحتمل أنواع[4] الفضل[5] [التي] تكون في الدين.

**ولتعلموا عدد السنين والحساب**[6] هو ما ذكرنا أنه بهما يُعرف **عدد السنين والحساب.**[7]

وقوله عز وجل: **وكلَّ شيء فصَّلناه تفصيلا**، يحتمل التفصيل تفصيل آية من أخرى، أي لم يجعلهما[8] آية واحدة على ما ذكر. وقال[9] الحسن: أي فصل وبين[10] ما أمر عباده ونهاهم، أي بين وفصّل ما يؤتَى مما يُتقى. **وفصلناه**، أي فصله تفصيلا لم يتركه مبهما بل بينـ[ـه] غاية البيان.

**﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾** [١٣]

وقوله عز وجل: **وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه**، اختلف في قوله: **طائره**، قال بعضهم: **طائره**، شقاوته[11] وسعادته ورزقه وعيشه. وقال بعضهم: عمله الذي عمل من خير أو شر. وقال بعضهم: حظّه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه ونحو ذلك. فذلك كله يرجع إلى معنى واحد، لأنه إنما يسعد[12] ويشقى بعمله الذي يعمله، وكذلك جزاء عمله. وكذلك[13] قال الحسن في تأويل[14] قوله: قَالُوا[15] رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا،[16] أي بأعمالنا التي عملناها.

---

[1] ع: من.
[2] ع – ومنافع هذا بهذا.
[3] سورة النبأ، ١١/٧٨.
[4] م: أنوع.
[5] ك ع م: فضل.
[6] ن – والحساب.
[7] ع م – عدد السنين والحساب.
[8] ع – يعرف وقوله عز وجل وكل شيء فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل آية من أخرى أي لم يجعلهما.
[9] ك – قال.
[10] م: بين.
[11] ع: شقاوة.
[12] ن + يبعد.
[13] ك ع: ولذلك.
[14] ك ع: تأويله.
[15] ع – قالوا.
[16] ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٦/٢٣).

ثم يخرج تسمية العمل وما ذكروا طائرا لوجهين. أحدهما على وجه التفأل[1] والطِّيَرَة؛ كانوا يتفألون[2] ويتطيّرون بأشياء بالطائر وغيره[3] ويقولون: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له بكذا من الشر، على طريق الفأل والطِّيَرَة [4] فخاطبهم على[5] ما يستعملون وأخبر أن ذلك يلزم أعناقهم، وهو ما قال الله تعالى: يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، وكقوله: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ،[6] وقوله[7] أيضا: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ،[8] الآية ونحوه.

والثاني سمى الأعمال التي عملوها طائرا لِما أن الذي يتولد منه تلك الأعمال كالطائر[9] وهو الهمة. أولًا يخطر بباله شيء[10] ففي الإخطار لا صنع له[11] فيه، ثم يهُمّ ثم تبعث الهمة على الإرادة ثم الإرادة تبعث على الطلب والعمل، فالهمة التي في النفس التي يتولد منها الأعمال كالطائر فسماه لذلك باسمه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **في عنقه**، يحتمل أن يكون العنق كناية عن النفس، أي ألزمناه نفسه، وذلك جائز، يقال: هذا لك عليّ وفي عنقي. والثاني ذَكَر العنق كما يقول الرجل لآخر[12] إذا أراد التخلص من عمل:[13] قلدتك[14] هذا العمل وجعلته في عنقك، أي تكون أنت المأخوذ به إثما[15] إن كان في ذلك شر، وأنت المأجور به المثاب إن كان فيه خير.

---

[1] ك م: التفاول؛ ن ع: التفول.

[2] ع: يتفاولون؛ م: يتفاءلون.

[3] ع: وغير.

[4] ن – كانوا يتفألون ويتطيرون بأشياء بالطائر وغيره ويقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفأل والطيرة.

[5] ع – على.

[6] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣١).

[7] ك: وقولهم.

[8] ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتنون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٤٧).

[9] ن: كالطائرة.

[10] جميع النسخ: شيئا.

[11] ك – له.

[12] ع: الآخر.

[13] م: عن عمل.

[14] ن: فلذلك؛ ع: قدرتك.

[15] ع: آثما.

والمعنى في قوله:[1] **وكلَّ إنسان ألزمنا طائره في عنقه**، أي لا يؤخذ غيره بعمله[2] وشقائه[3] ولكن هو المأخوذ به، وهو ما قال: مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وقوله: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى؛[4] هذه الآيات الثلاثة معناها واحد وهو ما ذكرنا أن لا يؤخذ غيره بعملٍ آخر ولا تحمل نفس خطيئة أخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هي تحمل خطيئة نفسها.

وقوله عز وجل: **ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي نجعل ما لزم عنقه كتابا يلقاه منشورا. والثاني أي نجعل بما ألزم عنقه كتابا.

* وقال القُتَيِي: **ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا**، وهو ما ذكرنا، أي نخرج بذلك [٤٢٤ظ س١٤
العمل كتابا.[5] وقال أبو عَوْسَجة: أي نكتب ما عمل ثم يُقلَّد[6] في عنقه فيجيء به يوم القيامة. وقال أبو عبيدة:[7] **طائرَه** حظه، وقال غيره من المفسرين: ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه. وقال القُتَيِي: وهذان المعنيان يحتاجان إلى بيان، والمعنى فيما أرى –والله أعلم– أن لكل امرئ حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه. والعرب تقول: إن كل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه وهو لازم طائر في[8] عنقه. وهذا لك علي وفي عنقي حتى أخرج منه. وإنما قيل للحظ من الخير والشر[9] طائر لقول العرب ما ذكرنا: جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على وجه الفأل والطيرة، [و]على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا،[10] وهو ما ذكر.* ٤٢٤ظ س٢٠]

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٤]

وقوله عز وجل: **إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**، قيل: شهيدا، وقيل: كافيا وحاسبا؛ وهو واحد، لأن المؤمن بما سبق من[12] صالحاته يقف فيها، لا يقطع القول فيها

[1] ك ن ع: من قوله.
[2] م: بعلمه.
[3] ك ن ع: وبشقائه.
[4] ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٥).
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٢.
[6] ع م: نقلد.
[7] ع: أبو عبيد.
[8] ع م ن – في.
[9] ك: من والشر الخير.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٢.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ورقة ٤٢٤ظ/سطر ١٤-٢٠.
[12] ع – من.

لرجائه في رحمته ولخوفه عن مساوئه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة، وأما الكافر فإنه يشهد على نفسه بالنار لما لم يكن له ما يَطمَع[1] [في] رحمته.

وقوله: **اقرأ كتابك**، أي وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[2] فيقال له: **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**. وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه بأي لسان كان، لأنه لم يبين بأي لسان يكتب،[3] ثم يتذكر جميع ما عمل في عمره، وقد ينسى الرجل عملا يعمل في أدنى مدة لكن هذا يتذكر في ساعة ووهلة ما كان عاملا منه.

**﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**، أي من اهتدى إلى ما جعل الله عليه من أنواع النعم وقام بأداء شكرها فإنما فعل ذلك لنفسه لأنه هو المنتفع به. أو يقول: من اختار الهدى وأجابه إلى ما دعاه مولاه فإنما يهتدي لنفسه، أي فإنما اختار ذلك لنفسه، لأنه هو المنتفع به وهو الساعي في فكاك رقبته.

وقوله عز وجل: **ومن ضل**،[4] أي ومن[5] اختار الضلال **فإنما يضل عليها**، أي فإنما يرجع عليها ضرره، وهو ما ذكر: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[6] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا.[7] وقوله: **ومن ضل**، عن ذلك **فإنما يضل عليها**، أي إلى نفسه يرجع ضرر ضلاله،[8] كقوله: وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ.[9]

[٤٢٤ظ] وقوله عز وجل: **ولا تزر / وازرة وزر أخرى**، هو ما[10] ذكرنا، أي لا تحمل نفس خطيئة أخرى ولا تأثم بوزر أخرى -والله أعلم- ذكر هذا ليعلم أن أمر الآخرة خلاف أمر الدنيا،

---

[1] ن - ما يطمع.
[2] الآية السابقة.
[3] ن - فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه بأي لسان كان لأنه لم يبين بأي لسان يكتب.
[4] ع م + أي من ضل.
[5] ن ع م: من.
[6] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[7] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[8] م + على نفسه.
[9] سورة لقمان، ١٢/٣١.
[10] ع: كما.

لأن في الدنيا قد تؤخذ[١] نفس مكان أخرى وتُحمل[٢] نفس مؤنة أخرى. وفي الآخرة لا تؤخذ[٣] نفس بدل أخرى. والثاني قد يتبرع[٤] بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام في فكاكها. وأما في الآخرة فلا يتبرع[٥] بذلك.

وقوله عز وجل: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، يحتمل **وما كنا معذبين**، تعذيب استئصال في الدنيا إلا بعد دفع الشبه ورفعها[٦] عن الحجج[٧] من كل وجه وبعد تمامها، وإن كانت الحجج قد لزمتهم بدون بعث الرسل، ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه. أو أن يكون قوله: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، إفضالا منه ورحمة وإن كان العذاب قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم. والعذاب الذي كانوا يعذبون هم[٨] في الدنيا ليس هو عذاب الكفر، لأن عذاب الكفر دائم أبدا لا انقطاع له وهذا مما ينقطع وينفصل، لكن يعذبون بأشياء كانت منهم من العناد ودفع الآيات. وأما عذاب الكفر[٩] فهو في الآخرة أبدا[١٠] لا ينقطع.[١١]

وفي الآية دلالة أن حجة التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل، حيث قال: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** فلو لم تلزمهم لكان الرسل إذا دعوهم إلى ذلك يقولون:[١٢] من أنتم ومن بعثكم إلينا؟ فإذا لم يكن لهم هذا الاحتجاج دل أن الحجة قد قامت عليهم. لكن الله بفضله أراد أن يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث[١٣] إليهم. لما أن أسباب العلم بالأمور ثلاثة. فمنها ما يعلم بظاهر[١٤] الحواس بالبديهة، ومنها ما يفهم ويعلم[١٥] بالتأمل والنظر، ومنها ما لا يعلم إلا بالتعليم والتنبيه.[١٦]

---

[١] ن ع م: يؤخذ.
[٢] ع م: ويحتمل.
[٣] ع م: يؤخذ.
[٤] ن ع م: تبرع.
[٥] ع: تبرع.
[٦] م: ودفعها.
[٧] ك ن: الحجة.
[٨] ن ع م: يعذبونهم.
[٩] ك – الكفر.
[١٠] ك – أبدا.
[١١] ك + أبدا.
[١٢] ع م: يقول.
[١٣] ع: بعث.
[١٤] ك: بظواهر.
[١٥] ع م – ويعلم.
[١٦] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٤ظ/سطر ١٤–٢٠.

وقوله: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، التعذيب يكون على وجوه ثلاثة. أحدها[1] يعذبهم في الدنيا ابتداء تعذيب[2] امتحانا وابتلاء بلا جريمة كانت منهم، كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[3] وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[4] ونحوه، فيكون تنبيها وتذكيرا لهم لا تكفيرا.[5]

والثاني يعذب تعذيب العناد والمكابرة، وهو تعذيب إهلاك[6] واستئصال، فهو عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم، وهو الذي يأتي على أثرِ وعيد.

والثالث عذاب الموعود في الآخرة، يقول: **وما كنا معذبين**، في الآخرة، **حتى نبعث رسولا**، في الدنيا. والأشبه أن يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استئصال. ***والله أعلم.***

**﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **وإذا أردنا أن نهلك قرية أَمَرنا مترفيها**، بالتخفيف والتثقيل: **أمرنا مترفيها.** ثم من قال: **أمَّرنا** بالتثقيل يحتمل وجهين. أحدهما **أمّرنا مترفيها**، مِن الإمارة والتسليط عليهم. أي أمّرنا عليهم وسلّطنا مترفيها، أي أكثرنا عددهم وسلّطنا مترفيها،[7] فُسّاقها ومستكبريها. والثاني **أمّرنا مترفيها**، أي أكثرنا عددهم ومنعّميهم. يذكر لهم هذا لقوله:[8] وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ،[9] الآية، وقوله:[10] نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا،[11] الآية. كانوا يزعمون أنهم لا يعذبون لأنهم قد أُنعموا في هذه الدنيا بكثرة[12] أموالهم وأولادهم،

---

[1] ع م: أحدهم.

[2] ع م: بتعذيب.

[3] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

[4] ﴿وقطّعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).

[5] أي ليس كفارة لذنوبهم.

[6] ع: هلاك.

[7] ع – أكثرنا عددهم وسطنا مترفيها.

[8] جميع النسخ: لقولهم.

[9] ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/ ٢٣).

[10] جميع النسخ: ولقولهم.

[11] ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤-٣٥).

[12] جميع النسخ: وأكثروا.

فأخبر[١] عز وجل أنه ما أهلك من الأمم الخالية إلا بعد ما كثر عددهم ووسّع عليهم الدنيا، لم يُهلَكوا في حال القِلّة والضيق، كقوله: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا،[٢] أي كثروا، وقوله: حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ،[٣] لم يأخذ بالعذاب الأمم الخالية إلا في حال كثرتهم وأمنهم وعزتهم بالسفه.[٤] يحذر هؤلاء لئلا يغتروا بكثرة أموالهم وأولادهم وعددهم. ومن قال: **أَمَرنا مترفيها** بالتخفيف هو من الأمر، أي أمرنا عظماءهم وكبراءهم طاعة الرسل والإجابة إلى ما دعوهم[٥] إليه حتى إذا عصوا رسله وتركوا إجابتهم على العناد والمكابرة فعند ذلك يُهلَكون، لما ذكرنا أنه لم يَستأصل الأمم الخالية إلا بعد عنادهم في آيات الله ومكابرتهم في دفعها وتكذيبها، لا يهلكهم في أول ما كذبوا آيات الله[٦] وخالفوا رسله.

وقوله: **مترفيها**، قال بعضهم: المترف المنعَم، وقال بعضهم: المترف المكرَم والمستكبِر، وكله واحد.

وفي قوله: **وإذا أردنا أن نهلك قرية**، دلالة أن الإرادة غير المراد، لأنه أخبر بتقدم الإرادة عن وقت الإهلاك، دل[٧] أنها غيره.[٨] وفيه أنه أراد السبب الذي به يُهلَكون وهو التكذيب والعناد / لما علم منهم أنهم يختارون ذلك، إذ لا يحتمل أن يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك. [٤٢٥و]
فهذا يرد قول المعتزلة أن الإرادة هي المراد وأنه لم يُرد ما كان منهم من سبب الهلاك. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **فحقَّ عليها القول**، بما أراد إهلاكهم وجب عليهم. أو يكون قوله: **فحق عليها القول** بما أخبر عن الأمم[٩] الخالية، وهو قوله: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ،[١٠] الآية.

وقوله عز وجل: **فدمرناها تدميرا**، أي أهلكناها إهلاكا.

---

[١] ن ع: أخبرهم.

[٢] ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفَوا وقالوا قد مسَّ آباءنا الضراءُ والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٩٥).

[٣] ﴿فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٤).

[٤] ع: بالسمعة.

[٥] جميع النسخ: دعاهم.

[٦] ن – الله.

[٧] ن – دل.

[٨] ك ن ع: غير.

[٩] ع: أمم.

[١٠] ﴿ملعونين أينما ثُقفوا أُخذوا وقُتِّلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦١-٦٢).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**، يحتمل أن يكون الخبير والبصير واحدا، ويشبه أن يكون بينهما فرق: الخبير العالم بأعمالهم، والبصير بمصالحهم ومعاشهم[١] وجزائهم، يقال: فلان بصير في أمر كذا، وفلان أبصر من فلان. ويحتمل أن يكون: **بذنوب عباده**، هي[٢] مكرهم الذي كانوا يمكرون برسول الله، فقال: وكفى بمكرهم الذي يمكرون بك.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما يشاء لمن نريد**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أنهم كانوا يعملون بأعمالهم الحسنة في حال كفرهم من نحو الإنفاق والصدقات وبذل الأموال[٣] وغير ذلك، يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا. فأخبر أنه من أراد بما يفعل ذلك **عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**. والثاني[٤] يكون قوله: **من كان يريد العاجلة**، أي[٥] يريد بها[٦] جمع الأموال وسعتها **عجلنا له فيها ما يشاء لمن نريد**. ثم أخبر أنه لا كل من أرادها يُعَجَّل له ذلك ولا ما أراد يُعَجَّل له ذلك، ولكن إنما يعجّل ما أراد الله ولمن أراد، إذ لا كل من أراد شيئا يعطَى له ذلك.

ثم أخبر عما يعطى في الآخرة من أراد العاجلة فقال: **ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**، أي **مذموما** بما يسمى بأسماء قبيحة دنيئة مذمومة عند[٧] الخلق، أو يذم ويلام في النار. **مدحورا** مطرودا من الأسماء الحسنى ومن الخيرات، أو مبعدا عن رحمته.[٨] وقوله: **مذموما**، عند نفسه، أي يذم نفسه يومئذ، أو **مذموما** عند الملائكة والخلق جميعا. وفي قوله: **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح**، وجهان. أحدهما يحتمل أن يكون أراد بإهلاكه إياهم[٩] موتهم بآجالهم،

---

[١] ع: ومعاشيهم.
[٢] ك ن: هو؛ ع م: وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٢و.
[٣] ع م: الأمور.
[٤] ع + ان.
[٥] م + لا.
[٦] ع م + الا.
[٧] ع: عن.
[٨] ك: من رحمته.
[٩] ن – إياهم.

يقول: هم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم[١] كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم[٢] أحد. ويحتمل أن يكون الإهلاك ههنا إهلاك استئصال، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه قد استووا في هذه الدنيا، أعني الولي والعدو،[٣] وفي الحكمة التمييز بينهما[٤] والتفريق فلا بد من دار يفرق[٥] بينهما فيها ويميز. والثاني قد هلكوا جميعا. وفي العقل والحكمة إنشاء الخلق للإفناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل، فدل أن هنالك دارا[٦] أخرى هي المقصودة حتى صار خلق هؤلاء حكمة، وفيه إلزام البعث.

**﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾**[١٩]

وقوله تعالى **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن**، تفسير قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، كأنه قال: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ وهو كافر بربه مكذب بالآخرة عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[٧] ومن كان يريد الآخرة **وهو مؤمن** بربه مصدق بالآخرة[٨] **وسعى لها سعيها [فأولئك كان سعيهم مشكورا]**،[٩] أي مجزيا مقبولا. السعي المشكور هو[١٠] الذي يجزى[١١] ويثاب عليه. وقوله: **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها**[١٢] **وهو مؤمن**، هذا يدل أنهم إنما أرادوا العاجلة بكفرهم بالآخرة. ثم أخبر أنه من أراد بعمله[١٣] في الدنيا الآخرة ولها سعى[١٤] ما سعى **وهو مؤمن** بها، **فأولئك كان سعيهم مشكورا**، أي مجزيا مقبولا.

---

[١] ع: او.
[٢] ن + ويحتمل أن يكون أراد بإهلاكه إياهم موتهم بآجالهم يقول هم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم.
[٣] ن: العدو.
[٤] ع: فيها.
[٥] ن ع م: تفرق.
[٦] جميع النسخ: دار.
[٧] ن – كأنه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر بربه مكذب بالآخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. الآية السابقة.
[٨] ع: بربه.
[٩] جميع النسخ + الآية.
[١٠] ك ن: وهو.
[١١] ن ع م + عليه.
[١٢] ع م – الآية أي مجزيا مقبولا السعي المشكور هو الذي يجزى ويثاب عليه وقوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها.
[١٣] ن – بعمله.
[١٤] م: سعيها.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك،**[١] أي المؤمن والكافر، نعطي[٢] هذا وهذا، أي لا نحرم عن العاجلة من أراد الآخرة. يخبر بخبر أولئك الكفرة بكفرهم بالآخرة أنه ليس يُعطِي الدنيا وسَعَتها لمن يكفر بالآخرة، ولكن يعطي من كفر بها ومن آمن بها لئلا يحملهم ذلك على حبهم الدنيا وطلب العز والشرف فيها على كفرهم بالآخرة حيث قال: **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء،** أي يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر.

وقوله عز وجل: **وما كان عطاء ربك محظورا،** أي رزق ربك وفضله محظورا، قال بعضهم: محبوسا وممنوعا،[٣] وقال بعضهم: **محظورا،** أي منقوصا، فهو في الآخرة، أي لا يُنقَصون في الآخرة من جزائهم. وروي في الخبر عن رسول[٤] الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا.[٥] وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان العبد همه الآخرة كفى الله له من ضيعته وجعل غناه[٦] في قلبه، وإذا كان همُّه الدنيا أفشى الله عليه ضيعتَه وجعل فقرَه بين عينيه فلا يمسي إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا.»[٧]

وقوله[٨] مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ، للعاجلة، عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[٩] وأما من كان يريد العاجلة للآخرة[١٠] فهو ليس بمذموم، فهو ما ذكر[١١] في قوله: فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا،[١٢] وهو ما قال: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ،[١٣] الآية،

---

[١] ن ع م – من عطاء ربك.
[٢] ع م: يعطى.
[٣] ك ن: ممنوعا.
[٤] ك ن ع: نبي.
[٥] لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، إلا أنه ورد في *سنن ابن ماجة* (الزهد ٢): «مَنْ كانت الدنيا هَمَّهُ فَرَّقَ الله عليه أمرَه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتَتْهُ الدُّنيا وَهِيَ رَاغِمَة».
[٦] ن: غناءه؛ ع: غناؤه.
[٧] ورد الحديث: «من كانت الآخرة همّه جعل الله غِناهُ في قلبه وجمع له شمله وأتَتْهُ الدُّنيا وَهِيَ رَاغِمَة ومن كانت الدنيا هَمَّه جعل الله فَقرَه بين عينَيه وفرّق عليه شَمْلَه ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له». *سنن الترمذي*، صفة القيامة ٣٠.
[٨] ك ن + من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد.
[٩] سورة الإسراء، ١٨/١٧.
[١٠] ك ن + ويراها للآخرة.
[١١] ك ن: ذكرنا.
[١٢] الآية السابقة.
[١٣] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون﴾ (سورة هود، ١٥/١١).

وقوله: اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ.[١] حياة الدنيا للدنيا لعب ولهو، وأما من أراد الحياة الدنيا لحياة[٢] الآخرة فهو ليس بلعب ولهو، لأن الدنيا لم تنشأ لنفسها إنما أنشأت للآخرة، فمن رآها لها وأرادها لنفسها فهو لعب ولهو، ومن رآها[٣] / للآخرة[٤] وأرادها للآخرة فهو ليس بلعب ولا لهو. [٤٢٥ظ]

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض**، في الدنيا في الرزق وفي الخلقة، يكون بعضهم أعمى وبعضهم بصيرا، ويكون أصم ويكون سميعا ونحوه. فعلى ما يكونون[٥] في الدنيا على التفاوت والتفاضل[٦] يكونون في الآخرة كذلك في المنزلة والقدر عند الله، لا في الضيق والسعة والأحوال التي يكونون في الدنيا، حيث قال: **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**، ولم يقل أكثر ولا أوسع، دل أنه على القدر والمنزلة عند الله، لا على اختلاف الأحوال التي يكونون في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [٢٢]

وقوله عز وجل: **لا تجعل**[٧] **مع الله إلها آخر**، قد ذكرنا فيما تقدم أن النهي في مثل هذا والخطاب لرسوله وإن كان غير موهوم ذلك منه للعصمة التي عصمه، فإنه غير مستحيل[٨] لما ذكرنا أن العصمة إنما[٩] يُنتفع بها مع الأمر والنهي،[١٠] لأنه لولا الأمر والنهي[١١] لما[١٢] احتيج إليها. أو خاطبه به على إرادة غير على ما يخاطب به ملوكُ الأرض الأقرب إليهم والأعظم والخطير منهم دون خسائس الناس ورُذّالهم. والثاني أنه يخاطب كلّا في نفسه ليس أنه يخص رسوله بذلك ولكن كلٍّ موهومٍ ذلك منه.

---

[١] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).
[٢] ن: بحياة.
[٣] ع: يراها.
[٤] ن - للآخرة.
[٥] ن ع م: يكون.
[٦] م: والتفضل.
[٧] ن - لا تجعل.
[٨] ع + التي عصمه؛ م + في ذاته.
[٩] ع: لما.
[١٠] ن ع م: مع النهي والأمر.
[١١] ع - لأنه لولا الأمر والنهي.
[١٢] ن ع م: ما.

ومحتمل أن يخاطِب به كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[1] يَا أَيُّهَا النَّاسُ،[2] ليس إنسان أحق بهذا الخطاب من إنسان، فعلى ذلك الأول. أو نقول:[3] يخاطب رسوله ليعلم من دونه أن ليس لأحد -وإن عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته- محاباة في الدين، لأن الرسل هم المكرَّمون على الله[4] المعظمون عنده، فإذا لم يَعف عنهم[5] في هذا لم يعف [عن] من دونهم. ألا ترى أنه قال للملائكة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[6] وهم أكرم خلق الله حيث وصفهم أنهم: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[7] فعلى ذلك الرسل. ألا ترى أنه قال على أثره: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، إلى قوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[8] ومعلوم أن أبويه كانا ضالَّين فلا يحتمل أن يخاطب رسوله في قوله: وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا،[9] دل أنه خاطب به كل محتمل ذلك منه وموهوم.

وقوله عز وجل: **فتقعدَ مذموما**، عند الناس، **مخذولا**، أي ذليلا مقهورا؛ لأن الخذلان هو ضد النصر والعون، ألا ترى أنه قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ،[10] الآية. ذكر[11] الخذلان مقابل النصر، فعلى ذلك قوله: **مخذولا**، أي مقهورا ذليلا[12] غير منصور. ***والله أعلم***.

**﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**، قال بعضهم: **قضى** حكم، وقال بعضهم: **قضى** ههنا أمر، أي أمر ربك **ألا تعبدوا إلا إياه**. وقال بعضهم: **قضى ربك**، أي وصَّى ربك،

---

[1] ك + ما غرك. سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[2] سورة البقرة، ٢١/٢.
[3] جميع النسخ: أو يقول.
[4] ع - الله.
[5] ك: يعفوا هم؛ ن ع م: يعفوهم.
[6] سورة الأنبياء، ٢٩/٢١.
[7] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[8] الآية التالية.
[9] سورة الإسراء، ٢٤/١٧.
[10] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (سورة آل عمران، ١٦٠/٣).
[11] ع: وذكر.
[12] ن: دليلا مقهورا + لأن الخذلان.

وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأبيّ رضي الله عنهما أنهما كانا يقرآن: ووصّى ربك.[١] وقال[٢] بعضهم: وعهد ربك. وقال[٣] القُتَبِي: **وقضى ربك**، أي حتم ربك[٤] وهو من[٥] الفرض والإلزام، أي فرض ربك وألزم **أن لا تعبدوا إلا إياه**، وكذلك حكم ربك[٦] وهو أشبه. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثم قال: وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ،[٧] دل قوله: وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ، أن قوله: إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ، معناه أي فرض الله ورسوله وَحكما أمرا.

ثم قوله: **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**، فرض وحتم[٨] وحكم وأمر أن لا تعبدوا إلا إياه، إلا الإله المعبود الحق المستحق للعبادة والألوهية[٩] والربوبية، لا تعبدوا دونه أحدا. وقد أبان لنا أنه هو الإله والرب المستحق للعبادة والألوهية والربوبية، لا الذين تعبدون من دونه من الأوثان والأصنام بوجوه ثلاثة. أحدها عجز العقول وجهالتها عن درك كيفية العقول وماهيتها،[١٠] لأن العقول لا تعرف كيفية أنفسها ولا ماهيتها وتعرف محاسن الأشياء ومقابحها، فقد عرفت الألوهية لله وحسن العبادة له وقبحها لغيره.

والثاني ما يوجد في جميع الخلائق من أثار ألوهيته وربوبيته وجَعْلِ العبادة له شكرا له، وعلى ذلك جَعَل في كل جارحة من جوارح الإنسان عبادة شكرا له[١١] لما فيها من آثار ألوهيته.

والثالث[١٢] السمع، أنبأنا أن لا معبود إلا الله ولا ألوهية لسواه دونه، فذلك معنى ما فرض على خلقه وأمرهم أن لا يعبدوا إلا إياه.

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٥٤.
[٢] م: قال.
[٣] ع: قال.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٣.
[٥] ع: ومن هو.
[٦] ع م – من.
[٧] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣ /١٣١).
[٨] ن: وختم.
[٩] ك ع – والألوهية؛ ن + لا الذين.
[١٠] م: وما بينها.
[١١] ن – له.
[١٢] ن – والثالث.

وتأويل حكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه لما أنشأ في خلقة كل أحد آثار وحدانيته وشهادة ربوبيته واستحقاق[1] العبادة له، فذلك تأويل من قال: **قضى**، أي حكم. وأما تأويل[2] من قال: **قضى**، أي أمر **ربك** وكلّف **أن لا تعبدوا إلا إياه** يكون فيه أمرا بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره، كأنه[3] قال: أمر ربك أن اعبدوه ونهاكم أن تعبدوا غيره.

ثم الفرق بين الطاعة والعبادة: يجوز أن يطاع غيره ولا يجوز أن يعبد غيره، لأن الطاعة هي الائتمار، كقوله: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ،[4] أي ائتمروا. وأما العبادة هي الاستسلام والخضوع له، والشكر له ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله. أو أن يكون في العبادة معنى لا يدرك كمعنى الرحمن لا يدرك حيث لم يجز[5] تسمية غيره به، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وبالوالدين إحسانا**، كأنه قال: وفرَض عليكم أيضا وحكَم إحسانَ الوالدين، أو أمركم بإحسان الوالدين.[6] ثم الإحسان في عرف الناس[7] هو الفعل الذي ليس عليه، إنما هو فضل [٤٢٦و] ومعروف يصنعه إلى غيره. هذا هو الإحسان / في العرف واللغة. لكن المراد من الأمر بالإحسان إلى الوالدين هو الشكر، لا ما ذكرنا من الإحسان المعروف عند الناس، وهو ما ذكر في آية أخرى: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ،[8] لأن الشكر هو المكافأة والجزاء لما أُنعم وصُنع من المعروف فهو –والله أعلم– وإن ذُكر الإحسان في هذا وفي غيره من[9] الآيات وهو قوله: أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[10] وقال في آية أخرى: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[11] وغيرها من الآيات، فالمراد منه –والله أعلم– الشكر لهما لما ذكر في آية أخرى: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ.[12]

---

[1] م: استحقاق.
[2] ن – قضى أي حكم وأما تأويل.
[3] ع: كمعنى.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (سورة النساء، ٥٩/٤).
[5] جميع النسخ: لم يجوز.
[6] ع م – أو أمركم بإحسان الوالدين.
[7] ن + في عرف الناس.
[8] ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمه وَهْنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ (سورة لقمان، ١٤/٣١).
[9] ن + الإحسان.
[10] ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الأنعام، ١٥١/٦).
[11] سورة النساء، ٣٦/٤.
[12] سبق قريبا.

والشكر هو المكافأة، أمره أن يكافئ لهما ويجازي بعض ما كان منهما إليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعد ما خرج من البطن، حتى كانا يُؤْثرانه على أنفسهما في السرور ويجعلان أنفسهما وقاية له من كل سوء ومحذور. فأمر الولد أن يشكر لوالديه جزاء ومكافأة لما كان منهما إليه مما ذكرنا. هذا ذُكر في الحال التي عجزا هما عن القيام لأمر أنفسهما والحوائج لهما. وذلك -والله أعلم- لأنهما إذا كانا قويين قادرين لحوائج أنفسهما ومنافعهما يَبَرّان ولدهما ويحسنان إليه، فيحمل برهما وإحسانهما إليه على الطاعة لهما في البر والإحسان إليهما على المجازاة. وهكذا المعروف عند الناس أنه إذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك على المكافأة ليدوم ذلك بينهم[1] وأن لا ينقطع، لذلك ذكر -والله أعلم- الإحسان إلى الوالدين في الحال التي هي حال ضعف وعجز حيث قال:

**إما يبلغن عندك الْكِبَرَ أحدُهما أو كلاهما.** ثم أمره أن يذكر الحال التي هو عليها وهو حال طفولته[2] وصغره أن كيف ربياه وبراه[3] وعطفا عليه ولانا له قولا وفعلا حتى لم يستقذرا منه شيئا ما[4] يستقذر الناس بعضهم من بعض و لم يُبعدا عنه[5] ما يبعد الخلق بعضهم من بعض[6] من أنواع الأذى والخبث. فأمره أن يعاملهما إذا بلغا[7] الحال التي كان[8] هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يُستقذر منهما ويُبعد عنهما، أي لا يستقذر هو منهما ولا يَبعد عنهما كما لم يستقذرا هما منه،[9] ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة إليه كما لم يفعلاهما له،[10] بل يلين لهما[11] ويَذِلّ كما لانا هما[12] له وخضعا، وهو ما قال: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ،[13] الآية،

---

[1] ع م: عليهم.
[2] م: طفوليته.
[3] م: وبرا.
[4] ع - ما.
[5] ك ن ع: ولم يبعداه عنهما؛ م: ولم يبعدهما عنه.
[6] م - من بعض.
[7] ن - إذا بلغا.
[8] ع - كان.
[9] ن: لم يستقذرا منهما.
[10] ك - له.
[11] ع م - لهما.
[12] ك - هما.
[13] ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العُمُر لكي لا يعلمَ بعد علم شيئا إن الله عليم قدير﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٠).

وقال في آية أخرى: ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً.[1] أخبر أنه يردّ من بعد القوة والعلم إلى الحال التي كانوا عليها، وهو حال[2] الضعف والجهل، حيث قال: وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ،[3] الآية، وقال: ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ،[4] الآية، فقال:

**فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما.** وقال بعضهم: قوله: **فلا تقل لهما أف**، هو كناية عن إظهار الكراهة لهما[5] في الوجه. **ولا تنهرهما**، أي لا تعنّفهما في القول والكلام على ما لم[6] يفعلا هما بك. وقال بعضهم: **أفٍّ**، المراد منه هو أف لا غير. **ولا تنهرهما**، أي لا تُعنِّفهما ولا تَخَشَّنْ. لكنه ذكر أول حال الاستثقال والكراهة منه وآخرها. أي **لا تقل لهما أف** على ما يَستثقل الناس شيئا ويكرهون في أول حال يرون شيئا مستثقَلا مكروها يقولون: أف، أي لا تقل أُفٍّ لئلا يحمل ذلك على العنف والخشونة والنَّهر. وعلى هذا المعنى قالوا في قوله: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ،[7] الآية. قال بعضهم: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ، ليحفظوا فروجهم،[8] لأن النظر بالبصر يحمله على الزنى في الفرج، ومنه يكون بدء[9] الفجور. وقال بعضهم: قوله: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، ذَكَر أول حال وآخرها ليمتنعوا[10] عن كل ذلك. فعلى ذلك[11] قالوا في[12] قوله: **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**، ذَكَر أول الحال وآخرها. والثاني، أي لا تُظهرْ في[13] وجهك من الكراهة والاستثقال

---

[1] سورة الروم، ٣٠/٥٤.
[2] م: وحال.
[3] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٨).
[4] سبق قريبا.
[5] ع م: هما.
[6] م - لم.
[7] سورة النور، ٢٤/٣٠.
[8] ع + ذلك على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا المعنى قالوا في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم الآية قال بعضهم يغضوا من أبصارهم ليحفظوا فروجهم.
[9] ك: بدؤ؛ ع م: بدأ.
[10] ع: وليمتنعوا.
[11] ع - فعلى ذلك.
[12] ع م - قالوا في.
[13] ع - في.

لئلا يحمل[١] ذلك على العنف والانتهار. فإن كان تأويل قوله: **أُفّ**، أُفٍ لا غير ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله: إذا نفخ المصلي في موضع سجوده فهو[٢] كلام يقطع صلاته، حيث قال: **فلا تقل لهما أف**، أي لا تتكلم[٣] به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقل لهما قولا كريما**، حيث نهاه أن يقول لهما أف ونهاه أن ينهرهما، فإذا امتنع عن الأف والنَّهر كان بعد ذلك قولا ليّنا لطيفا.

قال أبو عَوْسَجَة: يقال: نهرتُه وانتهرتُه، وهو الخشِن من الكلام، شبيه[٤] الوعيد. وقال أبو بكر الكيساني [الأصم]: الكريم هو الذي يتولى على آخر نعمه ويهنئه[٥] بترك الأذى والمنّ، كقوله:[٦] [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.[٧] وقال غيره في وصف السخي:[٨] [هو] الذي يبذُل ما احتوى عليه لمن احتاج إليه ويقطع[٩] طمعه[١٠] عما احتوى عليه غيرُه عند حاجته إليه. ويشبه أن يكون الكريم قريبا منه.[١١]

فإن قيل: إن الوالدين[١٢] كالمجبولين المطبوعَين على البر لأولادهما والشفقة عليهم ولا كذلك الأولاد، فكيف يشبه بِرّ مَن كان مجبولا به مطبوعا[١٣] عليه برّ مَن لم يكن ذلك بطبعه؟

قيل: لذلك[١٤] ذكر هذا في الولد دون الوالدين وأمرهم[١٥] بذلك، لأن ما يفعل الوالدان من البر والإحسان إلى الولد يفعلان بطبع، والولد لا، لذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***. ولهذا[١٦] لم يجعل

---

[١] جميع النسخ: ليحمل.
[٢] ك ن ع: هو؛ م: وهو.
[٣] ع م: لا يتكلم.
[٤] م: سفيه.
[٥] جميع النسخ: ويهنيه.
[٦] ك: بقوله.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٦٤.
[٨] جميع النسخ + فقال.
[٩] جميع النسخ: وقطع.
[١٠] ع م: طعمه.
[١١] ن – منه.
[١٢] ن: الدين.
[١٣] م: ومطبوعا.
[١٤] ع: كذلك.
[١٥] أي الأولاد.
[١٦] جميع النسخ + ما.

ولم يَشرع قتل الوالد بولده إذ[1] القصاص [لم] يُجعل[2] حياةً بينهم. وشَرَع قتل الولد بوالديه إذ في الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس في الولد ذلك، فجعل في قتل الولد والدَه القصاصَ ولم يجعل[3] في قتل الوالدين ولدَهما، / فعلى ذلك هذا[4] في البر والإحسان. [٤٢٦ظ]

فإن قيل: ما الحكمة فيما قرن الله من شكر والديه شكره في غير آي من القرآن: [مثل: أَنِ] اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ؟[5]

قيل: لأنه بهما كان نماؤه من أول حاله إلى آخر[6] ما انتهى إليه من التغذية والتربية والوقاية عن كل سوء، والحفظ عن كل آفة وشر.

وفي الآية دليل لقول أبي حنيفة حيث قال في المُكَاتَب: إذا اشترى والده أو أمّه صار مكاتبًا، وإذا اشترى أخاه أو ذا رَحِمٍ مَحرمٍ منه لم يصر مكاتبا مثله،[7] لأن الأب والأم يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر، فعليه ذلك. وأما الأخ وغيره من المحارم بحق المعروف، فمِلْكه لا يحتمل ذلك.

والخطاب من الله وإن كان مع رسوله فالمراد منه غيره، لأن رسول الله معلوم أنه لم يدرك والديه في الوقت[8] الذي أُرسل فيه[9] وخاطبه بما خاطب، دل أنه أراد بالخطاب غيره:[10] كلَّ محتمِل منه[11] ذلك وموهومٍ منه، وأمره أن يعاملها بالمعاملة التي ذكر. *والله أعلم*.

**﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**، يحتمل أن يكون الجناح كناية عن اليدين، لأن اليدين في الإنسان بموضع الجناح للطائر، وجناح الطائر يداه. فكأنه قال:

---

[1] ع: إذا.
[2] ك ن ع: جعل؛ م – جعل.
[3] ن – الولد والده القصاص و لم يجعل.
[4] ك: ههنا؛ ن – هذا.
[5] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (سورة لقمان، ٣١/١٤).
[6] ن: حال.
[7] م – مثله.
[8] ع: إلى الوقت.
[9] جميع النسخ: إليه.
[10] ع: غير.
[11] ن ع م – منه.

اخفض واخضَعْ لهما بيديك، كما أمره أن يخضع لهما بلسانه[1] بقوله: وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا،[2] أي اخضع لهما قولا وفعلا. ويحتمل أن يكون الجناح كناية عن النفس، أي اخضع[3] لهما بجميع النفس والجوارح. وقوله: **الذل**، يحتمل أن يكون المراد من الذل الذل نفسه، أي كن لهما كالمستعين المحتاج إليهما لا كالمعين[4] لهما قاضي الحاجة، ولكن ذليلاً[5] كالمستعين من الآخر رافع الحاجة إليه. ويحتمل أن يكون **الذل** كناية عن الرحمة التي تكون في القلب، أي اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا، ألا ترى أنه قال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[6] أي رحماء على المؤمنين، أشداء على الكافرين، ألا ترى أنه قال في آية أخرى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.[7] وذَكَر مقابل الذل في تلك الآية الرحمةَ في هذا، ومقابل العزة الشدةَ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون قوله: **جَنَاحَ الذُّلِّ** كناية عن الرحمة فيكون معناه: أن اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا في قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا.[8] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقل ربِّ ارحمها كما ربَّياني صغيرا**، قال بعضهم: **رب ارحمهما كما ربياني**، إذ ربياني،[9] **صغيرا**، ويحتمل أن يكون[10] على الإضمار فيكون –والله أعلم– كأنه قال: **رب ارحمهما** كما رحماني **وربياني صغيرا**.

وقول أهل التأويل: إن هذا منسوخ نسخه قوله: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ،[11] الآية، بعيد. وأمكن أن تكون[12] الآية في المؤمنين والكافرين، فالرحمة التي

---

[1] ك + لهما.
[2] الآية السابقة.
[3] ع م: خضع.
[4] ن: إلا كالمعين.
[5] ن ع: ذليل.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).
[7] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).
[8] الآية السابقة.
[9] ع م – إذ ربياني.
[10] ع م – يكون.
[11] ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/ ١١٣).
[12] جميع النسخ: أن يكون.

ذكر تكون في الكافرين سؤال الهداية لهم وجَعْلَهم[1] أهلا للرحمة والمغفرة، وذلك جائز كقول نوح لقومه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[2] أي استهدَوا ربكم فيهديكم[3] فيغفرْ لكم ما كان منكم، إِنَّهُ كَانَ، لم يزل، غَفَّارًا. إذ لا يحتمل أن يأمرهم بالاستغفار ويعِدَهم بالمغفرة على الحال التي هم عليها، وكذلك استغفار إبراهيم لأبيه. أو أن يكون من الرحمة التي يتراحم بعضهم لبعض[4] والشفقة التي تكون بين الناس كما يُتراحم للصغار[5] والضعفاء. ثم مثل هذه[6] المعاملة التي أمر الولد أن يعامل أبويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الأخلاق أن يعامل[7] الناس بعضهم بعضا. غير أن هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم، وذاك[8] فرض[9] لازم، لأنها[10] بحق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما إليه من البر والإحسان وحق التربية، أو لتعظيم[11] حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما، وهو كما قال لرسوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[12] وإلا فقد وصف المؤمنين بتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[13] وأمرهم بذلك.

[٤٢٦ظ س٣٩] *وقال أبو عَوْسَجَة في قوله: **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**، أي لِن لهما وارفُق بهما. ذكر بر اللسان للوالدين ولطفه إياهما قولا وفعلا، وليس في ظاهر الآية ذكر البر بالمال والإنفاق عليهما، فيشبه أن يكون ذلك داخلا في قوله: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.[14] أو لم يذكر ذلك لما أن مال الولد مال لهما، ألا ترى إلى ما روي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبوه فقال: يا رسول الله إن لي مالا وإن لي أبا وله مال،

[1] ك: وجعلا.
[2] سورة نوح، ١٠/٧١.
[3] م: فنهديكم.
[4] م: بعضا.
[5] جميع النسخ: الصغار.
[6] م: هذا.
[7] م: يعاملهم.
[8] ع م: وذلك.
[9] ع م - فرض.
[10] ك ن: لأنهما.
[11] ع م: أو التعظيم.
[12] سورة الشعراء، ٢١٥/٢٦.
[13] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[14] الآية السابقة.

وإنّ أبي يريد أن يأخذ مالي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت ومالك لأبيك.»[١] أولا ترى أيضا أنه أضاف بيوت الولد إليهما حيث قال: أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ،[٢] قوله: مِنْ بُيُوتِكُمْ، معناه [من] بيوت أبنائكم.* ٤٢٧و س٦]

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، قال بعضهم: قوله: **أعلم بما في نفوسكم** من أسرار المحبة لهما والبر والكرامة. وقال بعضهم:[٤] **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، أي أعلم ما تفعله نفوسكم، وهو كما قال عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي،[٥] أي تعلم ما تفعله نفسي ولا أعلم ما في نفسك من التدبير والتقدير. فعلى ذلك هذا. وجائز أن يكون قوله: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، صلة قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ،[٦] الآية، أي ربكم أعلم بما في ضميركم من الاستقذار إياهما والاستثقال والكراهة إذا بلغا[٧] المبلغ الذي ذكر، ولكن لا تُظهِرْ[٨] ذلك لهما ولا يوافق[٩] ظاهرك باطنك.[١٠] أو أن يقول: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، ولا يعلم غيره ما في نفوسكم،[١١] فلا تُرَاءُوا[١٢] الناس[١٣] ولا تصرفوا ما في ضميركم إلى من لا يعلم ذلك. يخاطب الكل على الابتداء أن لا يجعل ما في قلبه لغيره، بل يخلص له. أو أن يكون قوله: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، أي ما تفعله أنفسكم وتُدبّرها.

---

[١] انظر: *سنن ابن ماجة*، التجارات ٦٤؛ و*سنن أبي داود*، الإجارة ٤٣.

[٢] ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم﴾ (سورة النور، ٢٤/٦١).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٦ظ/سطر ٣٩ - ورقة ٤٢٧و/سطر ٦.

[٤] ع م - بعضهم.

[٥] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ٥/ ١١٦).

[٦] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.

[٧] ع م: بلغ.

[٨] ع م: يظهر.

[٩] ن ع م: توافق.

[١٠] ع: وباطنك.

[١١] ع م - ولا يعلم غيره ما في نفوسكم.

[١٢] ك ن: فلا تراؤن؛ ع م: فلا يرون.

[١٣] ن + ما في قلوبكم.

وقوله عز وجل: **إن تكونوا صالحين**، أي تصيروا[١] صالحين، لأن قوله: **تكونوا** إنما هو في حادث الوقت. وقوله عز وجل:[٢] **فإنه كان للأوابين غفورا**، يشبه أن يكون قوله: **إن تكونوا صالحين**، صلة قوله وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[٣] وتكونوا صالحين[٤] **فإنه كان للأوابين غفورا**،[٥] أي فإنه لم يزل غفورا،[٦] للأوابين ولمن شاء.[٧] ثم اختلف في الأواب، قال بعضهم: الأواب الرجّاع التوّاب، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال[٨] القُتَبي: الأواب التائب مرة بعد مرة، وهو مِن آبَ يؤوب، أي رجع،[٩] وهما واحد. وقال بعضهم: الأواب المطيع، وقيل: المسبّح ونحوه.[١٠]

[٤٢٧و] / وقال بعضهم[١١] في قوله: **إنه كان للأوابين غفورا**: إنه صلاة الضحى ويروى في ذلك خبرًا، روي [عن] زيد بن أرقم قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى فقال: «صلاة الأوابين إذا رَمِضَت الفِصال.»[١٢] وفي خبر آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرني[١٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث: أمرني أن أصوم ثلاثا في كل شهر، وأن لا أنام إلا على وِتر، وأن أصلي ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين.[١٤] وقد يروى أحاديث كثيرة في الحَثّ على صلاة الضحى وفضلها[١٥] وأنه صلى هو ركعتين وأربعا وستا وثمانيا ما يكثر ذكرها ويطول.[١٦]

---

[١] ن – أي تصيروا.
[٢] ن – لأن قوله تكونوا إنما هو في حادث الوقت وقوله عز وجل.
[٣] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
[٤] ع م – صلة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وتكونوا صالحين.
[٥] ن – يشبه أن يكون قوله إن تكونوا صالحين صلة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وتكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا.
[٦] ع م – أي فإنه لم يزل غفورا.
[٧] م: يشاء.
[٨] ع م: قال.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٣.
[١٠] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٤ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٦ظ/سطر ٣٩ – ورقة ٤٢٧و/سطر ٦.
[١١] م: بعض.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٥؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٤٣-١٤٤؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٥٣. "صلاة الأوابين إذا رَمِضَت الفِصال" وهي أن تحمى الرَّمْضاء، وهي الرمل، فتبرك الفصال من شدة حرّها وإحراقها أخفافها (*النهاية* لابن الأثير، «رمض»).
[١٣] م: أمر.
[١٤] صحيح *البخاري*، التهجد ٣٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ٧٦، ٧٩.
[١٥] ع: وفعلها.
[١٦] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦، ٧٤؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ١٢.

ومن صلاها فإنما صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل اللزوم الواجب أو السنة المؤكدة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة، فكان كصلاة الليل يدرِك فاعلُها الفضل.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**، كأن[١] الآية هي صلة قوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[٢] أي وقضى أيضا أن تؤتي ذا القربى[٣] حقه ومن ذَكَر، أي فرض وحتم وحَكَم على اختلاف ما قالوا. وهو كقوله: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى،[٤] الآية. أمر عز وجل بِبِرّ الوالدين والشكر لهما وصلةِ ذي القربى فريضة ومن ذكر. ثم اختلفوا في قوله: **حقَّه**، قال بعضهم: ذلك الحق فريضة وهو الزكاة، حيث جَعَل ذلك صلةَ ما هو فرض وهو الشكر لله، وجعلَ العبادة له وشكر الوالدين جزاء لما كان منهما إليه، وقد ذكرنا أن ذلك فرض لازم، فعلى ذلك صلة هؤلاء، إذ صلتهم فريضة لما جاء من المواعيد الشديدة في قطع الرَّحِم والترغيب في صلتهم. ومنهم من قال: ذلك الحق نفل، ألا ترى أنه قال: **ولا تُبذّر تبذيرا**، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[٥] وقال: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا،[٦] فلا يحتمل ما ذكر من الإعراض عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا [أن يكون] في الفرض، دل أنه في النفل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تبذر تبذيرا**، قال بعضهم: التبذير والإسراف واحد وهو المجاوزة عن الحد الذي جعل في الإنفاق والحقوق. أو المجاوزة[٧] عن المحق إلى غير المحق.[٨] روي عن ابن مسعود أنه سئل عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه.[٩] وقال بعضهم: التبذير هو الإنفاق فيما لا ينتفع به. ويحتمل ما ذكرنا أنه يترك الإنفاق على المحق وهم ذَوُوا[١٠] القربى وينفق على الأجنبيين.

---

[١] ن: كانت.
[٢] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.
[٣] ع: ذي القربى.
[٤] سورة النساء، ٤/٣٦.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/٢٩.
[٦] سورة الإسراء، ١٧/٢٨.
[٧] ع م: والمجاوزة.
[٨] ع: عن المحق غير المحق؛ م: عن المحق وغير المحق.
[٩] ع: عنهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/٧٣.
[١٠] ن: ذوا؛ ع: ذوي؛ م: ذو.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [٢٧]

وقوله عز وجل: **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**، أي كانوا أولياء الشياطين. **وكان الشيطان لربه كفورا**، أي كفورا[١] لنعم ربه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [٢٨]

وقوله عز وجل: **وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها**، عن[٢] الحسن قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسأَل فيقول: «ما لآل محمد، وإنهم لتسعة أهل أبيات، إلا صاعٌ من طعام.»[٣] فأنزل الله تعالى: **فقل لهم قولا ميسورا**، أي عِدهُم أن سوف يأتي الرزق.[٤] وعن[٥] ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله: **وإما تعرضن عنهم**، إذا سألوك وليس عندك شيء انتظرت رزقا من الله يأتيك: **فقل لهم قولا ميسورا**، يكون -إن شاء الله- شِبهَ العِدَة، وأمثالَ هذا قالوه. ويحتمل قوله: **وإما تعرضن عنهم**، إعراض الوجه، ويحتمل إعراض الإجابة، فذلك يكون للاستثقال[٦] والاستخفاف مرة، ولما ليس عنده[٧] شيء يعطيهم ثانيا. لكن لا تعرف أن الإعراض كان للاستثقال والاستخفاف أو لما ليس عنده ما يعطيهم فَأَمَر أن يبين لهم أن الإعراض عنهم ليس للاستثقال والاستخفاف، وكذلك ترك الإجابة لهم ولكن لما ليس عنده شيء، ليعلموا أن الإعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاستثقال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم، أو يطلب ما يعطيهم وهو ما قال: **فقل لهم قولا ميسورا**. أجمع[٨] أهل التأويل أن هذا الإعراض هو ليس[٩] للسؤال،[١٠] لأنه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم، فذلك الإعراض يَرجع منفعتُه[١١] إلى السؤال.

---

[١] ع: كفور.
[٢] ع: قال.
[٣] ورد الحديث بمفظ: «مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِلَّا صَاعٌ وَلَا أَمْسَى، وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ.» انظر: *صحيح البخاري*، الرهن ١.
[٤] جميع النسخ: بالرزق.
[٥] م: عن.
[٦] ع م: بالاستثقال.
[٧] ع: عند.
[٨] ع: جمع.
[٩] ع م - ليس.
[١٠] ك ن: السؤال؛ ع م: لسؤال.
[١١] م: منفعة.

ثم اختلفوا في قوله: **ميسورا**، قال بعضهم: عِدهم عِدَة حسنة: إذا كان ذلك أعطيناكم،[١] وقال بعضهم: أي عدهم خيرا، وقال بعضهم:[٢] قل لهم قولا ليّنا وسهلا،[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: **ميسورا**، أي حسنا وهو من التيسير؛[٤] ونحوَ ذلك قالوا: أي[٥] أُرْدُد عليهم ردا حسنا ليقع عندهم أن الإعراض لما ليس عنده شيء، لا لوجه آخر. *والله أعلم*.[٦]

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، في الإنفاق إذا كان عندك، **ولا تبسطها كل البسط**، فيلومك من رجاك. ولكن لِما قال:[٧] وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا،[٨] / الآية، أمر الله أن ينفقوا نفقة ليس فيها سَرَف ولا إقتار، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٤٢٧ظ] وغيره. وقال بعضهم: لا تمسكْ عن النفقة[٩] فيما أمرك ربك به عن الحق، **ولا تبسطها كل البسط** فيما[١٠] نهاك عنه، **فتقعد** كذا. وقال بعضهم: هذا نهي عن البخل والسرف،[١١] فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله: **ولا تبسطها كل البسط**[١٢] نهيا عن الجود. ولا يحتمل أن ينهى أحدا[١٣] عن البخل والجود لأنهما غريزتان طبيعيّتان،[١٤] ولا ينهى أحد[١٥] عما كان سبيله الطبع والغريزة. ولكن ما ذكرنا -والله أعلم- من كفّ اليد وقبضها عن الإنفاق في الحق والمحق وبسطها في غير الحق وذي الحق.

---

[١] ع م: أعطيناك.
[٢] ن - أي عدهم خيرا وقال بعضهم.
[٣] ك: سهلا.
[٤] ع م: التفسير.
[٥] ك - أي.
[٦] ع م - والله أعلم.
[٧] ك ن: ما قال.
[٨] ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (سورة الفرقان، ٦٧/٢٥).
[٩] ع: على النفقة.
[١٠] م: فيهما.
[١١] أي القسم الأول من الآية نهي عن البخل، والقسم الثاني نهي عن السرف.
[١٢] ع- فيما نهاك عنه فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهي عن البخل والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط.
[١٣] م: أحد.
[١٤] ن ع م: طبعيان.
[١٥] ن: أحدهما.

وقال أبو بكر الأصم: دل قوله: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، أن قول اليهود: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، أنهم لم يريدوا حقيقة اليد ولكن التضييق والتقتير، وكذلك لم يُرِد بقوله: بَلْ يَدَاهُ[1] مَبْسُوطَتَانِ، حقيقة بسط اليد ولكن أراد التوسيع في الرزق والتكثير، ألا ترى أنه قال: يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.[2]

ثم يحتمل الخطاب في هذه الآيات الوجوه الثلاثة التي ذكرنا فيما تقدم في غير موضع. أحدها أنه خاطب رسوله بذلك كله وأشرك[3] فيه قومه. وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله[4] بأشياء فيشرك قومَه في ذلك.

والثاني خاطب كلا في نفسه، نحو ما ذكرنا في وقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[5] يَا أَيُّهَا[6] النَّاسُ،[7] وقوله: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[8] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ،[9] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،[10] ونحوه من الخطابات، خاطب كل أحد في نفسه، إذ لا يحتمل أن يخاطب في قوله: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره، بل الخطاب به كل الناس وكل إنسان.

والثالث خاطب رسوله على إرادة غيره، على سبيل الخصوصية له، نحو ما يخاطِب ملوكُ الأرض خواصَّهم وأعقلهم من رعيتهم على إرادة ذلك الخطاب غير المخاطبين، فعلى ذلك يحتمل هذا.[11]

أو أن يكون خاطب بقوله: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، غيره ممن يمسك، ويخاطب بقوله: **ولا تبسطها كل البسط**، رسول الله، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل أن يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فتقعدَ ملوما محسورا**، يحتمل قوله: **ملوما** عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بأنك لِمَ أنفقتَ، وعند الناس لِما لم تجد ما تُنفق عليهم، وعند الله أيضا إذا أنفقت في غير حق.

[1] ن – بل يداه.
[2] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[3] جميع النسخ: وشارك.
[4] ن + بذلك كله وشارك فيه قومه وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله.
[5] سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[6] ك ن: ويا أيها.
[7] سورة البقرة، ٢١/٢.
[8] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[9] سورة الفلق، ١/١١٣.
[10] سورة الناس، ١/١١٤.
[11] ن: ذلك.

**محسورا**، قال القُتَبِي: أي يَحسُرك العطيةُ ويقطعك كما يحسُر السفرُ البعيرَ فيبقى منقطعا.[١] وقال أبو عَوْسَجَة: هو من الحسرة وهي الندامة، يقال: حُسِر الرجل فهو محسور. وقال: التبذير الفساد، **وملوما**، أي مغموما[٢] محزونا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، أي هو يوسّع الرزق على من يوسع، وهو يَقْتُر ويضيّق على من يضيق ويقتر؛ أي ذلك إلى الله لا إلى الخلق ليقطعوا الرجاء من الخلق ويروا ذلك من الله [و]لا يرون[ه] من غيره. والثاني ذكر هذا ليدوم الفضل لمن ذكَر الفضلَ ويتبينَ ذلك لهم، حيث قال: أُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً.[٣] ومن الناس من قال بأن قوله: **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، صلة قوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[٤] يقول: -والله أعلم- إنك إن منعته[٥] وحرَمته وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسطُ لم يضرَّه منعُك ولا حرمانك.[٦] ولو وسّعت عليه وبسطت وكان في تقديره التضيق[٧] والتقتير[٨] لم ينفعه[٩] بسطُك ولا توسيعك، ليعلموا أن التوسيع والبسط والتضييق والمنع من الله.[١٠] أو ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ويطمعوا[١١] في رحمته وفضله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**، أي عالما بأعمالهم، بصيرا بمصالحهم وما لهم وما عليهم. أو أن يكون الخبير والبصير واحدا. أو ذكر هذا ليعلم أنه على علم بما يكون منهم، أنشأهم من الخلاف لأمره والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وإنشاؤه إياهم،

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٤.
[٢] م: ملوما.
[٣] سورة الإسراء، ٢١/١٧.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ع: منفعته.
[٦] ن ع م: ولا حرمانه.
[٧] ع: الضيق؛ م: التضيق.
[٨] ن: والتقدير.
[٩] ع: ولم ينفعه.
[١٠] ع م: منه.
[١١] ع: ولا يطمعوا.

على علم بما يكون منهم، عن الحكمة. لأنه لا منفعة له في طاعتهم إياه وائتمارهم،[1] ولا مضرة عليه ولا تَبِعة في خلافهم إياه، بل المنفعة والمضرة في ذلك راجعة إليهم. لذلك كان إنشاؤه إياهم على علم بما يكون منهم حكمة. ومن ملوك الأرض سفهاء وجهلاء لأن ما يرسلون من الرسل يعملون[2] من الأعمال ويسعون لمنافع أنفسهم ولدفع مضارهم، فإذا فعلوا شيئا يضرهم على علم منهم بالضرر[3] كان ذلك سفها.[4] *والله أعلم*.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**، قال أبو بكر الأصم: إن من عادة العرب أنهم كانوا يقتلون البنات ويقتلون البنين إذا صاروا بحيث لا ينتفعون بهم، ويقتلون الآباء والأمهات إذا بلغوا أرذل العمر. فنهى الله أهل الإسلام عن الاستنان بسنتهم وأمر أن يَبَرُّوا الآباء والأمهات إذا بلغوا ذلك المبلغ، وهو ما قال: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[5] إلى آخر ما ذكر. وفي قتل ما كانوا يقتلون من البنات قطعُ التناسل والتوالد الذي كان المقصود من إنشاء هذا العالم ذلك، إذ المقصود من إنشاء[6] العالم هذا الذي ذكرنا، وفي قتل البنات قطع ذلك وذهاب المقصود من إنشائه. ثم قال: **نحن**[7] **نرزقهم**
[٢٨٤و] **وإياكم**، / أي هم لا يأكلون من أرزاقكم، بل لكل منكم رزق على حِدَة ليس في بقائهم نقصان في رزقكم ولا في فنائهم زيادة، بل كل[8] يأكل رزقه. أَوَلا ترون أنه قد[9] أنشأ لهم رزقا لا شَرِكة لكم فيه، وهو ما أنشأ لهم من اللبن في الضرع ولا تنتفعون[10] أنتم به. فظهر أن كلا يأكل رزقه لا يُدخِل[11] بعض في رزق بعض نقصانا.

---

[1] ك ع م: وايتمارهم
[2] جميع النسخ: ويعملون.
[3] ع: بالضرورة.
[4] م: سفهاء.
[5] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[6] ك + هذا.
[7] ع م – نحن.
[8] ع: لكل.
[9] ك – قد.
[10] ع م: ولا تنفعون.
[11] ن + لا يدخل.

ثم قال: **إن قتلهم كان خِطْئًا كبيرا**، أي **إن قتلهم** في العقول، **كان خِطْئًا كبيرا**[١] لما ذكرنا[٢] أن في قتلهم قطعَ ما به قَصَد[٣] إنشاء هذا العالم وفناءه. أو يقول: **إن قتلهم كان خِطْئًا كبيرا**، في الأمم الخالية. ويشبه أن يكون خطاب ما خاطب به[٤] هؤلاء الآياتُ من قتل[٥] الأولاد والزنى وقتل النفس بغير حق وغير ذلك ما تقدم وما تأخر لوجهين. أحدهما ما كان للعرب [من] أفعالِ وعاداتِ السوءِ مما تخرج على السفه والقبح في العقل خارجةً عن الحكمة، [فـ]نهاهم عن ذلك. والثاني ذَكر هذا ونَهى لما علم أنه قد يكون في خلقه أن يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك على ما ذكر. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٣٢]**

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**، أي في العقل كان وقت ما كان فاحشة، لأن في إباحة الزنى ذهابَ المعارف التي بها يوصل إلى الحكمة والعلم. أو **كان فاحشة** في الحكمة. ألا ترى أنه قال: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٦] دل قوله: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ. على أن هناك[٧] فحشاءَ قبل الأمر في الحكمة أو في العقل حتى قال: لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، إذ لو لم يكن لكان قال: "لا يأمر" حَسْبُ. وفي إباحة قتل الأنفس ذهاب[٨] ما به قصد من إنشاء العالم. أخبر عز وجل في قتل الأولاد **أنه**[٩] كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا،[١٠] وهو ما يعظم في العقل. وذَكَر في الزنى **فاحشة**، وهو ما يَفحُش في العقل والحكمة. وذكر في قتل النفس[١١] الإسراف وقال: **فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ**.[١٢] والإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. ويحتمل قوله: **ولا تقربوا الزنى**، أي لا تزنوا، **إنه**[١٣] **كان فاحشة**. ويحتمل: **لا تقربوا**، الأسباب التي بها يوصل إلى الزنى.

---

[١] ع م – أي إن قتلهم في العقول كان خطئا كبيرا.
[٢] ع: ذكر.
[٣] جميع النسخ + في.
[٤] ك ن: في؛ ع – به.
[٥] ك: من قبل.
[٦] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[٧] ك ع م: هنالك.
[٨] ع: وذهاب.
[٩] ع م – في قتل الأولاد انه.
[١٠] الآية السابقة.
[١١] ك: الأنفس.
[١٢] الآية التالية.
[١٣] ن ع م: فإنه.

[٤٢٨ظ س٨ *وفي قوله: **ولا تقربوا الزنى**، يحتمل النهي عن نفس الزنى، ويحتمل أسباب الزنى من نحو القبلة والمسّ وغيره على ما ذكر: «العينان تَزْنِيَان واليدان تزنيان والفرج يصدّق ذلك
٤٢٨ظ س١٠] كله أو يكذّب.»[١]*

**﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يحِلّ دم امرئ مسلم إلا في ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق».[٣] حرم الله قتل النفس بغير حق، إذ في إباحته[٤] ذهاب ما قصد من إنشاء[٥] العالم، وفي التحريم[٦] حياة الأنفس؛ وفي إباحة الزنى ذهاب المعارف وجهالتها، وفي تحريمها[٧] حياة المعارف وبقاؤها[٨] والوصول إلى الحكمة والعلوم التي يطلب بعضهم من بعض، إذ لا يُعرَف أهل الحكمة من غيرهم، ففي ذلك[٩] ذهاب العلوم والحكمة. وفي القتل على الدين إذا[١٠] استبدله[١١] حياة الدين، لأن من تفكر قتلَ نفسه إذا ترك الدين -أعني دين الإسلام- ورجع عنه لم يترك دينه[١٢] الإسلام. ومن تفكر رجمه بالزنى امتنع عن الزنى وتركه. ومن تفكر أنه يُقتَل إذ قتَل غيره امتنع عن قتله. ولذلك قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.[١٣]

فإن قيل في المرأة إذا ارتدّت عن الإسلام: إنها لا تقتل.

---

[١] صحيح *البخاري*، الاستئذان ١٢، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٨ظ/سطر ٨-١٠.
[٣] صحيح *البخاري*، الديات ٦؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٢٥-٢٦.
[٤] ك: إباحة.
[٥] ك + هذا.
[٦] ع: أو في التحريم.
[٧] ن: وفي تحريمه.
[٨] جميع النسخ: وإبقائها.
[٩] ع م: وفي ذلك.
[١٠] م: إذ.
[١١] ن: إذا استبدل.
[١٢] ع: دين.
[١٣] ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة، ١٧٩/٢).

قيل: لأنه ليس في قتلها حياة الدين، لأن النساء أتباع للرجال في الدين لأنهن يُسلمن بإسلام أزواجهن ويصِرن ذمة بذمة الأزواج، فإذا كان كذلك فليس في قتلهن حياة. ألا ترى أنه روي أن فلانا أسلم وأسلم[١] معه كذا وكذا[٢] نسوة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، والحق ما ذكرنا. وقوله: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله**.[٣] يحتمل بالإسلام أو بالذمة بإعطاء الجزية. و **إلا بالحق**، ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا**، قيل: **سلطانا**، أي تسلطا وقهرا. وقال بعضهم: **سلطانا**، أي حجة على القتل فيما يستوجب به القصاص. ثم ذكر أنه جعل لولي القتيل سلطانا و لم يذكر أيّ ولي. فيشبه أن يكون المراد من الولي الذي يَخلُف الميت في التَرِكة وهم الورثة، إذ هو حق كغيره[٤] من الحقوق فذلك إلى الورثة، فعلى ذلك حق الدم. فكأنه قال: **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا** لورثته **سلطانا**، أي حجة فيما يستوجب. وفي ظاهر هذه الآية دلالة أن لواحد[٥] من الورثة القيامَ باستيفاء الدم، إذ لو كان للكل[٦] الاستيفاء لدخل في ذلك الإسراف الذي ذكر: **فلا يسرف في القتل**، إذ لو ضربه كل الورثة لصار في ذلك مثله، وقد منعوا عن ذلك. فإذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: إن الورثة إذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا، للكبار أن يقوموا بالاستيفاء دون أن ينتظروا بلوغ الصغار. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فلا يُسرف في القتل**، قال[٧] بعضهم: لا تقتلْ[٨] غير قاتلِ وليك،[٩] إذ[١٠] كان من عادة العرب قتلُ غير القاتل. وقال بعضهم: **فلا يسرف في القتل**، أي لا يجاوز الحد الذي جعل الله في القصاص من القتل والجِراحات. وقال بعضهم: **فلا يسرف في القتل**،

---

[١] ع – وأسلم.
[٢] ك ن: كذا.
[٣] ع + إلا بالحق.
[٤] ن: في غيره؛ م: كغير.
[٥] ع م: الواحد.
[٦] م: لكل.
[٧] ن: وقال.
[٨] ع م: لا يقتل.
[٩] م: وذلك.
[١٠] ع: إذا.

أي في القتل[1] الأول حيث قتل نفسا بغير حق فذلك إسراف كما قال: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا.[2]

وقوله: **فلا يسرف في القتل**، هذا يحتمل أن يكون خاطب به ولي القتيل فقال: **فلا يسرف في القتل**، أي لا يجاوز[3] الحد الذي جُعل له، على ما روي: إذا قتلتَ[4] فأحسِن القتل.[5] والثاني خاطب به القاتل يقول له:[6] لا تقتل فإنه إسراف. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنه كان منصورا**، قال بعضهم: إن المقتول كان منصورا[7] بالولي ينصره الولي، بقوله: **فقد جعلنا لوليه سلطانا**. ويحتمل **منصورا**، بالمسلمين، أي على المسلمين والحكام وغيرهم دفع ذلك القتل عنه. هذا على تأويل / من يتأول في قوله: **فلا يُسرِفْ في القتل**، قتلِ [٤٢٨ظ] غيرِ قاتلٍ وليّه أو يزيد في جراحاته ويَمْثُل[8] مَثْلا،[9] يقول: احذروا ذلك فإن على المسلمين دفع ذلك عنه. أو **كان منصورا** في الآخرة.

وفي ظاهر هذه الآية دلالة أن القصاص واجب بين الأحرار والعبيد وبين أهل الإسلام وأهل الذمة، لأن الله عز وجل قال: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، فكانت[10] أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الآية، لأنها محرَّمة. وفيه ما ذكرنا أن للكبير من الورثة قتلَه وإن كان فيهم صغار. وروي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قَتل قاتلِ أبيه فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا يومئذ.

ويحتمل أن يكون قوله:[11] **إنه كان منصورا**، في ظاهر هذا أن القاتل هو كان منصورا،

---

[1] ع م – أي لا يجاوز الحد الذي جعل الله في القصاص من والقتل والجراحات وقال بعضهم فلا يسرف في القتل أي في القتل.
[2] سورة المائدة، ٣٢/٥.
[3] ن ع م: تجاوز.
[4] م: قلت.
[5] *سنن الترمذي*، الديات ١٤؛ و*سنن النسائي*، الضحايا ٢٢، ٢٤.
[6] ك م: بقوله.
[7] ن – قال بعضهم إن المقتول كان منصورا.
[8] ع: وبمثل.
[9] يقال: مَثَلْتُ أَمْثُل بالقتيل مَثْلا: إذا جدعتَ أنفَه أو أُذُنَهُ أو مذاكيره أو شيئا من أطرافه والاسم: المُثْلة (*النهاية* لابن الأثير، «مثل»).
[10] ن: فكان.
[11] ع م – قوله.

لأنه قال:[١] **كان منصورا**،[٢] و لم[٣] يقل هو منصور. فجائز أن يقول: **كان منصورا** قبل قتل هذا، إذ[٤] كان على المسلمين نصره،[٥] فلما قَتل كان غير منصور.[٦] إلا أن يقال: إن الولي صار منصورا، وذلك جائز.[٧]

**﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، قوله: **أحسن**، هو [صيغة] أفعل، فإن كان في الأشكال فهو على غاية[٨] الحسن، وإن كان في الجواهر[٩] فهو على طلب الحسن، كقوله: وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] أي اتبعوا[١١] ما هو طاعة. كأنه قال: ولا تقربوا مال اليتيم إلا ما هو خير له وحَسَن، وهو[١٢] ما قال: وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا،[١٣] يقول: لا تقربوا[١٤] إسرافا وبدارا[١٥] ولكن اقربوا ما هو خير له. وإن كان على طلب الغاية من الحسْن فهو ما قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا قرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يَقْرَبْه إلا لمنفعة حاضرة لليتيم، لا يقربْ ماله لمنفعة مرجوّة. وإذا قَرِبَ مال اليتيم[١٦] لليتيم فإنه يجوز أن يقربه لمنفعة مرجوّة له[١٧] وإن لم يكن فيه منفعة حاضرةٌ. وقد ذكرنا تأويله وما فيه من الدلالة لقول[١٨] أبي حنيفة رحمه الله فيما تقدم في سورة الأنعام.[١٩]

---

[١] ن – قال.
[٢] ع م – لأنه قال كان منصورا.
[٣] ع م: أو لم.
[٤] ع م: إذا.
[٥] ن ع م: نصرة.
[٦] ع: منصورا.
[٧] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٨ظ/سطر ٨-١٠.
[٨] ك: في غاية.
[٩] جميع النسخ: في الجوهرين.
[١٠] ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٥٥).
[١١] جميع النسخ: اتبع.
[١٢] ن – وهو.
[١٣] سورة النساء، ٤/٦.
[١٤] ن ع م: لا تأكلوا.
[١٥] ن – أن يكبروا يقول لا تأكلوا إسرافا وبدارا.
[١٦] ك + نفسه.
[١٧] ن – له.
[١٨] م: يقول.
[١٩] انظر تفسير الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

ثم من الناس من احتج بهذه الآية لقول أبي حنيفة[1] حيث قال: إن للوصي أن يبيع مال اليتيم من نفسه إذا[2] كان خيرا له، لأنّ له أن يبيع من غيره بمثل قيمته، فدل أن ذكر الخير له إذا كان يبيع من نفسه.

وقوله: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، كأنه على الإضمار، أي **لا تقربوا مال اليتيم إلا** بالوجوه التي **هي أحسن** له وأنفع، وهو الحفظ له وطلب الربح والنماء. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **حتى يبلغ أشده**، أي حتى يستحكم عقله ويستتمّ[3] تدبيره في ماله وأمره فعند ذلك يكون الأمر إليه، وليس فيه أنه لا يكون بعد ذلك الأمرُ إلى الوصي إن كان، ولكن بإذنه يبيع ويشتري.

[٤٢٩و س١٤ * وقال القُتَبِي: **حتى يبلغ أشده**، أي يتناهى في الثبات إلى حال الرجال، ويقال: ثماني عشرة سنة. وقال: أَشُدُّ اليتيم غيرُ أَشُدِّ الرجل في قوله: حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.[4] والأُشُدّ ما ذكرنا من استحكام عقله وتدبيره إلى أن لا يؤخذ بالنقصان، وهو إذا جاوز أربعين

٤٢٩و س١٨] يأخذ في النقصان، وإلى أربعين[5] يكون على الزيادة والنماء. *

وقوله عز وجل: **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**. يحتمل أن يكون قوله: **بالعهد**،[7] العهود[8] والمواثيق التي بين الناس، أمروا بوفاء ذلك. ويحتمل الأمر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الآيات من الأمر والنهي من نحو ما قال: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[9] إلى هذا الموضع، أي وأوفوا بذلك كله فإن ذلك كله[10] كان[11] مسئولا يُسأل عنه، وفاءً كان ذلك أو نقضًا. وقال بعضهم: **إن العهد كان مسئولا**، أي ناقض العهد كان مسئولا.

---

[1] ك + رحمه الله.
[2] ع: إذ.
[3] م: ويشد.
[4] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرْها ووضعته كُرْها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال...﴾ (سورة الأحقاف، ١٥/٤٦).
[5] م: إلى أربعين.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ١٤– ١٨.
[7] ن – بالعهد.
[8] ن: بالعهود.
[9] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
[10] ع – فإن ذلك كله.
[11] ن – كان.

ثم إن العهد على وجوه. أحدها عهد خِلقة، أو العهد الذي أخذ عليهم على ألسُن الرسل، أو العهد الذي يجري بين الناس. *والله أعلم*.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [٣٥]

وقوله عز وجل: **وأوفوا الكيل إذا كلتم**، أَمَر بتوفير الكيل إذا كالوا، والوزنِ إذا وزنوا لهم وإيفاء حقوقهم، وهو ما قال: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[1] إن من عادتهم إذا كالوا أو وزنوا[2] بخسوا[3] الناس أشياءهم ولم يوفّروا[4] حقوقهم. فنهاهم عن ذلك وأوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ.[5] ذِكرُ تخصيص الكيلي والوزنيّ من بين سائر الأشياء يحتمل وجهين. أحدهما لما بهما يجري عامة معاملة الناس فأمرهم بإيفاء ذلك. والثاني لخوف الربا لأن الكيلي والوزني هما اللذان يكونان دَينا في الذمة، فإذا أُخذ شيء منهما أخذ عما كان دينا في الذمة، فإن نقص أو زاد فيكون ربا، لذلك خُصّ وإن كان غيره من الأشياء يؤمر بالإيفاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وزنوا بالقسطاس المستقيم**، قال بعضهم: القسطاس حرف أخذ من الكتب السالفة ليس بمعرفة. وقال بعضهم: هو العدل، أي زِنُوا بالعدل. وقال بعضهم: هو الميزان، كقوله: أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ.[6] وقال بعضهم: القسطاس القبّان.[7] فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الأمر[8] بتوفير الكيل والوزن[9] والإيفاء لحقوقهم[10] والنهي عن البخس والنقصان.

وقوله عز وجل: **ذلك خير وأحسن تأويلا**، يحتمل قوله: **ذلك خير**، ما ذكر من توفير الكيل والوزن وإيفاء الحقوق خير في الدنيا،[11] لما فيه أمن لهم من الناس، **وأحسن تأويلا**،

---

[1] سورة هود، ٨٥/١١.
[2] ع م: ووزنوا.
[3] ك: بنوا؛ ع م: تبخسوا.
[4] م: ولم يعرفوا.
[5] سورة المطففين، ٨٣/١-٣.
[6] سورة هود، ٨٥/١١.
[7] القبّان: الذي يوزن به، الميزان.
[8] ن: الأمور.
[9] ك ن: المكيال والميزان.
[10] ن: بحقوقهم.
[11] ن: من الدنيا.

أي أحسن عاقبة في الآخرة. ويحتمل قوله: **ذلك**، ما ذكر في هذه الآيات من أولها إلى آخرها
إذا عملوا بها[1] خير لهم في الدنيا **وأحسن**. / **تأويلا**، أي عاقبة. [٤٢٩و]

* وفي قوله: **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**، دلالة جواز الاجتهاد، [٤٢٩و س٢٠
لأنه أمر بإيفاء الكيل والوزن، ولا يُقدَر على ذلك إلا باجتهاد[2] الكائل والوازن، لأن كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص، وربما كال الرجل الشيء ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد أو ينقص،[3] ولا يكاد يستوي الكيلان وإن كانا من رجل واحد. وإنما تكليف الاجتهاد في كيله ترك[4] التعمد للزيادة أو النقصان فيه،[5] فإذا فعل ذلك فقد وَفّر الكيل وأدى الواجب. وهذا عندنا أصل الاجتهاد والاستحسان، لأن الكائل إنما يجتهد في تَوفِيَة[6] الحق ولا يعلم يقينا أنه وفر ما كان عليه من الكيل الذي سماه في العقد. فعلى ذلك الاستحسان إنما هو اجتهاد العالم
في اختيار أحسن ما يقدر عليه إذا لم يكن للحادثة أصل يردّها عليه ويشبّهها[7] به. *والله أعلم*. * ٤٢٩و س٢٧]

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣٦]

وقول: **ولا تقف ما ليس لك به علم**، قيل: **لا تقف**، أي لا تقل، وقيل: لا تَرْمِ،[9] وقيل: لا تتبع. فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به. ولا تَرْمِ[10] ما ليس لك به علم، ولا تقل ما ليس لك به علم.[11]

**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**، قال بعضهم: **كل أولئك**، يعني السمع والبصر والفؤاد يُسْأَل عما عمل صاحبه، كقوله: ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ،[12] الآية،

---

[1] ك – بها.
[2] ع: على ذلك الاجتهاد.
[3] ع م: وينقص.
[4] جميع النسخ: وترك.
[5] ع م – فيه.
[6] ع م: في توفيقه.
[7] ع م: ويشبّها.
■ وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ٢٠– ٢٧.
[9] رَمَى فلان يَرْمِي إذا ظن ظَنًّا غيرَ مُصيب؛ قال أبو منصور: هو مثل قوله: رَجْمًا بالغيب (*لسان العرب*، «رمي»).
[10] ك – صح هـ: وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به ولا ترم.
[11] ع – ولا تقل ما ليس لك به علم.
[12] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٣٦/٦٥).

وقوله: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ،[١] يُسأل هؤلاء[٢] عما عمل صاحبها فيشهدون عليه. وقال بعضهم: هو عن كل أولئك كان مسئولا، أي يُسأل المرء عما استعمل هذه الجوارح وأنه فيم[٣] استعملها. وقال بعضهم: قوله: **كل**[٤] **أولئك**، يعني الخلائق جميعا، **كان عنه**، يعني عما ذكر من السمع والبصر والفؤاد **مسئولا**. وقال بعضهم في قوله: **ولا تقف ما ليس لك به علم**، يقول: لا تقل: رأيتُ و لم تر، وسمعتُ و لم تسمع، وعلمتُ و لم تعلم. ومنهم من قال [هو] في شهادة الزور.

فإن احتج محتجّ[٥] بهذا في إبطال القياس والاجتهاد فيقول:[٦] إذا قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم. لكن ليس كذا، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث بآرائهم وشاوروا في أمورهم. وولّى أبو بكر عمرَ[٧] رضوان الله عليهما[٨] الخلافة بغير نص من الرسول عليها، وجعلها عمرُ شورى بينهم و لم يُروَ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا نقول:[٩] إنهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لم يعلموا. فدل ما ذكرنا أن معنى قول الله: **ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم**، ليس يدخل فيه الاجتهاد في الأحكام وتَشبيهُهُ الفرعَ الحادث بالأصل المنصوص عليه. ***والله أعلم***.[١٠]

ويحتمل قوله: **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد**، أي لا تقف ما ليس لك به[١١] علم بأسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر. وجائز أن يكون قوله:[١٢] **إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسئولا**، يسأل عن شكر هذه الأشياء، أو يسأل عما امتُحن بهذه الأشياء.[١٣]

---

[١] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠).
[٢] م: نسأل.
[٣] ك م: فيما.
[٤] ع م –كل.
[٥] ن ع م: يحتج.
[٦] ك: فنقول.
[٧] ع: وعمر.
[٨] ك ن – رضوان الله عليهما.
[٩] ن: تقول.
[١٠] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٤ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ١٤–١٨.
[١١] ع م – به.
[١٢] ع م– قوله.
[١٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٥ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ٢٠–٢٧.

**﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **ولا تمش في الأرض مرحا**، ليس النهي عن المشي نفسه إنما النهي للمشي المَرِح. ثم النهي عن الشيء[١] يوجب ضده، وكذلك الأمر. ثم[٢] إن النهي عن الشيء يوجب الأمر بضده، والأمر بالشيء يوجب النهي عن ضده.[٣] وهاهنا نَهيٌ عن المَرَح[٤] فيكون أمرا بما ذُكر، كقوله: وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.[٥] وقال بعضهم: **مَرَحا** بطرا وأشِرًا، وقيل: متعظما متكبرا بالخُيَلاء.

وقوله[٦] عز وجل: **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**، قال بعضهم: ذكر خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا، لأن من الخلائق من يخرق الأرض ويدخلها ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة. ثم لم يتكبروا على الله ولا تَعظَّموا عليه ولا على رسوله، بل خضعوا له. فمن لم يبلغ في القوة والشدة ذلك [فهو] أحرى أن يخضع له ويتواضع ولا يتكبر.

ويحتمل أن يكون ذكر هذا لما أنهم كانوا يسعون في إطفاء هذا الدين وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] فيقول: كما لم يتهيأ لكم خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا لم يتهيأ لكم إطفاء دين الله وقهر رسوله، وهو ما ذكر: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ.[٨] أو يذكر هذا يقول: إنك لن تبلغ بكبرك وعظمتك مرتبة الرؤساء والقادة ومنزلتهم. على هذا التمثيل يحتمل أن يخرج. والله أعلم. أو يقول: **إنك لن تخرق الأرض**، أي لا تقدر أن تخرق الأرض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها، ولا تقدر أن تبلغ الجبال طولا فتنتفع بما في رءوس الجبال من المنافع. فكيف[٩] تتكبر وتمرح على غيرك وهو[١٠] مثلك[١١] في القوة والشدة. وأصل الكبر أن مَن عرف نفسه على ما هي عليه من الأحداث والآفات وأنواع الحوائج لم يتكبر على مثله. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: على الشيء.
[٢] ع - ثم.
[٣] ع م - والأمر بالشيء يوجب النهي عن ضده.
[٤] م: عن المراح.
[٥] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٣).
[٦] ن: قوله.
[٧] ن - صلى الله عليه وسلم.
[٨] ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥٦).
[٩] ع م: وكيف.
[١٠] ع - وهو.
[١١] ع: ومثلك.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[٣٨]

/ وقوله عز وجل: **كل ذلك**، أي كل ما أمر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات، **كان سيئه** [٤٢٩ظ] بالعقل، **عند ربك مكروها**، مسخوطا. وفيه دلالة أن الأمر الذي أمر[هم] في هذه الآيات ونهاهم عنه لم يكن أمر أدب ولا نهي أدب، ولكنْ أمرَ حتم وحكمٍ حيث ذكر أن ذلك **عند ربك مكروها**؛ إذ لو كان أدبا لم يكن،[1] أي شيء مما[2] ذكر في هذا[3] مكروها،[4] **عند ربك**، وهو كقوله: فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ،[5] أي يسمعون الكل فيتبعون أحسنه ويتركون غيره، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**، أي ذلك الذي أمر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات من الحكمة ليس من السفه، أي[6] ما أمر فيها هو حكمة، وما نهى عنه إنما نهى عنه لأنه سفه.[7] وقال بعضهم: **الحكمة** ههنا القرآن. قوله: **ذلك**، أي ذلك الذي أوحَى إليك هو حكمة. وقال بعضهم: الحكمة الإصابة، أي ذلك الذي أوحي إليك صواب. وقوله: **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**، أي ما ذكر في هذه الآيات وأمر به ونهى عنه هو من الحكمة. والحكمة هي وضع الشيء موضعه. يقول: حكمه[8] وضع كل شيء موضعه[9] لا وضع الشيء غير موضعه.

وقوله عز وجل: **ولا تجعل مع الله إلها آخر فَتُلْقَى في جهنم ملوما مدحورا**، معلوم أن رسول الله[10] لا يجعل معه[11] إلها آخر، إذ عصمه واختاره لرسالته. لكنه ذكر هذا ليعلم أنه لو كان منه ذلك لَيُفعَل[12] به ما ذكر، فمن هو دونه أحق أن يفعل به ما ذكر، وهو ما قال في الملائكة:

---

[1] جميع النسخ: لم يكره.
[2] جميع النسخ: ما.
[3] م - هذا.
[4] جميع النسخ: مكروه.
[5] ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ (سورة الزمر، ١٨/٣٩).
[6] م + أي.
[7] ع م - إنما نهى عنه لأنه سفه.
[8] جميع النسخ: حكمة.
[9] ك - يقول حكمة وضع كل شيء موضعه.
[10] ك ن + صلى الله عليه وسلم.
[11] ع: مع الله.
[12] جميع النسخ: فيفعل.

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[1] الآية. إنه[2] عصمهم حتى أخبر أنهم لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[3] فمن لم يكن معصوما لم يوصف أنه لا يسبق بالقول. فعلى ذلك قوله: **ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما**، عند الله أو عند نفسك أو عند الخلق، **مدحورا** مُبْعَدا مطرودا من رحمته في النار. أو خاطب به كلًّا في نفسه: من احتمل ذلك، أو خاطب به[4] رسوله وأراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع. ***والله أعلم.***

**﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا**، يخبر عن سفه[5] مشركي العرب أنهم نسبوا إلى الله البنات، والبنين إلى أنفسهم، بقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ.[6] والذي حملهم على ذلك قول أهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد فرأوا أن من[7] يكون له الولد يكون له البنات فقال: **إنكم لتقولون قولا عظيما**، لم يزد على هذا العظيم[8] ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا، لما ليس وراء ذلك مثل يُضرب. لأنه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار السماوات[9] وانشقاق الأرض وخرور الجبال حيث قال: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا،[10] الآية. أخبر أن السماوات وما ذكر كادت أن تنقلب عن وجهها لعظيم ما قالوا في الله[11] من الولد. وقال في الشريك: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ،[12] الآية. فهذا غاية ما ذكر من الأمثال لمن قال فيه[13] بالولد والشريك. فليس وراء هذا [مَثل] يذكر لمن قال فيه[14] بالبنات،

---

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[2] ن – إنه.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/٢٦.
[4] ع م – كلا في نفسه من احتمل ذلك أو خاطب به.
[5] ع م: من سفه.
[6] سورة النحل، ١٦/٥٧.
[7] ع م: ما.
[8] ع: التعظيم.
[9] ك: السماء.
[10] ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).
[11] ع: في الولد.
[12] ن ع م – فتخطفه الطير. ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (سورة الحج، ٢٢/٣١).
[13] جميع النسخ: له.
[14] جميع النسخ: له.

ولكن قال: **إنكم لتقولون قولا عظيما**. لم يزد على ذلك لأن الذي قالوا فيه[١] ونسبوا إليه نهايةٌ في السفه والسَّرَف في القول. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. أو يقول: **إنكم لتقولون قولا عظيما**، في[٢] عقولكم، لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم[٣] أن ما قلتم في الله سبحانه وتعالى[٤] عظيم.

قال أبو عَوْسَجَة: **أفأصفاكم ربكم**، أي أعطاكم ربكم، يقال: أصفيته أعطيته، وأصفاكم، أي اختاركم.

**﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا**، قال الحسن: قوله: **صرفنا**، يقول:[٥] بيّنا في هذا القرآن ما نَزَل بمكذِّبي الرسل من الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل أمةً قائمة[٦] لِيذَّكَّروا ما نزل بهم فينتهُوا عن تكذيبهم الرسل. **وما يزيدهم** ما بين لهم، **إلا نفورا**، أي تكذيبا للرسل. وقال بعضهم: **ولقد صرفنا في هذا القرآن**، أي بينا في هذا القرآن[٧] والآيات التي تقدم ذكرها جميع ما يُؤتَى ويُتَّقَى وما لهم وما عليهم ليعتبروا به[٨] فيؤمنوا. **وما يزيدهم**، القرآن إلا تباعدا من الإيمان به، وهو ما ذكر: ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ،[٩] الآية. وقال بعضهم: **صرفنا في هذا القرآن** من المواعيد الشديدة أنه ما[١٠] ينزل بهم في الآخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم[١١] وتكذيبهم[١٢] الرسل، لكن إذ لم يؤمنوا بالآخرة لم يزدهم ذلك الوعيد، إلا نفورا.

---

[١] جميع النسخ: له.
[٢] ن: أي.
[٣] ع: لتعلمتم.
[٤] ن - وتعالى.
[٥] ن ع م: نقول.
[٦] أي بيّنا أمة قائمة...
[٧] ن - أي بينا في هذا القرآن.
[٨] م - به.
[٩] سورة الإسراء، ٣٩/١٧.
[١٠] ع: لم.
[١١] ك: لصنيعهم.
[١٢] ع: وبتكذيبهم.

وبعد فإن الله قد ذكر في القرآن المواعظ الكبيرة ما لو نظروا فيه وتأملوا لكانت تمنعهم وتزجرهم[1] عن مثل صنيعهم، لكن لم ينظروا إليه بالتعظيم ولكن نظروا إليه بالاستهزاء والاستخفاف به، لذلك أضيف زيادة النفور إليه. أو أضاف ذلك إليه لما أحدثوا بنزوله الكفر والتكذيب له فأضاف ذلك[2] إليه لما ازداد لهم التكذيبُ وحدث لهم الكفر به إذا نزل له، كما كان لأهل الإسلام يزداد لهم الإيمان واليقين إذا نزل.

وجائز أن يكون قوله: **ولقد صرفنا في هذا القرآن لِيذَّكّروا**، أي لِيَتشرّفوا، كقوله: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[3] أي شَرفُكم. أو ليذكروا ما نَسُوا وتركوا وغفلوا[4] عنه.

ثم قوله: **صرفنا في هذا القرآن ليذكروا**، معناه –والله أعلم– أنزله ليلزمهم الذكر. أو ليكون[5] عليهم، أو ليأمرهم بالذكر، وهو ما ذكرنا في[6] قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ،[7] الآية، وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ،[8] أي ليلزمهم العبادة والطاعة، أو ليأمرهم بالعبادة
[٤٣٠و] والطاعة. أو أرسل وخلق لمن علم / منه العبادة والطاعة.

وقوله عز وجل: **ليذكروا**، أي ليكون لهم الذكرى بذلك، لأنه لا يحتمل أن يبين لهم ويجعل[9] لهم بيانا ليذكروا ثم لا يكون، ولكن ما ذكرنا ليكون لهم الذكرى وقد كانت، لكن لم تنفعهم.

وقوله عز وجل: **وما يزيدهم إلا نفورا**، ليس القرآن بالذي يزيدهم نفورا، ولكن[10] لما نظروا إليه بعين الاستخفاف[11] والاستهزاء زاد لهم بذلك نفورا عندنا[12] وتكذيبا، وإلا القرآن لا يزيد إلا هدى ورشدا على ما وصفه.

---

[1] ن: ويزجرهم، ع: ويزجرهم.
[2] ن – ذلك.
[3] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[4] ك ن: وأغفلوا.
[5] ع: يكون.
[6] ن – في.
[7] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (سورة الذاريات، ٥٦/٥١).
[8] سورة النساء، ٦٤/٤.
[9] م: ويجعلهم.
[10] ع – ولكن.
[11] ن: الاستخفاق.
[12] م: عندهما. أي في نظرنا ومشاهدتنا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا.** قال عامة أهل التأويل: الآية في الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، أي لو كانت هي آلهة معه[١] كما تقولون، **إذا لابتغوا** التقرب والزلفى، **إلى ذي العرش سبيلا.** وقال بعضهم: لو كانت لهم عقول[٢] ومُكِّن[٣] لها من الطاعة والعبادة إذا لابتغت إلى ذي العرش سبيلا، بالطاعة له والعبادة، وهو ما قال في الملائكة: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ،[٤] الآية. لكن[٥] الأشبه أن يكون الله تعالى[٦] أن لا يقول في الأصنام مثل هذا: **لو كان معه آلهة،** إنما هي خشب. لكن قال فيها ما قال [من أنها] لا تَسمع ولا تَعقل ولا تُبصر، وما ذَكَر في آية أخرى: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٧] وما قال: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ،[٨] الآية، مثل هذا يجوز[٩] أن يقال في الأصنام. وأما ما ذَكَر: **لو كان معه آلهة كما يقولون،** الآية، معلوم أنها ليست من أهل الابتغاء إلا أن يقال ما ذَكَر بعضهم: أي لو كانت الأصنام التي تعبدونها آلهة على ما تزعمون **إذًا لابتغوا** إلى الله سبيلا، بالطاعة لو مُكِّن لهم ذلك وكانوا من أهلها. لكن الأشبه إن كان، فهو في الذين يعبدون الملائكة[١٠] ويتخذونهم معبودا. أو في الثنوية الذين يقولون بالعدد الذين لهم[١١] تدبير. أو الذين يقولون بقدم العالم وأصوله فهو يخرج على وجوه.

فنقول -والله أعلم- **لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا،** أي إذًا لأظهروا دلالة ربوبيتهم وألوهيتهم بإنشاء الخلائق كما أظهر الله سبحانه ألوهيته وربوبيته بما أنشأ الخلائق. ولم يَظهر ممن يدّعون[١٢] لهم ألوهيةً إنشاءُ شيء من ذلك. فدل أنه ليس هنالك إله غيره.

---

[١] ك - معه.
[٢] ع: عقولا؛ جميع النسخ + لابتغت.
[٣] ع م: وأمكن.
[٤] ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (سورة الإسراء، ٥٧/١٧).
[٥] ع: ولكن.
[٦] ك + لا يقول.
[٧] ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ (سورة مريم، ٤١/١٩-٤٢).
[٨] ن ع م - ولو اجتمعوا له. سورة الحج، ٧٣/٢٢.
[٩] ع م - يجوز.
[١٠] ع م - بالطاعة لو مكن لهم ذلك وكانوا من أهلها لكن الأشبه إن كان فهو في الذين يعبدون الملائكة.
[١١] ع: هم.
[١٢] ع: يدعوا.

وقال بعضهم: **لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا**، أي[1] صاروا كهو[2] يعني الله، أي في الإنشاء والإفناء والتدبير، ومنعوه عن إنفاذ الأمر له في خلقه والمشيئة له فيهم واتساق التدبير. فإذ لم يكن ذلك منهم دل أنه لا إله معه سواه، ويكون كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ،[3] الآية. وقال[4] بعضهم: **لو كان معه آلهة**، كما تزعمون، **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**، في المناصبة والمغالبة، **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**[5] في القهر والغلبة. على ما عرف من عادة[6] ملوك الأرض أنه يسعى كل منهم في غلبة غيره وقهرِ آخرَ ويُناصبُه، كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ، أي غلب وقهر وناصب. ويحتمل غير هذا وهو أن يمنع كل منهم أن يكون لله الواحد بالخلق دلالة ألوهيته وربوبيته،[7] وجهة الاستدلال له بذلك، فإذ[8] لم يمنعوا ذلك دل أنه لا ألوهية[9] لسواه؛ وهو الأول بعينه.

وقال بعض أهل التأويل: لعرفوا فضله ومرتبته عليهم ولابتغَوا ما يُقرّبهم إليه. وقيل: ولابتغت الحوائج إليه. وهذا هو الذي ذكرناه بَدْءًا من طلب الطاعة له.

**﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٤٣]**

وقوله: **سبحانه**، نزّه نفسه وبرّأها عما يقول الملحدة فيه ووصفوه بالشركاء والأشباه والولد وما لا يليق به فقال: **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**. ثم قال:

**﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٤٤]**

**تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن**. ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجوها. أحدها[10] جَعْلُ الله تعالى في خلقه السماوات والأرض وما ذكر دلالة على وحدانية الله وألوهيته وشاهدةً له

---

[1] ك – أي.
[2] ن ع م: كهؤلاء.
[3] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩١/٢٣).
[4] ن: قال.
[5] ع م – في المناصبة والمغالبة إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا.
[6] ك + من.
[7] ع م: ألوهيتة وربوبيتة.
[8] جميع النسخ: فإذا.
[9] ع: الألوهيته.
[10] جميع النسخ: وجهين أحدهما.

أنه واحد لا شريك له ولا شبيه. فإن كان على هذا فيدخل فيه كل شيء ذو الروح وغيره، فيكون قوله: **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**، للكفرة[١] خاصة، وأما أهل الإسلام يفقهون ذلك. والثاني أنه جعل الله في سِرِّيَّة هذه الأشياء ما ذُكر من التسبيح والتنزيه، لكن لا نفقه نحن ذلك ولا نفهمه على ما أخبر: **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**. وهي لا تَعرف أيضا أن ذلك تسبيح على ما جعل في الجوارح والأعضاء تسبيحا وعبادة له وإن كانت هي لا تعرف ذلك أنه تسبيح. والثالث أنه جعل صوت هذه الأشياء تسبيحا له حقيقة على معرفة هذه الأشياء أنه تسبيح وإن كان لا يعرف ذلك إلا خواص من الناس وهم الأنبياء. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه كان حليما غفورا**، الحليم هو ضد السفيه[٢] وهو الحكيم.[٣] والثاني يقال: حليم ليس بعجول، أي لا يعجل بالعقوبة. **غفورا** إذا تابوا، أو **غفورا** حيث ستر عليهم فضائحهم. الحلم هو[٤] ما ذكرنا [أنه] ضد السفه والعجلة. ذكر هاهنا على أثر ما ذكر منهم من القول الوَحِش فيه والعظيم أنه حليم ليعلموا أنه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا، وغفور[٥] ليعلموا[٦] أنهم -وإن أعظموا القول فيه- يغفر لهم ويتجاوز عنهم إن رجعوا وتابوا.

فإن قال لنا ملحد:[٧] إنكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون: إنه يعذب أبد الآبدين في النار بكفر كان منه،[٨] فأنى يكون فيه رحمة أو حلم؟

قيل: إنكم لا تعرفون ما الحلم وما الرحمة، ولو عرفتم ما قلتم ذلك. ولو لم يعذب على الكفر أبد الآبدين لم يكن حليما ولكن سفيها، وكذلك / الرحمة. وليس خروج الشيء على غير [٤٣٠ظ] موافقة الطبع بالذي يُخرج صاحبَه عن حد الحكمة والرحمة، فأنتم إنما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا.

وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا: إنه لا يفعل إلا ما هو أصلح لنا في الدين لأنه جواد، فلو منع الأصلح والأخيَر لم يكن جوادا موصوفا بالجود.

---

[١] جميع النسخ: الكفرة.

[٢] ع م: السفه.

[٣] م: الحليم.

[٤] ع م – هو.

[٥] جميع النسخ: وغفورا.

[٦] ع – أنه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا وغفورا ليعلموا.

[٧] جميع النسخ: ملحدي.

[٨] أي من الإنسان.

فيقال لهم: إنكم لستم تعرفون الجود،[١] وإنما قَدَرتم وقلتم على ما وافق طباعكم وأنفسكم، ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم ذا ولا خطر على[٢] بالكم شيء من ذلك. وإنما على الله أن يختار لكل ما علم منه أنه يختار ويؤثر، لأنه لا يجوز أن يختار الولاية لمن علم منه أنه يختار[٣] عداوته. وكذلك لا يجوز أن يختار العداوة لمن علم منه أنه يختار ولايته.[٤] فليس[٥] على الله تعالى[٦] حفظ الأصلح لأحد في الدين، بل عليه حفظ ما يوجبه[٧] الحكمة والربوبية.

وفي ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات على أثر[٨] ما ذكر من قول أولئك الكفرة من وصف الله تعالى بالولد والشركاء ونحوه [حكمة] تخرج[٩] على وجوه. أحدها يذكر سفههم أنهم مع ادعائهم العقل والعلم والتمييز والسؤدد وصفوا الله بالذي لا يليق به وما يُسقط الألوهية والربوبية عنه على زعمهم. فالذين[١٠] ليس لهم شيء من ذلك التمييز والفهم والعقل نزهوه عن ذلك كله وبرؤه عن جميع ذلك.

والثاني ذَكَر تسبيحهم على أثر ذلك ليُعلَم أن لا حاجة له[١١] إلى تسبيحهم ولا منفعة له في ذلك، إذ سبح له جميع الخلائق سواهم، بل منفعة تسبيحهم[١٢] ترجع إليهم.

والثالث ذَكَر لإثبات الرسالة للرسل، لأنهم ذكروا تسبيح الموات، ولا يفهم ذلك ولا يعقل إلا بوحي من السماء، فذلك يدل على الرسالة. فعلى هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذُكِر على[١٣] أثر ما ذُكِر، وكذلك ذِكْر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التي[١٤] ذكرناها.[١٥] *والله أعلم*.

---

[١] ع م – فيقال لهم إنكم لستم تعرفون الجود.
[٢] ع + ما.
[٣] ن + هذا.
[٤] ع: لولايته.
[٥] ع م: وليس.
[٦] ن – تعالى.
[٧] ن ع م: يوجبه.
[٨] ن + ذكر.
[٩] جميع النسخ: يخرج.
[١٠] أي الآلهة.
[١١] ع م – له.
[١٢] ن – ولا منفعة له في ذلك إذ سبح له جميع الخلائق سواهم بل منفعة تسبيحهم.
[١٣] ع + ذكر.
[١٤] ن – ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذكر على أثر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التي.
[١٥] ك: ذكرنا.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**، قال بعضهم: إن الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة إلى الناس وقراءة ما أنزل إليه من القرآن،[١] وقد أمر بتبليغ الرسالة. فأنزل الله عليه هذه الآية فأخبر أنه جعل بينه وبين أولئك حجابا مستورا ومَكّن له التبليغ إليهم بالحجاب الذي ذكر. ثم اختلف في ذلك الحجاب. قال بعضهم: شغلهم في أنفسهم بأمور وأشغال حتى بلّغ إليهم. ومنهم من يقول: ألقى في قلوبهم الرُّعْب والخوفَ حتى لم يقدروا على منع ذلك. ومنهم من يقول: صيّرهم[٢] بحيث كانوا لا يرونه، ويستمعون قراءته وتلاوته و لم يقدروا على أذاهم به والضرر عليه فبلّغهم.

وجائز أن يكون ما ذُكر من الحجاب هو حجابَ الفهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إليه بالاستخفاف والاستهزاء به[٣] فحُجبوا عن فَهم ما فيه، وهو كقوله: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ،[٤] الآية. يدل على ذلك قوله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، الآية.[٥]

ثم قال الحسن في قوله: **جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**، أي طبع على قلوبهم[٦] حتى لا يؤمنوا.[٧] ومذهبه في هذا أنه يقول: إن للكفر حدا إذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن أبدا واستوجب بذلك العقوبة والإهلاك بالذي كان منه،[٨] إلا أن الله بفضله أبقاهم لما علم أنه يلد منهم من يؤمن، أو يبقيهم لمنافع غيره، وإلا قد استوجب الهلاك. فيقول الحسن: أضاف ذلك إلى نفسه لما استوجبوا هم[٩] بفعلهم.

وقال أبو بكر الأصم: أضاف ذلك إليه لأنهم أنِفوا عن اتّباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا. لكن نقول له: الاستكبار الذي ذكرت فعلهم لا فعل الله، فما معنى إضافة ذلك إليه؟ فهو خيال وفرار عما يلزمهم في مذهبهم.

---

[١] ن ع م + عليهم.
[٢] ع: صيرهم.
[٣] ن – به؛ ع: بهم.
[٤] سورة الأعراف، ١٤٦/٧.
[٥] ن – الآية. الآية التالية.
[٦] ع: في قلوبهم.
[٧] جميع النسخ: لا يؤمنون.
[٨] جميع النسخ: منهم.
[٩] م: استوجبوهم.

وقال جعفر بن حرب: في الآية إضمار لما هم أضافوا ذلك إليه أنه هو جعل كذلك، وهو ما قالوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ،[1] قُلُوبُنَا غُلْفٌ،[2] ونحوه من الخيال. فلو جاز صرف هذه الآيات إلى ما ذكروا من الخيال لجاز لغيرهم صرف الكل إلى مثله، فهذا بعيد.

ولكن عندنا أن إضافة ذلك إلى نفسه تدل على[3] أن له فيه صنعا وفعلا، وهو أن يخذلهم باختيارهم ما اختاروا. أو أضاف[4] ذلك إليه لما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم. وهذا معروف في الناس أن من اعتقد الكفر يضيق صدره ويحرَج قلبه حتى لا يُبصر غيره. وهو ليس يعتقد الكفر لئلا يبصر غيره ولا يهتدي إلى غير لكن لا يبصر غيره، فيدل هذا أنه يصير[5] كذلك لصنع له فيه. وكذلك من اعتقد الإيمان يبصر بنوره[6] أشياء وهو[7] ليس يعتقد الإيمان ليبصر بنوره أشياء غابت عنه، دل أنه بغيره أدرك ذلك. وكذلك المعروف في الخلق أن من اعتقد عداوة آخرَ[8] يضيق صدره بذلك. وكذلك من اعتقد ولاية آخر ينشرح صدره له بأشياء. فهذا كله يدل أن لغير في ذلك فعلا، وهو ما ذكرنا من الخذلان والتوفيق أو خلق ذلك منهم. والله أعلم. فيدخل ما ذكرنا[9] في قوله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[10] الآية.

وأصله أن ما[11] ذُكِر من الحجاب والغلاف والأكنة إنما هو على العقوبة لهم بعنادهم ومكابرتهم الحق، لأنهم كلما ازدادوا عنادا وتمردا ازدادت قلوبهم ظلمة وعَمًى، وهو كما[12] ذكر[13] في غير آية حيث قال: فَلَمَّا[14] زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[15] الآية، وقال: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم،[16]

---

[1] ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥).
[2] ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يومنون﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٨).
[3] ن - على.
[4] ن: وأضاف.
[5] ع: يبصر.
[6] م: بنور.
[7] ن + وهو.
[8] ن - آخر.
[9] جميع النسخ: فيما ذكرنا.
[10] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥).
[11] م: لما.
[12] ن ع م: ما.
[13] ن: ذكرنا.
[14] م - فلما.
[15] سورة الصف، ٦١/٥.
[16] ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٧).

وقال: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.[1] أخبر أن ما ران على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا، وأزاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ، وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف. فعلى ذلك ما ذَكَر من جعل الحجاب والأكنة عليها / بما كان منهم. *والله أعلم*. [٤٣١و]

**﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا**، قال بعضهم: الشيطان إذا ذُكِر اللهُ وَلَّى عنه وأعرض وفرّ منه، وهو ما ذكر: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[2] الآية. وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[3] الآية. وقال بعضهم: **ولّوا على أدبارهم نفورا**، الإنس، أي ولّوا عما دعوهم[4] إليه وأقبلوا نحو أصنامهم التي عبدوها.

وقوله: **وإذا ذكرت ربك في القرآن**، يحتمل: **وإذا ذكرت**، دلالة وحدانية ربك وألوهيته وربوبيته، أو **ذكرت** دلالة رسالتك، أو دلالة البعث. يحتمل ذكر دلالة هذه الأشياء الثلاثة، لأنهم كانوا منكرين لهذه الأشياء، فعند[5] ذكرها يولُّون. **على أدبارهم نفورا**، يحتمل الهرب والإعراض، ويحتمل الكناية عن الإنكار والتكذيب.

**﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى**، كأنهم كانوا[6] يستمعون إلى القرآن إما لما يَستَحْلُون نَظْمَه ورَصَفَه، أو يستمعون إليه لما فيه من الأنباء العجيبة، أو يستمعون إليه ليجدوا[7] موضع الطعن فيه. فإن كان استماعهم للوجهين الأوّلين، فإذا جاء[8] موضع الخلاف والتنازع –وهو ما يذكر فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث–

[1] سورة المطففين، ١٤/٨٣.
[2] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[3] ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (سورة الأعراف، ٢٠١/٧).
[4] ك: دعوا هم.
[5] ع م + ذلك.
[6] ع م – كانوا.
[7] ك: ليجدون.
[8] ع م – جاء.

عند ذلك كانوا يولُّون الأدبار نافرين[1] لإنكارهم ذلك،[2] وإن كان الاستماع لطلب الطعن فهو محتمل أيضا. واختلف في قوله: **نحن أعلم بما يستمعون به**، قيل: كانوا يستمعون إليه ليكذّبوا عليه، كقوله: فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ،[3] كانوا يُسرعون إلى استماع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] لِيَكْذِبوا عليه. وقال بعضهم: كانوا يستمعون إليه ليجدوا موضع الطعن فيه. وقال بعضهم: استمعوا إليه لِيُرُوا الضَعَفة والأتباع أنهم إنما[5] يطعنون فيه بعد ما استمعوا إليه وعرفوه فيقع عندهم أن الطعن كان في موضع الطعن. *والله أعلم*.

وقوله: **وإذ هم نجوى**، قيل: أي يتناجَوْن فيما بينهم أنه مسحور وأنه مجنون وأنه كاهن. ثم أخبر الله نبيه ما أسرّوا فيه وتناجَوا بينهم ليدلهم على رسالته وأنه إنما عرف بالله. وسماهم ظالمين لما علموا أنه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك له ونسبوه إلى ما نسبوه من السحر والجنون على علم منهم أنه ليس كذلك.

**﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **أنظر كيف ضربوا لك الأمثال**، بالمجانين[6] والسحرة[7] والكهنة فضلوا. أو ضربوا لك الأسباب التي تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء[8] بك مما وصفوا له ونسبوه إليه من السحر والجنون والكهانة،[9] فذلك كان يمنعهم عن إجابة من أراد إجابته[10] والاقتداء به.

وقوله عز وجل: **فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا**، اختلف فيه، قال بعضهم: لا يستطيعون إلى ما قصدوا من منع الناس عنك وصدّهم سبيلا. وقال بعضهم: **لا يستطيعون** إلى المكر به والكيد له سبيلا لأنهم قصدوا به ذلك. وقال بعضهم: **لا يستطيعون**، إلى ما نسبوه إليه **سبيلا**.

---

[1] ك ن ع: ونافرين.
[2] م – ذلك.
[3] سورة المعارج، ٧٠/٣٦-٣٧.
[4] ك ن – صى الله عليه وسلم.
[5] م: – إنما.
[6] ك – بالمجانين.
[7] ك: بالسحرة.
[8] ع: من الاقتداء.
[9] م: والكهنة.
[10] جميع النسخ: جانبه.

وقال الحسن: لا يجدون إلى الهدى والإيمان سبيلا لما طَبَع على قلوبهم، وجعلها[١] في أَكِنَّة وغُلُف. ويحتمل أن يكون قوله: **فلا يستطيعون** إلى الاحتجاج على الحجج والدلالات التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا. ***والله أعلم.***

**﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **وقال أإذا كنا عظاما ورفاتا**، أي أإذا كنا عظاما بالية ناخرة؛ **ورُفاتا**، قيل: ترابا، وقيل: غبارا. وقيل: **رفاتا**، أي بالية حتى إذا فنت[٢] تكسرت وذهبت، كقوله: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً[٣] قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ،[٤] أي غير كائنة. قالوا ذلك كله إنكارًا للبعث واستهزاء به أنهم يبعثون ويُجْزَوْن بأعمالهم. وهذا كأنهم قالوا ذلك على التعجب والاستبعاد عن كون ذلك والاستهزاء بذلك. والجهل به هو الذي حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر. أنكر هؤلاء الكفرة قدرة الله على البعث كما أنكر المعتزلة قدرته على خلق أفعال العباد.[٥] وليس لهم الاحتجاج على أولئك الكفرة بالإنشاء[٦] الأول، لأن لهم أن يقولوا: إنكم تقرون بالقدرة على[٧] الخلق[٨] الأول وتنكرون خلق أفعالهم، وليس لكم الاحتجاج.

[٤٣٢و س٩] * وقال أبو عَوْسَجة: **ورفاتا**، قال: **رُفاتا** متكسرة. وفتَتُّه، أي كسرته. وقال القُتَبِي في **أكنة**: جمع كِنان مثل غِطاء وأغطية. **وإذ هم نجوى**، أي متناجون، يُسَارُّ بعضهم بعضا أنه مجنون وأنه ساحر، كاهن، وأساطير الأولين. وقال بعضهم: كان نجواهم ما ذكر في سورة الأنبياء حين قالوا: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ،[٩] الآية. فذلك قوله: **قال الظالمون إن تتبعون**، أي ما تتبعون، **إلا رجلا مسحورا**. قال أبو عبيدة: **مسحورا**، أي قد سُحر به، وقد يتناقض قولهم، وقد ذكرنا وجه تناقض قولهم[١٠] فيما تقدم. ***والله أعلم.**** [٤٣٢و س١٤]

---

[١] ع: وجعلنا.
[٢] ع: فنتت.
[٣] ن – ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا أي بالية حتى إذا فنت تكسرت وذهبت كقوله أإذا كنا عظاما نخرة.
[٤] سورة النازعات، ٧٩/١١-١٢.
[٥] ك ن: الخلق.
[٦] جميع النسخ: بإنشاء.
[٧] ن – على.
[٨] جميع النسخ: على خلق.
[٩] ﴿لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٣/٢١).
[١٠] ع م: قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: وورقة ٤٣٢و/سطر ٩-١٤.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[٥٠] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**، قال بعض أهل التأويل: أي لو كنتم حجارة أو حديدا فيميتكم. لكن هذا بعيد لأنهم لم يكونوا ينكرون الموت، إذ كانوا يشاهدون الموت فلا يحتمل الإنكار، ولكن كانوا ينكرون البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورُفاتا، إلا أن يقال: إنكم لو كنتم بحيث لا تُبعَثون ولا تُجْزَون بأعمالكم لكنتم حجارة أو حديدا، لم تكونوا بشرا، لأن الحجارة والحديد ونحو ذلك غير ممتحن ولا مأمور بشيء ولا منهي عن شيء. وأما البشر فإنهم لم ينشئوا[1] إلا للامتحان بأنواع المحن والأمر والنهي والحل والحرمة؛ فلا بد من الامتحان، فإذا امتحنوا بأشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب. فإذ[2] لم تكونوا[3] ما ذكر ولكن كنتم بشرا[4] فاعلموا أنكم تبعثون وتجزون بأعمالكم. على هذا يحتمل أن يصرف تأويلهم لا إلى ما قالوا، وإلا ظاهر ما قالوا [٤٣١ظ] وتأولوا / لا يحتمل، لِما لا أحد أنكر الموت.

ويحتمل قوله: **كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**، أي لو كنتم ما ذَكَر حجارة أو حديدا أو أشدّ[5] ما يكون من الخلق لَقَدر أن ينشئكم بشرا من ذلك، فكيف إذا كنتم بشرا في الابتداء أن يعيدكم بشرا على ما كنتم، كما أنشأكم[6] في الابتداء[7] من ماء وتراب وليس في ذلك الماء والتراب[8] من آثار البشر[9] شيء من العظام واللحوم والعصب والجلد وغيرها. فمن قدر على إنشاء هذا قدر على إنشاء البشر بعد الموت وبعد ما صار[10] ترابا ورفاتا. على هذا يجوز أن يتأول.

---

[1] جميع النسخ: ينشاؤا.
[2] ع م: فإذا.
[3] جميع النسخ: لم يكونوا.
[4] ع م – بشرا.
[5] م: وأشدّ.
[6] ع – على ما كنتم كما أنشأكم.
[7] ع + أن يعيدكم بشرا على ما كنتم كما أنشأكم في الابتداء.
[8] م: ومن التراب.
[9] ع: من آثا البشر؛ م: من آثار بشر.
[10] ك: صاروا.

ووجه آخر أن يقال: ظننتم[١] أن لو كنتم حجارة أو حديدا أو ما ذكر لبعثكم، فكيف تظنون أنه لا يبعثكم إذا كنتم ترابا ورفاتا، أو كلام نحوه.

وقوله عز وجل:[٢] **أو خلقًا مما يكبر في صدوركم**، ذكروا هذا وكل ما يكبر في صدورهم على ما ذكر: **فسيقولون من يعيدنا**، استهزاء منهم به. **قل الذي فطركم أول مرة**. إنهم وإن قالوا ما قالوا استهزاء به وسخرية فقد أمر الله تعالى أولياءه والمؤمنين أن يحاجوهم مُحاجّةَ العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وإن كانوا قالوا ما قالوا سفها واستهزاء. وعلى ذلك عاملهم الله وإن كانوا سفهاء في قولهم مستهزئين. وكذلك أمر رسله أن يعاملوا قومهم أحسن المعاملة، حيث قال: وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٣] وقال: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.[٤] وإنما ذكر الله هذه الآيات لِنُحاجَّ بها[٥] هؤلاء ونعلم[٦] أن كيف المعاملة مع هؤلاء؛ إذ قد أقام الله تعالى من الآيات والحجج على بعثهم وإحيائهم حججا كافية ما لم يُحْتَجْ إلى مثل هذا لكنه ذكر هذا لما ذكرنا. *والله أعلم*.

كان الذي حملهم على إنكار ذلك وجهان[٧] من الاعتبار. أحدها أنهم لم يروا من الحكمة إماتتهم[٨] ثم الإحياء على مثل ذلك، إذ لو كان[٩] يحييهم ثانيا لكان لا يميتهم، كنقض البناء على قصد بناء مثله.

والثاني لما رأوا أقواما قد ماتوا منذ [أَمَد] طويل[١٠] ثم لم يُبعَثوا. فيقال لهم: إنه[١١] قد تأخر كونكم وإنشاءكم ثم لم يدل تأخركم على أنكم لا تكونون، فعلى ذلك لا يدل تأخر البعث على أنه لا يكون. وأما جواب الأول فإنه يقال لهم: إنكم تقرون أنه أنشأكم أول مرة وأنه يميتكم، فليس من الحكمة الإنشاء[١٢] ثم الإماتة، لأنه يكون كمن بنى بناء للنقض والإفناء، فإذا كان حكمة كان الثاني أيضا حكمة. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: ظنوا.
[٢] ك – عز وجل.
[٣] سورة النحل، ١٢٥/١٦.
[٤] سورة الإسراء، ٥٣/١٧.
[٥] ع م: بما.
[٦] ن: وتعلم.
[٧] جميع النسخ: وجوه.
[٨] ع: امانتهم.
[٩] ع م: كانوا.
[١٠] جميع النسخ: من مذ طويل.
[١١] ك: إنهم.
[١٢] جميع النسخ: إنشاء.

وقوله عز وجل: **قل الذي فطركم أول مرة**، أي يعيدكم الذي خقكم أول مرة و لم تكونوا شيئا على ما ذكرنا. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه، إذ لا أحد في الشاهد يتكلف تعلم إعادة الشيء[1] ومعرفته، وإنما يتكلفون تعلم ابتداء الصناعات ومعرفتها، ثم يعرفون إعادة ذلك[2] بمعرفة ابتدائه. فدل ذلك[3] أنه أهون وأيسر، وهو ما قال: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[4] أي في عقولكم ذلك[5] أهون وأيسر.

وقوله عز وجل: **فَسَيُنْغِضُونَ إليك رءوسهم**، أي يحركون رءوسهم استهزاء به وهُزْءًا، **ويقولون متى هو؟** على الاستهزاء أيضا، أي لا يكون. وقوله عز وجل: **ويقولون متى هو؟** قالوا ذلك جهلا به وإنكارا، وإلا لو علموا أنه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك بل يخافون كما خاف الذين آمنوا به.

وقوله عز وجل: **قل عسى أن يكون قريبا**، **وعسى** من الله واجب، أي يكون لا محالة. وقوله عز وجل: **قريبا**، أي كائنا. القريب يقال على الكون، أي كائنا، ويقال على القرب. والبعيد كذلك يقال على الإنكار رأسا، ويقال على الاستبعاد، كقوله: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا،[6] أي هم لا يرونه كائنا ونراه نحن كائنا،[7] كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا،[8] كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه كائنا والمؤمنون يرونه كائنا. *والله أعلم*.

**﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**، يحتمل هذا الدعاء والإجابة دعاء الخلقة وإجابةَ الخلقة، لما كانت خلقتهم تعظِّم ربهم وتَحمد[ه] في كل وقت وتُثني[9] [عليه] على ما ذكرنا

---

[1] ع م – في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه إذ لا أحد في الشاهد يتكلف تعلم إعادة الشيء.
[2] م – ذلك.
[3] م – ذلك.
[4] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[5] ن – ذلك.
[6] سورة المعارج، ٦/٧٠-٧.
[7] ع– ونراه نحن كائنا.
[8] ع م – منها. ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ١٨/٤٢).
[9] ع م: وتنبئ.

في غير آي من القرآن. ويحتمل دعاء القول وإجابة القول والعمل لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته أجابوا له بحمده وثنائه، كقوله: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ،[١] ونحوه. أو أن يكون قوله: **يوم يدعوكم**، يوم القيامة، كقوله: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ،[٢] الآية، وقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ،[٣] الآية. أخبر أنهم يجيبون داعيهم يومئذ ويُثنون على الله لما رأوا من الأهوال من ترك الإجابة له[٤] في الدنيا.

وقوله عز وجل: **فتستجيبون بحمده**، أي تجيبون داعيه بثنائه وبحمده، أي تُثنون على الله وتَحْمَدونه.

وقوله عز وجل: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**، قال الحسن: قوله: **تظنون**، أي تعلمون وتتيقّنون[٥] أنكم ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا. وكذلك قال قتادة: أي تستحقرون الدنيا وتستصغرونها[٦] لما تعاينوا[٧] القيامة وأهوالها. وجائز أن يكون قوله: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**، في القبر، وجائز أن يكون في الدنيا، تستقصرون المُقَام فيها لطول مُقام الآخرة وأهوالها.[٨]

ثم من أنكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الآية حيث قال: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**، وقوله: لَبِثْنَا يَوْمًا [أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ]،[٩] ومثلِه. قالوا: لو كانوا[١٠] في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرون ويستصغرون المُقام فيه، إذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك ويستكثر ولا ينساه أبدا، هذا المعروف عند الناس، فإذا هم استقلُّوا ذلك واستقصروه حتى قالوا: يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وقالوا: قليلا ويسيرا دل ذلك أنهم لم يكونوا في عذاب وبلاء. ويتأولون قوله: / ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا،[١١] على التقديم والتأخير، [٤٣٢و]

---

١ ﴿مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسِر﴾ (سورة القمر، ٨/٥٤).

٢ ﴿فتولَّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ (سورة القمر، ٦/٥٤).

٣ ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).

٤ ع م – له.

٥ ع م: وتيقنون.

٦ جميع النسخ: وتصغرونها.

٧ جميع النسخ: عاينوا.

٨ ع م – وجائز أن يكون قوله وتظنون إن لبثتم إلا قليلا في القبر وجائز أن يكون في الدنيا تستقصرون المقام فيها لطول مقام الآخرة وأهوالها.

٩ ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ (سورة الكهف، ١٩/١٨).

١٠ ع م – لو كانوا.

١١ ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أَدْخِلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٦/٤٠).

يقولون: تأويله[1] وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا. [ويتأولون قوله: **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**][2] ليس على أن لا يكون لهم[3] عذاب فيما بين ذلك، ولكن على ما ذكر[4] في الجنة: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.[5]

ومن يقول بالعذاب في القبر يقول: قوله: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**، في الدنيا. أو يقولون: ذلك في وقت وهو ما بين النفختين. كذلك يقولون: إنه يُرفع عنهم العذاب ما بين النفخة الأولى والثانية، وهذا احتيال. ويقال أيضا: ليس في استقلالهم المُقامَ والاستقصارِ ما يدل على أن[ه] لم يكن لهم عذاب في القبر، لأن العرف في الناس أنهم إذا[6] كانوا في بلاء وشدة ونوع من المرض ثم نزل بهم ما هو أشد من ذلك وأعظم استصغروا ما كانوا هم فيه ونَسُوا ذلك.[7] فعلى ذلك هؤلاء إذا عاينوا عذاب القيامة وأهوالها وأفزاعها استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك. ألا ترى أنهم إذا عاينوا الجنة ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا. ولا شك أنه قد كان لهم نعيم في الدنيا، فعلى ذلك العذاب.[8]

**﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾**[٥٣]

وقوله عز وجل: **وقل لعبادي يقول التي هي أحسن**، يحتمل قوله: **التي هي أحسن** الوجوه الثلاثة. أحدها الدعوة، كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[9] أمره[10] أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. فالتأنيث للدعوة، كأنه قال: ادعوا[11] لهم الدعوة التي هي أحسن الدعوة، على إضمار الدعوة، وجائز على إضمار الحسنة،

[1] ك – تأويه.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٠ظ (نسخة مدينة).
[3] ك: عليهم.
[4] ع م – ذكر.
[5] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[6] ع م – إذا.
[7] ع م – ذلك.
[8] وقع هنا مقطع من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤٧ ورقم ٤٩ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٢و/سطر ٩-١٤.
[9] سورة النحل، ١٢٥/١٦.
[10] ع م: أمر.
[11] ع م: ادعو.

أي قل لهم أن يقولوا لهم الحسنة التي هي أحسن. أو على إضمار الأقوال كأنه قال: يقولوا لهم الأقوال التي هي أحسن الأقوال،[١] وإلا ظاهره أن يقول: يقولوا الذي[٢] هو أحسن.

والثاني على إضمار المجادلة والمناظرة معهم، كقوله: وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.[٣] أمر رسوله أن يجادلهم أحسن المجادلة والمحاجّة معهم.

والثالث في حسن[٤] المعاملة معهم والصفح والعفو[٥] عما كان منهم إلى المسلمين من أنواع الأذى. فأمرهم أن يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم، كقوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ،[٦] وكقوله: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٧] الآية، وقوله: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ،[٨] الآية، ونحوه من الآيات. أمرهم أن يعاملوا أولئك أحسن المعاملة ولا يكافئوهم[٩] بسوء صنيعهم. ولكن يعفون عنهم ويصفحون لِما لعلهم يكونون أولياء وحميما على ما أخبر[١٠] ويصيرون إخوانا لهم من بعد هذا في حق هذه الآية.

وأما من جهة الحكمة وهو أن الله تعالى أنشأ هذا اللسان وجعله تَرْجُمانا بين الخلق، به يفهم بعضهم من بعض، وبه يقضي الحوائج بعضهم من بعض، وبه قوام معاشهم ومعادهم، وبه بعث الرسل والكتب جميعا، فإذا كان كذلك فالواجب أن لا يستعمل إلا في الخير والحكمة ولا يُنطَق به إلا ما هو أحسن وأصوب. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الشيطان ينزغ بينهم**، أي يفسد بينهم ويوسوس إليهم ويُغرِي[١١] بعضهم على بعض ليُفسد بينهم، وذلك دأبه.

---

[١] ن – كأنه قال يقولوا لهم الأقوال التي هي أحسن الأقوال.
[٢] ك: التي.
[٣] سبقت قريبا.
[٤] ع: أحسن.
[٥] ع م: والعفو والصفح.
[٦] سورة المائدة، ١٣/٥.
[٧] ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩٦/٢٣؛ وانظر أيضا: سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[٨] ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٤/٣).
[٩] جميع النسخ: ولا يكافوهم.
[١٠] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[١١] ع م: ويعتري.

**إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا**، أي كان الشيطان منذ كان الإنسان عدوا ظاهرا عداوته بينا. جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس إليهم[١] ويدعوهم إلى أشياء يظنون أن[٢] ذلك خير لهم، وأبدا يُلقِي إليهم ما يقع عندهم أن ذلك[٣] أنفع لهم، ويُحبِّب إلى كلٍّ مذهبًا يقع عنده أنه[٤] هو الحق، فيقصد[٥] بذلك[٦] الإفساد وإلقاء العداوة بينهم[٧] أبدا. هذا دأبه وشأنه: يجرّ[٨] كلا إلى جهة ويُرِى كل أحد جهةً غيرَ الجهة التي أرى الآخر. *والله أعلم*.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **ربكم أعلم بكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما، **أعلم بكم**، بمصالحكم وما لا يصلح لكم في الدنيا والآخرة. والثاني، **ربكم أعلم بكم**، بما تُسرّون وما تُعلنون وما تعلمون وتفعلون، وإلا فلا شك أنه أعلم بنا منا.

وقوله عز وجل: **إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم**، قال بعضهم: **إن يشأ يرحمكم** فينجيكم من أذى أولئك،[٩] **أو إن يشأ يعذبكم** فيسلطهم عليكم. والثاني **إن يشأ يرحمكم** فيهديكم إلى دينه ويوفقكم لسبيله، **أو إن يشأ** يترككم ويخذلكم ولا يهديكم[١٠] إلى سبيله ولا يوفقكم لدينه. وقوله: **إن يشأ يرحمكم**، يحتمل الرحمة في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا هو أن يوفقهم على الطاعة ويعينهم على ذلك، وفي الآخرة[١١] ينجيهم ويدخلهم الجنة. وأما التعذيب في الدنيا أن يخذلهم ويتركهم على ما يختارون، وفي الآخرة[١٢] يعذبهم في النار بالذي اختاروا في الدنيا.

---

[١] ن – إليهم.
[٢] ع م: أو.
[٣] ن – خير لهم وأبدا يلقي إليهم ما يقع عندهم أن ذلك.
[٤] ع م – أنه.
[٥] ك: يقع.
[٦] ع: ذلك.
[٧] ن + أن ذلك أنفع لهم ويحبب.
[٨] ك: يجتر.
[٩] ع م: هؤلاء.
[١٠] ك: ولا يهدكم.
[١١] ع: في الآخرة.
[١٢] ع م: في الآخرة.

وقوله عز وجل: **وما أرسلناك علهم وكيلا**، قال بعضهم: أي لم نجعلك حفيظا على ردهم وإجابتهم ولا على صنيعهم،[١]

/ وقال بعضهم: **وكيلا**، أي كفيلا[٢] بأعمالهم، أي لا تؤخذ أنت بصنيعهم، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٣] وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[٤] وقال بعضهم: **وما أرسلناك عليهم وكيلا**، أي مسلّطا عليهم وقاهرا لهم. [٤٣٢ط]

**﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض**، يحتمل ما ذكرنا أنه أعلم بمصالحهم ومفاسدهم وما يسرّون وما يعلنون. ويحتمل غير هذا، جوابا لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٥] وقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[٦] يقول -والله أعلم- **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض**،[٧] أي أعلم بمن يَصلُح للنبوة والرسالة وبمن لا يصلح، ومن هو أهل لها ومن هو ليس بأهل لها.[٨] أو يقول: **أعلم بمن في السماوات والأرض**، أي عن علم بما يكون منهم أنشأهم[٩] لا عن جهل. أو أعلم بهم مِن أنفسهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض**. مثل هذا لا يكون إلا في نازلة، لكنه لم يَذكر النازلة التي عندها نزلت. ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض.

---

[١] ع م: وعلى صنيعهم.
[٢] ع م: ثقيلا.
[٣] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).
[٤] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).
[٥] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[٦] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[٧] ك ع م - والأرض.
[٨] م - ومن هو ليس بأهل لها.
[٩] ع: أنشابهم.

قال بعضهم: إنه أعطى كلًّا شيئا لم يُعطِ غيره، من نحو ما ذَكَر أنه كلّم موسى،[1] واتخذ إبراهيم خليلا،[2] وأعطى عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص،[3] وهو روح منه[4] وكلمته،[5] وأعطى سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده،[6] وأعطى داود زبورا،[7] وأعطى سيدنا محمدا أنْ بعثه[8] إلى الناس كافة[9] وغَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[10] ومثله. وقال بعضهم فضل بعضا على بعض في الدرجة والمنزلة والقدر عنده. فالأول يكون التفضيل في الآيات والحجج، والثاني في أنفسهم في المنزلة والقدر. ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعض على بعض في الآيات والحجج. ويحتمل في كثرة الأتباع، يفضّل بعضَهم على بعض بكثرة[11] الأتباع. والثالث يفضل[12] بعضهم على بعض في القيام بشكر ما أنعم عليه وصَبْرِ[13] ما ابتلاه به.[14] وعلى قول المعتزلة لا يكون لأحد فضيلة عند الله إلا باستحقاق منه.

وقوله عز وجل: **وآتينا داود زبورا**، جميع كتب الله زبور، لأن الزبور هو الكتاب، وقد ذكرنا أنا لا ندري لأية نازلة ذُكر هذا. ولا يحتمل ذكر مثله على الابتداء والاستئناف.[15] لكن فيه أن التفضيل والمنزلة إنما يكون من عند الله، ومن عنده يستفاد،[16] لا بتدبير من أنفسهم واستحقاق حيث قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾،[17] لئلا يرى أحد الفضل والمنزلة لنفسه بأسباب منه، ولكن من عند الله.

---

[1] انظر: سورة النساء، ٤/ ١٦٤.
[2] انظر: سورة النساء، ١٢٥/٤.
[3] انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣.
[4] ك ن: الله.
[5] انظر: سورة النساء، ١٧١/٤.
[6] انظر: سورة ص، ٣٥/٣٨.
[7] انظر: سورة النساء، ١٦٣/٤.
[8] جميع النسخ: بعث.
[9] انظر: سورة سبأ، ٢٨/٣٤.
[10] انظر: سورة الفتح، ٢/٤٨.
[11] ع: بكثر.
[12] ع: فصل.
[13] ك ن ع: وبصر.
[14] ك ن ع + والرابع.
[15] ك ن ع: والايتناف.
[16] ك: تكون.
[17] سورة الإسراء، ٢١/١٧.

وقال [أبو بكر] الأصم في قوله: **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**، يقول: يخاطب به أهل الكتاب أن أوائلكم كانوا يرون لبعض[1] على بعض فضلا في الدنيوية.[2] ثم إن أولئك المفضَّلين[3] كانوا يتّبعون الرسل لِمَا رأوا[4] لهم من الفضل والخصوصية. فما بالكم يا أهل مكة لا تتبعون محمدا وقد ترون فضائل له[5] وخصوصية ما لا ترون ذلك لأنفسكم ولا لأحد سواه، أو كلام[6] نحو هذا. ***والله أعلم***.

**﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[٥٦]**

وقوله عز وجل: **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**، وفي سورة سبأ: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[7] الآية. فيشبه أن يكون الآية عندما نزل بهم البلايا والشدائد[8] على ما قاله أهل التأويل، فأمروا عند ذلك أن يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون دون الله[9] فيقول لهم: ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة دونه تكشفوا[10] عنكم ما نزل بكم. ويشبه أن يكون لا على نازلة ولكن على تبيين[11] سفَهِ أولئك، حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[12] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[13] أخبر أن ليس لهؤلاء شفاعة عند الله، عبادتهم إياها لا تقرّبهم إلى الله زلفى، كقوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ.[14] أخبر أنهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم إياها. أو أن يذكر هذا لقطع ما يرجون من دون الله من كشف ضرٍّ عنهم ودفعه أو جَرِّ نفعٍ إليهم وسَوق خير،[15] على ما أخبر أنه لا يملك ذلك أحد سواه،

[1] ع: بعض.
[2] ن ع م: رأو.
[3] ن + ثم إن أولئك المفضلين.
[4] ن: رأو.
[5] ع م – له.
[6] ع م: وكلام.
[7] سورة سبأ، ٢٢/٣٤.
[8] ك: والشدة.
[9] ك ع: من دون الله؛ م: دونه.
[10] ن ع م: يكشفوا.
[11] جميع النسخ: على تبين.
[12] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[13] سورة يونس، ١٨/١٠.
[14] سورة الزمر، ٤٣/٣٩).
[15] م: خير.

كقوله: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ،[1] الآية، وقوله: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ،[2] الآية. أخبر أنه لو فتح هو رحمة[3] لا يملك أحد دونه[4] إمساكها،[5] ولو أمسك هو [رحمة] لا يملك أحد إرسالها[6] دونه، ولو مس ضُرّ لا يملك أحد كشفه، وإن أراد خيرا لا يملك أحد[7] دفعه ورده.

[٤٣٣و س١٦ * وقوله: **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون**، ما ذكر ليس هو بأمر[8] في الحقيقة -وإن كان ظاهره أمرا- ولكن إخبار عن عجز ما يدعون من دونه وتعجيزُ ما ذكر من كشف الضر ودفعه والتحويل. وكذلك قوله: قُلْ كُونُوا حِجَارَةً،[9] الآية، ليس هو بأمر إنما هو إخبار عن قدرته أنه لا يعجزه شيء وإن بُدِّلتم[10] أصلب الأشياء وأعظمَها. وقوله: **فلا يملكون كشف الضر عنكم**، أي دفعه ورده. **ولا تحويلا**، يحتمل وجهين. أحدهما **فلا يملكون** تحويل ذلك الضر إلى غيركم ولا صرفه. والثاني **ولا تحويلا** من الأشد والأثقل إلى الأخفّ والأيسر والأهون.[11]

٤٣٣و س٢٢] وقوله عز وجل: **إن عذاب ربك كان محذورا**، أي يَحْذَره أهلُ السماء وأهل الأرض.[12]*

هذا تذكير[14] -والله أعلم- للمسلمين لئلا يرجوا[15] أحدا من الخلائق دون الله ولا يخافوا أحدا سواه. ثم صرف أهل التأويل تأويل الآية إلى الملائكة، لكن الآية تحتمل[16] كل معبود دون الله: الملائكة والجن والأصنام التي عبدوها. وأما الآية الثانية التي تتلوها[17] ظاهرُها في الملائكة أو الجن[18] وهو قوله:

---

[1] ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمسكَ لها وما يُمسكْ فلا مُرسلَ له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٢).
[2] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٧).
[3] ن: رحمته.
[4] م: دنه.
[5] جميع النسخ: إمساكه.
[6] ك م: إرساله؛ ن: إرسالة؛ ع: أحد إرساله.
[7] ن - لا يملك أحد؛ ع - كشفه وإن أراد خيرا لا يملك أحد.
[8] ك: فليس هو أمرا.
[9] ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٠-٥١).
[10] ك ن ع: وأبدلتم.
[11] ك ن - والأهون.
[12] ع: والأرض.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٣و/سطر ١٦-٢٢.
[14] جميع النسخ: يذكر.
[15] ع م: لئلا يرجو.
[16] ن ع م: يحتمل.
[17] ع: نتلوها.
[18] ع م: والجن.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٥٧]

**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**، أي أولئك الذين يعبدون من دونه[١] **يبتغون** هم[٢] **إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه**، الآية. اختلف فيه. منهم من صرفها إلى الملائكة، ومنهم من صرفها إلى الجن، وهو قول عبد الله بن مسعود[٣] رضي الله عنه، يقول: إن[٤] قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم أسلم الجن فبقي أولئك كانوا يعبدونهم / بعد [٤٣٣و] إسلامهم، فيقول: أولئك الذين[٥] تدعون[٦] من دون الله[٧] يبتغون إلى ربهم الوسيلة، فكيف تعبدونهم؟ ومن قال: إنها في الملائكة اختلفوا في قوله: **ويرجون رحمته ويخافون عذابه**. قال الحسن: **يرجون** محبته ورضاه، **ويخافون** عذابه، أي خوف الهيبة والجلال[٨] والعظمة لا خوفَ عذاب النار ونقمته، لأن الله عصمهم من أن يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب، حيث قال: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ،[٩] وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[١٠] وقال في قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[١١] هذا إخبار أنهم لو قالوا ذلك لفعل به ما ذُكر، ليس على أن يقول أحد منهم ذلك. وقال أبو بكر [الأصم]: **يرجون رحمته** ثوابه، **ويخافون عذابه** نقمته حيث قال فيهم[١٢] من الوعيد ما قال: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ،[١٣] الآية، فقد أثبت لهم الوعيد فيه، لكن ثوابه[١٤] ما يتلذذ به وعذابه ما يتألم به ويُتوجع. ومنهم من يقول من أهل التأويل: **يرجون رحمته**، أي جنته.

---

[١] ك: من دون الله.
[٢] ع م: يبتغونهم.
[٣] ن: قول ابن مسعود.
[٤] م – إن.
[٥] ن – الذين.
[٦] ك: تعبدون.
[٧] م: من دونه.
[٨] ك ن م: والإجلال.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وَقُودُها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[١٠] سورة الأنبياء، ٢١/١٩-٢٠.
[١١] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[١٢] ع م: فهم.
[١٣] ك – منهم.
[١٤] ن – ويخافون عذابه نقمته حيث قال فيهم من الوعيد ما قال ومن يقل منهم الآية فقد أثبت لهم الوعيد فيه لكن ثوابه.

لكن هذا يشبه أن يكونوا يرجون صحبة أهل الجنة: يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ،[1] الآية. وجائز عندنا صرف قوله: **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة،** إلى الأصنام التي عبدوها من دونه أيضا، ويكون تأويله: **يدعون يبتغون،** أي لو مُكّن لهم من العبادة والطاعة ورُكّب فيهم من أسبابه لكانوا كما[2] ذكر، وهو كقوله: لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ،[3] أي لو مكّن له ورُكّب فيه ما ركّب[4] في البشر ومكّن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، على ما ذكر[5] من سفه أولئك الذين عبدوا من[6] دون الله. يقول:[7] كيف تعبدون من لو مكن من العبادة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلةَ إلى ربهم، أو كيف تعبدون من هو بطاعة ربه يبتغي الوسيلة إليه إن كانت الآية في الملائكة. كأنه يذكر سفه أهل مكة حيث سألوا العذاب، بقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[8] الآية ونحوه، وأهل السماء والأرض جميعا يحذرون عذابه.[9]

**﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا.** قال أبو بكر الأصم: **وإن من قرية إلا نحن** مميتوها، وقد يستعمل الهلاك في موضع الموت، كقوله: إِنِ[10] امْرُؤٌ هَلَكَ،[11] أي مات؛ ويقال أيضا: هلك فلان، أي مات.[12] فعلى ذلك يقول:

[1] ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/ ٢٣-٢٤).

[2] ع: ما.

[3] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لَرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ (سورة الحشر، ٢١/٥٩).

[4] ك + من أسبابه لكانوا كما ذكر.

[5] ن – وهو كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل أي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر.

[6] ن ع م – من.

[7] ن + وهو كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل أي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سفه أولئك الذين عبدوا دون الله، يقول.

[8] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ مِن عندك فأَمْطِر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[9] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٦ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٣و/سطر ١٦-٢٢.

[10] ع م – إن.

[11] ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ (سورة النساء، ١٧٦/٤).

[12] ع – ويقال أيضا هلك فلان أي مات.

قوله: **إلا نحن مهلكوها**، أي مميتوها قبل يوم القيامة، كقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ،[١] وكقوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ.[٢] **أو معذبوها**، أي[٣] منتقموها، **عذابا شديدا**. فعلى تأويله يصح على جميع القرى والمدن ليس [على] قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل، على ما أخبر من هلاك[٤] الكل بقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. ويحتمل ما ذكر من إهلاك القرية إهلاك[٥] الأهل من[٦] بعد إهلاكها،[٧] على ما فعل بكثير من القرى. وجائز أن يكون يُهلك[٨] الأهل ويبقى القرية على حالها، ثم تَهلِك بنفسها قبل يوم القيامة. *والله أعلم*. تأويل أبي بكر [الأصم]: يفعل ذا أو ذا، إما يميتهم موتا بآجالهم أو يعذبهم[٩] عذاب إهلاك. وقال الحسن: قوله:[١٠] **إلا نحن مهلكوها**، أي مميتوها، على ما قال أبو بكر. **أو معذبوها عذابا شديدا**، يقول: إذا قامت الساعة قبل يوم القيامة، كقوله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،[١١] الآية، وقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ،[١٢] الآية، فذلك كله قبل يوم القيامة. وهو يقول:[١٣] إن الساعة تقوم على شرار الناس. فيكون ما ذُكِر من التعذيب لأولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله. وقال[١٤] قتادة: هذا قضاء من الله كما تسمع[١٥] ليس منه بُدٌّ:[١٦] إما أن يهلكها بموت كقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ،[١٧] وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره[١٨] وكذبوا رسله.

---

١ سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
٢ سورة الرحمن، ٢٦/٥٥.
٣ ع: أو.
٤ ع م: إهلاك.
٥ ن: وإهلاك.
٦ جميع النسخ + إهلاك القرية.
٧ جميع النسخ: إهلاكهم.
٨ ن: بهلاك.
٩ م: ويعذبهم.
١٠ ن – قوله.
١١ ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
١٢ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (سورة الحج، ١/٢٢).
١٣ ك + إن.
١٤ ع – وقال.
١٥ م: تسمعه.
١٦ م: بدا.
١٧ سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
١٨ ع: أمر.

وهو ما ذكرنا من الانتقام. وقال بعضهم: يميت القرية الصالحة[1] بآجالهم، وأما القرية الطالحة[2] فيأخذها بالعذاب الذي ذكر، فهو في القرون الماضية إن احتمل ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة**، وهو أن يهلك رؤساء[3] الكفرة[4] وقادتهم فيصير الدين كله دينا واحدا وهو الإسلام، على ما قال بعض أهل التأويل في قوله: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا،[5] قالوا: هو أن يهلك أهل الكفر فيجعل ملك أهل الكفر لأهل الإسلام، فذلك نقصانها من أطرافها، لا يزال يَنقص أهل الكفر قرية فقرية / وبلدة فبلدة [٤٣٣ظ] حتى تصير الأرض كلها لأهل الإسلام. وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «زُوِيَت لي الأرض فأُرِيت مشارقها ومغاربَها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي[6] لي منها.»[7] فذلك -والله أعلم- تأويل قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها**، أي نهلك أهل الكفر. ويشبه أن يكون قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا**، على ما أخبر أنه[8] يفني جميع من كان على وجه الأرض ويجعل الأرض مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع، حيث قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ،[9] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ،[10] الآية، وقال: وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا،[11] الآية. أخبر أنه لا يبقى عليها أحد ولا بناء فيصير كلها قاعا صَفْصَفا لا[12] عِوَجَ فيها[13] ولا أمْتا،[14] فذلك إهلاكها[15] وتعذيبها. *والله أعلم.*

---

[1] ع م - الصالحة.
[2] م: الظالمة؛ ع: الطامة.
[3] ك ن ع + أهل.
[4] ك: الكفر.
[5] سورة الأنبياء، ٢١/٤٤.
[6] ن: زو.
[7] انظر: صحيح *مسلم*، أشراط الساعة ١٩؛ وسنن *أبي داود*، الفتن ١؛ وسنن *الترمذي*، الفتن ١٤؛ وسنن *ابن ماجه* الفتن، ٩.
[8] جميع النسخ + كان.
[9] سورة الرحمن، ٥٥/٢٦.
[10] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفُها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).
[11] ﴿فكانت هباءً منبثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[12] ع + ترى.
[13] ع: فيها عوج.
[14] ك: أمت. يشير إلى قوله تعالى: ﴿فيذرها قاعا صَفْصَفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٦-١٠٧).
[15] ع: أهلكها.

وقوله عز وجل: **كان ذلك في الكتاب مسطورا**، قال بعضهم: كان ذلك في الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ مكتوبا. وقال بعضهم: كان ذلك في جميع كتب الله التي أنزلها على رسله مكتوبا. أي ما من كتاب أنزله الله على رسله إلا وكان[1] فيه: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ،[2] كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ[3] مسطورا. *والله أعلم*.[4]

**﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾**[٥٩]

وقوله عز وجل: **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون**، أخبر أنه ليس يمنعه من[5] إنزال الآيات[6] إلا تكذيب الأولين بها.

فإن قيل: فأي شيء فيما يكذّب الأولون بالآيات[7] ما يمنع إنزالها على هؤلاء؟

قيل: كأنه على الإضمار، أي ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا عِلمنا بأن الآخِرين يكذبون بها كما كذب بها الأولون.

فإن قيل: عن هذا نسأل:[8] إن [كان] عِلْمُه بتكذيب الآخِرين كعلمه بتكذيب الأولين، ثم لم يمنع علمه بتكذيب الأولين[9] إياها إنزالها كيف منع علمه بتكذيب الآخرين ذلك؟ أوليس قد أرسل الرسول وأنزل الكتاب على علم منه[10] أنهم يكذبون الرسول والكتاب، ثم لم يمنع علمه بذلك إنزالَه الكتاب وإرساله الرسول، فكيف منع علمه بتكذيب الآيات منهم عن[11] إرسال الآيات ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول والكتاب[12] على بعث الرسول وإنزال الكتاب؟

---

[1] ك ن: كان.
[2] سورة الرحمن، ٥٥/٢٦.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[4] ع م - والله أعلم.
[5] ك ن: عن.
[6] ع م - الآيات.
[7] ن - بالآيات.
[8] ن ع م: يسأل.
[9] ن- ثم لم يمنع علمه بتكذيب الأولين.
[10] ك: منهم.
[11] ع: على.
[12] ع م - والكتاب.

قيل: إنه قد مضى من سنته أنه إذا أنزل الآيات على أثر السؤال -أعني سؤال الآيات- فكذبوها أهلكهم، هكذا مضت سنته[١] في القرون الأولى. ثم قد سبق من وعده أن لا يهلك هذه الأمة إهلاك تعذيب واستئصال في الدنيا رحمةً منه وفضلا، على ما أخبر رسولَه حيث قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[٢] فرحمته أَنْ منَّ عليهم بإبقائهم وإزالة العذاب عنهم في الدنيا واستئصالهم. فكأنه قال والله أعلم: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ما سبق مِن وعدنا ورحمتنا أنْ لا نهلك هذه الأمة إهلاك استئصال وتعذيب. فذلك الوعد والرحمة الذي ذكرنا مَنَعَنا عن إرسال الآيات على علم منا أنهم يكذبونها إذا أرسلناها إليهم. وقد مضت السنة منا على الإهلاك إذا أنزلنا الآيات[٣] على أثر سؤالهم إياها ثم التكذيبِ من بعد. ثم قد سبق الوعد لهؤلاء أن لا يُهلَكوا في الدنيا إهلاك تعذيب رحمةً منه لهم على ما أخبر أنه لم يرسله إلا رحمة للعالمين.

وأصله أن الله عز وجل قد أنزل الآيات والحجج على إثبات رسالة الرسل آياتٍ كافيةً وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة إلى غيرها من الآيات والحجج،[٤] فما سألوا من الآيات والحجج من بعدُ إنما سألوا سؤال تعنّت وتمرّد، لا سؤال استرشاد واستهداء. فإذا كان سؤالهم الآيات سؤال عناد وتعنت أُهلكوا إذا كذبوها ولم يُنظَروا،[٥] كقوله: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ،[٦] وقوله: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ،[٧] ونحوه. ألا ترى أن عيسى عليه السلام[٨] سألوه أن يسأل ربه أن يُنزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم آية منه، فسأله[٩] فأخبر أنه ينزلها عليهم[١٠] ثم أخبر ما يفعل بهم إذا كفروا بعد ذلك، وهم كانوا يسألونه سؤال تعنت وتمرد فقال:

---

[١] م: سنة.
[٢] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[٣] ع + على.
[٤] ك – على إثبات رسالة الرسل آيات كافية وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة إلى غيرها من الآيات والحجج.
[٥] ك ن ع: ولم يناظروا.
[٦] سورة الأنعام، ٦/٨.
[٧] سورة الحجر، ١٥/٨.
[٨] ك ن – عليه السلام؛ م: ع م.
[٩] ن: فسأل.
[١٠] جميع النسخ: عليكم.

إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[١] الآية.[٢] هكذا كانت سنته فيمن سأل الآيات سؤال تعنت وعناد. وجائز أن يكون الذي منع عن إرسال الآيات على أثر السؤال وإهلاك هذه الأمة ما يكون من الإسلام من نسل هذه الأمة بعد نبيهم وإبقاء التناسل إلى يوم القيامة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وآتينا ثمود الناقة مبصرة**، قيل: آية لرسالة صالح. وقال بعضهم: مُبْصَرة،[٣] أي معاينة يعاينونها أنها آية من الله لهم حيث رأوها مخالفة لنُوقهم، وهو ما قال: هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً،[٤] **فظلموا بها**، أي كذبوا بها وجحدوها ثم عقروها بعد علمهم أنها آية من الله لهم حيث رأوها وعاينوها خلافا لنوقهم خارجة عن نُوق البشر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**، قال ابن عباس والحسن وغيرهما: الموت الذريع، أي السريع. وقال بعضهم:[٥] **وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**، للناس، فإن لم يؤمنوا بها عذبوا في الدنيا. أو يقول: وما نرسل[٦] بالآيات مقرونة بالسؤال سؤالِ تعنت[٧] فكذبوها **إلا تخويفا**، للهلاك على ما ذكرنا من الآيات[٨] التي سألوها. أو أن يكون قوله: **وما نرسل بالآيات**، على أثر السؤال بها ثم التكذيب لها **إلا تخويفا**، لمن تأخر ممن سأل مثلها فكذب بها،[٩] أو كلام نحوه. ويحتمل الآيات التي ذكر كسوف الشمس والقمر وغيره، وما نرسل ذلك إلا تخويفا للناس. *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م - فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن يُنزِّل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عيها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ١١٢/٥-١١٥).

[٢] ن ع م + الآية.

[٣] *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ١٤٢/٣.

[٤] ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ (سورة هود، ٦٤/١١-٦٥).

[٥] ن - وقال بعضهم.

[٦] ع م: وما نزل.

[٧] ن ع م: التعنت.

[٨] ك: للآيات.

[٩] ع م - بها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[٦٠]

[٤٣٤و] وقوله عز وجل: / **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس**، أي وقد قلنا لك إن ربك أحاط بالناس. الإحاطة بالشيء تكون[١] بالوجوه الثلاثة. أحدها بالغلبة والقدرة والسلطان، كقوله: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ،[٢] أي أخذهم الهلاك والغلبة وقدر عليهم. والثاني الإحاطة العلم به، كقوله: وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا،[٣] أي عالما، وقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ،[٤] أي لا يعلمون. والثالث الإحاطة المعروفة بين الخلق من إحاطة بعضهم بعضا، فذلك لا يحتمل في الله سبحانه وتعالى، فهو علي الوجهين الأولين على إحاطة العلم بهم أو القدرة[٥] عليهم والغلبة. ثم قوله: **أحاط**،[٦] اختلف فيه.[٧] قال بعضهم: **أحاط**[٨] بأعمالهم بما لهم وما عليهم، وبما لا يصلح لهم وما يصلح، وهو ما ذكرنا في قوله: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[٩] وقال بعضهم: إنهم كانوا يمكرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون إطفاء نوره ويمنعونه عن تبليغ الرسالة، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٠] الآية، فيقول: **إن ربك أحاط بالناس**، أي قد علم بمكرهم بك، على علم منه بمكرهم[١١] بك بعثك رسولا[١٢] إليهم وكلّفك على تبليغ الرسالة إليهم، لكنه وعد أن يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى تبلغ الرسالة، بقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[١٣] وقوله: فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا،[١٤] الآية.

---

[١] ع م: يكون.

[٢] ﴿هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَيْنَ بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحيط بهم دَعَوُا الله مخلصين له الدين﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).

[٣] سورة النساء، ٤/ ١٢٦.

[٤] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (سورة البقرة، ٢٥٥/٢).

[٥] ن: والقدرة.

[٦] ك ن ع – قوله أحاط.

[٧] ع – فيه.

[٨] ع: احاطة.

[٩] سورة الإسراء، ٥٥/١٧.

[١٠] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٣٠/٨).

[١١] ن م: يمكرهم.

[١٢] ع: رسول.

[١٣] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[١٤] ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ (سورة الجن، ٢٧/٧٢).

كان عز وجل يبعث الرسل ويكلّفهم تبليغ الرسالة إليهم على علم منه بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله، لكنه عصمهم ومكّن لهم حتى بلّغوا الرسالة إليهم، فعلى ذلك قوله: **إن ربك أحاط بالناس** بالعلم أو بالقدرة[١] والغلبة عليهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.** قال عامة أهل التأويل: إن الرؤيا التي أراها إياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت [رؤيا] يَقَظة ورؤيا عين[٢] معاينةٍ بالتي تنام لا بالذي[٣] لا ينام منه؛ لأنه روي[٤] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تنام عيناي ولا ينام قلبي».[٥] فإنما أراه من الرؤيا بالعين التي كانت تنام، لا رؤيا قلب وعلم. وقال[٦] سعيد بن المسيب: هي رؤيا منام، روي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى قوما على منابر فساءه ذلك فذكر أنهم كانوا يُعْطَوْنَ مالا فذلك فتنة لهم.[٧] وقال بعضهم: إنه أُرِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه يدخل المسجد الحرام آمِنا، فأخبر بذلك أصحابه أنه رأى ذلك، فلما كان عام الحديبية وصُرِف عن البيت ارتاب[٨] بعض الناس في رؤياه، فذلك فتنة للناس على ما أخبر. لكنه لم يبيِّن له[٩] متى يدخل فيه،[١٠] وقد وعد أنه يدخل فيه آمنا، وهو ما قال: لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ،[١١] الآية.[١٢]

وقوله عز وجل: **إلا فتنةً للناس**، والفتنة المحنة الشديدة. فإن كان ذلك في الرؤيا التي رآها في مسير بيت المقدس وما أخبر من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر ولا بسحر،

---

[١] ع م: القدرة.
[٢] ع م: غير.
[٣] أي بالقلب والعلم.
[٤] ن ع م: لا تدري.
[٥] صحيح *البخاري*، التهجد ١٦، صلاة التراويح ١؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٢٥؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ٢٧.
[٦] ع م: قال.
[٧] انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٧/١٥.
[٨] ع: أرباب.
[٩] ك: لنا.
[١٠] ن – فيه.
[١١] ﴿لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/ ٢٧).
[١٢] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٨٢/١٠.

فذلك الذي أخبرهم أنه رأى فتنة لهم ومحنة في التصديق[1] والتكذيب في الخبر الذي أخبر،[2] فإن كان على رؤيا منام فهو فتنة لهم[3] لما ذكرنا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **والشجرة الملعونة في القرآن**، أي كانت الشجرة الملعونة التي ذكرت[4] في القرآن[5] أيضا فتنةً لهم، كقوله: إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ،[6] الآية. ووجه فِتنَتِها لهم ما ذُكر في القصة أنهم قالوا: إن محمدا يقول: إن في النار شجرة،[7] والنار من طبعها أن تأكل الشجرة، فكيف يكون في النار الشجرة وهي تأكلها؟ ولكن لم يعرفوا أن شجر النار يكون من النار، وشرابهم من النار، وكذلك طعامهم من النار، فإذا كان من النار لم يأكلها النار. ومنهم من قال: الزقوم هو الزُّبْد والتَّمْر، فكيف يكون فيها ذلك؟[8] فيدّعون بذلك الكذب عليه فيما يخبرهم أن في النار شجرة. فتلك الشجرة أيضا كانت فتنة لهم ومحنة في تصديق رسول الله وتكذيبه.

وسميت[9] [الشجرة] ملعونة؛ قال بعضهم: إن العرب سمّت كل ضار مُؤذٍ ملعونا، فلذلك سُمِّيت شجرة الزقوم ملعونةً، إذ[10] كانت ضارة لأهلها مؤذية. وقال[11] الحسن: سميت ملعونة لما لُعِن أهلها بها فسميت باسم أهلها، وهو [كـ]ما سمى النهار مُبصِرا،[12] والنهار لا يبصر ولكن يُبصَر به فسُمِّي باسمه، فعلى ذلك هذا. وأصل اللعن الطرد، فطرد منها كل خير ونفع فهي ملعونة، وكقوله: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[13] أضاف الإضلال إلى الأصنام، والأصنام[14] لا صنع لها في ذلك، لكنّ كثيرا من الناس ضلّوا بهن فكأنها أضلّتهم،

[1] م: الصديق.
[2] ع م + من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر.
[3] ع م – لهم.
[4] ك – التي ذكرت.
[5] ك + ذكرت.
[6] سورة الصافات، ٣٧/٦٣-٦٤.
[7] ع: شجر.
[8] انظر حول الآراء كلها: *تفسير الطبري*، ١٥/١١٤-١١٥.
[9] جميع النسخ: وسمي.
[10] ع: إذا.
[11] ع م: قال.
[12] يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[13] ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٦).
[14] ع م – والأصنام.

وكقوله: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[١] أي اغترّوا بها. وقوله: **في القرآن**، أي ذكرت في القرآن، وإلا الشجرة لا تكون في القرآن، وهو كما[٢] ذكر من المصائب وغيرها، كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ،[٣] الآية، والمصائب لا تكون في الكتاب لكن ذكرت فيه.

**ونخوفهم**، بما ذكرنا. وقوله: **فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا**، وهو ما ذكرنا في قوله: مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[٤] وقوله: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٥] زادهم ما ذكر،[٦] لأنهم نظروا[٧] إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء فزادهم ما ذكر. وأما أهل الإسلام فزادهم إيمانا وهدى لأنهم نظروا إليه بعين التعظيم والتبجيل.

**﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[٦١]**

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا**، قوله: **أأسجد**، أي لا أسجد، كقوله: لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ.[٨] فدل / هذا أن [٤٣٤ظ]
قوله: **أأسجد**، معناه، أي لا أسجد. ذكر في قصة إبليس ألفاظا مختلفة، مرة قال: يَا إِبْلِيسُ[٩] مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[١٠] وقال في موضع:[١١] مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ،[١٢] وفي موضع آخر: مَا مَنَعَكَ[١٣] أَلَّا تَسْجُدَ،[١٤] ونحوه. فجائز أن يكون ذكر هذا على اختلاف الأحوال، لا في حال واحدة، هذا من هذا.[١٥]

---

[١] ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (سورة الأنعام، ٧٠/٦).
[٢] جميع النسخ: ما.
[٣] ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ (سورة الحديد، ٢٢/٥٧).
[٤] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[٥] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[٦] ع م – في قوله ما زادهم إلا نفورا وقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم زادهم ما ذكر.
[٧] ع – لأنهم نظروا.
[٨] ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٣٣/١٥).
[٩] ع – يا إبليس.
[١٠] سورة الحجر، ٣٢/١٥.
[١١] ك + آخر.
[١٢] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديَّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[١٣] م – ما منعك.
[١٤] ﴿قال يا إبليس ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ (سورة الأعراف، ١٢/٧).
[١٥] ك – من هذا.

على ما ذكر في[1] قصة آدم من اختلاف الأحوال حيث قال مرة: مِنْ تُرَابٍ،[2] وقال مرة: مِنْ[3] طِينٍ،[4] ومرة: مِنْ صَلْصَالٍ،[5] ونحوه. وذلك إخبار عن أحوال تغيّرت فيها. وجائز أن يكون ذلك بغير هذا اللسان، فذَكَر ههنا بألفاظ مختلفة والزيادةِ والنقصانِ، لأن اختلاف الألفاظ لا يغير المعنى.

**﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[٦٢]

وقوله عز وجل: **قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي**، قد أقرّ إبليس لعنه الله بالفضيلة لآدم والإكرام له؛ إما من جهة[6] الطاعة له،[7] أوالنبوة[8] التي أعطاها الله، وإن ادّعى لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخِلقة بأنه ناريّ وهو طينيّ[9] حيث قال: **أرأيتك هذا الذي كرمت علي**، أقرّ بالفضل له عليه والإكرام؛ إما لطاعتهم له[10] أو لما جعله رسولا إلى خلقه.

وقوله عز وجل: **لئن أخرتَنِ إلى يوم القيامة لأَحْتَنِكَنَّ ذريتَه إلا قليلا**، لا يحتمل أن يخاطب ربه ويقول: **لئن أخرتَنِ** إلى كذا[11] **لأحتنكن**، لأنه لِمَا يطلب[12] التأخير والبقاء إلى يوم القيامة طالبُ نعمةٍ منه ومنة[13] فيقولَ مقابلَ ما يطلب من النعمة: لئن أعطيتني ذلك لأعصينك؛ إنما يُذكَر مقابلَ طلب النعمة الطاعةُ له والشكر، على ما قال: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ،[14] إنما يقابل بطلب[15] النعمة الطاعةَ له، وأما مقابلة المعصية فلا تعرف.

---

[1] ك: من.
[2] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).
[3] ع – تراب وقال مرة من.
[4] ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢).
[5] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ١٥/٢٦).
[6] ن ع م– جهة.
[7] ع م – له.
[8] م: والنبوة.
[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢).
[10] أي لطاعة الملائكة وسجدتهم لآدم.
[11] ك + كذا.
[12] م: بطلب.
[13] ن ع: ومنته.
[14] سورة التوبة، ٩/٧٥.
[15] ن: يطلب.

ثم يخرج قوله: **لئن**[١] **أخرتَنِ إلى يوم القيامة**، على وجهين. أحدهما على التأكيد، يقول: أي إنك وإن أخرتَنِ[٢] إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته؛ أو على التمني منه[٣] الأمرين جميعا: التأخير واحتناكَ ذريته وسؤاله إياهما.

[٤٣٥و س١٨ *وفي قوله: **لئن أخرتَنِ إلي يوم القيامة**، دلالة نقض قول المعتزلة، لأن إبليس سأل[٤] ربه التأخير والإبقاء له إلى يوم القيامة وقد علم أنه إذا أعطاه[٥] ذلك له يَفِي له ما وعد وأبقاه إلى ذلك الوقت. وهم لم يعرفوا ذلك، بل قالوا: إنه يجيء عبد فيقتله فيمنعه عن[٦] وفاء ما وعد والإبقاءِ إلى الوقت الذي وقّت له، فهو أعرَف بربه منهم. وكذلك قال: رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي،[٧] وهم يقولون: لم يُغْوِهِ، فهو أعرف به منهم.* ٤٣٥و س٢٢]

ثم اختلف في قوله: **لأحتنكن ذريته**، قال بعضهم: لأَحْتَوِيَنَّهم ولأحيطن[٩] بهم. وقال بعضهم:[١٠] لأُضِلَّنَّهُمْ على ما ذكر في آية أخرى: وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ،[١١] وقال بعضهم: **لأحتنكن** لأستنزلنّ، وقيل: لأستولينّ. وقال القُتَبِي: **لأحتنكن**، أي لأستأصلنهم. ويقال: هو مِن حَنَكِ الدابةِ؛ يقال:[١٢] حنَك دابته يَحْنُكها حَنكا، إذا شدَّ في[١٣] حَنَكها الأسفل حبلا يقودها به، وقال القُتَبِي: أي لأقودنهم[١٤] كيف شئتُ.[١٥]

ثم قوله: **لئن أخرتَنِ إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته**، كأنه سأل ربه التأخير على ما ذكر في آية أخرى حيث قال: رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[١٦] كأن اللعين لما سمع قوله:

---

[١] ع – لئن.
[٢] ع – وإن أخرتني.
[٣] ن + أو على التمني منه.
[٤] ك – سأل، صح هـ.
[٥] ك: أعطا.
[٦] ع م: على.
[٧] سورة الحجر، ١٥/٣٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٥و/سطر ١٨-٢٢.
[٩] ع: ولا أحيطن.
[١٠] ع م: بعض.
[١١] ن – ولأمنينهم. ﴿ولأضلنهم ولأمنينهم وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام ولآمرنهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله﴾ (سورة النساء، ١١٩/٤).
[١٢] ع م – يقال.
[١٣] ك: من.
[١٤] ن ع م: لا أقودنهم.
[١٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨.
[١٦] سورة الحجر، ١٥/٣٦.

وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[1] علم[2] أنه لا تناله[3] الرحمة في الإيمان[4] به حيث ذكر اللعنة عليه إلى يوم الدين. واللعين هو المطرود عن رحمته، فعند ذلك سأل ربه النَّظِرَة إلى يوم الدين ليغوي[5] عباده.[6] وقد علم اللعين أن طاعة خلقه له لا تزيد في ملكه شيئا وعصيانهم لا ينقص في ملكه شيئا، لذلك قال: **لأحتنكن ذريته**، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ،[7] وَلَأُضِلَّنَّهُمْ،[8] وما ذكر.

**﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾[٦٣]**

وقوله عز وجل: **قال اذهب فمن تبعك منهم**، مع إحساني إليهم وإنعامي عليهم، **فإن**
[٤٣٥و س١٧ **جهنم جزاءكم جزاء موفورا**. *وقوله عز وجل: **جزاؤكم جزاء موفورا**، قال القُتَبِي: **موفورا**،
٤٣٥و س١٨] أي موفّرا.[9] وقال غيره: وافرا.*

**﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **واستفزز من استطعت منهم بصوتك**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التمكين[11] له[12] والإقدار على ما ذُكر، أي مَكَّن[13] له ذلك وأَقْدر عليه لخذلانه إياه لَمّا عصى ربه وترك أمره لِما رأى أمره بالسجود لآدم جورا منه، حيث قال له: وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[14] مَكَّن له ذلك لتتم[15] له اللعنة والخذلان. والثاني قال ذلك له على التوعّد والتهدد،

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٣٥.
[2] ع م – علم.
[3] ن ع م: يناله.
[4] ع: يمان.
[5] جميع النسخ: ليغوين.
[6] م: عبادة.
[7] ﴿قال ربّ بما أغويتني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض ولَأُغوِيَنَّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩).
[8] سبقت الآية قريبا.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: رقة ٤٣٥و /سطر ١٧-١٨.
[11] م: على التمكن.
[12] م + ذلك.
[13] ع: أمكن.
[14] سورة الحجر، ١٥/٣٥.
[15] ن ع م: ليتم.

ألا ترى أنه ذكر هذا على أثر[١] وعيد، وهو قوله: فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا.[٢] فيخرج قوله: **وَاسْتَفْزِزْ**، على أثر ذلك مخرج الوعيد له ولمن تبعه وأجابه، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ،[٣] هذا[٤] –وإن كان ظاهره أمرا– فهو وعيد، فعلى هذا قوله: **واستفزز من استطعت منهم**، فإن لك[٥] ولمن تبعك كذا. أو لما ذكرنا من التمكين له ذلك والإقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن الذي لعنه. وإلا لا يجوز أن يكون الله يأمره بما ذكر، إذ يخرج الأمر بما ذكر مخرج السفه[٦] والأمر بالفحشاء، وقد أخبر أنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر وإنما يأمر بالعدل، كقوله: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٧] وقوله:[٨] إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ.[٩] فلو حُمل هذا على الأمر لكان أمرا بالفحشاء والمنكر، فدل أنه يخرج على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما. أو على الاستبعاد والإياس عن أن يملك أو يقدر عليهم بما ذكر إلا من اختار منهم اتباعه، وهو ما ذكر: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،[١٠] الآية. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **واستفزز من استطعت**،[١١] قال القُتَبِي: أي استخِفَّ، والرَّجِل الرَّجَّالَة.[١٢] وقال أبو عَوْسَجَة: **واستفزز**، أي استخِفَّ، أي دعاه فأجابه وأمره فأطاعه.[١٣] وعلى هذا يخرج قوله: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ،[١٤] أي[١٥] أمرهم فأطاعوه أو دعاهم فأجابوه.

---

[١] ع م: على أمر.
[٢] الآية السابقة.
[٣] سورة فصلت، ٤١/٤٠.
[٤] م: لهذا.
[٥] م: ذلك.
[٦] جميع النسخ: سفه.
[٧] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[٨] م – إن الله لا يأمر بالفحشاء وقوله.
[٩] سورة النحل، ١٦/٩٠.
[١٠] ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٤٢).
[١١] ك ن– من استطعت؛ ع – واستفزز من استطعت.
[١٢] م: والرجالة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨. اسْتَفَزَّه الخوفُ أي استخفّه. وفي التنزيل العزيز: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾؛ قال الفراء: أي استخف بصوتك ودعائك (*لسان العرب*، «فزز»).
[١٣] ن – فأطاعه.
[١٤] سورة الزخرف، ٤٣/٥٤.
[١٥] ك ن: أو.

وقوله عز وجل: **بصوتك**، يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على حقيقة الصوت، [حيث] يكون له صوت[1] يدعو[2] الناس به فيسمع ذلك الصوت النفس الخفيّة[3] التي تكون في هذه النفس الظاهرة الكثيفة ولا يسمعه النفس الظاهرة، على ما تَخْطر[4] أشياءُ بالقلب من غير أن يعلم به الإنسان أنه من أين جاء ومن أين هَيّجانه وعَلامَ[5] / يقذف؛ ويوسوس أشياء في القلوب من غير أن يعلم ذلك ويطّلع عليه. فعلى ذلك يجوز أن يكون له صوت يدعو الناس به وإن كنا لا نسمعه، لكنه يُسمع[6] النفس الخفيةَ[7] بما يُسمع[8] النفس الظاهرة وبما تبصر،[9] أعني النفس[10] الخفية. ألا ترى أن النائم يرى أشياء ويكون في أقصى الدنيا ونفسه الظاهرة ملقاة ههنا، فذلك كله بالنفس الخفية. [٤٣٥و]

والثاني على التمثيل ليس على التحقيق[11] تحقيقِ الصوت. لكن ذَكَر الصوت لما بالصوت يوصل[12] إلى إعلام بعضهم بعضا، وبه يدعو بعضهم بعضا عند البعد. فَذَكر[13] الصوت له مكان الوسوسة التي يوسوس الناسَ أشياءَ[14] من بُعد ويدعوهم به إلى معاصي الله. وكذلك قال الحسن في قوله: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ،[15] من بعد من غير أن كان هنالك تقرّب منه.

والثالث على إضافة عمل كل عاص من نحو الغِناء والمزامير وغيره. أو ما يضاف عمل كل[16] طاغ وكل ضال إليه أضيف ذلك إليه، على ما أضاف إليه[17] موسى حيث قال:

---

[1] ع – يكون له صوت.
[2] ع م: يدعوه.
[3] ع: الحقيقة.
[4] جميع النسخ: يخطر.
[5] جميع النسخ: وعلى ما.
[6] ك ن: تسمع.
[7] ع: الحقيقة.
[8] ك: تسمع.
[9] م: نبصر.
[10] جميع النسخ: بالنفس.
[11] م – التحقيق.
[12] ع م: يرسل.
[13] ك: فذلك.
[14] ن – أشياء.
[15] ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أَدُلُّك على شجرة الْخُلْد وملك لا يَبلَى﴾ (سورة طه، ١٢٠/٢٠).
[16] ن + وكل.
[17] ع م: كما أضاف.

هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،[1] وقوله: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ [أَنْ أَذْكُرَهُ]،[2] و لم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن قال ذلك وأضافه[3] إليه لما بأمره ودعائه يعمل ذلك. وقال عامة أهل التأويل: **بصوتك**، أي بدعائك.

وقوله عز وجل: **وَأَجْلِبْ عليهم بِخَيْلِك وَرَجِلِكَ**، قال بعضهم: **أجلب**، أي اجمعهم. ويقال: أجْلبتهم،[4] أي أعَنتهم أيضا، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقوله: **بخيلك ورجلك**، يخرج على[5] الوجوه الثلاثة التي ذكرنا. أحدها أن يكون له خيل ورَجَالة من جنسه وجوهره يُجلُبهم بهم وإن كنا لا نراهم، كما قال: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ،[6] الآية.[7] فجائز أن يكون له خيل ورَجَالة وجنود لا نراهم نحن وهم يرّوننا. والثاني على ما ذكرنا أنه على التمثيل، لكنه ذكر الخيل والرَّجِل لما بالخيل والمشي يصل بعض إلى بعض عند الحاجة إليه في البعد والقرب، فذكر ذلك له على ما ذكرنا في الصوت. والثالث أنه أضاف كل خيل راكب في معصية الله وكل ماشٍ في معصية الله إليه على ما ذكرنا في الصوت أنه أضاف كل[8] صوت في معصية الله[9] إليه. ***والله أعلم***.[10]

وقوله عز وجل: **وشاركهم في الأموال والأولاد**، قال[11] بعض أهل التأويل: مشاركته في الأموال هي أن يجعلوا له[12] البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي على ما كانوا يفعلونه.[13]

---

[1] ﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).

[2] سورة الكهف، ٦٣/١٨.

[3] ع: واضافته.

[4] جميع النسخ: وأجلبتهم.

[5] ك + وجهين.

[6] ن ع م - من حيث لا ترونهم. سورة الأعراف، ٢٧/٧.

[7] ك - الآية.

[8] ن - خيل راكب في معصية الله وكل ماش في معصية الله إليه على ما ذكرنا في الصوت أنه أضاف كل.

[9] ن: في معصيته.

[10] وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٦٣ ورقم ٦٢ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٥و/سطر ١٧-١٨ و ورقة ٤٣٥و/سطر ١٨-٢٢.

[11] ع: وقال.

[12] جميع النسخ: يجعلوه.

[13] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).

وأما الأولاد فإنهم هَوّدوهم ونَصّروهم ومَجّسوهم وهو قول قتادة. وقال بعضهم: مشاركته[١] في الأموال هي أن يكتسبوها من خبث[٢] وحرام وينفقونها في مثله وفيما لا يحل. وأما الأولاد[٣] هم ما وُلِدوا من الزنى. وقال بعضهم: الأموال ما[٤] كانوا يذبحون لآلهتهم ويجعلون لها من الحرث والأنعام،[٥] والاولادُ ما وُلدوا[٦] من الزنى. وجائز أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: **واستَفْزِزْ مَن استطعتَ منهم بصوتك وأَجْلِب عليهم بخيلك ورَجِلِك**، إلى آخر ما ذكر، حتى يشاركهم[٧] في الأموال والأولاد.

ثم معنى المشاركة له فيما ذَكَر[٨] -والله أعلم- هو أن هذه الأموال والأولاد لله تعالى حقيقةً لما هو أنشأها وخلقها، فحقيقة الملك له بما ذكرنا، وظاهر[٩] الانتفاع لعبيده.[١٠] إذ هذا كله لله بحق المحنة يمتحنهم، وحقُّ الانتفاع لهم، إذ لا يجوز أن يخلق الله شيئا لمنفعة نفسه ولكن يخلق لمنافع أنفسهم ليمتحنهم بها. وقد شرع الله لهم شرائع وشرع لهم إبليس شرائع وهو ما ذكر: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ.[١١] فإذا صرفوا ذلك إلى ما شرع لهم إبليس دون ما شرع الله فقد أشركوه فيها. وكل ما أُطيع فيه[١٢] مما سَنّ لهم إبليس وشَرع لهم فذلك شركته فيها. وذلك[١٣] أن الأولاد في الشاهد[١٤] إنما تُطلَب لأحد الوجوه الثلاثة: إما للاستئناس بهم في حال الوحشة، وإما للاستنصار بهم والعون على أعدائهم،

---

[١] ك ن: مشاركتهم.
[٢] ك ن: خبيث.
[٣] ن - فإنهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم وهو قول قتادة وقال بعضهم مشاركتهم في الأموال هي أن يكتسبوها من خبث وحرام وينفقونها في مثله وفيما لا يحل وأما الأولاد.
[٤] ع: وما.
[٥] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٣٦).
[٦] ع: والاولاد وم ولدوا؛ م: والاولا ما ولدوا.
[٧] م: تشاركهم.
[٨] ن ع م: ذكروا.
[٩] ن: ذكر فظاهر.
[١٠] ع م: لعبده.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٢١.
[١٢] ع م: فيها.
[١٣] ن + والله أعلم.
[١٤] ع: الأول وفي الشاهد.

وإما للذِّكر بعد الوفاة. وكذلك الأموال يطلب منها ما ذكرنا [إما] الانتفاع بها في حال الحياة، وإما للمعونة على الأعداء أو الذكر بعد الموت لخيرات يتركونها. فإذا صرفوها إلى ما أمرهم إبليس أشركوه فيها. ومشاركته إياهم[١] في الأموال هو[٢] أن يأمرهم ويدعوهم إلى اكتساب ما يحرم والإنفاقِ فيما لا يحل. وفي الأولاد كذلك[٣] يأمرهم بالمعصية ويدعوهم إليه فيطيعونه ويجيبونه في ذلك، فذلك -والله أعلم- مشاركته.

وقوله عز وجل: **وَعِدْهم**، قال عامة أهل التأويل: أي عدهم[٤] أن لا جنة ولا نار ولا بعثَ، لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله / ويخوّفهم[٥] على ضد ما خوفهم الله. ما كان من الله لهم[٦] [٤٣٥ظ] وعدَ رجاء يكون منه وعيدا،[٧] وما كان من الله وعد خوف[٨] يكون منه وعدَ رجاءٍ، وهو ما قال: إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ.[٩] أخبر أن ما وعد هو قد أخلف، فذلك تأويل قوله: **وما يعد هم الشيطان إلا غرورا**، أي كذبا وباطلا، لأنه يخرج كله على خلاف ما وعد.

**﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، يحتمل قوله: **سلطان**، وجوها ثلاثة. أحدها القدرة والقهر، والثاني[١٠] الحجة والبرهان، والثالث الولاية. فأما القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك، لأنه لم يجعل له قدرة القهر عليهم شاءوا أو أبَوا. وكذلك ليس له عليهم الحجةُ فيما يدعوهم إليه ويأمرهم به، كقوله يوم القيامة حين يقول: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ،[١١] الآية. وأما السلطان [بمعنى] الولاية[١٢] فإن له ذلك على من اختار اتّباعه وتولّيه،

---

[١] جميع النسخ: إياه.
[٢] ن + هما؛ ك ع م + حق.
[٣] ك ع م: وكذلك.
[٤] ن ع م: وعدهم.
[٥] جميع النسخ: وخوفهم.
[٦] م - لهم.
[٧] جميع النسخ: وعيد.
[٨] ك: وعيد وخوف.
[٩] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[١٠] ن: الثاني؛ م + في.
[١١] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[١٢] م - وأما السلطان الولاية.

كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[1] وقوله: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،[2] الذين أخلصوا له[3] ليس له[4] عليهم سلطان. يحتمل قوله: **سلطان**، أي حجة لأنهم إنما يتّبعون أمر الله بحججه فلا يتبعوا الشيطان بأَمَانِيِّه التي يُمَنِّيهم، وبشُبُهاته[5] التي يشبّه عليهم. أو أن يكون قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، أي سلطان القهر والغلبة، إنما له عليهم الدعاء والتزيين، لا غير. أو أن يكون قوله: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، من الحجة والملك على ما ذكرنا، إنما سلطانه عليهم سلطانُ الولاية على الذين يتولّونه.

وقوله عز وجل: **وكفى بربك وكيلا**، يحتمل **وكيلا**، عاصما يعصمك عن تمويهاته وتسويلاته، وناصرا ينصرك على مكائده، أو مَفْزَعا تفزع إليه، أو معتمَدا[6] تعتمد عليه في جميع أمورك. ***والله أعلم***.

**﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر**، **يزجي** يُجري ويسيّر ويسوق الفلك في البحر. قال الحسن: أي سخر الفلك والسفن[7] لنا في البحر والدوابَّ في البَرّ لنقطع بها البحار والمفاوز والبراريّ، لنصل بذلك إلى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية[8] والأمكنة البعيدة. وكذلك قال في قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي] يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[9] أي سخّر لنا ذلك. ونحن نقول: كذلك[10] سخر لنا ما ذكر، إلا أن إضافة ذلك إليه على قولنا: هو أن خلق سيرنا وجَرْينا[11] في البر والبحر،[12] على قولنا: إن أفعالنا مخلوقة له.[13]

---

[1] ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٠).
[2] ﴿قال ربِ بما أغويتني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩-٤٠). جميع النسخ: إلا عباد الله المخلصين. لكن هذه الآية لا تتعلق بإغواء الشيطان.
[3] ك ن: لي؛ ع م: إلي.
[4] جميع النسخ: لك.
[5] ك ن ع: وشبهاته.
[6] ن: ومعتمدا.
[7] ع م: أو السفن.
[8] ك ع: النابية.
[9] سورة يونس، ١٠/٢٢.
[10] ع: وكذلك.
[11] جميع النسخ: وجريتنا.
[12] ع م + أي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر إلا أن إضافة ذلك إليه.
[13] ك: لنا.

ثم يذكر فيه قدرته[1] وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيها معنى تَقِرّ على وجه الماء مع ثِقَله، ومن طبع الشيء الثقيل التسرُّب في الماء والتسفُّل فيه. ولا نفهم المعنى الذي به تقرّ على وجه الماء[2] وإن كان دون ذلك في الثقل يتسفّل فيه ويتسرّب. أو جعل ذلك بطبعه بحيث[3] يقرّ على وجه الماء ولا يَسرُب فيه لطفا منه. فمن قدر على إنشاء ما[4] يقرّ[5] على وجه الماء لمعنى جَعل فيه لا نعقله نحن أو بلطفه لَقادرٌ على إنشاء هذا الخلق وإعادته بعد فنائه وذهابه، وإن كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك وأفهام البشر تعجز عن دركه. فكما قدر على إنشاء ما هو طبعه التسرب في الماء والتسفُّل فيه بحيث يَقِرّ ويَركُد على الماء يقدر[6] على ما ذكرنا. وحيث قدر على تسكين الأمواج في البحر ليَعبُر[7] فيها وخلق رِياحا فيها لتجري بها[8] السفن كما تَجري بالماء الجاري، فمن قدر على هذا يقدر[9] على ما ذكرنا من الإحياء بعد الفناء. وفيه ما ذكرنا من تذكير نعمه لنا لنشكره، وتذكيرِ قدرته وسلطانه لنَهاب[10] منه ولا نُنكر[11] قدرته وسلطانه في شيء من الأشياء، على ما أنكر قدرتَه بعض خلقه لقصور عقولهم عن دَرْك ذلك.

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها تعليم الأسباب التي بها يتوصل إلى قَطْع البحار والبراري من اتّخاذ السفن والحمل عليها وغير ذلك. والثاني تسخير البحار والبراري لنا ما لو لا ذلك ما تهيّأ لنا استعمال ذلك. والثالث دلالة الرسالة، إذ لولا خبر السماء ما نعرف[12] أن ما يُحتاج إليه هو في تلك البلدان النائية[13] والأمكنة البعيدة،[14] وما نعلم[15] أن ذلك الطريق يُفضي إلى تلك الأمكنة إلا بخبر الرسول عن الله تعالى.

---

[1] ن – قدرته.
[2] ن + لمعنى جعل فيه لا نعقله نحن أو بلطفه.
[3] ك: حيث.
[4] ن – ما.
[5] ع م: يقرر.
[6] ك ن: لقدر؛ ع: لقد.
[7] ع: ليعتبر.
[8] ع م – بها.
[9] ك: لقدر؛ ن ع: القدر.
[10] ن ع: لتهاب.
[11] ع: تنكر.
[12] جميع النسخ: وإلا ما يعرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤و.
[13] ن ع: التائبة.
[14] ك ن ع – البعيدة.
[15] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤و.

وقوله عز وجل: **إنه كان بكم رحيما**، قال بعضهم: أي من رحمته أن جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها إلى أرزاقكم التي جعل لكم[1] في البلاد النائية البعيدة. وقال بعضهم: إنه لم يزل بكم رحيما إذا تبتم ورجعتم عن ذلك. أو كانت الآية في المؤمنين، فهو لم يزل بهم رحيما. وإن كانت في الأرزاق ففيهم[2] جميعا.

فإن قالت الثنوية: إنكم تصفون ربكم بالرحمة والرأفة وهو يُميتكم ويقتلكم ويحمل عليكم الشدائد وَالْمُؤَنَ العظام، فذلك ليس من صفة الرحيم.

قيل: إنا قد ذكرنا لكم في غير موضع جواب السؤال أن المرء رحيم على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها، ثم مع ذلك يحمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام لما يأمُل من النفع في العاقبة، من نحو الحجامة والافتصاد[3] وشرب الأدوية الكريهة ما لولا ما يأمل من النفع في العاقبة ما تحمّل ذلك. وكذلك الوالدان، فيهما من الرحمة والرأفة لولدهما ما لا يخفى ذلك على أحد، ثم يحملان على ولدهما ما ذكرنا[4] من الشدائد والمؤن العظام لما يأملون من النفع لهم في العاقبة. ثم لا يمنع ذلك من الوصف[5] بالرحمة والرأفة.[6] فعلى ذلك الله سبحانه تعالى لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن أن يوصف بالرحمة، ولا يُخرجه ذلك عن الحكمة،[7] بل هو على ما قال: وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.[8]

**﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[٦٧]**

[٤٣٦و] وقوله / عز وجل: **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**، أي بطل ما كانوا[9] يأملون من عبادتهم[10] الأصنام إلا العبادة التي كانت لله، فإنه لا يَبطل ما يؤمل[11] من عبادتهم إياه؛

---

[1] ع م – جعل لكم.
[2] جميع النسخ: فيهم.
[3] ع: والاقتصاد. الفصدُ: شَقُّ العِرْقِ؛ فَصَدَه يَفْصِدُه فَصْدًا وفِصادًا. وافْتَصَدَ فلانٌ إذا قطع عرقَه فَفَصَد، وقد فَصَدْتُ وافْتَصَدْتُ (*لسان العرب*، «فصد»).
[4] ك ن: ذكر.
[5] ك: عن الوصف.
[6] م + لولدهما.
[7] ن: من الحكمة.
[8] سورة يوسف، ١٢/ ٦٤.
[9] ن + ما.
[10] ع م: عن عبادتهم.
[11] جميع النسخ: فإنه لم يبطل ما لم يؤمل.

لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[٢] فأخبر عز وجل عن سفههم لعبادتهم الأصنام وعجزهم عما يأملون منها في الآخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسّهم وكشف ما أصابهم في الدنيا، فكيف يأملون ذلك في الآخرة.[٣] أو أن يكون: **ضل من تدعون إلا إياه**، أي ضل الآلهة التي عبدوها من[٤] دون الله إلا الإله[٥] الحق المستحق للعبادة، فإنه أعانكم ونجاكم من الهلاك.

وقوله عز وجل: **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**، هكذا كانت عادتهم أنهم إذا خافوا الهلاك على أنفسهم أخلصوا الدعاء لله، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[٦] الآية. وكقوله: وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا [أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ][٧] [فَلَمَّا] نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[٨] ويحتمل قوله: **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**، عن وفاء ما عهدتم وإنجاز ما وعدتم، لأنهم قالوا: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[٩] فأعرضوا عن هذا الوعد[١٠] ولم يوفوا ذلك.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان كفورا**، لنعم ربه. يذكر سفههم من وجهين. أحدهما عبادتهم مَن يعلمون أنه لا يُنعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال الشدة. والثاني أن في الشاهد من أنعم على آخر نعمة وأحسن إليه يشكر[١١] له ويثني عليه. وإذا حلّ به بلاء وشدة من أحد من الخلائق يدعو عليه ويلعنه، فمعاملة أولئك الكفرة مع الله على خلاف

---

[١] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[٣] ن – حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسهم وكشف ما أصابهم في الدنيا فكيف يأملون ذلك في الآخرة.
[٤] ن ع م – من.
[٥] ن ع م: إله.
[٦] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[٧] سورة يونس، ١٠/٢٢-٢٣.
[٨] ك + ونحوه. ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[٩] ن + ويحتمل قوله فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن وفاء ما عهدتم وإنجاز ما وعدتم لأنهم قالوا لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين.
[١٠] ع: والوعد.
[١١] ع: بشكر.

معاملة الخلق بعضهم بعضا. يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء، ويكفرون نعمه في حال الرخاء. *والله أعلم*.

**﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾[٦٨]**

وقوله عز وجل: **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر**، على ما خسف قوما في البر، **أو يرسل عليكم حاصبا**، على ما أرسل على قوم من الحصباء،[١] وهي الحصى فأهلكهم. **ثم لا تجدوا لكم وكيلا**، ناصرا ينصركم أو معتمَدا تعتمدون[٢] عليه.

**﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[٦٩]**

وقوله عز وجل: **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى**، أي يحوجكم إلى ركوب البحر مرة أخرى، **فيغرقكم بما كفرتم**. أو يذكر هذا أن من قدر على إنشاء ما ذكر من الفلك وإجرائها في البحر وتسكين أمواجه ودفع أهواله عنكم لقادر على إهلاككم في[٣] البر أو إعادتكم[٤] في البحر ثانيا وإغراقكم فيه.

وفي قوله: **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى**، وقوله:[٥] يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ،[٦] وقوله: [هُوَ الَّذِي] يُسَيِّرُكُمْ فِي[٧] الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[٨] دلالة أن لله[٩] في فعل العباد صنعا، لأنهم هم الذين يسيرون في البر وهم الذين يُجرون الفلك فيه. ثم أضاف الإجراء إلى نفسه وكذلك السير ليُعلم أن له فيه صنعا وفعلا.

وقوله عز وجل: **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا**. قال: تبيعا، أي من يَتْبعنا بدمائكم ويطالبنا بها. وقال أبو عَوْسَجة: التبيع الكفيل، ويقال: المتقاضي في موضع. وقال غيره هو من التَّبِعة،

---

[١] م: الخصاء.
[٢] ع م: يعتمدون.
[٣] ك + البحر.
[٤] ع م: وإعادتكم.
[٥] ع م – أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى وقوله.
[٦] سورة الإسراء، ٦٦/١٧.
[٧] ع م – وقوله يسيركم في.
[٨] ع م – والبحر. سورة يونس، ٢٢/١٠.
[٩] ن – لله.

أي **لا تجدوا لكم علينا به**[١] تَبِعَةً وهو ما ذكرنا. وقال القُتَبِي: "الحاصب الريح سميت بذلك لأنها تَحصب، أي ترمي بالحصباء وهي الحَصى الصغار. والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر، أي تكسرها."[٢] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: القاصف الشديدة من الرياح.

**﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **ولقد كرمنا بني آدم**، كرمهم بأن خلقهم[٣] في أحسن صورة، كقوله: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ،[٤] وقومهم في أحسن تقويم وأحسنِ قامةٍ، كقوله: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.[٥] وكرمهم بأن ركّب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي، والحكمة من السفه، والخير من الشر. وكرمهم بأن جعل لهم لسانا يتكلمون به[٦] الحكمة وكل خبر، وبه[٧] يتوصلون إلى درك الحكمة وجمعها. وكرمهم بأن جعل أرزاقهم أطيب الأرزاق وجعل لغيرهم ما خبث[٨] منها وما فَضَل منهم. وكرمهم بأن خلق جميع ما على وجه الأرض لهم، كقوله: [هُوَ الَّذِي] خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.[٩] وكرمهم بأن سخر لهم جميع الخلائق، كقوله:[١٠] وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[١١] وجعل بني آدم هم المقصودون بخلق جميع الخلائق ونحوه. وكرمهم حيث جعلهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والأرض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار والبراري وجميعِ الصِعاب والشدائد في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ[١٢] لغيرهم من الخلائق ذلك. فذلك تفضيلهم.

---

١ ك + تبيعا.
٢ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٩.
٣ ن: خلق.
٤ سورة المؤمن، ٦٤/٤٠.
٥ سورة التين، ٤/٩٥.
٦ جميع النسخ: بها.
٧ جميع النسخ: بها.
٨ ع: حيث.
٩ سورة البقرة، ٢٩/٢.
١٠ ع م – كقوله.
١١ سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
١٢ ن + لهم.

وجائز أن يكون كرّم بني آدم لأنه كرم آدم، وكرّم آدم[1] لأنه أسجد ملائكته له وبعثه[2] رسولا إليهم حيث قال: أَنْبِئْهُمْ[3] بِأَسْمَائِهِمْ.[4] فلما كرم آدم صار بنوه مكرمين أيضا. ولهذا نقول بأن الأب يصير مشتوما[5] بشتم ابنه.

وما قال أهل التأويل: إن فضل بني آدم على غيرهم من الحيوان والدواب حين أكلوا وشربوا هم بأيديهم وسائر الدواب يأكلون بأفواههم. هذا الذي ذكروا هو من التفضيل إلا أن ذكره له خاصة ليس فيه كبير[6] حكمة وفضل، لكن فضّلهم وكرّمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وحملنا هم في البر والبحر**، هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله
[٤٣٦ظ] إياهم. ثم يحتمل هذا وجهين. أحدهما أن جعل / لهم البر والبحر مسخَّرين حتى يصلوا إلى ما في باطن[7] البحر[8] وظاهره من أنواع المال والمنافع. وكذلك البرُّ سخِّر لهم حتى يصلوا إلى ما في باطنه من الأموال والمنافع وظاهره. والثاني أن جعلهم[9] بحيث يقضون حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما[10] لم يجعل[11] لغيرهم من الخلائق قضاءَ الحوائج من ورائهما، وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر. ثم ما ذكر على أثر قوله: **كرمنا بني آدم**، وهو[12] تفسير[13] تفضيله وإكرامه حيث قال: **وحملنا هم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات**. وجائز أن يكون ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله إياهم هو ما جعل فيهم من الأنبياء والرسل والأتقياء والأخيار[14] منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم. ألا ترى أن موسى قال: يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[15] الآية.

---

[1] م - وكرم آدم.
[2] م: وبعث.
[3] م - أنبئهم.
[4] سورة البقرة، ٢/٣٣.
[5] م: مشتوتا.
[6] ن ع م: كثير.
[7] ن: في بطن.
[8] ك: إلى باطن ما في البحر.
[9] ع: يجعلهم.
[10] ع: لما.
[11] جميع النسخ + ذلك.
[12] ك: هو.
[13] ن + قوله.
[14] ن م: والأحبار.
[15] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

وقوله: **ورزقناهم من الطيبات،**[1] هو ما ذكرنا أن جعل أرزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيّب غايته -ولا كذلك غذاء غيرهم من الدوابّ ورزقهم، لأنهم لا يأكلون إلا بعد أن يستخرجوا منه ما فيه من أذى وخبث وخشونة من النُّخالة وغيرها- وفي الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب واللين[2] غايته. وأما غيره من الدوابّ فإنما يأكلون كما هو نِيًّا[3] غير مطبوخ ولا نضِج،[4] مع ما فيه[5] من الخبث والأذى.

**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا.** أما بعض أهل التأويل فإنه قال: **فضلناهم على كثير ممن خلقنا،**[6] على الجن والشياطين وأصحابهم، غير الملائكة. وقال بعضهم: **على كثير ممن خلقنا،** من الحيوان والدواب، **تفضيلا،** بالأكل بالأيدي وجعلِ رزقهم من غير رزق الدوابّ. ويحتمل: **على كثير ممن خلقنا،** ممن على وجه الأرض من الجن وغيرهم لِما لم يُرسَل إلى الجن رسول منهم ولا أنزِل عليهم كتاب على حِدَة، وما جعل أرزاقهم مما يفضل من البشر من العظام والسِّرْقِين[7] وغيره على ما ذكر، فذلك وجه تفضيلهم عليهم.

وأما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر، فإنا لا نتكلم في شيء من ذلك، لِما[8] لا نعلم ذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. فالأمر فيه إلى الله: في تفضيل هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء، ليس إلينا من ذلك شيء. ولا جائز أن يُجمَع بين أَشَرِّ البشر وأفسَقِهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفةَ عين فيقالَ: هم[9] أفضل من الملائكة. ولكن إن كان لابد فإنما يُجمَع بين الأنبياء والرسل وأتقى الخلائق وبين الملائكة، فيتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض. فهو ما ذكرنا [من] أن الأمر في ذلك إلى الله، ليس إلينا من ذلك شيء. ***والله أعلم.***

---

[1] ع - وجائز أن يكون ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله إياهم هو ما جعل فيهم من الأنبياء والرسل والأتقياء والأخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم ألا ترى أن موسى قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الآية وقوله ورزقناهم من الطيبات.

[2] ك ع: واللبن.

[3] النِّيء والنِّيّ: اللحم الذي لم يَنْضَج. قال الجوهري: النِّيّ: الشحم (*لسان العرب*، «نوى» و «نيأ»).

[4] ك ن م: نضيج.

[5] جميع النسخ: وفيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤ظ.

[6] ن + على كثير ممن خلقنا.

[7] السِّرْقِين والسَّرقين: ما تُدَمِّلُ به الأرضُ، السَّرقين معرّب، ويقال سِرْجين [الزِّبْل] (*لسان العرب*، «سرقن»).

[8] م - لما.

[9] ع: لهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **يوم ندعو كل أناس بإمامهم**. قال الحسن: هذا صلة قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ،[١] فيقولون:[٢] أيُّ يومٍ؟ فيقول: **يوم ندعو كل أناس بإمامهم**. ثم اختلف في قوله: **بإمامهم**، قال بعضهم: **ندعو بإمامهم**، أي بدينهم الذي دانُوا به وذبُّوا عنه، ويُدعَى كلٌّ بدينه الذي دانَ به وذبَّ عنه. وقال بعضهم: **بإمامهم**، أي برؤسائهم وأئمتهم الذين أضلُّوهم، أي يُدعَى الأتباع بأئمتهم ورؤسائهم الذين أضلُّوهم[٣] حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم على بعض[٤] ويتبرّأ[٥] بعضهم من بعض، كقوله إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[٦] الآية، وقوله: وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا،[٧] وقوله: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[٨] يُدْعَى الأتباعُ بالمتبوعين. وقال بعضهم: يدعى كل أناس بداعيهم الذي دعاهم؛ إن كان رسولا فبالرسول، وإن كان شيطانا فبالشيطان، وهو قريب مما ذكرنا. وقال بعضهم: **بإمامهم**، كتابِهم الذي كتبت[٩] الملائكة أعمالهم فيه. وقال بعضهم: يدعى[١٠] بكتابهم الذي أنزل عليهم. يدعى كل بما ذُكر ليعلموا أن الحجة قد قامت عليهم ووجب[١١] لهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان.

وحاصل أقاويل هؤلاء يرجع[١٢] إلى وجوه ثلاثة. أحدها **يوم ندعو** إمام كل أناس كان أمامَهم في خير أو شر فيُجزَى له جزاءه ثم يكلَّف هو دعاء أتباعه إلى ما أعدّ[١٣] لهم من الثواب والعقاب.

---

[١] سورة الإسراء، ٥٢/١٧.
[٢] جميع النسخ: فيقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤ظ.
[٣] ع – أي يدعى الأتباع بأئمتهم ورؤسائهم الذين أضلوهم.
[٤] ن – ويلعن بعضهم على بعض.
[٥] ع: ويتبراء.
[٦] ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢).
[٧] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مَوَدَّةَ بَيْنِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[٨] ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣١/٣٤).
[٩] م: كتب.
[١٠] ع – يدعى.
[١١] ع م: ووجبت.
[١٢] ن ع م: ترجع.
[١٣] م: أوعد.

والثاني يدعَى كل إمام ورئيس في خير وشر بأتباعه الذين يتبعونه فيما يدعوهم إليه نحو كل رسول يدعَى بقومه الذين اتّبعوه، وكل رئيس وشيطان استتبعهم. والثالث **بإمامهم** بكتابهم[١] الذي كتب لأعمالهم التي[٢] فعلوا،[٣] كقوله:[٤] وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[٥] ونحوه.

وقوله عز وجل: **فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم**، كلهم قد يقرءون[٦] كتابهم، غير أن المؤمن إذا نظر في الكتاب فرِح به واستبشر بما فيه فسهُل عليه القراءة[٧] وهان لما كان يتّبع حجج الله. وأما الكافر إذا نظر في الكتاب حزِن واغتمّ به[٨] فعسُر عليه قراءة كتابه، وهو كقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ،[٩] الآية، ويقول الكافر: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ،[١٠] الآية، لأنه اتّبع ما اتّبع بلا حجة. أو أن يكون المؤمن إذا نظر في كتابه رأى سيئاته مغفورة، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[١١] فرِح بذلك، والكافر رأى سيئاته باقية عليه وحسناتُه قد بطَلت حزِن بذلك واغتمّ،[١٢] / لذلك قال ما قال. *والله أعلم*. [٤٣٧و]

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**، قال بعضهم: من كان في هذه الدنيا أعمى عن توحيد الله والإيمان به، مع كثرة آياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى. وقال بعضهم: **من كان في هذه** الدنيا **أعمى** عن[١٣] الحق،

---

[١] جميع النسخ: إمامهم كتابهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[٢] ع م: الذي.
[٣] ك ن م + كتبوا؛ ع + كتبوا له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[٤] ع – كقوله.
[٥] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[٦] ك م: يقرون.
[٧] ع: القران.
[٨] ك – به.
[٩] سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٢٠.
[١٠] ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ (سورة الحاقة، ٢٥/٦٩-٢٦).
[١١] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصِّدْق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[١٢] جميع النسخ: واهتم.
[١٣] ك ن – توحيد الله والإيمان به مع كثرة آياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا أعمى عن.

**فهو في الآخرة أعمى** عن[1] حججه، لأنه إذا عمِي عن الحق نفسه[2] فهو عن حججه أعمى،[3] فتكون[4] "في" بمعنى "عن"، إذ الآيات والدلالات على وحدانية الله أكثر[5] وأظهر من الدلالة على البعث والآخرة. إذ ليس شيء إلا وفيه أثر وحدانيته[6] ودلالة ألوهيته، ولا كذلك الآخرة، فهو عن الإيمان بها أشد عَمًى.[7] وقال بعضهم: من عمِي في هذه الدنيا عن الإيمان بالله فهو في الآخرة أعمى عن الإيمان به، لأن الدنيا مما يُقبَل فيها الإيمان، وفي الآخرة لا يقبل، وهو ما قال: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، أي حيل بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان به، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ،[8] أي كما حِيل بين أشياعهم وبين الإيمان به عند معاينة بأس الله وعذابه، وهو قول الحسن. وقال أبو بكر [الأصم] قريبا من هذا، وهو أن من عمِي عن الرشد والحق في هذه الدنيا لجهله به فهو في الآخرة عن[9] علمه بالرشد والحق أشد عمًى، أو كلام نحو هذا. وقال بعضهم: من عمِي قلبه في الدنيا عن الإيمان بالله والتوحيد له فهو في الآخرة يكون أعمى الوجه والحواس، كقوله: [قَالَ رَبِّ لِمَ] حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا،[10] وكقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[11] الآية. [يحشرون على][12] ما ذكر ذاهبةً حواسُّهم منهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس.

ويشبه أن يكون قوله: **ومن كان في هذه أعمى** بالافتراء على الله **فهو**[13] **في الآخرة أعمى**، أي مفترٍ على الله أيضا، كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[14] ونحوه،

---

[1] ع – الحق فهو في الآخرة أعمى عن.
[2] ع: الخلق بنفسه.
[3] ك ن + وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا أعمى عن توحيد الله والإيمان به مع كثرة آياته ودلالته عى وحدانية فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى.
[4] ك ن: فيكون.
[5] ن – أكثر.
[6] م: وحدانية.
[7] ع: أعمى.
[8] ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبلُ إنهم كانوا في شك مريب﴾ (سورة سبأ، ٥٤/٣٤).
[9] جميع النسخ: عند.
[10] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[11] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[13] م – فهو.
[14] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

يفترون في الآخرة ويَكْذِبون كما كَذَبوا في الدنيا، وكقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.[١] ثم أخبر عنهم فقال:[٢] وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[٣] وقال قتادة: **ومن كان في هذه أعمى**، يقول: ومن كان في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم [أعمى] **فهو في الآخرة** الغائبة عنه التي لم يرَها **أعمى وأضل سبيلا**، وهو قريب مما ذكرنا. وقال ابن عباس رضي الله عنه:[٤] **ومن كان في هذه** النعم **أعمى** [عن] أن يعلم أنها من الله، **فهو في الآخرة أعمى** عن حجته.[٥] ويقال: [**ومن كان في هذه** الدنيا **أعمى**] عن دين الله، [**فهو في الآخرة أعمى**] **وأضل** [**سبيلا**][٦] طريقا. ويقال: ضل[٧] عن حجته. وقال غيره من أهل التأويل: **ومن كان في هذه** النعم **أعمى**، يعني الكافر، عمِي عنها وهو يعاينها فلا يعرف أنها من الله[٨] فيشكر ربها **فهو في الآخرة أعمى**. يقول: [فهو] عما غاب عنه من أمر الآخرة من البعث والجزاء أعمى **وأضل سبيلا** وأخطأ طريقا. وبعضه قريب من بعض. ***والله أعلم.***

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**، دل هذا على[٩] أنه قد كان من الكفرة شيء من الدعاء[١٠] إلى شيء يصير به مفتونا لو أجابهم إلى ذلك. وكذلك كانت عادة الكفرة كادوا أن يُضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١] ويفتنوه عن الذي أوحي إليه ويصرفوه عنه، كقوله:[١٢] اِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[١٣] هكذا كانت عادتهم،

---

١ ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).
٢ م: فقالوا.
٣ سورة الأنعام، ٢٨/٦.
٤ ك ن – رضي الله عنه.
٥ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٨/١٥؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٢٤/١٥.
٦ الزيادات من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
٧ ك ن: أضل.
٨ ن: ممن الله.
٩ جميع النسخ: دل على هذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
١٠ ن + شيء من الدعاء.
١١ ك ن – صلى الله عليه وسلم.
١٢ جميع النسخ: كقولهم.
١٣ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ (سورة يونس، ١٥/١٠).

كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال على وجه المكر به، لا ضلالَ تصريحٍ وكفرَ تصريحٍ[1] ولكن معنًى يؤدي ذلك إلى الضلال والكفر، ويريدون[2] منه المساعدة لهم في بعض ما هم فيه بما كانوا يرونه من الموافقة له والمساعدة. لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون منه بالآيات التي ذكر في كتابه وبالعقول، كقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ[3] الآية. أخبر أنهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى، ومن لم يكن معصوما يجوز أن يوجد منه حرج مما قضى به. وكقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[4] ومن لم يكن معصوما يجوز أن يُؤذَى ولا يلحقه اللعنة؛ وقوله: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ،[5] الآية، فمن لم يكن معصوما يجوز أن يكون الخيرة من أمره؛ وقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ،[6] وأمثاله مما يكثر عدُّها. وكذلك العقول تشهد أنه كان معصوما. فمن أراد أن[7] يصرف ويزيل عنه العصمة بتأويل يتأوّله في بعض الآيات أو بحديث يرويه فإنا لا نقبل تأويلَه ولا خبره الذي يروي، ونشهد أنه كَذِب. ويجوز أن يكون في خبره الذي روي معنى آخر سواه، فليس له أن يروي إلا بالمعنى الذي كان فيه. فتأويل أهل التأويل أنه ألقى عليه الشيطان ولقّنه عند تلاوته: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ،[8] تِلْكَ الْغَرَانِيقُ العُلَى وَشَفَاعَتُهُنَّ تُرْجَى.[9] وقال بعضهم: لا نَدَعُك تستلم الحجر إلا أن تستلم آلهتنا ونحوه،[10] إن ذلك كله فاسد خيال؛ إنه كان لا يحوم حول[11] أصنامهم في حال صغره، ولا رأوه دنا منها حتى لم يطمعوا ذلك منه ما دام صغيرا، فكيف طمِعوا ذلك الاستلام لها بعد ما أُوحِي إليه وصار رسولا؟

---

[1] ن – وكفر تصريح.

[2] م: يريدون.

[3] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).

[4] سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣.

[5] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الْخِيَرَةُ من أمرهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[6] سورة الأنفال، ١/٨.

[7] ك – أن.

[8] سورة النجم، ١٩/٥٣–٢٠.

[9] انظر: تفسير الآية من سورة الحج، ٥٢/٢٢. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨٧/١٧، ١٨٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧٦/١٧.

[10] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٩٩/١٠.

[11] ن ع م: حوم.

وكذلك ما ذكروا أنهم طلبوا منه أن يطرد بعض الذين اتبعوه عنه ليكونوا هم[١] أتْباعه فَهَمّ أن يفعل ذلك فنزل: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**، لكن ذلك كله فاسد خيال لا يحتمل ما توهموا فيه، لأنهم لم يعرفوه حقَّ معرفته، وإلا لو عرفوه / حقيقة المعرفة [٤٣٧ط] ما توهموا فيه شيئا من ذلك. *وبالله التوفيق والمعونة.*[٢]

ثم قوله: **لَيفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره**، قد ذكرنا أن عادتهم ذلك، إلا أن الله عصمه عن ذلك.

**﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[٧٤]**

ثم قوله: **ولولا أن ثبتناك لقد كِدتَ تركَن إليهم شيئا قليلا**، فظاهر الآية تردّ جميع ما قال أهل التأويل في هذه الآية، لأنه يقول: **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تَرْكَن إليهم**، أخبر أنه قد[٣] ثبّته فلم يركن، لأنه أخبر أنه قد ثبّته فلم يَكَدْ أنْ يَركَن إليهم. وقال: **شيئا قليلا**، سَمّى ذلك شيئا يسيرا، ولو كان ما قال أولئك لكان شيئا كبيرا عظيما، بل يبلغ الكفر، دل أنه لم يكن ما ذكروا.

وقال: **لقد كدت تركن**، و"كاد" هو حرف المقاربة،[٤] أي قارَب[٥] أن يركن، كقوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ،[٦] أي تقرُب[٧] أن يَتَفَطَّرْنَ.[٨] وليس فيه أنه ركن إليهم. فقولهم فاسد للوجوه التي ذكرنا أنه ذكر:[٩] **شيئا قليلا**، وما قالوا كبير عظيم يُخاف أن يبلغ الكفر. والثاني قال: **كدتَ** وهو حرف تقارُب. والثالث ذكر على الشرط: **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا**، فلم يركن لما ثبّته، وهو ما قال إبراهيم: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[١٠] وما ذكرنا في قصة يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.[١١] ليس فيه أنه همّ، ولا فيه أنه ركن، لأنه خرج على الشرط.

---

[١] م: ليكونوهم.
[٢] ك ن: المعونة والتوفيق.
[٣] جميع النسخ: وقد.
[٤] جميع النسخ: قارب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥ظ.
[٥] ع – أي قارب.
[٦] ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠).
[٧] جميع النسخ: قارب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥ظ.
[٨] ك ن ع: ينفطرن.
[٩] ع م – أنه ذكر.
[١٠] سورة الأنبياء، ٢١/٦٣.
[١١] سورة يوسف، ١٢/ ٢٤.

وقال الحسن في قوله: **لقد كدت تركن إليهم**، أي همَمْتَ،[1] لكنه همَّ به همَّ[2] خطَرٍ أخطره[3] إبليس. وكذلك قال في قصة يوسف: هَمَّتْ بِهِ هَمَّ عَزمٍ، وَهَمَّ بِهَا همَ خطرٍ. وقال غيره أرادوا منه أن يجعل لهم مجلسا على حِدَةٍ ليُسلموا، فهمّ[4] أن يفعل ذلك لحرصه على إسلامهم وإشفاقا عليهم. فمثل هذا يجوز فعله[5] إلا أن الرسل لا يجوز لهم أن يفعلوا شيئا وإن صغر إلا بإذن من الله. ألا ترى أن يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير إذن منه[6] عاتبه ربه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.[7] ومثل هذا لو فعله غيره من دونهم كان ممدوحا محمودا في ذلك. فهذا يدل أن الأنبياء لم يكن لهم صنع شيء -وإن قل- إلا بأذن من الله. *والله أعلم*.

**﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[٧٥]**

وقوله عز وجل: **إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**، أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. وقال أبو عَوْسَجة: **ضعف الحياة**، أي مثل الحياة. وغيره قال: **ضعف الحياة** عذاب الدنيا، **وضعف الممات** عذاب الآخرة. وقوله عز وجل: **ثم لا تجد لك علينا نصيرا**، قيل: مانعا، وقيل: ناصرا ينصرك وشافعا يشفعك إلينا. *والله أعلم*.

**﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٧٦]**

وقوله: **وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ من الأرض لِيخرجوك منها**، قال الحسن: قوله: **ليستفزونك**، أي كادوا لَيقتلونك ولَيخرجوك منها بالقتل، وقد كانوا همُّوا قتله لكن الله عصمه عن ذلك، بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[8]

---

[1] م ع: همت.
[2] ع - هم.
[3] ن ع م: خطره.
[4] ع م + به.
[5] جميع النسخ: الفعل.
[6] ك: من ربه.
[7] سورة الصافات، ٣٧/١٤٣-١٤٤.
[8] سورة المائدة، ٥/٦٧.

وقوله: **وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلا**، هكذا كانت[1] سنة الله في الأمم الخالية أنهم إذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا[2] بعده إلا قليلا حتى أُهلكوا. وقال بعضهم: هو على الإخراج نفسه إلا أن الله عز وجل: أخرجه إخراج هجرة إلى المدينة لما سبق من رحمته وفضله أن لا يهلك هذه الأمة إهلاك استئصال. فلو كانوا هم أخرجوه لاستوجبوا به الإهلاك لما كان من سنته في الأولين إهلاكُهم إذا أخرجوا رسولهم من بينهم. وقال بعضهم: على حقيقة الإخراج منهم، أخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيره، وهو ما قال: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ.[3] ففيه دلالة أنهم أخرجوه وأنهم أُهلكوا بذلك. وكذلك كانت سنة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

وقال أهل التأويل في قوله: **وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ**، أي يستنزلونك من أرض المدينة حيث نزل بالمدينة. قالت له اليهود: إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء والرسل، إنما أرض الأنبياء والرسل [هي] أرض الشام، فإن كنت نبيا رسولا فاخرج إليها. فخرج الرسول عليه السلام[4] متوجها إلى الشام فعسكر على رأس أميال كذا[5] لينتاب[6] إليه أصحابه، فنزل به جبريل بهذه الآية.[7] لكن ذكرنا أن هذا وأمثاله لا يحتمل، لأنه لا يجوز أن يخرج رسول الله[8] من أرض المدينة إلى أرض الشام بقول[9] أولئك اليهود من غير أن كان من الله إذن له في ذلك، هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك، والوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*. ويشبه أن يكون قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ،[10] أي كادوا أن يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة لك لِيستفزونك من الأرض، لا أنهم كانوا يطمعون فيه[11] أن يفتنوه ويضلوه عن الذي أوحى إليه على التصريح والإفصاح، ولكن على جهة المكر به والخديعة. *والله أعلم*.[12]

---

[1] جميع النسخ: كان.
[2] م – لم يلبثوا.
[3] سورة محمد، ١٣/٤٧.
[4] ع: عليه الصلاة والسلام.
[5] ع م – كذا.
[6] انتابَ الرجلُ القومَ انْتِيابًا إذا قصَدَهم وأتاهم مَرَّةً بعد مَرَّة، وهو يَنتابُهم (*لسان العرب*، «نوب»).
[7] انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٢/١٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٠١/١٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٣٠/١٥.
[8] ك ن + صلى الله عليه وسلم.
[9] ك: يقول.
[10] سورة الإسراء، ٧٣/١٧.
[11] ع م – فيه.
[12] ك ن + بذلك.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا**، على قول الحسن: السنة في الأمم الذين قبله أنهم إذا قتلوا الرسول أهلكوا أو عذبوا.[١] وعلى قول بعضهم: السنة فيهم أنهم إذا أخرجوا الرسول من بينهم على علم[٢] منه أنهم لا يؤمنون بعده [هي] الإهلاك. وعلى قول بعضهم على الإخراج نفسه. وهؤلاء قد[٣] أخرجوا رسولهم من بينهم، بقوله: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ،[٤] الآية، وقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ [فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ]،[٥] لكنهم عُذِّبوا تعذيبَ رحمةٍ وإهلاكَ رحمة [٤٣٨و] لا إهلاك استئصال. وقوله عز وجل: / **ولا تجد لسنتنا تحويلا**، أي لعذابنا تحويلا.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **أقم الصلاة**، يحتمل الأمر بإقامة الصلاة الأمرَ بالدوام عليها واللزوم بها، أي اِلزم بها وأدِمْها. أو اسم[٦] التمام والكمال، أي أتِمَّها وأكمِلها بالشرائط التي أُمِرت بها. ويحتمل قوله: **أقم**، فِعْلَهَا. و لم يفهم من قوله: **أقم الصلاة** الانتصابُ على ما يُنْصَب الشيء ويقام به، فدل أنه لا يفهم من الخطاب ظاهره.

وقوله عز وجل: **لدلوك الشمس**، اختلف فيه، قال بعضهم: دلوك الشمس زوالها، **إلى غسق الليل**، أي إلى ظلمة الليل، **وقرآنَ الفجر**، أي صلاة الفجر. فيقول الناس: في هذه الآية بيان أوقات الصلوات[٧] الخمس جميعا، لأنه ذكر أول ما يجب من الصلوات[٨] وهي الظهر إلى ما ينتهي وهي الفجر. فعلى هذا التأويل "إلى" لا تكون غاية ولكن تكون كأنه قال:

---

١ ن ع م: وعذبوا.
٢ ك + منهم.
٣ م: وقد.
٤ ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٠).
٥ سبقت قريبا.
٦ ع: واسم.
٧ ن: الصلاة.
٨ ن: الصلاة.

أقم الصلاة لدلوك الشمس وغسق الليل.[١] *والله أعلم*.[٢] ومنهم من يقول: فيه ذكر صلوات النهار، لأنه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها، **إلى غسق الليل**، وغسق الليل هو بدء[٣] ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر. فعلى تأويل هذا يكون حرف "إلى" غاية لا يدخل صلاة الليل فيه.

ثم تخصيص الخطاب[٤] لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر له بإقامة الصلاة يكون كأنه قال: أقم لهم الصلاة. فإن كان هذا ففيه دلالة صحة صلاة[٥] القوم بصلاة الإمام وتعلق صلاتهم بصلاة الإمام حيث قال: أقم لهم الصلاة. ولو كان كل أحد يقيم صلاة نفسه لكان لا يقول: أقم لهم الصلاة، ولكن يقول: صل الصلاة. فدل أنه على ما ذكرنا.

ثم قوله: **لدلوك الشمس**، يحتمل وجهين. أحدهما: **أقم الصلاة**، للذي تَدْلُك[٦] له الشمس، أي تسجد،[٧] كقوله: يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ،[٨] الآية. والثاني: **أقم الصلاة**، للوقت[٩] الذي يتلو[١٠] دلوك الشمس[١١] [إلى غسق الليل، وأقم قرآن الفجر، أي صلاة الفجر][١٢] وأقم قراءة الصلاة.[١٣] ثم تخصيص الفجر لما ذُكِر حيث قال: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، التخصيص لقرآن الفجر لأنه مشهود، والفرضية بها بقوله: أقم قراءة الصلاة على ما ذكرنا. ثم قوله: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، أي لم يزل في علم الله، **كان مشهودا**، أو صار مشهودا.

---

[١] م – وغسق الليل.

[٢] م + وقوله لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها إلى غسق الليل أي إلى ظلمة الليل.

[٣] ك ن: بدو؛ ع م: بدؤ.

[٤] ن: الكتاب.

[٥] م – صلاة.

[٦] ن ع م: يدلك.

[٧] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يُقبَل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)». *صحيح البخاري*، بدأ الخلق ٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٥٠، ٢٥١؛ وسنن *الترمذي*، صفة القيامة ١٥.

[٨] ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجّدا لله وهم داخرون﴾ (سورة النحل، ٤٨/١٦).

[٩] ك ن ع: لوقت.

[١٠] ن: يتلوه.

[١١] جميع النسخ + الصلاة.

[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٦و.

[١٣] ع م – وأقم قراءة الصلاة.

ثم قال: **وقرآن الفجر**، وهي صلاة[1] الفجر. وإنما ذكر صلوات[2] النهار فدخل صلوات الليل بقوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ.[3] لكنهم يقولون: إن التهجد بعد النوم، وقد يكره النوم قبل فعل[4] المغرب والعشاء، فلا يصح هذا. ومنهم من يقول: دلوك الشمس غروبها، وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره.[5] وقال بعضهم: فيه ذكر صلوات الليل لأنه ذَكَر بدء[6] ظلمة الليل، وذلك بالغروب،[7] **وقرآن الفجر**،[8] هو آخر ما ينتهي ظلمة الليل، لأنه يبقى ظلمة الليل إلى وقت الفراغ من الفجر.

وقوله: **وقرآن الفجر**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما القرآن يكون كناية عن صلاة الفجر، كأنه قال: أقِمِ[9] الصلاة لدلوك الشمس وأقم أيضا صلاة الفجر لأنه نَسَق على الأول. ويحتمل قوله: **وقرآن الفجر**، أي قراءة الفجر، أي أقم قراءة الفجر. ويجوز أن يقال القرآن مكان القراءة، كقوله: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ،[10] أي قراءته. ثم من الناس من احتج بفرضيّة القراءة في الصلاة بهذا لأنه نسق على الأول على ما ذكرنا،[11] كأنه قال:[12] أقم القراءة.[13] ومنهم من يقول إنما حَثّ على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات[14] لما طَوّل [النبي عليه السلام] القراءة فيها لتقصيرها عن الأربع، لأنه[15] لم يجعل غيرها من الصلوات[16] ركعتين، فحث على قراءتها لهذا. *والله أعلم*.

---

[1] م: وصلاة.
[2] ك: صلاة.
[3] الآية التالية.
[4] ع: صل.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٤/١٥، ١٣٩.
[6] ك: بدأ؛ ع م: بدؤ.
[7] ك: بالمغرب.
[8] م + إذ.
[9] م: اقرأ.
[10] سورة القيامة، ١٨/٧٥.
[11] ك: ذكرناه.
[12] ع م – قال.
[13] ن: القرآن.
[14] ع: صلوات.
[15] ن + قال.
[16] ع: الصلاة.

وقوله عز وجل: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، قال عامة أهل التأويل: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار،[١] أي حَرَسُ الليل وحرس النهار. وعلى ذلك رويت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.[٢] وقوله: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، أي قراءة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. على هذا حمله أهل التأويل وعلى ذلك رويت الأخبار. وإلا جاز أن يقال فيه بوجه[٣] آخر وهو أن تشهده القلوب والسمع والعقول، لأن ذلك الوقت هو وقت الفراغ[٤] عن جميع الأشغال والموانع التي تَشْغَل[٥] الاستماع والفهم عنه ما لا يكون ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات من صلاة المغرب والعشاء، لأنهما بقرب من الأشغال والحوائج. ألا ترى أن الجهر بالقراءة إنما جعل في الأوقات التي هي أوقات[٦] الفراغ عن الأشغال[٧] وهي المغرب والعشاء. ثم وقت الفجر هو أخلى[٨] وقتٍ عن غيره لأنه بعد فراغ النوم وقبل هجوم وقت التقلب، فالقراءة فيها أسمع[٩] والقلوب أشهد لها، لكن أهل التأويل صرفوا ذلك إلى ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [٧٩]**

وقوله: **ومن الليل فتهجد به نافلة لك**، قال بعضهم: النافلة الغنيمة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[١٠] أي الغنائم. وقوله: **نافلة لك**، أي غنيمةً لك تَغْنَم بها غنائمَ، أو كلام نحو هذا. وقال الحسن: قوله: **نافلة لك**، أي خالصة لك. وخلوصه له[١١] أن لا يَغْفُل هو عن شيء منها في حال من الأحوال،

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٣٩-١٤١؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٣٠٧.

[٢] عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيَّب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَفضُل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءًا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر». ثم يقول أبو هريرة فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (*صحيح البخاري*، الأذان ٣١، التفسير، ١٧/١١؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٢٤٦).

[٣] ن ع م - بوجه.

[٤] ن - الفراغ.

[٥] جميع النسخ + عن.

[٦] ن + التي.

[٧] ع م: الاشتغال.

[٨] ك: أخلا.

[٩] ع م - أسمع.

[١٠] سورة الأنفال، ٨/١.

[١١] جميع النسخ + وهو.

وغيره من الناس يغفلون فيها عن أشياء. وقال بعضهم: ذَكَر أنه نافلة له لأنه كان مغفورا له، فما يعمل يكون له نافلة. وأما غيره فإن ما[1] يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**، قال: **يبعثك ربك مقاما محمودا**، تَحْمَدُ[2] عاقبته[3] بالتهجد، أي يبعثك ربك مقاما تحمد أنت تلك العاقبة جزاء بتهجدك في الدنيا.

[٤٣٨ظ] وقال بعضهم: **مقاما محمودا**،[4] ما يحمده كل الخلائق / الأولون والآخرون. وقال بعضهم: **مقاما محمودا**، هو مقام الشفاعة -والله أعلم- أي تشفع أمتك وأهل العصيان منهم. وجائز أن يكون هو صلة[5] ما تقدم من قوله: فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً،[6] وقوله: فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا،[7] وقوله: فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا[8] وما ذكر من المواعيد، لَمَا سمع هذا وقرع ذلك سمعَه[9] أخافه ذلك وأفزعه فنزل قوله: **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**، إنْ عبدتَ الله وأطعته في جميع أموره ونواهيه وأقمت له الصلاة والصيام.[10]

**﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾**[٨٠]

وقوله عز وجل: **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**، ظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن يدعو بما ذكر. وقد عرف هو ما أمره من الدعاء بقوله: **رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**، فلا حاجة تقع[11] لنا إلى أن نطلب المراد من ذلك، إلا أن يكون لغير في ذلك اشتراك، فعند ذلك يُتكلف فيه ويُطلَب المراد منه.

---

[1] ك: فإنما.
[2] ع: تحمده.
[3] م: عاقبة.
[4] ن - قال يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبته بالتهجد أي يبعثك ربك مقاما تحمد أنت تلك العاقبة جزاء تهجدك في الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا.
[5] ن ع م + قوله.
[6] سورة الإسراء، ٢٢/١٧.
[7] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[8] سورة الإسراء، ٣٩/١٧.
[9] ن م: سمعه ذلك؛ ع: اسمه.
[10] م: والقيام.
[11] ع: نفع.

وقد تكلم أهل التأويل في ذلك. قال بعضهم: قوله: **رب أدخلني مدخل صدق**، كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أُمر بالهجرة منها إلى لمدينة وأمر أن يدعو بهذا الدعاء: **رب أدخلني** في المدينة **مدخل صدق** آمِنًا على رغم اليهود **وأخرجني** من المدينة إلى مكة **مخرج صدق** آمنا على رغم كفار مكة ظاهرا عليهم. ألا ترى أنه قال: **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** عليهم، ففعل الله ذلك له وأجابه. وقد ذكرنا في غير موضع أن حرف السلطان يتوجه إلى وجوه ثلاثة. يكون مرة عبارة عن حجة قاهرة غالبة، ويكون عبارة[١] عن ولاية نافذة غالبة، ويكون عبارة عن اليد الظاهرة الغالبة أيضا. وقد كان بحمد الله ومنه[٢] لرسول الله على الكفرة ذلك كلُّه. وقال بعضهم: **رب أدخلني مدخل صدق** في مكة ليعلم أهل مكة أني قد بلّغت الرسالة، **وأخرجني** منها مخرج صدق ليعلم يهود المدينة أني نُصِرت وبَلّغت ما أُمرت به. وقال الحسن: **أخرجني** من مكة **مخرج صدق، وأدخلني** في الجنة **مدخل صدق**. وقال بعضهم: **رب أدخلني مدخل صدق** فيما حمّلتني من الرسالة والنبوة وما أمرتني به لأؤديها[٣] على ما أمرتني وأُبلِّغ الرسالة إلى الخلق على ما كلفتني. **وأخرجني مخرج صدق**، أي أخرجني مما كلفتني سالما لا تَبِعةَ عليّ، أو كلام نحوه.[٤]

وأصله كأنه أمره ربه أن يسأله[٥] الصدق في جميع أفعاله وأقواله وفي جميع ما تعبّده[٦] به من الدخول في أمر أو الخروج منه، إذ لا يخلو[٧] العبد من هذين: من الدخول في أمر أو الخروج منه. سأله الصدق في كل حال وكل دخول وكل خروج. وقال مجاهد: **رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** في الرسالة والنبوة، وهو ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**. قال بعضهم: حجة منه، وقد أقامها على الكفرة. وقال بعضهم: **سلطانا نصيرا**، أي اجعل في قلوب الناس هيبة ليهابوني، وقد كان [له] من الهيبة بحيث هابُوه من مسيرة شهرين.[٨] وقال بعضهم: هو السلطان الذي[٩] يَنصرون به الدين

---

[١] ك ن ع – عبارة.
[٢] م: ومنته.
[٣] ك ع: لاوديها؛ ن: لاودبها.
[٤] ع: نحو.
[٥] ن ع م: يسأل ربه إليه.
[٦] م: يعبده.
[٧] ك: لا يخ؛ ع: لا يخلوا.
[٨] يشير إلى حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسم: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (صحيح *البخاري*، التيمم ١، والجهاد ١٢٢، والصلاة ٥٦؛ وسنن *النسائي*، الغسل ٢٦).
[٩] ك: الذين.

ويُقيمون الحدود والأحكام ونحوه. وقيل: السلطان هو إقامة الحدود والأحكام والشرائع، وهو تفسير الولاية، لأنه بالولاية [يتحقق] ما يقيمها، وهو ما ذكرنا من الولاية [أنها] إقامة الأحكام.

ثم قيل في الصدق والإخلاص.[1] قال بعضهم: الإخلاص هو أن لا يجعل [المرء] لشيء[2] بقلبه نصيبا لأحد سواه،[3] وإن جعل [فـ]لا يجد لذلك لذة. والصدق[4] عندنا أن يجعل [المرء] الفضلَ في جميع أفعاله لله، لا يجعل لنفسه شيئا من الفضل، وعلى ذلك يلزمه الشكر لربه في جميع خيراته. وعن الحسن قال: لما مَكَّر كفارُ مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم ليُثْبِتوه أو يَقتلوه أو يُخرجوه،[5] فأراد الله بقاء أهل مكة فأمر نبيه أن يخرج منها مهاجرا إلى المدينة وعلّمه ما يقول، فأنزل الله: **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**، وعده الله لينزعن[6] ملك فارس والروم ويجعله لأمته.

**﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٨١]**

وقوله عز وجل: **وقل جاء الحق وزهق الباطل**، قال بعضهم: **جاء الحق** وهو[7] الإسلام، وقيل: **جاء الحق** القرآن، وقيل: **جاء الحق**، أي محمد. أو يقول: جاء آثار الحق وذهب[8] الباطل وآثاره، أو جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شُبَه الباطل وتمويهاته. والحق يحتمل ما ذكرنا من الإسلام ورسول الله.

وقوله عز وجل: **وزهق الباطل**، أي ذهب وبطل غيره من الأديان وغيره من المذاهب وعبادة الأصنام، ونحوَ ذلك قالوا. وأصله أن الناس كانوا في حيرة وتِيهٍ قبل بعث الرسول لِمَا كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الأرض إلى السماء، لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون إلى شيء، حيارى حزانى، حتى بعث الله محمدا ليدعوهم إلى دين الله،

---

[1] يشير إلى تفسير قوله تعالى في الآية: مُدْخَلَ صِدْقٍ، مُخْرَجَ صِدْقٍ.

[2] ع م: الشيء.

[3] جميع النسخ + والصدق.

[4] ع م: الصدق.

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[6] ع + عن.

[7] ع: هو.

[8] ع م: فذهب.

ويبين لهم سبيله الذي كان يتمسك به الأنبياء من قبله، ويخرجهم من تلك الحيرة التي كانوا فيها، ففعل صلى الله عليه وسلم، فذلك الذي قال الله تعالى: **جاء الحق وزهق الباطل**، أي جاء الحق الذي كانوا فقدوه فَسُرّوا بذلك. **وزهق الباطل**، أي ذهب واضمحلّ. **إن الباطل كان زهوقا**، أي ذاهبا مضمحلا[١] لا يُجدِي خيرا ولا يُعقِب لأهله نفعا، والحق هو الذي يُعقب ويُجدي نفعا لأهله.

[٤٣٩و] ثم قوله: **جاء الحق وزهق الباطل**، لم يفهم أهل الخطاب / بمجيء الحق الانتقالَ من مكان إلى مكان، ولا[٢] بذهاب الباطل على ما يفهم من مجيء فلان وذهاب فلان، بل فهموا من مجيء الحق ظهورَه وعلوّه، وفهموا من زهوق الباطل وذهابه فناءه[٣] واضمحلاله وتلاشِيه. وعلى ذلك لم يفهموا من مجيء الأعراض ما فهموا من مجيء الأجسام والأجساد.[٤] فعلى ذلك لا يجب أن يفهموا من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[٥] الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك لا يُفهم من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٦] استواء الخلق، ولا من نزوله[٧] نزول الخلق على ما لم يفهم مما أضيف إلى الأعراض من الأفعال ما فهموا من الأجساد والأجسام،[٨] بل فهموا من هذا غير الذي فهموا من[٩] الآخر. فعلى ذلك لا يفهم مما أضيف إلى الله تعالى ما يفهم مما أضيف إلى الخلق، بل يتعالى عن أن يُشبه الخلق أو يُشبهه الخلق في معنى من المعاني أو في وجه من الوجوه. بل هو كما وصف نفسه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،[١٠] وقوله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ.[١١] وتعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا.

[١] ع – ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذي قال الله تعالى جاء الحق وزهق الباطل أي جاء الحق الذي كانوا فقدوه فسروا بذلك وزهق الباطل أي ذهب واضمحل أن الباطل كان زهوقا أي ذاهبا مضمحلا.

[٢] ع: فلا.

[٣] ع م: فناه.

[٤] ن – والأجساد.

[٥] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).

[٦] سورة الأعراف، ٧/ ٥٤.

[٧] ك: ولا نزوله. يشير إلى حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثُلُثُ الليلِ الأولُ فيقول: أنا المَلِكُ أنا الملكُ مَن ذا الذي يدعوني فأستجيب له، مَنْ ذَا الذي يسألني فأُعطِيَه، مَنْ ذَا الذي يستغفرني فأغفرَ له، فلا يزال كذلك حتى يُضِيءَ الفجرُ» (صحيح *البخاري*، صلاة المسافرين ٢٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٢٧).

[٨] ك: من الأجسام والأجساد.

[٩] ع م – هذا غير الذي فهموا من.

[١٠] سورة الشورى، ٤٢/ ١١.

[١١] ﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخَلَقَهم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ (سورة الأنعام، ٦/ ١٠٠).

[٤٣٩ظ س٨ *وقوله: **إن الباطل كان زهوقا**، قيل: ذاهبا باطلا لا يُجدي لأهله نفعا، لأنه يتلاشى ولا يبقى، والحق يجدي لأهله نفعا[1] ويبقى. وعلى ذلك ضرب الله مَثَل الحق بالشيء الذي يبقى، وضرب مثل الباطل بالذي لا يبقى ولا يثبت فقال: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.[2] وقد ذكرنا في موضعه ضَرْبَ مَثَلِ الباطل بالزَّبَد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل، وضَرْبَ مَثَل الحق بالماء وهو يبقى في الأرض وينفع الناس، وضَرْب[3] مثل الباطل أيضا بالشجرة الخبيثة التي تَجْتَثّ[4] من[5] فوق الأرض ولا يكون لها قرار، بقوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ،[6] الآية، وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة الثابتة[7] في الأرض ذات قرار وثبات، بقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ،[8] فهو على ما وصفهما
٤٣٩ظ س١٦] الحق ثابتٌ باقٍ وله قرار ينفع أهله، والباطل يُرَى ثم يتلاشى ولا بقاء له.[9]*

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وننزل من القرآن ما هو شفاء**، كأن الآية نزلت في ابتداء الأمر حيث قال: **وننزل**، ولم يقل: ونزلنا من القرآن ما هو شفاء. وجائز أن يكون قوله: **وننزل من القرآن ما هو شفاء** نفسَ القرآن، وهو ما ذكرنا. ويحتمل المواعيد التي في القرآن من وقائع تكون عليهم، وكأن في ذلك شفاءً للمؤمنين، كقوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ،[11] الآية. أو نقول بأنه يجوز [أن يذكر][12] "نفعل" بمعنى "فعلنا" وذلك كثير في القرآن.

---

[1] ك ن – لأنه يتلاشى ولا يبقى والحق يجدي لأهله نفعا.
[2] سورة الرعد، ١٧/١٣.
[3] ن + أيضا.
[4] م: جثت.
[5] ع – من.
[6] ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثّت مِن فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ٢٦/١٤).
[7] ن م: النابتة.
[8] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[9] ع م – له.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٩ظ/سطر ٨-١٦.
[11] ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم وينصرْكم عليهم ويَشفِ صدور قوم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ١٤/٩).
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

ثم قوله: **ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**، أي شفاء للمستشفين في الدنيا،[١] **ورحمة** لمن تمسك به في الآخرة. أي[٢] فيه شفاء لمن استشفاه في الدنيا ورحمة في الآخرة لمن تمسك به، وعمًى وخسار وظلمةٌ لمن أعرض عنه ونظر إليه بعين الاستخفاف والاستثقال. وأما من نظر إليه بعين التعظيم والإجلال فهو شفاء له[٣] ورحمة، وإن كان القرآن نفسه شفاءً ونورا. وهكذا في الشاهد أن من أبصر شيئا إنما يبصر بنور البصر وبنورِ الهواء وبارتفاع[٤] ما يستر النورين جميعا، لأنه إذا كان عمِي البصر لم يبصر شيئا وإن كان نور الهواء متجليًا، وكذلك لا يبصر إذا كان نور البصر متجليا بعد أن سترت الظلمة نور الهواء. فإذا[٥] كان ما ذكرنا أنه لا يبصر في الشاهد شيئا إلا بنورين: نور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر نور القرآن وشفاءه لِما سترت الظلمة[٦] نور قلبه، والمؤمن أبصر نوره وشفاءه بنور إيمانه. وهكذا الأدوية فإنها لا تُجدِي نفعا وإن كانت نافعة شافية في أنفسها إلا بقبول الطبيعة، لأن الطبع إذا لم يقبلها -وإن كانت[٧] شافية نافعة- لم تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كأنها كانت في الأصل ضارة[٨] غير شافية. فعلى ذلك القرآن، وإن كان في نفسه شفاء ونورا صار[٩] للكافر عمًى وخسارا، كأنْ لا شفاء فيه ولا رحمةَ لِما ستر[ت] ظلمةُ الكفر نوره فصار كالزائد له رجسا وطغيانا ونفورا، وهو ما قال: **ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [٨٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**، يشبه أن تكون[١٠] النعمة التي ذَكَر[١١] هو محمدا[١٢] لِما ذكرنا أنهم كانوا في حيرة وعمًى لا يجدون السبيل إلى دين الله

---

[١] م - الدنيا.
[٢] ع م - أي.
[٣] ن ع م: له شفاء.
[٤] ع م: بارتفاع.
[٥] م: فإن.
[٦] أي ظلمة الكفر.
[٧] ك: كان.
[٨] جميع النسخ: وصارت كأنها في الأصل كانت ضارة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[٩] ع: ضار.
[١٠] ن ع م: يكون.
[١١] ع: ذكرنا.
[١٢] جميع النسخ: محمد.

وقد [كانوا يتمنون أن يكون لهم نذيرٌ وداعٍ يدعوهم إلى الحق ليؤمنوا، وكانوا يُقسمون على ذلك كما أخبر الله عنهم بقوله]:[1] وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[2] فذلك الإعراض الذي ذَكَر.[3] *والله أعلم*. فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعوهم إلى دين الله ويبين سبيله، فذلك منه نعمة عظيمة، [ولكنهم] أعرضوا عنه وتباعدوا.[4] ويشبه أن يكون ما قاله أهل التأويل: إنه[5] إذا وُسّع عليه الرزق والعيش أعرض عن الدعاء له وتباعد بجانبه.

وقوله عز وجل: **وإذا مسه الشر كان يئوسا**، أي يائسا[6] من الخير أن لا يعود إليه أصلا. وهكذا كانت عادتهم أنهم كانوا يخلصون الدعاء له إذا مسهم[7] سوء وأصابتهم شدة، ويكفرون به إذا تجلى ذلك عنهم[8] وانكشف، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ،[9] الآية، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ،[10] الآية، وأمثاله. وكان الناس كلهم فِرقا أربعة. منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا أنهم كانوا يُخلصون له الدعاء في حال الشدة ويكفرون في حال الرخاء. ومنهم من كان يؤمن به في حال الرخاء والنعمة ويكفر به[11] في حال الشدة، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[12] الآية، وهم أهل النفاق. ومنهم من يكفر به[13] في الأحوال كلها.[14] والفرقة الرابعة هم أهل الإسلام، يؤمنون به في حال الرخاء وحال الشدة، في الأحوال كلها. على هذا كانوا في الأصل، وعلى هذا يجيء أن يكون قوله: **وإذا مسه الشر كان يئوسا**، من الأصنام،

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[2] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[3] ع م: ذكروا.
[4] جميع النسخ + عنه.
[5] أي الإنسان.
[6] ع: تائسا.
[7] ن: مستهم.
[8] ن ع م: لهم.
[9] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البّر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[10] ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض﴾ (سورة فصلت، ٥١/٤١).
[11] ك ن: ويكفرون.
[12] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[13] م – به.
[14] ك ن ع + كقوله.

كقوله: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ،[١] فيكون إياسهم من الأصنام التي عبدوها. لكن أهل التأويل صرفوا إلى ما ذكرنا من الإياس عن الخير من أن يعود إليهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **قل كل يعمل على شاكلته**، لسنا نعلم أنه أيّ سبب كان هنالك حتى قال: **قل كل يعمل على شاكلته**، إذ لا يجوز أن يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتداء، لكن يشبه أن يكون قال هذا إياسًا [لرسول الله][٢] من إيمانهم لما لم يزدهم دعاؤه إياهم وكثرة تلاوة[٣] آياته عليهم وإقامة حججه عليهم إلا عنادا وإنكارا / فقال عند ذلك: **قل كل يعمل على شاكلته**، [٤٣٩ظ] أي على دينه وطريقته، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٤] وكقوله: وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ.[٥] فهو كله على الإياس عن أن يؤمنوا به ويقبلوا دينه. ثم قال: **فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**، أي ربكم أعلم بمن منا على الهدى ومن ليس، أو مَن مِنا أهدى سبيلا: نحن أو أنتم.[٦]

وقال أبو عَوْسَجة: الشاكلة الخاصرة، أي على ناحيته. وقال القُتَبِي: شاكلته، أي على خليقته وطبيعته.[٧] وقال قُطْرُب: على طريقته، وكان هذا أشبه. وقال بعضهم: على نيته، وقيل: على دينه ومذهبه، وقيل: على[٨] جَدِيلته[٩] ومنهاجه، وكله يرجع إلى واحد. ويشبه أن يكون [قوله: **قل كل يعمل على شاكلته**][١٠] أي كل يعمل[١١] بما هو شبيه[١٢] به وما هو يشبهه،

---

[١] ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٧/١٧).
[٢] جميع النسخ: عن الإياس؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[٣] ن – تلاوة.
[٤] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[٥] سورة يونس، ٤١/١٠.
[٦] ع م: وأنتم.
[٧] ع م – وطبيعته. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٠.
[٨] ك – على.
[٩] الشاكلة: الناحية والطريقة والجَدِيلة. وفي التنزيل: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أي طريقته وجَدِيلته ومذهبه. والشاكلة الخاصرة، وهي الطفطفة (*لسان العرب*، «شكل»).
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[١١] ع م: عمل.
[١٢] جميع النسخ: الشبه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

لأن الشكل هو ما يشبه الشيء، يقال: هذا شَكْلُ هذا. وقوله: **قل كل يعمل على شاكلته**، على قول من يقول: على خليقته، خُلِق عليها، لأنه خلق على ما علم منه أنه يختار ويؤثر. ***والله أعلم***.[1]

**﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[٨٥]

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**، اختلف فيه. قال أبو بكر الأصمّ: الروح القرآن ههنا، كقوله: يُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ،[2] وكذلك قوله: [وَكَذٰلِكَ] أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي،[3] الآية، قيل: **الروح من أمر ربي**، أي من تدبير ربي، مما لو اجتمع الخلائق ما[4] قدروا على مثله.

فإن قيل: كيف سألوا عن القرآن وهم لم يقرّوا بالقرآن؟

قيل:[5] سمّوه قرآنا وروحا على ما عنده، أعني عند رسول الله، كقوله: وَقَالُوا مَا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ،[6] وهم لم يكونوا[7] أقرّوا أنه رسول ولكن سمّوه رسولا لما عند نفسه وزعمه رسول، أي ما لهذا الذي يزعم أنه رسول يأكل الطعام، فعلى ذلك قوله: **ويسألونك عن الروح**، الذي على زعمه أنه روح، إلى هذا ذهب أبو بكر [الأصم].

وقال الحسن: قوله تعالى: **ويسألونك عن الروح**،[8] وهو الذي به حياة الأبدان من هلاك الضلال، أي من تمسك به نجا من هلاك الضلال.

وقوله عز وجل: **قل الروح من أمر ربي**، أي بأمر ربي ينزل. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الروح من أمر ربي**، أي من خلق ربي،[9] وهما واحد. وقال بعضهم: الروح هو الملك وإنما سألوه عنه، كقوله: تَنَزَّلُ الْمَلَآئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا،[10] يعني الملك.[11] وقال بعضهم:

---

[1] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٨١ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٩ظ/سطر ٨-١٦.
[2] ﴿ينزل الملآئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقونِ﴾ (سورة النحل، ٢/١٦).
[3] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).
[4] ع + وما.
[5] جميع النسخ: فقال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[6] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٧/٢٥).
[7] م: و لم يكونوا.
[8] ع م – الذي على زعمه أنه روح إلى هذا ذهب أبو بكر وقال الحسن قوله تعالى ويسألونك عن الروح.
[9] انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٩٣/١٤.
[10] ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (سورة القدر، ٩٧ /٤).
[11] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٦/١٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٢٤/١٠-٣٢٥.

إنما سألوه عن الروح المعروف الذي به حياة الأبدان، لكنه لم يجبهم فوكّل أمره[1] إلى الله لما لا[2] يدركون ذلك لو بين لهم، وأمثاله.

وروي عن أبي يوسف رحمه الله أنه كان ينهى عن الخوض في الكلام ويحتج بظاهر هذه الآية، حيث سألوه عن الروح فلم يجبهم ولكن فوّض أمره إلى الله. وما سُئِل من الأحكام إلا وقد بيَّن لهم، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ،[3] الآية، و يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[4] الآية، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى،[5] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ،[6] وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ.[7] مثل هذا ما[8] سئل عن شيء من الأحكام إلا وقد أجابهم وبين لهم بيانا شافيا، وقال ههنا: **قل الروح من أمر ربي.** [دل أن الخوض في علم الكلام مكروه].[9] وقال جعفر بن حرب:[10] إن الله قد أمر بالتكلم في الكلام بقوله: وَجَادِلْهُمْ،[11] الآية،[12] وقال: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ،[13] الآية، ونحوه، فكيف نهى عن الخوض في الكلام. لكنّ أبا يوسف إنما نهى عن الخوض في الكلام الذي لا يدرَك ولا يزيد الخوض له إلا حيرة وضلالا، نحو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق».[14] لأنه لا يدرك، فالتفكر فيما لا يدرك لا يزيد إلا عمى وحيرة وتِيهًا. وأما[15] الخوض في الذي يُدرَك ويُعقَل فإنه لم يُنهَ عن مثله.

---

[1] ع: أمر.

[2] م – لا.

[3] سورة البقرة، ٢/٢١٩.

[4] سورة الأنفال، ٨/١.

[5] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.

[6] سورة البقرة، ٢/٢٢٢.

[7] سورة النساء، ٤/١٢٧.

[8] ن: أما.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧ظ.

[10] أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي العابد (٢٣٦/٨٥٠)، من ائمة المعتزلة من أهل بغداد. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبًا. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[11] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٥).

[12] ك: بالآية.

[13] ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٢٢).

[14] انظر لرواية الحديث: *كشف الخفاء* للعجلوني، ١/٣٥٦-٣٥٧.

[15] ك ن: فأما.

وأصله ما ذكرنا من إباحة التكلم في الدين والخوض في الكلام في كثير من الآيات،[1] من ذلك قوله: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[2] الآية، ونحوه.

{قال الشيخ رحمه الله:} ولا[3] نفسر الروح ما هو لما لا نعلم أنهم ما أرادوا بالروح، وهم قد علموا ما أرادوا وعلم[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا. وإنما سألوا ذلك عما في كتبهم ليعلموا صدقه فيما يدّعي من الرسالة لما علموا أن غير الرسول لا يعلم ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أوتيتم من العلم إلى قليلا**، قال بعضهم: أي ما أوتيتم من العلم الذي به مصالحكم وحاجاتكم[5] إلا قليلا. وقال بعضهم: أي ما أوتيتم من العلم الذي أنشأه والعلم الذي عنده إلا قليلا. وهو هكذا، إنا[6] لم نُؤتَ من العلم إلا علم ظواهر الأشياء وبادِيَها، لم نُؤتَ علم بواطن
[٤٤٠و] الأشياء وحقائقها. وذلك أنا نعلم / أن البصر يُبصر والسمع يَسمع واللسان يَنطق واليد تَقبِض وتأخذ والرِّجل تمشي والعقل يدرك، لكن لا نعلم المعنى الذي جُعل فيه [أنه] به[7] يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يأخذ وبه يمشي وبه يدرك. وكذلك نعرف[8] هذه الجواهر التي نشاهدها ونعاينها بأن هذا حمار وهذا ثور وهذا كذا. ولكن لا نعرف المعنى الذي [به] هذا صار حمارا وهذا ثورا.[9] وكذلك كل جواهر وأجناس فلا نعرف من العلوم التي أنشأها الله[10] إلا القليل منها ظواهرَها، وأما الحقائق فلا.

**﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾[٨٦] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[٨٧]**

وقوله عز وجل: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**، من يقول بأن الروح الذي سألوه عنه هو الوحي والقرآن الذي أُنزل عليه يحتج بهذه الآية وبقوله: **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**،[11] لما خرج ذكرها على أثر سؤال الروح فدل أنه ما ذكرنا.

---

[1] ن: الأحكام.
[2] سبقت قريبا.
[3] جميع النسخ: أولا.
[4] م: أو علم.
[5] ن ع م: وما جاء بكم.
[6] ك: إنما.
[7] ن- به.
[8] ن: يعرف.
[9] ن- وهذا كذا ولكن لا نعرف المعنى الذي صار هذا حمارا وهذا ثورا.
[10] ن + إلا.
[11] سورة الإسراء، ٨٨/١٧.

وقد ضل بهذه الآية فريقان: الحشوية والمعتزلة. أما الحشوية فإنهم يقولون: إن القرآن والكلام هو صفة الله الذي هو لم يزل به موصوفًا[٨] وأنه لا يزايله، ثم يقولون: القرآن في المصاحف بعينه، وهو في الأرض وفي القلوب. فقولهم متناقض،[١] لأنه إذا[٢] كان صفته لا هو ولا غيره. لا يجوز أن يكون في المصاحف بعينه أو في الأرض أو في القلوب.

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} أما الذي في المصاحف هذا [فهو] ما يفهم به ذلك أو ما يوافق به ذاك، أعني القرآن. ويقال: هذا حكاية عن ذلك.

وأما المعتزلة فإنهم ينكرون خلق أفعال العباد ثم يقولون: إن القرآن مخلوق، فعلى زعمهم يكون القرآن والكلام ما يكتب ويثبت ويمحى، وذلك فعل العباد، ثم يقولون: أفعالهم غير مخلوقة، فذلك تناقض في القول بيّن.

وعلى قولنا: ما ذكر من الذهاب والمجيء كلُّه على المجاز، أي الموافقة لا على الحقيقة؛كما يقال: سمعت كلام فلان وقول فلان، وكتبت حديث فلان ونحوه. فذلك كله على المجاز لا على التحقيق، لأنه لا يسمع قول فلان حقيقية ولا كلامه ولا حديثه ولكن يسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه وحديثه. فعلى ذلك الأول[٣] يَذْهب بالذي يُسمع ويُكتب، فأما حقيقة ذلك فلا يوصف بشيء من ذلك. وبعد فإنه قد أضيف المجيء[٤] إلى الذي لا يعرف منه ذلك.[٥]

ثم يحتمل قوله: **ولئن شئنا لنَذهبنّ بالذي أوحينا إليك**، أن يكون صلة قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي،[٦] **ولئن شئنا ليذهبن بالذي أوحينا إليك**، حتى لا يَظْفَر به وإلا[٧] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لو شاء لذهب بالذي أوحي إليه وقادر عليه وله رفعه، وكذلك يعرف هذا كل مؤمن. وإن كانت الآية على الابتداء فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة، أي له أن يرفع هذا الذي أوحى إليه ليعلموا أن إبقاء النبوة والوحي فضل منه ورحمة، وكذلك الوحي إليه في الابتداء وبعثه رسولا إليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا،

[١] م: مناقض.
[٢] ك: إذ.
[٣] أي الآية التي نحن بصدد تأويلها.
[٤] ع + إلى.
[٥] ن - ذلك.
[٦] الآية السابقة.
[٧] ع: إلا. [٨] جميع النسخ: موصوف.

كقوله:[1] وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ،[2] وقوله: قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ،[3] أخبر أن النبوة له، وما أرسل إليه اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه، فعلى ذلك إبقاء النبوة والوحي رحمة وفضلا منه.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه. أحدها ما قالوا أنْ لا يختارُ الله أحدا[4] لرسالته ونبوته إلا من كان مستحقا لها ومستوجِبا لذلك. وقد أخبر أنه بفضله واختصاصه أرسله رسولا، وبفضله وبرحمته أبقاها وتركها بعد ما أوحى إليه وأرسله رسولاً.

والثاني فيه أن له[5] أن يفعل ما ليس هو بأصلح لهم في الدين، حيث أوعدهم[6] برفع ما أوحى إليه[7] وإذهابِه إياه، ولا يُوعِد إلا بما له أن يفعل ما أوعد، إذ لا يوعِد بما ليس له الفعل في الحكمة. ثم لا شك أن إبقاء النبوة وتركه ما أوحى إليه أصلحُ لهم من رفعها وتركه إياهم خلوّا عن ذلك، دل أنه قد يفعل ما ليس هو بأصلح لهم[8] في الدين.

و[الثالث] فيه أنه قد يكلّف خلقه التوحيد والإيمان به[9] وإن لم يرسل رسولا ولا أَوْحى إليه وحيا، لأنه معلوم أنه لو لم يرسل الرسول ولا كانوا مكلّفين في أنفسهم لكان خلقه إياهم عبثا لتركهم[10] سدى، فدل أنهم مكلّفون بتوحيده ومعرفته وإن لم يرسل ولا أوحى، حيث أخبر أن بعث الرسالة وإبقاءها فضل منه ورحمة بقوله: **إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا؛** وقوله: **إلا رحمة من ربك**، أي إبقاء النبوة والوحي رحمة من ربك، وفضله أيضا في إبقاء ذلك كبير.[11]

و[الرابع] فيه أن الحفظ والنسيان -وإن كانا من العبد- فلله فيهما صنع به يَحفظ، حيث قال: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**، أخبر أنه لو شاء لذهب بالمحفوظ في القلب ويُنسيه، دل أن له قدرة في فعل العبد.

---

[1] ن - كقوله.
[2] سورة البقرة، ١٠٥/٢.
[3] سورة آل عمران، ٧٣/٣.
[4] ع: أحدا لرسالة؛ م: أحدا الرسالة.
[5] ن + أن له.
[6] جميع النسخ: أوعد لهم.
[7] جميع النسخ + وأرسله.
[8] ن + من رفعها.
[9] ع م - به.
[10] ك ن م: ليتركهم.
[11] ن ع م: كبيرا.

و[الخامس] في قوله: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**، وجه آخر من الحكمة، وهو أن يعلم المؤمنون أن الفضل كله من الله لئلا يروا لأنفسهم[١] في ذلك فضلا ومعنى، وإليه يضيفون جميع ما يجري على أيديهم من أفعال الخير والطاعة. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.[٢] ثم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله،[٣] ما قدروا عليه. وقوله: **بمثله**، أي به، / كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[٤] أي ليس كهُوَ شيء، إذ لا مثل له. فدل أن قوله: **لا يأتون بمثله**، أي لا يقدرون أن يأتوا به بعد ما عرفوه وعاينوه. فلأَن لا يقدروا على إتيانه ابتداء قبل أن نظروا فيه وعرفوا مثاله أشدّ وأبعد، إذ نظم الشيء وتصويره[٥] بعد ما عاينوا الأشياء والصورَ أهون وأيسرُ من تصوريها ونظمها قبل أن يعاينوها ويشاهدوها.[٦] [٤٤١ظ]

وجائز أن يُستدلّ بهذه الآية على أنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا حيث قال: **قل لئن اجتمعت الإنس والجن**، لأنه لو لم يكن مبعوثا إلى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما[٧] معنى وفائدة. وفيه دلالةٌ أن في الجن مَن لسانه لسان العرب، إذ لو لم يكن ذلك لم يكن[٨] يذكر أولئك. ثم جائز أن يكون قوله: **لئن اجتمعت** الإنس مع الإنس[٩] والجن مع الجن، أو الإنس مع الجن، أو هؤلاء مع هؤلاء. **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**. وقال بعض أهل التأويل: إنما ذكر هذا لقولهم:[١٠] إنه سِحر،[١١]

---

[١] ن: من أنفسهم.
[٢] سورة الإسراء، ١٧/٨٦.
[٣] ك ن + أي على أن يأتوا بمثله.
[٤] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[٥] م: وتصوره.
[٦] ع م: ويشاهدونها.
[٧] ع: الذكرهما.
[٨] ع م – ذلك لم يكن.
[٩] ع م – مع الإنس.
[١٠] م: لقومهم.
[١١] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧؛ وسورة هود، ١١/٧؛ وسورة سبأ، ٣٤/٤٣.

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] وقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[2] وقولهم: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا،[3] ومثله. يقول: إن الإفك والسحر وما ذكرتم لا يكون إلا من هذين: من الجن والإنس، فأخبر أنهم لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله[4] ما قدروا عليه.

والدلالة على أنهم عجزوا عن ذلك و لم يطمع أحد منهم ذلك إلا سفيه أظهر الله سفهه وكَذِبه في القرآن حيث قال: [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا] لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ [أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]،[5] الآية. ظهر كذبه وسفهه في قوله حيث قال: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، ثم قال: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[6] لم يسأل التوفيق إن كان هو حقا ولكن سأل العذاب، دل أنه كان سفيها غاية السفه.[7] ثم ارتاب فيه وشك، بقوله: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، وإلا لم يطمع و لم يخطر ببال أحد من الخلائق التكلف لذلك.[8] دل أنه آية معجزة من الله تعالى.

ثم اختلف في قوله تعالى: **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.** قيل: مثل نظمه ورَصْفِه، وقيل: مثل حقه وصدقه. ويحتمل: مثل حججه وبراهينه، ويحتمل: مثل علمه وحكمته، ويحتمل مثل أحكامه وإتقانه. ويحتمل[9] قوله: **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**، هذه[10] الوجوه الخمسة التي ذكرنا.

ثم قوله: **بمثله**، يحتمل ما ذكرنا، أي بالذي رفع وذهب به على التأويل الذي جعلناه صلة قوله: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.[11] و[قل] **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن**، بالذي ذهب به ورفع، **لا يأتون بمثله**، أي لا يقدرون على إتيانه.

---

[1] سورة النحل، ١٦/١٠٣.

[2] سورة سبأ، ٣٤/٤٣.

[3] سورة المؤمنون، ٢٣/ ٣٨.

[4] ع: بمثل.

[5] سورة الأنفال، ٨/٣١-٣٢.

[6] ع م – الآية ظهر كذبه وسفهه في قوله حيث قال إن هذا إلا أساطير الأولين ثم قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة.

[7] ن ع م + وإن هذا إلا أساطير الأولين.

[8] ك – دل أنه كان سفيها غاية السفه ثم أرتاب فيه وشك بقوله إن كان هذا هو الحق من عندك وإلا لم يطمع و لم يخطر ببال أحد من الخلائق التكلف لذلك.

[9] ك ن م: يحتمل.

[10] ع: هذا.

[11] سورة الإسراء، ١٧/٨٦.

[ويحتمل أن يكون على الابتداء]، فإن[١] كان على الابتداء فهو على المثْل، أي لا يقدرون على أن يأتوا بمثله، على ما لم يقدروا عليه بعد ما قرع سمعهم هذا، فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا لِيخرج قولهم صدقا وقول الرسول كَذِبا. فإذ لم يفعلوا ذلك و لم يتكلفوا دل أنهم عرفوا أن ذلك من الله وأنه آية معجزة خارجة عن وسعهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا**، أي بيّنا، ويحتمل ضربنا، ويحتمل[٢] فرّقنا، **للناس [فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ] من كل مثل**، أي ذكرنا للناس مثلا على أثر مثل، ومثلا بعد مثل، ما لو تفكروا[٣] فيه وتأملوا لعرفوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَذِبَ أنفسِهم وسفههم، ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل، ولكن لم يتفكروا فيه و لم يتأملوا وعاندوا. وقوله عز وجل: **من كل مثل**، لا يريد كل الأمثال ولكن ما ذكرنا[٤] من كل مثل[٥] لو تأملوا فيه وتفكروا[٦] لكان لهم معتَبرا.

وقوله:[٧] **ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**، يكون ما ذكر من تصريف الأمثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة. أحدها ضَرب المثل لهذه الأمة: من شهد رسول الله وغيرَه مِن مكذّبيهم ومصدقيهم[٨] بالأمم الماضية ماذا حلّ بالمكذبين منهم رسلَ الله مِن نقمته وعذابه. وقد أخبر أن تلك سنتُه في المكذبين منهم، وذكر أن سنته تلك لا تُحَوَّل ولا تُبدَّل، وهو قوله: وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً، وتَحْوِيلاً،[٩] فهي لا تبدل ولا تحول.[١٠] فكان لأولئك معجَّلة ولهذه الأمة مؤخَّرة،[١١] وهي غير محوّلة ولا مبدّلة لواحدة من الأمم.

والثاني يحتمل تصريف الأمثال هو ما بين لهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم، ما لو تأملوا فيها وتفكروا أدركوا ذلك.

---

[١] جميع النسخ: وإن؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨و.
[٢] م – ويحتمل.
[٣] ع: نظروا.
[٤] ن: ذكر.
[٥] ن – مثل.
[٦] ع: نظروا.
[٧] جميع النسخ: وفي قوله.
[٨] م: مكذبهم ومصدقهم.
[٩] ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٤٣/٣٥).
[١٠] جميع النسخ: فهو لا يبدل ولا يحول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨و.
[١١] م: – وهو قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا وتحويلا فهي لا تبدل ولا تحول فكان لأولئك معجلة ولهذه الأمة مؤخرة.

والثالث يكون تصريف الأمثال التي ذكر دعاءه[1] إلى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ،[2] إلى هذه الوجوه الثلاثة[3] يُصْرَف جميع ما ذُكِر من الأمثال في القرآن.

وقوله عز وجل: **فأبى أكثر الناس إلا كُفورا**، يحتمل، **فأبى**[4] **أكثر الناس إلا كفورا** بالأمثال التي ضربها في القرآن وصرفها لهم. أو يقول: **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** بنعم الله في صرف الشكر إلى غيره، أو **كفورا** في وحدانية الله وألوهيته.

**﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾[٩٠] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾[٩١]**

وقوله عز وجل: **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل و عنب**، إلى آخر ما ذكر من الاسئلة. يشبه أن يكون هذه الأسئلة جميعا من فريق واحد، ويجوز أن يكون من كل فريق سؤال لم يكن ذلك من غيره من الفرق، كقوله: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[5] كان من كل فريق غير ما كان من الآخر؛[6] كان من اليهود: كونوا هودا تهتدوا، ومن النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فعلى ذلك يشبه أن يكون الأول كذلك.

ثم إن الذي حملهم على هذه الأسئلة المحالة الفاسدة وجوه. أحدها سؤاله بما كان
[٤٤١و] يعدهم رسول الله / الجنان والأنهار الجارية والبساتين المثمِرة إنْ هم تابوا وأجابوا، وكان يوعدهم العقوبات إن تركوا إجابتهم من إسقاط السماء كِسَفا، كقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ،[7] الآية. سألوه ذلك استعجالا منهم على الاستهزاء، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا.[8]

---

[1] جميع النسخ: دعاه.
[2] سورة النحل، ١٦/ ١٢٥.
[3] ع + أحدها.
[4] ك ن: أبى؛ ع م: أي.
[5] سورة البقرة، ٢/١٣٥.
[6] ن + كان من الآخر.
[7] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجَع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢١٠).
[8] ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/ ١٨).

[والثاني] أن[1] يكون أهل الكتاب علّموا مشركي العرب الذين لا كتاب لهم هذه الاسئلة الفاسدة المحالة التي عرفوا أنهم لا يجابون فيها ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فلا[2] يجيبهم ليرى السَّفَلَة منهم والأتباع أنْ لو كان رسولا لأجابهم فيتمادَون في طغيانهم وضلالاتهم ويبقَون على ما هم عليه.

[والثالث] أن[3] يكون الرؤساء منهم والقادة سألوه[4] عن ذلك على علم منهم أنه لا يجيبهم ليرى أتباعهم وسَفَلَتهم أنهم قد حاجُّوا رسول الله واعترضوا لحججه وبراهينه لئلا ينظروا إلى حججه وبراهينه لتبقى[5] لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم.

ثم بين أن أسئلتهم التي سألوها سؤالُ تعنُّتٍ وعناد لا سؤال استرشاد وحاجة بما ذكر[6] في قوله:[7]

**﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَآئِكَةِ قَبِيلاً﴾[٩٢] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾[٩٣]**

**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا.** وقوله عز وجل: **أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**، دل هذا كله أن سؤالهم إياه كله سؤالُ معاندة لا سؤالُ استرشاد واستهداء، لأنه لو كانوا يسألون[8] سؤال استرشاد واستهداء لكانوا لا يسألون إسقاط السماء عليهم، إذ لا منفعة لهم في ذلك، وإن كان[9] في سؤالهم الجنةَ منفعةٌ. يذكر سفَهَ القوم وتعنُّتَهم وسوءَ معاملتهم رسولَ الله.

ثم الحكمة والفائدة في جعل سفههم قرآنا يُتلَى إلى يوم القيامة ليعرف المتأخرون معاملة السفهاء إذا بُلُوا بهم أنْ كيف يعاملونهم [حتى يعاملوهم] بمثل[10] معاملة رسول الله.

---

[1] جميع النسخ: أو أن.
[2] جميع النسخ: فإنه لا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨ظ.
[3] جميع النسخ: أو أن.
[4] م: سألوا.
[5] ن ع م: ليبقى.
[6] جميع النسخ: ما ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨ظ.
[7] جميع النسخ: في قولهم.
[8] ك ع م + ما يسألون.
[9] ن ع م – كان.
[10] ع م – بمثل.

وقوله عز وجل: **قل سبحان ربي**، أمره أن ينزّه ربه من أن يكون لأحد الاحتكام عليه والحكم. والذي سألوه احتكام[1] منهم على الله. وفي قوله: **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**،[2] ينزّه ربه عن أن يملك سواه ما سألوه من إتيان الجنة وغير ذلك مما ذَكَر[3] في الآية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هل كنت إلا بشرا رسولا**، أي هل كنت إلا بشرا كغيره من الرسل الذين كانوا من قبلُ من البشر فلم يُسألوا هم[4] بمثل الذي تسألونني أنتم من الأسئلة، أو إن يَسألوا ذلك فلم يُجابوا، كقوله: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ.[5] أو أن يكون قوله: **هل كنت إلا بشرا رسولا**، أي ليس للرسول أن يعترض على الرسل بشيء، إنما على الرسول تبليغُ ما أُرسل وأُمر بتبليغه. أو يقول: إني لا أملك عما[6] تسألونني سوي تسبيح ربي وتنزيهه. وقوله عز وجل: **قل سبحان ربي**، أي تعاظَم ربي وتعالى من أن يكون لعباده عليه احتكام أو اختيار.[7]

وقال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: اليَنبوع العين، والينابيع جمع.[8] والكِسْفَة القِطْعة، والكِسَف جمع.[9] وقال غيره: الكِسْف بالجزم العذاب،[10] وكِسَفا مثل[11] قِطَع. وقال أبو عوسجة: **قبيلا** معايَنة، وقال: هو من المقابلة. **وبيت من زخرف**، أي من ذهب. وقال أبو عَوْسَجة: المُزَخْرف المزيَّن، يقال: زخرفتُ البيتَ أي زيّنتُه. **أو ترقى في السماء**، أي تصعد. **لن نؤمن لرقيك**، أي لارتقائك وهو الارتفاع. وقال بعضهم: كِسْفا بالجزم، أي جانبا، وكِسَفًا مثل[12] قِطَعا. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: احتكامهم.
[2] ن + هل كنت.
[3] جميع النسخ: ما ذكر.
[4] م: فلم يسألوهم.
[5] سورة البقرة، ١٠٨/٢.
[6] ك: مما.
[7] ع م: واختيار.
[8] ن: جميع.
[9] ن: جميع. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦١.
[10] جميع النسخ: عذاب.
[11] ك ن: مثقل.
[12] ك ن: مثقل. ع م – قطع وقال أبو عوسجة قبيلا معاينة وقال هو من المقابلة وبيت من زخرف أي من ذهب وقال أبو عوسجة المزخرف المزين يقال زخرفت البيت أي زينته أو ترقى في السماء أي تصعد لن نؤمن لرقيك أي لارتقائك وهو الارتفاع وقال بعضهم كسفا بالجزم أي جانبا وكسفا مثل.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [٩٤]

وقوله عز وجل: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى**، أي إذ جاءهم الرسول بالهدى، **إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**. وقال في آية[1] أخرى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ،[2] لكن هذا على الإياس عن[3] إيمانهم أنهم لا يؤمنون[4] إلا عند معاينتهم بأس الله، والإيمان في ذلك الوقت لا يُقبل ولا يَنفعهم. وأما قوله: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**، فيخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج، لو شاء الله أن نؤمن لأنزل ملائكة، كقوله: قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً،[5] ففيه موضع الشبهة لهم أن يقولوا: هو بشر، فليس هذا أولى بالرسالة إلينا من أن نكون نحن رسلا إليه، فذلك موضع الشبهة.[6] فأجابهم لذلك لِما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول إليهم من جوهرهم وجنسهم فقال:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [٩٥]

**قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين**، أي مقيمين ساكنين فيها، **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**. ثم اختلف فيه، قال بعضهم: **لو كان في الأرض ملائكة**، أي لو كان سكان الأرض ملائكة فبعَثَ إليهم رسولا منهم أكان لهم أن يقولوا: أبعث الله ملكا رسولا، أي أبعث الله إلينا من جوهرنا؟ أي ليس لهم أن يقولوا ذلك. فعلى ذلك إذا كان سكانها البشر ليس لهم أن يقولوا: أبعث الله إلينا من جوهرنا رسولا؟ والثاني لو كانت الأرض مكان الملائكة وهم سكانها [فبعث إليهم **بشرا رسولا** من غير جوهرهم] لكان لهم أن يقولوا:[7] **أبعث الله بشرا رسولا** من غير جوهرنا؟ فأما إذا كانت الأرض مكان البشر وهم سكانها

---

[1] ع م: في سورة.

[2] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قُبُلا﴾ (سورة الكهف، ٥٥/١٨).

[3] ن: من.

[4] ن + أنهم لا يؤمنون.

[5] ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (سورة فصلت، ١٤/٤١).

[6] ن – لهم أن يقولوا هو بشر فليس هذا أولى بالرسالة إلينا من أن نكون نحن رسلا إليه فذلك موضع الشبهة.

[7] جميع النسخ: لكم أن تقولوا؛ والتصحيح مع الزيادة من الشرح، ورقة ٤٥٨ظ.

فليس لهم أن ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم، لأنهم لا يعرفون الملائكة ولا مَن كان من غير جوهرهم ويعرفون من كان من[1] جوهرهم، فبَعْثُ الرسول من[2] جوهرهم أولى بهم من غير جوهرهم. أو يقول: **لو كان في الأرض ملائكة** وبشر فعرفوا الملائكة لكان لهم أن يسألوا رسولا من الملائكة لما عرفوهم.[3] / فأما إذا كان سكان الأرض ليسوا إلا البشر[4] [٤٤١ظ] فليس لهم أن يقولوا ذلك، لأنهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر، فيعرفون الآيات والحجج من التمويهات، إذ عرفوا قواهم، ولم يعرفوا قوى الملائكة والجن فلا يعرفون ما أقاموا أنها آيات وحجج. أو كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر إذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم. وبعد فإنهم قد أقروا برسالة البشر لأنهم لا يعرفون الملائكة إلا بخبر من البشر أنه ملك، إذ لم يكن خلط معهم[5] ليعرفوهم، وإنما يعرفونهم بخبر من البشر أنه ملك، فليس لهم أن ينكروا رسالة البشر. وأصله ما قال: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[6] لما ذكرنا أنهم لا يعرفون الملائكة، ومن كان من غير جوهرهم فلا بد من أن يكون رجلا، فكان في ذلك تلبيس عليهم على ما أخبر. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٩٦]**

وقوله عز وجل: **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم**، قال بعضهم: **كفى** بما أقام الله من الآيات والحجج على رسالتي وأني رسول إليكم، إذ كان ذلك من قولٍ كان من أولئك الكفرة من إنكار الرسالة. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ذلك على الإياس من إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **إنه كان بعباده بصيرا**، يذكر هذا -والله أعلم- بأنه عن علم بإجابتهم أو ردّهم[8] بَعثَه إليهم رسولا، لا عن جهل بأحوالهم. وليس فيما يعلم أنهم يردون ولا يجيبون رسله

---

[1] ك + جميع.

[2] ع - جوهرهم فبعث الرسول من.

[3] ع م: اعرفوهم.

[4] ع م: لبشر.

[5] ع م: معهم خلط.

[6] ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولَلَبَسنا عليهم ما يَلبسون﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).

[7] ن + والله أعلم. ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمِرت لِأَعْدِلَ بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).

[8] جميع النسخ: وردهم.

خروجٌ عن الحكمة، لأنه ليس في إجابتهم منفعة للرسل ولا في ردّهم ضرر له،[1] إنما المنفعة في الإجابة لهم، وفي الرد الضررُ عليهم، لذلك لم يكن[2] في بعث الرسل –على علم منه بالرد– خروج[3] عن[4] الحكمة. وفي الشاهد كان خروج[5] عن[6] الحكمة،[7] لأن في الشاهد إنما يَبعث الرسول لمنفعة يتأمل ويصل[8] إليه أو لضرر يدفع[9] عنه، فإذا علم أنه يَرد رسالته ولا يجيب[10] كان في وقت بعث الرسول إليه بعد علمه بالرد خروج[11] عن[12] الحكمة. أو يخرج قوله: **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**، على الوعيد، وكذلك أمثاله.

وإن احتج علينا بعض المعتزلة بقوله: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى،[13] يقولون له:[14] مَنَعَنا القضاء والقدر، إذ من قولكم أن ما يفعل الإنسان من فعل معصية[15] أو طاعة فإنما يفعل بقضائه وتقديره، فيكون لهم الاحتجاج عليه بأن يقولوا: منعنا قضاؤك وتقديرك.

لكنّ هذا فاسد، لأنه[16] لا يفعلون هم ما يفعلون عند وقت فعلهم لأن الله قضى ذلك وقدّر. ولو [كان كذلك لـ]ـجاز لهم هذا[17] الاحتِجاج لأنه كذلك قضى وقدر؛ فإذا كانوا هم[18] عند أنفسهم لا يفعلون ما يفعلون لأنه كذلك[19] قضى عليهم وقدّر[20] لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك،

[1] جميع النسخ: لهم.
[2] ع: لمن يكن.
[3] جميع النسخ: خروجا.
[4] ع: من.
[5] جميع النسخ: خروج.
[6] ك: من.
[7] م – وفي الشاهد كان خروج عن الحكمة.
[8] ك: وتصل.
[9] جميع النسخ: أو دفع ضرر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٩و.
[10] ع م: يجب.
[11] جميع النسخ: خروجا.
[12] جميع النسخ: خروجا.
[13] ﴿إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[14] أي لله تعالى.
[15] ن + الله.
[16] جميع النسخ: لأنهم.
[17] ك – هذا.
[18] م – هم.
[19] ع: لذلك.
[20] ن – ولو جاز لهم هذا الاحتجاج لأنه كذلك قضى وقدر فإذا كانوا هم عند أنفسهم لا يفعلون ما يفعلون لأنه كذلك قضى عليهم وقدر.

لأن القضاء والقدر لم يَضْطَرَّهم إلى ذلك ولا قهرهم عليه، بل كان غيره ممكنا لهم، لذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه[١] بذلك.[٢] لأن القضاء بهذا[٣] -أعني بالقضاء والقدر- [لو كان] لكان لهم الاحتجاج عليه أيضا بالعلم، إذ لا شك أنه علم ذلك منهم. فإذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك -إذ لا يقدرون أن يفعلوا غير الذي علم منهم- فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر[٤] لِما علم أنه يختار ذلك ويؤثره على ضده.[٥] دل أن ذلك ليس بشيء لما قضى ذلك عليهم وقدّر. وإذا كانوا هم عند أنفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم[٦] يكن الاحتجاج لهم عليه[٧] بذلك، إذ[٨] القضاء والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يُضطَرّون على ذلك، وإنما قضى ذلك لما علم أنهم يفعلون ويختارون ذلك، لذلك كان ما ذكرنا. وكذلك كل من قضى في الشاهد على آخر إنما يقضي لما سبق منه العلم به.

**﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[٩٧]**

وقوله عز وجل: **ومن يهدي الله فهو المهتد**، أي[٩] مَن وفق الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه عما وسوس إليه الشيطان فهو المهتد[١٠] عند الله وعند من عَقَل الهدى. **ومن يضلل**، أي من خذله ولم يعصمه حتى يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال، **فلن تجد لهم أولياء من دونه**،[١١] يهدونهم لدينهم ويوفقونهم. أو لن تجد لهم أولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل بهم من العذاب. ***والله أعلم***.

[١] ك ن - عليه.
[٢] ك ن: بهذا.
[٣] ك ن - لأن القضاء بهذا.
[٤] ك + لكن القضاء والقدر.
[٥] جميع النسخ + لجاز ذلك لهم بالعدم ونحوه.
[٦] ع: لم.
[٧] أي على الله تعالى.
[٨] ع: إذا.
[٩] ع م: إن.
[١٠] ن ع م: المهتدي.
[١١] ك ع م + يحتمل لن تجد لهم أولياء من دونه.

وقوله عز وجل: **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيا وبُكْما وصُمًّا**، قال الحسن: يحاسَبون حتى يعلموا سوء صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون إلى جهنم، [وهو] ما ذَكَر: **عميا وبكما وصما**،[1] أو كلام نحو هذا. ثم يحتمل قوله: ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ [عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ][2] ما ذَكَر في آية أخرى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[3] وقولَه: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[4] الآية إنما يتقي بوجهه لما تكون[5] أيديهم مغلولة إلى أعناقهم.

وقوله عز وجل: **عُمْيا وبُكْما وصُمّا**، هذا يحتمل وجهين.[6] أحدهما سماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس ولذّاتها في الآخرة، ليس[7] على حقيقة ذهابها، لكن حال بينها[8] وبين الانتفاع بها ما ذَكَر: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ،[9] الآية، فتلك الظلل تحول[10] بينها وبين رؤية الأشياء. وسماهم في الدنيا **عميا وبكما وصما** ليس على حقيقة ذهاب أعينها ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا و لم يستعملوها فيما أُمروا استعمالَها نفى ذلك عنهم، فعلى ذلك في الآخرة. ويحتمل على حقيقة ذهاب أعيُن هذه / الحواسّ عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لِما له خلقت،[11] [٤٤٢و] كقوله: [قَالَ رَبِّ لِمَ] حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[12]

وقوله عز وجل: **مأواهم جهنم**، أي مَقامهم جهنم وإليها يأوون.[13] وقوله عز وجل: **كلما خبت زدناهم سعيرا**، اختلف فيه، قال الحسن قوله: **كلما خبت زدناهم سعيرا**، أي كلما خَمَد لهبها وسكن **زدناهم سعيرا**.[14] قال: يخمُد لهبها من غير أن يذهب وَجع ما أصابهم ثم يزداد لهم سعيرا. قال بعضهم: **كلما خبت**، أي نضِجت جلودهم وسكنت النار.

---

[1] ن: وصما وبكما.
[2] سورة الفرقان، ٣٤/٢٥.
[3] سورة القمر، ٤/٥٤.
[4] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[5] ن ع م: يكون.
[6] م: بوجهين.
[7] ن – ليس.
[8] ك: بينهم.
[9] ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يُخوّف الله به عبادَه يا عبادِ فاتقونِ﴾ (سورة الزمر، ١٦/٣٩).
[10] ع: نحو.
[11] ك: حلقت له.
[12] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[13] ع م: يادون.
[14] ع م – اختلف فيه قال الحسن قوله كلما حبت زدناهم سعيرا أي كلما حمد لهبها وسكن زدناهم سعيرا.

[٤٤٢و س١٩ *وقال القُتَبِي: "خَبَت، أي سكنت، يقال: خَبَت [النار] إذا سكن لهبها، تخبُو. فإذا سكن لهبها و لم يَطفَأ الجمر قُلتَ: خمَدت، تَخمُد خُمودا، فإذا طفِئت و لم يبقَ منها شيء قيل: همَدت تهمُد همودا".[1] وقوله عز وجل: **زدناهم سعيرا**، أي نارا تتسعَر،[2] أي تتلهب. وقال
٤٤٢و س٢٢] أبو عَوْسَجَة: السعير النار، يقال: سَعَرتُ النار إذا أوقدتَها. ويقال: نار مسعورة، أي مُوقَدة.*

**زدناهم سعيرا**، أي نعود بنار على ما كانت[4] وجعلت تلتهب وتستعر،[5] كقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ.[6] وقال بعضهم: وذلك أن النار إذا أكلتهم فلم يبقَ منهم غير العظام وصاروا فحما سكنت النار فهو الخَبْت، ثم بُدِّلوا جلودا غيرها جُدُدا لها فتكون وَقودا لها. ***والله أعلم***. وكله واحد. وقال بعضهم: **كلما خبت**، أي كلما أحرقتهم النار فصاروا رمادا خُلِقوا لها خلقا جديدا فتعاودهم النار فتُحرقهم، وذلك قوله: **زدناهم سعيرا**، وهو قول الله: لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ،[7] لا تبقي منهم شيئا إذا أخذت حتى تحرقهم.

**﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾**[٩٨] **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾**[٩٩]

وقوله عز وجل: **ذلك جزاؤهم**، أي ذلك الذي ذَكَر جزاؤهم، **بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا**، ثم قال: **أولم يروا**، أي أو لم يعتبروا و لم ينظروا، **أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم**، هذا الاعتبار يحتمل وجهين.[8] أحدهما أنكم تقرّون أن الله هو خالق السماوات والأرض وخالقكم. فخلق السماوات والأرض على الابتداء وخلق سائر الخلائق على الابتداء بلا احتذاء تَقَدَّم[9] وسبق أعظم وأكبر من خلق مَن دونه.

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦١.
[2] ن: فتتسعر؛ م: فيتسعر؛ ع: تستعر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٢و/سطر ١٩-٢٢.
[4] جميع النسخ: كان.
[5] ع: وتستقر.
[6] ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).
[7] ﴿سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تُبقي ولا تَذَر﴾ (سورة المدّثر، ٢٦/٧٤-٢٨).
[8] ن - ثم قال أولم يروا أي أو لم يعتبروا و لم ينظروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل وجهين.
[9] ن ع م: فقدم.

فمن قدر على إنشاء ذلك فهو على إنشاء أمثالكم وإعادتكم أقدر. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه.

والثاني تعلمون أنه[١] خلق السماوات والأرض وخلقكم أيضا، فلم يخلقهما للفناء خاصة، إذ خلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة عبَثٌ ولعِبٌ، فدل أنه خلقكم وخلق السماوات والأرض لعاقبة وهي البعث. وعلى ذلك يخرج قوله: **وجعل لهم أجلا لا ريب فيه**، أنه كائن لا محالةَ. وجائز أن يكون قوله: **وجعل لهم أجلا لا ريب فيه**،[٢] جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال: **وجعل لهم أجلا**،[٣] لا يتقدم عنه ولا يتأخر. أو أن يكون قوله: **وجعل لهم أجلا**[٤] **لا ريب فيه**، الموت الذي به تنقضي[٥] آجالهم، لكنه[٦] لم يخلقهم للموت خاصة ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا.[٧]

وقوله عز وجل: **فأبى الظالمون إلا كُفورا**، أي كفرا بالبعث. الظالمون ههنا هم الكافرون، ولو قال: فأبى الكافرون إلا ظلما[٨] كان واحدا.

**﴿قُل لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾**[١٠٠]

وقوله عز وجل: **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق**، تحتمل[٩] الآية وجوها. قال[١٠] بعضهم: هي صلة ما تقدم من أسئلتهم وهو قوله: لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ [فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا]،[١١] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ [أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ]،[١٢]

---

[١] ك + من.
[٢] ن + الموت الذي.
[٣] ك + لا ريب فيه.
[٤] ع – لا يتقدم عنه ولا يتأخر أو أن يكون قوله وجعل لهم أجلا.
[٥] ن ع م: ينقضي.
[٦] ع م: لكنهم.
[٧] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٩٧، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٤٢و/سطر ١٩-٢٢.
[٨] ك ن: ظلوما؛ ع: ظلموا ما.
[٩] ك ع م: يحتمل.
[١٠] جميع النسخ: وقال.
[١١] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[١٢] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.

وقوله: أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا.[1] كانوا يسألون هذه الأشياء على التعنت والعناد والاستهزاء، فأخبر أنه وإن أعطاهم ما سألوا لا ينفقون بل يمسكون عن الإنفاق. ومن سنته أنه إذا أعطاهم ما[2] سألوا على السؤال فتركوا الإيمان به والوفاء أنهم يُهلَكون. فأخبر أنهم يَسألون سؤال تعنت لا سؤال ما يتوسعون بها. وفي الآية إثبات الرسالة وهو ما بين عن بخلهم وإمساكهم عن الإنفاق. وقال بعضهم: قوله: **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق،** في قوم خاص علم الله أنهم لو أُعطوا ما سألوا لفعلوا ما ذكر، لا في كل منهم، وهو كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[3] الآية، وكقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَآئِكَةَ،[4] الآية، كان في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، فعلى ذلك الأول. ويحتمل[5] أن تكون[6] الآية في قوم ضَمِنوا الله الإنفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك إنْ وسّع عليهم، فأخبر أنهم لا يفعلون[7] ما عاهدوه[8] وضمنوا له،[9] كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ،[10] الآية. ويحتمل أن يكون هذا إخبارا[11] منه عن طبع الخلق وعادتهم. وذلك أنهم لما استكثروا من الأموال وجمعوا يزداد لهم بذلك حرص على جمعها وبخلٌ على التوسيع والإنفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار، هذا المعروف في الناس، فأخبر أنهم يمسكون عن الإنفاق والتوسيع إذا مَلَكوا ما ذكر على ما طُبع الإنسان بالبخل والتضييق عند[12] الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك.

---

[1] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا أو يُلْقَى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧-٨).

[2] ع: لما.

[3] ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (سورة البقرة، ٢/٦).

[4] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).

[5] ع: يحتمل.

[6] ن ع م: يكون.

[7] ك: لا يفعلوا؛ ع م: لا يؤمنون. ن - فعلى ذلك الأول ويحتمل أن تكون الآية في قوم ضمنوا الله الإنفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك إن وسّع عليهم فأخبر أنهم لا يفعلون.

[8] م: عهدوه.

[9] ع م - له.

[10] ﴿فلما آتاهم من فضله بَخِلوا به وتولّوا وهم معرضون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦).

[11] ع م: إخبار.

[12] م: عن.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان قتورا**، يحتمل أن يكون هذا صفة كل كافر، وكذلك قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، ومَنُوعًا،[1] تكون[2] عادتهم البخل والجزع عند المصائب. وجائز أن يكون هذا صفة كل إنسان؛ في الابتداء هكذا يكون، ثم بالامتحان والتجربة يكونون / أسخياء [٤٤٢ظ] صابرين. أو يكون يخبر أنهم لو مُلِّكوا وأُعطوا جميع ما يُرزقون في عمرهم على التفاريق بدفعة واحدة مجموعا لأمسكوا عن الإنفاق خشية الفقر في آخر عمرهم، إذ لا يعلمون إلى ما ينتهون من آجالهم فيحملهم ذلك على البخل والإمساك. أو يَذكر لِما أنه جبلهم وأنشأهم على الإمساك والمنع في الابتداء وإن لم يكن لهم حاجة إلى ذلك. ترى الصبيان والصغار من الأولاد يمنعون ما في أيديهم عن غيرهم وإن لم يكن لهم حاجة إلى ذلك، هذا معروف فيهم. وإنما جبلهم وأنشأهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق، وإلا كانوا في أصل خلقتهم وابتداء إنشاءهم[3] أنشِئُوا[4] على ما ذكرنا[5] أَشِحَّة بخلاء، وهو ما أخبر[6] أن الإنسان خُلِق هَلوعا وجزوعا،[7] وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا.[8] أنشأهم جزوعا عن الألم والمصائب غير صابرين عليها، وكذلك أنشأهم عجولا لا يصبرون على أمر واحد ولا حال واحد. ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة، فعلى ذلك قوله: **وكان الإنسان قتورا**، أي طمِعا بخيلا ممسكا مضيِّقا. *والله أعلم*. ثم ترك ذلك بالامتحان[9] واعتياد خلاف ذلك.[10]

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾**[١٠١]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**، هذا -والله أعلم- فيما آتاه من الآيات وأمره أن يُحاجَّ بها فرعون،[11] وإلا كانت آيات موسى عليه السلام أكثر من تسع،

[1] ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢١).
[2] جميع النسخ: يكون.
[3] ع م - إنشاءهم.
[4] ن: انشاء؛ ع م: انشاؤا.
[5] ع: ذكروا.
[6] ك: ما ذكر.
[7] سبقت الإشارة إليها قريبا.
[8] سورة الإسراء، ١٧/ ١١.
[9] ع م - بالامتحان.
[10] جميع النسخ: واعتياد ذلك وخلافه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٩ظ.
[11] ك + لعنه الله.

كأنها تبلغ عشرين وتزداد عليه؛ إذ كان في عصاه أربع من الآيات. أحدها حيث ضرب بها البحر فانفلق، وحيث كان يضرب بها الحجر فيتفجر[1] منه عيون،[2] وحيث ألقاها فصارت ثعبانا، وحيث كانت تَلقَف[3] حِبالهم وعِصِيَّهم وأمثاله كأنها تبلغ إلى ما ذكرنا، لكنه ذكر تسع آيات بينات التي أمره أن يُحاجّ بها فرعون وقومه.

وقوله عز وجل: **بيّناتٍ**، أنها من عند الله جاءت وأنها ليست من البشر وأنها سماوية. أو **بينات**، أي مبينات ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر ويقول، ويبين عدله في حكمه وفعله، لأن في آيات الرسل يُحتاج إلى هذا: أن تُبيّن للناس صدقَهم في قولهم وعدلَهم في حكمهم، لأنهم يدعون إلى عبادة الله والطاعة له، وذلك يوجبه كل عقل[4] وطبع سليم. فالحاجة إلى الآيات ليست إلا لصدقهم في قولهم[5] وعدلهم في حكمهم.

ثم اختلف في الآيات. قال بعضهم: العصا واليد والحجر والطمس[6] والخمس التي ذكر في سورة المص،[7] وهو قوله: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ.[8] وقال بعضهم: الخمس التي ذكر في سورة المص والعصا والموت الذي أرسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر. وقال بعضهم: إنما الخمس التي ذكر في سورة المص واليد[9] وحلّ العقدة التي بلسانه[10] وفي العصا آيتان. وقال ابن عباس رضي الله عنه: العصا واليد والسِنون ونقصٌ من الثمرات.[11] ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من الثمرات آية واحدة، ومنهم من يجعلها آيتين.[12] وكذلك العصا منهم من يجعل آية واحدة،

---

[1] ك ن ع: فيتفحر.

[2] ن ع م: عيونا.

[3] ن ع م: تتلقف.

[4] جميع النسخ: يوجب على كل عقل.

[5] ع م - في قولهم.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربّنا لِيُضلوا عن سبيلك ربنا اطْمِسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة يونس، ١٠/٨٨-٨٩).

[7] أي سورة الأعراف.

[8] ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضَّفادِع والدمَ آياتٍ مفصَّلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٣).

[9] ن: اليد.

[10] ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (سورة طه، ٢٠/٢٥-٢٨).

[11] ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يَذَّكَّرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٠).

[12] ن: آيتان.

ومنهم من يجعل آيتين. ومنهم من يعُدّ الطمس ومنهم من لا يعُدّ. ونحن نجعل العصا آية واحدة، والسنين ونقصا من الثمرات آية واحدة،[١] والطمس آية والخَمْس[٢] التي ذكرت[٣] في سورة المص فتكون[٤] ثمانيا فيكون التاسعة: قوله: **لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائِرَ**، لأنه قال: **لقد علمت** أنها آيات، و لم يكذبه فرعون و لم يستقبله بشيء يكذبه في قوله، وهو ما قال: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.[٥] أخبر أنهم جحدوا بها بعد ما استيقنوا أنها آيات[٦] وجحج ظلما وعلوا. وما روى صفوان بن عسّال المرادي أنه قال: إن يهوديين أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع الآيات[٧] التي ذَكر أنه آتاها[٨] موسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تَزنُوا ولا تَسْرِقوا ولا تَسحَروا ولا تمشوا بِبَريءٍ إلى ذي سلطان فيقتلَه ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا مُحصَنة ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم خاصةً يا يهوديان أن لا تَعدُوَا في السبت». قال: فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي الله. فقال عليه السلام: «فما يمنعكما أن تُسلما؟» قالا: إنا[٩] إن أسلمنا يقتلنا اليهود.[١٠] فإن ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز أن يَتعدّى إلى غيره من التأويل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم**، يعني موسى صلوات الله عليه، قال بعضهم: أَمر رسولَنا صلى الله عليه وسلم أن يسأل بني إسرائيل الآيات التسع التي كانت في كتبهم

---

١ ع م - ومنهم من يجعلها آيتين وكذلك العصا منهم من يجعل آية واحدة ومنهم من يجعل آيتين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعد ونحن نجعل العصا آية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات آية واحدة.

٢ ن - والخمس.

٣ م: ذكر.

٤ ن: فيكون.

٥ سورة النمل، ١٤/٢٧.

٦ ع م + وأنها آيات.

٧ جميع النسخ: آيات.

٨ ن + آيات وجحج ظلما وعلوا.

٩ م - إنا.

١٠ *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٩/٤؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٨، الاستئذان ٢٣؛ و*سنن النسائي*، تحريم الدم، ١٨. والحديث إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن سَلِمَة -وهو المرادي الكوفي- فلم يرو عنه سوى عمرو بن مرة وأبي الزبير المكي، و لم يوثقه سوى العجلي ويعقوب بن شيبة. وقال البخاري: لا يتابع حديثه. وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه من رجال أصحاب السنن سوى أبي داود. (انظر حول التعقيب على الحديث: *مسند أحمد بن حنبل*، تحقيق لجنة من العلماء ١٤/٣٠-١٦). وحكم عليه الترمذي فقال: هذا حديث حسن صحيح.

على التقرير عندهم أنه إنما عرف ذلك بالله وأنه رسول[1] لما علموا أنه كان[2] تلك الآيات في كتبهم بعير لسانه، وكان لا يخط بيده[3] ولا كان اختلَف إلى أحد منهم ليعرف ذلك، فدل أنهم علموا أنه إنما[4] عرف ذلك بوحي السماء. وقال بعضهم: ليس هو على[5] الأمر أن يسألهم ذلك ولكن لو سألتهم لأخبروك عنها، كقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ،[6] الآية.

وقوله عز وجل: **إني لأظنك يا موسى مسحورا**، في عقلك، أي سُحرتَ، والمسحور هو المغلوب في العقل. وقولهم متناقض لأنهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور؛ فالساحر هو الذي يبلغ بالبصيرة غايته، والمسحور المغلوب.

**﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾**[١٠٢]

وقوله عز وجل: **قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر**،[7] قوله:[8] **علمت** بالنصب[9] والرفع[10] جميعا قد قُرِئا.[11] وأمكن أن يكون قال[12] في ابتداء الأمر: **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض**، وقال مرّة[13] أخرى لَمّا أقامها عليه: **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر**، [أي] ما يُبصِر بها الحق من الباطل مَن لم يعاند ولم يكابر.

---

[1] ن + الله.
[2] ن - كان.
[3] ن: بيمينه.
[4] ع - إنما.
[5] ك - على.
[6] ك - إن كنتم لا تعلمون. ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ٤٣/١٦).
[7] ك ن + علمت بالنصب والرفع جميعا.
[8] ع - قوله.
[9] ع - بالنصب.
[10] ع: بالرفع.
[11] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٤١١.
[12] أي قال موسى عليه السلام لفرعون.
[13] جميع النسخ: في آية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و.

/ وقوله عز وجل: **وإني لأظنك يا فرعون مثبورا**. قال موسى عليه السلام لفرعون:[١] [٤٤٣ر] **إني لأظنك يا فرعون مثبورا**، مقابل ما قال له فرعون حيث قال: **إني لأظنك يا موسى مسحورا**. قال بعضهم: **مثبورا** هالكا، وقيل: مغلوبا،[٢] وقال بعضهم: مُبَدَّلًا. ويحتمل قوله: **لأظنك يا فرعون مثبورا**، أي تدعو على نفسك بالثبور وهو الهلاك، كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا،[٣] أي هلاكا. والظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم.

**﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُم مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾[١٠٣]**

وقوله عز وجل: **فأراد**، يعني فرعون، **أن يستفزهم من الأرض**، قال أهل التأويل: أراد أن يُخرجهم ويستخِفهم من الأرض، أي أرض مصر. لكنهم قد كانوا خرجوا طائعين قبل أن يخرجهم من حيث أُمر موسى بإخراجهم بقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ،[٤] الآية، فيكون تأويل قوله: **فأراد أن يخرجهم من الأرض**، بالقتل والهلاك من الدنيا. ألا ترى أنه قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،[٥] أراد من مشارق الأرض، وإلا[٦] قد كانوا هم قد خرجوا من أرضه على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأغرقناه ومن معه جميعا**، هو ما قال في آية أخرى: فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا،[٧] الآية.

**﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **وقلنا من بعده لبني إسرائيل**، أي [قلنا] بعد هلاك فرعون لبني إسرائيل: **اسكنوا الأرض**، اختلف فيه، قال بعضهم: قوله: **اسكنوا الأرض**، أرض مصر الذي كان يسكن فرعون،

---

[١] ك + لعنه الله.
[٢] جميع النسخ: ملعونا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و.
[٣] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.
[٤] سورة الشعراء، ٥٢/٢٦.
[٥] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعْرِشون﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).
[٦] ك – إلا.
[٧] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغَرَقُ قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (سورة يونس، ٩٠/١٠).

وهو كقوله: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ.[1] وقال بعضهم: **اسكنوا الأرض**، أرض الشام والأرض المقدسة، كقوله: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ.[2] وقال بعضهم: **اسكنوا الأرض**، ليس في أرض دون أرض ولكن اسكنوا أيّ أرض شئتم مشارقها ومغاربها، آمنين لا خوف عليكم، على ما أراد[3] أن يخرجكم من مشارق الأرض ومغاربَها بالقتل، كقوله: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا،[4] الآية، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وعلى هذا قال في قوله:

**فإذا جاء وعد الآخرة**، بَعْثُ عيسى ابن مريم، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميعا مجتمعون[5] من مشارق الأرض ومغاربها على ما تفرقوا. وقال بعضهم: **فإذا جاء وعد الآخرة**، يعني حياة عيسى ونزوله من السماء، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميع النُّزّاع[6] من القرى هاهنا وهاهنا لَفُّوا جميعا، وهو مثل الأول. وأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا: **فإذا جاء وعد الآخرة**، يوم القيامة، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميعا أنتم وفرعون وجنوده حتى يروا كراماتكم التي أُكرمتم بها ويروا هَوانَهم.

**﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾**[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**، قال الحسن: إن في القرآن حِكما وأنباءً، وحكمه عدل وأنباؤه صدق وحق، وهو كقوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[7] صِدْقًا: ما فيه من الأنباء، وَعَدْلًا: ما[8] فيه من الحكم، فبذلك الحق الذي فيه من الحكمِ العدلِ والأنباءِ الصدقِ أنزله. ويقال: الصدق في الأخبار والأنباء، والعدل في الأحكام والحق. وقوله عز وجل: **وبالحق نزل**، أي بذلك الحق الذي فيه دام وقرّ فيكم، أو كلام نحو هذا. ويحتمل قوله: **وبالحق أنزلناه**، أي بالحق الذي لله على عباده أنزله وبالحق[9] الذي لبعضهم على بعض، **وبالحق نزل**،

---

[1] ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٧/٣٣).
[2] سورة المائدة، ٢١/٥.
[3] ع م: أرادوا. أي أراد فرعون.
[4] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضْعفون مشارقَ الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).
[5] ك: مجتمعون.
[6] جميع النسخ: جميعا النزاع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و. والنَّزيعُ والنازعُ: الغريب، وهو أيضا البعيد. ونُزّاعُ القبائل غرَباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم (*لسان العرب*، «نزع»).
[7] سورة الأنعام، ١١٥/٦.
[8] ع – ما.
[9] م – الذي لله على عباده أنزله وبالحق.

أي بذلك الحق الذي لله على خلقه دام واستقر، وبالحق[١] الذي لبعضهم على بعض ثبت واستقر. وأصله أن قوله: **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**،[٢] أن[٣] الحق اسم كل[٤] محبوب محمود، والباطل اسم كل مكروه ومذموم، فمن اتّبعه صار محبوبا محمودا[٥] ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما. أو أن يكون قوله: **وبالحق نزل**، أي لم يأتِه التغيير والتبديل.

وقوله عز وجل: **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**، أخبر أنه لم يرسله إلا لِلبشارة والنِّذارة. لكن هذا في حق الرسالة، لم يرسله إلا لهذين اللذين ذكرهما.[٦] وإلا قد كان امتحنه في نفسه[٧] بمحن كثيرة، فلم يكن في جميع الأوقات مشغولا بهذين خاصة. لكنه في حق[٨] الرسالة، لم يرسله إلا للبشارة والنذارة،[٩] أي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلَّطا عليهم، بل ارسلك لتبليغ الرسالة إليهم ثم للبشارة والنذارة؛ وهما أمران يكونان في عواقب الأمور: البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود، والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم.

ثم لقائل أن يقول[١٠] في قوله: **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**، البِشارة لمن أجابه[١١] فيما أمره به ودعاه إليه، والنِّذارة لمن ارتكب ما نهى عنه. فكيف لا يدل[١٢] هذا على أن النهي يوجب الحظر والتحريم حيث ألحقه النذراة بارتكاب ما نهى عنه؟

قيل: إن النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم، والبشارة عاقبة كل محبوب ومحمود، فيكون ذلك في الآداب وغيرها. ولأن الرسل لم يُبعثوا إلا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق من الشرك[١٣] وغيره من الفواحش والمناكير، [فهم] لم يبعثوا لصغائر[١٤] ظهرت فيهم،

---

[١] م: با.لحق.
[٢] ع + الذي نزل.
[٣] ع م – إن.
[٤] م: لكل.
[٥] م: ومحمودا.
[٦] ك: ذكرا؛ ن ع م: ذكر؛ والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٦٠ظ.
[٧] م – في نفسه.
[٨] ع – في حق.
[٩] ع: البشارة والنذارة؛ م: لبشارة ونذارة.
[١٠] ع م: يكون.
[١١] م: أجاب به.
[١٢] ن ع م: لا دل.
[١٣] ع م – من الشرك.
[١٤] ع: الصغائر.

ثم دخل الصغائر والآداب فيما أرسل تَبَعا، وإلا كان سببَ إرسالهم الكبائر والفواحشُ. فإذا كان ما ذكرنا كان في النهي نَهيَ أدب ونهي حتم وحكم. وبعد، فإن الله تعالى قد أخبر أنه
[٤٤٣ظ] قد يعفو عن كثير من السيئات، / وما عفا عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد. ***والله أعلم.***

**﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[١٠٦]**

وقوله عز وجل: **وقرآنا فَرَقْناه**، بالتخفيف والتثقيل: فَرّقناه. قال[١] بعضهم: **فرَقناه** بالتخفيف، أي أحكمناه وثبّتناه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.[٢] وقال بعضهم: **فرّقناه** وقطّعناه في الإنزال سورة فسورة وآية فآية على ما أُنزل.

**لتقرأه على الناس على مكث**، فهو -والله أعلم- لوجوه. أحدها ما ذكر [في] قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[٣] فأخبر عز وجل أنه إنما أنزله بالتفاريق ليثبّت به فؤاده،[٤] لأن ذلك أثبت في القلب وأيسر في الحفظ.

والثاني أنزله بالتفاريق على قدر النوازل لتتجدد[٥] لهم البصيرة وتزداد[٦] لهم الحجة بعد الحجة، ولو كان جملة لم يكن ليتجدد لهم ذلك ولا يزداد لهم البصيرة.

أو أن يكون أنزله بالتفاريق للتنبيه ليثبّتهم في كل وقت ويَعِظَهم في كل حال، إذ ذلك أنْبَهُ لهم وأوعظ من أن يكون منزّلا جملة واحدة. ألا ترى أن الآية إذا دامت تكون في التنبيه أقلّ، وإذا كانت منقطعة في الأوقات كانت أخوف وأنْبَهَ، نحو كسوف الشمس بالليل صار بالدوام غير مَخُوفٍ ولا منبه لهم للدوام، وكسوفها بالنهار صار تنبيها للانقطاع، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم.***

**﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[١٠٧]**

وقوله عز وجل: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**، ظاهر هذا خرج على التخيير، لكن المراد منه يخرج على حتم المواعظ وتأكيد الوعيد وتغليظه. وكذلك قوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[٧]

---

[١] ع: وقال.
[٢] يشير إلى قول الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).
[٣] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جمة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣٢).
[٤] ع: فؤادك.
[٥] ن ع م: ليتجدد.
[٦] جميع النسخ: ويزداد.
[٧] ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يُلقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

ظاهره على التخيير، لكن الحكماء[1] لم يفهموا منه على ما خرج ظاهره، ولكن[2] فهموا منه تأكيد الوعيد وحتم الوعظ. وهكذا المعروف في الشاهد أن إنسانا لو أمر[3] آخر بأمره ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له:[4] إن شئت فافعل وإن شئت لم تفعل؛ على ما لو فعلت أو لم تفعل فإنما ضرر ذلك عليك[5] إن تركته، ونفعه يرجع إليك لو فعلت. فعلى ذلك قوله: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**، فلا ضرر علينا في ترككم الإيمان به ولا يرجع نفعه إلينا لو آمنتم به، إنما نفعه لكم وضرره عليكم، إن شئتم فعلتم وإن شئتم[6] لم تفعلوا. فهو[7] كقوله: إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[8] وكقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[9] الآية، ونحو ذلك مما يخبر أن كل من عمل خيرا فلنفسه[10] عمل، ومن عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك.

فهذا ينقض على اصحاب الظواهر حيث قالوا: يفهم من الخطاب ظاهره لا يُتَعَدّى عن ظاهره، حيث لم يجب أن يفهم من قوله: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**، التخيير لكن فهموا الوعيد الوكيد الغليظ وحتم المواعظ.

فإن قيل: ما الحكمة في لزوم الأمر وافتراضه إذا كان ما يأمرنا وينهانا لمنافع أنفسنا ولضرر على أنفسنا، ومن لم يعمل في الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه فلا لائمة عليه ولا مؤاخذة؟

قيل: في الحكمة أن يُفرَض[11] علينا السعي في فكاك أنفسنا ودفع الهلاك عن أنفسنا، وفي أمره إيانا أمر بالسعي في فكاك أنفسنا ودفع الهلاك عنها. وحاصل أمره ونهيه يكون لمنفعة[12] لنا لا له

---

[1] ع م – لكن الحكماء.
[2] ك ن م: لكن.
[3] ع: أن أنشانا أوامر.
[4] م – له.
[5] ن: عليه.
[6] ع – فعلتم وإن شئتم.
[7] ك ن: وهو.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[9] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٦).
[10] ن + الآية ونحو ذلك مما يخبر أن كل من عمل خيرا فلنفسه.
[11] ن ع: يعرض.
[12] جميع النسخ: المنفعة.

وكذلك الضرر. وعلى ذلك يخرج قوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ،[1] الآية، وعلى ذلك[2] يخرج دعاء آدم عليه السلام وغيره: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[3] الآية.

وقوله عز وجل: **إن الذين أوتوا العلمَ مِن قبله إذا يُتلَى عليهم يَخِرُّون للأذقان سُجَّدا**، وهذا أيضا ينقض على أصحاب الظواهر، لأنه لا كل مَن أوتي العلم منهم يخرّ[4] للأذقان على ما خرج ظاهره، فدل أن الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على ما توجبه الحكمة. ثم قوله: **إن الذين أوتوا العلم**، أي[5] إن الذين أوتوا منفعة العلم، **يَخِرّون للأذقان سُجّدا**. ثم يحتمل قوله: **يخرون للأذقان سجدا**، على التمثيل ليس على حقيقة السجود ولكن على الانقياد لِما سمعوا والخضوعِ له والذلة على ما ذكرنا[6] من التمثيل في قوله: إِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[7] ليس على حقيقة الانقلاب على الأعقاب ولكن على التمثيل للرجوع[8] وترك العمل، فعلى ذلك الأول؛ وكقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[9] على ترك العمل به. ويحتمل أن يكون السجود كناية عن الصلاة، أي يصلون لله. ويحتمل أن يكون على حقيقة السجود: خَرُّوا لله سجدا إذا تتلى عليهم آيات الله وحججه، وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا آيات الله وحججه، وهو كقوله: وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ،[10] فعلى ذلك يحتمل سجود هؤلاء. *والله أعلم*.

**﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾[١٠٨]**

وقوله عز وجل: **ويقولون سبحان ربنا**، عما قالت الملحدة فيه، **إن كان وعد ربنا لمفعولا**، أي قد كان موعود ربنا لمفعولا. وكذلك قوله: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً،[11] وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا،[12]

---

[1] ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٨).
[2] ك - ذلك، صح هـ.
[3] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٣).
[4] ع: يخرون.
[5] ع - أي.
[6] ع: ذكر.
[7] ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٤٤).
[8] ن ع م: الرجوع.
[9] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٨٧).
[10] سورة الأعراف، ٧/١٢٠.
[11] سورة النساء، ٤/٤٧.
[12] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٨.

أي كان ما يأمر الله لكائنا ومفعولا، أي قد كان ما يأمره[١] ووَعَده مفعولا، وهو ما ذكرنا كان وعد الله مفعولا.[٢]

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **ويخرون للأذقان يبكون**، فإن كان التأويل من السجود الصلاة ففيه دليل لقول أبي حنيفة رحمه الله أن المصلي إذا بكى في صلاته خوفا على نفسه وإشفاقا أو سرورا على ما أنعم الله عليه وأكرمه دينه لم تفسُد صلاته، وإذا كان البكاء[٣] للتسلي مما حلّ به من الشدائد والبلايا تفسد صلاته. وأصله أن البكاء إذا كان لله فهو لا يفسد الصلاة، وإذا كان للدنيا أو لحاجة نفسه فهو / يفسد. [٤٤٤و]

وقوله عز وجل: **ويزيدهم خشوعا**، أي يزيد ما يُتلَى عليهم من القرآن خشوعا وخضوعا لهم، أو الآيات. وقال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم في القلب.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعون فله الأسماء الحسنى**، ذكر هذا -والله أعلم-[٤] أن العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من السماء ولا يؤمنون بهما وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به، وكذلك غيرَه من الأسماء لِما لا[٥] سبيل إلى معرفة ذلك: إما بألسُن الرسل والأنبياء وإما بالكتب المنزلة من السماء، فإذا لم يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب حملهم ذلك على الإنكار والجحود لأسمائه، ولذلك قالوا: وَمَا الرَّحْمَٰنُ.[٦] وقوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ،[٧] أي يكفرون بذكر الرحمن واسمه لما ذكرنا.

---

[١] ع: قد كان ماياه؛ م: قد كان مأباه.

[٢] ك + إن كان وعد ربنا لمفعولا أي قد كان ما وعد ربنا في كتابهم أنه بعث رسولا كان موعوده وما أخبر به كائنا مفعولا.

[٣] ع: البكى.

[٤] ك ن + وذلك.

[٥] ك ن – لا.

[٦] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

[٧] ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣٠).

أو أن يكونوا[1] أنكروا اسم الرحمن لما لم يعرفوا أنه مأخوذ من الرحمة، ولو عرفوا أنه من الرحمة ما أنكروا على ما لم ينكروا الرحيم لأنهم عرفوا أن الرحيم مأخوذ من الرحمة.[2] وأما الله فهم يسمون[3] كل معبود إلها، وعلى ذلك سمَوا الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[5] فيسمون الله لما هو المعبود عندهم ورجعت عبادتهم الأصنام إلى الله حيث زعموا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، كانوا يطلبون بعبادتهم الأصنامَ القربةَ إلى الله، لذلك أنكروا غيره من الأسماء. على أن العرب لم ينكروا لشيء واحد اسمين وأكثر، وعرفوا أن اختلاف الأسماء وكثرتها لا توجب اختلاف المسمَّى به ولا أوجب عددا منه. وإن ما قالوا: إنه كان يدعو[6] حتى الآنَ إلى عبادةِ واحدٍ فالساعةَ يدعو[7] إلى عبادة[8] اثنين وأكثر، إنما قالوا على التعنت والعناد، وإلا قد عرفوا لشيء واحد اسمين وأكثر، لكنهم أنكروا لله[9] ذلك لما ذكرنا تعنُّتا منهم وعنادا. على هذا يجوز أن تتأول[10] الآية. *والله أعلم*.

ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين الاسمين. قال بعضهم: وجه تخصيصهما لأنهما اسمان مخصوصان له لا يجوز أن يسمى غيره بهذين الاسمين. وأما غيرهما من الأسماء فإنه يجوز أن يسمى غيره بها. وقال الحسن: خَصَّ بذكرهما لأنهما اسمان معظَّمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الأسماء من التعظيم ما جَعل لهذين. وقال أبو بكر الأصم: خَصَّ بذكر هذين لأن غيرهما من الأسماء أسماءٌ[11] أخذت عن صفاته. أما هذان فهما ليسا أخذا[12] عن صفته. وقال الزجاج: الرحمن هو مأخوذ من الرحمة، إلا أنه النهاية في الرحمة لأنه [على وزن] فَعْلان؛

---

[1] م: يكون.
[2] ع م – ولو عرفوا أنه من الرحمة ما أنكروا على ما لم ينكروا الرحيم لأنهم عرفوا أن الرحيم مأخوذ من الرحمة.
[3] ع: يسمعون.
[4] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[6] ن ع م: يدعوا.
[7] ن ع م: تدعوا.
[8] ن – عبادة.
[9] ع: الله.
[10] ن ع م: يتأول.
[11] م – أسماء.
[12] ع: أخذ.

وهو ما يقال: غَضبان إذا انتهى غضبه غايته، وإلا قوله: الرحيم والرحمن كلاهما من الرحمة إلا أن[١] الرحمن فَعلان، والفعلان هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا، وغيره من الخلائق لا يبلغون في الرحمة ذلك المبلغ، لذلك خصّ بذكر الرحمن دون الرحيم. وهذا كله واحد ليس فيه خلاف. وأصله ما ذكرنا لا يشترك[٢] غيره في هذين ويجوز في غيره.

وقوله عز وجل: **فله الأسماء الحسنى**، أي أسماؤه التي يسمى بها كلها الحسنى، ليس شيء منها قبيحا. أو أن يكون قوله: **فله الأسماء الحسنى**، أي كل أعمال صالحة وأمور حسنة له، أي تنسب إليه وتضاف،[٣] ولا يجوز أن يضاف وينسب ما قبح منها وسمُج. وأصله ما ذكرنا أنه[٤] ينسب إليه كل حسن وكل صالح على الإشارة، ولا يجوز أن ينسب إليه كل قبيح سَمِج على الإشارة[٥] والتسمية به، وهو ما يذكر: التحيات لله والصلوات والطيبات إلى آخره، [و]يُنْسَب إليه كل طيب وكل حسن. وقوله: **فله الأسماء الحسنى**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما له أسماء حسنة يسمى بها. والثاني أن كل شيء[٦] حسن يسمى به غيره فهو راجع إليه في الحقيقة وهو مسمى[٧] به، وكل حَسَنٍ منسوبٌ إليه.

وقوله عز وجل: **ولا تَجْهَرْ بصلاتك ولا تُخَافِتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلا**، اختلف أهل التأويل في ذلك، قال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك**، أي لا تجعل صلاتك في مكان غيظا للمشركين، **ولا تخافت بها**، أي ولا تُسِرّ عن أصحابك فتُخفِيَ عليهم لكن **وابتغ بين ذلك سبيلا**، وقال بعضهم: لا تجعل كل صلاتك في جماعة، **ولا تخافت بها**، ولا كلها في غير جماعة، **وابتغ بين ذلك سبيلا**. ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بالجماعة. وقال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**، أي لا تجاوز الحد في الأمور والأعمال التي أمرتك بها ولا تقصرها عن الحد الذي[٨] حددتُ لك فيها ولكن **ابتغ بين ذلك سبيلا**. وقال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك**، مراءاة[٩] للناس، **ولا تخافت بها**،

---

[١] م: الان.
[٢] جميع النسخ: لا يشرك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦١و.
[٣] ن ع م: ويضاف.
[٤] ع م: إليه.
[٥] ع م – ولا يجوز أن ينسب إليه كل قبيح سمج على الإشارة.
[٦] م – شيء.
[٧] ع: يسمى.
[٨] ع – الذي.
[٩] ك ن: مراآة؛ ع:مرات؛ م: مراآت.

أي ولا تُعْجِب بها للإخفاء. وجائز أن يكون قوله: **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**، أي لا تجهر بجميع الأذكار التي في الصلاة أو بجميع القراءات[1] التي فيها، **ولا تخافت** [اقرأ] بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمُخافتة. وقال بعضهم: إنه كان يجهر في صلاته بحيث يسمعه المشركون فيؤذونه فأمره أن لا يجهرها لئلا يؤذوه. **ولا تخافت** كل المخافتة فَيَسْمَعَ[2] أصحابك فيأخذوا قراءتك.[3] وقال بعضهم: ذلك في الدعاء إلى الله وتوحيده في حق التبليغ والمسألة وأمثاله. ولكن لا يجوز أن يُقطع التأويل في هذا وأمثاله فيقال: إنه كان كذا، إلا بخبر منه ثابت، لأن [٤٤٤ظ] الخطاب به خطاب له، فقَطْعُ التأويل فيه والقول / على شيء واحد[4] شهادة على الله وعلى رسوله، ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله إلا بالإحاطة أنه أراد ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾**[١١١]

وقوله عز وجل: **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك**. ذَكَر في هذه الآية جميع ما تقع[5] به الحاجة إلى التوحيد، لأن من نفى التوحيد وأنكره إنما نفى لأحد الوجوه التي ذكر. منهم من قال له بالولد وهم اليهود والنصارى، ومنهم من قال له[6] بالشريك وهم مشركو العرب، ومنهم من قال له بالولي والعون من الذل وهم الثنوية وغيرها، حيث قالوا: أنشأ هذا النورَ ليستعين به على التخلص من وَثاق الظلمة. فنزّه نفسه وبرّأها عن جميع ما قالوا فيه ونسبوا إليه؛ لأن الولد في الشاهد إنما يطلب إما للتلقي وإما للاستئناس، والله يتعالى عن أن تقع[7] له الحاجة إلى ذلك. ويتعالى عن أن يكون له شريك، لأن الشركاء في الشاهد إنما تُتَّخذ[8] للمعونة والتقوّي بهم على بعضٍ [و]مالِهم وما هم فيه. والولي من الذل إنما يتخذ[9] في الشاهد للاستنصار والاستعانة على أعدائه.

---

[1] ك ن ع: القراءة.
[2] أي حتى يسمع.
[3] م: قراآتك.
[4] ن: واحدة.
[5] ن ع م: يقع.
[6] ن – له.
[7] ع م: يقع.
[8] ن ع م: يتخذ.
[9] ع م – يتخذ.

والله يتعالى عن أن تقع[١] له الحاجة إلى شيء من[٢] ذلك. فتَفى عنه جميع معاني الخلق وجميع ما ينسب إليهم ويضاف ويوصفون[٣] به.

وقوله عز وجل: **وكبره تكبيرا**، أي صِفْه بما وصف نفسه وانفِ عنه جميع معاني الخلق، فيكون في ذلك تعظيمه وتكبيره. أو يقول: اعرفه بما ذكر، فإذا عرفت هكذا فقد عظَّمته وكبَّرته.

والولد في الشاهد إنما يتخذ ويطلب لوجوه. أحدها للتلهي[٤] به والاستئناس عن وحشة، أو لحاجة تمسّه فيستعين به على قضائها، أو لذل يخافه من عدو له فيستنصر به عليه؛ والله يتعالى عن أن يصيبه شيء من ذلك.

وقوله: **ولم يكن له ولي من الذُّلّ**، أي لم يتخذ الأولياء ليتعزز بهم من الذل، بل إنما اتخذ أولياء رحمة منه وفضلا ليتعززوا هم[٥] بذلك ويكونوا[٦] عظماء. وذكر: **لم يتخذ ولدا**، وقد خلق الأولاد للخلق ليُعلم أن ليس في خلق الشيء ما يصلح أن يتخذ لنفسه.

وقوله: **ولم يكن له شريك في الملك**، ولو كان على ما يقوله[٧] المعتزلة لكان له شريك في الملك على قولهم، لأنهم يقولون: إن الله لم يُرِد لأحد من الكفرة الملك لهم وإنما أراد لأوليائه، فعلى قولهم صار الفراعنة شركاء لهم في الملك حيث لم يكن ما أراد هو وكان[٨] ما أرادوا هم.[٩] ***والله أعلم.***[١٠]

---

[١] ع: يقع.
[٢] ع: في.
[٣] ع م: ويصفون.
[٤] ع م: للتسلي.
[٥] ع: ليستعزز بهم. م: ليتعززوهم.
[٦] جميع النسخ: ويكونون.
[٧] ع: تقوله.
[٨] م: كان.
[٩] م: ما أرادوهم.
[١٠] ك – والله أعلم، + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين على يد أضعف العباد أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي الحنفي في ليلة يسفر صباحها عن نهار الجمعة المبارك العشرين من شهر ربيع الأول المنور المشرف بمولد سيد البشر عليه الصلاة والسلام حرر تتميم هذه النسخة المباركة طالبا من الله تعالى العفو والمغفرة والصفح عما مضى منه وغبر ومن الإخوان الواقفين عليها الغض عما زل به القلم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ ن + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ع + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله.

## سورة الكهف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[١] ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[٢]**

قوله[2] عز وجل: **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**، تأويل الحمد ههنا وفي أمثاله -والله[3] أعلم- أي حقُّ الحمدِ للذي منه وصلتْ إلى كل أحد نعمةٌ، أي إنها وإن وصلت على أيدي من وصلت إلى كل من وصلت فإن حقَّ الحمدِ والثناء له في تلك النعمة، وإن حُمِد مَن دونه؛ إذ منه ذلك لا من الذي وصلت على يده[4] كالمستعمَل له،[5] فحقُّ الحمدِ والثناءِ له، لا مَن[6] دونه. أو أن يكون قوله: **الحمد لله**، أي قولوا: له الحمد والثناء، لأنه في جميع ما ذَكر الحمدَ له[7] أَلْحَقَ به شيئا: إما[8] قدرته وسلطانه، وإما نعمه[9] التي أنعم على الخلق؛ كقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[10] الآية، واَلْحَمْدُ[11] لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[12] الآية،

---

[1] ن: قال أهل لتأويل سورة لكهف مكية؛ ع + وهي مكية؛ م + مكية.
[2] ر: و قوله.
[3] ن: لله.
[4] ع: يديه.
[5] ر ع + وان الذي وصلت على يديه.
[6] ن: من.
[7] ن: لله
[8] ن: ما
[9] ن ع: نعمته.
[10] ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (سورة الأنعام، ١/٦).
[11] ع – و
[12] ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ (سورة فاطر، ١/٣٥)

و[1] **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**، ونحوه، وقوله: اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا.[2] ما ذكر الحمد لنفسه والثناءَ إلا ذكر على إثره إما قدرته[3] وسلطانه وإما نعمه. فما كان المذكور على إثره النعمةَ فهو يستأدى[4] به شكره وحمده، وإنْ كان الملحق به [هو] القدرةَ والسلطانَ فيخرج القول منه مخرج الأمر بالتعظيم له والهيبة والإجلال. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[5] **أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**، أي لم يجعله عوجا. ويجوز زيادة اللام في مثله، كقوله: رَدِفَ لَكُمْ،[6] أي ردِفكم،[7] هذا جائز في اللغة. ثم قوله: **أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**[8] هو[9] يخرج على وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، على ما قاله أهل التأويل، أي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له[10] عوجا. والثاني على زيادة "بل"، كأنه قال: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، بل جعله قيما. على أحد هذين الوجهين يخرج [المعنى]. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**، إذا لم يكن عوجا كان قيما، وإذا كان قيما كان غير عوجٍ؛ في كل واحد من الحرفين معنى الآخر،[11] إلا أن من عادة العرب تكرار الكلام وإعادتَه على التأكيد، كقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ؛[12] وإذا كن مسافحاتٍ لم يكنّ محصَنات؛ حرفان مؤديان[13] معنى واحدا، إلا أنه كرر لما ذكرنا من عادة العرب التكرارُ. وكذلك ما ذكر:

---

[1] ع - و.

[2] ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١١).

[3] ر ع م: ما قدرته.

[4] ن ع م: يتأدى.

[5] ر ن - عز وجل.

[6] ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٧٢).

[7] ر ع م: وردفكم.

[8] ر ع م + أي لم يجعله عوجا.

[9] ر ع م: وهو.

[10] ر ع م: ولم يجعله.

[11] ن: الآخر.

[12] ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (سورة النساء، ٤/٢٥).

[13] ن: يؤديان.

**لينذر بأسا شديدا**، البأس هو[1] الشديد[2] والشديد هو البأس، هما واحد، فعلى ذلك الأول.

ثم اختلف في قوله **قيما**، قال بعضهم: القيّم هو الشاهد، أي[3] القيم على الكتب المتقدمة والشاهد عليها في الزيادة والنقصان، وفي التغيير[4] والتحريف؛ يبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرّفوه ومن غيّروه، كقوله: فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[5] الآية، وقوله: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ،[6] وقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا،[7] الآية. كانوا يحرفون[8] نظْمه ورَصْفه. ومنهم [٤٤٥و] من كان يحرف أحكامه وشرائعه؛ فهذا القرآن شاهد وقيّم[9] في بيان ما فعلوا.

وقال بعضهم: قوله **قيما**، أي ثابتا قائما[10] أبدا، لا يُبدل ولا يُغير ولا يُنسخ ولا يُزاد[11] ولا ينقص، وهو على ما وصفه: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ،[12] الآية. وهو على ما وَصف الحقَّ بالثبات والقيام والباطلَ بالذهاب والتلاشي، كقوله: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ،[13] الآية؛ وما وصف الكلمةَ الطيبةَ بالثبات والقيام لها والخبيثةَ بالزوال والتغير[14] والذهاب،[15] فعلى ذلك هذا القرآن لأنه حق.

---

[1] ن - هو.
[2] م: التشديد.
[3] م - أي.
[4] ن: وفي التعيين؛ م: في التغيير.
[5] ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (سورة البقرة، ٧٩/٢).
[6] ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسْمَع وَرَاعِنَا لَيًّا بألسنتهم وطعنا في الدين﴾ (سورة النساء، ٤٦/٤).
[7] ﴿وإن منهم لفريقا يَلْوُونَ ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ (سورة آل عمران، ٧٨/٣).
[8] ن: يحرفونه.
[9] ن: شاهد قيم.
[10] ن: قديما.
[11] ع: يزاد.
[12] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).
[13] ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٧).
[14] جميع النسخ: والتعيير. والتصحيح من شرح التأويلات، ورقة ٤٦١ظ.
[15] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَهَا كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٦).

وقال بعضهم: **قيما**، أي مستقيما. وتأويل المستقيم: المستوي الموافق، أي يصدّق بعضه بعضا ويوافق أولُه آخره[1] وآخره أوله، أي لم يخرج مختلفا؛ وهو على ما قال: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛[2] ولو كان من عند غير الله على ما قال أولئك الكفرة لكان خرج مختلفا متناقضا ينقض أولُه آخره وآخره أوله. فإذ لم يكن دل أنه من عند الله نزل. ولو كان على ما يقول[3] أصحاب[4] العموم والظاهر أيضا، لم يكن قيما ولا مستقيما مستويا[5] بل يخرج مختلفا متناقضا؛ لأنهم يعتقدون على العموم والظاهر ثم يخصون بدليل، فهو مختلف. وأصله[6] قيم بالحجج والبراهين على أي تأويل كان. ***وبالله التوفيق***.

وقوله تعالى: **لينذر بأسا شديدا**، أي أنزله على عبده لينذركم بأسا شديدا أي لينذر ببأس[7] شديد. والبأس العذاب. وقوله عز وجل: **من لدنه**، هذا[8] يحتمل وجهين. أحدهما أنزل على عبده الكتاب من لدنه، أي من عنده. والثاني لينذركم الكفارَ بأسا شديدا ينزل من عنده. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات**، فيه دلالة أنه قد يكون من المؤمنين من يستحق[9] اسم الإيمان وإن لم يعملوا الصالحات؛ حيث ذكر المؤمنين ثم ذكر الأعمال الصالحات، خص المؤمنين بعمل الصالحات. لكن البشارة المطلقة إنما تكون[10] للمؤمنين الذين عملوا[11] الصالحات، لأنه لم يذكر البشارة المطلقة في جميع القرآن إلا[12] للمؤمنين الذين عملوا الصالحات. ثم المؤمنون الذين عملوا غير الصالحات في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفى عنهم وإن شاء عذبهم بقدر عملهم الذي كانوا عملوا، وإن شاء قابل سيئاتهم بحسناتهم،

[1] ع: و آخره.
[2] سورة النساء، ٤/٨٢.
[3] ر ع م: يقولون.
[4] ع - أصحاب.
[5] ر ع م - مستويا.
[6] ر: و أصل.
[7] ع: بأس.
[8] ع - هذا.
[9] جميع النسخ: مؤمنون ويستحقون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٢و.
[10] ع: يكون.
[11] ع: يعملون.
[12] جميع النسخ: لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٢و

فإن فَضُلت حسناتهم على سيئاتهم بدل سيئاتهم حسناتٍ على ما أخبر:[1] فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[2] هم في مشيئة الله على ما ذكر، وليست لهم البشارة المطلقة التي للمؤمنين الذين عملوا الصالحات.

وقوله عز وجل: **أن لهم أجرا حسنا**، لا سوء فيه ولا قبح. وقوله **أن لهم أجرا حسنا**، دون قوله: أن لهم أَجْرًا كَرِيمًا،[3] كَبِيرًا،[4] في الذكر، لكنه صار مثله بقوله:

**﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[٣]**

**ماكثين فيه أبدا**، لا يخرجون منه أبدا[5] وهم مقيمون فيه. ثم يحتمل وجهين. أحدهما **ماكثين فيه**، أي لا تأخذهم سآمة ولا ملالة فيه فيريدون التحول منه إلى غير، على ما يكون في الشاهد أنه يسأم المرء ويَمَلّ من طعام وإن كان رفيعا ويرغب فيما دونه؛ وهو ما قال: خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[6] والثاني **ماكثين فيه أبدا**، لأن خوف الخروج والزوال عن النعمة يُنَغِّص[7] النعمة على صاحبها، وهو ما قال: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا،[8] وقال: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.[9]

**﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾[٤] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي يعلمون أنه لم يتخذ ولدا، ولكن يقولون ذلك على العلم منهم كَذِبا و زورا،

---

[1] ر ع: أحبرو.
[2] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).
[3] ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ (سورة الأحزاب، ٤٤/٣٣).
[4] ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٩/١٧).
[5] م – لا يخرجون منه أبدا.
سورة الكهف، ١٨/١٠٨.
[7] ر: ينقص؛ ن ع م: ينقص. والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٢و.
[8] قوله ﴿خالدين فيها أبدا﴾ ورد كثيرا في القرآن الكريم. انظر مثلا: سورة النساء، ٥٧/٤، ١٢٣؛ و سورة التوبة، ٩/١٠٠ و غيرها.
[9] ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة يونس، ٦٢/١٠).

كقوله: تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ،[1] أي أشرك ما أعلم أنه ليس هو بشريك له، وكقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ،[2] أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس على[3] ما يقولون.

والثاني يحتمل قوله: **ما لهم به من علم**، أي عن جهلهم يقولون ما يقولون من الولد والشريك، لا عن علم، تقليدا لآبائهم؛ لأنهم ليسوا بأهل كتاب يعرفون به، ولا كانوا يؤمنون بالرسل، وأسباب العلم [في مثل هذا] هذان:[4] الكتاب والرسل. فما قالوا إنما قالوا عن جهل لا عن علم، وكذلك آباؤهم. فإن كان على هذا ففيه دلالة أن من قال شيئا عن جهل فإنه مؤاخذ به حيث قال: **وينذر الذين قالوا**، الآية.

وقوله عز وجل: **كَبُرَتْ كلمةً تَخرُج من أفواههم**، أي كبرت وعظمت تلك الكلمة التي قالوها على من عرف الله[5] حق المعرفة حتى كادت السماوات والأرض أن تنشق لعِظَم ما قالوا في الله، كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[6] الآية. وقوله: **إن يقولون**، أي ما يقولون[7] **إلا كذبا**.

ثم تكلم أهل الأدب في نصب **كلمةً**، قال بعضهم: انتصب على المصدر، أي كبرت كلمتهم التي قالوها كلمةً، كقوله: وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا.[8] وقال قطرب:[9] هو على الوصف، كما يقال: بئس رجلا ونعم رجلا على الوصف به، وذلك جائز في اللغة، فمعنى ذلك هذا.

---

[1] ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ (سورة المؤمن ٤٠/٤١-٤٢).

[2] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[3] ع – على.

[4] جميع النسخ: وهذين. والتصحيح مع الزيادة مستفاد من الشرح، ورقة ٤٦٢و.

[5] أي افتروا على المسيح عليه السلام بأنه ابن الله.

[6] ﴿تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه وتَنشَقُّ الأرض وتَخِرُّ الجبال هَدًّا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).

[7] ع م: ما يقولو.

[8] سورة النساء، ٤/١٦٤.

[9] هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقُطْرُب (ت ٢٠٦هـ/٨٢١م) نحوي عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النَّظَّامية. وهو أول من وضع المثلث في اللغة. و"قطرب" لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دُلَف العجلي. من كتبه: *معاني القرآن*، و*النوادر - لغة -*، و*الأزمنة*، و*الأضداد*، و*خلق الإنسان*، و*ما خالف فيه الإنسان البهيمة الوحوش وصفاتها*، و*غريب الحديث* (انظر: الأعلام للزركلي، ٧/٩٥).

وقال الخليل:[١] إنما انتصب[٢] لأنها نعت لاسمٍ مضمرٍ معرفةٍ، وهو بمنزلة قوله: سَاءَ مَثَلًا.[٣] وإنما كان نعتا لاسم مضمر لأنه قال: **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا**. فهذا القول هو فرية. فتأويله: كبرت الفرية كلمةً. وقد قيل: كبرت المقالة كلمة. وهو ما ذكرنا. / **والله أعلم**. [٤٤٥ط]

وقوله عز وجل: **تخرج من أفواههم**، أي كبرت كلمة[٤] تكلموا بها، أو يقول: كبرت كلمة يتكلمونها.[٥]

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا**، وقال في آية أخرى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.[٦] أخبر أنه فاعل ما ذكر، ولم يقل له افعل أو لا تفعل في هذا. فيشبه أن يكون النهي ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٧] ولهذا قال بعض الناس: إن في قوله: **فلعلك باخع نفسك**، نهيا[٨] عن الحزن عليهم، وعندنا ليس يخرج على النهي، ولكن على التسلي والسلوة.

ثم اختلف في قوله: **إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**، في الأسف. قال بعضهم: الأسف هو النهاية في الغضب، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.[٩] قال أهل التأويل: آسفونا أغضبونا. وقال بعضهم: الأسف هو النهاية في الحزن، كقوله: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[١٠] أي يا حُزْني. ويحتمل أن يكون منه الحزن إشفاقا عليهم أن تَتْلَف أنفسهم في النار بتركهم الإيمان؛ أو كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الإجابة والقول في الله سبحانه على ما قالوا فيه؛ وكلاهما يجوزان إذا كان ذلك لله: كادت نفسه أن تتلف حزنا عليهم [و]إشفاقا منه، أو كادت تتلف غضبا عليهم.

---

[١] هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي. له *كتاب العين* في اللغة، و*معاني الحروف*، و*جملة آلات العرب*، و*تفسير حروف اللغة*، و*كتاب العروض*، و*النقط والشكل*. و*النغم* (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٣١٤/٢).

[٢] ع: انتصبت.

[٣] ﴿ساء مثلا القومُ الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٧/٧).

[٤] ر ع م - كلمة.

[٥] ر ع م: تتكلمونها.

[٦] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

[٧] سورة فاطر، ٨/٣٥.

[٨] جميع النسخ: نهي.

[٩] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

[١٠] ﴿وتولّى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

وفيه دلالة أنه لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والتلف، ولكن كان يقاتهم ليسمموا حيث كادت نفسه تتلف إشفاقا عليهم. فلا يحتمل أن يكون يقاتهم للقتل وفي القتل ترك الشفقة، ولكن كان يقاتلهم ليضطرهم القتالُ إلى الإسلام فيسلموا فلا يَهلِكون.

وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين. أحدهما ما أخبر عن عظم[1] محل الذنوب في قلبه. فعل ذلك يؤذيه فيلحقهم اللعن، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ،[2] الآية، وفي ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوءه ويؤذيه. والثاني تعليم منه لأمته أن كيف يعامل الكفرة[3] وأهل المناكير منهم، يقاتلون[4] في الظاهر ويضمرون الشفقة لهم في القلب على ما فعل بهم رسول الله وعاملهم.

وقوله: **بهذا الحديث**، سمى القرآن حديثا وهو ما قال: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ،[5] سماه بأسامي: قَصَصا[6] وحديثا[7] وذِكرا[8] وروحا[9] وأمثاله. والنهاية في الحزن والغضب للأنبياء أنفسهم تقوم لهذين. وأما غيرهم من الخلائق فلا يحتمل أنفسهم إلا لأحدهما: إذا كان الحزن ذهب الغضب، وإذا[10] جاء الغضب ذهب الحزن. فالأنبياء هم المخصوصون بهذا.

## ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها**، اختلف فيما أخبر أنه جعل للأرض زينة. قال بعضهم: كل ما على وجه الأرض من النبات والشجر والإنسان وغيره هو زينة لها، **لنبلوهم أيهم أحسن عملا**. فإن كان التأويل على هذا، فيكون قوله: وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً،[11] القيامة؛

[1] ر ع م: عظيم.
[2] ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣).
[3] ر ع م: كفرة.
[4] أي المسلمون.
[5] ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مَثَانِيَ﴾ (سورة الزمر، ٢٣/٣٩).
[6] سورة يوسف، ٣/١٢.
[7] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.
[8] قد ورد لفظ الذكر بمعنى القرآن في كثير من الآي، مثل قوله تعالى ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ٥٨/٣). انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «الذكر».
[9] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).
[10] ر ع + كان.
[11] الآية التالية.

يعني جميع ما على وجه الأرض فتبقى قَاعًا[1] صَفْصَفًا،[2] وذلك إخبار عن القيامة. وقال بعضهم: **زينةً لها**، هو النبات التي عليها، وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم، بما جعل لهم من الأرزاق بالأمر والنهي والعبادات وغيره، لم يجعل[3] ذلك النبات عليها وتلك الأرزاق مجانا. ولكن ليختبرهم ويبتليهم بأنواع الامتحان. فإذا كان كذلك[4] ففيه دلالة أنْ ليس لأحد أن يتناول مما عليها إلا بإذن، ولا يُقْدم على شيء منها إلا بأمر من أربابها. وقال أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان: **زينة لها**، [أي] لأهلها[5] جعل ذلك ليبلوهم. ذكر ههنا أنه جعل ما على الأرض[6] ليبلوهم أيهم أحسن عملا. وقال في آية أخرى: ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.[7] ومن[8] الناس من يجمع بين الآيتين فيقول: جعل الحياة للابتلاء والموت للجزاء، فيستدل على ذلك بقوله: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**، أخبر أنه يبلوهم بالزينة والحياة لا بالضيق والموات. ومنهم من يقول: امتحنهم بهما جميعا: بالحياة ليتزودوا فيها لما بعد الموت كما يُتزوّد في حال السعة والرخاء لحال[9] الضيق والشدة؛ فمن لم يتزود في حال السعة فلا زاد له في حال الضيق. فعلى ذلك من[10] لم يتزود في الحياة فلا زاد له بعد الموت.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**، أي نبتليهم ونختبرهم أيضا بذهاب النبات[11] والأنزال. وتأويله أن يبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة، كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[12] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[13] الآية،

---

[1] ر: عاقا.
[2] يشير إلى قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦).
[3] ن + لهم.
[4] ر: ذلك.
[5] جميع النسخ: أهلها.
[6] ع + زينة لها
[7] ع - وقال في آية أخرى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. سورة الملك، ٢/٦٧.
[8] ر ع: ثم من.
[9] ر ع م: حال
[10] ع - من.
[11] ع: بذهاب النبات.
[12] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[13] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢)

وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[1] ونحوه. فعلى ذلك قوله: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**، -والله أعلم- أي نبتليهم بالسعة والرخاء والضيق والشدة.

وقال القتبي: **باخع نفسك**، أي مهلك نفسك.[2] وقال أبو عوسجة: **باخع**، بخع نفسه، أي أحرجها. وقالا جميعا: الأسف الحزن. وقال غيرهما: الأسف الغضب أيضا، دليله قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[3] أي أغضبونا. وقال القتبي: الصعيد، المستوى؛ ويقال: وجه الأرض. ومنه قيل لتراب صعيد،[4] لأنه وجه الأرض. والجرز: الأرض[5] التي لا تُنبت شيئا؛ يقال: أرض جرز وأرضون أجراز. وكذلك قال أبو عوسجة: والجرز: [الأرض] التي لا تنبت فيها، والصعيد التراب.

**﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[٩]**

[٤٤٦و] وقوله عز وجل: / **أم حسبت**، قيل أحسبت، وقيل: قد حسبت. ويحتمل[6] **أم**[7] بمعنى بل حسبت، كقوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى،[8] أي بل يقولون. فعلى ذلك قوله: **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم**. وقد ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله يكون على الإيجاب والإلزام. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر: إحْسَب واعلم أن أصحاب[9] الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، أو ما ذكرنا: بل حسبتَ، وهو كذلك. أو يقول: لا تحسبنّ أن أصحاب الكهف والرقيم [كانوا] من آياتنا عجبا ليس أعجب منها، بل أتاك آيات أعجب منها بكثير. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في الرقيم. قال بعضهم: الرقيم الكتاب، كقوله: كِتَابٌ مَرْقُومٌ،[10] أي مكتوب. وقال بعضهم: الرقيم الوادي الذي فيه كهفهم. وقيل: الرقيم اللوح الذي كتب فيه أسامي الفتية.

---

[1] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[2] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٨.
[3] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.
[4] ر: صعيدا.
[5] ع: والجرز الأرض
[6] ع - ويحتمل.
[7] ر ع م: أم.
[8] ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا﴾ (سورة الشورى، ٢٤/٤٢).
[9] ر ع: أنه؛ ن: أنباء أصحاب.
[10] سورة المطففين، ٩/٨٣، ٢٠.

وقيل: الرقيم القرية التي خرجت الفتية منها؛ وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "ما أدري ما الرقيم، لكني سألت كعبا عنها فزعم أنها القرية التي خرجوا منها."[1] وقيل: الرقيم الكتب الذي كان معهم. قالوا أمثال ما ذكرنا؛ وليس بنا إلى معرفة الكهف والرقيم حاجة، ثم ذلك بسابهم ولم يسألوا عن الكهف والرقيم، وإنما سألوا عن أصحاب الكهف والرقيم؛ فما ينبغي لهم أن يشتغلوا به.

ثم ما قال عامة[2] أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قصة أصحاب الكهف والرقيم وأنبائهم، فقال: «أخبركم غدا» ولم يستثن، فعاتبه الله فيه أن حبس عنه الوحي كذا وكذا يوما فنزل:[3] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.[4] لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم محال، لأنه كذب لا يجوز أن يكون رسول الله يقول: أخبركم غدا، والله لم يأمره[5] بذلك. أو أن [يكون] قال[6] ولم يستثن، فيحبس الله الوحي عنه ولا يخبرهم في الوقت الذي قال إنه يخبرهم،[7] فيظهر كذبه عندهم بعد ما اختاره لرسالته واصطفاه لموضع وحيه، ثم يكذّبه فيما أخبر. هذا فاسد محال، غير محتمِلٍ ما توهموا به على الله وعلى رسوله. قد كان من كفار مكة السعيُ في منع رسول الله عن تبليغ الرسالة إلى الناس، والحيلولةُ عن الدعاء إلى ما أُمر أن يدعوهم، واستقبالُ حججه وبراهينه بشبهٍ[8] عارضوها ليُلبِسوا على الناس حججَه وآياتِه التي أقامها. فأبى الله ذلك عليهم وأعجزهم عن الاستقبال[9] بتمويهاتهم.[10] فكيف أظهر عليه الكذب بمنع الوحي عنه حتى يعجز عن الإخبار بما وعدهم في الوقت الذي وعدهم.[11]

---

[1] نظر: *تفسير الطبري* ١٣١/١٥؛ و*تفسير ابن كثير*، ٧٣/٣. إلا أن هناك روايات مختلفة عن ابن عباس. و الطبري يقول: وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به لوح أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب (*نفس المصدر*، ١٣١/١٥-١٣٢).

[2] ر ع م - عامة.

[3] انظر مثلا: *تفسير الطبري*، ١٢٧/١٥، ١٥١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٧١/٣.

[4] سورة الكهف، ٢٣/١٨-٢٤.

[5] ع: لم يأمر

[6] ر ع م: أو ق ل.

[7] ع - في الوقت الذي قال إنه يخبرهم.

[8] ن: لشبهة.

[9] ر ع م - بشبه عارضوها ليلبسوا على الناس حججه وآياته التي أقامها فأبى الله ذلك عليهم وأعجزهم عن الاستقبال.

[10] ن: بتمويها تهمة.

[11] جميع النسخ - فكيف أظهر عليه الكذب بمنع الوحي عنه حتى يعجز عن الإخبار بما وعدهم في الوقت الذي وعدهم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٢ ط.

وقد ذكر في غير قصة وخبر أنهم سألوا اليهود عنه[1] وعن نعته: هل تجدون نعته في كتبكم؟ إذ لم يكونوا[2] أهل كتاب يعلمون ذلك، فاحتاجوا إلى من يعلمهم ويخبرهم عنه، فسألوا يهود المدينة عنه وعن خبره. فقالوا: نجد نعته في كتابنا كما تقولون، فهذا وقت خروجه وأوانه. فقالوا لهم: حدثونا بشيء نسأله لا يعلمه إلا نبي. فقالوا: سلوه[3] عن ثلاث خصال، فإن أجابهن فهو نبي، وإلا فهو كذاب؛ سلوه[4] عن أصحاب الكهف وسلوه[5] عن ذي القرنين، فإنه[6] كان ملكا وكان من أمره كذا وكذا، وسلوه[7] عن الروح، فإن أخبركم فهو نبي وإن لم يخبركم فهو كذاب. فسألوه فأخبرهم عن ذلك. وفي بعض القصة: سلوه[8] عن الروح، فإن أخبركم عنه فهو ليس بنبي وإن لم يخبركم ولكنه وكل أمره إلى الله فهو نبي.[9]

ثم قوله: **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**، يحتمل أن يكون الخطاب به[10] لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره، على ما خاطبه في غير آي من القرآن والمراد به غيره. ويحتمل أن يكون[11] الخطاب له والمراد هو. فان كان[12] هو المخاطب بهذا فإنه يحتمل قوله: **أم حسبت**، إلى آخره وجهين. أحدهما يقول: قد حسبت أن أنباءهم وأخبارهم كانت من آياتنا لرسالتك ونبوتك عجبا. فيكون الحساب على هذا التأويل في موضع العلم واليقين، كأنه قال: قد علمت أن أنباء أصحاب الكهف وأخبارهم آية عجيبة لرسالتك.

والثاني إخبار عن أحوالهم وتقلبهم من حال إلى حال. فإن كان على هذا فيكون الحُسبان في موضع الحِسبان،[13] كأنه قال: قد حسبت أن أحوالهم وتقلبهم كان من آياتنا عجبا.

---

[1] أي عن النبي المنتظر.
[2] ر ع م: لم تكونوا.
[3] ر: سألوه.
[4] ر ع م: سألوه.
[5] ر ع م: سألوه.
[6] ع: فإن.
[7] ر ع م: سألوه.
[8] ر م: سألوه؛ ع: سألوا.
[9] انظر متن هذه الروايات: تفسير ابن كثير، ٣/٧١.
[10] جميع النسخ + وإن كان.
[11] ر ع م - يكون.
[12] جميع النسخ: وإن كان.
[13] حسب الشيء يحسُبه، بالضم، حَسْبا وحِسابا وحِسابةً وحُسبانًا: عدّه وأحصاه. و حسب يحسب حِسابا: ظنه (انظر: *المعجم الوسيط*، «حسب»؛ قارن: *لسان العرب*، «حسب»).

هذا إذا كان الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما إذا كان الخطاب به غيره فإنه يكون[1] على الحِسبان والظن وغيره. *والله أعلم*.

**﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **إذ أوى الفتية إلى الكهف**، أي انضم. قال بعضهم: الكهف الغار في الجبل. وقيل الفضاء، وقيل الملجأ. ولكن قد ذكرنا أنا لا ندري ما الكهف وما الرقيم، ذلك بلسانهم، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. واسم[2] الفتية اسم الأحداث[3] منهم والشبّان لا[4] اسم المَشيخة، ثم يكون المماليك والخدم ويكون الأحرار. *والله أعلم*.

وقوله: **فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**، قال الحسن:[5] **آتنا من لدنك رحمة**، أي جنة، **وهيئ لنا من أمرنا رشدا**، أي يسيرا. وهو ما ذكرنا في قوله: يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا.[6] فهذا[7] ليس بدعاء، إنما هو تلقين وإلهام منه إياهم، فيكون تفسيرا للأول. وقال بعضهم: قوله: **آتنا من لدنك رحمة**، أي رزقا، لأنهم كانوا يفارقون قومهم لكفرهم لِيَسلم لهم دينهم الذي هم عليه وهو الإسلام.[8] وقد عرفوا أنه يسع مفارقة الناس طلبا لسلامة الدين ولكن لم يعرفوا أنه يسع[9] قوتهم[10] وما به قوام أنفسهم إلى مكان خال عن ذلك، فسألوا ربهم / الرزق إشفاقا على أنفسهم، بقوله:[11] **آتنا من لدنك رحمة**، أي رزقا، [٤٤٦ط]

---

[1] ر ع م: يجوز.
[2] ر ع م: وهم.
[3] ن: لأحداث.
[4] ع – لا.
[5] هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (٢١-١١٠هـ/٦٤٢-٧٢٨م) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسّاك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية. وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الوُلاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة. توفي بالبصرة (انظر: الأعلام للزركلي، ٢/٢٢٦).
[6] سورة الكهف، ١٨/١٦.
[7] أي هذا القول الأخير لله تعالى.
[8] ن: الإعلام.
[9] ر ع م: يسمع.
[10] جميع النسخ: قومهم، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٣و.
[11] ر ع م: بقولهم.

**وهيئ لنا من أمرنا رشدا**، أي احمل جميع أمورنا على الصواب والرشد، على ما ذكرنا أنهم عرفوا سعة المفارقة للدين ولكن لم يعرفوا سعة ذلك إذا كان فيه خوف هلاكِ أنفسهم، فسألوا ربهم أن يحمل أمرهم ذلك على الرشد والصواب. ويحتمل **آتنا من لدنك رحمة**، نعمة وسعة، **وهيئ لنا من أمرنا**، أي أمر ديننا[1] صوابا. يقول: **آتنا من لدنك رحمة**، دنيا **وهيئ لنا من أمرنا** [رشدا].

**﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا**، الضرب على الآذان هو المحو، محو الأسماع. ويقال: اضرب على حيث[2] كذا، أي[3] امْحه. ثم يحتمل محوُ الأسماع وجهين. أحدهما محو الأرواح التي بها تحيا الأنفس، فيكون كناية عن الموت؛ أو يكون محوَ أرواح الأسماعِ التي تسمع،[4] لا الموت. فيما قال في آية أخرى: وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ،[5] دل أنه إنما أراد محو أرواح الأسماع لا محو الأرواح التي بها حياة الأنفس، وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ، الآية.[6]

**﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ثم بعثناهم**، من رقودهم، **لنعلم أي الحزبين**، أي لنعلم ما قد علمناه غائبا شاهدا، إذ[7] كان عالما بما يكون منهم. وتأويله ما ذكرنا: ليعلم[8] الخلقَ شاهدا كما علمه غائبا؛[9] أو ليعلم المخطئَ منهم من المصيب، إذ محال وصفُه بالعلم بالمخطئ ولا مخطئَ ثَمة،[10] وبالمصيب ولا مصيبَ[11] ثَمة. فإذا كان كذلك فيكون قوله: ليعلم المخطئ من المصيب والمصيبَ من المخطئ إذا كان. وأصله أنه يعلم كائنا على ما علم أنه يكون.

---

[1] ر ع م: من أمر دينـ.
[2] ن: حديث.
[3] ر ع م - أي.
[4] جميع النسخ: يسمع.
[5] سورة الكهف، ١٨/١٨.
[6] ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقْضَى أجل مُسَمًّى﴾ (سورة الأنعام، ٦٠/٦).
[7] ن ع م: إذا.
[8] ن: لنعلم.
[9] جميع النسخ: كما علم هو غائبا. "وتأويله ما ذكرنا، أي لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا شاهدا ما علمناه غائبا" (شرح التأويلات، ورقة ٤٦٣و).
[10] ر ع م: ثم.
[11] ع: ولا بالمصيب.

وقوله عز وجل: **أحصى لما لبثوا أمدا**، يحتمل **لنعلم أي الحزبين أحصى**، للسبب الذي لبثوا فيه، والثاني: أحصى للمدة التي لبثوا فيها. *والله أعلم*.

ثم اختلف في قوله: **أي الحزبين**.[1] قال بعضهم: مشركيهم ومؤمنيهم. ومنهم[2] من قال: الملك والفتية. وقال بعضهم: هم اختلفوا في مكثهم إذا[3] بُعثوا. قال بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم.[4] ولسنا[5] ندري مَنْ أيّ الحزبين، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، سوى أنا ذكرنا قول أهل التأويل.

**﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[١٣] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **نحن نقص عليك نبأهم بالحق**، الحق في النبأ الصدق، والحق في الأحكام العدل، وفي الأفعال الصواب. وقال بعضهم: الحق ههنا هو القرآن، فيكون قوله: **بالحق**، أي في الحق، وهو القرآن. أي **نقص عليك نبأهم** في القرآن. *والله أعلم*.

وقوله: **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم**، هذان الحرفان معناهما واحد: الزيادة والربط، كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه: زيادة الهدى؛ أي ثبّتناهم على الهدى. ويجوز أن يقال: هو التثبيت والربط كذلك. ويجوز أن يقال على الابتداء والتجديد،[6] إذ للإيمان حكم التجدد في كل وقت؛ إذ هو يكون منكِرا جاحدا للكفر في كل وقت فهو مجدد للإيمان[7] كذلك في كل وقت. فإن شئت حملته على الثبات والزيادة على ما كان، وإن شئت على الابتداء والتجدد. وكذلك قوله: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[8]

[1] ر ع م - أحصى للسبب الذي لبثوا فيه والثاني أحصى للمدة التي لبثوا فيها والله أعلم ثم اختلف في قوله أي الحزبين.

[2] ع - ومنهم.

[3] جميع النسخ: إذ.

[4] يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٩).

[5] ر ن ع: ولكن لسنا.

[6] جميع النسخ: على التجديد والابتداء.

[7] ن: الإيمان.

[8] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).

وقال الحسن في قوله: **زدناهم هدى**. أي من حكم الله أن[1] من اهتدى زاده هدى، كقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى.[2] لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان لا يجوز أن يكفر إذا اهتدى مرة لا يزال يزيد له هدى. فإذا لم يكن دل أنه لا يصح ذلك. والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **إذ قاموا فقالوا ربنا**، يحتمل قوله: **إذ قاموا** بالحجج والبراهين؛ ويحتمل **إذ قاموا** بالنهوض إلى الكهف حين انضموا إليه، أو **قاموا** لله ولدينه، أو **قاموا** من عند أولئك الكفرة فقالوا ما ذكر: **ربنا رب السماوات والأرض**، أي قالوا: ربنا هو رب السماوات والأرض ورب ما فيهن.

وقوله عز وجل: **لن ندعوَ من دونه إلها**، يحتمل قوله: **لن ندعو من دونه إلها**، أي لن نسميهم آلهة على ما سمّى قومهم الأصنام التي عبدوها آلهة.

وقوله عز وجل: **لقد قلنا إذًا شططا**، إذا سميناهم آلهة.

ويحتمل قوله: **لن ندعو**، أي لن نعبد ولن نتخذ من دونه إلها كما يعبد أولئك واتخذوا[3] من دونه آلهة فسموهم آلهة على زعمهم وعلى ما عندهم، كقوله: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[4] وقوله: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا.[5] لا يجوز أن يسمي الأنبياء الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة وهي ليست بآلهة، ولكن قالوا ذلك على زعمهم وعلى ما عندهم؛ فمعنى ذلك قوله: **لن ندعو من دونه إلها**، أي لن نعبد. فإن كان على العبادة ففيه إضمار، أي لن نعبد من دونه إلها غير الله كفعل قومنا، ولو فعلنا لقد قلنا شططا، أي جورا وظلما.

[٤٤٦ظ س٣٦ * قال القُتَبي:[6] **فضربنا على آذانهم**، أي أنَمْناهم.[7] والأمد هو الغاية. **وربطنا على قلوبهم**،

٤٤٦ظ س٣٨] أي ألهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم. وقوله **شَطَطا**، أي غلوّا، يقال: أشَطَّ عليّ إذا غلا في القول.*

---

[1] ر ع م: أي.

[2] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ١٧/٤٧). لم أجد في *تفسير الحسن البصري* للدكتور محمد عبد الرحيم، و*تفسير الطبري*، و*تفسير ابن كثير*.

[3] ر ع م - إذا شططا إذا سميناهم آلهة ويحتمل قوله لن ندعو أي لن نعبد ولن نتخذ من دونه إلها كما يعبد أولئك واتخذوا.

[4] ﴿فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ (سورة الصافات، ٩٠/٣٧-٩٣).

[5] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس وإن لك موعدا لن تُخلَفَه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنُحرِّقَنَّه ثم لننسِفَنَّه في اليم نسفا﴾ (سورة طه، ٩٧/٢٠).

[6] القتبي نسبة إلى قتيبة هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): من أئمة الأدب، ومن المصنفين في ميادين شتى. له مؤلفات في الأدب والتفسير والحديث والسياسة وغيرها من العلوم. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٨٥-٨٦؛ و*اللباب* لابن الأثير، ١٥/٣؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ١٤٣/٢-١٤٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤٢/٣-٤٤.

[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الثانية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٦ظ/سطر ٣٦-٣٨.

**﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[١٥]**

ثم قالوا ما أخبر عنهم بقوله:[١] **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة**، يعبدونها؛ **لولا يأتون عليهم بسلطان بين**. أي هلّا يأتون عىى تسميتهم آلهة أو [على] استحقاق العبادة لها بحجة بينة. ثم حرف "هلا" يستعمل في الماضي ويستعمل في المستقبل، فإن كان على الماضي فهو عىى الإنكار، أي لم يكن. وإن كان عىى المستقبل فهو عىى السؤال، أي ائتُوا بحجة بينة،[٢] أنها آلهة كما أتوهم أن الله هو الإله الحق وأنه خالق السماوات والأرض ورب ما فيهما.*

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، أي لا أحد أظلم ممن جعل مع الله آلهة. وقد ذكرنا تأويله في غير موضع.[٤]

**﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله**، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله؛[٥] فتأويل الآية عىى القراءة الظاهرة: **وما يعبدون** [٤٤٧و]
**إلا الله**، أي وإذ[٦] اعتزلتموهم والذين يعبدون إلا الله فلا تعتزلوا عبادته؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الله أيضا ويرونه معبودا، فكأنهم قالوا: وإذ اعتزلتموهم والذين يعبدون إلا الله فلا تعتزلوه. وهو كقول إبراهيم عليه السلام لقومه حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، الآية.[٧] استثنى عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدون مِن دونه؛ إذ كانو يعبدون الأصنام ويعبدون الله ويرونه معبودا، إلا أن بعضهم لا يرون أنفسهم بلغت مرتبة عبادة الله فيعبدون لأصنام رجاء أن تشفع لهم عنده أو تقرّب عبادتُهم [إياها][٨] إلى الله زلفى وأمثاله.

---

[١] ر ع م – ما أخبر عنهم بقوله.
[٢] ر ع م + أي.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٤٦ظ/سطر٣٦–٣٨.
[٤] انظر مثلا: تفسير قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ (سورة الأنعام، ٢١/٦).
[٥] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٣٨/١٥.
[٦] ر ع م: و إن.
[٧] ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ (سورة الشعراء، ٧٥/٢٦-٧٧).
[٨] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٦٣ ص

وجائز أن يكون قوله: **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله.** على التقديم والتأخير،[1] أي وإذ اعتزلتموهم فأووا إلى الكهف؛ لأنهم كانوا لا يعبدون إلا الله، يعني أصحاب الكهف. والثاني ما ذكرنا: وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون هم في الحقيقة إلا الله، وإن كانوا في الظاهر يعبدون غير الله. وتأويل قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: وإذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون من دون الله. ويحتمل أن يكون هذا منهم ليس على القول والنطق، ولكن أُلقي في قلوبهم وقُذف أنهم إذ فارقوا قومهم وباينوهم[2] وآووا[3] إلى الكهف ينشر[4] لكم ربكم من رحمته.

وقال الحسن: إن في قومهم من قد آمن سواهم، فقالوا: إنكم إذا باينتم وفارقتم فأووا إلى الكهف فلا تبعدوا[5] منهم فلعلهم[6] يلحقونكم ويطلبون لقاءكم فلا تبعدوا[7] منهم.

ويشبه أن يكون قوله: **فأووا إلى الكهف يَنشرْ لكم ربكم من رحمته،** لما عزموا أن يفارقوا قومهم اعترض لهم[8] الشيطان فقال: إنكم تفارقون قومكم إلى مكان وليس معكم شراب ولا طعام[9] فتهلكون أنفسكم. فدفعوا وساوسه بقوله: **ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مِرفَقا.**

ثم قوله: **ينشر لكم ربكم من رحمته،** قال بعضهم: يحقق لكم ربكم، كقوله: وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا[10] بالراء[11] أي كيف نخلقها. وقال بعضهم: **ينشر لكم،** أي يبسط، والنشر هو البسط. وقوله عز وجل: **من رحمته،** يحتمل الرزق، ويحتمل كل شيء به يدفع الهلاك عن أنفسهم.

---

[1] ع: والتقديم.

[2] ر ع م: وباينوا.

[3] جميع النسخ: ويأوون، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٣ظ.

[4] جميع النسخ: وينشر، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٣ظ.

[5] ر ع م: فلا تعدوا.

[6] ن: ولعلهم.

[7] ر ع م: فلا تعبدوا.

[8] ر ع م: اعتزلهم.

[9] ن: وطعام.

[10] ن: ينشرها. ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٩).

[11] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر والشيخ يعقوب "ننشرها" بالراء المهملة، والباقون بالزاي "ننشزها" (انظر: ...، ٨٥).

وقوله: **ويُهَيِّئْ لكم من أمركم مِرْفَقا**[١] أي ما ترتفقون به[٢] وتنتفعون، وهو قول أبي عَوْسَجة. وهو من الرفق. والمَرْفِق أيضا مثله لأنه ينتفع به.[٣] وقال القُتَبي: **مِرْفَقا**، ما يرتفق به.[٤] وقال أبو عبيدة: المِرْفَق ما ارتفقت به، فأما في اليدين فهو مَرفِق.[٥] ***والله أعلم***.

[٤٤٧و س ٢١ * وقال بعضهم في قوله: **يُهَيِّئْ لكم**، أي يبوئ لكم، كقوله: تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ،[٦] أي تهيئ. **وهيئ لنا من أمرنا رشدا**، الرشيد الصالح. وقال مقاتل: رَشَدا، أي مخرجا.[٧] **ويُهَيِّئْ لكم من أمركم مرفقا**، قال ابن عباس رضي الله عنه: غداء[٨] تأكلونه؛[٩] وهو ما ذكرنا كل[١٠] ما يرتفق به، ويقال مخرجا.* ٤٤٧ظ س ٢٣]

**﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾** [١٧]

وقوله عز وجل: **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم**، قيل: تميل **عن كهفهم ذات اليمين؛ وإذا غربت تَقْرِضُهُمْ ذات الشمال**، قال بعضهم: إن الشمس[١٢] كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها، لأن الكهف كان مستقبل بنات النعش،[١٣] وكل شيء يكون مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس. وقال بعضهم: لا، ولكن كان ثمة حجاب وسِتْر يحجُب الشمس عن أن تقع عليهم.

---

[١] قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر "مَرْفِقا" بفتح الميم وكسر الفاء (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پلُوي، ٨٤).
[٢] ع م – به.
[٣] ر ع م – به.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٤.
[٥] انظر أيضا: *لسان العرب*، «رفق».
[٦] ﴿وإذ غَدَوْتَ من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٢١).
[٧] لم ترد هذه العبارة في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٥٧٦.
[٨] ر ع: غذاء.
[٩] لم ترد هذه الرواية في *تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة*، نشر: عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الرياض بدون تاريخ، ٢/٥٨٤؛ ولا في *صحيفة علي بن أبي طلحة المسمى بتفسير ابن عباس*، نشر: راشد عبد المنعم الرجال، بيروت ١٩٩١، ١/٣٢٧.
[١٠] ع: تأكل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٧ظ/سطر ٢١-٢٣.
[١٢] ر م – قال بعضهم إن الشمس.
[١٣] هي سبعة كواكب تُشاهَد جهة القطب الشمالي، شبهت بحملة النعش (المعجم الوسيط «نعش»؛ قارن: *لسان العرب*، «نعش»).

لكن هذا لا يصح، لأن الله عز وجل جعل لهم ذلك آية من آياته وكرامة من كراماته،[1] فليس فيما لا يقع عليهم الشمس بحجاب أو سترٍ كبيرُ آية ومنّةٍ، إنما الآية فيما تقع الشمس عليهم ثم يدفع[2] عنهم ضررها وأذاها. فإذا كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فأذاها[3] وضررُها أيضا لا يصيبهم، فليس في ذلك كبير آية وحكمةٍ؛ إذ ليس فيما لا تصيب[4] الشمس ضررا وأذى. ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس وأذاها عنهم مع إصابة الشمس إياهم ووقوعها عليهم. *والله أعلم*.

ثم[5] قوله عز وجل: **تَزَاوَرُ عن كهفهم ذات اليمين**، يمينهم أو يمين القبة، وكذلك **ذات الشمال**، شمال أولئك أو شمال القبة؛ فأما يمين الجبل والغار، على ما قال أهل التأويل، فإنه ليس للجبل يمين ولا شمال.

وقوله عز وجل: **وهم في فَجْوَة منه**، قال بعضهم: الفجوة الظل، وقال بعضهم: الفجوة الفضاء، وقال بعضهم: هي سعة المكان. يخبر عز وجل عن لطفه ومنته أنه قد حشرهم إلى غار كانوا يسعُون فيه حتى يتقلبون فيه؛ والغار الذي يكون في الجبل لا هكذا يكون بل يكون ضيّقا.

وقوله عز وجل: **ذلك من آيات الله**، هذا يردّ قول مَن ينكر جري الآيات على يدي غير الأنبياء، لأنه جعل في أصحاب الكهف عددا من الآيات، كلُّها خارجة عن احتمال وُسعِ الخلق وعادتهم، لمفارقتهم قومهم لسلامة دينهم. أحدها ما أخبر أنه ضرب على آذانهم وأنامهم نوما[6] خارجا عن طَبع الخلق وعادتهم وهو ثَلَثِمِائَةِ سنةٍ، ثم بعثهم ليتساءلوا بينهم على ما أخبر عز وجل.

والثاني لم تَبلَ ثيابهم في مثل تلك المدة ومثل المكان ولم تتغير. ألا ترى أنهم قالوا حين بُعثوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.[7] ولو كانت ثيابهم بالية أو متغيرة لم يستقلوا ولا استقصروا كل هذا: يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ. ألا ترى أنهم فزعوا إلى الطعام ولم يفزعوا[8] إلى الثياب، حيث قالوا: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛[9] ولو كان[10] ثيابهم بالية أو متغيرة لكان فزعهم إلى الثياب كهُوَ إلى الطعام وهو أولى.

---

[1] ر: كرامته.
[2] ر ع م: تدفع.
[3] ر م: وأذاها.
[4] جميع النسخ: لا يصيب.
[5] ر ع م: و.
[6] ر م: نوعا.
[7] سورة الكهف، ١٨/١٩.
[8] ع م: ولم يتفرعوا.
[9] سورة الكهف، ١٨/١٩.
[10] ر ع: كانت.

والثالث ما أخبر من تزاور الشمس إذا طلعت ذات اليمين وقرضها إياهم ذات الشمال. [٤٤٧ظ]
والرابع دفع الحر والبرد عنهم، إذ من طبعها الإهلاك والفساد إذا اشتد وكثر.
والخامس ما ذكر من تقليبه إياهم ذات اليمين وذات الشمال، وحفظه إياهم عن أن تُفسدهم الأرض وتأكلهم، إذ من طبع الأرض ذلك عند امتداد الوقت.
والسادس ما ذكر في الآية من الهول والهيبة على من أراد أن يدخل عليهم[1] إذا دخل عليهم واطّلع، حيث قال:[2] لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا،[3] خوفا عما ترى فيهم من الأهوال. هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لمن دونه؟
والسابع حفظه إياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطّلع ولم يعثُر عليهم أحد من الخلائق.
والثامن إبقاؤهم أحياء أكثر من ثَلٰثِمِائَةِ سنةٍ بلا غداء؛[4] والأنفس لا تبقى بلا غداء[5] بدون ذلك، وذلك باللطف. وأمثال هذا كثير مما[6] يكثر عدّها[7] وإحصاؤها، كله من آيات عظيمة خارجة عن وسع الخلق وعادتهم. فذلك لهم باختيارهم دين الله من بين قومهم ولمفارقتهم إياهم ليسلم لهم دينهم؛ إذ الغلبة فيهم يومئذ الكفر، فأكرمهم الله بذلك بالكرامات التي[8] ذكرنا. فلا تنكر[9] أن يعطي الله أحدا من أوليائه قطع مسيرة أيام بيوم أو بساعة أو المشيَ على الماء، ونحوُ ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر.
وقول أهل التأويل: إنهم كانوا كذا والكلب كذا وأساميهم كذا وعددهم كذا ونحوه، فذلك مما لا يعلم إلا بخبر الصدق وقول[10] الحق؛ وقد نهى رسولَه أن يستفتي فيهم منهم أحدا، حيث قال: وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا،[11] وما ذكر[12] هؤلاء كله من الاستفتاء الذي نهى رسوله[13] عن ذلك.

[1] جميع النسخ – على من أراد أن يدخل عليهم؛ ن: صح ه.
[2] ر ع ه: قالوا.
[3] سورة الكهف، ١٨/١٨.
[4] ر ع: غذاء.
[5] ر ع: غذاء.
[6] ه: ما.
[7] ع: عددها.
[8] ع: الذي.
[9] ن: فلا ينكر.
[10] ن: وقوله.
[11] سورة الكهف، ٢٢/١٨.
[12] جميع النسخ: وهو ما ذكر، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٤و.
[13] ر ع ه + عليه.

قال أبو عَوْسَجَة: **تَزَاوَرُ**،[1] تميل، وتَزْوَرُّ مثله.[2] **تَقْرِضُهم**، أي تَدَعُهم على شمالها، أي إن الشمس لا تصيبهم طالعةً ولا غاربة عند طلوعها وغروبها. ويقال: قرضتُه: تركتُه، أَقرِضه قَرْضا. ويقال: قرضتُ موضع كذا، أي جاوزتُه وتركتُه خلفي. ويقال: قرضَه: أي قطَعَه بِمقراض. وتزاور يتزاور، أي عدل ومال. **وهم في فَجْوة منه**، أي سعة. وفَجَوات جمع. ويحتمل[3] قوله: **ذلك من آيات الله**، أي ذلك النبأ وما ذكر من قصة أصحاب الكهف من آيات قدرة الله، أو من حجج الله على إثبات رسالة رسوله ونبوته، أو من آيات كراماته للفتية ولمن اختار دين الله وآثره على غيره.

وقال بعضهم: **تَزَاوَرُ وتَقْرِضهم** كلاهما واحد، وهو أن تميل عن كهفهم فتَدَعهم ذات اليمين؛ **وإذا غربت تقرضهم**، أي تدعهم ذات الشمال. وقوله **وهم في فجوة منه**، أي زائغة[4] من الكهف. قال أبو معاذ:[5] الزائغة قدر ما يصلح.

*وقوله عز وجل: **من يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**، قد ذكرنا في غير موضع.[6]*

**﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**، قال بعضهم: لأنهم كانوا مفتَّحة الأعين والأبصار كاليقظان. وقال بعضهم: **وتحسبهم أيقاظا**، لأنهم كانوا يتقببون[8] في رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا. وقال بعض أهل التأويل: إنما كان تقببهم ذات اليمين وذات الشمال ليُدْفَع عنهم أذى الأرض وضررها لئلا يَفسُدوا ولا يتلاشَوْا،

---

[1] ن + أي.
[2] انظر: *لسان العرب*، «زور».
[3] ن: يحتمى.
[4] ن: في زائغة.
[5] الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر. وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قصر). وسمى كاتب جلبي كتابه *كتاب القراءة*. انظر: *الثقات* لابن حبان، ٩/٥؛ و*تهذيب اللغة* للأزهري، ١/٢٢؛ و*كشف الظنون*، ٢/١٤٤٩.
[6] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/١٧٨؛ وسورة الإسراء، ١٧/٩٧.
* وقع ما بين النجمتين قبل القطعة الأخيرة فنقلناه إلى ما بعده.
[8] ر م: يتطرون.

وإن كان الله قادرا أن يدفع عنهم الأذى وضرر الأرض لا بتقليب من جانب إلى جانب، وإنه[1] كان مما يفعل هذا[2] من لا يملك دفع الأذى بما ذكرنا.[3] فأما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الأسباب التي بها يدفع، فغير محتمل[4] وقوعه[5] على التعليم منه إياهم أنْ كيف يُتقى الأذى وكيف يُدفَع الضرر؛ فإذا لم يكن بمشهد من الخلق فلا معنى له. وقال بعضهم: قوله: **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**. لأنهم كانوا في مكان الرِّيبة واللصوص مما لا يأوي إليه إلا هارب من[6] ريبة وشر أو قاصدُ ريبة وطالب عثرة ومكابرة، لم يكونوا في مكان يُنام[7] فيه ويرقد ولا يختار لنوم[8] مثله، فقال: **وتحسبهم أيقاظا وهم رُقود**، لما كانوا في مكان لا ينام فيه للخوف، كأنهم أيقاظ وهم رقود. *والله أعلم*. ولكن لا ندري[9] لأي معنى ذكر أنه يحسب الناظر إليهم كأنهم أيقاظ وهم رقود؛ وإذ لم يبين الله ذلك فلا نفسر.

وقوله[10] عز وجل: **ونُقَلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال**، هو ما ذكرنا. قد يتقلبون[11] في نومهم من جانب إلى جانب وذَكَرَ التقليب. وجائز أن يكون لما ذكر بعضهم من دفع أذى الأرض وضررها، أو ذكر فعله لما له في تقلبهم صنع وفعل. *والله أعلم*.

وقوله **ذاتَ اليمين وذات الشمال**، إذ[12] لا يفهم من ذات الشيء غير ذلك الشيء أو شيء[13] أخر سواه، لأنه ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير، فعنى ذلك في قولنا: عالم بذاته لا يفهم غير علمه.[14]

---

[1] ر ع م: وان. || وإنه: أي هذا التقليب.
[2] ر ع م - هذا.
[3] ن: بما ذكر.
[4] ن + منه ذلك إلا.
[5] ع - وقوعه؛ ر م: وقوله.
[6] ن: عن.
[7] م: يسلم.
[8] م + فيه.
[9] ن: يدرى.
[10] ن: قوله.
[11] ر ن م + وقوله قد يتقلبون.
[12] ن: أن.
[13] جميع النسخ: شيئا.
[14] جميع النسخ + أي عالم. || يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وقوله ﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾ يدل أنه لا يفهم من الذات المضاف إلى الشيء. ألا ترى أنه ذكر ذات اليمين والمراد نفس اليمين. فعنى ذلك في قولنا: عالم بذاته لا يفهم منه إلا العالم. وقول القائل: "عالم" يدل على العلم، فكذلك قولنا: "عالم بذاته" يفهم منه العلم أيضا» (شرح *التأويلات*، نسخة حميدية، ورقة ٤٦٤و-ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٥٢٩و).

وقوله عز وجل: **وكلبهم باسطٌ ذراعَيه بالوَصيد**، قال بعضهم:[1] الوصيد هو فناء الباب؛ وقال بعضهم: الوصيد هو عَتَبة الباب. قال القُتَبي: الوصيد الفناء، ويقال عتبة الباب. وهذا أعجب إليّ، لأنهم يقولون: أَوْصِد بابك، أي أغلِقه. ومها إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ،[2] أي معقة.[3] وأصله أن تُلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته. فإن كان الوصيد هو عتبةَ الباب ففيه أن الكلب [٤٤٨و] كان داخل باب الغار؛ وإن كان الفناءَ ففيه أنه كان خارج باب الغار. وفيه أيضا أبقى لكلب ثلثمائة سنة على ما أبقاهم، وإن لم يكن من جوهرهم، بلطفه.

وقوله عز وجل: **لو اطَّلَعْتَ عليهم لولَّيت منهم فرارا ولمُلِئْت منهم رُعبا**، قال بعض أهل التأويل: وذلك أن شعورهم قد طالت وأظفارهم قد امتدت وعظمت، فكانوا بحال يُرعب عنهم ويهاب. لكن هذا لا يحتمل، لأنهم قالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[4] فلو كانوا على الحال التي ذكروا من تطاول الشعور وامتداد الأظفار وتغير أحوالهم، لم يكونوا ليقولوا لبثنا يوما أو بعض يوم، إذ لو نظروا في أنفسهم من تغير الأحوال لعرفوا أنهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت. دل ذلك أن ذلك الخوف والهيبة لا لذلك. وقال بعضهم: لأنهم كانوا في مكان الرِّيبة فيما لا يُؤوَى إلى مثله إلا لخوف[5] ريبةٍ أو طلب ريبة، لا يأويه إلا هٰذين: هارب من شر أو طالب شر على آخر، على ما ذكرنا أن من أقام في مهاب ومكان مخوف يهاب منه ويُخاف. أو أن يكونوا بحيث يُهابون ويخاف منهم لئلا يدنو[6] منهم أحد ولا يقرب، فلا يوقظهم أحد ليبقوا إلى المدة التي أراد الله أن يبقَوا فيه. ولذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال. وجائز أن يكون قوله: **لو اطَّلَعْتَ عليهم لولَّيت منهم فرارا ولمُلِئْت منهم رُعبا**، ذلك الخوفَ وتلك الهيبة هيبة الدين، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرت بالرُّعب مسيرةَ شهرين»،[7] وذلك لدينه ولحقيقة أمره. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من هيبة أحوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم، وفارقوهم ليسلم دينهم إلى مكان لا طعام فيه ولا شراب. وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين، كان ذلك لمعنى لم يُطلع الله رسوله على ذلك فلا تُفَسَّر. ***والله أعلم***.

---

[1] ع – قال بعضهم.
[2] سورة الهمزة، ٨/١٠٤.
[3] ن ر: مطبقة. انتهي هنا الاقتباس من القتبي، انظر: تفسير غريب *القرآن* له، ٢٦٤.
[4] سورة الكهف، ١٩/١٨.
[5] ن: إلا الخوف؛ ر ع م: لا خوف.
[6] ر ع م: لئلا يدنوا.
[7] «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» (صحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

**﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **وكذلك بعثناهم**، أي كما أسأكم[١] من أنبائهم وقصصهم كذلك بعثهم، أو كما ضرب على آذانهم وأنامهم سنين كذلك يبعثهم. وقوله **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم**، بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل. وهكذا جميع ما يخلق وينشئ إنما يخلق وينشئ لما يعلم أنه يكون منهم، كقوله:[٢] وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا،[٣] الآية. ذرأهم لما علم أنه يكون منهم وهو عمل أهل جهنم. وكذلك قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[٤] من علم أنه يعبده ويعمل[٥] له عمل أهل الجنة خلقه لذلك. هكذا كل ما يخلق، إنما يخلق لما يعلم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أن يخلق لغير ما يعلم أنه يكون منه،[٦] إذ يخرج الفعل لذلك مخرج العجز والجهل[٧] بالعواقب. فإذا كان الله عالما بما كان ويكون وتعالى[٨] عن أن يكون فعله عبثا، لم يجز أن يخلق شيئا لغير ما علم أنه يكون. وهكذا في الشاهد، من عمل عملا أو فعل فعلا لغير ما علم أنه يكون فهو عابث أو جاهل بعواقبه. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**، قال بعضهم: تأويله ما ذكر [في قوله]:[٩] ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا.[١٠] وقوله[١١] عز وجل: **لبثنا يوما أو بعض يوم**، قالوا ذلك لما لم يروا في أنفسهم آثارا وأعلاما تدل على طول المكث والمُقام فيه.

---

[١] ر ع م: أنبانكم.
[٢] ر م: لقوله؛ ع: بقوله.
[٣] ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).
[٤] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[٥] ر ع م: ويعلم.
[٦] ر ع م – إذ لا يجوز أن يخلق لغير ما يعلم أنه يكون منه.
[٧] ع: أو الجهل.
[٨] ر ع م: ويتعالى.
[٩] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٦٤ظ.
[١٠] سورة الكهف، ١٢/١٨.
[١١] ن – و.

ثم لما تذكروا أحوالهم كما[1] يرى النائم في نومه من العجائب وأشياء كثيرة عرفوا أن ذلك القدر من الأشياء ومثل ذلك من العجائب التي رأوا لا يحتمل أن يكون في يوم أو بعض يوم؛ فعند ذلك وَكَلُوا الأمر إلى الله فقالوا: **ربكم أعلم بما لبثتم**. وأما الذي أماته مائة عام، لما بعثه قطع القول في ذلك ولم يكل الأمر إلى الله حيث قال: كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[2] لأنه كان ميتا، والميت لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه آثار تدل على ذلك، فقطع القول فيه ولم يكل الأمر إلى الله؛ وأما النائم فإنه يرى في نومه أشياء فيعرف[3] أنه لا يكون في وقت قصير، لذلك وكلوا الأمر إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فابعثوا أحدكم بوَرِقِكم هذه إلى المدينة**، فيه أنهم[4] لما فارقوا قومهم فارقوا[5] ومعهم زاد وهو الوَرِق، أمر بعضهم بعضا أن يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام. وفيه أنه أضاف الورق إليهم، ولا شك أنه كان له[6] فيه نصيب حيث قال:[7] **بورقكم هذه**، وفيه دلالة جواز المناهدة[8] في الأسفار وغيرها، إذ كان ذلك الورق بينهم. وفيه دلالة جواز الوكالة وأنها ليست بمُبْدَعَة ولكن كانت في القرون الماضية، وهي متوارثة.

وقوله عز وجل: **فلينظر أيها أزكى طعاما**، اختلف فيه، قال بعضهم: قوله: **أزكى طعاما**، أي أحل طعاما، لأن بعض أهل تلك المدينة كانوا[9] يذبحون[10] للأصنام وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها؛ فأمروا بأن[11] يأتيهم بحلال يحل لهم أكله والتناول منه. وقال بعضهم: **أزكى**، أرخص وأكثر؛ لأنهم كانوا في مكان لا يدرون متى يخرجون منه، فطلبوا الأكثر لشدة حاجتهم إليه،

---

[1] جميع النسخ: وما.

[2] ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم﴾ (البقرة، ٢/٢٥٩).

[3] ر م: فيعرفه.

[4] ع م: أنه.

[5] ر ع م - قومهم فارقوا.

[6] أي للقائل: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾.

[7] ع - حيث قال.

[8] التناهد: إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه. يقال: تناهدوا وناهدوا و ناهد بعضهم بعضا. والمُخْرَج يقال له: النِّهْد، بالكسر (*لسان العرب*، «نهد»).

[9] ر ع م - كانوا.

[10] ن: يربحون.

[11] ن: أن.

ويكفي لوقت مُقامهم ونحوه. وقال بعضهم: **أزكى طعاما**، أي أطيب وأجود، لأن الطيب أزيد للعقول وأصلح للأنفس وأنفع. ولذلك جعل الله أرزاق البشر ما هو أطيب وأنين، لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل لغيرهم من الدواب كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول يحتاج إلى ما [٤٤٨ط] يزيد لها فيها. وأصل الزكاء النماء والزيادة.

وقوله عز وجل: **وَلْيَتَلَطَّفْ ولا يُشعِرَنَّ بكم أحدا**، يحتمل قوله: **وليتلطف**، أي ليرفق بهم لئلا يَشعُرنّ أنه من أولئك الذين فارقوهم لدينهم، أو أمره بالتلطف أي بالسماحة والسهولة في الشراء لما جاء في الخبر: «رحم الله سَهْلَ البيع سَمْحَ الشراء.»[١] **ولا يُشعرنّ بكم أحدا**، أنه فلان ابن فلان[٢] وأنه من قومِ كذا فيعرفون أنه من أصحاب الكهف،[٣] أو لا يشعرن بمكانكم أحدا من الناس.[٤]

**﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم**، يحتمل يقتلوكم أو ما أرادوا به. **أو يعيدوكم في ملتهم**، أي في دينهم الكفر. وقوله عز وجل: **ولن تفلحوا إذا أبدا**، أي ما دمتم في ملتهم ودينهم هذا. كأنهم لم يعرفوا التقية وإلا لو أعطوهم بلسانهم ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد أفلحوا؛ أو عرفوا التقية إلا أنه لم يكن للقرون الماضية التقية ولم يؤذن لهم فيها؛ أو هي رخصة رُخِص لهم والأفضل أن لا يعطى ذلك ولا يظهر. ***والله أعلم***.

**﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **وكذلك أعثرنا عليهم**، اختلف في قوله: **وكذلك**، قال بعضهم: كما أخرج المبعوث بشراء الطعام من الكهف مع الوَرِق المتقدمِ ضربُها، فكان ذلك سبب إعلام أهل المدينة عن الفتية، **كذلك أعثرنا عليهم**، أي أطلعنا عليهم. وقال بعضهم: كما أعلم[٥] عن أنباء الفتية وأصحاب الكهف وقِصصهم من أولها إلى آخرها، **كذلك أعثرنا عليهم**، أي أطلعنا عليهم. ***والله أعلم***.

---

[١] سنن *الترمذي*، البيوع ٧٤. والعبارة فيه: «إن الله يحب سهل البيع سمح الشراء.»
[٢] جميع النسخ: فلان بن فلان.
[٣] ر ع م + أو لا يشعرن بمكان بكم أحدا.
[٤] ن - أو لا يشعرن بمكانكم أحدا من الناس.
[٥] ع: علم.

وجائز أن يكون قوله: **وكذلك أعثرنا عليهم**، أي كما ضرب عى آذانهم وأنامهم مدة مديدة **كذلك أعثرنا عليهم**[١] ليعلموا أن ما وعد لهم الرسل عن الله حق.

ثم اختلف في إطلاعهم عليهم، قال بعضهم: أطلع الله المَلِكَ الذي هربوا منه وأهل المدينة بعد ما أنامهم، لكن حيل بينهم وبين أولئك. وقال بعضهم: أطلعهم قبل أن يُنيمهم[٢] فحيل بينهم وبينهم فسدّوا باب الكهف فبقوا هنالك، ثم أنامهم بعد ذلك على[٣] ما ذكر، فهلك ذلك الملك وانقرض تلك القرون، ثم وُلِّيَ ملك آخر مسلم صالح ثم أَطلع ذلك الملكَ عليهم. وأمثال ذلك[٤] قد قالوا، فلا ندري[٥] كيف كانت القصة. وفي ظاهر الآية أنه أطلع عليهم بعد ما أنامهم وبعثهم وليس فيه بيان أنه من أطلع عليهم: الملك الأول أو الثاني أو القوم أو غيرَهم؟ ولا يجوز أن يقطع القول فيه[٦] أنه فلان، لأن هذه الأنباء ذكر في القرآن حجةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلو قطع القول على شيء أو زيد أو نقص عما كان في كتبهم خرجت من أن يكون حجة له.

وقوله عز وجل: **ليعلموا أن وعد الله حق**، يشبه أن يكون الرسل من قبلُ كانوا يخبرون قومهم أن نفرا يهربون من ملكهم إشفاقا على دينهم ويلتجئون[٧] إلى الكهف فينامون كذا كذا سنة ثم يُبعثون، فأكذبهم قومهم بما أخبروا[٨] من أنبائهم فقال:[٩] **أعثرنا عليهم ليعلموا أن** ما وعد الرسل وأخبروهم من نبإ[١٠] أصحاب الكهف حق.

والثاني يحتمل أن يكونوا ينكرون البعث والساعة، والرسلُ يخبرون أنهم يُبعثون، فأطلع على أولئك ليعلموا أن البعث والقيامة حق؛ لأن الأعجوبة في إبقاء أنفس[١١] أصحاب الكهف في نومهم ثلٰثمائة سنة[١٢] أو أكثر بلا غذاء يغتذون ولا طعام يطعمون ولا شيء يقوم به الأنفس

---

[١] ر ع م – وأنامهم مدة مديدة كذلك أعثرنا عليهم.
[٢] ر ع م: أن ينميهم.
[٣] ر ع م – على.
[٤] ن: هذا.
[٥] ن: فلا يدري.
[٦] ن ع: فيه القول.
[٧] ن: ويلتجئون.
[٨] جميع النسخ: بما أخبروا قومهم، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٥و.
[٩] ع: فقالوا.
[١٠] ع: أنباء.
[١١] ع: النفس.
[١٢] ر م – سنة.

إن لم تكن أكثر وأعظم من إحياء الموتى وجمع[1] العظام الناخرة البالية لا تكون دونه، لما لم يروا الأنفس تبقي أيما بلا غذاء،[2] فضلا أن تبقي سنين كثيرة ثلثمائة أو أكثر. فبُعث هؤلاء ليَعلم من أنكر البعث أن[3] مَن قدر على إبقاء الأنفس مدة مديدة طويلة بلا[4] غذاء تغتذي لَقادرٌ على إحياء الموتى وبعثهم بعد الموت. أو أن يكون ما ذكرنا بَدءً[5] أن الرسل السالفة كأنهم أخبروا قومهم عن قصة أصحاب الكهف فكذبوهم فأطلع الله نبأهم وخبرهم ليعلم أولئك أن الذي أخبرهم الرسل حق وصدق. ***والله أعلم***.

ثم إن هذه الأنباء والقِصص المتقدمة ذكرت في القرآن حجة لرسول الله ودلالة في إثبات رسالته. فلا يجوز أن يقطع القول في شيء لم يبين فيه و لم يوضح و لم يفسّر -لما يخاف فيه الكذب على الله- ولا الزيادة فيها والنقصان على ما ذكر فيه؛ لما لعلها تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم فلا يكون له فيها[6] حجة ولا دلالة.

فإن قيل: كيف علموا أن ما أخبرهم الرسل حق؟ إذ[7] كانوا لا ينكرون أن وعد الله حق، ولكن يظنون أن ما وعدهم الرسل ويخبرونهم إنما هو اختراع منهم لا وعد من الله وخبر عنه.

قيل: علموا أن ذلك حق بوجوه. أحدها ما رأوا من الدراهم التي كانت في يدي المبعوث بشراء الطعام من الضرب المتقدم؛ وإن كان يجوز أن يكون تلك الدراهم من كنزٍ أصاب ذلك الرجل لا من دراهم أصحاب الكهف. فإذا صدقوا ذلك الرجل فيما أخبر أنها من دراهم أصحاب الكهف[8] فتصديق الرسل أولى، وخبرُهم أحق أن يصدق.

والثاني: علموا لما رأوا أنه أنامهم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل ضرر وأذى وفساد وأبقاهم من غير طعام ولا شراب، على علم منهم أن الأنفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير، فضلا أن تبقى إلى مثل تلك المدة؛

---

[1] ع: وجميع.
[2] ن: بلا عداء.
[3] ر ع م - أن.
[4] خ: بلا.
[5] جميع النسخ: بديا.
[6] م - فيها.
[7] ن: إذا.
[8] ع + فإذا صدقوا ذلك الرجل فيما أخبر أنها من دراهم أصحاب الكهف.

فعلموا أن من قدر على حفظ ما ذكرنا وأبقاهم لَقادرٌ على البعث والإحياء ولا يَعجِز عن شيء[1] يريد كونه وأنه[2] فعّال لما يريد.

والثالث: علموا أن ذلك حق لما رأوا أنه أنامهم وقتا طويلا وحفظهم عن جميع الآفات

[٤٤٩و] ثم بعثهم وأحياهم، إنه لم يُنِمْهم ولم يبعثهم إلا لعاقبة تتأمل وحكمة تُقصَد؛ فعلى ذلك إحياء الخلق وإماتتهم ليس إلا لعاقبة تتأمل وحكمة تقصد. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إذ يتنازعون بينهم أمرهم**، لسنا ندري فيماذا تنازعوا في أمرهم فيما بينهم. وقوله عز وجل: **فقالوا ابْنُوا عليهم بُنيانا**، أو تنازعوا في السبب الذي به التجَؤُوا إلى الكهف. ويشبه أن يكون تنازعهم في البناء[3] الذي ذكر في المسجد وغيره. ويحتمل في مدة نومهم، ويحتمل[4] في عددهم ونحوه؛ ولكن لا تقطع[5] القول فيه، إذ وكل أمرَهم[6] إلى الله حيث قال: **ربهم أعلم بهم**.

وقوله عز وجل: **قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَتخذنّ عليهم مسجدا**، ثم قوله: **لَنَتخذنّ عليهم مسجدا**، يحتمل بناء المسجد عليهم إكراما لهم وإعظاما، ليذكروهم في ذلك المكان على قرب منهم، على ما ظهر عندهم من إكرام الله إياهم. أو يتخذون مسجدا لعبادة أنفسهم ليعبدوا الله على قرب منهم لينالوا من بركتهم ونحوه. ***والله أعلم***.

**﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**، قال بعضهم: كان عددهم سبعة والثامن الكلب، لأنه ذكر في الثلاث والخمس **رجما بالغيب**، أي قذفا بالغيب وظنا، وقيل: تَرْجَمَةً بالغيب، أي بلا علم؛ ولم يذكر في قوله: **سبعةٌ وثامنهم كلبهم**. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه.[7]

---

[1] ر: لا يعجزه عنه شيء؛ م: لا يعجزه عن شيء.
[2] م: فانه.
[3] ن: في النبأ.
[4] ر ع م - في مدة نومهم و يحتمل.
[5] ن: لا يقطع.
[6] ع: أمر.
[7] ن - رضي الله عنه.

وقل: «أنا من القيل الذين استثناهم الله؛[1] وكانوا سبعة والثامن الكلب».[2] لعل ابن عباس قال: أنا من القليل ظنا واستدلالا بالذي ذكر. أو كان سماعا من رسول الله ذلك. وقال الحسن وأبو بكر [الأصم][3] وغيرهما: إن الله تعالى قال: **قل ربي أعلم بعدتهم**، ثم استثنى قيلا من عباده. فلا نعلم[4] بأن أولئك القيل من الملائكة أو من البشر أو ممّن هم، فلا ندري من هم ولا كم عددهم.[5] وبه نقول نحن؛ وهو ما قال: **فلا تُمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا**. نهى رسوله أن يستفتي منهم أحدا لما يحتمل أن يكون ذلك غير مبيّن في كتبهم فلا يُطلع رسوله خوف التكذيب.[6]

ثم اختلف في وقتهم. قال بعضهم: كان فيما بين عيسى ومحمد. وقال بعضهم: كان ذلك[7] قبل بعث موسى، وهو قول الحسن وأبي بكر وهؤلاء. وهذا أشبه، لأنهم إنما سألوا عنهم أهل التوراة وهم اليهود، فلا يحتمل أن يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بالإنجيل.

وقول أهل التأويل: كان أساميهم كذا و عددهم كذا، فذلك لا يعلم إلا بخبر ثابت، وقد أخبر أنه أعلم بعدتهم وأنه لم يُطلع على ذلك إلا القليل. وليس بنا إلى معرفة أساميهم وعددهم حاجة،[8] ولو كانت لتولّى اللهُ بيان ذلك في الكتب.

وقال القُتَبي: **رجما بالغيب**، أي ظنا بالغيب،[9] أي يقولون بالظن. وقيل: قذفا بالغيب، على غير استيقان، وهما واحد.

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٥٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣/٧٨.

[3] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م) فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات في الأصول*، و*مناظرات مع العلّاف*. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٣/٥١٩.

[4] ن: فلا يعلم.

[5] لم أجد في *تفسير الحسن البصري* للدكتور محمد عبد الرحيم، و*تفسير الطبري*، و*تفسير ابن كثير*.

[6] «ولهذا لا نقطع القول فيما ذكر وسائر القصص ما لم يثبت بالتواتر ولو ذكر في القرآن، ما لعلها تخرج ما ذكر في كتبهم. وهذه القصص إنما ذكر في القرآن حجة لرسول الله ودلالة على إثبات رسالته فلا يجوز أن نقطع القول في شيء لم يثبت من الكتاب إلا ما ثبت عن الرسول بطريق التواتر، لما يخاف فيه الزيادة والنقصان على ما ذكر فيخرج من أن يكون حجة، بل ينقلب حجة عليه لما ادعوا أن ذلك خلاف ما في كتبهم» (شرح التأويلات، ورقة ٤٦٥ظ).

[7] ر ن م: ذلك كان.

[8] ر ع م - كان أساميهم كذا و عددهم كذا فذلك لا يعلم إلا بخبر ثابت و قد أخبر أنه أعلم بعدتهم و أنه لم يطلع على ذلك الا القليل و ليس بنا إلى معرفة أساميهم و عددهم حاجة.

[9] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٦ (يقول: أي ظنا غير يقين).

وقوله عز وجل: **فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا**، إلى قوله: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ،[1] يحتمل الخطاب بهذا كل الناس، ليس أحد أولى به من غيره؛ فيخرج ذلك مخرج التعميم لهم في ترك المراء مع الكفرة إلا مراء ظاهرا، وكذلك في ترك الاستفتاء، وكذلك عمّمهم وأدّبهم أن لا يَعِدوا عِدة إلا والثُّنيا بها ملحَقٌ.

ويحتمل أيضا أن يكون الخطاب به رسول الله، لكن ليس له أنه قد كان منه ما ذكر من المِراء والاستفتاء والوعد بغير ثُنيا، ولكن خاطب به رسول الله ليتأدب غيرُه من الناس بذلك الأدب. وهو كما[2] خاطبه[3] به بقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[4] ونحوه من الخطابات[5] التي خاطب بها؛ فخاطبه بها لا أن[6] كان منه ذلك أو كان فيه ما ذكر، ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم.

ثم اختلف في[7] قوله: **فلا تُمار فيهم إلا مراء ظاهرا**، قال بعضهم: ذلك في[8] أمر أصحاب الكهف، أي لا تمار فيهم ولا تستفت فيهم منهم إلا قدر ما كان[9] في كتبهم، فإنك لو مَارَيْتهم بما ليس في كتابهم كذبوك، ولكن قدر ما في كتبهم. هذا إذا[10] كان على المسألة [في أصحاب الكهف]،[11] فإن كان[12] في غير أمر أصحاب الكهف على ابتداء المُحاجّة والحِجاج فهو يحتمل وجهين. أحدهما أي **لا تمار فيهم إلا** بما هو أظهر و[بما][13] يعرفون ذلك ظاهرا، من نحو ما يعرفون أن الأصنام التي عبدوها لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون[14] أنها كذلك.

---

[1] سورة الكهف، ٢٤/١٨.
[2] جميع النسخ: ما خاطبه.
[3] ر ع م: ما خاطب.
[4] ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ١٤/٦).
[5] ر ع م: من الخطاب.
[6] ر ع م: إلا أن.
[7] ن - في.
[8] ع - في.
[9] ر م: إلا قدر مكان.
[10] ر ع م: إذ.
[11] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٦٥ظ.
[12] ر ن م + على غير المسألة؛ ع - فإن كان.
[13] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٦٥ظ.
[14] ر ن م: ما.

والثاني لا تحاجهم بلطائف الحكمة ودقائقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الآية لا بما يلطف ويدق، على ما يحاجهم الأنبياءُ بآيات حسيات.

وفي قوله: **ولا تستفت فيهم منهم أحدا**، دلالة أن لا يسع النظر في كتاب الفلاسفة إلا على جهة العَرْض،[1] لما فيها على كتاب الله، فيؤخذ بما يوافقه ويترك الباقي.

**﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[٢٣] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **ولا تقولَنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، لو كان فهم[2] الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله: **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، نهي عن العِدَة بالثُّنيا، فإذ لم يفهم هذا ولكن فهموا: لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقولوا[3] "إن شاء الله"، على إضمار القول، دل أن الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل. ثم نهى أن يعد[4] عدة ولا يستثني فيها. وقاس بعض الناس الأيمان على العدات،[5] فيقول: إذا حلف[6] فإنه يلزمه أن يستثني فيها. وذلك فاسد، لأن الأيمان تخرج[7] على تعظيم الرب وإجلاله، فلا يجوز أن يؤمر بالثنيا فيها، لأن الثنيا نقض ذلك التعظيم. / وكذلك ما روي: «إذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحفوا[8] بآبائكم ولا بالطواغيت».[9] نهي عن الحلف[10] بغير الله لما في الحِلف[11] به تعظيمٌ لذلك الشيء. وأما[12] العدة فإنما هي إضافة الفعل إلى نفسه وهو لا يملك حقيقته،[13] [٤٤٩ط]

---

[1] ن: المعرض.
[2] ر ع م: فيهم.
[3] ن: إلا أن تقول.
[4] ر ع م - يعد.
[5] ع: في العدات.
[6] ع: حلف.
[7] ر ع م: يحرج.
[8] ع: إذ حنفتم فحلفو بالله ولا تحنفوا.
[9] لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن هناك حديثان في نفس المعنى: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» (سنن الترمذي، النذور ٩؛ وسنن النسائي، الأيمان ٤)؛ «ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله» (صحيح البخاري، مناقب الأنصار ٢٦، التوحيد ١٣؛ وسنن الترمذي، النذور ٩).
[10] ع: لحلف.
[11] ع: في لحلف؛ ن: في ما يحنف.
[12] ن: فإنما.
[13] جميع النسخ: حقيقة، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٥ط.

لذلك أمر أن يُلحق الثنيا فيه لئلا يلحقه الخُلف في الوعد إذا لم يفعل ما وعد. وعلى ذلك ذكر عن الأنبياء أنهم إذا وعدوا استثنوا فيه؛ كقول موسى: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا،[1] الآية. ثم إذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر، ولو كان خَلْفًا[2] لعاتبه[3] كما عاتب صاحبُ موسى حيث قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[4] وقد ظهر من الأنبياء والرسل الأيمان والقسم ثم لم يذكر عن أحد منهم الثنيا في ذلك، دل أن الثنيا في العِدَات[5] لازم و في الأيمان لا.

وفي قوله: **ولا تقولَنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، دلالة أن لا يكونُ شيء إلا بمشيئة الله، حيث ندبه إلى الثُّنيا، ثم إذا خرج على غير ما وعد لم يلحقه الخلف في الوعد؛ دل أنه قد شاء ذلك وأنه إذا لم يشأ شيئا لم يكن؛ لأنه لو كان شيئا لم يشأ هو[6] أو شاء شيئا فلم يكن لم يكن[7] لقوله: **إلا أن يشاء الله** معنى. إذ[8] كان ما لم يشأ هو[9] و لم يكن ما هو شاء دل أنه إن شاء هو[10] كان وما لم يشأ لم يكن. وفيه أنه قد شاء ما ليس بطاعة؛ إذ معلوم أن رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت عداته أبدا بما هو طاعة لله، وقد شاء الله كل طاعة وأرادها وإن لم يقل و لم يُذكر، لقولهم: إن الله قد شاء[11] كل طاعة وخير من العبد، فلو لم يشأ ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم أنه قد شاء ذلك، فدل ثنياه على أنه قد يشاء ما ليس بطاعة إذا علم أنه يختار ذلك؛ وذلك [دليل] على المعتزلة.

فإن قيل: إنما أمر بالثنيا في العِدَة لما لعله سيموت قبل أن يفعل ما وعد أو يذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد.

---

[1] ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾ (سورة الكهف، ٦٩/١٨).
[2] جميع النسخ: خلف.
[3] ر ع م: لعاقبه.
[4] سورة الكهف، ٦٧/١٨، ٧٢، ٧٥.
[5] ع: العذاب.
[6] أي لو وُجد شيء لم يشأه الله تعالى.
[7] ع - لم يكن.
[8] جميع النسخ: إذا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦و.
[9] أي العبد.
[10] أي الله تعالى.
[11] ر ع م - ما ليس بطاعة إذ معلوم أن رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت عداته أبدا بما هو طاعة لله وقد شاء الله كل طاعة وأرادها وإن لم يقل ولم يذكر لقولهم إن الله قد شاء (والعبارة موجودة في *الشرح*، ورقة ٤٦٦و).

قيل: إن الأوهام لا ترجع إلى ذلك، بل الإمكان مشروط فيه وإن لم يذكر، نحو ما لا يؤمر الإنسان بالطيران لعدم الإمكان، وكذلك جميع من يؤمر وينهى إنما يؤمر وينهى إذا كان الإمكان[1] فيه موجود فهو كالمشروط وإن لم يذكر، فعلى ذلك في العِدات والأيمان وغيرهما.[2]

وجائز أن يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي، وهو الأشبه؛ لما لا يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد عدة ولا يذكر الثنيا لما يعرف[3] أن لا يكون شيء إلا بمشية الله[4] وإرادته. وأما غير النبي فجائز أن لا يعرف ذلك. لذلك كان غيره أولى به، يخرج ذلك[5] منه على التعريف لهم والعلم.

وقوله عز وجل: **واذكر ربك إذا نسيت**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: **واذكر ربك إذا نسيت**، أي إذا ذكرته بعد ما نسيت فاذكره، كقوله:[6] وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[7] فعلى ذلك هذا.

والثاني **واذكر ربك إذا نسيت**، أي الثنيا في آخر الكلام إذا نسيت في أوله[8] أعني الثنيا؛ إذ المستحب أن يستثني في أول كلامه على التبرك، كقوله: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ.[9] استثنوا أولا ثم وعدوا، فهو المستحب. فكأنه قال: **واذكر ربك**[10] في آخر كلامك[11] **إذا نسيت** في أوله، وهو الثنيا. وهذا يرد[12] على أصحاب الظاهر؛ لأن ظاهر الكتاب[13] أن يخاطبهم بذكره إذا نسوا، ولا يجوز أن يخاطب أحدا في حال نسيانه. فإذ لم يفهم من هذا هذا دل أنه لا يفهم على ما خرج ظاهره، ولكن على ما يصح ويوجب الحكمة. **والله أعلم**.

---

[1] ر ع م - وكذلك جميع من يؤمر وينهى إنما يؤمر وينهى إذا كان الإمكان.
[2] ر ن م: غيرها.
[3] ر ع م: لم لا يعرف.
[4] ن: مشية الله.
[5] ر ع م - ذلك.
[6] ن: كقولك.
[7] ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٦٨).
[8] ر ع م: وله.
[9] ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٠).
[10] جميع النسخ + الثنيا.
[11] ع: في اخر آخر.
[12] ع: يراد.
[13] ن: الخطاب.

وقوله عز وجل: **وقل عسى أن يهدين ربي لِأقرب من هذا رشدا**، قال بعضهم: **وقل[1] عسى أن يهدين ربي**[2] لآية[3] هي أوضح على دلالة رسالتي وآخذُ مما تسألوني من أمر أصحاب الكهف؛ لأنهم كانوا[4] يسألون عن خبرهم وأمرهم[5] فيستدلون[6] على رسالته وصدقه. فيقول:[7] قد هداني ربي الآية على دلالة رسالتي أوضحَ مما تسألوني وآخذَ للقلوب، إذ كانت له آيات[8] حسيات على رسالته.

وقال الحسن: قوله: **قل عسى**، و"عسى" من الله واجب،[9] أي قد هداني ربي الرشد والصواب. وأما غيره من أهل التأويل يقولون: إنه وعد لأولئك أن يخبرهم غدا عما سألوه[10] وقال: عسى أن يرشدني ربي لأسرع من هذا الميعاد[11] الذي وَعدتُ. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين**، قال بعضهم: هو صلة قول أولئك الذين قالوا: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ،[12] الآية، مع قوله: إنهم لبثوا في كهفهم ما ذكر، فأمره أن يقول لهم: اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا،[13] الآية. وقال بعضهم: هو قول الله أخبر أنهم لبثوا ما ذكر من المدة.

---

[1] جميع النسخ: أن قل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦و.
[2] ن + يعني.
[3] ر ع م: الآية.
[4] ر ع م: قالوا.
[5] ر ع م - وأمرهم.
[6] ن: ليستدلوا.
[7] ر ع م - ويقول.
[8] ع - آيات.
[9] لم أجده عن الحسن ولكن السيوطي يسند قاعدة "عسى من الله واجب" إلى ابن عباس وإلى مجاهد. يقول: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: كل شيء من القرآن عسى فهو واجب، إلا حرفين: حرف التحريم ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ (سورة التحريم، ٥/٦٦) وفي بني إسرائيل ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ (الإسراء، ٨/١٧). وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: عسى على نحوين: أحدهما في أمر واجب قوله ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ (سورة القصص، ٦٧/٢٨) وأما الآخر فهو أمر ليس واجب كله قال الله ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ ليس كل ما يكره المؤمن من شيء هو خير له، وليس كل ما أحب هو شر له (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٧/١).
[10] ر ع م: عما يسألوه.
[11] ر م: المعاد.
[12] سورة الكهف، ٢٢/١٨.
[13] من الآية التالية.

**وازدادوا تسعا.** قال بعضهم: تسعَ سنين. لكن ليس فيه بيان أنه أراد تسع سنين أو تسعة أشهر أو تسعةَ أيام، فلا ندري[1] أراد بذلك[2] ذا أو ذا. فالأمر فيه إلى الله على ما أمر رسوله أن يقول لهم: اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

فإن قيل في قوله: **ثلٰثمائة سنين**: هلا[3] قال ثلٰثمائةِ سنةٍ كما يقال ثلٰثمائةِ رجلٍ وثلٰثمائة درهم ونحوه؟ قال بعض أهل الأدب: إنه[4] لم يضف ثلٰثمائة إلى سنين ولكنه أراد تمام الكلام لقوله **ثلٰثمائة**، لذلك نوّن فيها. ثم أخبر ما تلك الثلٰثمائة فقال: **سنين** على القطع من أول الكلام.[5] *والله أعلم*.

**﴿قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **قل الله أعلم بما لبثوا**، هو ما ذكرنا أنه جعل علم مدة لبثهم في كهفهم إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **له غيب السماوات والأرض**، يحتمل هذا وجوها ثلاثة. أحدها له علم ما غاب من[6] أهل السماوات وأهل الأرض، كقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.[7]

والثاني له علم ما غَيَّب وأسرَّ أهلُ السماوات والأرض بعضُهم من بعض.

والثالث له علم غيب ما شاهَد[8] أهل السماوات وأهل الأرض، لأن فيما شاهدوا من الأشياء [٤٥٠و] وعاينوها غيبا وسرية لم يعلموه، من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا أنها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذي به صلاح الأشياء ومنافعها، وكذلك القمر. وإنما شاهدوا هذه الأشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذي به صارت نافعة للأشياء ومصلحتها. وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذي به يسمعون ويُبصرون ويَفهمون. فيقول: له علم ما غاب عنكم من هذه الأشياء التي شاهدتموها. *والله أعلم*.

---

[1] ن: فلا يدري.
[2] ن - بذلك.
[3] جميع النسخ: إلا، والصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٦و.
[4] ن: لأنه.
[5] ر ح م: القطع.
[6] ن ع: عن.
[7] سورة الأنعام، ٧٣/٦؛ وسورة الحشر، ٢٢/٥٩.
[8] ن: ما شاء؛ م: شاهد.

وقوله عز وجل: **أَبْصِرْ به وأَسْمِعْ**، هذا كلام يتكلم [به] على النهاية والغاية والإبلاغ من الوصف، ويقال: أَكْرِمْ به من فلان، إذا كان بلغ الكرمُ به غايته. وكذلك يقال: أحسِنْ به من فلان، إذا بلغ[1] في الحسن غايته، ونحوه. فمعنى ذلك قوله: **أَبْصِرْ به وأَسْمِعْ**، هو وصف له على الإبلاغ في العلم[2] أنه يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوا. **أَبْصِرْ به** من الأفعال التي يفعلونه،[3] **وأَسْمِعْ** به من الأقوال التي يتفوّهون. أي يعلم ما غاب عنهم مما لم يفعلوا ولم يقولوا، فالذي قالوه وفعلوه أحق أن يعلم. يحذرهم[4] عز وجل عن أفعالهم وأقوالهم. *والله الموفق*.

قوله: **ما لهم من دونه من ولي**، يحتمل ما لهم من دون الله إلها وربا، ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى هدايتهم وتوفيقهم، أو ما لهم من دونه من يتولى النصر لهم والمعونة، أو يتولى رفع نقمة الله عنهم وعذابه. *والله أعلم*.[5]

وقوله عز وجل: **ولا يُشرك في حكمه أحدا**، يحتمل لا يشرك في ألوهيته وربوبيته أحدا. ويحتمل **ولا يشرك في حكمه**، أي الحكمُ له ليس لأحد دونه حكم، إنما عليهم ضبط حكم الله فيما يحكمون. أو لا يشرك في تقديره وتدبيره الذي يدبر في خلقه أحدا. ويحتمل ولا يشرك[6] في قسمته التي يقسم بين الخلق أحدا. أولا يشرك[7] في حكمه، أي فيما جاءت به الرسل ودعت الخلق إليه.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك**، يحتمل **كتاب ربك**، اللوح المحفوظ، أي بلّغ ما أوحي إليك من اللوح الذي عند الله من مَتْلُوٍّ وغير متلو،[8] كقوله: **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**.[9] وهو جميع ما أنزل إليه من المتلو وغير المتلو. ويحتمل **من كتاب ربك**،

---

[1] ن: إذا كان بلغ.

[2] جميع النسخ: هو وصف له على النهاية كما يقال ما أعلمه و ما أبصره وما أكرمه وما أحسنه في العلم، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٦ظ.

[3] ن: يفعلون

[4] م: يحذر

[5] ر ع م – قوله ما لهم من دونه من ولي يحتمل ما لهم من دون الله إلها وربا ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى هدايتهم وتوفيقهم أو ما لهم من دونه من يتولى النصر لهم والمعونة أو يتولى رفع نقمة الله عنهم وعذابه والله أعلم.

[6] ن: أحدا أولا يشرك.

[7] ر م: ولا يشرك.

[8] ر ع م – وغير متلو.

[9] ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٧).

الكتاب الذي أنزل عليه وهو القرآن. أي اتل عليهم ذلك الكتاب. فإن كان هذا ففيه أن القرآن مما يتقرب بتلاوته.[١]

ثم في قوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وقوله: **واتل ما أوحي إليك** فريضةٌ ضيّعناها. وذلك أنه أمر رسوله بتبليغ رسالته وما أنزل إليه. ثم معلوم أن من كان في أقصى الدنيا وأبعد أطرافها لم يقدر رسولُه أن يتولى التبليغ بنفسه، وكذلك بعد وفاته لا يجوز أن يؤمر هو[٢] أن يتولى بتبليغه. فكان ذلك القيام يلزم المسلمين وأئمتهم بتبليغه فضيعوا ذلك. ولهذا ما رُخص -والله أعلم- بدخول المسلمين دار الحرب لتجارة ودخول أولئك دار الإسلام لتجارة أيضا؛ لينتهي إليهم خبر هذا الدين حيث علم أنه يكون أئمة في آخر الزمان[٣] لا يهتمون لدينه ولا يتولون بتبليغ ما أُمروا بتبليغه ويضيّعون أمره فتلزمهم[٤] حجة الله، وإلا ما الحاجة في تلك التجارة والأموال[٥] التي يَتَّجِرون فيها، ولكن ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لا مبدّل لكلماته**، قال بعضهم: لا مبدل لسنته، إذ سنته في المكذبين الإهلاك وفي المصدقين النجاة، هذا سنته وإن أمكن تعجيلها وتأخيرها. فأما نفس سنته فهي لا تُبدَّل ولا تُحوَّل، كقوله: وَلَنْ[٦] تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً و تَحْوِيلاً.[٧]

وقال الحسن[٨] في قوله: **لا مُبَدِّل لكلماته**: ما وعد وأوعد لهم في الدنيا، فذلك في الآخرة لا يُبدل ولا يُحوّل، إذ وعد للمؤمنين الجنة[٩] وللكافرين العذاب فذلك لا يبدل.[١٠] وقال بعضهم: **لا مبدِّل لكلماته**، وهي القرآن لا يبدل[١١] ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص، كقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.[١٢]

---

[١] ن: به بتلاوته.
[٢] ر م - أن يؤمر هو.
[٣] م: في الزمان.
[٤] ر ع م: فيلزموهم.
[٥] ن: والأحوال.
[٦] ر ع م: ولا؛ واللفظ لآية فمن.
[٧] ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٣).
[٨] ن: حسين.
[٩] ر م: النجاة.
[١٠] لم أجد في تفسير الحسن البصري للدكتور محمد عبد الرحيم، وتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير.
[١١] ر ع م: لا يتبدل.
[١٢] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢)

وقال بعضهم: **لا مبدِّل لكلماته**، لحججه وبراهينه التي جعل لدينه وأقام له ذلك يلزم للإسلام[1] ودينه إلا من قصر عليه في العبارة أو كان المُقَامُ عليه الحجةُ معاندا مكابرا. وأما من لم يكن فيه[2] هذان المعنيان يُسلم لا محالة.[3] *والله أعلم*.

[٤٥٠ظ س٤] * وقالوا[4] في قوله: **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته**: نزل في أصحاب الكهف؛ يقول: وأخبِرهم ما سألوك عما[5] أوحينا إليك من أخبار أصحاب الكهف ولا تزد[6] عليه ولا تنقص.[7] فإن كان في أمرهم نزل هذا فرسول الله كان لا يخبرهم إلا ما أوحي إليه

[٤٥٠ظ س٧] وأنزل عليه من أمرهم، والوجه فيه ما ذكر.[8] *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **ولن تجد من دونه مُلْتَحَدا**، هذا الخطاب وإن كان في الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه لغيره[10] على ما ذكرنا في غير آي من القرآن. وقوله: **ملتحدا**، قال بعضهم: مُدَّخلا؛ ولذلك سمي اللحد لحدا لما يُدخل فيه. وقال بعضهم: ملجأً. *والله أعلم*.

**﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٢٨]**

وقوله: **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشي مع الذين يدعون ربهم؛ فيكون فيه الأمرُ بالجلوس لهم بالغدوات والعشيّات للتذكير وتعليم العلم، على ما تعارف الناس الجلوس للناس لذلك في هذين الوقتين. إذ ذلك الوقتان خاليان عن الأشغال التي تَشغلهم عن ذلك. أو أن يكون[11] الغداة والعشي لما لم يجعل عليهم

---

[1] ر ع م: الإسلام.
[2] ر ع م - فيه.
[3] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: لا مبدل لكلمته. لحججه وبراهينه التي جعلها لدينه ومن قام بها على كافر جاهل فإنه يظهر الحق له إلا لقصور في العبارة عنه أو كان المقام عليه الحجة مكابرا معاندا. فأما بدون هذين معنيين يظهر الحق للسامع حتى يسلم لا محالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦٦ ظ).
[4] ع: وقال. أي أهل التأويل.
[5] ر ن ع: مما؛ م: ما.
[6] ر ع م: ولا يزيد.
[7] ع: ولا ينقص.
[8] ن: ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٠ظ/سطر٤-٧.
[10] ر ع م - لغيره.
[11] ر ع م: أو أن يكون

بعد صلاة الغداة صلاة وكذلك بعد العصر، للذكر الذي ذكرنا وتعليم ما يحتاجونه في ليلهم ونهارهم. أو أن يكون ذلك كناية عن صلاة الفجر والعصر لما جاء لهما من فضلٍ وعيدٍ لم يجئ في غيرهما من الصلوات،[١] نحو ما ذكر وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا؛[٢] وما روي في العصر من الوعيد: «من فاته العصر فكأنما وُتِرَ أهله ومالَه.»[٣] ونحوه.[٤] أمر بصبر نفسه [٤٥٠ط]
على حفظ هذين لما ذكرنا مع من[٥] ذكر.[٦] أو أن يكون لا على إرادة غداة أو عشي ولكن بالكون مع أتباعه في كل وقت والصبر معهم.

وقال أهل التأويل: ذكر هذا لأن[٧] رؤساء كفار مكة سألوه أن يَطْرد أتباعه من[٨] عنده ويتخذ هم مجلسا، فنزل قوله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[٩] الآية، وقوله عز وجل: **واصبر نفسك**، الآية.*

وقوله عز وجل: **ولا تَعْدُ عيناك عنهم**، قيل لا تعدَّ عنهم إلى غيرهم. وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم ولا تجاوزهم[١١] إلى غيرهم، **تريد زينة الحياة الدنيا**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما إن كان على تأويل أهل التأويل أنهم سألوه أن يتخذ لهم[١٢] مجلسا دون أولئك فيكون تأويل قوله: **تريد زينة الحياة الدنيا**، أي تريد أولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حِدَة يريدون بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله.

---

[١] ع: من الصلاة.

[٢] ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ (سورة الإسراء، ٧٨/١٧).

[٣] سنن الدارمي، الصلاة ٢١؛ وسنن النسائي، الصلاة ١٧. وفي رواية: «الذي تفوته العصر فكأنما...» انظر: صحيح البخاري، المواقيت ١٤؛ وصحيح مسلم، المساجد ٢٠٠؛ وسنن الترمذي، المواقيت ١٤. وَتَرَ حقَّه: نقصه إياه... وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»، أي نقص أهله وماله وبقي فرد (لسان العرب، «وتر»). و فيه شرح آخر.

[٤] ر ع م: ونحو.

[٥] ع: مع ما.

[٦] أي مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى آخره.

[٧] ع: لا.

[٨] ن: ومن.

[٩] سورة الأنعام، ٥٢/٦.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٠ظ/سطر ٤-٧.

[١١] ر ع م: تجوزهم.

[١٢] ع – لهم.

والثاني لو فعلت ما سألوك كان فعل ذلك فعل[1] من يريد زينة الحياة الدنيا، لأن المجلس الذي يحضره الأشراف والرؤساء إنما يراد به زينة الحياة[2] الدنيا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، تأويل الآية على قولنا ظاهر؛ نحن نقول على ما نطق ظاهر الآية: **من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي من خلقنا ظلمة الكفر بكفرهم في قلوبهم، أو خذلناهم بكفرهم الذي فعلوا. وأما المعتزلة فإنهم قد تحيروا فيه وتاهوا وأكثروا التأويلات فيها حتى إن منهم من صرف القراءة عن وجهها فقال: **ولا تطع من أغفَلَنا**، بنصب اللام **وقلبُه** برفع الباء. معناه أن من أغفل قلبُه عن ذكرنا –على قول المعتزلة– على صرف الفعل إلى القلب. وكذلك قالوا في قوله: مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ،[3] ليصح على مذهبهم ويستقيم. ومنهم من قال: **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي لا تطع[4] من وجدنا قلبه غافلا. وقال: ذلك مستقيم في اللغة، يقال: قاتلناهم فما أجْبَنّاهم،[5] أي ما وجدناهم جبناء. ويقال: فسألناهم فما أبخلناهم، أي ما وجدناهم بخلاء، ونحوه من الكلام.[6] وهو تأويل الجُبّائي[7] فيما أظن.[8]

وقال بعضهم: **ولا تطع من أغفلنا قلبه**، أي من خَلَّيْنا بينه وبين من يفعل، وهو كما يقال لمن خَلَّى عبده حتى أفسد كثيرا من الناس يقال له:[9] سلَّطتَ عبدك على الناس، وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين ما فعل أضيف ذلك إليه.

---

[1] ر ع م – فعل.

[2] ن ع – الحياة.

[3] سورة الفلق، ٢/١١٣. قرئ ﴿من شر﴾ بالتنوين و﴿ما﴾ نافيةً للاحتراز عن إسناد الشر إلى الله تعالى وفقا لقاعدة الصلاح والأصلح. انظر: *الانتصاف لما تضمنه الكشاف من الاعتزال* لابن المنير، ٣٠٠/٤.

[4] ن: ولا تطع.

[5] ر ع م: فما أوجبناهم.

[6] وقيل: معنى ﴿أغفلنا قلبه﴾ وجدناه غافلا؛ كما تقول: لقيت فلانا فأحمدته، أي وجدته محمودا. وقال عمرو بن معد يكرب لبني الحارث بن كعب: "والله لقد سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فما أجبناكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم"؛ أي ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مفحمين (*تفسير القرطبي*، ٣٩٢/١٠؛ وانظر أيضا: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٩٩/٢١).

[7] أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، رد عليه الأشعري (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢٥٦/٦).

[8] قارن: *الكشاف* للزمخشري، ٢٠٥/٣؛ ونصر التأويل الآية على مذهب المعتزلة وأجوبة القفال عنها: *مفاتيح الغيب* للرازي، ١٠٠/٢١.

[9] ر ع م – له.

فعلى ذلك قوله: **أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي خَلَّينا بينهم وبين ما فعلوا و لم نمنعهم. وهو تأويل جعفر بن حرب.[١]

وقال بعضهم: أضاف ذلك إلى نفسه[٢] للأسباب التي أعطاهم من السعة والغناء والشرف في الدنيا، فتلك الأسباب التي أعطاهم هي التي حملتهم على ذلك؛ فأضيف إليه ذلك لذلك. وهو ما قال: وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا.[٣] وهو تأويل أبي بكر الأصم.

وقال الحسن: **أغفلنا قلبه**، أي خذلناهم وطبعنا على قلوبهم. وهو يقول: إن للكفر حدا إذا بلغ ذلك الحد[٤] يخذله ويطبع على قلبه فلا يؤمن أبدا.[٥] فيقال: خذله في أول حال الكفر أو بعد ذلك بأوقات وزمان؟ فإن قال: في أول[٦] حال كفره فهو قولنا؛ وإن قال: لا في أول حاله[٧] ولكن بعد زمان فهو كافر موفَّق ومؤمن مخذول على قوله. فنعوذ بالله مما قالوا.

ثم الجواب للأول ما ذكرنا من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره؛ فلو جاز لهم ذلك جاز[٨] لغيرهم صرف جميع الآيات عن ظاهر التنزيل، وذلك بعيد محال. وأما تأويل الجبائي، أي وجدناهم كذا، فإنما يسوغ له هذا إذا كان جميع حروف أَفْعَلَ يخرج على ما يقوله في اللغة. فأما أن يقال في بعض ولا يقال في بعض[٩] فإن ذلك غير مستقيم. وبعد، فإنه لو كان كما ذكر لكان يقول: ولا تطع من أغفلته عن ذكرنا إن وجدته غافلا؛[١٠] لأنه نهي عن أن يطيع من وجده غافلا، فهو لا يعلم من وجده الله غافلا إنما يعلم من وجدهم بنفسه غافلا. فأما إذا كان ما ذكرنا لم يكن للنهي عما ذكر معنى. فدل أن تأويله فاسد وخيال وإن أضافته إليه لمعنى يكون من الله.

---

[١] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).

[٢] أي أضاف الله تعالى الإغفال إلى ذاته عز وجل.

[٣] سورة الزخرف، ٣٢/٤٣.

[٤] ن: الحد به.

[٥] سبق في تفسير قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ (سورة البقرة، ٧/٢).

[٦] ع: أوله

[٧] ن: وإن قال في أول حاله.

[٨] ر ع م - جاز.

[٩] ر ع م - ولا يقال في بعض.

[١٠] ر ن ع + عن ذكرنا.

وأما جواب تأويل جعفر بن حرب أنه على التخية والتسليط فهو إنما يقال من يقال: سلّطت عبدك على كذا، على الذم لا على المدح. فلا يجوز أن يقال ذلك في الله على الذم ويضاف إليه[1] ذلك.

وكذلك يقال لأبي بكر حيث قال: إنما أضاف ذلك إليه للأسباب التي ذكر أنه أعطاهم. يقال له ذلك ويضاف على الذم: إنك أعطيت كذا حتى فعل كذا، فأما أن يقال على المدح فلا يبطل قوله وتأويله. فدل إضافة ذلك إلى نفسه أنه كان منه في ذلك معنى يستقيم إضافته إليه، وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة في قلوبهم بكفرهم الذي اختاروا وخذلانه إياهم لما اختاروا وآثروا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان أمره فُرُطا**، قال بعضهم: **فرطا** أي ضَيَاعا وهلاكا. وقال بعضهم:

[٤٥١و] **فرطا**، أي خسرانا وخسارا. / وقال أبو عَوْسَجة: هو من التفريط. وقال غيره: أفرط في القول ليس كما قال: "إنا رءوس[2] مُضر إن نُسلم يُسلم الناس بعدنا" على ما ذكر في بعض القصة.[3] وقال أبو عبيدة: **فرطا**، أي نَدَما.

**﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقل الحق من ربكم**، كأنه على الإضمار، أي قل: قد جئتكم بالحق من ربكم. أو يقول: قل لهم: قد تعلمون أني قد جئتكم بالحق من ربكم، وهو الآيات والحجج التي أقامها على رسالتي، أي[4] قد تعلمون[5] أني قد جئتكم من الآيات والحجج على ما أدعوكم إليه ما لا يحتمل بِنْيَتي[6] ويخرج عن وسعي وطاقتي.

وقوله عز وجل: **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**، ثم يحتمل هذا وجوها. أحدها من شاء فيؤمن ومن شاء فليكفر فإنه إنما يعمل لنفسه ليس يعمل لأحد سواه، كقوله:

---

[1] ر ع م + أيضا.
[2] ر ع م + من.
[3] وكان القوم قالوا: "نحن أشراف مضر إن أسلمنا أسلم الناس"؛ وكان هذا من التكبر والإفراط في القول (تفسير القرطبي، ٣٩٢/١٠).
[4] ن - قد تعلمون أني قد جئتكم بالحق من ربكم وهو الايات و الحجج التي أقامها على رسالتي أي.
[5] ع: تعلمون.
[6] ر ع م: بنيتي. البنية الفطرة (لسان العرب، «بني»).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[١] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ،[٢] الآية. فعلى ذلك يقول. **والله أعلم.**

والثاني يقول: إني بلّغت الرسالة إليكم، فلا أُكرهكم أنا على الإسلام ولا أحدٌ سواي. فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإنه إنما يؤمن باختياره ومشيئته ومن كفر فإنما يكفر باختياره ومشيئته لا يُكرَه على ذلك.

والثالث أن الإيمان والكفر قد بين الله العواقب لهما:[٣] ما عاقبة مَن اختار الإيمان وما عاقبة من اختار الكفر،[٤] وهو ما قال: **إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها**، إلى آخر ما ذكر. وقال للمؤمنين:[٥] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ، الآية.[٦] يقول:[٧] قد بين لكل واحد منهما عاقبة، فمن شاء اكتسب لنفسه في العاقبة الجنة وما فيها[٨] من النعيم، ومن شاء اكتسب ما ذكر في العاقبة من النار وأنواع العذاب. فذلك كله يخرج على الوعيد.

وقوله عز وجل: **إنا أعتدنا للظالمين**، وقت دخولهم النار **نارا**، وهو في الآخرة.

وقوله عز وجل: **أحاط بهم سُرادقها**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على إرادة حقيقة السرادق. والثاني على التمثيل، أي يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها -على ما يمنع السرادق من الخروج في الدنيا- ودفع الحر والبرد. فإن كان على حقيقة السرادق فهو -والله أعلم- على ما جعل الله لهم من أنواع ما كانوا يتفاخرون في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار، وهو ما ذكر: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ،[٩] وما قال: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ.[١٠] والشراب ما ذكر من الصديد[١١]

---

[١] سورة فصلت، ٤١/٤٦.

[٢] ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧).

[٣] ر ع م: لهما العواقب.

[٤] ر ع م: ما عاقبة من اختيار الإيمان وما عاقبة من اختيار الكفر.

[٥] بداية من قوله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات... إلى أواخر تفسير الآية ٣٣ ناقصة من نسخة نورعثمانيه، ورقة ٤١٧ظ، سطر١٦؛ ونسخة مهرشاه، ورقة ٤٥١و/سطر١١ - ٤٥١ظ سطر٢٠.

[٦] الآيتان التاليتان.

[٧] ع - يقول.

[٨] م: فيهم.

[٩] ﴿سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٥٠).

[١٠] ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٦-٧).

[١١] ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٦-١٧).

والغِسْلين[1] وغير ذلك من النوع الذي كانوا يتفاخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الإيمان، جعل لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار وبه يعاقبهم. فعلى ذلك جائز أن يكونوا يتفاخرون به في الدنيا بالسرادق إذا خرجوا في السفر فيعاقبهم الله في النار بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل**، يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر في الآية: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[2] فيغاثون بماء كالمهل. ويحتمل أن يطلبوا في النار الماء بعد ما طَعِموا فيها منها فيغاثون بالمهل.

ثم المهل، قال عامتهم: المهل هو دُرْدِي[3] الزيت[4] أو العصير. لكنهم اختلفوا في معنى التشبيه به. قال بعضهم: شبهه به لغلظه، لأن الشيء الغليظ يكون ألصقَ وآخذ من غيره. وقال بعضهم: شبهه به[5] لسواده. وقال الحسن وأبو بكر [الأصم]: تشبيهه به لكثرة تلوُّنه من الحمرة والصفرة والسواد ونحوه لشدته. وهو ما ذكر: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ.[6] شبهه **كالمهل**، لتلوّنه لشدة ذلك اليوم وهوْلِه.

وقوله عز وجل: **يشوي الوجوهَ**، ذلك الشرابُ. **بئس الشراب وساءت مرتفقا**، أي ساءت النار مرتفقا. اُختلف فيه، قال بعضهم: المرتفق المتكأ، وقال بعضهم: المجتمع، أي بئس الاجتماع. وقال بعضهم: مجلسا، وقال بعضهم: بئس المنزل النار قرناؤهم فيها الكفار والشياطين.

[٤٥١و س ٣٢] * قال أبو عَوْسَجَة: السُّرادق: البناء الذي يبنى من الكربيس شِبْهَ الدار والحجرة. **وساءت مرتفقا**، أي مُتَّكأ ومنزلا. وقال القُتَبي: السرادق، الحجرة[7] التي تكون حول الفسطاط. قال: وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو ثلاث شعب.[8] والمهل، دُرْدِي[9] الزيت.

---

[1] ﴿فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٣٦-٣٨).

[2] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[3] ن م: دري. — درديّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان (*لسان العرب*، «درد»).

[4] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

[5] ع + به.

[6] سورة المعارج، ٧٠/٨.

[7] ر ع م: والحجرة.

[8] ع م: الثلاث الشعب. — يشير إلى قوله تعالى ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ (سورة المرسلات، ٧٧/٢٩-٣٠).

[9] ن م: دري.

ويقال: ما أذيب من النحاس والرصاص. **وساءت مرتفقا**، أي مجلسا، وأصل الارتفاق الاتكاء على المرفق.[١]* [٤٥١و س٣٦]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**، قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** منهم، ثم قال: **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إلى آخر ما ذكر. وقال بعضهم: ليس على التقديم والتأخير ولكن على ما ذكر: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** منهم، ثم بين ما لهم فقال: أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إلى آخر ما ذكر.[٣]*

**﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣١]**

وقوله: **أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب**، يذكر ثواب المؤمنين الذين تركوا شهواتهم في الدنيا لها.

**ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق**، قالوا: الإستبرق الديباج الغيظ، والسندس هو[٥] الرقيق، والغليظ منه لا يبس. لكنه كأنه جمع بين ما يُبس وبين ما يُبسط فذكر اللبس لما يلبس كما يقال: أطعمت فلانا طعاما وشرابا، والشراب لا يطعم. وقيل: إن الإستبرق هو الرقيق من الديباجة بلغة قوم. فإن كان ما ذكر فكأنه إنما ذكر ذلك لأولئك. *والله أعلم*. [٤٥١ظ]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها على الأرائك**، قال بعضهم: **الأرائك** السرر في الحجال، والأريكة السرير في الحَجَلة.[٦] وقال بعضهم: **الأرائك**: السرر عليها حجال. وقال أبو عَوْسجة: **الأرائك** الوسادة.

---

[١] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥١و/سطر٣٢-٣٦.
[٣] ن م: ما ذكرنا.
* وقع هذا المقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥١و/سطر٣٢-٣٦.
[٥] ر ع م: وهو
[٦] الحجلة: بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والستور للعروس (*لسان العرب*، «حجل»)

**وحسنت مرتفقا**، قيل: منزلا. وأصل هذا أنه وعد لهم في الآخرة ما كانت أنفسهم ترغب فيه في الدنيا ليتركوا ذلك في الدنيا للموعود في الآخرة، وكذلك حذرهم في الآخرة بأشياء تنفر أنفسهم وطباعهم في الدنيا ليحذروا ما يستوجبون الموعود في الآخرة. *والله أعلم*.

**﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾** [٣٢]

وقوله عز وجل: **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب**، إلى آخر ما ذكر؛ جائز أن يكون هذا المثل كان في الأمم المتقدمة وكتبهم سئل[١] رسول الله عن ذلك ليُعلم وليتبين لهم صدقه بأنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على ما يدعي؛ على ما سئل هو عن قصة ذي القرنين ونبإه ونبإ أصحاب الكهف وأخبارهم ليتبين لهم صدقه. إذ علموا أن تلك الأنباء والقِصص لا يعلم ولا يعرفها إلا من علم كتاب الله، إذ كان ذلك في كتب الله وهو لم يعرف تلك الكتب، لأنها كانت بغير لسانه ولم يُرْوَ [أنه][٢] اختلف إلى من يعرفها ليتعلم منه؛ ثم أنبأهم على ما كان في كتبهم، فدل أن ذلك أنه إنما عرف بالله وأنه صادق فيما يدعي من الرسالة. على هذا يجوز أن يقال –والله أعلم– فيكون في ذلك آية لرسالته ونبوته. أو أن يكون قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين**، إلى آخره، أي اضرب لهم مثلك ومثلهم مثل رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل[٣] ما ذكر من رجلين إلى آخره. أو أن يكون قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين**، أي اضرب للمعتبرين والمتوسمين مَثَلَ رجلين كلُّ رجلين هذا سبيلهما: يرغب أحدهما في الدنيا وزينتها ويطلبها لا يرى[٤] غيرها، والآخر يرغب في الزهد فيها وترك الطلب لها والرغبة في الآخرة. فإن كان على هذا أو ما ذكرنا من ضرب مثله ومثل أولئك فهو على الابتداء فيخرج على الاعتبار والتفكر فيما ذكر تنبيها وإيقاظا. وإن كان على السؤال عما كان فهو ليس على الاعتبار ولكن على الإنباء أنه رسول، ففيه آية لرسالته ونبوته.

* قال ابن عباس: قوله **واضرب لهم**، يعني لأهل مكة، **مثلا رجلين**، أخوين من بني مخزوم أحدهما مسلم والآخر كافر.[٥] وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الصافات:

---

[١] ب م: تسيس.
[٢] ر ع م: ولم يروه.
[٣] ع – رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل.
[٤] ع: لا يرى.
[٥] نقل البيضاوي والخازن في تفسيريهما مثل هذه الرواية دون أن يسنداه إلى ابن عباس. انظر: *مجمع التفاسير*، ٤/١٠٥–١٠٦.

إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، إلى قوله: فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ؛[1] تصدّق المسلم منهما بماله وطلب الاخرة وطلب الآخرُ به الدنيا.[2] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أخوين ورثا عن أبيهما مالا فاقتسماه. فأما أحدهما التمس بماله الدنيا وزينتها، وأما الآخر تصدق به وطلب الآخرة حتى لم يبق[3] له شيء. إلى هذا يذهب هؤلاء. *والله أعلم*.[4]*

ثم قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا**، أي بين الجنتين.

﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**﴾[٣٣]

**كلتا الجنتين آتت أكلها**، أي حَمْلَها. ولم يقل: آتتا أكلهما، خرج على اسم واحد وإن كان في المعنى على التثنية،[6] وذلك جائز في اللغة، كقوله: كلتا المرأتين صالحة** وكلانا صالح. وفيه قول الشاعر:

كلانا شاعر من حيّ صدقٍ ولكن الرّحى تعلو الثِّقالا.[8]

وقوله عز وجل: **ولم تظْلم منه شيئا**، أي لم تنقص من ثمرها شيئا.[9]

وقوله عز وجل: **وفجّرنا خلالهما نَهَرا**، أي أجرينا بينهما مياها جارية.

﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[٣٤]

وقوله **وكان له ثمر**، قال بعضهم: من قرأ ثُمُرٌ، بالرفع فهو كل ما كان يملك من الجنان وغيرها.

---

[1] ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدِّقين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لَمَدِينُون قال هل أنتم مطَّلعون فاطَّلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (سورة الصفت، ٥١/٣٧-٥٥).

[2] لم ترد هذه الرواية في *تفسير الطبري* ولا في *تفسير ابن كثير*؛ وضعفها الزمخشري قائلا: وقيل هما المذكوران في سورة الصافات (نظر: *الكشاف*، ٢٠٦/٣).

[3] ع - يبق (بين "ه" و "له" فراغ).

[4] ن + بذلك.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٢ظ/سطر١-٦.

[6] ع م: على التشبيه.

** نتهي الجزء الناقص من نسخة نورعثمانيه، ورقة ٤١٣ظ/سطر١٦.

[8] ر م: الثقلي. هذا بيت من شعر مسكين بن أُنَيف الدارمي (نظر: *البيان والتبيين* للجاحظ، ١٠٤؛ و*محاضرات الأدباء* للراغب الإصفهاني، ٣٦. إلا أن البيت ورد في كليهما: كلانا شاعر من حي صدق / ولكن الرحى فوق الثقال. وفي الإصفهاني: "من قوم صدق"، بدل "من حي صدق". الثقال: بالكسر جمع يبسط فيوضع فوقه الرحى فيطحن عليه الدقيق وربما سمي الحجر الأسفل بذلك (*الصحاح* للجوهري، «ثقل»).

[9] ن - وقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص من ثمرها شيئا.

ومن قرأ بالنصب فهو على الثمر. وقال بعضهم: الثَّمَر بالنصب فهو الثمر والثُّمُر بالرفع فهو جمع[1] الثمار.[2] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فقال لصاحبه وهو يحاوره**، يكلمه أو يحيبه أو ينازعه ويناظره، **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**، لا يحتمل أن يكون هذا الخطاب منه على الابتداء لأنه لا يصح على الابتداء، فيشبه أن يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف فعند ذلك قال له ما ذكر. أو أن يكون قال: يعطيني ربي في الآخرة مثل ذلك أو خيرا منها؛ فقال له عند ذلك: **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**، أي قد تفضّل عليّ في الدنيا وفضلني عليك فيفضلني أيضا في الآخرة عليك حيث قال: لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[3] إن كان ما تزعم صدقا أنا نُبعَث ونردّ إلى الله، وإلا على الابتداء لا يصح.

**﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه**، يحتمل أي ظالم نفسه.[4] ويحتمل أن يكون قوله: **لنفسه**،[5] بدنه، **وهو ظالم**، للمعنى[6] الذي يكون في النفس به يستعملها فيما يستعمل. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وما أظن أن تبيد هذه أبدا**، قال بعضهم: **ما أظن**، أي ما أوقن[7] وما أعلم. وقال بعضهم: هو الظن لأن صاحبه كان يناظره فيه فاضطرب في فنائها وقيام الساعة فشك فيه. *والله أعلم.*

وقوله: **أن تبيد هذه أبدا**، ما دامت نفسه، أو كأنه لم يشاهد الهلاك ولم ينظر إليه فقال ذلك. *والله أعلم.*

---

[1] ر ع م: جميع.

[2] قرأ عاصم وأبو جعفر بفتح الثاء والميم؛ يعني حمل الشجر. وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفا أو جمع ثمرة كبَدَنَة وبُدْن؛ والباقون بضم الثاء والميم جمع ثِمَار (انظر: *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر* للدمياطي، ٢٩٠).

[3] سورة الكهف، ٣٦/١٨.

[4] ر م: لنفسه.

[5] جميع النسخ: نفسه.

[6] جميع النسخ: المعنى. والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٤٦٨و.

[7] جميع النسخ: ما أوفق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا**، أي لو رُدِدت إلى ربي على ما تزعم لأجدن خيرا منها منقلبا إن كنت صادقا.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[٣٧]

قوله:[١] **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة**، أي خلق أصلك من تراب وخلقك من نطفة، **ثم سواك رجلا**، أي صحّحك وقومك رجلا. جائز أن يكون محاجته إياه في هذا[٢] لإنكاره البعث، أي كفرت وأنكرت قدرة الله على البعث والإعادة، وهو خلق أصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة، فأنت إذا مت وهلكت تصير ترابا أو ماء؛ فإذ[٣] قدر على خلق أصلك من تراب وخلقِ نفسك من ماء لَقادرٌ على إعادتك وبعثك بعد ما صرت ترابا أو ماء. أو يكون محاجته في إنكاره حكمةَ الله فيقول: خلق أصلك من تراب وخلق نفسك / من نطفة ثم سواك وصحّحك، فإن[٤] لم يَبعث ويُعذِّبك كان[٥] خلق أصلك وخلقك [٤٥٢و]
بما ذكر عبثا غير حكمة. إذ من بنى بناء ثم نقضه على غير قصد الانتفاع به كان في بنائه في الابتداء عابثا تائها سفيها غير حكيم. فعلى ذلك خلقُك وخلق أصلك من[٦] غير إعادة من بعدُ يكون سفها[٧] على غير حكمة. وهو ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[٨] الآية، صير خلقهم على غير رجوع إليه عبثا. أو يكون محاجته في تسفيهه إياه في عبادته غير الله.[٩] يقول: أكفرت نعمة الذي خلق أصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك صحيحا، فصرفت شكر نعمه إلى غيره وعبدت غيره. على هذه الوجوه الثلاثة يحتمل[١٠] محاجته إياه: إما في إنكار قدرته في بعثه وإعادته، أو إنكاره الحكمة في البعث، أو في إنكاره نعمه وصرفه الشكر إلى غيره. *والله أعلم*.

---

[١] ر: وقوله.
[٢] ر ع م: هذه.
[٣] ر ع م: فإذا.
[٤] ر ن ع: فإذا.
[٥] جميع النسخ: وكان.
[٦] ن: من.
[٧] جميع النسخ: سفيها.
[٨] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[٩] ن: في عباد الله.
[١٠] ر ع م: ويحتمل.

﴿لٰكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **لكنا هو الله ربي**، كأنه قال: لكن الذي خلق أصلك من تراب وخلق نفسك[١] من نطفة هو ربي، **ولا أشرك بربي أحدا**.

وقال الخليل: **لكنا**، إنما هو على تأويل لكني أنا[٢] أقول **هو الله ربي**؛ كقوله: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ.[٣] إنهم حين ألقوا الألف من "أنا" أثبتوها بعد النون. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ولولا إذ دخلت جنتك**، أي هلا إذ دخلت[٤] جنتك نظرت إلى قدرة الله وسلطانه **وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله**. أو أن يكون قوله: هلا **إذ دخلت جنتك**، نظرت إلى[٥] ما أنعم الله عليك وقمت بشكره دون أن اشتغلت بازدرائي[٦] ونظرت[٧] إلى قلة ذات حالي ويدي واشتغلت بالافتخار علي. وكذلك قال: **إن ترن**[٨] **أنا أقل منك مالا وولدا**.

* وقال في قوله: **إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك**، بالنصب لأن الكلام مبني على قوله: **إن ترن**، وجعل "أنا" صلة. وأما قوله: أَنَا أَكْثَرُ،[٩] فوصف "أنا" بأكثر فارتفع.*

ثم ذكر طمعه ورجاءه على ربه وخوفه حيث قال:

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[٤٠]

**فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء**، أي يرسل على جنتك

---

[١] ر ع م: أصلك.
[٢] ن - أنا.
[٣] ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٦٩).
[٤] ن ع: هلا إذ دخلت؛ رم: هلا أدخلت.
[٥] ر ع م - قدرة الله وسلطانه وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله أو أن يكون قوله هلا إذ دخلت جنتك نظرت إلى.
[٦] ن: بازدراء.
[٧] ع: أي ونظرت.
[٨] ر م: إن ترني.
[٩] سورة الكهف، ١٨/٣٤.
* وقع ما بين النجمتين قبل تفسير الآية الآتية برقم ٤٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٢٣-٢٥.

حسبانا من السماء.[١] قال أهل التأويل: الحُسبان العذاب، إلا أن أبا بكر الأصم قال: عذابا على حساب ما عملوا،[٢] وذلك جزاؤه في الكفر،[٣] وهو ما ذكر في الجنتين اللتين أهلكهما حيث قال: ذَوَاتَيْ أُكُلٍ، إلى قوله: ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ،[٤] الآية. وقال أبو عَوْسَجة: **حُسبانا**، أي عذابا، والحُسبان الصغار من النَّبْل،[٥] والحُسْبانة واحده.[٦]

وقوله عز وجل: **فتصبح صعيدا زلقا**، قال أبو عوسجة: **صعيدا زلقا**، الذي ليس عليه نبت؛ **وزلقا**، أي مستوية.[٧] وقال القُتَبي: الصعيد الأملس المستوي، والزلق الذي تَزِلّ[٨] عنه الأقدام.[٩]

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أو يصبح ماؤها غورا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ، أي عذابا، فتصير صَعِيدًا زَلَقًا، أملس لا نبات عليها. أو يُذهب بمائها فتهلِك بذهاب الماء، إذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا.

وقوله عز وجل: **فلن تستطيع له طلبا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لن تستطيع له طلبا**، أي تصير بحال لا تستطيع[١٠] له طلبا؛ أو لن تستطيع له وجودا.*

---

[١] ع – أي يرسل على جنتك حسبانا من السماء.

[٢] وقال الزجاج أيضا: فالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليها عذاب حسبانٍ. وذلك الحُسبان حساب ما كسبت يداك (انظر: *لسان العرب*، «حسب»).

[٣] ر ع م: في الكفرة.

[٤] ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيء من سِدرٍ قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٦-١٧).

[٥] النبل: السهام، وقيل: السهام العربية، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظه (انظر *لسان العرب*، «نبل»).

[٦] جميع النسخ: واحدة؛ ر ع م + والحسبان جمع والأول عذاب؛ ن: والحسبان جميع والأول عذاب. قال أبو زياد: حُسبان شر وبلاء، والحُسبان سهام صغار يرمي بها عن القِسِيّ الفارسية، واحدتها حُسْبانة (انظر: *لسان العرب*، «حسب»).

[٧] ر م: تسوية.

[٨] جميع النسخ: يزول، والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٩] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

[١٠] ر ع م: لا يستطيع.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٢٣-٢٥.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وأحيط بثمره.**[1] أي أهلك بثمره. **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها**، هكذا عادة الناس، إنهم إذا أصابهم حسرات ومصيبة يقلبون كفهم بعضها إلى بعض[2] على الندم والحسرة على ما فات.

وقوله عز وجل: **وهي خاوية على عروشها**، قيل: ساقطة على عروشها. ويحتمل **خاوية**، ذاهبة البركة.

وقوله عز وجل: **يا ليتني لم أُشرك بربي أحدا**، إن كان هذا القول في الدنيا فذلك منه توبة، لأن التوبة هي الندامة على ما كان منه. وقال بعضهم: هذا القول منه في الآخرة؛ فان كان في الآخرة فإنه لا ينفعه ذلك. *والله أعلم*. وهكذا كل كافر يؤمن في الآخرة لكن لا ينفع.

﴿وَلَمْ تَكُن لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا**، هذ -والله أعلم- مقابل ما قال أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا.[3] أي لم يغنه عن عذاب الله ما ذكر من النصر ولا قدر أن يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذي ذكر.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **هنالك**، قال بعضهم: عند ذلك. وقال بعضهم: **هنالك**، أي هكذا ولاية الله. ثم اختلف في تلاوته وتأويله. قرأ بعضهم "الوَلاية لله" بالفتح. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود: "هنالك الوَلاية لله الغفور وهو الحقُّ" بالرفع. وفي حرف حفصة: "وهنالك المُلك والوِلاية لله الغفور ذي الرحمة." وقرأ بعضهم: "لله الحقِّ"، أي الولاية الحقُّ لله.[4] والوَلاية بالنصب من الموالاة.

---

[1] قرأ بثُمُره بضم الثاء والميم كلهم غير أبي عمرو وعاصم و أبي جعفر؛ و قرأ أبو عمرو بثُمْره بضم الثاء وإسكان الميم (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالْوي، ٨٥).

[2] جميع النسخ: بعضهم على بعض، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.

[3] سورة الكهف، ٣٤/١٨.

[4] قرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية، والباقون من القراءات العشرة بالكسر صفة لله. وقرأ حمزة والكسائي والخلَف الولاية بكسر الواو، والباقون بفتحها (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالْوي، ٨٥). يرجح الطبري قراءة "الولاية" بالكسر لأن الله عقب ذلك خبره عن ملكه و سلطانه، و قراءة "الحق" بالخفض على أنه من نعت الله (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٤/١٥).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «لا يبقى أحد إلا تولى اللهَ وآمن به وعلم أنه حق.» والوِلاية بالكسر من الإمارة والملك على ما ذكر في حرف حفصة؛ وفي حرف أُبَيّ: "هنالك الوِلاية[1] الحق لله".[2] يُقرأ: "الولاية لله وهو الحقُّ"، ويقرأ: "هنالك الولاية لله الحقِ"[3] بالخفض،[4] ويقرأ: "هنالك الوَلاية الحقُّ لله".

[٤٥٢ظ] وقوله عز وجل: **هو خير ثوابا وخير عقبا**، أي ثواب هذا المؤمن منها أفضل ثوابا في الآخرة وأفضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر.*

*وذكرُ هذا المثل[6] برسول الله -والله أعلم- لأن فيه دلالة رسالته وحجةَ توحيد الله وقدرته وسلطانه.*

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء**، اختلف أهل[8] التأويل في ضرب هذا المثل. قال بعضهم: ضُرب هذا لمشركي العرب لأنهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها، وأنها[9] لا تبيد أبدا، فيقول: إن الذي يعاينون من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها، فإذا احتمل جزءٌ منها الفناءَ والهلاك فعلى ذلك الكلُّ. وقال بعضهم: وجه ضرب هذا المثل هو[10] أن أهل الدنيا وطُلّابها إذا ظَفِروا بالدنيا[11] وطمعوا الانتفاع بها والاستمتاع[12]

---

[1] ر م + لله.
[2] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٣.
[3] ن: هنالك الولاية الحق لله الولاية لله الحق.
[4] ع - ويقرأ هنالك الولاية لله الحق بالخفض.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٢ظ/سطر١-٦.
[6] أي مثل رجلين جعل لأحدهما جنتان.... انظر: تأويل الآية ٣٢ من هذه السورة.
* جاءت هذه الجملة قبل الجملة الأولى: وقوله عز وجل: ﴿هو خير ثوابا...﴾ فذكرت بعده، انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٣٨-٣٩.
[8] ع - أهل.
[9] ر م: لأنها.
[10] جميع النسخ: وهو.
[11] ع: با الدنيا.
[12] ر ع م - والاستمتاع.

يحال بينهم وبين الانتفاع والاستمتاع بها، كما طمع الزراع الظفر بذلك الزرع والوصول إلى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين الانتفاع بالزرع والوصول إلى مقصودهم؛ فعلى ذلك الدنيا يحال بين أهلها وطالبيها وبينها. وقال بعضهم: وجه ضرب مثل[1] الدنيا بما ذكر من النبات لتزيين والتحسين لأهلها والتعجيب لهم، لأنها تتزين وتَحسُن لأهلها كالنبات الذي ذكر أنه يُعجب أهلها ويتزين لهم ثم يَفسد ويصير موفا،[2] فعلى ذلك الدنيا. وهو ما ذكر في آية أخرى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ،[3] الآية.[4] وهكذا الدنيا[5] وما فيها، كلُّه مشوب بالآفات والفساد.

وفي هذا[6] المثل وجوه من الحكمة والدلالة. أحدها العظة[7] والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين، والحجةُ على المعاندين والمكابرين في إنكارهم حدَثَ العالم ومُحدِثها وإنكارهم فناء العالم وإنكارهم البعث. أما حدث العالم لما عاينوا حدوث أشياء منه واحدا بعد واحد فعلى ذلك الكلُّ، وأراهم أيضا فناء أشياء منها حتى لم يبق لها أثر ثم حدث مثلها؛ فإذا ظهر هذا في بعضٍ منها فكذلك الكل. فإذا ظهر حدوثه وفناؤه لابد من قاصد يُحدِثها. وفيه دلالة البعث بما أراهم يتجدد ويَحدث هذه الأنزال والأشجار والنبات وغيرها[8] والعَوْدَ على ما كان بعد فنائها؛ فعلى ذلك إعادة العالَم الذي هو المقصود في إنشاء تلك الأشياء. وذلك أولى بالإعادة من غيرهم من الأشياء إذ هم المقصودون في خلق غيرهم من الأشياء.[9] وبعدُ فإنهم قد اتفقوا على أن خلق الشيء وإفنائه[10] للهلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبثٌ ليس بحكمة؛ فلو لم يكن بعثٌ ولا إعادة لم يكن في خلقه إياهم حكمة لأنه يحصل خلقه للفناء والهلاك خاصة.

---

[1] ع: المثل.
[2] ع: موفا؛ وفي الشرح: يصير لاشيء، انظر: ورقة ٤٦٩ظ.
[3] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مُصْفَرًّا ثم يكون حطاما﴾ (سورة الحديد، ٢٠/٥٧).
[4] ن – الآية.
[5] ر ع م: هكذا وما فيها كلمة.
[6] ر ع م: في هذا.
[7] ر ع: العصمة.
[8] جميع النسخ: وغيره.
[9] ن: الإنشاء.
[10] جميع النسخ: وفناءه، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٨ظ.

وفي قوله: **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**، دلالة علمه وتدبيره وقدرته، لأنه أخبر أنه يُنزل من السماء ماء يختلط به نبات الأرض، والماءُ من طبعه إفساد النبات[1] إذا اختلط به.[2] فإذا لم يُفسد ولكن أحياه بالاختلاط دل أن[3] في الماء معنى به يَحيي النبات لا يعلم ذلك غيره [و]دل أنه عالم بذاته. و[أما دلالة][4] التدبير هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بُعد ما بينهما، [و]دل أن ذلك كان بواحد عليم مدبّر قادرٍ بذاته. إن من قدر على ما ذكر من الإحداث والإفناء قادر على الإعادة والبعث. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **فأصبح هشيما**، قيل كسيرا[5] مكسورا، **تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**، هو مفتعل من قدرتُ.

* قال أبو عَوْسَجَة: **فأصبح هشيما**، أي يابسا باليا. وقال القُتَبي: ومنه سمي الرجل هاشما. وقال أبو عوسجة: **تذروه الرياح**، أي تطير به. وقال[6] القتبي: أي تنسفه،[7] كقوله: فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا.[8]*

﴿اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات**، كان هذا ذكرا[10] على مقصود الناس أن من كان قصده في الدنيا كثرةَ المال والبنين فهو[11] زينة الحياة الدنيا وهو الفاني والذاهب على ما ذكر؛ ومن كان مقصوده في هذه الدنيا الخيراتِ والآخرة فهو الباقيات أبدا.

---

[1] ر ع م: لفساد النبات.
[2] ر ن ع: اختلط به.
[3] ر ع: دل في أن.
[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.
[5] ر: كثير.
[6] ر م - و.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٨.
[8] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ١٠٥/٢٠).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٣و/سطر١٢-١٣.
[10] جميع النسخ: ذكر.
[11] أي قصد العبد.

ثم حتلف في **الباقيات الصالحات** قال بعضهم: هو قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.» وعلى ذلك روي في بعض الأخبار عن النبي[1] صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات».[2] وفي بعض الأخبار أنه قال لأصحابه: «خذوا جُنّتكم». قالوا: «من عدوٍّ حضرَنا؟»[3] قال: «خذوا جُنّتكم من النار فقولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن المُقَدِّمات المُؤَخِّرات الباقيات الصالحات.»[4] وفي بعض الأخبار قال[5] لأبي الدرداء: «خذهن اقتلهن[6] قبل[7] أن يُحال بينك وبينهن، فإنهن الباقيات الصالحات وهن كنز من كنوز الجنة». قال: وما هي يا رسول الله؟ فذكر «سبحان الله» إلى آخره.[8] فإن ثبتت[9] هذه الأخبار فهي الأصل لا يجوز غيره.

وقال بعضهم: **الباقيات الصالحات**، الصلوات الخمس، وهو قول ابن عباس[10] وغيره.

[٤٥٣و] فأيهما كان ففيه معنى الآخر وإن كل واحد منهما يجمع جميع أنواع الخيرات والعبادات في الحقيقة. لأن «سبحان الله» هو تنزيه الرب عن كل آفة وعيب. «والحمد لله» هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه إلى[11] الخلق وجعله مستحقا للحمد والثناء له دون من سواه. وقوله: «لا إله إلا الله» هو أن لا معبود سواه[12] وأن لا يستحق العبادة غيره. و[قوله:] «الله أكبر»

---

[1] ر ن ع: نبي الله.

[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله». هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٥١٢/١-٥١٣؛ وانظر مثل هذه الروايات أيضا: *الموطأ* لمالك، القرآن ٤٩١؛ و*مسند أحمد ابن حنبل*، ٢٦٨/٤).

[3] ر ع م: حصرنا.

[4] *المستدرك للحاكم*، ٥٤١/١. وفي رواية عن خالد بن أبي عمران: «فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات». انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١٠٧/٥.

[5] ن + قال.

[6] ر ع م: اقبلن.

[7] ع - قبل.

[8] ورد كثير من الأحاديث القائلة بأن «لا حول ولا قوة إلا بالله» كنز من كنوز الجنة. انظر مثلا: *سنن أبو داود*، الصلاة، ٣٦١.

[9] ر ع م: ثبت.

[10] *تفسير الطبري*، ١٦٥/١٥. ولكن هناك روايات أخرى عن ابن عباس أنه يقول في الباقيات الصالحات: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٦/١٥).

[11] ع - إلى.

[12] جميع النسخ: وأن لا إله إلا هو لا معبود سواه. والتصحيح من *الشرح*، ورقه ٤٦٩و.

هو الإجلال عن كل ما قيل فيه ونفي كل معاني الخلق عنه. و[قوله:][1] «لا حول ولا قوة إلا بالله» هو التبري وقطع الطمع عمن دونه، وتفويض الأمور بكليتها إليه والتسليم له. فكل حرف من هذه الحروف يجمع في الحقيقة كل أنواع العبادات[2] والخيرات لما ذكرنا. وكذلك الصلاة[3] أيضا تجمع كل أنواع العبادات، لأنه يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها في كل حال منها فهي تجمع جميع العبادات.

والأصل في قوله: **والباقيات الصالحات**، أنها كل الخيرات والطاعات،[4] لأن الله تبارك وتعالى ذكر ووصف الحق بالبقاء والثبات في غير آي من القرآن ووصف الباطل بالبطلان والتلاشي[5] والذهاب. من ذلك قوله: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ،[6] الآية؛ وقال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً،[7] الآية، وأمثاله. فعلى ذلك قوله: **الباقيات الصالحات**، هي باقية **خير عند ربك ثوابا وخير أملا**، أي خير ما يأملون.*[8]

وعن ابن عباس قال: **خير عند ربك ثوابا**، أي خير ما يثاب الناس عليه **وخير أملا**، أي خير ما يأمل الناس من أعمالهم يوم القيامة. ***والله أعلم.***

**﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة**، يذكرهم جل وعلا عن شدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه حيث سار أثبتُ شيءٍ رأوا في الدنيا وتكسّرَ أصلبُ شيءٍ رأوا في الدنيا،

---

[1] الزيادتان من الشرح، ورقة ٤٦٩و.
[2] ن: العبدة.
[3] ر ن م: الصوات.
[4] يرجح الطبري أيضا بعد نقل الآراء أن الباقيات الصالحات هي جميع أعمال الخير كما روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة وعليها يجزى ويثاب وأن الله عز ذكره لم يخصص من قوله: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا﴾ بعضا دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٦٧).
[5] ن: بالبطلان التلاشي.
[6] سورة الرعد، ١٣/١٧.
[7] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٦).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٥ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٣و/سطر ١٢-١٣.

وهو الجبال، لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه. وقال في آية أخرى: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؛[1] وقال في آية أخرى: وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً؛[2] وقال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ؛[3] وقال في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا؛[4] وأمثاله. يذكرهم عن شدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه حيث سار[5] أثبتُ شيءٍ في الدنيا وأصلب شيء[6] وأشد على الوصف الذي ذكره. وبدون[7] هذه الأهوال والأفزاع التي ذكر لا تقوم أنفس البشر في الدنيا؛ فقيامها لمثل هذه الأحوال التي ذكر[8] أحرى[9] أن لا تقوم. ألا ترى[10] أن موسى صلوات الله عليه كان أشد الناس وأقوى البشر ثم لم تقم نفسه لاندكاك الجبل حتى صعق.[11] إلا أن الله حكم أن لا هلاك[12] يومئذ بعد ما أحياهم وإلا كانت أنفسهم لا تقوم بدون ما ذكر من الأهوال.

ثم ما ذكر من أحوال الجبال يكون ذلك في اختلاف الأحوال والأوقات؛ يكون[13] في ابتداء ذلك اليوم ما ذكر أنها تسير وأنهم يرونها جامدة وهي ليست بجامدة؛ ثم تصير كثيبا مَهيلا، ثم تصير كالعِهْن المنفوش في وقت، ثم تصير هباء مُنبثا،[14] تكون[15] على الأحوال التي ذكر على اختلاف الأحوال والأوقات على قدر الشدة والهون. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة القارعة، ١٠١/٤-٥.

[2] ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).

[3] سورة النمل، ٢٧/١٠٨.

[4] جميع النسخ هباء منثورا، لعله من خطإ الناسخين. ﴿إذا رُجَّت الأرض رَجًا وَبُسَّتِ الجبال بسًّا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦).

[5] جميع النسخ: صار.

[6] ر ع م - وأصلب شيء.

[7] م: بدون.

[8] ن: ذكرن.

[9] ر ع م: أخرى.

[10] ن: ألا يرى.

[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال رب أرني أنظُرْ إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخرّ موسى صَعِقًا﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٤٣).

[12] ن: أن الاندكاك.

[13] ن + ذلك.

[14] يشير إلى الآيات التي مرت آنفا.

[15] جميع النسخ: يكون.

ثم يحتمل قوله: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ؛[1] لشدة ذلك اليوم تتراءى كأنها جامدة وهي تمر مر السحاب، وقد يتراءي في الشاهد مثله للهول والفزع. والثاني، تتراءى لازدحام الجبال واجتماعها، وقد تتراءى في الشاهد لسائر كالجامد والساكن للكثرة والازدحام نحو عسكر عظيم يسير يراه الناظر إليه كأنه ساكن لا يسير؛ فعلى ذلك هذا. **والله أعلم.**

ثم يحتمل أن تكون[2] هذه الأهوال التي ذكر لأهل الكفر والعصاة منهم. فأما أهل الإيمان والإحسان يكونون في أمن وعافية من تلك الأهوال، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا،[3] الآية.

وقوله: **وترى الأرض بارزة**، أي ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شيء، تصير مستوية على ما ذكر: قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[4] ويحتمل قوله: **وترى الأرض بارزة**، أي يكون أهلها بارزين له، كقوله: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا.[5]

وقوله: **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**، أي نجمعهم جميعا، كقوله: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[6]

**﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **وعرضوا على ربك صفا**، قال بعضهم: عرضوا على ربك جميعا. ثم يحتمل قوله: **وعرضوا على ربك**، للحساب. وقال بعضهم: يعرضون على مقامهم، أي يعرض كل فريق على مقامه، أي يبعث، كقوله: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ.[7] ويحتمل معنى العرض عليه في ذلك اليوم وإن كانوا في جميع الأحوال والأوقات في الدنيا والآخرة معروضين[8] عليه؛ [وهو] عالم بأحوالهم، لِما يُقِرّون له جميعا يومئذ منكرهم ومُقِرُّهم بالعرض والقيامة؛[9]

---

[1] سورة النمل، ٢٧/٨٨.
[2] جميع النسخ: أن يكون.
[3] سورة فصلت، ٤١/٣٠.
[4] سورة طه، ٢٠/١٠٦-١٠٧.
[5] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[6] سورة الواقعة، ٥٦/٤٩-٥٠.
[7] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠-٩١.
[8] ع: معرضين.
[9] ر م: والقيمة.

كقوله: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[1] وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[2] والأمر في جميع الأوقات لله. وكذلك: هُمْ
[٤٥٣ظ] بَارِزُونَ،[3] له في جميع الأحوال. / لكنه خص ذلك اليوم بالإضافة إليه لما[4] يقرون له جميعا في ذلك اليوم بالألوهية له والملك ويعرفون حقيقته، فعنى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لقد جئتمونا كما خلقناكم أولَ مرة**، يحتمل هذا وجوها. يحتمل:[5] لقد جئتمونا بالإجابة والإقرار لنا كما أجابت[6] خلقتُكم في أول خلقنا إياها في الدنيا. والثاني **لقد جئتمونا**، كما قلنا في الدنيا إنكم تبعثون وتحشرون وتقوم لكم الساعة. والثالث ما قاله أهل التأويل: **لقد جئتمونا فرادى**، بلا أنصار ينصرونكم ولا أعوان يعينونكم على ما كنتم في الابتداء. وقال بعضهم: كما خرجتم من بطون أمهاتكم عُراةً حُفاةً[7] ليس معكم مال يمانعكم ولا أنصار تُناصِركم،[8] وهو ما قال: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ.[9]

وقوله عز وجل: **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**، هذا يدل أن تلك الأهوال التي ذكر إنما تكون للعصاة ومن أنكر البعث، حيث قال: **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**، يعني القيامة.[10] وهذا يدل أن الأهوال والأفزاع التي ذكر في الآية الأولى تكون للعُصاة والفَسَقة من خلقه دون المؤمنين.

**﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **ووضع الكتاب**، قيل: الحساب. ويحتمل الكتاب الذي كتبته الملائكة، وضع ذلك الكتاب في أيديهم.

---

[1] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[2] ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ١٨/٨٢-١٩).
[3] ﴿يَوْمَ هُمْ بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لِمَنِ الملكُ اليومَ لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ١٦/٤٠).
[4] ن ع: لما.
[5] ن: محتمل.
[6] ر ع م: كما أجب.
[7] ر ع م: وحفاة.
[8] ر ع م: يناصركم.
[9] سورة الأنعام، ٩٤/٦.
[10] ر ن م: القيمة.

وقوله عز وجل: **فترى المجرمين مشفقين**، أي خائفين وَجِلين. وقال بعضهم: لما نظروا في الكتب فرأوا[1] من أعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا **مما فيه**.

وقوله تعالى: **ويقولون ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، من أعمالهم[2] السيئة، **إلا أحصاها**، أي حفظها. ويقال:[3] **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، من الحسنات والسيئات **إلا أحصاها**. ويحتمل: **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، أي لا يترك شيئا مما يجزي به الإنسان[4] وما لا يجزي[5] **إلا أحصاها**، أي حفظها.

**ووجدوا**[6] **ما عملوا** في الدنيا **حاضرا** في الآخرة محفوظا غير فائت[7] عنه شيءٌ[8] ولا غائب منه. وقال بعضهم: إنما هو قول الملَك يقول لهم ذلك، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[9] أي حفيظ. ***والله أعلم***.

وقوله[10] عز وجل: **ولا يظلم ربك أحدا**، أي يجزي كُلا على قدر عمله لا يزيد على قدر عمله[11] ولا ينقص منه، أو لا ينقص المؤمنَ من حسناته، والكافر لا يَترك له سيئة.[12] الظلم هو في الشاهد وضع الشيء غير موضعه؛ يقول: **لا يظلم ربك أحدا**، أي لا يكون بما يجزي كلا على عمله[13] ظالما واضعا شيئا غير موضعه.

**﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، ذكر الله عز وجل: قصة آدم وإبليس

---

[1] ر: فرادي.
[2] ر غ م: من أعمال.
[3] ر غ م – يقال.
[4] ن – الإنسان.
[5] جميع النسخ + به.
[6] ن + ووجدوا ما عملوا حاضرا قال بعضهم هذا خبر عن الله أنهم وجدوا.
[7] م: ثابت
[8] م – شيء.
[9] سورة ق، ١٨/٥٠.
[10] ر: قوله.
[11] غ – لا يزيد على قدر عمله.
[12] أي لا يترك الله من سيآت الكافر شيئا إلا أحصاها.
[13] غ: على عمله.

في غير موضع من القرآن على الزيادة والنقصان، وإنما ذكر كذلك وكرر لما كذلك كان في الكتب المتقدمة مكررا مُعادا؛ فذكر في القرآن على ما كان في تلك الكتب ليكون ذلك آية لرسالة محمد حيث علموا أنه كان لا يعرف الكتب المتقدمة. أو أن ما كرره لحاجات كانت لهم ولفوائد تكون لهم في التكرار؛ أو كرر[1] لتكون[2] لهم عظة وتنبيها في كل وقت وكل حال. وقد يكرر الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه. والله أعلم بذلك.[3]

وقوله عز وجل: **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن**، اختلف فيه. قال بعضهم: سمي من الجن لأنه كان من الجانّ الذين يعملون في الجنان فنسب إليه. وقال بعضهم: إن من الملائكة قبيلة يقال لها الجن فكان إبليس منها فنسب إليها. وقال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة قطّ طرفةَ عين ولكنه من الجن كما قال الله؛ فهو[4] أصل الجن وهو أول من عصى ربه من الجن، كما[5] أن آدم هو أصل الإنس وهو أبوهم، فعلى ذلك إبليس أب الجن.[6] وقال بعضهم: **كان من الجن**، أي صار من الجن؛ وكذلك قالوا [في قوله تعالى:] وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[7] أي صار من الكافرين. وقال بعضهم: **كان من الجن**، أي كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن،[8] وكان في علم الله في الأزل أنه يكون من الكافرين وقتَ عصيانه ربه وإبائِه السجودَ لآدم. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم.[9]

وقوله عز وجل: **ففسق عن أمر ربه**، قيل عتى وعصى. وأصل الفسق الخروج، أي خرج عن أمر ربه؛ وكذلك قال القُتَبِي: **ففسق**، أي خرج عن طاعته. يقال: فسقت الرُّطَبَة، إذا خرجت من قشرها.[10]

وقوله عز وجل: **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه أراد بقوله: **من دوني**[11] نفسه فكأنه قال: **أفتتخذونه وذريته** أربابا وآلهة **من دوني وهم لكم عدو**،[12]

---

[1] ر ع م – أو كرر.
[2] جميع النسخ: ليكون.
[3] ن – بذلك.
[4] ع: هو.
[5] ر ع م – كما.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٧٠.
[7] ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٤).
[8] ر – كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن؛ م + كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن.
[9] انظر: سورة البقرة، ٢/٣٤.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.
[11] جميع النسخ: من دون، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٩ظ.
[12] ر ع م – عدو.

وليسوا بآلهة ولا أرباب، فكيف يجوز أن يُتَّخذ العدوُّ ربا وإلٰها؟ والثاني أنه أراد بقوله: **أولياء من دوني**، أي من دون أوليائي. فكأنه قال: أفتتخذونه وذريته أولياء من دون أوليائي[1] وهم لكم عدو؟ أي كيف تتخذون الأعداء أولياء وتتركون من هم[2] لكم أولياء ولا تتخذونهم أولياء. والله أعلم.

وقوله عز وجل: **بئس للظالمين بدلا**، أي بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم أن عبدوا إبليس وأطاعوه فبئس ذلك لهم بدلا. أو أن يكون قوله: **بئس للظالمين بدلا**، أي [بئس][3] ما اتخذوا أعداءهم أولياء بدلا عن أوليائهم أو بدلا عن ألوهيته وربوبيته.

**﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، قال بعضهم: قال هذا لمشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله والأصنامُ التي عبدوها أنها[4] آلهة وأنها شركاؤه؛ فيقول: ما أشهدتهم خلق الملائكة وخلق الأرض ولا خلق أنفسهم ولا كان لهم كتاب ولا آمنوا / برسول؛ فكيف عرفوا ما قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام آلهة[5] وشركاؤه؟ [٤٥٤و]
وأسباب العلم والمعارف هذا: إما المشاهدة و إما الكتاب[6] وإما الرسل.[7] فإذا لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا ربهم وبم علموا[8] ما قالوا في الله من الولد والشركاء؟ وإلى هذا يذهب الحسن. ومنهم من قال: لاتخاذهم إبليس وذريته أولياء وأربابا؛ وهو صلة ما قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾،[9] الآية.

وفيه وجوه من التأويل، يقول: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، أي ما استحضرتهم خلق أنفسهم، لأنهم لم يكونوا في ذلك الوقت؛ ولا خلق السماوات والأرض،

---

[1] ر: أوليا.
[2] ع: منهم.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٩ظ.
[4] ر - أنها.
[5] ن - آلهة.
[6] ر ع م - وإما الكتاب.
[7] ن: الرسول.
[8] ع: عملوا.
[9] الآية السابقة.

لأنه[1] خلقهما وهم لم يكونوا أيضا شيئا. أو **ما أشهدتُهم**، ما أعلمتهم تدبير **خلق السماوات والأرض ولا** تدبير **خلق أنفسهم** فكيف قالوا ما قالوا في الله[2] من الدعاوى؟ والثالث، **ما أشهدتهم**، أي ما استعنت بهم في **خلق السماوات والأرض ولا** في **خلق أنفسهم** فكيف أشركوا في ألوهيتي وربوبيتي وما استعنت بهم في ذلك؟ *والله أعلم*.

وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه الآية على أن خلق الشيء هو غير ذلك الشيء؛ لأنه قال: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، وقد شهدوا السماوات والأرض وشهدوا أنفسهم، حتى قال لهم: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[3] ثم أخبر أنه لم يُشهدهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم دل أنّ خلق السماوات والأرض وخلْق أنفسهم غيرُ السماوات والأرض وغير أنفسهم.

وقوله عز وجل: **وما كنتُ متخذ المضلين عضدا**، قال بعضهم: وما كنت متخذ المضلين عن الإيمان والهدى أعوانا لديني. والثاني، وما كنت متخذ المضين عبادي ينصرون ديني أو يعونون[4] أوليائي. وقال بعضهم: وما كنت متخذ المضين الذين أضلوا بني آدم عونا فيما خلقت من خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، وهو إبليس وذريته. أو **ما كنت متخذ المضلين** أولياء إنما اتخذتهم[5] أعداء وما كنت لِأُوَلِّي المضلين عَضُدا على أوليائي، كقوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ،[6] ونحوه. وكله قريب بعضه من بعض.

**﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾** [٥٢]

وقوله عز وجل: **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم**، قال: **شركائي**، على زعمهم، وإلا لم يكن لله شركاء. **فدعوهم**، يعني دعوا الأصنام التي عبدوها، **فلم يستجيبوا لهم**. قال أبو بكر الأصم: لم يجيبوهم في وقت وقد أجابوهم في وقت آخر وهو ما قالوا: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[7]

---

[1] ع: لأن.

[2] ع: في الدعاء.

[3] ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٠-٢١).

[4] جميع النسخ: ينصر ديني أو يعون.

[5] جميع النسخ: اتخذهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠و.

[6] ﴿قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٤)

[7] ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٩).

ولكن قوله: **فلم يستجيبوا لهم**، لما[1] كانوا يعبدونها في الدنيا وإنما كانوا يعبدونها طمعا أن[2] يكونوا لهم شفعاء وأنصارا، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] وكقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا.[5] فيكون قوله: **فلم يستجيبوا لهم**، ما طمعوا بعبادتهم الأصنام من الشفاعة والنصرة ودفعِ ما حلّ بهم عنهم والمنعِ عن[6] عذاب الله. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وجعلنا بينهم مَوْبِقا**، أي بين أولئك وبين الأصنام **مَوْبِقا**. قال بعضهم: مَهْلِكا، وقال بعضهم: الموبق الذي يفرّق بينهم وبين آلهتهم في جهنم. وقال بعضهم: الموبق وادٍ في جهنم،[7] وقال بعضهم: نهر فيها. وقال بعضهم: جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين المشركين وبين الأصنام **موبقا**، أي مَهْلِكا.

**﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **فظنوا أنهم مواقعوها**، أي علموا وأيقنوا أنهم داخلوها. **ولم يجدوا عنها مصرِفا**، أي لم تقدر[8] الأصنام التي عبدوها أن تصرف النار عنهم. قال أبو عبيدة: **ولم يجدوا عنها مصرفا**، أي مَعْدِلا.

**﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ولقد صرفنا**، قد ذكرنا وبينا في غير موضع.[9] وقوله عز وجل: **من كل مثل**، يحتمل وجهين. أحدهما **من كل مثل**، أي من كل صفة، كقوله: وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى،[10] أي الصفات العليا. والثاني المثَل هو الشبيه،

---

[1] ع: إنما.
[2] ر ع م: أو.
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[5] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩-٨٢).
[6] ع: من.
[7] ر ع م – وقال بعضهم الموبق واد في جهنم.
[8] جميع النسخ: لم يقدر.
[9] انظر: سورة الإسراء، ٤١/١٧، ٨٩.
[10] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[1] فإن كان لتأويل الشبه فكأنه[2] يقول -والله أعلم- **ولقد صرفنا**، أي بيّنا **في هذا القرآن من كل مثل**، من كل ما بهم حاجةٌ إلى معرفةِ ما غاب عنهم؛ جعل لهم شبيها مما شاهدوا أو عرفوا[3] ليعرفوا به ما غاب عنهم. وإن كان تأويل المثل الصفةَ فكأنه يقول -والله أعلم-: ولقد بيّنا في هذا القرآن من كل ما يُؤتى وما يُتقى صفةً[4] يعرفون بها ما لهم وما عليهم وما يأتون[5] وما يَتقون.[6] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان أكثرَ شيء جَدَلا**، قال أهل التأويل: **وكان الإنسان**، يعني الكافر، **أكثر شيء جدلا**، أي جدالا، كقوله: وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ.[7] ويشبه أن يكون قوله: **وكان الإنسان أكثر شيء جدلا**، أي وكان جوهر الإنسان أكثر جدلا من غيرهم من الجواهر. لأن الجنّ لما عُرض عليهم القرآن والآيات قبلوها على غير مجادلة ذُكرت، حيث قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،[8] الآية. وكذلك الملائكة لم يُذكر منهم الجدال ولا المحاجّة في ذلك. وقد ظهر من[9] جوهر الإنسان المجادلات والمحاجّاتُ في الآيات والحُجج. من ذلك قوله: هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ،[10] الآية؛ وقوله:[11] وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[12] وقوله: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[13] وقوله: وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ،[14] وأمثالُ هذا. ولذلك أُحتيج إلى إنزال كثرة الآيات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة. وفيه الإذن بالمجادلة في الدين[15] على الوصف الذي ذكر. *والله أعلم*. [٤٥٤ظ]

---

[1] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[2] ن: وكأنه.
[3] ن: وعرفوا.
[4] جميع النسخ: وصفه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠و.
[5] ر ع م: ما يأتون.
[6] ر ع م: يسبقون.
[7] ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٦).
[8] ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ (سورة الجن، ٧٢/١-٢).
[9] ر ع م: من.
[10] ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٦).
[11] ر م: وقولهم.
[12] سورة النحل، ١٦/١٢٥.
[13] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٦).
[14] سورة الكهف، ١٨/٥٦.
[15] ن: في الدين.

**﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾**[٥٥]

وقوله عز وجل: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى،** أي لم يمنع الناس أن يؤمنوا إلا التعنُّت والعناد، لأنه قد أكثر عليهم من الحجج والآيات ما لو[١] لم يعاندوا ولا كابروا لألزمتهم[٢] الإيمانَ بها والتصديق لكن الذي منعهم عن الإيمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم، إلا أن تأتيهم سنة الأولين؛ وسنة الأولين الاستيصال والإهلاك. فيقول: لا يؤمنون إلا في ذلك. والإيمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[٣]

وقوله عز وجل: **أو يأتيهم العذاب قُبُلا،**[٤] أي عِيانا جِهارا. قال أبو عبيدة: **أو يأتيهم العذاب قُبُلا،** أي مقابلة، وقِبَلا، استينافا. وقال مجاهد: **قُبُلا،** فجأةً؛ وقال: قِبَلا،[٥] قبيلا قبيلا.[٦] قال أبو عوسجة: **قُبلا،** أي مواجهة وكذلك قِبَلا. وقال القُتَبي: قُبلا، أي مقابلة وعيانا.[٧] ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾**[٥٦]

وقوله: **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين،** أي لم نرسلهم إلا ما يوجب لهم البِشارة والنِذارة، إنما أُرسلوا للأمر والنهي ليأمروا الناس بالطاعة طاعةِ لله وينهَوْهم عن معاصيه، لذا أرسلوا. فالبشارة لمن اتبع أمرهم وانتهى ما نَهَوْا عنه؛ والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه. فيكون البشارة للمتبعين لهم في أمرهم والنذارة لمرتكبين المنهيّ. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويجادل الذين كفروا بالباطل،** يحتمل قوله: **ويجادل الذين كفروا بالباطل،** ما نسبوه إلى السحر والكهانة والإفك وغيره، به يجادلونه وهو باطل. أو أن يكونوا عرفوا

---

[١] ر ع م – لو.

[٢] م: لالتزمهم.

[٣] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥.

[٤] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب "قِبَلا" بكسر القاف وفتح الباء، والباقون من الأئمة العشرة قُبُلا بضمهما (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بانوي، ٨٥). وتأويل قِبَلا، معاينةً، وتأويل قُبُلا، جمع قبيل؛ المعنى: أو يأتيهم العذاب أنواعا. ويجوز أن يكون تأويل قُبُلا بمعنى من قُبُل، أي مما يقابلهم (انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٩٦/٣-٢٩٧).

[٥] ن م – فجأة وقال قبلا.

[٦] أي جماعة جماعة. ر ع م: قبيلا.

[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.

أنّ ما يجادلونهم به[1] ويحاجّونهم باطل، وأن ما يدعوهم الرسول إلى الله حق وصدق ونور؛ لكن[2] يعاندونه ويجادلونه وعندهم أنهم على باطل، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ،[3] الآية. عرفوا أنه نور لكنهم عاندوه في المجادلة والمحاجة بالباطل. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **ليُدْحِضوا به الحق**، أي ليبطلوا به الحق.

وقوله عز وجل: **واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا**، قال بعضهم: آياته الشمس والقمر وغيره؛ **وما أُنذروا** به، ما أُنذر به الرسل وهو[4] القرآن.[5] وقال بعضهم: قوله **واتخذوا آياتي**، القرآن والحجج التي أقامها، **وما أنذروا**[6] به غير القرآن من[7] المواعيد، **هزوا**. وقال صاحب[8] هذا التأويل: تأويل الأول باطل لا يصح، لأنه قال على أثره: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا.[9] يقول: هذا يدل أنه أراد بالآيات ما ذكرنا من الحجج والبراهين لا ما ذكر. وجائز أنهم إذا لم يعملوا[10] بآياته ولم يستعملوها نسبهم إلى الهُزْء بها والسخرية وإن لم يَهزءوا بها. وهو ما سماهم عُمْيا وبُكْما وصُمّا،[11] لما[12] لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك، فإذا كان[13] فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**. ثم يحتمل مجادلتهم إياهم ما قالوا: هذا سحر[14] وكهانة[15] وإنه إفك[16] وشعر[17] ونحوه.

---

[1] م – به.
[2] م – لكن.
[3] سورة التوبة، ٣٢/٩؛ وسورة الصف، ٨/٦١.
[4] ر ع م: هو.
[5] يعني لأمة محمد عليه السلام، و الكتب السماوية الأخرى للأمم السالفة.
[6] جميع النسخ: وما أمروا به؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.
[7] ن: هو؛ ر ع م: هي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.
[8] ر ع م – صاحب.
[9] الآية التالية.
[10] ن: لم يعلموا.
[11] ﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢. وانظر أيضا: الآية ١٧١).
[12] ر ع – لما.
[13] ن – فاذا كان.
[14] الآيات المتعلقة بهذه الدعوى كثيرة في القرآن، انظر على سبيل المثال: سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة القصص، ٤٨/٢٨؛ وسورة المدثر، ٢٤/٧٣.
[15] سورة الحاقة، ٤٢/٦٩.
[16] سورة الفرقان، ٤/٢٥.
[17] سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة يس، ٦٩/٣٦؛ وسورة الحاقة، ٤١/٦٩.

أو أن يكون مجادلتهم [إياهم] قولَهم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً،[1] وقولَهم: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[2] وأشباه ذلك من المجادلات التي كانت منهم. *والله أعلم*.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾**[٥٧]

وقوله عز وجل: **ومن أظلمُ ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها**، يحتمل قوله: **ذكر بآيات ربه**، أي وُعظ بالآيات التي نزلت بمكذبي الرسل من الأمم الماضية؛ فيكون تأويله أي لا أحد[3] أظلم على نفسه ممن وُعظ بآيات ربه فأعرض عنها ما لو اتّعظ بما وُعظ كان به نجاته. أو أن يكون تذكيره بآيات ربه هو[4] ما أقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها ولم يصدقها. أي لا أحد أظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الآيات والحجج ولم يقبلها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأعرض عنها**، يحتمل الإعراض عنها في الابتداء، أي لم يقبلها ولم يكترث إليها ولم ينظر فيها. أو أعرض عنها بعد ما عرفها أنها آيات وأنها حجج تعنتا وعنادا.

وقوله عز وجل: **ونسي ما قدمت يداه**، يحتمل[5] **نسي [ما قدمت يداه]**، من الخيانة والشرك. أو أن يكون قوله: **ونسي ما قدمت يداه**، موصولا بالأول، أي لا أحد أظلم على نفسه ممن وُعظ وجُعل له سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به. *والله أعلم*.

*وفي قوله: **قدمت يداه**، ذكر تقديم اليد وإن لم يكن لليد صنعٌ في ذلك، لما في العرف [٤٥٥و س١٨
الظاهر أنه إنما يقدِّم ويؤخِّر باليد؛ كذلك ما ذكر من الكسب: فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[6] لأنه في الشاهد إنما يكتسب باليد ونحوه. فهو يرد على أصحابِ الظاهر[7] أنّ الخطاب على مخرج
الظاهر؛ حيث لم يفهم من ذكر اليد هاهنا اليد نفسها، ولكن فُهم غير اليد.* ٤٥٥و س٢١]

---

[1] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[2] ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدُّونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ (سورة إبراهيم، ١٠/١٤).
[3] ع: أي إلى أحد.
[4] جميع النسخ: وهو، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٠ظ.
[5] جميع النسخ + أي.
[6] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[7] ر ع – الظاهر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٥و/سطر١٨-٢١.

وقوله عز وجل: **إنا جعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا**، إن الكفر مظلم إذا أتي به إنسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه. والإيمان منير ينير القلب وينير كل جارحة منه وعضو. وهو ما ذكرنا في غير موضع أن الإنسان إنما يُبصر بنورين ظاهرين: بنور نفسه وبنور ذلك الشيء، فإذا ذهب أحدهما ذهب الانتفاع بالآخر. والإيمان كما ذكرنا[1] أنه منير وفي القلب نور، فإذا اجتمع النوران معا فعند ذلك انتفع به فجعل يَفْقهُ ويعقل الشيء بنور القلب وبنور الإيمان. وكذلك كل جارحة[2] منه[3] من الأذن والبصر واللسان جعل يبصر الحق به[4] ويعتبر به ويستمع الحق والصواب. والكفر مظلم يمنع ويستر على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر ولا يستمع ولا يتكلم بالحق. وهو ما ذكرنا أن الإنسان إنما يبصر الشيء بنور العين وبنور الهواء فإذا ذهب أحدهما صار لا يبصر شيئا، فعلى ذلك ما ذكرنا.

وفي الآية دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه لا يخلو الكفر من أن يكون مظلما قبيحا ذميما [٤٥٥و] بنفسه أو بالله تعالى. / فإن قيل: بنفسه[5] صار كذلك. قيل: لئن جاز ذا جاز حدوث الأشياء بنفسها، إذ لا فرق بين أن يكون الشيء مظلما قبيحا ذميما بنفسه وبين أن يكون الأشياء بنفسها[6] على ما كانت. فإذا[7] بطل كونه[8] بنفسه مظلما قبيحا ثبت[9] أن الله هو الذي جعله[10] مظلما قبيحا. وهو ما نقول[11] نحن: إن الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الإيمان من المؤمن منيرا حسنا. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **وإن تدعُهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا**، هذا في قوم مخصوصين عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا، وإلا لا يحتمل في جميع الكفار، إذ من الكفار من قد آمن.

---

[1] جميع النسخ: ما ذكرنا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.
[2] ع: خارجة.
[3] ع – منه.
[4] م – به.
[5] ر ع م – بنفسه.
[6] ر ع م: بأنفسها.
[7] ر ع م: فإنه.
[8] ر ع م – كونه.
[9] م: يثبت.
[10] ر ع م: جعل.
[11] ر ع م: يقول.

وقال[1] الحسن: هو في الذين[2] جُعل على قلوبهم الغطاء والطبع، إذ من قوله: إن للكفر حدا إذا بلغ الكافر ذلك الحدَّ طُبع على قلبه فلا يؤمن أبدا. وقال بعضهم: هو في قومٍ عادتُهم العناد والمكابرة وتكذيب الآيات والحجج، فأخبر أنهم لا يؤمنون أبدا لعنادهم. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **وربك الغفور ذو الرحمة**، يحتمل أن يكون على وجهين. أحدهما **الغفور**، حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم؛ **وذو الرحمة**، يقبل توبتهم إذا تابوا. والثاني **الغفور**، إذا استغفروا وتابوا؛ **وذو الرحمة**، يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب.

وقوله عز وجل: **لو يؤاخذهم بما كسبوا لَعَجَّلَ لهم العذاب** في الدنيا؛ **بل لهم موعد**، قال الحسن: جعل الله لكل أمة يَهلِكون لهلاكهم موعدا وأجلا، كقوله: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ،[3] وقال في آية أخرى:[4] [فَعَقَرُوهَا فَقَالَ:] تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.[5] وجعل موعد هذه الأمة الساعةَ، وهو قوله: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ،[6] الآية.[7] قال بعض أهل العلم: أهلك كل أمة كذبت رسولها لتتعظ الأمةُ التي تأتي بعدها، وجعل هلاك أمة محمد بالساعة لأنه ليس بعدها أمة تتعظ[8] به.

وقوله عز وجل: **لن يجدوا من دونه مَوْئِلًا**، قيل: ملجأ. وقال القتبي: يقال لا وَأَلَتْ نفسُك، أي لا نجتْ؛ ويقال: وَأَلَ فلان إلى كذا، أي لجأ.[9]

---

[1] م + و قال.
[2] ر م: قول الذين؛ ع: في القول الذي.
[3] ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ (سورة هود، ٨١/١١).
[4] ن – أخرى.
[5] سورة هود، ٦٥/١١.
[6] سورة القمر، ٤٦/٥٤.
[7] ر ع م – الآية.
[8] ن: توعظ.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لِمَهْلِكِهِمْ موعدا**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يجعلون المُهلَك هالكا قبل أجله؛ وقد أخبر عز وجل أنه جعل[1] **لمهلكهم موعدا**، لا يتقدم ولا يتأخر طرفةَ عين.*

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين**، قال أهل التأويل: **لا أبرح**، أي لا أزال **حتى أبلغ** كذا. فإن كان على هذا فهو ظاهر. وإلا حرف البَرَاح يعبّر عن البراح[3] عن المكان، أي لا أبرح المكان **حتى أبلغ مجمع البحرين**. وهو كأنه على الإضمار، أي لا أبرح أسيرُ معك حتى أبلغ كذا. كأنه سبق مِن فتاه أنه يسير إلى ذلك المكان دونه، على ما يقول الخادم لمولاه إذا أراد أن يسير لحاجة: أنا أسيرُ وأنا أذهب. فعند ذلك قال له موسى: **لا أبرح**، أي لا أفارقك وأسير معك **حتى أبلغ** ما ذُكر، أي أُمِرتُ بذلك. وقال بعضهم: سماه فتًى لأنه كان خادمَه يخدمه. وقال بعضهم: سماه فتى لأنه كان يتبعه ويصحبه ليتعلم منه العلم.

وقوله: **مَجْمَعَ البحرين**، أي ملتقى البحرين. وقوله: **أو أَمْضِيَ حُقُبًا**، قيل زمانا ودهرا. وقيل: الحقب ثمانون سنة. وقال بعضهم: هو بلغة قوم سنة. وقال بعضهم: هو على التمثيل على ما يبعد. وقيل: سبعون سنة، ونحوه. *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[٦١]

وقوله: **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما**، أضاف النسيان إليهما وإن كان الذي نسيه هو فتاه. وقال بعضهم: أضاف النسيان إليهما على الترك،[4] لأنهما فارقا ذلك المكان وتركا[5] الحوت فيه. وإنما أضاف النسيان إليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه، وإن كان الفتى هو الذي نسيه دون موسى، حيث قال: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ،[6] وكل مَنسِيٍّ متروك. وقال بعضهم: أضاف إليهما لما كان منهما جميعا النسيان، نسي الفتى أن يذكره ويخبره أن سَرَب في البحر.

---

[1] ر ع م – أنه جعل.

* وقع هنا مقطع من تفسير لآية السابقة برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٥و/سطر١٨–٢١.

[3] جميع النسخ: يعرف لبراح. والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٠ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٥٣٧و.

[4] ع: على الترك.

[5] ر ع م: وترك.

[6] سورة الكهف، ٦٣/١٨.

ونسي موسى أن يستخبره عنه؛ فقد كان منهما جميعا النسيان: عن الفتى الإخبار والتذكير وعن موسى الاستخبار عن حاله. وقال بعضهم: أضاف ذلك إليهما لما نسيا مكان الرجل الذي أُمر موسى أن يأتيه ويقتبس منه العلم. فهو على الجهل يخرج على[1] هذا التأويل، أي جهلًا مكانه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاتخذ سبيله في البحر سربا**. قال أبو عَوسَجَة: **سَرَبًا**، أي دخل في البحر كما يدخل في السَّرَب؛ والسَّرَب هو دخل الأرض، يقال بالفارسية سُمج.[2] وقال القُتَبي: **سربا**، أي مذهبا ومسلكا.[3]

وقول أهل التأويل: إن الحوت كان مَشْويا فأحياه الله، وقال بعضهم: كان طَرِيًا. ولكن ليس لنا إلى معرفة الحوت أنه كان مَشْويا أو طَرِيًا حاجةٌ، وهو قادر على أن يحييه مَشْويا / أو طريا في أي حال كان. *والله أعلم*. [٤٥٥ظ]

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فلما جاوزا**، يعني مكانه، **قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**.[4] فيه دلالةُ أنْ لا بأسَ[5] لرجل إذا أصابته مشقة وجهد أن يذكر: أصابني كذا، وللمريض [أن] يقول: بي من المرض كذا. ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى والجزع عن الله حيث قال موسى عليه السلام:[6] **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**، أي[7] تعبا وجهدا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**. وفي حرف ابن مسعود: "أن أُذَكِّرَكَهُ".[8] قال الحسن: لم يكن نسيه ولكن تركه متعمدا مضيِّعا، وإنما أضاف إلى الشيطان يقول: إن الشيطان هو الذي حملني حتى تركت ذكره لك.

---

[1] ر م: على.
[2] انظر: *فرهنك فارسي عميد* للحسن عميد، «سمج».
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.
[4] ر ع م: أيضا.
[5] ع: أن بأس.
[6] ر ن م – موسى عليه السلام.
[7] ن – أي.
[8] ر ع م: أن أذكر له. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

وكذلك يقول [الحسن] في قوله في قصة آدم: فَنَسِيَ،[1] أي ضيع أمره وتركه ونحوه من المَحالّ.[2] ولكن لا يحتمل أن يترك أن[3] يذكر له عمدا.[4] والشيطان مما يسعى بالحيلولة في مثل هذا في أمر الدين، وفي النِّعم إذا كثرت واتسعت على إنسان فيسعى بالإنساء[5] في مثله.

وقوله عز وجل: **واتخذ سبيله في البحر عجبا**، قال بعضهم: عجب موسى من الفتى أنْ كيف نسي أن يذكِّره وقد احتاج إلى أن يتحمل مَئُونة عظيمة في حمله. وقال بعضهم: عجِب موسى منه حين يَبُس له الماء وأثره فيه.[6] ***والله أعلم***. ثم [لما] ذكر [الفتى] موسى بخبر الحوت وما صنع قال:[7] ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ،[8] أي نطلب من حاجتنا من الظفر بذلك الرجل، يقول ذلك لفتاه.

ثم في الآية وجوه من الفوائد. أحدها أن يلزم الإنسانَ طلب العلم واقتباسُه، إذا كان[9] به وبالناس[10] حاجةٌ إليه وإن بعُدت الشُّقَّة ونَأَى الموضعُ، حيث قال موسى: لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.[11] وفيه أن لا بأس لاثنين أن يسافرا، ولا كل واحد واثنين يكونان شيطانين على ما ذكر في بعض الأخبار: أن الواحد شيطان والاثنين شيطانان؛[12]

---

[1] ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٥).

[2] «وكأنه حمله على هذا ونحوه من المحال لما لا يرى النسيان جائز المؤاخذة فحمل النسيان ههنا على الترك، لأنا نستدل بهذه الآية حيث قال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ أضاف الإنساء إلى الشيطان. وإنما يسعى الشيطان في كل ما هو جائز المؤاخذة؛ لما لعله يؤاخذ الذي أوقعه فيه بذلك. وكذلك في قصة آدم، ذكر النسيان وجعل ذلك منه زلة حتى عاتبه بذلك. فدل أن النسيان جائز المؤاخذة. وما ذكر أن المراد منه أنه ترك ذكر خبر الحوت لموسى عمدا لا معنى له، لأن الله تعالى أخبر عنه أنه أضاف ذلك إلى الشيطان. ولو كان المراد هو ترك الذكر له عمدا لم يكن للإضافة إليه معنى، لأن الشيطان إنما يسعى في الأغلب بالحيلولة والمنع فيما كان من أمر الدين أو يفضي إليه وفي النعم إذا كثرت واتسعت على إنسان فيسعى في الإنساء في مثله. فأما السعي والحمل على ترك ذكر الحوت لا معنى له. وأما في إنساء أمر الحوت للفتى حتى يحتاج إلى الرجوع وطلبه وفيه تعب عظيم وقلّ ما يخلو ذلك عن تقصير في أمر الدين فمما يسعى له الشيطان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧١و).

[3] ن + أن.

[4] أي لا يحتمل أن يترك الفتى تذكير موسى عليه السلام عمدا.

[5] ن ع م: بالإنسان.

[6] «وقال بعضهم: عجب موسى مما أخبره الفتى أن الحوت اتخذ سبيله في البحر ويبس له الماء وأثره فيه» (شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٥٣٧ظ).

[7] جميع النسخ: فقال.

[8] من الآية التالية.

[9] ن ع م: إذ كان.

[10] ع: والناس.

[11] سورة الكهف، ١٨/٦٠.

[12] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراكب شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ» (سنن *أبي داود*، الجهاد ٨٦).

ولكن واحد دون واحد واثنان[1] دون اثنين.[2] وفيه أنه لا يسافر إلا بالزاد حيث تزود موسى والفتى الحوتَ[3] الذي ذكر[4] حين خرجا إلى حيث أُمر موسى أن يخرج في مجمع لبحرين.

فأما أهل التأويل فإنهم قالوا جميعا: إنه أُمر موسى أن يأتي الخَضِر ليتعلم منه العلم. ولكن ليس في القرآن ذكر الخضر إنما فيه ذكر عبد من عباده، حيث قال: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا.[5]

وفيه أن الثُّنيا إنما تلزم في كل فعل مستقبل مما يُشكّ فيه ويُرتاب. فأما ما[6] كان سبيل معرفته الوحيَ واليقينَ فإنه لا يُستثنى فيه، حيث قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.[7] قال ذلك من غير ثنيا، لأنه عز وجل أمر[8] أن يأتيه. ولا يحتمل أن يؤمر بالإتيان في مكان ثم هو يَشك أنه لعله لا يأتيه، لذلك قطع القول فيه. وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[9] قطع القول فيه من غير ثنيا،[10] لأنه علم بالوحي أنه لا يصبر على[11] ما يرى منه. وأما موسى فإنه قد استثنى فيما وعد أنه يصبر، لأنه أضافه[12] إلى حادث من الأوقات على الشك منه أنه يصبر أو لا يصبر[13] على[14] الارتياب ليس على اليقين، فقال: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا،[15] مما ذكرنا.

وفيه أن الرجل إذا اختلف إلى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فرأى منه مناكير ومظالم، يلزمه أن يفارقه ولا يتعلم منه العلم كصنيع موسى بصاحبه،[16] لما رأى منه ما رأى[17] من خرق السفينة

[1] جميع النسخ: واثنين.
[2] «ولكن المراد منه واحد دون واحد واثنان دون اثنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧١ظ).
[3] ر ع م: والحوت.
[4] ن: ذكره.
[5] سورة الكهف، ٦٥/١٨.
[6] ن: ن.
[7] سورة الكهف، ٦٠/١٨.
[8] ر ع – أمر.
[9] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[10] ع: غير أن ثنيا.
[11] ع + عمي.
[12] جميع النسخ: أضاف.
[13] ع: أو يصبر
[14] ر ع م: وعلى.
[15] سورة الكهف، ٦٩/١٨.
[16] م: صاحبه.
[17] ر ع م – منه ما رأى.

وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما[1] في الظاهر،[2] وإن كان ما فعل هو فِعْلَ الأمر، كرة موسى صحبته وندم على ذلك أشد الندامة، حتى جعله[3] على علم من ذلك كله. فهكذا الواجب على الرجل إذا رأى مناكير من الذي يأخذ منه العلم ومظالم أن يفارقه ولا يأخذ من علمه.[4] **والله أعلم**.*

ثم هذه القِصص والأنباء التي ذكرت لرسول الله على إثْر سؤالٍ كان منهم على ما ذكرنا في قصة أصحاب الكهف وغيرها من القِصص، أو على غير سؤال ولكن كانت في كتبهم فذُكر له ليعلم أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي أُمر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبغْيِه إليه.[6] قال بعضهم: وذلك أن موسى قام خطيبا في قومه فخطب خطبة لم يخطب قط مثلها فأعجبه ذلك فوقع عنده أن ليس أحد أعلم منه؛ فأُخبر أن في مجمع البحرين رجلا أعلمَ منك، فأمر بالمصير إليه والتعلم منه. وقال بعضهم: لا، ولكن موسى قد أُعطي التوراةَ وفيها علوم كثيرة فظن أنه ليس أحد أعلم منه؛ فأُخبر أن في[7] مجمع البحرين عبدا من عباد الله[8] أعلمَ منك. فأمر بالمصير إليه والتعلم منه.

فإن كان على ما ذكر أهل التأويل من السبب فيخرج الأمر له بالمصير إليه والتعلم منه مخرجَ العقوبة له والعتاب، لما خطر بباله ووقع في وهمه ما وقع. وجائز أن يكون الأمر له بالمصير [٤٥٦و] إليه والتعلم منه ابتداءً محنةً من الله تعالى إياه بتعلم العلم / من غير سبب كان من[9] موسى، على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنةً من الله يمتحنه بها، نحو ما أمر موسى بالمصير إلى طور سَيْنَاءَ وأُعطي هنالك التوراةَ في الألواح على غير سبب كان منه ولكن ابتداءَ محنةٍ يمتحنه بها.[10] فعلى ذلك يحتمل أمرُه له بالمصير إلى ما أمر[11] والتعلم منه ابتداءَ محنةٍ امتحنه بها.

---

[1] ع: أو ظلما.
[2] م + في الظاهر.
[3] ع: يجعله.
[4] ن: منه العلم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية الآتية برقم ٦٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٥ظ/سطر٢٨-٣١.
[6] ر ع م: عليه.
[7] ع - في.
[8] ر ع م: رجلا. وفي الشرح أيضا: "عبدا من عباد الله"، ورقة ٤٧١ظ.
[9] ر ع م - من.
[10] جميع النسخ: به، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧١ظ.
[11] ع: أمره.

وقول أهل التأويل: إن صاحب موسى الذي أُمر موسى بالمصير إليه والتعلُّم منه الخضر، وفتاه الذي كان يصحبه ويتبعه يوشع بن نون؛ فذلك لا يُعلم[١] إلا بالسمع والخبر عمن يوحَى إليه فيعلمه بالوحي. وأما من أخبر ذلك وقاله لا عن وحي فلا يُعْلم ذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حجة، إنما الحاجة إلى معرفة ما أُودِع فيه من أنواع الحكمة والعلوم.

وأما ما ذكروا أنه فلان وأنه كان في موضع كذا في البحر وأن موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا، فإن سبيل معرفة ذلك السمعُ. فإن ثبت السمع فيه، وإلا لم يجب أن يذكر فيه أكثر مما[٢] ذكر في الكتاب. لأن هذه الأنباء والقِصص التي ذكرت في القرآن إنما ذكرت لتكُون آيةً لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فلو قيل فيها ما لم يذكر في كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا لإكْذَابه لا تصديقه على ما يَدَّعي من الرسالة.

**﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **ذلك ما كنا نَبْغِ**، أي فقدُ الحوت هو ما كنا نبغي. إذ كان ذلك عَلَما لوجود مكان ذلك الرجل.

وقوله عز وجل: **فَارْتَدَّا على آثارهما قَصَصا**، قال بعضهم: أي رجعا عَوْدَهما على بَدْئِهما. قال بعضهم: أي رجعا يقُصّان طريقهما وآثارهما الذي مشَيَا فيه يطلبان المكان الذي فُقِد الحوت فيه؛ إذ ذلك المكان هو مكان علم وجود ذلك الرجل الذي أُمر موسى بالمصير إليه. وقال بعضهم: اقتصّا أثر الحوت في الماء. لكن الأول أشبهُ،[٣] لأن في الآية ذكرَ آثارهما لا ذكر أثر الحوت.

**﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا**، يحتمل **رحمةً من عندنا**، النبوةَ، حيث قال لموسى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[٤] لا يحتمل أن يقول له هذا إلا على علمٍ وحيٍ، وحيث قال: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي،[٥] أخبر أنه لم يفعل[٦] ما فعل عن أمر نفسه ولكن بأمر الله.[٧] ***والله أعلم.***

[١] ع - لا
[٢] ع: م.
[٣] ر: أشبه.
[٤] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[٥] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[٦] جميع النسخ: لم يفعله.
[٧] ر ن ع: أمر الله.

ويحتمل قوله: **رحمةً من عندنا**، كلَّ خير وكل بركة أعطاهما[1] الله إياه. أو أن يكون رحمةَ القلب وشفَقتَه التي كانت منه على أهل السفينة بخرقها وقتلِ ذلك الغلام الذي قتله إشفاقا منه على والديه أو على الناس، وإقامةِ الجدار الذي[2] كاد أن ينقضّ فأقامه، وأمثاله.

وقوله عز وجل: **وعلّمناه من لدُنّا علما**، هو ظاهر.

**﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾**[٦٦]

وقوله عز وجل: **قال له موسى هل أتّبعُك على أن تُعلِّمنِ**. في قوله: **هل أتّبعُك**، دلالة أنه كان على سفر ولم يكن مقيما في ذلك المكان. ومن يتعلم من آخرَ علما فإنه يتبعه حيث يذهب هو في حوائجه، لا يؤمر بالمُقام حيث يقيم[3] المتعلم، لأنه قال: **هل أتبعك على أن تُعلّمنِ**.

وقوله: **مما عُلِّمتَ رُشْدا**، يحتمل أي أرشِدني إلى ما عُلِّمتَ، أو علِّمنِي[4] مما علمت من الرشد والصواب.

**﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾**[٦٧] **﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾**[٦٨]

وقوله عز وجل: **إنك لن تستطيع معي صبرا**، بما ترى مني من الأمور ما يخرج في الظاهر مخرج المناكير. أو يقول: إنك نبي ورسول، والرسول إذا رأى منكرا في الظاهر لا يَسَع له تركُ الإنكار عليه والتغيير. وأنت لا تصبر على ما ترى مني لما لم تعرف سببه. ألا ترى[5] أنه وَسّع له الإنكارَ عليه والتغيير حيث قال له: **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**، أي ما لم تعلم علما، ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾**[٦٩]

وقوله عز وجل: **قال ستجِدُني إن شاء الله صابرا ولا أعْصِي لك أمرا**، يحتمل أن يكون[6] الثُّنيا منه على الأمرين جميعا: على الصبر الذي وعد، وعلى قوله: **ولا أعصي لك أمرا**. ويشبه أن يكون على وعد الصبر خاصة دون قوله: **ولا أعصي لك أمرا**، لأن قوله: **ولا أعصي لك أمرا**،

---

[1] ر ع م: أعطاه.
[2] جميع النسخ: لتي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧١ظ.
[3] ن: تعلم.
[4] جميع النسخ: تعلمني.
[5] ن: لا يري.
[6] ر م - يكون.

عهدُ[1] منه، والثنيا لا تستعمل[2] في العهود. وأما قوله: **ستجدني إن شاء الله صابرا**. إنما هو فعل أضافه إلى نفسه فلا بد من أن يستثني فيه.

[٤٥٥ظ س ٢٨ * وفي قوله: **ستجدني إن شاء الله صابرا**. دلالةُ أنَّ الاختيار والمستحب في الثنيا أن يكون في ابتداء الكلام. لأن موسى ابتدأ به. وكذلك قوله: وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ.[3] فإذا تركه في أول كلامه أو نسي يستثني في آخره فيعمل عمله في دفع الخُلف في الوعد والكذب. وعلى هذا تأوّل[4] بعض الناس قولَه: وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ،[5] أي استثنِ في آخره إذا نسيت في أول كلامك. *والله أعلم*.* ٤٥٥ظ س ٣١]

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[٧٠]

وقوله تعالى: **فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء**، مما تنكره نفسُك وتكرهه **حتى أحدث لك منه ذكرا**، أي[7] لماذا فعلتُ ما فعلتُ.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾[٧١]

وقوله: **فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِق أهلها**، هذا الكلام يخرج على وجهين. يخرج على الإنكار عليه، أي **أخرقتها لتغرق أهلها**، لما رأى ذلك الفعل منكرا في الظاهر فأنكر عليه. وكذلك كانت عادة الأنبياء والرسل. والثاني على الاستفهام، أي **أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِق أهلها**،[8] أو لتُعَيِّبها، أو لماذا؟ وظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله: **لقد جئت شيئا إمرا**. فإن كان على الأول: على الإنكار عليه والرد فقوله: **لقد جئت شيئا إمرا**، ظاهر،[9] أي جئت شيئا عظيما شديدا. وإن كان على الاستفهام فهو على الإضمار كأنه قال: **أخرقتها لتغرق أهلها؟** فلئن خرقتها لتغرق أهلها **لقد جئت شيئا إمرا**، أي عظيما شديدا.

---

[1] ع: أحد.
[2] ر م: لا يستعمل؛ ع: لا يحتمل.
[3] سورة البقرة، ٧٠/٢.
[4] ن: يأول؛ ع: تأويل.
[5] سورة الكهف، ٢٤/١٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٥٧، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٥ظ/سطر٢٨-٣١.
[7] ر: أن؛ ع م: أي.
[8] ر ع م - لما رأى ذلك الفعل منكرا في الظاهر فأنكر عليه وكذلك كانت عادة الأنبياء والرسل والثاني على الاستفهام أي أخرقتها لتغرق أهلها.
[9] ر ع م: ظاهرا.

وإن كان التأويل على الإنكار فهو كما يقال لمن يبني بناء ثم يترك الإنفاق عليه في عمارته: بَنَيْتَ لتُخرِب أو لتهدم.[1] وكما يقال لمن زرع زرعا ثم ترك سَقْيه: زرعتَ لتُفسِده، ونحوه؛ وإن كان لم يَبْنِ لذلك ولم يزرع لما ذكر، ولكن لِما كذلك يصير في العاقبة إذ تَرك سقيه أو عمارةَ ما بَني.

فإن قيل: كيف قال له موسى: **أخَرقْتَها لتغرق أهلها؟** وبعدُ لم يعلم أن ذلك الخرق مغرِق أهلَها، وقد يجوز أن يكون غيرَ مُغرِق.

[٤٥٦ط] قيل: إنما أخبر عما يئول الأمر في العاقبة، والظاهر من الخرق أن يغرق في الآخرة. وهو كما ذكرنا من أمر البناء والزرع: بَنَيْتَ لتُخرِب وزرعتَ لتُفسِد، وإن لم يكن بناؤه وزراعته لذلك. فعلى ذلك قول موسى لصاحبه. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**، هذه الآية على المعتزلة، لأنه قال له: **إنك لن تستطيع معي صبرا**، وقد كان له من الأسباب ما لو لم يُؤثر غيره لاستطاع الصبر معه، فإذا قال له: **لن تستطيع معي صبرا**،[2] دل أنه كان يحتاج إلى استطاعةٍ تُقارن الفعلَ[3] فيكون بها[4] الفعلُ. وإلا قد كانت له أسباب لو لم يُؤثِر غيرَه لاستطاعَ[5] الصبر معه. دل أن استطاعة الفعل لا تتقدم الفعل[6] ولكن تقارنه.

وقال الحسن: إنما يقال هذا للاستثقال كما يقول الرجل لآخر:[7] لا أستطيع أن أنظر إليك بُغْضا، وهو ناظر إليه. لكن يقال ذلك على الاستثقال والبغض ليس على حقيقة نفي الاستطاعة.[8] فعلى ذلك الأول. فيقال له: هو كما يقال: لا أستطيع أن أنظر إليك نظرَ الرحمة، فهو وإن كان ناظرا[9] إليه لما ذكر فهو غير ناظر إليه نظرَ رحمة وشفَقة، فهما سواء. وهو ما نقوله.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: ولتهدم.
[2] ر ع م – وقد كان له من الأسباب ما لو لم يؤثر غيره لاستطاع الصبر معه فإذا قال له لن تستطيع معي صبرا.
[3] ر م + لا يتقدم الفعل؛ ع + ولا يتقدم الفعل.
[4] ع: فيها.
[5] ر ع م: لا استطاع.
[6] ر ع م – لا تتقدم الفعل.
[7] ر: للآخر
[8] ع: الاستطاع.
[9] ع: ناظر.
[10] ر: يقوله؛ ع م: يقول.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **لا تؤاخذني بما نسيت**، يحتمل هذا الكلام وجوها. أحدها على التعريض من الكلام، أي **لا تؤاخذني بما نسيت**، كقول إبراهيم حيث قال: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ- إِنِّي سَقِيمٌ،[١] ونحوه، أي سأسقُمُ.

والثاني على حقيقة النسيان. نسي قوله: فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ،[٢] لما رأى من المناكير في الظاهر. وهكذا كانت عادة الأنبياء أنهم إذا رأوا منكرا لا يملكون أنفسهم حزنا وغضبا على ما رأوا. فلا يُنكَرُ أن يكون نسي ما قال له. وقال بعضهم: على التضييع والترك؛ فهو يخرج على الأول. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولا تُرهقني من أمري عسرا**، قال بعضهم: لا تكلِّفني من أمري ما يعسّر عليّ. وقال بعضهم: لا تحمِّل[٣] عليّ.[٤] وقال بعضهم: الإرهاق هو الشدة والتعب. وقال بعضهم: **ولا ترهقني**، أي لا تُغْشِني عسرا.[٥]

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[٧٤]

وقوله: **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أَقَتَلْتَ نفسا زكية**[٦] **بغير نفس**، يحتمل هذا الكلام أيضا وجهين. على الإنكار والرد عليه. والثاني على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا في الأول: **أَقَتَلْتَ نفسا زكية بغير نفس**، أو بحق، أو لما ذا؟ و على الإنكار[٧] والرد على ما رأى في الظاهر قتلَ نفسٍ ولم يعرف الوجه الذي به يجب القتل.

وقوله عز وجل: **لقد جئت شيئا نكرا**، هو -على ما ذكرنا- على الإنكار ظاهر. وعلى الاستفهام والسؤال على الإضمار: **أَقَتَلْتَ نفسا زكية بغير نفس؟** فلئن فعلت **لقد جئت شيئا نكرا**، أي منكرا.

---

[١] سورة الصافات، ٨٨/٣٧-٨٩.
[٢] جميع النسخ + بعدها. وهذه الكلمة واردة في قوله تعالى: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ (سورة الكهف، ٧٦/١٨) من قول سيدنا موسى. والآية المذكورة في المتن: ﴿قال فإن اتَّبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكرا﴾ (سورة الكهف، ٧٠/١٨).
[٣] ر م: لا يحمل.
[٤] ع – وقال بعضهم لا تحمل علي.
[٥] انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٠. يقول [موسى]: لا تضيق على أمري معك وصحبتي إياك (تفسير الطبري، ١٨٥/١٥).
[٦] ر م: زاكية، وهي قراءة نافع وابن كثير و أبي عمرو وأبي جعفر (انظر: زبدة العرفان لعبد الفتاح بالوي، ٨٦).
[٧] ر م: أو على الإنكار.

ثم اختلف في قوله: **نكرا**، قال بعضهم: **نكرا**، أكبر من قوله: إِمْرًا،[1] لأن فيه مباشرةَ القتل وإهلاكِ النفس بغير نفس، فهو أكبر؛ وليس في نفس الخرق إهلاك، وإنما هو سبب الإهلاك وقد يجوز أن لا يَهْلِك. وقال بعضهم: قوله: إِمْرًا، أكبر من قوله: **نكرا**. لأن فيه إهلاكَ جماعة وههنا إهلاك واحدة فهو دون الأول. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٧٥] ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[٧٦]**

وقوله عز وجل: **قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا**، ما ذكرنا في الأول.

وقوله: **قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لَدُنّي عذرا**، في ترك المصاحبة عذرا، لما قلتَ لي: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[2] ولم أصبر.

**﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[٧٧]**

وقوله عز وجل: **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية**، سمي قرية وهي كانت مدينة. ألا ترى[3] أنه قال في آخره: وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ،[4] دل أنها كانت مدينةً، والعرب[5] قد تسمي[6] المدينة قرية.

وقوله: **استطعما أهلَها فأبَوْا أن يُضَيِّفُوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن يَنْقضَّ فأقامه**، قال الحسن: كان ذلك الجدار كهيئةٍ أنه يسقط عند الناظر.[7] وقال أبو بكر الأصم: **يريد أن يَنْقضَّ**، الإرادة صفة كل فاعلٍ له حقيقةُ الفعل أو ليس له حقيقة الفعل بعد أن يُضاف إليه الفعلُ. ألا ترى[8] أنه يقال للجدار: سقط، وإن كان في الحقيقة يسقط.[9] وعندنا أنه إنما يقال ذلك لقرب الحال

---

[1] ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتُغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ (سورة الكهف، ٧١/١٨).
[2] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[3] ن: ألا يرى.
[4] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[5] ع: مدينة العرب.
[6] ع: سمي.
[7] جميع النسخ: كهيئة عند الناصر أنه يسقط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٢و.
[8] ن: ألا يرى.
[9] ع – وان كان في الحقيقة يسقط.

وعند الإشراف على الهلاك والسقوط. ألا ترى[١] أن الرجل يقول: إني[٢] أردت أن أموت وأردت أن أهبِط وأردت أن أسْقُط، وهو لا يريد الموت ولا السقوط ولكنه يذكر ذلك لإشرافه على الهلاك وقربِ الحال إليه ليس على حقيقة الإرادة؛ فمعنى ذلك قوله: **يريد أن يَنْقَضّ فأقامه**، أي أشرف[٣] وقرب على حال السقوط. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **قال لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجرا**، هذا القول من موسى يحتمل وجهين. أحدهما قال: **لو شئت لاتخذت عليه أجرا**، لشدة حاجته إلى الطعام لئلا يقع هما حاجة إلى أهل تلك البلدة، إذ قد وقع لهما إليهم حاجة حيث قال: استطعما من أهلها مرة فلم يطعموهما، فأراد أن يأخذ على ذلك أجرا لئلا يقع هما حاجة إليهم ثانيا. والثاني قال له ذلك لما لم ير أهلَ تلك البلدة أهلا ليُصنع إليهم المعروفُ، لما رأى فيهم من البخل والضِّنة في الطعام حيث استطعماهم فلم يطعموهما[٤] بُخلاً منهم وضِنّةً. ***والله أعلم***.

وذكر في بعض القصة أن الجدار الذي أقامه صاحب موسى كان طولُه خمسمائة ذراع وقامتُه مائتي[٥] ذراع وعرضه أربعين ذراعا أو نحوه،[٦] تحتَه طريقُ القوم. لكن لا حاجة لنا إلى معرفة ذلك، إنما الحاجة إلى ما فيه من أنواع الحكمة والفوائد.

**﴿قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٧٨] ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٧٩]**

وقوله[٧] عز وجل: **قال هذا فراق بيني وبينك سَأُنَبِّئُكَ / بتأويل ما لم تستطع عليه** [٤٥٧ر] **صبرا**،[٨] أي **سَأُنَبِّئُكَ** ببيان ما قلتُ لك: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[٩] ثم بين وفسره له فقال:

---

[١] ن: ألا يرى.
[٢] ر ع م: إن.
[٣] ر ع م: شرف.
[٤] ع: فلم تطعموهم.
[٥] م: مائة.
[٦] ر: أو نحو.
[٧] ر: قوله.
[٨] ر م + أي سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.
[٩] سورة لكهف، ٦٧/١٨.

**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها**، أي اجعلها معيبة. قوله: **وكان وراءهم ملك**. ذكر في بعض الحروف: "وكان أمامهم ملك"[١] **يأخذ كل سفينة غصبا**. وفي حرف ابن مسعود: "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا،"[٢] فعلى ذلك التأويلُ فيه: **فأردت أن أعيبَها**، أي أجعلَها مَعِيبة لئلا يأخذها ذلك الملك غصبا. إذ كان لا يأخذ إلا سفينة صالحة صحيحة. ***والله أعلم***.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين**، اختلف في سن ذلك الغلام. قال بعضهم: كان ذلك الغلام كبيرا بالغا، والعرب قد تسمي الرجل البالغ الذي لم يَلْتَحِ بعدُ أو لم يستو لحيتُه غلاما لقربه بوقت البلوغ. ولذلك[٣] قال له موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟[٤] والصغير[٥] مما لا يُقتل إذا قَتل نفسا بغير حق. فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، معنى.[٦] وقال بعضهم: كان ذلك الغلام صغيرا، وقول موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لو احتمل هذه النفسُ القتل لكان ذلك قتلَ نفس بغير نفس،[٧] وهو كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:[٨] «إن إيمانكم يحقن[٩] دماءكم»[١٠] إذا ظهر منهم الدم، وكقوله: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأنٌ»[١١]

---

[١] كما في حرف ابن عباس، انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

[٢] ر ع م – وفي حرف بن مسعود وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

[٣] ر ع م: وكذلك.

[٤] سورة الكهف، ٧٤/١٨.

[٥] ع: والصغر.

[٦] ر ع م – معنى.

[٧] ر ع م – وقال بعضهم كان ذلك الغلام صغيرا وقول موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لو احتمل هذه النفس القتل لكان ذلك قتل نفس بغير نفس.

[٨] ر ع م – قال.

[٩] جميع النسخ: تحقن.

[١٠] جميع النسخ + أي يمانكم تحقن دماءكم. لم أجده بهذا اللفظ، لعل فيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» (*صحيح البخاري*، الاعتصام ٢٨؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٣٤-٣٦).

[١١] *صحيح البخاري*، التفسير ٣/٢٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٦٦/٣. انظر: تفسير قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم...﴾ (سورة النور، ٢٤/٦-٩).

إذا ظهر منها الزنا، فعنى ذلك قوله: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ،[1] لو[2] كانت[3] محتمةً القتلَ بالنفس. *والله أعلم.*

ثم اختلف في سبب قتل ذلك الغلام. قال بعضهم: قتله لكفره، كان كافرا. وكذلك ذكر في حرف أبي بن كعب: "وأما الغلام فكان كافرا."[4] ألا ترى[5] أنه قال: **فخَشِينا أن يُرْهقهما طغيانا وكفرا**، دل هذا أنه كان بالغا كافرا، إذ لو لم يكن كافرا لم يَلحق والديه منه الطغيان والكفر. وقال بعضهم: إنما قتله لأنه كان لِصًا قاطعَ الطريق يقطع[6] الطريق[7] على الناس ويأخذ أموالهم. وعلى قول من يقول: إنه كان صغيرا، قتله لأنه علم أنه لو بلغ لبلغ[8] كافرا. والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك السبب الذي قتله حاجة ولا أنه كان صغيرا أو كبيرا،[9] لأنه أخبر أنه إنما قتله بأمر الله لا من تلقاء نفسه حيث قال: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي،[10] ولكن إنما فعلته بأمر الله. ولله أن يأمر عبدا من عباده[11] بقتل الصغير على ما له أن يميته وعلى ما يأمر ملك الموت بقبض أرواح الخلق. فعلى ذلك له أن يميته على يدَيْ آخرَ[12] وأن يقبض روحه، إذ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.[13]

وقوله عز وجل: **فخشينا أن يُرْهِقهما طغيانا وكفرا**، ليس هو الخوف ولكن العلمَ، أي علمنا **أن يرهقهما طغيانا وكفرا**. وكذلك ذكر في حرف أُبي.[14]

فإن قيل: كيف احْتَجَّ على قتله[15] وإهلاكه بما عَلِم أنه يَلحق أبويه منه الطغيان والكفرُ وقد تَرَك إبليس وجنوده يعيشون إلى آخر الدهر، على علم منه أنهم يحملون الناس على الطغيان

---

[1] سورة الكهف، ٧٤/١٨.
[2] ع – لو.
[3] ر م: ولو كانت؛ ع: كان.
[4] نظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٤.
[5] ن: ألا يرى.
[6] ن: تقطع.
[7] م – يقطع الطريق.
[8] ر ع م – لبلغ.
[9] ر ع م: وكبير.
[10] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[11] ن: من عبادنا.
[12] ن: أخره.
[13] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[14] انظر لقراءة أبي "فخاف ربك": *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٤.
[15] أي كيف كان احتجاج الله في حكمته على قتل الغلام.

والكفر ويُرهقونهم أنواع المعاصي والفواحش؟ وكذلك هؤلاء الظَلَمة الذين لا يكون منهم إلا كل شر وجَوْر على الناس، تَرَكَهم[1] على علم منه بما يكون منهم. فما معنى الاحتجاج في قتله وإهلاكه بما ذكر من إرهاق الطغيان والكفر بالوالدين؟

قيل: هذا جوابان. أحدهما أن الله عز وجل قد يمتحن البشر بمعان وعلل وأشياء تحملهم تلك المعاني والأشياء على الرغبة والحث[2] فيما امتحنهم، وإن كان له الامتحان لا على تلك المعاني والعلل. نحو ما امتحنهم بأنواع العبادات والطاعات بثواب وجزاء ذُكر لهم فيها لو فعلوا، وإن كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء. وكذلك العقوبات وغير ذلك من المحن. فعلى ذلك الأول.[3]

والثاني ذكر هذا لِيُطَيِّبَ به أنفسَهم إحسانا منه إليهم وإنعاما عليهم، إذ له أن يميتهم صغارا وكبارا. وعلى ذلك يخرج قوله: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ،[4] الآية، وقد وَسَّع على كثير من الخلق، وكذلك قوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[5] الآية، وقد جُعل لكثير[6] من الخلق ذلك. لكن ذكر[7] هذا لما له أن يفعل ذلك للكل، فمن لم يفعل ذلك له إنما لم يفعل[8] إحسانا منه وإفضالا. فعلى ذلك الأول، إنما ذكر ما ذكر إحسانا منه وإفضالا. ***والله أعلم***.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٨١]

وقوله:[9] **فأردنا أن يُبدِلهما ربُّهما خيرا منه زكاةً وأقربَ رُحما**، قال بعضهم: **خيرا منه زكاة**، أي صلاحا، **وأقرب رحما**، أي أوْصلَ رَحِما وأبرّ لوالديه. وقال بعضهم: **خيرا منه زكاة**، أي عملا، **وأقرب رحما**، أي أحسنَ منه بَرَّ الوالدين.

---

[1] م: من تركهم.
[2] ر ع م: والحنث.
[3] ر ع م: الأولى.
[4] ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لَبَغَوْا في الأرض ولكن يُنَزِّل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ (سورة الشورى، ٢٧/٤٢).
[5] ﴿ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضَّة ومَعَارج عليها يَظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).
[6] ر ع م: الكثير.
[7] ر ع م - ذكر.
[8] ن - لم.
[9] ر: قوله.

قال أبو عَوْسَجَة: **رُحْما**، من الرَّحِم والقرابة. وقال القتبي: **رُحْما**، أي رحمة وعطفا.[١] وذكر أنهما قد أُعْطِيا خيرا منه، أي خيرا من القتيل.[٢] ***والله أعلم***.

**﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾**[٨٢]

وقوله عز وجل: **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما**، اختلف في ذلك الكنز. قال بعضهم: كان ذلك الكنز مالاً كَنَزَه أبوهما. قال ابن عباس: حُفظ بصلاح أبيهما،[٣] وما ذُكر منهما صلاحا. وقال بعضهم: كان ذلك الكنز صُحُفا[٤] فيها علم. قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل[٥] أن يكون علما، لأن العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه، فلا يحتمل أن يُحفظ ذلك لهما دون الناس. فإن ثبت وحفظ ما روي في الخبر فهو مال وعلم. وروي عن [أنس] ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان تحت الجدار الذي قال الله في كتابه: **وكان تحته كنز لهما**، لوحٌ من ذهب فيه مكتوب: "بسم الله الرحمن الرحيم. عجبتُ[٦] لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت[٧] لمن أيقن بزوال الدنيا / وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ محمد رسول الله"».[٨] [٤٥٧ظ] فإن حفظ هذا عن رسول الله ففيه مال وعلم، لأن اللوح من الذهب مما يكثر ويعظم قدره. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأراد ربك أن يبلُغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزَهما رحمةً من ربك**، أي نعمة من ربك وإحسانا عليهما. إذ كان له أن لا يحفظ ذلك لهما ولا يوصله إليهما على ما لم يعط لكثير من اليتامى والمساكين شيئا من ذلك. لكن ذلك منه إليهما فضل وإنعام ورحمة عليهما. ***والله أعلم***.

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٠.
[٢] انظر الروايات المتعلقة بالذي أبدلهما ربهما خيرا منه: *تفسير الطبري*، ٤/١٦.
[٣] جميع النسخ: لصلاح أبيهما، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٣و؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٦/١٦.
[٤] ر ع م: مصحفا.
[٥] ر ع م + على.
[٦] ن: وعجبت.
[٧] ر ع م: عجبت.
[٨] لم أجد هذه الرواية، ولكن الطبري يروي مثلها من قول الحسن البصري. *تفسير الطبري*، ١٦/٥-٦.

وقوله عز وجل: **وما فعلته عن أمري**، هو ما ذكرنا أنه أخبر عن أمر الله فَعَل ما فَعَل لا عن[1] أمر نفسه.

وقوله عز وجل: **ذلك تأويل ما لم تَسْطِع عليه صبرا**، أي تأويل ما قلت لك في بدء الأمر: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[2]

ثم لا يحتمل أن يكون موسى حيث أُمر بالذهاب إلى ذلك الرجل والاتِّباع له[3] والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه إلا عِلْمَ ما أنكر عليه وسببَ حلّ ذلك له، إذ كان ذلك له[4] بإنكار ما أنكر عليه من الأفعال التي هي في الظاهر منكرة؛ لكن جائز أن يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك، لكنه لم يُذكر لنا ذلك. ***والله أعلم***.

وقول أهل التأويل: اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى خشنوذا، ولا أدري ماذا؟ ووالداه اسمهما كذا، لا نعلم ذلك، وليس بنا إلى معرفة أساميهم حاجة. وكذلك[5] [قالوا:] اسم الغلامين اليتيمين صاحبَي الجدار[6] أصرم وصريم، ولا أدري ماذا؟ لا حاجة بنا إلى ذلك. وقولهم: كان صاحب موسى خَضِرًا وأنه إنما سمي خضرا لأنه جلس على فَرْوة بيضاء فاخضرّت. فذلك أيضا مما لا يُعلم إلا بالخبر عن الوحي وحي السماء، فلا نقول فيه إلا قدر ما ذكره الكتاب؛ فإنه يخرج ذكره مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك [من][7] عمل أو غيره. وليس في الكتاب إلا ذكر "عبد من عبادنا" وذكر "الغلامين" وذكر "الفتى" وذكر "غلامين يتيمين في المدينة". وأمثالُه، يقال ما فيه [أي الكتاب] ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذِب. ***والله أعلم***.

**﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٨٣]**

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا**، في الآية دلالة أن الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسأل هو عن خبر ذي القرنين. لأنه قال: **يسألونك**، ولم يقل: سألوك. والخبر الذي رَوى عقبة بن عامر الجُهَني يدل على ذلك أيضا،

---

[1] ن: من.
[2] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[3] ر م - له.
[4] ر ع م - له.
[5] ر ع م: وكذا.
[6] جميع النسخ: صاحبا الجدار، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٣و.
[7] والزيادة من الشرح، ورقة ٤٧٣و.

لأنه رَوَى أن نفرا من أهل الكتاب جاءوا بالصحف أو الكتب فقالوا لي: استأذِنْ لنا على رسولِ الله لندخلَ[١] عليه. فانصرفتُ إليه فأخبرته بمكانهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي ولهم، يسألون عما لا أعلم، إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي؟» ثم قال: «أبغِني وَضوءًا أتوضَّأُ به». فتوضأَ ثم قام إلى مسجد في بيته فركع منه ركعتين. فلما انصرف حتى بدا لي[٢] السرورُ في وجهه. ثم قال لي: «اذهب فأَدخِلهم ومن وجدتَ بالباب من أصحابي». قال: فأدخلتُهم؛[٣] فلما رآهم النبي قال لهم: «إن شئتم أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه، وإن شئتم[٤] أخبرتكم[٥] كما تجدونه في كتابكم.»[٦] فهذا إن ثبت يدل أنه نزل عليه نبأُ ذي القرنين وخبره قبل أن يُسأل. وأما أهل التأويل قالوا جميعا: إنه سُئل قبل أن يَنزل عليه خبرُه ثم نزل من بعد السؤال. ***والله أعلم***.

ثم اختلف فيه. قال الحسن: كان نبيا، دليله ما قال: قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا.[٧] قال: هذا تحكيم من الله إياه فيما ذكر ولا يُوَلِّي الحكمَ إلا من كان نبيا.[٨] وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سئل عن ذلك: كان نبيا أو ملكا فقال: لا واحد منهما.[٩] وقال غير هؤلاء: إنه كان مَلِكا، يدل على ذلك الخبرُ الذي رَوى عقبة بن عامر الجُهَني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن خبره ونبإه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان غلاما من الروم أعطي مُلكا فسار حتى بلغ كذا» على ما ذكر في الخبر.[١٠]

---

١ ر ع م: لندخلن.

٢ ر ع م: الى.

٣ ر ع م: فادخهم.

٤ ر ع م – أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه وإن شئتم.

٥ ع م: أخبر لكم.

٦ انظر هذه الرواية مفصلا: *تفسير الطبري*، ١٦/٧.

٧ سورة الكهف، ١٨/٨٦.

٨ لم أجده عن الحسن، ولكن القرطبي ينقلها بصيغة "قيل" في تفسير هذه الآية. ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ (الآية ٨٦): "قال القشيري أبو نصر: إن كان نبيا فهو وحي، وإن لم يكن نبيا فهو إلهام من الله تعالى". انظر: *تفسير القرطبي*، ١١/٥٢.

٩ عن أبي الطفيل قال: سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان؟ قال: «كان عبدا صالحا، أحب الله فأحبه، وناصح لله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله» (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٨).

١٠ انظر لمثل هذه الروايات: *تفسير الطبري*، ١٦/٧-٨.

والأشبه أن يكون أنه كان ملكا. ألا ترى أنه قال: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ،[1] أي ملكنا له الأرض جملةً.[2] ذكر تمكين الأرض له جملة يصنع فيها ما يشاء [و]لم يخص له ناحية منها دون ناحية، وليس كقوله: أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا،[3] الآية، وكقوله: وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ،[4] ههنا خص مكانا[5] لهم دون مكان. وأما في ذي القرنين ذكر التمكين له في الأرض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو أن ملّكه ومكّن له[6] الأرض كلها. وقول الحسن: إنه حكّمه وولّى له الحكم، فهذا لا يدل أنه كان نبيا، لأن الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان. ألا ترى إلى قوله: اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ.[7] إن الملوك هم الذين كانوا[8] يتولون الجهاد والغزو والقتال[9] مع العدو، فعلى ذلك هذا. وقوله: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ[10] كذا، يحتمل هذا منه إلهام من الله تعالى وتعليم المَلَك الذي كان فيه، أو كان معه نبي فأخبر له بذلك. **والله أعلم.**

*ثم اختلفوا فيما سمي ذا القرنين. قال بعضهم: سمي ذا القرنين[11] لأنه دعا قومه إلى توحيد الله والإيمان به، فضربوه على قرنه الأيمن ثم غاب عنهم[12] ما شاء الله -وفي بعض الأخبار مات- ثم حضر[13] فدعاهم ثانيا فضربوه على قرنه الأيسر، فبقي[14] عيبه لذلك أثر فسمي لذلك ذا القرنين، لا أن كان له قرن كقرن الثور. وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه كان له ذُؤابتان أعني ضفيرتان. [٤٥٨و س١٦

---

[1] الآية التالية.
[2] ر ع م: له جمة؛ ن - جملة.
[3] ﴿وقالوا إن نتّبع الهدى معك نُتخطّف من أرضنا أوَ لم نُمكّن لهم حرما آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة القصص، ٥٧/٢٨).
[4] ﴿ولقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدةً﴾ (سورة الأحقاف، ٢٦/٤٦).
[5] ن: مكنا.
[6] ر ع م - له.
[7] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملِكا نقاتل في سبيل الله﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).
[8] ن - الذين كانوا.
[9] ر ع م + في ذلك.
[10] ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرَدُّ إلى ربه فيُعذِّبه عذابا نُكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسرًا﴾ (سورة الكهف، ٨٧/١٨-٨٨).
[11] جميع النسخ: ذو القرنين، في الموضعين، والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٣ظ.
[12] ر ع م - عنهم.
[13] ن م: حضر.
[14] ن: فيبقي.

وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرنَيِ الشمس مغربَها ومطلعها. وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه عاش حياة[1] قرنين.[2] والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.* ٤٥٨و س ٢٠]

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[٨٤] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٨٥]

وقوله تعالى: **وآتيناه من كل شيء سببا**، اختلف في ذلك. قال بعضهم: عِلْم المنازل، أي[4] منازلِ الأرض ومعالمها وآثارها. وقال: العلم والقوة. وقال بعضهم: أعطاه السبب الذي به صلاح ما مُكِّن له ومُلِّك عليه مما يقع له الحاجة إليه. وقال بعضهم: / ذلك السبب كان أنعاما، [٤٥٨و] كان عليها يحمل الخُشُب فيتخذ منه سفينة، إن استقبله بحرٌ فيعبر بها ثم ينقضها؛ ويحمل الخُشُب على الأنعام ويعبر البَرّ على الدواب، فذلك السبب الذي ذكر.

وأصله أنه ذكر أنه أتاه السبب الذي به صلاح ما مُكِّن له ومُلِّك عليه ولم يبين[5] ما ذلك السبب، فلا ندري ما أراد بذلك. *والله أعلم*.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرُب في عينٍ حَمِئَةٍ**، كأنه أراد وطلب أن يعرف أنها أين تغرب حيث قال: **وجدها تغرُب في عينٍ** حامية، وفيه لغتان: حامية[6] وحمئة. قالوا: من قرأها حامية أراد في عين حارّة،[7] ومن قرأ حمئة مهموزةً بغير ألف[8] أراد الحَمْأة وهي الطينة السوداء.[9] والله أعلم بذلك.

---

[1] جميع النسخ: حيوة.

[2] انظر مثل هذه الآراء: *تفسير الطبري*، ١٦/٨.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٨و، سطر١٦-٢٠.

[4] ن - أي.

[5] ن: ولم يبن.

[6] ر ع م: حمئة.

[7] ع: حارية.

[8] قرأ ابن عامر وأبو بكر -الراوي الأول للإمام عاصم- وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف "حامية"، والباقون "حمئة". انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پاپوي ٨٦.

[9] قال الطبري: «لكل واحد منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه. وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ 'في عين حامية' واصفَها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة. ويكون القارئ "في عين حمئة" واصفَها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين» (*تفسير الطبري*، ١٦/١٠).

وقوله عز وجل: **ووجد عندها قوما**. قال بعضهم: كانوا كفارا ومؤمنين، لفريقان جميعا. فقال في الكفار: **إما أن تُعذِّب**. وهو القتل، وقال[1] في المؤمنين: **وإما أن تتخذ فيهم حسنا**. ليس على التخيير ولكن على الحكم في كل فريق على حدَة. وقال بعضهم: كانوا كلهم كفارا فيكون تأويل قوله: **إما أن تُعذِّب**، إذ لم يجيبوك، **وإما أن تتخذ فيهم حُسْنا**، إذا أجابوك وآمنوا بالله.

**﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾**[٨٧] **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾**[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى**، هذا ما ذكرنا[2] أنه حكم بذلك بتعيلم نبي أو ملَك كان معه؛ أو حكم بذلك لما كان عرَف أن سنة الله في الكفار القتلُ والإهلاك، وفي المؤمنين الترك والإحسان؛ أو أُلْهِم إلهاما بذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **وسنقول له من أمرنا يسرا**، قال الحسن: **يسرا**، أي عارفا،[3] وقال بعضهم: **يسرا**، معروفا، وقال[4] بعضهم:[5] اليسر هو اسم كل خير و كل بركة.[6] والله أعلم بذلك.

**﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾**[٨٩]

وقوله عز وجل: **ثم أتبع سببا**، أي بلاغا لحاجته.[7] وقال غيره: ما ذكرنا من السبب الذي به سلَك طريقَ المغرب والمشرق وبه بلغ ما بلغ. ***والله أعلم***.*

**﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾**[٩٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ مطلِع الشمس**، بالسبب الذي ذكر أنه أعطاه كما بلغ مغرب الشمس، **وجدها تطلُع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِترا**، قال الحسن:

---

[1] ر ع م: قال.
[2] ر ع م - ما ذكرنا. انظر: تأويل الآية السابقة برقم ٨٣.
[3] أمر عريف وعارف: معروف، فاعل بمعنى مفعول. قال الأزهري: لم أسمع أمر عارف أي معروف لغير الليث، والذي حصّلناه للأئمة رجل عارف: أي صبور، قاله أبو عبيدة وغيره (*لسان العرب*، «عرف»).
[4] ر ع م: قال.
[5] ن - بعضهم.
[6] ر ع م: وبركة.
[7] ن: حجته.
* وقع هنا قطعه من تفسير الآية السابقة برقم ٨٣، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٨ط/سصر١٦-٢٠

إن تلك الأرض تميد وتميع[1] لا تَقِرّ ولا تَسكن ولا تحتمل[2] البناء والحِجْر،[3] فإذا طلعت الشمس طلعت عليهم لما لم يكن لهم بناء ولا سِتر، تغَوَّروا في البحار فإذا ارتفعت عنهم خرجوا.[4] وقال ابن عباس: إن الشمس إذا طلعت كانت حرارتها أشدَّ عند طلوعها من غروبها فتُحْرِق كل شيء حتى لا تبقى لهم ثوب ولا بناء ولا خشب ولا غيره إلا أحرقته.[5]

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبرا**، اختلف في قوله: **كذلك**. قال بعضهم: قوله: **كذلك**، أي كذلك أخبرنا رسولَ الله من نبأ ذي القرنين وخبره على ما كان. وقال بعضهم: **كذلك**،[6] أعطينا له من السبب حتى بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذي ذكر. وقال بعضهم: **كذلك** قيل له في المطلِع من قوله: إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا،[7] كما قيل له في المغرب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقد أحطنا بما لديه خبرا**، قال بعضهم: هو[8] صلة قوله: قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا،[9] **وقد أحطنا بما لديه خبرا**، أي عن علم سأتلو عليكم. وقال بعضهم: هو على الابتداء ليس على الربط والصلة على الأول، أي **قد أحطنا** علما[10] بما لديه.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٩٢]

**ثم أتبع سببا**، [هو] ما ذكرنا في بلوغه مغربها ومطلعها، أي أعطينا له من السبب.

---

[1] ماع الشيء يميع ميعا: ذاب وسال (*لسان العرب*، «ميع»).
[2] جميع النسخ: لا يحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ظ.
[3] الحِجْر: الستر، الحرام، المكان المحفوظ والممنوع عن الأجانب (*لسان العرب*، «حجر»).
[4] انظر لمثل هذه الرواية عن الحسن: *تفسير الطبري*، ١٦/١٢.
[5] لم أجده عن ابن عباس، ولكن الطبري ينقل رواية عن ابن جريج تدل عليه، يقول: لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يُبْنَ عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل. وجاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلُعَنّ عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت الشمس عليهم هاهنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض (*تفسير الطبري*، ١٦/١٢).
[6] ر م: وكان بعضهم لذلك.
[7] سورة الكهف، ٨٦/١٨.
[8] ر غ م - هو.
[9] سورة الكهف، ٨٣/١٨.
[10] ر غ م: علما.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[٩٣]

**حتى إذا بلغ بين السُّدين،** في بعض القراءات: السَّدين بالنصب.[١] فإن كان بين اللغتين فرق فيشبه أن يكون السُّدان بالرفع الجبلين اللذَين كانا هنالك، والسَّدين بالنصب هو بناء ذي القرنين. وإن لم يحتمل الفرق فهو ما بَنَى[٢] هو، أو ما كانا[٣] في الخلقة.

ثم اختلف في ذلك السد. قال بعضهم: هو المنفذ الذي كان بين طرَفَي الجبل الذي كان محيطا بالأرض يدخل فيه يأجوج ومأجوج[٤] إلى هذه الأرض، فسدّ ذو القرنين ذلك المنفذ. وقال بعضهم: لا ولكن كانا جبلين أحدهما ستر[٥] بين يأجوج والثاني بين مأجوج فسدّ ذلك. والله أعلم كيف كان.

وقوله عز وجل: **وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا،** قال الحسن: كانوا يفقهون ما به صلاح معاشهم وما به بقاؤهم، ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر ونحوه. وقال بعضهم: لا يفقهون قولا من غير كلامهم ولسانهم، ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم؛ وذو القرنين كان يعرف الألسن كلها ففقهوا هم منه[٦] وفقه هو منهم حيث قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ / إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا، أي جُعْلا أجرا، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.[٧] وقَالَ هو: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ.[٨] فهِمَ ذو القرنين منهم وفهموا أيضا منه ما ذكرنا. فدل ذلك أنهم كانوا يفقهون بلسانهم ولا يفقهون[٩] بلسان غيرهم. [٤٥٨ظ]

---

[١] «اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: 'حتى إذا بلغ بين السُّدَّيْنِ' بضم السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين. وكان بعض قراء المكيين يقرءه بفتح ذلك كله. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفتح السين في هذه السورة، ويضم السين في يس [رقم الآية: ٩]، ويقول: السَّد بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّد بالضم: ما كان من غشاوة في العين. وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله: ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ فإنهم ضموا السين في ذلك» (*تفسير الطبري*، ١٢/١٦-١٣).

[٢] ر م: بنا.

[٣] ر ع م: مكانا.

[٤] في يأجوج ومأجوج قولان: إنهما اسمان أعجميان موضوعان، بدليل منع الصرف. والقول الثاني أنهما مشتقان ... والقائلون بكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها (*مفاتيح الغيب* للرازي، ١٤٥/٢١).

[٥] جميع النسخ: ستر.

[٦] ر ع م - منه.

[٧] الآية التالية.

[٨] سورة الكهف، ٩٥/١٨.

[٩] ر ع م - بلسانهم ولا يفقهون.

وفي الآية دلالة[1] أنهم كانوا يفقهون[2] شيئا قليلا من القول وإن كانوا لا يفقهون كثيرا، لأنه يقول: **لا يكادون يفقهون**. فهو يتكلم على القرب لا على النفي رأسا. ***والله أعلم***.

**﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[٩٤] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٩٥]**

وقوله[3] عز وجل: **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا**، جُعْلا وأجرا **على أن تجعل بيننا وبينهم سَدًّا قال ما مَكَّنِّي فيه ربي خير**، على تأويل الحسن يكون قوله: **ما مَكَّنِّي [فيه] ربي** من النبوة **خير** لأنه يقول: إنه كان نبيا، حيث قال له: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ،[4] الآية. وعلى قول غيره يكون قوله:[5] **ما مَكَّنِّي فيه ربي**، من المُلْك والسبب الذي أعطاني[6] وأَبْلُغُ به مغرب الشمس ومطلعها، **خير** مما تذكرون.

وقوله عز وجل: **فأعينوني بقوة**، أي بما أتقوّي به، **أجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْما**، أي سدا.

**﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[٩٦]**

وقوله عز وجل: **آتوني زبر الحديد**، أي قِطع الحديد. وقال بعضهم: سألهم الحديد لأن المكان كان مكان الحديد. وقال بعضهم: إن الحديد كان أَلْيَن لهم وأطْوَع من اللبِن أو القِطر، ولكن لا يعلم ذلك إلا بالسمع.

وقوله عز وجل: **حتى إذا ساوى بين الصدفين**، أي بلغ ذلك السدُّ رأس الصدفين –وهما جبلان– وسوّى بهما. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أُفْرِغ عليه قِطْرا**، أي أصُبّ **عليه قطرا**؛ قيل: نحاسا، وقيل: رصاصا. ذكر أنه كان يبسط الحديد صدرا، ثم يبسط الحطب فوقه صدرا، ثم حديدا فوق الحطب حتى بلغ رأسَ الجبلين

---

[1] ر ع م – دلالة.
[2] ر ع م: لا يفقهون.
[3] ن: قوله.
[4] سورة الكهف، ٨٤/١٨.
[5] م – قوله.
[6] ر ع م: أعطاه.

وسوّى بهما على هذا السبيل. ثم أُذيب القطر فصُبّ فيه، فجعَل القطرُ يُحْرِق الحطبَ ويذيب الحديدَ حتى دخل القِطر مكان الحطب، وصار مكانه، فالتزق القطر بالحديد. على هذا ذُكر أنه بنى ذلك السد. وقال الحسن: كان القطر له كالمِلَاط[1] لنا. *والله أعلم*.

**﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[٩٧]**

وقوله عز وجل: **فما اسطاعوا أنْ يظهروه**، أي يَعلوه يعني على ذلك السد، **وما استطاعوا له نقبا**، في أسفله. ولا يزاد على المذكور في الكتاب في هذه الأنباء والقِصص خوفا للشهادة على الله والكَذِب[2] عليه، ولكن نذكر مقدار ما ذُكر في الكتاب لا نزيد على ذلك، وفي الكتاب[3] القدرُ الذي ذكرنا. *والله أعلم*.

قال القُتَبي: يقال لحبل السُّد. زُبَر: قِطَع. والقِطر النحاس. وقوله عز وجل: **أَنْ يَظْهَروه**، أي يَعلوه يقال: ظهر فلان السطح إذا علاه.[4] وكذلك قال أبو عَوْسَجة وقال: السُّدَّيْنِ ناحيتي الجبل. والرَّدْم السَّد. الصَّدَفَيْنِ، هو مثل السَّدين. أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، أي أصُبّ عليه نحاسا.

**﴿قَالَ هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **قال هذا رحمة من ربي**، يحتمل أن السَّد الذي بُنِي وحال بينهم وبين يأجوج ومأجوج فذلك منه رحمة، أي برحمته كانت تلك الحيلولة، أي كان ذلك منه نعمة،[5] والرحمة هي النعمة، أي هذا السد بينكم وبينهم نعمة من ربي عليكم. ثم فيه وجهان. أحدهما ذكر أن ذلك كان برحمة من الله إذا فرغ منه وقد كان في الابتداء حين سألوه أن يجعل لهم السد أضاف الفعل إلى نفسه حيث قال: فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا،[6] فدل ذلك أن ما فعل [إنما هو] برحمة منه وفضل[7] وأن له في ذلك صنعا. والثاني فيه أن له أن يفعل بالخلق ما ليس هو بأصلحَ لهم في الدين،

---

[1] المِلَاطُ: الطين الذي يجعل بين ساقي البناء ويُمْلَط به الحائط، أي يخلط (*لسان العرب*، «ملط»).
[2] ن: بالكذب.
[3] ر: ولا في الكتاب.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٠-٢٧١.
[5] جميع النسخ: أو كان ذلك منه نعمة من الله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤و.
[6] سورة الكهف، ٩٥/١٨.
[7] ن: برحمة وفضل منه. «أي برحمة من الله وفضل وأن لله تعالى في ذلك صنعا، فيدل على نقض قول المعتزلة في خلق أفعال العباد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٧٤و).

لأنه لا يخلو[1] إما أن كان الأولُ لهم أصلحَ في الدين ثم فعل الثاني فلا يكون الثاني أصلحَ لهم في الدين؛ أو[2] كان الأصلحُ[3] لهم في الدين الثانيَ فالأول لم يكن، ثم ذكر أن ذلك رحمة منه [فبطل قولهم في الأصلح أيضا].[4]

وقوله عز وجل: **فإذا جاء وعد ربي**، أي فإذا جاء الذي به كان وعد ربي، وهو الموعود، لأن الوعد[5] لا يجيء. فكأنه قال: موعودُ ربي، وهو خروج يأجوج ومأجوج أو فتحُ ذلك السد.[6] **جعله دكّاء**، أي كسرا أو هدما على ما ذكرنا. **وجعله دكّاء**، أي هدمه وسوّاه بالأرض. وقال القُتَبي: **جعله دكّاء**، أي ألصقه بالأرض.[7]

وقوله عز وجل: **وكان وعد ربي حقا**، هذا وعد والأول موعود.

**﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٩٩]**

وقوله عز وجل: **وتركنا بعضهم يومئذ يَمُوجُ في بعض**، أي يجول[8] بعضهم في بعض. ثم يحتمل قوله: **يموج في بعض**، عند السد الذي بناه ذو القرنين يموجون عنده في فتح ذلك السد، أو يذكر هذا لكثرتهم وازدحامهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ونُفخ في الصور فجمَعناهم جمعا**، ظاهره على الماضي والمراد منه المستقبل. أي يُنفخ في الصور فيجمعهم جمعا. ومثل هذا كثير في القرآن، يذكر الماضي بحرف المستقبل والمستقبل بحرف الماضي.

**﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[١٠٠]**

وقوله عز وجل: **وعرَضْنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا**، يحتمل أن يكون عرضها عليهم

---

[1] ر: لا يخلق.
[2] جميع النسخ: وإن.
[3] ن: لا صلح.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٧٤و.
[5] ن: ولأن الوعد.
[6] يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا فُتِحت يأجوج ومأجوج وهم من كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلون واقترب الوعد الحق﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٦-٩٧).
[7] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١. — جميع النسخ: بعد قول القتبي + يموج في بعض، أي يجول [ر ع م: يحول] بعضهم في بعض. ولكن هذه العبارة لا توجد في هذا المصدر. على أن نص العبارة ستجيء في مكانها، أي في تفسير الآية التالية.
[8] ر ع م: يحول.

قبل أن يُدخلوا فيها، كقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ.[1] ويشبه أن يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعد ما أُدخلوا فيها، كقوله: ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا.[2]

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري**، قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع
[٤٥٩و] أن ظلمة الكفر تستُر وتحجُب نورَ القلب ونور كل حاسة من حواسّه من السمع والبصر والفؤاد وغيره، إذ لكل حاسّة من هذه الحواس نور وضياء في سرِيَّتها، لا تُبصِر ولا تَسمع الحقَّ والحجة إلا بنورين جميعا: نور الظاهر ونور السرية والباطن. فالكفر يستر ويُغَطِّي ذلك النور فجَعَل لا يبصر الحق ولا ينظر إلى[3] العبر ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور الظاهر. وللإيمان نور وضياء يبصر به ويسمع ويُرفَع له غطاءُ كل شيء حتى يتجلى له الحق ويَعرف به حسْنَ كل حسَن[4] وقبْحَ كل قبيح. فهو كما يرى الإنسان الشيء بنور بصره وبنور الهواء، فإذا ذهب أحدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا. فعلى ذلك[5] إنما يعرف الشيء ويظهر له حقيقتُه بنورين: نور القلب ونور[6] الحواس. فإذا غَطَّى[7] ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق. والإيمان يُنور[8] ذلك ويضيء، فجعل يُبصر كلَّ شيء ويتجلى له الحقُّ من الباطل، ويعرف[9] الآيات من التمويهات. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وكانوا لا يستطيعون سمعا**، فيه وجهان من الدلالة. أحدهما أنه نفي عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمعُ؛ فدل أن الاستطاعة التي هي استطاعة الفعل تقترن الفعل[10] لا تتقدم ولا تتأخر[11] حيث قال: **وكانوا لا يستطيعون سمعا**. وكذلك قول صاحب موسى حيث قال له: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[12] في مواضع. فدل ما نفى عنه الفعل

---

[1] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[2] سورة المؤمن، ٤٦/٤٠.
[3] ر ع م – إلى.
[4] ر م – كل حسن.
[5] ن + لأول، وقد شطب من قبل الناسخ.
[6] ر ع م: بنور القلب والنور.
[7] ر ع: اغطى.
[8] ن: تنور.
[9] جميع النسخ: وعرفوا.
[10] م – الفعل.
[11] ر ع م: لا يتقدم ولا يتأخر.
[12] سورة الكهف، ٦٧/١٨، ٧٢، ٧٥؛ قارن: الآية ٧٨، ٨٢.

أنها[1] تقارن[2] الفعل، لا يحتمل التقدم والتأخر. والثاني فيه دلالة أن هنالك استطاعةً هم يستفيدون بها وعْد الله ويستوجبون به،[3] فضيَّعوها باشتغالهم بغيرها حيث عوتبوا واستوْجبوا ذلك العتاب وتوبيخ بالتضييع الذي كان منهم. فلو لم يكن ذلك منهم لم يكن[4] للعتاب والتوبيخ الذي عوتبوا ووُبِّخوا[5] معنى.

قال[6] قوم: إنما نفى عنهم ذلك للاستثقال الذي كان منهم، وقد يقال مثله على المجاز للاستثقال دون الحقيقة. يقول الرجل لآخر:[7] ما أستطيع[8] أن أنظر إليك لكذا، وهو ناظر إليه. لكن قد ذكرنا أنه -على الوجه الذي قال: لا أستطيع أن أنظر إليك وهو ناظر إليه- غير مستطيع النظر إليه[9] نظرَ رحمة وشفَقةٍ.

وقال بعضهم: هو على الطبع، وهو قول الحسن. وقال بعضهم: إنما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به، كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به،[10] ليس على أنهم لم يكن لهم تلك الحواسُّ. فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها، ليس على أنها ليست قبلُ. هكذا نفى عنهم ذلك لما عمُوا وصمُّوا عن ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾**[١٠٢]

وقوله[11] عز وجل: **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء**، قال بعضهم: قوله: **أفحسب الذين** عبدوا في الدنيا الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني أولياء

---

[1] ر ع م: نما.
[2] ر ع م: يقرن؛ ن: بالياء التحتنية وبالتاء الفوقانية في نفس الوقت.
[3] أي بوعد الله. «فيه دلالة أن هنالك استطاعة هم يستفيدونها من الله بأنفسهم ويستوجبون بها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧٤و).
[4] ر ع م - ذلك منهم لم يكن.
[5] ر ن م: ورحوا.
[6] ن: وقل.
[7] ن: الاحر.
[8] ع: حر ما ستطيع.
[9] جميع النسخ + وهو.
[10] ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٧١/٢)؛ وانظر: سورة الأنفال، ٢٢/٨.
[11] ن: قوله.

أن يكونوا هم أولياء في الآخرة ويتولون شفاعتهم يشفعون لهم وينصرون. كلا لن[1] يصيروا لهم أولياء، كقوله:[2] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[4]

والثاني **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي**، المخلصين، **من دوني أولياء**، ويتولونهم، أي لا يقدرون على أن يتخذوا أولياء من دوني، وقد كانوا يدعون المؤمنين إلى دينهم وليتولى لهم. وهو ما قال: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ].[5]

والثالث **أفحسب الذين كفروا**، أن ما عبدوا واتخذوا من دوني أولياء، أني أمرتهم بذلك أو أذنت لهم حيث قالوا: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[6] ونحوه. كلا أن[7] [كان] أمرهم بذلك أو أذن لهم في ذلك.

ومن قرأ: **أَفَحَسْبُ**[8] على الجزم، فهو على إسقاط ألف الاستفهام يعني: فَحَسْبُ الذين كفروا؛ فهو يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها فحسب الذين كفروا واتخذوا عبادي من دوني أولياء ما اعتدنا لهم من جهنم، كقوله: حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا،[9] الآية. والثاني أحسب[10] الذين كفروا ما اتخذوا من دوني أولياء، أي أما كفاهم ذلك وما حان[11] أن يرجعوا إلى عبادتي وألوهيتي؟ وقد أقمت لهم الآيات والحجج على ذلك. والثالث حسبُ لهم من الذل ما اتخذوا من دوني أولياء.

وقوله عز وجل: **إنا أعتدنا جهنم للكافرين نُزُلاً**، قال بعضهم: **نزلا**، هو من النزول، وهو المَنزِل.[12] وقال بعضهم: هو من[13] النُّزُل والأنزال،[14] أي يأكلون فيها النار فيكون مأكلهم ومشربهم من النار. قال القُتَبي: النُّزُل ما يُقَدَّم للضيف ولأهل العسكر.[15]

---

[1] جميع النسخ: ن يصيروا.
[2] جميع النسخ: كقولهم.
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[4] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[5] سورة النحل، ١٦/٩٨-٩٩.
[6] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).
[7] جميع النسخ: انه.
[8] م + الذين. يسند الطبري هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب وعكرمة ومجاهد (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٢٦).
[9] سورة المجادلة، ٥٨/٨.
[10] ر ع م: حسب.
[11] ن: حار.
[12] ر ع م: هو النزول وهو من النزل.
[13] ر ع م - من.
[14] النُّزْل والنُّزُل: ما يهيأ للضيف. والجمع الأنزال. وأنزال القوم أرزاقهم أيضا (*لسان العرب*، «نزل»).
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

**﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[١٠٣] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **قل هل نُنَبِّئُكُمْ بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيُهم في الحياة الدنيا.** يشبه أن يكون هذا خرج على مقابلة قولٍ كان من رؤساء الكَفَرة وجوابٍ لهم. وهو أن الرؤساء منهم كانوا يُوسِعون الدنيا على بعض أَتْباعهم ويُحسنون إليهم، ثم صار أولئك الأتباع أتباعا لرسول الله ودخلوا في دينه، فضاقت عليهم الدنيا وذهبت المنافع التي كانت لهم منهم. فعيّرهم بذلك أولئك الكفرةُ ووبّخوهم[1] على ما اختاروا من الدين، أنه لو كان حقا لاتسع عيشهم الدنيا كما اتسع عيشنا وعيشهم ما داموا على ديننا، أو كلام نحو هذا، فأجابهم الله بذلك فقال: **قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا**، الآية. ويحتمل أن يكون على الابتداء في أهل الصوامع منهم والرهبان الذين اعتزلوا الناس[2] وحبسوا[3] أنفسهم لعبادة الأصنام والأوثان وأجهدوها[4] فيها، وحملوا على أنفسهم الشدائد والمشقة، فأخبر عز وجل أن هؤلاء أخسرُ أعمالا / وأضلُّ[5] سعيا [٤٥٩ظ] من الذين طلبوا الدنيا والرياسة فيها و لم يفعلوا ما فعل هؤلاء، وإن كانوا في الكفر سواء. والأخسَرُ هو الوصف بالخسران والنهاية والغاية. وجائز أن يستعمل أَفْعَلُ في موضع فاعل.[6] هذا في اللغة غير ممتنع؛ فيكون تأويله: **قل هل نُنَبِّئُكم** بالخاسرين **أعمالا**، كقوله: الله أكبر، أي كبير.

وقوله عز وجل: **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا**، يحتمل وجهين. أحدهما **ضل**، أي ذَلّوا لعبادتهم التي عبدوا[7] تلك الأوثان والأصنام وخذلوا أنفسهم بذلك. وعلى ذلك يخرج قوله: أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[8] أي[9] أذلّوا أنفسهم في الدنيا بعبادتهم الأصنام. والثاني: ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا[10] حيث لم يصلوا إلى ما أمّلوا وطمِعوا[11] بعبادتهم الأصنام في الآخرة،

---

[1] ر ع م – ووبخوه.
[2] ر م – الناس.
[3] ر م – وحبسوا.
[4] ر ع م – وجهدوها.
[5] جميع النسخ: وأضهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ظ.
[6] جميع النسخ: فعل. أي بدون أن يفيد الأفضلية والمفضولية.
[7] ر: عبدها.
[8] سورة التوبة، ٦٩/٩.
[9] ر ع م – أي.
[10] جميع النسخ + وفي الآخرة.
[11] ر ع م – حيث لم يصلوا إلى ما أملوا وطمعوا.

لأنهم قالوا:[1] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[2] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] ونحوه، فضلَّ ما أملوا في الآخرة بسعيهم في الدنيا.[4] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهم يحسبون**. بعبادتهم الأصنام التي عبدوها، **أنهم يحسنون صنعا**، كلا. [ويحتمل][5] **يحسبون**[6] بما أنفقوا على أولئك ووسّعوا **أنهم يحسنون صنعا**، أي خيرا أو معروفا؛ أي ليس[7] ذلك بصنع ولا خير.[8] وفيه دلالة أنهم يؤاخذون بفعلهم الذي فعلوا وإن جهلوا الحق. وهكذا قولنا: إن من فعل فعلا وهو جاهل فانه يؤاخذ به بعد أن يكون له سبيل الوصول إلى الحق بالطلب والتعلم، حيث قال: **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**. ثم أخبر مَن هم فقال:

**﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**[١٠٥]

**أولئك الذين كفروا بآيات ربهم**، حُججه وبراهينه. وقال الحسن: دينه. وقد ذكرنا ذلك في غير موضع.[9] وقوله عز وجل: **ولقائه**، البعث أو المصير إليه وهو مذكور أيضا.

وقوله عز وجل: **فحبطت أعمالهم فلا نُقيم لهم يوم القيمة وَزْنًا**، أي لا نقيم لهم وزنا. وأما عليهم فإنه يقيم وزنا،[10] وهو ما قال عز وجل: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ.[11] فإذا لم تربح لهم خسرت[12] عليهم، وقولُه: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ.[13] هذا يدل أن قوله: **لا نقيم لهم يوم القيمة وزنا**، قد يقام عليهم الوزن.[14]

---

[1] ر + قالوا.
[2] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[3] سورة يونس، ١٨/١٠.
[4] ر ع م + والآخرة.
[5] ن: إذ. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ظ.
[6] ر ع م – صنعا كلا إذ يحسبون.
[7] جميع النسخ + هم.
[8] ر ع م – لا خير.
[9] نظر مثلا: سورة الكهف، ٥٧/١٨.
[10] ر ع م – أي لا نقيم لهم وزنا وأما عليهم فإنه يقيم وزنا.
[11] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).
[12] ن: خسراة.
[13] سورة النحل، ٢٥/١٦.
[14] أي ولكن لا يقام لهم.

﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾[١٠٦]

ثم أخبر عز وجل عن جزائهم فقال: **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا.**

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[١٠٧]

ثم ذَكر للمؤمنين من الثواب والجزاء بأعمالهم التي عملوها في الدنيا واختاروا فيها، مقابلَ ما ذَكر للكفرة فقال: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلاً.**

وكانت الجنان التي وعدت للمؤمنين أربعًا:[1] جنات النعيم وجنات المأوى وجنات عدن وجنات الفردوس. ثم كان كل واحدة منها، أعني الجنان، فيها معنى الأخرى؛ لأنه قال: جنات المأوى، وهو ما يُؤْوَى إليه؛ وجنات النعيم ظاهر؛ وجنات عدن من المُقام[2] أو غيره؛ والفردوس سميت فردوسا لأنها تكون ملتفَّة محفوفة بالأشجار.[3] ففي كل واحدة منها ذلك كلُّه.

* وروي أن ابن عباس سأل كعبا عن الفردوس فقال: هي جنات الأعناب بالسريانية. [٤٥٩ظ س٢٥
وقال بعضهم: ما ذكرنا أنها سميت بذلك[4] لكثرة أشجارها والتِفافها. وروي عن عُبَادَة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها درجةً. من فوقها يكون الفردوس، منها يتفجر أنهار الجنة الأربعة. فإذا سألتم الله الجنة فاسألوا الفردوس».[5]* ٤٥٩ظ س٢٨]

وقوله عز وجل: **نُزُلا**، قيل: مَنْزِلا، من النُزول، وقيل: من النُّزُل وهو من الأنزال.[7]

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلاً**، أي تحوُّلا. أخبر أنهم لا يَمَلُّون ولا يَسْأَمون عن نعيمها كما يمل أهل الدنيا عن نعيمها ويسأمون؛ لأن المرء ربما يَمَلّ عن نعمة

---

[1] جميع النسخ: وكان الجنان التي وعد للمؤمنين أربعة.

[2] عدن فلان بالمكان يعدِن ويعدُن عَدْنا وعُدُونا: أقام. وعدنتُ البلد، توطَّنته. ومركز كل شيء معدِنه، وجنات عدن، أي جنات إقامة لمكان الخلد (لسان العرب، «عدن»).

[3] الفردوس البستان؛ قال الفراء: هو عربي. قال ابن سيدَه: الفردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان. قال الزجاج: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين. وكذلك هو عند أهل كل لغة (لسان العرب، «فردس»).

[4] ر ع م - بذلك.

[5] سنن ابن ماجة، الزهد ٣٩.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٩ظ/سطر٢٥-٢٨.

[7] النُّزْل والنُّزُل: ما يهيأ للضيف. والجمع الأنزال. وأنزال القوم أرزاقهم أيضا (لسان العرب، «نزل»).

ويَرغب في أخرى؛ فأخبر أن أهل الجنة لا يملون فيها ولا يَسأمون وهم فيها ما يشتهون.[1] وهم فيها ما يتخيَّرون.*

وقال القُتَبي: **لا يبغون عنها حِوَلاً**. أي تحوُّلا.[3] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة هو من التحول. وقال: **نُزُلاً**، قال: هذا من الطعام والشراب. وجمع النُّزُل أنْزال؛[4] وجمع الفردوس فراديس. وقال القُتَبي: النُّزُل ما يقدَّم لضيف.[5] *والله أعلم*.

**﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾**[١٠٩]

وقوله تعالى: **قل لو كان البحر مِدَادًا لكلمات ربي لَنَفِدَ البحر قبل أن تَنْفَدَ كلمات ربي**، يشبه أن يكون هذا خرج مقابلَ قوله: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ،[6] وقولِهِ: وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ.[7] وجوابه: لَمَّا ذكر فيه تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ فقالوا: كيف يحتمل هذا المقدار أن يكون فيه تبيان كل شئ و تفصيل كل شيء؟ فقال عز وجل عند ذلك جوابا لقولهم: إنه لو بُسِط ما أُودِع فيه من المعاني[8] والحكمة وشُرح ذلك فكُتب بما ذُكر لبَلَغ القدرَ الذي ذُكر وازداد.

وقال الحسن: قوله: **لو كان البحر مدادا لكلمات ربي**، أي لِخَلق ربي، أي لو قال[9] ما خَلَق وأمْلَى أني خلقتُ كذا وخلقتُ كذا، فيُكتَب جميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذُكر. فيرجع تأويله إلى ما خلق من أصناف الخلق وأجناس الأشخاص. وقال أبو بكر الأصم: قوله: **لكلمات ربي**، لبيان ما خلق ربي. فهو يرجع إلى الأول. وقال: فائدة ما ذكر هو أن يعرفوا أن خلائقه

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وفيها ما تَشْتَهِيه الأنفسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُن﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٧١)، وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ (سورة الطور، ٥٢/٢٢).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٠٧ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٩ظ/سطر ٢٥-٢٨.

[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

[4] م: نزل.

[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

[6] سورة النحل، ١٦/٨٨.

[7] ﴿لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يَدَيْهِ وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (سورة يوسف، ١٢/١١١).

[8] م: مؤمن نحو المعاني؛ ع: هو من نحو المعاني.

[9] أي لو أحصى الله وأخبر.

وما أنشأ لمّا خرج عن الوقوع في الأوهام فالذي أنشأ ذلك وخلَقه أَحْرى أن يكون خارجا عن الوقوع في الأوهام والتصور فيها. والثاني أن يعرفوا قدرته وسلطانه وإحاطة علمه بالخلائق وما أنشأ، فيعلموا[1] أن من قدر على هذا فهو على البعث الذي أنكروا / به أقدرُ؛ ومن أحاط [٤٦٠ر] علمُه بما ذكر فهو على الإحاطة بأفعالهم وأقوالهم أعلم وأعرف، ليكونوا على الحذر أبدا في كل وقت. ثم يحتمل قوله: **لكلمات ربي**، حججَه وآياتِه التي أقامها على وحدانيته وربوبيته، أي لو كتب ذلك لبلغ ذلك الذي ذكر. وإن كان المراد من الكلمات القرآن، فالتأويل ما ذكرنا بدءًا[2] كأنه[3] خرج على الجواب والمقابلة لقول كان منهم. ويحتمل[4] ما قاله الحسن وأبو بكر: إن كلماتِه خلقه أو البيان عن خلقه.

وقوله[5] عز وجل: **ولو جئنا بمثله مددا**، هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم والإبلاغ، وهو ما قال: وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ،[6] دل هذا على أن قوله: **ولو جئنا بمثله مددا**، أنْ ليس لذلك المدد حد ولا نهاية، ولكن ذكر على التعظيم له والإبلاغ.

وفيه دلالةٌ أنْ ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غايةٌ يدركه الخلائق، ولكن يؤخذ من كل جنس شيء فيُعمل به. وفيه أن ليس الأمر بتعلم العلم والمقصودُ منه العلمَ نفسَه، ولكن المقصود منه العمل بما يُعلم. إذ ليس للعلوم نهاية ولا حد يبلغ ذلك البشر، فدل أنه لما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١١٠]**

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد**، أَمَرَه[7] أن يخبرهم أنه بشر مثلهم. ثم يكون لذلك الأمر وإخباره إياهم أنه بشر مثلهم وجوه من المعنى.

---

[1] ن: فيعلمون.
[2] ر: بديء.
[3] ن: أنه كأنه خرج؛ ر ع م: أنه خرج كان.
[4] ر ع م - ويحتمل.
[5] ن: قوله.
[6] سورة لقمان، ٢٧/٣١.
[7] ن: أمرهم

أحدها أنهم كانوا يسألونه آياتٍ خارجةً عن وسع البشر وطوقهم، فأمره أن يخبرهم أنه بشر مثلهم لا يقدر على ما يسألونه من الآيات التي تخرج عن وسع البشر وطوقهم، وليس لأحد التحكم على الله والتخير عليه في شيء، إنما ذلك إلى الله: إن شاء أنزل وإن شاء لم ينزل، وأنا لا أملك شيئا من ذلك.

والثاني ذَكَر هذا ليعرفوا أنه إذا جاء من الآيات التي لا يحتمل وسع البشر أن يأتوا بمثلها[1] أنه إنما أتي بذلك من عند الله لا من ذات نفسه، إذ علموا أن وسع البشر لا يحتمل ذلك. فلما أتاهم بذلك إنما أتي بها من عند الله، وأنه رسول على ما يقول.

والثالث أمره أن يقول لهم هذا: إنه بشر مثلهم، لئلا يحملهم فرطُ حبهم على أن يتخذوه إلها ربا، على ما اتخذ قوم عيسى عيسى إلها ربا لفرط حبهم إياه.

وقوله عز وجل: **فمن كان يرجو لقاء ربه**، فإن كانت الآية في مشركي العرب فهم ينكرون البعث ولا يرجونه، لكنه يكون ذَكَر لقاء ربه لهم لأنهم عرفوا في أنفسهم قديم إحسان الله إليهم ونعمه[2] عليهم، فأُمروا أن يعملوا[3] العملَ الصالح ليستديموا بذلك الإحسانَ الذي كان من الله إليهم فيحملهم العمل على التوحيد بالله والإقرار بالبعث. وإن كانت الآية في المؤمنين فيكون تأويله: **فمن كان يرجو لقاء ربه**، أي ثواب ربه، **فليعمل عملا صالحا**، ليثاب عليه، إذ الثواب إنما يكون للعمل الصالح دون غيره.

وفيه ما ذكرنا أن المقصود من العلم العمل الصالح، إذ[4] العلم مما ليس له نهاية فالأمر بطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن للعمل به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يُشرك بعبادة ربه أحدا**، يحتمل حقيقة الإشراك في العبادة والألوهية على ما أشرك أولئك الكَفَرَة،[5] أشركوا الأصنام والأوثان التي عبدوها في عبادته وألوهيته. ويحتمل المُرَاءاة في العمل الصالح على ما يرى بعض أهل التوحيد في بعض ما يعلمون من الطاعات[6] والخيرات. *والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب*.

---

[1] ن: لمثها.
[2] ر ع م: إليهم نعمه.
[3] ر ع م: أن يعمل.
[4] ر ع م: والعلم.
[5] ر ع م – لكفرة.
[6] ر م: الطاعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة مريم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿كهيعص﴾[١] ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[٢]**

قيل:[2] **كهيعص**، اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم من أسماء الله،[3] وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يا كهيعص اغفر لي».[4] قال أبو بكر الأصم: لا يصح هذا من علي، لأن هذا لم يُذكر في أسماء الله المعروفة التي يدعى بها. وقال بعضهم: حروف من أسماء الله افتتح بها السورة.[5] وقال بعضهم: الكاف[6] مفتاح اسمه كافٍ،[7] والهاء مفتاح اسمه هادٍ،[8] والعين مفتاح اسمه عالم، والصاد مفتاح اسمه صادق. وقال ابن عباس: الكاف من كريم، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق.[9] وقال الربيع بن[10] أنس: الياء من قوله: وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ.[11] وقال الكعبي: هو ثناء أثنى الله [به] على نفسه فقال: كافٍ هادٍ عالمٌ صادق. يقول: كاف خلقه، هاد لعباده، عالم ببَرِيَّته وبأمره، صادق في قوله.[12]

---

[1] ن + مكية؛ ع + وهي مكية.

[2] ع: قوله تعالى.

[3] روي الأول عن قتادة (*تفسير البغوي*، ٣/٦١٢)، والثاني عن ابن عباس (*تفسير ابن عباس*، ٣٣٢).

[4] *تفسير الطبري*، ١٦/٥٤.

[5] جميع النسخ + فهو ما ذكرنا وهو الأول، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[6] ع – الكاف.

[7] جميع النسخ: كافي، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[8] جميع النسخ: هادي، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[9] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٢؛ و*تفسير الطبري* (١٦/٥٠-٥٤).

[10] ر ع م + بن الربيع.

[11] ﴿قل من بيده ملكوتُ كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنّى تُسحرون﴾ (سورة المؤمنون ٢٣/٨٨-٨٩).

[12] انظر: *تفسير البغوي*، ٣/٦٠٩؛ وقارن: *تفسير الطبري*، ١٦/٥١-٥٤.

وقال بعضهم: لم ينزل الله كتابًا إلا وله فيه سر لا يعلمه إلا الله، وسر القرآن فواتحه. وقال بعضهم: [هو] تفسير ما ذكر على إثره، وهو قول الحسن. وأمثال هذا قد أكثروا فيه؛ وقد ذكرنا الوجه في الحروف[1] المقطعة فيما تقدم في غير موضع.[2]

وقوله عز وجل: **ذِكْرُ رحمةِ ربِّك عبدَه زكريا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر، أي اذكر لهم رحمة ربك[3] عبده زكريا بالإجابة له عند سؤاله[4] الولدَ في الوقت الذي أيس[5] عن[6] الولد في ذلك الوقت. فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا وأخبرهم على ما في كتبهم. والثاني **ذِكْرُ رحمةِ ربِّك**، أي هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا
[٤٦٠ظ] في دعائه. وعلى هذا التأويل يكون الذكرُ هو القرآن، وقد سمى الله القرآن ذكرا في غير آي من القرآن.[7] *والله أعلم*.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **إذ نادى ربه نداءً خفِيًّا**، قال بعضهم: **نداءً خفِيًّا** في قلبه على الإخلاص من غير أن ينطِق به.[8] وقال بعضهم: **نداءً خفِيًّا**، عن قومه ومن حضره. ثم يحتمل وجهين. أحدهما أخفاه وأسرَّه عنهم[9] إخلاصا لله وإصفاءً له. والثاني أخفاه وأسره منهم حياءً أن يَعيبوه أنه سأل ربه الولد في وقت كِبَره وإياسِه. *والله أعلم*.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قال رب إني وَهَن العَظْم مني**، أي ضعُف ورق، **واشتعل الرأس شَيْبًا**. اعتذر إليه وقدّم ذكر[10] ما حلَّ به من الكِبَر وبلوغِه الوقتَ الذي لا يُطمع في ذلك الوقت الولد؛

---

[1] ع: الحرف.
[2] انظر مثلا: تفسير سورة البقرة، ٢/١.
[3] ر ع م: برحمة ربك.
[4] ن: سؤال.
[5] ر ع: آس.
[6] م: من.
[7] انظر مثلا: سورة الحجر، ٦/١٥، ٩؛ وسورة النحل، ٤٤/١٦؛ وسورة يس، ١١/٣٦؛ وسورة ص، ٨/٣٨.
[8] ع + وقال بعضهم نداء خفيا في قلبه على الإخلاص من غير أن ينطق به.
[9] ر ع: منهم.
[10] ر ع م: زكريا.

أي بلغتُ المبلغ الذي ضعف بدني ورقّ عَظْمي. ثم سأل ربه الولد، ليس على أنه كان لا يعرف قدرة الله أنه قادر على هبة[1] الولد وإنشائه في كل وقت: في وقت الكبر والضعف، وبالسبب[2] وبغير[3] السبب، لكنه لا يعرف أنه يَسَع ويَصلُح سؤاله[4] الولد وهبتُه في الوقت الذي كان بلغ هو، وهو الوقت الذي لا يُطمع فيه الولد في الأغلب. وهو ما ذُكر في سورة آل عمران: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.[5] فعند ذلك عرف زكريا أنه يسع دعاء هبة الولد وسؤالُه[6] في وقت الإياس حيث رأى عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء غير متغيرة عن حالها، فسأل عند ذلك ربه الولد؛ وهو قوله: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[7] الآية، *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولم أكُنْ بدعائك ربِّ شقيًّا**، قال بعضهم: أي[8] كنتَ تُعوِّدني الإجابة في دعائي[9] إياك فيما مضى. وقال بعضهم: أي لم يكن دعائي[10] مما يخيب عنك. وهما واحد، ذكر منته وفضله الذي كان منه إليه.

**﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[٥] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وإني خفت المَوَالِيَ من ورائي**، قال الحسن: خاف مواليَه أن يرثوا ماله، فأما علمه ونبوته فمما لا يورث.[11] قال أبو بكر الأصم: هذا لا يصح، لا يحتمل أن يخاف زكريا وراثةَ ماله مواليَه فيسألَ ربه لذلك الولدَ ليرث ماله. ولكن كأنه خاف أن يُضيّع مواليه دينه وسنته من بعده،

---

[1] ع: هيئة.
[2] ن: بالسبب.
[3] ع: وتغيير.
[4] ر ع: سؤال.
[5] سورة آل عمران، ٣٧/٣.
[6] ع: وسواله.
[7] سورة آل عمران، ٣٨/٣.
[8] ن – أي.
[9] ع: دعاي
[10] ع: دعاي.
[11] قارن: *تفسير الطبري*، ٥٨/١٦؛ و*تفسير البغوي*، ٢٠٩/٣.

فسأل ربه أن يهَب له الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته. وقال: لا يحتمل وِراثة المال، لما روي في الخبر: «إنا[1] معاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ».[2] فلا يخلو هذا من أحد وجهين. إما أن كان هذا في المال[3] له خاصة دون سائر الأنبياء، وإما أن[4] لم يكن زكريا نبيًّا. فدلّ هذا أنه لا يحتمل وراثة المال، فدل أنه على العلم، أي[5] يُضيّع الموالي علمي من ورائي.

ويحتمل قوله: **وإني خفت الموالي من ورائي** وسؤالُه الولد وجها آخر، وهو أنه[6] سأل ربّه[7] الولد الرضيّ الصيّب ليُذكَر هو به[8] بعد وفاته بالأعمال والصنيع الذي كان منه في حياته ويُدعى له لئلا ينقطع ذكره ودعاء الخلق له. وهذا هو المعروف في الخلق أنهم يُذكرون ويُدعون لهم بالخيرات التي كانت في حال حياتهم إذا كان لهم[9] ولد صالح. فعلى ذلك سؤال زكريا الولد.[10] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وكانت امرأتي عاقرا**، أي لا تلد. وقوله عز وجل: **فهب لي من لدنك وليًا يرثني**، أي يلي أمري. وقوله: **يرثني ويرث من آل يعقوب**. قال بعض أهل التأويل: ما ذكرنا يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة؛[11] وقال: **فهب لي من لدنك وليا**، وارثا **يرثني** مكاني وحُبُورَتي، **ويرث من آل يعقوب** الملك، لأنهم كانوا ملوكا وكانوا أخوالَه[12] وهو كان حِبْرًا. ***والله أعلم بذلك***. ولكن قوله: **يرثني**، ما كان له من العلم والحكمة والدين وغيره، **ويرث من آل يعقوب**، ما كان لهم من العلوم وغيرها. فإن ثبت أن آل يعقوب كانوا أخواله[13] ففيه دلالة أن ذوي الأرحام يرثون بعضُهم من بعض. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ع: ان.
[2] صحيح *البخاري*، الفرائض ٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد والسير ٤٩.
[3] ع: من المال.
[4] ر ع م: إذا.
[5] ر م: ان.
[6] ر ع: ان.
[7] ع: به.
[8] ن – به.
[9] ر ع م: له.
[10] ع – الولد.
[11] *تفسير الطبري*، ٥٨/١٦؛ و*تفسير البغوي*، ٦٠٩/٣.
[12] ع: حواله.
[13] ع: أحواله. يقول مجاهد: 'وكان زكريا من ذرية يعقوب' (*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٣).

**﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **يا زكريا إنا نُبَشِّرُكَ بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيًّا.** قال بعضهم: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا،** أي لم[1] نجعل[2] مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة. لأنه روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم يكن من ولد آدم إلا وقد عمل بخطيئة أو همَّ بها غير يحيى بن زكريا فإنه لم يَهُمّ بخطيئة ولا عملَ بها».[3] وقال بعضهم: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا،**[4] أي لم يُسمَّ أحد قبله يحيى. وجائز أن يكون قوله: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا،** أي تولى الله تسميته[5] يحيى [و]لم يُوَلِّ[6] تسميتَه غيرَه، وسائر الخلائق يتولّى[7] أهلوهم تسميتهم.

**﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[٨]**

وقوله: **قال رب أنَّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عَاقِرًا،** قال[8] الحسن: "عبادَ الله! إن زكريا استوهب ربه الولد فأجابه وبشّره فقال: أَنَّى يكون لي غلام، وطلب منه الآية لذلك فقال: اِجْعَلْ لِي آيَةً،[9] فما عابه[10] على ذلك ولا وبّخه ولكن رحمه"، أو كلام نحو هذا. وقال غيره: إنما أمسك لسانه واعتقبه عقوبةً لما سأل من الآية. هؤلاء كلهم يجعلون ذلك[11] زَلَّة[12] منه.

---

[1] ع - قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا أي لم.
[2] ر ع م + له.
[3] عن سعيد بن المسيب حدثني عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا». قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض فأخذ عُودًا صغيرا ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، لذلك سماه الله سيدًا وحَصُورًا ونبيا من الصالحين». هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٤٠٤/٢).
[4] م + لم نجعل له من قبل سميا.
[5] م: تسمية.
[6] ر ع: لم يؤل
[7] ر ع م: تولى.
[8] ر ع م: وقال.
[9] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلّم الناسَ ثلاث ليالٍ سويًّا﴾ (سورة مريم، ١٩/١٠).
[10] ع: عابه
[11] ع + منه.
[12] ر م: ذلة؛ ع: ذلك.

إلا أن الحسن قال: لم يعبه[1] على ذلك ولا عاقبه عليه، ولكن ذكر ذلك رحمة منه إليه، وغيره
يجعل ذلك عقوبة لما كان منه. وجائز أن يخرج ذلك على غير ما قالوا. وهو أن قوله: **أنّىٰ
يكون لي غلام**، أي على أي حال يكون مني الولد؟ على الحال التي أنا عليها أو أُرَدّ إلى شبابي
ففي تلك الحال / يكون مني الولد؟ فذلك منه[2] استخبار واستعلام عن الحال التي[3] يكون منه [٤٦١و]
الولد، ليس على أنه لم يعرف أنه قادر على إنشاء الولد في حال الكبر بسبب[4] وبلا سبب.[5]
وعلى ذلك يخرج قوله حيث [قال له:]
*قال أبو عَوْسَجة: **عاقر** وعقيم، المرأة التي لا تلد. وقوله **عِتِيًّا**، قال هو أشد الكبر شيبا، [٤٦١و س١٥]
أي أكثر[6] الشيب. والمحراب، قال: إن شئت جعلته محرابا وإن[7] شئت قصرا أو دارا.[8] وقال
القُتَبِي: **عِتِيًا**، أي يَبِسا، ويقال: عِتِيًا وعُتِيًا[9] بمعنى واحد. ومنه[10] يقال: مِلِكٌ عاتٍ، إذا كان
قاسيَ القلب غير ليّن.[11] **وسَوِيًّا**، أي سليما [غير أخرس].[12]* ٤٦١و س١٨]

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[٩]

**قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّنٌ وقد خلقتك[14] من قبل ولم تك شيئا**، أي قبل
أن أخلقك[15] لم تك شيئا. وطلبُ الآية والعلامة بعد ما بُشّر يخرج على وجهين. أحدهما أنه

---

[1] ر: لم يعب.
[2] ع م: عنه.
[3] جميع النسخ: الذي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥ظ.
[4] جميع النسخ: وبسبب.
[5] ع: بلا سبب.
[6] ر م: كثر؛ ع: كثرت.
[7] ر ع م – إن شئت جعلته محرابا و.
[8] ر: ودارا.
[9] ن: عتا وعسى.
[10] ر – منه.
[11] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٢
[12] انظر: نفس المصدر، ٢٧٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١و/سطر١٥-١٨.
[14] جميع النسخ: خلقناك. "خلقتك" قراءة أهل المدينة والبصرة وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين "وقد خلقناك" بنون وألف بالجمع على التعظيم. والقراءة الأولى أشبه بالسواد (تفسير *القرطبي*، ٧٢/١١-٧٣؛ وانظر أيضا: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).
[15] جميع النسخ: خلقتك. جعلوا المسند إليه جمعا لقراءة "خلقناك".

لما بشر بالولد[١] لعله أشكل عليه بأن تلك بشارة ملَكٍ أو غيره، فطلب منه العلامة ليعرف أن تلك بشارةُ ملك وأنها من الله أو من غيره.[٢] لأنه ذكر في الآية: فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى،[٣] فطلبُ الآية يخرج منه على استعلام بِشارة المَلَك وأن ذلك من الله، لا أنه لم يعرف قدرة الله أنه قادر على خلقه في كل حال. هذا لا يُظن بأضعف مؤمن في الدنيا، فكيف يُظن بنبي من الأنبياء؟ أو أن يكون طلبُ الآية منه[٤] ليعرف وقت حملها الولدَ ووقتَ وقوعه في الرَّحِم، ليسبق له السرور بحمله عن وقت الولاد وعن[٥] وقت وقوع بصره عليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **عليَّ هيّنٌ**، لأني أخلق بسبب وبغير سبب. قوله: **وقد خلقتك من قبل، نطفةً ولم تك شيئا**. فمن قدر على خلق الأشياء من لا شيء وبلا سبب قادر على خلقه الولدَ في حال الكِبر ومن امرأة عاقر عن الولد.[٦]

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قال آيتك ألا تُكَلِّمَ الناس ثلاث ليال سويًا**، قال[٧] بعضهم: **آيتك ألا تُكَلِّمَ الناس ثلاث ليال**، وأنت سَوِيٌّ صحيح.[٨] وقال بعضهم: **ثلاث ليال سويًا**، أي ثلاثا تامًا بأيامها، على ما قاله في آية أخرى: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[٩] ذكر[١٠] ههنا[١١] ثلاث ليال وفي تلك الآية ثلاثة أيام، والقصة واحدة.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سَبِّحُوا بكرة وعَشِيًّا**.

---

[١] ع - يخرج على وجهين أحدهما أنه لما بشر بالولد.
[٢] ر ع م: أو غيره.
[٣] سورة آل عمران، ٣/٣٩.
[٤] ر م: عنه.
[٥] ر م: عن.
[٦] ر ع م - قوله وقد خلقتك من قبل نطفة ولم تك شيئا فمن قدر على خلق الأشياء من لا شيء وبلا سبب قادر على خلقه الولد في حال الكبر ومن امرأة عاقر عن الولد.
[٧] ر ع م: وقال.
[٨] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٤. وانظر لمعنى آخر: آخر الآية التالية.
[٩] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تُكَلِّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤١).
[١٠] ع: اذكر.
[١١] ن: هنالك.

قوله: **فأوحى إليهم**، قيل: أومَأ[1] إليهم، وقيل: كتب لهم على الأرض. وجائز أن يكون أومأ[2] إليهم بالشفتين على ما ذكر في آية أخرى: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا.[3] والرمز هو تحريك الشفة والإيماءُ[4] بها.*

وقوله: **فأوحى إليهم**، قد ذكرنا أنه أومَأ[6] إليهم. وقال بعضهم: كتب لهم على الأرض. وقوله: **أن سبِّحوا بكرة وعشيًا**، يحتمل قوله: **أن سبحوا**، أي صَلُّوا لله[7] **بكرة وعشيًا**. فإن كان التسبيح هو الصلاة ففيه أن الصلاة كانت في الأمم الماضية في ختم الليل. ويحتمل التسبيحَ نفسه والثناء على الله والدعاء له بالغَدَوَات والعَشِيّات.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يا يحي خذ الكتاب بقوة**، قال بعضهم: **خذ الكتاب**، بما قوّى الله وأعانك، وقال بعضهم: **خذ الكتاب**، واصبر على العمل بما فيه.[8] وقال بعضهم: **خذ الكتاب بقوة، أي** بجِدٍّ. قال أبو بكر الأصم: الجِدّ هو الانكماش[9] في العمل، والقوة هي احتمال ما تُحمّل[10] عليه.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون بأن القوة تتقدم[11] الفعل ثم لا تبقى وقتين. فيكون على قولهم آخذًا بغير قوة، وقد أمره أن يأخذه[12] بقوة. فقولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب.

وقوله عز وجل: **وآتيناه الحكم صبيًا**، قال بعضهم: **آتيناه الحكم**، أي النبوة في حال صِباهُ، وقال بعضهم: آتاه الله الفهم واللب، وقال بعضهم: الحكمةَ والعلمَ. فكيف ما كان

---

[1] ر ع: أوحى؛ د م: أومى.
[2] ر ع م: أوحى؛ ن: أومى.
[3] سورة آل عمران، ٤١/٣.
[4] ع: والايمان.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية الآتية برقم ٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١و/سطر ١٥-١٨.
[6] ر ع: أوحى؛ ن م: أومى.
[7] ع: صوت الله.
[8] ر م + وقال بعضهم خذ الكتب واصبر عمى العمل بما فيه.
[9] نكمش في أمره أي أسرع (*لسان العرب*، «كمش»).
[10] ع - حمل.
[11] ر م: يتقدم.
[12] ن: أن يأخذ.

ففيه فساد مذهب المعتزلة. لأنهم يقولون: إن الله تعالى لا يخص أحدًا بِنُبُوَة ولا شيء من الخيرات إلا بعد أن سبق[1] من المختَصِّ له ما يستوجب ذلك الاختصاص[2] ويستحقه. فما الذي كان من يحيى في حال صِباهُ وطفوليته[3] ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم أنه آتاه؟[4] فدل ذلك أن[5] الاختصاص منه يكون لمن كان إفضالا منه وإنعامًا ورحمة، لا باستحقاقٍ مِن المختص له واستيجابه. وفي قوله: **يا يحيى خذ الكتاب بقوة،** دلالة أنه كان نبيا حيث كان أخبر أنه آتاه الكتاب.

[٤٦١ظ س١٢ *وفي قوله:[6] **وآتيناه الحكم صبيًا** استدلال لأبي حنيفة رحمه الله، حيث وقف في أولاد المسمين والمشركين فقال: لا علم لي بهم، ولم يقطع فيهم[7] القول، لما يجوز أن يجعل الله لهم من المعرفة[8] والتمييز والفهم في حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومُنْشِئهم، على ما أُعطي يحيى وعيسى في حال صِباهما أو[9] صغرهما[10] الحكمَ والفهم والمعرفة.* ٤٦١ظ س١٥]

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا،** هو [معطوف] على قوله: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا،[12] [أي] وآتيناه **حنانا وزكاةً** أيضا. ثم اختلف في قوله: **وحَنَانًا من لدُنَّا،** قال ابن عباس: تعطُّفا من لدنا.[13] وقال بعضهم: أي رحمة من لدنا، وهو قول الحسن.[14] وقال بعضهم: الحنان المحبة.

---

[1] ر ع م: يسبق.
[2] ن: لاختصاص.
[3] ن: طفوليته.
[4] ر م: أنه إياه؛ ع: لأنه إياه.
[5] ر ع م - أن.
[6] ر ع م: في قوله.
[7] ر ع م: فهم.
[8] ر ع م: المعتزلة.
[9] ن: و.
[10] ع: أصغرهما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١ظ/سطر١٢-١٥.
[12] الآية السابقة.
[13] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٣؛ وتفسير الطبري، ١٦/٦٦-٦٧ (يسند الطبري هذا التأويل إلى مجاهد). وانظر أيضا: المستدرك للحاكم، ٢/٤٠٤. يقول: التعطف بالرحمة.
[14] تفسير الحسن البصري، ٢/١٠٧.

وقال أبو عَوْسَجَة: حَنانَك وحَنانَيْك[1] كلاهما[2] يعني برحمتك.[3] وقال: أصله من التحنُّن[4] وهو الترحم. وقال القُتَبِي: أصله من حنين الناقة على ولدها.[5]

وقوله: **وزكاةً وكان تقِيًّا**. قال[6] بعضهم: **زكاةً**، أي صدقة تصدَّق بها على زكريا وزوجته في الوقت الذي لا يُرجى من[7] مثلهما الولد. وقال بعضهم: **زكاة**، أي صلاحا[8] وما ينمو به من الخيرات. وجائز أن تكون[9] الزكاة اسمَ كل خير وبركة وهو كالبِرّ من التقوى، كأنه قال: أعطيناه[10] كل بِرّ وخير.

وقوله عز وجل: **وكان تقيًّا**، عن جميع الشرور، كقوله: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،[11] أي تعاونوا على البر وتعاونوا أيضًا على دفع الشرور.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وبَرًّا بوالديه**، هو [معطوف] على قوله: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ،[12] [أي] وآتيناه البِرّ بوالديه. وقوله عز وجل: **ولم يكن جَبَّارًا عصيًّا**، بل كان خاضعا / لله ذليلا مطيعا. وقال الحسن: [٤٦١ظ]
**لم يكن جَبَّارًا عصيًّا**، أي لم يكن ممن يجبر[13] الناس على معصية الله. وقال أهل التأويل: **ولم يكن جبَّارًا**، أي قَتَّالًا، أي لم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب.[14] وأصله ما ذكرنا أنه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له، على ما ذكر أنه لم يرتكب ذنبًا ولا همّ به.[15]

---

[1] قالو: حنانَك وحنانَيْك، أي تحنُّنا بعد تحنُّن. وهو من المصادر المثناة التي لا يظهر فعلها كَبَّيْك (انظر: *لسان العرب*، «حنن»).
[2] جميع النسخ: كليهما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٦و.
[3] ع: رحمتك.
[4] ع: الحنين.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٣.
[6] ع م: وقال.
[7] م – من.
[8] م: صلا.
[9] جميع النسخ: أن يكون.
[10] ع: أعطيناه.
[11] سورة المائدة، ٢/٥.
[12] الآية السابقة برقم ١٢.
[13] ر ع: يخبر.
[14] *تفسير البغوي*، ٦١٢/٣.
[15] *المستدرك* للحاكم، ٤٠٤/٢.

**﴿وَسَلَامٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **وسلام عليه يوم وُلِد ويوم يموت ويوم يُبعَث حيًّا**، يحتمل السلامُ عليه وجوها ثلاثة.[١] أحدها هو اسم كل بِرّ وخير، أي عليه كل بِرّ وخير في هذه الأحوال التي ذكر. والثاني السلام هو الثناء،[٢] أثنى الله عليه من أول أمره[٣] إلى آخره وبعد الموت في الآخرة. [والثالث] أن يكون[٤] قوله: **وسلام عليه**، أي السلامة عليه في هذه الأحوال التي يكون للشيطان في تلك الأحوال الاعتراض والنزغ[٥] فيها، لأنه وقتَ الولادة يعترض ويُفسد الولد إن وَجد السبيل إليه،[٦] وكذلك عند الموت يعترض ويسعى في[٧] إفساد أمره.[٨] فأخبر أن يحيى كان سليمًا سالمًا عن نَزَغات[٩] الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب[١٠] خطيئة ولا همَّ بها. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **يوم يموت** دلالةُ أن الموت والقتل سواء وإن كان في الحقيقة مختلفا، لأنه ذُكر في القصة أن يحيى قُتل، ثم ذُكر الموت فدل أنهما واحد. فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا: إن المقتول ميت قبل أجله. وفيه أن قوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنۡ يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمۡوَاتٌ،[١١] إنما نهانا أن نُسَمّيَهم أمواتًا في جهة، ليس في الجهات كلها، حيث سمي يحيى ميتا وهو كان شهيدًا على ما ذكر أنه قُتل.*

**﴿وَاذۡكُرۡ فِي الۡكِتَابِ مَرۡيَمَ إِذِ انۡتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب مريم**. قال الحسن: هو صلة قوله: ذِكۡرُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ عَبۡدَهُ زَكَرِيَّا،[١٣] أي [و]اذكر رحمة ربك مريم. وقال بعضهم: واذكر نبأ مريم وقصتها في الكتاب.

---

[١] جميع النسخ: الوجوه الثلاثة؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٧و.
[٢] ع: الثناء.
[٣] جميع النسخ: في أول أمره.
[٤] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٥] جميع النسخ: والنزع؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٧و.
[٦] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل بني آدم يمسُّه الشيطان يومَ وَلدته أمه إلا مريم وابنها» (صحيح مسلم، الفضائل ١٤٧).
[٧] ع: في.
[٨] ن: في إفساده أي أمره.
[٩] ن: نزعات.
[١٠] ع: حتى يرتكب.
[١١] سورة البقرة، ١٥٤/٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦١ظ/سطر ١٢-١٥.
[١٣] سورة مريم، ٢/١٩.

وقوله عز وجل: **إذ انتبذت من أهلها مكانا شَرْقِيًّا**، أي نحو المشرق. ثم يحتمل قوله: **إذ انتبذت من أهلها**، إذا بلغت مبلغ النساء فارقت أهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصرُ غير ذي الرحِمِ المحرَّمِ عليها وأن لا يراها أحد ولا يصلحَ[1] النظر إليها. وقال بعضهم: **مكانا شرقيًا**، أي جلست في المَشْرُقة،[2] لأنه كان في الشتاء.

**﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **فاتخذت من دونهم حجابا**، قال بعضهم: احتجبت من دونهم بالغَيبة عنهم. وقال بعضهم: **اتخذت من دونهم حجابا**، أي سِتْرا. وقال مقاتل: **اتخذت من دونهم** الجبل حجابا وسِترا، أي جعلت الجبل بينها وبين أهلها فلم يرها[3] أحد منهم.[4]

وقوله عز وجل: **فأرسلنا إليها روحنا**، قال أُبي بن كعب:[5] **روحنا**:[6] هو روح عيسى أرسله الله إلى مريم في صورة بشر، **فتمثل لها بشرًا سَوِيًّا**. وقال غيره من أهل التأويل: **فأرسلنا إليها روحنا** جبريل، وقد سمى الله جبريل روحًا في غير آي من القرآن[7] وروحَ القدس[8] وغيره.[9] **فتمثل لها بشرًا سويًّا**، أي لم يكن به أثر غير البشر. وقال بعضهم: **بشرًا سَوِيًّا**، لا عيب فيه ولا نقصان، بل كان سويا صحيحا كاملا. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تَقِيًّا**. فإن قيل: كيف تعوّذت بالرحمن إن كان تقيًّا وإنما يُتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق؟

قال الحسن: قوله **إن كنت تقيًّا**، مفصول من قوله: **إني أعوذ بالرحمن منك**، فيكون على الابتداء، كأنها قالت: إن كنت تَقِيًّا لا ينالني منك سوء ولا يَمَسُّني شر. ويحتمل قوله:

---

[1] د: لا يصلح.

[2] لمشرقة -بفتح الراء وضمها-: موضع القعود للشمس (*لسان العرب*، «شرق»).

[3] ن: فلم يرآها؛ ع: فلم يروها.

[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٦٢٣.

[5] ع - كعب؛ ن + روحنا.

[6] ر ع م - روحنا.

[7] انظر: سورة المعارج، ٧٠/٤؛ وسورة النبأ، ٧٨/٣٨؛ وسورة القدر، ٩٩/٤.

[8] ر ع م: روح القدس. انظر: سورة البقرة ٢/٨٧، ٢٥٣؛ وسورة المائدة، ٥/١١٠؛ وسورة النحل، ١٦/١٠٢.

[9] مثلا الروح الأمين؛ انظر: سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣.

**إن كنت تَقِيًّا**، أي ما كنت تقيا، أي حيث دخلتَ عليّ من غير استئذان منك ولا استئمار، ما كنت تَقِيًّا. ويحتمل قوله: **إن كنت تَقِيًّا**، أي وقد كنت تَقِيًّا.[١] فعلى هذا التأويل كأنه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتُّقَى والصلاح، فكأنها قالت: قد كنت عرفتك بالتُّقَى والصلاح فكيف دخلتَ عليّ بلا إذن ولا أمر؟ وقد يجوز أن يستعمل "إن" مكان "ما" ومكان "قد" وفي القرآن كثير. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[١٩]**

وقوله تعالى: **قال إنما أنا رسول ربك لِأَهَبَ لكِ غلاما زكيا**، هو على الإضمار، كأنه قال: **إنما أنا رسول ربك** بالقول بأن **أهَبَ لكِ غلاما زكيا**، أي أرسلني إليك بهذا القول، وهو قوله: **لأهب لك غلاما زكيا**. وفي حرف ابن مسعود: إنما أنا رسول ربك لِيَهَبَ لكِ غلاما زكيا.[٢] وقوله: **زكيا**، أي صالحا طاهرا عن جميع الشرور.

**﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[٢٠]**

وقوله تعالى: **قالت أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا**، إذ قالت: لم يمسسني بشر، يُعلَم أنه لم يمسها بشر لا تقيًا[٣] ولا غيره، ولكن[٤] كأنها قالت: **ولم يمسسني بشر**، نكاحًا، **ولم أك بَغِيًّا**، ولا بَغْيا فمِن أنَّى يكون لي ولد؟ كأنها لم تعرف الولد إلا بسبب لذلك قالت: **أنَّى يكون لي غلام**.

**﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **قال كذلكِ قال ربكِ**، أي أخلق بسبب وبلا سبب. وقوله عز وجل: **هو عليّ هيّن**، أي تَخلُق الشيء بسبب وبغير سبب هين علي. وقال بعضهم: قوله: **كذلكِ قال ربكِ**، للأنبياء الذين كانوا من قبلُ إنه يخلق ولدًا بلا أب ولا أم.[٥]

---

[١] م - أي وقد كنت تقيا.

[٢] انظر: *المصاحف* لابن أبي داود، ٥٨. قرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو وشيخ يعقوب "ليهب لك" (*زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).

[٣] ن: لا بغيا.

[٤] ر ع م: لكن.

[٥] ن: ولا ماء؛ ع: ولا أما.

وقوله عز وجل: **ولنجعله آية للناس**، أي بجعل وِلاده بلا أب على ما أخبر الأنبياء من
[٤٦٢و] قبل، آيةً **للناس** لرسالتهم؛ لأنهم أخبروا أنه يولَد وِلد[1] بلا أب ولا أم،[2] فكان ما أخبروا. فدل ذلك أنهم إنما عرفوا ذلك بالله. فيكون ذلك آية لصدقهم. ويكون قوله: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي ذلك الخبر الذي أخبر الأنبياء من قبل والوعدَ الذي وعد لهم [كان] أمرًا مقْضِيًّا، كائنا.

وقال أهل التأويل: في قوله: **ولنجعله آية للناس**، أي نجعل عيسى آية للناس.[3] حيث وُلد بلا أب وكلَّم الناس في المهد وغير ذلك من الآيات التي كانت فيه.[4] وجائز أن يكون آية للناس لبعث، لأنه أنشأه بلا أب ولا سبب، وهم إنما أنكروا البعث لما لم يعاينوا[5] الولد بغير أب أيضًا، ثم كان، فعلى ذلك البعث. إذ لا فرق بينهما، لأن من قدر على إنشاء الولد بلا أب ولا أم[6] قدر على الإحياء بعد الموت، بل هو أولى.[7]

وقوله عز وجل: **ورحمةً منا**، أي رحمة منا للخلق، لأن من اهتدى واتّبعه كان له به نجاة. وهو ما قال الله عز وجل لرسوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[8] وعلى ذلك جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى خلقه كان[9] ذلك رحمة منه إلى خلقه.

وقوله عز وجل: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي كان أمرًا كائنا. وعلى التأويل الذي ذكره أبو بكر الأصم في قوله: **قال كذلكِ قال ربكِ هو على هين ولنجعله آية للناس**، يكون قوله: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي كان وعدا وخبرا[10] معلوما على ما أخبر الأنبياء عن نبإ عيسى وأمه.

[٤٦٣و س١٣] * ثم قول أهل التأويل: إنه نُفخ في جيب مريم أو في أنفها أوفي غيره، وغير ذلك من القِصص التي ذكروها مما ليس في الكتاب ذكرها فلا يجوز أن يقال ذلك إلا بخبر عن الله تعالى

---

[1] ر ع م: ولدا.
[2] ن: ولأم؛ ع: ولا أمه.
[3] ن – أي نجعل عيسى آية للناس.
[4] انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣؛ و سورة المائدة، ١١٠/٥.
[5] ن + ولم يعاينوا.
[6] ن: ولا ماء؛ ع: ولا أما.
[7] قارن بما قال المؤلف رحمه الله في تأويل الآية ٦١ من سورة الزخرف، لأن بعض أهل التأويل استدلوا بآية الزخرف إلى نزول عيسى عليه السلام.
[8] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[9] ر ع م: كأنه.
[10] ع: خيرا.

أو عمن أوحى إليه، فإنه لم يعلم صدقه ولا تبوته، فيذكر[١] مقدار ما في الكتاب لا يزاد عى ذلك ولا ينقص. لأن هده الأنباء إنما ذكرت لرسول الله لتكون[٢] آية لرسالته ونبوته، لأنها كانت مذكورة في الكتب المتقدمة، وكان هنالك من يعرفها، فذكرت له هذه الأنباء عى ما كانت في كتبهم ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله. فلو زيد فيه أو نقص لكانت غير دالة لهم عى ذلك.* [٤٦٣و س١٨]

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[٢٢] ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **فحملته فانتبذت به مكانا قَصِيًّا**، دل هذا عى أن الولاد لم يكن[٤] عى إثر الحمل، ولكن كان بين الولاد وبين الحمل وقت، لكن لا يعلم كم ذلك الوقت إلا بخبر عن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فانتبذت به مكانا قَصِيًّا**، قال بعضهم: تباعدت به حياءً من أهلها. وقال بعضهم: انفردت[٥] به **مكانا قصيا**، متباعدًا.

وقوله عز وجل: **فأجاءها المخاض**، قال القُتَبِي: **فأجاءها المخاض**، أي جاء بها -من المجيء- وألجأها إليها. يقال:[٦] جاءت بي الحاجة إليك وأجاءتني الحاجة. وقال:[٧] المخاض هو الحمل.[٨] ودل قوله: **فانتبذتْ به مكانًا قَصِيًّا**، أن النخلة التي ألجأها المخاض إليها كانت يابسة عى ما قاله أهل التأويل، لأنه إنما انتبذت **مكانًا قَصِيًّا**، وتباعدت حياء من أهلها؛ فلو كانت تلك النخلة رَطْبة ذات ثمار لكان الناس يأوون إليها ويقيمون عندها، فلا يحتمل أن تأوِي[٩] إليها مريم وعندها مأوى الناس. ثم التِجائُها[١٠] إلى النخلة لتتساند إليها وتستعين بها، عى ما يقع الحاجة للنساء وقت الولاد إلى شيء[١١] تستعين به عما ينزل بهن من الشدة. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: فنذكر.
[٢] ن + له
* وقع ما بين لنجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٤ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر١٣-١٨.
[٤] ع: ولم يكن.
[٥] ر: لفرت.
[٦] جميع النسخ: يقول، والتصحيح من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٣.
[٧] ر ع م - قل.
[٨] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٣.
[٩] ر ع م: يأوى.
[١٠] م: التجاها.
[١١] ع: وإلى شيء.

وقوله عز وجل: **قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنسِيًّا**. يحتمل أن يكون يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنسِيًّا، أي وكنت غير معروفة. ويحتمل أن يكون على ما ذكر يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنسِيًّا، لا أُذكر بعد الموت بذلك. لأنه ذُكر أنها كانت من أهل شرف وكرم ومن أهل بيت النبوة فتمنَّتْ أن تكون غير معروفة لئلا تُذكر[1] بسوء بعدها ولا تقذف.[2] وقال أهل التأويل: **وكنت نَسْيًا مَنسِيًّا**، أي حِيضة مُلقاة،[3] وكذلك قال أبو عَوْسَجة: النسْي الحيض. قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل هذا لأنها قد عرفت قدرها عند الله فلا يحتمل أن تتمنى ما ذكر. لكن الإنسان ربما يتمنى الأمر العظيم إذا أشتد به الأمر، نحو ما يتمنى الموت في بعض الوقت لعِظم[4] ما يَحُلّ به. فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم أن تتمنى ما ذكر أهل التأويل. **والله أعلم**.

**﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **فناداها من تحتها**، و[قوله] **من تحتها** اختلف فيه. قال بعضهم: ناداها ملك، وقال بعضهم: ناداها ابنها عيسى.[5] قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل[6] أن يكون الذي ناداها ملكا، لأنه قال: **من تحتها**، ولو كان ملكا لناداها من فوقها. لكن هذا ليس بشيء، لأن الملك إنما ينادي من حيث يؤمر: من تحت ومن فوق. وقال بعض أهل التأويل: ناداها جبريل من تحت الوادي **ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا**. والأشبه أن يكون ابنها عيسى، لأنها كانت تحزن أن تُشتم وتُقذف به؛ فعيسى إذا تكلم وصار بذلك المحل تُسَرُّ هي بذلك، لما تعلم أنه ينفي عنها بعض ما طُعنت به وقُذفت.[7] ويحتمل [أن يكون] حزنها من وجه آخر، وهو أنها كانت حزنَت خوفا على نفسها[8] وعلى ولدها، لأنها أقامت[9] في مكان لا ماء فيه ولا طعام، فخافت على نفسها وولدها الهلاك فحزِنَت لذلك فبُشّرت،

---

[1] ر ع م: يذكر؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتانية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٨و.

[2] ر ع م: يقذف؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتنية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٨و.

[3] والحِيضَة: الخِرقة التي تَسْتَثْفِرُ بها المرأة. قالت عائشة رضي الله عنها: «لَيْتَنِي كنتُ حِيضةً مُلْقَاةً». وكذلك المَحِيضة، والجمع المَحايِضُ (*لسان العرب*، «حيض»). والاستثفار: أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه (*لسان العرب*، «ثفر»).

[4] ع: لعصيم.

[5] روي هذا عن مجاهد (*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٥) والحسن (*تفسير الطبري*، ١٦/٨١).

[6] ع – لا يحتمل.

[7] ر ع: قرفت؛ ن: قرفت.

[8] ع: أنفسها.

[9] م: قمت.

حيث قال لها: **لا تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ سَرِيًّا**، آمنها عن الخوف الذي كان. ثم السَّرِيّ، قال بعضهم من أهل التأويل: هو الجدول، وهو النهر الصغير.[1]

*وقال بعضهم: في قوله **فناداها من تحتها**، أي من تحت النخلة.* [٤٦٢ظ س٦]

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وهُزِّي إليكِ بجذْعِ النخلة تُسَاقِطْ عليكِ رُطَبًا جَنِيًّا**. فيه دلالة لزوم الكسب، لأنه أُمر مريم أن تَهُزَّ النخلة لتتساقط[3] عليها الرُّطَبُ، ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها لتَجْتَنِي هي، وذلك عليها أهون[4] وأيسر، على ما كان رزقها عند ما كانت مؤنتها على زكريا.[5]

وفيه دلالة أن لا يَسَعُ المرءَ[6] المسألةُ ما دام به أدنى قوة يقدر على قُوتِه. وفيه دليل أن زكريا كان أفضل منها وأكبر منزلة عند الله حيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف كان من[7] زكريا ولا مئونة. فلما فارقت زكريا أمرها / بالكسب. وفيه دلالة أن الآيات التي تكون [٤٦٢ظ] للأنبياء يجوز أن يُجريها على أيدي غير الأنبياء،[8] حيث جَعل لمريم نخلة يابسة رَطْبَة[9] تُثمر رُطَبا، وحيث جعل من تحتها سَرِيًّا، أي نهرا جاريا، وحيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف أحد. فذلك يشبه آيات الأنبياء والرسل ويقاربها. وهذه المحن التي امتحن بها مريم في الظاهر عظيمة عند الناس وفي الباطن من أعظم كراماته إليها، لأنه أخبر أنه تعالى اصطفاها على نساء العالمين بقوله: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛[10] وسماها صِدِّيقة بقوله: وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ.[11] وذلك لا يسمى إلا من بلغ من البشر في الصدق والصبر له غايته.[12] *والله أعلم.**

---

[1] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٢ظ/سطر٦-٧.

[3] ن: ليتساقط.

[4] ع: أهو.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ (سورة آل عمران، ٣/٣٧).

[6] ر: لمرا.

[7] ع – من غير تكلف كان من.

[8] ر ع م: غير أيدي الأنبياء.

[9] ن: رطبه.

[10] ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٢).

[11] ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة﴾ (سورة المائدة، ٥/٧٥).

[12] ر ع م: غاية.

* وقع هنا سطر من تفسير الآية السابقة برقم ٢٤ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٢ظ/سطر٦-٧.

**﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾**[٢٦]

وقوله: **فكلي واشربي وقَرِّي عينا**. أي كلي الرُّطَب الذي يتساقط عليك. **واشربي** من السَّريّ الذي جعل تحتك. **وقري عينا**. أي وارضَيْ مكان ما حزنْت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك، أو طِيبِي نفْسًا.

وقوله عز وجل: **فإما تَرَيِنَّ من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما**، أي صمتا وسكوتا. وكذلك روي في بعض الحروف وهو في حرف أبي.[١] ثم قوله:[٢] **فقولي**، ليس على القول نفسه، ولكنه إشارة أشارت إليهم. **إني نذرت للرحمن صوما**. فإن كان على هذا ففيه دلالة أن الإشارة إذا كانت مُعْلِمة مُفهِمةً المرادَ تعمل عمل القول نفسه والكلامِ. ولذلك وقع الطلاق بالإشارة والنكاحُ وكلُّ عقد من الأخرس وغيره إذا كانت الإشارة مفهومة معقولة. وقال بعضهم: قوله: **فقولي**، هو على[٣] حقيقة القول، أي[٤] أُمرتْ أن تقول: **إني نذرت للرحمن صوما**، فكان نذرها الصومَ للرحمن بعد هذا القول. وإلى هذا يذهب الحسن.

**﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾**[٢٧]

وقوله عز وجل: **فأتت به**، أي بعيسى **قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فَرِيًّا**، قال أبو بكر الأصم: لقد فَرَيْتِ عظيما من الأمر. لكنه يخرج تأويله فريتِ من التقدير؛ يقال: فرى أي قدَّر. وقال بعضهم: لقد افتريت عظيما. وهو قذف تصريح[٥] بالزنا، كقوله: **يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ**.[٦] وقال بعضهم: **شيئا فَرِيًّا**، كلُّ قائم من[٧] عجب أو من عمل فهو فري، وهو ههنا عجب فري. وهذا[٨] أقرب، إذ لا يجوز أن يحمل كلامهم على تصريح القذف وثَمَّ[٩] لتعريض القذف مساغٌ ووجه. *والله أعلم*.

---

[١] «صوما صمتا» أو «صوما وصمتا». انظر: *المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٥.
[٢] جميع النسخ: وقال ثم قوله.
[٣] ع: على هو.
[٤] ع + إني.
[٥] ع + القذف تصريح.
[٦] ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ (سورة الممتحنة، ٦٠/١٢).
[٧] ر ع م - من.
[٨] ن: وهنا.
[٩] ن: وثمة؛ م: ثم.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢٨]

وقوله: **يا أخت هارون**، قال بعضهم: كانت أختَ هارون بن عمران أخي موسى. وعلى ذلك رَوَى خبرًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ثبت[١] فهو هو. وقال بعضهم: لا، ولكن كان لها أخ من أبيها يقال له هارون بن ماثان، لذلك نسبوها إليه فقالوا: يا أخت هارون. وقال بعضهم: إن هارون كان رجلا صالحا ناسكا فيهم فشبّهوها به ونسبوها إليه لصلاحها وتَنسّكها. وقال بعضهم: إن بني إسرائيل يسمّي كل صالح هارون حُبًّا لهارون؛ لذلك سَمّوْها ونسبوها إلى هارون لتنسكها وصلاحها.

وقوله عز وجل: **ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بَغِيًّا**، أي ما كان أبوك ما ذكر ولا أمك ولا أنت فمن أين كان لك هذا؟ هذا تعريض من الكلام ليس بتصريح، فهو ما ذكرنا أنهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح[٢] الفرية والقذف لها.

[٤٦٣و س١٨] * قال[٣] القُتَبي: الصوم الإمساك، **صوما**، أي صمتا. **فَرِيًّا**، أي عظيما عجبا. والبَغِيّ، يقال: امرأة بغيٌّ ونسوة بَغَايَا، أي فاجرات.[٤] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.* [٤٦٣و س١٩]

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٢٩]

قوله: **فأشارت إليه**، أي إلى ابنها عيسى أن كلِّموه. **قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**، أي كيف نكلم من كان صبيا في المهد؟[٦]

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٣٠] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٣١]

وقوله تعالى: **قال إني عبد الله آتاني الكتاب**، أي آتاني علم الكتاب. ولا نفسر أيّ كتاب هو: الإنجيل أو التوراة أو غيره، لأنه قال في آية أخرى: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ،[٧] فذكر الكتاب وذكر معه التوراة والإنجيل. فهذا يدل أن الكتاب غير التوراة والإنجيل.

---

[١] لم أجد شيئا في ذلك.

[٢] ر: على التصريح.

[٣] ع: وقال.

[٤] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر١٨-١٩.

[٦] ر ع م - قوله فأشارت إليه أي إلى ابنها عيسى أن كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا أي كيف نكلم من كان صبيا في المهد.

[٧] سورة آل عمران، ٤٨/٣.

وقوله عز وجل: **وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت**، هذا يدل أنه قد تكلم بعد هذه الكلمات، وليس كما قال أهل التأويل: إنه تكلم بهؤلاء الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك إلى أن بلغ[1] المبلغ الذي يتكلم الصبيان، لأنه أخبر أنه جعله نبيا وجعله مباركا. فلا يحتمل أن يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس إلى دين الله. وأي بركة تكون فيه إذا لم يتكلم بكلام خير؟ فدل ذلك منه أن ليس على ما قالوا هم. والبركة هي اسم كل خير وصلاح. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمْتُ حيا**، يحتمل الصلاةَ المعروفة والزكاة المعهودة؛ ويحتمل الصلاةُ الثناء له والدعاء في كل وقت وفي كل مكان. والزكاةُ كل ما تزكو[2] به النفس وتصلح وتنمو من[3] كل خير. فإن كان الأولَ [أي] الصلاةَ المعروفة[4] والزكاة المعروفة فهو على تعليم الناس؛ كأنه قال: أوصاني أن أُعْلِمِ الناس وأُعَلِّمهم عن[5] [حكم] الزكاة، إذ لم يكن يملك عيسى ما تجب فيه الزكاة، فهو يخرج على إعلام[6] الناس عن حكم الزكاة. أو أن يكون على المواساة[7] فذلك مما قل وكثر سواء. وإن كان الثاني فهو وغيره من الناس في تلك الزكاة سواء. *والله أعلم*.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وبَرًّا بوالدتي**، أي جعلني برا بوالدتي. هو[8] صلة قوله:[9] وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا،[10] وجعلني برا بوالدتي **ولم يجعلني جبارا شقيا**، قد ذكرناه في قصة يحيى.[11]

---

[1] ع: بلغ.
[2] ر: تزكوا.
[3] ر ع: عن.
[4] ر م: المفروضة.
[5] جميع النسخ: من.
[6] ن: على تعليم؛ ن هـ: إعلام.
[7] والمُوَاسَاة: المشاركة والمُساهَمة في المعاش والرزق؛ وأصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفا (*لسان العرب*، «اسو»).
[8] جميع النسخ - هو، والزيادة من الشرح، ورقة ٤٧٨ظ.
[9] جميع النسخ: بقوله والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٨ظ.
[10] الآيتان السابقتان.
[11] انظر. تفسير الآية السابقة برقم ١٤.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **والسلام علي يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا**. هذا أيضا قد ذكرناه في قصة يحيى،[1] غير أن الله تعالى هو سلّم على يحيى في تلك الأحوال / وههنا ذَكَرَ [٤٦٣و]
أن عيسى هو[2] سلَّم على نفسه. وذكر في بعض القصة أن عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام التقيا، فقال يحيى لعيسى: "[استغفر لي] أنت خير مني"؛ فقال عيسى: "بل أنت خير مني سلَّم الله عليك[3] وسلَّمتُ أنا على نفسي".[4] *والله أعلم*.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ذلك عيسى ابن مريم**، أي ذلك عيسى ابن مريم، ليس على ما قالت النصارى وغيرهم: إنه ابن الله وإنه ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[5] على ما قالوا، ولكن عيسى ابن مريم عبد الله كما أقر هو بالعبودية[6] حيث قال: إِنِّي عَبْدُ اللهِ.[7] ويحتمل قوله: **ذلك عيسى ابن مريم**، أي ذلك الذي أنبأتهم من نبإ عيسى، **قول الحق الذي فيه يمترون**، أي هؤلاء الكفرة، حيث أنكروا أنه ليس على ما أنبأتهم من نبإه، أي الذي[8] يشكُّون فيه هو **قول الحق**. *والله أعلم*.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **ما كان لله أن يتَّخذ من ولدٍ سبحانه**، نزه نفسه عن أن يتخذ ولدا، لأنه لا تقع[9] الأسباب التي لها[10] يُتخذ الولد ويطلب منه. أو يقول: إن اتخاذ الولد يُسقط الألوهية؛ لأن الولد في الشاهد يكون شكلَ الأب وشبيها[11] له، فلا يحتمل أن يكون الألوهية لمن يشبه الخلق.

---

[1] انظر: تفسير الآية السابقة برقم ١٥.

[2] ر ع م - هو.

[3] م - عليك.

[4] انظر: *تفسير الطبري*، ٧٠/١٦.

[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ (سورة المائدة، ٧٣/٥).

[6] ن ع: بالعبودة.

[7] سورة مريم، ٣٠/١٩.

[8] ع: الذين.

[9] ن: لا يقع.

[10] م: بها.

[11] م: وشبها

لأن الولد في الشاهد إنما يُتخذ ويطلب لأحدِ وجوه ثلاثة: إما لوحشة تأخذه فيستأنس به،[1] وإما لحاجة تمَسُّه فيستغني به في دفعه، أو لخوف يخاف من أعدائه فيستنصر به. فإذ[2] كان الله سبحانه يتعالى عن ذلك وله من سرعة نفاذ أمره ما ذكر في قوله: **إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون**، فمَن[3] له من سرعة نفاذ الأمر[4] ما ذكر لا تقع[5] له الحاجة إلى الولد في معنى من المعاني ولا وجهٍ[6] من الوجوه. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.*

**﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **وإن الله ربي وربكم فاعبدوه**، إنهم كانوا يعرفون أن الله هو ربهم حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[8] ونحوه، فكأن عيسى قال لهم: ارجعوا إلى عبادة الذي تعرفون أنه ربي وربكم واتركوا العبادة لمن تعرفون أنه ليس بربكم.

**﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: اختلف الذين تحزَّبوا[9] في عيسى في حياته. منهم من قال: هو ساحر، وقال بعضهم: هو كاهن، وقال بعضهم كذا من هذا النحو. وقال بعضهم: اختلف الذين تحزَّبوا[10] في عيسى بعد ما رُفع من[11] بينهم. فمنهم من قال: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[12] وأمثال ما قالوا؛ على علم منهم أنه لم يكن على ما وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا.

---

[1] ن: له.
[2] ر ع م: فإن.
[3] ر ع م: فما.
[4] ع: أمره.
[5] ن: لا يقع.
[6] ن: فلا وجه.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات المتقدمة برقم ١٩-٢١ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر ١٣-١٨.
[8] سورة الزمر، ٣/٣٩. لعل الإمام رحمه الله وجد مشابهة بين عقيدة قوم عيسى عليه السلام وبين عقيدة مشركي العرب، حيث استدل بالآية التي نزلت فيهم.
[9] ع: تحربوا.
[10] ع: تحزنوا.
[11] ع م - من.
[12] قارن: سورة المائدة، ٧٣/٥.

وقال بعضهم: قوله: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، الذين تحزَّبوا واختلفوا في رسول الله لَمَّا بُعث.[١] فمنهم من قال: إنه ساحر[٢] وإنه كاهن[٣] وإنه[٤] مجنون[٥] وإنه مفترٍ[٦] وإنه كذاب[٧] ونحو ما قالوا فيه، على علم منهم أن ما يقول هو[٨] يوافق كتبَهم وأن كتابه مصدِّق لكتبهم[٩] وأنه يؤمن بالرسل الذين يؤمنون هم بهم، لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة. فقال أصحاب هذا التأويل: الويل والوعيد الذي ذكر [هو] لهؤلاء،[١٠] وهو قوله: **فويل للذين كفروا**. وصاحب التأويل الأول يقول: إن الوعيد الذي ذكر هو للذين تحزَّبوا في عيسى واختلفوا فيه.[١١] **والله أعلم**. والويل لكل كافر، ما من كافر إلا وله ذلك الوعيد.

وقوله عز وجل: **من مَشْهد يوم عظيم**، وصف ذلك اليوم بالعظم لما فيه مجمع الأولين والآخرين، ويشهده الجن والإنس والملائكة، فهو[١٢] مشهد عظيم. ويحتمل أنه وصفه بالعظم، لأنه هو المقصود في خلق العالم في الدنيا فهو إنما خلقهم لأمر[١٣] عظيم وهو ذلك اليوم.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أَسْمِعْ بهم وأَبْصِر يوم يأتوننا**، قال الحسن: يكونون سُمَعاء وبُصَراء في الآخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عمي بكم صم.[١٤] وقال بعضهم: ما أَسْمَعَهم وما أَبْصَرَهم **يوم يأتوننا**. وقال بعضهم: لا يصح هذا، لأن هذا ليس على وجه التهزُّؤ[١٥] والتعجُّب،

---

[١] إلا أن هذه الأقوال -التي ذكرها البعض- هي للمشركين في سيدنا محمد عليه السلام، لا للذين اختلفوا وتحزبوا في ماهية عيسى عليه السلام: هل هو إله من نفس جوهر الله أم إنسان.
[٢] سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.
[٣] سورة الطور، ٢٩/٥٢؛ وسورة الحاقة، ٤٢/٦٩.
[٤] ر ن - إنه.
[٥] سورة الحجر، ٦/١٥؛ وسورة الصافات، ٣٧-٣٦.
[٦] سورة النحل، ١٠١/١٦.
[٧] الآيات المتعلقة بتكذيب المشركين رسول الله كثيرة، ومنها ما في سورة ص، ٤/٣٨.
[٨] ر ع: هوا.
[٩] ع: لكتبهم.
[١٠] أي المشركين.
[١١] ر ع م - الذي ذكر لهؤلاء وهو قوله فويل للذين كفروا وصاحب التأويل الأول يقول إن الوعيد الذي ذكر هو للذين تحزبوا في عيسى واختلفوا فيه؛ ر ع م + للذين تحزبوا في رسول الله.
[١٢] ع: هو؛ ر: لأنه.
[١٣] ع: للعالم.
[١٤] يشير إلى قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢)؛ وانظر أيضا لآية ١٧١ من هذه السورة).
[١٥] ر ع: التهز.

ولكن تأويله: أي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا. وقال بعضهم: أسْمِعْ بهم وأبْصِر، أي أَسْمِع بحديثهم إليهم وأعلِمْهم، وأبْصِر كيف نَصنع[1] بهم يوم يأتوننا. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**، أي في حسرة بينة أو في هلاك بين. وقد ذكرنا ذلك في غير موضع.[2]

**﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **وأنذرهم يوم الحسرة**، قال عامة أهل التأويل: الحسرة هي أن يُصَوَّر الموت بصورة كَبْش أملحَ فيذبح بين الجنة والنار فينظر إليه أهل النار وأهل الجنة، فيندم أهل النار ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون الموت فإذا ذبح الموت[3] ييأسون[4] منه،[5] فذلك الحسرة التي ذَكر.[6] لكن هذا لا يعلم إلا بخبر عن رسول الله، فإن ثبت شيء[7] عنه فهو ذلك.[8] وإلا فالحسرة
[٤٦٣ظ] / لهم في أعمالهم التي عملوا في الدنيا، وهو ما قال: كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ؛[9] وقوله: يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ،[10] وقولُه: يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا،[11] ونحوه، كل عمل عملوا في الدنيا يكون لهم ذلك حسرةً في الآخرة وندامة.

---

[1] ر ع: تصنع؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتانية.
[2] انظر مثلا: تفسير سورة آل عمران، ١٦٤/٣.
[3] ر ع م - فإذا ذبح الموت.
[4] ر ع: يتأسون؛ م: ويتأسون.
[5] ر م: عنه.
[6] انظر: *تفسير البغوي*، ٦٢٠/٣.
[7] ع: شي.
[8] ن: ذلك. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: 'يا أهل الجنة'، فيشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: 'هل تعرفون هذا؟' فيقولون: 'نعم، هذا الموت'. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: 'يا أهل النار'، فيشرئبون وينظرون، فيقول: 'هل تعرفون هذا؟' فيقولون: 'نعم، هذا الموت'. وكلهم قد رآه، فيُذبح. ثم يقول: 'يا أهل الجنة خلودٌ فلا موتَ، ويا أهل النار خلود فلا موت'.» ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ وهؤلاء في غفلة أهلُ الدنيا ﴿وهم لا يؤمنون﴾. (*صحيح البخاري*، التفسير ١٩؛ وانظر أيضا: *سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٠).
[9] ﴿وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كَرَّةً فنتبرأَ منهم كما تَبَرَّءُوا منا كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ١٦٧/٢).
[10] سورة الزمر، ٥٦/٣٩.
[11] ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فَرَّطْنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ (سورة الأنعام، ٣١/٦).

وقوله عز وجل: **إذ قُضِي الأمرُ**، أي أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار **وهم في غفلة**، أي هم كانوا في غفلة من هذا، **وهم لا يؤمنون** بالله.

**﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها**، هذا -والله أعلم- كناية عن فناء الخلق جميعًا وبقاء الخالق، فذلك معنى الوراثة، ***والله أعلم***. وعلى ذلك سمي الوارث في الشاهد وارثا لأنه باق بعد فناء مورثه. ***والله أعلم***.

**﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب إبراهيم**، قال الحسن: هو صلة كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[١] يقول: اذكر رحمة ربك إبراهيم. قال الحسن: هو صلة، وكذلك يجعل جميع ما ذُكر في هذه السورة من نحو هذا صلة ذلك، كأنه ذُكر كهيعص في كل ذلك، لأنه يجعل تفسير كهيعص في كل ذلك على ما ذُكر على إثره. وكذلك يقول في جميع الحروف المقطعة أن تفسيرها ما ذُكر على إثرها. وأما غيره من أهل التأويل فإنه يقول: واذكر لهم نبأ إبراهيم وقصته في الكتاب. وكذلك يقولون في جميع ما ذُكر في هذه السورة من قوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ،[٢] أي اذكر نبأها وقصتها في الكتاب[٣] لهم، واذكر في الكتاب نبأ موسى وخبره وذكره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه كان صِدِّيقًا نبيا**، الصِّديق إنما يقال لمن كثُر منه ما يستحق ذلك الاسم، وكذلك التشديد إنما يشدَّد إذا كثر الفعل منه[٤] وصار كالعادة له والطبع. فكأنه سمي بهذا لما لم يكن يجعل بين ما ظهر له من الحقوق والفعل وبين وفائها وأدائها نظِرَةً ولا مهلةً، بل كان يفي بها ويؤديها كما ظهر له ولذلك سماه -والله أعلم- وفِيًّا بقوله: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى،[٥] وقال في آية أخرى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ،[٦] سماه وفِيًّا لما[٧] كانت عادته القيامَ بوفاء ما ظهر له وإتمامَ ما ابتلاه ربه.[٨] ***والله أعلم***.

---

[١] سورة مريم، ١٩/١-٢.
[٢] سورة مريم، ١٩/١٦.
[٣] ر ع م – وكذلك يقولون في جميع ما ذكر في هذه السورة من قوله واذكر في الكتاب مريم أي اذكر نبأها وقصتها في الكتاب.
[٤] جميع النسخ: منهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٩و.
[٥] ﴿أم لم ينبَّأ بما في صُحُف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٣٦-٣٧).
[٦] سورة البقرة، ٢/١٢٤.
[٧] ر ع م – لما.
[٨] ر ن ع: به.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع**، إذا دعوتَه، **ولا يبصر** لو عبدتَه، **ولا يغني عنك شيئا** إذا احتجتَ إليه وسألته. ويحتمل أن يكون قوله: **مالا يسمع**، أي لا يجيب لو دعوتَه واحتجتَ إليه، **ولا يبصر** حاجتك إذا احتجتَ إليه، **ولا يغني عنك شيئا**، أي لا ينصرك. وقال بعضهم: **ولا يغني عنك شيئا**[1] من عذاب الله في الآخرة. يقول: كيف لا تعبد من إذا دعوته سمع،[2] وإذا عبدته أبصر، ونصرك إذا احتجت إليه وسألته؟ *والله الموفق*.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك**، أي من البيان ما يحُلُّ بك بعد الموت إذا مت على ما أنت عليه، **ما لم يأتك** ذلك. **فاتبعني** إلى ما أدعوك إليه من دين الله **أهدك صراطاً سويًّا**، أي دينا عدلا سويا قيّما لا عوج فيه. فهذا يدل منه أنه قد أوحي في ذلك الوقت. ويشبه أن يكون عرف ذلك استدلالاً منه واجتهادًا على غير وحي، كقوله: هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ، حتى انتهى إلى قوله: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا،[3] وكل ذلك كان له من الله. ألا ترى[4] أنه قال في آخره: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ.[5]

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا**، هم[6] لم يكونوا يعبدون الشيطان عند أنفسهم، ولكن يحتمل إضافة عبادتهم إلى الشيطان وجهين.[7] أحدهما[8] أن الأصنام التي عبدوها كانت لا تأمرهم بالعبادة ولا تدعوهم إليها،[9] ثم عبدوها

---

[1] ع + وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئ أي لا ينصرك.
[2] ن: يسمع.
[3] سورة الأنعام، ٦/٧٨-٧٩.
[4] ن: لا يري.
[5] سورة الأنعام، ٦/٨٣.
[6] ع – هم.
[7] ر ع م: وجوها.
[8] ر ع م: أحدها.
[9] ع: عبيه.

فإنما عبدوها بأمر الشيطان وبدعائه إياهم، فأضاف ذلك إليه للأمر الذي كان منه بذلك. والثاني ذُكر أن الشيطان كان ينطق من[1] جوف الصنم فعبدوها لكلامه، فكأنهم عبدوا الشيطان. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **يا أبت إني أخاف أنْ يَمَسّك عذاب من الرحمن**، قال بعضهم: قوله: **إني أخاف**، أي أعلم **أنْ يَمَسّك عذاب من الرحمن**، لو دُمت على الكفر وخُتمتَ به. فإن كان تأويل الخوف[2] العلم فهو على هذا الشرط يخرج. ويحتمل أن يكون الخوف في موضع الخوف، أي **إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن**، إن لم تُنجِز وعدك،[3] **فتكون للشيطان وليًا**، أي قريبًا في العذاب.

**﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟** ولا شك أنه كان راغبا عن عبادة آلهتهم.

وقوله: **لئن لم تنته لَأَرْجُمَنَّكَ**، يحتمل وجوها. أحدها **لئن لم تنته** عن دينك الذي أنت عليه، **لَأَرْجُمَنَّكَ**، أي لأقتلنّك. والثاني **لئن لم تنته** عن دعائك إياي إلى دينك **لأرجمنك**، أي لأطردنّك، والثالث[4] **لئن لم تنته** عن قذف آلهتنا وسبّها وذكرها بسوء **لَأَرْجُمَنّكَ**، أي لأشتُمنك مكان شَتْمِك وقذفِك آلهتنا. فالرجم يشتمل على هذه الوجوه الثلاثة: القتل والطرد والشتم. فإن كان على القتل فهو مقابل الدِّين، **أي لئن لم تنته** عن دينك لأقتلنك؛ وإن كان على الطرد فهو مقابل الدعاء، أي **لئن لم تنته** عن دعائك إياي إلى ما تدعو لأطرُدنّك؛ وإن كان على الشتم فهو مقابل الشتم، أي **لئن لم تنته** عن شتمك آلهتنا لأشتُمَنّك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واهجرني مَلِيًّا**، قال بعضهم: طويلا، وقال بعضهم: بعيدا، وقال بعضهم:[5] دهرا.

---

[1] ع: في.

[2] ر ع م – خوف.

[3] فإن أباه كان وعده أن يؤمن، كما قال: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ (سورة التوبة ١١٤/٩). يقول الماتريدي في تفسير هذه الآية: «قال بعضهم: وعده إياه الإسلام، فكان استغفاره لأبيه على وعد الإسلام ... ألا ترى أنه تبرأ منه إذا تبين له أنه من أهل النار» (*تأويلات القرآن* للماتريدي، ٤٥١/٢).

[4] ر ع م – لئن لم تنته عن دعائك إياي إلى دينك لأرجمنك أي لأطردنك والثالث.

[5] ر ع م – بعيدا وقال بعضهم.

فإن كان **مَلِيًّا**، أي بعيدا فهو على بُعْدِه منه. أي أُبعُدْ مني وتباعَدْ عني،[1] من[2] [بُعد] داره ومقامه.
[٤٦٤و] وإن كان على الدهر والطول، فهو يخرج [على هذا:] أي لا تكلمني أبدًا. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **قال سلام عليك**، يحتمل أنه ليس على أن سلَّم[3] عليه، ولكن كلمه بكلام السداد، كقوله: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[4] هو أن يقولوا لهم كلام السداد، ليس على أن يسلِّموا عليهم. ويحتمل: **سلام عليك**، على حقيقة السلام المعروف، لكنه يخرج على الإضمار، أي **سلام عليك** إذا أسلمت.

وقوله عز وجل: **سأستغفر لك ربي**، يحتمل **سأستغفر لك ربي**، إذا أسلمت، على نحو ما قلنا. ويحتمل قوله: **سأستغفر لك ربي**، سأسْأَلُ[5] ربي ليوفقك على السبب الذي تستوجب به[6] الاستغفار وتكون أهلا للاستغفار.

وقوله تعالى: **إنه كان بي حَفِيًّا**، قال بعضهم: أي برًّا لطيفا، وقال بعضهم: **حَفِيًّا**، عالما. وقال بعضهم: إنه كان عوّدني الإجابة إذا دعوتُه. قال أبو عَوْسَجة: الحَفِيّ العالِم بالأمر، ويقال: حَفِيَ الرجل يحفَى[7] إذا سار بلا نَعلٍ ولا خُفٍ،[8] وجمعه حُفَاة، واحتفى يحتفي إذا احتنى حشيشا.[9]

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله**، الاعتزال ههنا اعتزال هجرة إلى أرض الشام ومفارقتُه[10] إياهم مفارقةَ المكان والدار، كقوله: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ،[11] فقوله: وَنَجَّيْنَاهُ، النجاة بالفراق منهم.

---

[1] ر ع م: مني.
[2] ر ع م - من.
[3] ع: أسلم.
[4] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٦٣/٢٥).
[5] ر ع: أسال؛ ع: سأل.
[6] ع - به.
[7] ع: يحفى.
[8] ن: ولا حف.
[9] الاحتفاء: أخذ البقل بالأظافير من الأرض. واحتفى البقلَ، إذا أخذه من وجه الأرض بأطراف أصابعه من قصره وقلته (*لسان العرب*، «حفا»).
[10] ع: ومفارقة.
[11] سورة الأنبياء، ٧١/٢١.

وقوله عز وجل: **وما تدعون من دون الله**، أي وأعتزلكم وما تعبدون[1] **من دون الله** أيضا. ففيه إخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم أيضا، اعتزلهم عن الأمرين جميعًا.

وقوله عز وجل: **وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شَقِيًّا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي **أدعو ربي عسى أن لا أكون** بعبادة غير الله شقيا؛ كما كان قومه لعبادتهم[2] غير الله أشقياء.[3] والثاني **أن لا أكون بدعاء ربي** إذا دعوته شقيا، أي خائبًا مردود[4] الدعاء. *والله أعلم*.

**﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾**[٤٩]

وقوله عز وجل: **فلما اعتزلهم**، اعتزالَ الدار والمكان بالهجرة إلى الأرض المباركة التي ذكر أنه نجّاه،[5] واعتزل أيضًا صنيعَهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله.

وقوله عز وجل: **وهبنا له إسحاق ويعقوب**، وقال في آية أخرى: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً،[6] ذكر الهبة لأن الولد هبة من الله تعالى تحقّه على الإفضال منه والإنعام عليه، لأنه يعطي لا عن حق كان لهم عليه. فذلك فائدة ذكر الولد هبةً.

وقوله عز وجل: **وكلًّا جعلنا نبيا**، هو ظاهر وهب له ما ذكر. ثم أخبر عز وجل أنه جعلهم أنبياء:

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾**[٥٠]

وقوله: **ووهبنا لهم من رحمتنا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الرحمة ههنا هي النبوة، أي وهبنا لهم النبوة. وقال بعضهم: الرحمة النعمة، أي من نعمته وهب لهم ما وهب من النبوة وغيرها. *والله أعلم*.

وقوله: **وجعلنا لهم لسانَ صدقٍ عَلِيًّا**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **لسان صدق**، هي الكتب التي أنزلها الله فيها أنباء صدقهم وفضلهم ومنزلتهم، هي **لسان صدق عَلِيًّا**. وقال بعضهم: **لسانَ صدقٍ عَلِيًّا**،[7] هم[8] أولادهم الذين جعلهم أنبياء[9] رسلا يُذكرون ويعظَّمون من بعدهم،

---

[1] ر ن م: ما تعبدون.
[2] ر م: بعبادة؛ ع: بعباده.
[3] ر ع: أشقيا.
[4] ر ع: مردودا.
[5] ر ن: نجاة.
[6] سورة الأنبياء، ٧٢/٢١.
[7] ر ع م - وقال بعضهم لسان صدق عليا.
[8] ر ع + هم.
[9] ع: أنبيا.

لأن جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا من نسل إبراهيم من لدنه إلى لدن محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهم كانوا **لسان صدق عَلِيًّا**، حيث[1] يُذكرون بكل خير وبكل بركة ويمن. وقال بعضهم: **لسان صدق عَلِيًّا**، هو ما آمن من جميع أهل الأديان به أعني بإبراهيم ودانوا جميعا به. وعلى ذلك يخرج تخصيص إبراهيم وآله بالصلاة وبالبركة عليهم والثناء، على قول قوم حيث قالوا: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم".[2]

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب موسى**، هو ما ذكرنا في قوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ،[3] وقوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ[4] على قول الحسن صلةُ قولِه: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[5] أي اذكر رحمة ربك موسى. وعلى قول غيره من أهل التأويل، أي اذكر لهم نبأ موسى وقصته في الكتاب، وهو ما ذكرنا فيما تقدم.

وقوله عز وجل: **إنه كان مخلَصا، ومخلِصا**، قد قرئ بالنصب والخفض جميعا.[6] قال بعضهم: **مخلَصا**، أخلصه الله واصطفاه واختاره لرسالته[7] ونبوته. وقوله: مخلِصا بالخفض، أي أخلص عبادته وتوحيده له.[8]

وقوله: **وكان رسولا نبيا**، قال بعضهم: الرسول هو الذي أُمر بالتبليغ، والنبي[9] هو الذي ينبئ ويخبر عن التبيغ. وقال بعضهم: الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب،

---

[1] ع - حيث.

[2] هناك أحاديث كثيرة في الصلاة على النبي فمنها ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد؛ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» (*صحيح البخاري*، الأنبياء ١٢٦؛ وانظر أيضا: *سنن ابن ماجه*، إقامة الصلاة ٢٥).

[3] سورة مريم، ٤١/١٩.

[4] سورة مريم، ١٦/١٩.

[5] سورة مريم، ٢/١٩.

[6] بكسر اللام هي قراءة الأئمة غير نافع وحمزة والكسائي وخلَف (*زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).

[7] ن م: لرسالة.

[8] م - له.

[9] ر ع م - هو الذي أمر بالتبيغ والنبي.

والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان. وأصل النبي هو الذي ينبئ عن كل خير وبركة. وسمي نبيا لاجتماع[١] خصال فيه، كالصِّدِّيق لا يسمى به إلا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة، ما لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمي صادقا؛ فإذا اجتمع ذلك سمي صِدِّيقا. فعلى ذلك النبيُّ سمي نبيا لاجتماع خصال [فيه]. وهو ما روي في الخبر: «الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة»،[٢] و«الصَّمْت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة».[٣] فهذا يدل أن النبي إنما سمي نبيًّا لاجتماع خصال الخير والبركة فيه، كما ذكرنا في الصِّدِّيق. **والله أعلم**.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وناديناه من جانب الطور الأيمن**، فإن[٤] كان **الأيمن** من اليُمْن[٥] والبركة فيكون تأويله: **وناديناه من جانب الطور** المبارك والميمون.[٦] وكذلك روي في الخبر أن موسى عليه السلام قال: «أتاني ربي من جبل طور سَيْناء/ وطلع[٧] من جبل ساعير[٨] وظهر من جبل فاران».[٩] ومعناه أتاني وحي [٤٦٤ظ]
ربي من جبل طور سيناء، وطلع[١٠] من جبل ساعير، أي أتى وحي عيسى من جبل ساعير، وأتى وحي محمد في جبل فاران. فهو على اليُمن يمن الجبل وبركته. وقال بعضهم: هو يمين الجبل، وقال بعضهم: يمين موسى. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يعلم إلا بالخبر، ولا نفسره[١١] أنه ماذا أراد به مخافة التغيير،[١٢]

---

[١] ر ع م: لاحتمال.
[٢] صحيح *البخاري*، التعبير ٤؛ وسنن *ابن ماجه*، التعبير ١؛ وفي كليهما: «ستة وأربعين».
[٣] نظر: *الموطأ* لمالك، الشعر ١٧ (عن مالك أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: «القصد والتؤدة وحسن السمت جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة»).
[٤] ع: فإذا.
[٥] ر: اليمين.
[٦] جميع النسخ: واليمن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[٧] جميع النسخ و*الشرح*: واطبع؛ والتصحيح من قوله: "جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران". (*الكتاب المقدس*، التثنية، ٢/٣٣؛ وانظر أيضا: معجم *البلدان* لياقوت الحموي، ٥/١٠؛ ٦/٣٢٣).
[٨] جميع النسخ و*الشرح*: ساعورا؛ والتصحيح من معجم *البلدان*، ٥/١٠. ساعير: في التوراة اسم جبال فلسطين... قرية من الناصرة بين طبرية وعكّا (*نفس المصدر*، ٥/١٠).
[٩] فاران: كلمة عبرانية معربة وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة؛ قيل: هو اسم لجبال مكة (*نفس المصدر*، ٦/٣٢٣).
[١٠] جميع النسخ: واطلع.
[١١] ن: والأنفس.
[١٢] ن: التعيين.

لأنه ذكر هذا[1] في موضع الاحتجاج عليهم؛ فإن زيد أو نُقص[2] على ما في كتبهم يبطل[3] الاحتجاج به عليهم.

وقوله عز وجل: **وقرّبناه نَجِيًّا**، قال أهل التأويل: هو تقريب بالمكان. ولكن عندنا هو تقريب المنزلة والقدر والفضل، هذا معروف وهو أسلم. **نَجِيًّا**، من المناجاة، أي ناجاه من حيث لم يطّلع على ذلك غيرهما. وسمي موسى بهذا[4] لأنه أخلص نفسه لله وسلّمها[5] له. ولذلك سُمِّي المصلي[6] مناجيًا ربّه على ما روي في الخبر: «انظر من تُناجي»،[7] حيث فرغ نفسه عن جميع الأشغال وسلّمها إليه فسمي لذلك مناجيا. **والله أعلم**.

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا**، هو ما ذكرنا فيما تقدم.

**﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب إسماعيل**، على قول الحسن هو صلة قوله: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[8] أي اذكر لهم رحمة ربك إسماعيل. وعلى قول غيره من أهل التأويل على الابتداء، أي اذكر لهم نبأ إسماعيل وقصته في الكتاب على الاحتجاج له عليهم، لأن هذه الأنباء والقِصص كانت في كتبهم، فأخبر رسولَه عن تلك الأنباء والقصص على ما كانت ليخبرهم فيعلموا أنه إنما عرفها بالله ليدلهم ذلك على نبوته[9] ورسالته.

ثم اختلف في إسماعيل. قال عامة أهل التأويل: هو إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما.[10] وقال بعضهم: هو الذي قالوا: اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ.[11] ولكن لا نعلم ذلك إلا بالخبر عن الله وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

---

[1] ر ع م – هذا.
[2] جميع النسخ: زادو أو نقصو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[3] ن: بطل.
[4] ر: فهذا.
[5] جميع النسخ: سمه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[6] ن ع + أيضا.
[7] لم أجده ولكن هناك حديث في نفس المعنى: «إن المصلي يناجي ربه فلينظر أحدكم بما يناجي ربه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٦٧/٢).
[8] سورة مريم، ٢/١٩.
[9] ر ع م: النبوة.
[10] ن: على نبينا محمد و عليهما.
[11] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).

وقوله عز وجل: **إنه كان صادق الوعد**. قال عامة أهل التأويل: سماه **صادق الوعد**، لأنه وعد رجلا أن يقيم عليه وأن ينتظره حتى يرجع إليه فأقام مكانه أياما ينتظره لميعاد حتى رجع إليه. لكن لا يحتمل أن يكون مثل إسماعيل يعد عِدَة ولا يستثني. وقد نهى الله رسوله أن يقول: إنه فاعل كذا غدا حتى يستثني، وهو قوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[1] ويكون قوله:[2] **صادق الوعد**، أي صِدِّيقا، والصِّديق هو القائم بوفاء كل حق ظهر له. لأن كل مؤمن يعتقد في أصل إيمانه طاعة ربه في كل أمر يأمر[3] به، والانتهاء عن كل نهي ينهاه ووفاء كل حق عليه. فسماه **صادقَ الوعد**، لقيامه بوفاء كل حق ظهر له وتجلى. **والله أعلم**.

وقوله: **وكان رسولا نبيا**، قد ذكرناه.[4]

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٥٥]

وقوله تعالى: **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة**، أي قومه. **بالصلاة والزكاة**، فإن كانت الصلاة هي الصلاة المعروفة، والزكاة [هي الزكاةَ] المعروفة ففيه أنهما كانتا في الأمم الماضية. وإن كانت الدعاءَ والثناءَ وما به تَزكو[5] الأنفس وتَصْلُح فهو على جميع الخلائق ذلك. **والله أعلم**.

وقوله تعالى: **وكان عند ربه مَرْضِيًّا**، ظاهر.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[٥٦] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٥٧]

وقوله تعالى: **واذكر في الكتاب إدريس**، هو ما ذكرنا. وقوله تعالى: **إنه كان صديقا نبيًّا**، قد ذكرنا أيضا.[6]

وقوله تعالى: **ورفعناه مكانا عَلِيًّا**، قال الحسن: **رفعناه**، أي نرفعه في الجنة. وقال أهل التأويل: رفعه إلى السماء الرابعة[7] فهو ميت[8] فيها، أو كلام نحو هذا. ولكن عندنا يشبه

---

[1] سورة الكهف، ١٨/٢٣.

[2] ع: سه.

[3] ن ع: يأمره.

[4] انظر: تأويل الآية ٥١ من هذه السورة.

[5] ر: تزكو.

[6] ن – أيضا. وانظر: تأويل الآية ٤١ من هذه السورة.

[7] كما أشير إليه في حديث المعراج: «... فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد صلى الله عليه وسلم. قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبا من أخ ونبي» (صحيح *البخاري*، بدء الخلق ٦، وفضائل الصحابة ٧١؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٠).

[8] ع م: ثبت.

أن يكون رَفْعُه إياه في المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعًا، على ما ذكرنا في قوله: وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا.[1]

**﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين أنعم الله عليهم**، أي بالنبوة والرحمة التي ذكر فيما تقدم. والرحمة هي النعمة. فهذا يرد قول أهل الاعتزال، لأنهم يقولون: لا يخص الله أحدا بالنبوة[2] أو بشيء من الإفضال إلا من يستحق ذلك ويستوجبه. فأخبر الله عز وجل أن ذلك منه إنعام وإفضال عليهم.

**من النبيين من ذرية آدم**، الأنبياء كانوا من ذرية آدم، ومن ذرية من حُمل مع نوح، ومن ذرية إبراهيم أيضا، ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب، ومن ذرية من هداه الله[3] التوحيد واجتباه للرسالة والنبوة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إذا تُتلَى عليهم آياتُ الرحمن خَرُّوا سُجَّدا وبُكِيًّا**، قال بعض أهل التأويل: هذا في مؤمني أهل الكتاب [مثل] عبد الله بن سلام وأصحابه. إذا تتلى عليهم آيات القرآن بعد ما آمنوا خرُّوا سُجَّدا وبُكِيًّا. ويشبه أن يكون هذا في أولئك الذين ذكر أنه أنعم عليهم كانت لهم آيات في[4] كتبهم فيها سجود إذا تليت عليهم خرُّوا لله سُجَّدا وبُكِيًّا. أو أن يكون لا على حقيقة السجود ولكن على الخضوع له والقبول لحججه وبراهينه التي تليت عليهم. أو أن يكونوا لا يملكون أنفسهم إذا رأوا آيات الله وسلطانه ولكن وقعوا سُجَّدا، على ما أخبر عن سحرة فرعون عند معاينتهم الآيات حيث قال: فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا،[5] و سَاجِدِينَ؛[6] ليس أن سجدوا له، ولكن يُلقون سُجَّدا لما لا يمكون أنفسهم عند معاينتهم الآيات.

---

[1] سورة مريم، ٥٠/١٩.
[2] ل: بنبوة.
[3] ر ع م- الله.
[4] ع - في.
[5] سورة طه، ٧٠/٢٠.
[6] ﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ (سورة الشعراء، ٤٦/٢٦-٤٨).

قال أبو عَوْسَجَة: **بُكِيًّا**. فيه ثلاث لغات: بُكِيًّا وبِكِيًّا وبُكُيًّا، وهو جماعة الباكي. وقوله نَجِيًّ،[1] يقال: فلان نَجِيّ فلان، أي موضع سرّه.[2]

ويحتمل قوله: **إذا تُتلَى عليهم / آياتُ الرحمن خرُّوا سُجَدا وبُكِيًّا**، أن يكون كناية [٤٦٥ظ] عن الصلاة، وصفهم عز وجل أنهم كانوا يكونون في الصلاة خاشعين باكين. ثم قال:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [٥٩]

**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**، أي خلف من بعد أولئك الذين وصفهم عز وجل[3] بالصلاة لله والخشوع لله فيها والبكاء[4] **خلْفُ أضاعوا الصلاة**، أي جعلوها لغير الله، وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها. فإذا جعلوها وصرفوها إلى غير الذي يصلّي أولئك[5] فقد أضاعوها، لأنهم كانوا يصلون للأصنام الصلاةَ التي كان يصلي أولئك لله. ويحتمل أن يكون قوله: **أضاعوا الصلاة**، [الصلاةَ المعروفة] لأن الصلاة هي آخر ما يُترك ويُضيّع. لأنه روي في الخبر أنه قال: «سينقض[6] عُرى الإسلام عُرْوَةً فعروةً أولها الأمانة وآخرها الصلاة».[7] وقال بعض أهل التأويل: **أضاعوا الصلاة**، إضاعتها تأخيرها عن مواقيتها لا أن تركوها أصلا. فهذا في أهل الإسلام إن ثبت. **والله أعلم**.

[٤٦٥و س ٣٥] * وقوله: **فخلَف من بعدهم خلْفٌ**، قال بعضهم: الخَلْف بالجزم يستعمل في موضع الذم، والخلَف بالتحريك والنصب في موضع المدح.[8] وقال بعضهم: هما سواء يستعملان[9] جميعا في موضع واحد.* [٤٦٥و س ٣٧]

وقوله عز وجل: **واتَّبَعوا الشهوات**، أي آثروا الشهوات على العبادات وجعلوا الشهوات هي العمدةَ[11] دون العبادات.

---

[1] أي في قوله تعالى: ﴿وقربناه نَجيًّا﴾ (سورة مريم، ٥٢/١٩).
[2] ر ع م - سره.
[3] ع - أنهم كانوا يكونون في الصلاة خاشعين باكين ثم قال فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات أي خلف من بعد أولئك الذين وصفهم عز وجل.
[4] ع: والبكا.
[5] أي الذين أنعم الله عليهم.
[6] ر ع م: سينقص.
[7] انظر مثله: مسند أحمد بن حنبل، ٢٥١/٥.
[8] ر ع م: في موضع الحمد.
[9] ر: ويستعملان.
[10] وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٣ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٥و/سطر٣٥-٣٧.
[11] ر ع م: المعتمدة

وقوله عز وجل: **فسوف يَلقَوْن غَيًّا**، قال بعضهم: الغيّ وادٍ في جهنم. لكن هذا لا يجوز أن يقال إلا بالخبر عن رسول الله أنه قال: واد في جهنم.[1] وقال بعضهم: الغيّ العذاب،[2] وقال بعضهم: الغيّ الشر. وجائز أن يكون سمي جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالغواية باسم أعمالهم غَيًّا. ويجوز تسمية الجزاء باسم سببه كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[3] ونحوه.

**﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٦٠]**

ثم استثنى فقال: **إلا من تاب** عن الشرك **وآمن** بالله **وعمل صالحا**. وقوله عز وجل: **فأولئك يَدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئًا**، يشبه أن يكون قوله: **لا يُظلمون شيئًا**، أي لا يُنقصون من حسناتهم التي عملوها في حال[4] إيمانهم لمكان ما عملوا[5] من الأعمال في حال[6] كفرهم، بل يبَدّل سَيِّئَاتِهم حسناتٍ على ما أخبر تعالى: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،[7] وقال في آية: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[8] أخبر أنهم إذا آمنوا وانتهوا عن الشرك لا يؤاخذهم بما كان منهم في حال[9] كفرهم. ***والله أعلم.***

ثم بين أيّة جنة فقال:

**﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[٦١]**

**جنات عدن التي وعد الرحمن عباده** الذين آمنوا **بالغيب**. ثم يحتمل إيمانُهم بالغيب أي بالله، آمنوا به بالخبر وإن لم يروه.[10] ويحتمل الغيب الجنةَ، أي صدّقوا بها وإن لم يروها[11] والنارِ والبعث بالغيب.

وقوله عز وجل: **إنه كان وعده مَأْتِيًّا**، أي كان موعوده آتيا، ولكن ذَكَر **مَأْتِيًّا**، لأن كل من أتاك فقد أتيتَه، فسمّى لذلك **مَأْتِيًّا**.

---

[1] قال ابن مسعود: «الغي واد في جهنم بعيد القعر». أخرجه الحاكم والطبري؛ ومن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص مثله ومن طريق أبي أمامة مرفوعا مثله وأتم منه (فتح *الباري* لابن حجر العسقلاني، ٣٩١/٨).

[2] ع – وقال بعضهم الغي العذاب.

[3] سورة الشورى، ٤٠/٤٢.

[4] ر: حال؛ رع م + اعملهم.

[5] ن: مكان اعملو.

[6] ر: في حال.

[7] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يُبدل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).

[8] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

[9] ر: في حال.

[10] رع م: لم يرده.

[11] رع م: لم يردها.

**﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾**[٦٢]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما**، وقال في موضع آخر: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا.[1] أي لا يسمعون باطلاً ولا ما يكره بعضُهم من بعض، ولا ما يُأثِّم بعضهم بعضا، **إلا سلامًا**. والسلام كأنه اسم كل خير وبركة.

وقوله عز وجل: **ولهم رزقهم فيها بُكْرة وعَشِيًّا**، قال الحسن: إن أطْيَب العيش وأحبه إلى العرب الغَداء[2] والعَشاء، فأخبرهم الله عز وجل أن لهم في الجنة الغداء[3] والعشاءَ. وأطيب العيش إلى العجم لباس الحرير واللؤلؤ، فأعلمهم أن لهم في الجنة ذلك، بقوله: يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ.[4]

ويقول أهل التأويل: ليس في الجنة بُكْرةٌ ولا عَشِيٌّ ولا ليل ولا نهار، ولكن يُؤتَوْن على ما يحبون من البكرة والعشي.[5] وعن ابن عباس قال: على مقادير الليل والنهار.[6] ويشبه أن يكون قوله: **ولهم رزقهم فيها بُكْرة وعَشِيًّا**، ليس على تخصيص وقت دون وقت، ولكن الأوقات كلها، في كل وقت يحبون ويشتهون، كقوله: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ،[7] وفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ.[8] ويخرج ذكر البكرة والعشي [على] أن زمان الجنة يكون شبه البكرة من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومثل الوقت الذي يكون بعد[9] غروب الشمس إلى أن يُظلِم، لأنه أخبر[10] أن ضله[11] ممدود[12] بقوله: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ.[13]

---

[1] سورة الواقعة، ٥٦/٢٥-٢٦.
[2] م: الغد. الغداء: طعام الغدوة والعَشاء طعام العشي.
[3] م: الغد.
[4] سورة الحج، ٢٢/٢٣.
[5] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٦-٤٥٧ (في الهامش)؛ و*تفسير البغوي*، ٣/٦٢٩.
[6] لم أجد هذه الرواية عن ابن عباس، ولكن يروي الطبري عن زهير بن محمد أنه قال: "ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب" (*تفسير الطبري*، ١٦/١١٩).
[7] ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٧١).
[8] سورة الواقعة، ٥٦/٢٠.
[9] م: بعده.
[10] ن: لأنها خبر.
[11] ر ع: ظلة.
[12] ر ن م: ممدودة.
[13] ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطَلْح منضود وظل ممدود﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٢٧-٣٠).

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٦٣]

ثم أخبر أن **تلك الجنة** التي ذَكَر أن فيها كذا هي **التي نورث من عبادنا من كان تَقِيًّا**. يحتمل أن يكون وعد الجنة للبشر كلهم بشرائط شَرَط عليهم، إن وفَّوْا بها فهم الجنة جميعًا وإن لم يفُوا بها فلا. فمن وفَى بشرائطه التي شَرَط يجعل الذي كان وعد لنذي لم يفِ،[1] لنذي وفَى بذلك،[2] فهو الميراث الذي ذَكَر. وعلى ذلك يخرج قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ،[3] الآية. والوارث هو الباقي عن المُورِث والخَلَف عن الميت.*

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **وما نَتَنَزَّل إلا بأمر ربك**، هذا الكلام منه[5] لا يكون إلا عن سؤال كان منه، فكأنه[6] قد كان استبطأ نزولَ جبريل عليه،[7] فعند ذلك قال له: إنا لا نتنزل إلا بأمر ربك. ثم فيه أنه لم يقل ذلك له إلا بأمر الله، لأن الله أخبر أنهم لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
[٤٦٥ظ] وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[8] فلا يحتمل أن يقول له ، ذلك من تلقاء نفسه فيَجعَلَ ذلك آية في كتاب الله تُتلى.

وقوله عز وجل: **له ما بين أيدينا وما خلْفَنا وما بين ذلك**، كأن هذا الكلام موصول[9] بقوله: **وما نتنزل إلا بأمر ربك**، لأنهما جميعا كانا يعلمان أن له ما بين أيديهم وما خلفهم وما بين ذلك، فدل ذلك أنه موصول بالأول. وجهة الصلة بالأول هو[10] أن يقال: ما نتنزل إلا بأمر ربك،

---

[1] جميع النسخ + إذا وفى.

[2] وفي شرح *التأويلات*: «فمن وفى شرائط التي شرط يحول الذي كان وَعد للذي لم يف، لنذي وفى؛ فذلك هو التوريث» (ورقة ٤٧٩ظ).

[3] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٥و/سطر٣٥-٣٧.

[5] أي من جبريل.

[6] أي كأن النبي عليه السلام.

[7] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا». فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾، الآية (*صحيح البخاري*، التفسير ١٩/٢؛ والتوحيد ٢٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ١٩).

[8] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.

[9] م: موصولا.

[10] ع: فهو.

لا نتقدم[1] إلا بأمره[2] ولا نتأخر،[3] ولا نعمل شيئا إلا بأمره. وهو كقوله: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.[4] وأما أهل[5] التأويل [فقد] اختلفوا فيه. قال بعضهم: قوله: **له ما بين أيدينا**، هو الآخرة،[6] **وما خلفنا**، ما مضى من الدنيا، **وما بين ذلك**، الحال التي نحن فيها. وقال بعضهم: قوله: **له ما بين أيدينا**، الدنيا، **وما خلفنا**، الآخرة، **وما بين ذلك**، ما بين النفختين، وأمثال هذا. لكن الذي ذكرنا بدءًا[7] أولى وأشبه، إذ هو على الصلة[8] بالأول أن لا نتقدم ولا نتأخر ولا نعمل[9] شيئا إلا بأمره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما كان ربك نَسِيًّا**، هذا يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ما قال بعض أهل التأويل: إن جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال أهل مكة: قد ودّعه ربه وقلاه، فنزل وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى[10] على ما قال المشركون.[11] فيخرج على هذا قوله: **وما كان ربك نَسِيًّا**، على الترك، أي ما كان ربك تركك لما قال أولئك من التوديع والقِلَى.[12] و[الثاني] يحتمل **وما كان ربك نَسِيًّا**، كملوك الأرض، يُطلب خَدَمُهم وخَوَلُهم[13] وقت سهوهم وحالة غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج[14] من يَطلب منهم القيام بها. أي **ما كان ربك** بالذي يسهو ويغفل كملوك الأرض.[15] والثالث **وما كان ربك نَسِيًّا**، بتأخير نزول عن وقت النزول بل أنزل عليك في الوقت الذي هو وقت النزول. فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة، والأول على الترك.

---

[1] ر ع م: لا يتقدم.
[2] ن: لأمره.
[3] ر ع م: لا يتأخر؛ ن: لا نتأخره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠ظ.
[4] سورة الحجرات، ١/٤٩.
[5] جميع النسخ: وأما غيره من أهل التأويل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠ظ.
[6] ر ع م + هو.
[7] ر: بدي.
[8] ع: صلة.
[9] ر ع م: أن لا يتقدم ولا يتأخر ولا يعمل.
[10] سورة الضحى، ١/٩٣-٣.
[11] ع + فيخرج على ما قال المشركون.
[12] والقِلَى البغض، فإن فتحت القاف مددت، تقول: قَلاه يَقْلِيه قِلًى وقَلاء. قال ابن سيده: قَلَيْته قِلًى وقَلاء ومَقْلِيةً: أبغضته وكَرِهْتُه غاية الكَراهة فتركته (*لسان العرب*، «قلي»).
[13] ع: حولهم. الخَوَل: ما أعطى الله تعالى الإنسان من العبيد والخَدَم (*لسان العرب*، «خول»).
[14] ع - وحوائج.
[15] أي وما كان ربك بالذي يسهو ويغفل، كملوك الأرض وقت سهوهم وغفلتهم ووقت شغلهم بقضاء حوائجهم لا يطلبون خدمهم ويمتنعون عن قضاء حوائج تُطلب منهم القيام بها (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨٠ظ).

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته**، أي اصبر نفسك عليها وعلى طاعته. وقوله عز وجل: **هل تعلم له سَمِيًّا**، أي ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله، إنما هو إله واحد لا راحة لك عن عبادته ولا ما يشغلك عنه. وقال بعض أهل التأويل: هل تعلم أحدا اسمه الله سواه؟ وقال بعضهم: هل تعلم له مثلا وشبيها؟

[٤٦٥ظ س٣٣ * وقال قتادة في قوله: **هل تعلم له سَمِيًّا**، قال: لا سَمِيَّ لله ولا عَدْل ولا مثل، كلُّ خلقه يُقِرُّ[1] له

٤٦٥ظ س٣٤] ويعرفه ويعلم أنه خالقه.[2] وقال بعضهم: لا يُسمَّى أحد باسمه يعني بالله، وقال بعضهم: بالرحمن.*

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخرج حيا**، هذا الكلام يخرج على وجهين. أحدهما على إنكار البعث: **لسوف أخرج حيا**، أي ما أخرج حيًّا. والثاني على التهزُّء،[4] جوابَ ما قال لهم أهل الإسلام: إنكم تُبعثون وتُحيون، فقالوا عند ذلك[5] على التهزُّء بهم والسُّخرية.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٦٧]

ثم ذكَّرهم[6] بدء حالهم حيث لم يكونوا شيئا فخلقهم، فقال: **أوَلا يذكُر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا**، فإذا[7] قدر على خلقه في الابتداء ولم يك شيئا كان على إحيائه وبعثه بعد ما كان شيئا أقدرَ. ثم أقسم أنهم يبعثون فقال:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[٦٨]

**فوربك لنحشُرَنّهم والشياطين**، أي لَنجمعنهم[8] والشياطين الذين أضلوهم، كقوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[9] الآية.

---

[1] ن: يفرد.
[2] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٤/١٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ نظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر٣٣-٣٤.
[4] جميع النسخ + واهزء.
[5] ن + ذلك.
[6] ع: يذكرهم.
[7] ر ن م: فإن.
[8] ر م: لنجعلهم؛ ع: لنجعننهم.
[9] سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣.

وقوله عز وجل: **ثم لنُحضِرَنَّهم حول جهنم جِثِيًّا**، قال بعضهم: **جِثِيًّا**، جماعاتٍ، كقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا.[1] وقال بعضهم: **جِثِيًّا**، على الرُّكَب لأن أقدامهم لا تعمل لشدة هول ذلك اليوم.

*وقوله: يَلْقَوْنَ غَيًّا،[2] قال أبو عَوْسَجَة: الغيّ الشر. **جِثِيًّا**، قال: جماعاتٍ، والجاثي هو البارك[3] على ركبتيه. والشيعة[4] الصنف من الناس. وقال القُتَبِي: **جِثِيًّا** جمع جاثٍ وفي التفسير جماعات.[5]* [٤٦٥ظ س٣١ / ٤٦٥ظ س٣٢]

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ثم لَنَنْزِعَنَّ من كل شيعة**، قال بعضهم: الشيعة الصنف، أي من كل صنف، والشيعة الأتباع، كقوله: هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ،[7] أي من أتباعه.

وقوله تعالى: **أيهم أشد على الرحمن عِتِيًّا**، أي تمردا وعنادا. العاتي[8] هو القاسي المتمرد في عُتُوِّه. وقوله: **ثم لَنَنْزِعَنَّ**، أي لنُخرجن، أي نبدأ بهم من كان منهم أشد على الرحمن تمرُّدًا وعنادا، وهم القَادَة والرؤساء منهم، فيُقذَفون في النار أولا، ثم الأَمْثَل فالأمثلُ[9] على المراتب التي كانوا في الدنيا.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[٧٠]

وقوله: **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلِيًّا**، أي أعلم بمن أولى بها صِلِيًّا، أي يصْلَى بالنار، وهم القَادَة والكفرة.*

---

[1] سورة لزمر، ٧١/٣٩.
[2] سورة مريم، ٥٩/١٩.
[3] ر ع م: نبارك.
[4] نظر: الآية التالية.
[5] تفسير غريب *القرآن*، ٢٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر ٣١-٣٢.
[7] ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).
[8] ع: والعاتي.
[9] ر ع م - فالأمثل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٨، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر ٣١-٣٢.

﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **وإن منكم إلا واردها**، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية في الكفرة خاصة، واستدل بأول الآية بقوله: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ.[١] إلى آخر ما ذكر. والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين، ولكن إنما يحشر الكفار مع الشياطين.[٢] كقوله: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.[٣] ويكون قوله: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا،[٤] على ابتداء منع الورود عليها والنجاة منها. وقال بعضهم: الآية في المؤمنين والكافرين جميعًا، لكن اختُلف في الورود. قال[٥] بعضهم: الورود الحضور
[٤٦٦و] دون الدخول، لأن الله عز وجل أخبر أن من أَدخل / النار فقد أخزاه، بقوله: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ.[٦] وقال بعضهم: الورود الدخول فيها، واستدل بقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٧] وبقوله: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ،[٨] الآية. يقول: يدخل الفريقان جميعا فيها، لكنها تصير جامدة وبردا على المؤمنين على ما صارت بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ،[٩] ثم تصير حارّة مُحرِقة للكفار والظَّلَمة. وقال[١٠] الحسن: لا يحتمل أن يدخل أهل الإيمان النار؛[١١] لأن الله عز وجل آمن المؤمنين أن يكون عليهم خوف أو حزن، بقوله: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[١٢] فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن، وقد أخبر أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، دل أنهم لا يدخلونها.

---

[١] سورة مريم، ٦٨/١٩.
[٢] م + ولكن إنما يحشر الكفار مع الشياطين.
[٣] سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣.
[٤] الآية التالية.
[٥] جميع النسخ: وقال.
[٦] سورة آل عمران، ١٩٢/٣.
[٧] سورة الأنبياء، ٩٧/٢١.
[٨] سورة هود، ٩٨/١١.
[٩] ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (سورة الأنبياء، ٦٩/٢١).
[١٠] ر ع م: قال.
[١١] قارن: *تفسير الحسن البصري*، ١١٢/٢.
[١٢] وردت هذه البشارة في آيات كثيرة مثل: سورة البقرة، ٦٢/٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٧؛ وسورة المائدة، ٦٩/٥، وسورة يونس، ٦٢/١٠.

وجائز أن يكونوا واردين جميعا داخلين فيها لا دخولَ تعذيب فيها وعقاب، لأنه ذكر أن ممرّهم جميعا على الصراط لجهنم[١] كالسطح للدار. ومن حلف[٢] أن لا يدخل دارا فتسوّر بسُورها أو صعد سطحا من سطوحها حنث ويصير داخلا فيها؛ فعلى ذلك جائز أنهم إذا مروا على الصراط نجا أهل الإيمان فمروا به، وزلّت[٣] أقدام الكفار فيها فبقوا فيها. فكان الفريقان جميعا يوصفون بالدخول على الوجه الذي وصفنا.

وقال بعضهم: ورود المسلمين المرور بهم على الجسر من ظهرها،[٤] وورود[٥] المشركين أن يدخلوها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزالُّون والزالَّات».[٦] وما ذكر الحسن أنه أمّن المؤمنين أن لا يكون عليهم خوف ولا حزن، فجائز أن يكون الله يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة، فلا يكون لهم خوف ولا حزن. ألا ترى أنه أخبر أنه جعل الملائكة أصحاب النار، بقوله: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[٧] ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن؛ وهم مما أُوعِدوا بها إذا خالفوا أمر الله وعصوه، بقوله: وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٨] الآية. ألا ترى[٩] أنه أخبر أن أهل الجنة يطّلعون على أهل النار في النار ثم لا يخافون ولا يحزنون، بقوله: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ؛[١٠] وهم في الدنيا إذا اطلعوا عليها لا شك أنهم يخافون ويحزنون ويسؤهم ذلك أشدَّ الخوف، ثم في الآخرة لا. فعلى ذلك جائز أن يكونوا يردونها ويدخلونها ولا يُخيفهم ذلك ولا يُحزنهم ولا يَسوءهم. **والله أعلم بذلك.**

---

[١] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الكبرى: «... فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم، فيقوم فيؤذن له. وتُرسَل الأمانة والرَّحِم. فتقومان جنبَتي الصراط يمينا وشمالا. فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم. ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم!..» (صحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢٩؛ وانظر أيضا: صحيح *البخاري*، الرقاق ٥١).

[٢] ع م: خلف.

[٣] ر: وذن؛ ن ع م: وزل.

[٤] جميع النسخ: بين أظهرها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨١و.

[٥] ر م: ورود.

[٦] روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة؟ فقال: «أما في ثلاث مواطن فلا: عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند قراءة الصحف حتى يدري أيأخذ كتابه بيمينه أم لا، وعند الصراط فإن بجنبتيها كلاليب وحَسَك. الزالُّون والزالَّات يومئذ كثير» (*مسند إسحاق بن راهويه*، ١٣٤٩/٣) و حَسَك: نبت له ثمرة خشنة تَعلّق بأصواف الغنم، واحدته حسكة (*لسان العرب*، «حسك»).

[٧] سورة المدثر، ٣١/٧٤.

[٨] سورة الأنبياء، ٢٩/٢١.

[٩] ن: ألا يرى.

[١٠] سورة الصافات، ٥٥/٣٧.

وقوله عز وجل: **كان على ربك حتمًا مَقْضِيًا**، أي قضاء واجبا.

**﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٧٢]**

**ثم نُنَجِّي الذين اتقوا**، الشرك أو الفواحش، **ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا** على ركبهم.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، قد ذكرنا. وقوله: **قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نَدِيًّا**، كان هذا القول من الكفرة خرج جوابَ ما احتج عليهم أهلُ الإيمان بالآيات التي ذَكَر وحِجاجًا[١] عليهم فيقولون: إنكم تقولون: إن الدنيا والآخرة لله،[٢] فقد وسّع علينا الدنيا وضيّق عليكم؛ فعسى ذلك يوسّع الآخرة علينا ويضيّق عليكم كما فعل في الدنيا، إذ لا يجوز أن يوالينا في الدنيا ويعادينا في الآخرة. وعلى هذا قولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٣] فظنوا أنه لما وَسّع عليهم وأحسن بهم النَّدِيَّ والمجلس كذلك يكونون في الآخرة، فأكذبهم الله ورد عليهم ذلك فقال:

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[٧٤]**

**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورِئْيًا**. أخبرهم بما عرفوا هم أنهم كانوا أهل السعة والزينة ثم أُهلكوا بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربّهم. فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يَهلِكون. فيلزمهم بما ذَكَر أن من وسّع عليه الدنيا وضيّق على الآخر[٤] إنما يكون بحق المحنة لا بحق المنزلة والقدر؛ وأما الثواب والجزاء فهو بحق القدر[٥] والمنزلة والخذلان.

وقوله عز وجل: **أَثَاثًا**، قيل المتاع والمال، **ورِئْيًا**، أي مَنظرا.[٦]

---

[١] ر: وحجابا.

[٢] كما في قوله تعالى: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ (سورة النجم، ٢٥/٥٣).

[٣] ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُترَفُوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤-٣٥).

[٤] ر م: الآخرة؛ ن: آخر.

[٥] ع – وأما الثواب والجزاء فهو بحق القدر.

[٦] ر ع م: منتظرا.

[٤٦٦و س٣٣ *قال أبو عَوْسَجَة: حَتْمًا مَقْضِيًّا،[١] أي واجبا. نَدِيًّا،[٢] أي مجلسا، والأندية[٣] جمع.[٤] والأثاث المتاع؛ ورِئْيًا، منظرا. وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا،[٥] أي نُطيل عذابه. وقال القُتَبِي: نَدِيًّا، أي مجلسا، يقال لمجلس: نديٌّ ونادٍ،[٦] ومنه قيل: دار الندوة التي كان المشركون يجلسون[٧] ويتشاورون في رسول الله. والأثاث المتاع، والرِّئْيُ المنظر والشارة[٨] والهيئة. وقوله: فَيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا،[٩] أي يمد له في ضلالته.[١٠]* ٤٦٦و س٣٦]

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا**، أي خيرا[١٢] وسعة في الدنيا. **حتى إذا رأوا ما يُوعَدون إما العذاب**، هو العذاب والهلاك الذي وعدهم رسول الله في الدنيا، **وإما الساعة**، القيامة.

وقوله عز وجل: **فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا**، هذا يدل أن قولهم: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا،[١٣] أراد الخَدَم والحواشي حيث قال: **وأضعف جندا**.*

﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**، جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية

---

[١] سورة مريم، ٧١/١٩.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ر: والأية.
[٤] ن: جميع.
[٥] سورة مريم، ٧٩/١٩.
[٦] م: ونادي.
[٧] ع: يجسون.
[٨] م: اشارة.
[٩] لآية الآتية.
[١٠] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٣٣-٣٦.
[١٢] ر ع: خير.
[١٣] سورة مريم، ٧٣/١٩.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٣٣-٣٦.

وابتداء الهداية فهو إنما يزيد [له] الهداية[1] ويهديه ابتداء إذا كان من العبد رغبةٌ[2] في ذلك وبُغْية[3] وطلب. إذا كان مهتديا يزيد له الثبات[4] على ما كان عليه في وقت رغبته، وطلبه منه. أو إن [٤٦٦ط] لم يكن مهتديا يهديه[5] ابتداءَ هدايةٍ في وقت رغبته وقبوله. على هذا يخرج عندنا ما ذُكر بحق الزيادة أو بحق الابتداء. ويحتمل[6] قوله: **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**، أي يوفقهم إذا اهتدوا وعرفوا وحدانية الله لأنواع الخيرات والطاعات.

وقالت المعتزلة: [الهداية قسمان] الهداية الأولى[7] البيان وهي هداية عامة، والهداية الثانية هي شرح الصدر لها والتوفيق، وهي هداية خاصة تكون[8] في وقت ثان بحق الثواب. **فعلى** زعمهم يجيء أن لا يكفُر أحد بعد ما هداه الله مرة أبدا، لأنهم يقولون: إذا اهتدى وقبل[9] هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره في الوقت الثاني، فهو أبدا يكون على الهداية والإيمان. **فإذا** وُجد عن كثير ممن اهتدوا مرةً الكفرُ من بعدُ دل أن تأويلهم فاسد وأن التأويل ما ذكرنا نحن: إنه يزيد لهم الهداية وقتَ رغبتهم وطلبهم الهداية إن كان[10] بحق الزيادة أو بحق الابتداء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مَرَدًّا**. يحتمل **الباقيات**، الأمور الباقيات التي لها البقاء. أي ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل؛ لأن الله تعالى وصف الحق والخير بالبقاء والمكث، ووصف الباطل بالذهاب والتلاشي، بقوله: فَأَمَّا الزَّبَدُ،[11] الآية؛ وقال في آية: مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً،[12] الآية؛ وقال: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ،[13] الآية؛ وقال في آية:

---

[1] ع - فهو إنما يزيد الهداية.
[2] ر ع: رغبته.
[3] ر: وبغيته.
[4] ر: الشباب؛ ع: الثيب.
[5] ر: يهذه؛ ن: يهده.
[6] ن: أو يحتمل.
[7] ر ع م - الهداية الأولى.
[8] ن: يكون.
[9] جميع النسخ: إذا اهتدوا وقبلوا.
[10] أي سواء كان.
[11] ﴿فأما الزبد فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيَمْكُث في الأرض﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٧).
[12] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيِّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٥).
[13] ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٦).

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا،[١] أي ذاهبًا. فيشبه أن يكون قوله: **والباقيات الصالحات خير**، أي الأعمال التي لها البقاء خير لكم ثوابًا من التي[٢] ليس لها البقاء. ويحتمل **الباقيات**، أي ما أبقى الله لكم في الآخرة من الثواب خير لكم مما أعطى لكم في الدنيا، لأن هذا فانٍ وذاك باقٍ.[٣] *والله أعلم*.

**﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٧٧] ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا﴾[٧٨] ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[٧٩]**

وقوله عز وجل: **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالاً وولدا**، قال بعضهم: هذا القول قاله العاص بن وائل السَّهمي[٤] لما حاجّه أهل الإيمان في أمر الآخرة أنها لهم دون الكفرة، فقال لهم عند ذلك: لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَدًا[٥] في الآخرة إن كان ما تقولون أنتم حقا: "إنما نُبعث ونحيا"، كما أوتيتُ في هذه الدنيا.[٦] وقال الحسن: قال هذا القولَ[٧] الوليدُ بن المغيرة،[٨] وهو ما قال تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا.[٩] وكان يطمع أن يزاد[١٠] له في الدنيا أبدًا فقال: كَلَّا، ردا على ذلك.

---

[١] سورة الإسراء، ٨١/١٧.

[٢] جميع النسخ: الذي.

[٣] نظر أيضا: تفسير الآية من سورة الكهف، ٤٦/١٨.

[٤] لعاص -أو العاصي- بن وائل بن هاشم السهمي (ت: نحو ٣ قبل الهجرة ٦٢٠م): من قريش، أحد الحكام في الجاهلية. كان نديما هشام بن المغيرة. أدرك الإسلام وظل على الشرك. يعد من "المستهزئين" ومن الزنادقة الذين ماتو كفارا وثنيين (الأعلام لنزركلي، ٢٤٧/٣).

[٥] ر ع م - وولدا.

[٦] عن مسروق قال: سمعت خبّابًا قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم. فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم. قال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيكه، فنزلت هذه الآية: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ (*صحيح البخاري*، التفسير ٧٧/١٩؛ وانظر أيضا: الإجارة ١٥؛ البيوع ٢٩).

[٧] ر + قول.

[٨] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٣/٢. الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس (ت: ١هـ - ٦٢٢م): من قُضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته... وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودُفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (*الأعلام* للزركلي، ٩٥/٤).

[٩] سورة المدثر، ١١/٧٣-١٦.

[١٠] ر ع م: أن أريد؛ ن: أن تريد.

وقال ههنا: **أَطَّلَع الغيبَ** أنه يكون له في الآخرة؟ ذلك على التأويل الأول. أو في الدنيا في وقت آخر، ذلك على تأويل الحسن. **أم اتخذ عند الرحمن عهدا**، أي [أم] له بدلك عند الله عهد؟ **كلا**، ردا على ما ادعى،[1] **سنكتب**[2] **ما يقول**، أي سنحفظ ذلك،[3] **ونَمُدُّ له من العذاب مدًّا**. قال بعضهم: قوله: **ونمد له**. أي نزيد له **من العذاب**. في كل يوم، كقوله: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا.[4] وقال بعضهم: **نمد له من العذاب مدا**، أي نعذبه[5] عذابًا[6] لا انقطاع له.[7] ***والله أعلم***.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **ونرثه ما يقول**، قال بعضهم: أي نرثه المالَ والولدَ[8] الذي قال: **لأُوتَيَنَّ**،[9] أي لله ما يقول بأنه له من المال وغيره لا له. وقال بعضهم: قوله: **نرثه**، أنه يعطَى في الجنة ما[10] يعطَى المؤمنون فنرثه عنه ونعطيه[11] غيره. وجائز إضافة الوراثة إليه على إرادة أوليائه، أي يرثه ذلك أولياؤه.[12]

وقوله تعالى: **ويأتينا فردا**، في الآخرة لا شيء معه ولا أهل، كقوله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى.[13] ويحتمل قوله: **ويأتينا فردا**، في الدنيا في وقت لا شيء معه ولا أهل ولا ولد، على تأويل من يقول في قوله: لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا،[14] في الدنيا. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: دعوا.

[2] يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ﴾: «فإن قلت: كيف قيل سَنَكْتُبُ -بسين التسويف- وهو كما قاله كتب من غير تأخير؛ قال لله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [سورة ق، ١٨/٥٠]. قلت: فيه وجهان. أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله: «إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ»، أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة. والثاني أن المتوعد يقول لجاني: سوف أنتقم منك، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر؛ فجرد ههنا لمعنى الوعيد» (*الكشاف* للزمخشري، ٣٨/٣).

[3] ر ع م – ذلك.

[4] سورة النبأ، ٣٠/٧٨.

[5] ر ن م: نعذب.

[6] ر ع م –عذابا.

[7] ر ع م: بالانقطاع له. انظر معنى هذا القسم من الآية: آخر الآية ٧٤ من هذه السورة.

[8] ورِثْتُ فلانا مالا، أرِثُه وِرْثاً ووَرْثاً: إذا مات مُوَرِّثُكَ فصار ميراثه لك (*لسان العرب*، «ورث»).

[9] سورة مريم، ٧٧/١٩.

[10] ع – يعطى في الجنة ما.

[11] ن: ونعطيه.

[12] ر ع م: نرثه ذلك أولياءه.

[13] ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خوّلناكم وراءَ ظهوركم﴾ (سورة الأنعام، ٩٤/٦).

[14] سورة مريم، ٧٧/١٩.

*[وقال القُتَبِي:] **ونَرِثه ما يقول**، أي نرثه المال والولد الذي قال: لَأُوتَيَنَّ.[1] وقوله: **ويأتينا فردا**، لا شيء معه.[2]* [٤٦٦و س ٣٦ - ٤٦٦و س ٣٧]

ثم اختلف أهل التأويل في العهد الذي ذكر أن له عند الله. قال بعضهم: شهادة أن لا إله إلا الله في الدنيا. وقال بعضهم: تقديم العمل الصالح،[4] وقال بعضهم: الصلاة، وهو قول مقاتل.[5] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اتخذوا عند الرحمن[6] عهدا فإن الله يقول يوم القيامة: «من كان له عندي عهدٌ فليقم». فقيل: كيف هو؟ قال: اللهم فاطرَ السماوات والأرض عالمَ الغيب والشهادة! إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، فإنك إن تَكِلْني إلى نفسي تقرِّبْني من الشر وتُباعدْني من الخير[7] وإني لا أثِقُ إلا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.[8] ويرفع ابن مسعود هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأول كأنه أشبه، إن ثبت الخبر.

**﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[٨١] ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٨٢]**

وقوله عز وجل: **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًّا كَلَّا**، فإن كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا تلك الأصنام والأوثان ليتعزَّزوا بذلك ولا يَذِلّوا[9] ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا، فظنوا أنهم إن آمنوا تذهب تلك الرياسة والمأكلة عنهم.[10] ويحتمل قوله: **ليكونوا لهم عِزًّا**، أي نصرا ومَنَعَة.[11] فإن كان هذا فهو في الرؤساء[12] منهم والأتباع في الدنيا والآخرة. أما في الآخرة [فهو] ما طمعوا بعبادة الأصنام

---

[1] سورة مريم، ٧٧/١٩.
[2] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٧٥، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٣٦-٣٧.
[4] ر ع م: قدم عملا صالحا.
[5] قارن: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٦٣٨/٢ ("يقول أم اعتقد عند الرحمن التوحيد").
[6] ن: لله، ن هـ: الرحمن.
[7] ر ع م: إنك (ن: إن) لا تكلني إلى عمل يقربني من الشر (ع: البشر) ويباعدني من الخير؛ والتصحيح من *المستدرك* للحاكم، ٤٠٩/٢.
[8] هذا حديث [عن ابن مسعود] صحيح الإسناد ولم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٤٠٩/٢).
[9] ر ن: ولا يدلون.
[10] كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نَتَّبِعِ الهدى معك نُتَخَطَّفْ من أرضنا﴾ (سورة القصص، ٥٧/٢٨).
[11] ر: منعه.
[12] ن: الرؤسا.

[التقريب والشفاعة][1] والنصر في الآخرة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى؛[2] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة في الآخرة. وأما في الدنيا [فقد]
[٤٦٧و] ظنوا أن آلهتهم التي اتخذوها وعبدوها ينصرونهم في الدنيا، حيث قالوا: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ،[4] فكيف ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان أو نصرا؟ يقول: **كلا،** لأنهم أذلوا أنفسهم لخَشَب وحنَوا ظهورهم لها، فكفى بذلك ذُلًّا وصَغارا.

وقوله عز وجل: **سيكفرون بعبادتهم،** قال الحسن: سيكفر عُبّاد الأصنام في الدنيا ومن عبدوها[5] في الآخرة أنهم ما كفروا وما عبدوها، كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[6] ينكرون في الآخرة أن يكونوا أشركوا فيه غيره[7] أو عبدوا دونه. وقال غيره من أهل التأويل: سيكفر المعبودون بالعابدين لهم ويتبرءون منهم،[8] وهو كقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ،[9] وقوله: فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ،[10] ونحوه.

وقوله عز وجل: **ويكونون عليهم ضدا،** قال بعضهم: **ضدا،** أي عونا.[11] وتأويل العون هو أن يُلقَى تلك الأصنام معهم في النار فيحرقون فيها معهم فيزداد لهم بها[12] عذابا، فكان[13] عونا[14] على إحراقهم. وعلى هذا يخرج قول[15] من يقول: الضد البلاء،[16] أي يكونون[17] بلاء عليهم،

[1] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.
[2] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[3] سورة يونس، ١٨/١٠.
[4] سورة هود، ٥٤/١١.
[5] ر ن: عبدوه.
[6] سورة لأنعام، ٢٣/٦.
[7] م: وغيره.
[8] انظر: تفسير *البغوي*، ٦٣٧/٣-٦٣٨.
[9] سورة يونس، ٢٨/١٠.
[10] ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾ (سورة النحل، ٨٦/١٦).
[11] كما روي عن ابن عباس (*تفسير ابن عباس المسمى بصحيفة علي بن أبي طلحة*، ٣٣٧).
[12] ر ع م - بها.
[13] جميع النسخ: فكانت.
[14] جميع النسخ - عونا، والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.
[15] ر ع م: وقول.
[16] ع: البلا. كما روي عن ابن زيد، (انظر: تفسير *الطبري*، ١٤٣/١٦).
[17] م: يكونوا.

على ما ذكرنا. وهو ما قال: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ،[1] الآية، فإذا صاروا حصبا[2] كانوا بلاء وعونا على إحراقهم. وقال بعضهم: **يكونون عليهم ضدا**، أي قرناء[3] في النار بعضهم بعضا،[4] ويتبرأ بعضهم من بعض، ويخاصم بعضهم بعضا ويكذِّب بعضهم بعضا. فذلك كله ضد[5] عليهم، ضد ما طمعوا منها، لأنهم عبدوها في الدنيا رجاء[6] أن يكون لهم شفعاء في الآخرة ونصراء[7] فكانوا لهم على ضد ذلك أعداء. وقال ابن عباس: **يكونون عليهم ضدا**، أي حسرة.[8] وكله واحد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا**، قال بعضهم: **أرسلنا**، أي سلّطنا عليهم، كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ].[9] وقال بعضهم: **أرسلنا الشياطين**، أي قيّضناهم بهم، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا.[10] فهما في الحقيقة واحد، لأنه إذا أرسلهم اتصلوا بهم، فإذا اتصلوا بهم قُيِّضوا وقُرِنوا، بعضهم ببعض. وقال الحسن وأبو بكر الأصم وغيرهما: **أرسلنا الشياطين على الكافرين**، أي خلّينا بينهم وبينهم، و لم نمنعهم[11] منهم ما ذكر.[12] لكن لو كان تأويل الإرسال التخلية وتأويل القيض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار بذلك معنى؛[13] إذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين.[14] فدل تخصيص الكفار بهذا وأمثاله أن ليس التأويل هو[15] التخيةَ بل غيرها،[16]

---

[1] ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ (سورة الأنبياء، ٩٧/٢١).
[2] ن: حطب.
[3] ع: قرنا.
[4] كما روي عن قتادة، (انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٣/١٦).
[5] ر ع م: ضدا.
[6] ر: وجائز.
[7] ن: ونصر.
[8] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٧؛ و*تفسير الطبري*، ١٤٣/١٦.
[9] سورة النحل، ٩٩/١٦.
[10] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.
[11] ر ع: ولم يمنعهم.
[12] ن - ما ذكر.
[13] ع: المعنى.
[14] جميع النسخ + إن كان تأويل التخلية أنه لم يمنعهم منهم و لم يخلِّ بينهم وبينهم (ر ع م - و بينهم).
[15] ر ع م: وأمثاله ليس هو.
[16] جميع النسخ: لا غير.

وأنّ تخصيص هؤلاء بهذا وأمثاله من قوله: طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ،[1] وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[2] ونحوه يدل أن[3] هنالك من الله معنى في الكفار ليس ذلك في المؤمنين، وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكافرين. وهو -والله أعلم- إذا علم[4] في المؤمنين الرغبة والإجابة وفّقهم على ذلك وهداهم؛ وإذا عدم من الكفار خلاف ذلك وضدّه خذلهم وأضلهم. فذلك تخصيصه إياهم بما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **تَؤُزُّهم أَزًّا**، قال بعضهم: تُزعجهم إزعاجا،[5] وقال بعضهم: تُشليهم إشلاءً،[6] وتُغريهم إغراءً.[7] وقال الحسن: تحرِّكهم تحريكا.[8] وقال بعضهم: تُقْدمهم إقداما إلى الشر، وقال بعضهم: تأمرهم أمرا، وقال بعضهم: توقعهم إيقاعا ونحوه، وكله واحد.

* ثم وجهُ ما ذكر من إرسال الشياطين عليهم والتمكين هم من الوسوسة في الصدور، أعني صدور المؤمنين، والنزغ[9] في رُوعهم[10] من غير أن يملكوا القهر والقسر على ذلك، وما جعلهم بمحل لا نراهم نحن وهم يروننا على ما أخبر: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ[11] فهو -والله أعلم-[12] أن من علم بحضرته وقُربه عدوًّا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون أحذر وأهيب له ممن لا يعلم ذلك ولا كان بقربه وحضرته عدو. وعلى ذلك ما جعل الله عز وجل من الحَفَظَة والكرام الكاتبين -صلوات الله عليهم- على بني آدم رقباءَ عليهم في قليلِ [٤٦٧و س٢٨

[1] سورة التوبة، ٩/٩٣؛ وسورة النحل، ١٦/١٠٨؛ وسورة محمد، ٤٧/١٦.
[2] ﴿وجعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وَقرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥)، وانظر أيضا: سورة الإسراء، ١٧/٤٦؛ و سورة الكهف، ١٨/٥٧.
[3] جميع النسخ: وان كان هنالك؛ والتصحيح من قول الشارح: «فدل أن هنالك معنى من الله» (ورقة، ٤٨٢و).
[4] م - إذا علم.
[5] كما روي عن قتادة، انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/١٤٤.
[6] ر ع م: تشيلهم اشلا. كما روي عن ابن زيد، انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/١٤٥. والإشلاء: الدعوة والإغراء (*لسان العرب*، «شلو»).
[7] روي عن ابن عباس [تغويهم إغواء (*تفسير ابن عباس*، ٣٣٨)] والضحاك (*تفسير الضحاك*، ٢/٥٦٣).
[8] والأزّ والهَزّ التحريك، أي تحركهم وتحثهم على المعاصي (*تفسير البغوي*، ٣/٦٣٩).
[9] ر: والنزع.
[10] ر م: ردعهم. والرُّوعُ، بالضم: القلب والعقل. ووقع ذلك في رُوعِي، أي نَفْسي وخَلَدِي وبالي (*لسان العرب*، «روع»).
[11] سورة الأعراف، ٧/٢٧.
[12] جميع النسخ + وذلك.

ما يفعلون ويتفوّهُون وكثيرِه،[١] وإن كان قادرا على حفظ ذلك عليهم والتذكير لهم واحدا بعد واحد، شيئ على إثر شيء، وذلك لِما ذكرنا أن من علم أن عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان أحذر وأهيب ممن لم يعلم[٢] ذلك على نفسه رقيبا. ***والله أعلم***.* [٤٦٧و س٣٥]

**﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[٨٤]**

وقوله عز وجل: **فلا تعجل عليهم**، أي لا تكافئهم على أذاهم إياك ولا تعاقبهم. **إنما نعدّ لهم عَدًّا**، أي أنفاسَهم [التي] يتنفّسون في الدنيا، فهي معدودة تنقضي آجالهم عن قريب، فلا تكافئهم على أذاك[٤] وما يستقبلونك بالمكروه والسوء.*

**﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[٨٥]**

وقوله عز وجل: **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وَفْدا**، أي الذين اتقوا مخالفة أمر الله في كل ما لا يغلب عيبهم، لأن المؤمن لا يرتكب المعصية إلا لغلبة شهوة، أو لغلبة رجاء إلى مغفرة ربه ونحوه، أو توبة يضمرها بعد[٦] ارتكابها؛ على هذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة ربه. وقوله عز وجل: **إلى الرحمن**، أي إلى[٧] ما وعد لهم الرحمن من الثواب. وقوله: **وفدا**، الوفد في الشاهد هم أهل الكرامة والمنزلة يُبْعَثون لأمور، فكأنه ذكر أن المتقين يحشرون وهم مكرمون معظَّمون ولهم منزلة عند الله وقدرٌ. ***والله أعلم***.

**﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٨٦]**

[٤٦٧ظ] وقوله تعالى: / **ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرْدًا**، الوارد[٨] هو طالب الماء، والوِرْدُ الجمع، فكأنه قال: **ونسوق المجرمين إلى جهنم**، عِطاشا طُلَّابَ الماء، على ما قاله أهل التأويل.[٩]

---

[١] جميع النسخ: وكثيرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.

[٢] م: لا يعلم.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير لآية الآتية برقم ٨٤؛ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٧و/سطر٢٨-٣٥.

[٤] ر م: ذاك.

* وقع هنا مقطع من تفسير لآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٧و/سطر٢٨-٣٥.

[٦] ر ع م: بقدر.

[٧] ر ع م + ان.

[٨] ر - الوارد.

[٩] روي هذا عن أبي هريرة وابن عباس وقتادة والحسن، انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٧/١٦.

والمجرم. قال أبو بكر الأصم: هو الوثّاب في المعصية. وأصل الإجرام الاكتساب، ولهذا[1] قال بعض الناس في قوله: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[2] أي يُكسِبنَّكم. وأصله[3] هو كسب الإثم.

وقوله عز وجل: **ونسوق المجرمين**. فيه أنهم إنما يُساقون على كُرْهٍ منهم إذ ذكر في الكافرين السَّوق وذكر في المؤمنين الجمع والحشر.[4]

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **لا يملكون الشفاعة**، الشفاعة إنما تكون[5] فيمن استوجب العذاب والعقوبة، فأما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فإنه لا معنى لها ولا فائدة. فهو يرد على المعتزلة مذهبهم أن صاحب الكبيرة[6] لا يغفر له، وصاحب الصغيرة مغفور له. فالشفاعة التي ذَكَر لا تخلو إما أن تكون لأهل الكبائر فيَغفِر لهم بالشفاعة فيبطل قولهم، أو لأهل الصغائر فله تعذيبهم.[7] فكيف ما كان فهو يرد قولهم، إذ لا معنى لذكر الشفاعة في المغفورين. وقالوا: إن الشفاعة في الشاهد أن يُذكر محاسن الإنسان عند آخر لِيَعرف محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدرٌ عنده. لكن مثل هذا يجوز لمن يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه؛ فأما الله سبحانه وتعالى هو عالم بذاته يعلم حال كل أحد[8] فلا يحتمل ذلك.

وقوله عز وجل: **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا**، قال بعضهم: [هو] شهادة أن لا إله إلا الله، وقال بعضهم: العمل الصالح، وقال بعضهم: الصلاة، على ما ذكرنا.[9] وأصل العهد هو أن يَشترط[10] عليه شرط الوفاء حتى يفيء[11] بما شَرط عليه، وهو الوفاء بما أمر به ونَهى عنه. *والله أعلم*.

---

[1] ر ع: ولها.
[2] ﴿ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَآن قوم أن صَدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ (سورة المائدة، ٥/٢)؛ ﴿ولا يجرمنكم شَنَآنُ قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (سورة المائدة، ٥/٨).
[3] ع – وأصله.
[4] ع: الحشر.
[5] ر م: يكون.
[6] ر: الكبير.
[7] ن: يعذبهم.
[8] ن: كل حال من أحد.
[9] أي في تفسير الآية السابقة برقم ٧٨.
[10] ع: يشرط.
[11] ر ع م – يفيء.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا**، قال بعضهم: الآية[١] في مشركي العرب، لأنهم هم الذين قالوا: الملائكة بنات الله.[٢] لكن أهل الكتاب[٣] قالوا أيضًا: قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[٤] فهو في كل من قال ذلك.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[٨٩]

ثم[٥] قوله: **لقد جئتم شيئًا إدًّا**، يخرج على الإضمار حين أخبر عنهم أنهم قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا،[٦] أن قل لهم يا محمد: **لقد جئتم شيئا إدًّا**، أي عظيما منكرا. أو أن يكون[٧] لمّا[٨] قالوا ذلك أقبَل عليهم فقال لهم: **لقد جئتم شيئا إدًّا**،[٩] عظيمًا منكرا. ***والله أعلم***.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[٩٠] ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشَقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هَدًّا أن دعَوْا للرحمن ولدا**، قال بعضهم: مثل هذا إنما يقال على المبالغة في العظيم من الأمور والنهاية من الضيق والشدة على التمثيل. يقول الرجل لآخر: "أظلمتِ الدنيا عليه" و"ضاقت عليه الأرضُ بما رحُبَتْ" ونحوه على المبالغة[١٠] في الضيق والشدة؛ فعلى ذلك هذا ذُكر على المبالغة[١١] والنهاية في العظيم من القول الذي قالوا لله سبحانه. ثم جعل مثل ما قالوا في العظيم لله بما يَعْظُم من المحسوسات في العقول، وهو ما ذكر من انفطار السماوات وانشقاق الأرض وهدّ الجبال،

---

[١] م – الآية.
[٢] نظر مثلا: سورة الصافات، ٣٧/١٤٩-١٥٣؛ وسورة النجم، ٥٣/٢١-٢٢.
[٣] ر ع م: أهل لتأويل.
[٤] سورة التوبة، ٩/٣٠.
[٥] ع – ثم، + في.
[٦] سورة البقرة، ٢/١١٦؛ وسورة يونس، ١٠/٦٨؛ وسورة الكهف، ١٨/٤.
[٧] جميع النسخ: أو أن يكونوا.
[٨] ع: ما.
[٩] ع – إدا.
[١٠] جميع النسخ: على الإبلاغ.
[١١] جميع النسخ: على الإبلاغ.

وهُنّ أصلب الأشياء وأشدها، ليعرفوا عِظم ما قالوا فيه. وهكذا يُعرَف الأمور الغائبة التي سبيلُ معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الأشياء والمشاهدات منها.

وجائز أن يكون ما ذكر من انشقاق الأرض وهدّ الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذَكَر أن يكون فيها، وإن لم يشاهَد ذلك منها ولم يحسّ. كقوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا.[1] وقال قائلون: ذكر هذا في أهل السماوات والأرض[2] أنهم يكونون كما ذكر بما قالوا تعظيما لذلك وإنكارا. *والله أعلم*.

[٤٦٧ظ س٣٥ *قال أبو عَوْسَجَة: الضد[3] الخصم، والإدّ[4] السوق الشديد. وقوله: شَيْئًا إِدًّا، أي شديدا. والوِرْد،[5] أي يوردهم إياها أي يدخلهم. وقال: الوِرْد النصيب من الماء. وقوله: **هَدًّا**، أي

٤٦٧ظ س٣٦] صوتا يَهِدّ،[6] أي يَهْدِم.*

## ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[٩٢] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**، أي ما ينبغي له أن يتخذ ولدا[8] **إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا**، وفي الشاهد لا أحد يتخذ الولد من عبيده. فكيف ينبغي من له ملك السماوات والأرض وكلُّهم عبيده أن يتخذ ولدا من عبيده؟ أو **ما**[9] **ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**، وأسباب الأولاد[10] التي لها[11] يُتخذ الولد ليست فيه، لأن في الشاهد إنما يتخذ الولد لثلاث وقد ذكرنا في غير موضع؛[12] فإذا[13] كان الله سبحانه يتعالى عن ذلك

---

[1] ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال ربّ أرني أنظرْ إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صَعِقًا﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).

[2] ع + إلا آتي الرحمن عبدا.

[3] انظر: سورة مريم، ٨٢/١٩.

[4] الآية السابقة.

[5] سورة مريم، ٨٦/١٩.

[6] هَدّ يَهِدّ هَدًّا وهَدِيدا، والهَدّة صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط (انظر: *لسان العرب*، «هد»).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٧ظ/سطر٣٥-٣٦.

[8] ر ع م + أي ينبغي له ولد.

[9] ر: وما.

[10] ع: أو أسباب الأولاد.

[11] ر ع م: بها.

[12] انظر مثلا: سورة مريم، ٣٥/١٩.

[13] ر ع م: فإن.

كنه لم ينبغ له أن يتخذ الولد. وقال بعضهم: في قوله: **إلا آتي الرحمن عبدا**، في الآخرة، أي كلهم يُقرون بالعبودة له يومئذ.

**﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[٩٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[٩٥]**

وقوله عز وجل: **لقد أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا**، يحتمل قوله: **أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا**، [أن يكون] من عَدِّ أنفسهم وإحصائه، أي لا يخفى عليه شيء. أو أن يكون على الوعيد أن يُحصي أقوالهم وأفعالهم بما سلّط عليهم من الملائكة ما يراقبون ذلك منهم، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[1] وقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ.[2]*

*وقوله: **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**، أي وحده ليس معه من دنياه شيء.* [٤٦٨و س ٣٠]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[٩٦]**

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، يحتمل هذا وجوها ثلاثة. أحدها خاطب أهل مكة أنكم إذا[5] آمنتم وعملتم[6] الأعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباغض والتعادي فيبدّل مكانه المحبة والمودة، كقوله: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[7] أخبر أنهم صاروا بالإيمان إخوانا مؤلفةً قلوبُهم / بنعمة من الله وفضله. [٤٦٨ظ]

والثاني **سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، في الجنة، أي ينزع عنهم ما في قلوبهم من غِلّ وغِشّ،[8] كقوله: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ.[9]

والثالث **سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، في قلوب الأنبياء والأخيار وأصحاب الدين، لأنهم إنما ينظرون إلى الإنسان لدينه ولخلوص عمله لله وصفائه له لا إلى الدنيا وما تحويه[10] يده.

---

[1] سورة ق، ٥٠/١٨.

[2] ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢).

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات برقم ٨٢ و٨٦ و٨٩ و٩٠، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٧ظ/سطر ٣٥-٣٦.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير لآية الآتية برقم ٩٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٨و/سطر ٣٠-٣١.

[5] ع: إذ.

[6] ر: علمتم.

[7] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.

[8] ر: وغشي.

[9] سورة الحجر، ١٥/٤٧.

[10] جميع النسخ: يحويه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٨٣و.

وجائز أن يكون على ما رويت [في] الأخبار إن ثبت؛[1] روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا نادى: قد أحببت فلانا فأحبوه»، وكذلك هذا في البغض.[2] وقال كعب [الأحبار]: وجدت في التوراة أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض حتى [لا] يكونَ بدؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض. وكذلك قال في البغض. ثم قال: وكذلك وجدت في القرآن، فقرأ هذه الآية: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، يحبهم ويحبّبهم إلى المؤمنين في صدورهم. فعلى هذا إن ثبت يجب أن يخاف المرء على نفسه إذا رأى الناس لا يحبونه[3] أن يكون ذلك من سوء عمله. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾**[٩٧]

وقوله عز وجل: **فإنما يسّرناه بلسانك**، قال بعضهم: **يسّرناه**، [أي] تبليغَ[4] الرسالة على لسانه حتى بلّغها إلى الفَرَاعِنَة منهم والأكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم بغير الذي هم عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك. يسّر ذلك عليه حتى بلّغها إلى أمثال هؤلاء وقَدَر على ذلك من غير أن قدروا على إهلاكه، حيث أخبر أنه عصمه منهم بقوله: **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**.[5] وقال بعضهم: يسّره على لسانه حتى قدر على التكلم به والنطق، لأنه كلام رب العالمين. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يحتمل، لأنه أنزله بلسانه ولسان العرب، فلا يحتمل[6] أن لا يقدروا على التكلم بلسانهم. وقال قائلون: يسره على لسانه حيث جعله بحيث يحفظونه ويقرءونه[7] عن ظهر قلوبهم ليس كسائر الكتب المتقدمة، إنهم كانوا لا يقدرون على حفظها والقراءة عن ظهر القلب. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ع: ثبت.

[2] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبرئيل: إني قد أحببت فلانا فأحِبّه. قال: فينادي في السماء، ثم تُنَزَّل المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وإذا أبغض الله عبدا نادى جبرئيل: إني قد أبغضت فلانا، فينادي في السماء، ثم تُنَزَّل له البغضاء في الأرض» (سنن *الترمذي*، التفسير ١٩/٩٦؛ وانظر أيضا: صحيح *مسلم*، البر والصلة، ١٥٧).

[3] ر م - لا يحبونه.

[4] ن م: بتبليغ.

[5] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[6] ع - لأنه أنزله بلسانه ولسان العرب فلا يحتمل.

[7] ر ع: ويقرونه.

وقوله عز وجل: **لتُبَشِّر به المتقين وتنذر به قوما لُدًّا**، وقال في آية أخرى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[1] وقال في آية أخرى: لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ؛[2] مرة ذكر النذارة للناس جميعا، ومرة للذين ظلموا خاصة، ومرة للذين اتبعوا الذكر. والأصل في النِّذارة والبِشارة أن البشارة إذا كانت خاصة لأحد فهي له على شرط الدوام على ذلك أبدا؛ وفيها النذارة له إن لم يدم. وكذلك النذارة الخاصة لأحد، هي[3] له ما دام[4] بذلك ملتزما، فإن تاب ورجع عن ذلك فله فيها البشارة، على هذا تكون[5] البشارة الخاصة. والنذارة الخاصة تكون[6] في كل واحدة منهما للأخرى.[7] وأما البشارة المطلقة فهي بشارة لا تكون[8] فيها النذارة؛ وكذلك النذارة المطلقة لا تكون[9] فيها البشارة. على هذه الأقسام يخرج البشارة والنذارة. *والله أعلم*.

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزًا**، يخوِّف به أهل مكة، بإهلاكه القرون الماضية في الدنيا بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب أولئك الذين من قبلهم، فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل بأولئك. يقول لنبيه: **هل تُحِسّ منهم من أحد**، أي هل ترى وتبصر منهم أحدا، أي لا ترى ولا تبصر منهم أحدا. **أو تسمع لهم رِكْزًا**، قيل: صوتا، وقيل:[10] ذكرا، أي لا يُذكرون بعد هلاكهم إلا بسوء. يحذِّر أهلَ مكة لئلا يكذِّبوا رسولهم كما كذب الذين من قبلهم الرسلَ، فيكونوا[11] كما كان أولئك ويصيروا[12] مثلهم.

---

[1] ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[2] ﴿وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ (سورة الأحقاف، ١٢/٤٦).
[3] ر ن م - هي.
[4] ر: ندوم؛ ع م: له دوام.
[5] جميع النسخ: يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[6] جميع النسخ و*الشرح*: يكون.
[7] جميع النسخ: أخري؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[8] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[9] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[10] م: ويحتمل.
[11] ر ن م: فيكونون؛ ع: فيكون.
[12] جميع النسخ: وصاروا.

قال القُتَبِي: اللُّد جمع أَلَدّ وهو الخَصْم الجَدِل، والرِّكْز الصوت الذي لا يفهم.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: الأَلَدّ هو شديد الخصومة. **هل تُحِسُّ**، هل تراه. **رِكزًا**، أي ذكرًا. والركز أيضا الصوت. وقال: هَدًّا، أي صوتا. إذا انهدمت.

وقال أبو معاذ: وللعرب في البُشْرَى[2] ثلاث لغات: بَشَرْتُه بالتخفيف، فأنا أبشُره؛ وبَشَّرتُه، بالتشديد فأنا مبشِّره؛ وأبْشرتُه، فأنا مُبْشِره؛ والرجل مَبشور ومُبشَّر[3] ومُبْشَر.*

وقال الحسن: **قومًا لُدًّا**، قال صُمًّا،[5] صُمَّ آذانِ القلوب. وقال بعضهم: فُجَّارًا. وقيل: عُوجًا عن الحق. وأصله ما تقدم ذكره. **والله أعلم**.[6]

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٦.

[2] م: لبشر.

[3] م - ومبشر.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٩٥، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر ورقة ٤٦٨و/سطر ٣٠-٣١.

[5] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٤/٢.

[6] ن + تمت سورة مريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة طه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿طه﴾[١] ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٢] ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[٣]**

قوله عز وجل **طه**، قال بعضهم من أهل التأويل: **طه**، يا رجل، بالنَّبَطِيَة،[2] وقال بعضهم: بالسُّريانية. وقيل: يا فلان، وقيل: هو اسم من أسماء الله، وقيل: حروف من أسمائه، ونحو ذلك. وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع.[3]

وقوله عز وجل: **ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى**، لا يحتمل أن يكون هذا نزل على الابتداء من غير سبب ولا أمر، لكنه لم يبيِّن السبب [الذي] به نزل هذا، فيحتمل أن يكون سببه وجوها. أحدها ما حمل نفسه من الشدائد والمُؤَن العظام وأجهد نفسه في ذلك فنزل **ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى**، أي لتَتعب به نفسُك، كقوله: فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى،[4] أي تَتعب. ألا ترى[5] أنه قال: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى.[6]

والثاني أنه لما كفَّ نفسه عن الشهوات ومنَعها عن جميع[7] ما تهواه من اللذات فقال [٤٦٨ظ] أولئك الكفرة: إنه شقي، حيث رأوه[8] لم يعط نفسه شيئًا من شهواتها ولذاتها.

والثالث أنهم قالوا ذلك لمَا رأوه أنه دعا[9] الفَرَاعِنة والجَبَابِرة إلى دينه واتّباعه وأظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون، وكانت عادتهم القتل وإهلاكَ من يُظهر لهم الخلاف،

---

[1] ن + كلها مكية نزلت بها والله أعلم.
[2] انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٦٥-٥٦٦.
[3] انظر مثلا: تفسير سورة البقرة، ٢/١.
[4] سورة طه، ١١٧/٢٠.
[5] ن: لا يرى.
[6] سورة طه، ١١٨/٢٠.
[7] ر: جمع.
[8] جميع النسخ: رآه.
[9] ر: دعاء؛ م: دعى.

فخاطر بذلك. فعند ذلك قالوا: إنه شقي حيث يخاطر نفسه، فقال: **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**، على ما يقول أولئك، بل أنزلناه[1] عليك لِتَسْعَد، حيث أخبر أنه عصمه بقوله: وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ.[2]

أو أن لا يفسَّر ولا يُذكر ذلك الأمر والسبب الذي به نزل[3] لأنه لم يبيَّن، ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك السبب، إنما الحاجة[4] لنا إلى معرفة ما ذكر، وهو قوله: **إلا تذكرة لمن يخشى**، أي ما أنزلنا عليك لتشقى بل أنزلناه لتسعد، وأنزلناه ليتذكر به من يخشى، كقوله: إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ.[5]

وقوله عز وجل: **إلا تذكرة لمن يخشى**، أي عِظَةً لمن يتقي ما به يُخشى.[6] ويحتمل قوله: **لمن يخشى**، كلَّ مؤمن، لأن كل مؤمن يعتقد في أصل إيمانه الخشية منه والاتِّقاء من نِقْمته وعذابه.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**، كأن هذا نزل على إثر قول قاله أولئك الكفرة، وهو ما قالوا: إنه ساحر،[7] وإنه مفتر،[8] وإنه شاعر،[9] وإنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[10] ونحوه؛ فقال جوابا لقولهم: **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**، ليس كما يقول أولئك: إنه ساحر،[11] وإنه مفتر،[12] وإنما[13] يعلمه بشر،[14] بل[15] **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: أنزله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[2] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[3] ع: انزل.
[4] ر ع م – لنا إلى معرفة ذلك السبب إنما الحاجة.
[5] سورة يس، ١١/٣٦.
[6] ع – أي عظة لمن يتقي ما به يخشى.
[7] سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨؛ وسورة الذاريات، ٥٢/٥٢.
[8] سورة النحل، ١٠١/١٦.
[9] سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة يس، ٦٩/٣٦؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٨.
[10] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦؛ وانظر أيضا: سورة الفرقان، ٥/٢٥؛ وسورة الدخان، ١٤/٤٤).
[11] ع: سحر.
[12] ن: مفترى.
[13] ع م: وإنه.
[14] ع: لما علمه بشر.
[15] ن ع م – بل

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **الرحمن على العرش استوى.** {قال الشيخ رحمه الله:} القول بالكون على لعرش -وهو موضع- بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة لا يعدُو من إحاطة ذلك به، أو الاستواء، أو مجاوزته عنه و[1] إحاطته. فإن كان الأولَ فهو إذن[2] محدود محاط به منقوص عن الخلق، إذ هو دونه. ولو جاز الوصف له بذاته بما تحيط[3] به الأمكنةُ لجاز[4] بما[5] تحيط[6] به الأوقات، فيصير متناهيا بداته مقصِرا عن خنقه. وإن كان على الوجه الثاني فهو زيد على[7] الخلق لينقص[8] أيضا، وفيه ما في الأول. ولو كان على الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ مالا يَفْضُل عنه، مع ما يذم ذا من فِعْل الملوك أن [لا] يفضل[9] عنهم من المقاعد شيءٌ.[10] وبعد، فإن في ذلك تجزئةً بما كان بعضه[11] في ذي إبعاض، وبعضه يفضل عن ذلك. وذلك كنه وصف الخلائق، والله يتعالى عن ذلك.

وبعد؛ فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو[12] من المكان للجلوس شرفٌ ولا علوّ ولا وصفٌ بالعظمة والكبرياء، كمن يعلو[13] السطوح أو الجبال، إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر؛ فلا يجوز صرف تأويل الآية إليه، بل فيها ذكر العظمة والجلال، إذ ذكر في قوله: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،[14] وصفه بالعظمة والسلطان والقدرة، فكذلك على تعظيم العرش أي شيء كان [هو] من نور أو جوهر لا يبلغه علم الخلق.

---

[1] ر ع م: أو.
[2] ن ع: إذا.
[3] جميع لنسخ: يحيط
[4] ر ع: بمجاز.
[5] م - بما.
[6] جميع النسخ: يحيط.
[7] ر ن م: في خلق؛ ع: على في الخلق.
[8] جميع النسخ: لا ينقص، ولتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[9] ر ع م: أو يفضل؛ ن: أن يمض، ولتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[10] جميع النسخ: شيئا، والتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[11] ع: يعصه.
[12] ر ع م: يعلوا.
[13] ر: يعلوا.
[14] الآية التالية.

وإضافة الاستواء إليه لوجهين. أحدهما على تعظيمه بما ذكر على إثره، ذكر سلطانه في ربوبيته وقدرتِه وخلْقِه بما[1] ذكر.[2] والثاني على تخصيصه بالذكر بما هو أعظم الخلق وأجلُّه؛ على المعروف من إضافة الأمور العظيمة إلى أعظم الأشياء، كما يقال: تمَّ لفلانٍ ملكُ بلدِ كذا، واستوى على موضع كذا؛ لا على خصوص ذلك في الحق.[3] ولكن معلوم أن[4] من له ملك ذلك فما دونه أحقُّ به. وعلى ذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾،[5] الآية، بما صارت له أمّ القرى وأَيِس[6] الذين كفروا من دينهم.[7] وكذا ما ذكر من إرسال الرسل إلى الفراعنة وإلى[8] أم القرى لا[9] بتخصيص ذلك، ولكن بذكر[10] عظم الأمر. فمِثْله أمر العرش. وهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾،[11] وقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾،[12] على لُحوق غير بهم.

ويحتمل أن يكون على المنع بوصف المكان، إذ هو[13] أعلى الأمكنة عند الخلق ولا تقدر العقول [فوقه] شيئًا، فأشار إليه ليُعلم علوّه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة. وعلى ذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾،[14] الآية.[15] والنجوى ليس من نوع ما يضاف إلى المكان، ولكن يضاف إلى الإسرار. فأخبر بعلوه عن الأمكنة وتعاليه عن أن يخفى عليه شيء؛ ثم بقدرته وقوته بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾،[16] أي بالسلطان والقوة؛ وبألوهيته في البقاع كلها لأنها أمكنة العبادة،[17]

---

[1] ر ن م: ما.
[2] ن: ذكره.
[3] أي الثابت الواقع.
[4] م: أنه.
[5] سورة المائدة، ٣/٥.
[6] ع: وياس.
[7] أي أيس الذين كفروا من استئصال دين المسلمين.
[8] ع: ولى.
[9] ر: ولا.
[10] ع: يذكر.
[11] سورة الأنعام،٦/١٢٣.
[12] ﴿وإذا أردنا أن نُهلِك قرية أمَرْنا مترَفيها ففسقوا فيها فحَقَّ عليها القول فدمَّرناها تدميرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٦).
[13] ع: هوا.
[14] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).
[15] ع – الآية.
[16] ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٦).
[17] جميع النسخ: العادة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣ظ.

بقوله: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ،[1] ويملك[2] كل شيء، بقوله: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى،[3] وبقوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛[4] ثم بعلوه وجلاله، بقوله: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ،[5] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[6] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛[7] فجمع في هذه الأحرف[8] ما فرّق في تلك [الآيات] ليعلم أنه بكل ما سُمِّي به ووُصف كان ذلك له بذاته، لا بشيء من خلقه. وكذلك عزه وشرفه ومجده. جل ثناؤه عن الأشباه ولا إله غيره.

وقال بعضهم: يريد بالعرش الملك،[9] إذ هو[10] اسم ما ارتفع من الأشياء وعلا،[11] حتى سمي به السطوح ورؤس الأشجار.

[٤٦٩و] والاستواء قيل فيه بأوجه / ثلاثة. أحدها الاستيلاء، كما يقال: استوى فلان على كورة كذا، بمعنى استولى. والثاني العلو والارتفاع، كقوله:[12] فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ،[13] وقوله: إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ،[14] أي علوتم. والثالث التمام، كقوله: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[15] أي تم واستقر. وقد قيل: بالقصد، وإلى ذلك وجّه بعض أهل الأدب قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[16] بمعنى خلق، على التمثيل بفعل الخلق فيما يتلو فعلهم فعلا أن يكون بالقصد، وإن كان لا يقال له القصد. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] سورة الزخرف، ٨٤/٤٣.

[2] ر ن ع: ويملك.

[3] الآية التالية.

[4] سورة البقرة، ١٠٧/٢.

[5] سورة الأنعام، ١٨/٦. جميع النسخ والشرح: وفوق كل شيء (أي مكان وهو القاهر فوق عباده).

[6] سورة البقرة، ٢٩/٢.

[7] انظر مثلا: سورة هود، ٤/١١.

[8] أي بقوله: الرحمن على العرش استوى.

[9] أي العالم وكل ما سوى الله.

[10] أي العرش.

[11] ر ن: وعلى.

[12] ع: قوله.

[13] سورة المؤمنون، ٢٨/٢٣.

[14] ﴿لِتَسْتَوُوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كُنّا له مُقرنين﴾ (سورة الزخرف، ١٣/٤٣).

[15] سورة القصص، ١٤/٢٨.

[16] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).

ثم الوجه في ذلك - لو كان على الاستيلاء والعرشُ[1] [هو] المُلكُ- أنه مستولٍ[2] على جميع خلقه. وعلى هذا التأويلِ [العرشِ][3] المحمولُ[4] غير هذا. يدل على الأمرين قوله: وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،[5] بمعنى الملك العظيم، وفيه إثبات عروش غيره. فذلك يحتمل ما يَحمِل ويَحُفُّ[6] به الملائكة. **والله الموفق.**

وأما على تأويل التمام والعلوّ فهو أن الله تعالى قال: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[7] الآية، فأخبر بخلق ما ذكر في ستة أيام على التفاريق، ثم أجملها في موضع فقال: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ -إلى قوله- ثُمَّ اسْتَوَى،[8] بمعنى خَلْق الممتحَن[9] من خلق الأرض والسماوات، فبهم[10] ظهر تمام الملك وعلا[11] وارتفع؛ إذ هم المقصودون من خلق ما بيّنا. فبذلك تم معنى الملك وعلا،[12] إذ وصل إلى الذين لهم خُلِقوا. وقد قيل ذا في خلق البشر خاصة، بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[13] الآية، وقوله: سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ،[14] ونحوه.

---

[1] ر ع: ولعزيز؛ م: والعز.

[2] ر ع م: مستولي.

[3] كما ورد في قوله تعالى: ﴿الذين يَحْمِلُونَ العرش﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧)؛ و في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيةٌ﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/١٧).

[4] ر: لمحمول.

[5] سورة التوبة، ٩/١٢٩.

[6] م: ويخف. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يَحْمِلُونَ العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧)؛ وقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾ (سورة الزمر ٣٩/٧٥).

[7] ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ... ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٢).

[8] ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٤).

[9] أي الإنس و الجن.

[10] ر ع: فيهم.

[11] ر: وعلى.

[12] ر: وعلى.

[13] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٩).

[14] ﴿ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أن البشر خلق اليوم السابع، فبه التمامُ والعلو؛[1] إذ خلق لهم كل[2] شيء وهم لعبادة الله، ولُحق بهم الجن بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[3] الآية، لكن المقصود البشر، إذ تسخير ما ذكرتُ كلّه إنما يرجع إلى منافعهم. ***والله الموفق***.

والأصل عندنا في ذلك[4] أن الله عز وجل قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[5] فنفى عن نفسه شِبْه خلقه. وقد بيّنا أنه في فعله وصفته متعالٍ عن الأشباه. فيجب القول بـ**الرحمن على العرش استوى**، على ما جاء به التنزيل وينفى عنه شِبْه الخلق بما[6] أضاف إليه. وإذ لزم القول في الله بالتعالي عن الأشباه ذاتًا وفعلاً لم يجز أن يفهم من الإضافة إليه المفهوم من غيره في الوجود. ***والله الموفق***. وقد ذكرنا هذا في غير موضع من القرآن.[7]

**﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[٦]**

وفي قوله: **له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**، الوصف له بالسلطان والقدرة والملك على ما ذكرنا.

**﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٧]**

وفي قوله: **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**، الوصف له بالعلم في الغيب والسر والعلانية جميعا ليكونوا أبدا على حذَر وخوف ويقَظة في جميع أفعالهم وأقوالهم. وفي الأول ليصرفوا طمعهم ورجاءهم[8] من الخلق إلى خالقهم وأن لا يُطمع ولا يُرجى غيره. ثم اختلف في قوله: **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**، قال بعضهم: السر ما أسررت به إلى غيرك، وأخفى ما أضمرتَه وأكننْتَه في نفسك لم تُسِرّه إلى أحد. قال قائلون: السر ما أسررت به وحدّثت به نفسك؛ وأخفى ما علم الله أنه كائن يكون ولم يكن بعد ولم تعلم به.[9]

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ١٠٩/٢٤.

[2] ع + كل.

[3] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

[4] أي في إضافة الاستواء إلى الله تعالى.

[5] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[6] ر ن م: لما؛ ع: إلى.

[7] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٥٤/٧.

[8] ر ع: ورجاهم.

[9] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٦٦/٢.

وقال قائلون: السر ما أسره في نفسه؛ وأخفى ما خطر في قلبه وهو لا يضبطه. ونحو ذلك. وأصله في قوله: **وإن تجهر بالقول**، كأنه يقول: **وإن تجهر بالقول** أو تُسِرَّ به[1] **فإنه يعلم السر وأخفى**. *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى**، قال أبو بكر الأصم: أي من وحّد الله بأسمائه فله الحسنى، وهي الجنة. وقد ذكرنا فيما تقدم.[2]

**﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[٩] ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا**، ظاهر هذا سؤال واستفهام، لكن المراد منه الإيجاب. ثم اختلف في معنى الإيجاب. قال الحسن وأبو بكر [الأصم]: قوله: **وهل أتاك**، أي لم يأتك حديث موسى وسيأتيك، ثم أخبره وأعلمه بحديثه ونبإه. وقال بعضهم: **هل أتاك**، أي قد أتاك **حديث موسى**، لتخبرهم[3] عما كان في كتبهم ليكون ذلك آية لنبوتك ورسالتك.

وقوله عز وجل: **فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا**، قيل: رأيت نارا، وقيل: علمت نارا. **لعلي آتيكم منها بقبس**. ليس في هذه الآية بيانُ أن موسى في أي حال كان وفي[4] أي وقت، لكن في موضع آخر بيان ذلك، وهو ما قال: فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا.[5] هذا يدل أنه كان في حال السير والسفر [حين] رأى ذلك. وقال في نفس الآية:[6] لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ،[7] فهذا يدل أنه كان في أيام الشتاء والبرد، وحيث قال: لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.

---

[1] ر ع م – به.
[2] انظر مثلا: تفسير سورة يونس، ٢٦/١٠.
[3] ر م: ليخبرهم.
[4] ع: في.
[5] سورة القصص، ٢٩/٢٨.
[6] جميع النسخ والشرح: في آية أخرى.
[7] سورة القصص، ٢٩/٢٨.

قال أبو عَوْسَجَة: **لعلي آتيكم منها بقبس**، والقبس النار. والأقباس النيران. ويقال: قَبَسَ يقبِس قبسًا، أي جاء بالنار. ويقال: اقتبِسْني نارًا، أي أعطني[1] نارًا؛ واقتبستُ أيضا: تعلمتُ. وهذا من ذاك لأن العلم ضوء وهذا ضوء.[2] ويقال: أقبستُك،[3] أي علَّمتُك. واقتبست، أي سألت[4] النار أو العلم.[5] وقال القُتَبِي: **آنست نارًا**، أبصرت؛ ويكون في موضع آخر علِمت، كقوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[6] أي علِمتم[7] منهم رشْدًا.

وقوله عز وجل: **أو أجد على النار هدى**، هذا يشبه أن يكون قد استقبلته / الطرقُ [٤٦٩ظ] فلم يعلم الطريق الذي له من غيره فقال: **أو أجد على النار هدى**، أي من يدلُّني ويُرشدني على الطريق. أو أن كان[8] قد ضلَّ الطريق وعدل عنه فقال عند ذلك ما قال. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾[١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **فلما أتاها نودي**، أي نداءَ[9] وحيٍ، **يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك**. قال بعضهم: إنما أمره أن يخلع نعليه لأنهما كانا من جلدِ مَيْتَةٍ. وقال قائلون: أمره أن ينزع نعليه ليمس[10] قدَماهُ بركة ذلك الوادي أو يصيبه[11] من يُمْنه. وقال بعضهم: أمره بذلك للتواضع والخضوع له، لأن لبس النعل يخرج مخرج المباهات، فأمر بذلك ليكون أخضع له وأكثر تواضعا. والله أعلم بذلك. وليس لنا أن نفسر ذلك أنه لماذا أمره بذلك، إذ له أن يأمر بخلع نعليه[12] لا لمعنى،

---

[1] ر ع م - نارا أي أعطني.
[2] ر ع م - وهذا ضوء.
[3] ع: اقتبستك.
[4] ر ع م - سألت.
[5] ويقال: قَبَسْت منه نارًا أَقْبِس قَبْسًا فأَقْبَسَني أي أعطاني منه قَبَسًا. وقال ابن الأعرابي: قَبَسني نارًا ومالًا وأقبَسَني علمًا؛ وقد يقال بغير ألف (*لسان العرب*، «قبس»).
[6] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٦/٤).
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٧.
[8] ر ع م: وإن كان.
[9] م: نداء.
[10] ن: للمس.
[11] ن: و نصيبه.
[12] ع - بخلع نعليه.

وليس لنا أن نقول: أمره لهذا أو لعله[1] أمره بذلك لمعنى آخر أو لا لمعنى، فيخرج ذلك مخرج الشهادة على الله تعالى.

وقوله عز وجل: **إنك بالواد المقدس طوًى**. المقدس[2] المطهر. ولعله سماه مطهرًا لما لم يُعبد عليه سواه ودونه؛ أو سمّاه مطهرا لمعنى خصّ به لفضل عبادةٍ أو غيرها على ما خص بقاعًا بفضل عبادة تُقام فيها من نحو المساجد والحرم وغيره.

وقوله عز وجل: **طُوًى**، قال بعضهم: هو من وَطِئَ الأرض، أي طَأْ الواديَ المبارك حافيا.[3] وقال بعضهم: **طُوى**، قد قُدِس مرتين، وهو قول الحسن.[4] وقال بعضهم: **طُوى**، يقول: يُطوَى مَسيرُه.[5] نحو هذا قد قالوا، لكن الأصوب أن لا يُفسَّر إلا بعد حقيقة المعرفة[6] به، لأنها[7] أنباء كانت في كتبهم، ذكرت لرسول الله لتكون له حجة ودلالة على رسالته عليهم؛ ففي التفسير خوف دخول الغلط فيه وتغييره،[8] فإذا تغير لم يصر له عليهم حجة ودلالة على رسالته. لذلك[9] كان السكوت[10] عنه أولى. *والله أعلم*.

**﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **وأنا اخترتك**، إما بالرسالة والنبوة أو بأشياءَ أخرى،[11] كقوله: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**،[12] الآية، وقال في آية أخرى: **إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا**،[13] أخلصه الله لنفسه بأشياء. **وقوله** عز وجل: **فاستمع لما يوحى**، هذا يدل أن النداء الذي نودي كان نداء وحي وهو قوله: **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ [يَا مُوسَى]**.[14]

---

[1] ن: و لعله.
[2] م – طوى المقدس.
[3] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٠ (يقول: «طأ الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا، من بركة الوادي»).
[4] *تفسير الحسن البصري*، ١١٦/٢. ويقول به مجاهد أيضا. نظر: *تفسير الطبري*، ١٦٩/١٦.
[5] ر ع: مسيرة.
[6] ر ع م – المعرفة.
[7] ر ن م: لأنه.
[8] جميع النسخ: وتغيير؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٤و.
[9] جميع النسخ: كذلك.
[10] ر ع م: السكون.
[11] ر ن: أخر.
[12] سورة طه، ٤١/٢٠.
[13] سورة مريم، ٥١/١٩.
[14] سورة طه، ١١/٢٠.

**﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني**، وهو ظاهر، كذلك أمر رسله أوّلَ ما أَمَرهم.[1]

وقوله عز وجل: **وأقم الصلاة لذكري**، قال بعضهم: **أقم الصلاة لذكري**، لتكون ذاكرا لي، لأن أكثر ما يذكر المرأ ربه إنما يذكر في الصلاة، لأن الصلاة من أولها إلى آخرها ذكر الله، ولذلك سمي الصلاة مناجاةَ الرب. أو أن يكون قوله: **أقم الصلاة لذكري**، أي لتذكرني بها يا موسى. وقال قائلون: **أقم الصلاة** إذ[2] أنت نسيت إذا ذكرتها. وعلى هذا رويت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وقرأ هذه الآية، إن ثبتت.[3] وجائز أن يكون قوله: **أقم الصلاة لذكري**، أي **أقم الصلاة** لتستوجب بها ذكري. وقال القُتَبِي: **أقم الصلاة لذكري**، أي لتذكرني فيها.[4]

**﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **إن الساعة آتية أَكَادُ أُخفِيهَا**، قال الحسن: **أكاد**، صلة، كأنه قال: إن الساعة آتية[5] أُخفِيها. وفي حرف أُبيّ بن كعب: إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي.[6] ثم يحتمل قوله: "من نفسي" وجهين. أحدهما أخفيها[7] من خلقي. ولا يجب أن يفهم من نفسه ذاتُه بالإضافة إليه كما لم يفهم من قوله: رُوحي،[8] ورُوحنا،[9] وهو أخفى من الناس ذاته، ولكن فهم منه خلقه؛ فعلى ذلك لا يفهم من قوله: "من نفسي" ذاته. هذا يحتمل. **والله أعلم.**

---

[1] جميع النسخ: أمروا بذلك.
[2] جميع النسخ: إذا.
[3] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نسي صلاة فليُصَلِّ إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾» (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٣٦؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣٠٩).
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٧.
[5] ع + أكاد.
[6] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٦؛ وكذلك قرأ ابن عباس (*نفس المصدر*، ٢٠١). وفي قراءة ابن مسعود: أخفيها من نفسي فكيف أعلنها لكم (*نفس المصدر*، ٥٩).
[7] ع + أخفيها.
[8] انظر: سورة الحجر، ٢٩/١٥؛ وسورة ص ٧٢/٣٨.
[9] انظر: سورة مريم، ١٧/١٩؛ وسورة الأنبياء، ٩١/٢١؛ وسورة التحريم، ١٢/٦٦.

والثاني أن يكون قوله: «**أكاد أخفيها** من نفسي»، أي من أخيار عبادي، أي أخفيها من أخيار عبادي مع عظيم قدرهم ومنزلتهم عندي من نحو الملائكة والأنبياء والرسل. إذ عادة ملوك الأرض أنهم لا يكتمون سرائرهم من خواصِّهم بل يُطْلعونهم على ذلك. فأخبر عز وجل -والله أعلم-[1] أنه أخفاها من خواصِّ عباده وأخيارهم فكيف ممن[2] دونهم؟ فتكون[3] إضافته إياهم إلى نفسه لعظم قدر أولئك وفضل منزلتهم، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ؛[4] والله لا يُنصَر، ولكن إن تنصروا دين الله ينصركم، أو إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وكذلك قوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[5] والله لا يُخادَع،[6] ولكن يخدعون[7] أولياء الله، ونحوه. فعلى ذلك قوله: «أخفيها من نفسي»، أي من خواصِّي[8] وأخيار خلقي. ***والله أعلم***. هذا على إسقاط قوله: **أكاد** وجعله صلة.

وأما على إثبات **أكاد**، فهو على وجهين. أحدهما يقال: كاد [بمعنى] أراد، أي أريد [أن] أخفيها، وهو معروف باللغة. والثاني كاد، يقال: قارب، وهو سائغ في اللغة جار، كاد على إرادة مقاربة، [مثل قولك:] كادت الشمس أن تَطلُع أو تَغرب، أي قاربت؛ كِدتُ أن أسقط، أي قاربتُ، وإلا لا تريد[9] السقوط. فإذا كان على هذا فهو قال ذلك -والله أعلم- على التعظيم لها، أي قارب أن يخفيها من نفسه فكيف من غيره؟

وقال ابن عباس قريبا من هذا، أي **أكاد أخفيها** من نفسي فكيف أعلنها لكم؟[10] أي لا أُظهر عليها أبدا غيري.[11] فكأنه استجاز الإخفاء في موضع الإظهار باللغة، نحوَ ما قالوا في قوله: وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ،[12] أي أظهروا. فعلى ما كان الإسرار في موضع الإظهار

---

[1] ر م – والله أعلم.
[2] جميع النسخ: من.
[3] ر ن م: فيكون.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٧/٤٧).
[5] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا﴾ (سورة البقرة، ٢/٨-٩).
[6] ن: والله يخادع.
[7] ر: لا يخدعون.
[8] ع: خواصي.
[9] جميع النسخ: لا يريد.
[10] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٢٠١.
[11] انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٤٣ ("لا أطلع عليها أحدا غيري").
[12] سورة يونس، ٥٤/١٠؛ وسورة سبأ، ٣٣/٣٤.

والكتمان فعلى ذلك رأوا الإخفاء مستعملا في الأمرين جميعًا. قال أبو عَوْسَجَة: **أخفيها**، أي أُظهرها. ***والله أعلم***.

[٤٧٠و] وقوله عز وجل: **لتُجْزَى كل نفس بما تسعى**، أي هذا أخفيها:[١] **لتجزى كل نفس بما تسعى**، لأنها لو كانت ظاهرة يعاينها كل أحد ويعلمها لَمَا كان ذلك جزاءً ولكن كان دفعا؛ لأنه يعاين كل إنسان ما[٢] نزل بهذه النفس بما سَعَتْ من العذاب فيمتنع هو عنه. وإذا رأى كل أحد ثواب هذا بسعيه يرغب في مثله؛ فيكون ذلك كلُّه بحق الدفع لا بحق الجزاء، فأخبر أنه أخفاها للجزاء والمحنة لا للدفع. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنهَا مَن لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا يَصُدَّنَّكَ عنها**، أي عن الإيمان بها **من لا يؤمن بها**، يعني الساعة. وهو[٣] -والله أعلم- لا يَصُدَّنَّكَ عنها بأسباب ألقاها إليك. وقد يمتنع الإنسان عن الشيء بأسباب تعترض وشُبَهٍ تستقبل إن[٤] لم يقدر على منعه بالتصريح والإفصاح. ***والله أعلم***. أي **فلا يَصُدَّنَّكَ** عن الإيمان بها، يعني الساعة، **من لا يؤمن بها واتبع هواه**، في التكذيب بها بالشُّبَه والأسباب التي ذكرنا، **فتردى**، أي فتهلِكَ لو صدَّك عنها. فالخطاب وإن كان لرسول الله فهو لكل أحد من المؤمنين على ما ذكرنا في غير آي من القرآن فيما خاطب رسوله به.[٥]

[٤٧٠و س٢٤] * قال أبو عَوْسَجَة: **فتردى**، أي تهلِك[٦] يقال: أرداه[٧] أي[٨] أهلكه، ويقال: تَرَدَّى الرجل، إذا وقع في البئر أو من فوق حائط، ويقال: رديته، أي ألبسته الرداء،[٩] أو ارتديت، أي لبست الرداء؛[١٠] وتردَّيت، مثله.* [٤٧٠و س٢٦]

---

[١] جميع النسخ: ما أخفيها.
[٢] جميع النسخ: بما.
[٣] ر ع م - وهو.
[٤] ر ع م: وإن.
[٥] ع: بها.
[٦] م: تلك.
[٧] م: أراده
[٨] ر ع م - أي
[٩] ر ع م: الردا.
[١٠] ن - أو ارتديت أي لبست الرداء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر ٢٤-٢٦.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[١٧] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أَتَوَكَّأُ عليها**، الآية. كان موسى –صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه– لم يَفهم مراده بسؤاله إياه أنه ما أراد بقوله: **وما تلك بيمينك يا موسى**، أنه يسأله عن اسمها أو يسأله عما له فيه، فأجاب لأمرين جميعا: عن اسمها وعما له فيها، حيث **قال هي عصاي أَتَوَكَّأُ عليها وأهُشّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أخرى**. ثم قال الحسن: إنه[1] –والله أعلم–[2] كان يعلم أن في يده عصًا، لكنه أراد أن يقرِّر عنده أنه عصا لا حيّة، ليُرَى له منها آيةٌ فيعلمَ ذلك. أو أن يريد بذلك تنبيهه وإيقاظه ليعلم أنه وقت ما أخذها أخذها[3] عصا[4] فيعلم أنها إذا صارت حية إنما صارت[5] كذا بالآية التي جعلها له لا أنها كانت يومئذ كذلك حية. *والله أعلم*.

[٤٧٠و س٢٦ *وقوله: **أتوكأ عليها**، أي استعين بها على المشي.[6] وقوله: **وأَهُشُّ بها على غنمي**، أي أضرب الشجرة حتى ينتثر ورقها فتأكله غنمي.[7] والهَشّ الكريم، والبش من البشاشة. قال: والمآرب الحوائج، والإرْب أيضا الحاجة، والآراب جميع.[8] ويقال: أرِبت الشيء، قسمته وجعلته

٤٧٠و س٢٨] إرْبًا إرَبًا،[9] أقساما،[10] أي جزيته أجزاء*

[٤٧٠و س٢٨ *وفي قوله: **وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي**، دلالة أن الإنسان إذا استُخبر عن شيء فإن عليه أن يخبر المستخبِر عما يستخبر على الإجابة له وإن كان يعلم أن المستخبِر له عن ذلك عالم بذلك، لأن موسى كان يعلم أن ربه كان أعلمَ[12] بما في يده منه،

---

[1] أي الله عز وجل.
[2] ر ع م – أعلم.
[3] ر ع م – أخذها.
[4] ر ع م: عصى.
[5] ر ع م – حية إنما صارت.
[6] ن: الشيء.
[7] جميع النسخ: غنمه.
[8] انظر أيضا: *لسان العرب*، «ارب».
[9] ر ن م: وجعلته إربا.
[10] ر ع م: أقساما؛ ن: قسمه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٦-٢٨.
[12] ع: يعلم.

ولم يقل له حين استخبر عما في يده: ربِّ أنت أعلم به مني، ولكنه قال: **هي عصاي**، إجابة له وتعظيما لأمره. *والله أعلم*.* [٤٧٠و س٣٢]

*وفي قوله: **وما تلك بيمينك يا موسى**، دلالة أن العصا إنما تُمسك باليد[2] اليمنى.* [٤٧٠و س٢٣]

**﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾[١٩] ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٢٠] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[٢١]**

**قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حَيَّةٌ تسعى**، ثم يحتمل[4] جعلُها حيةً وإرائةُ[5] الآية له منها، لما أن قوم فرعون كانوا أهل بصر وحِذْق في ذلك النوع من السحر فأحب أن يُريهم الآية والعلامة من النوع الذي كان لهم فيه بصر وحذاقة، ليعلموا -بخروجها عن وسعهم وطوقهم- أنها آية وعلامة سماوية وربانية[6] لا بشرية؛ إذ الأعلام التي جعلها الله آياتٍ وأعلاما لرسله على رسالتهم إنما جعلها ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك أنها سماوية ربانية[7] لا بشرية من سحر أو كهانة.[8] *والله أعلم*.

ثم قوله: **خُذها ولا تخَف سنُعِيدها سيرتها الأولى**، على ما كانت في الحالة الأولى عصًا. كان موسى خاف حين صارت حية، وهو ما قال في آية أخرى: فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا،[9] فعند ذلك قال له: **خذها ولا تخف**، وأخبره أنه يعيدها عصا[10] على ما كانت. *والله أعلم*.*

---

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٨-٣٢.

[2] ن: اليد.

* وقع ما بين لنجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٣-٢٤.

[4] ر ع م + جعلها حية تسعى ثم.

[5] ن: وإراء؛ ع: وإرآ.

[6] جميع النسخ: وربوبية.

[7] جميع النسخ: ربوبية.

[8] جميع النسخ: لا بشرية سحرا ولا كهانة. والتصحيح من *الشرح*، ٤٨٤ظ.

[9] ﴿وألق عصاك فلما رآها تَهْتَزُّ كأنها جان ولَّى مدبرا ولم يُعَقِّبْ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لَدَيَّ المرسلون﴾ (سورة النمل، ٢٧/١٠).

[10] م: عصى.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقات برقم ١٦ و١٧ و١٨، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر ٢٣-٣٢.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **واضمُم يدك إلى جناحك تخرجْ بيضاء من غير سوء آيةً أخرى**، وقال في آية أخرى: وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ،[١] وكان في هذا تفسيرُ الأول. وقوله: **من غير سوء**، قال عامة أهل التأويل: **من غير سوء**، أي من غير بَرَصٍ.[٢] كأنهم ذهبوا إلى أن البياض في الإنسان إذا اشتد به حتى يخالف سائر بدنه لا يكون إلا بالبرص، لذلك قال: **من غير سوء**، أي من غير برص بك. **آيةً أخرى**، سوى آية العصا. وجائز أن يكون قوله: **من غير سوء**، أي من غير آفة وعيب بك وأذى،[٣] لأن التغير إذا وقع في بعض بدن الإنسان لا يكون إلا بعيب وآفة تُخَلّ[٤] به، فأخبر[٥] أن ذلك البياض ليس لآفة بك ولا عيب في بدنك ولا فيه أذى، ولكن آية ليريها منها.[٦] *والله أعلم*.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى**، قال قائلون: الآية في اليد أكبر من الآية في العصا، لأن سحر أولئك كان في العِصِيّ والحبال لم يكن في غيره، فأراهم آية في غير ما لهم [به] علم وبصرٌ ليعلموا أن ذلك ليس بسحر ولكن آية من الله أراها إياهم. وجائز أن يقال: آية[٧] العصا[٨] [٤٧٠ظ] أكبر من آية اليد، لأن أولئك كانوا أهل بصر وعلم في السحر في العِصِيّ[٩] / فخروج عصا[١٠] موسى عما احتمل وسعُهم وما به فيه بصر وعلم يدل على أن ما أَتَى موسى ليس هو بسحر ولكن آية من الله؛ لأن فضل بصر الرجل وعلمه في شيء إنما يظهر بمجاوزته في ذلك عن أهل بصر في ذلك النوع وعلم، لا يظهر ذلك على أهل الجهل في ذلك. فعلى ذلك أمر عصا موسى عليه السلام.

---

[١] سورة النمل، ١٢/٢٧.
[٢] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٧؛ و*تفسير الطبري*، ١٨٤/١٦.
[٣] ن م: وذا.
[٤] ن: يحل.
[٥] ر ع م: وأخبر.
[٦] أي من اليد.
[٧] ر ع م - والحبال لم يكن في غيره فأراهم آية في غير ما لهم علم وبصر ليعلموا أن ذلك ليس بسحر ولكن آية من الله أراها إياهم وجائز أن يقال آية.
[٨] ن م: العصى.
[٩] ر ع: العصا.
[١٠] ن: عصاه.

وجائز أن يكون قوله: **لنريك من آياتنا الكبرى** التي ذَكَر في آية أخرى، وهو قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.[١] فالآيات[٢] الكبرى هي التسع التي ذكر في هذه الآية، إذ كان لموسى آيات سوى التسع لكن التسع هي الكبرى.[٣] أو أن يكون ذلك لا على تخصيص آية دون آية[٤] بالكبر والعظم، ولكن وصف الكل بذلك، كقوله: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[٥] هو على وصف آياته كلها بالكبر والعظم، وهو كقوله: لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا،[٦] هو على إثبات النفع في كل واحد منهما على ما في الآخر، فعلى ذلك الأول. والله أعلم.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **اذهب إلى فرعون إنه طغى**، الطغيان هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت له.[٧] وكذلك كان لفرعون[٨] قد تعدّى وجاوز الحد في كل شيء، حتى ادَّعى لنفسه الربوبية حيث قال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٩]

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قال رب اشرح لي صدري**، إن موسى سأل ربه أن يشرح له صدره، وذَكر لمحمد[١٠] أنه شَرح له صدره بقوله: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ.[١١] ثم جائز أن يكون شرْح صدورهم[١٢] لتوسّع ما حمِّل عليهم من ثقل النبوة والرسالة لتتسع[١٣]

---

[١] ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠١).

[٢] ر ع م: في الآيات.

[٣] جميع النسخ: أكبر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.

[٤] م - دون آية.

[٥] سورة الزخرف، ٤٣/٤٨.

[٦] ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ (سورة النساء، ٤/١١).

[٧] ر ع م - له. أي للمرء.

[٨] ن + لعنه الله

[٩] سورة النازعات، ٧٩/٢٤.

[١٠] ن: في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[١١] سورة الانشراح، ٩٤/١-٢.

[١٢] جميع النسخ: صدرهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.

[١٣] جميع النسخ: ليتسع.

صدورهم[1] لذلك ويقدروا على القيام بذلك والوفاء به. أو أن يكون سأله شرح صدره لما كان الرسل يعصبون لله عند تكذيب[2] قومهم [إياهم] حين دعوهم إلى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة، كقوله: قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[3] الآية، أخبر[4] أنه يخاف عند تكذيب[5] قومه ضيقَ صدرِه وثقل لسانه، فسأله لذلك أن يشرح له صدره ويُطلق لسانه. ويحتمل ما قاله بعض أهل التأويل: **اشرح لي صدري**، أي لِيّن لي قلبي، لأن الرسل[6] قد امتُحنوا في حال واحدة بشيئين متضادّين: بالغضب لله عند تكذيب قومهم إياهم، والرأفة لهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب. فذلك أمران متضادّان خُصّ الرسل بهما. فجائز أن يكون سأل ربه أن يشرح له صدره ليتسع له الأمران[7] جميعًا: الغضب له والرحمة عليهم.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ويسِّر لي أمري**، يحتمل تبليغ الرسالة إليهم والقيام بها. أو سأله[8] التيسير لجميع ما[9] أمره به ونهاه عنه.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾[٢٧] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **واحلُلْ عُقدةً من لساني يفقهوا قولي**. يحتمل ما ذكرنا أنه إذا اشتد به الغضب يكِلّ[10] لسانه ويَثْقُل حتى يمنعه عن النطق به، فيظن ذلك اللعين أنه لخوفٍ صار كذلك. أو أن يكون سأل ذلك لآفة كانت بلسانه ما كان يمنعه عن التكلم به، فسأله أن يَحُلّ تلك الآفة والرُّبَّوِيّة[11] التي كانت به.

---

١ ر ع م: صدرهم.
٢ جميع النسخ: تكذيبهم.
٣ ﴿قال ربِّ إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتُلُونِ﴾ (سورة الشعراء، ١٢/٢٦-١٤).
٤ ر ع م + أنهم.
٥ ن: تكذيبه.
٦ ر ع: الرسل.
٧ جميع النسخ: الأمرين.
٨ ع: اسأله.
٩ ر ع م: بجميع ما.
١٠ م: يحمل.
١١ ر: الربوبية؛ ن: الرتوتية؛ م: الربربية. لعل الربوية مصدر صناعي من الرُّبَّى وهي العُقْدة المحْكمة (*لسان العرب*، «ربب»).

وأما قول أهل التأويل: إنه أخذ بلحية فرعون فلطمه فأراد أن يعاقبه، فقالت له امرأته: إنه فعل ذلك لأنه[1] لا يعقل؛ فأتي بِطَسْتٍ[2] من جمر وطست[3] من حُلِيٍّ فهَمّ أن يتناول من الحلي فأهوى جبريل بيده إلى الجمر فأخذه وجعله في فيه؛ فتلك الرُّتَّةُ[4] التي سأله أن يحُلّها لذلك.[5] لكن ذلك لا يعلم إلا بالوحي عن الله أنه كذلك. **والله أعلم**.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾[٢٩] ﴿هَارُونَ أَخِي﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي**، سأل ربه أن يجعل أخاه معه وزيرا له ومشاوره[6] ليتحمّل عنه بعض ما حُمّل عليه من الأثقال. إذ قيل: الوزير هو الذي يتحمّل عن المَلِك بعض ثِقَل ما حُمِّل.

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[٣١] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **أشْدُد به أزري**، قال بعضهم: قوتي، ظهري. وقال بعضهم: **أشْدُد به أزري**، أي عوني، وكذلك ذكر في حرف حفصة.[7] وقرأ بعضهم: أَشْدُدْ به أزري، على الخبر من موسى، وكذلك في قوله: وأُشرِكْه في أمري. وأما قراءة عامة القراء[8] فهي[9] على الدعاء والسؤال.[10]

وقال أبو عَوْسَجَة: **اشدد به أزري**، أي ظهري. ويقال: آزَرْتُه، أي أعنتُه. ويقال: توازروا، أي تعاونوا. واستَوْزرته، أي استعنت به، ومن هذا أُخذ الوزير. وقال القُتَبي: **أزرى**، ظهري. ويقال: آزرتُ فلانا على الأمر، أي قوّيته عليه. فأما وازرتُه، فصرتُ[11] له وزيرا. وأصل الوِزارة من الوِزْر، وهو الحمل، كأن الوزير يتحمل[12] عن السلطان بعض الثِّقَل ويرفع عنه.[13]

---

[1] م: فانه.
[2] ر ع م: طشت.
[3] ر ع م: طشت.
[4] ر: الربوبية؛ ن: لرتوتية؛ م: الربربية.
[5] انظر: تفسير *الطبري*، ١٦/١٨٦.
[6] ر ع م: يشاوره.
[7] لم أجده.
[8] ر: قرأه عامة القرة.
[9] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.
[10] ع: والسول.
[11] ر: نصرت.
[12] ع: يحتمل.
[13] ع - عنه. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٨.

وموسى[1] سأل ربه أن يُعينه بأخيه ويقوّيه[2] به فيما حمله وأن يُشركه فيما قلّده[3] من الرسالة والقيام بها، فأجابه الله بذلك[4] حيث قَالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ.[5]

**﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾[٣٣] ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **كي نُسبِّحك كثيرا**، يحتمل **كي نُسبِّحك كثيرا**، أي نصلي لك كثيرا[6] بالجماعة، لأن الصلاة بالجماعة تتضاعف على الصلاة وحده. أو أن يُعِينَ بعضنا بعضا[7] على التسبيح لك والذكر ونحوه.

**﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **إنك كنت بنا بصيرا**، أي إنك بضعفنا وعجزنا فيما حمّلتنا وقلّدتنا بصيرا، عالما. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **قال قد أوتيت سؤلك يا موسى**، أي أُعطيتَ ما سألت. وكان سأله أشياءَ فأوتي. فقوله: **سُؤْلك**[8] وسُؤالك[9] ومَسْئَلَتك لغات ثلاث كلها واحد.

**﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾[٣٧] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾[٣٨] ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **ولقد مننّا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**، الآية.

---

[1] ر ع م: موسى.
[2] ر ع: وتقوية.
[3] ر: قدره.
[4] ر: بذلك.
[5] ﴿قال سنشُدُّ عَضُدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٥).
[6] ر ع م - أي نصلي لك كثيرا.
[7] ر ع م - بعضا.
[8] ع - سؤلك.
[9] ر م - وسؤالك.

يشبه أن يكون المنة حين أنجاه في ما ابتُلي بالبرد[1] واشتباه[2] الطريق حتى قال: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ،[3] فتلك المنة الأخرى. أو أن يكون النعمة التي ذَكَر هي[4] ما أنجاه الله حيث قتل[5] ذلك القبطي[6] فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ لإياس[7] فتلك المنة التي ذكر. أو ما ذَكَر من الوحي إلى أمه **أن اقذفيه في التابوت**. [٤٧١و]

وقال بعضهم: **مننّا عليك**، مع النبوة **مرة أخرى**. ثم بيّن النعمة فقال: **إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**، إلى آخر ما ذَكَر. وإلى هذا ذهب أهل التأويل. وإلا قد كان منه إليه من المِنَن مالا يحصى. ***والله أعلم***.

ثم الكلام في ما أَلهم أمه وأُلقي في رُوعها أن تَقْذِفَه في البحر أنه يسع لها[8] أن تفعل[9] ذلك ويحِلُّ أو لا؟ إذ قد يجوز أن يكون من الشيطان مثل هذا، نحو ما قال: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ،[10] الآية، فلم يعرفوا وقت ما كلمهم بهذا هو شيطان أو غيره. فعلى ذلك يجوز أن يلقي الشيطان إليها، فكيف وسِع لها أن تعمل ما علمت من الأخطار؟[11] لكن يجوز أن يكون في ذلك الإلهامِ وما أُلقي إليها آيةٌ ومعنًى عرفتْ بذلك أن ذلك من الله لا من أحد سواه. أو أن يكون الله رفع الحجاب والموانع من قلبها[12] وصار لها ذلك كالعيان. أو صارت كالمُضْطَرَّة إلى ذلك فوسِع لها ذلك لما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وألقيتُ عليك محبة مني**، قال عامة أهل التأويل: ألقَى عليه محبةً في قلب امرأة فرعون، حيث قالت: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ،[13] الآية، لكن ألقى محبة في قلب امرأته

---

[1] ع: بالبرد.
[2] ع: واستباه.
[3] سورة القصص، ٢٨/٢٩.
[4] جميع النسخ: هو.
[5] ر ع م – قتل.
[6] ن + به.
[7] ن: لياس.
[8] ن: لهد.
[9] ر ع م: يفعل.
[10] ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عَقِبَيْه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٨).
[11] خَطَر: الإشراف على الهلاك.
[12] ر: قلبها.
[13] سورة القصص، ٢٨/٩.

وقلب فرعون أيضًا حتى كان أشفقَ الناسِ عليه وأحبَّهم إليه[1] بعد ما كان يقتل الولدان لسببه[2] ليجده ويظفرَ به. يذكره عز وجل رحمته عليه ومنته له، وهو المنة التي ذكر حيث قال: **ولقد مننا عليك مرة أخرى.**

وقوله عز وجل: **ولتُصْنَعَ على عيني**، أي ألقيتُ عليك محبة مني ولتُصْنَعَ على عيني،[3] والصنع هو فعل الخير والمعروف، أي ليُصْنَعَ[4] إليك المعروف والإحسان. وقوله: **على عيني،** قال[5] بعضهم: **على عيني**، لِتُغَذَّى[6] على حفظي، يقال: عينُ الله عليك، أي كن في حفظ الله، وهو قول الحسن وقتادة. وقال بعضهم: لتُرَبَّى على عيني، أي على علمي. والأول أشبه.[7]

[٤٧١ظ س١] *قال أبو عَوْسَجَة: **ولتُصْنَعَ على عيني**، أي تُرَبَّى بعيني. وسئل[8] عن العين فقال: العين العلم ههنا. والعين في غير هذا المالُ، والعين الأديم المتخرق؟[9] والعين المصدر، من عان يَعين فهو عائن، والمفعول به معيون إذا أصابه عين.[10] والعين الحقيقة، كقولك: هذا بعينه، أي بحقيقته. قال: والعِينة[11] السَّلَف.[12] ومثله قوله: وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا.[13] **على من يكفُله،**

[٤٧١ظ س٤] أي يضمُّه ويضمَنه.*

---

[1] رع م – إليه.

[2] رع: بسببه.

[3] رع م – أي ألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني.

[4] رع م: لتصنع.

[5] م: وقال.

[6] رع: لتعدى.

[7] قال الطبري: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ﴿ولتصنع﴾ بضم التاء لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وإذا كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به التأويل الذي تأوله قتادة، وهو: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾، ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني. وعنى بقوله: على عيني بمرأى مني ومحبةٍ وإرادة (*تفسير الطبري*، ١٦/ ١٨٩-١٩٠).

[8] ع: سيل.

[9] م: المتحرق. قيل: التعيُّن في الجلد أن يكون فيه دوائر رقيقة مثل الأعْيُن، وليس ذلك بقوي. وسِقَاء عيِّنٌ ومتعيّن: إذا رق فلم يمسك الماء (*لسان العرب*، «عين»).

[10] جميع النسخ: بعين.

[11] والعِينةُ: أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به (*لسان العرب*، «عين»).

[12] انظر لمعاني السلف وقسْمَيه كعقدٍ تجاري: *لسان العرب*، «سلف».

[13] سورة هود، ٣٧/١١.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ١-٤.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله**. أي من يضمه. [ومنه][١] يسمى كفلَ اليتيم الذي[٢] يضمه ويحفظه، وهو كقوله: أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ،[٣] أي يضمها ويحفظها. فهذا يدل أنه صار[٤] عندهم من أحب الناس إليه[٥] وأشفقهم عليه، حيث قال: **هل أدُلُّكم على من يَكْفُلُه**. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينُها**، حيث قال لها: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ،[٦] وعدها أن يرده إليها فرده.

وقوله عز وجل: **كي تقرَّ عينُها ولا تحزنَ**، أي يذهب[٧] حزنها الذي كان، لأنها قد كانت حزينة بطرحها إياه في اليَمِّ. ألا ترى[٨] أنه قال: إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ،[٩] الآية. هذا يدل أن قوله: **ولا تحزنَ**، أي [كي] يذهبَ حزنُها الذي كان لها.

وقوله: **وقتلتَ نفسا فنجَّيناك من الغم**، يحتمل أن يكون الغم الذي أخبر أنه نجّاه منه هو الخوفَ الذي كان به بقتل[١٠] ذلك القبطي،[١١] حيث قال: إِنِّي أَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ،[١٢] وقوله: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ،[١٣] ونحوه. أو نجّاه[١٤] من أنواع الغموم،[١٥] إذ كان له غموم.

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٨٥ظ.
[٢] ر ن م – الذي.
[٣] ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنتَ لديهم إذ يُلقون أقلامَهم أيُّهم يَكْفُلُ مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٤).
[٤] جميع النسخ: كان (انظر: الشرح، ورقة ٤٨٥ظ).
[٥] ر ع م: من أحب إليه الناس.
[٦] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرْضِعيه فإذا خِفْتِ عليه فألقيه في اليَمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧).
[٧] ر ع م: تذهب.
[٨] ن: ألا يرى.
[٩] ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لَتُبْدِي به لولا أن ربطْنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٠).
[١٠] ر: بقتل.
[١١] ع: بقتل بعض القبطي.
[١٢] ﴿قال ربِّ إني قَتَلْتُ منهم نفسا فأخاف أن يقتلونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٣).
[١٣] سورة القصص، ٢٨/٢١.
[١٤] ر: نجاه.
[١٥] ر ع: العموم.

وفي الآية دلالة أن لا قصاص[1] يجب في شِبْه العَمْد وإن كان الضرب بشيء لا نجاة فيه، لأن موسى صلوات الله على نبينا وعليه كانت له قوة أربعين نفرًا على ما ذُكر، فإنما لَطَمَه لَطْمَة فَقَضَى عَلَيْهِ؛ ثم قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.[2] هذا يدل أنه كان لا يَحِلُّ له قتله.[3] ثم قال: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[4] سماهم ظَلَمَة فلو كان يجب[5] القصاص لكان لا يسميهم ظلمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وفتنّاك فُتُونا**، قال بعضهم: **فُتُونا**، هو جمع فتنة، أي **فتنّاك فِتَنًا**.[6] وقيل:[7] هو مصدر الفتنة، أي ابتليناك ابتلاءً، أي بلاءً على إثر بلاء.[8] ثم يحتمل الابتلاءَ[9] في البلايا والشدائد والغموم التي ذكر أنه نجّاه منها. ويحتمل النعم والخيرات، إذ لم يكن الأنبياء في جميع الأوقات في البلاء، ولكن كانوا في وقت في بلاء وشدة وفي وقت آخر في نعمة وخير أو فتنةٍ بهما جميعا على ما أخبر وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.[10]

وقوله: **فلبثتَ سنين في أهل مدين**، هذا –والله أعلم– من المنة التي ذكر حيث قال: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى.[11] **ثم جئت على قَدَرٍ يا موسى**، قال بعضهم: بالنبوة والرسالة. وقال بعضهم: على موعود، أو **على قَدَر**، وقتَ المجيء. فكيف ما كان ففيه أن مجيء العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه، وفيه أنه يجعل الأمور بأسباب وإن كان قادرًا[12] أن يجعل بغير أسباب.

## ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واصطنعتك لنفسي**، أي اخترتك واصطفيتك لرسالتي ونبوتي. فذكر نفسه لأنه بأمره يقوم بأداء ذلك.

---

[1] ن: أن القصاص.
[2] ﴿فوَكَزَه موسى فقضى عليه قال هذ من عمل الشيطن﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).
[3] أي لا يحل عنده وفي اعتقده قتله، فإنما قتله خطأ أو شبه العمد.
[4] سورة القصص، ٢١/٢٨.
[5] جميع النسخ: فلو كان يحل القتل ويجب.
[6] ر ع م: فتونا.
[7] جميع النسخ – وقيل.
[8] ر ع م – على إثر بلاء.
[9] ر ع م – ثم يحتمل الابتلاء؛ جميع النسخ + والفتنة.
[10] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[11] سورة طه، ٣٧/٢٠.
[12] ر م – قادرا.

*[1] **واصطنعتُك،**[1] أي استخلصتك **لنفسي**. فإذا لم يَفهم من قوله:[2] **لنفسي**، ذاتَه كيف [٤٧١ظ س٣٥
يفهم [من] وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي،[3] ما يفهم[4] من الخلق؟[5] ولا يَتصور هذا وأمثاله في وهمٍ إلا
من اعتقد التشبيه و لم يعرف ربه. وإلا لو عرف ربه حقّ معرفته لكان لا يتصور في وهمه [٤٧٢و]
تشبيه الخلق به[6] ولا تشبيهه بخلقه. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.[7]* ٤٧٢و س١]

*وقال أبو عَوْسَجَة: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى،[9] أي وقت المجيء. **واصطنعتك**، [٤٧١ظ س د
أي أخلصتك لنفسي. وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي،[10] أي لا تُقصِرا ولا تَعجِزا.[11] ***والله أعلم***.* ٤٧١ظ س٧]

**﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **اذهب أنت وأخوك بآياتي**، هو ما ذكرنا. وقوله: **ولا تَنِيَا في ذكري**، أي لا تضعُفا[13] في الدعاء إلى ديني وتوحيدي. في حرف عبد الله بن مسعود: ولا تَهِنَا[14] في ذكري،[15] في البلاغ إلى فرعون أنه طغى. أمرهما أن لا يقصِرا ولا يَعجِزا في تبليغ الرسالة إليه والدعاء إلى دينه حيث قال: اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا.[16]*

**﴿اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[٤٣] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٤٤]**

/وقوله عز وجل: **فقولا له قولا لَيِّنًا**، لأن القول اللين يكون أقرّ وأثبت في القلوب وأنجع [٤٧١ظ]

---

[1] ن: واصطفيتك.
[2] ن - من قوله.
[3] سورة طه، ٤٢/٢٠.
[4] ر ع م: لم يفهم.
[5] أي كما أنه لا يسع أن نفهم من قوله: نفسي نفسًا مثل نفس الخلائق، كذلك لا يسع أن نفهم من قوله: "عيني" عينا حقيقةً.
[6] ع: وبه.
[7] سورة الإسراء، ٤٣/١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ٣٧ - ٤٧٢و/سطر ١.
[9] الآية السابقة برقم ٤٠.
[10] الآية الآتية برقم ٤٢.
[11] ر: لا تقصر او لا تعجز.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية برقم ٤٤ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ١-٧.
[13] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٢.
[14] ن: ولا تنيا؛ ع: ولا تهيا؛ م: ولا تهينا.
[15] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٠.
[16] الآيتان الآتيتان.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقات برقم ٣٩-٤١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ١-٧.

وأقرب إلى الإجابة والقبول من القول الخشن البارد، وخاصة في الملوك والرؤساء؛[1] إذ طباعهم لا تحتمل ذلك ولا ينجع[2] فيهم، بل أكثر صولتهم على من دونهم إنما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهون. فأمر عز وجل رسولَيْه[3] موسى وهارون أن يقولا له: قولا ليّنا، ويُلطِفا معاملته ليكون أقرَّ[4] وأثبت في قلبه وأنجع. ولذلك قال: **لعله يتذكر أو يخشى**. قال الحسن: كل "لعل"[5] من الله فهو على الإيجاب.[6] لأنه قد تَذَكَّر وخشِي، حيث قال: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ،[7] الآية، وحيث قال: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[8] لكن لم ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، لأنه إيمان دفع واضطرار.[9] وقال بعضهم: **لعله يتذكر أو يخشى**، في علومكم. فإن كان على هذا فهو يحتمل الشك، وإن كان على الأول فهو على الإيجاب لا يحتمل[10] الشك.

ثم اختلف في القول اللين. قال ابن عباس:[11] هو قول الله: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى،[12] فتُوَحِّد. قال: هذا القولُ اللين.[13] وعن الحسن: **قَولا ليّنا**، أي قَولا حقا، قُولا له: إن لك بدءًا[14] وإن[15] لك مرجعا.[16] وقال بعضهم: **قَولا ليّنا**، قول لا إله إلا الله. وقال بعضهم: أي كَنِّيَاه،[17] ونحوه. وأصله ما ذكره[18] بدءًا.[19]

---

[1] ع: الرؤساء.
[2] ر: تبجع.
[3] ر ع م: رسوله.
[4] ر ع م: أقرب.
[5] ن ع + هو.
[6] نقل أيضا من أبي بكر محمد بن عمر الوراق (*تفسير البغوي*، ٤/١٤).
[7] سورة الأعراف، ٧/١٣٤.
[8] سورة يونس، ١٠/٩٠.
[9] ر: واضطرد.
[10] ر: لا يحصل.
[11] ر + قال.
[12] ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكّى وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (سورة النازعات، ٧٩/١٧-١٩). انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٤٤-٣٤٥.
[13] م أخذه عن ابن عباس، ولكن عن ابن مسعود (انظر: *تفسير القرطبي*، ٦/٢٠٠).
[14] ر ن: معادا.
[15] ر ن: إن.
[16] *تفسير الحسن البصري*، ٢/١١٧ (... وإن بين يديك جنة ونارًا).
[17] ر ع م: أي لياه؛ ن: أي ليباه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦و (من التكنية، أي تكلّما معه بالكناية).
[18] ن: ذكرنا.
[19] ر: بديا.

**﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **قالا ربنا إننا نخاف أن يَفرُط علينا أو أن يطغى**. قال أهل التأويل: قوله: **أن يَفرُط علينا**، أي[1] يَعجَل[2] بالعقوبة من قبل أن يسمع حجتنا، **أو أن يطغى**، بقتلنا بعد ما سمع الحجة منا. وجائز أن يكون أحدُ هذين في الفعل والآخر في القول: **أن يفرط علينا أو أن يطغى**، أيهما كان؛ لأنه قالَ في الجواب لهما: لَا تَخَافَا[3] إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[4] أي أسمع ما يقول لكما وأرى[5] ما يفعل بكما. فهذا يدل -والله أعلم- أن قوله: **أن يَفْرُطَ علينا أو أن يطغى**، يرجع أحدهما إلى القول والآخر إلى الفعل، لأنه قال في وقت: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[6] ونحوه. ***والله أعلم***.

*وقال القُتَيْبي: **أن يَفرُط علينا**، أي[7] يَعْجَل ويُقدِم؛[8] الفَرْط، التقدم والسبق.[9] وفي الخبر [٤٧١ظ س٣٥
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا فَرَطُكم على الحوض».[10] وهو من السبق. وكذلك قال أبو عَوْسَجة: **أن يَفرُط علينا**، أي يعجَل، يقال: فرَط يفرُط فرطًا، أي عَجِلَ. وقال: وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي،[11] أي لا تقصِرا ولا تعجِزا[12] في البلاغ.* ٤٧١ظ س٣٧]

**﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٤٦]**

وقوله: **لا تخافا**، يحتمل على نفي الخوف عنهما وإثبات الأمن لهما،[14] كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[15] ليس على النهي عن الحزن، فعلى ذلك الأول. وقوله عز وجل: **إنني معكما**،

---

[1] ع: أن.
[2] ر ع م: يجعل.
[3] م: قال لا تخافا.
[4] الآية التالية.
[5] ع - أي أسمع ما يقول لكما وأرى.
[6] سورة المؤمن، ٤٠/٢٦.
[7] ع: أن.
[8] م + قالوا.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٩.
[10] صحيح *البخاري*، الرقاق ٥٣؛ وسنن *ابن ماجه*، الزهد ٣٦.
[11] الآية السابقة برقم ٤٢.
[12] ر: ولا تعجز.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ٣٥-٣٧.
[14] جميع النسخ: على نفي الخوف والأمن منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦و.
[15] ﴿لا تمُدَّنَّ عينَيْكَ إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٨٨). وانظر: سورة النحل، ١٦/١٢٧.

في النصر والمعونة لكم والذبّ[1] عنكم والدفع. **أسمع** ما يقول **وأرى** ما يفعل. وقد كان كل منه إليهما: النصر والمعونة لهما والدفع عنهما.

**﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **فأتياه فقولا إنا رسولا ربك**، يشبه أن يكون قوله: وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي[2] هذا.[3] أي لا تضعُفا في تبليغ الرسالة ولكن قُولا: **إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل**. لا يحتمل أن يكون أوّلَ ما أتياه قالا أن أرسل معنا بني إسرائيل، بل قد سبق منهما الدعاء إلى توحيد الله والإقرار له بالألوهية والربوبية. فإذا ترك الإجابة فعند ذلك قالا له: **فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما كأنه كان[4] يمنع بني إسرائيل عن الإسلام وهم أرادوا الإسلام فقال: **أرسل معنا بني إسرائيل**، ولا تمنعهم عن الإسلام. أو كان يستعبدهم فأمره أن يستنقذهم من يديه، كقوله: أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[5] ألا ترى[6] أنه قال: **ولا تعذّبهم**. وقوله: **قد جئناك بآية من ربك**، وهو ما قال: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ.[7]

وقوله: **والسلام على من اتبع الهدى**. هذا يدل أنه لا يُبدأ بالسلام على أهل الكفر، ولكن يبدأ بأهل الإسلام. وفيه أن تحية أهل الإسلام هو السلام لا قول الناس: أطال الله بقاءك،[8] ونحوه.

**﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى**، كأنه قال: وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[9] **والعذاب على من كذب وتولّى**. والسلام هو اسم كل خير وبرّ.*

---

[1] ر ع: والذب.
[2] سورة طه، ٤٢/٢٠.
[3] أي يفسَّر بهذه الآية.
[4] ن: كن كأنه.
[5] ﴿وتلك نعمة تمنُّها عليَّ أن عبّدت بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ٢٢/٢٦)
[6] ن: ألا يرى.
[7] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[8] جميع النسخ: بقائك.
[9] الآية السابقة.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين رقم ٤١ و٤٥، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧١ ظ، سطر ٣٥ - ٤٧٢ و، سطر ١.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[٤٩] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٥٠]

وقوله[1] عز وجل: **قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلْقه ثم هدى**، وقال في آية أخرى: [قَالَ فِرْعَوْنُ] وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،[2] الآية، و رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا.[3] سأله عن ماهيته[4] فأجابه موسى عن آثار صنعه في خلقه وأنه رب كل شيء ورب[5] ما ذَكَر. لم يجبه عما سأله من ماهيته[6] وكيفيته، حيث قال: **فمن ربكما يا موسى؟** فجوابه عن الماهية:[7] ربُّنا فلان وأنه كذا. ففيه دلالة أن الله لا يُعرف من جهة الماهية[8] والكيفية؛ إذ لا ماهية[9] له ولا كيفية، إذ[10] هما أوصاف الخلق، فإنه سبحانه يتعالى عن أن يوصف بشيء من صفات الخلق. [٤٧٢و]

ثم يحتمل قوله: **أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقه ثم هدى**، وجوها. أحدها أعطى كل شيء صورته وهيئته؛ أو أنْ أعطى كل شيء جنسه وشكله؛ أو أنْ أعطى كل شيء[11] ما به معاشُه وقوامه. أو أن يقال: أعطى كل شيء خلقه[12] يكون [بعد الفناء][13] صورةً ما قد كان[14] ليعلم أنه قادر على بعثهم على الصورة التي كانت.

وقوله عز وجل: **ثم هدى**، فهو على قوله: **أعطى كل شيء خلْقه**، فإن كان التأويل **أعطى كل شيء** صورته وهيئته فقوله: **ثم هدى**، للنجاة؛ وإن كان **أعطى** جنسه وشكله ثم هداه للنسل؛

---

[1] ع + وقوله.
[2] سورة الشعراء، ٢٦/٢٣-٢٤.
[3] سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.
[4] ر: مائية؛ ع م: مائيته. المائية والماهية مصدران مجعولان من "ما" في نفس المعنى؛ ولكن الأخرى -بالتسهيل- شاعت لكونها أسهل للنطق.
[5] ن: رب.
[6] ر: مائة؛ ع م: مائيته.
[7] ر ع م: مائية.
[8] ر ع م: مائية.
[9] ر ع م: مائة.
[10] ن: -.
[11] ن + خلقه.
[12] ر ع م - صورته وهيئته أو أن أعطى كل شيء جنسه وشكله أو أن أعطى كل شيء ما به معاشه وقوامه أو أن يقال أعطى كل شيء خلقه.
[13] الزيادة من الشرح، ورقة ٤٨٦و.
[14] ر ع م + معاشه وقوامه؛ ن + ومعاشه وقوامه.

وإنْ كان[1] قوله: **أعطى كل شيء**، ما به معاشُهم وقوامهم. ثم هداهم[2] لما يتعيشون به ويقومون به، وهداهم[3] لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[٥١] ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب**، قال بعضهم: إنما سأل فرعون موسى عن القرون الأولى، لأنه سمع من ذلك الرجل المؤمن حين قال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ،[4] ولم يكن لموسى بهم علم فوكَّل علمهم إلى الله، ثم أنزل الله عليه التوراة فبيَّن له فيها أمرهم. وقال بعضهم: سأل فرعون موسى ذلك، لأن موسى أخبر أنه يُبعث وخوَّفه على ذلك، فعند ذلك قال: **فما بال القرون الأولى**، لم يُبعثوا منذ أُهلكوا؟ فقال له ما قال. وقال بعضهم: قوله: **فما بال القرون الأولى**، إنما سأله عن حال القرون الأولى أهم في الجنة أم[5] في النار؟ فقال: **علمها عند ربي**. وقال بعضهم: إنما سأله عن أعمالهم، فما أعمال القرون الأولى؟ فقال: **علمها عند ربي**، أي أعمالهم عند ربي في كتاب، كقوله: كِتَابٌ[6] مَرْقُومٌ،[7] وقوله: سَائِقٌ وَشَهِيدٌ.[8]

[٤٧٢و س٣١] *وقال بعضهم: **فما بَالُ القرون الأولى**، أي ما حالها؟ يقال: أصلح الله بالك، أي حالك.*

وقوله: **في كتاب**، قال بعضهم: الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم. وقال بعضهم: في اللوح المحفوظ. **لا يضل ربي ولا ينسى**، قال: هما[10] واحد، **لا يضل ولا ينسى** ذلك الكتاب.

[1] ر ع م - كان.
[2] جميع النسخ: ثم هداه.
[3] جميع النسخ: وهداه.
[4] سورة المؤمن، ٣٠/٤٠.
[5] جميع النسخ: أو، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ.
[6] ر ع م - كقوله كتاب.
[7] ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سِجّين وما أدراك ما سِجّين كتاب مرقوم﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٧-٩).
[8] ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٠-٢١). قال المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قال بعضهم: السائق الذي يقبض روحه، والشهيد الذي يحفظ عمله. وقال بعضهم: السائق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته، والشهيد الذي يكتب حسناته» (*تأويلات القرآن*، نشر الحيمي، ٥٦٢/٤).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٤. فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٢و/سطر ٣١-٣٢.
[10] أي الضلالة والنسيان.

وقرئ: لا يُضِلُّ، أي لا يُضِلُّ [ربي] من خُتم بالهدى؛ ولا يُضَل، أي لا يُضَل ذلك الكتابُ الذي ذَكَر.[1] ليس أنه يرجع إلى قوله: فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى.[2]

**﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **الذي جعل لكم الأرض مهدا**، هو على قوله: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.[3] **الذي جعل لكم الأرض مهدا**، أي فراشًا؛ والذي[4] **سَلَكَ لكم فيها سبُلاً**، والذي **أنزل من السماء ماء**. يذكر نعمه التي أنعمها عليهم. يقول: **جعل لكم الأرض**، بحيث تفترشون وتتعيشون[5] فيها وتَقِرُّون عليها بعد ما كانت تَمِيدُ بكم. **وسَلَكَ لكم فيها سبُلاً**، أي طرقا تسلكون فيها وتختلفون إلى البلدان[6] النائية في حوائجكم وما به معاشكم وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قُضيت حوائجكم. **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به**، أي الماء، **أزواجا من نبات شَتَّى**، ما به معاشكم وقوامكم وقوام[7] أنعامكم على اختلاف ما جعل لكل[8] دابة من ذلك قوتا وغذاء[9] لم يجعل ذلك لغيرها. لأن من الدواب ما يأكل النبات، ومنها ما يأكل الحَبَ، ومنها ما يأكل اللحم ونحوه.

**﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[٥٤]**

**كلوا وارعوا أنعامكم**، أي كلوا أنتم ما به قوامكم، **وارعَوْا أنعامكم** فيما به[10] قوامها. **إن في ذلك لآيات لأولي النُّهَى**. قال بعضهم: **لأولي النُّهَى**، أي لأولي العقول. وقال الحسن: **إن في ذلك لآيات** للذين يتناهَوْن عما نُهوا عنه.[11] وقال بعضهم: **لآيات لأولي** الورع.

---

[1] «أي لا يَضل ذلك الكتابُ من ربي ولا يَفقد ولا يَعدم» (*الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ).
[2] سورة طه، ١٢٣/٢٠. أي ليست هذه الضلالة كالضلالة في هذه الآية بمعنى السيان.
[3] سورة طه، ٥٠/٢٠.
[4] ر: الذي.
[5] م – وتتعيشون.
[6] ع: لبلدان ن.
[7] ر – وقوام.
[8] م: الكل.
[9] ن: وغداء.
[10] ع – قوامكم وارعوا أنعامكم فيما به.
[11] لم أجد عن الحسن ولكن عن الضحاك. انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٦٩/٢.

وأولو النُّهَى[1] هم أهل العقول، لأنه بالعقل يُنهَى وبه[2] يُنتهى وبه يؤمر ويُؤتمَر، فذلك آيات لهم. وكذلك قال القُتَبِي: **لأولي النُّهَى**، أولي العقول، وقال: النُّهْيَة العقل.[3]*

﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **منها خلقناكم وفيها نُعِيدكم**. يحتمل قوله: **منها خلقناكم**، وجوها. أحدها منها خلقنا أصلكم، وهو خلق آدم. لكنه أضاف خَلْقَنا إليها[5] وإن لم نُخلَق[6] منها، كما أضاف الإنسان إلى النطفة وإن لم يكن الإنسان منها، لكنه أضاف إليها لأنها أصل الإنسان. فعلى ذلك إضافة خلق أنفسنا إلى الأرض. والثاني نسبَنا إليها لأنا من أول ما ننشأ[7] إلى آخر ما ننتهي[8] إليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الأرض، فنَسَب خلقنا إليه. وهو ما قال: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا،[9] واللباس على هيئةٍ ما هو لم يَنزل من السماء،[10] لكنه أضاف إليها[11] لأنه كان بأسباب من السماء وأصله منها.[12]

وقال بعضهم: ذُكر أن المَلَك ينطلق فيأخذ من تراب ذلك المكان الذي يُدفن فيه الإنسان فيذره[13] على النطفة التي قضى الله منها الولد فيُخلق من التراب والنطفة، فذلك معنى الإضافة إليها. لكن هذا سمعي لا يعرف إلا بالخبر. فإن ثبت فهو هو، وإلا لا يجوز أن يقال ذلك رأيًا.

[٤٧٢ظ] وقوله عز وجل: **وفيها نعيدكم**، / يحتمل قوله: **وفيها نعيدكم** إذا متم، أي تُقبرون فيها. فيخرج مخرج الامتنان علينا، وذلك لنا خاصة دون غيرنا[14] من الحيوان لئلا نَتَأذَّى[15] بهم،

---

[1] ر ع م: وأولي النهى.
[2] م - ينهى وبه.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٩.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية برقم ٥٤ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٢و/سطر٣١-٣٢.
[5] جميع النسخ: إليه. أي إلى الأرض.
[6] ر ع م: لم يحلق.
[7] د: ينشأ.
[8] د: ينتهي.
[9] سورة لأعراف، ٧/٢٦.
[10] أي و لم يقل لله عز وجل أنه أنزل اللباس "من السماء". فمعنى الإنزال تصيير الناس بمرتبة عقل يوجدون بها اللباس؛ كما في كشف الحديد.
[11] جميع النسخ: إليه.
[12] جميع النسخ: وأصل منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ.
[13] م: يبذره.
[14] ن: غيرها.
[15] م: لئلا يتأذى.

كقوله: ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ.[١] أو أن يكون قوله: **وفيها نعيدكم**، أي تصيرون ترابًا إذا متم. فيخبر عن قدرته وسلطانه، أي من قدر على أن يصَيِّرَ الإنسانَ ترابًا بعد أن لم يكن ترابًا لقادر على أن يُصَيِّرَ إنسانا على ما كان بعد ما صار ترابا. وهو ما قال **ومنها نُخرِجكم تارة أخرى**. أي منها نبعثكم ونُنشِئكم مرة أخرى. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾[٥٦]**

وقوله عز وجل: **ولقد أريناه آياتنا كلها**، ولم يُرِهِ جميع آياته إنما أراه بعض آيته، لكن إن كان المراد منها الإعلام له فقد أعلم[٢] الآيات كلَّها، لأنه إذا أراه آية واحدة أو بعض الآيات فرؤية آيةٍ واحدةٍ أو بعضها تدل على إعلام غيرها من الآيات؛ فهو على الإعلام، قد أعلمه كلها. وهو ما قال له موسى: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [بَصَائِرَ].[٣] علم اللعين أنها آيات وليست[٤] بسحر. أو أن يكون يريد بالآيات كلِّها[٥] الآيات التي أرسلها إلى موسى؛ فقد أراه ذلك كلها. **فكذب** بتلك الآيات **وأبى** أن يصدقها ويقبلها[٦] فيُسلِم.

**﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**، قد علم اللعين أنه لم يجئهم ليخرجهم من أرضهم ولكنه يريد منهم الإسلام، لكنه أراد أن يُغْري قومه عليه كقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[٧] فهذا إغراء منه قومه عليه.

**﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نُخلِفُه نحن ولا أنت مكانًا سُوَى**، قال بعضهم: **سُوَى**، المكان الذي نحن فيه الآن وغير هذا المجلس.[٨] وقال بعضهم: مكانا عدلا، لا نخلف نحن وأنت ذلك المكان. وقال بعضهم: **مكانا سُوَى**، أي مَنْصَفًا.

---

[١] سورة عبس، ٢١/٨٠.
[٢] ع: عـم؛ ن + له.
[٣] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[٤] جميع النسخ: أنها الآيات و ليس؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٨٦ظ.
[٥] ر + الآيات كلها.
[٦] ر: ويقبها.
[٧] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[٨] أي في نفس المكان ولكن في وقت آخر.

وقال القُتَبِي: **مكانا سُوَى.** أي وسطا بين فريقين.[1] وقال[2] الكسائي: سُوى وسِوى، يريد به سواء، وهما لغتان إلا أنه يقرأ **سُوَى**. وقال أبو عبيدة: هو مثل قوله طِوًى وطُوًى،[3] وهو النَّصَف.[4]

**﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾**[٥٩]

وقوله عز وجل: **قال موعدكم يوم الزينة**. قال بعضهم: يوم عاشوراء،[5] وقال بعضهم: يوم العيد، وقال بعضهم: يوم سُوقهم؛ لكنا لا نعلم ذلك وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة. وهم قوم قد عرفوا ذلك حيث رضوا بذلك ولم يتنازعوا فيه.

وقوله عز وجل: **وأن يُحشر الناس ضحى**، بينوا اليوم وبينوا الوقت وهو وقت الضحى. **وأن يحشر الناس ضحى**، قال بعضهم: أي نهارًا جِهارًا، كقوله: أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى،[6] نهارًا، يعني جهارًا.

**﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **فتولى فرعون**، أي أقبل على أمره **وجمع كيده**، ليس على الإعراض عما دَعَوا[7] إليه **ثم أتى** بهم. وهو كقوله: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ،[8] أي أقبل على السعي في الأرض بالفساد.

**﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾**[٦١]

وقوله عز وجل: **قال لهم موسى وَيْلَكم لا تفتروا على الله كذبا**، هذا يحتمل وجهين.[9] أحدهما **لا تفتروا على الله كذبا**، فيما بَانَ لكم الحق وظهر لكم الحجة[10] باتخاذكم فرعون إلها،

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٩ (هنا: "بين قريتين"، إلا أن "بين فريقين" أقرب إلى الصواب. كذا في تفسير البغوي، ١٨/٤).
[2] ن: قال.
[3] ر ع م - قوله طوى و.
[4] انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٠/٢. وأكثر كلام العرب بالفتح إذا كان في معنى نَصَف وعَدْل، فتحوه ومَدُّوه، والكسر والضم مع القصر عربيان (لسان العرب، «سوى»).
[5] ر ن ع: عاشورا.
[6] ﴿أَوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضُحًى وهم يلعبونَ﴾ (سورة الأعراف، ٩٨/٧).
[7] ر ع: دعوا.
[8] ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ (سورة البقرة، ٢٠٥/٢).
[9] ع: وجوها وجهين
[10] ر + فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة.

لأنكم إذا اتخذتم دونه [و]سواه إلها -ولا إله غيره- فقد افتريتم عليه. والثاني **لا تفتروا على الله كذبا**، فيما بَانَ لكم الحق وظهر لكم الحجة،[1] فلا تفتروا على الله كذبا بقولكم: إنه سحر وإنه كذا.[2]

وقوله عز وجل: **فَيُسْحِتَكُمْ بعذاب**، برفع الياء ونصبها جميعا. **فَيُسْحِتَكُمْ**، قال أبو معاذ: يقال: أسحته وسَحَته وقهره وأقهره. وقال[3] أهل التأويل: أي يهلككم ويستأصلكم بعذاب. ثم يحتمل ذلك العذاب في الدنيا؛ أوعدهم بعذاب يأتيهم إذا افتروا على الله كذبا بعدما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة. وقوله: **وقد خاب من افترى**، في الدنيا و الآخرة.

*قال القُتَبِي: **فيُسْحِتَكم**، أي يهلككم ويستأصلكم، يقال: سَحَته الله وأسحته.[4]* [٤٧٢ظ س١٢]

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[٦٢] ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى**، قال بعضهم: قوله: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى**، أي السحرة فيما بينهم سرًّا من فرعون، فذلك قوله: **وأسرُّوا النجوى**، [أي] من فرعون **وقالوا**[6] **إنْ هذان لساحران**، يعنون موسى وهارون. وقال بعضهم: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى** من موسى وهارون، فنجواهم أن[7] قالوا: **إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما**. والأشبه هذا أنهم اعتزلوا قومهم **وأسرُّوا النجوى** عنهم فيما بينهم أنهما كذا.

ثم قوله: إنّ هذان، بالألف،[8] قال أبو عبيدة: هذه لغة قوم من العرب.[9] يقال: مررت برجلان[10] ورأيت رجلان، فهو على تلك اللغة. وقال بعضهم: إنّ هذه الألف لا تسقط في الوُحْدان[11] بحال،

---

[1] ع - باتخاذكم فرعون إلها لأنكم إذا اتخذتم دونه سواه إلها ولا إله غيره فقد افتريتم عليه والثاني لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة.
[2] ر ع م: كذب.
[3] ر: قال.
[4] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٨٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٢.
[6] جميع النسخ: فقال لهم.
[7] ع - أن.
[8] قرأ بتشديد النون ابن كثير، وبالياء ساكنة بعد الدال أبو عمرو (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٩١).
[9] انظر: *مجاز القرآن*، ٢/٢١ (وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الإثنين في موضع الجر والنصب).
[10] ر ع م - برجلان.
[11] ر ع: الوجدان.

يقال: مررت بهذا ورأيت هذا، ونحوه، فهو كالأصل لا يحتمل السقوط في الأحوال كلها: في الوُحْدان[1] والتثنية. وقال بعضهم: إنّ هذان لساحران. أي نَعَمْ هذان، وذلك لغة قوم أيضا، يقولون "إنّ" مكان "نَعَمْ"، كقول القائل في آخر بيته: "فقلت إنّهْ"،[2] أي نعم. وقال بعضهم: لا، ولكن هذا خطأ[3] من الكاتب.[4] وكذلك روي عن عثمان أنه لما نظر في الكتاب فقال: "إني أرى فيه خطايا فيقوّمها العرب بألسنتها"،[5] أو كلام نحو هذا.[6]

وقوله عز وجل: **يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما**، هذا القول إنما أخذوه[7] [٤٧٣و] من فرعون حيث قال: يُرِيدُ / أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[8] الآية، وقوله أيضا حيث قال: أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى،[9] علم فرعون أن ذلك ليس بسحر، لكنه أراد أن يُغري قومه عليه لئلا يتبعوه.

وقوله عز وجل: **ويَذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، اختلف فيه. قال الحسن قوله: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي بعَيْشكم أمثلَ العَيْش؛ لأنهم كانوا جبابرة وفراعنة، وكان[10] بنو إسرائيل لهم[11] خَدَما وخَوَلاً، يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم، فكان تعَيُّشهم[12] بهم، فقال: **ويَذْهَبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي يذهبا بأمثل عيشكم، حيث قال له موسى: فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.[13] قال بعضهم: **بطريقتكم المُثْلَى**، أي يذهبا بدينكم ومذهبكم الأمثل، لأنه يقول: إن الذي يدعوهم هو إليه هو الرشاد، وإن الذي يدعوهم موسى إليه هو باطل وإنه سحر وفساد،

---

[1] ر ع: لوجدان.

[2] أنشدوا لابن قيس الرُّقَيّات: "بَكَرَتْ عليّ عواذِلي / يَلْحَيْنَنِي وأَلومُهُنَّهْ / ويَقُلْنَ: شَيْبٌ قدْ علا / كَ، وقد كَبِرْتَ، فقلتُ: إنَّهْ." أي إنه قد كان كما تَقُلْن (انظر: *لسان العرب*، «ان»؛ *وتفسير البغوي*، ١٩/٤).

[3] ر: خطاب.

[4] كما أن في مصحفي زيد بن ثابت وابن الزبير "إنّ هذين" (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٢٢٨، ٢٣٨).

[5] انظر لتقييم هذه الرواية: *مناهل العرفان في علوم القرآن* للزرقاني، ٣٨٦/١-٣٨٧.

[6] ر: أو نحو هذا؛ ع م: ونحو هذا.

[7] جميع النسخ: أخذوا.

[8] ﴿قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ (سورة الشعراء، ٣٤/٢٦-٣٥).

[9] سورة طه، ٥٧/٢٠.

[10] ر ع م: وكانوا.

[11] ر ن م - لهم.

[12] ع: يعيشهم.

[13] سورة طه، ٤٧/٢٠.

كقوله: دَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ،[١] وحيث قال: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ،[٢] وحيث قالوا: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ،[٣] ونحوه. يدَّعي أن ما يدعوهم إليه هو الرشاد وأن الذي يدعو موسى إليه [هو] السحر والفساد. وقال بعضهم: قوله: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي خيارِكم وأشرافِكم والأمثل[٤] منكم.*

وقال [القُتَبِي]: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي الأشراف، ويقال:[٦] هؤلاء طريقة قومهم، أي أشرافهم اشتقاق الطريقة من الشريف[٧] ويقال: أراد بسنّتكم ودينكم. **والمُثْلَى** مؤنث أمثل، مثل كبرى وأكبر. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ،[٨] أي حيلكم.[٩] وقال أبو عَوْسَجَة: **بطريقتكم المُثْلَى**، أي بدينكم الأفضل، وهو من الأمثل.*

**﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **فأجمِعوا كيدكم**، حرف الإجماع يستعمل في العزم مرة والاجتماع ثانيا. أما في العزم فما ذكر في الخبر: «لا صوم لمن لم يُجمِع رأيه من الليل»،[١١] أي لمن لم يعزم، على ما روي [نفس] الخبر: «لا صوم لمن لم يعزم من الليل».[١٢] وأما الاجتماع فظاهر.[١٣] فإن كان على الاجتماع فكأنه قال: فاجتمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه؛ وعلى العزم، أي اعزِموا شيئا واحدا واقصِدوا أمرا واحدا لكي تغلبوا. **ثم ائتوا صفًّا**، قال بعضهم:

---

[١] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.

[٢] ﴿قال فرعون ما أُريكم إلا ما أرَى وما أهديكم إلا سبيلَ الرشاد﴾ (سورة المؤمن، ٢٩/٤٠).

[٣] ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أَتَذَرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويَذَرَك وآلهتك﴾ (سورة الأعراف، ١٢٧/٧).

[٤] ر ن + فالأمثل.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٢.

[٦] ع: يقال.

[٧] لا يوجد "اشتقاق الطريقة من الشريف" في القتبي (انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠).

[٨] الآية الآتية.

[٩] م: حيلتكم. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فأخرناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٥-١٧.

[١١] عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». (...) معنى هذا عند بعض أهل العلم: لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان أو في قضاء رمضان أو في صيام نذر إذا لم ينوه من الليل لم يجزه. وأما صيام التطوع فمباح له أن ينويه بعدما أصبح. (*سنن الترمذي*، الصوم ٣٣).

[١٢] *المرجع السابق*.

[١٣] ر ن ع: ظاهر.

جميعا غير متفرقين. وقال بعضهم: ثم **ائتوا صفا**، أي المصلّى الذي كان موعودَ الاجتماع وهو يوم الزينة.

|٤٧٣و س ١٥ *وقال أبو عبيدة: **ثم ائتوا صفًّا**، أي مصلًّى، والصف المصلى.[1] وقال: حكي عن بعضهم أنه قال: ما استطعت أن آتي الصف أمس،[2] أي المصلَّى.[3] وقال القُتَبِي: **صفا**، أي جميعا.[4]

٤٧٣و س ١٧| وكذلك غيره من أهل التأويل. وقوله: **من استعلى**، أي غلب.*

وقوله عز وجل: **وقد أفلح اليوم من استعلى**، قيل:[6] من غلب، كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[7] أي غلب. وجائز أن يكون قوله: **[من] استعلى**، أي مَن طلب العلو وأراد أن يُسْعَد بما وعد فرعون للسحرة من الأجر إن[8] كانوا هم الغالبين، كقوله: أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ،[9] فذلك هو ما طلبوا منه، فأخبر أنهم **يظفرون** بذلك. هذا إذا كان القول من فرعون. ***والله أعلم***.

**﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾**[٦٥] **﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾**[٦٦]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا**، إنما ألقَوْا بأمر من الله وإذن منه. وقوله عز وجل: **فإذا حبالهم وعصيهم يُخيّل إليه**، إلى موسى، **من سحرهم أنها تسعى**.

**﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾**[٦٧]

**فأوجس في نفسه خيفةً موسى**، وقع في قلبه الخوف، وخاف إذ صنع القوم ما صنعوا من السحر. ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين. أحدهما خاف على ما طُبع البشر عليه من خوف الطبع،

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠؛ و*تفسير البغوي*، ٤/٢٠.

[2] جميع النسخ: اليوم. والتصحيح من *مجاز القرآن*، ٢/٢٣.

[3] *مجاز القرآن*، ٢/٢٣.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٦٣، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٥-١٧.

[6] ن: قتل.

[7] سورة القصص، ٢٨/٤.

[8] ن: إذا

[9] سورة الشعراء، ٢٦/٤١-٤٢؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ٧/١١٣-١١٤.

لا خوف غلبة، لأنه قال لهم: مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ.[١] كان يعلم صلوات الله على نبينا وعليه أن تمويهاتِ السحرة[٢] لا تُبطل حجج الله وآياتِه، فدل ذلك أنه خاف خوف الطبع والجِبِلَّة، لا خوف القهر والغلبة. أو أن يكون خوفه لِمَا أخذ سحرُ أولئك أعينَ الناس، خاف موسى أن يمنعهم ذلك عن أن يبصُروا ما جاء هو من[٣] الآية والبرهان. وقال بعضهم: خاف أن يشكُّوا فيه فلا يتابعوه، أو يشك[٤] فيه من تابعه. وهو ما ذكرنا قريبا منه. *والله أعلم*.

**﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾[٦٨]**

وقوله عز وجل: **قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**، أي الغالب. فإن كان الخوف الذي ذكر خوف طَبع وما جُبِل عليه المرء فيكون قوله: **لا تخف**، على تسكين القلب وتثبيته. وإن كان الثاني فهو على البِشارة له والإخبار على أن يمنع سحرُ أولئك عن أن يبصروا ما تأتي بهم أنت من الآية. *والله أعلم*.

**﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٦٩]**

وقوله عز وجل: **وألق ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا**، هذا يدل أن سحر أولئك إنما صار بعد ما ألقَوا ما في أيديهم، لم يكن سحرا وقت كونه في أيديهم، وكذلك عصا[٥] موسى إنما صارت آية وحجة بعد ما ألقاها من يده، لم تكن[٦] وقت كونها في يده كذلك، حيث قال: **وألق ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا**، أي تَلْقَمْ وتأكل ما صنعوا، **إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح / الساحر حيث أتى**، أي لا يفلح الساحر حيث أتى بسحره، وإلا قد أفلح سحرة فرعون. وفي حرف ابن مسعود "أين أتى".[٧] وقال بعضهم: **حيث** كان. وحيث وحوث لغتان، [٤٧٣ظ]
وهو قول الكسائي.[٨]

---

[١] سورة يونس، ٨١،١٠.
[٢] ر غ م: السحر.
[٣] غ – من.
[٤] ن: أو تشك؛ م: فلا يتابعوا ويشك.
[٥] ر غ م: عصى؛ ن: عصاء.
[٦] ر غ: لم يكن.
[٧] كتاب *المصاحف* لابن أبي داود، ٦٠.
[٨] لم أجد عنه، ولكن بعض العرب زعموا أن أصلها الواو (انظر: *لسان العرب*، «حيث»).

[٤٧٣ظ س٧ *وقال القُتَبي: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى،[١] أي أضمر خوفا.[٢] وقال غيره: وقع في قلبه. **حيث أتى**. حيث[٣] كان. وقال أبو عَوْسَجَة: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ،[٤] أي يَظنّ. يقال: يخيّل إليّ، أي يُريني فهمي وعلمي أن هذا الشيء كذا وكذا. فَأَوْجَسَ، أي أحس. **تلقف** وتلقّم واحد.* ٤٧٣ظ س١٠]

**﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[٧٠]**

وقوله عز وجل: **فألقي السحرة سجّدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى**. لأنهم عرفوا حقيقة ما أتى بهم موسى فعلموا أنه سماوي وأنه آية ليس بسحر، فآمنوا إيمانا لم يرتابوا فيه قط. وهذا يدل أن كل ذي بصر وعلم في شيء يكون أبصر وأعلم في ذلك الشيء من غيره، حيث لم ينظروا لما رأوا ما أتى به موسى وعاينوا وقتا يُنظر[٦] فيه، بل لسرعة معرفتهم ذلك[٧] لم يملكوا أنفسهم، بل أُلْقُوا على وجوههم على ما أخبر حيث قال: **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ** سَاجِدِينَ،[٨] و **سجّدا**.*

**﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[٧١]**

وقوله عز وجل: **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر**، قال بعضهم: يعني موسى، وقال بعضهم: كبيرُ السحرة الذي علّم غيرَه السحر. وقال في آية أخرى: إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا،[١٠] الآية. قد علم فرعون[١١] أن ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به، لكنه أراد أن يُمَوِّه على قومه ويُلَبِّس عليهم أمر موسى وما جاء من الآيات والحجج، لأنه هو الذي ربّاه ونشأ بين ظهرانَيْه وأهله، فعلم أنه لم يتعلم السحر من أحد.

---

[١] الآية ٦٧.
[٢] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.
[٣] ر ن - حيث.
[٤] سورة طه، ٦٦/٢٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٧-١٠.
[٦] ر ع م: ينظرو.
[٧] ع + الشيء من غيره حيث لم ينظرو لما رأوا ما أتى به موسى وعاينوا وقتا ينظر فيه بل لسرعة معرفتهم ذلك.
[٨] ﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ (سورة الشعراء، ٤٦/٢٦-٤٨).
* وقعت هناك قطعة من تفسير الآيات ٦٦ و٦٧ و٦٩ فقدمناها إلى هنالك، انظر: ٤٧٣ظ/سطر٧-١٠.
[١٠] سورة الأعراف، ١٢٣/٧.
[١١] ن + لعنه الله.

ثم[1] لَمَّا فارقه وخرج من عندهم إلى مَدْيَنَ لم يكن هناك ساحر[2] يتعلم منه السحر، لكنه أراد التمويه والتلبيس على قومه. وكذلك أهل مكة حيث نسبوا رسول الله إلى السحر والكهانة ولافتراء والجنون وغيره، علموا أنه ليس بساحر ولا كاهن ولا مجنون ولا مفترٍ، لأنه نشأ بين ظُهُرهم صغيرا لم يؤخذ عليه كذِبُ قطُّ على أحد من الخلائق، فكيف على الله تعالى؟ ولا رأوه اختلف إلى أحد من السَّحَرة والكَهَنة في تعلم ذلك، لكنهم أرادوا بذلك التمويهَ[3] والتلبيس على الناس لئلا يتّبعوه ولا يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه من دين الله وتوحيده.

ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم الآيات المعجزة[4] ولا الحجج النَّيِّرة كانت أنفسهم وما عليه طُبِعوا من السيرة الحسنة والأخلاق الكريمة الجميلة وما اختاروا من الأمور العظيمة الرفيعة دالةً على رسالتهم ونبوتهم، فكيف وقد جاءوا بالآيات المعجزة والبراهين النَّيِّرة؟ وما طُبِع السحرة من السيرة المذمومة والأخلاق الدنية والأمور الخسيسة[5] يدل على كذبهم وافتعالهم،[6] فكيف أشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة، والتمويهِ[7] من الحجة؟ لكنهم أرادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه[8] على قومهم. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فلأقطِّعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلِّبَنّكم في جذوع النخل،** يشبه أن يكون هذا الوعيد منه في وقتين. أوعدهم أولاً بقطع اليد والرجل من خلاف على الإبقاء،[9] رجاءَ أن ينتهوا عما اختاروا، فإذا لم ينتهوا عنه فعند ذلك أوعدهم بالقتل والصلب. إذ في القتل والصلب إتلاف ما دونه من الجوارح. فإن كان على هذا ففيه أن كل حدٍّ يراد به الإبقاء فإنه لا يُؤتَى على الجوارح كلها. والقطع في السَّرِقة[10] يراد به الإبقاء، لذلك لا يؤتى على الجوارح كلها. وكذلك قُطَّاع الطريق، إذ يراد به الإبقاء لم يُزَدْ على قطع اليد والرجل من خلاف.

---

[1] ر ع م – ثم.
[2] ر ع م – ساحر.
[3] ع: التموية.
[4] ر ع م: والمعجزة.
[5] ن: الخسيسة.
[6] ر ن – وافتعالهم.
[7] ر ع: لتموية.
[8] ر ع: التموية.
[9] ر: الإيقاع. أي على إبقاء أنفسهم.
[10] ر ع م + قد.

[٤٧٣ط س٣٨] *قال أبو عَوْسَجَة: **جذوع النخل**. ساق النحل وأصله.*

وقوله عز وجل: **أيُنا أشد عذابا وأبقى**، لو ذاق اللعين شيئا من عذاب ربه لم يقل مثل هذه المقالة، ولولا ما عرف من حلم ربه وإلا لم[٢] يتجاسر أن يتكلم بمثل هذا ويُوعِدَهم أن عذابه أشد من عذاب الله تعالى.

**﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**[٧٢]

وقوله عز وجل: **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات**، أي لن نؤثرك بالربوبية والعبادة لك والطاعة على ما جاءنا من البينات على ربوبية الله وألوهيته وعبادته. وقوله: **والذي فطرنا**، قال بعضهم: **لن نؤثرك**، أيضا على الذي خلقنا. لكن غيره كأنه أشبه، وهو أن قوله: **والذي فطرنا**، على القسم، أي بالذي فطرنا. كأنهم آيسوه[٣] عن العود إلى عبادته وخدمته.

وقوله عز وجل: **فاقض ما أنت قاض**، ليس على الأمر، لكن على الإياس عن ذلك، أي إنك وإن فعلت بنا ما أوعدت فإنا لا نؤثرك. وقوله عز وجل: **إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**، أي إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا.

**﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**[٧٣]

وقوله عز وجل: **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله[٤] خير وأبقى**، يحتمل قوله: **والله خير** معبودٍ وثوابه **أبقى** من ثواب غيره. أو أن يكون هذا جواب قوله: **ولتعلمُنّ أينا أشد عذابا وأبقى**، فيقول: عذاب الله أبقى. *والله أعلم*.*

**﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾**[٧٤] **﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**، أصل[٦] هذا -والله أعلم-

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٧٣، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.
[٢] ع - لم.
[٣] جميع النسخ: اياسوه.
[٤] ر + أعلم.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٧١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.
[٦] م - أصل.

أن من قبل من الله حياته بالشكر وطيّبها بالأعمال الصالحات طيّب الله حياته وعيشه في الآخرة؛ [٤٧٤و]
ومن[1] لم يقبل حياته من الله بالشكر في الدنيا بل كفر بها وخبّثها وقبّحها بالأعمال القبيحة الخبيثة الدنية خبُثت[2] حياته في الآخرة وعيشه.

وقوله عز وجل: **فأولئك لهم الدرجات العُلَى**، هي ما ترتفع وتعلو؛[3] والدَّرَكات ما تتسفَّل وتنحدر[4] في الأرض. والدرجات للمؤمنين في الآخرة لاختيارهم في الدنيا الأعمال الصالحة الرفيعة العالية.[5] فعلى ما اختاروا في الدنيا من الأعمال الرفيعة العلية[6] فلهم في الآخرة مقابلَ ذلك الدرجات العلى. وأما الدَّرَكات فهي لأهل الكفر مقابل ما اختاروا في الدنيا من[7] الأعمال الدنية الخبيثة وأخزاهم كمَثَل: "من زرع بَذْر[8] الشَّوْك لم يَحْصُد بُرًّا قط".

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[٧٦]

وقوله: **وذلك جزاء من تزكّى**، أي ذلك الذي ذُكر جزاء من أصلح عمله وأنماه. والزكاة هي النماء[9] في اللغة. *وقال بعضهم: **وذلك جزاء من تَزَكَّى**، أي آمن، وذلك أنه بالإيمان [٤٧٤و س١٧
تزكو الأعمال وتنمو،[10] وبه يثاب عليها ويؤجر.* ٤٧٤و س١٨]

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي**، وهو السير بالليل. وقوله عز وجل: **فاضرب لهم طريقا في البحر يَبَسًا**، أي اضرب بعصاك البحر أجْعل لهم طريقا في البحر يابسًا، كقوله: فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ،[11] الآية.

---

[1] ر م: من.
[2] ر ع م: خبث.
[3] جميع النسخ: ما يرتفع ويعلو؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٨٨و.
[4] جميع النسخ: ما يتسفل و ينحدر.
[5] ر: الغالية.
[6] ر ن ع: العلوة.
[7] ر: عن.
[8] ر ع: بدر.
[9] ر ع: النما.
[10] ر: تركوا الأعمال وتنموا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٩، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٤و/سطر١٧-١٨.
[11] ﴿... فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٦٣).

وقوله عز وجل: **لا تخاف دَرَكًا ولا تخشى**، أي **لا تخاف** لُحُوقَ فرعون وجنوده، **ولا تخشى** غرق البحر. ليس على النهي، ولكن على رفع الخوف عنه، والأمن عن أن يدركهم ويلحقهم. ألا ترى[1] أنه قال: [قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى] إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ.[2]

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **فأتبعهم فرعون بجنوده**، دل قوله: **بجنوده**، على أن كان معه جنود لا جند واحد. وأما العدد فإنهم كانوا كذا وكذا[3] ألفا، وقوم موسى كذا [و]كذا ألفا، فذلك لا يعلم إلا بالخبر. وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة. وقوله عز وجل: **فغشيهم من اليمّ ما غشيهم**، أي من الغَرَق والهلاك.

[٤٧٤و س١٨] *وقال القُتَبِي: لَا تَخَافُ دَرَكًا،[4] أي لحاقا،[5] وقوله: **فأتبعهم فرعون بجنوده**، أي لحقهم.*

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **وأضل فرعون قومه وما هدى**، قال بعضهم: **وأضل فرعون قومه وما** هداه الله. وقال بعضهم: وأضل فرعون قومه وما هداهم، حيث قال: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ.[7] وقيل: أضل قومه، وما هدى نفسه.*

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم**، هذا خبر يخبر عما أنعم عليهم ومنَّ على أوائلهم وآبائهم [أي] من حضر[9] رسولَ الله [صلى الله عليه وسلم]. يُذَكِّر هؤلاء بما أنعم ومنَّ على أولئك، وإلا لم يكن هؤلاء يومئذ. وفيه تذكير النعم والمِنَن على الصحابة

---

[1] ن: ألا يرى.
[2] سورة الشعراء، ٢٦/٦١-٦٢.
[3] ن: كذا.
[4] الآية السابقة.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٧٩، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٤و/سطر١٨-١٩.
[7] سورة المؤمن، ٤٠/٢٩.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر. ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.
[9] ر: حصر.

في أواخر أمورهم، لأنه آمنهم في آخر أمرهم من عدوهم وآيسهم[1] عن عود هؤلاء إلى دينهم. وفيه تذكير لنا فيما أنعم علينا ومنَّ في أوائل أمورنا وآخرها. ليس التذكير لبني إسرائيل خاصة، ولكن لنا ولكل من أنعم عليه.

وقوله عز وجل: **وواعدناكم جانب الطور الأيمنَ**، لسنا ندري أن الأيمن هو اسم ذلك الجبل أو سماه الأيمن ليمنه وبركته، وقال عز وجل في آية أخرى: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ؛[2] أو سماه الأيمن من يمن موسى عليه السلام. فإن كان هو من اليمن والبركة فهو كذلك كان لأنه به كان بدء[3] وحي موسى عليه السلام.

وقوله عز وجل: **ونزّلنا عليكم المن والسلوى**، يُذَكِّر هؤلاء ما وسّع على أوائلهم من الرزق وأخصبَهم،[4] يستأدي بذلك الشكرَ[5] على ما أنعم عليهم. وذلك تذكير لنا ولمن وسّع عليه ذلك، إذ لم يزل علينا يوسّع الرزق من أول عمرنا إلى آخره.

**﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾**[٨١]

وقوله عز وجل: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، أي قلنا لهم:[6] **كلوا من طيبات ما رزقناكم.** ثم يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قوله: **[من] طيبات ما رزقناكم**، أي من حلالات ما رزقناكم، فإن كان على هذا ففيه دلالة أن قد[7] يُرزق ما ليس بحلال.[8] والثاني **من طيبات ما رزقناكم**، أي ما تَطِيب به أنفسُكم. ففيه دلالة أنه يجوز لنا أن نختار من الأطعمة ما هو أطيب، إن كان على ما تستطيب به الأنفس.

وقوله عز وجل: **ولا تطغَوا فيه**، الطغيان هو المجاوزة عن الحدود التي جُعلت. أي **لا تطغَوا** فيما رزقكم من الطيبات وتجعلونه في غير ما جَعل وتتجاوزون عن القدر الذي جَعل.

---

[1] جميع النسخ: واياسهم.
[2] سورة القصص، ٢٨/٣٠.
[3] ع: بدو.
[4] ن: وأحصاهم.
[5] ن: الشك.
[6] ع: لكم.
[7] ر ع م - قد.
[8] أي لا كما قالت المعتزلة من أن الحرام ليس برزق.

وقوله عز وجل: **فيحِلَّ عليكم غضبي**. برفع الحاء والخفض جميعا: يَحِلَّ، أن ينزل **عليكم غضبي**؛ ويَحُل بالرفع، يجب. وقوله: **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**، قيل: **هوى**، هلك، أي من يَجِبْ عليه عذابي فقد هبئ. وكذلك قال القُتَبِي: **هوى**، أي هلك. يقال: هوتْ أمُّه، أي هبكت.[1] وقيل: **فقد هوى**، أي سقط في النار، يقال: هوى في موضع كذا.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**، يحتمل قوله: **لغفار لمن تاب**، عن الشرك ورجع عنه، **وآمن** بتوحيده، **وعمل صالحا** فيما بين ذلك، **ثم اهتدى في** حفظ أمره وانتهى عما نُهي. و[الاحتمال] الثاني **لغفار لمن تاب**، عن جميع المناهي، **وآمن**، بجميع ما أُمر، وقوله: **ثم اهتدى**، أي دام على ذلك / وثبت، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.[2] [٤٧٤ط]

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **وما أعجلك عن قومك يا موسى**، قال بعضهم: إن موسى صلوات الله على نبينا وعليه خرج بنفر من قومه إلى الجبل ليأخذ التوراة فعَجِل حتى خلَّفهم وتركهم وراءه، فعند ذلك قال له ربه: **وما أعجلك عن قومك يا موسى**؟ وقال بعضهم: لم يخرج بنفر، ولكن خرج وحده وترك قومه فأصابهم ما أصاب من الافتتان[3] بالعِجْل الذي اتخذه السامري.

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **قال هم أولاء على أَثَري**، هذا على التأويل[4] الأول، أي هم يجيئون **على أثري**؛ وعلى التأويل الثاني: أي تركتهم على ديني و سبيلي. وهو قول الحسن وقتادة.[5]

وقوله عز وجل: **وعجِلتُ إليك رب لترضَى**، أي عجلت إليك ربي فيما دعوتني إجابةً[6] وطاعة فيما أمرتني، **لترضى**. هذا على[7] التأويل لذي قال: إنه خرج وحده. وعلى التأويل الذي يقول:

---

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٨١.
[2] سورة فصلت، ٣٠/٤١؛ وسورة الأحقاف، ١٣/٤٦.
[3] ر ع: الإفتتا
[4] ع: تأويل.
[5] م: وحده.
[6] ع + لك.
[7] ع: على هذا.

به حرج ينفر. يقول - والله أعلم -: **وعجلتُ إليك رب لترضى**، إذ لم يكن لي سبب ولا معنى يمنعني عن الإسراع إلى ما دعوتني وأمرتني. وهكذا عندنا أن من لزمه أمر الله وفرْضُه لزمه[1] الإسراع والعجلة إلى القيام بأدائه،[2] إذا[3] لم يكن هناك سبب يمنعه عن التعجيل له والقيام به. **والله أعلم**.

**﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٨٥]**

وقوله عز وجل: **قال فإنا قد فَتَنّا قومك من بعدك**، الفتنة هي المحنة[4] التي فيها شدائدُ وبلايا. ومعنى الافتتان[5] ههنا هو ما فتنهم بالعِجْل الذي اتخذه السامري؛ جعله[6] جسدًا بدم ولحم -على ما ذكر- ونَفخ فيه الروح وجعل له خُوَارًا.[7] فذلك معنى الافتتان منه[8] إياهم. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وأضلَّهم السامريُّ**، أضاف الإضلال إلى السامري، لأنه كان سببَ إضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم إلى عبادته وقال: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾،[9] فأضاف الإضلال إليه لما ذكرنا من دعائه إليه والسبب الذي كان منه، وإلا لم يملك أحد[10] إضلالَ أحد. وأضاف الافتتان إلى نفسه لما ذكرنا من جعل العجل جسدانيًا من لحم ودم وروحانيًا.[11]

فإن قيل: ما معنى إجراء[12] ما أجرى على يدي السامريّ -مع ضلاله-[13] من الآية؟

قيل: هو -والله أعلم- أنه لو ادَّعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيأ له ذلك، لكنه إنما ادَّعى أنه[14] إله، وآثار العبودية فيه ظاهرة قائمة، يعرفه كل أحد أنه ليس بإله. وأما الرسالة

---

[1] ر م: لزم.
[2] ر ع: بأداء.
[3] ر ع م: فإذا.
[4] ع: المحبة.
[5] ع: الإفتاء.
[6] أي جعل الله لعجل.
[7] ر ع: حوار.
[8] م: عنه.
[9] سورة طه، ٢٠/٨٨.
[10] جميع النسخ: لم يكن أحد؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٨٨ظ.
[11] جميع النسخ: جسداني من لحم ودم وروحاني.
[12] ن: إحراء.
[13] ر ع: ضلالة.
[14] أي العجل.

فإنه يجوز أن تشتبه[1] على الناس وتتبس عليهم، فيمنع الله عز وجل من ليس برسول إذا ادَّعى الرسالة[2] إقامةَ دلالة الرسالة، لاشتباهها على الناس. وأما الألوهية فلا يمنع عن إجراء ذلك، لأن آثار العبودة وأعلام العجز فيها ظاهرة يعرفها[3] كل أحد. وهكذا من أتى قرية لم يبلغهم هذا القرآنُ فقرأ هذا القرآن وقال: إني رسول الله إليكم لم يُقْدره[4] الله على قراءته؛ ولو ادَّعى الربوبية به[5] لم يمنع، لأن آثار العجز عن إتيان مثله ظاهرة، وفي الرسالة لا؛ لذلك افترقا.[6] *والله أعلم*.

**﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾**[٨٦]

وقوله عز وجل: **فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا**، الأسف هو النهاية في الغضب والنهاية في الحزن. وهكذا جَبَل الله رسله وأنشأهم على نهاية الغضب لله والأسف له عند معاينتهم الخلاف لله والتكذيب له، كقوله لرسوله:[7] لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[8] الآية، وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[9] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدا حسنا**، على تأويل الحسن: **وعدًا حسنا**، هو الثواب الذي وعد هم بالدين والسبيل؛ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي،[10] أي على ديني وسبيلي. وقال بعضهم: **وعدا حسنا**، أي عدلا وصدقا حيث وعد هم أنه يرجع إليهم عند رأس أربعين أو ثلثين ليلة على ما ذكر عز وجل.[11] **أفطال عليكم العهد**، على تأويل الحسن: **أفطال عليكم** عهد ما وعد لكم من الثواب[12] والجزاء على دينه وسبيله حتى نسيتم ذلك؛

---

[1] ر ع م: يشتبه.
[2] ر ع: لرسالة.
[3] ن ع: يعرفه.
[4] ر ن م: يقدره.
[5] ر ع م - به.
[6] ن: إفترقال
[7] ر م: برسوله.
[8] ﴿لعلك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء ٣/٢٦).
[9] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[10] سورة طه، ٨٤/٢٠.
[11] كما أشير في قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعَشْرٍ فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٢/٧).
[12] ر ن م: من دون الثواب.

وعلى تأويل من قال: إن الوعد هو ما وعد أنه يرجع إليهم على رأس كذا، يقول: أفطال ذلك عليكم ومضى وعدى حتى فعلتم ما فعلتم؟ وقوله: **أم أردتم أن يحِلَ عليكم غضب من ربكم.** أي أم تعمّدتم لخلاف **فيَحِلَّ عليكم غضبٌ من ربكم فأخلفتم موعدي؟** يحتمل الموعد الوجهين اللذين ذكرناهما فيما مضى.

**﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾**[٨٧]

وقوله عز وجل: **قالوا ما أخلفنا موعدك بِملْكِنا،** برفع الميم وكسره[١] فمن قرأ بمُلكنا برفع الميم، أي بسطاننا وطاقتنا، أي لم نفعل[٢] بسطاننا وطاقتنا؛ ومن قرأ بِملكنا بكسر الميم، [أي لم نفعل] بما ملكت[٣] أيدينا. وقال الكسائي: من قرأ بمُلكنا بالرفع،[٤] معناه بسلطاننا؛ ومن قرأ بمِلكنا بكسر الميم، ونصبه بمَلكنا، معناهما[٥] ما ملكت أيدينا. وقوله: **ولكنا حُمِّلْنا أوزارا من زينة القوم،** قيل: أثقالا من زينة القوم، أي من حُلِيّ القِبْط. وقوله: **فقذفناها،** قذفنا ما حُمِّلْنا من حُلِيّهم. وقوله عز وجل: **فكذلك ألقى السامري،** أي كذلك قذف ما حمل السامري من حُلِيّهم. وجائز أن يكون قوله: **فكذلك ألقى السامري،** ما أخذ[٦] من قبضة من أثر الرسول كقوله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا.[٧]

**﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾**[٨٨]

وقوله: **فأخرج لهم عِجْلًا جسدًا له خُوَارٌ،** أي عجلا جَسَدُه جسد عجل[٨] وليس هو بعجل في الحقيقة. وقال بعضهم: **عِجْلًا جسدًا،** لا يتعيش كما يتعيش العجل المولود من البقر. والأول أشبه.

---

[١] وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة: "بِمَلْكِنا" بفتح الميم، وقرأته عامة قرّاء الكوفة: "بِمُلْكِنا" بضم الميم، وقرأه بعض أهل البصرة "بِمِلْكِنا" بالكسر. فأما الفتح والضمّ فهما بمعنى واحد، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر، والآخر اسم. وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك (...) وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يهلك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه. فإذ كان ذلك كذلك فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ (*تفسير الطبري*، ١٦/٢٣٠).

[٢] ن: لم يفعل.

[٣] جميع النسخ: ما ملكت، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٨ظ.

[٤] ر ع م - بالرفع.

[٥] ر ع م + وهو.

[٦] ر ع: ما أخذ.

[٧] ﴿قال بصُرت بما لم يبصُروا به فقبضتُ قبضةً من أثَر الرسول فنبذتُها وكذلك سوّلتْ لي نفسي﴾ (سورة طه، ٢٠/٩٦).

[٨] ن م - جسد.

[٤٧٥و] وقوله عز وجل: **فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي،**[1] هذا القول إنما قاله السامري. وقوله عز وجل: **فنسي،** قال بعضهم: نسي السامري حيث قال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، هذا القول إنما قاله السامري؛[2] فيكون النسيان على هذا التأويل التضييعَ والترك، كأنه قال: ضيّع السامري بعد ما علم وعرف رب العالمين ونسب الألوهية إلى العجل. وقال بعضهم: إن السامري لما قال: هذا إلهكم وإله موسى، لكن موسى نسي هذا، حيث خرج في طلب غيره. ولا يحتمل أن يقبلو هذا القول منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري إلها، وقد علموا أنه إنما اتخذه من حُليٍّ[3] حُمِّلوها[4] من القبط. لكنه كان في عقدهم أنه يجوز اتخاذ إله دون إله رب العالمين والعبادة له رجاء أن تقرِّب[5] عبادتهم تلك الآلهةَ إلى الله. وعلى هذا كانوا يعبدون الأصنام دون الله كقوله:[6] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[7] و هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[8] وكذلك قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[9] وكذلك ما اتخذ لهم فرعون من آلهة عبدوها دونه. وإلا لم يحتمل أن يقع عندهم أن رب العالمين هو ذلك العجل، لكنه ما ذكرنا أنهم كانوا يستجيزون[10] في اعتقادهم عبادة من دونه، فعند ذلك ردَّ عليهم اعتقادهم فقال:[11]

---

[1] عن السدي قال: أخذ السامريّ من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر. قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حُليّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوه. فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جسدا له خوار. وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى. فعدوا الليلة يوما واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل. فلما رأوه قال لهم السامريّ: هذا إلهكم وإله موسى فنسي، فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي فكذلك ألقى السامري ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحليّ حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامريّ تربته. وقوله: ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾ يقول: فقال قوم موسى للذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى (*تفسير الطبري*، ٢٣٣/١٦).

[2] ع – هذا القول إنما قاله السامري.

[3] ع: حلي.

[4] جميع النسخ: حملوه.

[5] ر ب م: يقرب.

[6] ب: كقولهم.

[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[8] سورة يونس، ١٨/١٠.

[9] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.

[10] ر ع: يستجيرون؛ ب – يستجيزون.

[11] جميع النسخ: فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[٨٩]

**أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا**، أي لا يرون أنْ لا إذنَ في عبادة من يرجع إليه القولُ ويملك النفع والضر -وهو البشر- فكيف أُذِن في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك؟ *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فُتِنْتُم به وإن ربكم الرحمن**. يذَكِّر -والله أعلم- بهذا رسوله أن الذين كذبوك وجحدوا رسالتك لم يكذبوك لجهلهم بالرسالة، ولكنهم لتعَنُّتهم وعنادهم على ما ذَكَر وأنبأه من قول[1] هارون لقومه لَمَّا عبدوا العجل حيث **قال يا قوم إنما فُتِنْتُم به وإن ربكم الرحمن**، فكأنه يُؤْيِسه عن إيمان أولئك لعنادهم، وهو ما قال: أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ.[2]

وقوله عز وجل: **إنما فُتِنْتُم به**، يحتمل وجهين. أحدها **فُتِنْتُم**، أي صرتم مفتونين بالعجل لصوته وخُوَاره أو بغيره. والثاني **فُتِنتم**، أي ضَلَلْتم به، أي بالعجل، **وإن ربكم الرحمن**. وقوله عز وجل: **فاتبعوني**، أي أجيبوا لي إلى ما أدعوكم به، **وأطيعوا أمري**، أي ما آمركم به.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**، قال بعضهم: **لن نبرح**، أي لن نزال على عبادة العجل مقيمين **حتى يرجع إلينا موسى**. وقال بعضهم: **لن نبرح**، أي لن نفارق عبادته.

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **لن نبرح**، أي لن نزال.[3]* [٤٧٥ظ س ٣٢]

---

[1] ع: قبل.
[2] ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٧٥/٢).
[3] ع: لن انزال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٧، فقدمناه إلى هنا. انظر. ورقة ٤٧٥ط/سطر ٣٢.

**﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾[٩٢] ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[٩٣]**

[وقوله:] **يا هارون**[1] **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا**، هذا يدل أن قول[2] هارون لهم: إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ،[3] أراد[4] به الضلال، حيث قال له موسى: **إذ رأيتهم ضلوا ألا تَتَّبِعَنِ أفعصيت أمري.** يحتمل **ألا تَتَّبِعَنِ**، أي **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا**[5] أَلَّا صرتَ إلى ما كنت صرتُ أنا، وقد عمتَ إلى أين صرتُ أنا. أو أن يكون قوله: **ألا تَتَّبِعَنِ**، أي ألا تتبع ديني وسنتي، وكانت سنته ومذهبه القتال والحرب معهم إذا ضلوا وتركوا دين الله.[6]

**﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[٩٤]**

فاعتذر إليه هارون فقال: **إني خشيت أن تقول فرّقتَ بين بني إسرائيل ولم تَرْقُب قولي.** هذا أيضا يخرج[7] على وجهين. أحدهما **إني خشيت**، إن اتبعتك وصرتُ إلى ما صرت أنت تقول لي: **فرّقت بين بني إسرائيل**، لأنك لو نهيتَهم [بعد ما رجعت إلينا] عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم السبيل لعلهم يتبعونك؛ فحيث لم تفعل فأنت الذي فرّقت بينهم. والثاني على تأويل القتال والحرب في قوله: أَلَّا تَتَّبِعَنِ... **إني خشيتُ** لو قاتلتُهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين، فإذا تفرّقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانَوْا. فترك القتال لما أطمعوه الإيمان إذا رجع إليهم موسى ونهاهم عن ذلك. فلعل سنته في القتال مع من لم يُطمَع منه الإيمان. هذا على تأويل من يقول بأن هارون اعتزلهم لَمّا عبدوا العجل مع عشرة آلاف نفر أو أكثر[8] أو أقل، على ما ذكر. وأما الحسن فإنه يقول: كلهم قد عبدوا العجل إلا هارون، فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم.

---

[1] جميع النسخ: ثم قال موسى يا هارون.
[2] ر م: قوله.
[3] سورة طه، ٩٠/٢٠.
[4] ع: وأرد.
[5] ع – ألا تتبعن أفعصيت أمري يحتمل ألا تتبعن أي ما منعك إذ رأيتهم ضلوا.
[6] كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٥٤/٢).
[7] ر ع: يخرج أيضا؛ م – يخرج.
[8] ر ع م: وأكثر.

وقوله عز وجل: **ولم ترقب قولي**، قيل: هو ما قال: وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ،[١] ودلّ قوله: **لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي**، بأن كان له الشّعر فكنّىَ بالرأس عن الشعر.

**﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[٩٥] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٩٦]**

وقوله عز وجل: **قال فما خطبك يا سامري**، قال الحسن: ما حجتك يا سامري على ما فعلت؟ ولا حجة كانت له قطّ. وقال غيره: **ما خطبك**، ما شأنك وما أمرك؟ والخطب هو الشأن والأمر في اللغة. وتأويله -والله أعلم- فما شأنك، أي ما الذي حملك على صنيعك الذي صنعت؟

*وقيل: سمي السامري سامريًّا لأنه كان من قبيلة يقال لها السامرة. وقول هارون لموسى: [٤٧٦و س١
**يا ابنَ أمَّ**، وكان أخاه لأبيه وأمه، قيل: أراد بذلك أن يُرفِقه عليه فيتركه.* ٤٧٦و س٣]

ثم قوله: **بَصُرتُ بما لم يَبْصُرُوا**[٣] **به**، بالياء والتاء جميعا.[٤] ثم بين ما الذي بصر هو ما لم يبصروا هم فقال: **فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**. أما عامة أهل التأويل فإنهم يقولون: إنه قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل[٥] فنبذها.[٦] وليس في الآية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا أن ذلك الرسول جبريل أو غيره. ويشبه أن يكون الذي قبضه هو تراب من أثر الفرس على ما قاله أهل التأويل، وقد ذكر في حرف أبي: / "فقبضت قبضةً من أثرِ فرس الرسول".[٧] [٤٧٥ظ]

---

[١] ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلُفني في قومي وَأَصْلِح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٤٢).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٩٧، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ٤٧٦و/سطر١-٣.

[٣] م: لم تبصروا.

[٤] واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، بمعنى: قال السامريّ: بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ" بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بمعنى قال السامريّ لموسى: بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك. والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنى كل واحدة منهما. وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب، أنّ تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه في جوف العجل، ولم يكن علم ذلك عند موسى ولا عند أصحابه من بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى: "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ" أي علمت بما لم تعلموا به. وأما إذا قرئ ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، فلا مؤنة فيه، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب (*تفسير الطبري*، ١٦/٢٣٨).

[٥] ن: جبرئيل.

[٦] ر ع م: فنبذتها؛ ن: فنبذ بها.

[٧] لم أجده عن أبي، ولكن عن ابن مسعود في إحدى الروايات عنه (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١).

فإن تبت ما قالوا، وإلا لم نزد عى ما ذُكر في الكتاب، لأن هذه الأنباء والقِصص كانت في كتبهم فذكرت في القرآن ليحتج بها رسول الله على أولئك ليعرفوا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى؛ فلو زيد أو نُقِص عما في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج عليهم، بل يوجب ذلك شِبْه الكذب عليهم. لذلك وجب حفظ ما حكي في الكتاب من الأنباء والأخبار من غير زيادة ولا نقصان مخافة الكذب، إلا إن ثبت شيء يذكر عن رسول الله أنه كان، فعند ذلك يقال، وإلا الكفُّ أولى. لما ذكرناه في قراءة[1] الحسن وقتادة: "فَقَبَصْتُ قبصة"[2] بالصاد؛ والقبصة[3] هو الأخذ[4] بأطراف الأصابع، والقبضة هو ما[5] بالكف. فلا يحتمل أن يصح الحرفان جميعًا، لأن الأخذ بأطراف الأصابع دون الكف، فهو خبر يخبر عما في كتبهم، فإما أن يكون ذا أو ذا، فأما أن يكونا جميعا فلا يحتمل، إلا أن يقال: إنه أخذه بأطراف الأصابع ثم رده إلى الكف فحينئذ يكون، أو أن يكون[6] بمرتين.[7] **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **وكذلك سوَّلَتْ لي نفسي**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي **كذلك سوَّلت لي نفسي**: أنك متى تأخذ قبضة من أثر الرسول فتنبذها[8] في الحُلِيّ يَحيى. أو أن يكون سوّلت له نفسه على ما كان عادتهم وطبيعتهم أنهم لا يعبدون إلها[9] لا يرونه ولا يقع بصرهم عليه حيث قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[10] وكقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[11] فقال:[12] **سوَّلت لي نفسي**، أن أتخذ لهم عجلا يرونه فيعبدونه. أو **سوَّلت لي نفسي**، أن في أخذ قبضة أثر الرسول نبأً[13] عظيما. أو قال ذلك اعتذارا لجميع ما كان منه من أول الأمر إلى آخر[14] أمره. **والله أعلم.**

---

[1] ع: قراة.
[2] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٨/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٢٣٩/١٦؛ وقرأ ابن مسعود و أبيٌّ هكذا: (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٧).
[3] ر: فقبضت قبضة بالضاد والقبضة.
[4] ن: م أخذ.
[5] ر ع م – ما.
[6] ر ع م + ثم.
[7] ر ع م: مرتين.
[8] م: فنبذته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٩و.
[9] ر ع م – إها.
[10] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.
[11] سورة البقرة، ٥٥/٢.
[12] ع: فقالت.
[13] ع: نباء.
[14] م: آخره.

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **بَصُرت بما لم يَبصُروا به**، يقال: بصرت وأبصرت، بصُر يبصُر بَصَرًا. [٤٧٥ظ س ٣٢
**وقبَضت قبضة**، والقبضة بأطراف الأصابع.* [٤٧٥ظ س ٣٣]

*وروي في حرف ابن مسعود: "بصرت بما لم يبصروا به إذ جاء الرسول فقبصت قبضة [٤٧٥ظ س ٣٤
فألقيتها".[٢] وفي حرف حفصة: "إذ مرّ الرسول".[٣]* [٤٧٥ظ س ٣٥]

*وقوله: **سوَّلت لي نفسي**، قال بعضهم: شجّعت، وظاهره زيّنت لي نفسي.* [٤٧٦و س ١]

**﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾**[٩٧]

وقوله عز وجل: **قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**، قال بعضهم: أي لا تزال تقول: **لا مساس**، لا تقول غيره، عقوبة له وجزاء لصنيعه. وقال بعضهم: أن تقول: **لا مساس**، لن تمسّني[٦] ولا أمَسُّك، أي لا تَمَسّني أبدًا. أخرجه من بين[٧] أظهُرهم لما علم موسى منه.[٨]

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **لا مساس**، أي لا يمسّك أحد ولا يؤذيك.[٩] وقال: **ظِلْتَ عليه**، [٤٧٥ظ س ٣٤
نغةُ سوءٍ،[١٠] وإنما هو ظَلْت وظَلِلْت.* [٤٧٥ظ س ٣٤]

* وفي حرف أبي بن كعب: "إن لك في الحياة أن لا مساس"،[١٢] ليس فيه **تقول**.[١٣] [٤٧٥ظ س ٣٥

---

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر ٣٢-٣٣.
[٢] لقراءة ابن مسعود روايات مختلفة، منها: "قبصة من أثر الرسول فنبذتها"؛ ومنها: "قبضات من آثار الرسول"، ومنها: "قبصة فألقيتها"، ومنها: "قبصة من أثر فرس الرسول"؛ كلها بدون "إذ جاء الرسول" (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١).
[٣] لم أجده.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر ٣٤-٣٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر ١.
[٦] ر ع م: لم تمسني.
[٧] م + يديهم.
[٨] أي علم الإضلال والإغواء من السامري.
[٩] ر: يؤذنك.
[١٠] ع: سو.
* وقع ما بين النجمتين في أواخر تفسير الآية ٩٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر ٣٤.
[١٢] لم أجده.
[١٣] جميع النسخ: أن تقول.

وفي حرف حفصة: "إن لك في الحياة الدنيا أن تقول لا مساس".[1] وقال بعضهم: تأويله لا تخالط الناس ولا يخالطونك. قال أبو معاذ: المساس مصدر ماسّه مِساسًا[2] ومُمَاسّةً، كما[3] يقال: ضارّه ضِرارًا وسارّه[4] سرارًا ومُسَارّةً.[5] ومن قرأ لَا مَسَاسِ، كان كقيلك: نَزَالِ ودَرَاكِ.[6]* ‎[٤٧٥ظ س٣٨

وقوله عز وجل: **وإن لك موعِدًا لن تُخْلَفَهُ**، يحتمل أن[8] **لك موعدا** لعذابك. **لن تُخْلَفَهُ**؛ يحتمل ذلك في الدنيا والآخرة.[9]

وقوله عز وجل: **وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفا**، قوله: **وانظر إلى إلهك الذي** تزعم أنه إله، لا أنّ موسى سمّى[10] ذلك، وهو كما قال: *فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ*[11] التي في زعمهم آلهة. وقوله عز وجل: **ظَلْتَ عليه عاكفًا**، فقوله: **ظَلْتَ**، يقال بالنهار، وفي الليل يقال: بات. * وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ: "وانظر إلى إلهك الذي ظِلْتَ عليه[12] عاكفا لنَذْبَحَنَّه ثم لنُحَرِّقَنَّه".[13]* ‎[٤٧٥ظ س٣٨ ‎٤٧٦و س١]

وقوله عز وجل: **لنُحَرِّقَنَّه ثم لننسِفَنَّه في اليَمِ نَسْفًا**. وفي هذا إثبات آية موسى حيث قال: **لنُحَرِّقَنَّه**، والعجل الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار إحراقه،[15] وكذلك الحُلِيّ من الذهب[16] والفضة

---

[1] لم أجده.

[2] ر ع: مماسا.

[3] ن ع م - كما.

[4] ع: سار.

[5] ن: أو مسارة.

[6] أي كما أنهما اسما عَلَمٍ للنزول والدرك فمساس أيضا اسم علم للمس.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية ٩٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٥-٣٨.

[8] ر ع م: وإن.

[9] ن: وفي الآخرة.

[10] م: سمى موسى.

[11] سورة الصافات، ٩١/٣٧.

[12] جميع النسخ + وانظر كيف يفعل بإلهك الذي ظلت؛ والتصحيح من *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٦.

[13] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٦. وأُبيّ قرأ "ظَلْتَ". و "ولنُحَرِّقَنَّه" مكان "ظلْتَ" و "ثم لنُحَرِّقَنَّه" (انظر: *نفس المصدر*، ١٤٦). والزيادة من *نفس المصدر* (٦١، ١٤٦)؛ و*تفسير الطبري*، (٢٤٢/١٦).

* وقع ما بين النجمتين في أواخر تفسير الآية ٩٧ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٦٥ظ ٣٨/سطر٣٨ - ٤٧٦و/سطر١. ووقعت أيضا ههنا قطعتان من تفسير لآيتين السابقتين برقم ٩٤-٩٥ (انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١-٣)، والآية برقم ٩٦ (انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١-٣)، فقدمناها إلى هنالك.

[15] بحيث يصير رمادا يُذرّ ويُنسف في البحر (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٨٩ظ).

[16] ر ع م: والذهب.

ليس من طبع النار إحراقهما حتى تصيرا[1] رمادًا، ولكن من طبعهما الإذابة.[2] ثم أخبر أنه محرِقه،[3] فدل أنه آية.[4]

وفي قوله: **لنحرقنه** لغتان.[5] لنُحَرِّقَنَّه -بالتشديد وبرفع النون- وهو التحريق بالنار، ولنَحْرُقَنَّه -بنصب النون- وهو القطع بالمِبْرد.[6] وقال أبو معاذ: من قرأ لنَحْرُقَنَّه -بنصب النون[7] فقد كان العجل من الحُلِيِّ فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرَّق بالمِبْرد؛[8] ومن قرأ لنُحَرِّقَنَّه -برفع النون والتشديد- يقول: كان لحما ودما فأحرق بالنار [ف]صار رمادًا ثم نُسِف في اليم.

قال أبو معاذ: قال مقاتل بن سليمان: لنُحَرِّقنه برفع النون، بالنار، ثم لنَحْرُقنه بالنصب، بالمبرد.[9] يا سبحان الله! إن كنتَ أحرقته بالنار فما حاجتك إلى المبرد؟ لكنه أراد مقاتل أن يجمع القراءتين والتأويلين في قراءة وتأويل[10] واحد. لكنه عندنا لا يجوز أن يكون العجل من لحم ودم في إحدى[11] القراءتين، وفي الأخرى من الحُلِيِّ لا لحمَ فيه ولا دم وتكونَ القراءتان جميعا مُنْزَلتين. وما قاله مقاتل: إنه حُرق بالنار ثم حرق بالمِبْرد حسن، لأن النار لا تُحْرِق العجل إذا كان لحما ودما ولكنها تُذيب، فأُبرد بالمبرد، فعند ذلك نُسِف في اليم.

---

[1] ع: يصيرا.

[2] ع: الادابه.

[3] ر ع: محرقة.

[4] أي فهم موسى بنور الرسالة أن هذا العجل ليس بحيٍّ بل جامد مكوَّن من أنواع المعادن فاستعمل كلمةً لا تُستعمل إلا في الجمادات.

[5] وقوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعةً. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: "لَنُحْرِقَنَّهُ" بضم النون، وتخفيف الراء بمعنى لنحرقنه بالنار إحراقةً واحدة. وقرأه أبو جعفر القارئ: "لَنَحْرُقَنَّهُ" بفتح النون وضم الراء بمعنى لنَبْرُدَنَّه بالمَبَارِد من حَرَقْتُه أَحْرُقُه (*تفسير الطبري*، ٢٤١/١٦؛ وانظر أيضا: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بلوي، ٩٠).

[6] برَد الحديدَ ونحوه من الجواهر: سحله، أي نَحَتَه. والمِبْرَد ما بُرِد به (*لسان العرب*، «برد»، و «سحل»).

[7] كما قرأ ابن محيصن (انظر: *تفسير البغوي*، ٢٩/٤).

[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨١؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٤١/١٦.

[9] ر ع م - قال مقاتل بن سليمان لنحرقنه برفع النون بالنار ثم لنحرقنه بالنصب بالمبرد. قارن: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠/٣.

[10] ر ع م - وتأويل.

[11] م: أحد.

قال أبو معاذ: تقول[1] العرب: نسفْتُ البُرَّ[2] أنسِفُه[3] نَسْفًا، إذا أخرجْته المِنْسَفةُ[4] فطيَّرتْ غبارَه. ويقال في المشي: ما زلنا[5] ننسف يومَنا كلَّه نسفا، أي نمشي.

وقال أبو عَوْسَجَة: **لَنَنْسِفَنَّه**، أي لنَرْمِيَنَّ به **نسفا**، أي رميا؛ والنسف القلع من الأصل. وصَرْفه: نَسَف ينسِف نَسْفًا.*

﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٩٨]

[٤٧٦و] / وقوله عز وجل: **إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو**، جائز أن يكون موسى لما أحرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك: **إنما إلهكم الله الذي** تعرفونه **لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا**، لا يعزُب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء. فيشبه أن يكون موسى ذكر هذا لهم لِمَا أضمروا هم وأسرُّوا حب العجل في قلوبهم على ما أخبر الله عنهم بقوله: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ،[7] فقال لهم: **وسع كل شيء علمًا**، يعلم ما تسرون وما تظهرون.[8] أو أن يكونوا لا يعلمون أنه يعلم[9] ما يسرون وما يضمرون وما يغيب عن الخلق، ويكون عندهم كملوك الأرض يعلمون الظاهر من الأمور الحاضرة منها ولا يعرفون الباطن منها[10] والغائب، فأخبر أنه عز وجل يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضرة والغائبة. *والله أعلم*.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **كذلك نقُصّ عليك من أنباء ما قد سبق**، أي هكذا **نقُصُّ عليك من أنباء ما قد سبق**، ليكون آية لرسالتك ونبوتك. أو أن يقول: كما قصصنا عليك هذا النبأ[11] **كذلك نقص عليك** سائر الأنباء.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ن: يقول.
[2] ر ع م: لبرد.
[3] ر ع م: أنسفته.
[4] ر ع م: السفة. والمنسفة الغربال (*لسان العرب*، «نسف»).
[5] ع: ما نزلنا.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات ٩١ و٩٦ و٩٧ فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر ٣٢ – ٤٧٦و/سطر ١.
[7] سورة البقرة، ٩٣/٢.
[8] ر ع م: وما تظهر.
[9] ر م – يعلم.
[10] ر ع م – ولا يعرفون الباطن منها.
[11] ع: البنا.
[12] ع: النباء.

وقوله عز وجل: **وقد آتيناك من لدنا ذكرا**، قال أهل التأويل: الذكر ههنا القرآن،[1] ألا ترى[2] أنه قال[3] على إثره: مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فإنه كذا. وجائز أن يكون قوله: **آتيناك من لدنا ذكرا**، أي شرفا وذكرا يُذكر هو بعده أبدا، ومن اتبعه وأجابه إلى ما دعاه يصير مذكورًا به.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا**، والوِزر الحِمْل. وسميت الآثام حِملا لأن الآثام تُنقِض ظهور أصحابها في النار وتَكْسِرها كالحمل في الدنيا يُنقِض[4] ظهر صاحبه ويكسره. وهو ما ذكر وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ.[5]

*وقوله: **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا**، يحتمل الإعراض عنه وجهين. [٤٧٦و س١٨
أحدهما **أعرض عنه**، أي كفر به وكذّبه و لم يلتفت إليه. والثاني **أعرض عنه**، أي لم يعمل بما فيه.
ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يُخاف أن يكون في وعيد هذه الآية.* ٤٧٦و س٢١]

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **خالدين فيه**، أي في ذلك الوزر، أي لن يفارقهم أوزارُهم أبدَ الآبدين. وقوله عز وجل: **وساء لهم يوم القيامة حملا**، حِمْلَ السوء، حملٌ يورد صاحبه النار. بئس الحمل حمل يورد صاحبه النار! ويقال: بئس ما حَمّلوا على أنفسهم من الأعمال.*

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[١٠٢] ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا**، قيل: يتسارُّون[8] بينهم ويتكتمون فيما بينهم كلاما خفيا: **إن لبثتم إلا عشرا**.

---

[1] ع + وهو ظاهر.
[2] ن: ألا يرى.
[3] ر ع م - قال.
[4] ر: ينقص؛ ع + عنى.
[5] سورة الانشراح، ٩٤/٢-٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١٨-٢١.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١٨-٢١.
[8] ع: يتشاورون.

مثل هذا الكلام إنما[1] يقولون تفهُّمًا وتحزُّنًا على ما كان منهم في وقت قليل، لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا. يقولون: كيف كان منا كل هذا العمل في ذلك الوقت القليل؟

ثم اختلفوا في ذلك اللبث الذي قالوا ذلك. قال بعضهم: [ذلك] في الدنيا، استقلّوا مُقامَ الدنيا لما عاينوا الآخرة. وقال بعضهم: ذلك في القبر. ويستدل من ينكر عذاب القبر بهذه الآية، يقول: لأنهم استقلُّوا مُقامهم في القبور، ولو[2] كان لهم عذاب في ذلك لاستعظموا ذلك واستكثروا، لأن قليل اللبث في العذاب يُستعظم ويُستنكر، لا يُستقَلُّ[3] ولا يُستحقر؛ فلما استقلوا ذلك دل أنهم لا يعذبون في القبور. واستدلوا أيضًا بنفي العذاب فيه بقوله: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا.[4]

ومن يقول بعذاب القبر يزعم أن ذلك إنما قالوا في القبر يقول ذلك بين النفختين،[5] يقول: هم يعذبون ويكونون في العذاب إلى النفخة[6] الأولى ثم يرفع عنهم العذاب إلى النفخة[7] الثانية، عند ذلك يَرْقُدون فيستصغرون مُقامهم للنوم. وقد يستصغر الوقت الطويل ويُستقلُّ في حال النوم على ما ذكر في قصة أصحاب الكهف حين قالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[8] وهم قد أقاموا ثلثمائة سنةٍ وزيادةً. وجائز أن يكون عذاب القبر عذابَ عرض وعذابُ الآخرة عذاب عين، كقوله: ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا،[9] فاستصغروا عذاب العرض واستقلُّوه عند معاينة عذاب العين. ومن يقول: ذلك في الدنيا يقول: تحاقرتْ الدنيا في أعينهم ومُقَامُهم فيها حين عاينوا الآخرة وأهوالها.

**﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[١٠٤]**

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**، قوله: **أمثلهم**، قيل: أعقلهم، وقيل: أفضلهم، **إن لبثتم إلا يوما**، من كان أبصر وأعلم بأمور الآخرة

---

١ ع: بما.
٢ ع: ولولا.
٣ ر: لا يستقبل.
٤ سورة يس، ٥٢/٣٦.
٥ ن: النفحتين.
٦ ن: النفحة.
٧ ن: النفحة.
٨ سورة الكهف، ١٩/١٨.
٩ سورة المؤمن، ٤٦/٤٠.

وأهوالها كان أكثر استخفافا بالدنيا واستحقارا لها. وفي حرف ابن مسعود: "نحن أعلم بما يقولون إذ عيل عليهم إذ يقول أمثلهم طريقة".[١] قال أبو معاذ: قوله: "عيل عليهم"، أي اشتبه وخفي وفاتهم علمُه. وقال: ومنه يقال: عالت الفريضة، تعول عولا، إذا حاورت السهام فأشكل على الفارض واشتبه. ومنه قيل: عيل صبري.[٢]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفُها ربي نَسْفًا**، يشبه أن يكون / سؤالهم [٤٧٦ظ]
عن أحوال الجبال في ذلك اليوم لما بيّن أحوال الناس في الساعة بقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، الآية، وكقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٣] الآية، وصف لهم أحوال الخلق في ذلك اليوم ولم يصف أحوال الجبال والأرض، فعند ذلك سألوه عن أحوال الجبال، فأمر رسوله أن يخبرهم بما ذَكَر أنه **يَنسِفُها ربي نَسْفًا**، وما ذَكَر أيضا في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا،[٤] وقوله: كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ،[٥] ونحوه. فجائز أن يكون ذلك على اختلاف الأحوال، وقد ذكرنا فيما تقدم.[٦]

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾[١٠٦] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **فيذرها قاعًا صَفْصَفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا**، قال بعضهم: **قاعًا صفصفًا**، أي مستوية. والقاع والصفصف واحد. وقال بعضهم: هي الأرض الملساء[٧] التي لا نبات فيها ولا زرع.

---

[١] لم أجده.

[٢] عالني الشيءُ يَعُولني عَولاً: غلبني وثقُل عليّ (...) عِيل صبرُه: أي غُلِب. ويكون رفع وغيّر عما كان عليه، من قولهم: عالت الفريضةُ، إذا ارتفعت (لسان العرب، «عول»).

[٣] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/١-٢).

[٤] ﴿إذا رُجّت الأرض رجا وبُسّت الجبال بسا فكانت هباء مُنبثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦). جميع النسخ: هباء منثورا.

[٥] ﴿يوم يكون الناس كالفَرَاش المَبثوث وتكون الجبال كالعِهْن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٤-٥). ولكنهما تتعلقان بأحوال الناس لا أحوال الجبال.

[٦] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في آخر المجلدات السابقة".

[٧] ر ع: الملسا.

وقوله: **لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا**. قيل: لا واديًا، **ولا أمْتًا**، ولا رابية.[1]

وقال بعضهم: العوج الارتفاع، والأمتُ البسوط.[2] وقال بعضهم: العوج انحناء[3] الأودية، والأمْتُ التِلال.[4] وقيل: لا انخفاضًا ولا ارتفاعًا. والقاع الصفصف هو تفسير **لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا**؛ و**لا ترى فيها عوجا ولا أمْتًا**[5] تفسير قوله: **قاعا صفصفا**.

[٤٧٦ظ س١٥] * قال أبو عَوْسَجَة: يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ،[6] أي [من قوله:] أخفى صوتَه.[7] وقوله: أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً،[8] أي أفضلهم. فأما **صفصفا**، قال: القاع الأرض الصَّلْبة[9] التي لا شيء فيها. والصفصف المستوية، والصَّفاصِف جميع. والقيعان جميع القاع. **عِوَج** وعَوَج واحد.[10] **ولا أمتا**، والأمت

[٤٧٦ظ س١٧] هو العوج وهو التَّلُّ.*

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **يومئذ يتَّبِعون الداعيَ لا عِوَجَ له**، لا خلاف له، ليس كالداعي في الدنيا، منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه.[12] فأخبر أنهم في الآخرة يجيبون الداعي في أي حال كانوا، لا يخالفونه.

وقوله عز وجل: **وخشعت الأصوات**، لا تخشع لكن تنخفض وتلين عند خوف أهلها وترتفع عند الأمن. أو أن يكون خشوع الأصوات كناية عنهم، أي يخشعون ويَذِلُّون لشدة فزَعهم لأهوال ذلك اليوم.

---

[1] *تفسير ابن عباس*، ٣٤٩.

[2] جميع النسخ: البسوط، والتصحيح من *تفسير الضحاك* (انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٧٠).

[3] ر ع: انحنا.

[4] التَّلُّ: ج تِلال وتُلول، الواحدة تَلَّة، من الأرض قطعة أرفع قيلا مما حولها (*المنجد*، «تل»).

[5] ن + هو.

[6] الآية ١٠٣ من هذه السورة.

[7] ر م: صورته.

[8] الآية ١٠٤ من هذه السورة.

[9] ن: الصلبة.

[10] ر ع م - واحد. والعَوَج بالتحريك، مصدر قولك: عَوِجَ الشيء، بالكسر، فهو أعْوَجُ، والاسم العِوَجُ، بكسر العين. وعِوَجُ الطريق وعَوَجُه: زَيغُه. وعِوَجُ الدِّين والخُلُق: فساده وميْلُه (*لسان العرب*، «عوج»).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٩، فنقلناه إلى هنا، انظر: ٤٧٦ظ/سطر١٥-١٧.

[12] ن: ويجيبه.

وقوله عز وجل: **فلا تسمع لهم إلا همسًا**. قيل الهمس الكلام الخفي[١] الذي لا تكاد تسمعه.[٢] وقيل: وقعُ الأقدام ونقلها وهو تحرُّكها.*

[قال أبو عوسجة:] وقوله عز وجل: **وخشعت الأصوات**. أي سكت. والهمس الخفي.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لا تنفع الشفاعة**، ليس أن يكون لهم شفعاء[٤] فلا تنفع، ولكن لا شافع لهم.[٥] **إلا من أذن له الرحمن** بالشفاعة لأحد ورضي له بقول الشفاعة.[٦] إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه، فضلًا[٧] أن يؤذن لأحد بالشفاعة، كقوله: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ[٨] وَقَالَ صَوَابًا.[٩] والثاني **لا تنفع الشفاعة**، إلا من وفّق له[١٠] [الرحمن] بما يستوجب الشفاعة له، **ورضي له قولا**، وسأله ذلك؛ وهو قول الشهادة والتوحيد. فيرجع أحد التأويبين إلى الشفعاء،[١١] إنه لا أحد يشفع لأحد إلا بإذنه ورضاه بالقول قولِ الشفاعة. والثاني[١٢] يرجع إلى المشفوع له: إنه لا أحد يستوجب شفاعة أحد[١٣] إلا من وفق له الرحمن في الدنيا بالتوحيد وشهادة الإخلاص. *والله أعلم*.

*وقال بعضهم في قوله: **يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له الرحمن**، في الشفاعة، **ورضي له قولا**، قول لا إله إلا الله مسلما في الدنيا مؤمنا حقا، فذلك الذي رضي والشفاعة تحِلُّ لهم؛ فأما غيرهم[١٤] فلا يُشفع لهم. وهو ما ذكرنا فيما تقدم.* |٤٧٧و س٧ ٤٧٧و س٨|

[١] ن: لخفي.
[٢] ر ع م: لا يكاد يسمعه.
* وقعت هناك قطعة من تفسير الآية السابقة ١٠٧، فقدمناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٧٦ظ/سطر١٥-١٨.
[٤] ر ع م: الشفعا.
[٥] ن + إلا من أذن لرحمن ورضي له قولا.
[٦] ر ع م – لأحد ورضي له بقول الشفاعة.
[٧] ر ع + إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا.
[٨] ر ع م + بقول لشفاعة إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا.
[٩] سورة النبأ، ٣٨/٧٨.
[١٠] ر ع م: وقوله.
[١١] ع: لشفعا.
[١٢] م – والثاني.
[١٣] ر ع م – أحد.
[١٤] ر ع: فاغيرهم؛ م: فاخبرهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧و/سطر٧-٨.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**، يحتمل قوله: **ما بين أيديهم**، قبل أن يخلقوا، **وما خلفهم**، بعد ما خُلقوا وكانوا. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم**، ما قدموا من الأعمال، **وما خلفهم**، ما تركوا وخَلَفوا[1] مِن بعدهم. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم**، كناية عن الخيرات، أي يعلم ما يعملون من الخيرات، **وما خلفهم** من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم. وجائز أن يكون المراد من البَيْن والخَلْف الأحوال كلها، أي عالم بجميع أحوالهم وبكل شيء يكون منهم. وهو كقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ،[2] أي لا يأتيه الباطل ألبتة، لأنه ليس للقرآن بيْن ولا خلْف، ولكن المراد ما ذكرنا؛ فعلى ذلك الأولُ. وجائز أن يكون المراد منه ليس البيْنَ ولا الخلْفَ، ولكن [الإخبار] إخبار عن إحاطة علمه بهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يحيطون به علما**، هذا يحتمل وجهين. **لا يحيطون** بالله علما، ولكن إنما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم الشواهد من خلقه، لأن الخلق إنما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل لهم من الدلالات من خلقه. والإحاطةُ بالشيء إنما تكون[3] ما كان سبيل معرفته الحسَّ والمشاهدات، فأما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فإنه لا يحاط بالعلم.[4] والثاني **لا يحيطون به علمًا**، أي بعلمه، كقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ،[5] وكقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ،[6] الآية.

[٤٧٧و س٣ *وقال بعضهم: في قوله: **يعلم ما بين أيديهم**، من أمر الآخرة، **وما خلفهم**، من أمر الدنيا، **ولا يحيطون**، يعني الملائكة، **به علمًا**، يقول: هم لا يعلمون من كلامه إلا ما علمهم إياه. فإن كان هذا في الملائكة خاصة فإنه لا يحتمل ما ذكرنا من التأويل في قوله: **وما خلفهم**، من الشرور وما نبذوه وراء ظهورهم، لأنهم مطيعون لله لا يعصونه طرفةَ عين. ويحتمل غيره

٤٧٧و س٦] من التأويلات التي ذكرنا. *والله أعلم*.*

---

[1] ر ع م – ما تركوا وخلفوا.
[2] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[3] ن: يكون.
[4] جميع النسخ والشرح: به العلم.
[5] انظر: تفسير الآية السابقة برقم ٢٥٥ من سورة البقرة.
[6] سورة الجن، ٢٦/٧١-٢٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧و/سطر٣-٦.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **وعنت الوجوه للحي القيوم**، قيل: عنتْ ذلّت وخضعت **الوجوه**. وجائز أن يكون ذكر الوجوه كناية عن أنفسهم، لما بالوجوه تظهر[١] الذلة والخضوع، فكنّى بها عنهم. فإن كان ما أخبر من خضوعهم وذُلِّهم في الآخرة فهو على ما[٢] أخبر من خضوع الخلائق له في الآخرة، وإن كان بعضهم يتكبر في الدنيا. وإن كان في الدنيا فهو على خضوع الخلقة له، خضعت خلقة الخلائق كلِّهم له. وقوله: **للحي القيوم**، قد ذكرنا تأويل **الحي القيوم** فيما تقدم.[٣]

[٤٧٧و] وقوله عز وجل: **وقد خاب من حمل ظلما**، أي **قد خاب** / **من حمل** الشرك؛ والظلمُ ههنا لشرك. **وقد خاب من حمل** ما ذكر من الحِمْل والوزر، وهو ما ذكر في قوله: مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا،[٤] أي خاب من حمل ذلك الحمل. *والله أعلم*.*

وقال بعضهم: في قوله: **وعنت الوجوه للحي القيوم**، أي عملت الوجوه **للحي القيوم**، قالوا في تأويل **عنت**: عملت،[٦] أي خضعت له بالعمل الصالح في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع والسجود وغيره، وهو في المؤمنين خاصة. ليس أن يكون تأويل قوله: **وعنت**، أي عملت حقيقة، ولكن من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان التأويل في الآخرة فهو في الفريقين جميعًا، يذِلُّون له جميعا ويخضعون في الآخرة وإن كان من بعضهم التكبر في الدنيا.

[٤٧٧ظ س١٨] * قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **وعنت الوجوه**، أي ذلت يقال: عنا يعنو عُنُوًّا.[٧] وقال: وَلَا هَضْمًا،[٨] أي ظلما، يقال: هضمتُه، أي ظلمته، وأهضمته مثله. وقال أبو عبيدة: الهضم النقصان.[٩]

---

[١] ر ن ع: يظهر.
[٢] ر ع - ما.
[٣] انظر: تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.
[٤] سورة طه، ٢٠/١٠٠-١٠١.
* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٠٩ (ورقة ٤٧٧و/سطر٧-٨)، وبرقم ١١٠ (ورقة ٤٧٧و/سطر٣-٦) فنقلناهما إلى مكانيهما.
[٦] ر ن: العمل. قال الفراء: عنت الوجوه نَصِبَتْ له وعملت له، وذكر أيضا أنه وضع المسلم يدَيْه وجبهته ورُكبتَيْه إذ سجد وركع (*لسان العرب*، «عنو»).
[٧] عَنَوْتُ لك، خضعت لك وأطعتُك؛ وعَنَوْتُ للحق عُنُوًّا، خضعت (*لسان العرب*، «عنو»).
[٨] الآية التالية.
[٩] انظر: *مجاز القرآن*، ٢/٣١ (ولا هضما، أي ولا نقيصه)

٤٧٧ظ س٢٠] وقال: قَاعًا صَفْصَفًا[1] القاع الأرض التي يعلوها الماء،[2] وهو قريب مما ذكرنا. *والله أعلم*.*

**﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[١١٢]**

وقوله عز وجل: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**، فيه دلالة أنه قد يَستحق [المرء] اسمَ الإيمان بدون الأعمال الصالحات، حيث قال: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**. وفيه أن الإيمان[4] شرط في قبول الصالحات وجعلِها طاعة لله، حيث شرط الإيمان[5] فيه.

وقوله عز وجل: **فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا**، الظلم ههنا على مذهبنا النقصان لا ظلم الجور، لأن الثواب على الأعمال الصالحات[6] بحق الإفضال لا بحق العدل. فإذا كان على هذا فيخرج قوله: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف** أن يُنقِصَ من حسناته شيئًا أو يزيد في سيئاته شيئًا. ويجوز في اللغة ذكر الظلم على إرادة النقصان، كقوله في ذكر الجنتين: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[7] والجنة لا توصف بالظلم الذي هو ظلم جور، فدل أنه أراد بالظلم ههنا النقصان، أي لم تَنقُص بل أتت بثمارها وافية وافرة. وإن كان على الظلم الذي هو ظلم الجور فهو على النهي، أي لا تَخَفْ منه الظلم والجور.

**﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[١١٣]**

وقوله عز وجل: **وكذلك أنزلناه قرآن عربيًا**، أي كما ذكرنا أن مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا،[8] كذلك أنزلناه في القرآن العربي. **وصرَّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون**. حرف "لعل" في جميع ما ذكر في القرآن يحتمل وجهين. أحدهما على الوعد أنهم يتقون، فهو على الإيجاب. والثاني **لعلهم يتقون**، أي ألزمهم أن يتقوا بما صرف فيه من الوعيد. وإن كان على الوعد والإيجاب عنه فهو لمن علم أنهم يتقون.

---

[1] سورة طه، ٢٠/١٠٦.

[2] قارن: *مجاز القرآن*، ٢/٣١.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧ظ/سطر١٨-٢٠.

[4] ن: للإيمان.

[5] ن: للإيمان.

[6] ر ع م – الصالحات.

[7] سورة الكهف، ١٨/٣٣.

[8] الآية السابقة.

وإن كان على الإلزام، أي ألزمهم، فهو في الكل. ثم إن كان على الوعد فيخرج قوله: **أو يُحْدِث لهم ذكرًا**. أي ويُحدث لهم ذكرًا،[١] فيكون كقوله: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى:[٢] إذا تذكّر خشي وإذا خشي تذكّر. فعلى ذلك إذا اتقى فقد أحدث له الذكر، وإذا أحدث له الذكر تقى.[٣] وإن كان ألزمهم أن يتقوا فهو على [أن] "أو" [بمعنى] "ثم". قال بعضهم: **ذكرا**. أي عذابا.

**﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[١١٤]

وقوله عز وجل: **فتعالى الله الملك الحق**، مثل هذا إنما يذكر على نوازلَ كانت إما قولا أو فعلا، يقال: فتعالى الله عن ذلك، لكن لم يذكر النوازل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تَعجل بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه**، يحتمل ما قاله أهل التأويل: إن جبريل كان إذا أتاه بالسورة وبالآي فيتلوها عليها فلا يفرغ جبريل من التلاوة حتى يتكلم[٤] رسول الله بأولها مخافة أن ينساها، فأنزل الله: **ولا تعجل بالقرآن** فتقرأه من قبل أن يفرغ من تلاوته عليك. وقد آمنه عن النسيان بقوله: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى،[٥] الآية، وكذلك لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[٦] الآية. ثم أمره عز وجل أن يسأله أن يزيد له علما. ويحتمل أن يكون قوله: **ولا تَعجل بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه**، أي **لا تعجل** بما ذَكَر من الوعيد لهم في القرآن من قبل أن يأتي وقته، كقوله: فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.[٧] وقوله: **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**، جائز ما[٨] قال أهل التأويل: إنه كان يتلو[٩] مع تلاوة جبريل فقال له: **لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**،

---

[١] ر ع م - أي و يحدث لهم ذكرا.
[٢] ﴿فقُولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (سورة طه، ٤٤/٢٠).
[٣] ع: اتقى.
[٤] ع: تتكلم.
[٥] ﴿سنقرؤك فلا تنسى﴾ (سورة الأعلى، ٦/٨٧).
[٦] ﴿لا تُحَرِّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقُرآنه فإذا قرأناه فاتَّبِع قُرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٩).
[٧] سورة مريم، ٨٤/١٩.
[٨] ع - ما.
[٩] ر ع: يتلوا.

إن ثبت عنه أنه كان يتلو[1] مع تلاوة جبريل.[2] وجائز النهي من غير أن كان منه ما ذكروا[3] -والله أعلم- على ما نُهي هو عن أشياء من غير أن كان منه ذلك.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**، قال الحسن وعامة أهل التأويل: إن قوله: **نسي**، أي ضيّع وترك[4] ليس نسيانَ السهو، لأنه عوتب عليه وعوقب[5] به: ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان، فدل أنه على التضييع والترك ليس / على النسيان والسهو، إلى هذا يذهب هؤلاء. لكن يقبح هذا أن يقال في آدم أو في[6] نبي من أنبيائه أو في رسول من رسله -صلوات الله عليهم- أنه ضيّع. [٤٧٧ظ]

والنسيان عندنا على قسمين. نسيان يكون عن غفلة منه وشغلٍ ما لولا ذلك الشغل منه والغفلة لَحَفِظه وذكَره ولا ينساه؛ وجائز المعاتبة[7] على هذا النسيان، إذ لو كان تكلّف لكان لا ينساه ولا يقع فيه. ونسيان آخر يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك دفعه، وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه ولا يعاقب به. وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة، إنه جائز أن يكلِّف ويمتحن من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه إياه بعد أن يحتمل عقله إدراك ذلك لو استعمله. فأما من كان عقله لا يحتمل إدراك ما كلّفه وإن استعمله وأجهد نفسه فيه فإنه لا يكلّف ألبتة. فعلى ذلك النسيانُ الذي ذُكر من آدم، جائز أنه لو تكلّف لحفِظه[8] وذكره، فإنما عوتب لذلك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولم نجد له عزما**، قال الحسن: أي منعا من الشيطان. وقال بعضهم: حفظا لم يحفظ أمره. وقال بعضهم: صبرا،[9] ونحوه. والعزم حقيقة القصد والقطع على الشيء، وهو ضد النسيان الذي ذكر. وقال بعضهم: العزم هو المحافظة على أمر الله والتمسك به.[10]

---

[1] ر: يتلوا.
[2] ن: مع تلاوته، – جبريل.
[3] ر ع م: ذكر.
[4] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٢٠.
[5] م: وعوتب.
[6] ن + بني آدم.
[7] م: لمعاينة.
[8] ر ع م – حفظه.
[9] قارن: *تفسير البغوي*، ٣٤/٤ (قال الحسن: لم نجد له صبرا عما نهى الله عنه).
[10] كما قال عطية العوفي (انظر: *تفسير البغوي*، ٣٤/٤).

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى.** {قال:} لولا قول أهل التأويل في صرف[١] سجود الملائكة لآدم إلى حقيقة السجود، وإلا جائز أن يصرف الأمر بالسجود إلى الخضوع له، إذ[٢] السجود هو الخضوع حيث قال: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ،[٣] وقد يؤمر الإنسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم.

﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **فلا يُخرِجَنَّكما من الجنة فَتَشْقَى**، قال أهل التأويل ليس شقاء الدين ولكن تعب النفس والنَّصَب في العمل.

﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى**﴾[١١٨] ﴿**وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾[١١٩] ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾[١٢٠] ﴿**فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **إن لك ألَّا تجوع فيها ولا تعرَى وأنك لا تظمَأ فيها ولا تضحَى**، أو لا يصيبك الشمس.

وقوله عز وجل: **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أَدُلُّكَ على شجرة الخُلد وملك لا يَبْلَى**، أي لا يفنَى؛ **فأكلا منها فبدت لهما سَوْآتُهما وطفقا يخصِفان عليهما من ورق الجنة**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٤]* وقوله عز وجل: **وعصى آدم ربه فغوى**، كل من عصى ربه فقد غوى؛[٦] العصيان والغواية واحد.

* قال أبو عَوْسَجَة: **وأنك لا تَظْمَأ فيها ولا تَضْحَى**، أي لا تظهر للشمس. والظمأُ [٤٧٨و س٢٣
العطش، والضحى الحر. قال [به] أبو عبيدة.[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: **وطفِقا** وعَلِقا واحد.

---

[١] رع م – في صرف.

[٢] رع م: و.

[٣] سورة البقرة، ٢/٣٣.

[٤] انظر: تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٢٢.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقة برقم ١٠٦ و١١١ و١١٢، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٧ظ/ سطر١٨-٢٠.

[٦] ن: فغوى.

[٧] لم أجده.

يقال: عبِق يعلَق علَقا فهو عالق وطافق.[1] وقال: يقال في[2] الخَصْف: خَصَفْتُ الخُفَ،[3] إذا أنعلتَ[4] ونعلتَ الخُفَ. ويسمى تلث النعيلة، والنعائل جمع.[5] وقال: قوله: مَعِيشَةً ضَنكًا،[6]
٤٧٨و س٢٧] أي ضَيِّقة. قال أبو عبيدة: وكل ضَيِّق مَنْزِلٌ أو غيره فهو ضَنْك.[7]*

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**، قوله: **ثم اجتباه**، يحتمل[9] وجوها. أحدها **اجتباه** للتوبة وهداه لها. أو **اجتباه ربه** للرسالة وهداه لها. أو **اجتباه ربه** للدين وهداه للتوحيد. وهذا جائز عندنا، لأن للتوحيد والإيمان[10] حكمَ التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة، لأنه مأمور بترك الكفر ونفيه في كل وقت. فإذا كان مأمورا بترك الكفر في كل وقت منهيًا عنه كان مأمورا بالإيمان والتوحيد. فإذا كان ما ذكرنا دل أن للإيمان والتوحيد حكمَ التجدد والحدوث في[11] كل وقت. وإلا ظاهر قوله: **ثم اجتباه ربه**، أنه لم يكن مجتبىً[12] قبل ذلك فاجتباه من بعدُ، لكن الوجه ما ذكرنا من اجتبائه[13] للرسالة واجتبائه[14] للتوحيد والطاعات والخيرات ونحوه. *والله أعلم*.

**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى[١٢٣]**

وقوله عز وجل: **قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو**، قال الحسن: قوله: **اهبطا**،

---

[1] ع + وذاك.
[2] ر ع م: من.
[3] ع: لخف.
[4] ن: أنعته.
[5] ن: جميع.
[6] لآية ١٢٤ من هذه السورة.
[7] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٢/٢ (وكل عيش أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٢٨، فقدمناه إلى هنا؛ نظر: ورقة ٤٧٨و/سطر٢٣-٢٧.
[9] ر: ويحتمل.
[10] ن: وللإيمان.
[11] م: وفي.
[12] ر ع م: يجتبي.
[13] ر ع م: اجتباه.
[14] ر ع م: اجتباه.

أي آدم والشيطان، **بعضكم لبعض عدو**، يعني ذرية آدم وذرية إبليس بعضهم لبعض عدو. وقال: فيما قال اِهْبِطُوا[١] عنى آدم وحوّاء[٢] وإبليس.[٣]

والهبوطُ ليس هو الانحدار والتسفُّل من لمكان العالي المرتفع، إنما هو النزول في المكان. فجائز أن يكون قوله: اِهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[٤] أراد ذريتهما ذرية آدم وذرية إبليس. وعلى ذلك يخرج قوله: **فإما يأتينكم مني هدى**، يعني الذرية. وجائز أن يكون قوله:[٥] **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**، وقت اتباعه الهدى؛ أو **لا يضل ولا يشقى**، إذا خُتم بالهدى؛ أو **لا يضل** طريق الجنة، **ولا يشقى** في النار. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾**[١٢٤] **﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾**[١٢٥]

وقوله عز وجل: **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضَنْكًا**، الضَّنْك هو الشدة والضيق. ثم اختلفوا فيه، قال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، في الدنيا وإن كانت في الظاهر واسعة عليه، لأنهم ينفقون ولا يرون لنفقتهم خلَفًا ولا عاقبة ويرون[٦] الدنيا أنها تدوم، فذلك يمنعهم عن التوسيع في الإنفاق خوفا لنفاد[٧] ذلك المال وبقاء أنفسهم، لما ذكرنا أنهم لا يرون لنفقتهم خلَفًا ولا عوضا ولا عاقبة لها، فذلك الضَّنْك. وقال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، لأنهم يَعصون بما أُعطوا من المال وأُنعموا فيه، لأن توسُّعهم يكون في معصية، فنفي عنهم الانتفاع به كما نفي عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على قيامها لِما ذهبت منافعها في الطاعة.[٨] وقال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، في عذاب القبر،[٩] لكن لا يقال: [٤٧٨و]
لمن في القبر: **إن له معيشة ضَنْكًا**، حتى يوصف بالضيق. وعذاب القبر سبيل معرفته السمع،

---

[١] سورة البقرة، ٣٦/٢؛ وانظر أيضا: سورة البقرة، ٣٨/٢؛ وسورة الأعراف، ٢٤/٧.

[٢] ن: حواء؛ ع: حوى.

[٣] انظر: تفسير ابن كثير، ٨٢/١.

[٤] سورة البقرة، ٣٦/٢.

[٥] ع م - وجائز أن يكون قوله.

[٦] م: ويريدون.

[٧] ع: لنفد.

[٨] لعل المؤلف يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة،١٨/٢).

[٩] كما روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ومجاهد (انظر: *تفسير البغوي*، ٣٦/٤؛ و*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٧).

فإن ثبت السمع وإلا فالترك أولى. وقال قائلون: ذلك في الآخرة -والله أعلم- كقوله: مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ.[١]

وقوله عز وجل: **ونحشره يوم القيامة أعمى**، قال بعضهم: نحشره أعمى عن حججه في دينه.[٢] لكن متى كانت له الحجج في الدنيا حتى يَعْمَى[٣] عنها في الآخرة؟ وقال بعضهم: **ونحشره يوم القيامة أعمى**، عَمَى الحقيقةِ، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[٤] فهو على حقيقة عَمَى البصرِ، وهو أشبه. ***والله أعلم***.

قال مجاهد: قوله: **رب لم حشرتني أعمى**، قال: بلا حجة لي، **وقد كنت بصيرا**، في الدنيا.[٥] لكن الأشبه هو ما ذكرنا من حقيقة ذهاب البصر إذ[٦] لم يكن لكافر حجةٌ في الدنيا حتى يقول: **وقد كنتُ بصيرا**.

ثم اختلف فيه، قال بعضهم: ذلك بعدما حوسبوا وسِيقُوا إلى النار -نعوذ بالله من النار- فعند ذلك يعمى عليه البصر. وقال بعضهم: لا، ولكن يبعثون من قبورهم ويحشرون عُمْيًا.[٧] ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾[١٢٦]**

وقوله عز وجل: **قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسَى**، أي كما أتتك آياتنا فصيَّرتَها كالشيء المنسيّ لم تكترث إليها ولم تنظر فيها ولم ترغب فيها، كذلك تصير في النار كالشيء المنسيّ عن رحمته لا يُكترث[٨] إليك[٩] ولا ينظر في أمرك.[١٠] أو أن يقول: كما ضيّعت آياتنا التي أتتك لنجاتك كذلك تُضَيَّع أنت وتترك في النار لا نجاة لك.

---

[١] ﴿وأعتدنا لمن كذَّب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تَغَيُّظا وزفيرا وإذا أُلْقُوا منها مكانا ضيّقا مقرّنين دعَوْا هنالك ثُبُورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١١-١٣). وانظر لمعنى الضنك: آخر تفسير الآية ١٢١ في هذه السورة.

[٢] كما روي عن مجاهد (انظر: *تفسير البغوي*، ٤/٣٦).

[٣] ن: تعمى.

[٤] ﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ ومن يُضْلِل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشُرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيا وبُكما وصُمّا مأْواهم جهنم كلما خَبَتْ زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٧).

[٥] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٨.

[٦] ر: إذا.

[٧] ر ع م: عميان.

[٨] ع: ولا يكترث.

[٩] د + ولم تنظر فيها ولم ترغب فيها كذلك تصير في النار كالشيء المنسي عن رحمته لا يكترث إليك.

[١٠] ر ع م: إليك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[١٢٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه**، أي كذلك نجزي كل من أسرف في الدنيا ولم يؤمن بآيات ربه، ليس أحد المخصوصَ بذلك دون غيره، ولكنْ كلَّ مَن هذا صنيعه في الدنيا.

وقوله عز وجل: **ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**، كأنه قد سبق منه الوعيد لهم في الدنيا[1] بعذاب ثم قال: **ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**، من العذاب الذي أُوعِدتم. وإلا فعنى الابتداء لا يقال هذا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **أفلم يهد لهم**، جميع ما ذكر في القرآن مثل هذا: **أفلم يهد لهم**،[2] أَفَلَمْ يَسِيرُوا،[3] أَوَلَمْ يَرَوْا،[4] وأمثاله، كلّه أنه قد بيّن لهم ورأوا ذلك. أي قد بيّن لهؤلاء أنهم قد وافقوا[5] أولئك الذين أهلكهم من القرون الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والآيات التي أَتَوا بها وهم آمنون يمشون في مساكنهم. فكيف أَمِن هؤلاء من عذاب الله مع[6] موافقتهم أولئك في جميع صنيعهم؟ أو يقول: أفلم تتبين[7] لهم سنتي فيمن كان قبلهم من القرون الماضية بتكذيبهم الرسل وردِّهم الآيات وهم كانوا آمنين في مساكنهم. فكيف أمن هؤلاء من عذابه وقد ساوَوْا[8] أولئك في جميع صنيعهم وفعلهم، وهما واحد؟

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لأولي النُّهَى**، قال بعضهم: **لأولي النُّهَى**، هم الذين انتَهَوْا عما نهاهم الله عنه، وهم ذووا العقول، وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[9]*

---

[1] ر ع م – في لدنيا.

[2] انظر أيضا: سورة الأعراف، ١٠٠/٧؛ وسورة السجدة، ٢٦/٣٢.

[3] ﴿أفلم يسيروا في لأرض فينظروا كيف كن عاقبة الذين من قبلهم﴾ (سورة يوسف، ١٠٩/١٢). وانظر أيضا: المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد لباقي، «سير».

[4] ﴿أو لم يروا أن خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾ (سورة يس، ٧١/٣٦). وانظر أيضا: المرجع لسابق، «رأى».

[5] ع: واقفوا.

[6] ر ع م – مع.

[7] ر: تبين؛ ن: يتبين.

[8] ه: اساووا.

[9] انظر مثلا: سورة طه، ٥٤/٢٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقة برقم ١١٩ و١٢١ و١٢٤، فقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٤٧٨و/سطر ٢٣-٢٧.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[١٢٩]

وقوله عز وجل: **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجلُ مسمى**، هو على التقديم والتأخير، أي لولا كلمة سبقت من ربك وأجلُ مسمى لكان العذاب لازما لهم. يقول -والله أعلم-: يُلْزَم كلُّ إنسان بما عمل.[1] والأجل[2] المسمى الساعة التي قال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[3] وجائز أن يكون قوله على غير التقديم والتأخير لكنه على الإضمار، أي لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا، ولكن سيلزمهم إلى أجل مسمى، وهو ما ذُكر في آية أخرى: وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى،[4] وقوله: **ولولا كلمة سبقت من ربك**، بما يكون بحق الإفضال أو توجبه[5] الحكمة لكان العذاب لازمًا لهم. وحق الإفضال ما سبق منه من الوعيد أنه يؤخر. ولا يقال فيما كان طريقه[6] الإفضال: لِمَ تفضلتَ؟ وأصل هذا: **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لِزَامًا**، لولا ما سبق من وعده أنه لا يعذّب هذه الأمة تعذيب إهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الآيات، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، وهو ما ذكرنا، وهو قوله: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[7]

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[١٣٠]

وقوله عز وجل: **فاصبر على ما يقولون**، يصبّر رسوله على أذاهم بلسانهم من السب والنسبة إلى السحر والجنون والافتراء على الله تعالى ونحوه وإن كان وَعَدَه[8] أنه يعصمه[9] منهم حتى لا يقدروا على إتلافه وإهلاكه، لأن في حفظ نفسه من الإتلاف والإهلاك آيةً من آيات رسالته، إذ بعثه إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم وعادتهم قتلَ من يخالفهم في شيء وإهلاكَ من يستقبلهم بما يكرهون؛ فدلّ عجزهم عن إتلافه وإهلاكه وحفظ نفسه / عنهم[10] أنه كان ذلك لآيةٍ في نفسه. [٤٧٨ظ]

---

[1] جميع النسخ + قال.
[2] ن: والأجل.
[3] سورة القمر، ٤٦/٥٤.
[4] ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ (سورة النحل، ٦١/١٦؛ وانظر أيضا: سورة فاطر، ٤٥/٣٥).
[5] ن: يوجبه.
[6] ر ع م: طريقة.
[7] سورة القمر، ٤٦/٥٤.
[8] ر ع: وعدا.
[9] ن: نعصمه.
[10] ر ن: منهم.

وأما أذاهم إياه باللسان ليس في حفظه عنه آيةً، لأن ذلك لو كان كان[1] آية فيهم، وذلك مما لا يؤثر نقصا في نفسه أو شَيْئًا. ألا ترى[2] أنهم قالوا في الله مالا يليق به من الولد وغيره؟ فدل أنه ليس في حفظ نفسه عن أذاهم بلسانهم آيةً إنما الآية فيما ذكرنا من حفظ نفسه عن[3] الإتلاف. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك**، قال[4] أهل التأويل: صلِّ[5] بأمر ربك. وتأويل قولهم هذا: صل بأمر ربك، لأنه أمره أن يصلي لله بقوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ،[6] وقوله: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[7] فيكون قوله: **سَبِّحْ**، أي صل بأمر ربك الذي أمرك بقوله:[8] أَقِمِ الصَّلَاةَ. ولولا صرف أهل التأويل التسبيح في هذه الآية إلى الصلاة، وإلا يجوز أن يصرف إلى غيرها من الأذكار في كل وقت. لكن صرفوا إلى الصلاة، لأن الصلاة تشتمل على معان قولا وفعلاً، وسائر الأذكار لا يشتمل إلا على معنى الذكر قولاً؛ فهي أجمع وأشمل لذكره. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **قبل طلوع الشمس**، قيل: صلاة الفجر، **وقبل غروبها**، صلاة العصر. وقال بعضهم: **قبل غروبها**، الظهر والعصر. وقوله عز وجل: **ومن آناء الليل**، قيل: صلاة المغرب والعشاء.[9] وقوله عز وجل: **وأطرافَ النهار**، قيل: صلاة الفجر والعصر، فهو على التكرار والإعادة تأكيدا، كقوله:[10] حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى،[11] ذكر الصلوات بجملتها ثم خص الصلاة الوسطى[12] بالذكر لمعنى، فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وأطرافَ النهار**، تكرارًا[13] منه لصلاة الفجر والعصر لمعنى. وجائز أن يكون قوله: **وأطراف النهار**، أنه ليس على إرادة وقت دون وقت ولكن يريد به الأوقات كلها. وعلى ذلك يخرج قول من قال في قوله: **وقبل غروبها**، صلاة الظهر والعصر. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م – كان.
[2] ن: لا يرى.
[3] ر ن: من.
[4] ر ع م: وقال.
[5] ر: صلى.
[6] سورة هود، ١١/١١٤؛ وسورة الإسراء، ١٧/٧٨.
[7] سورة البقرة، ٢/١١٠؛ وسورة النساء، ٤/٧٧، ١٠٣.
[8] ع: بقولك.
[9] ع: والعشا.
[10] ن: بقوله.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٣٨.
[12] ر ع م – الوسطى.
[13] ع: تكرار.

وقوله عز وجل: **لعلك ترضى**. بالنصب والرفع جميعا،[1] أي يُرضيك ربُّك بما عملت أو ترضى بذلك.

**﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**[١٣١]

وقوله عز وجل: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم**، هذه الآية يحتمل وجهين. أحدهما **لا تَمُدَّنَّ عينيك**، أي لا ترغبنَّ في هذه الدنيا ولا تركَنَنَّ إلى ما مُتِّع به هؤلاء من ألوانها وزَهْرتها، وهو كقوله تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،[2] الآية. والثاني قوله: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك**، على حقيقة مد البصر، أي لا تَمُدَّنَّ بصرك إلى أعين الدنيا وإلى ظاهر ما هم عليه من الغرور والتزيين. ولكن انظر إلى الدنيا، إلى ما جُعلت [له] الدنيا وإلى ما فيها من سمومها وتنغيصها على أهلها. فإن من نظر إليها لما فيها من سمومها وتنغيصها لزهّد فيها ورغب عنها؛ ومن نظر إليها وإلى عينها وظاهر ما هي عليها من الغرور والتزيين لاغترَّ بها[3] ورغب فيها وركِن إليها؛ ومن نظر إلى[4] حقيقة ما هي عليه وجُعلت على ما ذكرنا لزهِد فيها ورغب عنها.

ثم معلوم أن رسول الله لم يكن يمد بصره إلى الدنيا أو يركَن إليها ويرغّب فيها لها؛ وإنما هو ابتداء نهي[5] رسوله. ومعلوم أيضا أنه لو رغب في شيء منها لم يكن يرغب ليتمتع هو به، إنما يرغب ويتناوله ليوسّع به على أهل الحاجة والفقر. ثم نهاه عن ذلك، فدل أن الزهد فيها والرغبة عنه خير من الأخذ منها والوضع في حق، حيث نهاه عن ذلك على علم منه أنه لا يتناولها[6] ليتمتع[7] هو بها،[8] ويوسّع[9] على نفسه، ولكن يأخذها ليضع في المحقين لها.

ثم اختلف[10] أهل التأويل في التقديم والتأخير. قال الحسن: هو على تقديم قوله: **منهم**

---

[1] قرأ تُرْضَى أبو بكر –عن الإمام عاصم– والكسائي (انظر: *زبدة العرفان*، ٩٣).
[2] سورة التوبة، ٥٥/٩.
[3] ر: لاعتر بها؛ ع: لا عبرتها.
[4] ع: على.
[5] ن + نهي.
[6] ر ع م + وهو.
[7] ر م: ليمتنع.
[8] ر ع م: به.
[9] ر ع م: ليوسع به.
[10] ن: أحد.

عنى قوله: **أزواجًا**، يقول: تأويله **لا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما متَّعنا به** منهم أزواجًا[1] **زهرة الحياة الدنيا**، فعلى تأويله أزواجا **زهرة الحياة الدنيا**، أي ألوانا وأصنافا من النبات، فذلك زهرة الدنيا.[2] وقال بعضهم: عنى غير تقديم، ولكن عنى سياق ما ذكر في الآية. فعلى هذا يكون تأويل الأزواج، أي رجالا منهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لنفتنهم فيه**، قال أهل التأويل، أي لنبتليهم ونختبرهم، وكأنّ الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء. كأنه أخبر أنه إنما متّعهم بما متّع من زهرة الحياة الدنيا ليمتحنهم[3] فيها بالشدائد، كقوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،[4] الآية، وقال في آية أخرى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[5] وقال: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.[6] ففي هذه الآيات دلالة أن السعة والضيق فيها ليس لفضل أهله ولا لهوانهم، ولكن إنما هو محنة يمتحنهم. فيمتحن بعضهم[7] بالسعة والغناء وبعضهم بالشدة والضيق؛ فالتكلم بأن هذا خير من هذا كلام لا معنى له. مع ما ذكرنا من البيان في قوله: **ولا تمدَّنَّ عينَيْك إلى ما متَّعنا به**، أن الزهد في الدنيا وتركَ التناول منها حلالاً[8] خير من التناول منها حلالاً ووضعِها موضعها.

وقوله عز وجل: **ورزْق ربك خير وأبقى**، أي ما رزَقك ربك من النبوة والرسالة والتوحيد له والإيمان به، **خير وأبقى**، مما متّع هؤلاء من ألوان زهرة الحياة الدنيا وأصنافها. وقال بعضهم: **ورزق ربك خير وأبقى**، أي حظك من ربك خير في الخير وأبقى[9] في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا. وقول[10] أهل التأويل: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فاستَسْلف[11] من يهودي / طعاما،[12] [٤٧٩ر]

[1] ع: أزوجا منهم.
[2] لم أجده.
[3] ن: لنمتحنهم.
[4] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَق أنفسهم وهم كفرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).
[5] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[6] ﴿وبَلَوْنهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[7] ر ع م – بعضهم.
[8] ر ع م: حلال.
[9] ر ع – وأبقى؛ م – في الخير وأبقى.
[10] ر ع م: وهو.
[11] أي استقرض.
[12] ر: طعامه.

فأبى أن يعطيه إلا برهن. فرَهَنَ درعه عنده فنزل[1] قوله: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك**، الآية. تعزيةً[2] له عن الدنيا. لكن لسنا نعرف نزول الآية على ما ذكر إلا أن يثبت. *والله أعلم*.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **وأمر أهلك بالصلاة**، قال بعضهم: أراد بأهله قومه، وقد يسمى قوم الرسل أهله. وجائز أن يكون المراد بالأهل الذين تأهّلهم[3] وكانوا[4] في عياله. وقوله عز وجل: **واصطبر عليها**، أي داوِمْ عليها والْزَمْها. فيه أن الصلاة فرضت على الدوام عليها واللزوم.

وقوله عز وجل: **لا نسألك رزقا**، قال بعضهم: **لا نسألك** جُعْلًا وأجرا على نبوتك ورسالتك. وقوله عز وجل: **نحن نرزقك**، قال بعضهم: لا نسألك[5] للخلق[6] **رزقا**، بل نحن نرزقهم. وقوله عز وجل: **والعاقبة للتقوى**، أي لأهل التقوى، كقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[7]

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[١٣٣]

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه**، سألوه أن يأتيهم بآية من عند[8] ربه على رسالته ونبوته، فقال عز وجل: **أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى**، أي قد أتاهم بينةٌ على رسالته ونبوته **ما في الصحف الأولى**، لأن الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله، ولم يكن[9] يعرف الكتابة بلسانه فضلا عن[10] أن يعرف غيرها من الكتب التي كانت على غير لسانه. ثم أخبر عن الأنباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها، دل أنه إنما عرف تلك الأنباء والقِصص التي كانت في كتبهم بالله تعالى. فهذا -والله أعلم- تأويل قوله: **أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى**، أي قد أتاهم، على ما ذكرنا.

---

[1] انظر: تفسير البغوي، ٤/٣٩. وانظر لمثله: صحيح البخاري، البيوع ١٤، والرهن ٢.
[2] ر ع: تعزيه.
[3] ر ع + في.
[4] ر ع م: كانوا.
[5] ن: لا تسأل.
[6] جميع النسخ: الخلق.
[7] سورة الأعراف، ١٢٨/٧؛ وسورة القصص، ٨٣/٢٨.
[8] ع - عند.
[9] ن: ولكن لم يكن.
[10] جميع النسخ: من.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١٣٤]

وقوله عز وجل: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله**، أي من قبل رسوله، **لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك**. من الناس من يقول: ليس لله أن يعذبهم تعذيب إهلاك قبل أن يبعث رسولا. ويحتج بظاهر هذه الآية: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً**. وعندنا له أن يهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول إليهم، لأنه تعالى قد أقام عليهم حجة العقل ما لو تأمّلوا ونظروا فيه لعرفوا وأدركوا حق الله عليهم. فإذا كان كذلك فكان إهلاكه إياهم إهلاكًا عن بينة وحجة، لكنه بفضله ورحمته لا يهلكهم بأول آية يرسل عليهم حتى يرسل الآيات إفضالا منه ومنةً. وإلا كان له إهلاكهم بآية واحدة. فيكون قوله: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا** كذا، إنما ذلك لقطع ذلك القول منهم، لا أن كان لهم ذلك القول والاحتجاج بذلك. ولأن قوله: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا** كذا، يخرج مخرج الامتنان به أنه لم يهلكهم قبل بعث الرسول؛[1] فدل أن له إهلاكهم قبل بعث الرسول لما ذكرنا من إقامة حجة العقل عليهم. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[١٣٥]

وقوله عز وجل: **قل كلٌّ مُتَرَبِّصٌ**، كانوا يتربّصون هلاك رسول الله وانقلاب أمره، ورسول الله يتربص بهم عذاب الله ومواعيده فيهم. قال الحسن: **قل كل متربص فتربصوا**، أي تربصوا أنتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله.

وقوله عز وجل: **فستعلمون مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ ومن اهتدى**، قوله: **فستعلمون**، في الآخرة علم[2] عِيانٍ **مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ ومن اهتدى**: نحن أو أنتم. وفي الدنيا لو تأمّلوا ونظروا لعلموا علم استدلال وإدراك **مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ**. والصراط السوي،[3] قال بعضهم: العدل، وقيل:[4] السوي القيّم.

وفي حرف ابن مسعود وأُبَيٍّ **ومن اهتدى**: 'ومن عنّى الهدى'.[5] ***والله أعلم***.[6]

---

[1] ر ع م: الرسل.
[2] ن + علم.
[3] ع – والصراط السوي.
[4] جميع النسخ: وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩١ظ.
[5] لم أجده.
[6] ر + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأنبياء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[١]

قوله عز وجل:[3] **اقترب للناس حسابهم**، قال الحسن:[4] أي محاسبتهم. قوله[5] عز وجل: **وهم في غفلة معرضون**. ظاهر هذا أنه نزل في المشركين، لأنها نزلت بمكة وكان أكثر أهلها أهل شرك. لكن لأهل الإسلام في ذلك حظٌّ ونصيب[6] فيما وصفهم بالغفلة عن ذلك والإعراضِ عنه. وأهل الإسلام قد يغفُلون عن الحساب، إلا أن غفلة الكفر غفلة تكذيب وإعراضهم إعراض تكذيب بالحساب والآيات التي أنزلها عليهم، وغفلة أهل الإسلام ليس هكذا،[7] قد آمنوا بالحساب وصدقوا بآياته وعرفوها، لكنهم غفلوا عن الحساب لشهوات مُكِّنت فيهم وغلبت شهواتُهم وأغفلتهم عنه. فمن هذه الجهة كأولئك، فأما من جهة الإيمان به والتصديق بالآيات فليسوا كأولئك.

ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدُّنُوّ[8] والإتيان، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[9] وقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[10] **واقترب**[11] **للناس حسابهم** وأمثاله، هي قريبة كالمأتية عند الله، لأن الله تعالى

---

[1] ر – سورة الأنبياء؛ ن + كلها مكية؛ ع + وهي كلها مكية؛ م + مكية.

[2] ن + وبه يستعان.

[3] ع: وقوله تعالى.

[4] ب – قال الحسن.

[5] ع: وقوله.

[6] جميع النسخ: وشرك؛ والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٤٩١ظ.

[7] ر ع م: كذا.

[8] ر: ولدلو.

[9] سورة القمر، ١/٥٤.

[10] سورة النحل، ١/١٦.

[11] ع – وقوله: أتى أمر الله و قترب.

عرف جملة الأوقات، فهي في جمة ما عرف قريبة كالمأتية. وأما الخلق فإنهم قد استعدوها،[1] لأنهم إنما يقدرون ذلك بآجالهم وأعمارهم وما جاوز[2] أعمارَهم، فهو عندهم بعيد ليس بقريب، وهذا إنما يكون بعد ذهاب أعمارهم.

[٤٧٩ط] وقال قتادة: ذكر أنه لما نزلت هذه الآية: **اقترب للناس حسابهم**، و أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ،[3] قال ناس من أهل الضلال: يزعم هذا الرجل أن الساعة قد اقترب فتناهَوْا قليلا ثم عادوا إلى أعمالهم.[4] وكذلك قالوا في قوله: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ، تناهَوْا عنها ثم لما تأخّر[5] ذلك عنهم عادوا إلى ما كانوا من قبل هذا، لأنهم فهموا من قرب الساعة وإتيان أمره وقتا يقرب ومدةً تدنو. فلما مضى ذلك وقع عندهم أن الخبر كذب فكذبوه، لأنهم إنما قدّروه بآجالهم وما عرفوا هم[6] من القرب والدُّنُوّ.

وقوله: **وهم في غفلة معرضون**، ما ذكرنا من غفلةٍ[7] تكذيبٍ وإعراض تكذيب بعد ما عرفوا أنها آيات الله. *والله أعلم*.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحْدَثٍ**، قوله: **من ذكر**، [أي] ما يذكرهم ما يأتون وما يتقون؛ أو ما يذكر ما أُوعدوا وخوِّفوا؛ أو **من ذكر**، [أي ما] يذكرهم ما لهم وما عليهم. وقوله: **مُحْدَثٍ**، قال بعضهم: **محدث**، محكمٍ أحكمه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،[8] وأحكمه لما أعجز الخلق عن أن يأتوا بمثله.[9] وقال بعضهم: **محدثٍ**، لأن الله أنزل هذا القرآن بالتفاريق، وأحدث إنزاله في كل وقت على قدر الحاجة. فعلى ما نزل بالتفاريق أحدثوا هم[10] يعني[11] الكفرة تكذيبه

---

[1] ر م: استعبدوها.
[2] ن ع: جاوزوا؛ م: جاوزو.
[3] سورة النحل، ١٦/١.
[4] ر: أعمارهم.
[5] ر: لا تأخر.
[6] م: وما عرفوهم.
[7] ن + غفلة.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤١-٤٢).
[9] ر: لمثله.
[10] ر ع م: أحدثوهم.
[11] ر ع م: أعني.

وردَّه على ما ذكر فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ[1] ونحوه. فهو محدث من الوجوه التي ذكرنا، لأن كل موصوف بالإتيان فهو محدث.

وقوله عز وجل: **إلا استمعوه وهم يلعبون**. دل قوله: **إلا استمعوه وهم يلعبون**، أن استماعهم إياه استماع استهزاء به.

**﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **لَاهِيَةً قلوبهم وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**؟ هذا الذي أسروا فيما بينهم: **هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر**؟ هذا كان نجواهم.

وقوله: **لاهية قلوبهم**، قيل غافلة قلوبهم عن الذكر. **وأسروا النجوى الذين ظلموا**، الذي أسروه هو[2] ما ذكرنا قولهم: **هل هذا إلا بشر مثلكم أ فتأتون السحر وأنتم تبصرون**، السحر. وفي حرف ابن مسعود وأبيّ: "وأسروا النجوى الذين كفروا منهم." وقال الكسائي: وفي بعض الحروف: **وأسروا النجوى الذين ظلموا**، قال: وفي حرفنا **وأسروا النجوى**، ثم أخبر عز وجل عنهم خبرًا مستأنفًا فقال: **الذين ظلموا**؛ كقول الله تعالى: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا، ثم قال: كَثِيرٌ مِنْهُمْ.[3] وهذا على كلامين.[4] **والله أعلم.**

**﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **قال[5] ربي يعلم القول في السماء والأرض**، يشبه أن يكون قوله: **يعلم القول في السماء والأرض**، القول الذي أسروا فيما بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم[6]

---

[1] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).

[2] ن: وهو.

[3] ﴿وحسبوا ألّا تكونَ فتنةُ فعَمُوا وصَمُّوا ثم تاب اللهُ عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون﴾ (سورة المائدة، ٧١/٥).

[4] قارن: *معاني القرآن* للكسائي، ١٩٥.

[5] جميع النسخ: قل. قرأ حمزة والكسائي وحفص "قال"، والباقون "قل" (*السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٤٢٨؛ *وزبدة العرفان* للبالوي، ٩٣). وهذه رويت أيضا عن ابن مسعود وأبي. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٢، ١٤٧.

[6] جميع النسخ + وقوله.

أفتأتون السحر وأنتم تبصرون. وقولهم:[١] قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ[٢] وأمثال ما قالوا فيه وينسبوه إليه. أي قل[٣] لهم: **ربي يعلم** ذلك **القول** منكم **في السماء والأرض**، لينتهوا عن ذلك، لأن من يعلم في الشاهد أن أحدا يطّلع على جميع ما يختاره من القول والفعل ترك ذلك وامتنع عن التفوّه به والإقدام على ما يختاره. أو أن يكون قال ذلك على الابتداء والاستئناف[٤] أنه لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.[٥] **وهو السميع العليم**، السميع لقولهم، العليم بأفعالهم.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[٥]

ثم أخبر عن سفههم وقلة نظرهم في قولهم وكلامهم و[عدم] حفظهم عن التناقض[٦] فقال: **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر**. في ما نسبوه إلى الشعر والسحر والافتراء وأنه أضغاث أحلام تناقضٌ في قولهم، لأن[٧] السحر هو غير الافتراء، والسحر غير أضغاث أحلام. كل حرف من هذه الحروف التي نسبوه إليه يناقض الآخر ويبطله. فدل أنهم إنما قالوا ذلك ونسبوه إلى ما نسبوا متعنِّتين مكابرين، لا عن معرفة وعلم قالوا ذلك. إذ تَنَاقَضَ[٨] قولهم وكلامهم، إذ[٩] السحر لا يدوم ولا يبقى في وقت آخر؛ فإذ عرفوا[١٠] وعلموا أنه دام وبقى إلى آخر الدهر [فقد ناقضوا].[١١] وكذلك ما قالوا من أضغاث الأحلام[١٢] والافتراء، أعني ما أتى رسول الله بهم.

وبعد، فأنه لو كان ما أتاهم به سحرًا كان ذلك آية وعلامة على صدقه ونبوته، لأن السحر لا يعرفه أحد إلا بالتعلّم.[١٣] فإذا رأوه نشأ بين أظهُرهم و لم يكن في قومه ساحر حتى يتعلم منه،

---

[١] جميع النسخ + وقوله، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩١ظ.
[٢] الآية التالية.
[٣] هذا بالنسبة لقراءة قُلْ.
[٤] ر ع: و لايتناف.
[٥] انظر: سورة آل عمران، ٣/٥.
[٦] أي لَفتَ نظرهم إلى تناقضهم.
[٧] ع + ذلك ونسبوه إلى ما نسبوا متعنتين.
[٨] ع م: يناقض.
[٩] ع: إذا.
[١٠] ر ع م: فإذ عرفوا.
[١١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٩٣و.
[١٢] جميع النسخ: من أضغاث أحلام، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٣و.
[١٣] ر ن م: بالتعليم.

ولا اختلف إلى أحد من السحرة يتعلم منهم السحر ثم أتى به لكان ذلك يدل على أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. فكيف وقد أتاهم بالحجج النيّرة الواضحة والآيات المعجزة الخارجة عن وسع البشر وطوقهم؟ لكنهم كابروا وعاندوا في ردها وتكذيبها. *والله الموفق*.

*قال أبو عَوْسَجَة:[1] **أضغاث أحلام**، قال: الضِّغث ما لا تأويل له. ويقال: حُلْم وأحلام؛ [٤٨٠ظ س١٣
وقال: حلَم يحلُم حُلمًا فهو حالم، إذا رأى حُلمًا، أي شيئًا في النوم. واحتلم يحتلم لا يكون مثل حلُم يحلُم، ويقال من الحِلم: حلُم يحلُم[2] حِلمًا فهو حليم. ويقال حلَّمته، أي جعلته حليما.
والافتراء[3] الكذب. والشاعر إنما سمي شاعرًا لأنه يَشْعُر من الكلام ما لا يشعر[4] به غيره.* ٤٨٠ظ س١٦]

وقوله عز وجل: **فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون**، قد علموا عم حقيقة أنه قد أتاهم بآيات وحجج ما لو تأملوا فيها ولم يكابروا لدلتهم[6] على صدقه ورسالته. وقد عرفوا أنه صادق، لكنه سألوا في قولهم **فليأتنا بآية**، الآية التي تنزل عند المكابرة والعناد، وهي الآية التي نزلت في الأمم الخالية عند مكابرتهم الآيات والحجج، وهو إهلاكهم واستئصالهم، إذ من سنته وحكمه في الأولين الإهلاك والاستئصال عند مكابرتهم الآيات والحجج. وسنته وحكمه
في هذه الأمة ختم النبوة بهم وإبقاء شريعة[7] محمد صلوات الله عليه[8] إلى الساعة، وسنتُه / في الأمم [٤٨٠و]
الماضية نسخ شرائعهم واستبدال أحكامهم. فإذا كان ما ذكرنا جعل وقت إهلاكهم الساعة، وهو ما قال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ،[9] الآية.

**﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها**، أي ما آمنت قبلهم من قرية سألوا الآية سؤالَ مكابرة وعناد. وقوله عز وجل: **أفهم يؤمنون**، أي لا يؤمن هؤلاء وإن أتاهم بآية،

---

[1] ع: قال بعضهم.
[2] ر ع م - يحلم.
[3] ع: والافترائه
[4] ن: لا يشعره.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٣-١٦.
[6] جميع النسخ: لدلهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٩٢و
[7] م: شريعته.
[8] ن - صلوات الله عليه.
[9] ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/ ٤٦).

فإنهم لا يؤمنون كما لم يؤمن أولئك المتقدمون، لأنهم يسألون سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء.[1]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، كأن هذا خرج جوابا لقولهم: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ[2] كذا، وجواب قولهم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[3] وجوابَ قولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[4] فقال: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا**، أي بشرا، **نوحي إليهم**، إلى عامة الخلق. أي الرسالة في الأمم الذين من قبله إلى عامة الخلق كانت في البشر لم تكن في الملائكة. وإنما كانت الرسالة في الملائكة إلى خواص البشر،[5] وهم الرسل. فعلى ذلك لا يجعل[6] الرسالة في هذه الأمة إلى عامة الخلق في الملائكة، ولكن يجعل[7] في البشر على ما جعل في الأمم الأولى[8] في البشر. وجائز أن يكون قوله: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، أي جعلها في الذكور منهم، لم يجعلها في النساء والإناث، لما لم يستكملن شرائط الرسالة والنبوة. فكان الأول في بيان الجنس، أي لم يجعل الرسالة[9] إلى عامة الخلق في الملائكة،[10] ولكن جعلها في البشر، والثاني في بيان استكمال شرائط الرسالة واستحقاقها.

وفي حرف ابن مسعود وأبي: "وما أرسلنا قبله إلا رجالا نوحي[11] إليهم"، فعلى حرفهما كأنه خاطب به أولئك الكفرة، أي ما أرسلنا قبل محمد إلا رجالا نوحي إليهم. وفي القراءة[12] الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله، أي قل لهم إنه ما أرسل الله من قبلك إلا رجالا يوحي[13] إليهم.

---

[1] ر: واستهداء.
[2] سورة الأنبياء، ٢١/٣.
[3] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٤).
[4] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨).
[5] جميع النسخ: وإلا كانت الرسالة إلى الخوص في الملائكة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٩٢و.
[6] ر ع م: لا تجعل.
[7] ر ع م: تجعل.
[8] ن: الأول.
[9] ن: الرسالة.
[10] جميع النسخ: إلى الملائكة.
[11] ن ع: يوحي.
[12] ر: وفي القرأة.
[13] ر م: نوحي.

وقوله: **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**. قال بعضهم: إنما خاطب به مشركي العرب، وأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم أنه لم تُجعل[1] الرسالة فيهم إلى عامة الخلق إلا في البشر. وقال بعضهم: إنما خاطب به من كفر من أهل الكتاب من لا يعرف الكتاب وغيره[2] أن اسألوا[3] أهل الذكر، أي من آمن منهم، ليخبروكم أن محمدا رسول الله إليكم، **إن كنتم لا تعلمون** أنتم أنه رسول الله. وهذا التأويل في رسول الله[4] خاصة، والتأويل الأول في جميع الرسل.

**﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[٨]**

وقوله: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام**، قال بعضهم: ما جعلناهم[5] أجسادًا لا أرواح فيها لا يأكلون ولا يشربون، ولكن جعلناهم أجسادا فيها أرواح يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق.[6] وجائز[7] أن يكون قوله: **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام**، من[8] نحو الملائكة والجن، ولكن جعلناهم بشرًا.

وحاصله أنهم كانوا يطعنون الرسل بأشياء. مرةً قالوا: أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا،[9] وقالوا: هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[10] ونحوه. كانوا لا يرون الرسالة في البشر ولا يرون الرسول[11] أن[12] يكون من نوع المبعوث إليهم،[13] فألزمهم أن رسل الله[14] الذين كانوا من قبل [و] الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ.[15]

---

[1] ع: لم يجعل.
[2] جميع النسخ + بمحمد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٢ظ.
[3] جميع النسخ و *الشرح*: سألوا.
[4] م- وهذا التأويل في رسول الله.
[5] ر ع م: ما جعلنا.
[6] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٧٣/٢.
[7] ر م: فجائز.
[8] ع: ومن.
[9] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[10] سورة الأنبياء، ٣/٢١.
[11] ع – البشر ولا يرون الرسول.
[12] ر ع م – أن.
[13] جميع النسخ: المبعوث إليه.
[14] م: أن الرسل.
[15] الآية السابقة.

ومرة ضعنوا[1] الرسل أنهم يأكلون الطعام ويشربون وينكحون ويمشون في الأسواق كغيرهم من الناس، كقولهم: مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ،[2] ونحوه. فألزمهم عز وجل وأخبرهم أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون ويشربون ويمشون ويقصدون حوائجهم حيث قال: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**، في الدنيا، وما قال[3] في آية أخرى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً.[4] فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث إليكم هو كسائر الرسل الذين كانوا من قبل، هو ممن كان[5] يأكل ويشرب وينكح وهو رسول وأنه بشر كسائر الرسل وهو رسول الله. على هذا يخرج[6] تأويل[7] الآية.

وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم ومذهبهم، لأنهم يقولون: إن الرسالة لا تكون[8] في الجوهر الكثيف الجسداني الذي يأكل ويشرب ويَفْنَىٰ ويَبيد؛ إنما تكون[9] في الجوهر البسيط الذي لا يأكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى. فأخبر عز وجل أنه لم يجعلهم جسدًا لا يأكلون الطعام ولا يبيدون، بل جعلهم جسادًا يأكلون ويموتون بقوله: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**.

**﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **ثم صدقناهم الوعد**، أخبر أنه وعد الرسل وعدًا، لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد الذي وعد رسله، لكن في آخره بيان أن الوعد الذي وعدهم كان وعد إهلاك وتعذيب، لأنه قال: **فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**، دل قوله: **فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**، أن الوعد كان وعد إهلاك. فنقول: كان وعد عز وجل الرسل الذين من قبل
[٤٨٠ظ] / من إهلاك مَن كذَّبهم، فكان[10] كما وُعدوا وإن تأخر ذلك الموعود من وقت الوعد. فعلى ذلك ما وعدكم محمد من العذاب فإنه نازل بكم وإن تأخر نزوله. *والله أعلم*.

---

[1] ر: ضعو.
[2] سورة الفرقان، ٧/٢٥.
[3] ر م: قاله.
[4] سورة الرعد، ٣٨/١٣.
[5] ر ع - كان.
[6] ع: تخرج.
[7] ن: تأويلاته.
[8] ن: لا يكون.
[9] ن ع م: يكون.
[10] ن: وكأنه.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٠]

وقوله[١] عز وجل: **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذِكْرُكم**، يحتمل قوله: **ذِكْرُكم**، ما يذكِّركم ما تأتون و[ما] تتقون. أو يذكركم ما لكم وما عليكم. وقال بعضهم: **فيه ذِكْرُكم**، أي شرفُكم ونُبلكم لو اتبعتم. وقال الحسن في قوله: **فيه ذِكْرُكم**: أي فيه دينكم الذي أمسك عليكم به.[٢] وقال غيره: فيه شرفكم ونُبلكم لو اتبعتموه،[٣] كقوله: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ،[٤] أي شرف لك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة**، **قصمنا**، أهلكنا. وأصل القَصْم الكسر. يخوِّف أهل مكة بتكذيبهم[٥] محمدًا[٦] ما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل.[٧]

*و[قال أبو عَوْسَجَة:] القَصْم الكسر، والمراد منه الهلاك. قَصَم غيرَه، وانقصم بنفسه، أي انكسر.* [٤٨٠ظ س١٦ - ٤٨٠ظ س١٧]

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فلما أحَسُّوا بأسنا إذا هم منها يَرْكُضُون**، قوله: **أحسُّوا**، قال بعضهم: علموا بالعذاب، **إذا هم منها يركُضون**، أي يفِرُّون ويَهْرُبون. وقال بعضهم: يَعْدون، وهو واحد.

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **أحسوا**، أي استيقنوا بعذابنا. ويقال: أحسَسْتُ،[٩] أي وجدت، وأحسست: علمت واستيقنت. يقال: أحسست: قطعت، وتحسَّست، أي تخيرت. والمِحَسَّة الفِرْجَوْن. وقال: **يركُضون** يهرُبون.[١٠]* [٤٨٠ظ س١٧ - ٤٨٠ظ س١٩]

---

[١] ر - وقوله.
[٢] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٢٢.
[٣] ن: لو تبعتم.
[٤] سورة الزخرف، ٤٣/٤٤.
[٥] ن + نبيه.
[٦] ن + صلى الله عليه وسلم.
[٧] ر ن ع + وقوله عز وجل وأنشأنا بعدها قوما آخرين.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٦-١٧.
[٩] م: أحسست.
[١٠] والحِسُّ: الجَلْد. وحَسَّ الدابة يَحُسُّها حَسًّا: نفض عنها التراب، وذلك إذا فرجها بالمِحَسَّة أي حَسَّها. والمِحَسَّة، بكسر الميم: الفِرْجَوْنُ (*لسان العرب*، «حسس»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٧-١٨.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **لا تركُضوا وارجعوا إلى ما أُترِفتم فيه**، أي أُنعمتم، **فيه ومساكِنِكم.** مثل هذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم. وقوله عز جل: **لعلكم تسألون**، قال بعضهم: تعذبون، وقال بعضهم: تحاسبون، وقال بعضهم: **لعلكم تسألون** الإيمان كما سُئِلتموه قبل نزول العذاب. وقيل: **لعلكم تسألون** عن قتل نبيكم، -لأنهم قتلوا نبيهم- تسألون فيم[1] قتلتموه. وقال بعضهم: كان هذا في نازلة -والله أعلم- تنقتهم[2] الملائكة وهم هارِبُون فارُّون، فقالوا لهم: **لا تَرْكُضُوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون**، استهزاءً بهم. وقال بعضهم: **لعلكم تسألون**، تفقهون.[3]*

[وقال أبو عَوْسَجة:] **إلى ما أُترِفْتُم فِيهِ**، أي أُنعمتم ومُتِّعتم، والإتراف الإكرام. وقال أبو عبيدة: **يركُضون**، يعْدون.[5]

وقوله: **لا تركُضوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكِنِكم لعلكم تُسألون**، ليس على الأمر ولكن أي لو رجعتم إلى ما أترفتم فيه. وكذلك: **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا**،[6] كذا ليس على الأمر، ولكن لو سرتم فانظروا كذا. فعلى ذلك قوله: **وارجعوا إلى ما أترفتم فيه**، أي لو رجعتم **لعلكم تسألون** الحوائج على ما كنتم تسألون[7] من قبل. فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء جزاءً لصنيعهم. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**، يُقِرُّون يومئذ بالظلم، لكن لا ينفعهم ذلك، ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العَود إلى دنياهم، كقوله: **يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**.[8]

---

[1] ر غ م: فيما.

[2] ن: تنقيهم.

[3] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٩.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٥ و١١ و١٢ فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٣-١٩.

[5] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٣٥.

[6] سورة النمل، ٢٧/٦٩.

[7] م - الحوائج على ما كنتم تسألون.

[8] سورة الفجر، ٨٩/٢٤.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فما زالت تلك دعواهم**، أي **مازالت تلك**، أي قولهم: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ دعواهم، **حتى جعلناهم حصيدا خامدين**. فإن كان هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله: **حتى جعلناهم حصيدا خامدين**، بالقتل بالسيف والإهلاك؛[١] وإن كان[٢] ذلك في الآخرة فيكون قوله: **حصيدا خامدين**، في النار في الآخرة. *والله أعلم*. **وحصيدا**، أي هالكا وهو محصود؛ **وخامدين** كما يقال: خَمَدت النار إذا طَفِئت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**، أخبر أنه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما لتكون سماءً وأرضا على ما هما عليه ثم تَفنيان وتَبيدان، ولكن خلقهما لعاقبة قصدها، وهي[٣] أن يُمتحن أهلها. لأن من عمل في الشاهد عملاً لا يقصد به عاقبةً يأمل وأمرًا يرجو[٤] فهو في عمله عابثٌ لاغٍ. ولو كان على ما عند أولئك الكفرة بأنْ لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب لكان إنشاؤهما وما بينهما باطلا لَعِبًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[٥] صيّر عدمَ الرجوع إليه خلقُهم عبثا باطلا. وقال الحسن: لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما لحكمة، من نظر إليهما دَلَّاه[٦] على وحدانية منشئهما وسلطانه وقدرته وحكمته وعلى علمه وتدبيره.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتّخذناه من لدنا**، قال بعضهم: **لهوا**، أي زوجة. لكن هذا بعيد،[٧] لأنه احتج[٨] عليهم عن نفي الولد بنفي الصاحبة بقوله: أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟[٩]

---

[١] ع: بالإهلاك.
[٢] م - هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالقتل بالسيف والإهلاك وإن كان.
[٣] ر ن م: وهو.
[٤] جميع النسخ: ويرجو أمرا.
[٥] سورة النور، ١١٥/٢٤.
[٦] ر ع م: دالان.
[٧] ن: لكن يبعد.
[٨] ن + به.
[٩] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

فلولا أنهم أقروا وعرفوا أن لا صاحبة له وإلا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة معنًى. ويكون قوله: **لو أردنا أن نتخذ لهوا**، أي[1] ولدا، لأن الناس يتلهَّوْن بالولد فسماه لهوًا لذلك.

قال: **لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **لاتخذناه من لدنا**، بحيث لا يبلغ أفهامكم ولا يدرك[2] علمكم. لأن الولد يكون من جنس الوالدين ومن شكلهما،

[٤٨١و] وسبيلُ معرفته وعلمه الاستدلال[3] لا الحس،[4] فإذا لم يعرفوه بالحس[5] فكيف يعرفون من هو يكون منه[6] لو كان. والثاني أن الغائب إنما يُعرف بالاستدلال بالشاهد، فلو كان له الولد على ما تزعمون لكان لا يعرف، لأنه لا صنع للولد في الشاهد، إذ هو الواحد المتفرد بإنشاء العالم فتذهب[7] معرفة الولد وإدراكه،[8] لو كان على ما تزعمون.

وقوله: **لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا**، ليس على أنه يحتمل أن يكون له الولد أو أن يحتمل أن يتخذ ولدا، ولكن لو احتمل أن يكون لم يحتمل أن يدرك ويعلم. وكذلك يخرج قوله: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا،[9] ليس أنه يحتمل أن يكون فيهما آلهة، ولكن لو احتمل أن يكون فيهما آلهة لفسدتا.

**﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **بل نقذف بالحق على الباطل**، يشبه[10] أن يكون الحق الذي أخبر أنه يُقذف على الباطل القرآنَ الذي أنزله على رسوله، والرسولَ نفسَه، أو الآياتِ التي جعلها لوحدانيته وألوهيته. **فيدمَغه**، أي يُبطل ذلك الذي قالوا في الله ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره مما لا يليق[11] به. **فإذا هو زاهق**، أي هو ذاهب متلاشٍ.[12]

---

[1] ن – لهوا أي.
[2] ع: ولا يدركه.
[3] ن: لاستدلال.
[4] ر ع م: الحسي (بدون "لا").
[5] ر م: فإذا لم يعرفوا هو بالحسي؛ ع: فإذا لم يعرفوا هو بالحس.
[6] ع – منه.
[7] جميع النسخ: فيذهب.
[8] ر م: إدراكه.
[9] سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.
[10] ن: فيتشبه.
[11] ع: مما يليق.
[12] جميع النسخ: متلاشي.

وقوله: **ولكم الويل مما تصفون،** من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوه مما لا يليق به.

*قال أبو عَوْسَجَة: **فيدمغه،** أي يبصله. وقال غيره: يهمكه، وهو من قولك: ضربت الرجل فدمغتُه،[1] إذا وصلت الضربة إلى الدماغ، وإذا كان كذلك مات. فكذلك يدمغ الحق الباطلَ، أي يُهلكه. وقوله: **فإذا هو زاهق،** أي ذاهب وميت. زهق، إذا مات وهلك؛ والزاهق في غير هذا السمينُ.* [٤٨١و س٢٥ – ٤٨١و س٢٨]

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[١٩]

وقوله: **وله من في السماوات والأرض،** كأنه ذكر هذا جوابًا لقولهم وردًّا على وصفهم إياه بالذي وصفوه فقال: **وله من في السماوات والأرض،** أي له من في السماوات والأرض كلهم عبيده وإماؤه. ولا أحد في الشاهد يتخذ لنفسه ولدا من عبيده وإمائه. فإذا لم تروا هذا في الخلق أنَفًا من[3] ذلك واستنكافًا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه وأضفتم إليه؟ أو أن يخبر غِناه عن الخلق[4] بأن له من في السماوات والأرض،[5] والولد في الشاهد إنما يطلب لحاجات[6] تسبق،[7] فإذا كان الله سبحانه وتعالى غنيًّا بذاته بما ذكر أن له كذا لا حاجة تقع له إلى الولد. تعالى الله عما يقول[8] الظالمون عُلُوًّا كبيرا.

وقوله: **ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون،** يشبه أن يكون ذَكَر هذا لقولهم: الملائكة بنات الله،[9] فأخبر أنهم ليسوا كما وصفتم، ولكنهم عبيد لي[10] لا يستريحون عن عبادتي ولا يَفتُرُون. أو أن يكون ذكر هذا لمكان من عبد الملائكة واتخذهم آلهة دونه، فأخبر أنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يفترون، ولم يدّعوا هم[11] الألوهية لأنفسهم، فكيف نسبتم[12]

---

[1] ر م: فدمعه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير لآية الآتية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨١و/سطر٢٥-٢٨.
[3] ن + من.
[4] ع – أنف من ذلك واستنكافا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه وأضفتم إليه أو أن يخبر غنائه عن الخلق.
[5] ع + أي له من في السماوات والأرض.
[6] ر م: لحاجة. انظر لهذه الحاجات والأسباب: سورة مريم، ٣٥/١٩ من هذا التفسير.
[7] ن: يسبق.
[8] ر: يقولو.
[9] انظر مثلا: سورة الصافات، ١٥٥/٣٧-١٥٧، ١٦٤-١٦٦.
[10] ر ع م + هن؛ ن + فن؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٩٣ظ.
[11] ر م: و م يدعوهم.
[12] ر: نسيتم.

الألوهية إليهم وعبدتموهم دوني؟ أو أن يكون قال ذلك أنكم إن استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر عنها من هو أرفع منزلة وأعظم قدرًا منكم.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢٠]

**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**، يُنَزِّهون الله و يبرّءونه عما وصفه الملحدة[1] من الولد وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به. وهذه الآية تنقض[2] قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا: إن الأعمال لأنفسها مُتعِبة مُنصِبة. ولو كانت الأفعال لأنفسها متعبة على ما ذكروا لكان البشر والملائكة فيها[3] سواءً، فلما أخبر عنهم أنهم لا يُعْيُون ولا يَفتُرون ولا تُتعبهم[4] العبادة دل أنها صارت متعبة لصنع غيرٍ فيها لا لأنفسها. وهذه المسألة في خلق أفعال العباد، هم ينكرون خلقها ونحن نقول: هي خلق الله عز وجل [و] كسب للعباد. وقد ذكرنا هذا في غير موضع كلاما كافيًا.[5]*

[قال أبو عَوْسَجَة:] **ولا يستحسرون**، أي لا يُعْيُون، ومنه حَسِيرٌ ومحسور أيضا. **لا يفترون**، والفتور الإعياء أيضا.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾[٢١]

وقوله: **أم اتخذوا آلهة من الأرض**، قوله:[7] **أم اتخذوا**، استفهام في الظاهر من الخلق، لكن ذلك من الله على الإيجاب، كأنه قال: قد[8] اتخذوا آلهة. وكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام فإنه على الإيجاب، لأنه عالم بما كان ويكون، لا يخفى عليه شيء. وأما الخلق فإنه يجوز أن يستفهم بعضٌ من بعض لما يخفى على بعض أمورُ بعض فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم بذلك *والله الموفق*.

وقوله: **هم يُنْشِرون**، يحتمل[9] وجهين. أحدهما **هم يُنشِرون**، أي يخلقون، أي **اتخذوا آلهة** لا يخلقون، كقوله: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[10] وكيف اتخذوا آلهة لا يخلقون؟ وإنما يُعرف الإله بالخلق

---

[1] م: الملاحدة.
[2] ن: تنقص.
[3] جميع النسخ + شرعا.
[4] جميع النسخ: ولا يتعبهم.
[5] انظر لهذا الموضوع: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات، مادة «أفعال العباد».
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٨، فنقلته إلى هنالك. انظر: ورقة ٤٨١و/سطر٢٥-٢٨.
[7] ن م – قوله.
[8] ل ع م – قد.
[9] ر ع – يحتمل.
[10] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).

وبآثارٍ تكون في الخلق. فإذا لم يكن من هؤلاء خلق كيف اتخذوها آلهة؟ والثاني **هم يُنْشِرون**، أي يَبعثون[٢] ويُحْيُون. فإن كان على البعث والإحياء فكأنه يقول: كيف اتخذوا من لا يملك البعث والإحياء آلهةً؟ وخلق الخلق [لا] للبعث والإحياء بعد الموت يخرج على غير الحكمة في الظاهر، لأن من بنى في الشاهد بناءً للنقض خاصة لا لعاقبة يقصده به كان غيرَ حكيم في فعله عابثا في بنائه. وكذلك قوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[٣] جعل خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثًا. فيخرج هذا على وجهين. **أم اتخذوا آلهة**، أي قد اتخذوا آلهة **من الأرض هم يُنْشِرون**. أو لم يتخذوا **آلهة من الأرض**، هم يملكون النشر أو النشور. [٤٨١ظ]
**والله أعلم**.

﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[٢٢]

وقوله: **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، وفي حرف ابن مسعود وأبيّ وحفصة: لو كان فيهن آلهة غير الله لَفَسَدْنَ. ثم يحتمل قوله: **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، وجوها. أحدها **لفسدتا**، أي لم تكونا[٤] من الأصل، لأن العرف في الملوك أن ما بَنَى هذا وأثبته يريد الآخر نقْضَه وإفنائه[٥] فلم تثبتا ولم تكونا[٦] من الأصل لو كان لعدد.

والثاني **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، لم تكن[٧] منافع إحداهما[٨] متصلة بمنافع الأخرى للخلق، إذ يمنع[٩] كل واحد منهم منافع[١٠] ما خلق هو من أن تصل إلى الأخرى. فإذا اتصلت منافع إحداهما[١١] بالأخرى دل أنه[١٢] صنعُ واحد وتدبيرُ واحد لا عدد.

---

[١] ر م: لم تكن.
[٢] ع - أي يبعثون.
[٣] سورة النور، ١١٥/٢٤.
[٤] ر ع م: م يكونا.
[٥] ر ع م: وفناه.
[٦] جميع النسخ: فلم يثبت ولم يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٤و.
[٧] جميع لنسخ: م يكن.
[٨] جميع لنسخ: إحديهم.
[٩] جميع النسخ: مبع.
[١٠] ع + مافع.
[١١] جميع لنسخ: إحديهما؛ ع+ إحديهما.
[١٢] ر: أن.

والثالث لو كان عددا لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد في كل عام. فإذا اتسق التدبير وجرى الأمر في كل عام على سَنَنٍ واحد دل أنه تدبير واحد لا عدد، إذ لو كان لعدد لكان يختلف الأمر[1] في كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جرى على أمر واحد.

وقال بعضهم: **لفسدتا**، هو قول الله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ،[2] على ما هو من عادة ملوك الأرض.

وقوله: **فسبحان الله رب العرش عما يصفون**، من الولد والشريك.

**﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**[٢٣]

وقوله: **لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**، هذا يحتمل وجوها. أحدها أنه **لا يسأل**، لأن ما يفعل يفعل في ملكه وسلطانه؛ وإنما يسأل من فعل في سلطان غيره وملك غيره. ففي ذلك دلالة أنه لا يجوز التناول في شيء إلا بالأمر[3] والإباحة من مالكه، فيبطل قول من يقول: هو على الإطلاق والإباحة في الأصل.

والثاني **لا يسأل عما يفعل**، لأنه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة، فإنما يُسأل من يحتمل فعلُه السَّفَهَ؛ فأما من لا يحتمل فعله إلا الحكمة فإنه لا يحتمل السؤال لم فعلت، ولماذا فعلت؟

والثالث لو احتمل السؤال **عما يفعل**، لاحتمل الأمرَ والنهي أن افعلْ كذا ولا تفعل كذا، وذلك محال. ولو ثبت الأمر فيه لكان يخرج سؤاله سؤالَ حاجة. لأن من يأمر مَن فوقه بأمر فإنما يكون أمر سؤال حاجة؛ ومن يأمر مَن دونه فيكون أمره أمرًا.

**﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**[٢٤]

وقوله: **أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم**. فيه دلالة لزوم الدليل على النافي، لأنه لما قال: **هاتوا برهانكم**، كان لهم أن يقولوا: هات أنت البرهان على ما أدعيت من الألوهية؛ ونحن ننكر ذلك [والبيّنة للمُدَّعِي]. فإذا لم يكونوا يقولون[4] ذلك دل أن الدلالة[5] تلزم النافي.

---

[1] ع: لأمر.

[2] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.

[3] ن: بأمره.

[4] ن: فإذ لم يقولوا.

[5] ن: ازالة الالة.

وقوله: **هذا ذكر من مَعِيَ وذكر من قبلي**، أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي.[١] قال بعضهم: هذا القرآن فيه ذكر من معي من الحلال والحرام هم،[٢] وذكر من قبلي،[٣] أي فيه ذكر أعمال[٤] الأمم السالفة وأخبارهم وما صنع الله بهم وإلى[٥] ما صاروا إليه. أو أن يكون قوله: **هذا ذكر من معي**، أي خبر من معي وخبر من قبلي، فيكون فيه دليل رسالته. لأنه أخبر عن أنباء الأمم السالفة وأخبارهم[٦] على ما ذُكرت في كتبهم من غير أن يعلم[٧] ما في كتبهم بتعلم[٨] منهم أو بنظر[٩] كان منه فيها، ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله.

ويشبه أن يكون تأويل قوله: **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي**، ما ذكر:[١٠] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ،[١١] أي هذا ذكر من معي وذكر الرسل من قبلي ومن معهم، أي بهذا[١٢] الذكر أرسلني إلى من معي وأرسل الذين من قبلي إلى قومهم. *والله أعلم*.

وقوله: **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**، كذلك كانوا لا يعلمون الحق بإعراضهم عنه.

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢٥]**

وقوله: **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**، أخبر أنه لم يرسل رسولًا من قبلُ إلا بما ذكر من قوله: **أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**. ثم يحتمل قوله:

---

[١] ن - أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي.
[٢] ن - لهم.
[٣] ع - أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي قال بعضهم هذا لقرآن فيه ذكر من معي من الحلال والحرام لهم وذكر من قبلي.
[٤] ر م: الأعمال.
[٥] م: إلى.
[٦] ع م: وأخبرهم.
[٧] جميع النسخ: علم.
[٨] ر ن ع: يتعلم.
[٩] ر ع: ينظر.
[١٠] ع - ذكر.
[١١] الآية التالية.
[١٢] ر: هذا.

**فاعبدون**، أي وحِّدوني[1] في الألوهية، لا تصرفوا الألوهية إلى غيري، ولا تشركوا مَن دوني في ألوهيتي. أو أن يكون قوله: **فاعبدوني**، أي[2] فاصرفوا العبادة، إليَّ[3] ولا تصرفوا العبادة إلى مَن دوني.[4] *والله أعلم*.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مُكرَمون**. دل قوله: **بل عباد مكرَمون**، أنهم لم ينسبوا الولد إليه ولا قالوا ذلك أنه اتخذ ولدًا على حقيقة الولاد، ولكن قالوا ذلك على الصفوة واصطفاء[5] من أضافوا ونسبوا إليه، لأنه أخبر أن الذين قالوا: إنهم ولده من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا، ولكنهم **عباد مكرمون**. ثم أخبر بما أكرمهم فقال:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٢٧]

**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**، أخبر أنهم لا يتقدمونه في قول[6] ولا فعل إلا بإذن منه وأمرٍ. أو أن يكون قوله: **لا يسبقونه بالقول**، أي لا يأمرون بشيء ولا ينهون عن شيء إلا بإذن من الله وأمر منه. *والله أعلم*.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**، هذا قد ذكرناه في سورة طه.[7] وقوله: **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**، وقال في آية أخرى: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا،[8] فيكون تأويل قوله: **إلا لمن ارتضى**، أي إلا لمن أذن له. ثم يتوجه / قوله: **إلا لمن ارتضى** إلى الشفيع، [٤٨٢و] أي لا يؤذن لأحد بالشفاعة إلا من كان مَرضِيًّا مُرتضًى دينا وعملا. ويتوجه قوله: **إلا لمن ارتضى**، إلى المشفوع له؛ **إلا لمن ارتضى** عنه الرب مذهبا وعملا حتى لم يدخل في عمله تقصير.

---

[1] ع: وجدوني.

[2] ر ن + إلي.

[3] ن – إلي.

[4] ع – في ألوهيتي أو أن يكون قوله فاعبدوني أي فاصرفوا العبادة إلي ولا تصرفوا العبادة إلى من دوني.

[5] ر: واصطفاة؛ ع م: واصطفات.

[6] م: في قوله.

[7] انظر تفسير الآية ١١٠ من سورة طه.

[8] سورة طه، ١٠٩/٢٠.

ثم الشفاعة إنما جعلت في الأصل لتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير. ثم لا يخلو الذي يُشفع له إما[1] أن يكون صاحبَ الصغيرة فيجوز أن يعذَّب عليها، أو أن يكون صاحبَ كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة، لأنا قد قلنا: إن الشفاعة إنما جعلت لمن منه التقصير في العمل. ففيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن صاحب الصغيرة معفوٌّ عنه الصغيرةُ حتى لا يجوز أن يعذب عليها؛ وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز،[2] بل هو معذب أبدًا.

وقوله: **وهم من خشيته مشفقون**، هذا -والله أعلم- كأنه صلة قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[3] الآية، أي من خشية عذابه وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا أمر ولا نهي خوفا منه وهيبةً. *والله أعلم*.

**﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٢٩]**

وقوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**، هذا كأنه مقطوع عما سبق وتقدم ذكره غير موصول[4] به،[5] لأن ما سبق هو القول منهم أنه اتخذ الرحمن ولدًا. فلو كان على اتصاله بالأول لكان يقول: ومن يقل منهم إني ولد إلهٍ، لأنهم قالوا: اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا،[6] ولم يقولوا: إنه اتخذ[7] إلها. فلو كان على الصلة بالأول[8] والجواب له فهو [كان] يخرج على الجواب لهم: **ومن يقل منهم إني** ولد إلهٍ. لكن كأنهم كانوا فِرَقا. منهم من قال: اتخذ ولدا، ومنهم من عبد دونه الملائكةَ واتخذهم آلهة، فخرج هذا جوابا لذلك فقال: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**، الآية.

فإن قيل لنا في قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[9] وقد عُبد عيسى دونه وعُبد الملائكة دونه، فيكونون[10] حصبَ جهنم على ظاهر ما ذُكر.

---

[1] م: انه.
[2] ر ع: التجاوز.
[3] الآية السابقة.
[4] ن: عن موصول.
[5] ع - به.
[6] سورة الأنبياء، ٢٦/٢١.
[7] ر م + الرحمن.
[8] ع: لأول.
[9] سورة الأنبياء، ٩٧/٢١.
[10] جميع النسخ: فيكون.

قلنا: تأويل قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، أي إنكم وما تعبدون من دون الله بأمر الذين[1] عُبدوا وقالوا لهم: اعبدوني، حَصَبُ جَهَنَّمَ. دليله ما ذكر في الآية: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**، أي المشركين. **الظالمين** ههنا المشركون الكافرون.[2]

ثم قال الحسن: في قوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه**، لا يحتمل أن يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم بالطاعة له وترك الخلاف لأمره، لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق أن من قال هذا[3] وإن عظُم قدره عنده وجلّت منزلته أنه يجزيه بما ذَكَر وأنه[4] مستوجب[5] لذلك. ولكن عندنا المعصية من الملائكة ممكن محتمل، دليله قوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه**، ولأنه قد مدحهم بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ[6] الآية، وقوله:[7] لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ[8] الآية، فدلّ ذلك كله على أنهم مختارون في ذلك غير مجبولين[9] عليه. وقال بعضهم من أهل التأويل: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**، هو إبليس؛ هو كان منهم، وهو الذي قال ذلك: إني إله من دونه فاعبدوني.[10] *والله أعلم*.

**﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٠]**

وقوله: **أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**، قوله: **أولم ير**، يخرج على وجوه. أحدها[11] أن اعْلَمُوا ورَوْا[12] أن السماوات والأرض كانتا كذا.

---

[1] ع: الدين.
[2] جميع النسخ: المشركين لكفرين، ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[3] ر ع م: ذلك.
[4] م: أنه.
[5] ر ع م: يستوجب.
[6] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[7] ر: قوله.
[8] سورة الأنبياء، ٢١/١٩.
[9] ن: غير مجبورين.
[10] انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٧٣.
[11] ر: أحدهما.
[12] ر م: واروا؛ ن ع: وارأوا.

والثاني لو تفكروا وتأملوا أنهما كذا. والثالث على التنبيه أن قد رأوا[١] وعَلِمُوا أنهما كانت كذا. وكذلك هذا في كل ما ذكر من قوله: أَوَلَمْ يَرَوْا[٢] إلى كذا، وأَلَمْ تَرَ كذا، فهو كله[٣] يخرج على هذه الوجوه.

ثم يكون قوله: **وجعلنا من الماء كل شيء حيٍ**، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ،[٤] كل هذا كان في قوله: **أولم ير الذين كفروا**؛ كأنه يقول: أولم يروا كذا، أولم يروا[٥] ما جعلنا لهم[٦] من أنواع ما ذُكر.

ثم ذِكْرُ[٧] هذا لهم[٨] يكون[٩] لوجوه. أحدها أن يذكر نعمه عليهم حيث أخبر أن السماء والأرض **كانتا رتقا** ففتق منهما أرزاقهم؛ وذكّرهم أنه جعل بالماء حياتهم، وجعل لهم الأرض بحيث تَقِرُّ بأهلها وتَسْكُن بهم، وجعلها مهادًا لهم وفراشًا بالجبال حتى قدروا على المُقام بها والقرار. ثم قال إنه جعل فيها فِجَاجًا وسُبُلًا ليصلوا إلى حوائجهم وشهواتهم ومنافعهم التي جعلت لهم في البلاد النائية، وذكّرهم نعمه أيضا في حفظ السماء عن أن تسقط عليهم على ما أخبر أنه يمسكهما[١٠] هو بقوله: إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا.[١١] وذكّرهم أيضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار وفي الشمس والقمر من المنافع، يستأدي بذلك كلِّه الشكر على ما أنعم عليهم.

أو أن يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه، أن من قدر على فتق السماء من الأرض وجعْلِ حياة كل شيء في الماء وإمساك السماء وحفْظِها عن أن تسقط / بلا عمد، وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع الشمس والقمر بيوم واحد مسيرةَ خمسمائة عام، أن من قدر على كل ما ذُكر لقادر على بعثهم وإحيائهم[١٢] بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا. [٤٨٢ظ]

---

[١] جميع النسخ: قدروا.
[٢] جميع النسخ: أولم تروا؛ ولكن ليس هناك آية هكذا (انظر أيضا: *الشرح*، ورقة ٤٩٤ظ).
[٣] م + يرجع.
[٤] هذه هي الآيات التي تلي هذه الآية.
[٥] ر م: أولم يروا.
[٦] ر ع م: ما جعلناهم.
[٧] ع - ثم ذكر.
[٨] ع - لهم.
[٩] م - يكون.
[١٠] ن: يمسكها.
[١١] سورة فاطر، ٤١/٣٥؛ وانظر أيضا: سورة الحج، ٦٥/٢٢.
[١٢] م: وإحسانهم.

و أن يذكرهم غناه بذاته وملكه أن من كان هذا سبيله فأنّى يقع له الحاجة إلى اتخاذ الولد أو الشريك أو الصاحبة؟ ردًّا على ما قالوا: اِتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا[1] وما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً،[2] ونحوه. وبين فساد ذلك كله وبطلانه حيث قال: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا،[3] وقوله: أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ،[4] ونحوه يبين بهذا كله[5] فساد ما ادّعوا على الله أنه اتخذ كذا.

ثم اختلف في قوله: **كانتا رتقا**، قال بعضهم: فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات؛ فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بألين شيء وهو الماء.[6] وكذلك الأرض فتقها بألين شيء وهو النبات مع شدتها وصلابتها. وهو ما ذكرنا من لطفه وقدرته. وقال بعضهم: **كانتا رتقا**، ملتزقتين[7] ففتقهما[8] وجعل بينهما هواء مكانا للخلق. وقال بعضهم: كانت السماء واحدة والأرض كذلك فجعل من السماء سبعا ومن الأرض كذلك سبعا[9] فذلك[10] فتقه إياهما. ***والله أعلم***.

وقوله: **وجعلنا من الماء كل شيء حي**، قال بعضهم: الماء نطفة[11] الرجال، منه يخلق الخلائق. وقال بعضهم: **وجعلنا من الماء** الذي يخلق في الأرض أو أنزل من السماء حياة كل شيء. يُعْلَم حياة خلائق الأرض بهذا الماء، ولكن لا يعلم حياة أهل السماء بماذا؟ ***والله أعلم***.

**﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **وجعلنا في الأرض رَوَاسِيَ أن تَمِيد بهم**، هذا يدل أن الأرض لم يكن من طبعها في الأصل التسفُّل والتسرُّب في الماء على ما قاله بعض الناس؛ لأنه لو كان طبعها التسفُّلَ

---

[1] ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون﴾ (سورة البقرة، ١١٦/٢).
[2] ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نُشُورا﴾ (سورة الفرقان، ٣/٢٥).
[3] سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.
[4] سورة الأنبياء، ٢١/٢١.
[5] ع م - بهذا كله.
[6] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٧٤/٢.
[7] ر - ملتزقتين؛ م: ملترقين.
[8] ر ع م: ففتقاهما.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ (سورة الطلاق ١٢/٦٥).
[10] ر م: فكذلك.
[11] ع م + نطفة.

والتسرُّب لكانت[1] الجبال تريد[2] التسفل في الماء[3] والتسرب. فإذ[4] لم يكن دل أن طبعها كان الاضطراب والزوال والتحرك والمَيَد بأهلها، لا التسفل[5] والتسرب، ولكن على ما ذكرنا، فأثبتها بالجبال وإن كنا نشاهد بعض أجزائها تَسْفَل وتَسْرَب. وهذا كما نقول: إن بعض العالم متعلق ببعض وإنه لا يخلو عن مكان. وكل العالم لا تعلُّق له به ولا الأمكنة آخذة لها.[6] فعلى ذلك الأرض. أو[7] أن كان طبعها التسفل والتسرب جعلها بحيث تَقِرُّ وتَمسَّك بشيء طبعه[8] التسفل[9] أيضا، باللطف.

وقوله: **وجعلنا فيها فِجَاجًا سُبُلًا**، قال بعضهم: الفجاج والسبل واحد، وهي الطرق التي جعلها في الجبال. وقال بعضهم: الفجاج السعة والفُسْحة، والسبل الطرق. وقال بعضهم: الفجاج هي الطرق التي في الجبال، والسبل هي التي في المَفَاوِز.

**﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٣٢]**

وقوله: **وجعلنا السماء سقفا محفوظا**، أي محبوسا عن أن تسقط عليهم. وقال بعضهم: **محفوظا** من الشياطين، أي صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملائكة بعد ما كانوا يستمعون من قبل.[10] *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣٣]**

وقوله: **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**، قال بعضهم: الفلك السماء، وقال بعضهم: استدارة السماء. وقيل: الفلك المجرى[11] والسرعة،

---

[1] جميع النسخ: لكان.
[2] ر ع م: تدير التسفل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[3] ن - في الماء.
[4] ر م: فإذا.
[5] ر ع م: في التسفل.
[6] يقول الشارح رحمه الله: «ولا يقال: إنا نشاهد بعض أجزائها أنه يتسرب ويتسفل والجزء يحكي حكاية الكل. لأن نقول: اعتبار الجزء بالكل باطل في الحكمة والإطلاق. فإن بعض العالم متعلق ببعض وإنه لا يخلو عن مكان بل بعضه مكان لبعض، وكل العالم لا تعلق له بالمكان. فعلى ذلك الأرض: ممكن أن يكون بعض أجزائها يتسفل في الماء والهواء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩٤ظ-٤٩٥و).
[7] ن: و.
[8] ر ع م: طبعها.
[9] ر: لتسفل.
[10] يقول الله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيّناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٦-١٨)؛ وانظر أيضا: سورة الصافات، ٣٧/٦-١٠؛ وسورة الملك، ٦٧/٥.
[11] ر م: الجري؛ ع: المجر.

وقيل: الفَلَك فَلكة كفَلْكة المِغْزَل، وهو دورانه،[1] وكذلك فَلْكة الطاحونة، هو ما يدور به الطاحونة، وهي الحديدة التي يدور بها الطاحونة.[2] وقالوا: إن الفلك هو استدارة، وكل شيء دارَ فهو فلك، وهو ما ذكرنا.

وقوله: **يَسْبَحون**، قال بعضهم: يَجْرُون، وقال بعضهم: **يسبحون** يعملون.[3] وكذلك روي في حرف عبد الله: "كل في فلك يعملون".[4]

وظاهر الآية أن يكون هنالك بحر أو نهر[5] فيه يجري الشمس والقمر، وفيه تغربان ومنه تطلعان، لأنه قال: **في فلك يسبحون**، والسِّباحة هي المعروفة عند الناس، وهو ما يسبح المرء في بحر أو نهر. هذا ظاهر الآية، وعلى ذلك جاءت الأخبار. روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خلق الله بحرًا دون سماء الدنيا بمقدار[6] ثلاث فراسخ وهو[7] موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله تعالى، لا تقطر[8] منه قطرة. والبحور[9] كلها ساكنة، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم. ثم انطباقه في الهواء مستوٍ[10] كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب فتجري الشمس والقمر والخُنَّس في ذلك البحر، فذلك قوله: **كل في فلك يسبحون**.»[11] والخُنَّس هي التي تَخنِس بالنهار وتجري بالليل، والفَلَك دوران العَجَلة في لُجَّة غمرة ذلك البحر. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لَحَرَقَتْ كلَّ شيء في الأرض حتى الصخور،[12]

---

[1] قال ابن عباس: يدورون كما يدور المِغْزَل في الفَلْكة. قال مجاهد: فلا يدور المِغْزَل إلا بالفَلْكة ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن، كما قال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حُسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة الأنعام، ٩٦/٦) (*تفسير ابن كثير*، ١٧٨/٣). وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فَلْكة المِغْزَل (*تفسير الطبري*، ٣١/١٧).

[2] والطَّاحُونة والطَّحَّانة: التي تدور بالماء، والجمع الطَّواحِينُ (*لسان العرب*، «طحن»).

[3] ر م: يعلمون.

[4] ر م: يعلمون.

[5] ر م: بحرا ونهرا؛ ع: بحرا أو نهرا.

[6] ر ع م: مقدار.

[7] ر ن م: فهو.

[8] ر ع م: لا يقطر.

[9] ر: والبحر.

[10] ن: مستوى.

[11] لم أجده، ولكن -على ما يبدو- يلتئم بعض معطيات علم الفلك بشرط أن نجعل "البحر" مجازا، ونجعل "ثلاث فراسخ" كناية عن البعد.

[12] ر: الصخور.

ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن به أهل الأرض كلهم يعبدونه[1] من دون الله إلا من عصمه الله.»[2]

وفي بعض الأخبار: الفَلَك ماء مكفوف يجري فيه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار. ويقال: الشمس والقمر والليل والنهار[3] كله دون السماء يدور به الفلك. ومثل هذا قد قيل فيه.[4] والله أعلم بذلك.

وظاهر الآية في الخبر ما ذكرنا أن الشمس والقمر هما اللذان يجريان ويسبحان في ذلك الماء. وعلى تأويل بعضهم أنهما على حالهما لا يجريان، لكن الفلك هو يجري، فيظهران ويَبْدُوَانِ في وقت ويختفيان[5] في وقت[6] آخر. ولو كانا هما اللذان يجريان لكانا على حالة واحدة ويظهران / في الأحوال كلها، لكنا لا نعلم ذلك إلا بالخبر عن الله أنه كذلك. ***والله أعلم.*** [٤٨٣و]

**﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[٣٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أ فإن مت فهم الخالدون**، كأن هذا خرج جوابا لقول أولئك الكفرة في رسول الله صلوات الله عليه. والأشبه أن يكون ما أصابهم من الشدائد والفتن والهلاك، كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به أن ذلك إنما يصيبهم به. وقالوا: لولا هو ما يصيبنا من ذلك شيء، فقال جوابا لهم: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**، بل حكمه أن يموت الكل على ما أخبر **كل نفس ذائقة الموت**. فإذا لم يكن لأحد[7] من قبلك الخلد،

[1] جميع النسخ: يعبدون، والتصحيح من *الشرح* ٤٩٥ظ.
[2] لم أجده.
[3] ر - ويقال الشمس والقمر والليل والنهار.
[4] يقول الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء. وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك. وإذ كان كل ما دار في كلامها ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يُقطَع بقوله العذرُ دليلٌ يدل على أيّ ذلك هو ومن أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر كلّ ذلك في دائر يسبحون" (*تفسير الطبري*، ٣١/١٧).
[5] ر ع م: مختفيان.
[6] ر م + ومختفيان في وقت.
[7] ن: لأحد.

بل كنهم قد ماتوا كيف يتشاءمون بك أن ذلك مما يصيبهم بسببك وشؤمك؟ **أفإن متَّ فهم الخالدون**، أي وإن مت أنت وتخرج من بينهم لا يَخلُدون[1] هم فيها، لأن من حكمه أنْ **كلُّ نفس ذائقة الموت**. وقوله:[2] **ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم في غير موضع.[3]

**﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾**[٣٦]

وقوله: **وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] يذكر آلهتهم بسوء ويعيبها فيهزءون به مكان ما يعيب هو آلهتهم[5] ويقولون: **أهذا الذي يذكُر آلهتكم؟**

ثم يحتمل أن يكون هذا من القادة منهم والرؤساء إغراءً لأتباعهم عليه أنه يذكر آلهتكم بسوء. أو أن يقول بعضهم لبعض إذا ضلوا عنه كقوله: وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ؟[6] الآية.[7]

وقوله: **وهم بذكر الرحمن هم كافرون**، قال بعضهم: كانوا يقولون: لا نعرف ما الرحمن، فيكفرون باسم الرحمن.[8] ويحتمل أن يكون قوله: **بذكر الرحمن**، بنعمة الرحمن وهو محمد عليه السلام، أي يكفرون بنعمته. أو أن يذكر هذا ليُصبِّر رسوله ويُعزّيه على تكذيبهم: ليس أياديك إليهم بأكثر من أيادي الرحمن، فهم يكفرون به ويكذبونه ويقولون فيه ما يقولون. فاصبر أنت على أذاهم وما قالوا فيك.[9] *والله أعلم*.

---

[1] ن: لا تحسون.

[2] ر ع م – وقوله.

[3] انظر: تفسير الآيتين من سورة البقرة ٢/١٥٥-١٥٦؛ و"فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات، مادة «لبلاء».

[4] جميع النسخ + كان.

[5] ن: المتهم.

[6] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٦).

[7] ن – كقوله وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم الآية، صح هـ.

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

[9] ع – فيك.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٣٧] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٨]

وقوله: **خلق الإنسان من عجل**. وقال في آية أخرى: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا.[١] قال الحسن: عَجُولًا، أي ضعيفا. وضعفه هو أن يضيق صدره ويَخْرَجَ[٢] عند إصابة أدنى شيء حتى يحمله[٣] ضيقُ صدره على أن يدعو على نفسه وعلى مجيئه بالهلاك لضيق صدره، وذلك لصعف[٤] فيه. وعندنا أنه[٥] خلقه عَجُولًا حتى لا يصبر على حالة واحدة، وإن كانت الحالة حالة نعمة ورَخاءٍ حتى يملَّ[٦] عنها ويَسْأَم، ويريد التحول إلى حالة هي دون تلك الحالة، ويرضى بشيء دونٍ؛[٧] لكنه وإن خلقه على ما أخبر جعل في وسعه[٨] رياضة نفسه حتى يصير صبورًا حليمًا. وهو ما أخبر: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ؛[٩] أخبر أنه خلقه هَلُوعا جَزُوعا[١٠] ثم استثنى المصلين، دل أنه بالرياضة يتحول عن الحالة التي خلقه إلى حالة أخرى وهي حالة الحِلم والصبر. وكذلك ما أخبر وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا،[١١] كان كذلك في الابتداء، لكنه بالرياضة والعادة يصير سخيًا جَوَادًا. وكذلك ما قال وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ،[١٢] ثم قال: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ،[١٣] أخبر أن الأنفس أُحضرت الشُّحَّ، ثم أخبر أن من يوق شحَّ نفسه فله كذا، دل بهذا كله أنه بالرياضة والعادة يحتمل التحول إلى حالة السخاء[١٤] والجود بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا. فعلى ذلك ما ذكر من العجلة والهلَع والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة إلى أن يصير حليما صبورا في الأمور غير ملول فيها.

---

[١] سورة الإسراء، ١١/١٧.
[٢] جميع النسخ: ويخرج.
[٣] ع: محمه.
[٤] جميع النسخ: لضعفه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[٥] ن: أن.
[٦] ع: يملا.
[٧] ع + بشيء دون.
[٨] ر: وسعة.
[٩] سورة المعارج، ١٩/٧٠-٢٢.
[١٠] ر م - جزوعا.
[١١] سورة الإسراء، ١٠٠/١٧.
[١٢] سورة النساء، ١٢٨/٤.
[١٣] ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩).
[١٤] ر ع: السخا.

وليست المحنة إلا الرياضة[1] والعادة، فأمره أن يروّض نفسه ويعوّدها القيام بجميع ما أمره الله ويكفّها عن جميع ما نهي عنه فيعتاد اتّباع أمره والانتهاء عن نهيه. *والله الموفق*.

وقوله: **سأريكم آياتي فلا تستعجلونِ**، يشبه أن يكونوا سألوا رسول الله الآيات على رسالته أنه رسول، أو سألوه آيات على وحدانية الله وربوبيته، فقال: **سأريكم آياتي**، من الوجه الذي يريد ربي ويبين[2] لكم ذلك، لا من الوجه الذي تريدون أنتم وتسألونه. وقال بعض أهل التأويل: **سأريكم آياتي**، فيما نزل من العذاب فيهم وفي منازلهم، **فلا تستعجلونِ**، أنتم العذابَ[3] على من كان قبلكم من الأمم بتكذيبهم الرسل. فإن سافرتم وضربتم في الأرض رأيتم آثار العذاب فيهم وفي منازلهم، **فلا تستعجلونِ** أنتم العذاب الذي يَعِدكم[4] الرسول. كأنه يُخوّفهم العذاب ويَعِدهم[5] إياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك ما قال. **ويقولون** أيضا: **متى هذا الوعد** الذي تعدوننا[6] **إن كنتم صادقين** بأنا نعذَّب. وجائز أن يكون الآية فيهم بتكذيبهم الساعة والقيامة وإنكارهم إياها فقال: **سأريكم آياتي** التي تكون قبل وقوعها، **فلا تستعجلونِ** وقوعَها ووجوبها. دليله ما ذكر:

**﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾**[٣٩]

**لو يعلمُ الذين كفروا حين لا يكُفُّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم يُنصرون.**[7]

وقوله: **لو يعلم الذين كفروا**، ما ينزل بهم بوقوع القيامة حتى لا يملكون[8] كفَّها **عن وجوههم، ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**، ما استعجلوا وقوعها. ثم قوله: **لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**،[9] إنما يحيط[10] بهم حتى لا يمكون هم

[1] ع م: بالريضة.
[2] ن: فيبين.
[3] ن - فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون أنتم العذاب.
[4] جميع النسخ: يعد لكم.
[5] جميع النسخ: ويعد لهم.
[6] جميع النسخ: تعدنا، ولكن "تعدوننا" أوفق للسياق.
[7] ر ن ع + وقوله بل تأتيهم بغتة الآية.
[8] ع: حتى يملكون.
[9] ر ع م - ما استعجلوا وقوعها ثم قوله لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون.
[10] ن + يحيط.

دفعها عن أنفسهم، ولا يملك ما اتخذوا أنصارًا وأعوانا في الدنيا دفع ذلك أيضا. وهو كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[1] الآية، وقوله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[2] [٤٨٣ط]

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[٤٠]

وقوله: **بل تأتيهم بغتة**، أخبر أنها تأتيهم بغتة، أي فُجْأةً لا يعلم أهلها عن وقت وقوعها. **فتبهتهم**، قال أهل التأويل: **فتبهتهم**، أي[3] فتَفْجَأُهم. والبَهْتة كأنها حيرة. يقول: تأتيهم بغتة، فجأة فتُحَيِّرهم. وهو ما أخبر: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى،[4] وذلك لحيرتهم في أنفسهم. وهي ما ذكر: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[5] الآية. يصيرون حيارى لشدة أهوالها.

وقوله: **فلا يستطيعون ردَّها ولا هم يُنظَرون**، أخبر أنهم لا يمكنون دفعها إذا وقعت بهم، ولا هم ينظرون في وقوعها. إن من ابتُلي بالبلايا في الشاهد فإنما يملك دفعه عن نفسه إما بقوة نفسه، وإما بأنصار وأعوان ينصرونه ويعينونه في دفعه عنه، وإما بالتضرع والابتهال والاستسلام، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا،[6] الآية. فأخبر عز وجل[7] أنهم[8] لا يمكنون دفعها بقوى أنفسهم ولا بأنصارهم الذين استنصروا حيث قال: وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ،[9] **ولا هم ينظرون** بالتضرع والاستسلام.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ولقد استُهزئ برسل من قبلك**، فيه تصبير رسول الله على ما يستهزئ قومه به،

[1] سورة لزمر، ١٦/٣٩.
[2] سورة لزمر، ٢٤/٣٩.
[3] ر م - أي.
[4] سورة الحج، ٢/٢٢.
[5] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طَرْفُهم وأَفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤-٤٣).
[6] سورة الأنعام، ٤٣/٦.
[7] ن - عز وجل.
[8] ر ع م - أنهم.
[9] الآية السابقة.

لأنه قال: **ولقد استهزئ برسل من قبلك**، أي لست أنت بأول رسول الله[1] استهزأ[2] به قومه. وفيه[3] تخويف أولئك باستهزائهم به بما نزل بأوائلهم باستهزائهم برسلهم.[4]

وقوله: **فحاق بالذين**.[5] قال أهل التأويل: **حاق**، نزل ووجب ووقع، وأمثاله. و قال بعض أهل المعاني: الحَيْق هو ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعل[6] يفعله، كقوله: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ.[7] وقال بعضهم: **حاق**، أي رجع عليهم وأحاط بهم.

**﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[٤٢]**

وقوله:[8] **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**، أي من يحفظكم ويحرسكم من عذاب الرحمن؟ وقيل: من يدفع عنكم عذاب الرحمن؟[9] ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما قوله: **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**، أي لو سألتهم: من يكلؤكم من عذاب الرحمن؟ لأقروا[10] لك أن الرحمن هو الذي يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن، لا الآلهة[11] التي يعبدونها. وهو كقوله: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[12] و قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[13] ونحوه،[14] فسيقولون: الله، لا الآلهة التي يعبدونها. فقل أن كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دونه من لا يكلؤكم ولا يدفع عنكم العذاب؟ وقد عرفتم أن الرحمن هو الذي يكلؤكم بالليل والنهار، وهو إله السماوات والأرض، فكيف عبدتم من ليس هو بإله؟ فيخرج على الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم، لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين.

---

[1] ع: رسول.
[2] ن: استهزئ.
[3] ر ع م: فيه.
[4] ر ع م: رسلهم.
[5] ر ع م – بالذين.
[6] ن ع: فعله؛ جميع النسخ – أي.
[7] سورة فاطر، ٤٥/٣٥.
[8] ن: قوله.
[9] ع – وقيل من يدفع عنكم عذاب الرحمن.
[10] ر: لأقرو.
[11] ن: لا آلهة؛ ع: لا انه الهته.
[12] سورة الرعد، ١٦/١٣.
[13] ﴿قل من بيده مَلَكُوتُ كل شيء وهو يُجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ (سورة المؤمنون، ٨٨/٢٣).
[14] انظر: سورة المؤمنون، ٨٤/٢٣–٨٧؛ وسورة العنكبوت، ٦٣/٢٩؛ وسورة الزمر، ٣٨/٣٩

والثاني يخرج على التذكير والتنبيه لهم، لأنهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون: مَا الرَّحْمٰنُ؟[1] وقوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ.[2] فيخرج قوله: **قل من يكلؤكم بالليل والنهار**. أي كيف تنكرون الرحمن وتكفرون[3] به وهو يكلؤكم بالليل والنهار عن عذابه؟

وعلى هذا يخرج **بل هم عن ذكر ربهم معرضون**. أي **بل هم عن ذكر ربهم** الرحمنِ **معرضون**، أي منكرون له. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾**[٤٣]

وقوله: **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**، أي ليس لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا. هو على النفي، أي ليس لهم الآلهة من دونه وإن كان ظاهره استفهاما.

ثم بين موضع الاحتجاج عليهم وهو ما أخبر عن عجزهم حيث قال: **لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون**، أي لا يستطيع الآلهة نصرا لنفسها[4] إذا أريد[5] بها سوء، **ولا هم منا يُصحَبون**، أي يُنْصَرون. تأويله أن كيف عبدتم من دونه واتخذتموهم آلهة رجاء شفاعتهم ووسيلتهم حيث قلتم:[6] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى[7] ونحوه، وقلتم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ؟[8] فإذا كانوا لا يمكنون نصر أنفسها إن أصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم آلهة دونه؟ فمن كان عن دفع السوء عن نفسه ونصرها عاجزًا فهو عن دفعه عن الآخر ونصره أعجزُ.

ثم بين الذي حملهم على ذلك وهو ما قال:

**﴿بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[٤٤]

**بل متّعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمُر**، و لم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها،

---

[1] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).
[2] ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ (سورة الرعد ١٣/٣٠).
[3] م: ويكفرون.
[4] جميع النسخ: نصر أنفسهم.
[5] جميع النسخ: إذا أرادوا.
[6] جميع النسخ: قالوا.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[8] سورة يونس، ١٠/١٨.

فظنوا[1] بما متعهم وآباءهم وأطال عليهم العمر ولم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها[2] أن الله راضٍ عنهم وأنهم على الحق. ولهذا قالوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا.[3] ادّعوا رضاء الله بما هم عليه وآباؤهم.

ثم بين أنه وإن تركهم وقتا طويلا ومتّعهم عليه أنه قد نقّص عما[4] كانوا يملكون هم، حيث غلب عليهم رسول الله على بعض أملاكهم وجعله ملكا للمسلمين. وهو قوله: **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** وجعلناها ملكا للمسلمين. ثم اختلف في تأويل هذا. قال الحسن: **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**، أي اعلموا **أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**، أي نحشرهم يوم القيامة من أطراف الأرض إلى المحشر، فذلك نقصها. وقال غيره:[5] **أفلا يرون** أن رسول الله كلما بُعث إلى أرض ظهر عليها. قال: **ننقصها**، بالظهور عليها أرضا فأرضا.

**أفهم الغالبون**، أي ليسوا هم الغالبين، ولكن رسول الله هو الغالب عليهم.[6] وقال ابن عباس: **ننقصها**، ذهاب فقهائها[7] وخيار أهلها.[8] وقال قتادة: **ننقصها**، بالموت؛ وكذلك قال عكرمة:
[٤٨٤و] **ننقصها من أطرافها**، بالموت، وقال: لو كانت الأرض تنقص لم يوجد للرجل / مجلس يجلس فيه. ونحو هذا قد قالوا فيه.[9]

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[٤٥]

وقوله: **قل إنما أنذركم بالوحي**، هذا -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما خرج جوابا لقولهم: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[10] إنهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون: إنه بشر كيف خُصّ هو به؟

---

[1] ر ع م – فظنوا؛ ن: ظنوا.
[2] ر ع م – ظنوا بما متعهم وآباءهم وأطال عليهم العمر ولم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها.
[3] ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ (سورة الأنعام، ١٤٨/٦).
[4] ن: على ما.
[5] ن: غير الحسن.
[6] يروي الطبري هذا عن قتادة (*تفسير الطبري*، ٤٠/١٧).
[7] ع: فقائها. ليس المراد بالفقهاء الماهرين في الفقه كعلم، ولكن الحذاق في الدين عامةً، لأن لفظ الفقه يشمل العقائد والعبادات أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿ليتفقّهوا في الدين﴾ (سورة التوبة، ١٢٢/٩) وكما يعتبر في قوله: "وخيار أهلها".
[8] *تفسير ابن عباس*، ٣٥٤.
[9] *تفسير الطبري*، ١١٧/١٣.
[10] سورة الشعراء، ١٥٤/٢٦، ١٨٦. لكن الآية الأولى لصالح والثانية لشعيب عليهما السلام. وتوجد أيضا آية لنبينا عليه السلام: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبُهم وأسرّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٢/٢١-٣)

فيقول: إني لست أنذركم لأني بشر، ولكن **إنما أنذركم بالوحي** من الله، وأنتم ممن لا تقبلون بشارة ربي ونِذارته. والثاني قال ذلك لما تقدم منه في الآيات النذارة المرسلة غير مضافة إلى الله فأمره أن يقول لهم: إني فيما أنذر تكم من النَذارات[١] لم أنذركم من ذات نفسي، ولكن **إنما أنذركم بالوحي** من ربي. فمعناه - والله أعلم- أي فيما أنذرتكم بما نزل بالأمم[٢] المتقدمة والأنباء التي أخبرتكم عنها مما لم أشهدها ولا أنتم، بل **إنما أنذركم بالوحي**. فذلك موضع الاحتجاج عليهم في إثبات رسالته.[٣]

وقوله عز وجل:[٤] **ولا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما يُنذَرون**، هذا -والله أعلم- يقول: إن الأصم[٥] إذا أريد أن يُدفع عن المهالك لا سبيل أن يُدفع عنها ويُكفَّ بالدعاء[٦] والنداء، ولكن إنما يُكف ويُدفع عن المهالك[٧] بالأيدي والراحات. كأنه قال ذلك لما أكثر دعاءهم إلى ما به نجاتهم فأبوا ذلك ولم يجيبوه، فقال حينئذ ذلك: إنكم لا تسمعون الدعاء والنداء إلى ما به نجاتكم، ولكن تعرفون ذلك بالقتل والسيف. أو أن يقول ذلك: إنكم صم عن الحق حتى لا تسمعونه،[٨] كالأصم[٩] [فإنه] لا يُدعَى ولا يُنادَى لأنه لا يسمع، ولكن يُدعى باليد والإشارة. فعلى ذلك أنتم صُمٌّ عن الحق لا تُدعَون بالنداء ولكن بالذي يُعرَف الدعاء وهو اليد. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٤٦]**

وقوله:[١٠] **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك**، قال الحسن: **نفحة**،[١١] أي طائفة **من عذاب ربك**، وقال بعضهم: نقمة[١٢] من ربك، وقال بعضهم: عقوبة ربك. وأصل النفحة الرمية، ولذلك سمي نفحة الدابة، أي رَمْيَتها،[١٣] وهو ما ذَكَر من رمي الشَّرَر، كقوله: إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ.[١٤]

---

[١] ع: النذارة.
[٢] جميع النسخ: بالأمة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.
[٣] ر م: رسالتهم.
[٤] ن: قوله.
[٥] جميع النسخ: الصم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦ظ.
[٦] ع: بالنداء.
[٧] ن: الهلاك.
[٨] ر ع م: لا يسمعونه.
[٩] ر: كالصم بالسميع والصم بالسميع؛ ن ع م: كالصم بالسمع والصم بالسمع.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ع م: نفخة (في ثلاثة أمكنة في هذه الفقرة).
[١٢] ع: نعمة.
[١٣] نَفَحَتِ الدابة تَنْفَح نَفْحًا: رَمَحتْ برجلها ورمت بحدّ حافرها ودفعتْ. ونفحة العذاب دفعة منه (*لسان العرب*، «نفح»)
[١٤] ر + وقوله عز وجل ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين؛ ن + قوله ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين. سورة المرسلات، ٧٧/٣٢.

**﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٤٧]**

وقوله[١] عز وجل:[٢] **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة.** في ظاهر الآية أن الموازين هي[٣] القسط، والقسط هو العدل، لأنه قال: **ونضع الموازين القسط**، فكأنه قال: ونضع الموازين التي توضع في الدنيا ويُعرَف بها حقوق الناس في الآخرة العدلَ الذي به[٤] يعرف حدود الأشياء وأقدارها،[٥] فيكون الموازين العدل ما ذَكَر بقوله: **فلا تُظلَم نفس شيئًا**، أي لا تُنقص من حسناته أو تزاد على جزاء سيئاته، ولكن يُوَفَّى كلٌّ جزاءَ عمله. ويحتمل أن يكون قوله: **ونضع الموازين القسط**، على الإضمار، أي **نضع الموازين** التي تكون في الدنيا يوم القيامة بالعدل، لا تُطفِّف ولا تَنقص ولا تُخسِر كما تفعلون في الدنيا، ولكن بالعدل[٦] لا تطفِّف ولا تَنقص ذلك؛ تُسوِّي وتَستوفي مستويا من غير زيادة ولا نقصان. لأن الزيادة والنقصان إنما تكون في الشاهد لوجوه. إما[٧] للجهالة أو لحاجة أو للجور، فيحمله[٨] ذلك[٩] كله على الزيادة والنقصان؛ والله سبحانه يتعالى عن ذلك كله، لأنه عالم بذاته غني بذاته عادل، فلا وجه للخسران منه والزيادة فيه.

وقوله:[١٠] **وإن كان مثقالَ حبة من خَرْدَل أتينا بها**، أي أتينا بجزائها، أو **أتينا بها**، أي بعينها لا يفوته[١١] شيء ولا يغيب عنه. وليس المراد من ذكر مثقال حبة ومثقال ذرة الذرة والحبة، ولكن ذُكر على التمثيل، أي لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر، [هو] غير فائت عنه ولا منسِيّ، ولكن محفوظ محاسَب.

وقوله: **وكفى بنا حاسبين**، لا يَشغله كثرة الحساب وازدحامه، ليس كمن يحاسِب آخر في الشاهد أنه إذا كثُر الحساب عليه وازدحم شغَله ذلك عن[١٢] حفظ الحساب. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن - عز وجل.
[٣] ر: هي.
[٤] م - به
[٥] ن - وأقدارها.
[٦] ر ع م: العدل.
[٧] ر م - إما.
[٨] م: فيحتمل.
[٩] ر م - ذلك.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر ن: لا يفوت.
[١٢] ع م: من.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٨]

وقوله:[١] **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان**، كل كتب الله[٢] تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر. أما الفرقان[٣] فهو ما يفرِق بين الحق والباطل وبين الشبيه[٤] والواضح، وبين ما يؤتَى ويُتَّقى، وبَيّن ما عليهم و [ما] لهم. والنور ما يتجلى به حقائق الأشياء. والضياء هو ما يظهر به حسن ما تجلى[٥] واستنار.[٦] والروح:[٧] هو ما به حياة كل شيء.[٨] سمي القرآن[٩] روحا لأنه به حياة الدين، وسمي الماء حياة لأنه به حياة الأبدان. والمبارك هو ما يُنال به ويوصل إلى كل خير.[١٠] والذكر هو ما يَذكر ما لهم و[ما] عليهم.

**وذكرا**، قيل: هو الموعظة. والموعظة، قيل: هي التي تُلَيِّن القلوب وتُوسِّع الصدور وتُفسح؛ ويَخشع[١١] بها الفؤادُ. وعلى هذا الوصف جميع كتب الله الذي وَصف هذا القرآنَ بها.[١٢] ثم بين أنها على الوصف الذي ذكر لمن، فقال: **للمتقين**، وإن كانت هي في أنفسها على الوصف الذي ذكر فإنما[١٣] تتجلى[١٤] بها الشُّبه من الحقائق والحقُّ من الباطل لمن قبِلها وأقبل نحوها، ونظر إليها بعين التعظيم والإجلال. فأما من أعرض عنها فليست لهم على ما ذكر، لكن على ما أخبر بقوله: فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.[١٥] ثم بين مَن المتقون، فقال:

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: كتاب الله.
[٣] ر م - كل كتب الله تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر أما الفرقان.
[٤] جميع النسخ: الشبه، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[٥] جميع النسخ: يتجلى.
[٦] جميع النسخ: أو استنار.
[٧] جميع النسخ: وروح، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[٨] ع - شيء.
[٩] جميع النسخ: القرآن سماه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.
[١٠] جميع النسخ: ويصل إليه من كل خير، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[١١] جميع النسخ: وتخشع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.
[١٢] ن - بها.
[١٣] ر ع م: فإنها إنما.
[١٤] ن ع م: يتجلى.
[١٥] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[٤٩]

**الذين يخشون ربهم بالغيب.** يحتمل قوله: **يخشون ربهم.** أي يخشون العذاب الموعود
[٤٨٤ظ] في الغيب، وهو عذاب الآخرة ونقمتها. إن المؤمنين خافوا العذاب الموعود في الآخرة فيحذرون ما به يحُل ذلك. وأما الكفار فإنهم[١] لم يخافوا العذاب الموعود في الآخرة و لم يصدقوه، إنما يخافون العذاب المعاين المشاهد، فأما العذاب الموعود في الغيب فلا يخافون. ويحتمل أيضا قوله: **يخشون ربهم،** أي يهابون ربهم ويخافونه وإن لم يروه، لما رأوا من آثار سلطانه وملكه.

وقوله:[٢] **وهم من الساعة مُشفِقون،** ويحتمل هم من أهوال الساعة وأفزاعها خائفون، أو أن يكون قوله: **وهم،** من محاسبة أعمالهم[٣] في الآخرة[٤] **مشفقون،**[٥] خائفون. فحاسَبُوا أنفسهم في الدنيا إشفاقًا عن محاسبة أنفسهم في الآخرة.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٥٠]

وقوله: **وهذا ذكر مبارك أنزلناه،** الذكر المبارك ما ذكرنا. وقوله:[٦] **أفأنتم له منكرون،** ظاهره وإن كان استفهاما فهو في الحقيقة إيجاب. كأنه قال: وهذا ذكر مبارك أنزلناه، وتعرفونه أنه كذلك فأنتم مع هذا له منكرون. يذكر سفههم ويخبر عن عنادهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا إبراهيم رشده،** قال[٧] الحسن: **رشده،** دينه وهداه. وقال غيره: **رشده،** النبوة. ويشبه أن يكون قوله: **آتينا إبراهيم رشده،** حججه وبراهينه التي حاجّ بها قومَه على غير تعليم من أحد. وفيه دلالةُ أن ليس كل رشد وهدًى بيانٌ، لأنه لو كان كنه[٨] بيانًا[٩] لم يكن لتخصيص إبراهيم بالرشد كثيرُ معنًى، إذ هو في ذلك البيان وغيرُه من الكفرة والفراعنة سواء.

---

[١] ر ع م: فإنه.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن + أعمالهم.
[٤] ر م – في الآخرة.
[٥] ع – ويحتمل هم من أهوال الساعة وأفزاعها خائفون أو يكون قوله وهم من محاسبة أعمالهم مشفقون.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر م: وقال.
[٨] ر م – كنه.
[٩] ر: بيان.

فدل قوله: **آتينا إبراهيم رشده،** أنه يكون من الله للمهتدين فضلُ صنعٍ ليس ذلك في الكافرين، وهو التوفيق والعصمة.

وقوله: **من قبل،** قال بعضهم: من قبل الأوقات التي يُعطَى البشرُ الرشدَ، وهو حال الصغر. ويحتمل قوله: **من قبل.** أي من قبل محمد.[١] وقال بعضهم: من قبل موسى وهارون. ويحتمل **آتينا إبراهيم رشده من قبلُ،** [قبلَ] إيمان أهل الأديان كلها، لأن جميع أهل الأديان[٢] يدَّعون أنهم على دين إبراهيم، فلا يحتمل أن يكون دينه ورشده الذي آتاه الله هو[٣] كل ذلك، بل إنما كان ذلك واحدًا، فوجب النظر فيه والتأمل في ذلك ليظهر الدين الذي كان عليه إبراهيم.

وقوله: **وكنا به عالمين،** يحتمل قوله: **كنا به عالمين،** أي[٤] بالدين[٥] والرشد الذي عليه إبراهيمُ، **عالمين،** من قبل. أو أن يكون قوله: **وكنا به عالمين،** أي كنا بجميع ما يكون من إبراهيم عالمين.

**﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[٥٢]**

وقوله: **إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون،** كأنه قال: ما هذه التماثيل التي اتخذتموها أنتم لها عاكفون، أي إنما يُعبد من يُعبد[٦] لفعل يكون من المعبود إلى من يعبده؛[٧] فأما أن يُعبد بما يُفعل بالمعبود فلا يحتمل. وهو ما قال إبراهيم: أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ،[٨] يُسَفِّهُهم ويعيب عليهم لعبادتهم ما ينحتون هم بأيديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق أعمالهم.

**﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[٥٣] ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥٤]**

وقوله:[٩] **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين،** قد انقطع حجاجهم لَمّا قال لهم إبراهيم ما قال وأظهر سفههم، ففزعوا[١٠] إلى تقليد آبائهم فقالوا: **وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم**

---

[١] ن + عليه السلام.
[٢] ع – كلها لأن جميع أهل الأديان.
[٣] ع: وهو.
[٤] ع – يحتمل قوله كنا به عالمين أي.
[٥] ع: بالدي.
[٦] ر م: تعبد.
[٧] ر ع م: يعبد.
[٨] سورة الصافات، ٣٧/٩٥-٩٦.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ع: ففرعوا.

**أنتم وآباؤكم في ضلال مبين**، لم ينكر عليهم فعل آبائهم وعبادتهم الأصنام، ولكن أقرّ هم بصنيع آبائهم، ثم جمعهم وآباءهم[1] وأخبر: **أنتم وآباؤكم في ضلال مبين**، بعبادة الأصنام.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**، لما[2] علموا أن مثل هذا القول لا يقوم [به] إلا من كان عنده حجة وبرهان فقالوا: أجئتنا بما تقول بحجة، **أم أنت من اللاعبين**، تلعب بنا[3] وتهزأ. وأخبر أنه جاءهم بالحق وبين هم ذلك الحق فقال:

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٥٦]

**بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن**، لا الأصنام التي تعبدونها، أي ربكم رب السماوات والأرض الذي[4] يُعرف بالدلالات والبراهين وآثارِ الصَّنعة في غيره، لا الذي أحدثتم أنتم واتخذتموه. *والله أعلم*.

وقوله:[5] **وأنا على ذلكم من الشاهدين**، يحتمل وأنا على[6] جميع ما قال وكان منه من الحِجَاج وإقامة الحُجَج على ألوهية الله تعالى وتسفيه أولئك في عبادة الأصنام، **من الشاهدين**. أو **من الشاهدين** على خلقها. ويجوز أن يقال: الشاهد المبيّن، وأنا على ذلكم من المبيّنين. *والله أعلم*.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[٥٧]

وقوله:[7] **وتالله لأكيدَنَّ أصنامكم**. إن الأصنام لا يُقصد إليها بالكيد، لكن تأويله –والله أعلم– لأكيدنَّ لكم في أصنامكم. وقوله:[8] **بعد أن تولوا مدبرين**. قال عامة أهل التأويل: إن إبراهيم إنما قال ذلك: **لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**[9] من الأصنام إلى عيدهم[10]

---

[1] ر ع م: وآباؤهم.
[2] ن – لما.
[3] ع – بنا.
[4] ن + هو.
[5] ن: قوله.
[6] م + ذلك.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.
[9] م – بعد أن تولوا مدبرين.
[10] ن: عبيدهم.

لأنهم كانوا يخرجون[١] إلى عيدهم[٢] من الغد، فقال: **لأكيدن أصنامكم**، أي لأكيدن لكم في أصنامكم **بعد أن تولوا مدبرين** منها إلى عيدكم.[٣]

وجائز أن يكون قوله: **لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**، عني وكانوا في ذلك الوقت بحضرة[٤] الأصنام. ألا يرى أنه قال لهم: مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟[٥] ومثل هذا الكلام لا يقال إلا بحضرة الأصنام، لأنه أشار إلى الأصنام فقال: مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟ فقال عند ذلك: **تالله لأكيدن أصنامكم**، أي لأكيدن لكم في أصنامكم **بعد أن تولوا مدبرين** عني. على التأويل الأول[٦] يكون توليهم الأدبار عن الأصنام إلى عيدهم،[٧] وعلى التأويل الثاني يكون توليهم الأدبار عن إبراهيم. ***والله أعلم.***

**﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾**[٥٨]

وقوله:[٨] **فجعلهم جُذَاذًا**، وجِذَاذًا،[٩] / قال بعضهم: قِطَعًا. وقال القُتَبِي: **جُذَاذًا**، فُتَاتًا،[١٠] [٤٨٥و]
وكل شيء كسرتَه فقد جذَذْتَه. ومنه قيل للسويق: جذيذ.[١١] والجَذ هو القطع، والمجذوذ المقطوع، وذلك قوله: غَيْرَ مَجْذُوذٍ،[١٢] أي غير مقطوع.

وقوله:[١٣] **إلا كبيرًا لهم**، لم يكسره **لعلهم إليه يرجعون**، قال بعضهم:[١٤] يقول: **إلى** الصنم الأكبر الذي لم يكسره إبراهيم يرجعون من عيدهم.[١٥] وقال بعضهم: **لعلهم إلى** الحجة **يرجعون.**

---

[١] ع – لأنهم كانوا يخرجون.
[٢] ن: عبيدهم.
[٣] ن: عبيدكم.
[٤] ر: بحضره.
[٥] الآية ٥٢ من هذه السورة.
[٦] ر – لأول.
[٧] ن: عبيدهم.
[٨] ب: قوله.
[٩] قرأه الكسائي جِذاذا بكسر الجيم (انظر: *زبدة العرفان للبلوي*، ٩٤).
[١٠] ر: قتلا.
[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٦.
[١٢] ﴿وأما الذين سُعِدُوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ (سورة هود، ١٠٧/١١).
[١٣] ن: قوله
[١٤] ر م – قال بعضهم؛ ن + قوله لعلهم إليه يرجعون.
[١٥] ن: عبيدهم.

وقيل: هو أحجُّ القولين، أي من الحجة. وقال بعضهم: **لعلهم إليه يرجعون**، أي يتذكرون. وجائز أن يكون قوله: **لعلهم إليه يرجعون**، أي يرجعون إلى ما يريد أن يكيد لهم في أصنامهم، لأنه إنما يريد أن يكيد لهم إذا رجعوا إلى الأصنام فرأوها مجدوذة.[1] والكيد هو الأخذ على الأمن وكذلك المكر.

**﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٩]**

وقوله:[2] **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين**، لو تأملوا [لعرفوا أنهم] كانوا هم الظلمة في الحقيقة، لأنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام رجاء منفعة تكون لهم، حيث قالوا:[3] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[5] فإذا رأوهم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن أنفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعًا أو دفع الضر[6] عن أنفسهم؟ لأن من عجز عن دفع الضر[7] عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره أعجزُ. فهم الظلمة في الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضر[8] مما[9] لا يملك ذلك[10] لنفسه، لكن قالوا ذلك سَفَهًا[11] منهم.

**﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٦٠]**

وقوله: **قالوا سمعنا فتًى يذكرهم** بالكيد لهم[12] حين قال: لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ،[13] سمع ذلك القول منه ناس فأخبروا قومهم لَمَّا قالوا: مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا؟[14] فعند ذلك **قالوا سمعنا فتى يذكرهم** بالكيد لهم **يقال له إبراهيم**. وجائز أن يكون قوله: **قالوا سمعنا فتى يذكرهم** بالعداوة.

---

[1] ن: جذاذا.
[2] ن: قوله.
[3] ر: قال و؛ م: قال و.
[4] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[5] سورة يونس، ١٠/١٨.
[6] ن: لضرر.
[7] ن: لضرر.
[8] ن: الضرر.
[9] ر ع م: ممن.
[10] جميع النسخ – ذلك؛ والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٩٦ظ.
[11] ر ع م: قالوا سفها ذلك.
[12] ع + يقال له.
[13] سورة الأنبياء، ٢١/٥٧.
[14] الآية السابقة.

وهو حين قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.[1] أخبر أن أولئك الذين عبدوا الأصنام أعداءٌ له، فالمعبود الذي عبدوه يكون عدوًّا له أيضا.[2] فاستدلوا بذلك القول منه أنه هو فَعَل بهم ما فَعل. **والله أعلم.**

**﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[٦١]**

وقوله: **قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**، قال بعضهم: على رءوس الناس. وقيل: بحيث ينظر الناس إليه أو بحيث يراه الناس؛ وهو واحد.

وقوله: **لعلهم يشهدون**،[3] اختلف فيه. قال بعضهم: **يشهدون** عقوبته بما فعل بأصنامهم فيكون نَكَالاً له وزجرًا لغيره عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو.[4] ولذلك ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾،[5] نكالا له وزجرا لغيره، كقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾،[6] أي زجرا، وكقوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.[7] وقال بعضهم: **لعلهم يشهدون** بفعله الذي فعل بالأصنام، لم يريدوا أن يعاقبوه بلا بينة ولا حجة. وقال بعضهم: **لعلهم يشهدون** أنه قال لآلهتهم ما قال. **والله أعلم.**

**﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[٦٢] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٦٣]**

وقوله:[8] **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**. اختلف في هذا.[9] قال بعضهم: هذا القول من إبراهيم كَذِبٌ في الظاهر

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٧٧.

[2] يقول الماتريدي في تفسير آية الشعراء (٢٦/٧٧): «قال بعضهم: إنهم وآباءهم الذين عبدوا الأصنام من قبلُ عدو له إلا رب العالمين. استثنى رب العالمين؛ يقول: هم عدو لي وأنا بريءٌ منهم إلا من يكون فيكم من يعبد رب العالمين؛ فيكون على الإضمار، أي فإنهم جميعا عدو لي إلا من عبد رب العالمين. وقال بعضهم: يقول: إن العابدين والمعبودين كلهم عدو لي إلا رب العالمين، أي إلا المعبود بالحقيقة الذي يستحق العبادة، فإنه وليي» (*تأويلات أهل السنة*، نشر فاطمة الخيمي، ٣/٥٢٨).

[3] ع – لعلهم يشهدون.

[4] ر ع م + وذلك قالوا حرقوه نكالا له وزجرا لغيره عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو.

[5] سورة الأنبياء، ٢١/٦٨.

[6] ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٥-٦٦).

[7] ﴿فإما تَثْقَفَنَّهم في الحرب فَشَرِّد بهم من خلفهم لعلهم يذَّكرون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥٧).

[8] ن: قوله

[9] م: فيه.

فيما أراد أن يكيد لهم وإن لم يكن في الحقيقة عنده كذبًا. وكذلك ما قال: إِنِّي سَقِيمٌ،[1] وكان صحيحا؛ وقوله: هَٰذَا رَبِّي،[2] ومثل هذا.[3] قالوا: هذا في الظاهر كذب وإن لم يرد[4] هو به في الحقيقة كذبا. وقال بعضهم: إنه إنما قال ذلك على أن يُريهم من نفسه الموافقة لهم في الظاهر ليكونوا للحجج أسمعَ ولبراهين أقبلَ، فيكون تأويله -والله أعلم[5]- لعل كبيرهم فعل بهم هذا. أو أن يقول: أكبيرهم فعل هذا بهم. وكذلك قالوا: في قوله: هَٰذَا رَبِّي.[6] قال بعضهم: ليس [على] هذا، ولا فيه كذب في الظاهر، ولكن قال ذلك على الشرط حيث **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**، أي بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون. علّق فعله بشرط النطق، فإذا كانوا لا ينطقون لم يفعله. وقوله: إِنِّي سَقِيمٌ،[7] أي سأسقم، وكل حي يسقم يوما. وقوله: هَٰذَا رَبِّي، أي أهذا ربي؟ أي[8] ليس هذا ربي. ومثل هذا قد قالوا.[9] ***والله أعلم***.[10]

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦٤]

وقوله:[11] **فرجعوا إلى أنفسهم**، أي رجعوا إلى أنفسهم باللائمة **فقالوا** فيما بينهم: **إنكم أنتم الظالمون**، هذا يحتمل وجوها. **إنكم أنتم الظالمون** حيث نسبتم الفعل بهذه الأصنام والكسر إلى إبراهيم وقلتم: إنه فعل ذلك بهم، وإنما فعل بهم هذا كبيرهم. لِمَا وقع عندهم أن كبيرهم هو الذي فعل بهم. والثاني: **إنكم أنتم الظالمون**، حيث اتخذتم مع كبيرهم آخرين شركاء في العبادة

---

[1] ﴿فنظر نَظْرَةً في النجوم فقال إني سقيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩). يقول المؤلف رحمه الله: «ويذكرون أنه إنما نظر في النجوم لأن قومه كانوا يعلمون بالنجوم ويستعملون علم النجوم. فإن كان ذلك فهو -والله أعلم- أراد أن يُرِيَ من نفسه الموافقة ليلزمهم الحجة عند ذلك» (*تأويلات أهل السنة*، نشر الخيمي، ٤/٢٣٦).

[2] أي الكوكب والقمر والشمس. انظر: سورة الأنعام، ٦/٧٦-٧٨.

[3] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: "إني سقيم" ولم يكن سقيما، وقوله لسارة: "أختي"، وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا"» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢١).

[4] ع + به.

[5] م - أعلم.

[6] سورة الأنعام، ٦/٧٦-٧٨.

[7] سورة الصفات، ٣٧/٨٩.

[8] ر ع م - أهذا ربي أي.

[9] ن ع: قالوه.

[10] ن + بالصواب.

[11] ن: قوله.

حتى غضب عيهم فكسرهم. أو أن يكون قوله: **إنكم أنتم الظالمون**، يَعنون الأصنام[1] المكسورة: يا هؤلاء **إنكم أنتم الظالمون**، حيث حمتم الكبير على كسركم. والله أعلم بما أرادوا بذلك؛ ولا يجوز لنا أن نزيد أو ننقص في هذه الأنباء المذكورة في الكتاب أو نقطع على جهة دون جهة، لأنها ذكرت ليُحتجَّ عليهم بما في كتبهم. فلو ريد أو نقص [أو] قطع على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[٦٥]**

وقوله: **ثم نُكِسوا على رءوسهم لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون**، قوله: **نُكسوا على رءوسهم**، للتفكر والنظر في قول إبراهيم حيث قال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.[2] إنما علق فعل الكبير بهم / إن نطقوا. فقالوا: لقد علمت يا إبراهيم ما هؤلاء ينطقون، فكيف [٤٨٥ظ] قلت: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ؟ فإذا[3] كانوا لا ينطقون[4] لم يفعل كبيرهم.

ثم قال:

**﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[٦٦]**

**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم**؟ فإن قيل: إن إبراهيم لم يحتجَّ عليهم أن كيف تعبدون من دون الله ما لا ينطق، ولكن قال: **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم؟**

قيل: قد كان احتجَّ عليهم من ذلك النوع حيث قال: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟[5] وبعد، فإنه قد احتج عليهم بعجزهم عن النطق حيث قال:[6] فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[7] ثم قال ههنا: **أ فتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم**[8] شيئا إن عبدتموهم **ولا يضركم** إن تركتم عبادته.

---

[1] ن: للأصنام.
[2] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[3] ع: إن.
[4] ر ع م: ينطقون.
[5] سورة الشعراء، ٧٢/٢٦-٧٣.
[6] ن + عز وجل.
[7] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[8] ر ع م - ما لا ينفعكم.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦٧]

**أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله. أفٍ** هو كلام كل مستخِفٍ بآخر ومستحقر له في فعله. يقول: **أُفٍّ لكم**. فإبراهيم حيث قال ذلك لهم إنما قال استخفافًا بهم وبما عبدوه. **أفلا تعقلون** أن عبادة من لا ينفع ولا يضر لا يصح[١] ولا يحِلّ.[٢]

وفي أنباء إبراهيم خصال ليست تلك في غيرها من الأنباء. إحداها[٣] أنه لم يترك صنمًا كان يُعبد[٤] دون[٥] الله إلا وقد نقض ذلك.

والثانية أنه حاجّ قومه أولاً في فساد مذاهبهم وفساد ما اعتقدوه، ثم[٦] بعد ذلك أقام عليهم حججه وبراهينه، لأنه قال: هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ؛[٧] وقال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ؛[٨] وقال: إِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ،[٩] ونحوه.[١٠] فلما أراهم[١١] فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه، حيث قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا؛[١٢] وقال: اَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ،[١٣] الآية. وهكذا الواجب على كل مُناظرٍ[١٤] أن يبدأ أولا بإظهار فساد مذهب خصمه، فإذا أراه فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقد، ليكون لها أسمعَ وعند إقامتها أقبلَ.

---

[١] ر: ولا يصح؛ ن – لا يصلح.

[٢] ن: لا يحل.

[٣] ر ع: إحديهما؛ م: إحديها.

[٤] ر: يعبدون.

[٥] ر – دون.

[٦] ن – ثم.

[٧] سورة الأنعام، ٧٦/٦.

[٨] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.

[٩] سورة البقرة، ٢٥٨/٢.

[١٠] ر م – ونحوه.

[١١] م: أراءهم.

[١٢] سورة الأنعام، ٧٩/٦.

[١٣] ﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يُطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يُحيين والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ (سورة الشعراء، ٧٨/٢٦–٨٢).

[١٤] ر ع م: متناظر.

والثالث أنه لم يُبْتَلَ نبيٌ قط بفرعون[١] مثل فرعونه ولا قومٌ مثل قومه في السَّفَهِ والبغض واهمّ بقتله بالنار. وجائز أن يكون خصوصيته[٢] بالخُلَّة هذه الخصال التي ذكرناها. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[٦٨] ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٦٩]**

وقوله: **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**، هذا ظاهر.

وقوله: **قلنا يا نار كوني بَرْدًا وسلاما على إبراهيم**. جائز أن يكون قوله: **كوني بَرْدًا وسلاما**، أي جعلها في الخلقة بردا وسلاما على إبراهيم خاصة، وأما على غيره فهي على ما هي في طبعها من الإحراق والحر. فيكون ذلك من أعظم آيات رسالة إبراهيم ونبوته. أو أن يكون على الوحي والإلهام على ما قاله أهل التأويل: إنه أوحي إليها أن **كوني بردا وسلاما على إبراهيم**. لكنه إن كان على هذا فجائز أن يجعل في سِرِّيَّتها ما تفهم أمره، ويمكن فيها ما تَفْطِن ذلك فلم تُحرقه.[٣] وقول أهل التأويل: إنها بردت حتى لم ينتفع بها أهل المشرق وأهل المغرب ثلاثة أيام، فذلك لا يُعلم إلا بالسمع.

**﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[٧٠]**

وقوله عز وجل: **وأرادوا به كيدا**، الكيد[٤] هو الأخذ من حيث الأمن. فجائز أن يكونوا كادوه أن حبسوه في موضع ثم جمعوا عليه الحطب من غير أن علم هو ذلك، ثم أوقدوا عليه النار. أو أن يكونوا أخذوه مغافصةً[٥] فجعلوه في المَنْجِنِيق ثم رموه في النار على ما قال بعض أهل التأويل. أو أن يكونوا كادوه كيدا آخر سوى ذلك لم يذكر، فنحن لا نعلم ذلك.

وقوله: **فجعلناهم الأخسرين**، لا شك أنهم في الآخرة من الأخسرين. وأما خسرانهم في الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران، والله أعلم به.

---

[١] ع، بفرعون.
[٢] ر: خصوصية.
[٣] ن. فلم تحرقه.
[٤] ن. إذ لكيد.
[٥] غافص الرجلَ مغافصة وعِفاصًا: أخذه على غِرَّةٍ فركبه بمساءة (*لسان العرب*، «عفص»).

وقال بعضهم: في قوله: **وأرادوا به كيدًا**، وذلك أنه لما جُعل في النار أنجاه الله منها وجعلها[1] بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ،[2] وأمره الله تعالى بالخروج إلى الأرض[3] المقدسة فخرج إليها فطلبوه وبعث مَلِكهم إلى أصحاب المَناظر فقال: لا يَمُرَّ بكم إنسان يتكلم بالسريانية إلا حبستموه.[4] قال: فحوَّل الله تعالى لسانه بالعبرانية فمرَّ بهم فغُيِّر عليهم فانطلق إبراهيم متوجها نحو أهله، فذلك قوله: **وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين**، أي الأسفلين وأعلاهم إبراهيم صلوات الله عليه.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٧١]

وقوله: **ونجيّناه ولوطا**، دل هذا على أن إبراهيم كان كالمُشْرِف على الهلاك، لأن لفظة النجاة لا يقال إلا فيما كان هنالك إشراف على الهلاك. وفيه أن لوطًا كان معه وإن كان إبراهيم هو الممتحن في ذلك. وهم كانوا يقصدون قصد إهلاك[5] الرسل والأتباع جميعا.

وقوله: **إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**. قال[6] الحسن: بركته ما ذكر في آية أخرى وهو قوله: وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ،[7] كثيرة المياه والنبت ونحوه. وقال بعضهم: بركته سعته على أهلها. وقال بعضهم: بركته لأنها كانت مكان الأنبياء والرسل، صارت مباركة بهم. وجائز أن يكون صارت مباركة بإبراهيمَ ولوطٍ لما بهم ظهر الإسلام هنالك. *والله أعلم*.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[٧٢]

وقوله: **ووهبنا له إساحق ويعقوبَ نافلةً**، قال بعضهم: النافلة العطية؛ وقال بعضهم: **النافلة** النفل.[8] وأصل النافلة الغنيمة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[9] أي الغنائم. والولد وولدُ الولد

---

[1] جميع النسخ + عليه.
[2] الآية السابقة.
[3] ع م: أرض.
[4] أي احبسوه.
[5] ع: قصدًا هلاك
[6] ع: وقال.
[7] ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى رَبْوَةٍ ذات قرار ومَعِينٍ﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥٠).
[8] ر ع: الدفنة الفصل؛ ع – النافعة النفل.
[9] سورة الأنفال، ١/٨.

فضل منه وعطية وغنيمة، لأنه سمّى الولد هبة بقوله: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ،[1] وسمّى الوالد مُوهَب.[2] وخاصة إبراهيم لم يكن يطمع أن يولد له الولد في ذلك الوقت، فكيف يطمع ولد الولد؟ [٤٨٦و]

وقوله:[3] **وكلًّا جعلنا صالحين**، يحتمل قوله: **صالحين**، رسلا. أو **صالحين** في كل أمر[4] وكل شيء.

**﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٧٣]**

وقوله: **وجعلناهم أئمة**، قَادَةً في أمر الدين **يهدون بأمرنا**. يحتمل قوله: **يهدون**، أي يدعون الناس **بأمرنا**، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[5] أي داعٍ. وجائز أن يكون قوله: **يهدون بأمرنا**، أي يهدون الناس إلى ما به أَمَرَ الله وإلى دينه.

وقوله:[6] **وأوحينا إليهم فعل الخيرات**، دل قوله: **وأوحينا إليهم**، أنهم كانوا رسلا. ثم يحتمل قوله: **فعل الخيرات**، أي بفعل الخيرات.[7] وقوله: **وإقامَ الصلاة وإيتاءَ الزكاة**، فيه أن الصلاة والزكاة كانتا في شرائع المتقدمين. وقوله:[8] **وكانوا لنا عابدين**، موحدين، أو عابدين له كل وقت.

**﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[٧٤]**

وقوله: **ولوطا آتيناه حكما وعلما**، قال بعضهم: **حكما**، يعني النبوة.[9] وقال بعضهم: **حكما**، أي الفهم والعقل، **وعلما**. وجائز أن يكون قوله: **حكما**، أي الحكم الذي يحكم بين الناس،[10]

---

[1] سورة الشورى، ٤٢/٤٩.
[2] جميع النسخ والشرح: مواهبا.
[3] ن: قوله.
[4] ن: كلام.
[5] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هَادٍ﴾ (سورة الرعد، ١٣/٧).
[6] ن: قوله.
[7] ر م - أي بفعل الخيرات؛ ع: أي لفعل الخيرات.
[8] ن: قوله.
[9] ن + قال بعضهم حكما يعني النبوة.
[10] ن: يحكم الناس بينهم.

**وعلما،** أي العلم الذي كان به يحكم بين الناس. ومن قال: **حكما،** هو النبوة قال: لأن الأنبياء إنما يحكمون بين الناس بالنبوة. فكنّوا بالحكم عن النبوة. ومن قال بالفهم فهو لأنه إنما يحكم بين الناس بعد ما فهم من الخصوم، وإلا حاصل الحكم هو الحكم بين الناس. **وعلما،** أي العلم الذي به[1] يحكم. أو **علما** فيما بينه وبين ربه. ***والله أعلم.***

وقوله: **ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث،**[2] أضاف عمل الخبائث إلى القرية، ومعلوم أن القرية لا تعمل شيئا، لكن معناه: نجيناه من القرية التي كان أهلها يعملون الخبائث. وكذلك ذكر في حرف حفصة. وقوله: **الخبائث،** كل أنواع الخبث من الكفر[3] والتكذيب بالآيات واللواطة وغيرها.

وقوله: **إنهم كانوا قوم سَوْء فاسقين،** أي كانوا قوم سوء في أفعالهم وأعمالهم التي كانوا يعملونها، **فاسقين،** أي خارجين عن أمر الله تاركين له. والفسق هو الخروج عن الأمر، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[4] أي خرج.

**﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٥]**

وقوله: **وأدخلناه في رحمتنا،** قال الحسن: **في رحمتنا،** في جنتنا، فسمي الجنة رحمة[5] لأنه برحمته يُدخل فيها وتُدرك. وقال غيره: **في رحمتنا،** أي نعمتنا، ونعمته النبوة، كقوله في عيسى:[6] إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ،[7] بالنبوة. وجائز أن يكون قوله: **في رحمتنا،** أي أعطينا كل أنواع الخير برحمتنا، إذ كل من أصاب خيرا في الدنيا والآخرة إنما يدركه برحمته.

وقوله: **إنه من الصالحين،** من النبيين. أو **من الصالحين،** أي كان يعمل بكل أنواع الصلاح.

**﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[٧٦]**

وقوله: **ونوحا إذ نادى من قبلُ،** قال بعضهم: **من قبل** إبراهيم وإسحاق ويعقوب،

---

[1] ع – به.
[2] ع + وكذلك ذكر.
[3] ر: الكفرة.
[4] سورة الكهف، ١٨/٥٠.
[5] ر ع م – كقوله ففسق عن أمر ربه أي خرج وقوله وأدخلناه في رحمتنا قال الحسن في رحمتنا في جنتنا فسمي الجنة رحمة.
[6] جميع النسخ: لعيسى.
[7] سورة الزخرف، ٤٣/٥٩.

لأنه ذكره على إثر هؤلاء.[١] ثم اختلف في ندائه. قال بعضهم: نداؤه هو قوله: فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ،[٢] وقال بعضهم: نداؤه هو[٣] قوله: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.[٤] أو[٥] أن يكون ذلك قوله: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا وقوله: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا،[٦] الآية وأمثاله.

وقوله: **فاستجبنا له ونجيناه وأهلَه**؛ أهلُه أتباعه من أهله ومن غيرهم.[٧] وقوله:[٨] **من الكَرْب العظيم**، قال عامة أهل التأويل: **من الكرب العظيم**، هو الغَرَق والهول الشديد الذي كان به. وجائز أن يكون **الكرب العظيم**، هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعائه إياهم إلى دين الله في تِسْعَمِائَةٍ وخمسين عامًا، وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من أنواع الأذى، كقوله: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ،[٩] ونحوِ ذلك من الأذى الذي قاساه منهم؛ فأنجاه من ذلك الكرب. **والله أعلم**.

[٤٨٦و س٣٣ *قال أبو عَوْسَجَة: الكَرْب واحد وجمعه الكُرُوب، وهو الهموم والشدائد. والكُرْبَة واحدة، والكُرَب جميع، وهو مثل الكُرُوب.[١٠] قال: والأكراب تكون للدلاء، وهي جماعة الكَرَب[١١] وهو حبل يُشَدُّ في عَرَاقَي الدلو:[١٢] خشباتِ الدلو؛ الواحدة عَرْقُوَة.[١٣] قال: والكِرَاب[١٤] الحِراث.* ٤٨٦و س٣٥]

---

[١] جميع النسخ والشرح: لأنه ذكر هؤلاء على إثره.
[٢] سورة القمر، ١٠/٥٤.
[٣] ع: وهو.
[٤] سورة نوح، ٥/٧٠-٦.
[٥] ع: و.
[٦] سورة نوح، ٢٦/٧٠، ٢٨.
[٧] م: وغيرهم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ﴿ويصنع الفُلْك وكلما مَرَّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نَسْخَر منكم كما تسخرون﴾ (سورة هود، ٣٨/١١).
[١٠] ع – وهو الهموم والشدائد والكربة واحدة والكرب جميع وهو مثل الكروب.
[١١] الكَرَبُ: الحبل الذي يُشَدُّ على الدلو بعد المَنِين – وهو الحَبْل الأَوَّل – فإذا انقطع المنين بقي الكَرَبُ. قال ابن سيده: الكَرَبُ حبل يُشَد على عَرَاقي الدلو، ثم يُثْنى ثم يُثَلَّثُ، والجمع أَكْرابٌ (لسان العرب، «كرب»).
[١٢] ر ع: الولد.
[١٣] والعَرْقُوَةُ خشبة معروضة على الدلو، والجمع عَرْقٍ، وأصله عَرْقُوٌ إلا أنه ليس في الكلام اسم آخره واو قبلها حرف مضموم (لسان العرب، «عرق»).
[١٤] الكِرَابُ: كَرَبَ الأرضَ يكْرُبُها كَرْبًا وكِرابًا: قلبها للحرث وأثارها للزرع (لسان العرب، «كرب»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٦و/سطر٣٣-٣٥.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧٧]

وقوله:[١] **ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**، وفي حرف أبيّ بن كعب: ونصرناه على[٢] القوم الذين كذبوا بآياتنا.[٣] والنصر هو اسم لأمرين: اسم للمنع واسم للظفر. فمن قرأ **نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**، أي متَعناه من أن يقتله قومه ويُهيِكوه، والنصر [هنا] المنع، كقوله: فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ،[٤] أي لا مانع لهم. ومن قرأ "على القوم الذين كذبوا بآياتنا"، أي أظفرناه[٥] على قومه، كقوله: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.[٦] وقد كان له الأمران جميعا: المنعُ والظفر.

وقوله: **إنهم كانوا قومَ سَوْءٍ**، ما ذكرنا من أفعالهم وأعمالهم. وقوله: **فأغرقناهم أجمعين**، حتى لم ينج منهم أحد.*

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[٧٨] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل:[٨] **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نَفَشَتْ فيه غنمُ القوم**، الآية. قال بعض الناس: دل تخصيص سليمان بالتفهيم على أنه لم يُفَهِّم داودَ ذلك، ويدل على ذلك وجوه. أحدها إشراكه عز وجل إياهما جميعا في الحكم والعلم وغيره حين قال: **إذ يحكمان في الحرث**، وقال: **وكُلًّا آتينا حكما وعلما**، ذكر ما كانا مشتركَيْن فيه، وخَصَّ سليمان بالتفهيم، فدل التخصيص بالشيء أحدَهما والإشراك في الآخر على أنه كان مخصوصا به دون الآخر.

[٤٨٦ظ] والثاني أن هذه الأنباء ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن. فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيدنا[٩] سوى الحكم والعلم، وكنا تعلم أنهما[١٠]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: من.
[٣] *كتاب المصاحف* لابن لأبي داود، ١٤٧.
[٤] ﴿وكأيّن من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ (سورة محمد، ١٣/٤٧).
[٥] ع: ظفرناه.
[٦] سورة آل عمران، ١٢٦/٣؛ وسورة الأنفال، ١٠/٨.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٦و/سطر٣٣-٣٥.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر م: لا يفيد.
[١٠] ن: أنها.

قد أوتِيَا[١] حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم، فإذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لأحدهما على أن الآخر لم يكن مُفَهَّمًا ذلك. *والله أعلم*.

والثالث فيه دلالة أن المجتهد إذا حكم وأصاب الحكم[٢] أنه إنما أصاب بتفهيم الله إياه وبتوفيقه، حيث أخبر أنه قد آتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم،[٣] والتفهيم هو فعل الله حيث أضاف ذلك إلى نفسه.

ثم إن كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالةٌ لأصحابنا فيمن[٤] قتل مسلما في دار الحرب أسلم هنالك، أن عليه الكفارة وليست عليه الدية حيث قال: [١] وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا؛ [٢] وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ؛ [٣] فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.[٥] ذكر في الأولَيْن الدية والكفارة جميعا، ثم خص الثالثَ[٦] بذكر الكفارة دون الدية. فدل التخصيص له بأحدهما على أن ليس عليه الآخر، لأنه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الأول الدية والكفارة ولا يذكر في الآخرَيْن، فيكون ما ذكر في الأول كالمذكور في الآخرَيْن؛ أو يذكر[٧] ذلك كله في الكل. فإذ[٨] لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كل[٩] الواجب في الاثنين على الإبلاغ، وترك في الواحد أحدهما وذكر الآخر فدل تخصيص الثالث بأحد الحكمين على أن ليس عليه الآخر.

---

[١] ع: أوتينا.
[٢] ع - وأصاب الحكم.
[٣] ع + فدل التخصيص بالشيء أحدهما والإشراك في الآخر على أنه كان مخصوصا به دون الآخر والثاني أن هذه الأنباء ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان يفيد سوى الحكم والعلم وكنا نعلم أنهما قد أوتيا حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم فإذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لأحدهما على أن الآخر لم يكن مفهما ذلك والله أعلم والثالث فيه دلالة أن المجتهد إذا حكم أنه إنما أصاب بتفهيم الله إياه وبتوفيقه حيث أخبر أنه قد آتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم.
[٤] ع: فمن.
[٥] سورة النساء، ٩٢/٤. جميع النسخ هكذا، إلا أن قوله: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وارد في الآية قبل قوله: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ لعل المؤلف رحمه الله جعل الأول والثالث في جانب والثاني في جانب آخر، وأخر الجملة الثانية ليفهم المسألة
[٦] جميع النسخ: الثالثة.
[٧] ر ع م: لا يذكر.
[٨] ر م: فإذا.
[٩] ع: لكن.

ثم استدلوا بهذه الآية على جواز العمل والقضاء باجتهاد الرأي. فمنهم من استدل بإصابة المجتهد فيما يجتهد وإن لم يصب هو الحكمَ الذي هو حكم عند الله فيه حقيقةً. وهو قول[1] من يقول: كل مجتهد مصيب فيما عليه[2] من الاجتهاد في[3] تلك الحادثة. وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله. ومنهم من يستدل به تخطإ أحد المجتهدَين وعذره في خطإه، فيذهب إلى أن المقصود مما كلِّف من الحكم في ذلك واحدُ[4] الحكمَيْن المختلفين.[5] فإذا كان المقصود مما كلِّف[6] من الحكم فيه واحداً[7] فلا يجوز أن يحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه واحد[8] فيكونان جميعا مصيبَيْن،[9] حيث خص أحدهما بالتفهيم بقوله: **ففهَّمناها سليمانَ**، فلو كان جميعا مصيبين كانا جميعا مفهَّمَين، فإذا أخبر أنه فُهِّم سليمان ولم يفهَّم الآخر دل أن المصيب هو المفهَّم منهما. وهو قول أبي حنيفة وبِشْرٍ[10] وهؤلاء.[11] ومن استدل بإصابته يستدل[12] بقوله: **وكلا آتينا حكما وعلما**، أخبر أنه آتاهما حكما وعلما،[13] فدل ذلك على أنه لم يكن عليهما غير ما فعلا وحكما فيه وإن لم يصيبا الحكم الذي هو حكم حقيقةً عند الله.

ثم ذَكَر في الآية أنهما **يحكمان في الحرث**، ولم يذكر أنهما حكما بالضَّمان أو البراءة عن الضمان أو كيف كان حكمهما؟ فدل ترك بيان ما حَكما فيه على أن ليس علينا ذلك الحكم،[14]

---

[1] ر م: القول.
[2] أي حيث أدى ما عليه.
[3] ع: وفي.
[4] ع: واحدا.
[5] جميع النسخ: لا حكمين مختلفين.
[6] ر: كلفه؛ ن: كلفا.
[7] ر م: واحد.
[8] ر م: أحد.
[9] ر ع م: مصيبان.
[10] لعله أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي (ت: ٢١٠هـ/٨٢٥م): فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. قال الشريف المرتضى: "يقال: إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه". تنسب إليه الطائفة البشرية منهم. له مصنفات في الاعتزال، منها قصيدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين. ومات ببغداد (الأعلام للزركلي، ٢/٥٥).
[11] ر ع م: وغيرهما. لعل المؤلف يعني فقهاء المعتزلة.
[12] ع - بإصابته يستدل.
[13] ع + أخبر أنه اتاهما حكما وعلما.
[14] ع + بل بين لنا ذلك الحكم.

إذ يبين لنا ما عينا العمل فيه، وهو العمل بالاجتهاد حيث[١] قال: **ففَهَّمناها سليمانَ**، ولم يبين لنا الحكم الذي حكَمَا فيه، فدل بيان أحدهما وترك بيان الآخر على أن ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانَه. إلا أن أهل التأويل حملوا[٢] حكمهما على الضمان والبراءة.[٣] وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. روي أن ناقة لرجل هاربةً دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه، فكلّم رسولَ الله[٤] فيها،[٥] فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأن حفظ المواشي بالليل على أهلها، وأن على أهل الماشية[٦] ما أصابت ماشيتُهم بالليل. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[٧] «ما أصابت الماشيةُ بالليل فعلى أهلها، وما أصابت بالنهار فليس على أهلها منه شيء».[٨] لكن الخبر إنما جاء في المدينة، وفي المدينة[٩] إنما ترعى[١٠] الماشية في الشُّكُك إذ ليس لها مَراعي.

ونحن نقول: إن من أرسل ماشيته[١١] في مكان لا مرعى لها إلا كَرْمُ إنسان أو حائطٌ فأفسدته،[١٢] فإنا نوجب عليه الضمان ضمانَ ما أفسدته.[١٣] وهو كمن يرسل الماء في ملكه في مكان

---

[١] ع: وحيث.
[٢] ن: عملوا.
[٣] ر: والبرأة؛ ن – والبراءة. "عن ابن عباس في قوله: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نَفَشَت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾ يقول: كنا لما حكما شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم. فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يُبق من حرثي شيئا. فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك فقضى بذلك داود. ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال: يا نبيّ الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفي على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كلّ عام. فقال داود: قد أصبت، القضاءُ كما قضيتَ. ففهمها الله سليمان" (*تفسير الطبري*، ١٧/٦٣).
[٤] ن + صلى الله عليه وسلم.
[٥] ع – فيها.
[٦] ر: على الماشية.
[٧] ن: أنه قال صلى الله عليه وسلم.
[٨] عن سعيد بن المسيَّب وحرام بن سعد أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لقوم من الأنصار فأفسدت، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى «أن حفظ الحوائط على أهلها بالنهار وعلى أهل المواشي ما أفسدت المواشي بالليل.» وروينا عن الشعبي عن شُرَيح أنه كان يضمن ما أفسدت الغنم بالليل ولا يضمن ما أفسدت بالنهار ويتأول هذه الآية ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ وكان يقول: النفش بالليل (*سنن البيهقي*، ٨/٣٤٢).
[٩] ع – وفي المدينة.
[١٠] ن: تدعى.
[١١] ر ع م: ماشية.
[١٢] جميع النسخ: فأفسده.
[١٣] ن ع م: أفسدت.

لا يَقِرّ فيه فتعدّى إلى ملك جاره فأفسده، فعليه ضمان ما أفسده. فعلى ذلك المو شي، إذا أرسلها في مكان لا مراعي لها ولا قرار إلا حائط آخر فإنه يضمن ما أفسدت[1] منه.

ومن الناس من يجعل الخبر منسوخا بما جاء: «جَرْح العَجْمَاء جُبَارٌ»،[2] لكن الوجه فيه ما ذكرنا. وإنما يكون[3] جرحها جُبارًا إذا تعدت هي من غير إرسال صاحبها، فأما إذا كان بصنع صاحبها فعليه الضمان. *والله أعلم*.

وقال القُتَبِي: **نفشت**، أي رعت ليلاً، يقال: نفشت الغنم بالليل، وهي[4] إبلٌ، نَفَشٌ وأنفاش[5] ونُفَّاش، واحدها نافش؛ وسَرَحتْ وسَرَبتْ بالنهار.[6] و قال أبو عَوْسَجَة: **نفشت فيه غنم القوم**، يقال:[7] أنفشْنا الغنم إذا أثّرناها في الليل فرعت، وهو النفش. ونفشت، أي انتشرت بغير علم أهلها. نَفَشَتْ تَنْفُشُ نَفْشا[8] فهي نافشة. قال أبو عبيدة: النفش بالليل أن تدخل في زرع فتأكله أو رعت فتأكل.[9]

وقوله: **وسخّرنا مع داود الجبالَ يُسَبِّحْنَ**، ذَكَر التسبيح هنا[10] في الجبال و لم يذكر في الطير، ولكن ذكر في آية أخرى حيث قال: وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ،[11] أي مسبِّح له. ثم يحتمل أن يكون [٤٨٧و] / تسبيح الجبال ههنا والطيرِ تسبيحَ خلقةٍ، لكنه لو كان تسبيحَ خلقة لكان تسبيحها مع داود وغيره سواءً. وقد ذكر **يُسَبِّحْنَ** مع داود، ليعلم أن الله جعل لهذه الأشياء تسبيحًا **يُسَبِّحْنَ** الله ويذكرنَه.[12]

---

[1] ر ع م – فعلى ذلك المواشي إذا أرسلها في مكان لا مراعي لها ولا قرار إلا حائط آخر فإنه يضمن ما أفسدت.

[2] «العجماء جرحها جُبار، والمعدِن جبار، والبئر جبار، وفي الرِّكاز الخُمس» (*سنن أبي داود*، الديات ٣٠؛ وانظر أيضا: *صحيح البخاري*، المساقاة ٤). والجُبارُ الهَدَرُ. يقال: دهب دَمُه جُبارًا. ومعنى الأحاديث إنْ تَنْفَلِتِ البهيمة لعجماء فتصيب في انفلاتها إنسانا أو شيئا فجرحها هدَرٌ، وكذلك البئر العاديّة يسقط فيها إنسان فيَهْلِكُ فدَمُه هَدَرٌ. والمعْدِن إذا انهارَ على حافره فقتله فدمه هدر (*لسان العرب*، «جبر»). والرِّكازُ: قِطَعُ ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن (*لسان العرب*، «ركز»).

[3] ع – يكون.

[4] ر: وهو.

[5] ن: ونفش.

[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٧.

[7] ن: فقال.

[8] ع م: نفش ينفش نفشا.

[9] ن – فتأكل. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٤١/٢.

[10] ن: ههنا.

[11] سورة ص، ١٩/٣٨.

[12] ر ع م: ويذكرونه.

كذلك[1] ما روي في الأخبار أن الطعام سبح في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وروي أنه أخذ حجرًا فسبح في يده؛ وأنه أخذ كذا فسلم عليه، وأمثال هذا كثيرة.[2] وذلك كله آية لرسل الله[3] على رسالتهم.

وقوله: **وكنا فاعلين**، أي **كنا فاعلين** ما نريد. إن أردنا أن يُسَبِّحْنَ يسبحن، وإن أردنا أن لا يسبحن لا يسبحن،[4] أي **كنا فاعلين** جميع ما نريد، ليس كالخلائق، لأنهم يريدون أشياء لا تلتئم لهم.

**﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٨٠]**

وقوله:[5] **وعلَّمناه صنعة لَبوس لكم**، وقال في آية أخرى وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ،[6] الآية. ثم يحتمل قوله: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أي علمناه السبب الذي به يَلِين[7] الحديد[8] فيصنع به ما شاء، كما علَّم غيرَه من الخلق السبب الذي به يلين[9] الحديد. ويحتمل أن يجعل[10] له الحديد ليِّنا بلا سبب تسخيرًا له كما سخر[11] له غيره من الأشياء الشديدة الصلبة، كما أعطَى ولده عَيْنَ الْقِطْرِ حيث قال: وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ.[12] وذلك لم يكن لأحد سواه. وكذلك الحديد، ألانه[13] لوالده[14] حتى يعمل به ما يشاء[15] ما لم يكن ذلك لأحد[16] سواه.

---

[1] ع: وكذلك.
[2] ر ع: كثير. ولكن هذه الروايات لا يدعمها لقرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نُرسِل بالآيت إلا أن كذّب بها الأولون﴾ (سورة الإسراء، ٥٩/١٧)؛ وقوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليهم الكتاب يُتلى عليهم﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٥٠-٥١).
[3] ع: لرسول الله.
[4] ر: لم يسبحن.
[5] ن: قوله.
[6] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وَأَلَنَّا له الحديد أن اعمل سابغات وَقَدِّرْ في السَّردِ و عملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٠-١١).
[7] ر ع: تلين.
[8] ن ع + له.
[9] ر ع: تلين.
[10] ر ع م: أن جعل.
[11] ع: يسخر.
[12] سورة سبأ، ٣٤/١٢.
[13] جميع النسخ: ألان.
[14] ع: لولده.
[15] ر ع م: شاء.
[16] ر ع: في حديد.

وقوله: **وعلَّمناه صنعة لَبُوس لكم**، قيل:[1] دروع الحديد، **لتُحْصِنَكم من بأسكم**، أي تَقِيكم **من بأسكم**، أي من عدوكم ومن أمر حربكم.[2] وفيه قراءات.[3] **لتحصنكم** بالتاء، و"ليحصنكم"[4] بالياء[5] و"لنحصنكم"[6] بالنون.[7] قال الكسائي: من قرأ بالتاء **لتحصنكم**، أي الصنعةُ تحصنكم **من بأسكم**؛ ومن قرأ بالياء "ليحصنكم"، أي اللبوس يحصنكم **من بأسكم**؛ ومن قرأ بالنون "لنحصنكم" فإنه يقول الله: "نحصنكم"[8] نحن **من بأسكم**.[9]

وقوله: **فهل أنتم شاكرون**، ما أعطاكم من النعم[10] التي ذَكَر من تسخير الجبال له والطير والحديد والرياح وغيره، **فهل أنتم شاكرون** ذلك؟ أي اشكروا له في نعمه. لأن الاستفهام من الله على الإيجاب والإلزام.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[٨١]

وقوله: **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره**، ذكر ههنا عاصفة، وقال في آية أخرى: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ،[11] أي ليِّنة، فهو يحتمل وجوها. قال بعضهم: كأنها تشتد إذا أراد سليمان وتلين إذا أراد. وقال بعضهم: كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين وقت سيره. ويحتمل أن يكون عاصفة شديدة في الخلقة، لكنها كانت تلين له وترخو، فكأنه يقول: سخَّرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة حتى كانت تلين له.

وقوله: **تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها**، وقال في تلك الآية: تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، حيث قصد، ولا يقصد إلا **إلى الأرض التي باركنا فيها**،[12] لا يقصد غيرها،[13] **وكنا بكل شيء عالمين**.

---

[1] ع + أي.
[2] ر: حربكم.
[3] ر: قرأة؛ ع م: قراءة.
[4] ن - وليحصنكم.
[5] ع + لتحصنكم من بأسكم أي تقيكم من بأسكم.
[6] ن - ونحصنكم.
[7] قرأ "ليحصنكم" نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي؛ و"لتحصنكم" ابن عامر وعاصم في رواية حفص؛ و"لنحصنكم" عاصم في رواية أبي بكر (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤).
[8] ع - فإنه يقول الله نحصنكم.
[9] لم أجده عن الكسائي بل هو منقول عن الزجاج (انظر: *معاني القرآن وإعرابه*، ٣/٤٠٠).
[10] ر ع م: النعمة.
[11] سورة ص، ٣٨/٣٦.
[12] ر ع م - وقال في تلك الآية تجري بأمره رخاء حيث أصاب حيث قصد ولا يقصد إلا إلى الأرض التي باركنا فيها.
[13] ر ع م + وقوله؛ ن + قوله.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[٨٢]

[وقوله:] **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك.**[1] ذكر نعمه التي كانت عليهم حيث أخبر أنه سخّر لهما[2] أشد الأشياء وأصلبها من نحو الجبال والرياح والبحار والحديد، والشياطين أيضا، وهم أعداء[3] لبني آدم؛[4] سخّر[5] الأعداء: الشياطين والرياح.

وقوله:[6] **وكنا لهم حافظين**، يحتمل وجوها. أحدها **وكنا لهم حافظين** حتى لا يُضلوا الناس. وقال بعضهم: **وكنا لهم حافظين** على سليمان، لئلا يتفرقوا عنه. لأن سليمان كان لا يملك إمساكهم واستعمالهم، لكن الله سخرهم به حتى عملوا له وذلوا له وخضعوا.[7] والثالث **وكنا لهم حافظين** عن الخلاف له. ***والله أعلم.***

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر**، وقال في آية أخرى: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.[8] ذَكَر في سليمان أنه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخّرين له، يستعملهم في كل أمر وعمل شاء. وذكر في أيوب على إثر قصة سليمان أنه سلّط الشياطين[9] عليه وصار هو كالمسخّر لهم حيث قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ،[10] حتى يعلم أن تسخير الشياطين لسليمان كان به من الله[11] إفضالا وإنعاما[12] لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك ويستحقه، ولا كان من أيوب إليه من العصيان ما يستحق ذلك، وما أصابه من البلاء منه عدل، وكان ما يُعطِي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة. وله أن يعطِي من شاء ما شاء[13] ويَحْرِم من شاء ما شاء. ألا ترى[14] أنه قال في آخره

---

[1] أي سوى الغوص (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤٠١/٣).
[2] ن: ها.
[3] ع: أعدا.
[4] ر: النبي آدم.
[5] ر ع م + له.
[6] ن: قوله.
[7] ن + له.
[8] سورة ص، ٤١/٣٨.
[9] ن: شياطين.
[10] سورة ص، ٤١/٣٨.
[11] ر ع م - من الله.
[12] جميع النسخ: إفضال وإنعام.
[13] ع - وما أصابه من البلاء منه عدل وكان ما يعطي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة وله أن يعطي من شاء ما شاء.
[14] ن: ألا يرى.

لمّا رد عليه ما أخذ منه وكشف عنه البلاء: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا.[1] ولو كان ذلك حقا عىى الله لم يكن لذكر الرحمة معنى. فهذا يرد عىى المعتزلة مذهبهم: أن على الله الأصلحَ لهم في دينهم، لأن ما أصاب أيوب من البلايا أضاف ذلك إلى الشياطين حيث قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ،[2] ولو كان ذلك أصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الأصلح له في الدين إلى الشيطان.[3] فدل أنه ليس على ما يذهبون إليه.

ثم قوله: **وأيوبَ إذ نادى ربّه أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ**، يشبه أن يكون فيه إضمار دعاء، كأنه قال: **أني مسني الضر** فارحمني وعافني **وأنت أرحم الراحمين**. ألا ترى[4] أنه قال: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ،[5] دل أنه على الدعاء خرج. والثاني في قوله: **أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ**، وصرتُ [٤٨٧ظ] بحال يرحمني من رآني من الخلق **وأنت أرحم** لي من كل **الراحمين**. ***والله أعلم***.

**﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾** [٨٤]

/ وقوله عز وجل: **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر**، هو ظاهر أنه كشف عنه ما أصابه من البلاء في بدنه وأهله حتى عاد إلى الحال التي كان قبل ذلك. وقال بعضهم: أوتي أهلَه في الدنيا ومثل أجورهم في الآخرة. وقال بعضهم:[6] **وآتيناه أهله**، فأحياهم الله، **ومثلهم معهم**. وكانت امرأة أيوب ولدت قبل البلايا[7] أولادًا بنين وبنات فأحياهم الله. وقال بعضهم: **وآتيناه أهله**، أي ما يتأهل به من الأهل والأنصار على ما كان له من قبل. ***والله أعلم***.

وقوله: **رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**، يحتمل وجوها. أحدها أن من ابتُلي ببلاء فصبر على ما صبر أيوبُ على بلاء ففرّجه الله عن ذلك البلاء، فيفرّجه عنه كما فرّج لأيوب. والثاني يُعلِم أن ما أصابه ليس لأمرٍ[8] سبق منه، ولكن ابتداء محنة من الله امتحنه بها، وله أن يمتحن من شاء بما شاء من المحن.

---

[1] الآية التالية.
[2] سورة ص، ٤١/٣٨.
[3] ر ع م: الشياطين.
[4] ن: ألا يرى.
[5] الآية التالية.
[6] ن - بعضهم.
[7] ر ع م: البلاء.
[8] ر ع: الامر.

**﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٨٥]**

وقوله: **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل**. يشبه أن يكون ذو الكفل اسما[١] من أسمائه. وجائز أنه سُمّي ذا الكفل لأمر كان منه. ذُكر أنه كان رجلا صالحا فتكفّل[٢] لنبي بأمر قومه فوفّى ما تكفل به فسمي لذلك ذا الكفل.[٣]

ثم اختلف فيه. قال بعضهم: هو رجل صالح على ما ذكرنا؛ وقال بعضهم: كان نبيا. لسنا نعلم ذلك سوى أنه ذكر أنه **من الصابرين**. سماهم صابرين على الإطلاق، وكذلك سماهم صالحين على الإطلاق.[٤] وذلك -والله أعلم- لأنهم جمعوا جميع أنواع الصبر وجميع أنواع الصلاح: صبروا على ما ابتُلوا وامتحنوا، وصبروا على جميع ما أُمروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع[٥] الخيرات؛ وكذلك الصلاح، سماهم به لما جمعوا جميع أنواع الصلاح.[٦] ***والله أعلم.***

**﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨٦]**

وقوله: **وأدخلناهم في رحمتنا**، قال الحسن: **أدخلناهم في رحمتنا**،[٧] وهي الجنة. وجائز أن يكون جميع ما قالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله[٨] وفضله. وهكذا أن من نال شيئا من الخيرات والطاعات فإنما ينال ذلك كله برحمته. ***والله أعلم.***

**﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٨٧] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٨]**

وقوله: **وذا النون**، قال[٩] بعضهم: ذو النون،[١٠] هو اسم من أسمائه سمي به. وقال بعضهم:

---

[١] جميع النسخ: ذا الكفل اسم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٩و.
[٢] جميع النسخ: فكفل.
[٣] انظر: *معاني القرآن وإعرابه*، ٤٠١/٣. قال الزجاج: إن ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم (*لسان العرب*، «كفل»).
[٤] ع - وكذلك سماهم صالحين على الإطلاق.
[٥] ع: الجميع.
[٦] ر م - صبروا على ما ابتلوا وامتحنوا وصبروا على جميع ما أمروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع الخيرات وكذلك الصلاح سماهم به لما جمعوا جميع أنواع الصلاح.
[٧] ر م - في رحمتنا.
[٨] ر م: رحمة الله.
[٩] جميع النسخ: وقال.
[١٠] جميع النسخ: ذا النون.

سماه ذا النون لكونه في بطن النون. وهو الحوت، أي صاحب النون. سمي باسمين مختلفين، أحدهما اسم موضوعٌ، والآخر مشتق من فعله ومما كان به. وهو ما سُمّي[1] عيسى مرة وسماه مسيحا أخرى، أحدهما اسم موضوع، والآخر مشتق من فعله. وهو مما[2] كان يمسح به المرضى والموتى فيُبرَؤن.[3] وكذلك دو الكفل[4] يخرج على هذين الاسمين، أحدهما موضوع والآخر مشتق من فعله على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **إذ ذهب مُغاضِبًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: **مُغاضِبًا** لربه، أي حزينا له، لأنه كان أراد أن يهلك الله قومه لما أَيِس من إيمان قومه، وقد كثر عنادهم ومكابرتهم، فخرج حزينا لذلك. وقال بعضهم: **مُغاضِبًا** للملِك. وذلك أن قومه قد أَسَرَهم عدوهم؛ وقد كان الله أوحى إليهم[5] فقال: إذا أسركم عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني، فإذا دعوتموني أستجب[6] لكم. فلما أُسروا نسوا أن يدعوه زمانا، حتى إذا ذهبت أيام عقوبتهم ونزلت أيام عافيتهم[7] أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن ابعثوا[8] رجلا قويا أمينا فإني مُلقٍ[9] في قلوب الذين أَسَروا قومهم أن يُرسلوهم. -وفي القصة طول غير أنا نختصر- فبعث مَلِكهم يونسَ إلى أولئك الأَسْرَى[10] ليستنقذهم من أيديهم فخرج وائتمر،[11] لكنه غضب عليه لِمَا اشتدَّ عليه، فذلك[12] قوله: **ذهب مُغاضِبًا** للملِك حيث أمره بالخروج إلى أولئك الأَسْرَى.[13] وقال بعضهم: **ذهب مُغاضِبًا** لقومه. وذلك يخرج على وجوه. أحدها[14] خرج من عندهم لما أيس من إيمان قومه خرج مَكيدةً لقومه،

---

[1] ع: وحق ما يسمى.
[2] ن: ما.
[3] ر: فيبرون.
[4] جميع النسخ: دا الكفل.
[5] أي قبل هذه الأسرة.
[6] ن: استجبت.
[7] م: عاقبتهم.
[8] ع: بعثوا.
[9] جميع النسخ: ملقي.
[10] جميع النسخ: لأسارى.
[11] ع م: ويتمر.
[12] ع + قوله ذهب.
[13] جميع لنسخ: الأسراء.
[14] م - أحدها.

لأن السنة فيهم أنه إذا خرج رسول من بين أظهرهم نزل بهم العذاب. فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا. والثاني خرج إشفاقًا على نفسه لئلا يُقتل، لما أن قومه هموا بقتله، فخرج لئلا يقتل إشفاقا على نفسه، كما خرج رسول الله من بين أظهر قومه لما هموا بقتله، لكن رسول الله خرج بإذنٍ ويونس بغير إذنٍ. والثالث خرج من عندهم لما أكثروا العناد والمكابرة وأيس من إيمانهم خرج ليفرّغ[1] نفسه لعبادته، إذ كان مأمورًا بالعبادة لربه،[2] ودعا قومه إلى ذلك. فلما أيس من إيمانهم خرج لما ذكرنا بغير إذن من ربه، وإن كان[3] في خروجه منفعة له ولقومه، فعوتب لذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **فظن أن لن نَقْدِر عليه**، قال بعضهم: **فظن أن لن نقدر عليه**، أي لن نضيّق عليه ولا نبتليه بالضيق والتشديد[4] لما خرج من عندهم. يقال:[5] فلان مقدور[6] عليه ومُقْتَر، أي مضيّق،[7] وهو كقوله: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ،[8] أي يضيّق؛ وقوله: فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،[9] أي ضيّق عليه رزقه.

وقوله:[10] **فنادى في الظلمات**، قالوا: في ظلمات ثلاث: ظلمةِ الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.[11] وقال بعضهم: التقم الحوتَ حوتٌ آخر فكان في بطن حوت وحوت آخر، وظلمة البحر. فقال: **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**، وحّد ربه ونزّهه عن جميع ما قيل فيه. ثم اعترف بزلته[12] وذنبه فقال: **إني كنت من / الظالمين**، فسمع الله دعاءه وقبل [٤٨٨و]
توبته، وأخبر أنه كشف عنه الغم الذي كان له حيث قال: **فاستجبنا له ونجيناه من الغم**،

[1] ع: ليفرغ.
[2] ع: بالعبادة ربه؛ م: بعبادة ربه.
[3] ع – كان.
[4] ع: والشدائد.
[5] جميع النسخ: فقال.
[6] جميع النسخ: مقدر.
[7] ر ع م + عليه الأمر.
[8] انظر مثلا: سورة الرعد، ٢٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ٣٠/١٧.
[9] ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمَنِ وأما إذا ما ابتلاه فقدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانَنِ﴾ (سورة الفجر، ١٥/٨٩-١٦).
[10] ن: قوله.
[11] كما روي عن ابن عباس (انظر: *المستدرك* للحاكم، ٤١٥/٢).
[12] ر ن ع: بذلته.

وأخبر أنه **وكذلك ننجي المؤمنين**. فيُرجى أن من ابتلاه الله بالبلاء والشدة فدعا بما دعا به يونس[1] أن يفرِّجه الله عنه حيث قال: **وكذلك ننجي المؤمنين**. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا بدعوة ذي النون استجيب له».[2]

ثم قال بعضهم: تلقَّن[3] ذلك [الدعاء] من الأرض، [فإنه] لما بلغ إلى قرار الأرض [سمع ذلك من الأرض][4] فقال ذلك. وقال بعضهم: كان رجلا صالحا عابدا، وكان عوَّد نفسه ذلك قبل أن يدخل بطن الحوت. فلما دخل فيه فكان[5] يقول فيه على ما كان يقوله[6] من قبل، وهو كقوله: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[7] الآية. قال بعضهم: هذا أنه كان من المسبحين قبل هذا، وإلا للبث فيه إلى ما ذكر. وقال بعضهم: لولا أنه قال هذا القول **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** للبث فيه. فيكون على هذا التأويل **كان من المسبحين**، أي صار من المسبحين، والأول أشبه.

ثم اختلف في قوله: **ونجيناه من الغم**. قال بعضهم: ذلك الغم هو ما ابتلاه الله بالضيق في بطن الحوت والبحر، فنجاه من ذلك الغم. ولكن جائز أن يكون نجّاه من الغم الذي كان[8] سببَ خروجه من بين أظهرهم.

وقول أهل التأويل: إن يونس مكث في بطن الحوت أربعين يوما أو ثلاثة أيام ونحو هذا فذلك لا يعلم إلا بالوحي، فإن ثبت الوحي فهو هو، وإلا ليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة.

وقال القُتَبِي: **وذا النون**، يعني ذا الحوت، والنون الحوت.[9] وقال أبو عَوْسَجة: إنما سمي ذا النون لأن الحوت التقمه،[10] والنون الحوت، والنِينانُ الجميع. وقال القُتَبِي: قوله: **فظن أن لن نَقدِرِ عليه**،

---

[1] ن – يونس.

[2] «دعاء ذي النون إذ دعا به وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له». (*المستدرك* للحاكم، ٢/٤١٥).

[3] جميع النسخ: التقن.

[4] والزيادات من *الشرح*، ورقة ٤٩٩ظ.

[5] ن: كان.

[6] ر ع م: يقول.

[7] سورة الصافات، ٣٧/١٤٣-١٤٤.

[8] جميع النسخ + به.

[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٧.

[10] ع: النقمة.

أي لن نضيّق عيه. يقال:[١] فلان مقدور[٢] عليه ومُقتَّر، ومنه قوله:[٣] فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،[٤] أي ضيّق عليه [في رزقه].[٥] ومنه قوله أيضا: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ،[٦] أي يضيّق. **والله أعلم**.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٨٩]

وقوله: **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تَذَرْنِي فردًا**، في الظاهر[٧] نهي، وكذلك قوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا،[٨] وأمثاله يخرج في الظاهر مخرج النهي؛ وقوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[٩] ونحوه يخرج في الظاهر[١٠] مخرج الأمر، لكن الأمر[١١] والنهي إذا كان من العبد للسيد فهو تعوُّذ ودعاء؛[١٢] وإذا كان من السيد للعبد فهو أمر ونهي ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الأمر والنهي. وكذلك سؤال الأمير لرعيّته أمر ونهي، وسؤال الرعية للأمير تضرُّع وتعوذ ودعاء.

ثم قوله: **رب لا تذرني فردًا**، في الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمتُ حيًّا، ولكن أشرِكْ في العبادة والذكر من يعينني على ذلك. وهو كقول موسى: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا،[١٣] ويكون[١٤] قوله: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ،[١٥] أي هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وليا يعينني على عبادتي إياك وذكري وما أنا فيه ما دمتُ حيًّا؛ و يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ[١٦] إذا مت.

[١] ع م - يقال.
[٢] جميع النسخ: مقدر.
[٣] ر ع م - قوله.
[٤] سورة الفجر، ١٦/٨٩.
[٥] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٨٧.
[٦] انظر مثلا: سورة الرعد، ٢٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ٣٠/١٧.
[٧] ن - في الظاهر؛ + قوله رب لا تذرني فردا في الظالمين.
[٨] سورة آل عمران، ٨/٣.
[٩] سورة آل عمران، ١٩٤/٣.
[١٠] ر ع م - في الظاهر.
[١١] ر ع م - لكن الأمر.
[١٢] ع: ودعاه.
[١٣] سورة طه، ٢٩/٢٠-٣٤.
[١٤] ر ع م - يكون.
[١٥] سورة مريم، ٥/١٩-٦.
[١٦] ر ع م - أي هب لي من لدنك وليا يعيني على عادتي إياك وذكري وما أنا فيه ما دمت حيا ويرثني ويرث من آل يعقوب.

أو أن يكون قوله: **لا تذرني فردا**، بعد مماتي في قبري، ولكن هب لي من يذكرني ويدعو لي بعد وفاتي ويحيي أمري. وقوله: **وأنت خير الوارثين**، أي وأنت خير من يرث العباد على هذ التأويل؛ وعلى التأويل الأول وأنت خير من يعين على العبادة والطاعة. *والله أعلم*.

﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[٩٠]

وقوله: **فاستجبنا له**، أي دعاءه، **ووهبنا له يحيى**، قال الحسن: إنه كان يحيى -على ما سماه الله- في الطاعة والعبادة وفي الآخرة، ويحيى[١] في الكرامات والثواب الجزيل، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٢]

وقوله: **وأصلحنا له زوجه**، يخرج على وجهين. أحدهما أن جعلناها بحيث يرغب فيها زوجها ذاتَ هيئة ومنظر، لأنه ذكر في القصة أنها بلغت في السن مِائَةً غيرَ شيءٍ،[٣] والعرف في النساء أنهن إذا بلغن المبلغ الذي ذُكر أنها بلغت زوجة زكريا يكُنَّ من القواعد اللاتي لا يرغب فيها أحد. فأخبر أنه أصلحها وصيَّرها بحيث يُرغب فيها ذاتَ منظر وهيئة.[٤] والثاني **أصلحنا له زوجه**، أي ولودًا بحيث تلد. لأنه لما بشر بيحيى قال: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا،[٥] والعاقر[٦] هي التي لا تلد، فيكون قوله: **وأصلحنا له زوجه**، ولودا بحيث تلد. *والله أعلم*. هذان الوجهان محتملان. وأما قول من يقول بأن في لسانها بِذَاءً[٧] وطُولًا،[٨] وفي خُلُقها سوءً، فذلك لا يحل أن يقال إلا بثَبَت؛ وهو على خلاف ما ذكرهم ووصفهم حيث قال: **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**.[٩] ثم المسارعة في الخيرات أنه كان لا يمنعهم شيء عن الخيرات. وهكذا[١٠] المؤمن هو يرغب في الخيرات كلها، إلا أن يمنعه شيء من شهوة أو سهو.

---

[١] ن ع: يحيى.

[٢] انظر: سورة مريم، ٧/١٩ من هذا التفسير.

[٣] أي إلا بضع سنين.

[٤] ن: هيئة ومنظر.

[٥] سورة مريم، ٨/١٩.

[٦] ع - والعاقر.

[٧] بَاذَأْتُ الرجلَ: إذا خاصمته. وقيل: البِذاءُ المُباذَأَةُ، وهي المفاحشة. يُقال: باذَأْتُهُ بِذاءً ومُباذَأَةً. والبَذِيُّ: الفاحش من الرجال، والأنثى بَذِيئةٌ (انظر: *لسان العرب*، «بذأ»).

[٨] جميع النسخ: وطول.

[٩] وإن كان الإصلاح في الشق الأول والثاني أوفق لمعناه اللغوي إلا أن القول الثالث لا يرَدُّ بموجب كونها داخلة في "المسارعين في الخيرات"، لأن "المسارعين في الخيرات" هم الذين أوحى الله إليهم وجعلهم قادة لهذه الأمة من لوط إلى زكريا، لا أزواجهم وأولادهم.

[١٠] ع: وهذا.

وقوله:[1] **ويدعوننا رَغَبًا ورَهَبًا**، أي **يدعوننا رغبا** فيما عندنا من جزيل الثواب، **ورهبا** من أليم عقابنا. والثاني **رغبا** فيما عندنا من اللطائف من التوفيق على الخيرات والعصمة عن المعاصي، **ورهبا** مما عندنا من النَّقَمات والخِذلان والزيغ.

وقوله:[2] **وكانوا لنا خاشعين**، قال بعضهم: الخشوع هو الخوف الدائم الملازم للقلب لا يفارقه. وقال بعضهم: متواضعين ذليلين لأمر الله. وتفسير[3] الخشوع ما ذكر بقوله: **ويدعوننا رغبا ورهبا**.

**﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[٩١]

وقوله: **والتي أحصنت فرجها**، أي عفَّتْ فرجها. وقوله: **فنفخنا فيها من روحنا**، قال أهل / التأويل: إن جبريل[4] أتاها فنفخ في جيبها أو في فرجها. وهذا ليس في الآية، فلا يجوز [٤٨٨ظ]
القول إلا بثَبَت.[5] ولكن قوله: **فنفخنا فيها من روحنا** كقوله في آدم: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي،[6] أي أنشأت فيه من روحي، إذ لم يقل أحد فيه بالنفخ، أي جبريل[7] نفخ فيه. فمعنى ذلك قوله: **فنفخنا فيها من روحنا**، أي أنشأنا فيها من روحنا. ***والله أعلم***.

وقوله:[8] **وجعلناها وابنها آية للعالمين**، ذكر فيهما[9] آية واحدة، لأنها وَلدت بغير زوج ووُلد هو بلا أب فهو واحد: إذا كانت هي ولدته بغير زوج فيكون بغير أب فهو آية واحدة. والآية فيها ما ذكر: إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛[10] وآية عيسى حين[11] تكلم في المهد فقال: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[12] الآية.

---

[1] ن: قوله.
[2] ن: قوله.
[3] ر ع م: تفسير.
[4] ن م: جبرئيل.
[5] كما أن قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦) يفسر هذه الآية ويفيد بأنه نفخ في فرجها، لأن الضمير المذكّر في "فيه" راجع إلى "فرجها".
[6] سورة الحجر، ٢٩/١٥؛ وسورة ص، ٧٢/٣٨.
[7] ن م: جبرئيل.
[8] ن: قوله.
[9] جميع النسخ: فيها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٠و.
[10] ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (سورة آل عمران، ٤٢/٣).
[11] ع – حين.
[12] سورة مريم، ٣٠/١٩.

وقال أبو عَوْسَجَة: **أحصنت**، أي عفَّت، ويقال: امرأة حَصان، أي عفيفة؛ ومُحْصَنة، أي قد أحصنها زوجها؛ ومحصَّنة، أي عفيفة؛ وامرأة حاصِن[1] ونسوة حاصنات وحواصنُ. قال: والحصان ذكر الخيل وحُصْن جميع.

**﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٩٢]**

وقوله:[2] **إن هذه أمتُكم أمةً واحدة**، قال بعضهم: **إن هذه** ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملةً واحدة، وشريعة واحدة،[3] يعني شريعة الإسلام. وملة واحدة: ليست بمفترقة. وقال بعضهم: إن هذه دينكم دين واحد،[4] ليس كدين الأمم الخالية أديان مختلفة. أو أن يكون الأمة ما **يُؤَمُّ** إليها ويُقصد، لأن الأمم هي الجماعة وهي المقصودة. وجائز أن يكون إخبارًا عن هذه الأمة على دين واحد وملة واحدة، ليسوا بمختلفين[5] فيه ولا بمفترقين كسائر الأمم الخالية، كقوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا،[6] الآية، وقوله: وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ،[7] الآية. أخبر عنهم أنهم غير متفرقين[8] ونهاهم عن أن يتفرقوا كما تفرَّق الأولون. ألا ترى[9] أنه قال على إثره: **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**،[10] هذا يدل على أنه إخبار عن أهل الإسلام في صدر الأمر أنهم على شيء واحد. وقال الزجاج: **إن هذه أمتكم أمة واحدة**، ما لزموا الحق واتبعوه، وأما إذا تركوا لزومه وتركوا اتباعه فهي ليست بأمة واحدة.[11] *والله أعلم*.

وقوله: **وأنا ربكم فاعبدونِ**، وقال[12] في آية أخرى: وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ،[13] ليعلم أن العبادة

---

[1] جميع النسخ: حصان، والتصحيح من *لسان العرب*، «حصن».
[2] ن: قوله.
[3] ع – وشريعة واحدة.
[4] ن + واحد.
[5] ن: المختلفين.
[6] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[7] سورة الشورى، ١٣/٤٢. لعل المؤلف يريد أن يشير إلى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (سورة آل عمران، ١٠٣/٣).
[8] م: غير مفترقين؛ ع – غير.
[9] ن: ألا يرى.
[10] الآية الآتية.
[11] *معاني القرآن وإعرابه*، ٤٠٤/٣.
[12] ر ن م: قال.
[13] سورة المؤمنون، ٥٢/٢٣.

والتقوى واحد في الحقيقة، لأن الاتِّقاء هو ما يُجتنب من الأفعال، والعبادة ما يُؤتى من الأفعال.[١] فإذا اجتنب ما يجب اجتنابه فقد أتى بما يجب إتيانه؛ وإذا أتى بما يجب إتيانه فقد اجتنب ما يجب اجتنابه. وهو كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[٢] لأنه بفعله إياها مجتنب عن الفحشاء والمنكر. وجائز أن يكون قوله: **وأنا ربكم فاعبدونِ**، أي فوحِّدونِ على ما قال[٣] أهل التأويل، لأنه إنما خاطب به أهل مكة.

**﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾[٩٣]**

وقوله: **وتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم**، أخبر عن الأولين أنهم اختلفوا في دينهم وتفرقوا. **كلٌّ إلينا راجعون**، مَن تفرق ومن[٤] لم يتفرق، كقوله: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ،[٥] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.[٦]

**﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[٩٤]**

وقوله: **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**، فيه دلالة أن لا يَقبل[٧] الأعمال الصالحات إلا بالإيمان، لأنه شرَط في قبولها[٨] الإيمان، كقوله: **وهو مؤمن فلا كفران لسعيه**، أي يُشكر سعيه ويقبل ولا يجحد ولا يكفر، كقوله: وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ،[٩] بالتاء والياء.[١٠] وأصل الكفران الستر، والشكر هو الإظهار. يخبر عز وجل أنه لا يُستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر ويُظهَر.

وقوله:[١١] **وإنا له كاتبون**، أي يَكتُب لهم تلك الحسنات والخيرات، كقوله: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ.[١٢]

---

[١] ر م + والعبادة؛ ع – والعبادة ما يوتى من الأفعال.
[٢] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.
[٣] ن: قاله.
[٤] ر ع م – من.
[٥] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٤٥/٢؛ وسورة يونس، ٥٦/١٠.
[٦] سورة المائدة، ١٨/٥.
[٧] جميع النسخ + من.
[٨] ر ع م: قولها.
[٩] سورة آل عمران، ١١٥/٣.
[١٠] قرأ "وما يفعلوا" بالتاء كلُّهم غير حفص وحمزة والكسائي والخَلَف العاشر؛ "فلن يكفروه" كذلك (*زبدة العرفان* للبالوي، ٤٢).
[١١] د: قوله.
[١٢] سورة الأعراف، ١٥٦/٧.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٩٥]

وقوله:[١] وحِرْمٌ **على قرية أهلكناها**، **وحرام** بالألف أيضا.[٢] ثم قوله: وحرم **وحرام** على قول أهل اللسان واللغة واحد. يقول [القتبي]: حرم عليك كذا وحرام، كما يقال: حِلٌّ وحلال.[٣] وأما على قول أهل التأويل فإنهم يفرقون بينهما ويقولون: حِرْم، حَتْم وواجب **على قرية أهلكناها أنهم لا يَرجِعون**، أو حتم وواجب **على قرية** إهلاكهم بعد ما علم **أنهم لا يَرجِعون**، أي لا يتوبون،[٤] لأنه إنما يهلكهم لما علم منهم أنهم لا يتوبون. أو أن يكون قوله: وحرم **على قرية** أراد الله إهلاكها **أنهم لا يَرجِعون**. وظاهر قوله: **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يَرجِعون**، أن يكون لهم الرجوع، لأنه يقول: حرام أنهم لا يرجعون. ألا ترى[٥] إلى قوله: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ،[٦] وظاهره **أنهم لا يرجعون** حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ،[٧] فعند ذلك يرجعون، لقوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا.[٨] أو أن يكون ذكر هذا **أنهم لا يَرجِعون** لقول قوم، لأن قوما يقولون: إن الخلق كالنبات ينبت ثم يَيْبِسُ[٩] ثم يَنبُت. فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون. وبعض من الروافض يقولون: يرجع عليٌّ وفلان، فاخبر **أنهم لا يرجعون**، ردًّا عليهم وتكذيبا لخبرهم. لأن القرآن قد صار حجة عليهم وإن أنكروه لما عجزوا عن يأتوا بمثله. والله أعلم بذلك كله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٩٦]

وقوله:[١٠] **حتى إذا فُتِحت يأجوج ومأجوج**، كأنه[١١] -والله أعلم- أضاف فتح[١٢] ذلك السد إلى أنفسهم وهم جماعة، وإلا لست أعرف لتأنيث فتح السد وجها. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ع: وحرام. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص "وحرام"؛ وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر "وحرم" (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤). وقراءة "وحرم" نقل عن ابن مسعود أيضا (انظر: *كتاب المصاحف* لابن لأبي داود، ٦٢).

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.

[٤] ع: لا يتبون.

[٥] ن: ألا يرى.

[٦] الآية التالية.

[٧] الآيتان التاليتان برقم ٩٦ و٩٧.

[٨] لآية برقم ٩٧ من هذه السورة.

[٩] ر: يلبس.

[١٠] ن: قوله.

[١١] ع + قال.

[١٢] ع: وفتح.

وقوله: **وهم من كل حَدَب**، قيل: الحَدَب الشيء المُشْرِف،[1] وقيل: الحَدَب كل ما ارتفع من الأرض، وقيل: الحَدَب الأكَمَة. وقيل: **من كل حَدَب**، / من كل جهة ومن كل مكان. [٤٨٩و]
**ينسِلون**، قيل، يُسرعون، وقيل: يخرجون. أخبر أنهم **من كل حَدَب**، أي من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كأنهم لما سُدَّ عليهم ذلك السد وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويرتزقون من هذه العالم تفرقوا في تلك الأمكنة لطلب ما يتعيشون به،[2] فإذا بلغهم خبر فتح السد أتوا من كل جهة وناحية التي كانوا متفرقين فيها **ينسلون**، يسرعون، لأنهم مذ سُدَّ عليهم السد في جَهْد[3] من فتح ذلك السد، فلما فُتح خرجوا مسرعين. وهو ما ذكر وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ.[4]

*وقال القُتَبِي: وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ،[5] أي حرام عليهم أن يرجعوا. [٤٨٩و س٣٦]
ويقال: [حرام] واجب. وقال: هو حِزم وحرام واحد، كما يقال:[6] حِلٌّ وحلال. وقال: **وهم من كل حَدَب يَنسِلون**، أي من كل نَشْزٍ[7] من الأرض وأكَمَةٍ. **يَنسِلون**، من النَّسَلان، وهو مقاربة الخطو مع الإسراع[8] كمشي الذئب[9] إذا بادر.[10] وقال[11] أبو عَوْسَجَة: الحدَب ما ارتفع من الأرض، الواحدة حَدَبَة. **ينسِلون**، أي يجيئون.* [٤٨٩و س٣٩]

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٩٧]

وقوله:[12] **واقترب الوعد الحق**، قوله: **اقترب**، أي وقع ووجب **الوعد الحق**، لأنه قد

---

[1] ر: المشرق.
[2] ع - به.
[3] ر م - جهة.
[4] سورة الكهف، ٩٩/١٨.
[5] الآية السابقة.
[6] ر ع م: كما قال.
[7] ر م: نشر. النَّشْزُ والنَّشَزُ: المتْن المرتفع من الأرض، وهو أيضا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع أَنْشازٌ ونُشُوزٌ (*لسان العرب*، «نشز»).
[8] ع: الاسرع.
[9] ر: الذئيب.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.
[11] ر ن م: قال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٨٩و/سطر٣٦-٣٩.
[12] ن: قوله.

أخبر من قبل هذا الوقت أنه قد اقترب بقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[1] واقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ.[2] وهو كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[3] ليس على القرب ولكن على الوجوب.[4] فعلى ذلك الأول يحتمل أن يكون إخبارًا عن الوقوع والوجوب. وجائز أن يكون على القرب أيضا ويكونَ وجوبها ووقوعها في قوله: **فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**. قوله: **فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا**[5] كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[6] الآية، وكقوله:[7] مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ،[8] الآية.

وقوله:[9] **يا ويلنا**، أي يقولون: **يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا**، كأنهم تذاكروا فيما بينهم إنا **كنا في غفلة من هذا**، ثم تداركوا أنهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا:[10] **بل كنا ظالمين** في ذلك ضالين؛ اعترفوا بالظلم والضلال.

**﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٩٨]**

وقوله: **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم**. يقال: إن حرف "مَنْ" يتكلم عن البشر وحرف "ما"[11] إنما يتكلم عما سواهم من العالَم. فإذا كان على هذا الذي ذكروا ما ينبغي لأولئك [الكفرة] أن يفهموا من قوله: **وما تعبدون**، عيسى وعزيرًا[12] والملائكة وهؤلاء[13] ويقولون: هؤلاء عُبِدوا دون الله فهم حصب جهنم على زعمكم.[14] [ولكن] إلى هذا

[1] سورة القمر، ١/٥٤.
[2] سورة الأنبياء، ١/٢١.
[3] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[4] ع: الوجوه.
[5] ر ع م – قوله فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا.
[6] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[7] م: كقوله.
[8] ﴿فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الدَّاعِ إلى شيء نُكُرٍ خُشَّعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر مُهْطِعِين إلى الدَّاعِ يقول الكافرون هذا يوم عسِرٌ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٦–٨).
[9] ل: قوله.
[10] ر ع م + إنا.
[11] ر م: ونحوه؛ ع: ونحو من.
[12] ر: وعزير.
[13] ر م: هؤلاء.
[14] انظر: *المستدرك* للحاكم، ٤١٥/٢. وانظر أيضا: تفسير قوله تعالى: ﴿ولما ضُرِب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يَصِدُّون وقالوا أآلِهَتُنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ (سورة الزخرف، ٥٧/٤٣–٥٨) من *تأويلات القرآن*.

يذهب أهل التأويل ويقولون: تم نزل قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.[١] قالوا: استثنى من جملة من عُبِد دون الله من سبقت له منه[٢] الحسنى، وهو عزير وعيسى وهؤلاء. لكن قد ذكرنا أنه لا يجوز أن يفهم عن هذا هؤلاء، ولكن الأصنام والأحجار التي عبدوها، كقوله: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ[٣] التي عبدوها. أو أن يكون قوله: **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**، الشياطين الذين أمروهم ودعوهم إلى عبادة غير الله، فيكون العبادة لمن دون الله للشيطان حقيقةً، لأنه هو الآمر لهم بذلك والداعي إلى ذلك دون من ذكروا. لأن هؤلاء أعني عيسى وعزيرًا[٤] والملائكة لم يأمروهم[٥] بذلك، فيكون على هذا كأنه قال: **إنكم** والشياطين الذين **تعبدون من دون الله حصب جهنم**. وهو ما ذكر في آية أخرى: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ [فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ]،[٦] وقوله:[٧] فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ.[٨] دل هنا أن القرين هو الشيطان، كقوله: نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[٩]

وقوله: **حصب جهنم**، بالصاد، وقرئ بالطاء "حطب جهنم".[١٠] قال ابن عباس: الحصب بلسان الزنجية هو الحطب.[١١] وقال بعضهم: هو حطب بلسان الحبشة، ويقال أيضا بالضاد "حضب[١٢] جهنم". قال بعضهم: الحصْب هي من الرمي،[١٣] يَحصِب جهنم بهم، أي يَرمي بهم؛ والحطب هو معروف. والحضب[١٤] هو التهييج، أي تُهيِّج[١٥] النار عليهم.[١٦] وقال الكسائي:

---

١ سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
٢ ع: عنه.
٣ سورة ابقرة، ٢/٢٤؛ وسورة التحريم، ٦٦/٦.
٤ ر: وعزير.
٥ ر م: لم يأمرهم.
٦ سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣. ن – وهو ما ذكر في آية أخرى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله.
٧ جميع النسخ: إلى قوله.
٨ سورة الصافات، ٣٧/٥٠-٥١.
٩ ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٦).
١٠ كما نقل عن أبي وعلي. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٧، ١٨٨.
١١ قارن: *تفسير ابن عباس*، ٣٥٥ (قال: "شجر جهنم").
١٢ ر م: وحضب.
١٣ حصَبه يحصِبه حَصْبا، رماه بالحصباء أي بالحجارة (*لسان العرب*، «حصب»).
١٤ الحَضَب: الحطب في لغة اليمن. وقيل: هو كل ما أُلقي في النار من حطب وغيره يهيّجها به. والحضب لغة في الحصب. ومنه قرأ ابن عباس حضب جهنم، منقوطة؛ قال الفراء: يريد الحصب (*لسان العرب*، «حضب»).
١٥ جميع النسخ: يهيج.
١٦ انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣/٤٠٠.

حصبت النار، أي ألقيت فيها الحطب. وعن عائشة "حضب جهنم" بالضاد.[1] وقوله: **أنتم لها واردون**، أي واقعون فيها.

﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٩٩]

وقوله:[2] **لو كان هؤلاء آلهةً ما وردوها**، أي لو كان الذين عبدوا دون الله آلهة على ما زعموا ما وردوا النار.

فإن قيل: إنهم لم يقروا أنها ترد النار بل أنكروا ذلك، فكيف احتج[3] عليهم بهذا: **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها؟**

قيل: إنهم وإن لم يقروا بذلك فقد[4] ألزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب أنها ترد النار لما عجزوا عن إتيان مثله، فقد لزمتهم الحجة، فكأنهم أقروا أنهم واردوها. وهو كقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[5] الآية. هم لم يقروا أنهم يُحيَون بعد ما ماتوا، ولكن لما عرفوا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم[6] فقد لزمهم الإقرار والحجة بالإحياء بعد الموت. فعلى ذلك الأولُ، كأنهم أقروا بأنهم[7] واردون [فيها] بما لزمتهم الحجة. وقوله: **وكل فيها خالدون**، ظاهر.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[١٠٠]

وقوله:[8] **لهم فيها زفير**، قيل: الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه أنين. والشهيق هو الصوت الرفيع[9] الذي فيه أنين.[10] وقيل: الشهيق[11] أول نَهيق الحمار والزفير هو آخر نهيقه.

---

[1] لم أجده.
[2] ن: قوله.
[3] ن + به.
[4] ر م - فقد.
[5] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[6] م + الله.
[7] ر ع: بأنها.
[8] ن: قوله.
[9] ن - الرفيع، صح هـ.
[10] ر ع م: أنين فيه.
[11] يشير المؤلف إلى قوله تعالى ﴿فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ (سورة هود، ١٠٦/١١).

وقوله: **وهم فيها لا يسمعون**، قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره. وقال بعضهم: **لا يسمعون**، لأنهم يكونون صُمًّا بكما عميا في النار، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا.[١]*

[٤٨٩ظ س١٨ *قال أبو عَوْسَجة: حَصَبُ جَهَنَّمَ،[٣] قال: الحصب والحطب واحد. قال: وما أَكْثَرَ من العرب من يتكلم بهذه اللفظة. قال: ولا أعرف "حضب جهنم" بالضاد. وقال غيره: ما ذكرنا من إلقاء الحطب فيه والتهييج. وقوله:[٤] أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٥] أي داخلون. وقوله: **لهم فيها زفير**، الزفير هو شدة النفس في الصدر، يقال: زَفَرَ يَزْفِرُ زفيرًا.[٦] وقال بعضهم: الزفير هو أنين كل محزون ومكروب، وهو قريب مما ذكرنا. وقوله: لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا،[٧] أي[٨] صوتها، وهو من الحسّ وهو الصوت [الخفي].[٩] وقال القُتَبِي: حَصَبُ جَهَنَّمَ،[١٠] ما ألقي فيها، وأصله من الحَصْباء[١١] وهي الحِصَى. ويقال: حصبتُ فلانا، إذا[١٢] رميته حصْبًا، بتسكين الصاد؛ وما رميت[١٣] به حصَبٌ، بفتح الصاد. وكما تقول: نفضت الشجرة نَفْضا، وما وقع [من ثمرها] نَفَض؛ واسم حِصَى الجِمار حصب.[١٤]* ٤٨٩ظ س٢٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١٠١]

وقوله: **إن الذين / سبقت لهم منا الحسنى**، قال عامة أهل التأويل: إنه لما نزل قوله: [٤٨٩ظ]

[١] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٩٥-٩٦، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٨٩و/سطر ٣٦-٣٩.

[٣] الآية السابقة برقم ٩٨.

[٤] ن: قوله.

[٥] الآية السابقة برقم ٩٨.

[٦] ن + وزفرا.

[٧] الآية الآتية برقم ١٠٢.

[٨] ع م: أو.

[٩] انظر أيضا: *لسان العرب*، «حس».

[١٠] الآية السابقة برقم ٩٨.

[١١] ع: الحصاء.

[١٢] ن م: أي.

[١٣] ع + به.

[١٤] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٩ظ/سطر١٨-٢٤.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ،[1] قالت الكفرة: إن عيسى وعزيرًا[2] والملائكة قد عُبدوا من دون الله فهم حصب جهنم؛ فنزل قوله: **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى،** استثنى من سبق له الحسنى منه، وهو عيسى وهؤلاء. وكذلك في حرف ابن مسعود: "إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى"،[3] على الاستثناء. روي[4] عن علي رضي الله عنه قال: **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى،** الآية، ذلك[5] عثمان وطلحة والزبير، وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير. ثم قال: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ،[6] الآية. ولكن قد ذكرنا الوجه فيه. فإن ثبت أنه نزل بشأن هؤلاء وإلا فهو لكل من سبق له من الله الحسنى. ثم **الحسنى** يحتمل الجنة، كقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى،[7] أي بالجنة، فعلى[8] ذلك قوله: **سبقت لهم منا الحسنى.** ويحتمل **الحسنى** السعادة والبشارة بالجنة وثوابها.

وقوله: **أولئك عنها مُبعَدون،** يحتمل **مبعدون،**[9] أي لا يعودون إليها أبدًا، ليس على بعد المكان، كقوله: أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ،[10] أي لا يعودون إلى الهدى أبدا. أو أن يكون قوله: **عنها مبعدون،**[11] مكانا، لكن قد ذكر في آية: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ،[12] وقال في آية: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[13] ولا نعلم هذا أنه يُجعل في قُوى أهل الجنة أنهم متى ما أرادوا أن[14] ينظروا إلى أولئك ويروهم يقدرون على ذلك، أو تُقَرَّبُ النار إليهم فينظرون إليهم؟ *والله أعلم.* والأول أشبه أنهم لا يعودون إليها أبدا.

---

[1] الآية السابقة برقم ٩٨.
[2] ع: وعزير.
[3] لم أجده عنه، ولكن عن الربيع بن هيثم (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٢٩٤).
[4] ر ن م − روي.
[5] ر: دال؛ ع: ذاك.
[6] سورة الأعراف، ٤٣/٧؛ وسورة الحجر، ٤٧/١٥.
[7] سورة الليل، ٥/٩٢-٦.
[8] ر: فعل.
[9] ر ع م − يحتمل مبعدون.
[10] سورة إبراهيم، ٣/١٤.
[11] جميع النسخ: مبعدون عنها.
[12] سورة المطففين، ٣٤/٨٣-٣٥.
[13] سورة الصافات، ٥٥/٣٧. هناك آيات تنقل محاورة أصحاب الجنة وأصحاب النار (انظر مثلا: سورة الأعراف، ٤٤/٧-٥١؛ وسورة الحديد، ١٣/٥٧-١٤).
[14] م: أو أن.

**﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[١٠٢]**

وقوله: **لا يسمعون حسيسها**، أي صوتها. وهو ما ذكر من الإبعاد، وإذا بَعُدوا منها لم يسمعوا حسيسها. وقوله: **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**، وهو ما قال في [آية] أخرى: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.[١]

**﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١٠٣]**

وقوله: **لا يحزنهم الفزع الأكبر**، أي لا يحزنهم أهوال يوم القيامة وأفزاعها، **وتتلقاهم الملائكة**، أي تلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[٢] الآية. أو[٣] **لا يحزنهم الفزع الأكبر**، أي لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع[٤] والعذاب، ليس كمن رأى في الدنيا إنسانا في بلاء وشدة، أو يعذب بعذاب فإنه يحزن ويهتم بما حل به، فأخبر أنهم لا يحزنون بما حل بالكفرة من العذاب والشدائد.*

**﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٠٤]**

وقوله: **يوم نطوي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب**، كأن هذا خرج على إثر سؤال سألوه على غير ابتداء، لأن الابتداء بمثله على غير تقدُّم أمر لا يحتمل. فكأنه -والله أعلم- لما ذكر أهل النار في قوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إلى قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٦] وذكر أهل الجنة ووصفهم بقوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ،[٧] إلى آخر ما ذكر من قوله: هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ،[٨] فكأنهم قالوا متى يكون ذلك؟ فقال عند ذلك: **يومَ نَطْوِي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب**، أخبر أن السماء تُطوى كما يُطوَى السجلُّ للكتب.[٩]

---

[١] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[٢] سورة فصلت، ٣٠/٤١.
[٣] ر ع م: و.
[٤] ع: القرع.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٩٨ و ١٠٠، فقدمناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٩ظ/سطر ١٨-٢٤.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧-٩٨.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] الآية السابقة.
[٩] ن ع: للكتاب.

ثم ذَكَر في السماء الطيَّ مرة والتبديل في آية أخرى[1] بقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] الآية، وذكر الانشقاق في آية، كقوله: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[3] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[4] ونحوه، كما ذكر في الجبال أحوالًا: مرة قال: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[5] وقال في آية أخرى:[6] يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[7] وقال في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا،[8] وقال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[9] ونحوه. فجائز أن يكون كذلك على اختلاف الأحوال على ما ذكرنا فيما تقدم. ثم تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هَبَاءً مُنْبَثًّا.[10] فعلى ذلك السماوات والأَرَضُونَ يختلف عليها الأحوال على ما ذُكِر، ثم يكون[11] آخرها التبديل كما ذكر: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ.[12]

وفيما[13] ذكر في هؤلاء الآيات من تغيير الجبال والسماوات والأرضين دليل فناء هذا العالم بجملته وأسره، لأن فناء السماوات والجبال والأرض يبعد[14] عن أوهام الخلق، وأما غيرها من الخلائق فإنهم يشاهدون فناءه،[15] فذكر فناء ما يبعد[16] في أوهامهم ليعلموا أن هذا العالم يفنى بأسره ويُستبدل[17] عالَمًا آخر يحتمل البقاء للجزاء. **والله أعلم**.

---

[1] ر ن م – أخرى.
[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[3] سورة الانفطار، ٨٢/١.
[4] سورة الانشقاق، ٨٤/١.
[5] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[6] ر ع م – أخرى.
[7] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).
[8] ﴿إذا رُجّت الأرض رَجّا وَبُسّت الجبال بَسّا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦). جميع النسخ: هباء منثورا. ورد قوله: ﴿هباء منثورا﴾ في سورة الفرقان، ٢٥/٢٣. ولكنها متعلقة بالأعمال، لا بالجبال.
[9] سورة النمل، ٢٧/٨٨.
[10] جميع النسخ: هباء منثورا. سورة الواقعة، ٥٦/٦.
[11] ر ن م – يكون.
[12] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[13] ر ن م: فيما.
[14] ع: يعبد.
[15] ر ع. فاؤه؛ ن: فناه.
[16] ع: يعبد.
[17] م: ويستدل.

وقوله: **كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نعيده**، هذا أيضا لا يحتمل إلا[1] على تقدُّم ذكر،[2] فهو محتمل ما ذكرنا مما سبق من ذكر أهل الجنة وأهل النار فقالوا: كيف[3] يُحيَوْن؟ فقال[4] عند ذلك: **كما بدأنا أولَ خلقٍ نُعيده**. ثم اختلف فيه، فقال بعضهم: نُطَفًا ثم عَلَقًا ثم مُضَغًا ثم عِظامًا / ثم لحما[5] ثم يُنفخ فيهم الروح. وقال بعضهم: **كما بدأنا أول خلق نعيده**، حُفَاةً عُرَاةً على ما [٤٩٠و]
خُلقوا في الابتداء. وقال بعضهم: **كما بدأنا أول خلق نعيده**، يعني السماوات السبع، يطويها الله فيجعلها سماء[6] واحدة كما كانت أولاً قبل أن يَخلق منها[7] ست سماوات والأَرَضِينَ كذلك. وجائز أن يكون ذَكَر هذا إخبارا أنه قادر على أن يعيدهم كما قدر على ابتداء خلقهم.

وقوله: **وَعْدًا علينا إنا كنا فاعلين**، أي[8] بعثُهم **وعدًا علينا**، لا نخلف ذلك، على ما قال: إِنَّ اللّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.[9]

ثم اختلف في **السِّجِلّ** وفي قراءته.[10] قال بعضهم: السجل، اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: اسم المَلَك الذي يكتب، وقال بعضهم: السجل الصحيفة.[11] ثم قال بعضهم: من قرأ "السِّجِلّ" بالتشديد فهو الصحيفة؛ ومن قرأ "السِّجْلِ"[12] بالتخفيف هو ملك موكّل بالصحف اسمه[13] السِّجْلُ.

---

[1] ع – إلا.

[2] ع: على ما تقدم ذكر.

[3] ع – كيف.

[4] ر م: فقالوا.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العَلَقة مُضْغة فخلقنا المضغة عِظاما فكسَوْنا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٢-١٤).

[6] ع: أسماء.

[7] ر م: فيها.

[8] ر: هي.

[9] سورة آل عمران، ٣/٩؛ وسورة الرعد، ١٣/٣١.

[10] ر: قرأة؛ ن: قرآته.

[11] «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجلّ في هذا الموضع الصحيفة. لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة مَلك ذلك اسمه» (*تفسير الطبري*، ١٧/١١٨).

[12] لم توجد هذه القراءة في القراءات العشرة (انظر: *زبدة العرفان* لبالوي، ٩٤).

[13] ر ع: باسمه

ويُقرأ "للكِتَاب"[١] و"للكُتُب".[٢]

قال أبو عَوْسَجَة: **كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب،**[٣] يقال:[٤] أسجلت وسجّلت، أي كتبت إسجالاً وتسجيلاً، وسجلت، أيضا عملت. وسَجَل خلق، يقال منه: سجَل يسجُل سَجْلا. والمساجلة المفاخرة. ويقال: ساجلتُه فاخرتُه. ويقال: أسجلت الكلام فهو مسجَّل، أي أطلقته وأرسلته. *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١٠٥]

وقوله: **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون،** قال بعضهم: إن كل كتب الله أنزلها هي زبور؛ **من بعد الذكر،** أي الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ. معناه -والله أعلم- على هذا التأويل: **كتبنا** في الكتب التي أنزلناها بعد ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ **أن الأرض يرثها** كذا. وقال بعضهم: كَتَب الله في الزبور المعروف -وهو زبور داود- بعد ما كتب **من بعد الذكر،** أي التوراة، **أن الأرض،**[٥] يعني الجنة، **يرثها عبادي الصالحون.** وكتب ذلك في هذا القرآن فقال: إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ.[٦] وقال بعضهم: **ولقد كتبنا في الزبور،** أي[٧] زبور داود، بعد ما كتب في الذكر الذي عنده. وجائز أن يكون قوله: **كتبنا في الزبور،** في بعض كتاب أي في[٨] بعض السور **من بعد الذكر،** أي من بعد السورة **أن الأرض يرثها** كذا. وجائز أيضا **كتبنا** في كتاب **من بعد الذكر،** أي من بعد ما ذكرهم ووعظهم، **أن الأرض يرثها** كذا.

ثم اختلفوا في قوله: **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون.** قال عامة أهل التأويل: هي الجنة، أخبر أن الجنة إنما **يرثها عبادي الصالحون،** وهو ما ذكر في آية أخرى:

---

[١] م: وتقرأ الكتاب.

[٢] ر ع م – وللكتب. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر "للكتاب"؛ والباقون "للكتب" (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤).

[٣] جميع النسخ + قال.

[٤] ن: فقال.

[٥] جميع لنسخ + يرثه.

[٦] الآية التالية.

[٧] ع + الزبور.

[٨] ر ن م – في.

أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ،[١] فيكون هذا تفسيراً لذلك. وقال بعضهم: **أن الأرض**، يعني أرض بَيْتِ المَقْدِس، **يرثها عبادي الصالحون**، وهو كذلك كان لم يزل بها عباد الله الصالحون إلى يوم القيامة. وجائز أن يكون قوله: **أن الأرض يرثها** أمة محمد، كقول رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم: «زُوِيتْ لي الأرضُ فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربها. وسيبلغ مُلكُ أُمتي ما زُوِيَ لي منها».[٣] فذلك وراثتها وهم عباده الصالحون، كقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ، الآية،[٤] أخبر أنها خير الأمم. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾**[١٠٦]

وقوله: **إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**، يحتمل قوله: **في هذا**، أي فيما ذكر من قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ،[٥] في ذلك **بلاغا لقوم عابدين**، أي لقوم همتهم العبادة، أو لقوم مطيعين موحدين. وجائز أن يكون قوله: **إن في هذا**، فيما تقدم من الآيات، وهو قوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إلى قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٦] وما ذكر من قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ،[٧] إلى آخر ما ذكر، **إن في** ما ذكر كلِّه **لبلاغا لقوم عابدين**. وجائز أن يكون بلاغا للناس جميعا، كقوله: هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ،[٨] فيكون قوله: **لقوم عابدين**، أي لقوم يلزمهم العبادة. وقال بعضهم: **إن في هذا**، أي في هذا القرآن[٩] **لبلاغا** أُبلِّغهم عن الله **لقوم عابدين**. وفي حرف ابن مسعود: "إن في هذا[١٠] الذكر[١١] لبلاغا[١٢] لقوم عابدين".

---

[١] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١.
[٢] ن: كقوله.
[٣] *سنن ابن ماجة*، الفتن ٩؛ و*سنن أبي داود*، الفتن ١.
[٤] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[٥] الآية السابقة.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧-٩٨.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] سورة إبراهيم، ١٤/٥٢.
[٩] ن ع م - أي في هذا القرآن.
[١٠] ر ع م + أي في هذا.
[١١] ر ن: الذكرى.
[١٢] ع: أي في هذا لبلاغا أبلغهم عن الله الذكرى أبلغهم؛ م - لبلاغا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٠٧]

وقوله: **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين،** جائز أن يكون كل رسل الله رحمةً من الله للعالمين؛ وكذلك كل كتب الله رحمةٌ للعالمين، على ما ذكر في عيسى: وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.[١] وجائز أن يكون ذلك[٢] لرسول الله صلوات الله عليه خاصة فيكون في وجهين. أحدهما **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين،** وما أرسلناك إلا جعلناك رحمة للعالمين. أو أن يقال: وما أرسلناك إلا رحمة منا للعالمين. **والعالمين،** هم[٣] الجن والإنس، لأنه بعث إليهم.[٤] ثم الرحمة فيه يحتمل وجوها. أحدها تأخير العذاب عنهم. والثاني أنه رحمة حتى إذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والآخرة. والثالث شفاعته لأهل الكبائر في الآخرة، ونحو ذلك.[٥]

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٠٨]

وقوله:[٦] **قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد،** كأنه على الدعاء خرج الأمر، كأنه قال: أمرني ربي أن أخبركم أن إلهكم[٧] إله واحد، فاصرفوا العبادة إليه ولا تشركوا فيها غيره. أو أن يقول: أوحي إليَّ أن أدعوكم إلى إلهكم الذي هو إله واحد. وإلا كان رسول الله يعلم أنه إله واحد، لكنه خرج على الدعاء والإخبار أنه إله واحد. أو أن يخبرهم أني إلى ما أدعوكم إليه وآمركم به إنما أدعوكم وآمركم بالوحي بما أوحي إلي، لا من تلقاء نفسي؛ كقوله:[٨] قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ.[٩] *والله أعلم.*

[٤٩٠ظ] وقوله: **فهل أنتم مسلمون،** ظاهره وإن كان استفهاما فهو على الأمر والإيجاب، كأنه قال: قد أوحي إليَّ أن إلهكم إله[١٠] واحد فأسلِموا له وأخلِصوا العبادة له، [و]لا تشركوا فيها غيره.

---

[١] ﴿قال كذلك قال ربك هو عليَّ هَيِّنٌ ولنجعلَه آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مَقْضِيًّا﴾ (سورة مريم، ٢١/١٩).
[٢] ر ع م – ذلك.
[٣] ر ن: هو.
[٤] ن: إليهم بعث.
[٥] ن – أحدها تأخير العذاب عنهم والثاني أنه رحمة حتى إذ اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والآخرة والثالث شفاعته لأهل الكبائر في الآخرة ونحو ذلك. (هذه العبارة مكتوبة في الهامش، وفي آخرها لفظ "شرح").
[٦] ن: قوله.
[٧] ع – أن إلهكم.
[٨] ر ع م– كقوله.
[٩] سورة الأنبياء، ٤٥/٢١.
[١٠] ن – إله.

والإسلام هو أن يجعل كلية الأشياء والأعمال كلّها لله عز وجل. ثم هو يكون على وجهين. أحدهما على الاعتقاد: أن يعتقد كلية الأشياء لله لا على تحقيق ذلك الفعل. والثاني على تحقيق جعل الأشياء كلها لله اعتقادًا وفعلا[١] وقولا، منه يخاف ومنه يرجو، لا يخاف غيره ولا يرجو من دونه، فهو حقيقة الإسلام.

**﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾**[١٠٩]

وقوله:[٢] **فإن تولوا**، هذا يدل على أن[٣] الأول خرج على الأمر والدعاء حيث قال: **فإن تولوا**، عن الإجابة إلى ما دعوتكم إليه **فقل آذنتكم على سواءٍ**، أي أعلمتكم[٤] على عدل وحق، كقوله: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[٥] أي عدل بيننا وبينكم، فعلى ذلك هذا محتمل أن يكون قوله: **على سواء**، أي على عدل وحق. ويحتمل أيضا **آذنتكم على سواء**، أي علّمتكم حتى صرت أنا وأنتم في العلم على سواء، أي على الاستواء في العداوة والمخالفة وفي كل أمر على الاستواء. وهو كقوله: فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ،[٦] أي انبذ إليهم حتى تكون أنت وهم على الاستواء في العلم بالمنابذة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**، أي ما أدري **أقريب أم بعيد ما توعدون**. ثم يحتمل قوله: **ما توعدون**، الساعة والقيامة التي كانوا يوعدون بها،[٧] وهم كانوا يستعجلون بها، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[٨] فيقول: ما أدري أقريب ما توعدون أم بعيد. ويحتمل قوله: **ما توعدون** من العذاب الذي كان يعد لهم أنه نازل بهم في الدنيا، وهم كانوا يستعجلون به، كقوله:[٩] وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[١٠] فيقول: **ما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**، من العذاب. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: أو فعلا.
[٢] ن: قوله.
[٣] ع - على أن.
[٤] ع: أعملتكم.
[٥] سورة آل عمران، ٦٤/٣.
[٦] ر م + على الاستواء في العداوة؛ ع + أي على الاستواء في العداوة. ﴿وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ (سورة الأنفال، ٥٨/٨).
[٧] ن: لها.
[٨] سورة الشورى، ١٨/٤٢.
[٩] ر: قوله.
[١٠] انظر مثلا: سورة يونس، ٤٨/١٠؛ وسورة الأنبياء، ٣٨/٢١.

[٤٩٠و س٣٤ *قال القُتَبِي: **آذنتكم على سواء**، أي أعلمتكم فصرت أنا وأنتم على سواء. وإنما يريد بآذنتكم وأخبرتكم وأعلمتكم ذلك: فاستوينا في العلم،[1] وهو ما ذكرنا.[2] وقال أبو عَوْسَجَة:
٤٩٠و س٣٥] قوله: **آذنتكم على سواء**، أي كلكم.[3]*

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ [١١٠]

وقوله:[5] **إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**، يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر عن المكر برسول الله والقول فيه بما لا يليق به. يخبر أنه يعلم ما تُظهرون من القول وما تكتمون، أي ما تُسِرُّون من المكر به. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد[6] حيث أخبرهم عما أسرُّوا فيما بينهم من المكر به.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[١١١]

وقوله: **وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**، ذكر أنه ما **أدري لعله فتنة لكم** و لم يبين ما الذي يكون فتنة لهم. لكن بعض أهل التأويل قال: ما أدري ما قلت لكم من العذاب والساعة أن يؤخَّر عنكم لمدتكم ومتاع لكم إلى حين فيصير ما قرَّبتُ لكم من العذاب والساعة فتنةً لكم، فتقولون:[7] "لو كان ما خوَّفَنا به محمد حقا لكان نزل بعد"، فيصير قولي ذلك فتنة لكم. هذا محتمل. ويحتمل وجها آخر، وهو لما قال: وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ،[8] أنه كان خوفهم نزول العذاب بهم، ولكن لم يبيِّن لهم الوقت أنه متى ينزل[9] بهم؛ فيقول: ما أدري لعل تخويفي إياكم العذاب على [عدم] بيان وقته فتنةٌ لكم، لأنه إذا تأخر عنهم العذاب متاعا لهم يأمَنُون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبه فيما خوفهم من العذاب ويكون ما يَأمَنُون[10] من العذاب متاعا لهم،

---

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٨٩.
[2] ر ع م – وهو ما ذكرنا.
[3] ر + والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ ن + والله أعلم؛ ع + والله أعلم بالصواب.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٢، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٠و/سطر٣٤-٣٥.
[5] ن: قوله.
[6] ن + عليه السلام.
[7] ن: فيقولون.
[8] الآية السابقة برقم ١٠٩ من هذه السورة.
[9] ن: نزل.
[10] ر ع م: يؤمنون.

لأنه لو كان وقت نزول العذاب مبيّنا لكانوا[1] أبدا على خوف فيُنَغِّص[2] ذلك الخوفُ [عيشهم] ويمنعهم عن المتاع، وإن لم يبين لهم الوقت فإذا تأخر عنهم يأمنون ويتمتعون. فيقول: ما أدري لعل تخويفي إياكم فتنة لكم.[3] أو[4] لا يجب أن يفسَّر قوله: **لعله فتنة لكم،** أنه أيَّ شيء أراد، وهم قد عرفوا أنه ما أراد به، وليس لنا[5] أن نفسر ذلك أنه أراد كذا إلا ببيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١١٢]**

وقوله: قل[6] **رب احكم بالحق.** تعلق أكثر المعتزلة بظاهر هذه الآية في مسائل لهم. يقولون: يجوز أن يُدْعى بدعوات يَعلم الداعي أنه قد أُعطِي ذلك له، من نحو سؤال المغفرة "رب اغفر لي" وهو مغفور، و"رب أعطني كذا" وهو معطًى له ذلك، ويقول: "رب اغفر لي" وهو يعلم أنه لا يُغفَر له، ونحو هذا من المسائل لهم، فيحتجون بظاهر قوله: **قل رب احكم بالحق،** أمر رسول الله أن يدعو به على علم منه أنه لا يحكم إلا[7] بالحق.

ونحن نقول: إنه لا يجوز أن يدعى بمثل هذا الدعاء على الإطلاق، إلا على اعتقاد معنًى[8] آخر في ذلك كان لله[9] فعلُ ذلك،[10] فيكون ذلك منه عدلا وحقا، نحو أن يكون قوله: **قل رب احكم بالحق،** أي بالنصر له والظفر على أعدائه، وله أن لا ينصره، ويكون ذلك عدلا منه وحقا. أو أن يكون المراد به **احكم بالحق،** أي بالعذاب الذي هو حكمك على مكذبي الرسل. **فأما** أن يُعتقد من قوله: **رب احكم بالحق،** ما اعتقد المعتزلة فيحصل الدعاء به: «اللهم لا تَجُرْ»،[11] و«رب اعدل». ومن عرف ربه هكذا فهو ليس يعرف حقيقته.

---

[1] جميع النسخ: لكان.
[2] ر ع م: فينقض.
[3] ر ع م: لكم فتنة.
[4] ر ع م: إذ.
[5] ر م - لنا؛ ن + إلى.
[6] قرأ حفص "قال"، والباقون "قُلْ" (*زبدة العرفان* للبالوي، ٩٥)؛ و جميع النسخ اتخذ القراءة الثانية أساسا وجرى تأويل المؤلف عليها.
[7] ر - إلا.
[8] ع: ومعنى.
[9] ع: كأنه لله.
[10] ن: تلك.
[11] ر ن ع: لا تجره.

وقال أبو عبيدة في قوله: **رب احكم بالحق**، أي[1] **رب احكم** بحكمك وهو **الحق**. وهو محتمل مستقيم. وقد ذكرنا هذه المسألة وأمثالها في ما تقدم.[2]

وقوله: **وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون**، أمر رسوله أن يستعين بالله على ما يقولون من تكذيبهم إياه فيما يدعو ويعد.*

[1] ع- رب احكم بالحق أي.

[2] انظر مثلا: تفسير سورة الأعراف، ٨٩/٧.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٠٩، فقدمناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٩٠و/سطر٣٤-٣٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحج[1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **يا أيها الناس اتقوا ربكم**، قد ذكرنا تأويله في غير موضع.[3] وقوله: **إن زلزلة الساعة شيء عظيم**، قال الحسن: إن[4] بين يدي الساعة آياتٍ تحجُبُ التوبة وقبول الإيمان. منها الزلزلة التي ذكر، ومنها طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال / والدابة، [٤٩١و] وخروج يأجوج ومأجوج، وأمثاله.[5] وهو كقوله: أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا.[6] وجائز عندنا أن تكون هذه الآيات غاية لقبول التوبة، والإيمان يُقبل إلى ذلك الوقت ولا يقبل بعد ذلك وإن تابوا وآمنوا. أو أن يكون قوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لأنهم لا يؤمنون لما [أنهم] تشغلهم[7] تلك الآيات عن ذلك فلا يؤمنون، لأن تلك الآيات تعم الخلائق كلهم المؤمنَ والكافرَ[8] جميعا، فلا يَعرِف المبطل والضالُّ أنه على الضلال والباطل فيرجعَ إلى الهدى والحق، ليس كعذاب ينزل على قوم خاص، لأن ذلك[9] يَعرف أولئك أنه إنما ينزل بهم خاصة لما فيهم من التكذيب والعناد.

---

[1] ن + ذكر أن سورة الحج كلها مكية إلا ثلاث آيات هذان خصمان اختصموا وغيرها.

[2] ع: تعالى.

[3] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات السابقة «الاتقاء، التقوى».

[4] ر: أي.

[5] عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادِروا بالأعمال ستا: طلوعَ الشمس من مغربها، والدجالَ، والدخان، ودابة الأرض، وخُوَيْصَّة أحدكم، وأمرَ العامة.» (تفسير *الطبري*، ٨/٧٦).

[6] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك...﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

[7] جميع النسخ: يشغلهم.

[8] ر: والكفر.

[9] ع: ذاك.

وإذا كانت الآيات عامة لم يعرف أهل الضلال أنهم على باطل وأنه إنما ينزل بسببهم، لما يرونه أنه قد عم الخلائق كلها. فقوله: لَا يَنْفَعُ،[1] لأنهم لا يؤمنون، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[2] أي لا يكون له من يشفع، ليس أن يكون لهم شفعاءُ فيشفعون فلا تقبل[3] شفاعتهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: لَا يَنْفَعُ، لأنهم يُشغَلون عن الإيمان فلا يؤمنون فلا ينفع لهم على ما ذكرنا.

ثم اختلف فيه.[4] قال بعضهم: **زلزلةَ الساعة** قبل الساعة وقبل القيامة. وقال بعضهم: **إن زلزلة الساعة**، هي الساعة، وصفها بالشدة والفزع فقال:

**﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾**[٢]

[قوله:] **يوم ترونها تَذْهَل**، أي تُشغَل[5] **كل مُرضعة [عما أرضعَتْ]**، لشدة أهوالها وأفزاعها. **وتضع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها**، هذا على قول من يقول: **إن زلزلة الساعة** قبل الساعة يكون على التحقيق، أي **تذهل** عما أرضعت وتضع حملها، لأنها تكون في ذلك الوقت مُرضعًا أو حاملاً[6] فتذهل لأهوال[7] ذلك وأفزاعها عن ولدها، وتضع ما في بطنها، كقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[8] الآية. فذكر هؤلاء لأن من أصاب شيئا من البلاء في هذه الدنيا يفزع[9] إلى هؤلاء، فيخبر أن في ذلك اليوم يَفِرّ بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهَوْله لشغله بنفسه. وعلى قول من يقول: **إن زلزلة الساعة** هي الساعة فيخرج قوله: **تَذْهَل كل مُرْضِعَة عما أرضَعَتْ**، الآية، على التمثيل،[10] أي تذهل عما أرضعت أن لو كانت[11] مرضعة، وتضع حملها أن لو كانت حاملا لشدته وهوله. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.

[2] سورة المدثر، ٤٨/٧٣.

[3] ع: فلا يقبل.

[4] ن + قال.

[5] ر: لا تشغل.

[6] جميع النسخ: وحاملا.

[7] ر ع: الأهوال.

[8] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلِّ امْرِئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٧).

[9] ر ع: يفرغ.

[10] ع: عن التمثيل.

[11] ر: كان.

وقوله:[١] **وترى الناس سُكَارَى وما هم بسُكَارَى**، أي من مُكِّن له وقُوِّي يرى الناسَ كأنهم سكارى وما هم بسكارى. وإلا لم يجز أن يراهم[٢] سكارى وليسوا هم بسكارى في الحقيقة. وإنما قلنا: إنه يرى من مُكِّن له وقُوِّي، وإلا لو كانوا كلهم سكارى لكان[٣] لا يراهم سكارى، لأن السَّكْرَانَ لا يرى من كان في مثل حاله[٤] سكران. أو أن[٥] يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه[٦] ذلك الهول الذي يكون في غيره. أو أن يكون ذلك[٧] على التمثيل ليس على التحقيق.

وقول أهل التأويل: [إن الله تعالى] يقول لآدم [عليه السلام][٨] في ذلك: "قم فابعث بَعْثَ النار." فيقول: "يا رب كم؟" فيقول: "من كلِّ ألفٍ تسعَمائة وتسعة وتسعون[٩] في النار، وواحد في الجنة." ويروون[١٠] الأخبار في ذلك عن رسول الله. فإن ثبت ما روي عنه في ذلك، وإلا الكف عن مثله أولى، لأنه سيحزن[١١] حيث يؤمر أن يتولَّى بعث ولده إلى النار من غير أن كان[١٢] ما يستوجب[١٣] هذه العقوبة.

قال القُتَبِي: **تذهَل**، أي تَسْلو[١٤] عن ولدها وتتركه.[١٥] وقال أبو عَوْسَجَة: **تذهل**، أي تنسى، يقال: ذهل يذهل ذُهُولاً، وأذهلته،[١٦] أي أنسيته. وقال غيره: [تذهل] أي تشغل. والحَمْل بالنصب ما في البطن والحِمْل بالخفض[١٧] ما على الظهر. والزلزلة الرجفة، يقال: زُلْزِلت، أي حُرِّكت وتزلزلت، أي تحركت.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ن ع: أن تراهم.
[٣] ع: وكان.
[٤] ع: حاله.
[٥] ر ن م - أن.
[٦] ع - فيه.
[٧] ع: ملك.
[٨] والزيدتان من *الشرح*، ورقة ٥٠٢ظ.
[٩] جميع النسخ: وتسعين.
[١٠] ع: ويردون.
[١١] ر: يحرن، ن: يحرن.
[١٢] ع - أن كان.
[١٣] أي ولده.
[١٤] قال أبو زيد: معنى سَلَوْتُ، إذا نسي ذكره وذَهِل عنه (*لسان العرب*، «سلا»).
[١٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
[١٦] ع: أدهلته
[١٧] ن: بالخفض.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[٣]

وقوله:[١] **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**، ذكر المجادلة في الله و لم يبين فيمَ جادلوا، وقد كانت مجادلتهم من وجوه. منهم من جادل في مشيئة الله تبارك وتعالى، ومنهم من جادل أن هذا العالم مُنْشَأ أم لا،[٢] ومنهم من جادل في وحدانية الله تعالى واحد أو عدد، ومنهم من جادل في بعث الأنبياء وإرسال الرسل، ومنهم من جادل في إنزال[٣] الكتب، ومنهم من جادل في دين الله تعالى المدعوّ إليه. ومثل هذا قد كثرت مجادلاتهم فيما ذكرنا. وكل ذلك كان مجادلة بغير علم، لأنهم لو تفكروا في هذا العالم ونظروا فيه حق النظر لعرفوا أن لهذا[٤] العالم مُنْشِئ، وأنه واحد لا عدد، وأنه عالم قادر بذاته، وأنه بعث الرسل والكتب؛ وعرفوا أيضا أنه يبعث هذا العالم ويحييهم، وأنه قادر على ذلك، لكنهم لم يتفكروا و لم ينظروا فيه حق النظر فجادلوا فيه بغير علم.

وقوله:[٥] **ويتّبع كلَّ شيطان مَريد**، يحتمل أن يكون قوله: **ويتّبع كلَّ شيطان مَريد**، الشيطانَ المعروفَ نفسَه، يتابعه في[٦] كل ما يدعوه. وجائز أن يكون أراد أنه يتبع كل[٧] من يعمل عمل الشيطان، وهم القادة الذين كانوا يدعون إلى اتباع ما يدعو الشيطان ويوحي إليهم، كقوله:[٨] وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[٩] أخبر أن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوكم، فذلك معنى قوله: **ويتبع كل شيطان مَريد**. وقوله: **مَريد**،[١٠] قيل: فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر في آية أخرى: مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ.[١١] قال بعضهم: كل متمرد في العناد والمكابرة
[٤٩١ظ] فهو مارد. وقال بعضهم: المارد / هو[١٢] المجاوز عن جنسه في عُتُوِّه وتمرُّده، ولذلك سمي الذي لا لحية له أمردَ لخروجه ومجاوزة أجناسه ورجاله. والمارد بالفارسية سِتَنْبَه.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م: أو لا.
[٣] ع: إرسال.
[٤] ع: هذا.
[٥] ع + عز وجل.
[٦] م - في.
[٧] م - كل.
[٨] ر م - كقوله.
[٩] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[١٠] ر ع م - وقوله مريد.
[١١] ن + المارد. ﴿إنا زَيّنّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب وحِفظاً من كل شيطان مارد﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٦-٧).
[١٢] ر م: وهو.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٤]

وقوله:[١] **كُتب عليه أنه من تَوَلَّاه فأنه يُضِلُّه**، قال بعضهم: كُتب على التيطان[٢] أن من تَوَلَّاه واتبعه أن يُضلَّه، **ويهديه**، أي يدعوه **إلى عذاب السعير**. وهو ما قال في آية أخرى: أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.[٣] وقال بعضهم: كتب على من تولَّى الشيطان واتَّبعه أنه[٤] يُضلُّه، أي يدعوه إلى ما به ضلاله وهلاكه.

وقوله: **كُتِب**، قيل: حُكم؛ وقيل: قُضي. وكتب يحتمل الإثبات، أي أُثبت في أم الكتاب أن من تولى الشيطان واتبعه أنه[٥] يضله. وقد ذكر إضلال الشيطان في غير موضع.[٦]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٥]

وقوله:[٧] **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**، أي خلقنا أصلكم من تراب، وخلقنا أولاده من نطفة ثم من علقة الآية. تأويله -والله أعلم- أن كيف تشُكُّون[٨] في البعث وتنكرونه وليس سبب إنكاركم البعث إلا أن تصيروا ترابا أو ماء في العاقبة، وقد كنتم في مبادئ أحوالكم ترابا وماء، فكيف أنكرتم بعثكم إذا صرتم ترابا؟ أو أن يكون معناه أن كيف أنكرتم البعث وقد رأيتم أنه يقلِّبكم من حال النطفة إلى حال العلقة ومن العلقة إلى المضغة، ولا يقلِّب من حال إلى حال بلا عاقبة لقصد. فلو لم يكن بعثٌ كما تزعمون

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] جميع النسخ: على الشياطين.
[٣] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ (سورة لقمان، ٢١/٣١).
[٤] ر ن ع: أن.
[٥] ع: أن.
[٦] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر مجلدات هذا الكتاب.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ع: تشكوه.

لكان خلقكم وتقليبكم من حال إلى حال عبثا على ما أخبر أن خلق الخلق لا[1] للرجوع إليه عبثٌ، لقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[2] صير خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثا، فعلى ذلك الأولُ. أو أن يكون تأويله -والله أعلم- **فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**، إلى آخر الآية، ولو اجتمع حكماء البشر وعلماؤهم لِيَعرفوا السبب الذي خلق البشر من ذلك التراب أو من النطفة ما قدروا عليه وما وجدوا للبشر فيه أثرا ولا معنى البشرية فيه. فمن[3] قدر على ابتداء إنشاء هذا العالم من التراب أو من النطفة من غير سبب[4] يوجد فيه ولا أثرٍ لَقادرٌ على إعادتهم. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من الابتداء، فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

وقوله:[5] **مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخَلَّقَةٍ**، قال بعضهم: **مُخَلَّقَةٍ**، أي مخلوقة خلْقا **وغيرِ مُخَلَّقَةٍ**، أي غير مخلوقة خلقا [بل] نطفة على حالها. وقال بعضهم: **مُخَلَّقَةٍ**، أي تامة، **وغيرِ مُخَلَّقَةٍ**، أي غير تامة خلقا. وهو الأشبه، لأن التشديد إنما يُذكَر لتكثير الفعل[6] والتخفيف لتقليله. فكأنه قال: **مُخَلَّقَةٍ**، أي قد أتم خلقها من الجوارح والأعضاء، **وغيرِ مُخَلَّقة**، أي غير تامة خلقا بل ناقصةٍ.

وقوله: **لِنُبَيِّنَ لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**، كان قوله: **ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء** موصولا بقوله: **ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة**، ثم **نُقِر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**، من ستة أشهر إلى سنتين أو ما شاء الله. **ثم نخرجكم** من الأرحام بعد الإقرار فيها **طفلا**، قال بعضهم: **ثم نخرج** كلًّا منكم **طفلا**. وقال بعضهم: اسم[7] الطفل يُجْمَع ويُفرَد. **ثم لِتبلُغوا أشُدَّكم**، قال بعضهم: الأشُدُّ هو ثلاث وثلثون سنة، وقال بعضهم: هم من ثماني عشرة[8] إلى ثلثين سنة. وأصل الأشُد هو من اشتداد كل شيء وتقَوِّي كل شيء منه من الجوارح والأعضاء، وكل ما رُكِّب فيه من العقل وغيره. ثم عند ذلك يُبَيِّن لهم ويكون قوله: **لِنُبَيِّن لكم**،[9] بعد هذا كله إذا بلغوا المبلغ الذي[10] يعرفون تقليبه إياهم من حال إلى حال على ما ذكر.

---

[1] ر: إلى.
[2] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[3] ر: ومن؛ ن: فيمن.
[4] ر م: مسبب.
[5] ع + عز وجل.
[6] جميع النسخ: لتكثير خمقها الفعل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
[7] ر ع م: واسم.
[8] ر + سنة.
[9] ر – ويكون قوله لنبين لكم.
[10] ن: الذين.

ثم يحتمل قوله: **لنُبَيِّن لكم** وجوها. أحدها يبين قدرته وسطانه أن من قدر على تحويلهم من حال التراب إلى حال الإنسانية والبشرية، ومن حال النطفة إلى حال العلقة ثم إلى آخر ما ذَكَر قدر على البعث والإحياء بعد ما صاروا ترابا. أو يبين عِلْمه في الظلمات الثلاث كان الولد فيها[1] أن كيف قلَّبه من حال إلى حال في تلك الظلمات، ليعلموا أنه لا يخفى عليه شيء. أو يبين حكمته وتدبيره في خلق الإنسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكماء من البشر والعلماء ليعرفوا المعنى الذي به تُخلق الإنسانُ منه وصار به بشرًا ما قدروا عليه ولا عرفوا السبب الذي به صار كذلك، ليعلموا أنه حكيم بذاته، وعالم قادر بذاته لا بتعليم غيره ولا بإقدار غيره. فمن كان هذا سبيلَه لا يُعجِزه شيء، ينشئ الأشياء من الأشياء ولا من الأشياء على ما شاء وكيف شاء.

وقوله:[2] **ومنكم من يُتَوَفَّى**، أي من يُتَوَفَّى قبل أن يبلغ أشُدَّه، دليله قوله: **ومنكم من يُتَوَفَّى**، أي من قبل أن[3] يبلغ ذلك المبلغ[4] وهو الأشُدُّ. **ومنكم من يرد إلى أَرْذَلِ العُمُر**، أي إلى وقت يُستَقْذَر منه ويُستَخبَث، ليس كالصغير، لأن الصغير والطفل ما يؤمل منه في العاقبة المنافع والزيادات، هذا لا يرجى منه ولا يؤمل منه العاقبة. كلما مر عليه وقت كان أضعفَ في عقله ونفسه، ولا كذلك الصغير. وهو / ما قال: خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً [٤٩٢ر] ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً.[5] قال القُتَبِي: **أَرْذَل العُمُر**، أي الخرَف والهرم.[6] وقوله: **لكيلا يعلم بعد علم شيئا**، أي لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا.

ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال: **وترى الأرض هامدة**، قال بعضهم: مَيْتَة، وقيل: خاشعة، وقيل: يابسة، وقيل: بالية.

وقوله:[7] **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزتْ ورَبَتْ**،[8] قال الزجاج: **وربت**،[9] من الزيادة والنماء.[10]

---

[1] انظر: سورة الزمر، ٦/٣٩.
[2] ع + عز وجل.
[3] ع: أي.
[4] ر – البلغ.
[5] ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (سورة الروم، ٥٤/٣٠).
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
[7] ع + عز وجل.
[8] ر ع – وربت.
[9] ن – قال الزجاج وربت.
[10] يقول: ومن قرأ "وربت" فهو من ربا يربو، إذا زاد على أي الجهات؛ ومن قرأ "وربأت" بالهمز فمعناه ارتفعت (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤١٣/٣).

وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: يقال: ربا يربو، أي زاد وهو من الرِّبَا. وربأت من الارتفاع، ربا يربو رَبْوَةً، كقوله: وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.[1]

ثم أضاف الاهتزاز والزيادة إلى الأرض وهي لا تهتز ولا تربو، إنما يربو ويهتز ما يخرج منها من النبات، لكن أضاف ذلك إليها لما بها كان اهتزاز ذلك النبات وبها كان النماء،[2] فأضيف إليها. أو إن كان من الارتفاع والرَّبْوَة فهي ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر.

وقوله:[3] **وأنبتت من كل زوج بهيج**، قيل: البهيج الحسن. يخبر في هذا كله[4] قدرته وسلطانه أن من قدر على إحياء الأرض بعد ما كانت يابسة ميتة لَقادرٌ على إحياء الموتى بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا. وقوله:[5] **من كل زوج بهيج**، أي من كل جنس حسن يُهَيِّج به أي يُسَرُّ،[6] وهو فعيل بمعنى فاعل. يقال:[7] امرأة ذات خلق باهج.

وقال أبو عَوْسَجَة: الهامد البالي، يقال: همد الثوب إذا بَلِيَ؛ والهامد أيضا الخامد، خَمَدت النار تخمُد خُمُودًا. وقال بعضهم: قوله: **ورَبَتْ**، أي أضعفت النبات.[8]

**﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٧]**

وقوله:[9] **ذلك بأن الله هو الحق**، أي ذلك الذي تقدم ذكره من الساعة وزلزلتها[10] وأهوالها وما ذُكر من خلق الإنسان وتقليبه من حال إلى حال وما ذكر من البعث والإحياء وإحياء الأرض بعد ما كانت هامدة هو الحق. ذلك بأن أمره هو الحق، أي كائن لا محالة. ألا ترى أنه قال: **وأنه يُحيي**[11] **الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.**

---

[1] ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى رَبْوَةٍ ذات قرار ومَعِين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥٠).
[2] ر ع: النما.
[3] ع + عز وجل.
[4] ر ع م: كل.
[5] ع + عز وجل.
[6] ر: بهيج أي يسير؛ ع: يهيج أي يسر؛ م: يهيج أي يسير.
[7] ر ع: فقال.
[8] ع: وبات.
[9] ع + عز وجل.
[10] ر م: ورلزالها.
[11] ع – الإنسان وتقليبه من حال إلى حال وما ذكر من البعث والإحياء وإحياء الأرض بعد ما كانت هامدة هو الحق ذلك بأن أمره هو الحق أي كائن لا محالة ألا ترى أنه قال وأنه يحيي.

هذا كله يدل أن قوله: **ذلك بأن الله هو الحق** في تحقيق البعث والإحياء بعد الموت وأنه[١] لا يعجزه شيء وأنه قادر بذاته عالم.

وقال بعضهم: **ذلك**. يقول: هذا الذي فعل وظهر من صنعه يدل على **أن الله هو الحق** وغيره من الآلهة التي يعبدونها باطل، **وأنه يُحيِي الموتى** في الآخرة، لا الآلهة التي يعبدونها، **وأنه على كل شيء قدير** على ما يشاء. وهو ما أخبرنا. وقال الحسن: الحق[٢] هو اسم من أسماء الله تعالى، سمي به لأنه يحكم بالحق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٨]

وقوله:[٣] **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**،[٤] حسي، **ولا هدى**، أي ولا ببيان دليلي[٥] من جهة العقل، **ولا كتاب منير**، أي ولا وحي ينير[٦] ما يجادل فيه ويخاصم.[٧] ويحتمل أن يكون قوله: **بغير علم**، أي بغير إذعان ممن عنده العلم، **ولا هدى** ولا استسلام[٨] لمن عنده الدليل، ولا خضوع لمن عنده كتاب منير.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٩]

وقوله:[٩] **ثانِيَ عِطْفه**، قال بعضهم: لَاوِيَ عُنُقِه إلى معصية الله. وقال بعضهم: ناظرًا[١٠] في عِطفه، أي في جانبه،[١١] ومثل هذا. لكن حقيقته تخرج على وجهين. أحدهما على التمثيل والكناية عن إعراضه عن دين الله الحق والصُّدود عنه، كقوله: اِنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ[١٢] وقولِه: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[١٣]

---

[١] ع: فانه.
[٢] ر ع م - الحق.
[٣] ع + عز وجل.
[٤] ر ع م + يحتمل قوله بغير علم.
[٥] ر: لا بيان دليلي؛ ع م: لا بيان دليل.
[٦] ع: منير.
[٧] ع: فيخاصم.
[٨] ع: والاستسلام.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] جميع النسخ: ناظر.
[١١] ع: جالبه.
[١٢] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[١٣] ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (سورة آل عمران، ١٤٤/٣).

ونحوه[1] على التمثيل والكناية عن الإعراض عن الحق والصدود، لا على حقيقة الانقلاب على الأعقاب. فمعنى ذلك جائز قوله: **ثانِيَ عِطْفِه**، يخرج على التمثيل والكناية[2] عن الإعراض عن الحق. وجائز أن يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم تكبرا وتجبُّرا منه عليهم.

[٤٩٢ظ س٢٩ *وقال القُتَبي: **ثاني عطفه**، أي[3] يتكبر معرضا.[4] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: **ثاني عطفه**،
٤٩٢ظ س٣٠] أي متكبرا متجبرا. والعِطْف في الأصل الجانب، والأعطاف جميع.*

ثم بين أنه لِمَ يفعل فقال:[6] **لِيُضِلَّ عن سبيل الله**، أي ليُضل الناس عن سبيل الله.[7]

ثم أخبر ماله في الدنيا بصنعه فقال: **له في الدنيا خزي**، قال بعضهم: الخزي هو العذاب الذي يفضحه، وأصل الخزي الهوان والذل. وهم لما أعرضوا عن عبادة الله ودينه بُلُوا بعبادة الأصنام واتباع الشيطان، فذلك الخزي لهم في الدنيا.

ثم أخبر ماله في الآخرة من الجزاء[8] فقال: **ونُذيقُه يوم القيامة عذابَ الحريق**. وعامة أهل التأويل يصرفون الآية إلى واحد منهم وهو النضر[9] بن الحارث،[10] ويقولون: **له في الدنيا خزي**، لأنه أُسر يوم بدر فضرب عنقه وقُتل صبْرًا، فذلك الخزي له. والحسن يقول: هذا الخزي لجميع الكفرة، لأنه لم يزل هذا صنيعَهم منذ كانوا، فلهم الخزي في الدنيا الخَسف والحَصْب[11] على ما كان في الأمم الخالية.

---

[1] ع: ونحو.
[2] ر + والكناية.
[3] ر ع م – أي.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر٢٩-٣٠.
[6] ع م – فقال.
[7] ر ع م – أي ليضل الناس عن سبيل الله.
[8] ع: من الجزا.
[9] ع: نضر.
[10] النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف (ت ٢ هـ/٦٢٤م): كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها. وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم. ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا. وكان إذا جلس النبي مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فرس ورُسْتَم وإسفنديار ويقول: أنا أحسن منه حديثا، إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. وقيل: هو أول من غنّى على العُود بألحان الفرس. وشهد وقعة بدر صاحبَ لواء المشركين فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة (*الأعلام* للزركلي، ٣٣/٨؛ وانظر ترجمة قُتَيْلَة بنت النضر بن الحارث في *الإصابة* لابن حجر، ٣٧٨/٤).
[11] ع: والخصب.

﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١٠]

وقوله:[١] **ذلك بما قدّمت يداك**، ليس على تقديم الأيدي على التحقيق[٢] ولكن على التمثيل، لما بالأيدي يقدَّم، فذكر[٣] اليد لذلك على ما ذكرنا من انقلاب الأعقاب.[٤]

وقوله:[٥] **وأن الله ليس بظَلَّام للعبيد**. لأنه لا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا يأخذه بذنب غيره.[٦]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١١]

وقوله:[٧] **ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ**، اختلف في قوله: **على حَرْفٍ**. قال بعضهم: **يعبد الله على حَرْفٍ**، أي على شك يمتحن ربّه على أنه إن[٨] أعطاه طمعه وأمنَه في هذه الدنيا حقق له الألوهية والعبادة، وإن لم يجد طمعه وأمنه لا يحقق[٩] له ذلك ويقول: ليس هو بإله، إذ لو كان إلها لأعطاه[١٠] ما يطلب منه. / على هذا الشك يعبد بالامتحان. وقال بعضهم: **على حرف**، أي على شرط، أي يعبده على شرط الإعطاء، يقول: إن[١١] أعطاني أملي عبدته، وإن لم يعطني ذلك لم أعبده.[١٢] يكون عبادته على هذا الشرط. وقال بعضهم: **يعبد الله على حرف**، أي على حال واحدة وعلى[١٣] جهة واحدة، ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين جميعا: حالة الظاهر وحالة الباطن، وحالة الضراء والسراء،[١٤] [٤٩٢ظ]

---

[١] ن: قوله؛ ع + عز وجل.
[٢] ر ع: ليس على تحقيق تقديم الأيدي.
[٣] ع: وذكر.
[٤] ع: عامه بانقلاب الأعقاق.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: غير.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ر ع م - إن.
[٩] ع: لا يتحقق.
[١٠] ع: لاعطاه.
[١١] ع إن.
[١٢] ع: لم يعبده.
[١٣] ر م: على.
[١٤] ع: وحالة الضرا والسرا.

وحالة السعة والشدة على ما تعبّده الله، كقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]،[1] ونحوه.[2] عبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبّده الله. والمنافق إنما يعبده على حالة السعة والخصب، لأنه ليس يعرف ربه حق المعرفة، فإنما يعبد السعة والرخاء. وأما المؤمن فإذ[3] عرف ربّه عبَده في الأحوال كلها، لما عرف نفسه عبدا لسيده ولم ير للعبد سعة تركِ العبادة لمولاه في كل حال،[4] ورأى للمعبود حق استعباده[5] واستخدامه في كل حال: في حال الضيق وحال السعة. أو أن يكون رأى بما يصيبه من الشدائد والبلايا بتقصيرٍ كان منه وتفريط، فعبده[6] في الأحوال كلها. أو لما عرف ورأى[7] نعمة ربه عليه كثيرة ورأى شكر تلك النعم عليه لازما فعبده في الأحوال كلها شكرا لتلك النعم. وأما أولئك لم يروا لله على أنفسهم نعَمًا قائمة[8] عبدوه على الجهة التي ذكرنا. [و] كانوا فرقا: من الكفرة من يعبد الله في حال الشدة والضيق، ولا يعبده في حال السعة والرخاء، كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا،[9] ونحوه. ومنهم من كان[10] يعبده في حال السعة والرخاء، وهو ما ذكرنا من أمر المنافق. وأما المؤمن فهو يعبده في الأحوال كلها لما رآه معبودا حقيقة على ما ذكرنا.

[٤٩٢ظ س ٣٠ * وقوله: **من يعبد الله على حرف**، قال: لا يدري أحق هو أم باطل، وهو الشك. يقال: إني من هذا الأمر على حرف، أي على شك لست بمستيقنٍ. وقال القُتَبِي: **على حرف**، على وجه واحد، وعلى مذهب واحد.[11] وقال قتادة: على شك، على ما ذكرنا. وقال أبو عبيدة: **على حرف**، أي لا يدوم، ويقول: إنما أنا على حرف،[12] أي لا أثق بك، ونحو هذا. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم.* ٤٩٢ظ س٣٣]

[1] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[2] ع: ونحو.
[3] ر ن م: فإذ؛ ع: فإن.
[4] ر ع م: في حال.
[5] ع: حق استبعاده
[6] ر ع م: وعبدوه؛ ن: فعبدوه.
[7] ر ن: لما رأى وعرف.
[8] جميع النسخ: قائما.
[9] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[10] ع – كان.
[11] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١ (بدون "وعلى مذهب واحد").
[12] ر: أنا حرف.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر ٣٠-٣٣.

وقوله:[١] **وإن أصابته فتنة**، قد ذكرنا أن الفتنة هي المحنة التي فيها بلاء وشدة. وقوله: **انقلب على وجهه**، وقال بعضهم: هو على التمثيل على ما ذكرنا في قوله: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[٢] وقولِه: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.[٣] وقال بعضهم: على تحقيق انقلاب وجهه، لأنه كان عبادته ظاهرة لم يكن يعبده[٤] في الباطن في حال السعة. فلما أصابته الشدة ترك عبادته ظاهرة على ما كان باطنه، فهو انقلاب وجهه. *والله أعلم*.

*وقوله:[٥] **انقلب على وجهه**، أي رجع[٦] إلى دينه.* [٤٩٢ظ س ٣٤]

وقوله:[٨] **خسر الدنيا والآخرة**. أما خسران الدنيا لأنه فات عنه ما كان يأمله بزوالها، وخسران الآخرة ظاهرٌ: العذاب والشدائد. وجائز أن يكون خسران الدنيا هو[٩] خضوعه لمن لا يضر ولا ينفع بالعبادة[١٠] للأصنام. **ذلك هو الخسران المبين**، لأنه خسر في الدارين جميعا أملَه وطمعه. *والله أعلم*.

**﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[١٢]**

وقوله: **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**، قيل: إن الآية في المنافقين، وهم كانوا لا يعبدون الأصنام لكن ذُكر أنهم يعبدون على حرف. والعبادة[١١] على حرف ليست بعبادة لله،[١٢] إنما هي عبادة للشيطان. فأخبر أنه يعبد[١٣] ما لا يضره إن ترك العبادة له، ولا ينفعه إن عبده. يدل على ذلك قوله عز وجل: **ذلك**[١٤] **هو الضلال البعيد**، لأنه عبد من لا يضره إن[١٥] لم يعبده، ولا ينفعه إن عبده. فذلك هو الضلال البعيد.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] سورة الأنفال، ٨/٤٨.
[٣] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.
[٤] ع: يعبد.
[٥] ر ع م - وقوله.
[٦] رم: يرجع.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر٣٤.
[٨] ع + عز وجل.
[٩] ع: عن.
[١٠] ر ع م: للعبادة.
[١١] ر ع م - الأصنام لكن ذكر أنهم يعبدون على حرف والعبادة.
[١٢] ر ع م: بعبادة الله.
[١٣] ن: يعبده؛ ع: يعيد.
[١٤] ر ع م - قوله عز وجل ذلك.
[١٥] ع: إذ.

﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[١٣]

وقوله:[١] **يدعو لَمَنْ ضرُّه أقرب من نفعه**، قال بعضهم: قوله:[٢] **يدعو**، تأويله: من يضُرُّه **أقرب من نفعه**. وقال بعضهم: قوله: **يدعو لَمَنْ ضرُّه أقرب من نفعه**، هذا إن عبده ضره عبادته إياه في الآخرة والأولى، حيث قال: ما لا يضره[٣] إن ترك عبادته في الدنيا، ولا ينفعه إن عبده. ***والله أعلم***.[٤]

وقوله عز وجل: **لبئس المولى ولبئس العشير**، قال بعضهم: **لبئس المولى**، أي[٥] الولي،[٦] **ولبئس العشير**، يعني الصاحب، كقوله: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[٧] أي صاحبوهن بالمعروف.[٨] وقال بعضهم: **لبئس المولى**، أي الولي وهو الشيطان، **ولبئس العشير**، أي القرين الذي لا يفارق. وقال القُتَبِي: أي الصاحب والخليل،[٩] وهو ما ذكرنا، كله واحد. وقال أبو عَوْسَجَة: **العشير** الرفيق الذي تُعاشره وتصاحبه وتخالطه، و**العشير** الزوج أيضا.*

وقال بعضهم: قوله: **يدعو لَمَنْ ضرُّه في الآخرة أقرب من نفعه**.

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ر م - قوله.

[٣] ن - ما لا يضره.

[٤] يقول الشارح: «ذكر في الآية الأولى ﴿يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره﴾، أي لا يضره إن يترك عبادته ولا ينفعه. وذكر في الآية الثانية يدعو لمن كان أضراره أقرب من الانتفاع؛ فيكون المراد في الآخرة، والآية الأولى يراد بها في الدنيا، حتى لا يختلف الآيتان، والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٠٤و). ويقول جار الله الزمخشري: «فإن قلت: الضرر والنفع مَنفِيّان عن الأصنام مُثْبَتان لها في الآيتين، وهذا تناقض. قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم. وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادًا لا يملك ضرًا ولا نفعًا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به. ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾. أو كرر يدعو، كأنه قال: يدعو ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾، ثم قال: ﴿لمن ضره﴾ بكونه معبودًا ﴿أقرب من نفعه﴾ بكونه شفيعًا، ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾. وفي حرف عبد الله: "من ضره" -بغير لام-» (*الكشاف*، ٧٨/٤). وتوجيهُنا: كلا النفع والضر في كلا الآيتين في الدنيا لا في الآخرة، ولكن المدعوَّين مختلفان. المدعُوّ في الآية الأولى "ما"، وفي الثانية "من"؛ وهذا يعني أن المدعوِّين "ما" هي الأصنام التي لا نفع لها ولا ضر؛ والمدعوِّين "من" هم رؤساء الكافرين الضارين والنافعين، أي المَلأ والمُتْرَف كما قال: ﴿لبئس "المولى" ولبئس "العشير"﴾. وضرُّهم أقرب من نفعه، أي نفع الدين. إذ ليس الدين قويا والمسلمون أقوياء وأغنياء أثناء إنزال هده الآيات. وهذا أنسب لقراءة "لَمَن" بفتح اللام. وباختصار: يدعو الأصنامَ الدين لا يضرهم ولا ينفعهم لأن هناك رؤساء أقوياء وأغنياء (المحقق).

[٥] ع: إلى.

[٦] ر ع م + وهو الشيطان.

[٧] سورة النساء، ١٩/٤.

[٨] ر ع م: المعروف.

[٩] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩١.

* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٩-١٢، فنقلناها إلى محالّها؛ انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر٢٩-٣٤.

**﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**[١٤]

وقوله:[١] **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد.** المعتزلة كذّبت هذه الآية والآيةَ التي تلي هذه الآية، وهي قوله: وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ،[٢] لأنهم يقولون: أراد إيمان جميع الخلائق، ثم لم يفعل ذلك؛ وأراد جميع الخيرات والكفَّ عن الشرور، ثم لم يقدر على وفاء ما أراد. ويقولون: لا صنع له في أفعال العباد، ولا تدبير.[٣] فعلى قولهم لم يفعل الله مما أراد[٤] واحدا من ألوف. ويقولون: إن الله أراد هدي جميع الخلائق، لكنهم لم يهتدوا؛ وهو أخبر أنه يهدي من يُريدُ، وهم يقولون: يريد هدى الخلق كلِّهم فلم يهتدوا.[٥] ونحن نقول: من أراد الله هداه اهتدى، وما أراد أن يفعل فعل. / وهو ما أخبر [٤٩٣و]
فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ؛[٦] أخبر أنه يفعل ما يريد. فيخرج[٧] قولهم على أحد الوجهين: إما على الخُلْف[٨] في الوعد، وإما على الكذب في القول والخبر. فنعوذ بالله من السرف في القول.

**﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾**[١٥]

وقوله:[٩] **من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يُذْهِبَنَّ كيدُه ما يَغِيظُ.** تأويل الآية عندنا يخرج على وجهين. أحدهما من كان يظن أن لن ينصر[١٠] الله محمدا -صلوات الله عليه- ثم نصره فغاظه نصرُه إياه فيدوم غيظه، **فليمدد بسبب،** أي بحبل **من السماء**، فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذي غاظه نصره [و] يستريح مما غاظه.[١١]

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] بعد الآية التالية.
[٣] ر م: فلا تدبير.
[٤] ع: ما أراد.
[٥] ع: فكلهم لم يهتدوا.
[٦] سورة هود، ١١/١٠٧؛ وسورة لبروج، ٨٥/١٦.
[٧] ر + عنى؛ ع + هذا على.
[٨] ر ع م: على الخلاف.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] ر ع م: أن لن ينصره.
[١١] م: ما غاظه.

والثاني يخرج على الوعد له[1] بالنصر والخير أنه ينصره، يقول: **من كان يظن** أن ما وعد له من النصرة لا يفعل ذلك له ولا ينصره ولا يُنجِز ما وعد **فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع**، أي ليحبس ما وعد له من النصر إن عاطه ما وعد ليُذهب غيظَه الذي غاظه. فعسى[2] هذا التأويل يكون السماء سماء الأصل، أي يحبس السبب الذي ينزل من السماء.

وقال[3] بعضهم: قوله: **من كان يظن أن لن ينصره**، أي[4] لن يرزقه **الله**، يجعله[5] صلة قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[6] لأنه يجعل الآية في أهل النفاق. يقول:[7] من كان يظن من أهل النفاق أن الله لا يرزقه إذا كان في ذلك الدين الذي كان فيه ودام[8] فيمدد بما ذكر. وقال مجاهد: **كيدُه ما يَغيظُ**، قال: ذلك خيفةَ أن لا يُرزق. وأهل التأويل صرفوا السماء إلى سقف البيت ويقولون: القطع الخَنْق.

وقال القُتَبِي: **من كان يظن أن لن ينصره الله**، أي لن يرزقه الله؛ وهو قول أبي عبيدة. يقال: مطر ناصر وأرض منصورة، أي ممطورة. وقال المفسرون: **من كان يظن أن لن ينصره الله** محمدا، **فليمدد بسبب**، أي بحبل **إلى** سقف البيت **ثم ليقطع**، أي ليختنق، **فلينظر هل يُذْهِبَنَّ كيدُه**، أي حيلتُه غيظَه، أي ليجهَدْ جُهْدَه.[9]

وقال أبو عَوْسَجة: **فليمدد بسبب**، قال هذا شيء لا يكون ولا يُقدَّر عيه، وهذا ذم للمقول فيه لأنه جعل السماء سماء[10] الأصل. وقوله:[11] **فليمدد**، أي يَمُدَّ يدَه. وقوله: [**بسبب**] والسبب في الأصل الحبل، أي يَعْلَق سببا فيرتقي في السماء، والسَّب الخِمار وسُبوب جميع، أي خُمُر. قال: والسبب الحبل بعغة هذيل. وقوله: **ما يغيظ**، هو شدة الغضب.

---

[1] ر ع م – له.
[2] ع + ذلك.
[3] ر ع م: قال.
[4] ن: أن.
[5] ر: ويجعله.
[6] سورة الحج، ١١/٢٢.
[7] ع – من كان يض أن لن ينصره أي لن يرزقه الله يجعله صنة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف لأنه يجعل الآية في "هل النفاق يقول.
[8] ع: ودوم،
[9] تفسير غريب القرآن لاس قتيبة، ٢٩١.
[10] ر: سما.
[11] ع + عر وجل.

**﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾[١٦]**

وقوله: **وكذلك أنزلناه آيات بينات**، أي مثل هذا وهكذا[١] **أنزلناه آيات بينات** يبين ما لهم وما عليهم.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١٧]**

وقوله:[٢] **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا**، أما الصابئون فإن الناس اختلفوا فيهم. قال أهل الكلام: هم الثنوية، و[٣] قال أهل التأويل: هم عُبّاد الملائكة. وقد ذكرنا أقاويلهم فيه في سورة المائدة، فتركنا ذكره ههنا لذلك.[٤]

**والذين أشركوا**، قيل:[٥] مشركو العرب، وهم عبدة الأوثان والأصنام.

وقوله: **إن الله يَفصِل بينهم يوم القيامة**، يحتمل قوله: **يفصل بينهم**، أن يحكم بين هؤلاء **يوم القيامة** لاختلافهم في الدنيا، كقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، ثم قال: فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ،[٦] أي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة.[٧] فالفصل[٨] بينهم يوم القيامة هو الحكم الذي ذكر في هذه الآية. ويحتمل قوله: **يفصل بينهم يوم القيامة**، في المقام، يبعث هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار، فذلك الفصل[٩] بينهم. وجائز أن يكون قوله: **يفصل**، أي يبين لهم الحق من الباطل حتى يقرون جميعا بالحق ويؤمنون به، لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ.

وقوله:[١٠] **إن الله على كل شيء شهيد**، من أعمالهم وأفعالهم وإقرارهم[١١] وأقوالهم وجميع ما كان منهم.

---

[١] ع: أو هكذا.
[٢] ر + تعالى؛ ع + عز وجل.
[٣] ر ع م - قال أهل الكلام هم الثنوية و.
[٤] انظر: تفسير سورة المائدة، ٥/٦٩.
[٥] ر ع + هم.
[٦] ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٣)
[٧] ن - يوم القيامة؛ ع - أي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة.
[٨] ع: فالفصل.
[٩] ع: الفصل.
[١٠] ع + عز وجل.
[١١] ع + وأفعالهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١٨]

وقوله:[١] **ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض**، حرف "من" في ظاهر اللغة واللسان إنما يعبر به عن المُمتحَن من البشر[٢] والجن والملائكة، وأما الموات فإنه لا يعبر به عنه، وإنما يعبر عنه[٣] بحرف "ما"، لكن ذكر في آخره -وهو قوله: **والشمس والقمر والنجوم والجبال**، الآية- ما يدل أنه أراد الكل: الممتحَن والموات جميعا، حيث قال: و[٤] **كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب**، وإلا ظاهره[٥] ما ذكرنا أنه إنما يعبر بـ"من" عن الممتحن[٦] وبحرف "ما" عن الكل. وجائز[٧] أن يكون عند الاجتماع يذكر باسم الممتحن على ما يذكر عند اجتماع الذكر والأنثى باسم الذكور.

ثم ما ذكر من سجود هذه[٨] الأشياء يخرج على وجوه. أحدها سجود خلقة، يسجد كل شيء ذُكر بخلقته لله على ما ذكرنا في التسبيح.[٩]

والثاني سجود عبادة، وهو سجود كل ممكن منه السجودُ[١٠] وتركه، وهو سجود الممتحن.

والثالث سجود[١١] بذل ما جعل في هذه الأشياء من المنافع لا يتأتى[١٢] بذلُها لأحد [لكونها مسخرة لمنافعهم][١٣] من الماء والشمس والقمر[١٤] والشجر والدواب وكل شيء.

---

[١] ن: قوله؛ ع + عز وجل.
[٢] ع: ومن البشر.
[٣] ع - وإنما يعبر عنه.
[٤] ع - قال و.
[٥] م: والظاهر.
[٦] ن: المتحنين.
[٧] ر م - جائز.
[٨] ر: وهده.
[٩] انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ٤٤/١٧).
[١٠] ر م - السجود.
[١١] ر ع: سجوده.
[١٢] ر ع م: لا تأتي؛ ن: لا يأتي.
[١٣] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٤ط.
[١٤] ر ع م - والقمر.

والرابع ما أَلْهم هذه الأشياءَ من الطاعة لله[١] والخضوع له. ألا يرى أنه قال: اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ؛[٢] ألا يرى أنه ألهم الدواب معرفة إتيان المصالح لهم واتقاء[٣] المهالك، فجائز أن يعرفْنَ طاعته والخضوع له. **والله أعلم.**

وقوله:[٤] **وكثيرٌ من الناس،** في الجنة،[٥] **وكثير حقّ عليه العذاب** في النار.[٦] **ومن يُهِنِ اللهُ فما له من مكرم،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما من خذله الله وطرده[٧] عن عبادته وبابه فما له [٤٩٣ط] من مكرم، كقوله: وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.[٨] أو أن نقول:[٩] ومن أهانه الله في النار بالعذاب فما له من مُنجٍ[١٠] ينجيه عن ذلك.

**إن الله يفعل ما يشاء،** هذا على المعتزلة، لأنهم يقولون: شاء أشياء فلم يفعل، وهو يقول:[١١] **يفعل ما يشاء.**

**﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾**[١٩]

وقوله:[١٢] **هذان خصمان اختصموا في ربهم،** اختلفوا في تأويله. قال بعضهم: نزل هذا في ستة نفر بارزوا. ثلاثة من المسلمين: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، وثلاثة من المشركين: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فذلك[١٣] اختصامهم. وقال بعضهم: اختصم[١٤] أهل الإسلام وأهل الكتاب في الدين. قالت اليهود والنصارى: نحن أولى بالله منكم يا معشر المسلمين! لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم.

---

[١] ع: بالله.
[٢] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).
[٣] ع: باتقاء.
[٤] ع + عز وجل.
[٥] ع: بالجنة.
[٦] ر: بالنار؛ ع م - في النار.
[٧] ع: فطرده.
[٨] سورة الرعد، ٣٣/١٣.
[٩] جميع النسخ: أو أن يقول.
[١٠] ر ع م: منجي.
[١١] ر ع م: فهو.
[١٢] ع + عز وجل.
[١٣] ع: وذلك.
[١٤] ر ع م - اختصم.

فقال المسلمون: بل نحن أولى بالله، آمنا بكتاب الله[1] وكتابكم وبنبينا[2] ونبيكم وبكل كتاب أنزله الله، ثم كفرتم أنتم نبينا وكتابنا[3] وبكل نبي كان قبل نبيكم.[4] فأنزل[5] الله تعالى ما فَصَل بين المؤمنين وأهل الكتاب فقال: **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا**. بمحمد وبالقرآن[6] -وهم اليهود والنصارى- **قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار**، إلى آخر ما ذكر. وقال في المؤمنين: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[7] الآية. وقال بعضهم: **هذان خصمان اختصموا في ربهم**: النارُ والجنة. فقالت[8] النار: جعلني الله للعقوبة[9] للعُصاة والفَسَقَة؛ وقالت الجنة: جعلني الله للرحمة للأنبياء والأولياء، ونحوه. لكن متى يكون للنار مخاصمة؟ وكذلك الجنة. وهو بعيد. وقال بعضهم: اختصم المسلم والكافر في البعث.

وجائز أن يكون اختصامهم ما ذُكر من أول السورة إلى هذا الموضع. من ذلك قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[10] وقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[11] وقوله:[12] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا،[13] يكون اختصامهم بين هؤلاء الذين ذكرهم في هذه السورة، وهم أهل الإسلام وأهل الكفر. في الآية بيان ذلك، حيث قال: **فالذين كفروا قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار**، وقال في المؤمنين: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.[14] ثم جائز أن يكون هذا هو الفصل الذي ذَكَر في الآية الأولى حيث قال: إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[15] يُنزِل أهل الإسلام في الجنة وأهلَ الكفر[16] في النار. ***والله أعلم.***

---

[1] ر ن ع: بكتابنا.
[2] ع – ونبينا.
[3] ن: وبكتبنا.
[4] وعبارة *الشرح* هكذا: وبكل شيء كان قبل نبيكم؛ (ورقة ٥٠٤ظ).
[5] ع: وأنزل.
[6] ع: بالقرآن.
[7] سورة الحج، ٢٣/٢٢.
[8] جميع النسخ: قال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٤ظ.
[9] ع: بالعقوبة.
[10] سورة الحج، ٣/٢٢، ٨.
[11] سورة الحج، ١١/٢٢.
[12] ع + وقوله.
[13] سورة الحج، ١٧/٢٢.
[14] سورة الحج، ٢٣/٢٢.
[15] الآية السابقة.
[16] م: الكفرة.

وقوله:[١] **قُطِعت لهم ثياب من نار**، كقوله: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ،[٢] الآية، وقوله: **يُصَبُّ من فوقِ رءوسهم الحميم**. قيل: الحميم الماء الحار الذي انتهى حره غايته.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٢٠]

وقوله: **يصهر به ما في بطونهم**، قال القُتَبي: **يُصْهَر**، يذاب؛ يقال: صهَرت النار الشَّحْمة. والصُهارة، ما أذيب من الألْيَة.[٣] وكذلك قال: الصُهارة ما يبقى من الشحم والألية إذا أذيبا. يقال: صهَرتُ الشحم، أي أذبت،[٤] أصهُره صَهْرًا.

* قال أبو معاذ: معنى[٥] قوله: **يُصهَر به ما في بطونهم**، أي يذاب ما في بطونهم خاصة. [٤٩٣ظ س٢٥
وأما الجلود فإنها تُحرق، لأن الجلد لا يُصْهر ولا يَنصهر. وقال: هذا مثل قول العرب: "أتيته فأطعمني واللهِ ثَريدًا،[٦] واللهِ لبنا قارصا -أي حامضا-[٧] واللهِ وإزارًا[٨] ورداءً،[٩] واللهِ وحُمْلَانا[١٠] فارها"، تضمر لكل شيء[١١] فعلا يشاكله.[١٢] وفي القرآن مثله كثير،[١٣] وكذلك في اللسان.* ٤٩٣ظ س٢٨]

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢١]

**ولهم مَقَامِعُ من حديد**، قال بعضهم: المقامع الأعمدة من الحديد، وهو قول أبي معاذ. وقال بعضهم: المقامع شِبْه العِصِيّ، الواحدة مِقْمَعة.*

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] سورة إبرهيم، ٥٠/١٤.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١.
[٤] ر: اديب.
[٥] ر ع م: يعني.
[٦] م: ثريد.
[٧] ر: حامض.
[٨] ر: فوزرا
[٩] ن ع + لي.
[١٠] الحملان: ما يحمل عليه من الدوات في الهبة خاصة (*لسان العرب*، «حمل»).
[١١] ع: كل شيء.
[١٢] تقديرها: سقاني لبنا وألبسني إزارا ورداء وأركبني حملانا.
[١٣] كقوله تعالى: ﴿وعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ (سورة يونس، ٧١/١٠) أي وادعوا شركاءكم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٣ظ/سطر٢٥-٢٨.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٩٣ظ/سطر٢٥-٢٨.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢٢]

وقوله:[١] **كلما أرادوا أن يخرُجوا منها من غَمٍّ أُعيدوا فيها**. قال بعضهم: وذلك[٢] أن جهنم إذا جاشت ألقت مَن فيها إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فيعيدهم الخُزّان فيها بالمقامع ويقول[٣] لهم الخَزَنَة: **ذوقوا عذاب الحريق**. وقال بعضهم: إن في جهنم دركاتٍ فإذا اشتد العذاب بهم ينقلبون من الدركة السفلى إلى الدركة العليا[٤] ويصعدون، ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها، كقوله: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.[٥] وقال بعضهم: إن النار تضربهم بلَهَبها فترفعهم[٦] حتى إذا كانوا في أعلاها ضُربوا بمقامع من حديد، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير[٧] لهبها. والله أعلم بذلك.[٨]

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢٣]

وقوله:[٩] **إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**، أي من تحت[١٠] أهلها. وهو كما ذكر في آية أخرى: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ.[١١]

وقوله:[١٢] **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا**، ذَكَر هذا -والله أعلم- لقوم رغبوا في هذه الدنيا بالتحلي بما ذُكر وتفاخروا به فيها، وهو ما ذكر: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ.[١٣] وإلا قلّ[١٤] ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر[١٥] إلا النساء[١٦] خاصة. فأما إن ذكر للنساء

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م - وذلك.
[٣] ع: وتقول.
[٤] جميع النسخ: من دركة السفلى إلى دركة العليا.
[٥] سورة المدثر، ١٧/٧٣. أي أكلفه مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصّعّد فيه ثم يهوي أبدا (انظر: *تفسير الجلالين*، ٧٧٦).
[٦] ر ع: فرفعهم.
[٧] ر ع م: زفر.
[٨] ن - بذلك.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] م: من تحتها.
[١١] سورة الأعراف، ٤٣/٧.
[١٢] ع + عز وجل.
[١٣] ﴿فلولا أُلقِي عليه أسوِرَةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ (سورة الزخرف، ٥٣/٤٣).
[١٤] ن م: وإلا أقل.
[١٥] ع - وتفاخروا به فيها وهو ما ذكر فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب وإلا قل ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر.
[١٦] ر: النسان.

أو لقوم تفاخروا به في الدنيا فقد وعَد[1] لهم في الآخرة ذلك [قولُه:] وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.[2] وقوله: **ولؤلؤا**، قال الكسائي: من قرأ "ولؤلُئٍ"[3] بالخفض فهو يخرج على وجوه.[4] أحدها **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب** ومن لُؤْلُئٍ.[5] والثاني **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب**،[6] ويحلون فيها من لُؤْلُئٍ[7] حليةً سوى الأساور. ومن قرأ بالنصب **ولؤلؤا**، أي يُحَلَّوْن فيها لؤلؤًا. [٤٩٤و]

وقوله: **ولباسهم فيها حرير**، وكذلك ذكر في الخبر: «هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.»[8]

*وقال أبو عَوْسَجَة: **يُحَلَّوْن فيها**، من الحَلْي من الذهب والفضة. تقول: حَلَّيْتُ[9] المرأةَ، أي اتخذت لها[10] حُلِيًّا. ويقال: حَلِيَ الشيء يَحْلَى حَلْيًا، إذا حسن. ويقال: حَلِيَ بعينه إذا حسن في عينه.[11] ويقال: حَلاَ[12] الشيء يَحْلُو حلاوة فهو حُلْوٌ. ويقال: تحلَّيت، إن شئت جعلته أكلت حلاوته وإن شئت جعلته من الحَلْي. ويقال: حلأْتُ الإبلَ عن الماء،[13] أي منعت. ويقال: حلَّيت الشيء وأحليته، أي جعلته حلوا.* [٤٩٤ظ س١٩-٤٩٤ظ س٢٢]

**﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٢٤]**

وقوله: **وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد**، جائز أن يكون هذا في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فهو[15] قول التوحيد وشهادة الإخلاص. وأما في الآخرة

---

[1] جميع النسخ: فوعد.
[2] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[3] جميع النسخ: ولؤلؤ. | قرأه "ولؤلُئٍ" ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي والخَلَف (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٥).
[4] ر ع - على وجوه.
[5] جميع النسخ: ومن لؤلؤ.
[6] ر ع م - والثاني يحلون فيها من أساور من ذهب.
[7] جميع النسخ: من لؤلؤ.
[8] «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.» (صحيح *البخاري*، الأطعمة ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، اللباس ٥).
[9] ل: حلت.
[10] ر ع م - لها.
[11] ع - إذا حسن في عينه.
[12] ل ع م: حلى.
[13] ع: على الماء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر١٩-٢٢.
[15] جميع النسخ: هو.

فكقوله:[1] دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] فهو القول الطيب الذي هُدوا إليه. وقال[3] بعضهم: قوله: **وهُدُوا إلى الطيب من القول**، هو القرآن؛ **وهُدُوا إلى صراط الحميد**، الإسلام وشرائعه. وقال قتادة: أُلهِموا التسبيحَ والتحميد كما أُلهِموا النفسَ. وقال: **الطيب من القول** هو كل قول[4] حسن.

وقوله: **الحميد**، يحتمل **صراط الحميد**، أي صراط الله، كقوله: صِرَاطِ اللهِ.[5] ويحتمل أن يكون نعت ذلك الصراط، أي صراطٍ حميد. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٢٥]

وقوله:[6] **إن الذين كفروا ويصُدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام**، قوله: **كفروا**، هو خبرٌ ماضٍ؛ وقوله: **ويصُدّون**، خبرٌ مستقبلٌ، فنَسَقَ المستقبلَ على الماضي. قال الزجاج [في تأويله]: إن الكافرين والصادّين[7] عن سبيل الله. **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب** [**أليم**]. وعندنا تأويله **إن الذين كفروا** قبل أن يبعث محمد **ويصدون** الناس **عن سبيل الله** إذا بعث محمد. ثم يحتمل قوله: **والمسجدِ الحرامِ**، أي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام،[8] أي كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للإسلام والسؤال عنه. والثاني إخراجهم منه كقوله: وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ.[9]

وقوله:[10] **الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ**، ظاهرُ هذا أن يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواءً هو المسجد الحرامَ، لأنه قال: **جعلناه للناس سواءً**. لكن أهل التأويل صرفوا ذلك إلى مكة وقالوا: **سواءً العاكفُ فيه والبادِ**، في النزول في المنازل.[11] وظاهره ما ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: كقوله.
[2] سورة يونس، ١٠/١٠.
[3] ع: قال.
[4] م - قول.
[5] ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥٢-٥٣).
[6] ع + عز وجل.
[7] يقول الزجاج: «لفظ يصُدّون لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى ﴿الذين كفروا﴾ الذين هم كافرون. فكأنه قال: إن الكافرين والصادين» (*معاني القرآن وإعرابه*، ٣/٤٢٠).
[8] ر م - أي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام.
[9] ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٧).
[10] ن: قوله.
[11] ع: في المنازل.

ثم يحتمل أن يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا، ليس كسائر المساجد التي لها أهل. إنّ أهلها أحق بها من غيرهم؛ وأما المسجد الحرام فإن الناس فيه[1] شرعا سواءٌ العاكف فيه والبادي. ويحتمل أن يكون ذكر هذا في[2] المسجد الحرام أن الناس فيه سواءٌ[3] ليعلموا أن الحكم في سائر المساجد كذلك، إن الناس فيها سواء: أهلها وغير أهلها. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ**، قال بعضهم: الإلحاد فيه هو الشرك فيه[4] والكفر، وقال: الإلحاد هو كل المعاصي. وأصل الإلحاد هو العدول والميل عن الطريق. وتأويله ومن يلحد فيه إلحادَ ضم نذقه كذا. وقال[5] بعضهم: من همّ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْه كذا.

ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذُكِر وجوها. أحدها ليعلموا أن كثرة الخيرات وتضاعُفها مما لا يعمل في إسقاط المساوئ فيه وهدمها، لما روي أن صلاة واحدة بمكة تعدل كذا كذا صلاةً في غيرها من الأماكن،[6] وكذلك [كل] حسنة فيها.

والثاني خُصَّت بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خُصت تلك البقعةُ بتضاعف الحسنات.

والثالث أن أولئك ادعوا أنهم أولى بالله من غيرهم لنزولهم ذلك المكان، فأخبر أن من يرد فيه بكذا[7] أذاقه[8] بكذا؛[9] ليس تخصيص ذلك المكان بما ذكر والعفوُ في غيره ولكن بما ذكرنا.

وقال بعضهم: معناه من يرد فيه إلحادًا بظلم، والباء زائدة، ومثله قوله: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ،[10] معناه تُنبت الدهنَ. وروي في الخبر[11] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احتكار الطعام بمكة إلحاد.»[12] وكذلك روي عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما. وجائز أن يكون

---

[1] ر ع م – فيه.
[2] ر ن م – ذكر هذا في.
[3] ر م – سوء.
[4] ر م – فيه.
[5] ر ن م: قال.
[6] لم أجده ولكن ورد حديث في فضل الصلاة في المسجد الحرام: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام.» (*سنن ابن ماجة*، الصلاة، ١٩٥؛ وانظر أيضا: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢٧/٢).
[7] ن – بكذا.
[8] ر ع م: بكد بدقه.
[9] ر ع م – بكد.
[10] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٠.
[11] ر م: روي بالخبر.
[12] *سنن أبي داود*، المناسك ٩٠.

ما ذكرنا من التغليظ والتشديد وتضاعُفِ العقوبة، ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما تتضاعف عليهم العقوبة إذا ارتكب فيه مأثما أو ألحد[1] فيه. وجائز ما ذكرنا. وقد كره قوم بيع رِباع[2] مكة[3] وإجارتها بقوله: **سواء العاكف فيه والباد**. وعلى ذلك رويت الأخبار بالنهي عن ذلك. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مكة مُناخ[4] لا يباع رِباعها ولا يؤاجر بيوتها.»[5] وعن عمر[6] رضي الله عنه: «يا أهل مكة! لا تتخذوا لدُورِكم أبوابا ليرد البادي حيث شاء.»[7] ونهاهم أن يُغلقوا[8] أبواب دورهم.

وليس في ظاهر الآية ذكر مكة؛ إن في الآية ذكر المسجد حيث قال: **والمسجدِ الحرامِ الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ**. وإنما[9] ذكر ذلك في المسجد الحرام[10] خاصة. وقال أبو حنيفة رحمه الله: أكره إجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر. فأما المقيم والمجاور فلا يرى[11] بأخذ ذلك منهم بأسا، وهو[12] قول محمد.

[٤٩٤ظ س٢٢] *وقال القُتَبِي: **سواءً العاكفُ فيه والباد**، أي المقيم[13] والبادي -وهو الطارئ من البدو- سواءٌ فيه: ليس المقيم فيه بأولى من النازع إليه.[14] قوله: **ومن يرد فيه بإلحاد**، أي من يرد فيه إلحادا، -وهو الظلم والميل عن الحق- فزيدت الباء، كما يقال: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ،[15] وهو ما ذكرنا.[16]* [٤٩٤ظ س٢٤]

---

[1] ر ع م: وألحد.

[2] رَبَع بالمكان يَرْبَعُ رَبْعا: اطمأنّ. والرَّبْع: المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأي مكان كان. وجمعه أَرْبُع ورِباع ورُبُوع وأَرْباع (*لسان العرب*، «ربع»).

[3] ر م: البيع ربع مكة.

[4] أي الموضع الذي تناخ فيه الإبل (*لسان العرب*، «نوخ»).

[5] *المستدرك* للحاكم، ٢/٥٣.

[6] ر ع م: عن عمر.

[7] انظر مزيد من المعلومات: *فتح الباري*، ٣/٤٥٠-٤٥٢.

[8] م: أن يعلقوا.

[9] ن ع: إنما.

[10] ن - الحرام.

[11] ر م: فلا نرى.

[12] ع: وروه هو.

[13] ن + فيه؛ ع + الذي.

[14] نَزَع إلى وطنه أي يَنْجَذِبُ ويميلُ (*لسان العرب*، «نزع»).

[15] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٠.

[16] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١-٢٩٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر ٢٢-٢٤.

*وقال أبو عَوْسَجة: **العاكف** المقيم، **والبادي** من كان في البادية. والإلحاد الميل عن الحق، [٤٩٤ط س ٢٥
ومنه اشتق اللحد، لحد القبر.* ٤٩٤ط س ٢٦]

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢٦]

وقوله:[٢] **وإذ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت**، قال بعضهم: **بوَّأنا**، أي هيَّأنا له[٣] مكان البيت لينزل فيه، والتَّبوِئَة الإنزال. كأنه قال: **بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت**، أي أنزلنا إبراهيم[٤] مكان البيت ليتخذ فيه بيتا؛ وقلنا له: **لا تشرك بي شيئا**. وهكذا بُعث الأنبياء جميعا: بعثوا أن لا يشركوا بالله وأمروا أن يدعوا الناس إلى ترك الإشراك بالله تعالى.

وقوله: **وطَهِّرْ بيتِيَ للطائفين** وادعوا[٥] الناس أيضا إلى أن لا يشركوا بالله شيئا. ثم يحتمل قوله: **وطَهِّرْ بيتِيَ للطائفين**، ومن ذَكَر، أي طهِّره من الأصنام[٦] والأوثان التي فيه، لئلا يُعبَد فيه[٧] [٤٩٤ظ]
غيره. وجائز أن يكون قوله: **طهِّر بيتِيَ**، عن جميع الخبائث وعن كل أنواع الأذى من الخصومات والبياعات وغيرها. وذلك للمسجد[٨] الحرام ولغيره من المساجد يطهَّر ويجنَّب جميع أنواع الأذى والخبث والفحش.

وقوله:[٩] **للطائفين والقائمين والرُّكَّع السُّجود**، قال أهل التأويل: **للطائفين**،[١٠] هم القادمون من البلدان؛ **والقائمين**، المقيمين هنالك؛ **والرُّكَّع السُّجود**، المصلين. ويحتمل قوله: **للطائفين**، لكل طائف به؛ **والقائمين**[١١] لكل [قائم][١٢] عاكف نحوه؛ -والعكوف هو المُقام للعبادة- **والقائمين**،

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر٢٥-٢٦.
[٢] ع + عز وجل.
[٣] جميع النسخ: هيأناه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٥ظ.
[٤] ر م - إبراهيم؛ ع: لإبراهيم.
[٥] ر: وادعو.
[٦] ن - من الأصنام.
[٧] ر م - فيه.
[٨] ر ن ع: المسجد.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] ع - لطائفين.
[١١] جميع النسخ + والعاكفين.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٥ط.

لكن قائم[1] عاكف نحوَه؛ **والرُّكَّع السُّجود**، لكن راكع[2] وساجد نحوه، أي لكل مصلٍ. وهذا أشبه، *والله أعلم*.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢٧]

وقوله:[3] **وأذِّن في الناس بالحج**،[4] يحتمل وجهين. أحدهما على الإعلام أن أعلِم الناس أن لله[5] عليهم الحجَّ بالبيت، كقوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[6] الآية.

والثاني **وأذِّن في الناس بالحج**، أي أُدع الناس ونادِهم[7] أن يحجوا البيت. قال أهل التأويل: لما أمر الله إبراهيم أن ينادي في الناس بالحج فنادي فأسمع الله[8] صوته ما بين المشرق والمغرب حتى أسمع صوته ونداءه[9] من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فقالوا: "لبيك!"[10] ومن حجَّ بيته فهو الذي أجاب بإبراهيم لَمَّا ناداهم بالحج. لكن لا نعلم[11] ذلك إلا بالخبر عن رسول الله أنه كان ما ذكروا، وإلا السكوت عنه وعن مثله أولى.

وقالوا: إن قوله: **وأذِّن في الناس بالحج**، موصول[12] بقوله: **وإذ بوَّأنا لإبراهيم**، الآية. وجائز أن يكون قوله: **وأذِّن في الناس بالحج**، لرسول الله أو لكل رسول بعث ويكون الأمر[13] بذلك في كل زمان. والله أعلم بذلك.

وقوله: **يأتوك رجالا**، أي على الأرجل مُشاةً، **وعلى كل ضامر**، أي يَضْمُر ويذهب سِمَنُه لبعد المضرِب، وهو ما ذكرنا.[14] **يأتين من كل فج عميق**، أي من كل طريق بعيد.

---

[1] ر: قائمين.
[2] ر م - لكن راكع.
[3] ع + عز وجل.
[4] ن + هذا.
[5] ع: الله.
[6] ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (سورة آل عمران، ٩٧/٣).
[7] ع: وناديهم.
[8] ع: فسمع الله.
[9] ن ع: ونداه.
[10] انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٦١؛ و *تفسير الإمام مجاهد بن جبر*، ٤٧٩.
[11] ر ن ع: لا يعلم.
[12] جميع النسخ: موصولا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[13] جميع النسخ: بعث الأمر، والزيادة من الشرح، ورقة ٥٠٦و.
[14] ن ع: ما ذكر.

ثم قوله: **وأذِّن في الناس بالحج**، على الدعاء والأمر، فيكون في قوله: **يأتوك رِجالا**، دلالة لزوم الحج على المُشاة. كأنه قال: مُرْهم يحجون مشاةً على الأرجل وركبانا. وإن كان على الإعلام فهو على الوعد والخبر[1] أنهم يأتون على الأرجل مشاة وعلى الدواب.

وقوله: **يأتين من كل فج عميق**. أضاف الإتيان إلى الدواب، لأنهم[2] بالدواب يأتون فأضاف إليها لذلك، *والله أعلم*.*

[قال القُتَبِي:] وقوله: **وعلى كل ضامر**، أي رُكبانًا على ضُمْره[4] من طول السفر. **من كل فَجٍ عميق**، أي بعيد غامض.[5]* [وقال أبو عَوْسَجَة:] **وعلى كل ضامر**، أي عمى[7] كل بعير ضامر، أي خميص البطن. **يأتوك رِجالا**،[8] تقول: رَجِلَ الرَّجُلُ يَرْجَل [رَجَلاً و] رُجْلَة فهو راجل.[9] والفجّ الطريق، العميق البعيد. يقال: عمُق، أي بعُد يعمُق عُمْقًا فهو عمِيقٌ.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٢٨]

وقوله:[10] **ليشهدوا منافع لهم**، قال الحسن: يشهدون مشاهد[11] فيه فيذكرون الله فيها ويكتسبون أشياء تنفع لهم في الآخرة، فذلك منافع لهم التي يشهدونها. وقال غيره من أهل التأويل: **منافع لهم**، التجارات والمنافع التي كانوا يكتسبونها إذا خرجوا للحج. وقال بعضهم: التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة، وهو مثل الأول. وجائز أن يكون قوله: **ليشهدوا منافع لهم**، الأرزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة ما لو لم يشهدوها لم يسُق الله[12] ذلك إليهم.

---

[1] ر ع م: و جزء.
[2] ر ع: لأنه.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٢٣ و ٢٥، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر ٢٥-٢٦.
[4] ر ع م: ضمر.
[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١-٢٩٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٢٥، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر ٢٥-٢٦.
[7] ن - عمى.
[8] ع + أي.
[9] إذا كان يمشي في السفر وحده ولا دبة له يركبها (*لسان العرب*، «رجل»).
[10] ع + عز وجل
[11] ر ن ع: مشاهدا.
[12] ع - الله.

لأن من الأرزاق التي جعلت لهم في البلدان[1] ما يساق إلى أهلها وهم في مُقامهم وأمكنتهم، ومن[2] الأرزاق ما يساق أهلها إليها[3] ما لو لم يأتوها لم يُسَق ذلك إليهم. فجائز ما ذكر من المنافع هو[4] ما غاب عنهم من المنافع والأرزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة إذا خرجوا للحج نالوها، وإذا لم يخرجوا له لم ينالوا. وقال بعضهم: **ليشهدوا منافع لهم**، أي مَتَاجِرَهم وقضاءَ[5] مناسكهم.

وقوله:[6] **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**، اختلف فيه. قال الحسن: هو يوم النحر خاصة.[7] وجائز إضافة الواحدة إلى الجماعة، كقوله: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا.[8] وإنما جعل في السماء الدنيا، وكما يقال: تَوارى فلان في دُور بني تميم، وإنما توارى في دار من دورهم، ومثل هذا كثير؛ وذلك جائز في اللغة.[9] وقال بعضهم: الأيام المعلومات هو يوم النحر ويومان [٤٩٥و] بعده. وقال بعضهم: المعلومات والمعدودات[10] هي أيام التشريق[11] جميعا. / وقال بعضهم: الأيام المعلومات هي الأيام العشر،[12] لأنها هي أيام الذكر فيها. وجائز أن يكون قوله: **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**، كناية عن الذبح.[13] وأيام الذبح[14] ثلاثة،[15] يوم النحر ويومان بعده. ألا ترى أنه قال: **على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها**، ذكر الأكل[16] ولم يذكر الذبح، فذلك يدل على أن قوله: **ويذكروا اسم الله**، كناية عن الذبح. وإنما كان كناية عنه لأنه بالذكر يقوم الذبائح ولا يخلو منه دونه. *والله أعلم*.

---

[1] ن + التي جعت لهم في البدان.
[2] ر ع م: من.
[3] ن: إليها أهها.
[4] ر ع م: وهو.
[5] ع: وقضاهم.
[6] ع + عز وجل.
[7] قارن: *تفسير الحسن البصري*، ١٤١/٢ (فإنه يقول: 'الأيام المعلومات أيام العشر').
[8] ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾ (سورة نوح، ١٥/٧١-١٦).
[9] ر ن: في اللسان.
[10] في قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ (سورة البقرة، ٢٠٣/٢).
[11] ن ع: التفريق.
[12] ر ع م: أيام العشر.
[13] ر: الزبح؛ ع: الذبائح.
[14] ر: وأيم الربح؛ ع - وأيام الذبح.
[15] م + أيام
[16] ر م: الكل.

وقوله: **فكلوا منها**، قال بعضهم: من الأضاحي، لأن التناول من الأضاحي[١] كان لا يحل، فخرج ذلك مخرج رخصة التناول منها والحل. لكن الأضاحي لا يحتمل، لأن الوقت ليس هو وقت الأضاحي ولا أماكنها، إنما هو وقت دم المتعة والقِران ودم التطوع. وفيه إباحة التناول من دم المتعة والقِران.

وقوله: **وأطعموا البائس الفقير**، قال بعضهم: **البائس**، من البؤس وهو ما اشتد به من الحاجة والشدة. وقال بعضهم: **البائس**، الذي سألك؛ **والفقير**، المتعفف الذي لا شيء له. وقال بعضهم: **البائس** هو الذي به زَمانَةٌ،[٢] **والفقير** الصحيح الذي لا شيء له. وهو مثل الأول.

**﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢٩]**

وقوله:[٣] **ثم ليقضوا تَفَثَهم**، قال بعض أهل الأدب: التفث لا يعرف في لسان العرب ما يراد به. وقال الحسن: التفث هو[٤] التقشف، وهو ترك الزينة.[٥] يدل على ذلك ما روي أنه [صلى الله عليه وسلم] سئل عن الحاج فقال: «كل أَشْعَثَ[٦] تَفِل».[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: التفث في الأصل الوسخ، يقال: امرأة تَفِثَة، إذا كانت خبيثة الريح.[٨] وهو قريب مما قال الحسن: إنه ترك الزينة. وأهل التأويل يقولون: التفث هو حلق الرأس وقَصّ الأظفار والشارب والرمي والذبح[٩] ونحوه. وقال بعضهم: **ثم ليقضوا تَفَثَهم**، المناسك كلها. وروي في الخبر: «من وقف من عرفة بليل وصلى[١٠] معنا بجمْع[١١] فقد تم حجُّه وقضى تفثَه.»[١٢] ظاهر قوله:[١٣]

---

[١] ن + لأن التـول من الأضاحي.

[٢] الزَّمانة: المرض الذي يدوم زمانا طويلا، وضعف بكِبَر سِنّ أو مطاولة علة (*المعجم الوسيط*، «زمن»).

[٣] ع + عز وجل.

[٤] ر ع م: وهو.

[٥] قار ن: *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٤١ (فإنه يقول: "حلق الرأس").

[٦] تشعَّث الشيء تفرّق. والأشعث: الوَتِدُ، صفة غالبة غلبة الاسم، وسمي به لتشعّثِ رأسه (*لسان العرب*، «شعث»).

[٧] *سنن ابن ماجة*، المناسك ٦. التَّفِل: الذي قد ترك استعمال الطيب، من التَّفَل وهو الريح الكريهة (*النهاية* لابن الأثير، «تفل»).

[٨] ع: الرمح.

[٩] ر: والزبح؛ م: الذبح.

[١٠] ر ع م: وصل.

[١١] ر ع م: الجمع. وجمع: موضع بمزدلفة.

[١٢] «من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تمّ حجه وقضى تفثه.» (*سنن أبي داود*، المناسك، ٦٩؛ وانظر: *سنن الترمذي*، الحج والعمرة، ٥٦؛ وانظر أيضا: *تأويلات القرآن*، ١/٤٠٥).

[١٣] ر ن م – قوله

«قضى تفثه». أي نُسُكَه. وجائز أن يكون قوله: «قضى تفثه». أي جاء وقت الزينة، وهو وقت الحلق[1] واللباس، *والله أعلم*.

وقوله:[2] **وليُوفُوا نذورهم**. أي لِيُوفوا ذبح ما أوجبوا ذبحه. ذكر مما ساق من الهدي لمتعته ولحِجَّته، الأكل منه لقوله: فَكُلُوا مِنْهَا،[3] ولم يذكر الأكل فيما أوجب[4] بالنذر. فكذلك يقول أصحابنا: إنه[5] يجوز له التناول من هدي المتعة والقِران، ولا يجوز التناول مما كان وجوبه بالنذر[6] والكفارة، بل عليه أن يتصدق بالكل. وهو ما قال: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[7] *والله أعلم*.

وقوله:[8] **وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق**، هو طواف الزيارة، وهو طواف يوم النحر؛ وهو الفرض عندنا. ولا يحتمل ما قال[9] بعض الناس: إنه طواف الصَّدَر، لأن الله تعالى قال: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[10] وحجُّ البيت هو الطواف بالبيت لا غير، وطواف الدخول وطواف الصَّدَر ليس على أهل مكة ذلك الطَّوافان، وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس. فدل ما ذكرنا على أن قوله: **وليطَّوَّفوا بالبيت العتيق**، هو طواف الزيارة، وهو حج البيت الذي قال الله [فيه]: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.

وقوله:[11] **بالبيت العتيق**، قال بعضهم: سماه عتيقا، لأنه أعتقه الله عن الجبابرة[12] عن أن يتجبروا عليه. وكم من جبّارٍ قد صار إليه[13] ليهدمه فمنعه الله عن ذلك.[14] وقال بعضهم: سماه عتيقا،

---

[1] ر: الحق.
[2] ع + عز وجل.
[3] الآية السابقة.
[4] ر م: مما.
[5] ن: أن.
[6] ع: النذر.
[7] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحصِرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦).
[8] ر ن م – وقوله.
[9] ر ن ع: قاله.
[10] سورة آل عمران، ٣/٩٧.
[11] ع – وقوله.
[12] ن: من الجبابرة.
[13] ع: ه.
[14] كما أشير إليه في سورة الفيل.

لأنه رُفع[١] إلى السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق. والبيت العتيق عندنا هو الذي بناه إبراهيم صلوات الله عليه وأسَّسه. ويكون قوله: **وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق**، الذي أسس إبراهيم، لا بالبيت الحادث الذي أحدث الناس. ألا يرى أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة: «لولا أنّ قومك حديثُ عهدٍ بالإسلام، وإلا رددت[٢] البيت على أساس إبراهيم، وجعلت له بابين: بابا يُدخل فيه وبابا يُخرج منه.»[٣] وروي في بعض الأخبار -يرويه عبد الله بن الزبير قال- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما سمى البيتَ العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار.»[٤] فإن ثبت هذا فهو هو.

**﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾**[٣٠]

وقوله:[٥] **ذلك ومن يُعَظِّم حرمات الله**، قوله: **ذلك**، جائز أن يكون الذي تقدم ذكره[٦] من قوله: يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، إلى آخر ما ذكر،[٧] **ذلك** الذي ذكر، **ومن يُعَظِّم حرمات الله**. وجائز أن يكون لا على ذلك، ولكن حرف يذكر عند ختم قصة والفراغ منها مبتدأ، لا على ربط شيء. نحو قوله: هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ كذا؛[٨] هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا.[٩] قوله: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ يصح دون ذكر "هٰذَا"، لكنه ذكر على ختم الكلام[١٠] الأول وابتداء آخر. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **ذلك ومن يُعَظِّم حرمات الله** كذلك.

---

[١] ر ع م: ترفع.
[٢] ع: ردت.
[٣] عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجَدْرِ أَمِنَ البيت هو؟ قال: «نعم». قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصّرت بهم النفقة.» قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: «فعل ذلكِ قومكِ ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، لولا أن قومك حديث عهد بالجاهليّة فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه في الأرض» (*صحيح البخاري*، التمني، ٩، الحج ٤١؛ و*صحيح مسلم*، حج ٤٠٢).
[٤] «إنما سمى الله البيتَ العتيقَ لأنه أُعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبّار قط.» (*المستدرك* للحاكم، ٣٨٩/٢).
[٥] ع + عز وجل.
[٦] ع: ذكر.
[٧] سورة الحج، ٢٧/٢٢-٢٨.
[٨] ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾ (سورة ص، ٤٩/٣٨).
[٩] ﴿هذا وإن للطاغين لَشَرَّ مَآب﴾ (سورة ص، ٥٥/٣٨).
[١٠] جميع النسخ: كلام، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.

وقوله: **ومن يُعَظِّم حرمات الله فهو خير له عند ربه**، كأنه قال: **ومن يُعَظِّم حرمات الله** وحرج للحج وأنفق المال وأتعب النفس فما له عند ربه من الثواب فذلك **خير له** من حفظ ماله وحفظ نفسه. وإلا لا شك أن من عظَّم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها.

وقوله: **وأُحِلَّت لكم الأنعام**، وفي حرف ابن مسعود: "وأُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام إلا [٤٩٥ظ] ما يتلى عليكم من المحرمات"[1] من الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة،[2] وقد ذكرنا هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **فاجتنبوا الرجس من الأوثان**، جائز أن يكون قوله: **فاجتنبوا الرجس**، وهم **الأوثان**. وجائز أن يكون قوله: **فاجتنبوا** عبادة **الأوثان**، فإنها[3] رجس. وليس فيه أن غير الأوثان ليس برجس، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[4] ليس فيه أنه يحل قتل الأولاد في غير خشية الإملاق. فعلى ذلك هذا.

وقوله: **واجتنبوا قول الزور**، يحتمل كل قولٍ زورٍ. ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشريك[5] وما لا يليق به.

**﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾**[٣١]

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ[6] **حُنَفَاءَ لله**،[7] تأويله -والله أعلم- واجتنبوا قول الزور وكونوا **حُنَفَاءَ لله غير مشركين به**.[8] وقوله: **حُنَفَاءَ**، قد ذكرنا.[9] وجائز أن يكون قوله: **غيرَ مشركين به** تفسير قوله: **حنفاءَ لله**، أي كونوا مخلصين لله في جميع أموركم غيرَ مشركين به في ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] لم أجده.

[2] أي ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به والمنْخَنِقة والمَوْقُوذَة والمُتَرَدِّيَة والنَّطِيحَة وما أكل السَّبُع إلا ما ذكَّيتم وما ذُبح على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).

[3] جميع النسخ: فإنه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.

[4] سورة الإسراء، ٣١/١٧.

[5] ع: ولشرك.

[6] الآية السابقة.

[7] ع: والشرك.

[8] ع: والشرك.

[9] انظر: تفسير سورة البقرة، ١٣٥/٢-١٣٦.

وقوله:[١] **ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطَفُه الطير أو تَهوِي به الريحُ في مكانٍ سَحيق**، يحتمل ضَرْبُ مَثَلِ مَن أشرك بالله بالساقط من السماء واختطافِه الطيرُ و هُوِيَ الريح[٢] [به] **في مكان سحيق** وجوها.[٣] أحدها ما وَصَف وضَرَب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات، نحو ما قال: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ،[٤] ونحو ما قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً،[٥] الآية. ضرَب مَثَلَ الكفر بشيء لا قرار له ولا ثبات. فعلى ذلك مثله بالساقط من السماء تخطفه الطير أو تهوي به الريح، لا يدري أين هو ولا أين يطلب إن أراد[٦] طلبَه، ولا يظفر به، فعلى ذلك الكافر.

والثاني ضَرَب مثله بالساقط من السماء، وهي أبعد البقاع في الأوهام لا ينتفع من[٧] سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه. فعلى ذلك الكافر لا يَنتفع بشيء من محاسنه، ولا يبقى نفسه ينتفع بها لبعده[٨] عن دين الله.

والثالث من سقط[٩] من السماء أثَّر سقوطه منها في نفسه وفي جميع جوارحه، وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى برؤه وصحته. فعلى ذلك الكافر يظهر آثار الكفر في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هذا مثل ضربه الله[١٠] لمن أشرك به في هلاكه وبُعده من الهدي. والسحيق البعيد، وهو قريب مما ذكرنا.

*والسحيق هو المكان البعيد. يقال: سحُق المكان يسحُق سُحْقا فهو سحيق، إذا بعد. [٤٩٥ظ س٢٤
والسحق أيضا الشيء الخَلَق. يقال: أسحق الثوبُ وسحَق يسحق سَحْقا وأسحق فهو[١١] مُسحِق.
والسَّحوق النخلة الطويلة.* ٤٩٥ظ س٢٥]

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] جميع النسخ: أو تهوي به الريح، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[٣] ر: وجوبها.
[٤] سورة إبراهيم، ٢٦/١٤.
[٥] سورة النور، ٣٩/٢٤.
[٦] جميع النسخ: أردوا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[٧] ن: ممن.
[٨] ع: لبعده.
[٩] ر ع م: من سقط.
[١٠] ع: لله.
[١١] ر م - فهو.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٤٩٥ظ/سطر ٢٤-٢٥.

**﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [٣٢]

وقوله: **ذلك**، هو ما ذكرنا في قوله: [ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ،[١] فهو مثل قوله:][٢] هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ.[٣] [وقوله: هٰذَا] ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ.[٤] وقوله: **ومن يُعَظِّم شعائر الله فإنها من تقْوَى القلوب**، تأويله -والله أعلم- أي **ومن يعظم شعائر الله** بالجوارح فذلك التعظيم من تقوى القلوب. وهكذا الأمر الظاهر في الناس أنه إذا كان في القلب شيء من تقوى أو خير ظهر ذلك في الجوارح؛ وكذلك الشر أيضا إذا كان في القلب ظهر في الجوارح.[٥]

وقوله: حُرُمَاتِ اللهِ،[٦] **وشعائر الله**، قال بعضهم: هما واحد، وهي المناسك. وقال بعضهم: الحرمات هي جميع محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها. وقد ذكرنا تأويل **شعائر الله** في سورة المائدة.[٧]*

وقوله: **أو تَهْوِي به الريحُ**، أي تذهب به. يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا،[٩] أي ذهب بنفسه.

**﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**[٣٣]

وقوله: **لكم فيها**، أي فيما ذكر من الشعائر **منافع إلى أجل مسمًّى ثم مَحِلُّها إلى البيت العتيق**. قال بعضهم: **لكم فيها منافع**، من ظهورها وألبانها وأصوافها **إلى أجل مسمى**، أي إلى أن تُقلَّد وتُهدى، **ثم محلها** إذا قُلِّدت وأُهدِيت **إلى البيت العتيق**. وكذلك يقول أصحابنا: إن من أوجب بَدَنَة أو أهدى بَدَنَة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها إلا في حال الاضطرار. فإذا بلغت مَحِلَّها وذُبحت حل الانتفاع بلحمها. ومنهم من قال في قوله: **لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**، إلى وقت تَحِلِّها من الركوب بظهرها وحلب اللبن وجزّ الصوف وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل. ويُروى في ذلك خبرا، روي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ساق بَدَنَة فقال: «اركبها»، فقال: "إنها بدنة"، فقال: «اركبها»، فقال: "إنها بدنة يا رسول الله"؛

---

[١] سورة الحج، ٢٢/٣٠.
[٢] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.
[٣] سورة ص، ٣٨/٥٥.
[٤] سورة ص، ٣٨/٤٩.
[٥] كما ورد في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٧؛ *سنن ابن ماجة*، الفتن ١٤).
[٦] سورة الحج، ٢٢/٣٠.
[٧] انظر: سورة المائدة، ٥/٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٤٩٥ظ/سطر٢٤-٢٥.
[٩] جميع النسخ: هواء.

قال: «اركبها»، قال: "إنها بدنة يا رسول الله"، فقال: «اركبها ويلك!»[1] وبه يقول بعض الناس يبيحون الانتفاع بالهدايا والقلائد قبل أن تُنحر وتذبح. لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطرَّة إليها، ففي مثل ذلك يجوز[2] الانتفاع بملك غيرٍ ببدل. فعلى ذلك بالهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما نقصها ركوبه بها.[3] وجائز أن يكون قوله: **لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**، إلى أن تهلِكْ[4] أو تهلكوا[5] أنتم، كقوله: وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ،[6] أي إلى وقت هلاكها. فعلى ذلك الأول.

ثم يكون قوله: **ثم مَحِلُّها إلى البيت العتيق**، -والله أعلم- ابتداء سؤال، سُئل عن محل الهدايا والقلائد، فقال عند ذلك: **مَحِلُّها إلى البيت العتيق**، ***والله أعلم***. والأول أشبه وأقرب لما ذكرنا.

وقوله: **إلى البيت العتيق**، ذكر البيت[7] العتيق، ومعلوم أنه لم يُرد به نفس البيت، ولكن إنما أُراد به البقعة / التي فيها البيت. لأن الدماء لا تُرَاقُ في البيت، إنما تُرَاقُ في تلك البقعة التي [٤٩٦و]
هو فيها الحرم وكله[8] مَنحر ومذبح. وأراد[9] بقوله: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[10] نفس البيت. ألا ترى أنه قال ههنا: بِالْبَيْتِ، فإنما يطاف به؛ وقال هنالك: **إلى البيت**، أضاف إليه، دل أنه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت، ***والله أعلم***.

**﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[٣٤]**

وقوله:[11] **ولكل أمة جعلنا مَنسَكا**، قال بعضهم: المنسك الموضع الذي يعبدون وينسُكون فيه ويصيرون إليه لعبادتهم. ومن ثمة يقال[12] للرجل العابد: ناسك. ولذلك[13] قال من قال منسكا،

---

[1] صحيح البخاري، حج ١٠٢؛ وسنن أبي داود، المناسك ١٨.
[2] ع - يجوز.
[3] ن - بها.
[4] أي البدن.
[5] جميع النسخ: أو تهلكون.
[6] ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة، ٣٦/٢).
[7] ر م: بيت.
[8] ع: لكرم كله.
[9] ر ع م + به.
[10] سورة الحج، ٢٩/٢٢.
[11] ع + عز وجل.
[12] ر: يقاله.
[13] م: وكذلك.

أي متعبَّدًا[1] يصيرون ويخرجون إليه للعبادة. وقال: المنسك الدين. وقال: الشريعة. وقال بعضهم: المنسك المنحر والمذبح. وجائز أن يسمى في اللغة الذبح نُسُكا، كقوله: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[2] وهو الذبح، وقوله: [قُلْ] إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]،[3] ولو كان النُسُك عبادة كذكر الصلاة -وهي عبادة- لكان لا يذكر النسك، فدل أنه أراد بالنسك الذبح.

وقوله: **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**، دل قوله: **ليذكروا اسم الله**، أن ذكر اسم الله من شرط الذبيحة، حيث ذكر[4] اسم الله ولم يذكر[5] الذبح، ففهموا من ذكر اسم الله الذبح، دل أنه من شرط جوازه وحله؛ سوى الشافعي، فإنه لم يفهم ما فهم الناس والأمم جميعا، حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة.[6]

وقوله: **فإلهكم إله واحد**، كأنه ذكر قوله: **ولكل أمة جعلنا منسكا**، لقوم أنكروا الذبائح فقال: **ولكل أمة جعلنا منسكا**، أي ذبحا ذبحوه وذكروا اسم معبودهم عليه. ثم أخبر أن معبودهم واحد، **فله أسلِموا**، أي أَخلِصوا ذلك كلَّه. **وبشر المخبتين**، قال: المتواضعين، وقال بعضهم: المطمئنين، وقال بعضهم: الخاشعين، وقال بعضهم: كل مجتهد في العبادة هو[7] المخبت؛ ويقال: المخلصين. وتفسير المخبت ما ذكر على إثره حيث قال: اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،[8] الآية. ومن قال: المخبت المطمئن، قال:[9] والخَبْتَة الطمأنينة. قوله: **منسَكا** ومنسِكا، فيه لغتان. قال الكسائي: من قرأ مَنْسِكًا بكسر السين،[10] فهو من نسك ينسِك؛ ومن قرأ منسكا بالنصب فهو من نَسَك ينسُك.

---

[1] ر ع م - متعبدا؛ ن: عيدا.
[2] سورة البقرة، ٢/١٩٦.
[3] سورة الأنعام، ٦/١٦٢.
[4] ر + ذكر.
[5] جميع النسخ: و م يذكروا، والتصحيح من *الشرح*، ٥٠٦ظ.
[6] ع - حيث ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح ففهموا من ذكر اسم الله الذبح دل أنه من شرط جوازه وحله سوى الشافعي فإنه لم يفهم ما فهم الناس والأمم جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة.
[7] ع: وهو.
[8] الآية التالية.
[9] ع: وقال.
[10] قرأه هكذا حمزة والكسائي والخلف (*زبدة العرفان* للسالوي، ٩٥).

ثم لا خلاف بين أهل العلم في أن البُدْن التي تساق والهدايا[1] التي تُقلَّد في الحج والعمرة لا يجوز أن تُنحر في غير الحرم. إنما اختلفوا في المُحْصَر إذا أراد أن ينحلّ[2] أين يَنحر ويذبح هديه الذي يحِلُّ به؟ وقد ذكرنا أقاويلهم واختلافهم في سورة البقرة.[3] ولم يختلف في أن معنى قول الله: ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[4] يدخل فيه الحرم كله على ما ذكرنا وعلى ما رويت[5] [في] الأخبار. روي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرفة كلها موقف، ومِنًى[6] كلها مَنْحَر، [وكل المزدلفة موقف] وكل فجاجِ مكة طريق ومنحر.»[7] وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل عرفة موقف، وكل مِنًى[8] منحر.»[9] وفي الأخبار: «في كل أيام التشريق ذبح.»[10] وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الجمرة فرمى بها، ثم أتى المنحر فقال: «هذا المنحر ومِنًى[11] كلها منحر.»[12] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إنما المنحر بمكة، ولكنها نُزِّهت عن الدماء»[13] ومِنًى بمكة.

**﴿اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**[٣٥]

وقوله:[14] الذين **إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**، أي خافت وفَرِقت خوفا منه، **والصابرين على ما أصابهم**، من المصائب والرزايا، **والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**، هذه الآية قد ذكرنا تأويلها في سورة الأنفال.[15]

[1] ع: الهدايا.
[2] ر ع م: أن يحل.
[3] انظر: تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة.
[4] الآية السابقة.
[5] ر: على رويت؛ م: على رواية.
[6] جميع النسخ: ومنا.
[7] *سنن ابن ماجة*، المناسك ٧٣؛ و*سنن أبي داود*، المناسك ٦٥.
[8] جميع النسخ: منا.
[9] *سنن الترمذي*، الحج، ٥٢.
[10] *سنن البيهقي*، ٢٣٩/٥.
[11] جميع النسخ: ومنا.
[12] *سنن الترمذي*، الحج، ٥٢.
[13] *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٥٥/١.
[14] ع + عز وجل.
[15] انظر: تفسير سورة الأنفال، ٨/٢-٣.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله**، قال بعضهم: من فرائض الله، وقال الحسن: من دين الله. والأشبه أن يكون قوله: **من شعائر الله**، أي من مَعَالِم دينه[١] وعبادته ونُسُكه، لأن الشعائر هي المعالم في اللغة، خُصّت بها المناسك دون غيرها من العبادات، فجعلها معالمَ[٢] لها. والبَدَنَة سميت بدنة لما تعظُم في أنفسها وتَبْدُن. ويقال للرجل إذا عظم في نفسه: بَدَنَ فلان. وظاهر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البَدَنَة تُجزئ عن سبعة، والبقرة تجزئ عن سبعة.» أن البدنة هي الجزور والإبل حيث قال: «البدنة تُجْزئ عن سبعة، والبقر تجزئ عن سبعة.»[٣] فرّق بين البدنة والبقرة[٤] بالذكر. ***والله أعلم***.

وقوله:[٥] **لكم فيها خير**، قال بعضهم: المنافع الحاضرة من الركوب والحَلْب والحمل عليها بعد ما قُلّدت وأُوجِبت هديا. وقال بعضهم: **لكم فيها خير**، إلى أن تقلّد،[٦] فإذا قلِّدت فلهم الأجر في الآخرة. وكأن هذا أشبه أن يكون قوله: **لكم فيها خير**، أي الأجر في الآخرة، لأن الانتفاع بها لا يحل إذا أُوجِبت بدنة إلا في حال الاضطرار، لأنه[٧] قال في آية أخرى: لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ.[٨] وفي الانتفاع بها إحلال[٩] شعائره. لذلك قال أصحابنا: لا ينتفع بالبدن. وما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا يسوق بدنة فقال له: «اركبها» فقال: "إنها بدنة يا رسول الله." فقال له النبي: «اركبها» فقال: "إنها بدنة"، فقال: «اركبها ويحك!» -وفي بعض الأخبار: «ويلك!»[١٠]- وهذا عندنا لما رأى بالرجل الحاجة الشديدة إلى ركوبها، وهو ما ذكرنا [من] أن الانتفاع بها يجوز في حال الاضطرار،

---

١ ر م: من عالم دين لله.
٢ جميع النسخ: معالما، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.
٣ *سنن ابن ماجة*، الأضاحي ٤؛ و*سنن أبي داود*، الضحايا ٦.
٤ ر م: والبقر.
٥ ع: عز وجل
٦ ر: إلى أن تقلد
٧ ع: لأن.
٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائرَ الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القَلائِدَ ولا آمِّينَ البيتَ الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾ (سورة المائدة، ٥/٢).
٩ ع: احلال.
١٠ *صحيح البخاري*، الحج ١٠٢؛ و*سنن أبي داود*، المناسك ١٨.

ولا يجوز في حال الاختيار، إذ الانتفاع بالمحرمات يجوز في حال الاضطرار. فعلى ذلك بالبُدْن التي جعلت / مَعَالِمَ[1] للمناسك، *والله أعلم*. [٤٩٦ظ]

وقوله: **فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ**، دل هذا أن ذكر اسم الله من شرط الذبيحة، لأنه لم يذكر الذبح بنفسه، ولكن إنما ذكر[2] اسمه. فلولا أنهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها ونحرها وإلا لم يكتف بذكر اسمه دون ذكر الذبح، فدل أنهم إنما عرفوا ذلك به وأنه من شرط جوازها. *والله أعلم*. وقوله: **صَوَافّ**، فيه لغات ثلاث. إحداها صَوَافِي[3] بالياء، وهو من الإخلاص لله والصَّفْو له. والثانية صَوَافِن بالنون، وهو مِن عَقْل ثلاث قوائم منها وتَرْكِ أخرى مطلقةً.[4] والثالثة صوافٍ[5] [كجَوَارٍ] بالتنوين، أي قياما مصطفَّة. وكأن جميع ما ذكر يراد [به] أن يجمع فيها من الإخلاص له وعقل القوائم والقيام. وكذلك جاءت السنة والآثار. وفي حرف ابن مسعود: "صوافِنَ" بالنون.[6] وتأويله ما ذكرنا. وظاهر الآية يدل على القيام، لأنه قال: **فإذا وَجَبَتْ جنوبُها**، وقوله: **وجبت**، أي سقطت، والسقوط إنما يكون من القيام. فدل أنها تُنْحَر قياما لا مضطجعة، *والله أعلم*.

وقوله: **فكلوا منها**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ.[7] الْبَائِس الفقير،[8] من سألك؛ هذا قول بعض. وقال بعضهم: البائس المعروف بالبؤس، والفقير المتعفف الذي لا يسأل. وقال بعضهم: البائس المسكين، والفقير فقير. وقال بعضهم: البائس الضرير.

**و[أطعِموا] القانع [و]المعتر**. قال[9] بعضهم: **القانع**، هو الراضي[10] وهو من القناعة. وقال بعضهم: هو السائل وهو من القُنُوع. **والمُعْتَرّ**، الذي يعترُّ بك[11] ولا يسأل؛ **والقانع** هو الجالس في بيته، ونحوه.

---

[1] جميع النسخ: معالما.
[2] ر ع م + ذكر.
[3] كما في حرف أبي بن كعب وحرف أبي موسى (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٨، ٢١١).
[4] صَفَنَت الدابة: قامت على ثلاث وثَنَتْ سُنْبُكَ يده الرابع. الصافن من الخيل القائمُ على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر (*لسان العرب*، «صفن»).
[5] ر ع م: صوافا.
[6] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٣.
[7] سورة الحج، ٢٢/٢٨.
[8] ع – البائس الفقير.
[9] جميع النسخ: وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.
[10] ر: الرضي.
[11] أي يُلِمُّ بك لتعطيه.

وقال القُتَبِي: **القانع**، السائل. يقال: قنَعَ يقنَع قُنوعا، ومن لرضا قنِع يقنَع قناعة. **والمُعْتَرّ**، الذي يعترُّ بك ولا يسأل. يقال: اعترّني[1] وعرّني[2] وعَرَاني واعتَرَاني.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **القانع**، السائل، والقُنُوع السؤال، والقناعة من الرضا. يقال: منه[4] قنِع يقنَع قناعة. ويقول: قنَعته، أي أرضيته؛ وقنّعته، أي غطّيت رأسه بالقِناع ونحوه. ويقال من المعترِ: اعترّ اعترارًا، واعترى[5] يعتري، وعرا يعرو، كلها واحدة. وقال:[6] **صوَافّ**، أي قياما مصطفّة. وقال: ويكون صافن[7] وصوافن، أي قائما على ثلاث قوائم. يقال: صفَن الفرس يصفُن صُفونا، إذا قام على ثلاث قوائم. وقوله: **وجبت جنوبها**، أي سقطت إلى الأرض. يقال: وجب يجب وجوبا فهو واجب، إذا سقط. ووجبت الشمس، إذا غابت. قال: وهذا كله من الصوت، يقال: سمعت وَجْبة، أي صوتا.[8] وقال: **مَنْسَكا**، أي موضعا ينسكون إليه للعبادة. وعن ابن عباس قال: **القانع**، الذي يقنع بما أعطيته؛ **والمعترّ**، الذي يُريك نفسه ولا يسأل.[9]

وقوله:[10] **كذلك سخّرناها لكم**، أي البُدْن التي ذكرناها. ثم يحتمل ما ذكر[11] من تسخيره إياها لنا وجهين. أحدهما **كذلك سخّرناها**، أي كما سخرناها لكم لركوبها والحمل عليها وأنواع الانتفاع بها في حال الحياة، **كذلك سخّرناها لكم**، ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك، **لعلكم تشكرون** له على ذلك. أو أن يكون قوله: **كذلك سخّرناها لكم**،[12] أي مثل الذي وصفته لكم كل ذلك من تسخيره[13] إياها لكم. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: عترني.

[2] ر ع م – وعرني.

[3] ن ع: واعتراني وعرني. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٣.

[4] ن: من.

[5] ن: أو عترى.

[6] ع: قال.

[7] م: صوافن.

[8] ع: صورا.

[9] قارن: *تفسير ابن عباس*، ٣٦١ (قال: القانع المتعفف، والمعتر السائل).

[10] ع + عز وجل.

[11] ر ن – ما ذكر.

[12] ر ع م – ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون له على ذلك أو أن يكون قوله كذلك سخرناها لكم.

[13] ر م: تسخيرها.

**﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٣٧]

وقوله: **لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لن يقبل الله ذلك إلا ممن[١] كان من أهل التقوى: لا يقبلها من أهل الكفر، لأنهم قد كانوا يسحرون البُدْن في الجاهلية على[٢] ما ذكر،[٣] فأخبر أنه لا يقبل ذلك إلا ممن[٤] كان من أهل التقوى. وهو كقوله: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.[٥] والثاني أن يكون قوله: **لن ينال الله**، أي لن يُرفع إلى الله إلا الأعمال الصالحةُ الزاكية وما كان بالتقوى؛ وأما ما كان غيرها فإنه لا يُرفع ولا يصعد بها. وهو ما قال **ولكن يناله التقوى منكم**. وقال بعض أهل التأويل: ذكر هذا، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البُدْن نضحوا بدمائها حول البيت ويقولون: "هذا قربة إلى الله." فأراد المسلمون أن يصنعوا مثل صنيعهم فنزل: **لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخَّرها لكم**، قد ذكرنا[٦] [في التسخير] ما ذكرنا.

وقوله:[٧] **لتُكبِّروا اللهَ على ما هداكم**، أي لِتَصِفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم من أسباب تسخير البُدْن التي بها يوصل إلى الانتفاع بها من أنواع الانتفاع،[٨] إذ لولا ما هدانا الله وعلّمنا من الأسباب التي بها تُسخّر وتذلل، وإلا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها ولشدتها وصلابتها. والثاني بأن يكون قوله: **على ما هداكم**، من أمر الدين والهدى.

وقوله: **وبشر المحسنين**، يخرج قوله: **المحسنين**، على وجوه. أحدها محسنين إلى أنفسهم، أو المحسنين[٩] إلى إخوانهم، أو الذين حسن أفعالهم وصلح أعمالهم.[١٠] فأما **المحسنين** إلى الله فلا يحتمل. *والله أعلم*.

---

١ جميع النسخ: من، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
٢ ر ن م – على.
٣ ر ع م: ذكرنا.
٤ جميع لنسخ: من والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
٥ سورة المائدة، ٢٧/٥.
٦ ن – قد ذكرنا.
٧ ع + عز وجل.
٨ ن – من أنواع الانتفاع.
٩ م: لا المحسنين.
١٠ ن: عملهم.

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٣٨]

وقوله:[١] **إن الله يدافع عن الذين آمنوا**، وفي بعض القراءات:[٢] "إن الله يَدْفَعُ عن الذين آمنوا" بغير ألف.[٣] وتأويل "يدفع"، أي يدفع **عن الذين آمنوا** جميعَ شرور الكفرة وأذاهم. وتأويل **يدافع**، أي يدافع الكفار عنهم وينصر[٤] المؤمنين عليهم. وكأن قوله: **يدافع عن الذين آمنوا**، إنما نزل بمكة وعداً[٥] للذين آمنوا هنالك النصرَ والدفع عنهم في حال قلتهم وضعفهم
[٤٩٧و] وكثرة[٦] أولئك / الكفرة وقوتهم. وهنالك كانوا كذلك أعني بمكة قليلا ضعفاء. ويكون نزول قوله: **إن الله لا يحب كل خوّان كفور**، بالمدينة، لأنه هنالك كان أهل خيانة،[٧] لأنهم كانوا أهل كتاب[٨] اؤتُمِنوا[٩] على رسالة محمد وأشياء فخانوهم وكتموها، ولم يكن يومئذ بمكة أحد منهم. إنما كانوا جميعا أهل شرك، فيشبه أن يكون ما ذكرنا. أو[١٠] يكون قوله: **إن الله لا يحب كل خوّان كفور**، بإزاء ما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١١] فأخبر أنه **لا يحب كل خوّان كفور** على [خلاف] ما يقولون، بل يبغضهم.

وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنه ينصرهم ويدفع عنهم أذاهم وشرهم وأنهم خوَنَة، فكان على ما أخبر، فدل أنه بالله عرف ذلك.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله:[١٢] **أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا**، قال بعض أهل التأويل: إن المشركين كانوا لا يزالون يؤذون أصحاب رسول الله ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتالهم[١٣] بعدُ،

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر: القرأت.
[٣] قرأه هكذا ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٦).
[٤] ر م: بنصر.
[٥] جميع النسخ: وعد، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
[٦] ر: وكثيرة
[٧] ر م. أهل الجنة.
[٨] ع: أهل الكتاب.
[٩] ن: واوتمنوا؛ م: تمنوا.
[١٠] ع: أو أن.
[١١] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[١٢] ع + عز وجل
[١٣] ر: واتعاهم.

فمما هاجروا إلى المدينة أمروا بقتالهم بقوله: **أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا**. قال بعضهم: إنه[١] لم يكن لهم الأمر بقتالهم ولا الإذن[٢] حتى أذنوا وأمروا بذلك[٣] فقال أولئك: لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا؟ فأخبر أنهم أذنوا وأمروا بالقتال معهم. والله أعلم بذلك. وظاهره أنه كان هنالك منع عن القتال حتى أُذنوا وأُمروا ولكن لا ندري لأية جهة كان ذلك، ***والله أعلم***.[٤]

وقوله: **وإن الله على نصرهم لقدير**، ظاهر على ما أخبر.

**﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[٤٠]

وقوله:[٥] **الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**، قال بعض أهل التأويل: أخرج الكفار أصحاب رسول الله من مكة بغير حق بأن قالوا: ربنا الله،[٦] وآمنوا به ووحّدوه، لهذا ما أخرجوهم. وقال بعضهم: على التقديم والتأخير، يقول: كأنه قال: أُذِنَ لِلَّذِينَ[٧] ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حق أن يقاتلوهم إلا أن يقولوا ربنا الله، فإذا قالوا ذلك يُرفَع عنهم القتال، لأن أهل مكة كانوا لا يُقرّون بالله ولا يؤمنون[٨] به، فإذا قالوا ذلك وأقروا[٩] أنه ربهم رُفع عنهم القتال. وأما من يقر به ويصدقه لكنه ينكر رسالة محمد ونبوته، فما لم يقرّ بها ولا يصدق بها فإن القتال لا يرفع عنهم. ومن يقرّ به ويصدقه بأنه رسوله إلا أنه ينكر الشرائع فإنه يقاتَل حتى يُقِرّ بها ويصدق بها، فإذا أقر بها رُفع عنهم القتال. وذلك كله روي في الخبر أنه قال[١٠] صلى الله عليه وسلم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله،

---

[١] ع م: الهم.
[٢] ع: ولا إذن.
[٣] ر ن م: حتى أمروا بذلك وأذنوا.
[٤] ع – فقال أولئك لم تؤمرو بقتلنا فكيف تقاتلوننا فأخبر أنهم أذنوا وأمروا بالقتل معهم والله أعلم بذلك وظاهره أنه كان هنالك منع عن القتل حتى أذنوا وأمروا ولكن لا ندري لأية جهة كان ذلك والله أعلم.
[٥] ع + عز وجل.
[٦] ر ع م – الله.
[٧] الآية السابقة.
[٨] م: ولا يؤمنوا.
[٩] ع + به.
[١٠] ر + محمد.

فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها.»[1] وفي خبر آخر: «حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا.»[2] وفي خبر آخر: «حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة، إلى آخر ما ذكر.»[3] فالأول للذين لا يقرون بوحدانية الله، فإذا أقروا به رفع عنهم القتال. والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة، فإذا آمنوا بها رفع عنهم القتال. والثالث في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله، لكنهم ينكرون الشرائع، فإذا أقروا بها رفع عنهم القتال. كانوا أنواعا ثلاثة على ما ذكرنا، فجاء في كل فريق ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولولا دَفْعُ الله الناس بعضَهم ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ**، إلى آخر ما ذكر؛ وقال في آية أخرى: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ،[4] وفي موضع آخر: لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[5] ونحوه. قال بعضهم: دفع بالنبيين عن المؤمنين، ودفع بالمجاهدين عن القاعدين، ما لو لم يدفع لهُدِّمَت كذا وما ذُكر، أي دفع بالأخيار عن الأشرار؛ وبالأخيَر عن الأدْوَن، وإلا لهُدِّمت وفسد ما ذكر. وقال بعضهم: لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي، وبمن يصوم عمن لا يصوم، وبمن يحج عمن لا يحج، وبمن يُزكِّي عمن لا يُزكِّي، وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل، وإلا لفسدت الأرض ولَهُدِّمت الصوامع وما ذُكر. وعلى ذلك روي[6] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه صلى بأهل دمشق صلاة الصبح، فقال: "لو يعلم الناس ما في هذه الصلاة من الخير لحضروها" ثم قال: "لولا أن الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها، وبالغُزَاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قُبُلا"، أو كلام نحو هذا. وقال الحسن: إن في الصوامع والبِيَع والكنائس من الرهبان والأحبار[7] من[8] يتمسك بالإسلام وشرائعه،

---

[1] صحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٠٤.

[2] ع + وفي خبر آخر حتى يقولو لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا. صحيح *البخاري*، الإيمان ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.

[3] صحيح *البخاري*، الإيمان ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.

[4] سورة البقرة، ٢٥١/٢.

[5] غير أن الموضوع مختلف في هذه الآية: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ (سورة المؤمنون، ٧١/٢٣).

[6] ر – روي.

[7] ن: والأحبر.

[8] ر ن م + من.

فيدفع بهم عمن لا يتمسك منهم.[١] وقال بعضهم: لولا دَفْعُ الله بأهل هذا الدين، أي الإسلام عن الأديان[٢] كلها لكان كذا. وقال بعضهم: دَفَع بالمسلمين عن مسجدهم، وبالنصارى عن بِيَعتهم، وباليهود عن كنيسهم. إلى هذا ذهب أهل التأويل والمتقدمون.

ولو قيل غير هذا كان أشبه وأقرب، وهو أن الله خلق هذا الخلق وجعل[٣] بعضهم عونا لبعض ورِدْءًا في أمر المعاش والدين جميعا، وجعل منافع بعضهم[٤] متصلة ببعضٍ ما لو كلَّف كلًّا[٥] القيام بنفسه فيه[٦] لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك؛ نحوَ أن لم يكلِّف[٧] أحدا القيام بجميع ما يحتاج إليه من الحِراثة والزراعة والحصاد والدِّياس[٨] والتَّذْرية[٩] والطَّحن والخَبز وغيره ما لو كلّف واحدا القيامَ[١٠] بنفسه بذلك كله لهلَك، ولكن جعل / بعضهم عونا لبعض ورِدءًا لهم ولانتفاع [٤٩٧ظ] بعضهم ببعض. وكذلك الغزل والنسج والخِياطة والقطع والغسل، كلُّه على هذا القياس ما لو كلف كلًّا[١١] بنفسه القيام بذلك كله[١٢] لهلكوا، فإذا هلكوا[١٣] هلك ما لهم خُلق من السماوات والأرض وما فيهما وما سخّر لهم. وقال بعضهم: دَفَع بما يذكر أهل المساجد في المساجد من اسم الله عن أهل الصوامع والبِيَع والكنائس. وهو قريب ما ذكرنا[١٤] من قبل.[١٥]

---

[١] لم أجده.
[٢] ر م – أي الإسلام عن الأديان.
[٣] ر م: وقال.
[٤] ر ع م: بعضهم منافع.
[٥] ر: واكلا.
[٦] ع: بذلك كله.
[٧] ر ن ع: أن يكلف.
[٨] الدائس الذي يَدُوسُ الطعامَ ويَدُقُّه ليُخرِجَ الحَبَّ منه، وهو الدِّياسُ، وقلبت الواو ياءً لكسرة الدال (*لسان العرب*، «دوس»).
[٩] ذَرَت الريحُ الترابَ وغيرَه تَذْرُوه وتَذْريه ذَرْوًا وذَرْيًا وأَذْرَتْهُ وذَرَّتْه: أطارَتْه وأَذْهَبَتْه. ومن هذا تَذْرِية الناس الحِنْطَة، وأَذْرَيتُ الشيء، إذا أَلقيتَه مثل إلقائك الحَبَّ للزَّرع (*لسان العرب*، «ذرو»).
[١٠] ر م – واحدا القيام.
[١١] ر م – كلا.
[١٢] ع – ولكن جعل بعضهم عونا لبعض وردءا لهم ولانتفاع بعضهم ببعض وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف كلا بنفسه القيام بذلك كله.
[١٣] ر ن م: ولو هلكوا.
[١٤] ن: ما ذكرنا.
[١٥] قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود -وهي كنائسهم- ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا، لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب» (*تفسير الطبري*، ١٧/١٢٦).

ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات. قال[1] بعضهم: الصوامع لمراهبين،[2] والبِيَع للنصارى، والصلوات الكنائس التي تكون[3] لليهود، والمساجد للمسلمين. وقال بعضهم: الصوامع للراهبين والبيع للنصارى و[4] الصلوات للصابئين. وقال القُتَبِي: الصوامع للصابئين، والبِيَع للنصارى، **وصلواتٌ** بيوت صلوات اليهود، والمساجد للمسلمين.[5] وقال أبو عوسجة: الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى، مصلاهم، والصلوات لليهود وهي شبه[6] البيعة على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله:[7] **ولينصرَنَّ الله من ينصرُه**، أي من نصر دين الله نصره الله، أو[8] من نصر أولياء الله نصره. وقال الحسن: مِن حُكمِه أن من نصر[9] اللهَ نَصَرَه. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع.

وقوله: **إن الله لقوي عزيز**، يحتمل **قوي** لنصر أوليائه، **عزيز** لانتقام أعدائه. أو[10] أن يكون قوله: **لقوي عزيز**، أي قوي فيَضعُف كل قوي من دونه عند قواه، ويَذِلّ كل عزيز عند عزه. أو[11] **قوي**، لا قوي سواه،[12] **عزيز**، لا عزيز سواه.

وفي [قوله:] **ولولا دَفْع الله الناس بعضهم ببعض لهدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات** وما ذكر دلالةُ ترك هدم الكنائس والبيع وما ذُكر، والنهيُ عن هدمها، لأنه ذكر الصوامع والبيع. وعلى ذلك تركت الكنائس والبيع في أمصار المسلمين لم تُهدم. ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك، وإنما[13] يمنعون عن إحداث البِيَع والكنائس في أمصار المسلمين وقراهم، وأما العتيقة منها فإنهم يتركون ذلك.[14] ***والله أعلم***.

---

[1] ر ع م: وقال.
[2] ع: للبراهين.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] ر ع م - الصوامع سراهبين والبيع للنصارى و.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٣.
[6] ع: أشبه.
[7] ع + عز وجل.
[8] ر م - من نصر دين الله نصره الله أو.
[9] ر م: نصره.
[10] ر: و.
[11] ن م: و.
[12] ن: به بسواه.
[13] ع: إنما.
[14] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧ظ

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٤١]

وقوله:[١] **الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوُا الزكاة** إلى آخره، قال بعضهم: هذا نعت من الله لأصحاب رسول الله ومن تبعه ومدحٌ لهم بالدوام على دين الله الذي[٢] قبلوه وأحدوه في حال الخوف بعد ما مكّن لهم في الأرض وآمنهم من ذلك الخوف الذي كان في الابتداء، وأخبر أنهم داموا على ذلك ولم يتركوا ما كانوا عليه، بل زاد لهم حرصا على ذلك وجهدا. وكذلك الآية التي ذكرت[٣] في سورة النور، وهو قوله: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، إلى آخر الآية.[٤] فإن كان التأويل هذا فهو يرد على الروافض قولهم ومذهبهم، لأنهم يقولون: إنه[٥] لما وُلّي أبو بكر [بإجماعهم عليه][٦] ارتدُّوا جميعا[٧] وتركوا[٨] الدين الذي اختاروه. فالآيتان[٩] تدلان على نقض قولهم: "إنهم ارتدوا." لأن الله عز وجل أخبر أنه مكّن هم في الأرض واستخلفهم ووعد لهم الجنة. وإنما ارتد من كان إسلامه بالقهر والغلبة، فإذا مكّن لهم تركوا ذلك. وقال بعضهم: إن الآية وإن كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة أمرٌ، أنِ افعلوا كذا إلى آخر ما ذكر. وهو كقوله:[١٠] **ولله عاقبة الأمور**. يحتمل قوله: **عاقبة الأمور**، أي ترجع إليه الأمور في الآخرة، كقوله: وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.[١١] وجائز أن يكون قوله: **عاقبة الأمور**، أن تكون[١٢] عاقبة الأمور لأوليائه من النصر والقهر على أعدائه. فالمراد بالإضافة إليه أولياؤه، كقوله: إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ،[١٣] أي إن[١٤] تنصروا أولياءه أو[١٥] دينه ينصركم. ***والله أعلم.***

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ن: الذين.
[٣] جميع النسخ: ذكر.
[٤] ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليُبَدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمنا﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٥).
[٥] ع: إنما.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٨و.
[٧] أي صاروا مرتدين على زعمهم.
[٨] ع: وتركوه.
[٩] ع: في الآيتان.
[١٠] ن + وقوله ولله عاقبة الأمور؛ م + وقوله.
[١١] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٢١٠؛ وسورة آل عمران، ٣/١٠٩.
[١٢] جميع النسخ: أن يكون.
[١٣] سورة محمد، ٤٧/٧.
[١٤] ع – إن.
[١٥] ن ع + تنصروا.

**﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾[٤٢] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾[٤٣] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٤٤]**

وقوله:[١] **وإن يكذِّبوك فقد كذَّبت قبلهم قومُ نوح**، الآية، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **وإن يكذِّبوك** فيما أخبرتَ لهم وذكرت من التمكين والثبوت على الدين ووعدتَ[٢] لهم الجنة **فقد كذَّبت**[٣] الأمم الذين[٤] من قبلك رسلَهم إذا أخبروا لهم بشيء أو وعدوا لهم بنصر أو نحوه.[٥] وجائز أن يكون قوله: **وإن يكذِّبوك**، في الرسالة وفيما تخبر عن الله تعالى من الأخبار. يصبّر رسوله: لست أنت بأول مكذَّب في الخلق، ولكن قد كذب الأقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة. وهو ما قال: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ،[٦] الآية.

وقوله: **فأمليتُ للكافرين ثم أخذتُهم فكيف كان نكيرِ**، أي لم يعاقب الله قوما كذبوا رسلهم[٧] وقت تكذيبهم الرسل،[٨] بل أمهلهم حتى اغتروا بتأخير العذاب عنهم وزاد[٩] لهم تكذيبا وعنادا، فعند ذلك أُخذوا وعوقبوا بالتكذيب. وهو ما أخبر عنهم، وهو كقوله: لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ.[١٠]

قال الحسن: إن الله لم يهلك قوما بأول التكذيب، ولكن أمهلهم قرنا فقرنًا وقوما بعد قوم ورسولا بعد رسول، فعند ذلك إذا علم منهم أنهم لا يؤمنون أهلكهم. وإن كان يعلم في الأزل من يؤمن منهم ومن لا يؤمن، حتى يعلم عِلمَ ظهور وعلمَ ابتلاء أنهم لا يؤمنون، وهو كقوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ،[١١] على ظهور في الخلق، وإن كان يعلم علم باطن وخفيٍّ.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ع: ووعد.
[٣] ر ع م + لهم.
[٤] ع: الذي.
[٥] ر: بنصروا ونحوه.
[٦] سورة هود، ١٢٠/١١.
[٧] ن ع: رسوهم.
[٨] ن ع: لرسول.
[٩] أي الله عز وجل.
[١٠] ﴿أم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهوا عنه ويتناجَوْن بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حَيَّوْك بما لم يُحَيِّك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ (سورة المجادلة، ٨/٥٨).
[١١] ﴿ولنبلُوَنَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[٤٥]

وقوله:[١] **فكأيِن من قرية أهلكناها وهي ظالمة،** لم يهلك الله عز وجل أهل قرية إهلاك استئصال وتعذيب إلا بعد عناد أهلها وظلمِ شركٍ،[٢] كقوله: وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ،[٣] وكقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ،[٤] وأمثاله كثيرة[٥] على ما ذكرنا. [٤٩٨و]

وقوله: **فهي خاوية على عُرُوشها،** فإذا ذهبت السُّقُف وبقيت الحيطانُ **فهي خاوية على عروشها.** وقال بعضهم: **خاوية،** خَرِبة ساقطة حيطانها على سقوفها. وقال الحسن: العريش كل ما ارتفع من الأرض وعلا. يقال: عريش،[٦] وعروش جميع.[٧] وهكذا كان ما أهلك الله من القرى؛ منها ما أهلك أهلها وترك القرى والبنيان[٨] على حالها لأوليائها. من ذلك فرعون وقومه[٩] وغيرهم[١٠] من الأقوام. ومنها ما أهلك القرى بأهلها لم يترك منها شيئا من نحو قَرَيَات لوطٍ وثمودَ وعادٍ وهؤلاء.[١١] وقال بعضهم: العروش[١٢] هي أجذام[١٣] البنيان والشجر،[١٤] وكأنها أسطوانة. وأصل الخاوية خلاؤها عن الأهل. وكذلك قوله: **وبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ،** عطَّلها أهلها ليس بها أحد، لا أنها[١٥] خَرِبت على ما ذكرنا[١٦] من إهلاك أهلها.

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر: ترك.
[٣] سورة لقصص، ٥٩/٢٨.
[٤] سورة هود، ١١٧/١١.
[٥] جميع النسخ: كثير.
[٦] ر ع م: عرش.
[٧] ر م: جمع.
[٨] ن: و لبينات.
[٩] ر: وقوله.
[١٠] جميع لنسخ: وعيره، ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٨ظ.
[١١] ع: وهود.
[١٢] ر ع م: اعرش.
[١٣] جِذْم كل شيء: أصله. ولجمع أجذام وجُذُوم. وجِذْم الشجرة: أصها وكذلك من كل شيء (*لسان العرب*، «جذم»).
[١٤] ر م: هي أجدم الشجر. أي أصولها (انظر: *الشرح*، ورقة ٥٠٨و).
[١٥] ع: إلا أنها.
[١٦] ر: على ذكرنا.

وقوله: **وقصرٍ مَشِيدٍ**، قال بعضهم: **مشيد**، مُحَصَّص. والشِّيد الجص. وقال بعضهم: **مشيد**، أي مرتفع. والمُشيَّد بالتشديد المطول المرتفع. قال القُتَبي: المَشِيد: المبني بالشِّيد وهو الجص. والمُشيَّد المطول. ويقال: هما سواء، وهو مطول.[1] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة. أو قريبا منه.[2]

وكأنه ذكر هذا لأهل مكة لوجهين. أحدهما أن كانت لهم قرية فيها قصور مشيَّدة مُحَصَّنة يتحصنون بها، يخبر أن من كان قبلكم [كان] أشد قوةً وأكثر حِصْنا وقصورًا، فلما كذَّبوا رسلهم لم ينفعهم ذلك ولكن نزل بهم العذاب. فعلى ذلك أنتم يا أهل مكة، إذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك. أو أن[3] يكونوا آمنين فيها مطمئنين، فقال: إن أولئك قد كانوا آمنين مطمئنين في قُراهم كأمْنِكم، ثم نزل بهم ما نزل، فأنتم وإن كنتم آمنين فينزل بكم ما نزل بأولئك. وهو ما قال عز وجل: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً،[4] الآية. *والله أعلم*.

**﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٤٦]**

وقوله: **أفلم يسيروا في الأرض**، هلا ساروا في الأرض، **فتكون لهم قلوب يعقلون بها**، ينظروا فيعرفوا[5] ما حلَّ بأولئك بالتكذيب، فيمتنعوا[6] عنه. **أو آذان يسمعون بها**، أي أفلم[7] يسيروا[8] فيستمعوا إلى الأخبار التي فيها ذكر هلاكهم وما نزل[9] بهم بالتكذيب والعناد. لأن ما حلَّ بالأولين إنما يُعرف ذلك بأحد أمرين:[10] إما بالمعاينة بالنظر إليهم،

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٤.
[2] ر م - منه.
[3] ر: وأن.
[4] ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١١٢/١٦).
[5] ر ع م: ليعرفو.
[6] ر ن م: فيمتنعون.
[7] جميع النسخ: لم.
[8] ر ع م: أي يسيروا.
[9] ع: وما ترك.
[10] ن: بأحد الأمرين.

وبما بالسماع من الأخبار. أو أن يكون قوله: **أفلم يسيروا في الأرض**، أي[1] قد ساروا في الأرض، لكن لم تكن **لهم قلوب**، عقول أو أفهام **يعقلون بها** ما نزل بأولئك بالتكذيب فيعتبروا بذلك؛ ولا كانت لهم آذان يسمعون ما حل بهم. أي كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر، وآذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع، لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم وأسماعهم نفى ذلك عنهم. وهو ما قال: **فإنها لا تَعْمَى الأبصار**[2] الظاهرة **ولكن تَعْمَى القلوب التي في الصدور**. وهو ما نَفَى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها؛ صُمّ بُكْم عُمْي.[3]

وقال بعضهم: هذه الآية في شأن عبد الله بن زائدة ابن أم مكتوم الأعمى،[4] معناه أن العَمَى عَمَى القلب[5] ليس عمى البصر. وهو كان أعمى البصر لا أعمى القلب.[6] هذا معناه إن ثبت، *والله أعلم*.

**﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾**[٤٧]

وقوله: **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده**، أي لن يخلف الله وعده الذي وعد في نزول العذاب أنه[7] ينزل بهم لا يتقدم ولا يتأخر عن ميعاده.

وقوله: **وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون**، قال عامة أهل التأويل نحو ابن عباس والضحاك والمجاهد وهؤلاء: إنها هي الأيام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها أجلا لها،

---

[1] ر ن م - أي.

[2] ن + الأبصار.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

[4] عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ت ٢٣هـ/٦٤٣م): هو ابن أم مكتوم الأعمى المؤذن. أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد مصعب بن عمير؛ وقيل: قدمها بعد بدر بيسير. وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مع بلال. وكان النبي يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته وفي مسيره إلى حجة الوداع. حضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة، وقتل بها شهيدا. وقال الواقدي: رجع من القادسية إلى المدينة، فمات ولم يسمع له بذكر بعد وفاة عمر بن الخطاب (انظر: *أسد الغابة* لابن الأثير، ٢٦٣/٤؛ *والأعلام* للزركلي، ٨٣/٥).

[5] ر: عمى القلوب.

[6] جميع النسخ: عمى البصر لا عمى القلب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٨و.

[7] ر م: أي.

يُعدّ كل يوم من تلك الأيام كألف سنة. وإلى هذا صرف عامة أهل التأويل، فلا نعلم[1] لذلك[2] وجها.[3] وقال بعضهم: **وإن يوما عند ربك**، من عذابهم في الآخرة، **كألف سنة مما تعدُّون**، في الدنيا. اليومُ الواحدُ ألفُ سنةٍ. ووجه هذا أن الوقت القصير القليل يجوز أن يصير مديدا طويلا لشدة العذاب والبلاء، نحو ما قيل لهم: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ.[4] قصَّروا[5] مُقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب، فعنى ذلك هذا. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون هذا لا للتوقيت والمدة، إذ الآخرة مما لا غاية لانتهائها، وكل شيء لا نهاية له[6] فذكر الوقت له يخرج مخرج التمثيل لا التوقيت، كقوله: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[7] وقال: عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[8] ليس على التحديد لها والتوقيت، ولكن عنى ما خرج عن الأوهام ذكَر ذلك ومثَّلها بها، فعنى[9] ذلك الأول. ***والله أعلم***.

**﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٤٨]**

وقوله:[10] **وكأيِّنْ من قرية أملَيتُ لها وهي ظالمة**، أي أمهلت لها[11] لم آخُذْها وقت ظلمهم، **ثم أخذتُها** من بعد، **وإليّ المصير**.

**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤٩]**

وقوله:[12] **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**، هو ظاهر، قد ذكرنا في غير موضع.

---

[1] ع: فلا نعم.
[2] ر ع م: ذلك.
[3] ع م – وجها.
[4] سورة المؤمنون، ١١٢/٢٣-١١٣. جميع النسخ: ﴿كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾، ولكن لا يوافق مع قصد المؤلف رحمه الله ولا سياق العبارة.
[5] جميع النسخ: قصر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.
[6] م – وكل شيء لا نهاية له.
[7] ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ (سورة الحديد، ٢١/٥٧).
[8] ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٣/٣).
[9] ن: فعل.
[10] ع + عز وجل.
[11] ر ع: أو أمهلت؛ م: أو أمليت.
[12] ع + عز وجل.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٥٠]

وقوله:[١] **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**، لذنوبهم ومعاصيهم. **ورزق كريم**، قال بعضهم: سماه رزقا كريما، لأن من رُزق ذلك وأُعطي يَكرُم ويعظم قدره. وقال بعضهم: سماه كريما، لأن الكريم هو الذي يُقضَى عنده الحوائج والحاجات، فعلى ذلك هذا الرزق: [٤٩٨ظ] من ناله وأصاب قضى عنده الحوائج، لذلك سمى كريما. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٥١]

وقوله:[٢] **والذين سعوا في آياتنا معاجزين**، وفي بعض القراءات[٣] "معَجِّزين".[٤] قال بعضهم: **معاجزين**، مُثَبِّطين مبطِّئين، يبطِّئون[٥] الناس عن اتباع النبي. والأشبه عندنا أن يكون قوله: **معاجزين**، سابقين فائتين، لكنه على الإضمار، كأنه قال: **والذين سعوا في آياتنا معاجزين** على ظن منهم أنهم سابقون فائتون عن عذابه، **أولئك أصحاب الجحيم**.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٢]

وقوله:[٦] **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍ إلا إذا تمنَّى**، أي تلا، **ألقى الشيطان في أُمْنِيَّته**، قيل: في تلاوته وقراءته،[٧] الآية.

قال عامة أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم **إذا تمنى**، أي تلا في صلاته أو حدّث نفسه[٨] **ألقى الشيطان** على لسانه عند تلاوته وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، حتى إذا أتى[٩] إلى قوله:

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ع + عز وجل.
[٣] ر: في بعض القرات؛ م: في بعض القرآت.
[٤] قرأه هكذا بن كثير وأبو عمرو (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٦)؛ وفي حرف أبَيّ كذلك (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٨). "معجزين" بمعنى أنهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان بالقرآن (*تفسير الطبري*، ١٧/١٣٠-١٣١).
[٥] ع: يتمطيئون.
[٦] ع + عز وجل.
[٧] ع: وقرته
[٨] أي تفكر في شيء في نفسه (انظر: *الشرح*، ورقة ٥٠٨ط).
[٩] ل: انتهى.

أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى:[1] "تلك الغَرانيق العُلَى وشفاعتهن[2] ترتجي."[3] وذكروا[4] أنه أتاه على صورة جبريل[5] فألقى عليه ما ذكروا. ثم أتاه جبريل[6] فأخبر[7] النبيَّ بذلك فقال له: إنه لم يُنزِل عليه قط شيئا مثله، وأمثال ما قالوا. لكنه [غير صحيح، لأنه][8] لو كان ما ذكر هؤلاء كيف عرفه في المرة الثانية أنه جبريل[9] وأنه ليس بشيطان؟ ولا يؤمَن أن يَلْبِس عليه في وقت آخر في أمثاله.

وقال قتادة: إنه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يذكر[10] اللهُ آلهتهم[11] بعيب،

---

[1] سورة النجم، ٥٣/١٩-٢٠.

[2] ر ع م: شفعتهن.

[3] ر ع م: ترجى. قال ابن حجر العسقلاني: «وقد أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق ... وقد تجرّأ أبو بكر بن العربي -كعادته- فقال: 'ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها.' وهو إطلاق مردود عليه. وكذا قول عياض: "هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقَلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده." وكذا قوله: "ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية." قال: "وقد بين البزّار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله. وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه." ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتدّ كثير ممن أسلم، قال: 'ولم يُنقل ذلك.' انتهى. وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا. وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح؛ وهي مراسيل يَحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعيّن تأويل ما وقع فيها مما يستنكر. وهو قوله: ﴿ألقى الشيطان﴾ على لسانه "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى." فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس منه؛ وكذا سهوًا، إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد، لمكان عصمته.» (*فتح الباري*، ٨/٤٣٩. وانظر: الحاشية الآتية من قريب).

[4] ر م: وتذكروا.

[5] م: جبرئل.

[6] ن: جبرئيل.

[7] ر ع م: فأخبره.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.

[9] ن: جبرئيل.

[10] جميع النسخ: أن يذكر. ولكن الواقع -أي ذكر الله الآلهة بعيب على الدوام- والروايات المختلفة حول هذه الآية الكريمة تعضد ما قلنا، كما روى الطبري عن محمد بن كعب القُرَظي قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يَسُرّه، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما غَلُظ عليه من أمرهم، حين حدّث بذلك نفسه وتمنى وأحبه (*تفسير الطبري*، ١٧/١٣١-١٣٢).

[11] ع: لهتم.

فلما قرأ تلث الآية: وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ، قال: "إنهن الغَرانيق العُلَى وإن شفاعتهن تُرتَجَى[1] عندهم"، يعني به عند أولئك الكفرة. وهم على ذلك كانوا يعبدونها.[2] وقال الحسن: إنه أراد بقوله: "تلك الغَرانيق العُلى وشفاعتهن ترتجى[1] الملائكةَ، لأنهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء أن يشفعوا لهم يوم القيامة، فأخبر أن شفاعة الملائكة تُرتَجَى.[3] وهذان التأويلان أشبه من الأول.

والأشبه عندنا أن يكون على غير هذا الذي قالوا.[4] وهو أن قوله: **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تَمنَّى ألقَى الشيطان في أُمنِيَّتِه**، أي عند تلاوته القرآن[5] [ألقى الشيطان] في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجُّونه فيشبِّهون بذلك على الأتباع ليتبعوهم. وهو نحو قولهم: إنه يُحرِّم ما ذبحه الله ويُحِلُّ ما ذبح هو بنفسه؛[6] ونحو قولهم عند نزول قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[7] فقالوا: إن عيسى وعُزَيْرًا[8]

---

[1] ر ل م: ترجى.

[2] كما أشير إليه في آيات كثيرة حول نفي الشفاعة وماهية عبادة المشركين مثل: سورة البقرة، ٢/٢٥٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/٤٣؛ وسورة النجم، ٥٣/٢٣-٢٦.

[3] كما أشير في قوله تعالى: ﴿وكم من مَلَكٍ في السماوات لا تُغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٢٦).

[4] هناك آراء أخرى. قال ابن حجر العسقلاني: «وقد سلك العلماء في ذلك مسالك. فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سِنَة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته. وهذا أخرجه الطبري عن قتادة. ورده عياض بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم. وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره. ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ الآية (سورة إبراهيم، ١٤/٢٢). قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة. وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلِق ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا. وقد رد ذلك عياض فأجاد. وقيل: لعله قالها توبيخا للكفار. قال عياض: وهذا جائز، إذ كانت هناك قرينة تدل على المراد ولاسيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا. وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله ﴿ومناةَ الثالثةَ الأخرى﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦). ونسب ذلك للشيطان، لكونه الحامل لهم على ذلك. أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.» (*فتح الباري*، ٨/٤٣٩-٤٤٠).

[5] ع + أو في تلاوته القرآن.

[6] قال المؤلف رحمه الله في تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/١٢١: وقال بعضهم من أهل التأويل: ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكرِ اسم الله عليه﴾ حين قالوا: ما قتلتم وذبحتم أنتم فتأكلونه، وما قتل ربكم (أي الميتة) فتحرمونه وأنتم تعظمون ربكم (*تأويلات أهل السنة*، نشر الحيمي، ٢/١٦٩).

[7] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧.

[8] ل - وعزيرا.

والملائكة عُبدوا دون الله فهم حصب جهنم إذن؛[1] ونحو صرفهم قوله: الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ،[2] إلى حساب الجُمَّل،[3] وأمثال هذا مما حاجُّوا رسول الله وجادلوه به، فأخبر أنه ينسخ مجادلتهم ومحاجتهم رسوله وأنه يُحكِم آياته،[4] حيث قال عند قولهم: "إنه يُحِل ذبيح نفسه ويُحرّم ذبيح الله" فبين أنه لم حرّم هذا و لم حلّ الآخر. وهو قوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ،[5] ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه،[6] فبين أنه إنما حل هذا بذكر اسم الله عليه، وحرم الآخر بترك ذكر اسم الله عليه. وبيّن في قولهم: إن عيسى عُبد دون الله والملائكة عبدوا دونه،[7] فهم ليسوا بحصب[8] جهنم حيث استثنى أولئك فقال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[9] الآية. وأبطل[10] مجادلتهم ومحاجتهم بصرفهم[11] الآية إلى حساب الجُمَّل بقوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ،[12] الآية. فهذا -والله أعلم- تأويل قوله: **فَيَنسَخُ الله ما يُلْقِي الشيطان ثم يُحكِم الله آياته**، نسخ ما ألقى الشيطان في قلوب أولئك الكفرة ما به جادلوه وأحكم آياته بما ذكرنا.

ثم إن ثبت ما ذكر ابن عباس وعامة من ذكرنا حيث قالوا: جرى على لسانه ذلك، فجائز عندنا جريُ الخطأ به على لسان من عُصم، إذا عرف السامع منه[13] مذهبه ودينه الذي يدين به عرف أن ما جرى على لسانه جرى[14] غلطا وخطأ، نحو من يعتقد مذهبا وينتحل نِحْلَةً[15] فجرى على لسانه خلاف ما يُعرف منه [من] الاعتقاد، يُعرَف أنه جرى على لسانه غلطا.

---

[1] ن: إذا. انظر: *المستدرك* للحاكم، ٢/٤١٥. وانظر أيضا: تفسير سورة الزخرف، ٤٣/٥٧-٥٨.
[2] سورة البقرة، ٢/١-٢.
[3] انظر: تفسير الآية ١-٢ من سورة البقرة.
[4] ر ع م: آيته.
[5] سورة الأنعام، ٦/١٢١.
[6] ﴿وما لكم ألّا تأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٩).
[7] ع: دونهم.
[8] ن: بحضب.
[9] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١. ولكن المؤلف رحمه الله كان لم يقبل وجه الاستثناء (انظر: تفسير سورة الأنبياء، ٢١/٩٨).
[10] جميع النسخ: فأبطل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.
[11] ر ع م: فصرفهم.
[12] سورة آل عمران، ٣/٧.
[13] ن: من منه.
[14] ر م - على لسانه جرى.
[15] م: نحلة.

فعلى ذلك الذي ذكره أهل التأويل، إن ثبت ما ذكروا عنه أنه قال ذلك. والأشبه فيه ما ذكرنا من إلقاء الشيطان في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه، كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[١] الآية.

وقال القُتَبِي: **إلا إذا تمنى**، أي تلا القرآن، **ألقى الشيطان في أمنيته**،[٢] أي[٣] في تلاوته.[٤] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة. وقال: أمانيّ -مشددةً- جميع. وقال غيرهم: **إذا تمنى**، إذا حدَّث [نفسه]، **في أمنيته**،[٥] في حديثه. قال بعضهم: **تمنى** و **أمنيته** هو من تمنّي النفس، كقوله: وَلَا تَتَمَنَّوْا،[٦] الآية، ونحوه. وهو قول الحسن: **تمنى** كبعض ما يتمنّى[٧] الناس من الدنيا. وقال قتادة: **تمنى**، ما ذكرنا من تمنّي النفس أن يذكر آلهتهم التي كانت تُدعَى وترتجى[٨] شفاعتهن، على ما ذكرنا.[٩] ***والله أعلم***.

**﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٥٣]**

وقوله:[١٠] **ليجعل ما يُلْقِي الشيطانُ فتنة للذين في قلوبهم مرض**، هذا على[١١] تأويل القوم **ليجعل ما يُلقِي الشيطان** في قلوب أولئك الكفرة **فتنة للذين**[١٢] ذَكَر، لما ظنوا لعله[١٣] لا يقدر الإجابة لهم ولا يحضره ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم. / ***والله أعلم***. **في قلوبهم مرض**، [٤٩٩و]
كأنهم هم المنافقون، لأنه هم الموصوفون المسمَّون بهذا الاسم، كقوله: وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.[١٤]

---

[١] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٢] ع - قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه كقوله إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم الآية وقال القتبي إلا إذا تمنى أي تلا القرآن ألقى الشيطان.
[٣] ر: و؛ ع: أو.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٤.
[٥] ر ع م: وفي أمنيته.
[٦] ﴿ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ (سورة النساء، ٣٢/٤).
[٧] ر م: تمنى.
[٨] ر م: وترجى.
[٩] لم أجدهما ولكن انظر لرواية -عن محمد بن كعب القرظي- تشرح لمثل هذه الأقوال: *تفسير الطبري*، ١٣١/١٧-١٣٢.
[١٠] ع + عز وجل.
[١١] ر م - على.
[١٢] ع + في قلوبهم.
[١٣] ر: العلة.
[١٤] سورة الأحزاب، ١٢/٣٣.

وقوله: **والقاسيةِ قلوبُهم**، كأنهم هم[١] الرؤساء المكابرون المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون بقساوة[٢] قلوبهم، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.[٣]

وقوله: **وإن الظالمين لفي شقاق بعيد**، يحتمل، أي لفي عناد ومكابرة[٤] بعيد عن الإجابة له، أو **بعيد**، لاستماع الحق وقبوله. وقيل: **شقاقٍ**، أي خلاف **بعيد**، أي لا يرجعون إلى الوفاق[٥] أبدا.[٦]

**﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٤] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[٥٥]**

وقوله:[٧] **وليَعْلَم الذين أوتوا العلمَ أنه الحق من ربك فيؤمنوا به**، وقوله:[٨] **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه**، هذه الآية كالآيات التي ذكرناها فيما تقدم. من ذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾،[٩] الآية ونحوها من الآيات التي وصف أهل التوحيد بالقبول لها والخضوع والإقبال إليها، ووصف أهل الكفر بالرد والتكذيب. فعلى ذلك قوله: **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك**، علم الذين أوتوا العلم أن القرآن ومحمدا الحق من ربك، لأنهم نظروا إليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع له فأقروا به، فزاد لهم بذلك هدى ورحمة وشفاء؛ وأولئك نظروا إليه[١٠] بالاستخفاف والهوان[١١] والتكذيب، فزاد لهم بذلك رجسًا وضلالا وقساوة.[١٢]

---

[١] ر ن م - هم.
[٢] ر ع م: لقسوة.
[٣] سورة البقرة، ٧٤/٢.
[٤] ر: وفي مكابرة.
[٥] ن + لبعيد.
[٦] ن - أبد.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ع + عز وجل.
[٩] ﴿فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).
[١٠] ع - إليه.
[١١] ر م: والهواء.
[١٢] م: وفساد.

وقوله: **عذابَ يوم عقيم**. قال بعضهم: هو يوم بدر، وقال بعضهم: هو عذاب يوم القيامة، وهو شديد. وجائز أنه سماه عقيما، لأنه لا يرجي النجاة منه ولا الخير؛ وكذلك سميت المرأة التي لا تلد عقيما، لما لا يرجى منها الولد.

[٤٩٩و س٢٦ *قال القُتَبي: قوله: **فتُخبِتَ له قلوبُهم**، أي تخضَع وتذِلَّ،[1] وهو ما ذكرنا في قوله: وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.[2] وقال: **عذاب يوم عقيم**، كأنه عقُم عن أن يكون فيه خير أو فرَجُ للكافر. وقال أبو عَوْسَجَة: **عذابُ يومٍ عقيم**، شديد. وهو ما ذكرنا.* ٤٩٩و س٢٨]

**﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٥٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٥٧]**

وقوله:[4] **الملك يومئذ لله يحكم بينهم**، قال الحسن: الملك في الأحوال كلها لله في الدنيا والآخرة، لكن تأويل قوله: **الملك يومئذ لله**[5] هو يحكم بينهم دون الخلائق، لأن في الدنيا من قد حكم غيرَه، فأما يومئذ فالحكم له. وعندنا[6] تخصيص الملك له يومئذ[7] بالذكر -وإن كان الملك في الأيام كلها لله- لأنهم جميعا يُقِرّون[8] له بالملك يومئذ، لا أحد ينازع، وفي الدنيا من قد ادعى الملك لنفسه. وهو ما ذكره[9] في قوله: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[10] وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ،[11] وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[12] ونحوه. فعلى ذلك[13] هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين**، ظاهرٌ تأويله.

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٤.
[2] سورة الحج، ٣٤/٢٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٩٩و/سطر٢٦-٢٨.
[4] ع + عز وجل.
[5] ن ع م + أي الحكم يومئذ لله.
[6] ر ن م: عندنا.
[7] ر ع م: يومئذ له.
[8] د: ليقرون.
[9] ن: ما ذكرنا.
[10] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[11] سورة آل عمران، ٢٨/٣؛ وسورة النور، ٤٢/٢٤؛ وسورة فاطر، ١٨/٣٥.
[12] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢١٠/٢؛ وسورة آل عمران، ١٠٩/٣.
[13] ع: ملك.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا**، أما أهل التأويل فإنهم صرفوا تأويل الآية إلى الغزاة[١] والمجاهدين في سبيل الله قتلوا أو ماتوا حَتْفَ أَنْفِهِم[٢] فإن[٣] لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمُدْخل المَرضِيّ. وظاهره أن يكون في الذين هاجروا إلى رسول الله. فإن كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا: "ارتد عامتهم،" حيث شهد الله لهم بالجنة والرزق الحسن والمُدْخل المَرضِيّ، قُتلوا أو ماتوا حتف أنفهم،[٤] فلا يحتمل أن يكون منهم ما قالوا.*

وقوله: **لَيَرْزُقَنَّهم الله رزقا حسنا**، قيل: هو الجنة، لأنه إنما ذُكر بعد الموت والقتل، فلا يكون رزق حسن إلا في الجنة، يستحسنها كل طبع وعقل.

وقوله: **وإن الله لهو خير الرازقين**، أخبر أنه خير الرازقين[٦] وإن لم يكن رازق سواه، لأنهم كانوا يطمعون[٧] ويطلبون الرزق والسعة من عند مَن سواه، حيث كانوا يعبدون مِن دونه طمعا في السعة، فأخبر أنه هو الرزاق، ومنه يُطمَع الرزق والسعة، لأنه هو المالك لذلك. وهو ما قال أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[٨] وإن لم يكن خالق سواه.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[٥٩]

وقوله:[٩] **لَيُدْخِلَنَّهم مُدْخلاً يرضَوْنه**، وهو الجنة أيضا، يرضى بها كل طبع وعقل. **وإن الله لعليم حليم، عليم** بما صنع بأوليائه أعداؤه، أو ما صنع هو بأوليائه؛[١٠] **حليم**، حيث أخر الانتقام من أعدائه، لم ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا بأوليائه. *والله أعلم*.

---

[١] ع: إلى القراة.

[٢] ن م: حتف أنفسهم. مات فلان حَتْفَ أنفِه أي بلا ضرب ولا قتل؛ وقيل: إذا مات فجأةً (*لسان العرب*، «حتف»).

[٣] ع: فإنهم.

[٤] ن م: حتف أنفسهم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٥٤ و٥٥ فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٩و/سطر٢٦-٢٨.

[٦] ن – أخبر أنه خير الرازقين.

[٧] ع: يطمعون.

[٨] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٤/٢٣).

[٩] ع + عز وجل.

[١٠] ع – أعداؤه أو ما صنع هو بأوليائه.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٦٠]

وقوله:[١] **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه جائز في اللغة ذكر حرف "ذلك" وحرف "هذا" على الابتداء وإن كان هو[٢] مما يخبر به عن غائب، نحو قوله: هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ،[٣] هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا،[٤] يستقيم ذكره بدون ذكر "هذا" وهو أن يقول: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ كذا، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا، فمعنى ذلك هذا. أو أن يكون ذكرُ ذلك صلة ما سبق من ذكر الأنباء والأخبار. يقول: **ذلك** الذي ذكرتُ لك وأنبأتك[٥] **من عاقب بمثل ما عوقب به**.

ثم اختلف في سبب نزول هذه الآية. قال بعضهم: هي في القصاص. إن[٦] من قتل وليَّ آخر فاقْتُصّ منه، ثم إن / المقتص منه بَغَى على ولي المقتول فقتله، لَيَنْصُرَنَّه على من بُغِي [٤٩٩ظ] عليه. وهو ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ، ثم قال: فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ كذا،[٧] لكن ذَكَر ههنا الاعتداء بعد ما أخذ المال وعفا؛ وفي الأول ذَكَر البغي بعد القصاص، وهو واحد، في المعنى.[٨] وقال بعضهم: نزل في المؤمنين والمشركين، وذلك أن المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدَوْا عليهم، ثم إن المسلمين ظَفِروا بهم فعاقبوهم جزاء عقوبتهم. ثم إن المشركين بغوا على المؤمنين، فوعد الله لهم النصر عليهم بعد البغي.[٩] وقال بعضهم قريبا من هذا، وهو أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ومن آمن منهم ويعاقبونهم في أشهر الحج، ولم يكن للمؤمنين إذنٌ بقتالهم في ذلك الوقت فيقاتلوهم[١٠] مكافأة لهم،

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ر ع م – هو.

[٣] سورة ص: ٤٩/٣٨.

[٤] ﴿هذا وإن للطاغين لَشَرَّ مَآب﴾ (سورة ص، ٥٥/٣٨).

[٥] ر: وأنباوك.

[٦] ر ع م – إن.

[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).

[٨] ر ع م: في معناه.

[٩] ن: بعد ما بغى.

[١٠] جميع النسخ: فقاتلوهم.

فأخبر الله عز وجل ووعد لهم النصر إذا بغى أولئك[1] عليهم من بعد. فعلى هذا التأويل يكون وعدُ النصر[2] لهم إذا بَغي أولئك عليهم من بعد. وعلى التأويل الأول يكون لهم الوعد بالنصر بعد ما بغي أولئك على هؤلاء. والله أعلم بذلك.

وقوله: **إن الله لعفو غفور**، للمؤمنين بقتالهم أولئك في أشهر الحج، حيث كان لم يأذن لهم بالقتال. أو **إن الله لعفو غفور**، إذا تابوا ورجعوا عما فعلوا. ***والله أعلم***.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٦١]**

وقوله:[3] **ذلك بأن الله يُولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**، قد ذكرنا أن حرف "ذلك" يستقيم ذكره على الابتداء والاستئناف[4] على غير صلة. وجائز أن يكون صلة قوله: لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ،[5] أي ذلك النصر لمن ذَكَر، لأن من قدر على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل قادر على ما وعد من النصر لهم.

وقوله: **وأن الله سميع بصير**، **سميع** لأقوالهم، **بصير** لحوائجهم. والسميع يقال: هو المجيب، أي مجيب لدعائهم؛ **بصير** بما يكون من الأعداء. أو أن يكون على الابتداء في كل[6] أمر. وكذلك قوله:[7] ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ،[8] ما ذكرنا. وقال بعضهم: **ذلك بأن الله**، أي هو الذي يفعل هذا.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٦٢]**

وقوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، قال الحسن: الحق هو اسم من أسماء الله، به يعطي وبه[9] يحكم بين الخلق[10] وبه يقضي ونحوه. وجائز أن يكون قوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، أي عنده يتحقق ما يطمع في العبادة ويُطلَب، إذ هو المالك[11] لذلك.

---

[1] م - أولئك.
[2] م: وعد لنصر.
[3] ع + عز وجل.
[4] ع م: والابتناف.
[5] الآية السابقة.
[6] ع: في ذلك.
[7] ر ع م - قوله.
[8] الآية التالية.
[9] م: ويحكم.
[10] ر م: بين الحق.
[11] ع + الذي.

وقوله: **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**. أي ما يطمعون[١] بعبادةِ مَن دونَه باطلٌ. وهو الأصنام التي عبدوها رجاء الشفاعة،[٢] أو طمعا في السعة، فأخبر أنها لا تملك ذلك وإنما يملك[٣] ذلك الله.

وقوله: **وأن الله هو العلي الكبير**، أي من عنده يطلب العلوّ، ومن عنده[٤] يطلب ويطمع الرزق والسعة والشفاعة والنصر والظفر والإجابة، لا من عند هؤلاء الأصنام التي يعبدونها. يذكر سفههم بعبادتهم الأصنام من دون الله.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾**[٦٣]

وقوله: **ألم تر**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ألم تر**، إنما هو حرف تعجيب يعجّب رسولَ الله جميعَ ما يفعل من أفعاله [عز وجل].[٥] وقال بعضهم: **ألم تر**، هو حرف إيضاح الحجج[٦] وإنارة براهينه، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾،[٧] ونحوه. وأصله أن ظاهره وإن كان استفهاما فهو في الحقيقة تحقيق وإيجاب. **ألم تر**، أي قد رأيت وقد أُخبرتَ.[٨] وهكذا جميع ما خرج الظاهر في الكتاب مخرج الاستفهام فهو في الحقيقة إيجاب وإلزام.

ثم في قوله: **أن الله أنزل من السماء ماء فتُصْبِح الأرض مُخْضَرَّةً** وجهان من الاستدلال على منكري البعث. أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على إنزال الماء من السماء وشقِّ الأرض وإخراج النبات منها مع لِينه وضَعفه وصلابة الأرض وشدتها قادرٌ[٩] على إحياء الخلق بعد الموت، ولا يحتمل أن يُعجِزه شيء. والثاني حيث قدر على إحياء الأرض بعد موتها[١٠] ويُبْسِها لَقادرٌ على البعث والإحياء. وقد عرفوا أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه، إذ يقدر[١١] على الإعادة من لا يملك على الابتداء إذا عرف الابتداء.

---

[١] ر ن م: تطمعون؛ ع: ما تطمعون.
[٢] ر: رجاء الشفاء؛ ن: رجا الشفاعة.
[٣] ر م – يملك.
[٤] ر م: من عنده.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٠و.
[٦] ن: الحجج.
[٧] سورة الفرقان، ٤٥/٢٥.
[٨] ن: وأخبرت.
[٩] ن: قدر.
[١٠] جميع النسخ: بعد مواتها.
[١١] ر: أو يقدر؛ م: ويقدر.

وقوله: **إن الله لطيف خبير**، قال الحسن: اللطيف، في الشاهد إنما يقال على وجوه ثلاثة. أحدها أنه يقال للشيء لطيف لرقته، وذلك عن الله منفي. والثاني يقال[1] لطيف لما يتأتّى له الأشياء ولا يَصعُب عيه. والثالث اللطيف هو الرحيم الرءوف. وهذان الوجهان يضاف إلى الله، والأول لا يجوز[2] إضافته إليه. **خبير**، عيم.

**﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**[٦٤]

وقوله:[3] **له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد**، يخبر أن له ما في السماوات وما في الأرض وأنهم عبيده وإماؤه، وأنه لم يخلقهم لحاجة نفسه، ولكن إنما خلقهم لحاجة أنفسهم، حيث أخبر أنه الغني بذاته. والثاني يخبر أنه لم يأمرهم و لم ينههم ولا امتحنهم لمنافع تكون له، ولكن لمنافع الممتحنين. **الحميد**، هو المحمود في أفعاله،[4] أو **الحميد**، الحامد.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٦٥]

وقوله:[5] **ألم تر أن الله سخّر لكم ما في الأرض والفُلْكَ تجري في البحر بأمره**، يذكِّرهم نعمه ليستأدي[6] به شكره، لأنه أخبر أنه سخّر لهم ما في الأرض من أنواع المنافع ليعلموا أنه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سُدًى، لأن من كان خلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا متروكا سُدى؛ ويخبر أنه أعطى لهم الأسباب التي بها يصلون إلى منافع الأرض مع شدتها وصلابتها، والأسباب التي بها يصلون إلى منافع البحر، وهي الفلك التي خلقها لهم ليصلوا بها إلى منافع البحر. حيث خلق الخشب / قارّة على وجه الماء غير متَسَرِّبة وغيرّه من الأشياء [٥٠٠و] [التي] من طبعها[7] التسفُّلُ والتسرُّب في الماء من[8] الحديد والحجر ونحوهما من الأشياء، ليعرفوا فضله ورحمته أن كيف ثبت وقرَّ هذا على وجه الماء، و لم يثبت الحديد والحجر ونحوه.

---

[1] ر ع م – يقال.
[2] م: يجوز.
[3] ع + عز وجل.
[4] جميع النسخ: في فعاله.
[5] ع + عز وجل.
[6] ر ع م: ليتأدى.
[7] ن + من.
[8] ع – من.

ثم ثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب، إذ السفن لا تخلو عن الحديد وبه يقوم السفن. ثم لم يتسرب. *والله أعلم.*

وقوله: **ويُمْسِكُ السماءَ أن تَقَعَ على الأرض إلا بإذنه،** أي يمسك السماء لا بالأسباب ولا بالأشياء[1] التي يمسك الأشياءَ في الشاهد. وهو ما قال: إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، الآية.[2] وقوله: **إن الله بالناس لرءوف رحيم،** أي من رأفته ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾[٦٦]

وقوله:[3] **وهو الذي أحياكم ثم يميتكم،** هذا قد ذكرناه. وقوله: **إن الإنسان لكفور،** جائز أن يكون قوله: **إن الإنسان،** أي الكافر، **لكفور** لبعث، أي جاحد له، أو **لكَفُور**[4] لربه في نعمه التي أنعمها عليه،[5] حيث ذكر أنه سخرها لهم في قوله: سَخَّرَ لَكُمْ[6] كذا، لأنه ينظر في النعم إلى أسبابه والحيل التي يحتال، لا إلى فضل ربه وإفضاله في تلك النعم. لذلك صار كفورًا لربه في نعمه. وأما المؤمن فأنه ليس ينظر إلى الأسباب والحيل فيها، ولكن ينظر إلى فضل الله وإفضاله وإنعامه عليه فيها فيكون شكورًا له فيها غير كفور.[7] والكافر ينظر إلى ما ذكرتُ لذلك كان ما ذُكِر.

وعلى المعتزلة [دليل] في قوله: **إن الإنسان لكفور،** لأنه يقول: هو[8] الذي سخر الفلك؛ وهم يقولون: لم يسخر الفلك، ولكن إنما سخَّر الخُشُب التي منها تُتَّخذ[9] الفلك، لأنهم لا يرون لله في فعل العباد تدبيرا ولا صنعا، وهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا. وهم داخلون في ظاهر هذه الآية على الوجه الذي ذكرنا.

---

[1] ن: وبالأشياء.
[2] سورة فاطر، ٤١/٣٥.
[3] ع + عز وجل.
[4] ر ع م: والكفور؛ ن: أو الكفور.
[5] ر: عليهم.
[6] الآية السابقة.
[7] ن + له.
[8] جميع النسخ: هذا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٠ظ.
[9] ن: يتخذ.

**﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾**[٦٧]

وقوله:[1] **لكل أمة جعلنا مَنْسَكًا**، اختلف في المسك. قال بعضهم: **منسكا**، أي جعلنا لكل أمة دينا يُدعون إليه، أي كل أمة تُدعى إلى دين واحد وهو دين الإسلام، وهو قول الحسن. وقال بعضهم: **لكل أمة جعلنا منسكا**، أي شريعة، فهذا على الاختلاف، أي جعلنا لكل أمة شريعةً على حدةٍ **هم ناسكوه**. ذلك كقوله: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.[2] وقال عامة أهل التأويل: **منسكا**، أي ذبائح[3] وعيدًا. قالوا: ذكر هذا -والله أعلم- لأن من الناس من ينكر أن يكون الذبح شريعة الله، فأخبر أن الذبح سنة الله وشريعته في الأمم كلها ليس على ما قالت الثَّنَوية.

وقوله: **فلا يُنَازِعُنَّك في الأمر**، على تأويل[4] من يقول: إن المنسك هو الدين، أي لا يُخَالِجَنَّك في نفسك أن الذي أنت عليه هو دين الله، وادع الناس إليه. وعلى تأويل من يقول: هو الذبح، يقول: **فلا يُنَازِعُنَّك**، أي لا يَصُدَّنَّك عن الذبح من ينكر ذلك، كقوله: وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ.[5]

وقوله: **وادع إلى ربك**، أي ادع إلى توحيد ربك، أو أن يكون قوله: **وادع إلى ربك**، إلى عبادة ربك وانههم عن عبادة مَن دونَه.

وقوله:[6] **إنك لعلى هدى مستقيم**، هذا يدل أن التأويل الذي ذكرنا في المنسك -وهو الدين- أشبه وأقرب، لأنه ذكر **إنك لعلى هدى مستقيم**، فلا يَتَخالَجَنَّ في نفسك شك في ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[٦٨] **﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[٦٩]

وقوله:[7] **وإن جادلوك**، في أمر الذبيحة أو في الدين، وقد جادلوه في الدين كثيرا،[8] لكن ذلك قاله[9] -والله أعلم- عند إياسه عن توحيدهم وإسلامهم. يقول -والله أعلم- **وإن جادلوك**،

---

[1] ع + عز وجل.
[2] سورة المائدة، ٤٨/٥.
[3] جميع النسخ: ذبايحا.
[4] ر ع م: على التأويل.
[5] ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾ (سورة القصص، ٨٧/٢٨).
[6] ن: قوله.
[7] ع + عز وجل.
[8] ع: كثير.
[9] ر ع م: قال.

في الدين والتوحيد[1] **فقل الله أعلم بما تعملون**. وهو كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.[2] فعلى ذلك قوله: **الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**، من الدين.

قال بعض أهل التأويل: هذه الآية منسوخة، نسختها آية القتال،[3] لأن فيها حَظْرا[4] عن القتال والتركَ على ما هم عليه وتسليمَ الأمر إلى الله: يحكم بينهم يوم القيامة. لكن جائز ما ذكرنا أنه إنما قال ذلك عند الإياس منهم عن توحيدهم.

**﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٧٠]**
**﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٧١]**

وقوله:[5] **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف "ألم" حرف يتوجه إلى وجوه: إلى التعجيب مرة، وإلى التنبيه والإيقاظ ثانيا، وإلى إيضاح الحجج والبراهين ثالثا.[6]

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لم يُنَزِّل به سلطانا**، حججا وبراهينَ،[7] **وما ليس لهم به علم**، يخبر عن سفههم أنهم يعبدون غير الله ولا سلطان ولا حجة لهم ولا لهم بذلك علم، لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب فيعلمون به. فيقول: إنهم يقولون: الله أمرهم بذلك[8] ولا حجة لهم في ذلك ولا علم.

وفيه أنه إنما بعث الرسل إليهم على علم له منهم أنهم يكذبون الرسل، لأن من الناس من ينكر بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذبهم ويترك إجابتهم، كمن لا يبعث في الشاهد رسولا إلى من يعلم أنه يكذبه ولا يجيبه. فعلى ذلك يقولون: لا يجوز أن يكون الله يبعث الرسول إلى من يعلم

---

[1] ن: في التوحيد والدين.
[2] سورة الشورى، ١٥/٤٢.
[3] مثل سورة النساء، ٧٤/٤-٧٧؛ وسورة التوبة، ٥/٩.
[4] ر م: حضرا.
[5] ع + عز وجل.
[6] ر ن ع + وقوله إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير.
[7] جميع النسخ: وبراهينا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٠و.
[8] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

أنه يكذبه ولا يجيبه. لكن[1] الله أخبر أنه على علم منهم بالتكذيب وترك الإجابة بعثهم، حيث قال: **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض.** وأما قولهم: إن من علم في الشاهد تكذيب المرسَل إليه رسولَه فإنه لا يبعثه إليه؛ لأن المرسِل إنما يبعثه لحاجة[2] نفسه ومنافعه، فإذا علم منه
[٥٠٠ظ] تكذيبه وتَرْكَ الإجابة له لم يبعثه. فأما الله سبحانه وتعالى إنما يرسل الرسول لحاجة المرسل إليه ومنافعه، لا لحاجة[3] نفسه ومنفعته، فلا ضرر يلحقه في تكذيبه وجحوده،[4] فجائز إرساله[5] على علم منه بالتكذيب.

وقوله: **إن ذلك في كتاب**، قال بعضهم: إن ذلك العلم في الكتاب الذي عنده. **إن ذلك على الله يسير**، يقول:[6] حفظه يسير على الله بغير كتاب، لا يصعب عليه حفظ شيء، لأنه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم. وإنما يَصعُب ذلك على من كان علمه بالشيء بسبب وتعليم.

وقوله: **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**، فيه دلالة رد قول القدرية، حيث قالوا: يكَذِّب من كذَّب الرسل[7] لا بإرادة الله، فذكر أنه على علم منه ذلك بعثهم. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يكذبون بالقدر،[8] سيكفيكم من الرد عليهم أن تقولوا: ألم تعلموا[9] أن الله يعلم ما في السماء والأرض.»[10] وتأويل هذا -والله أعلم- أن يسألوا فيقال لهم: أراد الله أن يَصْدُق في خبره الذي أخبر أو يَكْذب؟ فإن قالوا: أراد أن يصدق في خبره، لزمهم أن يقولوا: أراد جميع ما كان منهم. وإن قالوا: أراد أن يكذب خبره، فيكون كفرا محضا.

---

[1] ن: ولكن.
[2] ر ه: الحاجة.
[3] ع: لا حاجة.
[4] م: وجحود.
[5] ر م: أرسله.
[6] ر: لقول.
[7] ن ع: الرسول
[8] ه: القدر.
[9] ن - ألم تعلموا.
[10] لم أجده؛ ولكن السيوطي قال: «أخرج ابن مردويه، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيفتح الله على أمتي بابا من القدر في آخر الزمان لا يسده شيء، ويكفيكم من ذلك أن تقولوا: ﴿ألم تعلموا أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾" وأخرج اللالكائي في السنة من طريق آخر عن سليمان بن جعفر القرشي مرفوعا مثله مرسلا» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٧٤).

وقوله:[1] **ويعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطانا**، هو ما ذكرنا أنه يسفِّهُهم بعبادتهم دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم، وتركِهم عبادة الله مع الحجج والبراهين والعلم أنه إله وأنه ربهم مستوجب للعبادة.[2]

وقوله: **وما للظالمين من نصير**، ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله. ففيه دلالة إثبات رسالته عليه السلام، لأنه إنما قال ذلك للرؤساء منهم والقادة، فلم يتهيأ لهم نصرةٌ بشيء ولا رد ما قال بشيء، دل أنه بالله كان ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٧٢]

وقوله:[3] **وإذا تُتلَى عليهم آياتنا بينات**، يحتمل الآيات الحجج والبراهين، ويحتمل القرآنَ المنزل عليه. **تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر**، الإنكار وأثرَ العناد والرد[4] لآياته والكراهية والبغضَ له. **يكادون يَسْطُون بالذين يتلون عليهم آياتنا**، يخبر عن سفههم وشدة تعنُّتهم وعُتُوِّهم عند تلاوة الآيات عليهم وإقامة الحجج عليهم، حيث قال: **يكادون يَسْطُون بالذين يتلون عليهم**. **يَسْطُون**، قيل: يأخذون أخذا، وقيل: يبطشون بطشا. وقال القُتَبِي: **يَسْطُونَ**، أي يتناولونهم بالمكروه من الشتم والضرب.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: **يكادون يسطون**، أي يقعون بهم. يقال: سطا يسطو[6] سَطْوَة، ورجل ذو سطوة وبطشة، أي ذو قوة وقدرة. قال: ويقال: سطوتُ بفلان، أي أخذته أخذا شديدا؛ وبطشت[7] به، كذلك.

ثم قال: **قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍّ من ذلكم النارُ**، ظاهر الآية ليس بجواب لما تقدم ولا صلته،[8] وليس على الابتداء، ولكن على نازلة وأمر كان منهم لم يذكر لنا ذلك. فأما ابن عباس

---

[1] ع + عز وجل.
[2] ع: لعبادة.
[3] ع + عز وجل.
[4] ن + به.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٥.
[6] ر ع: يسطون.
[7] ر ع: أو بطشت.
[8] م: صلة.

وغيره من أهل التأويل قالوا: إنما نزلت[1] جوابا لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، حيث قالوا: ما نعلم قوما أشقى منكم ولا أقلَّ حظًّا في الدنيا والآخرة منكم.[2] حيث رأوهم قد حُظرت[3] الدنيا عليهم لم يُعْطَوْا من الدنيا شيئا، فنزل جوابا لهم: **قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍ من ذلكم النارُ**.[4] وقال بعضهم: هو جواب قوله: **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا. قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍ من ذلكم النارُ**، كقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ الآية.[5]

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٧٣]**

وقوله: **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**، قد ذكرنا معنى ضرب الأمثال والحاجة إليها.[6] وذلك أن العقول يجوز أن يعترض ما يستر عليها سبيل الحق ويحجب عنها إدراك الحق، فضَرَب الأمثال ليرفع عنها ذلك الحجاب والستر ليدرك العقول سبيل الحق، وإلا لم يجز أن لا يدرك العقول لما جعلت العقول له من درك الحق، لكن يمنع عن درك الحق وسبيله ما ذكرنا من اعتراض السَّوَاتِر والحُجُب، فينكشف ذلك بما ذكرنا من الأمثال.

ثم في هذا المثل وجهان. أحدهما يخبر[7] عن تسفيه أحلامهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق أضعف خلق، وهو ما ذَكَر **لن يخلقوا ذُبَابًا ولو اجتمعوا له**، وتركِهم عبادة من هو خالقهم وخالق جميع الخلائق. والثاني يخبر عن قطع ما يأمُلون ويطمَعون من عبادتهم الأصنام، حيث قال:[8] **وإن يَسْلُبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**، ويتركون عبادة من يؤمل منه ويطمع كل خير. **والله أعلم**.

---

[1] ر ع: أنزلت.
[2] ر م – ولا أقل حظ في الدنيا والآخرة منكم.
[3] ع: خطرت؛ م: خطر.
[4] ر + الآية.
[5] ﴿قل هل أُنَبِّئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم الْقِرَدَةَ والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضلُّ عن سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ٦٠/٥).
[6] انظر تفسير قوله: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضةً فما فوقها﴾ (سورة البقرة، ٢٦/٢).
[7] ر ن م: تخبر.
[8] ر ع م: قالوا.

وقوله: **فاستمعوا له**، قال بعضهم: أجيبوا له. وقال بعضهم: استمعوا له استماع من ينظر[1] ويتأمل[2] الحق ويقبله إذا ظهر له الحق، لا استماع[3] من لا ينظر إلى الحق ولا يقبله. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الذين تدعون من دون الله**. قال بعضهم: **تدعون**، أي تعبدون **من دون الله**. وقال: **تدعون من دون الله**. على الدعاء، أي تسمونهم آلهة من دون الله. وقد كان منهم الأمران جميعا: العبادة للأصنام من دون الله وتسميتهم إياها آلهة من دون الله.

وقوله: **لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**، فيه ما ذكرنا من الوجهين: من تسفيه أحلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق أضعف خلق الله وعَجزِهم عما يأمُون من النفع وعن دفع من يروم بهم الضرر وسلب[4] ما ذكر منها.

[٥٠١و] / ثم اختلف في قوله: **ضعف الطالب والمطلوب**، قال بعضهم: **الطالب** الصنم، **والمطلوب** هو الذباب، لكن على هذا التأويل يضمر فيه "لو"، أي ضعف الصنم لو كان طالبا. وقال بعضهم: **الطالب** هو الذباب **والمطلوب** هو[5] الصنم.

فإن قيل: وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على تأويلهم، أعني هؤلاء. فالصنم ضعيف عاجز على ما وَصَف، وأما الذباب فهو ليس بضعيف، لأنه غلب ذلك الصنم إن كان طالبا أو مطلوبا. فكيف وصفه بالضعف فهو الغالب عليه في الحالين؟ لكنه كأنه رجع قوله: **ضعف الطالب والمطلوب** إلى العابد والمعبود كأنه قال: ضعف العابد عما يَأمُل ويَطمَع من عبادته إياه، وضعف المعبود عن إيفاء ما يُؤمَّل ويُطمَع منه. فهذا كأنه أشبه وأقرب إلى التأويل من الأول. ***والله أعلم***.

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٧٤]

وقوله:[6] **ما قدروا الله حق قدره**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عرفوا الله حق معرفته، حيث[7] قالوا له بالشريك والولد والصاحبة وما قالوا[8] فيه مما لا يليق به،

---

[1] ر ع هـ: ينظر.
[2] ر م: وتأويل؛ ن ع: ويأمن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١و.
[3] جميع النسخ: ويقبله ومعناه إذا ظهر له لاستماع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١و.
[4] ر م: والسلب.
[5] ن – هو.
[6] ع + عز وجل.
[7] ر ع م – حيث
[8] ر ع: ومما قالوا.

لأنهم لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا إليه ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا براءته وتعاليه عن ذلك، لكن حيث لم يعرفوه حق معرفة شبهوه بواحد من خلقه، على ما ذكرنا. وقال بعضهم: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عظموا الله حق عظمته، حيث صرفوا العبادة والشكر إلى غيره، إذ لو عظّموه حق تعظيمه ما صرفوا عبادتهم وشكرهم إلى غير الذي أنعم عليهم، وما أشركوا غيره في ذلك على علم منهم أنه إنما وصلت إليهم تلك النعم من الله لا ممن[1] عبدوه. ***وبالله العصمة والصواب***.

ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم أوامره[2] وقبولها والقيام بها، لا في قوله:[3] يا عظيم يا كبير ونحوه، ولكن على ما ذكرتُ من تعظيم أوامره[4] وقيامه بها. وكذلك المحبة لله[5] إنما تكون في القيام بأوامره[6] وإقباله[7] نحوها والانتهاء[8] عن مناهيه، لا في قوله:[9] أنا حبيبك، أو[10] تصوير شيء في قلبه، ولكن على[11] ما ذكرت. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الله لقوي عزيز**، يحتمل قوله: **إن الله لقوي عزيز**، لنصر أوليائه وجعل العاقبة لهم. **عزيز**، أي منتقم من أعدائه. أو يقول: **لقوي**، لأنه يضعُف جميع الأقوياء[12] عند قوته؛ **عزيز**، يَذِل كل عزيز[13] عند عزته. أو يقول: **لقوي**، لأنه به يَقْوَى من قَوِي، ومنه يستفيد ذلك؛ **عزيز**، لأنه به[14] يَعَزّ من عزّ،[15] ومنه كان ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: من.
[2] جميع النسخ: أموره.
[3] ن + لا في قوله.
[4] جميع النسخ: أموره.
[5] ر: الله.
[6] جميع لنسخ: بأموره.
[7] ن م: وإقبالها.
[8] م: والانتها.
[9] جميع النسخ: لا فيما في قوله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١و.
[10] ر: و.
[11] ع – على.
[12] جميع النسخ: القوي.
[13] جميع النسخ: جميع العزيز، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[14] ر م – به.
[15] ر ع م: من عزته.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٧٥]

وقوله:[١] **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**، يحتمل قوله: **يصطفي من الملائكة رسلا**، أي اختار رسلا من الملائكة إلى الملائكة[٢] في بعض ما امتحنهم من أنواع العبادات له والطاعات. بعث منهم إليهم رسلا بتبليغ ذلك، على ما اختار من الناس رسلا إليهم فيما امتحنهم. ويحتمل اصطفى رسلا من الملائكة إلى الرسل من الإنس؛ **ومن الناس**، أي اختار منهم أعني من الناس رسلا إلى الإنس -والله أعلم- كقوله: اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[٣]

وقوله: **إن الله سميع بصير**، جائز أن يكون قوله: **بصير**، بمن[٤] يصلح للرسالة ومن لا يصلح، **وبصير** بمن[٥] اختار لها ومن لم يختر؛ **سميع**، لما يتلقى المرسَلُ إليه الرسولَ من الإجابة والقبول والرد والتكذيب، وأنه على علم منه بالرد والتكذيب أرسل. وفيه دلالة أنه إنما اصطفاهم للرسالة لا بشيء يستوجبون منه ذلك، ولكن إفضالاً منه وإنعاما منه[٦] حيث قال: **الله يصطفي** كذا. وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا: لا يختار للرسالة إلا من كان منه ما يستحق ذلك.[٧]

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٧٦]

وقوله:[٨] **يعلم ما بين أيديهم**، يحتمل[٩] قوله: **ما بين أيديهم**، أي يعلم ما كان قبل أن يخلقهم؛ **وما خلفهم**، بعد ما خلقهم.[١٠] وقال الحسن: **يعلم** بأوائل أمورهم وبأواخرهم. وقال بعضهم: **ما بين أيديهم**، من الدنيا؛ **وما خلفهم**، من الآخرة. وقال بعضهم: **ما بين أيديهم**، من الآخرة؛ **وما خلفهم**، من الدنيا. وجائز أن يكون قوله: **يعلم ما بين أيديهم**،

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م - إلى الملائكة.
[٣] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[٤] جميع النسخ: لمن، والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١١ظ.
[٥] جميع النسخ: لمن، والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١١ظ.
[٦] ر م - وإنعاما منه.
[٧] ر ع م - حيث قال الله يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا لا يختار للرسالة إلا من كان منه ما يستحق ذلك.
[٨] ع + عز وجل.
[٩] ر م - وقوله يعلم ما بين أيديهم يحتمل.
[١٠] ع - بعد ما خلقهم.

ما عملو[1] بأنفسهم في حياتهم؛ **وما خلفهم**، ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم، كقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ؛[2] مَا قَدَّمَتْ، ما عملوا هم؛[3] وما أَخَّرَتْ، ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم. وجائز أن يكون لا[4] على حقيقة بين الأيدي والخَلْف،[5] ولكن على التمثيل، أي[6] لا يخفى عليه شيء من أفعالهم وأقوالهم. **وإلى الله ترجع الأمور**، قد ذكرنا معناه فيما تقدم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٧٧]**

وقوله:[7] **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير**، في الآية دلالة أن الإيمان هو شيء خاص وشيء واحد، لا اسمُ جميع الخيرات، وهو التصديق؛ لأنه أثبت لهم اسم الإيمان، ثم أمرهم بالركوع والسجود وفعلِ الخيرات. لأن جميع المخاطبين بهذه الآية عرفوا من خوطب بها، فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان لا يُعرَف المخاطبُ بها، لأنه لا يقدر أحد على جميع الخيرات. فدل أنه شيء معروف خاص مما يرجع صاحبه إلى حد المعرفة، حيث عرَف المخاطب به. *والله أعلم*.

ثم يحتمل قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير**، وجوها. أحدها أن اجعلوا ركوعكم وسجودكم وعبادتكم عبادة لله، لا تشركوا فيها غيره على ما أشرك أهل مكة وغيرهم[8] من الكفار[9] في عبادتهم غيره، وهي الأصنام التي عبدوها.

[٥٠١ظ] والثاني **اعبدوا ربكم** بالأسباب والأشياء التي عرّفكم أنها عبادة. وكذلك افعلوا / الخيرات التي عرّفكم أنها خيرات.

والثالث أن اجعلوا أحوالكم التي أنتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى، واجعلوا تقلُّبكم أيضا للمعاش الذي أبيح لكم وأذن فيه عبادةً لله.[10]

[1] ر ع: ما علموا.
[2] سورة الانفطار، ٨٢/٥.
[3] م: ما عملوهم.
[4] ن – لا.
[5] ر ع: ولا خلف.
[6] جميع النسخ – على التمثيل أي، والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[7] ع + عز وجل.
[8] جميع النسخ: وغيره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[9] ر: من الكفرة.
[10] ر ع م – لله.

فالأول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله عبادة[1] نصًا. والثاني هو الذي يصيّره عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع أحواله مؤدِّيَ عبادة. وهكذا الواجب على المرء أن يكون في جميع ما يؤدي من النوافل من الصلاة والصيام وغيره مؤدِّيَ فرض. وهو أن يؤدي[2] جميع ذلك بنية الشكر لنعمه وتكفيرًا لمعاصيه.[3] وكلاهما لازمان واجبان. فإن فعل ذلك كان مؤدي لازم. *والله أعلم*.

وقوله: **لعلكم تفلحون**، ظاهره خرج على الترجي، وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا فيما تقدم.

[٥٠١ظ س ١٥ *وقال عامة أهل التأويل في قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم**، أي وحِّدوا ربكم [و] اجعلوا[4] كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا. فيكون ذكر العبادة ههنا كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[5] كأنه قال: **يا أيها الذين آمنوا وحِّدوا ربكم**.

ثم اختلف في قوله: **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا**، قال بعضهم: فيه وجوب سجدة التلاوة على ذلك. وهي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فُضِّلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور،[6] فمن لم يسجدهما فلا يقرأها.»[7] وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها يسجد فيها مرتين، ثم قال ما ذكرنا.[8] وتأويله عندنا أن [السجدتين في] قوله: «فضلت بسجدتين» السجدة التي هي من صلب الصلاة وسجدة التلاوة في أول السورة،[9] «فمن لم يسجدهما فلا يقرأها» والأصل[10] في وجوب سجدة التلاوة أن كل سجود ذكر في القرآن للخضوع لله فهو واجب لتلاوة لازم له، وكل سجود كان الأمر به بحق[11] سجود الصلاة فإنه لا يلزمه السجدة للتلاوة. فالأمر بالسجود في قوله: **اركعوا واسجدوا** أمر بسجود الصلاة لا غير، لم يلزم تالِيَه السجودُ بالتلاوة، *والله أعلم*.* ٥٠١ظ س ٢٤]

---

[1] ر ع م - عبادة.
[2] ر: أن يؤادي.
[3] ر ن م: لمعصية.
[4] ر ع: جعلوا؛ ن: وجعلوا.
[5] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[6] ر: من السورة.
[7] ن ع م: فلا يقرأهما. *الموطأ* لمالك، القرآن ١٣؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢٢١/١.
[8] ر: ما ذكرناه.
[9] سورة الحج، ١٨/٢٢.
[10] جميع النسخ: وأصله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[11] ر م: الحق.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠١ظ/سطر ١٥-٢٤.

[٥٠٢و س٣٨ *وقال بعضهم: في قوله: **اركعوا واسجدوا**، أي صلوا لله، كقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ،[1] يقول: [وإذا قيل لهم:] صلوا لا يصلون. وقال قتادة: **اركعوا واسجدوا**، قال:
[٥٠٢ظ] لا صلاة إلا بركوع، وإن أقواما / أحدثوا بِدَعا يسجد أحدهم مائة سجدة لا يركع فيهن. وكان يقال: ثلاث مما أحدث الناس: رفع الأيدي في الدعاء، والأصوات عند المسألة. والاختصارُ
٥٠٢ظ س٢] في السجود. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لا يصح سجود إلا بركوع."*

**﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾**[٧٨]

وقوله: **وجاهدوا في الله حقَّ جهادِه**، ليس لحق الله غايةٌ يوصَل[3] إليها، وكذلك قوله: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ،[4] لأنه لو كان لحقِه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون بوفاء ذلك ويُتوهم منهم المجاوزة عن ذلك، إذ كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه. فإذْ[5] لم يحتمل المجاوزة دل أن حقه ليس بذي حد وغاية. ويكون تأويل قوله: **وجاهدوا في الله حق جهاده**، وحَقَّ تُقَاتِهِ، حقه الذي احتمل وُسْعُكم وبِنْيَتكم وطاقتكم، كقوله: فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ،[6] فيكون هذا تفسيرا[7] لقوله: حَقَّ تُقَاتِهِ، **وحقَّ جهادِه**.

ثم يحتمل قوله: **وجاهدوا في الله**، أي جاهدوا أنفسكم في شهواتها[8] وأمانيِّها، أو **جاهدوا** أعداء الله[9] في دفع الوساوس[10] والمحاربة معهم.

---

[1] سورة المرسلات، ٧٧/٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٢و/سطر٣٨ - ٥٠٢ظ/سطر٢.
[3] ن ع: موصل.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقَاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٢).
[5] جميع النسخ: فإن.
[6] سورة التغابن، ٦٤/١٦.
[7] ع: تفسير.
[8] ر ن م: في شهوتها.
[9] ن: أعداءه في الله.
[10] ر ن م: الوسواس.

وقوله: **هو اجتباكم**، يحتمل وجهين. أحدهما هو اجتباكم للإيمان والهدى والتوحيد، **أو هو اجتباكم** جنسا من أفضل الأجناس وأكرمكم[1] من بين سائر الأجناس، كقوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.[2]*

وقوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، يحتمل تأويله[4] وجوها. أحدها أن عليهم معرفةَ وحدانية الله وألوهيته وتعاليه عن الأشباه والشركاء، وعليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها له والخضوع له في كل وقت وإن لم يبعث الرسل. لكنه بفضله ورحمته بعث إليهم الرسل ليكون أيسر عليهم معرفة ذلك وأهونَ، والقيام بأداء ذلك أخفَّ، لأن معرفة الأشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل أيسرُ والإدراكَ أهونُ من معرفتها بالنظر والتفكر. وهو ما قال: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا،[5] أخبر أنه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان إلا قليلا. والقليل الذين استثناهم الذين يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر. وذلك لا يُعرف إلا بجهد وتكلف. فعنى ذلك قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**. ولكن بعث إليكم الرسل ليكون أوضح لسبيل الحق ومعرفته، وإن كان له أن لا يرسل ويكلّف ذلك بالنظر والتفكر.

والثاني لم يجعل **عليكم في الدين من حرج**، في[6] قطع ما يقع لهم الحوائج وتحريم كل أنواع المطاعم والمشارب[7] واللباس عليكم، لكنه إذا حرم نوعا منها أباح نوعا آخر بإزائه مما يسد به حاجته ويُزيح به علته. ولو حرم كل أنواعها لكان[8] حرجا في الدين وضِيقًا.

والثالث لم يجعل عليهم من العبادات والفرائض التي كلفهم بها والقيام بأدائها ما لا يحتمل وسعهم ولا بِنيتهم، ولا حمل عليهم أمورا شاقّة خلاف ما عليه طباعهم وأمر معاشهم.

---

[1] ر ع م: وأكرمهم.

[2] سورة الإسراء، ١٧/٧٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠١ظ/سطر١٥-٢٤.

[4] م + تأويله.

[5] سورة النساء، ٤/٨٣

[6] م – في.

[7] ع: والمسارب.

[8] ر ن م: كان؛ ع – كان.

ولكن كلفهم بعبادات احتمل بها[1] وُسعُهم وبِنيتهم، وحمل عليهم أمورا غيرَ شاقة موافِقةً لما عليه أمر معاشهم وطباعهم، وإن بعُد ونَأى عنهم.[2]

والرابع أنه لم يَجعل توبتَهم عما ارتكبوا من المعاصي والمآثم قَتْلَ بعضهم بعضا[3] وإهلاكَ بعضهم بعضا، على ما جعل ذلك لقوم حيث قال[4] لهم: فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[5]

[٥٠٢و] ولو كلّف ذلك لكان[6] حرجا في الدين، وأمثال ذلك.

والخامس جائز أن يكون قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حَرَجٍ**، أي من شك وشُبَهٍ، أي قد أزاح عنكم الشُّبَه والشك بالحجج والبراهين التي أقامها لكم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[7] **مِلَّةَ أبيكم إبراهيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر،[8] أن الزَموا ملة إبراهيم. والثاني أن هذا الذي ذكر هو ملة أبيكم إبراهيم.

وقوله عز وجل:[9] **هو سمَّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا**، اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: قوله: **هو سماكم**، أي الله سماكم المسلمين. وقال بعضهم: إبراهيم **هو سماكم المسلمين من قبلُ**، حيث قال: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[10] ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان من ولد[11] إسماعيل، وقد دعا له ولذريته بذلك. وقوله: **من قبلُ وفي هذا**، قال بعضهم: **من قبلُ**، في الكتب المتقدمة

---

[1] ع + بها؛ م – بها.

[2] ر م: عيهم. يقول الشارح رحمه الله: «فإن العبادات البدنية فيها قيام وركوع وسجود؛ وهذه أفعال يأتي المرءُ بمثلها في أمور معاشه. وكذلك الحج، وإن كان قطع مسافة بعيدة فامرء قد يقطع المَفاوِز والبحر لطلب الأرباح، لم يكن مما ينفر عن ذلك طبعُهم كل المفاوز؛ فذلك الجهاد، فإن المرء قد يدفع عن نفسه وماله بالقتال. فكذلك العبادات المالية من جنس ما يفعلها المرء من الإحسان والإنعام على الغير المحتاج وغيره. وإذا كان هذه العبادات من جنس أفعال لا ينفر عنها الطباعُ –لا من الجنس الذي ينفر عنه الطباع– لم يكن في الدين حرجٌ وضيق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١٢و).

[3] ن م: بعض.

[4] جميع النسخ: قالوا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢و.

[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ (سورة البقرة، ٥٤/٢).

[6] جميع النسخ: كان.

[7] ع – عز وجل.

[8] ن: على أن الأمر.

[9] ر – عز وجل.

[10] سورة البقرة، ١٣٢/٢.

[11] ن – كان من ولد إسمعيل.

**وفي هذا**، أي في القرآن. وقال بعضهم: **من قبلُ**، في الأمم الذين كانوا من قبل، لأنه ما من قوم وأمة إلا وفيهم[١] مسمون متسمّون[٢] بهذا الاسم. **وفي هذا**، في قومه، أي كنتم متسمّين[٣] بهذا الاسم في الأمم الخالية. كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.[٤] أي كنتم خير أمة في الأمم التي كانت من قبل أنها تخرج في هذا الوقت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[٥] **ليكون الرسول شهيدًا عليكم**، قال قائلون: **عليكم**، بمعنى لكم. وذلك جائز في اللغة، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[٦] أي للنُّصُب. فعلى ذلك جائز في هذا **عليكم**، أي لكم، ويكون تأويله: **يكون الرسول** لكم **شهيدا** بالتصديق له؛ **وتكونوا** أنتم **شهداء** للناس[٧] بالتصديق لرسول الله، إذا صدقتم إياه. وقال بعضهم: **ليكون الرسول شهيدا عليكم**، بمعنى عليكم[٨] وتأويله: يكون **شهيدا عليكم** إذا خالفتموه و لم تصدقوه؛ **وتكونوا** أنتم إذا صدقتم رسولكم ووافقتموه **شهداء على** سائر **الناس** إذا كذبوا رسولهم أنهم كذبوه وخالفوه. وفي هذه الآية دلالة [أن] اتفاق قرنٍ حجةٌ على من بعدهم، حيث جعلهم شهداء على من بعدهم[٩] ومن قبلهم. وقد ذكرنا تأويل [مثل هذه] الآية في سورة البقرة.[١٠]

وقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، فإذا أراد الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة ففي الأمر بإقامة الصلاة أمر بإصلاح ما بينهم وما بين ربهم؛ وفي الزكاة إصلاح ما بينهم وبين الخلق، كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.[١١] وفي حرف عبد الله بن مسعود: "إن الصلاة تأمر بالعدل[١٢] وتنهى عن الفحشاء والمنكر."[١٣]

---

[١] ع: وفيكم.
[٢] ر ع م: متسمون.
[٣] ر ن م: متسمون؛ ع: متسمين.
[٤] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[٥] ر ن ع - عز وجل.
[٦] سورة المائدة، ٥/٣.
[٧] ع: على الناس.
[٨] في معناه الأصلي، أي لا "لكم".
[٩] ر + حيث جعلهم شهداء على من بعدهم.
[١٠] انظر: تفسير سورة البقرة، ٢/١٤٣.
[١١] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.
[١٢] وفي كتاب *المصاحف* لابن أبي داود: "بالمعروف".
[١٣] كتاب *المصاحف* لابن أبي داود، ٧٢.

وقوله: **واعتصموا بالله**، قال بعضهم: بدين الله. وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير** إلى ما ذَكَر، فكأنه يقول: **اعتصموا** بالذي ذَكَر. وأصل الاعتصام هو الالتجاء[1] إليه. فكأنه قال: **اعتصموا** به من كل ما نهى عنه من الشرور وبكل ما أمر به من الخير.

وقوله: **هو مولاكم**، قال الحسن: هو مولى كل من تولاه بالطاعة. وقال بعضهم: المولى الناصر،[2] أي هو ناصركم وحافظكم. **فنعم المولى ونعم النصير**، المانع، والنصير المنتصر، ينتصر لهم من أعدائهم، ويمنع عنهم الأعداء. وجائز أن يكون قوله: **هو مولاكم**، أي ربكم وسيدكم، كما يقال لمولى العبد: هذا مولاه وسيده. ***والله أعلم***.

ويكون في قوله: **ليكون الرسول شهيدا عليكم**، أنه قد بلَّغكم **وتكونوا شهداء على الناس**، بأن الرسل[3] قد بلَّغتهم.

قال أبو عَوْسَجَة: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عرفوا الله حق معرفته. يقال في الكلام: ما قدرتُك حقَّ قدرِك، أي ما عرفتك حقَّ معرفتِك. وقالوا: الحرج، الضيق[4] في هذا. وفي غير هذا الموضع قيل: هو شك [كما] في قوله: فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ،[5] أي شك. والضيق إنما يكون من الشك، إذا شك في شيء ضاق صدره فيه. قال أبو معاذ: وأصل الحَرَج في كلام العرب شجر من شَوْك مُلْتَفّ، والواحدة حَرَجة.[6] ومنه:[7] حَرَجة سَلَم.

وقوله: **هو اجتباكم**، أي اختاركم. وفي حرف ابن مسعود وأُبَيّ: هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا.[8] وهذا يؤيد تأويل من يقول: **هو سماكم المسلمين**، أي الله سماكم.

وقال بعضهم: في قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، قال: لم يفرض الله على هذه الأمة شيئا إلا جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار، مثل التيمم إذا لم تجد[9] ماء؛

---

[1] ن: التجاء.
[2] ر م: لنصير.
[3] ر ع م: بأن الرسول.
[4] م: الضعيف.
[5] ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢).
[6] الحرج فيما فسر ابن عباس هو الموضع الكثيرُ الشجر الذي لا يصل إليه الراعية... والحَرَجة: الشجر المُلْتَفّ، وهي أيضا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة. والحَرَجة: مجتمع شجر (*لسان العرب*، «حرج»).
[7] ر ع م: منه.
[8] ر م - وفي هذا. لم أجده.
[9] جميع النسخ: إذا لم يجد.

وتصلي[1] قاعدا ومضطجعا في المرض؛ وتفطر إذا كنت مريضا ونحو هذا.[2] ليست[3] فريضة إلا فيها رخصة، ولم يكن من قبل ذلك. وهو قول مقاتل بن حيّان.[4] وقال قتادة: قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، أي ضيق. قال: أُعطِيت هذه الأمة ثلاثا لم يُعطَها إلا نبي: كان يقال للنبي: اذهب فليس عليك حرج، وقال الله لهذه الأمة: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**؛[5] وكان يقال للنبي: أنت شهيد على قومك، وقال الله لهذه الأمة: **وتكونوا شهداء على الناس**؛ وكان يقال[6] للنبي: سَلْ تُعطَه،[7] وقال الله تعالى لهذه الأمة: ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ.[8]*

***والله أعلم بالصواب.***[10]

---

[1] ر ع م: ويصلي.

[2] جميع النسخ: في نحو هذ.

[3] ر ع م: ليس.

[4] مقاتل بن حيّان (ت: ١٥٠هـ/٧٦٧م): روى عن مجاهد وعروة والضحاك، وله كتاب في التفسير (*طبقات المفسرين* للداودي، ٢/٣٢٩-٣٣٠).

[5] م - أي ضيق قال أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال الله هذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج.

[6] ن: يقال.

[7] في حديث الشفاعة المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «... فأستأذنُ على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيَدَعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفَّع.» (*صحيح البخاري*، التوحيد ١٩، الرقاق ٥١).

[8] سورة المؤمن، ٦٠/٤٠.

* وقعت هنا قصعة من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٢و/سطر٣٨ - ٥٠٢ظ/سطر٢.

[10] ر + وإليه المرجع والمآب وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن م - والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المؤمنون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **قد أفلح المؤمنون.** الفلاح، قال قائلون: الفلاح[2] هو البقاء، أي بقي المؤمنون. وقال قائلون: الفلاح السعادة، وقال: الفلاح الفوز، وأمثاله. وفي قوله:[3] **قد أفلح المؤمنون،** إلى آخر ما ذكر دلالة أن من المؤمنين من لم يكن[4] بهذا الوصف الذي وَصَف هؤلاء، وأن اسم الإيمان يقع بدون[5] الذي ذكر[6] في هذه الآية، لأنه[7] لو لم يكن [كذلك] لم يكن[8] لذكر ما ذَكَر من الخشوع في صلاتهم والحفظ لفروجهم والإعراض عن اللغو معنىً؛ دل أنه يكون مؤمنا بغير[9] الوصف الذي وصف هؤلاء. وكذلك في قوله: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[10] وقوله: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ،[11] فدل أن فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يُرضَى في الشهداء[12] حيث خصّ العدلَ والمَرْضِيَّ في الشهادة.

---

[1] ر – سورة المؤمنون؛ ن + أيضا مكية؛ ع م + وهي مكية.
[2] ن – الفلاح.
[3] ر م: في قوله.
[4] جميع النسخ: من هؤلاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[5] ع: دون.
[6] ع: ذلك.
[7] ع – لأنه.
[8] ر ع م – لم يكن.
[9] ع: يعني.
[10] ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾ (سورة الطلاق، ٢/٦٥).
[11] ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ (سورة البقرة، ٢٨٢/٢).
[12] ع: في الشهداء.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٢]

وقوله: **الذين هم في صلاتهم خاشعون**، قال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في القلب. وقال غيره: الخشوع في القلب. وأصل الخشوع كأنه آثار ذُلّ من الخوف تظهر في الوجه وفي الجوارح[١] كلها، لا الخوف[٢] الذي ذكر هؤلاء. ألا ترى أنه قال: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ،[٣] وقال: خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ؛[٤] دل هذا أن الخشوع هو آثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها. ولذلك قال بعضهم: الخشوع في الصلاة هو أن لا يعرف مَن عن يمينه وشماله، لأن ذلك يَشغله عن العلم بمن يليه. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

[٥٠٣و س٧ *وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الذين هم في صلاتهم خاشعون**، قال: الإقبال عليها والذلة عليها. وعن علي رضي الله عنه قال: الخشوع في القلب، وأن تُلِين كَنَفَكَ[٥] للمرء المسلم، وأن لا تلتفت في صلاتك.[٦] وقيل: التواضع. وأصله ما ذكرنا.* ٥٠٣و س٩]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٣]

وقوله: **والذين هم عن اللغو معرضون**، اللغو كأنه اسم كل باطل واسم كل ما يُلغَى ولا يُعبأ به.[٨] أخبر أنهم يُعرضون عن كل باطل وعن كل ما نُهوا عنه، ويُقبِلون على كل طاعة وبكل ما أُمروا به.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[٤]

**والذين هم للزكاة فاعلون**، يحتمل الزكاة[٩] التي بها تَزْكُوا أنفسهم عند الله. وجائز [أن تكون] الزكاة المعروفة المعهودة. أخبر أنهم فاعلون ذلك مؤدُّون. وجائز أن يكون ذَكَر هذا من المؤمنين من الطاعة لله والائتمار لأمره والرضا به مقابلَ ما كان من المنافقين من الكراهية في الإنفاق

[١] ر م: والجوارح.
[٢] ع: إلا الخوف.
[٣] سورة الغاشية، ٨٨/٢.
[٤] ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ (سورة القلم، ٦٨/٤٣).
[٥] والكَنَف: الجانب والناحية (*لسان العرب*، «كنف»).
[٦] *تفسير القرطبي*، ١/٣٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٣و سطر ٧-٩.
[٨] ن: بها.
[٩] ن ع + بركاة.

والصلاة على الكسل والمراآة، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ،[1] الآية، وقوله: وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[2] وقوله:[3] لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ.[4] نعتهم بالكسل والخلاف وترك الإنفاق والمراآة في الطاعات، ونعت المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة في أوامره والانتهاء عن معاصيه ونواهيه.

**﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٥] ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٦]**

وقوله: **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**، استثنى في هذا [ولم يستثن فيما ذكر في أول الآية من اللغو وغيره]،[5] لأن هذا مما يحلّ في حال ويَحْرُم في حال. وأما اللغو وما ذكر من أول الآية إلى آخره لا يحل. واللغو حرام في الأحوال كلها، وكذلك ترك أداء الأمانة والزكاة والصلاة مما لا يحل تركه بحال.

وقوله: **فإنهم غير ملومين**، ذَكَر أن لا يحقهم لائمة في ذلك -والله أعلم- لوجهين. أحدهما لقول الثنوية، لأنهم لا يرون التناكح، فأخبر أن لا لائمة في هذين وإنما اللائمة في غير هذين. والثاني ذكر لإبطال[6] المتعة لأنه استثنى الأزواج وما ملكت أيمانهم، والمتعة ليست في هذين اللذَين استثناهما، ثم أخبر أن لا لائمة في هذين وفيما عداهما لائمة. والمتعة مما عدا هذين، وهو ما قال: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ.[7] وإلى هذا يصرف حفظ الفروج، وإلا كان عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته، لكنهم كانوا يستبيحون[8] المتعة والإجارة فيها فحَرّم ذلك. ثم قال:

**﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٧]**

**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**، هو المجاوز[9] عن الحد الذي حُدّ له.

---

1 سورة النساء، ٤/١٤٢.
2 ﴿وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتُهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٤).
3 جميع النسخ: وقولهم.
4 ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/٧).
5 الزيادة من الشرح، ورقة ٥١١ظ-٥١٢و.
6 ن: بطال.
7 ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٣)
8 ع: يستحيون.
9 ر ح م: يجري.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٨]

وقوله: **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**. يحتمل الأمانات العبادات والفرائض التي فُرضت عليهم. راعوها، أي أدّوها في أوقاتها، والعهودَ التي فيما بينهم وبين ربهم. أو أن يكون الأمانات التي وُضعت عندهم، والعهودُ التي فيما بينهم وبين الخلق.[١] راعوها، أي حفظوها وأدّوها إلى أربابها ولم يضيّعوها. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٩]

وقوله: **والذين هم على صلواتهم يحافظون**، يكون محافظة الصلاة بوجوه. أحدها يحافظونها بأركانها وفرائضها ولوازمها وآدابها. والثاني يحافظونها[٢] بأسبابها التي جعلت لها من الأوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الأشياء التي لا تقوم الصلاة إلا بها. والثالث يحافظونها[٣] بالخشوع والوقار وإظهار الذل له والإخلاص له وغير ذلك من الأشياء مما نُدِب المصلي إليه، وعلى ذلك جميع ما ذكر من الأمانات وغيرها. *والله أعلم*.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[١٠] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١١]

وقوله: **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس**، الوارث هو الباقي عن المورث. [٥٠٣و] وقال الله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ،[٤] أي إنا / باقون عن الخلق، أي يفنى الخلائق وهو يبقى. أو أن يكون قوله: **الذين يرثون الفردوس** هكذا: هو ما وعد الله عباده الجنة إن أجابوه وإليها دعاهم بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛[٥] فمن ترك إجابته يصيرُ[٦] الموعود الذي وُعد له إن أجاب لمن أجابه، فذلك الوراثة التي ذكر الله.

وقوله: **الفردوس**، قيل: هو بستان الروم بستان. سُمّي الله تعالى الجنة بأسماء مختلفة؛ منها عَدْن ونعيم ومأوى وفردوس. وفي الحقيقة واحد، لأن العدن هو المُقام، والنعيم هو ما يُنْعَم، ومأوى فهي كذلك، ثم فردوس وعدن ومأوى نعيم.[٧] وروي في بعض الأخبار

---

[١] ر د: الحق.
[٢] ح: يحفظونها.
[٣] ع: يحفظونها.
[٤] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).
[٥] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[٦] جميع النسخ: يصير.
[٧] ل: ونعيم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفردوس رَبْوَة الجنة العليا وهي أوسطها وأحسنها».[١]
فإن ثبت هذا فهو ما ذكر.*

## ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.** قال بعضهم: إنما ذكر سلالة لأنه سُلّ من كل تُربة. وقال أبو عَوْسَجة: السلالة الخالص من كل شيء. وقوله: **من سلالة،** من طين حُرّ،[٢] أي من أجود الطين. ذَكَر مرة **من سلالة من طين،** ومرة مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،[٣] ومرة قال: فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٤] ومرة [مِنْ صَلْصَالٍ] كَالْفَخَّارِ،[٥] ونحوه وهو آدم عليه السلام، وذلك على تغيير[٦] الأحوال. ***والله أعلم.***[٧]

* قال القُتَبي: يقال للولد سلالة أبيه، وللخمر سلالة، وللنطفة سلالة.[٨] ويقال: إنما جعل [٥٠٤و س٦
آدم من سلالة لأنه سُلَّ من كل تُربة.[٩] وقال أبو عَوْسَجة: السلالة الخالص من كل شيء.[١٠]
قال أبو معاذ:[١١] النسل الولد يُنسَلّ من تحت كل شعرة.*

---

[١] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرُّبَيِّعَ بنت النضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ابنُها حارثة بن سُراقة أُصيب يوم بدر أصابه سهمٌ غَرَب، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أخبِرْني عن حارثة لئِن كان أصاب خيرا احتسبْتُ وصبرتُ، وإن لم يُصِب الخيرَ اجتهدتُ في الدعاء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أمَّ حارثة إنها جِنانٌ في الجنة وإنَّ ابنَكِ أصاب الفردوسَ الأعلى والفردوسُ رَبْوَةُ الجنة وأوسطها وأفضلها» انظر: صحيح *البخاري*، الجهاد ١٤؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤.

* وقع هذا المقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٣و/سطر ٧-٩.

[٣] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٢٦/١٥).

[٤] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٥] ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).

[٦] ن: تعبير.

[٧] ر ع + بالصواب.

[٨] ر ع م – وللنطفة سلالة

[٩] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.

[١٠] ر ع + شيء.

[١١] فضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه "*كتاب القراءة*" انظر: *الثقات* لابن حبان ٥/٩؛ *تهذيب اللغة* للأزهري، ٢٢/١؛ *الأنساب* للسمعاني، ٤٦٧/٥؛ *معجم الأدباء* لياقوت، ٥٦٥/٤؛ *الوافي بالوفيات* للصفدي، ٢٤/٢٨؛ *كشف الظنون*، ١٤٤٩/٢.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و/سطر ٦-٨.

[٥٠٤و س٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[١٣]

**ثم جعلناه نطفة**، أي ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة. أخبر أصلَ ما خلق آدم منه وأصل ما خلق ولده منه وهي النطفة.

وقوله: **في قرار مكين**، قال بعضهم: الرحم. وجائز أن يكون القرار هو صُلب الرجل، لأن النطفة لا تُخلق في الصلب أول ما خُلق الإنسان ولكن تجعل فيه من بعدُ، فيكون الصلب قرارها ومكانها إلى وقت خروجها منه إلى الرحم، وعلى ذلك قوله: فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ.[1] قال بعضهم: المستقر الصلب، والمستودع[2] الرحم. وقال بعضهم: المستقر الرحم، والمستودع الصُّلب. وجائز أن يكونا جميعا واحدا أيهما كان:[3] الرحم أو الصُّلب، لأن كليهما[4] [مكان] قرار ما[5] يستودع فيه. وقال ابن عباس وغيره: السلالة صفوة الماء.[6]

[٥٠٤و س٧] *وقوله: **في قرار مكين**، أي مكانا حريزا وهو الرَّحِم أو الصُّلب، أيهما كان فهو ما وصف.*

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١٤]

وقوله: **ثم خلقنا النطفة علقة**، والنطفة هي المعروفة، والعلقة الدم،[8] والمضغة القطعة من اللحم إلى آخر ما ذكر. يخبرهم عن تحويله إياهم وتقليبه من حال إلى حال لوجوه.[9] أحدها[10] يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره، ليعلموا أن من قدر على إنشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلائق جميعا على أن يعرفوا سبب خلق هذا عن هذا –مع إحاطة علمهم أنْ ليس فيها من آثار العلقة شيء– ما قدروا على ذلك. وعلى ذلك جميع ما ذكر: العلقة[11] من النطفة،

---

[1] ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾ (سورة الأنعام، ٩٨/٦).
[2] ر ع م – قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع.
[3] م: كانا.
[4] ر: كلاهما
[5] جميع النسخ: وما
[6] انظر: تفسير الطبري، ٧/١٨.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٧-٨.
[8] جميع النسخ: والدم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٢و.
[9] ن + من معتبر.
[10] ر: أحدهما.
[11] جميع النسخ: من العلقة.

والمضغة من العلقة، والعظم من المضغة، والإنسان من ذلك كله، فدل ذلك كله.[1] على أنه قادر بذاته، فمن قدر على هذا يقدر على إنشاءهم من الأصل من لا شيء ويقدر على إحيائهم بعد ما صاروا ترابا. والأعجوبة في خلق الإنسان مما ذكر من النطفة والعلقة والمضغة ليست[2] بدون خلقه إياهم من التراب من الوجوه التي ذكرنا. وفيه دلالة علمه الذاتي، لأن من قدر على تحويلهم من حال إلى حال التي ذكر في الظلمات الثلاث.[3] دل أنه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من أحد ولا قوةٍ مكتسبة، ولكنه بالعلم الذاتي والقوة الذاتية؛ لأن مَن عِلْمه مستفاد ومَن قوته[4] مستفادة[5] ومكتسبة[6] لا يبلغ ذلك. وفيه دلالة تدبيره لخروج الخلق جميعا وتوالدهم من أول أمرهم إلى آخر ما ينتهون على جَرْيٍ واحد وسَنَن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل الذي جَعَل فيهم. وكذلك جميع ما يخرج من الأرض من النبات ومن الأشجار والأوراق[7] في كل عام وفي كل سنة، يخرج على جرية واحدة وسَنَنٍ واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه، بل على تقدير واحد وميزان واحد. دل أنه على تدبير ذاتي[8] خرج، لا[9] على الْجُزَاف. *وبالله الحول والقوة.*

وفيما ذكر من تحويله إياهم وتقليبه[10] من حال إلى حال دلالة أنه لم ينشئهم لأنفسهم. وإن ما[11] أنشأ[12] من العالم سواهم إنما أنشأه[13] لهم وأنشأ[14] أنفسهم لعاقبة، لأنه لو كان

[1] ر ع م - فدل ذلك كله.
[2] ر م: ليس.
[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهتكم خلقا من بعد خلق في ظلمت ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩). يقول المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية: «﴿في ظلمت ثلاث﴾، قيل: الرحم والبطن والمشيمة» (*تأويلات أهل السنة*، نشر الحيمي، ٢٩٤/٤).
[4] ع: قوة.
[5] ر م: مستفد.
[6] ن: وقوته مكتسبة.
[7] ر ع م: الأوراق.
[8] ر م: ذات.
[9] ن - لا.
[10] ر: وتقلب؛ ع م: وتقليب.
[11] ر م: وإن من.
[12] م: انشاء.
[13] ر: انشاء.
[14] ر ع: انشاء.

إنشاؤه إيهم لأنفسهم وللفناء الذي ذكر في قوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ.[1] لكن يتركهم على حالة واحدة ولا يحوّهم من حل إلى حال. فإذا حوهّم وقلّبهم من حل إلى حال دلّ أنه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصةً بقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ، ولكن لعاقبة تُقصد وهو البقاء الدائم، لا فناءَ فيه وهو ما ذكر: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ.[2]

وقوله: **ثم أنشأناه خلقا آخر**. أما أهل التأويل فمنهم من قال: نَفْخُ الروح فيه، وهو قول ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: إنبات الشَّعْر ونحوه، وهو قول قتادة وغيره. وعن الحسن
[٥٠٣ظ] وغيره: ذكرًا وأنثى.[3] وجائز أن يكون قوله: ثم **أنشأناه خلقا آخر** غير ما قال هؤلاء، وهو إظهار الجوارح والأعضاء وتركيبها بما[4] فيه دلالة [ذلك]، لأنه أخبر أنه يقلّبه من حال إلى حال،[5] وإنما يقلبه[6] شيئا واحدا مُصْمَتا ليس به هذه الجوارح والأعضاء، إنما يكون فيه آثارها لا أعينها، فيركّب فيه أعين الجوارح والأعضاء حتى يكون إنسانا. فذلك هو إنشاء خلقٍ آخر، ويكون نفخ الروح ونَبْت الشعر في تركيب ما ذكرنا. *والله أعلم*.

ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء ويقول بقدم العالم إنما ينكر ذلك لما لم يَرَ في الشاهد[7] صنع شيء لا من شيء فيقال له: وهل رأيت إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأصل حتى لا يبقى له أثر؟ فإذ[8] لم تر هذا في الشاهد وقد رأيت في الغائب إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأول منه، نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقةِ مضغةً على إتلاف العلقة فيها إلى آخر ما ذكر؛ كل ذلك مُنْشَأٌ من آخر[9] بعد تلف الأصل.[10] [فهذا دال على][11] أن عدم الأشياء[12] في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب وأنه حيث قدر على[13] هذا يقدر على كله.

---

[1] لآية لتالية.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/١٦.
[3] انظر حول جميع الآراء: *تفسير الطبري*، ١٨/١٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٢/١٠٩.
[4] ث ن هـ: ما؛ ع – بما.
[5] ع – حال.
[6] ر هـ – من حال إلى حال وإنما يقلبه.
[7] م: في الشك.
[8] ع: منشأ.
[9] جميع النسخ + إنما كان.
[10] ر ع هـ + فهلا كل ذلك؛ ن + فهلا كل.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[12] جميع النسخ: الإنشاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[13] ر هـ – على.

وقوله: **فتبارك الله أحسن الخالقين**. مِن الناس مَن يستدل على أنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله: **أحسن الخالقين** معنى، كقوله:[1] أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[2] وأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،[3] ونحوه. وإنما[4] قال هذا لِما يكون سواه رحيما حكيما كريما. فأخبر أنه أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،[5] وأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فعلى ذلك ما قال: **أحسن الخالقين**. ولكن [عندنا][6] جائز القولُ بمثل هذا عند الناس على غير إثباتِ آخرَ سواه في ذلك حقيقة. وهو يخرج على وجوه. أحدها **أحسن الخالقين**، مما تسمون أنتم إليه وتجعلونه خالقا عندكم، كقوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[7] فإبراهيم[8] لم يُسمِّ معبودهم[9] الذي عبدوه إلها على جعل الألوهية له ولكن على ما سموه هم[10] ونسبوا[11] الألوهية إليه. وكذلك قول موسى حيث قال: وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[12] على ما عندهم، ليس على تسمية الألوهية[13] له حقيقة. دل ما ذكرنا على أن تسمية ما ذكر[14] يجوز وإن لم يكن هنالك سواه إلها وخالقا.[15] وكذلك قوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[16] ليس على أن هم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم، فعلى ذلك ما ذكرنا.

والثاني تأويل **أحسنُ الخالقين**، أي لو جاز أن يكون خالق آخر سواه، لكان[17] هو أحسن الخالقين، ولكن لا يجوز، وهو كقوله: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [سُبْحَانَهُ]،[18]

---

[1] ر م: قوله.
[2] سورة الأعراف، ١٥١/٧.
[3] سورة هود، ١١/ ٤٥.
[4] م: إنما.
[5] ع + ونحوه وإنما قال هذا لما يكون سواه رحيما حكيما كريما فأخبر أنه أحكم الحاكمين.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[7] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
[8] جميع النسخ: إبرهيم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[9] ر: المعبودهم؛ م: معبودهم.
[10] ر: سموهم.
[11] ر ع م: وتسموه.
[12] سورة طه، ٩٧/٢٠.
[13] ر م: لآلهة؛ ن ع: لآلهية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[14] ع – على أن تسمية ما ذكر؛ ر ن م + وذكره.
[15] ر م: خالقا.
[16] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[17] ر م: لكن.
[18] سورة الزمر، ٤/٣٩.

أي لو جاز أن يتخذ ولدا لاصطفاه[1] مما ذكر، لكن لا يجوز. وكذلك قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا،[2] أي لو جاز أن يكون كذا لكان كذا، ليس على أنه يجوز أن يكون. وكذلك قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ.[3] الآية، أي لو جاز أن يكون معه إله لذهب بما ذكر، لكن لا يجوز. فمعنى ذلك قوله: **فتبارك الله أحسن الخالقين،** أي لو جاز أن يكون هنالك خالق غيره لكان هو أحسن الخالقين، ولكن لا يجوز. *والله الموفق.*

والثالث ذكر أحسن الخالقين لِما أن العرب تسمي[4] كل صانعِ شيءٍ خالقا، فخرج الذكر لهم على ما يسمون[5] هم، ليس على حقيقة الخلق لمن دونه، كقول عيسى حيث قال: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ.[6]

أو أن يكون ذكر هذا لقول من يقول:[7] إن[8] العالم أصله[9] من أربع طبائع: من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

أو أن يكون لقول بعض[10] الفلاسفة: إن العالم أصله من أربع أو من خمس: من الماء والأرض والنار وغيره. فأخبر أنه ليس كذا، ولكن هو خالقهم[11] لا من الأشياء التي توهموا هم.[12] وعلى قول من يقول: إنه يكون غيره خالقا،[13] لكان الخلق غير دال على الخالق،

---

[1] م: لاصطفى.
[2] سورة الأنبياء، ١٧/٢١.
[3] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.
[4] ع: يسمي.
[5] ر ع م: يسموه.
[6] ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، ٤٩/٣).
[7] ع – يكون ذكر هذا لقول من يقول + الفلاسفة.
[8] ن – إن.
[9] ن: كان.
[10] ع: لبعض.
[11] ع – الفلاسفة إن العالم أصله من أربع أو من خمس من الماء والأرض والنار وغيره فأخبر أنه ليس كذا ولكن هو خالقهم.
[12] م: توهموهم.
[13] لعل المؤلف يشير إلى استدلال بعض بأنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله ﴿أحسن الخالقين﴾ معنى. وقد ذكر رحمه الله هذا القول في ابتداء تفسير الآية ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة الخالق. فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على معرفة الخالق، لأنه قال: [أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ] خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ.[1] أخبر أنه لو كان سواه خالقا أو عددًا لكان[2] في ذلك تشابه الخلق عليهم، فإذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته[3] على ما أخبر في إثبات عدد الآلهة، كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ.[4] فإذا بطل هذا، و لم يجز عدد الآلهة وإثبات الألوهية لغيره، فعلى ذلك في الخلق على الوجه[5] الذي ذكرنا.

*وقال القُتَبي: المضغة اللحمة الصغيرة، سميت بذلك لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: غُرفَة بقدر ما يُغرَف.* [٥٠٤و س٦ ٥٠٤و س٧]

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[١٦]

وقوله:[7] **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون،** قد ذكرنا فيما تقدم أن المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الإماتة[8] والإفناء خاصة[9] ولكن عاقبة تُتأمل وتقصَد حيث قلّبهم من حال إلى حال ثم[10] لم يتركهم على حالة واحدة. فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غيرَ لكان ترَكَهم على حالة واحدة و لم يقلّبهم من حال إلى حال. فدل التحويل والتقليب من حال إلى حال على أن المقصود من الخلق العاقبةُ على ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

على[11] أنه أخبر أن خلقهم لا لعاقبة يُقصد بها عبثٌ، حيث قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[12] صيّر خلقهم لا للرجوع إليه عبثا. وقال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا،[13] الآية،

[1] سورة الرعد، ١٦/١٣.
[2] ن: أوعدوا؛ م - خالقا أوعددا لكان.
[3] ر م: معرفة.
[4] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.
[5] ر م: الوجوه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٦-٧.
[7] ن: قوله.
[8] ح: الأمانة.
[9] م - خاصة.
[10] ع ن - ثم.
[11] م - على.
[12] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[13] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ (سورة النحل، ٩٢/١٦).

[٥٠٤و] صير نقض العزل بعد إبرامه وقوته سفها منها. فلا جائز أن يُسفّه تلك المرأة تنقض غزلها بعد الإحكام والإبرام بلا نفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك؛ إذ خلْق الخلق للفناء والهلاك خاصةً عبث ولعب. وعلى ذلك بناء[1] البناء في الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفَهٌ ولعِب، لذلك قلنا بأن[2] خَلَق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذَكَر[3] من قوله: **ثم إنكم [يوم القيامة] تبعثون**، أي تُحْيَوْن.*

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[١٧]

وقوله: **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق**، قال بعضهم: سبع سماوات، وقال بعضهم: سبعة أفلاك. يذكر هذا -والله أعلم- أيهما كان:[5] السماواتِ أو الأفلاكَ التي جُعل لأمر الخلق ولحوائجهم لوجهين. أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه أنّ من قدر على خلق ما ذَكَر وإنشائه[6] بلا سبب لقادر على إنشاء الخلق لا من شيء. والثاني أن من قدر على هذا يقدر على بعثهم وإحيائهم بعد الموت.

قال القُتَبي: **سبع طرائق**، أي سبع سماوات، كل سماء طريقة. ويقال: هي الأفلاك، كل واحد طريق. وإنما سُمّي طرائق لأن بعضها فوق بعض. يقال:[7] طارقتُ الشيء إذا جعلتَ بعضه على بعض،[8] ويقال: ريشٌ طرائقُ.[9] وغيره قال: **طرائق** أهواء مختلفة.

وقوله: **وما كنا عن الخلق غافلين**، أي لم نخلقهم[10] على جهل منا بأحوالهم ولكن على علم منا بذلك. ولا يحتمل أن يكون خلقه إياهم على علم منه ثم يخلقهم للفناء لا لعاقبة تُتأمّل، لأن من يفعل هذا في الشاهد إنما يفعل إما للجهل به أو لحاجة، والله يتعالى عن ذلك[11] كله.

---

[1] ع: بنى.
[2] جميع النسخ: ان.
[3] م: ذكرنا.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ ورقم ١٤ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٤-٦ وورقة ٥٠٤و /سطر ٦-٨.
[5] ب + له
[6] ع: وإنشاء.
[7] ن: ويقال.
[8] ن: فوق بعض.
[9] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.
[10] ر ع م: يخلقهم.
[11] ب - ذلك.

أو أن يكون قوله: **وما كنا عن الخلق غافلين**. خلقِ ما ذكر، أي إذ[١] عرفتم أن خلق هذه الأشياء لا لأنفسها ولكن لأنفسكم[٢] ولمنافعكم فلا يحتمل أن يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء. فإن ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب والعقاب، فإذ ثبت هذا ثبت البعث والحياة. ***والله أعلم***.

**﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾**[١٨]

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماء بقدر**، قال بعضهم: **بقدر**، بعلم منا. وقال بعضهم: ما يقع لهم الحاجة والكفاية. وجائز أن يكون قوله: **بقدر**، أي معلوم مقدَّر لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزداد ولا ينقص[٣] ولكن على ما قُدِّر، وكذلك جميع الأشياء.

وقوله: **فأسكنّاه في الأرض**، يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على استنزال الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشيء لا من شيء، إذ لا أحد من الخلائق يقدر على ذلك إلا بالحِيَل التي علمه الله. أو أن يكون يقول: إنه حيث جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء [متصلة] بمنافع الأرض لبعد ما بينها دل اتصال منافع أحدهما بالآخر -مع بعد ما بينها- على أن منشئهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته.

وقوله:[٤] **وإنا على ذهاب به لقادرون**، كقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾،[٥] الآية.

**﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾**[١٩]

**فأنشأنا لكم به**، أي بالماء، **جنات من نخيل وأعناب**، أي الكروم. يذكر نعمه التي[٦] أنعمها عليهم من الماء الذي به حياة الأبدان والأشياء جميعا يستأدِي[٧] به شكره وعبادته. وقوله: **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة**. فإن[٨] كان قوله: **لكم فيها**، أي في الجنات حيث ذكر أنه أنشأها لنا، **فواكه كثيرة**، ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله أن من حلف أنْ لا يأكل فاكهة فأكل عِنَبا لم يحنَث، حيث ذَكَر النخيل والأعناب وذكر فيها الفواكه على حِدَة، وإن كان يعني به النخيل والأعناب فليس فيه حجة له.

---

١ ر ع م: إذا.
٢ ر: لأنفسهم.
٣ ر ع م: ولا ينتقص.
٤ ن: قوله.
٥ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ (سورة الملك، ٦٧/٣٠).
٦ ر م: نعمة الله.
٧ ر ع م: ليتأدى.
٨ ر م: وإن.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **وشجرة تخرج من طور سيناء**، أي أنشأنا لكم[١] أيضا شجرة في طور سِينَاء. ثم الشجرة التي يكون في الجبال لا صنع للخلق في إنباتها، وما يكون[٢] في الجنان والبساتين إنما يكون بإنبات الخلق. ثم أضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون [إلى نفسه]،[٣] دل إضافة ذلك إليه كله على أن لله[٤] في فعل العباد صنعا[٥] وأن جميع ما يكون إنما يكون بصنع منه ولطف. ويذّكرهم نِعَمه التي أنعمها عليهم من إنشاء الجنان لهم والنخيل والأعناب والفواكه التي ذكر ليستأدي[٦] بذلك شكره. وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث أنشأ[٧] الشجرة وأخرجها من الجبل وهو أشد الأشياء وأصلبها، ثم أنشأ[٨] في تلك الشجرة الدهن وهو ألين الأشياء وألطفها، فيخبر أن من قدر على إخراج[٩] ألين الأشياء من أشدها وأصلبها لا يُعجزه شيء. وفيه أن لا بأس بقِرانِ شيء إلى شيء فيؤكلان[١٠] جميعا وضمّ بعضهم إلى بعض فيجمع[١١] في الأكل حيث قال: **تَنبت بالدهن وصبغ للآكلين**، والصبغ[١٢] هو الإدام.

[٥٠٤ظ] ثم اختلف في قوله: **طُورِ سَيْنَاء**، قال بعضهم: الطور الجبل بالسريانية، والسّيناء الحسن بالحبشية.[١٣] وقال بعضهم: الطور الجبل وما ذكر،[١٤] والسيناء الشجرة[١٥] الحسناء. وقال بعضهم: الطور هو الجبل الذي كلّم الله موسى وأوحى إليه، والشجرة هي شجرة الزيتونة. وقال بعضهم: الطور هو الجبل، والسّيناء شجرة حوله. وفي حرف ابن مسعود وحفصة:

---

[١] ر م: نشاء مالكم.
[٢] ع + للخلق.
[٣] الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٣و.
[٤] ر ع م: الله.
[٥] ر م: صنع.
[٦] ر ع م: لتأدى.
[٧] ع: انشاء.
[٨] ر ع م - ثم أنشأ.
[٩] ن - إخراج، صح هـ.
[١٠] ر ع م: فهو كان.
[١١] ر ع م: ويجمع.
[١٢] ر م: والصبغ.
[١٣] ر ع م: بالحبشة.
[١٤] ن: وما ذكرنا.
[١٥] ع: الشجر

وشَجَرَةً تَخْرُج من طُور سَيْنَاءَ تُخرِج الدهنَ وصبغاً[1] للآكلين.[2] قال بعضهم: تُخرج الثمر. قال أبو معاذ: أَنْبت النباتُ ونَبَت، لغتان كقِيلِك: أَسرى وسَرَى. وقال زهير:

رأيتُ ذَوِي الحاجات حولَ بيوتهم قطيناً[3] لهم[4] حتى إذا أنبت البَقلُ[5]

قال الكسائي: تقول: خرجتُ بزيد وأخرجتُ زيداً، ولا تقول: أخرجت بزيد إلا أن تقول: أخرجت بزيد عَمراً.[6] وقال[7] القُتَبي: **وَصِبْغٍ للآكلين**، مثل الصِّباغ كما يقال: دِبْغ ودِباغ ولِبْس ولِباس.[8] وقال أبو عَوْسَجة: **وصبغ للآكلين**، أي الصِّباغ وهو ما اصطبغْتَ به من الشيء، أي غمرتَه فيه.

**﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾**[٢١]

وقوله: **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها**، وفي سورة[9] النحل:[10] مِمَّا فِي بُطُونِهِ.[11] قال بعضهم: إنما ذكره على الفرد والوُحدان، وفيما ذكره على التأنيث [فهو] على الجمع. وقال بعضهم: فيما ذكره بالتذكير[12] أراد به جنسا من الأنعام: **نسقيكم مما في بطونها**، وهذا أشبه، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[13]

ثم قوله: **وإن لكم في الأنعام لعبرة**، ووجه العبرة فيها من وجوه. أحدها ما قال ابن عباس، وهو ما ذكر عز وجل: مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ،[14] الآية. ففي ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته

---

[1] ر م: وصبغ.
[2] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٤.
[3] والقطين: الساكن النازل في الدار.
[4] ر ن م - رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا هم.
[5] انظر: *شرح ديوان زهير بن أبي سلمى* لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، ١١١.
[6] ر غ م: عمرو.
[7] ر غ م: قال.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٦.
[9] ر ح م: في سوره
[10] ن: النحل.
[11] ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (سورة النحل، ٦٦/١٦).
[12] ر: بالتذكر.
[13] انظر: تفسير سورة النحل، ١٦/٦٦.
[14] سورة النحل، ٦٦/١٦.

وربوبيته وعدمه وقدرته وتدبيره ولطفه، إذ ليس شيء منها إلا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة عدمه وقدرته وتدبيره.

وفيه أنه لم ينشئ هذه الأنعام لأنفسها، ولكن أنشأها للبشر حيث أخبر أنه سخرها لنا ليمتحنهم بها. ثم اختلف في الأنعام، قال مقاتل: الأنعام كل شيء يؤكل لحمه ويشرب لبنه، وما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من[1] الأنعام. وقال أبو معاذ: إن من الأنعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه. وقال بعضهم: الأنعام كل بهيمة حتى الوحش. والأشبه أن يكون الأنعام هو الإبل، ولكنا لا نعلم حقيقته،[2] إنما هو اللسان، فهو على ما يسميه أهل اللسان.

وقوله: **ولكم فيها منافع كثيرة**، قيل: من الحمولة وغيرها، وقد ذكرنا هذا في سورة النحل.[3]

**﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٢٢]**

وقوله:[4] **وعليها وعلى الفلك تحملون**، يذكّرهم نعمه فيما سخر لهم من الأنعام والسفن ليستأدى[5] به شكره.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢٣]**

وقوله:[6] **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.** يردِّد عز وجل أنباء أولي العزم من الرسل وأخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون أبدا يقظانَ[7] منتبِها ويَعرفَ أنْ كيف عامل أولوا العزم قومهم وكيف صبر أولوا العزم من الرسل على أذى قومهم[8] وتكذيبهم إياهم، ليعامل[9] هو قومه مثل معاملتهم ويصبر هو على أذى قومه على ما صبر أولئك على أذى قومهم وتكذيبهم إياهم؛ لهذا[10] يردد ويكرر أنباءهم عليه؛[11]

---

[1] ع: في.
[2] ر ع م: حقيقة.
[3] ن: النحل. انظر: تفسير سورة النحل، ١٦/٥-٨.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م: يتأدى
[6] ن: قوله.
[7] جميع النسخ: يقظانا.
[8] ن: قومه.
[9] ر م: ليتأس.
[10] جميع النسخ + ما.
[11] ع: عليهم

ويَعرفَ قومُه ^أيضا أنْ لا يظفرون بما يأمُلون من تكذيبهم العاقبة، بل العاقبة تصير له على ما صارت لأولي العزم من الرسل لا لقومهم. **والله أعلم.**

وقوله: **أفلا تتقون.** يحتمل وجوها. أحدها **أفلا تتقون** مخالفة الله ومخالفة رسوله. أو **أفلا تتقون** عذابه ونقمته أو وعيده. أو **أفلا تتقون** عبادة غير الله.

**﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[٢٤]**

وقوله: **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم،** هذا الذي قالوا هو تناقض، لأنهم قالوا: إنه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليكم بما ادّعى من[1] الرسالة والإجابة له إلى ما دعاهم. ثم هم[2] -أعني الرؤساء منهم والقادة- ادّعَوا لأنفسهم الفضل بما استتبعوا[3] هم السفَلَة وطلبوا منهم الموافقة لهم والإجابة وهم[4] بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول. ثم أقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله[5] على ذلك حيث قالوا: **ولو شاء الله لأنزل ملائكة،** فإذ[6] قدر على تفضيل الملائكة على البشر قَدَرَ على تفضيل بعض البشر على بعض. ثم أخبر عن نوحٍ أنه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضّل عليهم ولكن يريد به[7] النصح لهم والإشفاق عليهم، حيث قال: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ،[8] وقال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ،[9] ونحو ما قال. أخبر أنه إنما أراد بذلك[10] النصح والشفقة، لا التفضّل الذي قالوا هم.[11]

---

[1] م + من.

[2] ر: هي.

[3] ر م: استبقو.

[4] ع: والإح وهو

[5] م – لله.

[6] م: فإذ

[7] ر م – به.

[8] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (سورة هود، ٣٤/١١).

[9] سورة الأعراف، ٥٩/٧. جميع النسخ + وعذاب يوم الظلة. والتصحيح من نسخة ولي الدين أفندي، رقم ٤٢٥، ورقة ٢٥٣ظ. يبدو أن الناسخين قد أخطأوا بكتابة هذه الآية (سورة الشعراء ٧٧/٢٦ وما بعدها)، لأنه تخبر عن هلاك قوم شعيب لا عن قوم نوح عليهما السلام

[10] ر ع م – بذلك.

[11] ن: قالو؛ م: قالوهم.

وقوله:[1] **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**. هذا قولهم، وقد كذَبوا في قولهم.

* قال مقاتل: **يريد أن يتفضل** عليكم[2] بالرسالة وليس له[3] عليكم فضل في شيء، أفتتبعونه؟ [٥٠٥و س ٢
وقوله: **ما سمعنا بهذا**، قال بعضهم: أي بالعذاب. **في آبائنا الأولين**. ويقال: **ما سمعنا** التوحيد **في آبائنا الأولين**، كما يدعو [إليه] نوح.* ٥٠٥و س ٤]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٢٥]

وقوله: **إن هو إلا رجل به جنة**، قد عرفوا أنه ليس به جنون ولكن أرادوا التلبيس والتموية على قومهم حيث خالفهم [نوح] في جميع أمورهم وعادَى الرؤساء منهم والقادَةَ. ويقولون: ما يفعل هذ إلا الجنون[5] فيه وآفة أصابته في عقله، وإلا عرفوا هم[6] في أنفسهم -أعني القادة- أنه ليس بمجنون ولكن أرادوا التموية / على قومهم. [٥٠٥و]

ثم قالوا: **فتربصوا به حتى حين**، لسنا ندري ما أرادوا؛ الموت أو وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون، أو أرادوا وقتا آخر.*

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٢٦]

وقوله: **قال رب انصرني بما كذبون**، لم يدعُ عليهم بأول ما كذبوه، ولكن إنما دعا عليهم بعد ما أيس من عودهم إلى تصديقه، وهو ما قال: أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ.[8] وقال أهل التأويل: انصرني بتحقيق ما وعدت لهم من العذاب فإنه نازل بهم في الدنيا وعذّبهم[9] بما كذبوني[10] في قولي بأن العذاب نازل بهم في الدنيا. أو أن يكون قوله:[11] **انصرني بما كذبونِ**، أي اجعل لي الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه.[12]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ع م: عليهم.
[3] ر ع م - له.
* وقع م بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٢- ٤.
[5] ر ع م: الجنون.
[6] م: عرفوهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٢- ٤.
[8] ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ (سورة القمر، ٥٤/ ٩- ١٠).
[9] ر م: وعذبتهم.
[10] ن: بما كذبو.
[11] ن + قوله
[12] «أي اجعل لي الظفر عليهم بسبب ما وجد منهم التكذيب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١٣ظ.

**﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا**، قال بعضهم: بمطر منا. وقال بعضهم: بمَرأى منا. وجائز أن يكون صلوات الله عليه ظنَّ لَمّا أُمِر باتخاذ الفلك أنهم لا يتركونه أن يتخذ الفلك، فأخبره عز وجل: إنك تتخذه بحيث نراه[1] وننصرك عليهم بحيث[2] لا يمكنون منعك[3] عن اتخاذها. وقوله: **ووحينا**، أي بأمرنا.

وقوله: **فإذا جاء أمرنا وفار التنور**، أي إذ جاء الموعود بأمرنا **وفار التنور**. أو أن يقول: إذا جاء وقت أمرنا بالعذاب وفار ما ذُكر، أي خرج الماء من التنور وظهر.

وقوله:[4] **فَاسْلُكْ فيها**، قيل: أَدخل فيها، يقال سلَكتُ وأَسْلَكْتُ،[5] وهو الإدخال، كقوله: اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ،[6] أي، أَدخِل، وتفسير: اُسْلُكْ، ما ذكر في آية أخرى: قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا.[7]

وقوله: **مِن كُلٍّ زوجين اثنين**، يحتمل أن يكون قوله: **اثنين** نعتا[8] لقوله: **من كلٍّ زوجين** مِن الذكر والأنثى. وجائز أن يكون قوله: **من كلٍّ زوجين**، أي من كل زوجين عددين لونين: أبيض وأسودَ وطيِّب وخبيثٍ. وقوله: **وأهلَكَ**، أي احمل أهلك أيضا في السفينة. وقوله: **إلا من سبق عليه القول [منهم]**، بالعذاب والاهلاك، وقد ذكرنا هذا في سورة هود.[9]

وقوله: **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرَقون**، اختلف فيه. قال قائلون: إنما نهاه عن مخاطبته في الذين ظلموا حيث قال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي،[10] نهاه عن أن يسأله. فإن كان على هذ فقوله: **ولا تخاطبني**، أي لا تراجعني الكلام في الذين ظلموا. وقال قائلون قوله:

---

[1] ن ع: يره.
[2] ن - بحيث.
[3] م - منعك.
[4] ن: قوله.
[5] م - وأسكت.
[6] سورة القصص، ٣٢/٢٨.
[7] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ (سورة هود، ٤٠/١١)
[8] جميع النسخ: نعت.
[9] انظر: تفسير سورة هود، ٤٠/١١.
[10] ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ (سوره هود، ٤٥/١١).

**ولا تخاطبني في الذين ظلموا**، في جميع ظَلَمَة قومه، **إنهم مغرقون**، وإن كان على هذا فهو نَهْيٌ عن ابتداء السؤال في نجاتهم. *والله أعلم*.

[٥٠٥و س٣٣ *وقال القُتَبي: **فاسلك فيها**، أي أدخل فيها، يقال:[١] سلكت[٢] الخيط في الإبرة، وأسلكتُه.[٣]

٥٠٥و س٣٤] وقال أبو عبيدة كذلك.*

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٨]

وقوله: **فإذا استويت أنت ومن معك** من المؤمنين، **على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين**. هكذا الواجب على كل من أنجاه الله من الظلمة أن يحمَد ربه على ذلك ويسأله النجاة إذا ابتُلي بهم كما علَّم نوحا أن يقول ما ذكر ويحمَده على النجاة منهم، وكما قال موسى حين خرج من عندهم خائفا: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[٥] وكما سألَت امرأة فرعون النجاة من فرعون وقومه حين قالت: وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[٦] ثم علَّمه ربُّه أن يسأله[٧] الإنزال في مُنزَل مبارك حيث قال:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٢٩]

**وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المُنزلين**. ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميعَ الخيرات والحسنات وعَمَلَ الصالحات. ويحتمل سؤاله المُنزلَ المبارك لموضعَ الذي فيه السعة والخصب على ما قاله بعض أهل التأويل: المبارك بالماء والشجر وغيره. فإن كان هذا ففيه دلالة إباحة سؤال السَّعة والخصب. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[٣٠]

وقوله:[٨] **إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين**، قال قائلون: قوله: **إن في ذلك لآيات**، أي في هلاك قوم نوح وإغراقهم لآيات لِمَن بعدهم. **وإن كنا لمبتلين** بآيات تفضلا منا وإحسانا سوى ذلك.

---

[١] ر ه: فقال.
[٢] ر ه: سلت.
[٣] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٣٣-٣٤.
[٥] ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظلمين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٢١).
[٦] سورة التحريم، ٦٦/١١.
[٧] م: أن يسأل.
[٨] ن: قوله.

ويحتمل وجها آخر وهو أنّ قوله: **وإن كنا لمبتلين**، أي وما كنا لَمُبتلين. وتأويله **إن في ذلك**، أي في قوم نوح وما كان بهم، **لآيات** لمن بعدهم، وما كنا لمبتلين[1] بسوى الآيات[2] التي كانت. وجائز في اللغة "إنْ" بمعنى "ما". ويحتمل وجها آخر وهو أنّ قوله: **وإن كنا لمبتلين**، أي وقد كنا لمبتلين، أي قد ابتلاهم قبل إهلاكه إياهم. ولسنا نعرف ما حقيقة هذا الكلام وما مراده. ***والله أعلم***.*
وقال أبو عَوْسَجة: **وإن كنا لمبتلين** هذا من الابتلاء، أي الاختبار.[4] ومن البلاء لمُبْلون.[5]

**﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٣١] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣٢]**

وقوله: **ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين**، قيل: من بعد قوم نوح، **قرنا آخرين** عادا وغيرهم. **فأرسلنا فيهم رسولا منهم** قالوا: هودا، **أنِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**. جميع الأنبياء والرسل إنما بعثوا بالدعاء إلى توحيد الله وجعل العبادة[6] له. وقوله: **أفلا تتقون**، مخالفته أو عبادة مَن دونه وجميعَ معاصيه على ما ذكرنا من قبل.

**﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٣٣] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[٣٤]**

وقوله: **وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة**، أي بالبعث، **وأترفناهم في الحياة الدنيا**. قال بعضهم: **أترفناهم**، أي بسطنا لهم في الدنيا حتى ركبوا المعاصي / وقال [٥٠٥ظ]
بعضهم: المُتْرَف الغني الطاغي.

*وقال القُتَبي: **وأترفناهم**، أي وسّعنا عليهم حتى أترفوا. والتُّرفة النعمة،[7] ومثلها تُحفة، كأن [٥٠٥ظ س
المترَف هو الذي يُتحَف.[8] وقال غيره: **أترفناهم**، أي أنعمنا عليهم وبسطنا لهم. فكله يرجع إلى واحد.* ٥٠٥ظ س ١٤

---

[1] ر ع م - أي وما كنا لمبتلين وتأويله إن في ذلك أي في قوم نوح وما كان بهم لآيات لمن بعدهم وما كنا لمبتلين.
[2] جميع النسخ: بسور الآيات؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٧ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٣٣- ٣٤.
[4] جميع النسخ: أي اختبر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
[5] جميع النسخ: مبلون.
[6] ر ع م: عبادة.
[7] جميع النسخ: منه.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥ظ /سطر ١٢- ١٤.

وقوله: **ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم**، الآية. قد ذكرنا فيما تقدم أنهم تناقضوا[1] في قولهم: **ما هذا إلا بشر مثلكم**، إلى قوهم:[2] **ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون**، لما أنهم منعوا الأتباع عن أن يتبعوا الرسول ويطيعوه[3] لأنه بشر مثلهم، ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع في أمورهم وهم بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول وفساد.

**﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[٣٥] ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[٣٦]**

وقوله: **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون**، قال بعضهم: **هيهات** استبعاد لأمر وإنكاره، أي بعيدا بعيدا، أي أمرٌ لا يكون.

[٥٠٥ظ س١٤ *قال أبو عَوْسَجة: قوله: **هيهات هيهات**، هذا تبعيد للأمر، أي إنه أمر بعيد على ما ذكرنا
٥٠٥ظ س١٥] أنه لا يكون.*

**﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٣٧]**

وقوله: **إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا**، إن كان هذا القول من الثنوية والدهرية فقوله: **نموت ونحيا** هم بأنفسهم، لأنهم يقولون: يموت الإنسان فيحيا غيره من البقر والحُمُر[5] وغيره من ترابه إذا أُكِل.[6] وإن كان هذا القول من غير الثنوية فنقول قوله: **نموت ونحيا**، أي نموت نحن ويحيا الأبناء. وذكر في حرف ابن مسعود وأُبي: نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين.[7]

**﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣٨]**

وقوله: **إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين**، هذا قولهم.[8]

---

[1] م: تناقض. انظر حول تفسير تناقضهم: سورة المؤمنون، ٢٤/٢٣.
[2] ر ع م: قوله.
[3] ر ع م: الرسل ويطيعوا؛ ن: الرسول ويطيعوا.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ /سطر ٢٧.
[5] ن: والحمر.
[6] «هم يقولون: يموت الإنسان فيصير ترابا، ثم ينبت من ذلك التراب الكلأ فيأكله البقر والغنم فيصير ذلك جزءا من أجزائها فيصير حيا بعد الموت. فهو معنى قولهم: نموت ونحيا، لا أنهم يقرون بالبعث» (شرح التأويلات، ورقة ٥١٤و).
[7] كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.
[8] ر: قوله.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٣٩] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[٤٠]

وقوله: **قال رب انصرني بما كذبون**، قد ذكرناه.[1] **قال عما قليل ليصبحن نادمين**، أي عن قريب يندمون بالتكذيب وعن هذا القول[2] الذي قالوه والإنكار الذي أنكروه، لا شك في ذلك.*

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤١]

وقوله: **فأخذتهم الصيحة بالحق**، قد ذكرنا. وقوله: **فجعلنا هم غثاء**، قال بعضهم: الغثاء اليابس الهامد كنبات الأرض إذا يبس. وقال بعضهم: الغثاء هو الذي يحمله السيل بالموج. قال أبو معاذ: غُثَاءً أَحْوَى،[4] أي أسود. وقال بعضهم: **غثاء**، أي موتى. وجائز أن يكون تأويل قوله: **غثاء**، أي كالشيء المنسي الذي لا يذكر ألبتة، لأن أولئك الفراعنة والأكابر إذا هلكوا[5] لم يذكروا ألبتة ولا افتخر[6] أحد[7] من أولادهم بهم من بعد الهلاك، كما افتخر أولاد الأنبياء والرسل والصالحين بآبائهم وأجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين إلى أبد الآبدين. فأما أولئك صاروا خامِلِي[8] الذكر كالشيء الخسيس المنسي المتروك. وقوله: **فجعلناهم غثاء**، الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالرميم الهامد الذي يحمله السيل. وعلى قول[9] بعضهم كالشيء البالي المتغير. وعلى قول[10] بعض: الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به. وكله واحد. وقال القُتَبي: **غُثَاءً**، أي هَلْكَى كالغُثاء وهو ما علا[11] السيل من الزَّبَد والقَمْش،[12] لأنه يذهب ويتفرق.[13] قال أبو عَوْسَجة: الغثاء ما يحمل السيل من العِيدان والبَعْر، والأغْثِيَة جَمْعٌ،[14] والغثاء حميل السيل.

---

1 انظر: تفسير الآية ٢٦ من هذه السورة.

2 ر ع م: عن هذا القول.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٣ و٣٦ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥ظ /سطر ١٢– ١٥.

4 ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ (سورة الأعلى، ٨٧/٥).

5 ر: أهلكوا.

6 م: وافتخر.

7 ر م: أحدهم.

8 الخامل: الخَفِيُّ الساقط الذي لا نَباهة له. يقال: هو خامل الذِّكْرِ والصوتِ (لسان العرب، «خمل»).

9 ر ع م: على قول.

10 ر م – قول.

11 ر م: على

12 القَمْشُ: الرديء من كل شيء (لسان العرب، «قمش»).

13 تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

14 جمع النسخ: جميع

ثم ذكر[1] أنفس قوم عاد وثمود وشبههما مما ذكر من الغُثاء. وكذلك يذكر أنفس جميع[2] أهل الشرور والفساد. وذكر في أهل الخير أعمالهم لا أنفسهم،[3] لأن لهم أعمال الخير والصلاح فيجعل[4] أنفسهم حيّة بالأعمال، كقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾،[5] جعل أعمالهم أحاديث فيما بينهم. وأما أهل الكفر والشر فإنه لا أعمال لهم تذكر فتذكر أنفسهم بُعدا لهم[6] وسُحقا.

**﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾[٤٢] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[٤٣]**

وقوله: **ثم أنشأنا من بعدهم**، قيل: من بعد قوم عاد وهؤلاء **قرونا آخرين. ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**، كأنه ذكر هذا لِما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذي أُوعِدوا، فأخبر أن لكل أمة أجلا[7] لا تسبق أجلها باستعجال[8] من يستعجل، ولا يستأخرون أجلها الذي جُعل لهم.

**﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٤٥] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[٤٦]**

وقوله: **ثم أرسلنا رسلنا تترى**، قال بعضهم: **تترى**، تِبَاعٌ واحدٍ بعد واحد، وبعضٍ على إثر بعض. **كلما جاء أُمةً رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا**، في الهلاك، الأول فالأول. **وجعلناهم أحاديث**، لمن بعدهم ولمن بقي منهم، يعني الذين أهلكوا. **فبُعدا لقوم لا يؤمنون.**

---

[1] أي في الآيات السابقة، من هذه السورة، من ابتداء الآية ٣٣.

[2] ن - أنفس.

[3] م: لأنفسهم.

[4] ع م: فتجعل.

[5] ﴿فقالوا ربنا باعِدْ بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل مُمَزَّق﴾ (سورة سبأ، ١٩/٣٤).
يبدو أن الاستدلال بهذه الآية على أعمال أهل الخير والصلاح ليس بصحيح، لأن هذه الآية تخبر عما نزل على ساكني سبأ من العذاب والهلاك. وستأتي قريبا آية أخرى تخبر عما نزل بمكذبي الرسل من العذاب والهلاك أيضا، بقوله: ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فَبُعْدًا لقوم لا يؤمنون﴾. وأما استدلال الإمام في أن أهل الخير، أي المؤمنين يذكرون بأعمالهم لا بأنفسهم ففيه آيات كثيرة. من ذلك الآيات المبتدأة بها في السورة التي نحن بصدد تفسيرها: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

[6] ع م: بعدا وسحقا.

[7] جميع النسخ: أجل.

[8] ر م: بالاستعجال.

**ثم أرسلنا موسى**. قد ذكرنا. **فاستكبروا وكانوا قوما عالين**. قيل: غالبين.[1] كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ.[2] وقال بعضهم: متكبرين متجبرين.[3] قال[4] أبو عَوْسَجة: هو من العلو، ليس من التعالي، والتعالي لا يوصف به الخلق.

قال القُتَبي: **تَتْرَى**، أي تَتَابَعُ بفترةٍ بين كل رسولين، وهو من التواتر. والأصل وَتْرَى فقُلِبَتْ الواوُ تاءً كما قَلَبوها في التَّقوى والتُّخَمة[5] والتُّكلان.[6] وقال أبو عَوْسَجة: **تترى**: بعضهم على إثر بعض، وهو من المتابعة.

وفي قوله: **ثم أرسلنا رسلنا تترى** دلالة على[7] أن أهل الفترة ومن كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم في شيء لإبقاء الحجج والبراهين قبل أن يبعث آخر وحُسنِ آثارهم وأعلامهم -أعني آثار الرسل وأعلامهم- حيث[8] أخبر أنه أرسل الرسل تِباعا بعضا على إثر[9] بعض وإن كانت[10] بين بعثهم فترةٌ، لما أبقى الحجج[11] / والبراهين وآثار الرسل وأعلامهم.[12] *والله أعلم*. [٥٠٦و]

**﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[٤٧] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾[٤٨]**

وقوله: **فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**، قال[13] بعضهم: نَذْهب[14] نَرْفَعُهم[15]

---

[1] ر ع م - قيل غالبين.
[2] ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٤).
[3] ر م: ومتجبرين.
[4] ع: وقال.
[5] التُّخَمة، بالتحريك: الذي يُصيبك من الطعام إذا استوخمته (لسان العرب، «وخم»).
[6] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧. والتوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكلان (لسان العرب، «وكل»).
[7] ن ع م - على.
[8] ر م - حيث.
[9] ر م - إثر.
[10] جميع النسخ: وإن كان.
[11] م + والبراهين قبل أن يبعث آخر وحسن آثارهم وأعلامهم أعني آثار الرسل وأعلامهم أخبر أنه أرسل الرسل تباعا بعضا على بعض وإن كانت بين بعثهم فترة لما أبقى الحجج.
[12] ر م: وأعلامهم.
[13] ر: وقال.
[14] ر ع: نذهب.
[15] ر: نرفعهم.

بعد ما كنا نحن[1] غالبين عليهم نجعلهم[2] غالبين علينا وكانوا لنا[3] عابدين. أي نرفعهم[4] فوقنا ونكون تحتهم، ونحن ليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع[5] ذلك؟[6] وذلك[7] -والله أعلم- حين أتوهم بالرسالة. **فكذبوهما فكانوا من المهلكين.** صاروا من المهلكين بالتكذيب.[8]

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٤٩]**

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون.** يشبه أن يكون حرف "لعلّ" لموسى، أي آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده. و"لعلّ" حرف[9] رجاء وترجٍ،[10] لكن يستعمل مرة على الإيجاب والإلزام، ومرة على النهي، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[11] أي لا تبخع نفسك، وقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ،[12] أي لا تترك بعض ما يوحى إليك، وذلك جارٍ[13] في اللغة، يقول الرجل لآخر: لعلك تفعل كذا، أي لا تفعل، ونحوه. وحرف "لعلّ" من الله يحتمل الإيجاب والإلزام والنهي، ومن الخلق على النهي والترجي. ***والله أعلم.***

**﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٥٠]**

وقوله: **وجعلنا ابن مريم وأمه آية،** خصّ عز وجل عيسى وأمّه بأن جعلهما آية. وجميع البشر في معنى الآية واحد، إذ خُلقوا[14] جميعا من نطفة ثم حُوّلت النطفةُ علقةً[15] والعلقةُ مضغةً إلى آخر ما ينتهي إليه فيصير إنسانا. فالآية والأعجوبة في خلق الإنسان من النطفة

---

[1] ر ع م - نحن.
[2] ر م ع: يجعلهم.
[3] م - لنا.
[4] ر: ترفعهم.
[5] ر: تصنع.
[6] ع: ذاك.
[7] ن: وذاك.
[8] ن: التكذيب.
[9] ن + حرف.
[10] جميع النسخ: إرجاء وترجي.
[11] ﴿لعلك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣).
[12] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ (سورة هود، ١١/١٢).
[13] ع: جار.
[14] ع: واحدا واجتمعوا.
[15] ن + علقة.

ومما ذُكر[١] –إن لم تكن أكثرَ وأعظمَ– لم تكن بدون خلقه بلا أب ولا زوج وما ذَكَر، لكنه خصّهما بذكر الآية فيهما لخروجهما[٢] عن الأمر المُعتاد في الخلق. والعادة الظاهرة فيهم أنْ يُخلقوا من النطفة والأب والتزاوج[٣] والتناسل الذي يجري فيما بينهم والأسبابِ التي جُعِلت[٤] للتوالد.[٥] فخروجهما[٦] عن الأمر المعتاد والعادة الظاهرة خصَّهما بذكر الآية. وإلا الآية[٧] والأعجوبة في خلق البشر من النطفة وما ذكر –إن لم تكن[٨] أكثرَ وأعظمَ– لم تكن دونه. وهو كما خصّ[٩] بني إسرائيل بالخطاب[١٠] بالشكر لِما أنعم عليهم من المن والسلوى ولِما أنجاهم من آل فرعون، بقوله:[١١] ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾،[١٢] وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾،[١٣] [وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾].[١٤] وقد كان عليهم من النعم ما هو أعظم وأكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون وآله، لكنه خصّهم بذكر المن والسلوى واستأدى منهم الشكرَ بذلك من بين سائر النعم لأنها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة، وهم كانوا مخصوصين بهذا من بين غيرهم، فعلى ذلك عيسى وأمه كانا خارجين عن الأمر المعتاد ومخصوصين[١٥] بذلك، لذلك خصهما بذكر الآية.

والآية ما ذكر بعض أهل التأويل أنه خُلق من غير أب ولَدَته أمُّه من غير بعل[١٦] وأمثالها.[١٧]

---

[١] ر ع م: ذكرنا.
[٢] ن: خروجها.
[٣] ر م + جعلت للتوالد.
[٤] ر ع م: جعل.
[٥] ع: للتولد؛ ر ع م + في الخلق.
[٦] ر: بخروجهما؛ م: خروجهما.
[٧] ر م – وإلا الآية.
[٨] ر ع م: يكن.
[٩] جميع النسخ: ما خص؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤ظ.
[١٠] م: الخطاب.
[١١] ع: بقوله؛ ر م: لقومه.
[١٢] ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ (سورة إبراهيم، ٦/١٤).
[١٣] سورة البقرة، ٤٧/٢.
[١٤] سورة طه، ٨٠/٢٠.
[١٥] ن ع: مخصوصين.
[١٦] ر م ع: فعل.
[١٧] ن – وأمثالها.

وقال بعضهم: الآية في عيسى بأن كلّم الناس في المهد صبيا ونحوه من إبراء الأكمَه والأبرَص وإحياء الموتى ومثله.[1]

وقوله: **وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين**، ذكر أنه آواهما[2] إلى ربوة كما يؤوي[3] الأبُ والأم الولدَ إلى مكان يتعيّش به؛ إذ الربوة هي مكان التعيش فيه، ألا ترى[4] أنه ذكر **ذاتَ قرارٍ ومعين**، وذات القرار[5] هو المكان الذي يُستقَرّ فيه ويُتعيّش. وقوله: **ومعين** المعين هو الماء الجاري الطاهر[6] الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.[7]

[٥٠٦ظ س١٦] *قال أبو عَوْسَجة: قوله: **إلى ربوة**، قال: الربوة[8] المكان المرتفع. وآويته، أي وأدنيته.[9] وقال القُتَبي: الربوة الارتفاع. وكل شيء ارتفع أو زاد فقد رَبا، ومنه الرِّبا[10] في البيع.[11] قال أبو معاذ: لعرب في الربوة أربعُ لغات: رَبْوَة ورُبْوَة ورِبْوَة[12] ورَباوة. وقوله: **ذات قرار ومعين**، قال أبو عَوْسَجة: المعين الماء الطاهر[13] الجاري، والقرار الثبات؛ وتقول منه: قرّ[14] يَقَرُّ قَرارا، فهو قارٌّ؛ وأقررته، أي أثبتُّه. وكذلك قال القُتَبي. وقال: معين ماء طاهر[15] وهو مفعول من العين، [٥٠٦ظ س٢١] كان أصله معيون كما يقال: ثوب مَخيط وبُرٌّ[16] مَكيل.[17]*

---

[1] كما قال الله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفُخ فيها فتكون طيرا بإذني وتُبْرِئ الأكْمَهَ والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٠).

[2] ن: وآويهما.

[3] ن ع م: يروى.

[4] ن: يرى.

[5] ر م − وذات القرار.

[6] ر ع م: الظاهر.

[7] ن − وقوله ومعين المعين هو الماء الجاري الطاهر الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.

[8] ع م − قال الربوة.

[9] ر م: أويته.

[10] ن ع م: الربو.

[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

[12] ع − وربوة.

[13] ر م: الظاهر.

[14] ر م: قر.

[15] ر م: ظاهر.

[16] ن: بر.

[17] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٦ظ/سطر ١٦-٢١.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٥١]

وقوله: **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا**، قال عامة أهل التأويل: إنه خاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب هو، والمراد منه جميع أمته في ذلك. ولكن جائز أن يقال: خاطب به جميع الرسل لأنهم جميعا مخاطبون بهذا كله من أكل الطيبات والعمل الصالح؛ هذا الخطاب فيه وفي غيرهم، إذ عمّهم جميعا بهذا. ثم **الطيبات** يحتمل أن[1] يراد به الحلالات، كأنه قال: كلوا حلالا غير حرام، ألا ترى[2] أنه قال: **واعملوا صالحا**، أي اعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا، فعلى ذلك قوله: **كلوا من الطيبات**، أي كلوا حلالا ولا تأكلوا حراما ما[3] خَبُثَ. وفيه أنهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم من البشر[4] بالأمر والنهي.[5] ويحتمل أيضا قوله: **كلوا من الطيبات**، ما طابت به أنفسكم وتلذذت، فإن كان على هذا فهو يخرج على الإباحة والرخصة ليس على الأمر. معناه: لكم أن تأكلوا ما تستطيب به أنفسكم ولكم أن تُؤْثِروا غيرَكم به على أنفسكم. وإن كان على الأول[6] فهو على الأمر يخرج والنهي. ***والله أعلم***.

وقوله: **إني بما تعملون عليم**، ظاهر، وهو وعيد.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٥٢]

وقوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، جائز أن يكون قوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، في الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة،[7] كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،[8] أي كنتم خير أمة في الكتب المتقدمة وفي الأمم الماضية، فعلى[9] ذلك هذا.[10] وقال بعضهم: قوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، أي دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهي الإسلام.

---

[1] ر م: بأن.
[2] ن: يرى.
[3] م – ما.
[4] ر ع م – من البشر.
[5] ر م – والنهي.
[6] ر ع م: على الأمر.
[7] ر م – السالفة.
[8] سورة آل عمران، ١١٠/٣.
[9] م: فعل.
[10] ن – فعلى ذلك هذا.

[٥٠٦ظ] وقال بعضهم: لسانكم لسان واحد. وجائز أن يكون قوله: **أمتكم أمة واحدة**، لا يختلفون في رسولكم إلى يوم القيامة كما اختلف الأمم الذين من قبلكم في رسلهم، بل تجعلوا رسولكم رسولا على ما هو عليه. وأما سائر الأمم فإنهم قد فرّطوا فيهم حتى كان[1] فيهم من[2] جعل الرسول ابنا له. كقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، والنصارى كذلك.[3] وأما هؤلاء فإنهم لا يزالون على أمر واحد. **والله أعلم**.

وقوله: **وأنا ربكم فاتقونِ**، وقال في آية أخرى: فَاعْبُدُونِ،[4] جائز أن يكونا واحدا، وجائز أن يكون قوله: **فاتقون**، أي خالفني. و **فاعبدون**،[5] أي اعبدوني وأطيعوني.

**﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٥٣]**

وقوله: **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا**، قال بعضهم: **فتقطعوا أمرهم**، وفقطّعوا[6] واحد، وهما لغتان: تفرّقوا وفرّقوا. **زُبُرا** برفع الباء وزُبَرا بنصب الباء.[7] قال أبو معاذ: من قرأ بالنصب زُبَرا فمعناه قِطَعا، كقوله: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ،[8] وزُبُرا بالرفع، أي كُتبا، كقوله: تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ،[9] وقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[10] ونحوه. وقال في حرف ابن مسعود وأُبي: وقطّعوا الزبور بينهم.[11] قال أبو معاذ: قطّعوا وتقطّعوا لغتان كقيلك: علّقت الشيء وتعلّقته، وحوّلت وتحوّلت، وولّيت[12] وتولّيت ونحوه كثير.

**كل حزب بما لديهم فرحون**، راضون أو مسرورون بما لديهم من الدين، أو ما ذكرنا.

---

[1] ن – كان.
[2] ر م – من.
[3] ر م – كذلك. ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ (سورة التوبة، ٣٠/٩).
[4] ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الأنبياء، ٩٢/٢١).
[5] ر م: أي خالفني فاعبدون.
[6] ر ن ع: وتقطعوا.
[7] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٣٥/٣.
[8] سورة الكهف، ٩٦/١٨.
[9] ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ (سورة الأنعام، ٩١/٦).
[10] ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ (سورة البقرة، ٧٩/٢).
[11] ن + زبر. لم ترد هذه القراءة عنهما في *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.
[12] ع – ووليت.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٥٤]

**فذرهم في غمرتهم حتى حين**، وقال في آية أخرى: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا،[١] وقال: وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.[٢] فذلك يحتمل وجوها. أحدها[٣] قال ذلك عند الإياس عن إجابتهم لِما علم أنهم لا يؤمنون. وذلك في قوم مخصوصين، كأنه قال: ذَرْ هؤلاء وأَقبِلْ نَحوَ[٤] هؤلاء الذين يقبلون أمرك ويجيبون دعاءك[٥] ويسمعونه.

والثاني **فذرهم في غمرتهم**، ولا تكافئهم[٦] حتى أنا أكافئهم، كقوله: فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ.[٧]

والثالث أمره أن يذَرهم ويُعرض عنهم لئلا يخوضوا في سبّ[٨] الله والطعن في آياته،[٩] كقوله: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا،[١٠] الآية. وقوله: **حتى حين**، يحتمل القيامة، ويحتمل وقتا[١١] آخر لم يبين. *والله أعلم*.*

وقوله: **في غمرتهم**، قيل: في ضلالتهم وغفلتهم.[١٣] وقال [القُتَبي]:[١٤] الغَمْر الماء الكثير، وغَمْرة[١٥] الحرب وسطها، وغَمرة[١٦] الموت شدتها، رجل غَمْرٌ، أي سخِيّ.[١٧] وجمعه غِمار. ويقال: غَمَرَه[١٨] الماءُ، أي صار فوقه. قال: والغَمَر العداوة،[١٩] والغَمْر الذي لم يجرب الأمور،

---

[١] ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ (سورة الزخرف، ٨٣/٤٣).
[٢] سورة الأنعام، ١١٠/٦.
[٣] م – أحدها.
[٤] ر م – نحو.
[٥] ن م: دعاك.
[٦] جميع النسخ: ولا تكافهم.
[٧] سورة الطور، ٤٥/٥٢).
[٨] ن: في بيت.
[٩] ر: الآية.
[١٠] ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ (سورة الأنعام، ٦٨/٦).
[١١] ر ع م: وقت.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٦ظ/سطر ١٦–٢١.
[١٣] ر م: عصيتهم
[١٤] الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٥و.
[١٥] ر م: وعمرت
[١٦] ر م: عمرة.
[١٧] ر ع م + ليس له جمع؛ ن + ليس له جميع.
[١٨] ر ع: عمرة.
[١٩] ر م: عدوة

وقوم أغمار.[1] و لعَمَر الدَّسِم، والغَمْرة ستدة، والغمَرات جميع. والغُمَر القَدَح الصعير، والمعامرة المخاطرة، تقول: غامر بنفسه، أي خاطر بها.

**﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾[٥٥] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥٦]**

وقوله: **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون،** حسِب أولئك الكفرة أن ما أمد لهم من الأموال والبنين وما[2] أعطى لهم إنما أعطى لهم خيرا لهم وبِرّا لا شرّا. فأخبر عز وجل وكذّبهم في حِسْبانهم الذي حسِبوا فقال: **بل لا يشعرون،** أنه إنما أعطى لهم ذلك شرا وإثما. فعلى ما حسب أولئك الكفرة فيما أعطوا من الأموال والبنين إنما أُعْطُوا خيرا.

حسِب المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى لا يفعل[3] بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح لهم[4] في الدين؛ فأخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح لهم، وهو ما ذكر في قوله: إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا.[5] وهم يقولون: إنما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبِرّا. وكذلك قالوا في قوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا،[6] وهم يقولون: لا،[7] بل إنما أراد ليرحمهم بها. فيقال لهم: [أ]أنتم أعلم أم الله، كما قال لأولئك الكفرة حيث قال: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ.[8]

---

[1] ورجل غَمْرُ الرِّداء وغَمْرُ الخُلُق، أي واسع الخُلُق كثير المعروف سخي. ورجل غُمْر وغَمِر: لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنّكه التّجارب (*لسان العرب*، «غمر»).

[2] ر ع م: ما.

[3] ع - لا يفعل.

[4] ر ع م: له.

[5] ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ (سورة آل عمران، ١٧٨/٣).

[6] ر م + وهم يقولون إنما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا في قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله يعذبهم؛ ع - بها. ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).

[7] ع: لا.

[8] ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ (سورة البقرة، ١٤٠/٢).

إلا أن يكابروا في قوله: **بل لا يشعرون**، لما أنهم إنما[1] قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال: **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين**، فقال: **بل لا يشعرون** حيث قالوا ذلك ظنا وحسبانا. وإنما الواجب عليهم أن يعلموا[2] ذلك علم إحاطة ويقين.

فجواب هذا أن يقال: إن عندهم أنّ ذلك إنما أُعطي لهم وأُملي خيرا وبرّا لهم، فكانوا على يقين من ذلك وإحاطة عند أنفسهم. وإنما ذلك الظن والحسبان هم مما عند الله، وإلا كانوا على حقيقة العلم عند أنفسهم أنه إنما أعطاهم ذلك وأمدّ هم خيرا. فأكذبهم الله في ذلك وردّ عليهم قولهم: إنه أنما أعطاهم ذلك لما ذكروا، بل أخبر أنه إنما أعطاهم لمضادة ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**، جائز أن يكون هذا موصولا بقوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[3] على التقديم والتأخير، فكأنه قال: / إنما نسارع في الخيرات للذين [٥٠٧و] **هم من خشية ربهم مشفقون** إلى آخر ما ذكر، لا لأولئك[4] الكفرة. وجائز[5] أن يكون على الابتداء، وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال: **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**،[6] أي من عذاب ربهم خائفون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٨]

وقوله: **والذين هم بآيات ربهم يؤمنون**، الإيمان بالآيات يكون إيمانا بالله حقيقة لأن الآيات هن الأعلام التي تدل على وحدانية الله وربوبيته. والإيمان هو التصديق، فإذا صدق آياته وهن أعلام وأخبار تخبر عن وحدانية الله، فإذا صدقها صدّق الله وآمن به، لذلك قلنا الإيمان بآياته يكون إيمانا بالله.[7]

---

[1] ر ع م - إنما.
[2] ع: يعلمو.
[3] الآية السابقة.
[4] ر ع م: لا أولئك.
[5] ر: جائز.
[6] ع - إلى آخر ما ذكر لا أولئك لكفرة وجائز أن يكون على الابتداء وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون.
[7] ن: لله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[٥٩]

وقوله: **والذين هم بربهم لا يشركون**، أي لا يشركون غيره في عبادتهم.[١]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٦٠]

وقوله:[٢] **والذين يؤتون ما آتوا**، وفي بعض القراءات:[٣] والذين يأتون[٤] ما آتوا، مقصورة، وهي قراءة عائشة. فمن قرأ:[٥] يأتون ما آتوا،[٦] تأويله: أي الذين يعملون من عمل وجلت له قلوبهم أن[٧] يتقبّل منهم أم لا. ومن قرأ:[٨] **يؤتون ما آتوا**، فهو من الإعطاء والإنفاق،[٩] يقول: والذين يُعطون ويُنفقون[١٠] ما أنفقوا وقلوبهم وجلة إن ذلك يقبل منهم أم لا. وفيه دلالة أن المطيع فما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسيء في إساءته. وكذلك روي عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالت: أهم[١١] الذين يشربون الخمر ويَسرِقون ويزنون؟ فقال: «لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات».[١٢] وجائز أن يكون قوله: **وقلوبهم وجلة**، لا على ذلك ولكن على ما يذكر، أي قلوبهم وجلة أنهم بم[١٣] يرجعون إلى ربهم: على السعادة أم على الشقاوة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ع م: عبادهم.
[٢] ن: قوله.
[٣] ر: لقراءات.
[٤] ع: يؤتون.
[٥] م: قراء.
[٦] انظر: *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سيد مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٢٣٧.
[٧] ر ع م: أي.
[٨] ع م: قراء.
[٩] ورد في مسند أحمد عن أبي خلف أنه دخل مع عُبَيد بن عُمَير على عائشة، فسألها عبيد بن عمير كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: الذين يأتون ما أوتوا أو يؤتون ما آتوا. فقالت: أيهما أحب إليك؟ فقال: والله لأحدهما أحب إلي من كذا وكذا. قالت: أيتهما؟ قال الذين يأتون ما أتوا. فقالت: أشهد كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف (*المسند*، ٦/١٤٤).
[١٠] ر: أو ينفقون.
[١١] ع: هم.
[١٢] *سنن ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤.
[١٣] ر م: بهم.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٦١]

وقوله: **أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.** أخبر أن الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون في الخيرات، لا أولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم. وقوله: **وهم لها سابقون.** يحتمل أي سبقوا إلى الخيرات أو سبقوا[١] أولئك الكفرةَ بها. *والله أعلم.*[٢]

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٦٢]

وقوله: **ولا نكلف نفسا إلا وسعها**، جائز أن يكون ذَكَر هذا وقاله لما عمل أولئك الكفرة[٣] من الأعمال[٤] التي لا تَسَع ولا تحِلّ فقالوا: الله أمرهم بذلك بقولهم: وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[٥] فقال: **ولا نكلف نفسا إلا وسعها**،[٦] أي إلا ما يسعها ويحل، كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٧] ردًّا لقولهم وتكذيبا لهم.[٨] ويحتمل وجها آخر وهو أن يقول: لا نكلف من الأعمال إلا وسعها، أي طاقتها، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما، أي لا نكلف أحدا[٩] من العمل ما يُتلِف طاقته ووسعه[١٠] فيه؛ لا يُكلِّف الغنيَ من الإعطاء ما يُتلف به غناه، وكذلك لا يكلف كل حي من العمل ما يُتلف به طاقته وحياته، ولكنه إنما أمره وكلّفه بأمور تحتمل طاقتُه[١١] ذلك العملَ والأمر. فإن كان كذلك فدلّ ذلك أنه لم يُرِد به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الأحوال التي يجوز تقدمها عن الأفعال.[١٢] والثاني ذكر[١٣] هذا لئلا يقولوا: إنا لم نُطِق ما كُلّفنا،

---

[١] ر م - إلى الخيرات أو سبقوا.
[٢] ن + والله أعلم.
[٣] ر ع م - الكفرة.
[٤] ر ع م: أعمال.
[٥] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٦] ع + جائز أن يكون ذكر هذا وقاله لما عمل أولئك من أعمال التي لا تسع ولا تحل فقالوا الله أمرهم بذلك بقولهم والله أمرنا بها فقال ولا نكلف نفسا إلا وسعها.
[٧] تقدم قريبا.
[٨] ر ع م - لهم.
[٩] ر م: أحد.
[١٠] ر م: وسعه.
[١١] جميع النسخ: يحتمل طاقتهم.
[١٢] جميع النسخ: الأحوال؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٥ظ.
[١٣] ر ع م: ذلك.

لأنهم تركوا الأعمال التي أمروا بها وكُلفوا بأعمالٍ مثلِها التي تركوها وهي المعاصي التي عملوها، فما أُمِروا من الأعمال ليس يفوق التي عملوها ولكن مثلها، فلا يكون لهم في ذلك احتجاج.

وقوله:[1] **ولدينا كتاب ينطق بالحق** قال قائلون: هو الكتاب الذي يُكتَب فيه أعمالهم وأفعالهم من الخيرات والحسنات[2] والسيئات، وذلك كله محفوظ محصِيّ عليهم، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[3] فإن كان هذا فيكون قوله: **بالحق**، أي بالصدق.[4] وقال قائلون: هو[5] الكتاب الذي أنزل إلينا وهو هذا القرآن؛ **ينطق** عليكم **بالحق** الذي لله علينا وبالحق الذي يكون لبعضٍ على بعض، وهو كقوله: هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ،[6] وهو ما ذكرنا من الحق الذي له علينا ومن الحق الذي لبعضنا على بعض. وجائز أن يكون هو اللوح المحفوظ، فإن كان هذا ففيه أن الله لم يزل عالما بما كان[7] ويكون في الأوقات التي يكون [إلى] أبد الآبدين.

**وهم لا يُظلَمون**، فإن كان على الكتاب الذي يكتب فيه أعمالهم فيكون قوله: **لا يظلمون**، لا يُنقَص من أعمالهم التي عملوا من الخيرات ولا يزاد فيه على سيآتهم، بل يُحفظ ما عملوا. أو أن يكون **وهم لا يظلمون**، أي لا يزاد على الجزاء على قدر أعمالهم ولا ينقص من قدرها، بل يُجزَون على قدر أعمالهم. ***والله أعلم***.

**﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾**[٦٣]

وقوله: **بل قلوبهم في غمرة من هذا**، قيل: في عَماية وجهالة وغفلة من هذا. قال قائلون: قوله: **من هذا**،[8] من الكتاب الذي كتب فيه أعمالهم وأُحصِي عليهم. وقال القائلون[9] قوله: **بل قلوبهم في غمرة من هذا**، أي من هذا القرآن الذي ينطق بالحق، أي قلوبهم في عماية وغفلة من هذا القرآن.

---

١ ن: قوله.
٢ ر – والحسنات.
٣ سورة ق، ٥٠/١٨).
٤ ر م: بالتصديق؛ ع: بالصديق.
٥ ع: في.
٦ ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢٩).
٧ ع: يكون.
٨ ر ع م – قال قائلون قوله من هذا.
٩ ر ع م + من.

وجائز أن يكون قوله: **من هذا**، من[١] الأعمال التي ذكر للمؤمنين فيما تقدم، من ذلك. قوله: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ،[٢] إلى آخر ما ذكر من أعمالهم، فأخبر أن قلوب أولئك الكفرة في غفلة وعماية من الأعمال التي عملها المؤمنون. والله أعلم.

وقوله: **ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون**. اختلف فيه، قال بعضهم: **ولهم أعمال من دون ذلك**، أي من دون ما عمل أولئك الكفرة من الأعمال التي تقدم ذكرها [٥٠٧ظ] من قوله: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ. أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[٣] على ما ذكر، ثم أخبر أن لهم أعمالا من دون ما ذكر. وقال قائلون: **ولهم أعمال**، يعني المؤمنين[٤] الذين ذكر أعمالهم، أي لهم أعمال دون الذي ذكر، هم دون تلك الأعمال.

﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ**﴾[٦٤] ﴿**لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾[٦٥]

وقوله: **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون**، قال أهل التأويل: ذلك في العذاب الذي أخذ أهل مكة في الدنيا من الجوع بسنين[٥] حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة ونحوه. لكن الأشبه أن يكون ذلك في عذاب الآخرة، ألا ترى أنه يقول: **إذا هم يجأرون**، أي يتضرعون. ويقول أيضا: قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ،[٦] فإنما يخبر أن كنتم تفعلون كذا في الدنيا ويذكر: **إذا هم يجأرون**، فلا يحتمل أن يتضرعوا إليه في الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع. أو ينهاهم عن التضرع بقوله: **لا تجأروا اليوم**، فدل ذلك[٧] أنه في الآخرة، وهو ما ذكر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[٨] الآية. مثل هذا يكون في الآخرة،

---

[١] ن - من.

[٢] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٦-٥٧.

[٣] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٤-٥٦.

[٤] ر م: المؤمنون.

[٥] ر ع ه: سنين. السَّنَة: الجدب والقحط. والجمع: سِنُون وسَنَوات (لسان العرب، «سنه»).

[٦] الآية التالية.

[٧] ن: فدل حيث.

[٨] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

وفي الدنيا ما ذكر: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ.[1] ذكر في عذاب الدنيا أنهم لم يتضرعوا، فلا يحتمل أن يتضرعوا[2] في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم[3] لا يقبل منهم التضرع والاستكانة، دل ذلك أنه ما ذكرنا. ألا ترى أنه قال: **لا تجأروا اليوم**، نهاهم عن التضرع، ولا يحتمل النهي عن ذلك.

وقوله: **إنكم منا لا تنصرون**. أي لا تُمنعون من عذابه.

[٥٠٧ظ س٣١ *قال أبو عَوْسَجة: **إذا هم يجأرون**، أي يستغيثون. قال: وأصله من الصياح. وقال بعضهم:

٥٠٧ظ س٣٢] **يجأرون** يصرخون، وقيل: يصيحون.[4]*

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾[٦٦]

وقوله: **قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون**. قوله: **على أعقابكم [تنكصون** أي]، ترجعون، على التمثيل ليس على التحقيق، لأنهم إذا رجعوا على الأعقاب صار ما كان أمامهم وراءهم،[6] فكأنهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم. أو أن[7] يكون المنقلِبُ[8] على الأعقاب كالمكِبِّ على الوجه، والمكبّ على وجهه مذموم عند جميع من رآه[9] وعاينه، هذا شبّهه به وضَرَب مَثَله[10] به. *والله أعلم*.

[٥٠٧ظ س٣٤ *وقوله: **تنكصون**، قال بعضهم: ترجعون، وقال بعضهم: تستأخرون،[11] كقوله: نَكَصَ

٥٠٧ظ س٣٥] عَلَى عَقِبَيْهِ.[12] ترجعون وتستأخرون[13] واحد.*

---

[1] سورة المؤمنون، ٧٦/٢٣.

[2] ر ع م - فلا يحتمل أن يتضرعوا.

[3] ر ع م - ثم.

[4] م - وقيل يصيحون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣١- ٣٢.

[6] ن - وراءهم.

[7] ر ع م: وأن.

[8] ر ع م: المنقلب.

[9] ع: وراء.

[10] ر ع م: أشبه وبه ضرب مثل.

[11] ر ع م: يستأخرون.

[12] ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[13] ر ع م: ويستأخرون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣٤- ٣٥.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾[٦٧]

وقوله: **مستكبرين به**، قال عامة أهل التأويل: قوله: **به**، أي بالبيت. ووجه[1] هذا أنهم لما رأوا أنفسهم آمنين بمُقامهم عند البيت وفي حرم الله وأهلَ سائر البقاع في خوف ظنُّوا أن ذلك هم لفضل كرامتهم ومنزلتهم عند الله. فحملهم ذلك على الاستكبار على[2] رسول الله ومَن تابعه. وقال بعضهم: **مستكبرين به**، أي بالقرآن. وتأويله: أي ستكبروا على الله ورسوله لما نزل القرآن. وإضافة[3] الاستكبار إلى القرآن لأنهم بنزوله تكبروا على الله فأضاف استكبارهم إليه لأنه كان سبب تكبرهم، وهو كقوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ [إلى قوله] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[4] الآية، أضاف زيادة رجسهم إلى السورة لما بها يزداد رجسهم وكانت سبب[5] رجسهم، وإن كانت لا تزيد رجسا في الحقيقة.

وقوله: **سامرا تَهْجُرون**، قال الزجاج: السَّمَر هو ظل القمر، فيه كانوا يهجرون، والسَّمَر هو حديث بالليل. وقوله: **تهجرون**، قال[6] قائلون تَهْذُون.[7] وقال بعضهم: **تهجرون** القرآن، أي كانوا لا يعملون[8] به ولا يعبئون فهو الهجر. وفيه لغة أخرى: تُهجِرُونَ،[9] وهو كلام الفحش والفساد.[10]

[٥٠٧ظ س٣٢ *وقوله: **سامرا تهجرون** ما ذكرنا من[11] الحديث بالليل. **تهجرون**، قال:[12] أي تَهْذُون كما يَهذِي النائم أو المريض[13] الشديدُ المرضِ. قال: وأَهْجَر يُهْجِر من الهجر وهو الفحش، وهجَر يهجَر إذا سار في الهاجرة وهي شدة الحر.* ٥٠٧ظ س٣٤]

---

[1] ر م: ووجهه.
[2] ر م: عن.
[3] م: وإضافت.
[4] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[5] ر ع م – سبب.
[6] ر ع م: وقال.
[7] ع: تهتدون.
[8] ع: يعملون.
[9] ن + تهجرون؛ ر م: يهجرون.
[10] أهجر به إهجارا: استهزأ به وقال فيه قولا قبيحا. والهُجْرُ: الهذيان (لسان العرب، «هجر»).
[11] ع: في.
[12] ن + قل.
[13] ر م: والمريض.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣٢-٣٤

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٨]

وقوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا القول**. قيل: أي في القرآن. يحتمل قوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا**، أي فهلا دبروا ذلك القول الذي يقولون في الآخرة في الدنيا، وهو قولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.[١] وما ذكر من تضرعهم في الآخرة وهو قوله: إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ.[٢] وجائز أن يكون قوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا القول**، أي قد دبّروا القول لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له أَنَفا واستكبارا. أولا ترى أنه إذا قرع أسماعهم قوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٣] وقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[٤] الآية، لا يحتمل أن لا يدبّروا فيه. دل أنهم قد تدبّروا فيه وعرفوه، إلا أنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا أنَفا منهم واستكبارا[٥] واستنكافا عن اتباعه والخضوع له.*

وقوله: **أفلم يدبروا القول**، قد ذكرنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والإعراض عنه، أي لم يَدَّبَّرُوا فيه ولم يتفكروا. والثاني على إيجاب حقيقة التدبر فيه والتفكر، أي قد تدبّروا فيه وعرفوا أنه حق وأنه[٧] منزّل من الله، لكنهم تركوا متابعته عنادا وتمردا، إشفاقا على ذهاب رياستهم وطمعا على إبقائها ودوام مَأْكَلَتِهم. فأيّ الوجهين كان ففيه لزوم حجج الله وبراهينه على مَن جَهِلَها ولم يعرفها بالإعراض عنها وترك التدبر فيها،
[٥٠٨و] حيث استوجبوا / عذاب الله ومَقته لجهلهم بها بترك التدبر[٨] فيها بعد إذ[٩] كان لهم سبيل الوصول إلى معرفتها. وظاهر قوله: **أفلم يدبروا**، استفهام إلا أنه في الحقيقة إيجاب لها لا يجوز أن يستفهم الله أحدا، فهو على الإيجاب، لأنه علام الغيوب.

---

[١] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٣).

[٢] ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٦٤).

[٣] ﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).

[٤] ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٨).

[٥] ن – واستكبارا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٦٤، و٦٦، و٦٧ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ/سطر ٣١ – ٣٥.

[٧] ر ع م – حق وأنه.

[٨] ع: التدبير.

[٩] ر م: إذا.

وقوله: **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**، أي قد جاء هم ما جاء اباءهم[١] الأولين من الرسول، لم[٢] يأت هؤلاء شيء إلا ما أتي آباءهم، لم يُخَصُّوا هم بالرسول فكيف أنكروه. ألا ترى[٣] أنهم قالوا: لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٤] قد أقروا أن في الأمم المتقدمة رسولا حيث قالوا: لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ، وعلى ذلك يخرج قوله:

**﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٦٩]**

**أم لم يعرفوا رسولهم**، أي قد عرفوا رسولهم، لكنهم أنكروه وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القرآن من أحد الوجهين عنادا وتكبرا، إشفاقا على رياستهم لكي[٥] تبقى. ألا ترى[٦] أنه قال: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٧] الآية. وعلى هذا [قوله]:

**﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٧٠]**

**أم يقولون به جنة**، أي قد عرفوا أنه ليس به جنة. وجائز أن يكون قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ،[٨] جاء هؤلاء ما لم يأت آباءهم وخص هؤلاء ما لم يخصّ آباءهم. وكذلك قال ابن عباس: لَعَمْري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين. وجائز أن يكون قوله: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ، إلى ما ذكر من قوله: **أم يقولون به جنة**، لأنه يخرج على الأمر بالتدبر[٩] فيه ومعرفة الرسول أنه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره، كقوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا،[١٠] أي تفكروا[١١] فيه فإنه[١٢] ليس به جنة على ما يصفونه، أو على ما ذكرنا أنهم تفكروا وعرفوا

---

[١] ر ع م: ما جاء هم.
[٢] ر م: ثم.
[٣] د: يرى.
[٤] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[٥] ر ن م: لكن.
[٦] د: يرى.
[٧] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).
[٨] سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.
[٩] ع: بالتدبير.
[١٠] ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ (سورة الأعراف، ١٨٤/٧).
[١١] ع: يتفكروا.
[١٢] م: وأنه.

أنه ليس به[1] جنون ولا شيء مما وصفوا به، لكنهم أرادوا أن يُلبِسوا أمره على أتباعهم وسفلتهم إشفاقا على إبقاء ما ذكرنا.[2]

وقال بعضهم: قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ.[3] من البراءة من العذاب. وقوله:[4] **بل جاء هم بالحق**، بالرسالة والقرآن من عند الله وجعل العبادة له[5] من دون الأصنام التي عبدوها. **ولكن أكثرهم للحق كارهون**. كرهوا الحق لما ظنوا أن في تباعه ذهاب الرياسة والأسباب التي كانت لهم على أتباعهم بعد معرفتهم أنه حق. أو كرهوا لما يعرفوا في الحقيقة أنه حق، وإلا لا أحد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته[6] يكره الحق ويترك اتّباعه إلا للوجهين الذَين ذكرنا هما. *والله أعلم*.

**﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**[٧١]

وقوله: **ولو اتبع الحق أهواءهم**. قال عامة أهل التأويل: **الحق** ههنا هو الله، أي لو اتّبع الله أهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن. وتأويل هذا أن الكفر والشرك مما لا عاقبة له، وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن. وقال بعضهم: **الحق** ههنا كتاب الله وهو القرآن، أي لو جاء هذا القرآن[7] على ما يهوون هم لفسد ما ذُكر، لأنه يكون خارجا عن الحكمة. وجائز أن يوصل قوله: **ولو اتبع الحق أهواءهم**، الحقَّ الذي سبق ذكره. وهو قوله: بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ،[8] أي ذلك الحق إن كان رسالة أو قرآنا[9] أو كل[10] خير، لأن الحق هو اسم كل خير[11] واسم كل مستحسن

[1] ع – به.
[2] أي على إبقاء الرياسة والجاه والمأكلة.
[3] سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.
[4] ن: قوله.
[5] ر م – له.
[6] ر م: وسلامة.
[7] ر ع م – أي لو جاء هذا القرآن.
[8] الآية السابقة.
[9] جميع النسخ: أو قرآن.
[10] ن + كل.
[11] ر ع م – إن كان رسالة أو قرآنا أو كل خير لأن الحق هو اسم كل خير + أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهت.

وممدوح في العقل والحكمة. لو اتبع ذلك الحق أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهت من عبادة غير الله وتسميتهم إياها آلهة وإنكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك من الأفعال التي كانوا اختاروها وعملوها **لفسدت السماوات والأرض** وما ذُكر. لأنه يكون خلقهم وخلق ما ذكر من السماوات والأرض وما[1] فيهن لا لما توجبه الحكمة والعقل؛ إذ[2] خلقهم وخلق ما ذُكِر لأفعالهم التي يفعلون. فإذا[3] خرج أفعالهم على غير ما توجبه الحكمة والعقل، بل على السفه والجهل خرج [من] الذي لها خُلق ومن أجلها[4] أنشئ[5] كذلك، إذ خلْق الشيء وفعله لا لعاقبة تُقصَد خارج عن الحكمة. *والله أعلم بذلك*. وجائز أن يكون **الحق** هو رسول الله، أي رسول الله لو اتبع أهواءهم لفسد ما ذكر.

وقوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، قال أهل التأويل: بشرفهم[6] وذكرهم، كقوله: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ.[7] **فهم عن ذكرهم معرضون**، أي عن شرفهم معرضون. وجائز أن يكون الذكر هو الحقّ الذي تقدم ذكره، أي لو قبلوا ذلك الحق[8] وأقبلوا نحوه يكون في ذلك ذكرُهم من بعد هلاكهم كما يذكر أصحاب رسول الله من بعد ما ماتوا. ألا ترى أن أولادهم بذكر آباءهم يتعيّشون [و]يقولون: أنا من بني فلان، فيَبَرّهم الناس بذلك ويكرمونهم.[9] وأما أولئك فإنهم لا يُذكرون بشيء من ذلك، فذلك يدل على ما ذكرنا. ويحتمل قوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، الثناء عليهم أن[10] لو آمنوا، كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،[11] الآية، وقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا،[12] وقوله: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ،[13] الآية، ونحو ذلك مما أثنى الله على من آمن منهم، فهم لو آمنوا استوجبوا بذلك الثناء.

---

[1] ع: ومن.
[2] ر ع م: إذا.
[3] جميع النسخ: فإذ؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٦ظ.
[4] ر م: ومن أجلها.
[5] ر: الشيء.
[6] ر م: بشرفهم.
[7] ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾ (سورة الزخرف، ٤٤/٤٣).
[8] ر ع م + الذي.
[9] ر م: ويكرمون هم.
[10] م: أنهم.
[11] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ١١٠/٣).
[12] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).
[13] ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ١٠٠/٩).

وجائز أن يكون قوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، أي بدعاء[1] لهم، وهو ما دعا[2] الملائكة والرسل للمؤمنين، كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ / لِلَّذِينَ آمَنُوا،[3] الآية، وقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ،[4] وقول نوح: [٥٠٨ط]
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[5] الآية. وقول إبراهيم ودعائه؛ لهم[6] لو آمنوا استوجبوا دعاء هؤلاء الملائكة والرسل جميعا. أو أن يكون ما ذكرنا من إبقاء ذكرهم إلى يوم القيامة كما بقي ذكر أولئك الذين آمنوا به وصدقوه، فيكون في ذلك كله شرفهم وقدرهم على ما قاله أهل التأويل. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٧٢]**

وقوله: **أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير**، جائز أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ،[7] أي قد عرفوا رسولهم. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ،[8] أي ليس به جنة، أي ليس به شيء يمنعهم عن الإجابة له[9] والإيمان به بما يعذرون هم[10] في ترك الإيمان به، فعلى ذلك قوله: **أم تسألهم خرجا**، أي لم تسألهم أجرا على ما تدعوهم إليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الأجر عن إجابته وتصديقه، [و]كقوله أيضا: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ.[11] يقطع بما ذكر جميع أعذارهم وحِجاجهم -وإن لم يكن لهم[12] عذر ولا حجة- في ترك الإجابة له. وقال بعضهم: الخراج الرزق،[13] أي لا تسألهم رزق. ثم أخبر أن[14] أجر ربك ورزقه[15] خير وهو خير الرازقين.

---

[1] جميع النسخ: بدعى.
[2] جميع النسخ: دعى.
[3] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).
[4] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[5] ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة نوح، ٢٨/٧١).
[6] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٠-٤١).
[7] سورة المؤمنون، ٢٣/٦٨-٦٩.
[8] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٠.
[9] ر غ م - له.
[10] ر م: مما يعذرونهم؛ غ: بما يعذرونهم.
[11] سورة الطور، ٥٢/٤٠.
[12] ر م - لهم.
[13] ر م: والرزق.
[14] ر م - أن.
[15] ر غ م: ورزقه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧٣]

وقوله: **وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**، المستقيمُ القائم بالآيات والحجج، ليس كالسبيل التي يسكون هم بلا آيات ولا حجج ولا برهان.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[٧٤]

وقوله: **وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن إنكارهم البعث والآخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم. والثاني أن الصراط الهدى[1] في الدنيا هو المجعول للآخرة، فإذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن ذلك أنكروا الآخرة، أو كلام نحو هذا. وقوله: **لناكبون**، أي لعادلون، من العدول عنه والمجانبة والميل إلى غيره.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧٥]

وقوله: **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون**، ذكر الضُّر ولم يذكر أيَّ شيء كان، وليس لنا أن نقول: كان الجوع أو كذا إلا بثَبَتٍ.[2] وفيه وجهان من المعتبر. أحدهما أن رفع المِحَن التي امتحنهم من البلايا والشدائد إنما يكون برحمة منه وفضل، لا على ما قاله بعض الناس بالاستحقاق حيث ذكر رحمته تكشف[3] ذلك عنهم. والثاني فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عيه وسلم لأنه أخبر أنه، وإن كشف ذلك الضر عنهم، **لَلَجُّوا في طغيانهم**، فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم عى ما أخبر، فدل أنه بالله عرف ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[٧٦] ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٧٧]

وقوله: **ولقد أخذنا هم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**. يخبر عن سفههم وجهلهم بالله وقسوة قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث أخبر أنهم -وإن أُخذوا بالعذاب- لم يتضرعوا إليه وما استكانوا له لجهمهم بعذاب الله.[4]

---

[1] ر ع م: لذي.
[2] أي حجة
[3] ع: يكشف. انظر في هذا الموضوع: تفسير الآيات ١٥٥-١٥٧ من سورة البقرة.
[4] ر ع م + حيث أخبر أنهم وإن أخذوا.

**حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون**. اختلف في قوله: **مبلسون**. قال بعضهم: المُبْلِس الآيِس من كل خير وهو ما وصفهم: إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ،[1] و فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ،[2] ونحوه. وقال الزجاج: المُبْلِس الساكت المتحيّر لا يدري ما يَعمل به.[3] فعلى ذلك هم كانوا حَيَارَى لمّا نزل بهم العذاب، لا يدرون ما يعملون به في دفع ذلك عنهم. وقال الكسائي: المبلس المنقطع[4] السيّئُ الظنّ. قال: ومنه[5] سمي إبليسُ إبليسَ[6] لأنه أيس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنه.[7] وقال أبو عَوْسَجة: المبلس[8] البائس الحزين. ويقال: أبلَسَ[9] الرجلُ، أي أيِس فحزن وأبلَسَ[10] غيرَه أيضا. وإنما[11] سمي إبليسُ إبليسَ لأنه يئِس عن رحمة الله فحزن. قال: وقوله: **فما استكانوا لربهم**، أي لم يَذِلّوا لربهم[12] بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٧٨]

وقوله: **وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**، يذكّرهم نِعَمه التي أنعمها عليهم ليستأدى[13] بذلك الشكر له عليها. لكنه ذكر[14] أمهات النِّعم [و] لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر[15] والفؤاد الذي ذكر، إذ بها يوصل إلى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث وكل ليِّن وخشِن وكل سهل وشديد وكل حُلْو ومُرّ، وكان الإنسان مطبوعا

---

[1] ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور﴾ (سورة هود، ٩/١١).
[2] ﴿لا يَسْأَمُ الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ (سورة فصلت، ٤٩/٤١).
[3] انظر: *تفسير القرطبي*، ١١/١٤١؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٤٠/٣.
[4] ر ع م: المقطع.
[5] ع: منه.
[6] ر م – إبليس.
[7] ر م: عنده.
[8] ر م: المبس.
[9] جميع النسخ: إبليس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[10] جميع النسخ: وإبليس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[11] ع: إنما.
[12] م – أي لم يذلّوا لربهم.
[13] ع: ليأدى
[14] ر ع م: ذكره.
[15] ع: السميع والبصير.

على حب النافع والطيب واللين والسّهل، واختيارها[1] على أضدادها[2] والهرب من كل ضارّ ومُؤذٍ والفرار عن أضداد ما ذكرنا من المختارات عنده. فأخبر أنه أعطى لهم ما يعرفون به النافع[3] من الضارّ والطيب من الخبيث[4] ونحوه، مشاهدة وخبرا، وما به يميّزون ذا من ذا ويختارون ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم ليستأدى بذلك شكره ويذكّرهم[5] في قوله: وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.[6]

[٥٠٩و س ٢ *ثم أهل التأويل صرفوا قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ،[7] إلى آخره، إلى الكفار وهم يكفرون بنعمه[8] التي ذَكَر وينكرونها وهم لا[9] يشكرون رأسا، بقوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.[10] إلا أن يقال: إنهم في بعض الأحايين[11] ربما يشكرون الله ويتضرعون إليه نحو قوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ،[12] الآية، ونحوه من الآيات التي ذكر فيها دعاءهم[13] وتضرعهم إلى الله عند ما أصابهم[14] الضر فذلك منهم شكر. أو أن يقال: إن قوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ، أي قليلا ما تشكرون رأسا؛ كقول[15] الرجل لآخر: قليلا ما تفعل كذا، أي لا تفعل أصلا، فعلى ذلك هذا إن كان المراد منها والخطاب بها أولئك الكفرةَ، وإلا الخطاب بها يجيء أن يكون راجعا إلى المؤمنين، إذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله. وأما الكفرة

٥٠٩و س ٩] فهم يكفرونها وينكرونها رأسا.*

---

[1] ر ن م: واختياره؛ ع: واختاره؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٧و.
[2] جميع النسخ: أضداده؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٧و.
[3] ع: المنافع.
[4] ع: والطيب والخبيث.
[5] ر م: يذكرهم.
[6] الآية التالية.
[7] سورة المؤمنون، ٧٨/٢٣.
[8] ن: بنعمته.
[9] ع - لا.
[10] تتمة الآية.
[11] ر ن م: الأحانين؛ ع: الحين.
[12] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[13] ع: دعاءهم.
[14] ن ع: أصاب بهم.
[15] ع: كقوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٩و /سطر ٢-٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٧٩]

**وهو الذي ذرأكم في الأرض**، أي جعلكم سكّان الأرض بقدرته وسلطانه وأخبر أنه لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر إليه، لما ذكرنا في غير موضع أنّ[1] خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والإحياء بعد الموت عبثٌ ولعِب. وأخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٨٠]

**وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار**، إن مَن قدر وملك على إحياء[2] الموتى وإماتة الحي لقادر على البعث، ومن ملك على إنشاء الليل بعد ما ذهب أثر النهار وإنشاءِ النهار بعد ما ذهب أثر الليل لقادر على الإحياء والبعث بعد الموت. ثم قال: **أفلا**
[٥٠٩و] **تعقلون**، أي أفلا تعقلون أنه كذلك، فكيف تنكرون قدرته على البعث والإحياء بعد ما صرتم رمادا[3] وترابا، وكيف تشكرون غيره في عبادتكم إياه وتصرفون الشكر[4] إلى غيره فيما أنعم عليكم؟*

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾[٨١] ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٨٢] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا**، يخبر جل وعلا رسوله[6] سفه قومه وقولَهم الذي قالوا له بعد ما تبيّن[7] لهم حكمته في خلقهم وإنشاءِ ما أنشأ لهم وذكّرهم نعمه التي أنعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما ذكر من قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، وقوله:[8] وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وقوله:[9] وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.[10]

---

[1] ر ع م: وان..

[2] ر م: عن إحياء.

[3] ع: مردد.

[4] ع – الشكر.

* وقع هذ مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٨ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٩و /سطر ٢–٩.

[6] م + عن.

[7] ن: بين.

[8] ن: قوله.

[9] ع – وقوله.

[10] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٨–٨٠.

ذكّرهم ما ذكر في هؤلاء الآيات من حكمته في خلقهم وقدرته في إنشاء ما أنشأ لهم. وعرّفهم ذلك حتى عرفوا ذلك كله.

ثم بيّن سفههم في جوابهم رسوله فقال: **بل قالوا مثل ما قال الأولون**، يخبر رسوله أن هؤلاء ليسوا بأول مكذبي الرسل ولكن كان لهم[١] شركاء وأصحاب في التكذيب، فقد هؤلاء أولئك الأولين. يصبّر رسوله على سفه هؤلاء وأذاهم له[٢] ليصبر على ذلك كما صبر إخوانه الذين[٣] كانوا من قبل. أو[٤] يذكر هذا[٥] ليسلّي[٦] بعض ما تداخل فيه بتركهم إجابته وخوضهم فيما فيه هلاكهم، لأنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد أن يهلك[٧] نفسه لذلك حتى قال [تعالى:] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٨] و لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ.[٩]

ثم بين[١٠] ما قالوا: **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**. يقولون: قد وعِدَ[١١] آباؤنا بمثل ما وُعِدْنا نحن فلم ينزل بهم ما وُعدوا من العذاب ولا ينزل أيضا بنا ما تعدنا وهو أساطير الأولين، أي أحاديث الأولين. ثم أمر رسوله أن يسألهم ما يُلزمهم الإقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٨٤] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٨٥]

**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون**، فقالوا: لله،[١٢] لم يجدوا بُدًّا من أن يقولوا:[١٣] لله[١٤] ويقروا به، لأنهم لو أنكروا ذلك جهلهم، ويَظهر جهلُهم عند كل الخلائق فقالوا: لله.[١٥]

---

[١] ع – لهم.
[٢] ر ع م – له.
[٣] ع: الذي.
[٤] ر ع م: إذ.
[٥] ن – هذ.
[٦] ر م: لسبيل.
[٧] جميع النسخ: تهلك.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء، ٣/٢٦).
[١٠] ر ع م: فبين.
[١١] ر ع م: وعدت
[١٢] م: الله.
[١٣] ر م: يقول.
[١٤] م: الله.
[١٥] م: الله.

فيقول: فإذا عرفتم أن ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تركتم طاعته، وأنا لست أدعوكم إلا إلى ذلك أن تجعلوا الأرض وما فيها كله لله، أفلا تتعظون وتُقرون[1] بما أدعوكم إليه، وعلى ذلك قوله:

**﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٨٧]**

**من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله**، لا بد لهم من أن يقرّوا بذلك. فإذ[2] عرفتم بذلك وأقررتم به، **أفلا تتقون**، مخالفته وتتقون نقمته. وكذلك ما قال:

**﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[٨٩]**

**قل من بيده ملكوت كل شيء**، فإذ[3] عرفتم ذلك وأقررتم به، **فأنى تُسْحَرُون**. قيل: فأنى تصرفون عن ذلك. وقال بعضهم: فأنى تُخْدَعون وتُغَرُّون في ذلك إذا عرفتم ذلك أنّ كله لله. وجائز أن يكون قوله: **فأنى تسحرون**، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: إنه ساحر وإنه[4] كذاب، وهو ليس يدعوكم إلا إلى ما أقررتم واعترفتم به فأنى تنسبونه إلى السحر؟ **والله أعلم**.

وقوله: **ملكوت كل شيء**، قد ذكرنا فيما تقدم. وقوله: **وهو يجير ولا يجار عليه**، أي هو يؤمّن كل خائف، ولا يقدر أحد أن يؤمّن مَن أخافه هو، وهو كقوله: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ،[5] الآية. قال أبو عَوْسَجة: قوله: **وهو يجير**،[6] أي يمنع. **ولا يجار عليه**، أي لا يقدر أحد أن يمنع منه أحدا. **فأنى تسحرون**، أي تُغَرُّون وتُخدعون، تقول: سُحِرتُ، أي خُدِعت وغُرِرت. وقال: **تُسحرون**، أي تخدعون وتصرفون عن هذا، وسمي السحر من هذا.

[1] ع: وتقرون.
[2] ر م: فإذ.
[3] ر ع م: فإذا.
[4] ر ع م - وإنه.
[5] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ١٧/٦).
[6] ر م + ولا يجار عليه.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٩٠]

وقوله:[١] **بل أتيناهم بالحق**، الحق[٢] قد ذكرنا[٣] أنه يحتمل وجوها. أحدها **بالحق**، أي بوحدانية الله وألوهيته وتعاليه عن الشركاء والولد وعما وصفوه. أو أن يكون قوله: **بالحق**، أي بالقرآن الذي عرفوه أنه حق وأنه من عند الله. أو أن يريد **بالحق** محمدا صلى الله عليه وسلم، عرفوا أنه حق وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. أو أن يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم ومنزلتهم. أو **بالحق**[٤] الذي يكون لله[٥] عليهم، وما لبعضهم على بعض من الحقوق. *والله أعلم*.

وقوله: **وإنهم لكاذبون**، في وصفهم ربهم مما وصفوه بما لا يليق وصفه به. أو **كاذبون** بأن القرآن[٦] مفترى ومُخْتَلَق من عند غير[٧] الله. / أو كاذبون في قولهم بأنه ساحر وأنه مجنون [٥٠٩ظ]
وأنه ليس برسول، كَذَّبوا في جميع ما أنكروا. *والله أعلم*.

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٩١] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٩٢]

وقوله:[٨] **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق**. وجائز[٩] أن يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعضه ببعض بما تقدم.[١٠] وجائز أن يكون كل حرف من هذه الأحرف منفصلا من الأول مستبدًا بذاته. فإن[١١] كان على الأول فيكون قوله: **ما اتخذ الله من ولد**، ولو كان اتخذ ولدا لكان إلها، إذ الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره، لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه في المتعارف، فإذا كان إلها

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م - الحق.
[٣] انظر: تفسير الآية ٧١ من هذه السورة.
[٤] ر م: وبالحق.
[٥] م - لله.
[٦] ر ع: بالقرآن؛ م: في لغر ن.
[٧] ر ع م - غير.
[٨] ن: قوله.
[٩] ع: غير جائز.
[١٠] ر ع م: لما تقدم.
[١١] ن: وإن.

من الوجه الذي ذكرنا **لذهب** إذا **كل إله بما خلق**. وإن كان منفصلا فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله، لأنه قال: ولو كان معه إله على ما[1] زعموا **إذًا لذهب كل إله بما خلق** من الخير والشر والدلالة على ألوهيته. **ولعلا بعضهم على بعض**. أي قهر وغلب بعضهم بعضا، على ما يكون من عادة ملوك الأرض؛ فإذا كان ما قالوا ذهب دلالة الألوهية والربوبية. فإذا لم يكن ذلك دل أنه واحد لا شريك معه ولا ولد، إذ اتساق التدبير وجري الأشياء على حدّ واحد وسَنَنٍ واحد دالٌّ[2] على ألوهيةٍ واحدٍ لا لِعدد،[3] إذ لو كان لِعدد لكان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهرِ بعض لبعض، ثم ما ذكر: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا.[4]

ثم معلوم أن مثل هذا الاحتجاج لا يكون مع الذين ينكرون ألوهية الله ويعبدون الأصنام، وهم مشركو العرب وكفار مكة، ولكن إنما يكون مع الذين يقرون بألوهية الله[5] لكن يجعلون معه شريكا لحاجة تقع له. وهم[6] الثنوية والدهرية والمجوس وأولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير، وخالق هذا غير خالق هذا فيكون قوله: **سبحان الله عما يصفون** على هذا، أي يتعالى عما[7] وصفوه بالحاجة له في خلق ما خلَق والنفع له في ذلك، وكذلك قوله: **فتعالى عما يشركون**. وأما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك، **سبحان الله عما يصفون** من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا إليه مما لا يليق به. أو أن يكون قوله: **سبحان الله عما يصفون**، كما يوصف المخلوق المحدث، لأنهم وصفوه بالولد. والولد في متعارف الخلق لا يكون إلا من الوالد والأم،[8] هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق. فإذ وصفوه باتخاذ الولد شبّهوه بالمخلوق المحدث من الوجه الذي ذكرنا، فنزه نفسه عن ذلك.

**﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[٩٣] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٩٤]**

وقوله: **قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين**. وقوله:

---

[1] ع: ما.
[2] ر: دل.
[3] ع: لعدد.
[4] سورة الأنبياء، ٢١، ٢٢.
[5] ن: لله.
[6] ر: وهم.
[7] ع - عما.
[8] ع: والأمي

**إما تريني ما يوعدون**، يحتمل[١] وجهين. أحدهما رب إم تريني أو لا تريني[٢] ما يوعدون فلا تجعلني في القوم لظالمين، لأنه كان وعد له أن يُريه بعض ما وعد لهم، بقوله: فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ.[٣] فلا نُرِيكَ شيئا، فقال: رب إن أَرَيْتَنِي ما يوعدون أو لا تريني فلا تجعلني في القوم الظالمين.

والثاني إنك وإن أريتني ما تعدهم[٤] على التحقيق فلا تجعلني في القوم لظالمين.

ثم يحتمل قوله: **فلا تجعلني في القوم الظالمين** وجهين. أحدهما لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذي وعدت لهم أن ينزل، لأنه من العدل أن يعذبه ويعامله معاملة أهل العدل، كأنه يقول: رب لا تعامني معاملتك إياهم وإن كان ذلك من العدل أن تعامني مثل ما تعامل أولئك، لأن رسول[٥] الله وإن لم يكن [منه][٦] زلاتٌ ظاهرة فقد كان من الله إليه من النعم والإحسان ما لو أخذ بشكر ذلك لم يقدر على أداء شكرٍ واحدة منها، فضلا عن أن يؤدي شكر الكل. ألا ترى أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يَدخل أحد الجنة إلا برحمة الله». فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلا أن يَتَغمَّدَنِيَ الله برحمته».[٧] و[الثاني] يحتمل قوله: **فلا تجعلني في القوم الظالمين**، في الزيغ والغواية. يسأل ربه أن يعصمه عن الزيغ والضلال[٨] والغواية الذي عليه القوم الظالمون، وهو كدعاء إبراهيم ربه وسؤاله[٩] العصمة عن الزيغ بقوله: رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ،[١٠] وإن كان وعد لهم العصمة عن ذلك. ***والله أعلم.***

## ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾[٩٥]

وقوله: **وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون**، هذا أيضا يحتمل وجهين. أحدهما يخبر رسوله أنه ليس لعجز يؤخر ما وعد لهم من العذاب ولكن لحلم منه وعفو، وهو كقوله عز وجل:

---

[١] ر م + على.
[٢] ر ع م – أو لا تريني.
[٣] ﴿فإما نُرِيَنَّكَ بعض الذي نَعِدهم أو نَتوفينَّكَ فإلينا يُرجعون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٧).
[٤] ر م: نعدهم.
[٥] ر ع: رسل.
[٦] الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٧ظ.
[٧] صحيح البخاري، المرضى ١٩، الرقاق ٣٩؛ وصحيح مسلم، صفة القيامة ١٨.
[٨] جميع النسخ: بالضلال.
[٩] ر م: وسؤال.
[١٠] سورة إبراهيم، ١٤/٣٥.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[1] على التنبيه والإيقاظ، فعلى ذلك يحتمل هذا. والثاني يُعزّي رسول الله ويصبّره على أذاهم إياه. يقول: إني مع قدرتي على إنزال العذاب عليهم والانتقام منهم أَحْلُم عنهم[2] وأؤخر عنهم. فأنت مع ضعفك على[3] ذلك أولى أن تصبر على أذاهم. وعلى هذا يخرج قوله:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٩٦]

**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**، أي لا تكافئهم لأذاهم إياك ولا تشتغل بهم بمجازاة ذلك، ولكن ادفع ذلك[4] بأحسن ذلك،[5] وَكِلْ مكافأتهم إليّ حتى أكافئهم. **ونحن أعلم بما يصفون**

[٥١٠و] من الكذب والأذى الذي يؤذونك. والثاني **ادفع بالتي هي أحسن السيئة**، أي ادفع / سيئاتهم المتقدمة بإحسان يكون منك إليهم ليكونوا لك أولياء وإخوانا في حادث[6] الأوقات، وهو كقوله: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.[7]

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[٩٧] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[٩٨]

وقوله: **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون**، وقال[8] في آية أخرى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[9] علّم رسوله وأمره أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين إذا نزغه، ونَزْغُه وسوسته. وأمره أيضا أن يتعوذ من هَمْزه أيضا وهو همه وقصده بذلك. وأمره أن يتعوذ بحضورهم[10] مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضرون ذلك المكان. وكان التعوذ عن نزغهم ليدفع عنه[11] لئلا يؤثّروا في نفسه

[1] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[2] ر ع م: منه؛ ن: منهم.
[3] ر م: عن.
[4] ر ع م - ولكن ادفع ذلك.
[5] وعبارة الشرح: «ولكن ادفع بالتي هي أحسن» (ورقة ٥١٨و).
[6] ع: في أحاديث.
[7] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[8] ع: قال.
[9] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[10] أي بسبب حضورهم.
[11] أي وكان رسول الله قد تعوذ من نزغ الشيطان ليدفع الله عنه ذلك.

بعد ما حضروه ووسوسوه.[١] والتعوذ عن همزهم هو أن يدفع عنهم طعنهم ونَخْسهم لئلا يَشغلوه بالذي قصدوه، به والتعوذ عن حضورهم مكان الوسوسة. قال الحسن: همز الشيطان المُوتة، والموتة[٢] غَشَيان القلب.[٣] روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم، من[٤] هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه.[٥] وقال بعضهم: همزاته ونزعاته واحد. وقال القُتَبي: همزات الشياطين نَخْسها[٦] وطعنها، ومنه قيل: لمعائب هُمَزَة كأنه يطعن ويعيب.[٧] قال أبو عَوْسَجة: همزات الشياطين وساوسهم، يقال: همَز يَهمِز همزا، أي وسوس. ومن وجه آخر همَز يهمِز همزا، أي عاب يعيب. ومنه قوله: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.[٨]

ثم في قوله: **رب أعوذ بك من همزات الشياطين**، إلى آخر ما ذكر وجهان على المعتزلة. أحدهما أنه أمر رسوله أن يتعوذ به مما ذكر. فدل أن عنده لطفا لم يعطِه ما لو أعطاه الله لدفع به ما ذُكر، وأنه مالك لذلك، إذ لو كان غير مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج الهُزْء به، إذ من طلب مِن آخر شيئا يعلم أنه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب منه[٩] مخرج الهزء به، فعلى ذلك هذا.

والثاني أن كل مأمور[١٠] بالتعوذ جعل الله له الإعاذة عما يتعوذ عنه. فالوجهان جميعا ينقضان على المعتزلة في قولهم: إن الله قد أعطى كلا الأصلح في الدين وأعطى كلا العصمة عن كل زيغ وضلال.

﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾[٩٩]

وقوله: **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون**، ظاهر هذا أن يكون قوله: **رب ارجعون**، بعد الموت وبعد ما عاين أهوال الآخرة وأفزاعها، لأن الموت ليس هو شيء

---

[١] ر: وسوسته.
[٢] ر - والموتة.
[٣] المُوتةُ: جنس من الجنون والصَّرَع يعتري الإنسانَ، فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران. والمُوتة: الغَشْي. والمُوتةُ: جنون لأنه يَحدث عنه سكوت كالموت (*لسان العرب*، «موت»).
[٤] جميع النسخ: قل في؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
[٥] انظر: *سنن ابن ماجة*، الإقامة ٢؛ *وسنن أبي داود*، الصلاة ١٢٣-١٢٤؛ *وسنن الترمذي*، الصلاة ٦٧.
[٦] ن - نخسها.
[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٠.
[٨] سورة الهمزة، ١٠٤/١.
[٩] ر ع م - منه.
[١٠] ع: مأمو.

يأتي من مكان إلى مكان، إنما هو شيء يذهب بالحياة التي فيهم. إلا أن أهل التأويل قالوا: إن ذلك عند معاينتهم ملَك الموت وعند هجومه عليهم بأهواله، فعند ذلك يسألون الرَّجْعة إلى الدنيا. والأول أشبه وأقرب.

ثم قوله: **حتى إذا جاء أحدهم الموت**، ليس هو صلة قوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ،[1] ولا جوابه، لأنه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك، ولكنه -والله أعلم- صلة قوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[2] وجواب قوله: وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ،[3] ونحوه الذي تقدم ذكره. يقول:[4] وإنهم على ذلك **حتى إذا جاء أحدهم الموت**، فعند ذلك يرجع إلى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه في ذلك الوقت.

**قال رب ارجعونِ** ولم يقل: رب ارجعني، وذلك يخرج على وجهين. أحدهما سأل على ما يُسأل الملوك ويُخاطَبون: افعلوا كذا، على الجماعة وإنْ كان إنما يخاطِب واحدا، على ما خرج جواب الله وقوله: إنا فعلنا كذا ونفعل كذا.

والثاني أن يكون قوله: **رب ارجعون** يسأل ربه أن يأمر الملائكة الذين يتولون قبض أرواحهم أن يرجعوه إلى ما ذَكَر. ***والله أعلم.***

**﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[١٠٠]

وقوله: **لعلي أعمل صالحا فيما تركت**، قال بعضهم: **فيما تركت**، أي فيما كذّبت. وقال بعضهم: **فيما تركت** في الدنيا من الأعمال الصالحة فأعمل بها. وجائز أن يكون قوله: **فيما تركت** من الأموال فأؤدي منه حقك؛ لأن من الكفرة من كان[5] سبب كفرهم منع الزكاة وجحودَها،[6] كقوله: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.[7] فيسأل ربه أن يَرجع إلى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه فمنعه،

---

[1] الآيتان السابقتان.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/٩٠.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٠.
[4] ر ه: تقول
[5] جميع النسخ: من كان.
[6] جميع النسخ: وجحوده.
[7] سورة فصلت، ٤١/٦-٧.

كقوله: فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ.[١] وقوله: فَأَصَّدَّقَ، أي فأتصدّق بالصدقة التي منعتُها، لأن الحطاب في الصدقة بقوله: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ، الآية، وهذا أشبه. ***والله أعلم***.

وقوله: **كلا**، هو رد لما سألوا من الرَّجْعة. وقوله:[٢] **إنها كلمة هو قائلها**. قال بعضهم: قوله: **إنها كلمة**، هو قول الله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا،[٣] الآية. **هو**[٤] **قائلها**، أي الله قائلها، أي قالها بأنه لا يؤخر نفسا جاء أجلها. وقال بعضهم: **إنها كلمة هو قائلها**،[٥] يعني الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله: **ارجعونِ لعلي أعمل صالحا فيما تركت**. ثم قوله: **كلا**، على هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه لا حقيقة لسؤاله الذي يسأله من الرجعة ليعمل[٦] العمل صالح، أي إنه وإنْ رُدّ ورجَع لا يعمل، كقوله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[٧] والثاني أن لا منفعة لهم في سؤالهم الرجعة، إذ لو رُجعوا / لا يصلون إلى ما يأمُلون، لأنهم إنما يسألون [٥١٠ظ] ليؤمنوا، والإيمان سببه الاستدلال، فإذا لم يستدلوا به وقت أمنهم وفُسْحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال في وقت خوفهم. ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون**، قال بعضهم: **ورائهم**، أي أمامهم. قال أبو معاذ: [إنه] مشتقة[٨] من "تواريت عنك". فكل ما توارى عنك -أمامك كان أو خلفك- فهو وراءك. وقال بعضهم: **من ورائهم** على حقيقة الوراء. **برزخٌ إلى يوم يبعثون**، قال بعضهم: البرزخ هو ما بين النفختين.[٩] وقال بعضهم: البرزخ هو الأجل بين الموت والبعث، وهو قول الكلبي وقتادة.[١٠] وقال مجاهد: البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا.[١١]

---

[١] ﴿وأنفِقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدَكم الموتُ فيقولَ رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ١٠/٦٣).

[٢] ن: قوله.

[٣] ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ (سورة المنافقون، ١١/٦٣).

[٤] ر م - هو.

[٥] ر ع م - أي الله قائلها أي قالها بأنه لا يؤخر نفسا جاء أجلها وقال بعضهم إنها كلمة هو قائلها.

[٦] ع: يعمل.

[٧] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يُخفُون مِن قبلُ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦).

[٨] جميع النسخ: ومشتقة.

[٩] ر م: نفختين.

[١٠] تفسير الطبري، ٥٣/١٨.

[١١] تفسير القرطبي، ١٥٠/١٢.

وقال القُتَبي وأبو عُبيدة: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، وقالا: كل شيء بين شيئين فهو برزخ.[1] وقال أبو عَوْسَجة: البرزخ ما بين الحدّين: يعني الدنيا والآخرة؛ وقال: البرزخ[2] الأرض المستوية. وأصل البرزخ الحاجز، ومنه[3] قوله: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا،[4] أي حاجزا. وتأويله:[5] أي صاروا إلى الوقت الذي يَحجُزهم عما يتمنّون ويشتهون وهو كقوله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ،[6] وإنما يشتهون ويتمنّون الإيمان والأعمال الصالحة. وجائز أن يكون قوله: **ومن ورائهم برزخ**، أي من وراء[7] أحوالهم الممكنةِ الإيمانِ فيها[8] أحوالٌ لا يمكن فيها الإيمانُ وما تمنّوا من العمل الصالح. ***والله أعلم***.

وفيه نقض قول الباطنية، لأنهم يقولون: البعث هو أن يجعل لمؤمن من الأعمال الصالحة صورة روحانيةٌ تَبْقَى أبدا تُثاب[9] تلك الصورة الروحانيةُ، ومن الأعمال[10] القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحةٌ روحانية هي تعاقَب وتعذَّب أبدا، فذلك البعث عندهم. فأخبر عز وجل أنّ بين موتهم وبين البعث برزخٌ[11] وهو[12] الأجل الذي ذكرنا أو الحاجز. فدل ذلك على نقض قولهم أن ليس البعث إلا خروج الصورة الروحانية.

**﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[١٠١]**

وقوله: **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**، إن كان[13] قوله: **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**، في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس وغيره من أهل التأويل واختلافِ الأوقات؛ لا يتساءلون في موطن أو في وقت،

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٠.
[2] ر ع م - وقال البرزخ.
[3] ر: منه.
[4] ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عَذْب فُرات وهذا مِلح أُجاج وجعل بينهما برزخا وحِجْرا محجورا﴾ (سورة الفرقان، ٥٣/٢٥).
[5] ع: أو تأويله. أي تأويل قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾.
[6] ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبلُ إنهم كانوا في شك مريب﴾ (سورة سبأ، ٥٤/٣٤).
[7] ر م: من ورائهم.
[8] جميع النسخ: فيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٨ظ.
[9] جميع النسخ: يثاب.
[10] ر م: من الأعمال.
[11] ر م: البرزخ.
[12] ع: هو.
[13] ع: كان.

ويتساءلون في وقت آخر وفي موطن آخر.[1] ألا ترى[2] أنه قال: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ،[3] ونحوه. وإن كانت[4] الآية في الكفرة خاصةً فهو يخرج على وجهين. أحدهما **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**. لأنه كان يتناصر بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون رِدْءًا هم في هذه الدنيا وشفعاء وأعوانا وأنصارا، فأخبر أن ذلك ينقطع بينهم، ويذهب ذلك التناصر عنهم في الآخرة. والعرب خاصةً كانت[5] يتفاخر بعضهم على بعض بالأنساب ويتناصر، فأخبر أن ذلك منقطع عنهم في الآخرة.

والثاني **فلا أنساب بينهم** وما ذكر، **يومئذ** لشغلهم[6] بأنفسهم لفزع ذلك اليوم وأهواله، يَتَنَسَى بعضهم[7] بعضا ويَهْرَب منه، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ،[8] الآية، وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[9] الآية، وقال في آية أخرى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[10] الآية. فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه. كان لكل في نفسه شغل[11] حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب منه[12] لشغلهم بأنفسهم.[13] وإن كان في الناس جميعا[14] فهو ما ذكرنا أن ذلك يكون في اختلاف المواطن والأوقات؛ يسألون في وقت ولا يسألون في وقت، ويسألون في موطن ولا يسألون في موضع، أو يسألون عن شيء ولا يسألون عن آخر.

---

[1] ر ع م – وفي موطن آخر.
[2] ن: يرى.
[3] سورة الصافات، ٢٧/٣٧.
[4] ر: كان.
[5] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٨ظ.
[6] ع: يشغلهم.
[7] ن م: بعض.
[8] ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).
[9] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/ ٣٤-٣٧).
[10] ﴿يوم ترونها تَذْهَل كل مُرضعة عما أَرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢/٢٢).
[11] جميع النسخ: شغلا.
[12] ر ع: عنه.
[13] م – لفزع ذلك اليوم وأهواله يتنسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم الآية وقوله يوم يفر المرء من أخيه الآية وقال في آية أخرى وترى الناس سكارى الآية فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه كان لكل في نفسه شغل حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب عنه لشغلهم بأنفسهم.
[14] أي في المسلم والكافر جميعا.

وروي في[1] الخبر[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل نسب كان فهو منقطع إلا نسبي»، أو كلام نحو هذا.[3] ثم يحتمل قوله: «إلا نسبي» وجهين. أحدهما الشفاعة له في أنسابه. لا يكون ذلك لغيره في نسبه، فإذا أراد هذا فهو على حقيقة نسبه. والثاني أراد بقوله: إلا نسبي المتعيّن[4] له في دينه، لأن كل من اتبعه فقد انتسب إليه فكأنه قال: إن كل شفاعةٍ دوني فهو منقطع إلا شفاعتي، لمن[5] اتبعني وانتسب إليّ[6] بقبوله ديني.

**﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٠٢] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[١٠٣]**

وقوله: **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه**، جائز أن يكون قوله: **فمن ثقلت موازينه**، أي من عظُم قدره ومنزلته عند الله بالأعمال التي عملها[7] من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين. **ومن خفت** منزلته وقدره عند الله[8] بأعماله[9] الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا أنفسهم. ***والله أعلم***. وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل في الموازين[10] فيما تقدم.[11]

**﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[١٠٤]**

وقوله: **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون**، قال بعضهم: لفحتهم النار لَفحَةً فلم تَدَع لحما على عَظْم إلا ألقته. **وهم فيها كالحون**، قال[12] بعضهم: عابسون، وقال بعضهم:

---

[1] ر ع - في.
[2] ن - في الخبر.
[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٤؛ و*المستدرك* للحاكم، ١٤٢/٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٤/٧. قال الناشرون لكتاب مسند *أحمد بن حنبل* في هذا الحديث: حديث صحيح دون قوله «وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري» فهو حسن بشواهده. الخ. (*مسند أحمد بن حنبل*، نشر مؤسسة الرسالة، ٢٠٧/٣١-٢٠٩).
[4] ر ع م: المعين.
[5] ر م: فمن.
[6] ع - إلي.
[7] جميع النسخ: عملوها.
[8] ع + بالأعمال التي عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند الله.
[9] ع: بأعمال.
[10] ر م: الموازن.
[11] انظر تفسير الآيتين من سورة الأعراف، ٨/٧-٩.
[12] ع: وقال.

**تلفَح**، أي تَنفُخ، وقال بعضهم: **تلفح** تَشوي وتُحرق؛ وذلك عادة النار، إنها تعمل كل هذا العمل. وقال أبو عَوْسَجة: **تلفح**، أي تضرب. واللفح الضرب. يقال: لفحتْه النار، أي ضربته فأحرقت وجهَه، تلفَح لَفْحا، فهي لافحة. والكالح العابس.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[١٠٥]

وقوله: **ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون**،[١] كذلك كانوا يكذّبون.[٢] وقد ذكرنا في غير موضع.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[١٠٦]

وقوله: **قالوا ربنا غلبت علينا شِقوتنا**،[٣] أما ما قال أهل التأويل: **غلبت علينا**، أي ما كُتبت عينا[٤] من الشقاوة فإنه لا يحتمل،[٥] لأنهم يقولون ذلك القول اعتذرا لِما كان منهم من التفريط في أمره والتضييع، فلا يحتمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم، إذ لو كان ما ذكر أولئك لكان في ذلك طلب العذر / لأنفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لأنفسهم [٥١١و]
ولكن يقرّون بما كان منهم، كقوله: فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ.[٦] لكن يحتمل وجهين. أحدهما يقولون: ربنا شَقِينا بأعمالنا التي عمِلناها وظلمنا أنفسنا[٧] وكنا قوما ضالين. والثاني عملنا أعمالا استوجبنا بتلك[٨] الأعمال جزاء، فنحن أولى بذلك الجزاء فغلب علينا جزاء تلك الأعمال، أو كلام نحو هذا. وأما ما قاله أولئك من أهل التأويل: **غلبت**، أي كتبت، فهو بعيد، لأنه إنما يكتب ما يفعل[٩] العبد وما يَعلم أنه يختاره،[١٠] لا يُكتب غير الذي عَلم أنه يفعل ويختار.[١١] ***والله أعلم***.

---

[١] ع + آيته.
[٢] ع- كذلك كنو يكذبون.
[٣] جميع النسخ + قل.
[٤] ر ع م – أي ما كتبت عينا.
[٥] ع + لأنهم يقولون ذلك كانوا يكذبون آياته كان منهم من التفريط في أمره والتضييع فلا يحتمل.
[٦] ﴿فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقًا لأصحاب السعير﴾ (سورة الملك، ١١/٦٧).
[٧] ع: أنفسهم.
[٨] جميع النسخ: بذلك.
[٩] ر: يكتب ما بالفعل.
[١٠] ع: تختار،
[١١] ر م: ويختاره.

**﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[١٠٧]**

وقوله: **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون.** قوله: **فإنا ظالمون.** ظُلم عِيانٍ وظلم ظاهر، وإلا قد كانوا أقروا بالظلم بقولهم:[1] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ،[2] وقوله: وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ،[3] قد أقروا بالظلم لكنهم أقروا بظلم[4] خبرٍ وظلم سماع لا ظلم عيان فقالوا: **أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون،** ظلم عيانٍ. *والله أعلم.*

**﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١٠٨]**

وقوله: **قال اخسئوا فيها ولا تكلمون،** قال بعضهم: قوله: **اخسئوا،** أي اسكتوا، وقال بعضهم: **اخسئوا،** أي ابْعُدوا فيها. قال أبو عَوْسَجة: يقال: خَسَأْتُ فلانا وأخسَأته، أي باعدته فَخَسِئَ،[5] أي تباعد.

وقوله: **ولا تكلمونِ،** يحتمل الوجهين. أحدهما جائز أن يكون هذا السؤال منهم في أول ما أُدخلوا فيها[6] فقال لهم: **اخسئوا فيها ولا تكلمونِ،** فإنكم ماكثون. أو أن يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا المالك[7] الموتَ مرة، بقوله: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ،[8] الآية، وسألوا مرة تخفيف العذاب، بقوله: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ،[9] فلما أيسوا منه فعند ذلك يسألون ربهم إخراجهم منها والإعادة[10] إلى المحنة فقال: **اخسئوا فيها،** أي ابْعُدوا فيها، **ولا تكلمونِ،** أي تصيرون بحال لا يقدرون على الكلام لشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير.[11]

---

[1] ع: يقول لهم.
[2] سبق قريبا.
[3] الآية السابقة.
[4] ن: بالظلم.
[5] جميع النسخ: فخسأ.
[6] ر ع م: فيه.
[7] ر ع م: الملك.
[8] ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٧٧).
[9] سورة مؤمن، ٤٠/٤٩.
[10] ر م + منها.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ (سورة هود، ١١/١٠٦).

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١٠٩]
﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[١١٠]

وقوله: **إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون**. يخبر عز وجل أولئك الكفرة الذين يسألون الإخراج من النار: إنكم قد اتخذتم فريقا من عبادي آمنوا بي[1] سخريا وكنتم منهم تضحكون، يذكر هذا لهم -والله أعلم- ليكون ذلك حسرة عليهم[2] ونكاية.

وقوله: **سخريا**،[3] اختلف في قراءته وتأويله. قرأ بعضهم **سِخْرِيًا** بكسر السين، وقرأ بعضهم برفعه. قال أبو معاذ: من قرأ برفع السين فهو من العبودة[4] والخَوَلة،[5] أي اتخذتموهم خَوَلا وعبيدا. ومن قرأ بكسر السين فهو من الاستهزاء والهُزْء.[6] وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء، ولا يقال في العبودة إلا[7] برفع السين. وقال بعضهم:[8] هما سواء.[9]

[٥١١ظ س٩ *قال القُتَبي: سِخريا بكسر السين، أي تَسْخَرون[10] منهم. وسُخريا بضمها، أي تَسْخَرونهم[11] من السُّخرية.[12] وقوله:[13] **حتى أنسوكم ذكري**، أي شغلكم أمرهم عن ذكري.[14] والوجه فيه
٥١١ظ س١٠] ما ذكرنا فيما تقدم.*

---

[1] ر - بي.
[2] ر م - عليهم.
[3] ر - سخريا.
[4] ع + العبودة.
[5] م: والخولة. خَوَلُ الرجل: حَشَمُه، الواحد خائل. وقد يكون الخول واحدًا وهو اسم يقع على العبد والأمة؛ والخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء (لسان العرب، «خول»).
[6] ر م: همز.
[7] ر م: لا.
[8] ر - بعضهم.
[9] انظر هذه الآراء: تفسير القرطبي، ١٢/١٥٤. قال في اللسان: وقيل: السُّخريُّ، بالضم، من التسخير والسِّخري، بالكسر، من الهُزْء (لسان العرب، «سخر»).
[10] جميع النسخ: يسخرون.
[11] جميع النسخ: يتسخرونهم.
[12] ر ع م + عنه.
[13] ر ع م: قوله.
[14] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١١ظ/سطر ٩-١٠.

وقوله: **حتى أنسوكم ذكري**، قال[1] بعضهم: حتى أنساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي. وقيل: أضاف الإنساء إلى الذكر لأنهم كانوا بذكرهم[2] ودعاءهم[3] إلى ذكر الله يهزءون بهم فأضاف إليه لذلك،[4] فكان كإضافة الرجس إلى السورة، لأن ذلك إنما يزداد لهم عند تلاوة السورة فأضيف ذلك إلى السورة، وإلا كانت السورة لا تزيد رجسا.[5] فعلى ذلك أضاف[6] الإنساء إلى ذكره لما عند ذكره ودعائهم إليه يحملهم إلى ذلك -والله أعلم- فأضيف إليه.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١١١]

وقوله: **إني جزيتهم اليوم بما صبروا**، أي إني جزيتهم اليوم الفوز بما صبروا في الدنيا على أذى أولئك الكفرة أو على أداء ما أمروا به ونُهوا عنه. أو أن يكون ذلك كقوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[7] ونصره إياهم هو أن صارت لهم العاقبة.[8] ***والله أعلم.***

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[١١٢] ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[١١٣]

وقوله: **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**، اختلف فيه، قال مقاتل بن سليمان: في القبور. وقال[9] أبو معاذ: قد[10] أخطأ مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية، لأن من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المُقام فيه كلَّ هذا الاقتصار حتى يقول: لبثتُ يوما أو بعض يوم، بل يزداد له مُقام يوم في العذاب على سنة وأكثر،

---

[1] ع: وقال.
[2] ع: يذكرهم.
[3] م: ودعهم.
[4] ر م: ذلك.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[6] ع - أضاف.
[7] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥١).
[8] جميع النسخ: عاقبة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٩و.
[9] ل. قال.
[10] ر م - قد.

فقال: إلا أن يكون عنىَ ما بين النفختين حتى يؤذن للأرواح[1] فترقُد، فإذا بُعثوا استقلُّوا رَقدة ذلك المقدار بما كانوا قاسَوا قبل الرقدة من العذاب في القبور، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.[2]

وجائز عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن إسحاق بأن ذلك يكون في القبر،[3] وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر. لأنهم لا يعذبون في القبور بالعذاب الذي يعذّبون في الآخرة. فجائز أن يستقلّوا عذاب القبر بعذاب الآخرة ويستقصرون ذلك الوقت بعذاب الآخرة لشدته وأهواله. وذلك جائز في متعارَف الخلق أن يكون[4] الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقلّ ذلك البلاءَ الذي كان به لشدة ما حل به؛ فعلى ذلك هم، جائز أن يكونوا في عذاب في قبورهم لكنهم إذا عاينوا عذاب[5] الآخرة استقلّوا / عذاب القبر واستقصروه لشدة عذب الآخرة. أو أن [٥١١ظ] يكون عذاب القبر على النفس الروحاني الدرّاك الذي يخرج[6] في حال النوم ليس على روح الحياة، نحو[7] النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في أفزاع وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا خبر، وبها آثار الأحياء. فجائز أن يكون عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الأشياء، لا على روح الحياة الذي به يحيا. وقال قائلون: ذلك في الدنيا، استقلوا حياة الدنيا بحياة[8] الآخرة، وهو كقوله: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ.[9] ألا ترى أنه قال: **فاسأل العاذين**، هذا يدل على أن حمل الآية على الحياة[10] الدنيا أشبه حيث أمر أن يسأل الذين يعدّون، وذلك إنما يكون في الدنيا لا في الآخرة. ثم اختلف في العادّين. قال بعضهم: هم الملائكة الذين يكتبون أعمالهم في هذه الدنيا ويرقبونهم.[11] وقال بعضهم: هم ملك الموت وأعوانه.

---

[1] ر: الأرواح؛ ع م: لأرواح.

[2] يقول القرطبي في تفسيره (١٢/١٥٥): "أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم. قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى الثانية. وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

[3] م: القبور.

[4] ع + إلا.

[5] ع: العذاب.

[6] أي يظهر ويعمل.

[7] ر م – نحو.

[8] ر ع م: الحياة.

[9] سورة التوبة، ٣٨/٩.

[10] جميع النسخ: أن ذلك في الحياة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٩ظ.

[11] جميع النسخ: ويرقبوهم.

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١١٤]

وقوله: **قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون**، أي ما لبثتم إلا قليلا لو كنتم تعلمون ولكن لا تعلمون.*

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١١٥]

وقوله: **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**، قوله: **أفحسبتم**، يحتمل وجهين. أحدهما **أفحسبتم**، أقد[٢] حسبتم أنما خلقناكم عبثا. والثاني **أفحسبتم**، أي لا تحسَبوا أنا إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون، صيّر خَلْقَه الخلقَ لا للرجوع إليه[٣] والبعث عبثا لوجهين. أحدهما لأن خلقَه إياهم، لا لعاقبة تُتأمّل أو لِمنافعَ تُقصَد،[٤] للهلاك خاصةً وللفناء عبثٌ، كبِناء الباني لا لمنفعة تقصد[٥] به ولكن لنقض يكون عبثا في الشاهد. وهو ما قال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا،[٦] سفّهها في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدَتْ به، ونهانا أن نفعل مثل فعلها. فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق إلا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تُقصد كان سفها وعبثا.

والثاني ما أخبر أنه إنما أنشأ هذا العالم غيرَ البشر لهذا البشر وله سخر ذلك كله، حيث قال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[٧] إذ ليس لغير البشر منفعة بهذه النعم التي أنشأها لهم من نحو الجن والملائكة ونحوهم، إذ لهم قِوَام بدون ذلك من الشمس والقمر ونحوه من النعم، إنما ذلك للبشر خاصة. فإذا كان كذلك لا يحتمل أن يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وأنشأها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يأمرهم بأوامر ولا ينهاهم بمناهي. فدل ما أنشأ لهم من النعم وسخر لهم من الأشياء أنهم يُبعثون ويُرجعون إليه حتى يُجزَون جميعا، المحسنُ جزاءَ الإحسان، والمسيءُ[٨] جزاءَ الإساءة، إذ في العقول التفرقة بين الولي والعدو،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١١٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١١ظ/سطر ٩-١٠.
[٢] ع ن: أي قد.
[٣] ر م – إليه.
[٤] ن + يكون.
[٥] ر م ع: يقصد.
[٦] سورة النحل، ١٦/ ٩٢.
[٧] سورة الجاثية، ٤٥/١٣.
[٨] ر م: جزاء الإحسان والمسيئ.

وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر.[١] ثم رأيناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على سواء[٢] في الضيق والسَّعَة، لم نر[٣] ما يفصِل بين الولي والعدو، وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر. فدل ما لم نر[٤] من التفرقة بين[٥] ما ذكرنا في هذه الدنيا على أن هنالك دارا أخرى دارَ الجزاء، هنالك[٦] يُفصَل بين من[٧] ذكرنا في الجزاء. *والله الموفق*.

**لا تُرْجَعون**، قيل: لا تبعثون. وقيل: لا ترجعون إليه بالأعمال التي عملتموها. كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ،[٨] وقوله: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.[٩]

**﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾**[١١٦]

وقوله: **فتعالى الله الملك الحق**، أي يتعالى الله عن أن يكون خَلْق الخلق منه عبثا. أو يتعالى أن يكون خلَق الخلق لا لحكمة. **الملك الحق**، قال الحسن: **الحق** اسم من أسماء الله. أو **الملك الحق** هو[١٠] الذي خلق الخلق للحكمة.

**لا إله إلا هو** تنزيه وتبرئة عن جميع ما قالوا فيه.

وقوله:[١١] **ربُّ العرش الكريم**، يشبه أن يكون على الأول يتعالى الملك الحق ورب العرش[١٢] الكريم عن أن يخلقهم لا للحكمة أو للعبث.[١٣]

وقالت[١٤] الباطنية: **العرش** القيامة. ونحن نقول:[١٥] يشبه أن يكون العرش القيامة على ما قالوا هم،

---

[١] ر + فدل ما لم نر.
[٢] ع: على السواء.
[٣] ن: نر.
[٤] ن: نر.
[٥] ر م − بين.
[٦] ر ع م: هنالك.
[٧] ر ع م: ما.
[٨] سورة الانشقاق، ٨٤/٦.
[٩] ﴿وقالوا قلوبنا في أكِنَّة مِمَّا تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥-٦).
[١٠] ر م − الحق هو؛ ع: هو.
[١١] ن: فقوله.
[١٢] جميع النسخ: الملك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٩ظ.
[١٣] ر ع م: للعبث.
[١٤] ن: وقال.
[١٥] ر ع م: نقول.

إلا انهم يقولون: هو قائم الزمان، وقلنا نحن: هي القيامة المعروفة وهي السعة؛ رب القيامة وهي المَلِكُ الذي ذكرنا، كقوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[1] وخص ذلك اليوم بالملك له -وإن كان الملك له في الدارين جميعا- لما لا ينازَع[2] في ملكه يومئذ، قد نوزِع[3] في الدنيا فَخَصّص له ملك ذلك اليوم وصفا له يومئذ. وقال بعض[4] أهل التأويل: **العرش** السرير، أضاف إلى نفسه لكرامته[5] ومنزلته عند الله. والكريم هو نعت ذلك السرير، أي الحسن، كقوله: وَمَقَامٍ كَرِيمٍ،[6] أي حسن، وهكذا يوصف كل كريم بالحسن. وقال بعضهم: الكريم[7] هو نعت الرب، أي ذو عفو وصفح. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾**[١١٧]

وقوله:[8] **ومن يدع مع الله إلها آخر**، ظاهر هذا يومئ[9] أن هنالك إلها آخر. لأنه قال: ومن يدع مع الله إلها آخر،[10] لكنه يخرج على وجهين. أحدهما [هو كقوله:] لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ،[11] [و]كقوله: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ.[12] والثاني **ومن يدع مع الله إلها آخر**،[13] أي من يسمِّ مع الله إلها آخر، إذ كانوا يسمُّون الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة. على هذين الوجهين يخرج تأويل الآية.

وقوله: **لا برهان له به**، أي لا حجة لهم بذلك، لأن الحجة إنما تكون[14] بوجوه ثلاثة.

---

[1] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٦).
[2] ر م: يتنازع.
[3] ن: توزع.
[4] ر: بعضهم.
[5] ر ع م – لكرامته.
[6] ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٥٧-٥٨).
[7] ر ع م – الكريم.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع: يوحي.
[10] ن – إلها آخر لأنه قال ومن يدع مع الله إلها آخر؛ ر + كقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر، صح هـ.
[11] ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٢)
[12] ر + وقوله. ﴿ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥١).
[13] ر ع – لأنه قال ومن يدع مع الله إلها آخر لكنه يخرج على وجهين أحدهما لا تجعل مع الله إلها آخر؛ كقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر والثاني ومن يدع مع الله إلها آخر؛ م –، صح هـ.
[14] ر م: يكون.

إما بالأخبار التي يجوز الشهادة / على صدقها وصحتها، وإما العقول تشهد على ذلك، وإما[1] [٥١٢و] من جهة الحس يدل على ذلك، فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه.

ثم الحس يكون به الدلالة[2] من وجهين. أحدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة، أو بآثار تدل[3] على الألوهية. فلا[4] كان في ظاهر وقوع الحس دلالةُ ذلك ولا كان بها[5] آثار تدل على ذلك، بل فيها آثار العبودة والذُّل فضلا أن تكون[6] لها آثار الألوهية.[7] ولا عذر لهم في ذلك، لأن العبادة لآخر[8] إنما يكون لوجوه: إما للنعم والأيادي [التي] تكون[9] منه إليه فيعبده[10] شكرا لما أنعم عليه وأحسن إليه، وإما لحوائج[11] يطمع قضاءها له من عنده، أو لما يرى له في نفسه من آثار العبودة له. فإذ لم يكن واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الأصنام. فإن قالوا: لنا برهان وحجة في ذلك، قيل: قَطَع حجاجكم بما ذكر من قوله: إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ،[12] الآية، وقوله: فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا،[13] ونحو ذلك من الآيات، فيها قَطْع حجاجهم. وفي حرف حفصة: **لا برهان له به**،[14] أي لا سلطان له به.

وقوله: **فإنما حسابه عند ربه**، قال قائلون: **حسابه عند ربه**، هو قوله: **إنه لا يفلح الكافرون**. وقال بعضهم: **حسابه**، جزاؤه لصنيعه عند ربه، كقوله: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم.[15]

---

[1] ر م: وما.
[2] جميع النسخ: بالدلالة.
[3] ع: يدل.
[4] ر ع م: فلو.
[5] أي بالآلهة أو بالأصنام.
[6] جميع النسخ: يكون.
[7] ع + فلو كان في ظاهر وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار العبودة والذل فضلا أن يكون لها آثار الألوهية.
[8] ع: لآخرة.
[9] جميع النسخ: يكون.
[10] ر م: فيعبدوه.
[11] ر ع م: لحوائجهم.
[12] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٨/٣٩).
[13] ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ (سورة الإسراء، ٥٦/١٧).
[14] ر ع م - به.
[15] سورة الغاشية، ٢٥/٨٨-٢٦).

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١١٨]

وقوله: **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**، جائز أن يكون هذ تعيما[١] من الله لكل أحد سؤال المغفرة والرحمة. وقيل: هو لرسول الله صى الله عليه وسلم. فهو يخرج عىى وجهين. إن في حكمته وعدله أن لا يرحم ولا يغفر أحدا وإن كان في فضله ورحمته أن يرحم ويغفر. والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء.[٢] أو أن يكون العصمة تزيد في الخوف، كقول إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٣] وقوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،[٤] الآية.

وقوله[٥] عز وجل: **وأنت أرحم الراحمين**، لأن رحمته إذا أدركت[٦] أحدا أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره[٧] لا تغنيه عن رحمته.

---

[١] ر م: تعظيما.
[٢] ر ع م + أو أن يكون العصمة والرحمة هذا الدعاء.
[٣] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[٤] سورة آل عمران، ٨/٣.
[٥] د: فوله.
[٦] ر ع م: أدركن.
[٧] ر – ورحمة غيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[١]

قوله عز وجل: **سورة أنزلناها**، سماها "سورةً" وجعل تلاوتها سورة [فرضا] و لم يجعل لغيرها من السور التلاوةَ سورةً كما جعل لهذه.[2] فجائز ذلك لكثرة ما فيها من الأحكام من الفرائض والآداب ما بالناس إلى ذلك حاجة، أو لمعنى لم يذكره، أو لا لمعنى ولكنه ذكر هكذا، وله[3] الخلق والأمر. قال أبو عَوْسَجة: السورة القطعة من كل شيء، تقول:[4] سوَرتُ الشيء، أي قطَعته. وقال بعض العلماء: إنما سمّي القرآن[5] [قرآنا] لجماعة السور [المجتمعة]،[6] وسميت السورة [سورة، لكونها] مقطوعة من الأخرى، فلما قُرِن بعضها إلى بعض سُمّي قرآنا، كقوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[7] أي تأليفَ بعضها إلى بعض، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي فإذا جمعناه وألّفناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي ما جُمع فيه، فاعمل به من أمر أو نهي. ويقال: ليس لشعره قرآن، أي نظم وتأليف. ويقال للمرأة: ما قرأت سَلًى قط، أي لم تجمع في بطنها ولدا.

---

[1] ر – سورة النور؛ ن ع م: ذكر أن سورة النور كلها مدنية.

[2] ر م: لهذا.

[3] ر م: أو له.

[4] ر ع م: يقول.

[5] قَرَأْتُ الشيءَ قُرْآنًا: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض. ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلًى قَطُّ، وما قَرَأَتْ جَنِينًا قطُّ، أي لم يَضْطَمّ رَحِمُها على ولد. وقال أكثر الناس: معناه لم تَجْمع جنينًا أي لم يَضْطَمّ رَحِمُها على الجنين. وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على إسمعيل بن قُسْطَنْطِين وكان يقول: القُران اسم، وليس بمهموز ولم يُؤْخذ من قَرَأْت ولكنّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل. ويَهمز قرأْت ولا يَهمز القرانَ (لسان العرب، «قرأ»).

[6] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٠٥و.

[7] سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٨.

وقال بعضهم: سورة -بلا همز- أي[1] المنزلة والرِفعة، وبالهمز سؤرة [أي] البقية، ومنه سمي سُؤر الكلب وسؤر الهِرَة[2] وسؤر الطائر، أي بَقيته[3] والقطعة منه. ثم قرئت بالنصب: سورةً **أنزلناها**. والرفع جميعًا **سورةٌ** وهي القراءة الظاهرة. فمن قرأها بالنصب أوقع الفعل عليها، أي أنزلناه[4] سورةً، والفعل إذا وقع على شيء انتصب، تقدّم الفعلُ أو تأخر: كقولك: زيدًا ضربناه، وضربنا زيدا. وقال بعضهم: إنما انتصب لإضمار فيه، كأنه قال: اتبِعوا سورة، أو اذكُروا سورة[5] أنزلناها، كقوله: نَاقَةَ اللَّهِ[6] بالنصب، أي احذَرُوا[7] ناقةَ الله. ومن قرأها بالرفع رَفَعَ[8] على الابتداء،[9] فكل ما يُبتدأ به فهو رفع. وقال بعضهم: رفع على إضمار: هذه سورة أنزلناها. وذلك كله جائز في اللغة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وفرضناها**، قرئ[10] بالتخفيف **فرَضناها**، والتشديد[11] فرّضناها. قال الزجاج: قوله: فرّضناها، بالتشديد يخرج على وجهين. أحدهما، أي كثّرنا فيها الفرائض والأحكام.[12] والثاني فرّضناها، أي فصّلنا فيها بين ما يُؤتى وبين ما يُتّقى وبين ما أمر فيها وبين ما نُهي. وقال: وأما التخفيف **فرَضناها**، أي الزَمُوا ما فيها من الفرائض وآدابها.[13] وقال القُتَبِي: **فرَضناها**، بالتخفيف، أي بيّنا فيها الفرائض.[14] وقال أبو عَوْسَجَة: من قرأها[15] بالتخفيف **فرَضناها**، أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ فرّضناها، بالتشديد يقول: فرضناها عليكم وعلى من بعدكم، على التكثير. ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع: هي.
[2] ر ع م: الهر.
[3] ر م: بقية.
[4] ن: أنزلنا.
[5] ع - أو ذكروا سورة.
[6] ﴿فقال لهم رسولُ الله ناقةَ الله وسُقْيهَا﴾ (سورة الشمس، ٩١/١٣).
[7] ن: أحذو.
[8] ر م - رفع.
[9] ر م + أي احذروا.
[10] ع: قراء.
[11] ر م: وبالتشديد.
[12] *انظر: حجة القراءات* لابن زَنْجلَة، ٤٩٤.
[13] *معاني القرآن* للزجاج، ٢٧.
[14] وقد ورد في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة: «فرَضناها، فرضنا ما فيها». انظر. ص ٣٠١.
[15] ع: قرأ.

وقوله: **وأنزلنا فيها آيات بينات**، يحتمل قوله: **آيات بينات**، أي حججا بيّنة يفهمها ويعرفها كل أحد بالبديهة والتأمل. أو أن يريد بالآيات الآيات التي جمع فيها أشياء وتتبى، لأن الآية / إنما تستحق اسم الآية إذا جُمع فيها كلمات وحروف. فأما كلمة واحدة وحرف واحد لا يسمى بهذا الاسم.[1] أو[2] أن يكون قوله: **آيات بينات**، ما ذكر فيها وبيّن مما يُؤتى ويُتّقى وما[3] يَحلّ وما يَحرُم، فذلك كله مبيَّن فيها. **والله أعلم**. [٥١٢ظ]

وقوله: **لعلكم تذكرون**، أي تتعظون[4] بما ذكّر فيها من المواعظ وبيّن فيها ما يزجر عن المعاودة وهي الحدود التي ذكر فيها، لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين: المواعظ التي[5] تُلين القلوب والحدود التي تَزْجُر.

**﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]**

وقوله:[6] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**. لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المَخرَج والعموم، على ما قاله بعض الناس، لكان لكل أحد أن يُقيم على آخرَ حدا بظاهرِ قوله: **فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، فيقول: الله أمرني بذلك بقوله: **فاجلدوا**. أو أن يضربوا جميعا واحدا من الزُّناة[7] بظاهر قولِه: **فاجلدوا**، فيزداد الضرب والحد على ما حدَّ الله أضعافا مضاعفة. فدل أن اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج. أو أن يقول قائل: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرِجلان تزنيان والفرج يصدّق ذلك كلّه أو يكذّب».[8] سَمّى الناظر إلى ما لا يحل نظرُه إليه زانيا والماسّ هٰا كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله:[9] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**،

[1] ر: لاسم.
[2] ع – أو.
[3] جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.
[4] ع: تيقظون.
[5] ع – وبين فيه ما يزجر عن المعودة وهي الحدود التي ذكر فيها لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين المواعظ التي.
[6] ن: قوله.
[7] ع: من الزيادة.
[8] ورد الحديث بعبارات مختلفة. انظر: صحيح *البخاري*، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٥؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٤، الأدب ٥٢.
[9] ع + فاجلدوا فيزداد الضرب.

فإذ لم يفهم من ظاهر قوله: **الزانية والزاني** ما ذكرنا كله دل أن الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وأن المراد من قوله:[1] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، راجع إلى الخصوص: إلى مقيم دون مقيم، وإلى زانٍ دون زان؛ وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه: العينَ واليد والرِّجل والفرج وجميع بدنه. ورجع الخطاب به إلى البِكرَين الحرَّين[2] والثيِّبَين الحرَّين اللَّذَين لم يستجمعا جميعا أحكام الإحصان. فأما من[3] استجمع جميع أسباب الإحصان فإن حدَّه الرجمُ على اتفاق القول منهم جميعا، إلا أن طائفة من أهل العلم[4] أوجبوا عليه مع الرجم الجلْدَ، وفي البِكر مع الجلد تغريب عام. والدليل على أن المراد راجع إلى الحرَّين البكرين أو الثيِّبين اللذَين لم يستجمعا أسباب الإحصان ما ذكرنا من القول المتفق، وقولِه: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[5] دل إيجابُ نصفِ ما على المحصنات[6] على الإماء على أنه أراد بالمحصنات الحرائرَ التي لم يستجمعن جميع أسباب الإحصان، وأن الخطاب بقوله: **الزانية والزاني**، إلى آخر ما ذُكر، راجع إلى الحرين اللذَين ذكرناهما.

ثم لم يُضرَب في الزنا الذي به زُنِي وهو الفرج، وقُطع في السرقة الذي به سُرق وهو اليد، فهو –والله أعلم– لَمّا جُعلَ الحدود زواجر[7] عن المعاودة لم تُجعل دافعة مُذهِبةً إمكانَ ذلك الفعل من الأصل، وفي ضرب الفرج ذهاب إمكان الفعل من الأصل، ولا كذلك في قطع اليد في السَّرقة، إذ تبقى[8] [يد] أخرى، بها يأخذ وبها[9] يقبض، لذلك افترقا. أو أن يقال: في ضرب الفرج خوف هلاكه في الأغلب وليس ذلك في قطع اليد، بل يبقى حيا في الغالب. وقد ذكرنا أن الحدود لم تجعل مهلكة مُتْلِفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة، لذلك افترق.

---

[1] ر م: بقوله.
[2] ر ع م: الحرتين.
[3] ر ع: فامن؛ م: فإن من.
[4] وهو قول الشافعي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٢٠و.
[5] سورة النساء، ٢٥/٤.
[6] ر – من العذاب دل إيجاب نصف ما على المحصنات.
[7] ر م: وزواجر.
[8] جميع النسخ: يبقى.
[9] ر: وابها.

وفي قوله: **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، دلالة على أن النفي[1] ليس من عذاب الزانيين ولا من عقوبتهما،[2] لأنه قال: **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**، والنفي مما لا يُحتمل أن يؤمر بشهوده لأنه لا يمكن، فدل أنه ليس من عذابهما. ويدل [عليه] أيضا قوله: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ.[3] لأنهم أجمعوا على أن لا نفيَ على الإماء إذا زنَينَ، وقد أوجب عليهن إذا[4] زنين نصفَ ما على المحصنات. أو إنْ ثبت النفيُ فهو يحتمل[5] وجهين. أحدهما أنه أراد به قطع الشَّين الذي[6] لحقهما بفعل الزنى، لأنه ليس جُرم من الأجرام أكثرَ شَيناً[7] وأشدّ من فعل الزنى، فأراد أن ينقطع[8] ذلك من بين الناس. أو أن يكون أراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنى بذُلّ السفر وذلة الغربة. أو صار منسوخا لما شُدّد في الضرب بقوله: **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**، وفيما ذُكّر النفي لم يذكر فيه الشدة، إنما ذكر فيه الجلد حسبُ، بقوله عليه السلام: «أمّا على ابنكَ هذا جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عام».[9] فجائز أن يكون الضرب كان بالتخفيف وفيه نفي، فلما[10] شُدّد في الضرب ارتفع النفي. وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه نفى رجلا فارتد عن الإسلام ولحق بالروم، وقال: كفى بالنفي فتنة، وقال: لا أنفي بعد هذا أبداً. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه.[11] *والله أعلم*.

---

[1] أي تغريب عام، وهو قول الشافعي كما مرّ قريبا.

[2] ن: عقوبتها.

[3] سورة النساء، ٢٥/٤.

[4] ر م: إذ.

[5] ع + على.

[6] ع - الذي.

[7] م: شيئ.

[8] ن: يتقطع.

[9] ورد الحديث في صحيح البخاري، (الصلح ٥، الشروط ٩) في سياق طويل: - عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنهما قالا: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله اقضِ بيننا بكتاب الله. فقام خصمه فقال: صدق، اقضِ بيننا بكتاب الله. فقال الأعرابي: إنّ ابني كان عَسِيفاً على هذا، فزنى بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرَّجمُ. فَفَدَيْتُ ابني منه بمائةٍ من الغنم ووليدة، ثم سألتُ أهلَ العلم، فقالوا: إنّما على ابنك جَلدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأقضِيَنَّ بينكما بكتاب الله، أمّا الوليدة والغنمُ فرَدٌّ عليك، وعلى ابنك جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ، وأمّا أنتَ يا أُنَيسُ -لرجلٍ- فاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هذا فارْجُمْهَا» فغدا عليها أُنَيسٌ فرجمها. وانظر: صحيح مسلم، الحدود ٥؛ وسنن الترمذي، الحدود ٨.

[10] ع: لما

[11] للاطلاع على كلا الرأيين انظر: تفسير روح المعاني للآلوسي، ٨١/١٨.

وقوله: **ولا تَأْخُذْكم بهما رأفة في دين الله**، قال بعضهم: **لا تأخذكم بهما رأفة** حتى تعطّلوا حدود الله فلا تقيموها. [و]قال بعضهم: **لا تأخذكم بهما رأفة**،[1] في تخفيفها، فهو -والله أعلم- لأنه من أعظم الأجرام والشَّين.[2]

ثم للمعتزلة تعلُّق بظاهر قوله: **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**، قالوا: إن الله وصف

[٥١٣و] نفسه بالرحمة بقوله: رَءُوفٌ رَحِيمٌ،[3] / ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله: وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.[4] ثم نهاهم أن تأخذهم[5] رأفة على الزانِيَيْن[6] وقت إقامة الحد عليهم، دل أن الزاني قد خرج بفعله من الإيمان لما ذكرنا من رفع الرأفة والرحمة عنهما.

لكن عندنا في الآية دلالة أنه ليس على ما ذهبوا إليه، لأن الزاني لو كان يخرج من الإيمان بفعل الزنى لكان لا يحتاج إلى أن يقول: **ولا تأخذكم بهما رأفة**، لأنهم كانوا على ما وصفهم الله بالشدة على غير المؤمنين بقوله: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، دل أن الزنى لم يُخرجه عن الإيمان،[7] فنَهَى أن لا تأخذنا[8] بهما رأفة[9] الإيمان والدين في تعطيل الحد أو تخفيفه.[10] أو أن يكون النهي عن أخذ الرأفة ليتحملا[11] ذلك الحد وإلا لم ينتفع[12] به في الآخرة، وهو أن لا يعذَّب به. ألا ترى أنه قال: **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**، وفائدته ما ذكرنا أنه **لا تَأْخُذْكم بهما رأفة** في إضاعة الحد ليندفع به عنهم عذاب لآخرة، إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمُؤَنَ[13] لما يتأمل من النفع في الآخرة، نحو مَن يشرب الأدوية الكريهة ويفتصد ويحتجم

[1] ر ع م - حتى تعطلوا حدود الله فلا تقيموها قال بعضهم لا تأخذكم بهما رأفة.
[2] م: في الشئن.
[3] سورة النور ٢٠/٢٤.
[4] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).
[5] جميع النسخ: يأخذهم.
[6] ر ن م: الزانين.
[7] ن: من لإيمان.
[8] جميع النسخ: تأخذ.
[9] ع + عن.
[10] ر م: وتخفيفه
[11] جميع النسخ: ليتحمل.
[12] ن ع: لم ليتفع.
[13] ر ع م - ليدفع به عنهم عذاب الآخرة إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمؤن.

لما يطمع البرء به و لنفع في العاقبة.[١] فعلى ذلك جائز أن يكون النهي عن أخذ الرأفة في حد الزنى ليقام ذلك عليه ويتحمل ألمه[٢] فيجو في الآخرة عن عذابه. **والله أعلم.**

وقوله: **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين.** قال[٣] بعضهم: الطائفة واحد واثنان فصاعدا، وكذلك قالوا في قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا،[٤] هما رجلان اقتتلا. دل على ذلك قوله: فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ.[٥] وهما اثنان في الظاهر. لكنْ جائزٌ[٦] أن ينضمّ إلى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطائفة جماعة لا واحدا. وقال بعضهم: الطائفة جماعة من العشيرة فصاعدا.

ثم يجب أن يُنظر لأي[٧] معنى أَمَر أن يشهد[٨] عذابهما طائفة من بين سائر الأجرام، فهو -والله أعلم- يحتمل وجوها. أحدها المحنة؛ أراد أن يمتحن من حضر ذلك، إذ[٩] المرء قد يتألّم على ضربِ آخرَ وما يحُلّ بغيره[١٠] لينزجر عن مثله. والثاني لانتشار الخبر في الناس لينزجروا عن مثله. والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم عليه[١١] ذلك الحد ويجاوزَه على الحد الذي جُعل له، فإن هو يتعدّى منَعه مَن حضره[١٢] عن المجاوزة والتعدي. والرابع لدفع التهمة عن الحاكم لئلا يتّهمه الناس أنه إنما أقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جُرم. فإن كان[١٣] الأمر بشهود الطائفة عذابَهما هذه الوجوه الأربعةَ[١٤] التي ذكرنا من [المحنة و]انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة، فالطائفة يحتاج أن يكون جماعة، كأن الواحد غير كافٍ لذلك. وإن كان الأولَ، وهو المحنة، فالواحد وما فوقه يكون يمتحن كلا في نفسه بحضور ذلك الحد ليتألّم به.

---

[١] ن - في الآخرة؛ ع: في العاقبة.
[٢] ر م - ويتحمل ألمه.
[٣] ر ع م: وقل.
[٤] ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/٩).
[٥] ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/١٠).
[٦] ر ع م - جائز.
[٧] ر م: لأثر؛ أثر.
[٨] ع: تشهد.
[٩] ع: إذا.
[١٠] ر ع م: لغيره.
[١١] ر ع م - عليه.
[١٢] ع: حضرة.
[١٣] ن - كان.
[١٤] جميع النسخ: الثلاثة.

وقد ذكرنا أن بعض أهل العلم قالوا: إنه يجمع مع الرجم الجلد،[1] واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الثيب بالثيب جَلْدُ مِائَةٍ ورجم بالحجارة،[2] والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام».[3] فأما الجَلْد فلا خلاف في أنه حدّ البِكر، وأما النفي فمما اختلفوا فيه؛[4] فمنهم من رآه واجبا، ومنهم من رآه عقوبة لهم يُضمّ إلى الحد. ونحن قد[5] ذكرنا المعنى في ذلك إن ثبت ما يغنينا[6] عن تكراره. ونزيد[7] أيضا نكتة وهي أن الحدود ذو نهايات المقدار وغايات، ولذلك سميت حدودا، لأن لها نهاية وغايةً كما يقال: هذا[8] حد الدار،[9] [يقصد] أنه منتهاها وآخرها. فلما لم يكن للنفي مكان معلوم يُنفَى[10] الزاني إليه دل أنه ليس بحد ولكن أراد به الوجوه التي ذكرنا: إما حبسا كما يُحبَس الباغي[11] حتى يُحدِث توبة، أو قطعَ الشَّين والذِّكر الذي يتحدث الناس به ليُنسَى ذلك ويترك، أو قطعَ الشهوات التي حملتهم على ذلك بذلة السفر والغربة، أو أنْ كان ثم صار منسوخا بما شُدد فيه الضرب. *والله أعلم*.

وأما قول أصحابنا رحمهم الله في إزالة[12] الجلد عن الثيّب إذا كان مُحصَنا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أُغدُ يا أُنَيسُ على امرأةِ هذا، فإن اعترفت فارجُمْها»،[13] ولم يذكر جلدا. وذهبوا أيضا إلى أن حديث ماعِز بن مالك لَمّا رجمه النبي صلى الله عليه وسلم باعترافه ولم يُذكر أنه جُلد. وروي أن أبا[14] بكر رضي الله عنه قال له[15] لما اعترف ثلاثا:

---

[1] ن: والجلد.
[2] ر م: حجارة.
[3] صحيح مسلم، الحدود ١٧؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ٨.
[4] ر م - فيه.
[5] ع: ما.
[6] ن: تغنينا.
[7] ن: وتزيد.
[8] ع - هذا.
[9] جميع النسخ: هذا حد فلان وحد الدارين؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٠ظ.
[10] ع: نفى.
[11] ر ع م: الداعر.
[12] ر ع ن: في أن آلة.
[13] صحيح *البخاري*، الوكالة ١٣، الشروط ٩؛ وصحيح مسلم، الحدود ٥؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٥.
[14] ع: عن أبا.
[15] أي لماعز.

لو[1] اعترفتَ في المرة الرابعة لَرجمتك ولم يقل [لَ]جلدتك،[2] علم أنه لا يجمع مع الرجم الجلدُ؛ وما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أمر برجم امرأة زنَت ولم يجلدها؛[3] وروي عن ابن عمر عن عمر مثله. إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا رحمهم الله ويقولون: لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان: الجلد والرجم جميعا، كما لا يجتمع في غيره من الأجرام في فعل واحد حدان أو عقوبتان. وقوله صلى الله عليه وسلم: «الثيب بالثيب يُجلَد ويُرجم»،[4] يُحتمل[أن] يجلد[5] ثيبا غير محصن ويرجم ثيبا آخر محصنا، أو يجلد ثيبا في حال ويرجم ثيبا[6] في حال. وقد ذكرنا هذه المسألة في سورة النساء.[7]

**﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾**[٣]

قوله:[8] **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك،** في ظاهر الآية لا يحِلّ[9] للزاني أن ينكح إلا الزانية من المؤمنات أو مشركة، وكذلك الزانية من المؤمنات ، لا ينكحها العفيف من المؤمنين وإنما ينكحها الزاني منهم أو المشرك.[10] وفي ظاهر [٥١٣ظ] الآية النهي للزاني عن نكاح العفائف وإباحة نكاح الزانيات أو المشركات،[11] فإن كان ذلك فكان قوله: وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ[12] إلا الزناة منكم فإنه يحِلّ لهم أن ينكحوا المشركات.

---

[1] ع - عترف ثلاث لو.

[2] جميع النسخ: لرجمتك... جلدتك؛ والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.

[3] ورد في *السنن الكبرى* للبيهقي (٤٤١/٧) عن عامر عن عبيد بن نَضْلة قال: رفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تزوجت في عدتها فقال لها: هل علمت أنك تزوجت في العدة؟ قالت: لا. فقال لزوجها: هل علمت؟ قال: لا. قال: لو علمتما لرجمتكما. فجلدهما أسياطا وأخذ المهر فجعله صدقة في سبيل الله، قال: لا أجيز مهرا لا أجيز نكاحه. وقال: لا تحل لك أبدا.

[4] ورد الحديث في صحيح *مسلم* بعبارة مختلفة: «البِكرُ يُجلَد ويُنفَى والثَّيِّبُ يُجلَد ويُرجَم». الحدود ٣.

[5] ر ع م: الجلد.

[6] ل ع - ثيبا.

[7] انظر: تأويل الآية ١٥.

[8] ر ع م - قوله.

[9] ر ع م: أن لا تحل.

[10] ر م: الزانية منهم والمشرك.

[11] ر م: والمشركات.

[12] ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأَمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (سورة البقرة ٢٢١/٢).

وكذلك قوله: وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشِرِكِينَ إلا الزانياتِ فإنه يحل، هذا ظاهره.[1] لكنهم أجمعوا على أن لا يحِلّ للمؤمن -وإن كان زانيا- أن يَنكح المشركة، وكذلك لا يحل لمشركة أن تتزوج[2] بالزاني من أهل الإيمان.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويله. قال مقاتل ومحمد بن إسحاق وهؤلاء: **الزاني** من أهل الكتاب **لا يَنكح**، أي لا يتزوج **إلا زانية** من أهل الكتاب[3] **أو مشركة** من[4] غير أهل الكتاب. **والزانية** من أهل الكتاب **لا يَنكحها**[5] **إلا زانٍ** من أهل الكتاب[6] **أو مشركٌ** من غير أهل الكتاب[7] [الذين] يزنُون[8] علانية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما[9] قال:[10] نزلت الآية في نفر من أهل مكة هاجروا إلى المدينة وكانوا ذوي عُسرَة، وكان بالمدينة بغايا يَبغِينَ بأنفسهن ظاهرات بالفجور وكنّ مُخصِبات[11] أو[12] مَخاصيب[13] البيوت، فهمّ أولئك المهاجرون أن يتزوجوا بأولئك البغايا ليصيبوا[14] من خِصبهن وسَعَتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستأذنوه في ذلك فنزلت الآية في شأنهم: **الزاني** من أهل القبة المعلن به **لا ينكح إلا زانية** من اليهود **أو مشركة**، الآية.[15]

**وحُرِم ذلك على المؤمنين**، أي نكاحهن على المؤمنين،[16] لكن هذا يصلح أن لو كان أولئك المهاجرون مثلَهن زناةً. فأما إن كانوا مهاجرين أهل إيمان[17] وعِفَة فلا يصلح أن يقال فيهم: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** وهم لم يكونوا زناة إلا أن يقال على الابتداء أنه لا يفعل ذلك.

---

[1] ع: ظاهرة.
[2] ر ع م: يتزوج.
[3] ر م + أي لا ينكح.
[4] ر م - من.
[5] ع - أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها.
[6] ع - أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها إلا زانٍ من أهل الكتاب.
[7] ن - أو مشرك من غير أهل الكتاب.
[8] جميع النسخ: يزنين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.
[9] ن م: عنه.
[10] ع: قالت؛ م + لما.
[11] ن ع: محصنات.
[12] ن + مشرك من غير أهل الكتاب
[13] ع: مخصب.
[14] ع - ليصيبوا.
[15] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٧٥؛ و*تفسير القرطبي*، ١٢/٢٠٨.
[16] ر ع م- أي نكاحهن على المؤمنين.
[17] ر ع م: الإيمان.

وقال بعضهم:[١] قوله: **الزاني لا ينكح**، أي لا يجامع ولا يزني **[إلا زانية]** إلا بزانية مثله، وكذلك الزانية لا تزني إلا[٢] بزانٍ مثلها أو مشرك لا يحرِّم الزنى. وهو قول الضحاك وهؤلاء. وقال سعيد بن المسيَّب: نسخت هذه الآيةُ: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ[٣] قولَه: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة**، الآية. وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها، قال: هما زانيان ما اصطحبا.[٤]

وجائز أن يكون النهي عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن الزنى نفسه لا عن نكاح، كأنه[٥] قال: لا تزنوا، فإنكم إذا زنيتم وصرتم[٦] معروفين به لا تجدون أن تنكحوا إلا زانية أو مشركة التي لا تحرِّم الزنى، لأن العفائف منهن لا يرغَبْن في نكاح من[٧] صار مُعلن الزنى، فإذا لا يرغبن لم يجدوا إلا من ذُكر، وهو كما قال:[٨] لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى،[٩] ليس النهي عن قِرْبان الصلاة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكِر. وكذلك ما روي أنه قال: «لا صلاة للمرأة الناشزة ولا للعبد الآبق»،[١٠] إنما النهي عن نشوزها وعن إباقه، ليس عن الصلاة. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**، إنما نهى عن الزنى، أي لا تزنوا لترغب[١١] العفائف من المؤمنات فيكم، ولا تزنِ[١٢] النساء ليرغب أهل العَفاف من المؤمنين [فيهن]،[١٣] فإنكم إذا زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا إلا نكاح من ذكر من الزانية أو المشركة.

---

[١] ع− بعضهم.

[٢] ع + إلا أن يقال على الابتداء إنه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح أي لا يجامع ولا يزني إلا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني.

[٣] سورة النور، ٣٢/٢٤.

[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٧٥/١٨.

[٥] ع: لأنهم.

[٦] ع − وصرتم.

[٧] ع: ما.

[٨] جميع النسخ: ما قال.

[٩] سورة النساء، ٤٣/٤.

[١٠] لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، ولكن ورد في سنن الترمذي عن أبي أُمامة: «ثلاثةٌ لَا تُجاوز صلاتُهم آذانهم: العبدُ الآبِقُ حتى يرجع، وامرأةٌ باتت وزوجُها عليها ساخط، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. انظر: *سنن الترمذي*، الصلاة ١٥٤. قارن: *صحيح مسلم*، الإيمان ١٢٤.

[١١] جميع النسخ: ليرغب.

[١٢] جميع النسخ: ولا يزني.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢١و.

أو أن يكون ما ذكرنا: لا يُرغب الزاني إلا في نكاح زانية أو مشركة. وكذلك لمرأة الزانية لا ترغب إلا في نكاح زانٍ مثلها أو مشرك. أو لا يرغب الزاني في الزنى إلا بزانية أو مشركة التي لا تحرّم الزنى، وكذلك الزانية لا ترغب إلا بزانٍ مثلها أو مشرك الذي لا يحرم الزنى.

**وحرم ذلك على المؤمنين.** وحرم الزنى على المؤمنين.[1] أو إن كان على النكاح فيكون تأويل قوله: **وحرم**، أي منع عن ذلك المؤمنون،[2] أعني نكاح الزانيات والزناة.

قال أبو عَوْسَجَة: الزانية والزاني يقال: منه زنى يزني [زِنًى و] زِناء،[3] وأما زنأ يَزْنَأُ زُنُوءًا، أي ارتقى يرتقي، ويقال: الزناء الضِيق، ويقال: زَنَنْتُه[4] أَزُنُّه زَنًّا، أي ظننت به ظنا. والقذف التهمة، والرمي أشد من القذف.

ومن جعل الآية في الزانين المسمين وجعل قوله: **لا ينكح**[5] على التزويج لزمه أن يجيز للزانية المسلمة أن تتزوج[6] الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدءا، وهذا لا يقوله أحد. وفي بطلان هذا القول بيان أن الآية إن كان المراد بها عقدَ النكاح فإنها نزلت في الزانية المشركة [التي] يريد المسلم أن يتزوجها كما ذُكِر في حديث مَرثَد،[7] وإن كان المراد به بذكر النكاح منها الوطءَ فهو كما قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه أنه الجماع، ليست تحتمل[8] الآية غير هذين الحالين. والله أعلم بما أراد.

وقد زعم قوم أن المرأة إذا زنت حَرُمت على زوجها. فكأنهم ذهبوا إلى أنه لما لم يحِل له أن يطأها، لأنها إذا كانت زانية لم يحِل المُقام عليها إذا زنت وهي زوجه. لكن التأويل في الآية على خلاف ما توهم أولئك بما وصفنا، فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها. ولو كان[9] التأويل على ما توهموه لوجب[10] أن تحرُم الزانية على زوجها من حيث كان[11] ممنوعا من تزويجها.

---

[1] ع – وحرم الزنى على المؤمنين.
[2] ع: لمؤمنين.
[3] م: زناة.
[4] ر ع م: زنيته.
[5] ر م: لا تنكح.
[6] م: يتزوج.
[7] سنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٥؛ وسنن النسائي، النكاح ١٢.
[8] جميع النسخ: ليس يحتمل.
[9] ع: كانت.
[10] ر ع م: فوجب؛ ن: فأوجب.
[11] ر م: حيث إن كان.

[٥١٤و] ألا ترى أنه لا يجوز لرجل[1] أن يتزوج امرأة في عدة من غيره. ولو أن رجلا وطئ امرأة رجل بشبهة فوجب عليها منه عدة لم تحرم على زوجها. أفلا ترى أن العدة إذا كانت على النكاح مخالفة للنكاح في العدة. واحتجوا أيضا بأن الرجل إذا قذف امرأته لوعن[2] بينهما وفُرِّق، لكن الوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]**

وقوله: **والذين يرمون المحصنات**، ذكر الرمي ولم يذكر بم؟ فيُعرَف ذلك بالنازلة وبقوله:[3] **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**. ذكر الأربعة للشهود والزنى هو المخصوص بالشهود الأربعة دون غيره من الأجرام، فدل ذكر ذلك على إثر ذلك على أن الرمي المذكور[4] فيه هو الزنى.

ثم قوله: **المحصنات**، هن الحرائر في هذا الموضع لا العفائف،[5] لأن قاذف الأمة يلزمه التعزير، ألا ترى أنه قال: فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ[6] الآية. ألا ترى أنه أوجب على الإماء نصف ما على المحصنات وهي[7] الحرائر. ولأنا لو جعلنا قوله:[8] **المحصنات**،[9] عبارة وكناية عن[10] العفائف دون الحرائر لأسقطنا شهادة الشهود، لأن العفة تكذبها. وكذلك يدل قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،[11] الغافلات عبارة عن العفائف، فدل أن المحصنات عبارة عن الحرائر. ثم دخل[12] المحصنون[13] في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وغيره وإن لم يذكروا في الآية.

---

[1] ر ع م: الرجل.
[2] جميع النسخ: لعن.
[3] ر ع م: ولقوله.
[4] م: المذكور.
[5] ع: لا العفاف.
[6] ﴿فإذا أُحصِنَّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ (سورة النساء، ٢٥/٤).
[7] ر م: وهي.
[8] ر م – قوله.
[9] ع – وهي الحرائر ولأنا لو جعلنا قوله المحصنات.
[10] ن: على.
[11] سورة النور ٢٣/٢٤.
[12] ر ح م: أدخل.
[13] جميع النسخ: محصنين؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ط.

ثم شدّد الله تعالى في الزنى وغلّظ في أمره ما لم يُشدِّد ولم يُغلِّظ في غيره من الأجرام مثلَه [على وجوه]. منها ما نهى من تعطيل الحد فيه وإضاعته وتخفيفه حيث قال: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ.[1] ومنها ما أمر برجمه[2] إذا كان محصَنا مثل ما يُرجم الكلب[3] ويقتل بالحجارة. ومنها ما أوجب على الرامي به من الحد إذا لم يأتِ بأربعة شهداء. والزنى[4] بهذا كله مخصوص من بين غيره من الأجرام. وذلك -والله أعلم- لقبحه في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع. والدليل على أنه قبيح[5] في الطبع والعقل جميعا ما ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر عنه كل عقل سليم.

فإن قيل: لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا يأتيه؟

قيل: ينفر عنه، إلا أن الشهوة التي مُكِّنت فيه ورُكِّبت تغلبه وتمنعه عن النفار عنه. ألا ترى أنه لو تفكر مثلَه في المتصلات به من الأم والأخت والابنة[6] وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك. وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه فقال له: ائذَن لي في الزنى. فقال: «أرأيت لو فُعِل بابنتك وأمّك مثلُه أكنتَ تكره؟» فقال: نعم. فقال له: «اكْرَهْ لغيرك[7] ما تكرَه لنفسك».[8] دل ذلك أنه قبيح في الطبع والعقل جميعا، إلا أن الشهوة[9] تمنعه عن النفار عنه.

وفيه اشتباه الأنساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق، حتى لا يهتدي أحد[10] إلى معلم يعلمه الحكمة والأدب[11] ومعالم السنن ولا الدعاءَ بالآباء. و[فيه] ارتفاعُ[12] التواصل وحفظِ الحقوق التي تقوم[13] لبعض على بعض[14] والشَّفَقةِ التي جعلت[15] لبعض على بعض من التربية في الصغار

---

[1] سورة النور ٢/٢٤.
[2] ن: برحمة.
[3] ن ع: الكلاب.
[4] ر ع م: والزنة.
[5] ن: القبيح.
[6] ر ع م: والابنت.
[7] ر: لغيره.
[8] *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٦١/٩.
[9] ن: الشهود.
[10] ن ع: أحد.
[11] ر م: والآد ب.
[12] جميع النسخ: وارتفع.
[13] ر ع م: يقوم.
[14] جميع النسخ: بعض لبعض.
[15] ر ع م: جعل.

وحقوق المحارم وغيرهم. وبه[1] امتُحِن البشر والعالَم الصغير.[2] و[به] يبطل[3] خلق ما ذُكر من الإنشاء لهذا العالم وتسخيرِ ما ذُكر مما في السماوات والأرض لهم. فهذا كله يدل على قبح[4] الزنى ونهايته في الفحش والمنكر؛[5] حتى لا يعرف هذا العالَمُ[6] قبحه ونهايةَ فحشه، وإنما[7] يعرفه العالَم الروحاني الذي لم يمكَّن[8] فيهم هذه الشهوة ولم يُمتَحَنوا بها. وأما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قَدر قبحه وفحشه لما[9] تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه. لهذا -والله أعلم- ما شدّد الله تعالى أمر الزنى وغلّظ في أحكامه ما لم يُغلِّظ بمثله في غيره من الأجرام وعظّم شأنه من بين سائر الآثام.

ثم الذِّكر إنما جرى في الحرائر بما ذكرنا، فهو في الرجال[10] من الأحرار -إن لم يكن أكثر- فما يكون دونه؛[11] لأن العذر فيهن أكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع عن النفار عنه، وفي الرجال أقل،[12] فالعذر فيهم أقلّ. ألا ترى[13] أنه ذكر الحد في الإماء بقوله: فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[14] ولم يذكر في العبيد شيئا، فيلزم العبدَ ذلك الحدُّ إذا ارتكبه، فعلى[15] ذلك ما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله.

---

[1] جميع النسخ: وبها.

[2] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قول نسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه: «وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالَمُ الأكبر»، ويقصد المؤلف من «العالم الصغير» الإنسانَ بمعنى الجنس.

[3] جميع النسخ: بطل.

[4] ع: قبيح.

[5] م - والمنكر.

[6] ع + وتسخير ما ذكر مما في السماوات والأرض هم فهذا كله يدل على قبح الزنى ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم.

[7] ن: إنما؛ ع + لم.

[8] ر ع م: يكن.

[9] ر: لا.

[10] جميع النسخ: بالرجال.

[11] أي جزاء الرمي بالزنى إنما ذكر في الآية التي نحن بصدد تفسيرها في حق النساء، فيجب إجراء هذا الجزاء في قذف الرجال أيضا كما في النساء.

[12] ع: قل.

[13] ن: يرى.

[14] سورة النساء، ٤/٢٥.

[15] ن ع: فعل.

ثم أجمعوا على أنه[1] [يجب على] قاذف الأمة التعزيرُ ولا حدَّ عليه، وقد سَمّى الزوجة وإن كانت محصنة أمةً وقال: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ. وقال: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.[2] سمى مُلْكَ اليمين محصنة بقوله: أُحْصِنَّ، إن[3] تزوجن. وقوله: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، أي الحرائر، فقد بَانَ بهذه[4] الآية أن الإحصان قد يكون بالحرية ويكون بالتزوج[5] وإن كانت الزوجة أمة إذا كان لها زوج. وسَمّى الطبقة من النساء محصنة، قال تعالى: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ،[6] [٥١٤ظ] يعني العفائف. فالإحصان على ثلاثة أوجه، وإنما يجب الحد على قاذف الحر المسلم والحرة المسلمة، فإن كان حرا أو حرة فعليهما الحد ثمانين، وإن كان عبداً أو أمة فعليه الحد أربعين سوطًا على ما ذكرنا.

وقوله: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**، فظاهر هذا أنه[7] لا يقع عند حَضْرَة القذف[8] ولكن له[9] أن يأتي إلى وقت إياسه وهو الموت، كمن يحلف بيمين ولم يوقِّت لها وقتا فإنما وقعت إلى وقت إياسه فحنث عند ذلك. فعلى ذلك يجيء على ظاهره: أن يقع على الأبد ليس عند حَضْرَة القذف. لكن لو وقع على الأبد لكان فيه سقوطه، إذ لا يقام الحد بعد الموت. أو [يقال:] إنه[10] أراد بذكر الشهود الأربعة[11] زجرَه عن[12] قذف المحصنات لما لا يجد[13] الشهودَ على الحال،[14] فالذي هو أخفى وأسرّ أبْعَدُ.

[1] ر ع م: على أنه؛ ن: أن على.
[2] سورة النساء، ٤/٢٤.
[3] ر ن م: أي.
[4] ع: فهذه.
[5] ر م: بالزوج.
[6] سورة النساء، ٤/٢٤.
[7] أي جزاء الجلد.
[8] أي لا يجب إجراء حد القذف عند وجود القذف فورا.
[9] ن - له.
[10] جميع النسخ: ن.
[11] ر ع م: لأربع.
[12] ع: على.
[13] ع: تجد.
[14] جميع النسخ: الحلال.

والثاني أن الحد قد لزمه[١] بالقذف، فإن أراد إسقاطه لم يسقط[٢] إلا ببينة تقوم حضرة ذلك، كمن يقر بقصاص أو حق من الحقوق ثم ادعى العفو في ذلك أو إسقاط ما أقر به[٣] والخروج منه لم يصدَّق إلا ببينة تقوم على حضرة ذلك، فعلى ذلك قوله: **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**، وقع ذلك على حضرة القذف، فإن أتى به وإلا حُدَّ. *والله أعلم*.

ثم المسألة بأنه إذا أتى بأربعة فُسّاق دَرَأ[٤] عن نفسه الحدَّ عندنا. والقياس أن لا يطالَب بشهودٍ عدول، لأن العدول لا يشهدون ذلك المشهد ولا ينظرون إليه، إنما يشهده الفساق، فالفساق[٥] أحق أن يَدرَأ[٦] بهم الحدَّ عنه من العدول. وليس كالشهادة على إقامة حد الزنى، لأن قصدهم بالنظر إلى ذلك المكان قصد إقامة الشهادة وإيجاب الحد على فاعل ذلك، لذلك لم يصيروا فسَقَة، ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم، إذ يملكون[٧] التوبة. ولأن الفساق [في الكون] من أهل الشهادة[٨] ليسوا[٩] كالكفار والعبيد، وهؤلاء وإن كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من أهل الشهادة. ألا ترى[١٠] أن من قذف فاسقا، أو كانت امرأة فقذفها زوجها وهو فاسق، إنا نحدّ قاذف الفاسق ويُلاعَن بين الزوج وبين امرأته. وإن قذف مسلمٌ كافرا أو قذف حرٌ[١١] عبداً لم يُحَدّ، وإن قذف أحدهم زوجته لم يلاعَن بينهما. فمن خالفنا في هذا اللعان[١٢] فليس يخالفنا في أن الحر إذا قذف العبدَ، والمسلمَ إذا قذَف الكافرَ فلا حدّ على واحد منهما. فهذا كله يدل أن الفساق من أهل الشهادة، والكافر والعبد والمحدود في القذف ليسوا من أهل الشهادة، فإذا كانوا[١٣] من أهل الشهادة

---

١ ع: لزم.
٢ ر م: تسقط.
٣ جميع النسخ: له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ط.
٤ ن ع م: درئ.
٥ ر ع م - فالفساق.
٦ ر: يدرئ؛ ع م: يدر.
٧ ن: تملكون
٨ ع - وإيجاب الحد على فاعل ذلك لذلك لم يصيروا فسقة ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم إذ يمكون التوبة ولأن الفساق من أهل الشهادة.
٩ ر م: ليس.
١٠ ن: يرى.
١١ ع: حرمه.
١٢ ن: في اللعان.
١٣ أي فلو كانوا.

-وإن لم تقبل شهادتهم في غيره- فأوجب ذلك شبهة. والحدود مما تُدرَأ[1] بالشبهات، لذلك دُرِئ عنه الحدّ.[2] وأما الكافر والعبد والمحدود في قذف، فإذ[3] لم يكونوا من أهل الشهادة لم تجب[4] شبهةٌ في دَرْءِ الحد عنه، لذلك افترقا.

ثم المسألة إذا جاء الشهود[5] متفرقين[6] حُدُّوا ولم تقبل[7] شهادتهم. والقياس[8] عندنا أن لا يُحدُّون[9] لأنهم إنما يقومون[10] في الشهادة محتسبين لا يقصدون به قذفه ولا شتمه، وأما الرامي فإنه يقصد قصْدَ شتمه وقذفه. ولأن الشاهد يقول: رأيته فعل كذا؛ والرامي يقول: أنت كذا، فكان كمن يقول لآخر: رأيته كفر، لم يضرب بهذا القول، ولو قال: يا كافر ضُرِب، لأن هذا خرج مخرج الشتم، والأول لا، فعلى ذلك الأول. لكنهم أقاموا الحد على الشهود إذا جاءوا متفرقين، لأن الله أكد الشهادة بالزنى بأمرين. **أحدهما** أن لا يقبل فيها أقلَّ من أربعة، وأن لا يقبل حتى يقولوا:[11] زنى بها، فيأتوا بهذه[12] اللفظة ويصفوا بأكثر مما يوصف غيرُه من النكاح وغيرِه. فالشهادة بالزنى أحوج[13] إلى اجتماع الشهود في موطن واحد من اجتماع الشهود[14] على النكاح، ومن قولهم: إن النكاح إذا عُقد بشاهدين متفرقَين لم يكن نكاحا. فالزنى الذي كان أمره أوْكَد[15] والحاجة إليه أحوج[16] وأكثر أحقُّ أن لا يقبل.

---

[1] ر: يدرئ؛ م ن: يدرا؛ ع: يدر.
[2] أي المشهود عليه.
[3] ع: فإذا.
[4] ر ع م: يجب؛ ن: يوجب.
[5] ن: شهود.
[6] أي غير مجتمعين، فرادى.
[7] ع: يقبل.
[8] ن: ولقياس.
[9] م: لا يحددون.
[10] ن: تقومون.
[11] ن: تقولوا
[12] ر ع م: فيأتون هذه
[13] ر م: أحرج.
[14] ع – في موطن واحد من اجتماع الشهود.
[15] ر ع م: واكد.
[16] ر: أحرج.

**والثاني** ما جاء عن عمر أن ثلاثة شهدوا على رجل بالزنى وفيهم أبو بكرة[١] فجلدهم عمر جميعًا لما لم يشهد الرابع كما شهدوا هم،[٢] وكان ذلك بحضرة أصحاب النبي فلم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعا. ألا ترى أن أبا بكرة[٣] رضي الله عنه[٤] قال بعد ذلك: أنا أشهد، فهمّ[٥] عمر أن يجلده فقال له علي[٦] رضي الله عنه: إن جلدت هذا فارجُمْ صاحبك.[٧] فلم ينكر عليه عليٌّ جلده[٨] إياهم إذا لم يتِمّ أربعة، إنما أنكر إذا تم. والله أعلم. لذلك[٩] قلنا: إنهم إذا جاءوا فُرادَى متفرّقين صاروا قَذَفة ولا ينتظر به حضور من بقي منهم كما لم ينتظر عمر.

ثمّ مسألة أخرى: إنه إذا جاء أربعة وأحدهم زوج قُبِل عندنا ودُرِئ[١٠] عنه الحدّ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، ولأن الشهادة عليها وشهادة الزوج على امرأته تقبل، وإنما تردّ إذا شهد لها. ألا ترى أنه لو شهد / عليها في الديون والقصاص والسَّرِقة [٥١٥و]
وغير ذلك من الحقوق قُبِل، فعلى ذلك في هذا.

---

[١] ن: بكر.
[٢] م: شهدوهم.
[٣] ن: بكر.
[٤] ر ع م - رضي الله عنه.
[٥] ع: أفهم.
[٦] ن: وعلي.
[٧] روي في *السنن الكبرى* للبيهقي (٨/٢٣٥) عن قتادة: أن أبا بكرة ونافع بن الحرث بن كلدة وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة أنهم رأوه يولجه ويخرجه؛ وكان زياد رابعهم وهو الذي أفسد عليهم، فأما الثلاثة فشهدوا بذلك. فقال أبو بكرة: والله لكأني بأثر جُدَرِيّ في فخذها. فقال عمر رضي الله عنه حين رأى زياد: إني لأرى غلاما كيسا لا يقول إلا حقا ولم يكن ليكتمني شيئا. فقال زياد: لم أر ما قال هؤلاء ولكني قد رأيت رِيبة وسمعت نَفَسا عاليا. قال: فجلدهم عمر رضي الله عنه وخلى عن زياد. وقد رويناه من وجه آخر موصولا، وفي رواية علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أن أبا بكرة وزيادا ونافعا وشبل بن معبد كانوا في غرفة والمغيرة في أسفل الدار، فهبت ريح ففتحت الباب ورفعت السِّتر فإذا المغيرة بين رجليها، فقال بعضهم لبعض: قد ابتلينا، فذكر القصة. قال: فشهد أبو بكرة ونافع وشبل، وقال زياد: لا أدري نكحها أم لا. فجلدهم عمر رضي الله عنه إلا زياد. فقال أبو بكرة رضي الله عنه: أليس قد جلدتموني؟ قال: بلى. قال: فأنا أشهد بالله لقد فعل. فأراد عمر أن يجلده أيضا فقال علي: إن كانت شهادة أبي بكرة شهادة رجلين فارجم صاحبك وإلا فقد جلدتموه، يعني لا يجلد ثانيا بإعادته القذف. وانظر أيضا: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٥/٥٤٥.
[٨] ر م: جلدة؛ ع: في جلده.
[٩] ن: لذلك.
[١٠] ن: درى.

فإن قيل: إن الزوج إنما يشهد لنفسه و[لما]فيه منفعة له، لأن حدّه[1] اللعانُ إذا قذفها، فهو يريد أن يزيل اللعان[2] عن نفسه.

قيل: إنما يكون حد الزوج اللعانَ إذا قذفها قبل أن يرتفعا إلى الحاكم، فإذا فعل ذلك ثم شهد مع ثلاثة لم تجز[3] شهادته. وأما إذا كان أول ما بدأ به أنْ جاء مع ثلاثة فشهدوا عليها بالزنى فليس يُبطل بشهادته عن نفسه شيئا وجب عليه. ألا ترى[4] أن الأجنبي إذا قذف امرأته ثم جاء ليشهد[5] بذلك عليها مع ثلاثة، [فـ]إن شهادته لا تجوز،[6] لأن الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وجب عليه بشهادته[7] فلا تُقبَل. وإنه[8] لو جاء مع ثلاثة وكان أول أمرهم أن يشهدوا عليها بالزنى فشهادتهم جائزة،[9] ولا يقال: إن أحدا[10] منهم يدفع عن نفسه شيئا وجب عليه، فعلى ذلك الزوج.[11]

وقوله: **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون**، تسمية الفسق لهم لا تخلو إما أن كان لِما رَمَوا وقذفوا به بريئا من ذلك، أو لما هتكوا عليه السِّتر من غير أن يَهتِك[12] هو على نفسه.[13] فإن كان[14] الأولَ فذلك لا يعلم إلا الله، فعلى ذلك توبته[15] لا تظهر عندنا، فإنما ذلك فيما بينه وبين ربه، فكأنه قال: **وأولئك هم الفاسقون** عند الله، **إلا الذين تابوا**. وإن كان الثاني فإنا نعلمه، فكأنه قال: **وأولئك هم الفاسقون** عندكم، **إلا الذين تابوا**. لكن[16] لا تظهر توبته عندنا، لأن توبته هو[17] أن يعزم

[1] ر: حد.
[2] ن + إذا قذفها.
[3] ع: يجز.
[4] ن: يرى.
[5] ع: يشهد.
[6] ر ع م: يجوز.
[7] ع: شهادته.
[8] ع: هو انه.
[9] ن: جائز.
[10] ر: أحد.
[11] ن: للزوج.
[12] ر ع م: هتك.
[13] يستعمل المؤلف ضمير التذكير وإن كان بيد الآية التي نحن بصدد تأويلها للمحصنات، لأنه رحمه الله يرى لو كان المقذوفون بالزنى رجالا لوجب حد القذف أيضا كما مر أثناء تأويلاته للآية.
[14] ع - كان.
[15] ع: توبة.
[16] ر م - لكن.
[17] ر - هو.

أن لا يَهتِك على آخَرَ ستره أو يعزم أن لا يقذف بريئا من الزنى أبدا. فأيّ الوجهين كان تسمية[١] فسقهم فإن التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس، لذلك[٢] لم تقبل [شهادتهم]. وكذلك[٣] قال ابن عباس: وإنما توبته فيما بينه وبين الله، إذا تاب غفر الله له ذنبه الفريةَ.[٤] وكذلك روي عن غير واحد من السلف من نحو الحسن وإبراهيم وأمثالهما[٥] قالوا: توبته فيما بينه وبين ربه.[٦]

وقوله: **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا**، ليس ثمة شهادة رفعت إلى الحاكم فردها ولكن لا[٧] تقبلوا لهم شهادة يرفعونها إلى الحكام، فالجرح على كل شهادة يرفعون [به] من بَعدُ. ثم إذا شهد[٨] بعد ما قذف قبل أن يُجلَد قبلت شهادته وهو قاذف، فدل أن شهادته إنما تُرَدّ بعد ما جلد لما اتهمه الحاكم. وكل شهادة ردت لتهمة[٩] فهي لا تُقبل أبدا، والتهمة التي بها جُلد القاذف هي لا تزول أبدا. أو أن يكون توبته قوله: قد[١٠] كذبتُ فيما قذفتُ. فكنا نرد شهادته لتهمة الكذب، فإذا أكذب نفسه نقبلها[١١] لتحقق[١٢] الكذب، فهذا بعيد.

وأصله أن كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا[١٣] ترفع الحكم الذي جُعل له والحدَّ، وكل توبة كانت قبل التمكين فهي ترفع العقوبات، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ،[١٤] فلو لم يرفعوا[١٥] عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادَون في السعي في الأرض بالفساد.[١٦] وأما فيما نحن فيه فليس في ذلك التمادي فيه.

---

[١] ر ع: تسمية.
[٢] ع: كذلك.
[٣] جميع النسخ: ولذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[٤] ورد في مصنف عبد الرزاق (٣٨٧/٧) عن مَعْمر عن قتادة عن الحسن وغيره قال: لا تقبل شهادة لقاذف أبدا إنما توبته فيما بينه وبين الله. قال: وقاله شريح أيضا. وانظر أيضا: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٢٤/٤.
[٥] جميع النسخ: وأمثالهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[٦] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٠/١٨-٨١، ١٠٤-١٠٥؛ و*تفسير القرطبي*، ١٨١/١٢، ٢٠٩.
[٧] ن - لا.
[٨] ر م: شهدوا.
[٩] ع: لتهمته.
[١٠] ر ع م: عقد.
[١١] ر ن ع: تقبلها.
[١٢] ر: متحقق.
[١٣] ع: على.
[١٤] ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ٣٤/٥).
[١٥] ع: لم يرفعو.
[١٦] ع: في لفساد.

وزعم الشافعي أن حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء. وهذا[1] خلاف ما نص الله عليه، قال الله تعالى: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**. الآية، وقال: فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[2] فجعلهم كاذبين عند العجز عن[3] إقامة الشهداء وكان[4] أمرهم قبل ذلك موقوفا. فالواجب أن يجعلهم كاذبين عند عجزهم عن تصحيح ما قالوا وهي[5] الحال التي جعلهم الله فيها كاذبين. فبانَ بما وصفنا أن من جعل حال المحدود بعد أن ضُرب الحدّ كحاله قبل ذلك مخطئٌ. ودل ما وصفنا على أنه لا يجب أن يُستدل بجواز شهادته قبل أن يُجلد على جواز شهادته إذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا، لأنا بالجلد علمنا أنه قاذف، لا بما كان من رميه المرأة قبل أن يُجلد. ومن الدليل على اختلاف الحالين أن عمر لما جلد أبا بكرة[6] قال له: إن تبت قبِلت شهادتك، وأنه قبْل أن يجلده لم يَرُدّ شهادته،[7] لأنه لو كان عنده مجروحا بالقذف لم يسمع شهادتهم. ولا أعلم بين أهل العلم خلافا أنه لا تقبل[8] شهادته بعد الجلد ما لم يَتب، وإنما يختلفون في[9] شهادته[10] بعد التوبة وأن شهادته قبل الجلد مقبولة، فكيف تشتبه[11] الحالتان مع ما[12] وصفنا.

وقال غيرهم: التوبة تُزيل فِسقَه ولا تجوز[13] شهادته، وقالوا:[14] الاستثناء على آخر الكلام على الذي يليه [فقط]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وإن تاب، [مثل] ما رَوى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ر م: هذا.
[2] سورة النور ١٣/٢٤.
[3] ع: أن.
[4] ع: فكان.
[5] ع: أو هي.
[6] ن: بكر.
[7] والرواية في صحيح *البخاري* وردت بلفظ: «وجلد عمر أبا بَكْرَةَ وشِبْلَ بن معبد ونافعا بقذف المغيرة ثم استتابهم، وقال: من تاب قبلت شهادته» انظر: الشهادات، ٨.
[8] ر ع م: يقبل.
[9] ن – في.
[10] ع: شهادتهم.
[11] جميع النسخ: يشتبه.
[12] ر ع م – ما.
[13] ر ع م: يجوز.
[14] ر ع م: قالوا.

«المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض إلا محدودا في قذف».[١] وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**، وذكر حديثا[٢] فيه طول وفيه: لم يلبثوا إلا قليلا حتى جاء هلال بن أُمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم [و]قال: يا رسول الله لقد رأيت فلانا مع أهلي. فقال[٣] رسول الله صلى الله [٥١٥ط] عليه وسلم: «ما تقول يا هلال؟» قال: والله يا رسول الله، لقد رأيته وسمعته بأذني. قال: فشق على رسول الله الذي[٤] جاء به، ثم قال: «أيُجلَد هلال وتبطل[٥] شهادته في المسلمين »، فاشتد ذلك على رسول الله وجعل يقول: «أيجلد[٦] هلال وتبطل[٧] شهادته في المسلمين».[٨] وقول رسول الله «أيُضرَب هلال وتبطل[٩] شهادته في المسلمين؟» وما ظهر من غمّه بذلك وجزَعه يدُلان على أن المحدود لا تُقبل[١٠] شهادته[١١] بعد توبته، لأن توبته لو قُبِلت وكان كسائر الأشياء التي إذا أُنيب منها جازت شهادته لقال النبي: "تبطل[١٢] شهادته في المسلمين إلا أن يتوب"، لأنه لا يقال في[١٣] شيء من المعاصي: "فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين" حتى يُقرَن[١٤] إلى ذلك "إلا أن يتوب". وقد ذكرنا عن ابن عباس في قوله: **إلا الذين تابوا**، قال: فتاب الله عليهم من الفسق، فأما الشهادة فلا تجوز.[١٥] وكذلك رُوي عن كثير من السلف أنهم قالوا: توبته فيما بينه وبين ربه.

---

[١] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.
[٢] جميع النسخ: حديث.
[٣] ر + ي.
[٤] ن ع: للذي.
[٥] جميع النسخ: ويبطل.
[٦] ن ع: يجلد.
[٧] جميع النسخ: ويبطل.
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٣/١٨؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.
[٩] جميع النسخ: ويبطل.
[١٠] ر ح م: يقبل.
[١١] ع - في المسلمين وما ظهر من غمه بذلك وجزعه يدلان على أن المحدود لا تقبل شهادته.
[١٢] جميع النسخ: يبطل.
[١٣] ع - في.
[١٤] ن: يقرن.
[١٥] جميع النسخ: فلا يجوز. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.

وفيه وجه آخر وهو أن القاذف إذا ضُرب الحدَّ فهو[1] يقول ما لم يرجع: أنا صادق في نفسي ولم يلزمني[2] الحدُّ فيما بيني وبين ربي وإنما لزمني في ذلك الحكمِ. فإذا تاب فهو يقول: كان الحد واجبا عليّ فيما بيني وبين ربي[3] وفي الحكم، فذلك أحرى أن لا يزول عنه من إبطال شهادته بذلك الحد.

ووجه آخر وهو أن القاذف لم تبطل[4] شهادته بقوله: فلانٌ زانٍ، لأنه مدّعٍ بقوله هذا شيئا قد يجوز أن يكون حقا، وإنما يصير قاذفا إذا عجز عن إقامة البينة وضَرَبه الحاكم الجلدَ. فإذا كانت شهادته إنما بطلت بحكم حاكم لم يَزُل ذلك الحكم إلا بحكم حاكم.[5] فإن حكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت شهادته[6] فيه.

فإن قيل: يلزمكم على هذا أن تقولوا: إن قال حاكم: قد أجَزتُ شهادته في كل شيء فإنها[7] تجوز،[8] لأن الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الأول.

قيل: قول الحاكم: قد أجَزتُ شهادته ليس بحكم، إنما هو فتوى، والحكم إنما يكون فيما تقام له البينة أو يقع له الإقرار.

فإن قيل: فما تقولون في رجل زنى فحدَّه الحاكم، هل تجوز[9] شهادته إن تاب؟ قيل: بلى.

فإن قال: قد بطَلت شهادته بحكم[10] آخر[11] وتوبته مقبولة[12] بغير حكم حاكم، فما منَع أن يكون القذف مثلَ ذلك، وما[13] الفرق؟

قيل: الزنى فِعل ظاهر يعرف به فسق الزاني وإن لم يُحَدّ، والقذف[14] لا يعلم كَذِبُ

---

[1] م + فهو.
[2] ع: ويلزمني.
[3] ن: الله؛ م + وإنما لزمني في ذلك الحكم فإذا تاب فهو يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي.
[4] جميع النسخ: يبطل.
[5] ع: حكم.
[6] م – في شيء جازت شهادته.
[7] جميع النسخ: أن.
[8] ر م: يجوز.
[9] ر ع م: يجوز.
[10] ر ع + حاكم.
[11] ن – آخر.
[12] ر ع م: مقبول
[13] ع: وأما
[14] ع: وا القذف.

القاذف فيه من صدقه،[1] لأنه شيء يدّعيه على غيره، وإنما يُعلَم أنه كاذب في قذفه بما يُنفَّذ عليه من حكم الحاكم، فلذلك افترقا.

ومن الدليل أيضا على أن شهادة القاذف إذا حُدّ لا تُقبل وإن تاب أنه إذا قال: "تبت من[2] قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا"[3] فسنا ندري هل هو صادق في قوله: "كنت كاذبا" أم هو في قوله ذلك [كان] كاذبا، لأن المقذوف إن كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف: "كنت في قذفي إياه [كاذبا] كذِبٌ[4] منه" وهو في ذلك آثم. فإذا كنا لا نقف بتكذيبه نفسه على كذبه فيه من صدقه لم نجعل له[5] توبة، لأن التوبة إنما تكون أن يظهَر عند الحاكم[6] من الأفعال ما يعلم بنفسها أنها[7] طاعة، وأنه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت الأول، فلمّا لم يُعرَف كذِب المكذِّب لنفسه من صدقه لم يجعل[8] ذلك منه توبة. وقلنا: توبته فيما بينه وبين ربه، لأن الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه نفسَه أو صادق، ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه، فلم نجعل توبته توبة في الحكم، وقلنا: حالك الآن كحالك قبل ذلك.

ودليل آخر أنا قد علمنا كذبه بقول الله: فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[9] فإذا قال: "كذبت في قذفي، قلنا له: "لم تفِدنا بتكذيبك نفسَك فائدة لم نعرفها، فأنت في هذا الوقت كاذب فإنك[10] في الوقت الأول تُعلمنا أنك كاذب، فحالك الآن في شهادتك كحالك قبل ذلك، على ما ذكرنا.

على أن الشافعي يقول: لا ترجع الملاعنة إلى زوجها وإن تاب. فإذا كانت توبته لا تُبطِل ما لزمها من الحكم في رجوعها إليه فكذلك لا يُبطِل ما لزمه من الحكم في بطلان شهادته.

***والله أعلم.***

---

[1] ع: من صدق.

[2] ع - من.

[3] ر م: كذب.

[4] جميع النسخ: كذب.

[5] ر ع م: لم نجعله؛ ن: لم يجعله.

[6] ر م: حكم.

[7] ن: أنه.

[8] ع: لم يجعله توبة.

[9] ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ (سورة النور، ٢٤/١٣).

[10] ن: وأنت.

وقوله: **فاجلدوهم ثمانين جلدة**، إن كان الحَدّ مأخوذا من [ضرب] الجِلْد[1] فجائز أن يستخرج منه حدُّ الضرب وهو أن لا يجاوز[2] الجلود ولكن يُضرب مقدارَ ما لم يتألم به ويتوجع ولا يمزِّق به الجلود ولا يَخرِقها. ويستخرج[3] منه التفريق في الأعضاء كلها والجوارح، لأنه لو ضرب في مكان واحد لخَرَقه ومزّقه، سوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التأثير والمجاوزة.

فإن كان كذلك ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله: إن الشهود إذا شهدوا على حد فضرَب به الإمام فأصابه الجراحات ثم رجعوا لا يَضمنون ما أصابه من الجِراحات، لأنهم لم يشهدوا[4] على ضرب يَجرَح[5] ويُؤثر فيه ما أصابه، لذلك لم يَضمنوا.

[٥١٦و] وقول عمر لأبي بكرة: "نقبل شهادتك إن تُبتَ"[6] فهو / يحتمل: أي نقبل روايتك عن رسول الله ومشاهدك[7] التي شهدتها.

وقد ذكرنا[8] أن الحكم والحد في الآية إنما جرى في قذف المحصَنات دون المحصَنين بقوله: **والذين يرمون المحصَنات**، الآية، لكن قذف المحصن وشتمه إن لم يكن أكثر في الشَّين وأعظم في الوزر لا يكون دونه. فالذِكر وإن جرى في المحصنات فأمكن وجودَ المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات[9] في المحصَن، وهو ما قال: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[10] وهو الإيمان والإحصان والعفة، لذلك لزم الحكم في هذا [المحصَنين] كما لزم في المحصنات.

وقد ذكرنا أيضا فيما تقدم أن لا يجد من قذَف مملوكة أو مملوكا أو قذف كافرة. أما المملوك لقوله: **والذين يرمون المحصنات**، وقد ذكرنا الدليل على أن المراد بالمحصنات الحرائر دون غيرهن،

---

[1] جميع النسخ: الجمود؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[2] ن: أن لا تجاوز.
[3] ر م: وتستخرج.
[4] ع: لم يشهد.
[5] ر: يخرج.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٧٦/١٨.
[7] ع: ومشاهدتك.
[8] ر ن ع: ذكر.
[9] ن + لا.
[10] سورة النور ٢٣/٢٤.

لذلك لم يجلد قاذف المملوك. ولأنا لو أوجبنا[1] على قاذفه الجلد أوجبنا[2] جلد ثمانين، فهو لو أتى بفعل الزنى حُدَّ خمسين، فلا يجوز أن يوجَب على قاذفه مما به قذف من الجلد أكثرُ مما يُوجب في عين[3] ذلك الفعل[4] لو أتى به. فسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك. وأما الكافر والكافرة [فقد] سقط عن[5] قاذفهما الحد لما ذكرنا من قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،[6] شرط فيه الإيمان والإحصان والعفة، فإذا عُدِم أحد[7] ما ذكرنا لم يُقَم، ولأنا لو أوجبنا الحد حدّدناه لقَذْف عدو الله. ولا يجوز أن يجلد مسلم بقذف[8] عدو من أعداء الله، مع ما فيما ذكرنا من المسائل إجماع بين أهل العلم في ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٦] ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٧] ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٨] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٩]**

وقوله: **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله**، روي عن ابن عباس [أنه] قال: لما نزلت هذه الآية قال عاصم[9] بن عدي الأنصاري:[10] دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته، [ف]أراد أن يخرج فيجيء بأربعة رجال شهودٍ يشهدون على ذلك، [لكن]قد قضى الرجل حاجته وخرج. وإن هو عجّل فقتَل قُتِل به، وإن هو قال: وجدت فلانا مع فلانة ضُرب به الحد ولاعن امرأتَه، وإن سكت سكت على غيظ. فذَكر أنه ابتُلي بذلك من بين الناس، فأتى رسول الله فأخبره بذلك وقال:

---

[1] ر: وجبت.

[2] ر م – على قاذفه الجلد أوجبنا.

[3] ر: في غير.

[4] ن: الفعل.

[5] ن ع: على.

[6] سورة النور ٢٤/٢٣.

[7] ر ع م: عند واحد.

[8] ع: بقذف.

[9] ر ع م: عبد الله.

[10] ن ع + أن. ورد في *التاريخ الكبير* للبخاري (٤٧٧/٦) معلومات مختصرة: عاصم بن عدي الأنصاري المديني أبو البداح شهد بدرا الأوسي العجلاني. قال أبو عاصم عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أبي البداح بن عاصم عن أبيه قال: رخص النبي صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل أن يرموا يوم النحر ويؤخروا يومين ثم يرموا.

وجدت فلانا على[1] بطنها. فأرسل رسول الله إلى امرأته وإلى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال لمرأة: «ويحكِ ما يقول زوجك؟» قالت: يا رسول الله، إنه لكاذب ما رأى شيئا من ذلك، ولكنه رجل غَيور فذلك الذي حمله على أن يتكلم بالذي تكلم.[2] فكان فلان ضيف[3] عنده يدخل ويخرج عليّ وهو يعلم ذلك فلم ينهَني[4] عن ذلك ساعة من ليل ولا نهار[5] أن[6] يدخل عليّ. فسأله[7] عن ذلك فقال: «يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل إلا حقا.» قال: يا رسول الله، أُقسم بالله ما قلت إلا حقا ولقد رأيته يغشي على بطنها وهي حُبلى وما قرَبتها منذ كذا وكذا. فأمرهما رسول الله أن يتلاعنا عند ذلك وقال: «يا عاصم، قُم فاشهد أربع شهادات بالله إنه لَكما قلت وإنك لَمن الصادقين في قولك عليها.» ثم قال: «والخامسةَ أن لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين.» ففعل ما ذكر. ثم قال للمرأة مثل ذلك فشهدَت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين عليها في قوله،[8] والخامسةَ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين عليها في قوله. فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرّق بينهما ثم قال لمرأة: إذا ولدتِ فلا تُرضعيه حتى تأتيني به. فلما انصرفوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ولدته أُحَيمر مثل الدِّبْس[9] فهو الذي يُشبه أباه الذي نفاه، وإن ولدته أسودَ أدعَج جَعْدًا قَطَطا[10] فهو يشبه الذي رُمِيَت به. فلما وضعت أتت به رسول الله فنظر إليه فإذا هو أسود أدعج جعد قطط على ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رُمِيَت به، فقال[11] رسول الله:[12] «لولا اللعان والأيمان التي سلَفت لكان لي فيها رأي.»[13]

---

[1] ر ن – على.
[2] ن + به.
[3] ع: ضيفا.
[4] جميع النسخ: ينهاني.
[5] ر م: ونهر.
[6] م: وأن.
[7] ع + فسأله.
[8] ر ع م – في قوله.
[9] الدُّبْسَةُ: لون في ذوات الشعر أحمر مُشرَب سوادا. والدِّبْسُ: الأسود من كل شيء. والدِّبْس بفتح الدال وكسرها: عسل التمر وعصارته (*لسان العرب*، «دبس»).
[10] الأَدْعَجُ من الرجال: الأسود. الجعد من الشعر: خلاف السَبِط، وقيل: هو القصير. والجَعْد من الرجال: المجتمع بعضه إلى بعض، والسبط: الذي ليس بمجتمع. والقَطَطُ: شعر الزَنجي. وشعر قطَطٌ: جَعْد قصير (*لسان العرب*، «دعج»، «جعد»، «قطط»).
[11] ر م + يا.
[12] ن: عليه السلام
[13] روي نحوه في صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القران ٢٤/٢٥.

وفي بعض الأخبار أنه لما جمع بينهما قال لهما:[١] «اتقيا الله فإن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ فإن[٢] عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.»[٣] وفي بعض الأخبار أن الآية نزلت في شأن هلال بن أمية فذُكر فيه ما ذكرنا.[٤] *والله أعلم*.

ثم[٥] في هذا مسائل. إحداها[٦] أنه ذُكر قذف الأزواج وذكر فيه اللعان و لم يبيّن في ظاهر[٧] الآية الزوج والزوجة كافران أو حران مسلمان أو مملوكان أو كيف؟ فعندنا أنه إذا كان أحدهما كافرا أو مملوكا أو كانا جميعا [كذلك] لم يكن بينهما لعان إلا أن يكونا جميعا من أهل الشهادة. وحجتنا[٨] في ذلك أن الله جعل على الأجنبي الحر إذا قذف أجنبية حرة الحدَّ ثمانين، وجعل حد[٩] الزوج إذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعانَ. ثم قد ذكرنا إجماعهم على أن الحر إذا قذف أَمَة أو يهودية فلا حدّ عليه. فلمّا لم يكن على الحر القاذف للأمة من الحد ما على[١٠] قاذف الحرة[١١] لم يكن على زوج الأمة من اللعان ما على زوج الحرة. وأصل هذا أن[١٢] الله ذكر الشهادة في رمي الأجنبية المحصنة وإبراءَ القاذف / عن الجلد[١٣] إذا أتى بها، [٥١٦ظ]
وأمر بإقامة الحد إذا عجز عن إقامتها. ثم استثنى من الشهداء الذين ذُكر في قذف الأجنبية شهادةَ الزوجين بقوله: **ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله**، فإذ[١٤] لم يدخلا في تلك الشهادة إذا كانا مملوكين أو كافرَين أو أحدهما لم يدخلا فيما استثنى، إذ الثُّنْيا استخراجٌ من تلك الجملة المستثناة وتحصيل منها، لذلك بطل اللعان.

---

[١] م: لها.
[٢] ر م: قد.
[٣] المرجع السابق.
[٤] ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٣/٢٤، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ و*سنن أبي داود*، اللعان ٢٧؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.
[٥] ع + ان.
[٦] ر ن م: إحديها؛ ع: أحدهما.
[٧] ر ع م: فظاهر.
[٨] جميع النسخ: وحجتهم.
[٩] ع - حد.
[١٠] ع م: على ما.
[١١] ر م: الحر؛ ر ع م + ذا قذف أمة.
[١٢] جميع النسخ: بأن.
[١٣] ر م: عن الحد.
[١٤] م: فإذا.

ووجه آخر في الكافرة وهو أن[1] المرأة تقول في الخامسة: عليها غضب الله إن كان من لصادقين، وغضب الله يكون عيها[2] بغير شرط.[3] فمحال أن يقول القاضي لها: عيثِ غضب الله[4] بشرط أن كان الزوج صادقا وهو[5] يعلم أن غضب [الله] عليها في كل حال، لذلك بطل.

والمخالف لنا أولى بإبطال اللعان بين[6] الحر[7] والأمة والمسم والذمية منا، لأنهم يزعمون أن العبد ليس[8] بكفء[9] للحر، ولا لكافرَ بكفء[10] لمسسم في القصاص في النفس وفيما دون النفس،[11] فكيف جعلوها في أيمانها أكفاء لأيمان الأحرار المسلمين؟ كان يجب أن يقولوا:[12] ليست يمين الكافر بمُحاذِيَةٍ[13] ليمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعانا أبدا،[14] والوجه فيه ما ذكرنا بدءا.

ثم المسألة [الأخرى] في إباء الأيمان. إذا أبى أحدهم الأيمان حُدّ عند بعض أهل العلم وهو قول الشافعي، وعندنا أنه لا يُحدّ بالإباء. فذهب من أوجب الجَلْد بالإباء[15] إلى ظاهر قوله: ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ،[16] أوجب الجلد في قذف الأجنبي إذا عجز عن إقامة الشهود ودرأ[17] عنه الحدَّ إذا أتى بأربعة يشهدون. فعلى[18] ذلك دُرِئَ[19] عن الزوجين الحد إذا شهد كل واحد منهما أربع شهادات بالله. فوجب إذا أبى[20] أحدهما الأيمانَ أن يُحَدَّ،

---

[1] ع – أن.
[2] ر م – عليها.
[3] أي بكونها كافرة.
[4] ع + يكون عيها بغير شرط فمحال أن يقول القاضي لها عيث غضب لله.
[5] جميع النسخ: وهم.
[6] ع – بين.
[7] جميع لنسخ: بين لحرة.
[8] ع – أن لعبد ليس.
[9] جميع السخ: بكفؤ.
[10] جميع النسخ: بكفؤ.
[11] ع – النفس.
[12] ع: أن يقول.
[13] ن: بمجازية، ر ع: تمحان به.
[14] ر م – أبد.
[15] ع: بالإيماء.
[16] سورة النور، ٢٤/٤.
[17] ر ع: ودرء.
[18] ن: فعل.
[19] ن: در؛ ل: درء.
[20] ر م: أتى.

إذ بالأيمان يُدرأ الحد ويوجَب اللعانُ. والثاني ما قال: **ويَدْرَأُ عنها العذابَ أن تشهد أربعَ شهادات بالله**، جعل الأيمان سبب[1] درء الحد عنها فإذا أبت[2] ذلك لزم الحدُّ.

وعندنا أنه[3] لا يُحَدّ بالإباء لأنه ليس في الإباء ظهر الكذب، إذ ليس كلُّ من أبى اليمينَ يَظهَر كذبه فيه. وإنما يُحد[4] لظهور كذبه في القذف وهو[5] لا يظهر بالإباء. وإنما حد في الأجنبية إذا لم يأت بأربعة شهداء لأنه في الظاهر عند الناس كاذب، لأنه ليس بينه وبين الأجنبية سبب ولا معنى يبعثه على إظهار ما ذكر. وأما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله[6] على إظهار[7] ذلك وهو الغيرة. فإذا كان كذلك فهو في قذف[8] الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا، لأنه طالبُ حقٍ قِبَلها، على ما روِي: «لا يُوطِئَنَّ فُرُشهنّ من يكره الأزواج»[9] فلا يزال صدقه بإباء اليمين. وأما في قذف أجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على إظهار ذلك فهو على ذلك[10] الكذب[11] حتى يأتي ما به[12] يزيل الكذب وهو الشهود. وفي [قذف] الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه، ولا يظهر[13] بالإباء، لذلك افترقا. ولأن الحد لا يقام بالإباء ألبتّة. ولأن الأيمان لا تُقابَل[14] بشهادة العدول بحال. ألا ترى أن من شهد عليه شاهدًا عدلٍ[15] بحقّ فحلف هو بأيمان لم تكن تُقابَل[16] الأيمان بتلك الشهدة في سقوط الحق.

---

[1] ن – سبب.
[2] ن: أنت.
[3] ع: لأنه.
[4] ر: تحد.
[5] ر ع م + لا يعلم.
[6] ع: بجملة.
[7] ع: على ظهار.
[8] ع: في القذف.
[9] ورد الحديث بلفظ: «وإن لكم عليهن أن لا يُوطِئْن فُرُشَكم أحدا تكْرَهونه» انظر: صحيح مسلم، الحج ١٩؛ وسنن ابن ماجة، المناسك ٨٤، وسنن أبي داود، المناسك ٥٨.
[10] ر م – فهو على ذلك.
[11] م: للكذب.
[12] م – به.
[13] ر م – كذبه ولا يظهر.
[14] ع: لا تقبل.
[15] ر م: شاهد عدل.
[16] ر م: تقابل.

وأما قوله: **ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله**، جائز أن يكون ذلك في تلك[1] المرأة التي في أمرها نزلت الآية، علم رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي. ألا ترى أنه قال:[3] إذا جاءت بكذا فهو لكذا[4] وإذا جاءت بكذا فهو لكذا، ثم جاءت به شبيها بالذي رُمِيت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن»،[5] علم كذبها حيث قال: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن» فدرأت تلك المرأة العذابَ عنها بالأيمان. أو أن يكون العذاب[6] الذي دُرِئ[7] عنها الحبسَ، إذ مِن قولنا: "أيهما أبى اليمين حُبِس حتى يَشهَد أربعَ شهادات بالله أو يُقِرّ بالزنى أو يكذّب نفسه". فدُرِء[8] الحبس عنها بالأيمان التي ذكر. وإنما[9] لم يُحدّ بالإباء، لأن الإباء لا يُظهِر الكذب كالإقرار، ولأن الإباء في الحقيقة إباحةٌ. ولو أن[10] إنسانا أباح لحاكم أن يقيم عليه الحدّ لم يقِم، فعلى[11] ذلك هذا. أو لِمَا يجوز أن يأبى[12] عن الأيمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذُكر فيه،[13] فلم يُحدّ لما ذكرنا.[14]

**ثم مسألتان**[15] **في هذا** نذكرهما وإن لم يكونا في ظاهر هذه الآية. إحداهما[16] في إلحاق[17] الولد أمه، والأخرى في تفريق الحاكم بينهما إذا تلاعنا. قال بعض أهل العلم:

---

[1] ع – في تلك.
[2] ن – رسول الله.
[3] ن + قال.
[4] ن: لذ.
[5] انظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.
[6] ع – عنها بالأيمان أو أن يكون العذاب.
[7] ر: دراء؛ ع: درأ.
[8] ر: قدر؛ ن: درئ.
[9] ع: وإنه.
[10] ع: ولعان.
[11] ن: فعل.
[12] ع: أن يأتي.
[13] ر م – فيه.
[14] ع: لما ذكر.
[15] ر م: مسألتنا.
[16] جميع النسخ: احديهما.
[17] ن: في احلق؛ ع: في الحاق.

إذا[1] فرغ الزوج من أيمانه وقعت بينهما الفُرقة وإن لم يفرق الحاكم. وقلنا نحن: لا تقع[2] الفرقة بينهما حتى يفرغا من تلاعُنهما ويفرق الحاكم بينهما. والأخرى في إلحاق الولد. قال[3] أولئك أيضا: إذا فرغ الزوج من لعانه لحِق الولد أمّه وإن لم تلتعن[4] المرأة.

والقياس في لحوق الولد ما قال أولئك: إنه يلحق بفراغ[5] الزوج[6] من اللعان. والقياس في وقوع الفرقة ما قال أصحابنا: إنه لا يقع إلا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأن الزوج إذا شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين قد ألزم امرأته الزنى في الظاهر. فإذا ظهر ذلك ظهر[7] أن الولد ليس منه، فجائز لحوقه بالأم[8] بفراغه / من اللعان. وأما الفرقة [٥١٧و] فإنها لا تقع إلا[9] بظهور الزنى، ألا ترى أن امرأة الرجل إذا زنت لا يقع بينهما الفرقة، ألا ترى أن دعوى[10] المرأة باقية بعد فراغ الزوج من أيمانه، لذلك افترقا.[11]

والأخبار تدل لمذهب أصحابنا في المسألتين جميعا، لأنه روي عن نافع عن ابن عمر[12] أن رجلا لاعن امرأته في زمان[13] رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها،[14] ففرق رسول الله بينهما وألحق الولد بالمرأة.[15] وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين[16] [عاصم بن عديّ وبين امرأته] فرق[17] بينهما.[18] وروي في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما:

---

[1] ن + إذ.
[2] ر ن م: لا يقع.
[3] ن ع: فإن.
[4] ع: لم يلتعن.
[5] ع: بفرغ.
[6] ع - الزوج.
[7] ر م - ذلك ظهر.
[8] ن: بالأمر.
[9] ر م - إلا.
[10] ع: دعوة.
[11] أي فترقت المسألتان.
[12] ع + أن رضي الله عنه.
[13] ع: من زمان.
[14] ع - ولدها.
[15] ع: بامرأة. انظر: صحيح البخاري، الطلاق ٣٥-٣٧؛ وصحيح مسلم، اللعان ١.
[16] جميع النسخ: بينهما.
[17] جميع النسخ: ففرق.
[18] انظر: الدر المنثور للسيوطي، ١٣٨/٦؛ وتفسير ابن كثير ٢٥٨/٣-٢٥٩.

«الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟»[١] قال ذلك لهما ثلاثا فأبيا ففرق بينهما. وفي بعض الأخبار قال: «حسابكما على الله، أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليها».[٢]

فإن قيل: إنما فرّق النبي بينهما[٣] لأن الفرقة قد وقعت بينهما، فأخبره النبي أنه لا تحل له وقال: «لا سبيل لك عليها».

قيل: قولكم: "إن الفرقة قد وقعت بينهما[٤] باللعان" دعوى منكم، وظاهر الأخبار يشهد لنا وعلى وهْمِ الخصم. ثم يقال لهم: ألستم تقولون في المُولِي: إذا مضت مدّته فارتفعا إلى الحاكم هل تقع الفرقة بينهما إذا امتنع من قِربانها أو طلاقها[٥] ما لم يقل القاضي: قد فرّقت بينكما؟[٦] فإن قيل: فرقة الإيلاء طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا. قيل: هما عندنا طلاق.

فإن قيل: إنكم تزعمون أن فرقة الإيلاء تقع بمُضيّ الأجل، فما منع أن يقع الفرقة باللعان بتمام اللعان؟

قيل: لم يكن للحاكم في[٧] الإيلاء صنع فلا[٨] يحتاج إلى حكمه، وفي الآخر لا يتم اللعان إلا بالقاضي فلا تقع[٩] الفرقة إلا بالقاضي. ويقال لهم: ما تقولون في رجل ادعى حقا فأقام عليه شاهدين عند قاض، هل يلزم الحكم قبل أن يقول القاضي: قد حكمت بذلك. فإن قالوا: لا يلزم الحكم حتى يقول: قد حكمت، فيقال: ما منع أن اللعان [أن يكون] مثله؟[١٠]

ويقال لهم أيضا: ما تقولون في العِنّين[١١] أجّله الحاكم سنة،[١٢] هل تقع الفُرقة بينه وبين امرأته بمضيّ الأجل أو تقع الفرقة حتى تُخيَّر المرأة ويفرق الحاكم بينهما؟[١٣] فإن قالوا:

---

[١] ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٣، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ وسنن *أبي داود*، اللعان ٢٧؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

[٢] انظر: *صحيح البخاري*، الطلاق ٥٤؛ و*صحيح مسلم*، اللعان ١.

[٣] ر ع م: بينهما النبي.

[٤] ن - بينهما.

[٥] جميع النسخ: وطلاقها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٢ظ.

[٦] ن: بينهما.

[٧] ن: من.

[٨] ن: هو.

[٩] ن: فلا يقع.

[١٠] ر ع م: مثله؛ ن: بمثله. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٢ظ.

[١١] العنين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن (*لسان العرب*، «عنن»).

[١٢] جميع النسخ: بينهما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٢ظ.

[١٣] ر م - هل تقع الفرقة بينه وبين امرأته بمضي الأجل أو تقع الفرقة حتى تخير المرأة ويفرق الحاكم بينهما.

لا تقع حتى يفرّق الحاكم بينهما. قيل: ما منع في فرقة المعان أنه كذلك. فإن قالوا: إنما[١] صارت الفرقة لا تقع في العِنّين والمُؤلي حتى يوقعها الحاكم لأن الحاكم[٢] يقول للزوج:[٣] طلقها أو فِئْ إليها، ويقول لامرأة[٤] العِنّين: اختاري[٥] في الفرقة أو المُقام معه. فما كان الحاكم[٦] ينظر ما يقول المُؤلي[٧] وامرأة العِنّين لم يقع الفرقة حتى يوقعها، وليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم، لذلك فترقا. فقيل: بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيَحُدّها وتكون امرأته، وكذلك إن أكذب الزوج نفسه حَدَّه وترك[٨] عنده امرأته.

وأصله أنه لا تقع[٩] الفرقة إلا بعد التعانهما[١٠] جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأنهما[١١] إذا التعنا جميعا عند ذلك يكون أحدهما ملعونا، أيُّهما كَذَب. والانتفاع بالملعون حرام، ألا ترى[١٢] أنه روي في الخبر أنهما لما التعنا قال لهما: «إنها موجبة»،[١٣] أي اللعنة التي ذكرتُ، فإنما يلحق اللعنُ أحدهما إذا التعنا جميعا، فأما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع. فإذا كان كذلك فيُحتاج إلى أن يفرّق الحاكم بينهما ويَطْرُدَ أحدهما من صاحبه، إذ[١٤] اللعن هو الطرد في اللغة. وهو عندنا كالعقود التي تُفسَخ، لا تكون[١٥] إلا بالحاكم، نحوَ ما ذكرنا من العِنّين والذي يأبى الإسلام وغيرها من العقود، فإنه لا يقع بينهما الفرقة إلا بالحاكم، فعنى ذلك هذا. وروي[١٦] عن عمر أنه قال: «المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا».[١٧]

---

[١] ع: إذ.
[٢] ر م - لأن حكم.
[٣] ر م - للزوج.
[٤] ع: لان مرأة.
[٥] ع: احتياري.
[٦] ر ع: الحكم.
[٧] ع: المرء.
[٨] ع: وتركها.
[٩] جميع النسخ: لا يقع.
[١٠] م: التعانها.
[١١] ن: لأنه.
[١٢] ن: يرى.
[١٣] انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ٢٤/٣؛ وسنن أبي داود، اللعان ٢٧؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.
[١٤] ر: إذ.
[١٥] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٥ظ.
[١٦] م: هذ ما روي.
[١٧] انظر: تفسير القرطبي، ١٢/١٩٤.

**ثم مسألة أخرى،** إنه إذا فرّق بينهما باللعان فأكذب الملاعن نفسه يجوز له أن يتزوجها أم لا؟ فعند بعض أهل العلم ليس له أن يتزوجها. احتجوا بما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما: «المتلاعنان لا يجتمعان أبدا»،[1] وعن عبد الله كذلك. وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله له أن يتزوجها إذا أكذب نفسه. وليس في الخبر لا يجتمعان أبدا وإن تاب وأكذب نفسه. فجائز أن يكون قوله: «لا يجتمعان أبدا» ما داما في تلاعنهما وما أقام على قوله و لم يُكذب نفسه، وإنما[2] كان فيه حجة لمن قال إذا قال: «لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها.» يدل على ما ذكرنا قوله: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا،[3] قوله: وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا، ما داموا في ملتهم، فأما إذا انقلعوا منها فقد أفلحوا، فعلى ذلك قوله:[4] «لا يجتمعان أبدا» [أي] ما داموا في تلاعنهما وما أقام الزوج على قوله. فأما إذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع. وأجمعوا أنه إذا أكذب نفسه وادّعى الولدَ أُلحق به، فعلى ذلك هي. والثاني لو أكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفُرقة وجب أن يُحد ويكونان على نكاحهما.[5]

ثم فُرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة بائنة، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرأته[6] قال [عويمر]: كذبتُ عليها إن أمسكتُها [يا رسول الله] هي طالق [٥١٧ظ] ثلاثا، فصارت سنّة في المتلاعنين.[7] فإذا كانت / سنة[8] الفرقة بين المتلاعنين الطلاقَ الذي أوقعه عويمر فواجب أن يكون كل فرقة تقع[9] باللعان طلاقا. ومن الدليل على ذلك أنّ قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة، وكل فرقة تكون[10] من الزوج أو أن يكون الزوج سببها وتقع[11] بقوله فإنها[12] طلاق كالعِنّين والخلع والإيلاء ونحوه، فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة بائنة،

---

[1] المرجع السابق.
[2] ر ع م: وإن.
[3] سورة الكهف ٢٠/١٨.
[4] ر ع – قوله.
[5] جميع النسخ + فيجب إذا أكذب نفسه بعد اللعان فجلد فله أن يتزوجها.
[6] ع: امرأته.
[7] انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ١/٢٤، الطلاق ٤، ٣٠؛ وصحيح مسلم، اللعان ١.
[8] ر ع م: منه.
[9] ن: يقع.
[10] ر ع م: يكون.
[11] ن: ويقع
[12] م – فإنها

لأن الزوج سببها وتقع به. وعلى ذلك جاءت الآثار عن السلف أن[١] كل فرقة وقعت من قِبل الرجال بقول[٢] فهي طلاق من نحو إبراهيم والحسن وسعيد وقتادة وهؤلاء، وكذلك يقول أصحابنا: إن كل فرقة[٣] جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة. فإن عُورض بأفعال تكون[٤] من الرجال فيقع به الفرقةُ والحرمةُ من نحو الجماع ونحوه، فذلك ليس بمعارِضة لما ذكرنا. *والله أعلم.*

**﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[١٠]**

ثم قوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**، هذا الحرف مما يقتضي الجواب. ثم يحتمل أن يكون جوابه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لأظهر الكاذب منهما مِن الصادق[٥] والمذنبَ[٦] من غيره. ويحتمل: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأظهر الملعون منهما مِن غيره لكن لا يُنتفع به، إذ أحدهما مما لحقه اللعن الذي ذُكر ولا يحل الانتفاع بالملعون. ألا ترى أنه روي في الخبر أن امرأة ركبت ناقتها فلعنتها[٧] فاستُجيبت[٨] فأمرت أن ترفع ثيابها وتُخلِّيَ سبيلها.[٩] لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوزَ لغيره أن ينتفع به، وإن كان لا يجوز لواحد منهما أن ينتفع بصاحبه[١٠] ما دامت اللعنة فيهما قائمة. وجائز أن يكون فيه[١١] وجه آخر، وهو أن يقال: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لأظهر الملعون منهما[١٢] وإلا[١٣] لجعل العقوبة بين الزوجين كهي في الأجنبيين، وهي الحد ولأظهر الزاني منهما، لكن بفضله لم يجعل. *والله أعلم.*

---

١ م – أن.
٢ ع – بقول.
٣ ع – فرقة.
٤ جميع النسخ: يكون.
٥ ر ع م: ومن الصادق.
٦ ن: والمذنبين.
٧ جميع النسخ: فلعنت.
٨ جميع النسخ: فاستجيب.
٩ ورد في *المعجم الكبير* للطبراني (١٨/١٨٩، ١٩٩) عن عمران بن حصين: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع امرأة لعنت ناقة فقال: «خذوا متاعكم فقد وجبت عليها». قال عمران: كأني أنظر إليها ناقة ورقاء.
١٠ ن + ما.
١١ ر ع م – فيه.
١٢ ر م: بينهما؛ ن – لأظهر الملعون منهما.
١٣ ع: ولا.

وقوله: **وأن الله تواب حكيم**، جائز أن يكون قوله:[1] **تواب** يقبل التوبة إذا تاب وأكذب نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة، فإذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع[2] والاجتماع بينهما. ففيه حجة لقول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحهما إذا أكذب[3] نفسه. **حكيم** حيث حكم بما حكم بين المتلاعنَين، أو **حكيم**، وَضَع كل شيء موضعه.

وفيه نقض قول المعتزلة في قولهم: إن الله لا يفعل بأحد إلا ما هو أصلح له في الدين وأخيَر، إذ لو لم يكن له أن يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسمية[4] ما فعل فضلا ورحمة معنى، فدل أن له أن يفعل غير الأصلح في الدين.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[١١]

وقوله: **إن الذين جاءوا بالإفك**، أي بالكذب[5] **عصبة منكم**، أي جماعة منكم. ثم اختلف في قوله: **منكم**. قال قائلون: كانوا من أصحاب عائشة رمَوها بما ذكر في الآية. وقال بعضهم: كانوا منافقين من نحو عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين وحسّان بن ثابت وهؤلاء. وقال بعضهم: كان ذلك من الفريقين جميعا من أصحاب أبي بكر وأقربائه والمنافقين أيضا. فإن كان ذلك من أصحاب عائشة رضي الله عنها وأقربائها[6] فذلك يخرج منهم على الغفلة والعَثْرة ليس على الانتقام والحِقد، لأن القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد بعضهم ببعض الانتقامَ والحقد بمثله. فإذا كان[7] كذلك فيخرج ذلك منهم -إن كان- مخرج الغفلة والزلّة[8] لا مخرج[9] الانتقام، وإن كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشَّين منهم لها.

---

[1] ر ع م - قوله.
[2] ر ع م: والانتفاع.
[3] ع - إذا كذب.
[4] ع: سميته.
[5] ع - أي بالكذب.
[6] ع ن: وقراباتها.
[7] ع - كان.
[8] ر ع م: والذلة.
[9] ر: يخرج.

وكان في ظاهر الاية دلالةُ أنّ ابتداء ذلك الإفك من المنافقين، ثم تَسامعَ لمؤمنون[١] بعد ذلك وتنقّى[٢] بعضهم من بعض حيث قال:[٣] لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا.[٤] فإن كان ذلك فهو على ما وصفْنا أن ذلك من المؤمنين غفلة وزلة[٥] وعثرة ومن المنافقين انتقامٍ وطلب شَين. *والله أعلم*.

وقوله:[٦] **لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم**. قال[٧] بعضهم: **لا تحسبوه شرا لكم**، لأنكم تؤجرون في الآخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قُرفوا[٨] به، **بل هو خير لكم** في الآخرة على ما ذكرنا من الأجر. ويحتمل قوله: **بل هو خير لكم** في الدنيا لما برّأهم[٩] الله مما قُرفوا به ودفع عنهم تمكين ما قُرفوا به ووعد لهم الجنة بقوله: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.[١٠] وكان قبل نزول هذه الآية موهوم عند الناس فيها مُتَمَكِّنُ احتمال ذلك الفعل. ألا ترى[١١] أنه قال في آية أخرى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وقال: وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ،[١٢] الآية. كان الأمران جميعا موهومين عنهن[١٣] عند الناس محتملُ ذلك. فلما قُرفت بما قرفت[١٤] رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعد لهم الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.[١٥] فلا شك أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة

---

١ ع: المؤمنين.
٢ جميع النسخ: ويتلقى.
٣ ر م: قالو.
٤ سورة النور ١٢/٢٤.
٥ ر ع م: وذلة.
٦ ن: ثم قوله.
٧ ر ن م: وقال.
٨ ن: كسبوا.
٩ ر ع م: برأه.
١٠ سورة النور، ٢٦/٢٤.
١١ ن: يرى.
١٢ ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ (سورة الأحزاب، ٣٠/٣٣-٣١)
١٣ ر ع م: موهوم عنهن؛ ن: موهوما. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٣ظ.
١٤ ر ع م - بما قرفت.
١٥ سورة النور، ٢٦/٢٤.

وستر لأولئك الذين رموها حتى لم يتحاسر أحد بعد ذلك ولا اجترأ[1] أن يظن فيها ظن السّوء
[٥١٨و] فضلا عن أن يقول فيها شيئا. وقصة عائشة رضي الله عنها طويلة، لكنا نذكر منها[2] ما كان بنا إلى ذلك حاجة. أو أن يقال: **بل هو خير لكم**، لما أنزل الله تعالى بشأنهم[3] آيات فيها براءتهم[4] عما قُرِفوا به، تتلى تلك الآيات إلى يوم القيامة، وذلك خير لهم.[5] ***والله أعلم.***

وقوله:[6] **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم**، أي إثم ما قرفها به. **والذي تَوَلَّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم**، هو ذلك المنافق الذي ألقى ذلك في الناس. **وله**[7] **عذاب عظيم**، فيه دلالة أنه يموت على نفاقه، وكذلك مات[8] على نفاقه فلحقه ذلك الوعيد. قيل: هو عبد الله بن أبيّ بن سلول. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **والذي تولى كبره**، أي عِظَمه من المعصية، يعني به[9] عبد الله بن أبيّ بن سلول. **له عذاب عظيم** لأنه كان منافقا.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[١٢]

وقوله:[10] **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا**، قال بعضهم: هلا إذ سمعتم[11] قذف عائشة رضي الله عنها بِصَفْوَانَ كذّبتم به أولئك القَذَفة؟ يقول: ألا ظنّ[12] بعضهم ببعض خيرا، وهلّا قالوا: **هذا إفك مبين**. يقول الله: هلا قالوا: القذف كذب مبين؟ وعلى هذا يخرج أيضا قوله: لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، أي هلا قالوا لهم: جيئوا بأربعة شهداء على قذفكم إياهم؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ.[13]

---

[1] ر ع م: اجتراء.
[2] ر م – منها.
[3] ر ع م: لشأنهم.
[4] ر م: برائتهم.
[5] م: لكم.
[6] ن: قوله.
[7] ع: له.
[8] ن: كان مات.
[9] ر م – به.
[10] ن: قوله
[11] جميع النسخ: سمعتموه.
[12] ع – ظن.
[13] الآية التالية.

ويحتمل أن يكون قوله: **لولا إذ سمعتموه**، ظننتم بهم[1] ظنا مما[2] يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا دون أن يقولوا:[3] إفك مبين. أو أن يكون التأويل: إن لم يظن أحد منكم بنفسه إذا كان مع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوانَ ذلك إذا كان هو مع أزواجه؟ أو أن يقال: إذا لم يكن يظن أحد منكم بأمهاته ومحارمه ذلك الظن[4] فكيف ظن بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن[5] أمهاتكم وأمهات جميع المؤمنين. ***والله أعلم***.

*وقال بعضهم في قوله: **بأنفسهم خيرا**، أي بأمثالهم خيرا،[6] تأويله: لولا ظن المؤمنون [٥١٨و س٢٦
والمؤمنات[7] بأمثالهم خيرا دون أن يظنوا بهم شرا.* ٥١٨و س٢٧]

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[١٣]

وقوله:[9] **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**، أي لم يكن لهم بما قذفوا شهداءُ ولا يجدون[10] على ذلك شهداءَ. وجائز أن يكون قوله: **لولا**، أي لم يكن، كقوله: فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ،[11] أي لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا، وإلا على تأويل هلا يبعد، لأنه لم يكن لهم شهداء[12] على ذلك فكيف يأتون؟

وقوله:[13] **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**، وإن أتوا بالشهداء على أمر عائشة كانوا كاذبين أيضا، فدل أن تأويل قوله: **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**، أي لم يكن لهم شهداء فكيف قذفوها؟ ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: به.
[2] جميع النسخ: ما.
[3] جميع النسخ: قالو.
[4] ر ع م - الظن.
[5] جميع النسخ: وهي.
[6] ع + أي بأمثالهم خير.
[7] ر م - والمؤمنات.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨و/سطر ٢٦-٢٧.
[9] ر ن: قوله.
[10] ن: لا يجدون.
[11] ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ (سورة هود، ١١٦/١١).
[12] م + على.
[13] ن: قوله.

**﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [١٤]

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما[١] **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**، حيث أنزل في قذفكم عائشة بصفوان آيات في براءتهما حتى تُبتم عن ذلك وإلا لمسكم[٢] العذاب في الآخرة بذلك. والثاني **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لمسكم العذاب ولعاقبكم بما قلتم في عائشة في الدنيا. على هذا التأويل العذاب الموعود [يكون] في الدنيا، وعلى التأويل الأول الوعيد [يكون] في الآخرة، لكن بفضله ورحمته دفع عنكم. ***والله أعلم***. وقوله:[٣] **فيما أفضتم فيه**، أي خضتم فيه.*

وفيما عظّم الله عز وجل أمر القذف وشدّد فيه ما لم يُشدّد في غيره ولم يعظِّم وجوه. أحدها قطع طمَعِ أهل الفجور والرِّيبة فيهن لئلا يطمع أحد منهم في المحصنات وأولاد الكرام ذلك الفعلَ،[٥] فقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يُقرَفن بذلك ولا يُطمَع فيهن ذلك. والثاني يترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات وأولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن و[الثالث] تَحدُث[٦] أيضا الضغائن والعداوة بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات.

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لكان كذا. هذا من الله على الإيجاب، أي قد كان منه ذلك. وإذا كان[٧] مضافا إلى الخَلق فهو على أنه لم يكن ذلك، ولذلك تأولوه: هَلَّا. وعن ابن عباس أنه قال في قوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ،[٨] يقول: قال لمؤمنين: وَلَوْلَا [إِذْ سَمِعْتُمُوهُ]، هلا إذ بلغكم عن عائشة وصفوان ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، يقول: فظننتم بعائشة ظنَّكم بأنفسكم وعلمتم أن أمّكم لا تفعل ذلك، وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم: هذا إفك مبين. لَوْلَا، هلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ على قولهم

---

[١] ر ع م – أحدهما.
[٢] م: وإلا مسكم.
[٣] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨و/سطر ٢٦-٢٧.
[٥] ر ع م: الفصل.
[٦] جميع النسخ: يحدث.
[٧] أي «لولا»
[٨] سورة النور، ١٢/٢٤.

ويُصدقوهم[١] على مقالتهم؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ كذبتموه، فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَذِبُونَ.[٢] وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم.

**﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾**[١٥]

وقوله: **إذ تَلَقَّونه**، بالتشديد، أي تقبلونه. وتَلِقُونه بالتخفيف،[٣] أي تأخذونه، من الوَلْق وهو الكذب. وكذلك قرأت[٤] عائشة.[٥] وقال أبو عَوْسَجة: إذ تلقونه، أي تقولونه. قال: / تلقيت [٥١٨ظ] الكلام ولقِنت وتَلَقَّنت واحد. ثم قوله: **إذ تلقونه بألسنتكم**، من غيركم **وتقولون بأفواهكم** فيما بينكم. وجائز أن يكونا جميعا واحدا، أي تتكلمون[٦] بألسنتكم، **وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**، أي من غير أن تعلموا أن الذي[٧] قلتم من القذف قد كان. ***والله أعلم***.

وقوله: **وتحسبونه هينا**، قال بعضهم: تحسبون القذف ذنبا هينا، **وهو عند الله عظيم** في الوزر. وجائز أن يكون قوله: **وتحسبونه هينا** في الدين، لأن القذف يُحدِث نقصانا في الدين، والنقصان في الدين عظيم عند الله، وتحسبونه أنتم هينا.

*ثم ما ذكر من قذف عائشة أنه بهتان عظيم. وقوله: **وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** [٥١٨ظ س١٧] ونحوه، فجائز أن يكون ذلك في قذف كل محصنة بريئة دون أن يكون ذلك خصوصا لعائشة، وهو كما ذكر في قذف المحصنات: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ،[٨] الآية.* [٥١٨ظ س١٩]

**﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾**[١٦]

ثم[١٠] وعظ الذين خاضوا في أمر عائشة فقال: **ولولا**، يقول: هلا **إذ سمعتموه**، أي القذف،[١١]

---

[١] ع: ويصدقوا.
[٢] الآية السابقة.
[٣] كتاب المصاحف للسجستاني، ١٤٩.
[٤] ن: قراءة.
[٥] قال الفراء: روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قرأت: إذ تَلِقُونه بألسنتكم (لسان العرب، «ولق»).
[٦] ر ع م: تتكلمو.
[٧] ع: الذين.
[٨] سورة النور، ٢٤/٤.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨ظ/سطر ١٧-١٩.
[١٠] ع - ثم.
[١١] ع - أي القذف.

**قلتم ما يكون لنا**، أي ما ينبغي لنا، **أن نتكلم بهذا** الأمر، وهلا قلتم: **سبحانك هذا بهتان عظيم** لعِظَم ما قالوا فيها. والبهتان الذي يُبهَت[1] فيقول [صاحبه] ما لم يكن من قذف أو غيره. وقال أبو عَوْسَجَة: البهتان الكذب، يقال: بَهَت، أي كذَب.

**﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٧] ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٨]**

وقوله: **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا**، أي القذف أبدا، **إن كنتم مؤمنين**، **ويبين الله لكم الآيات** في بيان ذلك وبراءتهم. أو يبين أوامره[2] ونواهيه. **والله عليم حكيم**، أي **عليم** بكل شيء من قول أو فعل، **حكيم** يضع كل شيء موضعه.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٩]**

وقوله: **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا**، كان أهل النفاق هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة، وإلا أهل الإسلام لا يحبون ذلك. ثم يحتمل قوله: **أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا** في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه[ا] وصفوان، أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين. وأهل النفاق هم الذين ألقوا ذلك،[3] في المؤمنين، **لهم عذاب أليم** في الآخرة لنفاقهم وقذف عائشة.

وأما في المؤمنين فهو ما قال: يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.[4] وروي عن عَمْرةَ عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضُرِبوا حدَّهم.[5] وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله بن أُبَيّ وحسّان ومِسطَح بن أُثاثة الحدَّ. وفي بعض الأخبار: وامرأةً أيضا وهي حَمْنَة، لكل واحد ثمانين جلدة.[6]

---

[1] ر - لذي يبهت + الكذب؛ ع: الذي يهبت.

[2] ن: أموره.

[3] ر ع م - ثم يحتمل قوله أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه[ا] وصفوان أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين وأهل النفق هم الذين ألقوا ذلك.

[4] الآية السابقة.

[5] ع: بواحدهم. انظر: سنن ابن ماجة، الحدود ١٥؛ وسنن أبي داود، الحدود ٣٥؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.

[6] انظر: صحيح البخاري، المغازي ٣٦، تفسير القرآن، ١٢/٢٤؛ و صحيح مسلم، التوبة، ١٠. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨ظ/سطر ١٧-١٩.

وقوله: **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما يشيعون الفاحشة ويُذيعونها في الذين آمنوا، هم الذين تولوا إشاعتها[١] وإذاعتها فيهم، لهم ما ذَكَر من العذاب الأليم. والثاني يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ليكون[٢] ذلك ذريعة لهم في المؤمنين فيقولون: إن دينكم لم يمنعكم عن الفواحش والمنكر، **لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**، لأنهم كانوا منافقين، بهم[٣] كان أولُ بدءٍ[٤] القذف وبهم شاعَ، لذلك كان لهم هذا الوعيد.

وقوله: **والله يعلم وأنتم لا تعلمون**، أي والله يعلم حقائق الأشياء وأنتم لا تعلمون حقائقها. وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر[٥] دون تعليقه بالحقائق.

**﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٢٠]

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم**، لم يذكر جواب قوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**،[٦] فجوابه ما ذكر في قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،[٧] بفضله يزكو من زكا وبرحمته[٨] يصلُح من صلَح، لا بصنعٍ من نفسه.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢١]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**، نهى المؤمنين أن يتبعوا خطوات[٩] الشيطان، ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال: **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**، فجوابه أن يقول:

---

[١] ر ع م: إشاعتهم.
[٢] ر ع م: ليكونوا.
[٣] ر ع م: منهم.
[٤] جميع النسخ: بدأ.
[٥] ع + دون.
[٦] ن - ورحمته.
[٧] الآية التالية.
[٨] ر م: ورحمته.
[٩] ن: خطوات.

فإن خُطُواتِه كذا و لم يقل أيضا: **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه** يفعل الفاحشة ولكنه قال: **فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**. لكن جوابه ما قال في آية أخرى:[1] يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ،[2] الآية، أخبر أن من اتبعه أمَر بالفحشاء والمنكر. [وال]خُطُوات من الخَطْوة والخُطْوة وهما[3] رفع القدم ووضعه. وأصله نهى عن اتباع آثاره.

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يُزكِّي من يشاء**. التزكية تحتمل[4] التوفيق والعصمة، يَزكُون بما أعطَى لهم من التوفيق والعصمة، أو يَزْكُون[5] بما أرسل إليهم من الرسل والكتب؛[6] والتوفيق[7] والعصمة أشبه.

وفيه نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أن من[8] زكَا إنما يزكو[9] بفضله ورحمته، وهم يقولون: لو فعل بهم غير الذي فعل كان جائرا[10] عندهم. فعلى قولهم: ليس بمُفضِل ولكن عادِل، لأنه فعل ما عليه أن يفعل، فعلى قولهم: لا يكون مُفضِلا ولكن عادلا، إذ لم يسمَّ في الشاهد من فعل ما عليه أن يفعل مُفضِلا. وعلى قولهم: إنه قد أعطى كلًّا ما به يزكون ويصلحون، لكنهم/ لم يزكوا هم، [باختيارهم]،[11] [٥١٩و]
فعلى قولهم: لم يَزكُ من زكا به، ولكنه إنما زكا بما أعطاه له. فقد أخبر أن من زكا إنما زكا به، وأنه قد أبقى عنده ما لو أعطاهم ذلك لزكَوا، وقد أعطى ذلك من زكا وصلَح، و لم يعط من لم يَزكُ.

وقوله:[12] **والله سميع عليم**، أي **سميع** لأقوالهم و**عليم** لأفعالهم. وأصله ما ذكر: يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.[13]

---

[1] ر ن ع + وما قال في آية أخرى.
[2] ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٦٨/٢-١٦٩).
[3] ر ع م + من.
[4] جميع النسخ: يحتمل.
[5] ن + بما.
[6] ر ع م: من الكتب والرسل.
[7] ر ع م – والتوفيق.
[8] ع – من.
[9] ر م: يزكوا
[10] ر ع م: جائز.
[11] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٤و.
[12] ن: قوله.
[13] سورة البقرة، ٧٧/٢.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٢]

وقوله:[١] **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة**. قال بعضهم: قوله: **ولا يأتل**، أي ولا يَحْلِفُ، وهو يفتعل من الإيلاء. وقال أبو عَوْسَجَة: **لا يأتل**، أي لا يعجز ولا يُقصِر، يقال: ائتَلَى يأتَلِي وأَلَا يَأْلُو أَلْوًا[٢] وهو التقصير وترك المبالغة. ثم يحتمل قوله: **أولوا الفضل منكم**، أي من له الفضل والسعة. ويحتمل **أولوا الفضل منكم**،[٣] من له الإفضال والمعروف وبرّ[٤] أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله.

ذكر أهل التأويل أن أبا بكر كان حلَف أن لا ينفع مِسطحا بنافعة -وكان قريبَه- بما تكلم في عائشة، فأنزل الله النهي عن ذلك فقال: **ولا يَأْتَلِ أولوا الفضل منكم**. لكن الآية -وإن نزلت في أمر ومعنى كان من أبي بكر- فإن غيره من الناس يشترك في معنى ذلك. وفي ذلك[٥] النهي، وكذلك ما قال في آية أخرى وهو قوله: وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ،[٦] الآية. ذُكر أن قوما كانوا يحلفون أن لا يَبَرّوا الناس[٧] ولا يصلحوا [فيما بين الناس]؛[٨] يريدون[٩] بذلك أن يكون حَلِفُهم في ذلك عذرا لهم في ترك الإنفاق عليهم والتعاون[١٠] والإصلاح بين الناس، فنهوا عن ذلك. وذلك النهي[١١] لهم ولمن كان في معناهم، ليس لهم خاصة. فعلى ذلك قوله: **ولا يَأْتَلِ أولوا الفضل منكم والسعة**، الآية، وإن كان في أبي بكر فهو فيه وفي الذين في معناه وإن كان حَلَف هذا بترك الإنفاق لإساءة كانت[١٢] منهم إليه،[١٣] والأول على الابتداء [لا] لإساءة كانت منهم إليه.[١٤]

---

[١] ن: قوله.
[٢] م: ألوعا.
[٣] ر ع م - منكم.
[٤] ع + أولو.
[٥] ر: أو في ذلك.
[٦] ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتقوا وتُصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).
[٧] ع: يبروالناس.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[٩] ر ع م - يريدون.
[١٠] ن: والتعون.
[١١] ر ع م: اليمين.
[١٢] ر ع م: وكانت.
[١٣] جميع النسخ: إليهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[١٤] جميع النسخ: إليهم.

وكذلك هذه الآيات نزلت لنازلة كانت في عائشة وصفوان، فإنما نزلت لتلك النازلة لمعنى، لا نزلت لأنها كانت عائشة أو أبا بكر[1] ولكن لمعنى. فكل[2] من وجد ذلك المعنى فيه شرك في ذلك، ويجعل كأن هذه الآيات كلّها نزلت فيه، وهو ما قال: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ.[3] فكلُّ رمي[4] مُحْصَنَةٍ مؤمنة غافلة بريئةٍ مما رُميت به دخلت في الآية، وكل رامي محصنٍ مؤمن غافل بريءٍ مما رُمي به دخل[5] في الآية لوجود المعنى الذي به[6] نزلت الآية.[7] وعلى ذلك جميع[8] القرآن إذا نزل لسبب[9] بالمرء أو نازلةٍ[10] لمعنى يشترك من وجد فيه ذلك المعنى[11] في[12] ذلك الحكم. فعلى ذلك ما نزل في أبي بكر من النهي بترك الإنفاق وما عوّده من اصطناع المعروف إليه لما كان منه إليه من الإساءة.

ثم أمره بالعفو والصفح وهو قوله: **وليعفوا وليصفحوا**، أي اعفوا عن إساءته واصفحوا، أي لا تَذْكروا عفوكم إياه عن إساءته،[13] ولا تذكروا[14] زلّته أيضا، لأن ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَى،[15] أخبر أن المنّ يُبطل الصدقة؛ وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ، فأمره[16] بالعفو، وهو ظاهر. والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة والإساءة جميعا. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: أو أبو بكر.
[2] ر م: بكل؛ ن: وكل؛ ع: بكل.
[3] الآية التالية.
[4] ر ع م - رامي.
[5] ر ع ن - دخل.
[6] ر ع م - به.
[7] ن: الآيات.
[8] ر ع م - جميع.
[9] ر ع م: بسبب.
[10] ر ع م: بمرء أمر نازلة
[11] ر ع م + فيه شرك.
[12] ع + ويجعل كأن هذه الآيات كلها نزلت فيه وهو ما قال إن الذين يرمون محصنات الغفلات المؤمنات فكل رامي هو محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رميت به دخلت في الآية وكل رمي محصن مؤمن غافل برئ مما رمي به.
[13] ر م: إساءة.
[14] جميع النسخ: ولا يذكروا.
[15] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٤).
[16] ن: وأمره.

وقوله: **ألا تحبون أن يغفر الله لكم**، أي قد تحبون أن يغفر الله لكم ما كان منكم إليه من الإساءة، فإن أحببتم ذلك فاعفوا عمن أساء إليكم. **والله غفور رحيم**.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[٢٣]

وقوله: **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات**، قد ذكرنا أن **المحصنات** ههنا هن الحرائر، و**الغافلات** هن[1] البريئات[2] من الفاحشة، [و]**المؤمنات** ظاهر.

وقوله: **لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**، كأن الآية نزلت في المنافقين الذين كان[3] منهم ابتداء القذف وإشاعته في الناس، لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم، فهو كما قال: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[4] والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين، إنما ذلك عادة المنافقين. ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضُرِب، وفي الآخرة العذاب الأليم.[5] كأنه ذكر اللعن والعذاب الأليم إذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق، فعند ذلك يكون لهم ما ذكر. ويدل لما ذكرنا [من] أن الآية في المنافقين.

**﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٢٤]

قوله: **يوم تشهد عليهم ألسنتهم**، الآية، وإنما تشهد هذه الجوارح على الكافر لإنكاره باللسان. وأما المؤمن فإنه مقرٌّ بذلك كله لا يحتاج إلى أن يشهد عليه الجوارح، وهو ما قال: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ،[6] الآية،[7] ونحوه، كأنهم ينكرون ذلك[8] في الآخرة كما أنكروا في الدنيا، كقوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[9] أخبر أنهم يحلفون لله في الآخرة

---

[1] ر ع م: ص.
[2] جميع النسخ: برئيات.
[3] جميع النسخ: كانت.
[4] سورة النور، ١٩/٢٤.
[5] ر م + في الدنيا والآخرة؛ ر ع ن + وعظيم.
[6] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦).
[7] ن ع – الآية.
[8] ن – ذلك
[9] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا. فجائز أن [تكون][2] ألسنتهم تشهد[3] عليهم بعد ما أنكروا، ويشهد عليهم سائر[4] الجوارح إذا أنكروا، وهو ما قال في آية أخرى: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ، الآية، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا،[5] الآية. تكون[6] شهادة الألسن بعد ما أنكروا[7] ذلك وحلفوا، فعند ذلك تشهد عليهم ألسنتهم. **والله أعلم**.

**﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾**[٢٥]

[٥١٩ط] / وقوله: عز وجل: **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**، يؤمنون به[8] جميعا يومئذ ويُقرّون بالحق، لكن لا ينفعهم إيمانهم يومئذ، كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا.[9]

**ويعلمون أن الله هو الحق المبين**، أي يعلمون أن ما دعاهم الرسول إليه من توحيد الله والإقرار بالربوبيّة له والألوهية، **هو الحق المبين**، أي بَيّنٌ ذلك. أو **الحق**[10] **المبين** ما يبيّن ما يؤتَى مما يُتّقى وما يَحِلّ مما يَحْرم.

**﴿اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[٢٦]

وقوله: **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات**، اختلف فيه. قال[11] بعضهم: **الخبيثات** من الكلمات والأقوال **للخبيثين** من الرجال **والخبيثون** من الناس **للخبيثات** من الكلمات.[12]

---

[1] ر ع م - أن.
[2] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[3] ن: يشهد.
[4] م - سائر.
[5] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).
[6] جميع النسخ: يكون.
[7] ر ع م + منهم.
[8] م - به.
[9] ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام ٦/١٥٨).
[10] ر م: والحق.
[11] ن: وقال.
[12] ر ع م - والأقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات؛ جميع النسخ + والقول.

**والطيبات** من الكلمات **للطيبين** من الناس **والطيبون** من الناس **للطيبات** من الكلمات. وقال مجاهد: هو القول السيّء والقول الحسن؛ فالحسن للمؤمنين والسيّء للكافرين؛ وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين، وما قال[1] المؤمنون من كلمة خبيثة فهي لكافرين، كلٌّ بريءٌ مما ليس له نحوٌ من الكلام.[2] وابن عباس يقول: نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوانَ: حسّانِ بن ثابت وأصحابِه. يقول: **الخبيثات** من الكلام **للخبيثين** من الرجال أحقُّ أن يليق بهم بما قيل لهم. والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال، يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفِرية.[3] ثم قال: **والخبيثون** من الرجال **للخبيثات** من الكلام، يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفِرية، فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.[4]

ثم قال: **أولئك** يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول[5] أولئك القذفة.[6] **لهم مغفرة ورزق كريم**، أي حسن. فابن عباس صرف الآية إلى عائشة وصفوان وإلى قذَفَتهم وذلك محتمل، وهو قريب من الأول.

وقال بعضهم: **الخبيثات** من النساء **للخبيثين** من الرجال **والخبيثون** من الرجال[7] **للخبيثات**[8] من النساء. **والطيبات** من النساء **للطيبين** من الرجال، لكن هذا يتوجه إلى النكاح شرعا ووجودا. أما الشرع [فهو][9] نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله:

---

[1] ع: وقال.

[2] روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور *للسيوطي*، ١٦٧/٦.

[3] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور *للسيوطي*، ١٥٤/٦.

[4] ر ع م – وبن عباس يقول نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوان حسان بن ثابت وأصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال أحق أن يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفرية فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.

[5] م: يقو.

[6] ن + ثم قال أولئك يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول أولئك القذفة.

[7] ع – والخبيثون من الرجال.

[8] ع: الخبيثات.

[9] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٥و

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ.. وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا،[1] وقوله: الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً.[2] فالمشركات هن[3] الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون، وكذلك الزانيات للزناة منهم. والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين. وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من أهل العفاف والصلاح. هذا هو الشرع.[4] وأما الوجود فهو ما صبر أزواج المنافقين والكفرة على كفر أزواجهن والسب لرسول الله والأذى له، وذلك لخبثهن وكفرهن[5] وموافقة أزواجهن. فلو كن طيبات لَكُنَّ لا يصبرن على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امرأته. ومن صبر على ذلك إنما صبر لخبثه، فبعضهم لبعض أكفاء: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وكذلك الطيبات والطيبون. ***والله أعلم.***

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الكلمة الخبيثة لَتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقرّ حتى يَلفِظها فيسمعها الرجل الخبيث فيضمّها إلى ما عنده من الشر، وإن الكلمة الصالحة لَتكون[6] في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها إلى ما عنده من الخير، ثم تلا عبد الله: **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين**، الآية.[7]

وجائز أن يكون: **الخبيثات** هي[8] الدركات التي تكون في النار **للخبيثين**[9] الذين[10] عملوا أعمالا خبيثة في الدنيا؛ **والطيبات**[11] هي الدرجات التي تكون في الجنة **للطيبين** الذين عملوا

---

[1] ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأَمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢٢١).

[2] ﴿...والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ (سورة النور، ٣/٢٤).

[3] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥و.

[4] جميع النسخ: شرع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥و.

[5] ع – وكفرهن.

[6] ر ع م: يكون.

[7] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ *والدر المنثور للسيوطي*، ١٦٨/٦.

[8] ن: هن.

[9] ر م – للخبيثين.

[10] ر م: للذين.

[11] ع – للطيبين الآية وجائز أن يكون الحسنات الدركات التي تكون في النار للخبيثين الذين عملوا أعمالا خبيثة في لدنيا والطيبات.

في الدنيا أعمالا طيبة. فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا، والدركات في النار للذين[1] عملوا[2] الخبائث والمعاصي في الدنيا.

وقال بعضهم: قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، إلى قوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.[3] أنزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة: [وهم] عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وكان قذفها منافقون ومؤمنون. وهو ما ذكرنا أن المؤمنين لم يقصدوا به قذفها ولكن كان ذلك[4] زلة منهم أو غفلة. وأما المنافقون فقد قصدوا به القذف والفرية[5] فأوجب للمنافقين الحدّ واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر:[6] لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ،[7] و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.[8] وأما المؤمنون فقال لهم: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[9] وقال بعضهم: فضله الإسلام، ورحمته القرآن، أي لولا[10] ذلك لعذبكم كما عذب أولئك. ثم قال: **الخبيثات من القول للخبيثين**[11] من الناس[12] كما ذكر أولئك إلا أنه زاد فيه من القول والعمل. وذلك كله قريب بعضه من بعض.[13] والله أعلم بذلك.

وقال بعضهم:[14] إن الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القائل: قال فلان كذا وكذا، فيقول الآخر: ما هذا من كلام فلان. وروي عن كعب [أنه قال] بمثل قيل عبد الله فقال: إن الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد إلى السماء فلا تفتح[15] لها أبواب السماء

[1] ر: لذين.
[2] ع – في لدنيا أعمالا طيبة فالدرجت في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا.
[3] سورة النور، ٢٤/٢٣-٢٥.
[4] ن – ذلك.
[5] ع: والقربة.
[6] ن: ذكرو.
[7] سورة لنور ٢٤/٢٣-٢٥.
[8] سورة لنور ٢٤/١٩.
[9] سورة لنور ٢٤/١٤.
[10] م: ولولا
[11] ع: خبيثين
[12] ر ع م + نحو.
[13] جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥ط.
[14] ر م – بعضهم.
[15] جميع النسخ: فلا يفتح.

وترجع إلى الأرض فلا تجد لها مستقرا وتذهب إلى البحور فلا تجد لها فيها مكانا فتقول: ما أجد لي موضعا أَسْكُنه غيرَ الموضع الذي خرجت منه فترجع إلى صاحبها، ثم تلا كعب هذه الآية: **الخبيثات للخبيثين**، الآية.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**، روي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقرأها: حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها.[١] وقال: تستأنسوا وَهْمٌ من الكاتب. وقال بعضهم: الاستئناس الاستئذان. وقال بعضهم: الاستئناس [٥٢٠و] الاستعلام، وهو أن يطلب من أهل البيت الإذن بالدخول. والاستئذان / هو طلب الإذن منهم للدخول. وروي عن أبي أيوب قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فما الاستئذان؟[٢] قال: «أن يرفع صوته بالتحميد أو بالتسبيح أو بالتكبير ليؤذن للدخول.»[٣] فإن ثبت هذا فهو إلى الاستعلام أقرب، وهو من[٤] قوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[٥] أي علمتم. ثم قال بعضهم: قوله: **حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**،[٦] على التقديم والتأخير، أي حتى تُسلِّموا وتستأنسوا، وهو أن يبدأ فيقول: السلام عليكم ورحمة الله، أأدخل؟[٧] يسلم أولا ثم يستأذن،[٨] وهو ما روي: «السلام قبل الكلام».[٩] ولكن عندنا أن الاستئذان للدخول، فإذا أذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلِّم عليهم، كقوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً.[١٠]

---

[١] *كتاب المصاحف* لسجستاني، ٢٠٢.

[٢] ن: الاستئناس.

[٣] ورد في *سنن ابن ماجة* (الأدب ١٧) عن أبي أيوب: قلت: يا رسول الله هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: «يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت.» وانظر أيضا: *الموطأ* لمالك ٣٧٥/٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل* ١٨٤/٥.

[٤] ر م – من.

[٥] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٦/٤).

[٦] ن – على أهلها.

[٧] ن ع: أدخل.

[٨] ن: تستأذن.

[٩] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السلام قبل الكلام» وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَدْعوا أحدا إلى الطعام حتى يُسَلِّم.» (*سنن الترمذي*، الاستئذان ١١).

[١٠] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

فإنما أمر بالسلام بعد الدخول، فعلى ذلك[١] هذا يستأذن للدخول، فإذا أذن له فدخل، فبعد الدخول يسلّم عليهم، لأنه لو سلم[٢] أولا ثم استأذن احتاج إلى أن يسلّم ثانيا إذا[٣] دخل. فهذا الذي ذكرنا أشبه بعض الناس وظاهر الآية. *والله أعلم*.

ثم قوله: **لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم**، لم يرجع إلى المساجد ونحوها[٤] بل يرجع ذلك إلى بيوت مسكونة، فذلك يدل لقولنا:[٥] إن من حلف أن لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يحنث.[٦]

وقوله: **ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**، أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من ترك الاستئذان، لأنه تَرْك التأدب بما أدّبه الله وعلّمه. **لعلكم تذكرون**، أي تتعظون بأدب الله. وروي في بعض الأخبار أن من دخل بيتا بغير إذن قال له الملك الموكّل به: عصيت وآذيت! فيسمع صوته الخلق كله غير الثقلين ويَصعَد صوته إلى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء: أُفٍّ لفلان، عصى ربه وآذى.

**﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾**[٢٨]

وقوله: **فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم**، هذا يدل على أن الاستئذان وطلب الإذن لا لحيثُ أنفسُهم خاصة ولكن لأنفسهم ولِمَا لهم في البيوت من الأموال، لأنه قال: **فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها**. لم[٧] يأذن لهم بالدخول فيها وإن لم يكن فيها أحد حتى يأذن أرباب الأموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم أن النهي عن الدخول للأنفس والأموال جميعا، لأن الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا[٨] للأنفس والأموال جميعا،

---

[١] ع + يسلم عليهم كقوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية فإنما أمر بالسلام بالدخول فعلى ذلك يسلم عليهم كقوله.
[٢] ر ع: لأنهم لو سلموا؛ م: لأنهم لو سلموا.
[٣] ع: فإذا.
[٤] ر ع م: ونحوه.
[٥] ع: كقولنا.
[٦] ر م: لم تحنث.
[٧] ع: حتى.
[٨] ع: صونها.

فكما يكرهون اطلاع غيرهم على أنفسهم وعيالاتهم فلا تطيب[1] أنفسهم أيضا على أمواهم وأمتعتهم، فلا يَدخل إلا بإذن من أهلها. *والله أعلم*.

وقوله: **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**، ذكر في بعض الأخبار أن الاستئذان ثلاث،[2] من[3] لم يؤذن[4] له فيهن فليرجع. أما الأولى[5] فيستمع الحي. وأما الثانية فيأخذون حِذرَهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا. وقيل: لا تَقعدَنَّ على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات وهم أشغالٌ، والله أعذر بالعذر.[6] وفي بعضها: وما تُنقَم من شيء يا ابن[7] آدم هو أزكى لك.[8]

وقوله: **هو أزكى لكم**، لأنه إذا لم يؤذن بالدخول فقعد على بابهم ولم يرجع[9] أوْرث ذلك معاني تُكره. أحدها تهمةٌ على أهل الدار على ما يقعد على أبواب أهل التُهَم من الشُرَطِي وغيره، فذلك مكروه عند الناس. والثاني يكون للناس أشغال وحاجات في منازلهم وخارج المنازل، فإن انتظر وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعُهم وشَغل قلوبَهم ذلك، فلعلّ حاجاتهم لا تلتئم لشغلهم به، لذلك كان الرجوع أزكى له وخيرا له[10] من القعود على الباب والانتظار. *والله أعلم*. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذِن لك فيهن، وإلا فارجع».[11] وقال بعضهم: معناه: **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يقول: إن سُكت عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم: ارجعوا، وإن لم يقولوا بألسنتهم:[12] ارجعوا.

وقوله: **والله بما تعملون عليم**، وعيد كقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[13]

---

[1] جميع النسخ: يطيب.
[2] ن: ثلث.
[3] ع: ما.
[4] ر ع م: يأذن.
[5] جميع النسخ: الأول.
[6] أي أقبل للعذر.
[7] ر م: يا بن؛ ع: يابن.
[8] جميع النسخ: لكم. لعل المؤلف رحمه الله يريد أنه إذا ما تُرَدّ في طلبك فلا تتبع إثره فاعلم أنه خير لك في العاقبة.
[9] جميع النسخ: فقعدوا على بابهم ولم يرجعوا.
[10] جميع النسخ: أزكى لهم وخيرا لهم.
[11] انظر: *الموطأ* لمالك، الاستئذان، ٢-٣؛ وصحيح *مسلم*، الآداب ٧؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ١٧؛ وسنن *الترمذي*، الاستئذان ٣.
[12] ع: بألسنتكم.
[13] سورة النحل، ١٦/١٩.

ثم الاستئذان على محارمه لازم وإن كان يجوز له أن ينظر إلى شَعر ذاتِ مَحرَمه ووجهها، فإنه منهيّ عن النظر إلى ما سوى ذلك من عورتها، لما تُختَشى أن يبدو[1] من عورة المرأة إن دخل عليها بغير إذن. روي أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أخدم أمي[2] وأَفْرِشها[3] أأستأذن[4] عليها؟ قال: «نعم»، فسأله ثلاثا[5] فقال له: «أيسرُّك أن تراها[6] عُريانة؟» قال: لا، قال:[7] «فاستأذِن عليها.»[8] وكذلك روي عن حذيفة أن رجلا سأله فقال: أأستأذن[9] على أختي؟ فقال: «إن لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك.»[10] وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس، عن أحدهما في الأم وعن الآخر في الأخت. لكن أمره في الاستئذان على هؤلاء أسهل وأيسر من أمر الأجنبي، إذ[11] كان مُطْلَقًا له أن ينظر إلى شعر محرَمه ووجهها. *والله أعلم*.

**﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾**[٢٩]

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة**، يحتمل قوله: **بيوتا غير مسكونة** وجهين. أحدهما بيوتا غيرَ محتمِلة للسُّكنى وهي الخرابات والمواضع[12] التي يقضى فيها الحوائج. وكذلك ذكر في حرف حفصة: بيوتا غير معمورة لكم فيها منافع. والثاني بيوتا غير[13] مسكونة محتملة للسكنى،

---

[1] ن ع م: يبدؤ.
[2] م: أمه.
[3] ر م: وأفرشتها.
[4] ر ع م: أستأذن.
[5] ن: ثلثا.
[6] جميع النسخ: تريها.
[7] ر ع م – قال.
[8] عن عطاء بن يسار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله أستأذِنُ على أُمّي؟ فقال: «نعم». قال الرجلُ: إني معها في البيت. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «استَأْذِنْ عليها». فقال الرجلُ إني خادمها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استَأْذِنْ عليها، أتُحِبُّ أنْ تَراها عُرْيانَةً؟». قال: لا. قال: «فاستَأْذِنْ عليها» *الموطأ* لمالك، الاستئذان ١؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي ٩٧/٧.
[9] ر ع م: أستأذن.
[10] جميع النسخ: يسوك. انظر: *الأدب المفرد* للبخاري، ٣٧٤/١.
[11] ن: إذا.
[12] ر ع م: الخربات والموضع.
[13] ر م – غير.

[٥٢٠ط] / إلا أن أهلها لم يسكنوها[1] وتركوها[2] لنزول الناس فيها، وهي نحو الخانات والرباطات[3] التي تكون للمارة. وعلى ذلك روي في الخبر أنه لما[4] نزلت[5] آية الاستئذان قال أبو بكر: يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام[6] ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم.**[7] وذكر في حرف ابن مسعود: ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن أن تدخلوه.

وقوله:[8] **فيها متاع لكم**، إن كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها أهل السفر فيكون قوله: **فيها متاع لكم**، أي فيها منفعة لكم من الدِّفْء[9] في الشتاء والظل في الصيف[10] ودفع الحر في أيام الحر ودفع البرد في أيام البرد. وإن[11] كانت[12] البيوت هي الخَرِبات والأقباب والأمتعات[13] التي كانوا يصنعون في الطريق[14] لقضاء الحوائج، فيكون قوله: **فيها متاع لكم**، أي الخلاء والبول. ***والله أعلم.***[15]

وقوله: **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**، قال ما تبدون من السلام[16] وما تخفون منه.[17] أو في كل شيء كقوله: وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[18] يذكر هذا ليكونوا[19] أبدا على حذر وخوف. ***والله أعلم.***

---

[1] ر ع م: تسكنوها.
[2] ر م - وتركوها.
[3] ر ع م: والرباط.
[4] ع: إنما.
[5] جميع النسخ: نزل.
[6] ع: إلى الشام.
[7] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢١٣/١٢؛ *وتفسير روح المعاني* للآلوسي، ١٣٧/١٨.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع م: الدف.
[10] ع: بالصيف.
[11] ع: فإن.
[12] جميع النسخ: كان.
[13] جميع النسخ: وأمعاب وأمتعات؛ ن - والأمتعات.
[14] ر م: في الصهور؛ ع: في الطهر
[15] ن - والله أعلم.
[16] ع: بالإسلام.
[17] ن - منه.
[18] سورة النحل، ١٩/١٦.
[19] ر م: ليكونن.

**﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٣٠]**

وقوله: **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم.** روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي إن لك[١] كنزا في الجنة وإنك ذو قَرْنَيها،[٢] فلا تُتبِع النظرةَ[٣] النظرةَ. فإن لك الأولى وليست لك الآخرة.»[٤] وعن أنس[٥] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن آدم لك أولُ نَظْرَةٍ، فإياك الثانيةَ!»[٦] وعن جرير قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أَصرِف بصري.[٧] وعن ابن عباس قال: يغضوا أبصارهم عن شهواتهم فيما يكره الله.[٨]

ثم يحتمل قوله: **يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم،** وجوها ثلاثة. أحدها يُغُضُّوا[٩] أبصارهم لكي[١٠] يحفظوا فروجهم،[١١] فإنّ حفظ الفرج إنما يكون بِغضّ البصر وحفظه. والثاني يغضوا أبصارهم عن النظر إلى من لا يحلّ من الأجنبيات، لأن النظر إلى[١٢] المحارم يحل، ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والأجنبيات إلا الذين استثناهم في آية أخرى.[١٣]

---

[١] ع: ذلك.

[٢] «وقال [النبي عليه السلام] يعني: «إن لك بَيْتًا في الجنة وإنك ذُو قرنَيها»، أي طَرَفي الجنة وجانِبَيها. قال أبو عبيد: وأنا أحسبُ أنه أراد ذُو قرنَي الأمّة فأضمر. وقيل: أراد الحسن والحُسين» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «قرن»).

[٣] ع: النضرة.

[٤] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٥٩/١؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٨.

[٥] ر: وعن لقيس.

[٦] انظر لنحوه: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٥٢/٥.

[٧] انظر: سنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٨.

[٨] *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٧/٦.

[٩] جميع النسخ: غضوا.

[١٠] ع: لكن.

[١١] ع – يحفظوا فروجهم.

[١٢] ع – من لا يحل من الأجنبيات لأن النظر إلى.

[١٣] قال الله تعالى في آخر آية التحريم: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصِنين غير مسافِحين﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤)؛ وقال: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (سورة المعارج، ٢٩/٧٠-٣١).

والثالث يغضّوا[1] أبصارهم عما في أيدي الخلق ولا يفتحوها[2] إلى ما في أيديهم، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[3] الآية.

وقوله: **ذلك أزكى لهم**، أي أطهر هم وأدعى لهم إلى الصلاح من النظر. وعلى هذه الوجوه[4] يخرج قوله:

**﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[٣١]

**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**، وقوله:[5] **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:[6] **إلا ما ظهر منها**،[7] الرداء والثياب. وعن ابن عباس قال: **إلا ما ظهر**[8] **منها**،[9] الكُحل والخاتم. وفي رواية أخرى: الكف والوجه. وعن عائشة قالت: **إلا ما ظهر منها**، القُلْب[10] والفَتْخة[11] وهي خاتم إصبع الرِّجل.[12]

---

[1] جميع النسخ: غضو.
[2] ر م: ولا تفتحوا لها؛ ن ع: ولا تفتحوها.
[3] ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زَهْرَة الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ١٣١/٢٠).
[4] ر م – الوجوه.
[5] ن: قوله.
[6] ن – قال.
[7] ر ع م – منها.
[8] ن – إلا ما ظهر.
[9] ر ن م – منها.
[10] القُلْبُ من الأَسْوِرَة: ما كان قَلْدًا واحدًا. وقيل: سِوارُ المرأة. والفَتْخَةُ بسكون التاء وفتحها: خاتم يكون في اليد والرِّجْل بفَصّ وغير فص. وكانت نساء الجاهلية يتخذنها في عَشْرهنّ. وفي حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها﴾، قال: القُلْبُ والفَتَخَةُ. (*لسان العرب*، «قسب»، «فتح»).
[11] ن م: والفتحة.
[12] انظر حول جميع الآراء: *تفسير الطبري*، ١٨/ ١١٧- ١٢٠؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٨/ ١٤٠–١٤١.

وعن عبد الله: الزينة زينتان زينة باطنة، لا يراها[1] إلا الزوج. فأما الزينة الظاهرة فالثياب، والباطنة [هي] الأكليل[2] والسوار والخاتم.[3] فإن كان التأويل ما روي عن ابن مسعود حيث خصّ من الثياب وغيره ففيه دلالة أن لا يحل النظر إلى وجه امرأة أجنبية. وإن كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر إلى وجه المرأة لا بشهوة. وإن كان ما قالت عائشة من القُلب والفتخة[4] ففيه دلالة جواز النظر إلى الكفين والقدمين، لأنهما ظاهرتان باديتان. ألا يرى أنهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء، وإن كان ذلك ففيه دلالة جواز صلاتها[5] مع ظهور القدم.

وجائز أن يكون النظر إلى وجه المرأة حلالا إذا لم يكن بشهوة، لكن غض البصر وترك النظر أوفق وأزكى، كقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ، أنهن حرائر،[6] فَلَا يُؤْذَيْنَ،[7] كما تؤذى الإماء. والذي يدل أن للمرأة أن لا تُغَطِّيَ وجهها ولا ينبغي للرجل أن يتعمّد النظر إلى وجه المرأة إلا عند الحاجة إليه، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «إنما لك الأولى وليست لك الآخرة.»[8] وفي بعضها: الأولى لك والآخرة[9] عليك. لأنه كأنه[10] إنما[11] يتعمد النظر في الثانية لشهوة تحدث في قلبه. وإذنُه للذي يريد أن يتزوج امرأة أن ينظر إليها يدل على أن نظر الرجل إلى وجه المرأة غير حرام، لأنه لو كان حراما لم يأذن فيه النبي لأحد. ونرى -والله أعلم- أن النظر إلى وجه المرأة ليس بحرام إذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة، فإذا وَجَد لذلك[12] شهوة ولم يأمن أن يؤدّيه ذلك إلى ما يُكره فمحظور عليه أن ينظر إليها، إلا أن يريد به معرفتها للنكاح[13] فإنه قد رخص في ذلك.

---

[1] جميع النسخ: لا يريها.
[2] جميع النسخ: فالأكليل.
[3] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١١٧.
[4] ن م: والفتحة.
[5] جميع النسخ: صوتها.
[6] م – أنهن حرائر.
[7] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٩.
[8] انظر: *سنن أبي داود*، النكاح ٤٤؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٢٨.
[9] ع – وفي بعضها الأولى لك والآخرة.
[10] ن: كذا.
[11] ع: أن؛ م – إنما.
[12] ع: كذلك.
[13] ر م: والنكاح؛ ن ع: أو النكاح.

روي أن المغيرة أراد أن يتروج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدَم[1] بينكما.»[2] وقال في بعض الأخبار: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها»[3] إذا كان إنما ينظر إليها للخِطْبة، وإن كانت لا تعلم.

فالأحسنُ للشابة[4] والأفضل[5] لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال، ليس أن ذلك حرام[6] ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن. فإذا لم يكن للناظر في ذلك شهوة بأن كان شيخا كبيرا أو كانت المرأة دميمة[7] أو عجوزة فإنه لا يحظر النظر إلى وجوه أمثالهن، ولا يُنظر إلى ما سوى ذلك. [٥٢١و]

وأصله قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.[8] ومما يدل على أن الوجه والكفين جائز أن لا يكونا[9] بعورة بأن المرأة لا تصلي وعورتها مكشوفةٌ، ويجوز أن تصلي ووجهها ويداها ورجلاها مكشوفةٌ. فإذا كان كذلك دل ذلك على أن النظر إلى ذلك جائز إذا لم يكن ذلك لشهوة. فإذا كان بشهوة[10] دخل في ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العينان تَزْنِيان»،[11] لأن زناءَ[12] العين لا يكون إلا بالنظر[13] للشهوة، فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.[14]

---

[1] «أي تكون بينكما المحبّة والاتفاق. يقال: أدَمَ الله بينهما يأدِم أدْمًا بالسُّكون، أي ألَّفَ ووفَّق. وكذلك آدم يُؤْدِم بالمدِّ» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «أدم»).

[2] *سنن ابن ماجة*، النكاح ٩؛ و*سنن الترمذي*، النكاح ٥؛ و*سنن النسائي*، النكاح ١٧.

[3] عن محمد بن مسلمة قال: خطبت امرأة فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها. فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خِطْبَة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها.» *سنن ابن ماجة*، النكاح ٩؛ وانظر أيضا: *سنن أبي داود*، الحدود ١٩؛ و*سنن الترمذي*، النكاح ٥.

[4] ر ن م: وأحسن للشابة؛ ع: فأحسن للشابة.

[5] جميع النسخ: وأفضل.

[6] ر ع م + وإليها للخطبة؛ ع + وإن كانت لا تعلم.

[7] ن ع: ذميمة. رجل دميم: قبيح، وقيل: حقير، وقوم دِماء. والأنثى دميمة (*لسان العرب*، «دمم»).

[8] سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

[9] ر م: أن لا يكون؛ ع: أن يكون.

[10] ر ع م – فإذا كان بشهوة.

[11] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنى مُدْرِكٌ ذلك لا محالة. فالعينان زناهما النظرُ، والأُذُنان زناهما الاستماعُ، واللسانُ زِنَاهُ الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرِّجْلُ زناها الخُطَا، والقلبُ يَهْوَى ويتمنَّى ويصدِّق ذلك الفَرجُ ويكذِّبه» (*صحيح مسلم*، القدر ٢١؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٨٩/٧).

[12] ن: زنا.

[13] جميع النسخ: إلا النظر.

[14] ن – فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.

وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدلّ على أن الوجه والكفين ليست بعورة، [وهو] ما روي عن عائشة قالت: دخلت عليّ أختي أسماء وعليها ثياب شاميّة رقاق وهي اليوم عندكم صِفاق.[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسم: «هذه ثياب لا تُحبها سورة النور» فأمَر بها فأُخرجت، فقلت: يا رسول الله زارتني أختي فقلت لها ما قلت، فقال: «يا عائشُ[2] إن الحرة إذا حاضت لا ينبغي أن يُرى منها[3] إلا وجهها وكفّاها.»[4] فإن ثبت هذا عنه فهو يبين ما ذكرنا. **والله أعلم**.

وقوله: **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**، قد ذكرنا أن المرأة يُكرَه لها النظر إلى الرجال من غير محرمها، كما يكره للرجل [النظر] إلى المرأة الأجنبية. ألا ترى أنه روى أن أعمَيَيْنِ دخلا على رسول الله صلى الله عيه وسلم وبعض أزواجه عنده: عائشة وأخرى، فقال لهما رسول الله صلى الله عيه وسم: «قوما»، فقالتا:[5] إنهما أعميان يا رسول الله، فقال لهما: «هما وإن كان أعميين فأنتما لستما بأعميين»،[6] أو كلام نحو هذا، فدل أنه ما ذكرنا. وعلى[7] ذلك أخبار. روي عن خالد بن مَعْدان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسم: «لا يحِلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تَبيت في مكان تسمع فيه نَفَس رجل ليس بمَحرم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيت في مكان يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم».[8] وفي بعض الأخبار أنه لم يُرخِص للمرأة

---

[1] ثوب صفيق: متين بيّن الصَّفاقة. وقد صَفُق صَفاقة كثف نسجه (*لسان العرب*، «صفق»).

[2] ن: قال يا عائشة.

[3] ر م – منها.

[4] عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عيه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه (*سنن أبي داود*، اللباس ٣٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٢٦/٢، ٨٦/٧).

[5] ن: فقالت.

[6] روي نحوه في *سنن أبي داود* (اللباس ٣٦) عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عيه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أُمِرنا بالحجاب [فدخل علينا] فقال النبي صلى الله عيه وسلم: «احتجبا منه». فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي صلى الله عيه وسلم: «أفَعَمْيَاوَانِ أنتما، ألستما تبصرانه؟» وانظر أيضا: *سنن الترمذي*، الأدب ٢٩.

[7] ن: وهي.

[8] انظر لنحوه: *صحيح البخاري*، جزاء الصيد ٢٦، الجهاد ١٤٠

أن يَرَى عينُ ذي محرم منها إلا الوجه والكفّ وما ظهر.[1] وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُوع[2] عائشة وقال هذا.[3]

وعن الحسن أنه قال في قوله: **إلا ما ظهر منها**، الوجه وما ظهر من الثياب. فإن ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص النظر إلى الوجه والكف بقوله:[4] «إلا الوجه والكف»، استثنى[5] الوجه والكف من بين سائر الجوارح، كان ذلك تفسيرا لقوله: **إلا ما ظهر منها**؛ كأنه قال: **ولا يبدين زينتهن**، للأجنبيين **إلا ما ظهر منها** وهو الكحل والخاتم. ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد، فذِكر الزينة يكون كناية عن مواضعها، لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحُليّ وما ذكره القوم، فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نَفْس الزينة والحلي. ثم رَخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف[6] ولم يرخص ما خفي منها وما بطن.

ثم استثنى المحارم منها ورخص [لـ]ـهم [الـ]ـنظر إلى ذلك بقوله: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن**، إلى آخر ما ذكر. ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الأذنان وهما في الرأس، ومنها الساق. ثم جمع بين الأب ومن سَمّى معه وبين الزوج في النظر إلى زينة المرأة، ولا خلاف في أن الأب لا يجوز له أن ينظر من عورة[7] ابنته إلا إلى رأسها. وفي الرأس الأذنان وقد يكون فيهما القُرط ونحوه. وإذا جاز له أن ينظر إلى رأسها ولا خمار عليها فله أن ينظر إلى صدرها وهو موضع الزينة، لأنه مما يغطّيه الخمار، وينظر إلى ذراعيها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها، وهي[8] مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للأجنبي النظر إليها.

---

[1] د – وما ظهر.

[2] الكاعُ والكُوعُ: طرَفُ الزَّند الذي يلي أَصلَ الإِبْهامِ. وقيل: هو من أَصل الإبهام إلى الزَّنْد. وقيل: هما طرفا الزندين في الذراع (*لسان العرب*، «كوع»).

[3] روي نحوه في *سنن أبي داود*، اللباس ٣٣.

[4] ر ع م: لقوله.

[5] ر ع م: استثناء.

[6] ع – من بين سائر الجوارح كان ذلك تفسير لقوله إلا ما ظهر منها كأنه قال ولا يبدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف.

[7] ع: أن ينظر عورت.

[8] جميع النسخ: وهو.

ثم النظر إلى الوجه أحق أن يَحْرُم النظر إليه للأجنبي[1] من الرأس وغيره من مواضع الزينة، لأن الوجه يُجمَع فيه جميع[2] المحاسن. وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن، لكن إنما حَرُمَ النظر إلى هذه المواضع لأنها عورة في نفسها. فالنظر إلى العورة حرام للأجنبي، ولأن النظر إليه -أعني مواضع الزينة- لا يكون إلا للشهوة، والنظر بالشهوة[3] حرام.[4] فأما المحارم منها فإنهم لا ينظرون إلى هذه المواضع منها لشهوة ولا يقصدون به ذلك ألبتة فأبيح هم النظر إليها لحاجة. وكل من يخشى[5] من المحارم النظر إليها لشهوة لا ينظر إليها، وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.[6]

ثم غيرها من العورة[7] لا يحل لأحد النظر إليها: الأب[8] وغيره إلا للزوج خاصة وللمولى / إلى مملوكته، وهو ما قال: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[9] استثنى الأزواج والموالي[10] من بين غيرهم لأن النظر إلى ذلك لا يكون إلا للشهوة، لا يقع فيه حاجة، فلا يباح ذلك إلا لمن له قضاء الشهوة والوطر[11] وهو الزوج والمولى. فانقسمت[12] العورة إلى جهتين. جهة يحل[13] للمحارم منها النظر إليها لحاجة وضرورة تقع هم، وجهة لا تحل[14] لهم -إلا للأزواج -لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر إلى ذلك. ألا ترى[15] أن الأَمَة[16] ينظر [الأجنبيُّ] إلى شَعرها وذراعيها[17] وساقيها وصدرها إذا أراد شراءها، [٥٢١ظ]

---

[1] ن – للأجنبي.
[2] م – جميع.
[3] ر ن م: والنظر إلى الشهوة؛ ر: – والنظر بالشهوة.
[4] جميع النسخ + إليه.
[5] ن: خشي.
[6] ع – وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.
[7] ر ع م: من العورة.
[8] م: إلا الأب.
[9] سورة المؤمنين، ٢٣/٥-٦.
[10] ر م: والمولى.
[11] ر ع م: والوطئ.
[12] جميع النسخ: فانقسم.
[13] ر م: يحل.
[14] ن: لا يحل.
[15] ن: أولا يرى؛ ع – ألا ترى.
[16] ع: الآية.
[17] ع: وذراعيه.

ولا ينظر[1] إلى ما سوى ذلك. فإذ جاز للأجنبي أن ينظر إليه من الأمة جاز لمحرمها النظر إلى ذلك من المرأة للحاجة التي ذكرنا.

ثم ذكر في الآية المحارم جميعا إلا الأعمام والأخوال. قال بعضهم: إنما لم تذكرا[2] في هذه الآية لأنها تَحِل لبنيهما بالنكاح فكُره أن تصفاها لبنيهما. ولهذا كَرِه مَن كره للمرأة المسلمة إبداء الزينة الخفية للكافرة[3] من اليهودية والنصرانية لِما لعلها تصف ذلك للمشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك، وصُرف قوله: **أو نِسَائِهِنّ**، إلى[4] المسلمات. لكن جائز عندنا أن العمّ[5] والخال إنما لم يَذكرهما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك، أو لما[6] ذَكر مِن[7] أجناسهم وأمثالهم فذِكْر الرخصة في أمثالهم كافية.[8]

وقوله:[9] **أو نسائهن**، يحتمل وجوها. يحتمل النساء اللاتي[10] يختلِطْن بهن، أو نساء قرابتهن[11] وأرحامهن، أو النساءَ اللاتي[12] يوافقن[13] في دينهن وهن المسلمات على ما قاله أولئك.[14]

وقوله:[15] **أو ما ملكت أيمانهن**، قال قائلون: **أو ما ملكت أيمانهن** كقوله: **إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**،[16] ونحوه، وقال قائلون: الإماء والعبيد جميعا. فإن كان المراد به[17] الإماء فهو ظاهر،

---

[1] ر ع م: فلا ينظر.
[2] ر م: م يذكر؛ ع: لم يذكر.
[3] ن – خفية لكافرة.
[4] جميع النسخ: أي.
[5] ر: العم.
[6] ع: ذلك وإنما.
[7] ر – من.
[8] ن + والله أعلم؛ ع + كافية.
[9] ن: قوله.
[10] ر ع م – للاتي؛ ن: التي.
[11] ن: قرباتهن.
[12] جميع لنسخ: التي.
[13] ر ع م: توافقن.
[14] ن + والله أعلم.
[15] ن: قوله.
[16] ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦).
[17] م – به.

وإن كان المراد به[١] الأَمَةَ ولعبيد[٢] ففيه[٣] إباحة نظر العبد إلى شَعر مولاته على ما يقوله[٤] بعض الناس. والأشبه أن يكون المراد به -والله أعلم- الإماءَ دون العبيد [على][٥] ما ذكر في آخر الآية: **أو التابعين غيرِ أُولي الإِرْبَة من الرجال**، والعبد من الرجال. أو ذكر التابعين،[٦] والتابع -وإن كان خَصِيًا أو عِنّينا[٧] أو معتوها على ما قالوا- فإنه لا يحل لهؤلاء[٨] النظر إلى تلك المواضع على حال، فعلى ذلك العبد، فيكون الدخول عليهن مضمَرا[٩] في الآية، وتكون[١٠] النساء متأهباتٍ وقت دخول العبيد والتابعين عليهن،[١١] لأنه ذكر التابعين وهم تابعوا الأزواج، ووقت دخول هؤلاء يكون معلوما عندهن[١٢] فيتأهَّبْن[١٣] لهم ويستترن.[١٤] والله أعلم بذلك. ألا ترى[١٥] أنه[١٦] لا يحل لمرأة أن تسافر بعبدها[١٧] دل أنه ليس بمحرم لها، لذلك لم يحل له[١٨] النظر إلى شعر مولاته.

فإن قيل: ما معنى ذكر إمائهن ونسائهن، وكلُّ النساء يجوز لهن النظر إلى المرأة وإلى هذه[١٩] المواضع[٢٠] التي ذكرنا؟

---

[١] م – به.
[٢] ن ع: والعبد.
[٣] ع – ففيه.
[٤] ع: يقول له.
[٥] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٦ ظ.
[٦] جميع النسخ: التابع.
[٧] ر: عنيا؛ ع: غنيا.
[٨] ع: هؤلاء.
[٩] ر ع م: مضمر.
[١٠] جميع النسخ: وكن.
[١١] ن: عليهم.
[١٢] ع: عنده.
[١٣] ن: فيتأهبن؛ ع: فيتأهبون.
[١٤] جميع النسخ: ويسترن.
[١٥] ن: يرى.
[١٦] ر م – أنه.
[١٧] ر م: بعبيده؛ ع: بعبدها.
[١٨] ن – له.
[١٩] ع: وإلى هذا.
[٢٠] ع – المواضع.

قيل: حص الله تعالى بالذكر إماءهن ونساءهن دون نساء الأجنبيات تأديبا لا حَظْرا. وذلك أن المرأة قد يَضيق عبها أن تستتِر[1] من أمَتها ونساء أهل بيتها لكثرة[2] رؤيتهن لها، وقد تقدر[3] أن تَستُر من الأجنبية محاسنها وزينتها لقلة رؤيتها لها. ألا ترى[4] أنه قد نَهَى المرأة أن تضرب برجلها ليُعلَم ما تُخفي من زينتها. وفي ذلك صيانة للرجل والمرأة وإبعاد لهما ما يُحذَر عليها ويُخاف. فليس ببعيد أن يجعل نهيَه المرأة[5] أن تُظهِر زينتها ومحاسنها للأجنبية لِما يُخاف على الأجنبية من فسادِ قلبها وحدوث الشهوة لها صيانةً للنساء والرجال جميعا وابعادًا لهم من الزينة ولئلا تصِفها لرجل يفتتِن بها ويتكلّف الوصول إليها. ***والله أعلم.***

وقوله:[6] **وَلْيَضْرِبن بِخُمُرهن على جيوبهن**، روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت هذه الآية أخذ النساء أُزُرَهن فشقَقْنها[7] من قِبل الحواشي فاختمَرْن[8] به.[9] وعن ابن عباس: **وليضربن**[10] **بخمرهن على جيوبهن** يقول: وليَشدُدْن بخمرهن على جيوبهن، يقول:[11] ليُرخِين بخمرهن على[12] الصدر والنحر فلا يُرِين منها شيئا. [و]قال: وكنّ النساء قبل هذه الآية إنما يَسْدُلْنَ خُمُرَهن سَدْلًا من ورائهن كما يصنع النَّبَط،[13] فلما نزلت هذه الآية شدَدن الخُمُر على النحر والصدر.[14]

وفي الآية دلالة [على] أن دروع النساء كانت ذات جَيب، لأن الجيب إنما يكون[15] لدروع وذلك كان لباس النساء. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى الرجال

---

[1] ر ع د: تستر.
[2] ع: للكثرة.
[3] ن + أن.
[4] ن: يرى.
[5] ع: والمرأة.
[6] ن: قوله.
[7] ر م: فيشققنها.
[8] ع: فاختمن.
[9] نظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن، ٢٤/١٣؛ وسنن *أبي داود*، اللباس ٣٢
[10] ع – وليضربن.
[11] ع: لقول.
[12] ن – جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن يقول ليرخين بخمرهن على.
[13] النَّبيطُ والنَبَطُ كالحَبِيش والحَبَش في التقدير: جيلٌ يَنزِلُون السواد، وفي *المحكم*: ينزلون سواد العراق، وهم الأَنْباطُ، والنِّسبُ إليهم نَبَطيٌّ (*لسان العرب*، «نبط»).
[14] انظر: تفسير *ابن كثير* ٣/٢٧٤.
[15] ر ع م: تكون.

عن لِبْسَة[1] النساء وأنه لعن المتشبّهين من الرجال بالنساء. وروي أنه لعن الرجل [الذي] يلبس لبسة المرأة، والمرأة [التي] تلبس لِبْسَة الرجل.[2] وعن ابن عباس قال:[3] لعَن النبي المؤنّثين من الرجال والمذكّرات من النساء،[4] وكأنه مكروه للرجل -والله أعلم- أن يلبس دُرّاعةً[5] وحدَها لا قميص تحتها، لأن ذلك لباس النساء، إلا أن يكون لها شَقٌّ ذَيل فخرجت من لبس النساء ولم يُكرَه للرجال. **والله أعلم.**

[٥٢٢و] وقوله: **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**، جائز أن يكون قوله:[6] **إلا ما / ظهر منها**، إنما يباح النظر إلى الوجه للحاجة، وأما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ،[7] الآية، وقوله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.[8] فعلى ذلك ترك النظر إلى وجه[9] المرأة أطهر[10] للنساء وللناس[11] جميعا فلا يباح ذلك إلا عند الحاجة إليه وهو معرفتها لتُقيم به[12] الشهادة.[13]

فإن قيل: أليس النظر يسَع إلى مواضع الزينة الخفية للأجنبي لتداوي بها؟

قيل: يسع ذلك لضرورة وأما للحاجة فلا. ومسألتنا في الحاجة ليست في الضرورة.

ثم قوله: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**، إلى آخر ما ذكر، جائز أن يكون المراد برخصة النظر إلى الزينة لهؤلاء[14] المسمَّيْنَ في الآية رخصةَ النظر إلى نفس الزينة في موضع الزينة،

---

[1] نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لِبْسَتَيْن، هي بكسر اللام الهيئة والحالة؛ وروي بالضم على المصدر، والأول أوجه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «لبس»).

[2] انظر: صحيح *البخاري*، اللباس، ٦١؛ وسنن *النسائي*، النكاح ٢٢.

[3] ر ع م - قال.

[4] انظر: *المعجم الأوسط* للطبراني، ١٧٦/٢؛ ومصنف *عبد الرزاق*، ٣١٩/٤.

[5] ر ع: قراعة؛ م: فراعة. والدُّرّاعةُ والمِدْرَعُ: ضرب من الثياب التي تُلبس، وقيل: جُبَّة مشقوقة المُقدَّم (*لسان العرب*، «درع»).

[6] ر ع م - قوله.

[7] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).

[8] سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣.

[9] ع: إلى الوجه.

[10] ع: أطهر.

[11] ع: وللنساء.

[12] ع - به.

[13] جميع النسخ: للشهادة.

[14] ع: هؤلاء.

لا موضع الزينة فيدخل في هذه الرخصة مَن ذَكَر مِن التابعين غير أولي الإربة من الرجال ونحوه، لأن الزينة في الصدر، وما ذكر إنما يكون[1] من وراء ثياب تكون على الصدر.[2]

ثم رخص النظر للمحارم إلى مواضع الزينة الخفية بغير[3] هذه الآية. أو أن يكون رخصة لنظر للمحارم إلى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير أولي الإربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن. فيكون في الآية إضمارُ الدخول كأنه قال: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ومن ذكر من المحارم، ولا يدخلُ عليهن إلا العبيد والتابعون ومن ذَكَر من غير أولي الإربة فيَكُنَّ في وقت دخول هؤلاء متأهِّبات، لأن وقت دخول هؤلاء يكون معلوما يعرِفنه[4] فيتأهبن لهم، لأن العبيد إنما يدخلون على سيداتهم ومولَياتهم[5] عند حاجتهن إليهم، "والتابعين" ومن ذَكَر إنما يدخلون إذا دخل أزواجهن عليهن فيتأهبن لذلك. ومثل هذا[6] الإضمار جائز في الكلام، يتبين ذلك بالثُّنيا، كقوله: أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[7] دل قوله: غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ، على[8] أنه قد كان الصيد[9] مذكورا فيه مرارا، إذ لو لم يكن مذكورا لم يكن[10] استثنى منه. فعلى ذلك جائز أن يكون في الأول إضمارُ الدخول فيه لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر إلى مواضع الزينة منهن ورخصةُ الإبداء[11] للمحارم،[12] أو أن يكون ما ذكرنا فيما تقدم. *والله أعلم.*

وقوله:[13] **أو التابعين غيرِ أولي الإرْبَة من الرجال**، قال بعضهم: [هو] الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء. وقال بعضهم: المعتوه الأحمق الذي لا تشتهيه[14] النساء ولا يَغار عليه الأزواج.

---

[1] ر م: تكون.
[2] ع – وما ذكر إنما يكون من وراء ثياب تكون على الصدر.
[3] ر م: لغير.
[4] جميع النسخ: يعرفن.
[5] جميع النسخ: ساداتهم ومواليهم.
[6] ر م: هذه.
[7] سورة المائدة، ٥/١).
[8] ر ع م – على.
[9] م – الصيد.
[10] ع – مذكورا لم يكن.
[11] ر ع م: الابتداء.
[12] ع + ان
[13] ن: قوله.
[14] جميع النسخ: لا يشتهيه

وقال بعضهم: العِنِّين والخَصِيّ وهؤلاء الذين لا يطيقون الجماع. لكن عندنا لا يسع للعِنّين ولا للخَصِيّ أن يَخلو[1] بامرأة أجنبية. وقال الحسن: **غير أول الإربة من الرجال**، هم المُخَنَّثون. روي عن عائشة قالت: كان[2] يدخل[3] على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُخَنَّثٌ وكانوا يَعُدّونه من غير أولي الإربة، قالت: فدخل النبيّ ذات يوم وهو يَنعَت امرأةً فقال: «لا أرى هذا يعلم ما ههنا، لا يدخُلَنّ عليكم»، فحجبوه.[4] وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مُخَنَّث،[5] فأقبل[6] على أخ[7] أم سلمة فقال: يا عبد الله إنْ فتح الله لكم غدا الطائف دلتك على بنت غَيلان فإنها تُقبِل بأربع وتُدبِر بثمانٍ. فقال:[8] «لَا أَرَى [هذا] يَعْرِفُ مَا ههنا، لا يَدْخُلَنَّ عليكم.»[9]

وقال بعضهم: **غير أولي الإربة** الذين لا تَهُمُّهم إلا بطونهم ولا يُخافون على النساء. وكله واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة إلى النساء.

قال أبو عَوْسَجَة: **الإربة** الحاجة، والإرب جميع، وكذلك قال القُتَبِي.[10] وقال ابن عباس: هو الذي لا يستحيي منه النساء.[11]

وقوله: **أو الطفلِ الذين لم يظهروا على عَوْرات النساء**، قال بعضهم: هو من[12] الاطّلاع، أي لم يطّلعوا ولم يعلموا ولم يدرُوا ما هو من الصِغَر. وقال بعضهم: **لم يظهروا على عورات النساء**، أي لم يبلغوا الحُلُم. والأول أشبه عندنا، وذلك أن الطفل الذي لم يحتلم قد أمر[13] بالاستئذان في بعض الأوقات، لقوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ،[14]

---

[1] ر: يخلو.
[2] ر ع م: كانت؛ ن + برجل.
[3] ن – يدخل.
[4] صحيح مسلم، السلام ٣٣؛ وسنن أبي داود، اللباس ٣٥.
[5] ع + وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة قالت فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت امرأة فقال لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخل عليكم فحجبوه وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث.
[6] أي المخنث.
[7] جميع النسخ: أخي.
[8] أي النبي عليه السلام.
[9] انظر: صحيح البخاري، المغازي ٥٨، النكاح ١١٤، اللباس ٦٢؛ وصحيح مسلم، السلام ٣٣؛ وسنن أبي داود، الأدب ٦١.
[10] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٣.
[11] انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٧٥.
[12] ر ع م – من.
[13] ر + هو الطفل الذي لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر.
[14] سورة النور، ٢٤/٥٨.

فالذي يؤمر[1] بالاستئذان هو الطفل الذي لم يحتلم، وقد يطّلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان هو[2] أصغر من ذلك وهو الذي لا يطلع على عورات النساء لصغره. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا يضربن بأرجلهن لِيُعْلَمَ ما يخفين من زينتهن**، أي لا يضربن إحدى رجليها على الأخرى ليتقرّع[3] الخلخال بالخلخال. **ليُعلَم ما يخفين من زينتهن**،[4] أي ما تُوارِي[5] الثياب من الزينة وهو الخلخال الذي[6] قد أخفَته[7] الثياب. نُهيت المرأة عن ضرب رجليها[8] ليعلم الرجال ما تُخفى[9] من زينتها. وذلك محظور عليها، لِما[10] يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وحثهم عليها، إذ الزينة في الأصل ما جعلت إلا للترغيب والتحريض على أنفسهم وهي الداعية إلى النظر والشهوة، وفي ترك ذلك وترك إبداء الزينة صيانتُها وصيانة الرجال وإبعادهم جميعا من الزينة والرغبة، فكشف الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة إليها أحرى أن يكون محظورا عليه مَنهيا عنه. ***والله أعلم بالصواب***.[11]

[٥٢٢ظ] / وقوله عز وجل: **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**، هذا يحتمل[12] وجهين. يحتمل قوله: **توبوا إلى الله**، أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين. أو أن يكون قوله: **وتوبوا إلى الله**،[13] أي ارجعوا عما قدّمتم من المعاصي والمسوئ واجعلوا مكان ذلك طاعةً[14] له ليعفُوَ[15] عنكم ما قدّمتم من المعاصي. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: فالذي لا يؤمر.
[2] ع – الطفل الذي لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر بالاستئذان هو.
[3] ن + على.
[4] ن – من زينتهن.
[5] ر م + من.
[6] ر ع م – الذي.
[7] جميع النسخ: أخفاه.
[8] جميع النسخ: رجليه، والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧و.
[9] ر م: ما يخفي.
[10] ر م: لم.
[11] ن – بالصواب.
[12] ر – يحتمل.
[13] ع – أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين أو أن يكون قوله وتوبوا إلى الله.
[14] م: طاعته.
[15] ر م: ليعفوا.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٢]

وقوله: **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**، الأمر بالإنكاح وإن خرج مخرج أمر واحد في الظاهر فهو في الحقيقة على أقسام. الأمر في تزويج الإماء والعبيد يخرج مخرج الترغيب والتحريض فيه، وفي الأحرار يخرج مخرج[1] المعونة[2] والتقوية، لأن من بلغ وندُبَ النكاح ذكرا أو أنثى استشار أقرباءه وأهل أنسابه والمتصلين به في ذلك واستعانهم[3] على ذلك، ولا كذلك السادات في المماليك. دل أن الأمر في أحدهما يخرج على المعونة، وفي الآخر على الترغيب.

ثم تزويج العبد يخرج كأنه فعل المعروف، إذ في ذلك إلزام مؤنٍ بلا عِوض يحصل له. ألا ترى[4] أنه لا يملك [هذا الأمر][5] إلا من يملك المعروف من نحو الوصي والأب والمكاتَب والعبد المأذون له في التجارة، ولا كذلك تزويج الإماء، إذ يملك هؤلاء ذلك. وكل مكتسبٍ خيرٍ[6] لنفسه أو لغيره. ثم جرى الوفاق[7] بينهم أن للمولى أن يزوج أَمَتَه شاءت هي أو أبت. واختلفوا في تزويج العبد امرأة، قال بعضهم: ليس[8] له ذلك إلا برضاء العبد. وقال بعضهم: له ذلك[9] شاء أو أبى.

ثم الناس اختلفوا في قوله: **وأنكحوا الأيامى منكم**. قال بعضهم:[10] **الأيامى** هن[11] الإناث من الأحرار دون الذكور، واستدلوا[12] ببطلان النكاح وفساده إذا كان بغير إذن الولي بهذه الآية، لأن الله تعالى أمر الأولياء وخاطبهم أن يزوجوهن[13] كما أمر المولى بتزويج أمته، فأوجب للولي الولاية كما أوجبها للمولى وإن كانا مختلفين في الولاية.

---

[1] ع - الترغيب والتحريض فيه وفي الأحرار يخرج مخرج.
[2] ر م: المؤنة.
[3] ع: واستعنتهم.
[4] ن: يرى.
[5] الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٧و.
[6] جميع النسخ + له.
[7] ن: الوفات.
[8] ر ع م - ليس
[9] ع - ذلك.
[10] ن + ليس.
[11] ر ع م: منهن.
[12] ر: واستدلوا.
[13] ع: يزوجوا هن

لكن عندنا لو كانت الآية خرجت على الذي قاله[1] خصومنا: **وأنكحوا الأيامى منكم،** [هن] الإناث، لم يكن فيه دليل على ما قالوا هم، ويخرج ذلك على وجوه. أحدها على الترغيب في إنكاحهن لما [لا][2] تتولى[3] النساءُ[4] النكاحَ بأنفسهن حياء، ويستحيين[5] التكلم بذلك، حتى من فعلت[6] ذلك منهن بنفسها صارت مطعونة عندهن. أو أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا. ألا ترى[7] إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[8] «من بلغ ولدُه[9] النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما.»[10] فهذا يدل -والله أعلم- على وجه المعونة في تزويج الأب الابنَ البالغ، فإذا كان الأب مأمورا من جهة التأديب على المعونة بتزويج ابنه، ولا يُوجَب ذلك عليه ولايةً إذا كره ذلك، فكذلك يكون مأمورا بتزويج ابنته عن طريق[11] المعونة أو جهة الحياء.[12] أو أن يخرج ذلك على ما قاله[13] خصومنا من إيجاب الولاية له عليها.

ثم رأينا أنها إذا رغِبت في النكاح ورضِيت[14] به وكره وليّها ذلك أُجبر[15] الولي على الإنكاح. وإن هي كرهت النكاح وأبَت ورغب الولي ذلك وشاء لم تُجبَر هي على ذلك. دل ذلك على أن الحق لها عليه دون أن يكون الحق في ذلك له عليها. فإذا كان الحق لها عليه جاز ذلك إذا تولّت بنفسها لما ذكرنا أن الخطاب للأولياء يخرج على الوجوه التي[16] ذكرنا. ***والله أعلم.***

---

[1] ر ع م: على التفسير على ما يقول؛ ن: على اليقين على ما يقول. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[2] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[3] ن: يتولى؛ ر ع م: تولى.
[4] جميع النسخ: هن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[5] ن: حيا وتخير.
[6] جميع النسخ: من فعل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[7] ن: يرى.
[8] ر ع م – قال.
[9] ن: ولد.
[10] انظر: كنز العمال للهندي ٥٩٧/١٦ (٤٥٣٣٧).
[11] ر ع م: من طريق.
[12] ن: الحيا.
[13] ر ع م: قال.
[14] ن: ولا رضيت.
[15] جميع النسخ: جبر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[16] جميع النسخ: الذي.

هذ إذا كان في الآية ذكر الإناث دون الذكور، فكيف أنْ ليس في الآية ذكر[1] تخصيص الإناث دون الذكور، واسم الأيّم يقع على الإناث والذكور جميعا.[2] ألا ترى[3] أنه روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ما رأيت من يَحبِس[4] بعد هذه الآية أيِّمًا[5] التمسوا الغنى[6] في الباءة.[7] وما روي عن نَجدة أن عمر دعانا إلى أن ننكح[8] من أيائمنا.[9] وفي الشعر:

لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ      أَيِّمٍ مِنهُمُ وَناكِحِ[10]

وفي بعضها:

وأيِّمٍ تَأبَى من القوم [الكرام] أيِّمَا.

جمع فيه[11] اسم الأيم للرجال[12] والنساء. ومن الدليل[13] أيضا على ذلك قوله: **والصالحين من عبادكم وإمائكم**، فدلّ ذلك على أنه حثّ[14] على تزويج البالغين من الأحرار رجالِهم ونسائهم.

فإن قيل: فما وجه أمره بتزويج الرجال والأمرُ إليهم؟ فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب فيه.

---

[1] ع – ذكر.

[2] الأيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. ورجل أيِّمٌ سواء كان تزوّج قبل أو لم يتزوج. قال ابن سيده: الأيِّمُ من النساء التي لا زَوْجَ لها، بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا، ومن الرجال الذي لا امرأةَ له. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأَنْكِحُوا الأيامى منكم﴾ دخل فيه الذَّكَر والأُنثى والبِكْر والثَّيِّب (*لسان العرب*، «أيم»).

[3] ن: يرى.

[4] جميع النسخ: ما رأيت مثل ما يلتمس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.

[5] جميع النسخ: إنما.

[6] ر ع م: الغناء؛ ن: الغد.

[7] ع: في الباة. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٢٠.

[8] ن ع م: ينكح.

[9] جميع النسخ: من أيمن.

[10] والبيت لأمية بن أبي الصلت. انظر: *ديوان أمية بن أبي الصلت*، ٣٥٠. وعبارة السمرقندي هكذا: «وهو المشهور في كلام العرب وأشعارهم. فقال قائل في حث قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر: «لله در بني علي أيم منهم وناكح» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٢٧ظ).

[11] ر ع م: فيها

[12] جميع النسخ: الرجال.

[13] ع: من الدليل.

[14] ع: حض.

ثم قوله: **والصالحين من عبادكم**. جائز أن يكون قوله: **والصالحين**، أي المؤمنين. وجائز أن يكون **والصالحين** مَن طلب منكم الصلاح والعفة. أو ذكَر الصالحين لما كانت[1] لعادة في الملوك[2] أنهم يخاطبون أهل الصلاح منهم والأخيار لا على إخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب. *والله أعلم*.

وقوله: **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**، من الناس من استدل بهذه الآية أن العبد يُملَّك، لأنه ذكر العبيد والأحرار جميعا ثم ذكر في آخره الإغناء،[3] دل[4] أنه يملَّك. ويَستدلّ بقوله: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[5] [إذ] أضاف الأجور والإيتاء إليهن، دل أنهن يُمَلَّكن.

لكنْ عندنا أن المماليك يُمَلَّكون ملك التوسّع[6] وملكَ التصرف ويقع لهم غَناء التوسيع وغَناء التصرف، ولا يقع لهم التمليك ولا حقيقة الملك. والدلالة على ذلك قوله: وَاللهُ فَضَّلَ

[٥٢٣و] بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ،[7] لو كان ما ملكت أيمانهم يُمَكَّنون ما يُمَكَّن الموالي والسادات لكان[8] المماليك يُفَضَّلون على السادات في الملك، إذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الأموال دون السادات، فدل ذكر تفضيل بعض على بعض أنهم لا يُمَكَّنون ما يُمَكَّن الموالي. والثاني قوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ،[9] الآية، ولو كانوا يُمَلَّكون[10] على ما يُمَلَّك[11] السادات لكانوا لهم فيه شركاء، دل أنهم لا يُمَلَّكون حقيقة الملك ولكن يُمَكَّنون ملك التوسع[12] والتصرف. أو أن يكون قوله: **يغنهم الله من فضله**، راجعا إلى الأحرار منهم دون المماليك،

---

[1] ن – كانت.
[2] ر: في الملك.
[3] جميع النسخ: الغناء.
[4] ر: يدل.
[5] سورة النساء، ٢٥/٤.
[6] ر ع م: التوسيع.
[7] سورة النحل، ٧١/١٦.
[8] م: كان
[9] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سَلَمًا لرجل هل يستويان مثلا﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).
[10] ع: ولو كان يمك.
[11] ع – على ما يملك.
[12] ر ع م: التوسيع.

وذلك جائز في اللسان.[1] ثم روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة حق على الله تعالى عونُهم:[2] المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العَفاف، والمكاتَب يريد الأداء».[3] وعن عمر قال: ما رأيت مثل الرجل لا يلتمس الغنى[4] في الباءة[5] والله تعالى يقول: **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**.[6] وروي في الخبر[7] أنه[8] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[9] «يا معشر الشباب،[10] من استطاع منكم الباءةَ[11] فليتزوج فإنه أغَضُّ[12] للبصر وأحصن للفرج[13] ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وِجاء.»[14] وروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن[15] الخطاب: «ما فعلت ببناتك؟» قال: هن عندي يا رسول الله، قال: «وقد حِضنَ؟» قال: نعم، قال: «إنك لم[16] تحبِس واحدة منهن عن كُفء[17] إلا نقَص[18] من أجرك كل يوم قِيراط.» وفي بعض الأخبار: «من[19] بلغ ولدُه النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما».[20]

---

[1] ر ن ع + كقوله.
[2] جميع النسخ: أن يغنيهم.
[3] ر ع م: الأدا. سنن ابن ماجة، العتق ٣؛ وسنن الترمذي، فضائل الجهاد ٢٠، وسنن النسائي، الجهاد ١٢، النكاح ٥.
[4] ر ن م: لغنى؛ ع - الغنى.
[5] ر ع م: في الباة.
[6] انظر: كنز العمال للهندي ٦٨٧/١٦ (٤٥٥٨٧)؛ وروح المعاني للآلوسي، ١٤٩/١٨. ولفظ الكنز: «عمر بن الخطاب قال: ما رأيت كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيما وعده فقال: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله».
[7] ن: في خبر.
[8] ر ن - أنه.
[9] ر م + للفرج.
[10] م: الشبات.
[11] ر ع م: الباة
[12] ن: يغض.
[13] ر م: بالفرج.
[14] انظر: صحيح البخاري، الصوم ١٠، النكاح ٢؛ وصحيح مسلم، النكاح ١، ٣.
[15] ع - ابن.
[16] ن: لن.
[17] جميع النسخ: كفو.
[18] نقص.
[19] ن: ومن.
[20] انظر: كنز العمال للهندي، ٥٩٧/١٦ (٤٥٣٣٧).

**﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٣٣]

وقوله: **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**، الاستعفاف هو طلب العَفاف كأنه قال: [لِ]يَطلب الأسباب التي تمنعه عن الزنى وتصبّره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله. وأسباب العفة تكون[١] [بـ]أشياء. أحدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[٢] «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٣] فيتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج،[٤] ومن لم يستطع فعليه بالصوم[٥] فإنه له وِجاء.»[٦] ونحوه. يكتسب أسباب العفة إن لم يكن عنده ما يَنكح حتى لا يقع في الزنى إلى أن يغنيه[٧] الله، كقوله عليه السلام: «من استعفّ[٨] أعفّه الله.»[٩] وجائز أن يكون قوله: **وليستعفف**، أي يتعفف **الذين لا يجدون نكاحا**.

لم يجعل الله عز وجل للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها[١٠] إذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل في الأموال وغيرها رخصة[١١] التناول من مُلك[١٢] غيره[١٣] عند الحاجة

[١] جميع النسخ: يكون.
[٢] ر ع م – قال.
[٣] ر م: الباة.
[٤] جميع النسخ: بالفرج.
[٥] ع: لصوم.
[٦] سبق تخريجه قريبا.
[٧] جميع النسخ: أغناه.
[٨] ع: استعفف.
[٩] ورد عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سرحتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: «من استغنى أغناه الله عز وجل، ومن استعف أعفه الله عز وجل. ومن استكفى كفاه الله عز وجل، ومن سأل وله قيمةُ أُوقيّة فقد ألحَفَ.» فقلت: ناقتي لياقوتة خير من أوقيّة فرجعت ولم أسأله (*سنن النسائي*، الزكاة ٨٩؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣).
[١٠] جميع النسخ + زنى.
[١١] ر م: برخصة.
[١٢] جميع النسخ: في ملك.
[١٣] ر ع م: غير.

والضرورة تبدل[1] لوجوه. أحدها[2] أن رخصة التناول من مُلْك[3] غير إنما تكون[4] عند الضرورة، والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها بحال،[5] لذلك لم تُبح. والثاني أن[6] الاستمتاع بالنساء في الأصل كأنه إنما[7] جعل وأُبيح لبقاء النسل والتوالد، لا لحاجة أنفسهم وقضاء الشهوة، فإذا لم يكن عنده ما يَنكح ارتفع عنه إبقاء النسل والتوالد. والثالث أن السعة والغناء وأنواع النعم هي الداعية إلى الحاجة وقضاء الشهوة، فإذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال[ت] عنه الأسباب التي تدعوه[8] إلى ذلك، لذلك لم يُبح. وأما الحاجات والضرورات وما ذكرنا كلُّها تقع في الأموال، وإنما الحاجة في التناول منها لأنفسهم ولإبقائها، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **حتى يغنيهم الله من فضله**، وقوله: إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[9] وجهان من المعتَبَر على نقض قول المعتزلة. أحدهما أنه أضاف الإغناء إلى نفسه، وهو ليس يعطي أحدا شيئا يَطْرحه ويُلقيه في يده بلا سبب منه،[10] ولكن إنما يغنيه ويعطيه[11] بأسباب يجعلها له.[12] فدل إضافة الإغناء إلى نفسه على أن له في تلك الأسباب التي بها[13] لهم غنى[14] صنعا وفعلا، ليس على ما يقول[15] المعتزلة أنْ لا صنع لله في أفعال العباد.[16] والثاني فيه دلالة[17] [على] أن غناهم وسعتهم فضل منه[18] ورحمة، لا شيءٌ يستوجبون هم بأنفسهم ذلك قِبَله،

---

[1] ع: يدل.
[2] ر ع م - أحدها.
[3] جميع النسخ: في مسك.
[4] جميع النسخ: يكون.
[5] ر ع م: الحال.
[6] ر ع م - أن.
[7] ن - إنما.
[8] ن: يدعوه.
[9] الآية السابقة.
[10] ر ع م - منه.
[11] م: ويعطيهم.
[12] جميع النسخ: يجعل لهم.
[13] ر م: ما.
[14] ر ع م: غناء.
[15] ن ع: يقوله.
[16] ر ع ن: عباده.
[17] م - دلالة.
[18] م: منهم.

لكن إفضالا منه[1] لهم وإحسانا. إذ لو لكان[2] عليه دلك لكان[3] منه عدلا لا فضلا. فدل نسمية الفضل ذلك عى أن من أعطاه الله تعالى:[4] ذلك أعطاه فضلا منه وإنعاما[5] لا استيجابا واستحقاقا، وذلك رد عليهم في الأصلح في الدين.

ثم من الناس من استدل بهذه الآية بقوله: يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ[6] وحتى **يُغْنِيَهُمُ الله من فضله** عى تفضيل الغناء عى الفقر، قالوا: لأنه سماه فضلا بقوله: **من فضله**، وسماه في غير آي من القرآن رحمة وحسنة، وسماه خيرا أيضا في غير موضع، وسَمَّى الفقر والضيق بلاءً مرة، وسيئةً ثانيا، وضُرا وشدة ثالثا، بقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[7] وقال: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[8] وقوله: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ،[9] وغير ذلك من الآيات. وكان ما سمَّى من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كله عبارة وكناية عن الضيق والفقر، وما ذُكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء.[10] فدل تسميتة[11] الغناء خيرا وحسنة ورحمة / عى أنه أفضل، إذ لا شك أن الخير [٥٢٣ظ] والحسنة والرحمة خيرٌ من الشر والسيئة والبلاء، لذلك كان الغناء أفضل من الفقر.

فيقل[12] لهم: هو[13] كما قلتم إنها خير مما ذكرتم، إلا أن هذه الأسباب التي ذكرتم هي الداعية إلى الفساد، الباعثةُ على قضاء الحاجات والشهوات وأنواع المعاصي والتعاطي في أنواع المحرمات، ولا كذلك الفقر والضيق والشدة، بر هن أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع المعاصي

---

[1] م: منهم.
[2] جميع لنسخ: كان.
[3] جميع لنسخ: كن.
[4] ر ع م: يقال.
[5] ر م: وإنعام.
[6] الآية لسابقة.
[7] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[8] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[9] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكت رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٩).
[10] جميع النسخ: والغنى.
[11] ر ع م: تسمية.
[12] م: ويقال.
[13] ن: هو.

والمحرمات فضلا أن تدعوه وتبعثه إلى ذلك. فقولنا: إنه أفضل لمعنى الذي ذكرنا، لا لمعنى فهمتموه أنتم. أو أن يكون ما ذكر وسمي خيرا -أعني السعة- عند الناس، وكذلك [يكون] ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم، لأنه كذلك عند الناس لا أنهما في الحقيقة كذلك، لما يحتمل أن يكون الغناء والسعة سبب الفساد، والضيق والفقر سبب منعه عن الفساد. أو أن لا يُتكلم في تفضيل أحدهما على الآخر، إذ هما مِحنتان يُمتحن بهما العباد: هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق، وهؤلاء بلشكر على النعمة والسعة. فالتكلم في فضل أحدهما على الآخر فضول.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم**، ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى، لأن الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى، يسألون ساداتهم تعليمَ الكتاب لهم. إلا أن الناس لم يفهموا من هذا هذا، ولكن فهموا كتابة العبيد والإماء حيث صرفوا الآية إليها. ثم قوله: **فكاتبوهم** ليس على الوجوب والإلزام ولكن على الترغيب فيها والحثّ. دليله ترك الأُمّة المماليكَ بعد موتهم مواريثَ لورثتهم من لدن رسول الله إلى يومنا هذا. ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لازما واجبا[3] عليهم، فدل تركهم ذلك على أنه خرج مخرج الترغيب عليها والحثّ، لا على الوجوب. *والله أعلم*.

وقوله: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**، اختلف فيه، قال بعضهم: أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يرغبون في أنواع الخير وإقامة الصلاة وأنواع الصلاح وفرّغوا أنفسهم لذلك. وقال بعضهم: **إن علمتم فيهم خيرا**، أي وفاء[4] وأمانة وصلاحا، وهو قول الحسن. وتأويل هذا أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يقدرون على وفاء ما كوتِبوا وأداء ذلك. وقال قائلون: **خيرا**، أي حِيلة، وقال قائلون:[5] مالا، وقال قائلون: **خيرا**، أي حِرفة. ورَوَوا في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسّرا عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن علمتم فيهم خيرا، أي حرفة، ولا ترسلوهم كلابا على الناس.»[6]

---

[1] ع - ولا كذلك الفقر والضيق والشدة بل هي أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع معاصي والمحرمات.
[2] جميع النسخ: فضل؛ ع - أحدهما على الآخر فضول.
[3] ع - واجب.
[4] ع: فاء.
[5] ن: بعضهم.
[6] ن: على الناس. ورد في السنن الكبرى للبيهقي (٣١٧/١٠) عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله. ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ قال: إن علمتم منهم حرفة ولا ترسلوهم كلابا على الناس. وانظر: روح المعاني للآلوسي، ١٥٤/١٨؛ وأحكام القرآن للجصاص، ٣٢٢،٣.

إن ثبت هذا [ف]لا يحتاج[1] إلى غيره من التفسير. ولو كان قال: **إن علمتم** لهم[2] **خيرا** جاز أن يقال: معنى ذلك مالا، ولكنه قال: **إن علمتم فيهم خيرا**،[3] والمال لا يكون فيهم وإنما يكون لهم، فَأَشْبَهُ ذلك -والله أعلم- أن يكون الخير حِرفة كما روي[4] في الخبر؛ أو وفاء وأمانةً.

ثم في الآية دلالة أن العبيد لا يُمَلَّكون شيئا، لأنهم لو[5] كانوا يُمَلَّكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة، فدل ترغيبه إياهم عليها أنهم لا يُمَلَّكون حتى تُجعل[6] الكتابةُ الكسبَ لهم والخدمة دون الموالي.[7] وفي الكتابة أيضا نظر للموالي، لأنهم إنْ قدروا على وفاء ما قَبِلوا أداءه[8] وإلا كان للموالي ردُّهم إلى منافع أنفسهم. ولو كان عتقا لم يُمَلَّكوا ردهم إلى منافع أنفسهم ويبطل حقهم بلا شيء يصل إليهم. *والله أعلم*.

وفي قوله: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**، دلالة [على] القول بالعمل بِعِلم ظاهرِ الأسباب[9] دون تحقيق العلم به حيث قال: **إن علمتم فيهم خيرا**، وإنما يوصَل إلى[10] ما ذكر من الخير بأسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحِرفة والوفاء وأداء الأمانة وأمثاله، وتلك[11] أسباب توصل إلى الخير على أكبر الظن والعلم لا على الحقيقة. وفيه دلالة العمل بالاجتهاد على ما يُرَى بهم من ظاهر الأسباب. *والله أعلم*.

وقوله: **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**، اختلف في خطابه. قال الحسن وغيره: هو شيء حث الناس عليه مولاه وغيرَه،[12] فيخرج ذلك على وجهين. أحدهما ما جعل الله من الحق للمكاتَبين في الصدقات،

---

[1] ع: هذا لاحتياج.
[2] ر ع م: فيهم.
[3] ع - جاز أن يقال معنى ذلك مالا ولكنه قال إن علمتم فيهم خيرا.
[4] ر: لجاء روي؛ م: الجا وروي.
[5] ع - لو.
[6] ن: يجعل.
[7] ر م: للمولى.
[8] جميع النسخ: وأداءه.
[9] جميع النسخ: دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الأسباب، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٨و. وعبارته هكذا: «وفي قوله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ دليل على أن العمل بعلم ظاهر الأسباب دون التيقن جائز».
[10] ر م - إلى.
[11] ر ن م: وذلك؛ ع: ذلك.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٣١-١٣٢.

لقوله:[١] إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ، إلى قوله: وَفِي الرِّقَابِ،[٢] وهم المكاتَبون. أمر أرباب الأموال بدفع الصدقات إلى المكاتَبين وجعلهم أهلا لها ليستعينوا بها على أداء[٣] ما عليهم من الكتابة، فإن كان ذلك فذلك حقٌّ لهم. والثاني جائز أن يأمر الناس بمعونة هؤلاء المكاتَبين على أداء ما عليهم من الكتابة بأموالهم سوى الصدقات ليفُكُّوا رقابهم عن ذُلِّ الرِّق والكسب.

وقال قائلون: إنما الخطاب للموالي خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي،[٤] فعلى ذلك هذا. ثم اختلفوا فيه، روي عن علي بن أبي طالب[٥] رضي الله عنه قال: يَترك المولى[٦] الثلث من مكاتبته له. وروي عنه أنه قال: ربع المكاتبة.[٧] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كاتب غلاما له فحَطّ عنه أولَ نجومه[٨] وقال له: حُطَّ عني آخِرَه، فقال عمر: لَعَلِّي لا أَصِل إليه، أو كلامًا[٩] نحو هذا، ثم تلا هذه الآية / قوله: **والذين يبتغون الكتاب**، الآية.[١٠] [٥٢٤و] وروي عن غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كاتَبني عثمان ولم يَحُطَّ عني شيئا.[١١] دل ما روي عن عثمان أنه لم يَحُطَّ عنه شيئا، على أن الأمر بالإيتاء لمكاتبين من الأموال أو الحط[١٢] عنهم إنما هو على الاختيار والإفضال، ليس على الوجوب واللزوم، لأنه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل أن لا يَحُطَّ عنه شيئا. ومن جعل ذلك واجبا على المولى أن يؤتيه من ماله ويعجّله له كان ذلك خارجا عما روي من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين [و]خلافا لهم، لأنه روي عن بعضهم[١٣] الحطّ عنهم

---

[١] ع – لقوله.

[٢] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[٣] ع: على داء.

[٤] ع – خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي.

[٥] م – بن أبي طالب.

[٦] ر م: المولى.

[٧] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٢٩–١٣١.

[٨] جميع النسخ: نجمه. النَّجْم: الوقت المضروب. ونَجَّمْتُ المالَ: إذا أدَّيته نُجومًا. وتَنْجِيمُ الدَّيْنِ هو أن يُقَدَّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعةٍ. ومنه تنجيم المُكاتَب ونُجومُ الكتابة (*لسان العرب*، «نجم»).

[٩] جميع النسخ: كلام.

[١٠] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي ٦/١٩٢.

[١١] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٢٢. و*تفسير القرطبي*، ١٢/٢٥٢.

[١٢] ر م: والحط

[١٣] ن: عن بعض.

والوضع[1] دون الإيتاء من ماله. وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال، لا حطَّ فيه ولا إيتاء. دل أن قول من يأمرهم[2] بالإيتاء[3] من أموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملةً.

ثم يبطل ذلك من وجهين. أحدهما أن من قال لعبده: إذا أديت إليّ كذا فأنت حر، فحط عن بعض ذلك فأدى البقية لم يُعتق حتى يؤدَّى الكل، فدل أن قوله: **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**، ليس على الوجوب ولكن على الاختيار. والثاني أنه لا يسمى بعد الأداء مكاتَبا وإنما هو[4] حر، وهو إنما[5] ذكر الإيتاء إياهم وهم مكاتبون حيث قال: **فكاتبوهم**، ثم قال: **وآتوهم**، فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلا لوجهين اللذين ذكرناهما. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا**، ليس قوله: **إن أردن تحصنا**، بشرط فيه لأنهن لا يكرَهْنَ[6] على البغاء وإن لم يردن التحصن، دل أن ذلك ليس بشرط فيه ولا يتمكن[7] الإكراه فيه إذا كنّ أطَعْن فيه. لكنه خرج ذلك على ما ذكر في القصة بأن الموالي[8] كانوا[9] يكرهونهن على الزنى ابتغاء المال وهن كنّ يُرِدن التحصن، فخرج الخطاب والنهي على فعلِهم دون أن يكون ذلك شرطا فيه. أو أن يكون ذلك إكراها [أيضا] إذا كن مطاوعات في ذلك. وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها، لأنهم كانوا يُكرهون إماءهم على أن يؤاجروا أنفسهن للزنى ابتغاء الأجر وليست المتعة إلا كذلك. وقال أهل التأويل: إن الآية نزلت في نفر من المنافقين:[10] عبد الله بن أبيّ وفلان[11] وفلان، كانوا يُكرِهون فتياتِهم على الزنى ابتغاء عرض الدنيا.[12] فإن كان ما ذكروا ففيه دلالة أن الزنى حرام في الأديان كلها.

---

[1] ع: والموضع.
[2] ع: يأمر.
[3] ع: من الإيتاء.
[4] ن: هي.
[5] ر م: وبما.
[6] ن: لا يكرههن.
[7] ر: يمكن.
[8] ر ع م - بأن الموالي.
[9] ع: كن.
[10] جميع النسخ: في منافقين.
[11] ع: فلان.
[12] انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٩٢/٦.

وقوله عز وجل: **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم.** هذا يحتمل وجهين. أحدهما يرجع إلى الإماء، يقول: **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** لهن. وكذلك روي في بعض الحروف أنه قرئ: **فإن الله من بعد إكراههن** لهن **غفور رحيم.**[١] والثاني يرجع إلى السادات، فإن الله لهم[٢] غفور رحيم إذا تابوا وأصلحوا. ***والله أعلم.***

**﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٣٤]

وقوله: **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات،** بخفض الياء ونصبها. ثم يحتمل أن يكون المراد بالآيات آياتِ القرآن جميعا. وقوله: **مبيِّنات** بالخفض، أي تبيّن للخلق ما لهم وما عليهم، وما لله عليهم،[٣] وما لبعضهم على بعض. ومبيَّنات بالنصب، أي مبيَّنات أنها من عند الله. وجائز أن يكون المراد بالآيات الحججَ والبراهين. فإن كان هذا فقوله: مبيِّنات بالخفض، أي تبين وحدانية الله تعالى وعلْم رسالةِ رسوله. ومبيَّنات بالنصب، أي واضحات بينات أنها حجج وبراهين.

وقوله: **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين،** أي أنزلنا إليكم أيضا مثل الذين خلوا من قبلكم، ما حل بهم ونزل بالمكذبين من العذاب. **وموعظةً،** ما يتّعظ[٤] المتقون [به]. أو جعل لكم فيما أنزل من الآيات عليكم أمثالا من الذين خلوا من قبلكم لتتعظوا[٥] به. ***والله أعلم.***

**﴿اَللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ اَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٣٥]

١ - وقوله: عز وجل: **الله نور السماوات والأرض،** قال بعضهم: الله هادي السماوات والأرض. ثم انقطع الكلام فأخذ في نعت[٦] محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الأمثال فقال:

---

[١] وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن جبير، انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٥، ٢٠٢، ٢٤٩.
[٢] م: لهن.
[٣] ع - وما لله عليهم.
[٤] ر. يتعض.
[٥] جميع النسخ: ليتعضوا.
[٦] ع: في بعث.

**مثل نوره**، يقول: **مثل**[1] نور محمد إذا كان في صلب أبيه **كمشكاة**، أي كُوَّة بلغة الحبَش، غير نافذة، **فيها مصباح**، أي سراج. **المصباح**، يقول -والله أعلم- ذلك[2] السراج المضيء ضوؤه[3] **في زجاجة**. الزجاجةُ نَعْتُها [أنها][4] الصافيةُ التامة الصفاءِ. والمشكاة صُلب أبيه عبد الله، والزجاجة وصفاؤها محمد رسول الله طَهَّره[5] من الأدناس[6] والمعاصي، والمصباح ونوره هو صفاء قلب[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الإيمان والحكمة والنبوة. **[الزجاجة] كأنها كوكب دُرِّيٌّ**، أي محمد صلى الله عليه وسلم، ذَكَره[8] مع أسماء الأنبياء والرسل في اللوح المحفوظ، [وهو] عند الله في الفضيلة على تلك الأنبياء والرسل[9] عليهم السلام كفضل الكوكب[10] الدري -أي المضيء وهو[11] الزهرة- على سائر الكواكب.

وقوله عز وجل: **يُوقَدُ مِن شجرة مباركة** يقول: -والله أعلم- استنارَ نور محمد من نور إبراهيم، لأن محمدًا على دين إبراهيم وعلى سنته ومنهاجه، فمثل إبراهيم مثل الشجرة المباركة، وأصل محمد من نسل إبراهيم صلوات الله عليهم.

|٥٢٤ظ| /وقوله[12] عز وجل: **زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية**، [أراد] بالزيتونة[13] المحاسن وطاعة إبراهيم لربه؛ فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيامة وفي غيره من المواطن كما نفعت[14] الزيتونة أهلها في الدنيا، فهي فاكهة وطعام وهي إدام وهي[15] الصِّباغ والدُّهن والدباغة. يعني **زيتونةٍ لا شرقية ولا غربيةٍ**، يقول: إن إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانيا لقول النصارى:

[1] ر ع م - مثل.
[2] م - ذلك.
[3] ع: ضوء.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.
[5] جميع النسخ: وطهره.
[6] م: من الأناس.
[7] جميع لنسخ: والمصباح نوره وصفاؤه قلب.
[8] ن ع: ودكره.
[9] م - والرسل.
[10] ر: الكواكب
[11] ر ع م: وهي.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: والزيتونة، والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.
[14] ر ع م: نفع؛ ن: يقع
[15] جميع النسخ: وهو.

هو نصراني يصلي [إلى] قبلة النصارى من قِبَل المشرق، ولا يهوديا لقول اليهود: إنه كان على ديننا يصلي قِبَل المغرب ببيت[1] المقدس. يقول الله تعالى: لم يكن كما قال هؤلاء، وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا[2] مصليا إلى الكعبة وهي قبلته وإليها حجّ.

وقوله: **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**. يقول: -والله أعلم- لو أن إبراهيم لم يكن نبيا لأصاب بحسن طاعة الله في الدنيا الفضلَ مع الأنبياء والرسل في الدنيا، والدرجاتِ العُلَى في الآخرة.

وقوله: **نور على نور**، لأن محمدا وما جاء به من الدين والكتاب أصل نوره[3] من قِبَل إبراهيم، لأنه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه. ثم قال:

**يهدي الله لنوره من يشاء**، [أي يهدي الله لنوره][4] الذي جاء به[5] محمد صلى الله عليه وسلم[6] وهو القرآن، **من يشاء** ممن سبق في علمه السعادة، ويُضل[7] عنه من يشاء ممن سبق له في علمه الشقاءُ. ثم قال:

**ويضرب الله الأمثال للناس**، يعني ويصف الله الأمثال للناس[8] ليؤمنوا بالله ويوحدوه ويعرفوا ربوبيته من صُنعه[9] ويصدقوا بإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، أنهما رسولا[10] الرب. وهو تأويل مقاتل.

وقال أهل الكلام: قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي أنار الله لأهل السماوات والأرض. **مثل نوره** الذي به أنار ما ذَكَر مثل المشكاة التي ذَكَر إلى آخره.

**٢**- وجائز أن يكون قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي بالله نور أهل السماوات والأرض.[11] ألا ترى أنه قال: **مثل نوره** كذا و لم يقل: مِثله، ولو كان النور هو الله على ما قاله قوم

---

[1] ن: بيت.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).

[3] م - نوره.

[4] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.

[5] ع - به.

[6] جميع النسخ + وهو النور.

[7] ر م: ويضل.

[8] ع - يعني ويصف الله الأمثال للناس.

[9] جميع النسخ: نور نبيه من صنيعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.

[10] ن: رسول.

[11] ر ع م: وأهل الأرض.

وفهموه لقال: الله نور السماوات والأرض مَثَله كذا، ولم يكن يقول:[1] **مَثَل نوره**. فدل قوله: **مَثَل نوره** كذا أنه[2] لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا أنه به نور أهل السماوات[3] والأرض. ألا ترى أنه قال في آخره: **يهدي الله لنوره من يشاء**. [دل][4] أنه[5] لم يُرِد بالنور ما فهموا. [وكذا قال:][6] ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾،[7] دل أنه ليس على ما فهموه به أنه نور كسائر الأنوار التي عاينوها وشاهدوها[8] وهم المشبهة. وعلى هذا[9] يخرج تأويل ابن عباس حيث قال: الله هادي أهل السماوات والأرض.[10]

وقوله: **مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري**، جائز أن يكون قوله: **مثل نوره**، أي مثل نور المؤمن الذي في قلبه مَثَل مشكاة فيها مصباح، لأن المشكاة هي الكوّة التي لا منفذ لها تدخل[11] فيها الأنوار فتكون مظلمة، فإذا جُعِل فيها المصباح أضاء ذلك كله وأناره حتى لا يبقى فيها ناحية إلا وقد أصابها[12] الضياء والنور. فعلى ذلك القلب[13] وهو مظلم، إذ ليس له منفذ يدخل فيه النور من الخارج، فإذا آمن أنار الله قلبه بإيمانه حتى ظهر ذلك النور وأثره في جميع نواحيه وجوارحه، وهو ما قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾،[14] أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.[15] فهذا يدل أن قوله: **مَثَلُ نوره** إنما هو مثل نور المؤمن، وعلى ذلك روي في حرف أُبيّ بن كعب أنه قرأ:

---

[1] ر ع م: ولم يقل.
[2] ع: أي.
[3] ن ع + وأهل.
[4] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.
[5] م: وأنه.
[6] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.
[7] سورة النور، ٤٠/٢٤.
[8] جميع النسخ: عاينوه وشاهدوه.
[9] ر م: على هذا.
[10] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٥٧/١٢.
[11] جميع النسخ: يدخل.
[12] جميع النسخ: أصاب.
[13] م – القلب.
[14] ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ (سورة الزمر، ٢٢/٣٩).
[15] ن – أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.

مَثَل نور المؤمن **كمشكاة**.[١] وفي حرف ابن مسعود: **مثل نوره** في قلب المؤمن.[٢] وقال الحسن: **مثل نوره**، قال: مَثل القرآن في قلب المؤمن **كمشكاة** كُوَّة **فيها مصباح**.

**٣**- أو أن يكون قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي به تنجلي[٣] الظلمات وتنكشف الحُجُب والسواتر، إذ النور إنما سمي نورا لما به تنجلي[٤] المظالم وتنكشف السواتر والحُجُب، لا أنه نور. ألا ترى أنه سُمِّي القرآن نورا والرسول نورا لما بهما[٥] تنجلي[٦] الشبهة والظلمات وبهما[٧] ترتفع[٨] السواتر والحجب. وإن كانا في نَفسَيْهما[٩] ليسا بنور سُمِّيا[١٠] نورا لما ذكرنا من تجلي الأشياء بهما وارتفاع السواتر. فعلى ذلك جائز أن يُسَمَّى الله نورا لما به يكون تجلى الظلمات والشبه وانكشاف السواتر وارتفاع الحجب لا أنه نور.

وقوله: **مثل نوره**، قال بعضهم: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا فيما تقدم. وقال بعضهم: **مثل نوره** في صدر المؤمن. وقال بعضهم: مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل[١١] وغيره. وقال بعضهم: مثل نور القرآن.

وقوله: **كمشكاة** قال:[١٢] الكُوَّة التي لا مَنفذ لها للنور على ما ذكرنا. وقال بعضهم: موضع الفَتيلة من القِنْديل، وقال بعضهم: الحدائد التي تعلّق بها القِنْديل.

وقوله: **لا شرقيّةٍ ولا غربيّةٍ**، قال بعضهم: هي شجرة مُصحِرة[١٣] تطلع عليها الشمس إذا طلعت وتغرب عليها إذا غربت وهي[١٤] أجود الزيت. وقال بعضهم: هي شجرة في كِنٍّ[١٥]

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٤٩.

[٢] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٥.

[٣] ع م: يجلي.

[٤] ع م: ينجلي.

[٥] جميع النسخ: به.

[٦] ع م: يجلي.

[٧] جميع النسخ: به

[٨] م: يرتفع.

[٩] جميع النسخ: أنفسهما

[١٠] جميع النسخ: سمي.

[١١] *تفسير مقاتل*، ١٩٩/٣.

[١٢] ن: وقال.

[١٣] أَصْحَرَ المكانُ: أي اتَّسع، وأَصْحَرَ القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يُواريهم شيء (*لسان العرب*، «صحر»).

[١٤] جميع النسخ: وهو.

[١٥] الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنانُ: وقاء كل شيء وستره. والكِنُّ: البيت أيضًا. والجمع أكْنانٌ وأَكِنَّةٌ (*لسان العرب*، «كنن»).

لا تطلع[1] عيها الشمس إذا طلعت ولا تغرب عيها[2] إذا غربت. وقال بعضهم: ليست شرقية[3]
[٥٢٥و] لا غرب لها، ولا غربية لا شرق لها، ولكنها شرقية غربية. فكيف ما كان فإنما ذكر الزيت لصفائه وخصوصه فيجب أن يُسأل أهلَه فيقالَ: أيّ الزيت أجود وأصفى، الذي تصيبه الشمس أو الذي لا تصيبه، أو الذي تصيبه في وقت ولا تصيبه في وقت؟

٤ – وقال بعضهم: **الله نور السماوات والأرض**، هو الله سبحانه هادي أهل السماوات وأهل الأرض[4] [يضيء] هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءًا[5] على ضوء. كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم[6] ازداد هدى على هدى ونورا على نور. –وعن أبيّ بن[7] كعب قال في قوله: **مثل نوره،** يقول: مثل نور المؤمن؛ وكذلك يقرأها: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا من قبل–[8] قال فهو عبد قد جعل القرآنَ والإيمان في صدره. قال: **كمشكاة**، قال المشكاة صدره، **فيها مصباح**. قال: المصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. قال: **المصباح في زجاجة**، فالزجاجة قلبه. قال: **الزجاجة كأنها كوكب دري**، يقول: كوكب مضيء. **يوقَد من شجرة مباركة**، قال: الشجرة المباركة أصله، فالمبارك الإخلاص لله وحده لا يُشرِك[9] به. قال: **لا شرقيةٍ ولا غربية** قال: فمَثله كمثل شجرة التفت بها الشجر[10] فهي خضراء ناعمة لا تصيبها[11] الشمس على أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. وكذلك هذا المؤمن قد أُجير من أن يصله شيء من الفِتَن وقد ابتُلي بها فثبّته الله[12] فيها[13] فهو بين أربع خلال: إنْ ابتُلي صبر، وإن أُعطِي شكر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل.

---

[1] ن: لا يطلع.
[2] ر ع م: عيه.
[3] ع: بشرقية.
[4] جميع النسخ + كما.
[5] ن: ضوء.
[6] ر م – فإذا جاءه العلم.
[7] ر: ابن.
[8] ع ن: عن قبل.
[9] ع: لا شريك.
[10] جميع النسخ: الشجرة؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٩و.
[11] ع: لا تصيبه.
[12] ع – الله.
[13] ع م: بها.

فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات. قال: **نور على نور**، قال: فهو يتقلب في خمسة من النور: كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره[1] إلى النور يوم القيامة إلى الجنة. قال: ثم ضرب مثل الكافر فقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ[2] وهو يحسب[3] أن له عند الله خيرا فلا يجده فيُدخله الله النار. وقال في آية أخرى له مثلاً[4] فقال: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ،[5] فهو يتقلب في ظلمات.

**٥** – وقال بعضهم: في قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي بنوره يهتدي[6] من في السماوات ومن في الأرض عبى ما ذكرنا. **مثل نوره** في قلب المؤمن **كمشكاة**، وهي الكُوّة غير النافذة على ما ذكرنا. **فيها مصباح**، أي سراج، **كوكب دري**، مضيء، أي منسوب إلى الدر، وهو قول القُتَبِي.[7] وقال أبو عُبَيدة: **كمشكاة** الكوة التي تكون في الحائط، ومَشاكٍ[8] جماعة، وكُوًى جماعة الكوة، **وكوكب دُرّيّ** شديد الضوء، ودري هو أيضا من الضوء، مأخذهما جميعا من الدر، وكواكب دَرارٍ[9] مضيئة.

وعن كعب: **مثل نوره**، قال: ضَرَب مَثَل محمد **كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة**[10] **كأنها كوكب دري**، مثل لسانه وصدره وقلبه، **يكاد زيتها يضيء**. قال: يكاد محمد يبيّن للناس[11] وإن لم ينطق.[12]

وعن الضحاك بن مزاحم: **كأنها كوكب دري**[13] قال: خُلقت الكواكب من نار يقال لها دري، فمن ثمة قال: **كوكب دري** وقد ذكرنا قولهم في المشكاة.

---

[1] ع + نور.
[2] سورة النور، ٢٤/٣٩.
[3] جميع النسخ: يحسبه.
[4] ع: مثل.
[5] سورة نور، ٢٤/٤٠.
[6] ع: ويهتدي.
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٥.
[8] ر ع م: ومثال.
[9] ه: مراري؛ ن ع م: دراري.
[10] ع – الزجاجة.
[11] ر م: الناس.
[12] انظر. *الدر المنثور* للسيوطي، ٦/١٩٩.
[13] ع – مثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وإن لم ينطق وعن الضحاك بن مزاحم كأنها كوكب دري.

قال بعضهم: الكُوَة التي لا منفذ لها، وقال بعضهم: الفتيلة، وقال بعضهم:[1] الفتيلة التي في جوف القِنديل، وقال بعضهم: القنديل[2] نفسه. وقال بعضهم: القائم في وسط القنديل وهو موضع الفَتيلة، وقال بعضهم: هي[3] الحدائد التي يعلق بها القنديل. وأما الزجاجة[4] فهي القنديل.

ثم إن كان قوله: **مثل نوره**، أي نور المؤمن، فليس ذلك وصف كل مؤمن ونعته ولكن وصف المؤمن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الإيمان وجميع الأخلاق الحسنة والآداب؛ لأنه وصفه بطهارة نفسه وجسده وقلبه وجميع أعماله وأفعاله، لأنه قال: **كمشكاة** وهي قلبه، **فيها مصباح** وهو صدره الذي فيه[5] قلبه، **المصباح في زجاجة** وهو الإيمان الذي في صدره. ثم نعت الزجاجة فقال: **كأنها كوكب دُرِّيّ**، أي مضيء، وقال بعضهم: من الدر. فوصف الكل بالضياء والنور وطهارة الداخل منه والخارج ونقاوته، فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع[6] الشرائط والخصال المحمودة. وأما كل مؤمن فلا يحتمل، وهذا أشبه. ألا ترى[7] أنه ذكر نعت الكافر من بعدُ وخبثه حيث قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ.[8] وإن كان وصفَ محمد ففيه جميع ما ذكر ونَعْته، وإن كان القرآن فهو كذلك أيضا.

وقوله: **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**، التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمدا ويحتمل القرآن[9] ويحتمل إبراهيم في كله. **نور على نور**. وقوله: **يهدي الله لنوره من يشاء**، يحتمل يهدي الله لنور محمد، ويحتمل القرآن ويحتمل الإيمان والهدى. وقال بعضهم: **نور على نور**، قال: فالزيت نور، والمصباح نور، والقِنديل نور. وقال: المؤمن نور، وعمله نور، [٥٢٥ظ] وكلامه نور. ويحتمل قوله: **يهدي الله لنوره من يشاء**، / أي بنوره.

وقال[10] بعضهم: **الله نور السماوات والأرض**، يقول: بنوره أضاءت السماوات والأرضُ على ما ذكرنا. **مثل نوره**، يقول: في قلب المؤمن، وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] ن – الفتيلة وقال بعضهم.
[2] ر م – وقال بعضهم القنديل.
[3] ن – وقال بعضهم: هي.
[4] ع: لزجا.
[5] جميع النسخ: في.
[6] م – جميع.
[7] ن: يرى.
[8] سورة النور، ٣٩/٢٤.
[9] ر ع م – ويحتمل القرآن.
[10] ن: قال.

[متى نوره] في قلب المؤمن.[1] وهذا مثل ضربه للإيمان والقرآن والقلب حين يدخله الإيمان والقرآن **كمشكاة** يعني الكوة **فيها مصباح**، يعني الإيمان والقرآن، [**المصباح**] **في زجاجة** يعني القلب، والمشكاة الصدر. فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فأضاءه[2] فكذلك أضاء القلب، ثم خرج من الزجاجة فأضاءت المشكاة فكذلك أضاء الصدر، ثم نزل الضوء من الكُوّة فأضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فأضاء الجوف كله فلم يدخله حرام. *والله أعلم بذلك*.

وقوله: **ويضرب الله الأمثال للناس**، يحتمل ضرب الأمثال لهم وجهين. أحدهما ضرب لأفعالهم وأقوالهم مَثَلا ليعرفوا مقاديرها في الحُسن والجمال [و]ليعلموا قَدرها من الجزاء والثواب. أو ضرب الأمثال لهم للأنفس المكرّمين المعظّمين المستوجبين كلَّ خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا ما استوجب[3] أولئك. وكان ضَرْبُ مَثَلِ الإيمان أو القرآن أو محمد أو ما كان -على اختلاف ما قالوا- بالأنوار التي ضربها -والله أعلم- لما أنه قد أقام الحجج والبراهين على الإيمان والقرآن ومحمد حتى صاروا[4] كالأنوار التي شبّههم بها من الحسن والجمال والضياء والبهاء[5] حتى يعرِف حُسن هذه الأنوار وبهاءَها[6] كلُّ أحد. فعلى ذلك المضروب به المثل صار في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالأنوار التي لا يخفي حسنها وبهؤها على أحد ولا ينكرها إلا معاند ومكابر.

وكان مَثَلُ الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضُها فوق بعض[7] وكالسراب والزَّبَد الذي ذكر حيث قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ،[8] وكالظلمات التي ذكر حيث قال: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، الآية، [وقال:] وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.[9]

---

[1] كتاب *المصاحف* للسجستاني، ٦٥.
[2] جميع النسخ: فأضاء.
[3] ع - ما ستوجب.
[4] ر م: صار.
[5] ر ع م: إليها.
[6] ر ع م: وبهاؤها.
[7] انظر: سورة النور، ٢٤/٤٠.
[8] سورة النور، ٢٤/٣٩.
[9] سورة النور، ٢٤/٤٠.

قال[1] ابن عباس رضي الله عنه:[2] **كأنها كوكب دري**، قال: الأنجم الخمسة كلهن دري: الزُهرة[3] وعُطارِدُ والمشتري وبَهرام[4] والزُّحل. قال قتادة: الدري الضخم المنير. قال الكسائي: مَن همز دِرِّيءٌ[5] فهو حُسنه وظهوره وارتفاعه، يقول: درأ النجم، وهو فاشٍ ظاهر في كلام العرب. ومن رفع الدال ولم يهمز فهو ينسُبه إلى الدُّرّ، ومنهم من يرفع الدال ويهمز وأظنها لغة.[6] وقال أبو عمرو بن[7] العلاء: الدُّرِّيّ النجم الذي تراه يتلألأ كأنه يجيء ويذهب. وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل من أهل عِلِّيِّين ليُشرف على أهل الجنة فتضيء الجنةُ لوجهه[8] كأنه كوكب دِرِّيّ، وإنّ أبا بكر وعمر[9] لمنهم وَأنْعَمَا.»[10] وأيضا روي دُرّي بالرفع. وفي خبر آخر عنه: «إن أول زُمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر،[11] والذين يَلونهم على أضواء[12] كوكب دُرِّيّ في السماء. لكل امرئ منهم زوجان اثنتان آدميّتان يُرَى مُخّ سُوقهما من وراء اللحم. والذي نفس محمد بيده ما فيها أَعْزَبُ».[13]

---

[1] ر ع م: وقال.
[2] م: عنها.
[3] جميع النسخ: زهرة.
[4] أي المريخ.
[5] جميع النسخ: دري.
[6] انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٣٧٣. وقوله تعالى: ﴿كأنها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ روي عن عاصم أنه قرأها دُرِّيٌّ، فضم الدال، وأنكره النحويون أجمعون، وقالوا: دِرِّيءٌ، بالكسر والهمز، جيِّد على بناء فِعِّيلٍ، يكون من النجوم الدَّرارِئ التي تَدْرَأُ، أي تَنحطُّ وتَسير (لسان العرب، «درأ»). وكَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ: ثاقِبٌ مُضِيءٌ. قال أبو إسحاق: من قرأه بغير همزة نسبه إلى الدُّر في صفائه وحسنه وبياضه (لسان العرب، «درر»).
[7] ر: ابن.
[8] جميع النسخ: بوجهه.
[9] ر ع م + رضي الله عنهما.
[10] يقال: "أنعم النظر في الشيء" إذا أطال التفكير فيه. ومنه الحديث «وإنّ أبا بكر وعمر منهم وَأَنْعَمَا». أي زادا وفَضَلا. يقال: أحسنتَ إليّ وأنعمت: أي زدت على الإنعام (النهاية لابن الأثير، «نعم»). سنن أبي داود، الحروف والقراءات ٤١ وسنن الترمذي، المناقب ١٤.
[11] ع + ما استوجب.
[12] ع: على أضوء.
[13] جميع النسخ: عرب. ورد الحديث في صحيح مسلم، (الجنة ١٤): حدثني عمرو الناقد ويعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي جميعا عن ابن عُلَيَّة –واللفظ ليعقوب– قالا: حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة أخبرنا أيوب عن محمد قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أوَ لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضْوَاء كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخّ سُوقِهما من وراء اللحم، وما في الجنة أَعْزَبُ»؟؛ وانظر: سنن الترمذي، صفة الجنة ٥–٧. وأَعْزَبُ بالألف وهي لغة، والمشهور في اللغة عَزَب بغير ألف. والعَزَب: من لا زوجة له، رجلا كان أو امرأة.

وقوله: **يوقد من شجرة مباركة**، احتلف في قراءته. قرأ بعضهم يُوقَد بالياء ورفعها ونصب القاف،[1] يقول: المصباح يوقد. ومن قرأها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء ردّه على الزجاجة أراد تَتَوقد ثم طرح إحدى التاءين.[2] ومن قرأ: تُوقَد بالتاء ورفعهما يعني الزجاجة. وعن الحسن أنه قرأ: تُوقد[3] يعني الزجاجة[4] التي توقد، وأهل مكة: تَوقد بنصب التاء وتشديد[5] القاف يعنون[6] المصباح توقد، فلذلك انتصب. ومن قرأ: يُوقَد يعني الكوكب[7] أو المصباح.

وقوله: **لا شرقيةٍ ولا غربية**، قد ذكرنا بعض أقاويلهم فيما تقدم، لكنا نزيد فيها شيئا. قال قائل: هي شجرة ضاحية[8] من حين تطلع[9] الشمس إلى أن تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها أصفى الزيت وأعذبه وأطيبه. وقال قائل: ليست بشرقية يَحُوزها المشرق دون المغرب، وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها بارزة في صحراء أو في رأس[10] جبل تصيبها الشمس النهارَ كلَّه، وهو مثل الأول. وقال الكسائي: ليست بشرقية وحدها ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية، كما تقول: لا آتيك ولا آتي فلانا، له معنيان: إن شئت كان معناه: لا تأتي واحدا منهما، وإن شئت كان معناه: إنك تأتيهما معا، ومثله: واللهِ لا آكُل ولا يأكل زيد،[11] له معنيان.[12] وكذلك[13] يقال: رجل[14] لا يرجو[15] الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة، إنه رجل صالح.

---

[1] وهو قراءة نافع وبن عامر وحفص، انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلة، ٥٠٠.
[2] ر: التاءين. وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، انظر: *حجة القراءات*، لابن زَنْجَلة، ٥٠٠.
[3] وهي قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر، انظر: *حجة القراءات*، لابن زَنْجَلة، ٥٠٠.
[4] ر ع م – وعن الحسن أنه قرأ توقد يعني الزجاجة.
[5] ع: بالنصب وتشديد.
[6] ر ع م: يعني.
[7] ر م: الكواكب.
[8] والضاحية الظاهرة البارزة من النخيل الخارجة من العمارة التي لا حائلَ دونها، ويقال للبادية الضاحية، ومَفازة ضاحية الظِّلال: ليس فيها شجرٌ يُستَظَلُّ به (*لسان العرب*، «ضحا»).
[9] جميع النسخ: يطلع.
[10] ر م: أو رأس؛ ع: ورأس.
[11] م – زيد.
[12] ع – إن شئت كان معناه لا تأتي واحدا منهما وإن شئت كان معناه إنك تأتيهما معا ومثله والله لا آكل ولا يأكل زيد له معنيان.
[13] جميع النسخ: وكذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٩ظ.
[14] ر: رجلا.
[15] ر ع ن: يرجوا.

أما الفتنة فالمال والولد، قال الله تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[1] وهو يرجو[2] الجنة ويخاف النار على ما فسرنا.

وقال بعضهم: **لا شرقية** يقول: لا تَضْحَى للشمس من أول النهار إلى آخره. **ولا غربية،** عليها ظلٌّ من أول النهار إلى آخره، ولكنها شرقية وغربية[3] تصيبها[4] الشمس والظل. والعرب تقول: لا خير في شجرة في مَضْواة[5] ولا خير في شجرة في مَضْحاة.[6] وقائل يقول: لا تطلع الشمس ولا تغرب. وقائل يقول: هي شجرة بالشام ليست بالمشرق[7] وليست[8] بالمغرب. [٥٢٦و] والحسن يقول: واللهِ لو كانت هذه الزيتونة في الأرض لكانت شرقية أو غربية، والله ما هي في الأرض ولكن هذا مَثَل ضربه[9] الله تعالى لنوره وهو هذا القرآن.[10]

وأما قوله: **نور على نور،** قال بعضهم: إيمان المؤمن نور وعمله نور، فهو نور على نور. وقال[11] بعضهم: نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور، وهو بجودته يعني الزيت. وقال بعضهم: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا،[12] ولا يضيء واحد بغير صاحبه. كذلك نور القرآن ونور الإيمان[13] إذا اجتمعا لا يكون أحدهما مضيئا إلا بصاحبه.

---

[1] سورة التغابن، ١٥/٦٤.
[2] ر: يرجون.
[3] ر م: شرقية غربية.
[4] ر ع م: يصيبها.
[5] ر م: مضئاة؛ ن: في شجرة مضياة؛ ع: في شجرة في مضيأة.
[6] لعله يريد بالمضواة: الموضع الذي تغيب الشمس عنه سريعا. يقول ابن منظور: «التَّضَوُّء: أن يقوم الإنسان في ظُلْمة حيث يرى بضوء النار أهلها ولا يرونه» (*لسان العرب*، «ضوأ»). والمَضْحاةُ: الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تغيب عنها (*لسان العرب*، «ضحا»).
[7] ن - ليست بالمشرق.
[8] ن: ليست.
[9] ن: ضرب.
[10] قال الفراء وغيره من أهل العربية في تفسير قوله تعالى: ﴿من شَجَرةٍ مُبَارَكةٍ زَيْتونةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ يقول: هذه الشجرة ليست مما تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط أو في وقت غروبها فقط، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بالغداة والعشية، فهو أنضر لها وأجود لزيتونها وزيتها، وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال الحسن: لا شَرْقِيَّة ولا غَرْبِيَّة إنها ليست من شجر أهل الدنيا، أي هي من شجر أهل الجنة. قال الأزهري: والقول الأول أولى (*لسان العرب*، «شرق»).
[11] ن ع: قال.
[12] جميع النسخ: أضاء.
[13] ن: نور الإيمان ونور القرآن.

وقال بعضهم ما ذكرنا من نور الإيمان والعمل. ثم معنى تشبيه ما ذكرنا بالزيت،[١] لأن الزيت أصفى شيء وأطهر[٢] وأطيب شيء وأضوأ سراج، فيه[٣] كل المنافع[٤] من الإدام والدواء وغيره. **والله أعلم**.

**﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **في بيوت أذن الله أن ترفع**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **أن ترفع**، أي تُعَظَّم ويُرفَع قَدْرها –وهي المساجد– على غيرها من البيوت المسكونة بذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه، [وبتطهيرها] من الأقذار والأنجاس ومن الأمور الدنيوية. وقال بعضهم: قوله: **أن ترفع**، أي تُبنَى وتُتخذَ. فإن كان التأويل هذا ففيه الأمر ببناء المساجد[٥] واتخاذها، وإن كان الأول ففيه الأمر بتعظيم المساجد ورفع قَدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها.

ثم الإذن في هذا الأمر لوجهين. أحدهما بحق إقامة الجماعات فيها في هذه الصلوات[٦] المعروفة. إذ الأرض كلها في الأصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ لي الأرض مسجدا وطَهورا.»[٨] فهي من حق جواز الصلاة مسجد فيخرج الأمر به مخرج الأمر ببنائها لإقامة الجماعات.

والثاني أَمَر بها خصوصا للمساجد، إذ غيرها من البيوت المسكونة إنما اتخذت وبنيت بالإذن والإباحة، فخص المساجد بالإذن ببنائها خصوصا لها، إذ لو كان إذنا على ظاهر ما ذكر لكان المساجد وغيرها من البيوت سواء. **والله أعلم**.

وقوله: **ويُذكَرَ فيها اسْمُه**، فإن كان تأويل قوله: **أن ترفع**، أي تُعَظَّم ويرفع قدرها فيكون قوله:[٩] **ويذكر فيها اسمه يُسَبِّح له**، تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي أَمَر، أي أَمَر أن تُعَظَّم ويُرْفَع قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح. وإن كان التأويل هو الأمرَ بالبناء يكن[١٠] قوله:

---

[١] ر ع م: لزيت.
[٢] ن ع: وأطهره.
[٣] ر ع م - فيه.
[٤] ن: المنافع.
[٥] ر ع م: المسجد.
[٦] ع: الصلاة.
[٧] ن - رسول الله.
[٨] انظر: صحيح البخاري، التيمم ١، والصلاة ٥٦؛ وسنن الترمذي، الصلاة ١٢٤، والسير ٥؛ وسنن النسائي، الغسل والتيمم ٢٦.
[٩] ع - قوله.
[١٠] جميع النسخ: يكون.

**ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها**، كذا على الابتداء، أي أمر أن تُبنى بيوتٌ[1] [أي] مساجدُ[2] وأمر أن يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال.

ثم اختلف في تلاوة[3] قوله: **يسبح له**، قرأ بعضهم: يُسبَّح،[4] بنصب الباء، وقرأ بعضهم: **يُسبِّح** بخفض الباء.[5] فمن قرأها بالنصب صيّره على الأول: يُذْكَر فيها اسمه يسبَّح له بالغدو والآصال، ثم ابتدأ[6] فقال: رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ.[7] ومن قرأها[8] بالخفض، أعني خفضِ الباء صيّره مقطوعا من الأول مبتدَأً به، أي يسبح له فيها رجال بالغدو والآصال، ثم ابتدأ[9] من قوله: لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ.

ثم قوله: **ويُذْكَرَ فيها اسمُه**، جائز أن يراد بذكر اسمه الصلاةُ، وكذلك[10] بالتسبيح.[11] ويحتمل أن يراد[12] بذكر اسمه جميعُ أنواع الأذكار من الخير، ويراد بالتسبيح[13] بالغدو والآصال الصلواتِ[14] المعروفة[15] المفروضة.

ثم قال بعضهم: الغدو صلاة الغداة، والآصال صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فيجعل الأصيل عبارة[16] عن هذه الصلوات في أوقاتها. وقال بعضهم: الآصال صلاة العصر خاصة، وأما[17] غيرها من الصلوات فإنما[18] عرف لا بهذا ولكن بشيء آخر، والغدو هو[19] صلاة الفجر. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: بيوتا.
[2] ن ع: مساجدا.
[3] ر ع م: تلاوته.
[4] ن ع + له.
[5] انظر: حجة *القراءات*، لابن زَنْجَلَة، ٥٠١.
[6] ر ع م: ابتدء.
[7] الآية التالية.
[8] ن: قرأ.
[9] م: ابتداء.
[10] ن: كذلك.
[11] ع ن: التسبيح.
[12] جميع النسخ: أن يريد.
[13] ن: التسبيح.
[14] ر ع م: الصلاة.
[15] ر م + المعروفة.
[16] ع: عبادة.
[17] ن ع – فأما.
[18] ر م: وإنما.
[19] ر ع م: وهو.

**﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٣٧]**

وقوله: **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع**، أي لا تَشغلهم تجارة ولا بيع. ذَكر التجارة والبيعَ[١] والبيعُ تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمَع كلَّ أنواع التقلّب. واسم البيع يقع على خاص؛ وكذلك[٢] يقال[٣] للذي يجمع أنواع التقلب: تاجر، وللذي يبيع شيئا خاصا: بائع. أخبر أنه لا يَشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. ثم جائز أن يكون قوله: **رجال**[٤] **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**، أي لا يشتغلون[٥] بالتجارة والبيع ولكن فرّغوا أنفسهم لذكر الله وإقامة الصلاة وما ذُكر. وجائز أن يكونوا[٦] يتّجرون ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تَشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله، يكونون أبدا في ذكر الله.

ثم قوله: **عن ذكر الله**، يحتمل الصلاةَ، وقوله: **وإقامِ الصلاة**، أي إتمام الصلاة بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع أسبابها وشرائطها. وجائز أن يكون قوله: **عن ذكر الله**، جميعَ[٧] أنواع الأذكار، **وإقامِ الصلاة**، إقامةَ الصلاة نفسها، **وإيتاء الزكاة**. وقال بعضهم: جائز أن يكون قوله: **عن ذكر الله**، الخطبة، **وإقامِ الصلاة** صلاة الجمعة، لأنه قال: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً،[٨] الآية، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ،[٩] وهي[١٠] الخطبة، غير مسموع من أهل التأويل ولكنه محتمل. ***والله أعلم.***

وقوله: **يخافون / يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار**، وهو يوم القيامة. يخبر عن شدة هول ذلك [٥٢٦ظ] اليوم وخوفه، لا تَثبت[١١] القلوب والأبصار فزَعا منه وخوف، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ،[١٢] الآية،

---

[١] ر م – والبيع.
[٢] ع – وكذلك.
[٣] ع: ويقال.
[٤] ر ع م – رجال.
[٥] ن م: لا يشغلون.
[٦] ر م: يكون.
[٧] ر م: جميع.
[٨] ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضّوا إليها وتركوك قائما﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/١١).
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنو إذا نودي لصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/٩).
[١٠] ر م: وهو.
[١١] ر م: لا يثبت؛ ع: لا يتثبت.
[١٢] ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدّ إليهم طرفُهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٣).

وكقوله: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ.[1] وجائز أن يكون قوله: **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار،** يعرفون مرة ويجهلون تارة. أو يعتبرون[2] يومئذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويُقِرّون بما لم يقرّوا. وقال بعضهم: **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب**، حين زالت عن أماكنها من الصدور فتنشبت[3] في حلوقهم عند الحناجر. ثم قال: **والأبصار**، أي تتقلب أبصارهم فيكونون زُرقا وهو قول مقاتل.

**﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[٣٨]

وقوله: **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**، يحتمل قوله: **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**، أي يجزيهم الله[4] جزاء إحسانهم ويكفّر عن مساويهم ولا يجزيهم بها، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[5] الآية، وكقوله: وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[6]

وقوله: **ويزيدهم من فضله**، على قدر حسناتهم. **والله يرزق من يشاء بغير حساب**، قال بعضهم: ليس فوقه مَلِك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف مِن أحد يحاسبه، كقوله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.[7] ويحتمل قوله: **بغير حساب**، أي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة. وجائز أن يكون[8] **بغير حساب**، أي يعطيهم بلا حساب[9] أضعافا مضاعفة ما لا يُحصى، لا على قدر أعمالهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[٣٩]

وقوله:[10] **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء**، جائز أن يكون[11] ضرَب مثلَ أعمالِ الكفَرة بالسراب الذي ذكر من وجهين. أحدهما أنهم قد عموا في الظاهر

---

[1] ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع﴾ (سورة المؤمن، ١٨/٤٠).
[2] ر م: ويعتبرون.
[3] نَشِبَ الشيءُ في الشيء ينشَب نَشَبا: علق فيه ولم يَنفُذ (لسان العرب، «نشب»).
[4] ر ع م + ويزيدهم.
[5] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[6] ﴿ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ (سورة الزمر، ٣٥/٣٩).
[7] سورة الأنبياء، ٢٣/٢١.
[8] ن: وجائز قوله.
[9] ن - أي يعطيهم بلا حساب.
[10] ن: قوله.
[11] ع + في.

أعمالا طمِعوا أن يَصِلوا إليها في الآخرة وينتفعوا[١] بها من نحو الصدقات والنفقات وصِلة الأرحام ونحوه مما هي في الظاهر أعمال الخير، فإذا هم حُرِموا ذلك ولم يجدوا شيئا، كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فيسير[٢] إليه فإذا هو لا شيء. فعلى ذلك الكفارُ عملوا تلك الأعمال على طمَع منهم أنهم ينتفعون بها، فإذا هم على لا شيء،[٣] كالعَطْشان الذي يرى السراب فيحسب[٤] أنه ماء فإذا هو سراب.

والثاني ضرب مثلَ أعمالهم بالسراب الذي ذَكَر، وذلك أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان رجاءَ أن ينتفعوا بشفاعتهم في الآخرة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٥] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[٦] وكانت[٧] عبادتهم الأصنام لِما ذَكروا من شفاعتهم، فإذا هم لم ينتفعوا بها[٨] فصاروا[٩] كالعطشان الذي يرى السراب يحسب أنه ماء فإذا جاءه فوجد سرابا لم يجد[١٠] ما حسِبه، إلى هذا تمام المَثَل.

ثم ابتدأ[١١] فقال: **ووجد الله عنده فوفاه حسابه،** أي وجد الله يوفّيه حساب عمله وجزاءه، أو يقول: قدِم على عمله يوم القيامة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا إلا كما وجد هذا العطشانُ[١٢] هذا السرابَ. **ووجد الله عنده فوفاه حسابه،** يقول: قدِم[١٣] على الله فوفاه حسابه، أي عمله.

وقال بعضهم: هذا المثل ضُرب للكفار،[١٤] وذلك أنهم يبعثون يوم القيامة وقد تقطّعت أعناقهم من لعطش، فيُرفع لهم سرابٌ بِقِيعَةٍ من الأرض فإذا نظروا إليه حسِبوه ماء فأَمُّوه ليشربوا منه

---

[١] ن: ويشفعوا.
[٢] جميع النسخ: فسار.
[٣] ع + فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الأعمال لا شيء.
[٤] جميع النسخ: فحسبه.
[٥] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[٦] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٧] ن: فكانت.
[٨] ر م ع - بها.
[٩] ر ع م: فصار.
[١٠] ن ع: لم يجده.
[١١] ر ع م: ابتداء.
[١٢] ع - هذا العطشان.
[١٣] ع - قدم.
[١٤] ر م: الكفار.

فلم يجدوا شيئا ويؤحذون[1] ثَمّة فيحاسبون. وكذلك أعمالهم تضمحِلّ يوم القيامة فلا يصيبون منها خيرا.

[٥٢٧و س٢ *قال القُتَبِي: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخِره الذي يَرفع كل شيء.[2] والقِيعة القاع. وقال أبو عَوْسَجَة: السراب الذي يثيره الحر فتراه كأنه ماء يجرى وهو الذي يكون نصف النهار إلى السماء، والآل في أول النهار إلى قريب من نصف النهار. والقيعة القاع وهي الأرض اليابسة الطيبة التي يَستنقع فيها الماء؛ وقاعٌ واحد، وقِيعان جمع،[3]

٥٢٧و س٧] والظمآن العطشان، وقوم ظِماء، وامرأة ظَمْأَى[4] ونسوة ظِماء. وأَظْمَأْتُه أعطشته، وظمّأته أيضا.*

[٥٢٧و س٨ *وقال الكسائي: الظمآن والصَّديان والعطشان واحد، والسراب قبل الزوال والآل قبل

٥٢٧و س٩] الزوال،[6] وهو أرفع من السراب، والرَّقْراق[7] بعد العصر.*

**﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٤٠]**

وقوله: **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج**، هذا مَثَل آخَرُ ضرَبه[9] الله لأحوال الكافر، أو كظلماتِ[10] جسد مُشَبَّهَةٍ[11] بظلمات. وذلك أن البحر إذا كان عميقا كان أشد ظلمة[12] فقال:[13] [**في بحر لجي**،] والبحر اللجي قلب الكافر، **يغشاه موج** فوق الماء،[14]

[1] ع: يؤخذون.
[2] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٥.
[3] ن ع: جميع.
[4] ع: ظماء.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٢-٧.
[6] ع - والآل قبل الزوال.
[7] ر: والرقاق. الرَّقراق: تَرَقرق السراب، وكل شيء له بَصيص وتلألُؤ فهو رقراق؛ وترَقْرق الشيءُ: تلألأ أي جاء وذهب (لسان العرب، «رقق»).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٨-٩.
[9] ر م: ضرب.
[10] ن: أو لظلمات.
[11] جميع النسخ: جسده شبهه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٠ظ.
[12] ر ن م: لظلمته؛ ع: كظلمته؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٠ظ.
[13] ع: وقال.
[14] ع - فوق الماء.

**من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات**، فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب. هذه **ظلمات بعضها فوق بعض**. فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصر[1] الإيمان، كما أن صاحب البحر إذا[2] أخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يراها، أي لم يرها ألبتة. أو أن يكون ضرب المثل بظلمات ثلاث لظلمات أحواله[3] لا يزال تزداد[4] ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمله،[5] كالظلمات التي ذكر، فكان كضرب المثل الذي سبق لأنوار أحوال المؤمن[6] حيث قال: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ،[7] أو النور[8] جسده وصدره وقلبه.

ثم قوله: **أو كظلمات**، ليس هو حرف شك ولكنه كأنه قال: إن ضربتَ مثل عمله بالسراب فمستقيم، وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم،[9] بأيهما ضربتَ فمستقيم صحيح، لا أنه ذا أو ذا.

ثم ذَكَر في أعمال الكفرة مَثَلين، أحدهما السراب والثاني الظلمات. فجائز أن يكون في المؤمن أيضا مثلين: الظلمة التي ذَكَر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن، والسراب الذي ذكر لأعمالهم مقابل ما ذكر من أعمال المؤمنين حيث قال: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، إلى قوله: وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[10]

وقوله: **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**. قال بعضهم: من لم يجعل الله له إيمانا فما له من إيمان، وقيل: هدى فما له من هدى، وهما واحد.

والآية على المعتزلة لأنهم يقولون: لم يجعل الله للمؤمن من النور إلا وقد جعل مِثله للكافر. وفي الآية إخبار أنه لم يجعل للكافر النور، إذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله: **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** معنى، دل أنه لم يجعل للكافر النور. [٥٢٧و]

---

[1] جميع النسخ: لا يبصرون.
[2] ر م - إذا.
[3] ر م: بظلمات أحوال؛ ع: كظلمات أحواله.
[4] جميع النسخ: يزداد.
[5] ع: يعلمه.
[6] ن ع + من.
[7] سورة النور، ٣٥/٢٤.
[8] ر م: والنور؛ ع: أو لنور.
[9] م - وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم.
[10] سورة النور، ٣٦/٢٤-٣٨.

وقوله: **فوفاه حسابه**، يقول: فجازاه بعمله فلم يظلمه. وقوله: **والله سريع الحساب**، قد ذكرناه[1] في غير موضع.*

[قال أبو عَوْسَجَة في] **بحر لجُيٍّ**، اللجي الكثير الماء، واللجة وسط البحر. **يغشاه موج**، أي يصير فوقه. قال: الموج طرائق في الماء تكون إذا هبّت الريح.* وقال بعضهم في قوله: **إذا أخرج يده لم يكد يراها**، يقول: لم يقاربه البصر. كقوله:[4] الرجل لم يُصب ولم يقرب.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**[٤١]

وقوله: **ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض**، قوله: **ألم تر** وألم تعلم[5] ونحوه في الظاهر حرف تعجيب واستفهام، يقول الرجل لآخر: ألم تر كذا، وألم تعلم كذا، على[6] التعجيب أو على الاستفهام،[7] لكنه يخرج من الله على وجهين. أحدهما، أي قد رأيت وعلمت، إذ الاستفهام لا يجوز عنه. والثاني على الأمر، أي اعلَم ورَ[8] على ما ذكرنا في غير موضع.

وقوله: **يسبح له من في السماوات والأرض**، يحتمل **يسبح** مَن ذكر، وجهين. أحدهما تسبيح خِلقة وصَنعة، إذ في خِلقة كل أحد دلالةُ وحدانيته[9] وتعاليه عن الأشباه وتنزيهه والشهادةُ له بالربوبية والتفردِ بالألوهية له. والثاني يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يسبحون له بذلك، يفهمون هم ذلك من أنفسهم ويعرفون أنه[10] تسبيح وإن لم يفهم غيرهم من الخلائق، نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[11] وقال في آية أخرى: يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ.[12]

---

[1] ع: قد ذكرنا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٢-٧.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٨-٩.

[4] ن ع: كقول.

[5] ن: يعلم.

[6] ن: حتى.

[7] ن: أو الاستفهام.

[8] ر، و ر آ، ن ع: وره، م: واره.

[9] ر: وحدانية.

[10] ع - أنه.

[11] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أَوِّبي معه والطير وألَنّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٠).

[12] ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ...﴾ (سورة ص، ٣٨/١٨-١٩).

ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح خِلقة لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء، والعَشِيّ وغيره من الأوقات سواءً. فدل تخصيص سليمان في ذلك وتخصيص الأوقات من بين غيرها[1] على أن تسبيح هذه الأشياء ليس بتسبيح خلقة ولكنه تسبيح عبادة بالمعنى الذي جَعَل له فيه وإن لم يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم. ألا يُرى أن الله تعالى أخبر عن قول[2] النملة[3] حيث قال: قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ،[4] الآية. ثم معلوم أنه لم يكن من النملة[5] حقيقةُ قولٍ[6] كقول المميِّز والممتحَن ولكنه معنى فهموا هم[7] منها ذلك، فعلى ذلك الأول. ألا ترى[8] أنه أخبر[9] عن نطق الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ،[10] الآية، وقال: شَهِدَ عَلَيْهِمْ،[11] الآية، فيفهم هؤلاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى أنكروا عليها، دل ذلك أنه ما ذكرنا.[12] وذلك جائز أن يكون لمعنى فيهم فهموا هم[13] ولا يفهم غيرهم، ألا ترى[14] أن الله جعل في سِرِّيَّة الماء معنى يحيى به كلُّ شيء إذا أصابه[15] ووصل إليه، وذلك المعنى لا يعلمه إلا الله أو من أطلَعه الله عليه وارتضاه لنفسه رسولا.[16] فعلى ذلك تسبيح من في السماوات والأرض والطير وغيره، جعل في سِرِّيَّتهم معنى يعرفون هم من أنفسهم ذلك تسبيحا له وتنزيها وإن لم يفهم غيره –والله أعلم– كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[17]

---

[1] جميع النسخ: غيرهم.
[2] م – قول.
[3] ن ع: على نملة القول.
[4] ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).
[5] ر ع م – من النملة.
[6] ر م: قوله.
[7] ر ع م: فهموه.
[8] ن – ألا ترى.
[9] ن: خبر.
[10] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[11] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠).
[12] ع: ذكر.
[13] م: فهموهم.
[14] ن: يرى.
[15] ن: أصاب.
[16] ن: وهؤلاء. انظر: سورة آل عمران، ٣/١٧٩؛ وسورة الجن، ٧٢/٢٦-٢٧.
[17] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.

وقوله: **يسبح له من في السماوات،** حرف "مَن" إنما يُعبّر به عن المميِّز،[1] وحرف "ما" يعبر به المميِّز وغير المميِّز.[2]

[٥٢٧و س٣٨ *وقوله: **والطير صافات،** أي قد صَفّت[3] أجنحتها في الطيران، وكذلك قال أبو عَوْسَجَة:
٥٢٧و س٣٩] أي صفت أجنحتها في الهواء فلا تحركها.[4]*

وقوله:[6] **كلٌّ قد علم صلاته و تسبيحه،** قال بعضهم: كل من فيها قد علم صلاته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه غير[7] كفار الإنس والجن. وجائز أن يكون قوله: **كل قد علم صلاته وتسبيحه** ما ذكرنا أن كلا منهم يعرف ويفهم أنه يسبح له وإن لم يفهم غيره. كأنه يذكر سلطانه وملكه وغناه عن عبادة هؤلاء وتسبيحهم، لأن[8] من سبّح له كل شيء في السماوات والأرض فتَرْكُ عبادة هؤلاء له[9] وعبادتُه بمحلّ واحد لا ينفع ولا يضر. أو أن يقول: من له ملك السماوات والأرض لا يقع له الحاجة إلى عبادة أحد ولا طاعته،[10] وإنما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله، ولذلك قال: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، على أثر ذلك.

وقوله: **والله عليم بما يفعلون،** جائز أن يكون هذا على الأول، أي عليم بما يفعل مَن ذكر مِن التسبيح وغيره. أو أن يكون على ابتداءٍ وعيدٍ للخلق، أي عليم بجميع ما يفعلون.

**﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾[٤٢]**

وقوله:[11] **ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير،** قد ذكرنا[12] في غير موضع.

---

[1] جميع النسخ: عن التمييز؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣١و.
[2] ر ع م – وغير المميز.
[3] ر ع م: قد صف.
[4] ر م: فلا يحركها.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٣٨-٣٩.
[6] ن: قوله.
[7] ع: عن.
[8] جميع النسخ: والتسبيح أن.
[9] ن ع – له.
[10] ر: ولا طاعة.
[11] ن: قوله
[12] ر ع م: قد ذكر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[٤٣]

وقوله: **ألم تر أن الله يزجي سحابا**، قيل: يسوق سحابا. **ثم يؤلف بينه**، أي[1] يضمّ[2] بعضه [٥٢٧ظ]
إلى بعض، **ثم يجعله ركاما**، قال [بعضهم]: فيها تقديم وتأخير. **ثم يجعله ركاما**، أي قِطعا يحمل بعضه على أثر بعض، **ثم يؤلف بينه**، أي يضم السحاب بعضه إلى بعض بعد الركام. وقال بعضهم: قوله: **يزجي [سحابا]**، أي يُخرجه من الأرض فيُسَخره بين السماء والأرض **ثم يجعله ركاما**.

وقوله: **فترى الوَدْق**، أي المطر **يخرج من خلاله**. وقيل: خَلَلِه،[3] أي من خلال السحاب.

**ويُنزّل من السماء من جبال فيها من بَرَد**، قال[4] بعضهم: جبالٌ من ثلج، يُنَزل[5] الله على السحاب منها الثلج والبَرَد. وقال بعضهم: جبال خلقها الله من بَرَد في السماء ثم ينزّل. وليس في الآية بيان أن الجبال التي ذكر أنه ينزّل[6] من السماء أنها من ثلج أو برد سوى أنه أخبر أن فيها برَدا.[7] فالأشياء تُشَبّه بالجبال وتُنسَب إليها إما للكثرة مرة[8] وإما للشدة والغِلظ والعِظم ثانيا، كقوله: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[9] الآية. فجائز أن يكون الجبال المذكورة[10] في هذه الآية هي الجبالَ التي أخبر أنه يُنزل منها،[11] إذ لا يُدرَى أين هي: في السماء أو فيما بين السماء والأرض.

وقوله: **فيصيب به من يشاء**، في نفسه أو زرعه أو ثمره فيضرّه، **ويصرفه عن من يشاء** فلا يصيبه. فإن[12] كان على هذا فهو يخرج على[13] التعذيب، وكذلك عمَل البرَد يُفسِد في مكان ويترك مكانا،

---

[1] ع: إلى.
[2] ر ع م - يضم.
[3] انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سيم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٨١/٣.
[4] ع: وقال.
[5] ع: وينزل.
[6] ر ع م - ينزل.
[7] ع - سوى أنه أخبر أن فيها بردا.
[8] ر ع م - مرة.
[9] ﴿وترى الجبالَ تحسَبها جامدة وهي تمرّ مرَّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).
[10] ر م: المذكور.
[11] جميع النسخ: يبرها؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣١ظ.
[12] ر ع م: وإن.
[13] ر م: عن.

لا يعُمّ ولكن يصيب مكانا ويخطئ مكانا. وجائز أن يكون قوله: **فيصيب به من يشاء** مِن بركته، **ويصرفه عن من يشاء** من بركته.[1] **يكاد سنا برقه**، قيل: ضوءُ برقه كاد أن يقارب أن يَذهب ضوءُ البرق بالأبصار من شدة نوره.

*قال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة: **يُزْجِي**، أي يسوق. **رُكاما**: بعضه فوق بعض. **فترى الوَدْقَ**، [٥٢٧ظ س٢٣
أي المطر، **يخرج من خلاله** وخلله **سَنَا بَرْقِهِ**، ضوءه.[2] قال أبو عَوْسَجَة: والرُّكام هو[3] الكثير المتراكم الذي بعضه فوق بعض، يقال: ارتكم الشيء أي صار بعضه على بعض،[4] ويقال: رَكَمْت المتاع أرْكُمُهُ رَكْما إذا جمعتَ بعضه فوق بعض. والوَدْق المطر، يقال: وَدَقَت السماءُ تَدِق وَدْقا، أي مَطَرت. **يخرج من خلاله**،[5] أي من بينه، وواحد الخلال خَلَل. **يكاد سنا برقه**،
السَّنَا مقصور وهو الضوء، يقال:[6] السَّنَا النار، وهو واحد.* ٥٢٧ظ س٢٧]

## ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٤٤]

وقوله:[8] **يقلب الله الليل والنهار**، تقليبه الليلَ والنهار اختلافُهما:[9] يأتي بهذا ويذهب بالآخر. يذكر هذا –والله أعلم– صلة [ل]قوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] الآية، يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته. أما سلطانه وقدرته ما ذكر من سَوق السحاب بين السماء والأرض وتسخيره وضمّ بعضه إلى بعض. دل ذلك أنه قادر بذاته لا يعجزه شيء. ودل نزول المطر وإصابته في مكن دون مكان وتَخَطِّيه موضعا دون موضع مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء أنه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب أو على الجُزاف.[11] ودل جريان الأمر واتساق التدبير فيما ذكرنا

---

[1] ع – ويصرفه عن من يشاء من بركته.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦.
[3] ر م – هو.
[4] ع: بعضه.
[5] ع: حلاله.
[6] ع: ويقال.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧ظ/سطر ٢٣–٢٧.
[8] ر ن م – وقوله.
[9] م: واختلافهما.
[10] سورة النور، ٤٢/٢٤.
[11] ر م: جزاف.

وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال إلى حال[١] من النقصان إلى الزيادة ومن الزيادة إلى النقصان واتصال منفع السماء بمنافع الأرض -على بعد ما بينهما- أنه تدبير واحدٍ لا عددٍ، إذ لو كان تدبير عدد لمنَع بعضٌ بعضا عما يريد من التدبير والنفع. دل ذلك كله على أنه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء. ولذلك قال: **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**، لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار.*

**﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٤٥]

وقوله: **والله خلق كل دابة من ماء**، هو -والله أعلم- صلة قوله: وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٣] الآية، ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر أيضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما[٤] من التدبير والعلم والحكمة والقدرة، فعلى ذلك قوله: **والله خلق كل دابة من ماء**، يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره. أخبر أنه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف أجناسهم وجواهرهم من شيء واحد. دل[٥] أنهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن بتدبيرِ واحدٍ عالم بذاته لا بعلمٍ[٦] وتدبير مستفاد ولكن [ب]علم ذاتي، إذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد وصفة واحدة. والثاني[٧] أنه لا أحدَ من حكماء البشر يدرك كيفية إنشاء هذا العالم[٨] وخلق هذه الخلائق من هذه المياه. فإذ[٩] خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلائق دل إنشاؤه إياهم أنه قادر بذاته[١٠] لا يعجزه شيء، يخلق بسبب وبغير سبب، وأنه خلق هذه[١١] الخلائق بحكمة ذاتية، إذ لم يدرك ذلك حكماء البشر. ودل خلق هذه الخلائق على هذه المعاني

---

[١] ع – حال.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧ظ/سطر ٢٣-٢٧.

[٣] سورة النور، ٤٢/٢٤.

[٤] ر م: فيه.

[٥] ر م – دل.

[٦] ع: لا يعلم.

[٧] ع + والثاني.

[٨] ع: العلم.

[٩] ر ع م: فإنه.

[١٠] ع + ه.

[١١] ر ع م – هذه.

والأسباب أنه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سُدًى لا يأمرهم ولا ينهاهم. فإذ[1] ثبت الأمر والنهي ثبت الإحياء من بعد الممات للجزاء. ودل قدرته على خلق[2] هذه الخلائق من الماء أنه قادر على الإحياء وأنه لا يعجزه شيء،[3] لأن من قدر على هذا لقادر[4] على ما ذكرنا.

ثم قوله: **فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين.** يذكر هذا -والله أعلم- لأحد وجهين. إما تذكيرا إياهم[5] نعَمه ومِننه وفضله الذي أعطاهم وإحسانه الذي أحسن إليهم، لأنه أخبر أنه خلق هذا العالم معتدلا سويا من غير أن كان منهم اختبار لذلك أو يستوجبون ذلك
[٥٢٨و] قبله، وخلق / غيرهم من الدواب مُنْكَبّين على وجوههم وماشِين على بطونهم، وذلك فضل منه ونعمة. أو ذكر مثالا بحال الكفرة في الآخرة، كقوله: أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى،[6] الآية، أخبر أن الكفرة يكونون منكبّين على وجوههم وأهلَ الإسلام يمشون مُنتَصبين مستوين.

**يخلق الله ما يشاء** بسبب وبغير سبب. **إن الله على كل شيء قدير،** لأنه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره.

**﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤٦]**

وقوله: **ولقد أنزلنا آيات مبينات،** الآية، قد ذكرنا.

**﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنهُمْ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٧] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٤٨] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾[٤٩] ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٥٠]**

وقوله: **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم،** اختلف فيه. قال بعض[7] أهل التأويل: ابن عباس وغيره: إنه وقعت بين علي بن أبي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما[8]

---

[1] ن: فإذا.
[2] م - خلق.
[3] ع - شيء.
[4] ع: القادر.
[5] ر ع م: إياه؛ ن: لإياه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣١ظ.
[6] ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمّن يمشي سَوِيًا على صراط مستقيم﴾ (سورة الملك، ٢٢/٦٧).
[7] ر: بعضهم.
[8] لم ترد هذه الرواية إلا في تفسير القرطبي وفيها أن الخصومة وقعت بين عليّ بن أبي طالب ومغيرة بن وائل من بني أمية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٩٣/١٢.

خصومة في أرض اشتراها عثمان من علي فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك[١] فقضى لعلي على عثمان وألزمه الأرض، فقال قوم عثمان: إنه ابن عمه وأكرمُ عليه منك[٢] فقضى عليك له، أو نحو هذا من الكلام، فنزل في قوم عثمان ذلك إلى آخر ما ذكر. لكن هذا بعيد لا يحتمل أن يكون عثمان أو قومه[٣] يخطر ببالهم في رسول الله ما ذكر. وقال بعضهم: نزل هذا في بِشرٍ المنافقِ، وذلك أن رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بِشرا إلى رسول الله[٤] ودعاه بِشر إلى كعب بن الأشرف فقال: إن محمدا يحيف عينا،[٥] ونحوه من الكلام فنزل هذا. لكنا لا نعلم أنه فيمن نزل،[٦] سوى أن فيه بيانا أنها إنما نزلت في المنافقين. وفي ظاهر[٧] الآية دلالة أنهم علموا أن رسول الله لا يقضي إلا بالحق، ألا ترى أنه ذكر في آخره: **وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**، أي[٨] مسرعين مطيعين، ولو كان عندهم أنه يقضي بالجور لكانوا لا يأتونه للقضاء وإن كان الحق لهم مخافةَ الجور والظلم عليهم، لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التأويل، وهو قوله:[٩] **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، في هذا من الدلالة أن عندهم أنه لا يقضي بالحق لهم وأنه يجور حيث قال: **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه، إلا أن يجعل الآية في فِرَق من المنافقين: فرقة[١٠] منهم عرفوا أنه لا يقضي إلا بالحق، وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض، وفرقة ارتابوا فيه،[١١] وفرقة خافوا جوره، وهم كانوا فرقا، ألا ترى أنه قال: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ،[١٢] ومنهم من قال كذا، ومنهم قال كذا. أو أن يكون[١٣] تأويل قوله:

---

[١] ر ع م: في تلك.
[٢] ر م – منك.
[٣] ر م: وقومه.
[٤] ن: إلى النبي عليه السلام.
[٥] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٩٣/١٢.
[٦] ر: نزل.
[٧] ع: في ظاهر.
[٨] ر م – أي.
[٩] ر ع م: وقوله.
[١٠] ر: فرق.
[١١] ر ع م – فيه.
[١٢] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكونن من الصالحين﴾ (سورة التوبة، ٧٥/٩).
[١٣] ع: وأن يكون.

**وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين،** أي وإن[1] يكن لهم القضاء بالحق أتوه مذعنين، أي إذا عرفوا أنه يقضي لهم لا محالة أتوه وإلا لا يأتونه. فإن كان على هذا فما ذكر على[2] سياقه من المرض والارتياب والخوف في الحيف فمستقيم. على هذين الوجهين يحتمل أن يخرج تأويل الآية، وأما على غير ذلك فإنا لا نعلم. *والله أعلم.*

وقوله: **وما أولئك بالمؤمنين،** لأن من ارتاب أو شكّ في رسالته أو خاف جوره وحيفه[3] فهو كافر ليس بمؤمن.

وقوله:[4] **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون،** يخرج[5] على وجهين وإن كان ظاهره حرف شك. أحدهما على الإيجاب والتحقيق، أي في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا؛[6] على ما ذكرنا في حرف الاستفهام أنه في الظاهر وإن كان استفهاما فهو في التحقيق علم وإيجاب، أي قد علمت ورأيت ونحوه لما لا يجوز الاستفهام منه، فعلى ذلك هذا. والثاني ما ذكرنا أنه في فرق: فرقة عرفت أنه لا يقضي[7] إلا بالحق، وفرقة منهم ارتابت، وفرقة منهم خافت جوره وظلمه. قال القُتَبِي: قوله: **مذعنين،** أي [مقرّين] خاضعين.[8] وقال أبو عَوْسَجَة: مسرعين مضيعين، يقال: ناقة مِذعان، أي سريعة، ونُوق مَذاعين. والحيف[9] الجور، حاف يَحيف[10] حَيفا فهو حائف.[11]

وقوله: **وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم،** قوله: **دُعُوا إلى الله،** يحتمل إضافة الدعاء إلى الله وجهين. أحدهما دعوا إلى كتاب الله، وإلى رسوله إذا فريق منهم معرضون، كقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.[12]

---

[1] ع + م.
[2] ع: في.
[3] ن: وحيله.
[4] ر ع م: وفي قوله.
[5] ع - يخرج
[6] ع: أو خافوا.
[7] ر م: لا يقضي.
[8] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٦.
[9] ع: والخوف.
[10] ع: حاف يحيف.
[11] ع: حائف.
[12] سورة النساء، ٦١/٤.

والثاني إضفته[1] إلى الله هي إضافة[2] إلى رسوله، كقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،[3] جعل طاعة الرسول طاعة لله،[4] فعلى ذلك جائز أن يراد بإضافة الدعاء إلى الله دعاء إلى الرسول،[5] وعلى ذلك يخرج قوله: **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، لا يحتمل أن يكونوا يخافون حيف الله وجوره[6] لكن إنما يخافون جور رسوله أو كتابه. **والله أعلم.**

**﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٥١]

وقوله: **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله**، قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين ونعتهم، فعلى ذلك[7] نعت المؤمنين.[8]

وقوله:[9] **أن يقولوا سمعنا وأطعنا**، يحتمل قوله: **سمعنا**، أي سمعنا الدعاء، وأطعنا الأمر. ويحتمل **سمعنا** أجبنا، وأطعنا الأمر. وجائز أن يكون قوله: **سمعنا وأطعنا** ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن . إخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقدوا به، إذ كل مؤمن[10] يعتقد [٥٢٨ظ] في أصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله، فيكون كما ذكر في آية أخرى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،[11] هذا إخبار عما أطعموا هم،[12] ليس أنهم قالوا باللسان: إنما نطعمكم لكذا، ولكن إخبار عما في قلوبهم، فعلى[13] ذلك الأول.

---

[1] خ: إضافة.
[2] ن: إضفته.
[3] سورة النساء، ٤/٨٠.
[4] ر ع م: الله.
[5] ر ن ع: إلى رسول الله.
[6] ع: جوره.
[7] ع +في؛ م + في جائز.
[8] ن – وقوله إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين ونعتهم فعلى ذلك نعت المؤمنين.
[9] ن: قوله.
[10] ع: من.
[11] سورة الإنسان، ٧٦/٩.
[12] ر م: أطعموهم.
[13] ن: فعلى.

وقوله عز وجل: **وأولئك هم المفلحون**، المفلح هو الذي يظفَر بحاجته دنيوية[1] [كانت] أو أخروية؛[2] يقال: فلان أفلَحَ، أي ظفِر بحاجته. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥٢]**

وقوله:[3] **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه**، يحتمل قوله: **ويخش الله**، أي يخشى الله على ما مضى من ذنوبه. **وَيَتَّقْهِ** فيما بقي من عمره. أو **يخشى الله** على ما يكون منه من التقصير والتفريط، **وَيَتَّقْهِ** ذلك وكلَّ معصية الله ومخالفته. **فأولئك هم الفائزون**، وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: فأولئك هم المؤمنون،[4] فهما[5] واحد.

**﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥٣]**

وقوله:[6] **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قال بعضهم: كل يمين بالله فهو[7] جَهْد اليمين، لأنهم مِن عادتهم أنهم كانوا لا يحلفون بالله إلا في العظيم من الأمر والخطير، فأما الأمر الدُّون فإنما يحلفون بغيره، فيكون على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين. ويحتمل أن يكونوا حلفوا بأيمان[8] غليظة شديدة على ما يغلِّظ الناسُ في أيمانهم، ربما سُمّي[9] ذلك جهد اليمين. أو أن يكون جهد اليمين ما ذكر على إثره وهو قوله: **لئن أمرتهم لَيَخْرُجُنّ**. قوله: **لئن أمرتهم ليخرجن**[10] هو جهد أيمانهم. ***والله أعلم***.

وقوله:[11] **لئن أمرتهم ليخرجن**،[12] يحتمل وجوها. [يحتمل] **لئن أمرتهم ليخرجن** من أرضهم التي تخاصموا إليه فيها، أي ليخرجن ويسلمونها إلى خصمهم. ويحتمل: **لئن أمرتهم ليخرجن**

---

[1] جميع النسخ: دنياوية.
[2] ر م: وأخروية.
[3] ن: قوله.
[4] ع + فأولئك هم المفلحون.
[5] ن: هما؛ ع: فيهما.
[6] ن: قوله.
[7] ع: فهي؛ م: فهم.
[8] جميع النسخ: بيمين.
[9] جميع النسخ: فسمي.
[10] ع - قوله لئن أمرتهم ليخرجن.
[11] ن: قوله.
[12] ر ن + قوله لئن أمرتهم.

من جميع أملاكهم وما تحويه أيديهم تعظيما لأمرك وإجلالا، فكيف لا يتبعون لقضائك وينقادون لحكمك. وجائز أن يكون قوله: **ليخرجن** من المدينة بعيالاتهم وجميع حواشيهم إلى بلدة[١] أخرى. وقال بعضهم: **لئن أمرتَهم لَيخرجُنَ**، أي [إن] أمرتهم أن يخرجوا في الجهاد ليخرجن، لأنهم كانوا يتخلّفون. ثم أمر رسوله أن ينهاهم عن القَسَم الذي أقسموا فقال:[٢]

**قل لا تُقسموا طاعةٌ معروفة**، اختلف فيه. قال بعضهم: **لا تقسموا** فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم[٣] تبلغوه.[٤] ثم قال: **طاعة معروفة**[٥] يقول: أطيعوه وقولوا له المعروف. وقال بعضهم: قوله: **لئن أمرتَهم لَيخرجُنَ قل لا تُقسموا**، تمّ الكلام ثم قال: **طاعة معروفة**. وفي هذا الكلام حذف الإيجاز[٦] يُستدلّ بظاهره[٧] عليه، كأن القوم[٨] كانوا ينافقون ويحلفون[٩] في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم: **لا تقسموا** هي **طاعة معروفة** صحيحة لا نفاقَ فيها، لا طاعةٌ فيها نفاقٌ. وقال بعضهم: لا تحنفوا ولتكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة[١٠] حسنة. وقال بعضهم: **طاعة معروفة**، يقول: طاعة يعرف أنها طاعة بالقول والعمل، لا تكونوا كاذبين فيها بالقول دون العمل. وبعضه قريب من بعض.

**إن الله خبير بما تعملون**، فلا تقسموا. وفيه دلالة إثبات رسالته لأنهم كانوا يُسرّون ويُضمرون فيما بينهم التوليّ والإعراض عن حكمه، ثم أخبرهم بذلك فعلموا أنه بالله عرف ذلك.

**﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**[٥٤]

وقوله: **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا**، أي تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله **فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم**، قال: فإنما على النبي ما أُمر بتبليغ الرسالة وعيكم ما حملتم

---

[١] ن - بلدة.
[٢] ع: فقالوا.
[٣] ن: ثم.
[٤] أي إن الله لو طلب منكم أن تبلغوا أقصى جهدكم لن تبلغوه.
[٥] ع - اختلف فيه قال بعضهم لا تقسموا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه ثم قال طاعة معروفة.
[٦] ن ع م: للإيجاز.
[٧] ع: ظاهره.
[٨] جميع النسخ: القول.
[٩] ن - ويحلفون.
[١٠] ع - معروفة.

وأمرتم من الطاعة لله[1] ورسوله. ويحتمل: فإنما عليه أداء ما حمل من الفرائض وعليكم أداء ما حملتم وأمرتم[2] من الفرائض. وجائز أن يكون قوله: **فإنما عليه ما حمل**، أي لا يُسأل هو ولا يؤاخذ[3] بما عليكم ولا تسألون[4] أنتم ولا تؤاخذون أيضا بما[5] عليه؛ إنما يسأل كلٌّ عما عليه، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[6] ***والله أعلم***.

وقوله:[7] **وإن تطيعوه تهتدوا**، لا شك أنهم إن أطاعوه اهتدوا. **وما على الرسول إلا البلاغ المبين**، ظاهر.[8]

**﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥٥]**

وقوله:[9] **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**، قال بعضهم: مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما أوحي إليه خائفا هو وأصحابه يدعون الناس إلى الله تعالى سرا وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويُمسون[10] في السلاح. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله! أمَا يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله: «لن تلبثوا[11] إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ[12] العظيم محتبيا[13] ليس فيهم حديدة»، فأنزل الله هذه الآية على إثر ما ذكر.[14]

---

[1] ع – لله.
[2] ن – وأمرتم.
[3] م: يؤخذ.
[4] ن: ولا يسألون.
[5] ن – بما.
[6] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[7] ن: قوله.
[8] ر: ظاهره.
[9] ن: قوله.
[10] ر م: ويمشون.
[11] ر م: لن تنسوا؛ ن: لن يلبثوا؛ ع – تلبثوا.
[12] جميع النسخ: في البلاء.
[13] ر: محتبئا؛ م: مخبيا. احتبى: جلس على أليتيه وضم فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند (المعجم الوسيط، «حب»؛ قارن: لسان العرب، «حبا»).
[14] انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٩١؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦/٢١٥.

وقال بعضهم: لما صدّ المشركون رسول الله وأصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين أن يُظهرهم وأن يفتح[1] لهم مكة؛ وقالوا:[2] وتصديق ذلك ما ذُكر في سورة الفتح وهو قوله: هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،[3] الآية، حتى قال في آخر ذلك: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[4] الآية. وعد رسوله في القرآن أنه يستخلفهم في الأرض ويُنزلهم[5] فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الأرض.
[٥٢٩و] وقال قائلون: كان وعده إياهم في التوراة[6] / والإنجيل والزبور أنه يجعلهم[7] خلفاء في الأرض كما فعل بالذين من قبلهم. ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القرآن أو في الكتب المتقدمة ففيه[8] أمران اثنان.[9] أحدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكافرين، لأنه وعد لهم الأمن[10] والنصر[11] في وقت[12] لا يَرجون ولا يَطمعون النجاة، فضلا أن يطمعوا الاستخلاف والتمكن[13] في الأرض وإظهارَ الدين الذي ارتضى لهم -وهو الإسلام- على الأديان كلها. فإذا[14] كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يُطمع ولا يُرجى في مثل ذلك الوقت والخوف عُلِم أنه إنما[15] بشرهم بذلك بوحي[16] من الله ووعد منه فكان ما وعد. دل أنه بالله وعد ذلك وبشر، فذلك[17] حجة على أولئك وبشارة للمؤمنين. **والله أعلم.**

---

[1] ع: تفتح.
[2] جميع النسخ: وقال.
[3] ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وَالْهَدْيَ معكوفا أَنْ يبلُغ مَحِلَّه﴾ (سورة الفتح، ٢٥/٤٨).
[4] ر م – كله. سورة الفتح، ٢٨/٤٨.
[5] جميع النسخ: وينزل.
[6] ع: بالتوراة.
[7] م: يجعله.
[8] ع: وفيه.
[9] ع: اسلام.
[10] ر: الا.
[11] جميع النسخ: في النصر.
[12] ع – في وقت.
[13] ر ع م: والتمكين.
[14] ع: إذا.
[15] م – ذلك.
[16] ع: وحي
[17] ر م + على.

وقوله: **ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**، قوله: **ومن كفر بعد ذلك** ليس بشرط[1] فيه، لأنه لو كفر قبل ذلك أيضا فهو فاسق. ثم من الناس من قال:[2] **ومن كفر بعد**[3] هذه النِعم التي أنعمها عليهم ولم يشكره عليها فهو كذا. وجائز أن يكون قوله: **ومن كفر بعد ذلك** وليس له جواب.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥٦]

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول** فيما أمركم به[4] ونهاكم عنه، **لعلكم ترحمون**، أي ترحمون.[5] هو ظاهر، قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع. ثم قال:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٥٧]

**لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض**، قال بعضهم: **معجزين**، أي فائتين في الأرض هرَبا من عذابه[6] فلا يدركهم. وقال بعضهم:[7] [**معجزين**] سابقين في الأرض هربا أيضا حتى لا يُجزَون[8] بكفرهم، وهو واحد. **ومأواهم النار ولبئس المصير**، قد ذكرنا أيضا.

وقوله:[9] **لا تحسبن**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم ليسوا بفائتين ولا بسابقين[10] عنه، لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ،[11] هما واحد. وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: إحسَب[12] الذين كفروا أن يُعجزوا[13] **الله** في السماوات والأرض. إنه وإن اختلفت[14] الحروف فالمعنى واحد. ***والله أعلم***.

---

[1] م: شرط.
[2] ع – من قال.
[3] ع: بعده.
[4] ع – به.
[5] م – أي ترحمون.
[6] ر م: من عذاب.
[7] ن – بعضهم
[8] ع: لا يجرعو .
[9] ن: قوله.
[10] ن ع: لا سابقين.
[11] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[12] جميع النسخ: حسب. وهي قراءة ابن مسعود فقط. انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٦.
[13] ر م: يعجزه.
[14] جميع النسخ: مختلف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٨]

وقوله[١] تعالى: **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم**، قال بعضهم: ذكر أن رجلا وامرأته تسمى أسماء بنت[٢] مَرثَد[٣] اتخذا[٤] طعاما للنبي، فجعل الناس يدخلون بغير إذن. فقالت[٥] أسماء: ما أقبح[٦] هذا يا رسول الله أن يَدخل على الرجل وامرأته بغير إذن وهما في ثوب واحد غلامُهما[٧] المملوك فأنزل الله: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**.[٨] وقال بعضهم: نزل هذا في شأن عمر بن[٩] الخطاب وهو مما قال: وافقت ربي في ثلاث. ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث[١٠] غلاما من الأنصار يقال له مُدْلِج إلى عمر بن[١١] الخطاب ظهيرةً ليدعوه، فانطلق الغلام إليه ليدعوه[١٢] فوجده قائلا قد أُغلق عليه الباب فسأل الغلام عنه فأُخبر أنه في هذا البيت. قال: فدفع[١٣] الغلام الباب إلى عمر وسلّم [عليه] فلم يستيقظ عمر، فرجع الغلام ورد الباب فقام[١٤] مِن خلفِه[١٥] وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام: اللهم أيقظه لي. قال: ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر فجلس[١٦]

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: ابنت.
[٣] ن ع: مرشد.
[٤] ع: تخذوا.
[٥] ن: وقالت.
[٦] ن: ما أفتح.
[٧] م: غلامهم.
[٨] نظر: *تفسير القرطبي*، ١٢/٣٠٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣/٢٩٣.
[٩] ر: س.
[١٠] ع - بعث.
[١١] ر: س
[١٢] ع - فانطلق الغلام إليه ليدعوه.
[١٣] ع: فوقع.
[١٤] ع: فقال.
[١٥] جميع النسخ: من خلف.
[١٦] م - فجلس.

فانكشف منه شيء فرآه الغلام، وعرف عمر أن الغلام قد رأى ذلك منه فقال عمر: وددت واللهِ أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدَمنا أن يدخلوا هذه الساعاتِ علينا إلا بإذن.[1] ثم انطلق[2] معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد نزل عليه هذه الآية وأمر بالاستئذان على دخولهم في هذه الساعات.[3] لكن لا حاجة لنا[4] إلى أن نتعرف أنها نزلت في شأن فلان أو فلان[5] أو في أمر فلان وسببه سوى أن نتعرف المودَع[6] فيها وما ذَكَر[7] من أنواع الآداب والأحكام.

ثم خاطَب[8] بالاستئذان المستأذَنَ عليه لا المستأذِنَ والساداتِ والآباءَ ومن يَعُول[9] الصغار حيث قال: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم.** وذلك الخطاب -والله أعلم- يخرج مخرج الأمر للآباء والسادات بتعليم أمور الدين والقيام بما يحتاجون إليه والتأديب على ذلك إنْ أبَت أنفسهم. وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرّقوا بينهم في المضاجع»،[10] خاطب به الآباء والأولياء أن يأمروهم بأمور الدين أمرَ عادةٍ والتعليم لهم والتأديب إن امتنعوا عن ذلك ولم يخاطبهم في أنفسهم[11] لجهلهم وقلة معرفتهم بأمرهم، وإذا بلغوا وعرفوا الأمر والآمر فعند ذلك خاطبهم بأنفسهم بالاستئذان، حيث قال: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا،[12] خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.[13] وما داموا صغارا خاطب به الآباء والأولياء لما لا يجري عليهم القلم، وليس الخطاب والأمر والنهي إلا لجرْيَة القلم عليهم،

---

[1] ر م: بإذنه؛ ن: بالإذن.

[2] ع: فانطلق.

[3] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٢/٣٠٢، ٣٠٤.

[4] ر م: لها.

[5] ر م: وفلان.

[6] م: الورع.

[7] أي رسول الله

[8] ع: ثم خاطب.

[9] جميع النسخ + له؛ ع: ويعول.

[10] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/١٨٠؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١.

[11] ر م: في ذلك.

[12] الآية التالية

[13] ع - حيث قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.

وتركُ الأمر والخطاب لرفع[1] القلم عنهم. وأما[2] أمرُ الآباء لهم بذلك يخرج مخرج الشَّفَقة[3] عليهم[4] والقيام لبعض مصالحهم وذلك[5] جائز.

ثم اختلف فيما ملكت أيمانُنا. قال جماعة: هن النساء[6] دون الرجال. وأما الرجال فإنهم يستأذنون[7] في جميع الأوقات. وقال بعضهم: هم النساء والرجال جميعا، فالنهي[8] عن الدخول [٥٢٩ط] في هذه الأوقات الثلاث، إذ هي أوقات غِرَّة وساعاتُ غفلة للذكور والإناث جميعا. ومنهم من يقول:[9] هم الكبار منهم دون الصغار. والأشبه أن يكون في الصغار منهم، لأن الكبار منهم والأحرار سواء في حَظْر النظر إلى العورة وإباحته. ألا ترى[10] أنه قال: **والذين لم يبلغوا الحلم منكم** وهم الأحرار والصغار، فعلى ذلك قوله: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** الصغار منهم، أَمَر السادات بتعليم ما ذكرنا من الأمور. ***والله أعلم.***

وقوله:[11] **والذين لم يبلغوا الحلم منكم**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله:[12] **لم يبلغوا الحلم**، أي لم يحتلموا.[13] ويحتمل:[14] **والذين لم يبلغوا الحلم**، أي لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد ما جعلهم في مراتب ثلاث أعني الصغار: في حالٍ لا يؤمرون ولا يُنهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة، وهو ما قال: أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ،[15] أي لا يعرفون العورة من غير العورة؛ وحالٍ يعرفون ذلك إلا أنه لا يقع لهم الحاجة إليها

---

[1] ر م: لدفع.
[2] م: وما.
[3] ر ن م + لهم.
[4] م - عليهم.
[5] ع: ذلك.
[6] ع: جماعتهن لنساء.
[7] ع: يستأذون.
[8] ر ح م: والنهي.
[9] ن + منهم.
[10] ن: يرى.
[11] ن: قوله.
[12] ع + أي.
[13] ع: لم يحتمل.
[14] ع: أو يحتمل.
[15] سورة النور، ٣١/٢٤.

فيؤمرون بالستر[1] عنهم؛ وحالٍ[2] نقع[3] الحاجة إليها وقضاء الوَطَرِ فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع. *والله أعلم*.

وقوله: **ثلاثَ مرَاتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاثُ**[4] **عَوْراتٍ لكم**. يحتمل قوله: **ثلاثُ عورات لكم** وجهين.[5] أحدهما ثلاث أوقات لكم وساعاتها. ويحتمل **ثلاث عورات**، أي ثلاث حالات يظهر فيها العورة، كقوله: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ،[6] أي ليس مما يَمنع السُّرَّاقَ[7] عن السرقة منها.[8] وفيه أن العمل بالاجتهاد في الأغلب[9] والأكبر من الرأي، والأمرَ ليس على الحقيقة جاريا،[10] لأنه قد سمَّى ثلاث[11] عورات من الأمر، ونَهى عن الدخول[12] بلا استئذان وإن كان يجوز أن تكون[13] العورة مستورة، وأباح في غيرها من الأوقات الدخول بلا استئذان.

ويجوز أن يكون هنالك كشف العورة حيث قال: **ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن**، أي بعد ثلاث ساعات. **طَوّافون عليكم بعضُكم على بعض**، لكنه أباح وحظر بالأغلب والأكبر لا على الحقيقة. وهكذا العمل بالاجتهاد. *والله*[14] *أعلم*.

وقوله: **طَوّافون عليكم**، أي يخدمونكم بعد هذه الثلاث ساعات، يدخلون عليكم بغير إذن. **بعضكم على بعض** بالخدمة فلا إذنَ عليهم، لِما ذكرنا أن الأغلب أن تكون[15] العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات وفي الثلاث لا.

---

[1] م: بالتستر.
[2] م: رحال.
[3] جميع النسخ: يقع.
[4] ر ن ع + أوقات.
[5] ع - وجهين.
[6] ﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[7] م: السرق.
[8] ر ع م: فيها.
[9] ع: وفي الأغلب.
[10] جميع النسخ: جائز.
[11] ر م: بثلاث.
[12] ع: تدخلون.
[13] جميع النسخ: يكون.
[14] م: الله.
[15] جميع النسخ: يكون.

قال القُتَبِي: **الذين ملكت أيمانكم**، أي يعني العبيد والإماء.[1] **ثلاثُ عَوْراتٍ لكم** يريد هذه الأوقات لأنها أوقات التجرد وظهور العورة. أما قبل صلاة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار، وأما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة، وأما بعد صلاة العشاء فلوضع الثياب للنوم. **بعدهن**، أي بعد هذه الأوقات. ثم قال: **طوافون عليكم**، يريد أنهم خدمكم فلا بأس بأن يدخلوا، قال الله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ،[2] أي يطوف عليهم في الخدمة. وقال أبو عَوْسَجَة: **الظهيرة** نصف النهار وظهائر جمع،[3] واظهَرتُ، أي دخلت في الظهيرة.

**﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[٥٩]

وقوله:[4] **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**، قد[5] ذكرنا أنه خاطب به الأولياء في تعليم الآداب[6] وأمور الدين الصغارَ ولم يخاطبهم هو[7] حيث قال:[8] لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ،[9] وإذا بلغوا خاطبهم بأنفسهم حيث قال: **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**. ثم[10] يحتمل قوله: **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم** وجهين. يحتمل إذا احتلموا، ويحتمل إذا بلغوا وقت الحُلُم. فالأول على حقيقة الاحتلام، والثاني على قرب بلوغ الاحتلام. فكان الأول أشبه، لأنه خاطبهم في أنفسهم وأمرهم بالاستئذان، فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الأولياء كما خاطبهم في الآية الأولى. وفيه دلالة أن الحد في بلوغ الصغير الاحتلام، وعلى ذلك اتفاق القول منهم، ألا ترى أنه قال:

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦.

[2] سورة الواقعة، ١٧/٥٦.

[3] ب ع: جميع.

[4] ل. قوله.

[5] ر ع م: فقد.

[6] ع: الأدب.

[7] ع + من.

[8] ع - قال.

[9] الآية السابقة.

[10] ر م: لم.

**فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** يقول -والله أعلم- كما أمر[1] به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهله.[2] أو أن يكون قوله: **كما استأذن الذين من قبلهم**.[3] يعني الكبار، إذ[4] يكون الاستئذان[5] في الكبار معروفا ظاهرا وفي الصغار لا، فأمر إذا بلغوا أن يستأذنوا. كما يستأذن الكبار منهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الآية وهو ما قال: «رُفع القلم عن ثلاث، أحدهم الصبي حتى يحتلم.»[6] وأما إذا بلغ خمسَ عشرةَ سنةً فمما اختلف[7] أصحابنا فيه. رآه أبو يوسف ومحمد بالغا لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أجازه في القتال وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة ولم يُجز له وهو ابن أربع عشرة سنة.[8] لكن ليس فيه أنه أجازه[9] لبلوغه ولم يُجزه لأنه لم يبلغ. جائز إجازته في العام الثاني لقوته وطاقته[10] على القتال، ولم يجزه[11] في العام الأول لضعفه ووهنه وعجزه عن القتال. واحتج بعض مشايخنا رحمهم الله لقول[12] أبي حنيفة في تحديده بثمانيَ عشرة سنة لبلوغ الغلام إذا لم يحتلم، قال: لأن الوسط من احتلام [٥٣٠و] الغِلمان أن يبلغوا / خمس عشرة سنة، وربما احتلموا قبل ذلك وربما[13] تأخر احتلامهم عنه،

[1] جميع النسخ: ما أمر.
[2] ر م: على أصله.
[3] ع - يقول والله أعلم ما أمر به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهله أو أن يكون قوله كما استأذن الذين من قبلهم.
[4] جميع النسخ: أن.
[5] م + أن.
[6] الحديث ورد في سنن *أبي داود* (الحدود ١٦) ولفظه: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يُفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم». وانظر أيضا: سنن *ابن ماجة*، الطلاق ١٥؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ١؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ٢١.
[7] ن + فيه.
[8] والحديث ورد في صحيح *مسلم* (الإمارة ٩١) ولفظه: «عن ابن عمر قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُدٍ في القتال وأنا ابن أربعَ عشرة سنة فلم يُجِزْني، وعَرَضَني يومَ الخَنْدَقِ وأنا ابن خمسَ عشرة سنة فأجازني». وانظر أيضا: سنن *ابن ماجة*، الحدود ٤؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ١٧؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ٢٠.
[9] ع: إجازة.
[10] ر: لقويته وطاقته؛ م: بتقويته وطاقته.
[11] ر: ولم يعجز.
[12] ر: لقوله؛ م: بقول.
[13] ر م: ربما.

وجدوا[١] المعروف فيمن نقصت سِنُّه عن اثنتي[٢] عشرة سنة[٣] أن لا يحتلم، فإذا بلغها فربما احتلم. فجعل حد الزيادة على الخمسَ عشرة[٤] ستةً التي هي وسط[٥] بين المختلفين[٦] ثلاثَ سِنين كما كان[٧] مقدار النقصان عنها ثلاث سنين. وهذا القول من قوله استحسان. *والله أعلم*.

وقوله: **كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**. قوله: **كذلك يبين الله لكم آياته**، أعلامَه، أي يبين لكم الأعلامَ التي تحتاجون[٨] إليها، وتعرفون[٩] ما يَسَع لكم مما لا يسع[١٠] وما يُؤتَى مما[١١] يُتَّقي. وقال بعضهم: آياته ههنا أمره ونهيه. *والله أعلم*.

**﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦٠]**

وقوله: **والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا**، قال أهل التأويل: قوله: **لا يرجون نكاحا**، أي[١٢] لا يريدون نكاحا. لكن الأشبه أن يكون قوله: **لا يرجون نكاحا**، أي لا يطمَعْن أن[١٣] يَرغب[١٤] فيهن الرجال لكِبَرهن، وإلا كنّ يردن النكاح وإن كَبِرْن وعَجِزْن.

وقوله: **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة**، قال[١٥] بعضهم: **ثيابهن** الرداء، وكذلك وروي في حرف ابن مسعود أنه قرأ:[١٦] أن يضعن من ثيابهن،[١٧] وهو الرداء،

---

[١] ر: ووجدو.
[٢] ر: اثني.
[٣] ر م - سنة.
[٤] ر: عشر.
[٥] ع: لوسط.
[٦] ر م: المختلفين.
[٧] ر: يقال.
[٨] ر ع م: يحتاجون.
[٩] ر ع م: ويعرفون.
[١٠] ع - مما لا يسع.
[١١] ع: وما.
[١٢] ر م - أي.
[١٣] ع: لا.
[١٤] ع: يرغبن.
[١٥] ر ع م: وقال.
[١٦] م: قرء.
[١٧] كتاب *المصاحف* للسجستاني، ٦٦.

وقال بعضهم: هو الحلباب؛ يقال:[1] الجلباب[2] هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا بأس أن تضع ذلك عند أجنبيّ وغيره بعد أن يكون عليها خمار ضيّق؛ **غيرَ متبرِجات بزينة**، يقول -والله أعلم- من غير أن يكون وضعت الرداء أو الجلباب[3] تريد بذلك إظهار الزينة والتبرج.

وقوله:[4] **وأن يستعففن خير لهن**، أي[5] وأن لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من أن يضعن. وقال بعضهم: [الثياب هي] الخمار، لكنه لا يحتمل لأنه معلوم أن المرأة وإن كبِرت وعجِزت لا تكشف عورتها لأحد.

ثم الزينة ربما تُكشف لمحارم ولا تكشف للغريب، وهي[6] الرأس والصدر ونحوه.[7] فإذا بلغت في السن مبلغا لا تَطمع أن يُرغَب في نكاحها لا تتزين. ومع ما[8] لا تفعل لا يحل للأجنبي أن ينظر إلى شعرها ولا إلى صدرها[9] ولا إلى ساقها، وإنها إن[10] صلت ورأسُها مكشوف فصلاتها[11] فاسدة. وإذا كان كذلك فليس يجوز أن يُجعَل تأويل وضع الثياب الخمارَ لما ذكرنا، ولكن الرداء أو الجلباب[12] الذي يلبسن إذا خرجْن من منازهن.

فإن قيل: إنما أُطلِق لها بهذه الآية أن تضع خمارها عن رأسها إن[13] لم يرها أحد.

قيل: الشابة[14] أيضا يجوز لها أن تضع الخمار عن رأسها إذا خلت في البيت، فذلك يدل على أن العجوز أُذِن لها أن تضع ثوبها وهو الجلباب أو المُلاءة[15] التي[16] كانت تغطّي بها

---

[1] ع: هو.
[2] ر م - الجلباب.
[3] ر: والجلباب.
[4] ن: قوله.
[5] ع - أي.
[6] جميع النسخ: وهو.
[7] ع - ونحوه.
[8] جميع النسخ: ومعما.
[9] ع - ولا إلى صدرها.
[10] ر ع م: وإن.
[11] ر م - فصلاتها.
[12] ر ع م: والجلباب.
[13] جميع النسخ: إذ.
[14] ع م: الشبابة.
[15] ن: و ملاءة.
[16] ر ع: الذي.

وجهها إذا خرجت. وإذا كان المُطْلَق لها[1] هذا[2] فالواجب على الشابة أن لا تُظهر وجهها إذا كانت تُشتهى ولا يَدَيْها. فإذا كان كذلك كان قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا[3] وهو الزينة التي لا يمكن سترها بحال وهو الكحل. *والله أعلم*.

وقوله:[4] **غيرَ متبرّجات بزينة**، قال بعضهم: أي غير مُظهرات محاسنهن. وقال بعضهم: **غير متبرجات**، أي غير متزيّنات بزينة. والمتبرِّجة المتزيّنة لإظهار الزينة. والزينة هي الداعية المرغِّبة إلى النظر إليها وقضاء الشهوة. فكأنه أباح لها وضع الثياب إذا كانت غير متزيّنة، وإذا كانت متزيّنة فلا. وأباح ها أيضا إذا لم يكن بها محاسنُ يُرغَب[5] فيها، وإذا كان بها[6] ذلك لم يُبح.

وقوله: **وأن يستعففن خير لهن**، يحتمل وجهين. يحتمل **وأن يستعففن** ولا يبدين محاسنهن **خير لهن** من أن يبدين. والثاني **وأن يستعففن** ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علَما بين معرفة الحرّة من الأمة **خير لهن** من الوضع، كقوله: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ،[7] أَنْ يُعْرَفْنَ أنهن حرائر فَلَا يُؤْذَيْنَ كما تؤذى الإماء. *والله أعلم*.

وقوله:[8] **والله**[9] **سميع عليم**، كأن قوله: **والله سميع عليم** ههنا صلة قوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[10] وإلا ليس في هذه الآية ما يوصل به، أو أن يكون جوابا له.

قال القُتَبِي: **القواعد من النساء**، هن العُجُز، واحدها قاعد، ويقال: إنما قيل لها[11] قاعد

---

[1] ن: له.
[2] م – هذا.
[3] ﴿ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظَهَر منها﴾ (سورة النور، ٣١/٢٤).
[4] ن: قوله.
[5] ر م: يرغبه.
[6] م – بها.
[7] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذَين﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).
[8] ن: قوله.
[9] ع – والله.
[10] سورة النور، ٥٨/٢٤.
[11] ر: لهما.

لقعودها عن المحيض[1] والولد، ومثلُها ترجو[2] النكاح، أي[3] تطمع فيه، ولا أُراها سمِيت قاعدا [إلا] بالقعود عما ذُكر[4] لأنها[5] إذا أسنّت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعودَ فقيل لها: قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء[6] على أنه قُعود[7] كِبَرٍ كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليعرف على أنه حَمْل حَبَل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها وحاملة على[8] ظهرها.[9] وقال: العرب[10] تقول: وامرأة واضع إذا كَبِرت فوضعت الثياب، ولا يكون هذا إلا في الهَرِمة. وقال أبو عَوْسَجة: **غيرَ متبرجات**، أي غير مظهرات محاسنهن، والمتبرجة المتزينة بإظهار الزينة.

وحاصل قوله: **ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** يخرج على وجهين، والله أعلم. أحدهما يكون معنى قوله: **لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة**، كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الآخر، كقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ؛[11] إذا كن محصنات كن غير مسافِحات [٥٣٠ظ] وإذا كن غير[12] مسافحات / كن[13] محصنات. فعلى ذلك قوله: **لا يرجون نكاحا**، إذا كنّ لا يرجون النكاح كن غير متبرجات –والله أعلم– لأن التزيين إنما يكون منهن طمعا في النكاح. والثاني مع ما لا يرجون النكاح يتزيّن ويتبرّجن فقال: **ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير** مُظهرات الزينة. على هذين الوجهين جائز أن يخرج تأويل الآية.

وقوله:[14] **وأن يستعففن** عن ذلك كله **خير لهن**. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: من الحيض.
[2] ر: ترجوا.
[3] ع: أن.
[4] ن – عما ذكر.
[5] جميع النسخ: إلا أنها.
[6] ع – الهاء.
[7] م: قعو.
[8] ر م: في.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٧-٣٠٨.
[10] ن م: ولعرب.
[11] ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (سورة النساء، ٤/٢٥).
[12] ع – غير
[13] ع + غير.
[14] ن: قوله.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٦١]

وقوله[١] عز وجل: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، الآية. اختلف في تأويله، قال بعضهم: إن الرجل الصحيح كان يتحرج مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض إشفاقا عليهم ورحمة، يقول: إنه لا يبصر طيّب الطعام فلعله يأكل الخبيث وأنا آكل الطيّب، ويقول: إن الأعرج لا يستوي جالسا إذا قعد فلا يقدر على[٢] أن يتناول مما[٣] أتناول[٤] أنا، وإن المريض لا يأكل مثل ما يأكل الصحيح. وكان الرجل لا يأكل من بيت أبيه ولا من بيت أمه إذا لم يكونوا فيه، وكذلك من[٥] ذكر[٦] إلى آخره حتى يكونوا فيه، وكذلك الصديق وهؤلاء، فأنزل الله هذه الآية في رخصة ذلك كله.

وقال بعضهم: إن هؤلاء الزَّمْنَى[٧] والعُميان[٨] والعُرْج والمرضَى وأولي الحاجة[٩] منهم، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم ويستضيفونهم، فإن لم يجدوا لهم طعاما أو شيئا يأكلونه ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم ومن عَدَّد[١٠] معهم،[١١] فكره ذلك المستتبَعون، [أي] التناول من غير بيوت أولئك بلا دعوة ولا إذنٍ سبق منهم، فأنزل الله في ذلك إباحةً لهم ورخصةً وأحل لهم الطعام حيث وجدوه. وقال بعضهم:[١٢] إن الأعمى والأعرج والمريض وهؤلاء الذين كانت بهم

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م – على.
[٣] ن ع: فيم.
[٤] ر: فيما تناول.
[٥] جميع النسخ: من.
[٦] أي من ذكرهم الله في الآية الكريمة.
[٧] جمع الزَّمِن، وهو ذو العاهة (*القاموس المحيط*، «زمن»).
[٨] ع: وفي العميان.
[٩] ع: وأولي الحاجة.
[١٠] ن: ومن عدد.
[١١] أي لمن عدّهم في الآية الكريمة.
[١٢] ر ع م – بعضهم.

زَمَانة كانوا يتحرّجون مؤاكلة الأصحاء مخافةَ أن يتقزّزوا[١] ويستقذروا. يقول الأعرج: لا أؤاكل الناس لأني آخُذُ من المجلس[٢] مكان الرجلين وأضيّق عليهم؛ وقال الأعمى: إني أُفسد عليهم طعامهم، وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك. فأنزل الله الرخصة في ذلك ورفع عنهم الْجُناح في مؤاكلتهم فيقول: إن الحق عليهم أن يترحموكم[٣] لما بكم من الزَّمانة وأن يدعوا لكم بالرفع[٤] عنكم[٥] لا التقزُّز والاستقذار عنكم.

وقال بعضهم: إن[٦] الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزَّمِن[٧] فيدعوه إلى طعامه فيقول: والله إني لَأَجْنَح[٨] وأَحرَج[٩] أن آكُل من طعامك وأنا غني وأنت فقير،[١٠] فأنزل الله هذه الآية[١١] في ذلك: **ولا على أنفسكم**، إلى آخر الآية.

وقال بعضهم: كان هذا في أهل الجهاد، وإن[١٢] الرجل كان يخرج إلى الجهاد فيُخلِف آخرَ في منزله في حفظ ماله وأهله والقيام بكفايتهم، فكان يتحرّج ولا يأكل من ماله شيئا ولا من طعامه لِما لم يَسبِق منه الإذن في ذلك، فأنزل الله في ذلك[١٣] رخصةً وأباحةَ التناول من ذلك. إلى هذا انتهت أقاويل أهل التأويل وتأويلهم.

والأشبه عندنا أن يكون تأويل الآية في غير ما ذهبوا هم إليه، وهو أن يكون قوله: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، أي ليس على هؤلاء حرج أن يأكلوا من بيوت آبائهم أو أمهاتهم[١٤] أو بيوت إخوانهم أو بيوت أخواتهم

---

[١] ع + منهم؛ م: يتقذروا. وتقزّز الرجلُ من الشيء: لم يَطْعَمْه ولم يَشْرَبْهُ بورده (لسان العرب، «قزز»).
[٢] ع: في المجلس.
[٣] ر: يرحموكم؛ م: يرحموكم.
[٤] ن: بالدفع.
[٥] ع: عنهم.
[٦] م – إن.
[٧] ر م: والزمني.
[٨] في حديث ابن عباس في مال اليتيم: إني لَأَجْنَحُ أن آكُل منه، أي أرى الأكل منه جُناحا، وهو الإثم (لسان العرب، «جنح»).
[٩] ر ع: وأحرج.
[١٠] انظر: تفسير الطبري، ١٧٢/١٨.
[١١] ر ع م – هذه الآية.
[١٢] ع: إن.
[١٣] ع – فأنزل الله في ذلك.
[١٤] ر ع م: وأمهاتهم.

أو بيوت أعمامهم إلى قوله: **أو بيوت خالاتكم**. لأنهم إنما يأكلون بالحق، لأن من كان به[1] زَمانة كان له التناول من أموال[2] مَن[3] ذَكَر من الآباء والأمهات والقرابات، إذ تفرض لهم النفقة في أموالهم. فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في أموالهم ويكون قوله:[4] **ولا على أنفسكم** جناح **أن تأكلوا من بيوتكم... أو ما ملكتم مَفاتِحَه أو صَديقِكم**. أي لا بأس أن تأكلوا من بيوتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو من بيوت صديقكم، إذ ليس يباح[5] للرجل[6] التناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في الأحوال كلها. دل أن التأويل الذي ذكرنا أشبه فيصرف تناول الزَّمِنَ في[7] أموال القرابات بحق النفقة والحق، و[يصرف تناول] من ليس به زمانة في ماله ومال صديقه بحق المِلك والصداقة، لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم. وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة[8] ولا يرفع القرابة ولا تزول[9] صلتُها.

ثم اختلف في قوله: **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم**، قال بعضهم: من بيوت[10] أولادكم. وقال بعضهم: من بيوت أزواجهم ونسائهم، وقال بعضهم: من بيوت أنفسهم، وهو مما يجد الرجل في بيته من طعام فإنه لا بأس أن يأكله. وكذلك لا بأس للرجل أن يتناول من بيت زوجته، لأنه لم يذكر في الآية بيت الولد وبيت الزوجة على الإشارة والتفسير، فيصرفون تأويل قوله: **أن تأكلوا من بيوتكم** إلى هؤلاء.

وقوله: **أو ما ملكتم مفاتحه**، أي خزائنه، يحتمل العبيد لأن السيد يملك مال عبده. ويحتمل الوكيلَ والخازنَ: أن يأكل من طعامه وأُدْمِه بغير إذن السيد. ويحتمل قوله: **أو ما ملكتم مفاتحه**، السيد نفسه صاحب الخزانة ومالكها.

---

[1] ر غ - به.
[2] غ: من الأموال.
[3] م: ص.
[4] ر م - قوله.
[5] غ: يباع.
[6] ر غ م: الرجل.
[7] م - في.
[8] غ - لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة.
[9] جميع النسخ: ولا تزول.
[10] غ: أو بيوت.

ثم ذَكَر الأكل من بيوت من ذكر على التأويل الذي ذكرنا. واستدلنا[1] على إيجاب النفقة لهؤلاء الزَّمنيّ في أموال من[2] ذكرنا من القرابات [فهو] يخرج على وجهين. أحدهما ذَكَر البيوت لأنهم إذا كانوا زمني يستوجبون[3] السُّكنى أيضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم. والثاني ذكر الأكل من بيوتهم لئلا يفهم من الأكل الأخذ منها،[4] لأنه ذكر في الآيات[5]
[٥٣١و] الأكلَ والمراد والمفهوم منه الأخذُ كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،[6] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا،[7] وقوله: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا،[8] مفهوم المراد من الأكل المذكور في هذه الآيات الأخذ لا الأكل نفسه. فذكر ههنا الأكل من بيوتهم لئلا يفهم منه[9] الأخذ كما فهم من تلك. وعلى تأويل أهل التأويل مستقيمٌ ظاهر ذكر البيوت، إذ لا يجعلون ذلك الأكل والتناول منه أكلا وتناولا بحق.

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا**، قال بعضهم: ذكر هذا لأن قوما كانوا لا يأكلون وحدهم[10] ولا يرون ذلك حسنا في الخُلق ويتحرجون ذلك حتى يكون معهم غيرٌ، فرخص الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال: **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا**. وعلى تأويل من يقول: إنهم استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا يأكلون، ذهبوا بهم إلى بيوت هؤلاء فيتحرج أولئك الأضياف الأكلَ من بيوت مَن ذُكر وأرباب البيوت ليسوا فيها، فرخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول: إنهم كانوا يتحرجون الأكل مع الأعمى ومَن ذَكَر[11] إشفاقا عليهم وترحُّما لما لا يبصرون طيّب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول:

---

[1] ع: و ستدل لنا.
[2] ع: ما.
[3] م: ليستوجبون.
[4] ر: منهما.
[5] ر ن م: في آيات.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).
[7] ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾ (سورة النساء، ١٠/٤).
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ (سورة آل عمران، ١٣٠/٣).
[9] ع: من.
[10] جميع النسخ: وحده.
[11] جميع النسخ: ذلك.

إنهم كانوا يتحرجون الأكل[١] مع هؤلاء تقزّرا واستقذارا يرغبهم في الأكل مع أولئك وترك التقزّر عن ذلك. ويدل لتأوين[٢] الأول ما روي عن أصحاب رسول الله، رُوي عن محمد بن علي قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى أحدهم أنه أحق بالدنانير[٣] والدراهم من أخيه المسلم.[٤] قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأتِيَن على[٥] الناس زمان يكون الدينار والدرهم أحبّ إلى الرجل من أخيه المسلم.»[٦] وعن ابن عمر قال: لقد رأيتني ومالُ الرجل المسلم[٧] أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.[٨]

وقوله: **فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم**، يحتمل قوله: **فسلموا على أنفسكم**،[٩] أي يسلم بعضكم على بعض، فصيَّر المسلمين أجمعَ بعضهم لبعض كأنفسهم، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[١٠] أي لا يقتلْ[١١] بعضكم بعضا. وقوله ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ،[١٢] ونحو ذلك من الآيات، فصيّر بعضهم لبعض كأنفسهم لأنهم كشيء واحد يتألم بعضهم بألم بعض ويحزن بعضهم بحزن بعض ويُسَرّ بعضهم بسرور بعض ونحوه، فهم[١٣] جميعا كشيء واحد وأنفسهم جميعا كنفس واحدة، لذلك جعل سلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا.

ويحتمل وجها آخر وهو أن بعضهم إذا سلّم على بعض يردّ عليه مثله فيصير[١٤] كأنه

---

[١] ع – مع الأعمى ومن ذلك يشفق عليهم وترحما لم لا يبصرون طيب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك وعلى تأويل من يقول إنهم كانوا يتحرجون الأكل.

[٢] ع: لتأويل.

[٣] م: بالدننر.

[٤] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٣٦.

[٥] ر ع م: عن.

[٦] روى الإمام أحمد نحوه، انظر: *المسند*، ٢/٨٤.

[٧] م – المسلم.

[٨] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٨٤.

[٩] ع – يحتمل قوله فسلموا على أنفسكم.

[١٠] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).

[١١] ن: لا تقتل.

[١٢] سورة البقرة، ٢/٨٥. وجميع النسخ: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ وهي نهاية الآية الأولى.

[١٣] ر م: منهم.

[١٤] ع: يصير.

هو يسمم على نفسه، وكذلك قوله: **ولا تقتلوا أنفسكم**، أي[1] لا[2] يقتل أحد آخرَ فيُقتَلَ به فيكون قاتلَ نفسه، إذ لولا قتله إياه لم يُقتَل به. وكذلك قوله: لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،[3] أنه إذا أكل مال غيره بغير رضاه ضمنه فإذا ضمنه فكأنه أكل مال نفسه بالباطل.

ويحتمل أنه[4] أراد به السلام على أنفسهم، أي يسلم كل[5] على نفسه وإن لم يكن فيه أحد. وكذلك روى عن ابن عباس قال: أراد المساجد، إذا دخلتها فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.[6] وعلى ذلك رويت الأخبار: من دخل بيتا أو مسجدا ليس فيه أحد فيقل: السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين.[7] وعلى ذلك جائز أن يكون قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[8] بترك الإنفاق عليها وغيره.[9] وجائز أن يراد بالأنفس أهلهم، أي سلموا على أهليكم وهو الأولى.

ثم اختلف في السلام. قال بعضهم: السلام من السلامة، أي عليك السلامة من جميع الآفات والنَّكَبات. وقال بعضهم: السلام هو اسم من أسماء الله، فتأويله: عليك اسم الله الذي لا يضرك معه[10] شيء ولا يلحقك به أذى، كقوله: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء».[11]

وقوله: **تحية من عند الله**، التحية كأنها الكرامة، كأنه قال: كرامة من عند الله لكم. وقوله: **مباركة**، المبارك هو الذي يُنال به كلُّ خير وبِرّ. أو أن يسمّى **مباركة** لما به ينمو الشيء ويزكو.[12] وقوله: **طيبة**، أي[13] ما يستطيبه[14] كل أحد. وقال بعضهم: **طيبة**، أي حسنة،

---

[1] ع – أي.
[2] ع: ولا يقتل.
[3] سورة النساء، ٤/٢٩.
[4] ع: إذ.
[5] ن – كل.
[6] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣/٢٧٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٢٢٧-٢٢٨.
[7] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٧٣.
[8] سبق قريبا.
[9] جميع النسخ + وكذلك قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فهو ابتداء الآية التي سبقت قريبا.
[10] ر ع م: لا يضر معك.
[11] انظر: سنن *ابن ماجة*، الدعاء ١٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١٠؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ١٣.
[12] ع: ويدكو.
[13] ع – أي.
[14] جميع النسخ: ما يستطيب به.

فتأويله ما يستحسنه[1] كل أحد. وقال بعضهم: قوله: **تحية من عند الله**، يقول: سلام من أمر الله لكم **مباركة** بالأجر **طيبة** بالمغفرة. ***والله أعلم.***

وقوله: **كذلك يبين الله**، أي مثل الذي[2] يبين الله **لكم الآيات لعلكم تعقلون**. أي كي[3] تعقلون ما لكم وما عليكم وما لله عليكم وما لبعضكم على بعض. وقوله: **بيوتا**،[4] ما ذكرنا. قال بعضهم: المساجد، وقال بعضهم: البيوت المسكونة كقوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ.[5]

**﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٦٢]

وقوله: **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**، وقال[6] في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا،[7] الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ / الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ [٥٣١ظ]
زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[8] هذا -والله أعلم- ليس أن ما ذكر من الاستئذان وترك الارتياب وزيادة الإيمان بالتلاوة ونحوه من شرط الإيمان. ولكن -والله أعلم- أن الأولى بالمؤمنين هذا: أن لا يذهبوا حتى يستأذنوا رسوله وأن لا يرتابوا وأن يجاهدوا وأن يزداد لهم بالتلاوة[9] ما ذكر، ليس على جعله شرطا للإيمان ولكن ما ذكرنا من الأولى بهم والاختيار لهم ما ذكر. ***والله أعلم.***

ثم ذكر في هذه الآية أن المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقونه[10] إلا بالاستئذان منهم من رسول الله، وذكر أن المنافقين يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا،[11]

---

[1] جميع النسخ: ما يستحسن به.
[2] ر م: الذين.
[3] ر: كي.
[4] جميع النسخ: بيوتكم.
[5] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ (سورة النور، ٢٧/٢٤).
[6] م: قال.
[7] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.
[8] سورة الأنفال، ٢/٨.
[9] ر ع م: التلاوة.
[10] ع م: ولا يفارقون.
[11] الآية التالية.

وقال في آية أخرى: لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[1] ذكر أنهم لا يستأذنونك[2] وإنما يستأذنك المنافقون، بقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.[3] فهذه الآيات في ظاهر المخرج مختلفة وإن كانت في المعاني المُدرَجة فيها موافقة. فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج، إذ للمسحدة[4] أن تقول: هو مختلف في الظاهر وإنه من عند غير الله، بقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[5] فدل ما ذكرنا أن الاحتجاج بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد خيال.

ثم جائز أن يكون ما ذكر من استئذان المؤمنين وترك استئذان أولئك للخروج[6] منه لما لا يستأذنه المؤمنون للخروج من عنده[7] إلا لعذر[8] وأولئك يستأذنونه للخروج لا للعذر، كقوله تعالى: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ،[9] ونحوه،[10] وأما المؤمنون فلا يستأذنونه إلا بعذر. أو أن يكون ذلك في نوازل مختلفة أو في فِرق. أو أن يكون المؤمنون يُظهرون له عذرهم ويفوّضون أمورهم إلى رسول الله على أن ينظر في ذلك؛ فإنْ رأى الصوابَ أن ينصرفوا صرفهم وإن رأى الصواب الكون والمُقامَ معه أقاموا معه، والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون. وعلى[11] هذا -والله أعلم- جائز أن يخرج تأويل الآيات التي ذكرنا.

ثم قوله: **وإذا كانوا معه**، أي مع رسول الله، **على أمرٍ جامع**، اختلف فيه. قال بعضهم: يوم الجمعة ويوم العيد، وقال بعضهم: في الغزو والجهاد في سبيل الله. يخبر أن المؤمنين يكونون[12] معه لا يذهبون عنه إلا بإذن، والمنافقون يتسلّلون ويذهبون مُستخفِين منه أو يقعدون[13] ويخرجون من عنده.

---

[1] ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ (سورة التوبة، ٤٤/٩).
[2] ن: لا يستأذنونه.
[3] سورة التوبة، ٤٥/٩.
[4] م: للملاحدة.
[5] سورة النساء، ٨٢/٤.
[6] ر: للمخرج.
[7] ع - من عنده.
[8] ع ن: بعذر.
[9] ﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[10] ع - ونحوه.
[11] ع ن: على.
[12] ن - يكونون.
[13] ر م: ويقعدون

وأصله **وإذا كانوا معه على أمر جامع،** أي على أمرِ طاعةٍ[1] **لم يذهبوا حتى يستأذنوه.** وقال[2] بعض من أهل التأويل: هذه الآية نسخت الآية التي في سورة براءة حيث قال في ذلك: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[3] الآية، وقال في سورة النور: فأْذَن لمن شئت منهم، أذِن له بالإذن لهم في هذه الآية وغيره في ذاك بالإذن لهم، لكن الوجه فيه ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله: **واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم،** الأمر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الأمر بالتشفع لهم.

**﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦٣]**

وقوله: **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم إلى ما يدعوكم إليه كدعاء بعضكم بعضا، مرة تجيبونه[4] ومرة[5] لا تجيبونه، كما يجيب بعضكم بعضا إذا دعاه مرة ولا يجيبه تارة. بل أجيبوا رسول الله في جميع ما يدعوكم إليه وفي[6] كل حال تكونون.[7]

والثاني لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ إذا دعوتموه[8] كما يدعو[9] بعضكم بعضا: يا فلان ويا فلان! ولكن ادعوه[10] باسم هو مخصوص به: يا رسول الله، ويا نبي الله، على ما أقررتم أنه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم، فعلى ذلك في الدعاء والإجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له وإجلالا خصوصية له وفضيلة، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ.[11]

---

[1] ن ع + لله؛ ع: الله.
[2] ر م: قال.
[3] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٣).
[4] ع - مرة تجيبونه.
[5] ع: مره.
[6] ر م: في.
[7] ر ع م: يكونون.
[8] م: دعتموه.
[9] ر: يدعوا.
[10] ر م: ادعوا.
[11] سورة الحجرات، ٤٩/٢.

وقوله: **قد يعلم الله الذين يَتَسَلَّلُون منكم لِواذا**، قال بعضهم: إن المنافقين إذا كانوا في أمر جامع فيسمعون رسول الله يذكر مَثالِبهم ومساويهم[1] وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا، يلوذ بعضهم ببعض. وقال بعضهم: نزل هذا[2] في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه.[3] وقوله: **لِواذا**، أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض[4] ويستتر[5] بعضهم ببعض ويخرجون.

وقوله: **فليحذر الذين يخالفون عن أمره**، يحتمل قوله: **يخالفون عن أمره**، أي يخالفون أمره. وحرف "عن" يكون صلة فيه. وجائز[6] أن يكون على ظاهر ما ذكر **يخالفون عن أمره**. فإن كان على هذا كأنه قال: **يخالفون عن أمره**، أي يعدِلون عن أمره[7] ويَزيغون عنه كقوله: وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.[8]

[٥٣٢و] وقوله: **أن تصيبهم فتنة**، يحتمل الفتنة الكفر، ويحتمل الفتنة / القتال والتعذيب في الدنيا، **أو يُصيبَهم عذاب أليم** في الآخرة. *والله أعلم*.

**﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٦٤]

وقوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، ليس ههنا ما يستقيم أن يُجعل قوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، صلةً له، اللهمّ إلا أن يجعل ذلك صلة قول:[9] من يجعل له الولد والشريك، أو صلة قوله: مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[10] فيقول: من له ما في السماوات والأرض

---

[1] جميع النسخ: ومساءتهم.
[2] ر م: هذه.
[3] ر - إياه.
[4] ع - وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه وقوله لواذا أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض.
[5] جميع النسخ: ويستتر.
[6] ع: جائز.
[7] ر م: من أمره.
[8] سورة سبأ، ١٢/٣٤.
[9] جميع النسخ: قوله.
[10] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٤/٢٣).

لا يحتمل أن يقع له[1] الحاجة إلى الولد أو الشريك، أو من له ملك ما في السماوات والأرض يختار لرسالته من يشاء بشرا أو ملكا،[2] ليس لأحد القول في ذلك.[3] ***والله أعلم.***

وقوله: **قد يعلم ما أنتم عليه**. هذا وعيد منه وإعلام أنه مراقبهم مطّلع عليهم في جميع أحوالهم ليكونوا أبدا على حذَر. لأن من علِم أن عليه رقيبا وحافظا كان أنبَهَ وأيقظَ وأحذَر ممن لم يعلم ذلك. أو أن يكون على علم بأحوالكم وما أنتم عليه من الخلاف لأمره. خلقكم وأرسل[4] إليكم[5] رسولا لا على جهل بذلك وغفلة، أو يؤخر عنكم العذاب على علم[6] بما أنتم عليه ليوم الموعود لا بسهو وغفلة، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ،[7] الآية. فعلى ذلك قوله: **قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا**، أي إنما يؤخر ذلك عنهم إلى يوم الرجوع إليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا. **والله بكل شيء عليم**.

قال أبو عَوْسَجة: **يتسللون**، أي[8] يذهبون[9] مستخفِين. ويقال: انسلّ الرجل، أي انسرق من الناس، أي فارَقهم ولا يعلمون به. والتسلل [إنما يستعمل إذا كان الاستخفاء][10] من الجماعة. وقوله: **لواذا**، يقال لاذَ مني، أي اختبأ[11] مني[12] واختفى.[13] ويقال: لاذ بي، أي استتر بي. وقال القُتَبِي: قوله: **يتسللون منكم لواذا**، أي من يستتر بصاحبه في انسلاله ويخرج، يقال: لاذ[14] فلان [بفلان]، واللواذ مصدر.[15]

---

[1] ر ع م – له.
[2] ع: مسك.
[3] ر + القول في ذلك.
[4] جمع النسخ: وأرسل.
[5] ع: إليهم.
[6] ع: عمى.
[7] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[8] ع – أي
[9] ع: ويذهبون.
[10] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٣٥و.
[11] ر ع م: اختبى.
[12] ع – أي اختبأ مني.
[13] ن: واختفا.
[14] ع: يد لا.
[15] ع + والله تعالى أعلم. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

## [1]سورة الفرقان كلها[2] مكية

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[١]

قوله[3] عز وجل: **تبارك**، قال أهل التأويل: **تبارك**، من التفاعُل وهو مِن تَعَالى، لأن البركة هي اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تأويله: تعالَى، مِن التعالِي والارتفاع. وقال أهل الأدب: **تبارك**، هو من البركة، والبركة هي اسم كل فضل وبِرّ وخير، أي به يُنال[4] كلّ فضل وشرف وبِرّ. قال[5] أبو عَوْسَجة: **تبارك**،[6] هو تنزيه مثل قولك: تعالى. وقال الكسائي والقُتَبِي: هو من البركة،[7] وهو ما ذكرنا.

وقوله:[8] **نزل الفرقان على عبده**، سماه فرقانا؛ قال بعضهم: لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال الحرام، وبين ما يؤتى وما يُتّقى. وعلى هذا جائز أن يسمى جميع كتب الله التي أنزلها عى رسله فرقانا، لأنها كانت تفرق بين الحق والباطل، وبين ما يَحلّ وما يَحْرُم، وبين ما يؤتى وما يتقى، ولذلك سُمي التوراة فرقانا بقوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ.[9] وأما القرآن [فـ]هو مِن قرَن بعضه إلى بعض؛ يقال: قرَنت الشيءَ إلى الشيء، إذا ضممتُه إليه؛ [و]قرَن يقرِن قَرْنا.

---

[1] ن + ذكر ن.
[2] ن ع + نزلت بمكة وهي.
[3] ن: وقوله.
[4] ر م: ينل
[5] ر: وقال
[6] ع - تبارك.
[7] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٠.
[8] ن: قوله.
[9] ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ (سورة الأنبياء، ٤٨/٢١).

وقال بعضهم: سُمّي القرآن فرقانا لأنه أُنزل بالتفاريق مفرّقا، وسائرُ الكتب أُنزلت[1] مجموعة، لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا، وهو أقرب وأشبه.

|٥٣٣و س٢٢ *وقال القُتَبي: **تبارك**، مشتق من البركة،[2] وكذلك قال الكسائي وقد ذكرنا ذلك. وقال أبو عَوْسَجة: **[تبارك]** تنزيه مثل قولك: تعالى على ما[3] ذكرنا. وقال: **الفرقان**، هو الحق فرق بين الحق والباطل. والقرآن هو من قرن بعض إلى بعض، والزبور هو اسم كتاب، والزُّبُر جمع،[4] وزَبَرتُ كتبتُ، والزُّبَر قِطعُ الحديد، كقوله: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ،[5] أي قِطعَ الحديد،[6] الواحدة[7]
٥٣٣و س٢٦] زُبْرَة، والتوراة اسم كتاب لا أظنه بالعربية.*

وقوله: **ليكون للعالمين نذيرا**، جائز أن يكون قوله: **للعالمين نذيرا**، أي القرآن الذي أنزله على عبده[9] يكون نذيرا لمن ذُكر. ويحتمل قوله: **ليكون للعالمين نذيرا**،[10] أي ليكون[11] محمد بالقرآن الذي أُنزل عليه[12] نذيرا، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[13] وكقوله: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ،[14] أي مَن بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره.

ثم قوله: **للعالمين**، جائز أن يراد به الإنس والجن. ثم ذكر النِذارة فيه ولم يذكر البِشارة، فإن كان على هذا فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله، أنْ[15] ليس للجن ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالأجرام، لأن الله تعالى لم يذكر لهم الثواب في الكتاب، وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ،[16] الآية.

---

[1] ر ع م: أنزل.
[2] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٠.
[3] ع: عم.
[4] ر ن ع: جميع.
[5] ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا﴾ (سورة الكهف، ٩٦/١٨).
[6] ر م – أي قطع الحديد.
[7] ر م: الواحد.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٣و/سطر ٢٢-٢٦.
[9] ع: عليه.
[10] ع + لمن ذكر.
[11] ع + للعالمين.
[12] ع – محمد بالقرآن الذي أنزل عليه.
[13] ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٢٤/٣٥).
[14] سورة الأنعام، ١٩/٦.
[15] م: أي.
[16] ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ (سورة الأحقاف، ٣١/٤٦).

جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب أليم. وجائز أن يكون في النذارة[1] بشارة أيضا، [بشارة] ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لأنهم إذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيه كانت لهم العاقبة، فلهم[2] بشارة في ذلك ونذارة، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.[3]

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٢]

وقوله:[4] **الذي له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض** صلة قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ، ووجهه -والله أعلم- أي تعالى مِن أن يكون النذيرُ الذي بعثه إليهم إنما بعثه لحاجة نفسه: لجر منفعة إليه أو لدفع مضرة عنه على ما يبعثه[5] ملوك الأرض من الرسل لحوائج أنفسهم إما لجر منفعة إليهم أو لدفع مضرة عنهم. ولكن إنما يبعث النذير والبشير إلى الخلق لمنافع أنفسهم، إذ لا يحتمل أن يكون من له / ملك السماوات والأرض أن يبعث النذيرَ [٥٣٢ظ] والبشير لمنافع نفسه ولحاجته، [وذلك] لغناه. وأما ملوك الأرض [فهم] لا يملكون ذلك فيما يرسلون ويبعثون من الرسل، إنما يبعثون ويرسلون لمنافع أنفسهم وحوائجهم لدفع مضرة أو جرّ منفعة.

وجائز أن يكون قوله: **تبارك**، أي تعالى مِن أن يتخذ ولدا أو شريكا في الملك، على ما نسبوا إليه من الولد والشريك فقال: تعالى من أن يكون له الولد أو الشريك، إذ له ملك السماوات والأرض، فالولد في الشاهد إنما يُتخذ لإحدى خلال ثلاث، وقد ذكرنا.[6] وبعدُ فإن الولد في الشاهد إنما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من أشكاله، وكل ذي شكل وجنس يكون فيه مَنْقَصة وآفةٌ.[7] وكذلك الشريك إنما يكون من جنسه ومن شكله، وإنما يقع الحاجة إلى الولد[8] إما لعجز[9] أو آفة،[10] فإذا كان الله سبحانه له ملك السماوات والأرض وهو خالقهما فأنّى يقع له الحاجة إلى الولد والشريك؟

[1] ع: في النذراة.
[2] ن: ولهم.
[3] سورة سبأ، ٢٨/٣٤.
[4] ن: قوله.
[5] ر: على يبعث؛ ع: عمى يبعثه.
[6] انظر مثلا: تفسير الآية ١١٦ من سورة البقرة.
[7] ر: منقصة أو آفة.
[8] ر ع – الولد؛ ن. الشريك.
[9] ع: لعجزة.
[10] ع: وآفة.

وقوله:[1] **وخلق كل شيء**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه[2] خلق كل شيء. وعلى قولهم: أكثر الأشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الأعراض، لأنهم يقولون: إنها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها.[3]

وقوله:[4] **فقدره تقديرا**، جائز أن يكون قوله: **فقدره تقديرا**، لحكمته. أو قدره[5] تقديرا لوحدانية الله وألوهيته. أو قدّره تقديرا، أي جعل له حدا لو اجتمع الخلائق على ذلك ما[6] عرفوا قدره ولا حده من صلاح وغيره ما لو لم يقدّر ذلك لفسد.

**﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[٣]**

وقوله:[7] **﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾**، أي معبودا، ثم تسميته إياها -أعني الأصنام التي عبدوها- آلهة على ما عندهم وفي زعمهم أنها آلهة. والإله عند العرب المعبود، يسمون كل معبود إلها. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[8] عندهم وفي زعمهم، وقول[9] موسى: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا.[10] في زعمهم وعندهم أن كل معبود إله،[11] وإلا قد عابهم بتسميتهم الأصنام آلهة.

ثم بين سفههم وقلة فهمهم في عبادتهم الأصنام وتسميتهم إياها آلهة حيث قال: **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون**، أي يتركون عبادة من يعلمون أنه خالق كل شيء ويعبدون من يعلمون أنهم لا يخلقون وهم يخلقون، ويتركون عبادة من يعلمون أنه يملك النفع والضر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع - أنه.
[3] أي ما كانت منها من أفعال العبد.
[4] ن: قوله.
[5] ر: وقدره.
[6] ع: لما
[7] ن: قوله.
[8] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/ ٩١).
[9] ع: وفي قول.
[10] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/ ٩٧).
[11] ع: إلها.

**ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا**، أي يعبدون من يعلمون أنه لا يملك النفع لهم إنْ عبدوه[1] ولا الضر إن تركوا عبادته، ولا يملكون[2] النفع والضر لأنفسهم أيضا وهو قوله: **ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا**، لغيرهم. فعلى هذا الظاهرِ يجيء أن يكونوا هم[3] سَمَّوا أنفسهم الهة، لا الأصنام، لأنهم يملكون ضرر الأصنام ونفعها، والأصنامُ لا تملك ذلك لهم ولا لأنفسها.

وقال بعضهم في قوله: **لا يملكون موتا**، أي الموت الذي كان قبل أن يُخْلَق الناس، كقوله تعالى:[4] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾.[5] وأما قوله: **ولا حياة**، يقول: لا يملكون أن يزيدوا في هذا الأجل المؤجَّل. **ولا نشورا**، أي بعثا بعد الموت. وقال بعضهم: **لا يملكون** أن[6] يُميتوا حيا قبل أجله، **ولا حياة**، ولا يُحيُون ميتا إذا جاء أجله، **ولا نشورا**، أي بعثا على ما ذكرنا. *وبالله العصمة*.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤] ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥]**

وقوله: **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه**، يعنون هذا القرآن الذي أنزل على رسول الله وكان يقرأه عيهم، يقولون: ما هذا إلا إفك، أي كذِب افتراه من تلقاء نفسه ويخترعه[7] من نفسه. إنّ أهل الشرك كانوا يكذّبون الأنباء والأخبار من غير أن كانت لهم الأسباب[8] التي بها[9] يوصل إلى معرفة صدق الأخبار وكذبها، وذلك كانت عادتهم وهمتهم. والأسباب التي يعرف بها صدق الأخبار وكذبها هي الكتب السماوية والرسل التي نطقوا عن وحي السماء. فكفار مكة لم يكن لهم واحد من هذين، فكيف ادّعَوا على رسول الله

---

[1] ن: اعبدوه.
[2] ر م: ولا تملكون؛ ع: وهم تملكون.
[3] م: يكونوهم.
[4] ن: كقول الله تعالى.
[5] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[6] ر: أي.
[7] ر: ويخرعه؛ ن ع م: ويخترعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٥ظ.
[8] جميع النسخ: أسباب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.
[9] ر م + ما.

اختلاق هذا القرآن واختراعه من نفسه وأنه مفترى على غير كون أسباب معرفة الكذب والصدق لهم في الأخبار. مع ما ظهرت لهم آيات رسالته وأعلام صدقه في الأخبار، حيث لم يؤخذ عليه كذب قطّ ولا رأوه اختلف إلى أحد من أهل الكتاب ولا كان يُحسن أن يخُطّ بيده كتابا، وما قرع أسماعَهم من أول الأمر إلى آخر الأبد [من التحدي والتقريع كما في][1] قوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[2] وقوله: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ.[3] فدل عجزهم وترك تكلّفهم[4] ذلك على أنهم عرفوا أنه من عند الله وأنهم كذَبة في قولهم: إنه إفك مفترى.

وقوله: **وأعانه عليه قوم آخرون**، وقالوا: إنه إفك مفترى وأعانه على ذلك قوم آخرون في افترائه واختراعه. وهم قوم من أهل الكتاب أسلموا، وقد كانوا يجدون في التوراة والإنجيل نعْتَه وصِفته وما كان أنبأهم رسول الله وأخبرهم[5] من / الأنباء المتقدمة والأخبار الماضية فاخبروا[6] [٥٣٣و] بذلك حين سألهم أولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا: إنه كما يقول وإنه صادق في ذلك كله وإنا نجد ذلك كله[7] في كتابنا. فلما سمعوا[8] من أهل الكتاب ما[9] سمعوا من تصديقهم إياه فعند ذلك[10] قالوا:[11] **وأعانه عليه قوم آخرون**.

ثم أخبر أنهم **جاءوا ظلما وزورا**. أما[12] قوله: **ظلما**، لأنهم كذبوه و[قالوا:] إنه مفترى من غير أن كان لهم أسباب معرفة[13] الكذب والصدق، فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه.

---

[1] التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.

[2] ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).

[3] ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة هود، ١١/١٣).

[4] ن: كنفهم.

[5] جميع النسخ: ويخبرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.

[6] جميع النسخ: فاخبروهم

[7] ر م: كله.

[8] جميع النسخ +ذلك.

[9] ع: فما.

[10] جميع النسخ: عند ذلك.

[11] ع: وقالوا.

[12] ع: وأما

[13] ر م - معرفة.

وأما قوله: **وزورا**، لأنهم قالوا: إنه مختَلَق[1] وإنه سحر،[2] وإنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[3] وإنه أعانه عليه قوم آخرون وإنه: **أساطير الأولين اكتتبها فهي تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا**، قد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم، لأنهم متى رأوه[4] اختلف إلى أحد[5] منهم يعلّمه ذلك أو متى رأوه[6] كتب شيئا قط أو يُحسن الكتابة قط وقالوا:[7] أساطير الأولين؟ فإذ[8] عَرَف تلك الأنباء والأحاديثَ التي كانت من قبل -ولا شك أنها لم تكن بلسانه وإنما كانت بلسان أولئك- دل إخباره عما في كتبهم بلسانه أنه إنما عرف ذلك بالله.

وقوله:[9] **فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**، قال أهل التأويل: غدوّا وعشيا. فلو كان على ذلك لكانوا[10] يحضرونه في البكرة والعشي فيسمعونه ويشاهدون[11] ما يُمْلَى عليه، إذ الوقت وقتُ الحضور. ولكن عندنا كأنهم أرادوا بالبكرة والعشي أولَ الليل وآخره: الأوقاتَ التي هي ليست بأوقات[12] الحضور والجلوس؛ يقولون: يأتونه سرا فتُمْلَى عليه وتُعَلَّم.[13] فلو كان ذلك أيضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا ليعرفوا ذلك ويشاهدوه، فإذ[14] لم يفعلوا ذلك دل أنهم كانوا يعرفون صدقه وأنهم كذَبَة في زعمهم، لكنهم كابروه وعاندوه في ذلك.

ثم أخبر أنه إنما أنزله[15] عليه الذي يعلم السر في السماوات والأرض حيث قال:

---

[1] ع م: مختلف. ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾(سورة ص، ٧/٣٨).

[2] انظر: سورة الأنعام، ٦٧/٦؛ وسورة سبأ، ٤٣/٣٤؛ وسورة الصافات، ١٥/٣٧.

[3] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦).

[4] ع: رواه.

[5] ن: واحد.

[6] ع: رواه.

[7] جميع النسخ: وقولهم.

[8] ع: ف.

[9] ن: قوله.

[10] ر م: لكان.

[11] جميع النسخ: ويشاهدونه.

[12] ن: أوقات.

[13] ر ن م: وتعلمه.

[14] ر م: فإذا.

[15] ر م: أنزل.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٦]

**قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض**، ليس بمختلَق منه ولا مفترى. ثم قوله: **يعلم السر في السماوات والأرض**، أي يعلم الأعمال الخفية والسِّرِّيّة من أهل السماوات والأرض، أي يعلم الكوامن التي في السماوات والأرض وخفيّاتهما. وقال بعضهم: قوله: **قل أنزله الذي يعلم السر**.[١] أي **قل** هم يا محمد:[٢] **أنزله**، أي[٣] هذا القرآن **الذي يعلم السر**، وذلك[٤] أنهم[٥] قالوا بمكة سرا: هَلْ هٰذَا[٦] إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[٧] بَلْ هُوَ شَاعِرٌ،[٨] أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. ففي ذلك دلالة إثبات رسالته، لأنهم قالوا سرا فيما بينهم ثم أخبرهم بذلك، [ف]دل أنه بالله عرف ذلك.

وقوله:[٩] **إنه كان غفورا رحيما**، في تأخير العذاب عنهم، **رحيما** حين لا يعجّل عليهم بالعقوبة إذا تابوا ورجعو عن التكذيب إلى التصديق على[١٠] ما ذكرنا. وقوله: **إنه كان غفورا رحيما**،[١١] يحتمل قوله: **غفورا رحيما**، إذا تابوا عن ذلك وآمنوا به ورجعوا إلى الحق. أو غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة، أي برحمته وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلهم يتوبون.*

قال أبو معاذ: الأساطير الأحاديث، واحدها أسطورة كأرجوزة وأراجيز وأحدوثة وأحاديث وأعجوبة وأعاجيب. وفي حرف حفصة: وهي تُمَلّ[١٣] عليه، وهما لغتان، وفي سورة البقرة: أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ.[١٤]

---

[١] م – في لسماوات و لأرض ي يعلم لأعمال الخفية والسرية من أهل السماوات والأرض أي يعلم لكو من التي في السماوات والأرض وخفياتهما وقال بعضهم قوله قل أنزله الذي يعلم السر.
[٢] ع – يا محمد.
[٣] ع + في.
[٤] ن: ذلك.
[٥] ع: أنه.
[٦] جميع النسخ: ما هذا.
[٧] ﴿وأسرّوا النجوى لذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٣/٢١). هذ لقول منسوب في لقرآن إلى قوم نوح. وفي سورة المدثر (٢٣/٧٤-٢٥) ذُكر حكايةً عن الوليد بن لمغيرة: «ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر.» انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٧/٢٩.
[٨] ر ن م: بل هو ساحر؛ ع – بل هو شاعر. ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ (سورة الأنبياء، ٥/٢١).
[٩] ن: قوله.
[١٠] ع: إلى.
[١١] ر ع م + في تأخير العذاب.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٣و/سطر ٢٢-٢٦.
[١٣] ر ع م: تملى. انظر: *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٩٤/٣.
[١٤] سورة لبقرة، ٢٨٢/٢.

**﴿وَقَالُوا مَالِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[٧]**

وقوله:[1] **وقالوا ماهٰذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**. كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين. أحدهما أنه من البشر، بقولهم:[2] هَلْ هٰذَا[3] إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ]،[4] و إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[5] كانوا لا يرون أن يكون من البشر رسول، كقوله: وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[6] الآية، وقولهم: **لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا**، ونحو ذلك. والثاني كانوا يطعنونه[7] بالفقر والحاجة وصِفارة اليد حيث قالوا: أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ [يَأْكُلُ مِنْهَا]،[8] وحيث قالوا: **يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**. كأنهم ينكرون الرسالة في الفقراء وذوي الحاجة ويرونها في ذوي الملك والأموال، ولذلك قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[9] فعلى ذلك قولهم: **يأكل الطعام** كما يأكل الفقراء[10] **ويمشي في الأسواق** في حوائجه كما يمشي الفقراء، ولو كان رسولا لكان مِلكا غنيا يأكل طعام الملوك ولا يقع[11] له الحاجة إلى أن يمشي في الأسواق في حوائجه.[12] فأجاب لهم في طعنهم فيه أنه بشر مثلهم وإنكارِهم[13] الرسالة في البشر بوجوه. أحدها قوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ، قال: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[14] الآية، معناه –والله أعلم– أنه لا يُنزل الملك إلا بالعذاب، فلو أُنزل لأنزل بالعذاب فأُهلكوا.

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: بقوله.
[3] جميع النسخ: ما هذا.
[4] سورة الأنبياء، ٣/٢١.
[5] ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدُّونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ (سورة إبراهيم، ١٠/١٤). هذا القول منسوب في القرآن الكريم إلى الأقوام الماضية.
[6] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).
[7] ر م: يطعنون.
[8] الآية التالية.
[9] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[10] ع – كما يأكل الفقراء.
[11] ر م: لا يقع.
[12] ن: في حوائجه في الأسواق.
[13] ع: وإنكار لهم.
[14] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).

والثاني ما قال: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[1] تأويله -والله أعلم- أنه لم يجعل في وسع
[٥٣٣ط] البشر رؤيةَ الملك على صورته وعلى ما هو عليه، / إذ جنس هذا غير جنس أولئك، وجوهرهم غير جوهر أولئك. ولو جعلناه[2] هكذا كنا لبَسنا عليهم[3] ما كان يلبس أولئك القادة على الأتباع، كقوله:[4] إنه ساحر،[5] وإنه كذاب،[6] وإنه مجنون،[7] فكان في ذلك تلبيس عليهم.

والثالث ما قال: قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ،[8] الآية، أي لو كان أهل الأرض ملائكة لكنا أنزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم، لأنهم أعرف به وأظهر صدقا عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم. فإذا كان أهل الأرض بشرا فالرسول إذن[9] كان منهم، فهم[10] أعرف به، وصدقه[11] أظهر عندهم، وقلوبهم إليه أميَل إلى مَن هو مِن غير جنسهم.

وأجاب لطعنهم في أكله ومشيه في الأسواق حيث قال: وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ،[12] في حوائجهم، أي غيره من الرسل الذين تؤمنون أنتم بهم كانوا فقراء يأكلون الطعام ويمشون في حوائج أنفسهم، ثم لم يمنع ذلك عن أن يكونوا موضعا لرسالته، فعلى ذلك محمد. والفقير وذو[13] الحاجة أحق أن يكون موضعا لرسالته من الغني الْمُثْرِي، لأن الناس يتبعون الغني ومَن له الملك والثروة، فلو كان الرسول غنيا مُثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره، وإذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك، اللهم إلا أن يكون مُلكا هو آية الرسالة نحو مُلك سليمان وداود، وذلك لنفسه آية لرسالته على ما قال: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي.[14] *والله أعلم.*

---

[1] ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).
[2] ن: جعلنا.
[3] ر ع م – عليهم.
[4] ر ع م: لقولهم.
[5] انظر: سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.
[6] الآيات المتعلقة بتكذيب المشركين رسول الله كثيرة، وفي هذه الآية تصريح به: سورة ص، ٤/٣٨.
[7] انظر مثلا: سورة الحجر، ٦/١٥؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٧.
[8] ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٥/١٧).
[9] جميع النسخ: إذا.
[10] م – فهم.
[11] ر ع: وأصدقه.
[12] سورة الفرقان ٢٠/٢٥.
[13] ع: والفقر وذي.
[14] ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ (سورة ص، ٣٥/٣٨).

وقوله: **لولا أُنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا**، كأنهم قالوا ذلك لما نزل قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[١] قالوا عند ذلك: **لولا أنزل إليه ملك**. الآية.

**﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾**[٨]

وقالوا: **أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها**، عند سماع قوله: اَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٢] أي قالوا: لو كان محمد رسول مَن له ملك السماوات والأرض ونذيرا للعالمين على ما يقول لكان أُنزل معه ملك[٣] نذير، أو لكان أُعْطِي هو[٤] كنزا، أي مالا، **أو تكونُ له جنة يأكل منها**، على ما يكون لرسل ملوك الأرض. لكن الجواب لهم ما ذكر:[٥] تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[٦] الآية، أي لو شاء أعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما أعطى غيرك، لكن ليس فيما[٧] منع مَنْقَصةٌ لك ولا فيما أعطاهم[٨] فضيلة.

وقوله:[٩] **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**، لا تزال عادتهم بنسبة الرسول إلى السحر والجنون والكذب.

**﴿اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾**[٩]

وقوله:[١٠] **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا**، فتأويله -والله أعلم- أي انظر إلى سفههم أن كيف ضربوا لك الأمثال وشبّهوك بها؛ نسبوك[١١] مرة إلى السحر وقالوا: إنك ساحر،

---

[١] سورة الفرقان ١/٢٥.
[٢] سورة الفرقان ٢/٢٥.
[٣] ر ع م: ملكا.
[٤] ع: به.
[٥] ن: ذكرنا.
[٦] سورة الفرقان ١٠/٢٥.
[٧] ع: فيها.
[٨] ع: أعطى هم.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ن: قوله.
[١١] م: وسبوك.

ومرة إلى الجنون وقالوا: إنك مجنون، ومرة إلى الشعر وقالوا:[١] إنك شاعر، ومرة إلى الكذب حيث قالوا: بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ،[٢] ونحو هذا مما كانوا يسبونه إليه. فيقول -والله أعلم- انظر إلى سفههم أن **كيف ضربوا لك الأمثال**. ونسبوك إلى ما ذكروا، على[٣] علم منهم أنك لست كذلك ولا على ذلك، وأنك على الحق وهم على باطل وكذب. أو أن يكون قوله: **انظر كيف ضربوا لك الأمثال** ما قالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[٤] وأمثال ما سألوا.[٥] فيقولون: لو كان ما يقول إنه رسول لكان ذلك له أعلام الرسالة وأمارات صدقه؛ فيخبر أن الأعلام والآيات ليست تأتي على شهوات سؤال المعاندين وأمانيّهم، ولكن إنما تجيء على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادّعى ويظهر كَذِب من عاند وتولى. وقد آتاهم بحمد الله بحجج[٦] وبراهين ما أظهر لهم صدق ما ادّعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوها وكابروا فلم يقروا بها خوفا أن يذهب عنهم رياستهم.

وقوله: **فضلّوا**، لا شك أنهم قد ضلوا عن[٧] الهدى، أو[٨] ضلوا، أي عدلوا[٩] بضربهم الأمثال له[١٠] ونسبتهم إياه إلى ما نسبوه إليه، **فلا يستطيعون سبيلا**، إلى الهدى[١١] أو إلى ما سألوا[١٢] من الأشياء. وفي حرف حفصة: فلا يهتدون[١٣] سبيلا.[١٤] وقال بعضهم: **فلا يستطيعون** مخرجا من الأمثال التي ضربوها لك.[١٥] *والله أعلم*.

---

[١] ر ع م - وقالوا.
[٢] ﴿أَأُلْقِيَ الذكرُ عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ (سورة القمر، ٢٥/٥٤).
[٣] جميع النسخ: وعلى.
[٤] سورة الفرقان ٧/٢٥-٨.
[٥] ن ع: ما سألوه.
[٦] ع: آتاهم محمد صلوات الله عليه وسلامه بحجج.
[٧] ن: من؛ ع: على.
[٨] ر ن ع: أي
[٩] ر: عدلو.
[١٠] م - له.
[١١] ع - الهدى.
[١٢] ن: سألوه؛ ع: سألوه.
[١٣] ع: يستطيعون.
[١٤] لم أجد هذا الحرف في كتاب *المصاحف* لابن أبي داود.
[١٥] وهو قول مجاهد، انظر: *تفسير الطبري*، ١٨٥/١٨.

**﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾[١٠]**

وقوله:[١] **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك**. قد ذكرنا أنه خرج جواب ما سألوه من الأشياء من الملك والكنز والجنة وأنواع الطعن الذي طعنوه، أي لو شاء لأعطاك خيرا من ذلك. ثم أخبر أن الذي حملهم على ذلك السؤال وأنواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال:

**﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[١١]**

**بل كذبوا بالساعة**، حيث[٢] لم يروا لأمورهم عاقبة ينتهون إليها [و] يثابون عليها[٣] أو يعاقبون. ثم أخبر ما أعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال: **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا**، ثم وصف ذلك السعير فقال:

**﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[١٢]**

**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا**، وقوله: **رأتهم من مكان بعيد**، يحتمل وجهين. أحدهما يجعل لها[٤] أسبابا تراهم كما يرونها. و[الثاني] إذا[٥] صاروا في مكان بحيث يرونها كأنها[٦] رأتهم. [٥٣٤و]

*وقال القُتَبِي: **تغيظا وزفيرا**، أي **تغيظا** عليهم، كذلك قال المفسرون. وقال بعضهم: [٥٣٤و س٢٧] بل يسمعون فيها تغيّظ المعذَّبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ،[٧] واعتبره الأولون بقوله: تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ،[٨] هذا أشبه التفسيرين[٩] إن شاء الله، لأنه قال: **سمعوا لها** ولم يقل: سمعوا فيها، ولا [سمعوا] منها، وقال: [دعوا هنالك] ثُبُورًا،[١٠] أي بالهَلَكة كما يقول القائل: وا هلاكاه![١١] *والله أعلم*.* [٥٣٤و س٣١]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع - حيث.
[٣] ع: إليها.
[٤] ع: هما + له.
[٥] ع: أو إذا.
[٦] ع: كأنهم.
[٧] سورة هود، ١١/١٠٦.
[٨] سورة الملك، ٦٧/٨.
[٩] ع: المفسرين.
[١٠] من الآية التالية.
[١١] م: وا هلاكا. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٠.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ٢٧-٣١.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[١٣]

وقوله: **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا**، قيل: إن النار تَرفَع[١] وتُعلي[٢] لهبَها ويَرِد[٣] مَن كان في أعلاها[٤] إلى أسفلها ويرد من كان[٥] في أسفها إلى أعلاها فيجمعهم جميعا فيَضيق عليهم المكانُ ويشتدّ بهم العذاب، [و]كلما ضاق عليهم المكان كان العذاب لهم أشد.

وقوله:[٦] **مُقَرَّنِين**، قال بعضهم: مُقيَّدين بعضهم ببعض، ثم قال بعضهم: الشيطان يُقَرَّن ويُقيَّد، كلُّ بشيطانه الذي دعاه إلى ما دعاه واتبعه، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[٧] الآية. وقال بعضهم: يقرَّن العابد والمعبود من دون الله وهو الأصنام التي عبدوها، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا،[٨] الآية.

[٥٣٤و س١٩ *وقال بعضهم في قوله: **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مُقَرَّنين**، في السلاسل، وذلك أنهم إذا ألقوا فيها تضايَقُ عليهم كتضايق الزُّج[٩] في الرمح، فالأسفَلون يرفعهم اللهب والأعلَون يُخفِضهم اللهب فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة فتضايَقُ[١٠] عليهم، فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون: يا ثُبوراه ويا ويلاه! وروى مثله عن عبد الله بن عمر وكان[١١] يقول: إن جهنم لتَضيق[١٢]
٥٣٤و س٢٣] على الكافر كضيق الزُّج[١٣] في الرمح.*

---

[١] ر ع م: يرفع.
[٢] جميع النسخ: ويعلا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦ظ.
[٣] ر ع م: وترد.
[٤] جميع النسخ: من مكان من أعلاها.
[٥] ن: من مكان.
[٦] ن: قوله.
[٧] ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).
[٨] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).
[٩] ع: الزوج. الزج: الحديدة في أسفل الرمح.
[١٠] ر م: فضيق؛ ن ع: تضايق.
[١١] ع: كان.
[١٢] ع: لجهنم لتضييق.
[١٣] ع: لزوج.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ١٩-٢٣.

*وقوله: **دَعوا هنالك ثبورا**، يقول: ويلا وهلاكا! قال الله تعالى: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا [٥٣٤ظ س٢٣
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا.[1] ثم قيل عند ذلك:[2] [قُلْ] أَذَٰلِكَ خَيْرٌ، يعني الذي ذكر، أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً، لأعمالهم، وَمَصِيرًا،[3] أي منزلا. قال أبو عَوْسَجَة: التغيّظ من الغيظ، والزفير الشهيق يكون في الحلق؛[4] وشهَق يشهَق شهيقا وشَهْقا وهو نفَس في الحلق شديد له صوت. وقال: **ثبورا**، أي هلاكا، وصَرْفُه ثبَر يثبُر ثَبْرا وثُبورا فهو ثبور.* ٥٣٤ظ س٢٧]

وقوله: **دعوا هنالك ثبورا**، أي هلاكا، والثبور الهلاك، كقوله: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا،[6] أي هالكا. والثبور والويل هما حرفان يدعو[7] بهما[8] كل من كان في الهلَكة والشدة فقال:

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[١٤]

**لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا**، أي لا تدعوا هلاكا واحدا كما يكون في الدنيا أن مَن هلك مرة لا يهلك ثانيا.[9] وأما في النار فإن لأهلها هلكاتٍ لا تُحصى، كقوله: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، أي أسباب الموت تأتيهم[10] من كل مكان، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[11] وكقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ،[12] الآية. وإنما يسألون ويَدعون بالهلاك لِما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب، وهكذا كل مَن ابتُلي ببلاء[13] شديد يتمنى[14] الهلاك والموت.

---

[1] الآية التالية.
[2] ر ع م - عند ذلك.
[3] سورة الفرقان، ١٥/٢٥.
[4] ر م: في الحلق.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ٢٣-٢٧.
[6] ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السماوات والأرض بصائرَ وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ (سورة الإسراء، ١٠٢/١٧).
[7] ع: يدعوا.
[8] م: بها.
[9] ر: ثانيا.
[10] ن: يأتيهم.
[11] ﴿يتجرّعُه ولا يكاد يُسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ (سورة إبراهيم، ١٧/١٤).
[12] ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نضِجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).
[13] ع - ببلاء.
[14] ع: ويتمنى.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[١٥]

وقوله: **قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون**، يُشبه أن يكون قال هذا لقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا.[١] فيقول: **أذلك** الذي سألتموه أنتم **خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون**: أو [قد] يكون قال ذلك لهم لَمَّا رأوا لأنفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا لِمَا وُسّع عليهم الدنيا وأُعْطُوا من حُطامها فقال: **أذلك** الذي أُعطِيتُمْ في الدنيا من السعة خير أم جنة الخلد التي أُعطي[٢] المتقون. **والله أعلم**.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾[١٦]

وقوله: **لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا**، يحتمل قوله: **وعدا مسئولا** مما[٣] سألته لهم الملائكة، كقوله: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[٤] الآية. أو [يحتمل] سؤالَ[٥] الرسل، كقوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[٦] الآية. أو **وعدا مسئولا** مما سألوا هم[٧] ربَّهم فوعد[٨] لهم ذلك. فهذا يدل أنهم إنما يدخلون الجنة بالسؤال والتشفع لهم والتضرع، لا أنهم[٩] يستوجبون ذلك بأعمالهم.*

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[١٧]

وقوله: **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: يَحشر أولئك الذين عبدوا دون الله والمعبودين وهم الملائكة،

---

١ سورة الفرقان ٢٥/٧-٨.

٢ ع: عطي.

٣ ع: فما.

٤ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨.

٥ ع: وسؤال.

٦ سورة آل عمران، ٣/١٩٤.

٧ جميع النسخ: سألوهم.

٨ ر: ووعد.

٩ ع: لأنهم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ و ١٣ فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ١٩-٣١.

لأن مِن العرب مَن قد عبدوا الملائكة. كقوله في آية أخرى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ،[١] الآية. وقال بعضهم: هو عيسى. يَحشر بينه وبين مَن عبدوه، لأنه قد عُبِد دون الله فيقول له ما ذُكِر، كقوله: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى[٢] ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[٣] الآية. وقال بعضهم: يَحشر الأصنام ومَن عبدها[٤] ثم يأذن لها في الكلام فيقول: **أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، كقوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ[٥] لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ، إلى قوله: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[٦] ولو كان عيسى عليه السلام أو الملائكة لكانوا[٧] عالمين بعبادتهم إياهم غير غافلين، دل[٨] ذلك أنها الأصنام التي عبدوها / دون الله وإياها يسألون، [٥٣٤ظ] وكل ذلك محتمل، إذ قد كان منهم ذلك كله. ***والله أعلم.***

وقوله: **فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، والله عز وجل: كان عالما بما[٩] كان منهم، لكن السؤال إياهم -والله أعلم- يخرج مخرج توبيخ أولئك الكفرة وتعييرهم، لأنهم يعبدون مَن ذكر مِن دون الله ويقولون هم أمروهم بذلك، وكانوا مقبولي القول عندهم صادقين فيما[١٠] يخبرون ويقولون، فأراد أن يظهر كذبهم عند الخلائق لذلك سألهم؛[١١] والله أعلم[١٢] بالكائن منهم من أنفسهم لكنه يخرج[١٣] على ما ذكرنا.

---

[١] ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١).
[٢] ع - يحشر بينه وبين من عبدوه لأنه قد عبد دون الله فيقول له ما ذكر كقوله وإذ قال الله يا عيسى.
[٣] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦).
[٤] ع: عبدوه.
[٥] ن - للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون [إلى قوله] كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول، صح هـ.
[٦] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨-٢٩).
[٧] ع: كانوا.
[٨] ن - دل.
[٩] ر م: لما.
[١٠] ن: فيما.
[١١] ع - سألهم.
[١٢] ن + وإلا كان أعلم.
[١٣] ع: مخرج.

ثم نزهوه عن جميع ما لا يليق به ونزءوا أنفسهم عن أن يكون[1] منهم أمر أو شيء مما نسبوا أولئك إليهم وهو أعلم بهم فقالوا:

**﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾**[١٨]

**سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء**، قال أهل التأويل: أولياء، أي أربابا، وهم لم يتخذوا أربابا من دونه، لكنه عندنا يخرج على وجهين. أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ[2] من دون[3] أوليائك[4] أولياء، وهم[5] المؤمنون. أو أن يكون: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دون ولايتك ولاية سواك. وفي بعض القراءات: أن نُتَّخذ من دونك أولياء برفع النون، لكن أهل الأدب يقولون: هو خطأ.[6]

وقوله: **ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن آباءهم قد أمهلوا ومتِّعوا في هذه الدنيا حتى ماتوا على ذلك من غير أن أصابهم شيء مما أُوعِدوا في كتابهم أو ما أَوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا من الدين وصنيعهم، فظنوا أنهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم ما أَوعدهم رسلهم بشيء. فعلى هذا التأويل الذكر الذي إنهم نسوه هو كتابهم أو ما أوعدهم[7] رسلهم.[8] والله أعلم. فإن كان على هذا فالآية في أهل الكتاب منهم. ويحتمل أن تكون[9] الآية في الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة، مُتِّعوا في هذه الدنيا بأموال[10] ورياسة[11] ووُسِّع عليهم المعيشة

---

[1] ن: كان.
[2] ر م + من دونك من أولياء قال أهل التأويل أولياء أي أربابا وهم لم يتخذوا أربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ.
[3] ر م: من دونه.
[4] ر ع م – أوليائك.
[5] ر م: أولياء هم؛ ع: أولياؤهم.
[6] ر ع م: خطاء.
[7] ن: ما ذكر هم.
[8] ع + بشيء.
[9] جميع النسخ: أن يكون.
[10] ر ع م: بأحوال.
[11] ع: ريسة.

حتى دعوا الناس وأتباعهم إلى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما أنزل عليه. فأُجيبوا بالأموال التي[٢] عندهم فَنَسُوا ما في القرآن من الوعيد.

**وكانوا قوما بورا**. يحتمل قوله: **كانوا**. أي صاروا **قوما بورا**. ويحتمل أن كانوا عند الله **قوما بورا**،[٣] والبور قال بعضهم: الهلاك، وقال بعضهم:[٤] البور الفساد.

**﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾**[١٩]

وقوله: **فقد كذبوكم**، أي فقد كذبكم أولئك المعبودون بما تقولون: إنهم أمرونا بذلك، وكانوا عندهم صدقة.

وقوله:[٥] **فما يستطيعون صرفا ولا نصرا**، هذا يحتمل وجوها. أحدها، أي[٦] ما[٧] يستطيع أولئك الكفرة صرفَ قول مَن عبدوهم[٨] وتكذيبهم حين كذبوهم في[٩] قوله. **ولا نصرا**، أي ولا استطاعوا الانتصار منهم حين كذبوهم. وعلى ذلك يخرج قراءة من قرأ بالتاء: **فما تستطيعون صرفا ولا نصرا**. و[الثاني] يحتمل فما يستطيعون أولئك المعبودون صرفَ عذاب الله ونِقمتِه عنهم[١٠] ولا كانوا لهم نصراء[١١] لأنهم قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٢] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[١٣] والثالث **فما يستطيعون صرفا**، أي فداء[١٤] **ولا نصرا**، أي ولا ناصرا،[١٥]

---

[١] ر: دعو.
[٢] ر ع م – التي.
[٣] ر ع م – يحتمل قوله كنوا أي صاروا قوما بورا ويحتمل أن كانوا عند الله قوما بورا.
[٤] ع – وقال بعضهم.
[٥] ن: قوله.
[٦] م – أي.
[٧] ر: فما.
[٨] جميع النسخ: عبدوه.
[٩] ر ع م – في.
[١٠] جميع النسخ: عنكم.
[١١] ر ع: نصرا.
[١٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[١٤] ع: قد.
[١٥] ر م: ولا نصرا.

أي لا يقبل منهم الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[1]

وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة: قال بعضهم: الصرف الحيلة من قولهم: [إنه] لَيَتَصَرَّف[2] [أي يحتال].[3] وقال بعضهم: الصرف النافلة، سميت صرفا لأنها زيادة على الواجب، والعدل الفريضة. وقد روي في الخبر:[4] من طلب صرف الحديث ليبتغي به إقبال وجوه الناس لم يَرَح رائحة الجنة،[5] أي من طلب تحسينه بالزيادة فيه. وقال بعضهم: الصرف الدِّية، والعدل رجلٌ مثلُه؛ كأنه يريد لا يُقبل منه أن يفتدى برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه بدِيَة.[6] ومنه قيل: صَيرفي،[7] وصرفت[8] الدراهم بالدنانير، لأنك تصرف هذا إلى هذا، وأصله ما ذكرنا.

قال القُتَبِي وأبو عبيدة: **قوما بورا**، أي هَلكَى وهو من بارَ يبور إذا هلك وبطَل، يقال: بار الطعام إذا كسد، وبارت الأيم إذا لم يُرغب فيها.[9] وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأيم.[10] قال أبو عبيدة: يقال:[11] رجل بُور وقوم بُور، لا يُثنّى ولا يجمع.[12]

---

[1] ﴿و تقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

[2] جميع النسخ: لينصرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٧ظ. «والصرف: التقلّب والحيلة. يقال: فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله: أي يكتسب لهم» (*لسان العرب*، «صرف»).

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

[4] م – في الخبر.

[5] لم أعثر على خبر بهذا اللفظ. إلا أنه ورد في سنن *ابن ماجة* (المقدمة ٤٥): «مَن طلب العلمَ ليُمَارِي به السفهاء أو ليُبَاهِي به العلماء أو ليَصرف وجوهَ الناس إليه فهو في النار.» وفي حديث أبي إدريس الخَوْلانِيّ «من طَلَب صَرْفَ الحديث يبتغي به إقْبال وجوه الناس إليه...». أراد بصرف الحديث ما يَتَكلَّفُه الإنسان من الزيادة فيه على قَدْر الحاجة. وإنما كره ذلك لما يدخله من الرياء والتصنّع ولما يُخالطه من الكَذب والتَّزيُد. يقال: فلان لا يُحسِن صَرْفَ الكلام: أي فَضْلَ بعضه على بعض. وهو من صَرْفِ الدَّراهم وتفاضلها. هكذا جاء في *كتاب الغريب* عن أبي إدريس (*النهاية* لابن الأثير، «صرف»).

[6] ن ع: بديته.

[7] ر ن: صارفي؛ ع م – صيرفي، صح. هـ.

[8] ر ع م: وصرف.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

[10] «نعوذ بالله من بَوَارِ الأيِّم»، أي كسادها، من بارت السُّوق إذا كسدت. والأيِّم التي لا زَوْج لها وهي مع ذلك لا يَرْغَب فيها أحد (*النهاية* لابن الأثير، «بور»).

[11] ر م: فقال.

[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

وقال أبو عَوْسَجَة: **قوما بورا** لا خير فيهم، ورجل بائر. وكذلك قال أبو زيد: **بورا**، أي ليس فيهم من الخير شيء. وقال قتادة: **بورا** فاسدين بلغة أهل عُمَان. وقال: ما نسي قوم ذكر الله قط إلا باروا وفسدوا.

وقوله: **ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**. أما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك الوعيد على أصل مذهبهم. وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في ذلك الوعيد. وأما على قول المسلمين[1] فذلك الوعيد لمرتكبي الظلم ظلمِ كفر وشرك. وأما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله تعالى، / إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه. [٥٣٥و]

**﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾**[٢٠]

وقوله: **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**، قد ذكرنا فيما تقدم أن هذا إنما أُخرج[2] جوابا لقول أولئك: مَالِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ،[3] فأخبر أن الرسل الذين[4] كانوا من قبل محمد كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق على ما يأكل هو ويمشي في الأسواق.[5]

ثم من الناس مَن كره الركوب في الأسواق لهذا[6] وقال: إنه أخبر عن الأنبياء والرسل جملة أنهم كانوا يمشون في الأسواق، لم يذكر منهم الركوب، فدل ذلك منهم أنه مكروه منهي. فيشبه أن يكون ما قال هؤلاء بإنه[7] يكون مكروها لأنه يخرج الركوب في الأسواق مخرج التعزز[8] والمباهات. فالواجب على كل مسلم أن يكون تعززه بالإسلام وبدينه الذي[9] اختاره الله تعالى، وخاصة على[10] العلماء يجب أن يكون تعززهم وتباهيهم[11] بالعلم الذي

---

[1] أي أهل السنة.
[2] ن: خرج.
[3] سورة الفرقان، ٢٥/٧
[4] ر م: الذي.
[5] ر ع م – في الأسواق.
[6] ر م: بهذا.
[7] جميع النسخ: وبه.
[8] م: التقرز.
[9] ع: التي.
[10] م – على.
[11] ر ع م: وتباهنهم.

أعطاه الله[1] لهم وأكرمهم [به] فإنه عِزّ لا يَعْقُبه ذُلّ ولا يورث[2] صَغارا ولا قهرا. وأما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو إلى ذُلّ مّا يصير سريعا كأنه ليس بعز في الحقيقة لو[3] تُؤمِّل.[4] *والله أعلم*.

وقوله: **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**، الفتنة كأنها هي المحنة التي فيها شدة وبلاء. ثم قال بعض[5] أهل التأويل: إنه لما[6] أسلم عبد الله وأبو ذَرّ وعمّار وبلال وصُهَيب وأمثال هؤلاء قالت[7] الفراعنة من قريش نحو أبي جهل والوليد وأمثالهما: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا، [الذين] اتبعوه [هم] من موالينا وأعرابنا: رُذالَة كل قوم؛ فازْدَرَوْهم وآذَوْهم واستهزءُوا بهم، فأنزل الله هذه الآية لهؤلاء الفقراء[8] الذين اتبعوا رسول الله ليُصبِّرهم على أذاهم فقال: [**وجعلنا بعضكم لبعض**] **فتنة أتصبرون**، أي اصبروا، على [معنى] الأمر، هذا محتمل. وقال الحسن: قوله: **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**، جعل أهلَ البلوى فتنةً لغيرهم وغير أهل البلوى فتنةً لأهل البلوى؛[9] يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان، ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان، وكذلك يقول[10] السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان. لكنه أعطى لأهل البلوى البلوى وأمرهم بالصبر عليه، وأعطى لأهل النعمة النعمةَ وأمرهم بالشكر عليها.

وجائز أن يكون غير هذا، وهو قريب من هذا، وذلك أنه أعطى بعضا النعمة والسعة وجعل بعضهم أهل ضِيق وشدة. ثم جعل كل فريق محتاجا إلى الفريق الآخر، جعل الغني والمُثْرِي محتاجا إلى الفقير في بعض أموره، والفقير محتاجا إلى الغني لغناه، وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا فقر الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره ولا قام بعض بكفاية مؤنة بعض. ثم أمر كلا بالصبر على تحمل مؤنة الآخر بقوله: **أتصبرون**، أي اصبروا،[11] على الأمر يخرج وإن كان ظاهره استفهاما وسؤالا. *والله أعلم*.

---

[1] م – لله.
[2] جميع لنسخ: ولا يورثه.
[3] ر ع م: ولو.
[4] جميع النسخ: تأمل.
[5] ر ع م – بعض.
[6] ع: إنما.
[7] ر ع م: قال.
[8] م – الفقراء.
[9] ر ع م – فتنة لأهل السوى.
[10] ع + يقول.
[11] ع: إنما صبروا.

وقوله:[1] **وكان ربك بصيرا**، أي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض ليس على سهو وغفلة.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾**[٢١]

وقوله:[2] **وقال الذين لا يرجون لقاءنا**، قال أهل التأويل: لا يرجون، أي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا، أي البعث بعد الموت. وقال أهل الكلام: الرّجاء هو الرجاء لا الخوف،[3] لكنْ جائز أن يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء، لأن الرجاء الذي لا خوفَ فيه هو[4] أمْن، والخوف الذي لا رجاء فيه إياس، فكلاهما مذمومان: الإياس والأمن جميعا.

وقوله: **لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا**، جائز أن يكون قولهم: **لو لا أنزل علينا الملائكة**، رسلا دون أن[5] أُنزل البشر رسلا إلينا، لإنكارهم البشر رسولا، كقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[6] ويحتمل قولهم: **لو لا أنزل علينا الملائكة**، بالوحي والرسالة لنا دونك، ونحن الرؤساء والملوك والقادة دونك. يقولون: لو كان ما تقول حقا وصدقا إنك رسول وإنه ينزل عليك الوحي والملك[7] فنحن أولى بالرسالة منك، إذ نحن الملوك والرؤساء، كقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[8] وأمثال هذا، لإنكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنياوية. أو أن يكون ذلك كقولهم: لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[9] ويكون له شاهدًا[10] أنه رسول. [وقوله:] **أو نرى ربنا**، عيانا ونكلمه[11] ونسأله عن ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله: **لقد استكبروا في أنفسهم**، الاستكبار هو أن لا يرى غيره مِثلا له[12] ولا عَدْلا

---

[1] ن: قوله.
[2] ن: قوله.
[3] ع: لأن الخوف.
[4] م - هو.
[5] ع - أن.
[6] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤).
[7] ع: والملوك.
[8] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[9] سورة الفرقان، ٢٥/٧.
[10] ر ع م: ويكون له شاهدا؛ ن: أو يكون له شاهد.
[11] م: نكلمه.
[12] ع: لها.

ولا شَكْلا في نفسه وأمره.[1] فإن كان هذا فهو لما[2] لم يروا رسول الله أهلا للرسالة[3] وموضعا لها لِصَفَر[4] يدِه وحاجته ورأوا أنفسهم أهلا لها. فاستكبارهم هو ما لم يروا غيره مثلا ولا شكلا[5] لأنفسهم فاستكبروا. أو استكبروا[6] ولم يخضعوا لرسول[7] لله ولم يطيعوه ولم يتبعوه أنَفًا منه[8] بعد علمهم أنه محق لذلك وأنه رسول إليهم.

وقوله:[9] **وعَتَوْا عُتُوًّا كبيرا**، قال بعضهم: العُتو هو الجرأة، وهو[10] أشد من الاستكبار.

[٥٣٥ظ] وقال بعضهم: العُتو هو[11] الغلو في القول غلوا شديدا. وقال بعضهم: / هو من التكبر.

**﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾[٢٢]**

وقوله:[12] **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا**، قال الحسن: **حجرا محجورا**، كلمة من كلام العرب، إذا كره أحدهم الشيء قال: حِجْرًا حَرَامٌ هذا. فإذا رأوا الملائكة كرهوهم[13] وقالوا:[14] حجرا محجورا، فعلى هذا القولِ الكفرةُ هم يقولون: حجرا محجورا، إذا رأوا الملائكة وما معهم[15] من المواعيد.[16]

---

[1] م – وأمره.
[2] جميع النسخ: ما.
[3] ع – له.
[4] ع: الصغر. يقال: صَفِر الإناء من الطعم والشراب يَصْفَر صَفِيرًا وصُفُورًا: أي خلا، فهو صَفِر. ورجل صِفْرُ اليدين، أي ليس عنده مال ولا متاع (*لسان العرب*، « صفر»).
[5] ر م: ولا شكلا.
[6] ر ع م – أو استكبروا.
[7] ع: الرسول.
[8] أي كرها من النبي.
[9] ن: قوله.
[10] ن: وهي.
[11] ر ع م: هي.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: كرهمهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨و.
[14] ر ع م: وقال.
[15] ع – وما معهم.
[16] قال الأزهري: أما ما قاله الليث من تفسير قوله تعالى: ﴿ويقولون حجرًا محجورًا﴾، إنه من قول المشركين للملائكة يوم القيامة، فإن أهل التفسير الذين يُعتمدون مثل ابن عباس وأصحابه فسّروه على غير ما فسره الليث. قال ابن عباس: هذا كله من قول الملائكة، قالوا للمشركين: ﴿حجرًا محجورًا﴾، أي حُجِرَتْ عليكم البُشرى فلا تُبَشَّرون بخير (*لسان العرب*، «حجر»).

وقال[1] بعضهم: إن الملائكة يتلقّون المؤمنين بالبشرى على أبواب الجنة ويقولون للكفرة: لا بشرى لكم **ويقولون حجرا محجورا**، أي تقول[2] الملائكة: حرامٌ البشري للمجرمين، أو حرام عليهم الجنة أن يدخلوها. والحِجْر على هذا القول هو الحرام. وقال بعضهم: الحجر ههنا هو[3] المنع والحَظْر يقولون:[4] إنهم يمنعون ويُحظَرون عما طمِعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والأصنامَ التي عبدوها حيث قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[5] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[6] فيقول: يُمنع عنهم ما قصدوا وطمِعوا بعبادتهم. أو يكون المنع ثواب الخيرات التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الأرحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات مُنعوا ثوابها في الآخرة، كقوله: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[7] وقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[8] ونحو ذلك، فقال: يمنعون عن ذلك[9] كله. ***والله أعلم***.

[٥٣٥ظ س١٥ *وقال بعضهم: قوله: **حجرا محجورا**، أي عَوَذًا مُعَاذًا، يقول: المجرمون يستعيذون من الملائكة. قال أبو عَوْسَجَة: وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا،[10] هو من التكبر،[11] ويقال من الخلاف: عتا عِتِيا إذا خالف، يقال في الكلام: لا تَعْتُ عني، أي لا تخالفني. وقال بعضهم: هو من الشدة واليُبس كقوله: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،[12] أي يابسا. وقال: **حجرا محجورا**، أي حراما محرما. وحجرتُ عليه مالَه، أي منعته من ماله،[13] أحجُر حِجرا. ويقال حجَرت عينه،[14] أي لطَخت أجفانها بشيء من الدواء.* ٥٣٥ظ س١٩]

---

[1] ر ع م: قال.
[2] ع: يقولون؛ ن: يقول.
[3] م – هو.
[4] جميع النسخ: يقولون.
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[6] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[7] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٣٦).
[8] ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضَرّاء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥٠).
[9] ر ع م – فقال يمنعون عن ذلك.
[10] من الآية السابقة.
[11] ع: من التكبير.
[12] م + وقوله. ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨).
[13] ع – ماله.
[14] ع: عيشه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٥ظ/سطر ١٥-١٩.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[٢٣]

وقوله: **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**، هو ما ذكرنا من الأعمال التي[١] عملوها في هذه الدنيا رجاءَ أن يَصِلوا إليها في الآخرة. **فجعلناه هباء منثورا**، قال أهل التأويل: **وقدمنا**، أي عَمِدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل، لكن عندنا أي[٢] جعلنا أعمالهم تلك في الأصل. **هباء منثورا**، قال بعضهم: منبثا وهو رَهْج[٣] الدواب. وقال بعضهم: الهباء المنثور هو[٤] غبار الثياب. وقال بعضهم: هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس، وهو[٥] الذي يسمّى الذَّر.*

وقوله: **هباء منثورا**، أي لا شيء، والهباء هباء النار، أي رمادا يكون على أعلى النار إذا[٧] خَمَدت. ويقال: هبَت النار تهبُو هَبْوا إذا خمدت والجمرة على حالها، إلا أنه قد غطّاه ذلك الهباء، وكل شيء ليس بشيء[٨] فهو هباء. وتقول: هذا هباء، أي لا شيء. ومنثور: قد نُثِر.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[٢٤]

وقوله:[٩] **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**. وصف عز وجل أعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور،[١٠] ومرة بالرماد،[١١] ومرة بالسراب،[١٢] ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الأملس إذا أصابه الوابل.[١٣] ووصف أعمال المؤمنين بالثبات

---

[١] ر ع م - التي.
[٢] ر ع م - أي.
[٣] الرهج: الغبار.
[٤] ر م: وهو.
[٥] ر ع م: هو.
* وقع هذا مقطع من تفسير الآية التالية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٥ظ/سطر ١٥-١٩.
[٧] ع: وإذا.
[٨] ر ع م: لشيء.
[٩] ن: قوله.
[١٠] انظر: الآية السابقة.
[١١] ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٨/١٤).
[١٢] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[١٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاءَ الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢٦٤/٢).

والقرار ونحوه.[1] وعن ابن مسعود رضي الله عنه [قال:] لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقيل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة ثم قرأ: **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**. وكذلك ذُكِر في حرفه في سورة الصافات: ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ.[2] قرأ هو [ثم][3] إن مقيلهم لَإلى الجحيم.[4] ويشبه أن يكون ذكر هذا لقولهم: أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[5] أي لنا أموال وجنان وليس له من ذلك شيء، فقال جوابا لهم: **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**.

**﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[٢٥]**

وقوله:[6] **ويوم تَشَقَّقُ السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا**، وَصَف السماء لهول[7] ذلك اليوم بأوصاف، وذكر لها أحوالا فقال في آية أخرى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ،[8] إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[9] إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[10] وقال: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ،[11] ويَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ،[12] ونحو ذلك. وذلك في اختلاف الأوقات، تكون[13] في كل وقت على الحال التي وصف. وكذلك ما وصف الجبال[14] مرة بالهباء المنبثّ[15] ومرة كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[16] ومرة كَثِيبًا مَهِيلًا،[17] ومرة قال:

---

[1] يقول الله تعالى أيضا: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (سورة إبراهيم، ٢٧/١٤).
[2] سورة الصافات، ٦٨/٣٧.
[3] ر م – ثم.
[4] ر ن م + أي إلى الجحيم. كتاب *المصاحف* لابن أبي داود ٨٠.
[5] سورة الفرقان، ٨/٢٥.
[6] ن: قوله.
[7] ع: الهول.
[8] سورة التكوير، ١١/٨١.
[9] سورة الانشقاق، ١/٨٤.
[10] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[11] ﴿يوم نطوي السماء كَطَيِّ السجلِ للكتب﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).
[12] ﴿يوم تُبدَّل الأرض غيرَ الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).
[13] ر: يكون.
[14] ر م – الجبال.
[15] ﴿إذا رُجَّت الأرض رَجًا وَبُسَّت الجبال بَسًا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٤/٥٦-٦). جميع النسخ: بالهباء المنثورة. ورد قوله: ﴿هباء منثورا﴾ في سورة الفرقان، ٢٣/٢٥، ولكنه متعلق بالأعمال، لا بالجبال.
[16] سورة القارعة، ٥/١٠١.
[17] ﴿يوم ترجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[1] الآية، ونحوه من الأوصاف التي وصفها. وذلك في أوقات مختلفة، تكون في كل وقت على حال ووصف [ب]التي وصف. فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفزعه.

وقوله: **تَشَقَّقُ السماء بالغمام**، أي تنشق عن الغمام فتبقى بلا غمام، كقوله: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ.[2] وجائز أن يكون قوله: **بالغمام**، أي تبقى الغمام فوق رءوس الخلائق يُظلّهم. وهذا يدل أن[3] قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ،[4] إنما معناه بظلل من الغمام، فإن كان على هذا فيرتفع الاشتباه فيه.[5] *والله أعلم.*

﴿اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[٢٦]

وقوله: **الملك يومئذ الحق للرحمن**، يحتمل إضافة ملك ذلك اليوم[6] إليه -وإن كان الملك له في جميع الأيام في الدنيا والآخرة- وجوها. أحدها لِمَا أن ملك الآخرة ملك دائم باقٍ لا فناءَ[7] له، وملكُ الدنيا جعله فانيا لا دوامَ له[8] ولا بقاءَ.

[٥٣٦و] / والثاني يُقر له جميعُ الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وإن لم يُقرّ له البعضُ بملك الدنيا.

والثالث لِمَا لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم وإن كان له منازع في الدنيا.

أو أن يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم[9] يظهر للخلق. ويومئذ[10] يعلم كلُّ أن خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان، لا للدنيا خاصة.

وقوله: **للرحمن**، ذكر هنا[11] الرحمن، وقال في آية أخرى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[12] لتعلم العرب أن الرحمن المذكور في[13] هذه الآية هو الله الذي[14] ذكر في تلك الآية،

---

[1] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).
[2] تقدم قريبا.
[3] ع - أن.
[4] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢١٠).
[5] ر ع م - فيه.
[6] ن + اليوم.
[7] ر ع م: بلا فناء.
[8] ر ع م - له.
[9] م - اليوم.
[10] جميع النسخ + يتم.
[11] ر م: هنا.
[12] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/ ١٦).
[13] ر: وفي.
[14] ر م + لا إله إلا هو.

لأن العرب تُسَمِّي وتعرف كل معبود إلها ولا تعرف الرحمن معبودا ولا تسمية الرحمن، فعرّفهم[١] أن الله والرحمن الذي ذكرهما[٢] واحد.

وقوله عز وجل: **وكان يوما على الكافرين عسيرا**، ظاهر لا شك فيه فكذلك[٣] يكون.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٢٧]

وقوله: **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، الآية. قال بعض أهل التأويل: نزلت الآية في عُقْبَة بن أبي مُعَيط،[٤] كان يؤاخي رسولَ الله ويُوادُّه، وكان رسول الله يجيبه إذا دعاه إلى طعامه. فدعا يوما رسول الله إلى طعامه فقال: لا حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك أُبَيّ بن خَلَف فأتاه فقال: صبَوتَ[٥] يا عقبةُ [إلى] محمد[٦] وأجبته إلى ما دعاك إليه، فعيّره[٧] على ذلك حتى رجع[٨] عُقبة عن ذلك وارتد عن دينه. وفي الحديث طول،[٩] فنزلت الآية في شأنه وصنيعه وندامته وحسرته[١٠] على ما فعل فقال: **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، إلى آخر ما ذكر. وذكر أن عُقبة وأبيّ بن خَلَف قُتِل[١١] أحدهما يوم بدر والآخر يوم أُحد. ولكن الآية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذُكِر.

ثم يحتمل قوله: **يعض الظالم على يديه**، على التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة، لأن من اشتدت[١٢] به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد أن يَعَضَّ يديه غيظا منه على ذلك، كما كنّيَ بِغُلّ اليد عن ترك الإنفاق وبالبسط عن كثرة الإنفاق والمجاوزة فيه،[١٣]

---

[١] ر: نعرفهم.
[٢] ر م: ذكره.
[٣] ن: وكذلك.
[٤] ر: معط.
[٥] ر: صبرت.
[٦] جميع النسخ: محمدا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ظ.
[٧] ع: فعيره.
[٨] ر ع م: يرجع.
[٩] انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٩؛ والدر *المنثور* للسيوطي، ٦/٢٥١-٢٥٢، ٧/٣١٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/٢٩٦.
[١٠] ر ع م: وحيرته.
[١١] جميع النسخ: قتلا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ
[١٢] جميع النسخ: اشتد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.
[١٣] ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعُدَ ملوما محسورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٩).

وكما كنّ بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث إليه،[1] وكقوله:[2] نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[3] عن الرجوع ونحوه، وقولِه يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[4] وقوله: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا،[5] وأمثال هذا. كل هذا[6] على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والأخذ والترك. فعلى ذلك جائز أن يكون عضّ الأيدي كناية عن شدة الندامة والغيظ على ما حل به. ويشبه أن يكون على التحقيق، تحقيق عض[7] اليد [حيث] يجعل الله عقوبته بعضّ اليد كما جعل عقوبة أنفسهم بأنفسهم حيث جعل أنفسهم حطبا للنار، بها[8] يعذّبون[9] ويعاقبون. *والله أعلم*.

وقوله: **يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، السبيلَ الذي دعاه الرسول[10] إليه:

**﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾[٢٨]**

**يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا**، يحتمل الإنسانَ ويحتمل الشيطانَ، أي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم أُطعه فيما دعاني[11] أو الإنسانَ الذي قلّده فيما قلده.

**﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾[٢٩]**

وقوله: **لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني**، يحتمل قوله: **عن الذكر**، أي الشرف الذي يُذكَر به المرء، **أضلني** عن ذلك الشرف. **أو أضلني** عما يذكرني هذا. **وأضلني** عن الذكر، أي عن القرآن وما فيه من الذكر.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيّنُنّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم و شتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[2] ر ن م: كقوله.

[3] ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالَهم وقال لا غالب لكم اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عَقِبَيْه وقال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٩/٣).

[5] ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دَخَلاً بينكم فتزل قَدَمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ٩٤/١٦).

[6] ر م - كل هذا.

[7] ع: غض.

[8] ر ع م - بها.

[9] م: ويعذبون.

[10] ر م - الرسول.

[11] جميع النسخ: دعاه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ط.

[12] ر ع م: من الذكرى.

وقوله:[١] **وكان الشيطان للإنسان خذولا**، أي تاركا له متبرئ[٢] منه، يقول كما قال في آية أخرى حكاية عنه: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ،[٣] ويقول كما قال: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ،[٤] الآية. أو أن يكون كما ذكر: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[٥] الآية. أو أن يكون ذلك الخذلان منه له[٦] في الدنيا، يُمَنِّيه[٧] بأَمَانِيَّ ويزيّن له[٨] أشياءَ ثم لا يوصله إليها.

**﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[٣٠]**

وقوله: **وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**، قال بعضهم: المهجور هو الذي لا يُنتفع به[٩] ولا يُعمل [به]. وقال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: **مهجورا**، أي تركوه مهجورا، أي متروكا. ويقال: **مهجورا**، أي جعلوه[١٠] كالهذيان، والهُجْر الاسم؛ يقال: فلان يهجُر في منامه، أي يَهذي.[١١] وهو بالفارسية: بلايه كفتن.[١٢]

**﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٣١]**

وقوله:[١٣] **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين**، أي مِثْلَ الذي جعلنا لك من العدو من الكفرة[١٤] جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا. ثم العداوة تكون[١٥] في الدين مرة، ومرة في الأنفس وأحوالها.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر: تبرأ.
[٣] ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريئ منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (سورة الحشر، ١٦/٥٩).
[٤] ﴿وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعدَ الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).
[٥] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[٦] ع – له.
[٧] م – يمنيه.
[٨] جميع النسخ: ويزينه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.
[٩] ر ع م – به.
[١٠] ر م – جعلوه.
[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٣.
[١٢] ر ع م: كفتى. ومعنى الجملة: التكلم بغير معقول وبغير مشروع.
[١٣] ن: قوله
[١٤] م: ومن الكفرة.
[١٥] ر ع م: يكون.

فإن كان العدو عدوا في الدين فجميع الكفرة له أعداء لخلافهم له في الدين ويكون حرف "مِن" صلة، أي جعلنا لكل نبيٍ المجرمين أعداءً. وإن كان على تحقيق "مِن" وإثباته فالعداوة عداوة في الدين والأحوال، وذلك راجع[2] إلى الفراعنة وأضداد الرسل. ما[3] من رسول إلا وله فَراعِنة وأضداد[4] ينازعونه ويقاتلونه ويَهُمّون[5] قتلَه. ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على أعدائه وهو قوله: **وكفى بربك هاديا ونصيرا.**

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾**[٣٢]

[٥٣٦ظ] وقوله: **وقال الذين كفروا / لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**، ذكر بعض[6] أهل التأويل أن أهل مكة كانوا يأتون رسول الله فيَتَعَنَّتُونه ويسألونه ويقولون: يا محمد! أتزعم أنك رسول من عند الله؟ أفلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أُنزلت التوراة جملة واحدة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود؟ فقال: **كذلك لنثبت به فؤادك**، أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.[7]

ثم يحتمل قوله: **لنثبت به فؤادك**، وجهين. أحدهما أنزلناه متفرقا لنثبته في فؤادك، [ف]تحفظه وتذكره، لأن حفظ الشيء إذا كان سماعُه بالتفاريق كان حفظه أهونَ وأيسر من حفظه إذا سُمع جملة واحدة، وخاصة إذا كان الكلام من أجناس وأنواع.

والثاني **لنثبت به فؤادك**، أي لنثبت بما في القرآن من الحكمة والمعاني فؤادك. ثم يحتمل قوله: **فؤادك** أنه يراد به فؤاد من يستمع إليه ويسمعه، فإن كان هذا فهو كقوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ،[8] الآية. على ما ذكرنا أنه يكون أسرع حفظا وأهون ثباتا من سماعه جملة. وجائز أن يكون أراد فؤاده، كقوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[9]

---

1 ر م: جميع.
2 م - راجع.
3 ع ما.
4 ر ع: وأضداده.
5 ر م: ويهمونه.
6 ر م - بعض.
7 م + أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.
8 سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.
9 سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.

وقوله: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ،[1] كان يعجز بحفظه إذا قرئ عليه خوفا أن يذهب فأخبره أنه [يـ]ثبّت[2] فؤاده ويُنزله بالتفاريق لكي يحفظه ويذكره.[3]

ثم إن كان المراد بتثبيته[4] في الفؤاد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراءته على الناس على مكث كذلك فهو -والله أعلم- يُنزله على قدر النوازل والحوائج ليكونوا أحفظ لنكت المعاني وأعرف بمواضعها وتقدير غيرها من النوازل به من أن نزل جملة في دفعة واحدة. ***والله أعلم***.

*قال أبو عَوْسَجَة: **ورتلناه ترتيلا**، أي أنزلنا[5] بعضه بعد بعض وعلى إثر بعض، لم ننزله [٥٣٦ظ س١٨ في مرة واحدة. وكذلك قال في قوله: وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا.[6] وقال بعضهم: قوله:[7] **ورتلناه ترتيلا**، أي بيّناه تبيانا.* ٥٣٦ظ س٢٠]

## ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٣٣]

وقوله: **ولا يأتونك بمثل**، أي بصفة يُشبِّهون بها على الخلق **إلا جئناك** بصفة هي[9] أحق مما أتوها هم فترفع تلك الشُّبَهَ عنهم، أعني عن الخلق. أو أن يقال: **ولا يأتونك** بصفة هي باطلة[10] **إلا جئناك بالحق**، أي بصفة هي حق فتَبْطُل تلك وتضمحلّ. **وأحسنَ تفسيرا**، أي بيانا من الأول على التأويل الأول. وعلى التأويل الثاني ظاهر لا شك أنه أحسن وأحق.*

وقال بعضهم في قوله: **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**، قال: لا يخاصمونك بشيء ولا يجادلونك **إلا جئناك بالحق**، يعني القرآن، **وأحسن تفسيرا**، يقول: **جئناك** بالقرآن بأحسن مما جاءوا به تفسيرا، وهو قريب مما ذكرنا بدءا. وفي حرف حفصة: إلا جئناك بأحق منه وأحسن تفسيرا، وهو شبيه ببعض التأويلات التي ذكرنا.

---

[1] سورة الأعلى، ٨٧/٦-٧.
[2] ن: تثبت.
[3] ن: وتذكره.
[4] ر: تثبيته؛ م: تثبيته.
[5] ع: أنزلناه.
[6] سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.
[7] ع - قوله.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٦ظ/سطر ١٨-٢٠.
[9] م ح: هو.
[10] ر م: باطل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٦ظ/سطر ١٨-٢٠.

﴿اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٣٤]

وقوله:[١] **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا**، يشبه أن يكون ذكر هذا على مقابلةٍ سبقت، وإلا على الابتداء لا يستقيم ذكره. فجائز أن يكون ذكره على مقابلةِ قوله: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا،[٢] الآية. هذا ذكْر مقامِ أهلِ الجنة، فذكَر مقابلَ[٣] ذلك مكانَ أهل النار فقال: **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا**، أي شر مكانا في الآخرة وأضل سبيلا في الدنيا. أو يكون مقابلَ قوله: قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا،[٤] فقال: **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا**، من الذين آمنوا، بل مُقامهم الجنة، أعني المؤمنين، ومُقام الكفرة النار، فهم شرّ مكانا[٥] منهم. وفي بعض الأخبار أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال: «إن الذي أمشاه[٦] على رجليه قادر على أن يُمشيه على وجهه».[٧]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾[٣٥]

وقوله:[٨] **ولقد آتينا موسى الكتاب**، أي التوراة، **وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا**. ذكر[٩] هاهنا أنه كان وزيرا له، وذكر في آية أخرى: فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ،[١٠] وفي آية أخرى:[١١] إِنَّهُ كَانَ [مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا] نَبِيًّا،[١٢] حيث قال: وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا،[١٣]

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الفرقان، ٢٤/٢٥.
[٣] ر: مقتل؛ ر: مقاتل + قوله.
[٤] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ (سورة مريم، ٧٣/١٩).
[٥] ع: فهم شركانا.
[٦] ن ع: أنشأه.
[٧] انظر: *صحيح البخاري*، لتفسير ٢٥/١، الرقاق ٤٥.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر: ذكرها.
[١٠] ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).
[١١] ن - فأتياه فقولا إنا رسولا ربك وفي آية أخرى.
[١٢] ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ (سورة مريم، ٥١/١٩)
[١٣] ن + وقال في آية أخرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك. سورة مريم، ٥٣/١٩

فكان [في] ما ذكر ذلك كله نبيا ورسولا وكان له وزيرا. والوزير هو العون والعضد، كأنه قال: **وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا**، أي عونا وعضدا، كقوله: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي،[١] الآية. سأل[٢] ربه المعونة له والإشراك في أمره وقال: فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي.[٣] وقال الزجاج: الوزير هو الذي يلجأ[٤] إليه في النوائب[٥] ويُعتصم بأمره. وهو واحد.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾[٣٦]

وقوله:[٦] **فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**، كأنه قال: **فقلنا اذهبا إلى القوم** فادعوهم[٧] إلى توحيد الله، فذهبا إليهم فدعَوا فكذبوا بآياتنا ثم **دمرناهم تدميرا**[٨] أي أهلكناهم إهلاكا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣٧]

وقوله:[٩] **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقنا هم**، جائز أن يكون قوله: **لما كذبوا الرسل**، / نوحا خاصة، لأنه ذكر قوم نوح. فإن كان ذلك ففيه دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة. [٥٣٧و]
وجائز أن يكون نوح دعاهم إلى الإيمان به[١٠] وبجميع الرسل فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا. *والله أعلم*. وقوله:[١١] **أغرقناهم**، لم يغرقهم على إثر تكذيبهم إياه ولكن إنما أغرقهم بعد[١٢] ما دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما.[١٣]

---

[١] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣١.
[٢] ر: سئل.
[٣] ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردء يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٤).
[٤] ر ع: يلتجأ.
[٥] ع: في التراب.
[٦] ن: قوله.
[٧] ن: فادعوا هم.
[٨] ر ع م – كأنه قال فقلنا اذهبا إلى القوم فادعوهم إلى توحيد الله فذهبا إليهم فدعوا فكذبوا بآياتنا ثم دمرناهم تدميرا.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م – به.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع: بعد.
[١٣] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١٤).

وقوله:[1] **وجعلنا هم للناس آية**، يحتمل قوله: **وجعلناهم للناس آية**،[2] أي آية للمكذبين والمصدقين لما بيّن حكمَه في المكذبين منهم الإهلاك والإستئصال، وفي المصدقين منهم النجاة والخلاص منه. فذلك آية لكل مكذِّب ومصدِّق لِما إليه تئول[3] عاقبة أمرهم؛ عاقبة لمكذبين الإهلاك وعاقبة المصدقين النجاة.

فإن قيل: إنهم جميعا قد هلكوا:[4] المصدقون منهم والمكذبون؟

قيل: أُهلك المكذبون منهم إهلاكَ عقوبة وتعذيب، وهلاك المصدقين[5] بانقضاء آجالهم لا هلاك عقوبة.

ثم ذكر: **وجعلناهم للناس آية**، فمعنى جعلِ أنفسهم آية[6] ما ذكرنا. وقال في آية أخرى: وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ،[7] أي السفينة. قال بعضهم: جعل السفينة آية، لأن من طبعِ السفن أنها إذا امتدت[8] الأوقات وطال الزمان أنها تفسُد وتتلاشى، فهي بعدُ باقية كما هي، أعني سفينة نوح. لكن ذلك لا يُعلم أنه كما ذكر أولا، فالوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله:[9] **واعتدنا للظالمين عذابا أليما**، هكذا جزاء كل ظالمٍ ظلمَ كفر وشرك أن يُعدّ له[10] العذاب الأليم.[11]

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[٣٨]

وقوله: **وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا**، أخبر أنه أهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب: عادا وهم قوم هود، وثمود[12] وهم قوم صالح، وأصحاب الرس. قال بعضهم:

---

[1] ن: قوله.
[2] ع - يحتمل قوله وجعلناهم للناس آية.
[3] جميع النسخ: يؤل.
[4] ع: هلك.
[5] جميع النسخ: والمصدقين هلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٩ظ.
[6] ر - آية.
[7] ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ (سورة العنكبوت، ١٥/٢٩).
[8] ر م: امتد.
[9] ن: قوله.
[10] ن: لهم.
[11] ع - وقوله واعتدنا للظالمين عذابا أليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك أن يعد له العذاب الأليم.
[12] جميع النسخ: وثمودا.

سمُّوا أصحاب الرسّ لأنهم رسُّوا[1] نبيهم في بئر، أي رسُّوه[2] فيها. وقال[3] بعضهم: لرسّ هو اسم البئر كانوا نُزُولاً عليها فبعث [الله] إليهم شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونُسبوا إلى تلك البئر. وعن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أصحاب الرس فقال: إنكم معاشرَ العرب تدعون البئرَ رسّا والقبر رسّا وتدعون الحدّ رسّا. فخَدُّوا أُحدودا[4] في الأرض فأوقدوا فيها النّيران للرسولَين اللذَين ذكر الله في يس: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ.[5] *والله أعلم*.[6]

**﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[٣٩]**

وقوله:[7] **وكلا ضربنا له الأمثال**، أي ذكرنا لأهل مكة أمثال من تقدّم منهم من الأمم من المكذبين والمصدقين وما حلّ بهم وما إليه آلَ عاقبة أمورهم بالتكذيب حيث قال: **وكلا تبرنا تتبيرا**، أي أهلكنا إهلاكا. وقال بعضهم: **تبرنا**، أي كسّرنا بالنبطية، يقول أحدهم للشيء إذا أراد أن يكسِره:[8] أُتبره.

**﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾[٤٠]**

وقوله:[9] **ولقد أتوا**، يعني -والله أعلم- أهل مكة، **على القرية التي أمطرت مطر السوء**، وهي الحجارة، يعني -والله أعلم- قَريَاتِ لوط، أي يمر عليهم أهل مكة في تجارتهم ويأتونها، وهو كما قال في الصافات: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ،[10] الآية. **أفلم يكونوا يرونها**، ما حلّ بهم بالتكذيب فيعتبروا. **بل كانوا لا يرجون نشورا**، أي بعثا[11] بعد الموت وإحياء، أي إنما كذبوا الرسل لأنهم لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون نشورا.

---

[1] ع: رسو.
[2] ر: رسوة.
[3] ع: قال.
[4] ر ن م: خدودا؛ ع: خذدا.
[5] ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ (سورة يس، ١٤/٣٦). انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥١/٧.
[6] ر + بذلك.
[7] ن: قوله.
[8] ر: أن يكره.
[9] ن: قوله.
[10] سورة الصافات، ١٣٧/٣٧).
[11] جميع النسخ: بعثا.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا﴾[٤١]

وقوله:[١] **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي**[٢] **بعث الله رسولا**، كانوا إذا رأوه هَزِءوا[٣] به وإذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون فيما بينهم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٤] هكذا كانت عادة الكفرة يهزءون به إذا حضروه وإذا غابوا عنه قالوا ما ذكر.[٥]

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤٢]

وقوله:[٦] **إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**، وفي قوله: **[إن] كاد ليضلنا عن**، عبادة **آلهتنا**، دلالة أنه إنما أراد أن يضلهم عن عبادتهم الأصنام بالحجج والآيات، إذ ليس في وُسع النبي صرفُهم ومنعهم عن ذلك إلا من وجه لزوم الآيات والحجج، إلا أنهم عاندوا[٧] تلك الآيات والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الأصنام والأوثان، وإلا علموا من جهة الآيات والحجج التي أقامها عليهم أنه على الحق وأنهم على باطل.

ثم قوله عز وجل: **وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**، أي يعلمون حين لا يقدرون على[٨] الجحود والإنكار إذا نزل[٩] بهم العذاب ووقع من أضل سبيلا: هم أو[١٠] المؤمنون، لأنهم وإن علموا بالآيات والحجج أنه على الحق وأنهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فأخبر أنهم يعلمون عند وقوعه بهم علما لا يقدرون على جحوده ولا إنكاره، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[١١] الآية، وقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] م + يذكر.
[٣] ر ع م: هزؤه.
[٤] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٥] ن: ذكرنا.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ع م: عاندوا.
[٨] ع: عن.
[٩] ر م: نزل.
[١٠] ر: أو.
[١١] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥).
[١٢] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

وقوله: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا،[١] وأمثال ذلك. إذا عاينوا الموعود في الدنيا يقرّون به ولا يقدرون[٢] على الجحود فكذلك قوله: **وسوف يعلمون** علما لا يقدرون على الإنكار والجحود **حين يرون العذاب من أضل سبيلا**.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[٤٣]

وقوله: **أرأيت من اتخذ إلهه هواه**، قال بعضهم: إنهم كانوا يعبدون أشياء حجرا أو غيره، فإذا / رأوا أحسن منه في رأي العين والمنظر[٣] تركوا عبادة ذاك وعبدوا ما هو أحسن منه. وقال [٥٣٧ظ] بعضهم: كلما هوت أنفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا شيئا أتوه، لا يَحْجِزهم عن ذلك ورع ولا تقوى الله.[٤] ويحتمل وجهين آخرين سوى ما ذكر[٥] هؤلاء. أحدهما أنهم[٦] تركوا عبادة الإله الذي قمت الحجج والآيات بألوهيته وربوبيته[٧] ولزموا عبادة من لم يقُم له الآيات والحجج بذلك بهواهم.

والثاني أنهم عبدوا ما عبدوا من الأصنام بلا أمر كان لهم[٨] بالعبادة، [إذ] لا بد من أمر يؤتمر بها، بل عبدوا بهواهم أو كلام نحو هذا.

وقوله: **أفأنت تكون عليه وكيلا**، أي لست أنت بوكيل[٩] ولا مسلط عليهم ولا حافظ، أي لا تسأل أنت عن أعمالهم ولا تحاسب عليها، بل هم المسئولون عنها وهم محاسبون عليها، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١٠] وكقوله:[١١] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ،[١٢] الآية. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ١٢/٣٢).
[٢] ر ع م: لا يقدرون.
[٣] ر: او المنظر.
[٤] ر ع م: لله.
[٥] ر ع م: سوى ذكر.
[٦] ر م ع – أنهم.
[٧] ر ع م: بألوهية وربوبية.
[٨] ع م: منهم.
[٩] ن + عليهم.
[١٠] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).
[١١] ع: وقوله.
[١٢] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤٤]

وقوله: **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون**. قوله: **أم تحسب**، وإن كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الإيجاب. وهكذا كل استفهام من الله يخرج على الإيجاب أو على النهي. كأنه قال: قد حسبت[١] أن[٢] أكثرهم يسمعون أو يعقلون. أو أن يكون على النهي، أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون،[٣] أي لا ينتفعون[٤] بما يعقلون.

**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل**، قال بعضهم: هم[٥] كالأنعام لأن همتهم ليست إلا كهمة الأنعام وهو الأكل والشرب، ليست لهم همة سواه، ليس للأنعام همة العاقبة. فعلى ذلك الكفرة فهم كالأنعام من هذه الجهة. وقوله: **بل هم أضل**، قال قائلون قوله: **أضل**، لأن الأنعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرون. أو **هم أضل**،[٦] لأنهم[٧] ينسبون إلى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في العبادة،[٨] والأنعام لا [تفعل شيئا من ذلك] فهم أضل.[٩] وقال بعضهم: **هم أضل**، لأن الأنعام إذا هُديت الطريقَ اهتدت وهم يُهدَون ويُدعَون إلى الطريق فلا يهتدون ولا يجيبونه فهم أضل. أو أن يقال: **هم أضل**، لأنهم يَضِلّون ويُضِلّون غيرهم ويمنعونهم[١٠] عن الهدى، والأنعام لا[١١] [تفعل شيئا من ذلك]. ***والله أعلم***.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[٤٥]

وقوله: **ألم تر**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف "ألم تر"[١٢] هو[١٣] حرف تعجب[١٤] واستفهام،

---

[١] م: حسب.
[٢] ر م ع – أن.
[٣] ر م ع – أو أن يكون على النهي أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون.
[٤] ن + ولا ينتفعون.
[٥] ر م – هم.
[٦] ع + لأن.
[٧] ع: إلا أنهم.
[٨] ع: في العبدات؛ م: ويمنعوهم.
[٩] م: والأنعام لأنهم أضل.
[١٠] ر: ويمنعون.
[١١] ع – لا.
[١٢] ن – تر.
[١٣] م – هو.
[١٤] ن: تعجيب.

لكن في الحقيقة على الإيجاب، أي قد رأيت. وقوله: **ألم تر إلى ربك**، أي إلى تدبير ربك ولطفه أنْ **كيف مد الظل** وهو لا يؤذي ولا يضر ولا يمسّ ولا يَشعر به أحد بكونه فيه ولا يَثقُل ولا يَخِفّ ولا يَستر ولا يَكشف عن وجوه الأشياء -إنما النور هو الكاشف عن وجوه الأشياء، والظلمة هي الساترة لذلك- ونحو ذلك مما يكثر ذكره مما يحيط[١] بالخلائق كلها ليُعلم أن مِن[٢] المحسوسات التي تقع[٣] عليها الحواس ما[٤] لا تدرك[٧] حقيقته،[٥] من نحو الظل الذي ذكرنا، هو ما[٦] لا تدرك[٧] حقيقته،[٨] ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهو لا يدرك حقيقته.[٩] ليُعلم أن الذي سبيل معرفته[١٠] الاستدلال -وهو منشئ هذه الأشياء- أحق أن لا يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه، [و]ليعلم أن مَن بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغَ لا يحتمل أن يعجزه شيء أو يخفى عليه شيء. يخبر عن قدرته وتدبيره ولطفه ليُعلم أنه قادر ومدبّر بذاته [و]لطيف.

وقوله:[١١] **ولو شاء لجعله ساكنا**، أي دائما[١٢] لا يذهب أبدا ولا تصيبه[١٣] الشمس ولا يزول. وقال بعضهم: **ساكنا**، أي مستقرا دائما لا تنسخه الشمس كظل الجنة.

وقوله:[١٤] **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا**، قال بعضهم: أي تتلوه وتَتْبعه[١٥] حتى تأتي على كله.[١٦]

---

[١] ر ع م: يحلط؛ ن: يحاط؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٠و.
[٢] ع - من.
[٣] ر ع م: يقع.
[٤] ر ن ع: مما.
[٥] ر م: حقيقة.
[٦] ع - ما.
[٧] جميع النسخ: لا يدرك.
[٨] ر م: حقيقة؛ ع + من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقته.
[٩] ر م: حقيقة؛ ر ع م + ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق.
[١٠] ع: معرفة.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ن ع: دايما.
[١٣] جميع النسخ: ولا يصيبه.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] م - وتتبعه.
[١٦] ن: على كل.

وقال بعضهم: قوله: [ثم] **جعلنا الشمس عليه دليلا**، يقول: حيث ما تكن الشمس يكن الظل.[1] وأصله أنه بالشمس يعرف الظل أنه ظل، ولولا الشمس ما عُرف الظل، فهي[2] دليل معرفته وكونه أنه ظل.

*وقال[3] أبو معاذ: قال مقاتل: **مد الظل**، يعني الفَيء من أول وقت صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، و[قد] أخطأ، [إذ] لا يسمى ذلك الظلُّ فيئا. وقال الكسائي: العرب تقول "الظل" من حين يصبح إلى انتصاف النهار، فإذا زالت الشمس عن كبِد السماء فما[4] خرج من ظل فذلك الفيء. ويقال للفيء الظل، ولا يقال للظل فَيْءٌ قبلَ الزوال.* [٥٣٧ظ س٣٦-٥٣٧ظ س٣٩]

**﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[٤٦]**

وقوله:[6] **ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا**، قال بعضهم: هينا خفيًا. وأصله أنه يقبض بالشمس الظلّ وينسخه[7] شيئا فشيئا حتى تأتي على كله.

**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾[٤٧]**

وقوله: **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا**، قيل: سَكَنًا يسكن فيه الخلائق. وقيل: **لباسا**، أي سِترا. **والنومَ سُباتا**، قال بعضهم: أي راحة، يقال: سبَت الرجل يسبُت سُباتا فهو مسبوت. وقال بعضهم: أصل السبت التمدد، وقال بعضهم: سبَت الرجل إذا نعَس. وقيل: رجل مسبوت لا يعقل كأنه ميّت. **وجعل النهار نشورا**، فمن جعل السبات النوم جعل قولَه: **والنهار نشورا**، أي حياة يَحْيَون فيه. ومن يقول: السبات راحة يجعل النهار نشورا، ينتشرون[8] فيه للمعاش والكسب وابتغاء الرزق. وقال بعضهم: يذكر نِعمه ومِننه على عباده يستأدِي به شكره.[9]*

---

[1] جميع النسخ: حيث ما يكون الشمس يكون.
[2] ر ع م: فهو.
[3] ن: قال.
[4] م: مما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٧ظ/سطر ٣٦-٣٩.
[6] ن: قوله.
[7] ن: وىسحه.
[8] ر م: ينتشر.
[9] ر م: لتأدي شكره.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٥، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٧ظ/سطر ٣٦-٣٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[٤٨]

وقوله:[1] **وهو الذي أرسل الرياح بشرا**، قال بعضهم: نَشْرًا، أي حياة.[2] وقال بعضهم: [٥٣٨و] نَشْرا للسحاب، تنشر [السحاب]، أي تبسطه. وعلى التأويل الأول تنشر، أي تحييها.

وقوله: **بين يدي رحمته**، أي بين يدي المطر، سَمَّى المطر رحمة لما برحمته يكون. وكذلك ما سَمَّى الجنة رحمةً لأنه[3] برحمته[4] يدخل من دخل فيها. وقوله: **بين يدي رحمته**، هذا يدل أنه لا يُفهم باليد اليد المعروفة التي هي الجارحة[5] حيث ذكر للمطر ذلك[6] ولا يُعرف[7] [له جارحة][8] أعني اليد، ليعلم أنه لا يفهم من قوله: "بيد الله"،[9] أو: "بين[10] يدي الله"[11] ذلك. *وبالله العصمة*.

وقرأ بعضهم: **بُشْرًا**، بالباء وهو من البشارة، كقوله: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ،[12] أي تبشرهم بالرحمة والسعة. *والله أعلم*.

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماء طهورا**، أي ما يُطَهَّر به الأنجاس والأقذار الظاهرة منها والباطن[ة]، وكذا[13] الطهور أنه يطهّر حيث ما أصابه.

---

[1] ن: قوله.

[2] وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يَدَيْ رحمته﴾. وقرئ: نُشُرًا ونَشْرًا. والنَّشْر: الحياة. وأنشر اللهُ الريحَ: أحياها بعد موت وأرسلها نُشُرًا ونَشْرًا. فأمّا من قرأ: نُشُرًا، فهو جمع نَشُور، مثل رسول ورسُل. ومن قرأ: نُشْرًا، أسكن الشينَ استخفافًا. ومن قرأ: نَشْرًا، فمعناه إحياءً بنَشْر السحاب الذي فيه المطر الذي هو حياة كل شيء. وقال الزجاج: من قرأ: نَشْرًا، فالمعنى: وهو الذي يُرسِل الرياح مُنْتَشِرة نَشْرًا، ومن قرأ: نُشُرًا فهو جمع نَشور. قال: وقرئ: بُشْرًا، بالباء، جمع بَشِيرة، كقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يُرسِل الرياح مُبَشِّرات﴾ (*لسان العرب*، «نشر»). قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿يرسل الريح﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون بالألف. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُرا بين﴾ بضم النون والشين، جمع نَشور. وقرأ الباقون: نُشْرا بضم النون وسكون الشين. وقرأ حمزة والكسائي: نَشْرا بفتح النون وسكون الشين. انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٢٨٥، ٥٣١، ٥٣٤.

[3] جميع النسخ: لأنها.

[4] جميع النسخ + ما.

[5] ع: الخرجة.

[6] أي ليد.

[7] ن + ذلك.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٠و.

[9] سورة آل عمران، ٧٣/٣.

[10] ر ع م: وبين.

[11] م – الله. سورة الحجرات، ١/٤٩.

[12] سورة الروم، ٤٦/٣٠.

[13] ن: هكذا.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[٤٩]

وقوله: **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**، فيه لغتان: أسقى وسَقَى بالألف وبغير الألف.[١] يقال: سقى به حرثَه وماشِيتَه، وسقيته، أي ناولته ما يشرب، وهو قول القُتَبِي[٢] وأبي[٣] عَوْسَجَة.

وقوله: **وأناسي كثيرا**، قال بعضهم: الأناسيّ هي[٤] جمع إنسيّ، وقال بعضهم: هي جمع[٥] إنسان. وأصله بالنون: أناسين لكن أبدلت النون ياءً. وقال أبو عوسجة والقُتَبِي:[٦] أناسيّ مشددة يعني أناس، وأناسي جماعة الإنسان على ما ذكرنا.

ثم يحتمل قوله: **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**، أي نسقيه من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الأنعام وكثيرا من الأناس وكثيرا مما يسقى من المياه المنتزعة من الأرض.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٥٠]

وقوله: **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا**، أي صرفنا المطر والسحاب بينهم، يُمطر في مكان ولا يمطر في مكان،[٧] ويسوق السحاب إلى مكان ولا يسوق[ه] إلى مكان آخر، كقوله: وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[٨] الآية، وكقوله: فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ،[٩] الآية. يذكّرهم في هذه الآيات من قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[١٠] إلى قوله: **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا**، تدبيرَه وقدرته وحكمته ونِعمَه.

---

[١] قال الخليل: سقيته كقولك: ناولته فشرب. وأسقيته: جعلت له سُقْيًا. وقال الفراء: العرب تقول: كل ما كان من بطون الأنعام ومن ماء السماء أو نهر أسقيت. وفي (سورة) الفرقان: ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاما﴾. وتقول: سقيتُه إذ ناولته ماء يشربه، لا يقولون غيره. انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٣٩١.

[٢] لم أجده في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٣] ر م: و نو.

[٤] ر ع م – هي.

[٥] ع: جميع.

[٦] لم أجده في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٧] ر ع م – ولا يمطر في مكان.

[٨] ﴿...وتصريفِ الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٤).

[٩] ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٩).

[١٠] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.

أم تدبيره حيث ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع، وتراه منبسطا في الآفاق كلها،[1] ثم يُمطر في موضع ولا يمطر في موضع[2] آخر ولا يرسل في مكان ويرسل في مكان آخر، ليُعلَم أنه عن تدبير كان هكذا، لا[3] بالطبع؛ لأنه لو كان بالطبع[4] كان ذلك لكان لا جائز أن[5] يمطر في مكان ويترك في مكان آخر، دل أنه بالتدبير كان ما كان وبالأمر.

وأما قدرته ما ذكر من إحياء الأرض الميتة بعد موتها وإماتتها بعد حياتها مما يعلم كل أحد حياتها وموتها ويقرّ بذلك. فمن قدر على هذا [فهو] قادر على إحياء الموتى بعد الموت ولا يُعجزه شيء.

وأما حكمته أن ما خلق مما[6] ذكَر وأنشأه[7] لم ينشئه عبثا: يُمهمهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشيء، ولا يجعل لهم عاقبة يثابون [بها] ويعاقبون ولا يستأدي منهم شكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم مما تَعجَز[8] عقولهم عن إدراكه وتَقصُر[9] أفهامهم عن تقدير مثله، ليُعلم أنه قادر بذاته لا يُعجزه شيء.

ثم قال: **فأبى أكثر الناس إلا كُفورا**، قال الكسائي: الكُفور برفع الكاف الكفر، والكَفور بفتح الكاف الكافر؛ والشُّكور بضم الشين الشُّكر، والشَّكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن. فيكون تأويله: **فأبى أكثر الناس إلا** كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة إلى غيره ولتفاؤلهم[10] وتطيرهم أن هذا من نَوْء كذا أو نوء كذا.[11] ***والله أعلم***.

**﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾**[٥١]

وقوله:[12] **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: لو شئنا لرفعنا عنك

---

[1] ر ع م - كلها.
[2] ر م - ولا يمطر في موضع.
[3] ع: إلا.
[4] ع - لأنه لو كان بالطبع.
[5] ر: لكان الجائز؛ ع: لا جائزا أي.
[6] ع: ما.
[7] ر م: ذكروا نشده.
[8] جميع النسخ: مما يعجز
[9] جميع النسخ: ويقصر.
[10] ن: أو لتفاؤلهم.
[11] ر م - أو نوء كذا.
[12] ن: قوله.

بعض[1] ما حملنا عليك من الْمُؤَنِ: من مئونة التبليغ والقيام بذلك وحملناها[2] غيرك، فيكون عليك أيسر وأهون من القيام بالكل.

والثاني: **لو شئنا لجعلنا** غيرك أيضا أهلا للرسالة وموضعا لها في زمانك وحينك فبعثناه في بعض القرى والمدن، لكنّا لم نجعل غيرك أهلا لها وخصصناك بها من بين غيرهم من الناس. فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له. ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فيهم من يصلح للرسالة ويَصلُح أن يكون أهلا لها وموضعا فلم يرسل. أو كان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تأويله: لو شئنا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا.

فأيّ الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم [في الأصلح]، لأنه إن كان فيهم من يصلح لها فأَرسل[3] كان أصلح له، فلم يُرسل فقد ترك ما هو أصلح له وأخير. أو أن يكون لا[4] ويَصلُح فيهم أحد لذلك لكنه يملك أن يُصلحه ويجعله أهلا لها فهو أصلح له وأخيَر، ثم لم يفعل. دل أن له أن يترك الأصلح والأخير في الدين.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٥٢]

وقوله: **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**، فيه وجهان. أحدهما أنه لا يجوز للرسل التقيّة والامتناع عن التبليغ إليهم والقيامِ بمجاهدتهم وإن خافوا على أنفسهم الهلاك، حيث قال: **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**، ولم يكن معهم يومئذ إلا قليل[5] ممن اتبعه، إذ[6] كان ذلك بمكة لأن سورة الفرقان فيها نزلت. والثاني فيه دلالة إثبات رسالته،[7]

[٥٣٨ظ] لأنه أمر بالخلاف لهم والقيام / بمجاهدتهم بالحجج والآيات، وهم يعلمون أن لا يكونُ في وسع واحد القيامُ لذلك لأمثالهم، وكانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فعلموا أنه إنما قام لذلك بالله لا بنفسه، إذ لا يملك[8] واحد القيام لذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر ع م: يعني.
[2] ر م: وحملنا.
[3] ر ع م: وأرسل.
[4] ع: فلا.
[5] ع: قليلا.
[6] ع: إذا.
[7] ر م: لرسالته.
[8] ع: إذا يملك.

**﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٥٣]**

وقوله: **وهو الذي مرج البحرين**، قال بعضهم: **مرج**، أي خلع ماء المالح على ماء العَذب. وقال بعضهم: **مرج**، أي[١] أرسل البحرين؛ أحدهما عذب والآخر أجاج. وقال بعضهم: **مرج**، أي أفاض أحدهما على الآخر. قال أبو معاذ: العرب تقول: مرَجتُ الدابةَ إذا خلعتُها وتركتها تذهب حيث شاءت. و[تقول:] مرج الوالي الناسَ من السجون إذا أرسلهم، فإذا أرعيتَ دابة في المروج قلتَ: أمرجتُ دابتي أُمرِجُها إمراجا. وإنما سُمّي المَرَج[٢] مرجا لأنه متروك للسباع غير معمور. والمُمرِج[٣] الذي يرعى دابته في المَرْج، والدابة المُمرَجة. وقال أبو عَوْسَجَة: **مرج البحرين**، مرَجهما، أي خلطهما فهو مارج. وقال: **فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**،[٤] أي مختلط. ويقال: مرجتُ عن كل شيء إذا خلطتَ. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في البحرين، قال بعضهم: أحدهما بحر الأرض والآخر بحر السماء. **وجعل بينهما برزخا**، أي[٥] حاجزا عن أن يختلط أحدهما بالآخر وهو[٦] الهواء.[٧] وقال بعضهم: أحدهما بحر السماء والآخر بحر تحت الأرض. **وجعل بينهما برزخا**، وهو الأرض. وقال بعضهم: بحران على وجه الأرض، أحدهما بحر الروم والآخر بحر الهند. وقال بعضهم: بحران أحدهما بحر الشام والآخر بحر العراق، أحدهما مالح أُجَاجٌ والآخر عَذْب. وكان الأجاج هو الذي بلغ في المُلوحة غايته، والفرات هو الذي بلغ في العذوبة والحلاوة[٨] غايتَه. ذَكَّر مننه وفضله ولطفه حيث لم يَخلِط أحدهما بالآخر،[٩] بل حفظ كلا على ما هو عليه إلى أن تقوم الساعة، فعند ذلك يصير الكل واحدا، كقوله: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.[١٠]

[١] ر ع م – أي.
[٢] م – المرج.
[٣] ر: الممرج.
[٤] ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ (سورة ق، ٥/٥٠).
[٥] ع – أي.
[٦] م – وهو.
[٧] ر ع م – الهواء.
[٨] ر ع م – والحلاوة.
[٩] ع: الآخر.
[١٠] سورة التكوير، ٦/٨١.

ثم إن كان أحدهما بحر السماء والآخر بحرَ الأرض فالحاجز بينهما الأرض.[1] وإن كان بحرين في الهواء فالحاجز بينهما ليس إلا اللطف، وكذلك إن كان الثالث، ليعلم أن من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز باللطف لَقادر على إحياء الموتى وبعثهم، ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة. وقال أبو عَوْسَجَة: ماء[2] أجاج شديد الملوحة. ويقال: أجّ الماء يأُجّ أجًا فهو أُجاج. ويقال: ماء[3] ثجّاج،[4] أي ماء[5] رِوًى.[6]

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٥٤]

وقوله:[7] **وهو الذي خلق من الماء بشرا**، أي من النطفة. يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه. أما لطفه وقدرته حيث خلق البشر من النطفة. ولو اجتمع جميع حكماء البشر على أن يعرفوا أو يدركوا البشر [يُخلق] من النطفة أو يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك. دل أنه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شيء. وأما فضله ومنته ما أخبر أنه جعل لهم نسبا وصهرا. أما النسب [فـ]فيه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا. وأما الصهر فلِما به يتزاوجون ويُوادّون[8] ويتوالدون، كقوله: وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً،[9] وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً.[10] يذكر فضله ومنته ليستأدى[11] به شكره، ليُعلَم أن خَلْق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة. وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج. والصهر هو[12] ما يُحلّ ويُجري بينهم التناكحَ والتزاوج. وفي حرف حفصة: وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا.

[1] ر ع م - فالحاجز بينهما الأرض.
[2] ع: اماء.
[3] ر ع م - ماء.
[4] ر ع م: عاج؛ ن: عجا.
[5] ماء رِوًى وماء رَواء: الكثير المُرْوِي.
[6] ر م + به.
[7] ن: قوله.
[8] ع: ولا يوادون.
[9] ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (سورة النحل، ٧٢/١٦).
[10] ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم، ٢١/٣٠).
[11] ر ع م: لتأدى.
[12] ر ع م - هو.

قال أبو معاذ: الصهر الفتى وآله، والخَتَن[1] أبو[2] المرأة، والختنة أم المرأة، والأَختان آل المرأة وأهلها، والأصهار آل الفتى وأهله. وقال أبو عَوْسَجة: **وصهرا**، من المصاهرة وكلهم أصهار من الجانبين جميعا. والمعروف عندنا أنه إنما يسمى[3] قرابة الزوج أَختانا، وقرابة المرأة أصهارا. وذلك لسان فهو على ما تعارفوه بينهم. ***والله أعلم.***

**﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾[٥٥]**

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم**، أي يعبدون من دون الله ما يعلمون أنه لا ينفعهم في الآخرة إن عبدوه ولا يضرهم في الدنيا إن تركوا عبادته. يذكر سفههم بعبادتهم مَن يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتَرْكَهم العبادة لمن ينفعهم إن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.[4] وهو كما ذكر: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ،[5] الآية وأمثال ما ذكر في غير آي من القرآن سَفَهَ أولئك الكفرة[6] بعبادتهم للأصنام وتركهم عبادة الله تعالى.

وقوله:[7] **وكان الكافر على ربه ظهيرا**،[8] تأويله -والله أعلم- وكان الكافر للكافر ولوليه ظهيرا على من أطاع ربه. يكون بعضهم ببعض عونا وظهيرا على أولياء الله، وإلا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على أوليائه. ويكون ذكر الرب[9] على إرادة وليه ومَن أطاعه، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[10] وكقوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[11] ونحو ذلك مما يراد به أولياؤه لا نفسه.

---

[1] ع: الختن.

[2] ر ع: أبوا.

[3] ن: سمي.

[4] ع - يذكر سفههم بعبادتهم من يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتركهم العبادة لمن ينفعهم أن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.

[5] ﴿قل أفرأيتم ما تَدْعون من دون الله إن أرادَنِيَ الله بضُرّ هل هن كاشفاتُ ضُرّه أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة لزمر، ٣٨/٣٩).

[6] ر ع م - الكفرة.

[7] ن: قوله.

[8] جميع النسخ + أي.

[9] ر ع م: الذي.

[10] ﴿يا أيها لذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٧/٤٧).

[11] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٨/٢-٩).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٥٦]

وقوله:[١] **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا، مبشرا** لمن أطاعه **ونذيرا** لمن عصاه. والبِشارة هي الإعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالأعمال الصالحة. والنذارة هي الإعلام لما يلحق من المكروه والمحذور في العاقبة بالأعمال السيئة القبيحة.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٥٧]

[٥٣٩ر] وقوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر**، أي ما أسألكم / على الدين الذي أدعوكم إليه من أجر، كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[٢] أي لا أسألكم أجرا على ذلك حتى يمنعكم ثِقَل الْمَغْرَم[٣] عن إجابتي. فعلى ذلك قوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، كأن فيه إضمارا،[٤] أي لا أسألكم عليه أجرا إلا من شاء،[٥] ولكن إنما أسألكم أن تتخذوا[٦] إلى ربكم[٧] سبيلا. أو أن يكون[٨] قوله: **إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، أي[٩] ولكن من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا أطاعني وأجابني.

ويحتمل قوله: **قل ما أسألكم**، على تبليغ الرسالة إليكم وما[١٠] أدعوكم إليه **من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، فيَبَرّني. أو أن يكون قوله: **إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا** فيُوادُّني، كقوله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.[١١]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾[٥٨]

وقوله:[١٢] **وتوكل على الحي الذي لا يموت**، أي توكل على الله. والتوكل هو الاعتماد عليه بكل أمر.

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الطور، ٥٢/٤٠.
[٣] جميع النسخ: الغرم.
[٤] ر ع: إضمار.
[٥] ن ع + أي.
[٦] ر ع: وما.
[٧] جميع النسخ: إلى ربه.
[٨] جميع النسخ: أو أن يقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤١و.
[٩] ر – أي.
[١٠] ر م: أو ما
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٢٣.
[١٢] ن: قوله.

وقوله: **وسبح بحمده**، أي نزّه ربك وبرّئهُ عن الآفات كلها والعيوب بثناءٍ تُثني عليه، وهو التسبيح بحمده. وقال أهل التأويل: أي صلِّ بأمر ربك، لكن التأويل ما ذكرنا.

وقوله:[1] **وكفى به بذنوب عباده خبيرا**، أي كفى به عِلما بذنوب عباده، أي لا أحدَ أعلمَ بها منه.

**﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٥٩] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[٦٠]**

وقوله: **الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، قد ذكرنا هذا.**

وقوله:[2] **فاسأل به خبيرا**،[3] قال قائلون:[4] فاسأل بالله خبيرا، لما يُسأل عنه محمد. وذلك أن بعض كفار مكة قالوا: يا محمد! إن كنت تَعَلّمُ الشعر فنحن لك. فقال النبي: أفشعر[5] هذا؟ إن هذا [إلا] كلام الرحمن. فقالوا: أجَل، لَعمر الله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلّمك. فقال النبي: الرحمن هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، مِن عنده يأتيني ذلك. فقالوا: أيزعم[6] أن الله واحد، وهو يقول: الله يعلمني، والرحمن[7] يعلمني،[8] ألستم تعلمون أن هذين[9] إلهان، أو كلام نحو هذا.[10]

---

[1] ن: قوله.

[2] ن: قوله.

[3] ن + أي.

[4] جميع النسخ + قوله.

[5] ر ع م: الشعر.

[6] جميع النسخ: أتزعم.

[7] ر م: الرحمن.

[8] ع - الرحمن.

[9] جميع النسخ: هذا.

[10] أورد السيوطي في *الدر المنثور* (٣٣٩/٥) خلال تفسير آية الإسراء (٩٠/١٧): ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفجُر لنا من الأرض يَنبوعا﴾: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله، إن شاء فعل بكم ذلك. قالوا: يا محمد قد علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك ونطلب منك ما نطلب. فيتقدم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ويخبرك بما صانعٌ في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به. فقد بَلَغنا أنه إنما يعلِّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا واللهِ لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمد. أمَا واللهِ لا نتركك وما فعلتَ بنا حتى نَهلِكك أو تُهلكنا.

وجائز أن يكون قولهم: **وما الرحمن**، لِما لا يعرفون الرحمن وعرفوا الله، فأنكروا ذلك لِما لم يكونوا يسمعون ذلك، فعرّفهم بقوله: قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ،[1] الآية. أو أن يكونوا يعرفون كل معبود إلها، وكذلك يسمّون الأصنام التي عبدوها آلهة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى عبادة الرحمن فظنوا أنه غيرٌ فقالوا: فلئن جاز أن يُعبَد غير الله فنحن نعبد الأصنام، فلِمَ تمنعنا عن ذلك؟ فأخبر أن[2] الرحمن والإله واحد ليس هو غيرا،[3] حيث قال: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا[4] -إلى آخر ما ذكر-[5] [من] أن يكون[6] الرحمن غير الإله، بل الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجا. وقد كانوا يعلمون أن الذي جعل في السماء البروج[7] وهي النجوم وجعل فيها السُرُج وهي الشمس والقمر هو الله. فأخبر أن الرحمن هو ذلك لا غير.

وفي قول بعضهم: إن قوله: **الذي خلق السماوات والأرض**، الآية من المكتوم.[8] وفي الآية دلالة أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يُعلم ويُفسر حيث قال: **فاسأل به خبيرا**، ولو كان مما لا يعلم لكان لا يأمره أن يسأل به خبيرا. أو لو[9] أمره بالسؤال لكان لا يحتمل أن لا يخبره. دل ذلك أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم، لكن لا يعلمه إلا الخبير، والخبير هو العالم.[10] ثم يحتمل الله أو جبريلَ أو من يعلِمه. ***والله أعلم***.

وقوله: **فاسأل به**،[11] قال بعضهم: بالله، وقال بعضهم: بالذي سبق ذكره من قوله: **ثم استوى على العرش**.

وقوله:[12] **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن**، قد ذكرنا. **أنسجد لما تأمرنا**، بالياء والتاء جميعا.[13]

---

[1] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١٠).
[2] ر م – أن.
[3] م: غير.
[4] الآية التالية.
[5] جميع النسخ + يقول الله تعالى.
[6] م: يكن.
[7] ع: بروجا.
[8] ع: من مكتوم.
[9] جميع النسخ: أن.
[10] ن: القائل.
[11] م + خبيرا.
[12] ن: قوله.
[13] انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥١١-٥١٢.

وقوله:[1] **وزادهم نفورا**، زادهم دعاؤه إلى عبادة[2] الرحمن نفورا عن رسول الله. وقال بعضهم في قوله: **فاسأل به خبيرا**، يقول: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك لا شك فيه. ***والله أعلم***.

**﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[٦١]**

وقوله:[3] **تبارك الذي جعل في السماء بروجا**، قوله: **تبارك** قد ذكرنا أن بعضهم يقولون: هو من البركة، وقال بعضهم: هو[4] من التعالي. **جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**، هو ما ذكرنا أنه خرج جوابا لقولهم: وَمَا الرَّحْمٰنُ.[5] وكذلك قوله:

**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٦٢]**

**وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة**، أي جعل أحدهما خلف الآخر، إذا ذهب هذا جاء هذا. **لمن أراد أن يَذَّكَّر أو أراد شكورا**، أي يُذكِّر الليلَ والنهار لمن أراد أن يتذكر لمواعظه[6] أو يشكرَ لنعمه، لأنهما يُذكِّران قدرته وسلطانه حيث يَقْهَران[7] الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث يُظلّانهم ويأتيانهم شاءوا أو كرهوا، لا يقدرون دفعهما عن أنفسهم.[8] وفيهما دلالة البعث والإحياء[9] بعد الفناء والهلاك، حيث ذهب بهذا [و]أتى بآخر بعد أن لم يبق من أثره شيء. فمن قدر على هذا قدر على البعث والإحياء بعد الموت وذهاب أثره. ويذكّران أيضا نعمه وآلاءه، لأنه جعل النهار متقلَّبا لمعاشهم ومَطلبا لرزقهم وما به قوام أنفسهم، وجعل [٥٣٩ظ]
الليل مُستراحا لأبدانهم وسكونهم، لا قوامَ للأبدان بأحدهما[10] دون الآخر. ألا ترى أنه كيف ذكر نِعمه فيهما حيث قال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،[11] الآية،

---

[1] ن: قوله.
[2] ع: عادة.
[3] ن: قوله.
[4] ر م – هو.
[5] الآية السابقة.
[6] ع: موعظة
[7] ر م: تقهر. أي الليل والنهار.
[8] ن – عن أنفسهم.
[9] ر ع م: الإحياء والبعث.
[10] ر ن م: لأحدهما؛ ع: لأحدهما؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤١ظ.
[11] ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ (سورة القصص، ٧١/٢٨).

وقال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ.[1] الآية. يذكّرهم[2] عظيم نعمه فيهما -أعني في الليل والنهار- ليستأدى[3] به شكره. فعلى ذلك[4] قوله: **جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ن يذكر أو أراد شكورا**، النعمة التي جعل فيهما.

وقال بعضهم: قوله: **خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا**، أي يكون كل واحد منهما خَلَفًا للآخر فيما يفوت فيه من التذكر والتشكر له. أي ما فات في أحدهما من التذكر والتشكر[5] يُقضى في الآخر. وقال الحسن قريبا مما ذكرنا، وقال: من فاته شيء بالليل أدركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار[6] أدركه بالليل. وعلى مثل ذلك روي عن عمر أن رجلا قال له: يا أمير المؤمنين إني فاتتني الصلاةُ الليلةَ، فقال عمر: أَدْرِكْ[7] ما فاتك من ليلك في نهارك وما فاتك في نهارك من ليلك، ثم قرأ: **وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفة**. وقال بعضهم: **خِلفة** من الاختلاف، أي يخالف[8] أحدهما الآخر.

ثم يحتمل الاختلاف وجهين. أحدهما مجيء هذا وذهاب الآخر على ما ذكرنا، كقوله: وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.[9] والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض، أحدهما أسود والآخر أبيض. *والله أعلم*.

وقوله: **جعل في السماء بروجا**، قال بعضهم: البروج هي النجوم العِظام، والواحد برج، وهو قول أبي عَوْسَجَة الأعرابي. وقال بعضهم: البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس في[10] كل ليلة.

وروي مثل قول[11] عمر عن سلمان أن رجلا أتاه فقال: يا سلمان إني لا أستطيع قيام الليل، قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تَعجزْ[12] [عنه] بالنهار.[13] وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] سورة القصص، ٧٢/٢٨.
[2] ر ع م: يتذكرهم.
[3] ر ع م: ليتأدى.
[4] جميع النسخ + هذا؛ ر ع م + ما ذكرنا.
[5] ن + له.
[6] ع − بالنهار.
[7] ع: درك.
[8] ر ع م: مخالف.
[9] سورة البقرة، ١٦٤/٢.
[10] م − في.
[11] ع − قول.
[12] ر م: تعجزه.
[13] عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل، قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٦).

كان يقول: «أَصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين أو[1] أربعا.»[2] وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده إن في كل ليلة ساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أُعطِي له في هذا الليل والنهار، فإنهما مَطيّتان تحملان[3] الناس إلى آجالهم، تُقرّبان كل بعيد وتُبلِيان كل جديد وتَجيئان بكل موعود حتى يؤدي ذلك إلى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يصير الناس بأعمالهم إلى[4] الجنة وإلى النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت.»[5]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦٣]

وقوله: **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**، وصف عز وجل أهل الصفوة والإخلاص من عباده أنهم يمشون على الأرض هَونا إلى آخر ما ذكر، وإلا كانوا كلهم عباد الرحمن، لكن وصَف أهل الصفوة منهم والإخلاص والتُّقَى. وقوله: **يمشون على الأرض هونا**، قال بعضهم: حُلَماء أتقياءَ بغير مَرَح ولا بَطَر. وقال بعضهم: **هونا**، أي متواضعين لا خُيَلاء ولا كبرياء ولا مَرَحا. وعن[6] الحسن قال: هم المؤمنون قوم ذُلُل، ذلّت[7] الأسماع والأبصار والجوارح [منهم] حتى يحسبهم الجاهل مرضى، واللهِ ما بالقوم من مرض وإنهم لَأَصحّةُ القلوب، ولكن[8] دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم. وفي بعض الأخبار مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنِف[9] إنْ قِيد انقاد

---

[1] جميع النسخ: ولو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤١ظ.

[2] عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلوا من الليل أربعا، صلوا ولو ركعتين. ما من أهل بيت تُعرَف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم منادٍ: يا أهل البيت قوموا لصلاتكم» (*شعب الإيمان* للبيهقي، ١٦٢/٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٧٢/٢).

[3] جميع النسخ: تقحمان؛ والتصحيح مستفاد من رواية الحديث.

[4] ع − إلى.

[5] عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل: قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار. قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده إن في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يصلي فيها يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه اياه» قال قتادة: فأرُوا الله من أعمالكم خيرا في هذا الليل والنهار فانهما مطيّتان تحملان الناس إلى آجالهم تقربان كل بعيد وتبليان كل جديد وتجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٦).

[6] ع: وقال.

[7] ر ع م + والله.

[8] ع: لكن.

[9] أي الذي جعل الزمام في أنفه.

وإنْ أُنيخ على صخرة استناخ.»[1] وأصله أنهم يمشون هونا من غير أن يتأذى بهم أحد أو يلحق بأحد منهم ضرر.[2] *والله أعلم.*

وقوله:[3] **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**، قال بعضهم: إذا جاهلهم الجاهلون وسافههم[4] السفهاء لا يجاهلون أهل الجهل والسفه ولكن قالوا: السلام عليكم. وقال بعضهم: وإذا سمعوا الشتم والأذى **قالوا: سلاما**، أي سدادا وصوابا من القول وردا معروفا. أعرَضوا[5] عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافئوهم، كقوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ،[6] الآية. يخبر عز وجل عن صحبتهم أهل السفه والجهل وحُسن معاشرتهم إياهم ورِفقهم بهم.[7] فكيف يعاملون أهل الخير والعقل منهم ويصاحبونهم[8] فهذه معاملتهم الخلائق على الوصف الذي وصفه. ثم أخبر عن صنيعهم لله وركونهم إليه فقال:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[٦٤]

**والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما**. عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله الذين يبيتون الليل وأيديهم على رُكَبهم». ثم قال: «من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا قائما».[9] وقال[10] الحسن: كانوا يَبيتون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سُجّدا لربهم، تجري[11] دموعهم على خدودهم فَرَقا[12] من ربهم.[13] وقال: لِأمرٍ ما سهر له ليلهم ولِأمرٍ ما خشَع له نهارهم.

---

[1] عن ابن المبارك قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف الذي إن قيد انقاد وإذا أُنيخ على صخرة استناخ.» انظر: *كتاب الزهد* لابن مبارك، ١٣٠/١ (٣٨٧)؛ و*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ١٨٠/٥.

[2] جميع النسخ + أو معنى.

[3] ن: قوله.

[4] ن م: وشافههم.

[5] ر ع م: عرضوا.

[6] ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).

[7] ر م – بهم.

[8] ر م: ويصاحبون.

[9] ن ع: وقائما.

[10] ع: قال.

[11] ر ع م: يجيء، ن: يجهر.

[12] ن: خوفا.

[13] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٥/١٩.

**﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٦٥] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٦٦]**

وقوله: **والذين يقولون** / **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم**، يحتمل أن يكون هذا إخبارا [٥٤٠و] من الله تعالى عما في ضميرهم، ليس على حقيقة القول منهم[1] والدعاء، لأن من بلغ في العبادة والورع المبلغَ الذي وصفهم لا يَشغلون أنفسهم بالسؤال عن دفع المضار أو جرّ النفع. ويحتمل على الدعاء والقول على ما أخبر. *والله أعلم*.

ثم أخبر عن عذابها فقال: **إن عذابها كان غراما**، قال الحسن: الغرام اللازم الذي لا يفارق صاحبه، وكل غريم[2] يفارق غريمه غير[3] عذاب جهنم. وقال بعضهم: الغرام الهلاك.

وقال: **إنها ساءت مستقرا ومقاما**، أي جهنم بئس المستقر وبئس المُقام لأهلها. هو مقابل ما ذكر لأهل الطاعة الجنة حيث قال: حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا.[4] وقال بعضهم: **غراما** غَرِموا في الآخرة ما نَعِموا في الدنيا. وفي حرف ابن مسعود: كان غراما إنا أُنبِئنا أنها ساءت مستقرا ومقاما.[5]

وقال أبو عَوْسَجَة: **هَوْنًا**[6] هو[7] من الرفق، يقال: هان يهون هَونا فهو هائن. ومنه يقال:[8] إذا عزَّ أخوك فهُن، أي إذا اشتد فارفُق به. والغرام الهلاك. وكذلك[9] قال[10] القُتَبِي: **غراما**، أي هلكة. وقال مشيا هونا: رويدا.[11] سلاما، أي سدادا من القول لا رفَث فيه ولا هُجر.

**﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٦٧]**

وقوله:[12] **إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**، قال بعضهم: **لم يسرفوا** في غير حق،

---

[1] ر ع م – منهم.
[2] ع: عريمه.
[3] ع: غيره.
[4] سورة الفرقان ٧٦/٢٥.
[5] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٦٧.
[6] من الآية السابقة برقم ٦٣.
[7] ر م – منهم.
[8] جميع النسخ: وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢و.
[9] ر – وكذلك.
[10] ر: وقال.
[11] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٥.
[12] ن: قوله.

كسبوا طيّبا وأنفقوا قَصدا وأعطَوا فضلا وأَنْجَحوا[1] واستبشروا. **ولم يقتروا**، أي و لم يمسكوا عن الحق.[2] وقوله: **وكان بين ذلك قواما**، أي بين الإسراف والتقتير مقتصداً[3] وهو تأويل مقاتل. وقال بعضهم: الإسراف هو الإنفاق في معصية الله. **لم يسرفوا**، أي لم ينفقوا في معصية الله،[4] **ولم يَقْتُروا**، أي لم يمنعوا عن طاعة الله. **وكان بين ذلك قَواما**، أي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفق[5] في باطل ولكن نفقةٌ في طاعة الله. وقال بعضهم: الإسراف في النفقة هو الإنفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها سدى ولا ينتفعون بها.[6] والإقتار هو الإمساك عن الإنفاق فيما ينتفع به. وقال بعضهم: الإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له في الإنفاق في الإكثار، والإقتار هو المنع عن[7] الحد الذي جعل له.

**وكان بين ذلك قَواما**، أي وسطا، كقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[8] ولكن بين ذلك. وأصله **لم يُسرفوا**، أي لم ينفقوا[9] ولم يضعوا إلا في ما أمروا أن يضعوا أموالهم[10] فيه. **ولم يَقتُروا**، أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.[11] **وكان بين ذلك قواما**، أي قائما في ذلك. أخبر[12] أن ما يفعلون لا يفعلون إلا بأمر وأخبر أنهم لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.[13]

[٥٤٠ظ س٤] *وقال أبو عَوْسَجَة: الإسراف الفساد، والتقتير التضييق. **ولم يقتروا**، أي لم ينفقوا قليلا لا يكفي عيالهم. قال: والقِوام الوسط، ويقال: لا قوام لي في هذا الأمر، أي لا طاقة لي فيه،

[1] ر م: والجمود؛ ع: والجمد.    أنجح الرجل: صار ذا نجح وظفر (*لسان العرب*، «نجح»).
[2] ن + والله أعلم.
[3] ر ع م: مقصدا.
[4] ر ع م – لم يسرفوا أي لم ينفقوا في معصية الله.
[5] ر ع م: ولا ينفقون.
[6] نظر: سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[7] ن: من.
[8] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[9] ر م: لم يتفعوا.
[10] ر ع م – أموالهم.
[11] ر ع م – ولم يقتروا أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.
[12] ع ن: يخبر.
[13] من الآية التالية.

ولا أقاوم هذا الأمر، أي لا أطيقه. والقوام القصد. قال أبو معاذ في قوله: **ولم يقتروا**، لغات أربع: لم يُقتِروا برفع الياء وبخفض التاء غير مثقّل، ويُقتِّروا مثقل،[1] ويَقتِروا بنصب الياء وخفض التاء، **ويقتُروا** برفع التاء، والمعنى كله واحد.* [٥٤٠ظ س٨]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[٦٨]

ثم يحتمل هذا وجهين. **لا يدعون [مع الله إلها آخر]**، أي لا يعبدون دون الله غيره، أو لا يسمّون[3] غير الله إلها.[4] **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**، أخبر في الآية الأولى في قوله: [وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ] يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[5] عن معاملتهم الخلق[6] وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث أخبر أنهم يمشون هَوْنًا لا يؤذون[7] أحدا ولا يضرونه، وإذا آذاهم أهل الجهل والسفه لا[8] يكافئوهم[9] لأذاهم ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا[10] لهم قولا سديدا. هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق بالنهار. وأخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ،[11] الآية. ثم أخبر عن صنيعهم في أموالهم التي في أيديهم أنهم لا يضعونها إلا فيما أمروا بالوضع فيها، وأخبر عن صفوتهم[12] وإخلاصهم لله في العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قال:[13] [وَالَّذِينَ] إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا.[14]

---

[1] ر م - ويقتروا مثقل.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠ض/سطر ٤-٨.
[3] ع: أو يسمون.
[4] ر ع م - إلها.
[5] الآية ٦٣ من هذه السورة.
[6] ع: الحق.
[7] ر م: ولا يؤذون.
[8] ر م: لم.
[9] ع: يكافوا هم.
[10] م: وقولوا.
[11] الآية ٦٤-٦٥ من هذه السورة.
[12] ر: عن صفتهم.
[13] ر: قالو
[14] الآية السابقة.

وقوله: **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**. وقوله: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ،[1] موصول بهذا أيضا ومقدم عن قوله: **ومن يفعل ذلك يلق أثاما**. كأنه قال: ولا يزنون ولا يشهدون الزور **ومن يفعل ذلك**، أي ما ذكر مِن قتل النفس المحرمة والزنى وشهادة الزور والشرك **يلقَ أثاما**. قال بعضهم: **أثاما**، أي واديا في جهنم. وقال بعضهم: **أثاما** عذابا في النار.[2]

وفي قوله: **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**، دلالة نقض قول الخوارج
|٥٤٠ظ| بإكفارهم أصحاب الكبائر، لأنه أخبر أنها محرمة بعد ارتكابها[3] / كالزنى[4] والقتل كما هي قبل ارتكابها، **إلا بالحق** حيث قال: **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**، دل أنها[5] محرمة بعدُ غير كافرة. **إلا بالحق**: إما بحق القصاص وإما بحق الزنى وإما بحق الارتداد، على[6] ما ذكر في الخبر: «لا يحل قتل امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاثِ خصالٍ: زنًى بعد إحصان، وكفرٌ بعد إيمان، وقتلُ نفس بغير حق.»[7] ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت غير محرمة، فدل أنه ما ذكرنا.*

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[٦٩]

وقوله:[9] **يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا**. فإن قيل: أخبر ههنا أنه يضاعف له العذاب، وقال في آية أخرى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا،[10] فما معنى الضِّعْف ههنا؟

---

[1] الآية ٧٢ من هذه السورة.

[2] انظر تأويل أبي عوسجة لكلمة "أثام" عند تفسير الآية ٧٢ من هذه السورة. وقع هنا مقطع متقدما على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٢، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠و/سطر ٣٤-٣٨.

[3] أي الكبائر.

[4] جميع النسخ: الزنى.

[5] ر: أنهما.

[6] ر م: وعلى.

[7] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦١/١؛ و*صحيح البخاري*، الديات ٢٢؛ و*سنن ابن ماجة*، الحدود ١؛ و*سنن النسائي*، القسامة ١٣.

* وقع هنا مقطعان: مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ ومقطع متقدما على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٣، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠ظ/سطر ٤-١٣.

[9] ن: قوله.

[10] سورة المؤمن، ٤٠/٤٠.

قيل: يحتمل هذا وجهين. أحدهما أنه يضاعف العذاب للذين تقدم ذكرهم إذا كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذي وصفهم والرتبة التي[1] ذكر، وهو قوله: وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ،[2] الآية. إن واحدا منهم إذا كفر يضاعف له العذاب، يتضاعف عذابه على قدر منزلته ومرتبته عند الله وعلى قدر نعم الله عليه إذا كان منه عصيان وكفران لذلك، وهو كما قال لرسول[3] الله صلى الله عليه وسلم: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ،[4] أي ضِعف عذاب الحياة وضِعف عذاب الممات؛ وما ذكر أيضا لأزواجه حيث قال: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ.[5] كل من كان أعظم قدرا وأكثر نِعَما عليه فعقوبته إذا عصى ربه أكثر وأشد من الذي لم يبلغ ذلك المبلغ[6] ولا تلك الرتبة، فيكون ضِعفَ غيرِه وجزاءَ مثلِه.

والثاني أن يكون ذلك للأئمة، أعني الكفرة والرؤساء دون الأتباع، لأنهم عملوا هم بأنفسهم ودعَوا[7] غيرهم إلى ذلك، كقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ.[8] أو أن يكون ذلك لهم للعناد[9] الذي كان منهم والمكابرة، ثم استثنى من تاب منهم فقال:

**﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٧٠]

**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا**، الآية، فإن كانت[10] الآية[11] في الذين قال: وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا،[12] فكان فيه دلالة قبول توبة المرتدّ إذا تاب ورجع إلى الإسلام حيث استثنى من تاب منهم.

---

[1] ع – التي.
[2] الآية ٦٣ من هذه السورة.
[3] م: رسول.
[4] سورة الإسراء، ٧٤/١٧-٧٥.
[5] سورة الأحزاب ٣٠/٣٣.
[6] ر م – المبلغ.
[7] ع: داعوا.
[8] ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (سورة العنكبوت، ١٣/٢٩).
[9] ر م: لعناد.
[10] ع ن: فإن كان.
[11] ر م – فإن كانت الآية.
[12] سورة الفرقان ٦٣/٢٥.

وقوله:[1] **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يوفقهم[2] الله إذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات في الدنيا حتى يعملوا مكان كل[3] سيئة عملوها حسنةً،[4] فذلك معنى تبديل[5] الله سيئاتهم[6] حسنات، أي يوفقهم على ذلك. والثاني يبدل الله سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم الندامة والحسرة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا. وعلى ذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ليأتين أقوام يوم القيامة ودُّوا أنهم استكثروا من السيئات. فقيل له: يا أبا هريرة ومن هم؟ قال: هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات؛[7] وكأنه روي مثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾[٧١]

وقوله: **ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أن يكون على الأمر[8] كأنه قال: ومن تاب فليتُب إلى الله متابا[9] لا يرجع عنها أبدا. وعلى ذلك يخرج قوله: إِن يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ،[10] أي إن يكن منكم عشرون فيَثبُتوا[11] يغلبوا مائتين على الأمر، دليله قوله حيث قال: اَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ،[12] الآية. والثاني أن يكون ذلك لقوم خاص علِم الله أنهم إذا تابوا توبة لا يرجعون عنها أبدا، وإلا ليس كل من تاب يكون على توبته أبدا.[13]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٧٢]

[٥٤٠و س ٣٤] *وقوله: **[والذين] لا يشهدون الزُّور**، قال بعضهم: لا يشهدون مكان الزور وهو الغِناء، أي لا يشهدون المكان الذي يُتغنَّى فيه. وقال بعضهم: لا يشهدون بشهادة الزور وهو الكذب.

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: يوفق؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢ظ.
[3] ر م – كل.
[4] ر ع م – حسنة.
[5] ع: تبدل.
[6] ر ع م – سيئاتهم.
[7] *تفسير القرآن* لابن كثير، ٣١٦/٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨١/٦.
[8] ن: أن يكون إلا من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢ظ.
[9] ر ع م – يحتمل هذا وجهين أحدهما أن يكون على الأمر كأنه قال ومن تاب فليتب إلى الله متابا.
[10] سورة الأنفال، ٦٥/٨.
[11] ع ن: فليثبتوا.
[12] ﴿الآنَ خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعْفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٦٦/٨.
[13] ر ع م + وقوله: ن + قوله.

وقوله:[1] **وإذا مروا باللغو مروا كراما**، مرور الكرام، أي إنْ قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيَّروه ومضَوا على وجههم من غير أن دخل في ذلك فساد، وإنْ لم يقدروا مضَوا و لم يعبئوا به ولا اشتغلوا به، كقوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ.[2]* ‏[٥٤٠و س٣٨]

**والذين لا يشهدون الزور**،[4] **وإذا مروا باللغو مروا كراما**.[5] وقال[6] بعضهم: إذا أُوذُوا صفَحوا. وقال بعضهم: إنهم كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح أو غيره كنَّوا عنه. وقال[7] أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: يَلْقَ أَثَامًا،[8] أي عقوبة الأثام.[9]

وقوله: **مروا كراما**، أي لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه.[10]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[٧٣]

‏[٥٤٠ظ س٨] *وقوله: **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا**، قال بعضهم: يقول: إذا ذكروا بآيات ربهم لم يَصَمّوا عن الحق و لم يَعمَوا. قال: هم واللهِ قوم عقَلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله. وقال الحسن: من يقرأها بلسانه يخرّ عليها أصمَّ وأعمى، كأنه يخبر أن أولئك -أعني أهل صفوة الله وإخلاصه- لم يخرّوا على تلك الآيات صُمّا ولا عُميانا كالكفرة العَنَدَة ولكن خرّوا عليها متذكرين متفقهين[11] متيقظين عالمين بما فيها عاملين، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،[12] الآية.* ‏[٥٤٠ظ س١٣]

---

[1] ن: قوله.
[2] ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠و/سطر ٣٤-٣٨.
[4] جميع النسخ + قد ذكرناه.
[5] جميع النسخ + قد ذكرناه أيضا. ونحن قد نقلنا إلى هنا ما ذكر في الآية السابقة برقم ٦٨ في كلا الموضعين.
[6] ر م - وقال.
[7] ع: قال.
[8] من الآية ٦٨ من هذه السورة.
[9] جميع النسخ + العقوبة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٥.
[10] جميع النسخ: عنهم.
[11] ر م: ومتفقهين.
[12] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٢/٨).
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠ظ/سطر ٨-١٣.

**صما وعميانا**، أي لم يتغافلوا عنها. وقال[1] بعضهم: إنهم إذ وُعِظوا بالقرآن **لم يخروا عليها صما وعميانا**، عند تلاوة القرآن فلا يسمعون ولا يبصرون، ولكن يخرّون عليها سُمَعَاءَ وبُصَرَاءَ، وهو واحد.

**﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٧٤]**

[٥٤١و] وقوله:[2] **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**، قد نعتهم عز وجل في معاملتهم ربهم[3] أنْ كيف عاملوا ربهم بالليل والنهار، ونعتهم[4] أيضا في معاملتهم عبادَه أنْ كيف عاملوا عباده. ثم نعتهم في معاملتهم أهليهم ودعائهم لهم فقال: **يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**، فهو -والله أعلم- لَمّا أمرهم أن يَقُوا[5] أنفسهم وأهليهم النار بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] الآية، فعند ذلك دعَوا ربهم وسألوه أن يهَب[7] لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تَقَرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: اجعَلْهم صالحين مطيعين لك[8] فإن ذلك يُقِرّ أعيننا. قال الحسن: واللهِ ما شيء أحبّ إلى العبد المسلم من[9] أنْ يرى ولده أو ولد ولده[10] أو حميمه يطيع الله. وقال: نراهم يعملون بطاعة الله فتَقَرّ بذلك أعيننا. *والله أعلم.*

وقوله: **واجعلنا للمتقين إماما**، قال بعضهم: أي اجعلنا أئمةَ هُدى وتقوى يُقتدى بنا. وقال بعضهم: واجعلنا بحال يقتدِي بنا المتقون. وأصله -والله أعلم- كأنهم[11] سألوا ربهم أن يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا، لا من اقتدى بهم[12] صار ضالا فاسقا. هذا -والله أعلم- تأويله،

---

[1] ع: قال.
[2] ن: قوله.
[3] ر ع م - ربهم.
[4] ر م: نعتهم.
[5] ر م: يتوبوا؛ ع: يقول.
[6] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[7] ع: يهيب.
[8] ر ع م - لك.
[9] ع - من.
[10] ر ع م - أو ولد ولده.
[11] ر ع م: فإنهم.
[12] ر ع م - بهم.

وإلا سؤالهم[١] أن اجعلنا إماما للمتقين لا معنى له أن يطلبوا لأنفسهم الإمامة، ولكن على الوجه الذي ذكرنا. *والله أعلم*.

ثم أخبر عن جزائهم في الآخرة بصنيعهم في الدنيا وصبرهم على ما أمروا فقال:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[٧٥]

**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**، والغرفة[٢] هي أعلى المنازل وأشرفها. أخبر أنهم يجزون ذلك ويكونون فيها. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: أولئك يجزون الجنة بما عملوا.[٣] فجائز أن يكون الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة، يدله حرف ابن مسعود. وجائز أن يراد به نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل، وذلك مما يُختار الكون فيها في بعض الأوقات في الدنيا. والناس يرغبون فيها لإشرافها وارتفاعها على غيرها، فرغّبهم بذلك في الآخرة.

وقوله: **ويلقون فيها**، بالتخفيف والتشديد، ويَلقَون[٤] **تحية وسلاما**، أي تتلقاهم[٥] الملائكة بالتحية والسلام، كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ،[٦] وقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ،[٧] أو يَتلقّى بعضهم بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا ويسلّم بعضهم على بعض.[٨]

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٧٦]

وقوله: **خالدين فيها** دائمين، **حسنت مستقرا ومقاما**، تأويله -والله أعلم- أي حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يَمَلّوا فيها ولا يَسأموا ولا تأخذهم الوحشة والكآبة كنعيم الدنيا يُمَلّ عنها[٩] ويُسأم عند الكثرة وطول المُقام فيها.

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٧٧]

وقوله: **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**، قال بعضهم: **ما يعبأ بكم ربي**، أي ما يعتدّ بكم ربي

---

[١] ع: ولا سؤاهم.
[٢] ع - والغرفة.
[٣] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٦٧.
[٤] انظر: *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٥١٥-٥١٦.
[٥] جميع النسخ: يلقيهم.
[٦] ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/ ٢٣-٢٤).
[٧] ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٣).
[٨] ع: بعضهم بعضا.
[٩] ر م - عنها

لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد لتوحِّدوه وتطيعوه. وقال بعضهم: **ما يعبأ**، أي ما يصنع بكم ربي، وتأويله -والله أعلم- أي ما يصنع ربي بعذابكم إن وحدتموه وأطعتموه، بقوله: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ[1] إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ.[2]

وقوله:[3] **فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو عذاب يوم بدر، يعني ألزم بعضَهم بعضا. وكذلك قال ابن مسعود قال: مضت آية الدخان والبطشة، واللزامُ يوم بدر.[4] وقال بعضهم:[5] **لزاما**، أي عذابا ملازما غير مفارق، وهو عذاب الآخرة. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما يعبأ بكم ربي**، أي ما يصنع، يقال: عَبَأَ يَعْبَأُ عِبئًا،[6] فهو عابِئ إذا احتاج إليكم. ويقال: ما أَعْبَأُ بهذا الأمر، أي ما أصنع به. ويقال: عبأت بفلان، أي احتجت إليه، وكذلك قول القُتَبِي.[7]

---

[1] ر ع م - وحدتموه وأطعتموه بقوله ما يفعل الله بعذابكم.

[2] سورة النساء، ٤/١٤٧.

[3] ن: قوله.

[4] وهما: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، و﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ (سورة الدخان، ١٠/٤٤، ١٦). انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٢٥/٥، وتفسير الطبري، ٥٦/١٩، ١٧/٢١، ١١٢/٢٥، ٨٥/٢٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٠/٦.

[5] ر ع م - بعضهم.

[6] ر ع م: عباء.

[7] ر + والله أعلم بالصواب؛ ن ع + والله أعلم. انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٨. «ومنه قوله تعالى: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكُمْ رَبِّي لولا دُعاؤكم فقد كَذَّبتم فسوف يكون لِزامًا﴾. قال: وهذه الآية مشكلة. روى ابن نجيح عن مجاهد أنه قال في قوله: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكم ربي﴾، أي ما يَفْعَل بكم ربي لولا دُعاؤه إياكم لتَعْبُدوه وتُطِيعوه، ونحو ذلك. قال الكلبي: وروى سلمة عن الفراء: أي ما يَصْنَعُ بكم ربي لولا دُعاؤكم، ابتلاكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكم ربي﴾، أي ما يفعل بكم لولا دُعاؤكم: معناه لولا تَوْحِيدُكم. قال: تأويله: أَيُّ وَزْنٍ لكم عنده لولا توحيدُكم، كما تقول: ما عَبَأْتُ بفلان، أي ما كان له عندي وَزْنٌ ولا قَدْرٌ» (*لسان العرب*، «عبأ»).

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الشعراء قيل مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طسٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **طسم**، قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة فيما تقدم.[2] وكذلك قوله: **تلك آيات الكتاب المبين**،[3] قد ذكرنا تأويله أيضا.

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣]

وقوله:[4] **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين**، كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تركُهم الإيمان وتكذيبهم إياه إشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله وإجلالا لحقه، حتى كادت نفسه تَهلِك حزنا على ذلك، وكقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا؛[5] والأسف هو النهاية في الحزن، كقول يعقوب: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ.[6] وقال بعضهم: الأسف هو النهاية في الغضب، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[7] قيل: أغضبونا. وقد ذكرنا في[8] ما [تقدم][9] ذكر الله رسوله[10] ووصَفه [بأنه] كان مطبوعا بحزن وتأسف لمكان كفرهم وتكذيبهم،

---

[1] ر – سورة الشعراء قيل مكية؛ ن ع: قيل سورة الشعراء مكية.

[2] انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية أواخر المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة».

[3] انظر: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.

[4] ن م: قوله.

[5] سورة الكهف، ٦/١٨.

[6] ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

[7] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

[8] جميع النسخ + سورة يوسف على.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٣و.

[10] ر م: ورسوله.

كقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ،[1] الآية. يَحْزَن عليهم إشفاقا عليهم ويغضب عليهم لله تعظيما له وإجلالا لأمره لما ضيعوا أمره ونهيه. وهكذا الواجب على كل من رأى آخر في فاحشة أو كبيرة أن يحزن ويترحم عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٤]

وقوله:[2] **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**، قالت[3] المعتزلة: قوله: **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية**، مشيئة قسر وقهر حتى يضطروا لها فيؤمنوا. لكن عندنا مشيئة الإيمان والاختيار، أي إن نشأ[4] إيمانهم ننزل عليهم آية فيؤمنوا،
[٥٤١ظ] لأن الآية لا تضطر أحدًا ولا تقهر على الإيمان، دليله قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[5] الآية. أخبر أنهم لا يؤمنون وإنْ فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الإيمان. وكذلك ما أخبر عنهم في الآخرة حيث[6] قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ،[7] الآية، وقوله:[8] ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ[9] الآية، أخبر عن حَلِفهم وإنكارهم في الآخرة أنهم لم يكونوا على ما كانوا. ولا تكون[10] آية أعظم مما عاينوا من أنواع العذاب. ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطرهم على الإقرار والتصديق. دل أن الآية وإن كانت عظيمة لا تضطر أهلها على الإيمان والتصديق. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ما يغنينا عن ذكرها في هذا الموضع.

---

[1] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٢٨/٩).
[2] ن: قوله.
[3] ن: قل.
[4] ر ع م: أي يشاء.
[5] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).
[6] ر ع م – حيث.
[7] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).
[8] ن: وقولهم.
[9] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).
[10] ن: ولا يكون.

وقوله:[١] **فظلت أعناقهم لها خاضعين**، أي مالت وخضعت لها أعناقهم،[٢] والأعناق كأنها كناية عن أنفسهم. وعن ابن عباس قال: **فظلت أعناقهم لها خاضعين**، قال: سيكون لنا دولة على بني أمية فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة وهَوانا بعد عزة، فقد كان ذلك. وقال بعضهم: الأعناق السادة والقادة، والواحد عُنُق، أي إذا أسلم القادة أسلم الأتباع اتباعا لهم. ***والله أعلم***. *قال القتبي وأبو [٥٤١ظ س ١٤
عوسجة: **فظلت أعناقهم**، كما تقول: ظَلَلْتَ اليوم. قالا: والأعناق السادة، والواحد منه عُنُق.* ٥٤١ظ س ١٥]

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[٥]

وقوله:[٤] **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث**، قال بعضهم: يقول: كلما نزل شيء بعد شيء[٥] من الموعظة والذكر فهو مُحدَث من الأول. وجائز أن يكون قوله: **وما يأتيهم من ذكر**، أي ما يأتيهم من ذكر[٦] مما[٧] فيه ذكرهم في الآخرين وشرفهم في الخلق **إلا كانوا عنه معرضين**، لأنهم لو آمنوا لَذُكِروا[٨] في الناس وبقي هم ذكر وشرف كذكر الأنبياء والرسل فيهم إلى آخر الدهر.

وقوله: **محدَث** هو محدَث على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما.*

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٦]

وقوله:[١٠] **فقد كذبوا**، الآية، هي ظاهرة قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[١١]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٧]

وقوله: **أولم يروا إلى الأرض**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قد رأوا ما[١٢] أنبتنا وأخرجنا منها.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن – أعناقهم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمته إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤١ظ/سطر ١٤-١٥.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر م – بعد شيء.
[٦] ر ع م – أي ما يأتيهم من ذكر.
[٧] جميع النسخ + به.
[٨] ر: المذكور؛ ع: المذكروا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤، فنقلته إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤١ظ/سطر ١٤-١٥.
[١٠] ن: قوله.
[١١] انظر مثلا: تفسير الآية ٥ من سورة الأنعام.
[١٢] ع: أما.

والثاني على الأمر، أي رُوا[1] ما أنبتنا في الأرض وأخرجنا منها من كل زوج كريم. قال الحسن: الكريم الحسن كالبهيج.[2]

وقوله:[3] **من كل زوج** [**كريم**]، أي جنس حسن.

**﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨]**

وقوله: **إن في ذلك لآية**، يحتمل قوله: **لآية** لوحدانية الله وألوهيته وآية لسلطانه وقدرته وآيةً لعلمه وتدبيره، لأن من قدر على إحياء النبات والأرض بعد ما يَبِسَ وجفّ لَقادر على إحياء الموتى وبعثهم. ودل إخراج النبات من الأرض في كل عام على حدّ واحد وعلى قدر وميزان واحد على أنه إنما خرج ذلك عن تدبير وعلم ذاتي وقدرة ذاتية، ليست بمستفادة. فدل ذلك كله أنه فعل واحدٍ قادر مدبر عالم لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. ***والله الموفق.***

وقوله: **وما كان أكثرهم مؤمنين**، يحتمل قوله: **وما كان** أكثر[4] الذين بُعث إليهم **محمد مؤمنين**، وهم الذين كانوا وقت مبعثه. وجائز أن يكون: [**وما كان أكثرهم**، أي] وما يكون أكثرهم[5] مؤمنين [في المستقبل].[6]

**﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٩]**

وقوله:[7] **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**. جائز أن يقال: **العزيز** المنتقم من أعدائه، **الرحيم** بأوليائه. ويحتمل: **العزيز** على الخلائق كلهم وهم أذلاء دونه، به[8] يَعِزّ مَن عز.

**﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[١١]**

وقوله:[9] **وإذ نادى ربك موسى**، أي أمر ربك موسى وأوحى، **أن ائت القوم الظالمين قومَ فرعون ألا يتقون**، فيه دلالة أن موسى صلوات الله عليه كان مبعوثا مرسلا إلى فرعون وقومه،

---

[1] جميع النسخ: رأوا.
[2] نظر: *تفسير الطبري*، ٦٣/١٩.
[3] ن: قوله.
[4] ع م: أكثرهم.
[5] جميع النسخ: وما أكثر ما يكونون.
[6] الزيادتان والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٣ظ.
[7] ن: قوله.
[8] م: وبه.
[9] ن: قوله.

وإن كان لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال: إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى،[١] وقال في بعضها: إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[٢] فهذا لأنهم[٣] كانوا الرؤساء والقادة، فإذا آمنوا هم[٤] اتبعهم الأتباع في ذلك، وإلا كان مبعوثا في الحقيقة رسولا إليه وإلى قومه جميعا: الأتباع والمتبوعين كما ذكر[٥] في الآية.[٦]

وقوله:[٧] **قومَ فرعون ألا يتقون**، كأنه على الإضمار: **أن ائت القوم الظالمين [قوم فرعون]** وقل لهم: **ألا يتقون**. ثم قوله: **ألا يتقون** يحتمل وجهين. أحدهما ألا يتقون مخالفة أمر الله ونهيه. أو يقول:[٨] ألا يتقون نقمة الله وعقوبته. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[١٢]**

وقوله:[٩] **قال رب إني أخاف أن يكذبون**، لم يقطع موسى القول في التكذيب ولكنه على الرجاء قال ذلك، وذلك -والله أعلم- كقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.[١٠] فكأنه رجا ذلك منه لهذا. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب، كأنه قال: إني أعلم أن يكذبوني،[١١] وذلك جائز في اللغة.

**﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾[١٣] ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[١٤]**

وقوله:[١٢] **ويضيق صدري ولا ينطلق لساني**، لأنَّ عليه أن يغضب لله[١٣] إذا كذبوه، فإذا اشتد بالمرء الغضب ضاق صدره وكَلَّ لسانه، وهو[١٤] ما دعا ربه وسأله، حيث قال:

---

[١] سورة طه، ٢٠/ ٢٤.
[٢] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٠٣/٧؛ وسورة يونس، ٧٥/١٠.
[٣] ر ع م: فهذه إلا أنهم.
[٤] م: آمنوهم.
[٥] جميع النسخ: لما ذكر.
[٦] ر م - في الآية.
[٧] ن: قوبه.
[٨] ر ع: تقول.
[٩] ن: قوله.
[١٠] سورة طه، ٤٤/٢٠.
[١١] جميع النسخ: أن يكذبون.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ع: الله.
[١٤] ر: هو.

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي،[1] الآية، فيكون ضِيق الصدر وكَلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب، لا لآفة كانت بلسانه،[2] وهو ما ذكرنا أن الغضب إذا اشتدّ بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويَكِلّ لسانه حتى يمنعه عن العبارة
[٥٤٢و] والبيان. وجائز أن يكون ذلك لآفة كانت , بلسانه. ثم ضِيق[3] الصدر يكون لوجهين. أحدهما لِعِظَم[4] أمر الله وجلال قدره إذا كذبوه وردّوا رسالته وأمرَه، ضاق[5] لذلك صدره. أو يضيق لِما ينزل عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب إشفاقا عليهم منه. *والله أعلم*.

وقوله:[6] **فأرسل إلى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلونِ**، قوله: **فأرسل إلى هارون**، كسؤاله إياه حيث قال: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي،[7] فعلى ذلك قوله: **فأرسل إلى هارون** يكون معيَ في الرسالة، وكقوله: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا،[8] الآية. وذنبه الذي ذكر أنه عليه هو قتل ذلك[9] القبطي وهو قوله: فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ.[10] ذلك ذنبه الذي لهم عليه. ثم قال:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[١٥]

**[قال] كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون**. وقوله: **كلا**، ردّ على قول موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، كأنه قال: لا تخف، وهو ما قال في آية أخرى حيث[11] [قال:] قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى، فقال عند ذلك: قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.[12]

---

[1] سورة طه، ٢٠/٢٥-٢٧.
[2] ر ع م - فيكون ضيق الصدر وكلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب لا لآفة كانت بلسانه.
[3] ع: يضيق.
[4] ن: لعظيم.
[5] ر: صادق.
[6] ن: قوله.
[7] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣٢.
[8] ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٢).
[9] ع: كذلك.
[10] ﴿ودخل المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضلّ مبين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٥).
[11] م - حيث.
[12] سورة طه، ٢٠/٤٥-٤٦.

فعلى دلك قوله: **كلا فاذهبا،** أي لا تخافا، **فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون**. وقال في تلك الآية: إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى، أي أسمع ما يقولون لكما وأرى ما يفعلون بكما،[١] فأمنعهم عنكما؛ لأنهما ذكرا[٢] الخوف منه من شيئين: من الفعل والقول[٣] حيث قالا: إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا، بالفعل، أَوْ أَنْ يَطْغَى، باللسان.

**﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦] ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٧]**

وقوله: **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل**. وقوله:[٤] **أن أرسل معنا بني إسرائيل،** ليس على حقيقة الإرسال[٥] معه ولكن على ترك استعبادهم، كقوله: فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ،[٦] أي خلِّ بينهم وبين استخدامك[٧] إياهم واستعبادك. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[١٨] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١٩]**

ثم قال له فرعون: **ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين،** يذكر نعمه[٨] التي أنعمها عليه بتربيته إياه صغيرا وكونِه[٩] فيهم دهرا، وكفرانَ موسى لما أنعم عليه وهو ما قال: **وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين**. وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه[١٠] موسى فقضى عليه، فأقرّ له موسى بذلك[١١] فأخبر أنه فعل ذلك حيث قال:

---

[١] جميع النسخ: بكم.
[٢] جميع النسخ: ذكر.
[٣] ن: من القول والفعل والقول.
[٤] ن: قوله.
[٥] ع: لإنسان.
[٦] ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).
[٧] ر: تخدامك.
[٨] ر م: نعمته.
[٩] م: أو كونه.
[١٠] ع: ذكره.
[١١] م - بذلك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢٠]

[قال] **فعلتها إذا وأنا من الضالين**. وقوله: **فعلتها إذا وأنا من الضالين**، أي فعلت ذلك وأنا كنت[1] من الجاهلين. لأنه لم يعلم[2] أن وَكْزَتَه تلك تقتله، وإلا لو علم [لِ]ما وَكَزه، لأنه لم يكن يحِلّ له قتله حيث قال: هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.[3] دل دلك منه أنه كان لم يحِلّ قتله،

[٥٤٢و س٣٠ إلا أنه جرى ذلك على يده خطأً وجهلا. *وقال موسى:[4] **فعلتها إذا وأنا من الضالين**، أي من الجاهلين بذلك. لم يعلم[5] أنه يتولد من وكزته الموتُ. وكذلك روي في بعض الحروف:

٥٤٢و س٣٢] وأنا من الجاهلين. دل أنه على الجهل[6] فعل ذلك لا على القصد.*

وفيه دلالة أن الرجل قد يُنهَى ويؤاخذ بما يجرى على يده خطأً وجهلا ويخاطَب بذلك حيث قال: **فعلتها إذا وأنا من الضالين**. ثم قال:

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢١]

**ففررت منكم لما خفتكم**، وهو حين قال له ذلك الرجل: [يَا مُوسَى] إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ، الآية، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ،[8] وذلك فراره منهم.

وقوله:[9] **فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين**، قال بعضهم: قوله: **فوهب لي ربي حكما**، أي نبوة، وقال بعضهم: **حكما**، أي عدما[10] بالحكم، **وجعلني من المرسلين**، وقد كان ذلك له كله.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢٢]

وقوله:[11] **وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل**، وهو استعبادك إياهم، أي إذا

---

[1] م – كنت.
[2] ر ع م – لا يعلم.
[3] سورة القصص، ١٥/٢٨.
[4] ن + فقهرتهم.
[5] ر ع م – لم يعلم.
[6] جميع النسخ + ما.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٢و/سطر ٣٠-٣٢.
[8] ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٢٠-٢١).
[9] ن: قوله.
[10] ر ه: علي.
[11] ن: قوله.

ذكرت هذا فاذكر ذاك.[1] هذا يحتمل وجوها. أحدها أن تذكر ما أنعمت علي وتمُنّه[2] ولا تذكر مساوئ ببني إسرائيل وهو استعبادك إياهم، أي إذا ذكرت هذا فاذكر ذاك.

والثاني أنّ تلك نعمة تمنها عليّ حيث م تُعبّدني[3] وعبّدت بني إسرائيل. يخرج على قبول المنة منه.[4]

والثالث وتلك نعمة لو خلّيت عن بني إسرائيل و لم تستعبدهم[5] لولا[6] ذلك عنك. وتمام هذا بقول موسى لفرعون: أتمنّ عليّ يا فرعون بأن اتخذتَ بني إسرائيل عبيدا وكانوا أحرارا فقهرتهم؟* وقال بعضهم: في قوله: **وتلك نعمة تمنها علي**، يقول: وهذه منة تمنها عليّ[8] بقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[9] يقول: تمنّ بها عليّ أن تستعبد بني إسرائيل وتمنّ عليّ بذلك.

**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٣] ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[٢٤] ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[٢٥]**

ثم قال فرعون لموسى: **وما رب العالمين؟** فقال له[10] موسى: **رب السماوات والأرض وما بينهما** مِن خلقٍ **إن كنتم موقنين**. ثم **قال لمن حوله ألا تستمعون**. إنما قال اللعين هذا -والله أعلم- لِما وقع عنده أن موسى حادَ عن جوابِ ما سأله، لأنه إنما سأله عن ماهيته فهو إنما أجابه عن فِعله وربوبيته فظن أنه حائد عن جوابِ ما سأله. ولذلك قال لقومه: **ألا تستمعون** إلى ما يقول موسى تعجبا منه: إني أسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر.

**﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٦]﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[٢٧]**

ثم قال موسى: **ربكم ورب آبائكم الأولين**، فقال عند ذلك: **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**. نسبه إلى الجنون لِما ذكرنا أنه ظن أنه حائد عن الجواب في كل ما ذكر، إنما كان السؤال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها، فعند ذلك

---

[1] ن – وهو استعبادك إياهم أي إذا ذكرت هذا فاذكر ذاك.
[2] م – وتمنها.
[3] ع: م تعتدني.
[4] ن – منه.
[5] م: و لم يستبدهم.
[6] جميع النسخ: لولوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٢و/سطر ٣٠-٣٢.
[8] ر ع م – علي.
[9] الآية ١٨ من هذه السورة.
[10] ع – له.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٨]

|٥٤٢ظ| قال موسى: **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**، لم يُجِبه[١] موسى في كل ما ذكر [له] عن الماهيّة ولكن[٢] أجابه في الأول عن بيان[٣] ربوبيته وألوهيته حيث قال: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ،[٤] ذلك. فعرَف اللعين أنه ليس هو رب السماوات والأرض لِما يعلم أنه[٥] لا صُنعَ له في ذلك وأنه لم يُنشئهما ولكن أنشأهما رب العالمين على ما ذَكر موسى. لكنْ كأنه لم يعرف حَدَثَهما ولا فناءهما بما ذَكَر له موسى لِما لم يشاهد حدَثَهما وفناءهما فلم يتقرّر ذلك عنده، لِما يقع عنده أنهما كذلك كانا ويكونان[٦] أبدا. فعند ذلك احتاج إلى أن يذكر[٧] له ما يشاهد حدَثَهما وفناءهما وهو ما قال: قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ،[٨] ذكر له ما شاهد حدَثَه وفناءه. فإذا عرف حدَث ما ذكر وفناءه[٩] يعرف[١٠] أنه[١١] لم يكن بنفسه ولا كوّن[١٢] نفسه، ولكن بِمُحدِث أحدثه وبمدبِّر دبّره. ثم قال:

**رب المشرق والمغرب وما بينهما**، ذَكَر ههنا قدرته وسلطانه، وهو ما يأتي بالنهار من المشرق وبالليل[١٣] من المغرب ويُطلع الشمس من المشرق ويُغربها من المغرب، وكذلك القمر والنجوم. ففيه دلالة البعث، لأن مَن قدر على أن يأتي بالنهار من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمسِ والقمرِ من كذا قادرٌ على البعث، لا يُعجزه شيء. ففي كل حرف من هذه الأحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الأخرى.

---

[١] ر: لم يجيبه.
[٢] ن: ولكنه.
[٣] جميع النسخ: في بيان.
[٤] سورة الشعراء، ٢٤/٢٦.
[٥] ر ع م: أن.
[٦] جميع النسخ: ويكونون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٤و.
[٧] جميع النسخ: ذكر.
[٨] سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.
[٩] ر م: وفناه.
[١٠] م – يعرف.
[١١] ر ع م + إذا.
[١٢] ن: يحور.
[١٣] ع: ومن الليل.

وفي قوله: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[1] دلالة ربوبيّة الله وألوهيته، وفي قوله: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ[2] دلالةُ حدث ما ذكر وفنائه[3] ودلالةُ مُحدِث له[4] ومدبّر. وفي قوله: **رب المشرق والمغرب**، دلالةُ قدرته وسلطانه على البعث، على الوجه الذي ذكرنا. وفي[5] ذلك دلالةُ [على] أن الله تعالى لا يُعرف بالماهية ولا بما يُحَسّ، ولكنه إنما يُعرف من جهة الاستدلال بخلقه وبالآيات التي تدل على وحدانيته، حيث سأل فرعون موسى عن الماهية فأجاب له[6] على الاستدلال بخلقه.

**﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[٢٩]**

ثم قال اللعين: **لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين**، قال بعضهم: إنما أوعده السجن ولم يوعده القتل لأنه طلب منه الحجة على ما ادّعى من الرسالة حيث قال[7] له:[8] فَأْتِ بِهِ،[9] الآية، ولو قتله لكان لا يقدر على إتيانها. وقال بعضهم: لا ولكن كان سِجنه أشدّ من القتل ومن كل عقوبة.

**﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾[٣٠]**

فقال له موسى: **أولو جئتك بشيء مبين**، أي ما يبيّن[10] ربوبيةَ الله وألوهيته، أو ما يبيّن[11] أني رسول الله.

**﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣١]**

فقال له فرعون: **فأت به إن كنت من الصادقين**، بالرسالة وبما ادّعيت. فدل قول فرعون لموسى حيث قال له: **فأت به إن كنت من الصادقين**، أنه قد عرف أنه رسول وأنه ليس بإله على ما ادّعى وأن الإله غيرُه حيث طلب منه[12] الآية.

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٢٤.
[2] سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.
[3] ع + ودلالة حدث ما ذكر وفنائه.
[4] ر ع م – له.
[5] ع: ذكرناه في.
[6] ر ع م – له.
[7] م – قال.
[8] ر ع م – له.
[9] ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣٠-٣١).
[10] ر ع م: يبين.
[11] ر ع م: يبين.
[12] ر م – منه؛ ر ع م + هذه

وقوله: إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ،[1] بالآيات التي تدل[2] على وحدانية الله تعالى ومشيئته، ذكَر هذا مقابل إنكارهم الصانع. والإيقانُ هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال، ولذلك لا يقال لله: موقن. وقوله: إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ[3] ذكر [هذا] مقابل[4] قوله: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ.[5]

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[٣٢]

وقوله:[6] **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**، قال بعضهم: الثعبان هي[7] الكبيرة العظيمة من الحيات؛ وقال في موضع آخر: تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ،[8] وقال في موضع آخر: [فَأَلْقَاهَا] فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى؛[9] فجائز أن تصير[10] كالثعبان بعد ما طرحها[11] وألقاها، وقبل أن يطرحها كالجان، وهي الحية الصغيرة. *والله أعلم*.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٣٣]

وقوله:[12] **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**، بياضا خارجا عن خِلقة البشرية وخارجا عن الآفة، على ما ذكر في آية أخرى: مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.[13]

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣٤] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٣٥]

وقوله:[14] **قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره،**

---

[1] ﴿قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٤).
[2] ر م: يدل.
[3] سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.
[4] ر ع م - ذكر مقابل.
[5] سورة الشعراء، ٢٦/٢٧.
[6] ن: قوله.
[7] ر ع م: وهو.
[8] ﴿وألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان وَلّى مُدبرا ولم يُعقِّب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ (سورة النمل، ٢٧/١٠).
[9] سورة طه، ٢٠/٢٠.
[10] ر ع م: يكون.
[11] ع: طرحهما.
[12] ن: قوله.
[13] ﴿واضمُمْ يدك إلى جناحك تخرجْ بيضاء من غير سوءٍ آيةً أخرى﴾ (سورة طه، ٢٠/٢٢).
[14] ن: قوله.

هذا[1] إغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا إليه بعين التعظيم، لِعِظَم[2] ما آتاهم من الآية وأراهم حيث قال: **يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**، وموسى كان[3] لم يُرد إخراجهم من أرضهم[4] ولكن ذلك إغراء منه لهم عليه لئلا يتبعوه، كأنه يقول: يريد أن يخرجكم من أرضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مُقامكم ومُتَقَلَّبَكم.

وقوله: **فماذا تأمرون**، هذا يبين أنه كان [قد] عرف أنه[5] ليس بإله، فيبين[6] دناءته وقلة معرفته، لأنه لا يقول مِلِك من الملوك لقومه: ماذا تأمرون؟ وخاصة من يدّعي لنفسه الألوهية، بقوله: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي.[7] فدل أنه كان خسيس الهمّة دنيءَ الرأي والبال.

**﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٣٦] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٣٧]**

وقوله:[8] **قالوا أرجه وأخاه**،[9] أي[10] احبِسه وأخِّره. **وابعث في المدائن حاشرين**، الحاشر الجامع، والحشر الجمع. **يأتوك بكل سحار عليم**، وكان يجب[11] أن يعرف أن السحر يُقابل بسحر مثله ولا يحتاج إلى أن يسأل قومه ذلك، لكنه كان اللعين [ك]ما ذكرنا من قلة البصر[12] في الأمر وخساسة الهمة ودناءة الرأي.

**﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٣٨] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾[٣٩] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[٤٠]**

وقوله:[13] **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**، قال اللعين: / **[لعلنا] نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** و لم يقل: [٥٤٣و]

---

[1] ر ن م + منه؛ ع + من.
[2] جميع النسخ: لعظيم.
[3] ر م: كأنه.
[4] ر ع م: أرضكم.
[5] م – عرف أنه.
[6] ن: ويبين.
[7] ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ (سورة القصص، ٣٨/٢٨).
[8] ن: قوله.
[9] ع + وأخاه.
[10] ر م – أي.
[11] ر: يجيب.
[12] ر ن م: بالبصر.
[13] ن: قوله.

تبعهم إن كانت معهم الحجة، ليُعلَم أنه قد علم وعرف أن لا حجة معهم وأن الحجة مع موسى حيث وعد اتّباع الغالبين دون من[1] معهم الحجة. وفي حرف ابن مسعود: وقال[2] للناس هل أنتم مستمعون إلى السحرة إنْ هم يغبون[3] لعلنا نتبع منهم الغالبين.[4]

**﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[٤١] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٤٢]**

وقوله:[5] **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين.** هذا ظاهر، لكن أهل التأويل قالوا: كان السحرة كذا كذا عددا وإن موسى قال لأكبرهم سحرا:[6] أتؤمن بي إن غلبتك؟ وقال الساحر كذا، وغير ذلك من الكلام مما ليس[7] ذلك في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم أن يشتغلوا بشيء من ذلك أو أن [ي]تناولوا[8] شيئا ليس في القرآن، لِما يدخل في ذلك من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال في ذلك وطعنٌ في رسالة رسول الله، لأن هذه الأنباء كانت في كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون آية له في الرسالة. فإن زادوا أو نقصوا يقولون: هذا كذِب لم يذكر في كتبنا[9] ذلك. فلهذا الوجه ما ينبغي لهم أن يزيدوا على ما ذُكر[10] في الكتاب أو يَنقصوا لئلا يجدَ أولئك مقالا في تكذيب رسول الله.

**﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[٤٣]**

وقوله:[11] **قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون.** فإن قيل: كيف قال موسى لأولئك السحرة ألقُوا وهو يعلم أن ما يُلقون هو سحر فكيف أمرهم بالسحر؟

---

[1] ع – من.
[2] ر ع م: قال.
[3] جميع النسخ: إنهم يتغلبون. والتصحيح من مرجع الرواية.
[4] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٨.
[5] ن: قوله.
[6] جميع النسخ: ساحرا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٤ظ.
[7] م – ليس.
[8] ر ع م: يتأولوه.
[9] ر ع م: كتابنا.
[10] ن – ذكر
[11] ن: قوله.

قيل: هذا وإن كان في الظاهر أمرا فهو في الحقيقة ليس بأمر، إنما هو تهدّد وتوعد، أي ألقُوا لتروا عجزَكم وضعفكم، وذلك كثير في القرآن؛[١] ظاهره أمر وهو في الحقيقة توعّد، كقوله لإبليس:[٢] وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ.[٣] الآية. ليس[٤] يخرج على الأمر ولكن على التوعّد والتهدّد، أي وإن فعلتَ ذلك فلا سلطان لك عليهم، كقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،[٥] وقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ.[٦]

والثاني أمرهم بذلك ليظهر عجزهم وكَذِبهم[٧] ويتبين صدقه وحجته إذ بذلك يظهر. أو قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب إيمان أولئك السحرة. *والله أعلم*.

**﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[٤٤]**

وقوله: **فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون**، هذا يدل أن السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا: **بعزة فرعون**، وقد علموا عجز فرعون وضعفه حيث فزع إليهم وقال:[٨] فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.[٩]

**﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٤٥]**

وقوله: **فألقى موسى عصاه فإذا هي تَلْقَفُ ما يأفكون**، وقد قرئ: [تَلَقَّفُ، بالتشديد و] تَلْقَفُ بالتخفيف. قال أبو عَوْسَجة تقول: تلقّفتُ[١٠] الشيء والتقفته، أي أخذته. وقال غيره: تلقّف، أي تَلقِم، وهو واحد. وقوله: **يأفكون**، هو[١١] الفاعل بمعنى المفعول، أي مأفوك، وذلك جائز في اللغة وأمثاله كثير، كقوله: [فَهُوَ] فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ،[١٢] ونحوه.

---

[١] ن ع: وذلك في القرآن كثير.
[٢] ع: إلا إبليس.
[٣] ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٤/١٧).
[٤] ر م - ليس.
[٥] ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (سورة الحجر، ٤٢/١٥).
[٦] ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يُلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١).
[٧] ر ع م: ليظهر كذبهم.
[٨] ر ع م: وقالوا.
[٩] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[١٠] ر ع م: تلقف.
[١١] ر ع م: وهو.
[١٢] سورة الحاقة، ٢١/٦٩.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[٤٦] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٧] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٤٨]

وقوله:[١] **فألقي السحرة ساجدين.** أخبر عن سرعة[٢] ما سجدوا كأنهم أُلْقُوا لِما بان لهم من الحق وظهر فقالوا: **آمنا برب العالمين.** قال أهل التأويل: إن فرعون قال عند ذلك: أنا رب العالمين فقالت السحرة: **ربِّ موسى وهارون**، لكن الامتناع عن هذا وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لِما ذكرنا أنه إنما يُحتجّ عليهم بهذه الأنباء عى تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لِما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذّبونه[٣] في ذلك فيُذكر القدر الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيُفَرّق به ويكذّب إلا ما ظهر عن رسول الله القول به فيقال، وإلا الامتناع والكفّ أولى.

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٩] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[٥٠]

ثم قال فرعون: **آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر**، إن فرعون[٤] قد علم أن ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يُلبّس على قومه وأصحابه ويغريهم عليه فقال مرة: إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[٥] وقال: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ،[٦] وقال مرة: **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون**، وقال: إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ [لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا]،[٧] الآية.

ثم أوعد لهم بوعائد فقال: **لأقطّعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنكم أجمعين.** فقالوا هم: **لا ضَيْرَ إنا إلى ربنا منقلبون**، أي إنا إلى ثواب ربنا الذي وعد لنا لراجعون، لا يضرّنا ما تُوعدنا به.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: سرعة.
[٣] م – وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لما ذكرنا أنه إنما يحتج عليهم بهذه الأنباء عى تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه.
[٤] ن + لعنه الله.
[٥] سورة الشعراء، ٣٤/٢٦.
[٦] سورة الشعراء، ٢٧/٢٦.
[٧] سورة الأعراف، ١٢٣/٧.

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **لا ضير**، هو من ضَاره يضُوره ويَضيره بمعنى ضرّه. وقد قرئ [بها]: وَإِنْ تَصْبِرُوا [وَتَتَّقُوا] لَا يُضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا،[1] بالتخفيف بمعنى لا يضرُّكم.[2]

**﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥١]**

فقالوا: **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين**، قال بعضهم: **أن كنا أول المؤمنين** من قومهم.[3] وقال بعضهم: **أن كنا**، أي إذ كنا أول أهل مصر إيمانا. وجائز **أن كنا أول المؤمنين** لتحال. وقال بعض أهل التأويل: إن فرعون قد فعل بهم ما أوعد من قطع الأيدي والأرجل والصلب، لكن ليس في الآية بيان حلول ما أُوعد بهم، فلا نقول[4] به مخافة الكذب.

**﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾[٥٢]**

وقوله:[5] **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون**، السُّرَى[6] سير الليل وهو ما[7] قال في آية أخرى: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ،[8] أي يتبعكم فرعون وقومه.

**﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٥٣] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[٥٤] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾[٥٥] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٥٦]**

وقوله:[9] **فأرسل فرعون في المدائن حاشرين**، أي أرسل في المدائن من يحشر الجنود والعساكر.

وقالوا: **إن هؤلاء**، يعنون أصحاب موسى، **لشرذمة قليلون**، قال بعضهم: الشرذمة الجماعة [و]العِصابة، أي عصابة قليلة.[10] وقال بعضهم: **إن هؤلاء / لشرذمة قليلون**، أي [٥٤٣ظ]
طائفة قليلة.

---

[1] م + بالتخف. سورة آل عمران، ١٢٠/٣. انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ١٧١.
[2] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٧.
[3] ر ع م – من قومهم.
[4] ر: فلا تقول.
[5] ن: قوله.
[6] ن: اليسرى.
[7] ر ع – ما.
[8] سورة الدخان، ٢٣/٤٤.
[9] ن: قوله.
[10] ر م: قبيل.

**وإنهم لنا لغائظون**،[1] في الحلي[2] الذي استعاروه منا، أي ذهبوا به معايَظةً لنا. وقال بعضهم: **وإنهم لنا لغائظون** بما فعلنا [ب]هم من قتل أولادهم واستعباد نسائهم ورجالهم، يفعلون بنا ما فعلنا بهم إن ظَفِروا بنا.[3]

وقوله:[4] **وإنا لجميع حاذرون**. و[قرئ]حذِرون.[5] قال[6] بعضهم: من الحَذَر. وقال بعضهم: **وإنا لجميع حاذرون**، أي مؤدُون،[7] أي مُقْوُون، أي معنا أداة أصحاب الحرب، والمُقْوَى الذي دابته قوية. وقال بعضهم: **حاذرون**، أي مستعدون للحرب. وقال بعضهم: **حاذرون**، لما حدث لهم من الخوف، والحذر للحال حذر المعاودة، أي حذروا أن يعودوا إليهم. وحَذِرون، أي كنا [و] لم نزل منهم على حذر. وقال أبو معاذ: **حاذرون**، مُؤدُون من الأداة، أي تامُّ[وا] السلاح.

وفي خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذُكر أنهم كانوا ستّمائةِ ألفٍ من بين أظهرهم[8] فصاعدا من غير أن علم القبط بذلك آيةٌ عظيمة، إذ لا يقدر نَفَرٌ الخروج من محلّة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم. ففي ذلك كان[9] آية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك.

**﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٥٧] ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٥٨] ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٥٩] ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾[٦٠]**

وقوله:[10] **فأخرجناهم**، يعني فرعون وقومه، **من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم**، أي حسن. **كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين**، أي تبع فرعون وقومُه حين شرقت الشمس،

---

[1] ن + أي لغائظون.
[2] ع: في حلي.
[3] ر ع م – بنا.
[4] ن: قوله.
[5] نظر: حجة القراءات لابن زَنْجَلة، ٥١٧–٥١٨.
[6] ع: وقال.
[7] وأداهُ على كذا يُؤديه إيداءً: قوّاه عليه وأعانه. ومَن يُؤديني على فلان: أي من يُعينني عليه؛ يقال: آدِني عليه، بالمد، أي قوِّني. ورجل مؤدٍ: تامُّ السلاح كاملُ أداة الحرب؛ وفي حديث الأسود بن يزيد في قوله تعالى: وإنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ، قال: مُقْوُون مُؤْدون. أي كاملو أداة الحرب (لسان العرب، «أدو»).
[8] ر ع م – من بين أظهرهم.
[9] م: لكن.
[10] ن: قوله.

أي طلعت. **ومشرقين**، أي كانوا في الشمس،[١] أي قوم موسى صاروا في الشمس، يقال: أشرقوا،[٢] إذا صاروا فيها.

**﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٦٢]**

وقوله:[٣] **فلما تراء الجمعان**، جَمْع موسى وجمع فرعون، أي إذا رأى[٤] بعضهم بعضا **قال أصحاب موسى إنا لمدركون**، **قال** موسى: **كلا إن معي ربي سيهدين**. كأنّ قوم موسى لم يعلموا بالبشارة التي بشرها الله موسى أنهم لا يدركونكم،[٥] وهو ما قال: لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى،[٦] أي لَا تَخَافُ دركهم وَلَا تَخْشَى فرعون وقومَه، لذلك قالوا: **إنا لمدركون**، وكانت البشارة لهم جميعا[٧] لا لموسى خاصة. يدل على[٨] ذلك قول موسى: **كلا إن معي ربي سيهدين**، على إثر قولهم: **إنا لمدركون**، أي[٩] كلا إنهم لا يدركونكم.

**﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٦٣]**

وقوله:[١٠] **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق**، أي انشق. كذلك ذكر في حرف ابن مسعود:[١١] فانشق، **فكان كل فرق كالطود العظيم**، أي كالجبل العظيم، والطود واحد وأطواد[١٢] جماعة.

---

[١] م + أي كانو في الشمس.
[٢] جميع لنسخ: أشرقنا.
[٣] ن: قوله.
[٤] جميع لنسخ: ترى.
[٥] ر م: لا يدركون؛ ع: لا يدركون كم.
[٦] ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبَسًا لا تخاف دركًا ولا تخشى﴾ (سورة طه، ٧٧/٢٠).
[٧] ر ع – جميعا.
[٨] ر ع م – على.
[٩] ن – أي.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ورد في قرءة بن مسعود أنه قرأ: فكان كل "فريق" بدل "فرق"، انظر: كتاب المصاحف لسجستاني، ٦٨. لم نتمكن من العثور على رواية لقراءة "فانشق".
[١٢] ع: وصواد.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾[٦٤]

وقوله:[١] **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين**، قال الحسن: **أزلفنا**، أي أهلكنا، **ثَمَّ الآخرين**. وقال بعضهم: جمَعْنا، ومنه قيل: ليلةُ المزدلفة، أي ليلة الازدلاف وهو الاجتماع.[٢] وكذلك قيل للموضع:[٣] جَمْع. فإن كان التأويل هذا ففيه دلالة أن لله[٤] تعالى في فِعل العباد صُنعا وتدبيرا، لأنه أضاف الجمع إليه وهم إنما كانوا خرجوا للمعصية،[٥] فدل ذلك أنه على ما ذكرنا.

وقال بعضهم: **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين**، أي أدْنَينا وقرّبناهم. ومنه: أزلفك الله، أي قرّبك الله. ويقال: أزلفني كذا عند فلان، أي قرّبني منه. والزُّلَف المنازل والمرَقي، لأنها تدنو بالمسافر. ومنه: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ،[٦] أي أدنِيَت وقُرِّبت، وكذلك قال أبو عَوْسَجَة والقتبي.[٧]

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾[٦٥] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٦٦]

وقوله:[٨] **وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين**، الآية ظاهرة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٦٧]

وقوله:[٩] **إن في ذلك لآية**، أي في إهلاك[١٠] فرعون وقومه وإنجاء موسى ومن معه مُتَّعَظ ومَزْجَر لمن بعدهم حيث رأوا أنه أهلك الأعداء وأبقى الأولياء.

وقوله:[١١] **وما كان أكثرهم مؤمنين**، هذا يحتمل وجوها. قال بعضهم: لم يكن أكثر أهل[١٢] مصر بمصدقين بتوحيد الله، إذ لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذَّبوا في الدنيا. ولكن غير هذا كأنه أشبه،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: في الجماعة.
[٣] أي للمزدلفة.
[٤] ر ع م: الله.
[٥] أي إن فرعون وقومه كانوا خرجوا لقتل موسى عليه السلام وقومه المؤمنين. وهذا فعل معصية. فأضاف الله تعالى هذا الفعل بقوله ﴿وأزلفنا﴾ إلى نفسه، فكان هذا دليلا على أن لله صنعا في أفعال العباد، خيرا كان أو شرا. وهذا رد على المعتزلة.
[٦] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠.
[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٧-٣١٨.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن: قوله.
[١٠] جميع النسخ: هلاك.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع + أكثر.

أي لو لم[1] يهلكهم[2] الله تعالى ولكن أبقاهم لم يؤمن أكثرهم. وقال بعضهم: **وما كان أكثرهم** من بني إسرائيل، **مؤمنين**. أي لم يَدُم أكثرهم على الإيمان بل ارتدّ أكثرهم من بعد ما أنجاهم، حيث قالوا لموسى: اِجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[3] *والله أعلم*.

**﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾**[٦٨]

وقوله:[4] **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**، المنتقم من فرعون وقومه، **الرحيم** بموسى ومن معه من المؤمنين. هذا في هذا الموضع يستقيم: أن يُصرَف تأويل العزيز إلى الأعداء والرحيم إلى الأولياء؛ كل حرف من ذلك إلى الفريق الذي يستوجب ذلك: الرحمة إلى المؤمنين والنقمة إلى الأعداء.

**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾**[٦٩]

وقوله: **واتل عليهم نبأ إبراهيم**، أي أُتْلُ على أهل مكة نبأ إبراهيم وخبره، لأنهم كانوا من أولاد إبراهيم ومن نسله وهم يقلدون[5] آباءهم في عبادتهم الأصنام. وإبراهيم[6] وبعض[7] أولاده إسماعيل وإسحاق وهؤلاء كانوا مسلمين عُبّاد رب العالمين لا عُبّاد الأصنام، فهلّا اتبعوا إبراهيم ومن كان معه على دينه من آبائهم دون مَن اتبعوا[8] مَن عَبد الأصنام. يُسفِه أحلامهم في عبادتهم الأصنام[9] وتقليدهم أولئك الذين عبدوا من آبائهم الأصنام / وتَرْكهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله. [٥٤٤و]

**﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾**[٧٠] **﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾**[٧١]

ثم قول إبراهيم حيث قال: **[إذ قال] لأبيه وقومه ما تعبدون**، يحتمل قوله: **ما تعبدون**، أي ماذا تعبدون،[10] على ما ذكر في آية أخرى: مَاذَا تَعْبُدُونَ أَإِفْكًا.[11] ويحتمل **ما تعبدون**،

[1] ع + يكن.
[2] ر: لم يهلك هم.
[3] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م + ي.
[6] ع + فهلا تبعوا إبراهيم ومن كان معه.
[7] ع: في بعض.
[8] ع: عبد.
[9] ع – لأصنام.
[10] ر ع م – أي مذا تعدون.
[11] ﴿إذ قال لأبيه وقومه مادا تعبدون. أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ (سورة الصافات، ٨٥/٣٧-٨٦).

أي من تعبدون؟ فقالوا: **نعبد أصناما فنظل لها عاكفين**، أي نقيم لها عابدين. أي ندم على عبادتها. والعكوف على الشيء هو الإقامة عليه والدوام [له].

قال أبو معاذ النحوي: [لفظ] ظل، لا يقال إلا بالنهار، ومحال أن يقال: ظل ليلَه[1] يصنع كذا، ولكن[2] يقول: بات ليله. ومنه الحديث: «ظل نهاره صائما وبات ليله قائما».[3]

**﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[٧٢]**

ثم قال[4] يبين سفههم: **هل يسمعونكم إذ تدعون**، يحتمل قوله: **هل يسمعونكم**، أي هل يجيبونكم إذ تدعونهم. ويحتمل: **هل يسمعونكم**، على السماع[5] نفسه، أي هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، كقوله: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ،[6] الآية. وقوله: **إذ تدعون**، يحتمل تعبدون، ويحتمل الدعاء نفسه، وإن كان على العبادة[7] فلا يحتمل تأويل السماع.

**﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[٧٣] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٧٤]**

وقوله:[8] **أو ينفعونكم أو يضرون**، وهل يقدرون على نفعكم وضرركم إن أرادوا ذلك بكم وشاءوا؟ أو أن يكون ما ذكر أهل التأويل: هل ينفعونكم إن عبدتموها وأطعتموها، أو يضرون إن عصيتموها وتركتم عبادتها؟ فبُهتوا و لم[9] يقدروا على الجواب له سوى ما ذكروا من تقليد آبائهم في ذلك فقالوا: **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**. لَمّا عرفوا أن تلك التي عبدوها لا تملك[10] ضَرّا ولا نفعا، لكنهم عبدوها تقليدا لآبائهم لِما وقع عندهم أن آباءهم ما عبدوها إلا بأمر،

---

[1] ر: ليلة.
[2] جميع لنسخ: حتى.
[3] ع - ليله قائما.
[4] ر ع م - ثم قال.
[5] ع: عنى السماء.
[6] ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا يُنَبِّئك مثل خبير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/١٤).
[7] ر ع م: العادة.
[8] ن: قوله
[9] ع: أو لم.
[10] ر م: لا يملك.

إذ لو لم يكن ذلك بأمر لَتركوا[1] [عبادتها]. لكن قد ذكرنا[2] أن في آبائهم من لم يعبدها قطّ ثم لم يقلدوهم، فكيف قلّدوا أولئك؟ دل أن الاعتلال[3] فاسد.

**﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٧٥] ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[٧٦] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٧٧] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٧٨] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾[٧٩] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٨٠] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[٨١] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[٨٢]**

وقوله:[4] **أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون.** ثم قال:[5] إنهم وآباءهم الذين عبدوا الأصنام مِن قَبلُ عدوٌّ له إلا رب العالمين. استثنى رب العالمين.[6] [واختنف في تأويل الاستثناء] قال بعضهم:[7] عدو لي وأنا بريء منهم إلا أن يكون منهم[8] مَن يعبد رب العالمين. فيكون على الإضمار، أي فإنهم جميعا عدو لي إلا من عبد رب العالمين. وقال بعضهم: يقول: إن العابد والمعبود كلهم عدو لي إلا رب العالمين، أي إلا المعبود بالحقيقة الذي يستحق العبادة فإنه وليّي.[9] وقال بعضهم: ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء، كأنه قال: أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي ولكن رب العالمين[10] **الذي خلقني فهو يهدينِ والذي هو يطعمني ويسقينِ وإذا مرضتُ فهو يشفينِ والذي يُميتني ثم يحيينِ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين.** ذكر هذا لهم لأن[11] الإله المستحق للعبادة هو هذا الذي يصنع هذا وهو المالك للنفع ورفع الضرر[12] لا الأصنام التي عبدتم أنتم وآباؤكم.

---

[1] جميع النسخ: ما تركوا.
[2] ر م: ذكر.
[3] ع: الاعتدال.
[4] ن: قوله.
[5] أي إبراهيم عليه السلام.
[6] ع + فيكون الإضمار أي فإنهم جميعا عدوا لي.
[7] جميع النسخ: يقول هم؛ الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[8] جميع النسخ: فيكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[9] جميع النسخ: ولي.
[10] جميع النسخ: ولكن فيكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[11] جميع النسخ: أن.
[12] م: الضر.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٨٣]

وقوله:[١] **رب هب لي حكما**، قال بعضهم: فهما وعلما. وجائز أن يكون إبراهيم سأل ربه الإبقاء على الحكم إذ كان قد أعطاه العلم والحكم، كقوله: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.[٢] أو سأل الزيادة على ما أعطاه، كقوله: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.[٣] ويحتمل أن يكون سأل ربه قبول حكمه في الخلق ورَفْعَ الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر في حكم رسول الله حيث قال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[٤] الآية.

وقوله:[٥] **وألحقني بالصالحين**، أي توفَّني على ما توفيت الصالحين حتى أُلْحَقَ بهم. هذا -والله أعلم- معنى سؤاله[٦] الإلحاقَ بالصالحين أن يتوفّاه على الذي تَوَفَّى أولئك وهو الإسلام ليلحق بهم. *والله أعلم*.

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٨٤]

وقوله:[٧] **واجعل لي لسان صدق في الآخرين**، أي[٨] اجعل لي الثناء الحسن في الناس. وكذلك كان[٩] إبراهيم صلوات الله عليه، [كان] جميع أهل الأديان على اختلافهم قد انقادوا له وانتسبوا إليه وادّعوا أنهم على دينه وأن دينه هو الذي هم عليه، ليس من أهل ملة[١٠] إلا وهم يتولونه.

﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[٨٥]

وقوله: **واجعلني من ورثة جنة النعيم**، أي اجعلني باقيا من بعد موتي في جنة النعيم، إذ[١١] الوارث هو الباقي عن الموروث. وكذلك تأويل قوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الفاتحة، ٦/١.
[٣] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[٤] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).
[٥] ن: قوله.
[٦] ر ع م: سؤاله.
[٧] ن: قوله.
[٨] ع: أني.
[٩] ر ع م - كان.
[١٠] م: مكة.
[١١] ر ع: إذا.
[١٢] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).

أي نبقى بعد فناء أهلها، إذ الوارث هو الباقي. فعلى ذلك قول إبراهيم [أن] اجعلني من الباقين في جنة النعيم. *والله أعلم*.

**﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٨٦]**

وقوله:[1] **واغفر لأبي إنه كان من الضالين**، لا يحتمل[2] أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه -والله أعلم- على ما ذكر في ظاهر الآية واغفر لأبي فإنه من الضالين يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين،[3] لأنه لا يجوز له أن يدعو[4] له وهو كذلك. لكن كان من إبراهيم الاستغفار له، فأخبر الله له أنه من الضالين، فيكون هذا الثاني إخبارا من الله لإبراهيم أنه من الضالين، والأول قول إبراهيم.

وكذلك قال بعض أهل التأويل في قصة بلقيس حيث قالت: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً، فصدقها الله تعالى في مقالتها وقال: وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[5] يجعلون قوله: وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ، تصديقا من الله لها لا[6] قول تلك المرأة. ومثال ذلك كثير في القرآن، |٥٤٤ظ| يكون بعضه مفصولا من بعض، كقوله:[7] وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ،[8] قوله: وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ، مفصول من قول: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ، لا وصل بينهما. فعلى ذلك دعاء إبراهيم يحتمل أن يكون قوله: **واغفر لأبي**، مفصولا من قوله: **إنه كان من الضالين**. هذا جائز أن يكون إخبارا[9] من الله لإبراهيم حين دعا له بالمغفرة أنه من الضالين. وجائز أن يكون قوله: **واغفر لأبي**، أي أعطِ له ما به يغفر من خطاياه[10] وهو التوحيد، فيكون سؤاله سؤالَ التوحيد له والتوفيق على ذلك، إذ به[11] يغفر ما يغفر من الخطايا، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[12]

---

[1] ن: قوله.
[2] ل: ويحتمل.
[3] ر م - يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين.
[4] ر ع: أن يدعو.
[5] سورة النمل، ٢٧/ ٣٤.
[6] ر ع م - لا.
[7] ر ع م - كقوله.
[8] ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ (سورة القيامة، ١٤/٧٥-١٦).
[9] ع: إخبار.
[10] ن: من خطايا + كقوله.
[11] جميع النسخ: وبه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[12] ن - كما كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. سورة الأنفال، ٣٨/٨.

وعلى ذلك يخرج دعاء هودٍ لقومه حيث أمرهم أن يستغفروا ربهم، وهو قوله: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[1] أي توبوا إليه[2] وأسلموا له. طلب منهم ابتداء الإسلام إذ لا يحتمل أن يقول لهم قولوا: أَستغفر الله، ولكن أمرهم أن يأتوا ما به يغفر لهم وهو التوحيد. وكذلك قول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[3]

وقول أهل التأويل: إن إبراهيم كَذَب ثلاثا، كلام لا معنى له، لا يحتمل أن يكون الله يختاره ويجعل رسالته في الذي يكذب بحال [من الأحوال].

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[٨٧]

وقوله:[4] **ولا تخزني يوم يبعثون**، قال أهل التأويل: **لا تخزني**، أي لا تعذبني **يوم يبعثون**. وكان الإخزاء هو العذاب الذي يَهتِك السِتر على صاحبه فسأله أن لا يهتك الستر عليه لما خاف أنْ كان منه ما يَهتِك السِتر عليه فسأل ربه ذلك، إذ العصمة لا ترفع عن أصحابها الخوف بل كلما عظُمت العصمة كان الخوف أشدَّ، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم كان خوفهم أشدّ على دينهم وأنفسهم من غيرهم. ثم الأمثل فالأمثل بهم كذلك أشد خوفا منهم ممن هو دونهم. ألا ترى إلى قول إبراهيم حيث قال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[5] وقال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[6] ومثله كثير.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[٨٨] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٨٩]

وقوله: **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**، لا ينفع ويضر، لا يكون في نفي النفع دفعُ الضرر، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[7] وكقوله:

---

[1] ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).

[2] ر ع م - أي توبوا إليه.

[3] سورة نوح، ١٠/٧١.

[4] ن: قوله.

[5] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).

[6] ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ (سورة يوسف، ١٠١/١٢).

[7] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ،[١] وكذلك قوله: لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا،[٢] وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٣] وقوله: يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ،[٤] وقوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٥]

وفي ظاهر ما استثني من الآية دلالة [على] أنه ينفع المال والبنون إذا أتوا بقلب سليم حيث قال: **لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم**. ويشبه أن يكون كذلك ينفعهم أموالهم[٦] وأولادهم إذا أتوا ربهم بقلوب سليمة[٧] لما استعملوا[٨] أموالهم في الطاعات وأنواع القُرَب وعلّموا[٩] الأولاد الآداب الصالحة والأخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ، كقوله: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا،[١٠] أخبر أنهم إذا آمنوا وتابوا تقرّبهم[١١] أموالهم[١٢] وأولادهم عنده.

وجائز أن يكون على غير ذلك، أي لا ينفع مال ولا بنون وإنما ينفع مَن أتى ربه بقلب سليم. والقلب السليم هو السالم عن الشرك أو السليم عن الآفات والذنوب، والخالص لربه، لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا. وشرط فيه إتيانَه ربَّه [ب]ما ذكر ليُعلم أنه ما لم تقبض[١٣] [روحه] على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبلُ من الطاعات إذا لم يقبض على التوحيد. وكذلك شرط في الحسنات الإتيان فقال: من جاء بالحسنة فله كذا،[١٤] ولم يقل: من عمل بالحسنة، وهو ما ذكرنا أن يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يُفسد ما عمل من الحسنات. *والله أعلم*.

---

[١] سورة المائدة، ٣٦/٥.
[٢] سورة لقمان، ٣٣/٣١.
[٣] سورة عبس، ٣٤/٨٠.
[٤] سورة المعارج، ١١/٧٠-١٢.
[٥] سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣.
[٦] ر ع م - أموالهم.
[٧] ر: بقلب سليم؛ ع: بقلوب سليم.
[٨] ع: ما استعملوا.
[٩] ع: وعملوا.
[١٠] سورة سبأ، ٣٧/٣٤.
[١١] م: يقربهم.
[١٢] ر ع م: أحوالهم.
[١٣] جميع النسخ: لم يقبض.
[١٤] سورة الأنعام، ١٦٠/٦؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٩٠] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٩١]

وقوله:[١] **وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**، يحتمل قوله: **وأزلفت، وبرزت**، أي تُزلَف وتبرَّز. أو أن يقال: يومئذ **وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**.[٢] وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وأُبي: وقُرِّبت الجحيم للضالّين[٣] وفي هذه القراءة[٤] الظاهرة: **وَبُرِّزَت** [بمعنى] أُظْهِرَت.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٩٢] ﴿مِن دُونِ اللهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾[٩٣]

وقوله:[٥] **وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله** في الدنيا، أي ثم يقال لهم: **أين ما كنتم تعبدون من دون الله** في الدنيا، **هل ينصرونكم** ويمنعونكم من عذاب الله **أو ينتصرون هم** من العذاب، لأنهم يُطرحون جميعا: العابد والمعبود في النار، كقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ].[٦] وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٧] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٨] فيقال لهم مقابل ذلك في الآخرة: **هل ينصرونكم**، الآية.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[٩٤] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[٩٥]

[٥٤٥و] وقوله:[٩] **فَكُبْكِبُوا فيها هم والغاوون**، قال / الزجاج: هو من كبّ، أي كُبُّوا، لكن ذكر كُبْكِبُوا على التكرار والإعادة مرة بعد مرة، أي يُكَبُّون ثم يُكَبُّون[١٠] لم يزَل عملهم ذلك، أو كلام نحو هذا.[١١] وقال القُتَبي: **فَكُبْكِبُوا فيها**، [أي] أُلقُوا على رءوسهم وقذفوا. وأصل الحرف "كُبِبُوا"،[١٢] من قولك:[١٣]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م – يحتمل قوله وأزلفت وبرزت أي تزلف وتبرز أو أن يقال يومئذ وأزلفت الجنة لمتقين وبرزت الجحيم للغاوين.
[٣] ع: الضالين. ورد في *كتاب المصاحف* للسجستاني أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ: 'وأزلقت' بدل "وأزلفت"، ٦٨.
[٤] ر ع: القرت.
[٥] ن: قوله.
[٦] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٧] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٨] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ع م – ثم يكبون.
[١١] *معاني القرآن* للزجاج، ٩٤/٤.
[١٢] ر ع م: كبو.
[١٣] جميع النسخ: من ذلك.

كَبَبْت الإناء، فأبدلت مكانَ الباء [الوسطى] الكافُ،[1] وهو الطرح والإلقاء على الوجوه. يقال: كَبْكَبْتُهم، أي طرحتهم في النار أو في البئر. هو من قوله: فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.[2] **والغاوون**، قيل: الضالون، يقال: غَوَى يَغوِي[3] غيًّا وغَواية فهو غاوٍ، أي ضلّ، وهو قول[4] أبي عَوْسَجَة والقُتَبي.

وقال أبو[5] معاذ: **فَكُبْكِبُوا** أصله كُبِبُوا،[6] وقال بعضهم: جُمِعوا فيها.

**وجنود إبليس أجمعون**،[7] قال بعضهم: الغاوون هم الشياطين،[8] وجنود إبليس[9] ذريته، أي الشياطين الذين أضلّوا بني آدم، وهو قول قتادة.[10] وقال بعضهم: الغاوون هم كفار الجن، وجنود إبليس هم الشياطين. وقال بعضهم: الغاوون هم[11] الأئمة من الكفار، وجنود إبليس سائر الكفار، أي[12] أتباعهم وذريتهم. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾[٩٦] ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٩٧] ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩٨]**

وقوله:[13] **قالوا وهم فيها يختصمون**، ذكر أنهم يختصمون في النار ولم يذكر[14] فيم تكون[15] خصومتهم. فجائز أن تكون[16] خصومتهم ما ذكر في آية أخرى: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[17] إلى آخر ما ذكر، وقوله:

---

[1] تفسير عريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨.
[2] سورة النمل، ٩٠/٢٧.
[3] م – يعوي.
[4] ن: وقول.
[5] ع – أبو.
[6] جميع النسخ: كبوا. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨.
[7] ع +قال بعضهم: الغوون هم الأئمة من الكفار.
[8] ر ع م: الشيطان.
[9] ع + سائر الكفار.
[10] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٨/١٩؛ و*تفسير القرطبي*، ١١٦/١٣.
[11] ن – هم.
[12] ر ع م – أي.
[13] ن: قوله.
[14] ر: لم يذكر.
[15] جميع النسخ: يكون.
[16] جميع النسخ: يكون.
[17] سورة سبأ، ٣١/٣٤-٣٣.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ[1] الآية، وقوله: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[2] الآية وأمثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الأتباع والمتبوعين. وقال بعضهم: اختصامهم ما ذكر على إثره حيث[3] قال: **تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**، الآية.[4] هذه هي[5] مخاصمتهم.

وقوله:[6] **تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**، فإن[7] كان قولهم هذا للأصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم آلهة وجعلهم العبادة لها، [فهم] يسوونها برب العالمين في التسمية والعبادة. وإن كان قولهم هذا للشياطين فهو في اتباعهم أمرَهم ودعاءهم[8] الذي دعَوهم،[9] وإلا لا أحد من الكفرة يقصِد قَصْدَ عبادة الشيطان أو يسميه إلها، ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم أمرَهم. وفي حرف ابن مسعود: إذ نسويكم برب العالمين إذ كنا نُشرككم برب العالمين. وقال بعضهم: إذ كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين، وقال بعضهم: إذ نَعدِلكم برب العالمين. وبعضه قريب من بعض.

## ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[٩٩]

وقوله: **وما أضلنا إلا المجرمون**، أي ما أضلنا[10] إلا أوّلنا. وكذلك ذكر[11] في حرف ابن مسعود: وما أضلنا إلا الأوّلون. وتأويل هذا أنهم لما رأوا الأولين تُركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك ولم يعذَّبوا في الدنيا ولا أصابتهم نقمة ظنوا أنهم أُمِروا بذلك،[12] وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.[13]

---

[1] سورة ص، ٦١/٣٨.
[2] سورة الأعراف، ٣٨/٧.
[3] ر ع م - حيث.
[4] ع - الآية.
[5] ر ع م - هي.
[6] ن: قوله.
[7] ع + فإن.
[8] جميع النسخ: ودعاهم.
[9] ع - دعوهم.
[10] ن: ما أضلان.
[11] ر ع م - ذكر.
[12] ن ع + ورضي الله عنهم بذلك.
[13] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾[١٠٠] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[١٠١]

وقوله:[١] **فما لنا من شافعين**، لأنهم قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٢] فلم يشفعوا لهم، [فقال الأتباع لهم: **فما لنا من شافعين**]،[٣] أي ليست لنا شفعاء يشفعون. ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم، على ما قال: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[٤] وهو ما قال: لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ،[٥] ليس أنه [لو] كان ينفعهم ذلك،[٦] فعلى ذلك هذا.

وقوله:[٧] **ولا صديق حميم**، الحميم القريب، أي ليس لهم حميم يهتمّ[٨] بأمرهم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٢]

وقوله:[٩] **فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين**. قوله:[١٠] **فلو أن لنا كرة**، أي لو أن لنا رَجْعَةً إلى [دار] المحنة فنكون من المؤمنين. فأخبر الله أنهم لو رُدّوا لعادوا، بقوله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[١١] وقد ذكرناه.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٠٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٠٤]

وقوله:[١٢] **إن في ذلك لآية**، ما ذكرنا من الأخبار والأنباء لآية وعبرة لمن اعتبر. **وما كان أكثرهم مؤمنين**. قال بعضهم: لو كان أكثرهم مؤمنين ما عُذّبوا في الدنيا. وجائز أن يكون لو ردوا إلى المحنة التي سألوا الرجعة إليها ما كان أكثرهم مؤمنين. وجائز أن يكون نفر منهم. *والله أعلم*. **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**، قد ذكرناه.

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٧و.
[٤] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.
[٥] سورة الرعد، ١٣/١٨.
[٦] ر ع م – ذلك.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن: يهم.
[٩] ن: قوله.
[١٠] جميع النسخ: وقوله.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[١٢] ن: قوله.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٠٥]

وقوله:[١] **كذبت قوم نوح المرسلين،** ذكر "كذّبتْ" بالتأنيث على إضمار جماعة كأنه قال:[٢] كذبت جماعةُ قومِ نوح، وإلا "القوم" يُذكَّر ولا يؤنَّث.[٣] وقوله: **المرسلين،** لأنْ[٤] من كذّب رسولا من الرسُل فقد كذب الرسل جميعا، لأن كل رسول يدعو[٥] الخلق إلى الإيمان بجميع الرسل. وبعدُ فإنّ نوحا كان يدعو قومه إلى الإيمان بالرسل الذين يكونون[٦] بعده، لذلك قال -والله أعلم- **كذبت قوم نوح المرسلين.**

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٠٦]

وقوله:[٧] **إذ قال لهم أخوهم نوح،** قال أهل التأويل: كان أخاهم في النسب وليس بأخيهم في الدين.[٨] {قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} إن الله تعالى سمّى الناس جميعا[٩] "بني آدم" **بقوله:** يَا بَنِي آدَمَ،[١٠] على بُعدهم مِن آدم، فيجوز أيضا تسميتهم إخوة على بُعد بعضهم من بعض.

[٥٤٥ظ] وقوله:[١١] **ألا تتقون** نقمة الله، / وعذابه في مخالفتكم أمره ونهيه. أو يقول: **ألا تتقون** عبادة غير الله وطاعة مَن دونه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٠٧]

وقوله:[١٢] **إني لكم رسول أمين،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما، أي كنت[١٣] أمينا فيكم قبل هذا ؤ[كنتم] تصدقوني في جميع ما أخبرتكم وأنبأتكم، فما بالكم لا تصدقوني الآن

---

[١] ن: قوله.
[٢] م – قال.
[٣] ر ع م: ويؤنث.
[٤] ر: كان.
[٥] ع: يدعوا.
[٦] أي يأتون.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر ع م – في الدين.
[٩] ر م – جميعا.
[١٠] ر م – بقوله يا بني آدم. (سورة الأعراف، ٢٦/٧، ٢٧، ٣١، ٣٥).
[١١] ن: قوله.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ن: كتب.

إذا أخبرتكم أني رسول الله إليكم؟ والثاني يقول: **إني لكم رسول أمين**. ائتمنني الله وجعلني أمينا على وحيه، فأبلّغكم الرسالة وأؤدّي الأمانة، شئتم أو أبيتم، قبلتم[1] أو لم تقبلوا، فلا أخافكم ما توعدونني بعد أن جعلني الله أمينا وائتمني[2] على أمانته، كقوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ.[3]

**﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٠٨]**

وقوله: **فاتقوا الله وأطيعونِ**، أي اتقوا نقمة الله وعذابه،[4] أو اتقوا مخالفة الله في أمره ونهيه، وأطيعونِ فيما أبلّغكم عن الله وأدعوكم إليه.

**﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٩] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١١٠]**

**وما أسألكم عليه من أجر**، أي لا أسألكم على ما أدعوكم إليه وأبلغكم أجرا أو شيئا[5] يمنعكم ثِقَل ذلك عن الإجابة، ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم[6] إلى[7] عبادة الواحد. وعبادة الواحد[8] أهون[9] وأخف على أنفسكم من عبادة العدد.[10] ولا أحملكم أيضا مؤنةً تمنعكم[11] تحمّل ذلك عن إجابتي. **إنْ أَجْرِيَ**، أي ما أجري، **إلا على رب العالمين. فاتقوا الله وأطيعونِ. فاتقوا الله** ما ذكرنا، أي اتقوا نقمة الله وعذابه، واتقوا مخالفة الله في أمره ونَهيه، **وأطيعونِ** فيما أدعوكم إليه.

---

[1] ع - قبلتم.

[2] ع: ائتمني.

[3] يقول الله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قال إني أُشهِدُ الله وَاشهَدُوا أني بريءٌ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ (سورة هود، ١١/٥٤-٥٦).

[4] ن: وقضائه.

[5] ر م: وشيئ.

[6] ر ع م + إليه بل أدعوكم إليه.

[7] ر ع م - وإلى.

[8] ع - وعبادة الواحد.

[9] ر: هون.

[10] ر م + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم إليه من عبادة العدد؛ ع + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم من عبادة العدد

[11] جميع النسخ: يمنعكم

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[١١١]

وقوله:[١] **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**، يقولون أنصدقك[٢] وإنما تبعك الضعفاء منا والسفلة، مَن لا رَأْيَ لهم ولا تدبير؟ ولو كنت صادقا لاتبعك الأشراف منا[٣] والرؤساء. فكان في اتباع الأراذل له ومن ذكروا أعظمُ آية على الرسالة[٤] من اتباع الأشراف، وذلك أن الأراذل من الناس هم أتْباع لغيرهم لما يَأمُلون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة[٥] تكون[٦] لهم، أو لفضل[٧] بصَر وحظّ وعِلم في الدين فيصيرون أتباعا[٨] لمن كان عنده من هذه الخصال شيء. فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم أموال ولا طمع رياسة ولا منزلةٌ اتبعهم الضعفاء ولتَّقَفّة مع خوفهم[٩] على أنفسهم من أولئك الأشراف من القتل والصلب لمخالفتهم[١٠] إياهم. **فما** اتبعوهم إلا لما تبين عندهم أنهم على حق وأن ما يدّعون من الرسالة يدّعون[١١] صدقا. ففي اتباع من[١٢] ذكرنا أعظمُ دلالةٍ على صدق الرسل فيما ادّعَوْا من الرسالة لو تأملوا وتفكروا[١٣] في ذلك.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١١٢] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾[١١٣]

وقول نوح: **وما علمي بما كانوا يعملون**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: لم أكن أعلم أن الله[١٤] يهديهم للإيمان والتوحيد من بينكم، يعني الضعفاء، ويدَعُكم لا يهديكم. ثم قال: **إن حسابهم**، أي ما جزاء هؤلاء الذين اتبعوني من الأراذل **إلا على ربي لو تشعرون**.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: نصدقك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[٣] ر ع م - منا.
[٤] ر ع م: من الرسالة.
[٥] ع + اتبعهم.
[٦] ن: يكون.
[٧] ر م: أو الفضل.
[٨] ع + من الأشراف وذلك أن الأراذل من الناس هم أتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة تكون لهم أو لفضل بصر وحظ وعلم في الدين فيصيرون اتباعا.
[٩] جميع النسخ: خوف لهم.
[١٠] ر ع م: لمخالفتهم.
[١١] ر ع م - من الرسالة يدعون.
[١٢] ع: ما.
[١٣] جميع النسخ: التفكر.
[١٤] ع + لا.

والثاني **وما علمي بما كانوا يعملون**، أي ما أنا بعالم بما[1] يعملون هم في السرّ وما ذلك عليّ. **إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون**. أي حسابهم عليه[2] فيما يعملون في السر. فهذا يدل أن التأويل الأخير أشبه وأقرب من الأول. وكان من أولئك طعن في الذين آمنوا بأنهم يعملون في السر على خلاف ما أظهروا حتى قال لهم ذلك.

وفي بعض القراءات: "لو يشعرون"، بالياء فهو راجع إلى المؤمنين الذين اتبعوه، يقول: حسابهم على الله فيما يعملون في السر، أي لو يشعرون ذلك لا يعملون[3] في السر خلاف ما يعملون في العلانية. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٤]**

وقوله: **وما أنا بطارد المؤمنين**، قال أهل التأويل: إنهم سألوا نوحا أن يطرد أولئك الذين آمنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم به فقال عند ذلك: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا،[4] الآية، **وما أنا بطارد المؤمنين**. وجائز أن يكونوا طعنوا في الذين آمنوا أنهم قالوا ذلك[5] ظاهرا، وأما في السر فليسوا على ذلك، فقال نوح عند ذلك:[6] وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا، يدل على ذلك قول نوح حيث قال: وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا.[7] هذا القول منه يدل على أن كان منهم طعن في أولئك[8] الذين آمنوا به حيث وكل أمرهم إلى الله فقال: اَللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ.[9] ***والله أعلم***.

**﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١١٥]**

وقوله:[10] **إن أنا إلا نذير مبين**، قد ذُكر[11] فيما تقدم في غير موضع.

---

[1] ع – يعملون أي ما أنا بعالم بما.
[2] جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و، حيث يقول: «أي ما ذلك علي، إنما حسابهم على الله فيما في السر.»
[3] جميع النسخ: ولا يعملون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[4] سورة هود، ٢٩/١١.
[5] ر م – ذلك.
[6] ن + وما أنا بطارد المؤمنين.
[7] ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين﴾ (سورة هود، ٣١/١١).
[8] ع – أولئك.
[9] سورة هود ٣١/١١.
[10] ن: قوله.
[11] ع: ذكرنا.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[١١٦]

وقوله:[١] **قالوا لئن لم تَنتَهِ يا نوح لَتَكُونَنَّ من المرجومين**، المرجوم[٢] هو المقتول بالحجارة، وهو[٣] أشد قتلٍ، لذلك أوعَدوه. وقال بعضهم: **لَتَكُونَنَّ** من المشتومين باللسان. لكن الأول أقرب لأنه قد كان منهم الشتم له في كل وقت[٤] فلا يحتمل الوعيد به.

ثم دعا نوح عند ذلك فقال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾[١١٧] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٨]

**رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا**، أي اقضِ بيني وبينهم قضاء، أي اقض عليهم بالعذاب والهلاك. ألا ترى أنه قال: **ونجني ومن معي من المؤمنين**، فدل سؤاله نجاةَ [٥٤٦و] / نفسه ومن معه من المؤمنين على أن قوله: **فافتح بيني وبينهم فتحا**، أنه[٥] سأل ربه هلاك من كذّبه، وهو ما قال في قصة أخرى: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ،[٦] الذي وعدت أنه ينزل بهم وهو العذاب، فعلى ذلك هذا.

ثم لا يحتمل[٧] أن يكون هذا منه في أول تكذيب كان منهم، بل كان ذلك بعد ما أيِس من إيمانهم لأنه لبِث[٨] فيهم ما قال الله تعالى: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.[٩] وفي كل ذلك دعاهم إلى توحيد الله. وإنما دعا عيهم بالهلاك بعد ما أخبر الله تعالى عن أمرهم وإياسه عن إيمانهم فقال: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[١٠] وأُذِن[١١] له بالدعاء عليهم

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع - المرجوم.
[٣] ر م: وهي.
[٤] ر ع م - له في كل وقت.
[٥] ر ع م - إنه.
[٦] سورة لأعراف، ٨٩/٧.
[٧] ن + له.
[٨] ع: ليس.
[٩] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة لعنكبوت، ١٤/٢٩).
[١٠] ﴿وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[١١] م: وآذن.

فعند ذلك دعا عليهم[١] بما دعا، إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن من الله في ذلك. ألا ترى[٢] أنه ذكر أنه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا إذن كان من الله له بالخروج من بينهم، فإذا عوتب هو بالخروج بلا إذن فلا يحتمل أن يدعو[٣] بالهلاك بلا إذن. *والله أعلم*.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[١١٩] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾[١٢٠]

وقوله:[٤] **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون**، الفلك المشحون: قيل المملوء. قال أبو[٥] معاذ: والعرب تقول: شحنت السفينة فلم يبق إلا الدفع، وهو السَّوق. وتقول العرب: شحنًا عليهم بلادهم خيلا ورجالا، أي ملأناها. وقال بعضهم: المشحون المجهّز الذي قد فُرِغ منه فلم يبق إلا دفعه، وهو واحد. وإنما شُحِنت[٦] بأصناف من الخلق، وإلا كان المؤمنون قليلي العدد وهو ما قال: فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ،[٧] أخبر أنه أنجى من كان معه في الفلك المشحون وأهلك الباقين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٢١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٢٢]

وقوله:[٨] **إن في ذلك لآية**،[٩] أي في نبإ نوح لآية[١٠] لِمن كان بعدهم. أو إن في هلاك قوم نوح وإغراقهم لعبرة لمن بعدهم. **وما كان أكثرهم مؤمنين**، إلى آخر القصة،[١١] قد ذكرنا.

---

[١] ر ع م - فعند ذلك دعا عليهم.
[٢] ر ن م: يرى.
[٣] ع: يدعوا.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر: أبوا.
[٦] ع + السفينة.
[٧] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأَهْلَكَ إلا من سبق عليه القولُ ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).
[٨] ن: قوله.
[٩] ع + لمن.
[١٠] ر ع م: الآية.
[١١] ر م: قصة.

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٢٣]

وقوله:[١] **كذّبت عاد المرسلين**، هو –والله أعلم– ما ذكرنا،[٢] أي[٣] كذبت جماعةُ عادٍ المرسلين. وقوله: **المرسلين** ما ذكرنا أن كل رسول كان دعا قومه إلى الإيمان به وبجميع الرسل، فمن كذب واحدا منه فقد كذب الكل.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٢٤] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٢٥] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٢٦] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٢٧]

وقوله:[٤] **إذ قال لهم أخوهم هود**، هو كان أخاهم في النسب لأنهم جميعا ولد آدم على بُعد من آدم، فعلى ذلك هم إخوة فيما بينهم على بُعد بعضهم من بعض. وقوله:[٥] **ألا تتقون**، يحتمل وجهين. أحدهما **ألا تتقون** نقمة الله وعذابه، أو **ألا تتقون** مخالفة أمر الله ومناهيه. **إني لكم رسول أمين**، فيما ائتمنني الله وبعث على يديّ إليكم هدايا فاقبلوا مني هداياه وأمانته. أو أن يكون ما ذكرناه من قبل. *والله أعلم*.

وقوله:[٦] **فاتقوا الله وأطيعونِ**، ما ذكرنا.[٧] **وما أسألكم عليه من أجر**، أي أسعى في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما أسألكم على ذلك أجرا. وفي الشاهد لا يعمل أحد إلا ويطمع على ذلك منه أجرا، وأنا لا أسئلكم على ذلك أجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني. **إن أجري**، أي ما أجري، **إلا على رب العالمين**.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[١٢٨] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[١٢٩] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[١٣٠]

وقوله:[٨] **أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع**، هذا يحتمل وجوها. أحدها كأنهم

---

[١] ن: قوله.
[٢] انظر تأويل لآية ١٦٥ من هذه السورة في تأنيث كلمة 'كذبت'.
[٣] ر ع م + ما.
[٤] ن: فوله
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: قوله.
[٧] نظر تأويل الآية ١٠٧ من هذه السورة و ١٠٨.
[٨] ن. قوله.

كانوا يبون بنيانا[١] لا حاجة لهم إلى ذلك البيان ولا ينتفعون به، فهو عبث، لأن كل من بنى بناء أو عمل عملا لا ينتفع به[٢] ولا يحتاج إليه فهو عابث، لذلك سمّى ما بنوا عبثا.

والثاني جائز أن يكون ذلك المكان لهم كان مكان العبث والاجتماع للّهو[٣] فبنوا على ذلك المكان فسماه عبثا لِما لم يكن اجتماعهم في ذلك إلا للعبث واللهو.

والثالث أن يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس، فبنوا فيه أعلاما يُضلّون الناس بها لِما يرون أنه طريق و لم يكن ذلك، فكان قصدهم بذلك البناء باطلا، وكل باطل عبث. ***والله أعلم***.

وقوله:[٤] **لعلكم تخلدون**، ولا تموتون، أي تنفقون نفقة من يطمع أن يَخلُد في هذه الدنيا، ليس نفقه[٥] مَن يموت ويرجو[٦] ثوابه وعاقبته. أو أن يكون قوله: **لعلكم تخلدون**، لما وُسّع عليهم الدنيا ورُزق لهم الدَّعَة يحسبون أنهم يَخلُدون، لأن[٧] من وُسّع عليه الدنيا ونال[٨] الدعة والسعة في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن، وهو كما قال: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،[٩] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

وقوله:[١٠] **وإذا بطَشتم بطَشتم جبّارين**، كنَى -والله أعلم- بالجبارِ الظالِمَ والمعتدي،[١١] أي وإذا بطشتم بطشتم ظالمين.

والرِّيع هو المكان المرتفع.[١٢] وقال بعضهم: هو الطريق. ومصانع، قال[١٣] بعضهم: البنيان، وقيل: الحياض. وقال أبو عَوْسَجَة: الرِّيع ما ارتفع من الأرض، وجمع الرِّيعة رِيعٌ، وجمع الرِّيع أرياع، وهما واحد. والرِّيع الرِّبح أيضا، تقول: أراع المالُ[١٤] إذا ربِحتَ عليه، وجمعه أرياع.

---

[١] ع: تبنون تيانا.
[٢] م + ولا.
[٣] ر م: والاجتماع للسهو؛ ن: واجتماع اللهو.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر: بنفقة؛ ع: تنفقة؛ م: ينفقه.
[٦] ر ع: ويرجوا.
[٧] ر: ولأن.
[٨] جميع النسخ: ويكون؛ و لتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٨و.
[٩] ن + كلا. سورة الهُمَزة، ١٠٤/٣.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ع: والمتعدي.
[١٢] ر: رتفع.
[١٣] ع: وقال.
[١٤] ر ع م - المال.

ومصانع هي[1] في موضعٍ قصورٌ وفي موضعٍ[2] حياض، يجتمع فيها الماء، الواحد[3] مَصْنَعة من كليهما.[4] وقال: البطش الأخذ، يقال: بطشتُ بفلان،[5] أبطِش بطشا، إذا أخذته وقبضت عيه. وقال القُتَبي أيضا: الرِّيع الارتفاع من الأرض. والمصانع البناء، واحدها مَصْنَعَة.[6] فكان المعنى أنهم يستوثقون في البناء والحصون ويذهبون إلى أنها[7] تُحْصِنهم من أقدار الله وقضائه.

[٥٤٦ظ] وهذا يشبه أن يكون ما ذكر، لأنه قال في آخره: **لعلكم تخلدون**، أي تبنون بناء كأنكم تخلدون ولا تموتون.[8] وقال: **وإذا بطشتم بطشتم**، أي إذا ضربتم ضربتم[9] بالسياط ضرب الجبّارين وإذا عاقبتم قتلتم. وقال بعضهم: **بطشتم**، أخذتم بالظلم والاعتداء والاستحلال لما حرم الله. وقال أبو معاذ: وكل بناء مَصْنَعة. وفي حرف حفصة: وتبنون مصانع كأنكم خالدون. والآية العَلَم. وقال بعضهم: الرِّيع ما استقبَل الطريقَ من الجبال والظِّراب.[10] وقال قتادة: كل نَشْز[11] في الأرض.[12] وقال محمد بن[13] إسحاق:[14] إنهم كانوا إذا سافروا فلا تهتدون

---

[1] ر م – هي.
[2] ر ع م: وموضع.
[3] ر ع: الواحد.
[4] ر ع م: من كلاهما. المَصْنَعة والمَصْنُعة: كالصِّنع الذي هو الحوض أو شبه الصِّهريج يجمع فيه ماء المطر. والمصانع أيضا: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها. وفي التنزيل: ﴿وتَتَّخِذون مصانعَ لعلكم تَخْلُدون﴾، المصانع في قول بعض المفسرين: الأبنية، وقيل: هي أحباس تتخذ للماء، واحدها: مَصْنَعةٌ ومَصْنَعٌ (*لسان العرب*، «صنع»).
[5] ع: فلان.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨-٣١٩.
[7] ر ع م: إلى أنهم.
[8] جميع النسخ: كأنهم يخلدون ولا يموتون.
[9] ر ع م – ضربتم.
[10] الظَّرِبُ، بكسر الراء: كل ما نَتَأَ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه؛ وقيل: هو الجبل المنبسط، وقيل: هو الجَبَلُ الصغير، وقيل: الرَّوابي الصغار، والجمعُ: ظِرابٌ (*لسان العرب*، «ظرب»).
[11] ع: نشرب. النَّشْزُ والنَّشَزُ: المَتْنُ المرتفع من الأرض، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع أَنْشازٌ ونُشُوزٌ (*لسان العرب*، «نشز»).
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٩٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/١٢٢-١٢٣.
[13] ر – بن.
[14] محمد بن إسحاق بن يسار، كنيته أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، القرشي المطَّلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، كان علامة حافظا أخباريًا، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. تكلم فيه بعض المحدثين، لكن الأكثر على توثيقه لا سيما في السير. وهو من دوّن العلم. توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٧/٣٣-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٩/٣٨-٤٦؛ و*طبقات ابن سعد*، ٧/٣٢١.

إلا بالنجوم فبَنَوا القصور الطِّوال عَبَثا عَمَا بكل طريق يهتدون بها في طُرقهم. وقال بعضهم: **مصانع**، أي مجالس ومساكن. **لعلكم تخلدون** ما بقيت مصانعكم. والجبار هو الذي يضرب[١] أو يقتل بلا حق [و] بلا خوفِ تَبِعة في العاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٣١] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[١٣٢]

وقوله:[٢] **فاتقوا الله وأطيعون**، قد ذكرنا. وقوله:[٣] **واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم**، قيل: أعطاكم، وهو من المَدَد، أي أعطاكم النِّعم تِباعا: واحدةً بعد واحدة لا تنقطع.[٤] ثم هو يحتمل وجهين. أحدهما اتقوا كفران الذي أعطاكم النعم فلا توجهوا شكرها إلى مَن لم يُنعم عليكم ولم يُمدّها لكم وأنتم تعلمون، وهو عبادتهم الأصنام التي لا يقدرون على إعطاء شيء من النعم. والثاني اتقوا نقمة الله[٥] الذي أعطاكم هذه النعم، فإن الذي قدر على إنعامها قدَرَ على الانتقام منكم. وعلى التأويل الأول [فإن المعنى:] اتقوا كفرانها، فإن الذي قدر على إعطائها[٦] قدر على صَرفها عنكم، على هذين الوجهين يخرج.[٧] *والله أعلم*.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[١٣٣] ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٣٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٣٥]

ثم ذكر الذي أمدّه لهم من النِّعم فقال: **أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون**، هذا وغيره مما لا يحصى. **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، قال بعضهم: **إني أخاف**، أي أعلم أن ينزل بكم عذابُ يومٍ عظيم. وقال بعضهم: الخوف هاهنا هو الخوف نفسه، لأنه كان[٨] يرجو[٩] الإيمان منهم بعدُ فقال: **إني أخاف عليكم** العذاب إذا مُتُّم[١٠] على هذا، فقالوا عند ذلك جوابا له:

---

[١] ر: يصرف.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: ولا تنقطع.
[٥] ر ع ن - الله.
[٦] ع - قدر على إعطائها
[٧] ر ع م - يخرج.
[٨] ع: كانوا.
[٩] ر ع: يرجوا.
[١٠] ر: أمتم.

**﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[١٣٦] ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣٧] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١٣٨]**

**سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين.** الوعظ[1] هو الإخبار عن عواقب الأمور من ترغيب وترهيب، أي سواء علينا تخوّفنا العذاب أو لم تخوفنا لا نصدقك ولا نُجيبك إلى ما تدعونا إليه.

ثم قالوا: **إن هذا إلا خُلُق الأولين،** قيل فيه بوجوه.[2] أحدها أي ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين، وما أتيتَ أنت وتدعونا إليه هو حادث بديع. و"الْخُلُق"[3] يجوز أن يكنى به عن الدين، كقوله: لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ،[4] أي لدين الله. وقال بعضهم: قوله: **إن هذا،** أي ما هذا الذي تقوله إلا كَذِب الأولين واختلاقهم، أي تكذب وتختلق[5] كما اختلق الذين[6] كانوا من قبلك من الرسل،[7] كقوله: مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[8] فإن كان على هذا فيكون قوله: كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ،[9] هذا، لأنهم كذبوا الرسل جميعا. وقال بعضهم: قوله **إن هذا إلا خُلُق الأولين،** قالوا: هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعثَ و[لا] حسابَ. وقال بعضهم: الوعظ هو النهي، كقوله: يَعِظُكُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا،[10] أي ينهاكم. وقوله:[11] **وما نحن بمعذبين،** عليه على ما تزعم وتخبر كما لم يعذَّب الآباء.

---

[1] ع: لوعظ.

[2] ر م: وجوه

[3] ر: الخلق.

[4] ﴿فأقِم وجهك للدين حنيفا فِطْرَةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين لقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).

[5] ر: وتخلق.

[6] ر ع ن: الذي.

[7] خَلْق دين الله، كما في قوله: ﴿فليُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾ (سورة النساء، ٤/١١٩)، أي دين الله. والخلق، بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية، ومنه قوله تعالى: ﴿إنْ هذا إلا خُلُق الأوّلين﴾ فمعناه كَذِب الأولين؛ وقيل: شيمة الأولين، وقيل: عادةُ الأولين. ومن قرأ "خَلْق الأوّلين" فمعناه افتراء الأوّلين واختلاقهم وكذبهم (*لسان العرب*، «خلق»).

[8] ﴿والذي قال لوالدَيه أُفٍّ لكما أتَعِدَانِنِي أن أُخرَج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان اللّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٧).

[9] سورة الشعراء، ٢٦/١٢٣.

[10] ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة النور، ٢٤/١٧).

[11] ن: قوله.

*وقال أبو عَوْسَجَة والقتبي: **خُلُق الأولين**، أي اختلاقهم وكَذِبهم، يقال: حَلَقْتُ الحديثَ [٥٤٦ظ س٢٧
واختلقتُه إذا افتعلته. قال الفراء: والعرب تقول للخرافات أحاديث الخَلَق. قال: ومن[١] قرأ:
**خُلُق الأولين** بضم الخاء[٢] أراد عادتهم وشأنهم.[٣]* ٥٤٦ظ س٢٩]

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٣٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٤٠]

وقوله: **فكذبوه فأهلكناهم**، قيل: أُهلكوا بالريح، كقوله: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ،[٥] الآية. وقوله:[٦] **إن في ذلك لآية**، قد ذكرناه.*

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٤١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٤٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٤٣] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٤٤] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٤٥]

وقوله:[٨] **كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم. **إني لكم رسول أمين**، أي كنت أمينا قبل ذلك مقبول القول[٩] فكيف تتهموني[١٠] اليوم؟ ويقال: أمين على الرسالة ناصح لكم. وقد ذكرنا تأويله إلى[١١] قوله: **إن أجري إلا على رب العالمين.**

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾[١٤٦] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٤٧] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[١٤٨] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[١٤٩]

وقوله:[١٢] **أتتركون فيما هاهنا آمنين**، يخرج على وجهين. أحدهما **أتتركون** هكذا.[١٣]

---

[١] ن: من.
[٢] انظر: *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٤٢/٣.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٦ظ/سطر ٢٧-٢٩.
[٥] سورة الحاقة، ٦/٦٩.
[٦] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣٧، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٦ظ/سطر ٢٧-٢٩.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ع م: مقبول لقول.
[١٠] ن: يتهموني.
[١١] ر م: إلا.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] جميع النسخ: هذا.

وإن خرج على الاستفهام فكأنه قال على الإخبار: لا تتركون[1] في ما ذكر آمنين. والثاني **أتتركون،** أي أتظنون أن تتركوا في ما هٰهنا آمنين، أي لا تظنوا أن تتركوا في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم. قال بعضهم: الهضيم المتهشِّم، وقال بعضهم: الذي أَرطَب بعضُه، وهو الذي يسمى المُذَنِّب. وعن ابن عباس قال: هو الذي قد أرطب واسترخى، وهو اللَّيِّن. وعن الحسن: الذي ليس له نَوًى.[2] وقال بعضهم: هو من الرَّطب الهضيم وهو الذي ينقطع لِلِينه ومن اليابس الهشيمُ يتكسّر لِيُبُوسته. وقال القُتَبي: والهضيم الطلع قبل أن ينشقّ عنه القِشر وينفتح.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: الهضيم الذي لا شوك فيه ولا مشقّة. وقال بعضهم: الهضيم هو الذي[4] يتراكم بعضه بعضا ويكون فوق بعض. ولو قيل: إن الهضيم هو الهنيء[5] المريء[6] الذي[7] لا داء فيه ولا مشقة، يَهضِم كل ما فيه

[٥٤٧و] داء ومرض ولذلك سمي الهاضوم[8] هاضوما وهو[9] / الذي يَهْنَأُ[10] الطعامَ ويَهضمه.[11] ***والله أعلم.***

وقوله: **وتَنحِتون من الجبال بيوتا فارهين،** بالألف، وفرِهين بغير ألف. **فارهين،** أي حاذقين مُجيدين، أي لهم حذاقة وبَصر في نحت البيوت في الجبال. يقال: فلان فارِهٌ في أمر كذا، أي حاذق؛[12] وفرِهين أشِرين بطِرين، أي فرِحين. وقال[13] القُتَبي: والفرَح قد يكون السرور ويكون الأَشَرَ، ومنه قول الله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ،[14] أي الأَشِرين. قال: ومن قرأها: فارهين، بالألف فهي[15] لغة أخرى، يقال: فرِهٌ وفارِه، كما يقال: فرِح وفارح،

---

[1] ر ع م: ولا تتركون.

[2] ر: قوى. انظر حول جميع الآراء: *تفسير ابن كثير*، ٣٣٢/٣.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٩.

[4] ع + ينقطع.

[5] ر ن ع: الهني.

[6] ن ع: المري.

[7] م – الذي.

[8] هضَم لدواء الطعامَ يَهْضِمه هَضْمًا: نَهَكَه. والهضام والهضوم والهاضوم: كلُّ دَواءٍ هضم طعامًا كالجُوارِشْنِ (*لسان العرب*، «هضم»).

[9] ع: هو.

[10] جميع النسخ: يهني.

[11] ر م + الذي.

[12] ع: حاذقين.

[13] ر ع م: قال.

[14] سورة القصص، ٧٦/٢٨.

[15] ن: فهو.

ويقال: فارهين حاذقين.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: فارهين وفرِهين، أي مسرورين، ويقال: فرِه يفرَه فَرَها فهو فرِهٌ وفارِه.[2]

**﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٥٠] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٥١] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[١٥٢]**

وقوله:[3] **فاتقوا الله وأطيعونِ ولا تطيعوا أمر المسرفين**، يقول: -والله أعلم- اتّقُوا نقمة الله في مخالفتكم أمره، **وأطيعونِ ولا تطيعوا أمر المسرفين**، أي لا تطيعوا أمر من ظهر لكم منه[4] الإسراف والفساد ولكن أطيعوا أمري، إذ لم يظهر لكم مني إسراف ولا فساد، ولا تطيعوا الذين تعلمون[5] أنهم **يفسدون في الأرض ولا يصلحون**. أو أن يكون قوله: **ولا تطيعوا أمر المسرفين**، مؤخرا عن قوله: **ما أنت إلا بشر مثلنا**، يقول لهم صالح: تتركون طاعتي والإجابة لي لأني بشر مثلكم، فلا تطيعوا إذًا بشرا[6] هو دوني وهم الذين ظهر لكم منهم الفساد والإسراف و لم يظهر لكم مني شيء[7] من ذلك.[8] يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتّباع الرسل وطاعتهم لأنهم بشر، ثم يطيعون بشرًا دونهم[9] في كل شيء. ثم أجابوا صالحا في قوله:[10] **ولا تطيعوا أمر المسرفين**، فقالوا:

**﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٥٣] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٥٤]**

**إنما أنت من المسحرين**، اختلف فيه، قال بعضهم: يقولون إنما أنت سُوقَة[11] مثلنا لست بأفضلنا، وإنما نتبع نحن الملوك وذوي الثروة[12] من المال، وأنت لست[13] بمِيث ولا لك ثروة.

---

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٩-٣٢٠.
[2] ر ع: فره وفره.
[3] ن: قوله.
[4] ع: من.
[5] ر ع م: تعملون.
[6] ر: بشر.
[7] ر ع م: من شيء.
[8] ر م – من ذلك.
[9] ن: لأنهم لا يطيعون بشر دونهم؛ ر ع م: لأنهم بشرا دونهم.
[10] ر ع م – في قوله.
[11] السُّوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان، الرعية. يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والجمع السُّوَق (لسان العرب، «سوق»).
[12] ر ع م: وذي ثروة؛ ن. وذوي ثروة.
[13] ع – لست.

فهم -والله أعلم- طعَنوا صالحا كما طعن كفار مكة رسول الله حيث قالوا: ﴿مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.[1] وقال بعضهم: يقولون: أنت بشر مثنا في المنزلة لا تفضُلنا بشيء، [و]لست بملك ولا رسول **فَأْتِ بآية إن كنت من الصادقين** بأنك رسول فنتبعَك كما أطَعنا أولئك.[2] وقال القُتَبي: **إنما أنت من المسحَّرين**، أي من المعلَّلين بالطعام والشراب،[3] وهو مثل الأول. وقال أبو عَوْسَجَة: **من المسحرين**[4] ممن له سَحْر. والسَّحْر الرئة[5] وأسحار جمع.[6] وقال بعضهم: من المسحورين،[7] لكنه عند الكثرة يشدّد. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[١٥٥]

ثم قال صالح: **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**، ذكر أهل التأويل أن الماء منقسم بينهم: كان يوم لهم ويوم للناقة. استدلوا بقوله: **ولكم شرب يوم معلوم**، فلما كان يوم لهم معلوم كان[8] يوم لها معلوم.[9] لكن ليس في الآية دلالة [على] أن الأمر [كـ]ما وصفوا، ولكن في الآية ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾،[10] وظاهره أن الماء بينهم بالقسمة لا الشرب. وقوله: **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**، جائز أن يكون الماء بينهم بعضه للناقة وبعضه لهم، ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة في ذلك اليوم شيء. ***والله أعلم***.

وقد ذكرنا أن هذه الأنباء إنما ذكرت في كتبهم حجة لرسول الله، فلا يزاد على ما ذكر في الكتاب مخافةَ أن تذهب[11] حجته عليهم أعني أهل الكتاب لئلا يكذّبوا رسول الله فيما يخبر من الأنباء التي في كتبهم.

---

[1] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٧/٢٥).

[2] ر ع م + وأولئك.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.

[4] ع - أي من معللين بالطعام والشراب وهو مثل الأول وقال أبو عوسجة من المسحرين.

[5] ر ه: لرية؛ ع: الرؤية. والسَّحْر والسِّحْر والسُّحْر: ما لتزق بالحلقوم والمرِيء من أعلى البطن. ويقال: انتفخ سَحْره للجبان الذي ملأ الخوف جوفه، فانتفخ السَّحْرُ وهو الرئة حتى رفع القلبَ إلى الحُلقوم (*لسان العرب*، «سحر»).

[6] ع: جميع.

[7] ن: من المسحرين، صح ه: من المسحورين. وهو قول مجاهد، انظر: *تفسير مجاهد*، ٤٦٤/٢.

[8] ر ع م - يوم لهم معلوم كان.

[9] ن: معلوما.

[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونَبِّئْهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ (سورة القمر، ٢٨/٥٤).

[11] جميع النسخ: أن يذهب.

**﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥٦] ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[١٥٧] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٥٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٥٩]**

وقوله:[١] **ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين.** يحتمل قوله: **فأصبحوا نادمين**، إذا أهلكوا[٢] وإلا لو ندموا على صنيعهم وتابوا قبل أن يُهلكوا لقُبل ذلك منهم. وقوله:[٣] **فأخذهم العذاب**، كل آية أتاهم الرسل على إثر السؤال فكذبوها[٤] أخذهم العذاب فأهلكوا. وقوله:[٥] **إن في ذلك لآية**، قد ذكرنا.[٦]

**﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٦٠] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٦١] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٦٢] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٦٣] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٤]**

وقوله:[٧] **كذبت قوم لوط المرسلين**، قد ذكرنا [أن] التأنيث على إضمار جماعة،[٨] كأنه قال: **كذبت** جماعةُ[٩] **قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون**، إلى قوله: **العالمين**، قد ذكرنا فيما تقدم.

**﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٥] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[١٦٦]**

وقوله:[١٠] **أتأتون الذكران من العالمين**، وقال في آية أخرى: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ.[١١] وقوله:[١٢] **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم،**

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: إذ أهلكو.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: فكذبوهما.
[٥] ن: قوله.
[٦] ع: ذكرناه.
[٧] ن: قوله.
[٨] انظر تأويل الآية ١٠٥ من هذه السورة.
[٩] ر ع م − جماعة.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).
[١٢] ع: وقوله.

أي وتذرون[1] ما جعل الله ذلك طبا لإبقاء هذا النسل، لأنه لم يجعل النساء لهم لقضاء الشهوة[2] خاصة، ولكن إنما جعل لهم الأزواج لإبقاء هذا النسل ودوامه. فيُعيّرهم لوط بتركهم إتيان النساء لما في ذلك انقطاع ما جُعِلن هن له[3] وهو إبقاء النسل، واشتغالهم بالرجال وليس في ذلك إبقاء النسل. هذا -والله أعلم- معنى قوله: **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**، أي إنما[4] خَلَق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة، لكن جعل فيهم ومكّن قضاء الشهوة[5] ليرغّبهم على ذلك ليبقى هذا النسل إلى يوم القيامة، وإلا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلهم لا يتكفون ذلك ولا يتحمّلون هذه المُؤَن التي يتكفّفون[6] حمْلَها لذلك. وفي الآية / دلالة [على] أن المرأة هي المملوكة عليها دون الزوج، والزوج [٥٤٧ظ] هو المالك عليها، حيث قال:[7] **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**، وقال في آية أخرى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[8] الآية. أخبر أنه خلق النساء لنا، لا أنه خُلِقنا لهن.[9] وفي ذلك حجة لأصحابنا في قولهم: إن المسلم إذا تزوج نصرانية بشهادة نصرانيين جاز النكاح، لأنه هو المتملّك عليها بالنكاح[10] وهي المملوكة له.[11] ***والله أعلم***.

وقوله:[12] **بل أنتم قوم عادون**، أي بل أنتم قوم متجاوزون حدّه الذي حدّ لكم،[13] أو **عادون** حقّه الذي له عليكم.[14]

**﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[١٦٧]**

وقوله: **قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**، ذكر الانتهاء ولم يبين مما ذا؟ فجائز أن يكونوا قالوا: **لئن لم تنته يا لوط** من تعييرك الذي تُعيّرنا به، **لتكونن من المخرجين**

---

[1] ر ع م: تذرون.
[2] م: الشهوات.
[3] أي خلقن لأجله.
[4] ر ع م: وإنما.
[5] ر م: لشهوات.
[6] ع + ذلك ولا يتحملون هذه المؤن التي يتكفون.
[7] ر ع م – قال.
[8] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[9] ع: خلقنا لهن.
[10] جميع النسخ: النكاح.
[11] ر م – له.
[12] ن: قوله.
[13] ع: لهم.
[14] ر ن م + أو عادون؛ ع + وعادون.

حيث[1] قال: مَا سَبَقَكُمْ،[2] الآية، وقوله:[3] وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ.[4] ويحتمل: **لئن لم تنته** من دعائك الذي تدعونا[5] إليه **لتكونن** كذا. وقوله: **لتكونن من المخرجين**، يحتمل نفس الإخراج، أي نخرجك من القرية ومن بيننا. وجائز أن يكونوا[6] أرادوا بالإخراج إخراجا بالقتل،[7] كقول[8] قوم نوح حيث[9] قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[10] وهو أشبه.

**﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾[١٦٨] ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٦٩] ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾[١٧٠] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[١٧١] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾[١٧٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[١٧٣]**

ثم قال لوط: **إني لعملكم من القالين**، أي من المبغِضين، أي كيف توعِدونني[11] بالإخراج وإني لِعملكم الذي[12] تعملون من المبغضين، أكره المُقام فيكم وأبغض رؤية أعمالكم التي تعملون فكيف توعدونني بالإخراج. ثم دعا فقال: **رب نجني وأهلي مما يعملون**، هذا يحتمل وجوها. أحدها رب نجني وأهلي من عذاب ما يعملون وجزائه. أو أن يكون رب نجني وأهلي من عمل ما يعملون من الخبائث، كقول إبراهيم: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.[13] أو أن يقول:[14] رب نجني وأهلي عن رؤية ما يعملون ومعاينته.[15]

ثم قال: **فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم.

---

[1] ر ع م - حيث.
[2] ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة الأعراف، ٨٠/٧).
[3] ن: قوله.
[4] الآية السابقة.
[5] ع: تدعوننا.
[6] ر ع م: يكون.
[7] ع: وبالقتل.
[8] ر ع م: كقولهم.
[9] ع - حيث.
[10] سورة الشعراء، ١١٦/٢٦.
[11] ع: تدعوني.
[12] ع: الدين.
[13] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).
[14] ن: أو يقول.
[15] جميع النسخ: ومعاقبته.

وقوله: **وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**، يحتمل أن يكون أمطر عليهم الحجارة بعد ما قلَبهم ظَهرًا لِبطن[1] وبطنًا لظهر، كقوله: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً [مِنْ سِجِّيلٍ].[2] وجائز أن يكون جعل عاليها سافلها بما أمطر عليهم من الحجارة. وجائز أن يكون جعل[3] القريات ومن فيها عاليها سافلها، وأمطر[4] على من كان غائبا منهم الحجارة.

وقال[5] أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **مِن القالين**، أي من المبغِضين، يقال: قَلَيْتُ الرجلَ إذا أبغضتُه،[6] ومن ذلك قوله: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.[7] والغابر الباقي.

**﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٧٥] ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٧٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٧٧]**

وقوله: **كذب أصحاب الأيكة المرسلين**. والأيكة[8] قال بعضهم:[9] هي شجرة نُسِبوا إليها. وقال بعضهم: الأيكة الغَيْضَة.[10]

**إذ قال لهم شعيب ألا تتقون**، قال بعض أهل التأويل: وإنما لم يقل ههنا في شعيب "أخوهم" لأن شعيبا لم يكن من نسبهم، أعني من نسل أصحاب الأيكة،[11] لذلك[12] لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. وقال في سورة هود حيث قال: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا،[13] لأنه كان من نسل أهل مدين. ويقولون: إن شعيبا كان بعث إلى أهل مدين وهو كان منهم وإلى أصحاب الأيكة

---

[1] م: البطن.
[2] سورة الحجر، ٧٤/١٥.
[3] ر م - جعل.
[4] ر م: وأمطرنا.
[5] م: قال.
[6] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.
[7] سورة الضحى، ٣/٩٣.
[8] ه - والأيكة. الأيكة والغيضة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.
[9] ن - قال بعضهم.
[10] ر: القبطة؛ ع: العيطة.
[11] ع - قال بعضهم هي شجرة نسبوا إليها وقال بعضهم الأيكة الغيضة إذ قال لهم ألا تتقون قال بعض أهل التأويل وإنما لم يقل ههنا في شعيب أخوهم لأن شعيبا لم يكن من نسبهم أعني من نسل أصحاب الأيكة.
[12] ر ع م: كذلك.
[13] سورة هود، ٨٤/١١.

وهو لم يكن منهم، لذلك قال: ثَمَّ أَخَاهُمْ ولم يقل هاهنا. لكن ليس فيما لم يقل إنه أخوهم ما يدل أنه لم يكن من نسلهم ولا من نسبهم، لأن جميع أولاد آدم إخوة إذ يسمى جميع البشر بَنُوه، فعلى ذلك أولاده[1] إخوة وأخوات.[2]

ثم لا ندري أن مدين غير الأيكة والأيكة غير المدين. فبُعث شعيب إليهم جميعا أو هما واحد نسبوا إلى مدين[3] مرة وإلى مدين ثانيا. والله أعلم بذلك. وقال القُتَبي: الأيكة: الغَيْضَة، وجمعها أَيْك.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: الأيكة شجرة، والأَيْك جمع أيكة. وقال لا أعرف لَيْكَة[5] بلا ألف. وكذلك قال أبو عبيدة.[6] وقال أبو زيد: أصحاب لَيْكَة[7] أصحاب بادية. **والله أعلم**.[8]

**﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾**[١٧٨] **﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾**[١٧٩] **﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[١٨٠]

**﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾**[١٨١] **﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾**[١٨٢] **﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[١٨٣]

وقوله: **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين**، وكذلك قال لأهل مدين في سورة هود: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ،[9] ذكر فيهما جميعا إيفاء الكيل. فلسنا ندري أنه قد ظهر فيهما جميعا نقصان[10] الكيل والوزن فأمرهما بإيفاء ذلك، أو كانت القصة واحدة فذكر فيهما ذلك.* وقوله: **أوفوا الكيل**، كأنه قال: أوفوا الكيل والوزن فيما عليكم إيفاؤه ولا تستوفوا من الناس أكثر مما لكم عليهم.

---

[1] ع: أولاد.
[2] ر: وأخوة.
[3] جميع النسخ: نسبوا إلى مدين وإلى الأيكة.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.
[5] ر ع م: أيكة.
[6] ع: أبو عبيد. انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٠.
[7] ن: أصحاب أيكة.
[8] ن + بذلك.
[9] ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (سورة هود، ٨٥/١١).
[10] ع: نقصان.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٧ظ/سطر ٣٥ و٥٤٨و/ سطر ١.

**وزِنُوا بالقسطاس المستقيم**. القسطاس، قال بعضهم: العدل، أي وزنوا للناس حقوقهم بالعدل ولا تَنقُصوها. وقال بعضهم: القسطاس هو القَبّان وهو الميزان. وقوله: **المستقيم** المستوي، كأنه قال: وزِنوا بالميزان المستوي، لا تجعلوا إحدى الكِفَّتين أثقلَ[1] من الأخرى. كأنهم يجعلون الكِفَّة التي يُوفون بها حقوق الناس أثقل والكفةَ التي يستوفون من الناس أخفَّ. فأمرهم أن يُسَوُّوا الكِفتين جميعا.

[٥٤٧ظ س ٣٥ *ثم في قوله: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، جواز الاستدلال من وجهين. أحدهما وقوع المبيع بملك المشتري وإن لم يقبضه المشتري. والثاني[2] جواز بيع الجزء من الكيليّ والوزنيّ شائعا من الكل[3] لأنه قال: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم، فلولا أن ذلك مِلك لهم وإلا لم يكن أشياءهم ولكن كانت أشياء هؤلاء، إذ لا يخلو[4] ذلك:
[٥٤٨و] إما أن كان ثمنا أو كان مبيعا، فكيف ما كان فهو موصوف بالمِلك لهم دون الذين / عليهم
٥٤٨و س ١] إيفاء ذلك.[5]* وقوله:[7] **ولا تَعثَوا في الأرض مفسدين**، أي لا تفسدوا فيها.

## ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٨٤]

وقوله:[8] **واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين**، أي اتقوا نقمة الله[9] الذي خلقكم وخلق الجِبِلَّة الأولين أنْ[10] كيف عذّبهم وانتقم منهم بظلمهم. والجِبِلَّة هي الخليقة، يقال: جُبِل، أي خُلِق.

---

[1] ع – أثقل.
[2] ع + في.
[3] ر: مما الكل.
[4] م: لا يخلو.
[5] «وفي قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ دلالة في موضعين. أحدهما في صيرورة المبيع ملكا للمشتري قبل القبض لأنه أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم بقوله ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ فلولا أن ذلك صار ملكا لهم بالشراء قبل التسليم والإيفاء وإلا لم يذكر أشياءهم. والثاني أن بيع المتاع وشراءه جائز لأنه قال: ﴿أوفوا المكيال والميزان﴾ وهذا فيما لم يكن مكيلا وقد أضاف الملك إليهم، دل أن البيع جائز في المباع.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤٩ض).
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٧ض/سطر ٣٥ و٥٤٨و/سطر ١.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.
[9] ر ن – الله.
[10] ر ع م: أي.

**﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٨٥] ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١٨٦]**

**قالوا إنما أنت من المُسَحَّرِين**، قال بعضهم: هو الذي سُحِر مرة بعد مرة. فعلى هذا[1] التأويل يكون: إنما أنت من المُسَحَّرِين، ويكون[2] التشديد لتكثير. وقال[3] بعضهم: إنما أنت مخلوق وبشر مثلنا، وقد ذكرنا.[4]

وقوله:[5] [**ما أنت إلا بشر مثلنا**] **وإن نظنك لمن الكاذبين**، هذا يدل أنهم إنما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحَقا.

**﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٨٧] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٨٨] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٨٩]**

**فَأَسْقِط علينا كِسَفا من السماء إن كنت من الصادقين**، سألوا شعيبا العذاب على التعنّت كما سأل غيرهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[6] فنزل بهم العذاب من حيث سألوا من السماء. وعن الحسن قال: سلط الله الْحَرّ على قوم شعيب سبعة أيام ولَيالِيَها[7] حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد[8] ماء، ثم رُفِعت لهم سحابة في البرّيّة فوجدوا تحتها الرَّوح فجعل بعضهم يدعو[9] بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أشعلها الله نارا فأحرقتهم فذلك قوله: **فأخذهم عذاب يوم الظلة**، الآية. وقال بعضهم: سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم.[10] **والظُّلَّة**، قال[11] أبو عَوْسَجة: حرّ شديد. وقال القُتَبي: **كِسَفا**،

---

[1] م: هذه.
[2] جميع النسخ: لكن.
[3] ر ع م: قال.
[4] انظر تأويل الآية ١٥٣ من هذه السورة.
[5] ن: قوله.
[6] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).
[7] جميع النسخ: ولياليهن.
[8] ن: ولا برد.
[9] ع: يدعوا.
[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣١٩/٦.
[11] ر: قال.

أي قِطعة من السماء.[1] والكِسَف القِطَع. وقال بعضهم: أصابهم حرّ شديد وغمّ في بيوتهم فخرجوا يتمسون الرَّوح قِبَله، فلما غشيتهم تلك السحابة أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين. وقال بعضهم: ظلّل العذاب إياهم. وبعضه قريب من بعض. وعن ابن عباس قريب[2] من هذا قال: بعث الله عليهم وَمَدَة[3] وحرًا شديدا فأخذ بأنفاسهم، فلما أحسُّوا[4] بالموت بعث لهم سحابة فأظلتهم فتنادَوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم، فذلك قوله: **فأخذهم عذاب يوم الظلة**؛[5] والظُّلَة السحابة، وهو قريب من الأول.[6]

وقول شعيب: **ربي أعلم بما تعملون** من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم. وقوله: **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة**، كذبوه فيما أخبر من نزول العذاب بهم، أو كذبوه فيما ادّعى من الرسالة وما سوى ذلك، وهو[7] مذكور فيما تقدم.

**﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١٩٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٩١] ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٩٢] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[١٩٣] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[١٩٤] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١٩٥]**

وقوله:[8] **وإنه لتنزيل رب العالمين، وإنه** أي القرآن **لتنزيل رب العالمين**، أي نزله رب العالمين. **نزل به الروح الأمين** [إنما قال ذلك ردا][9] لقولهم:[10] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[11] يخبر أن ربه هو الذي نزّل هذا القرآن عليه، لا ما تقولونه أنتم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[12]

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.
[2] جميع النسخ: قريب.
[3] الوَمَدُ: نَدًى يجيء في صميم الحر من قِبل البحر مع سكون ريح، وقيل: هو الحر أيًا كان مع سكون الريح. قال الكسائي: إذا سكنت الريح مع شدة الحر فذلك الوَمَدُ (*لسان العرب*، «ومد»).
[4] ر ن م: حسبوا؛ ع: حسوا.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١١٠.
[6] ع + تحتها فلما اجتمعو سقطت عليهم فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة لسحابة وهو قريب من الأول.
[7] ر ن م: هو.
[8] ن: قوله.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٠و.
[10] ر ع م: لقوله.
[11] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[12] ر ع م - يخبر أن ربه هو الذي نزل هذا القرآن عليه لا ما تقولونه أنتم إنما يعلمه بشر.

وقوله: **نزل به الروح الأمين على قلبك**، قوله: **على قلبك**،[1] يحتمل وجوها. أحدها[2] أن جبريل لمّا يُنزّل من القرآن إنما ينزل على قلبه لا يَحْجُبه شيء عن[3] قلبه. والثاني **على قلبك**، أي لا يذهب عنه بل الله يجمعه في قلبك، كقوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.[4] أو أن يكون قوله: **على قلبك**، أي يثبته على قلبك، لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.[5] أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال: **على قلبك**،[6] كأنه أُلقِيَ في قلبه، وكذلك يقال.

وقوله:[7] **لَتَكُونَنَّ من المنذِرين بلسان عربي مبين**، كأنه -والله أعلم- على التقديم والتأخير يخرج، أي نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين.

والباطنية يقولون: أنزله على رسوله كالخيال غيرَ موصوفٍ بلسان، ثم إن رسوله أدّاه بلسانه العربي المبين، أي بيّنه. لكنه ليس كذا، لأنه قال في آية أخرى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،[8] أخبر أنه إنما أنزله عربيا[9] فيبطل قولهم: إنه أدّاه بلسانه عربيا[10] من غير أن أنزله كذلك. ولو كان على ما يقوله الباطنية: إنه لم يُنزله بهذا اللسان، أعني اللسان[11] العربي، وإن الرسول هو الذي صيّره بهذا اللسان وأدّاه به[12] لكان لا يصير جوابا لقولهم: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[13] ولا حجة عليهم،[14]

---

[1] ر م - قوله على قلبك.

[2] ر: أحدهما.

[3] ن: على.

[4] سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.

[5] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣٢).

[6] ع - أي يثبته على قلبك لقولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال على قلبك.

[7] ن: قوله.

[8] ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٢).

[9] ر ع م - أخبر أنه إنما أنزله عربيا.

[10] ن - عربيا.

[11] جميع النسخ: لسان.

[12] ر م: وأداه.

[13] سورة النحل، ١٦/١٠٣.

[14] ن - ولا حجة عليهم.

فإذ ذكر هذا[1] جوابا لقولهم وحجة عليهم دلّ أنه إنما أُنزل[2] عليه عربيا وأن تأويل الآية[3] ما ذكرنا على التقديم والتأخير.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٩٦]

وقوله:[4] **وإنه لفي زبر الأولين**، قال بعض أهل التأويل: **وإنه**، أي بَعْث محمد وصفته كان في كتب الأولين. وجائز أن يكون قوله: **وإنه**، أي هذا[5] القرآن كان ذِكْره في كتب الأولين [٥٤٨ظ] / أنه يُنزّله[6] على[7] محمد، لا أن عينه[8] كان فيها. أو أن كان بعضه في زبر الأولين لا الكل. *والله أعلم*.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٩٧]

وقوله:[9] **أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**، قال بعض أهل التأويل: أو لم يكن لهم محمد آية أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم يجدونه مكتوبا عندهم في الكتب؟[10] لكن تأويله: أو لم يكفهم عِلمُ علماء[11] بني إسرائيل آيةً أنه رسول؟

ثم الآية تكون[12] بوجهين. أحدهما ما ذكر أن أهل مكة أرسلوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن رسول الله، فأخبروهم عنه أنه يخرج في وقت كذا وأن نعْته كذا[13] وهذا وقت خروجه. والثاني يقول: أو لم يكفهم آيةً إسلامُ علماء بني إسرائيل وفقهائهم أنه رسول،

---

[1] ر م – هذا.
[2] ع: نزل.
[3] ر م: الأول.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م: هذه.
[6] ع: نزل.
[7] ر ع + رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ن + رسول الله.
[8] ر: لا عن عينه.
[9] ن: قوله.
[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[11] ن ع: علموا.
[12] ع: يكون.
[13] ع – وأن نعته كذا.

نحو [عبد الله] ابن سلام وغيره، إذ[1] كانوا لا يُسلِمون إلا عن[2] علم وتَثَبُّتٍ أنه رسول، إذ[3] كان في إسلامهم ذهاب مأكلتهم[4] ورياستهم. **والله أعلم.**

**﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾[١٩٨] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[١٩٩]**

وقوله:[5] **ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين**، قال بعضهم: نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزّلنا[ه] على أعجمي؟[6] وقال بعضهم: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين فقرأه عليهم، يقول: إذًا لكانوا شرّ الناس فيهم، ما فهموه وما دَرَوْا[7] ما هو، وهو[8] قريب [من] الأول. وقال بعضهم: **ولو نزلناه على بعض الأعجمين** من الدواب فكلمهم هذا ما صدقوه، يذكر سفههم وتعنتهم. ويحتمل قوله: **ولو نزلناه على بعض الأعجمين**، أي لو نزلناه[9] أعجميا فلم يفهموه لقالوا: لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ،[10] ولكن نزلناه عربيا لئلا يقولوا ذلك. **والله أعلم.**

**﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢٠٠] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٢٠١]**

وقوله:[11] **كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به**، قال بعضهم: هكذا[12] سلكنا الكفر والتكذيب وأدخلناه في قلوب المجرمين. وقال بعضهم: **كذلك سلكناه** يعني البيان والحجج **في قلوب المجرمين** حتى عقلوه ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا الإيمان به[13] تعنتا وعنادا.

---

[1] ع: إذا.
[2] ع: على.
[3] ر م: إذا.
[4] ن: نأكلتهم.
[5] ن: قوله.
[6] ع + وقال بعضهم لو نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا على أعجمي.
[7] م: دراوا
[8] ع – وهو؛ ن + فيه
[9] م: نزلنا.
[10] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ (سورة فصلت، ٤٤/٤١).
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م – هكذا.
[13] ر م – به.

**لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم** حين لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم عند معاينة العذاب إيمانُ دفع واضطرار[1] لا إيمان اختيار، وهو كما قال: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ،[2] لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم حين خرج[ت] أنفسهم من بين أيديهم وإيمان اضطرار لا إيمان اختيار، لذلك لم ينفعهم.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٠٢]

وقوله:[3] **فيأتيهم بغتة**، أي يأتيهم العذاب فجأة، **وهم لا يشعرون**، لأنه عز وجل إذ علِم منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فأنزل عليهم العذب بغتة، ولو علم منهم أنهم يؤمنون[4] حقيقة عند معاينة العذاب لأنزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم[5] ذلك ودفع العذاب عنهم، كما قبل إيمان قوم يونس حيث قال: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ].[6] قبل منهم[7] الإيمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم أنهم يحققون الإيمان في ذلك. وأما من كان همّتهم العناد والمكابرة فهم لا يحققون الإيمان.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾[٢٠٣]

وقوله:[8] **فيقولوا هل نحن منظرون**، لا يزالون يطلبون النظرة[9] والرَّجْعَة[10] إلى الدنيا وتأخير العذاب عن أنفسهم إذا نزل بهم، كقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ،[11] وكقوله:[12] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ،[13] فيتمنون الرجوع والنظرة، لكن لا يجابون إلى ذلك.

---

[1] جميع النسخ: واضطراب.
[2] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).
[3] ن: قوله.
[4] ر ع م: لا يؤمنون.
[5] م + الإيمان عند معاينة، ومشطوب عليها.
[6] سورة يونس، ٩٨/١٠.
[7] ن – منهم.
[8] ن: قوله.
[9] ر م – النظرة.
[10] ر م: الرجعة.
[11] ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ (سورة إبراهيم، ٤٤/١٤).
[12] م: كقوله.
[13] ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٢٧/٦).

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[٢٠٤]

وقوله:[١] **أفبعذابنا يستعجلون**، قال أهل التأويل: هذا جواب لهم لَمّا أوعدهم النبي العذاب ينزل بهم: [لقولهم:] متى العذاب؟[٢] تكذيبا له واستهزاء، يقول الله عند ذلك: **أفبعذابنا يستعجلون** ولقولهم: مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]،[٣] وقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[٤] ومثله. وإلا ليس هذا في الظاهر جوابا لقوله: فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ، وجواب هذا -*والله أعلم*- [ما ذكر إثْرَه:][٥]

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾[٢٠٥] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٢٠٦] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[٢٠٧]

وقوله:[٦] **أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون**. يقول ما يغني تأخير العذاب عنهم وإمهالهم عن وقت يُمتعون[فيه] من عذاب الله من شيء [أي] لا ينفعهم ذلك. أو أن يكونوا سألوا العذاب في الظاهر واستمهوه في الحقيقة فخرج قوله: **أفرأيت إن متعناهم سنين**، الآية، جوابا لاستمهالهم.[٧] أو أن يكون بعضهم استعجل العذاب واستمهل غيرُهم، فخرج هذا جواب من استمهل. ثم خوفهم فقال:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[٢٠٨] ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢٠٩]

**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى**، يقول:[٨] وما أهلكنا من قرية إهلاك استئصال وانتقام إلا بعد الإنذار وإقامة الحجة والبيان. **ذكرى**، أي موعظة وزجرا عما هم فيه. أو **ذكرى** يذكّر ما لهم وما عليهم، أو ما لله عليهم[٩] وما لبعضهم على بعض.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م - متى العذاب.
[٣] سورة يونس، ٤٨/١٠.
[٤] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٠ظ.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ع م: باستمهالهم.
[٨] ر: بقوله.
[٩] ر ع م - أو ما لله عليهم.

وقوله:[١] **وما كنا ظالمين** في تعذيبهم، أي لم نعذبهم بلا ذنب ولا جُرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم، لأن العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة، وإنما عذاب الكفر[٢] في الآخرة، وعلى ذلك يخرج قوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا.[٣] أي ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك
[٥٤٩و] يعذبهم الله. / وقال بعضهم: **وما كنا ظالمين**، أي ما كنا نعذبهم إلا من بعد البيان والحجة وقطع العذر. ***والله أعلم***. وفي مصحف أُبيّ: وما أهلكنا من قرية إلا بذنوب أهلها.

**﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾[٢١٠] ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٢١١] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٢١٢] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[٢١٣]**

وقوله:[٤] **وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم**، قال[٥] بعضهم: ما تنزلت بالقرآن الشياطين، فذلك [كان] جوابا لقول[٦] أهل مكة: إن محمدا كاهن معه رئِيٌّ[٧] هو يأتيه بما يقول، يعنون بالرَّئِيّ الشيطان. وكانت الشياطين[٨] من قبل يقعُدون من السماء مَقاعِدَ يستمعون فيها الوحي من الملائكة[٩] فينزلون به على الكهان، فهم[١٠] بين مصيب ومخطئ، فقالوا: محمد كذلك. فأكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال:[١١] **وما تنزلت به**، أي بالقرآن، **الشياطين وما ينبغي لهم**، أن يَنْزلوا بالقرآن **وما** كانوا **يستطيعون**. أي قد حِيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشُّهُب، وأخبر أنهم عن السمع لَمَعزولون.

---

[١] ن: قوبه.
[٢] ع – لكفر.
[٣] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[٤] ن: قوبه.
[٥] م: وقال.
[٦] ر: بنقول.
[٧] ن: رأي؛ ع: راءي. والرَّئِيُّ والرِّئِيُّ: الجنّيّ يراه الإنسان. وقال اللحياني: له رَئِيٌّ من جن ورِئِيٌّ إذا كان يحبه ويؤالفه (*لسان العرب*، «رأي»).
[٨] جميع النسخ: الشيطان.
[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رَصَدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/٩).
[١٠] جميع النسخ: فمن.
[١١] م – فقال.

وفي قوله: **وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون.** دلالة [على] أنّ من أراد أن يجعل القرآن حجة لغير الذي جُعِل هو حجةً لم يقدر على النطق به ولا التلاوة، نحو من يأتي أُفُقا من آفاق الأرض لم ينته إليه[1] هذا القرآن، فادعى لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا القرآن، فإنه لا يقدر على تلاوته ولا النطق به،[2] لأنه إنما جُعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل، حيث قال: **وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم** أن يَتنزِلوا[3] **وما**[4] **يستطيعون.** أخبر أنهم لا يستطيعون[5] ذلك وأنهم معزولون عن ذلك. وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله: **فلا تدع مع الله إلها آخر،** وأمثاله. *والله أعلم.*

**﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[٢١٤]

وقوله:[6] **وأنذر عشيرتك الأقربين.** روي عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية:[7] **وأنذر عشيرتك الأقربين،** جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخصّ وعمّ فقال: «يا معشر قريش! أنقِذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم[8] من الله نفعا ولا ضَرّا. يا معشر بني قُصَيّ! أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضَرّا ولا نفعا. وقال: يا معشر بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار فإني[9] لا أملك لكم[10] من الله ضَرّا ولا نفعا.» وكذلك قال لبني عبد المطلب. قال لفاطمة ابنته: «يا فاطمةُ بنتَ محمد! أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكِ من الله ضرا ولا نفعا، ولكن لك رَحِمٌ وسَأَبُلّها بِبَلاها.» أي سأصِلها. وفي بعض الأخبار أنه قال عند نزول هذه الآية: «إني أُرسلت إلى الناس عامة وأرسلت إليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة. وهم الأقربون وهم[11] إخوانٌ [و]أبناء عبد مناف.»[12]

---

[1] جميع النسخ: إليهم.
[2] ر ع م – به.
[3] ر م: أن ينزلون.
[4] ر ع م: أو ما.
[5] ر م - أخبر أنهم لا يستطيعون.
[6] ن: قوله
[7] ن + قوله.
[8] ر ع م – لكم.
[9] ر ع م – فإني.
[10] ر ع م – لكم.
[11] جميع النسخ: وهو.
[12] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ٢/٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٤٨.

وعن الحسن قال: ذُكِر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع[1] أهل بيته قبل موته فقال: «ألا إنّ لي عملي[2] ولكم عملكم، ألا إني لا أملك لكم من الله شيئا، ألا إن أوليائي منكم المتقون. ألا لَأَعْرِفَنّكم[3] يوم القيامة، تأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم[4] ويأتيني الناس[5] بالآخرة.»[6] وعن قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يُفخِذ[7] عشيرته فَخِذًا فَخِذا يدعوهم إلى الله. قال في ذلك المشركون: لَبَاتَ هذا الرجل يُهَوِّت[8] منذ الليلة، أي[9] يصيح، فأنزل الله في ذلك: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى،[10] الآية.[11]

ومعنى التخصيص في إنذاره عشيرَته[12] في هذه الآية يحتمل وجهين، وإن كانوا[13] داخلين في جملة إنذار الناس جميعا في قوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[14] إذ هم من العالمين. أحدهما جائز أن يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيامة بقرابته واتصالهم به[15] وإن لم يطيعوه ولم يجيبوه إلى ما يدعوهم إليه، على ما روي عنه أنه قال: «كل نسب وسبب منقطع يومئذ إلا نسبي وسببي.»[16] فيشبه أن يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ وإن خالفوه بحق القرابة والوُصلة[17] ما لا يطمع [في] ذلك غيرهم من الناس إلا بالطاعة له[18] والإجابة. فأمره أن ينذرهم لئلا يكِلوا [أمرهم] إلى شفاعته

---

[1] ر – جمع.
[2] ر م: عمل.
[3] جميع النسخ: لا أعرفكم.
[4] ر ع م: على رقابها.
[5] أي الناس من غير أهل بيتي.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٣/١٩.
[7] فخَذ الرجل عشيرته دعاهم فَخِذ فَخِذا (*لسان العرب*، «فخذ»).
[8] هوّت به: صوّت به وصاح، ودعاه. وفي الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ بات النبيّ صلى الله عليه وسلم يُفَخِّذ عَشيرتَه، فقال المشركون: لقد باتَ يُهوِّت، أي يُنادي عَشيرتَه (*لسان العرب*، «هيت»).
[9] جميع النسخ: يقول.
[10] ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد﴾ (سورة سبأ، ٤٦/٣٤).
[11] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٢٦/٦؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٢٨/٩.
[12] ر ع م: وعشيرته.
[13] ر م: كان.
[14] جميع النسخ: نذيرا للعالمين. ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ١/٢٥).
[15] ر م – بقرابته واتصالهم به.
[16] انظر: *المستدرك* للحاكم، ١٥٣/٣؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠٥/٤.
[17] م: والصلة.
[18] ر ع م – له.

ولكن احتالوا حيتهم بالطاعة له[١] و لعمل لما يأمر، وهو ما ذكر في الأخبار التي ذكرنا: «إني لا أملك لكم من الله[٢] نفعا ولا ضرا، ألا إن أوليائي منكم المتقون.»[٣] أخبر أنْ لا ولاية لهم إذا لم يتقوا[٤] مخالفته[٥] و لم يطيعوه.[٦]

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢١٥]

وقوله: **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين.** قيل: لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين، كأنه أمر رسوله أن يتواضع لهم ويرحم. وقال في الوالدين: وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ،[٧] وقال في المؤمنين، بعضهم لبعض فيما بينهم: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ؛[٨] أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.[٩] ذكر الذلّ فيما بينهم والرحمة، و لم يذكر في رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم الذل، فهو[١١] -والله أعلم- لأن الذل كأنه يرجع إلى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا، وذلك في رسول الله بعيد لا يحتمل أن يأمره بالخدمة لهم، وجائز أن يمتحن بعضهم بخدمة بعض. ***والله أعلم.***

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢١٦]

وقوله[١٢] عز وجل: **فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون،** قالوا: إنه راجع إلى قوله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[١٣] وموصول به، كأنه قال: وأنذر عشيرتك الأقربين فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون. قد كان رسول الله بريئا مما كان / يعمل أولئك الكفرة. لكنه يحتمل أن يكون أولئك [٥٤٩ظ]

[١] ر م - له.
[٢] ن - من الله.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١٢٣.
[٤] ر م: لم يتبعوا.
[٥] م: مخالفة.
[٦] ر م - ولم يطيعوه؛ ر ن م + والثاني. قسم المؤلف رحمه الله معنى تخصيص الإنذار إلى وجهين، ولكن لم يذكر الوجه الثاني، سوى أنه ذكر في نهاية الوجه الأول: «والثاني». وفي نسخة ن بياض بعدها.
[٧] سورة الإسراء، ١٧/٢٤.
[٨] ع - رحماء بينهم. ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).
[١٠] م + الله.
[١١] ر ع م: فهو.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٤.

لَمّا أنذرهم رسول الله طلبوا منه أن يطيعهم في بعض أمورهم ويشاركهم في بعض أعمالهم حتى يطيعوا أولئك له في بعض ما يأمرهم ويدعوهم إليه ويشاركوه[1] في بعض أعماله، فقال عند ذلك: **إني بريء مما تعملون**، يتبرأ[2] مما يدعونه إليه. وطلبوا منه مساعدته إياهم والإغماض عما يعمون فقال:

**﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[٢١٧] ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٢١٨] ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٢١٩] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢٢٠]**

**وتوكل على العزيز الرحيم**، كأنه أمّنه عن شرّهم وكيدهم فقال: توكل على العزيز الرحيم ولا تخَف مخالفتهم إياك فيما تدعوهم[3] إليه. أو أمره أن يكِل نفسه إليه ويفوّض[4] جميع أموره في كل وقت [إليه] فقال: **وتوكل على العزيز الرحيم. العزيز**[5] المنتقم من أعدائه، **الرحيم**[6] بأوليائه. أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه.[7] أو ذكر العزيز لأنه به يَعِز من يعِزّ وهو يَرحم من يَرحم، من لم يُعِزّه هو لا يكون عزيزا، ومن لم يرحمه هو فلا ينفعه[8] ترحُّمُ غيره. والعزيز هو الذي لا يُعجِزه شيء.

وقوله:[9] **الذي يراك حين تقوم**، في ظلمة الليل وحدك قائما وجالسا وعلى حالاتك، يراك في تقلبك أيضا في الساجدين في الصلاة مع الناس في الجماعة. وبعضهم يقول: **وتقلبك**[10] **في الساجدين** في المصلين، يقول: كان يرى مَنْ خلفه من الصفوف كما يرى مَن أمامه. لكن هذا ليس تأويل الآية، [ما هو] إلا كلام قاله [صاحبه] من ذات نفسه.[11] ولو كان ما ذكر لكان يقول:

---

[1] جميع لنسخ: ويشاركونه.
[2] ر ع م - مما تعمون يتبرأ.
[3] جميع النسخ: تدعونهم.
[4] ر: ويفض؛ ع: وتفويض.
[5] ع - العزيز.
[6] ر م - من أعدائه الرحيم.
[7] ع- أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه.
[8] جميع النسخ: لا ينفع.
[9] ن: قوله.
[10] جميع النسخ: في تقبيك.
[11] وردت هذه الرواية في *تفسير القرآن* لابن كثير (٣/٣١٦): قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال قتادة: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ قال: في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع. وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري. وقال مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويشهد لهذا ما صح في الحديث: «سوّوا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري.»

يُريك، برفع الياء لا بالنصب.[1] وروي في بعض الأخبار أنه قال:[2] «إني[3] إمامكم فلا تَسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، فإني أراكم خلفي كما أراكم أمامي. والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لَضحكتم قليلا ولَبكيتم كثيرا». قالوا: يا رسول وما رأيت؟ قال: «رأيت الجنة والنار».[4] وقال بعضهم: يَرَاكَ حين تقوم إلى الصلاة فتصلي وحدك ويراك مع المصلين في جماعة. وهو مثل الأول. وفي حرف حفصة: وتقلّبَ[5] وجهك[6] في الساجدين.[7]

**إنه هو السميع العليم. السميع**[8] بمقالتهم مما يُخفُون ويُبدون وما يعنون. **والعليم** بضمائرهم وخفياتهم.[9] أو **السميع**[10] المجيب لمن دعاه، **العليم** بأفعالهم وأعمالهم.[11]

**﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾[٢٢١] ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٢٢٢]**

وقوله:[12] **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم.** خرج هذا -والله أعلم- وما تقدم ذكره من الآيات جوابا لقول كان من رؤساء الكفرة وقادتهم لا يزالون يَلبِسون على اتباعهم والسفلة أمرَ رسول الله وما ينزل فقالوا مرة: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[13] ومرة: مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[14] وإنه شاعر،[15] وإنه ساحر،[16] ومرة قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[17] وأمثال هذا. فجائز أن كان منهم أيضا قول إن الشياطين هم الذين يتنزّلون بهذا القرآن عليه على ما ذكر

---

[1] ع: في النصب.
[2] ر م - أنه قال.
[3] ر م: أنا؛ ع - إني.
[4] صحيح مسلم، صفات المنافقين ٤٢٦؛ وسنن ابن ماجة، إقامة الصلاة ٤١؛ وسنن النسائي، السهو ١٠٢.
[5] جميع النسخ: وتقلبك.
[6] ر م- وجهك.
[7] ن + قوله.
[8] ر - لسميع.
[9] ن- وخفياتهم.
[10] ر ع م: والسميع.
[11] ن: بأعمالهم وأفعالهم.
[12] ن: قوله.
[13] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.
[14] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[15] نظر مثلا: سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٧.
[16] سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.
[17] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

أنهم قالوا: إنما يجيء به الرَّئِيّ وهو الشيطان فيلقيه على لسانه، فقال عند ذلك جوابا لهم: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]،[١] الآية. ولكن إنما يتنزل به جبريل حيث قال: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ،[٢] الآية.

ثم أخبر عن الشياطين أنهم على من ينزلون حيث قال: **هل أنبئكم على من تَنَزَّل الشياطين،** فقال: **تنزل على كل أفاك أثيم،** ذكر هذا لما عرفوا هم أن الشياطين لا يتنزلون إلا بكَذِب وباطل، فمن لا ينزل إلا بكذب وباطل لا ينزل إلا على كذاب أفّاك. وكان معلوما[٣] عندهم أن محمدا لم يكذب قط ولا أَفِكَ أبدا، إذ لم يأخذوه بكذب فيما بينهم قط، فيقول[٤] -والله أعلم- كيف يتنزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم أنه ليس بكذاب ولا أفاك، وقد تعلمون أن الشياطين لا يتنزلون[٥] إلا بكذب باطل! على هذا يخرج تأويل هذه الآيات، وإلا على الابتداء لا يحتمل أن تكون.

## ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٢٢٣]

ثم أخبر عن صنيع الشياطين فقال:[٦] **يلقون السمع وأكثرهم كاذبون،** وقال بعضهم: يلقي الشياطين بآذانهم إلى السمع في السماء لكلام الملائكة، وذلك أن الله إذا أراد أمرا في الأرض علم به أهل السماء من الملائكة فيتكلمون[٧] به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهنة، فيخبر الكهنة[٨] أهل الأرض بذلك فيقولون: إنه يكون في الأرض كذا، في وقت كذا. ثم قال: **وأكثرهم كاذبون،** على هذا التأويل، أي[٩] وأكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون الكهنة من أخبار السماء. وقال بعضهم: إن الجن كانوا يَصعَدون إلى السماء فيسترِقون أسماعهم إلى السماء فيسمعون من أخبار أهلها ثم يَنزِلون به على الكهنة ويسمع الكهنةُ[١٠] أيضا من أخبار الرسل ويَخلِطون ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدّثون الناس بذلك؛

---

[١] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.
[٢] ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٢).
[٣] ر ع م: معلوم ما.
[٤] ر ع م: فنقول؛ ن: غير منقوطة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥١ظ.
[٥] ر م: لا ينزلون.
[٦] ر ع: فقالو.
[٧] ن: فيتكلمو.
[٨] ع - فيخبر الكهنة.
[٩] ر ع م - أي.
[١٠] ع - ويسمع الكهنة.

فما كان من المرسل [فيكون] حقا، وما كان من الشياطين فيكون باطلا. فذلك تأويل قوله: **وأكثرهم كاذبون**، أي أكثر الكهنة كاذبون فيما يخبرون الناس بما[١] سمعوا من الشياطين. وقال بعضهم: كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يَخلِطون من عندِ أنفسهم كَذِبا فيحدثون به الناس حتى إذا كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء فيراجعونهم[٢] ويصدقونهم، فذلك قول الله: **وأكثرهم كاذبون**، أي أكثر قولهم كذب. والله أعلم بذلك.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[٢٢٤]

وقوله:[٣] **والشعراء يتبعهم الغاوون**، قال بعضهم: رجلان شاعران كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، فهجوا رسول الله وأصحابه. ومع / كل واحد منهما غُواة من قومه، فذلك قوله: **والشعراء يتبعهم الغاوون**. قال: فاستأذن [٥٥٠ر] شعراء المسلمين النبي أن يقتصوا من المشركين فأذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[٤] أخبر في الأول: **والشعراءُ يتبعهم الغاوون** فاستثنى شعراء المؤمنين[٥] بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا. وقال بعضهم: الشعراء عُصاة[٦] الجن يتّبعهم غواة الإنس، كقوله: شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.[٧] وقال بعضهم: هم الكفار يتبعون ضُلّال الجن والإنس،[٨] وهو مثل الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[٢٢٥] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[٢٢٦]

وقوله:[٩] **ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**، قال[١٠] بعضهم: في كل فنٍّ يأخذون، أي يمدحون قوما بباطل ويذمّون قوما بباطل. **وأنهم يقولون ما لا يفعلون**، وأنهم[١١] يصفون ما لا يعملون.

---

[١] ن: مما.
[٢] ر م: ويرجعونهم.
[٣] ن: قوله.
[٤] الآية ٢٢٧ من هذه السورة.
[٥] ر ع م: المسلمين.
[٦] ع: عصات.
[٧] ﴿وَكَذَلِكَ جعلنا لكل نبي عدو شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٧/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٥/٦.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ع م: وقال.
[١١] ع: وأنتم.

وكذلك ذكر في بعض الحروف أنه كذلك. وقال بعضهم: إنهم في كل لغو وباطل يخوضون،[1] **وأنهم يقولون ما لا يفعلون.** يقول: في أكثر قولهم يكذبون. وقال بعضهم: **وأنهم يقولون ما لا يفعلون،** أي يقولون: فعلنا كذا، وفعلنا كذا،[2] وهم كَذَبة لم[3] يفعلوا ذلك.

وقال أبو عَوْسَجة: **يهيمون.** أي يذهبون ويمضون ويركبون كل واد. هام يهيم هَيما فهو هائم. ويقال: الهائم العَطْشان، يقول: هام يهيم هَيْما، وهَيْمان عطشان، وقوم[4] هَيْم. والهائم الوامق[5] المحب الذي هو عطشان إلى لقاء من يحب. والتهويم النوم، يقال: هوّم يهوّم تهويما.[6] وقوله: فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ،[7] هم العِطاش، والواحد هيمان. وقال القُتَبي: **في كل وادٍ يهيمون،** أي في كل واد من القول وفي[8] كل مذهب يذهبون كما يذهب الهائم[9] على وجهه.[10]

**﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**[٢٢٧]

وقوله[11] عز وجل: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا،** هذا الاستثناء يحتمل أن يكون من قوله: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[12] وهو ما ذكرنا. كأنه[13] قال أولئك الشعراء، وهم القادة منهم: نحن نقول بمثل ما أتى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا[14] الشعر وانشدوه، واجتمع إليهم غُواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروُون عنهم حين[15] يهجُون النبي وأصحابه، فاستثني شعراء المسلمين الذين قالوا الشعر وأنشدوه في انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ع: يخصون.
[2] ر م – وفعلنا كذا.
[3] م – لم.
[4] ع: وقول.
[5] ومِقَه يَمِقُه، مِقةً ووَمْقًا: أحبه (*لسان العرب*، «ومق»).
[6] الهَوْم والتَّهَوُّم والتَّهويم: النوم الخفيف. وهَوَّم الرجلُ إذا هز رأسه من النُّعاس (*لسان العرب*، «هوم»).
[7] سورة الواقعة، ٥٦/٥٥.
[8] ر ع م: في.
[9] م: لهائم.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢١.
[11] ن: قوله.
[12] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.
[13] جميع النسخ: كأنهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥١ظ.
[14] ع: وقس.
[15] م: حتى.

وأصحابه فقال: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فإنهم لا يتبعهم الغاوون. أو أن يكون الاستثناء من قوله:[١] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،[٢] **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فإنهم لا يهيمون في كل واد، يقولون[٣] ما يفعلون ولا يقولون ما لا يفعلون؛ بل يذكرون الله كثيرا[٤] وينتصرون لرسوله[٥] وأنفسهم من بعد ما ظُلموا. فيكون الاستثناء في أحد التأويلين من الأتباع. وفي الآخر[٦] من الأئمة والقادة.[٧] فكان منهم قول سبق في ذلك حتى قال: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[٨] إلى آخر ما ذكر، إذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان منهم على ما ذكرنا في قوله: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ،[٩] وقوله: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ،[١٠] الآية. قد كان من أولئك الكفرة قول وطعن بأن الشياطين هم الذين يتنزلون به عليه حتى خرج جوابا لهم: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]،[١١] وإن لم يذكر ذلك، يظهر ذلك[١٢] في الجواب أن كان منهم قول وطعن وإن لم يذكر.

ثم أوعدهم فقال:[١٣] **وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون**. ويحتمل[١٤] في الآخرة في مُنقَلَب الظلمة وهي النار. أي يعلمون علمَ عِيانٍ يومئذ وإن لم يعلموا ذلك في الدنيا علم استدلال[١٥] لما تركوا النظر فيه. أو يعلمون ذلك علم عيان في الآخرة وإن علموا في الدنيا علم استدلال،[١٦] لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا. *والله*[١٧] *أعلم*.

---

[١] م: قولهم.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٥-٢٢٦.
[٣] ع + لا.
[٤] ر: كثير.
[٥] جميع النسخ: رسوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥١ظ.
[٦] ر م: في الآخرة.
[٧] ر ع: والقلادة.
[٨] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.
[٩] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠.
[١٠] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢١.
[١١] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.
[١٢] ع - يظهر ذلك.
[١٣] ر ع م: وقل.
[١٤] ن ع: يحتمل.
[١٥] ع: الاستدلال.
[١٦] ع: الاستدلال.
[١٧] ع + تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

## [1]سورة النمل وهي[2] مكية[3]

بسم الله الرحمن الرحيم.[4]

### ﴿طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١]

قوله[5] عز وجل: **طس**، قد ذكرنا فيما تقدم تأويل الحروف المعجمة وأقاويل الناس فيها، وكذلك الآيات [المذكورة على إثْرها][6] وقوله:[7] **وكتاب مبين**، يحتمل قوله: **مبين**، أي بيّن واضح، لأن [فعل] "أَبَانَ" قد يستعمل في موضع "بَانَ"، يقال: بَانَ وأَبَانَ. ويحتمل: **وكتاب مبين**، أي يبيّن أنه رسول من الله، أو يبين ما لله عليهم أو ما لبعضهم على بعض، أو ما لهم وما عليهم.

### ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

وقوله:[8] **هدى وبشرى للمؤمنين**، قوله: **هدى**، يحتمل وجهين. أحدهما دعاءٌ، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[9] أي داعٍ يدعو الخلق إلى توحيد الله تعالى. فعلى ذلك يحتمل قوله: **هدى**، أي دعاء يدعوهم إلى توحيد الله تعالى. فإن كان هذا فهو للناس كافة. والثاني جائز أن يريد بالهدى الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده، فهو للمؤمنين خاصة. وإن كان أراد به البيان والدعاء فهو للكل.[10]

---

[1] ع ن + ذكر أن.
[2] ن – وهي.
[3] ر – سورة النمل وهي مكية؛ ع + تسعون وثلث آية.
[4] ن + وبه يستعان.
[5] ر – قوله.
[6] جميع النسخ: قد ذكرنا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٢و. انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية أواخر المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة»؛ وانظر أيضا: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.
[9] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد، ٧/١٣).
[10] ع + والله أعلم.

وقوله:[١] **هدى وبشرى للمؤمنين**. جميعا؛ وعلى الدعاء يكون قوله: **وبشرى للمؤمنين**،[٢] أي يدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، فإذا آمنوا به كان لهم بشرى. ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال:

**﴿اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٣]**

[٥٥٠ظ] **الذين يقيمون / الصلاة ويؤتون الزكاة**، يحتمل قوله: **يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**، أي يُقرّون بهما[٣] ويؤمنون، لأن من الناس من كان يؤمن بالله ورسوله[٤] لكنهم أبوا[٥] الإيمان بالصلاة والزكاة، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ.[٦] لا يحتمل أن يأمرهم بحبسهم إلى أن تمضي السنة فتجب الزكاة عليهم فيؤتوا[٧] فحينئذ يُخلُّون سبيلهم، ولكن الأمر بحبسهم إلى أن يُقرّوا[٨] بها ويؤمنوا فيُخلُّون عند ذلك سبيلهم.[٩] وكذلك قوله: اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،[١٠] لَا يُؤْتُونَ،[١١] [أي] لا يقبلونها[١٢] ولا يقرّون بها،[١٣] ليس على فعل الإيتاء، فعلى ذلك الأول، يحتمل هذا. والثاني يحتمل الأمرين جميعًا: القبول والإقرار بهما[١٤] والإيتاءَ جميعًا، أي إذا قبلوهما[١٥] وأقروا بهما[١٦] وأعطوها[١٧] فحينئذ يستوجبون هذه البِشارة التي ذكرت.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م – جميعا وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين.
[٣] ر ع م: بها.
[٤] ر ع م: وبرسوله.
[٥] ع: أبو.
[٦] سورة التوبة، ٩/٥.
[٧] جميع النسخ: فيؤتون.
[٨] ع: تقروا.
[٩] ر م – سبيلهم.
[١٠] سورة فصلت، ٤١/٧.
[١١] ر م – لا يؤتون.
[١٢] ع ن: لا يقبلونهما.
[١٣] ن ع: بهما.
[١٤] ر م: بها.
[١٥] ر م: قبلوها.
[١٦] ر م: بها.
[١٧] ن: وأعطوهما؛ ع: وأعطوا أي أعطوا الزكاة.

وقوله:[1] **وهم بالآخرة هم يوقنون.** الإيقان بالشيء هو العِلم[2] به من جهة الاستدلال والاجتهاد والأسباب التي يستفاد بها العلم بالأشياء لا العلم الذاتي، ولذلك لا يوصف الله على الإيقان بالشيء ولا يقال: يا موقن، لأنه عالم بذاته لا بالأسباب. ***وبالله التوفيق.***

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤]

وقوله:[3] **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم،** يحتمل قوله: **زينا لهم أعمالهم،**[4] الأعمال التي هم فيها بما رُكِّب فيهم من الشهوات والأمانيِّ. ويحتمل: **زينا لهم أعمالهم** الأعمال التي هي [واجبة] عليهم، أي زَيَّن لهم الخيرات والطاعات لكنهم أبَوا أن يأتوا بها. فالمعتزلة قالوا بهذا التأويل وأبوا أن يقولوا بالأول أن يكون من الله تزيينُ ما هم فيه من الشرك والكفر وأنواع أفعال الكفر، إذ أضاف تزيين ذلك إلى الشيطان حيث قال: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ،[5] وقال: اَلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ،[6] ونحو ذلك من الآيات، فقالوا: أضاف[ه] إلى الشيطان ولا يجوز أن يضاف إلى الله ذلك بعينه، فدل أن الله إنما زين لهم أعمالهم[7] التي عليهم من الإيمان والخيرات، لا الأعمال التي هم فيها.

لكنْ عندنا يجوز إضافة تزيين أعمالهم التي هم فيها إلى الله من جهة ما رَكَّب فيهم من الشهوات والأماني التي تُوافق طباعهم وأنفسهم، لأن التزيين يقع بنفس الكفر وأفعاله، إذ الكفر نفسه ليس بمزيَّن ولا مستحسَن، إنما هو شَتْم[8] ربِّ العالمين. ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يَعمل من الأعمال لطباعه.[9] والجهة التي تضاف إلى الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى[10] الله،[11] إذ الجهة التي تضاف إلى الشيطان هي[12] دعاؤه وتَمنِّيه إلى ما يوافق طباعهم،

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ع م: العمل.
[3] ن: قوله.
[4] ر م – يحتمل قوله زينا لهم أعمالهم.
[5] سورة النمل، ٢٧/٢٤.
[6] ﴿إن الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطانُ سَوَّل لهم وأملى لهم﴾ (سورة محمد، ٢٥/٤٧).
[7] ع: وأعمالهم.
[8] ع – شتم.
[9] جميع النسخ: طبعه.
[10] ر ع م – الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى.
[11] م + هو ما ركب.
[12] جميع النسخ: هو.

فمن هذه الجهة يجوز إضافته إلى الشيطان. والجهة التي تضاف إلى الله هو[1] ما رَكّب فيهم من الشهوات والأماني وجعَل الطباع موافقا لها. وإلا الصدق وجميع الخيرات إنما يكون مزيّنا مستحسنا في العقل لعاقبة، والكفر وجميع المعاصي مستقبَح في العقل للعاقبة. إذ[2] حُمِد أحدهما وأُثِيب على فعله وذُمّ الآخر[3] وعوقب لسوء اختياره. أو أن يكون إضافة ذلك إلى الله لما خلق أفعالهم وأعمالهم التي عملوها وأخرجها من العدم إلى الوجود، وهي من هذه الجهة فعله. وهو يردّ قولَهم في إبائهم خلْقَ أفعال العباد.[4]

وقوله:[5] **فهم يعمهون**، قيل: يترددون؛ وأصل العَمَه الحيرة،[6] أي يتحيّرون.

**﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[٥]**

**أولئك الذين لهم سوء العذاب**، أي لهم ما يسوءهم من العذاب في الآخرة لاختيارهم سوء الأفعال في الدنيا. **وهم في الآخرة هم الأخسرون**، الأخسرون والخاسرون واحد. وجائز أن يقال: هم الأخسرون للقادة منهم والرؤساء، لأنهم ضلّوا بأنفسهم وأضلّوا غيرهم، هم أخسر من الأتباع،[7] كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[8]

**﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٦]**

وقوله: **وإنك لتلقى القرآن من لَدُن حكيم عليم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لتلقى القرآن** من الله على يدَي رسوله وهو جبريل. وجائز أن يكون **حكيم عليم** هو جبريل نفسه،[9] أي إنك لتلقى القرآن من لدن جبريل، وهو حكيم يضع الوحي والقرآن حيث أُمِر بوضعه فيه، إذ الحكيم هو المصيب في فعله الواضع للشيء موضعه، وعليم بما أمر به وأُرسل وهو كذلك كان.

---

[1] جميع النسخ: هو.
[2] جميع النسخ: إذا.
[3] ر ع م: لآخر.
[4] ع + والله أعلم. أي قول الله هذا يرد رأي المعتزلة في امتناعهم عن قبول خلق أفعال العباد.
[5] ن: قوله.
[6] ر: الحيرت.
[7] ر ع م: ومن لأتباع.
[8] ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ (سورة النحل، ٢٥/١٦)
[9] م: نفسه.

إذ يجوز أن يقال للمخلوق: حكيم عليم، ألا ترى[1] إلى قول[2] يوسف:[3] إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ،[4] فعلى ذلك هذا جائز، والأول أشبه؛[5] أي إنك لتأخذ القرآن من لَدُن حكيم عليم على يدي رسوله[6] جبريل، فما يأخذ من رسوله كأنه يأخذ من عند مرسله، إذ الرسول إنما يؤدي كلام مرسله.[7] وقال أبو عَوْسَجَة: **وإنك لَتُلقَّى القرآن**، يقال: تلقّيته أخذته. ولقّيته وتلقّيته واحد.[8] وكذلك قال القُتَبي: **لَتُلقَّى**، أي لتأخذه.[9] وقال محمد بن إسحاق: **وإنك لَتُلقَّى القرآن**، أي لَتُؤتَى بالقرآن، كقوله: وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا،[10] أي وما يؤتاها.[11] ***والله أعلم***.

**﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾**[٧]

وقوله:[12] **إذ قال موسى لأهله إني آنست نارًا**، قيل: رأيت وأبصرت. **سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس**، وقال في آية أخرى:[13] لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى.[14] هذا يدل أنه كان ضلّ الطريق على ما ذكره أهل التأويل. وقال في آية أخرى: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.[15] ذُكِر على التقديم [٥٥١و] والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، والقصة واحدة والممتحن بذلك موسى لا غيرُ.

---

[1] ن: يرى.
[2] ر ع م: قوله.
[3] ر + قال.
[4] ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (سورة يوسف، ٥٥/١٢).
[5] ع: يشبه
[6] ر: رسول الله.
[7] ر: مرسل.
[8] ر م – ولقيته وتلقيته و حد؛ ع – واحد.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٢.
[10] ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (سورة فصلت، ٣٥/٤١).
[11] جميع النسخ: يؤتيه.
[12] ن: قوله.
[13] ع + في سورة طه.
[14] ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ (سورة طه، ٩/٢٠-١٠).
[15] سورة القصص، ٢٩/٢٨.

فهذا يدل أنْ ليس على الناس تكلّف حفظ الألفاظ والحروف بلا تقديم ولا تأخير[1] ولا تغيير بعد أن أصابوا المعنى المودَع فيها، أعني في الألفاظ، وحفظوها من غير تغيير يدخل في المعنى المودَع. إذ قصة موسى هذه[2] وغيرها من قِصص الأنبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، ليُعلم أنْ ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف[3] في كثير من الأحكام في الشهادات والأخبار وغيرها، إنما عليهم إصابة المعنى.[4]

ثم قوله:[5] **بشهاب قبس،** قال بعضهم: الشهاب خَشَبة في طرَفها نار. والقبَس النار. وشُهْبان[6] جميع، ولا تسمى[7] النار قبسًا إلا ما يُحمل من موضع إلى موضع. يقال: قبَستُ النار قَبْسًا واقتبست، وهو قول أبي عَوْسَجة والقُتَبي.[8] وقال بعضهم: القبس الجَمْر، والشِّهاب النار الموقَدة، وهو قول أبي عبيدة.[9] وقال بعضهم: الشهاب النور، والشهاب الكوكب،[10] سمّي شهابًا لضوئه ونوره. وقال بعضهم: **بشهاب قَبَسٍ،** أي شُعلة من نار، والجَذوة كأنها خشبة فيها نار، وهو مثل الأول. ودل قوله: **لعلكم تصطلون،** على أن الوقت وقتُ البرد وأيامُ الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء. *والله أعلم.*

**﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[8]

وقوله:[11] **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها،** اضطربت أقاويل أهل التأويل في هذا. صرف بعضهم[12] تأويله إلى ما لا يزيده[13] إلا سَماجةً وبُعدا عن الحق والصواب وعَمًى.

---

[1] م: وتأخير.
[2] ن - هذه.
[3] ر ع م - ليعلم أن ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف.
[4] انظر مفصلا: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٥٢ط.
[5] ر: وقوله.
[6] ر: والشهبان.
[7] جميع النسخ: ولا يسمى.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٢.
[9] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٩٢؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/١٥٧.
[10] ر ع م: الكواكب.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م: بعضه.
[13] ع: إلى ما يريده.

لكن لو جاز أن يعبّر ويكنى بحرف "مَن" عن[1] غير مميّز وغير ذي فهم وعقل لاستقام التأويل فيه ولم يقع فيه شُبَهُ فيُجعل كأنه قال: أن بورك ما فيه النار[2] وما حولها،[3] ويكون عبارة عن المكان الذي فيه النار وما حولها[4] من الأمكنة، أي بورك في ذلك المكان الذي فيه النار وما حولها،[5] لأنه قال في آية أخرى:[6] إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى،[7] أي طَوَى فيه البركات، وقال في آية: بَارَكْنَا حَوْلَهُ،[8] أخبر[9] عن بركة ذلك المكان. فعلى ذلك لو جاز أن يعبّر بحرف "مَن" عن غير المميز و[ذي] الفهم ويكنَّى به جاز صرف التأويل إلى ما ذكرنا من المكان. أو يقال: **بورك من في النار ومن حولها**، أي بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستنار به ويستضاء، وهو ما استفاد به من النبوة والرسالة. هذا كله إذا جازت العبارة والكناية بحرف "مَن" عن غير ذي التمييز والفهم. فإن جاز هذا لاستقام[10] أن يقال هذا.

أو أن يكون التأويل منصرفا إلى ما ذُكر[11] في حرف ابن مسعود وأبيّ على طرح حرف "مَن" وحرف[12] "في"، ذُكر أن في حرفهما:[13] نودي أن بوركت[14] النار ومن حولها؛[15] وذلك جائز في اللغة أن يقال: بورك في فلان، وبورك فلانا، وبورِكتَ وبوركَ فيك. وكذلك ذكر عن الكسائي أنه قال ذلك. فإن كان ما ذكر عن ابن مسعود وأبيّ ثابتًا صحيحًا لم يقع فيه شبهة ولا ريب.

---

[1] ن: من.
[2] ر ع م: ما فيه من النور.
[3] ر م: حولهما.
[4] ر م: حولهما.
[5] ر: وما حولهما.
[6] ن – أخرى.
[7] ﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ (سورة طه، ٢٠/١١-١٢).
[8] ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١).
[9] ر م – أخبر.
[10] ع: الاستقام.
[11] ر م: ذكره.
[12] ع: حروف.
[13] القراءة لم ترد في مصحف ابن مسعود، انظر: *تفسير القرطبي*، ١٣/١٥٨؛ و*كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
[14] ر: بورك.
[15] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٢.

أو إن لم تجز[1] العبارة بحرف "مَن" عن[2] غير [ذي] التمييز فحئز أن يصرف حرف "مَن" إلى موسى فيكون كأنه قال: بورك في الذي أتى النار وهو موسى، أو بورك[3] فيمن جعل له اقتباس النار. فينصرف تأويل "مَن" إلى موسى وقد جعل له من البركة في تلك النار ما[4] لا يحصي من استفادة النبوة والإرشاد إلى الطريق والاصطلاء وغير ذلك. *والله أعلم*.[5]

وقوله:[6] **وسبحان الله رب العالمين**، ذكر هذا -والله أعلم- تنزيها عن جميع ما قاله بعض أهل[7] التأويل وتبرئة[8] منه عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي إلى التشبيه والشُّبَه.[9]

**﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٩]

وقوله:[10] **يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**، أي الذي أعطاك ذلك [هو] الله العزيز الحكيم. أو يقول: أي الذي جعل لك ذلك: الله العزيز الحكيم. أو أن يقول: إنه[11] الذي أراك هذا وأكرمك به: **أنا الله العزيز الحكيم**. أو أن يقول: إنه الذي أراك، أي الذي جعل لك ذلك: **الله العزيز الحكيم**.[12] **العزيز** الذي لا يُعجزه شيء، **الحكيم** المصيب في فعله غير مخطئ. أو أن يقال: عزيز لا يَذِلّ أبدًا قطّ، لأنه عزيز بذاته، حكيم[13] يضع كل شيء موضعه لا يخطئ. قال أبو معاذ وقال[14] مقاتل بن سليمان:[15] **يا موسى إنه**، يقول:

---

[1] جميع النسخ: لم يجز.
[2] ن: من.
[3] ر + أو بورك.
[4] ع: ومن.
[5] ع + بذلك.
[6] ن: قوله.
[7] ر م - أهل.
[8] ر ع م: تبرئة.
[9] أي ما يستدل بها الخصم كالدلائل.
[10] ن: قوله.
[11] يلاحظ أن هذا الضمير ضمير شأن لا مرجع له.
[12] ن - أو أن يقول إنه الذي أراك أي الذي جعل لك ذلك الله العزيز الحكيم.
[13] جميع النسخ: الحكيم.
[14] ر م: قال.
[15] «قال معاذ ومن تبعه من أهل التأويل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٣و).

إن النور الذي رأيت: **أنا الله.**[١] وهذا محال لا وجه له، لأنك لا تقول: "إن الذي رأيتَ أنا الإنسانُ" رآه، أو لشيء آخر، ولكن تقول:[٢] أنا الذي رأيتَ. ومحال أيضًا قوله لِمَا ذُكر في حرف ابن مسعود: نودي يا موسى لا تخف[٣] [**أنا الله العزيز الحكيم**]،[٤] يكلمه الله ويخاطبه، ثم يقول: إن النور الذي رأيتَ أنا. ومحال أيضًا لقول الله: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ.[٥] قال الله: فَلَمَّا أَتَاهَا،[٦] ولم يقل: أتاه.[٧] ومحال أيضًا أن يكون الله نعتا لأنك لا تقول:[٨] الذي رأيتَ أنا أخوك. {فقال [الإمام]}: قول مقاتل محال من أربعة أوجه خلاف لظاهر الآية. وأصحه ما ذكرنا فيما تقدم.

**﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾**[١٠]

وقوله: **وألقِ عصاك فلما رآها تهتز**، في الآية الأمرُ بإلقاء العصا،[٩] ولم يذكر أنه ألقاها ولكن فيه إضمار: ألقِ عصاك فألقاها. **فلما رآها تهتز**، أي تتحرك **كأنها جانّ.** ذكر أهل التأويل أن الجانّ هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه أخبر أن موسى خافها وولّى مدبرًا. وموسى / لا يحتمل أن يخاف[١٠] من حية[١١] صغيرة على الوصف الذي ذكر، فكأنها كانت [٥٥١ظ] عظيمة لكنها في تحركها والتوائها كأنها صغيرة، إذ الحية[١٢] العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغيرة، لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال: **لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون.**

---

[١] *تفسير القرطبي*، ١٣/١٦٠.
[٢] ن: يقول.
[٣] هذه القراءة غير واردة في *كتاب المصاحف* للسجستاني، انظر: ٦٩.
[٤] الزيدة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣و.
[٥] سورة النمل، ٢٧/٧.
[٦] ﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾ (سورة طه، ٢٠/١١).
[٧] ع: إياه.
[٨] م – بأن.
[٩] ر ع: العصاء.
[١٠] ن: أن تخاف.
[١١] ع: في حية.
[١٢] ع: إذ حية

وقوله: **ولم يعقّب**، قال بعضهم: لم يرجع،[1] وقال بعضهم: لم يلتفت؛[2] وهو مأخوذ من العَقِب. والجانّ، قال[3] بعضهم: من الجن، والجان الحيّة،[4] ولا يكون إلا من الجن. وهو قول[5] أبي عبيدة.[6]

وقوله:[7] **لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون**، فإن قيل: كيف نهاه عن الخوف وأخبر أنه لا يخاف لديه[8] المرسلون؟ وقد مدح الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ،[9] وقال في آية أخرى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،[10] و[قال في آية أخرى:] تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً،[11] وأمثال ذلك من الآيات مما فيها مدحهم بالخوف من ربهم. لكنه يخرج على وجوه. أحدها أنه قد أمّن موسى حيث قال: وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ،[12] فكأنه قال هاهنا: لا تخف بعد ما أمّنتك، **إني لا يخاف لديّ المرسلون** إذا أمّنتهم. والثاني لا تخف من غيري **إني لا يخاف لدي المرسلون** من غيري. فكأنه[13] -والله أعلم- على هذا التأويل إنما نهاه عن الخوف من غيره وأخبر أنه لا يخاف لديه المرسلون من غيره.[14] والثالث إخبار وأمن منه من خوف الآخرة وأهوالها كأنه قال: لا تخف فإني سأؤَمِّن المرسلين من خوف يومئذ. ثم استثنى فقال:

**﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١]**

**إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء**، هذا أيضًا يخرج على وجوه. أحدها لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ **إلا من ظلم** إذا بدل حسنا بعد سوء. والثاني لا يخاف لديّ المرسون ولكن من ظلم

---

[1] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٢.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ١٠٩/٤.
[3] ع: وقال.
[4] ع: والحية.
[5] ع: وقول.
[6] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٢.
[7] ن: قوله.
[8] ع: لدي.
[9] ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة النحل، ٥٠/١٦).
[10] ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة السجدة، ١٦/٣٢).
[11] ﴿قل من يُنجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخُفْيَةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).
[12] ﴿وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولّى مُدبرا ولم يُعقِّب يا موسى أقبل ولا تخفْ إنك من الآمنين﴾ (سورة القصص، ٣١/٢٨).
[13] جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٣و.
[14] ر ع م - من غيره.

ممن سواهم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني[١] غفور رحيم، له[٢] رجاءُ المغفرة وطمع العفو فيما كان منه. والثالث لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم منهم، نحو موسى بقتله النفس و[نحو] إخوة يوسف، ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فإنه لا[٣] يخاف أيضًا. *والله أعلم*.

**﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[١٢]**

وقوله: **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**، فالله تعالى قادر أن يجعل يده بيضاء من غير إدخاله إياها في جيبه لكنه امتحن موسى بالأمر بإدخالها في جيبه. وكذلك قادر أن يصير عصاه في يده حيّة لكنه امتحن بالأمر بإلقائها. ولله أن يمتحن عباده بكل أنواع المحن.

وقوله:[٤] **تَخْرُجْ بيضاءَ مِن غير سوء**، قيل: من غير آفة من بَرَص أو غيره. وقد ذكرنا معناه فيما تقدم.[٥]

وقوله:[٦] **في تسع آيات إلى فرعون وقومه**، قال بعضهم: يدُ[٧] موسى في تسع آيات، أي مِن تسع آيات.[٨] وقد يجوز استعمال حرف "في" مكان [حرف] "مِن"،[٩] كما يقال: لفلان كذا كذا نُوقا، فيها فَحْلان، أي منها فحلان. وقال بعضهم: **في تسع آيات**، [أي مع تسع آيات][١٠] قال أبو معاذ: وقد[١١] يكون معنى "في" و"مع" واحدًا[١٢] فيما لا يحصى عدده، تقول: خرجتُ في أهل مَرْوَ إلى أهل مكة، و[خرجتُ] مع أهل مَرْوَ إلى[١٣] مكة. فإذا قلت: خرجتُ في تسعة،

---

[١] ر ن م: فإنه.
[٢] ر ع م - له.
[٣] ر م - لا.
[٤] ن: قوله.
[٥] انظر: تفسير الآية ٢٢ من سورة طه.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ع م - يد.
[٨] ر ع م - أي من تسع آيات.
[٩] ر ع م - من
[١٠] والزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٣ظ.
[١١] ر: قد.
[١٢] ن: واحد.
[١٣] ع: وإلى.

و[حرجتُ] مع تسعةٍ[1] اختلفا [معيَّ]. لأنك[إذ][2] أحصيت العدَ[3] في تسعة أنت تاسعهم ومع تسعةٍ أنت عاشرهم. وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول. كأنه قال لرسوله محمد: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون،[4] كما قال: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.[5]

وقوله:[6] **إلى فرعون وقومه،** دل هذا أنه كان مبعوثا إلى فرعون وقومه جميعًا، إذ[7] ذكر في آية إلى فرعون خاصة،[8] وفي آية أخرى:[9] إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[10] وذكر هاهنا: **إلى فرعون وقومه،** فكان مبعوثا إلى الكل.

**﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١٣]**

وقوله:[11] **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة،** أي يُبصَر بها ويُعلَم، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[12] أي يُبصر به. وقرأ بعضهم: مُبْصَرة بنصب الصاد،[13] أي بيّنة ظاهرة يُبصر فيها. وكذلك قال موسى لفرعون: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ.[14]

**قالوا هذا سحر مبين.** لم تزل[15] عادة فرعونَ اللعينِ [وملئِه] تلبيسَ أمر موسى وآياته على قومه لئلا يؤمنوا[16] به ولا يطيعوه فيما يدعوهم. مرة **قالوا هذا سحر مبين،**[17] و[مرة قال:]

---

[1] ر ع م – ومع تسعة.

[2] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.

[3] ن: لعدة.

[4] «وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول، يعني قد تم الكلام بقوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾، ثم ابتدأ فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون وقومه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٣ظ).

[5] سورة الإسراء، ١٠١/١٧؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٣٢/٧-١٣٦.

[6] ن: قوله.

[7] ر م: إذ.

[8] ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (سورة طه، ٢٤/٢٠).

[9] ن – أخرى.

[10] ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ (سورة الأعراف، ١٠٣/٧).

[11] ن: قوله.

[12] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[13] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٥٩/٣.

[14] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.

[15] جميع النسخ: لم يزل.

[16] ع + بالله.

[17] جميع النسخ: قال هذا لساحر مبين. وهو غير وارد في القرآن معزوًّا إلى فرعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.

إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ.[1] وأمثال ذلك مما يلبس على قومه أمره ويُغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم إليه ولا يجيبوه.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٤]

وقوله:[2] **وجحدوا بها**، أي جحدوا[3] بالآيات. وجائز في اللغة أن يقال: جحَدَ بها وجَحَدَها، كلاهما واحد.[4] ثم قال بعضهم: إن الجحود لا يكون إلا بعد العلم به والإيقان، ولكن يجوز أن يقال: جحَد بعدَ المعرفةِ والعلمِ وقبلَ أن يعلم به ويعرف[ه]، إذ الجحود ليس إلا الإنكار، وقد يكون الإنكار للشيء لجهل به و[قد يكون][5] بعد المعرفة. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة جحدوا بها ظلمًا وعُلُوًّا واستيقنتها أنفسهم أنها من الله وأنها آياته[6] ليست بسحر. ولو كان سحرًا في الحقيقة لكان آية لأن السحر على غير تعلّم يكون منه آية سماوية.

وقوله: **ظلما** لأنهم جحدوا الآيات وسمَّوها[7] سحرًا فوضعوا الآيات موضع السحر، لم يضعوها موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وقوله:[8] **وعُلُوّا**، أي تكبّرًا وعنادا.

**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**، ليس على الأمر له بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه أولئك والزجرِ لهم عما هم / فيه، أي انظر ما يَنزل بهم بجُحود[9] الآيات وعنادهم فيها على ما نزل[10] بأوائلهم. *والله أعلم*. [٥٥٢ر]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[١٦]

وقوله: **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**،

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٣٤-٣٥.
[2] ن: قوله.
[3] ر ع م - بها أي جحدوا.
[4] ن - واحد. انظر: *لسان العرب*، «جحد».
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.
[6] ع: آيات.
[7] ر ع م: وسمو.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع م: الجحود.
[10] م: ينزل.

فيه وجهان من الاستدلال. أحدهما في خلق أفعال العباد. والثاني في ترك الأصلح. أما الاستدلال على خلق الأفعال لأنه قال: **آتينا داود وسليمان عِلما**، وقال على إثره: **عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير**، وقال في رسول الله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ،[1] وقال: اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ.[2] ونحوه من الآيات فيما أضاف التعليم والفِعل إلى نفسه. فلو لم يكن له في ذلك صُنعٌ لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه خَلَق أفعالهم منهم.

فإن قيل: إنما أضاف[3] ذلك إلى نفسه بالأسباب التي أعطاهم.[4] قيل: لا يحتمل ذلك، لأنه قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أسباب الشعر ولم يكن غيره من الشعراء أحق بأسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخبر أنه لم يعلمه الشعر، دل أنه لم يُرِد به الأسباب ولكن أراد ما ذكرنا.

وأما في ترك الأصلح فهو ما ذكر من قوله: **ولقد آتينا داود وسليمان علما... وقال [سليمان]: يا أيها الناس عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير وأوتينا من كل شيء**. إنه إنما ذكر هذا على الامتنان والإفضال، فلو كان لا يجوز له أن لا يعطيه ذلك ولا كان له تركُ ما فعل بهم من الإفضال لم يكن لذكر ذلك له على الإفضال والامتنان معنىً، ولا كان داود وسليمان يَحمَدان على ما أعطاهما، ولا كان هو يستوجب الحمد بذلك إذ فعل ما عليه أن يَفعل. دل أنه إنما أعطى ذلك لهم وفعل[5] بهم ذلك على جهة الإفضال والامتنان، وكان له ترك ما فعل وإن كان ذلك لهم أصلح في الدين. فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم في إنكارهم خلق الأفعال وجواز ترك الأصلح في الدين.

ثم قوله: **علما**، قال بعضهم علما بالقضاء والحكم، والعلمَ بكلام الطير والدواب. وقال بعضهم: فضْلا بالنبوة والعلم. لكن عندنا ذَكَر أنه آتاهما العلم ولم يبيّن ما ذلك العلم، ولا يفسّر ذلك العلمَ[6] أنه علم ماذا مخافةَ الكذب على الله. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة يس، ٣٦/٦٩.
[2] سورة الرحمن، ٥٥/١-٤.
[3] ع – التعليم والفعل إلى نفسه فلو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه خلق أفعالهم منهم فإن قيل إنما أضاف.
[4] «فإن قيل: إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه هو الذي أعطاهم أسباب تحصيل ذلك العلم، والإضافة إلى السبب شائع في اللغة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٣ظ).
[5] ع: وفعلي.
[6] ر ع م – ولا يفسر ذلك العلم.

وقوله:[١] **وورِث سليمانُ داودَ**، قال[٢] أهل التأويل: ورِث النبوة والحكم. والوارث هو الباقي بعد هلاك الآخر وفنائه، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[٣] أي نبقى بعد هلاك أهلها وفنائهم، وقوله: وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ،[٤] أي الباقون بعد فنائهم، لا[٥] أنه ورِث شيئا لم يكن له من قبل؛ وكذلك قوله: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[٦] الآية، أي أبقاكم وتركَكم في أرضهم وديارهم، وقوله: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا،[٧] أي أُبقِيتم فيها، وأمثال ذلك كله راجع إلى البقاء. فعنى ذلك قوله: **وورث سليمان داود**، أي بقي في ملكه ونبوته. وعنى ذلك ما سأل زكريا ربه من الولد حيث قال: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ،[٨] لا يُحتمل أن يسأل ربه ولدا يرث ماله من بعد وفاته، ولكن كأنه سأل ربه الولد ليبقى في نبوته ورسالته بعد وفاته لتبقى[٩] النبوة في نسله. ***والله أعلم.***

وقوله:[١٠] **وقال يا أيها الناس عُلِّمْنا منطقَ الطير وأُوتينا من كل شيء**، لا يحتمل أن يذكر هذا[١١] صلوات الله عليه على الافتخار والتِّياهة، ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي أعطاها[١٢] ومَنَّ عليه [بها]، كقوله: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.[١٣] ألا ترى[١٤] أنه قال: **إن هذا لهو الفضل المبين.**

ثم قوله: **وأوتينا من كل شيء**، لا يَحتمل كلَّ شيء لأنهم لم يؤتوا كلّ شيء حتى لم يبق شيء، إنما أوتوا شيئا دون شيء، ولكن كأنه قال: **وأوتينا من كل شيء** سألناه أن يؤتينا.[١٥] أو أن يكون: **وأوتينا من كل شيء** مما يؤتى الأنبياء والملوك وما يُحتاج إليه. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م: وقال.
[٣] سورة مريم ٤٠/١٩.
[٤] ﴿وإن لنحن نُحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ (سورة الحجر، ٢٣/١٥).
[٥] ر م: إلا.
[٦] سورة الأحزاب، ٢٧/٣٣.
[٧] ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (سورة الزخرف، ٧٢/٤٣).
[٨] سورة مريم، ٥/١٩-٦.
[٩] جميع النسخ: ليبقى.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ن – هذا.
[١٢] جميع النسخ: أعطاه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٤و.
[١٣] سورة الضحى، ١١/٩٣.
[١٤] ن: يرى.
[١٥] ن: أن انؤتين

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٧]

وقوله: **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعون،** قال[١] بعضهم: قوله: **فهم يُوزَعون،** أي يحبس أولهم[٢] على آخرهم كأنه لا يَدَعُهم أن ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيّرهم مجموعين، على كل صف منهم وَزَعَة ترد أوّلهم على آخرهم، وذلك من سيرة الملوك وأمراء العساكر أن يسيّروا جنودهم مجموعةً غير منتشرة[٣] ولا متفرقة. وقال أبو عَوْسَجة: **فهم يُوزَعون،** أي يساقون. ويقال: أوزِعْني، أي أَلهِمْني. والوَزْع من الكف والسَّوق، تقول: وزَع، أي كفّ،[٤] ووزَع، أي ساق. وقال مرة: يوزَعون يجتمعون، يقال: وزَعْتُ الإبلَ، أي جمعتُه، أزَع وَزْعا. وقال القُتَبي: **يُوزَعون،** أي يُدفعون. وأصل الوَزْع الكف والمنع، يقال: وَزَعْتُ الرجل إذا كففْتُه. ووازِع الجيش هو الذي يكفّهم عن التفرق[٥] والانتشار وهو على ما ذكرنا.[٦]

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٨]

وقوله: **حتى إذا أتوا على وادِ النمل،** هذا يدل أن النمل وقتئذ لا تخالط الناس حيث أضاف الوادي إليها بقوله: **حتى إذا أتوا على واد النمل،** ولو كانت تخالط الناس كهي الآن [٥٥٢ظ] لَقال: حتى إذا أتوا على الوادي الذي فيه النمل، / دل أنها كانت لا تخالط الناس وكان لهن مكان على حِدة. ***والله أعلم.***

وقوله:[٧] **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون،** يخرج قوله: **قالت نملة،** على وجهين. أحدهما[٨] على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر، [وقد] أَطْلَع الله سليمان [على] ذلك وألقاه في مسامعه لطفا منه وفضلا من بين سائر الخلائق، على ما ذكرنا في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[٩] الآية.

---

[١] ن: وقال.
[٢] ع: ولهم.
[٣] ر م: منتشر.
[٤] ر كف.
[٥] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٣.
[٦] ر ع م: دكر.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر ع م - أحدهما.
[٩] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ٤٤/١٧).

والتاني أن يجعل الله في سِرِيَّة النمل معنىً يفهم بعضها من بعض لما يريدون فيما بينهم من أنواع الحوائج على غير حقيقة القول. [وقد] أطلع الله سليمان عى ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا. وهو كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا.[1] ليس أحدٌ يقول لآخر إذا تصدّق عليه ذلك، لكن الله أخبر عما علم من ضميرهم ومرادهم من التصدق[2] على غير حقيقة القول منهم. فعلى ذلك قول النمل، أخبر سليمانَ عما كان في سِرِيَّتها فيما بينهم من غير أن كان منها نطق أو كلام يفهم به[3] الخلق. ***والله أعلم.***

وقالت الباطنية: ليس المراد من ذكر النمل النملَ[4] المعروفة وقولَها. وكذلك قالوا في الهُدْهُد[5] إنه لم يُرِد به الهدهد المعروف، إذ لا يجوز أن يكون[6] لبهدهد من العلم أكثرُ مما يكون لسليمان ولغيره، ولكن أراد به الرجل وهو الإمام الذي يدعو الناس إلى الهدى ويدلهم على الرشد. وليس كما قالوا لأنه إنما ذكر هذا[7] على التعجب، ولو كان ذلك إنسانا ممن يكون له قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبيرُ تعجُّب ولا فائدة، دل أنه ليس كما قالوا.

وقوله: **لا يَحْطِمَنَّكم**، أي لا يَكْسِرَنَّكم، والحَطْم هو الكَسر. وفي حرف ابن مسعود: لا يَحْطِمُكم[8] على طرح النون والتشديد.[9]

وقوله: **وهم لا يشعرون**، قال بعضهم: هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه لعدله في ملكه وسلطانه: إنه لو شعر بكم لم يَحطمكم ولم يُهلككم. وقال بعضهم: **وهم لا يشعرون**، أي لا يشعر جنوده كلام النمل. وهذا يدل أن النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدتها حيث قالت ذلك[10] من بين غيرها من النمل. وعلى كل رئيسٍ وسيدِ القوم أن يحفظ رعيته

---

[1] سورة الإنسان، ٧٦/٩.
[2] م: من الصدق.
[3] ر ع م: منه.
[4] ر ع م - النمل.
[5] انظر: الآية ٢٠ من هذه السورة.
[6] ر ع م - أن يكون.
[7] م - هذا.
[8] ر ن ع: لا يحطمنكم.
[9] وهي قرءة الأعمش، انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٦١/٣؛ قراءة ابن مسعود وردت على: دخلْنَ مساكنكنَ لا يَحطمنكنّ؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٢.
[10] ن - ذلك.

وحواشِيَه عن المهالك[1] وما[2] يحملهم على الفساد. وقول مَن قال: إن النمل يومئذ كانت كالذباب عظيما لا يحتمل، لأنها لو كانت كما ذكر لم يكن لقوله: **وهم لا يشعرون** معنى لأنها لو كانت كالذباب يشعرون بها، فدل أنها كانت على ما هي اليوم. ***والله أعلم.***

**﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**[١٩]

وقوله:[3] **فتبسم ضاحكا من قولها**، قال بعضهم: **تبسم ضاحكا**، أي سبّح الله لما فهم من قول النمل وحمد عليه. وتبسُّم الأنبياء التسبيح؛ وجائز أن يكون التبسم هو السرور، إذ التبسم إنما يكون لسرور يدخل في الإنسان. فقوله: **فتبسم ضاحكا**، أي سُرّ بما أعطاه الله من عِظَم النعمة له والملك، ألا ترى[4] أنه سأل ربه الإلهام ليشكر نعمه التي آتاه الله حيث قال: **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ**، سأل ربه[5] الإلهام واللطف الذي يكون فيه ليشكر نعمه.[6] ولو كان الإلهام هو الإعلامَ على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان ليسأله ذلك لأنه كان يعلم أن عليه شكرَ نعمه، وكذلك يعلم كل أحد أن عليه شكر مُنعمه، فدل سؤاله الإلهام على الشكر أنه إنما سأل اللطف الذي عنده به يشكر نعمه إذا أعطاه، وهو التوفيق لا الإعلام[7] الذي قالوه.

وقوله: **وعلى والدَيّ**، فيه أنه[8] يجب على المرء شكر النعم التي أنعم الله على والديه. وسأل ربه أيضا أن يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال:[9] **وأنْ أعمَلَ صالحا ترضاه**.

وقوله:[10] **وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**، جائز أن يكون سؤاله هذا بإدخاله فيما ذكر كسؤال يوسف حيث قال: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[11] سأل ربه التَوَفِّيَ

---

[1] ر ع م – عن المهالك.
[2] ر ع م: أو ما.
[3] ن: قوله.
[4] ن: يرى.
[5] خ: به.
[6] وعبارة الشرح هكذا: (ورقة ٥٥٤و): «سأل ربه تعالى الإلهام واللطف والتوفيق الذي يقدر [به] على شكر نعمه».
[7] ر: لا إعلام.
[8] جميع النسخ: أن.
[9] ر م – قال.
[10] ن: قوله.
[11] سورة يوسف، ١٠١/١٢.

على الإسلام والإلحاق بالصالحين. فعلى ذلك سؤال سليمان يشبه أن يخرج على ذلك. ثم فيه دلالة أن النجاة ودخول الجنة إنما يكون برحمة الله لا بالعمل، حيث قال: **وأدخلني برحمتك**، بعد ما سأل ربه العمل الصالح المرضيّ عنده.[1]

وقوله: **أوزِعْني**، أي ألهمني. والإيزاع الإلهام،[2] والوَزْع الكفّ والسَّوق. وقال القُتَبي: وأصل الإيزاع الإغراء بالشيء، يقال: أوزعتُه بكذا، أي أغريتُه، وهو موزَع بكذا ومولَع بكذا.[3]

**﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾**[٢٠] **﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾**[٢١]

وقوله: **وَتَفَقَّدَ الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**، عن ابن عباس رضي الله عنهما[4] قال:[5] [أ]تدرون كيف تفقد سليمان الهدهد؟ ثم قال: إنه إذا كان في فَلاة من الأرض دعا الهدهد فسأله عن بُعد الماء في الأرض وغَوْره فهو يعلمه من بين غيره من الطيور، لذلك تفقده وسأله عن حاله.[6] وذكر أنه سأل ابن سلام عن ذلك فأخبره[7] بذلك.[8] لكن هذا بعيد،[9] لأن سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة. ذكر أنها كانت تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل عَشِيّة كذلك، وهو قوله: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا / شَهْرٌ،[10] فلا يحتمل أنه إذا وقعت له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى [٥٥٣و]
يحتاج إلى أن يُحْفَر له البئر فيُستخرَج منها[11] الماء. أو ما[12] كان له من الشياطين والجن مسخَّرين له مذللين حتى قال واحد منهم: أَنَا آتِيكَ بِهِ، يعني عرش بلقيس، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ،

---

[1] ر م - عنده.
[2] ر ع م: إلهام.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٣.
[4] ن م: عنه.
[5] ع + لا.
[6] *تفسير الطبري*، ١٩/١٤٤.
[7] ر م: فأخبر.
[8] *تفسير القرطبي*، ١٣/١٧٧-١٧٨.
[9] ن: يبعد.
[10] سورة سبأ، ٣٤/١٢.
[11] ر ع م: منه.
[12] ر م: وما

وقال الآخر: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.[1] فمن له سلطان وقوة على القَدْر الذي ذُكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء، وإذا وقعت[2] يحتاج إلى أن يتكلّف وصوله إليه بالهدهد مع تكلُّف الحفر في الأرض. هذا يَبعُد جدا.[3] *والله أعلم*. إلا أن يخرج على الامتحان ويكون تفقّده الطيرَ لِما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه إياهم عن الانتشار في الأرض والتفرق، لا لِما ذكروا هم،[4] والله أعلم، لِما على كل ملك وأمير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن أحوالهم وأسبابهم، فعلى ذلك هذا.

ثم يحتمل أن يكون مِن كل صنف من الطير واحدٌ لا عددٌ حتى قال: **ما لي لا أرى الهدهد،** إذ لو كان عددا من الهَدَاهِد لقال: ما لي لا أرى هدهدا[5] من الهداهد، إلا أن يكون الذي فقده كان رئيسا لغيره من الهَدَاهِد وسيدهم.[6] فجائز أن يقال ذلك: **ما لي لا أرى الهدهد** من بين غيرهم، يغيب عن بصري ولا أدركه، **أم كان من الغائبين** منهم. فكأنه سأل واحدا منهم عن ذلك فأخبِر أنه من الغائبين فعند ذلك قال: **لأعذبنه عذابا شديدا**، الآية.

فقالت الباطنية في ذلك: إن سليمان لا يحتمل أن يعذِّب مَن ليس بمخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم، فدل وعيده إياه من التعذيب والذبح أنه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطَب ويُجرَى عليه القلم. وكذلك قالوا في النملة: إنه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم، وأما النملة المعروفة فلا يحتمل.

لكن الجواب لهم في ذلك أن الله خلق هذه الدواب والطير وغيرها من الأشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم، فجائز تعذيبها وذبحها لترد إلى منافعهم إذا امتنعت عن الانتفاع بها، على ما تؤدب الدواب وتعذب للرياضة والتعليم لردها إلى الانتفاع بها. أو يعذبه[7] لِما يَشغله عن ذكر الله

---

[1] سورة النمل، ٢٧/٣٩-٤٠.

[2] ع + له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى يحتاج إلى أن يحفر له البئر فيستخرج منه الماء وما كان له من الشياطين والجن مسخرين له مذللين حتى قال واحد منهم أنا آتيك به يعني عرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك وقال الآخر أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء وإذا وقعت.

[3] وعبارة الشرح هكذا: «هذا بعيد مرة» (ورقة ٥٥٤و).

[4] م: ذكروهم.

[5] ر: هدهد.

[6] جميع النسخ: سيدهم.

[7] ر م: يعذب.

والقيام ببعض أموره على ما ذَكَر في آية أخرى حيث قال: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ،[1] الآية، لِما شغلته[2] عن ذكر ربه. فعلى ذلك جائز أن يكون تعذيب الهدهد على الوجوه التي ذكرنا.

ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها بأمور كما يكلّف غيرها من الخلائق ويخاطَب،[3] واحتج على هذا بقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ،[4] أخبر أن الطير وغيره أمم أمثالنا. وقد أخبر في آية أخرى أنه لم تَخلُ[5] أمة عن أن يكون فيها نذير بقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[6] الأمة التي هي أمثالنا من الإنس والجن، دليله قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[7] وقوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[8] الآية ونحوه كثير. وقوله: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، ليس في الخطاب والتكليف ولكن في أشياء كثيرة.

*ثم العجب من أمر بلقيس أن كيف خفِي خبرها وأمرها على سليمان كلَّ ذلك الخفاء وكانت |٥٥٣و س ٣١ بقربٍ منه، وكانت ملكة جبارة ذات سلطان ومُلك، وكان يذهب في كل غُدُوّ مسيرةَ شهرٍ وفي كل رَواح كذلك، كيف لم يطّلع على أمرها وخبرها وكانت الجن والشياطين مسخرين له ومذلّلين[9] يعملون له الأعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الآفاق والأفق، وكان هو بُعِث إلى الدعاء إلى توحيد الله، كيف خفي عليه أمرها وخبرها كلَّ هذا الخفاء حتى أخبره بذلك الهدهد؟ هذا واللهِ أمر عجيب! ومن عادة الملوك أيضا أنهم يطّلع بعضهم على أمور بعض ويعلم بأحواله.

لكن يُحتمل خفاء خبرها عليه لِما لا[10] يتجاسر كل أحد أن يكلمه في ذلك وأن يُعلِمه عن حالها وإن كان لا يَعلَم هو ذلك إلا بعد السؤال وطلب الخبر تعظيما له وإجلالا.

---

[1] سورة ص، ٣٨/٣١-٣٢.
[2] ر م: شغله.
[3] ر م - ويخاطب.
[4] سورة الأنعام، ٦/٣٨.
[5] ع: م يخل.
[6] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.
[7] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[8] سورة الأعراف، ٧/١٧٩.
[9] ن: مذللين.
[10] ع - لا.

وهكذا الملوك ليس يتجاسر كل أحد على أن يخبره[1] عن كل أمر وخبر إلا بعد السؤال إياه تعظيما لهم وتوقيرا. فعلى ذلك أمر سليمان مع بلقيس. أو أن يكون لأمر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به.

[٥٥٣ظ] وقال بعض أهل التأويل في قوله: **وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد**. إنما طلبه[2] وتفقده لأن الطير قد تُظِلّه على رأسه من الشمس، فلما نظر إلى الطير وجد موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس فعند ذلك قال: **مَا لِيَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**. وقالوا في قوله: **لأعذبنه عذابا شديدا**، أي لأنتُفَنّ ريشه حتى تصيبه الشمس فذلك هو العذاب الشديد. لكن

[٥٥٣ظ/س ٥] لا نفسر [ماهية] ذلك[3] العذاب الشديد الذي أوعده سليمان مخافةَ الكذب. ***والله أعلم***.*

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٢٢] ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٢٣]

وقوله: **فمكث غير بعيد**، أي لم يمكث طويلا حتى جاءه. وفي[5] حرف ابن مسعود: فمكث غير بعيد ثم جاءه. **فقال:**[6] **أحطت بما لم تُحِط به**، كأنه سأل: أين كنت؟ فقال عند ذلك له: **أحطت بما لم تُحِط به**. وفي حرف أبي: أحطت بما لم تُحِط به أنت ولا أحد من جنودك،[7] أي بلغت ما لم تبلغ أنت أو علمت ما لم تعلم[ه][8] أنت ولا أحد من جنودك. ثم قال: **وجئتك من سبأ بنبإ يقين**، لا شك فيه، فكأنه سأله عن ذلك النبإ فقال عند ذلك –والله أعلم– **إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء**، أي أوتيت من كل شيء[9] يؤتَى الملوك على ما ذكرنا في قوله: وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.[10]

---

[1] جميع النسخ: عن أن يخبره.
[2] ر م: طلب.
[3] جميع النسخ: م ذلك.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٣و/سطر ٣١–٥٥٣ظ/سطر ٥.
[5] ر: أو في.
[6] كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٩.
[7] م – جنودك.
[8] كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٢.
[9] ر م – أي أوتيت من كل شيء.
[10] سورة النمل، ١٦/٢٧. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٣و/سطر ٣١–٥٥٣ظ/سطر ٥.

وقوله: **فمكث غير بعيد،** قال بعضهم: غير طويل. وجائز أن يكون **فمكث** وقت يأتي في مثله من كان بعيدا،[١] لأنه إنما يعبّر عن المكان لا عن الوقت في الظاهر. **فقال أحطت بما لم تحط به،** كأنه يريد[٢] المناصحة له والشفقة، يقول:[٣] أتيتك من العلم والخبر ما لم تأتِ أنت ولا أحد من جنودك فكيف تعذبني؟ وفي حرف عبد الله [بن مسعود]: فتمكّث[٤] غير بعيد ثم جاءه. قال أبو معاذ: مكَث بنصب الكاف ورفعها: مكُث، لغتان.

وقوله:[٥] **وجئتك من سبإ بنبإ يقين،** قال بعضهم: حقٍ لا شك فيه، أي عند هدهد. وأما عند سيمان فلا.[٦] ألا[٧] ترى[٨] أن سيمان قال له: سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ،[٩] وقف في خبره لينظر أصِدق ما يقول أم كَذِب. وقال بعضهم: **بنبإ يقين،** أي عجيب.

ثم اختلف في قوله **من سبإ بنبإ،** قال بعضهم: **سبأ** اسم رجل تنسب[١٠] القرية إليه. وقال[١١] بعضهم: اسم بلدة. وقال أبو عَوْسَجة: سبأ أبو اليمن. فمن جعلها اسم بلدة لم يَجُرَّ[١٢] ومن جعلها اسم رجل جرّ.[١٣] *والله أعلم*.

وقوله:[١٤] **إني وجدت امرأة تملكهم،** كأنه[١٥] على الإضمار، أي وجدت امرأة[١٦] تملك أهل سبإ، ألا ترى[١٧] أنه قال في آخره: وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ،[١٨] ذِكر القوم في آخر الآية دل أن الأهل كان مضمرا فيه.

---

[١] جميع النسخ: بعيد.
[٢] ر ع م: يريه.
[٣] ر م: بقوله.
[٤] ر: فمكث. *كتاب المصاحف* لسجستاني، ٦٩.
[٥] ن: قوله.
[٦] أي فلا يفيد الإيقان.
[٧] ر: لا.
[٨] ن: يري.
[٩] سورة النمل، ٢٧/٢٧.
[١٠] جميع النسخ: ينسب.
[١١] ع: قال.
[١٢] أي يجعلها غير منصرفة.
[١٣] ر ع م: جره.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] ر م: كأنهم.
[١٦] ر ع م + تملكهم أي.
[١٧] ن: يري.
[١٨] الآية التالية.

وقوله:[1] **وأوتيتْ من كل شيء**، أي أوتيت من كل شيء، كما يؤتى الملوك من الذكور من الأسباب والهيئة[2] والهيبة[3] وغير ذلك. وقال بعضهم: **وأوتيت من كل شيء** في بلادها.

**ولها عرش عظيم**. قال أهل التأويل: أي لها سرير حسن عظيم[4] ضَخمٌ كذا كذا ذراعا طوله، وكذا كذا ذراعا عرضه. وجائز أن يكون العرش كناية عن المُلك كأنه قال: **ولها عرش عظيم**، أي مُلك عظيم.

**﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾**[٢٤]

وقوله:[5] **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**، قال هذا لِعِظَم[6] ما وقع عند الهدهد من السجود لغير الله ليُعلم أن الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ويوحّدونه، وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[7]

ثم قوله: **يسجدون للشمس من دون الله**، أي[8] يعبدون الشمس من دون الله.[9] وجائز: يطيعون للشمس ويخضعون لها[10] من دون الله.

وقوله:[11] **وزين لهم الشيطان أعمالهم**، أي زين لهم الشيطان أعمالهم[12] الخبيثة السيئة حتى رأوها حسنة، **فصدهم عن السبيل**، وهو سبيل الله، لأن السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الإسلام، والكتاب المطلق كتاب الله.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع – والهيئة.
[3] م: والهيبة والهيئة؛ ع – والهيئة.
[4] ع: عظم.
[5] ن: قوله.
[6] ع م: لعصم.
[7] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ٤٤/١٧).
[8] ر م – أي.
[9] ر + أي يعبدون الشمس من دون الله.
[10] ر ع م: ويخضعونها.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م – أي زين لهم الشيطان أعمالهم.

وقوله:[1] **فهم لا يهتدون**، فإن كان هذا القول من هدهد فتأويله:[2] فصدهم عن السبيل فهم[3] غير مهتدين، لأنه لا يحتمل أن يعرف أنهم لا يهتدون في حادث الوقت. وإن كان من الله فهو إخبار أنهم لا يهتدون أبدا لما علم أنهم لا يهتدون. *والله أعلم*.

**﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾**[٢٥]

وقوله:[4] **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخَبْءَ**، اختلف في تلاوته وتأويله[5] بالتخفيف والتشديد؛ فمن قرأ بالتشديد ألّا يسجدوا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما على طرح "لا" كأنه يقول: **فهم لا يهتدون** أن يسجدوا، أي هم لا يهتدون أن يسجدوا. والثاني صلة قوله: **فصدهم عن السبيل**، لئلا يسجدوا. ومن[6] قرأ بالتخفيف فهو يخرج على الأمر، أي ألَا فاسجدوا لله. وقال بعضهم: "ألا" بالتخفيف: هلا يسجدوا لله، وكذلك ذُكر[7] في حرف ابن مسعود أنه قرأ: هلا يسجدوا لله،[8] وهو حجة مَن[9] قرأ بالتخفيف. وفي حرف أبيّ: ألّا تسجدوا لله،[10] بالتاء على المخاطبة[11] إلى قوله: **ويعلم ما تسرون وما تعلنون**.[12] وذكر في حرف حفصة: ألّا تسجدون ب[ثبوت] النون.[13] قال الكسائي: ومن شدّد "ألّا" فتأويله: زين لهم الشيطان ألّا يسجدوا، على ما ذكرنا. وأما التخفيف فهو على وجه الأمر، أي اسجدوا، و"ألَا" صلة، و[كذلك حرف][14] "يا" صلة أيضا.

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ع م: وتأويله.
[3] ر: منهم.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م - وتأويله.
[6] ر ع م: من.
[7] ع - ذكر.
[8] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
[9] ع: ومن.
[10] ر م - لله.
[11] ع: على المخالطة.
[12] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٣.
[13] لم أعثر على هذا الحرف في قراءة حفصة؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٢١٢-٢١٤.
[14] لتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

ثم قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم**، لا يحتمل أن يكون سليمان أمَر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويُوَلِّيه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره[1] قبل أن يتبيّن ويظهر له صدقه في خبره. فدلّ توليته إياه بتبليغ[2] الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحي من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى[3] إليه من الخبر ما قد علِم بذلك علْم يقينٍ وإحاطة. فعند ذلك ولّاه بتبليغ[4] الكتاب إليه حيث قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانْظر ماذا يرجعون.**

وقوله: **ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون**، يحتمل وجهين. أحدهما ألقِ الكتاب إليهم **ثم تَوَلَّ**، أي استتِرْ[5] واختَفِ عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردّون[6] فيما بينهم من الكلام والجواب.[7] والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقِ الكتاب إليهم فانْظرْ ماذا يرجعون من الجواب، ثم تَوَلَّ عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٢٩]

**يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم**، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.[8] وقوله: **كتاب كريم**، قال بعضهم: أي[9] حسَن، لما[10] رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: **كتاب كريم**، أي مختوم. وقد ذكر[11] في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «مِن كَرَمِ الكتابِ ختمُه»[12] أو كلام

---

[1] م: في خبر.
[2] ر ع م: تبليغ.
[3] ر ع م: وانتها.
[4] ر ع م: تبيغ.
[5] غ: ستتروا.
[6] م: وما يردون
[7] ن - والجواب.
[8] الآية التالية.
[9] م - أي.
[10] ع: مد.
[11] ع - ذكر.
[12] المعجم الأوسط للطبراني، ٤/١٦٢؛ ومسند الشهاب للقضاعي، ١/١٥٨.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

ثم قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم**، لا يحتمل أن يكون سليمان أَمَر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويُوَلِّيَه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره[١] قبل أن يتبيّن ويظهر له صدقه في خبره. فدلّ توليته إياه بتبليغ[٢] الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحي من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى[٣] إليه من الخبر ما قد علِم بذلك علْم يقينٍ وإحاطة. فعند ذلك ولّاه بتبليغ[٤] الكتاب إليه حيث قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانْظر ماذا يرجعون.**

وقوله: **ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون**، يحتمل وجهين. أحدهما ألقِ الكتاب إليهم **ثم تَوَلَّ**، أي استتِرْ[٥] واختَفِ عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردّون[٦] فيما بينهم من الكلام والجواب.[٧] والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقِ الكتاب إليهم فانْظرْ ماذا يرجعون من الجواب، ثم تَوَلَّ عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٢٩]

**يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم**، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.[٨] وقوله: **كتاب كريم**، قال بعضهم: أي[٩] حسَن، لما[١٠] رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: **كتاب كريم**، أي مختوم. وقد ذكر[١١] في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «مِن كَرَمِ الكتابِ ختمُه»[١٢] أو كلام

---

[١] م: في خبر.
[٢] ر ع م: تبليغ.
[٣] ر ع م: وانتها.
[٤] ر ع م: تبيغ.
[٥] ع: ستتروا.
[٦] م: وما يردون
[٧] ن – والجواب.
[٨] الآية التالية.
[٩] م – أي.
[١٠] ع: مما.
[١١] ع – ذكر.
[١٢] المعجم الأوسط للطبراني، ٤/١٦٢؛ ومسند الشهاب للقضاعي، ١/١٥٨.

نحو هذا أو شبهه.[1] وجائز أن يكون فيه إضمار، أي: إني ألقي إليّ كتاب من إنسان كريم، وسليمان كان معروفا بالكرم. يشبه أن يكون قد أتاها خبرُ كَرَمِه. و[أما] الملأ قيل:[2] هم الأشراف وأهل السؤدد. وقال الزجاج: سُمُّوا [الملأ][3] لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحُسْن الرأي والتدبير في كل شيء من الأمور،[4] أو كلام نحو هذا.[5]

**﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣٠] ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**، هو ما ذكرنا، كأنهم سألوها ممن ذلك الكتاب؟ فقالت: **إنه من سليمان**. وسألوها أيضا ما في ذلك الكتاب؟ فقالت: **وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألّا تعلوا علي وأتوني مسلمين**. قوله: **ألّا تعلوا عليّ**، أي لا تستكبروا[6] ولا تتعظّموا عليّ **وأتوني مسلمين**، مخلصين لله بالتوحيد، أي اجعلوا أنفسكم سالمة لله خالصة له، لا تجعلوا[7] لأحد سواه فيها شركا[8] ولا حقا؛ لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون[9] للشمس من دون الله، فيخبر في الكتاب حيث افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم، أي[10] الذي يستحق السجود والعبادة هو الله الرحمن الرحيم، لا ما تعبدون أنتم.

ثم إن مِن[11] عادة الأنبياء والرسل الإيجازَ في الكلام والرسائل، لا يشتغلون بفضول الكلام وتطويله على ما ذُكِر من كتاب سليمان إلى بلقيس: **بسم الله الرحمن الرحيم، ألّا تعلوا علي وأتوني مسلمين**، ذكر أن هذا القدرَ كان الكتاب.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ن ع: شبيهه.
[2] جميع النسخ: قالوا.
[3] الزيادات والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.
[4] ن + فيهم.
[5] *معاني القرآن* للزجاج، ١٢٨/٥.
[6] ر: لتكبروا.
[7] ع – لا تجعلوا.
[8] ن: شركاء.
[9] ع + لله خالصة له لا تجعلوا لأحد سواه فيها شركا ولا حقا لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون.
[10] جميع النسخ: أن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.
[11] ر ع: ثم من إن – ن – من.
[12] أي إن الكتاب الذي أرسله إلى بلقيس كان عبارة عن هذا الخطاب الوجيز و لم يحتو على شيء آخر.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾[٣٢]

وقوله:[١] **قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون**، استشارت أشراف قومها وطلبت منهم الرأي في ذلك. وهكذا عمَلُ الملوك وعادتهم أنهم إذا أرادوا أمرا أو استقبلهم أمر[٢] يستشيرون[٣] أولي الرأي من قومهم وأهلَ الحِجا[٤] والتدبير منهم. ثم يعملون بما يعمون[٥] بتدبير يكون لهم وما يرون ذلك صوابا. وعلى ذلك أَمَرَ الله رسوله[٦] أن يشاور أصحابه بقوله: وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ،[٧] ثم أمره إذا عزم على الأمر أن يتوكل على الله في ذلك وأن يكِل أمره إليه. وقوله: **حتى تشهدونِ**، يحتمل وجهين. يحتمل[٨] ما كنت قاطعة أمرا حتى تحضرونِ، أو ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أنه صواب وأنه[٩] حق. فأجابوها فيما طلبت منهم الرأيَ والتدبير في ذلك فقالوا:

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[٣٣]

**نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد**، أي نحن أولوا قوة في أنفسنا وأولو بأس، أي حرب وقتال شديد، أي لنا معرفة في ذلك. ومع ما قالوا [من قول] وَكَلُوا الأمر إليها حيث قالوا: **والأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين**. وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية أنهم إذا استشاروهم في أمر أن يدلّوهم على الأصوب والأحسن[١٠] لهم ثم يكِلوا الأمر إليهم. وقصة سليمان صلوات الله عليه مع ما فيها من العجائب والآداب ففيها معرفة سياسة الملوك وتعليم[١١] آدابهم. من ذلك ما قال سليمان: فَهُمْ يُوزَعُونَ،[١٢] ومن ذلك قوله: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ،[١٣] الآية،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: واستقبلهم أمر. أي نزل بهم أمر.
[٣] ع - أمر يستشيرون.
[٤] جميع لنسخ: لحجى.
[٥] ر ع م - بما يعمون.
[٦] ع: ورسوله.
[٧] ﴿فبِما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظًّا غليظَ القلب لَانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٥٩).
[٨] ر ع م - يحتمل.
[٩] ر ع م - وأنه.
[١٠] ر م: وحسن.
[١١] ر ع م: وتعلم.
[١٢] سورة النمل، ١٧/٢٧.
[١٣] سورة النمل، ٢٠/٢٧.

[٥٥٤ظ] وقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.[1] ومن ذلك[2] استشارة بلقيسَ أشرافَ قومها[3] في ذلك وجوابات قومها لها وإخبارها إياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الإفساد والقتل والإذلال حيث [قالت:]

**﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٣٤]**

**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّةَ أهلها أذلة وكذلك يفعلون.** قال أهل التأويل: هذه شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما أخبرت أنهم كذلك يفعلون بكبرائهم.

**﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣٥]**

ثم قال: **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظِرَةٌ بِمَ يرجع المرسلون.** ذكر أنها قالت: إن لي في هذا رأيا؛ فإنْ يَكُ صاحب دُنْيا فعسى أن نُرضيه بالمال فيسكت عنا[4] ويكفَّ شرَّه، وإن يكن نبيا فلا يقبل ذلك منا وسنعرف.[5] فعملت ذلك[6] وأرسلت إليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت أنه نبي. وهذا كان منها تدبيرا وحُسنَ رأيٍ[7] في الأمر واحتيالا[8] [حيث] وقفت[9] في ذلك [و] لم تشتغل[10] بالحرب والقتال على[11] ما أشار إليها[12] قومها. وقال ابن عباس: قالت بلقيس لما أتاها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فُتْياهم فأَفتَوا لها بما أفتوا قالت: أَبعثُ إليه بهدية فإن قبِلها فهو ملِك فأحاربه وإن لم يقبلها فهو نبي أُتابعه.[13]

---

[1] سورة النمل، ٢٧/٢١.
[2] م: أو من ذلك.
[3] ن: قومه.
[4] جميع النسخ: عنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[5] جميع النسخ: وسيعرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[6] ن + برأيه.
[7] جميع النسخ: لرأي.
[8] ر: واحيالا؛ م: واحتيالا.
[9] جميع النسخ: وفقت؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[10] ع: لم يشتغل.
[11] ع + عنى.
[12] ر ع م: ها.
[13] *تفسير الطبري*، ١٩/١٥٥-١٥٦.

قال أبو عَوْسَجة: **فناظرة**،[١] [هو من:] أنظَرتُه نِظْرَة، أي أمهلته. والنِّظرة في الدَّين خاصة، والإنظار[٢] [مطلق].[٣]

**﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾** [٣٦]

وقوله:[٤] **فلما جاء سليمانَ**، يحتمل[٥] الرسولَ الذي بعثته[٦] بلقيس باهدية.[٧] ويحتمل **فلما جاء سليمانَ** المالَ الذي بعثت إليه، يحتمل [أن يكون][٨] ذا أو ذا.

وقوله:[٩] **قال أتمدونن بمال**، أي أتعطونني بمال. وقال أهل الأدب: **أتمدونَنِ بمال**، من المدد، والمددُ[١٠] الزيادة كما يُمَدّ القوم[١١] فيكون[١٢] الإعطاء، كقوله: وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ،[١٣] ويحتمل هذه الزيادة. *والله أعلم*.

وقوله:[١٤] **فما آتاني الله خير مما آتاكم**، أي ما آتاني الله من النبوّة والعلم والحكمة خير **مما آتاكم**، من الأموال. ويحتمل: **فما آتاني الله**، فَأُوتيكم إذا أتيتموني مسلمين **خير مما آتاكم**، إذا[١٥] لم تأتوني[١٦] [مسلمين][١٧] وأبيتم[١٨] الإسلام، أو كلام نحو هذا. وقال بعض أهل التأويل:

---

[١] جميع النسخ + قل.
[٢] جميع النسخ: وهو الإنظار.
[٣] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٤] ن: قوله.
[٥] جميع النسخ - يحتمل.
[٦] ر م: بعث؛ ن ع: بعثت.
[٧] جميع لنسخ: الهدية.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر - والمدد.
[١١] ن + القوم.
[١٢] جميع النسخ: ويكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[١٣] سورة الطور، ٢٢/٥٢.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] ر م: إذ.
[١٦] ر م: تؤتوني.
[١٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[١٨] ر ع م: وأوتيتم.

**فما آتاني الله** من الملك، **خير مما آتاكم**، من الملك، لأنه سخر له الجن والإنس والشياطين والطيور والرياح وجميع الأشياء، فذلك خير له[1] وأعظم من ملكها. والأول أشبه وأقرب، إذ لا يُحتمل أن يفتخر سليمان بملكه على غيره، إنما يكون افتخاره بالدين والنبوة. *والله أعلم*.

وقوله: **بل أنتم بهديتكم تفرحون**. قال بعضهم: **بل أنتم بهديتكم تفرحون**، إذا رُدّت إليكم. لكن هذا بعيد [لأن المُهدِي][2] لا يفرح[3] برد الهدية إذا ردت عليه ولم تقبل، بل يحزن[4] على ذلك ويهتم.[5] لكنه يقول -والله أعلم- **بل أنتم** أولى بالفرح بالمال والهدايا منا، إذ مرادكم المال والدنيا ومرادنا الدين والدار الآخرة، أو كلام نحو هذا. والله أعلم بذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣٧]

وقوله:[6] **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها**، قال ذلك -والله أعلم- للرسول الذي أتاه بالهدية: **ارجِع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها**،[7] أي لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها إن لم يأتوني مسلمين، **ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**، إن لم يأتوني مسلمين.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣٨]

ثم قال سليمان عليه السلام: **يا أيها الملأ**، إنما خاطب به أشراف قومه. وهكذا العادة في الملوك أنهم إذا خاطبوا أحدا بشيء إنما يخاطبون أهل الشرف والمنزلة منهم. **أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين**، قال بعض أهل التأويل: إنما قال هذا لأنه علم نبي الله أنهم متى ما[8] أسلموا يَحرُم أموالهم مع دمائهم، فأحب أن يؤتَى به قبل أن يكون ذلك من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك[9] عليه. لكن[10] هذا محال بعيد وَحْشٌ من القول، لا يُحتمل أن يكون رغبة سليمان في الأموال؛

---

[1] م: له.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[3] ر ع م: تفرح.
[4] ع: بل لحرب؛ ن: بل يجوز؛ م: بالحرب.
[5] جميع النسخ: وتهتم.
[6] ن: قوله.
[7] ن – قال ذلك والله أعلم للرسول الذي أتاه بالهدية ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، صح.
[8] ر: متما؛ ن ع: متيما.
[9] ر ع م – من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك.
[10] ع: لكن.

[و]هذا الذي ذَكَر بعد ما رد هداياها إليها وأخبر[هم قائلا:] إنكم تفرحون بها لأنكم أهل الدنيا،[1] إذ رغبة أهل الدنيا في الأموال، ونحن أهل الذين رغبتنا في الدين، به نفرح، ثم يستعجل [صلوات الله عليه][2] كلّ هذا الاستعجال رغبةً في مالها وعرشها. لكنه -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما أنه أراد أن يريهم قوته وسلطانه بأن[3] يرفع واحدٌ من جنوده عرشَها مع عِظَمه بمعاينة منهم ومشاهدة وحَمْلِه من بينهم، ليعلموا أن من قدَر على هذا لَقادر أن يأتيهم بجنود لا طاقة لهم بها[4] تصديقا لما قال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾،[5] و[أنه][6] يقدر على قهرهم وغلبتهم.

والثاني أراد أن يريهم آية من آيات نبوته إذا أتوه[7] ليعلموا أنه نبيّ ليس بملك. وهذا التأويل الذي ذكرنا آية لكنه قبل أن يأتوهم [مسلمين] ليعلموا أنه نبي ليس بملك.

وقوله: **قبل أن يأتوني مسلمين**، أي مصالحين، وذلك جائز في اللغة.

**﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٣٩] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٤٠]**

وقوله: **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك**، قال بعضهم: مقامه[8] مجلسه الذي كان يقضي فيه إلى أن يفرغ من قضائه حتى يؤتَى به. **وإني عليه لقوي أمين**، لأن الجن أقوى من الإنس. وصف نفسه بالأمانة لأن الجن لا يرغبون في[9] الأموال [ك]ما يرغب الإنس. وقال بعضهم: أمين على فرج تلك المرأة،[10] [و]مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم. ولكن لا ندري ما أراد بمقامه / الذي ذكر. [٥٥٥و]

---

[1] جميع النسخ: دنيا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[2] جميع النسخ: ويستعجل؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[3] جميع النسخ: أن.
[4] ر م – بها.
[5] الآية السابقة.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[7] جميع النسخ + قبل أن يأتوني مسلمين.
[8] ن: مقام.
[9] ر ع م – في.
[10] هذا القول منسوب إلى ابن عباس، انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٤/١٣؛ وورد غير منسوب إلى أحد في *تفسير الطبري*، ١٦٢/١٩.

[٥٥٥ط س١٧ *قال القُتَبي: **عفريت**، أي شديد وثيق. وأصله عِفْرٌ[1] زيدت التاء فيه، يقال: عِفريت نِفريت وعِفرية نِفرِيَة،[2] وعُفارِيَة [ولم يسمع بـ]نُفارية.[3] وقال أبو عَوْسَجة: العفريت الخبيث المارد،
٥٥٥ظ س١٩] وعفاريت جميع.*

وقال بعضهم أراد سليمان أن يكون أعجل من ذلك **فقال الذي عنده علم من الكتاب** -ذكر أنه كان رجلا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب- **أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك.** ثم اختلف[5] [في] ارتداد طرفه؛ قال بعضهم: هو أن يبعث رسولا إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به. وقال بعضهم: هو الرجل ينظر إلى الشيء البعيد قبل أن يرجع إليه طرفه.

**فلما رآه مستقرا عنده**، قال بعضهم: دخل في نفَق من[6] الأرض فخرج بين يدَيْ سليمان، يعني العرش، كأنه -والله أعلم- أتاه إذا دعاه بذلك الاسم من غير أن تكلّف هو حمله أو إتيانَه به.[7] فهذا يدل أن الآيات قد تجري على غير أيدي الرسل، لكن تكون[8] الآية للرسول وإن كانت تجري على أيدي[9] غيرهم.

ثم قال:[10] **هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**، قال بعضهم: والله ما جعله فخرا ولا أَشَرا ولا بَطَرا لكنه[11] جعله شكرا وتواضعا. [و]قال بعضهم: لما دعا ذلك الرجل بذلك[12] الاسم فرآه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله أنّى يكون رجل عنده علم ما ليس عنده[13] من العلم؟[14] فعزم الله له على الخير وقيل له: إنه[15] ممن خوّلك الله.

---

[1] جميع النسخ: العفر.
[2] ر ع م: وعفريت ونفريت؛ ن: وعفريت نفريت.
[3] جميع النسخ: وعفاريت نفاريت. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٤؛ والتصحيح من هذا المرجع.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ /سطر ١٧-١٩.
[5] ر ع م + ثم اختلف فيه أي في.
[6] ر ع م - من.
[7] ر ع م - به.
[8] ن: يكون.
[9] ن - أيدي.
[10] ع + هذا.
[11] ن ع: ولكنه.
[12] م - بذلك.
[13] أي علم غير الذي عنده.
[14] جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[15] ع - إنه.

فقال سليمان: **هذا من فضل ربي،**[1] يقول: حيث[2] أعطى ذلك الرجل ما لم يعطني[3] ليبلوني أأشكر، إذا[4] كان مثله تحت يدي أم أكفر. لكن لا يحتمل أن يشكر الله على ما أعطى غيره. ثم يحتمل قوله: **هذا من فضل ربي،** إتيانه أولئك مسلمين، أو النبوة والعلم الذي آتاه الله [ف]قال: ذلك من فضل ربي، أراد تسخير ما سخّر له. **ليبلوني أأشكر أم أكفر،** أي ليمتحني أأشكر أم أكفر، **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه،** ليُعلم[5] أنه إنما يمتحن بالشكر ويأمره به لا لمنفعة نفسه[6] ولكن لمنفعة الممتحَن المأمور به.

وقوله: **فإن ربي غني كريم،** **غني** عن شكره **كريم** يقبل القليل منه واليسير.

**﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾**[٤١]

وقوله: **قال نكِّروا لها عرشها،** قال أهل التأويل:[7] **نكِّروا،** أي غيِّروا[8] لها عرشها، كأنه أمر أن يغيروا بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها أتعرف[9] أنه[10] عرشها أم لا. والمُنكَر هو الذي لا يعرَف، كقوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[11] وقوله: نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً،[12] أي لم يعرفهم. وقوله: **نكروا لها عرشها،** كأنْ يجيء أن يقال: نكروا عرشها، وتكون[13] "لها" زائدة. إلا أن يقال: نكروا لها، أي نكروا لأجلها عرشها، وهذا يشبه أن يكون.

---

[1] «وقع في قلب سليمان عليه السلام شيء أن يكون رجل عنده من العلم ما لم يكن عنده فعزم الله تعالى له على الخير بما أوقع في قلبه بأن هذا لرجل ممن خوّلك الله، أي جعله من خوَلك وخدمك. فقال سليمان: هذا من فضل ربي.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٦ظ).

[2] جميع النسخ: ما.

[3] ن: لم يعطي.

[4] ر ع ن: إذ.

[5] ع - ليعلم.

[6] م - نفسه.

[7] ن - قال أهل التأويل.

[8] ع: غروا.

[9] جميع النسخ: وتعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦ظ.

[10] ر ع م: أنها.

[11] ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون﴾ (سورة الذاريات، ٢٤/٥١-٢٥).

[12] ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ (سورة هود، ٧٠/١١).

[13] جميع النسخ: ويكون.

وقوله: **نَنظرْ أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون**. وقال أهل التأويل: أتهتدي أنه عرشها أو لا تهتدي إليه. وجائز أن يكون قوله: **ننظر أتهتدي**، إلى دين الله وتوحيده **أم تكون من الذين لا يهتدون** إلى دين الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **فلما جاءت قيل أهكذا عرشكِ قالت كأنه هو**، قال بعضهم: شَبَّهت هي عليهم ولَبَّست أمره كما فعلوا هم[١] بها من تغيير عرشها عليها وتلبيسه عليها.[٢] لكن قولها: **كأنه هو**، لم تقطع[٣] فيه القول لما رأت فيه من التغيير[٤] والتنكير ورأت فيه شِبه[٥] سريرها[٦] [و]وقفت فيه. ودل قوله: **فلما جاءت قيل أهكذا عرشك**، أن العرش لم يُحمَل وهي[٧] نائمة[٨] على ما قاله بعض[٩] أهل التأويل: إنه حُمل دونها مِن قبلُ ثم[١٠] جاءتهم[١١] بعد ذلك. ***والله أعلم***. الا ترى أنه لو أمرهم أن يغيروا عرشها وهي عليه لم تشعر به، هذا بعيد. ***والله أعلم بذلك***.

وقوله: **وأُوتينا العلمَ من قبلها وكنا مسلمين**، إن كان هذا القول من سليمان فكأنه يقول: قد أوتينا العلم من قبل علمها[١٢] به أنه عرشها ولنا غُنيَة عن السؤال لها عنه لكن نسألها مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها. وقوله:[١٣] **وكنا مسلمين**، أي صرنا[١٤] مسلمين جميعا. أو أن[١٥] يكون هذا صلة قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا،[١٦] فهذا العلم الذي قال:

---

[١] ر م: كما فعلوهم.
[٢] ع + وتلبيسه عليها.
[٣] ر ع م: لم يقطع.
[٤] جميع النسخ: من الغير.
[٥] ر ع م - شبه.
[٦] ر: سرورها؛ م: سررها.
[٧] ن: وهو.
[٨] م: قائمة.
[٩] ع - بعض.
[١٠] ع: ما.
[١١] ر ع م: جاءت.
[١٢] م: علما.
[١٣] ن: قوله.
[١٤] م: صيرنا.
[١٥] ر م: وأن.
[١٦] سورة النمل، ١٥/٢٧.

وأوتينا العلمَ من قبلها وكنا مسلمين. وإلا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله: **قالت كأنه هو**. *والله أعلم*.

**﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٤٣]**

وقوله:[1] **وصدها ما كانت تعبد من دون الله**، قال بعضهم: صدّها عبادتها الشمس والأصنام التي عبدوها دون الله عن الإسلام وعبادةِ الله. وقال بعضهم: وصدها سيمان عن عبادتها كانت تعبد من دون الله لأنه ذُكر أنها أسلمت.

* وقال: **صدها**، أي ردّها ومنَعها.* [٥٥٥ظ س١٩]

**﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٤]**

وقوله:[3] **قيل لها ادخلي الصرح**، قال بعضهم: الصرح صَحن[4] الدار وهو قول الزجاج.[5] وقال القُتَبي وأبو عَوْسَجة وأكثر أهل التأويل: الصرح هو القصر.[6] ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب أمره إياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقيها.[7] أما أهل التأويل فإنهم قد اختلفوا في ذلك، قال بعضهم: قالت الجن لما أقبلت بلقيس: لقد لقينا[8] من سيمان ما لقينا من التعب، فلو اجتمع سيمان وهذه المرأة وما عندهما من العلم لهلكنا. وكانت أمّ هذه المرأة جنِيّة، فقالوا: تعالوا نبغضها[9] ونُكرِّهها[10] إلى سيمان. فقيل لسليمان: / إن رجليها[11] مثل حافر [٥٥٥ظ] الدواب، لأن أمها كانت جنِيّة. فأمر سيمان عند ذلك فبُني[12] له بيت من قوارير فوق الماء

[1] ن: قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ /سطر ١٧-١٩.
[3] ن: قوله.
[4] جميع النسخ: حصن؛ والتصحيح من الزجاج، ١٢٨/٥.
[5] *معاني القرآن* للزجاج، ١٢٨/٥.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.
[7] ن: عن ساقها.
[8] ر ع م: أتينا.
[9] ر م: نقضها.
[10] ر ع م: ونكرها.
[11] ر م: رحمها.
[12] ن: عيسى.

وأرسل فيه السمك لتحسب [بلقيس] أنه ماء[1] فتكشف عن رجليها فينظرَ سيمان أصدقت الجن أم كذبت. **فلما رأته حسبته** الماء **وكشفت عن ساقيها**. فنظر إليها سليمان فإذا هي أحسن الناس قدمين وساقين. فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقيها قالت الجن [لبلقيس:] لا تكشفي عن ساقَيك **إنه صرح ممرد من قوارير**. وقال بعضهم: لا، ولكن ذُكر لسليمان أنَ على ساقَيها شعَرا وأنهما شَعْراوان، فأمر بذلك ليعرف ذلك. وقال[2] بعضهم: لا، ولكن خافت الجن عند ذلك أن يتزوجها سليمان فتُفشي إليه أشياء كانوا أطْلعوها[3] عليه وأفشَوا إليها. فأرادوا أن يُكرِّهوها إليه فطعنوها بعيوب في عقلها ونفسها[4] فقالوا: يا نبي الله ألا نريك عقلها فإنّ في عقلها شيئا؟ قال: بلى، فجاءت الجن بماء فأجرَوه فتركوه لجة، ثم جاءوا بالسمك والضفادع فأرسلوها في الماء ثم جيء بها إلى ذلك الماء. **فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها**، فقالوا لسيمان: إن في عقلها آفة، ألا ترى أنها لا تعرف الصرح من الماء ولا تميز بينهما، أو نحو هذا من الكلام. لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يُحتمل أن يكون سليمان يحتال هذه الحيلة[5] لينظر إلى ساقيها[6] وهي أجنبية.

ثم جائز أن يكون لغير ذلك: أراد أن يُريها آية من آيات نبوّته حيث اتخذ صرحا مُمَرَّدا من قوارير يُرَى أنه ماء[7] لِيَطافته، وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي أن ذلك تدبير السماء لا تدبير البشر. أو أن يكون أراد بذلك -والله أعلم- أن يريها عِظَم مُلكه وسلطانه لتعلم أنه يفعل ما يشاء قادر على ذلك، لا ينفعها سوى الطاعة له والإجابة والخضوع لله والإسلام له. فعند ذلك، **قالت ربِ إني ظلمت نفسي**، فيما عبدت دون الله، **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**، أي أخلصت وأسلمت نفسي لله رب العالمين.*

وقال [القُتَبي]: الصرح القصر، والصروح جميع. **ولُجَّةً**: الماء المجتمع الكثير. وقال: الممرد هو[8] المُمَلَّس بالطين أو بالجصّ أو بما كان. وقال غيره: المُمَرَّد الطويل. وقال القُتَبي:

---

[1] ع - ماء.
[2] ع: قال.
[3] ر: اطلعو ها.
[4] ر: ونسبها.
[5] ر ع م - الحيلة.
[6] جميع النسخ: ساقها.
[7] ر ع م - أنه ماء.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٩ و ٤٣ فنقلهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ /سطر ١٧-١٩.
[8] ر م: وهو.

ومن ذلك يقال: الأمْرَد الذي لا شعرَ على وجهه، ويقال للرمة التي لا تُنبِت: مرداء، ويقال: المُمَرَّد المطوَّل، ومنه قيل لبعض الحصون: مارد.[1] وقال الكسائي: المُمَرَّد الأملَس، وقال:[2] منه سمي الأمردُ أمردَ.[3]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤٥]

وقوله:[4] **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله**، يحتمل هذا: لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وأمرناه أن يقول لهم: اعبدوا الله. وجائز أن يكون قوله: **أن اعبدوا الله**،[5] بالرسالة، أي أرسلناه ليدعوهم إلى عبادة الله. وقوله: **اعبدوا الله**، يحتمل:[6] وحّدوا الله، ويحتمل العبادة نفسها: أن اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها أو لا تشركوا[7] في تسمية الألوهية غيره ولكن وحّدوه. فكيف ما كان ففيه أمر بالتوحيد له في العبادة وجَعْل[8] الألوهية له.

وقوله:[9] **فإذا هم فريقان يختصمون**، قيل: فريقان: مؤمن[10] بصالح ومكذِّب به. ولم يبين فِيمَ كانت خصومتهم وبين مَن كانت في هذه الآية، لكنه بين في آية أخرى وفسر، وهو ما قال: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.[11] هذه الخصومة التي ذكر في قوله: **فإذا هم فريقان يختصمون**، بين الرؤساء من الكفرة والمؤمنين بصالح. *والله أعلم.*

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.

[2] ر ع م: وقال.

[3] لم أجده معزوًا إلى الكسائي، لكن ذكره ابن قتيبة غير معزو إلى أحد، انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.

[4] ن: قوله.

[5] ر – وجائز أن يكون قوله أن اعبدوا الله.

[6] ن: يحتمل؛ ع: ويحتمل.

[7] ر م: ولا تشركوا.

[8] ر م – وجعل.

[9] ن: قوله.

[10] ع: ومؤمن.

[11] سورة الأعراف، ٧/٧٥-٧٦.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤٦]

وقوله: **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة**، أي[١] لم تستعجلون بالعذاب[٢] قبل الرحمة. واستعجالهم العذاب والسيئة ما[٣] ذكر في آية أخرى وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،[٤] فذلك استعجالهم السيئة قبل الحسنة.

وقوله:[٥] **لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون**، أي لولا توحدون الله ولا تشركوا غيره[٦] في العبادة وتسمية الإلهية لكي يرحمكم. وفيه إطماع لهم أنهم[٧] لو آمنوا وتابوا عنه لرحمهم، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[٨]

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[٤٧]

وقوله:[٩] **قالوا اطَّيَّرْنَا بك وبمن معك**، أي تشاءمنا بك[١٠] وبمن معك. لم يزل الكفرة يقولون[١١] لرسل الله صلوات الله عليهم ولمن آمن معهم:[١٢] اِطَّيَّرْنَا بكم، إذا أصابتهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون: إنما أصابنا هذا بشؤمكم! وإذا أصابهم[١٣] رخاء وسعة يقولون:[١٤] هذا[١٥] لنا بنا ومن أنفسنا. وهو ما قال قوم / موسى لموسى[١٦] حيث قالوا: [٥٥٦و] فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ،[١٧] الآية. وكذلك قال أهل مكة لرسول الله حيث قال:

---

[١] ن – لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي.
[٢] ر ع م – بالعذاب.
[٣] ر ع م – ما.
[٤] سورة الأعراف، ٧٧/٧.
[٥] ن: قوله.
[٦] ع – غيره.
[٧] ر م – أنهم.
[٨] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م: منك.
[١١] ر ع م – يقولون.
[١٢] جميع النسخ: منهم.
[١٣] ع: أصابكم.
[١٤] جميع النسخ: فقالوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٧ظ.
[١٥] م – هذا.
[١٦] ر ع م – لموسى.
[١٧] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٣١/٧).

وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُو هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.[١] كانوا[٢] يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء، فأخبر الله رسوله وأمره أن يقول هم: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أي الرخاء والشدة من عند الله ينزل، وهو باعثُ ذلك لا أنا. فعلى ذلك قوله: **طائركم عند الله**، أي ما ينزل بكم ويصيبكم من الشدة والرخاء إنما ينزل من عند الله، لا بنا ولا بكم. أو يقال. ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة إنما يصيب بتكذيبكم إياي في الدنيا. أو أن يقال: **طائركم عند الله**، أي جزاء طِيَرَتِكم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا أو الآخرة.[٣]

**بل أنتم قوم تُفتَنون**، يحتمل قوله: **بل أنتم قوم تفتنون**، ابتداء، مرة بالشدة ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الأعمال. وجائز أن يكون[٤] قوله: **تفتنون** بالعذاب بما تكسبون من الأعمال في الدنيا، أي[٥] تعذبون بها. قال أبو عَوْسَجة: **طائركم عند الله**، يقول: الله أعلم بطائركم وما تَطَيَّرتم به. وقال[٦] القُتَبي: **طائركم عند الله**، أي ليس ذلك بي وإنما هو من الله،[٧] وهو ما ذكرنا.

**﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٤٨] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٤٩] ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥٠] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥١]**

وقوله:[٨] **وكان في المدينة تسعة رهط**، قال بعضهم: الرهط إنما يقال من ثلاثة إلى تسعة، وإذا نقص عن ذلك أو زاد فإنما[٩] يقال: رجال. وقال أبو عَوْسَجة: الرهط النَّفَر،

---

[١] ﴿أينما تكونوا يُدرِككُم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (سورة النساء، ٧٨/٤).

[٢] ع: قد بوا.

[٣] ر م: و لأخرة.

[٤] ر ع م - يكون.

[٥] ع: أن.

[٦] ر ع م: قال.

[٧] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.

[٨] ن: قوله.

[٩] ر ع م - فإنما.

وأَرَاهِطُ[1] وأَرْهُطُ[2] جميع.[3] ثم يحتمل الرهط وجهين. أحدهما **تسعة رهط**، أي تسعة نفر من الأتباع وغيره **يفسدون في الأرض ولا يصلحون**. والثاني: **تسعة رهط**، لا تسعة نفر من الرؤساء، ولكل واحد[4] منهم رهط من الأتباع، **يفسدون في الأرض ولا يصلحون**.

جائز أن يكون[5] هذا إخبارا من الله أنهم يفسدون أبدا في الأرض ولا يؤمنون أبدا. وجائز أن يكون إخبارا عن حالهم، أي يعملون الفساد والمعاصي. **ولا يصلحون**، أي لا يسعَون بالصلاح. وقال ابن عباس: إن هؤلاء التسعة كانوا من أبناء أشرافهم وكانوا بالحِجر[6] وكانوا فُسّاقا.[7] فقال بعضهم لبعض: لنقتلنّ صالحا وأهله ثم لنقولنّ لوليّه، أي لقومه من ورثته ما قتلناه، وهو قوله:[8] **لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهلَه ثم لَنقولنّ لوليه ما شهدنا مَهْلِكَ أهله**، فتحالفوا[9] على ذلك فأتَوا صالحا ليلا فدخلوا[10] عليه بأسيافهم ليقتلوه وأهلَه[11] وعند صالح ملائكة جاءوا من الله تعالى يحرسونه، فقتلوا الرهط في دار صالح بالحجارة فذلك قوله: **ومكروا مكرا**، بصالح وأهله، **ومكرنا مكرا**، أي أهلكناهم، **وهم لا يشعرون** أنهم يُهلَكون.[12]

وقال بعضهم: هؤلاء التسعة الرهط تواثقوا أنهم يُبيّتون صالحا ويقتلونه وأهله بعد ما عقَروا الناقة وقالوا فيما بينهم: فإن خوصِمنا في ذلك لَنَقُولَنَّ ولَنُقاسِمَنّ **ما شهدنا مهلك أهله**، أي ما حضرنا في هلاكهم. على هذا التأويل يكون على التقديم والتأخير. وقال بعضهم: هؤلاء التسعة كانوا شرار قومه، خرجوا بخمر إلى بعض المغار ليشربوها ثم لِيُبَيّتوا على صالح وأهله،

---

[1] ر ع م: وأراهيط.

[2] جميع النسخ: ورهوط. والتصحيح من المعاجم.

[3] رَهْطُ الرجلِ: قومُه وقبيلته. يقال: هم رَهْطه دِنْية. والرَّهْطُ: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نَفَرٌ. وقيل: الرَّهْط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. قال الله تعالى: ﴿وكان في المدينة تِسْعةُ رَهْطٍ﴾. فجمع ولا واحد له من لفظه. وجمع الرَّهْط: أَرْهُط وأَرْهاط وأَراهِط (*لسان العرب*، «رهط»).

[4] ر ع م: أحد.

[5] ر ع م - يكون.

[6] ر ع م: بالحجرة.     أي في أرض حِجر ثمود.

[7] ع: فسقا.

[8] ر ع م: وقوله.

[9] ن: فيتحالفوا.

[10] ع: يدخلوا.

[11] ر ع م: وأهله.

[12] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣/٣٥٥؛ *وروح المعاني* للألوسي، ١٩/٢١٣.

فشربوا هنالك فانهدّ بهم الصخرة وعذّبوا فيه، فذلك قوله: **ومكروا**، بقتل صالح وهلاكه **مكرا ومكرناهم** حيث أهلكناهم **مكرا وهم لا يشعرون**. والمكر هو الأخذ بغتة. وقوله: **ومكروا مكرا**[1] **ومكرنا مكرا**، أي جزيناهم جزاءَ مكرهم.

ثم اختلف في قراءة: **لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله ثم لنقولن**، بالنون. فذلك قول بعضهم لبعض. وقرأ بعضهم بالتاء: لَتُبَيِّتُنَّهُ ثم لتقولن، فذلك قول الرؤساء للأتباع.[2] ومن قرأ بالياء[3] [لَيُبَيِّتَنَّهُ] يجعله خبرا عن الله تعالى لهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٥٢]

وقوله:[4] **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**، أي خالية بما ظلموا[5] لم نُسكِن[6] فيها أحدا ولكن تركناها خالية كذلك.[7] وقال بعضهم: **خاوية**، أي خَرِبة بما ظلموا، كقوله: وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا،[8] أي ساقطة خَرِبة. وقد كان ذلك كله. منها ما جعل لغيرهم سكنا إذا أهلكهم من نحو ما أورث بني إسرائيل ديار القبط وأموالهم وأنزلهم فيها، ومنها ما تركها كذلك[9] خالية بعد ما أهلك أهلها، ومنها ما أهلك أهلها[10] وخرّبها وتركها كذلك.

وقوله:[11] **إن في ذلك لآية**، أي في هلاك من ذكر لآية[12] ولعبرة لقوم[13] **[يعلمون]** يعتبرون.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٥٣]

**وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**، مخالفة الله ومخالفة أمره ونهيه.

---

[1] ر م – ومكروا مكرا.
[2] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٠؛ ومعجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٧٨/٣.
[3] وهي قراءة أبو رجاء وحميد بن قيس. انظر: *زاد المسير* لابن الجوزي، ١٨٢/٦.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م – خالية بما ظلموا.
[6] ر ع م: لم تسكن.
[7] ع: لذلك.
[8] ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة، ٢٥٩/٢).
[9] م – كذلك.
[10] ر ع م – ومنها ما أهلك أهلها.
[11] ن: قوله
[12] ر ع م: الآية.
[13] ر ع م – لقوم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٥٤] ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٥٥]

وقوله: **ولوطا إذ قال لقومه.** كأن فيه إضمارا،[1] كأنه قال: أرسلنا لوطا إلى قومه **إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون**، أي أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وتعلمون أنها فاحشة.

**أإنكم لتأتون الرجال شهوة**، أي اشتهاء لكم **من دون النساء**، يقول: تأتون الذكور وتَدَعون النساء، وهو ما قال في آية أخرى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،[2] الآية.

وقوله: **بل أنتم قوم تجهلون**، قال بعضهم: ولكن أنتم قوم تجهلون، أي تجهلون الأمر فتعصون. ويشبه أن يكون[3] هذا جواب قولٍ كان مِن قومه نحو ما قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[4] فقال عند ذلك: **بل أنتم قوم تجهلون**، ما تقولون، أي على جهلٍ ما تقولون ذلك، أو كلام نحوه. ***والله أعلم.***

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٥٦]

وقوله:[5] **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم**، قوله: **فما كان**

[٥٥٦ظ] / **جواب قومه**، في وقت، **إلا أن قالوا** كذا، لا في الأوقات كلها، لأنه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ،[6] الآية، ونحوه، وقولهم: **إنهم أناس يتطهرون**. دل هذا منهم أنهم قد علموا أن ما يأتون ويعملون أنه خبيث وفُحش ومنكر حيث قالوا: **إنهم أناس يتطهرون.**

ثم يحتمل قولهم[7] هذا وجوها. أحدها أنهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم. والثاني **قالوا أخرجوا آل لوط**، فإنهم يستقذرون[8] أعمالنا وأفعالنا. والثالث على التحقيق: **إنهم أناس يتطهرون.**

---

[1] ر م: إضمر.

[2] ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (سورة الشعراء، ١٦٥/٢٦-١٦٦).

[3] ر ع م - يكون.

[4] سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.

[5] ن: قوله.

[6] ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩).

[7] ع: قوله.

[8] ر م: يستقذفون.

**﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٥٧]**

وقوله: **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين**، فيه دلالة أن غير الزوجة يجوز أن يسمّى أهلا. قال عامة أهل التأويل: أهله بناته. وفي قوله:[١] **قدّرناها من الغابرين**، دلالة خلق أفعال العباد حيث أخبر أنه: **قدرناها من الغابرين**. والغُبور والبقاء فعلها. فأخبر أنه قدّر ذلك منها وخلق. وقوله: **من الغابرين**، أي الباقين في عذاب الله. وفي حرف[٢] ابن مسعود: ولقد وَقّينا إليه أهله كلّهم إلا عجوزا في الغابرين.

**﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[٥٨]**

وقوله:[٣] **وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**، أي ساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا[٤] الإنذار ولم[٥] تنفعهم النّذارة.

**﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥٩]**

وقوله:[٦] **قل الحمد لله**، قال عامة أهل التأويل: **قل الحمد لله**،[٧] أمر نبيه بالحمد له والثناء عليه على إهلاك[٨] أعداء الرسل الخالية. ثم قال: **وسلام على عباده الذين اصطفى**، وهم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. وجائز أن يكون أمْره إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه من أنواع النعم. منها ما ذكر من إهلاك[٩] أعداء الرسل وإبقاء أوليائهم تخويفا لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهلكهم[١٠] كما أهلك أعداء الرسل الخالية. أو أن يكون أَمْرُه إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه في نفسه من أنواع النعم[١١] من النبوة والرسالة والهداية ونحوه. *والله أعلم*.

---

[١] ر ع م: وقوله.
[٢] ر ع م: في حرف.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: لم يتقسوا.
[٥] ن: وإن م.
[٦] ن: قوله
[٧] ر ع م – قال عامة أهل التأويل قل الحمد لله.
[٨] جميع النسخ: على هلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[٩] جميع النسخ: ما ذكروا من هلاك.
[١٠] جميع النسخ: أن يهلكوا.
[١١] ر – النعم.

وقوله:[1] **وسلام على عباده الذين اصطفى**، يحتمل الرسلَ، كقوله: وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،[2] ويحتمل الأمر بالسلام على أصحابه وجميع المؤمنين، كقوله: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛[3] أمر رسوله بالسلام على المرسلين وعلى أصحابه وعلى المؤمنين. ثم في قوله: **اصطفى**، دلالة أن لا أحد يستوجب الصفوة إلا بالله حيث قال: **اصطفى**.

وقوله:[4] **آللهُ خير أَمَّا يشركون**، أي الذي فعل هذا[5] بالأمم الخالية من إهلاك الأعداء[6] وإبقاء الرسل والأولياء [خير][7] أم الأصنام التي تشركون في عبادته وهي لا تملك شيئا من ذلك؟ يقول -والله أعلم- إنكم تعلمون أن الله يملك ما ذَكَر من إهلاك أعدائه وإبقاء رسله، والأصنام التي تعبدونها[8] دونه لا تملك شيئا فكيف تشركونها[9] في ألوهيته؟ وإلا لم يَذكر جواب قوله: **آلله خير أما يشركون**، جوابُه أن يقول:[10] بل الله خير. وكذلك روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -إن ثبت- أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجلّ وأكرم.»[11]

**﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾**[٦٠]

وقوله:[12] **أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**، يذكّرهم بهذا شيئين.[13] أحدهما قدرته وسلطانه في خلق ما ذكر من السماوات والأرض

---

[1] ن: قوله.
[2] سورة الصافات، ١٨١/٣٧.
[3] ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦).
[4] ن: قوله.
[5] م - هذا.
[6] جميع النسخ: للأعداء.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[8] ن: يعبدونها.
[9] ر ع م: تشركون.
[10] جميع النسخ: أن يقولوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[11] شعب *الإيمان* للبيهقي، ٣٧٢/٢.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: وجهين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.

وإنزال[1] الماء من السماء وإنبات النبات من الأرض وإخراجه، على إقرار منهم[2] أن الله هو[3] خالق ذلك لا غيره، فيقول: فإذ علمتم أن الله هو خالق ذلك كله فكيف أشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر في تسمية الإلهية والعبادة؟

والثاني يخبر عن اتساق الأمور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع أحدهما بالآخر على تباعد ما بينهما، ليعلم أن منشئهما ومدبرهما واحد لا عدد. فإذ عرفتم ذلك فكيف أشركتم غيره فيها؟ وهو كقوله: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا.[4] وهذا الحرف على الثنوية والدهرية. وهؤلاء لقولهم بالعدد وإنكارهم[5] الواحد، والأول على المقرّين بالواحد إلا أنهم أشركوا الأصنام في التسمية والعبادة.

وقوله:[6] **حدائقَ ذاتَ بهجة**، قال بعضهم: الحدائق الحيطان، والبساتين ما دون الحيطان. وقال بعضهم: الحدائق الحوائط التي حفّت بالأشجار، والبساتين هي الملتفة بها.[7] وقال أبو عَوْسَجة: الحدائق البساتين والرياض، والحديقة الروضة. وقال القُتَبي: الحدائق البساتين، واحدها حديقة، سميت بذلك لأنها[8] يُحدَق عيها[9] أي يُحظَر [عليها حائط].[10] **ذات بهجة**، حَسَن المنظر. وجائز أنها إنما[11] سميت ذات بهجة لما يبتهج صاحبها إذا نظر إليها ويُسَرّ.

وقوله:[12] **ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**، أي ما تقدرون أنتم أن تنبتوا شجرها فمن هو دونكم أشد وأبعد، فكيف[13] أشركتم في العبادة وتسمية[14] الإلهية من هو دونكم[15] في كل شيء؟

---

[1] ر م: وأنزل.
[2] ر م: على إقرارهم.
[3] ر ع م – هو.
[4] سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.
[5] ن: والإنكار.
[6] ن: قوبه.
[7] ع – بها.
[8] ع: أنها.
[9] جميع النسخ: تحدق بها.
[10] ن: تحظر. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٦.
[11] ر ع م – بما.
[12] ن: قوله.
[13] ر م: كيف.
[14] ع: وسمية.
[15] ع: وهو دونكم.

وقوله:[1] **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله. **بل هم قوم يعدلون**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: **يعدلون**، أي[2] يجعلون من لا يملك ما ذُكر عديلا لله. والثاني: **يعدلون**، أي يعدلون[3] عن الله ويميلون إلى غيره، من العدول. *والله أعلم*.

**﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٦١]

قوله:[4] **أمن جعل الأرض قرارا**، يَقِرّون عليها ويتعيّشون فيها ويبيتون. **وجعل خلالها أنهارا**، ينتفعون بها أنواع المنافع ويشربون. **وجعل لها رواسي**، أي الجبال لئلا تَمِيد بهم. **وجعل بين البحرين حاجزا**. قال بعضهم: جعل / بين بحر الفارس وبحر[5] الروم [٥٥٧و]
جزيرةَ العرب حاجزا. وسُمّي جزيرةً لما جُزِر الماء فيها، أي ذهب. وقال بعضهم: بحر الشام وبحر العراق.[6] وقال بعضهم: قوله: **وجعل بين البحرين حاجزا**، بين العذْب والمالح حاجزا بلطفه؛ لا يختلط هذا بهذا ولا هذا بهذا لطفا منه. يذكّرهم نِعَمه عليهم ولطفه أنْ كيف أشركتم في عبادته وألوهيته مَن لا يملك ذلك وصرفتم شكرها إلى غير المنعم؟

**أإله مع الله**، أي لا إله مع الله. **بل أكثرهم لا يعلمون**، يحتمل قوله: **أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون،[7] لأن من لا ينتفع بما يعلم فكأنه جاهل. نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح والحواس وإنْ كانت لهم هذه الجوارح. فعلى ذلك جائز نفيُ العلم عنهم لتركهم الانتفاع به. والثاني **بل أكثرهم لا يعلمون** لما لا يتكلفون النظر فيما ذكر، أو لا يعلمون أن بينهما حاجزا. *والله أعلم*.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع: أن.
[3] ع - أي يعدلون.
[4] ر ع م - قوله.
[5] ر: بحر.
[6] ع وقال بعضهم بحر الشام وبحر العراق.
[7] ر ع م - يحتمل قوله أكثرهم لا يعلمون أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون.

**﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦٢] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٣]**

وقوله:[١] **أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**، يخرج على الصلة بقوله: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ،[٢] كأنه يقول: من لا يملك إجابة المُضْطَرّ وكشف السوء عنه وجَعْلكم الخلفاءَ في الأرض خير أمَن لا يملك من ذلك شيئا؟ فجواب ذلك أن تقولوا:[٣] بل الذي يملك ذلك خير ممن لا يملك ولا يقدر ذلك. أو يخرج على الوجهين[٤] اللذَين ذكرتهما. أحدهما أنكم تعلمون[٥] أن الذي يجيب المُضْطَرّ ويكشف السوء هو الله تعالى، لا الأصنام التي تعبدونها، فكيف أشركتموها في الألوهية[٦] والعبادة؟ والثاني أنه إذا أجاب دعوة المُضْطَرّ وكشَف السوء وجعَلكم خلفاء الأرض بعد هلاك أوائلكم فدل ذلك أنه واحد لا عدد؛ إذ لو كان فِعل عدد لكان إذا أجاب هذا وكشف السوء ردّ[٧] الآخر[٨] ومنع،[٩] فدل بقاء ذلك كله واتساق الأمر أنه واحد لا شريك له. فهذا على الثنويّة، والأول على المشركين غيرَه في العبادة له وتسمية الإلهية.

وقوله:[١٠] **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله. **قليلا ما تذكّرون**.

وعلى ذلك يخرج قوله: **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته**، على الوجوه التي ذكرناها.

* وقوله: **بُشْرا**، من البِشارة، ونُشرا بالنون[١١] من التفريق والرفع.[١٢] وقوله: **خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**، [٥٥٧و س ٢٠

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الشعراء، ٥٩/٢٦.
[٣] ر ع م: يقولوا.
[٤] ع: على وجهين.
[٥] ع: تعملون.
[٦] ن ع: في الإلهية.
[٧] ر ع م – وجعلكم خلفاء الأرض بعد هلاك أوائلكم فدل ذلك أنه واحد لا عدد إذ لو كان فعل عدد لكان إذا أجاب هذا وكشف السوء رد.
[٨] ر ع م: والآخر.
[٩] ع: منع.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ع: من النون.
[١٢] «أي ترفع السحاب وتفرقه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٨ظ).

يخلُفون مَن قبلهم مِن[1] الأمم. قال أبو معاذ: وواحد الخلفاء خيف، وواحد الخلائف خليفة.
٥٥٧و س٢٢] والخيف مِن الخالف،[2] كالعليم من العالم.*

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦٤]

وكذلك قوله: **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض**، أي من[4] يقدر على ما تقدم ذكره [هو] يملك البعث بعد الموت والإحياءَ.[5] يُلْزِمهم البعث بهذا؛ أي من يَقدر هذا يَقدِر ما ذكر. **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله، بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون ويشركون.[6]

وقوله: **قل هاتوا برهانكم**، أي [قل] لمن[7] لَجّ في هذا أو أنكر ذلك وادّعى[8] الشرك فيه لغيره: **هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**، في مقالتكم.*

وقوله: **أإله مع الله**، يقول -والله أعلم- أإله مع الله[10] يفعل ذلك بكم: يرزقكم ويُنزل[11] لكم من السماء ماء ويُنبت لكم[12] من الأرض ما تأكلون وترعى[13] أنعامُكم، أوَمع الله إله يهديكم في ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الريح بُشرا، أو[14] يجيب المُضطَرّ ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر؟ أي ليس معه إله سواه بل الله هو[15] يفعل ذلك كله بكم. فكيف أشركتم غيره في إلهيته

---

[1] ع – من.
[2] ع: من المخالف.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٧و/سطر ٢٠-٢٢.
[4] جميع النسخ: أمن.
[5] جميع النسخ: وإحيائه.
[6] ع: وتشركون.
[7] جميع النسخ: من؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[8] ر ع م: ادعى.
* وقع هذا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٥٥٧و/سطر ٢٠-٢٢.
[10] ر ع م – أإله مع الله.
[11] ع: أي ينزل.
[12] ر ع م – لكم.
[13] جميع النسخ: ويرعى.
[14] ع: إذ.
[15] ر ع م – هو.

وعبادته على علم منكم أن الذي تعبدون من دونه لا يملك شيئا: أن يفعل ذلك بكم. يذكر سفههم وقلة بصرهم ومعرفتهم. ثم قال: **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**،[1] أن مع الله إلها فعَل ذلك بكم إن كنتم صادقين.

**﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٦٥]**

ثم قال: **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**، كأنه قال –والله أعلم– لرسوله: **قل لا يعلم**، ممن تعبدون من أهل السماوات والأرض[2] الغيبَ إلا الله، لأن بعضهم كان يعبد أهل السماوات وهم الملائكة، وبعضهم كانوا يعبدون من في الأرض. يقول: لا يعلم ممن تعبدون مِن دون الله من في السماوات والأرض الغيبَ إلا الله،[3] إنما يعلم الغيب[4] الله.

ثم قوله: **الغيب**، يخرج على وجهين. أحدهما ما يغيب عن بعض[5] فهو يعلم ذلك. والثاني لا يعلم الغيب إلا الله، أي ما كان وما يكون إلى أبد الآبدين لا يعلم ذلك إلا الله وإن علموا علموا ذلك [من الله تعالى].[6] ومنهم من صرف الغيب إلى البعث والساعة، يقول: لا يعلم الساعة أحد متى تكون[7] إلا الله.

وقوله:[8] **وما يشعرون أيّانَ يبعثون**. قال عامة[9] أهل التأويل: وما يشعر أهل مكة متى يبعثون. لكن لو كان الجهل عن وقت البعث فأهل مكة وغيرهم من أهلُ السماوات وأهل الأرض في جهلهم بوقت البعث شرعا سواء، لا أحد يعلم من أهل السماوات والأرض أنه متى يُبعَث،[10] إلا أن تكون[11] الآية في منكري[12] البعث، فحينئذ جائز صرفه إلى بعض دون بعض.

---

[1] ن: قلتم؛ ع – صادقين.
[2] ر ع م: ومن في الأرض.
[3] ر م – إلا الله.
[4] ع + إلا.
[5] جميع النسخ: ما يغيب بعضهم من بعض يقول ما يغيب بعضهم من بعض؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[6] جميع النسخ: وان اعلموا وعلموا ذلك؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[7] جميع النسخ: يكون.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع م – عامة.
[10] ر ع م: تبعث.
[11] ر ع م: يكون.
[12] ر ع م: في منكر

فأما في وقت البعث فالناس في جهلهم بوقت البعث سواء، وهو ما قال في آية أخرى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[1] الآية. أخبر أنه لم يُطلِع أحداً[2] على علم ذلك بل علْم ذلك[3] عند الله.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[٦٦]

وقوله:[4] **بل ادَّارَكَ علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عَمُونَ**، اختلف في قراءته وتأويله. أما القراءة فإنه قرأ بعضهم: **إدَّارَكَ** بالتشديد والألف.[5] وقرأ بعضهم: أَدْرَكَ،[6]
[٥٥٧ط] بإسقاط الألف و[إسقاط] التشديد. وقرأ بعضهم:[7] "بَلَى"، بإثبات الياء في "بلى" وعلى الوقف عليها. و[وقرأ بعضهم:] أأدرك[8] على الاستفهام: بلى أَدْرَكَ.[9] ومنهم من قرأ على الاستفهام: أأدرك[10] [لكن] على غير إثبات الياء[11] في حرف "بل"[12] وعلى غير قطع منه. فمن قرأ: **اِدَّارَكَ** بالتشديد على غير الاستفهام يقول: معناه: تدارك واجتمع، أي تدارك علمهم في الآخرة واجتمع حين عاينوها، وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون، بل ادَّرَكَ علمهم في الآخرة.[13] يقول: أَبَلَغ علمهم بالآخرة، أي لم يُدرِك و لم يَبْلُغ علمهم.[14] **بل هم في شك منها بل هم منها عمون**، يُسفِّههم ويُجهِّلهم.[15] يقول: ما بلغ علمهم بالآخرة. وقال بعضهم: **بل ادَّارَكَ**[16] **علمهم في الآخرة**،

---

[1] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجلّيها لوقتها إلا هو﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٨٧).

[2] ر ع م: أحد.

[3] ر ع م - بل علم ذلك.

[4] ن: قوله.

[5] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٥.

[6] ع: ادارك.

[7] ن: وبعضهم قرأ.

[8] ر: وادرك؛ ن: ادرك؛ ع: واادرك.

[9] ن: بلى أأدرك؛ ع: ادرك + على الاستفهام بلى ادارك.

[10] ر: ادرك؛ ع: ادارك.

[11] أي الألف المقصورة المكتوبة على شكل الياء الغير المنقوطة.

[12] ن: بلى.

[13] ر ع م - واجتمع حين عاينوها وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون بل ادرك علمهم في الآخرة.

[14] انظر حول القراءات الواردة: *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٥؛ و*معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٨٥-٤٨٧؛ و*تفسير الطبري*، ٢٠/٧؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/٢٢٦-٢٢٧؛ وانظر أيضا: *لسان العرب*، «درك».

[15] ع + ما.

[16] ن: ادرك.

أي أم أدرك علمهم؟ وقال بعضهم: ادَّرَكَ علمهم في الآخرة، أي غاب علمهم عن الآخرة [في الدنيا] وادرك في الآخرة حين لم ينفعهم. وعن الحسن قال: بل ادَّرَكَ علمهم، أي اضمحل علمهم وذهب. وعن ابن عباس[1] وغيره قالوا: بل ادرك علمهم في الآخرة، بل احتمع[2] علمهم بأن الآخرة كائنة، وهم مشركو[3] العرب. **بل هم في شك منها**، قال: يقولون مرة: الآخرة كائنة ثم يشكّون فيها فيقولون: ما ندري أكائنة أم لا. **بل هم منها عَمُون**، يعني جَهَلَة بها. وجائز أن يسمى الشاكَ في شيء أعمى.[4] وأبو عُبَيدة والقُتَبي يقولان: **ادَّارَكَ علمهم**، أي تدارك ظنهم[5] في الآخرة وتتابع بالقول [والحَدْس].[6] **بل هم منها عمون**، أي مِن عِميها. وقال[7] بعضهم من أهل الأدب: لا تستقيم[8] قراءة من قرأ بإثبات الياء في "بلى" والصلة بالأول، لأن "بلى" بالياء إنما يقال في الإيجاب والإثبات، وما تقدم من الكلام هو على الإنكار والنفي، وذلك غير مستقيم في اللغة والكلام.[9]

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٦٧] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٨]**

وقوله:[10] **وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون**، كأنهم قالوا ذلك لأحد وجهين: إما استهزاءً بما يخبرهم الرسل: إنكم تبعثون، أو قالوا ذلك احتجاجا احتجّوا به على الرسل بقولهم الذي قالوا: **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**، يحتجّون فيقولون:[11] لقد وُعِد[12] آباؤنا بالبعث كما وُعدنا نحن ثم لم نرهم بُعثوا منذ ماتوا، فعلى ذلك نحن وإن وعدنا فلا نُبعث كما لم يُبعث[13] آباؤنا.

---

[1] ع: عن ابن عباس.
[2] جميع النسخ: اجمع؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٩و.
[3] ر ن ع م: مشركوا.
[4] جميع النسخ: عميا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦و.
[5] ع: فظنهم.
[6] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.
[7] ن: قال.
[8] جميع النسخ: لا يستقيم.
[9] ع + والله أعلم.
[10] ن: قوله.
[11] م: ويقولون.
[12] جميع النسخ: وعدنا.
[13] ر ع م: يبعث؛ ع - كما لم يبعث.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٦٩]

ثم قال: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**، يقول -والله أعلم-: لو سرتم في الأرض فنظرتم إلى ما حلّ بمكذّبي الرسل من العذاب. والرسل إنما كانوا يدعون إلى توحيد الله والإقرار بالبعث بعد الموت، فعلى[1] ذلك ينزل بكم ما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل والبعث[2] وغيره. فيكون قوله: **سيروا في الأرض**، ليس على حقيقة الأمر بالسير ولكن على ما ذكرنا، أي لو سرتم لعرفتم ما حلّ بهم بتكذيبهم البعثَ.[3] أو أن يكون الأمر بالسير في الأرض أمرا بالتفكر فيما نزل بأولئك. الأمر بالنظر في عاقبة أمرهم أمْر بالاعتبار فيهم، وفي أمر أولئك أمر[4] بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم وفعلهم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **ولا تحزن عليهم**، قال قائلون: قوله: **ولا تحزن عليهم**، بما يحل بهم من العذاب إن لم يحزنوا هم على أنفسهم و لم يرحموها. وقال بعضهم: قوله: **ولا تحزن عليهم** إن لم يُسلموا، كقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا،[5] وكقوله:[6] لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[7] وقوله:[8] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[9] وأمثال ذلك؛ كادت نفسه تَهْلِك وتَتْلَف إشفاقا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الإسلام فقال: ولا تحزن عليهم ولا[10] تذهب نفسك عليهم حسرات. ليس على النهي ولكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هي عليه لئلا تتلف وتهلك، وهو ما قال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.[11]

---

[1] جميع النسخ: فكل؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٩و.
[2] جميع النسخ: الرسل بالبعث.
[3] ر ع م - البعث.
[4] ر - أمر.
[5] سورة الكهف، ٦/١٨.
[6] ر ع: وكقولك.
[7] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[8] ن: وكقوله.
[9] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[10] ن: فلا.
[11] سورة القصص، ٥٦/٢٨.

وقوله: **ولا تكن في ضَيق مما يمكرون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: لا تكن في ضَيق مما يستهزءون بكم ويسخرون بما توعِدهم من العذاب والهلاك. ألا ترى أنهم قالوا على إثر ذلك: مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[1] قالوا ذلك له استهزاء بما يوعِدهم. فكأنه قال لرسوله: لا تكن في ضَيق مما يستهزءون بما توعِدهم فإن الله يجزيهم جزاء استهزائهم بكم.

والثاني [و]**لا تكن في ضَيق مما يمكرون**، أي مما يريدون ويَهمُّون قتلَك، فإن الله يحفظك ويَحُوطك فلا يَصِلون إليك مما[2] يريدون من قتلك وإهلاكك، وهو ما قال: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[3] وفيه دلالة إثبات رسالته حيث أمّنه وأخبره أنه يحفظه ويعصمه من جميع الأعداء وهو بين أظهرهم. فذلك آية من آيات النبوة والرسالة. *والله أعلم*.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧١]

وقوله: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، قد ذكرنا أنهم إنما[4] يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا بما كان يُوعِدهم من العذاب بتكذيبهم إياه. ثم كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل بأوائلهم بتكذيبهم الرسل، ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الآخرة، فيكذبونه في ذلك كله ويستهزءون به ويقولون: **متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، وكذلك قال أوائلهم لرسلهم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[5]

﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٧٢]

ثم قال: **قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعض الذي تستعجلون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **رَدِف لكم**، بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذي قلتم[6] **بعض الذي تستعجلون**، أي ينزل بكم بعد هذه الحال **بعض الذي تستعجلون** وهو العذاب. وقوله: **ردف لكم**، أي يدنو[7] منكم ويقرُب. والثاني / **عسى أن يكون رَدِف لكم**، بعد الحزن والمكروه الذي يحل بكم بالموت، [٥٥٨و]

---

[1] الآية التالية.

[2] ن: بما.

[3] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[4] ن – إنما.

[5] ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصدقين﴾ (سورة الأعراف، ٧٠/٧). وهو من قول قوم هود عليه السلام.

[6] جميع النسخ: قلتم.

[7] ر: يدنوا.

**بعض الذي تستعجلون**، وهو عذاب القبر، لأنهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لِمَا شاهدوا[1] وعاينوا من حالهم، ولذلك يسألون ربهم الرجوع والردّ إلى المحنة ثانيا، نحو قولهم: رَبِّ ارْجِعُونِ،[2] وقولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ،[3] ونحوه.

[٥٥٨و س٢٠] *قال[4] بعضهم في قوله: **قل عسى أن يكون ردف لكم**. أي أعجلَ لكم.*

[٥٦٠ظ س٢٠] *قال القُتَبي: قوله: **ردف لكم**، أي تبِعكم، واللام زائدة كأنه قال: ردِفكم.[6] *والله أعلم*

٥٦٠ظ س٢٠] *بالصواب*.[7]*

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**. يحتمل قوله: **لذو فضل على الناس**، وجوها. أحدها ذو فضل في تأخير العذاب عنهم، **ولكن أكثرهم لا يشكرون**، ذلك الفضل ولكن يستعجلون. والثاني ذو فضل على الناس في دينهم في بعثه وإرساله إليهم مَن يزجرهم ويَصرِفهم عما يستوجبون من عذاب الله ومَقْته وهو الرسول، لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه. أو **لذو فضل على الناس** فيما أنعم عليهم في[9] أموالهم وأنفسهم، لكنهم لا يشكرون في ذلك بل يصرفون[10] شكره إلى غير المنعم. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٧٤]

وقوله:[11] **وإن ربك لَيعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما يعلنون**، قوله: **تُكِنُّ صدورهم**، يحتمل وجهين. أحدهما ما[12] تُكِنُّون أنتم في صدوركم وتُسِرّون فيها. وما تُعلنون، أي ما تبدون وتُظهرون[13] فيها،

---

[1] ع: يشاهدوا.
[2] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣).
[3] ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).
[4] ن: وقال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٨و/سطر ٢٠-٢١.
[6] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.
[7] ر ن - والله أعلم بالصواب.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٣ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٠ظ/سطر ٢٠.
[9] ع: من.
[10] ع: بل ويصرفون.
[11] ن: قوله
[12] م - ما.
[13] ع - وتظهرون.

يعلم[1] ذلك كله. أو ما **تُكِنُّ** صدورهم، أي[2] ما تُخفي أنفس الصدور وتُسر فيها، وما يعلمون، وما تحمل الصدورُ أصحابَها على إبداء ما فيها وإظهاره، وهو ما[3] ذُكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الإنسان مضغةً إذا صلُحت صلُح جميع بدنه وهو القلب».[4] *والله أعلم*.

**﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٧٥]**

وقوله:[5] **وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**، هذا يخرج على وجهين أيضا. أحدهما ما من غائبة في السماء والأرض مما كان ويكون [إلى] أبد الآبدين إلا كان ذلك مبيّنا في كتاب مبين. يخبر أنه كان لم يزل عالما بما كان منهم [ويكون إلى] أبد الآبدين، وأنه عن عِلم بأفعالهم وصنيعهم خلَقهم وأنشأهم لا عن جهل وغفلة.

والثاني **وما من غائبة في السماء والأرض**، أي ما من غائبة عن الخَلق: ما يَغيب بعضهم من بعض ويُسِرّ بعضهم بعضا إلا كان ذلك في كتاب مبين، [أي] إلا كان ذلك عند الله محفوظا مرقوبا ينبئهم[6] ليكونوا على حذر. يقول: إن ما يغيب بعضهم من بعض فهو عند الله محفوظ رقيب لا يغيب عنه شيء، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[7] *والله الموفق*.*

**﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٧٦]**

وقوله:[9] **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**. قال بعضهم: قوله: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**،[10] مقطوع من قوله: **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل**، كأنه قال: **يقص على بني إسرائيل**، أي يبيّن لهم. ثم قال على الاستئناف: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**. وقال بعضهم: لا، ولكن هو موصول بعضه ببعض: **إن هذا القرآن يقص**، أي يبيّن على بني إسرائيل أكثر مما اختلفوا فيه. فإن كان على ما يقول [أصحاب] هذا [الرأي] فهم بأنفسهم

---

[1] ن: ويعلم.
[2] ع: أو.
[3] ع: وما.
[4] ولفظ البخاري (الإيمان ٤٠): «ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صَلُحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»؛ انظر: *صحيح مسلم*، المساقات ١٠٧؛ و*سنن ابن ماجة*، الفتن ١٤.
[5] ن: قوله.
[6] ر ع م: ينبيهم.
[7] سورة ق، ١٨/٥٠.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٨و/سطر ٢٠-٢١
[9] ن: قوله.
[10] ر ع م - قال بعضهم قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.

يبيّنون الاختلاف الذي هم فيه، لا يحتاج إلى أن يبين لهم[1] القرآن الذي هم فيه يختلفون. إذ هم يبيّنون ما اختلفوا فيه. ولكن تأويله -والله أعلم- أن هذا القرآن يبيّن لهم الحكم في أكثر ما يختلفون فيه،[2] أو يبيّن لهم الحق في أكثر ما يختلفون فيه. وفي ظاهر الآية أنه يبين لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون، [و]أنه قد بقي شيء مما اختلفوا فيه لم يبيَّن لهم حيث قال: **أكثر الذي هم فيه يختلفون.** لكن قوله: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**،[3] أي يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين لهم ما فيه دليل القرآن. أو يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين[4] ما فيه سنّة الرسول[5] ونحوه.[6] ***والله أعلم.***

**﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧٧]**

وقوله:[7] **وإنه**، أي القرآن الذي ذكر. **لهدى ورحمة**،[8] أي هدى من الضلالة لمن اتّبعه في الدنيا وعمل به، **ورحمة** في دفع العذاب عنهم في الآخرة. فيكون هو هدى ورحمة لمن آمن به.

**﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٧٨]**

وقوله:[9] **إن ربك يقضي بينهم بحكمه**، حكمه هو عدله، كأنه يقول: إن ربك يقضي بينهم بعدله، لا يجور[10] ولا يظلم[11] في الحكم والقضاء. **وهو العزيز العليم. العزيز**[12] الذي لا يُعجزه شيء، **العليم** الذي لا يخفى عليه شيء. عزيز بذاته عليم[13] بذاته.

---

١ ر ع م – لهم.

٢ ر ع م – فيه.

٣ ر – لكن قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.

٤ ع: أو يبين.

٥ ر ع م: القرآن.

٦ يقول السمرقندي في تفسير الآية: «وفي ظاهر الآية إشكال من وجهين. أحدهما أنه قال: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾، أي يبين هذا القرآن على الذين سألوا من بني إسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الذي هم فيه ويبيّنون ما اختلفوا فيه، فلا حاجة في البيان إلى القرآن. والثاني ذَكَر أن القرآن يبين أكثر ما اختلفوا فيه لا جميعه. وذكر في موضع أن فيه بيانَ كل حكم فقال: ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٩)، وقال: ﴿ تبيانا لكل شيء﴾ (سورة النحل، ١٦/٨٩)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٩ظ).

٧ ن: قوله.

٨ ر ع م + أي هدى ورحمة.

٩ ن: قوله.

١٠ ر ع م: لا يجوز

١١ ن – ولا يظلم.

١٢ ر ع م – العليم العزيز.

١٣ ر ع م: عالم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[٧٩]

وقوله:[١] **فتوكل على الله**، أي توكل على الله واعتمدْ عليه ولا تَخَفْ مكرَهم وما يريدون ويقصدون أن يكيدوا بك، كقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٢]

وقوله:[٣] **إنك على الحق المبين**، لأنّ معك حججا[٤] وبراهين ليس مع أولئك حجج وبراهين، وإنْ كان كلُّ منهم يقول: أنا على الحق، فأنت على الحق المبين لا هم، لأن معك حججا[٥] وبراهين [بأن] الذي أنت عليه حق وأن الذي هم عليه باطل ليس بحق.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٨٠]

وقوله:[٦] **إنك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين**، قال بعض أهل التأويل: بىغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادي يوم بدر: «يا فلان ويا فلان»، وهم قتلى، بعدما أمر أن يُجمَعوا في قَليب: «هل وجدتم ما وعَد ربكم حقا، ألم تكذّبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا أرحامكم؟» فأنزل الله هذا الآية: **إنك لا تسمع الموتى**.[٧] لكن عندنا أن الله تعالى سمّى الكافر ميتا في غير آيٍ من القرآن لِما لم يُجهِدوا أنفسهم / في عبادة الله ولا استعملوها [٥٥٨ظ]
في طاعته فهم كالموتى، وسماهم صُمّا لِما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه، وسماهم بُكْما لِما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به، وسماهم عُميا لِما لم يبصروا الحق، وسماهم موتى لِما لم يستعملوا أبدانهم[٨] في الحق.[٩] فنفى عنهم هذه الحواسّ لِما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما أُنشأت وخُلقت وإن كانت[١٠] لهم هذه الحواس. فعلى ذلك سماهم موتى وهَلْكى. وفي موضع آخر شبّههم بالأنعام وأخبر أنهم أضلّ[١١] لِما لم يستعملوا أنفسهم فيما أنشأت هي له ولم ينتفعوا بها.

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[٣] ن: قوله.
[٤] جميع النسخ: حجج.
[٥] جميع النسخ: حجج.
[٦] ر – وقوله؛ ن: قوله.
[٧] صحيح البخاري، الجنائز ٨٦، المغازي ٨؛ وصحيح مسلم، الجنة ٧٦-٧٧؛ وسنن النسائي، الجنائز ١١٧.
[٨] ر ع م: أيديهم؛ ن: أبدا انهم.
[٩] انظر: سورة البقرة، ١٨/٢، ١٧١؛ وسورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢.
[١٠] ع: كان.
[١١] ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).

فإن قيل: ما معنى قوله: **ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ إذا ولّوا مدبرين**، أخبر أنه لا يقدر على أن يسمع الصمَّ إذا ولّوا مدبرين، ولا يقدر أن يسمع الصم وإن أتوا مقبلين و لم يولّوا؟

قيل: معناه -والله أعلم- أنهم صاروا صمّا لا ينتفعون بما سمعوا لإعراضهم وترك إمكان النظر فيه. ولو أقبلوا إليه لانتفعوا به فيصير مُسمعا لهم. يخبر عن شدة تعنتهم ومكابرتهم أنهم كالصمّ المدبرين لا يمكن إسماعهم بحال ولا تفهيمهم وإن جَهَد. وأما الصمّ المقبلون فإنهم قد يمكن إسماعهم وتفهيمهم بجهد: بالإشارة والإيماء ونحوها.[1] *والله أعلم بذلك*.

**﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[٨١]

وقوله:[2] **وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم**، وفي بعض القراءات: وما أنت تهدي[3] العُميَ عن ضلالتهم.[4] هذا يدل أنْ ليس كل الهدى البيانَ على ما قالت المعتزلة، لأنه لو كان الهدى كله بيانا في جميع المواضع على ما قالوا هم لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر أن يبين للكفار عن ضلالتهم وقد بين لهم. ثم أخبر رسوله: **وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم**، فدل هذا أن عند الله هداية ولطفا[5] إذا سألوه وطلبوا منه ذلك فأعطاهم لاهتدوا به وآمنوا. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم.

وقوله:[6] **إنْ تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**، أي ما تسمع إلا أهل الإيمان بالآيات وأهل الإسلام منهم، فأما أهل العناد والمكابرة فلا.

**﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾**[٨٢]

وقوله:[7] **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض**، قال بعضهم: قوله: **وإذا وقع القول عليهم**،[8] أي إذا وقعت الحجة عليهم ولزمت فكذبوها أخرجنا لهم دابة.

---

[1] ر م- ونحوها.
[2] ن: قوله.
[3] ع: بهادي.
[4] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٧؛ ومعجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٠/٣.
[5] ن ع: ولطف.
[6] ن: قوله
[7] ن: قوله.
[8] ن: قال بعضهم قوله وإذا وقع القول عليهم.

وقال بعضهم: وإذا وقعت السَّخْطة والغضب عليهم أخرجنا لهم دابة.[1] وقال قائلون: **إذا وقع القول عليهم**، أي إذا بلغوا في الكفر حدا[2] يعلم الله أنهم لا يؤمنون أبدا بعد ذلك أخرجنا لهم دابة. لكن قد ذكرنا في غير موضع أن هذا لا يصح ولا يجوز، إذ الله عز وجل لم يَزَل عالما بما كان ويكون منهم أبدَ[3] الآبدين، فليس علمه بأحوالهم بما يكون منهم إذا بلغوا ذلك الحد، بل لم يَزَل عالما بما يكون منهم. وهذا الحرف الذي يقول هذا القائل يومئ إلى أنه إنما يعلم ذلك منهم إذا بلغوا ذلك الحد، وقبل ذلك لا، فهو قبيح. وقول من قال: إذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل أيضا، لأن[4] الحجة قد كانت قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجة عليهم في ذلك الوقت. فيكون التأويل أحد وجهين. أحدهما ما ذكرنا من وقوع العذاب ووجوب العقوبة والسَّخطة عليهم، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ،[5] أي العذاب وجب عليهم. والثاني أي وإذا أتى وقت خروج الدابة التي وعَدنا لهم أنها تخرج أخرجنا[ها] لهم في ذلك الوقت، أي لا يتقدم[6] خروجها عن[7] الوقت الموعود ولا يتأخر، كقوله: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[8] وهكذا كل شيء جعل[9] الله لظهور[ه][10] وكونه وقتا لا يتقدم ولا يتأخر ذلك الوقت. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويل الآية.

وقوله:[11] **تُكَلّمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**، قراءة العامة بالتشديد: تكلّمهم، من التكليم والتحديث. وكذلك في بعض الحروف: تحدّثهم[12] وتُنبئهم.[13] وقد قرئ: تُكْلِمهم بالتخفيف،[14]

---

[1] ر ع + وقوله.

[2] م: هذا.

[3] ع: أبدا.

[4] ع: أن.

[5] ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة الأحقاف، ١٨/٤٦).

[6] ع + ولا يتأخر ذلك.

[7] ع- خروجها عن.

[8] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧).

[9] م: جعله.

[10] جميع النسخ + ذلك.

[11] ن: قوله.

[12] ر ع م: بتحدثهم.

[13] قراءة بن مسعود وردت على: تُنبئهم؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٣.

[14] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٠/٣-٤٩١.

وهو من الجَرْح،[1] وهو ما ذُكر من[2] الأخبار والقِصص أن الدابة إذا خرجت تجرح[3] الكافر وتَسِمه بِسِمَة وعلامة حتى يُعرف الكافر من المؤمن فيقال: يا مؤمن ويا كافر. وسئل ابن[4] عباس عن ذلك وقال: تُكلِّم المؤمن وتحدّثه وتجرح[5] الكافر.[6] *والله أعلم*.

ثم اختلف في قوله: **أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**، اختلف في تلاوته وتأويله. [قرأ بعضهم:][7] **أن الناس**، بنصب الألف، و[بعضهم:] "إن الناس" بكسرها.[8] فمن قرأ بالنصب: "أن الناس" جعل ذلك القول من الدابة. ثم يخرج على وجهين. أحدهما تقول[9] الدابة: إن الناس كانوا بي وبخروجي لِمَا وُعدوا لا يوقنون أني أخرج، فها[10] أنا ذا خرجت. والثاني أنها تخبر عن الله وتُنبئ أن الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الآيات لا يوقنون. ومن قرأ بالخفض "إن الناس"[11] يجعل ذلك القول من الله ابتداءَ إخبارٍ [ب]أنهم كانوا لا يزالون لا يوقنون بآياتنا.[12] وفي[13] خروج الدابة أعظم آيات في إثبات رسالة رسول الله ونبوته، لأنه أخبر أنها تخرج في وقت كذا، فتخرج على ما أخبر في ذلك الوقت على الوصف الذي وصف فيدلهم على صدقه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٨٣]

وقوله:[14] **ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا**، يُجمَع القادة منهم والأتباع والمتبوعون فيساقون[15] / إلى النار جميعا، كقوله: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[16] الآية، [٥٥٩و]

---

[1] جميع النسخ: من الجراحة.
[2] ر م: في.
[3] ع: تخرج.
[4] ن + ابن.
[5] ع: ويخرج.
[6] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٣٨/١٣؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٢٥/٢٠.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٠و.
[8] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٨.
[9] ر ن م: يقول.
[10] ع: فيه.
[11] ر ع م – الناس.
[12] ر ع م – بآياتنا.
[13] ن + وفي.
[14] ن: قوله.
[15] ع: فتساقون.
[16] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).

وكقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا [إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا]،[1] الآية، وكقوله: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ.[2] قال[3] أهل التأويل: **يوزعون**، أي يُحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، وقد ذكرنا الوزع فيما تقدم وما قيل فيه.[4]

**﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [٨٤]

وقوله:[5] **حتى إذا جاءوا**، أي حتى إذا جاءوا[6] جميعا واجتمعوا، يعني الكفار، **قال** لهم: **أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها عِلما**. يحتمل قوله:[7] **ولم تُحيطوا بها علما**، أي قد أحطتم بها علما أنها آيات لكن كذّبتم وأنكرتم أنها آيات عنادا ومكابرة، إذ يجوز أن يُتكلم بالنفي على إثبات ضده، كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[8] أي يعلم[9] بضد ذلك وبخلاف ما تقولون أنتم. وذلك جائز في القرآن كثير. أو أن[10] يكون قوله: **ولم تحيطوا بها علما**،[11] لما لم تتفكروا[12] فيها ولم تنظروا[13] إليها نظرَ التعظيم والإجلال[14] لكي تعرفوا وتحيطوا[15] بها علما أنها آيات. وإلا لو كان التأويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر في تكذيبها إذا لم يحيطوا بها علما، إذ من لم يُحط العلمَ بالشيء فله عذرُ الردّ وترك القبول، لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما. ***والله أعلم***.

ثم قال: **أم ماذا كنتم تعملون**، في تكذيب الآيات أو الأعمال[16] التي عملتموها[17] بلا حجة ولا برهان.

---

[1] سورة الزمر، ٣٩/٧١.
[2] سورة فصلت، ٤١/١٩.
[3] ع: وقال.
[4] انظر: تأويل الآية ١٧ من هذه السورة.
[5] ن: قوله.
[6] م- أي حتى إذا جاءوا.
[7] ر ع م - قوله.
[8] سورة يونس، ١٠/١٨.
[9] ر ع م: نعلم.
[10] ر ع م: وأن.
[11] ع- علما.
[12] ر ع م: لم تتفكروا.
[13] ر م: ولم ينظروا.
[14] ر: وإجلال.
[15] جميع النسخ: وأحطتم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦٠ظ.
[16] ر ع م: والأعمال.
[17] جميع النسخ: عملوها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾[٨٥]

**ووقع القول عليهم**، أي وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب بما ظلموا حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[١] ونحوه.

وقوله:[٢] **فهم لا ينطقون**، أي لا ينطقون بالحجة مما يكون لهم به عذر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٨٦]

وقوله:[٣] **ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات**، أي في الليل والنهار لآيات **لقوم يؤمنون**.[٤] ثم الآيات التي ذُكّر فيهما تكون[٥] من وجوه. أحدها[٦] دلالة وحدانيته، ودلالة علمه وتدبيره وحكمته، ودلالة كرمه وجوده، ودلالة قدرته وسلطانه، ودلالة القدرة على البعث والإحياء بعد ما صاروا رمادا ترابا. أما دلالة كرمه وجُوده ما جعل لهم في الليل والنهار منافع تدوم ما داموا هم.[٧] ثم[٨] تلك المنافع تكون من وجهين. أحدهما جعل النهار لتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم. وجعل الليل راحة لهم وسكونا. ولو[٩] جعلهما جميعا[١٠] لتقلب ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا، لأنه لا يلتئم[١١] ذلك إلا بالراحة. ولو جعلهما جميعا للراحة لم يقُم أمر معاشهم. فمِن رحمته وفضله جعل أحدهما لراحة والآخر للتقلب[١٢] وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.[١٣]

---

[١] سورة هود، ١١٩/١١.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر ع م - يؤمنون.
[٥] ن ع: يكون.
[٦] ر ن ع م: احديها.
[٧] ع: د موهم.
[٨] ع - ثم.
[٩] ع: وما.
[١٠] م - جميعا.
[١١] ر ن م: لا يلتام.
[١٢] ع - ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا لأنه لا يلتئم ذلك إلا بالراحة ولو جعلهما جميعا للراحة لم يقم أمر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل أحدهما للراحة والآخر للتقلب.
[١٣] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).

والثاني من النعمة التي ذَكَر [هو] أنه جعل[1] الذي[2] للتلقب إنما جعل ذلك للكل لا للبعض دون البعض.[3] وكذلك[4] الذي هو مجعول للراحة والقرار[5] إنما جعله كذلك للكل لا لقوم دون قوم. ولو جعل كذلك لكان لا يقوم أمر معاشهم ولا ما به يقوم أبدانهم وأنفسهم. ولكن من رحمته وفضله جعل المجعول وقتا لراحة للكل لا لبعض دون بعض، وكذلك المجعول للتقلب [هو] للكل[6] ليظفر المشترون بالباعة والباعة بالمشترين ليلتئم[7] أمر معاشهم ودنياهم.

وأما دلالة وحدانيته ما جعل منافع أحدهما متصلة بالآخر، إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر[8] على اختلاف جوهرهما، ليعلم أن مدبرهما ومنشئهما واحد، إذ لو كان عددا لكان ما أراد هذا إيصالَه مَنَع[ه] الآخرُ. فإذ[9] لم يكن ولكن جَرَيَا على سَنَنٍ واحد واتساق واحد دلّ أنه تدبير واحد لا عدد.

ودلالة علمه وحكمته أنهما منذ كانا كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغيّر ولا تبدّل[10] يقع فيهما، دلّ أن لمنشئهما علما ذاتيا وحكمة ذاتية لا علما مكتسبا مستفادا كعلم[11] الخلق.

وأما دلالة القدرة والسلطان [فـ]لأنهما يقهران ويغلبان[12] الخلق كله من الجبابرة والفراعنة شاءوا أو أبَوا، حتى إذا أراد واحد منهم[13] منع أحدهما أو يزيد في أحدهما[14] أو ينقص من الآخر لم يقدر عليه. أو إن اجتمعوا جميعا على دفعهما[15] أو دفع أحدهما دون الآخر لم يقدروا عليه، دل أن لمنشئهما قدرة وسلطانا،[16] إذ من قدر على إنشاء هذا لا يُعجزه شيء.

---

[1] ن + فيهما إذ جعل الذي جعل؛ ع + الليل.
[2] ن – الذي.
[3] ن: بعض؛ ع– البعض.
[4] ر م: ولذلك.
[5] ر ع م: والقران.
[6] ر ع م – للكل.
[7] ن ع: ليلتأم.
[8] ع– إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.
[9] ع: فإذا.
[10] ع: من غير تغير وتبدل.
[11] ع: لعلم.
[12] ر ع م – ويغلبان.
[13] جميع النسخ + في.
[14] ر ع م – أو يزيد في أحدهما.
[15] ن: على دفعها.
[16] ع: وسلطانه + ما.

ودلالة القدرة على البعث لأنه يُتلف أحدهما ويَذهب به[1] حتى لا يبقى أثره ثم يأتي بالآخر على تقدير الأول. فمن قدر على إنشاء هذا بعد ذهاب الآخر بكليته وذهاب أثره لقادر على إنشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وإنه لا يعجزه شيء.

ثم لما جعل هذا ما ذكرنا وخلق ما خلق[2] من المنافع التي ذكرنا لهذا العالم خلق هذا العالم للمحنة يأمرهم وينهاهم، وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من أطاعه ويعاقب من عصاه. إذ لو لم يكن عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمةَ فيه، لأن من[3] بنى بناء للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة يؤمل
[٥٥٩ظ] نفعها[4] كان / بناؤه عبثا غير حكمة. فعلى ذلك خلْق الخلق لا لعاقبة تُقصَد عبَثٌ ليس بحكمة.

والآيات لمن آمن بها وصدق، فأما من لم يؤمن وكذب بها فهي آيات عليهم لا لهم

**﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾**[٨٧]

وقوله:[5] **ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض.** اختلف في النفخ ما هو وفي عدده، واختلف في الصور[6] أيضا ما هو وكيف هو؟ أما الاختلاف في النفخ فمنهم من يقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن إخبار عن خِفّة قيام القيامة على الله. أخبر بالنفخ عنها لأنه أخف شيء على الخلق وأهونه فأخبر به عنها، وهو ما قال: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ،[7] شبه أمرها بلمح البصر لِما ليس شيء أخفَ على المرء من لَمح البصر، فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق. ومنهم من يقول: ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة، إذ ليس شيء أسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[8] ذكر ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها، إذ ليس شيء أسرع نفاذا[9] من الصيحة والرجفة.

---

[1] ع: عنه.
[2] ن – ما خلق.
[3] ع: لا من.
[4] جميع النسخ: يتأمل نفعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦١و.
[5] ن: قوله.
[6] ر: واختلفوا في الصورة.
[7] ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ (سورة النحل، ٧٧/١٦).
[8] ر ن م – واحدة. انظر إلى مثل قوله تعالى: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾(سورة يس، ٢٩/٣٦)؛ وقوله: ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (سورة يس، ٥٣/٣٦).
[9] ع: نفاذ.

فيقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن[1] إخبار عن خفتها على الله أو سرعة نفادها على ما ذكرنا. وهو ما قال: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[2] ليس أنه ينفخ فيه نفخا ولكن يجعل كأنه قال: وجعلنا فيه من روحنا. ومنهم من يقول على حقيقة النفخ، فإن كان على هذا فهو أن يمتحن به[3] الملَك من غير أن يقع له الحاجة إلى ذلك. نحوَ ما امتحن الكرام[4] الكاتبين بكتابة أعمال الخلق وأفعالهم من غير وقوع الحاجة إليه لكن امتحانا منه ملائكته بذلك. أو أن يكونوا هم[5] أحذر،[6] إذ هو عالم بما كان وبما يكون: كيف يكون ومتى يكون وأيَّ شيءٍ يكون؟

وأما اختلافهم في عدد النفخ، قال قائل:[7] إنه واحد، يحتج بقوله: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، وقوله: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ.[8] ومنهم من يقول بالنفختين، يحتج[9] بقوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ.[10] أخبر أنه يَردُف الأولى غيرُها ويحتج بقوله أيضا: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى.[11] ومنهم من يقول بالنَّفَخات الثلاث، يقول الأولى للفزع، والثانية للصَّعق على ما ذكرنا في الآية، والثالثة للإحياء. ومنهم من يقول بالثلاث إلا أنه يجعل ذلك كله بعد الموت. إحداها للفزع في القبور، والثانية للإحياء فيها، والثالثة للإخراج منها والنشر. ويقول هذا القائل بعذاب أهل القبر من النفخة الثانية إلى النفخة الثالثة. وعلى ذلك رويت أخبار[12] في ذلك، فإن ثبت[13] فهو ذاك وإلا نقف فيه.

[1] ن: ولكنه.
[2] ﴿ومريمَ ابنة عمرانَ التي أحصنَت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكُتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).
[3] ر ع م – به.
[4] ع: الكرامة.
[5] ر ع م – هم.
[6] يقول السمرقندي في تفسير الآية: «ويحتمل أيضا أن يكون الأمر للملائكة بالكتابة، لأن ذلك في عرف الناس أبلغ في الحذر من غير الكتابة فخرج على وفق عاداتهم ليكون أقرب إلى المراد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦١و).
[7] ن ع: قائلون.
[8] ن م – وإنما هي واحدة؛ ر م – وإنما هي واحدة. سورة النازعات، ١٣/٧٩-١٤.
[9] ن ع: يقول.
[10] سورة النازعات، ٦/٧٩-٧.
[11] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
[12] ن: الأخبار.
[13] ع: ما ثبت.

وأما اختلافهم في الصور قال قائلون: يُنفخ في الخلق[1] والصُور جمع صورة. قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس هو من أفراد الصُوَرِ ولا من جمعها، لأن الفرد هو صورة بالهاء وجمع الصورة صُوَر[2] بتحريك الواو على ما ذكر في الآية: [وَصَوَّرَكُمْ] فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.[3] ومنهم من يقول هو قَرْن يُنفخ فيه كقرن كذا أو بُوق كبوق كذا. لكنا[4] لا نفسر شيئا مما ذكر من النفخ والصور أنه كذا ولا نشير إلى شيء أنه ذا، إلا إن ثبت شيء من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به، وليس هو بشيء يوجب العمل به فَيُتَكَلَّف صحته أو سَقَمه إنما هو شيء يجب التصديق به، فنقول[5] بالنفخ والصُور على ما جاء ولا نفسره. **والله أعلم.**

وقوله: **ففَزِع من في السماوات ومن في الأرض**، وقال في آية أخرى: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ؛[6] إنما هو إخبار عن شدة هَوْل ذلك اليوم، كقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى [وَمَا هُمْ بِسُكَارَى]،[7] الآية، وكقوله تعالى: [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ [وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا]،[8] ونحوه.

وقوله: **إلا من شاء الله**، قال بعضهم: **إلا من شاء الله**،[9] هم الشهداء في الأرض، وعلى ذلك روى في بعض الحديث أنه قال: «ما أُعطِي آدميّ بعد النبوة أفضلَ من الشهادة، لا يسمع الشهيد[10] الفزَع يوم القيامة إلا كرجل قال لصاحبه:[11] أتسمَع؟ قال: أسمع كأذِين[12] الصلاة.»

---

[1] أي يُنفخ لأرواح في صُوَر الموتى.

[2] ن: صورة. *معاني القرآن* للزجاج، ٤/٢٢.

[3] سورة المؤمن، ٤٠/٦٤. وعبارة السمرقندي هكذا: «قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس بجمع صورة ولا من الوُحدان. فالوحدان هو الصورة بالهاء، والجمع هو الصور بتحريك الواو إلى الفتحة، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦١و). وانظر أيضا للمزيد: *لسان العرب*، «صور».

[4] ع: لكن.

[5] ن: فيقول.

[6] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦٨).

[7] سورة الحج، ٢٢/٢.

[8] سورة الحج، ٢٢/١-٢.

[9] ر ع م – قال بعضهم إلا من شاء الله.

[10] ن: لشهداء.

[11] ع: صاحبه.

[12] ن: كتأذين. والأذان والأذين بمعنى واحد (*لسان العرب*، «أذن»).

وقال بعضهم: هم جبريل ومكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقال بعضهم: هم الأنبياء والرسل. لكن لا نقول نحن: إن أهل الثُّنيا هم كذا ولا نشير إلى أحد، لأنا لا نعلم ذلك إلا إن ثبت في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول به. وجائز أن يكون الذين استثناهم هم[١] الذين أخبر عنهم في آخر الآية أنهم يكونون آمنين من فزع ذلك اليوم وهوله، وهو ما قال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.[٢]

وقوله:[٣] **وكلٌّ أتوه**، قرئ[٤] بالمد: آتوه[٥] وتطويله مضمومة التاء فيه على مثال فَاعِلُوه[٦] وهو جمع آتٍ،[٧] كقوله:[٨] إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا.[٩] وآتُوه جمع آتٍ[١٠] وهو من سيأتون. وقرأ بعضهم بقصر الألف ونصب التاء على الإتيان [بمعنى:] قد أتوه.[١١]

وقوله:[١٢] **داخرين**، قيل صاغرين ذليلين، دخر أي ذلّ.

**﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾**[٨٨]

وقوله: **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**، قال بعضهم: وهي تمرّ مر كذا لكثرتها وازدحامها يرى الناظر إليها / ويحسبها كأنها جامدة. وكذلك العسكر العظيم يحسب [٥٦٠و]
الناظر إليه كأنه[١٣] ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم، فعلى ذلك الجبال. وقال بعضهم: لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهوله وفزعه على الناس يحسبون الجبال[١٤] كأنها[١٥] جامدة وهي تمر مر السحاب،

---

[١] ر ع م: عن.
[٢] سورة النمل، ٨٩/٢٧.
[٣] ن: قوله.
[٤] ع: قرأ.
[٥] ن - آتوه.
[٦] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٢/٣؛ حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٨-٥٣٩.
[٧] ع + وقوله.
[٨] ر ع م - كقوله.
[٩] ﴿إن كلُّ من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ (سورة مريم، ٩٣/١٩).
[١٠] ر ع م: اتا.
[١١] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٩.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ن: إليها كأنها.
[١٤] ر ع م - الجبال.
[١٥] ع: أنها.

وهو ما ذكر: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى،[1] الآية، لشدة هوْل[2] ذلك اليوم وفزعه. وقال بعضهم: لا ولكن الجبال لهوْل ذلك اليوم وفزَعه تمر مرَّ السحاب وسَيْرَه، كقوله:[3] وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[4] وأصله إنما يذكر هذا وما تقدم من هوْل[5] ذلك اليوم وشدته على الخلق ليتعظوا وينزجروا.[6]

وقوله:[7] **صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء**، قال بعضهم: **أتقن**، أحكم وأبرم. وقال بعضهم: **أتقن**، أي أحسن كل شيء.

قال[8] بعض المعتزلة: كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لأنه شتم رب العالمين،[9] ولا يجوز أن يقال: الله خلَق[10] شتْمَ نفسِه أو أحسن[11] شتْمَ نفسه أو أحسن كفْرَ الكافر وغير ذلك من الخرافات.

فيقال لهم: لا يقول أحد إنه خلق الكفر وأحسنه أو أحسن شتم نفسه على هذا الإطلاق، [و]من قال ذلك فهو كافر. ولكن يقول: خلَق[12] فعْلَ الكفْر من الكافر قبيحا وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا[13] وخَلَق فعلَ المعصية من العاصي[14] قبيحا. لكنه [هو] من حيث خلْقُه ذلك وجعْله حجة عليه حسن متقن محكم[15] وإن كان ذلك الفعل[16] منه قبيحا باطلا سفها جَورا،[17] أعني من الكافر.

[1] ﴿يوم ترونها تَذْهَلُ كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).
[2] ر م - هول.
[3] ن - كقوله.
[4] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[5] ع: هو.
[6] ر: أو ينزجروا.
[7] ن: قوله.
[8] ن: وقال.
[9] ر ن - العالمين.
[10] ن - خلق.
[11] ر ع م: وأحسن.
[12] ر ع م - خلق.
[13] ر ع م - وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا.
[14] ن ع: من المعاصي.
[15] جميع النسخ: حسنا متقنا محكما.
[16] ن ع: الحكم.
[17] ع: جوارا.

ألا يرى أنّ من تكلّف أن يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير مذموم، لأنه يتكلف أن يعرف ما هو سفه في الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا. فهو من هذا الوجه عارف حقٍ وحكمةٍ لأن الحكمة توجب أن يَعرف كل شيء على ما هو في نفسه حقيقة. فعلى ذلك خلقُ فعْل الكفر من الكافر على الوجه الذي ذكرنا هو حسن متقَن محكَم، وإن كان من حيث فِعل الكافر قبيحا سفها باطلا. وهذا كما نصفه[١] على الإطلاق أنه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا نقول: يا خالق الأنجاس، ويا رب الأقذار ونحوه، وإن كان هذا داخلا في الجملة أنه خالقها وربها، لأنه على الإطلاق يخرج مخرج المدح له والثناء، وعلى التخصيص[٢] [يخرج][٣] مخرج الذم له، فعلى ذلك الأول.

وقوله: **صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء**، [يذكر] على إثر وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وإفسادها وإخراجها من[٤] الصفة التي أنشأها إلى ما ذكر [بأنه] لم يخرج من الإتقان والإحكام والإبرام ليُعلم أنْ ليس في[٥] إفساد الشيء خروج عن الإتقان إذا كان ذلك بحكمة.[٦] *والله أعلم*. وقوله:[٧] **إنه خبير بما تفعلون**، وعيد لهم.

**﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾**[٨٩]

وقوله:[٨] **من جاء بالحسنة**، قالوا جميعا: الحسنة هاهنا التوحيد والإيمان.

وقوله:[٩] **فله خير منها**، قيل فيه بوجوه.[١٠] أحدها: من جاء بالتوحيد، توحيدِ ربه [يوم] البعث فله خير منها، ومجيئه[١١] ربه بالتوحيد إذا خُتم به فله ما ذكر. شَرَط المجيء به ولم يَقُل: من عمل بالحسنة فله كذا لأن الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا يثاب بها عليها، ليُعلم أن ما يَنتفع بالحسنات في الآخرة[١٢] الحسنة التي خُتم بها عليها وجاء بها ربه.

---

[١] ر ع م: يصفه.
[٢] ر ع م: على التخصيص.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦١ظ.
[٤] ع - عن.
[٥] ع: من.
[٦] ر م: محكمه؛ ع: محكمة.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ن: وجوه.
[١١] ر: ومجيب.
[١٢] ع: بالآخرة.

وقال بعضهم: قوله: **فله خير منها**، أي ما يعطى في الآخرة له من الثواب[1] والجزاء إنما يكون من الحسنة التي كانت منه في الدنيا، منها يكون له جميع الخيرات في الآخرة.[2] وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي الذي أُعطي له في الآخرة من الخيرات خير مما ترك في الدنيا من النعم وصبَر عليها فذلك خير مما ترك، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ[3] كذا. وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي رؤية الرب ولقاؤه خير مما أعطِي غيرَها[4] من الخيرات، على ما يكون في الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعيّة أعظم وأفضل عندهم من غيره من الكرامات وإنْ عظمت وجلّت. وقال بعضهم: ذلك الثواب والجزاء في الآخرة خير مما عملوا به من الخيرات في الدنيا، لأن الثواب وجوبه بطريق الفضل والرحمة لا الاستيجاب[5] والاستحقاق، إذ في الحكمة والعقل وجوب العمل [شكر للنعمة][6] وليس فيهما وجوب الثواب. فما[7] هو سبيله فضل الله خير مما هو غيره. لكنه عورِض بأنّ كل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقلَ خير مما كان سبيل وجوبه الإفضال، إذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسَع تركه، وما كان وجوبه الإفضال له تركه. لكنه قال: إن قوله: **فله خير منها**، أي في طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لا أنه في الحقيقة خير، وهو كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[8] أي في طباعكم. وعندكم أن[9] إعادة الشيء أهوَن من ابتدائه، إذ ليس شيء أهون[10] على الله من شيء، ولكن عندكم أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه،[11] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهم من فزَعٍ يومئذٍ آمنون**، أخبر أنهم إذا أتوا ربهم بالتوحيد يكونون[12] آمنين من فزع ذلك اليوم وهوْله.

---

[1] ر ع + والثواب.
[2] ع: بالآخرة.
[3] ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ١١/١١).
[4] ع: غيره.
[5] ع: للاستيجاب.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦١ظ.
[7] ر م: فيما؛ ن: مما.
[8] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).
[9] ع: أي.
[10] ر: أهو.
[11] ن – أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه.
[12] ع: يكون.

**﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٠]**

وقوله: **ومن جاء بالسيئة**، أي بالشرك، **فكُبَّت وجوههم في النار**. المنكّب على الوجه[١] هو المُلقَى على الوجه، كقوله: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.[٢]

وقوله:[٣] **هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**، أي ما تجزون إلا / بأعمالكم. [٥٦٠ظ]

**﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٩١] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[٩٢]**

وقوله: **إنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها**، وقوله: **حرمها**، يحتمل وجهين. يحتمل **حرمها**، أي منعها من الاستلاب والاختطاف فيها، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ،[٤] ليس على التحريم حتى لا يحلّ له ذلك ولكن على المنع والحظر، أي منعنا منه المراضع. والثاني على التحريم نفسه، وهو ما جعل في كل أحد[٥] من الكافر والمسلم في الجاهلية والإسلام حرمة ذلك المكان حتى لا يتناول أحد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأُمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن**، أي وأمرت أن أتلو القرآن[٦] أيضا عليكم. كأنهم أوعدوه بوعيد وخوّفوه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال عند ذلك لهم: **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة**، وهو رب كل شيء، أي أمرت أن أكون عبدا له لا أجعل نفسي عبدا لغيره، وأمرت أيضا أن أجعل نفسي سالما له[٧] لا أجعل[٨] لأحد[٩] فيها شركا كما جعلتم أنتم، وأمرتم أنتم[١٠] أيضا بذلك كله.[١١] وأمرت أيضا أن أتلو القرآن عليكم،

---

١ ع: وجه.
٢ ﴿يوم تُقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٦/٣٣).
٣ ن: قوله.
٤ ﴿وحرمنا عليه المراضع مِن قبلُ فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفُلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، ١٢/٢٨).
٥ ر ع م: في كل حد.
٦ ر ع م - أي وأمرت أن أتلو القرآن.
٧ ع - له.
٨ ر + نفسي سالما له لا أجعل.
٩ ر: لا أحد.
١٠ ر ع م - وأمرتم أنتم.
١١ ع - بذلك كله.

فأنا أتلوه عليكم[1] كذبتموني أو لم تكذبوني فإني لا أخاف كيدكم ولا مكركم.[2] *والله أعلم*.

وفي قوله: **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها**، دلالة[3] لزوم الرسالة، لأن أهل مكة وغيرهم قد أقرّوا جميعا بحرمة تلك البقعة من أوائلهم[4] وأواخرهم فما عرفوا ذلك إلا بالرسل. دل أن أوائلهم يقرّون بالرسالة والنبوة، فعلى ذلك يلزم هؤلاء الإقرار بها. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**، يخبر أن من آمن وقبل الهدى فإنما يفعل ذلك لمنفعة نفسه، ومن ضلّ أيضا فإنما يكون ضرره[5] عليه، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[6]

وقوله:[7] **فقل إنما أنا من المنذرين**، أي ليس عليّ إلا الإنذار، فأما غير ذلك فذلك عليكم، كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[8] وقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[9]

**﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٩٣]**

وقوله: **وقل الحمد لله سيُريكم آياته**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما سيريهم آيات وحدانيته وربوبيته وآيات رسالته. وقوله:[10] **فتعرفونها**، أي بالآيات ما ذكر، كقوله: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ.[11] والثاني سيريهم ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خبرًا.

وقوله:[12] **وما ربك بغافل عما تعملون**، قال بعضهم: هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير وزجر، وتعزية للمظلوم وتسلٍّ[13] له. وقال بعضهم: هذا الحرف ترغيب وترهيب.*

---

[1] ع: عبدا له.
[2] ر: فلا مكركم.
[3] ع + من.
[4] ع: للأوائلهم.
[5] ر ع م: ضرورة.
[6] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[7] ن: قوله.
[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[9] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[10] ن: قوله.
[11] ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (سورة فصلت، ٥٣/٤١).
[12] ن: قوله.
[13] ن ع: وتسلى.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٠ظ/سطر ٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القصص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿طسٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]**

قوله[2] عز وجل: **طسٓمٓ تلك آيات الكتاب المبين**، قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم في غير موضع ما يغني ذكره في هذا الموضع.[3]

**﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]**

وقوله:[4] **نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحقّ، من نبإ موسى وفرعون**، أي من خبرهما. وقوله: **بالحقّ**، أي بالصدق، ما يُعلم أنه صدق وحقّ. وجائز أن يكون قوله: **بالحقّ**، أي بالحق الذي لموسى على فرعون وقومه، أو بالحق الذي لله عليه. *والله أعلم*.

وقوله:[5] **لقوم يؤمنون**، يحتمل وجهين. أحدهما **نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون**، للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون بالأنباء وما فيها. وأما من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا يكون له.[6] والثاني **لقوم يؤمنون**، بالأنباء والكتب المتقدمة، هم يعرفون أنه حقّ لِما في كتبهم ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر م + ذكر أنها مكية؛ ن ث + ذكر أنها مكية نزلت فيها.

[2] ن: وقوله.

[3] انظر مثلا: تأويل الآية ١ من سورة البقرة، والآية ١ من سورة آل عمران، والآية ١ من سورة الرعد.

[4] ث: قوله.

[5] ن: قوله.

[6] ر ث م – له.

**﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٤]

وقوله:[١] **إن فرعون علا في الأرض**، قال بعضهم: تجبّر واستكبر وأبَى أن يخضع[٢] لموسى ولأمثاله. وقال بعضهم: **علا في الأرض**، أي بغى وقهر، فيكون تفسيره ما ذكر على إثره: **يستضعف طائفة منهم يذبّح أبنائهم ويستحيي نساءهم**، هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون علوّه وبغيَه في الأرض. ويشبه أن يكون قوله: **علا في الأرض**، أي علا[٣] قدره وارتفعت[٤] رتبته في الأرض لما ادّعى لنفسه الألوهية والربوبية بعد ما كان عبدًا كسائر العباد أو دونهم، فَعَلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك.[٥] و **علا في الأرض**، أي غلب. وقوله:[٦] **وجعل أهلها شِيَعًا**، قيل: فِرَقًا، يستضعف طائفة ويذبّح طائفة ويستحيي طائفة ويعذّب طائفة. وجائز أن يكون قوله: **وجعل أهلها شِيَعًا**، أي جعل لكل طائفة منهم عبادةَ صَنَم لم يجعل ذلك لطائفة أخرى، وجعل طائفة أخرى على عمل أولئك وحوائجهم ليتفرغوا لعبادة الأصنام التي استعبدهم لها، لأن الشِّيَع فِرَق يرجعون جميعًا إلى أصل واحد وإلى أمر واحد. وقوله:[٧] **إنه كان من المفسدين**، كذلك كان لعَنَه الله.

**﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[٥] **﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾**[٦]

وقوله:[٨] **ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض**، هذا في الظاهر إخبار لرسوله أنه سيفعل ذلك، لا أنه منّ عليهم وفعل ذلك لأنه يقول: **نريد أن نمن على الذين** كذا، [فإنه لو كان] وقد منّ عليهم بذلك فهلّا قال: وقد منَنّا على الذين استضعفوا في الأرض.
[٥٦١و] لكن معناه -والله أعلم- أي كنا نريد في الأزل أن نَمُنَّ عليهم وأن نجعلهم / أئمّة وأن نجعلهم الوارثين. وإلا الظاهر ما ذكرنا.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م: يضع.
[٣] ر: عمى.
[٤] جميع النسخ: وارتفع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٥ظ.
[٥] ن: ذلك
[٦] ن: قوله.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن. قوله.

وقوله: **ونجعلَهم أئمَة**. يحتمل وجهين. أحدهما جعَلهم جميعًا أئمة لنا، بهم نقتدي ونَنقاد لهم.[١] أو أن يكون قوله: **ونجعلهم أئمة**، أي نجعل فيهم أئمّة وقَادَةً لهم، أي نجعل بعضهم أئمة لبعض، كقوله لموسى: اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ.[٢] والأئمة المذكورة هاهنا كأنهم هم الأنبياء الذين ذكروا[٣] في هذه الآية.

**ونجعلَهم الوارثين ونُمَكِّنَ لهم في الأرض**، هذا كما ذكر في آية أخرى: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،[٤] الآية، أي يرثون الأرض ومُلكهم بعد فرعون وقومه.[٥] والوارث هو الباقي على ما ذكرنا. كأنه قال: يَبقون هم في أرضهم وملكهم بعد هلاكهم، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[٦] أي نبقَى نحن[٧] بعد هلاك الأرض وهلاك من عليها.[٨] *والله أعلم*.

وقوله: **ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**، أي يرَون ما كانوا يحذرون[٩] منه وهو الهلاك وذهاب الملك، هذا [الذي] كانوا يحذرون. فأراهم ذلك، لأنه كان يذبح أبناءهم إشفاقًا[١٠] على بقاء ملكه وحذرًا[١١] [من] ذهابه. قال الزجاج: إنّ مِن حماقة فرعون وقلّة عقله أنه[١٢] كان يذبّح أبناءهم لقول الكهنة: إنه يذهب ملكُه بغلام يولد في العام الذي قالوه.

---

[١] «يحتمل وجهين. أحدهما جعل كلهم أئمة لنا لنقتدي بهم ونتبع إثرهم، حيث صبروا على أذى فرعون وقومه شاكرين لله تعالى على ما رزقهم من الدين الحق راجين منه فضله ورحمته. فأنجاهم الله تعالى منهم وتابع عليهم نعمه. فكذا نصبر على أذى الكفرة و لظلمة لِتَلْحقنا النجاة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦٢ظ).

[٢] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤتِ أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[٣] ن ث: ذكر.

[٤] سورة الأعراف، ٧/١٣٧.

[٥] م – وقومه.

[٦] سورة مريم، ١٩/٤٠.

[٧] م – نحن.

[٨] م: وهلاك أهلها.

[٩] ث – أي يرون ما كانوا يحذرون.

[١٠] ث: إبقاء.

[١١] جميع النسخ: ويحذر.

[١٢] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٥٨ط.

فلا يخلو إما أن [يكونوا] صدَقوا[1] في قولهم فيذهب ملكه، وإنْ قتَل الأبناء، وإما أن [يكونوا] كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الأبناء، لأنه لا يذهب. لكنّه فعل ذلك بهم[2] لحماقته وسفهه وجهله بنفسه.[3]

وقوله: **ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض**، بالنجاة من فرعون وآله واستنقاذه إياهم من يدَيه ومن قتل الوِلدان وغير ذلك من أنواع التعذيب. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض**،[4] إلى آخر ما ذكر وجوه على المعتزلة في قولهم: إ[نه] ليس لله أن يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم في الدين وإنه لو لم يفعل ذلك كان[5] جائرًا.[6]

فيقال لهم: لو كان عليه فعْل الأصلح لهم في دينهم على كلّ حال لكان لا معنى لذكر المنّة على الذين استُضعفوا في الأرض في جعْلهم أئمّة وإبقائهم في أرضهم وتمكينه إياهم في ملكهم ووِراثتِهم أموالَهم. لأنه على زعمهم فعَل بهم ما عليه أن يفعل، إذ[7] ذاك أصلح لهم في الدين. وكل مَن فعل فعلاً، عليه ذلك الفعل، لا يكون له الامتنان على المفعول به بذلك.[8] فدل ذِكر المنة فيما ذكر أنه فعل بهم على أنه فعل ما لم يكن عليه ذلك، ولكنه فعل ذلك بهم[9] مُفْضِلا مُمْتَنًّا، وله أن لا يفعل ذلك.

ويقولون أيضًا: إن في إهلاك[10] فرعون وقومه [ما هو] أصلح لهم من إبقائهم وكذلك في إماتة كل كافر. فلم يذكر فيه[11] المنّة. دلّ ذلك أنه ليس على ما يقولون هم وأنّ ذلك منقوض مردود عليهم.

---

[1] ث + هم.
[2] ن - بهم.
[3] *معاني القرآن* للزجاج، ١٣٢/٤.
[4] م - بالنجاة من فرعون وآله واستنقاذه إيهم من يديه ومن قتل الولدان وغير ذلك من أنواع التعذيب والله أعلم وفي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض.
[5] جميع النسخ + ذلك.
[6] ر م: جائز.
[7] ر م: أن.
[8] جميع النسخ: دلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٢ظ.
[9] ر م - بهم.
[10] ن ث: في هلاك.
[11] ن - فيه.

ويقولون أيضًا: إن الإرادة من الله لهم أمر هم يأمرهم به. فلو كان أمرًا على ما يزعمون لكان الأمر منه قد شمَل الكلّ. ثم لم يصيروا جميعًا أئمّة وقادة ولكن إنما صار بعض دون بعض. دلّ أن الإرادة غير الأمر وأنه إذا أراد لأحد شيئًا كان ما أراد، ليس على ما[١] يقولون: إنه أراد إيمان كلّ كافر، لكنه لم يؤمن بعدَ ما أعطاه جميع ما عنده من القوّة والعَون على ذلك حتى لم يبق عنده شيء من ذلك إلا وقد أعطاه. فدلّ ما ذَكَر على فساد مذهبهم.

**﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٧]**

وقوله:[٢] **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضِعيه**، قال عامة أهل التأويل: إن الوحي هاهنا وحيُ الإلهامِ والقذفِ في القلب لا وحيُ إرسال[٣] إليها وإخبار، لأنه لو كان وحي إرسال[٤] صارت رسولَة، وذلك لا يجوز. لكن يقال: جائز أن تُلْهَم هي إرضاعَه وإلقاءَه[٥] في اليَمّ، فأما أن تُلهَم ما ذَكَر: **ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**، هذا مما لا سبيل إلى معرفة ذلك وعلمه إلا بتصريح قولٍ ومشافهةٍ آخَرَ. اللهم إلا أن يقال: إنه كان بموسى آياتُ الرسالة وأعلام[٦] عرفت هي بتلك الأعلام والآيات التي كانت له أنه يُرَدُّ إليها وأنه يبقى رسولًا إلى وقت. وقد كانت بالرسل أعلام وآيات الرسالة في حال صِغرهم وصِبَاهم، نحوَ عيسى حيث كلّم قومه في المهد: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ [وَجَعَلَنِي نَبِيًّا]،[٧] إلى آخر ما ذكر، ونحوَ ما ذُكر[٨] أن محمدًا لمّا وُلد[٩] بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنّوا أن الشمس قد طلعت، ونحوِه. فعلى ذلك جائز أن يكون بموسى أعلام وآيات عرفت أمّه بها أنه رسول وأنه يُرَدُّ إليها.

---

[١] ن: ليس كما.
[٢] ن: قوله.
[٣] م: إرساله.
[٤] ر ث م - إليها وإخبار لأنه لو كان وحي إرسال.
[٥] ر ث م: و لقه؛ ن: والقاؤه.
[٦] جميع النسخ + به ما. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٥٦٣و.
[٧] سورة مريم، ٣٠/١٩.
[٨] ر م - ونحو ما ذكر.
[٩] ن + ولد.

وإنما كَنَّفَنَا[1] هذا[2] التخريجَ[3] قولُ أهل التأويل: إنه وحي إلهام وقذفٍ في القلب لا غير. وعندنا جائز أن يكون الوحي إليها وحيَ إرسال رسول وإخبار إليها[4] من غير أن صارت هي بذلك رسولَة، نحوَ ما ذُكر في قصّة مريم أن المَلَك لما دخل عيها[5] تعوّذت بالله منه حيث قالت: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا.[6] وذلك من البِشارة التي بشروها بالولد. فلم تصِر بما أُرسل إليها من الرسل وشافهوها رسولة، فعلى ذلك أمّ موسى. ونحوَ بشارة الملائكة لامرأة إبراهيم بالولد وهو قوله: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ،[7] ونحوَه مما يكثر ذكره ولم يصيرن بذلك رسولاتٍ.[8] فعلى ذلك الوحي إلى أمّ موسى يحتمل ما ذكرنا، وجائز ذلك من غير أن صارت بذلك رسولة. وهو أشبه وأقرب. **والله أعلم**.

**﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾**[٨]

وقوله: **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا**، قال بعضهم: في الآية إضمار، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا ولكن كأن فيه إضمارًا،[9] أي التقطه آل فرعون [٥٦١ظ] / ليتخذوه ولدًا ووليًّا فكان لهم عدوًّا وحَزَنًا إذا كَبُر، أو كلام[10] نحو هذا. وقال بعضهم: ذاك إخبار عما في علم الله أنه يكون ما ذكر. معناه -والله أعلم- التقطه آل فرعون فكان في علم الله تعالى أنه يكون لهم عدوًّا وحَزَنًا. وذلك جائز في اللغة، يقال: «لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب»[11] [والناس] لا يلِدون للموت ولا يبنون للخراب، ولكن إخبار عمّا يؤول [إليه] أمرهم في الآخرة. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: تكفنا.
[2] ر ث م: بهذا.
[3] ر ث: لتخريج.
[4] ر م - إليها؛ ث: إليها وإخبار.
[5] ر ث م - عيها.
[6] سورة مريم، ١٩/١٨-١٩.
[7] ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).
[8] ر ن م: لم يصيروا بذلك رسلا؛ ث: لم يصرن بذلك رسلا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦٣و.
[9] جميع النسخ: إضمار.
[10] ر ث م - أو كلام.
[11] «له مَلَك ينادي كل يوم / لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا من طُرق ضعيفة انظر: كشف الخفاء للعجلوني، ١٤٠/٢-١٤١.

وقوله:[١] **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**، ظاهر. وفيه نقض قول المعتزلة من وجه[٢] [حيث قالوا: إن الله تعالى إنما يُبقي الكفرة لما فيه صلاحهم. ثم قد بيّن أنهم كانوا خاطئين في ما مضى من عمرهم، والإبقاء على الخطأ كيف يكون أصلح؟][٣]

**﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٩]**

وقوله:[٤] **وقالت امرأة فرعون قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا**، هذا لطف من الله ورحمة حيث ألقى محبته[٥] في قلوبهم وحلاه[٦] في أعينهم. وهو ما ذَكر منّته عليه حيث قال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي،[٧] يستأدي[٨] بذلك الشكر عليه.

قال أبو معاذ:[٩] قال مقاتل: قوله: قُرَّةُ عينٍ لي، ولك لا؛ تقول:[١٠] ليس لكَ بقُرّة عين. قال أبو معاذ: وهذا محال، ولو كان كذلك لكان في القراءة "تقتلونه"، وهذا أيضا محال لقوله: **عسى أن ينفعنا**. ولو كانت القراءة "قرة عين لي ولك لا، لا[١١] تقتلوه" لكان مقاتل مصيبًا.

وقوله: **وهم لا يشعرون**، يحتمل وجهين. أحدهما وهم لا يشعرون أن هلاكهم واستئصالهم على يديه. والثاني لا يشعرون أنه هو المطلوب بقتله من بين الكلّ. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ث – من وجه.
[٣] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٣و.
[٤] ن: قوله؛ ث – وقوله.
[٥] م: محبة.
[٦] ر م: وحلاوة.
[٧] سورة طه، ٣٩/٢٠.
[٨] ر م: لتادي.
[٩] فضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه "*كتاب القراءة*". أنظر: *الثقات* لابن حبان ٥/٩؛ و*تهذيب اللغة* للأزهري، ٢٥/١؛ و*الأنساب* للسمعاني، ٥١/١٢؛ و*معجم الأدباء* لياقوت، ٢١٧٧/٤؛ و*الوافي بالوفيات* للصفدي، ٢٨/٢٤؛ و*كشف الظنون*، ١٤٤٩/٢.
[١٠] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٣و.
[١١] ر ن م - لا.

**﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠]**

وقوله: **وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغًا**، قال بعضهم: **فارغًا**،[١] من همّ موسى وحزنها[٢] عليه. وقال بعضهم: **فارغًا**، من كلّ شيء إلا على موسى وذِكْرِه. وكان قوله: **وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغًا**، صلة قوله: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ،[٣] الآية. وهو يحتمل وجوهًا. أحدها أن الله رفع الحزن والخوف عن قلبها[٤] وطبعها من غير أن كان ثمة قول أو كلام. والثاني على القول لها: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فإن كان على هذا فهو على البشارة لها بالردّ إليها وجعله رسولًا. أو على النهي والزجر عن الحزن عليه والخوف عليه. والحزن عليه[٥] هو حزن مفارقته[٦] عنها؛ والخوف عليه خوف الهلاك، كقول يعقوب حيث قال: إِنِّي[٧] لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٨] ذكر الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوف عند الهلاك. فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشّرها بالرد إليها وجعْلِه رسوله[٩] وأمّنها عن الهلاك. فيكون قوله: **وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا**، مما خافت عليه وحزنت. *والله أعلم.*

وقوله:[١٠] **إن كادت لَتُبْدِي به لو لا أنْ ربَطْنا على قلبها**، كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها، لكنه ربط على قلبها[١١] بما ذكر من قوله: لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[١٢] الآية. فلم تكد[١٣] تبدي وهو كما ذكر: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ،[١٤]

---

[١] ن – قال بعضهم فارغا.
[٢] م: وحزنا.
[٣] سورة لقصص، ٧/٢٨.
[٤] ر ث م – عن قلبها.
[٥] ر م – والحزن عليه.
[٦] م: مفرقة.
[٧] ن – إني.
[٨] سورة يوسف، ١٣/١٢.
[٩] ن: رسولا.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر م – لكنه ربط على قلبها.
[١٢] سورة لقصص، ٧/٢٨.
[١٣] جميع النسخ + أن.
[١٤] سورة يوسف، ٢٤/١٢.

أي كان يهُمُّ بها لو لم ير برهان ربه، لا أنه همّ بها. وهو كقوله: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً.[١] أي كان يَرْكَنُ[٢] إليهم شيئًا قليلاً لو لم يُثَبِّته، لكنه ثبّته فلم يركَن إليهم، ونحوه. فعنى ذلك الأول. وقال أهل التأويل: ربط قلبها بالإيمان. وجائز أن يكون رَبْطه [على] قلبها بما[٣] ذكر من قوله: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[٤] الآية.

وقال بعضهم: **فارغًا**، من عهد الله الذي كان عَهِد إليها. أنساها عهدَ الله عِظَمُ البلاء الذي حلّ بها فكادت تبدي به، ثم تداركها الله بالرحمة فربط على قلبها فذكرت وارعَوَت.[٥] وقال بعضهم: اتّخذه فرعون ولدًا فصار الناس يقولون: ابن فرعون ابن فرعون،[٦] فأدركت أمّه الرقّةُ وحبّ الولد فكادت تقول: بل هو ابني. والأول أشبه. وفي حرف ابن مسعود وأبيّ وحفصة: "إن كادت لَتُشعِرُ به".[٧]

**﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١١]**

وقوله: **وقالت لأخته قُصِّيه**، أي اتّبعي أثره. وقوله:[٨] **فبصُرَت به عن جُنُب**، قيل: عن بُعد، أي كانت تتبع أثره عن بُعد منه. وقال بعضهم: الجُنُب أن يسمُو بصر الإنسان إلى موضع بعيد وهو إلى جنبه بقرب منه. وذلك عند الناس معروف ظاهر فيهم ذلك. وقال بعضهم في قوله: **فبصُرت به عن جُنُب**، قال: مشت بجَنَبَاته[٩] وهي معرضة عنه كأجنبية.

وقوله:[١٠] **وهم لا يشعرون**، أن هذه تراقبه أو تنظر إليه وتحفظه، أو **لا يشعرون**، أن هلاكهم على يديه. بَصُرْتُ وأبصرت واحد. وقوله: **عن جُنُب**، عن ناحية بعيدة، وجوانب جماعة.

---

[١] سورة الإسراء، ١٧/٧٤.

[٢] ث – يركن.

[٣] جميع النسخ: لما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٠و.

[٤] سورة القصص: ٢٨/٧.

[٥] يقال: ارعَوى فلان عن الجهل يرعوي ارعِواءً حسنا ورَعْوى حسنة، وهو نُزوعه وحُسن رجوعه. وارْعَوى يَرْعَوي، أي كفّ عن الأمور (لسان العرب، «رعي [رعا]»).

[٦] ث – ابن فرعون.

[٧] كتاب المصاحف لابن أبي داود، ٧١.

[٨] ن: قوله.

[٩] أي بأطرافه.

[١٠] ن: قوله.

ويقال: رجل جُنُب وقوم أجناب، وجانب وأجناب وأجنبي وأجانب، أي غريب. وهذا كله من الاجتناب. وهو قول أبي[1] عَوْسَجة[2] والقُتَبي.[3]

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[١٢]

وقوله:[4] **وحرمنا عليه المراضع من قبل**، حرّم تحريمَ منعٍ وحَظْر، [وهو التحريم] الذي ضدّه الإطلاق والإرسال، لا التحريم الذي ضدّه الحلّ. وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن أن يرتضع من النساء وهو طفل، وهِمّةُ أمثاله الارتضاع والرغبة في التناول من كل لَبَن ومن كل مرضِع تُرضعه لا تمييز[5] لهم في الارتضاع. فدلّ امتناعه وكفُّه[6] نفسه عن الارتضاع من النساء أجمع أن ذلك لطف من الله أعطاه ليمتنع عنه. فعلى ذلك جائز أن يكون عند الله لطف لو أعطى الكافر الذي همته الكفر والرغبة فيه[7] لآمن واهتدى، لكنه

[٥٦٢و] لما عرف رغبته وهمته فيه واختياره له / منع ذلك عنه ولم يعطه.

[٥٦٢و س٣٦ *قال الكسائي:[8] يقال: امرأة مُرضع ما دامت تُرضع، فإذا فَطَمت سُمّيت مرضعة ما دامت

٥٦٢و س٣٧] حبلى فهي مرضعة، أي ستُرضع.*

---

[1] ر - أبي.

[2] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الحكيمي النحوي الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه سَيحان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتبديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٩. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّيْنَوَري الكاتب اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، و*مشكل القرآن*، يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢٨١/٢؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٢٩٦/١٣-٣٠٠.

[4] ن: قوله.

[5] جميع النسخ: لا تميز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٣ظ.

[6] م: وكف.

[7] ر - فيه.

[8] أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة. كان إماما في النحو واللغة والقراءات. له مع سيبويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات. وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما. توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م بالري. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٩٥/٣.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٦-٣٧.

وهذا الحرف ينقُض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم أن الله قد أعطى كلّ كافر السبب الذي به يؤمن وما به يصير مؤمنًا، حتى لم يبق شيء مما يكون به إيمانه إلا وقد أعطاه، لكنه لم يؤمن. فينقض[١] قولَهم ما ذكرنا من أمر موسى أن عنده لطفًا[٢] لم يعطه لو أعطاه لآمن واهتدى. لكنه لم يعطه لما ذكرنا.

وفيه لطف آخر وهو أن فرعون والقبط كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف هلاكه وذهابَ ملكه على يديه مقتولاً، فجعل الله بلطفه ورحمته محبته في قلب فرعون وقلوب أهله حتى صار أحبّ الخلق إليهم وصاروا هم[٣] أشفق الناس وأرحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المراضع لئلّا يَهلِك بعد ما كانوا يطلبون هلاكه وتَلَفه، وذلك لطف منه له ورحمة. وهو ما قال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي،[٤] وبالله يستفاد كل فضل ونعمة.

وقوله: **فقالت هل أدُلُّكم على أهل بيت يَكْفُلُونه لكم**، قوله: **فقالت**، أي أخته التي كانت تَتْبَعه وتمشي على إثره. وذلك منها تعريض الدلالة لهم إلى أمّه لئلّا يشعروا أنها أمّه حيث قالت: **هل[٥] أدلّكم على أهل بيت**، ولم تقل:[٦] على امرأة لها لبَن وهي ترضع. ولعلها لو قالت لهم ذلك وقع عندهم أنها أمّه ولكن دلّتهم إلى أهلِ[٧] بيت ليقع عندهم أنهم أهل بيت قُتل ولدهم ولهم لبَن.[٨] **يكفلونه لكم**، أي يقبلونه[٩] ويضمّونه إلى أنفسهم.

**وهم له ناصحون**، يحتمل قوله: **وهم له ناصحون**،[١٠] أي لفرعون، لا يخونونه.[١١] ويحتمل، **وهم له ناصحون**، لموسى.

---

[١] ر: فينقضي.
[٢] جميع النسخ: لصف.
[٣] ر: وصاروهم.
[٤] سورة طه، ٣٩/٢٠.
[٥] ر - هل.
[٦] ر ن م: يقل.
[٧] ر م - أهل.
[٨] ر ث م: ولد.
[٩] ن: يقسون.
[١٠] ر - يحتمل قوله وهم له ناصحون.
[١١] جميع النسخ + فيه.

**﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٣]

وقوله:[١] **فَرَددناه إلى أمه كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ**، يحتمل قوله: **كي تَقَرَّ عينُها**، بالمُقام معه والكون عندها، **ولا تَحْزَنَ**، على فراقه. أو أن يقال: **كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ**، أي تُسَرَّ بردّه إليها. وذلك معروف في النساء ظاهر أنهن يَحْزُنَّ بمفارقة أولادهن ويَهمُمْنَ لذلك ويُسرَرْنَ[٢] إذا رجعوا[٣] إليهن واجتمعوا.

وقوله:[٤] **ولتعلم أن وعد الله حقّ**، كانت تعلم هي -والله أعلم- أن وعد الله حق كائن لا محالة، لكن كانت تعلم[٥] [ذلك] علْمَ خبَرٍ؛ لا علْمَ عِيانٍ ومشاهدةٍ، كأنه قال: لتعلم علم عِيَانٍ ومشاهدة ما علمتْ علم خبر؛ لأن علم العيان والمشاهدة أكبر وأبلغ وأدفع للشبهة من علم الإخبار. ألا ترى[٦] أن إبراهيم سأل ربه أن يُريَهُ إحياء الموتى وإن كان يعلم حقيقةً أنه يحيي الموتى وأنه قادر على ذلك، لكنه كان يعلم علْم خبر فأحبّ أن يعلمه علْمَ عِيان ومشاهدة، لأنه أكبر وأبلغ وأدفع للوساوس من علم الإخبار. فعلى ذلك الأول.[٧]

[٥٦٢و س٣٥ *وقوله: **ولتعلمَ أن وعد الله حقّ**، كان وعده إياها أن يردّه إليها ويجعله من المرسلين،

٥٦٢و س٣٦] ومعناه ما ذُكر[٨] فيما تقدم.*

وقوله: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، والمعتزلة فيهم؛ لأنه أخبر أنه يملأ جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ،[١٠] وهم يقولون: أراد أن لا يملأ جهنّم، لأنهم يقولون: إنه أراد إيمان كلّ الناس جميعًا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا. فعلى قولهم: إذا شاء ذلك لهم شاء أن لا[١١] يملأ جهنّم منهم، فذلك خُلف في الوعد وكذبٌ في القول على قولهم.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: ويسرون.
[٣] ر م: جعلوا.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر ث م – تعلم.
[٦] ن: يرى.
[٧] ر م – الأول.
[٨] ن: ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٥-٣٦.
[١٠] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩)؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ٣٢/١٣).
[١١] ر م – لا.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٤]

وقوله: **ولما بلغ أشُدَّه واستوى**، قال بعض أهل التأويل: الأشُدّ هو ما بين ثمانيَ عَشْرةَ سنة إلى ثلاثين سنةً، ثم هو ما بين الثلاثين إلى الأربعين استواء الشدة، ثم يأخذ بعد الأربعين في النقصان، ثم غُيِّر بعمره إلى[1] الأربعين[2] سنة.[3] وقال بعضهم: **بلغ أَشُدَّهُ**، ثلاث وثلاثون سنة، **واستوى**، أربعون.[4] وعن ابن عباس مثله.[5] وقال بعضهم: **بلغ أَشُدَّهُ**،[6] قال: الأشُدّ الحُلُم، والاستواء أربعون سنة. وأصل الأشُدّ أن يشتدّ كل شيء منه وصار [بحيث] يحتمل ما قُصد به وجُعل فيه، ويدخل في ذلك العقل وكل شيء.

**واستوى**، أي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك. وجائز أن يكون الاستواء هو تفسير[7] الأشُدّ الذي ذكر. وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **واستوى**، أي استحكم وانتهى شبابه واستقرّ فلم يكن فيه زيادة.[8] وأصله ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **آتيناه حُكمًا وعلمًا**، أي آتيناه العِلم الذي يحكم به بين الناس، وعِلمًا بمصالح نفسه ومصالح الخلق. وقال بعض أهل التأويل: الحُكم [هو] الفِقه[9] والعقل والعلم قبل النبوة.

وقوله: **وكذلك نجزي المحسنين**، يحتمل قوله: **وكذلك نجزي المحسنين**، في الآخرة بالوعد الذي وعد لهم في الدنيا كما جزى موسى بإنجاز ما وعد له.[10] أو أن يكون من موسى اختيار[11] وجهد في طلب العلم وغير ذلك مما أعطاه ذلك وأخبر أنه كذلك يجزي مَن ذكر، كقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[12]*

---

[1] ر ث: إلا؛ ن – إلى.
[2] ر ث م: أربعين.
[3] أي غُيِّرت ونُقِصت شدة عمر الإنسان إلى تمام أربعين سنة، ويكون مجموعه ثمانين سنة.
[4] انظر: معاني *القرآن* للزجاج، ٤/١٣٥.
[5] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٤٣٥.
[6] ث – ثلاث وثلاثون سنة واستوى أربعون وعن ابن عباس مثله وقال بعضهم بلغ أشده.
[7] ر م – تفسير.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٩.
[9] ن – الفقه، صح هـ.
[10] ر ث م: لهم.
[11] ر ث م: بحسان.
[12] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ ورقم ١٣، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر. ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٥-٣٦، وورقة ٥٦٢و/سطر ٣٦-٣٧.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[١٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٦]

وقوله: **ودخل المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها**، قال عامة أهل التأويل: على حين غفلةِ أهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القَائِلة. وقال قائلون: على حين غفلةِ أهل[1] البلد عن دخول موسى، أي دخلها من غير أن شَعَروا به وعرفوا أنه موسى. على هذا التأويل الغفلة تكون على دخول موسى عليهم. وعلى الأول / على[2] غفلة أهل المدينة، أي وقت غفلتهم. [٥٦٢ظ] فإن كان على هذا فيحتمل أن يكون غفلةُ أهها هو أن كان ذلك يومَ عيدهم، خرجوا إليه فدخل هو المدينة ليطّلع أحوالها وأسبابها. إلا أن تكون[3] العادة فيهم أنهم بأجمعهم يَقيلون فذلك محتمل. *والله أعلم*.

وقوله: **فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه**، قال بعض أهل الأدب: إن قوله: **هذا من شيعته وهذا من عدوّه**، إنما يقال للشاهد المشار إليه، فأما للغائب[4] فإنه لا يقال. لكن قالوا: إن فيه إضمارًا ولطفًا كأنه قال: **فوجد فيها رجلين يقتتلان**، من نظر إليهما يقول: **هذا من شيعته وهذا من عدوّه**. ثم قال أهل التأويل: أحدهما كان إسرائيليًّا[5] والآخر قبطيًّا.

فإن قيل: كيف سُمّي الإسرائيلي[6] من شيعة موسى وذلك [كان] أوّل ما دخل موسى المدينة [فكيف يعرف الإسرائيلي من القبطي؟][7] وبنو إسرائيل يومئذ كانوا عُبّاد الأصنام وقد حُبب ذلك إليهم، حتى قالوا لموسى بعد ما[8] أخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون والقبط جميعًا:

---

[1] ث + المدينة.
[2] ث − على.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] ر ه: الغائب.
[5] ث: إسرائليا.
[6] ث: الإسرائلي.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٤و.
[8] م − ما.

اِجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[١] وكذلك يقول مقاتل: كانا كافرين جميعًا،[٢] ألا ترى أنه قال: فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ.[٣]

لكن يخرج هذا على الإضمار، كأنه قال: يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه. أو يقول: يكون هذا من قوم هم شيعته ويبقى هذا عدوًّا في قوم هم أعداؤه. وعلى هذا يخرج قوله: فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا،[٤] أي يبقى عدوًّا لهما أو أن يكون عدوًّا لهما. لأن أبا معاذ النحوي يستدلّ على وَهْم مقاتل ووهمُه في تأويله: إنهما كانا كافرين جميعًا. لكن يخرج على ما ذكرنا. ***والله أعلم.***[٥]

وقوله: **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه،** أي استغاثه الذي كان في علم الله أنه يكون من شيعته على الذي في علم الله أنه يبقى عدوًّا له لينصره.[٦] والاستغاثة[٧] هي الاستعانة والاستنصار، أي سأله أن ينصره.[٨]

وقوله:[٩] **فَوَكَزَه موسى فقضى عليه،** قال أبو عَوْسَجَة: الوَكْزَة الطعن في الصدر.[١٠] وقال الزجاج[١١] والقُتَبي وهؤلاء: الوكزة الدَّفعة.[١٢] **فوكزه،** أي دفعه. **فقضى عليه،** قال بعضهم:

---

[١] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.

[٢] م - جميعا. *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٩٢/٢.

[٣] الآية التالية.

[٤] الآية ١٩ من هذه السورة.

[٥] «وفي الآية دليل على أن الإسرائيلي لم يكن من الكفرة، فإنه تعالى أخبر عن موسى بقوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾، جعل القبطي الذي استنصر [عليه] الإسرائيلي من موسى - بعد ما قتل موسى رجلا قبطيا لأجله من قبل- عدوا لموسى عليه السلام والإسرائيلي، فدل أنه كان من المسلمين. وهذا لأن بني إسرائيل كانوا على دين إسرائيل عليه السلام ولهذا كان فرعون وقومه يقهرونهم. ولو كانوا كفارا واتبعوه في أوامره ونواهيه لكانوا في أمان منهم، فهذا محتمل. وإنما عرف موسى عليه السلام الإسرائيلي لما لهم علامات يتميزون بها عن القبط، ويخبره الإسرائيلي بذلك، فتظاهره لما عرف من ظلم القبطي على بني إسرائيل بناء على ظاهر الحال. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦٤و).

[٦] جميع النسخ: ينصره.

[٧] م: والاستغاثة.

[٨] جميع النسخ: أي سأله أن يكون من شيعته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٢و.

[٩] ن: قوله.

[١٠] ر م: في الصدور.

[١١] «الوكز أن تضرب بجمع كفك، وقد قيل وكزه بالعصا» (*معاني القرآن* للزجاج، ١٣٧/٤).

[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٠؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٤٦/١٦-٢٤٧.

أي فرَغ منه، كقوله: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ،[1] وقوله: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ،[2] أي فُرِغ ونحوه. وقال بعضهم: **فقضى عليه**، أي قتله. وكلاهما سواء: إذا قتله فقد فرَغ منه. وهو لم يتعمّد قتله ولا قَصَدَه، لكن الله قضى أجله وجعل انقضاء عمره بوكزة موسى. وهو في الظاهر قاتل، لأنه قال: إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[3] ولم يكذّب[4] الله موسى[5] في قوله [ولم يقل له:] إنك لم تقتل. وقال أيضا: **إني ظلمت نفسي فاغفر لي**، الآية.

وفيه دلالة جواز الاستدلال لقول أبي حنيفة حيث قال: من قتل آخرَ بحجر عظيم أو بخشبة عظيمة مما لا ينجو من مثله فإنه[6] لا يُقتَل به ولا يجب القصاص فيه،[7] لأن موسى لمّا وكز ذلك القبطي مات[8] -وذُكر[9] أن[10] له قوةَ أربعين رجلاً- لم يرَ القصاص به واجبًا حيث قال له ذلك الرجل: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[11] ولو كان القصاص واجبًا لكان أولئك لم يكونوا ظَلَمَة في قتله، بل يكون هو الظالمَ فيه. ولا يحتمل أن يكون القصاص واجبًا أيضًا وموسى يَفِرّ من ذلك ويَهرُب وفي ذلك إبطال حقّهم، دلّ أنه لم يجب. ولا شكّ أنّ وَكْزةَ[12] مَنْ له قوّة أربعين رجلاً إلى الهلاك أسرع وأقرب[13] وأعمل من الضرب بالحجر العظيم أو الخشبة العظيمة. فإذا[14] لم يجب في هذا لم يجب في ذاك.[15] *والله أعلم*.

---

[1] الآية ٢٩ من هذه السورة.

[2] سورة يوسف، ٤١/١٢.

[3] الآية ٣٣ من هذه السورة؛ وانظر أيضا: سورة الشعراء، ١٤/٢٦.

[4] ن ث: ولم يكذبه.

[5] ن – موسى.

[6] جميع النسخ: أنه.

[7] انظر: المبسوط لشمس الأئمة السرخسي، ١٤٦/٢٦.

[8] جميع النسخ: فمات.

[9] ر م: وكز.

[10] ث – أن.

[11] سورة القصص، ٢٠/٢٨-٢١.

[12] م + موسى.

[13] ر: والأقرب.

[14] جميع النسخ: فإذ. والتصحيح من نسخة الظاهرية ٤٩٥، ورقة ٣٩٦و.

[15] ر ن: ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[١٧]

وقوله: **ربّ بما أنعمت علي**، قال بعضهم: **بما أنعمت علي**، بالمغفرة فلم تعاقبني بقتل النفس وعصمتني من أن أُعاقَب به في الدنيا. وجائز أن يكون بما أنعم عليه هو قوّته التي أعطاها. أخبر أنه لا يكون بها ظهيرًا للمجرمين. *والله أعلم*.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[١٨]

وقوله: **فأصبح في المدينة خائفًا يترقّب**، أكثر ما ذكر في القرآن أصبح، أي صار، كقوله: أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا،[١] أي صار؛ وقوله: إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا،[٢] ونحوه. وأما هاهنا قوله: **فأصبح في المدينة خائفًا**، إنما يريد الصباح نفسه. وقوله: **يترقّب**، قال عامّة أهل التأويل: **يترقّب**، أي ينتظر سوءًا يناله منهم. وقال أبو عَوْسَجَة: الترقّب الخوف كأنه قال: خائفا يخاف هلاكه. وأصل الترقّب هو النظر، والرقوب أن يَرْقُب من يطلبه ومن يأتيه في طلبه، وهو من الترقّب.[٣]

وقوله: **فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لَغَوِيّ مبين**، كأنّ الرجل الذي أخبر أنه من شيعة[٤] موسى كان ضعيفًا في نفسه حيث لا يقدر أن يقوم لواحد، فيستنصرُ به من موسى ويستعينه به؛[٥] إلا أنه كان[٦] يخاطب وينازع ويقاتل لسوء فيه وبلاء[٧] يقاتل[٨] وينازع. وإلا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد، فمن حيث القُوةُ[٩] لا يقاتِل مثلُه ولكنه لما ذكرنا[١٠] من سوء[١١] به. ولذلك قال له موسى: **إنك لغويّ مبين**، لكن موسى إنما عرف[١٢] غوايته بالاستدلال الذي ذكرنا لا بالمشاهدة.

---

[١] ﴿فعسى ربي أن يؤتيَنِ خيرا من جنتك ويرسل عليها حُسبانا من السماء فتُصبح صعيدا زَلَقًا أو يصبح ماؤها غَوْرًا فلن تستطيع له طَلَبًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٤٠-٤١).
[٢] ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء مَعين﴾ (سورة الملك، ٦٧/٣٠).
[٣] جميع النسخ: من الرقيب.
[٤] ن ث: شيعته.
[٥] ر - به.
[٦] جميع النسخ: كأنه. والتصحيح من نسخة روان ١٨٢، ورقة ٣٢٥ظ.
[٧] ر - وبلاء.
[٨] ر: ويقاتل.
[٩] ر ث م - القوة.
[١٠] ث: ذكر.
[١١] ر: سوا.
[١٢] ر: المعروف.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [١٩]

[٥٦٣و] / ولذلك أراد أن يبطش بالذي[١] هو عدوّ لهما لئلا يقتله[٢] ولا يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال لا حقيقة. وذَكَر هاهنا البطش، وهو الأخذ باليد، وفي الأول ذكر الوكزةَ، وهي الدفع والطعن على ما ذكرنا، فهو -والله أعلم- لأنه لَمّا[٣] وَكَزَ[٤] الأولَ فأتت الوكزةُ على نفسه فقتلته، فأخذ هذا من هذا ليمنعه عن[٥] إهلاكه وإتلافه ولا يأتي على نفس الآخر كما فعلَت الوكزة.

ثم قال: **يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس**، اختلف في قائل هذا، قال عامة أهل التأويل: إن قائل هذا هو الذي استصرخه واستغاثه. قالوا: لأنه ظن أن موسى إنما أراد بطْشه وأخذه وإليه قصد، لذلك قال: **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس**. وقال قائلون: هذا القول إنما قاله[٦] ذلك القبطي. فإن كان هذا فهو يدلّ أن قتله ذلك الرجل بالأمس كان ظاهرًا حيث علم به القبطي وكان قوله [تعالى]: عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا،[٧] أي من دخول موسى المدينة. وإن كان هو الأوّلَ كان قتله إياه خفيًّا غير ظاهر، فعلى هذا تكون[٨] الغفلة على أهل المدينة ليس على دخول موسى. *والله أعلم*.

وقوله: **إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين**، لأن الذي يُصلح بين اثنين لا يقتل ولا يأخذ أحدهما دون الآخر، ولكن يصلح بينهما على السواء، لذلك[٩] قال ما قال. وقوله: **إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض**، قال بعضهم: يقول: هكذا فعل الجبابرة بقتل النفس بغير نفس.[١٠] وقال بعضهم: الجبّار هو الذي

---

[١] ر ث م: الذي.
[٢] ر م: يقتبهما.
[٣] ر: مما.
[٤] ر م: ذكر.
[٥] ر م: على.
[٦] جميع النسخ: إنما قال له. والتصحيح من نسخة چورلولي علي باشا ١٠، ورقة ٤٥٧ظ.
[٧] سورة القصص، ١٥/٢٨.
[٨] جميع النسخ: يكون.
[٩] ر م: الذي.
[١٠] ر م + وقال بعضهم الجبابرة يقتل النفس بغير نفس.

يحمل الناس[1] على هواه وعلى ما يريده ويقهرهم على ذلك شاءوا أو أبَوا. وقال بعضهم: الجبّار هو الذي يتكبّر على الناس، لا يرى أحدًا لنفسه نظيرًا، أو كلام نحوه. ويقال: كلّ قاتلٍ اخترَ على الغضب بغير حق فهو جبّار.

**﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**[٢٠]

وقوله:[2] **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**، يحتمل أن يكون أقصى المدينة هو مسكن فرعون ومُقامه فمنه جاء ذلك الرجل. أو أن يكون أقصى المدينة موطن الملأ والأشراف الذين ذكر أنهم ائتمروا على قتله. وقوله: **يسعى**، والسعي هو العَدْو في اللغة، كأنه يسرع المشي إليه ليخبره بذلك.

وقوله: **إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**، **يأتمرون**، قال بعضهم: يتشاورون في قتلك. وقال الزجاج: **يأتَمِرون بك**، أي يأمر بعضهم بعضًا أن يقتلوك.[3] وقال القُتَبي: **يأتمرون**، أي يَهُمُّون في قتلك.[4] وذكر عنه أنه قال: **يأتمرون**، يتشاورون بك. وهو قول أبي عَوْسَجَة.[5] وأصل الائتمار في اللغة هو الطاعة والاتّباع لما يؤمَر من الفعل. كأنّ فرعون أمر الملأ أن يقتلوه فأطاعوه وائتمروا لأمره. *والله أعلم*.

وقوله: **فاخرج إني لك من الناصحين**، قال الزجاج: قوله: **لك** [ليس من] صلة **[الناصحين]**،[6] والصلة لا تتقدم الموصول به ولكن معناه: **فاخرج إني لك من الناصحين** الذين يَنْصَحون لك.[7] وليس [الأمر][8] كما قال، [فإن][9] الصلة تتقدم وتتأخر، وذلك ظاهر في الكلام.

---

[1] ر م: النفس.

[2] ن: قوله.

[3] *معاني القرآن* للزجاج، ١٣٨/٤.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣١.

[5] ونسب هذا القول في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة (ص ٣٣٠) إلى أبي عبيدة.

[6] الزيادتان من *معاني القرآن* للزجاج، ١٣٨/٤.

[7] انظر: *معاني القرآن* للزجاج، ١٣٨/٤.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٥و.

[9] الزيادة من المرجع السابق.

**﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢١]**

وقوله: **فخرج منها خائفًا يترقب**، قد ذكرنا هذا.[١] دلّ قوله: **خائفًا يترقب**،[٢] أن الخوف قد يكون من دون الله، وجائز أن يُخاف من غيره، وليس كما يقول بعض[٣] الناس أنْ لا يسعُ الخوف من دون الله. وحقيقة الخوف تكون[٤] من الله. يَخاف أن ينتقم منه على يدَي هذا. *والله أعلم*.

وقوله:[٥] **رب نَجِّنِي من القوم الظالمين**، يحتمل الظالم كل مشرك، لأن كلّ مشرك ظالم. ويحتمل قوله: **رب نَجِّنِي من القوم الظالمين**، حيث همّوا قتلَه. وقتْل موسى ذلك القبطيّ لم يوجب عليه القتل والقصاصَ، لأنه لم يتعمّد قتله أو لم يقتله بسلاح يجب به[٦] القتل. فذَكَر أنهم فيما همّوا قتله ظَلَمَة.

**﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٢٢]**

وقوله: **ولما توجَّهَ تلقاءَ مَدْيَنَ**، قال بعضهم: أخذ طريقًا إذا سلك ذلك الطريق ونفذ فيه خرج تلقاء مدين، أو وقع تلقاء المكان المقصود إليه.

وقوله:[٧] **قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل**، أي الطريق الذي كان يقصده ويطلبه وهو طريق مدين. وذُكر أنه كان ضلّ الطريق.

**﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٢٣]**

وقوله:[٨] **ولما ورد ماء مدين**، أي ورد[٩] البئر التي كان ماء مدين من تلك البئر، **وجد عليه أمّةً من الناس يَسقُون**، **أمّة** أي جماعة، وقيل: أناس من الناس يَسقُون أغنامهم ومواشيَهم.

---

[١] ن – قد ذكرنا هذا.
[٢] ن + دل قوله خائف يترقب.
[٣] ن – بعض، صح هـ.
[٤] م: يكون.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: فيه.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن: قوله.
[٩] م: موارد.

**ووجد من دونهم امرأتين تَذُودَان**. قال بعضهم: **تَذُودَانِ**، أي[1] تحبِسان أغنامهما[2] حتى يفرغَ الناس ويُصدروا[3] ويخلو لهما البئر. وقال بعضهم: **تَذُودَانِ**، أي تطردان أغنامهما لتَسْقِياها.[4] ثم قوله: **ووجد من دونهم امرأتين تَذُودَانِ**.[5] يحتمل وجهين. أحدهما تحبسان[6] غنمهما ولا تَسقيانها[7] حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ لِما لا تُترَكان تسقيان غنمهما مع غنم أولئك الرِّعاء حتى يُصدروا هم.[8] والثاني لا تمنعان ذلك ولكنهما تستحِييان[9] أن تُزاحما الرجال وتختلطاهم فتنتظران[10] فراغهم وصدور[11] الرعاء عنها.

[٥٦٣ظ] فإن قيل: فما بالهما لا تتخلّفان وقت اجتماع القوم وتَشهَدان في ذلك الوقت / ولا تنتظران خلاء البئر عنهم؟

قيل: لِما ذُكر أن على رأس البئر حجرًا يُلْقَى عليها[12] لا يطيقه إلا كذا كذا نفرًا، وكذلك الدلو التي يُستَقى منها لا يطيقها إلا كذا كذا نفرًا[13] من عشرة إلى أربعين على ما ذُكر. فهما تشهدان ذلك البئر وقت شهود القوم وحضورهم ليتولّوا هم[14] نَزْح الدلْو واستقاءها. ولو تخلّفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم ثم تأتيان لم تقدرا على نزح الماء والدلو ورفع الحجر الذي ذكر أنه كان على رأس البئر، لذلك كان ما ذُكر. *والله أعلم*.

وقوله:[15] **ما خطْبكما**، أي ما شأنكما وما أمركما؟ **قالتا لا نَسْقِي حتى يُصدر الرِّعاءُ**، لما ذكرنا. وقرئ يَصدُر بنصب الياء وبالرفع جميعًا.[16] فمن قرأ بالنصب فإنه يقول:

---

[1] ر م - أي.
[2] ر م - أغنامهما.
[3] جميع النسخ: ويصدرون.
[4] ر م: لتسقيها.
[5] ث - أي تطردان أغنامهما تسقياها ثم قوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان.
[6] ر ث م - تحبسان.
[7] م: ولا تسقيانهما.
[8] م: يصدروهم.
[9] ر م: تستحيان.
[10] ل: فينتظران.
[11] ر م: صدور.
[12] جميع النسخ: عليه.
[13] ر م - نفرا.
[14] ر ل م: ليتولوهم.
[15] ل: قوله.
[16] انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٤٣.

حتى يَصْدُرَ الرعاء بأنفسهم، أي يرجع؛ ومن قرأ بالرفع [فإنه يقول]: حتى يَصرفوا ويُرجعوا أغنامهم. *والله أعلم*.

وقوله:[1] **وأبونا شيخ كبير**، تذكران -والله أعلم- عذْر أبيهما في التخلّف عن سقْي الغنم وإرساله إياهما في ذلك دون تولّي ذلك بنفسه، وقالتا[2] ذلك لكبره وضعفه مما[3] يتخلّف عن ذلك ويرسلهما، وإلا لا معنى لذكرهما[4] كِبَرَ[5] أبيهما بلا سبب يحملهما على ذلك سوى ما ذكرنا. وجائز أن يكون لمعنى آخر لا نعلمه.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢٤]

وقوله:[6] **فسَقَى لهما ثم تولّى إلى الظلّ**، دلّ أن البئر التي كانت تُسقَى الماشية منها كانت في الشمس حيث أخبر أنه لمّا[7] سقى[8] لهما تولىّ إلى الظل.[9] وفيه أن لا بأس بأن يَجلس في الظلّ.

وقوله:[10] **فقال ربِ إني لِما أنزلتَ إليّ من خير فقير**، قيل: إن هذا منه[11] شكاية عما أصابه من الجوع، لأنه ذُكر أنه خرج من مصر[12] إلى مَديَنَ هاربًا من فرعون وقومه غير متزوّد، وهو مسيرة ثماني ليال.[13] وفيه دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يخبر ويذكر عما هو فيه[14] من الشدّة والبلاء حيث ذكر موسى حاله التي هو فيها من الجوع الذي أصابه، وكذلك ما قال في آية أخرى: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا.[15] وذلك يردّ قول من يقول: إن مثل هذا يخرج مخرج الشكاية عن الله، ولو كانت شكاية لكان موسى لا يقول ذلك ولا يذكره.

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: وقالا.
[3] ر ث م: على ما.
[4] ر ث م: لذكر.
[5] م: كبير.
[6] ن: قوله.
[7] ر م - لما.
[8] جميع النسخ: أسقى. والتصحيح من نسخة چورلولي علي باشا ١٠، ورقة ٤٥٨و.
[9] ث - دل أن البئر التي كانت تسقى الماشية منها كانت في الشمس حيث أخبر أنه لما سقى لهما تولى إلى الظل.
[10] ن: قوله.
[11] ن - منه.
[12] جميع النسخ: المصر.
[13] ر م: ليلي.
[14] ر ث م - فيه
[15] سورة الكهف، ٦٢/١٨.

**﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[٢٥]

وقوله: **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**، قوله: **تمشي** مَشْيَ مَن لم يعتد الخروج. أو **تمشي على استحياء**، أي تمشي مشْي من لم يخالط الناس على التستر والتغطية. **قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**، هذا يدلّ على[١] أنْ لا بأس أن يؤخذ على المعروف الذي صُنع إلى آخر أجر. والأفضل على مَن صُنع إليه المعروف والتبرّع أن يعطِي لمعروفه وتبرّعه بدلاً وأجرًا. والأفضل على المتبرع وعلى صانع المعروف أن لا يأخذ على ذلك بدلاً، إلا أن موسى كان قد اشتدت به الحاجة، لذلك كان[٢] ما ذكر وأخذ لمعروفه ما ذكر بدلاً. *والله أعلم.*

وقوله:[٣] **فلمّا جاءه وقصّ عليه القصص**، أي لمّا جاء موسى أبا المرأتين وقصّ عليه قصته، **قال[٤] لا تخَف نَجَوت من القوم الظالمين**، دلّ قوله[٥] لموسى: **لا تخف نجوت من القوم الظالمين**، أن لم يكن لفرعون على ذلك المكان[٦] سلطان ولا يَد، إذ لو كان له سلطان لكان له فيه الخوف[٧] الذي كان من قبل ولم يكن نجا موسى منه. دلّ أنه لم يكن له عليهم سلطان.

وقوله: **الظالمين**، يحتمل المشركين،[٨] إذ كل مشرك ظالم. ويحتمل، **نجوت من القوم الظالمين**، الذين يقتلون بغير حق. حيث قال: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[٩]

**﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾**[٢٦]

وقوله:[١٠] **قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين**، قال أهل التأويل: قال أبوهما لمّا قالت له: "استأجره فإنه قويّ أمين": ما قوّته وأمانته؟ فقالت:

---

[١] ن – على.
[٢] م – كان.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر م + له.
[٥] ر ن ث + هذا.
[٦] ر م: لكن.
[٧] ن – الخوف، صح هـ.
[٨] ث: المشركون.
[٩] الآية ٢١ من هذه السورة.
[١٠] ن – قوله، صح هـ.

أما قوّته فإنه رفَع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يطيقه إلا كذا كذا نفرًا، ونَزَح الدلْو من البئر وحده وكان لا يطيق[1] نزحه إلا كذا كذا[2] [نفرًا] فذلك قوّته. وأما أمانته فإنه قال لي: "امشي خلفي وصِفى لي الطريق". فذلك أمانته. ولكن قد كانت تَعرف أمانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما: **ما خطبكما**، وحين سقى لهما. في مثل هذا تُعرف أمانته في ترك النظر إليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة. ***والله أعلم***.

وقولها: **يا أبتِ استأجره**، كأن أباها كان[3] في طلب أجير قويّ أمين لكنه لا يجد ولا يَظفَر به، لذلك[4] قالت له: **استأجِره إن خير من استأجرت القوي الأمين**، إذ لا يحتمل أن يكون مَن[5] له ماشية وله غِنىً[6] وبه حاجة إلى رعْي ذلك وسقيه –وقد بلغ في نفسه من الكبر والضعف ما ذُكر– يرسل ابنته في الرعي والسقي ولا يستأجر الأجير ليتولّى ذلك[7] دون بناته. هذا لا يحتمل ذلك. وخاصّة ما وصف ابنته من الحياء حيث قال: **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**، دلّ ذلك أنه كان في طلب الأجير. وإنما أرسل ابنته في سقي الغنم وهو مضطرّ إلى ذلك محتاج إليه لذلك قالت له: **يا أبَتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**.[8]

**﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٧]**

**قال إني أريد أن أُ نكِحَك إحدى ابنَتَيَّ هاتين على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، طلبت هي الاستئجار وهو عرَض عليه النكاح لما لم ترغب[9] هي في النكاح. أو طلبت الاستئجار لما[10] لم تر من نفسها الرغبة / في النكاح –وإن[11] كانت لها الرغبة– حياءً. ***والله أعلم***. [٥٦٤و]

[1] جميع النسخ: لا يطيقه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٤ظ.
[2] ن ث – كذا.
[3] م – كان.
[4] ر م: كذلك.
[5] ر م – من.
[6] جميع النسخ: عناء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥و.
[7] ن ث + له.
[8] جميع النسخ + ثم.
[9] ن: لم يرغب.
[10] ر م: ولما.
[11] ر: فإن.

ثم قوله: **على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه جعل عمله ثماني حجج بدلاً للنكاح ومهرًا لِبُضْعِها.[١] ثم تحديده بثماني حِجج لِما رأى عمل ثماني سنين مهرَ مثلها.

وقوله:[٢] **فإن أتممت عشرًا فمن عندك**، أي فإن أتممت عشرًا وزدت[٣] على مهر المثل فمن عندك، أي لك ذلك، [وهو] فضل منك وإحسان.

والثاني قوله: **على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، ليس على جعله بدلاً للنكاح ولكن على الإجارة المعروفة على أجرٍ معلوم على حِدة من غير أن كان ذلك مهرًا لها.

ثم التحديد بثماني سنين على هذا الوجه يخرج على إحدى خلّتين. إحداهما[٤] أنه لمّا قصّ عليه قصّته علم أنه لا يقدر على العَود إلى مصر،[٥] ورأى أنه لا يأمن تلك الناحيةَ بدون ما ذكر من المدة. أو لِما رأى أن نفسه تنزّع وتَتُوق[٦] بالعود إلى ذلك في ذلك الوقت، فشرطَ ذلك[٧] عليه لئلّا يحدّث نفسه بالرجوع إليه إلى ذلك الوقت.

*وقال القُتَبي: **على أن تأجرني**، أي تُجازِيَني من التزويج، والأجر من الله، إنما هو الجزاء على العمل.[٨]* |٥٦٤و س٢١

٥٦٤و س٢١]

وقوله:[١٠] **فإن أتممت عشرًا فمِن عندك**، أي فإن زدت سنتين على ذلك فمن فضلك وإحسانك. **وما أريد أن أشُقّ عليك**، في الزيادة على ذلك كله. ***والله أعلم***.

ثم قال: **ستجدني إن شاء الله من الصالحين**، في جميع ما يجري بينك وبيني من المعاملة والصحبة. وفيه أن الثُّنيا فيما يَعِدُون كان ظاهرًا في الأمم السالفة.

---

[١] ر م: لبعضها. البُضْع: النكاح. يقال: ملَك فلان بُضْع فلانة إذا ملك عقدة نكاحها، وهو كناية عن موضع الغشيان (*لسان العرب*، «بضع»).

[٢] ن: قوله.

[٣] ن: ورددت.

[٤] م: احديهما.

[٥] جميع النسخ: المصر. والتصحيح من نسخة نجيب باشا ١٨٢، ورقة ٣٨٦و.

[٦] ر م: وتشوق. وتاق يَتُوق تَوْقًا وتَوَقانًا: اشتاق إليه ونزع (*لسان العرب*، «توق»).

[٧] ن + ذلك.

[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٤و/سطر ٢١.

[١٠] ن: قوله.

ثم اختلف في أب[1] المرأتين. قال بعضهم: كان شعيبًا. وقال بعضهم: [كان] ابن أخ[2] شعيب. وقال الحسن: لم يكن شعيب ولكنه كان سيد الماء يومئذ.[3] وليس لنا إلى معرفة مَن كان [هو] حاجةٌ. أما شعيب فإنه لم يكن في زمن موسى. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٢٨]**

وقوله:[4] **قال ذلك**، يعني الشرط -والله أعلم-، **بيني وبينك أيَّمَا الأجلين قضيتُ**، أي أوفَيت وعملت، إما الثماني وإما العَشْرَ، **فلا عدوان علي**، يقول: لا سبيل لك عليّ بعد ذلك ولا تَبِعة. والعدوان هو الظلم والمجاوزة عن الحدّ الذي جُعل له، يقول: لا ظلْم عليّ ولا مجاوزة عليّ، أي الاختيار إليّ: قضيتُ أيَّ الأجلين اخترتُ وشئت أنا.

ثم قال: **والله على ما نقول وكيل**، قال بعضهم: يقول:[5] والله كفيل على مقالتي ومقالتك. والوكيل هو الشهيد أو الحافظ، كأنه يقول: والله على ما نقول شهيد. ذكر أن جبريل جاء إلى[6] رسول الله صلى الله عيه وسلم فقال: «إن سُئِلْت أيَّ الأجلين قضى موسى فقُل: أَبَرّهما وأوفاهما؛ وإن سُئِلْت أيّ المرأتين تزوّج فقل: أصغرهما».[7] فإن ثبت هذا ففيه أنه قضى الأجلين جميعًا الثماني والعشر، وليس في الآية إلا قضاء الأجل حيث قال:[8] فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ.[9]*

---

[1] جميع النسخ: في أبي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥ظ.
[2] جميع النسخ: أخي. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٤/١٨.
[4] ن: قوله.
[5] ر ث م - يقول.
[6] ر م - إلى.
[7] عن سعيد بن جُبَير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أيّ الأجلَين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أَقدَم على حَبْر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبَهما، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل (*صحيح البخاري*، الشهادات، ٢٩). قارن: *تفسير القرآن العظيم* لابن كثير، ١٠/ ٤٥٤-٤٥٥.
[8] ر م - قال.
[9] الآية التالية.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ نظر: ورقة ٥٦٤و/سطر ٢١.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٢٩]

وقوله: **فلما قضى موسى الأجل**، قال أهل التأويل: ما ذكرنا أنه قضى: [أي] أتمهما وأكثرهما.[١] لكن لا نعلم إلا بالخبر الصحيح عن فعل ما ذكروا.[٢] وليس في الآية إلا قضاء الأجل فلا يزاد على ذلك إلا بخبر[٣] يثبت، فإن ثبت ما روي من الخبر فهو هو.[٤] ***والله أعلم***.

وقوله:[٥] **وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا**، "آنس" قيل: أبصر وأحس نارًا. قال بعضهم: إن موسى لم يكن رأى نارًا ولكن إنما رأى نورًا ظنّ أنه نار؛ فلا يحتمل ذلك، لأنه أخبر أنه آنس نارًا، فإن[٦] لم يكن ذلك في الحقيقة نارًا[٧] ولكن نور كان ذلك يوجب الكذب في الخبر. إلا أن يقال على الإضمار: **آنس من جانب الطور** نورًا ظنّ أنه نار،[٨] أو في ظنه أنه نار.

**قال لأهله امكُثُوا إني آنست نارًا لعلّي آتيكم منها بخبر أو جَذْوَةٍ من النار**، أي امْكُثُوا لعلّي آتيكم منها بخبرٍ يدلّنا ويخبرنا عن[٩] الطريق. فكأنه قد ضلّ الطريق فيقول: **لعلي آتيكم منها بخبر الطريق أو جذوة من النار**، أي آتيكم بجذوة من النار لو بقيتم فيه ولم آتكم بخبر الطريق، **لعلكم تصطلون**، هذا يدلّ أنه كان في أيام الشتاء وفي وقت البرد.

* وقوله: **أو جَذْوَةٍ**، [و]بكسر الجيم ورفعها.[١٠] قال بعضهم: عُود قد احترق بعضه. |٥٦٤ظ س ه
وقال قتادة: أصل شجرة فيها نار.[١١] وقال أبو عَوْسَجة: الجذوة مثل الشِّهاب سواء،

---

[١] ر م: أو أكثرهما. أي قضى الأجين.
[٢] ر م: فعلى م ذكروا. أي ليس عندنا علم فيما فعل موسى عليه السلام في قضاء الأجل. وما ذكر أهل التأويل في هذه المسألة لا يعلم إلا باخبر الصحيح.
[٣] جميع النسخ – بخبر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥ظ.
[٤] ر ث م – هو.
[٥] ن: قوله.
[٦] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٦و.
[٧] ن ث: نار.
[٨] م: نارا.
[٩] ر م: على.
[١٠] انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٤٣-٥٤٤.
[١١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٢٤٠.

والجُذَى [برفع الجيم وكسرها] جمع[1] الجذوة. وقال أبو عبيدة:[2] الجذوة القطعة الغليظة.[3] وقال القُتَبي: الجذوة عود قد احترق، أي قطعة منها.[4] **وشاطئ**، أي شطّ الوادي،[5] **آنست**، ٥٦٤ظ س٨] أبصرت. وكذلك قوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[6] أي أبصرتم وعلمتم.*

**﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣٠]

[وقوله:] **فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمَن في البقعة المباركة**، قال بعضهم: **الأيمن**، أي عن يمين الجبل، وقال بعضهم: عن يمين موسى، وقال بعضهم: يمين الشجرة، ولكن الأيمن [عندنا] المبارك وهو من اليُمْن.[8]

**في البقعة**[9] **المباركة**. قال بعض أهل التأويل: سمي[ت] مباركة[10] لكثرة أشجارها وأنزالها وكثرة مياهها وعُشبها، ولكن سمّاه[11] مباركًا وأيمَنَ -والله أعلم- لأنه مكان الأنبياء والرسل وموضع الوحي.

وقوله:[12] **نودي ... من الشجرة أَنْ يا موسى إني أنا الله رب العالمين**. ولله أن يُسمِع ويخبر من شاء مما[13] شاء [و]فيما[14] شاء[15] وكيف شاء، كما أسمع مريم من تحتها حيث قال: فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي.[16]

---

[1] ن: جميع.
[2] ر ث م: أبو عوسجة.
[3] «أي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب. وهي مثل الجِذمة من أصل الشجرة، وجمعها الجذا» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/١٠٢-١٠٣).
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٢.
[5] من الآية التالية.
[6] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٤ظ/سطر ٥-٨.
[8] جميع النسخ + لوادي اليمن. وهي لا توجد في *الشرح*، ورقة ٥٦٦و.
[9] جميع النسخ: والبقعة.
[10] جميع النسخ: مباركا.
[11] أي سمّى الوادي.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: مم.
[14] ن ث: فيم.
[15] ر م - فيما شاء.
[16] ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ (سورة مريم، ١٩/٢٤).

**﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **وأن ألقِ عصاك**. ليس هذا بموصول بقوله: إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[١] **وأن ألقِ عصاك**، ولكنَّ ذلك[٢] كما[٣] ذكر في سورة طه: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ،[٤] إلى آخر ما ذَكَر.[٥] ثم قال في آخره: **وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتزُّ**، أي تتحرك، **كأنها جانٌ**. قال بعضهم: الجانُّ الحية الصغيرة، وقال بعضهم: الجانُّ ما بين العظيمة والصغيرة. ***والله أعلم***. وقوله: **ولّى مُدْبِرًا**، أي[٦] فارًّا هاربًا، **ولم يُعَقِّب**، أي لم يلتفت ولم يرجع لشدّة / خوفه وفَرَقه. |٥٦٤ظ|

وقوله: **يا موسى أَقْبِل ولا تَخَف إنك من الآمنين**، قوله: **لا تَخَف**، يحتمل وجوهًا. أحدها على رفع الخوف من قلبه وإدخال الأمن فيه. والثاني على البِشارة أنه لا يؤذيه، كأنه يقول: لا تَخَف وكُن من الآمنين فإنه لا يؤذيك. والثالث على النهي: **لا تخف**، فإني أحفظك وأدفع أذاه عنك، كقوله: قَالَا[٧] رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[٨] أي أسمع ما يقول لكما وأرى ما يفعل بكما وأدفع ذلك عنكما.*

**﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٣٢]**

وقوله: **اُسلُك يدك في جيبك**، أي أَدْخِل يدك في جيبك،[١٠] على ما ذكر في آية أخرى:

---

[١] الآية السابقة.

[٢] ت: ذكر.

[٣] جميع النسخ: م.

[٤] سورة طه، ١٢/٢٠.

[٥] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «ليس هذا بموصول بقوله ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ كأنه قال إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك، ولكن ذكره كما قال في سورة طه ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ إلى آخر ما ذكر» (شرح *التأويلات* ورقة ٥٦٦و). يعني كلم الله تعالى موسى عليه السلام في هذه الآيات (٢٠/١٢-٢١) وقال في أواخرها: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ وكذلك قال هنا في آخر كلامه: ﴿وأن ألق عصاك...﴾.

[٦] ر ت م - أي.

[٧] ر م: قالا.

[٨] سورة طه، ٢٠/٤٥-٤٦.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٩، فقدمناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٥٦٤ظ سطر ٥-٨.

[١٠] ر ت م - أي أدخل يدك في جيبك.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ.[1] هذا يدلّ أنْ لا بأس بتغيير[2] الألفاظ واختلافها بعد إصابة المعنى وما قُصد بها.

وقوله: **تَخْرُجْ بيضاء من غير سوء**، قد ذكرناه فيما تقدم.[3]

وقوله:[4] **واضمُم إليك جناحك من الرُّهْب**، بالضم، والرَّهب بالفتح، قد قرئ بهما جميعًا.[5] ثم قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير. قوله: **من الرهب**، موصول بقوله: أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ **من الرهب**،[6] أي الخوفِ والفَرَق. وقال[7] بعضهم: أمره أن يضمّ يديه إلى نفسه لأن ذلك أخوف وأهيب وأعظم من إرسالهما. وذلك معروف أيضا في الناس أنهم إذا دخلوا على ملِك من الملوك ضمّوا أيديهم وأجنحتهم[8] إلى أنفسهم تعظيمًا لهم وتبجيلًا وخوفًا[9] منهم. فعلى ذلك جائز أن يأمره بضمّ يديه إلى نفسه ليكون بين يدَي ربه أهيَب[10] وأخوف ما يكون وأعظمَ ما يجب له، وهو ما قال له: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.[11]

وقوله: **فَذَانِكَ برهانان من ربك**، أي اليد والعصا اللتان ذكرهما، **برهانان من ربك**، أي حجّتان،[12] **إلى فرعون وملئه**، أي اذهب بهما إلى فرعون وملئه،[13] **إنهم كانوا قومًا فاسقين**.

---

[1] ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ (سورة النمل، ١٢/٢٧).

[2] ر: تغيير.

[3] ر – وقوله تخرج بيضاء من غير سوء قد ذكرناه فيما تقدم. انظر تفسير الآية ٢٢ من سورة طه.

[4] ن: قوله.

[5] «قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿من الرَّهَب﴾ بفتح الراء والهاء. وقرأ حفص عن عاصم ﴿من الرَّهْب﴾ بفتح الراء وسكون الهاء. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿من الرُّهْب﴾ بضم الراء وسكون الهاء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٤٠).

[6] الآية السابقة.

[7] ن: قال.

[8] ر ث م: وجناحيهم؛ ن: وجناحهم.

[9] ر ث م: أو خوفا.

[10] ن ث: وأهيب.

[11] سورة طه، ١٢/٢٠.

[12] ر م: حجتا.

[13] ر ث م - أي اذهب بهما إلى فرعون وملئه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[٣٣] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[٣٤]

وقوله: **قال ربِّ إني قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلونِ وأخي هارون هو أفصح منّي لسانًا.** وقال في سورة الشعراء: قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. إلى قوله: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ.[1] أخر في هذا ما كان مقدّما في الذكر في ذلك وذَكَر على اختلاف الألفاظ وتغيير الحروف لِيُعلَم أنْ ليس على السامع حفْظ الألفاظ والحروف[2] بعد إصابة[3] المعنى وفهْم ما قُصد بها وأودِعَ فيها، لأن الله ذكر هذه الأنباء والقصص التي كانت من قبل في القرآن على اختلاف الألفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتأخير والزيادة والنقصان لِيُعلم أن المقصود والمراد بذكرها ما فيها لا عين اللفظ والحرف.[4] فإذا عرف ما فيها وفهم جاز الأداء بأيّ لسان كان وبأيّ لفظ كان.[5] *والله أعلم.*

وقوله:[6] **هو أفصحُ مني لسانًا**، يحتمل وجوها.[7] أما أهل التأويل فإنهم قالوا: كان في لسانه رُتّةٌ[8] أي عُقدة لما أدخل في فَمِه من النار. فذلك لا نعلمه. وقد قال في آية أخرى:[9] وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي.[10] فيجوز أن يكون ذلك خِلْقة خَلَقه [الله تعالى] هكذا على ما خلق بعض الخلق أفصح وأبْيَن من بعض. أو أن يكون لِما ذكر له من الخوف والذنب ما لم يكن ذلك لهارون.[11] ولا شكّ أنّ[12] من اشتد به الخوف منع صاحبه عن التكلم والبيان،

---

[1] ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون. ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (سورة الشعراء، ١٢/٢٦-١٤).
[2] ث: حفظ الحروف والألفاظ.
[3] ر م: إصابته.
[4] م: والحروف.
[5] ن ث - كان.
[6] ن: قوله.
[7] ر م + أحدها.
[8] الرُّتَّة: عَجَلة في الكلام وقلة أناة. وقيل: هي العُجْمة في الكلام. والأرتّ: الذي في لسانه عقدة وحُبسة (*لسان العرب*، «رتت»).
[9] ن ث - أخرى.
[10] سورة طه، ٢٧/٢٠-٢٨.
[11] ر ث م: آخرون.
[12] ر م - أن.

وذلك مُتعالَم معروف في الناس، وهو ما قال: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[1] الآية. أو أن يكون ذلك لأن نشوء هارون كان فيهم وهم بلسانه أعرف وبنطقه أفهم. ولموسى فَتَرَاتٌ كان معتزلاً عنهم.

وقوله: **فأرسِلْه معي رِدْءًا**، أي عونًا. **يصدِّقُني**. ثم بيّن في آية أخرى أنه فيم طلبه منه عونًا، وهو ما قال: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ،[2] الآية. **ويصدِّقُني** فيما أقول إذا كذبوني هم. أو أستأنس به إذا ضاق صدري بالتكذيب والرد. فأجابه ربه فقال:

**﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾**[٣٥]

**سنشُدُّ عضُدَك بأخيك**، العضد كناية وعبارة عن القوة والعون. لأن القوة فيه تكون فيمن تكون، وهو كقوله: وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا،[3] ذكر الأقدام لأنه بالأقدام[4] يُثَبَّت، وقولِه: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[5] لأنه بالعَقِب يَنكِص، ومثله كثير، فعلى ذلك هذا.[6]

وقوله: **ونجعَل لكما سلطانًا فلا يَصِلُون إليكما بآياتنا**، قال قائلون: هو على التقديم والتأخير، أي نجعل لكما سلطانًا بآياتنا فلا يصلون إليكما. وقال بعضهم: **ونجعل لكما سلطانًا** باللطف ندفع عنكما أذاهم وشرّهم، كقوله: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[7] أي أسمع ما يقول لكما وأرى ما يفعل[8] بكما وأدفع ذلك عنكما، **فلا يصلون إليكما** بالآيات التي معكما.

وقوله: **أنتما ومن اتبعكما الغالبون**، يحتمل هذا وجهين. الغالبون بالحجج والبراهين، أي تغلب[9] حجتكما سحرَهم وتمويهاتِهم. أو أن يكون عاقبة الأمر لكما، أو أن يكون ذلك في الآخرة.

---

[1] سورة الشعراء، ١٢/٢٦.

[2] ر ن ث – هرون. ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارونَ أخي اشْدُدْ به أَزْرِي وأَشْرِكه في أمري﴾ (سورة طه، ٢٩/٢٠-٣٢).

[3] سورة آل عمران، ١٤٧/٣.

[4] ر ث م – لأنه بالأقدام.

[5] سورة الأنفال، ٤٨/٨.

[6] ر ث م: هذا ذلك.

[7] سورة طه، ٤٦/٢٠.

[8] أي فرعون.

[9] جميع النسخ: يغلب.

قال أبو معاذ: العرب تقول: عَضَدتُ[1] الرجل، أي أعنته. وقال أبو عَوسَجَة: **سَنَشُدُّ عضُدَك** [٥٦٥ظ]
**بأخيك**، أي أُعينك به وأقوّيك. والعَضُد كناية عن القوة، لأنه فيه يكون القوة وبه يقوّى مَن يوصف بالقوة على ما ذكرنا.

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾**[٣٦]

وقوله:[2] **فلما جاءهم موسى بآياتنا بيّنات**، أي جاء موسى فرعونَ وقومه، **بآياتنا**، أي أعلامًا أنشأناها[3] موضِحات مظهرات يظهرن ويوضّحن رسالة موسى ونبوّته، وقد أظهرنا[4] لهم ذلك وعرفوا أنها آيات من الله نزلت.[5] أفلا ترى أن موسى قال له: يا فرعون لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[6] لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا: **ما هذا إلا سحر مفترى**. هذا منهم تمويهٌ وتلبيس على الأتباع والسَّفَلَة، ولم تزَل[7] عادتهم التمويهَ والتلبيس على أتباعهم أمرَ موسى.

وقوله:[8] **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**، يقولون -والله أعلم-: إن آباءنا قد عبدوا الأصنام على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير أنْ نزل بهم ما توعدنا من الهلاك والعذاب، فعلى ذلك نحن على دين آبائنا وعلى ما هم عليه فلا ينزل بنا شيء مما تذكر وتوعدنا به من العذاب.

**﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**[٣٧]

ثم قال موسى: **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار**، هذا -والله أعلم- كأنه ليس بجواب لقولهم: مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ،[9]

---

[1] ر م: أردت؛ ن ث: أردْت.
[2] ن: قوله.
[3] جميع النسخ: أنشأها.
[4] جميع النسخ: وقد أظهرن.
[5] جميع النسخ: نزلن.
[6] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.
[7] جميع النسخ: ولم يزل.
[8] ن: قوله.
[9] الآية السابقة.

ويكون جواب هذا إن كان هو قولَه: **إنه لا يفلح الظالمون**، كنَّى بالظلم عن السحر. يقول -والله أعلم-: ليس بسحر لأني قد غلبتكم وقهرتكم وقد أفلحت أنا، ولو كان سحرًا ما آتيتكم به لم أُفلح، إذ الله تعالى أخبر أن الساحر لا يفلح بقوله: إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى،[1] وقال أيضًا: مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ،[2] الآية؛ وقد أصلح عملي فظهر أنه ليس بفساد ولكنه صلاح. ثم نقول:[3] قوله: **ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار**، [يحتمل أن يكون جوابًا] لما ذكر[4] في سورة الأعراف[5] حيث قالوا: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ،[6] فقال عند ذلك: **ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار**، أنتم أو نحن. [ويحتمل أن يكون قوله:][7] **ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده**، جوابًا لقوله: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ.[8] *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣٨]**

وقوله: **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علِمتُ لكم من إلٰهٍ غيري**، كأنه قال للملإ خصوصيةً لهم، لأنه كان اتخذ للأتباع أصنامًا يعبدونها، وجعل لملأ عبادة نفسه وإلٰهيته؛ لِما لم ير الأتباعَ أهلًا لعبادة نفسه، جعل لهم عبادة الأصنام، ورأى الملأ أهلًا لذلك فخصّهم لذلك.[9] ومنه اتخذت العرب عبادة الأصنام دون الله لِما لم يروا أنفسهم أهلًا لعبادة الله، وقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.[10]

---

[1] سورة طه، ٦٩/٢٠.

[2] ﴿فلما ألقَوْا قال موسى ما جئتم به السحرُ إن الله سيُبطله إن الله لا يُصلح عمل المفسدين﴾ (سورة يونس، ٨١/١٠).

[3] جميع النسخ: ويكون جواب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٦ظ.

[4] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح مع الزيادة من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: المص.

[6] سورة الأعراف، ١٢٧/٧.

[7] جميع النسخ: ويقول. والزيادة من المرجع السابق.

[8] ﴿قال فرعون ما أُرِيكم إلا ما أَرَى وما أَهْديكم إلا سبيلَ الرشاد﴾ (سورة المؤمن، ٢٩/٤٠)

[9] ر ث م لذلك.

[10] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩)

وقوله:[١] **فأَوْقِدْ لي يا هامان على الطين فاجعل لي صَرْحًا**، قال أهل التأويل: أوّل من اتخذ الآجُرَّ هو،[٢] ولا نعلم ذلك يحتمل أن يكون من قبل ذلك. وقوله:[٣] **فاجعل لي صرحًا**، أي قصرًا، **لعلّي أطّلع إلى إلٰه موسى**. كان يعرف[٤] أنه ليس بإلٰه السماء والأرض إذ لا يملك ذلك. فكأنه أراد بقوله: **ما علمت لكم من إلٰه غيري**، قومه وأهلَه خاصة. **وإنّي لأظنّه من الكاذبين**، كان جميع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظنّ، كقوله: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[٥] وكذلك قال له موسى: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا.[٦]

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[٣٩] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٤٠]

وقوله:[٧] **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق**، الاستكبار هو أن لا يرى لنفسه شكلًا ولا نظيرًا. وهو كذلك كان لا يرى لنفسه شكلًا ولا نظيرًا، لأنه يدّعي لنفسه الربوبيّة والألوهيّة. واستكبار[٨] قومه لما استعبدوا هم[٩] بني إسرائيل واستخدموهم. أو استكبروا [مِن] أن يخضعوا لموسى ويجيبوا له إلى ما يدعوهم إليه.

وقوله:[١٠] **وظنّوا أنّهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده**، أخذناه أخذَ تعذيب وإهلاكٍ، **فنبذناهم في اليَمّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**، يُعذَّبون بظلمهم.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾[٤١]

وقوله:[١١] **وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار**، ذكر في هؤلاء أنه جعلهم أئمة في الشر، وذكر في الرسل وأهل الخير أنه جعلهم أئمّة في الخير حيث قال: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

---

[١] ن: قوله.
[٢] أي فرعون.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن + اللعين.
[٥] سورة الإسراء، ١٠١/١٧.
[٦] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر: والاستكبار.
[٩] م: استعبدوهم.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ن: قوله.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ،[1] وما قال: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ،[2] فكان من الله تعالى في أهل الخير صنع ومعنى حتى صاروا بذلك أئمةَ الخير ما لم يكن ذلك منه بأهل الشر وأئمة السوء. فهذا على المعتزلة، لأنهم يقولون: لم يكن من الله إلى الرسل وَقَادَةِ الخير شيء[3] إلا وقد كان ذلك منه إلى كلّ كافر وفاسق. فلو كان على ما قالوا لكان لا يُحتمل أن يصير هؤلاء أئمة الخير وأولئك أئمة الشر، فدل ذلك أنه منه إلى هؤلاء معنى صاروا[4] بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك إلى أولئك. إلا أن يقولوا: إن هؤلاء صاروا أئمة الخير بأعمالهم وأولئك أئمة الشر[5] بأعمالهم أيضًا. وإن كان ما مِن الله إليهم على السواء، لكن يضاف ذلك إلى الله بأسباب تكون[6] منه، وكانت حقيقة ذلك منهم وبعملهم، نحو ما قال:[7] إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[8] أضاف إنذاره إلى من اتبع الذكر[9] وإن كان رسول الله [٥٦٥ظ] / أنذر[10] من اتبع الذكر[11] ومن[12] لم يتبع. وكذلك ما قال في الشيطان:[13] إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ،[14] وهو يدعو[15] الحزبَيْن جميعًا، لكنه أضاف دعاءه إلى حزبه لما منهم يكون له الإجابة، وأضاف إنذار رسوله[16] إلى من اتبعه وقَبِله لطاعتهم له. فعلى ذلك الأول، أضاف ذلك إلى نفسه لفعلهم.

---

[1] سورة الأنبياء، ٧٣/٢١.
[2] سورة آل عمران، ١٠٤/٣.
[3] ر م – شيء.
[4] جميع النسخ: فصاروا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٧و.
[5] ر م – فدل ذلك أنه منه إلى هؤلاء معنى صاروا بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك إلى أولئك إلا أن يقولوا إن هؤلاء صاروا أئمة الخير بأعمالهم وأولئك أئمة الشر.
[6] ث: يكون.
[7] ر م – ما قال.
[8] سورة يس، ١١/٣٦.
[9] ر – أضاف إنذاره إلى من اتبع الذكر.
[10] جميع النسخ: ينذر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٧و.
[11] ر ث م – من اتبع الذكر.
[12] ث: من.
[13] جميع النسخ: في الشياطين. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٦/٣٥).
[15] ر م – حزبه وهو يدعو.
[16] ر ث: رسول الله.

لكن عندنا لا يكون من الخلق في فعل الخلق حقيقةُ الفعل، إنما يكون منهم الأسباب، ويكون من الله تعالى في أفعالهم الأسبابُ وحقيقةُ الفعل؛ فيكون إضافة ذلك إلى الله على حقيقة الفعل والأسبابِ جميعًا، وإلى الخلق لأسباب تكون منهم إليه.[١]

والثاني إنما خصّ بالإنذار مَن[٢] اتَّبع الذكر، لأنه إنما يقصد بالإنذار به من[٣] اتّبعه لا مَن لا يتبعه. وكذلك[٤] الشيطان إنما يقصد بدعائه[٥] إياهم ضررَهم. وإن كان الرسول ينذر الخلق جميعًا: الذي يتبعه والذي لا يتبعه. وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعًا لأن هذا يقصد ضررهم بما يدعوهم إليه. ألا ترى[٦] أنه قال: إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ،[٧] والرسول -بما ينذر- يقصد نفعهم، لذلك خصّ الإنذار لمن اتّبعه، وخصّ في ذلك حزبه.

وقوله:[٨] **أئمة يدعون إلى النار**، لا يدعون إلى النار[٩] تصريحًا لأنهم لو دعوهم إلى النار لا يجيبونهم، ولكن يدعونهم إلى أعمالٍ توجب لهم النار لو أجابوهم. وهو كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[١٠] أي ما أصبرهم على عمل يستوجبون به النار.

وقوله: **ويوم القيامة لا يُنصَرون**، كأنّ الشيطان منّاهم النصر والشفاعة بعبادة الأصنام فيخبر أنهم لا ينصرون لما مناهم.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة**، وهو ما عُذِّبوا في الدنيا واستُؤصِلوا. **ويوم القيامة هم من المقبوحين**. قال بعضهم: مسودّة[١١] وجوههم. وجائز[١٢] أن يكون ذلك جزاءَ ما افتخروا

---

[١] جميع النسخ: إليهم. أي إلى الفعل.
[٢] ر: مع.
[٣] جميع النسخ: لمن.
[٤] ر م: ولذلك.
[٥] ر م: بدعائهم.
[٦] ن: يرى.
[٧] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٦/٣٥).
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ث م - لا يدعون إلى النار.
[١٠] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).
[١١] جميع النسخ: مسودون.
[١٢] ر م: لما مناهم وقوله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وهو ما عذبوا في الدنيا واستؤصلوا ويوم القيامة هم من المقبوحين قال بعضهم مسودة وجوههم وجائز.

في هذه الدنيا[1] بالحُلِيّ والزينة وطعنوا في موسى، وجوابًا[2] لهم حيث قالوا: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ.[3] يخبر أنهم يكونون في الآخرة على غير الحال التي كانوا في الدنيا وافتخروا بها. وقال بعضهم: القُبح[4] هو السواد مع الزُّرقة.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[٤٣]

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**، من نحو عاد وثمود وهؤلاء الذين كانوا من قبل[5] من الأمم، أي أرسلناه بعد هلاك مَن ذكر، **بصائرَ للناس**. يشبه أن يكون قوله: **بصائر للناس**، أي هلاكُ من ذكر من القرون الأولى بصيرة وعبرة لمن يكون مِن بعدهم ليزجرهم ذلك عن تكذيب الرسل ويكونَ ذلك آية لرسالة موسى. والثاني أن[6] يكون قوله: **بصائر للناس وهدى ورحمة**، أي الكتاب الذي آتاه الله موسى هو بصائرُ وهدًى ورحمةٌ لهم إذا قبلوه واتّبعوه وعملوا به. وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة وبصيرة لمن آمن بها وعمل بها. وجائز أن يكون هذا جوابًا وصلة لقولهم: مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ.[7] يقول -والله أعلم-: إنكم لم تسمعوا[8] ذلك في آبائكم الذين اتبعوا رسلهم فأجابوهم، فأما مَن كذّبوهم فإنا أهلكناهم بتكذيبهم الرسل واستأصلناهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**[٤٤] **﴿وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾**[٤٥] **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[٤٦]

وقوله: **وما كنت بجانب الغربي**، قال بعضهم: جانب الغربيّ حيث تَغْرُب الشمس والقمر والنجوم، والشرقيّ حيث تَشرُق وتَطلُع. وقال بعضهم: **بجانب الغربيّ**، أي بجانب الوادي الغربي.

---

[1] ر م - الدنيا.
[2] ر م: جوابا.
[3] سورة الزخرف، ٥٣/٤٣.
[4] جميع النسخ: المقبوح.
[5] ن: من قبله.
[6] ن ت - أن.
[7] سورة القصص، ٣٦/٢٨.
[8] ر م: لم تسمعون؛ ث: لا تستمعوا.

والله أعلم ما أراد به. وقوله: **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**[١] **وما كنت ثاويًا في أهل مدين**، أي مقيمًا. **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**، يحتمل وجوهًا. أحدها إنك لم تكن شاهدًا هذه المشاهد التي شهدها موسى حيث قضينا إلى موسى الأمرَ بجانب الغربيّ ولم تكن شاهدًا هنالك. وما كنت في أهل مدين ثاويًا حتى تعلم أمر موسى ونحوه.[٢] **وما كنت بجانب الطور**، حيث نادينا[٣] موسى ونحوه. أي لم تكن شاهدًا هذه المشاهد التي كان موسى شاهدًا فيها، ثم أعلمناك بتلك الأنباء والأخبار على ما كانت لِتَتْلُوَ تلك الأنباء والأخبار على أهل مكّة فتكون[٤] آية لنبوّتك وحجة لرسالتك. إذ لم تَشهدها ولا اختلفتَ إلى أحد ممن يعرفها فعلَّمك، ثم أنبأتَ على ما كانت ليعرفوا أنك إنما عرفت [ذلك] بالله تعالى.

والثاني يحتمل أن يذكر هذا له امتنانًا عليه يستأدي[٥] به شكره، لأنه ذُكر أنه أوحى إلى موسى وذَكَر محمدًا وأمّته في شرفه وكرمه[٦] حتى تَمنّىَ موسى أن يُجعَل من أمّته. يقول -والله أعلم-: لم تكن أنت شاهدًا في هذه المشاهد فذكرتُك ثمّةَ[٧] وأمّتك.

أو أن يَذكر هذا له على الاختصاص له لِيُعرف أن أمر الرسل والوحي إليهم على الاختصاص لهم من الله لا بأمر كان منهم. على هذه الوجوه الثلاثة يحتمل أن يخرج تأويل ما ذكر له.

وقال بعض أهل التأويل في قوله: **وما كنت بجانب الغربيّ**، **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**، يقول لمحمد: لم تعاين هذا ولم تشهده وإنما هو شيء أنزلناه عليك لتتلوه على أهل مكّة.

وقوله:[٨] **ولكنّا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر**، هذا ليس بصلة بالأوّل ولكن على الابتداء يقول -والله أعلم-: **لكنّا أنشأنا قرونًا** بعد انقراض الرسل ودروس أعلامهم وآثارهم وتطاوُل العهد والعمر، ثم بعثناك فيهم رسولاً لتحيي[٩] بك[١٠] آثارهم وتُظهر فيهم سنتهم وأعلامهم / رحمة منّا إليهم. [٥٦٦و]

---

[١] ر م - وما كنت من الشاهدين.
[٢] جميع النسخ: وحينه.
[٣] ر م: ناديا.
[٤] ر ث م: فيكون.
[٥] ر ث م: تأدى.
[٦] ر ث م - وكرمه.
[٧] ن ث: ثم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر م: ليحيي؛ ث: لتحيي.
[١٠] جميع النسخ: به.

وهو ما قال في آخره: **ولٰكنْ رحمةً من ربك**، أي أرسلناه[1] إياك رحمة منا لهم. وهو ما قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[2] أو أن يكون قوله: **ولكنْ رحمةً من ربك**، أي ما أنبأك [ربك] وأعلمك من أنباء موسى وأخباره حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها آية لنبوّتك وحجّة لرسالتك. *والله أعلم*.

وقوله: **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لتنذر قومًا**، ما أنذر به الرسلُ الذين من قبلك قومَهم. والثاني **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك**، أي لم يأتهم نذير من قبلك.[3] **لعلّهم يتذكّرون**، أي على رجاء التذكّر تنذرهم. أو أن يكون ذلك خاصة لمن تَذَكّر إذا كان على الإيجاب.

**﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٤٧]

وقوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم**، "لولا"[4] يستدعي[5] الجواب، وليس ما ذكر على إثره جوابًا[6] له، إلا أن يقال: إن قوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة**، أي لم تصبهم مصيبة،[7] وذلك جائز في اللغة، كقوله: وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا،[8] أي لم تقولوا: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، وقوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] لَمَسَّكُمْ،[9] أي لم يَمَسَّهم. وجميع ما ذكر في هذه السورة من "لولا" كلّه إنه [بمعنى] لم يكن. فعلى ذلك جائز أن يكون تأويل قوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة**، أي لم تصبهم مصيبة، ولو أصابتهم مصيبة وهو العذاب فيقولوا: **ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً**، وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا.[10] على هذا يخرج تأويل هذا.

---

[1] ر ث م: أرسلت.
[2] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[3] ر م - أي لم يأتهم نذير من قبلك.
[4] ر ع: لا.
[5] جميع النسخ: يتطم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦٧ظ.
[6] جميع النسخ: جواب. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م - أي لم تصبهم مصيبة.
[8] سورة النور، ١٦/٢٤.
[9] سورة النور، ١٤/٢٤.
[10] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).

ثم في هذه الآية وفي قوله:[١] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ وجهان. أحدهما على مَن يقول بأن ليس لله أن يعذّبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل إليهم، كقوله:[٢] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾،[٣] وفي الآية بيان أنّ له أن يعذّبهم وإن لم يبعث الرسل، لأنه أوعدهم الهلاك، فلو لم يكن له التعذيب والإهلاك لم يكن للإيعاد معنى،[٤] فدلّ أن له الإهلاكَ في الدنيا والاستئصال أرسل رسولاً أو لم يرسل.[٥] لكنه أخّره عنهم فضلاً منه ورحمة.[٦]

والثاني على المعتزلة في قولهم [بوجوب][٧] الأصلح، لأنه لا يخلو من[٨] أن يكون ما أوعدهم[٩] أصلح لهم من الترك، أو التركُ لهم أصلح. فإن كان ما أوعد لهم أصلح فقد تركه،[١٠] فيكون في تركه[١١] جائرًا إياهم[١٢] على قولهم، لأنه لم يفعل بهم[١٣] ما هو أصلح لهم في الدين. أو أن يكون الترك أصلح لهم[١٤] فيكون بما أوعدهم جائرًا، إذ أوعد بما كان غيره أصلح لهم[١٥] مما أوعد. فدلّ ما ذكرنا على أن ليس على الله حفْظُ الأصلح لهم في الدين.

---

[١] ر م: في قوله.

[٢] ر ث م - كقوله.

[٣] سورة الإسراء، ١٧/١٥.

[٤] ر ث م - معنى.

[٥] جميع النسخ - أرسل رسولا أو لم يرسل. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠و.

[٦] وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم في هذه الآية وفي قوله: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ دلالة وحجة من وجهين. أحدهما على من يقول بأنه لا يجب الإيمان بمجرد العقل إلا بعد بعث الرسل عليهم السلام، استدلالا بقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾. إلا أن في الآيتين بيانَ أن لله تعالى أن يعذبهم وإن لم يبعث الرسل، لأنه أوعدهم الهلاك، فلو لم يكن له التعذيب والإهلاك لم يكن للإيعاد معنى. فدل أنه له الإهلاك في الدنيا والاستئصال قبل بعث الرسل، بما أقام دلائل التوحيد. لكن أخره عنهم إلى وقت بعث الرسل في الدنيا فضلا منه ورحمة» (شرح التأويلات ورقة ٥٦٧ظ).

[٧] الزيادة من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: إما. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ٨٩ظ.

[٩] ن: مما أوعدهم.

[١٠] ر م: تركتم؛ ن ث: تركهم.

[١١] ر م: تركتم؛ ن ث: تركهم.

[١٢] جميع النسخ: إياهم جائرا.

[١٣] ر ث م - بهم.

[١٤] ر ث: هم أصلح.

[١٥] ن - ما هو أصلح لهم في الدين. أو أن يكون الترك أصلح لهم فيكون بما أوعدهم جائرا إذ أوعد بما كان غيره أصلح لهم.

ثم قوله: **بما قدّمت أيديهم**، ليس الكفر نفسَه ولكن العناد والمكابرةُ مع الكفر، لأن عذاب الكفر في الآخرة ليس في الدنيا. لأن الله تعالى قد أبقى كثيرًا من الكفرة لم يهلكهم و لم يعذّبهم في الدنيا، ولكن إنما أهلك واستأصل في الدنيا من عاند وكابر الرسل في الآيات والحجج التي أتوها بهم وأقاموها عليهم على إثر سؤالٍ كان منهم، فعند ذلك أهلكهم واستأصلهم لا بنفس الكفر.

ثم مع ما كان له التعذيب قبل بعْث الرسل لم يعذّبهم ولكن أخّر عنهم إلى أن بعَث الرسل إليهم بالآيات والحجج ليقطع به حِجَاجهم ومنازعتهم فضلاً منه وإن لم يكن لهم الاحتجاج عليه[1] بقوله:[2] **لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبِعَ آياتك ونكون من المؤمنين**. يحتمل قوله: **فنتّبِعَ آياتك**، الآياتِ التي تُبعَث مع الرسل لأنه يُبعث الرسل بالآيات. وجائز أن يكون قوله: **فنتّبِعَ آياتك**، يَعْنُون بالآيات الرسل أنفسَهم لأنهم بأنفسهم آيات وحجج.[3] *والله أعلم*.

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾**[٤٨]

وقوله: **فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا**، جائز أن يكون الحقّ الذي ذُكر الرسولَ نفسَه، ويحتمل الحقُّ الكتابَ الذي أنزل عليه أو آياتٍ. وقوله: **قالوا لولا أُوتي مثل ما أُوتي موسى**، هذا يحتمل وجوها. أحدها قالوا: هلّا أوتي محمدًا[4] من أنواع النعم من المنّ والسلوى وغيره من غير تكلّف ولا تعب مثل ما أوتي موسى لو كان رسولاً على ما يقول. أو أن يقولوا: لولا أوتي محمدًا[5] من الآيات الحسّيّات الظاهرات من نحو اليد والعصا[6] والحجَر الذي كان ينفجر منه الماء[7] والغمام[8] وما ذكر من الضفادع والقمّل والدّم والطوفان[9] وغير ذلك مثل ما أوتي موسى.

---

[1] ر م: عيهم.

[2] ن ث: بقولهم.

[3] ر م: يعنون بالآيات الرسل لأنفسهم وحجج؛ ن ث: يعنون بالآيات الرسل أنفسهم لأنهم آيات لأنفسهم وحجج. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠ظ.

[4] جميع النسخ: محمد.

[5] ر ث م - محمدا؛ ن: محمد.

[6] ث: والعصى.

[7] ر م - الماء

[8] نظر لليد والعصا: سورة الأعراف، ١٠٧/٧-١٠٨؛ وللحجر: سورة البقرة، ٦٠/٢؛ وللغمام: سورة البقرة، ٥٧/٢.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).

أو أن يقولوا: لولا أوتي محمدُ القرآنَ جملةً عِيانًا جِهارًا كما أُوتي موسى التوراةَ جملةً عِيانًا جهارًا.
والله أعلم بذلك: بما عنوا[١] به.

ثم بيّن الله تعالى وأخبر أنهم إنما يسألون ما[٢] سألوه سؤال عناد ومكابرة لا سؤالَ استرشاد وطلب الحق، حيث قال: **أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل**، أي أولم[٣] يكفر هؤلاء الذين سألوك الآيات بما أوتي موسى، يعني أهلَ مكّة لأنهم كانوا مشركين لم يؤمنوا برسول قطّ من قبل. يحتمل قوله: **أولم يكفروا**، أي أولم يكفر قوم موسى بما أوتي موسى بعد سؤالهم الآيات إذا[٤] أتاهم بها، فعلى ذلك هؤلاء يكفرون بما أوتِيتَ. والأوّل أشبه.[٥]

**قالوا سِحران تظاهرا**، وقد قرئ "ساحران" بالألف؛[٦] قال بعضهم: "ساحران" موسى وهارون. وقال بعضهم: / موسى ومحمد، وقال بعضهم: عيسى ومحمد عليهم السلام. [٥٦٦ظ]
وقوله: **سِحران**، بغير ألف كتابان، لكنهم اختلفوا. قال بعضهم: التوراة والإنجيل، وقال بعضهم: الفرقان والتوراة، ونحوه. وقال بعض أهل الأدب: "ساحران" أولى وأقرب، لأنه[٧] ذكَر التظاهر، والتظاهر[٨] إنما يكون بين الأنفس، لا يكون بين الكتب. **تظاهرا**، أي تعاوَنَا. وقال بعضهم من أهل الأدب أيضًا: "سِحران" بغير ألف أولى، لأنه أراد به الكتابين. ألا يرى أنه طلب منهم بما قالوا إتيان الكتاب حيث قال:[٩] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾،[١٠] ردًّا[١١] على ما قالوا وطلبوا منه. لكن نقول نحن: لا يجب[١٢] أن يختار إحدى القراءتين على الأخرى، لأنه إنما هو خبَر أخبر عنهم أنهم قالوا ذلك.[١٣] فمرّة قالوا: ساحران،

---

[١] جميع النسخ: ما عنوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠ظ.
[٢] ن: مما.
[٣] ر م: لم.
[٤] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ + ثم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٧١؛ وحجة *القراءات* لابن زَنْجَلة، ٥٤٧.
[٧] ر م: لأن.
[٨] ر م – والتظاهر.
[٩] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧١و.
[١٠] الآية التالية.
[١١] ر م: رد.
[١٢] ر م: لا تجب.
[١٣] م + فمرة قالوا فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ذلك.

ومرّة قالوا: **سحران**. فأخبر على ما قالوا. وكذلك[1] قوله: سَيَقُولُونَ لِلَّهِ[2] بالألف وبغير الألف، لا يُختار أحدهما على الآخر، لأنه خبر أخبر عنهم على ما كان منهم فهو على ما أخبر. *والله أعلم*.

وقال بعض أهل التأويل في قوله: **لولا أوتي مثلَ ما أوتي موسى**، قالت اليهود: نأمر قريشًا أن تسأل أن يُؤتَى محمد مثل ما أوتي موسى. يقول الله لرسوله: قل لقريش يقولوا لهم: **أولم يكفروا بما أوتي موسى [من قبل]**، يعني يهودَ، و **قالوا سحران**[3] **تظاهرا**، قال قولَ يهودٍ لموسى وهارون. وهو قريب بما ذكرنا.[4] *والله أعلم*.

وقوله:[5] **وقالوا إنا بكلٍّ كافرون**، ما أوتي موسى وما أوتي محمد،[6] على الاختلاف ما ذكرنا.

﴿**قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤٩]

ثم قال: **قل** يا محمد لقريش أهلِ مكة، **فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما**، من التوراة والفرقان، أو التوراة والإنجيل على اختلاف ما قالوا، **أتَّبِعه إن كنتم صادقين**، في زعمكم أنهما سحران تظاهرا[7] وأنه مفترًى، ائتوا أنتم من عند الله[8] بكتاب أتبعه، إلى هذا ذهب أهل التأويل. ووجه آخر يشبه أن يكون أقرب منه وهو أن قوله: **فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما**، أي ائتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بعبادة الأصنام والأوثان، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام دون الله ويقولون [بأن] الله أمرهم بذلك؛[9] ويقولون: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[10] وأن عبادتهم إياها تقرِّبهم إِلَى اللهِ زُلْفَى،[11] ونحوه من الكلام. فيقول -والله أعلم-:

---

[1] ن + قالوا.

[2] ن ث + وسيقولون الله. انظر: سورة يونس، ٣١/١٠؛ وسورة المؤمنون، ٨٥/٢٣، ٨٧، ٨٩.

[3] جميع النسخ: ساحران.

[4] جميع النسخ: وهو ما ذكرنا قريب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٨و.

[5] ن: قوله.

[6] ر م: - وما أوتي محمد.

[7] ر م: تطهران.

[8] ن - من عند الله، صح هـ.

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[10] سورة يونس ١٨/١٠.

[11] كما في قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

ائتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بذلك، **هو أهدى منهما**، أي أبيَن منهما وأوضح من هذين، لأن هذين إنما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها[1] [مما] دونه. يقول: ائتوا بكتاب هو أهدى وأبين مما جاء منه من هذين،[2] **إن كنتم صادقين**، أن الله أمركم بذلك ويكون عادتكم إياها على ما تزعمون.[3] هذا جائز أن يكون أقرب من الأول. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٠]**

وقوله: **فإن لم يستجيبوا لك**، في إتيان ما تطلب منهم وتسأل من الكتاب، **فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**، بغير علم، وهم كانوا يعلمون أنهم إنما يتبعون في عبادة الأصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام أهواءهم ويجعلون هواهم هو الإمامَ، إذ لا يؤمنون برسول حتى يكون لهم كتاب. ثم قال: **ومن أضلُّ**، أي لا أحدَ أضلَّ،[4] **ممن اتبع هواه**، على إقرار منهم وعلم أن ليس أحد أضلّ ممن تبع هواه،[5] **بغير هدى من الله**، أي من غير بيان من الله. **إن الله لا يهدي القوم الظالمين**، أي -والله أعلم- إن الله لا يهدي قومًا يتبعون أهواءهم ولا[6] يتبعون الحجج والبراهين لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم. أو **لا يهدي القوم الظالمين**،[7] الذين هم[8] ظلَمة الحجج والبراهين. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥١]**

وقوله: **ولقد وَصَّلْنَا لهم القول لعلهم يتذكّرون**، اختلف فيه. قال قائلون: هو القرآن. ثم يخرج هذا[9] على وجهين. أحدهما[10] وصَل القرآن بعضَه ببعض حتى خرج كله موافقًا بعضُه بعضًا مصدقًا مجتمعًا غير مختلف، وإن فُرّق في الإنزال على تباعد الأوقات وطول المُدَد.

---

[1] جميع النسخ: معه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧١و.
[2] ن - لأن هذين إنما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها ما دونه يقول ائتوا بكتاب هو أهدى وأبين مما جاء منه من هذين.
[3] ر م: يزعمون.
[4] ث - أي لا أحد أضل.
[5] ر م - على إقرار منهم وعلم أن ليس أحد أضل ممن اتبع هواه.
[6] جميع النسخ: لا يتبعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ - الظالمين. والزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ث م - هم.
[9] ر م - هذا؛ ن ث: هو. والتصحيح من مرجع السابق.
[10] ر: أنهم.

**لعلّهم يتذكرون**، أن مثل هذا لا يكون إلا ممن يعلم الغيب ولا يَعزُب[1] عنه شيء ولا يغيب. إذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام المخلوق لخرج مختلفًا متناقضًا على ما يكون[2] من كلام المخلوق في تباعد الوقت وطول المدّة مختلفًا متناقضًا. والثاني وصل مواعظ القرآن بعضَها ببعض ومواعيده بعضها ببعض وعِدَاتِهِ بعضَها ببعض، وكذلك أوامرُه ومناهيه وإن تفرّق نزولها واختلف مواضعها. يدعوهم لِما يدعوهم[3] به مرة بعد[4] مرة[5] لعلهم يتذكرون به.

ومنهم من يقول في قوله: **ولقد وصّلنا لهم القول**، أي الأنباء وأخبار الأمم الخالية نبأً بعد نبأ وخبرًا على إثر خبرٍ: ما نزل بمكذّبي الرسلِ منهم من الهلاك والعذاب وبمصدّقي[6] الرسل من النجاة والبقاء في النعم الدائمة على إقرار منهم بذلك وعِلْم أنه كان بهم ذلك. **لعلهم يتذكرون** ذلك وينزجرون عن تكذيب رسولهم مخافةَ أن ينزل بهم بالتكذيب ما نزل بأولئك.

وجائز أن يكون قوله: **وصَّلْنا لهم القول**، أي قول التوحيد. ووجه هذا أنْ وصّلنا التوحيد

[٥٦٧و] حتى جعلنا في كلّ أمّة وكلّ قوم أهلَ توحيد لم نُخلِ قومًا ولا أمّة عنه، كقوله: / وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[7] وكقوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ،[8] ونحو ذلك من الآيات [التي] تدل[9] على أن في[10] كل أمة وقرن أهلَ توحيد، **لعلّهم يتذكرون** أن في آباءهم مَن قد آمن بالرسل وصدّق بهم ولا يقولون: إن آباءنا[11] [كانوا] على ما نحن[12] عليه. فيشبه[13] أن يكون هذا وَصْلَ القول الذي ذَكَر: **و[لقد] وصّلنا [لهم] القول**.

---

[1] ر: ولا يعرف.
[2] ر م: على ما يقول.
[3] ر م – لما يدعوهم.
[4] ر: بعدة.
[5] ر – مرة.
[6] ر م: ومصدقي.
[7] سورة الرعد، ٧/١٣.
[8] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[9] جميع النسخ: يدل.
[10] ر ث م – في.
[11] ن: إن آبانا.
[12] جميع النسخ: على ما هم.
[13] ر ث م: يشبه.

قال أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **ولقد وصّلنا لهم القول**، أي أتبعنا بعضه بعضًا فاتصل عندهم.[١] وقال بعضهم: **وصّلنا**، أي بيّنا شيئًا فشيئًا حتى صار عندهم ظاهرًا. وقال أبو معاذ: "وصّلنا" في كلام العرب "أتممنا"، كصلتك الشيء بالشيء.

**﴿اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢] ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[٥٣]**

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب من قَبله هم به يؤمنون**، وقال في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ،[٢] وقال في آية أخرى: فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ،[٣] وقال: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[٤] وأمثاله، يذكر في هذه الآيات أن مِن أهل الكتاب[٥] مَن لم يؤمن، ويذكر في الأولى على الإطلاق أن الذين أوتوا الكتاب من قبله هم به يؤمنون. جائز أن يكون قوله: **الذين آتيناهم الكتاب** وانتفعوا به هم[٦] يؤمنون به. أو أن يكون، **الذين آتيناهم الكتاب** فيتلونه حقَّ تلاوته[٧] هم يؤمنون به،[٨] على ما ذُكر في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ.[٩] وأما من لم يتلُ[ه] حقَّ تلاوته[١٠] فلا يؤمن به.[١١]

فأما أهل التأويل فإنهم صرفوا الآية إلى قوم خاصّ من أهل الكتاب [نحوَ][١٢] عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا به. ويشبه أن تكون[١٣] الآية في قوم خاصّ[١٤] منهم. ألا ترى[١٥] أنه قال على إثره:

---

[١] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٣.
[٢] سورة البقرة، ١٤٦/٢.
[٣] ر م – ومن هؤلاء من يؤمن به. سورة العنكبوت، ٤٧/٢٩.
[٤] سورة المائدة، ١٣/٥.
[٥] ث – أن من أهل الكتاب.
[٦] ر م – هم.
[٧] ن: تلاوة.
[٨] ث: به يؤمنون.
[٩] سورة البقرة، ١٢١/٢.
[١٠] ن: تلاوة.
[١١] ر م – به.
[١٢] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٦٨ظ.
[١٣] جميع النسخ: أن يكون.
[١٤] ر م – خاص.
[١٥] ب: يرى.

**وإذا يُتْلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين**؛ يذكر أهل التأويل أنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث محمد، فلما بُعث ثبتوا عى ذلك وآمنوا به[1] على ما كانوا من قبل.

وفيه دلالة أن الإيمان والإسلام واحد، لأنهم قالوا: آمنا به، وقالوا: **إنا كنا من قبله مسلمين**، دل أنهما واحد. وكذلك قوله: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[2] وهم واحد، ذَكَر مرّة الإيمان ومرّة الإسلام، دلّ أنهما واحد.

**﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**[٥٤]

وقوله: **أولئك يُؤْتَوْن أجرَهم مرّتين بما صبروا**، هذا يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها يُؤْتَوْن أجرهم مرّة بالإسلام ومرّة بما صبروا على زوال الرياسة منهم وذهابها، لأنهم كانوا أهل رياسة ومنزلة وقدْر فذهب ذلك كله عنهم بالإسلام، فلهم[3] الأجر مرتين لذلك.

والثاني **يُؤْتَوْن أجرهم مرّتين**: مرّة بالإسلام ومرّة بما صاروا قُدْوة وأئمّة لمن بعدهم يَقتدُون بهم: أحدُ الأجرين بإسلام أنفسهم، والثاني بدعائهم غيرَهم إليه؛ عى ما يُعاقَب الرؤساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم مرّتين: مرّة بضلال أنفسهم ومرّة بإضلال غيرهم، كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.[4]

و[الثالث] جائز[5] أن يكون إيتاء الأجر مرّتين لما يصيرون أئمّة وقدوة لغيرهم في الخير، ويضاعف عليهم العذاب إذا صاروا أئمّة وقدوة في الشرّ. ألا يُرى أنه قال في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ،[6] وذلك -والله أعلم- لما يصِرن هنّ أئمّة لغيرهنّ يقتدِين[7] بهنّ، فعلى ذلك الأول.

---

[1] ر م - به.
[2] سورة الذاريات، ٥١/٣٥-٣٦.
[3] ن: وهم.
[4] سورة النحل، ١٦/٢٥.
[5] ر م: جائز.
[6] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٠.
[7] جميع النسخ: يقتدون.

وجائز أن يكون **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين**، بالإسلام نفسه، ويكون الصبر كناية عن الإيمان، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[1] أي آمنوا وأسلموا.

وأما أهل التأويل فإنهم يقولون: **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين**: مرّة بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث، ومرّة بإيمانهم بعد ما بُعث، والأول أشبه. وقال بعضهم: **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين بما صبروا**، مرّة بإسلامهم، ومرّة **بما صبروا** وتحمّلوا[2] على أذى أولئك الكفرة ولم يكافئوهم بل خاطبوهم بخير، حيث قال [تعالى على لسانهم]: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ.[3] وروي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل آمن بنبيّ ثم إذا بعث نبيّ آخر آمن به، ومملوك لرجل يَخْدُمه ويُحسن خدمته ويعبد ربّه، ورجل ربّى جارية[4] ثم أعتقها فتزوّجها.[5]

وقوله: **وَيَدْرَءُون بالحسنة السيئةَ**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يحسنون إليهم بعد إساءتهم إليهم وأذاهم إياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون إليهم قبل ذلك. والثاني **وَيَدْرَءُون بالحسنة السيئة**، أي يعفون عن أذاهم ولا يكافئونهم، فيكون كقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ،[6] الآية. والأول كقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.[7]

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، أي ينفقون في حقّ الله وسبيل الخير، وإلا كل كافر ينفق، كقوله: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا / كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ،[8] الآية. |٥٦٧ظ|

---

[1] ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليَئُوس كفور ولئن أذقناه نعْماءَ بعد ضَرَّاءَ مسّته ليقولَنّ ذهب السيئاتُ عني إنه لَفَرِحٌ فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ١١/٩-١١).

[2] ر م: وحكموا؛ ن ث: وحلموا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٢ظ.

[3] الآية التالية.

[4] ر ث م: جاريته.

[5] ن: فزوجها. عن أبي بُرْدَة أنه سمع أباه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأَمَة فيعلّمها فيحسن تعليمها ويؤدّبها فيحسن أدبها ثم يُعتقها فيتزوجها فله أجران؛ ومؤمنُ أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران؛ والعبد الذي يؤدي حق الله ويَنْصَح لسيده» (صحيح *البخاري*، الجهاد ١٤٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٤١؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢٤، وسنن *النسائي*، النكاح ٦٤).

[6] ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٩٩).

[7] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٤).

[8] ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٧).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٥٥]

وقوله:[١] **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه،**[٢] هذا أيضًا يحتمل وجهين. أحدهما[٣] **إذا سمعوا** منهم مِن الكلام ما يتأذَّون به[٤] من كلام اللغو والأذى والفِرية، **أعرضوا عنه،** أي لم يكافئوهم[٥] لأذاهم. والثاني **إذا سمعوا** ما يُلغون به من الباطل، **أعرضوا عنه،** أي لم يخالطوهم فيما هم فيه، فليس أنهم لا ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك إذا رأوا النهي ينجع فيهم، وإذا رأوا لا ينجع فيهم فعند ذلك أعرضوا عنه. وهو كقوله: وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا.[٦]

وقوله:[٧] **وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم،** يقولون هذا لهم إذا لم ينجع النهي والموعظة[٨] ولم يقبلوا ذلك. عند ذلك يقولون: **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم،** أي لكم جزاء أعمالكم ولنا جزاء أعمالنا. وكذلك قوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٩] لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن بعد ما أيِس عن إيمانهم وإجابتهم، فعلى ذلك الأول.

وقوله:[١٠] **سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين،** هذا يشبه أن يخرج على وجهين. أحدهما على القول منهم بالسلام عليهم، أي كانوا لا يخاطبون الجهّال ولا يخالطونهم إلا بالسلام خاصّة، بهذا القدر[١١] يخالطونهم فحسب.[١٢] والثاني ليس على حقيقة قول السلام عليهم، ولكن على الصلح وترك المكافأة لهم وتركهم إياهم عى ما هم عليه، إذ السلام هو الصلح. *والله أعلم.*

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م – عنه.
[٣] ر ث م – أحدهما.
[٤] ر ث م – به.
[٥] ر م: أي يكافئوهم.
[٦] سورة الفرقان، ٧٢/٢٥.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن + فيهم.
[٩] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر – بهذا القدر
[١٢] ر ث م: حسب.

وقال بعضهم: ردّوا عليهم معروفًا [بمقابلة ما وجدوا منهم من الأذى وقالوا:][١] **لا نبتغي الجاهلين**، يعنون: لا نريد أن نكون[٢] من أهل الجهل والسفه.

**﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [٥٦]

وقوله: **إنك لا تهدي من أحببت**، ذكر أهل التأويل أن هذا نزل في أبي طالب عمّ النبي. وذلك أن أبا طالب قال: "يا معشر[٣] بني هاشم أطيعوا محمدًا وصدِّقوه تُفلحوا وتَرشُدوا". فقال له النبي عليه السلام: «يا عمّ[٤] تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتَدَعُها لنفسك؟» قال: فقال له: "ما تريد يا ابن أخي؟" قال: «أريد منك كلمة واحدة في آخر يوم من الدنيا أن تقول: "لا إله إلا الله"، أشهد لك بها عند الله». قال: "يا ابن أخي قد علمتُ أنك لصادق، ولكن أكره أن يقال: جَزِع عند الموت. ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك وأخيك غَضاضة ومَسَبّة بعدي لَقُلْتُها ولأقرَرْت بها عينك عند الفراق لِما أرى من شدّة وَجْدك ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملّة الأشياخ فلان وفلان". فأنزل الله في[٥] ذلك: **إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء**.[٦] فهو [حجة][٧] على المعتزلة. لأنهم يقولون: إن الهدى البيان. ولو كان بيانًا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر أن يبيّن له وقد بيّن. لكن الجُبّائي[٨] يحتجّ لهم فيتأوّل ويقول: إن رسول الله كان يحرص أن يُدخله الجنة فيقول: **إنك لا تهدي** طريق الجنة له حتى يدخلها[٩] [هو]، أو كلام يشبه هذا، وذلك بعيد. وقال جعفر بن حرب:[١٠]

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٩و.

[٢] ر ث م: يكون.

[٣] ث + قريش.

[٤] ر ث م - يا عم.

[٥] ر م - في.

[٦] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ٤١/٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٩، وسنن *النسائي*، الجنائز ١٠٢.

[٧] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٩ظ.

[٨] أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، رد عليه الأشعري (*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٦٧/٤-٢٦٨).

[٩] جميع النسخ: تدخلها. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ٩٠ظ.

[١٠] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاّف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).

هذا ليس في ابتداء الهداية ولكن في الطائف التي تخرج مخرج الثواب لهم، لما كان منهم من الاهتداء في البدء والأنف. كقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى،[1] الآية. فيخبر أنك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب أن تهديهم. فيقال له: أخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء أتنفع[2] لهم دون الابتداء؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: فذلك عليه أن يفعل[3] بهم. إذ من قولهم: إن عليه أن يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك وذلك[4] ينفعهم.[5]

والثاني يقال لهم: إن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها أو لا يستوجبها؟ فإن كان يستوجبها فلا معنى للمنع على قولهم، لأنهم يقولون: إن على الله أن يعطي ذلك. وإن كان لا يستوجبها فلا معنى لقوله: **ولكن الله يهدى من يشاء**، على قولهم. فيبطل الاحتجاج به على قولهم.

وعندنا زيادة الهداية وابتداؤها سواء، وهو على ما أخبر رسوله أنه لا يهديه. ولكن لو كان كل[6] الهداية بيانًا على ما قالوا لكان قد بيّن لهم ذلك.[7] فدلّ ذلك منه أن ثَمّ[8] هدايةً سوى البيان عند الله إذا أعطى العبدَ يصير بها مؤمنًا، وهو التوفيق والعصمة والسداد. ولا يمك[9] رسول الله إنشاء[10] ذلك وابتداعه، بل الله هو المالك لذلك.[11]

---

[1] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ١٧/٤٧).

[2] ر م: ينفع؛ ن ث: أينفع.

[3] ن: يقول.

[4] ر م - وذلك.

[5] وعبارة لسمرقندي هكذا: «ولكن يقال أخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء هل فيها يقع مصلحة لهم في الدين أم لا؟ فإن قالوا: نعم. فيقال: فهي واجبة عليه أن يفعل بهم، لأن قولهم: إن عليه أن يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه، فكيف منع ذلك وذلك ينفعهم وهو مصلحة دينهم، وإن لم يكن لهم فيها نفع ومصلحة في باب الدين فكيف يكون ثوابا لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٦ظ).

[6] ر م - كل.

[7] ر ث م - ذلك.

[8] ن: ثمة.

[9] جميع النسخ: وذلك لا يملكه.

[10] ن: إن شاء.

[11] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٣ص.

**﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٥٧]

وقوله: **وقالوا إن نَتَّبِعِ الهدى معك نُتَخَطَّفْ من أرضنا**، دل قولهم: **إن نتبع الهدى معك**،[١] على أنهم عرفوا أن[٢] ما جاء به رسول الله ويدعوهم إليه هو الهدى حيث قالوا: **إن نتبع الهدى معك**. وقوله: **نُتَخَطَّفْ من أرضنا**، يخرج قولهم هذا على وجهين. أحدهما، أي[٣] نَهْلِكُ ونَفْنَى[٤] جوعًا إذا خالفْنا أهلَ الآفاق في الدين، لأن أرزاقهم وما به قوام أبدانهم إنما يحمل ويُمارُ من الآفاق، فيقولون: إنا إذا اتّبعنا الهدى معك وخالفْناهم في الدين، أي[٥] أهلَ الآفاق، منعونا المِيرة فنَهلِك ونموتُ جوعًا، فذلك تَخطُّفهم من الأرض. والثاني قالوا[٦] ذلك مخافة أن يُغْزَوْا ويُؤسَروا أو يُقتلوا إذا خالفوا أهل الآفاق والأطراف في الدين واتبعوا الهدى، [أي] مخافةَ الأسْر والقتل.

[٥٦٨و] /فأجابهم الله ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين، فقال: **أولم نُمَكِّنْ لهم حرمًا آمنًا يُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء رزقًا من لدنًا**، يقول -والله أعلم-: إنا جعلناهم في الحرم آمنين، وما يُمْتار إليهم من أنواع الثمرات باللطف لا بموافقة الدين. ألا يُرى أنهم مع موافقة الدين كانوا يَتخطَّفون الناسَ من حولهم[٧] حيث قال في آية أخرى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.[٨] أخبر أنهم مع موافقتهم في الدين [كانوا] يُتَخَطَّفون. دلّ أنه إنما جعل لهم الحرم مأمنًا والميرةَ إليهم باللطف لا بالموافقة في الدين حتى لا يُتعرّض[٩] لأهل الحرم في الحرم ولا خارجًا منه، ولا يتعرّض أيضًا مَن دخل الحرم بشيء، ليُعلم أنه إنما كان كذلك باللطف من الله لا بالموافقة في الدين.

والثاني أنه مع ما كانوا يعبدون الأصنام دون الله فيه، لا يمنعهم الرزقَ ويؤمِّنهم فيه، فلَأَنْ يفعل ذلك بهم[١٠] عند عبادتهم لله وتركِهم عبادةَ غيره أحق أن يُرزقوا ويَأمنوا فيه.

---

[١] جميع النسخ + هو.

[٢] ر م - أن.

[٣] ر م: أن.

[٤] جميع النسخ: ونفن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٤و.

[٥] ر م - أي.

[٦] ر ن م: قالوه.

[٧] جميع النسخ: منهم.

[٨] سورة العنكبوت، ٦٧/٢٩.

[٩] ر: لا يتعرضوا.

[١٠] ن: لهم.

وقوله: **يُجْبَى إليه ثمرات كلّ شيء**، قال أهل التأويل: **ثمرات كل شيء**،[1] أي من كل جنس ونوع من الثمرات يُجبَى إليه. وظاهره أن يُجبَى إليه من كل[2] شيء أرفعه وأنفعه وذلك ثمرته، لأن ثمرة كل شيء أرفعه وأنفعه.[3] يقال: ثمرة الشيء كذا، وثمرة هذا الكلام كذا، أي[4] ما يُنتفَع[5] من هذا هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **ولكنّ أكثرهم لا يعلمون**، أي ولكنّ أكثرهم لا يعلمون أن ما يُحمل إليهم من الآفاق ويُجبَى إليه من الثمرات والأطعمة إنما هو باللطف لا بموافقة الدين. وكذلك لا يعلمون أن أمنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين. *والله أعلم*.

[٥٦٨و س٢٦ * قال أبو عَوْسَجَة: **نُتَخَطَّفْ من أرضنا**،[6] أي نؤخذ. وقوله: **يُجْبَى إليه**، من الجِباية،

٥٦٨و س٢٨] أي يُجمع. يقال: جبيتُ أَجْبِي جِباية وجَبْيًا،[7] وأَجْبَى يُجبي، أي حاز يَحُوز.*

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾**[٥٨]

وقوله: **وكم أهلكنا من قرية بَطِرَتْ معيشتَها**، قال بعضهم: كفَرت معيشتها، وقال بعضهم: لم ترضَ معيشتها. وفيه إضمار "في"، أي بطرت في[9] معيشتها، فانتصبت[10] لانتزاع[11] حرف "في". وتأويله -والله أعلم- أي كم أهلكنا من[12] قرية بطِر أهلها في معيشتها حتى صرفوا شكرهم إلى غير الذي[13] أنعَم عليهم وجعلوا[14] عبادتهم[15] لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء.

---

[1] ن - قال أهل التأويل ثمرات كل شيء.
[2] ر م - كل.
[3] ث: أنفعه وأرفعه.
[4] ر - أي.
[5] ر: وما ينتفع.
[6] ر م + أي أرضنا.
[7] ث - وجبيا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٦-٢٨.
[9] ر م - في.
[10] ر ث م: فانتصب.
[11] ن: بانتزاع.
[12] ر م - من
[13] ر ث م - إلى غير الذي.
[14] ن: وجعلها.
[15] ر ث م: عبادتها.

فأنتم يا أهلَ مكة! إذا بطِرتم وأَشِرْتم في سَعَتكم وخَصْبكم تُهلَكون كما أهلِك من كان قبلكم. وهو كما قال: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ،[١] الآية.

وقوله:[٢] **فتلك مساكنهم لم تُسكَن من بعدهم إلا قليلاً**، من القَرْياتِ قرياتٌ إذا أهلك أهلها أُسكِن غيرهم فيها، نحو قريات فرعون وغيره، جعل مساكنهم لبني إسرائيل حيث قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ،[٣] الآية، وقوله: وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ.[٤] ومن القَرْيات ما جعلها خَرِبَة معطَّلةً لم يُسكَن غيرهم فيها، نحو قريات لوط وغيره.

وقوله: **وكنا نحن الوارثين**، أي الباقين. والوارث هو الباقي في اللغة على ما ذكرنا آنفا في غير موضع.[٥] وقوله: **وكنا نحن الوارثين**، يخرج على وجهين في هذا. أحدهما إخبار عن هلاك أهل الأرض وفنائهم ويبقى هو، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.[٦] والثاني إخبار عن هلاك أولئك وجَعْلُها لغيرهم، أي للمتقين، كقوله: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[٧] *والله أعلم*.*

[قال أبو عوسجة:] **بَطِرَت معيشتَها**، أي لم ترض بمعيشتها. وقال القُتَبي: أي أشِرت.[٩]*

**﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[٥٩]**

وقوله: **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً**، جائز أن يكون تلك القرى التي أخبر أنه غير مهلكها حتى يبعث في أمّها رسولاً، القَرْياتِ التي هن[١١] حول مكّة،

---

[١] ﴿فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فَرِحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مُبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٤).

[٢] ن: قوله.

[٣] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٧).

[٤] ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب. هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥٣-٥٤).

[٥] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة مريم، ١٩/٦٣؛ وسورة الشعراء، ٢٦/٨٥.

[٦] سورة مريم، ١٩/٤٠.

[٧] سورة لأعراف، ٧/١٢٨.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٦-٢٨.

[٩] م: أشرقت. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٤.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٨-٣٠.

[١١] ن: هي.

لا يُهلك تلك[1] القرى حتى يبعث في أمّها[2] -قيل: في أعظمها وهي مكّة- **رسولاً يتلو عليهم آياتنا**. فإن كان هذا فيكون الإهلاك لها الانتزاعَ من أيديهم وجعلها في أيدي أهل الإسلام على ما كان. لأن الله كان يفتح على رسوله قرية فقريةً وبلدةً فبلدة حتى جعل الكل في أيدي المسلمين. وهو ما قال: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ،[3] وهو وعد فتح مكّة، وذلك إهلاكهم.

والثاني جائز أن يكون هذا في[4] كل القرى وجميع الرسل أنه كان لا يهلكها بالكفر نفسه حتى يبعث في أكبرها وأعظمها[5] -وهي المصر- رسولاً يتلو عليهم آياته. وذلك يشبه قوله:[6] وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا.[7] وإنما ذَكَر بعث الرسول في أُمّها لأنه إذا بعث الرسول في أعظمها وهو المصر ينتشر وينتهي إلى الآفاق والصغائر منها. وأهل[8] القرى لما أنهم يدخلون
[٥٦٨ظ] المصر لحوائجهم فيتهيأ للرسول تلاوة الآيات عليهم والدعاءُ لهم / وإن[9] كان في[10] بعض القرى لا يتهيأ لهم ذلك. *والله أعلم*.

[٥٦٨و س٢٨] *وقالا: [أي أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:] **في أمّها رسولاً**، أي في أكثرها وأعظمها قدرًا وهي[11] مكة والنبيّ منهم والكتاب أُنزل عليهم. وقال [أبو عَوْسَجَة]:[12] و"أمّها" كلمة لا يتكلم بها
[٥٦٨و س٣٠] أحد يَعْنُون بها الكبر.*[13]

---

[1] ر ث م - تلك.
[2] جميع النسخ + رسولا.
[3] سورة الرعد، ٣١/١٣.
[4] ر م - في.
[5] ن ث: في أعظمها وأكبرها.
[6] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٥و.
[7] سورة الإسراء، ١٥/١٧.
[8] جميع النسخ - أهل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ن: وإذا.
[10] ر م - في.
[11] م - أي في أكثرها وأعظمها قدرا وهي؛ م + جائز أن يكون تلك القرى التي.
[12] جميع النسخ: وقالا.
[13] جميع النسخ: يعنون بالكسر. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال أبو عوسجة والقتبي: إن كلمة "أمها" لم يتكلم بها أحد وعنى الكبر بها، ولكنها عبارة عن أصل الشيء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٠و).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنا، انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٨-٣٠.

وقوله: **وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**، أي معاندون مكابرون، لا نهلكهم إهلاكَ تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة، إنما يعذَّبون عذابَ الكفر في الآخرة وهو عذاب الأبد.

**﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[٦٠]

وقوله:[١] **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى**، أي[٢] إنهم كانوا يتفاخرون بما أُوتُوا من السعة ومتاع الحياة الدنيا، وأهل الزهد والتقوى آثروا الباقي[٣] الموعود في الآخرة على متاع الحياة الدنيا وزينتها،[٤] ولذلك قال:

**﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾**[٦١]

**أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لَاقِيهِ كمن متَّعناه متاعَ الحياة الدنيا**، فجواب هذا أن يقال: بل الموعود الحسن الملاقَى الذي[٥] له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليست له عاقبة، لكنه لم يذكر له جواب، فجوابه ما ذكرنا. ثم كل استفهام كان من الله فهو على الإيجاب في الحقيقة ليس على الاستفهام.

وقوله: **ثم هو يوم القيامة من المُحْضَرين**، أي يُحضَرون في النار. وقيل: **من المحضرين**، أي المعذَّبين. وكلاهما واحد.

**﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**[٦٢]

وقوله: **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**، قوله: **شركائي الذين** في زعمكم أنهم شركائي حيث أشركتموهم في العبادة وتسمية الألوهيّة، وإلا لم يكن للهِ شريك فيقولَ: **أين شركائي الذين** زعمتم أنهم شركائي.[٦] ثم قوله: **أين شركائي**، إنما يقال لهم لقولهم:

---

[١] ن: قوبه.
[٢] ر م – أي.
[٣] ث – لباقي
[٤] م + وما عند الله خير وأبقى انهم كانوا يتفاخرون إلى.
[٥] جميع النسخ: بالذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٠و.
[٦] ث – حيث أشركتموهم في العبادة وتسمية الألوهية وإلا لم يكن لله شريك فيقول أين شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[1] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[2] فيقول: أين شفاعة من زعمتم أنهم شفعاؤكم عند الله؟ وأين قُربتُكم وزلفاكم بعبادتكم إياها حيث زعمتم أن عبادتكم إياها تُقَرِّبكم إلى الله زلفا؟ أين ذلك لكم منهم؟

**﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾**[٦٣]

وقوله: **قال الذين حق عليهم القول**، يحتمل قوله: **حق عليهم القول**، القولَ[3] الذي قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[4] وجائز أن يكون قوله: **حق عليهم القول**، أي وجب عليهم العذاب، كقوله: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ،[5] أي وجب العذاب عليهم، وكقوله: وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا [فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ]،[6] أي وجب العذاب عليهم بما ظلموا، ونحوه.

ثم اختلف في الذين حق عليهم القول. فمنهم من يقول: هم رؤساء الكفرة وأئمتهم الذين أضلّوا أتباعَهم ودعوهم إلى الضلال. ومنهم من يقول: هم شياطين الجن. وللفريقين جميعًا في الكتاب ذِكر. قال في أئمتهم: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[7] وقال: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا.[8] وأمثال هذا كثير. وقال في شياطين الجن: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[9] وقال: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[10] الآية، ونحوه كثير أيضًا.

---

[1] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[2] سورة يونس ١٨/١٠.
[3] م - القول.
[4] سورة هود، ١١٩/١١؛ وسورة السجدة، ١٣/٣١.
[5] ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (سورة النمل، ٨٢/٢٧).
[6] سورة النمل، ٨٥/٢٧.
[7] ر م - من الذين اتبعوا. ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢).
[8] ﴿... فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).
[9] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.
[10] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).

وقوله:[١] **ربّنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غَوينا.** يقولون: **أغويناهم كما غوينا،** يعتذرون أنه لم يكن منا إليهم إلا الدعاء والإشارة إلى الغَوَاية. وهو كقول إبليس اللعين[٢] وخطبته يومئذ حيث قال: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ،[٣] الآية. فعلى ذلك هؤلاء يقولون: لم يكن منا إليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتّبعونا. فلا تلومونا ولوموا أنفسكم حيث تركتم إجابة الرسل ومعهم براهين وحجج[٤] وأجبتمونا بلا حجّة ولا برهان فأغويناكم كما غوينا، ولو كنا على الهدى لهديناكم، كقولهم: لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ.[٥]

وقوله: **تبرَأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون،** إنما يتبرّءون [عن الأمر بالعبادة منهم، أي]،[٦] إنا لم نأمرهم بالعبادة لنا، وإلا كانوا عبدوهم.

ثم إن للمعتزلة أدنى تعلّقٍ بهذه الآية لأنهم يقولون: إنما أضافوا الغواية إلى أنفسهم حيث قالوا: **أغويناهم كما غَوَينا،** دلّ أن الله لا يُغْوِي أحدًا.

فيقال لهم: إنا لا نضيف ولا نجيز إضافة الغواية إلى الله فيما يخرج مخرج الذم له، وإنما نضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه. ثم قد أضاف إبليس الغواية إليه ولم يُنكِر عليه حيث قال: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[٧] في غير موضع، وقال: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،[٨] ونحوه كثير في القرآن. فما[٩] خرج مخرج المدح له والثناء عليه يضاف إليه، وما خرج مخرج الذمّ له فلا. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[١٠] *والله أعلم.*

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن – اللعين.

[٣] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[٤] ن: والحجج.

[٥] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجَزِعنا أم صبرنا ما لنا مِن محيص﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٠ظ.

[٧] ﴿قال رَبّ بما أغويتني لأُزَيِّنَنّ لهم في الأرض ولأُغوِيَنّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ٣٩/١٥؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٦/٧؛ وسورة ص، ٨٢/٣٨).

[٨] ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ (سورة الرعد، ٢٧/١٣؛ وانظر أيضا: سورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥).

[٩] ن: فيما.

[١٠] انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في آخر المجلدات، «الإضلال».

وقوله:[1] **حق عليهم القول**. يومَ قال لإبليس: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ،[2] ثم قالت الشياطين في الآخرة: **ربّنا هؤلاء الذين أغوينا**، يَعنون كفّار بني آدم. هؤلاء الذين أضللناهم عن الهدى كما ضلَلنا. **تبرّأنا إليك** منهم يا رب. **ما كانوا إيانا يعبدون**. فتبرّأت الشياطين ممن كان يعبدها فقالوا: لم نأمرهم بعبادتنا.

**﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾**[٦٤]

**وقيل**، لكفار بني آدم، **ادعوا شركاءكم**، يقول: سَلوا الآلهة التي سمّيتموها آلهة: أهم آلهة؟[3] **فدعوهم**، أي سألوهم، فلم يجبهم الآلهة بأنها آلهة. وقوله: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ،[4] في الدنيا أن معي شركاء على ما ذكرنا من قبل. ***والله أعلم***. وقوله:[5] **وقيل ادعوا شركاءكم**، يحتمل شركاءكم[6] في الخلقة أو شركاءكم[7] في العبادة. ادعوهم ليشفعوا

[٥٦٩و] لكم[8] ويقرّبوكم[9] إلى الله على ما زعمتم في الدنيا. / **فدَعَوهم فلم يستجيبوا لهم**، أي لم يشفعوا لهم ولم يستجيبوا لهم لِما لم يَجْعل في وُسعهم الإجابة لهم واجبًا كائنًا في الآخرة. **ورأَوُا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون**، تأويله، أي لو[10] رأوا العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن لم يرَوه. هذا وجه،[11] ووجه آخر أنهم لم يصدّقوا بالعذاب في الدنيا، ولو صدّقوه لاهتدوا مخافة نزول العذاب بهم. والثالث لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: قوله.
[2] سورة ص، ٣٨/٨٥.
[3] ث – أهم آلهة.
[4] الآية ٦٢ من هذه السورة.
[5] ن: قوله.
[6] ث – يحتمل شركاءكم.
[7] ر: وشركائكم.
[8] جميع النسخ: ليشفعوكم.
[9] ر م: ويقربكم.
[10] ر م – لو.
[11] جميع النسخ: أوجه. والتصحيح من نسخة چورلولي على باشا، ورقة ٤٦١ظ.

**﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦٥] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٦٦]**

وقوله: **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعمِيت عليهم الأنباء**، اختلف فيه. قال قائلون: إنما يُسألون عن إجابتهم الرسلَ: ماذا أجبتموهم؟ على علم منه[١] أنهم ماذا أجابوهم. **فعَمِيَتْ عليهم الأنباء**، أي الإجابة، فلا يتهيأ لهم الإجابة لهول[٢] ذلك اليوم[٣] وفزَعِهم. وقال بعضهم: إنما يسألون عن الحجة والعذر الذي به كانوا[٤] تركوا إجابة الرسل فيقول لهم: لأيّ حجة وعذر تركتم إجابتهم؟ **فعَمِيَتْ عليهم الأنباء**، أي الحجج[٥] والعذر لِما لم يكن لهم الحجة والعذر في تركهم إجابتهم.

**فهم لا يتساءلون**، قال بعضهم: لا يَسأل بعضهم بعضًا بل يتبرّأ بعضهم من بعض[٦] ويكفُر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا[٧] على ما ذكر في الكتاب. وقال بعضهم: **فهم لا يتساءلون**، بالحجّة والبرهان لِما لا حجّة لهم ولا برهان، أي لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج لأن الله أدحض حججهم وكلّ ألسنتهم. وقال بعضهم: **لا يتساءلون**، بالأنساب يومئذ كما كانوا يتساءلون في الدنيا، كقوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٨] ***والله أعلم بذلك***.

ثم إن بعض المعتزلة تكلّموا فيه وقالوا: لو كان الأمر على ما يقوله[٩] القدريون والجبريون في المشيئة والإرادة لكان يَسهُل لهم الاحتجاج ويهُون لهم العذر فيقولون: يا ربنا أجبنا[١٠] ما نفذ من مشيئتك وإرادتك وما مضى من قضائك وكتابتك[١١] علينا، إذ كنت أنت قضيت وكتبتَ علينا وشئت وأردت ما كان منّا من التكذيب لهم وترك الإجابة، فلم يكن لنا تخلّصٌ مما شئت أنت وقضيت علينا.

---

[١] ث: منهم.
[٢] ر: لهو.
[٣] جميع النسخ – اليوم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٦و.
[٤] ن – كانوا.
[٥] ن: الحجة
[٦] انظر: الآية ٦٣ من هذه السورة.
[٧] وذلك في قول الله عز وجل: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[٨] سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣.
[٩] ر م: قاله.
[١٠] ن ث: أجباهم.
[١١] ر ت م: وكذلك.

إلى هذا الخيال يذهب جعفر بن[1] حرب. وهذا منه تعليم لأولئك الكفرة الحِجاجَ بالباطل والكَذِبَ بين يدي ربّ العالمين للتكذيب الذي كان منهم. ثم يقال له:[2] لو كان لهم ذلك الحِجاج عى زعمكم فلا يكون ذلك لهم بقولنا ولكن إنما يكون بكتاب الله وسنة رسوله وقول المسلمين أجمعَ حيث قالوا: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».[3] وبكتاب الله ما ذكر في غير آية من القرآن [كقوله:]: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[4] وقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[5] وقوله: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى،[6] وقوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ [جَمِيعًا]،[7] الآية وأمثاله مما لا يحصى من الآيات. فَلَإِنْ كان لهم ذلك إنما يكون بما ذكرنا لا بقولنا.

وأصله أنه لا يكون لهم هذا النوع من الاحتجاج، لأنهم وقتَ فعلهم لا يفعلون ما يفعلون بأن الله شاء ذلك لهم أو قضى وكتب ذلك عليهم[8] وهم يودّون ويحبّون وقتَ فعلهم أنْ شاء الله ذلك منهم ويرضى.[9] فإذا كانوا وقت فعلهم لا يفعلون لذلك فكيف يكون لهم الحِجاج على ما كانوا[10] يفعلون لا لذلك؟ لكن هذا منهم تعليم الكذِب لهم لِيَكْذِبوا بين يَدَيْ[11] رب العالمين على ما ذَكَرَ. وأصل قولنا في هذا أنا نقول: إنه شاء من كلِّ ما علم أنه يكون منه ويختار، وكذلك قضى وكتب على كلِّ ما علم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أنْ يشأ منه خلاف ما علم أنه يكون،[12] لأن فيه أحدَ وجهين: إما الجهلَ بالعواقب، وإما العجز فيه، وذانك عن الله منفِيّان. تعالى الله[13] عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

---

[1] ر: ابن.
[2] ر م – له؛ ث: لهم.
[3] روي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: سنن *أبي داود*، الأدب، ١٠١؛ وراجع للتفصيل *الأسماء والصفات* لبيهقي، ٤١٧/١-٤٢٥.
[4] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٧٢/٢؛ وسورة إبراهيم، ٤/١٤؛ وسورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥.
[5] سورة القصص، ٥٦/٢٨.
[6] سورة الأنعام/ ٣٥/٦.
[7] سورة يونس، ٩٩/١٠.
[8] جميع النسخ + ولا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٦ظ.
[9] ر م: يرضى.
[10] ر م + عليه.
[11] ث – يدي.
[12] ث – منه ويختار وكذلك قضى وكتب على كل ما علم أنه يكون منه إذ لا يجوز أن يشأ منه خلاف ما علم أنه يكون.
[13] ث – تعالى الله.

وأصله ما روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: بيننا وبين القَدَريّة حرفان. أحدهما أنا نقول لهم: إن الله أَعَلِمَ[١] ما يكون أنه يكون؟ فإن قالوا: لا، كَفَروا لأنهم جهَّلوا الله؛ وإن قالوا: بلى، فيقال لهم: وشاء أن يكون ما علم أنه يكون؟ فإن[٢] قالوا: لا، كَفَروا لأنهم[٣] يقولون: شاء أن يَجهَل وذلك[٤] كُفر. وإن قالوا: بلى شاء ذلك، لزمهم قولنا في المشيئة والإرادة لله في ذلك.[٥]

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **فعَمِيت**، بالتخفيف، أي خَفِيت، فعُمِّيت بالتشديد، أي أُخفِيت.

﴿**فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾[٦٧]

وقوله: **فأمّا من تاب وآمن وعمل صالحًا**، أي فأمّا من[٦] رجع عما كان فيه[٧] من الشرك والكفر، **وآمن**، بالذي دعاهم الرسل وأجابهم، **وعمل صالحًا**، فيما بينه وبين ربه، **فعسى أن يكون من المفلحين**. يحتمل رجوع "عسى" إلى ذلك الرجل الذي نَعَتَه، يقول: على رجاء القبول والفلاح يفعل ما يفعل من التوبة والعمل الصالح. أو أن يقال ما قال أهل التأويل: إن "عسى" من الله واجب، وهو ما ذكرنا أن كلّ استفهام كان من الله فهو على اللزوم والوجوب.[٨] فعلى ذلك حرف "عسى" و"لعل"، وإن كان حرف شكّ في الظاهر فهو من الله على الوجوب واليقين.

[٥٦٩ظ] قال أبو معاذ: الفلاح في كلام العرب البقاء، ويقال: النجاة. / وقد ذكرنا [هذا] في غير موضع.[٩]

---

[١] ن ث: علم.

[٢] ر م: فإنه.

[٣] ن – جهلو الله وإن قالوا بلى فيقال لهم وشاء أن يكون ما علم أنه يكون فإن قالوا لا كفروا لأنهم.

[٤] ر م: ذلك.

[٥] روي عن أبي يوسف أنه قال: سمعت أبا حنيفة يقول: «إذا كلمت القدري فإنما هو حرفان، إما أن يسكت، وإما أن يكفر. يقال له: هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي؟ فإن قال لا، فقد كفر، وإن قال نعم، يقال له: أ فأراد أن تكون كما علم، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم؟ فإن قال أراد أن تكون كما علم، فقد أقرّ أنه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر، وإن قال: أراد أن تكون بخلاف ما علم، فقد جعل ربه متمنيا متحسرا، لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو لا يكون ما علم أنه يكون، فإنه متمن متحسر. ومن جعل ربه متمنيا متحسرا فهو كافر». *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ١٥/٥١٥-٥١٦؛ و*تاريخ مدينة دمشق* لابن عساكر، ٤٥/٢٩٩؛ و*الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة* لبياضي زاده، ٧٦؛ وانظر أيضا: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٤٨٣.

[٦] جميع النسخ + تاب أي.

[٧] ت – فيه.

[٨] ن: الوجوب واللزوم.

[٩] انظر مثلا: تفسير الآية ١ من سورة المؤمنون.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرَة**، يقول[١] -والله أعلم-: وربك يختار للرسالة من يشاء ويجتبيه لها فيجعلهم رسلاً. **ما كان لهم الخيرة**، يقول: لم يكن لهم أن يختاروا هم ولكن الله يختار ويصطفي من يشاء، ردًّا[٢] لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ،[٣] الآية، إلى هذا ذهب بعضهم. وجائز أن يكون هذا في كل أمر، أي وربك[٤] يختار ما يشاء ويأمر وما كان لهم الخيرة من أمره، أي التخلّص والنجاة من أمره، كقوله: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا -أي أَمَر اللهُ ورسوله أَمْرًا-[٥] أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ،[٦] والقضاء هاهنا أمر. لكنه يحتمل وجهين. أحدهما على الوقف في[٧] قوله: **وربك يخلق**[٨] **ما يشاء ويختار**، والابتداء من قوله: **ما كان لهم الخيرة** من أمرهم. فإن كان على هذا فيكون "ما" هاهنا "ما" جحدٍ، أي لم يكن لهم الخيرة من أمرهم.[٩]

والثاني على الصلة ليس على الجحد فيكون تأويله: وربك يخلق ما يشاء ويختار الذي لهم الخيرةُ، فيجب[١٠] أن يكون الوقف على هذا على قوله: **وربك يخلق ما يشاء**، ثم يقول: **ويختار** الذي لهم الخيرةُ.

قال أبو معاذ: قرئ[١١] الخِيْرَة بجزم الياء، وبتحريكها[١٢] **الخِيَرَة.**[١٣]

ثم قوله: **وربك يخلق ما يشاء ويختار**، على المعتزلة من وجهين. أحدهما ما أجمعوا عليه أن الله قد شاء جميع ما يفعله العباد من الخيرات والطاعات، فإذا شاء ذلك دلّ أنه خلقها.

---

[١] ر ث م: ويقول.

[٢] ن - ردا، صح هـ.

[٣] ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أَهُمْ يقسمون رحمة ربك﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣١-٣٢).

[٤] ن: أي ربك.

[٥] ث - أي أمر الله ورسوله أمرا.

[٦] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٦.

[٧] ر م - في.

[٨] ث: كان.

[٩] ر ث م: من أمره؛ ن - من أمرهم.

[١٠] ر ث م - فيجب.

[١١] ن: يقرأ.

[١٢] م: وبتحريك.

[١٣] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٥٩/٣.

إذ أخبر أنه يخلق ما يشاء وقد شاء الخيرات، فدلّ ذلك على خلق أفعال العباد، لكنّهم يقولون: قوله: **يخلق ما يشاء**، إذا خلقه. وكذلك يقولون في قوله: وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[1] أي على خلق كل شيء قدير[2] إن خلقه. أو كلام نحو هذا. فلئن جاز لهم هذا من الزيادة جاز لكل أحد مثله، فذلك بعيد. وعلى قولهم أكثر الأشياء ليست بمخلوقة لله وهو على أكثر الأشياء غير قدير، لأن أفعال الخلق لا شك أنها أكثر من أنفسهم فأخبر أنه على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء. وإن هذا منه خرج مخرج الامتداح له والثناء عليه[3] بما له من السلطان والقدرة على الخلق كلهم. فلو كان على ما يقوله المعتزلة لم يكن هذا مدحًا له ولا ثناء بالسلطان والقدرة، إذ هو -على قولهم- على أكثر الأشياء ليس بقادر على ما ذكرنا.

ثم نزّه نفسه وبرّأها عمّا قالوا فيه وأشركوا غيره في ألوهيّته وربوبيّته وفي عبادته فقال: **سبحان الله وتعالى عما يشركون.**

**﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٦٩]**

وقوله:[4] **وربّك يعلم ما تُكِنُّ صدورُهم وما يعلنون**، هذا يخرج على الوعيد لهم والتنبيه ليكونوا على حذر فيما يُسِرّون من القول والفعل[5] وما يُعلنون. ***والله أعلم.***

**﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٧٠]**

وقوله:[6] **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم**، قوله: **وله الحكم**[7] كقوله: وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ،[8] وقد ذكرنا أن قوله: وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ من أمرهم، أنه يخرج على وجهين. أحدهما له الاختيار في أمرهم وليس[9] لهم الاختيار في أمرهم[10]

---

[1] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٢٨٤.
[2] ر م - أي على خلق كل شيء قدير.
[3] ر م: له.
[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٧ظ.
[5] ر م - من القول والفعل.
[6] ن: قوله.
[7] ت - قوله وله الحكم.
[8] الآية ٦٨ من هذه السورة.
[9] ر ث م: لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٨و.
[10] ن - وليس لهم الاختيار في أمرهم.

ولا يملكون هم[1] ما يُختار لهم دفعه. والثاني هو يختار لهم الخِيَرة في أمرهم، لأنه هو العالم بمصالح أمورهم وما يرجع إلى الأوفق والأنفع، هم[2] لا يعرفون ذلك. فعلى ذلك قوله: **له الحكم،** في الدنيا والآخرة، لأن أنفُس الخلائق له دونهم، فله الحكم في أمورهم وأفعالهم كما له الحكم في أحوالهم، لأنه لا يلحقه الخطأ[3] في حكمه إذ هو عالم بذاته. ولا يلحقه التهمة أيضًا في دفع مضرّة أو جرّ نفع لأنه غني بذاته، فله الحكم في الدارين جميعًا. ***والله الموفق.***

وقوله: **له الحمد في الأولى والآخرة،** هذا[4] يخرج على وجوه. أحدها[5] ما قاله أهل التأويل: إن أولياءه يحمَدونه في الدنيا والآخرة، في الجنة؛ حيث قالوا: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[6] الآية، يقولون [هذا] إذا دخلوا الجنة.

والثاني قال[7] بعضهم: **في الأولى والآخرة،** يقول: في السماوات والأرض، وتصديقه قول الله: وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[8] وقوله أيضًا:[9] يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] وقوله: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ.[11]

والثالث **له الحمد في الأولى والآخرة،** وهو أنْ جعل الدنيا مشتركة بين الأعداء والأولياء في نعيمها، غيرَ مفترِقة ولا مختلفة، وأما الآخرة فقد فرّق فيها[12] بين الأولياء والأعداء؛ جعل للأولياء النعمة الدائمة وللأعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك.

والرابع **له الحمد في الأولى والآخرة،** لما جعل الدنيا دار محنة والآخرة دار الجزاء لم يجعلها دار المحنة. أو أن يكون قوله: **له[13] الحمد في الأولى والآخرة،** أي له الحمد من الخلق

---

[1] ن – هم.
[2] ن – هم.
[3] ر ث م: الخطاب.
[4] ن – هذا.
[5] ر: أحدهما.
[6] ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ (سورة فاطر، ٣٤/٣٥).
[7] ر م: والثاني وقال؛ ن – والثاني قال.
[8] سورة الروم، ١٨/٣٠.
[9] ر م – أيضا.
[10] سورة الحشر، ٢٤/٥٩.
[11] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[12] ن + من.
[13] م – له.

في كل حال وكل وقت، كقوله: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[١] أنهم يحمدونه في بدء كل أمر وختمه.[٢]

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[٧١] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٧٢] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧٣]**

وقوله: **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سَرْمَدًا إلى يوم القيامة**، أو إن جعل النهار سرمدًا، أي دائمًا لا ليل فيه إلى آخر ما ذكر من قوله: **أفلا تسمعون**، و**أفلا تبصرون**، يخرج ذلك[٣] لوجهين. أحدهما في تسفيههم في صرف العبادة والشكر إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها على علم منهم أنها لا تملك شيئًا مما ذَكَر من جعل الليل نهارًا أو جعل[٤] النهار ليلاً وتركِهم عبادة من يعرفون أنه يملك ذلك كلّه. وكذلك ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ / ضُرِّهِ،[٥] الآية. يقول -والله أعلم-: [٥٧٠و] فإذ لا يملك ما تعبدون من دون الله دفْعَ ضرّ أراده الله به وجَعْلَه رحمةً ولا دفْعَ رحمة أرادها الله وجعْلها[٦] ضُرًّا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة مَن يملك جعل هذا هذا[٧] ودفع هذا بهذا؟ فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: كيف تعبدون من لا يملك جعْل الزمان كلِّه ليلاً دائمًا لا نهار فيه وجَعْلَ[٨] النهار[٩] نهارًا كلَّه دائمًا لا ليل فيه وتتركون عبادة من يملك ذلك كلّه، بجعل وقت الراحة والسكون وقت الاكتساب والتعيّش، ووقت التقلّب والكسب وقت الراحة[١٠] والقرار.

---

[١] سورة يونس، ١٠/١٠.
[٢] جميع النسخ + أو أن يكون له الحمد. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٨و.
[٣] جميع النسخ: ذكره.
[٤] ن م: وجعل.
[٥] ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنِيَ الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).
[٦] جميع النسخ: وجعه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٧١ظ.
[٧] ن + وهذا هذا.
[٨] ه: جعل.
[٩] ن: لليل
[١٠] ر ث م - والسكون وقت الاكتساب والتعيش ووقت التقلب والكسب وقت الراحة.

والثاني يذكّرهم عظيم نعمه ومِنَنه حيث أنشأ هذا العالم محتاجًا إلى ما به قوام أنفسهم وأبدانهم في دينهم ودنياهم. ثم جعل ذلك كلّه[1] على التعاون وتظاهر[2] بعضهم بعضًا ما لو جعل ذلك على غير ذلك لا تقوم[3] أنفسهم وأبدانهم بذلك، حيث جعلَ الليل وقتًا للراحة والسكون والنهارَ وقتًا للتقلّب والتعيّش. ولو كان ذلك كلّه وقتًا للراحة لا تقوم[4] أنفسهم أبدًا للتعيّش والكسب، ولو كان كلّه وقتًا للتقلّب والكسب لا راحة فيه[5] لا تقوم أيضًا أنفسهم بذلك. لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقتًا للراحة ووقتًا للتقلّب. والوقت الذي جعله وقتًا للراحة[6] إنما جعله للكل لا لبعض دون بعض. وكذلك ما جعله وقتا للتقلّب إنما جعله كذلك[7] للكل لا لبعض دون بعض، ليقوم لهم أسباب التعيّش وما به قوام أنفسهم وأبدانهم. ولو كان ذلك كلّه وقتًا لأحدهما لم تقُم[8] أنفسهم ولا بقي هذا العالم إلى الوقت الذي جعل له البقاء إلى ذلك الوقت. وهو ما ذكر: **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**. وقوله: **أفلا تسمعون، وأفلا تبصرون**، إنما هو سَمْعُ عقلٍ وقلبٍ وبصرُ عقلٍ وقلبٍ. كأنه يقول: أفلا تسمعون هذا بالعقل وأفلا تبصرون بالعقل -والله أعلم- كقوله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ،[9] الآية.

**﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٧٤]**

وقوله:[10] **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**، قد ذكرناه. وهذه الآيات التي يكرّرها ويعيد[ها] مرّة بعد مرّة من قوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ،[11] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ،[12] وقوله:

[1] ن: كل ذلك.
[2] جميع النسخ: ولتظاهر.
[3] جميع النسخ: لا يقوم.
[4] جميع النسخ: لا يقوم.
[5] ث – لا راحة فيه.
[6] ر ث م – ووقتا لتقلب والوقت الذي جعله وقتا للراحة.
[7] جميع النسخ: لذلك.
[8] ر ن ث: لم يقم.
[9] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج، ٢٢/٤٦).
[10] ن: قوله.
[11] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[12] الآية ٦٢ و٧٤ من هذه السورة.

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ،[١] وأمثال ذلك مما يكثر على علم منه أنهم لا يصدّقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون إليها، وإن كرّرت وأعيدت غير مرّة فهو -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما لزوم الحجّة لما مُكِّنوا من الاستماع[٢] والسماع وإن كانوا لا يستمعون إليها. والثاني يكون فيه عِظةٌ للمؤمنين من وجوه. أحدها ليشكروا على ما عُصِموا من عبادة غير الله ووُفِّقوا عبادة الله المستحق لها ليعرفوا عظيم نعمة الله عليهم.

والثاني ليحذروا[٣] عاقبَتهم في الرجوع إلى ما هو عليه أولئك الكفرة على ما حَذِر الرسلُ والأنبياء وأولو[٤] العصمة عاقبتهم في الرجوع إلى ذلك، كقول إبراهيم: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] وأمثاله كثيرة.[٦]

والثالث خوف المعاملة، لئلّا يعاملوا هم[٧] في العمل كما يعامَل[٨] أولئك في الاعتقاد، لأن المؤمنين وإن خالفوا[٩] أولئك الكفرة في الاعتقاد وفي إشراك[١٠] غيره في العبادة فربما يوافقونهم في العمل.[١١] فكرِّرت هذه الأنباء والآيات عليهم وأعيدت مرّة بعد مرّة وإن كان أولئك لا يستمعون إليها للوجوه التي ذكرنا.

والرابع كرِّرت غير مرة لِما لعلّهم لا يقبلون في وقت ويقبلون في وقت، فيقولون: لو كُرِّرت وأعيدت لقَبِلنا. فكرّرت وأُعيدت لئلّا يقولوا بأنها لو أعيدت وكرّرت لقبلناها. ***والله أعلم.***

---

[١] الآية ٦٤ من هذه السورة.

[٢] ر م: أو الاستماع؛ ث: والاستماع.

[٣] ر ن م: ليحذرون.

[٤] ر ن ث: وأولو.

[٥] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

[٦] جميع النسخ: كثير.

[٧] ر ث م: يعاملوا هم؛ ن: يعاملونهم.

[٨] ر ث م: عامل؛ ن: عمل.

[٩] ر ن ث: خالفوا هم؛ م: خالفوهم.

[١٠] ر م: في إشراك.

[١١] «والثالث ذكر الله تعالى المعاملة مع الكفرة في الآخرة بما خالفوا الله تعالى من طريق الاعتقاد وتركوا الإيمان، ليكون زجرا للمؤمنين عن المخالفة في أوامره ونواهيه، لئلا يعاملوا في العمل السيء كما يعامل الكفرة في الاعتقاد السيء؛ لأن المؤمنين وإن خالفوا الكفرة في آية التوحيد و[في] أولئك الإشراك [إشراك غيره في العبادة] فربما توافقوهم في العمل بمخالفة الأمر والنهي، وإن كان هذا دون الأول بكثير، وجواب هذا أيضا كذلك، لكن من جنس الأول. فأعيد مرة بعد مرة ليتعظ المؤمن بذلك عن ارتكاب المعاصي لئلا يلحقه من جنس هذا التعيير [و] العذاب. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٧٢و).

**﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٧٥]**

وقوله: **ونزعنا من كل أمّة شهيدًا**، قيل: شهيدُها رسولها، كقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[١] الآية، وقوله: وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا،[٢] ونحوه. سُمّي شهيدًا لأنه شهد على ما عملوا[٣] وحضر ما كان منهم -والله أعلم- من التكذيب والتصديق[٤] والقبول والرد، **فقلنا هاتوا برهانكم**، أي قلنا لكفّارها هاتوا برهانكم[٥] في تسميتكم الأصنام آلهة أو في استحقاق العبادة أو في زعمكم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٦] ونحو ذلك، يقول: **هاتوا برهانكم** وحجّتكم على ما زعمتم وادّعيتم.[٧]

وقوله:[٨] **فعلموا أن الحقّ لله**، هذا أيضًا يحتمل[٩] وجوهًا. أحدها علموا أن الألوهية والربوبيّة لله. أو علموا أن الشفاعة لله لا للأصنام التي عبدوها ليكونوا شفعاء عند الله، كقوله: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا.[١٠] أو أن يكون أن الحق الذي عيبهم هو[١١] العبادة لله. أو أن يكون ما جاء به الرسل من الحق إنما جاءوا [به] من عند الله. **وضلّ عنهم ما كانوا يفترون**، أي ضلّ عنهم ما كانوا يأملون من عبادتهم تلك الأصنام من الشفاعة والزلفى.

**﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٧٦]**

وقوله: **إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**، كأنه[١٢] -والله أعلم- يخوّف أهل مكّة ويوعدهم ببغيهم على الله وعلى رسوله[١٣] بعذاب ينزل بهم كما نزل بقارونَ ببغيه على موسى وقومه

---

[١] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤١/٤).
[٢] ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ (سورة النحل، ٨٤/١٦).
[٣] ن: يشهد ما عملو.
[٤] ر ث م - والتصديق.
[٥] ر ث م - أي قلنا لكفارها هاتوا برهانكم.
[٦] سورة يونس ١٨/١٠.
[٧] ر ث م - وادعيتم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن + وجهين.
[١٠] سورة الزمر، ٤٣/٣٩.
[١١] جميع النسخ: وهي.
[١٢] ر م + قال.
[١٣] ن: على الله ورسوله.

أنْ لم تنفعه قرابته من موسى ولا صلته به لِما ذُكر أنه كان ابنَ عمّه وكان خَتَنَه زوجَ أخته مريم. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: لا تنفعكم القرابة التي بينكم وبين رسول الله ولا اتصالُكم به من عذاب الله ومَقته في الدنيا إذا بَغَيْتم عليه وتركتم اتباعه، كما لم تنفع القرابة التي / بين قارون [٥٧٠ظ] وبين موسى من عذاب الله ومَقته في الدنيا إذا بغى عليه. وكما لم تنفع أُبُوّة أبي إبراهيم لأبي إبراهيم إذا بغى عليه وترك اتّباعه، حيث تبرّأ إبراهيم منه،[1] وحيث قال: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ،[2] الآية، وحيث لم تنفع لامرأة نوح ولوط الزوجيّة التي كانت بينهما[3] وبين نوح ولوط من نزول العذاب ومقته بهما إذا تركتا اتباعهما وبغتا عليهما.[4] فعلى ذلك يا أهل مكة لا ينفعكم من عذاب الله ومقته قرابتكم لرسول[5] الله صلوات الله عليه وصِلتكم[6] به. *والله أعلم*.

وقوله:[7] **فبغى عليهم**، اختلف أهل التأويل في بَغيه عليهم. قال بعضهم: هو أن موسى طلب منه زكاة ما آتاه الله من المال فمنعه وأبَى أن يعطيه. وقال بعضهم: بَغيه عليهم هو أن أعطى امرأة جُعْلاً[8] لتقذفه [عليه السلام] بنفسها فأراد أن يفضحه على رءوس الأخيار والملأ وأن يرجموه، فدفع الله ذلك[9] عنه وبرّأه منه.[10] وقال بعضهم: إنما بغى عليه بكثرة ماله وولده. هذا يشبه أن يكون كأنه افتخر بكثرة ماله في دفع عذاب الله ونقمته، كقول أهل مكّة: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً،[11] الآية. وقال بعضهم: بغى عليه، لأن النبوة جعلت في موسى

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ (سورة الزخرف ٢٦/٤٣).

[2] سورة مريم، ٤٥/١٩.

[3] ن: بينهن.

[4] جميع النسخ: بهم إذا تركوا اتباعهم وبغوا عليه، ن ث: عليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٢ظ.

[5] جميع النسخ: برسول.

[6] ن: ووصلتكم.

[7] ن: قوله.

[8] الجُعْل والجِعال والجَعِيلة والجُعالة والجِعالة والجَعالة، كل ذلك: ما جعله له على عمله. وأجْعَله جُعْلاً وأجْعَله له: أعطاه إياه (*لسان العرب*، «جعل»).

[9] ر ن – ذلك.

[10] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم بغيه عليه هو أن يعطي امرأة مالا ليقذف موسى عليه السلام ويدّعي عليه بالزنا فأراد أن يفضحه على رءوس الأخيار والملأ وأن يرجموه، فدفع الله تعالى ذلك عنه وبرّأه من ذلك» (شرح التأويلات، ورقة ٥٧٢ظ).

[11] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٥/٣٤).

والحُبورة في هارون ولم يجعل لقارون شيء.[١] فاعتزل عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه، ونحو هذا كثير مما قالوه. والأشبه أن يكون بغيه الذي ذُكر عليه كبغْي فرعون وهامان عليه حيث قال: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ،[٢] وكقوله: وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ،[٣] الآية. فكان منه ما كان من فرعون وهامان من التكذيب والردّ لرسالته وتسميته ساحرًا كذابًا، فذلك هو البغي عليه. أو لا يُفسَّر[٤] البغي عليه لأنه ذكر البغيَ ولم يبيّن ما ذلك البغي، والله أعلم بذلك. وقال قائلون: بغيه عليهم هو أن زاد في ثيابهم شِبرًا. فذلك أيضًا لا نعلمه فهو مثل الأول.

وقوله: **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنُوء بالعصبة أولي القوّة**، قال بعضهم: **مفاتحه**، خزائنه، وقال بعضهم: **مفاتحه**، جمع مفتاح وهو في الأصل مفاتيح. وذكر أن كنوزه كانت كذا كذا ألفًا وأن مفاتيحه كان يحملها[٥] كذا وكذا[٦] بغلاً[٧] وأنها من جلود كذا أو مِن كذا قَدرُ كذا. فذلك أيضًا لا نعلمه ولا نفسّره[٨] ولا نذكره إلا قَدرَ ما ذكر في الكتاب. إذ ذكر في الكتاب الكنوز والمفاتيح[٩] وذكر أن العُصْبة تنوء بها، وذلك لكثرة[١٠] ما ذكر ولكن لا نعلم قَدرَه وعدده ما هو ولا كم هو. وكذلك "العصبة" أيضًا لا نعلم[١١] كم عدده إلا أن أهل التأويل يقول بعضهم: من عشرة إلى أربعين، ويقول بعضهم: من عشرة إلى خمس وسبعين، وبعضهم: من عشرة إلى خمس عشرة. ونحن لا نفسّره ولا نذكر عدده سوى

[١] الحَبْر: «الأثر المستحسن. والحَبر: العالم، لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدَى به» (*المفردات* للراغب، «حبر»). ويقول علاء الدين السمرقندي: «وقال بعضهم: إنما بغى عليه لأن الرسالة والنبوة جعلت في موسى عليه السلام والحبورة في هارون، فكأنه أعد لتعليم التوراة وأحكامها وموسى عليه السلام للدعوة وإقامة الرعية ولم يُجعل لقارون شيء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٢ظ).

[٢] سورة المؤمن، ٤٠/٢٣-٢٤.

[٣] سورة العنكبوت، ٣٩/٢٩

[٤] ن: ولا يفسر. وعبارة الشارح: «والأصح أن لا يفسر» (ورقة ٥٧٢ظ).

[٥] جميع النسخ: يحمل.

[٦] ن: كذا كذا.

[٧] ن: بغل؛ صح هـا ث: بغل

[٨] م: ولا نفسر.

[٩] جميع النسخ: والمفاتح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٢ظ.

[١٠] جميع النسخ: لكثرة. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: لا نعلم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٩ط.

أيه[1] اسم جماعة يتعصب بعضهم بعضًا ويعين[2] بعضهم بعضًا، يرجعون جميعًا إلى أمر واحد. وكذلك "الشيعة" هي جماعة يتشيّع بعضهم بعضًا ويتبع بعضهم بعضًا. ولذلك[3] قال إخوة يوسف لأبيهم: لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، أي يتعصب بعضنا بعضًا لا نَدَعه يأكله ولئن لم نفعل ولم نحفظه، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ.[4]

وقوله: **لَتَنُوءُ بالعصبة**، اختلف فيه. قال بعضهم: لتثقُل بالعصبة تلك المفاتيحُ. وقال القُتَبي: **لَتَنُوءُ**، أي تميل بها العصبة إذا حملتها من ثِقَلها.[5] وقال أبو عَوْسَجة: **لَتَنُوءُ بالعصبة**، أي لتَعجز العصبة[6] عن حملها. وقال بعضهم: "تنوء" تَثقُل، و"العصبة" جماعة.

وقوله:[7] **إذ قال له قومه لا تفرح**، قال بعضهم: لا تبطَر ولا تأشَر، **إن الله لا يحبّ** البطِرين الأشِرين. وجائز أن يكون قوله: **لا تفرح**، أي لا تفتخر على الناس بما آتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم. أو **لا تفرح**،[8] أي[9] لا تسكن إليها ولا تركَنْ إلى ذلك، إن الله لا يحبّ من ذكر.

**﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٧٧]**

وقوله:[10] **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**، كأن كثرة ما آتاه الله من المال أنسَتْه الآخرة وشغَلته عنها وعن العمل لها حتى حمله ذلك على الجحود والإنكار، فقال: وابتغ الدار الآخرة بما آتاك الله،[11] **ولا تنسَ نصيبك من الدنيا**، أي لا تنسَ[12] نصيبك[13] من مالك في الدنيا ولكن قدِّم لآخرتك.[14]

---

[1] ت - أنه.
[2] ر م: ويعير.
[3] ن: وكذلك.
[4] سورة يوسف، ١٤/١٢.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٤.
[6] م: بالعصبة.
[7] ن: قوله.
[8] ر م: ولا تفرح.
[9] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٠و.
[10] ن: قوله.
[11] م: وابتغ فيما آتاك الله.
[12] م: أي تنس.
[13] ر ت م - نصيبك.
[14] ر م: لأحريك؛ ت: لأحراك.

قال[1] الحسن في قوله: **ولا تَنسَ نصيبك من الدنيا**، إلى آخره، قال: أمر أن يأخذ من ماله قدر عَيشه ويقدِّم ما سوى ذلك لآخرته.[2] وكذلك قال في قوله: **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**، أي قدِّم الفضل وأَمسِك ما يبلغك.[3] **وأحسن كما أحسن الله إليك**، قال: يكفيك ما أحلّ الله لك من الدنيا فإن فيه غَناءً وكِفاية.

وأصله ما روي عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لك من الدنيا ما أكلت ولَبِست وأفنيت وما قَدَّمْتَ».[4] جعل الْمُقَدَّم من الدنيا له، وأما ما خلَّفَه فهو لغيره. وهكذا إن الدنيا لم تُخلَق[5] لِتبقَى لأهلها أو يبقى أهلها فيها، ولكن إنما خلقت لتَفنَىَ هي أو يفنى أهلها، وخلقت الآخرة للبقاء. فنصيبه من الدنيا ما قدّم وأنفق في طاعة الله وفي سبيله ليس ما خلّفه في هذه الدنيا.

وقوله:[6] **وأحسِن كما أحسَنَ الله إليك**، يحتمل قوله: **أحسن**، إلى نفسك في العمل للآخرة،
[٥٧١و] / **كما أحسن الله إليك**. أو **أحسن**،[7] إلى الخلق، **كما أحسن الله إليك**.

وقوله:[8] **ولا تبغ الفساد في الأرض**، هذا يدلّ أنه كان ينفق ماله إلا أنه كان ينفق في الصدّ عن سبيل الله حيث قال: **ولا تَبْغِ الفساد في الأرض**، ولو كان في ترك الإنفاق لم يكن في ذلك بَغْي الفساد في الأرض.

ثم الواجب على مَن حضر الملوك وشهِد مجالسهم من أهل العلم أن يخوِّفوا الملوك ويُوعِدوهم[9] بما أوعد قومُ موسى قارونَ وخوَّفوه، و[أن] يأمروهم بالصلاح في أنفسهم وفي رعيتهم كما أمَر أولئك قارونَ ويَنهَوهم كما نهاه أولئك. فإن أجابوهم [فنِعْمَ] وإلا امتنعوا عنهم وكَفُّوا أنفسهم عن الاختلاف إليهم، فإن لم يفعلوا فهم شركاؤهم في جميع ما يفعلون. **والله أعلم**.

---

[1] ن: وقال.

[2] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٩٨/٢؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٠١١/٩.

[3] *تفسير الطبري*، ٣٢٤/١٨؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٠١١/٩.

[4] عن مطرف عن أبيه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي. (قال:) وهل لك يا ابنَ آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لَبِست فأبلَيت أو تصدقت فأمضيت؟» (*صحيح مسلم*، الرقاق، ٣؛ و*سنن النسائي*، الوصايا ١).

[5] جميع النسخ + لدنيا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٠و.

[6] ن: قوله.

[7] ر م: وأحسن.

[8] ن: قوله.

[9] جميع النسخ: ويواعدوهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٧٨]

وقوله:[١] **قال إنما أُوتِيته على علم عندي**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن قارون كان أقرأ الناس بالتوراة وأعلمَهم بها، وسُمِّي قارون لذلك. وذكر أنه سُمِّي المُنَوَّر لحُسن صوته بالتوراة.[٢] ***والله أعلم***. وقال بعضهم: قوله: **إنما أُوتِيته على علم عندي**، وهو الكِيمياء. ذُكِر أنه كان[٣] يعالج صَنعة الذهب ويُحسنها. وقال بعضهم: **إنما أُوتيته على علم عندي**، أي على خير عندي. قال ذلك على إثر قول أولئك: وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، إلى قوله تعالى: وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.[٤] كأنهم أوعدوه بذهاب[٥] ذلك عنه وهلاكه فقال -والله أعلم-: **إنما أوتيته[٦] على علم عندي**،[٧] لم أُوتَ جُزافًا بلا سبب. وكأنه -والله أعلم- نسِيَ الآخرة بما أُوتِيَ من المال والكنوز وترَك الإنفاق في الخير. وكان ينفق [ماله] في صدّ الناس عن سبيل الله، ولذلك قال: وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إلا أنه كان عارفًا بالله حيث قالوا له: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وقالوا له: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، دلّ هذا منهم أنه كان عارفًا بالله تعالى.

وقوله:[٨] **أولم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبله مِن القرون مَن هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعًا**، ذكر هذا -والله أعلم- لما أنه كان يفتخر ويستكبر على الناس بما أوتي من الأموال والكنوز والأتْباع، ويحسب أنه يدفع العذاب الموعود في هذه الدنيا بذلك عن نفسه. أو يظنّ أنه لِما أُوتي ذلك لا يعذَّب كظنّ أولئك الكفرة حيث قالوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٩] فجائز أن كان من قارونَ من الإعجاب بالكثرة والجمع ما ذكر بأولئك فقال عند ذلك: **أولم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبله مِن القرون مَن هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعًا**، ثم لم يتهيّأ لهم دفْع ما نزل بهم من العذاب، فعلى ذلك أنت يا قارون. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ + وقال بعضهم سمي منورا لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣و.
[٣] ر م - كان.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ث + ماله.
[٦] ن ث + ذلك
[٧] ر م + أي
[٨] ن: قوله.
[٩] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٥).

وقوله:[1] **ولا يُسْأَلُ عن ذنوبهمُ المجرمون**، اختلف فيه. قال بعضهم: لا يسألون[2] عن ذنوبهم لما يعرفون بسيماهم،[3] كقوله: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.[4] وقال بعضهم: لا يسأل هذه الأمّة عن صنيع مجرمي الأممِ الخالية. وجائز أنهم لا يسألون[5] عن ذنوبهم لأنهم لا يرون ما[6] يعملون من الأعمال ذنوبًا، ولكن إنما يسألون عن الدليل الذي به لا يَرون تلك الأعمال ذَنْبًا. *والله أعلم*.

**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**[٧٩]

وقوله: **فخرج على قومه في زينته**، قال عامة أهل التأويل: إنه خرج على بِغالٍ شُهُب ومعه كذا كذا من الجواري على كذا كذا بِغال شُهُب عليهنّ من الثياب كذا. وقال بعضهم: إنه خرج على بَراذِين[7] كذا بِيضٍ مع كذا كذا غِلمانٍ وجَوارٍ،[8] ونحو ما ذكروا. لكنّا لا ندري على أيّ زينة خرج ولكنّا نعلم أنه خرج على الزينة التي يخرج أمثالُه من الملوك ولا نفسّر أنه كذا على كذا. وكذلك لا نفسّر العِلْم الذي ذُكر أنه أُوتي -على[9] ما أُوتي[10] له من المال والكنز- أنه كان عنده كذا من العسم، والله أعلم بذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾**[٨٠]

وقوله:[11] **وقال الذين أوتوا العلم**، أي أوتوا منافع العلم، إذ[12] قد يؤتى العسمَ رُبّمَا ولا يؤتى مِن الانتفاع له به ما أُوتي هؤلاء حيث قالوا لأولئك: **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا.**

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: لا يسأل.
[3] جميع النسخ - لما يعرفون بسيماهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[4] سورة الرحمن، ٥٥/٤١.
[5] ر ث م: أن لا يسأل؛ ن: أن يسألوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: مما يعملون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[7] البِرْذَوْنُ: الدابة، وجمعه: بَراذِينُ. والبراذين من الخيلِ: ما كان من غير نِتاج العِراب (*لسان العرب*، «برذن»).
[8] ر م: وجوري.
[9] جميع النسخ - على. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[10] ر م - ما أُوتي.
[11] ن: قوله.
[12] ر م: أن.

لم يكن من أولئك إلا التمني أن يُؤتَوْا مثل ما أوتي قارونُ، ثم نهاهم الذين أوتوا منافع العلم والانتفاعَ به عن ذلك التمنّي، فدل ذلك أن التمنّي[1] لا يَسَع فيما لا يسع الاشتغال به والطلب حيث قالوا لهم: **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يُلَقَّاها إلا الصابرون.** اختلف في قوله: **ولا يُلَقَّاها.** كيف ذكره بالتأنيث وإنما تقدّم له ذكر "ثواب"، فألّا قال: ولا يُقَّاه،[2] لكن اختلف فيه. قال بعضهم: **ولا يُلَقَّاها،** كناية عن تلك المقالة التي كانت من أولئك الذين أوتوا العلم لأولئك الذين يريدون الحياة الدنيا، أي لا يُلَقَّى[3] تلك المقالة التي قالوها لأولئك إلا الصابرون. وقال بعضهم: لا، ولكن ذلك كناية عن الأعمال، أي ولا يُلَقَّى[4] تلك الأعمالَ ولا يُوفَّق إلا الصابرون. وقال قائلون: لا، ولكن: **[ولا] يُلَقَّاها،** كناية عن الدار الآخرة، يقول: وما يُلَقَّى تلك الدارَ إلا الصابرون.[5] قال أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **ولا يُلَقَّاها،** أي لا يُوفَّق [لها]، ويقال: لا يُرزَق[ها].[6] **والصابرون،**[7] يحتمل المؤمنين أنفسهم،[8] كقوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[9] / وقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[10] أي [٥٧١ظ] آمنوا. ويحتمل **الصابرون،** الذين صبروا أنفسهم وحبسوها على أداء ما افترض الله عليهم ولم يؤتُوا أنفسهم شهوتها[11] وهواها. *والله أعلم.*

ثم كان في قوم موسى خصالٌ ثلاثٌ[12] لم تكن تلك ولا مثلُها في غيره من الأمم. أحدها ما ذُكِر من صَلابة الذين[13] أوتوا العلم ويقينهم وطُمَأْنِينَتِهم فيما وُعدوا في الآخرة من الثواب وصبرهم على أداء ما افترض الله عليهم وحبْسهم أنفسَهم عن مُناهم وشهواتهم،

---

[1] م – فدل ذلك أن لتمني.
[2] جميع النسخ: وما يقاه.
[3] ن ث: ما يلقى.
[4] ن ث: وما يلقى.
[5] ر م – وقال قائلون لا ولكن ولا يلقها كناية عن الدار الآخرة يقول وما يلقى تلك الدار إلا الصابرون.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٦. والزيادتان من المصدر المذكور.
[7] ر م: الصابرون.
[8] جميع النسخ: نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣و.
[9] سورة إبراهيم، ٥/١٤.
[10] سورة هود، ١١/١١.
[11] جميع النسخ: شهواتهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١ظ.
[12] ن ث: ثلاثة.
[13] ر ث م – الذين.

ولصلابتهم وقوتهم في الدين ما وعظوا قارون حيث قالوا له: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، إلى قوله: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ،[1] -وهو كان ملِكًا يومئذ- ولما قالوا لأولئك الذين يريدون الحياة الدنيا: **وَيْلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا.**

والثاني ما ذكر سحرةُ فرعون حين أوعدهم بالقطع والصلب والقتل بإيمانهم الذين آمنوا فقالُوا: لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ،[2] وقالوا: فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ،[3] وأمثال ذلك مما لم يُبالوا حلول ما أوعدهم وخوّفهم من أنواع العذاب.

والثالث ما ذكر من الذي كان يكتم إيمانه حيث قال: وَقَالَ[4] رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ،[5] وإنما أظهر ذلك حين[6] قال فِرعون: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[7] كأنه همَّ أن يقتله. ألا ترى أن ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه قال لهم: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ [وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ].[8] لم يُبَالِ هلاكَ نفسه بإظهاره الإيمان بعد أن أعان نبيَّ الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعونَ وقومه بما استقبل.

فهذه خِصال لم تذكر عن قوم قطُّ[9] سوى قوم موسى مثلُها. ولذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدالة، وهو ما قال عز وجل: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.[10] وهكذا الواجب على كل مؤمن إذا أريد منه أخذ الإيمان أو خاف على دينه أن يُذهَب به أو أن يُدخلَ فيه النقصان أن لا يَبْذُلَ[11] ذلك وإن خاف على نفسه تلَفَها وهلاكَها وتعذيبها بأشدِّ ما يكون من العذاب. ألا يرى أن الله مدح أصحاب الأخدود بما احتملوا أشد العذاب

[1] الآية ٧٧ من هذه السورة.
[2] سورة الشعراء، ٢٦/٥٠؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٢٥/٧.
[3] ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطَرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٧٢/٢٠).
[4] ث - وقال.
[5] سورة المؤمن، ٢٨/٤٠.
[6] ر م: حيوة.
[7] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.
[8] سبقت قريبا.
[9] جميع النسخ + من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢و.
[10] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[11] ر م: يبذل.

وأسوأ القتل ولم يتركوا الإيمان ولم يُعطُوا أولئك الكفرة ما أرادوا منهم.[١] فهكذا الاختيار على كلّ مسلم أن يختار ما اختار أولئك. وهكذا الواجب على كل من يأتي الأمراءَ والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء أن يعِظوهم ويأمروهم بكل ما يؤتَى وينهَوهم عن كل محظور حرام، ويدلُّوهم على كلّ خير وكلّ ما هو طاعةٌ لله كما[٢] فعل قوم موسى[٣] بقارون، وإلا لم يحضروا مجالسهم ولا أتَوهم طائعين، فإن فعلوا فإنهم يكونون شركاءهم.

وذكر عن بعض السلف أنه قال في عيسى وقارون عبرةٌ لمن اعتبر: إن عيسى صلوات الله عليه زهِد في الدنيا زُهدًا حتى لم يتخذ لنفسه مسكنًا يسكن ولا مَقرًّا يقرُّ فيه ولا اتّخذ لنفسه ما يتعيّش به ولا اشتغل بشيء منها، فرفعه الله إلى السماء فجعل عَيشه ومَقرّه فيها في كرامة الله وجواره. وقارون كان يَرغَب في هذه الدنيا رغبة وجهدَ في طلبها طاقتَه[٤] ووُسعه وركَن إليها رُكونًا حتى خسَفه الله في الأرض وأدخله فيها مع كنوزه وأتْباعه فيكون فيها إلى يوم القيامة. ففي ذلك عبرة وآية لكلّ راغب وزاهد؛ فيَرغَب الزاهد في الزهد فيها وينزجر الراغب عن الرغبة فيها. *والله أعلم*.

**﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾**[٨١]

وقوله: **فخسفنا به وبداره الأرض**، بالبغي الذي بغَى عليهم، أعني على موسى وأصحابه. وقوله:[٥] **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**، كأنه كان يفتخر بالمال والحواشي ويتقوّى بذلك في دفع عذاب الله ونقمته، لذلك قال: **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**، أي لم يُغنِ في دفع عذاب الله عنه أتباعُه وحواشيه. وهو كظنّ أولئك [الذين قالوا]: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[٦] وكان ظنّهم ذلك وقولهم إنما كان بوجهين.

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أصحاب الأُخدُود، النار ذاتِ الوَقود، إذ هم عليها قُعُود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شُهُود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ (سورة البروج، ٨٥/٤-٨).

[٢] ث: على ما.

[٣] ر ث م: قارون؛ ن: فرعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣ط.

[٤] ث + وجهده.

[٥] ن: قوله.

[٦] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٥).

أحدهما[1] أنهم ظنّوا أن أموالهم وأتباعهم تدفع عنهم عذاب الله ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم، كقول ذلك الرجل: سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ.[2] والثاني ظنّوا أنهم إنما أُعْطُوا هذه الأموال والأتْباعَ في هذه الدنيا لكرامةٍ لهم عند الله فلا يعذَّبون أبدًا. *والله أعلم.*

**﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٢]**

وقوله:[3] **وأصبح الذين تَمَنَّوا مكانه بالأمس**، كانوا تَمَنَّوا أن يُعْطَوْا مثل ما أُعطي قارونُ، **يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر**[4] ... **ويكأنه لا يفلح الكافرون**. قال بعض أهل الأدب: "وَيْ" صلة، وإنما هو "كأنّ" و"كأنه". وقال مقاتل: **ويكأنه**، أي ولكنه:[5] ولكن الله يبسط الرزق لمن يشاء، ولكنه لا يفلح الكافرون. وقال بعضهم: قوله: **ويكأن الله**، أي اعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، واعلموا أنه لا يفلح الكافرون.[6] وقال بعضهم: ألم تر أن الله يبسط الرزق وألم تر / أنه لا يفلح كذا؟[7] وقال [٥٧٢و] الزجاج: "وَيْ" مقطوعة من "كأن"[8] وهو حرف يُفتتح به للتَّندّم،[9] ثم ابتدأ بقوله: **كأنه لا يفلح الكافرون.**

---

[1] جميع النسخ - أحدهما. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢ظ.

[2] ﴿ونادى نوح ابنه وكان في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ (سورة هود، ١١/٤٢-٤٣).

[3] ن: قوله.

[4] م + له.

[5] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٠٧/٢.

[6] جميع النسخ: وقال مقتل ويكأنه أي لكنه ويكأن قال بعضهم قوله ويكأن الله أي اعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء واعلموا أنه لا يفلح الكافرون لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه لا يفلح الكافرون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢ظ.

[7] ن ث + وقال أبو عوسجة ويكأن ويك مثل قولك ويك وويحك طرحت منه الألف والنون. وفي *الشرح*: وقال أبو عوسجة: أصل ويكأن ويك مثل قولك ويك وويحك والألف والنون زائدتان. انظر: ورقة ٥٧٣ظ.

[8] ن ت: كأنه.

[9] جميع النسخ: التندم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣ظ. *معاني القرآن* للزجاج، ١٥٦/٤-١٥٧.

ثم في الآية دلالة نقض قولِ المعتزلة في وجوب الأصلح على الله، لأنهم ذكروا منة الله في منْعه إياهم ما تمنوا بالأمس مما أوتي قارون. فلو كان ما أُعطِي قارون أصلحَ له في دينه لم يكن في منْعه عن هؤلاء[1] منة. دل أن ما أُعطِي قارون لم يكن أصلحَ له، بل المنع أصلح له،[2] وأنْ ليس على الله حفْظ الأصلح للعباد في الدين.

**﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٨٣]

وقوله: **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين.** في ظاهرها أنّ كل مَن لا يريد العلوّ في هذه الدنيا ولا الفساد فيها يكون من أهل تلك الدار. وكذلك ما ذَكَر من دار الآخرة، وجهنّم هي من دار الآخرة أيضًا. لكن الآية تخرج على وجهين. أحدهما كأنها نزلت في رؤساء الكفرة وفراعِينهم هم الذين كانوا يريدون العلوّ في هذه الدنيا بالتكبّر والتجبّر على الرسل والفساد فيها في صرف الناس عن دين الله واتّباع الرسل فقال -والله أعلم-: **تلك الدار الآخرة**، أي الجنة ليست لهؤلاء ولكن لمن تواضع للرسل ودعا الناس إلى دين الله واتّباع الرسل.

والثاني تكون[3] الآية في الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات منهم من[4] نحو صلة الأرحام والصدقة على الفقراء والإنفاق في ذلك. فأخبر أنهم وإن كانوا يعملون بتلك الأعمال فإنما يعملون للدنيا والعلوّ فيها، لا للآخرة. فتلك الدار الآخرة ليست لهم إنما هي للذين يعملون ويريدون بها الدار الآخرة.

وقوله: **تلك الدار الآخرة**، كأنه يقول: تلك الدار التي دُعُوا إليها ليست لمن ذَكَر، وهي الدار التي قال الله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[5] فالدار الآخرة هي تلك[6] الدار التي دُعُوا إليها وهي الجنة. الدار الآخرة على الإطلاق [هي] الجنة،[7] كالكتاب المطلق [هو] كتاب الله، والدين المطلق دين الله ونحوه. وقوله: **والعاقبة للمتقين**، أي **تلك الدار الآخرة** للمتقين.

---

[1] ن + منهم، مشطوب عليه.
[2] م: له أصلح.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] ر ث م: في.
[5] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[6] ر ث م - تلك.
[7] ر ث م: كالجنة.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨٤]

وقوله:[١] **من جاء بالحسنة فله خير منها**، هذا[٢] يخرج على وجوه. أحدها ما قاله[٣] أهل التأويل: على التقديم والتأخير، أي فله منها خير. ومعناه أن ما يكون له في الآخرة من الخير إنما يكون بتلك الحسنة التي جاء بها في الدنيا وهي التوحيد. والثاني قوله: **فله خير منها**، أي ما أُعطُوا في الآخرة من الخير والثواب خير مما يُعْطَوْن في الدنيا بصبرهم وحبسهم أنفسهم عن شهواتها وأمانيّها. والثالث **فله خير منها**، أي ثواب الله وما أُكرِموا به خير مما عملوا في الدنيا. والرابع أن توفيقه إياهم وإرشاده خير مما عملوا. أو أن يكون ذكر الله وحمده خير[٤] مما ذُكر، كقوله: وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ.[٥]

وقوله:[٦] **ومن جاء بالسيّئة**، قالوا جميعًا: السيئة هي الشرك، **فلا يُجْزَى**، إلا مثلَها لكن مثلها هو التخليد في النار أبدًا. وقوله في آية أخرى:[٧] وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ،[٨] فيما يُجزَوْن بها بل [هم] ظلموا أنفسهم.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٨٥]

وقوله:[٩] **إن الذي فرض عليك القرآن لرَادُّكَ إلى مَعاد**، اختلف في قوله: **فرض عليك القرآن**. قال بعضهم: **فرض**، أي نزل عليك، وقال بعضهم: فرض عليك العمل بالقرآن، وقال بعضهم: فرض عليك[١٠] تبليغ ما أنزل عليك من[١١] القرآن والرسالة إلى الناس. واختلف أيضًا في قوله: **لرادُّك إلى مَعاد**. قال بعضهم: إلى مكّة، وقال بعضهم: المعاد هو البعث والساعة،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م – هذا.
[٣] ر ث م: ما قال.
[٤] ن: خيرا.
[٥] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ – وقوله في آية أخرى. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٣ط.
[٨] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ١٦٠/٦).
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ث م – عليك.
[١١] ر م – من.

وقال بعضهم: المعاد الجنة، ويقال: الموت، وكله [يرجع إلى معنى][١] البعث. والمعاد هو البعث في الظاهر. وجائز أن تُسمَّى[٢] مكة معادًا لِما يعود الناس إليها مرّة بعد مرّة،[٣] كما تسمّى "مثابةً"[٤] لِما يثوب الناس إليها مرّة بعد مرّة. لكن من يقول بأن المعاد هو مكّة يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لَمّا أُمِر بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها اشتاق إلى بلده ومولِده ومولد آبائه فنزل جبريل عليه بهذه[٥] الآية بِشارةً بالعَوْد[٦] إليها ظاهرًا عليهم قاهرًا فاتحًا له مكّة. هذا تأويل من يقول بأن المعاد هو مكة.[٧]

وجائز أن يكون على غير هذا، وهو يخرج على وجهين. أحدهما كأنه حزِن على الفراق منهم إشفاقًا على هلاكهم لإخراجهم الرسول من بين أظهُرهم. لأن الأمم السالفة إذا خرج من بينهم الرسلُ نزل بهم العذاب، فخاف أنهم لَمّا أخرجوه من بين أظهرهم وأبَوا إجابته[٨] أن يُهلَكوا ويعذبوا، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٩] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[١٠] فبشر بهذا أن [س]تُرَدّ إليها وستعود إليهم فيتّبعونك ويؤمنون بك، وهم[١١] لا يُهلَكون إهلاك استئصال وتعذيب كسائر الأمم.

والثاني يَذكر على الامتنان عليه، يقول: إن الذي أنزل عليك القرآن وألقاه عليك بعد ما لم تكن[١٢] ترجو إلقاءَه[١٣] عليك وإنزالَه ولكن برحمته ومنّه ألقاه إليك وأنزله عليك حيث قال: وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ،[١٤] فعلى ذلك يردّك إلى مكّة بعد ما لم تكن ترجو ردّك وعَودك إليها.

---

[١] الزيدة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٤و.
[٢] جميع النسخ: أن يسمي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٤و.
[٣] ر ث م – بعد مرة.
[٤] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢).
[٥] ن: جبريل عليه السلام هذه.
[٦] ر بشارة في العود؛ ن ث: بشارة به في العود.
[٧] *تفسير الطبري*، ٣٤٩/١٨-٣٥١.
[٨] ر: وأبواجابته.
[٩] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[١٠] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[١١] ن – وهم
[١٢] ث – لم تكن.
[١٣] ث: لقاءه.
[١٤] الآية لتالية.

[٥٧٢ط] /وإن كان المعاد هو البعثَ فهو يخرج أيضًا على وجهين. أحدهما على البشارة، كأنه يقول: إن الذي فرض عليك القرآن يردّك ويبعثك بمن كذّبك وبمن صدّقك فينتقم من مكذبيك جزاء التكذيب ويجزي من يصدّقك جزاء التصديق.

والثاني يذكّره ويخاطبه وإنما يريد به قومه، أي سيبعثون وسيعودون إليها فيكون كالآيات التي يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه، فهو يخرج على الوعيد لهم. ألا ترى أنه قال: **ربي أعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين**، أي ربّي أعلم بمن جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو في ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله.[١] ويخرج ذكر هذا عند ادعاء[٢] أولئك الكفرة أنهم على الحق والهدى وأن آباءهم كانوا على الحق والهدى وأنتم على ضلال فيقول: **ربي أعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين**، نحن أو أنتم؟ فهو على التحاكم إلى الله أن يحكم بينهم فيجزي كلًّا بما جاء به. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[٨٦] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٨٧] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٨]**

وقوله: **وما كنت ترجو أن يُلقَى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما **وما كنت ترجو**،[٣] وإن كنت مطيعًا، أي خاضعًا، **أن يُلقَى إليك الكتاب**، وينزّل عليك وتصيرَ رسولًا، أي لم تكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولًا نبيًّا.

والثاني ما كنت ترجو أن تكون في قومك وقبيلتك رسالةُ فضلًا من[٤] أن ترجو وتطمع في نفسك. لأنهم ليسوا من بني إسرائيل ولا من أهل الكتاب، والرسالة من قبلُ كانت لا تكون إلا في بني إسرائيل ولكن الله جعل الرسالة في العرب في نفسك برحمته وفضله. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: ضلالة

[٢] ن: دعء.

[٣] ر ث م: ترجوا.

[٤] جميع النسخ - من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٤و.

وقوله:[1] **فلا تكونَنّ ظهيرًا للكافرين**، هذا يخرج على وجوه. أحدها على النهي، أي لا تكن ظهيرًا، وإن كان لا يكون للعصمة[2] التي عصمه الله، لأن العصمة لا تمنع النهي والأمر، بل منفعة العصمة إنما تكون عند النهي والأمر.

والثاني على الأمن له [في عصمته] والإياس أن يكون ظهيرا لهم، كأنه يخاف لعلّه أن يكون ظهيرًا لهم في وقت من الأوقات فأمّنه الله من ذلك[3] فقال: لا تخف فإنك لا تكون ظهيرًا لهم. وهو ما ذكرنا في قوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[4] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[5] على رفع الحزن والحسرة بتركهم الإيمان، فعلى ذلك الأول.

والثالث أن الخطاب -وإن كان له في الظاهر- فالمراد منه غيره، على ما ذكرنا في غير آي من القرآن أنه خاطب به رسوله والمراد به غيره. وكذلك هذا[6] في قوله: **ولا يصدُّنَّك عن آيات الله بعد إذ أُنزِلت إليك وادْعُ إلى ربك ولا تكونَنّ من المشركين**، في هذا ما في الأول من الوجوه التي ذكرنا.

وكذلك هذا في قوله: **ولا تدْع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو**.

وقوله: **كلّ شيء هالك إلا وجهَه**، قال بعضهم: قوله: **كلّ شيء**، يرجى منفعته وشفاعته من دون الله باطل إلا ما ابتُغِي به وجه الله[7] وعُمِل له. وقال بعضهم: **كلّ شيء هالك**، وزائل، **إلا هو**، فإنه حيّ لا يموت دائم لا يزول.[8] وقال بعضهم: كلّ أمر وجهة يُتوجّه إليها ويعمل به هالك إلا الجهة والوجة الذي أمَر هو بالتوجيه إليه والعمل به. وهو قريب من الأول.[9] ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ن م: العصمة.
[3] جميع النسخ: عن ذلك.
[4] سورة النحل، ١٦/١٢٧.
[5] سورة فاطر، ٣٥/٨.
[6] جميع النسخ: بهذا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٤ظ.
[7] جميع النسخ - به وجه الله؛ + منه. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث - دائم لا يزول.
[9] جميع النسخ: بالأول. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر + بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ م - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة العنكبوت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]

قوله عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا[2] في غير موضع.[3]

وقوله:[4] **أحَسِبَ الناس،**[5] هو وإن كان في الظاهر استفهاما فهو على الإيجاب، لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والإيجاب، لأنه به خبير عليم لا يحتمل [منه] الاستفهام[6] والاستخبار،[7] إذ حقيقة الاستفهام والاستخبار[8] إنما تكون[9] ممن يجهل الأمور فيستخبر ويستفهم ليعرف ذلك،[10] فالله سبحانه يتعالى عن أن يخفى عليه شيء، فهو على التقرير والإيجاب منه ذلك.[11] ثم يخرج قوله: **أحسب الناس،** على أحد وجهين. أي قد حسب الناس. والثاني، أي لا يَحسبِ الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا.

---

[1] ر - سورة العنكبوت؛ ن: ذكر أن سورة العنكبوت كلها مكية وقتادة يقول عشر آيات من أولها مدنية وسائرها مكية والله أعلم؛ ث + وهي ستون وتسع آيات مكية؛ م + كلها مكية.

[2] ن: ذكرناه.

[3] انظر: تفسير أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[4] ن ث: قوله.

[5] جميع النسخ + قوله أحسب الناس.

[6] ر م - لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والإيجاب لأنه به خبير عليم لا يحتمل الاستفهام.

[7] ر م: لا الاستخبار.

[8] ث - إذ حقيقة الاستفهام والاستخبار.

[9] ث: إنما يكون.

[10] ن - ليعرف ذلك.

[11] ر م: ودلك.

وقوله: **أن يقولوا آمنا**، ذكر الإيمان ولم يذكر[1] بِمَن: بالله أو بغيره. وليس أحد من الخلائق إلا وهو يؤمن بأحد ويكفر بغيره. وليس في الآية بيان الإيمان به أو بمن، إلا أن الله تعالى سخر الخلق على الفهم من الإيمان المطلَق المرسَلِ الإيمانَ بالله وبرسله، وسخرهم حتى فهموا من الكتاب المطلق كتابَ الله و[من] الدار الآخرة الجنّةَ وأمثال ذلك: مما فهموا من الكتاب المطلق كتابَ الله وفهموا مما ذكرنا من الإيمان المطلق الإيمانَ بالله وبرسله وفهموا أيضًا من الدين المطلق دينَ الله. فيكون قوله: **أن يقولوا**[2] **آمنا**، [آمنا] بالله وبرسله.[3]

وقوله: **وهم لا يُفتَنون**، أي لا يُبتَلون. والفتنة هي الابتلاء الذي فيه الشدة. يمتحن الله
[٥٧٣و] عباده باختلاف الأحوال، / مرة بالضِّيق والشدّة ومرة بالسعة والرخاء وأنواع العبادات،[4] ليكون ذلك عَلَمًا للخلق في صدق الإيمان به والكَذِب فيه فيعرفوا صدق كل مخبر عن نفسه الإيمان بالله تعالى وكَذِبَه. إذ قد يجوز أن يكون فيما يخبر ويقول: "آمنت" كاذبًا، فجعل الله تعالى العلم في صدقهم وكذبهم أعمالًا يظهر بها عندهم صدقه ما لو كان الابتلاء والامتحان بجهة لعله لا يظهر ذلك. وهو ما أخبر عن المنافقين فقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ،[5] الآية، هذا يدلّ أن الفتنة هي المحنة التي فيها الشدّة والبلاء، وما قال: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[6] فإنما يظهر صدق الرجل في إيمانه بما يصيبه من الشدة. فأما السعة والرخاء فهو ما يوافق طبعه وهوَى نفسه، فلا يظهر صدقه بما يوافق طبعه، وإنما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويَثقُل[7] عليه تحمّل ذلك. ثم قال بعضهم: نزلت الآية في قوم أظهروا الإيمان باللسان وأضمروا الخلاف والكذب.[8] وقال بعضهم: نزلت في قوم آمنوا بالله وبرسوله حقيقةً ثم عُذِّبوا بأنواع العذاب فتركوا الإيمان وكفروا به، وفيهم نزل: فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ.[9]

---

[1] ر م: ولم يذكره.
[2] ر م: أن يكونوا.
[3] جميع النسخ: أو برسله.
[4] ر: العداة.
[5] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).
[6] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[7] ن: ونثقل.
[8] «قال الحسن: "الناس" هنا المنافقون» (البحر المحيط لأبي حيان، ٧/١٣٥؛ وروح المعاني للآلوسي، ٢٠/١٣٥).
[9] سورة العنكبوت، ٢٩/١٠.

فكيف ما كان ففيه أن من أقرّ بالإيمان وقبِله[1] [فهو] يُمتَحن بأنواع المحن بموافقة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس فيعاملونه على ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٣]**

وقوله:[2] **ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدَقوا وليعلمن الكاذبين**، وقد ذكرنا معنى قوله: **فليعلمن الله الذين صدقوا**،[3] فيما تقدم، أي[4] يعلم ظاهرًا كائنًا ما قد علمه غير كائن أنه يكون، وليعلمه موجودًا مما[5] قد علمه غير موجود أنه يوجد. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٤]**

وقوله: **أم حسِب الذين يعملون السيئات**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما قد حسب الذين ما ذكر. والثاني لا يَحْسَبْ، على النهي.

وقوله: **أن يَسبِقونا**، لا أحدَ[6] يظنّ أن يَسبِق الله في عذابه ونقمته، لكنهم إذا رأوا الكافر والمسلم في هذه الدنيا على السواء في نعيمها وسَعَتها ورأوا أيضًا عند الموت أن[ه] لم ينزل على الكافر عذاب كالمسلم ظنّوا أن لا بعثَ،[7] حملهم ذلك على إنكار البعث، كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، -حين[8] خلقهما إذا لم يكن بعث- بَاطِلًا،[9] وهم قد علموا أن خلقه إياهما ليس بباطل ولكن صيّر خلقهما إذا لم يكن بعثٌ باطلاً. فإذا أنكروا البعث ظنوا أن لا عذابَ ولا جزاءَ. *والله أعلم*.

---

[1] م ث: وقبل.
[2] ن: قوله.
[3] جميع النسخ - وليعلمن الكاذبين وقد ذكرنا معنى قوله فليعلمن الله الذين صدقوا. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٥ظ.
[4] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح* ورقة ٥٧٤ظ.
[5] ر ن ث: ما.
[6] ر م + أن؛ ن: لأحد.
[7] جميع النسخ + وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٥ظ.
[8] ن: صير
[9] ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ (سورة ص، ٣٨/٢٧).

**﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **من كان يرجو لقاء الله**، أضاف اللقاء إلى نفسه، وكذلك ما ذكر من المصير إليه، بقوله:[1] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.[2] وقوله: وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ،[3] وقوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[4] ونحوه، هذا كلّه لأن خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا لها ولكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها الآخرة. فإنما صار خلق هذه الأشياء فيها حكمة بالآخرة إذ لو لم يكن آخرة كان خلْق ما ذكر في هذه الدنيا لعبًا باطلاً، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[5] صيّر خلقهم لا للرجوع إليه لعبًا باطلاً.

وقوله: **فإن أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم، السميع**[6] بما يقولون ويظهرون **والعليم** بما يُضمرون ويُسرّون لأن القصّة قصّة المنافقين. أو **السميع** المجيب **العليم** بحوائجهم وأمورهم. **والله أعلم**.

**﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٦]**

وقوله: **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**، وكذلك قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[7] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[8] أي فعليها. ففي هذا[9] أن الله إنما امتحن الخلائق لا لحاجة له فيما امتحنهم في دفع مضرّة أو جرّ نفع، لكن إنما امتحنهم لحاجة أنفسهم في دفع المضارّ وجرّ المنافع. وكذلك إنما أنشأ الدنيا وهذا العالم فيها لا لحاجة له في إنشاء ذلك ولكن لحوائج أنفسهم. وكذلك ما أنشأ من الخلائق سوى البشر إنما أنشأ للبشر[10] وله سخّر جميع ذلك، وجعل البشر بحيث يقدر على استعمال[11] جميع ذلك لمنافع أنفسهم وحاجتهم،

---

[1] ر ث م: لقوله.
[2] انظر: سورة المائدة، ٥/١٨؛ وسورة المؤمن، ٤٠/ ٣؛ وسورة الشورى، ٤٢/ ١٥؛ وسورة التغابن، ٦٤/ ٣.
[3] سورة هود، ١١/١٢٣.
[4] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[5] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[6] ر ث م – السميع.
[7] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[9] ن – ففي هذا.
[10] ر ث م: البشر.
[11] ن: في استعمال.

وهو ما ذكر في غير آي من القرآن حيث قال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[١] وقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[٢] ونحو ذلك. فعلى ذلك امتحن هذا العالم لحاجة أنفسهم في دفع مضارّ وجرّ نفع، لذلك قال: **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه،** أي لحاجة نفسه[٣] ومنفعة نفسه لا لمنفعة أو لحاجة لله تعالى.

**إن الله لغني عن العالمين،** هذا تفسير ما ذكر.[٤] ثم المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجن، ومرة مع أعدائه من الإنس، ومرة مع هوى النفس، ومرة في أمر الدنيا، كلّ ذلك مجاهدة في الله. قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[٥] ***والله أعلم.***

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٧]

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سيئاتهم،** كأن ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفّر بها سيئاتهم.

وقوله: **ولنجزينّهم أحسن / الذي كانوا يعملون،** هذا يحتمل وجوهًا. أحدها أن جزاءهم [٥٧٣ظ] الذي يُجزَوْن بتلك الأعمال أحسنُ من أعمالهم التي عملوا، لأن قدر ذلك الجزاء عندهم أعظم وأحسن من قدر[٦] أعمالهم، إذ ليس لأعمالهم عندهم كبيرُ[٧] قيمة وقدر، إذ منهم من يُحيي ليلة بدرهم وبما[٨] يسدّ به حاجته في يوم أو ليلة.

والثاني أن الأعمال التي يعملها المرء تكون على وجوه. سيئات تُكفَّر بالتوبة أو بما كان يعاقَبون عليها. وحسنات يُجزَون بها الثواب الجزيل. وإباحات يعملون لحوائج أنفسهم مما لا يعاقَبون عليه ولا يثابون. فيقول: -والله أعلم- **ولَنَجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون،**[٩]

---

[١] ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٣).
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[٣] ر ن ع: بنفسه.
[٤] ن ث: ذكرنا.
[٥] الآية ٦٩ من هذه السورة.
[٦] ر ث م + من.
[٧] ر ث م: كثير.
[٨] ن ث: أو بما.
[٩] جميع النسخ: لنجزينهم أحسن الذي عملوا. والتصحيح من الشرح، ورقة، ٥٧٥و.

وهو الحسنات والخيرات [التي] عملوها لله. أو أن يكون قوله: **ولَنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون**، أن يكفر سيئاتهم بنوع من الحسنات ويثابون على أحسنها. وهو ما قال: **لنكفرنّ عنهم سيّئاتهم ولنجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون**. *والله أعلم بذلك*.

**﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٨]

وقوله: **ووصّينا الإنسان بوالديه حُسنًا**، وقرئ أيضًا إحسانًا.[١] قال: الزجاج: قوله: **حُسنًا**، أجمع وأقرب لأنه يرجع إلى حسن الشيء في نفسه وإلى حُسنه عند ذلك الإنسان.[٢] يقال: حَسُن كذا، إذا كان في نفسه حَسَنًا، والإحسان هو ما يَحسُنُ عند ذلك المعمولِ له، أو كلام نحو هذا. {قال الشيخ رضي الله عنه:} لكن الإحسان هو اسم ما حسُن أيضًا في نفسه، يقال: أحسن، فإذا أحسن فقد حسُن. **والله أعلم**.

وقوله: **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم**، إن كان هذا الخطاب لأهل الإيمان فيكون تأويل الآية: **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم**، أي بأن له شريكًا،[٣] أي تعلم[٤] بأن ليس له شريك[٥] فلا تشرك بي، وهو كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[٦] أي يعلم بخلاف ما تقولون،[٧] فعلى ذلك قوله:[٨] **ما ليس لك به علم** بأن له شريكًا،[٩] أي لك العلم بخلافه بأن ليس له شريك.[١٠] وإن كان الخطاب لأهل الكفر فهم[١١] **يقولون على الله ما ليس لهم به علم**.

---

[١] انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سيم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٧٣/٣.

[٢] *معاني القرآن* للزجاج، ١٦١/٤.

[٣] جميع النسخ: شريك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٦ظ.

[٤] ر: تعليم.

[٥] م + وأن.

[٦] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[٧] ر ث م: يقولون.

[٨] جميع النسخ + يحتمل؛ ث – قوله.

[٩] جميع النسخ: شريك. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ن – أي لك العلم بخلافه بأن ليس له شريك.

[١١] ر ث م – فهم.

وقوله:[١] **فلا تُطِعْهما**، أمر بالبرّ للوالدين والإحسان إليهما و لطاعة لهما ما لم[٢] يكن في طاعتهما معصيةُ الربّ ليُعلم أنْ ليس يجب طاعتهما في كلّ شيء وفي كل ما كان عندهما إحسان، ولكن فيما كان في ذلك طاعةُ الخالق.[٣]

وقوله:[٤] **إليَ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون**، وعيد ليكونوا أبدًا على حذر في أعمالهم[٥] لا يعملون بما فيه معصية الربّ.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[٩]**

وقوله:[٦] **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين**، كأنه قال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهم سيّئات لنكفّرنّ عنهم تلك السيّئات بأعمالهم الصالحات ثم لنُدخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم، وهم الأنبياء، إذ أكثر ما ذكر في الكتاب "الصالحين" إنما أريد بهم الأنبياء صلوات الله عليهم.[٧] وهو ما ذكرنا -والله أعلم- على تكفير السيئات عنهم على ما ذُكِر فيما تقدّم وهو ما قال: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[٨] أو أن يكون قوله: **لنُدخلنهم في الصالحين**، أي لنجعلنّهم من الصالحين.

فإن قيل: ما معنى قوله: **لندخلنهم في الصالحين**، وهم قد عملوا الصالحات؟

قيل: معناه ما ذكرنا بدءًا[٩] أنهم قد عملوا الصالحات، إلا أن لهم[١٠] سيئاتٍ يُكفّرها بالصالحات، ثم ليجعلنّهم[١١] في الصالحين الذين لا سيئة لهم. ***والله أعلم***.

[١] ن: قوله.
[٢] ن - لم.
[٣] ر م: الخلق.
[٤] ب ت: قوله.
[٥] ر م: في أعمالكم.
[٦] ب: قوله.
[٧] ن - صلوات الله عليهم.
[٨] الآية ٧ من هذه السورة.
[٩] ر: بدء.
[١٠] ر م: أنهم.
[١١] ن: ليجعلهم.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾**[١٠]

وقوله: **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**، قال بعض أهل التأويل: ناسٌ مؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتُتِنوا فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة. ثم قال: **ولئن جاء نصر من ربك ليقولُنّ إنّا كنّا معكم**، وذلك عَلَم المنافق. ومنهم من يقول: نزلت الآية فيمن حقّق الإيمانَ بالله[١] سرًّا وعلانيةً إلا أنه عُذّب لأجل إيمانه بالله وبرسوله فترك الإيمان وكفر. فعلى تأويل هذا يحتمل[٢] قوله: **ولئن جاء نصر من ربّك**، إلى آخر ما ذكر على القطع من الأول والابتداء منه، [وهو لبيان][٣] صنيع المنافقين وخبرهم. *والله أعلم*.

ويحتمل قوله: **جعل فتنة الناس كعذاب الله**، أي جعل فتنة الناس وتعذيبهم إياه في إعطاء ما سألوه وهو الكفر، **كعذاب الله**، في إعطاء ما سأل من أهل الكفر وهو الإيمان، لأن أهل الكفر إذا نزل بهم عذاب الله أو اشتدّ بهم خوف نزوله عليهم أعطَوا الله ما سألهم من الإيمان به[٤] والتوحيد له[٥] وهو ما قال: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[٦] ويحتمل وجهًا آخر وهو أن[٧] جعل فتنة الناس في ترك الإيمان كعذاب الله في ذلك، أي جعل العذاب الذي[٨] من الناس كأنه من الله جاء فترك الإيمان.

وقوله: **أوليس الله بأعلم بما صدور العالمين**. فإن كانت الآية فيمن حقّق الإيمان بالله سرًّا وعلانية فيخرج هذا على التعيير له في تركه الإيمان بما عُذّب به، لأنه كان يقدر أن يظهر الكفر لهم باللسان فيدفع العذاب عن نفسه ويكون في الحقيقة في السرّ مؤمنًا على ما ذكر: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.[٩] وإن كانت الآية في المنافقين ، فيقول: [٥٧٤و]

[١] ر ث م – بالله.
[٢] ن ث: يجعل.
[٣] جميع النسخ + من. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٥ظ.
[٤] ر م – به.
[٥] ر م – له.
[٦] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[٧] ر + لله
[٨] م – الذي.
[٩] ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ١٠٦/١٦).

كيف أسررتم الكفر والخلاف له في القلب وأنتم تعلمون أن الله عالم بما في صدور العالمين؟ فيخبر رسوله بما أضمروا وأسرّوا من الخلاف. *والله أعلم*.

**﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾[١١]**

وقوله:[١] **وليعلمَنَّ الله الذين آمنوا وليعلمَنَّ المنافقين**، قد ذكرنا تأويل هذا [مِن] أن [الله] يعلم كائنًا ما قد علم أنه سيكون، ويعلم موجودًا ظاهرًا ما قد علم [في الأرض] أنه يوجد ويظهر [في وقت كذا].

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٢]**

وقوله:[٢] **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سبيلنا وَلْنَحْمِلْ خطاياكم**، كأنهم قالوا ذلك لهم بعد ما عجزوا عن الطعن في الحُجَج والآيات ما يوجب شبهة فيها[٣] عند الناس وبعد ما انقطعوا عن اللّجاج فيها والاحتجاج عليها. فلما عجزوا عن ذلك كلّه فعند ذلك اشتغلوا بما ذُكِر وقالوا للمؤمنين ما ذكر: **اتَّبِعُوا سبيلنا**، أي ديننا، **وَلْنَحْمِلْ خطاياكم**. يقولون -والله أعلم- اتَّبِعُوا سبيلنا فإنه صواب، فإن أصابكم خطأ أو أخطأتم في الاتّباع له فإنّا نحمل خطاياكم. وقال بعضهم: قالوا لمن آمن منهم: لا نُبعَث نحن ولا أنتم فاتّبعونا، وإن كان عيكم شيء فهو علينا، وهو قريب من الأول. أو أن يقولوا لهم: اتّبعوا سبيلنا فإن الله أمرَنا به فإن أخطأتم في ذلك فإنا نحمل خطاياكم أو نحوه. فهذا القول منهم متناقض، لأنهم ذكروا أنهم كانوا يخطئون في الاتّباع لهم دينهم إلا أن يريدوا بذلك ما ذكرنا. والثاني إنما كانوا يضمَنون ويحمون خطاياهم لا بإذن مَن له الطلب في الخطايا ولكن بإذن من عليه ذلك، وذلك لا يَصِحُّ الضمانُ بإذن من عليه.

ثم أخبر أنهم لا يحملون ذلك حيث قال: **وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون**، يحتمل قوله: **إنهم لكاذبون**، فيما يذكرون من حمل خطاياهم، أي لا يقدرون على حملها، أو كاذبون في الدعاء إلى اتباع سبيلهم، أو كاذبون أن الله أمرَهم بذلك. *والله أعلم*.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: قوله.

[٣] ث - فيها.

**﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١٣]**

وقوله:[١] **وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم**، يحملون أوزارهم بضلال أنفسهم وأثقالاً بإضلال غيرهم ودعائهم إليه، كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.[٢] وذكر في الخبر[٣] أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن داعٍ دعا إلى هدى فاتُّبِع عليه إلا كان له مثلُ أجور مَن اتبعه ولا يَنقُص مِن أجورهم[٤] شيء. وما من داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع عليها إلا كان عليه مِثلُ أوزار مَن اتبعه ولا ينقُص من أوزارهم شيء».[٥]

وقوله:[٦] **وليُسألنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون**، قال بعضهم: افتراؤهم اتخاذهم الأصنام آلهة، إذ يكون الافتراء في الفعل والقول جميعًا. وجائز أن يكون افتراؤهم ما ذكروا من حَمْل خطاياهم، أو ما قالوا: إن الله أمرهم بذلك، أو تسميتهم الأصنام التي عبدوها آلهة. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١٤]**

وقوله: **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا**. يَذكر هذا النبأ لوجهين. أحدهما يصبّر رسوله على أذى قومِه لأنه ذَكَر أن نوحًا لبث في قومه ألف عام غيرَ خمسين عامًا، كان يدعوهم إلى توحيد الله فلم يجبه إلا نفر من أهله. فلم يمنعه من الدعاء إلى دين الله ما أوعدوه من المواعيد حيث قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[٧] ونحو ذلك من المواعيد، فذلك لم يمنعه عن الدعاء. ولذلك قال: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٨]

---

[١] ن: قوبه.

[٢] سورة النحل، ١٦/٢٥.

[٣] ن ث م: حبر؛ ث + عن، مشطوب.

[٤] ر: أمورهم؛ ث: أوزارهم.

[٥] ر ث م – وما من داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها إلا كان عليه مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيء. ورد الحديث في *الموطأ* لمالك، القرآن ٤١، بلفظ: «ما من داعٍ يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتبعه لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئا، وما من داعٍ يدعو إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا». وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعه لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» (*صحيح مسلم*، العلم ١٦).

[٦] ن: قوله.

[٧] سورة الشعراء، ٢٦/١١٦.

[٨] سورة الأحقاف، ٤٦/ ٣٥.

والتاني ينقض على المتقشفة مذهبهم لأنهم يقولون: إن الموعظة إنما لا تَنْجَع في الموعوظين لتفريط الواعظ وترك استعمال نفسه في[1] ذلك. فيقال: إن نوحًا قد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فمم يُجِبْه إلا نَفَر. فلا يحتمل أن يكون منه تقصير أو تفريط. فدلّ أنها لا تنجع ربما لشقاوة الموعوظ.

وقوله: **فأخذهم الطوفان**، قال بعضهم: هو المطر الشديد. وجائز أن يكون الطوفان كلُّ بلاء فيه الهلاك. والطوفان هو ما أُرسل عليهم من الماء فأغرقهم. ***والله أعلم***.

[٥٧٤و س٣٣] * قال الزجاج: الاستثناء يخرج على تأكيد ما تقدم من الكلام كذكر الكل على إثر ما تقدم من الكلام، أو كلام نحوه.[2] وقلنا نحن: إن كان ما تقدم من الذكر كافيًا تمامًا فيخرج الثنيا على إثره مخرج التأكيد لما تقدم، نحو قوله: قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ،[3] قوله: إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، كاف تامٌّ مفهوم أنْ لا يدخل فيه آل لوط حيث ذكر المجرم، إذ آلُه غير مجرمين، فهو كاف مفهوم لا يحتاج إلى ذِكر آل لوط لكنه ذُكر على التأكيد له. وكذلك قوله: مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ،[4] و مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ.[5] إذا قال: مُحْصِنِينَ، يفهم أنهم غير مسافحين، وكذلك قوله: مُحْصَنَاتٍ، يعرف[6] أنهن غير مسافحات ولا مُتَّخِذات أخدان، لكنه ذُكر على التأكيد. وإذا كان ما تقدّم من الكلام مجملاً مرسلاً فيخرج ذِكر الثنيا مخرج تحصيل المراد منه على إضمار حرف "مِنْ" فيه،[7] كقوله: **ألف سنة إلا خمسين عامًا**، كأنه قال: فلبث فيهم مِن ألفِ سنةٍ تسعَ مِائَة / وخمسين. وكذلك قول الناس: [٥٧٤ظ] لفلان عليّ عشرةُ دراهمَ إلا كذا، كأنه قال: لفلان[8] عليّ مِن[9] عشرة دراهم كذا،[10] فهو عى التحصيل يخرج ذِكره. وقال بعضهم: الطوفان كل ماء طافٍ فاشٍ من سبيل أو غيره.

---

[1] ر م – في.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ١٦٣/٤–١٦٤.
[3] سورة الحجر، ٥٨/١٥–٥٩.
[4] سورة النساء، ٢٤/٤.
[5] سورة النساء، ٢٥/٤.
[6] ر ن م – أنهم غير مسافحين وكذلك قوله محصنات يعرف.
[7] ن – فيه.
[8] ث – لفلان.
[9] ث – من.
[10] ن – كأنه قال لفلان علي من عشرة دراهم كذا.

وكذلك الموت الجارف يسمى الطوفان وماءَ الطوفان[1] وهو ما ذكر في سورة الأعراف.[2]
٥٧٤ظ/س٤] وقال بعضهم: هو الغَرق. *والله أعلم*.*

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٥]

وقوله: **فأنجيناه**، أي نوحًا، **وأصحاب السفينة**، أي من دخل السفينة. **وجعلناها آية للعالمين**، قال بعضهم: جعْلها آية هو أن هلَكت كلُّ سفينة كانت وهي باقية اليوم على ما هي.[4] وقال بعضهم: **وجعلناها آية**، لمن بعدهم فتمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم.*

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٦]

وقوله:[6] **وإبراهيم إذ قال لقومه**، هو نَسَق على قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ،[7] وأرسلنا إبراهيم أيضًا إلى قومه. أو أن يكون نسَقًا على قوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ،[8] وأنجينا إبراهيم أيضًا حين أُلقي في النار. أو يقال: اذكر إبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا الله. وقوله: **إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه**، يحتمل في حق الاعتقاد، أي وحّدوا الله. وقوله: **واتقوه**، [أي] الشرك. ويحتمل قوله: **اعبدوا الله**، في حق المعاملة، أي إليه اصرِفوا العبادة، **واتقوه**، أي اتقوا عبادة مَن تعبدون من الأوثان. يكون قوله: **اتقوه**، في موضع النهي، أي اعبدوا الله ووحّدوه[9] ولا تعبدوا غيره. يكون فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من الأمر: افعلوا كذا واتقوا ما يضادّه ويخالفه.[10] *والله أعلم*.

---

[1] ن - وماء الطوفان.

[2] وهو ما ذكر في قوله عز وجل: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّلَ والضفادع والدم آياتٍ مفصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٤و/سطر٣٣ - ٥٧٤ظ/سطر٤.

[4] ر م + عينه.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٧٤و/سطر٣٣ - ٥٧٤ظ/سطر٤.

[6] ن: قوله.

[7] لآية ١٤ من هذه السورة.

[8] لآية السابقة.

[9] ر م: وحدوه.

[10] ن: وما يخالفه.

وقوله:[١] **ذلكم خير لكم**، أي عبادة الله خير لكم. وقوله: **إن كنتم تعلمون**، يحتمل قوله: **إن**، إذ **كنتم تعلمون**، أن[٢] ذلك خير لكم. وجائز ذكر "إنْ" مكان "إذ" في اللغة.[٣]

**﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[١٧]

وقوله: **إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا**، أي تخلقون كَذِبًا في تسميتكم الأوثان آلهةً معبودِين، أي ليسوا بآلهة ولا معبودين. أو يقال: **وتخلقون إفكًا**، أي كذِبًا في صرف عبادتكم إليها واستحقاق العبادة، أي لا يستحقون العبادة، إنما المستحق للعبادة [هو] اللهُ دون مَن تعبدون. وقال بعضهم: أي جعلتم كذبًا من الآلهة لا حَقًّا، وهو قريب مما ذكرنا.

ثم بيّن سفههم في صرف العبادة إلى الأصنام وعَجْزَها عمّن يعبدها حيث قال: **إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا**، يقول -والله أعلم- إنّ في الشاهد لا يخدم أحدٌ أحدًا إلا لِما يَأمُل من النفع له بالخدمة أو لسابقةِ إحسانٍ كان منه إليه. فالأصنام التي تعبدونها لا يملكون أن يرزقوكم ولا ينفعوكم ولا كان منها إليكم سابقةُ صنعٍ، فكيف تعبدونها؟

وقوله: **فابتغوا عند الله الرزق**، أي اعبدوا الله الذي يرزقكم وينفعكم ويملك ذلك لكم واتركوا عبادة من لا يملك ذلك لكم.[٤] **واعبدوه**، يحتمل الوجهين اللذَين ذكرناهما فيما تقدم: التوحيد والعبادةَ. وقوله: **واشكروا له**، أي اشكروا له فيما أنعم عليكم. **إليه تُرجَعون**.

**﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**[١٨]

وقوله:[٥] **وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما وإن يكذّبوك فيما تخبر من نبإ إبراهيم فقد كذّب أمم من قبلك[٦] رسلَهم[٧] فيما أخبروا عن إبراهيم

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن - أن.
[٣] جميع النسخ + أو يكون قوله أذلكم [ن: ذلكم] خير لكم إن كنتم تعلمون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٩و.
[٤] ر ث م - لكم.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن ث: من قبلكم.
[٧] ن: رسلكم، مشطوب، رسلهم، صح هـ.

بعد انتساب كلّ فريق منهم إليه وادّعائه نِحلتَه[1] ومذهبه. والثاني وإن يكذبوك فيما تبلّغ إليهم من الرسالة فقد كذّب أمم من قبلك رسلهم في تبليغ الرسالة. **وما على الرسول إلا البلاغ المبين**، يبيّن لهم أنها رسالة ربّهم بالحجج والبراهين والآيات. *والله أعلم*.

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾**[١٩]

وقوله: **أولم يروا كيف يُبدِئُ الله الخلق ثم يُعيده**، إنهم قد رأوا أنْ كيف أنشأ الله الخلق في الابتداء وإن عجزوا عن الأسباب التي [بها] خلقهم ولا احتمل وُسعُهم ذلك، فعلى ذلك يعيدهم على ما أبدأهم[2] وإن عجز وسْعهم عن احتمال ذلك وإدراكِه. إذ الأعجوبة في الإعادة ليست بأكثر من الأعجوبة في البداية، بل الأعجوبة في ابتداء الإنشاء أكثر من الإعادة، لِما أن[3] الإعادة عندكم أيسر وأهون من الابتداء. فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر. **إن ذلك على الله يسير**، الابتداء والإعادة جميعًا لا يُعجزه شيء، إذ هو قادر بذاته.

**﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٢٠]

وقوله: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**، كان الأمر بالسير في الأرض والنظر ليس هو سيرًا بالأقدام فيها، ولكنْ أمر بإرسال الفِكر[4] فيما[5] فيها من الخلائق والنظر في بدء ما فيها من الخلق متقَنًا محكَمًا بالتدبير والعلم والحكمةِ بلا أسباب. ليعلموا أن التقدير في ابتداء الإنشاء والإعادة الخارج[6] عن احتمال وسْعهم وقُواهم خطأٌ؛ وأن الذي قَدّر على إنشاء الخلق وابتدائه[7] بلا سبب ولا شيء -وإنْ لم يحتمل وسعهم وبِنيتهم وقواهم ذلك، فعلى ذلك الإعادة والنشأة الأخرى وإن كانت خارجة عن احتمال وسعهم وقواهم- قادر عليها. أو أن يقال: انظروا واعتبروا أن بدء الخلق والنشأة من الحكيم[8] العالم الذاتي بلا إعادة ورجوع

---

[1] ن: ونحلته؛ م: نحته
[2] ن: على أبدأهم.
[3] ر ث م - أن.
[4] ر م: الكفر.
[5] جميع النسخ - فيم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٩ظ.
[6] جميع النسخ: بالخارج.
[7] ر م: وانتداء.
[8] ر م: من الحكم.

ليس بحكمة في العقل والحكمة جميعًا، إذ[1] في الحكمة والعقل التفريقُ بين الوليّ والعدوّ وبين الشاكر والكافر وبين المطيع والعاصي، إذ قد سوّى بينهم في الدنيا وأشركهم فيها حتى جعل للكافر ما للشاكر، وللعدوّ ما للوليّ، وللعاصي ما للمطيع.[2] فلا بدّ من الإعادة في دار يفرّق بينهم ليحرج[3] بدءُ[4] إنشائه[5] وخلقُه الخلقَ على الحكمة والتدبير والعلم لا على السفه والعبث. *والله أعلم*. وقوله:[6] **إن الله على كلّ شيء قدير**، في النشأة الأولى والآخرة، جميعًا لا يعجزه شيء، إذ هو قادر بذاته. |٥٧٥و|

﴿**يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ**﴾[٢١]

وقوله:[7] **يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء**، يحتمل هذا في الدنيا، **يعذّب من يشاء في الدنيا**، أي يمتحنه ويبتليه بالشدّة والضِيق. **ويرحم من يشاء**، أي يمتحنه[8] بالسَّعة والرَّخاء. فيكون التعذيب كناية عن الشدّة والضيق، والرحمة كناية عن السعة والرخاء. وهو كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[9] فعلى ذلك قوله: **يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تُقلَبون**، أي تُرجَعون. ويحتمل التعذيب في الآخرة والرحمة فيها، أي يعذّب من يشاء في الآخرة من كان في الدنيا أهلاً له مستوجبًا، ويرحم من يشاء من كان في الدنيا أهلاً لها مطيعًا لله.[10]

﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[٢٢]

وقوله:[11] **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء**، أي ما أنتم بمعجزين اللهَ إن كنتم في الأرض أو كنتم في السماء. أو ما أنتم بمعجزين الله في الأرض يا أهل الأرض، ولا [أنتم يا] أهلَ السماء بمعجزين الله[12] في السماء.

---

[1] ر م: إد.
[2] جميع النسخ: والوي والعدو والمطيع والعصي. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٧٦ظ.
[3] ر م: ليخرجوا.
[4] ر: بدؤا.
[5] جميع النسخ: إنشائهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٠و.
[6] ن: قوله.
[7] ن: قوله.
[8] ت: أي يمتحنه.
[9] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[10] ر م: له.
[11] ن: قوله.
[12] ر ت م – إن كنتم في الأرض أو كنتم في السماء أو ما أنتم بمعجزين الله في الأرض يا أهل الأرض ولا أهل السماء بمعجزين الله

وعلى قول[1] المعتزلة يكونون معجزين الله في الأرض على ظاهر مذهبهم، لأنهم يقولون: إن الله قد أراد إبقاء الأخيار وأهل الصلاح ثم يجيء كافر فيقتلهم قبل أجلهم الذي أراد الله إبقاءهم إلى ذلك الوقت.[2] وكذلك يقولون: أراد الله أن يَرزُقَهم الحلال وأراد أن يكون أولادهم من رُشْد ونكاح، لكنهم يطلبون الرزق من حرام ويزنون فيَخلُق أولادَهم من زنى. شاء أو أبى لا يقدر التخلّص عما يريدون هم. فأيّ إعجاز يكون أشدّ من هذا؟ فنعوذ بالله من السَّرف[3] في القول.

وقوله: **وما أنتم بمعجزين في الأرض**، هم يعلمون، أعني الكفرة، أنهم لا يعجزون الله ولا يقدرون على إعجازه، لكنه يذكر [هذا] لأنهم كانوا يعملون عمل من هو معجز فائت عن عذاب[4] الله ونقمته، وهو كقوله: وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ.[5] هم[6] يعلمون أنهم لا يقدرون أن يَسعوا في آياته معاجزين لكنهم يسعون في دفع آياته[7] والإنكار لها سعيَ معاجز لها لا سعي خاضع قابل، فعلى ذلك الأول.

وقوله:[8] **وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير**، أي ما لكم من دون الله مما طَمَعتم من النصر لكم والشفاعة، أي[9] ليس[10] لكم ذلك، لأنهم عبدوا تلك الأصنام لِما طمَعوا شفاعتها عند الله لهم والزلفى حيث قال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا؛[11] وقوله:[12] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ؛[13] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[14] ونحوه. فيقول: ما لكم مما طمعتم بعبادتكم تلك الأصنام من وليّ ولا نصير.

---

[1] ن – قول.

[2] جميع النسخ: إلى وقت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٠و.

[3] ن + من.

[4] ن: من عذاب.

[5] سورة الحج، ٢٢/٥١؛ وسورة سبأ، ٣٤/٥.

[6] ن – هم.

[7] ث + معاجزين لكنهم، مشطوب.

[8] ن: قوله.

[9] ر م – أي.

[10] ر م: وليس.

[11] سورة مريم، ١٩/٨١–٨٢.

[12] جميع النسخ: وقولهم.

[13] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[14] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٣]

وقوله:[١] **والذين كفروا بآيات الله ولقائه.** قوله: **كفروا بآيات الله،** يحتمل آياتُ الله[٢] الآياتِ التي جاءت بها الرسل في إثبات الرسالة لهم. ويحتمل آياته الآياتِ التي جعلها لوحدانيّته وألوهيّته ولقائه. أي كفروا بالبعث. وقد ذكرنا فيما تقدم وجهَ تسميته[٣] البعثَ لقاءه.[٤] وقال: الحسن آيات الله دين الله، وكذلك يقول: كلّ "آية" في القرآن [هي بمعنى] الدين.[٥]

وقوله: **أولئك يئسوا من رحمتي،** قال بعض أهل التأويل: **من رحمتي،** أي من جنّتي. وتأويل هذا أنهم[٦] قد كفروا بالبعث فإذا كفروا به زعموا أن لا ثوابَ ولا جزاء. وجائز أن يكون قوله: **من رحمتي،** أي من رُسلي وكُتبي، لأن الله سمّى رسله وكتبه رحمة في غير آي من القرآن.[٧] أيِسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم، أيسوا أن يُرسِل الرسل أو يُنزل الكتب. ويحتمل قوله: **أولئك يئسوا من رحمتي،** أي أولئك عليهم الإياس من رحمتي، لما كفروا بآياته ورسله. **وأولئك لهم عذاب أليم.**

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٤]

وقوله:[٨] **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه،** قوله: **فما كان جواب قومه** إلا كذا، ليس في جميع الأوقات وجميع المشاهد، ولكن جائز أن يكون هذا: ما كان جوابَ قومه في مشهد[٩] إلا كذا. أو أن يكون: **فما كان جوابَ قومه،** أي ما كان آخِرُ جواب قومه،[١٠]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ث - يحتمل آيات الله.
[٣] ر م: تسمية.
[٤] انظر تفسير الآية ١١ من سورة هود.
[٥] هكذا يقول الإمام في تفسير الآية ٤١ من سورة البقرة: «قال الحسن: الآيات في جميع القرآن هي الدين». ويكرر هذا القول في تفسير الآية ٢٧ وفي تفسير الآية ٣٩ من سورة الأنعام. وينقل فخر الدين الرازي تفسير الحسن البصري كلمة "الآيات" بالدين في تفسير الآية ٤٥ من سورة المؤمنون (*مفاتيح الغيب*، ٨٩/٢٣) وكذا أبو حيان الأندلسي (*البحر المحيط*، ٣٧٦/٦). ولكن لم نعثر في المراجع على قول الحسن البصري بأن الآيات في جميع القرآن هي بمعنى الدين.
[٦] جميع النسخ: لأنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧و.
[٧] انظر لمحمد عليه السلام: سورة التوبة، ٦١/٩؛ وسورة الأنبياء، ١٠٧/٢١؛ وانظر للتوراة: سورة الأنعام، ١٥٤/٦؛ وسورة الأعراف، ١٥٤/٧؛ وسورة القصص، ٤٣/٢٨؛ وانظر للقرآن الكريم: سورة الأنعام، ١٥٧/٦؛ وسورة الأعراف، ٥٢/٧، ٢٠٣؛ وسورة يونس، ٥٧/١٠؛ وسورة النحل، ٦٤/١٦، ٨٩؛ وسورة الإسراء، ٨٢/١٧ وغيرها.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر: في شهد.
[١٠] ر م - أي ما كان آخر جواب قومه.

**إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه**. وإلا لم يحتمل أن لا يكون منهم إلا ما ذكر من الجواب، [بل] قد كان جواباتٌ وأجوبة سواه، لكن يحتمل ما ذكرنا أنْ ما كان جوابُ قومه في مشهد[1] إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرّقوه، أو ما كان آخر جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرّقوه. وهو ما ذكرنا في قوله: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ،[2] لا يحتمل أنْ لم يكن منهم إلا هذا ولكن ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله:[3] **فأنجاه الله من النار**، حين ألقوه فيها. **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، ذَكر "الآيات" في ذلك، فجائز أن يكون ما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها الآيات[4] لِمن ذَكر، وجائز أن يكون فيما ذُكر خاصّة.[5] لكن ليس من شيء إلا وفيه آيات من وجوه: آية الوحدانيّة وآية الألوهيّة وآية عِمه وحكمته وتدبيره وبعثه، فهي[6] آيات. وقوله:[7] **لقوم يؤمنون**، ذِكْر الآيات للمؤمنين يحتمل وجهين. أحدهما ذَكَر الآيات لهم لأنهم هم المنتفعون بها دون من كفر. والثاني [هي] الآيات لهم على المكذّبين بها والكافرين، أي حججًا[8] لهم عليهم، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[9] *والله أعلم*.

[٥٧٥ظ] وقوله: / **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا** كذا، هو صلة قصّة إبراهيم وإليه يرجع، وهو ما تقدّم من دعائه إياهم حيث قال: وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ،[10] الآية.

**﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٢٥]**

وقوله: **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا**، يقول -والله أعلم-: ما اتخذتم من دون الله معبودًا وسميتموها آلهة فهي ليست بآلهة ولا معبودٍ إنما هي أوثان. **مَوَدَّةَ بينكم في الحياة الدنيا**،

---

[1] ر: في شهد.
[2] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.
[3] ن: قوله.
[4] ر ث م: لآيات.
[5] وعبارة الشرح هكذا: «ذكر الآيات هاهنا وأضافها إلى المؤمنين فيحتمل أن يكون فيما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها لآيات للمؤمنين. ويحتمل أن يكون فيما ذكر خاصة لاسم المؤمنين» (٥٧٧و).
[6] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٧٧و.
[7] ن: قوله.
[8] جميع النسخ: حجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[10] الآية ١٦ من هذه السورة.

يقول -والله أعلم-: اتخادكم هذه الأصنام معبودًا واجتماعكم عيها إنما هي[1] مودّة [ال]حياة الدنيا لا مودّةُ لها عاقبة أو [مودّةٌ] تدوم، بل تصير في العاقبة عداوة وبغضًا وهو ما ذكر: **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا**. قال بعضهم: يتبرأ بعضهم[2] من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا، كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ.[3] وقال بعضهم: يتبرأ المتبوع من الأتباع، كقوله: رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[4] وقوله: [كَلَّا] سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[5] ونحوه. ثم أخبر أن مأوى الكلّ النارُ وما لهم من ناصر[6] ينصرهم من عذاب الله أو يدفع عنهم العذاب.

ثم اختلف في قوله: **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودّةَ بينكم**، قال بعضهم: هذا قول إبراهيم لقومه، كقوله: أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]،[7] وكقوله: هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ.[8] وقال بعضهم: هذا قول رسول الله لقومه. وجائز أن يكون هذا قول كلّ رسول[9] لقومه[10] الذين عبدوا الأصنام. ***والله أعلم***.

**﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٦]**

وقوله: **فآمن له لوط**، قوله: **فآمن له لوط**، يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **فآمن له لوط**، أي أظهَرَ له لوط الإيمانَ مِن بين غيرهم. وقد كان لوط مؤمنًا من قبلُ ليس أنه أحدَثَ له الإيمانَ في ذلك الوقت ولم يكن مؤمنًا قبل ذلك، ولكن ما ذكرنا أنه أظهر له الإيمان من بين غيرهم. والثاني **فآمن له لوط**، فيما دعاه إليه وهو الهجرة، أي صدّقه[11] فيما أخبر أنه أُمر بالهجرة فاستصحبه فيها.

---

[1] ت: هو.
[2] ن ت: بعض.
[3] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[4] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).
[5] سورة مريم، ٨٢/١٩.
[6] ن: ناصرين، مشطوب، ناصر، صح هـ.
[7] سورة الصافات، ٩٥/٣٧-٩٦.
[8] ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ (سورة الشعراء، ٩٢/٢٦-٩٣).
[9] ر - الله لقومه وجائز أن يكون هذا قول كل رسول.
[10] م: وجائز أن يكون هذا قول كل رسول لقومه.
[11] ر م - صدقه.

وقوله: **إني مهاجر إلى ربّي،** قال أهل التأويل: هذا قول إبراهيم، كقوله: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي.[1] وجائز أن يكون قوله: **إني مهاجر إلى ربي،** قولَ لوط. ثم لم يفهم من قوله: **إني مهاجر إلى ربي،** وقوله: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي، انتقالُه إليه[2] أو المكان أو شيءٌ مما يوجب التشبيه مما يُفهَم من الخلق. فكيف فُهِم من قوله: هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ،[3] وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[4] واستوى،[5] وأمثاله مما يُفهَم من مجيء الخلق وإتيانهم[6] واستوائهم؟ إذ لا فرق بين مجيء آخر إليه وبين مجيئه إلى آخر، هذا في الشاهد سواء. فكيف فُهِم في الغائب في أحدهما ما[7] لم يُفهم من الآخر وهما سِيّانِ في الشاهد. فدلّ أنه لا يجوز أن يفهم منه في شيء من ذلك مما[8] يفهم من الخلق، إذ أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[9]

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٧]**

وقوله: **ووهبنا له،** يعني لإبراهيم. **إسحاق ويعقوب.** ذَكَر أنه وهب له إسحاق ويعقوب لِيُعلَم أن الولد هبة الله وكذلك ولدُ الولد لأن يعقوب كان ولدَ ولده حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ،[10] فكلّهم هبة الله إياه [حيث] قال: يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ.[11]

---

[1] ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ (سورة الصافات، ٩٩/٣٧).

[2] ر م – إليه.

[3] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكةُ وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢١٠/٢).

[4] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).

[5] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢)؛ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (سورة طه، ٥/٢٠). وانظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «استوى».

[6] جميع النسخ: وإتيانه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧و.

[7] ر: مما.

[8] ر ش م: ما.

[9] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[10] ﴿وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).

[11] سورة الشورى، ٤٩/٤٢.

وقوله:[1] **وجعلنا في ذريته النبوّة والكتاب**، لم تَزَل النبوّة في ذريّة إبراهيم من لدنه إلى هذا الوقت؛ كان جميع أنبياء بني إسرائيل من ولد إسحاق، ونبيّنا محمد صلوات الله عليه[2] كان من ولد إسماعيل عليه السلام.[3]

وقوله: **وآتيناه أجره في الدنيا**، اختلف في الأجر الذي أخبر أنه آتاه إبراهيمَ في الدنيا. قال بعضهم: هو ما وهب له من الولد في الكِبَر. وقال بعضهم: هو ما سخّر له الألسُنَ بأجمعها على الثناء الحسَن عليه، حيث نسب جميع أهل الأديان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم [إليه]، فهم[4] على دينه وسنّته وسيرته وتَوَلّى كلٌّ به. وجائز أن يكون قوله: **وآتيناه أجره في الدنيا**، ما أخبر أنه آتى جميع المؤمنين وأعطاهم، وهو ما قال: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ،[5] وما ذَكَر من ثواب الدنيا. فما من مؤمن إلا وقد آتاه الله في الدنيا أجرًا[6] وثوابًا فذلك الذي آتى إبراهيم. أو لا نفسّر ما ذلك الأجر الذي ذكر أنه آتاه.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **وإنه في الآخرة لمن الصالحين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لو لم يكرمه الله بالنبوّة والرسالة لكان هو أيضًا في الآخرة من الصالحين. والثاني ذَكَر الصلاح له لحقيقة صلاحه، أي يكون هو ممن حقّق الصلاح. وكذلك ما ذكر في موسى وهارون حيث قال: إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ،[8] أي من عبادنا الذين حقّقوا الإيمانَ وغيرهم من المؤمنين لم يحقّقوا. أو أن يكون ما ذكرنا، أي لو لم يكن الإكرام الذي أكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين أيضًا. وإلا ليس في ذكر الإيمان والصلاح لهم كبير منقبة وفضيلة عند الناس، إذ يسمّى بهذين كل مؤمن ومصلح. *والله أعلم*.

---

[1] ن: قوله.

[2] ن – صلوات الله عليه.

[3] ن – عليه السلام.

[4] جميع النسخ: أنهم.

[5] ﴿قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ وأرض الله واسعة إنما يُوَفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ (سورة الزمر، ٣٩/١٠).

[6] ث: أجرا في الدنيا.

[7] جميع النسخ + لله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٢ظ.

[8] سورة الصافات، ٣٧/١٢٢.

وعن ابن عباس في قوله: **وآتيناه أجره في الدنيا**، قال: عمَلَه الدي[1] حوزي[2] به[3] في الآخرة. وقتادة يقول:[4] آتاه الله عافية وعملاً صالحًا وثناءً حسنًا.[5] وقال: فلستَ تلقى أحدًا من أهل المِلَل إلا [و]يرضى بإبراهيم ويتولّاه. وقد ذكرنا نحن أنا لا ندري أنه ما أراد بالأجر الذي ذكر أنه [٥٧٦و] آتى إبراهيم.[6] والله أعلم / بذلك. وقال بعضهم ما ذكرنا أنه أُعطِي الولدَ الطيب في كِبَرِ سنّه.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٢٨]

وقوله:[7] **ولوطًا إذ قال لقومه**، كأنه يقول –والله أعلم–: اذكرْ لوطًا إذ قال لقومه. ثم ذِكره إيّاه يخرج على وجهين. أحدهما أنْ اذكُر نبأً لوط وخبره ليكون لك آية على رسالتك ونبوّتك، إذ يعلمون أنك لم تشاهده ولا شهدتَ زمنه، فأخبرت على ما في كتبهم ليعرفوا أنك إنما عرفت ذلك بالله.

والثاني اذكُره أنْ كيف صبر على أذى قومه وكيف عامَل قومَه مع سوء صنيعهم من ارتكاب الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم إياه. فاصبر أنت على أذى[8] قومك وسوء معاملتهم إياك. هذا –والله أعلم– يشبه أن يكون معنى ذكر لوط إيّاه. وعلى هذا يخرج قوله: وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ،[9] أي اذكر إبراهيم ونبأه أنْ كيف عامل قومه وماذا قال لهم وكيف[10] صبر على أذاهم؟ فعامِلْ أنت قومك مثله واصبر على أذاهم كما صبر أولئك. *والله أعلم*.

وقوله: **إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، قال لهم: ما سبقكم بها من أحد من العالمين،[11] ثم لم يتهيأ لهم أن يعارضوه[12] لقوله: ما سبقكم بها من أحد من العالمين

---

[1] جميع النسخ: ما.
[2] جميع النسخ: جزي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧ط.
[3] ر م – به.
[4] ن: قال؛ ث: وقال قتادة.
[5] *تفسير القرطبي*، ١٦/٣٥٧.
[6] ر ث م – ويتولاه وقد ذكرنا نحن أنا لا ندري أنه ما أراد بالأجر الذي ذكر أنه آتى إبرهيم.
[7] ن: قوله.
[8] م – أذى.
[9] الآية ١٦ من هذه السورة.
[10] ر: فكيف.
[11] ث – قال لهم ما سبقكم بها من أحد من العالمين.
[12] ر م: يعارضوا.

[فيقولوا:][١] "بل قد كان سَبَقَنا بذلك أحد". فكان في ذلك[٢] وجهان. أحدهما أن يكون ذلك آية لرسالته وأنه إنما علم بالله أنه لم يسبقهم بها أحد مما[٣] ذكر.

والثاني أنهم يعبدون الأصنام ويرتكبون فواحش ويقولون: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وإن الله أمرنا[٤] بذلك[٥] ليُعلم أنهم كذَبة في قولهم: إن آباءنا[٦] على ذلك، حيث أخبر أنه[٧] لم يسبقهم بها من أحد. ولو كان آباؤهم على ذلك لذكروه وعارضوه. فإذ[٨] لم يفعلوا ولم يشتغلوا بشيء من ذلك عُلم[٩] أنهم كذَبة فيما يقولون. ***والله أعلم.***

**﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٩] ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٠]**

وقوله:[١٠] **أإنكم لتأتون الرجال**، وهو ما ذكر: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ.[١١] وقوله: **وتقطعون السبيل**، قال[١٢] بعضهم: أي تعترضون الطريق لمن مرّ بكم لعملكم الخبيث، لأنه ذُكر أنهم إنما كانوا يعملون ذلك بالغُرَباء. وقال بعضهم: **وتقطعون السبيل**، أي تقطعون السبيل على الناس، مِن قطْع الطريق. **وتأتون في ناديكم المنكر**، أي وتعملون في مجلسكم المنكر. اختلف في هذا، قال بعضهم: أي تعملون في مجلسكم اللواطة أيضًا. وقال بعضهم: [هو][١٣] حَذْفٌ بالحصى ورمْي بالبُنْدُق وأمثاله. لكنه يخبر عن سوء صنيعهم في كلّ حال وكلّ وقت،

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٧٧ظ.
[٢] م – في ذلك.
[٣] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٣و.
[٤] جميع النسخ: أمرهم.
[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٦] جميع النسخ: آباءهم.
[٧] ر ع: أنهم.
[٨] م: فإذا.
[٩] جميع النسخ: ليعلم. والتصحيح من المرجع السابق..
[١٠] ن: فقوله.
[١١] ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (سورة الشعراء، ١٦٥/٢٦-١٦٦).
[١٢] ر: وقال.
[١٣] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٧٧ظ.

يقول: إنكم تعملون الفواحش[1] والمناكير في كلّ حال: في الطريق وفي المجلس وفي المنزل.
[٥٧٦ظ س٢ ما سبقكم بذلك[2] كلِّه[3] من أحد من العالمين. **والله أعلم**. *وقوله: **وتأتون في ناديكم المنكر**،
روي عن أم هانِئٍ[4] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله: **وتأتون في ناديكم المنكر**،
قال: «كانوا[5] يَخْذِفُون أهل الأرض ويَسخرون منهم».[6] فإن ثبت هذا كان تفسيرًا له لا يحتاج
إلى غيره. والنادي، قال أبو عَوْسَجة: المجلس، وأندية جماعة. وكذلك قال القُتَبي.[7] قال أبو معاذ:
النَّدِيّ والنادي لغتان، فجمع[8] النادي أَنْدِيَة وجمع[9] النَّدِيّ نُدِيّ ونِدِيّ، كقراءة بعض الناس
٥٧٦ظ س٧] في سورة مريم: وَأَحْسَنُ نِدِيًّا،[10] أي مجالس. وقراءة العامة: نَدِيًّا، مجلسًا. **والله أعلم**.*

ثم قال: **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله**، وقال في موضع آخر: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[12] وقال في موضع آخر: [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ] لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ.[13] هذه الآيات في الظاهر بعضها مخالف لبعض، لأنه يقول في بعضها: **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله**، وفي بعضها: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[14] و فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[15] فهو يخرج على وجوه. أحدها أن يكون قوله: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ، و أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ،

---

[1] ن ث م: بالفواحش.
[2] ث: بها.
[3] ث – كله.
[4] ر ث م: أمهاني.
[5] ن: كان.
[6] سنن الترمذي، التفسير، ٢/٢٩، وانظر: تفسير الطبري، ١٨/٣٨٩–٣٩٠؛ وتفسير القرطبي، ١٦/٣٥٨. قال مجد الدين ابن الأثير: «الخَذْف: رَمْيك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي بها، أو تتخذ مِخْذَفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة» (النهاية لابن الأثير، «خذف»).
[7] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٨.
[8] ن ث: فجميع.
[9] ن: وجميع.
[10] سورة مريم، ١٩/٧٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية. فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٦ظ/سطر ٢–٧.
[12] سورة الأعراف، ٧/٨٢.
[13] سورة الشعراء، ٢٦/١٦٧.
[14] ن – من قريتكم. والآيه تقدمت قريبا.
[15] سورة النمل، ٢٧/٥٦.

إنما ذلك فيما بينهم يقول بعضهم لبعض: أخرجوهم. وقوله: **إئْتِنا بعذاب الله**، إنما قالوا ذلك لِلُوط. فإذا كان كذلك فليس في الظاهر فيه[1] خلاف.

والثاني فما كان جواب قومه في مشهد وفي وقت إلا كذا. وقد كان منهم له أجوبة أُخَر سواها في غير ذلك المشهد وغير ذلك[2] الوقت. أو أن يكون قوله: فما كان آخِر جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين بنزول العذاب علينا. إنما قالوا ذلك له استهزاء وتكذيبًا. ثم دعا لوط ربّه فقال: **رب انصرني على القوم المفسدين**، فأجيب.

**﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[٣١] **﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**[٣٢]

وقوله:[3] **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**، يحتمل البشرى البِشارة[4] بالولد في كِبَر سنه وسنّ زوجته ما لم يُطمَع من أمثالهما الولدُ إذا بلغوا ذلك الوقت، وهو ما ذكر: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[5] ويحتمل غيره. **قالوا إنا مهلكو أهلِ هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين**، وقال في آية أخرى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ،[6] ولم يَذكر[7] فيه بِمَ أُرسلوا؟ وبيّن في هذا.

ثم قال إبراهيم: **إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلا امرأته**، ففي الآية الدليل من وجهين. أحدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه الخصوص، لأن الملائكة قالوا عامًّا: **إنا مهلكو أهل هذه القرية**، ولم يكن الأمر بإهلاك كل أهل[8] القرية، ثم استثنوا لوطًا وأهله بعد ما قال إبراهيم: **إن فيها لوطًا**، حيث قالوا: **نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله**.

---

[1] ن – فيه.

[2] ر م: وفي دنث.

[3] ن: قوله.

[4] جميع النسخ: بشارة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.

[5] ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).

[6] ﴿فلما رأى أيديَهم لا تصل إليه نَكِرَهم وأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ (سورة هود، ٧٠/١١).

[7] جميع النسخ: ولم يذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.

[8] ن – أهل.

[٥٧٦ظ] والثاني فيه جواز تأخير البيان حيث لم يبيّنوا إلا بعد سؤال إبراهيم / إيّاهم.[١] وفيه وجه آخر في امتحان الملائكة بمختلف[٢] الأشياء لأن هؤلاء أمروا بالبِشارة وأُمروا بإهلاك قوم لوط ليُعلم أنهم يُمتَحنون بمختلِف الأشياء. **والله أعلم**.*

**﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**[٣٣]

وقوله:[٤] **ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم**، ظاهر هذا أنه سيء[٥] بالفعل الواقع[٦] بهم، وإنما[٧] ساء[٨] ظنُّه أنهم يفعلون بهم لما يَعلَم من قومه[٩] الخبيثَ من العمل. **وضاق بهم ذَرْعًا**، هذه كلمة[١٠] تَتَكلّم بها العرب عند انقطاع جميع الحِيَل.[١١] فلوط إنما قال ذلك لِما لم يرَ لنفسه[١٢] حيلة[١٣] يدفع بها شرّهم وما قصدوا بهم. ألا يرى أنه قال في آية أخرى: [قَالَ] لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ.[١٤] **وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك**. هذا يدلّ على أنهم قد قصدوهم ولوطًا بالهلاك. ألا ترى[١٥] أنه قال في آية أخرى: لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ،[١٦] دلّ هذا أنهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا: **إنا منجوك وأهلك**. وإنهم إنما أرادوا بالإخراج بقولهم: لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[١٧] إخراج قتل، إذ لو كان إخراجًا من القرية لا بقتل لكان لا يكون له النجاة منهم والأمن. **والله أعلم**.

---

[١] ن – لتنجينه وأهله والثاني فيه جواز تأخير لبيان حيث لم يبيوا إلا بعد سؤال إبراهيم إياهم، صح هـ.
[٢] م: تختلف.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٧٦ظ/سطر٢-٧.
[٤] ن: قوله.
[٥] جميع النسخ + بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.
[٦] جميع لنسخ: بالواقع من الفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث م: ساءه.
[٩] جميع النسخ: قوم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: كلمات، صح هـ: كلمة.
[١١] ن: الخيل.
[١٢] ر م: نفسه.
[١٣] ر م – حيلة.
[١٤] سورة هود، ٨٠/١١.
[١٥] ن: يرى.
[١٦] سورة هود، ٨١/١١
[١٧] جميع النسخ: بلك من المخرجين. ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ (سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦).

وقوله: **إلا امرأتك كانت من الغابرين**، وفي بعض الآيات: إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ.[١] والغُبور فِعلها. ثم أخبر أنه قدّر ذلك، دلّ أن أفعال العباد مخلوقة لله مقدَّرة له. ***والله أعلم.***

[٥٧٧و س٢٢ * قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **سِيءَ بهم**، أي اغتمّ من ذلك، يقال: سِئت بفلان، أُساءُ سَوْءًا فأنا مَسُوء.*
٥٧٧و س٢٢]

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٣٤]

وقوله:[٣] **إنا منزلون على أهل هذه القرية رِجْزًا من السماء**، أي عذابًا. والرجز[٤] اسم كلّ عذاب فيه شدّة. ألا ترى[٥] أنه قال في آية أخرى: هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ،[٦] أي شديد. ثم ذكر أنه ينزل من السماء، فإن ثبت ما ذُكر أن جبريل أدخل أحد[٧] جناحيه تحت الأرض فرفع بها قَرْياتِ لوط إلى السماء حتى سمع أهل السماء صِياحهم وضَجّتهم ثم أرسلها، فهو نزول العذاب من السماء.[٨] أو[٩] أن يكون[١٠] قوله: حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ،[١١] أن السجيل لو كان مكانًا منه ينزل فهو في السماء، على ما يقول بعض الناس أنه مكان. وقال بعضهم: هو اسم ذلك الحجر. ***والله أعلم.***

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٥]

وقوله: **ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون**، آية بيّنة لمن عقل وعرف السبب الذي أهلك قَرْياتِ لوط، كقوله: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[١٢] لماذا أُهلكوا،[١٣] أي تعقلون. هذه الأنباء والقِصص [قد] ذكرها الله[١٤] تعالى في القرآن الكريم وكرّرها وأعادها مرّة بعد مرّة،

---

[١] سورة الحجر، ١٥/٦٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٧و/سطر٢٢.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: والرجس.
[٥] ن: يرى.
[٦] ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سِيء بهم وضاق بهم ذَرْعًا وقال هذا يوم عصيب﴾ (سورة هود، ١١/٧٧).
[٧] جميع النسخ: إحدى.
[٨] *تفسير الطبري*، ١٢/٥١٥-٥١٨، ٥٣٣-٥٣٧؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٦/٢٠٦٧-٢٠٦٨.
[٩] ر ث م: و.
[١٠] ر م - يكون.
[١١] انظر: تفسير الآية ٨٢ من سورة هود، ففيه تفسير السجيل وبعض مصادر المسألة (*تأويلات القرآن*، ٧/٢١٥).
[١٢] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.
[١٣] ن: يهلكوا.
[١٤] ر م - الله.

لأن الأنباء والقِصص إنما تُذكر[1] للحِجاج على الكفَرة فتُكرَّر وتُعاد لِيَحتجّ بها عليهم مَن بَعُد منهم ومن قرب، إذ لعلّه لا يصل إليهم جميع القرآن فمقدار ما يصل إليهم يكون فيه ما يحتج عليهم.[2] وأما الأحكام فإنما هي لأهل الإسلام خاصّة فهم يطلبون ما عليهم من الأحكام فلا يقع الحاجة إلى التكرار والإعادة. ثم الكفرة كانوا[3] على أصناف ثلاثة. منها أهل العناد والمكابرة، وأهل شكّ وحيرة، وأهل استرشاد. ومن كان همته الاسترشاد يؤمن بها بالبداهة[4] وفي أوّل ما وقع في مسامعهم فلا يقع الحاجة إلى التكرار والإعادة. وأما أهل العناد والمكابرة فإنها تُكرّر عليهم لعلّها تَنْجَعُ فيهم فيؤمنون بها.[5] وهذه[6] الآيات كانت آياتٍ وحُجَجًا لتوحيد والبعث وإثبات الرسالة.[7] وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء إلى التوحيد وإلى الإقرار بالبعث والإيمان به وإلى الإيمان بالرسل.

**﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[٣٦] **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**[٣٧]

فشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث في قوله: **يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين**، دعاهم إلى التوحيد بقوله: **اعبدوا الله**، وفيه نهي عن عبادة مَن دونه. ودعاهم إلى الإيمان بالبعث بقوله: **وارجوا اليوم الآخر**، أي خافوا عذاب ذلك اليوم. ونهى عن[8] جميع المعاصي بقوله: **ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فكذّبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قد ذكرنا هذا.[9] وقوله:[10] **وإلى مدين أخاهم شعيبًا**، أي أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا. ومدين، قال بعضهم: اسم رجل نسب إليه. وقال بعضهم: اسم موضع، وقد ذكرنا فيما تقدم.

---

[1] ن: يذكر.

[2] ر ث م – من بعد منهم ومن قرب إذ لعله لا يصل إليهم جميع القرآن فمقدار ما يصل إليهم يكون فيه ما يحتج عليهم.

[3] ن – كانوا.

[4] ن ث: بالبديهة.

[5] ن: ويؤمنون منها.

[6] ر: فهذه.

[7] ر ث م: والبعث والرسالة.

[8] ن – عبادة من دونه ودعاهم إلى الإيمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الآخر أي خافوا عذاب ذلك اليوم ونهى عن.

[9] انظر: تفسير الآية ٧٨ و ٩١ من سورة الأعراف.

[10] ن: قوله.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[٣٨]

وقوله:[١] **وعادًا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم**، إن الرسل صلوات الله عليهم قد خوّفوا الكفَرة بعذاب ينزل بهم في الآخرة بتكذيبهم إياهم وعنادهم، فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه، حتى أوعدوهم بعذاب ينزل بهم في الدنيا فلم ينجع ذلك ولم يمتنعوا عن ذلك، حتى أوعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من آثار من قد أهلكهم [الله] بتكذيبهم الرسل وردّهم إجابتهم وهو / ما قال: **وعادًا وثمود**،[٢] أي أهلكنا عادًا وثمود.[٣] **وقد تبيّن لكم من مساكنهم**، أي قد تبيّن لكم من مساكنهم[٤] ما تعرفون أنهم إنما أُهلكوا بالذي أنتم عليه وهو التكذيب والرد بأخبارٍ تصدّقونها وبآثار تشاهدونها، وهو كما قال: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.[٥] ***والله أعلم***. [٥٧٧و]

وقوله:[٦] **وزَيّن لهم الشطانُ أعمالهم فصدّهم عن السبيل**، أي زين لهم الشيطان أعمالهم كما زيّن لكم. **فصدّهم عن السبيل** كما صدّكم. **وكانوا مستبصرين**، اختلف فيه قال بعضهم: أي كانوا يحسبون أنهم على هدى وحق. وقال بعضهم: **كانوا مستبصرين**، أي كانوا عالمين بأن العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا من آثار مَن تقدّمهم وعلموا[٧] أنهم[٨] إنما أُهلكوا بالذي هم عليه، لكنهم عاندوا. وقال بعضهم: **وكانوا مستبصرين**، أي هالكين في الضلالة. وقال بعضهم: **وكانوا مستبصرين**، أي كانوا بُصَراء علماء في أنفسهم يعرفون الحق من الباطل، ليس كغيرهم من الأمم. ألا يرى أنهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والآية على ما يَدْعون إليه حيث قالوا: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[٩] وقال قوم صالح: [مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا] فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[١٠] ونحوه. وقال: قتادة: **مستبصرين، أي مُعجَبين بضلالتهم**.[١١]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن ث: وثمودا.
[٣] ن ث: وثمودا.
[٤] ث - أي قد تبين لكم من مساكنهم.
[٥] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ: من تقدم وعلمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨ظ.
[٨] جميع النسخ: بأنهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٥و.
[٩] ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة هود، ١١/٥٣).
[١٠] سورة الشعراء، ٢٦/ ١٥٤.
[١١] نظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٣٩٩.

[٥٧٧و س٢٢ *وقوله:[1] جَاثِمِينَ،[2] أي لَزِقوا بالأرض. **وكانوا مستبصرين**، أي قد علموا. والمستبصر العالم.

٥٧٧و س٢٤] وقوله: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[3] أي صِيح بهم فماتوا.*

**﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾**[٣٩]

وقوله:[5] **وقارون وفرعون وهامان**، أي أهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى، فتُهلَكون أنتم يا أهلَ مكّة بتكذيبكم محمدًا. وقوله: **ولقد جاءهم موسى بالبينات**، أي كذّبوه بعد ما جاءهم موسى بالبينات على نبوّته ورسالته كما جاءكم محمد. وقوله: **فاستكبروا في الأرض**، جائز أن يكونوا استكبروا [أي] أبَوا[6] أن يخضعوا لموسى، أو استكبروا[7] في الأرض، أي سعوا في الأرض بالفساد تكبّرًا واستكبارًا. **وما كانوا سابقين**، أي فائتين عن[8] عذاب الله.

**﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[٤٠]

وقوله: **فكلًّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا**، أي الحجارة، وهم قوم لوط، وقوم هود أُهلكوا بالريح العاصف حيث قال: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[9] قال أبو معاذ: الحاصب عند العرب الريح التي فيها الزنانير وهي الصغار[10] من الحصى. **ومنهم من أخذته الصيحة**، وهم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء. **ومنهم من خسفنا به الأرض**، قارون وأصحابه. **ومنهم من أغرقنا**، قوم نوح وفرعون.

---

[1] ن: قوله.
[2] الآية السابقة.
[3] الآية السابقة.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا؛ نظر: ورقة ٥٧٧و/سطر٢٢-٢٤.
[5] ن: قوله.
[6] جميع النسخ: وأبوا.
[7] ر م: واستكبروا.
[8] ن: من.
[9] سورة الذريات، ٥١/٤١-٤٢.
[10] جميع النسخ: صغار. والتصحيح من السرح، ورقة ٥٧٨ط.

يذكر إهلاك هذه الأمم والجابرة لأهل مكّة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت عليهم بذلك الأخبار وظهرت لهم[١] الأعلام والآثار ليرتدعوا عما هم عليه ولئلاّ يعاملوا رسولهم كما عامل أولئك رسلهم فيعذّبون كما عُذِّب أولئك.

وقوله: **وما كان الله ليظلمهم**، في تعذيبه إيّاهم، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**، حيث كذّبوا الرسل وكابروا آيات الله وحججه وبراهينه وعاندوها. *والله أعلم*.*

**﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤١]**

العنكبوت[٣] هذه التي تَغزِل، وهي دُوَيبة كثيرة القوائم، وعناكب جمع.[٤] وقوله:[٥] **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا**، يشبه أن يكون ضَرَبُ مَثَلِ الذين اتخذوا من دون الله أولياء ببيت العنكبوت، هم الرؤساءُ منهم والمتبوعون، يقول -والله أعلم-: مثل اتخاذكم أولئك أولياء من دون الله وما تأمُلون وتطمعون[٦] منهم كمثل بيت العنكبوت لا ينفع ولا يُغني ما يؤمل من البيت من دفع الحرّ والبرد وغيره، فعلى ذلك اتخاذكم واتّباعكم هؤلاء أولياءَ من دون الله مِثل ما ذُكر لا ينفع ولا يغني ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم، وهو ما قال: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[٧] الآية. ظاهر ما ذكر من الأولياء أن يكون المتبوعين منهم. وجائز أن تكون[٨] الأصنامَ التي اتخذوها آلهة. ضَرَبَ مثَل عبادتهم الأصنامَ واتخاذِهم إياها آلهة ببيت العنكبوت. وذلك أن العنكبوت اتخذت البيت رجاءَ أن تنتفع[٩] به كما يُنتفع[١٠] من البيوت[١١] في دفع الحر والبرد والستر والحجاب.

---

[١] ر ث م - لهم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٣ ورقم ٣٨ فقدمناهما إلى هنالك؛ نظر: ورقة ٥٧٧و/سطر٢٢ وورقة ٥٧٧و/سطر ٢٢-٢٤.

[٣] جميع النسخ: والعنكبوت.

[٤] ن ت: جميع

[٥] ن. قوله.

[٦] ر ث م - وتطمعون.

[٧] ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

[٨] جميع النسخ: أن يكون.

[٩] م: ينفع.

[١٠] ن: تنتفع.

[١١] ر ن ث: بالبيوت.

فلما أن وقعت الحاجة إليه لم تنتفع[1] بما[2] كانت تأمُل[3] منه في شيء مما كانت تأمل. فعلى ذلك هؤلاء الذين اتخذوا الأصنام آلهة ومعبودًا رجاء أن ينفعهم ذلك يومًا. فلما أن وقعت لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم إياها واتخاذهم آلهة. بل في بيت العكبوت للعنكبوت شيء من المنفعة وليس لأولئك العبَدة بتلك الأصنام شيء مما كانوا يأملون، فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة. لكنه -والله أعلم- ضَرَب مثلها ببيت العنكبوت لِما لا[4] شيءَ أوهنَ وأضعف عند الخلق من بيتها. وهو كما[5] شبّه أعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح،[6] وبسراب بقيعة[7] لِما ليس شيءٌ أضيعُ ولا أبعد في الوجود والقدرةِ عليه في الوهم مما ذَكَر فشبّه أعمالهم به. فعلى ذلك تشبيهُ اتّخاذِ أولئك الأصنامِ آلهةً وأولياءَ من دون الله ببيت[8] العنكبوت. **والله أعلم.**

وقوله: **وإنّ أوهَن البيوت لَبيت العنكبوت**، أي أضعف وأبعد من المنفعة بيتُ[9] العنكبوت.

[٥٧٧ظ] / فعلى ذلك عبادتهم الأصنام واتخاذهم إياها معبودًا أوْهنُ وأبعد مما يأملون. **لو كانوا يعلمون**، أي إن كانوا يعلمون[10] ضَعْفها وعجزها. **والله أعلم.**

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤٢]

وقوله: **إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء**، يقول[11] -والله أعلم-: إن الله لم يزَل عالمًا بما يكون منهم من اتخاذهم الأصنام[12] معبودًا وإنه عن علم أنشأهم كذلك،[13]

---

[1] جميع النسخ: لم ينتفع.
[2] جميع النسخ: مما.
[3] جميع النسخ: كان يأمل.
[4] ن - لا.
[5] جميع النسخ: ما.
[6] يشير إلى قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٨).
[7] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٩).
[8] ث: بيت.
[9] ن: ست.
[10] ث: يعملون.
[11] ر ث م - يقول.
[12] ت + آلهة.
[13] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦و.

لا عن غفلة وسهو، لكن أنشأهم لمنافع أنفسهم ولحاجة لهم لا لحاجة ومنفعة له في إنشائه إياهم،[1] وهو ما قال: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.[2]

وقال هاهنا: **وهو العزيز الحكيم. العزيز**، قيل: إنه المنيع، وقيل: إنه الذي يَذِلّ كلُّ شيء دونه. لكن العزيز عندنا هو الذي لا يعلو[3] سلطانَه شيءٌ ولا يقهَر ملكَه شيء، ويعلو سلطانُه وإرادته على جميع[4] الأشياء ويقهرها. و**الحكيم**، قيل: الذي له الحكم، وقيل: هو المصيب، وقيل: هو لذي يضع كل شيء موضعه. والحكيم عندنا هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. ***والله أعلم.***

**﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤٣]**

وقوله: **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**، فإن قيل: ذكر أنه لا يعقلها إلا العالمون، والعقل يسبِق العلمَ بالشيء، إذ بالعقل يُعلم ما يُعلَم، فكيف ذَكَر أنه لا يعقل[5] إلا العالمون ولم يقل: وما يعلمها إلا العاقلون؟

فهو -والله أعلم- لوجوه. أحدها أن الأمثال إنما تُضرَب لتقريب ما يَبْعُد عن الأوهام ولكشفِ[6] ما استتر من الأشياء على الأفهام ولتجلِيَتِها[7] عما خفيت، فلا يَعقِل[8] الأمثالَ أنها لماذا ضُربت وفيم ضربت[9] إلا العالم.

والثاني أن العقول تعرف أسباب الأشياء ودلائلها. فأما أن تعرف حقائق الأشياء وأنفسها فلا،[10] من نحو المسالك والطرق إلى البلدان تَعرف مسالكها وطرقَها التي بها يوصل إليها، فأما أعيُنَها فلا. وكذا المراقي التي بها يُعلى[11] ويُرتفع، فأما عينَ العلوّ فلا. وأما العلم فإنه به[12] يوصَل إلى معرفة حقائق الأشياء وأنفسها وصورها، لذلك كان ما ذكر.

---

[1] جميع النسخ: إياها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦و.
[2] سورة العنكبوت، ٦/٢٩.
[3] ر: يعلوا.
[4] ن - جميع.
[5] ث: يعقلها.
[6] م: و لكشف.
[7] جميع النسخ: وتحليها.
[8] ن: فلا تعقل.
[9] ر ث م - وفيم ضربت.
[10] ر: فلأن.
[11] ر م: يعلو؛ ن ث: يعلا.
[12] ر م - به.

والثالث أن يكون قوله: **وما يعقِلها**، أي وما ينتفع بما ذكر، **إلا العالمون**، وهو كما قال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[1] نفى عنهم هذه الحواسّ وإنْ كانت لهم أنفُسُ تلك الحواسّ لِما لم يستعملوها[2] فيما جعلت وأُنشئت ولم ينتفعوا بها فنفى عنهم تلك. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وما يعقلها إلا العالمون**، أي ما ينتفع بما يعقل إلا العالم، فأما من لم ينتفع فلا يعلم.[3] ***والله أعلم***.

**﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٤]**

وقوله: **خلق الله السماوات والأرض بالحق**، يحتمل قوله: **بالحق**،[4] أي لعاقبة[5] وهو البعث، لأنه لم يخلقهما لأنفسهما. وكذلك لم يخلق الدنيا للدنيا ولكن إنما خلقها للآخرة، إذ بالآخرة يصير خلقها حكمة وحقًّا، لأنه[6] لو لم يكن خلقها لعاقبة كان خلقها عبثًا باطلاً وهو ما قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[7] لا [يوجد] كافر يظنّ أنه خلقهما باطلاً، ولكن لَمّا تركوا الإيمان بالبعث وأنكروا البعث كأنهم ظنوا أنه خلقهما باطلاً، إذ لولا البعث كان خلقهما باطلاً عبثًا فإنما[8] صار خلقهما حقًّا وحكمة بالبعث، فإذا أنكروا ما به صار خلقه إياهما حكمة وحقًّا فقد ظنوا الباطل بخلقهما. فنسأل[9] الله التوفيق والصواب.

ويحتمل قوله: [**بالحق**]، أي[10] خلقهما لتدلّا إلى الحق، لأنهما تدلّان على[11] وحدانيّة الله وربوبيّته وتعاليه عن الأشباه والشركاء وجميع الآفات. أو أن يكون، **بالحق**، [أي بالحق][12] الذي لله[13] عليهم أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة البقرة، ١٨/٢، ١٧١.
[2] ن: لم تستعملوها.
[3] جميع النسخ: فلا يعقل.
[4] ث − يحتمل قوله بالحق.
[5] م: العاقبة.
[6] ث: لأنها.
[7] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[8] ن: فإنهم.
[9] ر ن م: فيسأل.
[10] جميع النسخ: إن. والتصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[11] ن ث: إلى.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[13] ث − لله.

**إن في ذلك لآية للمؤمنين**، تصير[1] آية لمن أقرّ بها وآمن، إذ هو المنتفع بها.[2] فأما من أنكر وجحد وكذبها فهو آية عليه لا له. *والله أعلم*.

**﴿أُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٤٥]**

وقوله: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة**، جائز أن يكون قوله: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقِم** به **الصلاة**، أي بالكتاب الذي أوحي إليك. ويحتمل: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب** عليهم **وأقِم** بهم **الصلاة**. فالخطاب وإن كان لرسول الله فهو لكلّ أحد على ما ذكرنا في سائر المخاطبات. *والله أعلم*.

وقوله:[3] **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الامتنان. والثاني على الإلزام. فأما وجه الامتنان هو أنّ جعل لكم الصلاة لتمنعكم[4] عن الفحشاء والمنكر ما لو لم[5] يجعلها [كذلك] لكم لا شيء يمنعكم عن الفحشاء والمنكر، فيمُنُّ عليهم بجعل الصلاة لهم لِما تمنعهم[6] عما ذُكر. وأما وجه الإلزام فإنه يخرج على وجهين. أحدهما أن الصلاة لو كان موهومًا منها النطق والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر، على ما أضاف التغرير والتزيين إلى الحياة الدنيا.[7] أي لو كان هذا الذي كان من الدنيا، كان ممن[8] له التغرير [ويتحقق منه][9] كان ذلك تغريرًا. فعنى ذلك الصلاة لو كان منها حقيقة الأمر والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر.

والثاني أضيف النهي إلى الصلاة لِما بها يعرف ذلك، فقد تضاف[10] الأشياء إلى الأسباب وإن لم يكن منها حقيقةُ ما أضيف إليها، نحو ما يضاف الأمر والنهي إلى الكتاب والسنة ونحوه[11] يقال:

---

[1] جميع النسخ: صير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦ظ.
[2] ر: بهما.
[3] ن: قوله.
[4] جميع النسخ: فتمنعكم.
[5] ر - لم.
[6] جميع النسخ: يمنعهم.
[7] مثل قوله تعالى: ﴿وذَرِ الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا﴾ (سورة الأنعام، ٦/٧٠)؛ ومثل قوله: ﴿اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).
[8] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[10] جميع النسخ: يضاف.
[11] ن هـ: ونحوهما.

أمرَنا الكتاب بكذا والسنة[1] بكذا[2] ونهانا عن كذا وإن لم يكن منها أمرٌ حقيقةً ولا نهي لِما بهما يُعرف الأمر والنهي وهما سببا ذلك، فعلى ذلك جائز إضافة النهي إلى الصلاة أن يكون على هذا السبيل.

[٥٧٨و] وقوله: **ولذكر الله أكبر** اختلف فيه. قال بعضهم: ذِكر الله أكبر في العبادات / من أنفُس تلك العبادات. ووجه هذا -والله أعلم- أن العبادات إنما تكون[3] بجوارح تُغلب وتُقهر وتُستعمل[4] فلا يعرف [المرء][5] أنها[6] لله إلا بتأويل. وأما ذكر الله إنما يكون باللسان والقلب، وهما لا يُغلبان ولا يُستعملان ولا يُقهران فهو يَعرف أن ذلك لله حقيقةً فهو أكبر. وقال بعضهم: **ولذكر الله أكبر** من سائر الأذكار التي ليست لله. فهذا ليس فيه كبيرُ حكمة، لأن ذلك يعرفه كل أحد. وقال بعضهم: ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة. وقال بعضهم: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، لأن ذكره إياكم رحمة ومغفرة، وذلك مما لا يعدِله ولا يوازيه شيء، وأما العبد فإنه يذكر ربه بأدنى شيء. وقال بعضهم: ذكر الله أكبر، أي ما وفّق الله[7] العبد من ذكره إياه وطاعتِه له أكبرُ من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة.

وذكر في حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر.[8] وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم تَنهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يَزدَد بها[9] من الله[10] إلا بُعدًا ولم يزدد بها عند الله إلا مقتًا».[11] وعن سلمان الفارسي قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما[12] قال: لهذا وجهان.

[1] ر م: أو السنة.
[2] ن - والسنة بكذا.
[3] ت: يكون.
[4] جميع النسخ: ويستعمل.
[5] جميع النسخ + تلك.
[6] ر: أنهما.
[7] ن - الله.
[8] انظر حرف ابن مسعود: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٧٢.
[9] م - بها.
[10] ر: عند الله.
[11] رواه القضاعي في *مسند الشهاب* (٣٠٥/١): عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا». ورواه الطبراني في *المعجم الكبير* ٥٤/١١.
[12] ر م: عنه.

أحدهما يقول: ذكر الله أكبر مما سواه من أعمال البِرّ. والآخر يقول: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.[١] والضحاك يقول: العبد يذكر الله عندما أحلّ له وحرم عليه فيأخذ بما أحلّ له[٢] ويجتنب ما حرم عليه. وقتادة يقول: لا شيء أكبر من ذكر الله.[٣] وأصله ما ذكرنا[٤] من الوجوه التي تقدم ذكرها.[٥]

وقوله: **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**، قال بعضهم: تنهى وتمنع مادام فيها [المصلّي] لا يعمل بالفحشاء والمنكر. والثاني إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر، أي لو كانت لها النطق والأمر والنهي لكانت تنهى عما ذُكِر. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله يعلم ما تصنعون**، وعيد ليكونوا أبدًا على حذر ويَقَظة.

**﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤٦]**

وقوله: **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم**، الآية، تخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فلا تجادلوهم لا[٦] بالتي هي أحسن ولا غيره، وهم الذين لا يقبلون الحجة ولا يؤمنون إذا لزمتهم الحجة وهم أهل عناد ومكابرة، والأولون يقبلون الحجة ويؤمنون بها.

والثاني **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**، فقوله: **إلا الذين ظلموا منهم**، ليس على الثنيا من الأوّل ولكن على الابتداء، كأنه قال: **إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا**، إلى آخر ما ذكر، أي قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم، فإنكم وإن جادلتم إياهم فلا يؤمنون، وهو كقوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي.[٧] قوله: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ، ليس على الثنيا من الأول ولكن [على] ابتداءِ نَهي، أي لا تخشوهم واخشوني. فعلى ذلك يحتمل الأول مثله.

---

[١] حول آراء سلمان الفارسي وابن عباس رضي الله عنهما، انظر: *تفسير ابن كثير*، ١٠/٥١٦.
[٢] ر م - به.
[٣] حول آراء الضحاك وقتادة، انظر: *تفسير القرطبي*، ١٦/٣٦٩-٣٧٠.
[٤] ث: ذكر.
[٥] ن ث: ذكره.
[٦] جميع النسخ: إلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٦ط.
[٧] سورة البقرة، ٢/١٥٠.

والثالث جائز أن يكون قوله: **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**، إلى آخر ما ذكر هي المجادلة الحسنةَ التي أُمروا بها، لأن ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب والرسل فلا سبيل إلى ردّ ذلك. وقال بعضهم: **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**، أي جادلوا الذين يصدّقون منهم ولا يكتُمون[1] نعتَ محمد وما في كتبهم من الحق. فأما الذين تعلمون[2] أنهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم، وهو كقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.[3] والأول، كقوله تعالى:[4] تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[5] الآية. والمجادلة الحسنة هي التي جاء بها الكتاب ويُوجبها العقل.

ثم فيه دلالة جواز المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين، وكذلك في قوله تعالى:[6] وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[7] ليس كما يقول بعض الناس أنْ لا تجوزُ[8] المناظرة معهم، وذلك لجهدهم بحجج الإسلام وبراهينه: ما يَنْهَوْن عن المجادلة[9] والمناظرة معهم.[10] وقال بعضهم: من لا عهْدَ معهم فجادلهم بالسيوف، ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج. وقال بعضهم: هو منسوخ بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،[11] الآية. ومنهم من يقول: من أدّى إليكم الجزية فلا تُغلِظوا له القول وقولوا لهم قولاً حسنًا، ومن لم يؤدِ فأَغلِظوا لهم وجادلوهم[12] بالسيف. *والله أعلم*.

---

[1] ن: ولا تكتمون.

[2] ن: يعلمون.

[3] ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ٤٣/١٦).

[4] ن ث - تعالى.

[5] ﴿قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ٦٤/٣).

[6] ن - تعالى.

[7] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (سورة النحل، ١٢٥/١٦).

[8] جميع النسخ: لا يجوز.

[9] ن: المجادلة.

[10] «وفيه دلالة وجوب تعلم علم الكلام الذي به يتحقق المجادلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٩ظ).

[11] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).

[12] جميع النسخ: وجادلهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨و.

**﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[٤٧]**

وقوله: **وكذلك أنزلنا إليك الكتاب**، أي كما أخبرناك في الكتاب فقلْ لهم أو جادلهم.[١] وقوله: **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**، يخرج على وجهين. أحدهما الذين آتيناهم الكتاب، فيتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به، على ما ذُكر في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[٢] فتكون[٣] هذه الآية تفسيرًا للأولى. وأما من لم يَتلُوه[٤] حق/ تلاوته فلا يؤمنوا[٥] به. [٥٧٨ظ]
والثاني **فالذين آتيناهم الكتاب** وانتفعوا به، أي يؤمنون [هم] الذين أوتوا منافعَ الكتاب. **ومن هؤلاء من يؤمن به**، يحتمل قوله: **ومن هؤلاء**،[٦] أي من أهل مكّة من يؤمن به، وقد آمن كثير منهم. وجائز أن يكون إشارة إلى قوم كانوا بحضرته فقال: **ومن هؤلاء من يؤمن به**. ***والله أعلم***.

**وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**. قال:[٧] قتادة: لا يكون الجحود إلا بعد معرفة.[٨] وإن[٩] اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا أبناءهم[١٠] لكنهم جحدوه. وكلُّ مَن أنكر شيئًا فقد جحده، عرفه أو لم يعرفه.

**﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٤٨]**

وقوله: **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيمينك**، تأويله -والله أعلم- أي ما كنت تتلو من قبه، أي من قبل هذا الكتاب من كتاب. ولو كنت تتلو لارتاب المبطلون فيقولون: إن ما[١١] أنبأتهم من الأنباء المتقدّمة أو كلامِ الحكمة إنما تَلقَّفتَ وأخذتَ من تلك الكتب المتقدّمة

---

[١] ث: وجادلهم.
[٢] سورة البقرة، ٢/١٢١.
[٣] جميع النسخ: فيكون.
[٤] جميع لنسخ: لم يتبو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨و.
[٥] ر ن م: ولا يؤمنوا؛ ث: لا يؤمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن + من يؤمن به يحتمل قوله ومن هؤلاء.
[٧] جميع لنسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٤٢٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٣٣٨.
[٩] ر ث م: إن.
[١٠] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٦).
[١١] م: من.

أو من[1] كتب الحكماء. ولو كنت تَخُطّه بيمينك يقولون: إن ذلك من تأليفك ورَصفك.[2] لأن القرآن حجة عليهم من وجهين. أحدهما ما ذَكَر فيه من الأنباء المتقدمة المُتَرجَمَةِ بغير لسان المتقدّم ما علموا بأجمعهم أن رسول الله صلوات الله عليه كان لا يعرفها بمترجِمٍ[3] ولا شهدها هو، ثم أنبأهم على ما كان، فعلموا أنه بالله عرفها.

والثاني هو آية معجزة نظمًا ورَصْفا[4] ما يعلمون أنه ليس من نظم البشر ولا رَصفه.[5] فيقول: ما كنت تتلو من قبله كتابًا فيه تلك الأنباء والحكمة ولا تَخُطّه بيمينك فيقولون: من تأليفك أو من نظمك. فلو كنت كذلك إذًا لارتاب المبطلون بما ذكرنا على عناد منهم ومكابرة ولا يرتاب المُحِقُّون. ولو كان[6] كما ذكرنا[7] لَمَا عرفوا صدقه بأشياءَ وبآيات كانت فيه.

وقال بعضهم في قوله: **وما كنت تتلو من قبله من كتاب**، يقول: قبل القرآن. **ولا تخطّه بيمينك**، أي لا تَكتُبُه بيدك، ولو كنت تقرأ كتابًا من قبله أو كنت تكتب بيدك، **إذًا لارتاب المبطلون**، يقول: لَاتَّهموك. هذا قد ذكرناه. ولكن نقول في قوله: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ،[8] يقول: بل هو اليقين أنك لا تقرأ ولا تكتب عند الذين أوتوا العلم وهم مؤمنو[9] أهل الكتاب من نحو عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[٤٩]

وقوله: **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**، يحتمل القرآنَ، إذ فيه آيات وحدانية الله وحججه وآيات البعث وحججه.[10] ويحتمل قوله: **بل هو آيات بينات**، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، [إذ] كان من أوّل ما نشأ[11] إلى آخر أمره آيةً لِما ذُكر من النور في وجه أبيه ما دام في صُلبه،

---

[1] ر م − من.

[2] ر: ووصفك. الرَّصف: ضمّ الشيء بعضه إلى بعض ونَظْمه (*لسان العرب*، «رصف»).

[3] ن: بمترجمة.

[4] ر: ووصفا.

[5] ر: ولا وصفه.

[6] جميع النسخ: وإن كان.

[7] جميع النسخ: كما ذكر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.

[8] من الآية التالية.

[9] جميع النسخ: مؤمنوا.

[10] جميع النسخ + أو آيات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨ظ.

[11] ر: ما أنشأ.

ثم في وجه أمه إذ وقع في رحمها، ثم مِن ضياء الليلة التي وُلِد فيها، ثم من ظِلّ السحاب الذي أظلّه وقتَ ما خرج من وطنه، وأمثالُ ذلك كثير ما لا يُقدَر إحصاؤه. *والله أعلم*. فذلك كلّه يدلّ على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه إلا المبطل المعاند المكابر. وقوله: **في صدور الذين أوتوا العلم**، جائز أن يكون قوله: **في صدور الذين أوتوا العلم**، أي أوتوا منافعَ العلم، أي هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا منافع العلم، فأما من لم يؤتَ منافعَ العلم فلا.

وقوله: **وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**، يحتمل الظالم ظالم الآيات لما لم يضَعْها[1] في موضعها. ويحتمل **الظالمون**، الكافرون.[2]

**﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٠]**

وقوله: **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه**، وفي بعض القراءات: آية من ربه، على الوُحدان.[3] فكأنهم سألوه مرة آية، كقوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً.[4] وإنما يُنزل إذا شاء بعد السؤال؛ ومرة سألوه آيات، كقوله:[5] لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[6] وكقوله:[7] أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا،[8] الآية، ونحوها من الآيات التي سألوها. فمرة سألوه آيات ومرة سألوه آية. فقول من قال [و]اختار قراءة "آية"[9] على قراءة "آيات"[10] محال إذ[11] ثبت أنها[12] [أيضًا] قراءة. فأخبر عز وجل على ما كان[13] منهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لم يضعوها.
[2] ن: لكافرين.
[3] انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٥٢.
[4] ﴿إن نشأ نُنَزِل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٤).
[5] ن ث م: كقولهم.
[6] سورة لفرقان، ٢٥/٧-٨.
[7] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ١٠١و.
[8] سورة لإسراء، ١٧/٩١.
[9] جميع النسخ: آيت.
[10] جميع النسخ: آية.
[11] جميع النسخ: إذا.
[12] جميع النسخ: أنه. أي قراءة "آية".
[13] ن: قال.

وقوله: **قل إنما الآيات عند الله**، أي من عنده تجيء[1] الآيات. فكأنهم إنما سألوه آيات قاهرة تقهرهم وتضطرهم[2] على القبول والإقبال إليه، لا[3] الآياتِ[4] [التي] يكون فيها وجه[5] الاختيار، لكن [هو] سؤالُ عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء.[6] [غير][7] أن الله قد عفا عن هذه الأمّة عن إنزال ما به هلاكهم على إثر سؤال العناد والمكابرة وإن كان في غيرها من الأمم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على إثر سؤال العناد والمكابرة.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **وإنما أنا نذير مبين**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما وإنما أنا نذير من الله مبينٌ، إن الله أمرني بذلك وأرسلني إليكم. والثاني **إنما أنا نذير مبين**، أي ليس عليّ إلا الإنذار لكم، أبيّن النذارة، فأما[9] غير ذلك فليس عليّ، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[10] الآية ونحوه.[11]

**﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥١]**

وقوله: **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلَى عليهم**، هذا يدلّ أنهم إنما سألوه سؤال
[٥٧٩و] عناد واستهزاء لا سؤال استرشاد حيث / قال: إن فيما أنزل عليهم من الكتاب كفايةً لمن كانت همّته الاسترشاد والإنصافَ، فأما من كانت همته العنادَ والمكابرة فلا. **إن في ذلك لرحمة**، أي فيما أنزل من الكتاب عليك، **لرحمةً**، أي رشدًا، **وذكرى**، [أي] عِظة لقوم يؤمنون.

---

[1] ر ث م: يجيء.
[2] جميع النسخ: يقهرهم ويصطرهم.
[3] ر ث م - لا.
[4] ن: آيات.
[5] ر م: في وجه؛ ن ث: في ذلك وجه.
[6] جميع النسخ + فقل.
[7] الزيدة من *الشرح*، ورقة ٥٨٠و.
[8] ر م - والمكابرة؛ ن - وإن كان في غيرها من الأمم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على إثر سؤال العناد والمكابرة.
[9] ن: وأما.
[10] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[11] انظر مثلا: سورة النور، ٥٤/٢٤.

**﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٥٢]

وقوله: **قل كفى بِاللهِ بيني وبينكم شهيدًا**، هذا يقال لوجهين. أحدهما عند الإياس من قبول الحجج والآيات،[١] يقول: **كفى بالله** [**بيني وبينكم**] **شهيدًا**، أي حاكمًا بيني وبينكم أيّنا على الحق وأيّنا على الضلال: نحن أو أنتم؟ والثاني **كفى بالله** [**بيني وبينكم**] **شهيدًا**، عالمًا في تبليغ ما أُمرت بتبليغه[٢] إليكم وإتيان ما أتيتُكم به من الآيات والحجج. **يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون**.

**﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[٥٣]

وقوله: **ويستعجلونك بالعذاب**، كان استعجالهم بالعذاب[٣] وسؤالهم الآيات على عِلم منهم أنه لا ينزل ولا يأتيهم يخرج مخرج الاستهزاء بالرسل والتمويه والتلبيس على الأتباع والضعفاء، لأنهم يعلمون أن الله لا يعذّب ولا يهلك هذه الأمّة إهلاك استئصال وانتقام كما أهلك الأمم المتقدمة بالعناد والاستهزاء بالرسل، إذ قد أمهلهم إلى وقت. فإذ[٤] علموا ذلك من الإمهال والتأخير سألوا الرسول العذاب الذي أوْعدهم والآياتِ القاهرةَ، ووَعدوا الإيمان لو جاءهم بها[٥] وأقسموا على ذلك، بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[٦] الآية، تمويهًا وتلبيسًا على أتباعهم وضعفائهم، يُرُونهم أنهم على حقّ في الإيمان فيما يدعوهم الرسول وأنه لو أتى بآية[٧] وحجّة يؤمنون به ويتبعونه، وهم فيما يسألون من الآيات والعذاب عالمون أنهم معاندون كذَبة متمرّدون مُبِسون[٨] مُمَوّهون على الأتباع والسَّفَلَة لما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ر – والآيات.
[٢] ر ن ت: تبليغه؛ م: تبليغا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٠ظ.
[٣] ر م – بالعذاب؛ ن ت: العذاب.
[٤] ر م: فإن.
[٥] ر م – بها.
[٦] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[٧] ر: بالمتة.
[٨] ر: ملتبسون.

وقوله: **ولولا أجل مسمًّى لجاءهم العذاب وليأتينَّهم بغتة**، الآية. فإن قال لنا ملحد:[1] إنه حيث أخر عنهم العذاب وأمهلهم [هل] علم منهم أنهم يستعجلون ذلك[2] أو لم يعلم ذلك؟ فإن قلتم:[3] على غير علْم منهم فقد أثبتم[4] الجهل له. وإن قلتم:[5] على علْم منه ذلك فكيف أمهل ذلك وقد علِم ما يكون منهم؟

قيل: إمهاله العذابَ عنهم وضربُ الأجل رحمةٌ منه لهم وفضل؛ كأنه قال: ولولا رحمته التي جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كما جاء الأمم الخالية عند سؤالهم الرسل العذاب والآيات بالعناد والاستهزاء، وهو كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[6] حيث لم يستأصلهم كما استأصل أولئك.[7]

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٥٤]

وقوله: **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين**، يحتمل قوله: **وإن جهنم**، أي عذاب جهنم محيط[8] يومئذ بالكافرين، أو النار محيطة بالكافرين. وجائز أن يكون،[9] **يستعجلونك بالعذاب**، وإن أعمال أهل جهنّم وأسبابها التي توجب[10] لهم جهنّم محيطة بهم، كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[11] أي ما أصبرهم على الأعمال والأسباب التي توجب لهم النار، وإلا لا أحدَ يصبر على النار. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين**، أي أسباب جهنم وأعمالهم التي توجب لهم جهنمَ والنارَ محيطة بهم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: ملحدي.
[2] ر م - ذلك.
[3] جميع النسخ: فإن قلت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٠ظ.
[4] ر ن ث: أثبتت؛ م: أثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: وإن قلت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[7] ر م: إليك؛ ن + والله أعلم.
[8] ن: محيطة.
[9] جميع النسخ: + أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠١و.
[10] ن ث: توجب.
[11] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥٥]

وقوله: **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم**،[1] كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[2] ظاهر.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[٥٦]

وقوله: **يا عباديَ الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدونِ**، في الآية بِشارة ونِذارة. أما البِشارة فقوله: **إن أرضي واسعة**، وعَد لهم السعة في المكان المنتقَل إليه والمتحوَّل إليه[3] كما كان لهم في مُقامهم. والنذارة والتحذير هو[4] قوله: **إن أرضي واسعة**، فلا تقيموا في أرضكم.

ثم الأمر بالخروج والهجرة عن أرضهم إلى [أرض] أخرى يخرج على وجهين. أحدهما لمَا لا يقدرون على إظهار دين الله خوفًا على أنفسهم من أولئك الكفرة، فأُمِروا بالخروج والهجرة عنها إلى أرض يقدرون على إظهاره والقيام به.

والثاني إن كانوا يقدرون على إظهار دينهم لكنهم لا يقدرون القيام على تغيير المناكير عليهم والأمر بالمعروف، فأُمروا بالخروج منها إلى أرض ليس بها مناكير -أو إنْ كانت بها فيقدرون على تغييرها والأمرِ بالمعروف فيها- ففي مثل[5] هذا جائز أن يُؤمَر الناس بالتحوّل من أرض إلى أخرى إذا لم يقدروا على تغيير المنكر ودفعه. وليسوا كالرسل، لأن سائر الناس إذا كثُر سماعهم المنكرَ يخِفُّ ذلك على قلوبهم وتميل إليه القلوب وتسكن وتطمئن. فيؤمرون بالخروج عنها والتحول إلى أخرى لئلا تميل[6] ولا تسكن[7] إليه قلوبهم. وأما الرسل وإن كثُر سماعهم المنكر فإن قلوبهم لا تميل ولا تَلين[8] ولا تسكن إليه أبدًا، بل يزداد لهم شدّةً وصلابة في ذلك وبُعدًا عن قلوبهم.

---

[1] «هذا إخبار عن شدة عذاب جهنم على أهل العذاب وما يلحقهم من التعيير، وهو كقوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٠ظ).

[2] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[3] ر م: لهم؛ ن ث - إليه. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ن: هم. ث: ثم.

[5] ر م: فيمثل؛ ن: فمثن؛ ث: فيمثن. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر ث م: يميل.

[7] ث: يسكن.

[8] ث - ولا تلين.

لذلك اختلف أمر الرسل وغيرهم.[1] أو أن يكون الرسل[2] لا يؤمرون بالخروج ولا يؤذن لهم لِما هم إنما بُعثوا إلى أهل الكفر والمنكر ليدعوهم إلى دين الله. فلا يحتمل أن يؤذن لهم بالخروج |٥٧٩ظ| والهجرة إلى أخرى وهم إليهم / بُعثوا ليدعوهم إلى دين الله.

فقوله: **إن أرضي واسعة**، هو ما ذكرنا: أُمروا بالهجرة ليَسلم هم دينهم ولا يَمنعَهم عن ذلك خوفُ ضيقِ العَيش في غيره، لما يعتزلون عن أموالهم وحِرَفهم وأهل قرابتهم ومعونتهم، لِما وَعد لهم جلّ وعلا التوسيع عليهم لو خرجوا وهربوا إشفاقًا على دينهم. وكذلك روي عن الحسن عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض أخرى وإن كانت شبرًا وجبت له الجنة[3] ويُبعث مع أبيه إبراهيم ونبيّه محمد» أو نحوه من الكلام.[4] وعلى مثل ذلك جاءت الآثار من السلف في تأويل الآية: «إذا دُعيتم إلى المعاصي فاهرَبوا في الأرض فإن أرض الله واسعة».[5] وقال بعضهم [في تأويل الآية]: إذا عُمل بالمعاصي في أرض فاهربوا إلى أخرى فإن أرضي واسعة، وهو ما ذكرنا[6] أنهم[7] أمروا بالخروج[8] والهجرة[9] ليسلم لهم دينهم، ووَعَد لهم السعة والحسنة في الدنيا، وفي الآخرة أعظم منها وهو[10] ما قال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.[11]

---

[1] م: وغير.

[2] ر ث م – الرسل.

[3] م – الجنة.

[4] ورد في *تفسير القرطبي* (٣٨٢/١٦): روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ولو قَيْدَ شِبرٍ ستوجب الجنة وكان رفيق محمد وإبراهيم عليهما السلام». وورد في *الدر المنثور* لسيوطي (٢٨١/١٤): أخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فر بدينه من أرض إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كتب عند الله صديقا، فإذا مات قبضه الله شهيدا» وتلا هذه الآية: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ [سورة الحديد، ١٩/٥٦]، ثم قال: «والفارون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى ابن مريم في درجته في الجنة».

[5] انظر: *تفسير ابن كثير*، ١١٧/١٢.

[6] ر ث م: ما ذكروا.

[7] جميع النسخ – أنهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠١ظ.

[8] ر ث م – بالخروج.

[9] ر ث م: بالهجرة.

[10] ر: وهي.

[11] سورة النحل، ٤١/١٦.

وقال في هذه الآية: **إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدون**، أي إن أرضي واسعة فإن مُنِعتم[1] عن عبادتي في أرض فاخْرجوا منها[2] إلى أخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فإن أرضي واسعة فلا عذر لكم بالْمُقام في أرض تُمعون عن عبادتي وإظهار ديني؛ إلا المستضعفين الذين استثناهم في آية أخرى حيث قال: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا،[3] عَذَرَهُم[4] بما فيهم[5] من الضعف لترك الخروج والْمُقام بين أظهرهم[6] وكتمان الإيمان والعبادةِ له سرًّا وإن لم يقدروا على إظهاره. فأما من كانت له حيلة الخُروج فلم يَعذِره.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **كل نفس ذائقة الموت**، ذكر هذا -والله أعلم- على إثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوفُ ضيقِ العيش. يقول -والله أعلم-: إن[7] كل نفس تذوق[8] الموت إذا استوفتْ رزقَها لا مَحالةَ ولا تذوق[9] قبل استيفائها رزقها، فلا يَمنعكم خوفُ ضيق العيش فإنها تذوق ذلك لا محالة خرجت أو لم تخرج إذا استوفت رزقها. وهو ما قال: قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[10] أي لو كان المكتوب عليه القتلُ يَبْرُز لا محالة حتى يُقتَلَ، فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يذوق لا محالة، خرج[11] أو أقام. ***والله أعلم***.
**ثم إلينا تُرْجَعون**، ظاهر.[12]

---

[1] ر م: فإن منعتهم؛ ن: وإن منعتم.
[2] ن - منها.
[3] سورة النساء، ٤/٩٨.
[4] جميع النسخ: عذرلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٠ظ. وعذرهم: أي قبل معذرتهم ورفع عنهم اللوم.
[5] ن: منهم.
[6] جميع النسخ: من أظهرهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.
[7] ر م - إن.
[8] ن: يذوق.
[9] ن: ولا يذوق.
[10] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.
[11] ر م - خرج.
[12] ر ن م - ظاهر.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٥٨]**

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُبَوِّئَنَّهم**، بالباء والثاء[١] قد قرئ.[٢] **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ**،[٣] أي لَنُهَيِّئَنَّ لهم[٤] من الجنة غُرَفًا. يقال: بوّأها: أنزل وهيّأ. ولَنُثْوِيَنَّهم من الثواء وهو الإقامة. وقال القُتَبِي: هو من ثَوَيت بالمكان[٥] إذا أقمت به.[٦] وبالباء: لَنُبَوِّئَنَّهم، أي لنُنزلنّهم.[٧] وقال: أبو عَوْسَجَة: **لَنُبَوِّئَنَّهم**،[٨] أي لنُنزلنهم منها منزلا يقيمون فيه. والثواء الإقامة. وقال: أبو معاذ: بوَّأها هيّأها، والمثوى المنزل، والثاوي الضيف.[٩] **خالدين فيها نعم أجر العاملين**، أي ثوابهم وجزاؤهم.

**﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥٩]**

وقوله: **الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون**،[١٠] يحتمل قوله: **الذين صبروا**، أي خرجوا وهاجروا وصبروا عىى الهجرة، وعلى ربّهم توكّلوا في الخروج والرزق، أو الذين[١١] صبروا على الطاعات وأداء الفرائض. أو أن يكون الصبر كناية وعبارة عن الإيمان، أي الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وبه يثِقون[١٢] ويفوّضون، كقوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[١٣] أي لكل مؤمن.

---

[١] ن + جميعا.
[٢] انظر: حجة القراءات لابن زَنْجَلَة، ٥٤٤.
[٣] ر ث م - بالباء والثاء قد قرئ لنبوئنهم.
[٤] جميع النسخ: لنهيئنهم.
[٥] جميع النسخ: بالمقم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.
[٦] ر ث م: له.
[٧] انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٨.
[٨] ر ث م - نبوئنهم.
[٩] ر م: لمضيف.
[١٠] ث + يحتمل قوله الذين صبروا وعىى ربهم يتوكلون.
[١١] ر م: والذين.
[١٢] جميع النسخ: به ويثقون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.
[١٣] ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣١).

ومحمد بن إسحاق[١] يقول:[٢] أنزلت الآية بمكة في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان بها فإن أرض المدينة واسعة. فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ،[٣] بها علانية. ثم خوّف بالموت فيها حذرًا[٤] فقال: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[٥] في الآخرة. ثم نعتهم فقال: **الذين صبروا**، على الهجرة وبالله يثقون في هجرتهم. وذلك أن أحدهم كان[٦] يقول بمكة: كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة، فوعظهم بما ذكر.

**﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦٠]**

وقوله: **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم**، من الناس من يجعل الآية صلة قوله: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ،[٧] إنهم أمروا بالهجرة من بلدتهم والخروج من مُقامهم ليَسلم لهم دينهم فاشتدّ ذلك عليهم وضاق بذلك ذَرْعُهم لضِيق العيش عليهم[٨] هنالك، لما لم[٩] يتهيأ لهم ولا يتأتّى[١٠] لهم حمل أموالهم والمكاسب التي بها يتعيّشون في بلدهم[١١] ويتّسعون بها. فأخبر أن له خلائق يرزقهم حيث ما توجّهوا وحيث ما كانوا لا يحملون مع أنفسهم شيئًا[١٢] من الرزق، بل يرزقهم حيث ما كانوا. فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم: حملتم مع أنفسكم شيئًا من الأموال والمكاسب أو لم تحملوا، فلا تَضِيقَنّ[١٣] صدوركم بترككم الأموال والمكاسب في بلدكم.

---

[١] محمد بن إسحق بن يسار، كنيته أبو عبد الله، المطّلبي القرشي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية. كان علامة حافظً أخباريً. رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. وهو من دوّن العلم. توفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م. انظر: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٥٥٢/٧؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٣/٧-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٢٦/٥-٣٠.

[٢] ر: يعقوب.

[٣] الآية السابقة برقم ٥٦.

[٤] جميع النسخ: ليهاجروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢ظ.

[٥] الآية ٥٧ من هذه السورة.

[٦] ر م: كما.

[٧] الآية السابقة برقم ٥٦.

[٨] ر م: عليهم.

[٩] ن ت: لا.

[١٠] ر م: ولا يتأدى.

[١١] ن: في بلدتهم.

[١٢] ر ث: مع شيئا؛ م: معهم شيء.

[١٣] جميع النسخ: فلا يضيقن.

وجائز أن يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء تذكير وتنبيهٍ للبشر لئلا يعلّقوا قلوبهم بأسباب الرزق، / لأن للبشر فَضلَ تعلّق القلوب بأسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك [٥٨٠و] لغيرهم. فيخبر أن الرزق ليس يتعلّق بالأسباب بل يرزق [الله] بسبب وبغير سبب، إذ قد يَرزق ويَبسُط من ليس له من الأسباب شيء، نحوَ ما ذَكَر من رزق الطير والدوابّ وغير ذلك من البشر الذين يُرزقون بلا أسباب ومكاسب، وهو ما قال:[1] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.[2] وأكثر الأرزاق يكون للناس بلا أسباب ومكاسب.[3] ولذلك ذَكَر -والله أعلم- على إثر ذلك: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾،[4] يبسط لمن يشاء وإن لم يكن له سبب ويقدر على من يشاء وإن كان معه سبب لئلا يَعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب والمكاسب. وعلى قول المعتزلة: إن[5] الله لا يقدر أن يبسط الرزق لمن يشاء، لأنهم لا يجعلون لله في الأسباب والمكاسب صنعًا وإنما يجعلون منه خلق أصول الأشياء من الإنبات والإخراج من الأرض. فأما[6] غير ذلك فهو كله للخلق على قولهم. فعلى ذلك[7] النبات والخارج منها للكل ليس بعضُهم بذلك أولى من بعض. فيذهب فائدة ما ذكر من البسط والتوسيع والتقتير على قولهم.

وقوله: **وهو السميع العليم**، على إثر ما ذكر يخرج على وجوه. أحدها المجيب بكل ما يدعون ويسألون العليمَ بحوائجهم حيث كانوا وأين كانوا. أو **السميع** لقولهم: إنا لا نجد ما نُنفق ونتعيّش، **العليم** بما أضمروا ونحوه.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٦١] ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦٢] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦٣]**

وقوله: **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولُنّ الله فأنا يؤفكون**، إنهم أعطَوا جميعًا بألسنتهم أن الذي خلق السماوات والأرض وما سخّر لهم من الشمس والقمر

---

[1] ث – وهو ما قال.
[2] ﴿ومن يَتّقِ الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٢-٣).
[3] ر م – وهو ما قال ويرزقه من حيث لا يحتسب وأكثر الأرزاق يكون للناس بلا أسباب ومكاسب.
[4] الآية ٦٢ من هذه السورة.
[5] ن – إن.
[6] ر ث م: وأما.
[7] جميع النسخ: فذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٣و.

وما نزل من السماء من الماء[1] وما أحيى[2] به الأرض، هو الله لا غيره. فيحرج قوله: **فأنى يؤفكون**، على إثر ما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به على وجهين. أحدهما أنى يُصرَفون عما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به[3] إلى صرف الشكر والعبادة إلى الأصنام التي يعلمون أنها لم تَخلق شيئًا مما أعطوا بألسنتهم. والثاني **فأنى يؤفكون**. أي في تسميتهم الأصنام آلهة على علم منهم أنها ليست بآلهة. ***والله أعلم***.

وقوله: **قل الحمد لله**، على إثر ما ذكر يخرج[4] على وجوه. أحدها أمره[5] أن يَحمَد ربه فيما لم يُبلَ بما بُلِي أولئك من التكذيب والعناد والكفر بربهم. والثاني أمره أن يحمد ربه لما في ذلك إظهار سفههم حيث أعطوا باللسان أن ذلك كلّه من الله وأنه خالق ذلك كلّه ثم صرفوا ذلك إلى غيره. والثالث يقول بعضهم: **قل الحمد لله**، على إقرارهم بذلك كله[6] أنه خلق لله وأن ذلك كله منه. ***والله أعلم***.

وقوله: **بل أكثرهم لا يعقلون**، يحتمل قوله: **لا يعقلون**، أي لا ينتفعون بعقولهم. نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان[7] لما لم ينتفعوا بتلك الحواس. فعلى ذلك هذا. والثاني لم يعقلوا لما تركوا النظر والتفكر في الأسباب التي[8] بها تُعقل[9] الأشياء. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٦٤]**

وقوله: **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب**، كقوله:[10] ﴿اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾،[11] لو كان الأمر على ظاهر ما نطق به الكتاب دون معانٍ[12] تُودَع فيه وحكمةٍ تُجعل فيه

---

[1] ن - من الماء.
[2] جميع النسخ: وما أحيا.
[3] ث - على وجهين أحدهما أنى يصرفون عما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به.
[4] ر: على إثر ذلك يخرج.
[5] ث: أمر.
[6] ر م - كله.
[7] يقول الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).
[8] جميع النسخ - التي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٣ظ.
[9] جميع النسخ: يعقل.
[10] جميع النسخ: وقوله.
[11] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).
[12] ن ث: دون معاني.

على ما يحمله بعض الناس لكان لأهل الإلحاد في ذلك مطعن لأنه يقول: **ما [هذه] الحياة الدنيا إلا لهو ولعب**، وهو خلقها فيقولون: لِم خلقها لهوًا ولعِبًا؟[1] وهم دعوى التناقض فيه حيث قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[2] وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ،[3] فلو جَمَع بين هذا وبين الأول فهو في الظاهر متناقض؛ إذ يذكر في بعضها أنه لم يخلقهما وما بينهما باطلًا لعبًا، ويذكر في بعضها أن الحياة الدنيا لهو ولعب[4] وهو خلقها. لكن تأويل قوله: **وما هذه الحياة الدنيا**، على ما تُقدّرون أنتم وعلى ما عندكم، **إلا لهو ولعب**. فأما ما عند أهل التوحيد وما في تقديرهم فهي حكمة وحق.

ثم هو ما ذكر من اللّهو واللعب عندهم يخرج على وجهين. أحدهما أنهم رأوا أنه خلق الإنسان وجعل بَدْأَه من نطفة ثم حوّلها إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى الإنسان الذي صوّر إلى آخر ما حوّله، فلا يحتمل أن يخلقه ويحوّله مِن حال إلى الأحوال التي ذكر ثم يُفنِيه بلا عاقبة تُجعل[5] لهم ولا منفعة[6] فيكون كما ذَكَر: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا.[7] صيّر نقضها الغزلَ من بعد إحكامها إياه بلا انتفاع به لهوًا ولعِبًا. فعلى ذلك خَلْق الحياة الدنيا وخلق ما فيها من العالَم بعد إحكامه وتحويله حالًا بعد حال وتحويلًا بعد تحويل وإحكامًا بعد إحكام للفناء خاصة على ما يُقدّر أولئك الكفرة بلا عاقبة تُجعل[8] لهم أو منفعة لهوٌ[9] ولعب وسفه وباطل على ما ظنّ أولئك وقدّروه. فأما ما في تقدير أهل التوحيد وأهل الإيمان من العاقبة لهم فهو حكمة وحق.

[٥٨٠ظ] والثاني معنى اللهو واللعب الذي / ذَكَر على ما عندهم هو أن الجمع والتسوية بين العدوّ والوليّ وبين العاصي والمطيع وبين المخالف والموافق سفَه وباطل.[10] وقد سوّى بينهم في هذه الحياة[11] الدنيا وأشركهم جميعًا في نعيمها وسَعَتها وشدّتها وخيرها وشرّها،

[1] ر ن م + وهو خلقها.
[2] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/١٦.
[4] د: لعب ولهو.
[5] ر ن م: يجعل.
[6] م: فلا منفعة.
[7] سورة النحل، ١٦/٩٢.
[8] جميع النسخ: يجعل.
[9] هذه الكلمة خبر "خلق الحياة الدنيا".
[10] ر ن م: باطل.
[11] ر ن م - الحياة.

يتمتع الوليّ فيها كما يتمتع العدوّ ويُبتلَى فيها المطيع كما يُبتلى العاصي. فلو لم تكن[١] دارٌ أخرى فيها يفرّق بين الولي والعدوّ وبين المطيع والعاصي لكان[٢] خلقه إياهم في الحياة الدنيا سفهًا وباطلًا، إذ سوّى بينهم وأشركهم جميعًا في هذه. أو أن تكون[٣] الحياة الدنيا على ما اتخذوها هم وعملوا[٤] فيها لهوًا ولعبًا. أو أن يقال: الحياة الدنيا بـ[مقابل] حياة الآخرة لهو ولعب، لأنها خلقت فانية منقطعة وخُلقت حياة الآخرة باقية دائمةً، فهو كما قال: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ [لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا]،[٥] أي متاع الدنيا قليل عند متاع الآخرة، لأن متاع الدنيا فانٍ منقطع ومتاع الآخرة دائم باقٍ.[٦]

وقوله: **وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوان**، أي هي دار الحياة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء. **لو كانوا يعلمون**، أن الدار الآخرة هي الدار التي لا موت فيها. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٦٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٦٦]**

وقوله: **فإذا ركبوا في الفلك دعَوا الله مخلصين له الدين**، الآيةُ [تردّ] على المعتزلة في قولهم: إن على الله الأصلحَ لهم في الدين، لأنه أخبر أنهم أخلصوا الدين لله إذا ركبوا في الفلك ولا شكّ أن ذلك لهم[٧] أصلح[٨] في الدين. ثم لم يُبقِهم على تلك الحال ليكونوا على ذلك الإخلاص بل أخرجهم منها فعادُوا إلى ما كانوا، فدلّ ذلك أنْ ليس عليه حفظ الأصلح لهم في الدين.

وقوله: **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون**، قوله: **ليكفروا**، أي أنجاهم ليكونوا على ما علم منهم أنهم يكونون. وقد علم أنه يكون منهم الكفر فأنجاهم إلى البرّ ليكون منهم ما قد علم أنه يكون ويختارون. وكان إخلاصهم الدعاءَ في الفلك لم يكن إخلاصَ اختيار ولكن إخلاص دفْع البلاء عن أنفسهم،

---

[١] جميع النسخ: فلو لم يكن.
[٢] ر م: لمكان.
[٣] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٤] ر: وعملو.
[٥] سورة النساء، ٧٧/٤.
[٦] ر م: باق دائم.
[٧] ر م: لهم.
[٨] ث: أصلح لهم.

إذ لو كان ذلك إخلاصَ اختيار لا دفْعَ البلاء لكانوا لا يتركون ذلك في الأحوال كلّها. فهذه الآية وإن كانت في أهل الكفر ففي ذلك أيضًا توبيخ لأهل الإسلام، لأنهم لا يقومون بالشكر لله وإخلاص العبادة له[1] في حال السعة[2] والنعمة كما يكونون في حال الضِيق والشدَة، فينبّئهم ليكونوا في الأحوال كلّها مخلصين العملَ لله شاكرين له لئلا يكون عملهم على حرف وجهة كعمل أهل النفاق[3] وكعمل أولئك الكفرة. *والله أعلم*.

وقوله: **فأنى يُؤفكون**، قيل يكذّبون،[4] وقيل يعدِلون، وقيل: يؤفكون: يؤفَنون ويُحمَقون؛ والمأفون الأحمق، والأَفْن الحُمق.

وقوله: **فسوف يعلمون**، أي سوف يعلمون صدقي في قولي: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[5] كما عادوا إلى ما كانوا عليه إذا نجاهم من الأهوال التي ابتُلوا بها، أي سوف يعلمون ما أوعدهم الرسل. وفي قوله:[6] وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ،[7] وجه آخر وهو أن يقال: ما هذه المحاسن والأعمال التي[8] تعملون وتعدّون محاسن وصلاحًا في هذه الدنيا إلا لهو ولعب لِما لا تبقى[9] ولا تنتفعون[10] بها إلا ما ابتُغِيَ بها وجه الله والدار الآخرةُ، وهو ما قال: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، أي هي الباقية الدائمة، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[11]

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾**[٦٧]

وقوله: **أولم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا**، قد ذكرنا في غير موضع أن الاستفهام من الله يخرج مخرج الإلزام والإيجاب، أو يخرج مخرج الخبر لا على حقيقة الاستفهام،

---

[1] ن – له.
[2] ن ث + له.
[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[4] ن: تكذبون.
[5] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يُخفون من قبلُ ولو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦).
[6] ر م: وفي قولهم.
[7] الآية السابقة برقم ٦٤.
[8] ر م – التي.
[9] ن: لما لا يبقى.
[10] جميع النسخ: ولا ينتفعون.
[11] الآية السابقة برقم ٦٤.

لأنه عالم بذاته يعلم ما في باطنهم وظاهرهم وما يُسِرّون وما يُعلنون مما كان أو يكون.[١] لا يستفهم عباده شيئًا ولكنه يخرج على ما ذكرنا على الخبر أو على الإلزام والإيجاب. فالخبر[٢] كأنه يقول: قد رأوا وعلموا أن الله جعل الحرم مأمنًا لهم[٣] يأمنون فيه وكان الناس حولهم يُتخطّفون ويَخافون. والإلزام والإيجاب أن يقول لهم: اعلموا أن الله جعل الحرم لكم مأمنًا تأمنون فيه، والناسُ مِن حولكم على خوف يُسلَبون ويُسبَون ويُقتلون.

ثم يخرج تذكيره إياهم هذا على وجهين. أحدهما أن الله قد جعل لكم الحرم مأمنًا تأمنون فيه لتعظيمكم حرم الله وبيته، والناسُ حولكم على خوف، وأنتم تشاركون مَن حولكم في الدين، فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب إذا[٤] دِنتم بدينه واتبعتم رسوله.[٥] فإذ أمّنكم بكونكم في حرم الله وتعظيمكم بيتَه ودَفَع عنكم الاستلاب والاختطاف[٦] فكيف تخافون ذلك إذا دنتم بدينه واتبعتم أمره؟ بل الأمن والسعة إذا دِنتم بدينه واتبعتم أمره[٧] أكثر وأحق. فكأنهم إنما تركوا اتباع دينه خوفًا من الاختطاف،[٨] كقولهم: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا، فقال لهم: أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ.[٩] أو يذكر هذا لهم أنه قد أمّنكم وصرف عنكم -مع عبادتكم الأصنامَ وصَرْفِكم الشكرَ إليها-[١٠] كل مكروه وسوء بكونكم في مجاورة بيته وحرمه. فإذا[١١] صرفتم العبادة إليه وشكرتم نعمه [فهذا] أحقّ أن يؤمّنكم ويوسّع عليكم نِعَمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وأنتم شركاؤهم في عبادة الأصنام واتخاذهم إياها آلهة، على هذا يخرج. *والله أعلم*.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: كان ويكون. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي، ورقة ١٠٢ ظ.
[٢] ن ت: والخبر.
[٣] ت - لهم.
[٤] م: إذ.
[٥] م: لرسوله.
[٦] ر ن: والاختلاس.
[٧] ت - بل الأمن والسعة إذا دنتم بدينه واتبعتم أمره.
[٨] ر: من الاختلاف.
[٩] ﴿وقالوا إن نتّبع الهدى معك نُتخطَّف من أرضنا أولم نُمكّن لهم حرما آمنا يُجبَى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة القصص، ٥٧/٢٨).
[١٠] جميع النسخ + عنه.
[١١] ن ت: فإذ.
[١٢] ت - على هذا يخرج والله أعلم.

وقوله: **أفبالباطل يؤمنون**، يحتمل قوله: **أفبالباطل يؤمنون**، أي بما[1] أوحى إليهم[2] إبليس من الباطل يؤمنون، وهو ما أوحى إليهم أن هؤلاء شفعاؤكم عند الله وعبادتكم إيّاها تقربكم [٥٨١و] إلى الله زلفى. / كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ [لِيُجَادِلُوكُمْ]،[3] الآية.

وقوله: **وبنعمة الله يكفرون**، أي بما أوحى إليكم محمد من الله يكفرون.[4] أو أن يكون[5] قوله: **أفبالباطل يؤمنون**، أي بالشرك يؤمنون، **وبنعمة الله يكفرون**، أي بتوحيد الله يكفرون.[6] أو أن تكون[7] النعمة هاهنا هو القرآنَ أو ما ذكرنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾**[٦٨]

وقوله: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا**، قد ذكرنا أن حرف الاستفهام من الله يخرج على وجهين. على الخبر مرة وعلى الإيجاب والإلزام[8] تارة. فالإلزام[9] [أن يقال لهم]: اعلموا أن ليس أحد من المفترين أظلمَ ممن افترى على الله. وعلى الخبر، أي قد علمتم أنْ ليس أحد من المفترين أظلمَ ممن افترى على الله، إذ قد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما بينكم، فلا كَذِبَ ولا افتراء أوحش وأقبحَ من الافتراء على الله، فكيف افتريتم عليه وهو أوحش وأقبح.

وقوله: **أو كذّب بالحق**، يحتمل **كذّب بالحق**، برسول الله، أو بالقرآن الذي عجزوا عن إتيان مثله، أو بالتوحيد. **أو كذّب بالحق**، الذي ظهر حقه وصدقه، **لما جاءه**.[10]

وقوله: **أليس في جهنم مثوى للكافرين**، كأنه يقول: اعلم أن جهنّم مثوى لكافرين، يذكّره على التصبّر على أذاهم والتسلّي له بما كان يَضِيق صدره لمكانِ تَرْكِهم الإيمانَ والإياسِ منهم.

---

[1] جميع النسخ: مما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥و.
[2] جميع النسخ: إليكم.
[3] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[4] ر م: تكفرون.
[5] ن + النعمة ههنا.
[6] ع ث: تكفرون.
[7] ر ث م: أو أن يكون؛ ن – أو أن تكون. أو أن يكون. صح ه.
[8] جميع النسخ – والإلزام. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥و.
[9] ر م: والإلزم.
[10] ث – وقوله أو كذب بالحق يحتمل كذب بالحق برسول الله أو بالقرآن الذي عجزوا عن إتيان مثله أو بالتوحيد أو كذب بالحق الذي ظهر حقه وصدقه لما جاءه.

**﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦٩]**

وقوله: **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ،[1] أي ليس لمَن[2] أجهد نفسَه في طلب الدنيا والعمل لها إلا لهو ولعب. وأما من أجهد نفسه لله وطلب مرضاته فهو حق وله دار الحياة التي لا موت فيها ولا انقطاع. ويشبه أن يكون على الابتداء لا[3] على الصلة بالأول، يقول: والذين جاهدوا أنفسهم في هواها وشهواتها وأمانيِّها حقيقةَ ابتغاء مرضاة[4] الله وطلب الهداية والدين وسبيله، **لنهدينهم سبلنا**، ذِكر السبل[5] هاهنا لما سبق ذكر الجماعة، يقول:[6] [والذين] جاهَدوا فينا لنهدينهم كُلًّا سبيلاً، فيكون سبيلاً[7] للكل. وأما قوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[8] إن السبل على الإطلاق على غير تقدُّم ذكر من الهدى أو شيء من الإضافة إلى الله هي سبل الشيطان. ***والله أعلم.***

وقوله: **وإن الله لمع المحسنين**، يحتمل قوله: **إن الله لمع المحسنين**،[9] في التوفيق لهم في الإحسان والأعمال الصالحة. أو مع المحسنين في النصر لهم والمعونة لهم[10] مع أعدائهم. أو مع المحسنين يحفظهم ويتولّاهم.

ثم لم يفهم أحد من الخلق من قوله: **لمع المحسنين**، ومَعَ الْمُتَّقِينَ،[11] ما يَفهم من الخلق وذوي الأجسام والجُثّات. كيف فهم بعض الناس من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[12] وَجَاءَ رَبُّكَ،[13] ويَأْتِيَهُمُ اللهُ[14] في كذا، ما يَفهم من استواء الخلق ومجيئهم وإتيانهم. ليُعلمْ أن فهم ذلك منه[15] [كـ]ما يفهم[16] من الخلق بعيد محال. ***وبالله العصمة.***

---

[1] سورة العنكبوت، ٦٤/٢٩.
[2] جميع النسخ: من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥ظ.
[3] ن – لا.
[4] ن ث: مرضات.
[5] ر ث: السبيل.
[6] ن ث: بقوله.
[7] ن – فيكون سبيلا.
[8] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[9] ن – يحتمل قوله إن الله لمع المحسنين.
[10] ن – لهم.
[11] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[12] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[13] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[14] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغَمام والملائكةِ وقُضي الأمرُ وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢١٠/٢).
[15] جميع النسخ - منه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥ص.
[16] ر م: ما يفهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الروم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[٢] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[٣] ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤] ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٥]**

قوله[٢] عز وجل: **الٓمٓ غُلِبت الروم في أدنى الأرض**، وفي بعض القراءات: **غَلَبت الروم**، بفتح الغين على المستقبل.[٣] يذكر أهل التأويل أنه إنما يذكر هذا لأن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة، يقولون: إن الروم أهل الكتاب وقد غَلبتهم المجوسُ، وأنتم تَزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فسنغلبكم[٤] كما غَلبت فارسُ الرومَ. فأنزل الله تعالى هذه الآيات:[٥] **الٓمٓ غُلِبت الروم في أدنى الأرض**، الآية. لكن يَذْكر في آخره: **ويومئذ يَفرح المؤمنون بِنَصر الله يَنصر من يشاء**، ولا[٦] يحتمل [أن] يفرح المؤمنون[٧] بغلبة الروم على فارس

---

[١] ر – سورة الروم؛ ن: ذكر أن سورة الروم كلها مكية وهي ستون آية؛ ث + وهي ستون آيت مكية؛ م + كلها مكية وهي ستون آية.

[٢] ن: وقوله.

[٣] وهي قراءة شاذة نسبت إلى علي وأبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر ومعاوية بن قرة والحسن. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٤٦/١٨؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٥٧/٧. "'غَلَبت الروم' على المستقبل" أي على ما يتحقق غلبةُ الروم على المجوس في المستقبل.

[٤] ن ث م: فستعسكم.

[٥] جميع النسخ: الآية.

[٦] ر ت ه. فلا.

[٧] جميع النسخ: فرح المؤمنين. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٢ط.

ويسمى ذلك نَصْرَ الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية.[1] اللهم إلا أن يكون فرحهم بما يُظهر الإيمانَ بكتب الله وتصديقها والعمل بها. وهم كانوا أهل كتب الله،[2] ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان بُعث مصدِّقًا بكتب الله وبرسله[3] أجمعَ، ففرحوا بذلك. فإن كان كذلك فجائز الفرح بذلك وتسميته[4] نصرَ الله، وأما على الوجه الذي يقولون هم فلا.

وعندنا أن في ذلك آية عظيمةً في إثبات رسالة نبيا[5] محمد -صلوات الله عليه- ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعنا ولا النسبة[6] إلى الكذب والافتراء، على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء حيث قالوا: إنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[7] و مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[8] وقولهم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[9] ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة.[10] ومثلَها[11] لم يجدوا فيما أَخبر من غلبة الروم على فارسَ؛ لأنه أخبر عن غلبة ستكون وستَحْدُث، لا عن غلبة قد كانت. ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يُستفاد منهم؛[12] إذ لا يبلغه علم البشر ولا يدرك بالقياس بالسابق من الأمور. فإذ كان على ما أخبر دل أنه بالله عَلِمَ ذلك وبوحي منه إليه عرف ذلك.

وهو[13] جائز أن يستدلوا بما كان مِن قبلُ من غلبة فارس على الروم أن يقولوا: تغلب فارس على الروم، بما شاهدوه مرة. أو بوجوه أُخَرَ يستدلون بذلك من نحو أن يقولوا:

---

[1] وعبارة *الشرح* هكذا: «ولا يحتمل [أن] يفرح المؤمنون بغلبة الروم على فارس ويسمى ذلك نصر الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية، فلا يوصف ذلك بالنصر والظفر. وإنما هو نوع جَوْلَة ودَوْلَة. وأما النصر والظفر إنما يطلق على غلبة المؤمنين إياهم. والله أعلم» (ورقة ٥٨٢ظ). الجَوْلة والجَوَلان: الحركة والطواف القصير الغير المستقر. والدَّوْلة: الانتقال من حال إلى حال؛ النوبة (*لسان العرب* «جول»، «دول»).

[2] ر م – الله.

[3] ث: ورسه.

[4] ر م: وتسمية.

[5] ن – نبينا.

[6] أي ما لا يمكنهم نسبته إلى ... انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٢ظ.

[7] أنظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.

[8] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

[9] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

[10] جميع النسخ: على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء وقولهم إنما يعلمه بشر ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة حيث قالوا إن هذ إلا أساطير الأولين وما هذا إلا إفك مفترى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.

[11] جميع النسخ: فمثلها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

[12] أي لا يُستفاد علم مثل هذا من البشر.

[13] جميع النسخ: وهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.

إنهم أهل كتاب وعبادة يكونون مشغولين[1] / بالنظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون [٥٨١ظ] للقتال والحرب. أو أن يقولوا: إنهم نصارى -أعني أهل الروم- وليس في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب، فيستدلون بمثل هذه الوجوه على أن لا غلبة تكون لهم ولا ظفر. وأما أهل الإسلام فليس[2] لهم[3] من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه الاستدلال بغلبة أولئك؛ فما قال[4] ذلك إلا وحيًا من الله إليه وإعلاما منه إياه. فكان في ذلك أعظمُ آيةِ صدقِ رسوله وأكبرُها، فيكون فرح المؤمنين وذكر نصر الله بإظهار تلك الآية في تصديق رسوله،[5] إذ نصر رسوله حيث أظهر صدق رسالته.[6]

وقوله **غُلبت** وغَلبت: **غُلبت**[7] على الماضي لما كان من غلبة فارس على الروم، وغَلبت بالفتح على المستقبل، أي تغلب الروم على فارس. وهو كقوله: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[8] على الأمر في المستقبل، و[ربُّنا] بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[9] على الخبر،[10] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.[11]

وقوله: **في أدنى الأرض**؛ قيل: أقرب إلى أرض فارس. وقال بعضهم: **أدنى الأرض**، أي أدنى أرض الشام. وقيل: الأرض التي تلي فارس. ***والله أعلم***.

وفي قوله:[12] **وهم من بعد غلبهم سيغلبون**، وقوله:[13] **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**، وجوه على المعتزلة. أحدها، يقال لهم: وعد أن يغلب الروم على فارسَ، وقد أراد أن يخرج ما وعد حقا صدقا أم لا؟ فإن قالوا: لا، فقد أعظموا القول وأفحشوه، حيث زعموا أنه أراد أن لا يفيَ بما وعد أنه يكون.

---

[1] جميع النسخ: مشاغيل.
[2] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.
[3] جميع النسخ + شيء.
[4] جميع النسخ: فما قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.
[5] ن: رسول الله.
[6] جميع النسخ: صدقه ورسالته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦ظ.
[7] ر: وغلبت.
[8] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[9] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.
[10] انظر تفسير الآية من سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[11] ر ث م - والله أعلم.
[12] ر م: وفي قولهم.
[13] جميع النسخ: وفي قوله.

وإن[1] قالوا: نعم، قيل: دل أنه أراد ما فعلوا وإن كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف، إذ محاربة كل فريق أصحابهم معصية، إذ لم يؤمروا بذلك وإنما أمروا بالإسلام. فدل أن الله مريد لما يعلم أنه يكون منهم وإن كان ما يكون منهم معصيةً.

والثاني ما أخبر بفرح المؤمنين بغلبة هؤلاء على أولئك -على أي جهة كان فرحهم- لإثبات[2] آية عظيمة على رسالة نبيّهم ونبوّته على ما ذكرنا، أو لأنهم كانوا أهل كتب الله ودراستِهم[3] إياها[4] أحبوا غلبتهم عليهم وفرحوا بذلك. ولا يحتمل أن يفرحوا بذلك ولم يأمرهم بذلك ولا أراد منهم.[5] دل ذلك[6] أنهم إنما فرحوا بذلك[7] لما أراد ذلك.

والثالث في قوله: **بنصر الله ينصر من يشاء**، دلالةُ أن لله[8] في فعل العباد صنعا وتدبيرا حيث ذكر فعل بعضهم على بعض ثم سمى نصر الله، دل أن له في ذلك تدبيرا.

وقوله: **في بِضْعِ سِنِينَ**، قيل: البضع سبع، وقيل: ما دون العشر فهو بضع، وقيل: من ثلاثة إلى تسعة.[9]

وكذلك ذكر في الخبر أن أبا بكر رضي الله عنه لما خاطر المشركين وبايعهم في ذلك بخَطَرٍ[10] في سنين ذَكَرها، فمضت تلك المدة ولم تغلب الروم على فارس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «أما علمت أن ما دون العشر بضع كمه؟ فزد في الأَجَل وزِدْ في الخطر». ففعل ذلك،[11] فلم تمض تلك السِّنون حتى ظهرت الروم على فارس.[12] وفي بعض الحديث

---

[1] جميع النسخ: فإن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦ظ.
[2] ن: ألإثبات.
[3] جميع النسخ: ودراستها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ - إياها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م + ذلك.
[6] ر ث م - ذلك.
[7] ر ث م: ذلك.
[8] ر: لله.
[9] ر ث م - وقيل من ثلاثة إلى تسعة.
[10] ر ن: يخطر. تخاطروا على الأمر: تراهنوا. وخاطرهم عليه: راهنهم. والخطر: الرهن بعينه. والخطر: ما يخاطرون عليه (*لسان العرب* «خطر»).
[11] ر ث م: تلك.
[12] للروايات في هذا المعنى انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٤٤٧-٤٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٥٧٤-٥٨٤.

قال[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكونوا أَحِقَّاءَ[٢] أن تؤجِّلوا أجلاً دون العشر؛ فإن البِضْع ما بين الثلاث إلى العشر، فزايِدوهم في الخطر[٣] ومادُّوهم في الأجل». ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس... فذكر الحديث.[٤]

ثم المسألة في المخاطرة التي كانت بين أبي بكر وبين أولئك الكفرة تخرج على وجوه.[٥] أحدها أن مكة كانت يومئذ دار حرب، دليله قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ،[٦] الآية، -وذلك كان قبل الهجرة- وما كان[٧] أمرٌ بالهجرة أيضًا إلى المدينة،[٨] ونحوه كثير. وذلك كان كله قبل غلبة الروم على فارس. فإذا كانت مكة يومئذ دار حرب جازت المخاطرة والجهالة[٩] في العقود[١٠] في دار الحرب فيما بينهم وبين أهل الحرب، وإن كان مثلها في دار الإسلام غير جائزة.[١١] وهذا يدل لأبي حنيفة رحمه الله في إجازته عقد الربا في دار الحرب فيما بينهم وبين أهل الإسلام، وإن كان مثله في دار الإسلام غير جائز.

والثاني جاز ذلك[١٢] يومئذ وإن كانت فيه جهالة سِنِي الأجل.[١٣] والجهالة في العقود[١٤] إنما تُبطل العقود لخوف وقوع التنازع بينهم في الأَجِرة،[١٥] والتنازع في أمثالهم لا يتوهم وقوعه، إذ كانوا أهل شرف وكرم وأهل جود، لا يتنازعون[١٦] في أمثالها. وإنما[١٧] يكون

---

[١] جميع النسخ + قد. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[٢] ر م - أحقاء.
[٣] جميع النسخ - في الخطر. والزيادة من المرجع لسابق.
[٤] *تفسير الطبري*، ١٨/٤٥٤-٤٥٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٥٨٠-٥٨١.
[٥] ر م - تخرج عى وجوه.
[٦] سورة الأنفال، ٨/٣٠.
[٧] جميع النسخ - كان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «وذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة وقبل الأمر باهجرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٢ظ).
[٩] ر م - والجهالة.
[١٠] ر ث م: العقول.
[١١] جميع النسخ: غير جائز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[١٢] أي المخاطرة التي كانت بين أبي بكر رضي الله عنه وبين امشركين.
[١٣] جميع النسخ: أسنان الإبل.
[١٤] ت: في العقول.
[١٥] لأجرة هي الموعد المؤخر.
[١٦] ت م: لا يبارعون.
[١٧] جميع لنسخ: أن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

التنازع بينهم في الدين، فأما في الأموال فقلّ ما يقع لما ذكرنا. فإذا كان التنازع في مثلها مرتفعًا من بينهم جاز ذلك.[1] و[في زماننا لا يجوز دلك في مثل هذا، لتفاوت الناس بتفاوت الأزمان على ما][2] روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا يزال الناس يتناقصون في الْخَلْق والخُلُق والآجال».[3]

ومنهم من يقول: كان ذلك جائزا[4] في الجاهلية، فأما اليوم فقد جاء النهي عن القمار فنسخه. وإنما[5] عُرِف النهي عن القمار لما جاء[6] النهي[7] عن الميسر، والميسر هو القِمار، ويكون[8] النهي عن الشيء نهيا عما هو في معناه. *والله أعلم*.

وقوله: **لله الأمر مِن قبلُ ومن بعد**، قال بعضهم: **لله الأمر من قبل**، أي من قبل[9] غلبة فارسَ الرومَ، **ومن بعد** غلبة فارس الروم. ويقال: **لله الأمر من قبل**، حين ظهرت فارس[10] على الروم، **ومن بعد** ما ظهرت الروم على فارس.[11] وجائز أن يكون قوله: **لله الأمر**، في خلقه، أي التدبير فيه وله الأمر فيهم، أي ليس لأحد في الخلق أمر ولا تدبير، إنما[12] ذلك له. كقوله: [٥٨٢و] أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،[13] له / التدبير فيهم والأمر.

---

[1] جميع النسخ: فإذا كان التنازع في مثلها مرتفعا من بينهم جاز ذلك أن يكون التنازع بينهم في الدين فأما في الأموال فقلّ ما يقع لما ذكرنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

[2] الزيادة من المرجع السابق.

[3] جميع النسخ – وروي عن النبي عليه السلام أنه قال لا يزال الناس يتناقصون في الخلق والخلق والآجال. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و. لم أجد هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن روي عن مجاهد أنه قال: قال ابن عمر: "هل تدري كم لبث نوح في قومه؟" قلت: "نعم، ألف سنة إلا خمسين عاما." قال: "فإن من كان قبله كانوا أطول أعمارا، ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل إلى يومهم هذا" (*كتاب الفتن* لنعيم بن حماد، ٤٢٨؛ و*كنز العمال* للهندي، ١٢/٤٧٦).

[4] ر ث م: جائزا ذلك.

[5] ث م: وإما.

[6] جميع النسخ + من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣و.

[7] ر م – عن القمار لما جاء من النهي.

[8] ر ث م: فيكون.

[9] ر م – أي من قبل.

[10] جميع النسخ: الفارس. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.

[11] ر ث م: لفارس.

[12] جميع النسخ: وإنما. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] سورة الأعراف، ٧/٥٤.

وفي قراءة من قرأ **غَلبت الروم** بالنصب يكون قوله: **وهم من بعد غلبهم سيغلبون،** حين يَظهَر[1] عليهم المسلمون في آخر الزمان حين تُفتَح[2] قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وفي حرف ابن مسعود وحفصة: في بضع[3] سنين قريبا.[4]

وقوله: **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء،** فَرِح المؤمنون[5] بنصر الله حيث نصر رسوله بإظهار الآية له في إثبات الرسالة والنبوة وصدّقه،[6] وذلك النصر له. وما يقول بعض أهل التأويل: نصر الروم على فارس، بعيد. لأن ما كان الفعل فعل معصية لا يقال: نَصْرُ الله، وإنما يقال ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة. والوجه فيه ما ذكرنا أنه نصر رسوله بما ذكرنا.

وقوله: **وهو العزيز الرحيم،** ذكر **العزيز** على إثر ما سبق لأنه عزيز بذاته، فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب وهنًا ونقصًا[7] في ملكه وسلطانه، ليس كهلاك بعض عبيد ملوك الأرض وأتباعه[م] وحَشَمه[م]؛ لأن ملوك الأرض أعزاء بذلك فإذا هلك ذلك ذهب عزهم. فأما الله سبحانه وتعالى إذ هو عزيز بذاته لا بشيء فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصًا ولا ذُلًا فيه.

**﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]**

وقوله: **وعد الله لا يخلف الله وعده،** إنما يكون خلف الوعد في الشاهد لإحدى[8] خصال ثلاث: إما لندامة استقبلته فيما وعد فتمنعه[9] تلك الندامة عن إنجاز ما وعد وحفظ الوفاء له. وإما لحاجة[10] وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة عن[11] وفاء ما وعد وإنجاز ما أطمع.

---

[1] ر ث م: تضاهر.
[2] جميع النسخ: يفتح؛ والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.
[3] جميع النسخ: بعض؛ والتصحيح من مصدر الرواية.
[4] حدثنا سعيد قال: حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم: في قراءة عبد الله: "بضع سنين قريبا". سنن سعيد بن منصور، تحقيق آل حميد، ٣٩٤/٥ (وهي في تفسير الآية ٤٢ من سورة يوسف).
[5] جميع النسخ: المؤمنين. والتصحيح من *الشرح*، ٥٨٣و.
[6] ر: وصدق.
[7] ر م: ولا نقصا.
[8] ر ث م: لأحد.
[9] جميع النسخ: فيمنعه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: لحاجة.
[11] ن – عن.

وإما لعجز يكون له[1] لا يقدر على إنجاز ما وعد فيحمله عجزه عن وفاء ما وعد وإنجازه. فإذ[2] كان الله سبحانه يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعد لا يحتمل[3] الخلف منه. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، يحتمل قوله: **لا يعلمون**، لما لم ينظروا ولم يتفكّروا في الأسباب التي هي أسباب العلم بعد ما أعطاهم أسباب العلم. لكنهم إذا تركوا النظر في الأسباب والتفكر فيها لم يعلموا فلم يُعْذَروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها. ويحتمل قوله: **لا يعلمون** أي لا ينتفعون بما علموا، فنفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر[4] لما لم ينتفعوا[5] بهذه الحواسّ وإن كانت لهم هذه الحواسّ.

**﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٧]**

وقوله: **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**، يحتمل[6] قوله: **يعلمون [ظاهرا، أي]**[7] ظاهر الأشياء في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع بِمَ وكيف. نحو ما يُعلم أن الماء به حياة الأشياء، ويعلمون أن بالطعام قِوام الأبدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته وكيفيته وما في سرّيّة ذلك من المنافع. وكذلك السمع والبصر واللسان لا تعلم[8] حقيقة ذلك وكيفيته وإن كان يعلم أنه بها يُسمع ويُبصر ويُتكلم ويُفهم. وجائز أن يكون قوله: **يعلمون ظاهرا**، [أي] منافع الحياة الدنيا، وعن منافع الآخرة هم غافلون، وإنما أُنشئت[9] منافع الدنيا لا لتكون لها ولكن ليعلموا بها منافع الآخرة.

وابن عباس والكلبي وهؤلاء يقولون: **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا**، قالوا: يعلمون معائشهم وتجاراتهم وحِرَفهم وجميع الأسباب والمكاسب والحيل التي بها تقوم أمور دنياهم.[10] **وهم عن الآخرة هم غافلون**، أي لا يؤمنون بها. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: به. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.
[2] م: فإذا.
[3] جميع النسخ: لم يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٨و.
[4] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة ١٨/٢).
[5] ث + بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر لما لم ينتفعوا.
[6] م - يحتمل.
[7] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٨٣و.
[8] جميع النسخ: لا يعلم.
[9] ر ن م: أنشأت.
[10] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٠٨٨/٩؛ و*تفسير الطبري*، ٤٦١/١٨-٤٦٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٥/١١.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[٨]

وقوله: **أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق،** قد ذكرنا في غير موضع أنّ كل استفهام من الله وسؤال يخرج على الإيجاب والإلزام. ثم الإيجاب يخرج على وجوه. أحدها أنه[١] قد تفكروا واعتبروا ونظروا وعرفوا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لكنهم عاندوا وكابروا ولم يَنْقادوا للحق ولم يقرّوا به.[٢] والثاني يخرج على الأمر؛ أي تفكروا وانظروا[٣] واعتبِروا لتعلموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق. والثالث على الخبر أنهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا لَعلِموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا[٤] بعد ما أُعطوا أسبابَ العلم به. فلم يُعْذَرُوا بترك التفكر والنظر والاعتبار.

وعلى هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا،[٥] -والله أعلم- أي قد ساروا في الأرض[٦] ونظروا وعلموا ما حل بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبة أمرهم. أو سيروا في الأرض على الأمر لتعرفوا ما أصاب أولئك بالتكذيب. أو لم يسيروا في الأرض على ما ذكرنا[٧] ليعلموا[٨] عاقبة أمور[٩] أولئك.

ثم قوله: **إلا بالحق،** قيل فيه بوجوه. أحدها أنْ ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي لله[١٠] عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم والتعظيم له والتبجيل.

---

[١] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨و.

[٢] ر م - به.

[٣] ر: و نظر؛ م: ونظرو.

[٤] ن - ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا لعلموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا.

[٥] الآية التالية.

[٦] ر ن م - فينظروا والله أعلم أي قد ساروا في الأرض.

[٧] أي على الخبر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٣ظ.

[٨] جميع النسخ: لئلا يعلموا.

[٩] ر م - أمور.

[١٠] جميع النسخ - لله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ.

والثاني **إلا بالحق،**[1] أي بما[2] يُحمد فعله في العاقبة[3] ما لولا تلك العاقبة لكان لا يحمد. إذ
[٥٨٢ظ] في الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد أشركهم جميعا في هذه الدنيا / -بين الولي والعدو- ولو لم يجعل دارًا أخرى يفرق فيها بينهما لكان لا يحمد فيما أشركهم فيها. والثالث: **إلا بالحق،** أي بالبعث لأنه لو لم يكن البعث لكان خلقه السماوات والأرض وما بينهما لعبًا باطلًا لا حقًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ، صير خلقه إياهم -إذا لم يكن رجوع إليه- عبثًا باطلًا. *والله أعلم.*[4]

وقوله: **وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون،** سُمي البعث لقاءَ الرب[5] والمصير إليه[6] والرجوع إليه[7] والبروز له[8] والخروج[9] وإن كانوا في الأوقات كلها بارزين له خارجين صائرين إليه راجعين؛ لأن خلقه إياهم إنما صار حكمة لذلك البعث، والمقصودَ بخلقهم ذلك البعث، لذلك سمي البعث بما ذكرنا.

**﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٩] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١٠]**

وقوله: **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم،** هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ.[10]

---

[1] ر ث م + الذي لله عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم؛ ن - الذي لله عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم ولتعظيم له والتبجيل والثاني إلا بالحق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ.
[2] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر: بفعمه عاقبة؛ ن ث م: بفعمه عاقبته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣ظ.
[4] جميع النسخ - وأنكم إلينا لا ترجعون صير خلقه إياهم إذا لم يكن رجوع إليه عبثا بطلا والله أعلم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ. سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[5] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٣١/٦، ١٥٤.
[6] ن - إليه. انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٥/٢؛ والمائدة، ١٨/٥.
[7] انظر مثلا: سورة البقرة، ١٥٦/٢، ٢٨١.
[8] ر ث م: إليه. انظر مثلا: سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[9] انظر مثلا: سورة ق، ٤٢/٥٠.
[10] الآية السابقة.

وقوله: **كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعَمروها أكثر مما عمروها**، يُذكّر أهل مكة ويُخوّفهم[١] في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوءِ معاملتهم إياه بما ذكر من القرون الماضية، أنه[٢] مع شدة قوتهم[٣] وبطشهم وكثرة أتباعهم وحواشيهم[٤] وأموالهم وطول أعمارهم وبُنْيَانهم لم[٥] يتهيأ لهم الانتصار[٦] والامتناع عن عذاب الله إذا حل بهم بتكذيبهم الرسل. فأنتم يا أهل مكة دونهم في القوة والبطش والحواشي والأتباع فكيف يتهيأ لكم الانتصار والامتناع عن[٧] عذاب الله إذا كذّبتم الرسول؟ ***والله أعلم***.

وقوله: **فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبةَ الذين أساءوا السُّوأَى**، جائز أن يكون على التقديم والتأخير: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى**، مقدَّمًا[٨] على قوله: **فما كان الله ليظلمهم**. يقول: ما حل بهم من العذاب وعذّبوا في هذه الدنيا بتكذيبهم لم يَظلِمهم الله [به] ولكن ظلموا أنفسهم بما أساءوا. ويحتمل أن يكون قوله: **فما كان الله ليظلمهم**، في تعذيبهم في الدنيا، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**. ثم يكون قوله: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا**، في الدنيا، **السوأى**، في الآخرة في النار. فيكون في الدنيا ما عُذّبوا[٩] عذابَ عنادٍ ومكابرةٍ وما يُعذَّبون في الآخرة تعذيبَ كفر وتكذيب، وهو ما قال: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله**.

وقال بعضهم: **وأثاروا الأرض**، أي حرثوا[١٠] الأرض وعمروها أكثر مما عمرها[١١] قومُك يا محمد، أي بَقَوْا فيها أكثر مما بقي فيها الذين أُرسلتَ إليهم. وقال بعضهم:[١٢]

---

[١] جميع النسخ: ويوبخهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩و.
[٢] ر ث م: أنهم.
[٣] جميع النسخ: مع شدتهم وقوتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ث م: ومواشيهم.
[٥] ر م: ولم.
[٦] جميع النسخ: الانتصاب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: من.
[٨] ر م: متقدما.
[٩] جميع النسخ + في الدنيا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: كربوا. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[١١] ر: مما عمروه؛ م: مما عمر.
[١٢] ل - بعضهم.

عاشوا يعمرون الأرض أكثر مما عمرها أهل مكة. وقال بعضهم: **عمروها**، عملوها[1] أكثر مما عمل هؤلاء. وبعضه قريب من بعض.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: **وأثاروا الأرض**، أي حرثوها. وقال القُتَبِي: **أثاروا الأرض**، أي قَلَبُوها للزراعة. ويقال لبقرة: المثيرة، وقال الله تعالى: [إِنَّهَا بَقَرَةٌ] لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ.[3] **وأساءوا**[4] **السُّوأى**، أي جهنم.[5] وكذلك قال الكسائي: **السُّوأى**، هي النار،[6] كقوله: وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ،[7] أي كان عاقبتهم النار بما كذبوا بآيات الله واستهزءوا بها.

وقوله: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوأى**، يحتمل قوله: **أساءوا** إلى الرسل بالتكذيب وأنواع الأذى، ويحتمل: **أساءوا** إلى أنفسهم حيث أهلكوها وأوقعوها في النار. والسُّوأى اسم من أسماء النار كالعسرى[8] والهاوية[9] ونحوها. واليسرى[10] والحسنى[11] من أسماء الجنة.

وقوله: **أن كذبوا بآيات الله**، يذكّر أهل مكة ويخوّفهم أنّ ما حل بأولئك القرون الماضية من الإهلاك والاستئصال إنما كان بتكذيب الآيات والاستهزاء بها في هذه الدنيا؛ فأنتم يا أهل مكة إذا كذّبتم الآيات والحجج واستهزأتم بها يصيبكم ما أصاب أولئك بالتكذيب. والآيات تحتمل[12] حُجج التوحيد وحُجج الرسل في إثبات الرسالة أو إثبات[13] البعث.

وقوله: **وكانوا بها يستهزءون**، يحتمل بالآيات التي ذكرنا أو بما[14] أوعدهم الرسل من العذاب والإهلاك فاستهزءوا بذلك.

---

[1] جميع النسخ: عملوا بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩و.
[2] ن – من بعض.
[3] سورة البقرة، ٧١/٢.
[4] جميع النسخ: وقوله أساءوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٠.
[6] نسب الصري هذا القول إلى قتادة، ونسب الثعلبي والأندلسي إلى ابن عباس. *تفسير الطبري*، ٤٦٧/١٨؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية الأندلسي، ٣٣١/٤؛ *وتفسير الثعالبي*، ٣٠٧/٤.
[7] ﴿تلك عقبى الذين تقوا وعقبى الكفرين النار﴾ (سورة الرعد، ٣٥/١٣).
[8] انظر: سورة الليل، ١٠/٩٢.
[9] انظر: سورة القارعة، ٩/١٠١-١١.
[10] انظر: سورة الأعلى، ٨/٨٧؛ وسورة الليل، ٧/٩٢.
[11] ر ث م + اسم. انظر مثلا: سورة يونس، ٢٦/١٠.
[12] جميع النسخ: يحتمل.
[13] جميع النسخ: آيات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩ظ.
[14] جميع النسخ: ما. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٣ظ.

﴿اَللّٰهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١١]

وقوله: **الله يبدأ الخلق ثم يعيده.** هذا في الظاهر دعوى، لكنه قد بيّن فيما تقدم من الآيات ما يُلزمهم الإعادةَ والإحياءَ من بعد الموت، حيث قال: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ،[١] الآية، وقال:[٢] أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[٣] وغيرها من الآيات ما ألزمهم[٤] أنه لو لم يكن إعادة وبعث كان خلقهم عبثًا باطلًا خارجًا عن الحكمة. والقدرةُ في ابتداء الإنشاء إن لم تكن أكثر لا تكون دون الإعادة. فمن ملك وقدر على الابتداء كان على الإعادة أقدر؛ إذ إعادة الشيء عندكم أهون وأيسر من ابتداء إنشائه[٥] على ما ذكر في قوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[٦]

وقوله: **ثم إليه ترجعون،** سمّى[٧] الإعادة والإحياء بعد الموت الرجوع إليه، لما ذكرنا أن المقصود في خلقهم في هذه الدنيا الإعادة / والإحياء، لذلك سمّى الإعادة الرجوع[٨] إليه [٥٨٣و] والمصير[٩] إليه[١٠] والبروز له،[١١] وإن كانوا في جميع الأحوال صائرين إليه[١٢] راجعين بارزين له خارجين.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[١٢]

وقول: **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون،** قال بعضهم: الإبلاس هو الإياس، يُبلِسون أي يأيسون في الآخرة عما كانوا يَطمعون بعبادتهم تلك الأصنام والأوثان في هذه الدنيا،

[١] الآية السابقة برقم ٨.
[٢] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣ظ.
[٣] الآية السابقة برقم ٩.
[٤] ر – ما ألزمهم؛ ث م + من الآيات.
[٥] جميع النسخ: إنشاء.
[٦] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[٧] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث: والرجوع.
[٩] ر ث م: المصير.
[١٠] ر م – إليه.
[١١] انظر هذه التسمية: آخر تفسير الآية ٨ من هذه السورة.
[١٢] م + إليه

حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[1] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] ونحوه. يقول: يأيسون في الآخرة عما طَمِعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرءون منهم. وقال بعضهم: يأيسون من كل خير. وقال بعضهم: الإبلاس هو الفضيحة، أي يفتضحون بما عملوا. وقال بعضهم: المُبلِس كل منقطع رجاؤه[3] ساكت كالمتحير[4] في أمره. وقال بعضهم: المبلس، هو[5] كل آيس حزين.[6]

**﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[١٣]**

وقوله: **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاءُ**، هو ما ذكرنا أن الأصنام التي عبدوها وسمّوها آلهة لا تشفع لهم. **وكانوا بشركائهم كافرين**، يحتمل هذا وجوها.[7] أي الأصنام بهم كافرون.[8] أو هم يكفرون بالأصنام[9] إذا لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم. أو كل يكفر بصاحبه كقوله: [ثُمَّ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[10] ***والله أعلم***.

**﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[١٤]**

وقوله: **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**، سمّى الله تعالى ذلك اليوم يومَ الجمع في آية[11] بقوله: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ،[12] وسمى [في هذه الآية][13] يومَ الافتراق؛ فهو يوم الجمع في أول ما يبعثون ويُحشرون، ثم يفرّق بينهم تفريقا لا اجتماع بينهم أبدًا، كقوله:

---

[1] سورة لزمر، ٣/٣٩.
[2] سورة يونس، ١٨/١٠.
[3] ر: وجاؤه.
[4] م: كالمتحيره.
[5] ر م – هو.
[6] الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس. يقال: أَبْلَسَ. ومنه اشتق إبليس فيما قيل. قال عز وجل: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾. ولما كان المبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل: أبلس فلان، إذا سكت وانقطعت حجته (*المفردات* للراغب «بلس»).
[7] جميع النسخ: وجهين.
[8] ن: كافرين.
[9] ر ث م: الأصنام.
[10] سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩.
[11] جميع النسخ – في آية. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠و.
[12] ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ (سورة التغابن، ٩/٦٤).
[13] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٤و.

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١] فهو يوم الجمع في حال ووقت[٢] ويوم الافتراق في حال ووقت آخر. وبعض أهل التأويل يقولون:[٣] **يومئذ يتفرقون**، العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعد ما كانوا مجتمعين في الدنيا، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[٤] الآية، فهذا تفرقهم على قول[٥] بعضهم. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا. **والله أعلم**.

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[١٥]**

وقوله: **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، آمنوا بكل ما أُمروا أن يؤمنوا به وعملوا بكل ما أمروا أن يعملوا.[٦] **فهم في روضة يُحبَرون**، والروضة كأنها اسم من أسماء الجنان. وقوله: **يُحبَرون**، قال بعضهم: يُكرَمون، وقال بعضهم: **يُحبَرون**، يُسَرّون. والحَبْرة السرور، ومنه يقال: كلّ حَبْرة[٧] يَتْبَعُها عَبْرة.[٨] والزجاج يقول: **يُحبَرون**، يتنعمون، والحبرة النعمة الحسنة.[٩] **والله أعلم بذلك**.

**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[١٦]**

وقوله: **وأما الذين كفروا**، أي جحدوا توحيد الله وأنكروا[١٠] **وكذّبوا بآياتنا**. يحتمل **كذّبوا بآياتنا**، آيات التوحيد أو آيات[١١] الرسالة أو آياتِ[١٢] البعث. **فأولئك في العذاب محضرون**،

---

[١] سورة الشورى، ٧/٤٢.

[٢] ث: في وقت وحال.

[٣] ر ن م + قوله.

[٤] ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

[٥] ر م: على قولهم.

[٦] ن + به.

[٧] «الحَبْرة بالفتح: النعمة وسعة العيش» (*النهاية* لابن الأثير، «حبر»).

[٨] روي نحوه حديثا عن أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «يا علي ما من حَبْرة إلا ستتبعها عَبْرة، يا علي كل هم منقطع إلا هم النار، يا علي كل نعيم يزول إلا نعيم الجنة» (*الاعتبار وأعقاب السرور* لابن أبي الدنيا، ٢٨؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ١٤٧/٢). وروى ابن المبارك عن يحيى بن كثير مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده ما امتلأت دارٌ حَبْرة إلا امتلأت عَبْرةً، وما كانت فَرْحة إلا تبعتها تَرْحة» (*كتاب الزهد* لابن المبارك، ٨٩، وكشف *الخفاء* للعجلوني، ١٩٤/٢).

[٩] ن – الحسنة. *معاني القرآن* للزجاج، ١٨٠/٤.

[١٠] جميع النسخ: وأنكروه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠و.

[١١] ر م: وآيات

[١٢] ر م: وآيات

يحتمل قوله: **محضرون.**[1] أي يُحضر الأتباع والمتبوع جميعًا في النار ويجمع بينهم، كقوله: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا.[2] الآية، وقوله: فَبِئْسَ الْقَرِينُ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ.[3]

**﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[١٧] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[١٨]**

وقوله: **فسبحان الله حين تمسون وَحِينَ تُصْبِحُونَ**، قوله: **فسبحان الله**، فَهِمت الأمة من قوله: **فسبحان الله**، الصلاة، أي صلّوا لِلّهِ.[4] ولو كانت أفهامهم على[5] أفهام أهل زماننا هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور. ثم يحتمل تسميتهم التسبيحَ صلاةً وفَهْمُهم منه ذلك وجهين.[6] أحدهما لِما في الصلاة تسبيحٌ فسمّوها بذلك لما فيها ذلك. والثاني[7] لِما أن التسبيح تنزيهٌ والصلاة من أوّلها إلى آخرها تنزيه الرب؛ لأن فيها إظهار الحاجات إليه والعجز والضعفِ، وفيها تعظيم الرب وإجلاله ووصفه بالجلال والرفعة. ففهموا[8] من التسبيح الصلاةَ لما ذكرنا، لِما فيها تنزيه الرب[9] من أولها إلى آخرها.

ثم منهم من قال: إن الصلواتِ[10] الخمسَ ذكرت في هاتين الآيتين[11] بقوله: **فسبحان الله حين تمسون**، يعني[12] صلاة[13] المغرب والعشاءِ الآخرة، **وحين تصبحون**، صلاةُ الفجر،

---

[1] ر ث م – يحتمل قوله محصرون.

[2] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فَاهْدُوهُم إلى صراط الجحيم﴾ سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣.

[3] ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقَين فبئس القرين. ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٨-٣٩).

[4] ر: الله.

[5] ر م – أفهامهم على.

[6] جميع النسخ: لوجهين. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٤و.

[7] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م: وفهموا.

[9] جميع النسخ: لما هي من تنزيه الرب. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠ظ.

[10] ر: الصلوة.

[11] جميع النسخ: في هذه الآية.

[12] جميع النسخ: يعني. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] م: صلوات.

**وعشيا**. صلاة العصر، **وحين تظهرون**.[١] صلاة[٢] الظهر. ومنهم من يقول: لا بل ذكرت فيها أربع صلوات: **حين تمسون**. المغربُ، **وحين تصبحون**. الفجر. **وعشيا**، العصر **وحين تظهرون**، الظهر. وأما العشاء الآخرة ففي قوله تعالى: وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ.[٣] ***والله أعلم***.

وقوله: **وله الحمد في السماوات والأرض**، يحتمل قوله: **وله الحمد**، على التقديم، يقول: سبحان الله وله الحمد، فيكون الحمد كناية عن الصلاة كالتسبيح[٤] لما فيها من التحميد، أو يقول: له يَحمَد أهل السماوات والأرض. ***والله أعلم***.

وقوله: **حين تُمْسُون وحين تُصبحون ... [وعَشِيًّا] وحين تُظهرون**، أي إذا دخلوا في المساء والعشاء والصبح والظهر.

**﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[١٩]

وقوله: **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**، يخبر عن قدرته في إنشاء الأشياء مبتدِئًا لا من أصل؛ لأنه قال: **يخرج الحي من الميت**، والميت ليس فيه الحياة، وكذلك: **الميتَ من الحي**، وليس في الحي موت، لكنه[٥] يُخرِج هذا من هذا على ابتداء[٦] الحياة فيه وابتداء الموت فيه من غير أن كان فيه ما ذكر.

ثم اختلف فيه أهل التأويل، قال بعضهم: / يخرج الناس والدواب والطير من النُّطَف، [٥٨٣ظ]
**ويخرج الميت**، يعني النطف، **من الحي**، من الناس والدواب والطير. وقال بعضهم: **يخرج الحي من الميت**، أي المسلمَ من الكافر، **والميت من الحي**، أي الكافر من المسلم. ولكن يجيء على هذا أن يقال:[٧] يُخرج من المسلم ما لا يكون[٨] كافرا ومن الكافر ما لم يصر[٩] مسلما؛

---

[١] ن ث + هي.
[٢] ن - صلاة.
[٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكُم الذين ملكت أيمانُكم والذين لم يَبْلُغوا الحُلُم منكم ثلاث مرّاتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ (سورة النور، ٥٨/٢٤).
[٤] جميع النسخ + أو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٤و.
[٥] جميع النسخ: ولكنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠ظ.
[٦] ن + حق.
[٧] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٤و.
[٨] ث: ما يكون.
[٩] ن ث: ما يصير.

لأن ما يَخرج لا يوصف بالإسلام ولا بالكفر ولا ينسب إلى واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ، فيكون منه فعل الكفر أو فعل الإسلام. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١]

وفي الآيات التي تقدم ذكرها من نحو قوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ،[٢] الآية، وقوله: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[٣] الآية، وأمثال ذلك مما يذكّر ويخبر أولئك الكفرة عن قدرته وسلطانه وألزمهم ذلك. وفي الآية[٤] نقض قول المعتزلة، لأنهم لا يجعلون لله[٥] القدرة على فعل بعوضة،[٦] فلا يكون لهم الاحتجاج على أولئك الكفرة في القدرة على الإعادة والإنشاء بعد ما صاروا رَمادًا، أو كلام نحو هذا.

وقوله: **وكذلك تُخرجون**، أي كذلك تُبعثون وتُحيَون كما أُخرج الحي من الميت والميت من الحي من غير أن كانت الحياة في الميت والموت في الحي. ***والله أعلم***.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾**[٢٠]

وقوله: **ومن آياته**، يحتمل آيات وحدانيته وربوبيته وحججه،[٧] أو آيات[٨] بعثه وإحيائه، أو آيات[٩] رسالة الرسل ونحوها.[١٠]

وقوله: **أن خلقكم من تراب**، يخرج على وجوه. أحدها نسب خلقنا إلى التراب؛ لأنا إنما خلقنا من أصلٍ خلق ذلك الأصل من التراب -وهو آدم- وإن لم تكن أنفسنا مخلوقة[١١] من تراب حقيقة. كما نُسب خلقنا إلى النطفة وإن لم تخلق أنفسنا منها،[١٢] لكنه أضاف ذلك ونسب[ه] إلى النطفة لما هي أصل ما خُلقنا منها.

---

[١] انظر: تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران.
[٢] سورة الروم، ٨/٣٠.
[٣] سورة الروم، ٩/٣٠.
[٤] ن ث - وفي الآية.
[٥] ر م - لله.
[٦] ن ث: بعض.
[٧] م - وحججه.
[٨] ر م: وآيات.
[٩] ر م: وآيات.
[١٠] جميع النسخ: ونحوه.
[١١] ن - مخلوقة.
[١٢] جميع النسخ: وإن لم يخلق أنفسنا كما هي من النطفة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١و.

والثاني نُسبنا إلى التراب لما جُعل أغذيتنا وما به قوام أنفسنا وأبداننا في الخارج من التراب، فإنما هو إخبار بما به قوام أنفسنا وأبداننا وإن لم نخلق من التراب من الأصل. فيخبر -والله أعلم- أنكم لا تتصورون[1] خلق الجسم إذ[2] لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تكون الأجسام، وتتوهمون و[ت]تصورون إذا شاهدتم وعاينتم، فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام[3] بعد مشاهدة طينتها ومعاينتكم إياها، ورأيتم القدرة له على خلقها قبل أن تشاهدوا طينتها.[4]

والثالث نُسب خلقنا إلى التراب -وهو آدم على ما ذكرنا- إلا أن قوله: **خلقكم**، أي قدّركم من ذلك الأصل، والتخليق هو التقدير في اللغة وذلك جائز في اللغة، فإنما[5] قدّرنا على تقدير ذلك الأصل.[6] وجائز[7] نسبتنا وإضافتنا إلى التراب إن صح ما ذُكر في بعض الأخبار[8] أن ملكا يأتي بكف من تراب فيَذُرّه في تلك النطفة في رحم المرأة فيخلق منه حينئذ الولد.[9] فإن صح هذا فيكون خلق جميع الناس وأصلهم من تراب.

وقوله: **ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**، أي ثم إذا أنتم ذرية[10] مِن بعدُ بشرٌ تنبسطون، كقوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[11] أي يبسط. أو **تنتشرون**، أي تتفرقون في حوائجكم وفي طلب[12] أغذيتكم وما به قوام أنفسكم. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: لا تصورون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٤ظ.
[2] ر ث م: ان.
[3] ر ث م - وتتوهمون وتصورون إذا شاهدتم وعاينتم فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام.
[4] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنكم لا تتصورون ولا تتوهمون خلق الجسم إذ لم تشاهدوا تلك الطينة التي تكون منها الأجسام، وتتوهمون وتصورون إذا شاهدتم وعاينتم. [و]ما أنكرتم القدرة على خلق هذه الأنفس من أصل وإن لم تشاهدوا ذلك الأصل وإن لم يدخل ذلك في أوهامكم وإن لم يدخل في قلوبكم، فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام بالإعادة وقد عاينتم الأصل وشاهدتم. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٨٤ظ).
[5] ر ث م: وإنما.
[6] ر ث م + وذلك. [7] ر م: جائز.
[8] جميع النسخ + ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١ظ.
[9] روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا وقد ذُرّ عليه من تراب حفرته» (*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ٢/٢٨٠؛ و *تفسير القرطبي*، ١٤/٨٠). وروي عن ابن مسعود أن الملك الموكل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه ثم يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: مخلقة، قال: يا رب ما الرزق ما الأثر ما الأجل؟ فيقال: انظر في أم الكتاب. فينظر في اللوح فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته فيعجن به نطفته (*نوادر الأصول* للحكيم الترمذي، ١/١١٨؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٢/٦١؛ و*عمدة القاري* للعيني، ٨/٣٢٥-٣٢٦).
[10] ر ن م: ذريته.
[11] ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٢٨).
[12] ن: في طلب.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢١]

وقوله: **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[١] **خلق لكم من أنفسكم أزواجا**،[٢] أي من أجناسكم وأشكالكم، **لتسكنوا إليها**. يقول: إنما جَعَل ما تسكنون إليه وتتآلفون من جنسكم وشكلكم ما تعرفون، [و]لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم،[٣] كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٤] أي من جنسكم وشكلكم من تعرفون صدقه وثقته وأمانته ما لو كان من غير جنسكم وشكلكم لا تعرفونه.[٥] فعلى ذلك جائز قوله: **خلق لكم من أنفسكم أزواجا [لتسكنوا إليها]**، أي من جنسكم ما تسكنون إليها وتستأنسون بها[٦] ما لو كان[٧] من غير جنسكم[٨] لا يكون ذلك، إذ إنما[٩] يستأنس كلُّ ذي شكلٍ بشكله وجنسه. والثاني ما ذكرنا أنه أراد آدم وحوّاء، أي خلق زوجته حوّاء من نفسه فجعلها له سكنًا يسكن إليها ويستأنس بها. ***والله أعلم***.[١٠]

وقوله: **وجعل بينكم**، أي بينكم وبين الأزواج، **مودةً ورحمة**. يحتمل قوله: **مودة ورحمة**،[١١] وجهين. أحدهما يودّها لما جعلها[١٢] له موضعًا لقضاء شهوته وحاجته، وكذلك هي تَوَدّه لذلك. **ورحمةً**، أي يرحم بعضهم بعضا ويَتحنّن عيه[١٣] إذا نزل بواحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة والحاجة. والثاني يودّ بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة، إذ كل ذي طبع يودّ شكله وجنسه إذا كان في حال السعة والرخاء والسرور، ويرحمه إذا نزل به البلاء والشدة.

---

[١] ن – يحتمل؛ ن ث + قوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١ظ.

[٢] ر م – هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله خلق لكم من أنفسكم أزواجا.

[٣] ر م + ما تعرفون.

[٤] سورة التوبة، ١٢٨/٩.

[٥] ن: جنسهم وشكلهم لا يعرفونه.

[٦] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر ث م: كانوا.

[٨] جميع النسخ: جنسهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر م – إنما.

[١٠] ن – والله أعلم.

[١١] جميع النسخ – ورحمة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٤ط.

[١٢] ر م: جعل.

[١٣] جميع النسخ: إليه

هذا معروف عند الناس أن يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول البلاء والشدة، ويتوادُّوا[١] في حال السعة والسرور. وقال الحسن: **وجعل بينكم مودة**، أي الجماع، **ورحمة**، أي الولد.[٢]

فكيف ما كان فهو يخبر عن لطفه ومنّته حيث جعل بين الزوج والزوجة المودّةَ والرحمةَ على عدمِ القرابة والرَّحِم[٣] وبُعد ما بينهما، فصارا لما ذكرنا في المودّة والرحمة كالقريبَين وذوي[٤] الرَّحِمَين وأقربِ القريب. وذلك على المعتزلة؛ لأنه أخبر أنه جعل بينهم مودّةً ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر، ثم أضاف ذلك[٥] إلى نفسه وأخبر[٦] أنه جعَل، دلّ أن له صنعًا في ذلك، / فيبطل [٥٨٤و]
قولهم أن ليس لله صنع في فعل العباد. و[على زعمهم] يبطل اللطف الذي ذكر أنه جعل بينهم.[٧]

وقوله: **إن في ذلك لآيات**، لما ذكرنا من آيات وحدانيته وربوبيته أو آيات[٨] البعث والنشور أو آيات الرسالة والنبوة. **لقوم يتفكرون**، لقوم ينتفعون وهم المؤمنون، أو لقوم يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفون. فأما من لا يتفكّر ولا يتدبّر فلا ينتفع بها فهي ليست بآيات له.[٩] **والله أعلم.**

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾** [٢٢]

وقوله: **ومن آياته**، أي[١٠] آيات وحدانيته وربوبيته وألوهيته أو آيات[١١] بعثه. وقوله: **خَلْق السماوات والأرض**، في خلق السماوات[١٢] ورفعها[١٣] في الهواء وإقرارها فيه آية؛

[١] جميع النسخ: ويوادهم.
[٢] *النكت والعيون* للماوردي، ٣٠٥/٤؛ وتفسير *القرطبي*، ٤١٢/١٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٥/١١.
[٣] ن: أو الرحم.
[٤] ن ث: وذي.
[٥] ن - ذلك.
[٦] ر م: فأخبر.
[٧] ن + م جعل على زعمهم.
[٨] ر م: وآيات.
[٩] جميع النسخ: فلا ينتفع به فهو ليس بآيات له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤ظ.
[١٠] ن ث - أي.
[١١] ر م: وآيات.
[١٢] ن + والأرض.
[١٣] ن: ورفع السماء.

لأنه غير موهوم مثله من فعل الخلق ومن[1] قدرتهم. وكذلك خلق الأرض وبسطها وإقرارها على الماء أو على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم، غير موهوم ذلك في أوهامهم وعقولهم من غير الله[2] الواحد العالم القادر بذاته.[3] فإذا كان ما ذكر غيرَ موهوم في أوهامهم وعقولهم من غير الله فهم إنما أنكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوه[4] في أوهامهم، فكيف أنكروا البعث - وإن كان غير موهوم ذلك في أوهامهم-[5] بعد أن كان ذلك موهومًا من الله مشاهَدًا معاينًا، لمثل هذا -والله أعلم- يذكر هذا.

وقوله: **واختلاف ألسنتكم وألوانكم**، كأنه يقول: وفي خلق اختلاف ألسنتكم آياته أيضا؛ لأن الألسن بحيث خلقةُ الألسن غير مختلفة ولكن إنما تختلف[6] بحيث النطق والتكلمُ بها، حتى لا يقع في التكلم بها والنطق والصوت تشابهُ بحالٍ وخروجُ[7] عما يقدرون من الكلام، وإن كانت بحيث خلقتها واحدة غيرَ مختلفة.

فهذا على المعتزلة لقولهم: إن أقوال العباد غير مخلوقة لا صنع لله فيها. فلو لم يكن له فيما يتكلمون[8] وينطقون على اختلاف ذلك صنع فلا آيةَ تكون له في ذلك، فدل أنه إنما صار آية له لما له صنع في ذلك. وكذلك فيما تختلف[9] الألوان بفعل يكون من الخلق وتتغير[10] عند الغضب والسرور والفرح. ثم أخبر أن ذلك [من] آياته، دل أنه خالق لأفعالهم وأقوالهم حتى كان آية له.[11] ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: وفي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٢و.
[2] ر م - الله.
[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (سورة لقمان، ٢٥/٣١).
[4] ر م: شاهدوا.
[5] ر - فكيف أنكروا البعث وإن كان غير موهوم ذلك في أوهامهم.
[6] ت: يختلف.
[7] جميع النسخ: وخروجه.
[8] ر م: فيما تكلمون.
[9] جميع النسخ: يختلف.
[10] جميع النسخ: وتتغير.
[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإذا كان اختلاف الألوان عند أفعال العباد من الغضب والسرور فعلا لهم عندهم، فلو لم يكن خالق ذلك هو الله تعالى لم يكن آية، فدل ذلك على خلق أفعال العباد من الله تعالى فبطل مذهبهم فيه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٥و).

وأهل التأويل يقولون: **واختلاف**[1] **ألسنتكم**، عربي وعجمي ونَبَطي وتركي ونحوه، **وألوانكم**، أبيض وأحمر وأسود ونحوه، وأصله ما ذكرنا.

**إن في ذلك لآياتٍ للعالِمين**، جائز أن تكون[2] آيات لمن انتفع به من العالِمين، أو آية لمن تفكّر وتدبّر من العالِمين؛ لأنه إذا تفكّر وتدبّر عرف وجه الآية في ذلك.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**[٢٣]

وقوله: **ومن آياته منامكم بالليل والنهار**، لأن النوم يأخذهم من غير أن يَعرفوا أنه من أين مَأْتَاهُ ومأخذه، ثم يَأخذ منهم جميعَ منافع الأحياء من السمع والنطق والفهم والرؤية وجميعَ ما يُنتفَع[3] به قبل ذلك، ثم يَردّ ذلك إليهم من غير أن عرفوا بذلك فيعودون إلى ما كانوا من المنافع والاكتساب. ليُعلَم أن من قدر على مثل هذا يقدر على أخذ الروح ونفسه وردّه إليه، فهو أخو الموت، قال الله تعالى: يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ،[4] سمّى النوم الوفاة، وهو مثله لما ذكرنا أن جميع[5] منافع الأحياء يرتفع ويزول بالنوم ثم يرد إليه من غير أن يَشْعُر بذلك، فمن قدر على هذا يقدر على الإحياء بعد الموت.

وقوله: **وابتغاؤكم من فضله**، جهة الآية فيما يبتغون[6] من فضله هو خلقه تلك المكاسب والتجاراتِ والحِرَفَ التي يبتغون بها الرزق، أخبر أنه خلق ذلك منهم. ففيه دلالة خلق أفعال العباد، فهو على المعتزلة لإنكارهم خلق أفعالهم. أو أن تكون[7] جهة الآية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحِرَف وعلّمهم إياها[8] وأحوجهم إليها لِيَتصِلوا إلى منافعهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: اختلاف.
[2] جميع النسخ: أن يكون.
[3] ر ن م: تنتفع.
[4] ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جَرَحْتُم بالنهار ثم يَبعثكم فيه لِيُقْضَى أجلٌ مسمًّى﴾ (سورة الأنعام، ٦٠/٦).
[5] م - جميع.
[6] جميع النسخ: ينتفعون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[7] جميع النسخ: أو أن يكون.
[8] ث - إياها.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**، يحتمل قوله: **لقوم يسمعون**. أي يتمعون بسمعهم أو لقوم يُجيبون. والسمع يجوز أن يعبّر به عن الإجابة كقوله [عليه الصلاة والسلام]: «سمع الله لمن حمده»،[1] أي أجاب الله لمن دعاه. أو أن يكون قوله: **لقوم يسمعون**، أي يعقلون، ويجوز العبارة [به] عنه،[2] كقوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ[3] يَعْقِلُونَ.[4] وجائز أن يكون[5] قوله:[6] **لقوم يسمعون** المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[٢٤]

وقوله: **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا**، قيل فيه بوجهين. أحدهما يريكم البرق لنخوف والطمع؛ تخافون سلطانه وقدرته أن يصيبكم[7] ذلك البرق فَيَذْهب بأبصاركم، **وطمعا**، ترجون رحمته بصرفه[8] عنكم. والثاني، **يريكم البرق خوفا وطمعا**، أي يريكم البرق تخافون وتطمعون؛ تخافون[9] [أي] يخاف[10] المسافر قطع مسيره[11] ومنعه عنه، وتطمعون أي يطمع المقيم رحمته ما يكثر به أنزاله[12] ومعاشه. وجائز:[13] تخافون الصواعق وتطمعون المطر، وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **وينزّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها**، هو ظاهر قد ذكرناه.[14]

**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**، يحتمل ما ذكرنا: **لقوم يعقلون**، ينتفعون بعقولهم، **أو لقوم يعقلون**، لو تدبّروا وتفكّروا. *والله أعلم*.

---

[1] صحيح *البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح مسلم، الصلاة ٧١.
[2] أي السمع يجوز أن يعتبر به عن العقل.
[3] جميع النسخ + يسمعون أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[4] سورة لرعد، ٤/١٣؛ وسورة النحل، ١٢/١٦؛ والآية التالية.
[5] جميع لنسخ - وجائز أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع لنسخ: ويقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: تصيبكم.
[8] ر م: يصرفكم؛ ث: يصرفه.
[9] جميع النسخ - تخافون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: يخافه. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: مسيرة. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] النُّزْل: العطاء، البركة، الرزق. والجمع: أنزال (*المعجم الوسيط* «نزل»).
[13] ر ن م: والثاني؛ ث: والثالث. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[14] انظر تفسير الآية ٦٥ من سورة النحل.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**، هو ما ذكرنا[1] أنهما[2] قاما على شيء غير موهوم ذلك في أوهام الخلق، إذ ليس في أوهامهم[3] قيام شيء من أفعالهم على مثله، وهو الهواء والماء أو الريح.[4] فكيف حملهم خروج شيء من أوهامهم على إنكاره / وتكذيبه،[5] [٥٨٤ظ] وهو البعث والإحياء بعد الموت، فمن قدر على أحدهما قدر على الآخر.

وقوله: **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تَخرجون**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم، أي ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض. والدعوة هي النفخة الآخرة. وقال بعضهم: هو ما ذُكر [من أن] الدعوة تكون من الأرض من صخرة بيت المقدس، من هنالك يسمعون الدعوة.[6]

ثم اختلف في الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر، فمنهم من يقول على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر. وقال بعضهم: لا ولكن ذلك إخبار عن سرعة نفاذ الأمر وعبارة عن خفّة ذلك عليه[7] وهَوْنه، كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[8] وقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ،[9] وقوله "كن"[10] ليس أن كان منه "كاف" أو "نون" لكنه ذُكر بأخفّ حروف يُفهم منه المعنى، فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور. *والله أعلم*.

---

[1] م - إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا لقوم يعقلون ينتفعون بعقولهم أو لقوم يعقلون لو تدبروا وتفكروا والله أعلم وقوله ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره هو ما ذكرنا. صح هـ.
[2] جميع النسخ: أنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣ظ.
[3] جميع النسخ - إذ ليس في أوهامهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر هـ: والريح.
[5] ن: وتكذيب.
[6] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٩/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/٤٧٤-٤٧٦؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ١٠/٣٣١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٦٥٩-٦٦٠.
[7] ر ش م - عليه.
[8] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[9] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[10] جميع النسخ - وقوله كن. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣ظ.

وفي قوله: **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تَخرجون**، دلالة وإخبار [على][1] أنه قادر على الإنشاء والإحياء بلا سبب؛ لأنه أخبر أنه إذا[2] دعاكم دعوة[3] تَخرجون، والدعوة ليست هي بسبب للإحياء والإنشاء، بل أخبر أنه يخرجهم إخراجًا، ثبت أنه ما ذكرنا.

وقد ذكرنا في اختلاف الألسن: لو لم يكن ما يُسمَع منهم وما يَنطقون يُخلق في الحقيقة فإذن آياته عبث؛ لأن الحروف هي التي تقطعها[4] الألسن، والكلام هو ما يَرْصُفه المتكلِّم وينظّمه. فلو لم يكن ذلك خلقا من خلق الله لكان لا أحد[5] شهد خلقه ولا جسمه ولا سمعه وبما احتج به،[6] فيكون بمعنى من يقول: لله آيات في الكلام احتج بها على عباده[7] الذين لم يُطلِعهم عليه ولا سبيل لهم إلى التطلّع عليها، وذلك بعيد من العقول. فثبت أن الله قد خلق كل نطق على ما عليه، يعرفه المتفكِّر فيه[8] بما يرى من عجز المتفوّه[9] به على التفوّه به، على التقطيع الذي يقدّره في نفسه وعلى الحد الذي يجب أن يكون عليه دون أن يقع في ذلك تفاوت واختلاف، فيَعلم أن ذلك كان الآيةَ [لا] على ما كان عليه، بل بالله جل وعلا. *ولا قوة إلا بالله*.

وما ذكر من اختلاف اللون،[10] فإنا قد نجده يتغيّر بالعباد، نحو ما يظهر[11] عند شدة السرور بالشيء غير[12] الذي يظهر عند شدة الغضب، متولدًا عن فعلهم. ومن قول المعتزلة أو عامتهم أن المتولد هو فعل الخلق. فعلى ذلك القول يكون اللّون فعلا لهم بتخحيق الله. وأما النوم[13] فموضع الاعتبار فيه ما في اللون، وإلا فالاعتبار إنما هو بابتغائهم من فضله،

---

[1] لزيادة من الشرح، ورقة ٤٨٥و.
[2] ر ن ث – إذا.
[3] جميع النسخ + ثم.
[4] جميع النسخ: يقطعها. والتصحيح من نسخة جورلولي علي باشا، ورقة ٤٧٣و.
[5] ر م – هي التي تقطعها الألسن والكلام هو ما يرصفه المتكلم وينظمه فلو لم يكن ذلك خلقا من خلق الله لكان لا أحد.
[6] ر ث م – به.
[7] ر: عناده؛ ن: عبادة.
[8] ر م – فيه.
[9] ر: المتفوة.
[10] ر م – اللون. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (سورة الروم، ٢٢/٣٠).
[11] م: تظهر.
[12] ر: غيري.
[13] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (سورة الروم، ٢٣/٣٠).

أي ذلك بما ركّب فيهم من الحاجة وأنشأ لهم من الفاقة إلى ما ذكر من الأغذية. فإن[1] ابتغاءها فعل[2] للخلق، وقد احتج الله سبحانه وتعالى على العباد وأخبر أنه من آياته، ومحال أن تكون[3] حجته ما يخلقه غيره دون الذي يخلقه، بل يدل خلق كلٍّ على مُنشئِه من طريق الخلقة والتدبير. فثبت أن الابتغاء مخلوق بخلقة[4] الله وإن كان فعلا للخلق. *والله الموفق.*

**﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[٢٦]**

وقوله: **وله من في السماوات والأرض،** حرف "مَن" إنما يتكلم به ويعبر عمن له الملك والتدبير والتمييز، وحرف "ما" عن ملك الأشياء نفسها. فإذا كان مَن له الملك في الشيء والتدبيرُ والأمر له فالأملاك أحق أن تكون له. يخبر -والله أعلم- عن غِناه وسلطانه وقدرته أن[5] من له ما ذكر في السماوات والأرض لا يحتمل[6] أن يمتحنهم ويأمرهم بأنواع العبادة والطاعة لحاجة[7] نفسه أو لمصلحة نفسه،[8] إذ هو غني عن ذلك، ولكنه إنما يمتحنهم[9] ويأمرهم بأنواع العبادة وأنواع المحن لمنافع أنفسهم وحاجاتهم ومصالحهم. فإذا كان له ما ذَكر من الملك لا يُحتمل أن يُعجزه شيء أيضًا.

وقوله: **كلٌّ له قانتون،** قال بعضهم: القنوت القيام، والقانت القائم. فإن كان هذا فتأويله: **كلٌّ له قانتون،** أي قائمون[10] بتدبيره وأمره في الوجود والعدم والإبداء والإعادة وفي كل حال؛ إن أوجد وُجد، وإن أعدم صار معدومًا وإن أماته مات[11] وإن أحياه حَيِيَ ونحوُه، في كل حال يقوم بتدبيره وأمره. وقال بعضهم: **كل له قانتون،** أي مطيعون. فإن كان على هذا[12] فهو على طاعة الخلقة له والشهادة لله بالوحدانية والربوبية والتدبير له والعلم في ذلك،

---

[1] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٤و.
[2] جميع النسخ: فعلا.
[3] جميع النسخ: أن يكون.
[4] ر ث م: بخلقه.
[5] جميع النسخ: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م: لا يمتحن.
[7] ر: لخارجة.
[8] م - أو لمصلحة نفسه.
[9] جميع النسخ: إنما يمتحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥و.
[10] جميع النسخ: قائم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٥٨٥ظ.
[11] ر م - وإن أماته مات
[12] ث + ونحوه، منصوب؛ م + ونحوه في كل حال يقوم بتدبيره وأمره وقال بعضهم كل له قانتون أي مطيعون فإن كان على هذا.

لأن الله جعل في خلقة كل أحد وكل شيء وفي صورته ما يشهد له بالوحدانية والربوبية، ويدلّ على تدبيره وعلمه وحكمته. فكل له قانت ومطيع بالخلقة والصنعة. وقال بعضهم: **كل له قانتون،** أي خاضعون. فهو يرجع إلى حال دون حال، وهو حال الخوف والضرورة يخضع له كل كافر ومشرك في تلك الحال. وهو ما أخبر عنهم من الخضوع له إذا ركبوا [في][1] الفلك حيث قال: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[2] وقوله:[3] لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[4] ونحو ذلك من الأحوال التي كانوا يخضعون له ويطيعون. ***والله أعلم.***

**﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٢٧]

وقوله: **وهو الذي يبدأُ الخلق ثم يعيده،** يخبر أن من ملك وقدر على إبداء الخلق[5] وإعادته [٥٨٥و] لا يحتمل أن يخلقهم وينشئهم لحاجة نفسه / أو لمصلحته[6] لأنه غني بذاته، أو يمتحنَهم لمنفعة نفسه أو يأمرَهم[7] لذلك، ولكن إنما يُبدِئُ ويعيدُ لحاجة أنفسهم. أو يخبر أن من قدر على إبداء الشيء يملك إعادته.

وقوله:[8] **وهو أهون عليه،** اختلف فيه. قال بعضهم:[9] **هو أهون عليه،** أي عليه[10] هيّن إبداؤه وإعادته، كقوله: وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ،[11] وقوله: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ.[12] وتجوز[13] العبارة بِأَفْعَلَ عن فَعِيل،[14] نحوَ ما يقال: الله أكبر، أي كبير، وأعظم بمعنى عظيم، ونحوه كثير.

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٨٥ظ.
[2] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[3] جميع النسخ: وقولـه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٤ظ.
[4] سورة يونس، ٢٢/١٠.
[5] ر ث م – يخبر أن من ملك وقدر على إبداء الخلق.
[6] ر م: لمصلحة.
[7] ر ث م: أو يأمره.
[8] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من المرجع السابق.
[9] ر ث م – بعضهم.
[10] ر م – أي عليه.
[11] ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (سورة التغابن، ٧/٦٤).
[12] ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ (سورة مريم، ٩/١٩).
[13] جميع النسخ: ويجوز.
[14] ر ن: فعل.

فعلى ذلك قوله: **وهو أهون عليه**، أي عليه هيّن؛ إذ ليس شيء أصعبَ على الله من شيء، أو شيء أهونَ عليه من شيء، بل الأشياء كلها بمحلّ واحدٍ داخلٍ تحت قوله: كُنْ.[1] وإنما يقال أهون وأيسر لمن كان فعله بسبب فيَهُون عليه إذا كثرت الأسباب ويَصْعُب عليه ذلك إذا قلّت وضعفت. فأما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل للأشياء وصانعها والقادر عليها بسبب وبلا سبب. فلا جائز أن يقال: شيء أهون عليه من شيء، وإنما يجوز ذلك [في]من كان فعله لا يكون إلا بسبب.

وقال بعضهم قوله: **وهو أهون عليه**، في عقولكم وتدبيركم وتقديركم، أي إعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم أهون من إبدائه؛ لأن الخلق لا يملكون تصوير ما لم يَسبِق له المثال والتصوير[2] ابتداء. وقد يملكون تصوير الأشياء وتمثيلها إذا سبق لهم مثال رأوه وشاهدوه. فثبت أن إعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم أهون من ابتدائه. فإذا عاينتم وأقررتم أنه قادر على إبدائه[3] فهو على إعادته أملك وأقدر. *ولا قوة إلا بالله*.

وقال بعضهم قوله: **وهو أهون عليه**، يعني على ذلك الشيء، أي إعادته[4] ذلك الشيء أهون على ذلك الشيء من إبدائه؛ لأنه في الابتداء ينقله ويحوّله من حال النطفة إلى حال العلقة ثم من حال العلقة إلى حال المضغة ثم من حال المضغة إلى حال التصوير والتّسمَة إلى ما ينتهي إليه حتى يصير خلقًا وصورةً.[5] فيخبر أن إعادته ليس[ت] على هذا التقدير والتحويل من حال إلى حال ولكن كما ذكر: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[6] وقوله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ،[7] وقوله: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً[8] ونَفْخَةٌ،[9] ودَعْوَةً[10] وما ذكر. فالإعادة لذلك الشيء أهون على ذلك الشيء من الابتداء.

---

[1] ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٠).
[2] ر م: والتصور.
[3] ث – فإذ عاينتم وأقررتم أنه قادر على إبدائه.
[4] ث: إعادة.
[5] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٢-١٤).
[6] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[7] سورة القمر، ٥٤/٥٠.
[8] ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (سورة يس، ٣٦/٥٣).
[9] ﴿فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/١٣).
[10] ﴿ثم إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٥).

وقوله: **وله المثل الأعلى في السماوات والأرض،** أي له الصفات العالية. ثم هو يخرج على وجوه. أحدها أن[1] كل موصوف بالعلوّ والرفعة مِن دونه فهو الموصوف به في الحقيقة، على ما ذكرنا أن كل مَن حُمد دونَه فذلك الحمد له في الحقيقة راجع إليه ذلك، كقوله: وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[2] الآية.

والثاني له الصفة العالية مما يخالف صفاتِ الخلق وشِبْهَهم،[3] كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[4] لا تشبه[5] صفاته صفات المخلوقين ولا اشتبهت صفات الخلق صفاتِه. وهو ما قاله بعض أهل التأويل: الذي لا مثل له ولا شِبْهَ، لا إله إلا هو واحد لا شريك له.

والثالث وله الصفات العالية مما لا يُضادّ بعضها[6] بعضا، عالم لا جهل فيه، قادر لا عجز فيه، عزيز لا ذُلّ فيه، وأمثال ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان أو عيب بوجه من الوجوه. وليس كالخلق فإنهم[7] يوصفون بالعلم بجهة وبشيء، وبالجهل بجهة أخرى وبشيء آخر،[8] وبالقدرة بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعجز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالذل بجهة أخرى وبشيء آخر. فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات لا يضادّ بعضها بعضًا ولا يدخل في ذلك نقصان بجهة من الجهات وفي حال من الأحوال، لأنه بذاته موصوف بذلك لا بغير[9] ولا بسبب. وأما غيره[10] فإنما يوصفون بذلك بأسباب وبأغيار[11] تكون لهم. لذلك كان ما ذكر. ***ولا قوة إلا بالله.***

وقوله: **وهو العزيز الحكيم،** العزيز[12] الذي لا يلحقه الذلّ والضرر بمخالفة خلقه إياه وعصيانهم له، ليس كملوك الأرض، إذا خالفهم[13] أتباعهم وحواشيهم ورعيتهم،

---

[1] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[2] ﴿وله الحمد في السماوات والأرض وعشيًّا وحين تُظهرون﴾ (سورة الروم، ١٨/٣٠). جميع النسخ – في السماوات والأرض. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥و.
[3] ن – في الحقيقة راجع إليه ذلك كقوله وله الحمد الآية والثاني له الصفة العالية مما يخالف صفات الخلق وشبههم.
[4] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[5] جميع النسخ: لا يشبه.
[6] ر م – بعضها.
[7] جميع النسخ: ليس كالخلق أنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[8] ر ث م – وبشيء آخر.
[9] ر م: لا بغيره؛ ن: لا يعز.
[10] ن: عزه.
[11] جميع النسخ: وباعتبار. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥ظ.
[12] جميع النسخ – العزيز. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: خالفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

يَذِلّون ويلحقهم الضرر بإعراضهم عنهم، لأن عزّهم كان بهم فبإعراضهم عنهم[١] ومخالفتهم إياهم يَذِلّون. فأما الله سبحانه عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق إياه. أو أن يكون قوله: **العزيز**،[٢] المنتقم ممن[٣] يخالف أمره ويعصيه أو يشرك غيره في أُلوهيته وربوبيته. و**الحكيم**، هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. يخبر -والله أعلم- أني وإن خلقتُهم وأنشأتُهم على علم مني أنهم[٤] يخالفوني ويعصوني، وأعنتهم بكل أنواع المعونة على علم مني[٥] بذلك منهم. فإنّ فِعله ليس بخارج عن الحكمة، كما يكون في الشاهد أن من أعان عدوّه بأنواع المعونة وهو يعلم أن معونته إياه تزيد له قوةً في معاداته وعصيانه ومخالفته فهو[٦] موصوف بالسفه غير موصوف بالحكمة، لأنه يسعى[٧] في إهلاك نفسه ويُعِينه على ذلك بمعونته إياه،[٨] ومن سعى في إهلاك نفسه فهو غير حكيم. فأما الله سبحانه حيث خلقهم وأنشأهم وأعانهم[٩] بكل أنواع المعونة على علم منه بما يكون من الخلاف له والعصيان والمعاداة[١٠] غير خارج فعله عن الحكمة؛ لما ذكرنا أنه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم أنه يكون منهم / [٥٨٥ظ]
من الخلاف له والعصيان والعداوة. ***ولا قوة إلا بالله***.

**﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢٨]**

وقوله: **ضرب لكم مثلا من أنفسكم**، قال بعضهم: ضرب لكم مثلاً من مثل خلقكم؛ يقول -والله أعلم-: يبيّن لكم مثلاً من أنفسكم ما لو تفكّرتم وتأمّلتم لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الأصنامَ دون الله أو تسويتِكم[١١] الأصنامَ بالله. ثم يخرج ضرب المثل بما ذكر على وجوه.

---

[١] ن - عنهم.
[٢] ن + أي.
[٣] جميع النسخ: عمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[٤] م - أنهم.
[٥] ث - أنهم يخالفوني ويعصوني وأعنتهم بكل أنواع المعونة على علم مني.
[٦] جميع النسخ: هو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥ظ.
[٧] جميع النسخ: يسبق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن - إياه.
[٩] ر م: أعانهم.
[١٠] ن: والمعادات.
[١١] جميع النسخ: أو تسميتكم. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدها قوله:[1] **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء**، أي لم تُسَوُّوا أنتم أنفسَكم بالذي ملكت أيمانكم فيما رُزِقتم حتى تكونوا[2] أنتم وهم سواءً في ذلك. فكيف[3] زعمتم أن الله قد سوّى نفسه وما ملك من خلقه في ملكه وألوهيته؟ والثاني يقول: هل ترضون أن يكون ما ملكت إيمانكم[4] شركاءكم فيما تملكون من الأموال؟ فإذ لم ترضوا به فكيف زعمتم أن الله يرضى أن يُشرك مماليكه في ملكه وسلطانه؟ أو يقول: فإن لم ترضوا لأنفسكم إشراك ما ملكت أيمانكم في ملككم ولم تُسوّوا مماليككم بأنفسكم في ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسوّيتم نفسه ومماليكه وعدلتم به مَن دونَه؟ *والله أعلم*.

وقوله:[5] **تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**، أي [هل] تخافون مماليككم كما تخافون أحرارا[6] أمثالكم؟ [أي لا تخافون]. وقال بعضهم: [هل] تخافون لأئِمّتهم كما يخاف الرجل لائمة أبيه وأخيه وأقاربه؟ وبعضهم يقولون: [هل][7] تخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار من أوليائكم؟ وهو قول مقاتل.[8] لكن الميراث ليس من الآية في شيء، والأول أشبه.

وفي قوله: **ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء**، دلالةُ أن العبيد لا يكون لهم[9] حقيقةُ الملك في الأشياء كالأحرار؛ لأنه أخبر أنهم ليسوا[10] بسواء في الشرك فيما رُزق السادات ومُلّكوا على العلم أنهم يشتركون جميعا في المنافع، دل أنهم يملكون منافع الأشياء ويشتركون الأحرار فيها ولا يملكون حقائق[11] الأملاك.

[1] ر ث م: قولكم.
[2] ر ث م: يكونوا.
[3] ن: فأنتم.
[4] ن - أيمانكم.
[5] ث: قوله.
[6] ث: أحرار.
[7] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٥٨٦و.
[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/ ١٠.
[9] جميع النسخ: أن العبد لا يكون له. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٦و.
[10] جميع النسخ + هم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: حقيقة. والتصحيح من المرجع السابق.

وكذلك يدل على ذلك[1] قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾[2] الآية، لما نفى عنه[3] القدرة على شيء. *والله أعلم*. ويكون[4] تأويل[5] قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[6] أي يغنهم الله من فضله[7] بالمنافع، لا بحقيقة ملك الأشياء.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **كذلك نفصل الآيات**، أي نُبيّنها، **لقوم يعقلون**، أي لقوم ينتفعون بعقولهم. والثاني قوله: **نفصل الآيات**، أي نفرّق واحدة بعد واحدة على ما ذَكَر من أول السورة إلى هذا الموضع من قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ كذا، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ كذا.[9] والتفصيل يخرج على وجهين. أحدهما التبيين، والثاني التفريق في الذكر؛ ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[10] بيّنت وفرقت[11] واحدة بعد واحدة.

فإن قال لنا قائل: ما[12] في هذه الآيات التي ذكرت مما يدل[13] على إيجاب البعث؟ قيل: في هذه الآيات[14] التي ذكرت دفع الشبه التي لها أنكروا البعث؛ لأنهم رأوا البعث ممتنعًا بالشُّبه[15] التي اعترضت لهم. ففي هذه الآيات دفع تلك الشبه[16] التي لها رأوا البعث ممتنعًا حيث أراهم بدء خلقهم وقيام السماء والأرض بالذي ذَكَر.

---

[1] ر ث م – على ذلك.

[2] ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومَن رزقناه منا رزقا حسنا فهو يُنفق منه سرا وجهرا هل يستون﴾ (سورة النحل، ٧٥/١٦).

[3] ر م: عند.

[4] ر ث م: يكون.

[5] ن: في تأويل.

[6] سورة النور، ٣٢/٢٤.

[7] ن – من فضله.

[8] انظر: تفسير الآية ٣٢ من سورة النور.

[9] ن – ومن آياته كذا. انظر تفسير الآيات ٢٠ إلى ٢٥ من هذه السورة.

[10] سورة فصلت، ٣/٤١، ٤٤.

[11] جميع النسخ: وفصلت فرقت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٦ظ.

[12] ر ث م – ما.

[13] جميع النسخ: ما يدل.

[14] ر ث م – الآيات.

[15] جميع النسخ: بالشبهة.

[16] ر ث م: الشبهة

ثم إيجاب البعث يكون بالأخبار الصادقة، وهي أخبار الرسل الذين ظهر صدقهم، أو بما ذكرنا أن خلق الخلق -بلا عاقبة تجعل[1] لهم- للفناء خاصّةً خارجٌ عن الحكمة لوجوه. أحدها ما ذكرنا[2] أن بناء البناء في الشاهد للنقض والإفناء خاصّةً بلا منفعة تُتأمل في العاقبة سفهٌ خارجٌ عن الحكمة. فعلى ذلك خلق الخلق للفناء خاصّة بلا عاقبة يكون خارجًا عن الحكمة.

والثاني أنه لو لم يجعل البعث ودارًا أخرى ليفرّق بين العدوّ والوليّ فيها؛ إذ[3] قد سوّى بينهما في هذه الدار، وفي الحكمة أن يفرّق ولا يسوّى بينهما، فلو لم يكن دار أخرى فيها يفرّق بينهما[4] لكان ذلك خارجًا عن الحكمة.

والثالث في الحكمة أن يُجزَى المحسن لإحسانه والمسيءُ في إساءته، وقد يكونان في هذه الدنيا ويخرجان منها لا يصيب المحسن جزاءُ إحسانه ولا المسيءَ جزاء إساءته، فلا بدّ من دار أخرى لِيُجزَى فيها كلٌّ بعمله. وفيما ذكرنا إيجاب البعث. ***والله أعلم***.

**﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾**[٢٩]

وقوله: **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم**، يحتمل قوله: **الذين ظلموا**، أي ظلموا أنفسهم حيث لم يستعملوها فيما أمروا بالاستعمال فيه، بل صرفوها إلى غير ما أُمروا بالاستعمال فيه. أو ظلموا حجج الله وآياتِه وبراهينَه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وُضعت. وقوله: **[اتبع الذين ظلموا] أهواءهم**، في عبادتهم الأصنام وصرفها عن الله إلى من لا يستحق العبادة والشكر، وذلك لهواهم،[5] لأنه ليس معهم حجة ولا برهان، كقوله: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا،[6] أي حجةً وبرهانًا.

وقوله: **فمن يهدي من أضلّ الله**، أي لا أحد[7] سوى الله يهدي من أضلّه الله، أي من يؤثر الضلال واختاره أضلّه الله لا يهديه[8] سواه. **وما لهم من ناصرين**، ينصرهم في دفع عذاب الله عن أنفسهم؛ **أو ما لهم من ناصرين**، أي من مانعين يمنعهم عن عذاب الله. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: يجعل.
[2] ن - ما ذكرنا.
[3] ر م - إذ.
[4] ر م - بينهما.
[5] د: هوائهم.
[6] سورة الحج، ٧١/٢٢.
[7] ر م: أي أحد.
[8] ر ث م: لا يهدي.

**﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٣٠]

[٥٨٦و] وقوله: **فأقم , وجهك للدين حنيفًا**، قال بعضهم: هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ذكر الآيات فيما تقدم، حيث قال: ومِنْ آياتِهِ كذا وكذا،[1] ثم ذكر[2] الذين اتبعوا أهواءهم[3] بغير علم،[4] ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أقم وجهك أنت للدين حنيفًا.

{قال الشيخ رحمه الله:} وعندنا أن الخطاب به وبمثله لكل أحد، كقوله: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[5] و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[6] كأنه يخاطب كل من انتهى إليه هذا أن قل: "هو الله أحد"، و"يا أيها الكافرون"، فعلى ذلك قوله: **فأقم وجهك للدين حنيفا**، هو لكل أحد. ثم الإقامة يحتمل وجهين. أحدهما أقم، أي داوِمْ جهدك وقصدك. والثاني أقم، أي[7] أتمم وأقم ما ذكرنا. **للدين حنيفا**، قال بعضهم: الحنيف هو مِن حَنَف القَدَم[8] وميلِه، معناه: كن مائلاً إلى الدين في كل حال وكل وقت. وقال بعضهم: هو من الإخلاص والإسلام له.[9]

وقوله: **فطرةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها**،[10] هذا يحتمل وجوها. أحدها[11] **فطرة الله**، أي معرفة الله التي جَبَلَ الناس عليها. [و]هو أن الله جعل[12] في كل صغير وطفل من المعرفة ما[13] يعرف

---

[1] يشير إلى الآيات السابقة برقم ٢٠-٢٥.

[2] م + هم.

[3] ن + هم.

[4] يشير إلى الآية السابقة.

[5] سورة الكافرون، ١/١٠٩.

[6] سورة الإخلاص، ١/١١٢.

[7] ر ث م - أي.

[8] ر م: القوم.

[9] الحَنَف في القدمين: إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها. الحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق. وقيل: هو المخلص. وقيل: هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء. الحنيف: المستقيم (*لسان العرب*، «حنف»).

[10] جميع النسخ + ثم فسر ذلك [م - ذلك] فقال فطرة الله التي فطر الناس عليها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[11] جميع النسخ - أحدها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[12] جميع النسخ: معرفة الله التي جبل الناس عليها أن يكون الله يجعل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[13] ن: وما.

وحدانية ربّه وربوبيّته، على ما جعل لهم من المعرفة فيما فيه[1] غذاؤهم وقوامهم مِن أخْذِ ثَدْيِ أمهاتهم في حال صغرهم وطفوليّتهم.[2] ولذلك يخرج قوله: «كلّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه ويصّرانه»،[3] على ما جعل في الجبال من معرفة التسبيح لربّها والتحميد،[4] لكنْ أبواه يشبّهان ذلك عليه ويَصْرِفانه. والثاني فطرهم وجبلهم ما لو تُركوا وعقولَهم لكانوا على ما جبلوا وفُطروا، إذ فطر كلا منهم وجعل في خلقةِ كلِّ دلالةَ وحدانية الله وربوبيته. وكذلك قوله: «كل مولود يُولَد على الفطرة»، أي على الخلقة التي تدلّ وتشهد على وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا وخُلِّيَ بينهم وبين عقولهم لأدركوا. والثالث فطرهم على ما يحتملون الامتحان.

وقوله: **لا تبديل لخلق الله**، قال عامة أهل التأويل: لا تبديل[5] لدين الله، سمّاه خلقًا. وعلى قول المعتزلة له تبديل؛ لأنهم يقولون بأن فعل العبد ليس بمخلوق،[6] ويحتالون في قوله: **لا تبديل لخلق الله**، أي لا تبديل لما به يقع الدعاء إليه أو كلامٌ نحو هذا. فيقال: إن الدين هو ما يدين به[7] المرء[8] وهو فعله، مأخوذ من دان يدين. ثم أخبر أنه خلقُ الله فدل أنه مخلوق.[9] وجائز أن يكون قوله: **لا تبديل لخلق الله**، أي لما فيه دلالة وحدانية الله وشهادة ربوبيته، كقوله:

---

[1] جميع النسخ: ما فيه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[2] ر ث م: صغره وطفوليته؛ ن: صغره وطفولته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه» (*صحيح البخاري*، الجنائز ٩٣؛ *وصحيح مسلم*، القدر ٢٢).

[4] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٧٩/٢١).

[5] ث + الله.

[6] ث + له.

[7] جميع النسخ − به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

[8] ث: المرؤ.

[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾، قال عامة أهل التأويل: لا تبديل لدين الله. وإجماع أهل التأويل حجة على المعتزلة، فإنهم يقولون: إن فعل العبد ليس مخلوقا لله تعالى. والدين اسم لما هو فعل العبد، فجعلوا [أي عامة أهل التأويل] فعل العبد خلق الله تعالى، حيث قرءوا قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ أي لدين الله، وإجماعهم حجة. غير أنهم قالوا: إن مراد أهل التأويل [ليس] هو فعل العبد وإنما مرادهم أي لا تبديل لما يقع به الدعاء إليه وما يجب أن يدان به. لكنا نقول: هذا الكلام فاسد لأن الدين هو ما يدين به المرء وهو فعله فكان ما قالوا عدولاً عن حقيقة الكلام لا يجوز إلا بدليل. والله الموفق» (ورقة ٥٨٦ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٦٨٦و).

مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ،[١] أي[٢] لا تفاوت فيما فيه دلالة الوحدانية والشهادة له. *والله أعلم*.

وقوله: **ذلك الدين القيم**، أخبر أن ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين، ليس كدين أولئك الكفرة:[٣] اتباعَ الهوى. أو أن يكون، **الدين القيم**، أي المستقيم على ما وصفه الله[٤] أنه الدين الحنيف.

**﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **منيبين إليه**، هو صلة قوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا،[٥] كأنه يقول: فأقم وجهك للدين حنيفًا[٦] منيبين إليه، فهذا يدل على أن الخطاب بقوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ، للكل،[٧] حيث قال: **منيبين إليه**، أي أقبلوا إليه وأنيبوا له.

ثم الإنابة تقع فيما يقع به الأمر. كأنه يقول -والله أعلم-: أنيبوا إلى الله بما يأمركم به واتقوه عما نهاكم عنه. والتقوى من الإنابة كهو من البِر، كقوله تعالى: أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا،[٨] أن تبروا[٩] بما يأمركم به، وتتقوا[١٠] عما ينهاكم عنه.

وقوله: **وأقيموا الصلاة**، هو يحتمل وجوها. أحدها[١١] **أقيموا**، أي الْزَموا وداوموا[١٢] فعلها إلى آخر ما تنتهون[١٣] إليه [من عمركم]،[١٤] ليس على أن يقع الأمر بها مرة واحدة. والثاني **أقيموا [الصلاة]**، أي أتموها بركوعها وسجودها والقراءة وغير ذلك. والثالث **أقيموا [الصلاة]**، أي وَفُّوا إقامتها بأسبابها التي جعلت لها.

---

[١] سورة الملك، ٣/٦٧.
[٢] ر م: أو.
[٣] ن - الكفرة.
[٤] ن - الله.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ر م - كأنه يقول فأقم وجهك للدين حنيفا.
[٧] «للنبي صلى الله عليه وسلم خاصةً» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٦ظ).
[٨] ﴿ولا تجعلوا الله عُرْضَةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتُصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).
[٩] ر ث م - أن تبروا.
[١٠] جميع النسخ: وتتقوه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧ظ.
[١١] ر ث م - أحدها.
[١٢] م: أو داوموا.
[١٣] م: تنهون.
[١٤] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

وفي الصلاة أحوالٌ ثلاثٌ. أحدها الجواز، والثاني التمام والكمال، والثالث التزيين والتحسين [من الآداب].[1] ثم الجواز بحق الأركان، والتمام بحق الشعور،[2] والتزيين [والتحسين] بحق الحواشي [والأتباع].[3] ويجب على كل مصلٍّ[4] خصال ثلاث:[5] صدق النية، وحق الإخلاص له، وحق الخشوع.

وقوله: **ولا تكونوا من المشركين**، يحتمل: أي لا تكونوا من المشركين غير الله في الصلاة والعبادة، أي لا تصلّوا لغير الله ولا تعبدوا مَن دونه. أو لا تكونوا من المشركين[6] مَن دونه[7] في تسمية الألوهية والإلٰهية، لأنهم كانوا يسمون الأصنام التي يعبدونها آلهة. أو أن يكون صلةَ قوله: **منيبين إليه**، أي كونوا منيبين إليه موحّدين مقبلين على طاعته مخلصين، ولا تكونوا من المشركين له

[٥٨٦ظ س٥] غيره. *وجائز أن يكون قوله: **ولا تكونوا من المشركين**، في الذي فُطِرتم عليه، وهو ما جُعل في خلقة

[٥٨٦ظ س٦] كل واحد شهادة الوحدانية له والدلالة، يقول: لا تكونوا من المشركين في ذلك. ***والله أعلم***.*

[٥٨٨و س١] *قال أبو عوسجة: **القيّم**،[9] المستقيم. **منيبين إليه**، أي تائبين. **يقنطون**،[10] ييأسون.*

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣٢]

وقوله: **من الذين فرقوا**[12] **دينهم وكانوا شيعًا**، قال بعضهم: لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[13] ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم. ثم قوله: ولا تكونوا **من الذين فرقوا**[14] **دينهم** -وقرئ

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.
[2] ر ث م: الشعوب؛ ن: الشعوب، صح هـ.
[3] الزيادتان من المرجع السابق.
[4] ن: مصلي.
[5] ر م - ثلاث.
[6] ث + غير الله في الصلاة والعبادة أي لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه أو لا تكونوا من المشركين.
[7] م + أو لا تكونوا من المشركين من دونه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٦ظ/سطر ٥-٦.
[9] الآية السابقة.
[10] الآية ٣٦ من هذه السورة.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٨و/سطر ١.
[12] جميع النسخ: فارقوا. قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: فرّقوا، مُشدَّدة، وقرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بألف. انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٧٤.
[13] الآية السابقة.
[14] جميع النسخ: فارقوا.

"فارقوا"-[1] فهو يحتمل وجهين. أحدهما فارقوا دينهم الذي جاءتهم الرسل به.[2] أو فارقوا دينهم الذي فُطروا عليه، وهو ما جعل فيهم من شهادة التوحيد له والربوبيّة. وقوله: **وكانوا شيعا**، يحتمل: صاروا / شيعا، أي فِرقًا وأحزابًا بعد ما كانوا على ما فُطروا، أو على ما جاءتهم [٥٨٦ظ] الرسل [به]. أو كانوا شيعًا: ما يُتَبّعُ[3] ويتبع بعضهم بعضا؛ لأن الشيعة هم الذين يرجعون إلى أصل واحد وأمر واحد. ***والله أعلم***. وقوله: **فرقوا دينهم**، أي قطعوا دينهم وجعلوه قطعًا وفِرقًا وأديانًا، من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها. **كل حزب بما لديهم فرحون**، يقول -والله أعلم-: كل أهل دين وملةٍ[4] بما عندهم من الدين راضون[5] به فَرِحون.[6]*

**﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾**[٣٣]

وقوله: **وإذا مس الناس ضُرٌّ دعَوْا ربهم منيبين إليه**، قال قائلون: **منيبين**، مخلصين له،[8] كقوله: دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[9] وقال قائلون: مطيعين، وقال قائلون: موحّدين. وأصل الإنابة الرجوع، أي راجعين إليه عما كانوا فيه من الشرك، فالإنابة هي التوحيد. وإن كانت[10] الإنابة الإخلاص فهي[11] رجوع[12] عن الإشراك في العبادة، وإن كا[نت الرجوعَ] عن العصيان فهي[13] الطاعة، وأصلها[14] الرجوع عما كانوا فيه.

---

[1] جميع النسخ: فرقوا.
[2] جميع النسخ - به. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.
[3] شيّعته نفسه على ذلك وشايَعَتْه: تبعته وشجعته. قال أبو إسحاق: معنى شيّعتُ فلانا في اللغة: اتبعت (*لسان العرب*، «شيع»).
[4] ث: أهل ملة ودين.
[5] ر: رضوان؛ م: رضوا.
[6] ن - يقول والله أعلم كل أهل دين وملة بما عندهم من الدين راضون به فرحون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدماه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٦ظ/سطر٥-٦.
[8] ر ث م - له.
[9] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[10] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.
[11] جميع النسخ: فهو.
[12] ن: مرجوع.
[13] جميع النسخ: فهو.
[14] جميع النسخ: وأصله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

ففيه وجوه من الاحتجاج عىى أولئك[١] وتنبيه وعظة للمؤمنين. أما الاحتجاج عليهم [أحدها في إثبات الرسالة].[٢] فإنه معلوم أنهم[٣] كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين ولكن كانوا يركبون بأنفسهم، ثم أخبر عما أخلصوا له الدعاء[٤] والتضرع، دل أنه بالله عرف ذلك، فذلك يدل على رسالته. والثاني فيه دلالةُ أنهم قد عرفوا وحدانية الله وأُلوهيّته حيث فزِعوا عند الشدائد والبلايا إلى الله وأخلصوا له الدين، ثبت أنهم قد عرفوا سَفَهَ أنفسهم في عبادتهم الأصنامَ وتركِهم عبادة الله تعالى. والثالث تصديق[٥] لقوله: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[٦] لأنهم كانوا يسألون الرد إلى الدنيا ليؤمنوا به، كقوله:[٧] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا،[٨] فأخبر أنهم يعودون إلى ما كانوا نهوا عنه،[٩] كما عادوا إذا كُشف عنهم الضُرُّ.[١٠] وأما العظة والتنبيه للمؤمنين فهو أن يكونوا في الأحوال كلها على حد واحد في حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين، لأنهم في حال الشدة والبلاء[١١] أكثر ذكرًا[١٢] له وإنابةً من حال السعة والرخاء، فينبههم ليكونوا في كل حال ذاكرين له منيبين إليه راجعين.

---

[١] أي على المشركين.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[٣] جميع لنسخ: أنه معلوم لأنهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.

[٤] جميع لنسخ: والدعاء له.

[٥] جميع لنسخ: تصديقا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[٦] سورة الأنعام، ٢٨/٦.

[٧] ر ث م: كقولهم؛ ن: لقولهم.

[٨] ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٢٧/٦).

[٩] جميع النسخ - نهوا عنه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.

[١٠] وعبارة لسمرقندي هكذا: «والثالث تصديق لقول الله تعالى خبرًا عن حال الكفرة: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾. كان بعض الملحدين يطعنون ويقولون: كيف يعودون إلى ما كانوا عليه وأنهم رأوا العذاب معاينة ويعلمون أن مصيرهم إلى الله تعالى في الثاني. فرد صنيعهم بهذه الآية: ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه﴾، الآية، إنكم ترون في الدنيا أن الكفار عند معاينتهم العذاب يُخلصون لله تعالى وإذا نُجّوا من ذلك يعودون إليه. فما بالهم أن كانوا يسألون الرد إلى دار الدنيا ليؤمنوا ثم يعودوا إلى ما كانوا، كما عادوا أولئك إذا كشف الضر عنهم. والله أعلم» (ورقة ٥٨٧و).

[١١] جميع النسخ: والبلايا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[١٢] ر م: ذاكرا.

وفيه دلالة شدة سفه أولئك الكفرة، حيث أنابوا إليه وأخلصوا له الدين عندما يصيبهم البلاء والشدة،[١] ويعرضون عنه ويشركون في ألوهيته عند السعة. وفي طباع الخلق في الشاهد خلاف ذلك؛ فإن[٢] من ضيّق على آخر أمرَه وشدّده فهو يعرض عنه ويبغضه، ومن أنعم عليه من ملوك الأرض وأحسن أطاعه وأحبّه. فهم لشدة سفههم عكسوا[٣] طباعهم وخالفوا طباع الناس جميعًا. *والله أعلم.*

وقوله: **ثم إذا أذاقهم منه رحمةً**، أي السعة والرخاء، **إذًا فريق منهم بربّهم يشركون.** فإن قيل: ما[٤] فائدة ذكر هذه الآيات وأمثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها؟ قيل: قد يحتجّ عليهم بما لا يقرّون به[٥] ولا ينظرون فيه، أو أن ينظر[٦] في ذلك فريق منهم ويعرفونه. *والله أعلم.*[٧]

**﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٤]**

وقوله: **ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، يقول: إذا أذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا،[٨] لكنهم كفروا، إلى هذا ذهب مقاتل.[٩] وعندنا ما ذكرنا:[١٠] أذاقهم منه رحمة ليكون[١١] ما قد علم أنهم يختارون ويكون منهم، وهو الكفر. إذ لا[١٢] جائز أن يذيقهم الرحمة لئلّا يكفروا، ويعلمَ منهم أنهم يختارون الكفر ويكون منهم ذلك، فدل أنه ما ذكرنا.

---

[١] جميع النسخ: الشدة والبلاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.
[٢] جميع النسخ: ان. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] جميع النسخ: عكس.
[٤] ر – ما.
[٥] جميع النسخ – به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: أو أن ينظرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل ما فائدة ذكر هذه الآيات وأمثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها؟ قيل: هذا من وجهين: لتأكيد الحجة عليهم وإزاحة العلة والعذر عنهم وإن كان لا عذر لهم، وهو كقوله تعالى ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (سورة النساء، ١٦٥/٤). والثاني إن كان البعض منهم معاندين والبعض على الكفر للحيرة والجهل بالدليل، ومن كان هذا حاله فهو ينظر في الدليل ويقرّ به إذا وضح له ذلك. والله أعلم» (ورقة ٥٨٧و).
[٨] ر ن م + وإنما أذاقهم رحمة لئلا يكفروا.
[٩] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٢٥/٢.
[١٠] ذكر هذا في تفسير الآية ٦٦ من سورة العنكبوت.
[١١] جميع النسخ + منهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.
[١٢] جميع النسخ: ولا. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم: إن على الله الأصلحَ للعباد لهم في الدين، وقولهم: إنه[1] إذا علم من أحد منهم الإيمان في وقت من الأوقات ليس له أن يخترمه[2] ولكن عليه أن يبقيه إلى ذلك الوقت، لأنه لو اخترمه[3] قبل ذلك الوقت لكان هو المانع إيمانه.

فيقال لهم:[4] إن أولئك الكفرة لمّا أخلصوا دينهم لله في حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله على ذلك الإخلاص والحال التي كانوا يخلصون الأمر له والدين، بل[5] وسّع عليهم وحوّلهم من تلك الحال حتى عادوا إلى ما كانوا. دل أنه[6] ليس على الله حفظ الأصلح للخلق في الدين، وقد أمر نبيّه بمقاتلة الكفرة مطلقًا ولعلهم يُسلمون في وقت لو تُركوا أو بعضٌ منهم. دل أنه[7] ليس ذلك عليه.

وقوله: **فتمتّعوا**، هو في الظاهر أمر ولكنه يخرج على الوعيد، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[8] وقد ذكر في آية أخرى: وَلِيَتَمَتَّعُوا،[9] فهو ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

**﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**، قال بعضهم: **أم أنزلنا**، بل أنزلنا، **عليهم سلطانًا**، حجحًا، **فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**، أي يبيّن[10] [لهم][11]

[٥٨٧و] ويُعْلمهم[12] أن الذي هم عليه شرك ليس / بتوحيد؛ لأنهم كانوا يقولون: إنا على التوحيد وإنما نعبد هذه الأصنام لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[13] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[14] ونحوه.

---

[1] ر ث م – إنه.

[2] ر ث م: يخترعه. أي ليس لله أن يميته.

[3] ر ث م: اخترعه.

[4] ر م – لهم.

[5] ث – بل.

[6] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٩و.

[7] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ﴿إن الذين يُلحدون في آياتنا لا يخفَوْن علينا أفَمَنْ يُلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

[9] ﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٦).

[10] ر: يتبين.

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[12] ر ث ت: ويعمه هم

[13] سورة الزمر، ٣٩/٣.

[14] سورة يونس، ١٠/١٨.

فيقول: بل أنزلنا عليهم ما يبيّن لهم[١] ويُعلم أن ذلك شرك وليس بتوحيد. ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، أي ما أنزلنا عليهم سلطانًا فيأمرهم بما كانوا به يشركون أو يأذن لهم بذلك، كقوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ،[٢] أي ليس للإنسان ما تمنى.[٣] فعلى ذلك قوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، أي لم ننزل[٤] عليهم سلطانًا يأمرهم بما كانوا به يشركون، إذ[٥] كانوا يدّعون بذلك أمر الله، كقولهم: وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.[٦] ففيه وجهان على أولئك الكفرة. أحدهما[٧] ما ذكرنا أنهم كانوا يدّعون بذلك الأمرَ من الله، فيخبر أنهم كَذَبَة في قولهم بأن الله أمرهم بذلك،[٨] بل لم يأمرهم بذلك ولا أنزل عليهم الكتاب أو السلطان في إباحة ذلك. والثاني يذكّر سفههم في عبادتهم الأصنام، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويسمّونها آلهةً، بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك، ثم كانوا يطلبون من الرسول آيات تَقْهَرهم وتَضطرّهم على رسالته وما يوعدهم، بعد ما آتاهم من الآية ما أعلمهم وأنبأهم أنه رسول، فالعبادة أعظم وأكبر للمعبود من الرسالة. فإذ لم تطلبوا لأنفسكم الحجة والآية القاهرة في إباحة ما تعبدون من دون الله فكيف تطلبون من الرسول الآية القاهرة في إثبات الرسالة؟

وقال[٩] بعضهم:[١٠] **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، كتابًا فيه عذر لهم، فهو[١١] يشهد بما كانوا به يشركون.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**، إذا أُريد أن يسوَّى بين هذه الآية والآية التي قبلها –وهو قوله: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ،[١٢] إلى آخره– ويجمع بينهما يكون قوله: **إذا هم يقنطون**، من الأصنام التي يعبدونها.

---

[١] ر م – لهم.

[٢] سورة النجم، ٥٣/٢٤.

[٣] ر ث م – أي ليس للإنسان ما تمنى.

[٤] جميع النسخ: لم ينزل.

[٥] جميع النسخ: أو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٩و.

[٦] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[٧] ن: أحدها.

[٨] ث – بذلك.

[٩] ر: أو قال.

[١٠] ن – بعضهم.

[١١] ن – عذر لهم فهو.

[١٢] الآية السابقة برقم ٣٣

لأنه[1] يقول في هذه الآية: **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**، وفي الأولى يقول: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، فوجه الجمع بينهما ما ذكرنا أن يكون القنوط من الأصنام -والله أعلم- كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[2] أو أن يكون قوله: **إذا هم يقنطون**، عند ما امتد بهم الضرّ والشدة حينئذ ييأسون من رحمة الله، والأول في ابتداء ما أصابهم من الضرّ فَزِعوا إليه وأنابوا له. أو أن يكون إحدى الآيتين في قوم والأخرى في قوم آخرين، لأنهم كانوا فرقًا وأحزابًا في الكفر والشرك؛ منهم من كان يشرك في الأحوال كلها في حال الضِيق والسعة؛ ومنهم من كان يشرك في حال الضيق ويؤمن في حال السعة، كقوله: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ،[3] وكقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ؛[4] ومنهم من كان يخلص الدين في حال الضرّ والشدة ويعاند ويتمرّد في حال السعة والرخاء، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ،[5] ونحوه. فكانوا فرقًا وأحزابًا على ما ذكرنا، فجائز أن يكون إحدى الآيتين في فريق وقوم والآية الأخرى في قوم آخرين.[6] أو ما ذكرنا من اختلاف الأحوال:[7] يقنطون عند ما امتد بهم الضرّ والشدة، ويُنيبون[8] إليه عند ما لم يمتد بهم ذلك ولم يتطاول. أو ما ذكرنا[9] من القنوط من الأصنام والإنابة إلى الله، كقوله: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[10] وإلا الآيتان في الظاهر متناقضتان لكن[11] الوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: أنه.
[2] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[3] سورة هود، ٩/١١-١٠.
[4] سورة الحج، ١١/٢٢.
[5] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[6] ر م: أخرى.
[7] ن + لي.
[8] ر م: ييسون.
[9] ن: وما ذكر.
[10] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[11] ر م: ولكن.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٧]

وقوله: **أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، يحتمل [أن يكون] قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، [حجة] على الكافرين، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[1] ثم وجه الآيات لهم على كفار مكة من وجوه: في إثبات الرسالة، وفي البعث، وفي[2] إظهار سفههم في عبادة الأصنام وإشراكهم إياها في عبادة الله. لأن أهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله، فالاحتجاج عيبهم بهذه الآية على الوجوه التي ذكرنا.

فأما الاحتجاج في إثبات الرسالة فهو من وجوه ثلاثة. أحدها أنهم كانوا ينكرون الرسالة له؛[3] لأنه بشر ولا يرون لبشر بعضِهم على بعض فضلاً، كقوله:[4] مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[5] فيُريهم الفضل لبعضهم على بعض في الرزق موسَّعًا على بعض مضيَّقًا[6] مقتَّرًا على بعض، فإذ ثبت عندهم وظهر الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل[7] لبعض[8] على بعض[9] في الرسالة. والثاني ذكر[ه] مقابلاً لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[10] يخبر أن الأمر ليس إليهم إنما ذلك إلى الله، يختار من يشاء / لما يشاء [٥٨٧ظ] من الرسالة والنبوة وغيرهما، كما يختار التوسيع على من يشاء والتضييق والتقتير على من يشاء، وإن كانوا جميعًا يتمنّون السعة ويحبّونها ويهربون من الضيق والتقتير، ولكن الأمر في ذلك إلى الله كلّه. والثالث وسّع على بعض وضيّق على بعض، فالجهة التي وسّع بها[11] على بعض

---

[1] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[2] ر م: في.
[3] ر ث م - له.
[4] ر ث م: كقولهم.
[5] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٣-٢٤).
[6] ر م: مضيعا.
[7] ن: التفضيل.
[8] ر م - لبعض.
[9] م - بعض.
[10] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[11] جميع النسخ - بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

غير الجهة التي ضيّق بها[1] على بعض،[2] فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلّم ما على هذا وما على هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق. *والله أعلم*.[3]

وأما الاحتجاج عليهم في البعث بها[4] فهو من[5] وجوه أيضا.[6] أحدها أنه جمع في هذه الدنيا بين الولي والعدو[7] وسوّى بينهما في التوسيع والتضييق، إذ وسّع على العدو والولي جميعًا، وضيّق على الولي ووسّع على العدو، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية، وقد سوّى بينهما في هذه الدنيا وجمع، فلا بد من دار أخرى فيها يفرّق بينهما، فيلزمهم البعث. *والله الموفق*. والثاني أنه وسع الرزق على من هو في تقديرهم وعقولهم لا يجب[8] التوسيع عليه، وهو السفيه الجاهل الذي في تقدير كل ذي عقل ولب أن يكون محرومًا مضيّقًا. وضيّق على من هو في تقدير كل أحد وعقله أن يكون موسّعًا عليه ومرزوقا،[9] وهو العاقل العارف بجميع أسباب السعة والغَناء، وفي التقدير[10] على خلاف هذا. فلا بد من مكان فيه يظهر التفضيل للعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن أضدادها، ومَن هو من[11] أهل التوسيع[12] ومَن هو من[13] أهل الحرمان، إذ قد اشتركوا في هذه.

---

[1] جميع النسخ – بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

[2] ن ه + من الشكر والصبر ولا يعمم كيفيتهما.

[3] وعبارة السمرقندي هكذا: «والثالث وسع على بعض وضيق على بعض، والجهة التي [بها] وسع على بعض غير الجهة التي [بها] ضيق على بعض من الشكر والصبر. ولا تُعلم كيفيتهما، فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلّم ما على هذا وعلى هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق. وهذا يقتضي بعث الرسول الذي يخبر بذلك عن الله تعالى، إذ لا يُعقل ذلك بمجرد العقل، إذ بالعقل إن كان يعرف بحُدّي الشكر والصبر لكن لا يعرف كيفياتها، فيدل ذلك على إثبات الرسالة. والله الموفق» (ورقة ٥٨٧ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٦٨٧ظ).

[4] أي الاحتجاج عليهم في البعث بالآية.

[5] ر ث م: فمن.

[6] ن – أيضا.

[7] ر م: بين العدو والولي.

[8] جميع النسخ: لا يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٨و.

[9] ر ث م: مرزوقا.

[10] ن: في التقدير.

[11] جميع النسخ – من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

[12] م: التوسع.

[13] جميع النسخ – من. والتصحيح من المرجع السابق.

والثالث أن يعتبروا وينظروا بأن من قدر على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق وحرمانه بالأسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير أسباب لَقادرٌ على إحياء الأشياء الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم. **والله أعلم**.

وأما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم غير الله، و[هو أن] في ذلك [إظهارَ] تناقض، وذلك أنهم قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٢] وكانت لا تشفع لهم في الدنيا ولا تقرّبهم الزلفى فيها في التوسيع والبسط ودفع الضيق، وفي الآخرة لا يحتمل؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بها،[٣] فهو تناقض وسفه وسَرَف في القول.

وهذه الآية وغيرها من الآيات تنقض على المعتزلة، لأنهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحِرَفهم وتجاراتهم وجميع أسبابهم التي بها يَرْتزقون ويتعيّشون صنعًا، وإنما يجعلون ذلك في الخارج من الأرض وغيرها، فالناس في ذلك سواء، لا يقع منه بسط في ذلك[٤] وتضييق[٥] إذا لم يكن له في تلك الأسباب والمكاسب صنع. فدل أن له في ذلك صنعًا حتى يقع منه البسط والتوسيع والتضييق والتقتير. **والله أعلم**.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، يحتمل وجهين. أحدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك آيات على الكفار. والثاني لقوم ينتفعون بإيمانهم، والمؤمنون[٦] هم المنتفعون بها، فأما من كفر بها فلا ينتفع. وجائز أن يكون في ذلك العبرة من وجه آخر لقوم يؤمنون، وهو أن لا يعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب التي يكتسبون بها، ولكن يرون الرزق من الله أنه يرزق بأسباب وبغير أسباب. أو يذكر هذا لهم على أن من رفع الحاجة إلى آخر فلم يقضها أن يرى حرمانها[٧] من الله لا من ذلك الرجل.[٨]

---

[١] سورة الزمر، ٣٩/٣.

[٢] سورة يونس، ١٠/١٨.

[٣] ر م – بها.

[٤] ر م – سواء لا يقع منه بسط في ذلك.

[٥] ر م: وتضيق.

[٦] ر م: والمنتفعون.

[٧] ن ث + وقضاءها.

[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أن يذكر هذا لهم [على] أن من رفع الحاجة [إلى آخر] فلم يقضها أن يرى الحرمان من ذلك من قضاء الله تعالى لا من ذلك الرجل، وكذا من نال حاجته من غيره يرى النيل من الله تعالى لا من المعطي في الحقيقة، وإن كان في يدهما الأسباب. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٨و).

**﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٣٨]

وقوله: **فآت ذا القربى حقه**، يحتمل قوله: **حقه**، أي حاجته، لا على حق كان له، كقوله: مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ،[١] أي من حاجةٍ، إذ معلوم أنه لم يكن لهم في بناته حق ولكن أرادوا بالحق الحاجة، فعلى ذلك الأول. وكذلك قوله: **والمسكينَ وابنَ السبيل**، أي سُدَّ المسكين حاجته ومسكنته، وكذلك ابن السبيل. ويحتمل قوله: **فآت ذا القربى حقه**، الحق الذي كان له.[٢] لكن لم يبيّن ذلك الحق في هذه الآية و إنما[٣] بيّن في آية أخرى بقوله:[٤] كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ،[٥] وما ذكر من المواريث في[٦] قوله: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[٧] الآية، ونحو ذلك من الحقوق. وحق المسكين وابن السبيل ما[٨] ذكر من الصدقات والزكوات.[٩] *والله أعلم*.

وقوله: **ذلك خير للذين يريدون وجه الله**، يحتمل قوله: **ذلك خير**، أي الإيتاء للأقربين والمساكين والفقراء خير من الأبعدين والأغنياء وغيرهم. أو أن يكون قوله: **ذلك خير**، أي ذلك[١٠] الإيتاء إذا أريد به وجه الله خير[١١] مما لا يراد به.

وقوله: **وابنَ السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو المنقطع عن ماله يُعان حتى يصل إلى ماله. وقيل الضيف ينزل فيُحسَن إليه إلى أن يرجع ويرتحل.

---

[١] ﴿وجاءه قومه يُهرَعون إليه ومن قبلُ كانوا يعملون السيئات قال يا قومِ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ (سورة هود، ١١/٧٨-٧٩).

[٢] جميع النسخ: لهم. وفي الشرح: «الحق الذي كان للقربى عليه» (ورقة ٥٨٨و).

[٣] جميع النسخ – إنما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢١و.

[٤] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٨٨و.

[٥] سورة البقرة، ١٨٠/٢.

[٦] ر ث م – في.

[٧] سورة النساء، ١١/٤.

[٨] ن: وما.

[٩] ر م: والزكاة.

[١٠] م – ذلك.

[١١] ر م – خير.

وجائز أن يكون قوله: **ذلك خير للذين يريدون وجه الله**، أي آتِ مَنْ ليست له عندك نعمة فيكون ذلك مكافأة لتلك النعمة، ولكن على إرادة وجه الله. ***والله أعلم.***

وقوله:[١] **وأولئك هم المفلحون**، قد ذكرنا أن الفلاح هو البقاء، وقيل: النجاة.[٢]* [٥٨٨و]

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **وما آتيتم من ربًا لِيربُوَ في أموال الناس فلا يَربُو عند الله**، قال عامة أهل التأويل: هذا في العطايا والهدايا[٤] التي يعطي بعضهم بعضًا ويُهدون، ليُصيبوا أكثر مما أعطوا وأَهْدَوا مجازاة ومكافأة لذلك. كأنه يقول: **وما آتيتم**، من عطية وهدية، **ليربو في أموال الناس**، لتزدادوا من أموال الناس ولتلتمسوا الفضل من أموالهم، [**فلا يَربُو عند الله**]. يقولون: هذا رِبًا حلالٌ لا[٥] وِزر فيه ولا أجر، فهو مباح للناس عامّةً لا بأس به. وأما قوله: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ،[٦] فهو للنبي خاصّةً. يقول: لا تعطِ[٧] لِتُعْطَى أكثرَ منه ابتغاءَ الثواب في الدنيا، ولكن أَعْطِ ابتغاءَ ثواب الآخرة. ويستدلون بإباحة ذلك [في حق عامة الناس][٨] بقوله: **فلا يربو عند الله**، يقول: لا يزداد ولا يتضاعف ذلك عند الله، ولم يقل ما قال في الربا المحرّم المحظور، حيث قال: يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ،[٩] ذكر المَحْق هنالك، وهاهنا ذكر: **فلا يربو عند الله**، أي لا يزداد ولا يتضاعف.

لكن لو قيل: إنها في الربا المحظور، كان جائزًا محتمِلاً؛ ويكون قوله: **فلا يربو عند الله**، كقوله: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[١٠] إنها إذا لم تربح خسرت. ألا ترى أنه قال: وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ،[١١]

---

[١] ر ث م – وقوله.
[٢] انظر: تفسير الآية ٦٧ من سورة القصص.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٨و/سطر ١.
[٤] ر م – والهدايا.
[٥] ر – لا.
[٦] سورة المدثر، ٦/٧٤.
[٧] ر م: لا تعطه.
[٨] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٨٨و.
[٩] سورة البقرة، ٢٧٦/٢.
[١٠] سورة البقرة، ١٦/٢.
[١١] سورة التوبة، ٦٩/٩.

دل أنها إذا لم تربح خسرت، فعلى دلك قوله: **فلا يربو عند الله**، فإذا[1] لم يَرْبُ عنده مَحَقَه وتحسيروا. [وذلك] -والله أعلم- لولا صرف أهل التأويل التأويلَ إلى الهدايا والعطايا التي يُبتغى بها الثوابُ في الدنيا والمكافأة فيها أكثرَ مما أَعْطَوا، وإلا جاز[2] صرفه إلى الربا المعروف بين الناس في العقود. وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الهديّة يُبتغَى بها وجه الرسول وقضاء الحاجة، والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة».[3]

[٥٨٨ظ س ٢٤ *قال أبو عوسجة: الربا من الرُّبُوِّ، مثل ما يصنع أصحاب الربا، **ليربُوَ**، أي ليزيد ويكْثُر، يقال: ربا ماله، إذا[4] كثر. والقُتَبِي يقول: أي يزيدكم من أموال الناس، من زكاة وصدقة.[5]* ٥٨٨ظ س ٢٥]

ثم بين ما الذي[7] يربو عند الله، وهو ما قال: **وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله.** ثم اختلف فيه، قال [بعضهم]: هو ما يُزَكُّون من زكاة المال يريدون به وجه الله، فهو الذي يقبله الله ويضاعِف عليه. ومنهم من قال: كل صدقة أعطاها أراد بها[8] وجه الله، لم يرد بها الثواب في الدنيا، فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله.

**فأولئك هم المضعِفون**، وكان يجب[9] أن يقال: فأولئك هم المضعَفون، بنصب العين، لأنه هو يضاعِف لهم. لكن الزجاج يقول:[10] هو كما يقال: الموسِر هو الذي له يَسَار، والمُقْوِي هو الذي له القوة، ونحوه، فعلى ذلك المضعِف هو الذي له الضِّعف.[11] وعندنا هم المضعِفون،

---

[1] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢١ظ.

[2] أي لولا صرف أهل التأويل التأويل إلى ما ذكر لجاز...

[3] روي عن عبد الرحمن بن علقمة أنه قال: "قدم وَفْد ثَقِيف عى رسول الله صلى الله عيه وسلم ومعهم هدية، فقال: «أهدية أم صدقة؟ فإن كانت هدية فإنما يُبْتَغى بها وجه رسول الله صلى الله عيه وسلم وقضاء الحاجة، وإن كانت صدقة فإنما يُبْتَغى بها وجه الله عز وجل». قالوا: لا بل هدية. فقبلها منهم وقعد معهم يسائلهم ويسائلونه" (سنن *النسائي*، العُمْرى ٥؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ١١/٣٠٥-٣٠٦).

[4] ر م: أي.

[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٨ظ/سطر ٢٤-٢٥.

[7] ن: ثم بين بالدي.

[8] ر ث م - بها؛ ن: به. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[9] ر م: محيء؛ ن ث: يجيء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢و.

[10] ر: يقوله.

[11] *معاني القرآن* لزجاج، ٤/١٨٨.

لأنهم هم الذين جعلوا الآحاد عشراتٍ والأضعاف المضاعفةَ بتصدّقهم ابتغاء وجه الله، فهم المضعِفون لأنفسهم[١] ذلك.[٢]

ثم يجوز أن يستدل بهذه الآية على إباحة هذه المعاملات التي تجري[٣] فيما بين الناس، لأنه أجاز الهدية والعطيّة على قصد الفضل والزيادة، وإن كانت[٤] على شرط الزيادة لا تجوز.[٥] فعلى ذلك المعاملة تجوز على قصد الزيادة والفضل، وإن كانت[٦] على شرط الزيادة[٧] لا تجوز.[٨] لكن أبا حنيفة رحمه الله كره مثل[٩] هذه المعاملات ولم يكره الهديّة على قصد طلب الفضل لوجهين. أحدهما أن ليس العرف في الناس في الهدايا إعطاء الفضل وإن كان[١٠] قصد أولئك طلبَ الفضل لا مَحالةَ، بل يكافئون مرة الأكثر ولا يكافئون ثانيًا ويكافئون[١١] بعضًا ويَحرِمون بعضًا، فلا يُكرَه.[١٢] وأما المعاملة فلا تكون[١٣] إلا على قصد ذلك الفضل، فلا يرضون منهم إلا حفظ المقصود فيها، وأهل العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم، وأهل المعاملة لا. [وقد] روي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه قال]:[١٤] «من أُسدي إليه نعمةٌ[١٥] فليجازه وإلا فليَشكره وَلْيُثْنِ عليه»، أو كلام نحو هذا.[١٦]

---

[١] م: لأنهم.

[٢] «لأن مباشرة السبب وُجد منهم، فأضافـ[ـه] إليهم. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٨٨ظ).

[٣] ن ث: يجري.

[٤] جميع النسخ: وإن كان.

[٥] ر ث م: لا يجوز.

[٦] جميع النسخ: وإن كان.

[٧] ن - فعلى ذلك المعامة تجوز على قصد الزيادة والفضل وإن كان على شرط الزيادة.

[٨] جميع النسخ - لا يجوز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢و.

[٩] جميع النسخ - مثل. والزيادة من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ + على. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م - ثانيا ويكافئون.

[١٢] أي وإذا لم يكن أمرًا لازمًا فلا يكره. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ.

[١٣] جميع النسخ: فلا يكون.

[١٤] الزيادتان من المرجع السابق.

[١٥] ر ث م - نعمة.

[١٦] روي عن جابر بن عبد الله، أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صُنع إليه معروف فَلْيَجْز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليُثْن عليه، فإنه إذا أثنى فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يُعطَ فكأنما لبس ثوبَيْ زور» (*الأدب المفرد* للبخاري، ٨٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٨٧).

والثاني أن أهل المعاملة يشترطون قبل المعاملة[1] الزيادة وإن كانوا لا[2] يشترطون في عقد المعاملة،[3] ولا كذلك أهل العطايا والهدايا، بل يعرّضون[4] تعريضًا، لذلك افترقا.[5] *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٠]**

وقوله: **الله الذي خلقكم**، ولم تكونوا شيئًا[6] وأنتم تعلمون ذلك؛ **ثم رزقكم**، وأنتم تعلمون ذلك أن لا رازق[7] لكم غيره؛ **ثم يميتكم**، وأنتم تعلمون أن لا يملك أحد غيره ذلك؛ فعلى ذلك يملك إحياءكم ولا يملك أحد مما[8] تعبدون[9] من الأصنام ذلك. فكيف تعبدون دونه، وهو قوله: **هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما هؤلاء الذين تعبدون شركاؤكم فيما ذُكر من الخلقة والرزق، فكيف تعبدون وتتخذون آلهة دونه. والثاني هل من شركائكم الذين أشركتموها في عبادة الله وألوهيته [مَن] يملك[10] ما ذكر؟ يقول: لا تملك[11] شيئًا مما ذُكر على علم منكم أنها لا تملك ذلك، فيقول: فكيف تشركونها في ألوهيته.

ثم نزّه نفسه وبرّأه[12] عن جميع العيوب التي وصفه الملحدون، فقال: **سبحانه وتعالى عما يشركون**، لأن / حرف "سبحان" حرف تنزيه عن جميع العيوب، والتعالي هو وصف تنزيه[13] [٥٨٨ظ]
عن أن يغلبه شيء أو يقهره.[14] وهو[15] من العلوّ، متعال عن أن يغلبه شيء أو يقْهَره.

---

[1] ن يشرطون قبل المعاملة؛ ث: يشرطون قبل المعاملات.
[2] ر م - لا.
[3] أي من عادة أهل المعاملة أن تربح تجارتهم وتزداد أموالهم بالمعاملات، فهي في حكم الشرط قبل المعاملة.
[4] ر م: يتعرضون.
[5] ر م: افترق.
[6] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ (سورة الإنسان، ١/٧٦).
[7] ر ث م: أن الأرزاق.
[8] جميع النسخ: ممن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.
[9] جميع النسخ + دونه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: تملك.
[11] ر ث م: لا يملك.
[12] وفي *الشرح*: برأها، ورقة ٥٨٨ظ. والنفس يكون مذكرًا إذا أريد به الشخص والذات. انظر: *لسان العرب*، «نفس».
[13] جميع النسخ: وتبرئة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.
[14] ن ث: أو يقهر.
[15] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

**﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [٤١]

وقوله: **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قوله: **ظهر الفساد في البر والبحر**، هو[١] الشرك والكفر، **بما كسبت أيدي الناس**، من الأمور التي كانوا يتعاطَون من قطع الطريق والسرقة[٢] والقتل[٣] والظلم وأنواع أعمال السوء التي يتعاطونها، ذلك هو سبب شركهم وكفرهم بالله،[٤] كان ذلك[٥] يغطِّي قلوبهم حتى لا تتجلّى قلوبهم للإيمان، كقوله: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ،[٦] وكقوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ،[٧] الآية، ونحوه.[٨] فإن كان على[٩] هذا فهو على حقيقة تقديم الأيدي والكسب. والثاني أن يكون قوله:[١٠] **ظهر الفساد في البر والبحر**،[١١] هو القَحْط وقلّة الأمطار والأنزال والضيق؛ وقوله: **بما كسبت أيدي الناس**، هو شركهم وكفرهم،[١٢] أي ذلك القحط والضيق وقلّة الأنزال والشدائد لهم لشركهم[١٣] وكفرهم[١٤] الذي اختاروه.[١٥] ويكون ذكر كسب الأيدي على المجاز لا على الحقيقة، ولكن لما باليد يُكتسَب وباليد يُقدَم[١٦] ذُكِر اليد، كقوله: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ،[١٧]

---

[١] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.

[٢] جميع النسخ: والسرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[٣] ر ث م - والقتل.

[٤] جميع النسخ + وبذلك كان شركهم وكفرهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: ذلك كان. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (سورة المطففين، ٨٣/١٣-١٤).

[٧] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يَكْذِبون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٧).

[٨] انظر مثلا: سورة النساء، ٤/١٥٥؛ وسورة المائدة ٥/١٣.

[٩] جميع النسخ - على. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.

[١٠] ر ث م - قوله.

[١١] جميع النسخ + بما كسبت أيدي الناس. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] جميع النسخ + وتعاطيهم ما لا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] م: كشركهم.

[١٤] جميع النسخ + وأعمالهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] جميع النسخ: التي اختاروها. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٦] جميع النسخ: لما باليد تكتسب وباليد تقدم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٧] ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثانِيَ عِطْفِه لِيُضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٨-١٠).

ولعله لم يُقدمِ شيئًا، لكنه ذَكَر اليد لما باليد يُقْدَم ويُكسَب في الجملة. *والله أعلم*. و[في التأويل الأول] يكون الفساد الذي ذَكر[1] أنه ظهر هو الشرك والكفرَ، بحقيقة كسب الأيدي من الأعمال[2] السوء التي ذكرنا، ذلك كان يمنعهم عن الإيمان وكشف الغِطاء عن قلوبهم. وفي التأويل الآخر الفساد الذي ظهر هو القحط وقلّة الأمطار والأنزال والضيق، **بما كسبت أيدي الناس،** هو الشرك والكفر،[3] لا على حقيقة كسب الأيدي ولكن لما ذكرنا.

ثم اختلف في قوله: **في البَرّ والبحر،** قال بعضهم: البَرّ هو المفازة التي لا ماء فيها، والبحر [هو][4] القرى والأمصار.[5] وقال بعضهم: أما البَرّ فأهل العَمُود، والبحر هم أهل القرى والرِّيف. وقال بعضهم: البر قتل ابن آدم أخاه،[6] والبحر [فعل] الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا.[7] وجائز أن يكون لا على حقيقة إرادة البر والبحر ولكن على إرادة الأحوال[8] نفسها، على ما ذكرنا من القحط والضيق وقلة الأنزال بما كسبت أيدي الناس من الشرك والكفر، **ليذيقهم بعض الذي عملوا،** وهو الشرك. هذا أشبه.

وعن الحسن، [**ظهر الفساد في البر والبحر،**] قال: أفسدهم الله في بَر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة، **لعلهم يرجعون،** قال: يرجع مَن كان بعدهم ويتعظون بهم.[9] وقتادة يقول: لعل راجعًا يرجع، لعل تائبًا يتوب، لعل مستغيثًا يستغيث.[10] وأصله لكي يُلزِمهم الرجوعَ والتوبةَ[11] عما عملوا، وينبّههم عن ذلك كله. وقال بعضهم: **ظهر الفساد في البر والبحر،** أي أجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس.*

---

[1] ر ث م – اليد لما باليد يقدم ويكسب في الجمعة والله أعلم ويكون الفساد الذي ذكر.

[2] جميع النسخ: أعمال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣و.

[3] جميع النسخ + وتعاطي ما لا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «والبحر هو القرى والأمصار التي هي معدن الماء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ).

[6] انظر: سورة المائدة، ٢٧/٥-٣٠.

[7] انظر: سورة الكهف، ٧٩/١٨. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: أراد بظهور الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه، وأراد بظهور الفساد في البحر فعل من كان يأخذ كل سفينة غصبًا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ).

[8] ن + إلى.

[9] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٣٧٠/١٩؛ وتفسير *الطبري*، ٥١١/١٨، ٥١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٦/١١.

[10] ن: يغيث. صح هـ. ورد هذه الرواية في تفسير *الطبري* هكذا: «لعل راجعًا أن يرجع، لعل تائبًا أن يتوب، لعل مستعتبًا أن يستعتب» (٥١٣/١٨).

[11] ن: التوبة.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٨ص/سطر ٢٤-٢٥.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**، قد ذكرنا في غير موضع[١] أنه ليس على حقيقة الأمر بالسير في الأرض ولكن كأنه يقول: لو سرتم في الأرض ونظرتم لرأيتم آثار[٢] عاقبة من كان قبلكم من المشركين ومكذّبي[٣] الرسل وما حلّ بهم، فينبهكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك بالله. أو أن يكون هو على الأمر بالتفكر[٤] والنظر والاعتبار، كأنه يقول: تفكروا واعتبروا فيما سرتم في الأرض وانظروا إلى ماذا صار عاقبة أمر[٥] مكذبي الرسل من قبل، فينزل بكم بالتكذيب ما نزل بأولئك. *والله أعلم.*

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **فأقم وجهك للدين القيم**، هذا[٦] قد ذكرنا فيما تقدم في قوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا.[٧] وقوله: **من قبلِ أن يأتي يوم لا مردّ له من الله**، قال بعض أهل التأويل: لا يَقْدر أحد على رد ذلك اليوم من الله. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما **لا مردّ له من الله**، أي لا يُرَدّون من ذلك اليوم إلى ابتداء المحنة، كقوله:[٨] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ،[٩] الآية، وقوله:[١٠] فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا.[١١] ثم أخبر عنهم فقال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[١٢] فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **لا مرد له من الله**، أي لا يردون إلى ما يسألون الرد.

---

[١] انظر مثلاً: سورة الأنعام، ٦/١١؛ وسورة النحل، ١٦/٣٦.
[٢] ر م – آثار.
[٣] ر ث م: وهكذا في الرسل؛ ن: وهكذا الرسل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣و.
[٤] ر ث م: بالفكر.
[٥] جميع النسخ – أمر. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٢٣ظ.
[٦] جميع النسخ – هذا. والزيادة من المرجع السابق.
[٧] سورة الروم، ٣٠/٣٠.
[٨] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي، ورقة ١١٠و.
[٩] ر ث م – ولا نكذب. ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٧).
[١٠] جميع النسخ: وقولهم.
[١١] جميع النسخ + غير الذي كنا نعمل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ. ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعملْ صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ٣٢/١٢)
[١٢] سورة الأنعام، ٦/٢٨.

والثاني، **لا مرد له من الله**، أي لا إقالة[1] لهم من الله ولا عفو ولا توبةَ إذا أتاهم ذلك اليوم، كقوله: لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[2] الآية.

وقوله: **يومئذ يصّدعون**، أي يتفرقون. كقوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ،[3] هو يوم الافتراق، و يَوْمِ الْجَمْعِ،[4] و يَوْمِ الْفَصْلِ،[5] على اختلاف الأحوال والأوقات. ***والله أعلم***.

**﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٤٤]**

وقوله: **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون**، أي من كفر فعليه جزاء كفره وعيبه ضرر كفره، ومن آمن وعمل صالحا فله ثواب إيمانه وله منفعة عمله.[6]
[٥٨٩و] / لأنه عز وجل إنما امتحنهم بأنواع ما امتحن لمنافع أنفسهم ولحاجتهم لا لحاجة أو منفعة[7] له، وكذلك قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[8] وقوله: إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[9] أي فعيها.[10] وهو ما ذكرنا أنه إنما أمرهم ونهاهم[11] وامتحنهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، لا لحاجة أو منفعة[12] لنفسه، لذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله: **يمهدون**، قال بعضهم يفترشون. وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **فلأنفسهم [يمهدون**، أي] يعملون ويُوطِّئون، وهو من المِهاد، والمهاد في الأصل هو[13] الفراش.[14]

---

[1] ر م: لا إقامة.
[2] جميع النسخ – لم تكن آمنت من قبل. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ. ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).
[3] سورة الروم، ٣٠/١٤.
[4] انظر: سورة الشورى، ٤٢/٧؛ وسورة التغابن، ٦٤/٩.
[5] انظر مثلا: سورة الصافات، ٣٧/٢١.
[6] ن: وله منفعة إيمانه وعمله.
[7] ر ث: أو لمنفعة.
[8] سورة فصلت، ٤١/٤٦؛ وسورة الجاثية، ٤٥/١٥.
[9] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[10] جميع النسخ – وإن أسأتم فلها أي فعيها، + الآية. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ.
[11] ر م: وأنهاهم.
[12] ر م: لمنفعة.
[13] جميع النسخ - هو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ.
[14] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٤٢.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٤٥]

وقوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله**، هذا يدل أن الثواب والجزاء سبيلُ وجوبه الفضلُ، لا[1] في الحكمة وجوبُه،[2] لِما سبق من الله إليهم نِعَمٌ ما لم يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها فضلا أن يقوموا[3] لكل. فإذا كان كذلك صار الثواب والجزاء وجوبُه الفضلُ لا الاستحقاق والاستيجاب. وأما العقوبات فوجوبها الاستحقاق، إذ في الحكمة وجوبها، لذلك افترقا. وجائز أن يكون قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله**،[4] أي يجزيهم في الآخرة بالخيرات التي عملوها في الدنيا، وذلك من فضله، به نالوا ذلك.[5] *والله أعلم*.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤٦]

وقوله: **ومن آياته أن يُرسل الرياح مبشرات**، إن في الرياح آياتٍ في أنفسها،[6] وفيها[7] بِشاراتٌ. أما الآيات هي آيات سلطانه وتدبيره من وجوه. أحدها[8] أنه أنشأ هذه الرياح في الهواء وفي الأرض وعلى وجه الأرض[9] وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلائق وتمسّهم وتؤذيهم وتَضرَعهم[10] وتضرّهم من غير أن يروها أو يقع عيها البصر ومن غير أن يدركوها أو يدركوا[11] كيفيتها أو مائيتها،[12] ليعلم أن من الأجسام ما هي غير مُدْرَكَة ولا آخذُ البصرُ عليها.

---

[1] جميع لنسخ – لا. والتصحيح من نسخة أحمد لثالث، ورقة ٢٢٣ظ.
[2] جميع لنسخ – وجوبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: أن تقوموا.
[4] جميع لنسخ – وعملوا الصالحات من فضله. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٢٤و.
[5] جميع السخ + وبفضله. وعبارة السمرقندي هكذا: «وذلك من فضل الله تعالى، إذ به نالوا تلك الخيرات وبتوفيقه قدرو على أدائها وبفضله وُفقوا عليها. والله أعلم» (ورقة ٥٨٩و).
[6] جميع لنسخ: في نفسها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[7] ن – وفيها.
[8] ر ث م – أحدها.
[9] ر م – وعلى وجه الأرض.
[10] ر م: وتضرعهم.
[11] ر م: أو يدركوها.
[12] ر م: أو ما يتهيأ.

وتُرَى منها طيبة ليّنة وخبيثة وشديدة كاسرة عاصفةٌ، يعذَّب بها قوم وينصر بها قوم، على ما ذُكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرتُ بالصَّبَا وأُهلِكَ عاد بالدَّبُور».[1] ومن بِشاراتها[2] ما تُلقح الأشجار والنخيلَ، وتَشُق الأرض وتَنبت النباتُ منها، وتَجمع السحاب وتأتي بالمطر، وتجري بها[3] السفن والفُلْكُ في البحار في الماء الراكد، وفي مثله لا يجري السفن[4] والفلك لو لا الريح. فذلك كله من البشارات[5] وأنواع المنافع التي جعلت فيها؛[6] يُعلَم كلُّه بالأعلام والآثار أنها نافعة أو ضارة مهلكة. ثم سماها مبشرات ليعلم أن البشارة قد تكون[7] بدون النطق والكلام من نحو الكتاب والإشارة أو الرسالة؛ إذ ليس لدريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة. *والله أعلم*.

وقوله: **وليذيقكم من رحمته**، هذا يدل على[8] أن هذه البِشارة والمنافع التي جعلت[9] لهم كا[نت] منه رحمةً[10] وفضلاً، لا استيجابًا ولا استحقاقًا. وسَمى ذلك كله رحمةً لأنه برحمته يكون. *والله أعلم*.

وقوله: **ولتجري الفُلْك بأمره**، قوله: **بأمره**، يحتمل بتدبيره، أي بتدبيره تجري السفن في البحار على ما ذكرنا. أو أن يريد بأمره تكوينه، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ،[11] وكقوله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[12]

وقوله: **ولِتَبتغوا من فضله**، هذا يدلّ على أن ما يصل إليهم من المنافع إنما يصل من فضله ورحمته، لا يصل إليهم بتلك الأسباب والمكاسب، لئلّا يروا ذلك من تلك الأسباب

---

[1] صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.
[2] جميع لنسخ: بشارتها. والتصحيح مستفد من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[3] جميع لنسخ: بهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٤و.
[4] ر م – وفي مثله لا يجري السفن.
[5] ر م: لبشارة.
[6] جميع النسخ: وأنواع المنافع جعل فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[7] جميع النسخ: قد يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م – على.
[9] جميع لنسخ: جعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م: من رحمته.
[11] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[12] سورة يس، ٨٢/٣٦.

ولكن يرون ذلك من فضل الله ورحمته. وقوله: **ولعلكم تشكرون**، أي لكي يلزمهم الشكر لله في ذلك كله. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٤٧]

وقوله: **ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا**، في هذه الآية تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى الكفرة، حيث قال: **[ولقد]**[١] **أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات**. وفيه أيضًا بِشارة للمؤمنين ونِذارة لأولئك الكفرة. أما النذارة لهم بقوله: **فانتقمنا من الذين أجرموا**، أخبر أن أولئك لمّا كذبوا الرسل وعاملوهم بما تعاملون أنتم يا أهل مكة رسولَ الله انتقمنا[٢] منهم جزاء معاملتهم، فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من أولئك. وأما البشارة للمؤمنين في قوله: **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، أخبر أن عاقبة الأمور تكون للمؤمنين. وفيه [دلالة][٣] أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر، فكيف تنكرون رسالة محمّد إذ كان من البشر. وفيه [أنه][٤] قد أتى[٥] قومه بالبينات كما أتى أولئك الرسل قومهم بالبينات.

وقوله: **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، هو يخرج على وجهين. أحدهما أي كان حقًّا علينا جعل العاقبة للمؤمنين، لا أن يكون عليه حقًّا نصر المؤمنين في الدنيا، ولكن جَعَل العاقبة للمؤمنين حقًّا، كقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[٦] والثاني، **كان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، بالحجج التي أعطيناهم،[٧] أي كان حقا علينا[٨] إعطاء الحجج لهم، والنصر والمعونة بالحجج.[٩] وقال بعضهم: نصره إياهم أنه أنجاهم مع الرسل وأهلك أولئك. *والله أعلم*.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.
[٢] جميع النسخ: فانتقما.
[٣] الزيادة من المرجع السابق.
[٤] لزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن ث + محمد.
[٦] سورة الأعراف، ١٢٨/٧.
[٧] جميع النسخ: أعطاهم.
[٨] جميع النسخ - علينا. والزيادة من نسخة أحمد لثالث، ورقة ٢٢٤ظ.
[٩] جميع النسخ + أي إعطاء الحجج لهم. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٤٨] ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾[٤٩]

وقوله: **الله الذي يُرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا**، كأنه يخبر عن قدرته وسلطانه، حيث أنشأ الرياح بحيث يجمع السحاب ويفرق، ويبسطه[١] ويجعله قِطَعًا تُمْطِر[٢] في مكان ولا تمطر[٣] في مكان. / يقول -والله أعلم-: إن من قدر أن يسلط [٥٨٩ظ] الرياح في جمع السحاب وتفريقه يملك تسليط الرياح عىى تعذيبكم. أو يقول: إن المعبود المستحِقّ لعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والأمطار، لا الأصنامُ التي تعبدون، إذ تعلمون أنها لا تملك شيئًا مما ذكر. أو يذكر نعَمه التي عليهم لتقوموا بشكرها.[٤] أو يُطمعهم إيمان بعض منهم بعد ما كانوا آيسين عن إيمانهم، كما أطمعهم المطر والسعة بعد ما قَحَطوا وكانوا آيسين عنه، ألا ترى أنه قال: **فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن يُنَزَّل عليهم من قبله لمبلسين.**

قال أبو عَوْسَجَة: **فتثير سحابا**، أي ترفعه. وقال أبو عبيدة: تجمعه،[٥] كما يستثير[٦] الرجل العلم فيجمعه.

وقوله: **ويجعله كسفًا**، قال بعضهم: قِطَعًا قطعًا.[٧] وقال بعضهم: يضم بعضه إلى بعض ويحمل بعضه عىى بعض. وقوله: **فترى الودق يخرج [من خلاله]**، أي المطر يخرج من خلال السحاب، أي من بين السحاب. ويقرأ: من خَلَلِه،[٨] ومعناه: نَقْبه.[٩] وقوله: **لَمُبلِسين**، آيسين، والإبلاس الإياس، ولذلك سُمّي إبليسُ إبليسَ، لأنه أُويِس من رحمة الله.[١٠]

---

[١] ر م: يبسطه.

[٢] جميع النسخ: يمطر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.

[٣] جميع النسخ: يمطر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ر ث م: لتأدى بها شكرها؛ ن: ليتأدى بها شكرها. والتصحيح من نسخة أحمد لثالث، ورقة ٢٢٤ظ.

[٥] ن + فتثير سحابا. *تفسير الطبري*، ١٨/٥٢٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٠٩.

[٦] ر: يستبشر.

[٧] ر ن - قطعا.

[٨] *تفسير الطبري*، ١٧/٣٣٦.

[٩] النقب: الثقب في أي شيء كان (*لسان العرب*، «نقب»).

[١٠] جميع النسخ: عن رحمة الله.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥٠]

وقوله: **فانظر إلى آثار رحمة الله**، يحتمل أن يكون قوله: **إلى آثار رحمة الله**، أي [آثار][1] المطر، أراد بالرحمة المطر. سمي المطر رحمة لأنه يكون رحمته.[2] أو أن يكون الآثار هو المطر نفسه، جعله من آثار رحمته وأعلامه. *أو أن يكون سمي[3] المطر رحمة، لما يرجع ذلك إلى منافع أبدانهم [٥٨٩ظ س١٥ وما به قوام أنفسهم، ليعرفوا الرحمة التي[4] هي راجعة إلى منافع دينهم وآخرتهم، وهو رسول الله، إذ سماه في غير موضع رحمة،[5] كقوله:[6] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[7]* ٥٨٩ظ س١٧]

ثم الأمر بالنظر والاعتبار بآثار رحمته يحتمل وجوها. أحدها أنه[9] أمرهم بالنظر إلى ذلك ليعلموا[10] أنه رحيم كي يرغبوا فيما رغّبهم ويرجوا فيما أطمعهم ودعاهم إليه؛ إذ قد ظهرت[11] آثار رحمته، فكل رحيم يُرَغِّبُ فيما رغّب وأطمع. أو أن يكون الأمر بالنظر إلى آثار رحمته، إذ ذلك راجع إلى منافع أبدانهم وأنفسهم وما به قوامهم، يستأدِي[12] بذلك شكره. وفي ذلك تقع[13] الحاجة إلى من يعرّفهم تلك النعم[14] ويعرّف شكرها، فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة وإثباتِه.[15]*

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.
[2] جميع النسخ: برحمته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥و.
[3] ر م: تنفي.
[4] ر م - التي.
[5] نظر مثلا: سورة التوبة، ٦١/٩.
[6] جميع النسخ: بقوله.
[7] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
* ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد قليل عقيب قول المؤلف: «فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة وإثبته». ولعل وضعه هنا أنسب. انظر: ورقة ٥٨٩ظ/سطر ١٥-١٧.
[9] جميع النسخ - أنه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥و.
[10] ن: ليعلم.
[11] جميع النسخ: ظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ن م: ليتأدى؛ ث: يستأدي. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٦٩٠و.
[14] ن: النعمة.
[15] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنما أمر بالنظر إلى آثار رحمته لأن ذلك راجع إلى منافع أبدانهم وما به قوامهم يستأدي بذلك شكره، وفي ذلك تقع الحاجة إلى من يعرفهم كيفية شكر ذلك ومقداره، إذ ذاك لا يعرف بمجرد العقل، وإن كان وجوب أصل الشكر يعرف به. فيكون في ذلك الرغبة في قبول الرسالة التي بها يتوصل إلى علم ذلك. الخبر عمن تحقق تلك النعم، وهو الله تعالى. وهو الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٩ظ).
* وردت هنا قطعة من تفسير نفس الآية متأخرة عن موضعها، فقدمناها إلى محلها المناسب. انظر. ورقة ٥٨٩ظ/سطر ١٥-١٧.

أو أن يأمر بالنظر إلى ذلك المطر وأنه كيف يحيي هذه الأَرَضِينَ[1] المواتَ ويُنبت فيها من ألوان النبات، وهذه الأشجار اليابسةُ كيف تَخْضَرُّ بعد يُبوستها بهذه الأمطار، ليعرفوا أن من ملك هذا وقدر على ذلك -وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم- لقادر على إحياء الموتى وبَعْثهم بعد الممات وإن كان خارجًا عن تقديرهم ووسعهم.

**وهو على كل شيء قدير**، لا يُعجزه شيء.

**﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾**[٥١]

وقوله: **ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًّا**، يعني[2] الزرع والنبات الذي أخرج من الأرض بالمطر. وقال[3] بعضهم: رأوه يابسًا إذا أصابته الريح الباردة. **لظلّوا من بعده يكفرون**، أي لأقاموا على كفرهم إذا أصابهم ما ذكر، وهو كقوله: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ،[4] فعلى ذلك قوله: **لظلّوا من بعده يكفرون**، أي يقنطون من رحمته. *والله أعلم*.

[٥٩٠ظ س٥ * وقوله: **ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرًّا**، أي رأوا ذلك الزرع والنبات مصفرًّا، أي يابسًا، لما أصابه من الريح والبرد، **لظلوا من بعده [يكفرون]**،[5] قيل: لأقاموا، وقيل: لصاروا، وقيل: لَمالوا، وكله يرجع إلى معنى واحد، وهو ما تقدم ذكره من القنوط. أي يقنطون وييأسون
٥٩٠ظ س٨] من رحمته، ويكفرون ربّ هذه النعم.*

**﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾**[٥٢]

وقوله: **فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين**، جائز أن يكون قوله:[7] **لا تسمع الموتى**، يريد بالموتى أنفسهم، **ولا تسمع الصمّ الدعاء**، الصمّ أنفسَهم أيضًا. *ويحتمل أن يكون قوله: **لا تسمع الموتى**، كناية عن الكفار، وكذا الصُّمّ والعُمْيُ،

---

[1] ن: الأرض.
[2] ر ث م + به.
[3] جميع النسخ: قال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥ظ.
[4] سورة الروم، ٣٠/٣٦.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٥-٨.
[7] ر ث م – قوله.

وقد سمى الله الكفار موتى وصمًّا وعميًا في غير موضع،[1] ومعناه: لا تسمع الكفار والضُّلّال إذا ولّوْا مدبرين.*

*وفي حرف ابن مسعود: إنك لا تُسمع الموتى إنك لا تَبعث الموتى.* [٥٩٠ظ س٨]

ثم في قوله: **ولا تُسمع الصمّ الدعاءَ إذا ولّوْا مدبرين**، حكمة، وهو أن لا يقدر أن يُسمع[4] الصمَّ الدعاء إذا ولّوا[5] مدبرين،[6] ولكن يقدر أن يُفهم الأصمّ الدعاء إذا أقبل،[7] وأما إذا أدبر فلا يقدر أن يسمعه.

**﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[٥٣]

وكذلك الحكمة في قوله: **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم**، أي لا تقدر أن تهدي العمي عن ضلالتهم،[8] وهو الذي يَعْمَى عن ضلالته ويظنّ أنه على الهدى وغيرَه على الضلال. فأما من كان مقِرًّا بالضلال فإنك تقدر أن تهديه. يخبر عن شدة سفههم وتعنّتهم وعَمَاهم في ضلالتهم. *والله أعلم*.

وقوله: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا**، أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.[9] هذا يدلّ على أن قوله: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ،[10] وقوله: **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم**، هي المواعظُ لا نفسُ الهدى، حيث قال: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**. وهو[11] كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[12] أي إنما ينتفع بإنذارك من اتبع الهدى،

[1] انظر لتسمية الكفار أمواتًا: سورة النحل، ٢١/١٦؛ وسورة فاطر، ٢٢/٣٥. وانظر لتسميتهم صمًّا وعميًا: سورة البقرة، ١٧١/٢؛ وسورة الزخرف، ٤٠/٤٣.

* ما بين النجمتين مأخوذ من *الشرح* ورقة ٥٨٩ظ، وفي عبارة جميع النسخ تقديم وتأخير مخلّ بالمعنى، وهي هكذا: «وقوله ولا تسمع الكفار والضلال إذا ولوا مدبرين أو أن يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار موتى وصما وعميا في غير موضع من القرآن».

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٨-٩.

[4] ن: أن تسمع.

[5] ر ث م: ولى.

[6] جميع النسخ: مدبرا.

[7] ر: قبل.

[8] ث - أي لا تقدر أن تهدي العمي عن ضلالتهم.

[9] ث - أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.

[10] الآية السابقة.

[11] جميع النسخ - وهو، + ثم يحتمل قوله إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.

[12] سورة يس، ١١/٣٦.

أو إن الذي يقبل النِذارة من اتّبع الهدى، فأما من لم يتّبع الهدى فلا ينتفع. فعلى ذلك يحتمل قوله: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا**، أي ما ينتفع ولا[1] يسمع[2] المواعظ إلا من يؤمن بذلك. *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[٥٤]**

وقوله: **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **خلقكم من ضعف**، أي من النطفة، وهو ما قال في آية أخرى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ،[3] أي ضعيف؛ وقوله:[4] **ثم جعل من بعد ضعف قوة**،
[٥٩٠و] / أي إنسانا يقوَى على أمور وعلى أشياء؛ **ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة**، أي شيخًا فانيًا، كقوله: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا.[5] و[الثاني][6] جائز أن يكون قوله: **خلقكم من ضعف**، أي أطفالا -لا على الخلقة التي أنتم عليها اليوم- ضعفاء لا تقدرون[7] على شيء،[8] ولا يَقوَى شيء منكم على شيء؛ ثم جعلكم[9] من بعد ذلك الضعف أقوياء تقوَون على أشياء وأمور؛ ثم جعلكم[10] من بعد تلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخًا، لا تقدرون[11] على شيء، على ما يكون [من قبل].[12] يحتمل هذين الوجهين.

ثم فيه وجهان من الدلالة؛ أحدهما على البعث، والثاني على القدرة على إنشاء الخلق والأشياء لا من أصول. فالدلالة[13] [عليهما من وجهين. أحدهما] لأنهم كانوا ينكرون البعث[14]

---

[1] جميع النسخ: أو لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥ظ.
[2] ن ث: لا تسمع.
[3] سورة المرسلات، ٢٠/٧٧.
[4] جميع النسخ: ثم قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الحج، ٥/٢٢.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[7] جميع لنسخ: لا تقوون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٦و.
[8] ر ث م: أشياء؛ ر ث م + وأمور.
[9] جميع النسخ: ثم جعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[10] جميع النسخ: ثم يجعل. والتصحيح من المرجع لسابق.
[11] ن ث: لا يقدرون.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: أما الدلالة على البعث.
[14] ث - لأنهم كانوا ينكرون البعث.

وإنشاء الشيء لا من أصل لخروج ذلك عن قواهم وتقديرهم. فيخبر أن النطفة تصير علقة وليس فيها من العبقة ولا من آثارها شيء، وكذلك العلقة تصير مضغة وليس فيها من آثار المضغة شيء، وكذلك المضغة تصير[1] إنسانًا فيه عَظْم وجِلد وشَعْر ولحمُ وليس شيء من ذلك فيها. فمن[2] قدر على ما ذُكِر لقادر على خلق الشيء لا من أصل، وقادر على البعث. إذ كل ما ذكر أقرّوا به وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم، فلزمهم الإقرار بالبعث والإنشاء[3] لا عن أصل، وأن لا يقدّروا قدرتهم وقواهم بقدرة الله وقوته، على ما شاهدوا أشياء خارجة عن قواهم[4] وعن تقديرهم، بقوة الله[5] وقدرته.

والثاني أن ما ذكر من تحويل النطفة إلى العبقة والعلقة[6] إلى المضغة والمضغة إلى الصورة والإنسان، لم يحوّلهم ولم ينقلهم ليكون كما ذكر بلا عاقبة تكون[7] لهم ولا بعث. فلو لم يكن بعث لكان ما ذكر من تحويل حال إلى حال عبثًا باطلاً على ما ذكر.[8] وكذلك فيما أحدث في الأطفال من القوة والقدرة، بعد ما كانوا ضعفاء لا يقوّون ولا يقدرون على شيء؛ إنه إنما أحدث ذلك فيهم ليُمْتَحَنوا، ويَجعلَ لهم عاقبةً[9] يثابون ويعاقبون. إذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة[10] لكان فعل ذلك عبثًا باطلاً. وفيه القدرة على إنشاء الشيء وإحداثه لا من أصل،[11] إذ كان التركيب موجودًا على التمام ولا قوة لهم،[12] ثم حدثت[13] القوة ولا أصل لها ولا أثر من آثارها. دل أن تقدير قوى الخلق وقدرتهم بقوى الله وقدرته محال. *والله الموفق*.

---

[1] ن: تصير المضغة.
[2] ن ث: ممن.
[3] ن ث: وإنشـهم.
[4] ر ث م: قولهم.
[5] ر م – الله.
[6] ن: والنصفة.
[7] ن ت: يكون.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[9] ر ث م – عاقبة.
[10] ث: ولا عاقبته.
[11] ر ث م: شيء.
[12] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[13] ر ث م: حدث.

وقوله: **يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**، العيم[1] بأحوالهم، والقدير على إنشاء الأشياء لا من أشياء، وعلى البعث بعد الموت. *والله أعلم*.

**﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[٥٥]**

وقوله: **ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**، قال بعض أهل التأويل: يقسم المجرمون أنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة، وكذلك يقولون في قوله: قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[2] الآية. لكنّ الأشبه[3] أن يكون قوله: **يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**، في[4] الدنيا في المحنة لا في القبور. استقصروا مُقامهم في الدنيا تكذيبًا لما ادُّعِيَ عليهم من الزلل والمعاصي وأنواع الكفر؛ يقولون: إنا لبثنا في الدنيا وقتًا لا يكون منا في مثل ذلك الوقت وقدر تلك المدة الزلل والمعاصي. ألا ترى أنهم قد كَذَّبوا في إنكارهم طول المُقام فيها، حيث قال: **كذلك كانوا يؤفكون**، أي كذلك كانوا يكذّبون في الدنيا أن لا بعث ولا حياة بعد الموت ولا حساب، ولولا هذا التكذيب لهم على إثر قولهم: **ما لبثوا غير ساعة**، وإلا كان الظاهر أنهم قد استقصروا المقام في الدنيا لطول المقام في الآخرة وشدة العذاب في ذلك وهَوْلِه، لكنه -والله أعلم- ما ذكرنا أنهم يقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا إنكارًا وجحودًا لما ادُّعِي عليهم من الزلل والمعاصي. يقولون: إنا لم نلبث في الدنيا إلا ساعةً، كيف عمِلنا[5] فيها هذه الزلل وأنواع الشرك والكفر؟ فأخبر أنهم، **كذلك كانوا يؤفكون**، أي كذلك كانوا يكذّبون في الدنيا ويقسمون، حيث قال: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ،[6] فذلك القسم منهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذبٌ وإنكارٌ للمُقام، كما[7] كذّبوا وأنكروا الشرك حيث [قال]: قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[8]

[1] جميع النسخ - العيم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٦ظ.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/ ١١٢-١١٣.
[3] ر م: لا يشبه.
[4] ر ث م - في.
[5] ر م: علمنا.
[6] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[7] ر: مما.
[8] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٦]**

وقوله: **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه يقول:[١] وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله، أي أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان به: لقد لبثتم إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث. وقال بعضهم: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في علم الله في الدنيا إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث. وبعضهم يقول: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الآجال إلى انقضاء آجالكم وفنائها.

وقوله: **فهذا يوم البعث**، الذي كنتم تنكرونه وتكذبونه،[٢] **ولكنكم كنتم لا تعلمون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على حقيقة نفي العلم عنهم به،[٣] لكنهم لا يُعْذَرون لجهلهم بذلك لما أُعْطُوا أسبابَ العلم، لو تفكّروا وتأملوا لَعلموا. والثاني على نفي الانتفاع بعلمهم، على ما نفى عنهم حواسَّ كانت لهم لما لم ينتفعوا بها،[٤] فعلى ذلك جائز نفي العلم عنهم / بذلك، [٥٩٠ظ]
لما لم ينتفعوا بما علموا. *والله أعلم*.

**﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٥٧]**

وقوله: **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتُهم**، ليس على أن يكون لهم عذر فلا ينفعهم، ولكن لا عذر لهم ألبتة. أو أن يكون معذرتهم ما ذكر:[٥] [يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ] مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ،[٦] فذلك معذرتهم، فلا ينفعهم ذلك لأنهم كَذَبَة في ذلك.

وقوله: **ولا هم يستعتبون**، الاستعتاب هو الاسترجاع عما كانوا فيه، فهم لا يُطلَب منهم الرجوع عما كانوا عليه في ذلك الوقت، والعتاب في الشاهد أن يعاتَب ليترك ما هو عليه ويرجع عما كان منه فيما مضى، وذلك لا ينفع للكفرة في ذلك اليوم. *والله أعلم*.*

---

[١] ر م – يقول.
[٢] ن: ويكذبونه.
[٣] جميع النسخ – به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠ظ.
[٤] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٧١/٢).
[٥] جميع النسخ: ما ذكروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] الآية السابقة برقم ٥٥.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٥١ ورقم ٥٢، فقدمناهما إلى محليهما؛ انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٥-٨، وسطر ٨-٩.

**﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾**[٥٨]

وقوله: **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**، جائز أن يكون ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصة. يقول: قد بيّنا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه ويدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، لكنهم اعتادوا[١] العناد والمكابرة. وقوله: **ولئن جئتهم بآية**، أي لو جئتهم بالآية التي سألوك أيضًا فلا يصدّقونك[٢] ولا يقبلون[٣] الهدى، ويقولون ما ذكر: **ليقولنَ الذين كفروا إن أنتم إلا مُبطِلون**.

ويشبه أن يكون ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعًا، للمؤمن والكافر، ويكون التأويل -والله أعلم-: ولقد ضربنا وبيّنا للناس لأفعالهم وأحوالهم من القبيح والحسن مثلاً وشِبْهًا ما يعرفون به قبح كل قبيح وحُسْنَ كل حسن، وما يتبيّن به[٤] الحق من الباطل والعدل من الجور؛ لأن أولئك الكفرة لم يعتبروا ولم يتأملوا. ثم رجع إلى وصف أولئك الكفار،[٥] فقال: **ولئن جئتهم بآية**، أي بزيادة في البيان والوضوح، **لَيقولنَ الذين كفروا إن أنتم إلا مُبطِلون**. ***والله أعلم***.

**﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٥٩]

وقوله. **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**، قد ذكرنا في غير موضع أن قوله: **لا يعلمون**، يخرج على وجهين. أحدهما لم يعلموا لما لم يتأملوا ولم ينظروا في أسباب العلم لكي يعلموا، ولا عذر لهم في جهلهم[٦] ذلك لما أُعْطُوا أسباب العلم، لكنّهم لم يستعملوها، فمنهم جاء ذلك فلم يُعْذَروا. والثاني نَفَى عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه لما لم ينتفعوا بما علموا. على ما ذكرنا من نفي الحواسّ عنهم مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس، لِما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما[٧] جُعلت تلك وأنشئت لها، فعلى ذلك العلمُ. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: اعتقدوا.
[٢] ر ث م: فلا يصدوك.
[٣] جميع النسخ: ولا يقبوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٧و.
[٤] ر ث م: وما بين لهم؛ ن: وما يبين هم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: الكفرة.
[٦] م + في.
[٧] ن: لما.

**﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٦٠]**

وقوله: **فاصبر إن وعد الله حق**، قال بعضهم: فاصبر على تكذيبهم إياك بالعذاب الذي وعدتُ لهم، **إن وعد الله حق**، في العذاب بأنه نازل بهم. وجائز أن يكون قوله: **فاصبر**، أي اصبر على أذاهم الذي يؤذونك، **إن وعد الله حق**، في النصر لك والمعونة.

وقوله: **ولا يَستَخِفَّنَّك الذين لا يوقنون**، كأنه يقول: لا يحملنّك أذاهم إياك حتى تدعوَ عليهم بالعذاب والهلاك. وقال[1] بعضهم: **لا يستخفنك**، أي لا يستفزّنّك، ويقول: لا يستجهلنّك. وأصله ما ذكرنا، أي[2] لا يحملنّك أولئك الكفرة على الخفّة والعجلة والجهل حتى تدعو عليهم بإنزال العذاب والهلاك لهم. وهو -والله أعلم- كأنه من الاستخفاف. ***والله أعلم بالصواب.***[3]

[1] ن: قل.
[2] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٧ط.
[3] ر ل ت: والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة لقمان[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٢]**

قوله[٢] عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا تأويله في غير موضع فيما تقدم وما ذكر فيه.[٣]

وقوله: **تلك آيات [الكتاب]**، قال بعضهم: **تلك** إشارة إلى ما بشّر به الرسل المتقدمةُ أقوامهم من بِشارات، يقول:[٤] تلك البشارة هي آيات الكتاب، أي هذا القرآن. وقال بعضهم: تلك آيات الكتاب الذي في السماء.[٥] ومنهم من قال: تلك الآيات[٦] التي أنزلت متفرقة فجُمعت فصارت قرآنا. *والله أعلم*.

وقوله: **الكتابِ الحكيم**، سمّى الكتاب حكيمًا، كريمًا،[٧] مجيدًا،[٨] ونحوه. فيحتمل تسميته حكيمًا وجوهًا. أحدها لإحكامه وإتقانه، أي محكم متقنٌ لا يبدّل ولا يغيَّر.[٩] وهو كما وصفه[١٠] عز وجل: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[١١] الآية.

---

[١] ر – سورة لقمان؛ ن + كلها مكية إلا آيتين منها فإنهما نزلتا بالمدينة إحداهما قوله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية والأخرى قوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية؛ ث + وهي ثلاثون وأربع آيات مكية؛ م + كلها مكية.

[٢] ن: وقوله.

[٣] انظر مثلا: تفسير الآية ١ من سورة البقرة، وتفسير الآية ١ من سورة آل عمران.

[٤] ن: نقول.

[٥] جميع النسخ: تلك آيات التي في السماء هذا الكتاب.

[٦] ن ث: آيات.

[٧] انظر: سورة الواقعة، ٥٦/٧٧.

[٨] انظر: سورة ق، ٥٠/١؛ وسورة البروج، ٨٥/٢١.

[٩] ن – لا يبدل ولا يغير، صح هـ.

[١٠] ر هـ: وصع.

[١١] سورة فصلت، ٤١/٤٢.

والثاني سماه حكيمًا لأن من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيمًا مجيدًا كريمًا.

والثالث سمّاه حكيمًا لأنه منزل من عند حكيم،[1] كقوله: تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.[2]

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]

وقوله: **هدًى ورحمة للمحسنين**، قوله: **هدًى**، أي توفيقًا وعصمة ومعونة للمحسنين، وكذلك[3] هو رحمة لهم في دفع العذاب عنهم. وأما ما يقوله أهل التأويل:[4] **هدًى**، أي بيانًا للمحسنين، فهو بيان للكل ليس لبعض دون بعض، فلا يحتمل الهدى البيانَ في هذا الموضع، ولكن ما ذكرنا من المعونة والتوفيق والعصمة. والمحسن هاهنا جائز أن يكون المؤمنَ، كقوله:

[٥٩١و] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[5] / الصبّار هو المؤمن، والشكور هو المؤمن. سَمّى المؤمن صبارًا مرة وشكورًا مرة ومحسنًا مرة، لأنه يعتقد بالإيمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والإحسان وكل خير. *والله أعلم*.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٤]

وقوله: **الذين يقيمون الصلاة**، الآية، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم في غير موضع.[6]

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]

وقوله: **أولئك على هدى من ربهم**، تأويل الهدى ما ذكرنا في هذا الموضع من التوفيق والعصمة والمعونة.[7] وقوله:[8] **وأولئك هم المفلحون**، قد ذكرناه[9] أيضا.[10]

---

[1] ر - حكيم.

[2] سورة فصلت، ٤١/٤٢.

[3] ن: وبذلك.

[4] ر - هدى أي توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم في دفع العذاب عنهم وأما ما يقوله أهل التأويل، صح هـ. يريد الإمام رحمه الله بأهل التأويل المعتزلة.

[5] انظر مثلا: سورة إبرهيم، ١٤/٥؛ وسورة لقمان، ٣١/٣١.

[6] انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات: الصلاة؛ معنى إقامتها.

[7] انظر الآية السابقة برقم ٣.

[8] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٨و.

[9] ر: ذكرنا.

[10] انظر مثلا: تفسير الآية ٥ من سورة البقرة.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٦]**

وقوله: **ومن الناس من يشتري لَهْو الحديث ليضلَّ عن سبيل الله بغير علم**، اختلف في قوله: **من يشتري لهو الحديث**. قال بعضهم: ليس على حقيقة الاشتراء نفسه ولكن عنى الإيثار والاختيار، لأن الاشتراء هو المبادلة[١] [التي هي][٢] أخذ وإعطاء، ولكن آثروا واختاروا لهو الحديث واللعب على الحق والحكمة. وكذلك قوله: إِشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[٣] أي اختاروا[٤] وآثروا[٥] الضلال مع قُبحه عندهم على الهدى مع حسنه. فعلى ذلك آثروا لَهْو الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث، واختاروا الفاني على الباقي، فسمّاه شراءً لذلك. وقال بعضهم: هو[٦] على حقيقة الاشتراء. لكنهم اختلفوا، فمنهم من يقول: إنه[٧] على اشتراء المغنّية والمغنّي، كانوا يشترون[هم][٨] ليتلهوا بهم ويلعبوا. ومنهم من قال: إن فلانا[٩] كان يشتري[١٠] ويكتب عن لهو الحديث وباطله من حديث الأعاجم فيحدّث بها قريشًا، ويقول: إن محمدًا يحدّثكم بأحاديث عادٍ وثمودَ وأنا[١١] أُحدّثكم بأحاديث فارسَ والروم. فذلك اشتراؤه لهو الحديث وإضلاله الناس عن سبيل الله، فأعرضوا عن القرآن والإيمان بمحمد.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: مبادلة.
[٢] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.
[٣] سورة البقرة، ١٦/٢ و١٧٥.
[٤] ث – لهو الحديث و لعب عى احق والحكمة وكذلك قوله اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروا.
[٥] ر م – لهو الحديث واللعب عى الحق والحكمة وكذلك قوله اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروا وآثروا.
[٦] ن – هو.
[٧] ن: إنهم.
[٨] ن: يشتروا.
[٩] ر ث م – إن فلانا.
[١٠] ن: فيشتري.
[١١] ن: فأنا.
[١٢] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: نزلت الآية في رجل كان يشتري هو الحديث وباطله من حديث الأعاجم، فيحدث بها قريشا ويقول: إن محمدا يحدثكم بأحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث فارس والروم فذلك اشتراؤه لهو الحديث. ثم إضلالهم الناس عن سبيل الله هو أمرهم إياهم بالإعراض عن القرآن والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٩١و).

[وقوله:][1] **ويتخذها هزوا**، كان[2] إذا سمع شيئا من القرآن اتخذها هزوًا.[3] هكذا عادة الكفرة وأهل النفاق كانوا يستهزءون بالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم أوعدهم الوعيد الشديد حيث قال: **أولئك لهم عذاب مهين.**

وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يقولان في قوله: **ومن الناس من يشتري لهو الحديث**، هو شراء المغنية أو الغناء.[4] وقد روي مرفوعًا[5] عن[6] القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[7] قال: «لا تَبيعوا[8] المغنِيات ولا تشتروهن ولا تعلّموهن، ولا خير في التجارة فيهن، وثمنهن حرام»، وفي مثله أنزلت هذه الآية: **ومن الناس من يشتري لهو الحديث**، الآية.[9] فإن ثبت هذا فهو تفسير "**لهو الحديث**" الذي ذُكر في الآية.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [٧]

وقوله: **وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبِرًا**، أي أعرض متعظمًا متجبّرًا، **كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا**. يحتمل قوله: **كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا**، على التقرير، ويحتمل على نفي الحقيقة. فإن كان على التقرير فهو على ترك الاستماع. وإن كان على حقيقة النفي فقد ذُكر في كثير من الآي ذلك، كقوله:[10] صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[11] وذلك يحتمل الوجهين.[12] **والله أعلم.**

ثم أوعده العذاب الشديد حيث قال: **فبشره بعذاب أليم.**

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.

[2] جميع النسخ: وكان.

[3] ن – وكان إذا سمع شيئا من القرآن اتخذها هزوا.

[4] ر ث م: والغناء. *تفسير الطبري*، ١٨/٥٣٥-٥٣٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦١٥-٦١٧، ٦٢٣.

[5] جميع النسخ + روي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.

[6] جميع النسخ + أبي. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ – أنه. والزيادة من المرجع السابق.

[8] ث: لا تتبعوا.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٦٤، ٢٦٨؛ و*سنن ابن ماجة*، التجارات ١١؛ و*سنن الترمذي*، البيوع ٥١؛ التفسير ٣١.

[10] ر م: قوله؛ ن ث: في قوله.

[11] سورة البقرة، ٢/١٨، ١٧١.

[12] جميع النسخ: وجهين. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٨ظ. انظر تفسير الآية ١٨ من سورة البقرة لذكر هذين الوجهين.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[٨]**

وقوله: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، قوله: آمنوا، بجميع ما أمروا بالإيمان به، **وعملوا الصالحات**، بما تعبّدوا من العمل بالطاعات والصالحات، **لهم جنات النعيم**، كل الجنان التي وَعد للمؤمنين نعيم يَتنعّمون فيها.

**﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٩]**

**خالدين فيها وعد الله حقًّا**، أي ما وعد للمؤمنين من الجنات النعيم هو حق كائن لا مَحالةَ، **وهو العزيز الحكيم**.

**﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[١٠]**

وقوله: **خلق السماوات بغير عمد ترونها**، قال بعضهم: خلق السماوات بِعَمَد لا ترونها، وقيل: لعل لها عمدًا لكن لا ترونها. وقال بعضهم: خلقها بلا عمد. لكن الأعجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها ليست بدون الأعجوبة في خلقها بلا عمد، لأن رفع مثلها بعمد لا تُرى أعظم في اللطف والقدرة مِن رفعها بلا عمد. إذ العمد لو كانت مقدار الريشة أو الشَّعْرة ترى، فرفعها مع ثقلها وعظمها وغلظها على عمد لا ترى هو ألطف من ذلك وأعظم في الأعجوبة مما[1] ذُكر.[2] فأيهما كان ففيه دلالةُ أن لا يجوزُ تقدير قوى الخلق بقوى الله تعالى وقدرتِه،[3] ولا سلطانِ الخلق بسلطانه،[4] بل هو القادر على الأشياء كلها بما شاء وكيف شاء، لا يُعجزه شيء.

وقوله: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**، وقال في آية أخرى: وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ،[5] والرواسي هن الثوابت، أي أثبت الأرض بالجبال، كقوله: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا،[6] أي أثبتها. وقوله: **أن تميد بكم**، أي لا تميدَ بكم. ذكر المَيْد، وهو الميل والاضطراب،

---

[1] ث: فما.
[2] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٩و.
[3] ر ث م: بقدرته.
[4] ن: لسطانه.
[5] ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣).
[6] سورة النازعات، ٣٢/٧٩.

وليس من طبع الأرض الميل والاضطراب، وإنما طبعها التسرّب والتسفّل[1] والانحدار. فلا يُدرَى أن كيف حالها في الابتداء وما في سرّيتها ما يحملها على الاضطراب والميد حتى أثبتها وأرساها بالجبال. والله أعلم بذلك.

وقوله: **وبثّ فيها من كل دابة**، قال بعضهم: **بث**، خلق، وقيل: **بث**، فرّق. وفيه[2] أنه جعل الأرض مكانًا ومعدِنًا لكل أنواع الدواب الممتحن وغير الممتحن والمميّز وغير المميّز، والسماءُ لم يُجعل إلا[3] لنوع من الخلق أهلِ العبادة.

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**، أي أنبتنا فيها من كل [٥٩١ظ] لون يتلذّذ به الناظر إليه، **كريم**، ينال منه كل ما أراده وتمناه؛ إذ الكريم هو / ما يُطمَع منه نيلُ كل ما عنده وأريد منه. وقال بعضهم: الكريم، الحسن، أي أنبتنا فيها من كل لون حسنٍ ما يستحسنه الناظر ويتلذذ به، على ما ذَكَر في آية أخرى: مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ،[4] ما يُبْهَج ويُسَرُّ به كل ناظر إليه. *والله أعلم*.

﴿**هَٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[١١]

وقوله: **هذا خلق الله**، أي ما ذكر[5] من خلق السماوات والأرض وما بثّ من الدواب وما أنبت من كل زوجٍ كريمٍ. وقوله:[6] **فأروني ماذا خلق الذين من دونه**، يذكر سفههم [و]يقول: إنكم تعلمون أن ما ذَكَر من السماوات والأرض وجميع ما فيهما[7] هو كلُّه خلقُ الله وأنه هو خالق ذلك كله، وأن الأصنام التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئًا من ذلك ولا تملك خلق شيء، فكيف تعبدونها من دونه وسميتموها آلهة، وصرفتم العبادة والألوهية عن الذي هو[8] خالقكم وخالق السماوات والأرض وما فيهما؟ وإنما استحق الألوهية والربوبية لخلقه ما ذكر، والأصنام[9] لم يكن منها خلق فكيف سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله؟

---

[1] م: لتسفل والتسرب.
[2] ن: ففيه.
[3] ر: لا.
[4] ﴿والأرض مَدَدْناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (سورة ق، ٧/٥٠).
[5] جميع النسخ: يقول ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩١ظ.
[6] ر م: قوله؛ ن ث – قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث: فيما.
[8] ر م – هو.
[9] جميع النسخ: فالأصنام فإذ. والتصحيح من المرجع السابق.

هذا -والله أعلم- تأويل قوله: **فأروني ما ذا خلق الذين من دونه**، أي لم يخلق، يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم وسَرَفِهم في القول والفعل.[١] ***والله أعلم***.

وقوله: **بل الظالمون في ضلال مبين**. يحتمل **الظالمون** وجوها. أحدها ظلموا أنفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي أمرهم الله تعالى أن يضعوها، وهو وضعهم إياها في عبادة الأصنام. أو [هم] ظالموا[٢] حدود الله التي[٣] حَدّ لهم، لم يحفظوها على تلك الحدود بل جاوزوها. أو سماهم ظلمة لما ظلموا نعم الله ولم يشكروها. ***والله أعلم***.

وقوله: **في ضلال مبين**، أي في[٤] حيرة بينة، أو هلاك بين.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[١٢]

وقوله: **ولقد آتينا لقمان الحكمة**، قال بعضهم: الحكمة[٥] هي الإصابة في القول والفعل من غير نبوّة. وقال بعضهم: أَعطى الفهم واللبّ. وقيل: الفهم والفقه في الدين، وقيل: العلم. كأنه يقول: أعطيناه العلم والفهم[٦] بالكتب المتقدمة. والفقه هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره، أو معرفة ما غاب بما شهد، أو معرفة الخفي الباطن بالظاهر، ونحوه. والفلاسفة يقولون: الحكمة هي المعرفة مع العمل، والحكيم هو الذي له المعرفة[٧] والعلم والعمل[٨] جميعًا، فحينئذ يسمى حكيمًا.

وقوله: **أن اشكر لله**، كأنه قال: ولقد آتينا لقمان الحكمة -والحكمة تحتمل[٩] الوجوه التي ذكرنا- وقلنا له أن اشكر لله فيما أعطاك من الحكمة وغير ذلك من النعم.[١٠] وهذا يدل أن لله[١١]

---

[١] ن - ولفعل.
[٢] جميع لنسخ: ظلمي.
[٣] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٩١ط.
[٤] ث - في.
[٥] ر - قال بعضهم الحكمة.
[٦] ن: أعطيناه الفهم والعلم والفقه.
[٧] ن: له الحكمة والمعرفة.
[٨] ن: مع العمل.
[٩] ر ث م. يحتمل.
[١٠] جميع النسخ. من النعمه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر: الله.

فيما يكتسب المرء من الحكمة والعلم صنعًا، إذ لو لم يكن له صنع[1] في ذلك لم يكن[2] لقوله: **آتينا**، معنًى؛ إذ هو فعل[3] العبد وكسبه. ألا ترى أنه أمره أن يشكر له على ذلك، ولو لم يكن له صنع في ذلك لكان لا يأمره بالشكر له[4] على ما لا صنع له فيه، إذ يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل، وقد ذم من أحب أن يُحمد بما لم يفعل في قوله: وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا،[5] فلا يحتمل أن يأمر هو بالحمد والشكر على ما لم يفعل ولا صنع له في ذلك، دل أن له فيه صنعًا. وهو ينقض على المعتزلة في قولهم: أنْ ليس لله في فعل العبد صنع. ***والله أعلم.***

وقوله: **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**، هذا يدل[6] [على] أن ما[7] يأمر[8] عباده وينهاهم وفيما امتحنهم إنما يمتحنهم ويأمرهم وينهاهم لمنافع أنفسهم وحاجاتهم،[9] لا لمنفعة نفسه أو لحاجته،[10] حيث قال: **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**، حيث يُتمّ تلك النعمة ويديمها له، فهو بالشكر ينفع نفسه. ومن كفر فإنما ضرر كفره يلحقه دون الله، ألا ترى أنه قال: **ومن كفر فإن الله غني حميد**، أي غني عن شكره وحمده، حميد وإن لم يحمده أحد من خلقه، لأنه غني بذاته حميد بصنائعه وآلائه وإن لم يحمد[11] ولم يُشكر على ذلك. لا ينفعه شكر أحد ولا حمده، ولا يضرّه كفران أحد ولا ترك الشكر له والحمد. ***وبالله الحول والقوة.***

**﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١٣]**

وقوله: **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**، يحتمل قوله: **إن الشرك لظلم عظيم**، وجوهًا. أحدها ظلموا أنفسهم حيث وضعوها[12] في غير موضعها

---

[1] ن: صنعا؛ ث – صنع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٩ظ.
[2] ر م – صنع في ذلك لم يكن.
[3] ر م – فعل.
[4] ث – له.
[5] جميع النسخ – في قوله ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠و. ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوْا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (سورة آل عمران، ١٨٨/٣).
[6] ث + يأمر.
[7] ر: من.
[8] ر م، يؤمر.
[9] ن ث ر: وحاجتهم.
[10] ر: أو لحاجة.
[11] ر ث م + هو.
[12] ن – وضعوها

وأوقعوها في المهالك بعدما صوّرها أحسن تصوير ومثّلها أحسنَ تمثيلٍ. وأعظم الظلم مَن عمل وسعى في هلاك نفسه. أو ظلمٍ عظيمٍ، ظلموا نعم الله حيث صرفوا شكرها إلى غير مُنعمها. أو ظلموا ظلمًا عظيمًا حيث لم يقبلوا شهادة وحدانيّة الله وألوهيته فيما جعلها في خلقتهم وبِنيَتهم، إذ جعل في حلقة كل أحد الشهادةَ على وحدانيته وربوبيته. وذلك أعظم الظلم وأفحشه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١٤]

وقوله: **ووصينا الإنسان بوالديه**،[١] ولم يذكر هاهنا بماذا وصّاه. فجائز أن تكون[٢] الوصية بما ذكر في آية أخرى، حيث قال: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا،[٣] و[وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ] إِحْسَانًا.[٤] والإحسان هو اسم ما حسن من فعله، وقوله: حُسْنًا، هو اسم ما حسن مما[٥] كان يفعله، وهما واحد في الحاصل.[٦]

وقوله: **حملته أمه وهنًا على وهن**، أي ضَعفًا على ضعف، أي كلّما مضى عيبها وقت ازداد فيها ضَعْف على ضعف ووَجَع على وجع. أمر بالإحسان إليهما جميعًا، ثم ذكر ما حملت الأم من المشقة والشدة ولم يذكر من الأب شيئًا، وقد كان للأب وقتَ احتمال الأم المشقةَ اللذّة والسرور والفرح. فجائز أن يقال أنْ كان من الأب بإزاء تلك المشقة التي احتملت الأم [٥٩٢و]
معنىً مّا يُؤمَر أن يَشكر له ويُحسن إليه، وهو ما يتحمّل من الإنفاق عليها وعليه في حال الرضاع، وهو ما ذكر: وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[٧] وقوله: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.[٨] أو ما لم يجعله مطعونًا في الناس بحيث لم يُعرَف له نسبٌ يُنسب[٩] إليه،

---

[١] ر م ث + حسنا.
[٢] جميع النسخ – أن تكون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠و.
[٣] سورة العنكبوت، ٨/٢٩.
[٤] سورة الأحقاف، ١٥/٤٦.
[٥] م: ما.
[٦] ر ث م: في الأصل.
[٧] سورة البقرة، ٢٣٣/٢.
[٨] سورة الطلاق، ٦/٦٥.
[٩] ر ث م: ينسب.

بل جعله معروف النسب غير مطعون في الخلق، ونحوه. ثم ذكر الفصال ولم يذكر الرضاع، والمشقّة في الإرضاع لا في الفصال. لكنه ذكر تمام الرضاع وكماله إذ[1] بالفصال يتمّ ذلك ويكمل، وفي ذكر التمام له والكمال ذكر الرضاع، وليس في ذكر الرضاع نفسِه ذكرُ تمامه، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله: **أن اشكر لي ولوالديك**،[2] أمر بالشكر له ولوالديه. وحاصل الشكر راجع إليه دون من يشكر له، إذ كل من صنع إلى آخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك إليه وبنعمه كان منه ذلك، فكل من حمد دونه أو شكر فراجع إليه في الحقيقة ذلك. ثم يخرج قوله: **أن اشكر لي ولوالديك**، على وجهين. أحدهما اشكر لي فيما تشكر لوالديك[3] بإحسانهما إليك، فإنهما ما أحسنا إليك إلا بفضلي ورحمتي، كقوله: فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ،[4] أي اذكروا الله فيما تذكرون[5] آباءكم لصنعهم،[6] فإنهم إنما فعلوا ذلك بفضل الله. **أو** أن يكون قوله: **اشكر لي**، فيما أنعمت عليك، **ولوالديك**، فيما أحسنا إليك وربّياك. *والله أعلم*.

وقوله: **إليّ المصير**، قد ذكرنا أنه خصّ ذلك المصير إليه، وإن كانوا في جميع الأوقات صائرين إليه راجعين بارزين له، لما أن[7] المقصود من إنشائهم في هذه[8] [الدار][9] ذلك،[10] وصار إنشاؤهم وخلقهم في الدنيا حكمة بذلك،[11] ما لولا ذلك[12] لكان عبثًا باطلاً على ما ذكر.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ن + بالرضاع، مشطوب.
[2] جميع النسخ + إلي المصير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ.
[3] جميع النسخ: والديك. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.
[5] ر م: يذكرون.
[6] ر ث م: بصنعهم.
[7] جميع النسخ – أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ.
[8] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٢و.
[10] جميع النسخ: ذاك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ. أي المصير إليه في الدار الآخرة.
[11] ر ث م: بذلك.
[12] ن: بذلك.
[13] ث: ذكرنا.

**﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٥]**

وقوله: **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**، أمر في الآية الأولى بالإحسان إليهما وبالبِرّ لهما والطاعة، ثم بيّن أن لا في كلّ أمر يُطاعان ولا في جميع ما يأمران ويسألان يُحابان. إنما يطاعان ويحابان فيما يُؤذن لهما ويُباح،[١] لا فيما لا يؤذن ولا يباح بحال، بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعاداة فضلاً من[٢] أن يطاعا ويحابا[٣] إلى ما يدعوان أو يأمران. وكذلك ذكر في الخبر أن «لا طاعةَ للمخلوق في معصية الخالق».[٤] وإنما أَمرَ بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق، حيث قال: **وصاحبهما في الدنيا معروفًا**.

وقوله: **واتبع سبيل من أناب إليّ**، قال بعضهم: اتبع دين من أقبل إليّ ورجع إلى طاعتي، وهو النبي. أو أن يكون قوله: **واتبع سبيل من أناب إليّ**، أي اتبع سبيلي وديني، كقوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.[٥] فعلى ذلك الأول [أيضًا] جائز أن يكون تأويله: اتبع سبيلي وديني ولا تتبع سبيل[٦] غيري، أو اتبع[٧] سبيل من أناب ورجع إليّ ولا تتبع[٨] سبيل من لم ينب ولم يرجع إليّ. ثم أخبر برجوع الكل إليه: من رجع وأناب إليه ومن لم يرجع ولم ينب إليه،[٩] حيث قال: **ثم إلي مرجعكم**، الآية. وهو كقوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ، إلى قوله: فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا،[١٠] أي من استنكف ومن لم يستنكف يحشرهم[١١] إليه جميعًا، فعلى ذلك الأول. **والله أعلم**.

---

[١] ر ث م + لهما.
[٢] جميع النسخ - من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١و.
[٣] ن ث: أو يحابا.
[٤] *مصنف عبد الرزاق*، ٢/٣٨٣؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ١٨/٢٤٧؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٣١.
[٥] ﴿وأن هذا صرطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).
[٦] ر م - سبيل.
[٧] ر م - أو اتبع.
[٨] م: ولا يتبع.
[٩] جميع النسخ + على الوعيد. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١و.
[١٠] ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ (سورة النساء، ٤/١٧٢).
[١١] ر م: يحشر.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[١٦]

وقوله: **يابنيَ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله**، لا يحتمل أن يكون هذا الكلام والقول من لقمان[١] لابنه ابتداءً من غير سؤال كان في ذلك. فلا بد من أن يكون[٢] ذلك منه عن سؤال، لكن لا نعلم ما كان ذلك[٣] السؤال وعما كان. فأما إن كان السؤال عن علمه[٤] فأخبره[٥] بما ذكر من حبة مستترة بالحُجُب[٦] التي ذُكر مكنونة في أخفى الأمكنة عن الخلق مما[٧] لا يطلع [عليها][٨] أحد منهم ولا يبلغه علم الخلائق، **يأت بها الله**، أي يعلمها الله. فإن كان على هذا ذُكر فيلزمهم أن يكونوا أبدًا مراقبين أعمالهم وأحوالهم في جميع حالاتهم وأوقاتهم وفي جميع[٩] أمورهم لما لا يخفى عليه شيء. أو أن يكون السؤال عن قدرة الله وسلطانه، فأخبر أن الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكر، ما تَعْجَز[١٠] الخلائق عن استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والأمكنة، فيخافون قدرة الله ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة أمره ونهيه. أو أن يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا أن الشيء وإن كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحِيلهم في استخراج ذلك منه والوصول إليه بحال، فالله سبحانه بلطفه يرزق الخلق بأشياءَ خارجةٍ عن وسعهم وحيلهم ما لا يقع لهم الطمع في ذلك، ليكونوا أبدًا في كل حال مطمئنين في الرزق لا يُؤْيِسُهم عجزهم ولا تُعْذَر حيلهم عن ذلك، وأن لا يعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب التي بها يكتسبون، ولذلك قال: وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.[١١] أو أن يكون السؤال عن جزاء
[٥٩٢ظ] ما يعمل المرء من قليل / أو كثير ومما عَظُم أو لطُف،[١٢] فيخبر أنه يجزي بقليل العمل وكثيره.

---

[١] جميع النسخ + كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٢و.
[٢] جميع النسخ: فيعلم أنه كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث م – ذلك.
[٤] أي عن علم الله تعالى. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٢و.
[٥] ر ث م: فأخبروه.
[٦] ر ث م – بالحجب.
[٧] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: وجميع.
[١٠] جميع النسخ: ما يعجز؛ ن + ما يعجز.
[١١] سورة الطلاق، ٣/٦٥.
[١٢] ر ث م: عظم ولطف

وكذلك يقول بعض أهل التأويل ذلك: **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل**، من خير أو شر، **فتكن في صخرة**، في حبل، **أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله**، أي يجازي بها[1] الله، فيكون على هذا التأويل كقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ].[2] فأيَّ شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالةُ الثقة به والتوكلِ عليه في الرزق والتفويض في الأمر في كل ما خرج عن وسع الخلق. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله لطيف خبير**، قال عامة أهل التأويل: إن الله لطيف في استخراج تلك الحبة، خبير بمكانها. وتأويل هذا الكلام، أي يستخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والأستار التي بيّن استخراجًا لا يشعر بها أحد ولا عَلِم كيفية الاستخراج[3] منها ولا مائيته.[4] واللطيف هو البارّ، ثم يخرج هو[5] على وجهين. أحدهما بارٌّ فيما أرسل من الرسل[6] وما أنزل من الكتب ليدلّهم إلى ما يهتدون وإلى ما به نجاتهم، خبيرٌ بحوائجهم. والثاني تأويل اللطيف يحتمل وجهين. أحدهما البار على ما ذكرنا. والثاني [اللطيف][7] في استخراج أمورٍ لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم وحِيَلُهم. *والله أعلم*.

**﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**[١٧]

وقوله: **يا بني أقم الصلاة**، يحتمل الأمر بإقامة الصلاة وجهين. أحدهما الصلاة التي عرفتها العرب، وهي المسألة والدعاء والثناء على الله تعالى والتحميد له والتمجيد، كقوله: إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ[8] الآية، وهذه الصلاة المذكورة في هذه الآية هي الدعاء والاستغفار والرحمة له والمغفرة.[9] فعلى ذلك يشبه أن يكون الأمر بإقامة الصلاة هو الأمر

[1] ث: يجازيها.
[2] سورة الزلزال، ٩٩/٧-٨. الزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١ظ.
[3] ن: الإخراج.
[4] ر ن: مائية.
[5] م - هو.
[6] جميع النسخ: الرسول. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٣٢و.
[7] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٩٢و.
[8] سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣.
[9] ن + له.

بمسألة الرب حوائجه ومغفرته ورحمته، ليكون أبدًا في كل حال متضرعًا إلى الله مظهرًا[1] حاجته إليه ومثنيًا عليه واصفًا عظمته وجلاله وكبرياءه. والثاني أراد به الصلاة المعروفة المعهودة على شرائطها التي جعلت وشرعت. فإن كان هذا ففيها أيضًا ما في الأول من الدعاء والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال، لأنها جعلت من أولها إلى آخرها ذلك. وإن كان أراد بالصلاة الصلاةَ المعروفة ففيه أن الصلاة التي شرعت لنا كانت للأمم المتقدمة. وعلى ذلك يخرج قول إبراهيم، حيث قال: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ،[2] وقول عيسى، حيث قال: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.[3] *والله أعلم*.

وقوله: **وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر**، المعروف اسم كل برّ وخير وكل مستحسن في العقل والطبع، والمنكر اسم كل شرّ وسوء وكل[4] مستقبح في العقل والطبع. ثم يخرج قوله: **وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر**، على وجوه. أحدها المعروف الذي جاءت به[5] الرسل عن الله وشرعوا للخلق ودعوا الخلق إليه،[6] والمنكر أيضًا هو الذي أنكرته الرسل ونهت الخلق عنه. أو أن يكون المعروف هو الذي يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم، والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه كل طبع سليم، يعرف[7] بالبداهة[8] قبحه وحسنه أو يعرف أنه معروف أو منكر عند التأمل والتفكر. فكنه يرجع إلى واحد إلى ما ذكرنا بدءًا، لكنه يختلف فيما ذكرنا من السبب.

وقوله: **واصبر على ما أصابك**، أي اصبر على ما أصابك[9] من الأذى بالأمر بالمعروف والنهي[10] عن المنكر، لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[11] لأهل[12] السفه[13] والفسق،

[1] ر ث م: مظهر.
[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٠.
[3] سورة مريم، ١٩/٣١.
[4] جميع النسخ – وكل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٢ظ.
[5] ر ث م – به.
[6] ر ث – إليه.
[7] ر ث م: تعرف.
[8] ن ث: بالبديهة.
[9] ر ث م – أي اصبر على ما أصابك.
[10] ر: وينهى؛ م: وينهو.
[11] ر م – لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
[12] جميع النسخ: أهل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٢ط.
[13] جميع النسخ + منهم. والتصحيح من المرجع السابق.

فلا بد من أن يصيب الأذى مَن تولى ذلك. وهذا يدل أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم، لا يسع تركه وإن أصابه الأذى في ذلك.

وقوله: **إن ذلك من عزم الأمور**، قال بعضهم: إن ذلك من حزم الأمور، والحزم هو الإحكام[1] للشيء وإتقانه، كأنه يقول: إن ذلك من محكم الأمور ومُتقَنها، لأن الشيء إذا حُزم وشُدّد يؤمَن عن سقوطه وذهابه، فعلى ذلك ما ذكر. وقال بعضهم:[2] العزم هو القطع والثبات على شيء، تقول: عزم[3] على كذا وعلى أمر كذا، إذا قطع تدبيره ورأيه[4] واضطرابه[5] وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه للدنيا أو لأمر من أمورها، ولكن ثبت على ما عزم وقطع، فهو العزم. **والله أعلم**.

**﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٨]**

وقوله: **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا**، قوله: ولا تصاعر، ولا تصعر، بالألف وبغير الألف كلاهما لغتان.[6] ثم أهل التأويل أو أكثرهم يقولون: قوله: **ولا تصعر خدك للناس**، أي لا تُعْرض بوجهك عن الناس تعظّمًا وتجبّرًا وتكبّرًا، وكذلك في قوله: **ولا تمش في الأرض مرحًا**، بَطَرًا فَرَحًا بالمعصية في الخُيَلاء والعظمة مستكبرًا جبارًا.

* قال أبو عَوْسَجَة: المرح النشاط، وهذا لا يكون إلا من الكبر لأنه يتبختر.* عامتهم [٥٩٣ظ س٣٣]
يفسرونه بالإعراض للتكبّر والتجبّر، وكذلك يقول[8] الحسن، إنه قال: هو الإعراض عن الناس من الكبر استحقارًا لهم واستخفافًا بهم.[9] *وقال القتبي: الأصعر مُعْرِض الوجه.[10]* [٥٩٣ظ س٣٥]

---

[1] جميع النسخ: من الإحكام. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٢ظ.

[2] ر م - بعضهم.

[3] جميع النسخ: عزمت.

[4] ن: رأيه وتدبيره.

[5] ث: رأيه واضطرابه وتدبيره.

[6] «قرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿ولا تصعر﴾ بغير ألف وتشديد العين، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ﴿ولا تصاعر﴾ بالألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٢).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٣-٣٤.

[8] ن: يقوله.

[9] *معاني القرآن* للنحاس، ٢٨٧/٥.

[10] جميع النسخ: للوجه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥و. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٤٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر ٣٥-٣٦.

والزجاج يقول: الصَّعَر هو داء يأخذ[1] البعير فيَلوِي عنقه.[2] فعلى تأويله يكون قوله: **لا تصعّر [خدّك]**، أي لا تَلْوِ عنقك عن الناس. وأبو عَوْسَجَة يقول قريبًا من ذلك. يقول: **لا تصعّر**، أي لا تتَجَبَّر، وهو أن تلوي عنقك فلا تنظر إليهم كبرًا، ويقول: الصَّعَر هو اعوجاج في العنق، [٥٩٣و] يقال: رجل أصعر، وبعير أصعر، وبه صَعَرٌ، ويقال في الكلام: فلان صَعَر خدّه، إذا لوى رأسه عن الناس فلم ينظر إليهم كبرًا منه، وقال كما قال الزجاج: إن الصعر داء يأخذ البعير فيلوي عنقه. وأصله الإعراض على ما ذكره أهل التأويل وأهل الأدب. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكر أهل التأويل من حقيقة الإعراض تكبّرًا و تعظّمًا لأنفسهم استخفافًا بالناس واستحقارًا لهم، لما لم يروا الناس أمثالاً[3] وأشكالاً[4] لأنفسهم. وعلى ذلك يخرج قوله: **ولا تمش في الأرض مرحًا**،[5] على حقيقة المشي على التكبّر والتجبّر على ما ذكرنا. والثاني ليس على حقيقة الإعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة المشي بالأقدام، ولكنه كناية عن الامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترك لذلك، لا على التكبّر والتجبّر عليهم والاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف منهم.[6] فإن كان الامتناع والإعراضَ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يُعْذَروا في ترك ذلك لما يحذرون ويخافون منهم.

[٥٩٣ظ س٢٢] *ومحمد بن إسحاق يقول: **ولا تُصَعِّرْ خدّك للناس**، أي لا تُعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس[7] إذا كلّموك. **ومرَحًا**، أي فَخرا بالْخُيَلاء والعظمة. **إن الله لا يحب كل مختال فخور**، [٥٩٣ظ س٢٤] أي بَطِر فَرِح[8] فخورٍ في نعم الله[9] لا يأخذ[10] بالشكر.*

---

[1] م: تأخذ.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ١٩٨/٤.
[3] ر + وأمثالا.
[4] ر ث م – وأشكالا.
[5] ن ث م – مرحا.
[6] جميع النسخ: عنهم.
[7] ر ث م + أي.
[8] ر م: مرح.
[9] ث – لله.
[10] ر ث م: لا يؤخذ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر ٢٢-٢٤.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١٩]

وكذلك يخرج قوله: **واقصد في مشيك واغضض من صوتك**، عى الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما عى الأمر بقصد المشي وخفض الصوت حقيقةِ المشي وحقيقة الصوتِ. والثاني عى الكناية عن كيفية المعاملة ومائيتها[١] فيما بين الناس. فإن كان عى حقيقة المشي والصوت[٢] فكأنه يقول: أي اقصد في المشي في الناس ولا تمش متكبرًا مستخِفًّا بهم مستحقرًا لتؤذيَهم، **واغضض من صوتك**، أي لا ترفع صوتك فوق أصواتهم فتؤذيَهم بالصوت، ولكن لَيِّنْهم بالقول. وقال بعضهم، امش هيّنًا ليّنًا ناكس الرأس، ناظرًا حيث تمشي، غير ناظر إلى ما لا[٣] يحل ولا يسع، ولا ترفع[٤] صوتك على الناس فتؤذيهم، فيكون صوتك عندهم كصوت الحمير الذي ذكر، فينكرون كما يُنكَر صوت الحمير.[٥] وإن كان عى الكناية عن الأحوال في المعاملة فيما بين الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي مُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر ولا تطلبوا لأنفسكم في ذلك العلوّ والرفعة ونفاذ القول وقبولَه، ولكن كونوا في ذلك عادلين قاصدين، غير طالبين العلوّ والرفعة ونفاذ القول وقبولَه.[٦] * [قال أبو عَوْسَجة:] **واقصد في مشيك**، أي امش [٥٩٣ط س٣٤
مشيًا رفيقًا، **واغضض من صوتك**، أي ارْفِقْ لا تَصُوت صَوتًا شديدًا، وهذا أيضا من التبختر.* ٥٩٣ظ س٣٥]

وقوله: **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**، يحتمل وجهين. أحدهما[٨] ما ذكرنا، أي لا ترفع صوتك عى الناس فتؤذيهم كما يؤذي الحمار فيكون صوتك عليهم كصوت الحمار. أو يذكر هذا لأن الحمار إنما يصيح[٩] لحاجة نفسه[١٠] وشهوته، وسائر الأشياء[١١] إذا صاحوا إنما يصيحون لحاجة أهلها. فيذكر أنكم إذا أمرتم[١٢] بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا لمنفعة أنفسكم

---

[١] م: ومائيتهما.
[٢] ن – والثاني على الكناية عن كيفية المعامة ومائيتها فيما بين الناس فإن كن عى حقيقة المشي والصوت.
[٣] ن – لا.
[٤] جميع النسخ: ولا رفع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣و.
[٥] ن + الذي ذكر.
[٦] ن – وقبوله.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[٨] ن – أحدهما.
[٩] ر م: يصح.
[١٠] ر م: لنفسه.
[١١] أي الناس.
[١٢] ن: أقرتم.

أو لحاجتكم ولكن قوموا لله في دلك، أو لما ذكرنا. أو حص صوت الحمير لأنه ليس من صوت إلا وفيه لذة ومنفعة[1] غير صوت الحمير، فإنه ليس فيه[2] لذة ولا منفعة. أو ذكر لما قيل: إن أوله زفير وآخره شهيق، فشبهه بزفير[3] أهل النار وشهيقهم.[4]

[٥٩٣ظ س٢٤] *[ومحمد بن إسحاق يقول:] **وَاقْصِد في مشيك**، رويدًا، لا تَخْتَل[5] في مشيك ولا تنظر حيث لا يحل، **وَاغْضُضْ**، أي اخفض، **من صوتك**، أي من كلامك. يأمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق،[6] ثم ضرب للصوت الرفيع مثلاً، فقال: **إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير**،

[٥٩٣ظ س٢٦] لشدة صوتهم.*

[٥٩٣ظ س٣٦] *[وقال القتبي:] **أنكر الأصوات**، أقبحها، عرّفه قبحَ رفع الصوت في المخاطبة.[8]*

وقوله: **إن الله لا يحب كل مختال فخور**، قال بعضهم:[10] المختال[11] المتكبر البَطِر. وقال بعضهم: المختال الخداع والغدّار. والفخور يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال، أو لما لا يرى أحدًا شكلا لنفسه.

**﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾**[٢٠]

وقوله: **ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض**، قوله: **ألم تروا**، قد ذكرنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر، أي[12] قد رأوا وعلموا أنه سخر لهم ما ذكر.

---

[1] جميع لنسخ: ومعونة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.
[2] ن – فيه.
[3] جميع النسخ: فشبه زفير.
[4] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار هم فيها زفير وشهيق﴾ (سورة هود، ١١/١٠٦). وفي *الشرح*: «وقيل إنما خص ذلك لأن صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، وهذا –والله أعلم– شبه زفير أهل النار وشهيقهم» (من حاشية نسخة ن، ورقة ٥٤٥ظ). تنبيه: لم يوجد أي إيضاح في نسخ *الشرح* التي بين أيدينا.
[5] ن هـ: لا تختال.
[6] جميع النسخ: والمنطق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٢٤–٢٦.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٦.
[10] ر ت م – بعضهم.
[11] ت: المختار.
[12] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.

والثاني على الأمر، أي انظروا ورَوْا[١] أنه سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، يذكّرهم نعمه وآلاءه عليهم، يستأدي به شكرهم عليه لما سخّر لهم ما في السماوات وما في الأرض[٢] لينتفعوا بجميع ما يحتاجون إليه ويصلوا إلى مرادهم وحاجتهم وإلى قضاء وطرهم كيف شاءوا مما شاءوا. أو أن يذكر قدرته وسلطانه، أن من مَلَك تسخير ما ذكر لنا ومَلّكَنا[٣] وأقدرنا على تدبير استعمال ما سخر لنا والانتفاع به لقادرٌ على البعث والإحياء بعد الموت وأنه لا يعجزه شيء. أو أن يذكر حكمته وعلمه أن مثل هذا التسخير لا يكون إلا بحكمته. ولو لم يكن هنالك بعث وعاقبة لكان خلق الخلق وتسخير ما ذكر لَعِبًا باطلاً، على ما ذكرنا في غير موضع. وقوله: **ما في السماوات**، المسخرُ ما في السماوات يحتمل المطر والسحاب والشمس والقمر ونحوها[٤] مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض، حتى لا يقوم منافع الأرض إلا بمنافع السماء. أو الملائكة لأنهم قد أُمتحنوا ببعض ما تقع به منافع[٥] البشر. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**، ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: «أما ما ظهر، يا ابن عباس، فالإسلام وما سوّى من خلقك وما أسبغ عليكم من الرزق، وأما ما بطن فسَتْرُ[٦] مساوئ عملك فلم يَفْضَحْكَ بها».[٧] فإن ثبت الخبر فلا تقع[٨] الحاجة إلى غيره فهو تأويل الآية، وإلى هذا[٩] ذهب عامة أهل التأويل. وجائز أن تكون[١٠] النعمة الظاهرة هي[١١] ما ظهر من الحسن والطهارة، / والنعمة[١٢] الباطنة ما ستر من الأنجاس والأقذار [٥٩٣ظ]

---

[١] ث: وراوا؛ م: واراوا.
[٢] ر ث م – يذكرهم نعمه وآلاءه عليهم يستأدي به شكرهم عليه لما سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض.
[٣] ر م: ومكنا.
[٤] جميع النسخ: ونحوه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٢ظ.
[٥] جميع النسخ: ما يقع بمنافع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: وستر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.
[٧] *شعب الإيمان* للبيهقي، ٢٨٣/٦-٢٨٤؛ *والفردوس بمأثور الخطاب* لديلمي، ٤٠٢/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٤/١١.
[٨] ر ث م: يقع.
[٩] ن – هذا.
[١٠] ر ن م: يكون.
[١١] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٣و.
[١٢] جميع النسخ: وأما النعمة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤و.

ما لو ظهر ذلك لم يدن منه أحد[1] لخبثه ونجاسته. وبعضهم يقولون: الظاهرة باللسان والباطنة بالقلب. وقال مجاهد: الظاهرة الإسلام والرزق والباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب، وهو قريب مما ذكر في الخبر المرفوع. ***والله أعلم.***

وقوله: **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**، المجادلة في الله يحتمل في توحيد الله، أو في الرسالة أنه أرسل أو لم يرسل، أو في البعث أيبعث أو لا يبعث، ونحوه، أو يجادل في كتابه.[2] وقوله: **بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**، أسباب العلم ثلاثة: العقل والسنة والكتاب؛ يتفكر[3] وينظر بالعقل فيعرف، و[يعرف أيضا] ببيان[4] السنة، والكتاب [المنير] يبيّن.[5] ولم[6] يكن مع الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله شيء من ذلك، وخاصةً أهلَ مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب، فكأنه يقول: ومن الناس من يجادل في الله وهم يعلمون[7] أنه ليس معهم[8] معقول، ولا بيان من السنة، ولا كتاب.[9] ***والله أعلم.***

[٥٩٣ظ س٢٦] *[ومحمد بن إسحاق يقول:] وقوله: **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات**، يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح، وسخر لكم ما في الأرض، أي الجبال والأنهار والبحارَ [وما] فيها [من][10] السفن والأشجار والنّبت عامًا بعد عام.[11] **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة**،[12] تسويةَ الخلق والرزقَ والإسلامَ، **وباطنة**، أي ما ستر من الذنوب من ابن آدم،[13]

---

[1] م: أحد منه.
[2] ن + ونحوه.
[3] م: يتكفر.
[4] جميع النسخ: بيان.
[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنما ذكر هذا لأن أسباب العلم ثلاثة: العقل والكتاب والسنة، يتفكر وينظر بالعقل فيعرف بالكتاب بتأكيد ما يعرف بالعقل ويعلم ما لا حظ للعقل فيه، وبالسنة يعرف ويبين ما أُجمل في الكتاب ويعمم ما لا ذكر له فيه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٣و). يبدو أن الإمام رحمه الله رتّب تفسير الآية على ترتيب النظم القرآني: ﴿بغير علم﴾ أي بغير عقل، ﴿ولا هدى﴾ أي بغير هداية السنة، ﴿ولا كتاب منير﴾ أي بغير القرآن
[6] جميع النسخ: فلم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤و.
[7] م − يعلمون.
[8] جميع النسخ: معه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة: والكتاب.
[9] ر م: والكتاب.
[10] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٥٩٣و.
[11] جميع النسخ: عاما بعام. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤ظ.
[12] ن + وباطنة.
[13] ن ه: من بني آدم.

فلم يعم بها أحد ولم يعاقب فيها. فهذا كله من النعم فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا كما هو أهله.[١] وقال في قوله: **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**، في زَعمه أن لله[٢] البناتِ أي الملائكةَ، **ولا هدى**، أي لا بيان معه من الله بما يقول، **ولا كتاب**، له فيه حجة. وأصله ما ذكرنا؛ **يجادل في الله**، من الوجوه التي ذكرنا، **بغير علم**، من جهة العقل، **ولا هدى**، أي ولا بيان من جهة السنة، **ولا كتاب**، من الله فيه حجة له. وأسباب العلم[٣] هذه، فلم يكن له شيء مما[٤] ذَكَر. *والله العصمة*.* [٥٩٣ظ س٣٣]

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **وأسبغ**، أي أوسع، والسابغ الواسع التامُّ الطويلِ العريضِ.* [٥٩٣ظ س٣٥]

﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[٢١]

وقوله: **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير**، وقال في آية أخرى: أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ،[٧] وقال في آية أخرى: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ.[٨] كأنه يقول لرسول الله أن قل لهم: تتبعون آباءكم وتقلدونهم وإن ظهر لكم وتبيّن أن الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير وأنهم من أصحاب السعير، وتتبعون[٩] آثارهم مقتدين[١٠] بهم وإن ظهر لكم وتبين[١١] أن الذي أدعوكم[١٢] أنا عليه وجئتكم أهدى مما عليه آباؤكم.

---

[١] ر: أصله.
[٢] ر: الله.
[٣] ن: العموم.
[٤] م: ما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٢٦-٣٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٥.
[٧] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٠).
[٨] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣-٢٤.
[٩] جميع النسخ: ويتبعون. والتصحيح من نسخة برين، ورقة ٣٦٧ظ.
[١٠] جميع النسخ: مقتدون.
[١١] ن: وبان.
[١٢] م: تدعوكم.

أو[1] تتبعون آباءكم وإن ظهر لكم وتبين[2] أن آباءكم كانوا لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون، حتى إن قالوا: نعم، نتبعهم وإن كانوا كما ذكرت. فإنه يظهر ويتبين[3] عنادهم ومكابرتهم عند اتباعهم، حيث[4] ظهر الحق لهم فلم يتبعوا بل اتبعوا أهواءهم. ويظهر كذبهم في قولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[5] أو في قولهم أن آباءهم على[6] ما هم عليه،[7] بل في آبائهم من هو على خلاف ما هم عليه، ونحوه. وإن قالوا: لا نتبعهم إذا كانوا على ما ذكرت، فعند ذلك تقرر[8] [الحق] وثبت[9] عندهم بالحجج والبراهين.[10] وفيه دلالة أن أهل الفترة يعذَّبون و يؤاخذون بتركهم الدين والشرائع، لأن هؤلاء الذين أخبر أنهم من أصحاب السعير هم أهل الفترة ما بين عيسى وبين محمد صلوات الله عليهما. وأهل التأويل يقولون: **أولو كان الشيطان يدعوهم**، أي بل كان الشيطان يدعوهم **إلى عذاب السعير**.*

**﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**[٢٢]

وقوله: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، يحتمل قوله: **وجهه**: أي نفسه، كأنه قال: ومن يسلم نفسه لله وجعلها سالمة له، لم يجعل لأحد فيها شركا، **وهو محسن**، في عمله إلى نفسه أي لا يستعملها إلا في طاعة الله وفيما أَمَر به. فإذا فعل ذلك، **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، أي فقد استمسك بأوثق العُرَى[12] وأثبتها على ما ذكر في آية أخرى: لَا انْفِصَامَ لَهَا،[13]

---

[1] ر ث م: إذ.
[2] ن ث: وتبين لكم.
[3] ر ن ث: ويبين.
[4] م – اتباعهم حيث.
[5] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[6] ن + ملتهم.
[7] ن – ما هم عليه. صح هـ.
[8] ر ث م: يقترن؛ ن: يقرر، صح هـ.
[9] جميع النسخ: ويثبت؛ صح ن هـ.
[10] جميع النسخ: والبرهان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٩٤ظ.
* وقع هنا مقطع كبير من تفسير الآيات ١٨، ١٩ و٢٠ ممزوجًا، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/ سطر ٢٢-٣٦.
[12] ر م: العروى.
[13] ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ (سورة البقرة، ٢٥٦/٢).

أي فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها / ولا انقطاع ولا زوال، لأنها ثبتت [٥٩٤و]
بالحجج والبراهين لا بالهوى، فكل شيء ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت أبدًا لا زوال له ولا انقطاع، وكل شيء ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى. وجائز أن يكون قوله: **وجهه إلى الله**، أي يسلم وجه أمره لله، فالوجه عبارة وكناية عن أمره، أي يسلم أمره إلى الله ويفوضه إليه. أو يكون كناية عن نفسه، فتأويله ما ذكرنا بدءا. وأهل التأويل يقولون: **يُسلِمْ وجهه [إلى الله]**، أي دينه لله، أي يخلص[1] دينه لله، كقوله: **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**،[2] أي لكل أهلِ دين ومذهبٍ. *والله أعلم.*

وقوله: **وهو محسن**، يحتمل وجوها. أحدها ما ذكرنا: هو[3] محسن إلى نفسه في عمنه،[4] لا يستعملها إلا فيما أُمر بالاستعمال فيه وهو طاعة الله، لا يوقعها في المهالك. أو هو[5] محسن إلى الناس بالمعروف والبر. أو **محسن**، أي عالم، كما يقال: أحسن أي علم. وبعض أهل التأويل[6] يقول: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، أي أخلص عمله لله، **وهو محسن**، أي مؤمن، كقوله: **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**،[7] وهو قول ابن عباس.[8] ومقاتل يقول: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، أي يخلص[9] دينه لله، **وهو محسن**، في عمله **فقد استمسك بالعروة الوثقى**.[10]

وقوله: **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، هو ما ذكرنا أنه استمسك[11] بأوثق العرى[12] وأثبتها، لأنه إنما ثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني. *والله أعلم.*

[1] ر ث م: تخلص.
[2] سورة البقرة، ١٤٨/٢.
[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥و.
[4] ر م: في عمل.
[5] م: وهو.
[6] ث - وبعض أهل التأويل.
[7] سورة طه، ١١٢/٢٠.
[8] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٣٤.
[9] ر م: يخلص.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٢/٣.
[11] ن: استمسكها.
[12] ر ث م: العروى.

وقوله: **وإلى الله عاقبة الأمور**، هذا يخرج على وجوه.[1] أحدها إلى[2] الله تدبير عاقبة الأمور وتقديرها، لا إلى الخلق. والثاني إلى[3] من له التدبير والتقدير ترجع[4] عاقبة الأمور. أو أن يَخُصّ رجوعَ عاقبة الأمور والمصيرَ[5] والرجوعَ إليه[6] والبروزَ له[7] والخروج،[8] وإن كانوا في جميع الأوقات كذلك، لما ذكرنا أن المقصود من خلق هذا العالم العالم الثاني، والمقصودَ من خلق الدنيا الآخرة،[9] إذ به يصير حكمةً وحقًّا، فخص ذلك له وأضافه إليه لذلك. أو يذكر ذلك لما لا ينازعَ في ذلك اليوم، وقد نوزع في هذه ولذلك قال: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[10]

**﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[٢٣]

وقوله: **ومن كفر فلا يحزنك كفره**، هذا يحتمل وجوها. أحدها أن قوله: **فلا يحزنك كفره**،[11] حزنًا تَتلِف وتَهلِك فيه، كقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[12] فيخرج قوله: **فلا يحزنك كفره**، على التخفيف عليه والتسلّي، ليس على النهي. وكذلك قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، على التخفيف عليه والتيسير، ليس على ترك الإشفاق والحزن عليهم، لأن رسول الله كادت نفسه تَهلك إشفاقًا عليهم وحزنًا على كفرهم، فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي.[13] والثاني قوله: **فلا يحزنك كفره**، لا يحزنك تكذيبه إياك،

---

[1] ن: وجهين.
[2] جميع النسخ: وإلى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥ظ.
[3] ن: وإلى.
[4] جميع النسخ: يرجع.
[5] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٥/٢.
[6] انظر مثلا: سورة ابقرة، ٢١٠/٢.
[7] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[8] انظر مثلا: سورة ق، ٤٢/٥٠.
[9] ن: والآخرة.
[10] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ١٦/٤٠).
[11] ر م - هذا يحتمل وجوها أحدها أن قوله فلا يحزنك كفره.
[12] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[13] م - ليس على النهي وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التخفيف عليه والتيسير ليس على ترك الإشفاق والحزن عليهم لأن رسول الله كادت نفسه تهلك إشفاقا عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي.

فذكر كفره لأنه بتكذيبه[1] يصير كافرًا وهو سبب كفره، كقوله: لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ،[2] الآية. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويهتمّ بتكذيبهم إياه فيما يقول ويخبر[3] عن الله، فيقول: لا يحزنك تكذيبهم إياك، فإنهم إلينا يرجعون. فنجزيهم ونكافئهم جزاءَ التكذيب. والثالث، **فلا يحزنك كفره.**[4] فإن ضرر ذلك الكفر عليهم لا عليك. كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[5] وقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[6] الآية، ونحوه من الآيات. يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن[7] لا تحزن على كفر من كفر، فإن ضرر ذلك يلحقه دونك. ***والله أعلم.***[8]

وقوله: **إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا**، هذا وعيد، أي إلينا مرجعهم فننبئهم[9] عما غفلوا[10] عنه[11] واختاروه في الدنيا، فيحفظونه ويتذكرون ما عملوا. أو أن يكون قوله: **فننبئهم بما عملوا**، أي نجزيهم ونكافئهم جزاء أعمالهم.[12] **إن الله عليم بذات الصدور**، أي عالم بما كان منهم وما جزاؤهم. ***والله أعلم.***

**﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾**[٢٤]

وقوله: **نمتعهم قليلًا**، أي في الدنيا، لأن متاع الدنيا قليل على ما وصفه: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ،[13] أي يتمتعون ويَعمُرون[14] بذلك القليل، **ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**،

---

[1] جميع النسخ + ما.
[2] ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).
[3] ن: أو يخبر.
[4] ر ث م + أي.
[5] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[6] سورة النور، ٥٤/٢٤. جميع النسخ – وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥ظ.
[7] جميع النسخ: أي.
[8] ن ث + والرابع.
[9] ث: فينبئهم.
[10] ن ث: أعملوا.
[11] م + على كفر من كفر فإن ضرر ذلك يلحقه دونك.
[12] جميع النسخ + ومكافأتهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٩٣ظ.
[13] سورة النساء، ٧٧/٤.
[14] ر ث م: يعمرون.

يذكر[1] هذا مقابل ما ذكر لأهل الجنة، حيث قال: خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[2] فيخبر أن أهل النار يُضطرّون ويُدفَعون إلى النار، لا أنهم يدخلونها[3] اختيارًا، كقوله: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا.[4] وقوله: **غليظٍ**، جائز أن يكون كناية عن امتداده وطوله. وجائز أن يكون كناية عن شدّته وألمه أو جِراحته، كقوله: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ.[5] الآية. وقيل: يَغلُظ عليهم العذاب لونا[6] بعد لون. *والله أعلم*.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٥]**

وقوله:[7] **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**، أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنك لو سألتهم من خلق السماوات والأرض يقولون[8] لك[9] ويجيبونك: الله خلقها.[10]

ثم يخرج قوله: **قل الحمد لله**، على إثر إقرارهم له بالتوحيد[11] والتوحّد[12] له والتفرّد بالخلق على وجهين. أحدهما أمر رسوله بالحمد له لما لا يحتاج إلى إقامة الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى إقرارهم، إذ قد أقروا[13] له بالوحدانية فيما ذكر، فعلى ذلك يلزمهم ذلك في كل شيء دقّ أو جَلّ فيقع الأمر له بالحمد على ذلك. أو يأمر رسوله بالحمد له لما أنجاه وخلّصه وسلّمه[14] مما[15] ابتُلُوا هم[16] وفُتنوا من التكذيب وعبادة الأصنام بعد إقرارهم بالوحدانية له والألوهية،

---

[1] ن: تذكر.
[2] سورة الكهف، ١٨/١٠٨.
[3] م: يدخلون.
[4] سورة الطور، ٥٢/١٣.
[5] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠٤).
[6] جميع النسخ: لون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦و.
[7] م – وقوله.
[8] ن: ليقولن.
[9] ر ث م: ذلك.
[10] جميع النسخ: خلقهم.
[11] ث: بالتخليق، مشطوب.
[12] جميع النسخ: والتوحيد. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] م: أقرو.
[14] ث: وسمموا.
[15] ر ن ث: عما.
[16] ر ن: ابتلوهم.

فحمده على إفضاله عليه ورحمته وعصمته له [من] بين أولئك الكفرة. على هذين الوجهين يخرج تأويل أمر[١] الحمد على إثر ما ذكر. **والله أعلم.**

ويكون قوله: **بل أكثرهم لا يعلمون**، مقطوعًا مفصولاً من قوله: **قل الحمد لله**، إذ لو لم يجعل مفصولاً منه، لخرج الأمر بالحمد له[٢] في الظاهر على ما لا[٣] يعلم أولئك، وذلك لا يصلح. ثم قوله: **بل أكثرهم لا يعلمون**، يخرج على وجوه. أحدها ما ذكرنا أنه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لهم[٤] لما لم ينتفعوا بما علموا، على ما نفى عنهم حواسّ كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو البصر والسمع واللسان ونحوه،[٥] فعلى ذلك[٦] العلم. والثاني لا يعلمون[٧] لما تركوا النظر والتفكر في أسباب العلم ليعلموا فلم يُعْذَروا. فإن كان على[٨] هذا فهو على حقيقة نفي العلم، لكنهم لم يعذروا بتركهم النظر في أسباب العلم.[٩] أو أن يكون قوله هاهنا: **بل أكثرهم لا يعلمون**، أن عبادتهم الأصنام لا تقرّبهم إلى الله زلفى ولا تشفع لهم،[١٠] لأنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن تقربهم إلى الله زلفى،[١١] ورجاء أن يكونوا لهم شفعاء عند الله، لقوله:[١٢] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٣] ولِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[١٤] أو أن يكونوا لم يعلموا بجزاء أعمالهم التي[١٥] عملوها في الدنيا في الآخرة. **والله أعلم.**

[١] ر م – أمر.
[٢] ر: لله.
[٣] ر: لم.
[٤] ر م – لهم.
[٥] مثل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨).
[٦] ن + فعمى ذلك.
[٧] ن + على نفي حقيقة العلم لما أنهم تركوا.
[٨] ت – على. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦ظ.
[٩] ر ن م – ليعلموا فلم يعذروا فإن كان على هذا فهو على حقيقة نفي العلم لكنهم لم يعذروا بتركهم النظر في أسباب العلم.
[١٠] ن – لهم.
[١١] جميع النسخ: رجاء أن تزلفهم إلى الله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[١٣] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[١٤] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[١٥] ر ث م – التي.

﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٦]

وقوله: **لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد**، كأنه يخبرهم ويذكر أن ما يأمرهم به وينهاهم عنه وما يمتحنهم من جميع أنواع المحن [هو] لا لحاجة نفسه أو لمنفعة نفسه[١] أو لدفع المضرة عن نفسه، ولكن لحاجة أنفس الممتحنين ولمنفعتهم ولدفع المضرة عنهم.[٢] إذ من بلغ ملكه وغَناؤه[٣] وسلطانه المبلغ الذي ذكر حتى كان له جميع ما في السماوات والأرض لا يحتمل أن يأمر[٤] الخلق وينهى أو يمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق في جر المنفعة ودفع[٥] المضرة. أو يذكّرهم نعمه عليهم يستأدي[٦] به شكره، حيث سخّر لهم ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما، وحقيقة ملك ذلك كلّه له. وقوله: **إن الله هو الغني الحميد**، الغني بذاته لا يُعجزه شيء، أو غني عمن استغنى عنه. [ال]**حميد**، قيل: أي[٧] أهلٌ أن يُحمَد ويشكَر بذاته، وقيل: حميد في فِعاله وصنائعه. ويكون الحميد بمعنى الحامد، ويكون بمعنى المحمود. ***والله أعلم***.

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٧]

وقوله: **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**، لا يحتمل أن يكون ذَكَر هذا الكلام ابتداء من غير أمر أو سؤال أو خطاب سبق من القوم حتى ذكر هذا. لكنا[٨] لا نعلم[٩] ما سبب ذلك وما قصته وأمره[١٠] حتى أَنزل هذا. لكن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن اليهود أعداءَ الله سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو، فنزل: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي،[١١] أي من علم ربي لا علم لي به،

---

[١] ر ث م – أو لمنفعة نفسه.
[٢] ث: عن أنفسهم.
[٣] ر ث م: وغناه.
[٤] ر ث م: يؤمر.
[٥] جميع النسخ: ولدفع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦ظ.
[٦] جميع النسخ: ليتأدى، والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م – أي.
[٨] ن: لكنها.
[٩] ر ث م: ما نعلم.
[١٠] ر ث م: وما أمره.
[١١] ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (سورة الإسراء، ٨٥/١٧)

وتلا قوله: وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً، أي يسيرًا[١] في علم الله. فلما قرأ عليهم هذه الآية قالوا: كيف تزعم[٢] هذا وأنت تزعم أن مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا،[٣] فكيف يجتمع هذا: علم قليل وخير[٤] كثير. قال: فنزلت[٥] **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام**.[٦] يقول: [لو] تُبْرَى الشجرة أقلامًا، **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر**، فيكون كلها مدادًا يكتب بها علم الله، لانكسرت الأقلام ولنفد المداد ولم ينفد علم الله. فما[٧] أعطاكم من العلم قليل فيما عنده من العلم، كثير فيما عندكم، إلى هذا يذهب أكثرهم. ولكنّ غير هذا كأنه أشبه بسبب نزوله وذكره، وهو يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا في قوله: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٨] أنه بلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الأشجار كلها أقلامًا والبحار كلها مدادًا فكُتب بها أسماء خلقه وملكه وسلطانه لنَفِد ذلك كله ولم يَنْفَد خلقه ولم يبلغوا غاية ذلك. أو ذَكَر هذا لهذا القرآن؛ لقولٍ كان من الكفرة في قلّته في نفسه وصغر ما كتب هو فيه، أن يقولوا: كيف يسع في هذا المقدار علم الكتب السالفة المتقدمة، وهي أوقار[٩] وهو[١٠] جزء؟ فيخبر –والله أعلم– أنه جَمَع في هذا من المعاني والعلم والحكمة ما لو[١١] فسّره وبيّن ما أودع فيه وضمّنه، ما لو جعل ما[١٢] في الأرض من الشجر أقلامًا والبحارِ مدادًا فكتب ما أودع فيه وضمنه، لَنَفِد ذلك كلُّه ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه. هذا –والله أعلم– يشبه أن يكون تأويله وسبب نزوله، والله أعلم بذلك. **إن الله عزيز حكيم**.

---

[١] جميع النسخ: يسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[٢] ر ث م: يزعم.
[٣] ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ (سورة البقرة، ٢٦٩/٢).
[٤] ن: وعلم.
[٥] ر ث م: فنزل.
[٦] *تفسير الطبري*، ٥٧٢/١٨-٥٧٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٦/١١. قارن: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٥/١؛ *وسنن الترمذي*، التفسير ١٧؛ *والسنن الكبرى* للنسائي، ١٦٧/١٠. ينبه القارئ أنه ذكر في هذه المراجع الثلاثة الآية ١٠٩ من سورة الكهف مكان الآية التي نحن بصدد تفسيرها.
[٧] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[٨] الآية السابقة.
[٩] الوِقْر بالكسر: الثقل يحمل على ظهر أو على رأس. وقيل: الوقر: الحمل الثقيل، وجمعه أوقار (*لسان العرب*، «وقر»).
[١٠] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[١١] ر: مالو.
[١٢] ن - ما.

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٢٨]

وقوله: **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**، قال بعضهم: ذكر هذا لأن نفرًا من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله خلقنا أطوارًا: نطفة عَلَقَة مُضْغَة عَظْمًا لحمًا، ثم تزعم أنا نُبعث خلقًا جديدًا جميعًا في ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: **ما خلقكم ولا بعثكم** أيها الناس جميعًا على الله في القدرة **إلا كنفس واحدة**[١] **إن الله سميعٌ** لقولهم الذي قالوه: إنا لا نُبعث، **بصيرٌ**[٢] بأمر الخلق والبعث. وجائز أن يكون قال هذا لما قد أقروا ببعث نفس واحدة، لِما انتهى إليهم الأخبار مما كان في[٣] الأمم السالفة من الإحياء بعد الممات وتواترت على ذلك. من ذلك قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ،[٤] وكقولهم حيث [قال: فَ]قَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً،[٥] الآية، وكقوله: ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ،[٦] وقوله: فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ،[٧] فكأنهم أقروا[٨] ببعث هؤلاء لما تواترت عليهم الأخبار بذلك، وأنكروا بعث سائرهم، فقال: ما خلقكم ولا بعثكم جميعًا إلا كبعث نفس واحدة، إذ ثبت لواحد ففي الكل كذلك. أو أن يذكر هذا لأن الأسباب إنما تختلف[٩] في الأمور على الخلق وتعسّر لخصال ثلاث: إما لعجز أو لجهل أو لشغل. فإذا كان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن أن يُعجزه شيء أو يخفى عليه شيء أو يَشغله شيء عن شيء،
[٥٩٥و] فصار خلق / الكل عليه وبعث الكل كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة. أو أن يذكر هذا[١٠] لأن الواحد والكل والقليل والكثير ما كان وما[١١] يكون تحت قوله: كُنْ فَيَكُونُ،[١٢]

---

[١] ر ث م: إلا كبعث نفس واحدة.
[٢] ث: بصيرا.
[٣] م: من.
[٤] سورة البقرة، ٢٤٣/٢.
[٥] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبرَ من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ (سورة النساء، ١٥٣/٤).
[٦] سورة البقرة، ٥٦/٢.
[٧] سورة البقرة، ٢٥٩/٢.
[٨] جميع النسخ: مكانهم فأقروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧ظ.
[٩] ن: يختلف.
[١٠] ر م - هذا.
[١١] ن ث - ما.
[١٢] ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٨٢/٣٦).

معبَّر [عنه] بـ"كن" مترجَم به من غير أن كان منه كاف أو نون، لكنه ذكر "كن" لأنه أوجز حرف في كلام العرب[١] وأقصر كلام يترجم به ويعبَّر[٢] [عنه]. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله سميع بصير**، كأنه قد كان من أولئك من قول أو كلام في ذلك، حتى قال: سميع لذلك، بصير عالم بذلك،[٣] أو بصير بأحوال الخلق وبأمورهم.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢٩]**

وقوله: **ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر**، يذكّرهم قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره، وفيه دلالة البعث. أما قدرته لِما أدخل الليل في النهار والنهار في الليل، ثم حفظهما على حد واحد وعلى ميزان واحد، على غير تفاوت يقع في ذلك ولا تغيّر، فمن قدر على ذلك لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء.[٤] وكذلك ما ذكر من تسخير[٥] الشمس والقمر وما يقطعان في يوم واحد وليلة واحدة مسيرةَ خَمْسَمِائَةِ[٦] عامٍ ما[٧] لا يتصور[٨] في أوهام الخلق ولا في تقديرهم قطع ذلك المقدار من[٩] المسير في مثل تلك المدة. ودل إنشاء أحدهما وإحداثه بعد ما ذهب الآخر بِرُمَّته وكلّيته حتى لا يبقى له أثر على أنه قادر على الإحياء بعد الموت وبعد ما ذهب أثره. ففي ذلك دلائلُ من وجوه. أحدها دلالة قدرته، حيث أدخل أحدهما في الآخر وحَفِظَهما كذلك على حد واحد وتقدير واحد، على غير تغيير وتفاوت يقع في ذلك،[١٠] دل ذلك على قدرته وعلمه وتدبيره. ودل إنشاء كل واحد منهما بعد ما ذهب الآخر على القدرة على البعث.

---

[١] ن - العرب، + في كلام.
[٢] ر ث م - ويعبر؛ ر ث م + من غير أن كان منه كاف أو نون.
[٣] ر ث م: لذلك.
[٤] ن - ولا يخفى عليه شيء.
[٥] ر ث م: بستحر.
[٦] ر: خمس مائة.
[٧] ر - ما.
[٨] جميع النسخ + ذلك.
[٩] ر ث م: ومن.
[١٠] م: في تلك.

وقوله: **كل يجري إلى أجل مسمى**، إلى الوقت الذي جُعل له، لا يتقدم ولا يتأخر. **وأن الله بما تعملون خبير**، ظاهرًا وباطنًا. هذا وعيد ليكونوا أبدًا خائفين حَذِرين متيقّظين. ***والله أعلم***.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٣٠]**

وقوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، أي ذلك الذي ذكر من خلق الخلق وإنشاء ما ذكر وتسخيره لمن ذكر،[١] وصُنعِه في الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر هو من[٢] صنع الإلٰه الحق المستحق[٣] لتسمية الألوهية والعبادة. وأن ما تدعون من دونه من الأصنام مُبطَلون غيرُ مستحِقّين تسميةَ الألوهية والعبادة، إذ[٤] هو الحق، لأنه هو الذي يسوق إليكم هذه النعم والمنافع. **وأن ما يدعون من دونه الباطل**، لا تنفعكم[٥] عبادتكم إياها، **وأن الله هو العلي الكبير**.

٥٩٥ظ س٧| * وقوله: **وأن الله هو العلي الكبير**، العلوّ يتوجه [إلى][٦] وجهين. أحدهما العلوّ القهر والغلبة، كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[٧] أي غلب وقهر، وقوله: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ،[٨] فعلى ذلك يشبه أن يكون قوله: **العلي**، أي القاهر الغالب. والثاني أن يكون العلوّ الارتفاعَ، فإن كان الارتفاعَ فهو يرتفع ويتعالى عن أن يحتمل ما يحتمل الخلق من التغيّر والزوال وغير ذلك مما يحتمل الخلق. [**العلي**، أي] ارتفع وتعالى عن احتمال ما يحتمله[٩] الخلق، **الكبير**،[١٠] أي يَكْبُر[١١] من أن يلحقه شيء مما يلحق الخلق.

٥٩٥ظ س١٢| ***والله أعلم***.*

[١] ر ث م: ذلك.
[٢] جميع النسخ – من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٨و.
[٣] ر: المستحسن.
[٤] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: لا ينفعكم.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.
[٧] سورة القصص، ٢٨/٤.
[٨] سورة القصص، ٢٨/٨٣.
[٩] ر ث م: ما يحتمل.
[١٠] ر ث م: والكبير.
[١١] ر ث م: تكبر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٥ظ/سطر ٧–١٢.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣١]

وقوله: **ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله**، وقال في آية أخرى: وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ،[١] وقال في موضع آخر: وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ؛[٢] وقوله: بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ،[٣] هي النعمة التي ذكر[٤] في هذه الآية. وقوله: **تجرى في البحر بنعمة الله**، يحتمل وجهين. أحدهما[٥] لما جعل لهم الفلك بحيث تجري على وجه الماء مع أحمال ثقيلة، ومن طبعها التسرب في الماء والانحدار فيه، فجعلها بحيث تستمسك[٦] على وجه[٧] الماء وتجري، ليصلوا إلى حوائجهم ومنافعهم في أمكنة متباعدة ممتنعة، ما لو لا السفن لم يصلوا إلى ذلك بحال. والثاني ما ذُكِر فيه من ريح طيبة[٨] التي بها تجري[٩] السفن في البحار، وماؤها راكد ساكن، فتعمل[١٠] تلك الريح الطيبة عمل جريان الماء [في حال] سكونه،[١١] وذلك نعمته. *والله أعلم*.

وقوله: **ليريكم من آياته**، يحتمل آيات وحدانيته[١٢] وآيات قدرته وسلطانه وآيات نعمته. أما آيات نعمته فما[١٣] ذكرنا،[١٤] وآيات قدرته وسلطانه ما ذكرنا أنه من قدرته وسلطانه أنْ جَعَل الفلك والسفن في البحار بحيث تستمسك وتحتبس ولا تتسرب[١٥] ولا تنحدر مع أحمال ثقيلة، ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار. و[أما آيات وحدانيته][١٦]

---

[١] ر م – وقال في آية أخرى ولتجري الفلك بأمره. سورة الروم، ٤٦/٣٠.
[٢] سورة يونس، ٢٢/١٠.
[٣] ث – وقوله بريح طيبة.
[٤] ر ث م: ذلك.
[٥] ن – أحدهما.
[٦] ن: يستمسك.
[٧] ث – وجه.
[٨] ن – طيبة.
[٩] ر ث م: يجري
[١٠] جميع النسخ: فيعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.
[١١] جميع النسخ: وسكونه. لزيادة والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] م: وحدانية.
[١٣] جميع النسخ: نعمه ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٨ظ.
[١٤] ر ث م: ذكر.
[١٥] ر م: ولا تسترب.
[١٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.

ما ذكر من إجرائها بالريح الطيبة، ولو كان فعل عدد لا فعل واحد لكان يمنع عن جزيّتها، دل أنه تدبير واحد لا عدد.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**. جائز أن يكون الصبّار هو المؤمنَ، والشكورُ كذلك؛ الصبر كناية عن الإيمان، والشكر كناية عن الإيمان. كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[1] ذكر الصبر مكان قوله: آمَنُوا، لأنه ذكر في آية أخرى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[2] والشكر كناية عن الإيمان، كقوله: إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ،[3] وقوله: تَشْكُرُوا، أي تؤمنوا. ويحتمل، **صبارٍ** على بلاياه، **وشكور**، على نَعْمَائه. أو جعل الآيات لمن ذكر، لأنه هو المنتفع بها دون غيره.[4] أو، **صبّار**، فيما أصابهم في البحر من الشدائد والأهوال، **وشكور**، فيما دفع عنهم وأنجاهم من تلك الأهوال. **والله أعلم**.

**﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[٣٢]**

وقوله: **وإذا غشيهم موج كالظلل**، قال بعضهم: **كالظلل**، أي كالجبال، وقال بعضهم:[5] **كالظلل**، هو سواد من كثرة الماء ومُعْظَمِه. وقيل: يصير الموج كالظلمة[6] فوق السفينة. وجائز أن يكون الظلل التي ذكر على التمثيل لا على التحقيق كنايةً عن حيرتهم في الدين، كقوله: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا
[٥٩٥ظ] أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ / يَرَاهَا،[7] وهو على المثال لا على التحقيق، يخبر[8] عن حيرتهم في الدين وتيههم فيه،
[٥٩٦و س٣٠] فعلى ذلك الأول. *وقال[9] أبو عَوْسَجَة: قوله: **كالظلل**، أي ما استظلَلْتَ به، والظُّلَّةَ[10] السحاب.[11]

[1] سورة هود، ١١/١١.
[2] انظر مثلا: سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٧؛ وسورة العصر، ١٠٣/٣.
[3] سورة الزمر، ٣٩/٧.
[4] جميع النسخ: غيرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.
[5] ر م – كالجبال وقال بعضهم.
[6] ر م: كالظلة.
[7] سورة النور، ٢٤/٤٠.
[8] ن: تخبر.
[9] ن ث م: قال.
[10] ن: والضمة.
[11] ث م: السحابة.

قال القُتَبِي:[١] **كالظلل**، جمع ظُلّة، يريد أن بعضه فوق بعض فمه سواد من كثرته، والبحر ذو ظلال لأمواجه. والخَتّار الغدار، والخَتْر أقبح الغدر وأشده. وقال أبو عَوْسَجة: الختار الكذاب الغدار، يقال: خَتَر يَخْتُر خَتْرًا فهو خاتر.* ٥٩٦و س٣٣]

ثم يذكر أهل التأويل أن الآية في أهل الكفر، كانوا يُخلصون الدعاء لله والدين[٣] عند ما اشتد بهم الخوف على الهلاك عند معاينتهم الأهوال والشدائد في البحار، لأن أهل الإسلام يخلصون له الدعاء والدين في الأحوال كلها، فهي فيهم.

وقوله: **فلما نجاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد**، قال بعضهم: [**فمنهم**] **مقتصد**، أي حَسَنُ القول بلسانه كافر بقلبه. وقال بعضهم: **فمنهم مقتصد**، أي عدل، أي بقي على الإيمان والإخلاص الذي كان منه في تلك الأهوال، لم يعد إلى الكفر. وقال بعضهم: **فمنهم مقتصد**، [المقتصد] الوسط العدل، وهو ما ذكرنا.[٤] *والله أعلم*.

وقوله: **وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور**، قيل: الختار هو[٥] الغدار. وقال بعضهم: الختار هو الذي بلغ في الغدر غايته ونهايته.*

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٣٣]**

وقوله: **يا أيها الناس اتقوا ربكم**، يحتمل اتقوا ربكم في الحق[٧] الذي له عليكم وأوفوا له ذلك، أو اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته، أو اتقوا نقمة ربكم وعذابه. لكنه يختلف الأمر بالاتقاء[٨] في المؤمن والكافر؛ يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله، وفي المؤمن اتقوا مخالفة الله في جميع ما يأمركم وينهاكم، أو اتقوا[٩] عبادة غير الله والشرك[١٠] في حادث الوقت.

---

[١] ن + قوله.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/سطر ٣٠-٣٣.

[٣] جميع النسخ + له. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

[٤] وعبارة الشرح هكذا: «وقال بعضهم: ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي الوسط، وهو العدل الذي ذكرنا» (ورقة ٥٩٤ظ).

[٥] جميع النسخ – هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٩٥ظ/سطر ٧-١٢.

[٧] ر م: في الجهة.

[٨] ن: بالأتقاب.

[٩] ر ث م: واتقوا.

[١٠] جميع النسخ: أو الشرك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

وقوله: **واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا،** يذكر هذا على الإياس وقطع طمع بعضهم عن بعض بالوُصْلة التي كانت بينهم[1] في الدنيا والمنافع التي [بها] كان[2] ينفع بعضهم بعضًا في الدنيا. يخبر أن ذلك كله منقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل بنفسه، حتى لا ينفعَ أحد صاحبه، وخاصّةً ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده مما لا يحتمل قلبُ واحد منهما أن[3] يلحق المكروهُ بالآخر، ولا يصبر أن لا يدفع ذلك عنه بكل ما به وسعه وطاقته للشَّفَقَة والمحبة التي جُعلت فيهم. ثم أخبر أنْ لا ينفعُ أحدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه، وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل نسب وسبب فهو منقطع، إلا نسبي وسببي».[4] ونسبه[5] دينه الذي دعانا إليه وعلَّمَناه، وسببه شفاعته يوم القيمة. فذلك كله منقطع إلا هذين، فإنه من تمسك بدينه فإنه يشفع له[6] يوم القيامة فيما قصّر وفرّط، فأما من لم يقبل دينه ولم يجبه إلى ما دعاه فإنه ليس له واحد من هذين وغيره[7] من الأسباب والأنساب، [كلها] منقطع، كقوله: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ.[8] وقال بعضهم: قوله: **واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده،** قال هذه الآية في الكفار، فأما المؤمنون فينفع الوالد[9] ولده والولد[10] والدَه في الآخرة، يدفع إلى ابنه بفضل عمله، وكذلك الولد إلى أبيه، كقوله: آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا.[11] ***والله أعلم.***

[٥٩٦و س٣٣] *وقوله:[12] **لا يجزي،** أي لا يغني،[13] تقول: جَزَى يجزِي جَزاءً فهو جازٍ، أي أغْنى، وأجزى يُجزي مثله،

---

[1] ن: منهم.

[2] م – كان.

[3] ر م: أو.

[4] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤/٣٢٣، ٣٣٢؛ و*المعجم الكبير* لطبراني، ٣/٤٤-٤٥؛ و*المستدرك* للحاكم، ٣/١٦٥؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٧/١٠٢؛ *مصنف عبد الرزاق*، ٦/١٦٤؛ و*الطبقات الكبرى* لابن سعد، ١٠/٤٣٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/١٤٢.

[5] ر: ونسبيه.

[6] ر ث م – له.

[7] ر ث م – وغيره.

[8] ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبعوا وَرَأَوُا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٦).

[9] ن: الولد.

[10] ر: والوالد.

[11] سورة النساء، ٤/١١.

[12] جميع النسخ + واتقوا يوما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤١و.

[13] جميع النسخ: لا تغني.

وأجزأني كذا،[١] أي كفاني، وكذلك قال القُتبي.[٢] وقال: **الغَرور**، بنصب الغين الشيطان، والغُرور بضم الغين الباطل.[٣] *والله أعلم*.* ٥٩٦و س ٣٥]

وقوله: **إن وعد الله حق**. فيما ذكر من الإياس وقطع طمع بعض[٥] من بعض، أو ما ذُكر من قيام الساعة وكونها، أنها تكون لا محالة، أو [هو] في الثواب والعقاب.

وقوله: **فلا تَغُرَّنَّكم الحياة الدنيا**، هذا يحتمل وجهين: على التحقيق والتمثيل. أما التحقيق، أي[٦] لا تَشغُلَنّكم الحياة الدنيا ولذّاتها ولا تُلهينّكم عن ذكر الله وعن الآخرة ولا تغترّوا بها، فإنها لعب ولهو على ما ذكر: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ؛[٧] على ما هي عندكم، لأنها عندهم أنها إنما أنشئت وخلقت لها لا للآخرة، فالدنيا على ما هي عندهم لعب ولهو. وأما على ما هي عندنا هي[٨] حق ليست[٩] بباطل، لأنها أنشئت للآخرة وبُلْغَةٌ[١٠] إليها. وأما التمثيل، أضاف التغرير إليها[١١] لأن ما كان منها من التزيين والتحسين في الظاهر وإظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم وحقيقة التزيين والتحسين كان تغريرًا. فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تغرير على التمثيل. أو أن يكون ما ذكر[١٢] [على النّهي]،[١٣] أي[١٤] لا تغتروا بالحياة الدنيا وما فيها من لذاتها. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: وأجزأني عن كذا وكذا.

[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٨.

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٥.

* وقع ما بين لنجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/سطر ٣٣-٣٥.

[٥] جميع النسخ: بعضهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩ظ.

[٦] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] جميع النسخ: على ما ذكر أنها لعب ولهو. والتصحيح من المرجع السابق. انظر: سورة محمد، ٣٦/٤٧؛ وسورة الحديد، ٢٠/٥٧.

[٨] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.

[١٠] البُلْغَة: ما يُكتفى به من العيش ولا فضلَ فيه (لسان العرب؛ «بلغ»).

[١١] أي إلى الدنيا.

[١٢] ن: ما ذكرنا.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.

[١٤] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله: **ولا يَغُرّنكم بالله الغَرورُ**، قيل: الغرور الشيطان، لا يعرّنكم. يقول:[1] إن الله كريم رحيم جواد لا[2] يعذّبكم، أو يقول: إن الله غني[3] قادر لا يأمركم بأمر[4] ولا ينهاكم[5] عن شيء[6] [لحاجة في نفسه]، إذ إنما يأمر وينهى في الشاهد من كان محتاجًا، فأما الغني فلا يأمر، أو نحوه. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[٣٤]

وقوله: **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**، ذكر في بعض الأخبار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب
[٥٩٦و] خمس لا يعلمها إلا الله»، / وعدّ هذه الخمسة التي ذكرت في هذه الآية.[7] وكذلك روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه][8] قال: «خمس لا يعلمهن إلا الله»، [ثم تلا] قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، إلى آخر الآية.[9] فإن ثبت هذا فهو ما ذكر، ويرجع ذلك إلى معرفة حقيقة ما ذكر. وإلا جائز أن يقال: إنه[10] يَعلم بعضَ هذه الأشياء بأعلام، من نحو المطر أنه متى يُمطر؟ أو ما في الأرحام أنه ولد وأنه[11] ذكر أو أنثى -وإن لم يَعلم مائية ما في الأرحام- نحوَ ما تَعلم[12] المنجمة ذلك[13] بالحساب وبأعلام،[14] يخرج ذلك على الصدق مما أخبروا.[15]

---

[1] جميع النسخ: ويقول.
[2] ر ث م: ولا.
[3] ن: إنه غني.
[4] ث - بأمر.
[5] م: وينهاكم.
[6] ر ث م - عن شيء.
[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٤، ٥٨؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٤.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.
[9] صحيح *البخاري*، الإيمان ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٥.
[10] أي المرء.
[11] ن: انه.
[12] جميع النسخ: ما يعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.
[13] م: بذلك.
[14] ن: بأعلام.
[15] جميع النسخ + ربما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠و.

ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه قال: إِنِّي سَقِيمٌ،[١] لما نظر في النجوم، أي سأسقَم. وروي أن أبا بكر الصديق[٢] رضي الله عنه قال: إني أُلقي إليّ أن ذا بطنِ بنتِ[٣] خارجةَ[٤] جاريةٌ،[٥] وكان كما ذكر.[٦] فلا يحتمل أن يكون[٧] أبو بكر يعلم ذلك لِما أُلقي إليه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمُ[٨] الساعة فإنه لا يَطّلع عليها أحد. إلا أن يقال بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له بالتكلم والقولِ بشيء إلا من جهة الوحي من السماء. فأما الاشتغال بمثله فلا [يجوز]، لأن الاشتغال بمثله تضييعٌ لكثير مما امتُحن به،[٩] وتركٌ لبعض ما يؤمر وينهى. أو لما يخرج ذلك مخرج التطير والتفاؤل[١٠] واكتساب الرزق على غير الجهة التي جعل وأبيح لهم، فكان المنع لذلك. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، يحتمل قوله: **علم الساعة**، أي وقت[١١] الساعة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ،[١٢]

---

[١] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النجوم فقال إني سقيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩).

[٢] ث - الصديق.

[٣] جميع النسخ - بنت. والزيادة من مصادر الرواية. وهي حبيبة بنت خارجة زوج أبي بكر رضي الله عنه.

[٤] ذو بطن بنت خارجة، أي صاحب بطنها، يريد الحمل الذي فيه (*مشارق الأنوار* للقاضي عياض، «ذو»).

[٥] أي أنثى، سميت أم كلثوم.

[٦] روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نَحَلها جادَّ عشرين وَسْقًا من ماله بالغابة، فلمّا حضرته الوفاة قال: والله يا بُنيّة ما من الناس أحد أحب إليّ غنًى بعدي منك ولا أعز علي فقرًا بعدي منك، وإني كنت نحلتكِ جادَّ عشرين وَسْقًا فلو كنت جدَدْتيه واحتَزْتِيه كان لك، وإنما هو اليومَ مال وارثٍ، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله. قالت عائشة: فقلت: يا أبتِ والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماءُ فمَن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أُراها جارية. وفي رواية: قالت عائشة: هل هي إلا أم عبد الله؟ قال: نعم، وذو بطن ابنة خارجة، قد أُلقي في نفسي أنها جارية. *الموطأ* لمالك، الأقضية، ٤٠؛ ومصنف *عبد الرزاق*، ٩/١٠١؛ و*الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٣/١٧٧.

الجاذّ: بمعنى المجدود. أي نخل يُجَدّ منه ما يبلغ مائة وسق. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: إني كنت نحلتكِ جادَّ عشرين وسقًا. الوَسْق: ستون صاعًا (*النهاية* لابن الأثير، «جدد» «وسق»).

[٧] ر ث م - أن يكون.

[٨] جميع النسخ + إلا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠و.

[٩] ر ث م - به.

[١٠] ر ن: والتفأل.

[١١] جميع النسخ: أي لوقت.

[١٢] سورة الأعراف، ٧/١٨٧.

وقوله:[1] يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا،[2] أخبر أنه لا يجلّيها لوقتها،[3] وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم:[4] إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا،[5] **فأما** ما سوى ذلك فليس إليك. أو أن يكون قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، أي عنده علم بمائية الساعة، إذ ذكر الساعة وأهوالها ولم يذكر مائيتها وحدّها وقدرها، فأخبر أنه يعلم هو ذلك.

وقوله: **وينزّل الغيث**، سمي المطر غيثًا، فيشبه أن يكون سماه غيثًا لما به يكون للناس غياث فيما به قوام أنفسهم ودنياهم، وسماه في موضع رحمةً،[6] وفي موضع مباركًا،[7] فتسميته رحمة لما به نجاة أنفسهم وأبدانهم وذلك صورة الرحمة، وسماه مباركا[8] لما به ينمو ويزداد كل شيء، إذ البركة هي اسم كل[9] خير ينمو ويزداد بلا اكتساب.

وقوله: **ويعلم ما في الأرحام**، من انتقال النطفة إلى العلقة وانتقال العلقة إلى المضغة وتحوّله من حال إلى حال أخرى وقدر زيادة ما فيه في كل وقت وفي كل ساعة ونحو ذلك، وذلك[10] لا يعلمه إلا الله. وأما العلم بأن فيه ولدا وأنه ذكر أو أنثى فجائز أن يعلم ذلك غيره أيضًا.

وقوله: **وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت**، جائز أن يكون كتم ذلك وأخفاه ليكونوا في كل حال على حذر وخوف وعلى يقظة، إذ لو كان أطْلعهم على ذلك لكانوا آمنين إلى ذلك الوقت فيعمون بكل ما يريدون ويشاءون، فيكون في ذلك ارتفاع المحنة. فَلَبَّسَ[11] ذلك عليهم ليكونوا أبدًا في كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظة. *والله أعلم*.

**إن الله عليم خبير**.

---

[1] ر: في قوله.
[2] سورة النازعات، ٧٩/٤٢-٤٤.
[3] م - لوقتها.
[4] جميع النسخ + انك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠ظ.
[5] سورة النازعات، ٧٩/٤٥.
[6] انظر: سورة الروم، ٣٠/٥٠.
[7] انظر: سورة ق، ٥٠/٩.
[8] ن - فتسميته رحمة لما به نجاة أنفسهم وأبدانهم وذلك صورة الرحمة وسماه مباركا.
[9] جميع النسخ - كل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ - وذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ن: فليس.

وذكر بعض أهل التأويل أن رجلا من أهل البادية، يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أرضنا[١] أَجْدَبَتْ فمتى الغيث؟ وتركت امرأتي حُبلى فماذا تلد؟ وقد علمتُ أين وُلدت[٢] ففي أي أرض أموت؟ وقد علمت ما عملت[٣] اليوم فماذا أعمل غدًا؟ ومتى الساعة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في مسألة المحاربي: **إن الله عنده علم الساعة**، لا يعلمها غيره، **وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**، من ذكر أو أنثى، **وما تدري نفس**، برّة أو فاجرةٌ، **ماذا تكسب غدًا**، من خير أو شر،[٤] **وما تدري نفس بأي أرض تموت**، في سهل أو جبل أو بر أو بحر، **إن الله عليم خبير**، بهذا الذي ذكر كله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين السائل عن الساعة؟ فقال المحاربي: هاهنا، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية.[٥]*

---

[١] ر م: أرضي.
[٢] ن ه: أين ولدت.
[٣] ن م: ما عملت.
[٤] ر ث م: وشر.
[٥] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٥. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٥٨٤-٥٨٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٦٢-٦٦٣.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٢ ورقم ٣٣، فقدمناهما إلى محليهما؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/ سطر ٣٠-٣٣، وسطر ٣٣-٣٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة السجدة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]**

قوله[2] عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا تأويله في صدر الكتاب.[3] وقوله: **تنزيل الكتاب**، الكتاب المطلق كتاب الله، والدين المطلق دين الله، والسبيل المطلق والطريق المطلق[4] سبيل الله وطريقه. وقوله: **لا ريب فيه**، أنه منزّل من الله؛[5] لأنه أنزل على أيدي الأُمَناء البررة، لم يغيّروه ولا بدّلوه ولا حرّفوه. أو يقول: **لا ريب فيه**، أنه ليس بمختلَق[6] ولا مخترَع ولا مفترًى / من عند [٥٩٦ظ] الرسول، بل منزّل من عند رب العالمين. أو، **لا ريب فيه**، لا شك فيه،[7] على ما يقول الناس، لكل محكم من الأمر مبيّنٌ. *والله أعلم.*

**من رب العالمين**، العالم[8] هو اسم جنس من الخلق، وجوهر منه. والعالمين جمعه. فيدخل في ذلك الأولون والآخِرون الذين يكونون إلى آخر ما يكون.[9] ففيه أنه يوصف جل وعلا

---

[1] ر – سورة السجدة؛ ن: ذكر أن سورة الم تنزيل السجدة نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة وهو قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون إلى قوله أعيدوا فيها الآية والله أعلم؛ ث + وهي ثلاثون آيات مكية ذكر أن سورة الم تنزيل السجدة نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة وهو قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون إلى قوله أعيدوا فيها إلا ثلاث آيات والله أعلم؛ م + نزلت بمكة.

[2] ر ن: وقوله.

[3] ن: القرآن. انظر: سورة البقرة، الآية ١.

[4] ن – المطلق؛ م – والطريق المطلق.

[5] م – من الله.

[6] ر ن ث: بمخترق.

[7] جميع النسخ – فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ط.

[8] ن: العالم، صح هـ.

[9] جميع النسخ: يكونون. والتصحيح من المرجع السابق.

أنه ربُ لكلِّ[1] ما كان ويكون، ومالكُ ما كان وما يكون، كقوله: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[2] أخبر أنه مالكه وهو بعدُ[3] لم يكن، أعني ذلك اليوم.

**﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾**[٣]

وقوله: **أم يقولون افتراه**، قوله: **أم يقولون**، هو استفهام وشك في الظاهر، لكنه من الله يخرج على تحقيق إلزام وإيجاب أو تحقيق نفي، على ما لو كان ذلك من مستفهمٍ مسترشِد[4] كيف يجاب له ويقال فيه، فإنما يقال للمستفهم: "لا" أو "بلى". فعلى ذلك هو من الله على تحقيق إثبات وإيجاب[5] أو تحقيق نفي، إذ لا يحتمل الاستفهام والسؤالَ، كقوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى،[6] كأنه قال: ليس للإنسان ما تمنى، فعلى ذلك كأنه قال هاهنا: بل يقولون افتراه.

ثم رد ما قالوا إنه افتراه، فقال: **بل هو الحق من ربك**. يحتمل قوله: **هو الحق من ربك**، ليس بمخترَع ولا مختلَق[7] ولا مفترًى من محمد، بل هو[8] منزل من عند الله على ما ذكرنا في قوله: لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.[9] أو، **هو الحق من ربك**، ليس بكلام البشر ولا في وسعهم إتيان مثله، فهو الحق منه، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[10] الآية.

وقوله: **لتنذر قومًا**، أي لتنذر بالكتاب الذي أنزلنا[11] قومًا، **ما أتاهم من نذير من قبلك**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الجحد، أي لتنذر قومًا لم يأتهم نذير، وهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. والثاني لتنذر قومًا الذين قد أتاهم[12] نذير من قبلك،

---

[1] ر + شيء.
[2] سورة الفاتحة، ٤/١.
[3] ر م + ما.
[4] ر ث م: ومسترشد.
[5] ث: أو يجاب.
[6] سورة النجم، ٢٤/٥٣.
[7] جميع النسخ: ولا مخترع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٩٥ظ.
[8] جميع النسخ - هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤١ظ.
[9] الآية السابقة.
[10] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[11] جميع النسخ: أنزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ + من. والتصحيح من المرجع السابق.

وهم آباؤهم وأجدادهم الذين كانوا من قبلهم[م]، الذين قد أتاهم نذير من قبله [وبقي في أولادهم آثاره وشرائعه].[١] *والله أعلم.*

وقوله: **لعلهم يهتدون**، هذا أيضًا يحتمل وجهين. أحدهما لتنذر قومًا لكي تلزمهم به حجة الاهتداء. والثاني لتنذر قومًا،[٢] على رجاءٍ وطمعٍ أن يهتدوا. ***والله أعلم.***

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٤]**

وقوله: **الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام**، هذا أيضًا قد ذكرناه فيما تقدم.[٣] وقوله: **ثم استوى على العرش**، وفي هذا أيضًا قد ذكرنا[٤] فيما تقدم تأويلات كثيرة،[٥] لكنا نذكر فيه حرفًا لم نذكره[٦] فيما تقدم من الذكر، وكأنه أصوب وأقرب إلى الحق. وهو أن ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والأفهام سبيل الدرك له والمعرفة، أعني قوله:[٧] **ثم استوى على العرش**، لأنه ذكر ذلك الحرف في موضع آخر وأمره أن يَسأل به خبيرًا، حيث قال: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا.[٨] ولو كان ذلك الحرف مما لِعقول البشر وأفهامهم سبيلُ الوصول إلى معرفته ودركه لأدركه عقل رسول[٩] رب العالمين وفهمه من غير أن يسأل به الخبيرَ، وكان[١٠] [ذلك هو][١١] الله أو جبريلَ. فإذا أمره بالسؤال عنه دل أنه بالعقل والفهم لا يدرك[١٢] ولا يعرف، ولكن[١٣] بالسمع عن الله. ولم يذكر عن الرسول أنه فسّر ذلك، أو قال فيه، أو سأله أحد عنه. ***والله أعلم.***

---

[١] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.
[٢] ث - لكي تلزمهم به حجة الاهتداء والثاني لتنذر قوما.
[٣] انظر: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.
[٤] ث + أيضا.
[٥] انظر أيضًا: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.
[٦] جميع النسخ: لم نذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢و.
[٧] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.
[٨] سورة الفرقان، ٢٥/٥٩.
[٩] ر: رسوله.
[١٠] جميع النسخ: من كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.
[١٢] ن + ولا يفهم.
[١٣] ر: ويكن.

وقوله: **ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع**، يقول أهل التأويل: ما لكم[1] من دونه من وليّ ينفعكم في الآخرة، ولا شفيع[2] يدفع عنكم عذابه. أو يكون[3] قوله: **ما لكم من دونه من وليّ**، أي[4] رب وإله يلي أمركم سواه، **ولا شفيع**، ولا جعل لكم الأصنام التي تعبدونها شفعاء، وأنتم تعلمون ذلك، فكيف تعبدونها دونه. أو يذكر على الوعيد لهم، أي ليس لأولئك وليّ ولا ناصر ولا شفيع، لا هو ولا غيره، وأما للمؤمنين فإنه وليّهم، كقوله: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا،[5] وقوله:[6] ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.[7] وقوله: **أفلا تتذكرون**، فيما ذكر من صنعه فتوحّدونه. *والله أعلم*.

**﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾**[٥]

وقوله: **يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض**، قال عامة[8] أهل التأويل: **يدبّر الأمر**، أي هو يقضي القضاء وحده من السماء والأرض. وعندنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما **يدبّر الأمر**، أي هو يكوّن الأمر ويدبّره،[9] أو هو يجعل الخلق بحيث يقبلون الأمر والنهي ويحتملون المحنة، أو هو يُخرج الأمر كلّه على الحكمة والتدبير. والثاني **يدبّر الأمر**، أي يولّي من يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، نحو ما ولّى مَلَكَ الموت قبض أرواح الخلق، ونحوَ ما ولّى بعض ملائكته أمر الأمطار والنبات وغير ذلك.[10] فإن كان [التأويل هذا][11] الأولَ فليس [في] ذكر السماء والأرض حدّ ولا تقدير: يدبّر ذلك ولا يدبّر ما سوى ذلك، لكن ذكر هذا لِما إلى ذلك ينتهي تدبير البشر وعلمهم، وأما ما سوى ذلك فلا. وإن كان الثاني فهو على التحديد. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: ما لم يكن.
[2] م - ولا شفيع.
[3] جميع النسخ: أو أن يكون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢و.
[4] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[6] جميع النسخ - الله ولي الذي آمنوا وقوله. والزيادة من المرجع السابق.
[7] سورة محمد، ٤٧/١١.
[8] جميع النسخ - عامة. والزيادة من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: ويدبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ + فجائز أن يكون الأول يولي ملائكته أمر ما بين السماء والأرض.
[11] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٩٦و.

وقوله: **ثم يَعرج إليه في يوم كان مقداره**، قال بعض أهل التأويل: **ثم يعرج إليه**، يقول: يَصْعَد المَلَكُ إليه في يوم واحد من أيام الدنيا، كان مقدار[1] ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون أنتم، لأن ما بين السماء والأرض مسيرةَ خمسِمائةِ عامٍ، فَيَنزل مسيرةَ خمسمائة عام ويصعد مسيرةَ[2] خمسمائة عام، وذلك مقدار مسيرةِ[3] ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. وذَكَر في موضع آخر: [٥٩٧و] خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[4] فجائز أن يكون ذلك[5] وصف يوم القيامة، فيخرج ذلك لا على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم لذلك اليوم والوصفِ له بما يَعظُم في قلوب الخَلق،[6] وهو ما وصفه بالعظمة، كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ.[7] أو أن يكون على[8] التحديد والتقدير إن كان حقيقة، لاختلاف أحواله وأوقاته على اختلاف الأمور. يكون "ألفَ سنةٍ" ذكرَ حال ووقتٍ لأمر، وخمسين ألفَ سنةٍ بحال أخرى لأمور أُخرَ، على ما سمى ذلك اليوم مرة يَوْمَ الْجَمْعِ،[9] ومرة يوم التفريق،[10] ويَوْمِ الْفَصْلِ،[11] ويَوْمِ الْحِسَابِ،[12] ويَوْمِ الْبَعْثِ،[13] ونحوه. ومعلوم أن ذلك اليوم من أوله إلى آخره ليس يوم[14] الجمْع ولا يوم[15] الافتراق ولا يوم الحساب ولا يوم البعث ولكن بجميع[16] ذلك كله، لاختلاف الأحوال والأوقات لأمور مختلفة. فعلى ذلك يشبه أن يكون الأول كذلك.[17] *والله أعلم*.

---

[1] م: مقداره.
[2] م - مسيرة.
[3] ن - مسيرة، صح هـ.
[4] ﴿تَعْرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (سورة المعارج، ٤/٧٠).
[5] ن - ذلك.
[6] يقول الشارح رحمه الله: «وفي الشاهد من يعظِّم الشيء فيستكبره قد يذكر على التقارب [نسخة مدينة: التفاوت] في الاستعظام بعد أن لا يخرج الاستعظام على التقدير اللازم، فيقول مرة: غضب الأمير على فلان فضربه ألف سوط، ومرة يقول: مائة، ومرة يقول: خمسمائة، على الاستعظام لا على التقدير. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٦و، ونسخة مدينة ٦٩٨و).
[7] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٦).
[8] ن ث - على.
[9] سورة الشورى، ٤٢/٧.
[10] لعله يشير إلى قوله عز وجل: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٤).
[11] انظر مثلا: سورة الصافات، ٣٧/٢١.
[12] سورة ص، ٣٨/١٦ و٢٦.
[13] سورة الروم، ٣٠/٥٦.
[14] جميع النسخ: بيوم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢ظ.
[15] جميع النسخ: بيوم. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] م: لجميع.
[17] ر: وكذلك.

ويكون قوله: **ثم يعرج إليه**، أي يصير إليه ذلك،[1] كقوله: وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[2] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ،[3] وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ،[4] ونحوه.[5] *وقوله: **يَعْرُج إليه**، أي يَصْعَد في قول القُتَبي وأبي عَوْسَجَة.[6] [٥٩٨و س٥
ويُعَرِّج، أي يحبس.[7]* ٥٩٨و س٦]

*ومنهم من يقول في قوله: **في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**، وقوله: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[9] قال: مِن منتهى أمره من أسفل الأَرَضين إلى منتهى أمره فوق[10] السماوات[11] مقدارُ ذلك خمسون ألف سنة. ويومٌ كان مقداره ألف سنة، ذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن[12] الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة. لكن قوله: مِن منتهى أمره من أسفل الأَرَضين إلى منتهى[13] أمره[14] فوق السماوات كذا، فاسد؛ لأنه لا يجوز أن يكون لأمره[15] أو لمُلكه[16] نهاية أو حدّ، والوجه فيه ما[17] ذكرنا.* [٥٩٧و س١٧ ... ٥٩٧و س٢١]

---

[1] ث + كله.
[2] سورة المائدة، ١٨/٥؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢؛ وسورة التغابن، ٣/٦٤.
[3] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٤٥/٢.
[4] سورة هود، ١٢٣/١١.
[5] ث – ونحوه.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
[7] جميع النسخ: احتبس. التعريج: أن تحبس مطيتك مقيما على رُفْقتك أو لحاجة (*لسان العرب*، «عرج»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر٥-٦.
[9] سورة المعارج، ٤/٧٠.
[10] ر م: في.
[11] ر: السماء.
[12] ن: لا من.
[13] ر م – منتهى.
[14] ث – فوق السماوات مقدار ذلك خمسون ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة ذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لكن قوله من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره.
[15] ر م: لأمر.
[16] ر: الملائكة.
[17] ن + كان.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٧و/سطر ١٧-٢١.

﴿ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٦]

وقوله: **ذلك**، أي هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الأشياء. **عالِم الغيب والشهادة**. يحتمل هذا وجوهًا. أحدها **[عالم الغيب]**، أي[1] عالم ما غاب عن الخلق، **والشهادةِ**، وعالمُ ما يَشهدون ويُعمنون. أو **[عالم الغيب]**، عالم ما يكون ويَحدث. **والشهادةِ**، ما قد كان ومضى. أو **[عالم الغيب]**،[2] عالم ما يغيب بعض من بعض، **والشهادةِ**، ما يُشهدون ويُظهرون. أو عالم ما يغيب عن الخلق كيفيةَ المنافع[3] من[4] الأشياء الظاهرة ومائيتَها، نحوَ ما غاب عنهم المعنى المُضْمَر المودع في الطعام والشراب والأغذية جميعًا الذي به حياة أنفسهم وقوامهم، وكذلك السمع والبصر والفهم والعقل لا يُدْرَك المعنى الذي به يُسمَع ويبصر ويفهم ويدرك، وما به تحيا[5] أنفسهم وتَقْوَى.[6] *والله أعلم*.

وقوله: **العزيزُ الرحيم**. **العزيز**، في هذا الموضع المنتقِم من أعدائه، **الرحيم**، على أوليائه. أو **العزيز**، الذي لا يُعجزه شيء، **الرحيم**، الذي له رحمة يسع الخلائقَ في رحمته. أو **العزيز**، الذي به يَعِزّ من عزّ، **والرحيم**، الذي برحمته يرحم من يرحم.*

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[٧]

وقوله: **الذي أحسن كل شيء خلقه**، بالجزم والتحريك جميعًا، كلاهما لغتان.[8] ثم يحتمل قوله: **أحسن كل شيء خلقه**، وجهين. أحدهما[9] **أحسن كل شيء خلقه**،[10] أي علم كل شيء كيف[11] خلقه، أو[12] علم[13] كيف يخلق من غير أن يعلّمه أحد أو أعانه عليه أحد.

---

[1] ر ث م – أحدها أي.
[2] الزيادات مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦و.
[3] ر: لمنافع.
[4] ر ث م: عن.
[5] م: يحيا.
[6] جميع النسخ + به. ر م – وتقوى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٩٧و/سطر ١٧-٢١.
[8] «قرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ﴿خَلْقَه﴾ ساكنة اللام. وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿خَلَقَه﴾ بفتح اللام» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٤).
[9] ر م – وجهين أحدهما
[10] ر ث م – أحسن كل شيء خلقه؛ ن – خلقه.
[11] جميع النسخ – كيف. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣و.
[12] ر ن ث: ان؛ م: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ – علم. والتصحيح من المرجع السابق.

وفي الشاهد لا يقدر أحد ولا يمكن[1] له صنع شيء إلا بمعلّم يعلّمه ذلك أو بمعين يعين على ذلك. يخبر عن جهلهم وسفههم بتقديرهم قدرة الله وقوته بقوى أنفسهم وقدرتهم في إنكارهم البعث لخروجه عن تقدير الخلق وامتناعه عن وسعهم. يقول: لا تقدّروا قدرة الله بقدرة أنفسكم وقواكم كما لم تقدّروا علمه بعلمكم، إذ يعلم هو بذاته بلا معلِّم وأنتم لا تعمون إلا بمعلِّم،[2] فعلى ذلك هو قادر بذاته لا يعجزه شيء وأنتم لا تقدرون إلا بغيرٍ أو بسبب. ويحتمل هذا الوجه وجهًا آخر، وهو أن قوله: **أحسن كل شيء خلقه**، أي أعلم كل شيء من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم وما يُؤتَى وما يُتقَى.

والثاني، **أحسن كل شيء خلقه**، أي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه. ثم يخرج هذا على وجهين. أحدهما أتقن وأحكم[3] فيما به من المصالح والمَأْتَى[4] وفي كل شيء من التسوية والتفرقة وفي الجمع والتصوير. والثاني، **أحسن**، أي أتقن وأحكم، **كل شيء خلقه**، في الشهادة على وحدانية الله وألوهيته، أي جعل في كل شيء[5] أثر وحدانيته يشهد[6] على وحدانيته[7] وربوبيته.

وقال بعضهم: **أحسن كل شيء خلقه**، لم يخلق الإنسان في خلق البهائم وصورتها، ولا البهائمَ في خلق الإنسان. وقتادة يقول: كل شيء من خلقه حسن على نحو[8] ما خلق وعلم كيف يخلقه،[9] وهو قريب مما ذكرنا بدءًا.

ثم من قرأ "خلْقه" بالجزم يكون معناه -والله أعلم-: أي أحسن خَلْق كلّ شيء. ومن قرأ "خلَقه" بالتحريك، أي أحسن كل شيء فَعله[10] وخَلَقه.

ثم للمعتزلة في هذه الآية أدنى تعلّق، يقولون: أخبر أنه أحسن كل شيء خلقه، والكفر وشتمُ رب العالمين ونحوه كلُّه قبيح وسفه، دل أنه لم يخلقه وأنه ليس بخالق لذلك.

---

[1] ن: لا يمكن.
[2] ر: بعم.
[3] ن: أحكم وأتقن.
[4] ر م: والمعاني.
[5] ر م - شيء.
[6] ن ث: ليشهد.
[7] ر - يشهد عبى وحدانيته.
[8] ر م - نحو.
[9] تفسير عبد الرزاق، ٢٦/٣؛ وتفسير الطبري، ٥٩٨/١٨.
[10] جميع النسخ: منه. والتصحيح مستفاد من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣ظ.

يقال[١] لهم: إن[٢] إخوانكم الزنادقة يعارضونكم ويقولون: إن الخنزير والنجاسات وجميع السباع الضارة المؤذية[٣] وجميعَ الخبائث كلها قبيحة، فالله ليس بخالق لها. فبم تدفعون[٤] قولهم وسؤالهم في ذلك؟ فإن زعمتم في الأول في الكفر[٥] والشتم وجميع فعل الشرور أنه ليس بخلق له لأنه قبيح ضارّ مؤذ،[٦] يلزمكم مذهب الزنادقة فيما يقولون[٧] ويذكرون في إثبات خالق سواه، لأنه قبيح ضار / مؤذ. ويقال[٨] لهم: إن الله جل وعلا سمّى إبليس باطلاً[٩] فهو إذاً لم يخلقه؛ لأنه أخبر أنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً.[١٠] ثم يقال لهم: إنا نقول: إنه خلق فعل الكفر من الكافر[١١] قبيحًا، وخلق فعل الشر[١٢] والشتم من الشرير والشاتم قبيحًا. خلق فعله[١٣] على ما هو[١٤] وعلى ما عرفه وعلم،[١٥] فلا عيب يلحق في جعل ما هو قبيح قبيحًا، كمن يعلم الكفر ليعلمه قبيحًا على ما هو، وكذلك جميع الشرور. فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحًا عيبٌ، على ما لم يكن في تكلف معرفة القبيح -ليعرفه قبيحًا على ما هو حقيقة- عيبٌ. هذا إذا كان التأويل على ما يذهبون هم إليه. فأما إذا كان ما ذكرنا في قوله: **أحسن**، أي علم أو أعلم فليس[١٦] يدخل في ذلك شيء[١٧] مما ذكروا. ***والله أعلم***. وقوله: **وبدأ خلق الإنسان من طين**، قال عامتهم: يعني آدم. [٥٩٧ظ]

---

١ ن ث: فيقال.
٢ ر م - إن.
٣ ر ث م: والمؤذية.
٤ ر م: تدعون.
٥ ن: والكفر.
٦ ن - ضار مؤذ.
٧ ن + ويقولون.
٨ ن: أو يقال.
٩ لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت ٤١/٤٢). انظر: تأويل هذه الآية من *تأويلات القرآن*.
١٠ يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ (سورة ص، ٣٨/٢٧).
١١ ر ث م: من الكفرة.
١٢ ر م: الكفر.
١٣ ر م: فعل الشر.
١٤ ن + وكذلك جميع.
١٥ ر م - وعلم.
١٦ ر ث م: وليس.
١٧ جميع النسخ: الشيء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

**﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٨] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٩]**

وقوله: **ثم جعل نسله**، أي نسل آدم، **من ماء مهين**،[١] **ثم سواه ونفخ فيه من روحه**، أي آدمَ. وقال بعضهم: لا، ولكن ذلك نعت ولده وذريته، لأن الأعجوبة في خلق ولده في الأرحام في ثلاث ظلمات[٢] من النطفة إن لم تكن[٣] أكثر من خلق آدم من طين لا تكون أقل، لأن صنع الأشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد أيسر وأدون من صنعها وتسويتها إذا كانت غائبة مستكنة. وظاهره أن يكون قوله: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ،[٤] من طين[٥] آدم. **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين**، ذريته، لأن النسل هو الولد والذرية. * **نَسْلَه**، أي ولده. وقالا:[٦] السلالة الخالص |٥٩٨و س٦|
من كل شيء.* وقوله: **من سلالة**، قال بعضهم: السلالة هي[٨] الصفوة من الماء، والخالص من كل شيء. وقال بعضهم: السلالة هي من السَّل، [يقال:][٩] سَلَّ السيفَ أي أخرجه ونزعه. فعلى ذلك قوله: **من سلالة من ماء**، أي من ماء[١٠] استخرج من الظهر وسلّ منه ونزع. والمهين، هو الضعيف، يقال:[١١] مهَن يمهَن مَهانةً فهو مَهين. وهو قول أبي عَوْسَجَة والقُتَبي.[١٢]

وقوله: **ثم سوّاه**، أي جمعه وقوّمه وركّب بعضه ببعض. **ونفخ فيه من روحه**، أي جعل فيه من روحه؛[١٣] وهو من الريح، وبالنفخ يتفرق في الجسد، لذلك ذكر.[١٤] **والله أعلم.**

---

[١] جميع النسخ – من ماء مهين. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[٣] ر ث م: إن لم يكن.

[٤] الآية السابقة.

[٥] جميع النسخ – من طين. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[٦] أي القُتَبي وأبو عَوْسَجة.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر٦.

[٨] ر ث م: هو.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦ظ.

[١٠] جميع النسخ – من ماء. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[١١] جميع النسخ + منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] «﴿من ماء مهين﴾ أي حقير» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦).

[١٣] ر ث م – أي جعل فيه من روحه.

[١٤] يقول الإمام رحمه الله في تفسير الآية ١٢ من سورة التحريم: «وقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي خلقنا فيه ما به تحيا الصور والأبدان. ثم تشبيهه بالنفخ أن الروح إذا خلق فيه انتشر في الجسد، كالريح إذا نفخت في شيء انتشرت فيه. أو التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نفخ فيه كالريح. والله أعلم» (ورقة ٨٢٣و).

وقوله **ثم سوّاه**. يحتمل ما ذكرنا من تركيب الجوارح والأعضاء، أو سوّاه وجعله بحيث يحتمل المحنة والأمر والنهي. **ونفخ فيه من روحه**، أي جعل فيه الروح، وذكر النفخ لما ذكرنا على تحقيق النفخ فيه. *والله أعلم*.

وقوله: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**. ذكر جل وعلا جميع ما يوصل [به][1] إلى العلوم الغائبة والحاضرة جميعًا، ويُدرَك ويوجد السبيل إليها، وهو السمع والبصر والقلب الذي[2] ركّب[3] في الإنسان؛ لأنه بالسمع يوصَل إلى ما غاب عنهم من العلم يسمعون ما عند غيرهم، وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره، وبالقلب يفهم[4] ويُحفَظ ويُميِّز بين ما يؤتى ويُتقّى. يبين أنه قد أعطاهم ما به يدركون ويصلون إلى ما غاب عنهم، ويفهمون ويميّزون، وهو ما ذكر من الحواسّ.

ثم قال: **قليلاً ما تشكرون**. قال أهل التأويل: قوله: **قليلاً ما تشكرون**، أي لا تشكرون قطّ؛ لأنهم يقولون إنما خاطب به أهل[5] مكة. أو أن يقال: إنهم يشكرون[6] قليلاً، لكنهم يفسدون وينقضون ما يشكرون[7] بكفرانهم من بعد. وأما أهل الإسلام، وإن كان شكرهم لما ذكر من هذه الحواسّ قليلاً فإنهم قد اعتقدوا في أصل العقد الشكر له في جميع نعمه، والكافر اعتقد الكفران له. وإلا يجيء أن يكون قوله: **قليلا ما تشكرون**، للمؤمنين وهم يقال ذلك لا لكفرة. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[١٠]**

وقوله: **وقالوا أإذا ضلَلْنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد**، هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال: أإنا نبعث ونُخلق خلقًا جديدًا؟ أو على[8] الإيجاب والتحقيق: إنا نبعث لا محالة. فلا يلحقهم بذلك لائمة ولا تعيير لو كان على ظاهر المخرج منهم،[9]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦ظ.
[2] ر م - الذي.
[3] جميع النسخ - ركب؛ ن ث + ذكر جعن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤ظ.
[4] ر: فيهم.
[5] ر ث م: لأهل.
[6] ن: تشكرون.
[7] ن: تشكرون.
[8] ر ث م: وعلى.
[9] ث: فمهم.

لكنهم إنما قالوا ذلك استهزاءً وإنكارًا للبعث، دليله ما قال على إثره: **بل هم بلقاء ربهم كافرون،** وإلا ظاهر ذلك القول منهم على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما: استفهامًا أو إيجابًا. وهو ما أخبر عن المنافقين، حيث قال: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، هذا القول منهم حق وصدق، لكنهم لِما[1] أضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك لهم، حيث قال: وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.[2] فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا، لكنهم إنما قالوا ذلك استهزاءً وإنكارًا للبعث وجحودًا.

[٥٩٨و س٢ *وقال القُتَبي: **ضَلَلنا في الأرض،** أي بَطَلنا وصِرنا ترابًا.[3] وقال غيره: هلكنا. وقال أبو عَوْسَجة: **ضَلَلنا،** بالضاد، إذا صِرنا في القبور وبَلِينا فيها. ويقال: ضَلِلنا بالكسر من الضلال، يقال:[4] ضَلِلت[5] كذا،[6] إذا لم يَدْرِ[7] أين ذهب. ويقال صَلَلْنا[8] بالصاد،[9] وهو من صَلّ[10] اللحم،
٥٩٨و س٥] أي أنتن.[11]*

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١١]

وقوله: **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم،** هذا الحرف في الظاهر ليس هو بصلة للأول؛ لأنه إنما يقال هذا[13] عن سؤال سابق في توفّي الخلق وقَبْضِ أرواحهم أنه مَن؟ فيقال عند ذلك: **يتوفاكم ملك الموت.** وجائز أن يكون على الصلة بالأول؛[14]

---

[1] م – لما.
[2] سورة المنافقون، ١/٦٣.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
[4] جميع النسخ: ويقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٧و.
[5] ر ن ث + شيء.
[6] جميع النسخ + وكذا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[7] جميع النسخ: لم تدر.
[8] ر م: ضللنا.
[9] ر م: بالضاد.
[10] ر م: ضل.
[11] «قرأ العامة "ضللنا" بضاد معجمة ولام مفتوحة. وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء ﴿ضلِلنا﴾ بكسر اللام. وقرأ علي وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد "صللنا" بصاد مهملة ولام مفتوحة. ومعنى صلّ اللحم، أنتن وتغيّرت رائحته» (*الدر المصون* للسمين الحلبي، ٨٣/٩-٨٤).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر٢-٥.
[13] ر م – هذا.
[14] ن: الأول.

لأنهم أنكروا البعث وإحياءه[١] إياهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على ذلك. فيذكر أنه مكّن وأقدر عبدًا من عبيده على قبض أرواح جميع الخلائق من المشرق إلى المغرب من غير أن يعلم[٢] أحد أنه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك. فيخبر أن من قدر على هذا أَلَا يقدر[٣] على إحياء الخلق بعد ما صاروا ترابًا ورمادًا؟ بل قادر على ما شاء[٤] كيف شاء متى شاء، لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء.

ثم قوله: **يتوفّاكم**، يحتمل مِن "تَوَفِّي العدد"، أي[٥] يجعلهم وفاء لعددهم،[٦] كقوله: **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.**[٧] وجائز أن يكون التوفي من الاستيفاء ووفاء التمام، أي / يستوفي [٥٩٨و] الروح كلّه حتى لا يبقى منه شيء في الجسد.[٨]

ثم في الآية دلالة خلق أفعال العباد، لأنه أخبر أن مَلَكَ الموت يتوفاهم ويميتهم، وقد أخبر أنه خلق الموت والحياة،[٩] فدل أن جميع ما يفعل العباد هو[١٠] خلق الله.*

**﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾**[١٢]

وقوله: **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم**، يقول -والله أعلم-: لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ من العذاب وفيما هم فيه من الحال الشديدة والهوان بالتكذيب الذي كان منهم وإساءتِهم إليك، لَرحمتَهم ولم تتكلف مكافأة إساءتهم وتكذيبهم لعِظم ما نزل بهم[١٢] من العذاب والشدائد. **ناكسوا رءوسهم عند ربهم**، ندامةً وحسرة وحزنًا على ما كان منهم.

---

[١] ر م: احياء.
[٢] جميع النسخ: يعمه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٩٧و.
[٣] جميع النسخ: لا يقدر. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٣٧٠و.
[٤] جميع النسخ: على ما يشاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[٥] ر ث م - أي؛ ن: أي لا.
[٦] ر ث م: لعدها؛ ن: لعددها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة مريم، ٨٤/١٩.
[٨] ر ث م: لا يبقى في الجسد منه شيء.
[٩] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (سورة الملك، ٢/٦٧).
[١٠] م + شيء.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة رقم ٥ و٨ و١٠ ممزوجًا، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/ سطر ٢-٦.
[١٢] ر ث م - بهم.

على مثل هذا يخرج التأويل، وإلا ليس في ظاهر الآية جواب قوله: **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم**، فجوابه ما ذكرنا أو نحوه. **والله أعلم**.

وقوله: **ربنا أبصرنا وسمعنا**، الآية،[1] هذا يخرج على وجهين. أحدهما قوله: **أبصرنا**، بالحجج والبراهين عِيانًا، بعد ما كنا أبصرناها في الأولى بالدلالة،[2] **وسمعنا**، أي قبلنا وأجبنا، **فارجعنا**، إلى الأولى والمحنة،[3] **نَعْمَلْ صالحًا إنا موقنون**. والثاني **ربنا أبصرنا**، صِدقَ الرسل وأيقنّا بما وعدونا وأوعدونا في الدنيا، **وسمعنا** سماعَ[4] إيقان وعيانٍ، **فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون**. **والله أعلم**.

**﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [١٣]

وقوله: **ولو شئنا لآتينا كل نفس هُداها**، أي لو شئنا لآتينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم الاختيار لذلك لاهتدَوا. لكن لم يعطهم[5] ذلك اللطف لمّا لم يعلم منهم كون ذلك الاختيار.[6] وعلى قول المعتزلة: إنه[7] شاء أن يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد.[8] فقولهم مخالف للآية؛ لأنهم يقولون: شاء[9] أن يهتدي كل نفس وآتى كل نفس ما به تهتدي، لكنها لم تهتد. ولكنهم يقولون: المشيئة هاهنا مشيئة الجبر والقسر. فيقال لهم: زعمتم أنه قد شاء أن يهتدوا وآتاهم ما به يهتدون فلم يهتدوا ولم تَنْفُذ مشيئتُه، فأنى يقدر ويملك أن يشاء مشيئة تَقهرهم وتُجبرهم حتى يهتدوا، وكيف يؤمَن على ذلك؟ فذلك بعيد على قولكم. فيقال لهم أيضًا: إن الإيمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون إيمانًا، لأن القهر[10] والجبر يرفع[11] الفعل عن فاعله ويحوّله عنه، فكيف يصحّ تأويلكم على هذا؟

---

[1] جميع النسخ - الآية. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[2] ر: بالدلائل.
[3] ن ث م: أو المحنة.
[4] ث: سمع.
[5] ر م: لم نعطهم.
[6] ن ث: واختياره.
[7] ر ث م - إنه.
[8] ر: لم يهتد.
[9] ن - شاء.
[10] ث: القسر.
[11] ن: يدفع.

وقوله: **ولكنْ حق القول مني لأملأن جهنم**، أي لكن وجب القول مني بما علمتُ[١] أنه يكون منهم ويَحدُث ما يستوجبون به[٢] جهنم، وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب. وقوله: **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**، في هذه الآية دلالةُ أنه قد عصم ملائكته عن عمل[٣] ما يستوجبون به جهنم بعد قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٤] حيث خصّ الجن والإنس فيما[٥] يملأ[٦] به[٧] جهنم. فإن قيل: إنه قال في آية أخرى، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً؟[٨] قيل: هم أصحاب النار في تعذيب غيرهم، وليسوا هم[٩] بأصحابها فيما ينتهي إليهم العذاب. ولله[١٠] أن يجعل ويمتحن من شاء[١١] على تعذيب من شاء. ***والله أعلم***.

**﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[١٤]

وقوله: **فذوقوا بما نسيتم لقاءَ يومكم هذا**، هذا النسيان الذي ذكر منهم ليس هو نسيانَ غفلة وسهو، لأنه لا كلفةَ تلزم في حال السهو والغفلة. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما نسيان[١٢] تضييع وتركِ تصديق الرسل بما أوعدوهم به وتكذيبهم وردُّ الحجج والآيات لذلك. والثاني **نَسيتم**، أي جعلتم ذلك كالمَنسي، لم يكترثوا إليه ولا عَبَأُوا به.

وكذلك يخرج قوله: **إنا نسيناكم**، على وجهين. أحدهما أي نجعلكم المنسيّ عن رحمته وفضله؛ لا يكترث [الله] إليكم[١٣] ولا يعبأ بكم كما جعلتم أنتم آياتِه وحججه وما دعوكم [الرسل] إليه

[١] م: عملت.
[٢] ر - به.
[٣] ر: عمد.
[٤] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[٥] ر: فما.
[٦] جميع النسخ: يملئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٧و.
[٧] جميع النسخ: بهما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥ظ.
[٨] سورة المدثر، ٧٤/٣١.
[٩] ر: وليسوهم.
[١٠] ر: والله.
[١١] م: يشاء.
[١٢] ر ت م - نسيان.
[١٣] جميع النسخ: إليكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦و.

كالمنسيّ[1] المتروك الذي لا يُكترث إليه. والثاني **إنا نسيناكم**، أي نجزيكم جزاء نسيانكم وترككم[2] وتضييعكم. ويجوز تسمية الجزاء باسم أصله وأوّله وإن لم يكن الثاني في الحقيقة ما ذكر، نحوَ ما سَمّى جزاء السيئة سيئة[3] وجزاءَ الاعتداء اعتداء،[4] وإن لم يكن الثاني في الحقيقة[5] سيئة ولا اعتداء، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وذوقوا عذاب الخُلد بما كنتم تعملون**، أي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وتعتقدون[6] المذهب للخلود والأبد، لأن كل ذي مذهب ودين إنما يعتقد[7] المذهب ويختاره للأبد، فعلى ذلك جعل تعذيبهم في النار للأبد. وأما من يرتكب المآثم والزلّات من المؤمنين فإنما يرتكب عند شدة الحاجة وغلبة الشهوة في وقت ارتكابه لا للأبد، لذلك افترقا.

**﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**[١٥]

وقوله: **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خرُّوا سُجّدًا**، يخرج قوله: **إنما يؤمن** [٥٩٨ظ] / أي إنما[8] يحقّق الإيمان بالله وبآياته الذين إذا ذُكّروا بها[9] خرّوا سجدًا لله حقيقة. ثم يحتمل قوله:[10] **خرّوا سُجّدًا**، حقيقة السجود عند تلاوة الآيات التي فيها ذكر السجود. والثاني يكون ذكرُ خُرورِ الوجه والسجود كناية عن الخضوع له[11] والانقياد والاستسلام والقبول لها.

[1] ر م – لم يكترثوا إليه ولا عبأوا به وكذلك يخرج قوله إنا نسيناكم على وجهين أحدهما أي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله لا يكترث إليكم ولا يعبأ بكم كما جعلتم أنتم آياته وحججه وما دعوكم إليه كالمنسي.

[2] ر م + أي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله لا يكترث ولا يعبأ [ر: لا يعبأ] بكم كما جعلتم أنتم آياته وحججه وما دعوكم إليه كالمنسي المتروك الذي لا يكترث إليه والثاني [م – والثاني].

[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[4] مثل قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[5] ر م – ما ذكر نحو ما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني في الحقيقة.

[6] جميع النسخ: ويعتقدون.

[7] ر م: يعتقدون.

[8] ر م – إنما.

[9] ر ث م – بها.

[10] جميع النسخ – قوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦و.

[11] جميع النسخ: لها. والتصحيح من المرجع السابق.

فأحدهما على حقيقة السجود عند تذكير الآيات لهم والتلاوة عليهم، والثاني على الكناية عن القبول لها والاستسلام.[١] وإلا ليس من ذي مذهب من أهل الكفر من عبدة الأوثان وغيرهم إلا وهو يدّعي الإيمان بالله وبآياته، ويزعم أن الذي هو عليه هو الإيمان به و[أنه][٢] المؤتمر بأمره. ألا ترى أنه كيف أخبر عنهم، حيث قال: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[٣] كانوا يدّعون في جميع ما يعملون أن الله تعالى أمرهم بذلك وأنهم مؤمنون به مؤتمرون بأمره، فأخبر أنه إنما يحقق[٤] الإيمان بالله وبالآيات الذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجّدًا، لا أولئك[٥] الذين يدّعون ذلك وليسوا هم كذلك.

وقوله: **وسبّحوا بحمد ربهم**، التسبيح هو تنزيه الرب وتبرئة له عن جميع ما قالت الملحدة[٦] فيه ونسبوه إليه مما لا يليق به، يقول: **وسبحوا بحمد ربهم**، أي ذكروه بمحاسنه ومحامده وبرّءوه ونزّهوه عن جميع ما وصفه أولئك ونسبوه إليه. هذا -والله أعلم- هو التسبيح بحمده.

وقوله: **وهم لا يستكبرون**، لا أحد يخطر بباله أن يستكبر على الله أو على أمره ولكن كانوا يستكبرون على رُسله لِما لا يرونهم أهلاً لذلك. أو[٧] أن يكونوا يستكبرون على ما يُدعَون إليه ولا يجيبون لذلك.

**﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١٦]**

وقوله: **تتجافى جنوبهم عن المضاجع**، رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنها نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن اختلفت[٨] عنه[٩] الروايات. ذكر في بعضها أنها نزلت في نفر من عُمّال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون بالنهار

[١] ن + لها.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٧ظ.

[٣] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[٤] ر م: يتحقق.

[٥] ر ث م: لأولئك.

[٦] ر م: الملاحدة.

[٧] ر م: و.

[٨] جميع النسخ + فيه.

[٩] ر م - عنه.

فإذا جَنّ[1] عليهم[2] الليل[3] اضطجعوا بين[4] المغرب والعشاء فناموا، فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك.[5] وذكر[6] عنه أنهم كانوا يصلون[7] بين المغرب والعشاء، فنزلت الآية فيهم.[8] فإن كان هذا[9] فنزول الآية لذلك يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن، وإن كان الأولَ فهو على النهي والتوبيخ لذلك. ثم اختلف أهل التأويل في تأويلها. قال بعضهم: هو التيقظ والصلاة فيما بين المغرب والعشاء الآخرة. ومنهم من يقول: هو التجافي عن المضاجع لصلاة العشاء والفجر يصليهما. ومنهم من يقول: تتجافى جنوبهم بذكر الله، كلّما استيقظوا ذكروا الله:[10] إما صلاةً وإما قيامًا وإما قعودًا، لا يزالون يذكرون الله. ومنهم من يقول: **تتجافى جنوبهم عن المضاجع**، قيامُ الليل والصلاة فيه، وهذا أشبه التأويلات، لأنه قال: **عن المضاجع**، والتجافي عن المضاجع إنما يكون في الوقت[11] الذي يضطجع فيه، وفيه يقع الامتداح والثناء الحسن، لأنه وقت الغفلة والنوم فيه، وأما سائر الأوقات ليس كذلك.[12] ***والله أعلم.***

[٥٩٨ظ س٣٨ *قال أبو عَوْسَجة: **تتجافى جنوبهم**، أي لا يضعونها بالأرض، يقال تجافى جنبي إذا
[٥٩٩و] لم يضطجع ولم ينَمْ؛ وجافيتُ جنبي أي لم أُلزِقه بالأرض. وقال القُتَبي: / **تتجافى**، أي ترتفع
٥٩٩و س١] عن الأرض.[13]*

---

[1] ن: جنهم.
[2] ن - عليهم.
[3] ث + اطمأنوا.
[4] ن: من.
[5] روي عن أنس أنه قال: نزلت ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ في صلاة العشاء. وروي أيضًا عنه أنه قال: كنا نجتنب الفُرُش قبل صلاة العشاء. *التاريخ الكبير* للبخاري، ٢/٣٤٤؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٥/٨٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٩٠.
[6] ن: وذلك ذكر.
[7] ن + ما.
[8] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٤/٢٦٩؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ٢٢؛ وتفسير *الطبري*، ١٨/٦٠٩-٦١١؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٣/٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٩١-٦٩٢.
[9] ن - هذا.
[10] م: لله.
[11] ر م: وقت.
[12] ن: لذلك.
[13] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ نظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٨-٥٩٩و/سطر١.

وقوله: **يدعون ربهم خوفًا وطمعًا**. يحتمل قوله: **يدعون ربهم**،[١] أي يعبدون ربهم، ويحتمل حقيقة الدعاء. ثم قوله: **خوفًا وطمعًا**، قال بعضهم: **خوفًا** من عذاب الله، **وطمعًا** في رحمته. أو أن يكون قوله: **خوفًا**، أي يخافون التقصير في العبادة، **وطمعًا**، أي يطمعون إحسانه وإفضاله[٢] في العفو والتجاوز. وهكذا عمل المؤمن[٣] بين الخوف والطمع؛ يخاف التقصير فيه ويطمع إحسانه. ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «قال ربكم عز وجل: "وعزّتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له[٤] أمنَين؛ فإذا خافني في الدنيا أمِنتُه يوم القيامة، وإذا أَمِنَني في الدنيا أَخفتُه يوم القيامة"»، ثم قرأ[٥] قوله: **يدعون ربهم خوفًا وطمعًا**،[٦] الآية.

[٥٩٨ظ س٣٥ *وعلى قول المعتزلة: **يدعون**[٧] **ربهم**، أمنًا وإياسًا، لا على الخوف والطمع على ما ذكر؛ لأنهم لا يخلو[٨] إما أن يكونوا أصحاب الصغائر أو أصحاب[٩] الكبائر. فإن كانوا[١٠] أصحاب الصغائر[١١] فهم آمنون[١٢] على قولهم، لأنه لا يسع له أن يعذّب على الصغيرة على قولهم. وإن كانوا من[١٣] أصحاب الكبائر فهم آيسون من رحمته إذ لا يسع له[١٤] أن يغفر [لهم][١٥] على قولهم. فقولهم[١٦] مخالف لظاهر الآية.* ٥٩٨ظ س٣٨]

---

[١] جميع النسخ + خوفا وطمعا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦ظ.
[٢] ر ث م: إحسانه وإحسانه.
[٣] ر م + من.
[٤] ر ث م – له.
[٥] ث: قراء.
[٦] *كتاب الزهد* لابن المبارك، ٥١؛ و*نوادر الأصول* للحكيم الترمذي، ٢٠٢/١، ٢١٥، ٧٣/٢؛ و*صحيح ابن حبان*، ٤٠٦/٢؛ و*شعب الإيمان* للبيهقي، ٢٢٣/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠١/١٠.
[٧] ن + هم.
[٨] ر: لا يخلوا.
[٩] ن: وأصحاب.
[١٠] م: وإن كانوا.
[١١] ن – الصغائر.
[١٢] جميع النسخ: آمنوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.
[١٣] ر ث م – إن كانوا من.
[١٤] ر ث م – له.
[١٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٨و.
[١٦] م فقولهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٥-٣٨.

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، يحتمل الزكاة المفروضة، ويحتمل[1] صدقة التطوّع. وجائز أن يكون قوله: **ومما رزقناهم**،[2] من القوى والأسباب[3] السليمة، **ينفقون**، أي يعملون. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٧]**

وقوله: **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**، ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[4] قال: «قال ربكم: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطَرَ على قلبِ بشر"».[5] هذا عمل النفس أنها لا تعلم الأمثال إلا[6] ما أحسّت وعاينت وشاهدت، فأما العقل فإنه جائز أن يعلم ويخطر ما لم ير ولم يُحِسّ ولم ير له مثالاً. ***والله أعلم***.*

**﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[١٨] ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٩] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٢٠]**

وقوله: **أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوُون**. إن أهل التأويل يقولون: نزلت الآية في شأن علي بن أبي طالب والوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، كان بينه وبين علي رضي الله عنه كلام وتنازع حتى قال له علي: إنك فاسق وأنا مؤمن، فنزلت الآية فيهم.[8]

---

[1] جميع النسخ + ينفقون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

[2] ث + ينفقون.

[3] ر: والأسبات.

[4] جميع النسخ – أنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

[5] *صحيح البخاري*، بدء الخلق ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٢.

[6] جميع النسخ – إلا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة ومقطع من تفسير الآية التالية برقم ١٩، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٥-٥٩٩و/س١.

[8] روي أن الوليد بن عقبة قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أبسط منك لسانًا وأحدّ منك سنانًا وأرَدُّ منك لكتيبة؛ فقال له علي رضي الله عنه: اسكت، فإنك فاسق. فأنزل الله فيهما: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون﴾. انظر: *فضائل الصحابة* لأحمد بن حنبل، ٧٥٦/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٦٢٥/١٨؛ و*الكامل* لابن عدي، ٢٨٠/٧؛ و*كتاب الأغاني* لأبي الفرج الإصفهاني، ١٤٠/٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٧٠٥/١١-٧٠٦.

لكن الآية في جميع المؤمنين والفاسقين، يخبر أن ليس بينهم استواءٌ. ثم جائز أن يكون ذُكّر هذا ونَزَل لِقولٍ[١] كان من أولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين:[٢] "إن منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا وقدركم[٣] في الآخرة عند الله سواء"، فنزلت الآية لذلك أنهما ليسا بسواء، فبيّن منزلة المؤمن عند الله وقدره وما ذكر من الثواب له والكرامة ومنزلةَ الفاسق وما ذكر[٤] من الخلود في النار أبدًا، كقوله:[٥] أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ،[٦] الآية. أو يذكر ذلك على الابتداء: إنكم تعرفون في عقولكم أن ليس المؤمن المصدق لآخر[٧] في الشاهد في المنزلة والقدر عنده كالخارج عن أمره وكالمكذب له، فكيف تطمعون[٨] الاستواء عند الله وأنتم الفسقة الخارجون عن أمر الله، وأولئك[٩] الصادقون له؟ والله أعلم بذلك.

ثم[١٠] الخوارج والمعتزلة يقولون: لو كان الفاسق مؤمنًا على ما تقولون لم يكن لِما ذكر معنى، فدلّ أن الفاسق لا يكون مؤمنًا حيث ذكر أنهما لا يستويان، فإن[١١] المؤمن مأواه في الجنة والخلود له فيها، والفاسق مقامه في النار خالدًا[١٢] فيها على ما ذكر، فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان، أو كلام نحو هذا.

فيقال لهم: إنا وأنتم نتفق أن هذا الفاسق المذكور في الآية ليس بمؤمن وأنه لا يستوي المؤمنَ، لأنه ذكر الفسق مقابل الإيمان. دليله آخِر الآية، حيث قال: **ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**، ذَكَر التكذيب، والتكذيب هو مقابل الإيمان والتصديق،

---

[١] ر: القول.

[٢] ر: المؤمنين. وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أنه نزل هذا القول في جدال كان من أولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٨و).

[٣] ر ث م – وقدركم.

[٤] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ + الم أحسب الناس وكقوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[٦] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتُهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).

[٧] جميع النسخ – لآخر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[٨] ر: تطعمون.

[٩] ر ث م + هم.

[١٠] ر – ثم.

[١١] جميع النسخ: وان. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر م: خالدين.

وكل فسق كان مذكورًا مقابل الإيمان والتصديق[1] فهو كفر وتكذيب، فهو[2] لا يكون مؤمنًا. ولكن هاتوا فسقًا[3] ذُكر لا[4] مقابلَ الإيمان والتصديق[5] ولكن مقابلَ غيره من العصيان والمساوئ، ويكون له هذا الوعيد المطلق[6] الذي ذُكر في هذه الآية.[7] ألا يرى أن السوء[8] المذكور مقابل الإيمان كفر، كقوله: وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ.[9] فعلى ذلك الفسقُ المذكور مقابلَ الإيمان كفر لا يقع فيه استواء بحال. وأما الفسق المذكور لا مقابل الإيمان فجائز أن يقع فيهما استواء، وهو أن يغفر له ذنبه ويكفّر عنه سيئته[10] ويدخله[11] الجنة، حيث قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[12] وقال في آية أخرى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا،[13] وقال في آية أخرى: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[14] الآية، هو في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء تجاوز عنه.

وأصحاب الحديث يقولون: إن جميع الطاعات إيمان بهذه الآية، لأنه قال: **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا**، ثم فسر ذلك المؤمن، فقال: **أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**، وعدهم الجنات بالإيمان وعمل[15] الصالحات. فيقال لهم:[16] إن الوعد المطلق هو لمن آمن وعمل الصالحات.

---

[1] جميع النسخ – والتصديق. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[2] ر: هو.

[3] م: فاسقا.

[4] ن: الا.

[5] جميع النسخ – والتصديق. والزيادة من المرجع السابق.

[6] ر ث م – المطلق.

[7] جميع النسخ: في هذا. والتصحيح من المرجع السابق

[8] ر م: السؤال.

[9] سورة المؤمن، ٥٨/٤٠.

[10] ر م: سيئة.

[11] ر ث م: ويدحل.

[12] سورة النساء، ٤٨/٤ و١١٦.

[13] سورة النساء، ٣١/٤.

[14] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).

[15] ن: وعملوا.

[16] ر ث م – لهم

فأما من آمن ولم يعمل من الصالحات شيئًا لا نقول[١] بأن له ذلك الوعد المطلقَ، ولكن له الوعد الذي ذكرنا.

وفي الآية دلالة أن قد يعمل المؤمن غير الصالحات وهو مؤمن؛ لأنه لو لم يكن منه غير عمل الصالح[٢] لم يكن لشرط العمل الصالح له معنى، دل أن قد[٣] يكون من المؤمن غير العمل الصالح، وذلك على المعتزلة والخوارج.

*ونزلاً، من النزول، والنُّزُل ما يُجعل للرجل يأكله وينفقه.* [٥٩٩و س ١]

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢١]

وقوله:[٥] **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر**، اختلف في العذاب الأدنى، قال بعضهم: هو القتل يوم بدر، ومنهم من يقول: هو الجوع في السنين التي كانت لهم فيها، والضيق والشدةُ،[٦] ومنهم من يقول: هو المصائب التي تصيبهم، وأمثال ذلك كثيرة. لكن عندنا[٧] ذلك العذاب ليس هو عذاب الكفر،[٨] لأن عذاب الكفر[٩] يكون في الآخرة أبدًا دائمًا لا زوال له[١٠] ولا انقطاع. فأما عذاب الدنيا فهو[١١] عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم، يعذّبون في الدنيا ليذكّرهم ذلك العذابُ العذابَ[١٢] في الآخرة: العذابَ الدائم، ليمنعهم عما به يعذَّبون في الدنيا عن عذاب الآخرة.[١٣]

---

[١] ر ث م: لأنا نقول.

[٢] ر م: الصالحات.

[٣] ر م - قد.

* وقع ما بين لنجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ١٧، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٩و/سطر ١.

[٥] ر م - وقوله.

[٦] عن مسروق عن عبد الله قال: إن قريشا لمّا استعصَوْا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسِنِي يوسفَ، فأصابهم قَحْط وجَهدٌ حتى أكلوا العظام... (صحيح *البخاري*، التفسير، ٤٤/٢-٤؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين، ٣٩-٤٠.

[٧] ر ن م - عندنا.

[٨] ر: الكفرة.

[٩] ر: الكفرة.

[١٠] ر م - له.

[١١] جميع النسخ: هم.

[١٢] ر م - العذاب.

[١٣] ث: ليمنعهم ما يعذبون في الدنيا عما به يعذبون في الآخرة. وفي *الشرح*: «يعذبون في الدنيا بها ليذكرهم ذلك العذاب العذاب الدائم في الآخرة فيمنعهم هذا العذاب عن مباشرة ما به استحقوا العذاب في الآخرة» (ورقة ٥٩٨ظ).

وكذلك ما أعطى لهم من اللذات والنعيم في الدنيا وإن كان[1] منقطعًا، ليذكرهم ذلك النعيم وتلك اللذات: لذات الآخرة ونعمها الدائمةَ. ولذلك رغّب الله خلقه[2] إلى طلب الآخرة وأخبر أن لهم فيها من اللذات كذا في غير آي من القرآن، حيث قال: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[3] الآية، ونحوه كثير.[4] والعذاب الأكبر هو عذاب الآخرة. وهو عذاب الكفر والتكذيب.

وقوله: **لعلّهم يرجعون**، لكي تَلْزَمَهم[5] حجةُ الرجوع عما هم فيه من التكذيب، لئلا يقولوا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ.[6] ***والله أعلم.***

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[٢٢]**

وقوله: **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها**. قوله: **ومن أظلم**، أي لا[7] أحدَ أظلمَ ممن ذكر بآيات ربه ووقع له[8] المعرفة والعلم أنها آيات ربه ثم أعرض عنها[9] بعد ما عرفها وعلم بها، ليس أحد / أظلم من ذلك. التذكير بآياته ما ذكرنا أنهم يُذكَّرون ليقع لهم بأنها آياته. ثم آياته[10] [٥٩٩ظ] تحتمل[11] آيات وحدانيته، أو آيات[12] الرسالة، أو آيات البعث، أو آياتِ القرآن. ***والله أعلم.***

وقوله: **إنا من المجرمين منتقمون**، جرمهم هاهنا جرم كفر، ينتقم منهم انتقام الكفر والتكذيب.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢٣]**

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه**، اختلف فيه. قال بعضهم: **لا تكن في مرية من لقائه**، أي من أن تَلقاه يوم القيامة. وقال بعضهم: فلا تكن في مرية من لقاء موسى التوراةَ، فإن الله ألقى الكتاب عليه –أي التوراة– حقًّا، فلقيها عِيانًا. وقال بعضهم:

---

[1] ت: أو إن كان.
[2] ر ث م: خلقها.
[3] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[4] انظر مثلا: سورة فصلت، ٣١/٤١.
[5] جميع النسخ: يلزمهم.
[6] ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٢/٧).
[7] ر م – لا.
[8] م – له.
[9] ن + قوله ومن أظلم أي لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها.
[10] ر ث م – آياته.
[11] ر ث م: يحتمل.
[12] ر م: وآيات.

فلا تكن في مرية من لقائه ليلةَ أُسْرِيَ بك.[1] قد روي مثل هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد[2] أسري به[3] وعُرج[4] إلى السماء، فقال له موسى كذا وكذا أشياء، ذُكرت في أمر الصلوات[5] وغيره.[6] فلا ندري أ يثبت ذلك[7] أم لا، وإن ثبت[8] كيف كان ذلك؟ إنه أوحي له فقال ما ذكر، أو رأى[9] ذلك في المنام -ورؤيا الأنبياء حق-، أو كيف كان الأمر؟[10] والله أعلم.

وقوله: **وجعلناه هدى لبني إسرائيل**، قال بعضهم: جعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يجعل "الهاء" كناية عن موسى. وقال بعضهم: **وجعلناه**، أي الكتاب الذي آتى موسى هدى لبني إسرائيل. ثم يحتمل قوله: **هدى لبني إسرائيل**، وجهين. أحدهما البيان، أي جعلناه بيانًا لهم، يبيّن ما لهم وما عليهم وما لله[11] عليهم. والثاني، **هدى لبني إسرائيل**، أي دعاءً لبني إسرائيل يدعون الخلق به إلى توحيد الله وألوهيته. الهدى المضاف إلى الخلق يخرج على هذين الوجهين: على البيان والدعاء. والهدى المضاف إلى الله يخرج على وجوه أربعة: على البيان، وعلى الدعاء اللذين[12] ذكرنا أيضًا، وعلى وجهين آخرين؛ أحدهما التوفيق والمعونة، والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم. على هذه الوجوه الأربعة يخرج إضافة الهدى إلى الله، وإلى الخلق على الوجهين اللذين ذكرناهما.

فإن قيل: كيف خص موسى أنه جعله هدى لمن ذكر، وذلك قد يكون في غيره، وهو ما جعل في خلقة كل أحد شهادة وحدانيته وألوهيته؟ قيل: ذلك إنما يدرك بالنظر والتفكر، وأما فيما ذَكَر يدرك بالبديهة. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: به.
[2] ر م: وقد.
[3] ر ث م - به.
[4] ر ث م: وأعرج.
[5] ر م: الصلاة.
[6] صحيح *البخاري*، الأنبياء ٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٦٣.
[7] ن - ذلك.
[8] جميع النسخ: أو إن ثبت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٨ظ.
[9] ر م: ذكر وارى.
[10] ر ث م: لأمر لله.
[11] ر: الله.
[12] جميع النسخ: الذي.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا**، أي قادةً في الخير. يحتمل قوله: **يهدون بأمرنا**، أي يدعون الناس بما أمرناهم[١] وهو التوحيد. أو، **يهدون**، أي يبينون لهم بالذي أمرنا ما لهم وما عليهم.

وقوله: "لِما صبروا"، قال بعضهم: أي بما صبروا على البلاء وتعذيب فرعون إياهم وأذاه إياهم. أي آمنوا ودعوا غيرهم إلى ذلك على الخوف، كقوله: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ [أَنْ يَفْتِنَهُمْ]،[٢] الآية. وقال بعضهم:[٣] لِما صبروا على الطاعات. وقد قرئ، **لَمّا صبروا**، بالتشديد،[٤] ومعناه -والله أعلم-:[٥] إنما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك، أي بالصبر الذي كان منهم هَدَوْا أولئك. *وقال بعضهم: **لَمّا صبروا**، أي لم يركنوا إلى الدنيا ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على ما أمروا[٦] وكُلّفوا. ***والله أعلم***.*

وقوله: **وكانوا بآياتنا يوقنون**، أنها من الله وأنها آياته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**، إن أهل الأديان جميعًا والمذاهبِ على اختلاف أديانهم ومذاهبهم اتفقوا أن الدين الذي جاء من الله واحد، وأن الدين الذي أمر الله أن يدينوا به واحد. لكن كلًّا منهم ادعى أن الذي هو عليه دين الله، وأن الأمر به من الله وقع على ما يدين هو به، وغيره على باطل على غير دين الله الذي أمر بالديانة به، ولذلك قال:[٨] وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[٩] الآية. فأخبر أنه يفصل بينهم ويبيّن الدين الذي أمر

---

[١] ر ث م: بما أمرهم.
[٢] سورة يونس، ٨٣/١٠.
[٣] م - بعضهم.
[٤] «قرأ حمزة والكسائي ورُوَيس عن يعقوب ﴿لِمَا﴾ بكسر اللام وتخفيف الميم، وقرأ الباقون ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٤).
[٥] ر ن م + أي.
[٦] ر: على أمروا.
* قد ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد قوله: «وقوله وكانوا بآياتنا يوقنون أنها من الله وأنها آياته»، فقمنا بالتقديم والتأخير لكونه أنسب.
[٨] جميع النسخ: قالوا.
[٩] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

أن يدينوا به في الدنيا بيانَ الاحتجاج عيهم، وإلا قد أبان لهم وأظهر الدين الذي أمرهم أن يدينوا به بالحجج والآيات، وعرفوا[1] ذلك، لكنهم كابروا وعاندوا[2] وكتموا ذلك ولبّسوا على الناس والأتباع، فيبيّن ما كتموا في الدنيا ولبّسوا في الآخرة، فيظهر عنادهم ومكابرتهم احتجاجًا عليهم، وإن كان الحق قد بان لهم وظهر في الدنيا. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويلَ الآية.

**﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾**[٢٦]

وقوله: **أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم**، يقول -والله أعلم-: أولم يبيّن لأهل مكة ولم يَكْفهم من الهداية والبيان ما أهلكنا من قبلهم من القرون التي[3] يمشون ويمرّون[4] في مساكنهم فيرون ما حلّ بهم ومن أُهلك ومن نجا منهم. فيقع الاعتبار لهم بمن ذُكر من وجهين. أحدهما زعموا أن آباءهم على ما هم عليه وأنهم يقلّدونهم في ذلك وأنهم أمروا بذلك، فيخبر أنهم[5] أولاد من نجا منهم لا أولاد من أُهلكوا؛ لأنهم استُؤْصِلوا، فلا يحتمل أن يكونوا[6] أولاد من استؤصلوا، فدل أنهم أولاد من نجا منهم، وإنما نجا منهم المصدِّق لا المكذِّب. فيخبر أن كيف لا اتبعتم آباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين أهلكوا بالتكذيب والعناد. والثاني يعتبرون فيعلمون أن إهلاكهم واستئصالهم كان للتكذيب والعناد مع الرسل والخلاف لهم، فيمنعهم ما حلّ بهم بالتكذيب والخلاف لرسل عن تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم[7] إياه.

وقوله: **إن في ذلك لآيات أفلا / يسمعون**، قال بعضهم: أفلا يبصرون ذلك حيث يمشون [٦٠٠و]
في مساكن أولئك ويمرّون فيها. وقال[8] بعضهم: أفلا يسمعون ما يُحَدَّث لهم عن أولئك وما حلّ بهم وبم نزل ذلك بهم. وقال بعضهم: **أفلا يسمعون**، أفلا يعقلون لماذا أهلكوا واستؤصلوا[9]

[1] جميع النسخ: وعرفوه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٩و.
[2] ر: أو عاندوا.
[3] ر م - التي؛ ن ث: الذين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٤٩ظ.
[4] ر م: ويمرون.
[5] جميع النسخ: أنكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: أن تكونوا.
[7] جميع النسخ: ومخالفتهم. والترجيح من المرجع السابق.
[8] ر ث: قال.
[9] ر: او ستأصلوا؛ م: او استؤصلوا.

فيمتنعون عن ذلك، [كناية السمع عن العقل،][1] كقوله: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، الآية].[2] وقال بعضهم: أفلا يسمعون[3] الوعيد الذي أوعد لهم. وقيل: أفلا يسمعون[4] التوحيد. **والله أعلم**.

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعًا**، إلى آخر ما ذكر، هذه الآية ذكرت في الاحتجاج عيهم لإنكارهم البعث، والأولى ذكرت لإنكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف لرسل. فيخبرهم[5] أن من قدر على سوق الماء إلى الأرض الميتة اليابسة وإحيائها لَقادرٌ على إحيائكم بعد الموت؛ إذ الأعجوبة والقدرة في إحياء الأرض الميتة اليابسة إن لم تكن[6] أكثر فلا تكون دون ما أنكروا، فكيف أنكرتم القدرة على إحياء الموتى وقد عاينتم ما هو أكثر أو مثلُه. و **الأرض الجرز**، قال أبو عَوْسَجَة: هي التي لا نَبْت فيها، وأَرَضون أجراز، وأرض أجراز. وكذلك قال القُتَبِي: **الأرض الجرز**، اليابسة التي لا نبت فيها، وجمعها[7] أجراز. ويقال: سِنون[8] أجرازٌ إذا[9] كانت سِنِي جَدْب.[10] وقال بعضهم: **الأرض الجرز**، هي[11] التي تأكل نباتَها[12] أي يحترق فيها، يقال: امرأة جرزاء إذا كانت أكولة، أو كلام نحوه.

**تأكل منه**، من الزرع الذي ذكر أنه يخرج من الأرض اليابسة بالماء، **أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**، قدرته في إخراج ما ذكر مما فيه غذاؤكم وغذاء ما سخر لكم من الأنعام.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩و.
[2] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج، ٤٦/٢٢). الزيادة مستفادة من تفسير الآية ٧١ من سورة القصص.
[3] ر: يستمعون.
[4] ر: يستمعون.
[5] ن ث: فيخبر.
[6] ر ن م: إن لم يكن.
[7] ن: وجمعه.
[8] م: سنون.
[9] ث: اذ.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٧.
[11] ر م – هي.
[12] أي كأن الأرض تأكل نبتها أكلًا. انظر: *لسان العرب*، «جرز».

أو يذكر نعمه فيقول:[١] أفلا تبصرون[٢] نعمه، فكيف تكفرونه وتعدون غيره وتصرفون الشكر إلى غيره. وذكر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: الأرض الجرز التي لا نبات فيها.

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٨] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[٢٩]**

وقوله: **ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين**، قال بعضهم: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون ويتحدثون: إن لنا يومًا أوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه -يَعْنُون يوم القيامة-، فقال كفار مكة: **متى هذا الفتح**، وهو القضاء، **إن كنتم صادقين**،[٣] بأنه كائن، فإن كان البعث ويوم[٤] القيامة حقًّا صدّقنا يومئذ وآمنا. فأنزل الله تعالى: **قل**، يا محمد لهم، **يومَ الفتح**، أي[٥] يوم القضاء، **لا ينفع الذين كفروا إيمانهم** بالبعث، لقولهم: لو كان البعث الذي يقولون حقًّا صدّقناه[٦] يومئذ، **ولا هم ينظرون**، يقول: لا يناظر بهم بالعذاب حين يعذَّبون.[٧]

وقال بعضهم: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون -وهم بمكة- فتح مكة لهم، فكان ناس من أهل مكة إذا سمعوا ذلك منهم هَزَءُوا بهم وسَخِروا، ويقولون لهم: متى فتحكم الذي تزعمون؟ فنزل: **ويقولون متى هذا الفتح**، يا أصحاب محمد، **إن كنتم صادقين**، أنها تفتح عليكم. لكن هذا بعيد؛ لأنه يقول على إثره: **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون**، ولو كان فتحَ مكة[٨] لكان ينفعهم إيمانهم ولهم نَظِرة[٩] وإنظار. دل أنه يَبعد صرفه إلى فتح مكة؛ والأول أشبه أن يكون لما ذكر من ترك قبول الإيمان والإنظار، وفي الدنيا[١٠] يقبل ذلك كلّه، فظهر أن الأول أشبه: كان السؤال عن الساعة أو عن المحاكمة.

---

[١] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠و.

[٢] ن: يبصرون.

[٣] *تفسير الطبري*، ٦٤٤/١٨؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١١١/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٢/١١-٧١٣.

[٤] ر ث م - يوم.

[٥] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠و.

[٦] ن: صدقنا.

[٧] وفي *الشرح*: «لا يتأخر لهم العذاب حتى يعذبوا» (ورقة ٥٩٩و - ٦٠٠ظ). وفي تفسير الآية ١٦٢ من سورة البقرة: «لا يناظرهم خُزّان النار بالعذاب».

[٨] ث - مكة.

[٩] لنَظِرة الانتظار والتأخير.

[١٠] م: في الدنيا.

إلا أن يثبت ما ذكر في الخبر أنه لما فتح [الله][1] مكة أقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذلك اليوم، وانهزم المشركون فخرجوا من مكة، وأقام من أقام بها فأمّنه النبي صلى الله عليه وسلم. فأَدْلج خالد بن الوليد تلك الليلة دُلْجَةً في سَبْعَمِائَةِ رجلٍ ومعه أبو قتادة الأنصاري، فأَسرُوا في أسفل مكة حتى سقطوا من وراء الحرم، فوجدوا الذين كانوا يهزءون بأصحاب محمد -ويقولون: متى فتحكم[2] هذا- فوق جبل قد تحصّنوا فيه. فلما رأوا[3] خالد بن الوليد قالوا: هذا[4] خالد بن الوليد وإِحْنَتُه، وقد كان بينه وبينهم في الجاهلية إحنة.[5] فقال لهم خالد بن الوليد: ما لكم؟ قالوا: قد أسلمنا. قال: إن كنتم قد أسلمتم فانزِلوا. فنظر بعضهم إلى بعض، فقال رجل منهم: أطيعوني ولا تنزلوا إليه، فوالله لئن نزلتم إليه ليُهلكنكم، إنه لخالد بن الوليد وإِحْنَتُه. قالوا: والله ما علينا سبيل لقد أسلمنا. ثم نزلوا، ووضع خالد بن الوليد عليهم[6] السلاح، واعتزل أبو قتادة فقال: معاذَ الله أن أُعِينَ على شيء مما هاهنا. فبلغ ذلك النبي، فبعث[7] إليهم علي بن أبي طالب بالدية من غنائم خَيْبَرَ فوداهم الدية،[8] حتى بعث إليهم بِرَوْعَة الخيل حين راعوهم،[9] ومِيلَغَةَ[10] الكلاب كانوا كسروها، فوداهم[11] رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء لهم، فذلك قوله: **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون.**[12]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[2] ر: فيحكم.

[3] ث: روا.

[4] ث - هذا.

[5] ر م: إحنته.

[6] ر ث م: ووضع عليهم خالد بن الوليد.

[7] ر: افبعث.

[8] جميع النسخ: فوداهم إليه بالدية. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠ظ.

[9] الروعة: الفَزْعة، وأعطاهم بروعة الخيل، يريد أن الخيل راعت نساءهم وصبيانهم فأعطاهم شيئًا لما أصابهم من هذه الرَّوْعة. (*لسان العرب*، «روع»).

[10] ر ث م: ومساقى؛ ن: ومساقى. والتصحيح من مصادر الرواية. والمِيلَغة: الإناء الذي يَلَغُ فيه الكلب، يعني أعطاهم قيمة كلّ ما ذهب لهم حتى قيمة الميلغة (*لسان العرب*، «ولغ»).

[11] ر: فوادهم.

[12] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٤٢٨/٢-٤٣٠؛ و*كتاب الأغاني* للإصفهاني، ٢٨٥/٧؛ و*بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣٣/٣-٣٤؛ وشرح *السير الكبير* للسرخسي، ١١٨/١، ١٨١. وروي عن ابن عمر قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون صبَأْنا صبأنا، وجعل خالد بهم أسرا وقتلا. قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذا أصبح يوما أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر. فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. قال: فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا له صنيع خالد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين. *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٠/٢-١٥١؛ و*صحيح البخاري*، المغازي ٥٨؛ و*سنن النسائي*، آداب القضاة ١٧.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾[٣٠]

**فأعرض عنهم**، يا محمد إلى مدة لهم، **وانتظر**، بهم العذاب، أي القتل وهلاكهم، **إنهم منتظرون** هلاككم. وقال بعضهم: فأعرض عنهم إلى ذلك اليوم، وانتظر[١] فتح مكة، إنهم منتظرون هلاكك. أو أن يكون قوله: **فأعرض عنهم**، أي لا تكافئهم[٢] لأذاهم إياك، **وانتظر**، مكافأتنا[٣] إياهم، **إنهم منتظرون** ذلك. ***والله أعلم***.

[١] جميع النسخ + بهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠ظ.
[٢] ر ن ث: لا تكافهم.
[٣] ر: مكافاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأحزاب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١]**

قوله[2] عز وجل: **يا أيها النبيّ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**، جائز أن يكون ظاهر الخطاب -وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم-[3] للناس عامًّا. ألا يرى أنه قال على إثره: وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ / رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا،[4] خاطب به الجماعة. وقد خاطب [٦٠٠ظ] رسوله في غير آي من القرآن والمراد به غيره، فعلى ذلك جائز أن يكون هذا كذلك. ويشبه أن يكون المراد بالخطاب أيضًا هو[5] خاصة. لكن إن كان ما خاطب به مما يشترك فيه غيره دخل [الناس] في ذلك الخطاب وفي ذلك النهي، وإن كان مما يتفرد به -من نحو[6] تبليغ الرسالة إليهم وما تضمنته الرسالة[7] وإن خاف على نفسه القتل والهلاك- فإن ذلك له،[8] لا[9] [يدخل غيره في الخطاب]،[10] كقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[11] الآية.

---

[1] ر - سورة الأحزاب؛ ن: ذكرت أن سورة الأحزاب بالمدينة؛ ث + وهي سبعون وثلاث آيات مكية؛ م + نزلت بالمدينة.

[2] ن: وقوله.

[3] جميع النسخ + فهو.

[4] الآية الثانية.

[5] ر ث م - هو.

[6] م - نحو.

[7] ر ث م - الرسل.

[8] جميع النسخ: قول عليه ذلك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[9] جميع النسخ + محالة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[11] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

وأما أهل التأويل فمِمّا اختلفوا فيه. قال بعضهم: نزلت الآية في نفر،[1] وذلك أن نفرًا من أهل مكة -[وهم] أبو سفيان بن حَرْب وعكرمة بن أبي جهل وأبو الأَعْوَر السُّلَمي وهؤلاء- قدِموا المدينة فدخلوا على عبد الله بن أبيّ رأس[2] المنافقين بعد قتلى أُحد، وقد أعطاهم النبي الأمان على أن يكلّموه، فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفِض ذكر آلهتنا اللّات والعزّى ومناةَ،[3] وندَعك وربَّك، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**، وفيهم نزل: وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.[4] وفي بعض الروايات: قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ائذن لي[5] في قتلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني قد أعطيتهم الأمان».[6] فإن كان على هذا فالنهي عن نقض العهد والأمان، وإن كان على الأول فالنهي عن اتباع ما طلبوا منه من رفض آلهتهم والعبادة[7] لها. وبعضهم يقولون: إن أهل مكة -نحو شَيبة بن ربيعة وهؤلاء- قالوا له: إنا نعطيك يا محمد كذا كذا من المال ونزوّجك امرأة كذا[8] كثيرة المال فارفِضنا وآلهتنا، وإلا قتلك المنافقون فلان وفلان،[9] عَدّوا نفرًا، فأنزل الله تعالى الآية في ذلك بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه إليه وأمره بالتوكّل على الله في ترك الاتباع لهم.[10] وأصله ما ذكرنا أن النهي إن[11] كان له خاصة فيما ذكر فهو وإن كان معصومًا فالعصمة لا تمنع الأمر والنهي، بل العصمة إنما تنفع[12] إذا كان ثمة نهي وأمر،[13] إذ لولا النهي والأمر لكان لا معنى للعصمة ولا منفعة لها. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ - في نفر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.
[2] ر م: رئيس.
[3] ر ث م: ومنات.
[4] سورة الأحزاب، ٤٨/٣٣.
[5] ر ث + يا رسول الله؛ ن: يا رسول الله لي يا رسول الله.
[6] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣١/٣-٣٣؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٣٣٤/٢؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٣٦٩/٤؛ و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٦٣-٢٦٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٥٠/١٧.
[7] ن: العبادة.
[8] جميع النسخ: ونزوجك كذا كذا امرأة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.
[9] ر: فلان.
[10] *النكت والعيون* للماوردي، ١٩٩/٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٤٥٦/١٨؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٠٦/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٨/١١.
[11] جميع النسخ: وإن.
[12] ر ن م: ينفع.
[13] ن: أمر ونهي.

وقوله: **اتق الله**، في ترك تبليغ الرسالة إليهم، **ولا تطع الكافرين والمنافقين**، في اتباع ما دعوك إليه وطلبوا منك أو في غيره. **إن الله كان عليمًا حكيمًا**، عليمًا[١] بما كان ويكون منهم، أي على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد عليك بعثك لا على جهل؛ حكيمًا في ذلك، أي بعثه إياك إليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرجه عن الحكمة، ليس كملوك الأرض، إذا أرسل بعضهم إلى بعض رسالات وهدايا على علم من المرسِل أن المبعوث إليه يردّ الرسالة والهدية يكون سفهًا، لأنهم إنما[٢] يبعثون ويرسلون لحاجة أنفسهم، أعني أنفسَ المرسِلين، فإذا أرسلوا على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك[٣] سفها[٤] خارجا عن الحكمة. فأما الله سبحانه إنما يرسل الرسل ويبعثهم لمنفعة أنفسهم وحاجتهم، فعلمه بالرد والتكذيب[٥] لا يخرجه عن الحكمة.

**﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٢]**

وقوله: **واتبع ما يوحى إليك من ربك**، هذا يحتمل الخصوص له[٦] على ما ذكرنا. ويحتمل العموم على ما ذَكَرَ[٧] في آية أخرى: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[٨] يدل على ذلك قوله: **إن الله كان بما تعملون خبيرًا**، خاطب به الكل -والله أعلم- وهو ما ذكرنا أنه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد.

**﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾[٣]**

وقوله: **وتوكل على الله**، أي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة ولا تَخَفْ أذاهم. **وكفى بالله وكيلًا**، أي حافظًا يحفظك ويمنعهم عنك، كقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٩]

---

[١] ن - عليما.
[٢] ر م - إنما.
[٣] ر م - ذلك.
[٤] ث + لأنهم إنما يبعثون ويرسلون لحاجة أنفسهم.
[٥] ن: بالتكذيب.
[٦] ن ث + به.
[٧] ر ث م: على ما ذكرنا.
[٨] سورة الأعراف، ٣/٧.
[٩] سورة المائدة، ٦٧/٥.

﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [٤]

وقوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، يقول بعض أهل التأويل:[١] إنها نزلت في رجل يقال له[٢] أبو مَعْمَر، وكان من أحفظ الناس وأوعاهم، فقالوا: إن له قلبين، قلب يسمع وقلب يحفظ ويعي، فنزل: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**. ويقول بعضهم كذلك: إنها نزلت في أبي مَعْمَر وكان يسمى ذا قلبين لحفظه الحديث، حتى إذا كان يومُ بدر وهُزم المشركون وفيهم أبو معمر، تلقّاه[٣] أبو سفيان بن حرب وهو معلِّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر[٤] ما فعل الناس؟ قال: انهزموا. فقال له: ما بال نعلك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شَعَرت إلا أنهما جميعًا في رجلي. فعرفوا بذلك أنه[٥] لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده.[٦] ونحوه قد قيل، ولكن لا ندري ما سبب نزول هذا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلّي يومًا فخَطَرَ خَطْرة -أي وقع في قلبه-[٧] فقال المنافقون الذين يصلّون معه: ألا يرى[٨] أن له قلبين، قلبًا معكم وقلبًا معهم، فأنزلت هذه الآية.[٩] وهذا يشبه أن يكون سبب نزول الآية. أو أن يكون نزولها[١٠] في المنافقين، وذلك أنهم كانوا يصلّون مع النبي والمؤمنين، ويُرُونَ الموافقة لهم من أنفسهم ويقولون: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ،[١١]

---

[١] ر م + كذلك.
[٢] ر م - له.
[٣] ر م: يلقاه؛ ن: فلقاه.
[٤] م: يا با معمر.
[٥] جميع النسخ: فعرفوا يومئذ أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢و.
[٦] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٤؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٢/٣٣٤؛ و*المستدرك* للحاكم، ٣/٣٣٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٧٢٠.
[٧] «صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا: إن له قلبين، ألم تسمعوا إلى قوله وكلامه في الصلاة؟ إن له قلبًا معكم وقلبًا مع أصحابه» (*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٧٢٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٢١/١٤٤).
[٨] ر ث م: ألا ترى.
[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٦٨؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٣٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٧؛ و*شرح مشكل الآثار* للطحاوي، ٨/٤٤٥.
[١٠] ر م: نزول؛ ن ث: نزوله.
[١١] سورة المنافقون، ٦٣/١.

ثم يرجعون إلى أولئك الكفرة[1] فيقولون: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ،[2] ونحوه، فنزل[3] هذا: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، أي دينين في جوفه: الإيمان والنفاق. أو، **قلبين في جوفه**، [٦٠١و] قلبًا لهذا وقلبًا للآخر. أو نزلت في المشركين الذين يقرّون بالوحدانية لله وأنه هو الخالق، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[4] ويعبدون الأصنام مع هذا. فيقول[5] -والله أعلم-: لم يجعل لرجل قلبين في جوفه، قلبًا لشرك وقلبًا للإيمان والتوحيد -أي قلبًا لقبول الشرك وقلبًا لقبول الإيمان- ولكن جعل قلبًا واحدًا لأحد هذين.[6]

وبعضهم يقول: هو على التمثيل، أي كما لم يجعل لرجل واحد قلبين فكذلك[7] المظاهِر[8] من امرأته لا تكون[9] امرأته[10] أمّه في الحرمة، ولا يكون دَعِيّ الرجل ابنه. [وبعضهم] يقول: نزل في النبي وزيد بن حارثة. كان النبي تبنّاه وكانوا[11] يسمّونه زيد بن محمد، فجاء النهي[12] عن ذلك، فقال: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، إلى هذا يذهب[13] عامة أهل التأويل.[14] وبعضهم يقول: تأويل قوله: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي لم يجعل لرجل نَسَبين ينسب إليهما.

---

[1] ر م - لكفرة.

[2] سورة البقرة، ٢/١٤.

[3] جميع لنسخ: فذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٠و.

[4] سورة لقمان، ٣١/٢٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/٣٨.

[5] ر ث م: فنقول.

[6] جميع النسخ: قلبا لشرك وقلبا للإيمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا [ن - قلبا واحدا] لأحد هذين أي قلبا لقبول الشرك وقلبا لقبول الإيمان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢و.

[7] جميع النسخ + لا يكون.

[8] ر: الظاهر.

[9] جميع النسخ: لا يكون.

[10] م - امرأته.

[11] ر ث ه: كانوا.

[12] ر: لنبي.

[13] ر ث ه: مذهب.

[14] وعبارة *الشرح* هكذا: «وقال بعضهم: هذا على التمثيل، أي كما لا يجعل لرجل واحد قلبان فكذلك لا تكون المرأة المظاهَر منها أمًّا للمظاهِر في الحرمة، ولا يكون دعي الرجل ابنه، وذلك قوله: ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾. إلى هذا ذهب عامة أهل التأويل أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة، كان النبي صلى الله عليه وسلم تبناه وكانوا يسمونه زيد بن محمد، فجاء النهي عن ذلك» (ورقة ٦٠٠و).

[٦٠٣ط س٢ * قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **أَدْعياءَكم**، من تبنّيتموه واتخذتموه[1] ولدًا[2] ما جعلهم[3] بمنزلة الصُّلب. وكانوا يورِّثون من أَدّعوه.[4] **ذلكم قولكم بأفواهكم**، أي[5] قولكم على التشبيه والمجاز ٦٠٣ظ س٤] ليس على التحقيق، **والله يقول الحق**.[6]*

وأصله عندنا أن قوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، ما ذكرنا. ولم يجعل أزواجكم اللائي تستمتعون[8] بهن بالتشبيه بالأمهات كالأمهات، أي لم يُحَلّ لكم ذلك ولم يُبح ولم يَشرعْ. **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي لم يجعل سبب ذلك ولم يشرع، وإن كان قد يكون في النسب الفاسد، نحو الجارية بين اثنين إذا ولدت فادّعياه جميعًا،[9] ونحو النكاح الفاسد والمُلْك الفاسد لم يَجعل كذا أي لم يُحِلّ ولم يَشرع، [و] كقوله: مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ،[10] أي لم يشرع ولم يحلّ[11] ذلك، وإن كان يكون لو فعلوا. فعلى ذلك قوله: **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم [وما جعل أدعياءكم أبناءكم]**،[12] أي لم يَشرع ذلك السبب ولم يُحِلّ[13] في الإسلام ما كان في الجاهلية، لا أنه لا يكون ذلك فيما لم يُشرع في الفاسد من السبب، على ما ذكرنا أن النسب ثبت في النكاح الفاسد وإن لم يُشرَع. والحسن يقول في قوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، قال: كان الرجل يقول: إن نفسًا تأمرني بكذا ونفسًا تأمرني بكذا، فنزل ذلك.[14]

---

[1] ر - واتخذتموه.
[2] ن: ولدا.
[3] ر م: جعلتم.
[4] جميع النسخ: من ادعوا. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
[5] جميع النسخ: ان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٢-٤.
[8] ر: تستمعون؛ ن: يستمتعون.
[9] «أرأيت أمة بين رجلين ولدت ولدًا فادّعياه جميعًا، أيثبت نسبه منهما؟ قال: نعم» (*كتاب الأصل* للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ٤/٣٠٠).
[10] ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).
[11] ن: لم يحل.
[12] الزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢ظ.
[13] جميع النسخ + ذلك.
[14] *تفسير عبد الرزاق*، ٣١/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٤٨/١٩؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١١٢/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٩/١١.

والحكمة فيما لم يَجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لأن الإدراك بالسمع والبصر إنما يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضًا، وما يدرك بالقلب[1] إنما يدرَك بالاجتهاد،[2] وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان في شيء، فيُنَاقِض أحدهما صاحبَه. إذ يجوز أن يرى أحدهما خلاف ما يراه الآخر. وأما السمعان والبصران لا يكون[3] كذلك، لذلك اختلفا.[4]

وقوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، جائز أن يكون سبب ذلك ما ذُكر من ادّعاء مسيلمةَ الكذّابِ الرسالةَ لنفسه وتواطئ[5] أصحابه على ذلك. يقول -والله أعلم-: ما جعل الله أن يرسل رجلين رسولاً إلى خلقه مُختلِفَيِ الدينَيْن متضادَّي الشرائع، يدعو كل واحد[6] إلى دينٍ غير دين[7] الآخر وإلى شريعةٍ يضادُّ بعضها بعضًا: محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسيلمة الكذاب.

وقوله: **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على النهي الذي ذكرنا، أي لا تشبهوا أزواجكم بظهور الأمهات ولا تحرموهن على أنفسكم كحرمة الأمهات، ولذلك قال: وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا.[8] والثاني أن لم يجعل الله لكم[9] أزواجكم حرامًا أبدًا كالأمهات وإن جعلتم أنتم، ولكن جعلهن لكم بحيث تَصِلون إليهن بالاستمتاع -على ما[10] [كنتم قبلُ] تصلون إليهن وتستمتعون بهن- بعد هذا القول. يذكر هذا على المنة والنعمة، يستأدِي[11] به شكره لما أبقى لهم الاستمتاع بهن[12] بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالأمهات على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] ن: القب.
[2] ن: لاجتهاد.
[3] ر: لا يموت؛ ن ث - يكون.
[4] ر م - لذلك ختلفا.
[5] ن ث: وتوطؤ.
[6] ن ث - واحد.
[7] ر ث م - دين.
[8] سورة المجادلة، ٢/٥٨.
[9] ن ث - لكم.
[10] ث - ما.
[11] ر ث م: لتأدى؛ ن: ليستأدي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢ظ
[12] ن ث: فيهن.

[٦٠٣ظ س٧ *و[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] **اللائي تظاهرون**، واللاتي بالتاء،[1] واحد. **والله أعلم**.*

وقوله: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي ما جعل أدعياءكم أبناءكم[3] في الحقوق إلى الآباء. وهو ما ذكر في بعض القصة أنه إذا[4] ادّعى الرجل[5] منهم [رجلاً][6] ورثه[7] مع أولاده، فهو شيء كانوا يفعلونه في الجاهلية،[8] [و]دُعي إليه ونُسب. يقول -والله أعلم-: ما جعل ما كنتم تَدْعون الأبناء في الجاهلية للعون والنصرة أبناءكم في الإسلام فيما جعلوا. والثاني **ما جعل أدعياءكم أبناءكم**، في حق النسبة، كما ذُكر أنهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة: زيد بن محمد. **ذلكم قولكم بأفواهكم**، إنما هو قول تقولونه بألسنتكم فيما بينكم، **والله يقول الحق**، إنهم ليسوا بأبنائكم.

أو إن قوله: **والله يقول الحق**، تأويله:

**﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٥]**

**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**، أعدل عند الله. أي انْسُبُوهم إليهم إن علمتموهم. **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**، قال بعض أهل التأويل: فانسبوهم إلى اسم[9] من أسماء مواليكم أو إخوانكم أو بني عمّكم،[10] مثل عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وأشباه هذه[11] الأسماء وأسماء مواليكم.[12] أو أن نقول[13] قوله: **فإخوانكم في الدين**، أي سَمُّوهم إخوانًا،

---

[1] ر م: مآضما؛ ث: بليء.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٧.

[3] م: وأبناءكم.

[4] ر: اذ ئكم.

[5] ن ث + الرجل.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٠ظ.

[7] جميع النسخ + منهم.

[8] «قال مجاهد: كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي ذا القوة والشرف فيقول: "أنا ابنك"، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابنًا أصبح أعز أهله» (*النكت والعيون* للماوردي، ٤/٣٧١).

[9] جميع النسخ: بيهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٣و.

[10] جميع النسخ: أو بنى عمكم. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ث م: ذلك.

[12] «أي قولوا فلان بن عبد الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠٠ظ).

[13] جميع النسخ: يقول.

وذلك أعظم في القلوب وآخذ من التسمية بالآباء والنسبة إليهم. وذلك أن الحاجة إلى معرفة الآباء والنسبة[1] إليهم إنما تكون عند الكتابة[2] والشهادة وعند الغيبة، فأما عند الحضرة فلا. وقوله: **ومواليكم**، قال بعضهم: نزل هذا في شأن زيد بن حارثة، وهو كان مولى رسول الله صلى الله [٦٠١ط] عليه وسلم وكانوا يسمّونه "زيد بن محمد" فنُهوا[3] عن ذلك، فيقول: **فإن لم تعلموا آباءهم**، فانسبوهم[4] إلى مواليهم.[5] وجائز أن يكون قوله: **ومواليكم**، من الوِلاية، كقوله:[6] وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[7] وقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.[8]

*و[قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:] قوله: **أقسط**، أعدل.[9]* [٦٠٣ظ س ٤]

وقوله: **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**، يقول -والله أعلم-: ليس عليكم جناح[10] بالنسبة إلى غير الآباء إذا كنتم مخطئين غير عارفين للآباء، وإنما الجناح[11] والحرج عليكم إذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم آباء. كأنه أباح التبنّي والتآخي[12] فيما بينهم ولم يبح النسبة إلى غير الآباء وإيجاب الحقوق فيما بينهم. وكذلك روي في بعض الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه[13] الباقي منهما دون عَصَبَتِه[14] وأهله، فكان الزبير أخا عبد الله بن مسعود، فمكثوا بذلك ما شاء الله أن يمكثوا حتى نزلت الآية: [وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ].[15] وقال بعضهم: **ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**،

[1] ن: والنسب.
[2] ر: إنما يكون عند الكناية؛ م: إنما يكون عند الكتابة.
[3] ن: ونهوا.
[4] ن: فانسبو.
[5] أي قولوا: "فلان مولى فلان".
[6] ر ث م: وكقوله.
[7] سورة التوبة، ٧١/٩.
[8] سورة الحجرات، ١٠/٤٩.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٤-٥.
[10] ث - جناح.
[11] ر ث م: إنما الجناح.
[12] جميع النسخ: والتواخي.
[13] ر: ورثة.
[14] ر: عصبة.
[15] الآية التالية. *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣٨/٣؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣١٩/٦. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٧/١٩-١٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١٢٠/١١.

يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك. **ولكن ما تعمدت قلوبكم**، يقول: لا تدعوه لغير أبيه متعمدًا، فأما[1] الخطأ[2] فإن[3] الله يقول: لا يؤاخذكم به ولكن ما أردت[4] به العمد. وهو مثل الأول.

وذكر أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللّهمّ اغفر لي خطاياي،[5] فقال له عمر: "استغفر الله للعمد،[6] فأما الخطأ فقد تجوّز لك عنه". وكان يقول: "ما أخاف عليكم الخطأ ولكن أخاف عليكم العمد، وما أخاف عليكم العَيْلة[7] ولكن أخاف عليكم التكاثر، وما أخاف عليكم أن تَزْدَرُوا أعمالكم ولكن أخاف عليكم أن تستكثروها".[8] وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ذلك.[9]* وذكر أن ثلاثًا لا يهلك[10] عليها ابن آدم: الخطأ والنسيان والاستكراه.[11] وقال بعضهم: الخطأ هاهنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد، والعمد ما يجري على قصد، وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله:[13] **وكان الله غفورًا رحيمًا**، [أي غفورًا][14] لما فعلوا.

---

[1] ر: فأنزل؛ ث: فإن.

[2] ن ث + ما قال.

[3] ر - فأما الخطأ فإن.

[4] ث: أردف.

[5] جميع النسخ: خطاي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٠ظ.

[6] ر ث م: العمد؛ ن - وهو مثل الأول وذكر أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال له عمر استغفر الله للعمد.

[7] جميع النسخ: العيبة. والتصحيح من مصادر الرواية.

[8] ن: أن يستكثروها. *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣١؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٢٢٣. وروي أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٠٨).

[9] «قال عبد الله: إني لا أخاف عليكم في الخطأ ولكني أخاف عليكم في العمد، إني لا أخاف عليكم أن تستقلّوا أعمالكم ولكني أخاف عليكم أن تستكثروها» (*مصنف ابن أبي شيبة*، ١٩/١٦٤).

* ورد في جميع النسخ قوله: "وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ذلك" بعد قوله: "وذكر أن ثلاثا لا يملك عليها ابن آدم الخطأ والنسيان والاستكراه".

[10] جميع النسخ: لا يملك. والتصحيح من مصدر الرواية.

[11] «قال قتادة: ثلاث لا يهلك عليهن ابن آدم: الخطأ، والنسيان، وما أُكره عليه» (*تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣١). وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله وضع عن أُمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه». *سنن ابن ماجه*، الطلاق ١٦؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ١/٤٣٣-٤٣٤.

[13] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٣ظ.

[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١و.

**﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٦]**

وقوله: **النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**، قال بعضهم: **النبي أولى** بهم من بعضهم ببعض، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[١] أي لا يقتلْ[٢] بعضكم بعضًا؛ إذ لا أحد يقتل نفسه [مع قيام عقله]،[٣] وكقوله[٤] فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[٥] أي يسلّم بعضكم على بعض ليس أنه يسلّم الرجل على نفسه، ولكن ما ذكرنا.[٦] فعلى ذلك قوله: **النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**، أي بعضهم من بعض. ثم يحتمل هو أولى بهم من أنفسهم في الطاعة[٧] له والاحترام[٨] له والتعظيم، أي هو أولى أن يُعظّم ويُحترم[٩] ويُطاع من غيره. أو أن يكون أولى بهم في الرحمة والشفقة لهم، أي أرحمُ بهم وأشفقُ[١٠] من أنفسهم؛ وهو على[١١] ما وصفه من الرحمة والرأفة[١٢] حيث قال: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ،[١٣] وليس أحد من الناس يَعِزّ عليه ما يفعله [الآخر] من المآثم [كما يعز على النبي]. أو أن يكون[١٤] أولى بهم، أي أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم محبّة الاختيار والإيثار، ليست[١٥] محبة الميل -ميل القلب- لأن ميل القلب يكون بالطبع. وذكر في الخبر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[١٦]

---

[١] سورة النساء، ٤/٢٩.
[٢] جميع النسخ: لا تقتل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٧٠٤و.
[٣] الزيادة من المرجع السابق.
[٤] ر م – وكقوله.
[٥] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلّموا على أنفسكم تحيّةً من عند الله مباركةً طيبةً﴾ (سورة النور، ٢٤/٦١).
[٦] م: ذكر.
[٧] جميع النسخ: من الطاعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠١و.
[٨] ث: والاحتمام، صح هـ.
[٩] ث: ويحترم.
[١٠] ث – وأشفق.
[١١] ث – على.
[١٢] ن: من الرحمة والرحمة.
[١٣] سورة التوبة، ٩/١٢٨.
[١٤] جميع النسخ: أو أن يجوز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤و.
[١٥] ن: ليس.
[١٦] ن – قال.

«ليس [أحدكم] بمؤمن حتى أكون[1] أحبَّ إليه من نفسه وولده وأهله»، أو كلام نحو هذا.[2] أو أن يكون أولى بهم في الآخرة بالشفاعة لهم، يشفع لهم فينجون[3] من النار به لا بأعمالهم. *والله أعلم*. وذكر في بعض الحروف: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم"، وهو حرف أُبَيّ وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.[4] وقوله:[5] وهو أب لهم، في الرحمة والشفقة، أو فيما يلزم من الطاعة له[6] والتعظيم والاحترام ونحوه.

وقوله: **وأزواجُه أمهاتهم**، قال أهل التأويل: **وأزواجه أمهاتهم**، في الحرمة، أي لا يحل لهم أن يتزوّجوهن أبدًا كالأمهات. ولكن يجب[7] أن يكون ذلك بعد وفاته، فأما في حياته إذا طلّقهن فيجيء[8] أن يَحِلِلْن لغيره، لأنه قال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،[9] الآية، ولو لم يحللن لغيره لم يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى. وهذه[10] الحرمة يجب[11] أن تكون[12] بعد الموت، وهو ما قال:[13] وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا،[14] إنما شَرطَ هذا بعده ليكنّ أزواجه في الآخرة. أو أن يكون قوله: **وأزواجه أمهاتهم**،[15]

---

[1] جميع النسخ + أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤و.

[2] «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٨؛ وصحيح مسلم، الإيمان ٦٩، ٧٠). «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٣/٤).

[3] ر: فيجوز.

[4] *تفسير عبد الرزاق*، ٣٢/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٦/١٩؛ و*المستدرك للحاكم*، ٤٨٨/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ١١٩/١١؛ و*الدر المنثور للسيوطي*، ٧٢٩/١١. وهي قراءة شاذة.

[5] ر ث م: قوله.

[6] ث م – له.

[7] ن ث: يجيء.

[8] ر م: فيجب.

[9] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أُمَتِّعْكُنّ وأُسرِّحْكُنّ سراحًا جميلاً﴾ (سورة الأحزاب، ٢٨/٣٣).

[10] ن ث: بهذه.

[11] ن ث: يجيء.

[12] جميع النسخ: أن يكون.

[13] ث: وهو قوله.

[14] ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣).

[15] ث: أمهاتكم.

أي حرمةُ أزواجه[1] ومنزلتهن كمنزلة أمهاتهم،[2] يستوجبن ذلك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته قِبَلَهم. وأما الباطنية فإنهم يقولون: "في قوله: **وأزواجه أمهاتهم.**[3] دلالة[4] أنه[5] ليس يريد به أزواج النبي، ألا ترى أنه يحلّ للناس نكاح أولادهن، ولو كن أمهاتٍ لم تحلّ[6] لأنهم يصيرون إخوة وأخوات، فإذا[7] حلّ ذلك دلّ أنه ما ذكرنا." هذا قولهم، لكن الجواب لذلك ما ذكرنا أنه جائز أنه سمّاهن أمهات، أي منزلتهن وحرمتهن كمنزلة الأمهات لحرمة رسول الله ومنزلته. وذلك جائز لأنه[8] ذكر الشهداء أحياءً عنده[9] وإن كانوا في الحقيقة موتى، لفضل الكرامة لهم والمنزلة[10] عند الله، فعلى ذلك / ذِكر الأمهات لأزواجه ما ذكرنا. [٦٠٢و]
*والله أعلم.*

وقوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**، قال بعضهم: **في كتاب الله**،[11] في حكم الله، كقوله: كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[12] أي حكم الله عليكم. وقال بعضهم: **في كتاب الله**، فيما أنزل من الكتاب، وهو الذي ذلك،[13] وكذلك قوله:[14] كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[15] إلى آخر ما ذكر، المكتوب عليهم الذي ذكر على إثره.

---

[1] ر م + من بعده أبدا بما شرط هذا بعده ليكن أزواجه في الآخرة.
[2] ن: أمهاتهن؛ ث: أمهاتكم.
[3] ن ث - أمهاتهم.
[4] ن: دلالاته.
[5] ن ث - أنه.
[6] ن: لم يحل؛ ث: و م يحل.
[7] ن ث: فإذ.
[8] ن ث: أنه.
[9] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩).
[10] ث: الكرامة و لمنزلة لهم.
[11] ن ث - قال بعضهم في كتاب الله.
[12] ﴿والمحصنتُ من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ (سورة النساء، ٤/٢٤).
[13] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: ﴿في كتاب الله﴾ أي فيما أنزل من كتاب الله، وهو الذي ذكر على إثره» (ورقة ٦٠١و).
[14] ر ث م - قوله.
[15] ن + هذا. سورة البقرة، ٢/١٨٠.

ثم اختلف في تأويل قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**، قال بعضهم: إن المواريث في بدء الأمر لم تكن[1] تجري إلا فيما بين المؤمنين المهاجرين من القَرَابات والأرحام. فإن كان مؤمنًا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا أباه ولا أخاه المهاجر ولا سائر قراباته إذا مات أحدهما إلا أن يكونوا[2] مؤمنين مهاجرين، فعند ذلك يتوارثون. فعلى ذلك التأويل يكون[3] تأويل قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**، أي أوليائكم[4] الذين لم يهاجروا من المؤمنين أن توصوا لهم شيئًا. فيقول قائل هذا التأويل: إن هذا نُسخ بالآية التي ذكرت[5] في سورة[6] الأنفال، وهو قوله: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[7] الآية، ولم يذكر فيه الهجرة إذا كانوا[8] مسلمين. وأما الكافر فإنه لا يرث المسلم، وعلى ذلك روي في الخبر أنه قال: «لا يرث المسلمُ الكافر ولا الكافر المسلم»،[9] وقال: «لا يتوارث أهل ملتين».[10] وقال بعضهم: تأويل قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**، من الأقربين منهم، أي أولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين الأقربُ فالأقرب منهم، **بعضهم أولى ببعض**، من الأبعدين في المواريث، أي الأقرب منهم بعضهم أولى ببعض من الأبعدين. **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**. على هذا التأويل يكون قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم**، الأبعدين، **معروفًا**، وصيةً أو شيئًا[11] فذلك معروف، فصارت المواريث للقرابات الأدنى فالأدنى من المؤمنين دون الأبعدين. فتكون[12] الآية التي في الأنفال وهذه سواءً على هذا التأويل:[13] يكون الأقرب فالأقرب والأدنى[14] فالأدنى أولى بالمواريث من غيرهم.

---

[1] ن: لم يكن.
[2] ن ث م: أن يكونا.
[3] ر م: تكون.
[4] جميع النسخ - معروف أي أوليائكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ.
[5] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ.
[6] ن - سورة.
[7] ﴿والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة الأنفال، ٧٥/٨).
[8] ن ث + فيه.
[9] صحيح *البخاري*، الفرائض ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الفرائض ١.
[10] سنن *أبي داود*، الفرائض ١٠؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ١٦.
[11] جميع النسخ: أو شيء.
[12] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[13] ر م + بل.
[14] ن: دون الأدنى.

وبعضهم يقول: إن الآية نزلت ناسخة لما كان منهم[1] من التوارث بالمؤاخاة، لأن النبي كان يؤاخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته،[2] حتى نُسخ ذلك بالآية التي[3] ذكرت.[4] فعلى ذلك يكون قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**، هو أن يصنعوا إلى الذين[5] آخى بينهم النبي معروفًا.

ثم اختلف في أولي الأرحام المذكورين[6] في الآية، قال بعضهم: هم الذين ذكرهم في قوله: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[7] إلى آخر ما ذكر. وقال بعضهم: ليسوا هم، وإنما الذي ذُكر في ذلك هم الذين يُبيّن لهم حدّ مواريثهم، فأما غيرهم فإنما هم في قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، فإنما يرث الأقرب فالأقربُ منهم. وكذلك يقول أبو حنيفة رحمه الله: إن أولي الأرحام إنما يرث الأقرب فالأقربُ منهم، ليس كالعصبات؛ لأن البنت[8] لا شك أنها أقرب من ابن العم، ثم يكون النصف لبنت[9] والبقيّة لابن العم.[10]

وقوله: **كان ذلك في الكتاب مسطورًا**، قال بعضهم: في اللوح المحفوظ بأن المؤمنين بعضهم[11] أولى ببعض في المواريث من الذين كانوا يتوارثون. وقال بعضهم: قوله:[12] **في الكتاب**، أي في التوراة مكتوبًا أن يصنع بنو[13] إسرائيل إلى بني لُوَيّ بن[14] يعقوب معروفًا ليعود الغني على الفقير.[15] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: بينهم.
[2] ر م: عصبة.
[3] م – التي.
[4] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ. انظر: *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٣٨؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٦/٣١٩. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١٧-١٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١١/١٢٠.
[5] ن ث: لذي.
[6] ث: المذكور.
[7] سورة النساء، ٤/١١.
[8] ر ث م: الابنة.
[9] ر ث م: للابنة.
[10] ث – لابن العم.
[11] م – بعضهم.
[12] ر م – قوله.
[13] ر ث: سوا.
[14] ر: س.
[15] ن: الفقر. *النكت والعيون* للماوردي، ٤/٣٧٦.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[٧]

وقوله: **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا**، قال بعضهم: خصّ هؤلاء لأن أهل الشرع من الرسل هم هؤلاء، كقوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا،[١] الآية. لكنه قد ذكر في آية أخرى ما يدلّ أن غير هؤلاء كان لهم أيضًا[٢] شرع، كقوله: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ،[٣] الآية. وجائز أن يكون تخصيص هؤلاء بأخذ الميثاق لأنهم هم أولو العزم من الرسل، حيث قال: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٤] أو يكون لا على التخصيص لمن ذكر ولكن على إرادة الكل. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في أخذ الميثاق، قال بعضهم: أخذ ميثاقهم على أن يبشّر بعضهم ببعض، يبشر نوح بإبراهيم وإبراهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلاة والسلام. وقال بعضهم: أخذ ميثاقهم ليصدّق بعضهم بعضًا، وأن يدعوا[٥] إلى عبادة الله وأن يَنْصَحوا لقومهم. وجائز أن يكون ما ذكر من أخذ الميثاق منهم لِما ذكر على إثره، لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ،[٦] أخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة إلى قومهم ليسألهم عن صدقهم أنهم قد بلّغوا. **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**، لأن تبليغ الرسالة إلى الفراعنة منهم وأعداء الله[٧] صعب، شديد مخاطره،[٨] فيه هلاك النفس وفوات الروح، وهو ما قال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ / رَبِّكَ،[٩] الآية. [٦٠٢ظ]

---

[١] ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (سورة الشورى، ١٣/٤٢).

[٢] ث – أيضا.

[٣] ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورًا﴾ (سورة النساء، ١٦٣/٤).

[٤] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[٥] ر ن م: وأن يدعو.

[٦] الآية التالية.

[٧] ر: لله.

[٨] ر ث م: محضرة.

[٩] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

**﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٨]**

وقوله: **ليسأل الصادقين عن صدقهم**. الصدق أكثره إنما يقع[١] في الأنباء والأحبار، كقوله: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ،[٢] وهو ما أخبرهم وأنبأهم من القرآن وغيره؛ وقال في آية أخرى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[٣] صدقًا في نبإه وعدلاً في حكمه. ثم لصدقه[٤] في النبأ وعدله في الحكم سَمَّي[٥] القرآن مرة صدقًا ومرة عدلاً ومرة حقًّا؛[٦] فالحق يجمع الأمرين: النبأ والحكم جميعًا، والصدق يكون في النبأ خاصة، والعدل في الحكم.[٧]

ثم يحتمل سؤاله الصادقين –وهم الرسل– عن صدقهم وجهين. أحدهما يسألهم عن تبليغ ما أمرهم بالتبليغ إلى قومهم، وعن إنباء ما ولّاهم [من][٨] الإنباء أن يُنبئوا[٩] أولئك: هل بلّغتم وهل أنبأتم[١٠] أولئك؟ والثاني يسألهم عن إجابة أولئك لهم: هل أجابوكم إلى ما دعوتم؟ لأن منهم من أجابهم وصدّقهم، ومنهم من لم يجب ولم يصدّق. فيخرج السؤال عمن أجاب على التقرير، ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ. وهو يسأل الفريقين جميعًا: الرسل عن التبليغ والمرسلَ إليهم عن الإجابة، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[١١] ***والله أعلم.***

**وأعَدّ للكافرين منهم عذابًا أليمًا**، بتركهم الإجابة والتصديق. ***والله أعلم.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٩]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها**، كأنه يقول –والله أعلم–: اشكروا ما أنعم الله عليكم[١٢] وأحسنوا

---

[١] ر م: ينفع.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣٣.
[٣] سورة الأنعام، ٦/١١٥.
[٤] جميع النسخ: صدقه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[٥] ر: يسمى.
[٦] انظر مثلاً: سورة السجدة، ٣٢/٣.
[٧] ر ث م: والحكم في العدل.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[٩] ر ث م: أن يبينوا.
[١٠] ن: وأنبأتم.
[١١] سورة الأعراف، ٧/٦.
[١٢] ن – إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها كأنه يقول والله أعلم اشكروا ما أنعم الله عليكم.

صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم. ثم في الأمر بذكر[١] ما أنعم عليهم وجوه من الحكمة والدلالة. أحدها تذكير لنا في مُقاساة أولئك السلف والصحابة[٢] في الدين وعظيم ما امتُحنوا في أمر الدين حتى بلّغوا الدين إلينا لكيلا نضيعه نحن، بل يَلزمنا أن نحفظه[٣] ونتمسك به ونتحمّل فيه كما تحمّل أولئك. والثاني فيه آية لهم، وذلك أنهم كانوا جميعًا -هم وأعداؤهم- فجاءتهم الريح والملائكة فأهلكتهم دون المؤمنين؛ وقال رسول الله[٤] صلى الله عليه وسلم: «نُصِرتُ بالصَّبَا وأُهلِكتْ[٥] عاد بالدَّبُور»،[٦] وذلك آية عظيمة. والثالث يذكّرهم ما آتاهم[٧] من الغوث عند إياسهم من أنفسهم وإشرافهم[٨] على الهلاك وخروج أنفسهم من أيديهم، لأن العدوّ قد أحاطوا بهم، حيث قال: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وبلغ أمرهم وحالهم ما ذُكر، حيث قال: وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ،[٩] الآية. أو أن يذكّر لما كان منهم من العهد والميثاق أن لا يولُّوا الأدبار ولا يَهربوا، كقوله: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ،[١٠] الآية. يذكّرهم عظيم نعمه التي كانت عليهم في النصر لهم على عدوّهم والدفع عنهم، وحالهم ما ذكر في الآية. وذلك كان يومَ الخَنْدَقِ تحزبوا [على][١١] المؤمنين في ثلاثة أمكنة يقاتلونهم من كل وجه شهرًا، فبعث الله عليهم بالليل ريحًا باردة وبعث الملائكة فغبتهم. ***والله أعلم.***

وقوله: **وكان الله بما تعملون بصيرًا**، يذكر أنه[١٢] لا عن غفلة وسهو ترَكَكم هنالك حتى أحاط بكم العدوّ، ولكن أراد أن يمتحنكم محنة عظيمة. أو يقول: إنه بصير بما عملتم[١٣] فيجزيكم جزاءَ عملكم وصبرِكم على ذلك. ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ: ثم الأمر في تذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثلث، ورقة ٢٥٥ظ.
[٢] ر ن ت: وأصحابه؛ م: في أصحابه. والتصحيح من المرجع لسابق.
[٣] ن: يحفظه.
[٤] ن: وقال النبي.
[٥] جميع النسخ: وأهلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.
[٧] ر: ما اتيهم.
[٨] جميع النسخ: وشرفهم.
[٩] الآية التالية.
[١٠] الآية ١٥ من هذه السورة.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[١٢] ن: عنه.
[١٣] ر م: إنه بصير عليم.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾[١٠]

وقوله: **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم**، قال بعضهم: من فوق الوادي ومن أسفل منه. وقيل: أحاطوا بهم من النواحي جميعًا. وجائز أن يكون ذلك كناية عن الخوف، أي أحاط[وا] بهم حتى خافوا على أنفسهم الهلاك. وعلى ذلك يخرج قوله: **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر**. عن[١] ابن عباس رضي الله عنهما [أنه][٢] قال: هذا وصف المنافقين: **زاغت الأبصار**،[٣] أي شَخَصت، **وبلغت القلوب الحناجر**، لشدة خوفهم، كقوله: أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[٤] وأمثال هذا؛ قد وصفهم في غير آي من القرآن بما[٥] وصف هاهنا، وهذا يشبه أن يكون. وقال بعضهم: هذا وصف حال المؤمنين شَخَصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لَمّا اشتدّ بهم الخوف لِما أحاطوا بهم من فوقٍ ومن أسفلَ. ثم جائز أن يكون ذلك على التمثيل، أي كادت أن تكون[٦] هكذا. وجائز أن يكون على التحقيق، وهو[٧] أن تزول عن أمكنتها وبلغت ما ذكر. *والله أعلم*. *[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] **وإذ زاغت [الأبصار]**، عَدَلت ومالت. [٦٠٣ظ س٥ **وبلغت القلوب الحناجر**، أي كادت تبلُغ الحُلوقَ[٨] من الخوف.[٩] والحناجر جماعة الحَنْجرة وهي المذبح.* ٦٠٣ظ س٦]

وقوله: **وتظنون بالله الظنونا**، قال[١٠] بعضهم: ظن ناس من المنافقين ظنونًا مختلفةً، يقولون: هلك محمد وأصحابه، ونحوه من الظنون الفاسدة السوء، وكقوله: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا،[١١] ونحوه.

---

[١] ر ن ث: وعن.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[٣] ث – وبلغت لقلوب الحناجر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا وصف المنافقين زاغت الأبصار.
[٤] الآية ١٩ من هذه السورة.
[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[٦] جميع النسخ: أن يكون.
[٧] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: الحلقوم.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٥-٦.
[١٠] م: وقال.
[١١] الآية ١٢ من هذه السورة.

وجائز أن يكون ذلك[1] الظن من المؤمنين، ظنوا بالله ظنونًا لتقصير أو لتفريط كان[2] منهم، نحوَ قوله: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ،[3] وكقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ،[4] الآية.

**﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[١١]**

ثم قال: **هنالك ابتلِيَ المؤمنون**، بالقتال وأنواع الشدائد، **وزُلزلوا زِلزالاً شديدًا**، قيل:
[٦٠٣ظ س٦] جُهدوا جَهْدًا شديدًا، وقيل: حُرِّكوا تحريكًا شديدًا. *و[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] قوله: **وزلزلوا**،
[٦٠٣ظ س٧] أي شُدِّد عليهم وهُوِّل.[5] والزَلَازِل[6] الشدائد، وأصلها من التحريك.[7]*

**﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[١٢]**

[٦٠٣و] وقوله: **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، يحتمل / أن يكون قوله: **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، هما واحد، وهم المنافقون. وجائز أن يكون المنافقون هم الذين أضمروا الخلاف له وأظهروا الوِفاق، على إبانة الحق لهم[9] وظهوره، **والذين في قلوبهم مرض**، هم الذين كانوا مُرتابين في ذلك، لم يتبين[10] لهم ذلك ولم يَنْجَلِ. قالوا:[11] **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا**، قال عامة أهل التأويل: الذي وعد لهم هو[12] فتوح البلدان، قالوا ذلك[13] لمّا أحاط بهم -أعني بالمؤمنين- الكفارُ، قال ذلك المنافقون. *والله أعلم*.[14]

---

[1] ن - ذلك.
[2] ر: أو تفريط كان؛ ث م: أو لتفريط وكان.
[3] سورة التوبة، ٢٥/٩.
[4] ﴿إن الذين تولّوا منكم يومَ التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ١٥٥/٣).
[5] جميع النسخ: أي شددوا عليهم وهولوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٧ظ.
[6] جميع النسخ: والزلزل. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٦-٧.
[9] ث - هم.
[10] ر م: لم يبين.
[11] ر ن م + هذا.
[12] ر ث م - هو.
[13] ر ث م - ذلك.
[14] ر ث م - والله أعلم.

**﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[١٣]**

وقوله: **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب**، قيل: يثرب المدينة، ويقال: **يا أهل يثرب**، يا أهل المدينة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال للمدينة "يثربُ" فيستغفر الله ثلاثا، هي طابة[١] هي طابة».[٢] ثم قال بعضهم: إن قوله: **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا**، إنما قاله أهل النفاق لبعضهم: لا مُقام لكم فارجعوا. ثم يحتمل قوله: **لا مُقام لكم**، وجهين. أحدهما ما قالوا [في قوله]: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، من الفتح والنصر، إِلَّا غُرُورًا.[٣] والثاني، **لا مُقام لكم فارجعوا**، لما لم يقع عندهم أنهم يَصلون إلى ما كانوا يطمعون ويَأمُلون،[٤] لأنهم كانوا يخرجون رغبةً في الأموال وطمعًا فيها، وهو ما وصفهم: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[٥] الآية. وجائز أن يكون هذا القول من المؤمنين لأهل النفاق،[٦] فإن كان من المؤمنين لأولئك[٧] فالوجه فيه أنهم أرادوا أن يَطْرُدوهم لِفَشَلهم ولجُبنهم، لئلا يَهْزِموا جنودَ المؤمنين بانهزامهم؛ لأنهم قوم همتهم الانهزام، فإذا انهزموا هم انهزم غيرهم. فالمعنى إذا كان ذلك القول[٨] من المؤمنين هم [فهو] غيرُ المعنى إذا كان [من][٩] أهل[١٠] النفاق بعضِهم لبعض. *والله أعلم*.

[٦٠٤ظ س ٢٧] *وقوله: "لا مَقام لكم"، بنصب الميم، لا يكون إلا من القيام، و **لا مُقام لكم**، برفع الميم، يكون من الإقامة، وهو قول أبي[١١] عَوْسَجَة. وأبو[١٢] عبيدة يقول: لا مَقام لكم، أي ليس لكم مقام تقومون فيه،

---

[١] ث: طايفه.

[٢] ن ث + هي طابة. مصنف عبد الرزاق، ٩/٢٦٧-٢٦٨؛ ومسند أحمد بن حنبل، ٢٨٥/٤؛ ومسند الرُّوياني، ٢٤٠/١.

[٣] الآية السابقة.

[٤] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «والثاني إنما قالوا ﴿لا مقام لكم فارجعوا﴾ لما تحقق عندهم أنهم لا يصلون إلى ما كانوا يطمعون ويأملون» (شرح التأويلات، ورقة ٦٠٢و).

[٥] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

[٦] ر + فإن كان من المؤمنين لأهل النفاق.

[٧] م: لأهل النفاق.

[٨] ر ث – القول؛ م – ذلك القول.

[٩] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٢و.

[١٠] ن ث: لأهل.

[١١] ر: أبو.

[١٢] ن: وأبي.

و **لا مُقام لكم.**[1] أي لا إقامة لكم.[2] وقال أبو عَوْسَجة: المَقامة المجلس، ومقامات جمع، والمَقام[3]
٦٠٤ظ س٣٠] موضع القدمين، والمُقام الموضع الذي يقيم فيه الرجل.*

وقوله: **ويستأذن فريق منهم النبي**، بالرجوع إلى المدينة، كقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ.[5] وقوله: **يقولون إن بيوتنا عورة**، قال بعض أهل التأويل: **بيوتنا عورة**، خالية من الناس ليس فيها أحد، فنخاف السَّرِقَة[6] عليها والأخذ والمكابرة. ويحتمل أن يكونوا أرادوا بالعورة دخول العدوّ عليها إذا كانوا هم في الجند،[7] أي يدخل علينا مكروهٌ مما يُحزننا[8] ويَهُمّنا، أو كلام نحو هذا.[9] فأكذبهم الله في قولهم وقال: **وما هي بعورة**، بل الله يحفظها على ما وعد حتى لا يدخل عليهم مكروه مما[10] يخافون ولا يصيبهم. وقوله: **إن يريدون**، أي ما يريدون، **إلا فرارًا**، من القتال.

[٦٠٤ظ س١٧ *وقال القُتَبي: قوله:[11] **إن بيوتنا عورة**، أي خالية. وأصل العورة ما ذهب عنه السِّتر والحفظ فكأن الرجال سِترٌ وحفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أعْوَرت[12] البيوت. تقول العرب: أعْوَرَ منزِلُك،[13] أي ذهب ستره، أو سقط جداره. وأعْوَرَ الفارسُ، إذا بدا فيه موضعُ خللٍ لضرب بالسيف.
٦٠٤ظ س٢٠] يقول الله تعالى: **وما هي بعورة**، لأن الله تعالى حافظها، ولكن يريدون الفرار.[14]*

[٦٠٤ظ س٢٢] *وقال أبو عَوْسَجة: قوله:[16] **إن بيوتنا عورة**، من ناحية العدوّ، والعورة[17] الموضع الذي يخاف منه.*

---

[1] جميع النسخ - لكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦١و.
[2] «﴿لا مَقام لكم﴾ مفتوحة الأول، ومجازها: لا مكان لكم تقومون فيه» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/١٣٤).
[3] ر ث م: المُقام.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٧-٣٠.
[5] سورة التوبة، ٩/٤٥.
[6] جميع النسخ: السرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[7] جميع النسخ + العورة.
[8] جميع النسخ: ما يحزننا.
[9] ث: أو كلام نحوا.
[10] جميع لنسخ: لما. وعبارة *الشرح* هكذا: «حتى لا يدخل عليهم ما يخافون ولا يصيبهم» (ورقة ٦٠٢و).
[11] ن - قوله.
[12] ث: عورت.
[13] جميع النسخ: منزل. ولتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠ظ.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨-٣٤٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٧-٢٠.
[16] جميع النسخ: قولهم.
[17] ر م: العورة.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٢-٢٣.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾[١٤]

وقوله: **ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما، أي لو دخلوا عليهم من أطراف المدينة ونواحيها ثم دُعوا إلى الشرك لَأَجابوهم، **وما تلبثوا بها إلا يسيرًا**، أي لم يمتنعوا عن إجابتهم بل لأجابوهم[١] به كما دُعوا. وقال بعضهم: إنهم لو كانوا في بيوتهم فدخلوا عليهم من نواحيها ثم سئلوا الأموال وما تحويه أيديهم، **لآتوها**، أي لأعطوها. **وما تلبّثوا بها إلا يسيرًا**، يخبر عن نفاقهم وخلافهم لهم[٢] في السرّ أنهم يعطون لأولئك ما يريدون من الأموال أو الدين ويوافقونهم ولا يوافقونكم ألبتة. *والله أعلم*.

[٦٠٤ظ س ٢٠ *و[قال القُتَبِي:] قوله: **ولو دُخلت عليهم من أقطارها**، أي من جوانبها، **ثم سُئِلوا الفتنة**، أي الكفرَ، **لآتوها**، أي أعطَوْها من أراده، **وما تلبّثوا بها إلا يسيرًا**، أي بالمدينة. ومن قرأها: "لَأَتوها"، بغير مدّ،[٣] أراد: لصاروا إليها.[٤]* ٦٠٤ظ س ٢٢]

[٦٠٤ظ س ٢٣ *و[قال أبو عَوْسَجَة:] قوله: **من أقطارها**، أي من نواحيها، والواحد[٦] قُطْر. **ثم سُئلوا الفتنة**، أي عُرضت عليهم، وهو الكفر.* ٦٠٤ظ س ٢٤]

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا﴾[١٥]

وقوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يُوَلُّون الأدبار**، قال[٨] بعضهم: كان أناس غابوا عن[٩] وقعة بدر وما أعطى الله أصحاب بدر من الفضيلة و الكرامة، فقالوا: لئن شهدنا قتالًا لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.[١٠] وقال بعضهم: قوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار**، وذلك أنهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم بمكة على العَقَبة بِمِنًى،[١١]

---

[١] ث: أجابوهم.
[٢] جميع النسخ: له.
[٣] «قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير ﴿لَأَتوها﴾ مقصورة الألف، وقرأ الباقون ﴿لآتوها﴾ ممدودة الألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٦).
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٠-٢٢.
[٦] جميع النسخ: الواحد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٣-٢٤.
[٨] ر ن م: وقال.
[٩] ث – عن.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٤٧/١٩؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣٣٣/٦.
[١١] ر ث هـ: بمنا؛ ن: يمينا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢ظ.

واشترط عليهم لربه[1] ولنفسه؛ أما لربه أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئًا، واشترط لنفسه أن ينصروه ويعزّزوه ويعينوه وأن يمنعوه مما[2] يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأولادهم. فقالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبيّ الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة[3] في الآخرة». قالوا: قد فعلنا.[4] فذلك قوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل**، ليلة العقبة حين شرطوا النبي المَعَة، أن لا يولوا الأدبار منهزمين. **وكان عهد الله مسئولاً**، أي يسأل من نقض العهدَ في الآخرة ومن وفَى.[5] وجائز أن يكون قوله: **وكان عهد الله مسئولاً**، مجزيًا نقضًا كان[6] أو وفاءً يُجْزَون على وفاء العهد ونقضِه.

**﴿قُل لَن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[١٦]

وقوله: **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل**، قال أهل التأويل: إن قضى عليكم الموت أو القتل فلن ينفعكم الفرار. وقال بعضهم: إن جعل القضاء[7] آجالكم الموت أو القتلَ لن ينفعكم الفرار بل ينقضي. وأصله إن كان المكتوب عليكم الموت أو القتل لن ينفعكم الفرار منه،[8] بل يأتي لا مَحالة، كقوله: لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[9] الآية، أي لا محالةَ المكتوبُ عليهم القتلُ وإن كانوا في بيوتهم لبرزوا[10] فيُقتلون.

[٦٠٣ظ] **وإذًا لا تُمَتَّعون / إلا قليلاً**، قال بعضهم: إنما الدنيا قبيل إلى آجالكم. وجائز أن يكون معناه ولَئِن نفعكم[11] الفرار عنه لا تُمتعون إلا قليلاً، كقوله: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ،[12] الآية.*

---

[1] جميع النسخ: وبربه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢ظ.
[2] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٧ظ.
[3] ر م: لجنة.
[4] ر م: وفاه. *تفسير الطبري*، ٢٢/٦٢٠.
[5] ر م: وفاه. *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٩.
[6] ر ث م – كان.
[7] ر م: القضاء.
[8] ث: عنه.
[9] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.
[10] ث – لبرزوا.
[11] ر: ولن تنفعكم.
[12] ﴿...ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٥-٢٠٧).
* وقعت هنا مقاطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٤ ورقم ٥ ورقم ١٠ ورقم ١١ ممروجًا، فقدّمت كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر ٢-٧.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٧]

وقوله: **قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة**، ذكر هذا على إثر قوله: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ،[١] يقول -والله أعلم-: إنكم وإن فررتم من الموت أو القتل فإن الله إن أراد بكم سوءًا[٢] وهلاكًا لا يملك أحد دفعه عنكم، أو إن أراد بكم رحمة ونجاة وخيرًا لا يملك أحد منعه عنكم. وقد تعلمون أنكم لا تجدون من دون الله وليًّا ينفعكم، ولا نصيرًا ينصركم ويمنعكم عن[٣] حلول ذلك عليكم. *والله أعلم*.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٨]

وقوله: **قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا: المعوّقين**،[٤] هم المانعون منكم. **والقائلين لإخوانهم**، قال بعضهم: هم اليهود، أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: من ذا الذي يَحمِلكم على قتل أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه من أصحابه؟ فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة ما استبقَوْا منكم أحدًا، فإنا نُشفق عليكم، فإنما أنتم إخواننا ونحن جيرانكم، هَلُمُّوا إلينا. وقال بعضهم: هم المنافقون، عوّق بعضهم بعضًا ومنع عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال العدوّ.[٥] وفيه أمران. أحدهما دلالة على إثبات الرسالة؛ لأنهم كانوا يُسِرّون هذا ويُخفُون فيما بينهم، ثم أخبرهم[٦] بذلك ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله تعالى. والثاني أن يكونوا[٧] أبدًا على حذر مما يضمرون من الخلاف له، كقوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ،[٨] الآية.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ن ث: سوء.
[٣] ن: من.
[٤] ر م - منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا المعوقين.
[٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٥٠-٥١.
[٦] ر م: اخذهم.
[٧] ن: أن يكون.
[٨] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٤).

[٦٠٤ظ س٣٠] *وقال[1] [أبو عَوْسَجة]: **المعوِّقين**، قال: المتعوق المحتبس، والمعوِّق الذي يعوّق غيره أي يحبس.*

وقوله: **ولا يأتون البأس إلا قليلاً**، أي لا يأتون القتال والحرب إلا مُراءاةً[3] وسمعةً.[4] هذا -والله أعلم- يشبه أن يريد بالقليل أنهم لا يأتون إتيان من يريد القتال والقيام معهم، ولكن مراءاة[5] وسُمْعَة وإظهارًا للوفاق لهم. *والله أعلم*.

**﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[١٩]**

وقوله: **أشِحّةً عليكم**، قال عامة أهل التأويل: أي بُخَلاء على الإنفاق عليكم، أي لا ينفقون عليكم ولا على سبيل الخير. *والله أعلم*.[6] وقال بعضهم: الشُّحّ أيضًا هو الحرص، يقول: **أشحة عليكم**،[7] أي حِراصًا على قسمة الغنيمة معكم،[8] يخبر عن حرصهم في الدنيا وركونهم إليها وميلهم إليها.[9]

[٦٠٤ظ س٣١] *وقال [أبو عَوْسَجة]: قوله: **أشحَة عليكم**، أي حِراصًا على ما نالكم من الشرّ، الواحد شحيح، يقال: شَحّ يَشِحّ شَحًّا فهو شحيح، أي حَرَص يحرِص[10] حِرصًا فهو حريص. وقال غيره:

[٦٠٤ظ س٣٢] **أشحَة عليكم**، أي بخلاء لا ينفقون[11] عليكم أو في سبيل الله.*

ثم أخبر عن جُبنهم وفَشَلهم وشدة خوفهم، وهو ما قال: **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينُهم كالذي يُغشى عليه من الموت**، يخبر أنهم لجبنهم وفشلهم يصيرون كالمغشيّ عليه من الموت. **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد**، يخبر عن شدة حِرصهم في قسمة الغنيمة

---

[1] ن + القتبي.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٣٠-٣١.

[3] م: مراءة.

[4] فعل رياءً وسُمْعَةً أو سَمْعَةً، أي ليَسْمَعَه الناس ويَرَوْه (*لسان العرب*، «سمع»).

[5] م: مراة.

[6] ن – والله أعلم.

[7] ر ث م: عليكم.

[8] جميع النسخ – معكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٨و.

[9] ر ث م: فيها.

[10] ر: يحرصون.

[11] ن: بخلا لا ينفقوا.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٣١-٣٢.

ورغبتهم فيها أنهم أشحّ[1] قوم وأسوؤهم مقاسمة. يقولون: أعطُونا[2] أعطونا، إنا قد شهدنا معكم، كقوله: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[3] ونحوه. وقوله: **أشحّةً على الخير**، قال بعضهم: هذا قولهم، أي إنا أشحّ منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى[4] دينه وأضَنّ منكم على الخير، أي نحن أحرص عليه منكم. وقال بعضهم: **أشحّةً على الخير**، أي حِراصًا على الغنيمة والنيل منها.

* وقال القُتَبي: **سَلَقوكم بألسنة حداد**، يقول: آذَوْكم بالكلام، يقال: خطيب مِسْلَق [٦٠٤ظ س ٢٤
ومِسْلاَق.[5] وفيه لغة أخرى: "صلقوكم" بالصاد،[6] وهو الضرب، [ولا يقرأ بها].[7] وأبو[8] عَوْسَجَة
يقول قريبًا منه: **سلقوكم**، أي كلّموكم وضربوكم، **بألسنة حداد**، أي طوال. والسَّلْق[9] الضرب،
والخاطب السَّلاّق، والمِسْلاق من هذا، وهو طُول اللسان والجرأةُ على الكلام.* ٦٠٤ظ س ٢٧]

ثم أخبر عنهم وعن خلافهم له حيث قال: **أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم**، التي عموها في الظاهر. **وكان ذلك**،[11] أي صنيعهم[12] الذي صنعوا، **على الله يسيرًا**، أي لا يضرّه. وقال بعضهم: حبطُ أعمالهم وتعذيبه إياهم مع كثرة أتباعهم وأعوانهم على الله يسير،[13] لا يشتدّ[14] عليه ولا يَصعُب. **والله أعلم.**

---

[1] ر: شح.

[2] ر م: يقولون أعطوا ما؛ ن: ويقولون أعطونا.

[3] ﴿الذين يتربّصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ (سورة النساء، ٤/١٤١).

[4] ن: عى.

[5] جميع النسخ: وسلاق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦١و. وفي التنزيل: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشدّ مخاصمة وأبلغه، ﴿أشحّةً على الخير﴾ أي خاطبوكم أشدّ مخاطبة وهم أشحّة على المال والغنيمة. الفراء: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ معناه عضّوكم، يقول: آذَوكم بالكلام في الأمر بألسنة سليطة ذَرِبة؛ قال: ويقال "صلقوكم" ولا يجوز في القراءة. ولسان مِسْلَق حديد ذَلِق، ولسان مِسْلَق وسَلاّق حديد، وخطيب سَلاّق بليغ في الخطبة. وفي حديث علي رضوان الله عليه: ذاك الخطيب المِسْلَق؛ يقال: مِسْلَق ومِسْلاَق إذا كان نهاية في الخطابة (*لسان العرب*، «سلق»).

[6] *معاني القرآن* للفراء، ٢/٣٣٩.

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.

[8] ر م: أبو.

[9] م: والسق.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٢٤-٢٧.

[11] جميع النسخ + على الله يسيرًا.

[12] ر م: صنعهم.

[13] ر ث م: يسيرا؛ ن - أي لا يضره وقال بعضهم حبط أعمالهم وتعذيبه إياهم مع كثرة أتباعهم وأعوانهم على الله يسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٨ص.

[14] ر: لا يشتد

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢٠]

وقوله: **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**، أي يحسب هؤلاء المنافقون أن الأحزاب لم يذهبوا، من الفَرَق[١] والجُبن والفَشَل الذي فيهم يوم الخندق. **وإن يأت الأحزاب**، أي يُقبل الأحزاب، **يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب**، أي يا ليتهم[٢] كانوا بمنزلة البُدّاء[٣] وأنهم تركوا أوطانهم وديارهم، **يسألون عن أنبائكم**. كانت همتهم التخلّف والفرار من القتال وطلب أخبار المؤمنين أنهم ما فُعل بهم، نحو ما قال: وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ.[٤] هكذا كانت عادتهم، ثم ابتلاهم الله بما كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويُضمرون الخلاف لهم والعداوة بفضل فَشَل وجُبن[٥] ما لم يكن ذلك في غيرهم. ففي ذلك تحذير للمؤمنين وزجر عن مثل هذا الصنيع ومثل هذه المعاملة، لئلا يُبتلَوا بمثل ما[٦] ابتُلي أولئك. وفيه أنه يعامل بعضهم بعضًا على الظاهر الذي ظهر دون حقيقة ما يكون، وعلى ذلك يجري الحكم على ما عَامَلَ رسول الله وأصحابه أهلَ النفاق وحَكَمَ[٧]
[٦٠٤و] على ما أظهروا دون ما أضمروا في الأنكحة والصِهر وغير ذلك من الأحكام. *والله أعلم*.

وقوله: **ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً**، قال بعضهم: **ما قاتلوا إلا قليلاً**، أي إلا فيما يدفعون عن أنفسهم لو قُصدوا، فأما الدفع عن المؤمنين ودينهم فلا. وجائز أن يكون المراد بالقليل، أي[٨] لا يقاتلون ألبتة حقيقة القتال، وهو ما ذكر عنهم، حيث قال: لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا،[٩] أي فسادًا في أمركم. *والله أعلم*.

---

[١] ث: لفرت.
[٢] ر م: أي بألسنتهم.
[٣] وفي التنزيل العزيز: ﴿وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي إذا جاءت الجنود والأحزاب ودّوا أنهم في البادية. وقال ابن الأعرابي: إنما يكون ذلك في ربيعهم، وإلا فهم حضّار على مياههم؛ وقوم بُدّاء: بادون. فقد يكون مما لجمع بادٍ، كراكب ورَكْب (*لسان العرب*، «بدا»).
[٤] سورة التوبة، ٥٦/٩-٥٧.
[٥] ن: جبن وفشل.
[٦] ث: بما.
[٧] ر ث م: وحكمه.
[٨] ن - أي.
[٩] سورة التوبة، ٤٧/٩.

*وقال بعضهم: **يَحْسَبون الأحزابَ لم يذهبوا**، من شدّة الفَرَق، فهم هؤلاء المعوّقون [٦٠٤ظ س٣٣
اليهود أو المنافقون، **وإن يأت الأحزاب**، والأحزاب هم الفِرق، أعداء رسول الله وأصحابه، **يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب**، يقول: خارجون في الأعراب من الرَّهْبة، **يسألون عن أنبائكم**،[1] يقول:[2] يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جَزَعًا ورهبة. يقول الله للمؤمنين: **ولو كانوا فيكم**، أي معكم عند القتال هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم، **ما قاتلوا إلا قليلاً**، رَمْيًا بالحجارة
من ضعفهم وفَرَقهم، أو ما ذكرنا دفعًا عن أنفسهم، وأمّا غيره[3] فلا.* ٦٠٤ظ س٣٧]

*و[قال القُتَبي وأبو عَوْسَجة:] **الأحزاب**، الفِرَق، واحدها حِزب، ويقال: حزّبت القوم [٦٠٥و س٣٣
أي جمعتُهم، وحزبتُهم أي فرقتهم، وتَحَزَّب القوم إذا اجتمعوا وصاروا حزبًا حزبًا، وتقول: هؤلاء حِزبي، أي أصحابي[5] وشيعتي، وتقول: حازبني[6] محازبة، أي صاحبني مصاحبة. وقوله: **بادون في الأعراب**، أي أن يكونوا في البادية مع الأعراب، رجلٌ بادٍ: قد نزل البادية؛ يودّوا
أن يكونوا في البادية مع الأعراب.* ٦٠٥و س٣٦]

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[٢١]

وقوله: **لقد كان لكم في رسول الله أُسوَةٌ حسنة**، قال بعضهم: ذلك حيث كان يباشر القتال بنفسه فباشَروا معه، فمن باشر معه[8] القتال آساه بأسوة حسنة، ومن لم يفعل ذلك[9] فلم يؤاسه.[10] وابن عباس يقول:[11] **أسوة حسنة**، أي سنة صالحة أو نحوه.[12]

---

[1] ث م – يسألون عن أنبائكم.
[2] ر ث م – يقول.
[3] م: غيرهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٣٣-٣٧.
[5] ث: أهلي.
[6] ر: عازني.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٣٣-٣٦.
[8] م – فمن باشر معه.
[9] ر ث م – ذلك.
[10] ن: يوسه.
[11] ن – يقول.
[12] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٤٤٣.

مثل هذا إنما يذكر عن زلات تكون، إما من المنافقين أو من المؤمنين، فيقول: لكم في التأسِّي برسول الله والاقتداء والقدوة به أسوة حسنة.[1] فهو يخرج على وجوه. أحدها،[2] **لقد كان لكم في رسول الله**، قبل أن يبعث رسولاً وقبل أن يوحى إليه فيما عرفتموه من حسن خُلُقه وكرمه وشرفه وأمانته، **أسوة حسنة**، فكيف تركتم اتباعه إذا بُعث رسولاً؟ والثاني **لقد كان لكم**، أي صار لكم، **في رسول الله**، إذا بُعث رسولاً، **أسوة حسنة**، فيما أنزل إليه[3] وأوحي إليه[4] وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه، فالواجب عليكم أن تتأسَّوْا به. والثالث، **لقد كان لكم [في رسول الله]**، بالمؤمنين، **أسوة**، أي[5] اسْتِوَاءٌ بهم[6] لو اتبعتم فيما شرع لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّ. والأسوة[7] هي الاستواء، كقول الناس: فلان أسوة غرمائه، أي[8] يكون المال بينهم على الاستواء. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويل الآية.

وقوله: **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، قال بعضهم: يكون في رسول الله أسوة لمن خاف الله وآمن باليوم[9] الآخر وبجزاء الأعمال، فأما المنافق والذي لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه أسوة له. وجائز أن يكون قوله: **لمن كان يرجو الله**، أي لقد كان لكم أسوة حسنة ولمن كان يرجو[10] الله واليوم الآخر. أو أن[11] يكون: لكم في رسول الله أسوة حسنة وفيمن كان يرجو[12] الله واليوم الآخر. ***والله أعلم***. وقوله: **وذَكَرَ اللهَ كثيرًا**، ذكْرُ الله، يحتمل في نعمته وإحسانه يذكر بالشكر له وحسن الثناء، أو يذكر سلطانه وملكه، أو جلاله وعظمته وكبرياءه. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ - أسوة حسنة. والزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٣و.
[2] جميع النسخ + أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٩و.
[3] ن: عليه.
[4] م - إليه.
[5] ر ث م - أي.
[6] ر م: استوائهم.
[7] ر: أو الأسوة.
[8] م: أن.
[9] ر م: اليوم.
[10] ر م: يرجوا.
[11] ر ث م: وأن
[12] ر م: يرجوا

**﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[٢٢]**

وقوله: **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله**، حيث أخبرهم أنكم ستلقون [و]كذا في قوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ،[١] قالوا لمّا عاينوا ما وعد لهم وأخبرهم: **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله**، فيما أخبرنا من الوحي قبل أن يكون وقبل أن نلقاه. **وما زادهم إلا إيمانًا**، أي ما زادهم[٢] ما رأوا وعاينوا فيما وعد وأخبر[٣] إلا إيمانًا وتصديقًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده وخبره. وقال قائلون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد لهم وأخبر أن يوم الخندق يكون[٤] من الأحزاب كذا والجنود كذا وأنكم ستلقون يومئذ كذا، فلما رأوا ذلك وعاينوه قالوا عند ذلك: **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا**، وتصديقًا لرسول الله،[٥] لأن ذلك آية وحجة لرسالته فهو يزيدهم[٦] تصديقًا له. وقوله: **وتسليمًا**، أي تسليمًا لأمر الله وتفويضًا له. وقيل: **وما زادهم**،[٧] بما أصابهم يوم الخندق، **إلا إيمانًا**، وتصديقًا إلى تصديقهم الأول ويقينًا إلى يقينهم الأول، وتسليمًا لأمر الله، لأن ذلك الأمر كان قضاه عليهم أن يصيبهم فسلّموا لله[٨] أمره فصبروا عليه، وأصله ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

**﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٢٣]**

وقوله: **من المؤمنين رجال صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه**، قوله: **من المؤمنين**، يخرج على وجهين. أحدهما، **من المؤمنين**، الذين هم عندكم مؤمنون، **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**، ورجال لم يَصْدُقوا وهم المنافقون؛ لأن ظاهر[٩] هذا الكلام يدلّ على أن من المؤمنين الذين هم

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢١٤.
[٢] ر م + إلا إيمانا.
[٣] ر م: وعدوا خبر.
[٤] ر م: تكون.
[٥] نظر: تفسير الطبري، ١٩/٥٩-٦١.
[٦] ن ث: يزيد هم
[٧] ث + إلا إيمانا وتصديقا
[٨] ر م: لله
[٩] ن - ظاهر.

في الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا، فأما من كان في الحقيقة مؤمنًا فقد صدق عهده. والثاني ذكر، **من المؤمنين**. خصّ بعض المؤمنين بصدق ما عاهدوا،[1] وهم الذين حرجوا لذلك ولم يكن[2] بهم عذر فوفَّوا ذلك العهد، وتخلف بعض من المؤمنين للعذر فلم يتهيأ لهم وفاء ذلك العهد له[3] وصدقُه. وكذلك يخرج قوله: **فمنهم مَن قضى نَحْبه**، أي وفى بعهده.[4] **ومنهم من ينتظر**، بالوفاء أن يرتفع عنه[5] العذر فيفي ذلك. ***والله أعلم***.

[٦٠٤ظ س١٣ *وقال بعضهم في قوله: **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**: كان رجال فاتهم يومُ بدر، فقالوا لئن حضرنا قتالاً لنفعلنّ ولنفعلنّ، فلما كان يوم الأحزاب قاتلوا، فذلك قوله: **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه**، أي مات على ما شاهد اللهَ عليه، **ومنهم من ينتظر**، يومًا آخر يكون فيه قتال فيقاتِل على ما عاهد الله عليه، **وما بدّلوا تبديلاً**.

٦٠٤ظ س١٧] وفي حرف أُبيّ: "ومنهم من بدلّ [تبديلاً]"، فيرجع ذلك إلى المنافقين الذين ذكرنا بدءًا.[6]*

ثم قوله: **فمنهم من قضى نَحْبَه ومنهم من ينتظر**، قيل: فيه بوجهين. أحدهما منهم من وفى نذره وعهده لله على ما جعل على نفسه، ومنهم من ينتظر[8] وفاءه. وقال بعضهم: منهم[9] من قضى نحبه، أي هلك عليه،[10] ومنهم من ينتظر ذلك، أي على شرف الهلاك.

[٦٠٥و س٢٩ *وقال القُتَبي وأبو عَوْسَجة: **قضى نَحْبَه**، أي قُتل وقَضى أجله، وأصل "النحب" النذر.[11]

٦٠٥و س٣٠] كان قوم[12] نَذَروا[13] إن لَقُوا العدوّ أن يُقاتلوا حتى يُقتَلوا أو يَفتح الله، فقُتلوا.[14]*

---

[1] جميع النسخ: ما عهد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٣ظ.
[2] ر م: لم يكن.
[3] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠و. له: أي لله تعالى.
[4] جميع النسخ: بعهد، صح ن هـ.
[5] ر م: عند.
[6] *صحيح ابن حبان*، ٩٢/١١. ونسب أيضًا إلى ابن عباس. انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٣٧٨/٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١١٤/١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٣-١٧.
[8] ر ث م - قيل فيه بوجهين أحدهما منهم من وفى نذره وعهده لله على ما جعل على نفسه ومنهم من ينتظر.
[9] ر ث م: منهم.
[10] أي قُتل في سبيل الله.
[11] ن: لنفد.
[12] جميع النسخ: كان قوما. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن*، ٣٤٩.
[13] ر م: ندورا.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٢٩-٣٠.

وقوله: **وما بدّلوا تبديلاً**، هذا يقوّي التأويل الذي ذكرنا أخيرًا[1] في قوله: **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**؛ إن الذين خلّفهم العذر / فلم يموا عهده والذين لا عذر بهم فخرجوا [٦٠٤ط]
فوفوا، كلهم لم يبدلوا عهد الله تبديلاً، لأنه إنما خلّفهم العذر فلم يكن في ذلك تبديل.

**﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٢٤]

وقوله: **ليجزي الله الصادقين بصدقهم**، على ما وَفَوا، **ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم**، هذا يدل أن من المنافقين مَن قد يتوب، حيث قال: **ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم**، ويعذبَ الذي[2] مات[3] على نفاقه. **إن الله كان غفورًا رحيمًا**، أي لم يزل غفورًا رحيمًا. **رحيمًا**،[4] حيث رحمهم ولم يأخذهم وقت ارتكابهم الجرم ولكن أمهلهم.
*والله أعلم.*

**﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾**[٢٥]

وقوله: **وردّ الله الذين كفروا بغيظهم**، أي ردّ كفار مكة يوم الخندق، **لم ينالوا خيرًا**، قال بعضهم: أي غنيمةً، أي ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئًا من الغنيمة. فإن كان المراد من الخير الغنيمة فجائز أن يُستدلّ [بالآية][5] على تملّك أهل الحرب أموالَ المسلمين إذا أحرزوها، حيث قال: **لم ينالوا خيرًا**، أي مالاً. وجائز أن يكون قوله: **لم ينالوا خيرًا**، أي سرورًا بما كانوا يأمُلون ويطمَعون هلاك المؤمنين على أيديهم لمّا أحاطوا بهم وضيّقوا عليهم الأمر حتى احتاجوا إلى الخندق فكانوا في أيديهم، يقول: إنهم لم ينالوا ذلك السرور الذي كانوا يأملونه[6] ويرجونه.
*والله أعلم.*

---

[1] ر م: أخير.
[2] ر ث م: الذين.
[3] ث: ماتو.
[4] م - رحيما.
[5] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٣ظ.
[6] ر م: يأملون.

وقوله: **وكفى الله المؤمنين القتالَ**، حيث بعث[1] عليهم الريح وسلّط عليهم الملائكة حتى هزموهم وكُفُوا[2] القتال والحربَ معهم. **وكان الله قويًا عزيزًا**، أي[3] لم يزل قويًا عزيزًا، لأنه قويّ بذاته عزيز بذاته، لا يلحقه ذلّ وإن لحق أولياءه الذل والضعف. ليس كملوك الأرض إذا ذهب أصحابُهم أو دخل فيهم ذلّ وضعف ذل مَلِكهم، لأنه عزيز بجنده وحشمه، فأما الله سبحانه قويّ بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل[4] ولا ضعف بذهاب أوليائه.*

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[٢٦]

وقوله: **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَيَاصِيهم**، ذُكر في القصة أن اليهود -يهود بني قُرَيْظَةَ- ظاهروا أبا سفيان وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين [٦٠٥و] ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فلما انهزم المشركون تحصّن بنو[6] قُرَيْظَةَ في حُصُونهم، ورجع النبي[7] إلى المدينة، فجاءه جبريل فقال له: "يا محمد والله[8] ما وضع أهل السماء أسلحتهم وقد وضعتم أنتم أسلحتكم، اخرج إلى بني قريظة"، فقال[9] له النبي: «فكيف أصنع بهم وهم في حِصنهم؟» قال: "اخرج إليهم فوالله لَأَدُقَّنَّهم بالخيل والرجال كما تُدَقّ[10] البَيْضَة على الصفا ولَأُخرجنَّهم من حصونهم"،[11] فنادى رسول الله في الناس وأمرهم[12] بالخروج إلى بني قريظة، فخرجوا فحاصروهم كذا كذا ليلة حتى صالحهم على حكم سعد بن معاذ، فنزلوا على حكمه،

[1] ن - بعث، صح هـ.
[2] جميع النسخ: حتى هزموهم حتى كفوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠ظ.
[3] ر ث م + كان الله.
[4] م - وإن لحق أولياءه الذل والضعف ليس كملوك الأرض إذا ذهب أصحابهم أو دخل فيهم ذل وضعف ذل ملكهم لأنه عزيز بجنده وحشمه فأما الله سبحانه قوي بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل، صح هـ.
* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ١٣ ورقم ١٤ ورقم ١٨ ورقم ١٩ ورقم ٢٠ ورقم ٢٣ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٣-٣٧.
[6] ث: بنوا.
[7] ن: رسول الله.
[8] ث - والله.
[9] ن: فقال.
[10] جميع النسخ: كما يدق.
[11] ر ث: حصنهم.
[12] ر م: وأمر.

فحَكَم سعد أن تُقتَل مقاتِلتُهم وتُسْبِيَ[1] ذراريُهم ونساؤهم. فقيل: إن رسول الله قال يومئذ: «يا سعدُ، لَقد حكمت فيهم بحكم الله».[2] فأخرجت المقاتِلة فقتلوا، وسَبَوا ذراريهم، فقسَّم أرضهم بين المهاجرين، فقال قومه والأنصار: "آثرتَ المهاجرين بالعَقار دوننا". فقال: «إنكم ذوو[3] عقار وإن[4] القوم لا عقار لهم»، أو كلام نحو هذا.[5] فذلك قوله: **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب**. يعني الذين ظاهروا أبا سفيان والمشركين جميعًا على رسول الله وأصحابه، **من صَيَاصِيهم**، أي من حصونهم، **وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون**، وهم المقاتِلة، **وتأسرون فريقًا**، وهم النساء والذراريّ.[6]

[٦٠٥و س ٣٠ *و[قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة:] قوله: **من صَيَاصِيهم**، من حصونهم،[7] وأصل "الصياصي" قرون البقر، لأنها تمتنع بها وتَدفع عن أنفسها، فقيل[8] للحصون "صياصي" لأنها تمنع.[9] والواحدة صِيصَة،[10] وصِيصَة[11] الديكِ عُرْفه، والصِّيصَة[12] حَفّ[13] صغير يحوك به الحائك،[14] ويجمع[15] هذا كلّه "صَيَاصِي".*[16] ٦٠٥و س ٣٣]

---

[1] جميع النسخ: أن يقتل مقاتلتهم ويسبى. والتصحيح من مصادر الرواية.
[2] صحيح البخاري، مناقب الأنصار ١٢؛ وصحيح مسلم، الجهاد والسير، ٦٤.
[3] جميع النسخ: ذو.
[4] ن: فإن.
[5] انظر للروايات المختلفة في القصة: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٤٣؛ و*السيرة النبوية* لابن هشام، ٢/٢٣٣؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٠/٣٧٠-٣٧١، ٣٨٨-٣٩٢؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٤١-١٤٢؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٧٢-٧٨؛ و*الأوسط* لابن المنذر النيسابوري، ١١/٣٢٨-٣٢٩؛ و*النكت والعيون* للماوردي ٤/٣٩١-٣٩٢. و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/١٥-١٦.
[6] ن: والذراري.
[7] ر م: و حصونهم.
[8] ن: وقيل.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.
[10] ر ن ش: صيصية.
[11] جميع النسخ: وصيصية.
[12] جميع النسخ: والصيصية.
[13] ر ش م: خف. الحَفّ: خشبة عريضة في المنسج تُنَسّق بها اللحمة بين السدى. والجمع حفوف (*المعجم الوسيط*، «حف»).
[14] م - الحائك.
[15] ر ش م: وتجمع.
[16] ن ش: صيصي. الصِّيصَة: الصِّنارة التي يُغزَل بها وينسج، وشوكة الحائك التي يسوّي بها السَّداة واللُّحْمَة؛ وقرن البقر ونحوه، والجمع: صياصٍ. والصِّيصَة والصِّيصِيَة: مخلب الديك الذي في ساقه؛ الخصل (*المعجم الوسيط*، «صيص»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر ٣٠-٣٣.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٢٧]

**وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئُوها**، أي لم تملكوها. اختلف في قوله: **وأرضًا لم تطئوها**، قال بعضهم: هي أرض مكة، وقال بعضهم: هي أرض الشام وقراها، وقال بعضهم: هي أرض خيبر، أي سيورثكم الله إياها أيضًا. فأما أرض مكة فقد فتحها وتركها في أيدي أهلها، وكذلك بلاد الشام وقراها. وعن الحسن هي أرض الروم وفارس وما فتح الله عليهم.[١] وأما خيبر فقد فتحها وقسم أرضها[٢] بين ما ذكرنا وجعلها فيئًا، فهو أشبه من غيره. ففيه أن من يَخْلُف في[٣] ملك غيره وصَفَا ملكُه له[٤] وانتقل إليه يسمى وارثًا بموت أو بغيره،[٥] حيث قال: **وأورثكم أرضهم**،[٦] الآية، وكذلك ما قال: وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ،[٧] إلى كذا، وقوله: يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ،[٨] أي يبقون فيه ونحوه؛ وكقوله: وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٩] أي يبقى [له] ملك السماوات والأرض، أي لا ينازَع فيه، وكذلك يخرج قوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ،[١٠] أي نَبقى فيها، والخلائق[١١] يَفنُون.

ثم الفائدة في ذكر هذا وأمثاله، وهم[١٢] قد شاهدوها وعاينوها، يخرج على وجوه. أحدها تعريف لآخِر[١٣] هذه الأمة أن أوائلهم ما قاسُوا وما تحمّلوا من الشدائد والبلايا في أمر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ، فنجتهد نحن كما اجتهد أولئك في حفظ هذا الدين وفي أمره. والثاني أَمرَهم بالتأهب للعدو[١٤] حتى أُمروا بالخندق والتحصن بأشياء، ثم جاءهم الغوث من الله بغير الذي أُمروا،

---

[١] تفسير عبد الرزاق، ٣/١٣٦؛ وتفسير الطبري، ١٩/٨٢؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٩/٣١٢٦.
[٢] جميع النسخ - أرضها. والزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٤و.
[٣] ر م: من.
[٤] ر ث م: الآخر؛ ن: لآخر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: وبغيره.
[٦] م + وديارهم.
[٧] ﴿وقالوا الحمد لله الذي صَدَقَنا وَعدَه وأورثنا الأرض نَتَبَوَّأُ من الجنة حيث نشاء﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٤).
[٨] ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١).
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٨٠؛ وسورة الحديد، ٥٧/١٠.
[١٠] سورة مريم، ١٩/٤٠.
[١١] ن: الخلائق.
[١٢] جميع النسخ: وأمثاله لما إذ هم. والتصحيح من نسخة أحمد لثالث، ورقة ٢٦١ظ.
[١٣] ر م: للآخر.
[١٤] جميع النسخ: مع العدو

ليكونوا أبدًا متأهّبين مستعدين لذلك[1] ولا يرجون النصر والظفر من ذلك الوجه ولكن[2] بفضل الله ونصره، على ما أخبر[3] عنهم:[4] وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا،[5] الآية. والثالث أن لا يُؤْيِسهم خروج أنفسهم من أيديهم وإحاطة العدوّ بهم وكونُهم في أيديهم من رَوْح الله ورحمته وغوثه إياهم؛ لأن الخوف قد بلغ بهم[6] المبلغ الذي ذكر، حيث قال: وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، إلى قوله: وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا.[7] وفيه دلالة إثبات الرسالة لرسول الله، لأنه وعد لهم النصر فكان على ما وعد، ليعرفوا صدقه في كل ما يخبر ويعد. **وكان الله على كل شيء**، أراد من فتح أو نصر أو غيره، **قديرًا**.*

وقال بعضهم في[9] قوله: **وأرضًا لم تَطَئُوها**، هو ما يَظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾**[٢٨]

وقوله: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها**، قال بعض أهل التأويل: إنهن جلسن فجعلن يخترن[10] الأزواج في حياة رسول الله، فنزلت الآية توبيخًا لهنّ وتعييرًا على ذلك. لكن هذا بعيد محال، لا يحتمل أن تكون[11] أزواجه يخترن الأزواج وهن / تحته في حياته، فذلك سوء الظنّ بهنّ. وقال بعضهم: إنهنّ طلبن منه النفقة[12] فنزل ما ذكر. [٦٠٥ظ]

---

[1] ن: بذلك.
[2] ر ث م: وذلك.
[3] ر م: على ما أخبره.
[4] جميع النسخ: أخبر منهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٤و.
[5] ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم ولّيتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذّب الذين كفروا﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٥-٢٦).
[6] م - بهم.
[7] ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٠-١١).
* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٢٠ ورقم ٢٣ ورقم ٢٦ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٢٩-٣٦.
[9] ن + قولهم، مشطوب.
[10] ر م: تخيرن.
[11] ر م: يكون.
[12] ر ث م: النفقة منه.

وقيل: إنهنّ قد تحدثن[1] بشيء من الدنيا ورَكَنّ إليها فنزل ما ذكر عتابًا لهن وتعييرًا، ونحوَ ذلك قد قالوا. وجائز أن يكون الله يمتحن رسوله وأزواجه بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحان من غير أن يكون منهنّ شيء مما ذكروا ولا سبب. وعلى ذلك روي في الخبر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: «يا عائشة، إني ذاكرٌ لكِ أمرًا فلا عليكِ أن لا[2] تستعجلي حتى تَسْتأمِري أبويكِ». قالت:[3] وقد علم أن أبويّ[4] لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: «إن الله يقول: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها** -إلى قوله- أَجْرًا عَظِيمًا»،[5] فقلتُ: أفي[6] هذا أَستأمِرُ أَبَوَيَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفَعَل سائر أزواجه مثل ما فعلتُ.[7] وفي بعض الأخبار أنها قالت: بل أختارُ الله ورسوله والدار الآخرة.[8] فدلّ قولها لَمّا أُمر رسول الله بتخيير أزواجه أن ذلك من الله ابتداء امتحانٍ من غير أن كان منهن ما ذكروا من الركون إلى الدنيا أو التحدّث[9] بما ذكروا.[10]

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها إباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحلّ[11] ويَجْمُل، حيث قال: **فتعالَيْنَ أُمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا**، لأنه لو لم يكن يحلّ ذلك لهنّ وكنّ منهيّات عن ذلك لكان رسول الله لا يفارقهنّ حتى[12] يخترن المنهيّ من الأمر وقد كان يملك حبسهن في ملكه حتى لا يخترن ما ذكر[13] من المنهيّ، دل ذلك -والله أعلم- أن ذلك كان على وجه يحل ويجمل. و[الثاني] فيه أن رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا و لزينة وما يستمتع بها،

[1] ر م: تحدث.
[2] ن - لا.
[3] ر م + وقد علم الله.
[4] جميع لنسخ: أبواي. و لتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٢ظ.
[5] الآية التالية.
[6] ر: الى؛ م: ان.
[7] صحيح *البخاري*، التفسير ٣٣/٥؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٢٢.
[8] صحيح *مسلم*، الطلاق ٢٩.
[9] جميع النسخ: و لتحدث. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٢ظ.
[10] ر م: عما ذكر.
[11] م: ويحل.
[12] ر م + لا.
[13] جميع النسخ: ما ذكره. و لتصحيح من المرجع السابق.

إذ لو كان عنده ذلك لم يحتمل أن يخيّرهن بالفراق منه لما ذكر وعنده[١] ذلك، ولا هنّ يخترن الفراق منه وعنده ذاك،[٢] دلّ أنه لم يكن عنده ما ذكر. ويبطل قول من يقول: إنه كان عنده الدنيا، ويفضّل الغِنى[٣] على الفقر بذلك. و[الثالث] فيه دلالة أن أزواجه كنّ يَحِلْن لغيره في حياته إذا فارقهنّ،[٤] لأنهنّ إذا لم يحسن لغيره لم يكن لقوله:[٥] **فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا**، معنًى، لأنهنّ إذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحمبهنّ ذلك على الفجور. فدلّ أنهنّ كنّ يحللن لغيره في حياته إذا فارقهنّ، وإنما لم يحللن لغيره إذا مات، فيكون له حكم الحياة كأنه حيّ في حق أزواجه. ويخرج قوله: خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[٦] في الآخرة، لا تحل لغيره إذا مات،[٧] فتكون[٨] زوجته في الجنة.

ثم اختلفت[٩] الصحابة رضي الله عنهم فيمن خيّر امرأته فاختارت. قال بعضهم: إذا خيّرها [فاختارت زوجها] فهي[١٠] تطليقة رجعية، وإذا اختارت [نفسها] فهي بائنة، وهو قول علي رضي الله عنه. وقال بعضهم: إذا اختارت نفسها فهي[١١] ثلاث، وإذا اختارت زوجها فلا شيء. وقال بعضهم: إذا اختارت زوجها فلا شيء،[١٢] وإن اختارت نفسها فهي تطليقة بائنة.[١٣]

---

[١] ث: عـده.

[٢] ر م: ذلك.

[٣] جميع النسخ: لغنى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٣و.

[٤] جميع النسخ: فارقن منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر ث: كقوله.

[٦] انظر: الآية ٥٠ من هذه السورة.

[٧] ر ث م – إذا مات.

[٨] ن: فيكون.

[٩] ر م: اختلف.

[١٠] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٤ظ.

[١١] ن + تطليقة رجعية، مشطوب.

[١٢] جميع النسخ: إذا اختارت زوجها فهي تطليقة رجعية. والتصحيح من المرجع السابق

[١٣] انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٩/٧-١٠؛ وسنن سعيد بن منصور، تحقيق الأعظمي، ٣٧٨/١. «وقد اختلف السلف فيمن خيّر امرأته، فقال علي رضي الله عنه: إن اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة، وذلك في رواية زاذان عنه. وروى أبو جعفر عن علي أنها إذا اختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة. وقال عمر وعبد الله رضي الله عنهما في الخيار و"أمرك بيدك": إن اختارت نفسها فواحدة رجعية وإن اختارت زوجها فلا شيء. وقال زيد بن ثابت في الخيار إن اختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها فثلاث، وقال في "أمرك بيدك" إن اختارت نفسها فواحدة رجعية» (*أحكام القرآن* للجصاص، ٢٢٧/٥؛ وشرح *التأويلات*، ٦٠٤ص).

وعندنا أن التخيير نفسه لا يكون طلاقًا، فإن اختارت زوجها[1] فلا شيء،[2] وإن اختارت[3] نفسها فهي بائن.[4] أما قوله: "إذا اختارت زوجها لا شيء" لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها[5] قالت: خيّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدّ ذلك طلاقًا.[6] وأما قوله "إذا اختارت نفسها فيكون بائنًا" لأنه خيّرها بين أن تختار نفسها لنفسها وبين أن تختار نفسها لزوجها، فإن اختارت نفسها [لنفسها] فهي بائن، لأنا لو جعلناه رجعيًّا لم يكن اختيارها نفسها لنفسها ولكن لزوجها، إذ لزوجها[7] أن يراجعها شاءت أو أبت، وكان التخيير بين النفسين على ما ذكرنا. وأما قول من يقول[8] بأن نفس التخيير طلاق، فهو باطل لما ذكرنا من تخيير رسول الله أزواجه فلم يكن ذلك طلاقًا. وأما من قال بالثلاث إذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا إذا ذَكَر في التخيير الثلاثَ.[9] وأما قول[10] من قال بالرجعيّ فهو إذا صرّح بالتطليق فهو كذلك.[11] ***والله أعلم.***

وقوله: **إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها،** الإرادة هاهنا إرادة الاختيار والإيثار لحياة[12] الدنيا وزينتها، لا ميل القلب والرضاء به، وكذلك قوله: وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ،[13] هو إرادة الاختيار والإيثار، وهو ما يراد ويختار فعلاً لا ميل القلب والرضاء به؛ لأن كلّ ممكن فيه الشهوةُ مجعولٌ فيه هذه الحاجةُ، يميل قلبه ويركن إلى ما يتمتع بحياة الدنيا ولذّاتها ويرضاه ويحب، فدل أنه أراد إرادة الفعل والاختيار لا إرادة القلب ورضاه.

---

[1] ر م: نفسها.

[2] ر ت م: لا شيء.

[3] ر ث م: وإذا اختارت.

[4] *المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ٢٤٨/٦-٢٤٩؛ و*بدائع الصنائع* للكاساني، ٢٥٨/٤-٢٦٣.

[5] ر م - أنها.

[6] صحيح *البخاري*، الطلاق ٥؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٢٧.

[7] ن + إذ لزوجها.

[8] ن - من يقول.

[9] «فإن ذكر الثلاث في التخيير بأن قال لها: اختاري ثلاث، فقالت: اخترت، يقع الثلاث؛ لأن التنصيص على الثلاث دليل إرادة اختيار الطلاق، لأنه هو الذي يتعدد، فقولها "اخترتُ" ينصرف إليه فيقع الثلاث» (*بدائع الصنائع* للكاساني، ٢٦٢/٤).

[10] ر - قول.

[11] «إن قال لها: اختاري الطلاق، فقالت: اخترتُ الطلاق، فهي واحدة رجعية؛ لأنه لما صرح بالطلاق فقد خيّرها بين نفسها بتطليقة رجعية وبين رد التطليقة» (*بدائع الصنائع* للكاساني، ٢٦٢/٤).

[12] ر م: حياة.

[13] الآية الثانية.

ثم فيه ما ذكرنا من حِلّهن لغير رسول الله إذا اخترن الفراق منه، لما ذكر أنه يُمَتِّعن.[1] ومعلوم أنهن لا يكتسبن بأنفسهن حتى يَتَمتَّعْن بذلك، ولم يكن عندهنّ ما يتمتّعن، فدلّ أنه إنما يُمَتّعن[2] بأموال أزواجهنّ. فدل ذلك[3] على حِلّهن لغيره في حياته إذا فارقن. *والله أعلم*.

**﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[٢٩]

وقوله: **وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة**، معلوم أنهنّ إذا / اخترن الحياة الدنيا [٦٠٦و] وزينتها لا يحتمل أن لا يُرِدْنَ[4] الله، لكن إضافة ذلك إلى الله لِاختيارهن المُقامَ عند رسوله، فيدل ذلك أن كل ما أضيف إلى الله ورسوله كان المراد به رسوله، نحو ما قال: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ،[5] وقوله: قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ،[6] وأمثال ذلك.

ثم الزهد في الدنيا يكون على وجهين.[7] أحدهما ترك المكاسب التي بها[8] تتوسع[9] الدنيا وتكون[10] بها السعة في الدنيا، وأن يؤثرها[11] لغيره[12] على نفسه، واختيارُ حالِ الضِيق من غير تحريم ما أُحِلّ وطُيِّب له. والثاني بذل ما عنده لغيره وإيثاره له[13] على نفسه، وجعْله أولى به منه، لا في تحريم المحلّات والطيّبات.

وقوله: **فإن الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا**، يحتمل قوله: **أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا**، أي إذا اخترن المُقام عند رسول الله يصرن محسنات بذلك، فأعدّ لهنّ ما ذكر،

---

[1] م: يمتعهن.
[2] ر م: يمتعهن؛ ث: يتمتعن.
[3] ر م - ذلك.
[4] ر: لا تردن.
[5] ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ (سورة الأنفال، ٤١/٨).
[6] ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ (سورة الأنفال، ١/٨).
[7] جميع النسخ: يكون بوجهين. والترجيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٣ظ.
[8] ر م - بها.
[9] جميع النسخ: يتوسع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٥و.
[10] جميع النسخ: ويكون.
[11] جميع النسخ: ويؤثرها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: لغيرها.
[13] ر - له.

فيكون ذلك الاختيار منهنّ الإحسانَ فاستوْجبن ما ذكر.[1] ويحتمل، **وإن كنتنّ تردن الله ورسوله**، ودُمتنّ على ذلك واكتسبتنّ[2] الأعمال الصالحاتِ والإحسانَ حتى خُتمتنّ على ذلك فأعدّ لَكُنّ ذلك،[3] لا بنفس اختيار مُقامكنّ معه. *والله أعلم*.

**﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾** [٣٠]

وقوله: **يا نساء النبيّ من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين**، قال بعضهم: الفاحشة المبيّنة هي النشوز البيّن. وقال بعضهم: لا، بل الفاحشة المبيّنة هي الزنا الظاهر، ويقال: مبيَّنَةٍ بشهادةِ أربعةٍ عَدولٍ.[4] و"مبيِّنة" بالكسر[5] أي بينة[6] ظاهرة. **يُضاعَفْ لها العذاب ضِعفين**، [قيل:][7] الحَد والرجم في الدنيا.[8] *وقال بعضهم: **يضاعف لها العذاب ضعفين**، في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فَمِثْنَيْ حدود النساء،[9] وأما في الآخرة فضِعْفَيْ ما يعذَّب به سائر النساء.* ولكن كيف يعرف[11] ضِعف الرجم في الدنيا ولا[12] يعرف حد رجم واحد إذا كان ذلك في عذاب الدنيا؟ وإن كان ذلك في عذاب الآخرة فكيف ذَكَر "فاحشة مبينة"،[13] وذلك عند الله ظاهر بين؟ * والأشبه أن يكون ما ذكر من ضِعف العذاب في الآخرة، على ما يقوله[14] بعض أهل التأويل.

---

[1] م: ما ذكروا.
[2] ر م: واكتسب.
[3] ر ت م - ذلك.
[4] وعبارة *الشرح* هكذا: «ويقال: الزنا المبيَّن بشهادة أربعة عدول» (ورقة ٦٠٥و).
[5] «قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وعاصم برواية حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿بفاحشة مبيِّنة﴾ بكسر الياء؛ وقرأ ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر ﴿بفاحشة مبيَّنة﴾ بفتح الياء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ١٧٨).
[6] ر م: مبينة.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٥و.
[8] أي يضاعف لها الحدود في الدنيا.
[9] أي فتعذَّب هي مثني حدود النساء.
* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ عقيب قوله: "وذلك عند الله ظاهر بين".
[11] م - يعرف.
[12] جميع النسخ: من لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٤و.
[13] ن ت: بينة.
[14] جميع النسخ: على ما يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

ألا ترى أنه ذكر لهن الأجر كِفلين،[1] ومعلوم أن ذلك في الآخرة،[2] فعلى ذلك العذاب. وأما قوله: **مبيّنة**، عند الخلق، وإن كانت عند الله مبيّنة ظاهرة، وذلك جائز في اللغة.*

وجائز[4] أن يكون هذا صلة قوله: إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[5] إذا اخترن الدنيا وزينتها[6] فمتى أتين بفاحشة مبينة[7] ضوعف لهنّ من العذاب ما ذَكَر.[8] وإذا اخترن المُقام عند رسول الله والدار الآخرة آتاهنّ الأجر مرتين. أو أن يكون إذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الآخرةَ ثم أتين بفاحشة ضوعف لهنّ ما ذكر[9] من العذاب، لئلا يَحْسَبْن أنهن إذا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة لا يعاقَبن بما ارتكبن من معصية، بل إخبار لهن أنكن وإن اخترتن الدار الآخرة[10] ثم ارتكبتن[11] ما ذُكِر عوقبتُنّ[12] ضعف ما عوقب به غيركن،[13] وإذا أطعتن الله ورسوله ضوعف لكُنّ الأجر مرتين. ***والله أعلم.***

وقوله: **وكان ذلك على الله يسيرًا**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي عذابهنّ، **على الله يسيرًا**، هيّنًا، لا يَثْقُل عليه ولا يشتدّ لمكان رسول الله، بل عليه[14] يسير هيّنٌ. والثاني أن إتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسير،[15] أي لا يلحقه ضرر ولا تبعة، ليس كمعصية خواص الْمَلِك له في الدنيا يلحقه الضرر والذلّ إذا عصوه وأعرضوا عنه، فأما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته غني، لا يضرّه عصيان عبيده، بل ضروا أنفسهم.

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ في الآية التالية.
[2] ن – على ما يقوله بعض أهل التأويل ألا ترى أنه ذكر لهن الأجر كفلين ومعلوم أن ذلك في الآخرة.
* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ عَقِب قوله: "ضوعف لكن الأجر مرتين والله أعلم".
[4] ر م: فجائز.
[5] الآية السابقة برقم ٢٨.
[6] ر ث م – وزينتها.
[7] جميع النسخ – مبينة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٤و.
[8] م: ما ذكروها.
[9] م – ما ذكر.
[10] ر ث م – لا يعاقبن بما ارتكبن من معصية بل إخبار لهن أنكن وإن اخترتن الدار الآخرة.
[11] ر م: ارتكبن.
[12] ر م: عوقبن.
[13] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٠٥و.
[14] ر ث م: على الله.
[15] ر ث: يسير.

**﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾**[٣١]

وقوله: **ومن يقنت منكنّ لِلّٰه ورسوله**، أي من يطع منكنّ لله ورسوله، **وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرّتين**، في الآية دلالة فضيلة أزواج رسول الله لمكان رسول الله وعظيم قدره، حيث خاطبهنّ من بين غيرهنّ من النساء، كما خاطب مريم[1] بقوله:[2] يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ.[3]

ثم يحتج الشافعي بقوله: **نؤتها أجرها مرّتين**، لتأويله في قوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ،[4] يقول: "قوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ، أي تطليقتان في دفعة واحدة بمرة واحدة من غير إحداث التطليق والفصل[5] فيما بينهما"، ويستدل[6] على ذلك بقوله: **نؤتها أجرها مرتين**، أي أجرين من غير إحداث فعل فيما بينهما، ولكن بفعل واحد، و[هو ك]قوله:[7] يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ،[8] أي أجرين.[9] لكن عندنا يجوز "الإيتاء" بمعنى "الإيجاب"، أي يوجب[10] لها الأجر مرتين، نحو قوله: فَآتَاهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ،[11] أي أوجب لهم ثواب الدنيا وثواب الآخرة، فعلى ذلك هذا،[12] ونحوه كثير. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: بهم.
[2] ر م: يقول.
[3] سورة آل عمران، ٤٣/٣.
[4] ر ت م + بقوله. سورة البقرة، ٢٢٩/٢.
[5] جميع النسخ: والفعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٥ظ.
[6] ن ث: يستدل.
[7] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٥ظ.
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا تقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ (سورة الحديد، ٢٨/٥٧).
[9] «قال أبو حنيفة رحمه الله: طلاق الثلاث واقع لكنه حرام مبتدَع، وقال الشافعي رحمه الله: لا يحرم على الرجل أن يطلق امرأته ثلاث. واستدل مَن منع من وقوع الطلاق الثلاث بأن الله تعالى فرق طلاق الثلاث بقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ فلم يجز أن يجمع ما أمر بتفريقه. فالجواب من وجهين. أحدهما أن المقصود به عدد الطلاق وأنه ثلاث، وأنه يملك الرجعة بعد اثنتين ولا يملكها بعد الثالثة حتى تنكح زوجًا غيره، ولم يرد به تفريق الطلاق أو جمعه. والثاني أن قوله: ﴿الطلاق مرتان﴾ يقتضي في وقت واحد لا في وقتين، كما قال تعالى: ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ يعني أجرين في وقت واحد، لا في وقتين. وهم يحرمون وقوع الطلقتين في وقت كما يحرمون وقوع الثلاث» (*الحاوي الكبير* للماوردي، ١١٨/١٠، ١٢١).
[10] ن: توجب؛ ه: ويوجب.
[11] سورة آل عمران، ١٤٨/٣.
[12] ر م: ما ذكر؛ ث – هذا.

**﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[٣٢]**

وقوله: **يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء**، قال بعض أهل الأدب: "أحد" أجمع في الكلام من "واحد"، لأنه يرجع إلى واحد وإلى جماعة، وقوله: "واحد" إنما يرجع إلى الفرد خاصة وإنما يخاطب به الواحد.[١] وقوله: **إن اتقيتن**، يحتمل:[٢] إن اتقيتنّ اختيار الدنيا وزينتها، واتقيتنّ أيضًا نقض اختيار رسول الله والدارِ الآخرة. وجائز أن يكون على الابتداء: إن اتقيتنّ مخالفة الله ومخالفة رسوله. وقوله: **لستن كأحد من النساء إن اتقيتن**، فإنكنّ معشرَ أزواج النبيّ تنظرن[٣] [٦٠٦ظ]
إلى الوحي وتَصْحَبْن رسول الله بالليل والنهار وتَرَيْنَ أفعاله وصنيعه، فإنكن أحق الناس بالتقوى وترك الميل إلى الدنيا والركون إليها ممن لا ينظر إليه ولا يصحبه إلا في الأوقات مرة. أو أن يكون[٤] قوله: **لستن كأحد من النساء**، في الفضيلة على غيرها من النساء، لأنكن[٥] أزواج رسول الله في الآخرة وترتفعن[٦] إلى درجات رسول الله وتكن[٧] معه، فإنكن لستن كغيركن من النساء في الفضيلة والدرجة، **إن اتقيتن**، ما ذكرنا من مخالفة رسول الله واختيار الحياة الدنيا وزينتها والميل إليها والركون فيها. ***والله أعلم***.

وقوله: **فلا تخضعن بالقول**، قيل فلا تلِنّ[٨] بالقول،[٩] **فيطمعَ الذي في قلبه مرض**، قال بعضهم: أي فُجورٌ وزِنًا، **وقلن قولا معروفًا**، أي خشِنًا شديدًا. وقال بعضهم: **فيطمع الذي في قلبه مرض**، أي نفاق، وهذا أولى لأن أصحاب رسول الله لا يحتمل أن يكون أحد منهم يطمع في أزواج[١٠] رسول الله نكاحًا بحال أو رغبةً فيهن، بعد عِلمنا منهم أنهم إذا علموا من رسول الله رغبة في أزواجهم طَلّقوهن ليتزوجهن رسول الله، فلا يحتمل بعد ما عُرف منهم هذا

---

[١] أي لفظ "الأحد" يصلح للوحد والجماعة، وأما لفظ "الواحد" لا يصلح ولا يخاطب به إلا للواحد.
[٢] ر ن م + قوله.
[٣] م: ينظرن.
[٤] ر م: وأن يكون.
[٥] ر م: لأنهن يكن.
[٦] ر م: ويرتفعن.
[٧] ر م: ويكن.
[٨] جميع النسخ: فلا تلين.
[٩] جميع النسخ: في القول. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٥و.
[١٠] ن – يطمع أزواج.

أن يطمع أحد منهم[1] ويرغب في أزواجه نكاحًا، فضلاً عن أن يرغب[2] فجورًا. ولكن إن كان ذلك فهو من أهل النفاق، وجائز[3] أن يرغبوا فيهنّ نكاحًا لأنهنّ أعظم الناس نسبًا وحسبًا وأكرمهم جمالاً وحُسنًا، فجائز وقوع الرغبة فيهنّ من أهل النفاق لما ذكرنا، وأما من أهل الإيمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا. ويدلّ على ذلك قوله: وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً،[4] دلّ هذا أنهنّ بحيث يُرغَب فيهنّ ويُطمَع.

وقال بعضهم: **فلا تخضعن بالقول**، يقول: فلا تَرْمِيَنَّ بقول يقارب الفاحشة، **فيطمعَ الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا**، يعني قولاً حسنًا يعرف لا يقارب الفاحشة، لكن هذا بعيد. وأصله،[5] **فلا تخضعن بالقول**، أي لا تقلن قولاً يعرف به الرغبة في الرجال والميل إلى الدنيا والركون فيها، **وقلن قولاً معروفًا**، ما يكون فيه تغيير المنكر والأمر بالمعروف. *والله أعلم*.

[٦٠٦ظ س٢٦] * قال القتبي: **فلا تخضعن بالقول**، أي لا تَلِنّ به. وقوله: **وقلن قولاً معروفًا**، أي صحيحًا.[6] *

**﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٣]**

وقوله: **وقرن في بيوتكنّ**، قد قُرئ بكسر القاف وفتحها، فمن قرأ بالكسر فهو من الوقار، ومن قرأ بالفتح: **وقَرن**، جعله من القرار والسكون فيها.[8] وقوله: **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**، قال بعضهم: تبرج الجاهلية الأولى[9] قبل أن يُبعث رسول الله كان[10] يخرج نساؤهم متبرجات بزينة مُظْهِرات، فأمر الله أزواج رسوله بالستر والحجاب عليهنّ وإدناء الجلباب عليهن،

---

[1] ن: منهم أحد.
[2] ر ث م: فضلا أن يرغب.
[3] ن: جائز.
[4] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[5] ن ث: لكن أصله.
[6] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٥٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٦ظ/سطر٢٦.
[8] «قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم ﴿وقَرن﴾ بفتح القاف، وقرأ الباقون ﴿وقِرن﴾ بكسر القاف» (المبسوط في القراءات العشر لابن مهران، ٣٥٨).
[9] ر: قال بعضهم تبرج جاهلية الأولى.
[10] ن ث: كأنه.

وهو ما قال: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.[١] وقال[٢] بعضهم: **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**، قال: الجاهلية التي وُلد فيها إبراهيم، أُعطُوا أموالاً كثيرة وكن يتبرجن في ذلك الزمان تبرجًا شديدًا، فأمر[٣] أزواجه بالعفّة والترك لذلك. فلسنا ندري ما أراد بالجاهلية الأولى[٤] ومن أراد بذلك: الذين كانوا بقرب خروج رسول الله وبعثه أو الذين كانوا من قبل في الأمم السالفة؟ والتبرّج كأنه هو الخروج بالزينة على إظهار لها.[٥]*

و[قال القتبي:] قوله: "وقِرن في بيوتكن"، بالكسر من الوقار، يقال:[٧] وَقَرَ في منزله يَقِرُ وُقُورَة.[٨] **وقَرن**، بفتح القاف من القرار، وكأنه من قَرَّ يَقَرُّ،[٩] أراد: اِقْرَرْنَ في بيوتكن، فحذَف الراء الأولى وحوّل فتحها إلى القاف، كما يقال: ظَلْن في موضع كذا، من ظَلِلْنَ.[١٠] قال الله تعالى: فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ.[١١] ولم نسمع قَرَّ يَقِرُّ إلا في موضع قُرة العين، فأما في الاستقرار فإنما هو قَرَّ يَقَرُّ.[١٢]

وقوله: **وأَقِمْن الصلاة وآتين الزكاة**، يحتمل أن يكون الأمر لهنّ بإيتاء الزكاة من حُلِيّهنّ، لأنهن كنّ[١٣] لا يملكن شيئًا سوى ذلك ما يجب في مثله الزكاة. ألا يرى أنه وعد لهنّ التمتيع[١٤] والسراح الجميل إذا أردن الحياة الدنيا وزينتها،[١٥] فلو كان عندهنّ شيء من فضول الأموال لَكُنّ[١٦] ينفقن ويتمتعن وإن لم يكن عند رسول الله ما يمتعهن[١٧] ولا يطلبن ذلك من عنده.

---

[١] لآية ٥٩ من هذه السورة.
[٢] ر: قال.
[٣] ر ث م: وأمر.
[٤] ر م - الأولى.
[٥] ر ث م + أعني بظهار الزينة؛ ن: عنى إظهار الزينة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٠٦ض/سطر٢٦.
[٧] ر ث م: ويقال.
[٨] جميع النسخ: وقورا.
[٩] ر م: قرأ يقرأ.
[١٠] جميع النسخ: أظلن.
[١١] ﴿لو نشاء لجعلناه حُطامًا فظلتم تَفَكَّهُونَ﴾ (سورة الواقعة، ٦٥/٥٦).
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٠-٣٥١.
[١٣] ر م - كن.
[١٤] م: التمتع.
[١٥] يشير إلى الآية السابقة برقم ٢٨.
[١٦] ر م: كن.
[١٧] ر م: ما يمتعن.

فدلّ ذلك أنهنّ لا يملكن شيئًا من ذلك. فيجوز أن يستدلّ بظاهر هذه الآية في إيجاب الزكاة في الحُلِيّ، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[1] وقوله: **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**. أمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ورسوله لئلّا يَغْتَرِرْن[2] بما اخترن المُقام مع رسول الله وإيثارهن إياه على أن ذلك كافٍ[3] لهن في الآخرة ولا شيءَ عليهن سوى ذلك من العبادات، بل إخبار أنكنّ وإن اخترتنّ المُقام معه وآثرتن إياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكنّ ذلك عما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيرًا**، قال بعضهم: إن هذه الآية مقطوعة عن الأولى، لأن الأُولى في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في أهل بيته، وهو قول الروافض، / ويستدلّون بقطعها عن الأولى[4] بوجوه. أحدها ما روي [٦٠٧و]
عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "عنى بذلك عليًا وفاطمة والحسن والحسين"؛ وقالت: "لما نزلت هذه الآية أخذ النبي ثوبًا فجعله على هؤلاء، ثم تلا هذه[5] الآية: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**"، فقالت أم سلمة من جانب البيت: "ألستُ[6] يا رسول الله من أهل البيت؟" قال: «بلى إن شاء الله».[7] وعن الحسن بن علي أنه خطب الناس بالكوفة، وهو يقول: "يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضِيفانكم،[8] ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**."[9] ويقولون أيضًا: إن الآية الأولى ذكرها بالتأنيث، حيث قال: **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**، وهذه ذكرها بالتذكير، دلّ أنها مقطوعة عن[10] الأولى.[11] ويقولون أيضا: إنه وعد أن يُذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيرا وعدًا مطلقًا غير مقيّد. وذلك الرجس الذي ذكر مما يحتمل أزواجه،

[1] *الاستذكار* لابن عبد البر، ٧١/٩.
[2] ر م: يغترن.
[3] ث: كن.
[4] ن: من الأول.
[5] جميع النسخ – هذه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.
[6] ر م – ألست؛ ث: البيت.
[7] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢١٤/٢. وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٢/٦؛ *وسنن الترمذي*، التفسير ٣٣.
[8] جميع النسخ: وإنا ضيفكم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.
[9] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١٣٢/٩؛ *والمعجم الكبير* للطبراني، ٩٣/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ١٦١/١١.
[10] ن – عن.
[11] ن: بالأولى.

ممكن ذلك فيهن، غير ممكن في أهل بيته ومن ذكر.[1] ويقولون أيضًا: ما روي عنه أنه قال: «تركت فيكم بعدي الثَّقَلَين، كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي ما إن[2] تمسكتم[3] بهما[4] لَيَرِدَانِ بكم الحوضَ»، أو كلام نحو هذا.[5] ففسر العترة بأهل البيت. ونحو ذلك من الوجوه.

وأما عندنا فهي غير مقطوعة عن الأولى،[6] إما أن يكون على الاشتراك بينهن وبين من ذَكَر[7] من أولاده، إذ اسم أهل البيت مما يجمع ذلك كله في العرف، أو تكون[8] الآية لهنّ على الانفراد. فأما أن تخرج[9] أزواجه عن أهل بيته -والبيت يجمعهم-[10] فلا يحتمل ذلك. وأما قولهم: "إنه ذكر هذه الآية بالتذكير والأُولى بالتأنيث"، فعند الاختلاط كذلك يُذكر باسم التذكير. وأما قولهم: "إنّ وعده لهم منه تَحَرَّجَ مطلقًا غير مقيد"، فكذلك كنّ أزواج رسول الله لم يأت منهنّ ما يجوز أن يُنسَبن إلى الرجس والقذر[11] إلا فيما غولبن على رأيهن وتدبيرهن بالحيل،[12] فأخرجن فيما أُخرجن. وأما قولهم: في الثقلَين اللذين تركهما فينا بعده، الكتاب والعترةِ، وعترته سنته على ما قيل. وقوله: "أهل بيتي"، كأنه قال: تركت الثقلين: كتابَ الله وسنتي يا أهل بيتي،[13] وذلك جائز في اللغة. وأما ما روي عن أم سلمة فإنه في الخبر بيان على أن أزواجه دخلن فيه،[14] حيث قالت[15] له أم سلمة: "ألست[16] من أهل البيت؟" قال: «بلى إن شاء الله».

[1] ر م: ومن ذكره.
[2] م - إن.
[3] ر م: تمسكم.
[4] ن ث: بهم.
[5] مسند أحمد بن حنبل، ٢٦/٣؛ وسنن الترمذي، المناقب، ٣١؛ والسنن الكبرى للنسائي، ٣١٠/٧، ٤٣٦، ٤٣٧-٤٣٧؛ والمستدرك للحاكم، ١٢٦/٣.
[6] جميع النسخ: من الأولى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.
[7] ر ن ث: ذكروا.
[8] جميع النسخ: أو يكون.
[9] ر م: يخرج.
[10] ن هـ: يجمعهن.
[11] ر: أو القذر؛ م: والعذر.
[12] ر: بالخيل؛ م: بالحبل.
[13] ر م: بأهل بيتي.
[14] ر ث م - فيه.
[15] ر: قمت.
[16] ر ث م: البيت.

وفي هذه الآية دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه. أحدها ما يقولون: إن الله قد أراد أن يطهّر الخلق كلّهم الكافر والمسلم، وأراد أن يُذهب الرجس عنهم جميعًا، لكن الكافر حيث أراد أن لا تُطَهِّر[1] نفسُه ولا يُذهَبَ عنه الرجسُ لمْ يَطَّهَّرْ. فلو كان على ما يقولون لم تكن[2] لتخصيص هؤلاء بالتطهير[3] ودفع الرجس عنهم فائدة ولا منّةٌ. دلّ أنه[4] إنما يُطهّر من علم منه اختيار الطهارة وترك الرجس، وأما من علم منه اختيار الرجس فلا يحتمل أن يُذهب عنه[5] الرجس أو يريدَ منه غير ما يعلم[6] أنه يختار. وإن التطهير لمن يكون إنما يكون بالله لا بما يقوله[7] المعتزلة، حيث قال: **ويُطَهِّرَكم تطهيرًا**، إذ على قولهم لا يملك هو تطهير من أراد[8] تطهيره، إذ لم يبق عنده ما يُطهّرهم. فذلك كله ينقض عليهم أقوالهم ومذاهبهم.[9]

**﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾** [٣٤]

وقوله: **واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **اذكرن**، أي أَثْنُونَ[10] ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة.[11] والثاني،[12] **اذكرن**، على حقيقة الذكر، أي اذكرن ما منّ الله عليكن وجعلكن من أهل بيت يتلى فيه من[13] آيات الله والحكمة، وجعل بيوتكن موضعًا لنزول الوحي فيها وخصّكنّ بذلك ما لم يجعل في بيت أحد ذلك. يذكّرهنّ عظيم ما أنعم ومنّ عليهنّ، يستأدِي[14] به[15] شكره ليعرفن منة[16] الله ونعمه عليهنّ.

---

[1] جميع النسخ: لا يطهر.
[2] جميع النسخ: لم يكن.
[3] ر م: بالتطهر؛ ن ث: عن التطهير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦ظ.
[4] ر ث م – أنه.
[5] جميع النسخ: منه.
[6] ر م: تعلم.
[7] ر ث م: لا بما تقوله.
[8] م + هو.
[9] جميع النسخ: ومذهبهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن ث: اتلين.
[11] ر ث م + وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي.
[12] ن – والثاني.
[13] ر م – من.
[14] ر ث م: ليأدى.
[15] ن – به.
[16] ر م: منه.

وقوله: **من آيات الله**، يحتمل[1] آيات القرآن، ويحتمل حججه وبراهينه. **والحكمة**، قالت الفلاسفة: "الحكيم" هو الذي يجمع العلم والعمل جميعًا. وقال بعضهم: "الحكيم" المُصيب، و"الحكمة" هي لإصابة. وقيل: هي وضع كلّ شيء[2] موضعه، وهي نقيض السَّفَه. وأصل "الحكمة" في الحقيقة كأنه هي الإصابة في كل شيء، و"الحكيم" هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحُكم ولا الغلط.[3] وقال بعضهم: الحكمة هاهنا هي السنة.

وقوله: **إن الله كان لطيفًا خبيرًا**، "اللطيف" هو البار، يقال: فلان لطيف، إذا كان بارًّا. والثاني "اللطيف" هو الذي يستخرج الأشياء الخفيّة الكامنة مما لا تتوهم[4] العقول استخراجها من مثلها.

**﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**[٣٥]

وقوله: **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**، إلى آخر ما ذكر. ذُكر[5] أن أمّ سَلَمَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وامرأة يقال لها نُسَيْبَة[6] بنت[7] كعب أتَتَا[8] رسول الله فقالتا: يا رسول الله، ما بال ربّنا يذكر الرجال في القرآن بالخير ولا يذكر النساء في شيء؟ فنزل: **إن المسلمين والمسلمات**.[9]

---

[1] ث: تحتمل.
[2] ر ث م: وضع الشيء.
[3] م: ولا في الغلط.
[4] ر ث م: لا يتوهمها؛ ن: لا يتوهما.
[5] ر م - ذكر.
[6] جميع النسخ: أنيسة. هي نُسَيبة بنت كعب بن عمرو أمّ عُمارة، مشهورة بكنيتها واسمها معًا. انظر: *الاستيعاب* لابن عبد البر، ٩٥٨؛ و*الإصابة* لابن حجر، ٤٥/٨، ٣٣٣.
[7] ر: بن.
[8] ر م: أتيا.
[9] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٦/٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/٦، ٣٠٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير، ٤، ٣٣؛ و*بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٥٠/٣.

[٦٠٧ظ] ثم قوله:[١] **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**، يدلّ أن[٢] الإسلام والإيمان[٣] هما في الحقيقة واحد، أعني في حقيقة[٤] المعنى واحد، وإن كانا مختلفين بجهة.[٥] لأن الإسلام هو أن يَجعل كل شيء لله سالمًا خالصًا، لا يجعل لغيره فيه شركًا ولا حقًّا، والإيمان هو التصديق لله[٦] بشهادة كلّ شيء له بالوحدانية والربوبية والألوهية. فمن جعل الأشياء كلّها لله خالصة سالمةً له،[٧] والذي صدّق الله بشهادة كلّيّة[٨] الأشياء له بالوحدانية والربوبية واحدٌ، لأن المخلِص هو الذي يرى كلّ شيء لِله خالصًا، والموحّد هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء، فهُما في حقيقة المعنى واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **والقانتين والقانتات**، "القنوت" هو القيام في اللغة. رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن أفضل الصلاة، فقال: «طول القنوت»،[٩] وفي بعضه: «طول القيام»؛[١٠] فَسّر القنوت بالقيام، فثبت أن القنوت هو القيام. فيكون تأويله -والله أعلم-: **والقانتين والقانتات**، أي[١١] القائمين والقائمات بجميع أوامر الله ونواهيه.[١٢] وكذلك يخرج تأويل أهل التأويل: "القائمين": المطيعين والمطيعات لله، لأن كل قائم[١٣] بأمرِ آخرَ فهو مطيع له، هذا كأنه[١٤] يكون في الاعتقاد.
[٦٠٩و س٢٢] *والله أعلم*. *و[قال أبو عَوْسَجة:] "القنوت" في الأصل القيام، على ما ذكرنا.*

---

[١] ر ث م: قول.
[٢] ن - يدل أن؛ ث - ثم قول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يدل أن.
[٣] ر: الإيمان.
[٤] ر م: الحقيقة.
[٥] م: من جهة.
[٦] ر: الله.
[٧] م - له.
[٨] ر م: كليته.
[٩] مصنف عبد *الرزاق*، ٣/٧٢-٧٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٠٢، ٣١٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦٤، ١٦٥؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٦٨؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٧٦.
[١٠] سنن *أبي داود*، التطوع ٢٣، الوتر ١٢؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٧٦.
[١١] جميع النسخ - والقانتين والقانتات أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٧و.
[١٢] ر ث م: ونواهيه.
[١٣] ن + كل قائم.
[١٤] ر ث م + يقول.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر ٢٢-٢٣.

وقوله: **والصادقين والصادقات**، إلى آخره، يكون في المعاملة في تصديق ما اعتقدوا وقبلوا، فهم[١] يصدقون ويُوفُون بالأعمال فيما اعتقدوا وقبلوا.

وقوله: **والصابرين والصابرات**، الصبر هو كف النفس وحبسها عن التعاطي في جميع المحرّمات والمحظورات.[٢] وعلى ذلك يخرج قول أهل التأويل: الصابرين على أمر الله وطاعاته وعلى المَرَازِئ[٣] والمصائب، يكفون [أنفسهم] عن جميع ما لا يحلّ فيه ويَرَون ذلك من تقديره.

وقوله: **والخاشعين والخاشعات**، قال بعضهم: الخاشع المصلّي، وقال بعضهم: الخاشع[٤] المتواضع. وأصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب، وهو قول الحسن.[٥] يخافون الله في كل حال لا يخافون غيره، ويرجون الله ولا يرجون غيره. هكذا[٦] عمل المؤمن، تكون[٧] حقيقة خوفه ورجائه منه. وأما الكافر فإنه لا يخاف ربه ولا يرجو[٨] منه، لأنه لا يعرفه ولا يخضع له. وعلى ذلك المعتزلة، إنما تخوّفهم من أعمالهم السيئة ورجاؤهم[٩] من أعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة. وكذلك على قولهم لا يكون لأحد رجاء في شفاعة رسول الله، إنما رجاؤه في أعماله، لقولهم[١٠] أنْ ليس لله في أفعال العباد صنعٌ[١١] من تدبير ولا تقدير.[١٢]

وقوله: **والمتصدقين والمتصدقات**، أي المنفقين في طاعة الله.[١٣]

**والصائمين والصائمات**، قد ذكرنا[١٤] أن هذا راجع إلى حقيقة الفعل في الصيام والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه، وجائز أن يكون في القبول والاعتقاد على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ - فهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٧ظ.
[٢] ر ث م: المحضورات.
[٣] ر: المؤزئ؛ م: الموازئ. المَرْزِئة: المصيبة، والجمع: مرازئ.
[٤] ن - المصلي وقال بعضهم الخاشع.
[٥] *روح المعاني* للآلوسي، ١٧٤/٤. ونسبه البغوي إلى مجاهد، وابن كثير إلى أبي سنان. انظر: *معالم التنزيل* للبغوي ٣٥٣/٥، و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٩/٩.
[٦] ث: وهكذا.
[٧] جميع النسخ: يكون.
[٨] ر م: ولا يرجون.
[٩] جميع النسخ: + منها أعني. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٦٧ظ.
[١٠] ن: في قولهم.
[١١] جميع النسخ: شيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: من تدبيره ولا تقديره.
[١٣] م - لله.
[١٤] ر م: قد ذكر.

وقوله: **والحافظين فروجهم والحافظات**، فيما لا يحلّ، كقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ.[١]

وقوله: **والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**، قال بعضهم: أي المصلّون لله الصلوات الخمس. وقال بعضهم: الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات باللسان على كل حال. لكن غيره كأنه أولى بذلك، أي الذاكرين حق الله الذي عليهم كثيرًا والذاكرات. **أعدّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا**.

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٣٦]**

وقوله: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، قال جعفر بن حرب المعتزلي: دلّت هذه الآية على[٢] أن الكفر مما لم يقضه الله، لأنه لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير،[٣] فإذ قال إنه **إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة**، دل أنه مما لم يقضه الله. لكنا[٤] نقول:[٥] إن القضاء هاهنا ليس هو قضاء الخلق على ما فهم هو، ولكن القضاء هاهنا هو[٦] الأمر أو الحكم، كقوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[٧] أي أمر ربك وأوجب أن لا تعبدوا إلا إيّاه.[٨] أو أن يكون الحكم، كقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ،[٩] أي مما حكمتَ. فإذا كان القضاء يحتمل الأمر والحكم على ما ذكرنا فيكون كأنه قال: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا**، أي إذا أمَر الله ورسوله أمرا، أو إذا[١٠] حكَم الله ورسوله أمرًا، **أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، وهكذا يكون فيما أمر الله ورسوله بأمر أو حكَم بحُكم أن لا يكون لأحد التخيير في ذلك.

---

[١] انظر: سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦.

[٢] ن – على.

[٣] ن: لا يكون لهم التخيير.

[٤] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨و.

[٥] ر م: يقول.

[٦] جميع النسخ – هو. والزيادة من المرجع السابق.

[٧] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.

[٨] ن ث – إلا إيه.

[٩] سورة النساء، ٤/٦٥.

[١٠] ر م: وإذا.

ومما يدل أيضًا على أن القضاء[1] هاهنا ليس[2] هو القضاء الذي فَهِم المعتزلة، حيث أضاف ذلك إلى رسوله أيضًا، حيث قال: **إذا قضى الله ورسوله أمرًا**، ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي هو قضاء حق. دل أن المعتزلة أخطأت وغلطت في فَهْم ذلك وقصرت عقولهم عن درك ذلك، وأن التأويل على ما ذكرنا.[3]

[٦٠٩و س ٢١ *و[قال أبو عَوْسَجة:] "الخِيَرَة" أي صُيِّرت إليهم الخيرة، وهو من قولك: أيَّ شيء تختار؟[4]

٦٠٩و س ٢٢] "ما كان لهم الخيرة من أمرهم"، أي لم يُجعَل إليكم الاختيار إن شئتم فعلتم وإن شئتم لم تفعلوا.*

ثم أجمع أهل التأويل على أن قوله: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، إنما نزل في زينبَ بنتِ جَحْشٍ، يذكرون أن النبي صلى الله [٦٠٨و] عليه وسلم كان أعتق زيد بن حارثة وتبنّاه وكان مولى له، فخطب له زينب بنت جحش، فقالت زينب: إني لا أرضاه لنفسي، وأنا من أتمّ[6] نساء قريش، وكانت ابنةَ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنتَ أُميمة[7] بنت عبد المطلب، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: قد رَضيتُه لكِ فزوّجي نفسكِ منه، فأبت ذلك، فنزل قوله فيها: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يَكون لهم الخيرة من أمرهم**.[8] لكن إن كان على ما يذكرون من الخِطبة لها فلا يحتمل أن يجبرها على النكاح وقد قال النبي[9] صلى الله عليه وسلم: «ليس للوليّ مع الثيب أمر»[10] وقال:[11] «البكر تُستأمر في نفسها والثيب تُشاوَر»[12] ثم تجيء الآية في جبرها على النكاح من غير رضاها[13]

---

[1] ر ث م + أيضا.
[2] ث – ليس.
[3] جميع النسخ: وأن التأويل ما ذكرنا نحن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨و.
[4] ر ث م: يختار.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر ٢١-٢٢.
[6] م: من أيم.
[7] ر ن م: ميمونة؛ ث: ميمة.
[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٦/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١١٢/١٩-١١٣.
[9] ن: رسول الله.
[10] ن: أمره. — *مصنف عبد الرزاق*، ١٤٥/٦؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٣٤/١؛ و*سنن أبي داود*، النكاح ٢٤؛ و*سنن النسائي*، النكاح ٣١.
[11] ر م + النبي صلى الله عليه وسلم.
[12] *مصنف عبد الرزاق*، ١٤٢/٦-١٤٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٩/٢.
[13] جميع النسخ: ممن لا ترضاه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.

إلّا أن يكون على[1] الأمر من الله تعالى ومن رسوله، فعند ذلك لا يكون لها التخيّر[2] في ذلك، لأن لله[3] أن يجبر[4] مَن شاء على النكاح ممن شاء، وله الحكم بالنكاح لمن شاء على مَن شاء، وليس لهم الخيرة[5] في ذلك. فأما الخِطبة[6] نفسُها دون الأمر والحكم من الله لا جبر[7] في ذلك، ألا ترى أنه[8] ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب أم سلمة فقالت: "إن أوليائي غُيَّب"، فقال: «ليس أحد من أوليائكِ لا يرضى بي»[9] أو كلام نحوه،[10] خطبها ولم يجبرها على ذلك. فعلى ذلك زينب، إلا أن يكون على الأمر أو الحكم على ما ذكرنا.

أو أن يكون سبب نزول الآية فيمن ذكر أهل التأويل في خِطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، ويكون الوعيد الذي ذكر فيه في غيره، فيما فيه أمر من الله أو حكم. نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الفجر فرأى رجلين جالسين، فقال لهما: «ما بالكما لم تصلّيا معنا؟» فقالا: إنا قد صلّينا في رِحَالنا. فقال: «إذا صليتما ثم أتيتما المسجد فصلّيا معهم فتكون لكما سُبْحَةٌ».[11] وإنما قال: «فصلّيا معهم» لا في صلاة الفجر، ولكن في الصلوات التي يُتطوّع بَعْدَها.[12]

---

[1] م – على.

[2] ر: التخيير.

[3] ر ن م: الله.

[4] جميع النسخ: أن يأمر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.

[5] ن: التخيّر؛ ث: التخيير.

[6] جميع النسخ: بالخصبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧و.

[7] ر: لا خير.

[8] ن – أنه.

[9] ر: في.

[10] روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة، فقالت: "يا رسول الله إنه ليس أحد من أوليائي"، فقال: «ليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني»، وفي رواية: «إنه ليس أحد من أوليائك شاهد، ولا غائب يكره ذلك» (*الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٨٨/١٠؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٥/٦؛ و*سنن النسائي*، النكاح ٢٨؛ و*شرح معاني الآثار* للطحاوي، ١١/٣-١٢).

[11] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين في آخر المسجد لم يصليا معه صلاة الفجر: «ما منعكما أن تصليا معنا؟» قالا: يا رسول الله قد كنا صلينا في رحالنا. قال: «فلا تفعلا، إذا صليتما في رِحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصلّيا معهم، فإنها لكما نافلة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٠/٤؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٥٥؛ و*سنن الترمذي*، الصلاة ٤٩؛ و*سنن النسائي*، الإمامة ٥٤).

[12] انظر: *شرح معاني الآثار* للطحاوي ٣٦٣/١-٣٦٤.

وقوله: **ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلَالاً مُبينًا**، فإن[١] كان هذا في المؤمنين فيكون الضلال هو الخطأ، كأنه قال: فقد أخطأ خطأً بيِّنًا. ويجوز هذا في اللغة، نحوَ[٢] قول إخوة يوسف لأبيهم في تفضيله يوسف عليهم، حيث قالوا: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[٣] أي في خطإٍ بيّنٍ، حيث يفضّل من لا منفعة له منه على من له منه منفعة، فعلى ذلك هذا. وإن كان في المنافقين، فهم في ضلال بيّن. فالضلال من المؤمن لا يفهم [منه] ما يفهم من الكافر والمنافق، ألا ترى أن الظلم من المؤمن لا يفهم منه ما يفهم من المنافق والكافر.[٤] ألا ترى أن آدم وحواء لمّا ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[٥] لم يريدا ظلم كفر، وعلى ذلك قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[٦] فعلى ذلك المفهومُ من ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال المنافق والكافر. *والله أعلم.*

**﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾**[٣٧]

وقوله: **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه**، قال أهل التأويل: **أنعم الله عليه**، بالإسلام، **وأنعمت عليه**، بالإعتاق، حيث أعتقه. لأنه ذُكر أن زيدًا كان عربيا من أهل الكتاب أصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سَبْي أهل الجاهلية فأعتقه وتبنّاه، فأنعم الله عليه حيث أعطاه الإسلام ووفّقه للهدى،[٧] وأنعم عليه الرسول حيث أعتقه. ويحتمل إنعام الله عليه أيضًا

---

[١] جميع النسخ: وإن.

[٢] ث: ثم.

[٣] ﴿إذ قالوا لَيوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا ونحن عُصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ (سورة يوسف، ٨/١٢).

[٤] جميع النسخ: أو الكافر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.

[٥] ﴿فدلّاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سَوْآتُهما وطَفِقا يَخْصِفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أَنْهَكُمَا عن تلكما الشجرة وأَقُلْ لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ٢٢-٢٣).

[٦] ﴿وقلنا يا آدم اسْكُنْ أنت وزوجُك الجنةَ وكُلَا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٣٥/٢).

[٧] م: هدى.

في الإعتاق،[1] حيث وفّق رسوله لإعتاقه،[2] أو في خلق[3] فعل الإعتاق من رسوله وإجرائه على لسانه.[4]

وعلى قول المعتزلة ليس لله على زيد ولا على[5] جميع المسلمين في الإسلام إنعام ولا إفضال لوجوه. أحدها أنهم يقولون: قد أعطى كلًّا سبب ما يُلزمهم الإسلام، وهو[6] القوّة، فهم إنما يسلمون لا بصنع من الله في ذلك. فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الإسلام، فأما في الإسلام نفسه فلا صنع له فيه. فإذا كان كذلك[7] فلا منة تكون منه[8] عليهم ولا إنعام.[9]

والثاني يقولون: إنه[10] ليس لله أن يفعل بالخلق إلا ما هو أصلح لهم في الدين، ولا شكّ أن الإسلام لهم أصلح،[11] فعليه أن يفعل ذلك بهم، فهو فعل ما عليه أن يفعل ولا يجوز له[12] أن يفعل غيره. ومن أدّى حقًّا عليه لا يكون في فعله منعِمًا ولا مفضِلاً إنما هو مؤدِّي حقّ عليه.

والثالث يقولون أن ليس من الله إلى الأنبياء والمؤمنين جميعًا شيء إلّا وقد كان ذلك[13] منه إلى إبليس وأتباعه وإلى جميع الفراعنة.

فإذا كان قولهم ومذهبهم ما ذكرنا لم يكن لِله على أحد من أهل الإسلام في إسلامهم إنعام ولا إفضال، والله أخبر أن له عليهم في ذلك نعمة ومنةً، وكذلك فُهم منه ذلك في قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا –إلى– بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.[14]

---

[1] ن: العتاق.

[2] جميع النسخ: للعتاق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩و.

[3] ن – خلق.

[4] جميع النسخ: وإجرائه إليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧ظ.

[5] ث: لا على.

[6] ر م: فهو.

[7] ن – فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الإسلام فأما في الإسلام نفسه فلا صنع له فيه فإذا كان كذلك.

[8] ر ن ث: يكون منه؛ م – تكون منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م: ولا انعامهم.

[10] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩و.

[11] ن + فعليهم.

[12] ر م – له.

[13] م – ذلك.

[14] ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).

وقوله: **أمسك عليك زوجك واتق الله،** ذكر بعض أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبصر امرأة زيد فأعجبته وودّها، ففهم زيد ذلك منه، فقال: يا رسول الله إني أريد أن أطلّق فلانة فإن فيها كبرًا تتعاظم عليّ وتؤذيني بكذا، فعند ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **أمسك عليك زوجك واتق الله،** في طلاقها ولا تطلقها.[1] لكن لا نقول نحن شيئًا من ذلك [٦٠٨ظ] إلا بخبر ثبت من رسول الله يخبر أنه كان ذلك. وجائز أن يكون زيد استأذن رسول الله في طلاقها على ما يطلّق الرجل امرأته لما يَمَلّ منها بلا سبب يكون، فقال له عند ذلك: **أمسك عليك زوجك واتق الله،** ولا تطلّق زوجك بلا سبب يستوجب به الطلاق، لأنه لا يسع للرجل أن يطلّق زوجته بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع حدود الله وترك إقامتها أو معنى نحوه، فأما بلا[2] سبب يكون في ذلك فلا يسع. أو أن يكون قوله: **أمسك عليك زوجك،** أي تَزَوَّجها، **واتق الله،** في ترك تزوجها، فيكون هو مأمورًا بنكاحها كما كانت هي مأمورة بتزويجها نفسها منه، فيقول: اتق الله في ترك الأمر في[3] ذلك وفي[4] ترك ما نُدبتَ إليه وأُمرت به. *والله أعلم.*

وقوله: **وتخفي في نفسك ما الله مبديه،** قال عامة أهل التاويل: تخفي في نفسك حبّها وإعجابها، **ما الله مُبديه،**[5] أي ما الله مُظهره في القرآن، أي حبّها وتزوّجها. وقال قائلون: قوله:[6] **وتخفي في نفسك،** يا محمد ليت أنه طلّقها، **ما الله مبديه،** أي مظهره عليك، حتى يُنزلَ به قرآنا. لكن هذا بعيد محال لا يحتمل أن يكون النبي يقول[7] لزيد: **أمسك عليك زوجك واتق الله،** ثم يُخفي هو في نفسه ليت أنه يطلّقها حتى يتزوّجها هو. وجائز أن يكون قوله: **وتخفي في نفسك** -هذا القول نفسُه- هو الإبداءَ، حيث جعله آية تتلى[8] بعد ما أخفى رسول الله شيئًا في نفسه ما لو لا ذكر الله إياه ذلك لم يعلم الخلق أنه أخفى شيئًا. ولا ندري ما الذي أخفاه في نفسه،

---

[1] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٧؛ *والطبقات الكبرى* لابن سعد، ١٠/٩٩.
[2] ث – بلا.
[3] جميع النسخ: للنبي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩ظ.
[4] ر ث م: في.
[5] ن – قال عامة أهل التاويل تخفي في نفسك حبه وإعجابها ما الله مبديه. صح هـ.
[6] جميع النسخ – قوله. والزيادة من المرجع السابق
[7] م + ذلك.
[8] ر ث م: يتلى.

ولا نقول: إنه[1] أخفى[2] كذا أو كذا إلا[3] بخبر يجيء عنه فيقول: "إني أخفيتُ في نفسي كذا"، فعند ذلك يسع، فأما على الوَهم فلا نقول به.

وقوله: **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**، قال بعضهم: **وتخشى الناس**. أي تستحيي قالة[4] الناس: "إنه[5] تزوج امرأة ابنه"، وتترك نكاحها، والله أحق أن تستحيي منه في ترك أمره إياك بالنكاح. وقال بعضهم: **وتخشى الناس**، أي تتقي قالة الناس وتستحيي[6] منهم في أمر زينب وما أُعْجِبتَ به من حسنها[7] وحبها، **والله أحق أن تخشاه** [في] ذلك. وجائز أن يكون قوله: **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**، على الابتداء على غير إلحاق بالأول في كل أمر وكل شيء، كقوله: فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها**، قال أهل التأويل: **قضى زيد منها وطرًا**، أي حاجةً، أي جِماعًا. فإن كان الوطر هو[9] الجماعَ[10] ففائدة ذكر الجماع فيه ليعلم أن حليلة ابن المتبَنّى[11] تَحِلّ للرجل وإن وُجد عقد النكاح[12] والجماع جميعًا، وإن كان كلّ واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح[13] حليلة ابن الصُلب. وجائز أن يكون قوله: **فلمّا قضى زيدٌ منها وطرًا**، أي قضى هِمّة نفسه وبلغ غاية ما هَمّت نفسه منها، فعند ذلك زوجناكها.

ذكر أن زينب بنت جحش كانت تفتخر على سائر أزواج النبي فتقول: "زوّجكنّ آباؤكنّ رسول الله، والله زوّجني نبيّه فوق سبع سماوات".[14] ففيه دلالة رسالته لأنه أخفى في نفسه

---

[1] ر ث م – أخفاه في نفسه ولا نقول إنه.
[2] جميع النسخ: أخفاه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧ظ.
[3] ر: كذا وكذا لا؛ م: كذا وكذا إلا.
[4] ر م: قل.
[5] ر م: إن.
[6] ر ث م: يستحيي؛ ن: تستحي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠و.
[7] ر ث م: وما أعجبت هي إليك حسنها؛ ن: وما أعجبت هي حسنها إليك.
[8] سورة البقرة، ١٥٠/٢.
[9] ر م – الوطر هو.
[10] ث – فإن كان الوطر هو الجماع.
[11] جميع النسخ: لتبنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: تحل للرجل وإن الوطر هو عقد النكاح.
[13] ث: النكاح.
[14] صحيح *البخاري*، التوحيد ٢٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٣٣.

ما كان يختشى قَالةَ الناسِ في ذلك واستحيا منهم، وفي العرف أن من أخفى شيئًا يستحيي من الناس إن ظهر عندهم أن يكتم ذلك من الناس ولا يظهره، فإذ[١] كان رسول الله أظهر ما كان يخشى قالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دلّ أنه رسول الله،[٢] إذ لو كان غير رسوله[٣] لكتمه وأخفاه ولم يظهره، لِما ذكرنا من العرف في الناس من كتمان ما يستَحْيُون منهم إذا ظهر. وكذلك روي عن عمر[٤] وعائشة[٥] أنهما قالا: لو كان رسول الله كاتمًا شيئًا من القرآن لكتم[٦] هذه الآية.

وقوله: **لِكيلا يكونَ على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضَوْا منهن وطرًا**، في الآية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر[٧] ويأمر به وفي كل فعل يفعله في نفسه إلا فيما ظهرت الخصوصية له،[٨] فأما فيما لم تظهر[٩] فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل، لأنه كان[١٠] تزوج امرأة دَعِيِّه،[١١] ثم قال: **لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم**، ولو كان يخبرهم بذلك خبرًا لَحلّ لهم ذلك، فعلى ذلك إذا فعل هو ذلك أخبر أن ذلك، **لكيلا يكون على المؤمنين حرج**، في مثل فعله. ***والله أعلم***.[١٢]

[٦٠٩و س١٨] *قال أبو عَوْسَجة: "الدعيّ" الذي يدّعى بعد ما يَكبُر، و"الادّعاء"[١٣] أن يكون الرجل نفى ولده ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك، هذا هو المعروف عندي. وقال في[١٤] موضع آخر: وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ،[١٥]

---

[١] ر م: فإذا.
[٢] جميع النسخ: رسول. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠و.
[٣] ن ث: رسول.
[٤] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٨/٣؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤٠٦/٤.
[٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٦، ٢٦٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٨٨؛ وسنن الترمذي، التفسير ٣٣.
[٦] ن ث: كتم.
[٧] ن + ويفعل.
[٨] ر ث م - له.
[٩] ن: لم يظهر.
[١٠] ر ث م: قال.
[١١] م: دعية.
[١٢] جميع النسخ + وفيه وجه آخر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠ظ.
[١٣] ر م: بعد ما يكبروا الادعاء.
[١٤] جميع النسخ: قال وفي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٧١و
[١٥] سورة يس، ٥٧/٣٦

أي ما يتمنَّون ويشتهُون، ويقال: ظَلَلْنا اليوم فيما ادَّعينا، أي وجدنا[1] كل ما اشتهينا، يقال مِن هذا:
٦٠٩و س ٢١] ادّعيتُ أدّعي ادّعاء.*

وقوله: **إذا قضَوا منهن وطرًا**، ذكر قضاء الوطر منهنّ، لأن من النساء من لا يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد، ولكن إنما يحرمن بقضاء الوطر، ومنهن من يحرمن بالعقد[3] نفسه دون قضاء الوطر،[4] فأخبر أن أزواج الأدعياء وإن قضوا منهن الوطر فإنهنّ لا يحرمن عليهم. ***والله أعلم***.

[٦٠٩و س ٢١] *وقال [أبو عَوْسَجَة]: "الوَطَر" الحاجة، و"الأوطار" جمع.[5]*

وقوله: **وكان أمر الله مفعولًا**، أي [و]ما كان بأمر الله [يكون] مفعولًا،[7] وكذلك ما قيل: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله تكون، وإلا الصلاة هي فعل العباد فلا تكون[8] أمر الله، ولكن بأمر الله. فعلى ذلك قوله: **وكان أمر الله مفعولًا**، أي ما يكون بأمر الله [يكون] مفعولًا، وكذلك[9]
[٦٠٩و] قوله: حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ،[10] أي جاء ما يكون بأمر الله، / وهو العذاب الذي[11] أُوعِدوا، لأن[12] أمر الله لا يجيء.[13] ثم يحتمل ذلك وجهين. أحدهما عى[14] التكوين، بتكوينه[15] [كان مكوَّنًا،

---

[1] م + نا.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر١٨-٢١.

[3] ث - بالعقد.

[4] «تحرم الأم بمجرد العقد على الابنة على التأبيد، والعقد على الأم لا يحرم الابنة قبل الدخول» (*المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ٣٠/٣٣٦). وكذلك يقول الإمام في تفسير الآية: ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ (سورة النساء، ٤/٢٣).

[5] ن ث: جميع.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر٢١.

[7] ن - أي ما كان بأمر الله مفعولا. الزيدتان من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.

[8] ن: فلا يكون.

[9] ر ث م: وكذا.

[10] ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ (سورة الحديد، ٥٧/١٤).

[11] ن - الذي.

[12] ن: ولا.

[13] ث - أي ما يكون بأمر الله مفعولا وكذا قوله حتى جاء أمر الله أي جاء ما يكون بأمر الله وهو العذاب الذي أوعدوا لأن أمر الله لا يجيء.

[14] جميع النسخ - عى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠ظ.

[15] جميع النسخ: بكونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.

وما يكون فبتكوينه][1] يكون[2] مكونًا، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[3] والثاني على الإيجاب واللزوم، أي ما يكون بأمر الله يكون واجبًا لازمًا إذا أراد به الإيجاب والإلزام.[4] *والله أعلم.*

**﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾**[٣٨]

وقوله: **ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله له**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **فرض الله**، أي بيّن الله، كقوله: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا،[5] أي بيّناها. ويحتمل، **فيما فرض الله له**، أي أوجب الله عليه، ويقال: "فرض عليه"، أي حرم، و"فرض له"، أي أحلّ له. وكذلك قوله: قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ،[6] يحتمل هذا وجهين: أي بيّن لكم تحلّة أيمانكم، والثاني أوجب عليكم تحلّة أيمانكم.[7] *والله أعلم.*

وقوله: **سُنّةَ الله في الذين خلَوا من قبل**، قال بعضهم: هكذا كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهؤلاء: كثرة النساء، ليس ذلك ببديع في رسول الله محمد. وفي كثرة نساء الرسل لهم آية عظيمة، لأنهم آثروا الفقر والضيق على السعة والغَناء، وكفّوا أنفسهم عن جميع لذّاتها وحملوا على[8] أنفسهم الشدائد والعبادات[9] والأمور العظام الثقيلة. وهذه الأشياء كلّها أسباب قطع قضاء الشهوة[10] في النساء والحاجة فيهن، فإذ[11] لم تُقطع تلك الأسبابُ عنهم دلّ أنهم بالله قَوُوا عليها. وقال بعضهم: **سنةَ الله في الذين خلَوا من قبل،**

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.
[2] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.
[3] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[4] ر: وإلزام.
[5] سورة النور، ١/٢٤.
[6] سورة التحريم، ٢/٦٦.
[7] ث – والثاني أوجب عيكم تحلة أيمانكم.
[8] م – على.
[9] جميع النسخ: في العبادات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٧١و.
[10] ر ث م: الشهوات.
[11] ر ث م: فإذا.

أي كذلك كان سنة الله في الدين من[1] قبل محمد، يعني داود النبي حين هوي المرأة التي فُتن بها، فجمع الله تبارك وتعالى بين داود وبين تلك[2] المرأة، فكذلك يجمع[3] بين محمد وبين امرأة زيد -إذ هَوِيها- كما فعل بداود، لكن هذا بعيد. وقيل: **سنة الله في الذين خلوا من قبل**، أنه لا حرج[4] على أحد فيما لم يحرّم عليه.[5] وجائز أن يكون، **سنةَ الله في الذين خلوا من قبل**، في حِلّ نكاح أزواج الأدعياء، كان يحلّ لهم ذلك،[6] فعلى ذلك لرسول الله. ***والله أعلم***.

وقوله: **وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**، هو ما ذكرنا في قوله: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا،[7] أي [وكان] ما كان بأمر الله وتقديره مقدورًا.*

**﴿اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[٣٩]**

وقوله: **الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله**، يقول أهل التأويل: هو محمد خاصّة، فمعناه -والله أعلم- إن كان هو المرادَ به أنه فيما تزوّج حليلة[9] دعيّه زيدٍ مبلِّغ رسالات ربه، حيث قال: لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ.[10] وتبليغ الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل، يَلزم الناسَ اتباعُه[11] في فعله كما يلزم في خبره وأمره، إلا فيما ظهرت له الخصوصية في فعل ما. وجائز أن يكون قوله: **الذين يبلّغون رسالات الله**، هم الأنبياءَ الذين قال [فيهم]: سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ،[12] نَعَتهم وقال:[13] **الذين يبلّغون رسالات الله**، فسنة الله في محمد كسنة أولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر.

---

[1] جميع النسخ: - من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١و.
[2] ر ث م: بين داود وتلك.
[3] ر م: تجمع.
[4] ر م: لا يخرج.
[5] ر ث م - عليه.
[6] ن - ذلك.
[7] الآية السابقة.
* وقعت هذه قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٥ ورقم ٣٦ ورقم ٣٧ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها في موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر١٨-٢٣.
[9] م: حبيبه.
[10] الآية ٣٧ من هذه السورة.
[11] جميع النسخ: في اتباعه. والصحيح من الشرح، ورقة ٦٠٨و.
[12] الآية السابقة.
[13] ن: فقال.

وقوله:[١] **ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله.** يقول -والله أعلم- يخشون الله[٢] في ترك تبليغ الرسالة، **ولا يخشون أحدًا**، سواه في التبليغ، ويكون قوله: **إلا الله**، بمعنى سواه على المبالغة في الأمر، وإلا لو قال: "ولا يخشون أحدًا" كان[٣] كافيًا، أي لا يخشون أحدًا فيما يبلغون، لكن يحتمل ما ذكرنا:[٤] أن لا يخشون أحدًا فيما يبلغون سواه. وجائز أن يكون قوله: **ولا يخشون أحدًا إلا الله،** بما يصيبهم من الأذى والبلاء بالتبليغ، يقول: لا يرون ذلك من أولئك ولكن بتقدير من الله إياه وإلا كانوا يخافون من أولئك، ألا ترى [أن الله أخبر عنهم][٥] أنهم قالوا: إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى،[٦] وحيث قال موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[٧] و أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[٨] ونحوه. أو أن يكون[٩] في الابتداء خافوهم ثم أمّنهم الله فلم يخافوا، حيث قال:[١٠] قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.[١١] *والله أعلم*. وقوله: **وكفى بالله حسيبًا**، قيل: شهيدًا على تبليغ الرسالة.

**﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**[٤٠]

وقوله: **ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم**، معناه -والله أعلم- ما كان محمد أبا أحد أُبوّةً تَحْرُم بها حلائل الأبناء، وإلا هو كان[١٢] أبا لجميع المؤمنين، حيث قال: اَلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[١٣] إذا كانت أزواجه أمهاتِنا[١٤] فهو أب لنا على ما ذكرنا.

---

[١] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١ظ.
[٢] م: لله.
[٣] ر م - كان.
[٤] أي المبالغة.
[٥] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٨ظ.
[٦] سورة طه، ٤٥/٢٠.
[٧] سورة الشعراء، ١٤/٢٦؛ سورة القصص، ٣٣/٢٨.
[٨] سورة الشعراء، ١٢/٢٦؛ سورة القصص، ٣٤/٢٨.
[٩] ن: يكونوا.
[١٠] ن ث - قال.
[١١] سورة طه، ٤٦/٢٠.
[١٢] ر ث م: كان هو.
[١٣] الآية ٦ من هذه السورة.
[١٤] ر م: أمهتها.

لكن التأويل فيه: **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**، أبوةً تحرم بها حلائل الأبناء ولكن أبوة[1]
[٦٠٩ظ] التعظيم له والتبجيل وأبوةَ الشفقة والرحمة، وهو ما قال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[2] الآية. وكذلك قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يحتمل وجهين. أي هو[3] أولى أن يعظَّم ويكرَّم ويُشرَّفَ من أنفسكم.[4] كقوله:[5] ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾.[6] والثاني، ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أشفق عليهم وأرحمُ بهم من أنفسهم، وهو ما وصفه جل وعلا من رحمته ورأفته، حيث قال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[7] وقوله: **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**، يخرج[8] على وجهين. أحدهما في حق الانتساب إليه، أي ليس هو أبا أحدكم يُنسب إليه ويُدعى به، لأنه ذكر أنهم [كانوا] يدعونه ويسمونه "زيد بن محمد". إنه[9] يجوز التبنّي ولا يجوز النسبة إليه ولا التسمية به، كقوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.[10] والثاني في حقّ الحرمة، كأنه قال: ليس هو أبا أحدكم[11] في حرمة حلائل الأبناء عليه –أبناء[12] التبني– ولا في حق النسبة،[13] وإن كان هو أبا لكم في الشفقة والرحمة والرأفة على ما ذكرنا بدءًا. **ولكنْ رسولَ الله**، ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في المعاملة والمصاحبة، أو في الدعوة به والتسمية.

وقوله: **ولكنْ رسولَ الله**، أخبر أنه[14] ليس بأبي أحد من رجالكم على ما ذكرنا، **ولكن رسول الله**، لئلا يعاملوا رسوله[15] معاملة آبائهم[16] ولا يصاحبوه صحبة غيره، ولكن يعاملوه

---

[1] ن – أبوة.
[2] سورة الحجرات، ٢/٤٩.
[3] جميع النسخ – أي هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١ظ.
[4] ر م – أنفسكم.
[5] م: قوله.
[6] سورة الفتح، ٩/٤٨. انظر: تفسير هذه الآية من *تأويلات القرآن*.
[7] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[8] م: تخرج.
[9] ن – إنه.
[10] الآية ٥ من هذه السورة.
[11] ن: أحد.
[12] ر – عليه أبناء؛ م: الأبناء.
[13] ن: وفي حق لنسبة.
[14] ر ت م – أنه.
[15] ت – رسوله.
[16] ن: آبائكم.

معاملة الرسل في التعظيم له والتبجيل والإكرام. لأن أبوّته وشَفَقَته دينيّة، وشفقة الآباء شفقة دنياويّة، ولأن الرجل قد ينبسط مع والده في أشياء لا يسع مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك[1] قال: **ولكن رسول الله وخاتَمَ النبيين**، أي خَتَم به الرسالة لا نبيَ بعده. وقوله: **وخاتم النبيين**، جائز أن يكون ذكره وإخباره -أنه خاتم النبيين- لما عَلم جلّ وعلا أنه يُسمَّى غيرُه بعده[2] نبيًّا على ما يقوله[3] الباطنية: إن قائم الزمان هو نبي، فأخبر بهذا أن من ادّعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة ولكنه يكذَّب. وكذلك رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[4] «لا نبي بعدي»[5] أخبر أنه ختم به[6] النبوة.

وقوله: **وكان الله بكل شيء عليمًا**، أي[7] لم يزل الله بما كان ويكون وبما به صلاحهم عليمًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٤١]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا**، أما أهل التأويل يقولون: **اذكروا الله**، في كل حال[8] وفي كل وقت، **ذكرًا كثيرًا**، باللسان. وجائز أن يكون تأويل أمره بالذكر له كثيرًا، أي اذكروا نِعَمه لتشكروا له، واذكروا أوامره لِتُؤْتَمَر[9] ونواهيه[10] ومناهيه[11] لتُنْتَهَى ومواعيده لتُخاف وعِداتِه لتُرغَب، واذكروا عَظمته وجلاله وكبرياءه ليهاب. **ذكرًا كثيرًا**، أي دائمًا، تذكرون[12] ما ذكرنا ليكون ما ذكرنا، إذ إنما يكون ذلك بالذكر. **والله أعلم**.

---

[1] ر ث م: وبذا.
[2] ن - بعده.
[3] ر ث م: على ما قالته.
[4] ن - أنه قال.
[5] ن ث: ألا لا نبي بعدي. مصنف عبد الرزاق، ٥/٤٠٦، ١١/٢٢٦؛ وصحيح البخاري، الأنبياء ٥٠؛ وصحيح مسلم، الإمارة ٤٤. وفي رواية: «ألا لا نبي بعدي» المنتخب من مسند عبد بن حميد، ٢/٦٣؛ والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني، ٦/٢٧٢.
[6] جميع النسخ: به ختم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢و.
[7] ن ث - أي.
[8] ن - حال.
[9] ر: لتؤمروا؛ م: لتؤتمروا.
[10] ث - ونواهيه. صح هـ.
[11] ن - ومناهيه.
[12] جميع النسخ: يذكرون.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٤٢]

وقوله: **وسبّحوه بُكرة وأصيلاً**، "البُكرة" هي ختم الليل وابتداء النهار، و"الأصيل" هو ختم النهار وابتداء الليل. فكأنه أمر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ليُتجاوز عنهم ويُعفى ما يكون منهم من الزلّات في خلال ذلك. وعلى ذلك ما روي في الخبر أن من صلّى العشاء الأخيرة والفجر بالجماعة فكأنما[١] أحيا ليلته.[٢] وجائز أن يكون ذلك ليس على إرادة البُكرة والأصيل ولكن على إرادة كل وقت وكل حال، ليس من وقت ولا حال[٣] إلا ولله على عباده[٤] شكر وصبر:[٥] الشكر لِنَعْمائه والصبر على مصائبه. وقال بعضهم: الأمر بالذكر له بالبُكرة والأصيل هي الصلوات الخمس، من الظهر إلى آخر الليل أصيل، فيدخل فيه صلاة[٦] الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفي البُكرة صلاة الفجر.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٤٣]

وقوله: **هو الذي يصلّي عليكم وملائكته**، أما صلاة الله هي الرحمة والمغفرة، وصلاة الملائكة الاستغفار وطلب العصمة والنجاة، كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا،[٧] الآية، وما قال: وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ،[٨] وقوله: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[٩] الآية،

[١] ث: فكما.

[٢] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة» (مسند أحمد بن حنبل، ٥٨/١، ٦٨؛ وصحيح مسلم، المساجد ٢٦٠؛ وسنن أبي داود، الصلاة ٤٧؛ وسنن الترمذي، الصلاة ٥١).

[٣] جميع النسخ: ولا من حال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢ظ.

[٤] ر: عبادة.

[٥] ر م: أو صبر.

[٦] ر م: صلوات.

[٧] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).

[٨] جميع النسخ - وما قال وقهم السيئات. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢ظ. ﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة المؤمن، ٩/٤٠).

[٩] ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المؤمن، ٨/٤٠).

وقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ:[١] جائز أن يكون المؤمنين خاصة، وجائز أن يكون الكل، الكافر والمؤمنَ،[٢] فإن كان هذا فيكون استغفارهم طلب الأسباب التي بها يستوجبون المغفرة، وهو الهدى، كقول هود: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[٣] وقول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[٤] لا يحتمل أن يستغفروا هم[٥] وهم كفار، ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر ليستوجبوا[٦] المغفرة. وكذلك استغفار إبراهيم لأبيه، لا يحتمل أن يستغفر له وهو كافر، ولكن كان يطلب له من الله أن يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة، وهو الهدى. *والله أعلم.*

وقوله: **ليُخرِجكم من الظلمات إلى النور [وكان بالمؤمنين رحيمًا]**، قال بعضهم: رَحِمَهم حيث أخرجهم من أصلاب آبائهم قرنًا فقرنًا إلى أن بلغوا ما بلغوا. وجائز إخراجه إياهم من ظلمات الكفر إلى نور الهدى بدعاء الملائكة واستغفارهم لهم. **وكان بالمؤمنين رحيمًا**، لم يزل الله بالمؤمنين رحيمًا.

**﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[٤٤]**

وقوله: **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، جائز أن يكون تحية الملائكة عليهم "سلام"، كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ.[٧] أو تحية بعضهم على بعض "سلام" لا غير، ليس كتحيتهم في الدنيا: "أطال الله بقاءك"،[٨] و"كيف حالك"، ونحو ما يقولون / في الدنيا ويسأل بعضهم بعضًا عن [٦١٠و] أحوالهم، يقول: ليس تحية أهل الجنة ذاك ولكن "سلام"، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا.[٩] أو أن يكون قوله: **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، أي صواب وسداد[١٠] لا غير، كقوله: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[١١] ليس أن يقولوا: "سلام عليكم"،

---

[١] ﴿تكاد السماوات يتفطّرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).
[٢] ر م: أو مؤمن.
[٣] سورة هود، ٥٢/١١.
[٤] سورة نوح، ١٠/٧١.
[٥] ر م: أن يستغفروهم.
[٦] ر م: ليستوجبون.
[٧] سورة الرعد، ٢٤/١٣.
[٨] ر: بقاؤك؛ م: بقاك.
[٩] سورة الواقعة، ٢٥/٥٦-٢٦.
[١٠] جميع النسخ: أي صوابا وسدادا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٣و.
[١١] سورة الفرقان، ٦٣/٢٥.

ولكن يقولون: قولًا صوابًا سدادًا، لا يقابلونهم بمثل ما خاطبوهم. فعلى[1] ذلك جائز أن يكون قوله:[2] **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، أي صواب من الكلام وسداد. **وأعدّ لهم أجرًا كريمًا**، أي حسنًا.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥]**

وقوله: **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا**، يحتمل قوله: **شاهدًا**، على تبليغ الرسالة، يشهد لهم بالإجابة له[3] إذا أجابوه، ويشهد عليهم إذا ردّوه وخالفوه. وقال بعضهم: **شاهدًا**، على أمّتك، بالتصديق له،[4] وقيل: **شاهدًا**، عليهم بالبلاغ.

وقوله: **ومبشّرًا ونذيرًا**، أي يُبلّغ إليهم ما يكون هم البِشارة إن أطاعوه، ويُبلّغ إليهم أيضًا ما يستوجبون به النِذارة إذا خالفوه. و"البشارة" هي إخبار عن الخيرات التي تكون في عواقب الأمور الصالحة، و"النذارة" إخبار عن أحزان تكون[5] في عواقب الأمور السيئة، أو نحوه من الكلام.

**﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٦]**

وقوله: **وداعِيًا إلى الله بإذنه**، يحتمل قوله: **داعيًا إلى الله**، إلى توحيد الله، أو إلى طاعة الله، أو إلى دار السلام، كقوله: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[6] أو إلى ما يدعو[7] اللهُ إليه. وقوله: **بإذنه**، قيل: بأمره. وقوله: **وسِراجًا منيرًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو صلة قوله: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،[8] وجعلناك[9] سراجًا منيرًا، فالسراج المنير هو الرسول على هذا التأويل. وقال بعضهم: السراج المنير هو[10] القرآن، يقول: أرسلناك داعيًا إلى الله وإلى السراج المنير، وهو هذا القرآن.[11]

---

[1] ر: فذل.
[2] ر م: قولهم.
[3] جميع النسخ: لهم، ث: صح هـ.
[4] ر ث م: لهم.
[5] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[6] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[7] ر م: يدعوا.
[8] الآية السابقة.
[9] ن: أو جعلناك.
[10] ن – هو.
[11] ر م – القرآن.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤٧]

وقوله: **وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيرًا**، فيه دلالة أن البشارة إنما تكون[١] بفضل من الله، لا أنهم يستوجبون بأعمالهم شيئًا من ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾[٤٨]

وقوله: **ولا تُطع الكافرين والمنافقين**، هذا قد ذكرنا في أول السورة.[٢] وقوله: **ودع أذاهم**، هذا يحتمل: أعرض عنهم ولا تكافئهم[٣] بما يؤذونك، أو أن يقول: **ودَعْ أذاهم**، أي اصبر على أذاهم.[٤] وقوله: **وتوكّل على الله**، أي اعتمد[٥] بالله، **وكفى بالله وكيلاً**، أي كفى بالله معتمَدًا. أو أن[٦] يقال: **كفى بالله وكيلاً**، أي حافظًا أو مانعًا. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[٤٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلّقتموهنّ من قبل أن تمسُّوهن**، ذُكر أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال: كان بيني وبين عمّتي كلام، فقلت: يوم أتزوّج ابنتكِ فهي طالق ثلاثًا. فقال: تَزوَّجْها فهي لك حلال، أما تقرأ هذه الآية: **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات**، الآية، فجعل الطلاق بعد النكاح.[٧] وعندنا أنه إذا حلف [فقال:][٨] "إن أتزوجها[٩] فهي طالق"، يكون طلاقًا بعد النكاح،[١٠] وليس في الآية منع وقوع الطلاق إذا أضافه إلى ما بعد النكاح.

---

[١] ث + إنما تكون.
[٢] انظر تأويل الآية ١ من هذه السورة.
[٣] ن ث: ولا تكفهم.
[٤] ر - وقوله ودع أذاهم هذا يحتمل أعرض عنهم ولا تكافئهم بما يؤذونك أو أن يقول ودع أذاهم أي صبر على أذاهم.
[٥] م + على.
[٦] ن - أن.
[٧] انظر: *مصنف عبد الرزاق*، ٦/٤٢٠؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٩/٥٣١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٨٠.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[٩] جميع النسخ: ن يتزوجها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[١٠] *مشكل الآثار* للطحاوي ٢/١٣٦-١٣٨، و*المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ٦/١١٣-١١٤.

وقوله: **ثم طلّقتموهنّ من قبل أن تمسّوهنّ**، تحتمل[1] المماسّة الجِماع، أي من قبل أن تجامعوهن. ويحتمل من قبل أن تدخلوا بهن المكان الذي تُماسّوهن، وإلا لو دخل بها المكان الذي يُماسّها ثم طلّقها يجب كمال الصّداق، وإذا لم يجامعها[2] ولم يدخل المكان الذي يماسها حتى[3] طلقها وجب نصف الصداق.[4] ويدل عى ذلك قول الله حيث قال: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ،[5] والإفضاء ليس هو الجماع نفسه، ولكن الدنو منها والمسّ باليد أو شبهُه.[6] ***والله أعلم***.

وقوله: **فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها**، هذا يدل عى أن العدة من حق الزوج عليها، حيث قال:[7] **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**، ولا يجوز له أن يجمع بين أختين فيما له من حق،[8] فعى ذلك ليس له أن يجمع[9] بين الأختين في حق العدة التي له قِبلها.[10] ***والله أعلم***.

وقوله: **فمتعوهن**، قال بعضهم: هذه[11] المتعة منسوخة بالآية التي[12] ذكر في سورة البقرة، حيث قال: وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ.[13] وقال بعضهم: هي في[14] التي وهبت نفسها بغير صَداق، فإن لم يجب الصداق وجبت المتعة. وعندنا إن كان سمّي لها صداقًا فليس لها إلا نصف الصداق، ولا يجب عليه المتعة وجوب حكم، لكن إن فعل ومتّعها فهو أفضل وأحسن؛ وإن كان لم يَفرض لها صداقًا[15] حتى طلّقها قبل الدخول بها فهي واجبة على قدر عسره[16] ويسره. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: يحتمل.
[2] ر: يجمعها.
[3] ت: ثم.
[4] *أحكام القرآن* للجصاص ١٤٧/٢.
[5] سورة النساء، ٢١/٤.
[6] م: أو شبيهه.
[7] وفي *الشرح*: «حيث أضف إلى الأزواج فقال...» (٦٠٩و).
[8] كالجمع نكاحًا أو وطئًا بملك اليمين، فيما للزوج حق.
[9] ر م: تجمع.
[10] *بدائع الصنائع* للكاساني، ٤٣٩/٣.
[11] ر: هذا.
[12] م – التي.
[13] سورة البقرة، ٢٣٧/٢.
[14] ر ت م – في.
[15] ر: صداق.
[16] ت: عسر.

وقوله: **وسرّحوهن سراحًا جميلًا**، قال بعضهم: السراح الجميل هو أن يمتّعها إذا سرّحها، وقال بعضهم: السراح الجميل هو أن يبذل لها الصداق، وقال بعضهم: السراح الجميل هو أن يطلّقها طاهرًا من غير جماع في ذلك الطهر. وجائز أن يكون السراح الجميل هو أن[1] يقول: لا تؤذوهن بألسنتكم إذا سرحتموهن. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٥٠]

وقوله: **يا أيها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**،[2] يحتمل هذا وجهين. أحدهما **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**، أي ضَمِنتَ أجورهن وقبلتَ، ويكون الإيتاء عبارة عن القبول والضّمان، وذلك جائز، نحو قوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا / الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[3] تأويله: فإن تابوا وقبلوا إقامة الصلاة وقبلوا[4] إيتاء الزكاة فخلّوا سبيلهم، [٦١٠ظ] هو على القبول والضّمان ليس على فعل الإيتاء نفسه، إذ لا يجب إلا بعد حَوَلانِ الحَوْل. وكذلك قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ -إلى قوله- حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ،[5] ليس على نفس[6] الإعطاء ولكن حتى يقبلوا الجزية، إذ[7] الإعطاء إنما يجب إذا حال الحول. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **اللاتي آتيت أجورهن**، أي قبلتَ أجورهن وضَمِنتَ. والثاني، **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي** هن لك، إذا **آتيت أجورهن**،[8] معناه: إنا أحللنا لك إبقاءهن[9] إذا آتيت أجورهن.

---

[1] ر ث م - يطلقه طاهرا من غير جماع في ذلك الطهر وجائز أن يكون السراح الجميل هو أن.
[2] ث + وقبلت ويكون الإيتاء عبرة عن القبول والضمان.
[3] ر ث م + هو على القبول. سورة التوبة، ٥/٩.
[4] ر م - إقامة الصلاة وقبلوا.
[5] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).
[6] ر: نفسه.
[7] ر: إذا.
[8] ر ث م + أي قبلت.
[9] ر: ابقوهن.

وفيه دلالة أن المهر قد يسمى أجرًا، فيكون قوله: فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[1] أي مهورهنّ، فيكون الاستمتاع بهن استمتاعًا في النكاح.

فعلى ذلك يجوز أن يكون قوله: **وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن إراد النبيّ أن يستنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين**، فيكون الخلوص له بلا أجر لا بلفظة[2] الهبة لأنه ذكر على إثر ذكر حِلِّ أزواجه بالأجر، كأنه قال: "إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن، وأحللنا لك أيضًا امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك[3] بلا أجر، خالصة لك من دون المؤمنين". بغير أجر، لأن خلوص الشيء إنما يكون إذا خلص له بلا بدل ولا مُؤْنَةٍ، فأما أن يكون الخلوص بلفظة دون لفظة فلا. وبعدُ، فإنه قد ذكر في آخر الآية ما يدل على ما ذكرنا، وهو قوله: **قد عَلِمْنا ما فَرَضْنا عليهم في أزواجهم**، دلّ هذا أن خلوص تلك المرأة له كان بلا فرض منه.[4] وبعد،[5] فإن ذِكر هذا له خرج مخرج الامتنان عيه، فلا منة له عيه في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج -يقول مكان قوله: "وهبت" "زوّجت"-، دلّ أن المنة له عيه[6] فيما صارت له بلا مهر لا في لفظة الهبة. أو أن يكون قوله: **خالصةً لك من دون المؤمنين**، في الآخرة، أي لا تحل لأحد سواك إذا تزوجتها وصارت من أزواجك. فأما أن يفهم من قوله: **خالصة لك من دون المؤمنين**، بلفظة الهبة، فلا، إذ لا فرق بين أن يقول "وهبت" وبين أن يقول "زَوّجت". وبعد، فإن كثيرًا من الصحابة وأهل التأويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم لم يفهموا من قوله: **خالصة لك**، بلفظة دون لفظة، حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله: إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ،[7] هن الموهوبات، فما بال الشافعي في فَهم ذلك ما ذُكر؟[8] وبعد، فإنه ليس من عقد إلا وهو يحتمل الانعقاد بلفظة الهبة من البِياعات والإجارات وغيرها، فعلى ذلك النكاح. *والله أعلم*.

---

[1] سورة النساء، ٤/٢٤.

[2] ث: بلفظ.

[3] جميع النسخ – لك. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٤ظ.

[4] ر م – كان بلا فرض منه.

[5] ر م: بعد.

[6] ن – في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج يقول مكان قوله وهبت زوجت دل أن المنة له عليه.

[7] الآية السابقة.

[8] *الحاوي الكبير* للماوردي، ١٥/٩.

وقوله: **وما ملكت يمينك**، أي قد أحللنا لك مما ملكت يمينك، **وأحللنا لك** أيضًا[1] **بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك**. ثم جائز أن يكون حِلّ بنات من ذكر من الأعمام والأخوال للناس بهذه الآية لأنهن لم يذكرن في المحرمات في سورة النساء،[2] فيكون ذكر حِلّهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرًا للناس كافة، كما كان ذكر حِلّ نكاح حليلة[3] زيد بن حارثة له حِلًّا للناس في أزواج حلائل أبناء[4] المُتَبنِّيَ،[5] حيث قال: لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ،[6] فعلى ذلك الأول. أو أن يكون معرفة حِلّ نكاح بنات الأعمام والعمات ومن ذكر بقوله: وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ،[7] إذ ذكر المحرمات في الآية[8] على الإبلاغ،[9] ما كان بنسب وما كان بسبب، ثم قال: وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ، فيكون ما وراء المذكورات محلّلات بظاهر الآية، إلا ما كان في معنى المذكورات في الحرمة. ***والله أعلم***.

وقوله: **اللاتي هاجرن معك**، لم يفهم أحد من قوله: **هاجرن معك**، الهجرة معه حتى لا يتقدّمن[10] ولا يتأخرن، بل دخل في قوله: "**معك**"[11] مَن هاجر منهن[12] من قبل ومن[13] بعد. ***والله أعلم***.

وقوله: [**قد علمنا**] **ما فرضنا عليهم في أزواجهم**، قال بعضهم: ما فرضنا على الناس في أزواجهم، وهي أربع نسوة، لا تحل الزيادة على الأربع، **وما ملكت أيمانهم**، وهي الجواري والخَدَم، يجوز الزيادة على ذلك وإن كثُرن. وقال بعضهم: فكان[14] مما فرض الله أن لا يتزوج الرجل امرأةً إلا بوليّ ومهر وشهود، إلا النبيّ خاصّة، فإنه يجوز له أن تَهَب المرأة نفسها بغير مهر وبغير ولي. ***والله أعلم***.

---

[1] ث + وغيرها فعلى ذلك النكاح.

[2] انظر: سورة النساء، ٤/٢٣.

[3] م: خليبة.

[4] ر م − أبناء.

[5] ر: البنى. ن ث م: المتبنى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٤ظ.

[6] الآية ٣٧ من هذه السورة.

[7] سورة النساء، ٤/٢٤.

[8] أي الآية ٢٣ من سورة النساء.

[9] ر م: على إبلاغ؛ ث + على.

[10] ن + ولا يتقدمن. غير منقوطة.

[11] جميع النسخ: معه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٧٥و.

[12] ر م: معهن.

[13] جميع النسخ: وما بعد. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ر م: كان.

وقوله: **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم**. **فرضنا**، أي بيّنّا ما يجوز وما لا يجوز. أي بين ذلك كله في الأزواج. أو، **فرضنا**. أوجبنا عليهم في أزواجهم من الأحكام والحقوق ونحوها. *والله أعلم*.

**﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾**[٥١]

وقوله: **تُرجي من تَشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء**، اختلف فيه. عن الحسن، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها النبي أو يتزوجها، وإذا ترك خِطبتها كان لغيره أن يخطبها، ثم إذا خطبها رسول الله لم يكن لأحد أن يخطبها بعد ذلك إلا أن يترك خطبتها،[١] أو كلام نحوه،[٢] فيصرف تأويل الآية إلى ما ذكرنا. وكذلك يقول قتادة: إن[٣] الآية في الخِطبة. وقال بعضهم: هذا في قسمة الأيام بينهن، كان يسوّي بينهن قَسْمَهن،[٤] فوسّع الله عليه في ذلك وأحلّ[٥] له، فقال: **ترجي من تشاء منهن**، أي من نسائه، أي تترك من تشاء منهن فلا تأتيها، **وتؤوي إليك من تشاء**، فتأتيها، **ومن ابتغيت ممن عزلت**، يقول: ممن اخترت من نسائك أن تأتيها فعلت، / فقال: **ذلك أدنى**، يقول: [٦١١و]
أجدر،[٦] **أنْ تَقَرَّ أعينُهنّ ولا يحزَنَّ**، على ترك القسْم إذا علمن أن الله قد جعل لك ذلك حلالاً وأنزل فيهن الآية، **ويرضَين بما آتيتَهن كلُّهن**، إذا علمن أن الرخصة جاءت من الله تعالى له كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن من ترك ذلك. وقال بعضهم: إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّاتي كنّ تحته خشينَ أن يطلّقهنّ، فقلن: "يا رسول الله، اقْسِمْ لنا من نفسك ومَالِكَ ما شئت ولا تطلقنا"، فنزل: **ترجي من تشاء منهن**،[٧] أي[٨] تعتزل من تشاء منهن،

---

[١] م: إلا أن يتركها.
[٢] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٤٣/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٤٠/١٩-١٤١.
[٣] ث: أتى.
[٤] ر: قسمين؛ د: قسمتن.
[٥] ر م: فأحل.
[٦] جميع النسخ - يقول أجدر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٥و.
[٧] *تفسير الطبري*، ١٣٩/١٩-١٤٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١٤٥/١٠.
[٨] ر م: أن.

أي[1] تعتزلهن[2] بغير طلاق. **وتؤوي إليك**، أي ترد وتضم، **من تشاء**، منهن إليك فلا جناح عليك. وقال بعضهم: الآية في ترك نكاح ما أباح له من القَرابات من يشاء منهن،[3] وفي[4] الإقدام على نكاح من يشاء[5] منهن،[6] لأنه على إثر ذلك،[7] يقول: **ترجي من تشاء منهن**، يعني من بنات العم والعمة والخال والخالة، فلا تزوجها، **وتؤوي إليك**، أي تضم إليك،[8] **من تشاء**، منهن فتُزوجها.[9] فنقول: خيّر الله رسوله في نكاح القرابة، فذلك قوله: **ومن ابتغيت** منهن فتزوجها، **ممن عزلت** منهن، **فلا جناح عليك**، أي لا حرج عليك في ذلك.

[٦١١و س٣٦ * قال أبو عَوْسَجَة: **ترجي من تشاء منهن**، أي تَحبس من تشاء منهن ولا تَقْرَبُها. وقال القُتَبِي: **ترجي**، أي[10] تؤخر، يقال: أرجَيْت الأمر وأرجَأْته، أي أخرته.[11] وكذلك قالوا في قوله: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ،[12] قال[13] بعضهم: احْبِسْه؛ وقال بعضهم: أخره.[14] وقوله: **وتؤوي إليك**، أي تَضم.* ٦١١و س٣٨]

**ذلك أدنى**، يقول: أجدر وأحرى وأقرب، **أن تَقَرَّ أعينهن**، أي النساء اللّاتي عندك واخترتهن، **ولا يَحزَنَّ**، إذا علمن أنك[16] لا تتزوج عليهن، **ويَرْضَيْنَ بما آتيتَهن كلُّهن**، من النفقة،

---

[1] ر م: أن.
[2] ر م: تعتزلن.
[3] جميع النسخ: من تشاء منهن.
[4] ر م – وفي.
[5] جميع لنسخ: ما أباح له من القرابات من تشاء منهن وفي الإقدام على نكاح من تشاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٧٥ظ.
[6] جميع النسخ: من تشاء منهن.
[7] جميع النسخ + ذكرت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٥ظ. أي على إثر ذكر القرابات.
[8] م – أي تضم إليك.
[9] ر: فيزوجه.
[10] ر: أن.
[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥١.
[12] ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين﴾ (سورة الأعراف ١١١/٧)؛ ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين﴾ و(سورة الشعراء، ٣٦/٢٦).
[13] ر ث م: وقال.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠، ٣١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١١و/سطر٣٦-٣٨.
[16] ر م: أنك.

وكان في نفقتهن قلّة. وجائز أن يكون قوله: **ذلك أدنى أن تَقرّ أعينهن**[1] **ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن**، ذلك حين خيّرهن رسول الله بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الآخرة[2] فاخترن رسول الله، يقول -والله أعلم-: إذا اخترن المُقام عند رسول الله والدار الآخرة،[3] **ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن**، على[4] قلة النفقة والجماع، **ويرضين بما آتيتهن كلُّهن**، من النفقة وغيره. **والله يعلم ما في قلوبكم**، من الحبّ والرضا، **وكان الله عليمًا حليمًا**.

**﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾**[٥٢]

وقوله: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، اختلف في قوله: **من بعد**. قال قائلون: من بعد[5] اختيارهن رسول الله والدار الآخرة، لأن الله لمّا خيّرهن بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره الله عليهن فقال: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد اختيارهن المُقام معك. **ولا أن تبدلّ بهن من أزواج ولو أعجبك حُسنهن إلا ما ملكت يمينك**. فإن كان[6] على هذا فيخرج الحظر والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافأة[7] لما اخترنه على الدنيا وما فيها،[8] لئلّا يشرك غيرهن في قَسْمهن منه. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: اشترطْنا على[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا اخترناه والدار الآخرة أن لا يتزوّج علينا ولا يبدّل[10] بنا من أزواج.[11] ثم استثنى ما ملكت يمينه،

---

[1] م + أي لنساء اللاتي عندك واخترتهن ولا يحزن إذا علمن أن لا تتزوج عليهن ويرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة وكان في نفقتهن قلة وجائز أن يكون قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن.

[2] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٢٨-٢٩).

[3] ر ث م + فاخترن رسول الله.

[4] ر م: عن.

[5] ث - قال قائلون من بعد. صح هـ.

[6] ر م - كان.

[7] ر: والمكافات.

[8] ر م: وما فيها.

[9] ن - على.

[10] ث: ولا تبدل.

[11] ن - من أزواج. صح هـ.

لأنه لا حظ لهن في القسم. وقال بعضهم: قوله: **لا يحِلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد المسلمات كتابيات، لا يهوديات ولا نصرانيات، أي لا تتزوج[١] يهودية ولا نصرانية فتكونَ من أمّهات المؤمنين، **إلا ما ملكت يمينك**، أي لا بأس بأن تشتري[٢] اليهودية والنصرانية. فإن كان على هذا ففيه حظرُ الكتابيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر خاصة، وأما المؤمنون فإنه أباح لهم نكاح الكتابيات بقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.[٣] فيكون حِلّ الكتابيات للمؤمنين دون النبي عليه السلام بإزاء الزيادة والفضل الذي كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: قوله: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد المذكورات المحلَّلات له في الآية التي قبل هذه الآية، من بنات العمّ والعمّات وبنات الخال والخالات، يقول: لا يحل لك من[٤] النساء سوى من ذُكِر أن تتزوجهن[٥] عليهن، ولا أن تبدل بهن،[٦] **ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك**. ***والله أعلم***.

وقوله: **لا يحل لك النساء من بعد**، يحتمل[٧] **لا يحل لك**، في الخُلُق أن تتزوج عليهن[٨] بعد اختيارهن لك والدار الآخرة على الدنيا وما فيها من الزينة. أو أن يكون على التحريم نفسِه في الحكم. وليس لنا أن نفسر أيّ تحريم أراد: تحريم الحظر والمنع في الخُلق،[٩] أو تحريمَ الحكم، لأن ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قد[١٠] كان عرفه أنه ما أراد بذلك، والاشتغال به فضل. و"التبديل بهنّ"، يحتمل في التطليق، يطلّقهن فيتزوج غيرهن. ويحتمل بالموت، إذا مِتن أيضًا لم يحلّ له أن ينكح غيرهنّ. ***والله أعلم***.*

وقوله: **وكان الله على كل شيء رقيبًا**، أي حفيظًا، وقيل شاهدًا.

---

[١] ر م: أن لا يتزوج.
[٢] جميع النسخ: أن تشتري. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٦و.
[٣] سورة المائدة، ٥/٥.
[٤] ن - من، صح هـ.
[٥] ر: تزوجهن.
[٦] جميع النسخ: ولا تبديلهن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م - لا يحل لك النساء من بعد يحتمل.
[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «لا يحل لك من حيث المروءة والخلق» (ورقة ٦١٠و).
[٩] ث - في الخلق.
[١٠] ر م: وقد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١١و/سطر٣٦-٣٨

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[٥٣]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلا أن يؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه،** [٦١١ظ] يحتمل / النهي عن دخول بيوت النبي وجهين. أحدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير إذن، كما يدخل الرجل على أمّه -وإن كنّ هنّ كالأمهات لكم- بغير إذن، فيكون النهي عن الدخول في بيته نهيًا عن الدخول بغير إذن، كقوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا.[١] ويحتمل، **لا تدخلوا بيوت النبي**، ضيفًا، **إلا أن يؤذن لكم إلى طعام**، إلا أن تُدْعَوا إلى طعام؛ لأن رسول الله كان إذا هيئوا له شيئًا من الطعام دعا أصحابه فيأكلونه، وكان لا يمسك ولا يدّخر فضل الطعام لوقت آخر، فإذا نزل به ضَيْف ولم يكن عنده ما يقدّم إليه استحيا[٢] وشقّ عليه ذلك، فنُهوا عن الدخول عليه والنزول به ضيفًا لما ذكرنا، وأُمروا بالانتظار إلى أن يُدعَوا إلى الطعام، فعند ذلك يدخلون عليه ويَتضيفونه. فإن كان الأولَ ففيه الأمر بالحجاب والنهي عن الدخول بلا استئذان، وإن كان الثانيَ ففيه النهي عن النزول به ضيفًا قبل أن يُدْعَوا لما ذكرنا، ويكون الأمر بالحجاب في قوله: **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب**. وقال بعضهم: ذكر هذا لأن أناسا[٣] من المسلمين كانوا يتحيّنون[٤] طعام رسول الله وغداءه، فإذا حضر ذلك دخلوا عليه بغير[٥] إذن فجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام وإدراكه،[٦] فنهوا عن ذلك. وكانوا إذا أكلوا[٧] و فرغوا منه جلسوا في بيته ويتحدثون ويستأنسون، فنهوا عن ذلك وأُمروا بالانتشار والخروج من عنده وعندِ نسائه، ولم يكنّ يحتجبن قبل ذلك منهم، فشقّ ذلك على النبي. ***والله أعلم***.

---

[١] سورة لنور، ٢٤/٢٧.
[٢] جميع لنسخ: ستحيى.
[٣] ر: ناسا.
[٤] م: يتحيون.
[٥] ث: بلا.
[٦] ر: وادركه.
[٧] ر: كلوا.

وجائز أن يكون الأمر بالانتشار والخروج من عنده لما كان لرسول الله أمور وعبادات يحتاج إلى القيام بها، إما بينه وبين الله، أو بينه وبين غيرهم من الناس، فكانوا يَشغلونه عن ذلك، فنهوا عن ذلك لذلك. أو لما ذكر بعض أهل التأويل من الحاجة له في أزواجه والخلوة بهنّ وقت القيلولة. *والله أعلم*.

وقوله: **إن ذلكم كان يؤذي النبي**، الدخول عليه بغير إذن، أو الانتظار لنضج الطعام وإدراكه،[1] أو الجلوسَ بعد فراغهم من الطعام والحديث، أو ما كان.

وقوله: **فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق**، ورسول الله أيضًا كان لا يستحيي من الحق، لكنه يستحيي أن يقول لهم: اخرجوا من منزلي، ولا تدخلوا عليّ، ونحوَه لما يَقبُح[2] ذلك في الخُلق أن يقول الرجل لآخر: لا تدخل منزلي أو اخرج من منزلي لما يرجع ذلك إلى دناءة الأخلاق والبخل. فلما أنزل الله تعالى عليه[3] الآية وأمر أن يقول لهم ما ذكر، قال لهم وأخبرهم بذلك، فلم يستحي عند ذلك لِما صار ذلك من حق[4] الدين فرضًا عليه لازمًا أن يعلّمهم الآداب ويخبرهم[5] عما يلزمهم[6] من حق الدين. وكان قبل ذلك يستحيي لما كان ذلك[7] في حق المُلْك وحق النفس، فلما أنزل الله عليه[8] الآية وأمر بذلك صار من حق الدين، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*. وقوله: **والله لا يستحيي من الحق**، أي لا يدع ولا يترك أن يعلّمهم الحق والأدب. وقد ذكرنا معناه في قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا،[9] الآية.

وقوله: **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**، جائز[10] أن يكون المعنى الذي يكون أطهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن، ذلك المعنى الذي يكون أطهر[11] لقلوبهم من الفجور والهمّ لقضاء الشهوة وما تدعوه النفس إليه،

---

[1] ر م: أو إدراكه.
[2] ر: يفتح.
[3] جميع النسخ - عليه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧و.
[4] ن: أمر.
[5] ر م: ويخبر.
[6] ن: عما لا يلزمهم.
[7] ر م - يستحيي لما كان ذلك.
[8] ر ث م - عليه.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[10] جميع النسخ: وجائز. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن - لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن ذلك المعنى الذي يكون أطهر.

وأظهر لقلوبهنّ من العداوة والضغينة، لا الفجور وقضاء الشهوة. وذلك لأنهن[1] قد عرفن أنهن[2] لا يَحْلِلْن لغيره نكاحًا لما اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها، وقد أُوعدن[3] بارتكاب الفاحشة العذابَ ضِعفَين على ما ذكر،[4] وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك. فإذا كان كذلك، فإذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين إليهن نظرة[5] شهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة. فيقول: السؤال من وراء الحجاب أطهر لقلوبكم من الفجور والرِّيبة، وأطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة. والله أعلم بذلك. وجائز أن يكون ذلك واحدًا، وهو الريبة والفجور، لما مُكّن فيهن من الشهوات وركّب فيهن من فضل الدواعي إلى ذلك. ***والله أعلم***.[6]

وقوله: **وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تَنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**، قال بعض أهل التأويل: إن أزواج رسول الله[7] لما احتجبن بعد نزول آية الحجاب، ونُهوا عن الدخول عليهن والنظر إليهن، قال رجل: "أَنُنْهى أن ندخل على بنات عمّنا وبنات عمّاتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا؟[8] أما والله لئن مات لأتزوجَنّ فلانة"، ذكر امرأة من نسائه، فنزل: **وما كان لكم**، أي لا يحل لكم[9] **أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**.[10] لكن هذا بعيد[11] قبيح، لا يحتمل أن [يكون] أحد[12] من الصحابة يقول ذلك، أو أحد[13] ممن صفا إيمانه[14] وحسن إسلامه أن يقول ذلك، أو[15] يخطر بباله ذلك، إلا أن يكون منافقًا. ويحتمل **وما كان لكم**
[٦١٢و] **أن تؤذوا رسول الله**، / فيما تقدم ذكره، **ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**، ابتداءَ نهيٍ.[16]

---

[1] جميع النسخ: أنهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧و.
[2] م – أنهن.
[3] م: أوعدنا.
[4] انظر: الآية ٣٠ من هذه السورة.
[5] جميع النسخ: نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن – والله أعلم.
[7] ر ث م: الرسول.
[8] ر م: وخالاتنا.
[9] ث – أي لا يحل لكم.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٣/٣؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١٥٠/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١٢/١٢.
[11] جميع النسخ – بعيد. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧ظ.
[12] جميع النسخ: أحدا.
[13] ر م: أو واحد.
[14] ر ن ث: إيمانه به.
[15] ر: إسلامه أو يخطر؛ م: إسلامه أن يخطر.
[16] ن: النهي.

وجائز أن يكون: **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**، في نكاح أزواجه، فيكون أذاهم رسول الله في نكاح أزواجه من بعده، ولو كان لا يحل أزواجه للناس -كما[1] يذكر بعض أهل التأويل- لأنهن أمهات، لم يُحتج إلى النهي عن نكاحهن بعده، إذ لا أحد يقصد قصد نكاح الأم، ولكن كان يحل لهم ذلك، وكان المعنى في ذلك[2] ما ذكرنا من التعظيم له والاحترام، حتى نهاهم عن نكاح أزواجه من بعده وجعله في حرمة أزواجه على غيره بعد وفاته كأنه حي؛ وكذلك جعل في حق ماله وملكه في منع الميراث لوارثه كأنه حي، لم يرث مالَه وارثُه، بل جعل باقيًا أبدًا على ملكه،[3] وكذلك أزواجه. وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كأنه حيّ، لم تُنسَخ[4] شريعته بعد وفاته بشريعة أخرى،[5] كما نسخت شريعة الأنبياء الذين كانوا قبله إذا ماتوا بشريعة أخرى، بل جَعل[6] كأنه حيّ في إبقاء شريعته إلى يوم القيامة، فعلى ذلك جعل في أزواجه كأنه حي في حرمة أزواجه على الناس، فيكنّ أزواجه[7] في الآخرة. وعلى ذلك يخرج تأويل قوله عندنا: خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[8] أي هي لك خالصة،[9] لا تحلّ لأحد بعدك، فتكون زوجتَه في الجنة. *والله أعلم*.

وقوله: **إنّ ذلكم كان عند الله عظيمًا**، يحتمل أذى رسول الله ونكاح أزواجه، **عند الله عظيمًا**، أو **عظيمًا** في العقوبة عند الله.

**﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٥٤]**

وقوله: **إن تُبدوا شيئًا أو تُخفوه**، أي تبدوا شيئًا للعباد، أو تخفوه عنهم، **فإن الله كان بكل شيءٍ عليمًا**، أي ما أبديتم وما أخفيتم، **عليمًا**، لا يخفى عليه شيء. يذكر هذا ليكونوا أبدًا على حذر وخوف. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١١و.

[2] أي في تسميتهن "أمهات".

[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى الحديث: «إنا معشرَ الأنبياء لا نورَث ما تركنا فهو صدقة» (صحيح *البخاري*، الخمس ١، وفضائل أصحاب النبي ١٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٤٩-٥٢، ٥٤، ٥٦).

[4] ن: سم ينسخ.

[5] ن + بل جعل كأنه حي في إبقاء شريعته إلى يوم القيامة.

[6] ر م: جعله.

[7] ر م - على الناس فيكن أزواجه.

[8] الآية السابقة برقم ٥٠.

[9] م: خالصة لك.

**﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾**[٥٥]

وقوله: **لا جناح عليهن في آبائهن**، أي لا حرج ولا مأثم على النساء في دخول مَن ذكر عليهن بلا إذن ولا حجاب، مِن **آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن**، ذكر هؤلاء ولم يذكر الأعمام ولا الأخوال. فقال بعضهم: إنما لم يذكر هؤلاء ولم يبح لهم ذلك[١] لأنهن يَحْلِلْن بالنكاح لأولاد الأعمام والأخوال، فإذا دخلوا عليهن يَرَوْهنّ[٢] متجرِّدات متزيِّنات فيصفوهن لأولادهم، وقد يصف الرجل لولده حسن المرأة وقبحها، فينزل وصفهم إياهن لأولادهم منزلة رؤيتهم بأنفسهم، فيزيد لهم رغبة فيهن أو رهبةً عنهن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: لا ولكن[٣] إنما لم يَذكر الأعمام والأخوال لِما في ذِكر المذكور من بني الإخوة وبني الأخوات غِنًى عن ذكر الأعمام والأخوال، لأنهم جميعًا من جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد، وقد يُكتفى بذكر طرف من الجنس إذا كان في معنى المذكور، نحوَ ما ذَكر من أجناس المحرَّمات على الإبلاغ وترك من[٤] كل جنس شيئًا لم يذكره، إذ الذي لم يذكره هو في[٥] معنى المذكور. ففي ذِكر مَن ذُكر غِنًى عن الذي[٦] لم يذكر. فعلى ذلك في ذكر بني الإخوة وبني الأخوات غِنًى عن ذكر الأعمام والأخوال، إذ هم في معناهم. *والله أعلم*. وجائز أن يكون لم يبح الدخول للأعمام والأخوال، لأنهم إذا دخلوا عليهن فرأوهن متجردات فلعل بصرَهم يقع على فروجهن فينظر إليها بشهوة، فيَحْرُمْنَ على أولادهم، وهم إذا تزوجوهن لم يعلموا أنهن محرمات عليهم، فمنع دخول الأعمام والأخوال عليهن لذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا نسائهن**، قال بعضهم: أي نساءِ المسلمات، يقول:[٧] خص نساء المسمات وأباح لهن[٨] الدخول عليهن بلا إذن وأن يَرَيْنَهن[٩] متزيِّنات، ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات

---

[١] ر م: في ذلك.

[٢] جميع النسخ: فرأوهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٨و.

[٣] ر م - لا ولكن.

[٤] ت - من.

[٥] ث - في.

[٦] ن: لذكر.

[٧] ن. نقول.

[٨] ن - هن.

[٩] ر ث م: يزينهن.

وأمثالهن مخافةَ أن يصفن ذلك لأهل دينهن، فيكونَ ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة فيهن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **نساؤهن**، قَراباتهن، خصّ هؤلاء من بين غيرهن من الأجنبيات، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما ما ذكرنا من خوف وصف الأجنبيات لأزواجهن والمتصلين بهن من حُسنهن وزينتهن إذا رأينهن متجردات متزينات، ولا يخاف ذلك من قراباتهن. والثاني خصّ القرابات لِما بهن ابتلاء، وليس بالأجنبيات ذلك. وقد يَخِفّ[1] الحكم ربما فيما فيه الابتلاء، ويَغلُظ فيما هو أخف منه ودونه إذا لم يكن فيه ابتلاء. وعلى ذلك جائز أن يقال: إن الأعمام والأخوال لم يُذْكَروا[2] في الآية والرخصة، لأنه ليس بهم ابتلاء، وبمَن ذكر ابتلاءٌ. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا ما ملكت أيمانهن**، يحتمل الإماء خاصة، كقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[3] لم يفهموا منه سوى الإماء. فعلى ذلك جائز أن يكون المفهوم من قوله:[4] **ولا ما ملكت أيمانهن**، الإماءَ. ويحتمل الإيماء والعبيدَ جميعًا، فإن كان[5] على الإماء والعبيد جميعًا فذلك -والله أعلم- إنما أباح الدخول للعبيد على مَوْلَيَاتهم بلا إذن لأنهم إنما يدخلون عليهن عند حاجاتهن[6] إليهم في أوقات معلومة، وهنّ[7] في تلك الأوقات يكنّ مُتَأَهِّبات لدخولهم عليهنّ محتجبات عنهم. وعلى ذلك يخرج[8] ما روي أن مكاتَبًا لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل / عليها فلمّا أَدّى فعُتق منعته عن[9] الدخول عليها،[10] [٦١٢ظ]
وهو لما ذكرنا أنه كان يدخل عيها لوقت حاجتها إليه وهي كانت[11] متأهّبة لدخوله عليها،[12] وإلا لا يحتمل أن يكون يدخل عليها ويراها متجرِدة أو متزينة بعد ما أُمرن بالاحتجاب.

---

[1] ر م: يخفف.
[2] ر م: لم يذكر؛ ن ث: لم تذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٨ظ.
[3] سورة المؤمنون، ٥/٢٣-٦؛ وسورة المعارج، ٢٩/٧٠-٣٠.
[4] ر ث م: في قوله.
[5] م - كان.
[6] ث: حاجتهن.
[7] ن: وبين.
[8] ن + على.
[9] م: من.
[10] «روي أن عائشة رضي الله عنها قالت لمكاتب من أهل الجزيرة -يقال له حمران- أن ادخل علي وإن بقي عليك عشرة دراهم» (مصنف عبد الرزاق، ٤٠٨/٨).
[11] ن: كا.
[12] ث - وهو لما ذكرنا أنه كان يدخل عيها لوقت حاجتها إليه وهي كانت متأهبة لدخوله عليها.

فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر إلى مولياتهم ولا يكونون[1] محرمًا لهن. أو إن احتمل الآية العبيد فهم بالإذن يدخلون لا بغير إذن، فيكون الإذن مضمرًا فيه.

ثم قال: **واتقين الله**، فيما[2] ذكر من إباحة دخول من لم يُبَحْ دخوله عليهن والنظر إليهن، **إن الله كان على كلّ شيءٍ شهيدًا**، هذا تحذير وتوعيد لهن. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥٦]**

وقوله: **إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا**، ذكر في بعض الحديث أنه لما نزلت هذه الآية قيل له: يا رسول الله هذا لك، فما لنا؟ فنزل قوله: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[3] الآية،[4] قد بين ما صلاته عليهم وصلاة الملائكة، وهو ما ذكر من إخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو دعاؤهم إلى الهدى والرشد. وذكر عن كَعْب بن عُجْرَة، قال: لما نزل: **إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا**، قمت إليه فقلت:[5] "السلام" قد عرفناه، فكيف "الصلاة" عليك يا رسول الله؟ قال: «قل: اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى[6] آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى[7] آل إبراهيم [إنك حميد مجيد]».[8]

ففي الآية الأمر للمؤمنين أن يُصلّوا على النبي، ثم لمّا سُئل هو عن كيفية[9] الصلاة عليه ومائيته، قال لهم أن يقولوا:[10] "اللّهم صل على محمد..." وهو سؤالُ أَنْ يتولّى الرب الصلاة عليه، وفي ظاهر الآية هم المأمورون بتولي الصلاة[11] بأنفسهم عليه. لكنه صلوات الله عليه،

---

[1] ر م: ولا يكونوا.
[2] م: مما.
[3] الآية ٤٣ من هذه السورة.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٤/٣.
[5] جميع النسخ + يا رسول الله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩و.
[6] ن ث – على.
[7] ر ن ث – على.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١١ظ. مصنف *عبد الرزاق*، ٢١٢/٢؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٤، ٢٤٣؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ١٠/٣٣؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٦.
[9] ر: كيفيته.
[10] ر م: أن تقولوا.
[11] ث + عليه.

لمّا أُمروا بالصلاة عليه -وهي الغاية من الثناء عليه-[١] لم ير في وسعهم وطاقتهم القيامَ بغاية ما أمروا به من الثناء عليه،[٢] أمرهم أن يَكِلوا ذلك[٣] إلى الله ويفوّضوا إليه وأن يسألوه ليتولّى ذلك هو دونهم، لِما لَمْ[٤] يَرَ[٥] في وسعهم القيام[٦] بغاية الثناء عليه، وإلا ليس في ظاهر الآية سؤال الرب أن يصلّيَ هو عليه، ولكنْ فيها الأمر أن صلّوا أنتم عليه. ***والله أعلم***. وقوله: "كما صلّيت وباركتَ على إبراهيم وآله"، تخصيص إبراهيم من بين غيره[٧] من الرسل يحتمل ما ذكره بعض[٨] أهل التأويل أنه ليس من أهل دين ومذهب إلا وهو يدّعي ويزعم أنه على دينه ومذهبه وأنه يتأسّى به، لذلك خصّه بالصلاة عليه من بين غيره[٩] من الأنبياء. وجائز أن يكون لا لهذا ولكنه لمعنى كان فيه وفي سِرّيته لا نعرفه نحن، فخصّه بذلك من بين[١٠] غيره.[١١] ***والله أعلم***. وقوله: "وباركْ على محمد"، البركة كأنها اسم كل خير يكون أبدًا على النماء والزيادة في كل وقت. وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل في صلاة الله عليهم وصلاة الملائكة وصلاة المؤمنين.[١٢]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٥٧]**
**﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[٥٨]**

وقوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، اختلف فيه. قال بعضهم: نزلت الآية في اليهود حين قالوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[١٣] وهو فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[١٤] وفي النصارى حين قالوا:

---

[١] ر ث م - عليه.
[٢] ن + وهي الغاية من الثناء عليه.
[٣] ن + عليه.
[٤] ر ث - لم.
[٥] ن ث م: ترى.
[٦] ر م: لقيامة.
[٧] جميع النسخ: غيرهم.
[٨] ر ث م - بعض.
[٩] جميع النسخ: غيرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١١ظ.
[١٠] ن - بين.
[١١] جميع النسخ: غيرهم.
[١٢] انظر: الآية ٤٣ من هذه السورة.
[١٣] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[١٤] ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلَهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ (سورة آل عمران، ١٨١/٣).

ﭐلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ[1] وإنه ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ[2] وفي مشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام آلهة، ونحو ذلك، وأذاهم رسولَ الله حين شجّوه وكسروا رَباعِيَته، وقالوا: إنه مجنون، وإنه ساحر، وأمثال ذلك. فأنزل الله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، يقول: عذبهم الله في الدنيا والآخرة. فأما تعذيبه إياهم[3] في الدنيا قتلهم بالسيف يوم بدر، يعني مشركي العرب، وأهلَ الكتاب بالجِزية إلى يوم القيامة، وفي الآخرة النار. وقال بعضهم قريبًا من ذلك: إن الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير والتماثيل، فلهم ما ذكر.[4]

وقوله: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**، أي يقعون فيهم. وقال بعضهم: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، هم الذين قذفوا عائشة بصَفوانَ، آذوا رسول الله في زوجته عائشة حين قذفوها،[5] وهي بريئة مما قذفوا، وقوله: **المؤمنين والمؤمنات**، صفوان وعائشة.[6] وقال بعضهم: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[7] فعلى هذا التأويل[8] عذابهم في الدنيا[9] الجَلْد وفي الآخرة النار. وجائز أن يكون هذا الوعيد في قاذف كل مؤمن ومؤمنة بغير ما اكتسب به. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله**، إضافة الأذى إلى الله على إرادة رسوله خاصة، لأن الله لا يجوز أن يقال: إنه يتأذى بشيء أو يؤذيه شيء، لأن الأذى ضرر يلحق، والله يتعالى عن أن يلحقه ضرر أو نفع،[10] بل هو القاهر الغالب القادر الغنيّ بذاته، ويكون المراد بإضافة الأذى إليه رسولَه خاصّة،

---

[1] ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[2] ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ (سورة المائدة، ٥/٧٣).

[3] م - إياهم.

[4] «نزلت في اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله عز وجل أن زعموا أن لله ولدًا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله عز وجل يعني التماثيل والتصاوير، وأما أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنهم زعموا أن محمدًا ساحر مجنون شاعر كذاب» (*تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٤).

[5] ر م: قذفوا.

[6] انظر: *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٦٠؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٤/٤٢٣.

[7] «نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن نفرًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه» (*تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٤؛ و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٧٣).

[8] ر ث م - التأويل.

[9] ل + قتل.

[10] ل + ضرر شيء أو نفع شيء

على ما ذكرنا في قوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ،[1] أي يخادعون رسوله، أو يخادعون أولياءه، لأن الله تعالى لا يخادَع؛ وكقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ،[2] أي[3] إن تنصروا دين الله ينصركم، أو إن تنصروا رسوله وأولياءه ينصركم، وأمثال ذلك كثير في القرآن، نسَبَ ذلك إلى نفسه على إرادة أولياءه، فعلى ذلك هذا. / *والله أعلم، وبالله العصمة والتوفيق*. إلا أن يريد بالأذى -أعني ما ذكر من أذى الله- المعصية فهو جائز، وكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، [أنه] قال: «من آذاني فقد آذى الله»،[4] أي من عصاني فقد عصى الله. [٦١٣و]

وفي الآية بيان وقوع المراد على الاختلاف والتفاوت من لفظ واحد، لأنه ذكر هاهنا أذى رسول الله وعقب الوعيد الشديد من اللعن والعذاب في الدنيا والآخرة، وذكر في الآية التي قبلها، حيث قال: إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ،[5] وما ذكر من الأذى. ثم لا شك أن المفهوم من هذا الأذى المذكور في هذه الآية غير المفهوم من الأذى المذكور في قوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، وأن أحدهما في المؤمنين[6] والآخر في الكفار،[7] وإن كان ظاهر اللفظ في المخرج واحدًا. وكذلك المفهوم من الظلم الذي ذُكر في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا،[8] غير المفهوم من الظلم الذي قال آدم: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا.[9] والمفهوم من الضلال الذي قال موسى: فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ،[10] غير المفهوم من ضلال فرعون وسائر الكفرة. وكذلك الفسق، ومثل هذا كثير، لا يجب أن نفهم من أمثال هذا شيئًا واحدًا أو معنًى واحدًا، وإن كان اللفظ لفظًا واحدًا، ولكن على اختلاف الموقع.

وفي الآية دلالة عصمة رسول الله، وأن لا يكون منه ما يستحق الأذى بحال، وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون الأذى ويستحقونه، حيث ذكر الأذى لرسول الله مطلقًا

[1] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.
[2] سورة محمد، ٧/٤٧.
[3] ر - أي.
[4] مسند أحمد بن حنبل، ٨٧/٤، ٥٤/٥، ٥٧؛ وسنن الترمذي، المناقب ٥٨.
[5] الآية ٥٣ من هذه السورة.
[6] ر ث م: من المؤمنين.
[7] ر م: من الكفار.
[8] سورة الفرقان، ١٩/٢٥.
[9] سورة الأعراف، ٢٣/٧.
[10] سورة الشعراء، ٢٠/٢٦.

مرسلاً غير مقيّد بشيء، حيث قال: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله**، وذكر أذى المؤمنين مقيّدًا بشرط الكسب، حيث قال:[1] **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**. فدلّ شرط الكسب على أنهم قد يكتسبون ما يستحقون الأذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك، وأما الرسول فلا يكون منه ما يستحق ذلك أو يوجب له. ***ولا قوة إلا بالله***.

و"اللعن" هو الطرد في اللغة، طردهم عن رحمته وبعدهم عنها. و"البهتان"، قيل: هو أن يقال ما ليس فيه؛ وبُهِت،[2] قيل: تحيّر[3] وانقطع حِجاجه.

وقال بعضهم: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**، نزل في قوم همتهم الزنا بالإماء، وكانت الحرائر يومئذ يخرجن بالليل على زيّ[4] الإماء، فيتابعوهن ويطلبون منهن ما كانوا يطلبون[5] من الإماء، فكان ذلك يؤذيهم ويَتأذَّيْنَ بذلك جدًّا فشكون[6] إلى رسول الله في ذلك، فنزل: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**. ثم أُمرن عند ذلك بإدناء الجلباب وإرخائه عليهن ليُعرفن أنهن حرائر، ونُهِينَ أن يتشبّهن[7] بالإماء لئلّا يُؤذَين.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٥٩]**

وهو قوله: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤذَين**. قال[8] بعضهم: نزل هذا بالمدينة في نساء المهاجرين، وذلك أن المهاجرين قدموا[9] المدينة، وهي مَضِيقة ومعهم نساؤهم، فنزلوا مع الأنصار في ديارهم فضاقت[10] الدور عليهم،

---

[1] م – قال.

[2] ر م: فبهت. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آته الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[3] ن: يحير.

[4] ر م: زي.

[5] ر ث م – منهن ما كانوا يطلبون.

[6] ر ث م: فشكوه؛ ر ن ث + ذلك.

[7] جميع النسخ: أن يشبهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩ظ.

[8] جميع النسخ: وقال.

[9] ر ث م + إلى.

[10] جميع النسخ: فضاق. والتصحيح من المرجع السابق.

فكانت النساء يخرجن بالليل إلى البَرَاز[1] فيقضين حوائجهن هنالك. فكان المُريب يَرْصُد النساء بالليل فيأتيها فيتعرض[2] عليها، وإنما كانوا يطلبون الولائد والإماء، فلم تُعرَف الأَمَةُ من الحُرَّة بالليل لأن زِيّهن كان واحدًا يومئذ، فذكرت[3] نساء المؤمنين ذلك إلى أزواجهن ما يَلْقَيْنَ بالليل من أهل الرِّيبة والفجور، فذكروا ذلك لرسول الله فنزل فيهم: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**، إلى آخر ما ذكر.[4] أُمر الحرائر بإرخاء الجلباب وإسداله عليهن ليكون عَلَمًا بين الحرائر والإماء. وروي[5] عن عمر بن الخطاب[6] رضي الله عنه أن جارية مرت به متقنعةً[7] فضربها بالدِّرَّة،[8] وقال: "اكشفي قِناعكِ ولا تتشبهي بالحرائر"، أَمَرَ[9] الإماء بكشف ما ذكر والحرائر بستر ذلك.[10] وقد أُمر الحرائر في سورة النور بضرب الخُمُر على الجيوب بقوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ،[11] لئلّا تظهر[12] الزينة التي على الجيوب، ونُهين أن يُظهرن ويبدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها، وأُمرن في هذه الآية بإرخاء[13] الجلباب وإسداله عليهن لِيُعْرَفْنَ أنهن حرائر فلا يُؤْذَين بما ذكرنا.

ثم اختلف في الجلباب، قال بعضهم: هو الرداء، والجلابيب الأردية، وهو قول القُتَبِي.[14] أمرن أن[15] يلبسن الأردية والمُلاء. وقال أبو عَوْسَجَة: الجلابيب المقانع، الواحد جِلباب، يقال: تَجَلْبَبِي، أي[16] تَقَنَّعِي، وهو الذي يكون فوق الخمار.

---

[1] ن: البرّ ن.
[2] جميع النسخ: فيعرض.
[3] جميع النسخ: فذكر.
[4] *أسباب النزول* للواحدي، ٢٧٣؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣٧٦/٦.
[5] م: روي.
[6] ر ث م – بن الخطاب.
[7] ن: مقنعة؛ م: مرت متقنعة.
[8] الدِّرَّة: لسوط يضرب به، ومنه دِرَّة عمر (*المعجم الوسيط*، «درّ»).
[9] ر ث م: وأمر.
[10] مصنف *عبد الرزاق*، ١٣٥/٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٣٤٤/٤.
[11] ﴿وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ (سورة النور، ٣١/٢٤).
[12] جميع النسخ: لئلا يظهر.
[13] جميع النسخ: على إرخاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩ظ.
[14] *تفسير غريب القرآن*، ٣٥٢.
[15] ت – ان؛ م: أمرنا.
[16] ن: ان.

وفي الآية دلالة رخصة خروج الحرائر للحوائج، لأنه لو لم يجز لهنّ الخروج لم يؤمرن بإرخاء الجلباب على أنفسهن ولكن نهاهن[1] عن الخروج، فدل أنه يجوز لهن الخروج للحاجة. **والله أعلم.**

**﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦٠] ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[٦١]**

وقوله: **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، جائز أن يكون قوله: **لئن لم ينته**
[٦١٣ظ] **المنافقون**، عما سبق ذكره من التعرض للنساء بالزنا والفجور / بهن، وأنهم هم الفاعلون لذلك بهن. وأما المسلمون فلا يحتمل أن يتعرضوا لشيء من ذلك في ذلك[2] الوقت، فقال: **لئن لم ينته المنافقون**، ومَن ذكر عن ذلك يفعل بهم ما ذكر. وقال بعضهم: إن أهل النفاق كانوا يُرجفون[3] أخبار العدوّ ويُذيعونها، ويقولون: قد أتاكم عَدَد وعُدّة من العدوّ، كقوله: اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[4] كانوا يُجَبِّنُونهم[5] ويضعفونهم لئلا يَغْزُوا أولئك الكفرة، يُسرّون النفاق والخلاف لهم، ويظهرون الوفاق ويسرّون فيما بينهم، ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية[6] الرسول، فنهوا عن ذلك، حيث قال: فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ،[7] فقال هاهنا: **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، عن صنيعهم ذلك، **لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً**. قال بعضهم: **لنغرينك بهم**، أي لنسلِّطنّك عليهم، وقال بعضهم: لنحملنك عليهم، وقال بعضهم: لَنُولعنك بهم. وكأن الإغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى يقابلَهم[8] بالسيف ويقتلهم، وكان قبل ذلك يقابلهم باللسان، لم يأمره بالمقاتلة بالسيف[9] إلى هذا الوقت.

---

[1] جميع النسخ: ينهاهن.
[2] ر م – في ذلك.
[3] ر: يرجعون.
[4] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.
[5] ر م: يجنبونهم.
[6] ر م: ومعصيت.
[7] ر م + فنهوا عن ذلك. سورة المجادلة، ٩/٥٨.
[8] جميع النسخ: حتى يقاتلهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦١٢ط.
[9] ن – ويقتلهم وكان قبل ذلك يقابلهم باللسان لم يأمره بالمقاتلة بالسيف.

وأخبر أنهم[1] ملعونون[2] أينما ثقفوا، أي مطرودون أينما وُجدوا -لأن اللعن هو الطرد- وأنهم يُقَتَّلون تقتيلاً، وأنهم لا يجاورونك إلا قليلاً فيما لا تعلم بهم.

وقوله: **والذين في قلوبهم مرض**. قال بعضهم: هم الزُّناة، **والمنافقون**، هم المنافقون، **والمرجفون**،[3] هم[4] ليسوا بمنافقين ولكنهم[5] قوم كانوا يحبون أن يُفشوا الأخبار، ويقال: الإرجاف[6] هو تشييع الخبر. وجائز أن يكون المنافق هو الذي كان مع الكفرة في السر حقيقة، والذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب لم يكن مع الكفرة لا سرًّا ولا ظاهرًا، والذي بين الكافر والمنافق.

**﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[٦٢]**

وقوله: **سنة الله في الذين خلَوا من قبل**، قال بعضهم: سنةُ الله في الأمم السالفة الإهلاك من الكفار. وجائز أن يكون قوله: **سنة الله**، في أهل النفاق من الأمم السالفة ما ذكر في هؤلاء.

وقال مقاتل: **في الذين خلَوا من قبْل**، [أي][7] أهل بدر، حين أُسروا وقتلوا.[8] *والله أعلم*.

**﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٦٣]**

وقوله:[9] **يسألك الناس عن الساعة**، جائز أن يكون السؤال عنها ما ذكر في آية أخرى، حيث قال: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[10] وعن قيامها، فقال: **قل إنما علمها عند الله**. ففيه دلالة إثبات رسالة رسول الله،[11] لأنه[12] حين سُئل عنها فوّض أمرها وعلمها إلى الله على ما أمر به.

---

[1] وفي *الشرح*: «وقوله: ملعونين أينما ثقفوا أخبر أنهم...» (ورقة ٦١٢ظ).

[2] م: ملعونين.

[3] ث - هم المنافقون والمرجفون.

[4] ر ث م - هم.

[5] ن: ولكن.

[6] جميع النسخ: للإرجاف. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٠ظ.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٢ظ.

[8] تفسير *مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٥.

[9] ر م + سنة الله في الذين خلوا من قبل.

[10] سورة الأعراف، ١٨٧/٧؛ وسورة النازعات، ٤٢/٧٩.

[11] ر م: رسول.

[12] ن + سئل.

ولو كان غيرَ رسول الله لكان يجيبهم عَلِم أو لم يعلم، على ما يفعله طلاب الرياسة في الدنيا، إذا سُئلوا عن شيء قالوا شيئًا وإن لم يعلموا، لأن ذلك أبقى للرياسة لهم. فإذ لم يفعل صلى الله عليه وسلم كما يفعل أصحاب الرياسة بل قال: "علمها عند الله"، دل أنه رسول الله مبلِّغ إليهم ما أُمر بالتبليغ إليهم.

وقوله: **وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا**، هذا يخرج على الوعيد والتحذير، وهو يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول: اعلم أن الساعة تكون قريبًا، على الإيجاب، لأن "لعل" من الله واجب،[1] وكل ما هو آت فهو[2] كالكائن. والثاني على الترجي، أي اعملوا[3] على رجاء أنها[4] قريب. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾[٦٤] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٦٥]**

وقوله: **إن الله لَعَنَ الكافرين وأعدّ لهم سعيرًا**، لعنَهم أي طردهم[5] عن رحمته، لما علم أنهم يختارون الكفر على الإيمان ويُختَمون عليه. **وأعدّ لهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا**. قوله:[6] **خالدين فيها أبدًا**، ينقض على الجهمية قولهم، وعلى أبي الهُذَيل العَلّاف. أما على الجهمية[7] لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تَفْنَيان ولهما النهاية، وقالوا: لأنا لو لم نجعل لهما النهاية والغاية لخرجتا عن علم الله، لأن الشيء الغير المتناهي خارج عن علمه. لكن هذا بعيد [و]جهل منهم بربّهم،[8] لأن علمه بالشيء الغير المتناهي أنه غير متناه،[9] وعلْمَه بالمتناهي أنه متناه،[10]

---

[1] ر ث م + فهو.
[2] ر م: وفهو.
[3] ر ث م: اعلموا.
[4] جميع النسخ: أنه.
[5] ر م: تطردهم.
[6] ن: وقوله.
[7] م – أما على الجهمية.
[8] ث – بربهم.
[9] جميع النسخ: غير متناهي.
[10] ر م: متناهي. وفي الشرح: «لأنه يعلم الشيء على ما هو عليه، إن كان متناهيا يعلمه [متناهيا]، وإن كان غير متناه يعلمه غير متناه» (ورقه ٦١٢ط).

ولا يجوز أن يخرج شيء عن علمه متناهيًا كان أو غير متناه.[١] *وبالله العصمة.* وأما على[٢] العلّاف، فلأنه يقول: إن أهل الجنة وأهل النار يصيرون بحال في وقت مّا حتى إذا أراد الله أن يزيد لأحد منهم لذة أو نعمة أو عذابًا لا يملك عليه،[٣] أو كلام نحو هذا. فنعوذ بالله من السَّرَف في القول على الله.[٤]

وقوله: **لا يجدون وليًا ولا نصيرًا**، مما[٥] طمعوا في الدنيا ورجوا من كثرة الأسباب والحواشي، أو عبادة الأصنام وغيرها، أن ينفعهم ذلك وينصرهم في الآخرة، بل ضلّ عنهم ذلك وحُرِموا،[٦] على ما أخبر: وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.[٧] *والله أعلم.*

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[٦٦]

وقوله: **يوم تُقلَّب وجوههم في النار**، وقال في آية أخرى: ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ،[٨] وأصله ما ذكر في قوله: أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[٩] يُفعل بهم في الآخرة على ما كانوا عليه[١٠] في الدنيا.

وقوله: **يقولون يا لَيتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**، لا يزال الكفرة قائلين لهذا القول مرددين[١١] له في الآخرة، لِما رأوا من العذاب حين حلّ بهم: **يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**، الرسول المطلق رسول الله، / والسبيل المطلق هو سبيل الله، والدين المطلق هو[١٢] دين الله. هو المعروف[١٣] [٦١٤و] في القرآن.

---

[١] ر م: متناهي.
[٢] ر ث م - على.
[٣] جميع النسخ: لم يملك عليه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١و.
[٤] «وهذه الآية تدل على خلود النعيم والعذاب [بدلالة كلمة "أبدًا"]. فيبطل مذهبهما. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١٢ظ).
[٥] ث م: ما.
[٦] ر م: وجرموا.
[٧] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٤/٦؛ وسورة الأعراف، ٥٣/٧.
[٨] سورة الفرقان، ٣٤/٢٥.
[٩] سورة الملك، ٢٢/٦٧.
[١٠] ر ث م - عليه.
[١١] ر ث م: مترددين.
[١٢] ر م - سبيل الله والدين المطلق هو.
[١٣] ر: المعرف.

**﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾**[٦٧]

وقوله:[1] **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلَا**، قال بعضهم: "السادة" الملوك، و"الكبراء"[2] العلماء. وجائز أن يكون "السادة" القادة، و"الكبراء" دونهم.

و الرَّسُولَا[3] **والسبيلَا**، أثبتوا الألف فيه عند الوقف، وأما عند الوصل فلا. وذلك أن[4] من عادة العرب أن لا تقف على الحركة، ولكن تَزيد لها ألفًا إذا كانت فتحةً، وإذا كانت كسرةً ياءً.[5]

**﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾**[٦٨]

وقوله: **ربّنا آتهم ضعفين من العذاب**، ظنوا أن يكون لهم بعض التسلّي والتفرّج إذا رأوا أولئك الذين أضلّوهم في زيادة من العذاب، على ما يكون للرجل بعض التسلي إذا رأى عدوه في بلاء وشدّة، فلما لم يكن[6] لهم من ذلك تسلٍّ،[7] بل كان لهم من ذلك زيادة عذاب وشدة قالوا[8] عند ذلك: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ،[9] الآية. وقوله: **والْعَنهم لعْنًا كبيرًا**، جائز أن يكون هذا: أي عذّبهم عذابًا كبيرًا طويلاً.[10]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾**[٦٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا**، يقول عامة

---

[1] ن – وقوله.

[2] ن: وبالكبراء.

[3] من الآية السابقة.

[4] ث – أن.

[5] «﴿الظنونا﴾[١٠] و﴿الرسولا﴾[٦٦] و﴿السبيلا﴾[٦٧]، قرأ المدنيان وابن عامر وأبو بكر بألف في الثلاثة وصلاً ووقفًا؛ وقرأ البصريان وحمزة بغير ألف في الحالين؛ وقرأ الباقون وهم ابن كثير والكسائي وخلف وحفص بألف في الوقف دون الوصل» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٤٩). وانظر لتفصيل: *تفسير القرطبي*، ١٧/٩٣-٩٤.

[6] ن: لم تكن.

[7] ن ث م: تسلي.

[8] جميع النسخ: فقالوا.

[9] سورة الزخرف، ٣٨/٤٣.

[10] ث: طويلا كبيرا.

أهل التأويل: إن موسى كان لا يغتسل فيما يراه أحد، فقال بنو[1] إسرائل: إن موسى آدَرُ،[2] ويروون على ذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن بني إسرائل طعنوا نبيَ الله موسى بذلك، فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه، فجعل موسى يَعدُو في إثره ويقول:[3] "[يا] حَجَرُ توبي" حتى مرّ به[4] على ملأ من[5] بني إسرائيل فعلموا أنه ليس به شيء، فذلك قوله: **فبرّأه الله مما قالوا**».[6] وكان[7] موسى يتأذى بما كانوا يطعنونه،[8] فعلى ذلك رسول الله كان يتأذى إذا قالوا: زيد بن محمد، فأُمروا أن يدعوه لأبيه، بقوله:[9] ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[10] زيد بن حارثة. لكن هذا التأويل بعيد لأن موسى كان يدعوهم إلى ستر العورة، لا يحتمل أن يطمعوا هم منه الاغتسال معهم وأن يكشف عورته لهم، أو ينظر إلى عورته[11] أحد -هذا وحش من القول- أو يسلِّط [عليه تعالى][12] حجرًا فَيَذْهب بثيابه حتى يراه الناس متجرِّدًا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: آذوه لأنه كان خرج بهارون إلى بعض الجبال لأمر،[13] فمات هارون هنالك فرجع موسى إليهم وحده، فقال بنو[14] إسرائل لموسى: "أنت قتلته حسدًا"، فقال موسى: "ويلكم أيَقتل الرجل أخاه؟" فآذوه، فذلك قوله: **لا تكونوا كالذين آذَوا موسى**،[15]

---

[1] ر ن ث: بنوا.

[2] الأُدْرَة نفخة في الخصية. يقال: رجلٌ آدَرُ: بيّن الأدَر. وقيل: هو الذي يصيبه فَتْقٌ في إحدى الخصيتين. ومنه الحديث: إن بني إسرائيل كانوا يقولون: إن موسى آدر من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آدوا موسى﴾ [الآية] (*لسان العرب*، «أدر»).

[3] ر م + حجر أي يا.

[4] م - به.

[5] جميع النسخ - من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١ظ.

[6] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٥٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٣١٥؛ وصحيح البخاري، الغسل ٢٠، الأنبياء، ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ٧٥، الفضائل، ١٥٥، ١٥٦.

[7] ر: وكانو.

[8] ر م: يطعنون.

[9] ر ث م: يقول.

[10] الآية ٥ من هذه السورة.

[11] جميع النسخ: إلى عورة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١ظ.

[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.

[13] ر م - لأمر.

[14] ن ث - سوا.

[15] ر ث م + فبرأه الله مما قالوا.

فجاءت به الملائكة فوضعته بينهم فقال لهم: "لم يقتلني أحد،[1] إنما جاء أجلي فمِتّ"، فذلك قوله: **فبرّأه الله مما قالوا**.[2] هذا يشبه أن يكون. ولكن كأن غيره أقرب وأشبه،[3] وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم إلى الجنون مرةً وإلى السحر ثانيًا وقالوا:[4] إنه كذاب،[5] مفترٍ،[6] ونحوه، على عِلم منهم أنه رسول الله، ولا شك أنهم كانوا يتأذَّون بذلك جدًّا، ولذلك قال: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ.[7] لا يحتمل أن يكون هذا في الأول، لأنهم لو كانوا علموا أنه ليس به ما ذكروا[8] لم يؤذوه، فدلّ أن أذاهم[9] إياه فيما ذكرنا وفي أمثال ذلك. وكذلك ما نَهَى قوم رسولِ الله[10] من الأذى له لِما نسبوه مرةً إلى الجنون وإلى السحر[11] ثانيًا وإلى الافتراء والكذب على الله ثالثًا، لا فيما ذكر أولئك. **وكان عند الله وجيهًا**، أي مَكينًا[12] في القدر والمنزلة. ***والله أعلم***.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٧١]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا**، جائز أن يكون قوله: **اتقوا الله**، أي اتقوا الشرك في حادث الوقت، **وقولوا قولاً سديدًا**، أي إئتوا بالتوحيد في حادث الوقت، لأنه إنما خاطب به المؤمنين.

---

[1] ن – أحد.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩٤/١٩.

[3] جميع النسخ: وغيره كأنه أقرب وأشبه.

[4] ر م – قالوا.

[5] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (سورة ص، ٤/٣٨.

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مُفترٍ بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة النحل، ١٠١/١٦).

[7] سورة الصف، ٥/٦١.

[8] ن: ما ذكروه.

[9] ن: إياهم.

[10] ث + صلى الله عليه وسلم.

[11] ن: الجنون.

[12] ث: مكث.

**يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**، أي بالتوحيد، لأنه بالتوحيد[١] تصلح[٢] الأعمال وتزكو،[٣] وبه يُغفر ما كان من الذنوب، وبه يكون الفوز العظيم. ***وبالله التوفيق.***

ويحتمل قوله: **اتقوا الله** في الخيانة[٤] فيما بينكم وبين الخلق، أي لا تخونوا الخلق. **وقولوا قولاً سديدًا**، أي صدقًا وصوابًا، أي لا تَكْذِبوا ولا تقولوا فُحشًا ونحوه. ويحتمل، **اتقوا الله**، ولا تعصوه واعملوا[٥] بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، **وقولوا قولاً سديدًا**، ومُروا الناس بالمعروف[٦] وانْهَوا عن المنكر، **يُصْلِحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**، إلى آخر ما ذكر. ***والله أعلم.***

[٦١٤ظ س٣٠ * قال أبو عَوْسَجة: السَّداد الاستقامة،[٧] تقول: سدّدك الله وأرشدك. وقال أبو عُبَيدة: السديد القصد،[٨] وكذلك قال القُتَبي.[٩] والقصد كأنه العدل.* ٦١٤ظ س٣١]

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٧٢]

وقوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال**، قد تكنف[١١] أهل[١٢] التأويل في[١٣] تفسير هذه الأمانة المذكورة في الآية. قال بعضهم: هي[١٤] كلمة الشهادة والتوحيد، ومنهم من قال: هي جميع الفرائض التي افترض الله على عباده، ومنهم من قال: هي[١٥] الصلاة

---

[١] م - لأنه بالتوحيد.
[٢] جميع النسخ: يصح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[٣] ر: تذكر؛ ث م: تذكو.
[٤] م: الجناية.
[٥] ر م: و علموا.
[٦] ر ث م - بالمعروف.
[٧] ر م: والاستقامة.
[٨] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١٤١/٢.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية لآتية برقم ٧٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٤ظ/سطر٣٠-٣١.
[١١] ر م: يكنف.
[١٢] ث + التكيف.
[١٣] ر ث م - في
[١٤] ر - هي.
[١٥] ر - هي.

والصيام والحج وأمثاله وجميع ما أمروا به ونُهوا عنه. لكن التكلف والاشتغال بالتكلم في مائية[1] هذه الأمانة المذكورة المعروضة على من ذكر فضلٌ، لا يجب أن يُتكلَّف تفسيرها أنها كذا، لأنها مبهمة لا تعلم[2] إلا بالخبر الوارد عن الله تعالى أنها كذا، و[يجب] أن يُجعل ذلك من المكتوم [الذي][3] لا يشتغل[4] بتفسيره.[5] والله أعلم بذلك.

ثم اختلف فيما ذكر مِن عَرْض هذه الأمانة على السماوات والأرض والجبال وما ذكر من إبائها عن احتمالها والإشفاق منها.[6] فقال بعضهم: قوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض،**[7] ومن ذكر، أي خلقنا خِلقةَ ما ذكر من السماوات والأرض والجبال خلقةً لا تحتمل[8] حَمْل ما ذكر / من الأمانة. **فأبين أن يحملنها**، إباء خلقة، أي لم تخلق[9] [٦١٤ظ] خلقتها بحيث تحتمل[10] ذلك، **وحمَلها الإنسان**، أي خلقنا خلقة الإنسان خلقةً تحتمل ذلك، إلى هذا يذهب بعضهم. وقال بعضهم قوله: **عرضنا**، على[11] حقيقة العرض، إلا أنه على التخيير بين[12] أن تقبل وتتحمل[13] وتفيَ بذلك فيكونَ لها الثواب أو لا تَفِيَ فيكونَ لها العقاب في الآخرة، وبين أن لا تتحمل[14] ولا تقبل[15] فتكون[16] كسائر الموات تفنى بفناء الدنيا، لا ثواب لها في الآخرة ولا عقاب، وإلا لم يُحتمل[17] أن يَعرض عليهن ما ذَكَر عرض لزوم وإيجاب

---

[1] ر: مائيته.
[2] ر ث م: لا يعلم.
[3] الزيادتان من الشرح، ورقة ٦١٣و.
[4] ن: لا تشتغل.
[5] جميع النسخ: بالتفسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢و.
[6] ر ث م – منها.
[7] ث + والجبال.
[8] ن: لا يحتمل.
[9] جميع النسخ: لم يخلق.
[10] ن: يحتمل.
[11] ر ث م – على.
[12] ن: من.
[13] جميع النسخ: أن يقبل ويتحمل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦١٣و.
[14] ر ن م: يتحمل.
[15] م: تقبل.
[16] ر ن م: فيكون.
[17] ر: لم يحتمله.

ثم هن[1] يأبَيْن ذلك ويشفقن منها، وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع في غير آي من القرآن، حيث قال: فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،[2] وقال: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ،[3] الآية. وقال في آية أخرى:[4] يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ،[5] وكذا،[6] ونحوه. فدل[7] إن كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذي ذكرنا. **وحملها الإنسان**، فكان له الثواب إن قام بها، وعليه العقاب إن لم يَفِ بها.[8]

وقال بعضهم قوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال**، أي عرضنا[9] على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال فلم يحملوها، إلا الإنسان منهم فإنه حملها. **إنه كان ظلومًا جهولاً**، قال الحسن: ظلومًا لنفسه، جهولاً لأمر ربه.[10]

وقال بعضهم: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**، أي أبَيْن أن يعصين الله وأشفقن منه، أي لم يعصوا قطّ، **وحملها الإنسان**، أي عصى الإنسان[11] ربه، فيجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر. يقول: لأنه ما ذكر في القرآن الحمل إلا في الوزر والخطايا، كقوله: وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ، وقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ،[12] وقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[13] وقوله: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ،[14] ونحوه كثير.

---

[1] ر ث م: بين.
[2] سورة فصلت، ٤١/١١.
[3] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٢١).
[4] جميع النسخ – أخرى. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢ظ.
[5] ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٧٩).
[6] أي والجبال.
[7] جميع النسخ: ولكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[8] جميع النسخ: إن لم يقم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢ظ.
[9] ر م: عرض.
[10] *النكت والعيون* للماوردي، ٤/٤٣٠.
[11] ث – أي عصى الإنسان.
[12] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١٢-١٣).
[13] ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ (سورة النحل، ١٦/٢٥).
[14] سورة الانشراح، ٩٤/٢-٣.

وقوله: **إنه كان ظلومًا جهولاً**، إلى أيّ تأويل من هذه التأويلات التي ذكرنا صُرف هذا إليه استقام. *والله أعلم*.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأمانة العبادة، قال الله تعالى للسماوات والأرض والجبال: تأخذن العبادة بما فيها؟ قلن: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنتُنّ جُزيتُنّ وإن أسأتن عُوقبتن.[1] **فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**، أي خِفن؛ وعرضت على الإنسان فقبلها، وهو قول الله لبني آدم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ،[2] أمّا خيانتهم الله ورسوله فمعصيتهما، وأمّا خيانتهم[3] الأمانة فتركهم ما افترض الله عليهم من العبادة. وقتادة يقول: أَمَا واللهِ ما بهن معصية[4] ولكن قيل لهن: أتحملنها[5] وتؤدّين حقها؟ قلن: لا نطيق ذلك، فقيل للإنسان -وهو آدم-: أتحملها وتؤدي حقها؟ قال: نعم. **إنه كان ظلومًا جهولاً**، عن حقّها.[6] وفي حرف أُبيّ وابن مسعود وحفصة،[7] فأبين، أي فلم يطقنها. وقال أبو معاذ: الإباء في كلام العرب على وجهين. أحدهما هذا وهو العجز، والآخر قوله: إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى،[8] أي عصى وترك الأمر. والحسن يقول: عُرضت الأمانة على السماوات وما ذكر، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: يا رب وما فيها؟ قيل لهن: إن أحسنتن جُزيتن وإن أسأتن عوقبتن. قلن: لا، **وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا**، لنفسه، **جهولاً**، بربه،[9] وهو مثل الأول.

وقال بعضهم: **كان ظلومًا**، لنفسه في ركوبه المعصية، **جهولاً**، بعاقبة ما تحمّل. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا أنه لا تُفسّر[10] الأمانة أنها ما هي، وكيف كان ذلك العرض على من ذكر من السماوات والأرض والجبال وإباؤهن وإشفاقهن، والله أعلم ما أراد بذلك.

---

[1] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٦٢/٣؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣٨٠/٦.
[2] سورة الأنفال، ٢٧/٨.
[3] ر ث م: خيانة.
[4] م: معصيته.
[5] جميع النسخ: أتحملينها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٣و.
[6] *تفسير الطبري*، ٢٠١/١٩.
[7] ن + رضي الله عنهم.
[8] سورة البقرة، ٣٤/٢؛ وسورة الحجر، ٣١/١٥؛ وسورة طه، ١١٦/٢٠.
[9] *النكت والعيون* للماوردي، ٤٣٠/٤.
[10] جميع النسخ: لا يفسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣ظ.

﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٧٣]

وقوله: **ليُعذّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على** من ذكر، أي ليعذّب من علم أنه لا يقوم بوفائها ويضيّعها، أعني الأمانة[١] التي احتملها، وإنما ضيّعها[٢] مَن ذكر من المنافقين والمشركين، ويثيب من لم يضيّعها وقام بوفائها، وهم المؤمنون.* ***والله أعلم***.[٤]

[وقوله تعالى: **وكان الله غفورًا رحيمًا**، أي للمؤمنين في الآخرة لا محالة، وعاقبتهم الجنة وإن ماتوا من غير توبة، ولكفرة مع التوبة. ***والله الموفق***].[٥]

[١] ث – الأمانة.
[٢] ن – ضيعها.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٠. فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٤ظ/سطر ٣٠-٣١.
[٤] م + بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ ث: والله سبحانه أعلم.
[٥] الزيادة من الشرح، ورقة ٦١٣ص.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة سبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾** [١]

قوله[2] عز وجل: **الحمد لله**، قال أهل التأويل: حمد نفسه بأن صنع إلى خلقه. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على التعليم لخلقه الحمد له والثناء عليه لآلائه وإحسانه إلى خلقه ما لو لا تعليمه إياهم الحمد له والثناء عليه لم يعرفوا ذلك. والثاني حَمِد نفسه لما لم يَرَ[3] في وسع الخلق القيام[4] بغاية الحمد له والثناء عليه على آلائه وأياديه فتولّى ذلك بنفسه، وهو ما ذكرنا[5] في قوله: صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،[6] فقالوا: قد[7] عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال:[8] «أن[9] تقولوا: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد...» إلى آخره.[10] فهذا تفويض الصلاة إلى الله والدعاء له أن يصلّي هو عليه دونهم. فهو -والله أعلم- كأنه لم ير فيهم وسع القيام بحقيقة الصلاة عليه ولا بغاية الثناء، فأمرهم / أن يفوّضوا ذلك إليه ليكون هو القاضيَ لذلك عنهم، [٦١٥و]

---

[1] ر – سورة سبأ؛ ن: ذكر أن سورة سبأ نزلت بمكة؛ ث + وهي خمسون وأربع آيات مكية؛ م + مكية.
[2] ن: وقوله.
[3] ر م + نفسه لما لم ير. لما لم ير: أي لما علم الله تعالى في الأزل...
[4] ر ث م: والقيام.
[5] ر ث م: ما ذكر.
[6] ﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣).
[7] ر – قد.
[8] ر: فقالوا.
[9] ن: وأن.
[10] مصنف عبد الرزاق، ٢١٢/٢؛ ومسند أحمد بن حنبل، ٢٤١/٤، ٢٤٣؛ وصحيح البخاري، التفسير ١٠/٣٣؛ وصحيح مسلم، الصلاة ٦٦. انظر: تأويل هذه الآية من تأويلات القرآن.

فعلى ذلك الحمدُ له.[1] وأصل الحمد له هو الثناء عليه بجميع محامده وإحسانه بأسمائه[2] الحسنى والشكرُ له على جميع نَعْمائه وآلائه.[3]

وقوله: **الذي له ما في السماوات وما في الأرض**، كأنه قال -والله أعلم-: الحمد لله الذي له[4] ملك السماوات والأرض وهو المستحق لذلك، لا الأصنام التي[5] عبدتموها وسميتموها آلهة.

وقوله: **وله الحمد في الآخرة**، قال[6] بعضهم: **له الحمد في الآخرة**، أي يحمده[7] أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، كقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا،[8] وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ،[9] وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[10] ونحوه؛ يحمده أولياؤه في[11] الآخرة ويحمده أولياؤه في[12] الأولى، كقوله: لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ.[13] وجائز أن يكون قوله: **له الحمد في الآخرة**، أي له الحمد في إنشاء الآخرة، لأن إنشاء الدنيا وما فيها إنما كان حكمة بإنشاء الآخرة، ولو لم يكن إنشاء الآخرة لكان خلق ذلك كله عبثًا باطلاً. فأنشأ الآخرة حتى صار إنشاء الدنيا وما فيها من الخلائق حكمة، فأخبر أن له الحمدَ على إنشاء ما صار له إنشاء الدنيا حكمة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهو الحكيم الخبير**، قد تقدّم معنى الحكيم والخبير في غير موضع،[14] وهو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، وهو الواضع كل شيء موضعه. والفلاسفة يقولون: "الحكيم"

---

[1] ر ث م: لله.
[2] ر ث م: بأسماء.
[3] ر: لآية.
[4] ث - له.
[5] ن: الذي.
[6] ر ث م: وقال.
[7] ر ث م: يحمد.
[8] ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (سورة الأعراف، ٤٣/٧).
[9] ﴿وقالوا الحمد لله الذي صَدَقَنا وعدَه وأَوْرَثَنَا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ (سورة الزمر، ٧٤/٣٩).
[10] ﴿جنات عدن يدخلونها يُحَلَّوْن فيها من أساورَ من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الْحَزَنَ إن ربنا لغفور شكور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٣٣-٣٤).
[11] ر م: وفي.
[12] ر م: وفي.
[13] سورة القصص، ٧٠/٢٨.
[14] انظر مثلا تفسير الآية ١٨ من سورة الأنعام.

هو الذي يجمع العلم والعمل جميعًا، وهو ما ذكرنا.[١] أو، **الحكيم**، لِما أحكم كل شيء وأتقنه حتى شهد كل شيء على وحدانيته ودل على إلٰهيته.

**﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[٢]**

وقوله: **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها.** يخبر أن الأرض مع كثافتها وغِلَظِها لا يَحْجُب عنه[٢] ما يدخل فيها وما يخرج منها، وكذلك السماء مع صلابتها وشدّتها لا يحجب عنه شيء كما يحجب عن الخلائق. أو يخبر أن كثرة ما يدخل في الأرض ويخرج منها وازدحامَه، وكثرةَ ما ينزل من السماء من الأمطار وما يعرج إليه من الدعوات والملائكة لا يَشغله؛ أي علمه بشيء لا يشغله[٣] عن العلم بالآخر كما يشغل الخلائق، لأنه عالم بذاته لا بسبب، والخلق عالمون بأسباب، فعِلمهم بشيء[٤] بسبب يشغلهم عن الأسباب الأخر. فأما الله سبحانه يتعالى عن أن يَشغله شيء أو يَحجُب عنه شيء. **وهو الرحيم الغفور.**

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣]**

وقوله: **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**، قال بعضهم: إنهم أقسموا باللّات والعُزّى أن لا بَعْث ولا حياة بعد الموت، فأمرا الله نبيه أن يقسم بالله الواحد [أن يأتيهم][٥] بعث وقيامة بقوله: **قل بلى وربي لتأتينكم.** وجائز أن يكون على غير هذا، وهو ما قال في آية أخرى، حيث قال: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا،[٦] هم أقسموا بالله أنه لا يَبعث من يموت، فأمر رسوله في هذه الآية أن يقسم بالله الذي أقسموا هم أنه يبعث، وهو قوله: **قل بلى وربي لتأتينكم**، وكان قَسَمه بما أقسم عندهم أصدق من قسمهم، لأنهم لم يأخذوا عليه كذبًا قطّ ولا اتهموه في شيء.

---

[١] انظر تفسير الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.

[٢] ر م: لا تحجب عنه.

[٣] ر م – أي علمه بشيء لا يشغله.

[٤] ر ش م – بشيء.

[٥] جميع النسخ + بي. والزيادة من الشرح، ورقة ٦١٤و.

[٦] سورة النحل، ٣٨/١٦.

يدلّ على ذلك ما أخبر الله عنهم، حيث قال: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.[1] أخبر أنهم لا يكذبونك في مقالتك ولكن همتهم جحود الآيات والإنكار لها، فيكون قسمه مقابل قسم أولئك في إنكارهم البعثَ ليعلموا كَذِبَ أنفسهم في قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **عالمِ الغيب**، بالخفض، وقد قرئ: "عالمُ الغيب" بالرفع، و"علّامِ الغيب"،[2] فمن خَفَضَه جعله صفة ونعتًا[3] لما تقدم من قوله: **قل بلى وربي ... عالمِ الغيب**، ومن رفعه يجعله على الابتداء ويجعل الكلام تامًّا[4] بقوله:[5] **وربي لتأتينّكم**، ثم استأنف فقال: **عالمُ الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة**. ثم قوله: **لا يعزُب عنه**، قد قرئ برفع الزاي وبخفضها "لا يعزِب"، كلاهما[6] لغتان.[7] والعازب في كلام العرب الغائب. وقال بعضهم: **لا يعزب**، أي لا يبعد، وهما واحد.

وقوله: **لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر**، وقال في الأولى: يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا،[8] جائز أن يكون هذه الآية في جواهر الأشياء وأجناسها المختلفة،[9] لأنه أخبر عن علمه بما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يصعد فيها وما ينزل، وذلك علم جواهر الأشياء، وقوله: **لا يعزب عنه مثقال ذرة**، إلى آخر ما ذكر، في الأفعال والأعمال، يخبر أنه لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء من أفعالهم وأعمالهم ليكونوا أبدًا على حذر.

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٣٣.

[2] ر ث ه: الغيوب. «قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ورُوَيس عن يعقوب ﴿عالمُ الغيب﴾ بالرفع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وروح وزيد عن يعقوب وخلف ﴿عالمِ الغيب﴾ بالخفض، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علّامِ الغيب﴾ بالخفض واللام قبل الألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦٠).

[3] ر م: نفيا.

[4] ر: فأما.

[5] ر: في قوله.

[6] جميع النسخ: وكلاهما. والتصحيح من نسخة جارالله، ٢ظ.

[7] قرأ الكسائي وحده ﴿لا يعزِب﴾ بكسر الزاي، وقرأ الباقون ﴿لا يعزُب﴾ بضم الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٣٥).

[8] الآية السابقة.

[9] م - المختلفة.

ألا ترى أنه ذكر على إثر ذلك الجزاء، حيث قال: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[١] أو أن يكونا واحدًا، لأنه[٢] ذَكَر في الآية الأولى الداخل في الأرض والخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ولم يذكر في ذلك الساكن فيهما والمقيم وما يكون فيهما،[٣] فذكر ذلك في قوله: **لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**، يخبر عن إحاطة علمه بالأشياء كلها من الساكنة والمقيمة والمتحرّكة والمنقلبة[٤] فيهما. **والله أعلم**.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]

/ وقوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم**، [٦١٥ظ] المغفرة هي التغطية والستر. ثم يكون الستر بوجهين. أحدهما يستر[٥] على أعين الزلات وأنفسها[٦] أن لا تُذكَر، والثاني يستر بالجزاء الحسن[٧] إذا لم يجز للزلات. هذا للمؤمنين، يستر عليهم الزلات مرة بترك ذكرها ومرةً بترك الجزاء عليها. وأما الكافر فإنه إذا جُزِيَ عى سيئة فقد أظهر وأفشى[٨] ولم يستر عليه.[٩] أو أن يكون قوله: **أولئك لهم مغفرة**، أي سَتْر، وهو أنه[١٠] إذا أدخلهم[١١] الجنة أنساهم زلّاتهم حتى لا يذكرون أبدًا، لأن ذكر زلّاتهم لربهم ينغّص عليهم لذّاتهم وتنعمهم. وقوله: **ورزق كريم**، قيل: الكريم الحسن. وجائز أن يكون سمّاه كريمًا لأن من ناله كرُم وشرُف، كقوله: أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ.[١٢] **والله أعلم**.

---

[١] الآية التالية.
[٢] جميع النسخ: إلا أنه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٢ظ.
[٣] ر: فيما.
[٤] ر ث: والمتقبة.
[٥] م – يستر.
[٦] ر ث م: أنفسها.
[٧] ن: لجزاء.
[٨] ر م: وفشى.
[٩] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «وأما الكافر إذا جزي على سيئة فقد أظهرها الله تعالى في القيامة ولم يسترها عليه» (ورقة ٦١٤و).
[١٠] ل + إليهم.
[١١] ر: إذ دخلهم.
[١٢] سورة المعارج، ٣٥/٧٠.

**﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[٥]**

وقوله: **والذين سعَوْا في آياتنا معاجزين**، يحتمل حقيقة سعيهم في آياته بما ذكر، كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ،[١] ذكر مرورهم عليها والإعراض عنها فهو سعي. وجائز على التمثيل، أي يعملون عمل من أعجز الآيات لجحود لها والرد والعناد. والمعجز هو السابق،[٢] وقوله:[٣] وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ،[٤] أي سابقين[٥] فائتين، أي لا تُعجزوني[٦] ولا تفوتوني.[٧] **أولئك لهم عذاب من رجز أليم**، الرجز العذاب الأليم، أي مؤلِم، وذلك جائز في اللغة. وقال أبو عَوْسَجَة: المعاجز الهارب، يهرب لكي يُعجز.[٨]

**﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٦]**

وقوله: **ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**، قال بعضهم: **الذين أوتوا العلم**، هم مؤمنو[٩] أهل الكتاب الذين أوتوا العلم:[١٠] علمَ التوراة والإنجيل وغيرهما.[١١]

---

[١] سورة يوسف، ١٢/١٠٥.

[٢] جميع النسخ: المسابق. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.

[٣] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من المرجع السابق.

[٤] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٢؛ وسورة الشورى، ٤٢/٣١.

[٥] جميع النسخ: مسابقين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٤و.

[٦] ر م: لا يعجزوني.

[٧] جميع النسخ: ولا تفوتون عني. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.

[٨] «أعجزتُ فلانا وعجّزته وعاجزته: جعلته عاجزا. قال: ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ [التوبة ٩/٢]، ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ [الشورى ٤٢/٣١]، ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ [الحج ٢٢/٥١]، وقرئ: "مُعَجِّزين"؛ فمعاجزين قيل: معناه ظانّين ومقدّرين أنهم يُعجزوننا؛ لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا في المعنى كقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ [العنكبوت ٢٩/٤]، و"معجّزين": ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نحو: جهّلته وفسّقته، أي: نسبته إلى ذلك. وقيل معناه: مثبّطين، أي: يثبّطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ [الأعراف ٧/٤٥]» (*المفردات* للراغب الإصفهاني، ٥٤٧–٥٤٨). «معنى الإعجاز الفوت والسبق. يقال: أعجزني فلان، أي فاتني. وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. وقال ابن عرفة في قوله تعالى: ﴿معاجزين﴾ أي يعاجزون الأنبياء وأولياء الله، أي يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيّروهم إلى العجز عن أمر الله، وليس يعجز الله، جل ثناؤه، خلق في السماء ولا في الأرض ولا ملجأ منه إلا إليه» (*لسان العرب*، «عجز»).

[٩] ر ك م: هم المؤمنون مؤمنوا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.

[١٠] ل – هم مؤمنو أهل الكتاب الذين أوتوا العلم.

[١١] ر م: وغيرها

يقول -والله أعلم-: يعلم الذين أوتوا منافع تلك الكتب أن ما أنزل إليك من ربك هو الحق. أو[1] هم[2] بأجمعهم جميعًا الذين[3] أوتوا العلم بتلك الكتب، لِما يجدون نعته وصفته فيها، يعلمون أنه هو الحق من ربك، لكن بعضهم عاندوا ولم يؤمنوا[4] وبعضهم قد آمنوا به. وقال بعضهم قوله: **ويرى الذين أوتوا العلم**، هم أصحاب محمد صلوات الله عليه. أي الذين أوتوا منافع ما أنزل إليك هم يعلمون أنه هو الحق من ربك، فأما من لم يُؤْتَ منافع العلم فلا يعلم ذلك. وفي حرف ابن مسعود "ويعلم الذين أوتوا الحكمة من قبلُ الذي أنزل إليك من ربك هو الحق"، يعني القرآن.[5]

وقوله: **ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**، قوله: **يهدي**، يحتمل يدعو، ويحتمل، **يهدي**، أي يبيّن لهم صراط العزيز الحميد.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**[٧]

وقوله: **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبّئكم**. كان بعضهم يقول لبعض: هل ندلكم على رجل ينبّئكم[6] إذا مُزِّقتم كل ممزّق إنكم لفي خلق جديد، قوله: **إذا مزقتم**، يحتمل أن قالوا: إنه[7] يقول: إذا تفرقت جوارحكم وأعضاؤكم تكونون[8] خلقًا جديدًا. فإن كان على هذا فهو -والله أعلم- كأنه من أهل الدهر ذلك القولُ، لأنهم يقولون بقِدم العالَم ولا يقولون بفنائه. لأن أهل مكة كانوا فرقتين، فرقة تذهب مذهب أهل الدهر، وفرقة يقولون بحدث العالَم ويقرّون بفنائه لكنهم ينكرون إحياءه بعد الفناء. فإن كان ذلك من هؤلاء فيكون قوله: **ينبّئكم إذا مزّقتم كل ممزّق**، أي إذا ذهبت أجسادكم وفنِيتَ اللحوم والعظام وكنتم رمادًا ورُفاتًا، **إنكم لفي خلق جديد**، أي تكونون[9] خلقًا جديدًا. يخرج ذلك منهم على أحد وجهين. إما على استبعاد[10]

---

[1] جميع النسخ - أو. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٣و.
[2] ر ث م - هم.
[3] ر م: لذي.
[4] ر ث م + به.
[5] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٩.
[6] ن - كان بعضهم يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم.
[7] جميع النسخ: لنبي. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٣ظ.
[8] ر م: تكونو.
[9] ن: يكونون.
[10] جميع النسخ + في. والتصحيح من المرجع السابق

ذلك في أوهامهم وعقولهم، أي لا يكون ذلك. أو على التعجب أن كيف يكون ذلك؟ فقالوا[1] عند ذلك [كما أخبر عنهم بقوله]:[2]

**﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾[٨]**

**أفترى على الله كذبًا أم به جنة**، يقولون: أفترى محمد على الله كذبًا أم به جنون؟ إذ لم يُسْمَع ذلك من أحد من قبل، ولا رأينا ذلك أنه كان ما ذَكَر. فرد الله ذلك عليهم وقال: **بل الذين لا يؤمنون بالآخرة**، أي بالبعث والإحياء بعد الموت هم المفترون على الله، هم **في العذاب والضلال البعيد**. فيكون العذاب لهم[3] جزاء قولهم: إنه افترى على الله، ويكون قوله: **والضلال البعيد**، جزاء قولهم:[4] أم به جنون؟ يقول: بل هم في ضلال بعيد. الضلال البعيد كأنه هو الذي لا يرجع إلى الهدى أبدًا، فتكون[5] الآية في قوم[6] عَلِم الله أنهم يُختَمون على الضلال ولا يؤمنون أبدًا، فيكون في ذلك دلالةُ إثبات الرسالة.

**﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٩]**

وقوله: **أفلم يَرَوْا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض**، قد ذكرنا قوله: **أفلم يروا**، و"أَلَمْ تَرَوْا"[7] ونحوه أنه يخرج على وجهين. أحدهما أي[8] قد رأوا، على الخبر. والثاني على الأمر، أي[9] انظروا.[10] ثم يقول بعضهم:[11] حيثما قدم الإنسان رأى بين يديه من السماء

---

[1] ر م: فقال.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٤ظ.
[3] ر م - فيكون العذاب لهم.
[4] ر م - أنه افترى على الله ويكون قوله والضلال البعيد جزاء قولهم.
[5] ر ث م: فيكون؛ ن: ويكون.
[6] ر ث م: في قولهم.
[7] م: أفلم يروا أو أولم تروا. انظر مثلا: سورة الرعد، ٤١/١٣؛ وسورة لقمان، ٢٠/٣١.
[8] جميع النسخ - أي. والزيدة من نسخة جارالله، ورقة ٤و.
[9] جميع النسخ: أن.
[10] جميع النسخ + إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٤ظ. وعبارته هكذا: «أي "انظروا"، في المخاطبة، و"انتظروا" في المعاتبة. قال قتادة: لينظروا كيف أحاطت بهم السماوات والأرض. وقيل: أي حيث ما قدم الإنسان يرى بين يديه من السماء مثل الذي خلفه وكذلك الأرض تحيط به السماء والأرض ويراهما أمامه وخلفه، وهو مثل قول قتادة».
[11] جميع النسخ + لبعض. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٤و.

مثل الذي يرى خلفه، وكذلك الأرض. وقتادة يقول: لينظروا كيف أحاطت بهم السماء والأرض، وهما واحد.[١]

**إن نشأ نَخسف بهم الأرض**، كما خسفنا من كان قبلهم، **أو نُسقطْ عليهم كِسَفًا من السماء**، أي عذابًا من السماء، كما أنزلنا[٢] على من كان قبلهم بالتكذيب والعناد. يذكر هذا على إثر قولهم: أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ،[٣] أي لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض لعرفوا أنه رسول الله وأنه صادق وأن ما يقوله:[٤] / إنه بَعْثٌ بعد الموت وإن العذاب ينزل، يقوله [٦١٦و] لا عن جنون ولكن على علم[٥] وعقل ومعرفة، لأن من قدر على إنشاء السماء على ما أنشأ من سَعَتِها وغِلَظِها وشدتها وكذلك الأرض قَدَر على البعث، وخسفِ من يشاء أن يَخسف، وإسقاطِ السماء على من يشاء أن يسقط. أو يقول: لو نظروا لعرفوا أنه لم ينشئ ما ذكر من السماء والأرض عبثًا باطلاً، ولكن أنشأهما على الحكمة، وإنما يصير إنشاؤهما[٦] حكمة[٧] بالبعث والإحياء بعد الموت ومصيرِهم إليه، وأما للفناء خاصة فلا يكون حكمة. والله أعلم ما أراد بذلك.

وقوله: **إن في ذلك لآيةً لكل عبد منيب**، المنيب،[٨] قيل: هو المطيع لله، وقيل: هو المقبل على أمر الله. والمنيب كأنه هو المؤمن، لأنه هو المصدّق بالآيات، فإذا كان المؤمن هو المصدق بالآيات فيكون هو المنتفعَ بها، فيكون الآية له،[٩] وأما المكذّب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الآية له في الحقيقة آيةً.[١٠]

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[١٠]

وقوله: **ولقد آتينا داود مِنا فضلاً**، أي علمًا، كقوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا.[١١] وقال بعضهم: **فضلاً**، أي نبوةً. وقال بعضهم: الفضل هو الملك الذي آتاه الله.

---

[١] *تفسير عبد الرزاق*، ٥٧/٣؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤٣٤/٤.

[٢] جميع النسخ: كما أنزل.

[٣] الآية السابقة.

[٤] ر ث: وأن ما يقول.

[٥] جميع النسخ: عن علم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٤و.

[٦] ر م: إنشاهما؛ ن ث: إنشؤهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] م - حكمة.

[٨] م - المنيب.

[٩] ر ث م - له.

[١٠] ر ث م - آية.

[١١] سورة النمل، ١٥/٢٧.

وجائز أن يكون ما ذكر من الفضل أنه آتاه هو ما ذَكَر على إثره من تسخير الجبال له[1] والطير والتسبيح معه وإلانة الحديد له بلا نار ولا شيء، حتى اتخذ منه ما شاء أن يتخذ من الدروع[2] وآلات الحروب، وقد آتى الله داود من الفضل ما لو تكلفنا عدّه وإحصاءه ما قدرنا عليه.

وقوله: **يا جبال أوبي معه**، قيل: سبّحي معه. وقوله: **والطيْرَ**، من نَصَب الطير جعلها مسخرة له، كأنه قال: سخرنا له الطيرَ. ومن رفعها جعله على النداء: يا طيرُ أوِّبي معه، أي سبّحي معه.[3] ثم اختلف في تسبيح الجبال والطير. قال بعضهم: تسبيح خلقة لا تسبيح قَول ونُطق، لِما جعل في خلقة كل شيء الشهادة له بالوحدانية والألوهية. لكن ذكر هاهنا أن سبّحي **معه**، ولو كان تسبيح خلقة لم يكن لذكر التسبيح مع داود فائدة، لأن تسبيح الخلقة يكون، كان معه داود أو لم يكن. ولكن جائز أن يجعل الله تعالى في سرّيّة الجبال مِن التسبيح ما يفهم منها داود ولم يفهم ذلك غيره، على ما ذكرنا في قِيل النملة لسائر النمل،[4] حيث قال: قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ،[5] الآية، جعل الله تعالى في سرّيّة النمل معنى ألقى ذلك في مسامع سليمان ففهم منها ذلك، ولم يلق ذلك في مسامع غيره من الجنود، فعلى ذلك تسبيح الجبال والطير. ***والله أعلم***.

وقوله: **وألنا له الحديد**، جعل له آية لنبوّته لما ألان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان يعمل منه ما شاء، ولم يجعل في وسع أحد من الخلائق سواه استعمال الحديد إلا بالنار وأسباب أخر، ليكون له في ذلك آية.

**﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١١]**

وقوله: **أن اعمل سابغات**، كأنه قال: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ،[6] وقلنا له: **أن اعمل سابغات**. قال بعضهم: السابغات هي الدروع، وقال بعضهم: هي الواسعات. وقيل: هي الطِّوال. فكأنه أمر أن يتخذ من الدروع ما يأخذ من الرأس إلى القدم ما يَصلُح لحرب العدوّ.

---

[1] ر ث م – له.
[2] ث م: من المدرع.
[3] «قرأ رَوح وزيد عن يعقوب ﴿والطيرُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ورُوَيس ﴿والطيرَ﴾ بالنصب» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦١).
[4] ن: لنملة.
[5] ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمَنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧)
[6] الآية السابقة.

وقوله: **وقدّر في السرد**، قال بعضهم: كانت الدروع قبل ذلك صفائحَ مضروبةً، فَسَرد[١] نبيُّ الله حَلَقَها[٢] بعضَها في بعض، والسرد المسامير في الحلق.[٣] يقول: قَدِّر المسامير في الحلق، لا تُدِقّ[٤] المساميرَ وتُوسّعَ[٥] الحلق فتسَلْسَلُ،[٦] ولا تُضَيّقِ الحَلقَ وتُعظِّمَ المسامير فتَقْصَمُ وتَكَسَّرُ، ولكن [اصنعْ] مستويًا لتكون أحكم. وقال[٧] أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **وقَدِّرْ في السرد**، أي في النسج،[٨] أي لا تجعل المسامير دِقاقًا فتَقْلَق،[٩] ولا غلاظًا فتَكْسِر الحلق. ومنه قيل لصانع الدروع: سرّاد وزرّاد، كما يقال: صِراط وسِراط وزِراط.[١٠] والسرد الخَرْز[١١] أيضًا. وقال غيره: السرد الخُرُوق في طبق الحق وإدخال الحَلَق بعضِها في بعض.

وقوله: **واعملوا صالحًا**، جائز أن يكون قوله: **اعملوا صالحًا**، فيما ذكر من عمل الدروع، ويحتمل في غيره من الأعمال. **إني بما تعملون بصير**، هو على الوعيد. **والله أعلم**.

**﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**[١٢]

وقوله: **ولسليمان الريح غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ**، كأنه يقول: سخرنا لسيمان الريح، كما ذكر[١٢] في آية أخرى: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ.[١٣]

---

[١] سَرَد الدرع: نسجها فشكّ طرفَيْ كل حلقتين وسَمرهما أي شدها. والسَّرْد أيضا: اسم جامع للدروع وسائر الحلق، بطريق التسمية بالمصدر (*المعجم الوسيط*، «سرد»).
[٢] ن ث: حلقا. الحَلَق: جمع حَلْقة، وكل شيء استدار.
[٣] ر م: والحلق. المسامير: جمع مسمار، وهو ما يصنع من حديد ونحوه وأحدُ طرفيه مدبّب والآخر ذو رأس، يُدق في الخشب وغيره لتثبيت (*المعجم الوسيط*، «سمر»).
[٤] ر: لا يدق.
[٥] ر م: وتوقع.
[٦] ر ث: فتتسمس.
[٧] ر ث م: قال.
[٨] ر: التسبيح.
[٩] أي لا تستقر على حال.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٤. وانظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١/٢٢٨؛ و*لسان العرب*، «زرط».
[١١] ن: المخرز.
[١٢] ر م: كما ذكره.
[١٣] سورة ص، ٣٦/٣٨.

وقوله: **غدوّها شهر ورواحها شهر**، أي[1] تجري به الريح في غدوّها مسيرة شهر وفي رواحها مسيرةَ شهرٍ وذلك آية له. فمثلها من الآية كان لرسول الله حيث أُسْرِيَ في ليلة واحدة مسيرةَ شهرين من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.[2] وما كان لسليمان من المُلْك بالأعوان[3] من الجن والإنس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، حيث قال: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرَيْن»،[4] فإن لم يكن ما[5] ذكر من الرعب مسيرة شهرين[6] أعظم مما كان لسليمان فلا يكون دونه. وما كان لأبيه داود من إلانة الحديد له بلا سبب وما ذكر[7] كان لمحمد انشقاق القمر،[8] وذلك أعظم في الآية مما ذكر. وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر[9] كان لمحمد من أصابعه، حتى ذكر أنهم كانوا ألفًا وأربعمِائةِ نفرٍ شربوا جميعًا منه ورَوُوا،[10] فذلك إن لم يكن أعظم في الآية لا يكون دونه. وما كان لعيسى من إحياء الله الموتى وإجرائه على يديه،[11] كان لمحمد مقابلَ ذلك كلام الشاة المَصْلِيَة[12] المسمومة التي أخبرته "أني مسمومة فلا تتناول مني"، لمّا أراد التناول منها.[13]

[٦١٦ظ] فآياته كثيرة / حتى لم تذكر لأحد من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم آيةٌ إلا ويمكن أن يذكر لمحمد جميعًا مقابل ذلك مثلها أو أعظمُ منها. ثم يحتمل ذكر ملك سليمان وأبيه لئلّا يَحْسُدوا محمدًا عليه الصلاة والسلام على ما أعطاه الله له من الملك والشرف، ليعرفوا أنه ليس هو المخصوص بالملك والشرف، ولكن له في ذلك شركاء وإخوان أعطاهم الله مثل ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ث – أي.

[2] يقول الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء، ١/١٧).

[3] ر: لأعوان.

[4] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢. وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[5] جميع النسخ: مما. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٥و.

[6] ر م – فإن لم يكن مما ذكر من الرعب مسيرة شهرين.

[7] انظر: الآية السابقة.

[8] جميع النسخ + له. يشير إلى قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (سورة القمر، ١/٥٤) وما روي في تفسيرها من الأحاديث.

[9] انظر: سورة البقرة، ٦٠/٢؛ وسورة الأعراف ١٦٠/٧.

[10] م: وروا. *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠١/١؛ وصحيح البخاري، الأشربة ٣١؛ وسنن *النسائي*، الطهارة ٦١.

[11] انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣؛ وسورة المائدة، ١١٠/٥.

[12] ن – المصية. المَصْلِيَّة المَشْوِيَّة (*لسان العرب* «صلا»).

[13] سنن *الدارمي*، المقدمة ١١؛ وسنن *أبي داود*، الديات ٦.

وقوله: **وأَسَلنا له عين القِطْر**، قيل: النحاس، وقيل: الصُّفْر. قيل: أسيلت له يعمل بها[1] ما أحبّ، كما أُلين[2] لأبيه الحديد فيعمل به ما أحبّ من الدروع وغيرها بلا سبب. *وقال[3] [٦١٦ظ س٢٦] أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: **وأسلنا له عين القطر**، أي أَذَبْنا له عين النحاس.[4]* *والله أعلم*.

وقوله: **ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه**، قيل: بأمر ربه، أي سخر الله الجن له وأمرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم فيما أحب، شاءوا أو كرهوا. يخرج قوله: **بإذن ربه**، على وجهين. أحدهما على التسخير له فيكون الإذن كناية عن التسخير. والثاني، **بإذن ربه**، أي بأمر ربه، أي أمرهم ربهم أن يطيعوه في جميع ما يأمر وينهى. وقوله: **ومن يَزِغ منهم عن أمرنا**، أي عصاه فيما أمره به، **نُذِقه** ما ذكر. تحتمل[6] إضافة الأمر[7] إلى نفسه لما يأمره ما يستعملهم فيما يستعملهم.[8] *والله أعلم*.[9]

**﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١٣]**

وقوله: **يعملون له ما يشاء من محاريب**، قال بعضهم: المحاريب هي المساجد، وقال بعضهم: هي القصور. والمحاريب هي أشرف المواضع، ذكر كناية عن غيرها. *والله أعلم*.

وقوله: **وتماثيل**، قال بعضهم: هي التماثيل كهيئة تماثيل الرجال، يصوّرون في المساجد تماثيل الرجال العبّاد الزهّاد والملائكة والنبيّين والرجال المتواضعين، لكي إذا رآهم الناس مصوّرًا عبدوا عبادتّهم وتشبّهوا بهم. أو أن تكون تماثيل لا رأس لها، نحو الأواني والكيزان ونحوها. أو أن تكون[10] التماثيل يومئذ غير منهيّ العمل بها، فأما اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة

---

[1] جميع النسخ: يعمل به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٥و.
[2] ن + به.
[3] ر ث م: قال.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٦ظ/سطر ٢٦.
[6] جميع النسخ: يحتمل.
[7] جميع النسخ: أمره. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٥ظ.
[8] وعبارة *الشرح* هكذا: «وإنما أضاف أمره إلى نفسه لأن الله تعالى أمرهم بأن يعملوا له إذا استعملهم فيما استعملهم، كما قال: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾» (ورقة ٦١٥و).
[9] ث – وقوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أي عصاه فيما أمره به نذقه ما ذكر يحتمل إضافة أمره إلى نفسه لما يأمره ما يستعملهم فيما يستعملهم والله أعلم.
[10] جميع النسخ: أو أن يكون.

أن يدعو[1] ذلك إلى عبادة غير الله، وبذلك[2] غرّ إبليس قومًا حتى عبدوا الأصنام، وإلا ليس من الأصنام ولا فيها ما يغترّ به المرء على عبادته. *والله أعلم*.

وقوله: **وجِفان كالجواب**، قال بعضهم: أي قصاع كالجواب كهيئة حياض الإبل، حتى يجلس على القصعة الواحدة ألف وزيادة يأكلون منها. وقال بعضهم: **وجفان كالجواب**، أي كالجوبة من الأرض التي تحفر للماء، يصف عظم ذلك. ففيه أنهم كانوا يجتمعون في الأكل لا ينفردون به.

وقوله: **وقُدُور راسيات**، أي كانوا يتخذون له قدورًا عظامًا في الجبال التي لا تُحَرَّك من مكانها،[3] **راسيات**، أي ثابتات كما ذكر، والجبال الرواسي أي الثوابت. وقال بعضهم: **وقُدور راسيات**، هي القدور العظام التي أُفرغت إفراغًا وأُكفئت[4] لعظمها إكفاءً، وهما واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **اعملوا آلَ داود شكرًا**، قال[5] بعضهم: أي اعملوا لآل داود شكرًا، لأنه ذكر أنه ليس من زمان في ليل ونهار إلا ويكون من آل داود صائم[6] بالنهار ومصلّ[7] بالليل، أو كلام نحوه، فأمروا بالشكر لهم. وقال بعضهم: كأنه قال: اعملوا يا آل داود شكرًا لما أعطيتكم من الملك والفضل. **وقليل من عبادِيَ الشكورُ**، أي قليل من عبادي المؤمن،[8] والشكور كناية عن[9] المؤمن على ما ذكرنا في قوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[10] أي لكل مؤمن. *والله أعلم*.* **والشكور**، هو الفعول، والفعول[12] والفعّال هما اللذان يُكثِران الفعل، فكان "الشكور" هو الذي يعتقد الشكر لربه ويشكر مع الاعتقاد، فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعًا.

---

[1] ر ن م: يدعوا.
[2] جميع النسخ: وبذلك. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦و.
[3] ر م: مكان.
[4] ر: أو كيفيت.
[5] ن: وقال.
[6] جميع لنسخ: صائما.
[7] ر ث م: ومصليا؛ ن: مصليا.
[8] ر م: المؤمنين.
[9] ن – كناية عن.
[10] انظر مثلاً: سورة إبراهيم، ١٤/٥.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ نظر: ورقة ٦١٦ظ/سطر ٢٦.
[12] ن – والفعول.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[١٤]

وقوله: **فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض،** دل هذا على أن موته كان بحضرة أهله وبمشهد منهم، حيث ذكر:[١] **ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض تأكل منسأته.** ثم يذكر بعض أهل التأويل أنه سأل ربه أن يُعمي على الجن موته حتى يعلم[٢] الإنس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، يعني[٣] الجن، ما لبثوا في العذاب المهين. وبعضهم يقول: سأل ربه أن يعمي على الجن موته حتى يفرغوا[٤] من بناء بيت المقدس، فدأبوا حولا يعملون فلما فرغوا من بنائه خر سليمان ميتًا من عصاه وكان متكئًا عليها. وبعضهم يقول: لما حضره الموت وكان على فراشه في البيت، لم يكن على عصاه، فقال لأهله:[٥] "لا تخبروا الجنّ بموتي حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس"، وكان بقي عمل سنة ففعلوا، فلما فرغوا من بنائه خرّ عَتَبَة الباب،[٦] فعند ذلك عمت الجن بموته. *والله أعلم.*

وقوله: **فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين،** وفي حرف[٧] ابن مسعود: "فلما قضينا عليه الموت وهم يَدْأبون له حولاً ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت[٨] الإنس[٩] أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"،[١٠] لأنهم كانوا يدّعون علم الغيب فَابْتُلُوا بذلك.

ودلّ قوله: **ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض،** على أنهم كانوا لا يدنون منه لأحد وجهين. إما لهيبته وسلطانه على الناس، فإن كان ذلك فلذلك[١١] أطاع له كل شيء

---

[١] ن: حيث ما ذكر.
[٢] ر ث م: حتى يعمه.
[٣] جميع النسخ: أعني. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦ظ.
[٤] ن: تفرغوا.
[٥] ر ث م – لأهله.
[٦] جميع النسخ + والباب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٥ظ.
[٧] ر ث م: في حرف.
[٨] م + الجن.
[٩] جميع النسخ: للإنس عمى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] "وهم يدأبون له حولا" (*تفسير الطبري*، ٢٤٢/١٩؛ *والدر المنثور*، ١٨١/١٢). "تبينت الإنس" (*تفسير عبد الرزاق*، ٦٠/٣؛ *وتفسير ابن أبي حاتم*، ٢٩١٤/٩؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٨٢/١٧).
[١١] ر ث م – فلذلك.

[٦١٧و] / وخضعوا[١] له من الجن والطير والوحش وغير ذلك. أو لِما كان يُكثر[٢] العبادة لله والخضوعَ له يتوحّد ويتفرّد بنفسه لم يجترءوا أن يدنوا منه، وإلا لو دنَوا منه لرأوا فيه آثار الموتى. اللّهم إلا أن يكون ما ذكر بعضهم أنه قال لأهله: لا تخبروا أحدًا بموتي، وأمرهم أن يكتموا موته. *والله أعلم*.

وقوله: **تأكل مِنسأته**، قيل المنسأة العصا،[٣] سمي منسأة من النّساء،[٤] لأنه كان بها يؤخر ما أراد تأخيره وبها يدفع ما أراد دفعه.[٥] ثم في إمساكه العصا أحد وجهين. إما لضعفه في نفسه كان يتقوّى بها في أمور ربه، أو يمسكها لخضوعه لربّه[٦] وطاعته له.

وفيه دلالة أن الأنبياء والرسل[٧] عليهم السلام[٨] كانوا لا يَشغلهم الملك وفضل الدنيا، ولا الحاجة ولا الفقر عن القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة إلى الناس، وهما شاغلان لغيرهم. وهم كانوا فريقين: فريق[٩] قد وُسّع[١٠] عليهم الدنيا نحو سليمانَ وإبراهيمَ وغيرهما، وفريق قد اشتدّت بهم الحاجة والفقر، وكلاهما مانعان شاغلان[١١] عن القيام بأمور الله وتبليغ الرسالة، لِيُعلم أنهم لم[١٢] يأخذوا من الدنيا ما أخذوا للدنيا ولكن أخذوا للخلق، ولِله قاموا فيما قاموا،[١٣] لذلك لم يشغلهم ذلك عن القيام بما ذكرنا. *والله أعلم*.

ودلّ قوله: **ما لَبِثوا في العذاب المُهين**، أنه[١٤] كان يأمرهم ويستعملهم في أمور شاقة وأعمال صعبة حيث ذكر لبثهم في ذلك لُبثًا في العذاب المهين. *والله أعلم*.

---

[١] م – وخضعوا.
[٢] ن: ليكثر.
[٣] ر م: العصى.
[٤] النّساء: التأخير.
[٥] ن – دفعه.
[٦] جميع النسخ: ربه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٧و.
[٧] جميع النسخ – والرسل. والزيادة من المرجع السابق.
[٨] ث: عليهم الصلاة والسلام.
[٩] جميع النسخ – فريق. والزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ه: وسع الله.
[١١] ه: وشاغلان.
[١٢] ر ه: لما.
[١٣] ن – فيما قاموا.
[١٤] ن + لو.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[١٥]

وقوله: **لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية**، يحتمل الآية التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين اللتين ذكرهما، إحداهما[١] عن اليمين والأخرى عن الشمال، ويكون لهم فيهما عبرةٌ فتحملهم على الشكر لربهم عليهما والحمد له والثناء عليه في تلك النعم. أو يذكرهم قدرة خالقهم وسلطانه وهيبته فيحملهم ذلك على الخوف في العواقب والعِقاب على خِلافه ورجاء الثواب على طاعته، فلم يتذكروا. أو أن تكون[٢] الآية التي ذكر لهم في تبديل الجنتين[٣] اللتين كان لهم فيهما كل سعة وخصب وكل ألوان الفواكه والجواهر على غير مئونة تلحقهم،[٤] لأنه قال في غير آي من القرآن: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ.[٥] فأخبر هاهنا لهم أن لهم في تبديل جنتَيهم جنتَين آية، لو اعتبروا واتعظوا[٦] لما وقعت[٧] لهم الحاجة إلى النظر في آثار من تقدم منهم، بل العبرة في ذلك لهم أكثر لأنهم عاينوا هذا على ما عاينوا من أنواع النعم ثم غيّر ذلك وبدّل عليهم، وما تقدم منهم إنما يعرفون ذلك عن خبر يبلغهم لأن أهلهم[٨] قد هلكوا، وهذا على[٩] المشاهدة والمعاينة. وقوله: **عن يمين وشمال**، قيل عن يمين الوادي وشماله، ويحتمل عن يمين الطريق وشماله، فتكون عن يمينهم وشماهم.[١٠]

وقوله: **كلوا من رزق ربكم واشكروا له**، كأنه قالت لهم الرسل: كلوا من رزق ربكم واشكروا له، إذ ذكر أنه بعث فيهم كذا كذا رسولاً. ثم وصف بلدة سبأ أنها طيّبة، حيث قال: **بلدة طيبة**، يحتمل ما ذكر من طِيبِها هو سعتها وكثرة رِيعها ومِياهها وألوان ثمارها وفواكهها. وقوله: **وربّ غفور**، أي إن ربكم إن شكرتم فيما رزقكم وأنعم عليكم ربّ[١١] غفور لذنوبكم.

---

[١] ر م: احدهما.
[٢] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٣] انظر: لآية التالية.
[٤] ن: يلحقهم.
[٥] انظر مثلا: سورة الأنعام، ١١/٦.
[٦] م: واتقصعوا.
[٧] جميع النسخ: فلا يقع.
[٨] جميع النسخ: لأن أصلهم.
[٩] ن – على.
[١٠] ر م: وشمله.
[١١] م: ورب.

أو يقال: **وربّ غفور**، أي ستور يستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم إذا صدقتموه وأطعتموه وشكرتم نعمه. ذُكر أن المرأة منهم كانت تحمل الْمِكْتَل على رأسها والمِعزل[1] بيدها فتدخل البستان فتمتلئ[2] مكتلها من ألوان الفواكه والثمار من غير أن تمسّ شيئًا بيدها لكثرة رِيعها ونُزُلها. *والله أعلم.*

ثم ذكر سبب تبديل الجنتين اللتين كانتا لهم وبما كان التبديل، وهو ما قال:

**﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**[١٦]

**فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم**، قال بعضهم: كان أهل سبأ إذا مُطروا يأتيهم السيل من مسيرة شهر أيامًا[3] كثيرةً فعمدوا فسدّوا العَرِم -وهو الوادي ما بين الجنتين- بالصخر[4] والقِير[5] وجعلوا عليه الأبواب. فلما عصوا ربهم وأعرضوا[6] عنه وكفروا نعمه سلّط[7] الله على ذلك السد الذي بنوا الفأرةَ، فنقبت الردْم، فغشي الماء أرضهم فعقر أشجارهم وأَبَدت[8] أنعامهم ودَفَن محاريهم وذَهَب بجناتهم. ومنهم من يقول: "العَرِم" هو المُسَنّاة،[9] واحدها عَرِمَة،[10] فذهب السيل الذي أرسل عليهم بالمُسَنّاة[11] فيَبِست جناتهم، وأبدل لهم مكان الثمار والأعناب ما ذَكَر من الخَمْط والأثل والسدْر، حيث قال: **ذواتي أُكُل خَمْط وأَثْل وشيء من سِدْر قليل.**

---

[1] ث + على.
[2] ن ث: فيمتلئ.
[3] جميع النسخ: أيام. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٧ظ.
[4] م: بالصخرة.
[5] القير: الزفت.
[6] جميع النسخ: فأعرضوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: فسلط. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١٦و.
[8] جميع النسخ: وأبد. أبدت: أي توحّشت.
[9] جميع النسخ: المسنيات.
[10] في الصحاح: العَرِم المسناة لا واحد لها من لفظها؛ ويقال: واحدها عَرِمة. والعَرِم لسيل الذي لا يطاق. ومنه قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ قيل: أضافه إلى المسناة أو السد. وقيل: إلى الفأر الذي بَثَق السِّكْر عليهم. قال الأزهري: وهو الذي يقال له الخُلد وله حديث. وقيل: العَرِم اسم واد. وقيل: العَرِم المطر الشديد وكان قوم سبأ في نِعمة ونَعمة وجنان كثيرة وكانت المرأة منهم تخرج وعلى رأسها الزبيل فتعتمل بيديها وتسير بين ظهراني الشجر المثمر فيسقط في زبيلها ما تحتاج إليه من ثمار الشجر. فلم يشكروا نعمة الله فبعث الله عليهم جُرَذًا، وكان لهم سِكر فيه أبواب يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء فثقبه ذلك الجُرَذ حتى بَثَق عليهم السِّكر فغرّق جنانهم (*لسان العرب*، «عرم»).
[11] جميع النسخ: بالمسنيات.

"الأُكُل" قيل:[١] هو الثمر. و"الحمط" قال بعضهم: هو[٢] الأراك، وقال بعضهم: شجر الغَضاة، وهي شجرة ذات شوك. و"الأَثْل" قيل: هو شبيه بالطَّرفاء إلا أنه أعظم منه. و"السدر" هو معروف عندهم. وقال أبو عَوْسَجَة قريبًا من ذلك، قال: "الأُكُل" الحَمْل، و"الخمط" عدي السدر وحَمْله. وقيل:[٣] "الخمط"[٤] الريح الطيبة، وتقول: هذا شجر له خمطة، أي ريح طيبة، والخمط أن تأخذ شيئًا من هنا وثمة وتَخْلِطه.[٥] و"الأَثْل" شجر أيضًا لا حمل فيه. والزجّاج يقول: "الخمط"[٦] هو الثمرة التي فيها المرارة، تَذهب تلك المرارة بطعمها، أو كلام نحوه.[٧]

**﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[١٧]**

وقوله: **ذلك جزيناهم بما كفروا**، أخبر أنه[٨] جزاهم / بما كفروا نِعمه ولم يشكروا ربهم عليها. وقوله: **وهل نجازي إلا الكفور**، لله في نعمه. [٦١٧ظ]

**﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[١٨]**

وقوله: **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قُرًى ظاهرة**، قيل متواصلة بعضُها ببعض من أرضهم إلى الشام، على كل مِيل قرية وسوقٌ وكل شيء فيها. وقوله:[٩] **وقدرنا فيها السير سِيروا فيها لياليَ وأيامًا آمنين**، من الجوع والعطش والسباع وكل ما يخاف منه.

ثم جائز أن يكون ما ذُكِر من القرى الظاهرة كانت[١٠] لهم مع الجنان التي ذكر[١١] بدءًا، فيكون هذا موصولاً بالأول، فلما لم يشكروا ربهم في ذلك كلّه أبدل لهم الكل بما ذكر.

---

[١] ر م: قليں.
[٢] جميع النسخ – قال بعضهم هو. والزيدة من نسخة جارالله، ورقة ٧ظ.
[٣] جميع لنسخ: قال. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٦و.
[٤] ں: و حمط.
[٥] ن ث: فتحمطه.
[٦] ر ث م: الأثل؛ ں: والأثں.
[٧] «يقال لكل نبت قد أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله: "خمط"» (*معاني القرآن* لزجاج، ٤/٢٤٩).
[٨] ں: أنهم.
[٩] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨و.
[١٠] جميع النسخ: كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.

وجائز أن يكون لا على الصلة بالأول ولكن على ما ذكر[1] بعض أهل التأويل أنه لمّا غيّر عليهم ذلك وأبدل ضاق بهم[2] الأمر فمشوا إلى رُسلهم فقالوا: ادعوا ربكم فَلْيَرُدَّ علينا ما ذهب عنا ونعطيكم ميثاقًا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، فدعوه فرد الله ذلك[3] عليهم وجعل لهم ما ذكر من قرًى ظاهرةٍ، فذكرهم الرسل ما[4] وعدوا ربهم، فأبوا فغيّر ذلك. *والله أعلم.*[5]

فسبأ؛ ذكر أن رجلًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن سبأ، أجَبل هو أم أرض؟ قال: فقال له: «لم يكن جبلًا ولا أرضًا ولكن كان رجلًا من العرب، وَلَدَ عشرَ قبائلَ، فأما ستٌّ[6] فتَيَامَنُوا[7] وأما أربعٌ فتشاءموا».[8] وقال بعضهم: كان سبأ رجلًا اسمه سبأ. و"سبأ" هم الذين ذكرهم الله في سورة النمل.[9] وقال بعضهم: هو اسم قرية.

وفي قوله: **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السَّير،**[10] دلالة خلق الأفعال، لأنه أخبر أنه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرًى ظاهرة والقرى ما اتخذها أهلها. ثم أخبر أنه جعل ذلك والجعل منه خلق، دلّ أنه خلق أفعال العباد. وأخبر أيضًا أنه قدّر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير هو الخلق أيضًا، دلّ أنه خلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى. وذلك على المعتزلة لإنكارهم خلق أفعال العباد.

---

[1] ن ث: ذكره.
[2] ن: عيهم.
[3] ر ث م – ذلك.
[4] ر م – ما.
[5] ر م – والله أعلم.
[6] م – ست.
[7] ر ث م: فيتامنوا.
[8] ر: فيتشاءموا؛ م: فيتشاموا. روي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ: ما هو، أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «بل هو رجل ولد عشرةً فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمَذْحِج وكِنْدة والأَزْد والأشْعَريون وأَنْمار وحِمْيَر عربًا كلها، وأما الشامية فلَخْم وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان» (مسند أحمد بن حنبل، ٣١٦/١؛ وسنن أبي داود، الحروف والقراءات ١؛ وسنن الترمذي، التفسير ٣٤).
[9] يشير الإمام إلى قوله تعالى: ﴿فمكث غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تُحطْ به وجئتُكَ مِن سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ (سورة النمل، ٢٢/٢٧).
[10] جميع النسخ + سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٨ظ.

وقوله: **قرى ظاهرة**، قال عامة أهل التأويل: قرى متواصلة بعضها ببعض، يسيرون من قرية إلى قرية وينزلون فيها من غير أن تقع لهم الحاجة أو يلحقهم مئونة. وجائز أن يكون قوله: **قرى ظاهرة**، أي ظاهرة[1] نِعمها بينةً.

وقوله: **وقدَرنا فيها السَّيْر سِيروا فيها لياليَ وأياما آمنين**،[2] يحتمل قوله:[3] **وقدرنا فيها السير سيروا فيها**،[4] أي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها. أو على الأمر،[5] أي قدرنا فيها السير وقلنا لهم سيروا فيما أنعم الله عليكم[6] وتقلّبوا فيها ليالي وأيامًا آمنين من الجوع والعدوّ وكلّ آفة. وقال بعضهم في قوله:[7] **وقدرنا فيها السَّيْر**، أي جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارًا واحدًا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[١٩]

وقوله: **فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**، فيه لغات من خمسة أوجه.[8] أحدها، **ربنا باعِد**، و[الثاني] بعِّد، كلاهما على الدعاء والسؤال. والثالث باعَدَ،[9] و[الرابع] بعُد، و[الخامس] بعَّد. قال أبو معاذ: ولولا تغيير[10] الكتابة لكان يجوز "بُوعِد". ومن قرأ: "ربنا بَاعَدَ" على الخبر، وكذلك "بعُد"، ومن قرأ "بعَّد بين أسفارنا" يخرج على الشكاية عما بَعدُ من أسفارهم. فأما على السؤال والدعاء فهو -والله أعلم- لأنهم سَئِموا ومَلّوا لكثرة ما أنعم الله عليهم ورفع عنهم الْمُؤَنَ وطال مُقامهم فيها سألوا ربهم أن يحوّل ذلك عنهم سفهًا منهم وجهلاً. وكان كقوم موسى حين أنزل عليهم المنّ والسلوى ورفع عنهم المُؤْنة سَئِموا ومَلّوا من ذلك[11]

---

[1] جميع النسخ - أي ظاهره. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨ظ.
[2] جميع النسخ - سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. والزيادة من المرجع السابق.
[3] ث - يحتمل قوله.
[4] جميع النسخ - سيروا فيها. والزيادة من المرجع السابق.
[5] ر م + أي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها أو على الأمر.
[6] ن ث: أنعم عليكم.
[7] ن + قدرنا عليكم وتقلبوا.
[8] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٧/٣٠٠-٣٠١.
[9] جميع النسخ - باعد. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨ظ.
[10] ه: تغير.
[11] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩و.

وقالوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا،[1] وما ذكروا، فعلى ذلك هؤلاء. ومن قرأ "بعِّد بين أسفارنا" على الشكاية، شكا إلى ربه لما ذهب عنهم من[2] السعة والخصب وأصابهم الجهد والمؤنة. وأما قوله: "باعَد" على الخبر فكأنه كان[3] فيهم ذلك[4] كله، فيهم[5] من سَأَل تحويله، وفيهم[6] من شكا إذا زال ذلك وتحوّل، وفيهم من أخبر بزواله. وعلى ذلك يخرج قول موسى لفرعون حيث قال: لَقَدْ "عَلِمْتُ" مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[7] بالرفع، ولَقَدْ عَلِمْتَ، بالنصب.[8] كأنه كان ذلك من موسى الأمران جميعًا، قال في البدء:[9] "لقد علمتُ"، فلما تحقّق عند فرعون وعرف أنه من الله تعالى فعند ذلك قال: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[10] لا أنه كان أحدهما، فعلى ذلك الأوّل وما يشبه ذلك. *والله أعلم.*

وقوله: **فجعلناهم أحاديث**، أي أهلكناهم إهلاكًا، وكذلك قوله: **ومزّقناهم كلَّ مُمَزَّقٍ**، أي أهلكناهم[11] كل إهلاك، حتى صاروا عظة وعبرة لمن بعدهم. وقيل:[12] **فجعلناهم أحاديث**، [أي جعلناهم أحاديث][13] للناس على حقيقة الحديث، يتحدّثون بأمرهم وشأنهم، **ومزقناهم كل ممزق**، أي فرقناهم كل تفريق، أي في كل وجه التفريق حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وبعضهم بالشام وبعضهم بالبحرين وعمّان ونحوه. *والله أعلم.*

[1] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).

[2] ر ث م – من.

[3] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من نسخة جارالله ورقة، ٩و.

[4] ر م: وذلك.

[5] ر م: منهم.

[6] ث: ومنهم.

[7] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.

[8] «قرأ الكسائي وحده ﴿لقد علمتُ﴾ بضم التاء، وقرأ الباقون ﴿لقد علمتَ﴾ بفتح التاء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٧٢).

[9] جميع النسخ: في البدئ.

[10] ر م – بالرفع ولقد علمت بالنصب كأنه كان ذلك من موسى الأمران جميعا قال في البدء لقد علمت فلما تحقق عند فرعون وعرف أنه من الله تعالى فعند ذلك قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر.

[11] ر م – إهلاكا وكذلك قوله ومزقناهم كل ممزق أي أهلكناهم.

[12] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.

[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور**، يحتمل أن يكون الصبار والشكور هو المؤمنَ، كأنه قال: إن في ذلك لعِبَرًا وعِظاتٍ لكل مؤمن. أو، **لآيات لكل صبار**، على طاعة الله وأمره، **شكور**، لنعمه. أو **لآيات لكل صبار**، على البلايا والمحارم، **شكور**، لنعم الله.[١] ثم [الصبر والشكر][٢] يخرج على وجهين. أحدهما في الاعتقاد له، والثاني في المعاملة. فيعتقد[٣] الصبر لربه على جميع أوامره ونواهيه[٤] والشكرَ له على جميع نَعْمائه. والمعاملة أن يصبر على ذلك ويشكر له في نعمه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **ولقد صدّق عليهم إبليسُ ظنّه**، اختلف في ظنه. قال بعضهم: ظنّ بهم ظنًّا فوافق ظنه فيهم حين قال: / لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً،[٥] مَن عصمتَ[٦] مني، [٦١٨و]
وما قال:[٧] لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ،[٨] إلى آخر ما ذكر، فقد صدّق ما ظن فيهم. وقال بعضهم: **صدق عليهم إبليس ظنه**، وذلك أن إبليس خُلق من نار السَّموم وخلق آدم من طين، ثم قال إبليس: إن النار ستغلب الطين، فمِن ثَمّةَ صدّق ظنّه فقال: وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.[٩] يقول الله: **فَاتَّبَعُوه**، ثم استثنى عباده المخلصين فقال: **إلّا فريقًا من المؤمنين**، يعني عباده المخلَصين فإنهم لم يتبعوه، الذين قال[١٠] [فيهم]: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.[١١] وقال قائلون: "مِن"، هاهنا صلة، كأنه قال: فاتبعوه إلا فريقًا وهم المؤمنون، وجائز أن يكون قوله: **فاتبعوه إلا فريقًا**[١٢] **من المؤمنين**، الذين هم في الحقيقة مؤمنون،[١٣]

---

[١] ر م: – عليه.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.
[٣] ر ث م: يعتقد.
[٤] ن ث: ومناهيه.
[٥] سورة الإسراء، ٦٢/١٧.
[٦] ر: عصمة.
[٧] ن: وقال.
[٨] ﴿إنْ يدعون مِن دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانًا مَريدًا لعنه الله وقال لأتخذنّ من عبادك نصيبًا مفروضًا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليُبتِّكُنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فليُغيّرنّ خلق الله﴾ (سورة النساء، ١١٧/٤-١١٩).
[٩] سورة الحجر، ٣٩/١٥-٤٠؛ وسورة ص، ٨٢/٣٨-٨٣.
[١٠] ث: قالوا.
[١١] سورة الحجر، ٤٢/١٥؛ وسورة الإسراء، ٦٥/١٧.
[١٢] ر م – وهم المؤمنون وجائز أن يكون قوله فاتبعوه إلا فريقا.
[١٣] ر ن م – مؤمنون.

فأما من كان عندكم من المؤمنين في الظاهر فقد اتبعوه، لأنه لا كل مؤمن عندنا هو في الحقيقة مؤمن. أو أن يكون قوله: **فاتبعوه**، أي أصحابُ الكبائر، **إلا فريقًا من المؤمنين**، وهم الذين عصمهم الله من الكبيرة، لأن[1] أصحاب الكبائر قد اتبعوه[2] فيما دعاهم إليه. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٢١]**

وقوله: **وما كان له عليهم من سلطان**، قال الحسن: والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا أكرههم على شيء وما كان منه إلا غرور[3] وأمانيُّ[4] ووسوسة[5] دعاهم إليها فأجابوه.[6] وقال بعضهم: قوله: **وما كان له عليهم من سلطان**، أي حُجّة، ليس له حجة عليهم، أي لم يُمَكَّن من الحجة عليهم،[7] ولكن إنما مَكَّن له[8] الوساوس والتمويهات، ثم جعل الله للمؤمنين مقابل ذلك حججا يدفعون بها شبهه وتمويهاته.

وقوله: **إلا لِنَعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ**، هذا يخرج على وجوه. أحدها ليعلم كائنًا ما قد علمه أنه يكون. والثاني ليعلم شاهدًا للخلق ما قد علمه[9] غائبًا عنهم. والثالث يُكَنِّيَ[10] بالعلم معلومه،[11] أي ليَكُون المعلومُ، وذلك جائز في اللغة، كقوله: حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[12] أي الموقَن به، وذلك كثير في القرآن.

وقوله: **وربك على كلّ شيء**،[13] من الإيمان والشرك وغيره من الأعمال، **حفيظ**، عالم به.[14]

---

[1] ر ث م: ولأن.
[2] ر م – أي أصحاب الكبائر إلا فريقا من المؤمنين وهم الذين عصمهم الله من الكبيرة لأن أصحاب الكبائر قد اتبعوه.
[3] جميع النسخ: إلا غرورا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٩ظ.
[4] ن: أو أماني.
[5] ن: وسوسة؛ م: ووسة.
[6] *تفسير عبد الرزاق*، ١٦٤/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢٧١/١٩.
[7] ر ث م – عليهم.
[8] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من نسخة جارالله ورقة ٩ظ.
[9] ر م – أنه يكون والثاني ليعلم شاهدا للخلق ما قد علمه.
[10] ث: يكفي.
[11] جميع النسخ: معلومة.
[12] ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (سورة الحجر، ٩٩/١٥).
[13] ر ن م + حفيظ. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠و.
[14] ث – وقوله وربك على كل شيء من الإيمان والشرك وغيره من الأعمال حفيظ عالم به.

**﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[٢٢]**

وقوله: **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**، أنهم آلهة: الملائكة والأصنام ومن عبدوهم من دونه، هل يملكون لكم شيئًا من دفع ضُرٍ أو جر نفع؟ فيقول: **لا يملكون مثقالَ ذرة في السماوات ولا في الأرض**، ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ، فكيف تسمونها[١] آلهة؟ أو أن يقول: **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**، أنها آلهة فليكشفوا عنكم الضرَ الذي نزل بكم من الجوع وغيره، كقوله: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ،[٢] فالواجب[٣] لذلك أن يقولوا: لا يملكون مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبرَ فكيف يملكون[٤] ما ذكر؟ يذكر -والله أعلم- سفههم وفَرْطَهم في عبادتهم مَن يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع، وتسميتَهم إياها آلهة.

[٦١٨و س٣٧ *وقوله: **قل الدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**، أي لا يملكون إنشاء ذرة في السماوات والأرض، وما لهم في إنشاء ما[٥] فيهما من شرك، وما له منهم في إنشاء ذلك[٦] من عون،[٧] فكيف تعبدونهم وتسمونهم آلهة؟* ٦١٨و س٣٩]

**وما لهم فيهما**، يعني في خلق السماوات والأرض وحفظهما [ل]مَن تعبدون[٩] دونه، **من شرك وما له منهم من ظهير**، أي من عون في ذلك، فكيف سَميتموها آلهة وشركاء في العبادة.

**﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢٣]**

وقوله: **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**، يقول -والله أعلم-: لا يملك أحد الشفاعة لأحد إلا لمن أذن الله بالشفاعة[١٠] له، فهو لم يَأذن بالشفاعة لأحد من الكفرة.

---

[١] جميع النسخ: تسمونه.

[٢] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنيَ الله بضر هل هنّ كاشفت ضره أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).

[٣] جميع النسخ: فالجوب. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠و.

[٤] ر م: يذكرون.

[٥] ر م: إنشائها.

[٦] ن - ذلك

[٧] ر ث م: من عود.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٨و/سطر ٣٧-٣٩.

[٩] ر ث م + من.

[١٠] ر: أذن الله له الشفاعة؛ م: أذن الله له بالشفاعة.

يذكر[1] هذا -والله أعلم- لقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] ولقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[3] أو يذكر أن من ترجون منهم الشفاعة بالمحل الذي ذَكَرهم من الخوف والفزع، فكيف ترجون شفاعتهم؟ كقوله: **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم**. أو، لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[4] ولا أصغر منه ولا أكبرَ، فكيف يملكون الشفاعة لكم؟ أو نحوه من الكلام. ***والله أعلم.***

وقوله: **حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، ليس لهذا الحرف في ذا الموضع صلةٌ يوصَل بها، ولا تقدم ما[5] يعطف عليه، وعلى الابتداء لا يستقيم. فبعض أهل التأويل يقول: كان بين عيسى ومحمد فترة زمان طويلٍ، لا يجيء[6] فيها الرسل. فلما بعث الله محمدًا وكلم جبريل بالرسالة[7] إلى محمد سمع الملائكة ذلك فظنوا أنها الساعة قامت فصعقوا مما سمعوا. فلما انحدر جبريل جعل كلما يمرّ[8] يكلمهم[9] حتى[10] تجلَّى عنهم وكشف، فقال بعضهم لبعض: **ماذا قال ربكم قالوا الحق**، أي الوحي. وقال بعضهم: كان الوحي إذا نزل من السماء نزل كأنه سلسلة على صخرة،[11] قال: فيفزع الملائكة بذلك فيخرّون سُجدًا، **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم**، قال: إذا انجلى عن قلوبهم، **قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**.

---

[1] جميع النسخ: فذكر. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠و.
[2] سورة يونس، ١٨/١٠.
[3] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[4] الآية السابقة.
[5] جميع النسخ - ما. والزيادة من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لا يجري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٧و.
[7] ن - بالرسالة.
[8] ث: تمر.
[9] ر م: منهم؛ ن ث: بكل منهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ظ.
[10] جميع النسخ - حتى. والزيادة من المرجع السابق.
[11] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجَرَس وهو أشده عليّ فيفْصِم عنّي وقد وعيتُ عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقًا (*صحيح البخاري*، بدء الوحي، ١).

وقوله: **حتى إذا فُزّع عن قلوبهم**، قيل: جُلّي وكُشف الغِطاء. قال الكسائي: **حتى إذا فُزّع**، مشتقة من الفزع، يقول: أُخرج ما فيها من الفزع،[١] كما تقول: هَيّبه عن قلبه ورَقّه[٢] وفَزّع، كله[٣] واحد. ومن قرأ "فُرّغ" بالراء[٤] يقول:[٥] أُخرج وتُرك فارغًا من الخوف والشُغُل، وهي قراءة ابن مسعود.[٦]

وقال[٧] بعضهم في قوله: **قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، يقول: يخبرون بالأمر الذي جاءوا به ولا يقولون إلا الحق، لا يزيدون ولا ينقصون.*

وجائز أن يكون قوله: **حتى إذا فزّع عن قلوبهم / قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، ذلك [٦١٨ظ] الفزع منهم وذلك القول منهم في القيامة، فَزِعوا لقيامها. وقد قُرئ: **حتى إذا فَزّع**، بنصب الفاء،[٩] أي حتى إذا فزع الله، أي كشف الله عن قلوبهم الفزع وجلّى ذلك[١٠] عنهم. *والله أعلم*.

* قال أبو عَوْسَجة: **فُزّع**، ذُهب. وقال القُتَبي: **فزع**، خُفِّف.*[١٢] [٦١٩و س٢]

**﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** [٢٤]

وقوله: **قل من يرزقكم من السماوات والأرض**، هذا في الظاهر وإن كان استفهامًا فهو على التقرير والإيجاب، لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام كان من الله فهو منه[١٣] على التقرير والإيجاب.

---

[١] ر م – يقول أخرج ما فيها من الفزع.
[٢] ر م: ودقه.
[٣] جميع النسخ: كل. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ص.
[٤] ر ن م: بالراي.
[٥] ر ث م – يقول؛ ث + أي.
[٦] نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن عمر والحسن البصري وقتادة. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨٢/١٩، *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٢٦٦/٧.
[٧] جميع النسخ: قال. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ظ.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[٩] «قرأ ابن عمر ويعقوب ﴿فَزّع﴾ بفتح الفاء والزاي، وقرأ الباقون ﴿فُزّع﴾ بضم الفاء وكسر الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦٣).
[١٠] م – ذلك.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٩و/سطر٢.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٦.
[١٣] ر ث م – منه.

ثم لو كان ذلك ممن[1] يكون منه الاستفهام لكان جواب قوله: **من يرزقكم من السماوات والأرض**، أن يقولوا:[2] "الله يرزقنا"، كقوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثم قال في آخره: فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ.[3] فيقول لهم: فإذا علمتم أن الله هو[4] رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم عنه إلى مَن تعلمون[5] أنه لا يملك شيئًا من رزقكم؟ كقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ.[6] وذكر[7] في حرف ابن مسعود وحفصة: "قل من يرزقكم من السماوات والأرض قالوا الله قال وإنا[8] أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين".

وقال بعضهم في قوله: **قل من يرزقكم [من السماوات والأرض]**، من السماوات من المطر ومن[9] الأرض النبات، فإن أجابوك فقالوا: الله، وإلا فقل: الله يفعل ذلك[10] بكم فكيف تعبدون غيره؟

**وإنا أو إياكم لعلى هدى**، يقول ذلك رسول الله لأهل مكة: إنا لعلى هدى أو إنكم لعلى هدى، وإنا أو إياكم[11] لفي ضلال مبين. وقال بعضهم: معناه وإنا لعلى هدى وإياكم لفي ضلال مبين، ولكن ليس هذا في ظاهر هذا الكلام. وجائز أن يكون هذا على تعريض الشتم لهم بالضلال والكناية لذلك، كما يقول الرجل لآخر في حديث أو خبر يجري بينهما: إن أحدنا لكاذب في ذلك، أي أنت كاذب في ذلك،[12] لكنه تعريض منه ذلك ليس بتصريح. وقال[13] قتادة: هذا قول محمد وأصحابه لأهل الشرك: والله ما نحن وأنتم على أمر واحد،

---

[1] ر م: من.
[2] جميع النسخ: أن يقولون.
[3] ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (سورة يونس، ٣١/١٠).
[4] ر ث م: فهو.
[5] ر م: تعلمونه.
[6] جميع النسخ + أنه لا يملك شيئا من رزقكم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و. سورة العنكبوت، ١٧/٢٩.
[7] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و.
[8] ر ث م: إنا؛ ن: إني. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث: وفي.
[10] ن + سهم.
[11] ر م: وإياكم.
[12] ن – أي أنت كاذب في ذلك.
[13] ن: وهذا.

والله إن أحد الفريقين لمهتد[١] والفريق الآخر في ضلال مبين،[٢] فأنتم تعلمون أنّا على هدًى لِما أقمنا من الدلائل والحجج والبراهين على ذلك، وأنتم لا.[٣] وقال بعضهم: قال ذلك لأن كفار مكة قالوا للنبي وأصحابه: "تعالوا ننظر[٤] في معايشنا: مَن أفضل دينًا، أنحن أم أنتم؟ فعسى ذلك يكون في الآخرة". فردّ الله ذلك عليهم في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ،[٥] الآية.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**، قال بعضهم: قال ذلك لهم[٦] لأنهم كانوا يُعيّرون رسول الله وأصحابه[٧] ويوبخونهم[٨] في طعنهم الأصنام التي عبدوها وذكرِهم إياها بالسوء، وما يدّعون عليه من الافتراء على الله[٩] بأنه رسول الله، فيقول لهم: لا تسألون أنتم عمّا أجرمنا نحن، ولا نسأل عما تعملون. وهو كقوله في سورة هود: قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ.[١٠] أو أن يكون قوله: **قل لا تسألون عما أجرمنا**، أي عما دِنّا[١١] من الدين أو عما عملنا من الأعمال، **ولا نسأل عما تعملون** أنتم، أي[١٢] عما تدينون[١٣] من الدين، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[١٤] وكقوله: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ.[١٥] وقوله: لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ.[١٦] وإنما يقال هذا بعد ظهور العناد والمكابرة، فأما عند الابتداء فلا. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: لمهتدي. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و.
[٢] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/١٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٨٦/١١.
[٣] ن - وأنتم لا.
[٤] ر م: انتظر.
[٥] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).
[٦] ر ث م - لهم.
[٧] ر ث م - وأصحابه.
[٨] ر م: ويوبخوهم.
[٩] ر ث م - على الله.
[١٠] سورة هود، ٣٥/١١.
[١١] ر م: ديننا؛ ن: دننا؛ ث: دينا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١ظ.
[١٢] ر م - أي.
[١٣] ث + أنتم.
[١٤] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٥] ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ (سورة يونس، ٤١/١٠).
[١٦] سورة البقرة، ١٣٩/٢؛ وسورة القصص، ٥٥/٢٨؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[٢٦]

وقوله: **قل يجمع بينننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**، هذا -والله أعلم- صلة ما تقدم من قوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[١] وصلة قوله: قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا،[٢] كأنهم قالوا لرسول الله وأصحابه: إنا لعلى هدى وأنتم على ضلال مبين، فقال عند ذلك جوابًا لهم: **قل يجمع بيننا ربنا**، أي يجمع بيننا، **ثم يفتح**، أي يقضي، **بيننا بالحق**، مَن مِنّا على الهدى ومَن مِنّا على[٣] الضلال، نحن أو أنتم؟

**وهو الفتاح العليم**، أي وهو الحاكم العليم ما ظهر وما بطن حقيقة. والمفاتحة هي[٤] المحاكمة، يقال: هلمّ حتى نُفاتِحَكَ إلى فلان، أي نُحاكِمَك، وذلك جائز في اللغة.

ويحتمل قوله: **ثم يفتح بيننا بالحق**، أي يكشف كل خفي منا وكل ستير وباطن فيجعله ظاهرًا بيّنًا لِيَظْهَر الذي[٥] هو على الحق من الباطل، والهدى من الضلال. **وهو الفتّاح العليم**، أي الكاشف المظهر، **العليم**، يعلم الظاهر والباطن جميعًا والإعلان والإسرار جميعًا. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٧]

وقوله: **قل أروني الذين ألحقتم به شركاء**، أي أروني الذين ألحقتم بالله شركاء في تسميتكم الأصنام آلهة. أو، **أروني الذين ألحقتم به شركاء** في العبادة. وجائز أن يكون قال ذلك للذين عبدوا الملائكة وأشركوهم[٦] فيها. كأن فيه إضمارًا يقول: **أروني الذين ألحقتم به شركاء**، هل خلقوا شيئًا، أم هل رَزقوا، أم هل أحيَوا، أم هل أماتوا؟ فإذ عرفتم أنهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون على[٧] ذلك وعلمتم أن الله تعالى هو خالق ذلك كلّه وهو الرازق[٨] فكيف أشركتم من لا يملك ذلك في ألوهيته؟[٩]

---

[١] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ر – الهدى ومن منا على.
[٤] ن: هو؛ ث: على.
[٥] جميع النسخ + من. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١ظ.
[٦] ر م: وأشركو .
[٧] ر ن م – على.
[٨] ث: الرزاق.
[٩] ر م: في لوهية.

**كلّا بل هو الله العزيز الحكيم**، منهم من يقول: **كلّا**، ردٌ[1] على قولهم: **شركاء**، أي ليسوا بشركائه[2] بل هو المتفرد الواحد الحكيم. ومنهم من يقول: هو رد على قوله: هل خلقوا شيئًا، أم هل/ رزقوا شيئًا؟ يقول: **كلا**، أي لم يخلقوا ولم يرزقوا، بل[3] الله هو المتفرد بذلك.[4] ***والله الموفق***.* [٦١٩و]

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٨]**

وقوله: **وما أرسلناك**، يا محمد، **إلا كافة للناس بشيرًا**، بالجنة لمن اتبعه، **ونذيرا**، بالنار لمن خالفه وعصاه. وقوله: **كافة للناس**، قال بعضهم: أي ما أرسلناك إلا جامعًا للناس إلى الهدى داعيًا إليه. ومنهم من يقول: **وما أرسلناك إلا كافة للناس**، أي ما أرسلناك إلا إلى الناس جميعًا، إلى العرب والعجم وإلى الإنس والجن ليس كسائر الأنبياء، إنما أرسلوا إلى قوم دون قوم وإلى بلدة دون بلدة. وكذلك روي عن النبي[6] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أُعطيتُ أربعًا لم يُعْطَهُنّ نبي قبلي -أحدها ما ذكرنا-: بعثت إلى الناس جميعًا عامة إلى الأحمر والأسود والعرب والعجم، وجُعلتْ لِيَ[7] الأرض مسجدًا وطَهورًا، وأُرعِبَ لنا عدوُّنا شهرًا،[8] وأحلت لي الغنائم».[9]

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، قال بعضهم: لا يصدّقون، ويحتمل، **لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بما يعلمون، وإلا يعلمون. أو لا يعلمون[10] حقيقة لِما لم ينظروا في الحجج[11] والآيات، وقد مُكّن لهم ذلك،[12] لو نظروا علموا. ***والله أعلم***.[13]

---

[1] جميع النسخ: ردا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢و.

[2] ر م: بشركائي.

[3] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ن + هل خلقوا شيئا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٣، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٩و/سطر٢.

[6] ر ث م: عن نبي الله.

[7] ر: والثاني جعلت إلى؛ ن ث م: والثاني جعلت لي.

[8] جميع النسخ: وأرعب لنا عدونا مسيرة شهرين. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢و.

[9] عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فيصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (*تفسير عبد الرزاق*، ٦٥/٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤٨/٥؛ و*صحيح البخاري*، التيمم ١، الصلاة ٥٦.

[10] م - أو لا يعلمون.

[11] م: إلى الحجج.

[12] ث م - ذلك.

[13] ر - وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال بعضهم لا يصدقون ويحتمل لا يعلمون أي لا ينتفعون بما يعلمون وإلا يعلمون أولا يعلمون حقيقة لما لم ينظروا في الحجج والآيات وقد مكن لهم ذلك لو نظروا علموا والله أعلم.

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٩]**

وقوله: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.** هذا القول منهم إنما يقولون على الاستهزاء والسخرية ليس على الاسترشاد، على أنه لا يكون ذلك وأنه كذب، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا،[١] أخبر أن أولئك يستعجمون بها لتركهم الإيمان بها استهزاء منهم، والذين آمنوا خائفون منها لإيمانهم بها[٢] أنها كائنة لا محالة. لكن الله سبحانه لم يجبهم بما[٣] يجاب المستهزئ[٤] ولكن أجابهم بما[٥] يجاب المسترشد بلطفه وكرمه وجوده. حيث قال:

**﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣٠]**

**قل لكم ميعاد يوم،** أي لكم ميعاد الذي وعدكم محمد أنه كائن لا محالة، وهو يوم **لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون.** وهكذا الواجب على كل مسئول إذا كان سائله يسأله سؤال استهزاء أن يجيبه جواب ما يجاب [به] المسترشد لا ما يجاب المستهزئ، ولا يَدَعَ علمه وحكمته لسفه السفيه ولا لِهُزْءِ الهازئ، ولكنه يحفظ حكمته وعلمه وعقله ولا يشتغل بجوابِ مثله. *وبالله العصمة.* وقوله: **لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون،** فإن كان على طلب التأخير وطلب التقديم ففيه تعيير وتوبيخ لهم، كأنه يقول: ليس لكم من الخَطَر والقَدْر والمنزلة ما يؤخر لكم ما تستأخرون،[٦] أو يقدم لكم ما تستقدمون. وإن كان على تحقيق ترك التأخير وترك التقديم كأنه يقول: ميعادكم يوم لا تمكنون تأخيره إذا جاء ولا تقديمه عن وقته ولا دفعه. *والله أعلم.*

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه،** كأن هذا القول منهم -والله أعلم- خرج عن مخاصمة وقعت بينهم وبين المؤمنين في شأن القرآن وفي[٧] شأن محمد،

[١] سورة الشورى، ١٨/٤٢.

[٢] ن - لتركهم الإيمان بها استهزاء منهم والذين آمنوا خائفون منها لإيمانهم بها. صح هـ.

[٣] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢ط.

[٤] ن: المستهزء؛ ث: المستهزؤ.

[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] هـ: لا تستأخرون.

[٧] جميع النسخ: أو في. والتصحيح من المرجع السابق.

فتحاكموا إلى الكتاب على اتفاق منهم على ما في كتبهم، فلما خرج ذلك على موافقة قول المؤمنين ومخالفة قول أولئك قالوا عند ذلك: **لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه.** وإلا على الابتداء من غير تنازع وخصومة كان بينهم في ذلك غيرُ مستقيم. ويذكر بعض أهل التأويل عن[1] ابن عباس وغيره أن رهطا بعثهم قريش إلى المدينة إلى رؤساء[2] اليهود يسألونهم عن محمد وبعثه، فأخبروهم[3] أنه كائن وأنه مبعوث. فلما رجعوا إليهم فأخبروهم أنهم قد عرفوه وهو عندهم في التوراة والإنجيل فعند ذلك قالوا ما قالوا.[4]

ثم كأنه اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل عليه فقال له على التعزية والتصبير على ذلك: **ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم،** أي محبوسون عند ربهم[5] على محاسبة ما كان منهم من العناد والمكابرة والتكذيب، أي لو رأيت[6] ما فيهم من الذلّ والهوان والخضوع لَرَحمتهم ولأخذتك الرأفة لهم. ***والله أعلم.*** وقوله: **يرجع بعضهم إلى بعض القول،** أي يلوم بعضهم بعضًا فيقولون ما ذكر: **يقول الذين استضعفوا،** أي السفلة والأتباعُ، **للذين استكبروا،** أي القادة منهم والرؤساءِ: **لولا أنتم،** فيما صرفتمونا عن دين الله وصددتمونا عنه، **لكنا مؤمنين،** به تابعين له. لأنهم كانوا يصدرون لآرائهم ويقبلون قولهم لما هم كانوا أهل شرف ومعرفة والسفلةُ لا، فيقولون: لو لا أنتم لكنا نتبع رأي أنفسنا فنؤمن[7] به، لكن قلتم لنا: إنه كَذِب وإنه افتراء[8] وإنه سحرٌ، فنحن صدقناكم في ذلك.

**﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾[٣٢]**

**قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم.** قوله: **أنحن صددناكم،** هو على التقرير، أي لم نصدّكم، وإن كان ظاهره استفهاما،

[1] جميع النسخ – عن. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٢ظ.
[2] ن: إلى رسوساء.
[3] ن: فأخبروه.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٢٨٠؛ *وبحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٢/٢٩٠.
[5] ر ث م + أي؛ ن – محبوسون عند ربهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٣و.
[6] جميع النسخ: لو رأيتم. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: فنؤمن.
[8] ر م: افترى.

ولكن أنتم بأنفسكم تركتم اتباعه. لأن الرؤساء منهم كانوا يقولون للأتباع: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ،[1] أخبروا أنه بشر مثلهم،[2] ثم أخبروهم أنكم لئن أطعتم بشرا متلكم إذًا تكونوا خاسرين، ونحن بشر فكيف اتبعتمونا / وأطعتمونا؟ [٦١٩ظ] **بل كنتم قومًا مجرمين**، في اتباعكم بما اتبعتموه.

أو أن يكون قوله: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ.[3] أي لولا تلبيسكم علينا وتمويهكم أن الرسل كذبة وأنهم سحرة فيما يقولون ويدّعون وأنهم يفترون على الله وإلا كنا[4] مؤمنين بهم.[5] والثاني لولا منعكم إيانا عن النظر والتفكر في أمورهم والتأمل في الحجج والآيات لَكُنّا مؤمنين. هذا قول الأتباع للرؤساء. ثم أجاب لهم الرؤساء فقالوا: **أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين**، يقولون -والله أعلم-: إن صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم ظاهرًا وعلانية فمتى منعناكم سرًا؟ فهلا اتبعتموهم سرًا من غير أن نطّلع ونعلم نحن بذلك، أو ما ذكرنا من قوله: وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ،[6] وقد عرفتم أنا بشر مثلكم فأطعتمونا، وتركتم طاعة الرسل لأنهم بشر.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٣٣]

فأجاب لهم الأتباع فقالوا: **بل مكر الليل والنهار**، قال بعضهم:[7] بل بمكركم إيانا وقولكم في الليل والنهار: إنهم كذبة سحرة[8] وخِداعِكم إيانا أنهم[9] بشر مثلكم، تركنا اتباعهم،

---

[1] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٣٣-٣٤).

[2] ن: مثلكم.

[3] الآية السابقة.

[4] ر م: لكنا.

[5] ر ث م - بهم.

[6] سورة المؤمنون، ٣٤/٢٣.

[7] ر ث م - قال بعضهم.

[8] ن: وسحرة.

[9] ر ث م: وأنهم؛ ن: وأنتم.

**إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا.** أو يقولون: بل مكركم في الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله، أي من تخويفكم إيانا وهيبتكم لنا من الأخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم في السر إذا ظهر وبلغكم الخبر به. هذه مناظرات أهل الكفر فيما بينهم يومئذ وردّ بعضهم على بعض ولعنُ بعضهم بعضًا، يذكرها في الدنيا ليُلزمهم الحجة وأن لا يقولوا يومئذ: إنا كنا عن هذا غافلين.

فإن قيل: إنهم كانوا لا يؤمنون بهذا القرآن ولا بالبعث فكيف يلزمهم ذلك وهم لا يستمعون له؟ قيل: إنهم قد مُكّنوا من الاستماع[1] له[2] والنظر فيه، فيُلزمهم الحجة وإن لم يستمعوا له. *والله أعلم*.

وقوله: **وأسَرّوا الندامة لما رأَوُا العذاب**، قال بعضهم: أسرّ الرؤساء الندامة بصرف الأتباع وصرف أنفسهم عن دين الله واتباع الرسل، **لمّا رأوا العذاب**. وقيل: **أسروا الندامة**، الأتباع[3] والرؤساءُ جميعًا. وقوله: **وأسروا الندامة**، قيل[4] من الإسرار والإخفاء، أخفى بعضهم عن[5] بعض. وقال بعضهم: أخفى الكفرة الندامة[6] عن المؤمنين. وقال القُتَبي: **أسروا الندامة**، أي أظهروا، وهو من الأضداد، يقال:[7] أسررت الشيء أخفيته، وأظهرته.[8] وأما غيره من أهل التأويل فإنهم قالوا: هو من الإخفاء.

وقوله: **وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا**، الأغلال جماعة الغُلّ، وهو ما يجعل في اليد ثم يشد اليد إلى العنق. **هل يجزون إلا ما كانوا يعملون**، أي لا يجزون إلا جزاء عملهم في الدنيا.

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٤]**

وقوله: **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون.** قال بعضهم: المترف المتكبر. وقال آخرون: المترف هو الذي يجمع صُنوف[9] المال مع العناد والتكبر.

---

[1] م: الاستمتاع.
[2] ر ث م - له.
[3] ر: والأتباع.
[4] ر ث م: قال.
[5] ر ن م: من.
[6] ر م: والندامة.
[7] جميع النسخ: ويقر. والتصحيح من نسخة جاراللّه، ورقة ١٣ ظ.
[8] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٥٧.
[9] ر م: أصناف.

وقال بعضهم: المترفون هم الرؤساء منهم. وهذا ينقض على المعتزلة في[1] قولهم: إن الله لا يفعل[2] بأحد[3] إلا ما هو أصلح له في الدين. ولا شك أن هؤلاء المترفين إنما قالوا ما قالوا[4] وفعلوا ما فعلوا لِسَعَتِهم وبسطهم في المال، فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك، دلّ أن المنع لهم عن ذلك أصلح لهم من البسط. *والله أعلم*. وقوله: **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها،** المترف ما ذكرنا،[5] قال بعضهم: المتكبر المتجبر. وقال بعضهم: المترف الذي يجمع مع الكبر والعناد الأموالَ.[6] وقال بعضهم: **مترفوها،** أغنياؤها، وكلّه واحد، وهم رؤساؤها. وفيه رد قول المعتزلة في الأُصلح على ما ذكرنا.

**﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٣٥] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٦]**

وقوله: **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادًا،** يخرج قولهم ذلك لوجهين. أحدهما قالوا ذلك: إنا إذا[7] أوتينا في الدنيا الأموال والأولادَ[8] فلا[9] يعذّبنا في الآخرة على ما تزعمون. أو أن يقولوا ذلك: إنك لو كنت بُعثت رسولاً عبى ما تزعم فنحن أولى بالرسالة منك لأنّا أكثر أموالاً وأولادًا.[10] *والله أعلم*.

وقوله: **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر،** هذا أيضًا ينقض على المعتزلة ومن يقول بأن الله لا يبسط على أحد الرزق إذا لم يكن في البسط صلاح[11] له وخير، وكذلك لا يُقتّر على أحد ذلك إذا لم يكن في التقتير خير له. وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء وإن لم يكن خيرًا له،

---

[1] جميع لنسخ - في. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٤١٠و.
[2] ر: لا يفعون.
[3] ر ث م - بأحد.
[4] ر: لما قالو.
[5] ر م: ما ذكر.
[6] ر م: والأموال.
[7] ث - إذ.
[8] ن: والأموال.
[9] ن: فلم.
[10] د - وأولاد.
[11] ر ن: إصلاح.

وكذلك يقتّر على من يشاء وإن[1] كان شرًّا له، على ما نطق به[2] ظاهر الآية[3] ليس عليه حفظ الأصلح لهم ولا الأخير.[4] *والله أعلم.*

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم، أو لا يعلمون حقيقة لِمَا تركوا النظر والتفكر في أسباب العلم ليعلموا، فلا يُعْذَرون لما مُكّن لهم العلم به.[5]

وقولهم:[6] **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذَّبين**، قالوا ذلك لما لم يروا في الحكمة أن يُحسن أحد إلى عدوّه، والسعة هي من الفضل والإحسان، ثم [إذ] رأوا لأنفسهم ذلك ظنّوا أنهم أولياء الله، وأن الرسل حيث ضيقت عيبهم الدنيا إنما ضُيّقت[7] لأنهم ليسوا بأولياء الله، لذلك قالوا: **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين**. وهذا القول منهم لإنكارهم البعث، فلو[8] كانوا مقرّين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون أن السعة في الدنيا والضيق فيها بحق الامتحان. وأما إذا كان بعثٌ ودار أخرى للجزاء ففي الحكمة أن يجزى الولي جزاء الولاية، / والمسيء والعدوّ[9] جزاء الإساءة والعداوة. وأما الدار التي هي دار امتحان [٦٢٠و]
وابتلاء فيجوز ذلك بحق الامتحان في الحكمة، ولذلك خرج الجواب لهم، حيث قال: **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، أي يبسط الرزق لمن يشاء[10] لا لفضل وقدر له ونعمة عنده، ويقتر على من يشاء لا لعداوة وجناية كانت منه إليه، ولكن[11] بحق الامتحان. ألا يرى أنه قد وسّع على بعض المؤمنين وضيّق على بعض أولئك، فظهر أن التوسيع لأهل السعة ليس لفضل لهم وقدر أو نعمة كانت لهم عنده حتى[12] يكونَ ذلك منه مكافأة[13] لذلك،

---

[1] ث + لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من يشاء وإن.
[2] ر ث م – به.
[3] ن + الكريمة.
[4] ر م: ولا اخير.
[5] ن: وبه.
[6] ن: قولهم.
[7] ر م + عيبهم الدنيا.
[8] جميع النسخ: فإن.
[9] جميع النسخ: من العدو. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٤ظ.
[10] ر ث م – لمن يشاء.
[11] ر ث م – ولكن.
[12] جميع النسخ: وحتى. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر: مكافات.

وكذلك التضييق لأهل الضيق[1] لم يكن لجناية أو إساءة كانت منهم إليه لما ذكروا ولكن لما ذكرنا. ألا ترى أنهم إذا رأوا أنه وسّع على بعض وقتر على بعض هلّا علموا أنه يملك أن يوسّع على من قتر عليه ويقتر على من وسّع عليه؟ فيكون في ذلك لهم ترغيب في التوحيد واختيار له، وتحذير عن الكفر وعما هم فيه، إذ يملك التقتير على من وسع عليه والتوسيع على من قتر عليه. فيُبطل هذا كله قولهم: **نحن أكثر أموالاً وأولادًا**، الآية، ويبيّن أن التقتير والتوسيع ليس لفضل ولا قدر ولا نعمة، ولا لجناية[2] ولا لذنب ولكن للامتحان. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾**[٣٧]

وقوله: **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**، يخبر أن أموالكم وأولادكم لا تقربكم[3] عندنا زلفى[4] ولكن ما ذكر، حيث قال: **إلا من آمن وعمل صالحًا**، أي ذلك الذي يقرّب عندنا زلفى:[5] مَن أتى به سواءٌ كان له مال وولد أو لم يكن،[6] **فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**. من الناس من احتج بتفضيل الغناء على الفقر بهذه الآية يقول: أخبر أن لهم جزاءَ الضعف إذا آمنوا وعملوا الصالحات بالأموال التي أعطاهم، وأما الفقير فليس له ذلك إذ ليس[7] عنده ما يضاعف له، أو كلام يشبه هذا. وأما عندنا أن قوله: **فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا**، لهم جزاء الضعف[8] بالصالحات والحسنات التي عملوها، لأن الله وعد أن يجزي لكل من عمل بحسنة عشر أمثالها، ووعد لمن عمل السيئة أن لا يجزي إلا مثلها.[9] فلكل من عمل بحسنة[10] أو صالحة عشر أمثالها، وذلك جزاء الضعف له، وذلك للغني[11] والفقير جميعًا.

---

[1] ر ن م: التضييق.
[2] ث – ولا لجناية.
[3] ث: لا تقربه بكم.
[4] ر م – يخبر أن أموالكم وأولادكم لا تقربكم عندنا زلفى.
[5] ن + ولكن ما ذكر؛ م + ولكن ما ذكر حيث قال إلا من آمن وعمل صالحا أي ذلك الذي يقرب عندنا زلفى.
[6] ر + فما.
[7] ر م + له.
[8] ث – بما عملوا لهم جزاء الضعف.
[9] يشير الإمام إلى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[10] ر م – عشر أمثالها ووعد لمن عمل السيئة أن لا يجزي إلا مثلها فلكل من عمل بحسنة.
[11] ر: معني.

وقد[1] ذكرنا في غير موضع أن التكلّم في فضل الغَناء على الفقر أو الفقر على الغناء كلام لا معنى له، لأنهما شيئان[2] لا صنع لأحد في ذلك، يمتحنان[3] في تلك الأحوال. أحدهما بالشكر والآخر بالصبر. فمن وَفَى بما امتُحن هو في تلك الحال فهو أفضل ممن لم يفِ بذلك، وبه يستوجب الفضل إن استوجب، فأما بنفس تلك الحال فلا. لكن[4] من يفضّل الغناء على الفقر يذهب إلى أن الله تعالى سمّى الضِيق بلاءً وشرًّا وسيّئة[5] في غير موضع من القرآن، وسمّى السعة خيرًا ونعمة وحسنة في غير موضع. ولا شكّ أن الخير والحسنة أفضل وأحمد من الشر والسيئة، فلو لم يكن هذا شرًّا وسيّئة في الحقيقة لم يسمّه بذلك، وهذا خيرًا لم يسمه. ومن يقول بتفضيل الفقر على الغَناء[6] يذهب إلى أن الغنيّ[7] إذا أعطى وبذل إنما استوجب ذلك الفضل لما يُفقر نفسه ويحوج، وأصله ما ذكرنا.

[٦٢٠و س٣٢] * قال القُتَيبي: **فأولئك لهم جزاء الضِعْف بما عملوا**، لم يُرد فيما يرى أهل النظر -والله أعلم- أنهم يُجازَون عن الواحد بواحدٍ مثلِه ولا اثنين. وكيف يكون هذا والله يقول: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا،[8] و [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ] خَيْرٌ مِنْهَا؟[9] ولكنه أراد لهم جزاء التضعيف،[10] وجزاء التضعيف[11] إنما هو مثلٌ[12] يُضَمّ إلى مثل إلى ما بلغ. وكأن "الضعف" الزيادة،[13] أي لهم جزاء الزيادة. ويجوز أن يجعل "الضعف" في معنى جميع، أي: جزاءُ الأضعاف، ونحوُه: فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[14] أي مضعَّفًا.[15]

---

[1] ر م - قد.
[2] ن: سيان.
[3] أي الغني والفقير. وعبارة الشارح هكذا: «يمتحن بهما...» (ورقة ٦١٩و).
[4] ر: ولكن.
[5] جميع النسخ: وشدة. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٥و.
[6] ر م - على الغناء.
[7] ر: الغنا.
[8] سورة الأنعام، ١٦٠/٦.
[9] سورة النمل، ٨٩/٢٧؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨.
[10] جميع النسخ: الضعف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٥ظ.
[11] ر م - وجزاء التضعيف؛ ن ث: وجزاء الضعف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٨ظ.
[12] ر م: مثله.
[13] جميع النسخ: الزائدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٨ظ.
[14] سورة ص، ٦١/٣٨.
[15] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٧-٣٥٨.

وقال أبو عَوْسَجَة: **جزاء الضعف**، أي جزاء المضاعف أن يَجعل معه مثله، يقال: أضعفت، أي[1] جعلت مثله. وخَيْطٌ مضاعف، أي قد ضُمّ إليه خيط آخر قد فُتلا.

قال: **زلفى**،[2] هي الدنوّ، يقال: تزلفت إليه، ومنه أزلفته، أدنيته. وقال القُتَبِي: أي قربة ومنزلةً عندنا،[3] وهما واحد. ***والله أعلم***.

وقوله: **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**، ذكر الأموال والأولاد، ثم ذكر "التي" بالتأنيث. قال بعضهم: هذا من مقاديم الكلام، كأنه قال: وما أموالكم بالتي تقربكم / عندنا زلفى ولا أولادكم، ولولا ذلك لغلب فعل الآدميين فعلَ الأموال.[4] قال أبو معاذ: [٦٢٠ظ]
يجوز أن نجمع الأموال والأولاد ثم نقول "التي"، لأنك تقول: ذهبت[5] الأموال وهلكت الأولاد، كقوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا،[6] و قَالَتْ رُسُلُهُمْ،[7] ونحوه كثير في القرآن،[8] فعلى ذلك عند الجمع.* [٦٢٠ظ س٣]

وقوله: **وهم في الغرفات آمنون**، من العذاب والموت، أو آمنون من الإخراج، أي لا يكون لهم خوف الإخراج[10] والزوال، لأن خوف زوال النعمة مما ينغّص على[11] صاحبه النعمة ويَحزنه. ***والله أعلم***.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله: **والذين يسعون في آياتنا معاجزين**، أي يسعون في آياتنا سعي من يكون معاجزًا، وإلا كانوا يعلمون أنهم ليسوا بمعاجزين في سعيهم وأنهم لا يقدرون على[12] ذلك،

---

[1] ر ث م – مضعفا وقال أبو عوسجة جزاء الضعف أي جزاء المضاعف أن يجعل معه مثله يقال أضعفت أي.

[2] ن: الزلفى.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٧.

[4] المَقاديم: جمع المِقْدَام، وهو الكثير الإقدام. وقول الإمام رحمه الله: «هذا من مقاديم الكلام» أي مجيء اسم الموصول بصيغة التأنيث "التي" إنما هو بتأثير "أموالكم" فالتي صلة لها. فلو لم يكن كذلك لكانت العبارة هكذا: "بالذي يقربكم"، وتصير الصلة تصف "أولادكم". لذلك قال الإمام: «ولولا ذلك لغلب فعل الآدميين فعل الأموال».

[5] ن: ذهب.

[6] سورة الحجرات، ١٤/٤٩.

[7] سورة إبراهيم، ١٠/١٤.

[8] ر ث م: من القرآن.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٠و/سطر٣٢-٦٢٠ظ سطر٣.

[10] ن + أي لا يكون لهم خوف الإخراج.

[11] ر م – العذاب والموت أو آمنون من الإخراج أي لا يكون لهم خوف الإخراج والزوال لأن خوف زوال النعمة مما ينغص على.

[12] ن – على.

لكن[1] ما ذكرنا: يسعون في آياتنا سعي من يكون معاجزًا،[2] لا سعي من لا يكون، وهو ما قال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ،[3] أي يعملون عمل من يحسب أنه يسبق، لا عمل من لا يسبق، وهو كقوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[4] لا أحد يقصد قصد مخادعة الله لِعلمه أنه لا يخادَع، ولكن كأنه قال: يعملون عمل مَن يخادع الله، لا عمل من يعلم[5] أنه لا يخادَع، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***. وقوله: **في آياتنا**، إنما كان سعيهم في الآيات إما[6] في آيات الوحدانية أو آيات النعمة أو آيات الرسالة، ليُسقطوا عن أنفسهم مئونة ذلك وقبولها والعمل بها، **أولئك في العذاب محضرون**.*

**﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**[٣٩]

وقوله: **قل إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**،[8] قال ابن عباس رضي الله عنه: فهو يخلفه في الدنيا والآخرة،[9] لأن ما أنفق العبد لو كان الله أخلفه له في الدنيا [بتمامه] ما أحصى أحدكم ماله، ولا يجد مكانًا يجعله فيه، أو كلام هذا معناه. وقال آخر: كل نفقة كانت في طاعة الله فإن الله يُخلفها في الدنيا أو يدّخرها لوليّه في الآخرة. ومجاهد يقول: إذا أصاب أحدكم مالاً فليقتصد[10] في النفقة ولا يتأوّلَنّ[11] قوله:[12] **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**، فإن الرزق مقسوم.[13]

---

[1] ر ث م – لكن.

[2] ر م – وإلا كانوا يعمون أنهم ليسو بمعاجرين في سعيهم وأنهم لا يقدرون عى ذلك لكن ما ذكرنا يسعون في آياتنا سعي من يكون معجزا.

[3] ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤).

[4] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.

[5] ر م: يعمى.

[6] ر م – إما.

* وقع هـ مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٢٠و/سطر٣٢-٦٢٠ظ سطر٣.

[8] ن: وهو جزاء الرازقين الآية.

[9] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٥٦.

[10] جميع النسخ: فليقصد.

[11] ر: ولا يتولى.

[12] ن – قوله.

[13] *تفسير سفيان الثوري*، ٥٩/١، ٢٤٤؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٤٠٣/٦؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٤/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٤/١٢.

وقال بعضهم: **فهو يخلفه**، إذا كانت في غير إسراف ولا تقتير. وهذه التأويلات كلها ضعيفة، لأن الآية كأنها[1] نزلت[2] -والله أعلم- في منع أولئك الإنفاقَ مخافة الفقر وخشيةَ الإملاق، لأنها نزلت على إثر قوله: **قل إن ربي**[3] **يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له**، يقول -والله أعلم-: تعلمون[4] أن الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق كله الرزق، وهو المقتر أيضًا على من شاء التقتير عليه، فإذ[5] كنتم تعلمون أنه هو الفاعل لذلك فكيف تمتعون[6] عن الإنفاق خشية الفقر؟ فهو القادر على البسط والخَلْف لما أنفقتم، وهو القادر على التقتير من غير إنفاق كان منكم. أو أن يذكر[7] هذا ليقطعوا أطماعهم عن الخَلْف من الناس والبذل لهم فيما ينفقون، على ما ينفق الرجل من النفقة فيطمع من الناس البِرّ له والمعروف مكافأة لما أنفق، فيقول: اقطعوا الطمع من الناس فيما تنفقون،[8] فإن الله هو المُخْلِف لذلك، لا الناس. ويحتمل ما قال ابن عباس أنه[9] يخلف في الآخرة [أيضا]، إذ لو أعطى لكل ما[10] أنفق في الدنيا خلفا ما أحصى أحدكم ماله ولا [علم] أين يجعله.[11] هذا هكذا إذا كان الخَلَف من نوع ما أنفق وأعطى، فأما إذا جاز[12] أن يكون الخلف من نوع ما أنفق ومن غير نوعه: من نحو ما يدفع عن المرء وعن المتصلين به[13] من أنواع البلايا والشدائد، ويعطيه من أنواع النعم من السلامة له في نفسه ودِينه والصحة وغير ذلك مما لا يُحْصَى فذلك كلّه بَدَل وخَلَفٌ عما أنفق. وذلك أنه إذا علم في سابق علمه أنه ينفق، جعل ذلك في الأصل خَلَفًا عما أنفق. وعلى ذلك يخرج ما روي عن النبي[14] أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[15]

---

[1] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦و.
[2] ر م – نزلت.
[3] ر م: إثر قول الرجل إن ربكم.
[4] جميع النسخ: يعلمون.
[5] ر م: فإذا.
[6] جميع النسخ: يمتنعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٩و.
[7] ر م: وأن يذكر.
[8] د ر: ينفقون.
[9] ن: أن.
[10] ر م: رجل.
[11] م: جعله.
[12] ر: حازه.
[13] جميع النسخ: المتصلين له. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦و.
[14] ر ث م – عن النبي.
[15] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١٥٦/٣ وصحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، البر والصلة ٢١.

إذ علم أنه يَصِل رَحِمه زاد في عمره في الأصل، ما لو يعلم أنه لا يصل رحمه لكان[١] يجعل عمره دون ذلك، فعلى ذلك الأول. وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة،[٢] وما أنفق المرء على نفسه وأهله أو وَقَى به عِرضه فهو له صدقة، وكل نفقة أنفقها المؤمن[٣] فعلى الله خَلَفُها ضامنًا، إلا نفقة في معصية أو نفقةً في بنيان»،[٤] أي لا يحتاج إليه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٤٠] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ويوم يحشرهم جميعًا**، الملائكة ومَن عبدهم،[٥] **ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن.**[٦] ليس قول الملائكة فيما خاطبهم ربهم جوابًا[٧] لما خوطبوا بقوله: **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**، حيث قالوا: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**، لأنه قال لهم: **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**، فجوابهم أن يقولوا: "بلى" أو "لا". فأما أن يكون قولهم: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**[٨] **بل كانوا يعبدون الجن**، الآية، جوابًا لذلك فلا يحتمل. إلا أن يقال: إن أولئك الكفرة ادَّعوا على الملائكة الأمر لهم بالعبادة إياهم دون الله، فهناك[٩] يحتمل أن يقول: أهؤلاء عن أمركم عبدوكم؟ فعند ذلك قالوا: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**، ونحن بُرَآء[١٠] منهم، ما أَمَرْناهم بعبادتنا وأنت أعلم منا، **بل كانوا يعبدون الجن**، بل كانوا أطاعوا أمر الجن والشياطين في ذلك، إذ لو كنّا أمرناهم بذلك لم نكن[١١] أولياءك[١٢] ولا كنت أنت ولينا من دونهم.

---

[١] ر: فكان.

[٢] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٤٤، ٣٦٠؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ٣٣؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة، ٥٢.

[٣] جميع النسخ: مؤمن. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦١٠ظ.

[٤] مسند *أبي يعلى الموصلي*، ٤/٣٦؛ *والمنتخب من مسند عبد بن حميد*، ٢/١٦٦؛ وسنن *الدارقطني*، ٣/٤٢٨؛ *والمستدرك* للحاكم، ٢/٦٣.

[٥] ر ث م: عندهم؛ ن: عبدوهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦١٠ظ.

[٦] ر م – بل كانوا يعبدون الجن؛ + لأنه قال لهم أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون الجن.

[٧] ر ث م – جوابا.

[٨] ر + منا؛ م + أعلم منا.

[٩] ر م: فهنالك.

[١٠] ن: نحن برآؤ؛ ث: ونحن برءاؤ.

[١١] ت: لم يكن.

[١٢] ن: أولياء.

وهذا كما يقول لعيسى حيث قال: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ،[1] وقد كان عَلِم جلّ وعلا أنه لم يقل لهم[2] ذلك، ولكن كان أولئك ادعَوا عليه الأمر والقول لهم في ذلك، فذكر ذلك[3] لعيسى تعييرًا لهم وتوبيخًا على صنيعهم وإظهارًا لكذبهم في دعواهم. فعلى ذلك الأول يحتمل أن يخرج على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون**، هم[4] كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن لِما بأمرهم كانوا يعبدون ما يعبدون[5] نسب العبادة إليهم، كقوله: يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[6] وهو كقول إبراهيم: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[7] وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لِما عبدوا ما عبدوا[8] من دونه بأمر الشيطان نسب العبادة إليه كأنهم عبدوه.

**﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٤٢]**

وقوله: **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا**، أي لا يملك [أحد][9] يوم القيامة

[٦٢١و] ما أملوا وطمعوا[10] / من عبادتهم لأولئك من التقريب لهم إلى الله زلفى والشفاعة لهم عنده، لقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ،[11] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى.[12] يقول: **لا يملك بعضكم لبعض**، ما أملوا وطمعوا[13] من عبادتهم لأولئك.[14]

---

[1] سورة المائدة، ١١٦/٥.

[2] ر م – لهم.

[3] م – ذلك.

[4] ث – هم.

[5] ر ث م: يعبدون ما تعبدون؛ ن: تعبدون ما تعبدون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.

[6] ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (سورة يس، ٦٠/٣٦).

[7] سورة مريم، ٤٤/١٩.

[8] ر ث م – ما عبدوا.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.

[10] ر ث م: أو طمعوا.

[11] سورة يونس، ١٨/١٠.

[12] سورة لزمر، ٣/٣٩.

[13] ر ث م: أو طمعوا.

[14] ن ث: أولئك.

**ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون**، أي كنتم تكذبون[١] الرسل بما أوعدوكم[٢] بها في الدنيا.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٤٣]**

وقوله: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، قد ذكرنا الآيات والبينات في غير موضع.[٣]

وقوله:[٤] **ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم**، لا شك أنه كان يريد أن يصدّهم عما كان يعبد آباؤهم، وكذلك كان يريد[٥] كلّ رسول أن يصدّ قومه عما كان يعبد آباؤهم من الأصنام والأوثان، لكن هذا القول من أولئك الرؤساء إغراء الأتباع على الرسل، يقولون: ألا ترون أن واحدًا قد خالف الآباء في دينهم ويريد أن يصدكم عن دين آبائكم، و **ما هذا إلا إفك مفترى**، أي ما يدعو محمد إليه ليس إلا إفك مفترى.[٦]

**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**. وقوله: **للحق لما جاءهم**، أي ما جاء للحق،[٧] وهو القرآن والتوحيد[٨] من البيان والإيضاح له أنه الحق وأنه من عند الله جاء، وهو الآيات والبراهين التي جاءت له أنه حق وأنه من عند الله جاء، لا أنه مفترًى وإفك[٩] وسحرٌ على[١٠] ما تزعمون.[١١] ولم يزل طعن أولئك الكفرة في الآيات والحجج بأنها سحر

---

[١] ن ث – أي كنتم تكذبون.

[٢] ر م: بما أوعدكم.

[٣] نظر مثلا: تفسير الآية ٤٩ من سورة العنكبوت. ر م + وقوله بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبدة الجن ولكن لما بأمرهم كانوا يعبدون ما تعبدون نسب العبادة إليهم كقوله يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وهو كقول إبراهيم يا أبت لا تعبد الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بأمر الشيطان نسب العبادة إليه كأنهم عبدوه.

[٤] ر + فاليوم لا يمسك بعضكم لبعض نفعا ولا ضر أي لا يملك يوم القيامة.

[٥] ر ث م – أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم لا شك أنه كان يريد أن يصدهم عما كان يعبد آباؤهم وكذلك كان يريد.

[٦] ث – أي ما يدعو محمد إليه ليس إلا إفك مفترى.

[٧] ن ث: الحق.

[٨] ن: أو التوحيد.

[٩] ر م: أو إفك.

[١٠] ر م – على.

[١١] ر م + وم ترعمون.

وأنها إفك وأنها مفترى، يلبّسون بذلك على أولئك الأتباع والسفلة ويُموّهون عليهم ويُغْرُون[1] لئلّا يتّبعوه[2] ويستسلموا له.[3] *والله أعلم*.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[٤٤]

وقوله: **وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**، هو[4] -والله أعلم- صلة قوله: مَا هٰذَا[5] إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى، وقوله:[6] إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[7] يقول -والله أعلم- جوابًا لقولهم: **وما آتيناهم من كتب يدرسونها**، فيخبرهم[8] أن ليس قول محمد[9] إفك مفترى ولا أرسلنا إليهم[10] أيضا من قبله رسولًا يخبرهم أنه كَذِبٌ مُفْتَرًى. وظهور الكذب في القول والخبر إنما يكون بأحد هذين الأمرين، إما بكتاب أو نبيّ، وهم لا يؤمنون بكتاب ولا نبي فكيف يدّعون عليه الكذب والافتراء؟ يخبر عن سفههم وقلة عقولهم وعنادهم بعد ما خصّهم عز وجل وفضّلهم على غيرهم من البشر، حيث بعث الرسول منهم ومن أنفسهم والكتابَ على لسانهم وبلغتهم، بعد قَسَمهم أنه لو بعث إليهم نذيرًا ورسولًا[11] لاتبعوه،[12] حيث قال:[13] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ[14] لم يؤمنوا به[15] ولم يعرفوا منة الله عليهم وخصوصيّتهم فيما خصّهم. **والله أعلم**.

[1] ر ث م: ويغزون.
[2] ن ث: يتبعونه.
[3] جميع النسخ: ويستسلمون لهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٧ظ.
[4] ر ث م: وهو؛ ن - هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: صلة وما هذا.
[6] جميع النسخ: وقولهم.
[7] الآية السابقة.
[8] ر ن ث: فتخبرهم.
[9] جميع النسخ: أن ما يقول محمد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: عليهم.
[11] ن ث م: ورسول.
[12] ر م: لا اتبعوه.
[13] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.
[14] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).
[15] ن - به.

**﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٤٥]**

وقوله: **وكذب الذين من قبلهم**، يذكر رسوله ويصبره على تكذيب أولئك له،[١] يقول: قد كذب الذين كانوا من قبلهم رُسلهم، لست أنت بأوّل مكذَّب، بل كُذِّب إخوانك من قبل. ***والله أعلم***.[٢]

وقوله: **وما بلغوا معشار ما آتيناهم**، يقول -والله أعلم-: لم يبلغ هؤلاء الذين كذبوك عُشْرَ أولئك في القوة والغَناء والفضل والعلم والأتباع والأعوان و غير ذلك. ثم[٣] مع ما كانوا كذلك لم يقوموا في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن أنفسهم. فقومك الذين هم[٤] دون أولئك بما ذكر[٥] أحقّ أن لا يقوموا لدفع عذاب الله[٦] عن أنفسهم إذا نزل بهم بالتكذيب.

وقوله: **فكذبوا رُسُلي فكيف كان نكيرِ**، يقول -والله أعلم-: أليس[٧] وجدوا عذابي حقا؟ قال الزجاج: هو "نكيري"[٨] بالياء، لكن طُرحت الياء لأنه آخر الآية وختمها، فأبقيت الكسرة علامةً لها، أو كلام يشبه هذا.[٩] وقال[١٠] أبو عَوْسَجَة: نكيري عقوبتي، وقال القُتَبي: أي إنكاري.[١١]

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٤٦]**

وقوله: **قل إنما أعظكم بواحدة**. قال بعضهم: **بواحدة**،[١٢] أي بكلمة الإخلاص والتوحيد، وقال بعضهم: أي بطاعة الله، وقال بعضهم: **بواحدة**، أي بكلمة واحدة، كقول الرجل لصاحبه: أُكلمك كلمة واحدة، واسمع مني كلمة. لكن الواحدة التي وعظهم بها عندنا ما ذكر على إثره،

---

[١] ر - له.
[٢] ث - وقوله وكذب الذين من قبهم يذكر رسوله ويصبره على تكذيب أولئك له يقول قد كذب الذين كانوا من قبلهم رسلهم لست أنت بأول مكذب بل كذب إخوانك من قبل والله أعلم.
[٣] ر م - ثم.
[٤] ث م + هم.
[٥] ر م: بما ذكروا.
[٦] ر م: العذاب.
[٧] ث: ليس.
[٨] ر م: نكير.
[٩] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/٢٥٦.
[١٠] ر ن ه: قال.
[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٨.
[١٢] ث - قال بعضهم بواحدة.

حيث قال: **أن تقوموا لله مَثْنَى وفرادَى**، أي تقوموا لله[1] بهما: جميعًا وفرادى وتتفكروا وتنظروا فيما بينكم، هل رأى أحد منكم به جنونًا قط. وقال بعضهم: يريد **بالمثنى** أن يتناظر الرجلان في أمر النبي، **وفرادى**، أي تفكروا،[2] فإن في ذلك[3] ما دلّ[4] على أن النبي ليس بمجنون ولا كذاب على ما تزعمون.

ثم كان الذي حملهم على أن نسبوه إلى الجنون وجوهًا. أحدها أنهم رأوه قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون مَن خالفهم على الغضب في أدنى شيء، بلا أعوان ولا أتباع له، فقالوا: لا يخاطر بهذا إلا من به جنون، فنسبوه إلى الجنون. والثاني أنهم رأوه [٦٢١ظ] قد خالف / دينهم ودين آبائهم جملة من بينهم، فقالوا: لا يُحتمل أن يصيب هو[5] دينًا بعقله من بين الكل لا يصيب أحد ذلك، فاتهموه في عقله.[6] والثالث أنه كان في حال صغره وصِباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب أو خالط الصبيان في شيء من أمورهم، بل اعتزلهم من حال صباه إلى أن بلغ[7] الوقت الذي بلغ، فقالوا: إن به جنونًا وإلا لم يعتزل الناس كلَّ هذا الاعتزال. ثم أخبر أنكم لو تفكرتم ونظرتم[8] عرفتم أن ليس بصاحبكم جنون.

وقوله:[9] **إن هو**، أي ما هو، **إلا نذير لكم**،[10] أي رسول[11] إليكم ونذير، **بين يَدَي عذاب شديد**، في الآخرة، إن عصيتم عوقبتم في الآخرة.

وقال بعضهم في قوله: **أن تقوموا لله مَثْنى وفُرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**، يقول -والله أعلم-: أَلَا يتفكر الرجل منكم وحده أو مع صاحبه فينظران في خلق السماوات والأرض وما بينهما أن[12] الذي خلق هذه الأشياء وحده، أنه واحد لا شريك له، وأن محمدا لصادق في قوله بأن الله واحد لا شريك له، وما به جنون، **إن هو إلا نذير**.

---

[1] ر م – مثنى وفرادى أي تقوموا لله.
[2] ر ث م + قط وقال بعضهم يريد بالمثنى أن يتناظر الرجلان في أمر النبي.
[3] ر ث م: فإن ذلك.
[4] ن ث: دلهم.
[5] ر ث م – هو.
[6] ر م: في العقل.
[7] ر م – بلغ.
[8] ر ث م + ثم.
[9] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨ظ.
[10] ر ث م + بين يدي عذاب شديد في الآخرة إن عصيتم؛ ب + بين يَدَي عذاب شديد.
[11] ر ث م: رسول الله.
[12] ر ث م – أن.

**﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[٤٧]

وقوله: **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما[1] [ما] قال بعضهم: إنه صلى الله عليه وسلم[2] سأل قومه أن يَوَدُّوا قرابته وأن لا يؤذوهم، كقوله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى،[3] وقال[4] في آية أخرى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا،[5] يقول: **ما سألتكم من أجر** يعني المودة في القربى، **فهو لكم،** أي الذي سألتكم هو لكم، وهو المودة في القربى واتخاذ السبيل إلى ربي. والثاني قوله: **ما سألتكم من أجر فهو لكم،** أي لم أسألكم على تبليغ الرسالة إليكم أجرًا منكم فيمنعكم ثِقَلُ ذلك الأجر وغُرْمه عليكم عن الإجابة، كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ.[6]

وقوله: **إن أجريَ إلا على الله،** أي ما أجري إلا على الله. **وهو على كل شيء شهيد،** بأني نذير وما بي جنون، أو **هو على كل شيء شهيد،** بأني لم أسألكم عليه أجرًا، أو **على كل شيء،** من صنيعكم، **شهيد،** عالم به. ***والله أعلم.***

**﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[٤٨] **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾**[٤٩]

وقوله: **قل إن ربي يقذف بالحق،** هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل، **يقذف بالحق،** أي يقضي بالحق، أو **يقذف بالحق،** أي يتكلم بالوحي ويُلقيه.[7] وقوله: **علّام الغيوب،** كلِّ شيء غاب عن الخلق، وقد ذكرنا[8] ذلك في غير موضع.

وقوله: **قل جاء الحق وما يُبدئ الباطل وما يعيد،**[9] اختلف فيه. قال بعضهم: ما يبدئ الأوثان والأصنام التي عبدوها وما يعيد، أي لا يخلق شيئًا ولا يحييه ولا يميته، كقوله:

---

[1] ر م + أنه سأل؛ ن ث – أحدهما.

[2] ث – وسلم.

[3] سورة الشورى، ٢٣/٤٢.

[4] ر ث م: وما قال.

[5] سورة الفرقان، ٥٧/٢٥.

[6] سورة الطور، ٤٠/٥٢؛ وسورة القلم، ٤٦/٦٨.

[7] ل. وتلقيه.

[8] ر ث م: وقد ذكر.

[9] ر ث م + الآية.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.[١] وقال بعضهم: ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم، وما يعيد خلقهم في الآخرة فيبعثهم[٢] بعد الموت، بل الله يفعل ذلك. أو أن يكون قوله: **قل جاء الحق**، أي حجج الحق، **وما يبدئ الباطل**، ما يَظهر[٣] الباطل،[٤] أي ذهبت شُبه[٥] الباطل وتلاشت. وعلى ذلك جائز أن يكون قوله تعالى: **قل إن ربي يقذف بالحق**، أي[٦] يقذف بحجج الحق، **علامُ الغيوب**، أي علام بحجج الحق من شبه الباطل.

وقوله: **قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**، قال بعضهم: هو ما ذكر في آية أخرى: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ،[٧] إلى آخر الآية، قال: يَزهَق الباطل ويَثبُت الحق، أي نقذف بالحق على الباطل فيُهلِك الباطلُ ويثبت الحق، وهو أيضا ما ذكر: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.[٨]

**﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾**[٥٠]

وقوله: **قل إن ضللت**، بكسر اللام ونصبها كلاهما لغتان.[٩] قال الكسائي: تقول العرب ضَلَّ يَضِلّ ضلالة، وضل يَضَلّ بالخفض والنصب جميعًا. ثم قوله: **قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي**، يخرج على وجهين. أحدهما إن ضللت فإنما[١٠] يكون ضرر ضلالي[١١] على نفسي لا يكون على الله من ذلك شيء، كقوله: إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[١٢]

---

[١] ﴿واتَّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلَقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣).

[٢] ر م: فبعثهم.

[٣] ر ن م: ما أبدأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٠و.

[٤] ر م + وما أبدأ الباطل؛ ث – ما يظهر الباطل.

[٥] الشُّبه هنا بمعنى الدلائل التي يذكرها أهل الباطل ويتشبهون بها كأنها دلائل.

[٦] ر ث م – ذهبت شبه الباطل وتلاشت وعلى ذلك جائز أن يكون قوله تعالى قل إن ربي يقذف بالحق أي؛ ر م + لا.

[٧] ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٨).

[٨] سورة الرعد، ١٣/١٧.

[٩] *مختصر في شواذ القرآن* لابن خالويه، ١٢٣؛ و*تفسير القرطبي*، ١٧/٣٣٢-٣٣٣؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٢٢/١٥٧.

[١٠] ر م: فما.

[١١] ر: ضلال.

[١٢] سورة الإسراء، ١٧/٧.

وقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[١] والثاني إن ضللت فإنما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على أنفسكم من ضلالي شيء، كقوله: قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ.[٢] ونحوه.

وقوله: **وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي**، هذا يخرج أيضًا على وجهين. أحدهما[٣] إن اهتديت إلى طاعة الله وشرائع[٤] الدين فبما يوحي إلي ربي في ذلك، أي فبوحيه اهتديت إلى ذلك. والثاني وإن اهتديت إلى دينه وهدايته فبتوفيقه إياي وعصمته[٥] اهتديت. أضاف الهداية إلى الله والضلال إلى نفسه، فهو لما ذكرنا أن من اهتدى[٦] كان من الله إليه لطف في ذلك، ليس ذلك في الضلال. وعلى قول المعتزلة يجيء أن يكون المعنى فيهما واحدًا، لأنهم يقولون: إنه لا يكون من الله سوى الأمر[٧] والنهي فلا يكون منه إليه في الهداية إلا كما كان منه إليه في الضلال. *والله أعلم*.

وقوله: **إنه سميع قريب**، قال بعضهم: **سميع**، أي مجيب للداعي، كقوله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[٨] الآية. وقال بعضهم: **سميع**، لمقالتكم لمحمد، حيث قالوا له: لقد ضَلَلْتَ حين تركت دين آبائك، **قريب**، أي مجيب له. وقيل: **سميع** الدعاء، **قريب** الإجابة. *والله أعلم*.

**﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٥١]**

وقوله: **ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك[٩] أنهم بَعَثوا بعثَيْن قاصدِين تخريب الكعبة،[١٠] فلما بلغوا البَيْدَاء خُسف بأحدهما والآخر ينظر،

---

[١] سورة فصلت، ٤١/٤٦؛ وسورة الجاثية، ٤٥/١٥.

[٢] سورة هود، ١١/٣٥.

[٣] م – أحدهما.

[٤] ن + أهل.

[٥] ن: وبعصمته.

[٦] جميع النسخ – من اهتدى. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.

[٧] ر م – الأمر.

[٨] جميع النسخ – أجيب دعوة الداع إذا دعان. والزيادة من المرجع السابق. سورة البقرة، ٢/١٨٦.

[٩] جميع النسخ: وذلك.

[١٠] ن: تخريبا للكعبة.

[٦٢٢و] وينفلت / منهم مخبرًا فتحوّل[1] وجهه إلى قفاه[2] فيخبرهم بما لَقُوا.[3] فذلك[4] قوله: **ولو ترى إذ فزعوا**، عن الخسف والعذاب، **فلا فوت**، أي لا فوت[5] عن عذاب الله. **وأُخذوا من مكان قريب**، أي[6] من تحت أقدامهم تخسف[7] بهم الأرض.[8] وعلى ذلك يخرج قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، من تخريب الكعبة، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ،[9] وهم أصحاب الفيل. وعلى ذلك روي عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[10] «يغزو هذا البيتَ جيش حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم فلا[11] ينفلت منهم إلا واحد يخبر[12] عنهم»، قالت:[13] يا رسول الله وإن كان فيهم الْمُكْرَهُ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُبعثون على نيّاتهم».[14]

وقال بعضهم قوله: **ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت**، وهو عند الموت يفزعون منه ولا فوت لهم عنه، **وأُخذوا من مكان قريب**،[15] أي على المكان. والحسن يقول: **فَزِعوا**، من القبور، **فلا فوت**، يقول: أُخذوا عند ذلك وهو المكان القريب.[16] وقال بعضهم: ذلك يوم[17] القيامة، يفزعون عند معاينتهم العذاب وأفزعهم ذلك، ولا يفوتون الله.

---

[1] جميع النسخ: مخبر فيحول.
[2] جميع النسخ: في قفاه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.
[3] وعبارة *الشرح* هكذا: «فلما بلغوا إلى موضع خسف بأحدهم والآخر ينظر فانفلت ليخبرهم بما لقوا فتحول وجهه إلى قفاه وأخبرهم بذلك» (ورقة ٦٢٠و).
[4] ر ث م: وذلك. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.
[5] ر ث م – أي لا فوت.
[6] ر م: أو.
[7] جميع النسخ: يخسف.
[8] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٣١٠.
[9] الآية ٥٤ من هذه السورة.
[10] ر م – قال.
[11] ن: ولا.
[12] ن: يخبر.
[13] ر ث م: قال.
[14] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٢٩٠؛ وصحيح مسلم، الفتن ٤-٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٣٠.
[15] ث + اختلف فيه قال بعضهم.
[16] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٧٨؛ وتفسير ابن كثير، ١١/٢٩٩.
[17] ر ث م عند.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٥٢]

**وقالوا آمنا به،** وهو كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[١] الآية، وكقول فرعون حين[٢] أدركه الغَرَق:[٣] آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[٤] ونحوه.

وقوله: **وأنى لهم التناوش من مكان بعيد،** يقول: التناول من مكان بعيد.[٥] وقال بعضهم: **من مكان بعيد،** أنهم سألوا الرَّجْعة والرد أن ينالوه، **من مكان بعيد،** قال: من الآخرة إلى الدنيا. وقال بعضهم: أي لا سبيل لهم إلى الإيمان في ذلك الوقت، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ،[٦] في حال الدَّعَة والرَّخاء فلم يؤمنوا. وقال بعضهم: **من مكان بعيد،** أي من حيث لا يُنال ولا يكون، فذلك "البعيد"، كقول الله: أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،[٧] أي من حيث لا يكون أبدًا، ليس على إرادة حقيقة المكان. وقتادة يقول: هو عند الموت وعند نزول العذاب بهم.[٨] ليس من أحد ببلغ ذلك الوقت إلا وهو يؤمن ويتمنى الإيمان لكن لا ينفع، كقوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا،[٩] الآية، على ما ذكر.[١٠]

[٦٢٢و س٢٣ *] **والتناوش** عند عامة أهل التأويل التناول. وقال بعضهم: الرَّجْعة والرد، لأنهم طلبوا الرجعة والرد[١١] إلى الدنيا. قال أبو عَوْسَجَة: **التناوش،** التناول من موضع بعيد، لا يكون من قريب.[١٢] والقُتَبِي يقول: **وأنى لهم التناوش،** أي تناول ما أرادوا بلوغه وإدراكُ ما طلبوا من التوبة، **[من مكان بعيد]** من الموضع الذي لا يقبل فيه التوبة.[١٣] قال أبو معاذ والزجاج: النَأْش في كلام العرب الطلب، تقول: نأشت إليه، أي طلبت منه لكن هذا ليس من باب التناوش.* [٦٢٢و س٢٧]

---

[١] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.
[٢] ر م: حتى.
[٣] م + قال.
[٤] سورة يونس، ١٠/٩٠.
[٥] ر م - يقول التنول من مكان بعيد.
[٦] ث - من قبل. الآية التالية.
[٧] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[٨] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٦٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٣١٢-٣١٣.
[٩] سورة الأنعام، ٦/١٥٨.
[١٠] ن ث + والله أعلم.
[١١] ر م - لأنهم طلبو الرجعة والرد.
[١٢] ث: بعيد.
[١٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٨-٣٥٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٢و/سطر٢٣-٢٧.

**﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٥٣] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[٥٤]**

وقوله: **وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**، قال بعضهم: معناه -والله أعلم- وذلك أنهم كانوا في الدنيا يَكْذِبون[1] بالآخرة[2] ويكفرون بالغيب، ويقولون:[3] لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نارَ، ذلك قذفهم من بعيد. وفي حرف ابن مسعود: ويقذفون بالغيب[4] ويَرجُمون بالظن. وقال بعضهم: **يقذفون بالغيب**، أي يتكلمون بالإيمان من مكانٍ تباعدَ عنهم فلا يُقبل منهم، وقد غاب عنهم الإيمان عند نزول العذاب فلم يقدروا عليه.

**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**، من قبول التوبة والإيمان عند نزول العذاب بهم[5] أو عند معاينتهم إياه. **كما فُعل بأشياعهم من قبل**، يقول: كما عُذِّب أوائلهم من الأمم الخالية من قبل هؤلاء، **إنهم كانوا في شك**، من العذاب أو البعث والقيامة، **مُريبٍ**. وقال بعضهم: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون**، من أهل أو مال أو زَهْرة. وقال بعضهم في قوله: **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**، هو قولهم: هو ساحر هو شاعر كاهن.*

وقوله: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون**،[7] هو ما ذكرنا[8] من اختلافهم. منهم من قال: بين الإيمان والتوبة، ومنهم من قال: بين شهواتهم التي كانت لهم في الدنيا. لكن إن[9] كان على الإيمان والتوبة فإنما حيل بينهم وبين القبول للإيمان والتوبة، وإلا نفس الفعل قد أتوا به. وإن كان على الشهوات فهو على حقيقة حيلولة الفعل، وكذلك إن كان على تخريب البيت على ما يقوله بعض أهل التأويل. ***والله أعلم***.

وقوله: **كما فعل بأشياعهم من قبل**، قال أبو عَوْسَجَة: **بأشياعهم**، بأمثالهم[10] وأشباههم، فهو -والله أعلم- بأشباههم وأمثالهم في التكذيب والجحود. وقال بعضهم: هو من شيعة الرجل.

---

[1] ر م: يكونون.
[2] ر م: في الآخرة.
[3] ر ث م: يقولون.
[4] ر م - يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ذلك قذفهم من بعيد وفي حرف ابن مسعود ويقذفون بالغيب.
[5] ن - بهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٢٢و/سطر٢٣-٢٧.
[7] ر م + ما.
[8] ر: لما ذكرنا.
[9] ر م - إن.
[10] ر: وأمثاهم؛ م: أثالهم.

وقوله: **إنهم كانوا في شك مريب**، قال بعضهم: **إنهم كانوا في شك.**[1] من العذاب بأنه غير نازل بهم. وقال بعضهم:[2] **إنهم كانوا في شك**، من البعث والإحياء بعد الممات. وشكهم وريبهم لما استبعدوا الإحياء بعد الهلاك وبعد ما صاروا رمادًا، فمن هذه الجهة[3] أنكروا، ثم لما[4] لم يروا خلقَ الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة وحكمة فارتابوا في ذلك. *والله أعلم*.
وقيل "الشك" في القلب، فإذا ظهر في اللسان قيل: "الريب". وفيهم الشك في القلب وإظهار اللسان. *والله أعلم*.[5]

[1] ر م – مريب قال بعضهم إنهم كانوا في شك.
[2] جميع النسخ – بعضهم؛ صح ن هـ.
[3] ر م: الحجة.
[4] ر م – لما.
[5] جميع النسخ – وقيل الشك في القلب فإذا ظهر في اللسان قيل الريب وفيهم الشك في القلب وإظهار اللسان والله أعلم. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٢١و.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة فاطر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]

قوله عز وجل: **الحمد لله فاطر السماوات والأرض،** ما ذكر في القرآن "الحمد لله" إلا وذكر على إثره التعظيم لله والإجلال له. وذكر ما أنعم[2] به على الخلق ليُلزمهم الشكر له والثناء عليه نحوَ ما ذكر: **الحمد لله فاطر السماوات والأرض،** الآية،[3] ونحو ما قال: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ،[4] الآية، ونحو قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي / خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[5] الآية،[6] وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ،[7] الآية، وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا،[8] الآية. [٦٢٢ظ]

جميع ما ذكر في القرآن من الحمد له[9] ذُكِر على إثره ما يوجب التعظيم له والتبجيل والثناء عليه والشكر له تعليمًا[10] منه الخلقَ الثناءَ على ذلك والشكرَ له. وبالله[11] المعونة والقوة على ذلك.

---

[1] ر - سورة فاطر؛ ن: ذكر أن السورة التي يذكر فيها الملائكة وهي نزلت بمكة؛ ث: سورة الملائكة وهي أربعون وخمس آيات مكية؛ ث ه: ذكر أن السورة التي يذكر فيها الملائكة نزلت بمكة؛ م: ذكر أن السورة الفاطر نزلت بمكة.

[2] ر م: على ما أنعم.

[3] ر ن م - الآية.

[4] سورة سبأ، ١/٣٤.

[5] سورة الأنعام، ١/٦.

[6] م - الآية.

[7] سورة الكهف، ١/١٨.

[8] سورة الإسراء، ١١١/١٧.

[9] ر ث م + ما.

[10] ن + له.

[11] ن + العصمة.

وقوله: **فاطرِ السماوات والأرض**، قال بعضهم: الفاطر هو المبتدئ أو البادئ،[1] وهو قول القُتَبي[2] من أهل الأدب.[3] وكذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ما أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى جاء أعرابيان فاختصما في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها[4] [أي] أنا بدأتها، فعند ذلك عرفت،[5] أو كلام نحوه.

ويجيء أن يكون الفاطر هو الشاقّ، أي شقَّ السماوات كلها من واحدة، وكذلك الأرضين، كقوله: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[6] أي انشقت، كما قال: إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى،[7] أي الشاق. لكنَّ جميع ما أضيف إلى الله من الشقّ والفَطْر والجَعْل وغيره من نحو قوله: **جاعل الملائكة رسلا** كلُّه على اختلاف الألفاظ عبارة عن الخلق، أي خالق ذلك كله. وأصل الخلق في اللغة هو التقدير، خلقت أي قدرت. وكذلك قال الكسائي:[8] إن الفَطْر في كلام العرب هو الشقّ؛ معناه أنه شقّ من السماء سبعَ[9] سماوات ومن الأرض مثلهن. ومنه الحديث: «حتى تفطَّرت قدماه دمًا».[10]

---

[1] ر م: و البارئ.

[2] القُتَبي نسبة إلى قتيبة. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)؛ من أئمة الأدب ومن المصنفين في ميادين شتى. له مؤلفات في الأدب، والتفسير، والحديث، والسياسة، وغيرها من العلوم. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٨٥-٨٦؛ و*اللباب* لابن الأثير، ١٥/٣؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ١٤٣/٢-١٤٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤٢/٣-٤٤.

[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٥١.

[4] ر: فضرتها؛ ث: فطرتهما؛ ن: افطرتها.

[5] *تفسير الطبري*، ١٧٥/٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٠٤/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٤٩/١٢.

[6] سورة الانفطار، ١/٨٢.

[7] سورة الأنعام، ٩٥/٦.

[8] هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسدي الكسائي (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م)؛ إمام في اللغة والنحو والقراءة. أخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة. وله تصانيف غير قليلة. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٧٢-٧٣؛ و*تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٤٠٣/١١؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ٢٥٦/٢-٢٧٤.

[9] جميع النسخ: ست. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ (سورة الطلاق، ١٢/٦٥).

[10] عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا». فلما كثر لحمه صلى جالسًا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع (صحيح *البخاري*، التفسير، ٢/٤٨، التهجد ٦؛ وصحيح مسلم، صفة المنافقين ٨١).

وقوله: **جاعلِ الملائكة رسلا**، ففي ظاهر الآية أنه جعل جميع[١] الملائكة رسلا؛ فإن كان على ذلك فكأنه ولّى كلّ واحد منهم أمرًا من أمور الخلق والعباد، وإن كان على البعض فيكون تأويله: جاعلٍ من الملائكة رسلًا، أو في الملائكة رسلا.[٢]

ثم أخبر عن الملائكة أنهم أولو[٣] أجنحة مثنى وثُلاثَ ورباعَ يطيرون بها. ليس كالطيور التي تطير[٤] بجناحين، لو زيد لها جناح أو جناحان لمنعه[ا][٥] عن الطيران، كالإصبع الزائدة لبني آدم تمنعهم عن بعض العمل ولا تزيد لهم نفعًا بل يَنقص. وأما ما ذُكر من عدد الأجنحة للملائكة فذلك لا يمنعهم عن الطيران، بل يزيد[٦] هم قوة ومَقْدَرَةً على ذلك.

ثم قال: **يزيد في الخلق ما يشاء**، قال بعضهم: يزيد في الملائكة على أربعة أجنحة ما يشاء. **إن الله على كل شيء** من خلق الأجنحة و الزيادة[٧] **قدير**. وذكر أن لإسرافيلَ[٨] ستةَ أجنحةٍ[٩] ولجبريل ستّمائةِ جناحٍ.[١٠] ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: أُرِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جبريلُ وله ستمائة جناح.[١١] وقال بعضهم: **يزيد في الخلق ما يشاء**، أي الصوت الحَسَن، وقال بعضهم: الشعر الحسن. [ولكن][١٢] ما ذكروا من الزيادة في الأجنحة أشبه وأقرب. **إن الله على كل شيء قدير** من الزيادة والابتداء، لا يصعُب عليه.

---

١ ن – جميع.

٢ ن – أو في الملائكة رسلا.

٣ ث: اولوا.

٤ ر م: يطير.

٥ ر ث م: يمنعه.

٦ ر م: زيد.

٧ جميع النسخ: في. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و.

٨ ر: الاسرافيل.

٩ لم أجده بهذا اللفظ ولكن ذكر السيوطي عن عبد الله بن الحارث ما نصه: كنت عند عائشة رضي الله عنها وعندها كعب رضي الله عنه فذكر إسرافيلَ عليه السلام، فقالت عائشة: أخبرني عن إسرافيل عليه السلام. قال: له أربعة أجنحة: جناحان في الهواء، وجناح قد تسرول به، وجناح على كاهله، والقلم على أذنه فإذا نزل الوحي كتب القلم ودَرَسَت الملائكةُ. وملك الصُور أسفل منه جاثٍ على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى فالتقم الصور فحنى ظهره وطرفه إلى إسرافيل ضمّ جناحيه أن ينفخ في الصور (*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٧٠٧).

١٠ ر: الجناح. *تفسير القرطبي*، ١٤/٣٢٠.

١١ المرجع السابق، ١٤/٣٢٠.

١٢ جميع النسخ + فهو في. والزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و.

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢]

وقوله: **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها**، عن ابن عباس: من عافية؛ وقال قتادة:[١] أي من خير؛[٢] وقال مقاتل[٣] وغيره: أي من رزق،[٤] كقوله: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ،[٥] أي من رزق. وكله واحد؛ إذ الخير يشتمل على العافية والرزق، وكذلك [العافية يشتمل على][٦] كل واحد من ذلك. وقال بعضهم: الرحمة الغيث[٧] والمطر، وهو ما ذكرنا؛ كله يرجع إلى واحد من ذلك.[٨]

ثم قوله: **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده** يخرج على وجهين. أحدهما على تسفيه أحلام الكفرة في عبادتهم الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله. يقول -والله أعلم- تعلمون أنتم أنه ليس لكم مما تعبدون من دون الله جرُّ نفعٍ أو خير ولا كشفُ ضرٍ عنكم أو سوء فكيف تعبدونها؟ كقوله: قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ[٩]، الآية، أي تعلمون أنهن لا يملكن[١٠] ذلك،

---

[١] هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، السدوسي البصري (ت ١١٨هـ/٧٣٦م)؛ مفسر، حافظ، وضرير أكمه. كان رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. كان يرى القدر، ويدلّس في الحديث. انظر: *معجم الأدباء* لياقوت الحموي، ١٧/٩-١٠؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤/٨٥-٨٦؛ و*تذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/٩٢-٩٣.

[٢] *تفسير الطبري*، ١٩/٣٢٨.

[٣] هو أبو الحسن مقاتل بن بشير الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي (ت ١٥٠هـ/٧٦٧ م). أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. وأخذ عن مجاهد، وعطاء، وأبي إسحاق السبيعي. وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وحرمي بن عمارة، وعلي بن الجعد. له تصانيف كثيرة. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٥/٢٥٥- ٢٥٧؛ و*طبقات المفسرين* للداودي، ٥٢٠-٥٢١.

[٤] ذكره ابن أبي حاتم منسوبا إلى السدي. *تفسير ابن أبي حاتم*، ١٠/٣١٧١.

[٥] ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٨).

[٦] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و.

[٧] ر م: والغيث.

[٨] ن - من ذلك.

[٩] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).

[١٠] م: لا يملكن.

والله هو المالك لذلك كله، فكيف صرفتم[1] العبادة إليها عنه. أو يقول: إنكم تعلمون أن ما تعبدون من الأصنام من[2] دون الله لا يرزقونكم، ولا منها تبتغون الرزق، ولا كانت منها إليكم سابقةُ نعمةٍ. فإنما يَعْبد لإحدى هذه الوجوه مَنْ يعبد إما لسابقة[3] نعمة أو نيل خير أو جر نفع أو كشف ضر أو دفع سوء أو طمع في العاقبة؛[4] فإذا[5] لم يكن شيء من ذلك من[6] الأصنام، ومن الله ذلك كله، فكيف صرفتم عبادتكم[7] عنه إليها؟ كقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[8]

هذا إذا كان قوله: **ما يفتح الله للناس من رحمة** راجعًا إلى الكفرة، وإذا[9] كان ذلك راجعًا إلى المؤمنين فهو يخرج على وجهين. أحدهما فيه قطع الطمع من الخلق والإياسُ عما في أيديهم، وأن لا يرجوا من دونه ولا يخافوا غيره،[10] بل فيه الأمر بأن يروا ذلك كله[11] من الله، وأنه هو المالك لذلك دون الخلق.

والثاني قطع طمع الرزق من المكاسب والأسباب التي يكتسبونها[12] والأمر فيها[13] -أعني المكاسب- أن يروها[14] تعبدًا وأن يروا أرزاقهم من فضل الله.[15]

و[في الآية حجة] على قول المعتزلة: إذا فتح الله لأحد رحمة يقدر عبد أن[16] / يمسك ذلك [٦٢٣و]
وإن أمسك هو قدر أن يُرسل؛ لأنهم يقولون: إن الله إذا جعل لأحد أجلا وضمن له الحياة

---

[1] ر م: صرفهم.
[2] ن - من.
[3] ر ث م: السابقة.
[4] ر: العافية.
[5] جميع النسخ: فإذ. والتصحيح مستفاد من نسخة الظاهرية، ورقة ٤٣٨ظ.
[6] ر م - من.
[7] م + عبادتكم.
[8] سورة العنكبوت، ١٧/٢٩.
[9] ر: فاذا.
[10] ر م + بل فيه الامر بان يروا غيره.
[11] ث - كله.
[12] ن: تكتسبونها.
[13] ن م: بها.
[14] جميع النسخ: أي يروها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و.
[15] ن + كقوله وابتغوا من فضل الله كقوله وابتغوا من فضل الله.
[16] ر ث م + في ان.

ووفاء الرزق إلى مضيّ الأجل، فيجيء عدو من أعدائه، فيقتله قبل انقضاء أجله واستيفاء رزقه. فذلك منع على قولهم عن وفاء ما ضمن وما جعل له من المدة والأجل.[1]

وفي حرف ابن مسعود: ما يفتح الله على الناس من رحمة.[2]

وقوله: **وهو العزيز الحكيم**، قد ذكرنا [تأويله] في غير موضع.[3]

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[٣]**

وقوله: **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض**، كأنه هو صلة ما تقدم.[4] ثم هو على التقرير والإيجاب وإن خرج مخرج الاستفهام في الظاهر؛ كأنه يقول: -والله أعلم- إنكم تعلمون أنه[5] هو رازقكم دون من تعبدونه.

**لا إله إلا هو فأنى تؤفكون**، أي لا إله إلا هو فما الذي حملكم على إفككم وكذبكم أنها شركاؤه وأنها آلهة، وأنها شفعاؤكم عند الله، وأن عبادتكم إياها تقربكم[6] إلى الله زلفى، أكتاب أو رسول؟ وأنتم لا تؤمنون بكتاب ولا رسول، فمن أين تؤفكون وتكذبون.[7] *والله أعلم*.

**﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٤]**

وقوله: **وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك**، معلوم أنهم كانوا لا يكذبونه في قوله: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ،[8] ولا في قوله: مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ،[9] لأنهم كانوا يعلمون أنه ليس من خالق غير الله،

---

[1] قال الشارح: «ثم الآية حجة على المعتزلة فإن الله تعالى أخبر أنه إذ فتح لأحد رحمة لا يقدر أحد من العباد أن يمسكها، وإن أمسك هو لا يقدر أحد أن يرسل. وهم يقولون: إن الله تعالى إذا فتح لأحد رحمة يقدر العبد أن يمسك وإن أمسك هو قدر العبد أن يرسل، لأنهم يزعمون أن الله تعالى إذا جعل لأحد أجلا وضمن له الحياة ووفاء الرزق إلى مضي أجله فيجيء عدو من أعدائه فيقتله بغير إرادته قبل انقضاء أجله واستيفاء رزقه، فذلك منع له ما فتح له من الرزق وقضى له من الأجل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و).

[2] لم نطلع عليه.

[3] انظر مثلا عند قوله تعالى من سورة البقرة، ١٢٩/٢؛ ومن سورة النحل، ٦٠/١٦؛ ومن سورة العنكبوت، ٢٦/٢٩.

[4] قال الشارح: «قوله تعالى ﴿يرزقكم من السماء والأرض﴾ كأنه صلة ما تقدم من قوله ﴿هل من خالق غير الله﴾» (ورقة ٦٢١و).

[5] ث ن + ليس من خالق غير الله وتعلمون انه.

[6] ر م: يقربكم.

[7] «أي تحملون على الإفك والكذب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١و)

[8] الآية السابقة.

[9] سورة فاطر، ٢/٣٥.

ولا فاتح رحمةٍ سواه[1] إذا كان هو ممسكها، ولا ممسك لها إذا كان هو مرسلها. ولكن إنما يكون تكذيبهم إياه فيما يخبر أنه رسول الله إليهم. كذبوه في الرسالة، أو فيما يخبر أنه أُوحي إليه من الله كذا، أو فيما يخبر عن البعث بعد الموت أنه كائن وأمثال ذلك. فأما فيما ذكرنا فلا.

وهو تعزية منه لرسوله ليصبر على تكذيبهم إياه ليعلم أنه ليس بأول مكذَّب، بل قد[2] كان إخوانه من قبل قد كُذِّبوا من قبل فيما أخبروا قومهم عن الله، فصبروا على ذلك، فاصبر أنت أيضًا، كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[3] الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **وإلى الله ترجع الأمور**، وإلى الله يرجع تدبير الأمور كلها،[4] أي لا تدبير لمخلق في ذلك؛ أو يقال: إلى الله يرجع الحكم في الأمور، هو الحاكم فيها، كقوله: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ.[5] *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٥]**

وقوله: **يا أيها الناس إن وعد الله حق**، قال عامة أهل التأويل: **إن وعد الله حق**، أي البعث، إنه كائن لا محالة. وجائز أن يكون قوله: **وعد الله حق** فيما وعد من الثواب على الطاعات، ووعده حق فيما أوعد من العقاب على السيئات أنه يكون. *والله الموفق*.

وقوله: **فلا تغرنكم الحياة الدنيا**، معنى قوله: **فلا تغرنكم الحياة الدنيا** –والله أعلم– أي لا تَشغلنّكم الحياة الدنيا عن ذكر الحياة[6] الآخرة أو لا تُنسينّكم[7] الحياة الدنيا عن الحياة الآخرة، وإلا الدنيا لا تَغُرّ[8] أحدًا في الحقيقة. وكذلك هي ليست[9] بلعب ولا لهو، لأنها جعلت زادا للآخرة وبُلْغَةً إليها فإذا كان كذلك فهي ليست بلعب ولا لهو[10] ولا هي غارّة،

---

[1] ر: سوء.
[2] ن – قد.
[3] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[4] ر م – كلها.
[5] سورة اشورى، ١٠/٤٢.
[6] م: حيوة.
[7] ر م: ولا تنسينكم؛ ث – أو لا تنسينكم الحياة الدنيا عن الآخرة. ث صح: أو لا تنسينكم الحياة الدنيا عن الأخرة.
[8] ر: لا تغتر
[9] ر – ليست
[10] ر ث م – لأنها جعلت زادا للآخرة وبلغة إليها فإذا كان كذلك فهي ليست بلعب ولا هو

ولكن يغتر أهلها بها لما غفلوا عما جعلت هي وأنشئت. وهي[1] كما ذكرنا[2] أنها جعلت زادًا للآخرة وبُلْغة إليها، فمن لم يجعلها زادًا للآخرة ولا بلغة[3] إلى الوصول إلى الآخرة،[4] ولكن جعلها في غير ما جعلت هي وأنشئت -وهي الحياة فيها والمقام بها- صارت لعبا ولهوا، وصارت[5] غرورًا إذ صيروها كالمُنْشَأة لنفسها لا للآخرة. وهذا كما قال: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ.[6] أخبر أن السورة كانت تزيد لأهل الإيمان إيمانا ولأهل الكفر والنفاق رجسًا وعمًى. والسورة[7] لا تزيد رجسًا[8] ولا عمى في الحقيقة، لأنه وَصَف القرآن بأنه نور وأنه هدى ورحمة وبرهان ولكن صار عمى ورجسًا[9] لمن أعرض عنه وكذب به،[10] وردّه. وأما[11] من تلقاه بالقبول وأقبل إليه، ونظر إليه بالتعظيم والإجلال له والخضوع فهو له نور وهدى ورحمة.

فعلى ذلك الدنيا وما فيها من النعم واللذات إذا جعلها على[12] غير ما جُعلت هي وأُنشئت صارت[13] لعبًا ولهوًا وغرورًا. بل لو حُمدت هي على ما أنشئت مكانَ ما ذُمّت لكان حقًّا وصدقًا، لأنه[14] سمى نعيمها حسنة وخيرًا وصلاحًا ونحوه. فلا جائز أن يَذُمّ الحسنة والخير. بل حَقَّ الذمُّ على أهلها حيث[15] اغتروا بها وصيروها في غير ما صُيّرت وجعلت، لغفلتهم عما جعلت هي وصرفِهم إياها إلى غير الذي صُرفت.[16]

---

[1] ر ث م: وهو.
[2] جميع النسخ: ما ذكرنا.
[3] ن + اليه.
[4] ن - إلى الوصول إلى الآخرة.
[5] م: أو صارت.
[6] سورة التوبة، ١٢٤/٩
[7] ن: لسورة.
[8] ر ث م + لمن.
[9] ر ث م: رجسا.
[10] ر م + به.
[11] ن: وما.
[12] ر م - على.
[13] ر م: صار.
[14] ر م: لانها. لأنه أي الله تعالى.
[15] ر م: وحيث.
[16] جميع النسخ + وجعلهم بها.

وعلى ذلك لا يجوز ذم الغَناء والسعة والصحة والسلامة، لأن ذلك كله نعم من الله أنعمها على الناس، فيجب أن ينظروا إلى ما عليهم لله من الشكر في ذلك فيؤدوه؛ وكذلك العز والثناء الحسن ونحوه، لا يجب أن يُذَم شيء من ذلك، بل يذم من لم يعرف أن العز فيم؟ إنما العز [1] في طاعة الله والعبادة له، لا في معاصيه. فهؤلاء سَمَّوا معصية الله عزًّا لجهلهم بالعز. [٦٢٣ط]
وكذلك الثناء الحسن يجب أن يَحْمَد ربه ويشكر له فيما يستر [2] على الخلق فضائحه ومساوئه حتى أثنوا عليه ما لو بدا [3] ذلك منه وظهر [4] لهربوا منه فضلا أن يثنوا عليه ويحمدوه، فيجب أن يشكر ربه ويُثني بما ستر [5] على معاصيه وفضائحه. *والله الموفق*.

وقوله: **ولا يغرَنَّكم بالله الغَرور**. الغَرور: بفتح الغين، هو الشيطان؛ يقول: لا يغرنكم بالله الشيطان. ثم يحتمل قوله: **بالله الغرور** وجوها. أحدها **لا يغرنكم بالله**، أي بكرمه وجوده؛ يقول: إنه كريم وجواد غفور، يتجاوز عنكم، ويعفو عنكم معاصيكم ومساوئكم. [6] والثاني **ولا يغرنكم بالله الغرور**، أي بغِناه؛ يقول: إنه غني ما به حاجة إلى عبادتكم إياه وفيما أمركم به ونهاكم عنه. والثالث أن يكون قوله: **ولا يغرنكم بالله**، أي لا يغرنكم عن طاعة الله وعبادته فتعصوه. وذلك جائز في اللغة: الباء مكان عن، كقوله: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا، [7] أي عنها، إذ لا يَشرب بالعين، وإنما يشرب عنها. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٦]**

وقوله: **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا**، يذكر هذا -والله أعلم- لأن ما يدعو [8] الشيطان الخلق إليه في الظاهر يخرج مخرج الشَّفقَة لهم والنصيحة كما يدعو [9] الأولياء، لأنه يدعوهم إلى قضاء شهواتهم ولذاتهم وما تَهوَى به أنفسهم، [10] وإن كان يضمر ويقصد به هلاكهم.

---

[1] ر م: في العز.
[2] ث ن: ستر.
[3] ر: بذ.
[4] جميع النسخ: أظهر.
[5] ر: يستر.
[6] ن: في مساويكم.
[7] سورة الإنسان، ٧٦/٦.
[8] ر م: يدعوا.
[9] ر م: يدعوا.
[10] ر م: نفسهم.

ألا يرى[1] أنه[2] كيف أظهر لآدم وحواء من الشفقة لهم والنصيحة، حيث قال: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ، إلى قوله: لَمِنَ النَّاصِحِينَ،[3] ونحوه. وكان قصده بذلك ما ذكر: فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ،[4] الآية. هذا كان يضمر ويقصد في دعائه إياهما إلى التناول من تلك الشجرة التي نهاهما ربهما. فعلى ذلك فيما يدعو الناس به إلى قضاء شهواتهم وحاجاتهم في الظاهر، فهو يقصد بذلك هلاكهم لمخالفتهم المولى لا ما يُظهر ويبدي لهم؛ لذلك قال: إنه عدو لكم، ليس بولي، **فاتخذوه عدوًا** أي كونوا عن دعائه وأمره على حذر كما يحذر المرء دعاء عدوه.

**إنما يدعو حزبه**، قال بعضهم: أهل طاعته. وقال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة:[5] حزبُه أنصاره. والحزب الأنصار.[6] وقال بعضهم: جنده، وقال بعضهم: حزبه ولاته[7] الذين يتولاهم ويتولونه، وكله واحد. ثم قوله[8] **إنما يدعو حزبه**، وهو يدعو حزبه وغير حزبه،[9] لكنه[10] خص حزبه بالدعاء لهم لما أن حزبه هم المجيبون له والمطيعون، فأما[11] غير حزبه فلا يجيبونه، وهو كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ،[12] وكان[13] ينذر[14] من اتبع الذكر ومن لم يتبع.[15] لكن خص بإنذاره من اتبع الذكر لما أن متبع الذكر هو المنتفع به دون من لم يتبع، لذلك خص. *والله أعلم*. فعلى ذلك ما خص بدعائه حزبه لأن حزبه هم المجيبون له والمطيعون.

---

[1] ن: ترى.
[2] ر ن م: انهم.
[3] سورة الأعراف، ٧/٢٠-٢١.
[4] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[5] ر ث م: وعوسجة. «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحوي الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه شيحان بن الحسين ابن حزم المؤدب من محلة أشتاديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).
[6] لم أجده.
[7] ر م: ولاية.
[8] ر م: بقوله.
[9] ر ث م – وهو يدعو حزبه وغير حزبه.
[10] ن: لكن.
[11] ن: واما.
[12] سورة يس، ٣٦/١١.
[13] ن: كان.
[14] ن: تنذر.
[15] ر م + الذكر.

وقوله: **ليكونوا من أصحاب السعير**، قصد[١] بدعائه حزبه[٢] إلى ما يدعوهم، **ليكونوا من أصحاب السعير**. وإلا لو كان أظهر لهم الدعاء إلى عذاب[٣] السعير ما أجابوه ولا أطاعوه، ولكن دعاهم إلى أعمال توجب لهم السعير، أو ليكون لهم عذاب السعير.

**﴿اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾**[٧]

وقوله:[٤] **الذين كفروا لهم عذاب شديد**، وهو[٥] ظاهر. **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير**. قوله: **لهم مغفرة** لما عملوا من غير[٦] الصالحات بعد إيمانهم، أو مغفرة لذنوبهم في الإيمان.[٧] **وأجر كبير**[٨] لإيمانهم وأعمالهم الصالحات.

**﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾**[٨]

وقوله: **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا**، ليس لهذا الحرف في هذا[٩] الموضع جواب. فجائز أن يكون جوابه في قوله: **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** على التقديم له. كأنه يقول -والله أعلم-: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. أو أن يكون قوله: **أفمن زين له سوء عمله** فَلَزِمَه كمن قُبِّح له فانتهى عنه؟ ليسا بسواء،[١٠] كقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ.[١١] ذُكر أن قوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ،

---

[١] ت: قصده.
[٢] ن - لأن حزبه هم المجيبون له والمطيعون وقوله ليكونوا من أصحاب السعير قصد بدعائه حزبه.
[٣] ر ت م: أصحاب.
[٤] ر ن + كقوله
[٥] ت ن: هو.
[٦] م: غيرا.
[٧] وعبارة السمرقندي هكذا: «مغفرة لذنوبهم السالفة بالإيمان» (ورقة ٦٢١ظ).
[٨] ن - قوله هم معفرة لما عمىوا من غير الصالحات بعد إيمانهم أو مغفرة لذنوبهم في الإيمان وأجر كبير.
[٩] جميع النسخ: في ذا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢١ظ.
[١٠] ر م: سواء.
[١١] سورة الأنعام، ١٢٢/٦.

نزل في عمر بن الخطاب، وقوله: كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ، في أبي جهل؛ فعلى ذلك الأول. أو أن يكون[1] ما ذكر بديًا على التقديم والتأخير.

وقوله: **فإن الله يضل من يشاء** عن الهدى،[2] **ويهدي من يشاء** من الضلالة إلى الهدى، يضل من عَلِم منه أنه يختار الضلال، ويهدي من علم منه أنه يختار الهدى.

وقوله: **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**، هذا يحتمل وجوها. أحدها قوله: **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**،[3] أي لا تَقتل[4] ولا تُذهِب نفسَك عليهم حسراتٍ[5] إشفاقا على ما ينزل بهم بتركهم الإيمان، لأن رسول الله كاد[6] أن يهلك نفسه إشفاقا عليهم، فنهاه عن ذلك.[7]

والثاني على تخفيف الحزن عليه ورفعه عنه وتسليته إياه، لأنه كان يشتد به الحزن لمكان
[٦٢٤و] كفرهم وتكذيبهم إياه / وتركهم الإيمان به، ليس على النهي، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[8] وقد ذكرنا معناه فيما تقدم مقدار ما حفظنا فيه.[9] *والله أعلم.*

وقوله: **إن الله عليم بما يصنعون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أن الله على علم بصنيعهم أنشأهم لا عن جهل بما يكون منهم. والثاني **عليم بما يصنعون** فلا تكافِئهم، ولا تَشتغِلَنّ[10] بشيء مما يكون منهم، ولكن فوّض ذلك إلى الله وأسْلِم إليه.

**﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[٩]**

وقوله: **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**، أي كذلك يحيي الموتى،[11] وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.[12]

---

[1] ر م: وأن يكون.
[2] ر م - عن الهدى.
[3] ن - هذا يحتمل وجوها أحدها قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات؛ ن ث + على النهي.
[4] ر م: أي لا تضل.
[5] ن - عليهم حسرات.
[6] ر: كان.
[7] ر + كقوله وقوله؛ ث + كقوله ولا تحزن؛ ن + كقوله.
[8] ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ (سورة النحل، ١٢٧/١٦).
[9] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦.
[10] ر م: ولا تشتغل.
[11] ر: الموت؛ ن + بهذا الموت؛ ث + بعد الموت.
[12] انظر عند تأويل الآية ٥٠ من سورة الروم.

**﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[١٠]**

وقوله: **من كان يريد العزة فللّه العزة جميعًا**. قال بعضهم: من كان يريد القوة والمَنَعَة بعبادة الأصنام ومن عبدوا دونه. **فلله العزة جميعًا**، أي فبعبادة الله وطاعته ذلك في الدنيا والآخرة، أي فَمِن عنده اطلبوا ذلك، كقوله:[١] مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[٢] أي من عنده اطلبوا ذلك في الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: **من كان يريد العزة**، أي العز[٣] والتعزز،[٤] **فللّه العزة جميعًا**، أي فبالله يكون عز الدنيا والآخرة لا[٥] بالأصنام التي عبدتموها. وقد كان منهم بعبادتهم الأصنام طلب الأمرين: طلب العز، كقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا،[٦] وطلب القوة والمنعة، كقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[٧] فأخبر أن ذلك إنما يكون بالله وبطاعته؛ فمن عنده اطلبوا لا مِن عند[٨] من تعبدون دونه. ***والله أعلم***.

وقوله: **إليه يَصْعَد الكَلِم الطيّب والعمل الصالح يَرفعه**، اختلف فيه. قال قائلون: **إليه يصعد الكلم الطيب**، هو الوعد الحسن، **والعمل الصالح يرفعه**، هو إنجاز ما وعد، أي إذا أُنجز ما وعد من الوعد الحسن ووَفَى[٩] ذلك رفع ذلك[١٠] الإنجازُ الوعدَ الحسن الذي[١١] وَعَد. قال بعضهم: **إليه يصعد الكلم الطيب**، هو كلمة التوحيد و الإخلاصُ،[١٢] **والعمل الصالح يرفعه**، أي إخلاص التوحيد لله يرفع الكلم الطيب الذي تكلم[١٣] به. فعلى هذا التأويل لا[١٤] يصعد الكلم الطيب إليه ما لم يُخْلِص ذلك لله.

---

[١] ر م - كقوله.
[٢] سورة النساء، ٤/١٣٤.
[٣] جميع النسخ: العزة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢و.
[٤] ر ن م: والتعزيز.
[٥] ر م - لا.
[٦] سورة مريم، ١٩/٨١.
[٧] سورة يس، ٣٦/٧٤.
[٨] ر م: عبد.
[٩] ر: وفى.
[١٠] ر م - رفع ذلك.
[١١] ر م - الذي.
[١٢] جميع النسخ: وشهادة الإخلاص. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢و.
[١٣] ن: يكلم.
[١٤] ر م: الى.

وقال قائلون: **إليه يصعد الكلم الطيب** هي كلمة التوحيد على ما ذكرنا، **والعمل الصالح يرفعه**، أي يرفع الله العمل الصالح لصاحبه، يعني لصاحب الكلام الطيب. فعلى هذا التأويل يصعد الكلم الطيب إليه دون العمل الصالح. وبعض أهل التأويل يقولون:[1] يرفع كلامُ[2] التوحيد الطيبُ العملَ الصالح إلى الله وبه يتقبل الأعمال الصالحةَ. وظاهر الآية أن يكون العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم[3] الطيب، لكن الوجه فيه -والله أعلم- ما ذكرنا من الوجوه. وبعضهم يقول: إن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، والوجه فيه ما ذكرنا.[4]

وقوله: **والذين يمكرون السيئات**. قال عامة أهل التأويل: والذين يعملون السيئات. وجائز أن يكون ما ذكر من مكرهم السيئات هو مكرهم برسول الله وأذاهم إياه، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ،[5] الآية، ويمكر الله بهم في الدنيا بالهلاك والقتل، وفي الآخرة بالعذاب الشديد الذي حيث قال: **لهم عذاب شديد** في الآخرة. **ومكر أولئك هو يبور**، أي هو يَهْلِك، من البوار وهو الهلاك، وهو قتلهم ببدر. ***والله أعلم***.

**﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [١١]

وقوله: **والله خلقكم من تراب. خلقكم**، أي قدّركم مع كثرتكم من أول أمركم إلى آخر ما تنتهون إليه من التراب الذي خُلِق آدم منه، إذ الخلق في اللغة التقدير.

وقوله: **ثم من نطفة**، أي قدّركم أيضًا مع كثرتكم وعِظَمكم من تلك النطفة. يخبر عن علمه وتدبيره في تقديره إيانا مع كثرتنا من ذلك[6] التراب ومن تلك[7] النطفة وإن لم نكن[8] نحن على ما نحن عليه في ذلك التراب وفي ذلك الماء، ليعلموا أن من قَدَر على تدبير إنشائنا

---

[1] ر ث م - يقولون.

[2] جميع النسخ: الكلام.

[3] ر: الكلام.

[4] ن + والله أعلم.

[5] سورة الأنفال، ٨/٣٠.

[6] ر ث م: في ذلك

[7] جميع النسخ: وفي تلك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢و

[8] ر: وإن لم تكن.

وتقدير كلٍ من ذلك التراب[1] والنطفة لا يُعجزه شيء. أو أن يكون إضافته إيانا إلى ذلك التراب والماء لأنه كان ذلك أصلنا ومبادئ أمورنا، وكان المقصود بخلق ذلك التراب والماء والأصل هذا الخلق، وهو العاقبة. وقد تذكر وتضاف[2] العواقب إلى المبادئ وتنسب إليها إذا كان المقصود من المبادئ العواقب. وله نظائر جَمّة[3] كثيرة، وقد ذكرنا في غير موضع.[4]

وقوله: **ثم جعلكم أزواجًا**، أي خلقكم من ذلك ذكرًا وأنثى ليَسكن بعضه إلى بعض؛[5] أو **جعلكم أزواجا** أصنافا. وفي حرف ابن مسعود: والله الذي خلقكم من نفس واحدة، ثم جعلكم أزواجًا.[6] *والله أعلم*.

وقوله: **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**، يقول: -والله أعلم- ما تحمل من أنثى من أول ما تحمل إلى آخر ما تنتهون[7] إليه إلا بعلمه السابق. وكذلك لا تضع كل حامل من أول ما تضع إلى أخر ما تنتهون[8] إليه إلا بعلمه السابق[9] أنها تحمل كذا في وقت كذا من كذا وأنها تضع كذا في وقت كذا. يخبر عن علمه السابق من أول منشئهم إلى آخر ما يكونون، وينتهون إليه أنه كان كله بذلك التقدير / الذي كان منه. *والله أعلم*. [٦٢٤ظ]

وقوله: **وما يُعَمَّر من مُعمَّر ولا يُنقَص من عُمُره إلا في كتاب**. قال بعضهم قوله:[10] **وما يعمر من معمر**، أي ما يُطَوَّل من عمر وإن طال،[11] **ولا ينقص من عمره**، أي ما نُقص وقُصِّر من ذلك ولم يُطَوَّل، **إلا في كتاب**، أي إلا كان ذلك كله في الكتاب مُبَيَّنًا هكذا مطوَّلاً ومقصَّرا.[12]

---

[1] ر م - وفي ذلك الماء ليعلموا أن من قدر على تدبير إنشائنا وتقدير كل من ذلك التراب.

[2] جميع لنسخ: وقد يذكر ويضاف.

[3] ر م: جهة؛ ث - جمة.

[4] انظر مثلا: سورة الروم، ٣٠/٢٠.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢١).

[6] لم أجده.

[7] ن: ما ينتهون.

[8] جميع النسخ: ينتهون.

[9] ث ن + وكذلك لا تضع كل حامل من أول ما تضع إلى آخر ما ينتهون إليه إلا بعلمه السابق.

[10] م - قوله.

[11] ن - ولا ينقص من عمره إلا في كتاب قال بعضهم قوله وما يعمر من معمر أي ما يطول من عمر وإن طال؛ ث - من عمر وإن طال.

[12] ر م - ومقصرا.

وقال بعضهم: **وما يعمر من معمر**، أي من كَثُرَ[1] عمره وطال، أو قل عمره فهو يُعمَّر إلى أجله الذي كتب له. ثم قال: **ولا ينقص من عمره** كل يوم وكل ساعة حتى ينتهي إلى آخر أجله **إلا في كتاب** في اللوح المحفوظ مكتوب قبل أن يخلقه.

**إن ذلك على الله يسير**. قال صاحب هذا [القول]: إن كتاب الآجال حين كتبه الله في اللوح المحفوظ على الله هين. وقال آخر قريبا من هذا في قوله: **ولا ينقص من عمره** في[2] مجرى الليل والنهار والساعات **إلا في كتاب**. وذلك أن الله تعالى كتب لكل نَسَمة عمرا تنتهي[3] إليه، فإذا أجرى عليها الليل والنهار نقص ذلك عمرَها، حتى يبلغ ذلك أجلها. فمن قُضي له أن يعمَّر حتى يُدركه الكِبَرُ أو عُمِّر دون ذلك، فهو بالغ ذلك الأجل الذي قضي له، وكان ذلك في كتاب ينتهون إليه. **إن ذلك على الله يسير**، يقول قائل:[4] إنّ حفظ ذلك على الله بغير كتاب يسير هين. وجائز أن يكون قوله: **إن ذلك على الله يسير**، أي إنّ علمَ ما ذكر وتقديره من أول ما أنشأهم وتغيير أحوالهم إلى آخر ما يكونون وينتهون إليه **يسير**، أي لا يخفى عليه.

**﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[١٢]

وقوله: **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**، فيه وجوه من المعتبر. أحدها يُذكّر أن لا يستوي في الحكمة الخبيث من الرجال والطيّب منهم كما لا يستوي المالح من الماء والأجاج، والعذب[5] منه والسائغ. وقد استوى الطيب من الرجال والخبيث في منافع الدنيا ومَأْكَلَاتها، وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز، دلّ أن هنالك دارًا يميز [فيها] بينهما ويفرّق، إذ قد استويا[6] في منافع الدنيا[7] وحُطامها، وفي الحكمة التفريق والتمييز لا الجمع والاستواء. وذلك يدل على البعث.

---

[1] ر ن م: كثرة.
[2] م + من.
[3] ر: عمر انتهى؛ م: ينتهى.
[4] جميع النسخ + هذا.
[5] جميع النسخ: العذب. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢ظ.
[6] ر: ليسو. م: يستوي.
[7] ر م - الدنيا.

والثاني فيه أن المُنْشَأ من الأشياء في هذه الدنيا والمخلوق فيها لم ينشئها لحاجة[1] نفسه، ولكن لحوائج الخلق ومنافعهم وما يكون لهم العبرة في ذلك؛ إذ من أنشأ شيئا لحاجة نفسه أنشأ ألذ الأشياء وأحلاها[2] وأنفعها له لا مرًّا مالحًا أحاجًا ما لا ينتفع به. يخبر عن غناه عما أنشأ من الأشياء ليعلم أنه لم ينشئها لحوائج نفسه، ولكن لما ذكرنا. وهو على المعتزلة في قولهم: إنه لم يخلق شيئًا لا ينتفع به، وإنه لا يفعل بهم إلا ما هو أصلح لهم في الدين؛ إذ قد أنشأ ماء أجاجًا مالحًا لا ينتفع به، ليكون لهم العبرة في ذلك.

والثالث فيه ترغيب في إيمان الخبيث الكافر، ودفعُ الإياس عن توحيدهم وقطعِ الرجاء عن عودهم إليه؛ حيث أخبر عما يأكلون من الماء المالح والأُجاج والعَذْب السائغ جميعًا اللحمَ[3] الطَّرِيَّ ما[4] حق[5] مثله إذا أُلقي فيه أو في مثله اللحم الطريُ أن يَفْسُدَ[6] من ساعته.[7] ويذكرهم أيضًا عن قدرته أن من قدر على حفظ ما ذكر من اللحم الطري في الماء الذي لا يقدر على الدنو منه والقرب فضلا أن يكون فيه حفظ ما ذكر من الإفساد، فمن قدر على هذا لا يُعجزه شيء، ولا يَخفى عليه شيء.

والرابع يذكر نعمه التي أنعمها عليهم حيث قال: **ومن كُلٍّ تأكلون لحما طَرِيًّا وتستخرجون حِلْيَةً تلبسونها**، يذكر عِظَم نِعمه وقدرتَه حيث جعل البحار مسخَّرة مذللة يقدرون على استخراج ما فيها من الحُلِيِّ والجواهر والوصول إلى المنافع التي هي وراء البحار وقَطْعِها بسفن أنشأها لهم وأجراها في الماء الراكد الساكن برياح تعمل عمل جريان الماء. بل الأعجوبة في إجراء السفن بالرياح في المياه الراكدة الساكنة أعظم وأكثر من جريانها على جَرْيَة[8] الماء، لأنها في الماء الجاري لا تجري إلا على الوجه الذي يجري الماء، وفي البحار تجري بريح واحدة من الأسفل[9] إلى الأعلى

---

[1] ر: الحاجة.
[2] ن: وأحلا.
[3] جميع النسخ: واللحم.
[4] جميع النسخ: مما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢ظ.
[5] ر ت م: حقق.
[6] ر ه: أن يفيد.
[7] قال الشارح: «والثالث فيه ترغيب للنبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكفار الخبيث إلى الإيمان ودفع إياسه عن إيمانهم ورجوعهم إلى الله تعالى حيث أخبر وقال: ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا﴾ أخبر عما يأكلون من الماء المالح الأجاج والعذب السائغ اللحم الطري، ما حق مثله إذا ألقي فيه اللحم الطري أن يفسد في ساعته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٢ظ).
[8] ر: على جريه.
[9] د: ومن الأسفل

ومن الأعلى إلى الأسفل حيث[1] شاءوا. دل أن الأعجوبة في هذا أكثر وأعظم.[2] ومن مَلِك هذا لا يُعجزه شيء.

أو أن يكون المثل الذي ذُكر في البحرين: أحدهما عذب ماؤه والآخر أجاج ماؤه يكون لعمل الصالح وهو التوحيد، وللعمل السيئ وهو الكفر. يقول:[3] كما لا يستوي في الفضل الماءُ العذب والماء المالح فعلى ذلك لا يستوي العمل الصالح والعمل السيئ.

وقوله: **وترى الفلك فيه مواخر**. قال بعضهم: مواخر تجريان، إحداهما مقبلة، والأخرى مدبرة بريح واحدة، وتستقبل إحداهما[4] الأخرى. وقال بعضهم:[5] المواخر هي التي تشق الماء وتقطعه،[6] من مَخَرَ يَمْخَرُ، وقد ذكرناه[7] فيما تقدم.[8]

وقوله: **لتبتغوا من فضله**، هذا يدل أن ما يصاب بالأسباب والمكاسب إنما هو فضل الله،[9] إذ قد يكتسب [المرء] ولا يكون منه شيء. *والله أعلم*.

**﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[١٣]**

وقوله: **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى**، يذكر هذا لأهل مكة لإنكارهم / الصانع وإنكارهم البعث وإنكارهم الرسل، [٦٢٥و]
لأنهم كانوا فرقا ثلاثا:[10] منهم من ينكر الصانع والتوحيد، ومنهم من ينكر البعث، ومنهم من ينكر الرسل. ففي الآية دلالة إثبات الصانع وتوحيده، وفيها دلالة البعث والإنشاء بعد الموت، وفيها دلالة إثبات[11] الرسالة.

---

[1] ن + يجري الماء وتجري بريح واحدة من الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأسفل حيث.
[2] ن: أعظم وأكثر.
[3] ر: بقوله.
[4] م: أحدهما.
[5] ن – مواخر تجريان إحداهما مقبلة والأخرى مدبرة بريح واحدة وتستقبل إحداهما الأخرى وقال بعضهم.
[6] ر ث م: ويقصعه.
[7] ن: ذكرنا.
[8] انظر عند تأويل الآية ١٤ من سورة النحل.
[9] م – الله.
[10] جميع النسخ: ثلاثة.
[11] ن – الصانع وتوحيده وفيها دلالة البعث والإنشاء بعد الموت وفيها دلالة إثبات.

أما دلالة إثبات الصانع والوحدانية[1] [ففي] اتّساق الليل والنهار والشمس والقمر وما ذُكّر وجريانِها وجريانِ الأمور كلِّها على سَنَن واحد وميزان واحد وقَدْرٍ واحد من أول ما كان إلى آخر ما يكون من غير زيادة أو نقصان يدخل فيه أو تقديمٍ أو تأخير يكون فيه. [هذا] يدل على أن لذلك كله صانعًا مدبرًا أنشأه ودبّر كل شيء على ما كان وحَفِظ كله على ميزان واحد، إذ لو كان ذلك[2] بنفسه لكان لا يجري على حد واحد،[3] بل يتفاوت ويتفاضل. وكذلك لو كان فعلَ عددٍ لكان يتقدم ويتأخر ويتغير ويمتنع ويذهب رأسا على ما يكون[4] فعل العدد من الملوك: إنّ ما أراد هذا إثباته أراد[5] الآخر نفيه[6] ومنعه، وما أراد هذا نفيه[7] وإبطاله أراد الآخر إثباته، وذلك معروف فيهم من مخالفة بعض بعضا. فدلّ اتساق ما ذكرنا وجريانه على تدبيرٍ واحد[8] أنه فعل واحد وتدبير واحد لا عددٍ. *وبالله القوة*. ودلّ ذهاب الليل وتَلَفه بكليته حتى لا يبقى له أثر، وكذلك ذهاب ضوء النهار ونوره، وكذلك الشمس والقمر وإتيان الآخر بعد تلفه [على] أنه بعث، إذ لو لم يكن بعثا[9] كان تدبير ذلك كله وتقديره لعبًا باطلاً، وأن من قدر على[10] هذا يقدر على الإحياء بعد الموت وأنه لا يعجزه شيء.

فإذ ثبت ما ذكرنا لا يحتمل أن يتركهم[11] سدى: لا يأمرهم ولا ينهاهم[12] ولا يمتحنهم بأنواع المحن. فلا بد من رسول يأمر وينهى، ويخبر عما لهم وعليهم. وفيه أن مدبر ذلك كله عليم حكيم. ثم يخبر أن الذي فعل[13] ذلك كله هو **الله ربكم الذي له الملك**. يقول: الذي فعل هذا كله [ربكم] لا الأصنام التي عبدتم دونه وسميتموها[14] آلهة. فكيف صرفتم العبادة إليها والألوهية وما تعبدون من دونه لا يملكون ما ذُكر. حيث قال:

---

[1] ر ث م + له.
[2] ر: بذلك؛ ن − ذلك.
[3] ث ن + ولا ميزان واحد.
[4] ن + من عادة.
[5] ر م − هذا إثباته أراد.
[6] ر م: نفسه.
[7] ر م: نفسه.
[8] ن + وتقدير واحد.
[9] جميع النسخ: بعث.
[10] م − على.
[11] ن: تركهم.
[12] جميع النسخ: ولا ينهى. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٣و.
[13] م − فعل.
[14] ن: سميتموها.

**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**، يُسَفِّه أحلامهم في عبادة من عبدوا دونه على علمٍ منهم أنهم لا يملكون[1] ما ذكر، وصَرْفِهم العبادة عن الله على علم منهم أن ذلك كله من الله وهو المالك لذلك.

[٦٢٥و س٢٧ *وفي قوله: **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**، وجهان من اللطف. أحدهما يُتلف حتى يُذهب أثره، ويأتي بالآخر. أو يزيد في هذا وينقص من الآخر، ويُدخل من ساعات هذا في ساعات الآخر. وفيه نقض قول الثنوية في قولهم: إن منشئ الخير غير[2] منشئ الشر. ويقولون: إن النور من منشئ الخير، والظلمة من منشئ الشر. فلو كان ما ذكروا لكان إذا ذهب النور وجاءت الظلمة صارت الظلمة[3] هي الغالبة والنور هو المغلوبَ[4] في يدها. وكذلك النور إذا جاء وذهبت[5] الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة في يد[6] النور، والنور[7] هو الغالب عليها. فإذا صار مغلوبًا مقهورًا في يد[8] صاحبه يجيء أن لا يقدر على استنقاذ نفسه[9] من يده أبدا، على ما يكون من عادة الأعداء إذا غلب بعضهم بعضا، وقهر بعضهم بعضا أن يَهلِك ولا يتخلص منه. فإذ لم يكن ولكن جاء كل واحد[10] منهما في وقته بعد ذهاب أثره على التقدير الذي ذكرنا دلّ أنه فعلُ واحد وتدبير واحدٍ،[11] لا تدبير عدد. ***وبالله الحول والقوة.***

والقُتَبي يقول: القطمير هو الفُوفَة[12] التي يكون فيها النواة.[13] وأبو عَوْسَجة يقول: هو القشرة ٦٢٥و س٣٧] الرقيقة التي يكون بين لحم التمرة وبين نواتها، واحده[14] وجمعه سواء.*

---

[1] ر: يملكون.
[2] م – منشئ الخير غير.
[3] ر م – صارت الظلمة.
[4] ر م: هي المغلوبة؛ ث: هو المغلوبة.
[5] ر: وذهب.
[6] ث: يدي.
[7] ن – إذا جاء وذهب الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة في يد النور والنور.
[8] ث ن: يدي.
[9] ر: نفسه.
[10] ر م – واحد.
[11] ر + لا تدبير واحد و.
[12] الفُوفَة والفُوف: القِشرة التي على حَبّة القلب والنواةِ دون لَحمة التَّمرة. وكل قشرة فوف. قال ابن الأعرابي: الفوفة القشرة الرقيقة تكون على النواة. قال: وهي القطمير أيضا (*لسان العرب*، «فوف»).
[13] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٠.
[14] ر ن: واحدة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٥و/ سطر ٢٧-٣٧.

**﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١٤]**

ثم يخبر عن عجز مَنْ عبدوه حيث قال: **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم**. يحتمل[1] **إن تدعوهم** على حقيقة الدعاء **لا يسمعوا دعاءكم** حقيقة، **ولو سمعوا ما استجابوا لكم**، أي لو سمعوا دعاءكم ما يملكون إجابتكم في دفع ضر وسوء ولا في جر نفع. أو أن يكون قوله: **إن تدعوهم**، أي تعبدوهم، **لا يسمعوا دعاءكم**، أي لا يجيبوكم إلى ما تقصدون بعبادتكم إياهم، أو أن[2] يكون:[3] ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نَفْعُكم فيه. ***والله أعلم***.

وقوله: **ويوم القيامة يكفرون بشرككم**، ينكرون يوم القيامة أن يكونوا[4] شركاءهم أو أمروهم[5] بذلك، كقوله: سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ،[6] الآية، وقوله: ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ،[7] ونحوه. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا ينبئك مثل خبير**، أي لا ينبئك أحد مثل الذي أنبأك الخبير في الصدق والحق. أو أن يكون قوله: **ولا ينبئك مثل خبير**، أي لا يكون نبأ أحد مثل نبأ الخبير، فاعمل به وأقبل إليه، ولا تُقبل على نبأٍ غيره. ***والله أعلم***.*

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[١٥]**

وقوله: **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**، فيه وجوه من الدلالة. أحدها أنه إنما أمركم ونهاكم وامتحنكم بأنواع المحن لحاجتكم وفقركم إليه لا لحاجة وفقر له في ذلك. فإن ائتمرتموه وأطعتموه فإلى أنفسكم ترجع منفعة ذلك، وإن عصيتم فعلى أنفسكم يلحق ضرر ذلك، كقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ / فَلَهَا.[9] [٦٢٥ظ]

---

[1] ر م - إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يحتمل.

[2] ر ن: وان.

[3] جميع النسخ: يقول.

[4] ن + أن يكونو.

[5] ن: أمراءهم.

[6] ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ (سورة مريم، ٨٢/١٩).

[7] ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٤٠/٣٤-٤١).

* وقع هذا مقطع من تفسير الآية السابقة متأخرا فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٦٢٥و، سطر ٢٧-٣٧.

[9] سورة الإسراء، ٧/١٧.

والثاني يقول: تعلمون أن فقركم وحاجتكم إلى الله لا إلى الأصنام التي تعبدونها واتخذتموها[1] آلهة،[2] فكيف صرفتم العبادة والشكر إلى من تعلمون أنكم لا تحتاجون إليه ولا تفتقرون؟

والثالث يأمرهم بقطع أطماعهم من الخلق، لأنه خاطب الكل، وأخبر أنكم جميعًا فقراء إلى الله الطامعَ والمطموعَ فيه، فاقطعوا طمعكم ورجاءكم عن الخلق، واطمعوا ذلك من الله، فإنه الغني الحميد والخلق جميعًا فقراء إليه، يؤيسهم عن الطمع والرجاء عن[3] الخلق. ***والله أعلم.***

**﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١٦]**

وقوله: **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**. يخبر عن غناه وقدرته [بأنه] لو شاء أذهبكم، لتعلمون أنه لم ينشئكم ولا أمركم ولا نهاكم لحاجة نفسه ولا لمنفعة له، ولكن لحاجة أنفسكم.

**﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[١٧]**

وقوله: **وما ذلك على الله بعزيز**، يحتمل هذا وجهين.[4] أحدهما لا يَعِزّ ولا يَثْقُل عليه ذهابكم وفناؤكم لأنه لم ينشئكم لحاجة نفسه، فذهابكم وفناؤكم وبقاؤكم عليه واحد. والثاني لا يَصعُب عليه ولا يَعِزّ[5] إذهابكم وإحداثكم، ولا يعجزه شيء. يخبر عن قدرته. ***والله أعلم.***

**﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[١٨]**

وقوله: **ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء**، كأن هذا صلة قوله: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[6] الآية. يؤيسهم ليقطعوا أطماعهم

[1] ن: و اخذتموها.
[2] ن: المدة.
[3] ن: من.
[4] ر م: بوجهين.
[5] ر م: ولا تعز.
[6] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ (سورة العنكبوت، ١٢/٢٩).

يومئذ عن تناصر بعضهم بعضا، وتَحَمُّلِ بعضهم مُؤَن بعض وشفاعة بعضهم بعضا على ما كانوا يفعلون في الدنيا: كان ينصر بعضهم بعضًا في الدنيا إذا أصابهم شيء، ويَفْدي بعضهم عن بعض، ويشفع بعضهم بعضا. كانوا يحتالون مثل هذه الحيل في الدنيا ليدفعوا عن المتصلين بهم الضرر. فأخبر أنْ ليس لهم ذلك في الآخرة،[١] كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ،[٢] وقوله: وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا،[٣] مثله كثير، يؤيسهم عن أن يكون لهم في الآخرة ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله: **إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب**، هذا يخرج على[٤] وجهين. أحدهما إنما ينتفع بالإنذار الذين يخشون ربهم بالغيب، فأما من[٥] لا يخشى ربه فإنه لا ينتفع به. وإلا كان منذرَ[٦] من اتبع الذكر[٧] ومن[٨] لم يتبع، ومن خشي ربه ومن لم يخش. والثاني كأنه[٩] يقول: إنك تنذر غير الذي اتبع الذكر[١٠] وغير الذي خشي ربه، فإنما يتبع إنذارك ويقبله الذي خشي ربه واتبع ذكره. ***والله أعلم.***

وقوله: **ومن تَزَكَّى فإنما يتزكى لنفسه**، أي من عمل خيرًا فإنما يعمل لنفسه، أو من جاء بالتوحيد والأعمال الصالحة فإنما يَصلُح أمره وعمله حتى[١١] يثاب[١٢] عليه. **وإلى الله المصير**، قد ذكرنا في غير موضع فائدة تخصيص ذكر المصير إليه والمرجع إليه في ذلك اليوم وإن كانوا صائرين إليه في كل وقت.[١٣]

---

[١] جميع النسخ: في آخره. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٣و.
[٢] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).
[٣] سورة لقمان، ٣٣/٣١.
[٤] ن – على.
[٥] ر – من؛ م: ما.
[٦] ن: ينذر.
[٧] م: الذكرى.
[٨] ن: ومه.
[٩] ن: كان.
[١٠] ن: الذي.
[١١] ر ت م – حتى
[١٢] ر: يغاب.
[١٣] انظر عند تأويل الآية ٤ من سورة يونس.

**﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[١٩] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾[٢٠] ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾[٢١] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٢٢]**

وقوله: **وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات**، ضَرْب هذا المثل يخرج على وجوه. أحدها [أنه] شبّه الأصنام التي كانوا[١] يعبدونها بالأعمى والظلمة والميتة والحرور حقيقة،[٢] لأنها كذلك عُمْيانٌ موتى[٣] لا نور فيها يقول -والله أعلم-:[٤] إنكم تعلمون[٥] أن الذي تعبدون من دون الله عميان لا بصر لهم ولا نور ولا حياة ولا شيء من ذلك، وأن الله هو البصير، ومنه يكون كل خير ونفع؛ فكيف اخترتم عبادةَ مَنْ هذا سبيله على عبادة الله تعالى؟ *وبالله الهداية والعصمة.*

والثاني شبّه أولئك الكفرة بالعُمْيَان والظُّلْمة والموت وما ذكر، والمؤمنَ بالبصير والنور والظل والحياة، ليس على إرادة حقيقة البصر والحياة[٦] وما ذكر، لأن لهم بصرًا يُبصرون، وهم أحياء فيقولون: نحن بُصَراء وأحياء،[٧] وأنتم العميان والأموات[٨] وما ذكر.[٩] لكن شبّههم بالعميان والموتى، لأنه لا حجة لهم ولا برهان على عبادتهم الأصنام، وهم يعلمون أنه لا حجة لهم ولا برهان على ذلك من كتاب أو رسول أو نحوه، إنما هو هَوًى يَهْوَوْن ذلك، وللمؤمنين[١٠] في عبادتهم الله[١١] حجة وبرهان. فمن كان له حجة في عبادته فهو بصير حي نور، ومن ليس له[١٢] ذلك فهو[١٣] أعمى ميت.

---

[١] ر ث م: كان.
[٢] ر ث م: وحقيقة.
[٣] م: وموتى.
[٤] ر م - أعلم.
[٥] ن + ان لا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الميت والحي تعمون.
[٦] ن - وما ذكر والمؤمن بالبصير والنور والظل والحياة ليس على إرادة حقيقة البصر والحياة.
[٧] ر ث م: والإحياء.
[٨] ن: والظلمات.
[٩] ن: ومما ذكر.
[١٠] ر ن م: والمؤمنين.
[١١] م: لله.
[١٢] ن: معه.
[١٣] ن - فهو.

والثالث يذكر هذا دلالة على البعث، لأنهم يعلمون أن الخلق ليس كلهم على حد واحد وحالة واحدة، بل فيهم العميان والبصراء، وفيهم الأحياء والأموات، وفيهم ما ذكر، وقد استوَوْا جميعًا في منافع هذه الدنيا. وفي الحكمة التفريق بينهم لا الجمع، فلا بد من دارٍ أخرى سوى هذه يُفَرَّق بينهم فيها[١] إذ في الحكمة والعقل التفريق لا الجمع. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الله يُسمع من يشاء وما أنت بمُسمعٍ من في القبور.** دل قوله: **إن الله يسمع من يشاء** على أن قوله: **وما أنت بمسمع من في القبور** إنما أراد به الكافر. ثم أخبر أن رسوله لا يُسمع لما لا يقدر على ذلك وليس عنده ذلك؛ إذ لو كان بيانا مُبَيِّنا أو دعاء على ما تقوله المعتزلة لكان يُسمع ويبين ويَقدر على ذلك. فإذ لم يقدر رسول الله على ذلك دلّ أن عند الله لطفا وشيئا[٢] لم يعطهم. فإذا أعطاهم ذلك اهتدّوا وآمنوا، وكذلك هذا في قوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ.[٣] ولو كان بيانا على ما تقول المعتزلة لَهَدَى من أحب، وقد أحب فلم يهتد، دل أن عند الله شيئا[٤] لو أعطى ذلك لاهتدى و لم يكن ذلك عند رسوله، وهو التوفيق / والعصمة. [٦٢٦و]
وهذا ينقض على المعتزلة قولهم: إن الله قد أعطى كل كافر ما به يهتدي لكنه لم يهتد.

ثم لا يحتمل قوله: **إن الله يُسمع من يشاء**، على القسر[٥] والقهر، لأنه لا إيمان ولا هدى يكون في حال القسر والقهر،[٦] دلّ أنه لا يحتمل.

## ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٢٣]

وقوله: **إن أنت إلا نذير**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما ليس عليك إلا الإنذار باللسان، كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[٧] وقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ،[٨] وأنت لا تؤاخذ بتركهم قبول الإنذار، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٩] الآية، وقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ،[١٠] الآية.

---

[١] جميع النسخ - فيها. والزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٧٣٢ظ.
[٢] جميع النسخ: لطف وشيء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٣ظ.
[٣] سورة القصص، ٥٦/٢٨.
[٤] جميع النسخ: شيء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٣ظ.
[٥] ر ن: على العسر.
[٦] ر م - لأنه لا إيمان ولا هدى يكون في حال القسر والقهر.
[٧] سورة الشورى، ٤٨/٤٢.
[٨] سورة المائدة، ٩٩/٥.
[٩] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[١٠] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

و[الثاني] يحتمل الإنذار بالسيف بأمره إياه بالقتال معهم حتى يؤمنوا، وإن كان على هذا فهو يحتمل النسخ: يؤمر بالقتال[1] في وقت ولا يؤمر في وقت. وأما النِذارة باللسان فهو لا يحتمل النسخ أبدا. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [٢٤]

وقوله: **إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا**. يحتمل قوله: **بالحق**، أي بالتوحيد، أي أرسلناك لتدعو الناس إلى توحيد الله. أو **أرسلناك بالحق**، أي بالحق الذي لله عليهم وما لبعض على بعض، أو **أرسلناك بالحق**، أي للحق،[2] وهو البعث الذي هو كائن لا محالة. وقوله: **بشيرا ونذيرا**، أي بشيرا بالجنة لمن آمن بالله وأجابك، ونذيرًا بالنار لمن عصاه وخالف أمره[3] وترك إجابتك. هذا يدل على أنه لم يُرد في قوله: إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ،[4] أنه نذير خاصة ليس ببشير.[5]

وقوله: **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**. قال بعضهم: ليس من أصناف الخلق وجواهرهم على اختلاف جواهرهم وأصنافهم إلا وقد خلا لهم نذير يأمر[6] وينهى، ويمنع ويبيح، كقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ،[7] الآية، أخبر أن الخلق على اختلاف أصنافهم وجواهرهم أمم أمثال[8] البشر، فيتحمّلون ما يتحمل البشر من الأمر والنهي والنذارة والبِشارة.

وقال بعضهم: ذلك راجع إلى الجن والإنس خاصة، ليس إلى الكل، لأنهما هما المخصوصان بالخطاب والنطق والعقل وغير ذلك. وفيهما ظهر بعث الرسل والنُذُر، ولم يظهر ذلك في غيرهما. فكأنه قال: **وإن من أمة** من هذين من القرون **إلا خلا فيها نذير**. *والله أعلم*.

---

[1] ن + معهم حتى يؤمنو وإن كان على هذا.
[2] ن: أي الحق.
[3] ن ث: أمرك.
[4] سورة فطر، ٣٥/٢٣.
[5] ن: بشير.
[6] ث: يأمرهم.
[7] سورة الأنعام، ٦/٣٨.
[8] ر: مثالهم.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[٢٥]

وقوله: **وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات**، يُعَزِّي رسوله ويُصَبِّره على تكذيب قومه إياه. يقول: لست أنت بأول مكذَّب من الرسل، بل قد كُذِّب إخوانك الذين من قبلُ بعدَ ما جاءوا بالبينات والزبر، أي بالكتب المنيرة إليهم، فمع[1] ما جاءوهم[2] بذلك كذبوهم،[3] فصبروا على تكذيبهم. فاصبر أنت أيضًا على تكذيب قومك. **والله أعلم**.

[٦٢٦و س٢٤] *ودل قوله: **وبالكتاب المنير** أن قوله سبحانه:[4] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،[5] أي منير
[٦٢٦و س٢٥] السماوات والأرض[6] بما سمى الكتاب في غير آي من القرآن نورا، هو نور بما ينير القلوب والصدور.*

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٢٦]

وقوله: **ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير**، أي ثم أخذت الذين كذبوا رسلهم بالتكذيب، فآخُذُ قومَك على تكذيبهم إياك أيضًا. يذكر هذا له ليُصَبِّره على ذلك ويَنْفِيَ حزنه على تكذيبهم إياه، أو يذكر [هذا] زجرًا لقومه عن تكذيبهم إياه فينزل بهم من العذاب ما نزل بأولئك بالتكذيب. وقوله: **فكيف كان نكير**. قال بعضهم: فكيف كان إنكاري؟ وقال بعضهم: عذابي؟*

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٢٧]

وقوله: **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها**، إلى آخر ما ذكر. فيه فوائد من الحكمة. أحدها أنه جعل -عز وجل- طبع الماء مما يلائم[9]

---

[1] ر م: مع.
[2] ر م: جاءهم.
[3] ر م: فكذبوهم.
[4] ر م - أن قوله سبحانه.
[5] سورة النور، ٣٥/٢٤.
[6] ر م - والأرض.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٥و/ سطر ٢٤-٢٥.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة متأخرا فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٦٢٥و/ سطر ٢٤-٢٥.
[9] ر ن م: يلاوم.

ويوافق طباع هذه الثمرات على اختلاف جواهرها وألوانها حتى يكون حياة[1] كل شيء منها وقوامه بهذا الماء. وكذلك جعل طبع هذا الماء ملائمًا موافقا طباع جميع الخلائق من البشر والدواب والطير والوحش وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم وأصنافهم وغذائهم، حتى صار هو غذاء وحياة لهم[2] ليعلم أن من مَلَكَ هذا وقَدَر توفيق هذا بهذا[3] على اختلاف ما ذكرنا من الجواهر والأصناف[4] والأغذية وتدبيره، لا يعجزه إنشاء شيء لا من شيء، ولا يخفى عليه شيء. وفي ذلك دلالة البعث أن من بلغت قدرته وتدبيره وعلمه هذا المبلغ[5] لا يعجزه[6] شيء ولا يخفى عليه شيء.

والثاني أنه أنشأ ما ذكر من مختلف الأشياء والجواهر بهذا الماء، وجعله سببًا لحياة ما ذكر من البشر والدواب وغيره، من غير أن يكون في ذلك الماء الذي أنشأ ذلك منه وجعله سببًا لحياتهم من أثر ذلك فيه أو من جنسه، ليعلم أنه لم يكن أنشأ هذه الأشياء بهذه الماء ولا جعله سببا لها على الاستعانة به والتقوية، بل إعلاما للخلق أسباب مطالب الغذاء والفضل لهم. إذ لو كان على الاستعانة وجَعْلِه سببا لها[7] في إنشاء ذلك لكان يكون تلك الأشياء المنشأة مشاكِلةً للماء مشابهة له. دل أنه جعل ذلك سببا للخلق في الوصول إلى ما ذكرنا من الأغذية لهم من غير أن يروا أرزاقهم من تلك الأسباب والمكاسب، ولكن من فضل الله.

والثالث أنشأ هذه الفواكه والثمرات مختلفةً ألوانها وطَعْمُها لِما[8] علم من البشر من الملالة والسآمة[9] من نوع واحد ولون واحد ليتم[10] نعمه عليهم [و]ليستأدي[11] بذلك الشكر عليها. *والله أعلم*.

---

[1] ن + كل حيوة.
[2] جميع النسخ + قياما به.
[3] ر م – بهذا.
[4] ر م – والأصناف.
[5] ن – وعلمه هذا المبلغ.
[6] ن + إنشاء شيء لا من شيء.
[7] ر ث ن: به.
[8] ر م: مما.
[9] ن: والشآمة.
[10] ر ث ن: ليتمم.
[11] ر م: تتأدى.

وقوله: **ومن الجبال ، جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مختلف ألوانها وغَرابيب سُودٌ.** قال بعضهم: [٦٢٦ط] أنشأ الجبال أيضا مختلفة من بيض وحمر وغرابيب[١] كما أنشأ الثمرات والدواب والحيوان كلها مختلفة، وقال بعضهم: ذلك وصف[٢] للطرق التي أنشأها في الجبال.*

**وغرابيب** جمع[٤] غِرْبِيب،[٥] وهو التشديد السواد، يقال: أسود غِرْبِيب،[٦] وهو قول[٧] القُتَبي وأبو عَوْسَجَة. ورجل غِرْبِيب[٨] الشَّعر، أي أسود الشعر؛ ومأخذه من الغراب لأنه أسود. والجُدَد الخطوط والطرائق في الجبال.[٩] وقال أبو عَوْسَجَة: الجُدَة الخط،[١٠] والجُدَد[١١] جمع [بمعنى] الخطوط، يقال: جددت أي خططت، يقال: ثوب جديد، وثياب جُدُد. **ومن الجبال جدد،** أي طرائق مختلفة ألوانها بعضها بيض[١٢] وبعضها أحمر وبعضها[١٣] غرابيب، وهي سُود.[١٤]

يذكرهم[١٥] قدرته وتدبيره أن الجبال مع غلظها وشدتها وارتفاعها جعلها بحيث يُتطرق منها[١٦] في صعودها وهبوطها، فمن قدر على هذا لا يعجزه ولا يخفى عليه[١٧] شيء. أو يذكّرهم[١٨] نعمه عليهم حيث سخرها لهم ليقضوا فيها حوائجهم فيما بعد عنهم وصعب عيهم. **والله أعلم.**

---

[١] م: وغربيب.
[٢] جميع النسخ + وصفها بالسود.
* وقع هنا مقطع من أول الآية التالية وتفسيرها فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٢٦ ظ/ سطر ٣.
[٤] ر: جميع.
[٥] ر م: غريب.
[٦] ر: غريب.
[٧] ر م - القول.
[٨] ر: عريب.
[٩] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٦١.
[١٠] ر م: والخطة.
[١١] ر م: الجدد.
[١٢] ن: بيض.
[١٣] ر م - احمر وبعضها.
[١٤] الجُدَّة: الطريقة في السماء والجبل. وقيل: الجُدَّة: الطريقة، والجمع: جُدَد. وقوله عز وجل: ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ﴾ أي طرائق تخالف لون الجبل (*لسان العرب*، «جدد»).
[١٥] ر ن م: يذكر؛ ث: يذكره. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤و.
[١٦] ث ن: فيها.
[١٧] ن - ولا يخفى عليه.
[١٨] جميع النسخ: يذكره. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤و.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾** [٢٨]

[٦٢٦ظ س٣] *ومن **الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه**. كاختلاف الجبال والثمار، **كذلك**.[١]*

وقوله: **إنما يخشى الله من عباده العلماءُ**، هذا يحتمل وجوها. أحدها أن الذي يَحِق على العالم بالله أن يكون هو يخشاه لما يعلم من سلطانه وهيبته وقدرته وجلاله. والثاني أن العالم بالبعث[٣] والمؤمن به هو[٤] يخشى مخالفة الله في أوامره ونواهيه لما يعلم من نقمته وعذابه مَنْ خالفه وعصى أمره. فأما من لم يعلم[٥] بالبعث ولم يؤمن به فلا يخافه، كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا،[٦] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ،[٧] ونحوه.

أو أن يكون قوله: **إنما يخشى الله من عباده العلماء**، عبارةٌ[٨] عن[٩] جملة المؤمنين، يقول -والله أعلم- **إنما يخشى الله من عباده** المؤمنون[١٠] به المصدقون عذابه ونقمته، فأما من لم يؤمن به فلا يخافه، كما ذكرنا في قوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[١١] إن في ذلك لآيات لكل مؤمن، ويكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن. فعلى ذلك هذا[١٢] محتمل.

وقال أهل التأويل: على التقديم والتأخير، أي أشد الناس لله خشية أعلمهم بالله. والخشية، قال[١٣] الحسن: هي[١٤] الخوف الدائم اللازم في القلب غير مفارق له.[١٥] ***والله أعلم.***

---

[١] ر ث م: وكذلك.

* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا. ورقة ٦٢٦ظ/ س ٣.

[٣] ن: بالغيب.

[٤] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤و.

[٥] ر ث م: من يعلم.

[٦] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (سورة الشورى، ١٧/٤٢-١٨).

[٧] ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ (سورة المؤمنون، ٥٧/٢٣-٦٠).

[٨] ر ث م: عباده.

[٩] ر م: من.

[١٠] ر: المؤمنين.

[١١] انظر: تفسير الآية ٥ من سورة إبراهيم، *تأويلات القرآن*، ٤٦٠/٧.

[١٢] ن: فعلى هذا ذلك.

[١٣] ر م: وقال.

[١٤] ر م: هو.

[١٥] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٨/١٠.

وقوله: **إن الله عزيز غفور**، قال بعضهم: العزيز المنتقم من[1] أعدائه، والغفور لذنوب المؤمنين، وقال بعضهم: عزيز في ملكه ومَن دونَه ذليل. غفور، أي ستور على ذنوب المؤمنين.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[٢٩] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣٠]**

وقوله: **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة**، يحتمل ما ذكر من تلاوة الكتاب هاهنا ما ذَكَر في آية أخرى حيث قال: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ،[2] **وأقاموا** ما فيها من الأمر بالصلاة والأمر بالزكاة. أو أن يكون قوله: **يتلون كتاب الله**، أي يتبعون كتاب الله فيما فيه[3] مما لهم ومما عليهم، يتبعون كله من الإقدام على الحلال والاجتناب عن[4] الحرام. والمنتفعون[5] بكتاب الله هم الذين اتبعوا ما فيه من إقامة الصلاة وإنفاق ما رُزقوا. فأما من تلا ولم يتبع ما فيه فكأنه لم يتل. وهو كما نفى [الله] عنهم هذه الحواس من البصر والسمع واللسان وغيره لتركهم الانتفاع بها وإن كانت لهم تلك الحواس حقيقة،[6] وأثبتها للمؤمن لما انتفع بها وإن لم تكن له تلك حقيقة، فعلى ذلك يحتمل الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية**، يحتمل قوله: **سرًّا وعلانية**[7] في كل حال وكل وقت، لا يتركون الإنفاق على كل حال، كقوله: أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ،[8] أي ينفقون على كل حال. ويحتمل: **وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية**، أي يتصدقون الصدقة ظاهرًا وباطنًا، أي ما ظهر للناس وعلموا به وما خفي عنهم واستتر، لما قصدوا بها وجهَ الله لا مراآةَ الخلق. فمن كان قصده بالخيرات وجهَ الله لا مراآة[9] الخلق فعلمهم به وجهلهم سواء لا يمتنع عن ذلك أبدًا. *والله أعلم*.

---

[1] ر: عن.

[2] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ (سورة البقرة، ١٢١/٢).

[3] ر + من.

[4] ر: على.

[5] ر ث م: والمشفقون؛ ن: أو المشفقون.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢؛ وانظر أيضا: نفس السورة، ١٧١/٢).

[7] ن - يحتمل قوله سرا وعلانية.

[8] ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٣/٣-١٣٤)

[9] ر: لا مراآت.

وقوله: **يرجون تجارة لن تبور**، سمى ما يَبذُل[1] العبد لله "تجارة"، وإن كان ذلك له في الحقيقة لطفا منه وإحسانًا. وكذلك ما ذكر من إيفاء الأجر لهم على أعمالهم حيث قال: **ليوفيهم[2] أجورهم**. وذلك ليس في الحقيقة أجرًا، لما لا يستوجبون[3] الأجر قِبَلَه بتلك الأعمال لما عليهم[4] من الشكر فيما أنعم عليهم من أنواع النعم، ومتى يفرغون[5] عن شكر ما أنعم عليهم حتى يكون ذلك أجرًا لهم. لكنه عز وجل بفضله وإنعامه وَعَدَ لهم الثواب والأجر على حسناتهم وأعمالهم الصالحات إفضالا منه وإنعامًا منه، وسَمّى ذلك تجارة كأن[6] ليس ذلك له في الحقيقة ترغيبا منه الخلقَ[7] على ذلك وتحريضا لهم في ذلك. *والله أعلم*. **ويَزيدَهم من فضله** على ذلك أيضًا.

وقوله: **إنه غفور شكور**، يحتمل قوله: **غفور**، أي ستور لمساوئهم، **شكور**، أي مظهر لحسناتهم بإدخاله إياهم الجنة ليعلم كل[8] أحد أنه كان محسنًا[9] لا مسيئًا، أو **غفور** يتجاوز عن مساوئهم، **شكور** يقبل اليسير[10] من العمل القليل منهم،[11] ويجزيهم[12] على ذلك الجزيلَ من الثواب. *والله أعلم*.

وقوله: **لن تبور**، قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **لن تبور**، أي لن تفني أو لن تَكسُد، يقال: بارت التجارة تبور، فهي بائرة، إذا كَسَدت.[13]

**ليوفيهم[14] أجورهم** من الإيفاء، يقال: أوفيته حقه، أي أعطيته كله.

---

[1] جميع النسخ: ما يبدل. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ظ.
[2] ث: ليوفينهم.
[3] ر م: لما يستوجبون.
[4] ن: علمهم.
[5] ر ن ث: يتفرغون.
[6] ن: وكان؛ م: كأنه.
[7] ث: للخلق.
[8] ر ث م: كل.
[9] ر: محسن.
[10] ر: اليسر.
[11] ن ث: منه.
[12] ر م: يجريهم.
[13] م: أحدد.
[14] ن: ليوفيهم.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [٣١]

[٦٢٧و] وقوله: **والذي أوحينا إليك** يا محمد **من الكتاب**، وهو القرآن، **هو الحق**. أي[1] من عند الله، **مصدقا لما بين يديه**. أي موافقا للكتب التي قبله. ثم يكون وفاقه وتصديقه[2] إياها بأحد شيئين: إما في الأخبار والأنباء، أن يوافق الأنباء والأخبارُ التي في القرآن أنباء الكتب المتقدمة وأخبارَها، ويصدق بعضها بعضًا؛ فكذلك كانت الكتب كلها داعية إلى توحيد الله والعبادة له والطاعة؛ وإما في[3] الأحكام. فإن كانت الموافقة في الأحكام ففيها الناسخ والمنسوخ. لكنه لم يُجعَل في حق الناسخ والمنسوخ[4] مختلفة، ألا ترى أن في القرآن ناسخًا ومنسوخًا، ثم أخبر أنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.[5] ولو كان الناسخ والمنسوخ خلافا في الحقيقة لكان من عند غير الله على ما أخبر؛ دل أن بينهما وفاقا[6] ليس باختلاف.[7] وقال بعضهم: إن محمدا يُصَدِّق ما قبله من الكتب والرسل. وهو ما ذكرنا أن جميع الكتب والرسل إنما دعوا الخلق إلى توحيد الله وعبادته.

وقوله: **إن الله بعباده لخبير بصير**، أي لخبير بصير بما به مصالحهم؛ أو لخبير بصير، أي على علم وبصيرة منه بتكذيب القوم رسلَهم بَعَثَ الرسل إليهم، لا عن جهل منه بذلك. وذلك لا يخرجه عن الحكمة، كما[8] قال بعض الملاحدة[9] أن ليس بحكيم من بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذبه ويرد رسالته.

---

[1] ر ن م: انه.

[2] ر ث م – وتصديقه.

[3] جميع النسخ: أو يوافق. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ظ.

[4] ر م – لكنه لم يجعل في حق الناسخ والمنسوخ.

[5] ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (سورة النساء، ٨٢/٤).

[6] جميع النسخ: وفاق.

[7] قال الشارح: «فليس المراد هو الموافقة من حيث الظاهر فإن كثيرا من الأحكام كان منسوخا في كتابنا، وكان حلالا في كتابهم وصار حراما في كتابنا، فكيف يكون بينهما موافقة من حيث ظاهر الأحكام؟ ولكن أراد بذلك من حيث المعنى لأن الناسخ لا يكون مخالفا للمنسوخ من حيث المعنى، لأن الأحكام شرعت لمصالح العباد والمصالح يختلف باختلاف الأوقات. فقد يكون المصلحة في وقت في الحل وفي وقت في الحرمة فكانا من حيث المصلحة متحدان وإن كانا من حيث نفس الحل والحرمة مختلفان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ظ).

[8] م – كما.

[9] ت ن: الملحدة.

فهكذا لو كان بعث الرسل لحاجة المرسِل ولمنفعته[1] يكون إرساله وبعثه إلى من يعلم أنه يكذبه ويرد رسالته[2] [خارجا عن الحكمة]. فأما الله سبحانه وتعالى [فهو] يتعالى عن إرسال[3] الرسل لحاجة له أو لمنفعة، بل لحاجة المبعوث إليه والمرسَل، [ف]لم يخرج عنه برده وتكذيبه عن الحكمة. *والتوفيق بالله*.[4] أو أن يكون قوله: **لخبير بصير**، يخرج على الوعيد، أي عالم بأحوالهم وأفعالهم ليكونوا أبدًا على حذر ومراقبة. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٣٢]**

وقوله: **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**. اختلف فيه.[5] قال بعضهم: **فمنهم ظالم لنفسه**، هو ممن أخبر أنه اصطفاه[6] للهدى من متبعي محمد، وهم أصحاب الكبائر في قول بعض، وقال بعضهم: هم أصحاب الصغائر، وقال بعضهم: هم أصحاب الكبائر والصغائر جميعًا. ومنهم من يقول: هو في الناس جميعًا: المتّبع له، وغيرِ المتبِع.[7] ثم اختلف في قوله: **ظالم لنفسه**، قال بعضهم: هو المنافق الذي أظهر الموافقة لرسوله وأضمر الخلاف له. وقال بعضهم: هم اليهود والنصارى، قد[8] آمنوا به قبل أن يبعث، فلما بعث[9] كفروا به.

---

[1] م: ولمنفعة.

[2] ن: يرد رسالته ويكذبه.

[3] ث ن: أن يرسل.

[4] ث – بالله.

[5] قال الشارح رحمه الله: «قال بعضهم: إن قوله ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ أراد به جميع المؤمنين، ثم قسمهم على ثلاثة أقسام فقال: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ ظ).

[6] م: اصطفيناه.

[7] قال الشارح: «ثم اختلف في ذلك ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال بعضهم: هم أصحاب الكبائر وهو قول المعتزلة، لأن عندهم الصغائر مغفورة بالاجتناب عن الكبائر لا محالة، وعندهم وإن خرجوا بالكبيرة عن الإيمان ولكنهم لم يخرجوا عن الإسلام وهم من أهل القبلة والصلاة عليهم. ومنهم من قال: هم أصحاب الصغائر وهو قول بعض الخوارج، لأنهم يقولون بارتكاب الكبائر يصير كفرا ولكن بارتكاب الصغيرة لا يكفر ولا يخرج عن الإيمان. ولكن عندنا [يخرج] على أصحاب الكبائر والصغائر جميعا، لأن المؤمن بارتكابها لا يخرج و[لكن] يكون ظالما ولا تصير الصغيرة مغفورة بالاجتناب عن الكبائر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ ظ).

[8] ر ه: وقد؛ ث: فقد.

[9] ن: بعثوا.

وقال بعضهم: هم المشركون، وقد أقسموا أنه لو جاءهم نذير ليكونن[1] أهدى من إحدى الأمم.[2] فهؤلاء كلهم في النار.

[وقال بعضهم المراد من قوله: **الذين اصطفينا من عبادنا** هو الرسول عليه السلام]،[3] وما ذكر من الاصطفاء والاختيار على قول هؤلاء يكون لرسول الله حيث بعثه[4] إليهم ليدعوهم إلى توحيد الله.

والأشبه أن يكون قوله: **فمنهم ظالم لنفسه من أمته من**[5] متبعي الرسول [ولكن ارتكب المعاصي وظلم نفسه، على][6] ما روى في الخبر عن أبي الدرداء رضي الله عنه -إن ثبت- قال: تلا رسول الله هذه الآية، فقال: «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيُحْبَس حتى يَظن أنه لن ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة». ثم قال رسول الله: «وهم الذين قالوا: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ»،[7] الآية. وكذلك روي عن أنس وعائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن[8] ثبت عنه فهو تأويل الآية وتفسير الظالم من أهل التوحيد والملة.

والمقتصد، قال بعضهم: هو الذي يَخلِط عملا صالحا بعمل سيئ كقوله: وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.[9] وقال بعضهم: هو الذي يقوم بأداء الفرائض والأركان، وأما غيره فلا.

والسابق يخرج على وجهين. أحدهما سابق بالخيرات كلها لا تقصير فيه ولا نقصان، أو سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان.

---

[1] ر ن م: لتكونن.

[2] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

[3] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٤ظ.

[4] جميع النسخ: بعث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٤ظ.

[5] ث د: ومن

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٢٥و.

[7] سورة فاطر، ٣٤/٣٥. ذكره الطبري وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير بعض بقربه. *تفسير الطبري*، ٣٧٥/١٩؛ *زاد المسير* لابن الجوزي، ٤٩١/٦؛ *تفسير القرطبي*، ٣٥٠/١٤-٣٥١؛ *تفسير ابن كثير*، ٣٣٤/١١.

[8] ر: فإنه.

[9] سورة التوبة، ١٠٢/٩.

وقد ذكرنا هؤلاء الفرق الثلاثة في غير موضع من القرآن. قال في موضع:[1] وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،[2] الآية، ثم قال: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ،[3] وقال:[4] وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ.[5] فالذين اعترفوا بذنوبهم هم المقتصد، والآخرون هم الظالم لنفسه. وقال في موضع آخر: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ،[6] وقال: وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ،[7] إلى آخر ما ذكر. وقال: وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ.[8] ففي ظاهر هذا أن أصحاب الشمال المكذبون[9] حيث ذكر في آخر هذه السورة الفرق الثلاثة، حيث قال:[10] فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ.[11] ففي ظاهر هذا أن الظالم لنفسه هو المكذب، والكافر[12] في قوله:[13] وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ،[14] وفي ظاهر[15] ما ذكر في سورة التوبة أنه من أهل التوحيد حيث قال: وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ،[16] الآية. والله أعلم بذلك.

وقوله: **بإذن الله**، يحتمل: بعلم الله، ويحتمل: بمشية الله، وقيل: بأمره.

[٦٢٧ظ] وقوله: **ذلك هو الفضل الكبير**، يقول، والله أعلم، هذا الذي / أورثناهم من الكتاب هو الفضل الكبير، كقوله: وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا،[17] أو يقول:[18] إدخالهم الجنة فضل منه كبير.

---

[1] ر ث م – من القران قال في موضع.
[2] سورة التوبة، ٩/١٠٠.
[3] سورة التوبة، ٩/١٠٢.
[4] ر م – وقال.
[5] ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٦).
[6] سورة الواقعة، ٥٦/١٠-١١.
[7] سورة الواقعة، ٥٦/٢٧-٢٨.
[8] سورة الواقعة، ٥٦/٤١.
[9] ن: هم المكذبين.
[10] ر – قال.
[11] سورة الواقعة، ٥٦/٨٨-٩٢.
[12] ن: الكافر.
[13] ن: وكذلك في قوله.
[14] سورة الواقعة، ٥٦/٤١.
[15] ر ث م: في ظاهر.
[16] سورة التوبة، ٩/١٠٦.
[17] ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/١١٣).
[18] ن: أو يقول.

وروي عن عمر[١] رضي الله عنه قال: **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**، قال: ألا إن سابقنا سابق، وإن مقتصدنا ناج، وإن ظالمنا مغفور له.[٢] وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه:[٣] ألا إن سابقنا أهل الجهاد منا، وإن مقتصدنا أهل حَضَرنا، وإن ظالمنا أهل بَدْونا.[٤] وابن عباس رضي الله عنه يقول: الظالم لنفسه كافر.[٥] وعن الحسن قال: الظالم لنفسه المنافق، وهو هالك، وأما السابق والمقتصد فقد نجيا.[٦]

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣٣]

وقوله: **جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**، ذَكَرَ التحلي فيها بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير، وليس[٧] للرجال رغبة في هذه الدنيا في التحلي بذلك ولا لبس الحرير. اللهم إلا أن يكون للعرب رغبة فيما ذكر، فخرج الوعد لهم بذلك والترغيب في ذلك. وهو [كـ]ـما ذكر من الخيام فيها والقِباب والغُرُفات، وهذه[٨] أشياء تستعمل في حال الضرورة في الأسفار وعند عدم غيره من المنازل والغُرَف عند ضيق المكان. فأما في حال الاختيار ووجود غيره فلا. لكنه خرج ذلك لهم لما[٩] لهم في ذلك من فضل رغبة، ألا ترى أنهم قالوا: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ،[١٠] ذكروا ذلك لما لذلك عندهم فضل قدر ومنزلة ورغبة في ذلك.

أو يذكر هذا لهم في الجنة، أعني الذهب والفضة والحرير وما ذكر ليس على أن هذا مما يشابهه[١١] بحال،[١٢] أو يماثله في الجوهر[١٣] على التحقيق سوى موافقة الاسم، لما روي في الخبر:

---

[١] ن + ابن الخطاب.

[٢] *زاد المسير* لابن الجوزي، ٤٨٩/٦؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٤٦/١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٩/١٢.

[٣] م - قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال ألا إن سابقنا سابق وإن مقتصدنا ناج وإن ظالمنا مغفور له وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

[٤] *زاد المسير* لابن الجوزي، ٤٩٠/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٩/١٢.

[٥] *تفسير السمعاني*، ١٣٥/٣.

[٦] *تفسير الطبري*، ١٣٥/٢٢.

[٧] ن - وليس.

[٨] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح مستفاد من *الشرح* ورقة ٦٢٥و.

[٩] ر م: لها.

[١٠] سورة الزخرف، ٥٣/٤٣.

[١١] جميع النسخ: يشابه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٥و.

[١٢] ر: بحاله.

[١٣] في الجواهر.

«أن فيها»، يعني في الجنة «مالا عَينٌ رأت ولا أُذُن سمعت، ولا خطَر على[1] قلبِ بشر أو بال بشر»[2] على ما ذكر. وما ذكر أيضًا: «إن ما في الجنة لا يشبه ما في الدنيا، أو لا يوافقه إلا في الاسم»[3] أو كلام نحو هذا. ***والله أعلم.***

|٦٢٩ظ س ٢٠] *قال القُتَبي: أَسَاوِرَ جمع إسْوار،[4] وهو الذي تجعله المرأة في مِعْصَمِها.*

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣٤]

وقوله: **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.** قال بعضهم: إنما يقول هذا الظالم لنفسه الذي ذُكر في قوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ،[6] إنهم يحبسون على الصراط حبسًا طويلا، أو يحاسبون حسابًا شديدًا، فيطول حزنهم بذلك، ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة. فعند ذلك يقولون ذلك ويحمدون ربهم على إذهاب ذلك[7] الحزن عنهم. وقال بعضهم: لا، ولكن يقول هذا كل مسلم إذا دخل الجنة لما يخاف كل مسلم في الدنيا ويحزن على تَبِعَاته[8] ومساوئه لما لا يدري إلى ماذا يكون مصيره ومرجعه وأين[9] مُقامه[10] في الآخرة؟ فلما أدخل الجنة أمن ما كان يخافه في الدنيا ويحزن عليه وسَلِم من ذلك الأخطار، حمد ربه عند ذلك. وقال بعضهم: ذلك الحمد إنما يكون منهم لَمّا ذهب عنهم غم العيش والحزن[11] الذي كان لهم في الدنيا،

---

[1] ر م – على.

[2] ن: على بال بشر أو قلب بشر. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾» (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٨، التوحيد ٣٥؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٣١٢، الجنة ٢-٥).

[3] قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء» (*تفسير الطبري*، ١/٤٤٦؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٣٢٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١/٢٠٧).

[4] جميع النسخ: سوار. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٢٩ظ / سطر ٢٠-٢١.

[6] سورة فاطر، ٣٥/٣٢.

[7] ن: تلك.

[8] ر: تباته.

[9] ن: ولين.

[10] م – في الآخرة.

[11] ر: و حزن؛ ت: والحيرة؛ م: والهم.

إذ كل أحد يهتمّ لعيشه في الدنيا. فلما دخل الجنة ذهب ذلك عنه، فعند ذلك يحمد ربه. وقال بعضهم: يحمدون ربهم لِمَا يأمنون الموت عند ذلك؛ إذ ذكر[1] في الخبر أنه «يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كَبْش فيذبح بين أيديهم، فعند ذلك يأمنون الموت».[2] **والله أعلم**.

وقوله: **إن ربنا لغفور شكور**، غفور[3] لمساوئهم من غير أن كان منهم ما يستوجبون المغفرة، شكور لحسناتهم حيث قَبِلها منهم وأعطاهم الثواب. وقال أهل التأويل: غفور لذنوبهم، شكور يعطيهم الجزاء الجزيل بالعمل القليل.[4]

[٦٢٦ظ س٣٢ *وقال بعضهم في قوله: **إن ربنا لغفور شكور**، شكر لهم ما كان منهم إليه[5] وغفر لهم ما كان منهم من ذنب. وفي حديث رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **إن ربنا لغفور شكور**، قال: «شَكَر الله للمؤمن اليسيرَ من الحسنات، وغفر لهم الذنوب العظام».[6] *
٦٢٦ظ س٣٥]

**﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[٣٥]**

وقوله: **الذي أحلنا دار المقامة من فضله**. [يُثني الجنة][8] دارَ المقامة لما لا يُتَمَنّىَ التحول منها ولا الانتقال، كقوله تعالى:[9] لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[10]

---

[1] ر م: أو ذكر.

[2] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤتى بالموت يوم القيامة كبشا أملح، فيقال: يا أهل الجنة! تعرفون هذا؟ فيطلعون خائفين مشفقين. قال: يقولون: نعم. قال: ثم يُنادَى أهل النار: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. قال: فيذبح. ثم يقال: خلود في الجنة، وخلود في النار» (مسند أحمد بن حنبل، ٩/٣؛ وانظر أيضا: صحيح البخاري، الرقاق ٥١، التفسير، ١٩/١١؛ وصحيح مسلم، الجنة ٤٠، ٤٣).

[3] ر ث م – غفور.

[4] ن: اليسير.

[5] جميع النسخ: منه إليهم.

[6] ذكره ابن كثير منسوبا إلى ابن عباس بلفظ: غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات. تفسير ابن كثير، ٥٥٨/٣.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٢٦ظ/ سطر ٣٢-٣٥.

[8] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٢٥ظ.

[9] ر م – كقوله تعالى؛ ث – تعالى.

[10] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة الكهف، ١٠٧/١٨-١٠٨).

وقوله: **لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**. ليس من صاحب نعمة في هذه الدنيا وإن عظُمت إلا وهو يَمَلّ منها ويسأم، ويتمنى التحول منها والانتقال. وكذلك ليس من لذة وإن حلت[1] في هذه الدنيا إلا وهي تُعقب آفة وتعبًا. فأخبر أن نعيم[2] الآخرة[3] ولذاتها مما لا يُتمنّى[4] ولا يُبتغَى[5] التحول منها ولا لذتُها تُعقِب آفة ولا تعبًا ولا إعياء. وجائز أن يكون قوله: **لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** [يراد منه ما تضمنه اللفظ من نفي النصب واللغوب]،[6] وذلك أن من حل بقرابته وبالمتصلين بشيء[7] في هذه الدنيا من آفاتها يهتم لذلك ويتكلف دفع ذلك عنهم. فأخبر أنهم إذا حَلُّوا في دار المُقامة لا يُهيّبهم[8] شيء من ذلك. ***والله أعلم***. والنَّصَب الأذى. ويقال: اللَّغْب[9] واللُّغُوب التعب.*

[٦٢٩ظ س٢١] *قال القُتَبي: النصب: الشدة[11] والتعب، واللغوب الإعياء.[12] يقال:[13] لَغِبت بنفسي ألْغَب
[٦٢٩ظ س٢٢] لُغوبًا، فأنا لاغب، وألغبت غيري، أي كلّفته حتى أعياه، وهو قول أبي عَوْسَجَة.*

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾**[٣٦]

وقوله: **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم**[15] بالموت فيموتوا، فيستريحوا من عذابها، **ولا يخفف عنهم من عذابها**.

---

[1] ر ن: وإن حست.
[2] م: نعيمها.
[3] ر م − الآخرة؛ ث: الجنة.
[4] ن + به.
[5] م − ولا يبتغى.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٢٥ ظ.
[7] ث: شيء؛ ن: به شيء.
[8] ن: لا يصيبهم.
[9] ر: اللغاء؛ ث ن م: العناء.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٢٦ظ/ س ٣٢-٣٥.
[11] ر: لشدة.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦١.
[13] ر م − يقال.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٢٩ظ/ سطر ٢١-٢٢.
[15] ن + فيموتوا أي لا يقضى عليهم.

وفي قوله: **ولا يخفف عنهم من عذابها**، نقض قول الجهم[1] وأبي الهذيل المعتزلي.[2] أما قول الجهم فإنه يقول بانقطاع[3] العذاب عن أهل النار، فأخبر [عز وجل] أنه لا يخَفَّف عنهم العذاب، فلو كان يحتمل الانقطاع يحتمل التخفيف، فإذ[4] أخبر أنه لا يخفف عنهم دلّ أنه لا ينقطع. وكذلك قول مالك لهم: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ،[5] [وكذا] لَمّا طلبوا منه التخفيف: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ.[6]

[٦٢٨و] /وأما أبو الهذيل[7] فإنه يقول: إن العذاب قد يَفْتُر عن أهل النار، ويصير بحال[8] لو أراد الله أن يزيد في عذابهم شيئًا ما قدر عليه. وكذلك يقول في لذات[9] أهل الجنة: إنها تصير بحال[10] وتبلغ[11] مَبْلَغًا لو أراد الله أن يزيد لهم شيئًا منها ما قدر عليه. فظاهر الآية[12] يكذّبهم ويرد قولهم حيث قال: **ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها**.

وقوله: **كذلك نجزي كل كفور** لنعمه وجاحد وحدانيته.[13]

---

[1] هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي، من موالي بني راسب (ت ١٢٨ هـ/ ٧٤٥ م)؛ رأس الجهمية. كان رجلا من ترمذ، وظهرت بدعته هناك. وهلك في زمان صغار التابعين، قتله سلم بن أحوز المازني بمَرْو في آخر ملك بني أمية. وهو الذي قال بالإجبار والاضطرار؛ وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط، كما زعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. وقد كان رأيه حول الصفات الإلهية يدور في نطاق ما ذهب إليه المعتزلة أخيرا، فقال بحدوث علم الله وكلامه. انظر: *الفرق بين الفرق* لعبد القاهر البغدادي، ٢١١؛ و*الأعلام* للزركلي، ١٤١/٢.

[2] هو أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس (ت ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م)، من أئمة المعتزلة. ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. وكان حسن الجدل قوي الحجة سريع الخاطر. كف بصره في آخر عمره، وتوفي بسامرا. له كتب كثيرة. *الأعلام* للزركلي، ١٢١/٧.

[3] جميع النسخ: لأنه يقول انقطاع. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٥ ظ.

[4] ر م: إذ.

[5] ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ (سورة الزخرف، ٧٧/٤٣).

[6] سورة الأعراف، ٥٥/٧. وعبارة الشارح رحمه الله هكذا: «يؤيد هذا ما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾، وحين طلبوا منه التخفيف ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٥ظ).

[7] جميع النسخ: أما على قول أبي الهذيل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٥ ظ.

[8] ر: بحاله.

[9] ر: الذات؛ م: اللذات.

[10] ر: بحاله.

[11] ر: وتبليع.

[12] ن: الامر.

[13] ث – وقوله كذلك نجزي كل كفور لنعمه وجاحد وحدانيته.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٣٧]

وقوله: **وهم يصطرخون فيها**، قال بعضهم: يصيحون[1] فيها. [و]قال بعضهم: الاصطراخ: الاستغاثة، أي يستغيثون. *والاصطراخ: صياح الضَّجِر.* واصطراخهم قولهم: **ربنا أخرجنا نعملْ صالحا غير الذي كنا نعملُ**، يفزعون أولا إلى كبرائهم الذين اتبعوهم في الدنيا، يطلبون منهم دفع[3] بعضٍ ما هم فيه من العذاب والتخفيف عنهم، حيث قالوا: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ، فأجابوا لهم: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ،[4] وقال في آية أخرى: إِنَّا كُلٌّ فِيهَا،[5] الآية. فلما أيسوا وانقطع رجاؤهم بالفرج من عندهم، فزعوا عند ذلك إلى خزنة جهنم، حيث قالوا: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ،[6] فلما أيسوا منهم[7] وانقطع رجاؤهم فزعوا إلى مالك يطلبون منه أن يسأل ربه ليقضي[8] عليهم بالموت، حيث قال: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ،[9] فلما أيسوا سألوا ربهم الإخراج عنها ليعملوا غير الذي عملوا، حيث قالوا: **ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**. فاحتج عليهم: **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**، أي أو لم نعمركم فيها من العمر مثل العمر الذي يتعظ به من يتعظ، فهلا اتعظتم فيه ما اتعظ من اتعظ[10] فيه، وقد أعمرناكم مثل الذي أعمرنا أولئك، أو كلام نحو هذا.

[٦٢٩ظ س٢٢]

**وجاءكم النذير**، قال بعضهم: جاءكم الرسول وأنذركم هذا، فقد كذبتموه. وقال بعضهم: **وجاءكم النذير**، أي الشَّيب. ومعناه -والله أعلم- أي قد رأيتم وعاينتم تغير[11] الأحوال

---

[1] ر: يصيحو.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٢٩ظ/ سطر ٢٢.
[3] ن: رفع.
[4] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[5] ﴿وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار. قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٧-٤٨).
[6] سورة المؤمن، ٤٠/٤٩-٥٠.
[7] م - منهم.
[8] ن: ليقص.
[9] سورة الزخرف، ٤٣/٧٧.
[10] ن - من اتعظ.
[11] ر م: تعير.

في أنفسكم من حال إلى حال، من حال الصغر إلى الكبر، ومن الشباب[١] إلى الشيب، ثم الردِّ إلى أرذل العمر، فهلا اتعظتم به كما اتعظ أولئك. **فذوقوا** ما أنذركم به الرسل **فما للظالمين من نصير**.

﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣٨]

وقوله: **إن الله عالم غيب السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الوعيد والتخويف، أي هو عالم بالأشياء التي لم يمتحنها بِمِحَنٍ، ولا أمرها بأمور،[٢] ولا نهاها بِمَنَاهٍ. فالذين امتحنهم بأنواع المحن وأمرهم[٣] بأوامر ونهى بِمَناهٍ[٤] أحق أن يكون عالما بهم.

والثاني أنه على علم بما يكون من خلق السماوات وأهل الأرض [الذين] خلَقَهم وبعث إليهم الرسل، من التكذيب لهم والرد عليهم، لا عن سهو وجهل بما يكون منهم، ليُعلَم أنه إنما بعث إليهم الرسل لحاجة أنفس[٥] المبعوث إليهم ولمنفعة[٦] لهم في ذلك، لا لحاجة المرسِل والباعث ولمنفعة له. لذلك خرج البعث إليهم -على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد للرسالة- على الحكمة، وفي الشاهد على السفه؛ لأن في الشاهد إنما يَبعث [الملك] الرسلَ إلى من يبعث لحاجة نفسه ولمنفعة له في ذلك؛ فخرج البعث إليه على علم منه بالتكذيب والرد عليه سفهًا وباطلاً، ومن الله حكمة وحقًا. ***والله أعلم***.

وقوله: **إنه عليم بذات الصدور**، وكأنّ[٧] ذات الصدور هم البشر، خصهم بعلم ما يكون منهم، لأنهم أهل تمييز وبصر وامتحان، فيخرج[٨] ذلك مخرج الوعيد لهم والتحذير. وأما غيرهم من الدواب ونحوها فلا محنة عليهم، ولا تمييز لهم، لذلك خص هؤلاء بذلك، وإن كان عالما بالكل بذات الصدور وغير ذات الصدور. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: من الشاب.
[٢] م: مامور.
[٣] ن + باوامرهم.
[٤] ر + فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهى بمناه.
[٥] ر: انفسهم.
[٦] ن: والمنفعة.
[٧] ن: كان.
[٨] ن: ليخرج.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣٩]

وقوله: **هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**، فإن كان المخاطبون به أصحاب رسول الله وأمته فيخبر أنه جعلهم خلائف من تقدم منهم من القرون والأمم الماضية بعد ما أهلكوا واستؤصلوا.[١] وإن كان المخاطبون به[٢] بني آدم كلهم فيخبر أنكم خلف من تقدمكم من الجن والملائكة، لأنه ذُكر أن الجن كانوا سكان الأرض قبل بني آدم فجُعلوا خلائف الجن.

ثم وجه الحكمة في جعل بعضٍ خلائف بعض، وإنشاء قرن بعد فناءِ آخَر، وإفناء آخر بعد إنشاء آخر وجوه. أحدها أن يعرفوا أنه إنما أنشأهم لعاقبة تقصد وتتأمل، حيث أنشأ قرنا ثم أفناهم، ثم أنشأ غيرهم، ولو لم يكن في إنشائهم إلا هذا كان إنشاؤه إياهم لفناء خاصة، إذ من بنى في الشاهد بناء للنقض والفناء لا لعاقبة تقصد به كان في بنائه عابثا سفيهًا. فعلى ذلك إنشاء هؤلاء في هذه الدنيا لو لم يكن لعاقبة كان الإنشاء لفناء خاصة،[٣] وذلك عبث غير حكمة.

والثاني أن يعرفوا أن الدنيا ليست هي بدار قرار[٤] ومُقام، إنما هي مجعولة زادًا للآخرة وبُلْغَةً إليها ومسلكا لها ومنزلا ينزل فيها ثم يرتحل، كالمنازل المجعولة للنزول فيها في الأسفار والتزود منها ثم الارتحالِ لا للمُقام فيها. فعلى ذلك الدنيا جعلت[٥] لما ذكرنا، لئلا يطمئنوا إليها [٦٢٨ظ] ولا يركنوا، ويعملون عمل من يريد الارتحال عنها[٦] / لا عملَ المقيم فيها.

والثالث أن يعرفوا أن الآلامَ التي جُعلت فيها واللذاتِ ليست بدائمة أبدا، بل على شرف الزوال والتحول، لأن في الحياة لذة وفي الموت ألمًا. فلا دامت اللذة و لا الألم،[٧] لأنه أحيا[٨] قرنا ثم أفناهم، ثم أحيا قرنا آخر وأفناهم. فلا دامت اللذة ولا الآلام ولكن انقضيا، ليعلموا أنهما لا يدومان أبدًا ولكن يزولان.

---

[١] ر م: او استاصلوا.
[٢] ن - به.
[٣] ر ث م - خاصة.
[٤] ر م: القرار.
[٥] ر ث م: جعل.
[٦] ن: منها.
[٧] ر م: والالم.
[٨] ن: احياء.

والرابع أن يعتبروا بمن تقدم منهم من القرون أنه على ما ذا يكون الثناء الحسن، ويبقى الأثر والذكر الجميل، وبأي عمل ينقطع[١] ويفنى ذلك؟ فمن كان من متبعي الرسل ودعاة[٢] الخير والتوحيد والطاعة فيبقى[٣] له أثر الخير والثناء الحسن والذكر الجميل، ومن كان من أتباع أهل الكفر والشر لم يبق لهم شيء من ذلك ليعلموا بالذي يُبْقي لهم الثناء الحسن، ويُعْقِبُ[٤] لهم الذكر، لا الذي يَقطع ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **فمن كفر فعليه كفره**، أي عليه ضرر كفره. **ولا يَزيد الكافرين كفرُهم عند ربهم إلا مقتًا**، الآية، أي لا يزيد كفرُهم بالله وبرسوله وعبادتُهم الأصنام إلا مقتا وخسارًا، لأنهم كانوا يعبدونها رجاءَ أن تشفع لهم يوم القيامة ورجاء أن تُقرّب عبادتهم إلى الله زلفى. يقول -والله أعلم- لا يزيد ذلك لهم إلا مقتا من ربهم وخسارًا. أو [أن] تكون[٥] أعمالهم التي عملوا في هذه[٦] الدنيا من صلة الأرحام والقُرَب التي رجَوا منها الربح والنفع في الآخرة، لا يزيد ذلك لهم إلا مقتًا وخسارًا. ***والله أعلم***.

*والمقت: البغض.* [٦٢٩ظ س٢٢]

﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾[٤٠]

وقوله: **قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض**. ظاهر قوله **أروني** أمر لكنه يخرج على وجهين. أحدهما على الإعجاز، أي لا يقدر[٨] ما تعبدون من دونه خلقَ السماوات والأرض ولا إشراكه[٩] في خلق السماوات والأرض[١٠]

---

[١] ر: يتقطع.
[٢] ر: وعادة.
[٣] جميع النسخ: فبقي. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٢٦و.
[٤] ن: ويبقى.
[٥] جميع النسخ: أو يكون.
[٦] ر - هذه.
[*] وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٢٩ظ/ سطر ٢٢.
[٨] ر: لا يعجز ويقدر؛ م: لا يعجز يقول
[٩] قال الشارح: «أي إشراك نفسه إياه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٦و).
[١٠] ر م - والأرض.

ولا إنزال كتاب من السماء ليأمرهم بذلك، بل الله هو الخالق لذلك كله وهو القادر عليه، فكيف صرفتم العبادة عنه والألوهية إلى من هو عاجز عن ذلك كله.

والثاني على التنبيه والتعيير لهم والتسفيه لأحلامهم، يقول -والله أعلم- إنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها دون الله وتسمونها آلهة لم يخلقوا شيئًا مما ذُكر ولا لهم شرك في ذلك، ولا لكم كتاب يبيح لكم ذلك ويأذن لكم، وتعلمون أن الله هو الفاعل لذلك كله. حيث قال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[1] ولا لهم كتاب في ذلك، لأن الكتاب جهة[2] وصوله إليه[3] الرسولُ وأنتم لا تؤمنون بالرسول،[4] فكيف عبدتموها وتركتم عبادة من تعلمون أنه الفاعل لذلك والقادر عليه؟

وقوله: **ماذا خلقوا من الأرض**، يحتمل جواهر الأرض نفسها، ويحتمل الخارج منها مما به معاشهم وقوامهم.[5] وكذلك قوله: **أم لهم شرك في السماوات**، يحتمل في جواهرها، ويحتمل ما ينزل عنها مما به معاشهم[6] وأرزاقهم. وقوله: **فهم على بينة منه**، أي على حجة وبيان منه.

وقوله: **بل إن يَعِدُ الظالمون بعضُهم بعضا إلا غرورًا**، يحتمل وعدهم الذي ذكر لبعضهم بعضًا ما قالت القادة منهم والرؤساء للأتباع: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[7] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[8] وما لَبَسوا هم[9] على الأتباع من أمر[10] الكتاب والرسول [بما قالوا إنه][11] ساحر كذاب، وإنه مفترٍ، وأمثال ذلك مما يكثر عدده.[12] فذلك كله منهم تغرير[13] للأتباع.

---

[1] سورة العنكبوت، ٦١/٢٩.

[2] ر: حجة.

[3] أي إلى البشر.

[4] ن ث: بالرسل.

[5] ن: وارزاقهم.

[6] ن – وقوامهم وكذلك قوله أم لهم شرك في السماوات يحتمل في جواهرها ويحتمل ما ينزل عنه مما به معاشهم.

[7] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[8] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[9] م – هم.

[10] ر: من امره.

[11] جميع النسخ + هو. والزيادة من الشرح، ورقة ٦٢٦ و.

[12] ر: عدد.

[13] ر: تقرير.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٤١]

وقوله: **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده،** يحتمل أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ[١] فإن كان على هذا فيقول: تعلمون أن الله هو رافع السماوات والأرض والممسك لهما والمانع عن أن تزولا عن مكانهما،[٢] لا يقدر أحد على إزالتهما، ولئن أزالهما عن مكانهما لم يملك أحد[٣] إلى إعادتهما ولا إمساكهما[٤] سواه. فكيف تعبدون دونه[٥] من لا يملك ذلك؟ أو أن يكون ذلك[٦] صلة[٧] قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ،[٨] الآية، كادت[٩] أن يتفطرن وتنشق [الأرض] حين قالوا: لله ولد وله شريك. فإذا قالوا: اتخذ الله ولدا كادتا أن تزولا من مكانهما وتسقطا عليهم لعِظَمِ[١٠] ما قالوا في الله سبحانه.

وجائز أن يكون لا على الصلة بشيء مما ذكرنا ولكن على الابتداء. فإن كان على الابتداء فهو يخبر عن قدرته وسلطانه حيث رفع السماء وأمسكها في الهواء مع غلظها وشدتها بلا عَمَدٍ مِن تحتُ ولا شيءٍ مِن فوقُ، يمنعها عن الانحدار والزوال عن مكانها والإقرار على ذلك والتقرير. وفي الشاهد أَنْ ليس في[١١] وسع أحد من الخلائق إمساك الشيء في الهواء ولا إقامته إلا بأحد هذين السببين: إما من تحتُ وإما من فوقُ. وكذلك الأرض حيث دحاها وبسطها على الماء، ومن طبعها التسرب والتسفل في الماء لا القرارُ عليه، حيث لا يُحْفر مكان منها إلا ويخرج منه الماء. فدل تقرير[١٢] الأرض على الماء، وإمساك السماء في الهواء بلا شيء يُقِرُّهما ويمنعهما عن التسفل والانحدار أنه الواحد القادر بذاته لا يُعجزه شيء.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] م: مكانها.
[٣] ر م - على إزالتهما ولئن أزالهما عن مكانهما لم يملك أحد.
[٤] ر م: ولا مسكهما؛ ن: ولا امساكها.
[٥] ر م: تعبدونه.
[٦] ث ن - ذلك.
[٧] ر م - صلة.
[٨] ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخِرُّ الجبال هَدًّا أن دَعَوْا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).
[٩] جميع النسخ: كادت.
[١٠] ر م: تعظيم؛ ث ن: لعضيم.
[١١] ر: في.
[١٢] ر: تعزير.

[٦٢٩و] وقوله: / **إنه كان حليما غفورًا**، **حليمًا** حيث[1] لم يرسل السماوات عليهم لِعِظَم[2] فِرْيَتِهِم على الله والقول فيه بما لا يليق به -سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا- وحيث لم يَعْجَل بعقوبتهم في الدنيا؛ **غفورا**[3] حيث ستر عليهم ذلك و لم يَفضحهم في الدنيا. *والله أعلم.*

**﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٤٢] ﴿اِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾[٤٣]**

وقوله: **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قال بعضهم: **جهد أيمانهم**[4] هو قسمهم بالله. ومعناه -والله أعلم- أن العرب كانت من عادتهم أنهم كانوا يحلفون بالآباء والطواغيت، لا يحلفون بالله إلا فيما عَظُم أمره وجلّ قدره تأكيدا لذلك الأمر،[5] لذلك كان قسمهم بالله[6] جهد أيمانهم. وقد ذكرنا معنى جهد الأيمان[7] فيما تقدم.[8]

وقوله: **لئن جاءهم نذير**، قيل: رسول، **لَيكونُنَّ أهدى من إحدى الأمم**، فيه دلالة أنهم قد[9] وقعت لهم الحاجة ومستهم الضرورة إلى رسولٍ يبين لهم أمر الدين وما به[10] مصالحهم وما لهم وما عليهم، حيث أقسموا وعهدوا أنه لو جاءهم نذير لاتبعوه واقتدَوا به. ثم تَرْكُهم لذلك العهد لِمَا لم يروه[11] أهلاً لذلك، لِمَا كان هو دونهم في أمر الدنيا، استكبارًا منهم عليه، ولذلك قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[12]

---

[1] ر ث م: حين؛ ن – حيث.
[2] ر ث م: لعظيم.
[3] جميع النسخ + رحيما.
[4] ر م – قال بعضهم جهد أيمانهم.
[5] ر م: لامر.
[6] م + ومعناه.
[7] ن: ليمين.
[8] انظر عند تأويل الآية ١٠٩ من سورة الأنعام، والآية ٥٣ من سورة النور.
[9] ر: وقد.
[10] ر م – به
[11] أي محمد عليه السلام.
[12] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

أو أن[1] [يكون] تركوا اتباعه[2] ونقضوا عهدهم لِما رأوا مذاهب الناس مختلفة، فظنوا أن الاختلاف يُرفَع مِن بينهم به، فإذ لم يرتفع تركوا اتباعه؛ أو لمعنًى آخر لا نعلمه. *والله أعلم*.

وقوله: **لَيكونُنَّ أهدى مِن إحدى الأمم**، قال بعضهم: يَعنُون اليهود والنصارى. وجائز أن يكونوا أرادوا بذلك الأمم جميعًا، لكنهم لم يروا الحق إلا لواحدة منها، فقالوا: **لَيكونُنَّ أهدى من إحدى الأمم**. *والله أعلم*.

وقوله: **فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا استكبارًا في الأرض**، لما ذكرنا. وقوله: **ومَكْرَ السيّئِ**، يحتمل مكرهم ما مكروا[3] برسول الله من أنواع المكر حين همّوا قتله وإخراجه، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ،[4] الآية. ويحتمل أيضا ما ذكر أنه لما خرج ودعا الناس إلى توحيد الله أقعدوا على الطرق والمراصد ناسًا[5] يقولون لمن قصد رسول الله: إنه ساحر وإنه كذاب وإنه مجنون يصدون الناس بذلك عنه، فذلك كيدهم ومكرهم به. وقد كان منهم برسول الله من أنواع المكر سوى ذلك مما لا يحصى.

وقوله: **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**، يحتمل قوله: **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**[6] [أن يكون] هو في الدنيا من أنواع العذاب والقتل الذي نزل بهم. ويحتمل أن يكون ذلك في الآخرة. *والله أعلم*.

وقوله: **فهل ينظرون إلا سنةَ الأولين**،[7] وسنته في الأولين الاستئصال والإهلاك عند العناد والمكابرة. وقال بعضهم: ما ينظرون بإيمانهم إلا سنة الأولين؛ وسنة الأولين الإيمان عند معاينتهم العذاب، وإن كان لا يقبل ولا ينفعهم ذلك، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[8] الآية.

وقوله: **فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً**، هذا يحتمل وجوها. أحدها لن تجد لسنة الله –وهي الاستئصال– عند العناد والمكابرة تحويلا وإن اختلفت[9] جهة الهلاك والاستئصال،

---

[1] ر م: وان.
[2] ر م: اتباعهم.
[3] ر: ما مكرهما؛ م: ما مكرهم.
[4] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٣٠/٨).
[5] ث ن: اناسا.
[6] ر م – يحتمل قوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.
[7] ر م + وقال بعضهم ما ينظرون الا سنة في الاولين.
[8] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥.
[9] ر: اختلف.

كقوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ،[1] وقوله: تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ،[2] لاشك أن نفس القول منهم مختلف في الكفر وسببه متفرق. ثم أخبر أن قول هؤلاء ضَاهَأَ قول أولئك وتشابهت[3] قلوب بعض[4] بعضا وإن كان سبب ذلك وجهةُ الكفر مختلفا، فعلى ذلك سنته[5] لا تُحَوَّل ولا تُبَدَّل وهي الاستئصال، وإن كان جهة ذلك وسببه مختلفا.

والثاني فلن تجد لسنة الله التي سنّ فيهم وحَكَمَ[6] مَدفعا ولا مَردًا،[7] أي لن يجدوا إلى دفع ما سنّ فيهم وحكم من العذاب والهلاك مردا،[8] كقوله:[9] وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا.[10]

والثالث فلن تجد لسنة الله -وهي إيمانهم الذي يؤمنون عند معاينتهم العذاب وعند نزوله بهم- تحويلا وتبديلا أي يؤمنون لا محالة، ولكن لا ينفعهم ذلك في ذلك الوقت.

والرابع أن كل سنة سَنّ في كل قوم وكل أمة، وإن اختلفت، لن تجد لذلك تحويلا ولا تبديلا. ***والله أعلم.***

**﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٤٤]**

وقوله: **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم.** هذا يخرج على وجوه. أحدها قد ساروا في الأرض ونظروا إلى ما حلّ بأولئك بالتكذيب و لعناد،[11] لكن لم يتعظوا بهم و لم ينفعهم ذلك.

والثاني عى الأمر أن سيروا في الأرض وانظروا ما الذي نزل بأولئك ومم نزل؟ واتَّعِظُوا بهم وامتنعوا عن مثل صنيعهم.

والثالث أنهم وإن ساروا في الأرض ونظروا في آثارهم لم ينفعهم ذلك. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة التوبة، ٣٠/٩.
[2] سورة البقرة، ١١٨/٢.
[3] ن: تشابهت.
[4] ر: بعضهم.
[5] ر: سنة.
[6] ن: وحكمه.
[7] ر م: ولا مرادا.
[8] ر: ولا رد؛ ث: ولا رد؛ ن م: ردا.
[9] ن: كقوهم له.
[10] ﴿أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا﴾ (سورة النساء، ١٢١/٤).
[11] ر ت م: في العناد

وقوله: **وكانوا أشد منهم قوة**، أي إنهم كانوا أكثر عددًا[1] وأشد قوة وبطشًا منكم، ثم لم يمكن لهم دفع ما نزل بهم وحَلّ. فأنتم يا أهل مكة مع قلة عددكم وضعفكم لا تقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم.

وقوله: **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض**. الإعجاز / في الشاهد [٦٢٩ط] يكون بوجهين. أحدهما الامتناع، يقول: لا يقدر أحد أن يمتنع عنه وعن[2] عذابه. والثاني القهر والغلبة، يقول: لا يسبق منه بالقهر والغلبة بل هو القاهر والغالب على خلقه. **إنه كان عليمًا قديرا**.

**﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[٤٥]**

وقوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا**،[3] من المعاصي والمساوئ، **ما ترك على ظهرها من دابة**، أي على ظهر الأرض ووجهه اكتفاء بما سبق من ذكر الأرض وهو قوله:[4] إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[5] أو علم الناس وفهموا من ذكر الظهر ظهر الأرض لما على ظهر الأرض يكتسب ما يُكتسب.

ثم قوله: **ما ترك على ظهرها من دابة**، قال بعضهم: المراد بالدابة الممتحنون المميزون وهم بنو آدم خاصة، لأنهم أهل اكتساب واجتراح؛ إذ قد ذكر الإهلاك بما يكتسبون، وهم أهل الاكتساب دون غيرهم من الدواب. وقال بعضهم: كل دابة من البشر وغيره، لأن غيره من الدواب إنما أنشئت للبشر ولحوائجهم لا لحاجة أنفسها أو لمنفعة لها،[6] حيث قال: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[7] وقوله: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.[8] فإذا كان غيره من الأشياء مُنْشَأً[9] لهم، فإذا أهلكوا هم أُهلك ما كان منشأً[10] لحوائجهم ولمنافعهم،

---

[1] ن + منكم.
[2] جميع النسخ: ومن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٦ ظ.
[3] ر: بظلم ما كسبوا؛ ن + أي؛ ث + أي بما كسبوا.
[4] م + وهو قوله.
[5] سورة فاطر، ٤١/٣٥.
[6] ن – لها.
[7] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[8] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[9] جميع النسخ: منشأة.
[10] ث ن: منشأة.

ولا يكون إهلاك ما ذكرنا من الدواب خروجًا عن الحكمة على[1] ما يقول الثنوية[2] أن ليس من فعل الحكيم الأمر بذبح أسلم الدواب والانتفاع بلحمها. قيل: هكذا إذا[3] كانت تلك منشأة لأنفسها ولمنافعها. فأما إذا كان ما ذكرنا أنها منشأة لنا ولمنافعنا[4] فجائز الانتفاع بها مرة بعينها ومرة بلحمها، ولا يكون فعل ذلك والأمر[5] به غير حكمة. ثم الفرق بين إباحة الانتفاع بلحم أسلم الدواب وحظر[6] لحم الضارة منها والْمُضِرَة، أنه[7] جُعل حفظ ما ليس بضار ولا مُضِرٍ إلينا، وعلينا تحمُّل[8] مؤنتها والذب عنها ودفع المضرة.[9] فأما الضارة منها والمضرة فهي ممتنعة بنفسها متحملة مؤنتها، لذلك[10] كان ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**، أي لم يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لما جعل لهم من المدة، فأحب[11] أن ينقضي ذلك ويفي بما جعل لهم من المدة وما ضرب لهم من الوقت.

**فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا**، أي عن بصيرةٍ وعلمٍ بكسبهم وصنيعهم وما يكون منهم ضَرَبَ لهم المدة والوقت الذي ينتهون إليه، ويبلغون آجالهم، لا عن جهل، بل لم يزل عالمًا بما يكون منهم. لكن لما كان ضرر ذلك الذي علم أنه يكون منهم راجعًا إليهم أنشأهم، وجعل لهم المدة. وقد ذكرنا هذا[12] في غير موضع. ***والله أعلم***.*

---

[1] ر م - على.

[2] هم أصحاب الإثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. ولهم طوائف كثيرة، منها المانوية، والمزدكية، والديصانية، والمرقيونية. انظر: *الملل والنحل* للشهرستاني، ٢/٢٦٨-٢٨١؛ و*كشاف اصطلاحات الفنون* للتهانوي، ١/٥٤١.

[3] م - إذا.

[4] م: ولمدفعها.

[5] ر ث م: ولا الامر.

[6] ر م: وخطر.

[7] جميع لنسخ: لأنه.

[8] ر: وجعل.

[9] ر م: المضر.

[10] ر ث م: كذلك.

[11] جميع النسخ: أحب.

[12] م - هذا.

* وقع هنا قطع من تفسير الآيات ٣٣ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٩ متأخرة عن موضعها فنقلناها إلى محالها. انظر: ورقة ٦٢٩ ظ/سطر ٢٠-٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة يس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يسٓ﴾[١] ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[٢] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]**

قوله[2] عز وجل: **يس والقرآن الحكيم**. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يا إنسان، يعني محمدًا، أقسم به: يا محمد إن هذا القرآن من عند الله نزل؛ وهو بلسان الحبشة، وقال بعضهم: وهو بلسان طيّ. وقتادة يقول: قَسَم[3] أقسم بالقرآن: **إنك لمن المرسلين**، ويقول: كل هِجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن.[4] وقال بعضهم: هو من فواتح السور، وقال بعضهم: فواتح يَفْتتح بها كلامه، وقال بعضهم: اسم من أسماء الرب. وعن معاذ بن جبل وكعب رضي الله عنهما قالا: **يس**، قسم أقسم الله به: يا محمد **إنك لمن المرسلين** عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.[5] دل أن الخطاب به على إثر قوله: **يس** على أنه هو المراد بقوله: **يس**؛ إذ لا يستقيم الخطاب بقوله: **إنك لمن المرسلين** إلا على سبق خطاب له وذكرِ اسم. وقال عكرمة: هو حرف من الهجاء الذي افتتح به السور كسائر حروف الهجاء.[6] وقال بعضهم: هو من حروف الهجاء التي أقسم الله بها بما يتلو تلك الحروفَ من القرآن والآيات والكتاب، إذ من عادة العرب القسم بكل ما عظُم خطَره وجلّ قدره.

فإن قيل: كيف أقسم بالقرآن وهم كانوا ينكرون القرآن أنه من عند الله؟

---

[1] ر – سورة يس؛ ن: ذكر أن سورة يس كلها نزلت بمكة وهي اثنتان وثمانون آية؛ ت + وهي ثمانون وثلاث آيات مكية؛ م + كلها نزلت بمكة.

[2] ر ل: وقوله.

[3] أي هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به.

[4] *تفسير الطبري*، ٣٩٩/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢٣/١.

[5] نسبه السيوطي إلى كعب الأحبار فقط. *الدر المنثور*، ٣٢١/١٢. ﴿على صراط مستقيم﴾ هي الآية الثانية.

[6] نسبه الطبري والماوردي إلى مجاهد. *تفسير الطبري*، ٣٩٩/١٩؛ و*النكت والعيون*، ٥/٥.

قيل: إنهم وإن كانوا ينكرونه[1] فقد عَظُم قدرُه وجلّ خطره عندهم بما عجزوا عن إتيان مثله بعد قرع[2] أسماعهم، بقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ،[3] الآية، ونحوه. والثاني أقسم به وإن كانوا ينكرونه لما أن قَسَمه به يحملهم على السؤال عنه، إذ كانوا لا يقسمون إلا بما عظُم قدرُه وجلّ خطره، يقولون: ما هذا القرآن الذي أقسم ربنا به؟ ألا ترى[4] أنه قال: تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ.[5] فكأنه على سؤال خرج على[6] هذا، أنه تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ؛ أو أن يكون[7] القسم به وبغيره من الأشياء التي عظم خطرها عندهم[8] على إضمار القسم برب هذه الأشياء وبإلهها. هذا على قول من يقول بأن القسم بالله حقيقةً –لا بتلك الأشياء– مستقيم. وعلى قول من يجعل[9] القسم بها لا على الإضمار و[هو] ما ذكرنا.

[٦٣٠و] وقوله: **الحكيم**، أي المحكم، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[10] على ما وصف. وقال بعضهم: المحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد من غير أن يكون فيه اختلاف. وقال بعضهم: **الحكيم**، لأن من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيمًا.

وقوله: **إنك لمن المرسلين**، و لم يقل: إنك لرسول، وكلاهما سواء، غير أن في قوله:[11] **إنك لمن المرسلين** الذين آمنوا بهم من قبلُ وصدّقوا بهم زيادةً ليس ذلك في قوله: إنك لرسول. ***والله أعلم***.

**﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤]**

وقوله: **على صراط مستقيم**. قال بعضهم: **المستقيم** القائم[12] بالحجج والبراهين ليس بالهوى كسائر الأديان والسبل. وقال بعضهم: **المستقيم** المستوي، أي مستوٍ على [معنى]

---

[1] ر م: ينكرون.
[2] ر: قرع.
[3] ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (سورة الإسراء، ٨٨/١٧).
[4] ن: الايرى.
[5] سورة يس، ٥/٣٦.
[6] ن – على.
[7] ر م: وان يكون.
[8] ن – عندهم.
[9] ر: يقول.
[10] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[11] ر م: ان قوله.
[12] ن ت + وتأويله القائم

أن مَنْ سلكه أفضاه إلى الله وبلّغه إلى[1] دار السلام. وقال بعضهم: **المستقيم**، أي استقام بالحق والعدل والصدق لا زيغ فيه ولا جور ولا عدول ولا اعوجاج. ويُحتمل أن يكون ذلك وصف النبوة والرسالة التي تقدم ذكرها. ويحتمل وصفَ الدين، وذلك [قول] عامة أهل التأويل. ***والله أعلم***.

**﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[٥]**

*وقوله: **تنزيل العزيز الرحيم**، قد قرئ بالرفع والنصب والخفض جميعًا.[2] فمن قرأها بالرفع فهو على الابتداء، ومن قرأها بالخفض فهو على النعت، كقوله: **والقرآن الحكيم تنزيلِ العزيز الرحيم**، ومن قرأ بالنصب فعلى القطع؛ لأن الكلام قد تم دونه.*

وقوله: **تنزيل العزيز الرحيم**، أي ذلك القرآن الذي أقسم به هو[4] تنزيل العزيز الرحيم، أي من عنده نزل وأُحكم. سَمّى نفسه عزيزا رحيمًا عظيمًا لطيفًا ظاهرًا باطنًا أولًا آخرًا، وفي الشاهد مَنْ وُصِف بالعز لا يوصف بالرحمة، ومن وصف بالعِظَم لا يوصف باللطافة، ومن وصف بالظاهر لا يوصف بأنه باطن، ومن وصف بالأول لا يوصف بالآخر؛ ليعلم أن المعنى الذي وُصف به الخلقُ غيرُ الذي وصف به الرب تبارك وتعالى؛ لأن من وُصف من الخلق بواحد مما ذكرنا لم يستحقّ الوصف بالآخر، [ف]علم[5] أن ما وُصف به الرب تبارك وتعالى غير ما يوصف به الخلق. تعالى الله علوًا كبيرًا.

**﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[٦]**

وقوله: **لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم**، اختلف فيه.[6] قال بعضهم: لتنذر قومًا مثل الذي أُنذر آباؤهم من الآيات التي أقامها فلم يقبلوها فهم غافلون أُمِّيون. وقال بعضهم: **لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم**،

---

[1] ن - إلى.

[2] «قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر، أي هو تنزيل. ويجوز أن يكون خبر لمبتدأ إذا جعلت "يس" اسما للسورة، أي هذه السورة المسماة بـ"يس" تنزيلٌ، أو هذه الأحرف المقطعة تنزيل. والجملة القسمية على هذا اعتراض. والباقون بالنصب على المصدر، أو على المدح. وهو في المعنى كالرفع على خبر ابتداء مضمر. وتنزيل مصدر مضاف لفاعله. وقيل: هو بمعنى مُنَزّل. وقرأ أبو حَيْوَة واليزيدي وأبو جعفر وشيبة «تنزيلِ» بالجر على النعت للقرآن أو البدل منه». *الدر المصون* للسمين، ٩/٢٤٦.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٣٢ظ/ سطر ١٥-١٧.

[4] ر م - هو.

[5] ر ث م - علم.

[6] قال الشارح: «يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون حرف "ما" في قوله ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ بمعنى "الذي"، أي لتنذر قوما الذي أنذر آباؤهم، أي مثل ذلك الذي أنذر آباؤهم، أخبر أنه مبعوث للإنذار في حقهم كغيره من الرسل في حق آبائهم. ويحتمل أن يكون المراد "ما" للنفي، أي لتنذر قوما لم يُنْذَر آباؤهم من قبل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٧و - ظ).

أي لتنذر قومًا أميين[1] لم يُنْذَر آباؤهم من قبل.[2] يقول قائل هذا:[3] لم تكن[4] النِذارة للأميين من قبل؛ كأنه يقول: لتنذر قومًا أميين لم ينذر آباؤهم الأميون من قبل. ولذلك قال:[5] لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[6] وهو كقوله: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ،[7] وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ،[8] أي لم نرسل إليهم قبلك نذيرا. وأصله أنه يخبر أنه لا يَنجَع[9] في هؤلاء النذارة كما لم تنجع[10] في آبائهم، بل هم غافلون. ثم الإنذار يحتمل أن يكون بالنار في الآخرة والتعذيب بها، ويحتمل بالآيات التي أقامها في الدنيا والقتل فيها. **والله أعلم**.

**﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧]**

وقوله: **لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون**. قيل هو قوله لإبليس حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ،[11] و مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[12] أي حقَّ ذلك القولُ ووجبَ. ثم يحتمل ذلك في الذين ذكرهم[13] بعض أهل التأويل [قال:] إنّ نفرًا هموا برسول الله: قتلِه وأذاه فأهلكهم الله يوم كذا إلا واحدا أو اثنين. ويحتمل أن يكون ذلك في جميع مكذبيه ورادي رسالته وتاركي[14] اتباعه. ولا شكَ أن أكثر من بُعث هو[15] إليهم كانوا كذلك[16] وذلك[17] لهم في الآخرة.

---

[1] ن – أميين.

[2] ر م – من قبل.

[3] ر ث م – هذا.

[4] جميع النسخ: لم يكن.

[5] ن: قالوا.

[6] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).

[7] ﴿أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ (سورة السجدة، ٣٢/٣).

[8] ﴿وما آتيناهم من كتبٍ يَدْرُسُونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٤).

[9] نجع فيه القولُ والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثَّر (*لسان العرب*، «نجع»).

[10] م: كما تنجع.

[11] سورة ص، ٣٨/٨٥.

[12] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩).

[13] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٧ظ.

[14] ر ث م: ويتأسى.

[15] ن – هو.

[16] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة؛ وتُقصد بهذا القول أمة الدعوة الذين بلغتهم دعوته عليه السلام ولكن لم يؤمنوا.

[17] ر م – وذلك.

أو في قوم خاصٍ عَلِم الله[1] أنهم لا يؤمنون أبدًا. ألا ترى[2] أنه قال على إثر ذلك: وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[3]

ثم في قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ،[4] وقوله: **لقد حقَ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون،** نقضُ قول المعتزلة وردُّه عليهم؛ لأنه وعد أنه يملأ جهنم بمن[5] ذكر، فيقال لهم: أراد أن يفي بما وعد أم لا؟ فإن قالوا: لم يُرِد، فيقال: أراد إذًا أن يُخْلف ما وعد وذلك وَحْش من القول [و]سَرَفٌ. وإن قالوا: أراد أن يفي بما وعد لزمهم أن يقولوا: أراد أفعالهم التي فعلوا فيلزمهم قولنا. *وبالله العصمة.*

**﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[٨] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٩]**

وقوله: **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون،** يحتمل أن يخرج على التمثيل، ويحتمل على التحقيق. فإن كان على التمثيل[6] فهو وصفه إياهم بالبخل والكفّ عن الإنفاق[7] على الفقراء والمساكين وأهل الحاجة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو كقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ.[8] نهاه عن البخل والكف عن الإنفاق كمغلول اليد لا يقدر على الإنفاق، ليس على إرادة غُلّ اليد حقيقة ولكن على ترك الإنفاق. فعلى ذلك جائز أن يكون ذلك وصفا لهم بالبخل وترك الإنفاق عليهم.

وإن كان على حقيقة الغُلّ في الأعناق[9] يحتمل ما قاله أهل التأويل: إن أبا جهل -لعنه الله-[10] حلف لئن رأى محمدًا لَيَدْمَغَنَّه، فأتاه أبو جهل وهو[11] يصلي ومعه حجر،

---

[1] ث – أن أكثر من بعث هو إليهم كانوا كذلك وذلك هم في الآخرة أو في قوم خاص علم الله.
[2] ن: لابرى.
[3] سورة يس، ١٠/٣٦.
[4] تقدم قريبا.
[5] ن: لمن.
[6] ر + ويحتمل على التحقيق فإن كان على التمثيل.
[7] ر: على الانفاق.
[8] ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ (سورة الإسراء، ٢٩/١٧).
[9] ر ث م: والأعناق.
[10] ن – لعنه الله
[11] ر م: هو.

فرفع الحجر ليدمغ[1] به النبي صلى الله عيه وسلم فيبست يده إلى عنقه والتزق[2] الحجرُ بيده. فلما رجع إلى أصحابه قال رجل آخر:[3] أنا أقتله، فأخذ الحجر. فلما دنا منه طَمَس الله بصره فلم ير النبي صلى الله عيه وسم، وسمع قراءته فرجع إلى أصحابه فلم يُبصرهم حتى نادوه.[4] فذلك قوله: **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا.**

[٦٣٠ظ] ويحتمل أن يكون ذلك لهم في الآخرة إن كان على التحقيق؛ وهو كقوله: / إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ،[5] وقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] ونحو ذلك مما ذكر. فيكون قوله: **جعلنا**، أي سنجعل ذلك لهم. وذلك جائز في الكلام، كقوله لعيسى حيث قال: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[7] أي يقول له يوم القيامة فهو بَعْدُ[8] غيرُ مقول؛ فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذَكَر من قوله: **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا، وجعلنا من بين أيديهم سدًا**، إلى آخر ما ذكر، في الآخرة، أي سنجعل لهم في الآخرة ذلك.

ويحتمل أن يكون فَعَل[9] ذلك بهم[10] في الدنيا من قصدهم برسول الله ما قصدوا حتى لم يجدوا السبيل إليه لا من بين يديه ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات.

أو[11] أن يكون قوله: **وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** على التمثيل، أي جعلنا بينهم وبين الحق سدًا من أمام ومن خلف فأغشينا أبصارهم فلا يبصرون الحق أبدًا. وذلك في القرآن كثير. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م: ليدفع.

[2] م: والزق.

[3] ر ث م – آخر.

[4] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٤٠٧؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٦/٤٤.

[5] ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يُسْجَرون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧١-٧٢).

[6] سورة الزمر، ٣٩/١٦.

[7] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦).

[8] ر م: بعيد.

[9] ر: فعلى.

[10] ر م: لهم.

[11] ر: ما.

وقوله: **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان**. إن الغُلّ يكون طرفه في العنق وطرفه الآخر في اليد، فيكون اليد اليمنى مغلولة إلى العنق. وعلى ذلك ذكر في حرف ابن مسعود أنه قرأ: إنا جعلنا في أيمانهم[1] أغلالا.[2] وفي بعض الحروف: في أيديهم أغلالا.[3]

وقوله: **فهم مقمحون**، قال بعضهم: رافعو رءوسهم إلى السماء، لأنه كذلك يكون إذا غُلّ عنق المرء إلى الذِقَن لا يستطيع أن ينظر إلى الأرض.[4] ولذلك قيل للإبل إذا شربت الماء: أَقمحتْ، أي رفعت رأسها. وقال بعضهم: الإقماح هو غض البصر. وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: المُقْمَح الذي يرفع رأسه ويَغُضُّ بَصَرَه.[5] ويقال: [المقمح:] غاضُّ طرفَه بعد رفع رأسه. [**فهم مقمحون**] جُمعتْ أيديهم إلى أعناقهم.[6]

وقوله: **فأغشيناهم**، بالغين والعين جميعًا. فمن قرأ بالغين، فهو من الغِشاوة، ومن قرأ بالعين فهو من قوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ،[7] وهو من الإعراض.

وفي قوله: **وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا**، وجهان من الاستدلال على المعتزلة، لقوله: **فأغشيناهم** أضاف [الفعل] إلى نفسه وإن كان منهم صنع. ويجوز أن يُستدَل خلق[8] أفعالهم منهم.[9]

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠]

*[وقوله: **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**، هذا -والله أعلم- في قوم خاصّ علم الله أنهم لا يؤمنون، فأخبر عز وجل رسوله بذلك، فكان كما قال؛ وفيه آية النبوة. ويحتمل أنهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم، كقوله: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[10] والكافرون ما داموا كافرين ظالمون].*[11]

---

[1] ر: نا جعلنا في أعناقهم.
[2] *تفسير الطبري*، ١٩/٤٠٣.
[3] نسبه الآلوسي إلى ابن عباس. *روح المعاني*، ٢٢/٢١٥.
[4] ر م: في الأرض.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٣.
[6] ورد هنا جزء من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٦٣٠ظ/ سطر ١٥-١٧.
[7] ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).
[8] جميع النسخ: بخلق.
[9] أي يمكن أن يستدل بهذه الآية على خلق الله تعالى أفعال العباد الصادرة منهم.
[10] انظر سورة البقرة، ٢/٢٥٨، وسورة آل عمران، ٣/٨٦.
[11] تفسير هذه الآية لا يوجد في سورة يس، لذا نقل من سورة البقرة، ٢/٦.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[١١]

وقوله: **إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب** معناه -والله أعلم- إنما ينتفع بالإنذار من اتبع [الذكر][1] وأجابك فيما تدعوه إليه، وإلا كان ينذر من اتبع الذكر[2] ومن لم يتبع، ومن خشي الرحمن ومن لم يخش. أو إنما ينتفع بإنذارك[3] من اتبع الذكر وخشي الرحمن. فأما من لم يتبع الذكر ولم يخش الرحمن فلا ينتفع. أو أن يكون فيه إخبار بإنذاره من اتبع الذكر وليس فيه نفي عن إنذار من لم يتبع الذكر، ولا تخصيص منه بالإنذار أحدَ الفريقين دون الآخرين. ***والله أعلم***. **والذكر**، يحتمل القرآن، ويحتمل غيره من الذكرى، كقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[4] وقوله: **وخشي الرحمن بالغيب**[5] بالآثار والأخبار التي انتهت إليهم من غير مشاهدة وقعت لهم، أو بالغيب بما رأوه من آثار سلطانه وقدرته هابوه، وخشوا عذابه ونقمته. ***والله أعلم***.

وقوله: **فبشره بمغفرة وأجر كريم**، يحتمل البشارة بالمغفرة عما سلف من الذنوب والأجرام إذا رجعوا عنها، أو عن تقصير كان منهم في الفعل في خلال ذلك وإن اعتقدوا في الجملة أن لا يخالفوا ربهم في فعل ولا في قول؛ إذ كل مؤمن يعتقد في أصل إيمانه ترك مخالفة الرب في كل الأحوال، وإن تخلل في بعض أحواله[6] تقصير أو مخالفة الرب لغلبة[7] شهوة أو طمع في عفوه ورحمته. **وأجر كريم**، قيل: حسن. ويحتمل تسميته كريمًا لما يُكْرَم كل من نال ذلك. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[١٢]

وقوله: **إنا نحن نحيي الموتى**، كأنه -والله أعلم- يذكر هذا ليس في موضع الاحتجاج عليهم ولكن على الإخبار أنه هو محييهم[8] إذا ماتوا.

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٢٨و.
[2] ر م - وخشي الرحمن بالغيب معناه والله أعلم إنما ينتفع بالإنذار من اتبع وأجابك فيما تدعوه إليه وإلا كان ينذر من اتبع الذكر.
[3] ر: بذكرك؛ م: بإنذار.
[4] سورة الذريات، ٥١/٥٥.
[5] ر م + فبشره بالغيب؛ ن ث + قوله بالغيب.
[6] ث: افعاله.
[7] ر م: بغبة.
[8] ر ن م: محييهم

وقوله: **ونكتب ما قدموا وآثارهم**، قال عامة أهل التأويل: **نكتب ما قدموا** من خير أو شر[١] في حياتهم وعملوه،[٢] **ونكتب** أيضًا آثارهم وهو ما سَنُّوا من سنة[٣] خير أو شر[٤] فاقتُدي بهم بعد موتهم، على ما ذكر في الخبر أنّ: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن يَنْقُص من أجورهم شيءٌ، ومن سن سنة سيئة فيه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».[٥] وهو كقوله أيضًا: يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ.[٦] وقال بعضهم: **وآثارَهم** أي خُطاهم التي تخطَّوْها في الخير والشر. وقال قتادة: لو كان الله مُغْفِلاً شيئا من شأنك يا ابن آدم أَغفلَ ما تُعَفِّي الرياحُ من هذه الآثار.[٧] وروي عن هذا عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: إن الأنصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قريبا من المسجد فنزل: **إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آثاركم تكتب»،[٨] / فلم ينتقلوا. فإن ثبت هذا فهو دليل لمن يقول بالآثار [هي] الخُطا.[٩] [٦٣١و]

وقوله: **وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين**، أي كل شيء من أعمالهم من خير أو شر مُحصًى محفوظ في إمام مبين. يحتمل قوله: **في إمام مبين**، أي في الكتاب الذي تكتب[١٠] [فيه][١١] أعمالهم في الدنيا، كقوله: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ،[١٢] أي بكتابهم الذي كتبت أعمالهم فيه. ألا يرى[١٣] أنه[١٤] قال: فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، الآية. ويحتمل: **في إمام مبين**، أي[١٥] في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ. **والله أعلم**.

---

[١] ر: وآثارهم وشر؛ م: وآثارهم هو شر.
[٢] م: عملوه.
[٣] م + من.
[٤] ر: وشر.
[٥] مسند أحمد بن حنبل، ٣٥٧/٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١؛ وصحيح مسلم، العلم ١٥، والزكاة ٦٩؛ وسنن النسائي، الزكاة ٦٤.
[٦] سورة القيامة، ١٣/٧٥.
[٧] تفسير الطبري، ٤١١/١٩؛ وتفسير ابن كثير، ٣٤٨/١١.
[٨] سنن الترمذي، التفسير ١/٣٦؛ وانظر أيضا: تفسير الطبري، ٤١٠/١٩؛ وزاد المسير لابن الجوزي، ٨/٧.
[٩] ر م: خطاء.
[١٠] ن: يكتب.
[١١] الزيادة من شرح التأويلات، ورقة ٦٢٨و.
[١٢] ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يُظلمون فتيلا﴾ (سورة الإسراء، ٧١/١٧).
[١٣] ن: ألا ترى.
[١٤] ر: أنهم.
[١٥] ر ن ت: أي.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[١٣]

وقوله: **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون**، يحتمل الأمر[١] لرسوله بضرب مثلِ أصحاب القرية لقومه وجهين. أحدهما أن الخبر قد كان بلغ هؤلاء، أعني خبرَ أصحاب القرية التي بُعِث إليهم الرسلُ، وما نزل بهم بتكذيبهم الرسلَ وسوءِ معاملتهم إياهم، إلا أنهم قد نَسُوا ذلك وغفلوا عنه، فأمرهم[٢] بالتذكير لهم والتبيين ليحذروا عن مثل صنيعهم وسوء معاملتهم رسولهم.

والثاني يحتمل أن لم يكن بلغهم خبر أولئك وما نزل بهم بسوء[٣] معاملتهم الرسل[٤] فأمره أن يُعْلم قومه ذلك ويبين لهم فيسألون عن ذلك أهل الكتاب فيخبرونهم بما كان في كتبهم، فيعرفون صدق رسول الله فيما يخبرهم فيكونون على حذر عن مثل صنيعهم ومعاملتهم الرسل. وعلى ذلك يخرج هذه الأنباء والقِصص المذكورة في الكتاب على هذين الوجهين. *والله أعلم*.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[١٤] ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[١٥] ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[١٦] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[١٧]

وقوله: **إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث**، أي قَوَّينا بثالث. اختلف فيه، قال بعضهم: إن عيسى ابن مريم كان بعث إليهم أولاً رسولاً فأتاهم فدعاهم إلى التوحيد وأقام على ذلك حُججًا وبراهين فكذبوه وقالوا: ما نعرف ما تقول. ثم بعث مِن بعده إليهم[٥] رسولين فقال لهما ذلك الرسول: إنهم سيكذّبونكما كما كذبوني قبلكما، وسيقولون لكما إذا دعوتماهم إلى التوحيد ماذا تُحسنان؟ فإذا قلتما: نُبرئ الأكمه والأبرص، قالوا: فينا من يُحسن ذلك. فإذا قلتما: نَشفي المريض، قالوا: فينا من يحسن ذلك ونحوه. ولكن قولا أنتما: نحن[٦] نحيي الموتى.

---

[١] ر: لأمر.
[٢] ن: فأمره.
[٣] م: سوء.
[٤] ر م: الرسول.
[٥] ر ث م - إليهم.
[٦] ر ث م: نحن.

وأنا أقول لهم:[١] لا أحسن أنا ذلك.[٢] فهو قوله: **فعززنا بثالث**، أي قوينا وشددنا بثالث. ففعلوا ذلك فقالوا عند ذلك: قد تواسيتم علينا بهذا الكلام أو تواطأتم،[٣] أو [هو] كلام نحوه، فأُخذوا وعذبوا وأهلكوا. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٤] ومنهم من يقول بعث أولا رسولين[٥] فكذبوهما فبعث بثالث[٦] بعد ذلك، **فعززنا بثالث**، أي عززنا الرسولين بثالث أي قويناهما. وقرأ بعضهم: عَزَزْنا، بالتخفيف،[٧] أي غلبنا. لكن ذكر أنهم قُتلوا جميعًا وأُهلكوا أعني الرسل، فكيف يكون الغالب مقتولا مهلكا و[كيف] يجوز أن يكون المقتول مقوًّى.[٨] دل أن قراءة من يقرأ بالتخفيف ضعيف والأول أقوى وأقرب. ***والله أعلم.***

وقوله: **فقالوا إنا إليكم مرسلون. قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا** لم يزل قول الكفرة للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا[٩] **وما أنزل الرحمن من شيء**. وكذلك قول أهل مكة لرسول الله: إنه ساحر وإنه مجنون وإنه مفترٍ مختلق.[١٠]

وقوله: **[قالوا] ربُّنا يعلم إنا إليكم لمرسلون**، لما أيسوا من إيمانهم وتصديقهم إياهم فزِعوا إلى الله وتضرعوا إليه، وقالوا: إنّ[١١] الله أعلم بما أطْلعَكم بأنا[١٢] إليكم لمرسلون بالحجج والآيات.

وقوله: **وما علينا إلا البلاغ المبين**، أي ليس علينا مِن ترك إجابتكم لنا وردّ الرسالة شيءٌ، إنما ذلك عليكم.

---

[١] ر م + إني.
[٢] ر ث م – ذلك.
[٣] ن + أو نحو.
[٤] ن: عنهما. اختلف المفسرون فيمن أرسل هؤلاء الرسل على قولين. أحدهما أن الله تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن. وهو مروي عن ابن عباس وكعب ووهب. والثاني أن عيسى أرسلهم، وجاز أن يضاف ذلك إلى الله تعالى لأنهم رسل رسوله. قاله قتادة وابن جريج. *زاد المسير* لابن الجوزي، ٧/١٠.
[٥] ر م: رسولا؛ ن ث: رسولان. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٦٢٨و.
[٦] جميع النسخ: ثالث. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٦٢٨و.
[٧] قرأ شعبة: فَعَزَزْنا، والباقون: فَعَزَّزْنا. *الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٤٤١.
[٨] ر م: مقويا.
[٩] ر م – لم يزل قول الكفرة للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا.
[١٠] جميع النسخ + وقولهم ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾.
[١١] جميع النسخ: أو أن يقولوا بأن.
[١٢] ر: أنا.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٨]

وقوله: **قالوا إنا تطيرنا بكم**، دل هذا القول منهم[١] على أنه قد نزل شيء من العذاب والشدة حتى تشاءموا بهم. ذلك، و لم تزل[٢] عادةُ الكفرة[٣] التطيُّرَ بالرسل عند نزول البلاء بهم، كقوله: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ،[٤] وقوله: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ،[٥] الآية.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[١٩]

وقوله: **قالوا طائركم معكم**، يقول -والله أعلم- شُؤْمُكم[٦] معكم حيثما كنتم ما دمتم على ما أنتم عليه من العناد والتكذيب. ويذكر أهل التأويل أن القرية كانت أَنْطَاكِيَة وأن الذي بعث هؤلاء الرسل[٧] إليهم عيسى صلوات الله عليه، ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. وقوله: **قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون**، قال بعضهم: تشاؤمكم معكم أين كنتم وحيثما كنتم ما دمتم على ما أنتم عليه. وقال بعضهم: **طائركم معكم**[٨] إذ ذُكِّرتم[٩] فلم تقبلوا التذكير ونحوه. ويحتمل وجها آخر: أن الذي أصابكم كان مكتوبا في أعناقكم، أإن[١٠] وُعظتم بالله[١١] تطيرتم بنا، **بل أنتم قوم مسرفون**.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين**. قال عامة أهل التأويل: إن هذا الرجل يسمى حَبيبًا[١٢] النجارَ، وهو من بني إسرائيل، كان في غارٍ يعبد الله،

---

[١] ن - منهم.

[٢] جميع النسخ: و م يزل.

[٣] ر: لكفر.

[٤] ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفْتنون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٤٧).

[٥] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيّرو بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣١).

[٦] ر م: تشؤمكم.

[٧] م - لرسل.

[٨] ن - بل أنتم قوم مسرفون قال بعضهم تشاؤمكم معكم أين كنتم وحيثما كنتم ما دمتم على ما أنتم عليه وقال بعضهم طائركم معكم.

[٩] ر م: أو ذكرتم؛ ن: أإن ذكرتم.

[١٠] ر م: أين.

[١١] ر م: بالله.

[١٢] ر م: حبيب.

فلما سمع بالرسل نزل وجاء فقال[1] ما قال. لكن لا ندري من كان، وليس لنا إلى معرفة اسمه حاجة. ثم يحتمل قوله: **من أقصى المدينة رجل يسعى** رغبته[2] في الرسل وفي دينهم فدعاهم إلى اتباع الرسل. أو أن يكون كان مؤمنًا مسلمًا مختفيًا، فلما بلغه خبر إهلاك الرسل[3] جاء يسعى إشفاقًا عليهم لئلا يُهلكوا، أعني الرسل. فقال: **يا قوم اتبعوا المرسلين**. [٦٣١ط]

﴿اِتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢١]

**اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون**، أي اتبعوا الهدى، والهدى مما يجب أن يُتَّبع، ولا يسألكم على اتباع الهدى أجرًا فيمنعكم الأجرُ عن اتباع الهدى. أو أن يقول: اِتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، واعلموا أنهم مهتدون حيث لا يسألونكم الأجر ولا الشرف[4] في الدنيا ولا العزّ؛ إذ كل من لا يسأل هذا فهو مهتدٍ وكل مهتد متبَّع. وهذا يدل أن طلب الأجر في ذلك مما يجعل صاحبه معذورًا في ترك الاتباع، وكذلك قوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[5] أي لا يسألكم أجرًا حتى يمنعكم ثِقَلُ الأجر عن إجابته واتباعه. وهذا[6] ينقض ويبطل قول من يبيح أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم، لأنه إذا كان له أن لا يعلّم إلا بالأجر كان له أن لا يعلّم بكل أجر، ففي ذلك إبطال الدين والشرائع[7] وجعلُ الرخصة لهم في ترك ذلك، وذلك سَمِج قبيح. *والله أعلم*.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون**،[8] يخرج على وجهين. أحدهما على الاحتجاج عليهم بعد سؤال كان من أولئك له في الرجوع إلى عبادة من يعبدونه دون الله وترك عبادة الله، فقال: إنكم تعبدون هذه الأصنام رجاءَ أن يُقرِّبكم ذلك إلى الله زلفى وما لي لا أعبد[9] الذي تَرجُون[10] أنتم الزلفى والقربة منه.

---

[1] جميع النسخ + ذلك.
[2] ن م: رغبة.
[3] ن - الرسل.
[4] ر م: لا يسألونكم أجرا وهم مهتدون.
[5] سورة الطور، ٤٠/٥٢.
[6] ن: فهذ.
[7] ر م - والشرائع.
[8] ن + قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون.
[9] ر م: وما لي أعبد.
[10] ر م: ترجعون.

والثاني على التذكير والتنبيه لهم، أي[1] أنتم تعلمون أن الذي فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة، لا من لم يفطر ولم يخلق، ثم تعلمون أن الله هو فطرنا وخلقنا لا[2] الأصنام التي تعبدونها، وما لي لا أعبد الذي فطرنا و[لا] أترك الذي لم يفطرنا. *والله أعلم*.

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾[٢٣]

وقوله: **أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون**،[3] يقول: أأتخذ من دون الله معبودًا لو أراد الله بي ضرا[4] لم يملك ذلك المعبود دفع ذلك عني، ولو نزل بي شدة أو بلاء منه لم يقدر [على] استنقاذي منه، ولو طلبت منه جرّ نفع لم يقدر[5] على جلبه إليّ، وأتركُ عبادة مَنْ أعلم أن ذلك كله منه وهو المالك لذلك كله من جر نفع ودفع ضر وبلاء. وفي الحكمة[6] العبادة لمن يملك ذلك كله لا لمن لا يملك. *وبالله التوفيق*.

﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٤]

وقوله: **إني إذًا لفي ضلال مبين**، أي لو فعلت ذلك فإذًا كنت في ضلال مبين. فذُكر أنه لما قال لهم ذلك أُمر بقتله فعند ذلك قال:

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[٢٥]

يحتمل قوله: **فاسمعون**، أي أجيبوني في قولي[7]: اِتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ،[8] الآية. قال[9] بعضهم: **فاسمعون**، أي اشهدوا لي. ويحتمل قوله: **فاسمعون** حقيقةَ السماع، أي اسمعوا قولي وإيماني لا يمنعني عنه ما تُخوّفونني.[10] *والله أعلم*.

---

[1] ر م – أي.
[2] ر م – لا.
[3] ر م + يقول أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفعتهم شيئًا ولا ينقذون.
[4] م: ضر ء.
[5] ن: يقدر.
[6] ر م: في الحكمة.
[7] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة، ٦٢٨ظ.
[8] سورة يس، ٢٠/٣٦.
[9] ن: وقد.
[10] ر م: يخوفوني.

**﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾[٢٦] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٢٧]**

وقوله: **قيل ادخل الجنة**، قال بعضهم: أي أُوجبت له الجنةُ[١] وأُرِي الثواب، فقال عند ذلك: **يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي**، الآية. ويحتمل دخوله[٢] الجنة ما ذَكَر للشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾،[٣] الآية. أو أن يكون قوله: **قيل ادخل الجنة** أن يقال له في الآخرة، كقوله لعيسى ابن مريم:[٤] ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾،[٥] وإنما هو أن يقال له يومئذ، فعلى ذلك يحتمل الأول.

وقوله: **يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**،[٦] قيل:[٧] نصحهم حيا وميتا ولم يترك نصحهم لمكان ما عاملوه[٨] وفعلوا به من السوء وأنواع التعذيب، ولكن تمنى:[٩] ليت قومي[١٠] أن يكونوا[١١] يعلمون ما أعطيتُ[١٢] بالإيمان بربي[١٣] والتصديق برسله [ليفعلوا مثلَ ما فعلتُ] فيُعطَوا[١٤] مثل ما أعطيتُ.[١٥] وهكذا الواجب على كل مؤمن أن لا يترك نصيحته لجملة المؤمنين وإن[١٦] لحقه منهم أذى أو سوء. وقال قتادة: لا تَلْقَى المؤمنَ إلا ناصحًا ولا تلقاه غاشًا.[١٧]

---

[١] ر ث م + ما ذكر للشهداء.

[٢] م: دخول.

[٣] ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مِن خلفهم ألّا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩-١٧٠).

[٤] ن ث - بن مريم.

[٥] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمِّي إلهين من دون الله﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦).

[٦] ن + الآية.

[٧] جميع النسخ + انهم.

[٨] ر م: عاملوا.

[٩] جميع النسخ + أي.

[١٠] ن - قومي.

[١١] ر ن ث: أي يكونوا.

[١٢] جميع النسخ: أعطي هو. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢٨و.

[١٣] جميع النسخ: بربه.

[١٤] جميع النسخ: ليعطوا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٢٨و.

[١٥] جميع النسخ: أعطي هو. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٢٨و.

[١٦] ر م: فإن.

[١٧] جميع النسخ: ولا يلقى المؤمن إلا ناصحا ولا يلقى غاشا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣و.

لَمَّا عاين ما عاين من كرامة الله قال: **يا ليت قومي يعلمون.**[1] تمنّى[2] -والله أعلم-[3] أن يَعلم قومُه ذلك: اعلموا أن أهل الإيمان ليسوا بأهل غِشّ[4] ولا بِغالّة[5] لعباده.

وقال كعب:[6] قيل لروحه: ادخل الجنة، فتمنى[7] روحه أن يعلموا إلى ما صار هو، ليؤمنوا بالرسل ولا يكذبوهم.

**﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾**[٢٨] **﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾**[٢٩]

وقوله: **وما أنزلنا على قومه من بعده،** أي من بعد قتل ذلك الرجل **من جند من السماء** من الملائكة. أي لم نُنزل[8] على قومه في هلاكهم بعد صنيعهم بمكانه وإهلاكهم إياه جندًا من السماء ولكن أُهلكوا بصيحة واحدة، أي لم نفعل بهم كما يفعل ملوك الأرض إذا قتل رسلهم وأهلك أولياؤهم، يبعثون بجنود في استئصال من فعل ذلك[9] بهم ولكن أهلكناهم[10] بصيحة واحدة.

ثم يحتمل قوله: **إن كانت إلا صيحة واحدة،** أي قدر صيحة واحدة، أي أهلكوا بقدر صيحة واحدة في سرعتها. ويحتمل الإهلاكَ بالصيحة،[11] أي أهلكوا بالصيحة. ***والله أعلم.***

وقوله: **فإذا هم خامدون،** قيل: موتى مثل النار إذا خَمَدت وطَفِئَت لا يُسمَع لها صوت.

**﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**[٣٠]

وقوله: **يا حسرة على العباد** في تركهم الإيمان بالله وتكذيبهم الرسل واستهزائهم بهم.

[٦٣٢و] والحسرة، قال[12] بعض أهل الأدب: هي الغاية من الندامة، إذا انتهت / الندامة غايتها يقال حسرة.

---

[1] *تفسير ابن كثير،* ٣٥٥/١١.
[2] ر م: يمنى.
[3] جميع النسخ - أعلم. والتصحيح مستفاد من *الشرح،* ورقة ٦٢٨ظ.
[4] ر م: غشى.
[5] غَلَّ يَغُلّ غُلولاً وأَغَلَّ: خان. الغالّة: الخوَنة (*لسان العرب،* «غلل»).
[6] ر م - كعب.
[7] ر م: فيمنى.
[8] ر: لم تنزل.
[9] ن: بملك.
[10] جميع النسخ: أهلكهم.
[11] ن - بالصيحة.
[12] ر م: وقال.

وقال بعضهم: الحسرة الحزن والتحزن والتندم، وهو واحد. ثم قال بعضهم في قوله: **يا حسرة على العباد**، أي يا حسرةَ الرسلِ على ذلك المؤمن المقتول على الإيمان بهم. وقال بعضهم: يا حسرة أولئك الكفرةِ على أنفسهم إذا عاينوا العذاب على ما كان منهم من الاستهزاء على الرسل، كقوله: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا،[1] وقوله: يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ.[2] ***والله أعلم.***

**﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾**[٣١]

وقوله: **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون**. فإن قيل: كيف احتج عليهم بالرجوع إليهم وهم كانوا ينكرون البعث والرجوع بعد الموت؟ فهو يخرج على وجوه. أحدها **ألم يروا**، أي قد رأى[3] أهل مكة هلاكهم في الدنيا. **وأنهم إليهم لا يرجعون** أحياءً فيخبرونهم أنهم بماذا[4] أهلكوا في هذه الدنيا وبماذا عُذِّبوا؟ فهلا يعتبرون وينظرون أنهم[5] إنما أهلكوا بتكذيب الرسل فيرتدعوا عن ذلك.* أو يقول: **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم** بالتكذيب للرسل من القرون **أنهم إليهم لا يرجعون** أبدًا حتى يوم القيامة وهما واحد. أو أن يكون ذلك يخرج على إبطال قول أهل التناسخ حيث قالوا: إن الأرواح إذا خرجت من أبدان قوم دخلت[7] في أخرى، فيقول -والله أعلم- ردًا عليهم: **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون**، إذ لم نر روحا[8] أخبر أنه خرج من جسد هذا ودخل في آخر. أو أن يكون[9] ذلك يخرج على نقض قول قوم، وهو ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل فقيل: إن ناسًا يقولون: إن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة.

---

[1] ﴿قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣١).

[2] ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنتُ لمن الساخرين﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٥٦).

[3] ز: قد رأى.

[4] ز ه: بم.

[5] ب: أنهم.

* ورد هنا جزء من تفسير الآية التالية فأخرناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٦٣٢و/ سطر ٨-٩.

[7] ز ه: قد دخلت.

[8] ز: وإن لم تر روحها؛ ن: إذ لم نر روحها؛ ه: وإذ لم ترد روحه.

[9] ز ه: وأن يكون.

ثم قال: بئس القوم نحن إذًا إن كنا نكحنا نساءهم وقسَمْنا ميراثهم، ثم تلا: **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون.**[1] أو أن يكون على إيجاب البعث أنّ من كذّب الرسل ومن صدّقهم ومن عمل ما يحمد عليه وما يذم قد استووا جميعًا في هذه الدنيا، فلا بد من دار أخرى يميّز بينهما بين المصدق وبين المكذب وبين المحمود والمذموم. يؤيد ذلك قوله:

**﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٣٢]**

**وإن كل لما جميع لدينا محضرون.** وقوله: **لدينا** و"عندنا" ونحوه من الظروف[2] خصها بذلك الاسم، وإن كانوا في جميع الأوقات كذلك؛[3] لما ذكرنا أن المقصود من إنشاء هذه تلك، ومن هذا العالم الفاني ذلك العالمُ[4] الباقي؛ إذ لو لم يكن تلك ولا ذلك العالم الباقي لم يكن إنشاء هذه حكمةً، لأنه يحصل الإنشاء والخلق على الإفناء خاصة، وإحداث الشيء للإفناء خاصة لا لعاقبة[5] تُقصَد عبث باطل.

*__وإن كل__، يعني الأمم كلها، يقول -والله أعلم- وما كلٌّ **إلا جميع لدنيا محضرون** في الآخرة.*

**﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[٣٣] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[٣٤] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها.** جائز أن يكون قوله **وآية لهم** أي آية البعث لهم ما رأوا الأرض ميتة في وقت يابسة لا نبات فيها ولا شيء، ثم رأوها حَيَّةً[6] مُخضَرَّة مُتَزَيِّنة

---

[1] *الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٣٤٤؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٦/٢٣.
[2] ن ث: من الحروف.
[3] «ثم قوله. ﴿لديـ﴾ و"عدنا" وغير دلك خصّص بهده لإصافة وإن كانوا في جميع الأوقات كدلك في حق الله تعالى لما.. » (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٢٩و).
[4] ث - ومن هذا العالم الفاني ذلك العالم الباقي إد لو م يكن تلك.
[5] ر: لا لعاقبة.
* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٣٤و/ سطر ٨-٩
[6] م: حية.

بأنواع النبات متلوّنة بألوان الخارج منها. فيحبر أن من قدر على هذا لَقادرٌ[1] على إحياء الموتى بعد ما بَيِيَت أجسادهم وصاروا رماداً؛ وأن من قدر على هذا لا يُعجزه شيء ولا يَصعُب عيه شيء. فهذه آية ظاهرة على البعث مشاهدة محسوسة.

وفيه آية يُحتاج إلى أن تُستخرج[2] منها بالحكمة وهو ما ذَكَر: **وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون.** أنه لمّا أخرج من الأرض حبا وجعل غذاءهم فيه من غير أن استوجبوا[3] دلك منه دل أنه إنما جعل ذلك ليمتحنهم بأنواع المحن على علم مه أنّ منهم من يشكر ومنهم من يكفر، وقد سوَّى بينهم في هذه: بين الكافر منهم[4] وبين الشاكر. فلا بد من دار أخرى فيها يقع التمييز بينهم: الثواب للشاكر والعقاب لنكافر؛ إذ في الحكمة التفريق لا الجمع. وعلى ذلك ما ذَكَر من جعل الجِنان لهم والنخيل والأعناب وتفجير العيون وغيره. وذكر في آخره **أفلا يشكرون** ربَّ هذه النعم كلها.

أو أن يكون وجه الدلالة فيه من وجه آخر، وهو أنه لما أنشأهم وعلم ما يَصلُح لهم من الغذاء وما لا يصلح،[5] وما[6] يكون لهم فيه[7] من غذاء وما لا يكون قبل أن ينشئهم، دلّ أنه عالم بذاته قادر لا يعجزه شيء ولا يخفى عيه شيء.

أو أن يكون لما أنشأ هذه الأشياء التي ذكر لهم لا يُحتمل أن يتركهم سُدًى: لا يمتحنهم بشيء، ولا يأمرهم بشي، ولا ينهى عن شيء، فإذ ثبتت[8] المحنة ثبت البعث وظهر الثواب والعقاب.

وفي قوله **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا** إلى آخر ما ذكر من أنواع الفواكه والثمار وغيرها آيةُ الوحدانية له والألوهية، ودلالةُ الجود والكرم له ليرغبوا فيه ويطمعوا منه، ودلالةُ العدل له والسلطان ليهابوه،[9] ودلالةُ البعث لما ذكرنا، ودلالةُ أنّ هذه النعم منه ليشكروه حيث قال في آخره **أفلا يشكرون.** ***والله أعلم.***

---

[1] ر: القادر.
[2] م: مستخرج. أي يحتاج إلى أن تستخرج عقيدة البعث منها بالحكمة والاستدلال.
[3] ر: أن يستريحوا؛ م: أن يستووا.
[4] م – منهم.
[5] ر م + لهم.
[6] ر م: ما.
[7] ر ت م – فيه.
[8] ر م: ثبت.
[9] ر م: لهابوه.

**﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٣٦]

وقوله **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون.** من الناس من يقول: إن الأزواج هي التي لها مقابل من الأشكال والأضداد، مما لمخلق فيه [٦٣٢ط]
فعل ومما لا صنع لهم فيه حيث قال: **مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**. ويُستدل بذلك على خلق أفعال العباد[١] وهو ما قال:[٢] **خلق الأزواج كلها**، ومن الأزواج ما يكون فعلا لهم وقد أخبر أنه خلق كلها، دلّ أنه خالق أفعالهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾**[٣٧]

وقوله: **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون.** في ذلك آيات من وجوه. أحدها آية القدرة على البعث والإحياء بعد الموت، والثاني آية الوحدانية له والألوهية، والثالث آية العلم الذاتي له والتدبير الأزلي.[٣]

أما دلالة البعث فهو ما ذُكِر مِن جعْل ما هو ليلٌ نهارًا، ومِن جعل ما هو نهار ليلا بعد ذهاب[٤] أثر هذا بكليته حتى لا يبقى منه شيء، ومجيءُ الآخر وانتزاع هذا من هذا وإدخاله في الآخر، [فيه] دلالةُ [على] أنه قادر بذاته لا يعجزه شيء، وله قدرة ذاتية لا مكتسبة مستفادة. فمن قدر على هذا قادر على الإحياء بعد الموت؛ إذ الإحياء بعد الموت ليس بأبعد[٥] مما ذكرنا من جعل الليل[٦] نهارًا وجعل النهار ليلًا. والأعجوبة في هذا -إن لم تكن أكثر- أعني في جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وإدخال أحدهما في الآخر ليست[٧] بدون الإحياء بعد الموت؛ فإذا كان كذلك دلّ أنه قادر بذاته لا بإقدارٍ من غيره، فلا يعجزه شيء. ***ولا قوة إلا بالله***.

وأما دلالة الوحدانية فهو إنشاء الدهر من أول إنشائه[٨] إلى آخر ما ينتهي إليه، وإجراؤه على مجرًى واحدٍ وسَنَن واحد من الليل والنهار، وإدخال هذا في هذا وهذا في هذا[٩] [ففيه] دلالةُ أنه فعلُ واحدٍ؛

---

[١] ن: لخلق.
[٢] ن - قال.
[٣] ن ث + نه.
[٤] ر م: دهابه.
[٥] ن: ابعد.
[٦] م + اقبل.
[٧] جميع النسخ: ليس.
[٨] ر: أنشأه؛ ن ث: ما أنشأه.
[٩] ن: وهذا في هذ.

إذ لو كان فعل عدد لكان إذا أتى أحدهما بالليل غلب على الأخر فلا يقدر المغلوب على إتيان النهار بعد ذلك وغلبة[١] صاحبه وقهره. وكذلك منشئ النهار إذا غلب على منشئ الليل[٢] لَحَمَّ هو[٣] على إتيانه بالآخر وغلبته عليه، ويمنع كل واحد منهما صاحبه عن إدخال شئ مما أنشأه هو فيما أنشأه الآخر[٤] فإذ لم يكن ما ذكرنا دلّ أنه واحد. وهو رد[٥] على الثنوية.

وأما دلالة العلم الذاتي له والتدبير الأزلي [ف]هو إجراء الدهر من أول ما أنشأه على تقدير حاجة أهله -أعني حاجة أهل الدهر- وعلى تقدير منافعهم، واتّساقُه على أمر واحد على غير تغير وتفاوت[٦] يقع في ذلك أو تفاضلٍ إلى[٧] ما ينتهي إليه وتنتهي[٨] حاجتهم ومنافعهم. دَلّ أنه كان [و] لم يزل عالما بحوائجهم ومنافعهم حيث أجرى الدهر على تقدير حوائجهم وتدبير منافعهم، وأن له علما ذاتيًا وتدبيرًا أزليًا لا علمًا مكتسبًا ومستفادًا، وأن له القدرة والسلطان. حيث لم يقدر أحد أن يدفع[٩] ظلمة الليل عن نفسه إذا احتاج إلى النهار ولا يملك[١٠] دفعَ النهار إذا وقعت الحاجة[١١] في الليل، ولا مَلَكَ[١٢] أحد أن يأتي بأحدهما مكان الآخر وفي[١٣] وقت آخر. بل أظلم الليل الخلائق كلّهم وستر عليهم كلَّ شيء شاءوا أو أبوْا، وأضاء لهم النهار[١٤] كل مستور عليهم وأبدى[١٥] لهم[١٦] كل مختف[١٧] شاءوا أو أبوا.

---

١ ر ث م: وغلبه.
٢ ن - إذ غلب على منشئ الليل.
٣ ر ث م: به.
٤ ر م: لاخر؛ ث: للاخر.
٥ ن ث - رد.
٦ ن: تفاوت وتغير.
٧ ن + آخر.
٨ جميع النسخ: ينتهي.
٩ ن: أن يرفع.
١٠ ر ث م: ولا ملك.
١١ ن - الحاجة.
١٢ ر م - ملك.
١٣ ر م: ن؛ ن: ولا
١٤ جميع النسخ + على.
١٥ جميع النسخ: وأبد.
١٦ جميع النسخ + على.
١٧ ر م: مختف.

دَلّ أنه بالقدرة الذاتية كان ذلك والسلطانِ الذاتي لا مكتسبٍ مستفاد؛[1] إذ كل ذي علم[2] ذاتيّ لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء في[3] حال من الأحوال. وهذا يبطل قول الفلاسفة: إن العقل[4] درّاك بنفسه كالنار حارةٌ بطبعها محرقة بذاتها، فلو كان يدرك بنفسه لكان لا جائز أن يكون ولا دَرَكَ هنالك أو يشتبه عليه شيء بوجه من الوجوه. فإذ[5] حيل بينه وبين الدرك دلّ أنه درّاك بغيره فيدرك على قدر ما تجلى له وانكشف. **والله أعلم**.

[٦٣٥ظ س١٦] وقوله: **نَسْلَخُ**، أي ننزع **منه النهار**. *وقال القُتبي وأبو عَوْسَجَة: **نسلخ**، أي نُخرج.*

وقوله: **فإذا هم مظلمون**، أي داخلون في الظلمة. يقال: أظلم فلان إذا دخل في الظلمة.

ثم سورة يس نزلت كلها بمكة في[7] محاجة أهل مكة في إنكارهم التوحيد وإنكارهم البعث والقدرة على الإحياء بعد ما صاروا رمادًا، وإنكارهم الرسالة. وهم كانوا طبقات على هذه المذاهب المختلفة. منهم من أنكر التوحيد، ومنهم من أنكر البعث، ومنهم من كان ينكر الرسالة، ونحوها. فبين الله تعالى في هذه السورة[8] وذكر فيها الحجج[9] على منكري التوحيد، وعلى منكري البعث، وعلى منكري الرسالة، وهو ما ذكر من الآيات. من ذلك قوله وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا، فيه[10] دلالة القدرة على البعث على ما بينا فيما تقدم، وفي قوله وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ[11] دلالةُ الوحدانية له؛[12] لأنه أخرج ما ذكر من النبات والجنات والأعناب والنخيل إلى آخر ما ذكر من الأرض بمنافعَ من السماء تتصل بالأرض فدل اتصال منافع السماء بمنافع الأرض على بُعْدِ ما بينهما على أن منشئهما ومدبرهما واحد؛ إذ لو كان فعلَ عددٍ لكان فيه تدافع وتمانعٌ على ما ذكرنا فيما تقدم [آنفا] من فعل ذوي العدد من التغالب والتدافع والتمانع في العرف. **والله أعلم**.

---

[1] ن: مستفاد.
[2] ر ن ث: إذ ذ علم كل؛ م: ذاتا علم كل؛ ن + دا عمل.
[3] م: من.
[4] ن - العقل.
[5] ر م: فإذا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. نظر: ورقة ٦٣٣ظ/ سطر ١٦-١٧.
[7] ر ث م - في.
[8] ن + الكريمة.
[9] ن + والآيات.
[10] جميع النسخ: وفيه
[11] الآية ٣٣ من هذه السورة.
[12] ر - له

وما ذكر أيضا من الليل والنهار على تضادهما واختلافهما في رأي العين وسَلْخِ أحدهما من الآخر وإدخاله[١] في الآخر [فيه] دلالة الوحدانية، ودلالة البعث، ودلالة العلم الذاتي والتدبير الأزلي.

أما دلالة الوحدانية فهو ما جمع في الليل والنهار على[٢] تضادهما واختلافهما في منافع الخلق وحوائجهم كأنهما[٣] متكلان، فدل ذلك على أنهما فعلُ واحدٍ لا عددٍ؛ إذ[٤] لو كان[٥] فعل عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا من منع كل واحد منهما الآخرَ ودفعِه عن إنفاذ أمره في ذلك واتساق تدبيره؛ فدل الدوام على ذلك واتساق الأمر على سَنَنٍ واحد ومجرًى [٦٣٣و] واحد أنه فعل واحد. وفيه[٦] دلالة البعث لما ذكرنا من إذهاب أحدهما وإقرار الآخر بعد ذهاب آثار كل واحد منهما بكليته. ودل إجراؤهما مجرى واحدًا من أول ما أنشأهما إلى آخر ما ينتهي ذلك وينتهي العالم على تقدير منافعهم وحوائجهم أنه عالم بذاته مدبرٌ بنفسه، وإن له علما ذاتيا وتدبيرًا أزليا لا مكتسبًا مستفادًا.

وعلى ذلك ما ذكر من جريان الشمس والقمر وتسخيرهما لمنافع[٧] هذا العالم[٨] وحوائجهم وقطعهما في يوم وليلة واحدة مسيرةَ خَمْسَمِائَةِ عامٍ، فدل ذلك كله على أنه واحد لا شريك له[٩] قادر لا يعجزه شيء وعالم مدبر لا يخفى عليه شيء.

وعلى ذلك ما ذكر في قوله وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ[١٠] [فيه] دلالة الوحدانية والقدرة والعلم والتدبير من حيث جَعَل أطراف الأرض كلّها على تباعدِ ما بينهما متصلةً بمنافع الخلق وحوائجهم بأسباب أنشأها لهم وعلّمهم ليصلوا إلى تلك المنافع والحوائج، فدل أنه فعل واحد؛ إذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك تمانع على ما ذكرنا؛ وأنه عالم بذاته مدبر،[١١]

---

[١] ر: وإدخال.
[٢] ر م: وعلى.
[٣] ر م: كأنهم.
[٤] ر م - إذ.
[٥] ر م: لكان.
[٦] ر م: فيه.
[٧] ر م: بمنافع.
[٨] يشير المؤلف رحمه الله إلى الآيات التالية.
[٩] ر م - له.
[١٠] سورة يس، ٤١/٣٦.
[١١] ن - مدبر.

ولذلك قال: تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ[1] أي دلت الذي ذكر كلُّه تقدير العزيز[2] الذي لا يعجزه شيء والعليم الذي لا يخفى عليه شيء. *وبالله القوة.*

**﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٣٨]**

ثم قوله: **والشمس تجرى لمستقر لها**. وفي بعض الحروف: والشمس تجري لا مُسْتَقرَّ لها.[3] فعلى هذا القول أي تجري أبدا لا مستقر[4] لها ولا قرار. ومن قرأ: **تجري لمستقر لها**، أي لنهاية لها وغاية. ثم اختلف في تلك النهاية. فمنهم من يقول: نهايتها وغايتها هو ذهاب هذا العالم وانقضاؤه وتبديل عالمٍ آخرَ، كقوله: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ،[5] وقوله: اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ[6] فذلك نهايتها. ومنهم من يقول: مستقرها، هو نزولها[7] كل[8] يوم في منزل، لما ذكر أن لها منازل[9] تنزل كل يوم في منزل ثم تطلع[10] من مكان آخر، ولذلك قال: وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ.[11] ومنهم من يقول: نهايتها ما ذكر في الخبر أنها إذا غربت تُرفَع إلى السماء السابعة فتَخِرّ لله ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع.[12] وذكر[13] في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أذن لها بالطلوع والارتفاع يأتيها جبريل بِحُلّة من ضوء العرش عى مقدار ساعات النهار في طوله في الصيف وقِصَره في الشتاء

[1] سورة يس، ٣٦/٣٨.
[2] ر م - العزيز.
[3] قرأ عبد الله [بن مسعود] وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق بن الباقر «لا مستقر» (*الدر المصون* للسمين الحلبي، ٩/٢٦٩).
[4] ر: لا مستقر.
[5] سورة لتكوير، ٨١/١.
[6] سورة الرحمن، ٥٥/٥.
[7] ر ث م: نزوله.
[8] ث: في كل.
[9] ر: منزلا.
[10] ر م: يطلع.
[11] لآية التالية.
[12] لم نجده بهذا اللفظ. لكن أخرج البخاري عن أبي ذر، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يُقبَل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئتِ فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾» (صحيح *البخاري*، بدء الخلق ٤، وتفسير القرآن، ٣٦/١؛ ومسلم، الإيمان، ٢٥٠).
[13] ر ث م: ذكر.

وما بين ذلك في الخريف والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثوبه.[١] وذكر في القمر كذلك من الحبس والسجود لله إلا أنه ذكر فيه أن جبريل يأتيه بحلة من نور العرش -وفي بعض الأخبار: بكَفٍّ من ضوء العرش وبكف من نوره- فيلبس تلك الحلة أو ذلك الضوء والنور كما يلبس أحدكم ثوبه. فذلك قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾،[٢] ذكر للشمس ضياء وللقمر نورًا كما ذُكر في الخبر. وقال بعضهم: مستقرها جريانها في البحر الذي خلق الله دون السماء، بحر مكفوف حار،[٣] فيه تجري الشمس والقمر والجواري الكُنَّس.[٤] ويحتمل قوله: **تجري لمستقر لها** أي تجري في مكان وتسير فيها. ***والله أعلم.***

وقوله: **ذلك تقدير العزيز العليم**، **العزيز** الذي لا يُعجزه شيء ويَعِز مِن أن يغلبه شيء، **العليم** الذي يعِز من أن يخفى عليه شيء. وقال بعضهم: **العزيز** الذي أظهر أثر الذل في غيره، لا ترى[٥] أحدا[٦] إلا وأثر الذل والحاجة فيه ظاهر.[٧]

وأما دلالة الرسالة فإن أهل مكة لم يكونوا يعرفون التوحيد فضلا من أن يعرفوا حججه وبراهينه، ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأهم عن التوحيد[٨] وعرفهم وأتاهم بحججه وبراهينه، دلّ أنه بالله عرف ذلك. ***والله أعلم.***

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[٣٩]

وقوله: **والقمر قدرناه منازل**، أي قدرناه منازل يزيد ويستوي وينتقص. وكذلك جعل لشمس منازل أيضا تزداد وتنتقص وتستوي. لكن جُعِل منازل القمر في تغييره في نفسه، يتغير ويزداد ويستوي وينتقص. وأما الشمس فإنه جُعِل تغييرها في الزيادة والنقصان والاستواء في الأزمنة والأوقات. فأما في نفسها فليس فيها تغيير ولا نقصان ولا زيادة،

---

[١] لم أجده.
[٢] سورة يونس، ٥/١٠. لم أجد لرواية أصلا.
[٣] وفي *الشرح*: جار، ورقة ٦٣٩ظ.
[٤] ن ت: الخنس.
[٥] م: لا نرى.
[٦] ر م: أحد.
[٧] جميع النسخ: ظاهرة.
[٨] ر ت م: فضلا من أن يعرفوا حججه وبراهينه ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأهم عن التوحيد.

فهو[1] -والله أعلم- لما ذَكَر أنه جعل القمر سببًا للوصول إلى معرفة الأوقات والحساب والحج،[2] بقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.[3] وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه مختلفا في الليل والنهار، وفي كل وقت وكل ساعة. وأما الشمس فإنها في نفسها على حالة واحدة: لا زيادة فيها ولا نقصان ولا تغيير إلا في الوقت الذي تنكسف. وكذلك طلوعها وغروبها في وقت واحد لا يختلف ولا يتغير إلا في أزمنتها وأوقاتها. فإنه[4] يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا، ويُدخل في هذا هذا ومن هذا في هذا. وأما الأيام فإنه لم يجعل فيها تغييرًا، فهو -والله أعلم- لما لا يشتد على الناس حفظها ولا جُعلت[5] سببًا لتعريف الأوقات والحساب.

[٦٣٣ظ س١٧ وقوله: **حتى عاد كالعرجون القديم**. *والعرجون:[6] عرجون النخلة مثل العنقود من العنب.
٦٣٣ظ س١٧] والعراجين جماعة.* قيل: إنه عود الكِبَاسَة.[8] **القديم**: الذي قد أتى عليه حول فاستقوس ودَقّ شبهَ القمر آخر ليلة يطلع به[9] أو أول ليلة. وقال[10] بعضهم: شبّه القمر بالعرجون القديم
[٦٣٣ظ] وهو العِذْق[11] / اليابس المنحني القديم الذي أتى عليه الحول، وهما واحد.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**. جائز أن يكون ذكر الشمس هاهنا كناية عن النهار نفسه والقمرِ كناية عن الليل. ألا ترى أنه ذكر الليل والنهار على إثر ذلك حيث قال: **ولا الليل سابق النهار**، يخبر أنه لا يدرك هذا هذا، ولا كان[12] سابقا هذا.

[1] ر - فهو.
[2] ر: والحجج.
[3] سورة البقرة، ٢/١٨٩.
[4] أي الله تعالى.
[5] جميع النسخ: ولا جعل.
[6] ن + العرجون.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٣٣ظ/ سطر ١٧.
[8] ر ن: الكياسة.
[9] ر م + أول.
[10] ر ث م: قال.
[11] ر: لعدق؛ م: العدق. العَذْقُ: كل غصن له شُعَب. والعَذْق أيضًا: النخلة عند أهل الحجاز. والعِذْق: الكباسة (لسان العرب، «عذق»). الكِباسةُ بالكسر العذق وهو من التمر كالعنقود من العنب (مختار الصحاح للرازي، «كبس»).
[12] ر م - كان.

وجائز أن[1] لا يكون ذكرهما كنايةً عن الليل والنهار، ولكن عن بيان حقيقتهما: أن لا يدرك ضوء هذا هذا ولا ضوء هذا هذا فيغلبَه، ولكن يكون هذا في وقتٍ وهذا في وقت آخر: لا يجتمعان في وقت واحد. أو يذكر[2] أنه لا يغلب[3] هذا عن هذا ما دام في سلطانه ولا هذا على هذا ما دام سلطانه قائما. يخبر عن قدرته وعلمه وتدبيره.

أما[4] قدرته فهي[5] ما ذكر من تقدير الشمس والقمر والليل والنهار وحفظهما حتى لا يغلب أحدهما صاحبه فيَذْهَبَ به، دلَّ حفظه إياهما وما ذكر وتقديره إياهما على ما قدّر أنه إنما كان بقدرة ذاتية، ودَلَّ إجراؤه إياهما على مجرًى واحد وعلى سَنَنٍ واحد منذ أنشأهما وقدّرهما[6] إلى آخر ما ينتهي إليه هذا العالم أنه كان بعلم ذاتي وتدبير أزلي لا مستفاد مكتسب.

وهذا ينقض على الثنوية مذهبهم: إن منشئ الظلمة غير منشئ النور؛ لأنه لو كان اثنين على ما يقولون لكان إذا غلب هذا عن هذا، وجرى[7] سلطانه [عليه] منعه من[8] أن يأتي الآخر؛ فإذ لم يكن دلَّ أنه فعل واحدٍ لا عدد.

وقوله: **وكل في فلك يسبحون**، يعني الشمس والقمر. قال بعضهم:[9] أي في دورانه واستدارته يَجْرُون على ما ذكرنا، لا يمنع هذا هذا، ولا هذا هذا. وعلى هذا التأويل الفلك[10] هو الدوران الذي تدور[11] عليه الشمس والقمر. وقال بعضهم: إن تحت السماء في الهواء بحرٌ مكفوف، فيه تطلع الشمس وفيه تغرب، وكذلك القمر. فإن كان عن هذا فيكون قوله: **في فلك يسحبون** على حقيقة السِّباحة والعَوْمَة. ويروى في ذلك خبر عن ما ذكرنا [آنفا].*

وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: يسبحون من السباحة.[12]

---

[1] ر: وجاء مقان.
[2] ن + هذ.
[3] ر م: لا يغلبه.
[4] جميع النسخ: وأما. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ١٥٢ظ.
[5] جميع النسخ: هو.
[6] ن: وقدر.
[7] ر ن م: وجار؛ ث: جاء.
[8] ن: عن.
[9] ن + كل فلك؛ ث + كل في فلك.
[10] ر ث م – الفلك.
[11] جميع النسخ: يدور.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٣٧ وقطعة من تفسير الآية السابقة متأخرتين عن محليهما فنقلناهما إلى محليهما.
[12] قال القتبي: يسبحون أي يجرون (تفسير غريب *القرآن*، ٣٥٦).

**﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[٤١] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾[٤٢] ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[٤٣]**

ثم قوله: **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون**. اختلف في ذلك الفلك. قال بعضهم: هي السفينة التي حُمل فيها نوح وأتباعه. وقال بعضهم: أراد به السفن كلها التي يحمل عليها ويُركَب. والفلك يقال: هو واحد وجماعة، فإن كان المراد بالفلك السفينة المشارة -وهي سفينة نوح- كان قوله: **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** غيرَها من السفن التي اتُّخذت للركوب، وإن كان المراد به غيرَها من السفن كان قوله: **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** إنما هي الأنعام التي يركبون عليها في المفاوز[١] والبراري، كقوله: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ،[٢] ونحوه. ثم إن كان المراد بقوله: **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** السفنَ كان في ذلك نقضُ قول المعتزلة في قولهم: أفعال العباد ليست بمخلوقة، حيث أخبر أنه خلق السفن. والسفن إنما تسمى سفنا بعد ما اتُّخذت ونُحتت، فأما قبل ذلك فهي تسمى خشبا. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم**. يحتمل قوله: **حملنا ذريتهم** معنيين. أحدهما أنا حملنا مَن أنتم مِن ذريتهم في الفلك المشحون وهم الذين حملهم مع نوح في سفينته.[٣]

والثاني أنا حملنا ذرية قومك في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم في الفلك. نسبهم إليهم لما أنهم أصل لهؤلاء، كقوله: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ.[٤] وإنما نَسَبَنا إلى آدم لأنه أصلنا وهو المخلوق من التراب، فعلى ذلك هذا. لكن الفائدة في التأويل الأول غير الفائدة في التأويل الثاني؛ إن كان المراد بقوله:[٥] **وآية لهم أنا حملنا** مَن أنتم مِن ذريتهم، هذا ففائدته إنكم[٦] من ذرية من نجا منهم من آبائكم وهم الذين آمنوا برسولهم وصدقوه لا[٧] من كذّب به، فكيف لا اتبعتموهم؟ لأن العرب من عادتهم أنهم لا يزالون محتجين: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.[٨]

---

[١] ر: في المعذر.
[٢] ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ (سورة الزخرف، ١٢/٤٣).
[٣] م: في سفينة.
[٤] ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (سورة الروم، ٢٠/٣٠، وانظر أيضا: سورة فاطر، ١١/٣٥؛ وسورة المؤمن، ٦٧/٤٠).
[٥] ر: في قوله.
[٦] ر: بكم.
[٧] ن: لأن.
[٨] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.

وإن كان المراد المعنى الثاني فيقول: إن في آبائكم من قد[1] صدّق الرسل وآمن بهم، ومنهم من كذبهم، فكيف اتبعتم الذين كذبوهم دون الذين صدقوهم؟

ثم جهة الآية[2] في **الفلك** ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع: إما في تذكير ما أنعم عليهم حيث سخر لهم ما في[3] البحار والبراري حتى يصلوا[4] إلى قضاء حوائجهم ومنافعهم في الأمكنة النائية البعيدة بالسفن التي أنشأها لهم والأنعام التي خلقها لهم. أو يخبر عن قدرته وسلطانه أنّ من قدر على تسخير هذا وإيصال[5] هذا بهذا لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. أو يخبر عن وحدانيته وربوبيته؛ إذ لو كان ذلك فعل عدد لامتنع ولم يتصل ولم يصلوا إلى قضاء حوائجهم. أو يخبر عن سفههم بعبادتهم الأصنام التي عبدوها حيث قال: **وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم**، الآية، يخبر أنا لو شئنا إغراقهم لا يملك الأصنام التي تعبدونها الإغاثة لهم والاستنقاذ من ذلك بل هو المالك لذلك، كقوله: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[6] وكقوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.[7] [٦٣٤و]

*وفي قوله: **وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم**، الآية، دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم في الأصلح، [٦٣٤و س ٦ لما لا يخلوا إما أن يكون إغراقه إياهم أصلح لهم في الدين أو إبقاؤه إياهم؛ فإن كان إغراقه إياهم أصلح لهم في الدين ولم يغرقهم ففعل بهم ما ليس ذلك أصلح لهم في الدين، أو إبقاؤهم أصلح لهم من إغراقهم. فلا يكون ذلك رحمة لأن عليه أن يفعل ذلك ولا يفعل بهم غيره،[8] وقد أخبر أن إبقاءه إياهم رحمة منه إليهم. فدل هذا أنّ ليس على الله حفظ الأصلح لهم في الدين.[9] ***والله أعلم***.* ٦٣٤و س ٨]

---

[1] م - قد.

[2] ث: آيته.

[3] ن ث - ما في.

[4] جميع النسخ: يصلون.

[5] ن: وتصال.

[6] ﴿وإذا مسّكم الضُرُّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٧/١٧).

[7] ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخُفْيَةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).

[8] ن + قوله.

[9] ر م - ولم يغرقهم ففعل بهم ما ليس ذلك أصلح لهم في الدين أو إبقاؤهم أصلح لهم من إغراقهم فلا يكون ذلك رحمة لأن عليه أن يفعل ذلك ولا يفعل بهم غيره وقد أخبر أن إبقائه إياهم رحمة منه إليهم فدل هذا أن ليس على الله حفظ الأصلح لهم في الدين.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقه ٦٣٤و سطر ٦-٨.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[٤٤]

وقوله: **إلا رحمة منا ومتاعًا إلى حين.** يحتمل قوله: **إلا رحمة منا**[١] أي لو شاء لأهلكهم واستأصلهم بالعناد والتكذيب لرسول كما فعل بأوائلهم، لكن برحمته أخّر عن هؤلاء ذلك، وجعل لهم متاعًا إلى حين وذلك منه رحمة وفضل. والثاني رحمهم حيث قبل منهم الإيمان عند رؤيتهم بأس الله ونزول العذاب بهم، وكان غير مقبول الإيمان من أولئك[٢] الذين[٣] كانوا من قبلُ عند رؤيتهم بأسَ الله، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ، الآية، ثم أخبر أنه لم ينفعهم ذلك، حيث قال: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ[٤] ولكن رحم هؤلاء لمكان رسول الله فقبل إيمانهم عند رؤيتهم بأس الله.[٥] *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤٥]

وقوله: **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون.** اختلف في قوله: **ما بين أيديكم وما خلفكم.** قال قائلون: **ما بين أيديكم:** ما كان من عقوبات الله ووقائعه فيمن كان قبلكم من عنادهم في آياته وتكذيبهم رسله. يقول: اتقوا ذلك واحذروا نزوله عليكم. فسَمَّى "بين أيديكم"[٧] لأنه مضى بين أيديهم. **وما خلفكم**[٨] من أمر الساعة وعذابها، سمّاه[٩] خلفًا[١٠] لأنه بعدُ ورائَهم غيرُ مأتيٍ. يقول: احذروا ذلك. وقال قائلون: **ما بين أيديكم** هو عقوبات الآخرة، هي بين أيديهم ستأتي بهم وستنزل. **وما خلفكم** ما مضى من العقوبات التي نزلت بمن كان قبلهم[١١] فصار ذلك وراءً وخلفًا. يقول: احذروا ذلك.

---

[١] جميع النسخ: من ربك.

[٢] ر م – وفضل والثاني رحمهم حيث قبل منهم الإيمان عند رؤيتهم باس الله ونزول العذاب بهم وكان غير مقبول الإيمان من أولئك.

[٣] ر م: والذين.

[٤] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

[٥] ن ث: بأسه.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فقدمناها إلى هنالك.

[٧] جميع النسخ: بين أيديهم.

[٨] ر م: وما خلفهم

[٩] جميع النسخ: سمى.

[١٠] جميع النسخ: خلف.

[١١] جميع النسخ: قبلكم.

وجائز أن يكون عىى غير هذا. يقول -والله أعلم- احذروا ذنوبكم التي عملتم ومعاصيَكم التي عصيتم في الدنيا، واحذروا أيضًا ما تَسُنُّون[١] لمن بعدكم، كقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ،[٢] ما قدمت: ما[٣] عمل هو، وما أخرت: ما سَنَّ لغيره من بعدُ.

وقوله: **لعلكم ترحمون** أي إذا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة بفضله. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٤٦]**

وقوله: **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين.** هذا -والله أعلم- في قوم خاص اعتادوا العناد والمكابرة في رد الآيات والإعراض عنها لما كان سؤالهم الآياتِ سؤالَ[٤] تعنتٍ وتمرد[٥] لا سؤالَ استرشادٍ، ولو كان سؤالهُم سؤالَ استرشاد لكان قد أنزل لهم من الآيات وآتاهم ما يُلزمهم[٦] قبولَها والتمسك بها. ثم الإعراض والعناد يكون بوجهين. أحدهما يُعرض عنها لما لم يقع له لترك التأمل والنظر فيها. والثاني يعرض عنها إعراضَ عناد بعد التحقيق والتيقن والعلم بها أنها آيات. ***والله أعلم.***

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٤٧]**

وقوله: **وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله.** يحتمل قوله: **أنفقوا** أي صِلُوا[٧] الأرحام والقرابات عىى حقيقة الإنفاق. ويحتمل أنِ اقبَلُوا الإنفاق وهو الزكاة، كقوله: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،[٨] أي لا يقبلون الإيتاء. ***والله أعلم.***

وقوله: **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**، بهذا قالت المعتزلة في قولهم: إن الله لا يفعل بالعبد[٩] إلا ما هو أصلح له في الدين؛ يقولون: لو كان الإنفاق والرزق أصلح لهم في الدين لرزقهم الله على ما رَزَقَنا.

---

[١] جميع النسخ: تستنون. والتصحيح مستفد من نسخة مدينة، رقم ١٨٠، ورقة ٧٤١و؛ ر ن م + أيضا.
[٢] سورة الانفطار، ٨٢/٥.
[٣] ر ن م: مما.
[٤] ر م - سؤال.
[٥] ر ث م - وتمرد.
[٦] م: ىك يامرهم.
[٧] جمع النسخ: صىة. ولتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١و.
[٨] ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٦-٧).
[٩] ر ث م - بالعبد.

فيقال للمعتزلة: أمْره إياهم بالإنفاق على من ذُكِر لا يخلو من أن يكون النفقة لهم والرزق أصلحَ[1] في الدين ثم لم يرزقهم ولم يوسّع عليهم، وإما أن يكون المنع أصلح لهم وترك الإنفاق. فإن كان الأولَ فقد ترك فعل ما هو أصلح في الدين أو [كان] الثانيَ[2] فقد أمر هؤلاء بفعل ما هو ليس بأصلح. فكيف ما كان ففيه بيان أنْ ليس على الله حفظُ الأصلح للخلق في الدين، إنما عليه فعلُ ما يوجبه الحكمةُ وحفظُ ما يكون حكمةً، وهؤلاء لم ينظروا إلى ما توجبه[3] الحكمة.

وفي الحكمة الامتحان والابتلاء: هذا[4] بالسعة، وهذا بالشدة والضيق. ثم أوجب على من وَسَّع عليه في[5] فضولِ ماله حقا لهذا الفقير والمُضَيَّق عليه، وبَيَّنَ[6] ذلك الحق وبَيَّنَ قدرَه وحَدَّه ليستأدي[7] بذلك[8] شكره. وضَيَّق على[9] هذا[10] يطلب منه الصَّبرَ على ذلك إن منع هذا حقَّه، وإلا لم يَسبِق ممن وسّع عليه ما يستوجب[11] تلك النعمة والسعة ولا ممن ضيق عليه ما يستوجب ذلك، ولكن محنةً يمتحنهم بها: هذا بالشدة والضيق، و هذا بالسعة والكثرة، هذا مأمور بالشكر [و]أداء ما أوجب عليه في ماله، وهذا بالصبر على حاجته إن منع حقه. وعلى ذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولو شاء الله لجعلكم فقراء لا غني فيكم[12] ولكنه ابتلى بعضكم[13] ببعض لينظر كيف عَطْفُ الغني[14] وكيف صبر الفقير».[15]

---

[1] ر ن + هم.
[2] ن: والثاني.
[3] ر ث م: إلى توجيه.
[4] م: وهذا.
[5] ن − في.
[6] ن: وتبين.
[7] ر ث م: ليتأدى.
[8] ث − بذلك.
[9] ن: عليه.
[10] ن − هذا.
[11] ر م: ما يستوجبه.
[12] ر م: عنكم.
[13] جميع النسخ: بعضهم؛ صح ن ه: بعضكم.
[14] ر م − الغني.
[15] عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو شاء الله لجعلكم أغنياء كلكم لا فقير فيكم، ولو شاء الله لجعلكم فقراء كلكم لا غني فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض» (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٧٩/٧)، وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥١/١١).

وقوله: **إن أنتم إلا في ضلال مبين.** قال بعضهم: هذا قول الكفرة للمؤمنين، لم يكتفُوا بذلك القولِ الذي قالوه[1] ولكن نسبوهم إلى الضلال والجهل. وقال بعضهم: هذا القول من الله جواب[2] لقولهم: **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه.** *والله أعلم.* [٦٣٤ظ]

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٨] ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٤٩] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥٠]**

وقوله: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ليس بصلة على ما تقدم من الكلام. لكن[3] كأنهم خُوِّفُوا بترك الإنفاق بالعذاب فقالوا عند ذلك: **متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.** ثم قال: **ما ينظرون إلا صيحة واحدة** أي ما ينظرون لإيمانهم إلا ذلك الوقت. يقول -والله أعلم- إنهم إذا بلغوا ذلك الوقت وعاينوا ذلك فعند ذلك يؤمنون لكن لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت، لقوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[4] الآية. *والله أعلم.*[5] وقوله: **تأخذهم وهم يَخِصِّمون، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون،** يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة أهلها عنها، كقوله: فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً -أي فجأة- وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.[6] وعلى ذلك روي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب فلا يَطْوِيَانِه حتى تقوم الساعة».[7] وعن أبي هريرة رضى الله عنه في قوله: **فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون،**

---

[1] م: قالوا.
[2] ر ث م + هم.
[3] ث م - لكن.
[4] ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).
[5] جميع النسخ - الآية والله أعلم. والتصحيح من نسخة عاصف أفندي ٧٧، ورقة ١٥٣و.
[6] ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم. فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الشعراء، ٢٠١/٢٦-٢٠٢).
[7] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦). ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته فلا يَطْعَمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضَه فلا يسقي فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أحدكم أُكْلَته إلى فيه فلا يطعمها» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٤٠، الفتن ٢٥). اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (*لسان العرب*، «لقح»). لاط الحوضَ أو لاط بالحوض، أي طلاه بالطين ومَلَّسه به. الأُكلة بالضم: اللقمة (*لسان العرب*، «لوط» و«أكل»).

[أنه] قال:[1] «تقوم الساعة[2] والناس في أسواقهم يَحْلبون اللقاح ويَذْرَعون الثياب ويتبايعون وهم في حاجاتهم»،[3] وعن الزبير بن العوّام رضي الله عنه [قال]: «إن الرجلين[4] ليتبايعان إذ نادى مناد قد قامت الساعة»[5] ونحوه. وقوله: **فلا يستطيعون توصية** أي وصية. وكذلك ذكر في حرف حفصة وأُبيّ، أي فلا يستطيعون وصية. وقوله: **تأخذهم وهم يَخِصّمون**. يحتمل ما ذكرنا أن الساعة تقوم وهم على ما كانوا عليه من قبل في البياعات والخصومات والمنازعة، وعلى ذلك جاءت الآثار.[6] ويحتمل **وهم يخصمون** أي يختصمون في الساعة والبعث أنها لا تقوم ولا تكون لأنهم كانوا ينكرونها.[7]

ودَلّ قوله: **فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون** أن استطاعة الفعل تكون مع الفعل لا تتقدم الفعل، لأنها لو كانت تتقدم لكانوا يستطيعون التوصية والرجوع إلى أهلهم إذا قامت بهم؛ دَلَّ هذا على أنها لا تتقدم الفعل لكنها تقارنه[8] وتجامعه. ***والله أعلم***.

**﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[٥١]**

وقوله: **ونفخ في الصور**، قد ذكرنا القول في الصور في غير موضع واختلافهم في ذلك.[9] قال قائلون: الصور هو شبه القرن يُنفخ فيه، وعلى ذلك روي[10] عن عبد الله بن عمرو [أنه] قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور، فقال: «قرن ينفخ فيه»[11] فإن ثبت فقد كُفِينا مؤنة الاشتغال بغيره. وقال قائلون: هو على التمثيل لا على التحقيق لكنه ذَكَر النفخ[12] لسرعة أمرها وقيامها؛ إذ ليس شيء أسرع[13] نفاذا ولا أخف من النفخ فهو عبارة عن سرعتها ونفاذها،[14]

---

[1] جميع النسخ: فقال.
[2] ث – وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون قال تقوم الساعة.
[3] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٦/١٢.
[4] ن: الرجلان.
[5] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٧/١٢.
[6] ر م – الآثار.
[7] ر ث م – ينكرونها.
[8] ر م: تقارنها.
[9] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة النمل، ٨٧/٢٧ و من سورة لزمر، ٦٨/٣٩.
[10] ن + خبر.
[11] ن – فيه. *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٢/٢، ١٩٢؛ و*سنن الترمذي*، القيامة ٨، والتفسير، ١/٣٩.
[12] ن + فيه.
[13] ن: سرع.
[14] ن + ومرورها.

كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[١] وهو قوله: **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون.**

قال أهل التأويل: ينفخ في الصور ثلاثا، بين كل نفخة مهلةُ كذا كذا سنة. يقولون: في النفخة الأولى[٢] يموت[٣] فيها كل شيء مما خلق الله، كقوله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.[٤] ثم ينفخ ثانيا فيُحْيَوْن بها ويُخرجون من قبورهم، وهو قوله: **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون.** وينفخ ثالثا فيجتمعون عند ربهم، وهو قوله: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ.[٥] ***والله أعلم بذلك.*** والنسل هو سرعة الخروج، أي يُسرعون. وقال[٦] أبو عَوْسَجَة: النسل هو المشي. **ينسلون**، أي يمشون لكنه مشي مع سرعة. وهما واحد.

**﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾**[٥٢]

وقوله:[٧] **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا.** من الناس من ينكر عذاب القبر بهذه الآية. يقول: المرقد هو[٨] موضع الراحة، والراقد هو الذي يكون في راحة؛ فلو كان لهم عذاب أو كانوا في عذاب لم يكونوا في رَقْدة[٩] ولا راحة، دلّ أنه لا يكون. ومنهم من يقول: يكون في القبر عذاب[١٠] إلا أنهم لما عاينوا عذاب الآخرة وأهوالها صار عذاب القبر[١١] لهم كالرُّقاد عند عذاب الآخرة. ومنهم من يقول: ينامون نومة قبل البعث ثم يبعثون، ومثلَ هذا.

---

[١] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[٢] ن: لاول.
[٣] ر ث م: سمعت.
[٤] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
[٥] سورة يس، ٥٣/٣٦.
[٦] ر م: قال.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر م - هو.
[٩] ر م: رقده. الرَّقدة: النومة (*لسان العرب*، «رقد»).
[١٠] ن ث + إلا أنه يرفع عنهم ما بين النفختين أو قال يخفف عنهم فإذا (ث: وإذا) بعثوا ورأوا أهوال القيامة قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومنهم من يقول لهم في القبر عذاب.
[١١] ر م: لاخرة.

وجائز أن تكون[1] النفس التي تخرج عند النوم[2] تلك النفسَ في حال الموت فتجد تلك أَلَمَ ذلك كما تجد النفس التي تخرج من النائم أَلَمَ عذاب يصيبه وتجد لذة أيضًا إذا كانت لذة، وترى[3] في النوم أهوالًا وأفزاعًا، وذلك معروف؛ فعلى ذلك هؤلاء الكفرة يعذبون بما ذكرنا فإذا بعثوا قالوا عند ذلك: **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**. والمرقد هو الموضع الذي يُنام فيه. أو أن يكونوا في عذاب -أعني في القبور- لكنهم إذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوا أهوالها هان ذلك العذاب الذي كان لهم في القبر، وسَهُل عند عذاب الآخرة؛ فصار ذلك كالرُّقاد لهم عند عذاب الآخرة، فقالوا عند ذلك: **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**. ***والله أعلم بذلك***.

وقوله **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**. قال بعضهم: هذا[4] قول الملائكة لهم [٦٣٥و] / عند قولهم: **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**. وقال بعضهم:[5] هذا[6] قول المؤمنين لهم عند قولهم الذي قالوا. وجائز أن يكون ذلك أيضًا قولَ أولئك الكفرة؛ يقرون بالبعث عند معاينتهم البعثَ [و]يقولون: هذا الذي وعد لنا المرسلون وقد صَدَقوا في ذلك ونحن كذّبناهم فيه. لكن لا ينفعهم تصديقهم إياهم بذلك في ذلك الوقت، وهو كإيمانهم عند معاينتهم بأسَ الله، وهو قوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[7] فعلى ذلك هؤلاء لكن لا ينفعهم.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **إن كانت إلا صيحة واحدة**. يحتمل على حقيقة الصيحة، يجعل الله تعالى الصيحة عَلَمًا للإحياء والبعث لا[8] أن يكون الصيحة سببًا للإحياء والبعث. ويحتمل لا على حقيقة الصيحة ولكن على قدر الصيحة، كأنه يقول -والله أعلم- ما كانت إلا قدر صيحة واحدة أي البعثُ، لكنه ذكر الصيحة لأن الصيحة أسرع شيء وأيسر على الخلق من غيره على ما ذكرنا في النفخ في الصور،[9]

---

[1] جميع النسخ: أن يكون.
[2] ن ث + تعذب.
[3] ن: ويرى.
[4] م – هذا.
[5] ن – هذا قول الملائكة لهم عند قولهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال بعضهم.
[6] ر م – هذا.
[7] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤).
[8] ر م: إلا.
[9] انظر عند تأويل قوله تعالى من هذه السورة ٣٦/٥١.

كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ،[١] ذكر هذا لأنه أخفّ شيء على الخلق وأهونه عليهم، فيعبّر به[٢] عنه ويُكنِّي بما ذَكَر ليعلموا خفة ذلك على الله وسهولته وهَوْنه وأنه ليس يثقل[٣] عليه شيء.

وقوله: **فإذا هم جميع لدينا محضرون،** ذُكر أن قوله تعالى: **إن كانت إلا صيحة واحدة،** في البعث فإذا كان ذلك في البعث فعند ذلك إحضارهم عند الله، وأما الأول فإنما هو في الهلاك والموت.

**﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥٤]**

وقوله: **فاليوم لا تظلم نفس شيئًا،** الظلم في اللغة: هو وضع الشيء في غير موضعه. كأنه يقول -والله أعلم- اليوم لا توضع نفس[٤] في غير موضعها، ولكن توضع على ما وضعها في الدنيا. أو يكون الظلم عبارة عن النقصان، كأنه[٥] يقول -والله أعلم- فاليوم لا تُنقَّص نفس عما استوجبت[٦] بل يُوَفَّر على كل نفس حقُّها الذي استوجبت[٧] ويُوَفَّى، كقوله: وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا[٨] أي لم تنقص[٩] منه. أو يقول: فاليوم لا يُحمل[١٠] على نفس ذنبُ غيرها ولا يوضع وزرُ غيرها بل يُجزَى كلُّ نفس جزاءَ عملها. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾[٥٥]**

وقوله: **إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** يخبر -والله أعلم- عن شغل أهل الجنة، إنهم بما كانوا[١١] مشغولين في النعيم فإن ذلك الشغل يَحْجُبهم عن غيره[١٢] من الأشياء.

---

[١] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[٢] ن + عنهم.
[٣] ن: شغل.
[٤] ر: نفسي.
[٥] ن - كأنه.
[٦] ر م: عما استوجب.
[٧] ر م - بل يوفر على كل نفس حقها الذي استوجبت.
[٨] ﴿كلتا الجنتين آتت أُكُلَها ولم تظلم منه شيئا وفجّرنا خلالهما نَهَرا﴾ (سورة الكهف، ٣٣/١٨).
[٩] ن: لم ينقص.
[١٠] ن: لا تحمل.
[١١] جميع النسخ: وإن كانوا.
[١٢] ر ش م: غيرهم.

وكذلك جميع الخلائق، إنهم إذا شُغلوا في شيء حُجبوا عن غيره ومُنعوا. فأما الله سبحانه [فإنه] يتعالى عن أن يَشغله شيء أو يَحجبه شيء عن شيء. ثم الاشتغال في الدنيا مما يضر أهلها ويؤذي؛ فأخبر أن شغل أهل الجنة مما لا يضرهم ولا يؤذي؛ حيث قال: **في شغل فاكهون**، قيل: ناعمون بما هم فيه. وقيل: مُعجَبُون[1] في ذلك.

وقال القُتَبي: **فاكهون** يتفكّهون،[2] ويقال للمزاح فُكاهة، **وفاكهون**، أراد ذَوِي فكاهة. وقال أبو عَوْسَجة: **فاكهون** من الفُكاهة،[3] وفَكِهُون من السرور. والمُفاكهة الممازحة.

ثم قال بعضهم:[4] شغلهم في افتضاض[5] العَذارَى. وقيل: شغلهم في كل نعيم، وفي كل كرامة على ما ذكر. *والله أعلم*.

**﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[٥٦]**

وقوله: **هم وأزواجهم في ظلال**، يخبر أن أهل الجنة وإن كانوا لا يُحجبون عن شيء ولا يُمنعون شيئًا فإنهم إذا كانوا مع أزواجهم يقع عليهم بصرُ غيرِهم فيُنَغِّصَ[6] ذلك[7] عليهم.[8] وهو كما ذكر: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ،[9] يخبر أنهم إذا كانوا مع أزواجهم لا يَطّلع[10] عليهم غيرهم. *والله أعلم*. وظُلَل[11] جمع ظُلّة.[12]

وقوله: **على الأرائك متكئون**، الاتكاء على الأرائك إنما هو للراحة، فيخبر –والله أعلم– عن غاية راحتهم ونهاية كرامتهم، وإلّا ليس[13] في الاتكاء على الأرائك فضل كرامةٍ ومنزلة

---

[1] جميع النسخ: معجبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣١و.

[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٦.

[3] ن ث: الفاكهة.

[4] ث – بعضهم.

[5] جميع النسخ: قتضاض. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩ط.

[6] ر م: فينفض؛ ن: فيتغص. نَغَّصَ عليه عَيْشَه تَنْغِيصًا أي كَدَّرَه (*لسان العرب*، «نغص»).

[7] ن – ذلك.

[8] ر ث م – عليهم.

[9] سورة الرحمن، ٧٢/٥٥.

[10] ن: لا تطلع.

[11] قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿في ظُلَل﴾، ووافقهم الأعمش. والباقون: ﴿في ظلال﴾ (*الميسر في القراءات* لمحمد فهد خاروف، ٤٤٤).

[12] قال القتبي: في ظلال، جمع ظِلّ، وظُلَل، جمع ظُلّة (تفسير غريب *القرآن*، ٣٦٦).

[13] ن + على.

ولكن يذكر عن راحتهم وتنعمهم، كقوله: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[١] وقال القُتَبي: الأرائك السُّرُر في الحِجال، واحدها أريكة.[٢] وقال أبو عَوْسَجَة: الأرائك الوسائد. وعن الحسن قال: الأريكة الحَجَلة، وهي بلغة أهل اليمن، يسمون الحجلة أريكة.[٣]

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[٥٧]

وقوله[٤] **لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون**، قيل:[٥] الفاكهة هي التي تؤكل على الشهوة لا على الحاجة. يخبر -والله أعلم- أن أهل الجنة إنما يأكلون ما يأكلون على الشهوة لا على الحاجة. وقوله: **ولهم ما يدعون**، قيل: ما يتمنون، وقيل: ما يسألون. وجائز أن يكون ما يدّعون من الدعوى أي يُعْطَون جميع ما يدعون لأنفسهم ليس كالدنيا. وقال أبو معاذ:[٦] **ولهم ما يدعون** أي ما يشتهون ويتمنون في الجنة. **والله أعلم**.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[٥٨]

وقوله: **سلام قولا من رب رحيم**. هذا يحتمل وجوها.[٧] أحدهما يردون إليهم -أعني الملائكة- سلامَ الله بحق التبليغ إليهم سلامَ الله نحوَ ما يُبَلِّغ بعضهم إلى بعض سلامَ بعض: أَقْرِئ فلانا مني السلامَ، فعلى ذلك يقولون: إن الله قد[٨] أقرأ عليكم السلام.

والثاني أن يسلِّم عليهم الملائكة بأمر ربهم يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم.[٩]

---

[١] ﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة الكهف، ١٠٨/١٨).

[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٦.

[٣] *تفسير الطبري*، ٤٦٦/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٤/١٢.

[٤] ر م - وقوله.

[٥] ر + ما؛ ن - قيل.

[٦] هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م. له كتاب في القرآن -أي القراءات- حسن. وروي عنه الأزهري في كتاب *التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قصر). وسمى كاتب جلبي كتابه *كتاب القراءة*. انظر: *الثقات* لابن حبان، ٥/٩؛ و*تهذيب اللغة* للأزهري، ٢/١؛ و*كشف الظنون*، ١٤٤٩/٢.

[٧] جميع النسخ: وجهين. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٦٣١و.

[٨] ن - قد.

[٩] يشير إلى قوله تعالى: ﴿جناتُ عدنٍ يدخلونها ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/ ٢٣-٢٤).

والثالث أن يكون القول من الله وعدا بالسلامة لهم فيها من كل آفة وبلاء يكون في الدنيا،
[٦٣٥ظ] كقوله: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ[1] ونحوه.[2]

وفي حرف أُبي وابن مسعود: سلاما قولا، بالنصب،[3] فهو -والله أعلم- كأنهما يجعلان تمام الكلام في قوله **يَدَّعون**، ثم يقطعان[4] سلامًا قولا منه. وأما قراءة هؤلاء برفع[5] السلام فمعناها -والله أعلم- ولهم **ما يدعون سلامٌ**، تَمَّ الكلام [فيه] ثم[6] قطع: **قولا** منه.

## ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[٥٩]

وقوله: **وامتازوا اليوم أيها المجرمون**، كان أهل الجنة وأهل النار يكونون مختلطين، فيُفرَّق هؤلاء [من هؤلاء][7] لأنهم يكونون في الابتداء مجموعين، ولذلك سمي "يوم الجمع" و"يوم الحشر"،[8] ثم يفرق بينهم، كقوله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ[9] و[كذلك] سمي "يومَ الفصل".[10] وأصل قوله: **وامتازوا اليوم** ليس على الأمر في الحقيقة: أن افترِقوا، ولكن على حقيقة التفريق على ما ذكر في آية أخرى: لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.[11] وأصل الامتياز الافتراق والاعتزال، وبه يقول أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: إن الامتياز هو التفرق والتنحي.[12]

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٤٦.

[2] «والرابع يحتمل القول بالسلام حقيقته، يسمعون سلام الله تعالى على ما سمع موسى عليه السلام كلامه في الدنيا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١و).

[3] *الدر المصون* للسمين الحلبي، ٩/٢٨٠.

[4] جميع النسخ: يقطع.

[5] ر: يرفع.

[6] ر م - ثم.

[7] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١و.

[8] أضيفت كلمة «يوم» إلى أصل كلمة «الحشر» بصيغة الماضي والمضارع في عدة آيات. انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «حشر».

[9] ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٧).

[10] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢١).

[11] ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعلَ الخبيث بعضَه على بعض فيركُمَه جميعا فيجعلَه في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٧).

[12] قال القتبي: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي انقطعوا عن المؤمنين، وتميزوا منهم. يقال: مِزْتُ الشيء من الشيء -إذا عزلته عنه- فانماز وامتاز وميّزته فتميز (تفسير غريب *القرآن*، ٣٦٧).

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٦٠]

وقوله: **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**، يخرج[1] على وجوه ثلاثة. أحدها عهد خِلقة وبِنْيَة؛[2] إذ قد جعل الله تعالى في خِلقة كل أحد وبنيته[3] ما يَشهد على وحدانيته، وجعل العبادة له وصَرَفَها[4] عمن دونه، فنقضوا ذلك العهد وصرفوا العبادة إلى غيره والألوهيةَ.

والثاني ما أخذ عليهم من العهد على ألسن الرسل والأنبياء من الأمر والنهي.

والثالث ما جعل فيهم من الحاجات والشهوات التي[5] يحملهم[6] قضاؤها من عنده على صرف العبادة إليه والشكر له على نعمائه وجعلِ الألوهية له، ويمنعُهم صرفَها إلى غيره وجعلَها لمن دونه، فنقضوا ذلك كله وتركوه.

فإن قيل: كيف[7] ذكرَ عبادة الشيطان ولا أحدَ يقصد قصد عبادة الشيطان ولا يعبده، بل كل يفر عن عبادته ويهرب منه؟

[قيل لهم إن هذا][8] يخرج على وجهين. أحدهما يحتمل أن يريد بالشيطان الْمَرَدَة من الكفرة والأئمة منهم الذين صرفوهم[9] عن عبادة الله. سُمُّوا شيطانًا لما بَعُدوا عن رحمة الله، شطن أي بَعُدَ؛ كقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.[10]

والثاني: نَسَبَ[11] تلك العبادة إلى الشيطان وأضافها إليه وإن كانوا هم لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لما بأمره[12] يعبدون ما يعبدون من الأصنام فنسب[13] إليه بالأمر، أو لما كان منه بداية الأمر. *والله أعلم*.

---

[1] ن ث + قوله ألم أعهد إليكم على التحذير لهم ثم العهد الذي ذكر أنه عهد إليهم أن لا تعبدوا الشيطان يخرج.
[2] ر: وبينة.
[3] ر: وبينة.
[4] جميع النسخ: ويصرفها.
[5] ن – التي.
[6] جميع النسخ: تحملهم.
[7] ر م – كيف.
[8] جميع النسخ + لكنه. والزيادة من الشرح، ورقة ٦٣١و.
[9] م: صرفهم.
[10] سورة الأنعام، ٦/١١٢.
[11] ن: نسبت.
[12] ر: تأمره.
[13] ن: فنسبت.

وقوله: **إنه لكم عدو مبين** عدواته لنا ظاهرة بينة في كل شيء حتى في المأكل والمشرب والملبس، كقوله: فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا، الآية،[1] هو يريد أن يوقعنا في المهالك، فهو عدو لنا.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٦١]

وقوله: **وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** أي اعبدوني فإن عبادتي هو الصراط المستقيم.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[٦٢]

وقوله: **ولقد أضل منكم جبلا كثيرًا**. يحتمل قوله: **أضل منكم** أي أهلك، وهو ما أهلك[2] من القرون المتقدمة نحوَ عادٍ وثمودَ وقرونا غير ذلك. والإضلال يكون الإهلاك في اللغة. ويحتمل على حقيقة الإضلال عن الهدى. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما أن قد رأيتم وعلمتم أنه قد أهلك الله خلقا كثيرًا بإبليس بما ضلوا به، واستأصلهم لذلك فكونوا أنتم -يا معشر أهل مكة- على حذر منه لئلا[3] ينزل بكم [العذاب] كما نزل بأولئك بضلالهم به. *والله أعلم*.

*وقوله:[4] **جِبِلًا كثيرا**. قال بعضهم: جموعا كثيرة،[5] وقال بعضهم: خلقا كثيرًا، وقال بعضهم: أمما كثيرة. وكله واحد. وأصله من قولك: جَبَلَهم على كذا، أي طَبَعَهم. ويقرأ: جُبُلًّا وجِبِلًّا برفع الجيم والتشديد وخفضها والتشديد.[6] قال أبو عَوْسَجة: الجِبِلَّة والجُبْلَة: الخلقة.[7]*

---

[1] ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُوري عنهما من سَوْءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠).

[2] ن - وهو ما أهلك.

[3] ن: ليلا.

[4] م: قوله.

[5] ر: كثيرا.

[6] قال القرطبي: قرأ أهل المدينة وعاصم «جِبِلًّا» بكسر الجيم والباء، وأبو عمرو وابن عامر «جُبْلًا» بضم الجيم وإسكان الباء، [و]الباقون «جُبُلًا» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وشددها الحسن وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وعبد الله بن عبيد والنضر بن أنس [جُبُلًّا]. وقرأ أبو يحيى والأشهب العقيلي «جِبْلًا» بكسر الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام (تفسير القرطبي، ١٥/٤٧).

[7] جميع النسخ: الخلق.

* وقع ما بين النجمتين بعد أسطر، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٣٥ص/ سطر ٢٧-٣٠.

**أفلم تكونوا تعقلون** أنه فعل ذلك بهم. [وهذا] يخرج على التعيير والتوبيخ لهم لترك هؤلاء النظرَ في أمر أولئك. والثاني [أن يكون على التنبيه والإخبار لهم لِما عَسَى لم يبلغهم ذلك، لما أن أهل مكة ليسوا من أهل الكتاب].[١]*

**﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٦٣] ﴿اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٦٤]**

وقوله: **هذه جهنم التي كنتم توعدون**،[٣] يشبه أن يكونوا لما رأوا جهنم قالوا: ما هذا الذي نراه؟ فعند ذلك قيل لهم:[٤] **هذه جهنم التي كنتم توعدون** بها في الدنيا. ويحتمل على التوبيخ والتعيير لهم، أي **هذه جهنم التي كنتم توعدون** بها.[٥] **اِصْلَوْها اليومَ بما كنتم تكفرون** أي ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها. ***والله أعلم.***

**﴿اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦٥]**

وقوله: **اليوم نختم على أفواههم** أي نطبع على أفواههم فلا يتكلمون. **وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**، كأنهم -والله أعلم- لما أنكروا كفرَهم وشركهم وعملهم[٦] الذي عملوه في الدنيا، كقوله:[٧] وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[٨] وأمثالِه، عند ذلك يأذن[٩] الله سائر جوارحهم وأركانهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ،[١٠] الآية، وقوله: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ، الآية، ثم أنطق ألسنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم، بقوله: لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.[١١]

---

[١] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١ظ.

* وقعت هنا قطعة من تفسير نفس الآية قبل أسطر، فقدمناها إلى هنالك. انظر: ٦٣٥ظ/ سطر ٢٧-٣٠.

[٣] ن + بها في الدنيا ويحتمل على التوبيخ.

[٤] ن - لهم.

[٥] ر م - في الدنيا ويحتمل على التوبيخ والتعيير لهم اي هذه جهنم التي كنتم توعدون بها.

[٦] ر: وعلمهم.

[٧] جميع النسخ: كفوهم. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١ظ.

[٨] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣).

[٩] ر ن: بإذن.

[١٠] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

[١١] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

وفيه أن النطق و الكلام الذي يكون من اللسان لا يكون لأنه لسان أو لنفس اللسان ولكن للطفٍ يجعل الله ذلك في اللسان فينطق؛ فحيثما جَعَل ذلك اللطف والمعنى، وفي أي جارحةٍ ما جعل نطقت[1] وتكلمت. ولو كان النطق والكلام لنفس اللسان لكان يجب أن ينطق لسان كل ذي لسان
[٦٣٦و] لما له اللسان، فإذ لم ينطق دلّ أنه لطفٍ جعل فيه، به ينطق ويتكلم. فحيثما جعل ذلك المعنى واللطف نطق وتكلم. وكذلك السمع والبصر وكل جارحة منه من اليد والرجل وغيره جعل فيها[2] لطفا ومعنى، به يَسمع السمعُ، وبه يُبصر البصر، وبه تأخذ وتقبض[3] اليد وبه تمشي وتذهب الرِّجْل، فأينما جَعَل ذلك اللطف وذلك المعنى كان منه ذلك ما كان من السمع والبصر وغيره. وكذلك الأطعمة والمياه ليس الغذاء في أعينها[4] ولكن في لطفٍ جعل الله فيها لطفا ومعنى يصير ذلك غذاء لهم. ألا ترى أن عين الطعام يبقى [في المعدة][5] فيرمى به وينتفع بما فيه من الغذاء. ***والله أعلم.***

**﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾[٦٧]**

وقوله: **ولو نشاءُ لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون.** قال بعض أهل التأويل: لو نشاء لطمسنا أعين الضُّلَّالِ[6] فلم يبصروا الطريق، فأنى يُبصرون وقد فقأنا[7] أعينهم. وقال بعضهم: لو نشاء لَحَولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى: فلو طمسنا أي حَوَّلْنا[8] الكفر [عنهم] لاستبقوا الصراط، أي:[9] لأبصروا طريق الهدى.[10] ثم قال: **فأنى يبصرون.** يقول: فمن أين يبصرون الهدى إن لم أُعَمِّ عليهم طريق الكفر؟[11]

---

[1] ر: نطقتى.
[2] ر م - فيها.
[3] ر م: وبه ياخذ ويقبض.
[4] ر م: عينها.
[5] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١ظ.
[6] جميع النسخ + فأبصروا.
[7] ر م: قفأنا.
[8] جميع النسخ: ضمست أي حولت. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣١ظ.
[9] جميع النسخ: يقول.
[10] «ويشبه أن تكون الآية على التمثيل -والله أعلم-: لو طمس أعينهم حقيقة وأعميناهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون، أي لا يبصرون الطريق. فمعنى ذلك إذا طمس أعين القلوب وأعميناها فأنى يبصرون الهدى أي لا يبصرون» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣١ظ).
[11] ر م: الكفرة. عَمَّاه: صيّره أعمى. والتعمية: أن تُعَمِّيَ على الإنسان شيئا فتُلَبِّسه عليه تلبيسا (*لسان العرب*، «عمي»).

**ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم**، أي لأقعدناهم على أرجلهم لا يتقدمون ولا يتأخرون. ويشبه أن يكون على خلاف هذا على التمثيل يقول –والله أعلم– لو طمسنا أعينهم وأَعْمَيناهم فاستبقوا الطريق فَأَنَّى يُبْصِرُونَ، أي لا يبصرون الطريق. فعلى هذا[1] إذا طمسنا أعين القلوب وأعميناها فأنى يبصرون الهدى أي لا يبصرون. **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون**. يقول –والله أعلم– على التمثيل، أي لو حوّلنا[2] ظاهر خلقتهم وصيرناها خنازيرَ وقِرَدَةً حتى ذهبنا بمنافع أنفسهم ظاهرة **فما استطاعوا مضيًا ولا يرجعون**؛ فعلى[3] ذلك إذا مسخنا قلوبهم وحوّلناها[4] عن مكانها ما انتفعوا بها كما لم ينتفعوا[5] بظواهر جوارحهم،[6] هو[7] على التمثيل لا على التحقيق.

وفي قوله: **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** دلالةُ أن لله في ذلك صنعًا، إذ لو لم يكن له[8] فيما يختارون من الأفعال والأعمال صنعٌ لم يكن لِتوعدهم على إذهاب ذلك وتحويله عن مكانه معنًى؛ فدلّ أن له صنعا في ذلك وفعلا.

قال الحسن وقتادة في قوله:[9] **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم** فتركناهم عُمْيًا يترددون. **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** أي لأقعدناهم على أرجلهم على[10] ما ذُكِر،[11] **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون**، يقول –والله أعلم– ما استطاعوا أن[12] يتقدموا ويتأخروا.[13] وابن عباس رضي الله عنه يقول [كـ]ـما تقدم ذكره، أي لو شاء غيّر أعينَ الضُّلَّال فلم يبصروا الطريق، **فأنى يبصرون**، أي كيف يبصرون؟[14] أو نحوه من الكلام. ومقاتل يقول:

---

[1] ن: ذلك.
[2] م: أي حولنا.
[3] ن: فعن.
[4] ر م: وحولنها.
[5] ر م: كما ينتفعوا.
[6] ر ث م: جواهرهم.
[7] ر م – هو.
[8] ر ب م – له.
[9] م - في قوله.
[10] ر – على.
[11] ب ث: ما ذكرت.
[12] ن: أي.
[13] تفسير الطبري، ٤٧٥/١٩.
[14] مر: الدر المنثور للسيوطي، ٣٧٠/١٢.

لو شاء طمس أعينهم ظاهرة فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون أي لا يبصرون.[١] وهو قريب مما ذكرنا[٢] آنفا. وجائز أن يكون على التمثيل على ما ذكرنا بدءًا. ويحتمل على التحقيق أن من قدر على الطمس أو المسخ وما ذكر من النَّكْس لا يُعجزه شيء عن[٣] البعث وغيره؛ إذ خلْق الإنسان للطمس أو المسخ[٤] خاصةً لا لعاقبة تقصد ليس بحكمة. أو يَذكر أنه لو شاء لطمسهم ولمسخهم[٥] لكنه تركهم فلم يَطمسهم ولم يَمسخهم ليبقَوا في النعمة ليشكروا نعمه.

*قال القُتَبي: المطموس هو الذي لا يكون بين جَفْنيه شَق. **فاستبقوا الصراط** أي فتجوّزوا.[٦]
قال أبو عَوْسَجة: طمسنا أعينهم: أي أعميناهم. والمسخ: هو تغيير الصور والأبدان.*

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **ومن نعمره ننكسه في الخلق**، أي من نعمره حتى يُدركه الهرم والضعفُ، يقول: نردّه في الخلق الأول لا يعقل فيه كعقله الأول، كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ.[٨]
**أفلا يعقلون**، أنّ[٩] من فعل هذا أو قَدَرَ على هذا لا يعجزه شيء و[أنه] يستأدي[١٠] به شكره.*
وقوله: **ومن نعمره ننكسه في الخلق** أي نصيّره ضعيفا بعد أن كان قويا.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٦٩]

وقوله: **وما علمناه الشعر وما ينبغي له**. نزل هذا -والله أعلم- عند قولهم: إنه شاعر، وإنه كذّاب؛ فأخبر أنه لم يعلّمه الشعرَ وما ينبغي له الشعرُ تكذيبًا لهم وردًّا عليهم أنه شاعر

---

[١] *زاد المسير* لابن الجوزي، ٣٢/٧.
[٢] ر ث م: ذكر.
[٣] جميع النسخ: من.
[٤] ن ث: والمسخ.
[٥] ن: ولمسخناهم.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٣٦و/ سطر ٢٨-٣٠.
[٨] ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا﴾ (سورة النحل، ٧٠/١٦، وانظر أيضا: سورة الحج، ٥/٢٢).
[٩] جميع النسخ + أي.
[١٠] ن: وليتأدى؛ ر م: يتأدى. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٢و.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فقدمناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٣٦و/ سطر ٢٨-٣٠.

وأن هذا القرآن شعرٌ. جعلَ الله عجزَ رسوله عن القيام بإنشاد الشعرِ بعضَ آية[1] من آيات رسالته كما جعلَ عجزَه عن تلاوة الكتاب من قبلُ وكتابتِه وخطِّه بيمينه آيةً من آيات[2] رسالته،[3] ليَعلم أولئك الذين قذفوه بالشعر والافتراء من نفسه والكذب على الله وبالسحر أنه إنما أخبر عن وحي من الله، لا ما يقولون هم. وهم على يقين وعلم أنه ليس بشاعرٍ[4] ولا ساحر ولا كذاب لما لم يروه اختلف إلى أحد منهم في تعلم ذلك، ولا كان عنده من كتبهم [شيء] منها أخذ ذلك، ولا أُخِذ عليه[5] كذبٌ قطّ. لكنهم نسبوه إلى ما نسبوه من الشعر والسحر والكذب تعنتا منهم وعنادًا يُلبِّسون أمره بذلك على أتباعهم وسفلتهم لئلا تذهب[6] رياستهم ومنفعتهم.

وفي قوله: **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** دلالة نقض قول المعتزلة، حيث أخبر أنه لم يُعلّمه الشعر، وقد أَعطى له جميع أسباب الشعر. وقال في حق[7] القرآن: عَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[8] دلّ[9] أنه كان من الله لطفٌ سوى السبب فيما أخبر أنه لم يعلّمه لم يعطه ذلك اللطف فلم يتعلم، وفيما أخبر أنه علّمه أعطاه ذلك اللطف فتعلم. ولو كان التعليم هو نفسَ السبب لكان قد أعطاه في الوجهين جميعا السببَ فيما أخبر أنه لم يعلمه وفيما أخبر أنه[10] قد علّمه. دلّ أن التعليم له فيما كان منه تعليم له بلطف منه سوى السبب لا بنفس السبب؛ إذ نفس [٦٣٦ظ] السبب قد كان له في الأمرين جميعًا. *والله أعلم*.

وقوله: **وما ينبغي له** أن يشتغل بشيء مما يُتلهَّى[11] به. والشعر في الأصل إنما جُعل للتلهي به والتلذذ؛ لذلك حيل بينه وبين طبعه إنشادُ الشعر ليكون أبدًا مشتغلاً بما هو حكمة وعلمٌ، وفيما هو أمر الله لا بما فيه التلهي واللهو. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: آياته.
[2] ن + الله.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[4] ر م: شاعر.
[5] جميع النسخ: على. والتصحيح من *الشرح*، ٦٣٢و.
[6] جميع النسخ: يذهب.
[7] جميع النسخ – حق. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٢و.
[8] ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ (سورة الرحمن، ١/٥٥-٤).
[9] جميع النسخ – دل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٢و.
[10] ر م – لم يعلمه لم يعطه ذلك اللطف فلم يتعلم وفيما أخبر أنه علمه أعطاه ذلك اللطف فتعلم ولو كان التعليم هو نفس السبب لكان قد أعطاه في الوجهين جميعا السبب فيما أخبر أنه لم يعلمه وفيما أخبر أنه.
[11] ن: يتقى.

وقوله: **إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**. **إن هو** أي ما هذا القرآن **إلا ذكر** لِما نَسُوه[1] من أمر الله ووعده ووعيده، ومما لهم ومما عليهم، يُذَكِّرهم ما نسوه[2] وتركوه. **ومبين** يبين لهم ما لهم وما عليهم، أو يبين لهم ما يُؤْتَى وما يتقى، أو يبين لهم أنه من الله جاء ومن عنده نَزَل،[3] لا من عند المخلوقين. أو **ذِكْرٌ** لأهل الكتاب يُذكرّهم ما[4] نسوه ومما[5] كان في كتبهم من نعته وصفته، وما عليهم القيام به، وما ليس. **ومُبينٌ** لمشركي العرب أنه رسول وأن هذا القرآن من عنده جاء به. وكلُّ كتب الله ذِكرٌ ومبينٌ[6] ورحمة ونور وشفاء على ما أخبر. ***والله أعلم.***

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٧٠]

وقوله: **لينذر من كان حيًّا ويحق القول**. قال بعضهم: من كان عاقلا. يقول: لينذر بالقرآن من له عقل حي فيؤمن. **ويحق القول**، أي السَّخطة **على الكافرين** في علم الله أنهم لا يؤمنون. وقال بعضهم: **لينذر من كان حيًّا**، أي مؤمنًا؛ لأن الله تبارك وتعالى سمّى المؤمنَ حيا في غير آية، والكافرَ ميتا.[7] ويحتمل قوله: **لينذر من كان حيًّا**، أي لتنفع[8] النِّذارة وتنفعُ من كان حيا أي مؤمنا على ما ذكرنا، وإن كان ينذر[9] الفريقين جميعًا، كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ،[10] هو ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع الذكر، لكن النذارة إنما تقع وتنفع لمن اتبع الذكر وخشي الرحمن خاصة، وكقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ،[11] هو يُذَكِّر لهم جميعًا لكن المنفعة لمؤمنين، فعلى ذلك الأول. ويحتمل قوله: **من كان [حيا]**، أي من يطيب بحياته الفانية الحياة الدائمة. **ويحق القول على الكافرين**، القول، الذي قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[12]

---

[1] ر ن م: نسبوه.
[2] ن: ما نسبوه.
[3] ن: نزلت.
[4] ن: مما؛ ث م: فيما.
[5] ر ث م: مما.
[6] ر: وكتبين.
[7] انظر مثلا: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يُسْمِع من يشاء وما أنت بِمُسْمِع مَن في القبور﴾ (سورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢).
[8] جميع النسخ: لينفع.
[9] ن – من كان حيا أي لينفع لنذارة وتنفع من كان حيا أي مؤمنا على ما ذكرنا وان كان ينذر.
[10] سورة يس، ١١/٣٦.
[11] سورة الذريات، ٥٥/٥١.
[12] سورة السجدة، ١٣/٣٢

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[٧١]

وقوله: **أولم يروا أنا خلقنا لهم.** قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع[١] أن قوله "أولم يروا" و"ألم تر" ونحوه أنه في الظاهر حرف استفهام، لكنه من الله على الإيجاب والإلزام. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر أنْ قد رأوا[٢] ما خلق لهم من الأنعام وما ذكر. والثاني على الأمر بالرؤية[٣] والنظر فيما ذكر، أي فَلْيَرَوْا. فإن كان على الخبر أنهم قد رأوا ما خلق لهم من الأنعام فهلّا تفكروا واعتبروا فيما خلق لهم من الأنعام وغيرها أنه لم يخلق لهم ذلك عبثا باطلا ولكن لحكمة. ولو لم يكن بَعْثٌ على ما يقولون هم كان خلقُ ذلك عبثًا باطلًا. أو أن يقول: إن من قدر على خلق[٤] ذلك من الأنعام وتسخيرها لهم ما لو تركها كلها [كما] خلقها[٥] [و]لم يُفنها[٦] لامتلات الأرض، [و]لا يحتمل أن يُعجزَه شيء؛ أَوَلا يقدر[٧] على البعث والإحياء بعد الموت؟ أو أن يقول: إن من قدر على تصوير ما ذكر من الأنعام وغيره في الأرحام وتركيب ما ركّب فيها من الأعضاء والجوارح في الظلمات الثلاث،[٨] لا يُحتَمل أن يخفى عليه شيء أو يعجزَه[٩] شيء[١٠] أو يفعل ذلك على التدبير الذي فَعَلَ بلا حكمة. أو يذكر أنه خَلَق لهم من الأنعام وذلّلها لهم، وجعل لهم فيها من المنافع ما ذكرنا[١١] ليستأدي[١٢] على ذلك شكرَ ما أنعم عليهم، و[يخرج] على[١٣] هذا [المعنى] لو كان على الأمر بالرؤية فيما خلق والنظرِ. *والله أعلم*.

---

[١] انظر مثلا عند قوله تعالى من سورة الحج، ٢٢/٦٣.
[٢] ر: رأو.
[٣] جميع النسخ: على الأمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٢و.
[٤] ن - خلق.
[٥] جميع النسخ: خلق منه. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٢و.
[٦] ر: لم يفنها.
[٧] ر م - أو لا يقدر.
[٨] ر ن م - الثلاث. يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصرَفون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[٩] ر م: و يعجزه.
[١٠] ر ن م - شيء.
[١١] جميع النسخ + بلا شكر يلزمهم.
[١٢] ر م: يتأدى؛ ن: تتأدى.
[١٣] ر م: على.

وقوله: **مما عملت أيدينا أنعامًا**. يحتمل: **مما عملت** أيدي الخلق من الزراعة والغرس وغير ذلك مما يعمله[1] الخلق، نَسَبَ ذلك إلى نفسه. ويحتمل **مما عملت أيدينا** أي قوتنا، كقوله: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ،[2] وقوله: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[3] أي بقوة ونحوه. ***والله أعلم***.

وقوله: **فهم لها مالكون**. قال بعضهم: قادرون على الانتفاع بها والاستعمال لها. يقول الرجل فيما له فيه حقيقة الملك: أنا غير مالك عليه، إذا كان غير قادر على الانتفاع[4] به ولا مالكٍ على استعماله. وقيل: **مالكون**، أي ضابطون قادرون على إمساكها. يقال: فلان غير ضابط على إبله ودابته. وهما واحد. ***والله أعلم***.

**﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[٧٢] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٧٣]**

وقوله: **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب** يخبر عن أنواع ما جعل لهم من الأنعام وأنعم عليهم ليستأدي[5] بذلك شكره. ***والله أعلم***.

**﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٧٤] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُحْضَرُونَ﴾[٧٥]**

وقوله: **واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم**، يخبر عن سفههم وقلة بصرهم وفهمهم لاتخاذهم الأصنامَ آلهة، وعبادتِهم إياها رجاء النصر لهم، وتركِهم عبادةَ الله على وجود المعونة والنصر منه وجعلِه كلَّ شيء لهم. ثم يكون رجاؤهم بذلك ما قالوا: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ[6] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى[7] وذلك في الآخرة. ويحتمل
[٦٣٧و] رجاء النصر لهم بعبادتهم الأصنام في الدنيا في دفع ما ينزل بهم من البلايا والشدائد / كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[8]

[1] م: يعمه.
[2] ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٤٧).
[3] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ أستكبرتَ أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٣٨/٧٥).
[4] ن - بها والاستعمال لها يقول الرجل فيما له فيه حقيقة الملك أنا غير مالك عليه إذا كان غير قادر على الانتفاع.
[5] ر م: لتأدى؛ ن: ليتأدى.
[6] سورة يونس، ١٠/١٨.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.

ثم أخبر أن الأصنام التي يعبدونها وما رجَوا منها **لا يستطيعون نصرهم** وما رجوا من شفاعتهم والنصر هم، وأخبر أن ما عبدوا دونه يصير أعداء هم حيث[1] قال: **وهم لهم جند محضرون** في الآخرة، كقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا،[2] هذا على تأويل بعضهم من أهل التأويل بجعل[3] الأصنام جندا عليهم وأعداء هم على ما ذكرنا. ويحتمل قوله: **وهم لهم جند محضرون**، أي المشركون جند للآلهة التي يعبدونها، أي هم[4] يغضبون[5] لها ويقومون في دفع[6] من هَمّ بها فسادا وإهلاكًا، أعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها، كقوله: قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ.[7] ثم اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك في الآخرة، وقال بعضهم: ذلك في الدنيا. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٧٦]**

وقوله: **فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**. كان من أولئك الكفرة لرسول الله أقوال مختلفة. مرة كان منهم ما ذكر: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[8] الآية،[9] ومرة قالوا:[10] إنه ساحر، وإنه كذاب، وإنه شاعر، ومرة قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً،[11] ومرة قالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[12] ومرة طعنوا فيه وفيما أقام[13] من الحجج. ولا ندري[14] أيّ قول كان منهم له فيحزنَ عليه حتى قال له: **فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**

---

[1] ر م – حيث.

[2] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩-٨٢).

[3] ر: يجعل.

[4] ن – هم.

[5] ر م: يفيضون.

[6] ر م: رفع.

[7] سورة الأنبياء، ٦٨/٢١.

[8] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٣٠/٨).

[9] ن + ومنها قولهم مرة.

[10] ن – ومرة قالوا.

[11] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.

[12] سورة الفرقان، ٧/٢٥.

[13] ر: اقامه.

[14] جميع النسخ: أو لا ندري. والتصحيح من شرح التأويلات، ورقة ٦٣٢ظ.

أي لا تحزن على قولهم فإنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحفظ[1] عليهم ذلك ونكافئهم[2] على ذلك؛ أو نعلم ما يسرون وما يعلنون فننصرك عليهم ونعينك؛ أو أن يكون حزنه عليهم إشفاقا عليهم لِما كان يعلم نزول العذاب بهم والهلاك لعنادهم ومكابرتهم. *والله أعلم*.

**﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٧٧]**

وقوله: **أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة**، هذا يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما[3] على الخبر: أن قد رأى الإنسان أنا خلقناه من نطفة فهلّا تفكر واعتبر أنّ من قدر على خلق الإنسان من نطفة ابتداءً لقادر على إعادته بعد ما صار[4] رمادا وترابا.[5]

و[الثاني][6] على الأمر بالرؤية والنظر، أي[7] فَلْيَرَ الإنسان ولينظر أنّ من قَدَر على خلق الإنسان مبتدَأً من نطفة لقادرٌ على إعادته؛ أي إعادة الشيء في الشاهد أهون وأيسر من ابتدائه، إذ قد يُحتذى ويُصوَّر بعد ما وقع البصر على الشيء ويُرَى، ولا سبيل على احتذاءِ ما لم يُرَ[8] ولا تصويرِ ما لم يُعايَن.[9]

احتج الله عليهم بالشيء الظاهر الذي يعلم كلٌّ[10] أنه كذلك من غير تفكر ولا تأمل. والاحتجاج[11] عليهم بالأشياء التي لم يذكر أبلغ وأكثر، نحو خلق الإنسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والنَّسَمة التي خلقها فيها ما لو اجتمع حكماء البشر كلهم أن يعرفوا كيفية خلقه[12] منها من تركيب العَظْم والشَّعْر[13] والبصر والسمع والعقل وجميع الجوارح ما قدروا على درك ذلك.

---

[1] ن: فيحفظ.
[2] ر ن: ويكافيهم.
[3] ن – أحدهما.
[4] ث: صاروا.
[5] ر م – الذين ذكرناهما أحدهما على الخبر أن قد رأي الإنسان أنا خلقناه من نطفة فهلا تفكروا واعتبرو أن من قدر على خلق الإنسان من نطفة ابتداء لقادر على إعادته بعد ما صاروا رمادا وتراب.
[6] جميع النسخ: وإن كان.
[7] م – أي.
[8] جميع النسخ: ما لم يروا.
[9] جميع النسخ: لم يعاينوا.
[10] ن – كل.
[11] ر ن ث: والا الاحتجاج.
[12] ر: خلقهم.
[13] ر ت م + والعين.

أو لو اجتمعوا على أن يعرفوا كيفية غذائهم بالأطعمة والأشربة التي جعلها غذاء لهم، والقوة التي بها[١] يَقوَوْن[٢] على كل أمر، أن كيف قدّر وقسّم على السواء في الجوارح كلها المواد[٣] التي بها[٤] ينمون ويزيدون على الاستواء ما لو زاد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض يزداد قوةً على بعض، ونحوَ ذلك من العجائب ما لا سبيل إلى معرفة ذلك ألبتة بعد طول[٥] التفكر والتأمل. لكنه احتج بالشيء الظاهر ليدركوا بالبديهة، ولا يدركون الآخر إلا بعد التأمل والتدبر. *والله أعلم*. وقوله: **فإذا هو خصيم مبين**، أي جَدِل بيّنٌ.

**﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٧٨] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٧٩]**

وقوله: **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه**، [أي] ما ذُكِر من ضرب المثل له، **قال من يحيي العظام وهي رميم**. وقوله:[٦] **ونسي خلقه** يحتمل وجوها. أحدها أي غفل[٧] عن القدرة في خلق نفسه ما لو نظر وتفكر لَعرف أنه قادر على الإعادة. والثاني[٨] غفل[٩] عن الحكمة في الإعادة. والثالث غفل[١٠] عن الحكمة في ابتداء خلق[١١] نفسه.

ثم يخرج هذا على وجوه. أحدها أنه لو نظر وتفكر في خلق[١٢] نفسه أنه خُلِق[١٣] من نطفة ثم حُوّل النطفة علقةً وحوّل العلقة مضغةً وحول المضغة خَلْقًا وإنسانا تاما مُتقَنا، ثم صيّره بحيث يأخذ في النقصان بعد ما كان تاما. ثم مَنْ فَعَلَ هذا في الشاهد: أن يُحكم الشيء ويتقنه ويتمه[١٤]

---

[١] ن: بهما.
[٢] ر م: ينفرون؛ ت: يعون.
[٣] جميع النسخ: والمواد.
[٤] ر م: - بها.
[٥] ن: حلول.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ: أغفل.
[٨] ر ت: الثاني.
[٩] جميع النسخ: أغفل.
[١٠] جميع النسخ: أغفل.
[١١] ر ت م: خلقه.
[١٢] ر م: حق.
[١٣] ن ت: حققه
[١٤] ر م: يهمه

ثم يهدمه بلا عاقبة تقصد[1] كان غيرَ حكيم. فعلى ذلك كان ما أحكم الله من الخلق وأتقنه وتَمَّمَه ثم جعل يَنقص[2] منه ويُوهنه فلو لم يكن إعادته وخلقه ثانيا كان خارجا عن الحكمة؛ فلو نظر في ابتداء خلق نفسه لعرف أنه يعيده[3] وينشئه[4] ثانيا.

والثاني لو نظر وتفكر في ابتداء خلق نفسه أنه كيف دبّره في تلك الظلمات الثلاث[5] وقدّره على أحسن تقدير في ذلك. فلو نظر وتفكر أن من قدَر على تدبيره وتقديره في الظلمات الثلاث على ما دبّره وقدّره قادرٌ على إعادته، وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[6] أي هو[7] أهون[8] في عقولكم وتقديركم، أعني إعادةُ الشيء في عقولكم وتقديركم[9] أهون من ابتدائه؛ فإذا قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر وأملك؛ إذ ذلك في عقولكم أهون وأيسر. وإلا ليس في وصف الله تعالى أن شيئا أهون عليه من شيء، بل الأشياء كلها تحت قوله: كُنْ فَيَكُونُ[10] من غير أن كان منه "كاف" أو "نون" أو شيء من ذلك، لكنه عبّر به / لأنه أخف حروف على الألسن وأيسره، وأقصر كلام وأوجزه[11] يؤدَّى به المعنى ويُفهَم منه المراد. [٦٣٧ط]

والثالث أنه[12] خلَق هذه الأشياء والجواهر كلها سوى البشر للبشر ولمنافعهم، فلو لم يكن بعثٌ ولا نشأة أخرى كان خلق هذه الأشياء لهم عبثًا باطلاً ولذلك قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[13] كان ظنهم أن لا بعث ولا إعادة، ثم أخبر أنه لو كان على ما ظنّ أولئك كان خلقُ ما ذكر عبثا باطلا.[14]

---

[1] جميع النسخ: يقصد؛ ر ن م + به.

[2] ر ث م: ينقض.

[3] ر ث م: نعيده.

[4] ر ث م: ننشئه.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصْرَفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[6] سورة الروم، ٢٧/٣٠.

[7] ن – هو.

[8] ن: هون.

[9] ر م – أعني إعادة الشيء في عقولكم وتقديركم.

[10] ﴿إنما أمْرُه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٨٢/٣٦).

[11] ن + كلام.

[12] ن + لو نظر وتفكر في خلق نفسه أنه.

[13] سورة ص، ٢٧/٣٨.

[14] ر م – ولذلك قال وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا كان ظنهم أن لا بعث ولا إعادة ثم أخبر أنه لو كان على ما ظن أولئك كان خلق ما ذكر عبثا باطلا.

أو أن[1] يكون قوله: **ونسي خلقه** أي غفل[2] عن بدء خلقه؛ إذ بدء خلقه إما أن كان من ماء أو تراب، فعلى ذلك إذا أفناه يصير ماء أو ترابًا فيعيده منه على ما أنشأه منه بَدْءًا.

ثم في قوله: **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه**[3] **قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة** دلالة نقض قول الباطنية، وفساد مذاهبهم حيث قالوا: إن إعادة الخلق وإنشاءه ليس على هذه البِنْية[4] والصورة التي أنشأها بدءا ولكن ينشئ نفسًا روحانية على خلاف ما شاهدوها وعاينوها. فالآية تكذبهم وتنقض قولهم حيث قال: **من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**، أخبر أنه يحيي العظام التي أنكروا هم[5] إحياءها واستبعدوا ذلك. وعلى ذلك قال: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ،[6] احتج عليهم بعلمهم النشأة الأولى لإنكارهم النشأة الأخرى، فلو كان على خلاف ذلك لم يكن للاحتجاج[7] عليهم بذلك معنى؛ فدلّ أنه ينشئ ويعيدهم على الهيأة الأولى.

والثاني ينقض عليهم قولهم أيضًا حيث قالوا: يوصل إلى معرفة ذلك من الذي يعلّمه الرسول ويخبره دون النظر والتفكر والتدبر.[8] فلو كان على ما يقولون لم يكن لقوله:[9] **ونسي خلقه** ولا لقوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ،[10] وقوله: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ،[11] وقوله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ،[12] معنى؛ فدلّ أنه قد يوصل إلى معرفة ذلك بالتفكر والنظر[13] كما يوصل بخبر الرسول الذي قد أظهر صدقه للخلق فتلزمهم[14] الحجة في هذا كما تلزمهم[15] في ذلك.

---

[1] ر م: وان.
[2] جميع النسخ: أغفل.
[3] ن + أي غفل عن بدء خلقه اذا بدء خلقه اما ان كان من ماء او تراب.
[4] ر: لبينة.
[5] ر ن م: أنكروهم؛ ث: أنكروا هم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٢ظ.
[6] سورة الواقعة، ٦٢/٥٦.
[7] ن: الاحتجاج.
[8] وعبارة الشارح هكذا: «وفي الآية أيضا إبطال قولهم: إنه لا يوصل إلى معرفة التوحيد والصفات ونحو ذلك إلا بالتعليم من الرسول، ولا يوصل بالنظر والتفكر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٣ظ).
[9] ر: لقولهم.
[10] سورة الروم، ٨/٣٠.
[11] سورة الغاشية، ١٧/٨٨.
[12] سورة الذاريات، ٢١/٥١.
[13] ن – والنظر.
[14] ر ث م: فتلزمه.
[15] جميع النسخ: تلزمه

[٦٤٠و س٣ * قال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة: **رميم** أي بالية، يقال رَمّ العَظْم إذا بَلِيَ فهو رميم، ورمام
٦٤٠و س٤] كما يقال: رُفات ورِفات.*

**﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٨٠]**

وقوله: **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون.**

[٦٤٠و س٤ *وقوله: **من الشجر الأخضر نارا** قالا:[٢] أراد الزُّنُود[٣] التي تُورِي بها الأعراب من شجر
٦٤٠و س٥] المَرْخ والعَفار.* [**من الشجر الأخضر نارا**] اختلف فيه. قال بعضهم: هو نوع من الشجر يقال له[٥] "المَرْخ" كانوا يُورُون منه النارَ. وقيل: هو الزيتون الذي يُسرَج منه. وتأويله أن الشجر الأخضر خُضْرته إنما تكون[٦] من الماء، والماء يطفئ النار، والنار تأكل الحطب[٧] والخشب. فمن قدر على الجمع بين المتضادَّين وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه مما السبيل منها التنافر والتدافع لقادرٌ على البعث وأنه لا يعجزه شيء.[٨]

وقال بعضهم: قوله **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون** هو ما أنشأ لهم من الشجر الأخضر[٩] يتنزهون به[١٠] ويتلذذون ما دام أخضر، فإذا أدرك وينع ينتفعون بثماره وفواكهه،[١١] ثم يصير[١٢] حطبا يوقدون منه[١٣] النار ويصطلون.[١٤] فمن قدر على ما ذكرنا لا يحتمل أن يعجزه شيء، أو مَنْ فَعَلَ ما ذكر لا يحتمل أن يفعله عبثًا باطلاً؛ فلو كان على ما قاله أولئك الكفرة أن لا بعثَ ولا نشورَ كان فعل ذلك عبثًا باطلاً. *والله أعلم*.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٣٨و/ سطر ٣-٤.

[٢] أي أبو عوسجة والقتبي.

[٣] ن: ان تودى. الزَّنْدُ العود الأعلى الذي يقتدح به النار، والجمع أَزْنُدٌ وأَزْنادٌ وزُنودٌ وزِنادٌ، وأَزابِدُ جمع الجمع (*لسان العرب*، «زند»).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٣٨و/ س ٤-٥.

[٥] ر م - له.

[٦] ر ث م: يكون.

[٧] ر: الخطب.

[٨] ن - شيء.

[٩] ر ث م - الأخضر.

[١٠] جميع النسخ: بها.

[١١] جميع النسخ: بثمارها وفواكهها.

[١٢] ن ث: يصيرها.

[١٣] جميع النسخ: منها.

[١٤] ن: وتصطلون.

**﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾**[٨١]

وقوله: **أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى**، يذكر -والله أعلم- أوليس من قدر على إنشاء السماوات والأرض مبتَدَأً لا من شيء ولا أصل لا يُحتمل أن يُعجزه إعادة الخلق وبعثهم. أو يقول: إن من قدر على خلق السماوات والأرض وما فيهما قادر على أن يخلق مثلهم، وخلق المثل إعادة؛ لأنه إما أن يكون[١] بعد هلاك الذين أنشأهم وبعد إماتتهم، أو يخلق مثلهم مع بقائهم سواهم، وفي ذلك ابتداء خلق وإعادة، فيُلزمهم الإقرارَ بالبعث والقدرة على الإعادة.

ثم أخبر عن قدرته فقال: **بلى وهو الخلاق العليم، الخلاق**[٢] أي هو خَلَق كل شيء من جواهر الأشياء وأفعالهم، أو هو الخلاق في الدنيا[٣] والآخرة. **العليم** يحتمل وجوها. يحتمل[٤] العليم ببعثهم أو العليم بمصالحهم ومعاشهم[٥] ما يصلح لهم[٦] وما لا يصلح، أو العليم بأحوالهم وأنفسهم ما ظهر منهم وما بطن وما أسروا وما أعلنوا.[٧]

**﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٨٢]

وقوله: **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول**، يحتمل إنما حاله **إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**. قد ذكرنا معنى هذه الآية فيما تقدم[٨] أن كل ما كان ويكون أبَدَ الآبدين إنما يكون بـ"كن" الذي كان من غير أن كان منه "كاف" أو "نون" أو شيء من ذلك. إنما هو إخبار عن سرعة نفاذ أمره ومشيته أو إخبار عن خفة ذلك عليه. يقول -والله أعلم- كما لا يَثْقُل عليكم قول "كن" فعلى ذلك لا يثقل على الله ابتداء خلق ولا إعادته ولا شيء من ذلك.

ثم نزّه نفسه وبرّأه وذكر تعاليَه عما ظن أولئك الكفرة[٩] من البعث في خلق شيء وبطلانه، فقال:

---

[١] ر: لأنه ما يكون؛ م: لأنه إنما يكون

[٢] ر ث م - الخلاق.

[٣] ر م: الدين.

[٤] ن - يحتمل.

[٥] ن - ومعاشهم.

[٦] ر م - ما يصلح لهم؛ ث: وما يصلح لهم.

[٧] ن + والله أعلم.

[٨] انظر عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة، ١١٧/٢، ومن سورة آل عمران، ٤٧/٣، ومن سورة النحل، ٤٠/١٦.

[٩] ر ث م - الكفرة.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٣]

**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** أي تعالى وتبرأ عن أن يكون خلقه على ما ظن أولئك، حيث قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا[١] فكان[٢] ظنهم أن لا بعث ولا نشور. ثم أخبر أنه لو لم يكن ذلك لكان خلق ما ذكر عبثًا باطلاً فقال: [**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** أي] تعالى عن أن يلحقه / في خلق شيء عبثٌ[٣] أو فسادٌ، وكذلك قوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[٤] [٦٣٨و] الآية، صيّر خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثا باطلا. أو أن يقول: يتعالى عن[٥] أن يثقل عليه إعادة الخلق أو ابتداءهم،[٦] أو يتعالى عن أن يعجزه شيء. *والله أعلم*.*

والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.[٨]

---

[١] سورة ص، ٢٧/٣٨

[٢] ن: وكان.

[٣] م: عيب.

[٤] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).

[٥] ر – عن.

[٦] ن: وابتداءهم.

* وقعت شا قطعتان من تفسير لآية السابقة برقم ٧٩ والآية ٨٠، فقدمناهما إلى موضعهما. انظر: ورقة ٦٣٨و/ سطر ٣-٥.

[٨] ر ث: والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الصافات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.[٢]

**﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾[١] ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾[٢] ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٣] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[٤] ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[٥]**

قوله عز وجل: **والصافات صفا فالزاجرات زجرا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الصافات، هي الطير إذا صَفَّت أجنحتَهَا بين السماء والأرض. وذكر عن ابن مسعود [أنه] قال: الصافات، والزاجرات، والتاليات، كلهم الملائكة.[٣] قال: الصافات [هم الملائكة الذين] اصطفُّوا[٤] صفا لعبادة الله عز وجل وتسبيحه،[٥] وكذلك ذكر عن ابن عباس[٦] وغيره.[٧] إلا أن غيرهما[٨] يفسر الزاجرات والتاليات أيَّ ملائكةٍ هم، ولسنا نذكر عن ابن مسعود وابن عباس التفسيرَ.[٩] وقال بعضهم: الزاجرات هم الملائكة الذين يَزجُرون السَّحاب والأمطار، والتاليات ذكرا، هم الملائكة يتلون القرآن والوحيَ على الرسل والأنبياء عليهم السلام. وقال قتادة [في قوله]: **والصافاتِ صفا**،

---

[١] ر ن - سورة الصافات مكية؛ ث + وهي مائة واثنان وثمانون آيات مكية؛ م + مكية.

[٢] ن + وبه استعين.

[٣] *تفسير ابن كثير*، ٤/٣.

[٤] جميع النسخ: اصطفت الملائكة. الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٣و.

[٥] *فتح القدير* للشوكاني، ٦/١٨٥.

[٦] ر: ابن مسعود.

[٧] المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣و.

[٩] «ذكر ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما أن هذا كله كناية عن الملائكة، إلا أنه روي عنهما أنهما فسرا قوله ﴿والصافات صفا﴾ هي الملائكة الذين اصطفوا لعبادة الله تعالى وتسبيحه. ولم يذكر عنهم في تفسير 'الزاجرات والتاليات' أنهما أيُّ الملائكة ولكن ورد تفسيرها عن غيرهما من أهل التأويل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٣٣و).

أقسم الله عز وجل بخلق[1] ثُمّ[2] خلقٍ؛ قال: **والصافاتِ** الملائكة صفوفا[3] في السماء.[4] **فالزاجراتِ زجرا**، ما ذكر الله في القرآن من رواجر عن المعاصي والمساوئ. **فالتالياتِ ذكرا**، قال:[5] ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الرسل عليهم السلام وأنباء الأمم التي كان قبلكم.[6] وجائز أن يكون: **والصافاتِ** هم الملائكة الذين يصلّون لله عز وجل صفوفا على ما ذَكروا،[7] **فالزاجراتِ زجرا**، هم الملائكة المُوَكَّلون بأرزاق الخلق وسَوْقها إليهم، يسوقون إليهم سوقا، **فالتالياتِ ذكرا**، هم الملائكة

[٦٤١و س ٢٥ المُوَكَّلون بالتسبيح والتحميد وجميع الأذكار. *قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: الصافات: هي الطيور التي صفَّت بين السماء والأرض. والزاجرات زجرا: من الزجر، يقال: زجرتُ الإبلَ زجرا إذا صِحْتَ بها،

٦٤١و س٢٧] والزجر[8] الصِّياح. والتاليات، كما تقول: تلوتُ القرآنَ أي قرأتُ، وتلوتُ: تَبِعْتُ، والتالي: التابع.*

ثم وَجْه القَسَم بالملائكة الذين ذكر -والله أعلم- أنه عزّ وجلّ قد عَظَّم شأنَ الملائكة وأمْرَهم في قلوب أولئك الكفرة حتى قالوا: لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[9] وقولهم: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[10] وقول فرعون: أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ.[11] وقولهم: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[12] وما وصفهم الله تعالى أنهم: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[13] الآية، و لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،[14] الآية، وقولُه عز وجل: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،[15] الآية.[16]

---

[1] ت: الحق.
[2] ر م: ثم.
[3] جميع النسخ: صفوف. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٩/٤٩٣.
[4] قال الطبري: عن قتادة ﴿والصافات صفا﴾ قال: قسم أقسم الله بخلق ثم خلقٍ ثم خلقٍ، والصافات: الملائكة صُفوفا في السماء (*تفسير الطبري*، ١٩/٤٩٢-٤٩٣).
[5] أي قتادة.
[6] *تفسير الطبري*، ١٩/٤٩٤-٤٩٥.
[7] أي الصحابة رضي الله عنهم.
[8] جميع النسخ: إن صحت له الزجر. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٦٣٣و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية ٣٧ فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٢٥-٢٧.
[9] سورة الفرقان، ٢٥/٧.
[10] سورة الأنعام، ٦/٨.
[11] ﴿فلولا أُلقِي عليه أَسْوِرَةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٥٣).
[12] سورة الفرقان، ٢٥/٢١.
[13] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[14] ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠٦).
[15] ﴿يسبحون الليل والنهار لا يَفْتُرون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٠).
[16] ر ت: لخ.

عَظَّم الله عزّ وجلّ أمر الملائكة[١] وشأنَهم في قلوب أولئك الكفرة و[أخبر عن] صدقهم عندهم، لذلك أقسم بهم على وحدانيته بقوله عز وجل: **إن إلهكم لواحد**، على هذا وقع القسم.

ثم أخبر عن صنع ذلك الواحد الذي هو إلهكم وإله الخلق جميعا وذكر نعته. فقال عز وجل: **ربُّ السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق**. يخبر عن وحدانيته وتفرده حيث [بَيَّن أنه][٢] أنشأ السماوات وأنشأ الأرض وما ذَكَر، وجعل منافع السماوات متصلة بمنافع الأرض على بُعْد ما بينهما، ومنافعَ المشارق متصلةً بمنافع المغارب على بعد ما بينهما، ولو كان فعلَ عددٍ لَمَنَعَ بعضُ اتصالَ منافع بعضٍ ببعض على ما يكون من فعل ذوي عدد وغلبةِ بعضٍ على بعض، فإذ لم يمتنع ذلك بل اتصل بعضٌ ببعض دَلَّ أنه فعلُ واحدٍ لا شريك له.

ثم تخصيص ذكر السماوات والأرض [و]ما ذَكَر دون غيرهما[٣] من الخلائق لِمَا عَظُم قدر السماء في قلوبهم لنزول ما ينزل منها من الأمطار والبركات وغيرها، والأرضِ[٤] بخروج ما يخرج منها من الأنزال[٥] والأرزاق. ولذلك يخرج ذكرهما -والله أعلم- فيما ذكر، حيث قال فيهما: [خَالِدِينَ فِيهَا] مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛[٦] فَلِعِظَمِ[٧] قدرهما في قلوبهم ودوامهما عندهم خَرَجَ ذكرهما وإن كانتا تفنيان ولا تدومان أبدا. ***والله أعلم.***

ثم قال عز وجل: **ربُّ السماوات والأرض وما بينهما**. قال بعض المعتزلة، وهو جعفر بن حرب:[٨] فإن قال لنا قائل: [إنّ المراد] من قوله عز وجل: **رب السماوات والأرض وما بينهما**، أنه رب أعمالنا وأفعالنا [كما هو رب جميع ما بين السماء والأرض فدل على أنه خالق أفعالنا]. فنقول له: إن أردت أنه رب أعمالنا وأفعالنا [أي خالقها فلا، وإن أردت أنه مالك أفعالنا] فبلى.

---

[١] جميع النسخ + عليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣و.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٣و.

[٣] جميع النسخ: دون غيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.

[٤] أي ولما عظم قدر الأرض.

[٥] أي الأرزاق، جمع نُزُل.

[٦] سورة هود، ١١/١٠٧-١٠٨.

[٧] ر: تعظم؛ ن ث م: لعظم.

[٨] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. له كتاب *متشابه القرآن*، وكتاب *الاستقصاء*، وكتاب *الرد على أصحاب الطبائع*، وكتاب *الأصول*. توفي سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٤٩/١٠؛ و*الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢.

ثم قال [معارضا لنا]:[1] فيقال لهم: أتقولون: إنه خالق الكفر وخالق الشر ونحوه، وفي أفعال الخلق الكفرُ والشرُّ ونحوه؟ قلنا[2] له: لا يقال ذلك على الإطلاق، إنه خالق الكفر وخالق الشر،[3] وإن كان يقال في الجملة: خالقُ أفعالِ الخلق وربُّ كلِّ شيء وخالق كل شيء؛ لأن ذكره على الجملة [لا] يخرج على تعظيم ذلك الشيء،[4] نحوَ ما يقال [في الذكر الخاص]: رب محمد ورب البيت، إنما هو تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم ذلك البيت خاصة. فعلى ذلك وَصْفُنا إياه بالجملة أنه خالق أفعال العباد وخالق كل شيء [لا] يخرج على وصف البيت بالعظمة والجلال. وعلى الإشارة[5] [إلى شيء من الأشياء والتنصيص عليه][6] / [يخرج] على تعظيم ذلك الشيء خاصة. لذلك جاز أن يوصف أنه خالق أفعال العباد جملة [٦٣٨ظ] لما ذكرنا أنه يخرج على المدح والتعظيم، وعلى الإشارة على المذَمّة له وتعظيم ذلك الشيء [لا]. لذلك افترقا.[7] *والله الموفق*. ثم يقال له: قولك:[8] إنه مالك لها وليس بخالق [فاسد، لأنه] لا يقال[9] لأحد: إنه مالك كذا، إلا على جهة أنه أنشأه أو مَلَكه.[10] فإذ ثبت أنه مالك الأعمال والأفعال ثبت أنه خالقها، إذ لا يقال: مالك كذا إلا لقدرة على ذلك أو لما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وربُّ المشارق**، قال بعض أهل التأويل: إن للشمس ثلاثَ مائةٍ وستين مشرقا، تطلع[11] كل يوم من كَوَّة.[12] وكذلك يقولون في المغارب: إنها تَغرُب كل يوم في[13] كوة.[14]

---

[1] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.
[2] جميع النسخ: قيل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.
[3] ر ن م: شر.
[4] أي الكفر والشر.
[5] جميع النسخ + التي تبنى (ن: يبني) منها والتخصيص (ر: التخصص).
[6] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.
[7] ر ن م: وافترقا.
[8] جميع النسخ: ثم يقال لهم قولكم.
[9] جميع النسخ: هل يقال. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.
[10] جميع النسخ: إلا لما ينشئ ذلك أو لتمييك من يملكه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.
[11] ر م: فصنع.
[12] ر: كرة. الكَوّ والكَوّة: الخرق في الحائط والثقب في البيت يدخل منه الهواء والضوء (*لسان العرب*، و*المعجم الوسيط*، «كوى»).
[13] ر ث ه: من.
[14] ر: كرة.

لكن يُشبه أن يكون أراد بالمشارق والمغارب كلَّ شيء شارق[١] وكل شيء غارب من الشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها. [وعلى ذلك] يخرج قوله عز وجل: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ.[٢] وأما أهل التأويل فإنهم يقولون: [إن المشرقين] مشرق الشتاء والصيف، وكذلك مغربهما.[٣]

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**، ليس أنَّ هذه السماء التي نراها[٤] ونعاينها هي سماءَ الدنيا، وغيرها سماء الآخرة. ولكن سمّاها سماءَ الدنيا لدنوها من أهل الأرض وقربها منهم. وأهل الأرض هم الجن والإنس ولهما[٥] جرى الخطاب في ذلك وفي غيره. وعلى ذلك قول أهل التأويل: إنها[٦] إنما سُمِّيت سماءَ الدنيا لدنوها من أهلها[٧] ولقربها[٨] منهم. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**، أخبر أنه عز وجل زيّنها بزينةِ الكواكب، وزينتها[٩] الكواكب نفسها، أضافها إلى نفسها، وهي الزينة لها لا غير. فهو -والله أعلم- كأنه قال عز وجل: إنا زينا السماء الدنيا بزينة وهي الكواكب، أو قال: إنا زينا بزينة، فسئل: ما هي؟ فقال الكواكب.[١٠]

---

[١] جميع النسخ: يشرق. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.

[٢] سورة الرحمن، ١٧/٥٥.

[٣] جميع النسخ: مغربها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ. انظر: *تنوير المقباس* لابن عباس، ٤٧٠؛ *النكت والعيون* للماوردي، ٤٢٩/٥.

[٤] ر: تراها.

[٥] ر م: لهما.

[٦] ن: بهما.

[٧] ن: أهبهما.

[٨] ن: ولقربهما.

[٩] جميع النسخ: وزين. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ.

[١٠] قال السمرقندي: «في ظاهر الآية أنه زينها بزينة الكواكب. أضاف الزينة إلى الكواكب، والمضاف غير المضاف إليه في الأصل فيقتضي أن يكون زَيَّن السماوات بما هو زينة الكواكب دونها وقد زينها بالكواكب. لكن نقول: المراد إنا زينا السماء لدنيا بالكواكب، وزينتها هي نفس الكواكب، أضافها إلى نفسها، وجائز إضافة الشيء إلى نفسه في الحكمة لغة. ويحتمل أن يجرى الآية على ظاهرها وهو أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي نورها وضيؤها» (*شرح التأويلات*. ورقة ٦٣٣ظ).

﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾[٧] ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾[٨] ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[٩] ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وحفظا من كل شيطان مارد**، [كأنه] قال عز وجل: وحفظناها [حفظا] من كل شيطان مارد؛ وحِفْظُهُ إياها ما ذكر في قوله عزّ وجلّ: **لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا**. قال ابن عباس وغيره [في] قوله: **لا يسمعون إلى الملإ الأعلى**: [إنهم] كانوا يسمَعون، ولا يَسْمعون.[١] وقال بعضهم: كانوا لا يَسْمَعون أخبار الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون بينهم[٢] من أمر الله وهم الملأ الأعلى. ومن يقول: إنهم كانوا لا يَسْمَعون، يذهب إلى ما ذَكَر في سورة الجن حيث قال:[٣] وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا،[٤] أخبروا أن من يستمع الآن يجدْ له ما ذكر، دلّ أنهم كانوا يَتَسَمَّعُون [ولا يَسْمعون].[٥]

فإن قيل: كيف يُوَفَّق بين هذه الآية وبين قوله عز وجل: **ويَقْذِفون من كل جانب دُحورًا [وهم عذاب واصب** فإنه قال ثَمّ: فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا[٦] فيه بيان أنهم لا يَسْمعون،

[١] عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿لَا يَسْمَعُون إلى الملإ الأعلى﴾ مخففة، وقال: إنهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون (الدر المنثور للسيوطي، ١٢/٣٨٧).

[٢] جميع النسخ: عنهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٢٣ظ.

[٣] جميع النسخ: قلو.

[٤] سورة الجن، ٧٢/٨-٩.

[٥] «واختلف أيضا في قراءتها، منهم من قرأ ﴿لا يسمعون﴾ مخففة، ومنهم من قرأها مشددة. فمن شددها يكون أصلها "يتسمعون"، لكن أدغم التاء في السين، وأبدل عن التاء بالتشديد ليكون دليلا عليه. وهذه القراءة أولى لأنه ذُكر بحرف "إلى"، ولو كان ﴿يسمعون﴾ مخففا لكان يذكر بدون حرف "إلى"، لأن أكثر كلام العرب أن يقولوا: سمعت فلانا، ولا يكاد يقولون: سمعت إلى فلان [ولكن] يقولون: تسمّعت إليه. على أن له وجها آخر وهو أن يكون الشياطين بالموضع الذي لا يمكنهم التسمع فيه لبعد ذلك المكان، لأن التسمع من العاقل في مكان يتوهم السماع فيه. وأما من قرأ بالتخفيف فتأويله ما قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يتسمعون ولا يسمعون، فيكون في الآية إضمار، كأنه قال: لا يسمعون بتسمعهم إلى الملإ الأعلى. والدليل على صحة المذهب الأول أيضا ما ذكر في سورة الجن من قول الجن خبرا عنهم ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشُهُبا وأن كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدْ له شهابا رصدا﴾ فدل أنهم كانوا لا يستمعون خوفا عن الشهب، فدل هذا على صحة القراءة الأولى» (شرح التأويلات، نسخة ولي الدين، ورقة ٦٢٠ص).

[٦] سورة الجن، ٧٢/٩.

وذكر هاهنا]:[1] **إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب.**[2] ثم الخطفة إما[3] أن يكون على التمثيل لموضع الخطفة[4] أو على حقيقة الخطفة، وهي الاستلاب والأخذ على السرعة. ***والله أعلم.***

قيل:[5] يشبه أن تكون[6] الآية التي [ذَكَر] عز وجل: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا،[7] في المؤمنين منهم، ألا يرى أنهم قالوا: وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ.[8] وأما ما ذكر في سورة الصافات فهو في الكفار منهم والمَرَدَة: **إلا من خطف الخطفة** من الشياطين الذين يستمعون. ***والله أعلم.***

ثم [في] قوله عز وجل: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ، وقوله[9] عز وجل: وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، الآية، دلالةُ إثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يخبر هم أن الجن يصعدون إلى السماء الدنيا، ويستمعون من أخبار الملائكة وحديثهم[10] فيما يتراجعون فيما بينهم من أمر الله في الأرض، ثم يخبرون الكهنة بذلك فيخبر الكهنةُ أهلَ الأرض عن ذلك أنه يكون[11] غدا كذا وفي يومٍ كذا وكذا، وأنه انقطع ذلك بالوحي ويُمنَعون، فقالت الجن ذلك، وأخبرت عن أنفسهم أنهم كذلك كانوا يفعلون، فصدّقوه على ما أخبر من صنيعهم.

فإن قيل: كيف صار ذلك آية له، وإنما أخبر عن قول الجن هو،[12] وبه ظهر ذلك، ومنه عُرف؟

---

[1] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٠ظ.

[2] جميع النسخ + استثنى الخطفة وقال ههنا فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا كذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٣ظ - ٦٣٤و.

[3] ر ث م: إلا.

[4] جميع النسخ: أي (د ث: إلى) موضع يخطف.

[5] جميع النسخ: لكن. و لتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.

[6] جميع النسخ: يكون.

[7] سورة الجن، ٧٢/٨-٩.

[8] سورة الجن، ٧٢/١٣.

[9] جميع النسخ: ثم قوله.

[10] ن: وحدثتهم.

[11] م - انه يكون.

[12] جميع النسخ: هم.

قيل: هكذا، لكنّ انقطاع الكهنة من بعدُ وحديثَهم يدل على أن ذلك قد كان، ثم انقطع ذلك بالرسالة والوحي. **والله أعلم**.

فإن قيل: [إن الملائكة] لَمّا وُلُّوا[1] حفظ السماء وحَرْسها كيف غفلوا[2] عما ولّوا من حفظها وحرسها وامتُحنوا بها[3] حتى أمكن لأولئك الاستماعُ[4] والاختطاف وما ذَكَر.

قيل: جائز أن يشتغلوا هم[5] بأعمال ويُمْتَحنون بأمور أخر سوى ذلك، فيمكن[6] لهم ما ذكر. **والله أعلم**.

فإن قيل كيف كانت صنعة الشياطين من الاستماع منهم والخطف، وقد رأت[7] وعاينت ما أصاب مَنْ فعل ذلك من القذف والرمي والاحتراق؟

[٦٣٩و] قيل: إن الشياطين عادتهم طلب / الغفلة[8] في كل وقت؛ فجائز أن يكونوا فعلوا ذلك لِما كانوا يظنون ويقع عندهم أنهم[9] في غفلة وسهو من أمورهم وإن كانوا يعلمون ما يصيب مَنْ فَعَل ذلك. **والله أعلم**.

ثم جائز أن يُسْتَدَلّ بقوله عز وجل: وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ،[10] الآية، [على صحة] قول[11] علمائنا في مَنْ حلف أن لا يُكلّم فلانا فناداه من حيث لا يسمع لا يَحْنَث، وإذا ناداه من حيث يسمع حَنِث وإن لم يسمع، لما ذكر[12] وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ. ومعلوم أنهم كانوا يقعدون من الأرض إلى الملإ الأعلى لكن لا يسمعون. ثم لم يذكر ذلك منهم إلا في المكان الذي يسمع، دلّ أنه على ما ذكرنا من الدلالة. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ + فإذا ولوا. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[2] جميع النسخ: أغفل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[3] ر م – بها.
[4] جميع النسخ: من الاستماع. والتصحيح من *الشرح*، ٦٣٤و.
[5] ن ث: ان يشغلوا هم؛ ر: ان يشغلوهم.
[6] ر ث م + ذلك.
[7] ر ث م: بدات.
[8] ر ن م: الفعل؛ ث: الغفل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٤و.
[9] أي الملائكة
[10] سورة الجن، ٩/٧٢.
[11] ر ن م: يقول؛ ث: تقول.
[12] م: ذكرنا

وقوله عز وجل: **لا يَسَّمَّعُون إلى الملإ الأعلى**. يحتمل "الملأ الأعلى"[١] الأشرافَ منهم وأهل المنزلة والكرامة، ويحتمل الجماعة، لأن الملأ هو اسم للتبيئين: للجماعة منهم، واسم لأهل الشرف والمنزلة والكرامة.

ثم لا ندري[٢] كيف سماع الجن من الملائكة وما سبب ذلك؟ [فيشبه] أن تكون[٣] تلك[٤] الأخبار وما يريد الله عز وجل إحداثَه في الأرض مكتوبا في كتاب ينظرون فيه فيعلمونه، أو يتحدث[٥] الملائكة فيما بينهم بذلك فيستمع هؤلاء منهم ذلك.[٦] وفيه [دلالة على] أن الجن يفهم كلام الملائكة وإن اختلفت[٧] جواهرهم. *والله أعلم*.

[٦٤٠و س٢٢ *وقوله عز وجل: **وهم عذاب واصب**، قيل: دائم، كقوله عزّ وجلّ: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[٨] أي دائما. وقيل: **عذاب واصب** أي شديد. وقوله: **دُحورا**، قيل: طردا، وهو مطرود. وقوله: **شهاب ثاقب**، قيل:[٩] مضيء.[١٠] * ٦٤٠و س٢٥]

[٦٤١و س٢٥ * قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: القذف[١٢] الرمي، **يُقْذَفُون**، أي يُرْمَوْن. **ودحورا** أي مباعَدة؛ دَحَرْتُه أي باعدْتُه وطَرَدْتُه. **واصب** أي دائب. **خَطِفَ الْخَطْفَةَ**، أي استلبَ الشَّيء. والخطفة: الاستلاب السريع. **فأتبعه** أي اتَّبَعه **شهاب ثاقب**. الشهاب: الكوكب، والثاقب الشديدُ الضَّوءِ[١٣] والحرِ؛ يقال ثقبتْ النارُ، أي التَهَبَتْ[١٤] واشتدَّ حرُها، وأثقبتُها أي أوقدتُها.* ٦٤١و س٣٠]

---

[١] ر م - يحتمل الملأ الأعلى.
[٢] جميع النسخ: يدرى. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٤و.
[٣] جميع النسخ: أن يكون.
[٤] ر م: ذلك.
[٥] جميع النسخ: ليحدث. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٦٣٤و.
[٦] جميع النسخ + أو كيف جهة سماعهم ذلك منهم وما يشبه ذلك والله أعلم. وقال الشارح رحمه الله: «ولكن لا حاجة لنا إلى القطع إلى كيفية جهة سماعهم منهم، لكن فيه دلالة...»، ورقة ٦٣٤و.
[٧] جميع النسخ: اختلف.
[٨] ﴿وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون﴾ (سورة النحل، ٥٢/١٦).
[٩] ن م: قيل.
[١٠] ن م + وقيل هوى يهويه؛ ث - مضيء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٥ فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤٠و/ سطر ٢٢-٢٥.
[١٢] جميع النسخ: والقذف.
[١٣] ر ن: الصور.
[١٤] جميع النسخ: لتهب.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٧ فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٢٥-٣٠.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[١١]

وقوله: **فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا**. قيل: [المراد بقوله **أم من خلقنا**][١] هي السماوات والأرض والجبال، وقيل: الملائكة. وأكثرهم قالوا: قوله عز وجل: **أهم أشد خلقا أم من خلقنا**، أي السماوات والأرض، كقوله عز وجل: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ،[٢] الآية. يقول -والله أعلم- سهم: أنّ خلقهم وإعادتهم [هل هو] أشدُّ وأكبر وأعظم مِنْ خلق السماوات والأرض؟ وإذ أقررتم[٣] أنتم قدرتَه على خلق السماوات والأرض كيف أنكرتم قدرتَه على إعادتكم بعد ما مُتّم وكنتم ترابا ورُفاتا؟ *والله أعلم*.

وقوله: **فاستفتهم** و سَلْهُمْ،[٤] ونحو ذلك مما أمر الله عز وجل رسوله أن يسألهم ويستفتيهم[٥] يَخْرُج من الله -عز وجل- على وجوه. أحدها على التقرير[٦] عندهم والبينة لهم؛ أو على التعيير لهم والتوبيخ، أو على التعليم للنبي[٧] جهة[٨] الحِجَاج والمناظرة فيما بينهم وبين خصومهم. وهكذا كل سؤال أو استفتاء كان من خبير عليم لمن دونه يخرج على هذه الوجوه. وكل سؤال واستفتاء كان من الجهال لخبير عليم يخرج على الاسترشاد[٩] وطلب الثواب.

وقوله: **فاستفتهم** و سَلْهُمْ،[١٠] و اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا،[١١] الآية، و سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١٢] و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[١٣] وقل كذا... هذا كله يخرج على التقرير[١٤] والتنبيه،

---

[١] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[٢] سورة المؤمن، ٥٧/٤٠.
[٣] ن ث: وإذا قدرتم.
[٤] ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ (سورة البقرة، ٢١١/٢)؛ و﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ (سورة القلم، ٤٠/٦٨).
[٥] جميع النسخ: ان تسالهم وتستفتهم.
[٦] ر: لتعذير؛ م: التقدير.
[٧] ر ث م - لهم؛ ن: لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[٨] جميع النسخ: حجة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[٩] جميع النسخ: استرشاد. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[١٠] سبق قريبا.
[١١] سورة الزخرف، ٤٥/٤٣.
[١٢] سورة البقرة، ٢١١/٢.
[١٣] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[١٤] ر م: لتقدير.

وعلى[١] تعليم الكل جهة[٢] الحِجاج والمناظرة، لا على الأمر؛ لأنه لو كان على[٣] الأمر لكان لا يقول ذلك المأمورَ بالتبليغ: "سل" ولا "قل" ولا شيء من ذلك. ولكن يبلّغ إليه رسالته ويأمره أن يقول لهم:[٤] أن افعلوا كذا، ولا تفعلوا. فدل أن ذلك الأمر للكل في[٥] أنفسهم:[٦] أن قولوا لهم وأن [ا]فعلوا بهم[٧] كذا.[٨] *والله أعلم*.

وقوله: **فاستفتهم أهم أشد خلقا**، الآية، أمره[٩] أن يستفتيهم[١٠] ولم يذكر أنهم[١١] ما أفتَوْه، ولا أجابوه أوّلا، ولا[١٢] قال: إنهم لو أجابوك وأفتوك بكذا فقل لهم كذا، أو أجبهم بكذا. فجائز أن يكون الجواب ما ذكرنا أنكم لو لم تشاهدوا خلق ما ذُكر من السماوات والأرض وغيرها سوى خلقِ أنفسكم،[١٣] ثم شاهدتم خلقنا أعني ما ذكرنا من السماوات والأرض والجبال وغيرها، هل تنكرون قدرته على خلق ما شهدتم وعاينتم أنه لم يخلقها[١٤] إلا هو؟ كيف أنكرتم قدرته على إعادتكم وبعثكم؟

وقوله: **إنا خلقناهم من طين لازب**، يذكر[١٥] -والله أعلم- ضعفهم وشدة ما سواهم من الخلق،[١٦] [أي] إنكم[١٧] تعلمون ضعف أنفسكم وعجزها وشدة ما سواكم[١٨] وقوتها وصلابتها.

---

[١] ن: أو عمى.
[٢] جميع النسخ: حجة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[٣] ر م - على.
[٤] جميع النسخ: وأمره أنه (ر ث م - أنه) يقول لكم.
[٥] ر ث م + أمر.
[٦] ر: نفسهم.
[٧] ن م: لهم.
[٨] ن: وافعلوا بهم كذا.
[٩] جميع النسخ: أمرهم.
[١٠] ر ث: أن يستفتهم.
[١١] ر م: وانهم.
[١٢] ث + ولا.
[١٣] ر ن م: أنفسهم.
[١٤] ر ن م + إلا هو كيف أنكرتم قدرته عمى حنق ما شهدتم (ن: ما شاهدتم) وعاينتم أنه لم يخلقها.
[١٥] جميع النسخ: فذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[١٦] جميع النسخ: وشدة ما خلق من سواهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[١٧] ث: أنهم.
[١٨] جميع النسخ: من سواكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.

ثم إنها مع شدتها وقوتها وصلابتها أخضعُ لله وأطوعُ منكم. نحوَ ما ذكر من طاعتها له وخضوعها، حيث قال عز وجل: اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،[1] وقولُه عز وجل: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ،[2] ونحو ذلك مما يكثر. **والله أعلم.**

أو يذكر[3] في قوله[4] عز وجل: **إنا خلقناهم من طين لازب**، بَدْءَ خلْقِهم وأصلهم[5] الذي خُلقوا هم منه، [ويقول:] إنكم إنما عرفتم ابتداء خلقكم وأصلكم الذي منه خلقتم أنه تراب أو طين بإخبار الرسل وبقولهم. وأنتم -يا أهل مكة- ممن لا يؤمنون بالرسل، فكيف صدّقتم الرسلَ بما أخبروا من أصلكم[6] وبدء خلقكم، ولم تصدّقوهم[7] بما يخبرونكم من إعادتكم وبعثكم بعد موتكم. فإذ[8] صدقتموهم في ذلك لزمكم التصديق لهم في كل ما يخبرون ويقولون. **والله أعلم.**

[٦٢٩ظ] أو [يحتمل أن] يقول: إنه أنشأ / من تلك النفس الواحدة التي خلقها من تراب من الخلق ما لو تركهم جميعا لم يُفْنِهم ولم يُمِتهم لامتلأت[9] الدنيا منها. فمن قدر على إنشاء ما تمتلئ[10] الدنيا منه من نفس واحدة لا يحتمل أن يُعجزه شيء من البعث والإعادة وغير ذلك. **والله أعلم.**

أو[11] [يحتمل] أن يقول في قوله عز وجل: **إنا خلقناهم من طين لازب**: إنه[12] قد أنشأ من تلك النفس ومن ذلك الأصل قرنا وقرنا[13] بعد قرن، بعد إفناء كل قرن أنشأ قوما آخر.

---

[1] ﴿ثم استوى إلى لسماء وهي دخان فقال ها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ٤١/١١).
[2] سورة الحشر، ٥٩/٢١.
[3] جمع النسخ: أن يذكر؛ م + والله اعلم او ان يذكر.
[4] جميع النسخ: نقوله.
[5] جميع النسخ: أصله.
[6] جميع النسخ: من اصلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤و.
[7] جميع لنسخ: ولم يصدقوهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢١و.
[8] م: فإذا.
[9] ر: لا امتلات.
[10] جميع النسخ: يمتلئ.
[11] ر: وأن.
[12] جميع النسخ: أي.
[13] ن ث: قرون قرنا.

فلا يُحتمل أن يكون المقصود من إنشائهم الإنشاءَ ثم الإفناءَ والنقضَ خاصة، لا عاقبة[١] تُقْصَد بالإنشاء والإفناء، إذ في الشاهد من كان مقصوده في البناء البناءَ والنقضَ خاصة كان غيرَ حكيم. فإذْ[٢] عرفتم الله عز وجل أنه حكيم فلا يُحتمل أن يكون مراده من إنشائكم وإفنائكم ذلك خاصةً لا غيرُ. وذلك يزيل[٣] الحكمة ويوجب السفه. تعالى اللهُ عن ذلك وعن جميع ما يصفه الملاحدة[٤] علوا كبيرا.

أو [يحتمل] أن يقول: إنكم عرفتم أنه إنما أنشأكم من تلك النفس التي أنشأها من تراب أو طين على اتفاق منكم، فإذا مُتُّم وفَنِيتم[٥] صِرتم ترابا أو طينا. فكيف أنكرتم إعادته إياكم من تراب أو طين، وقد أقررتم أن أصلكم تراب أو طين؟ *والله أعلم*. على الوجوه التي ذكرنا يجوز أن يخرج [تأويل هذه الآية].

*وقوله عز وجل: **من طين لازب**، وقيل ملتزق، وهو[٦] الملتصق[٧] الذي يلتصق باليد إذا لُمِس.* [٦٤٠و س٢٣]

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **بل عجبتَ ويسخرون**، بالنصب،[٨] يحتمل وجوها. أحدها[١٠] عجبتَ منهم إنكارَهم ما أنكروا بعد كثرة قيام الآيات والحجج عليهم في ذلك، وهم ينكرون ويسخرون. أو يقول: عجبت لما أنك تنذرهم[١١] لعظيم ما ينزل بهم من العذاب والشدائد

---

[١] م: عاقبة.

[٢] م: فإذا.

[٣] جميع النسخ: مزيل.

[٤] ر ن ت: الملحدة.

[٥] ن: وفنيتم.

[٦] ر ت م: وقيل.

[٧] جميع النسخ: ملتصق.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٥، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤٠و/ سطر ٢٣-٢٤.

[٨] «اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ بضم التاء من عجبتُ، بمعنى: بل عَظُم عندي وكَبُر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب» (تفسير الطبري، ٤٣/٢٣).

[١٠] ر: احدهما.

[١١] جميع النسخ: ويسخرون لما أنك بزعمهم. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٦٣٤ظ.

وما يستقبلهم من الأمور المهمة وهم يسحرون. ***والله أعلم***. أو يقول: بل عجبت لما تدعوهم أنت إلى ما به نجاتهم وفلاحهم وهم يسخرون. ونحو ذلك يحتمل. والله أعلم بما كان يعجبه.

وفي بعض الحروف: "بل عجبتُ" بالرفع، وكذلك ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ بالرفع:[1] بل عجبتُ. فإن ثبت ذلك وصحّ إضافة العجب إلى الله، فهو في الشاهد وإن كان لظهور عظيم ما كان[2] خفيًّا عليهم مستترا عند ذلك يقع لهم العجب، فهو في [حق] الله عز وجل، إذ[3] لا يحتمل أن يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم من الإنكار من قدرته على الإنشاء والجحود في ذلك؛ فيكون ما ذكر من حرف العجب منه كنايةً عن الإنكار والدفع لقولهم. وذلك كما أضاف الامتحان إلى نفسه وإن كان في الشاهد لا يستعمل إلا في استظهار[4] ما خفي عليهم واستتر منهم، فهو من الله يخرج على الأمر والنهي، أعني الامتحان[5] وإن كان في الشاهد بين الخلق لا يكون إلا لما ذكرنا. فعلى ذلك جائز إضافة العجب إلى الله على إرادة الإنكار منه عليهم والدفع لقولهم.[6] ***والله أعلم***.

[٦٤٠و س ٢٠ *وقال الزجاج: حرف العجب إنما يكون عند ظهور العجب من الأمر وعند[7] عظيمة. فأما ما أضيف إلى الله فهو على الإنكار منه والرد على من أنكر عظيما من الأمر ظاهرا،
٦٤٠و س ٢٢| أو كلام نحوه. ***والله أعلم***.[8]*

---

[1] روح المعاني للآلوسي، ٧٦/٢٣.
[2] جميع النسخ: قلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[3] جميع النسخ: وإن كان.
[4] ر: الاستظهار.
[5] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿إن الذين يَغُضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ (سورة الحجرات، ٣/٤٩)؛ وقوله: ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧). وانظر لمعنى الابتلاء والامتحان ونسبته إلى الله تعالى: تفسير الآية ١٢٤ من سورة البقرة.
[6] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[7] جميع النسخ: غير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[8] قال الزجاج: «﴿بل عجبت ويسخرون﴾ وتقرأ عجبتُ -بضم التاء-. ومعناه في الفتح بل عجبتَ يا محمد من نزول الوحي عليك ويسخرون. ويجوز أن يكون معناه بل عجبتَ من إنكارهم البعث. ومن قرأ عجبتُ فهو إخبار عن الله. وقد أنكر قوم هذه القراءة وقالوا: الله عز وجل لا يعجب. وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرة، والعجب من الله -عز وجل- خلافه من الآدميين كما قال: ﴿ويمكر الله﴾ و﴿سخر الله منهم﴾ و﴿وهو خادعهم﴾. والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين، وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبتُ والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء» *معاني القرآن*، ٢٩٩/٤-٣٠٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٥ فنقلناه إلى هنا. انظر: ٦٤٠و/ سطر ٢٠-٢٢.

ومن الناس من أنكر هذه القراءة[١] وقال: لا يجوز إضافة التعجب[٢] إلى الله عز وجل لما هو لم يزل عالما بما كان ويكون، وهو في الشاهد إنما يكون لظهور عظيم من الأمر قد جهوه. لكنّ هذا وإن كان في الخلق ما ذُكر فهو من الله على غير ذلك على ما ذكرنا من إضافة الامتحان إليه والابتلاء، وإن كان بين الخلق كما ذكرنا.[٣] وقد ظهرت إضافته إليه بقوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ،[٤] وهو يخرج على الإنكار عليهم والرد لعظيم[٥] ما قالوا وأنكروا. ***والله أعلم***.

ومن الناس من قال في قوله عز وجل: **بل عجبتَ** [بنصب التاء][٦] فيما أضافه[٧] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي عجبتَ من هذا القرآن[٨] حين أعطاك إياه، ويسخر[٩] منه أولئك الكفرة.

ويحتمل معنىً آخر[١٠] وهو أن يقال: إن قوله عز وجل: **بل عجبت**، أي جعلتَ ما أنزلتُ عليك من القرآن والوحي أمرا عجبا. أو أن يقال: كان إنكارُهم رسالتَك وتكذيبُهم[١١] الآياتِ أمرا عجبا وهم يسخرون، ونحوه. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإذا ذكروا لا يذكرون**. ابن عباس يقول: وإذا وُعِظوا لا يتعظون. والموعظة والتذكير واحد. وقتادة يقول: **وإذا ذكروا لا يذكرون**، أي لا ينتفعون بالموعظة.[١٢] على ما ذكرنا في قوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[١٣] أي لا ينتفعون بتلك الحواس وإن كانت لهم تمت،

---

[١] م: القراء.
[٢] ن: العجب.
[٣] ر ن م: لما ذكرنا؛ ث: لما ذكر.
[٤] ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة الرعد، ٥/١٣).
[٥] جميع النسخ: على تعظيم إنكار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[٧] م: أضاف.
[٨] م: القول.
[٩] ر م: يسحر.
[١٠] جميع النسخ - آخر. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[١١] ر: وتكذيبكم.
[١٢] تفسير *الطبري*، ٤٤/٢٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨٣/٧.
[١٣] سورة البقرة، ١٨/٢.

كمن لا حاسة له، فعني ذلك قول قتادة. وجائز أن يكون على حقيقة التذكير ما نَسُوا من الآيات والحجج؛ يقول: إنهم وإن ذُكِّروا ما نَسُوا وتركوا وغفلوا عنه[1] لا يتذكرون. *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾[١٤] ﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وإذا رأوا آية يستسخرون**. هذه الآيات وأمثالها ذَكَرَها -والله أعلم- لقوم عَلِمَ الله أنهم لا يؤمنون أبدا: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ. وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ.[2] **وإذا رأوا آية يستسخرون. وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**، إلى آخر ما ذكر، يخبر عن عنادهم ومكابرتهم الآياتِ ويذكر سفههم.

ثم في ذكر ما ذَكَرَ من عنادِهم وسفهِهم وجعلِه آياتٍ من القرآن تُتْلى[3] أبدا وجهان من الحكمة. أحدهما صَيَّرَ ذلك آيةً لرسالته صلى الله عيه وسلم، لأنه معلوم أنهم كانوا على ما أخبر منهم من العناد والسفه، وعلى ذلك خُتِموا وقُبِضوا. دلّ أنه بالله[4] عَرَفَ ذلك،[5] وبوحيه عَلِمَ. *والله أعلم*.

[٦٤٠و] والثاني يخبر -والله أعلم- على ما رأى سَلَفُنا من سفه أولئك / وعنادهم، وما قاسوا منهم، وما لحق بهم من الأذى والضرر والسوء لئلا يضيق صدورنا[6] في سفه من تَسَفَّهَ علينا من أهل الفساد والفسق، وأن لا نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتَسَفُّهِ السفيه ولا لأذى المُؤْذِي ولا لسوءٍ[7] يُقَال. بل يجب علينا أن نَتأسّى[8] بسلفنا ونقتديَ بهم، وإذا أصابنا منهم ما أصاب أولئك من الأذى والسفه، وإن عاندوا وكابروا وظهر[9] منهم كل فسق وسوء على ما فعل أولئك واحتملوا منهم ما كرهوا، فنتحمّل[10] عن سفهائنا مثلَه. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: وأغفلوا عنه.
[2] سورة الصافات، ٣٧/١٢-١٣.
[3] ن: يتلا.
[4] ر ن - بالله.
[5] ر ن + بالله.
[6] ر ث م: صدرنا.
[7] جميع النسخ: ولا سوء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ ظ.
[8] ر: تباسى.
[9] ر م: وظهروا.
[10] جميع النسخ: فيحمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.

وإلا لو لم يكن في ذكر ما ذَكَرَ[1] من سفههم وعنادهم ما ذكرنا من الحكمة لكان[2] لا معنى لذكر سفه أولئك وعنادهم.

وجائز أن يكون الشيءُ سفها باطلا في نفسه، ويكونَ حكمةً ودليلا لغيره -والله أعلم- على ما قال بعض الناس: إنّ الكَذِب نفسَه يجوز أن يكون دليلَ الصدق، وكلامَ السفه والباطل دليلَ الصدق والحكمة. *والله أعلم*.

وقوله: **وإذا رأوا آية يستسخرون**، أي وإذا أنزل[3] عليهم آية على السؤال منهم، يَستسخرون[4] ويستهزءون. يخبر عن سفههم أنهم وإن سألوا الآيات فإنهم لا يسألون سؤالَ استرشاد، ولكن سؤالَ عنادٍ وهُزْءٍ، كقوله عزَّ وجلَّ: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[5] وكقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[6]

**وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**، كأن هذا تلقين لأولئك الكفرة الرؤساء من الشيطان اللعين حتى يُمَوِّهون على أتباعهم عند ما ظَهَرَ وكَثُرَ[7] من الآيات لِمَا كانوا يعلمون أنْ لا كلُّ أحدٍ يعرف السحرَ ويتهيأ [لـ]إتيانه وفعله؛ يُلَبِّسُون بذلك على أتباعهم لتقع[8] عندهم أنها السحرُ لا الآيةُ. *والله أعلم*. ولو كان ذلك سحرا حقيقة لكان آية[9] من آيات الرسالة، فكيف إذا كان آية؟ [وذلك][10] لِما كانوا يعلمون أنه لم يختلف إلى أحد ممن له معرفة بالسحر قَطُّ؛ فدلّ أنه بالله عَرَفَ ذلك.[11] [وهو] على ما ذكرنا أنَّ ما[12] أنبأ وأخبر عن أنباء الأمم الخالية وأخبارهم يدلُّ على رسالته؛ لِما علموا أنه لم يختلف إلى أحد ممن له المعرفةُ بتلك الأنباء والأخبار،

---

[1] ر ث م - ما ذكر.
[2] جميع النسخ: كان.
[3] م: نزل.
[4] جميع النسخ: يسخرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ظ.
[5] ﴿... بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥).
[6] ﴿... ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).
[7] ر ث م: وكثير.
[8] ر ل م: لتقع.
[9] م - آية.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٤ ظ.
[11] جميع النسخ + لا.
[12] م: من.

ولا نَظَرَ في كتبهم ليعرف ذلك، ثم أخبر على ما كان في كتبهم. دَلَّ أنه بالله عَرَفَ ذلك وبوحيٍ منه إليه عَلِمَ. فعلى ذلك لو كان سحرا، فكيف إذا كانت آية عظيمة معجزة؟

ثم قوله: **وإذا رأوا آية يستسخرون**. قال بعضهم: يَسْخَرون، وقال بعضهم: **يستسخرون** [أي] يطلبون من أتباعهم السُّخْرِيَّة -يعني القادة- من الآية.[1] ***والله أعلم***.

[٦٤١و س٣٠ * [قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:] سَخِرتُ واستسخرت -كقولهم: قَرَّ[2] واستقرَّ- واحد.

٦٤١و س٣١] ويَسْخَر به سُخْرِيَّةً[3] بالتشديد،[4] وسَخَّرتُ فلانا أي استعملته بغير أجر.*

**﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[١٦] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[١٧] ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون**. قد ذكرنا [فيما تقدم] أنهم يقولون ذلك[6] على العناد والتعنت، وعَلِمَ [الله] منهم أنهم لا يؤمنون أبدا وإن بَيَّنَ هم جهة الإحياء والقدرة عليهم.[7] لذلك اكتفى بقوله: **قل نعم وأنتم داخرون**، قد ذكرنا أنهم كانوا يقولون ذلك، ولم يذكر شيئا من الحِجَاج سوى قوله: **نعم**. وقوله: **وأنتم داخرون**، أي صاغرون ذليلون، كقوله عز وجل: تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ.[8] ***والله أعلم***.

**﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾[١٩]**

وقوله: **فإنما هي زجرة واحدة**، يحتمل قدرَ زجرة واحدة، يخبر عن سرعة قيامها ومرورها؛[9] ويحتمل على حقيقة الزجرة. لكن يخبر عن خفة[10] ذلك على الله[11] وهونِه عليه،

---

[1] جميع النسخ: على الآية.
[2] جميع النسخ: وقر.
[3] جميع النسخ: وسخرية.
[4] م + وسخرية بالتشديد.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٧، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٣٠-٣١.
[6] ن ث + وما يقدم؛ ر م + وما تقدم.
[7] «أمر الله نبيه عليه السلام أن يكتفي في جواب سؤالهم هذا بقوله: ﴿نعم وأنتم داخرون﴾ ولم يذكر لهم شيئا من الحجاج سوى قوله: ﴿نعم﴾ لما أنهم قالوا ذلك على العناد والمكابرة، وقد علم منهم أنهم لا يؤمنون، وقد قدّم عليهم الأدلة والبراهين على الإحياء بعد الموت، والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٥و).
[8] ﴿خاشعةً أبصارُهم ترهقهم ذلة﴾ (سورة القلم، ٤٣/٦٨).
[9] جميع النسخ: بمرورها.
[10] ن: حقه.
[11] ر ث م - على الله.

كقوله: كُنْ فَيَكُونُ[1] من غير أن كان منه كاف أو نون أو شيء من ذلك، لكنه أخفُّ كلام على الألسن يُؤَدَّى به المعنى ويُفْهَم به المراد من ذلك. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **زجرةٌ واحدة** إخبارًا[2] عن خفة ذلك عليه وهونه من غير أن جعل الزجرة سبب الإحياء أو سببا من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **فإذا هم ينظرون**، يحتمل قوله: **ينظرون** إلى ماذا يُؤْمرون، وعن ماذا يُنْهون؛ لأن الذي أصابهم في الآخرة إنما كان لتركهم الأمر في الدنيا. فإذا عاينوا ما كانوا يوعدون في الدنيا بتركهم الأمرَ عنه ينظرون إلى ماذا يؤمرون وينهون عنه. *والله أعلم*. أو **ينظرون** كالمتحيرين، لأنهم كانوا ينكرون البعث ويكذّبونه؛ فإذا عاينوا تحيروا وتاهوا وضَجِروا. وهكذا الأمر المتعارَف في الخلق أن من أنكر شيئا أو كذّبه ثم أُخبِر به وأُعْلِم حتى تيقّن به وتحقق[3] عنده ما أنكر تحير وضجر.[4] فعلى ذلك هؤلاء لَمَّا أنكروا ذلك في الدنيا وكذّبوه ثم عاينوا ذلك وتيقنوا به تحيروا وضجروا به، ينظرون / نَظَرَ المتحير الضَّجِرِ. *والله أعلم*. [٦٤٠ظ]

**﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[٢٠]**

وقوله: **وقالوا يا ويلنا**، هذا كلام يقال عند الوقوع في الهلاك. وقوله: **هذا يوم الدين**، يحتمل وجوها.[5] يحتمل **يوم الدين**[6] أي يوم الحساب ويوم الجزاء، وهو كقوله:[7] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.[8] ويحتمل: **هذا يوم الدين** أي هذا يومٌ[9] ينفع كلَّ مَنْ معه الدينُ دينُه. والدين المطلق هو دين الله، وكذلك السبيل المطلق هو سبيل الله.[10]

*وقال قتادة وغيره: **هذا يوم الدين**، أي يُدَان [فيه] لبعض الناس من بعض في المظالم والحقوق.[11]* [٦٤٠ظ س١٥ - ٦٤٠ظ س١٦]

---

[1] ﴿إنما أمْرُه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٣٦/٨٢).
[2] جميع النسخ: اخبار.
[3] ر م: تيقن به يحقق؛ ن ث: يتيقن به يحقق.
[4] ر: زجر.
[5] ر م - يحتمل وجوه؛ ن ث: وجوه.
[6] ر م - يوم الدين؛ ر ث م + يوم الحساب؛ ن + محتمل.
[7] جميع النسخ: وكذلك قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[8] سورة الفاتحة، ١/٤.
[9] ر م + لدين؛ ن + يوم الدين؛ ث: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[10] جميع النسخ + أي هذا يوم الدين الذي ينفع من كان معه دين الله؛ ر ن م + وكذلك (ر: وكذا) السبيل المطلق هو سبيل الله.
[11] تفسير *الطبري*، ١٩/٥١٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٢٣، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤٠ظ/ سطر ١٥-١٦.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٢١]

وقوله: **هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون**. قوله: **هذا يوم الفصل**، أي يوم القضاء والحكم. كقوله عز وجل: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أي يقضي بينهم، فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.[١] *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **هذا يوم الفصل**، أي يَفْصِل[٢] [الله] ويُفَرِّق بينهم، أي بين الكفار وأهل الإيمان وبين الخبيث والطيب، كقوله تعالى: لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا [فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ]،[٣] الآية، وقوله: وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ،[٤] وقوله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.[٥] *والله أعلم*.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٢٢] ﴿مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[٢٣]

وقوله: **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**، فالزوج هو اسم لشكله واسم لضده [و]اسم لهما جميعا.[٦] يحتمل قوله: **وأزواجهم**، أي أشكالَهم وقرناءهم من الجن والإنس والشياطين. يأمر الملائكة أن يجمعوا[٧] بين من كانوا[٨] يجتمعون في هذه الدنيا ويستحبون الاجتماع معهم أن يُجْمَعُوا في عذاب الآخرة على ما كانوا يستحبون الاجتماع في الملاهي والطَّرَب في هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك. فعلى ذلك يُجْمَعُ بين أولئك وبين قرنائهم [في][٩] جهنم، ويُقْرَنُ بعضهم إلى بعض في العذاب، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[١٠] وكقوله: وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ،[١١] ونحوه.

---

[١] سورة السجدة، ٢٥/٣٢.
[٢] ث: يفرق.
[٣] سورة الأنفال، ٣٧/٨.
[٤] سورة يس، ٥٩/٣٦.
[٥] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[٦] «يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخُفّ والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادًّا زوج» (*المفردات* للراغب الإصفهاني، «زوج»).
[٧] جميع النسخ: أن يجمع.
[٨] جميع النسخ: كان.
[٩] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[١٠] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.
[١١] ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسْحَبون في الحميم ثم في النار يُسْجَرون﴾ (سورة المؤمن، ٧١/٤٠-٧٢).

*[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] **وأزواجهم**، أشكالهم؛ تقول العرب: زَوَّجْتُ، إذا قَرَنْتُ واحدا بآخر، وهم قرناؤهم من الشياطين.[1] وزوْجُ الشيء شكله،[2] ويقال لضده، فهو اسم لهما جميعا.* [٦٤١و س ٣٢ - ٦٤١و س ٣٤]

وقوله: **فاهدوهم إلى صراط الجحيم**، [أي بيّنوا لهم طريق النار]،[4] وهو كقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[5] ونحوه.* *والله أعلم.*

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وقفوهم إنهم مسئولون**. يحتمل [أن يكون] الوقف للحساب، ومعنى قوله[7] **مسئولون** أي محاسَبون. وعن ابن عباس [أنه] قال: إن دون الحساب يوم القيامة كذا كذا موقفا، في كل موقف يُوقَفُون مقدارَ كذا عاما، ثم تلا هذه الآية. ويحتمل السؤالَ عما فعلوا، ولكن يُسْألون لماذا فعلوا. ويحتمل الوقوفُ لما فتن[8] بعضهم بعضا والمخاصمةِ فيما بينهم والمراجعة، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ،[9] إلى آخر ما ذكر، وكقوله:[10] قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ، كذا، وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ[11] كذا، على ما أخبر أنه يجري فيما بينهم من الخصومة ومراجعة القول واللائمة.[12]

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٠.
[2] ن: بشكنه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٧، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٣٢-٣٤.
[4] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[5] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السبقة برقم ٢٠ مؤخرة عن محلها، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٤٠ظ/ سطر ١٥-١٦.
[7] جميع النسخ: ويحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[8] ر + فتنوا الى؛ ن ث م + فتنوا الى.
[9] سورة سبأ، ٣١/٣٤.
ر ث م – ولو تري إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول إلى آخر ما ذكر وكقوله.
[11] جميع النسخ: كقوله وقالت أولاهم لأخراهم كذا وقال أخراهم لأولاهم كذا. ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضِعفا من النار قال لكلٍّ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون. وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧-٣٩)
[12] لامه يلومه لَوْما ومَلامة في كذا وعلى كذا: عَذَلَه، كدّره بالكلام. اللائمة: اللوم (*المنجد*، «لوم»).

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[٢٥] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **ما لكم لا تناصرون** أي ما لكم لا تُنْصَرُون؟[١] أي ما لكم لا تنصركم[٢] الأصنام التي عبدتموها في الدنيا رجاءَ[٣] النصر والشفاعة، كقوله: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٤] وقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٥] فيخبر عن إياسهم مِن نَصْر ما عَبَدوا على رجاء النصر لهم[٦] والشفاعة.

وقوله[٧]: **بل هم اليوم مستسلمون** أي خاضعون ذليلون لله لِمَا علموا أن لا يكون النصر والعون إلا منه، فعند ذلك مستسلمون له. وقال بعضهم: مستسلمون[٨] في عذابه.

[٦٤١و س٣١ *وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **مستسلمون** أي قد ذَلُّوا وأعطَوا بأيديهم؛ يقال: استسلم

٦٤١و س٣٢] الرجل إذا أعطى بيده؛ وأسلمتُه: تركته لم أُعِنْه ولم أنصره.*

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢٧] ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾[٢٨] ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٢٩] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾[٣٠]

وقوله: **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**. قال بعضهم: أقبت الإنس على الجن، وقال بعضهم: أقبلت الإنس على الشياطين فقالوا لهم: **إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين**. قال بعضهم: [أي تدعوننا][١٠] من قبل الخير والطاعة، فتُشهُونَنا وتُثَبِّطُوننا عنه. وقال بعضهم: من قبل الدين والتوحيد من حيث لم يحترس،[١١] وهو الأول. وقال بعضهم: [كنتم تأتوننا] من قبل الحق[١٢] ونحوه.

---

[١] ن: ما لكم تنصرون.
[٢] جميع النسخ: لا ينصركم.
[٣] ر ن م: وجاء.
[٤] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٥] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[٦] ث - لهم.
[٧] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[٨] ر ث: يستسلمون؛ ن: يستسلموا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٧، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٣١-٣٢.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.
[١١] ر م: يحترس. أي كنتم تأتوننا من قبل الدين والتوحيد من حيث لا يمكن الاحتراس والاتقاء من حديثكم.
[١٢] جميع النسخ: الحق.

فرد عليهم أولئك [بقوله:] **بل لم تكونوا مؤمنين**، يقولون: إنكم[١] تركتم الإيمان بأنفسكم وباختياركم، لا إنا معناكم منعا[٢] عنه.[٣]

وقالوا: **وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين**، أي ما كان لنا عليكم من حجة أو برهان ألزمناكم به ذلك،[٤] بل أطعتمونا طوعا واستجبتمونا بما دعوناكم. فهذه المناظرة والمجادلة فيما بينهم كمناظرة إبليس [مع الكفرة][٥] في موضع آخر، حيث قال عزّ وجلّ: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ،[٦] أي دعوتكم بلا حجة ولا برهان فاستجبتم لي. فعلى ذلك يقول هؤلاء: **بل لم تكونوا مؤمنين**، باختياركم [كان] تركَ الإيمان، بلا سلطان ولا حجة كان لي[٧] عليكم. وكمناظرة القادة مع الأتباع، حيث قال: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ[٨] ونحوه. ***والله أعلم***.

ويحتمل قوله: **قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين**، أي من جهة القول،[٩] أي [قلتم:][١٠] إنكم على الحق وإنكم مؤمنون، ونحو ذلك. ويحتمل لا على حقيقة اليمين، ولكن تأتوننا من كل جهة، كقوله: ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ [وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ]،[١١] الآية، أي من كل جهة لا على حقيقة ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: ان؛ ن ث: أي. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.

[٢] ث: متعناكم متع.

[٣] قال علاء الدين السمرقندي: «وقوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ الآية. قال بعضهم: أقبلت الجن على الإنس. وقال بعضهم: أقبلت الإنس على الشياطين فقالوا لهم: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾، أي تدعوننا من قبل الخير والطاعة. وقال بعضهم: من قبل الدين والتوحيد فتُخطِرون ذلك ببالنا ثم تحولون بيننا وبينه بالشبهات. وقال بعضهم: [كنتم تأتوننا] بالحق ثم تصورون الباطل بصورته على أعيننا ونحو ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٥و - ٦٣٥ظ).

[٤] ر ث م - ذلك.

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.

[٦] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.

[٧] ر م - لي.

[٨] سبق آنفا

[٩] جميع النسخ: القوة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥و.

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.

[١١] سورة الأعراف، ١٧/٧.

وقد ذكرنا أن قوله عزّ وجلّ: **وما كان لنا عليكم من سلطان**،[1] أي لم يكن لاتباعكم إيانا وطاعتكم لنا حجة أو برهان أقمناه عليكم حين[2] دعوناكم إلى ما دعوناكم[3] إليه، ولكن
[٦٤١و] اتبعتمونا[4] اتباعا من غير أن ألزمناكم بالحجة،[5] فلا تلومونا ولكن لوموا أنفسكم. **بل / كنتم قوما طاغين**، أي بطغيانكم اتبعتمونا لا بما ذكرتم. ***والله أعلم***.

[٦٤١و س٣٣] * قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **كنتم تأتوننا عن اليمين** أي تخدعوننا وتمنعوننا[6] عن طاعة الله.
[٦٤١و س٣٤] ***والله أعلم***.*

**﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾[٣١]**

ثم قالوا: **فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون**، يُشبِه أن يكون هذا قولَ الأكابر منهم المتبوعين للأصاغر والأتباع منهم: أنْ حَقَّ علينا قول ربنا. قال بعضهم: أي وجب علينا وعليكم عذابُ ربنا. ويُشبه أن يكون القولُ الذي أخبروا أنه حقَّ عليهم هو قولَه: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[8] ***والله أعلم***.

**﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾[٣٢]**

وقوله: **فأغويناكم إنا كنا غاوين**. يحتمل أن تكون[9] هذه المعاتبة التي ذُكِرت كانت بين الأتباع والمتبوعين من الإنس، كقوله عز وجل: وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، كذا، و قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا،[10] كذا، وكقوله: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ،[11] كذا. ويشبه أن يكون بين الإنس والشياطين.

---

[1] جميع النسخ + أن قوله سلطان.
[2] ر ث م: فيما.
[3] ر م - إلى ما دعوناكم.
[4] ر م - ولكن اتبعتمونا.
[5] ر ث م - بالحجة.
[6] ن: يخدعوننا ويمنعوننا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٧. وفنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٣٣-٣٤.
[8] سورة هود، ١١/١١٩.
[9] جميع النسخ: أن يكون.
[10] ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٢-٣٣) ولعل ذكر الآيتين في المتن بالتقديم والتأخير قد نشأ من خطإ الناسخين.
[11] سورة الأعراف، ٧/٣٨.

ثم قوله: **فأغويناكم**، يحتمل أعويناكم[1] حين اخترتم[2] الغواية والضلال؛ أو عرفتم أنا لسنا عىى الهدى و لم نُقم[3] عيكم الحجة فاتبعتمونا على علم منكم أنا على الغواية. فأغويناكم حينئذ. والإغواء الإضلال،[4] والغواية الضلال.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون**، أخبر أنهم جميعا -الأتباعَ والمتبوعين-[5] يشتركون في العذاب ليس أن يشتركوا في نوع من العذاب ولكن يُجمَعون جميعا [في النار] ثم لهم العذاب على قدر عصيانهم وجُرمهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[٣٤]

وقوله: **إنا كذلك نفعل بالمجرمين**. قال أبو بكر الأصمّ:[6] المجرم هو الوثّاب في المعصية القادح[7] فيها. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٣٥] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[٣٦]

وقوله عزّ وجلّ: **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**، أي كانوا إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون. ثم يحتمل قوله: **يستكبرون** لا على هذه الكلمة،[8] ولكن يستكبرون على اتباع القائلين لهم: لا إله إلا الله، كقوله:[9] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[10]

---

[1] ر م - يحتمل أغويناكم.
[2] جميع النسخ: أخبرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.
[3] ر م: ولو نقم.
[4] م: و لاغلال.
[5] جميع النسخ: والمتبوعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.
[6] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥ هـ/ ٨٤٠ م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير» و«مقالات» في الأصول و«مناظرات» مع العلاّف. وبه أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣.
[7] أي الحريص. من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.
[8] ث: يستكبرون على هذه الكلمة.
[9] جميع النسخ: كقولهم.
[10] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

وكقوله[1]: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[2] كانوا يأنفون ويستكبرون عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك قالوا ما قالوا. وجائز أن يكون ما ذكر من استكبارهم استكبارا عن هذه الكلمة حقيقةً، فيخرج استكبارهم عنها إنكارا لهذه الكلمة وجحودا لها، بقولهم: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا.[3] *والله أعلم*.

[٦٤١و س٣٤] * وقوله: **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**، يحتمل ما ذكرنا أنه على الإضمار: **إنهم كانوا إذا قيل لهم** قولوا: **لا إله إلا الله يستكبرون**. ويحتمل وجها آخر أنهم إذا قيل لهم: اتركوا عبادة الأوثان[4] والأصنام،[5] واصرفوا عبادتكم إلى الله[6] الذي هو في الحقيقة إلهٌ، وهو المالك لجرِّ النفع ولدفع[7] الضر وهو الله جل وعلا، **[يستكبرون]**. ويدل على هذا[8] قولهم: **أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**، أي [أ]نترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ *والله أعلم*.

ذكر أن نفرا من رؤساء قريش أَتَوْا أبا طالب، فقالوا: ما يريد منا ابن أخيك محمد؟ فدعا به

[٦٤١ظ] فقال: ما تريد منهم يا ابن أخي؟ فقال له: يا عم! إنما أريد / منهم كلمة يملكون بها العربَ، ويدين لهم[9] بها العجم.[10] وفي بعض القصة أنه قال لهم: أريد منكم كلمة يدين لكم بها العربُ، ويؤدّي إليكم بها العجمُ الجزية. فقالوا: وما هي؟ فقال: لا إله إلا الله وإني رسول الله. فقالوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[11] وذكر أنهم قالوا: **أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**. ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم. *والله أعلم*.

ثم الآية[12] فيمن يُقِرُّ بالصانع، ليستْ[13] فيمن يُنكِر الصانعَ رأسا من نحو الدهرية وغيرها؛ حيث نفى الألوهية لمن دونه وأثبتها لله عز وجل بقوله: **لا إله إلا الله**. ولو كان ذلك مع أهل الدهر

[1] ن ث م: كقولهم.
[2] سورة ص، ٨/٣٨.
[3] سورة ص، ٥/٣٨.
[4] ر ن ث - الأوثان.
[5] ر ن ث: والأصنام.
[6] ر ن ث: الإله.
[7] ر ن: ولرفع.
[8] جميع النسخ: لهذا.
[9] جميع النسخ: يزيد لكم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٣ظ.
[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٧/١؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٠/٢٠؛ *وتفسير ابن كثير*، ٧٤/١٢.
[11] سورة ص، ٥/٣٨.
[12] جميع النسخ: والآية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.
[13] جميع النسخ: ليس

لكان لا معنى لنفي الألوهية لغيره بل يحتاج إلى تثبيتها فحسب. فدلَّ أن الآية فيمن يقِرّ بالصانع لكنه يُشرِكُ[1] غيره فيها، وهم مشركو[2] العرب وغيرهم. *والله أعلم*.* ٦٤١ظ س٧]

**ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا**، يشبه أن يكون على الإنكار له[4] لما ذكر من قولهم على إثر ذلك وهو ما قال: **لشاعر مجنون**. ثم جمعوا في هذا متضادَّيْن، لأن الشاعر هو الذي [يبلغ][5] في العلم غايته، والمجنونَ هو الذي[6] يبلغ في الجهل غايته، ثم جمعوا بينهما في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك قولهم: سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ،[7] الساحر هو الذي يبلغ في علم[8] الأشياء غايته والمجنون[9] [هو الذي يبلغ] في الجهل [غايته]؛ دل أنهم إنما يقولون عن عناد وتعنت.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **بل جاء بالحق وصدق المرسلين. بالحق**: قال بعضهم: بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض. وأصل الحق أن كلَّ ما[10] يُحْمَد على فعله هو الحق، وكلَّ ما يُذَمّ عليه فهو الباطل.[11] **وصدق المرسلين**، أخبر أنه صدَّق إخوانه من المرسلين. *والله أعلم*.* ثم أخبر عن حال[13] رسول الله[14] صلى الله عليه وسلم وصدقِه، حيث قال عزّ وجلّ: **بل جاء بالحق**، وهو كل آياته من التوحيد والإسلام والرسالة، وكلُّ فعلٍ يُحْمَد فاعلُه عليه ولا يُذَمُّ. وقوله عز وجل: **وصدق المرسلين** الذين كانوا قبلَه في جميع ما جاءوا به من الحق.

---

[1] ر: بشرك.
[2] جميع النسخ: مشركوا.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٣٤- ٦٤١ظ/ سطر ٧.
[4] جميع النسخ: لها.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ.
[6] ن ث - في العلم غايته والمجنون هو الذي.
[7] سورة الذاريات، ٣٩/٥١.
[8] م - علم.
[9] جميع النسخ: والجنون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٥ظ - ٦٣٦و.
[10] م + ما.
[11] جميع النسخ: بطل.
* وقعت هنا قطع تفسيرية مؤخرة عن مواضعها فنقلناها إلى محالّها؛ انظر: ورقة ٦٤١و/ سطر ٢٥- ٦٤١ظ/ سطر ٧.
[13] ر م - حال.
[14] ر ن ث: رسوله.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾[٣٨] ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٩] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٠]

**إنكم لذائقو العذاب الأليم** بالتكذيب والرد لذلك كله. **وما تجزون إلا ما كنتم تعملون.** ثم استثنى المؤمنين، حيث قال عز وجل: **إلا عباد الله المخلصين.** فإنهم لا يذوقون العذاب الأليم وإلا لكانوا[1] مستثنى من قوله: **وما تجزون إلا ما كنتم تعملون.** أو لا يكون لهذا حق الاستثناء من الأول، ولكن [يكون على] الابتداء، [و]ذلك جائز في اللغة، سائغ في اللسان. *والله أعلم.*[2]

* وفي قوله: **إلا عباد الله المخلصين،** بنصب اللام دلالة أنه قد كان من الله جل وعلا [٦٤٢و س٢
لطف به استوجبوا الإخلاص والخصوصية، وهو ينقض على المعتزلة قولهم. *والله أعلم.** ٦٤٢و س٤]

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾[٤١] ﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾[٤٢]

ثم بَيَّن ما أعدَّ للمخلَصين فقال: **أولئك لهم رزق معلوم.** فإن قيل: كيف يُجمع بين قوله: يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ،[4] وبين قوله: **لهم رزق معلوم؟** قال بعضهم من أهل التأويل: يعني بالمعلومَ[5] حين يشتهونه يُؤْتَوْنَ به. ويحتمل أن يكون للكثير[6] الذي لا يحسب ولا يُعَدّ لكثرته،[7] [و]هو في نفسه معلوم محدود. أو أن يريد بالمعلوم أنه صار ما وُعدوا في الدنيا هم في الآخرة معلوما معروفا عند الوصول إليه، كان ذلك هم موعودا فإذا وصلوا إليه صار معلوما محدودا. وقوله: **فواكهُ وهم مكرمون،** أي معظّمون، مشرّفون.

---

[1] جميع لنسخ: وإلا لو كانوا.

[2] قال اسمرقندي: «أخبر أنهم لا يجزون إلا بأعمالهم جزاءً وِفاقاً، ثم استثنى المؤمنين بقوله: ﴿إلا عباد الله مخلصين﴾. والاستثناء يحتمل أن يكون من قوله ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم﴾ وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء حقيقة. ويحتمل أن يكون لاستثناء من قوله: ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين﴾ وعلى هذا يكون على الابتداء لا على الاستثناء حقيقة، بمعنى لكن. معناه: وما تجزون إلا ما كنتم تعملون، لكنّ المؤمنين لا يجزون ما كانوا يعملون فقط، لكن يُعْطَوْن النعم في الآخرة على الأبد تفضلا من الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٦و).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير لآية الآتية برقم ٤٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٢و/ سطر ٢-٤.

[4] سورة المؤمن، ٤٠/٤٠.

[5] جميع النسخ: المعلوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦و.

[6] ن ث: الكثير.

[7] ر: لكثرة.

**﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٤٣] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٤٤] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾[٤٥]**

وقوله: **في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين**. يخبر أن لهم في الجنة ما يستحبون[1] ويختارون في الدنيا من الجلوس على السرر، وعلى المواجهة والمقابلة والشرب على ذلك. والكأس، قيل: كل إناء أو قدح فيه شراب فهو كأس. وقوله: **بكأس من معين**، المعين، قال بعضهم: هو الماء الجاري، كأنه[2] يخبر أن خُمُور أهل الجنة تجري في الأنهار، كقوله عز وجل: وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ.[3] وقال بعضهم: المعين هو الظاهر الذي يقع البصر عليه، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ،[4] أي ظاهر.[5]

*قال أبو عَوْسَجَة: **مَعِينٍ**:[6] ظاهرٍ[7] لا يتحرَّك،[8] ويقال: الجاري.* [٦٤١ظ س٣٥]

**﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **بيضاء لذة للشاربين**، ذُكر أن خُمُورهم في الآخرة بيضاء، لأن البياض يُظْهِر كلَّ ما فيه من الأذى والآفة ويُرِي، فأما في غيره من الألوان فإنه قَلَّمَا يَظْهَر وقَلَّمَا يُرِي إلا بجهد؛ وذُكر[9] أنها بيضاء، لأن البياض[10] أحسن الألوان[11] [في] الطبائع[12] كلها، وهو المختار عندنا.[13]

---

[1] م: يستحون.
[2] ر ث م: وكأنه.
[3] سورة محمد، ١٥/٤٧.
[4] سورة الملك، ٣٠/٦٧.
[5] ث: طاهر.
[6] ر ث م – معين.
[7] جميع النسخ: طاهر.
[8] جميع النسخ: لا تحرك.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤١ظ/ سطر ٣٥.
[9] ر ن ث: أو ذكر.
[10] ن ه: البياض.
[11] جميع النسخ: لأن لبيضاء من الألوان المستحسنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦و.
[12] ر ث م: الصبغ.
[13] قال السمرقندي: «ويحتمل أنه إنما ذكر أنها بيضاء لأن البياض أحسن الألوان في الطبائع كلها، فإن الطبائع مع اختلافها تتفق على استحسان البياض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٦و).

قال الزجاج: إن الخمر لذة للنفس الروحانية لا للجسدانية. ألا يُرَى أن الخمر يشربها الناس ويظهر كراهة ذلك في وجوههم من العُبوسة وغيرها. ثم مع هذا يعودون ويشربون، دلّ أنها لذة لا لهذه النفس الجسدانية ولكن للنفس الروحانية، أو كلام نحوه. *والله أعلم*.

**﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[٤٧]**

وقوله عز وجل: **لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. وينزفون** بنصب الياء وكسر الزاء ورفعها ونصب الزاء.[١]

وقوله عز وجل: **لا فيها غَوْل**، أي لا آفة فيها ولا صُداع[٢] ولا أذًى. **ولا هم عنها ينزفون.** من قرأها:[٣] يُنْزَفون -برفع الياء ونصب الزاء- يقول: لا يُنزِف[٤] الخمر عقولهم، أي لا يَذهب بها، أي لا يَسْكَرون كما يَسْكَر بشرب خمور الدنيا. ومن قرأها: يَنْزِفُون أي يعني شرابهم. وتأويل هذا الكلام أن أهل الدنيا إذا أخذوا في الشراب لا يتركون شربهم إلا لإحدى الحالتين:[٥] إما لذهاب[٦] عقولهم وذلك عند شدة سكرهم، وإما لفناء الشراب؛ لإحدى هاتين الحالتين[٧] يتركون شربهم. فيخبر أن أهل الجنة لا يُذْهِب عقولَهم الخمرُ، ولا[٨] يُفْنُون شرابَهم ولا كان فيها آفة ولا ضرر. *والله أعلم*.

---

[١] قال السمرقندي: «﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ قرئ بنصب الياء وكسر الزاء، وبرفع الياء ونصب الزاء، وبرفع الياء وكسر الزاء. فمن قرأ برفع الياء ونصب الزاء -فهو قراءة العامة- أي لا يُنزف الخمر عقولهم، أي لا يُذهب بها. والعرب تقول: شرب فلان حتى نُزِف عقله، أي فلم يَعقِل وسَكِر. ويقال للسّكران: نَزِيف ومَنْزُوف. فمعنى هذا معنى الآية: أي لا يَسكَرون بشرب خمر الجنة كما يسكرون بشرب خمور الدنيا. ومن قرأ برفع الياء وكسر الزاء فله معنيان. **أحدهما** أي لا يَنْفَد شرابهم؛ يقال: أَنزف القومُ إذا نَفِد شرابهم. ومعنى الآية: أي هذه النعمة لهم دائمة لا ينفد، وإن أهل الدنيا إذا أخذو في الشراب لا يتركون شربهم إلا لإحدى الحالتين: إما لذهاب عقولهم، وذلك عند شدة سكرهم وإما لنفاد شرابهم، فأخبر أن أهل الجنة شرابهم لا ينفد ولا يذهب بالعقول. **والثاني** لا يُنزِفون أي لا يَسكَرون. ومنه قول الشاعر: "لعمري لئن أَنْزَفْتمُ أو صَحَوْتمُ - لَبِئسَ النَّدَامَى كنتم آلَ أَبْجرا". ومن قرأ بنصب الياء وكسر الزء، قال الكسائي: من قرأ كذلك فإنه يأخذه من قولك: نزفتُ البئرَ إذا استقيتَ ماءها كلها فلم تترك فيها شيئا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٣٦و - ظ). وانظر: *لسان العرب*، «نزف».

[٢] جميع النسخ: ولا صدع.

[٣] ث - من قرأها.

[٤] م: لا ينزفون.

[٥] ر م: الحلتين.

[٦] ر: الذهاب.

[٧] ر م: الحلتين.

[٨] ن: ولا هم.

[قال أبو عَوْسَجَة:] **لا فيها غَوْل**: أي سكر ولا ضرر، ولا يكون الاغتيال إلا من الحديعة.[١] والغَيْل[٢] في الأولاد وهو[٣] أن تُرضع[٤] المرأة ولدها وفي بطنها آخر. والتَغَوُّل: التَلَوُّن،[٥] وكذلك سميت الغُول[٦] غُولا لأنها تتلوّن.[٧] والغِيلان جمع.[٨] **يُنْزَفون**، قال: النزيف السكران. وقال القُتَبِي: **لا فيها غَوْل**، أي لا يغتال عقولهَم فيَذهب بها. يقال: الخمر غُول للحِلم، والحربُ غُول للنفوس، والغُول العدو.[٩]

**ولا هم عنها يُنزَفون**، أي لا تذهب خمرهم وتنقطع، ولا تذهب عقولهم.[١٠] والخمر التي جعلها الله لأهل الجنة في الآخرة هي / للذي لم يشربها في الدنيا[١١] ولم يتناول منها ولا تلذذ بها.[١٢] [٦٤٢و]
*والله أعلم*.

وقيل: **لا فيها غَولٌ**، أي غائلة لها، أي الصُداع، أي لا يَبْخَع منها الرأس،[١٣] **ولا هم عنها يُنزفون** أي لا يَسكَرون بنَزْف[١٤] عقولهم فتذهب.[١٥]*

﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **قاصرات الطرف** أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن. جَبَل الله عزّ وجلّ البشرَ على الغَيْرة ولا يستحب الرجالُ أن تنظر[١٦] أزواجهم إلى غيرهم، ولا النساءُ أن ينظر أزواجهن إلى غيرهن.

---

[١] ر: من الخديقة.
[٢] جميع النسخ: والقتل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦و. الغيل: من غال يغيل، أحوف يائي.
[٣] جميع النسخ: هي.
[٤] ر ث م: أن يرضع.
[٥] م: المتلون.
[٦] وهي جنس من الشياطين والجن، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفَلاة تتراءى للناس فتَتَغَوّل تغوّلاً أي تتلوّن تلوّنّ في صُوَر شتّى وتَغُوهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم (*لسان العرب*، «غول»).
[٧] جميع النسخ: يتلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦و.
[٨] جميع النسخ: جميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦و.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٠.
[١٠] جميع النسخ: أي لا يذهب خمرهم وينقطع ولا يذهب (ر ث م: ويذهب) عقولهم.
[١١] م – في الدنيا.
[١٢] ن ث: ولا يلذذ بها.
[١٣] أي لا يسقم.
[١٤] ر ن م: ينزفون.
[١٥] جميع النسخ: فيذهب.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٤٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٤٢و/ سطر ٢-٤.
[١٦] جميع النسخ: ينظر.

فأخبر عزّ وجلّ عن أزواجهم في الجنة أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن حبا لأزواجهن وطلبا لمرضاتهم. **والله أعلم**.

وقوله: **عين**، قال بعضهم: واسعات[1] العيون في الجمال، لأن السّعة في العين إذا جاوز الحد فَحَش،[2] ولا يكون فيه جمال، ولكن يكون فيه قبح. **والله أعلم**. وقال بعضهم: **عين** أي حسان العيون. والعِينُ جماعة العيناء.[3] **والله أعلم**.

## ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **كأنهن بيض مكنون** أي مستور لا يصيبه مطرٌ ولا ريحٌ ولا غبارٌ ولا شمسٌ ولا شيءٌ مما يصيبه[4] في الدنيا. كقوله: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ.[5] **والله أعلم**.[6]

وقوله: **كأنهن بيض مكنون**، أي قد خُبِئَ، وكُنَّ[7] من الحرّ والقَرّ[8] والمطرِ فلم يتغير، وهو مثل الأول. وقال بعضهم: **بيض مكنون** وهو كبيض النَّعَام الذي يَكِنُّه الريش من الريح وغيره، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يَبْرُق،[9] فذاك المكنون. وقال بعضهم: شبّهَهُنّ بالبياض الذي يكون بين القِشر وبين اللِّحاء، وهو أبيض شيء يكون، والله أعلم بذلك، لكن فيها[10] وَصَفَهُنّ بالجمال والبهاء والحب لأزواجهن. وقال بعضهم: البيض المكنون هو المصون، وهو[11] وَصْفُهُنّ بالصون والصيانة، كقوله: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ.[12] **والله أعلم**.

[٦٤٢ظ س ٥] *وقال بعض: **مكنون**، أي مستور لا يصيبه غبار ولا وسخ.*

---

[1] ر: وسعات.

[2] جميع النسخ: فحسن.

[3] عَيِنَ يَعْيَنُ عَيَنًا وهو أَعْيَنُ والأنثى عَيْنَاءُ والجمع منها عِينٌ. قال الله تعالى عز وجل: ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾. ورجل أعين: واسع العين، بَيِّنُ العين. والعين: جمع عَيْنَاء وهي الواسعةُ العينِ (*لسان العرب*، «عين»).

[4] ر ن ث: يصيب.

[5] سورة الرحمن، ٥٥/٥٦.

[6] جميع النسخ + وقال بعضهم عين أي حسان العيون والعين جماعة العيناء والله أعلم (ث – والعين جماعة العيناء والله أعلم).

[7] كَنَّ الشيءُ يكِنّ كُمونا: استتر. وكَنّ الشيءَ يَكُنّ كَنًّا: ستره (*المعجم الوسيط*، «كنّ»).

[8] ن ث: والغر [غير منقوطة]. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٣٦ ورقة ٤٢٤ط. قَرٌّ وقارٌّ: بارد. وليلة قَرّة وقارّة، أي باردة (*لسان العرب*، «قرر»).

[9] جميع النسخ: ينزف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ط.

[10] جميع النسخ: فيه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ. أي في الآية.

[11] ر م: هو؛ ن – وهو.

[12] سورة الرحمن، ٥٥/٧٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٦. فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٤٢ظ/ سطر ٥.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٥٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[٥١] ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾[٥٢] ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدقين**، إلى آخره.[١] ذكر في بعض القصة[٢] أن رجلين شريكين كان لهما ثمانيةُ آلاف[٣] دينارٍ؛ وذُكِر [أيضا] أنهما كانا أَخَوَيْنِ وَرِثَا ثمانية آلاف[٤] دينار فاقتسما[ها]، وذكر أربعون ألفَ درهمٍ. فتعمّد أحدهما إلى ماله فاشترى به قصورا وبستانا وفُرُشًا وجواريَ ونساءً فأنفقه في أمر الدنيا. وعَمَد الآخر إلى ماله فأنفقه في طاعة الله وابتغاءِ[٥] مرضاته[٦] وطلبِ[٧] نعمه[٨] الدائمة في الآخرة، وهذا مؤمن والآخر كافر طاغٍ.[٩] ثم أصاب الذي أنفقه في طاعة الله وطلبِ مرضاته حاجةٌ شديدةٌ، فقال: لو أتيت صاحبي هذا لعلي أنال[١٠] منه بمعروف. فأتاه فسأله فأبى أن يعطيه شيئا، وقال له: ما شأنك وما فعلت بمالك؟ فأخبره بما فعله به، فقال له: **أإنك لمن المصدقين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون**، أي محاسبون. فرجع، فقضي لهما أن تُوُفِّيا،[١١] فنزلت فيهما: **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم**، وهو المؤمن حين أدخله الله الجنة، **إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدقين** بالبعث بعد الموت **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون**، أي لمَحاسَبون.

[٦٤٢ظ س ٤] *وقوله: **لمدينون**. قال بعضهم: لمحاسبون، وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: لمجزِيُّون،
[٦٤٢ظ س ٥] والدين الجزاء.[١٢]*

[١] جميع النسخ: إلى آخر ما.
[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٥٤٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١٢/٢٠.
[٣] جميع النسخ: ألف. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٤ظ.
[٤] جميع النسخ: ألف. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٤ظ.
[٥] ر ث م: وطلب.
[٦] ن: مرضياته.
[٧] م – وطلب.
[٨] ر ن م: بعمد.
[٩] ن ث: طاعى.
[١٠] جميع النسخ: لعله أن ينال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.
[١١] ر ن م: أن يوفيا.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية برقم ٥٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٢ظ/ سطر ٤-٥.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾[٥٤] ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٥٥]

[وقوله:] **قال هل أنتم مطلعون**، كأنه قال لأصحابه: **هل أنتم مطلعون** في النار لتنظروا[١] ما حاله؟ ثم أخبر أنه اطلع فرآه في سواء الجحيم، ذَكَر اطّلاعه ولم يَذكر اطلاعَ أصحابه. فجائز أن يكون أخبر عن اطِّلاع كلٍّ واحد منهم في نفسه أنه اطلع فرآه في سواء الجحيم، أي وسط الجحيم. وإن كانوا جميعا مطلعين إليه فيها، كقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ،[٢] و يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[٣] وإن كان خاطب إنسانا فإنما خاطب به كل إنسان في نفسه.[٤] فعلى ذلك جائز أن يكون قوله عز وجل: **فاطّلع فرآه في سواء الجحيم**، إنما أخبر عن اطلاع[٥] كل منهم -والله أعلم- وكانوا جميعا مطّلعين.

ثم في الآية شيئان[٦] عجيبان. أحدهما ما ذكر من اطلاع أهل الجنة على أهل النار أنها تكون[٧] قريبة من الجنة حتى ينظر بعضهم إلى بعض فيرون. أو تكون[٨] بعيدة منها، إلا أن أبصار أهل الجنة تكون[٩] أبعد وأبصر مما كانت[١٠] في الدنيا. فجائز أن يجعل الله عز وجل أبصار أهل الآخرة أبصر وأبعد حتى لا يمنعه ولا يحجبه[١١] بُعْد المسافة والمكان عن النظر والرؤية. *والله أعلم*.

والثاني أن كيف يَعْرفه في النار والنارُ مما تُحرقه[١٢] وتغيِّر[١٣] وجهَه ولونه وجميعَ أعلامه وسيماه؟ لكن جائز أن يكون الله تعالى يُعَرِّفه بأعلام يجعل له فَيَعْرِفه بتلك الأعلام، وذلكعلى الله عزَّ وجلَّ يسيرٌ هيِّنٌ.

---

[١] جميع النسخ: ينظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.

[٢] ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (سورة الانشقاق، ٦/٨٤).

[٣] سورة الانفطار، ٦/٨٢.

[٤] قال السمرقندي: «فإنّ هذا خطاب لكل إنسان في نفسه وإن كان اللفظ واحدا من حيث الصيغة لتعميمه بلام الجنس عموم الانفراد، فعلى ذلك هذا إخبار عن اطلاع كل واحد منهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٦ظ).

[٥] ر ث م: من اطلاع.

[٦] جميع النسخ: شيئان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.

[٧] ر م: يكون.

[٨] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.

[٩] جميع النسخ: يكون.

[١٠] ر ن ت: يكون؛ م: كان.

[١١] ر ث م + ولا يمنعه.

[١٢] جميع النسخ: يحرقه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.

[١٣] ر م: يعني؛ ن ث: ويعني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.

وأهل التأويل يقولون: يجعل الله عزّ وجلّ لأهل الجنة كُوًى منها، إذا أراد[1] أن ينظر أحدُهم إلى من في النار فتح الله له كَوّة ينظر إلى من شاء من مقعده إلى النار، فيزداد بذلك شكرا، وهو قوله: **فاطّلع فرآه في سواء الجحيم**، أي في وسط الجحيم. كقوله عز وجل: سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ[2] أي وسطه.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَ لَتُرْدِينِ﴾[٥٦]

**قال تالله إن كدت لتردين**، أي هَمَمْتَ لَتُغْوِينِ. وكذلك في حرف ابن / مسعود: **لتردين** [٦٤٢ظ] لتغوينِ. وقال الكسائي: تالله وبالله ووالله وَٱللهِ[3] -بغير واو- لغاتٌ. يخبر أنْ باللهِ [كاد أن] يكون على الأسف مرجعهما إلى سَفاوٍ. يقول: لولا أن الله أنعم عَلَيّ بالهدى،[4] ولولا أن الله رحمني فهداني، المعنى واحد. [كان صاحبه] يقول له: اترك دينك[5] واتّبعني. وقال: **لتردين**، أي لتُهلكني. يقال: أرديتُ[6] فلانا، أي أهلكته. والرَّدى الموت والهلاك، وهو قول أبي عَوْسَجَة والقُتَبِي.* وقوله: **إن كدت لتردين**، أي هممت وأردت أن تهلكني[8] وتُغوِيَني[9] لو أجبتك[10] واتبعتك فيما دعوتني إليه وسألتني.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[٥٧]

ثم أخبر أنه **لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** معه. وهذا على المعتزلة لقولهم: إن عليه هدايةَ كلّ أحدٍ ما لو منع ذلك[11] عنه كان جائرا[12] في منع ذلك. وهذا الرجل أخبر أنه

---

[1] جميع النسخ: إذا أرادوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٥و.
[2] سورة البقرة، ١٠٨/٢.
[3] م - والله.
[4] ر ث م: الهدى.
[5] ر ث م: يقول له: اترك أمرك ودينك.
[6] ر م: رديت؛ ن: اديت.
* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤٩ ورقم ٥٣ فقدمناهما إلى هناك؛ انظر: ورقة ٦٤٢ظ/ سطر ٤-٥.
[8] ر م: اتهلكني.
[9] جميع النسخ: وتعوني. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.
[10] ر م: ارحتك؛ ن: اوحتك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٦ظ.
[11] جميع النسخ: معه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[12] ر م: جابرا؛ ن: حائزا.

بنعمته ورحمته اهتدى ما اهتدى، وأنه لو لم يكن منه إليه نعمةٌ لكان من المحضرين فيها. فهو أعرف بربه من المعتزلة؛ وكذلك الشيطانُ وجميعُ الكفرة أعرفُ بنعمة ربهم من المعتزلة، لأنهم قالوا: هَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ [لَهَدَيْنَاكُمْ][1] قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ.[2] ومثله كثير في القرآن؛ إنهم جميعا رأوا الهداية لهم من الله نعمة ورحمةً، ولم يُعطِ[3] الكفرةَ ذلك. والمعتزلة يقولون: بل هدى كل كافر ومشرك لكنهم لم يهتدوا.[4] وأهل الجنة قالوا أيضا: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ.[5] ومثله كثير في القرآن. *والله أعلم*.[6]

**﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾[٥٨] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٥٩] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٦٠] ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٦١]**

وقوله: **أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى.** يحتمل أن يكون قوله: **أفما نحن بميتين،** على الإيجاب والإلزام ليس على الاستفهام، [أي لا نموت أبدا إذا دخلنا الجنة وما نحن بمعذبين. ويحتمل على الاستفهام][7] وسؤال بعضهم بعضا: أَلَا نموتُ فيها ولا نعذَّب؟ وإذا[8] لم نمت ولم نعذب فيها فإذًا كان ذلك فوزا عظيما [وذلك قوله: **إن هذا لهو الفوز العظيم**].[9]

---

[1] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[2] ﴿هل ينظرون إلا تأويلَه يوم يأتي تأويلُه يقول الذين نَسُوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[3] ن + وانه لم يعط.

[4] جميع النسخ: لكنه لم يهتدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.

[5] جميع النسخ: وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقالوا الحمد لله الذي هدانا هذا. سورة الأعراف، ٤٣/٧.

[6] قال السمرقندي: «والمعتزلة يقولون: إن على الله تعالى هداية كل أحد ما لو منع ذلك عنه كان جائرا بالمنع، وإنه هدى كل كافر ومشرك لكنهم لم يهتدوا. ولا يقال: إن قول الكفرة واعتقادهم ليس بحجة فإنهم عن جهل يقولون. لأنا نقول: إنه أخبر عن الرجل الذي هو من أهل الجنة وأنه لا شك عن علم يقول ذلك. وكذلك عامة أهل الجنة قالوا ذلك كما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿وما كنا لنهتدي لو أن هدانا الله﴾ وقوله ﴿الحمد لله الذي هدانا هذا﴾ ومثله كثير. على أن الاستدلال بإخبار الله تعالى عنهم ما قالوا واعتقدوا ولم يُعقِب ذلك ردا وإنكارا، والحكم متى أُخبر عن اعتقاد أحد ولم يعقبه بالرد والإنكار دلّ ذلك على حسنه وصدقه، فتكون الآية حجة على المعتزلة» (*شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٥ظ).

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.

[8] جميع النسخ: وإذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.

وذكر[1] أبو معاذ عن الكسائي أن هذا استفهامُ يقين[2] وفي القرآن كثير مثله. وقال: قد يكون الاستفهام على التعجب[3] ويكون على اليقين[4] ويكون على الجهالة.[5]

وقوله:[6] **إلا موتَتَنا الأولى**، أي بعد موتتنا الأولى. **إلا** بمعنى[7] بعد، إذ موتة الأولى قد مضت لا يذوقون[ها] ثانيا.

وقوله: **لمثل هذا فليعمل العاملون**. أي لمثل هذه العاقبة التي أُعطِينا نحن وظَفِرنا[8] بها يعمل العاملون، لا لمثل ما صاحبُه [يكون] في النار.[9]

**﴿أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾**[٦٢]

ثم قال: **أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم**. يحتمل قوله عز وجل: **أذلك خير نزلا**، من النزول[10] والمُقام،[11] أي المُقام الذي نزلنا فيه نحن خير أم شجرة الزقوم. ويحتمل قوله عز وجل: **أذلك خير نزلا** أن يكون من الأنزال، أي ما لنا من الطعام[12] والمأكل والمشرب خير أم شجرة الزقوم.[13]

**﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾**[٦٣]

* وقوله عز وجل: **إنا جعلناها فتنة للظالمين**. يحتمل قوله: **فتنة** -يعني به الشجرة التي أنشئت [٦٤٣و س٢
من أصل الجحيم وهي شجرة الزقوم- عذابا للظالمين[14] كقوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،

---

[1] جميع النسخ: ولذلك ذكر.
[2] جميع النسخ: تعيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[3] جميع النسخ: التعجيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[4] جميع النسخ: على التعيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[5] جميع النسخ: عن الجهالة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[6] جميع النسخ: ويكون قوله.
[7] ر م - بمعنى.
[8] ر م: وظفر.
[9] جميع النسخ: لا لمثل ما فيه صاحبه الذي في النار.
[10] جميع النسخ: نزل. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٥ظ.
[11] ث + والمقام.
[12] جميع النسخ: لعظام. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٥ظ.
[13] النزول: الحلول. والنُّزُل: المنزل وبذلك فسر الزجاج قوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين نُزُلا﴾ [سورة الكهف، ١٠٢/١٨]. وقال الزجاج في قوله: ﴿أذلك خير نُزُلا أم شجرة الزقوم﴾، يقول: أذلك خير في باب الأنزال التي يُتقوَّت بها وتمكن معها الإقامة أم نُزُل أهل النار؟ قال الجوهري: النُّزُل ما يهيأ للنزيل [أي الضيف]، والجمع: الأنزال (*لسان العرب*، «نزل»).
[14] جميع النسخ + يعني به الشجرة.

أي يُعذَّبون، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ، أي عذابَكم. هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ.[1] ويحتمل قوله: **جعلناها**.
٦٤٣و س٥] أي تلك الشجرة الزقوم **فتنة للظالمين** في الدنيا.*

## ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[٦٤] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[٦٥]

قال بعضهم، -أعني بعض الكفار لبعض- لما خُوِّفوا بها: هل تدرون[3] ما الزقوم؟ هو التمر والزُّبْد. فقالوا: بهذا الذي يخوفنا به محمد؟ وقال بعضهم: إن محمدا يخوفنا بشجرة في النار، والنار من طبعها أن تُحرِق[4] الشجرَ وتأكله، فكيف يكون في النار الشجرة؟ تكذيبا منهم له[5] وإنكارا لها. فبين الله عز وجل تلك الشجرة و[أخبر] عن حالها فقال: **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين**. أخبر أن تلك الشجرة خرجت من أصل الجحيم وأنشئت منها، والشجرة التي أنشئت من النار لا تأكلها النار ولا تحرقها[6] كما تأكل[7] غيرها من الأشجار التي لم تُنْشَأ[8] منها. ومثل هذا جائز أن يكون الشيء الذي يكون نُشوؤه وبَدْؤه من[9] شيء لا يُهلكه كونُه في ذلك، نحوَ[10] السمك الذي يكون أصل نشوئه في الماء لا يهلكه الماء، وكذلك جميع دواب البحر وإن كان غيرها من دواب البر[11] تَهْلِك فيها وتَتْلَف.[12] فعلى ذلك الشجرة المنشأة منها لا تهلكها[13] النار ولا تحرقها[14] وإن كان غيرها من الأشجار تأكلها وتحرقها.[15] *والله أعلم*.

---

[1] سورة الذاريات، ٥١/١٣-١٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٤٣و/ سطر ٢-٥.
[3] ر م: يدرون.
[4] ر ث م: أن يحرق.
[5] ر ث م - له.
[6] ر ث م: ولا يحرقها.
[7] ن: يأكل.
[8] جميع النسخ: ينشأ.
[9] ر م + كل.
[10] ر م - نحو.
[11] جميع النسخ: من الدوب في البرية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[12] جميع النسخ: يهلك فيها ويتلف.
[13] جميع النسخ: يهلكها.
[14] ر م: لا يحرقها؛ ن ث: ولا يحرقها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[15] جميع النسخ: يأكلها ويحرقها.

**والجحيم**، قيل: هو مُعْظَمُ النار وغِلَظها، يقال: جَحَمْتُ[1] النارَ، أي أعظمتُها. يقال: نار جحيمة، أي عظيمة.

وقوله: **طلعها كأنه رءوس الشياطين**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن نوعا من الحيّات يُسَمَّيْنَ شياطينَ لها رءوسٌ سودٌ قِباحٌ لها عُرْف كعرف الفرس. شُبِّهَ[2] طلعُ[3] تلك الشجرة وثمرتُها لقبحها وسوادها برءوس[4] تلك الحيات. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هو نوع من النبات بالبادية يستقبحه الناس أشدَّ الاستقباح، شُبِّه طلعُ تلك الشجرة وثمرتها[5] بذلك النبات. وقال بعضهم: إن جبالا بمكة [هي] سودٌ قِباحٌ يستقبحها أهل مكة سَمَّوْها شياطين، شُبِّهَ ثمارُ[6] تلك الشجرة وطلعُها برءوس تلك الجبال. *والله أعلم*. وقال بعضهم:[7] [بل هذا على] حقيقة رءوس الشياطين. [وقالت الملاحدة: إنّ في هذا التشبيه خللا لأنهم لم يروا رءوس الشياطين كما لم يروا طلعَ تلك الشجرة، وإنما يُمَثَّل المشكل بالواضح لا بالمشكل، إذ لا يزيد إلا الإشكال. ولكن نقول: بأن التمثيل صحيح][8] لأن الله عز وجل جعل للشياطين[9] في قلوب أولئك الكفرة فضلَ بغضٍ وقبحٍ ونفارٍ[10] منها وإن لم يروها ولم يعاينوها؛ فشُبِّه طلع تلك الشجرة برءوس الشياطين لفضل[11] إنكارهم وبغضهم إياها حقيقةً.

وفي ذلك آية عظيمة لرسالته صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم يروا الشياطين ببصرهم ولا عرفوهم معاينة وإنما عرفوهم بأخبار الرسل عليهم السلام / وبها[12] استنكروها واستقبحوها. [٦٤٣و]
وهم قوم لا يؤمنون بالرسل عليهم السلام، فإذ[13] قبلوا أخبارَ رسل الله فيهم لَزِمَهم أن يقبلوا قولَه في الرسالة وفي جميع ما أخبر. *والله أعلم*.*

---

[1] جميع لنسخ: أجحمت. حَجَمَ لنار: أوقدها (*لسان العرب*، «جحم»).
[2] ر ث م – شبه. ن: سود. و لتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٥ظ.
[3] ر ث م: وطبع.
[4] ر م + من.
[5] ن: وثمريها.
[6] ر م: ثماريها؛ ن ث: ثماريها.
[7] جميع النسخ + لا ولكن.
[8] والزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و
[9] ر ث م: الشياطين.
[10] جميع النسخ: النفار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[11] ث: ليفصل.
[12] جميع النسخ: مما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي لدين، ورقة ٢٦و.
[13] م: فإن.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٣، فقدمناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٤٣و/ سطر ٢-٥.

وجهة القصة بها لهم هي[1] إنكارهم إياها عن الجهة التي ذكروا أن النار تحرق وتأكل[2] الشجرة فكيف يكون فيها شجر؟ إنكارا[3] وتكذيبا بها.[4] والثاني ما ذكر بعضهم أن الزقوم هو الزُّبْد والتمر صار تلك فتنة لهم لما ذكرنا وسببا لعذابهم. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٦٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾[٦٧]**

وقوله: **فإنهم لآكلون منها**، أي من الشجرة الزقوم. ذُكر أنها مخرج[ة] من أصل الجحيم.

وقوله: **فمالئون منها البطون**، جائز أن يشدِّد الله عليهم الجوعَ حتى يأكلوا منها فيملئوا[5] بطونهم منها، كقوله عز وجل: فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ،[6] وهي الإبل [العطاش] التي تملأ[7] بطونها من الماء ثم[8] لا يغني [بطونهم] ذلك الشربُ، وهو الحميم ولا يَدفع عنهم العطشَ الذي يكون بهم. فعلى ذلك ما جعل [الله] طعامهم من تلك الشجرة، كقوله عز وجل: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ،[9] الآية، إنهم وإن ملئوا بطونهم فإن ذلك لا يدفع عنهم الجوعَ، كقوله: لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ.[10] ***والله أعلم***.[11]*

وقوله: **ثم إن لهم عليها لَشَوْبًا من حميم**، أي[12] ثم إن لهم على تلك الشجرة التي جعل طعامهم منها خلْطا من حميم.[14]

---

[1] جميع النسخ: هو. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٦و.
[2] جميع النسخ: يحرق ويأكل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[3] جميع النسخ + لهم.
[4] ت – بها.
[5] جميع النسخ: فيملئون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧و.
[6] سورة الواقعة، ٥٥/٥٦.
[7] جميع النسخ: يملأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧ظ.
[8] جميع النسخ: المسائم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٦و.
[9] سورة الدخان، ٤٤/٤٣-٤٤.
[10] ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٦-٧).
[11] جميع النسخ + ثم إن لهم عليها لشوبا.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية بعد التالية، فقدمناها إلى هناك؛ انظر: ورقة ٦٤٣و/ سطر ١٣-١٤.
[13] ر ت م – أي.
[14] جميع النسخ + أي ثم إن لهم على تلك الشجرة.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[٦٨]

وقوله: **ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم**، أي ثم إن مَرَدَّهم، أي ثم إنهم يُرَدُّون إلى الجحيم. لا أنهم يرجعون بأنفسهم ولكن يُرَدُّون فيها، كقوله: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ،[١] هم لا يدخلون فيها ولكن يُدْفَعون فيها، كقوله عز وجل: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا.[٢]

*وفي حرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ثم إن مُنْقَلَبَهُم[٣] لإلى الجحيم.* [٦٤٣و س١٤]

**والجحيم** هو معظم النار على ما ذكرنا،[٥] يقال: نار جاحمة، أي عظيمة.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾[٦٩] ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **إنهم ألفوا آباءهم ضالين**، أي وجدوا آباءهم ضالين. **فهم على آثارهم يهرعون.** فيه أن ما ذكر من العذاب للأتباع منهم لا للمتبوعين، ولم يذكر عذاب المتبوعين في الآية حيث قال: **إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون.**[وقوله: **يهرعون**]، قال بعضهم: يُسرِعون، وهو شبه الهَرْوَلَة. والإهراع هو الإسراع،[٦] وهو قول القُتَبي وأبي عَوْسَجة. وقال بعضهم: **يهرعون**، أي يَتْبَعون. وهما واحد.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٧١] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[٧٢] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[٧٣] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٧٤]

وقوله: **ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين**، يقول -والله أعلم- ولقد ضلَّ قبلَ قومك يا محمد من الأولينَ أكثرُهم من الأمم الخالية من لدن آدم فَهَلُمَّ جَرًّا إلى محمد صلى الله عليه وعلى آدم و[على] مَنْ[٧] بينهما من النبيين.

وقوله: **ولقد أرسلنا فيهم منذِرين**، أي لقد أرسلنا في الذين ضَلُّوا قبلَ قومك منذِرين يُنذِرهم،[٨] ما من قوم إلا بُعث إليهم نذير كما أرسلنا إلى قومك.

---

[١] سورة الزمر، ٧٢/٣٩.
[٢] سورة الطور، ١٣/٥٢.
[٣] ن ث: مصليهم؛ ر م: مقيلهم. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٦٥/٢٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٣و/ سطر ١٣-١٤.
[٥] انظر عند تأويل الآية ٦٤ من هذه السورة.
[٦] ر: الاسرع. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٢.
[٧] ر م: من.
[٨] ع: يدرهم.

وقوله: **فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين**. يقول -والله أعلم- انظر كيف صنعنا بمن أنذرنا بالعاقبة، فلم يؤمن ولم يقبل ولم تنفعه[1] النِذارة.

**إلا عباد الله المخلصين**، استثنى **المخلصين** منهم، وهم الذين نفعتهم النِذارة وقبلوها فنَجَوْا مما ذكر من عذابهم. *والله أعلم*. ويحتمل أنه[2] سَمّاهم **المخلصين** لما صفّاهم الله وأخلصهم لعبادته.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **ولقد نادانا نوح فلنعم [المجيبون]**، الآية. قال بعضهم: حين دعا ربه فقال عليه السلام:[3] أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، فكأنه إنما دعا ربه بالهلاك على قومه، فأجاب الله دعاءه وهو ما قال عز وجل: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ،[4] إلى آخر ما ذكر.

ثم بَيَّنَ[5] أن الرسل عليهم السلام هم[6] مخصوصون بأمرين[7] من بين غيرهم من الناس. أحدهما أَنْ ليس لهم الدعاء على قومهم بالهلاك وسؤال العذاب عليهم إلا بعد مجيء الإذن لهم من الله عز وجل بالدعاء عليهم. فنوح عليه السلام إنما دعا ربه بإنزال الهلاك عليهم بالإذن من ربه.

والثاني لم يكن لهم الخروج من بين أظهرهم عند نزول العذاب بهم إلا بإذن من الله عز وجل على ذلك، ولذلك جاء العتابُ ليونسَ عليه السلام والتعييرُ لمّا خرج من بينهم عند نزول العذاب بلا إذن كان من ربه، حيث قال عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ،[8] الآية. هما خصلتان لهم خاصةً صلوات الله عليهم. وأما لغيرهم من أهل الدين فلهم أن يدعوا على[9] الفجرة والفسقة منهم باللعن والهلاك، فلهم أن يفروا منهم وأن يخرجوا من بين أظهرهم لفسقهم وفجورهم. وكان هذا يُعدّ من صالح الأعمال لهم.

---

[1] جميع النسخ: و م ينفعه.
[2] ر م: أنهم.
[3] جميع النسخ + رب.
[4] ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١٠-١١).
[5] جميع النسخ: أمر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٣٧ظ.
[6] ر - هم.
[7] جميع النسخ: بهما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧ظ.
[8] سورة الأنبياء، ٨٧/٢١.
[9] ر: إلى.

وقوله: **فلنعم المجيبون**. وهو الرب تبارك وتعالى، ذكر المجيبين على الجماعة: أنا نفعل كذا وفعلنا كذا، وهو كلام الملوك فيما بينهم. ثم كل فعل يضاف إلى الله[1] تعالى مما يشترك[2] فيه غيره أو يُنْسَب إليه[3] يُزاد فيه شيء[4] يكون فاصلاً[5] بينه وبين فعل غيره، نحوَ ما قال عز وجل هاهنا: [٦٤٣ط] **فلنعم المجيبون**؛ وقال عز وجل[6] في موضع آخر: وَأَنْتَ[7] أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.[8] ونحوه، مما يكثر ذلك؛ لأنه قادر على وفاء ما وعد وأخبر، وإنجاز ذلك لا يعجزه شيء. وغيره من الخلائق لَعَلَّهم لا يقدرون على وفاء ذلك والقيام بإنجاز ما وعدوا، لذلك كان ما ذكر.[9] *والله أعلم*.

## ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **ونجيناه وأهله من الكرب العظيم**، تحتمل[10] نجاتُه من الكرب العظيم[11] دعاءَه قومَه إلى توحيد الله عز وجل تِسْعَمِائَةٍ[12] وخمسين سنة،[13] وما قاساه منهم

[1] ر م - الله.
[2] ر م - مما يشترك.
[3] ر م - إليه.
[4] جميع النسخ: شيئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٧ظ.
[5] ن ث: فضلا؛ جميع النسخ + وذلك.
[6] ر ث م - هدها فلنعم المجيبون وقال عز وجل.
[7] جميع النسخ: وهو.
[8] جميع النسخ + ونحو قوله عالم لا كالعلماء. سورة هود، ٤٥/١١.
[9] قال علاء الدين السمرقندي: «وقوله تعالى: ﴿فلنعم المجيبون﴾ يحتمل أي الذي أجاب نوحا حين ناداه لَنِعْمَ المجيب من مجيبين وهو الرب تبارك وتعالى. وإنما قال: ﴿فلنعم المجيبون﴾ لأن الأصل أن كل فعل يضاف إلى الله تعالى مما ينسب إلى غيره في الجملة فإنه يزاد فيه شيء يكون فاصلا بينه وبين غيره دفعا لوهم المشابهة والشركة عن قلوب الناس، كما يقال: إنه عالم لا كالعلماء؛ وقوله: ﴿أحكم الحاكمين﴾ [سورة هود، ٤٥/١١] و﴿أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون، ١٤/٢٣] ونحو ذلك. فعلى ذلك قال هاهنا: ﴿فلنعم المجيبون﴾ أي هو لنعم المجيب من المجيبين. وذلك لأنه قادر على وفاء ما وعد وأخبر وإنجاز ذلك، لذلك قال: ﴿فلنعم المجيبون﴾. ويحتمل أنه ذكر قوله: ﴿فلنعم المجيبون﴾ على لفظ الجمع وإن كان المراد به هو وحده على نحو ما ذكر في القرآن من الأفعال المضافة إليه من قوله: ﴿إنا أرسلنا﴾ [سورة القمر، ١٩/٥٤]، وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ [سورة يوسف، ٢/١٢]، وقوله هاهنا: ﴿ولقد نادانا نوح﴾، فعلى ذلك قال: ﴿فلنعم المجيبون﴾، والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٧ظ).
[10] جميع النسخ: يحتمل.
[11] جميع النسخ + هو.
[12] جميع النسخ: سبعمائة. والتصحيح من *الشرح*، ٦٣٧ظ.
[13] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).

من أنواع الأذى من التكذيب وغيره، فأنجاه الله[1] من كرب ذلك حين أهلكهم.[2] ويحتمل الكرب العظيم[3] الهولَ[4] الشديد وهو الغَرَق، أغرق قومه وأنجاه منه، سماه عظيما لشدة ما أصابهم.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[٧٧]

وقوله: **وجعلنا ذريته هم الباقين**، أي جعلنا ذرية نوح عليه السلام من بين سائر ولد آدم وذريتهم [هم الباقين أي أبقى ذريته][5] وأهلك غيرهم، ولذلك كان بقي نسله إلى يومنا هذا وهلك نسل غيره. ***والله أعلم.***

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾[٧٨] ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[٧٩]

وقوله: **وتركنا عليه في الآخرين**، يشبه أن يكون ما ذَكَرَ أنه ترك في الآخرين ما ذَكَرَ على إثره من السلام[6] حيث قال عز وجل: **سلام على نوح في العالمين**، أي أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين حتى يُثْنُوا عليه جميعا ويصدّقوه ويقولوا[7] فيه خيرا وحُسْنا. ***والله أعلم***. ويحتمل ما قاله[8] بعضهم: سلام الله على نوح في العالمين، أي يسلّم عليه[9] جميع العالمين في جميع الأوقات[10] [وهو] كما سلّم عيسى على نفسه حيث قال: وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا،[11] وما سلم [الله بنفسه] على يحيى عليه السلام حيث قال:[12] وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا.[13] ***والله أعلم.***[14]

---

[1] م – الله.

[2] م: اهلهم.

[3] جميع النسخ + هو.

[4] م: القوب.

[5] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٣٧ظ.

[6] ن: من الآلام.

[7] جميع النسخ: يقولون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٧ظ.

[8] م: قال.

[9] جميع النسخ: في العلمين وسلم عليه. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٦٣٧ظ.

[10] قال السمرقندي: «ما جعل في قلوبهم ذلك وأخطر ببالهم فكأن ذلك سلام من الله» (شرح التأويلات، ورقة ٦٣٧ظ).

[11] سورة مريم، ٣٣/١٩.

[12] م – قال.

[13] جميع النسخ + ذكر السلام عليهما في أوقات ثلاثة وفي يوم في الأوقات كلها. سورة مريم، ١٥/١٩.

[14] قال السمرقندي: «ثم الله تعالى يُسلِّم بنفسه على يحيى بقوله: ﴿وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيا﴾. وعيسى كان أفضل من يحيى، لأن عيسى كان من أولي العزم. فكيف يسلم الله تعالى على يحيى دون عيسى؟ ولكن قيل: إن سلام عيسى كان له وقت الطفولة، والطفل لا اختيار له؛ فيكون فعله كتكلمه منسوبا إلى الله تعالى فيكون ذلك سلام الله تعالى. وهذا مثله» (شرح التأويلات، ورقة ٦٣٧ظ – ٦٣٨و).

**﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٠]**

وقوله عز وجل: **إنا كذلك نجزي المحسنين**، أي إنا هكذا نجزي كلَّ محسن. أخبر أن جزاء الإحسان الثناء[1] الحسن في العالمين. رغَّب الناسَ في الإحسان إما إلى الخلق وإما إلى أنفسهم. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨١] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٨٢]**

وقوله عز وجل: **إنه من عبادنا المؤمنين**. وليس في ذكره أنه من المؤمنين كثيرُ منفعة له وهو من أولي العزم من الرسل، لكن يحتمل ذكره إياه أنه من المؤمنين وجوها. أحدها **إنه من عبادنا المؤمنين** قبل الرسالة وقبل أن يُبعَث رسولا، أي لم يصر مؤمنا وقت الرسالة ولكن كان لم يزل مؤمنا قبل الرسالة.

والثاني **إنه من عبادنا المؤمنين** بك يا محمد. يذكر هذا لِيُسَرَّ[2] به[3] صلى الله عليه وسلم ويَفْرَحَ عليه، و[يكون فيه إظهار فضيلته حيث يؤمنون به و لم يكن هو في الوجود بعدُ وإن كان][4] الرسل عليهم السلام جميعا يؤمن بعضهم ببعض.

والثالث **إنه**[5] **من عبادنا المؤمنين** المحققين الموقنين، أي وَفَّى[6] ما اعتقد وأعطى[7] بلسانه [ما أضمره].[8] وهكذا كان الرسل كلهم موقنين ما اعتقدوا وأعطوا[9] بلسانهم [ما أضمروا في قلوبهم]،[10] وهكذا يعتقد كل مؤمن في أصل إيمانه واعتقاده أن لا يعصي ربه، وأن لا يخالفه في شيء من أموره ونواهيه، لكنه[11] لا يفي ما اعتقده فعلا، بل يقع ربما في معاصيه وفي مخالفة أمره ونهيه. *والله أعلم.*

---

[1] في جميع النسخ: "فجزاه الله بإحسانه إليه" بدل "أخبر أن جزاء الإحسان الثناء". والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[2] جميع النسخ: البشر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[3] ر – به.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[5] ر ث م + كلهم؛ ن هـ: كلهم.
[6] جميع النسخ: وفاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[7] ر م: – أعطى.
[8] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[9] ر ث م: اعطوا.
[10] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[11] م: لكن.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[٨٣]

وقوله: **وإن من شيعته لإبراهيم**، أي إبراهيم عليه السلام من شيعة[1] نبينا[2] محمد عليه الصلاة والسلام، يقول على دينه ومنهاجه. وقال بعضهم: من شيعة[3] نوح، أي إبراهيم من شيعة[4] نوح عليه السلام على ما تقدم ذكر نوح عليه السلام حيث قال: وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ،[5] إلى آخر ذلك، [ثم أخبر][6] أن إبراهيم من شيعته: على دينه ومنهاجه. وقيل: على ملته.[7]

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٨٤]

[وقوله تعالى] **إذ جاء ربه بقلب سليم**، [أي] عن جميع ما يمنعه من الإجابةِ لربه فيما دعاه والصبرِ على ما امتحنه وابتلاه. *والله أعلم*. وعلى ذلك سماه الله عز وجل في كتابه الكريم:[8] وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى[9] جميعَ ما أُمِرَ به وامتحن به. *والله أعلم*. وجائز أن يكون ذلك في الآخرة، يقول: **إذ جاء ربه بقلب سليم** [في الآخرة، وهو][10] كقوله عز وجل: وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ،[11] أخبر أنه في الآخرة يكون من الصالحين وذلك سلامة قلبه. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: من شيعته.
[2] ن - نبينا.
[3] ر م: من شيعته.
[4] ن ت: من شيعته.
[5] سورة الصافات، ٣٧/٧٥.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[7] جميع النسخ: لذكرها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و. قال لسمرقندي: «ثم الأصل أن الأنبياء عليهم السلام كلهم بعضهم على شيعة بعض. وأصل الشريعة النصرة والمعونة على اتباع ما انتحلوا من الدين والمذهب. والأنبياء كانوا جميعا على دين واحد وعلى مذهب واحد، بعضهم أعوان لبعض وأنصار لهم، كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران، ٨١/٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [سورة الأحزاب، ٧/٣٣]، أي كونوا على دين واحد، وكقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [سورة الشورى، ١٣/٤٢]. فدلّ أنّ بعضهم أعوان وأنصار لبعض، لذلك سماه شيعة نوح أو شيعة محمد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٨و).
[8] ن - الكريم.
[9] سورة النجم، ٣٧/٥٣.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[11] سورة البقرة، ١٣٠/٢.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾[٨٥] ﴿أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾[٨٦]

وقوله: **إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون**. قد اختلف سؤالُ إبراهيم صلوات الله عليه لقومه:[1] مرةً قال لهم: مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ،[2] ومرةً قال: **ماذا تعبدون**. ثم ذكر في غير هذا الموضع إجابتهم إياه حيث: قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا،[3] و قَالُوا[4] وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ،[5] ولم يذكر هاهنا شيئا قالوه[6] له.[7]

ثم معلوم أنه لا بهذا اللسان سألهم ولا بهذا اللسان[8] أجابوه بما أجابوه. ثُمَّ ذَكَرَهُ على اختلاف الألفاظ والحروف لِيُعْلَمَ أن تغييرَ الألفاظ وتبديلَ الحروف[9] لا يُغَيِّر المعنى. وكذلك جميع القِصص التي ذكرت في القرآن يذكرها مكررةً مُعادَةً مختلفةَ الألفاظ والحروفِ، والقصةُ واحدة، لِيَدُلَّ أن المأخوذ والمقصود من الكلام معناه لا لفظُه وحروفُه. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **أإفكا آلهة دون الله تريدون**. يقول -والله أعلم- **إفكا**، أي كذبا تسميتكم[10] الأصنام التي تعبدونها من دون الله [آلهةً]. يقول: كَذِبٌ تلك[11] ليست بآلهة دون الله [تريدون] عبادتها،[12] أو يقول: **إفكا**، أي كذبا الآلهة التي اتخذتموها آلهة دون الله تريدون أن تتخذوا[13] آلهة، وهو قريب [من] الأول.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **فما ظنكم برب العالمين**. يقول -والله أعلم- / **فما ظنكم برب العالمين** أن[14] يفعل بكم إذا اتخذتم دونه آلهة، وصرفتم العبادةَ والشكرَ عنه إلى من دونه، [٦٤٤و]

---

[1] جميع النسخ: بقوله. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٨و.
[2] سورة الأنبياء، ٥٢/٢١.
[3] ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ (سورة الشعراء، ٧١/٢٦).
[4] ر ن: وما قالوا.
[5] سورة الأنبياء، ٥٣/٢١.
[6] م: قالوا.
[7] لما ذكر في غيرها من الآي، والقصة قصة واحدة (شرح التأويلات، ورقة ٦٣٨و).
[8] ر ث م - سألهم ولا بهذا اللسان.
[9] م: أن تغيير الحروف والألفاظ.
[10] ن ث: مستمسكم؛ ر م: متمسككم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٨و - ٦٣٨ظ.
[11] جميع النسخ: كذبا ذلك.
[12] جميع النسخ: عبدته.
[13] جميع النسخ: يريدون أن يتخذوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٨ظ.
[14] جميع النسخ: أي. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٨ظ.

وقد تعلمون أنه هو المنعم عليكم هذه [النعم]، وهو أسدى إليكم هذا[1] الإحسان وهو تعالى[2] أدلاها[3] إليكم. أو يقول: **فما ظنكم برب العالمين** أنه يرحمكم ويفعل بكم خيرا في الآخرة بعد تسميتكم الأصنام آلهةً وعبادتكم إياها دون الله بعد علمكم أنه هو خالقكم، وهو سخر لكم جميعَ ما في الدنيا، وهو أنشأها لكم. فما تظنون به أن يفعل بكم: أن يرحمكم ويسوق إليكم خيرا؟ أي لا تظنوا[4] به ذلك ولكن ظُنُّوا به[5] جزاءَ صنيعكم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾[٨٨] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[٨٩]

وقوله: **فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم**، أي سأَسقُم. وذلك جائز في اللغة، كقوله عز وجل: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ،[6] [أي إنك ستموت وإنهم سيموتون، لا أنهم ميتون][7] للحال، فعلى ذلك قولُ إبراهيم عليه السلام: **إني سقيم**، أي سأسقم. أو قوله:[8] **إني سقيم** [يجري على حقيقته] وهو صادق [فيه]؛ إذ ليس من الخلق أحدٌ إلا وبه سَقَمٌ ومرضٌ وإنْ قلّ، فعلى ذلك قول إبراهيم عليه السلام.

وقول من قال: إن إبراهيم عليه السلام كَذَبَ ثلاثا.[9] أحدها هذا: **إني سقيم**، وذلك وخشٌ من القول سَمجٌ، لا جائز أن ينسب الكذب إلى رسول [من رسل] الله[10] أو[11] [نبي] من أنبيائه، [و]لا يقع قَطُّ في وجه من الوجوه.

ويذكر أهل التأويل أن قومه أرادوا أن يخرجوا بإبراهيم إلى عيدهم[12] فنظر إبراهيم نظرة في النجوم فقال إني سقيم ليخلفوه ويتركوه ليَكْسِر أصنامهم التي يعبدونها على ما فعل من الكسر والنحت.

---

[1] ر م: هو.
[2] ن ث – تعالى.
[3] ر: اديها؛ ن ث – أدلاها؛ م: أداها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٧ظ.
[4] ر ث م: لا تظنون؛ ن: لا يظنون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٧ظ.
[5] ر ث م – به.
[6] سورة الزمر، ٣٠/٣٩.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[8] جميع النسخ: أو يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨و.
[9] ر ن م: ثلثا.
[10] ث + صلى الله عليه وسلم.
[11] جميع النسخ: وهو.
[12] ن ث: التي عندهم.

ويذكرون أنه إنما نظر في النجوم لأن قومه كانوا يعملون بالنجوم ويستعملونها.[١] فإن كان ذلك فهو -والله أعلم- أراد أن يري من نفسه الموافقة لهم ليُلزمهم الحجةَ عند ذلك. وهو ما ذكر في قوله: هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ،[٢] ونحوه. قال ذلك على إظهار الموافقة لهم من نفسه ليكون[٣] إلزامُ الحجة عليهم والصرفُ عما هم عليه أهونَ وأيسرَ. إذ هكذا الأمر المعروف[٤] في الخلق أن من أراد أن يصرف آخر عن مذهب أو دين أنه إذا أظهر من نفسه الموافقة له[٥] [ثم رام صرفَه ومنعَه عن ذلك كان على ذلك أقدرَ وأملكَ من أن يري له المخالفة والعداوة؛ إذ قول الموافق فيه أنجع وأنفذ من قول المخالف الذي أظهر له الخلاف. *والله أعلم*].[٦]

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾[٩٠] ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٩١]

[وقوله تعالى: **فتولوا عنه مدبرين**، أي أعرضوا عنه ذاهبين إلى حاجاتهم وحيث يريدون أن يذهبوا].[٧]

وقوله عز وجل: **فراغ إلى آلهتهم**، أي فراغ إلى ما اتخذوها[٨] وسَمَّوْها آلهةً. ذكرها على ما عندهم وعلى ما اتخذوها هم وإلا لم يكونوا آلهة. وكذلك قول موسى: وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[٩] أي انظر إلى إلهك الذي هو عندك،[١٠] وإلا لم يكن هو إلها.[١١] وقوله عز وجل:[١٢] **فقال ألا تأكلون**، كان الطعام[١٣] موضوعا بين يديها لذلك قال: **ألا تأكلون**.[١٤]

---

[١] جميع النسخ + وعلم النجوم.
[٢] ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٧٨/٦).
[٣] جميع النسخ + هو.
[٤] ر ث م: بالمعروف.
[٥] جميع النسخ + عليهم ضربا باليمين، أي ضربهم ضربا باليمين.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[٨] جميع النسخ: ما اتخذتموا هم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[٩] سورة طه، ٩٧/٢٠.
[١٠] ن + اله.
[١١] جميع النسخ: إله.
[١٢] جميع النسخ + فراغ إلى آلهتهم.
[١٣] جميع النسخ: طعاما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[١٤] ن: تاكلون.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾[٩٢]

وقوله: **ما لكم لا تنطقون** بحوائجكم، أو يشبه[١] أن يكون قوله: **ما لكم لا تنطقون**: من فَعَل بِكم ما فَعَل من الكسر والضرب،[٢] كقوله: [قَالُوا] أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.[٣] عن مَنْ فَعَلَ بهم هذا. سَفَّه قومَه في عبادتهم الأصنامَ وهي لا تأكل ولا تنطق[٤] ولا تمسك[٥] دفعَ من قَصَد بها ضررا[٦] فكيف تطمعون شفاعتها لكم في الآخرة وهي لا تملك ما ذكر. *والله أعلم*. وهو كقوله: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ.[٧]

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[٩٣]

وقوله: **فراغ عليهم ضربا باليمين،** أي مال ورجع عليهم. وقوله: **ضربا باليمين،** اختلف فيه. قال بعضهم: ضربا بالوفاء ليمينه التي كانت منه، حيث قال: وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ.[٨] *والله أعلم*. وقال بعضهم: **ضربا باليمين** [أي] بالقوة، وقد يعبَّر باليمين عن القوة كما يعبر باليد عن القوة.[٩] وقال بعضهم: **ضربا باليمين،** أي باليد[١٠] اليمنى نفسِها[١١] على ما يعمل المرء أكثر أعماله باليمين.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾[٩٤]

وقوله: **فأقبلوا إليه يزفون،** ظاهر هذا أنهم أقبوا إليه وقت ما كسرها وفعل بها ما فعل. لكن في آية أخرى ما يدلّ أن إقباهم إليه كان بعدَ ما خرج من عندها وغاب، وكان بعد ذلك بزمان.

---

[١] جميع النسخ: أو شبه.
[٢] جميع النسخ: مالكم لا تطقون أنه من فعل بها ما فعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ط.
[٣] سورة الأنبياء، ٦٢/٢١-٦٣.
[٤] ن: لا يأكل ولا ينطق.
[٥] جميع النسخ: ولا يملك.
[٦] م: ضرا.
[٧] سورة الشعراء، ٧٢/٢٦-٧٣.
[٨] سورة الأنبياء، ٥٧/٢١.
[٩] ش - وقال بعضهم ضربا باليمين بالقوة وقد يعبر باليمين عن القوة كما يعبر باليد عن القوة.
[١٠] جميع النسخ: بيد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.
[١١] جميع النسخ: نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.

ألا يرى أنهم قالوا: مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا [إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ] قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ،[1] الآية، ولو كانوا أقبلوا[2] إليه مُزِفّين وهو عندها حاضر لم يحتاجوا[3] إلى أن يقولوا: مَنْ فَعَلَ هذا بآلهتنا؟ بل يقولون: إن إبراهيم فعل ذلك بها؛ ولا كان لقول[4] إبراهيم: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[5] معنًى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يزفون**. قال بعضهم: يمشون إليه، وقال بعضهم: يُسْرِعُون، وهو قول أبي عَوْسَجة. وأصل الزَّفيف[6] كأنه المشي فيه سرعةٌ على ما يُسْرِع في المشي المرءُ إذا أصابه[7] شيءٌ أو فُعِلَ به أمرٌ. *والله أعلم*.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[٩٥] ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٩٦]

وقوله: **أتعبدون ما تنحتون**. يُسَفِّهُهُم بعبادتهم ما ينحتون بأيديهم ويتخذونه [إلها] بأنفسهم على علم منهم أنه لا يملك[8] نفعا ولا ضرا. والذي نحتها أولى بالعبادة له، أولى من أن يُعْبَدَ -إن كانت تجوز[9] العبادة لمن دونه- من ذلك المنحوت، إذ هو يملك شيئا من النفع والضر، والمنحوت لا. فإذ لم تعبدوا[10] الناحتَ[11] لها والْمُتَّخِذَ -وهو أقرب وأنفع- فكيف تعبدون[12] ذلك المنحوت الذي لا يملك شيئا، وتركتم عبادةَ الذي خلقكم وخلقَ أعمالكم؟

ثم من أصحابنا مَنْ احتج على المعتزلة بهذه الآية في خلق أفعال العباد. يقولون: أخبر [إبراهيم] عليه السلام عن خلق أنفسهم وعن خلق أعمالهم، حيث قال: **والله خلقكم وما تعملون**. لكنهم[13] يقولون: ليس فيه دلالة خلق أفعالهم، ألا يرى أنه قال عليه السلام: **أتعبدون ما تنحتون**، [٦٤٤ظ]

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٥٩-٦٠.
[2] ن + اقبلو.
[3] ر ن م: لا يحتجوا؛ ث: لم يحتجوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[4] ن ث: يقول.
[5] سورة الأنبياء، ٢١/٦٣.
[6] ر ن م: التزفيف.
[7] ن ث: في المشي المراد اصابة.
[8] ر ث م: ويتخذونها بأنفسهم على علم منهم أنها لا تملك.
[9] جميع النسخ: إن كان يجوز.
[10] جميع النسخ: يعبدوا.
[11] ر: الناحة.
[12] جميع النسخ: يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[13] أي المعتزلة.

وهم لا يعبدون[1] النحتَ إنما يعبدون ذلك المنحوتَ، فعلى ذلك لم يَخْلُقْ أفعالَهم وأعمالَهم ولكن خَلَقَ ذلك المعمولَ نفسه. *والله أعلم*. لكنَّ الاحتجاج عليهم من وجه آخر في ذلك -كأنه أقرب وأولى- وهو أنْ صَيَّرَ ذلك المعمول خلقا[2] [لنفسه حيث أضافه إلى نفسه بقوله:][3] **خلقكم وما تعملون**، لأنهم إنما يعبدون ذلك المعمول. ثم أخبر أن المعمول[4] مخلوق لله، دَلَّ أن عملهم الذي عملوا به مخلوق. لذلك قلنا: إن فيه دلالةَ خلقِ أعمالهم -والله أعلم- وهو كقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ،[5] إنما صار التواب والمتطهر محبوبا لحبه[6] التوبةَ والتطهرَ، وصار المعتدي غيرَ محبوبٍ لبغضه الاعتداءَ،[7] فعلى ذلك المعمولُ صار مخلوقا بخلقه عَمَلَه. *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾[٩٧]**

وقوله: **قالوا ابنوا له بنيانا**، كأنه قال بعضهم لبعض: ابنوا له بنيانا ليُجمَع فيه الحطبُ[8] فتَعْظُمَ فيه النار فتصير[9] جحيما، ثم أَلْقُوا إبراهيم في الجحيم. والجحيم قد ذكرنا أنه مُعْظَم النار.[10]

**﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾[٩٨]**

وقوله عز وجل: **فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين**، أي الهالكين.[11] يقولون:[12] ما أنظرهم[13] الله بعد ذلك حتى أهلكهم. ويشبه أن يكون ما ذكرنا -والله أعلم- فأرادوا إهلاك إبراهيم عليه السلام فصاروا من الهالكين.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: لا تعبدون.
[2] جميع النسخ + لله تعالى بقولكم.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[4] ر م – ثم أخبر أن المعمول.
[5] سورة البقرة، ٢٢٢/٢.
[6] أي لحب الله تعالى.
[7] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (سورة البقرة، ١٩٠/٢).
[8] ر ن م: الحصب.
[9] جميع النسخ: فيصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[10] انظر تفسير الآية ٥٥ من هذه السورة.
[11] جميع النسخ: هالكين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[12] أي أهل التأويل.
[13] جميع النسخ ناظرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[14] وعبارة السمرقندي هكذا: «وأما أهل التأويل [فإنهم] يقولون: إن قوله: ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي الهالكين. يقولون: ما أنصرهم الله حتى أهلكهم. وهذا الذي ذكروه يحتمل، لأنهم لما أرادوا إهلاك إبراهيم عليه السلام صاروا هم الهالكين. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣٩و).

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين**، قال بعضهم: **ذاهب إلى ربي** بقلبي وعملي ونيتي[١] إلى[٢] الآخرة. ويحتمل ذاهب إلى ما أمرني ربي، أو إلى ما أذن لي، وهو الهجرة من بابل إلى الشام.[٣] أو ذاهب إلى ما فيه رضاء ربي أو طاعة ربي، ونحو ذلك. ***والله أعلم***. وقوله: **سيهدين**. قال بعضهم: أي سيُنجيني مما رأيت من قومي، وقال بعضهم: سيهدين الطريق، وذلك جائز، نحو قول موسى عليه السلام: قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ،[٤] لَمَّا توجه إلى مدين. فعلى ذلك جائز قولُ إبراهيم عليه السلام: **إني ذاهب إلى ربي**، أي ذاهب إلى أمر ربي، أي متوجه إلى ما أمرني ربي أن أتوجه **سيهدين** ذلك الطريقَ. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: **سيهدين** لدينه، وذلك أول من[٥] هاجر من الخلق لِيَسْلَمَ له دينُه.[٦] وقد ذكر في حرف حفصة: إني[٧] مهاجر إلى ربي سيهدين. ***والله أعلم***.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٠٠]

وقوله: **رب هب لي من الصالحين**، كأنه قال: رب هب لي غلاما واجعله من الصالحين. دليل ذلك ما ذُكر له من البِشارة بالغلام، دلّت البشارة له بالغلام على إثر ذلك أن سؤاله كان سؤالَ الغلام. ثم فيه دليل جواز سؤال الولد الذَّكَرِ من الله تعالى[٨] لكنه يسأله[٩] بشرط الصلاح والطِّيب، كما سأله[١٠] الأنبياء؛ سأله[١١] إبراهيم عليه السلام [فقال]: **رب هب لي من الصالحين**،

---

[١] ن: وبميتي؛ ث: وبنيتي.
[٢] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[٣] جميع النسخ: أو إلى ما أذن لي أي وقد أمر بالهجرة إلى الأم من مكة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و. وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ١٩/٥٧٧؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/٩٧.
[٤] ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ (سورة القصص، ٢٨/٢٢).
[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[٦] جميع النسخ: من الخلق أي ليعلم دينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[٧] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[٨] جميع النسخ: الذكر ربه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[٩] ن: نسله؛ ث: يسله؛ ر م: نسأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[١٠] ر م: سأل.
[١١] ر ت م: وسأله.

وقال زكريا عليه السلام: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.[1] وما ذَكَر وحكي عنهم مدحا لهم[2] وثناءً عليهم، حيث قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.[3] فيجب[4] على من[5] يسأل ربّه الولدَ أن يسأله على هذه الشرائط التي سألها[6] الأنبياء عليهم السلام، فيكون سؤاله[7] الولد عنى ذلك سؤالا لله عز وجل وما يصلح لقيامه لأمره وعبادته. فأما أن يسأله إياه لذةً لنفسه وسرورا له في الدنيا فلا.[8] ثم يحتمل قوله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، إلى آخر ما ذكر وجهين. أحدهما أي هب لنا من أزواجنا وذرياتنا[9] ما تَقَرُّ[10] به أعيننا. أو هب لنا من أزواجنا من الولد والذرية ما تقر[11] به أعيننا عنى ما سأل زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.[12]

ثم فيه دلالة أن الولد هبة من الله وعطاء منه لهم،[13] ولذلك[14] قال: ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، [و] ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾،[15] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم[16] -والله أعلم- يعني ما صار الولد هبة من الله.[17]

---

[1] سورة آل عمران، ٣٨/٣.
[2] م - لهم.
[3] سورة الفرقان، ٧٤/٢٥.
[4] جميع النسخ: يجب.
[5] ر م: ما.
[6] جميع النسخ: سألته.
[7] جميع النسخ: سؤالهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[8] ث: فملا. وعبارة الشارح هكذا: «...فيكون سؤاله سؤال من يعينه في إقامة أموره الدينية ويصلح في القيام بأسباب عبادة الله تعالى لا سؤالَ الولد لذة وسرورا في الدنيا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٣٩و).
[9] جميع النسخ: وذرية.
[10] ر ن م: يقر.
[11] جميع النسخ: يقر. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٩و.
[12] سبقت قريبا.
[13] جميع النسخ: هبة الله لهم وعطاء لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩و.
[14] م: وكذلك.
[15] سورة الشورى، ٤٩/٤٢.
[16] انظر عند تأويل الآية ٤٩ من سورة الشورى.
[17] وعبارة الشارح هكذا: «وقد ذكرنا فيما تقدم من المعنى الذي به صار الولد هبة من الله تعالى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٣٩ظ).

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **فبشرناه بغلام حليم**، لا يُحتمل أن يوصف بالحلم وقتَ ما وُلد، ولكن كأنه قال عز وجل:[١] فبشرناه بغلام يصير حليما إذا بلغ مبلغَ الامتحان بالأعمال والأمر والنهي، أي بشرناه بغلام حليم يَحْلُم فيما امتُحن إذا بلغ مبلغا يُمتحن فيه. قال قتادة: إن الله عز وجل لم يذكر أحدا ولا وصفه بالحلم سوى إبراهيم وولده الذي بشّر به.[٢] *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[١٠٢]

وقوله: **فلما بلغ معه السعي**، أي بلغ[٣] بحيث يقدر أن يسعى معه إلى حيث[٤] أُمر هو أن يسعى ويمشي معه وهي الهجرة. وقال بعضهم: **فلما بلغ معه السعي**، أي بلغ بحيث يعمل ويُمتحن.[٥]

**قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**، وترى بالنصب والرفع جميعا.[٦] فيه دلالة أن رؤيا الأنبياء والرسل عليهم السلام على حقٍ يخرج كالأمر المصرَّح، ألا يرى أنه لما قال له: **إني أرى في المنام أني أذبحك**، وقد عرف حرمة ذبح بني آدم وقتلِهم، قال له ولده: **افعل ما تؤمر**، ولو لم يكن أمرا لم يقل له:[٧] **افعل ما تؤمر**، ولا قال له إبراهيم: **إني أرى في المنام أني أذبحك**، وقد عَرَف حرمةَ ذبح بني آدمِ وقتلِهم الذي لا يسع الإقدامُ عليه / والعملُ. [٦٤٥و]
*والله أعلم*.

ثم [في] قوله لأبيه:[٨] **افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** دلالةُ أنْ لا كلُّ مأمورٍ بأمر من الله شاء الله أن يَفعل ما أمره به،[٩] حيث أخبر أنه[١٠] ستجده من الصابرين إن شاء الله.

---

[١] ر ث م – فبشرناه بغلام حليم لا يحتمل أن يوصف بالحلم وقت ما ولد ولكن كأنه قال عز وجل.
[٢] *تفسير الطبري*، ٥٧٨/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٢٨/١٢.
[٣] ر: بليغ.
[٤] ن: حب.
[٥] جميع النسخ + عندنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[٦] قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿تُري﴾ بالرفع، والباقون ﴿ترى﴾ بالنصب. انظر: *الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٤٤٩.
[٧] ر ث م – له.
[٨] ن: بأبيه.
[٩] ر ث م – به.
[١٠] ر ث م – أنه.

وقد ذكرنا أن إبراهيم عليه السلام كان مأمورا بالذبح، فإذا أُمر[1] هو بالذبح أُمر هذا أن يصبر[2] على الذبح ولا يَجْزَعَ، ثم أخبر أنه يصبر إن شاء الله. دلّ أن لا كل مأمور لله بأمر شاء منه أن يفعل ذلك، ولكن شاء أن يفعل ذلك ممن علم منه أن يختار ذلك الفعل ويفعله، ومن علم منه أنه لا يفعل ذلك لا يجوز أن يشاء ذلك الفعل منه.[3] وكذلك قول موسى عليه السلام: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا.[4] وهذا على المعتزلة لقولهم: إن الله تعالى إذا أمر أحدا بأمر شاء أن يفعل[5] ما أمره به، لكنه تَرَكه لِمَا لم يشأ هو.[6] **والله أعلم.** وقد بينا فساد قولهم في غير موضع. **والله أعلم.**

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **فلما أسلما وتلّه للجبين.** يحتمل قوله **أسلما**، أي استسلما لأمر الله فيما أمرهما: هذا بالذبح وهذا بالبذل له[7] والطاعة في ذلك، أو أسلم هذا ابنه وهذا نفسه لله عز وجل. وأصله أسلما أنفسهما لأمر الله وأطاعاه[8] في ذلك. وقوله: **وتلّه للجبين،** أي صَرَعه وكَبَّه على وجهه. فيه أنه لم يُضجِعه كما يُضجِع المرءُ ما يريد أن يذبحه من الشِّياه وغيرها، ولكنه أضجعه على وجهه. فهو -والله أعلم- لَمَّا أراد أن يُنَفِّذ أمر الله ويَقدرَ على[9] ما أُمر به، فعلّه لو أضجعه على ما يُضجَع غيرُه من الذبح نَظَر كلُّ واحدٍ منهما إلى وجه الآخر فيترحم[10] هذا بترك[11] ذبحه، وهذا ينظر في وجهه فيجزع ويترك طاعتَه. أو على ما قال أهل التأويل: إنّ ولده قال لإبراهيم عليه السلام كذا، ففعل ما ذكر. **والله أعلم.**

[1] جميع النسخ: فذ امر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٩ظ.
[2] جميع النسخ: تصبر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٣٩ظ.
[3] ر - منه؛ ن ث م: ذلك منه الفعل.
[4] سورة الكهف، ٦٩/١٨.
[5] م: او يفعل.
[6] م - هو.
[7] ر ث م - له.
[8] ر م: وإطاعته.
[9] جميع لنسخ + اذا. والتصحيح من شرح التأويلات، نسخة ولي الدين، ورقه ٢٩ط.
[10] ر: فيترهم
[11] ث: فيترك.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[١٠٤] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٠٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾[١٠٦] ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**. يجوز أن يُحْتَجَّ بهذه الآية على المعتزلة لقولهم: إن الله عز وجل إذا أمر أحدا بأمرٍ يجوز ذلك الفعل منه أراد[1] أن يفعل ما أمره به. ونحن نقول: يجوز أن يريد غير الذي أمره به، يريد أن يكون ما علم أنه يكون منه ويختاره، حيث قال عز وجل: **يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ولم يكن منه بحقيقة ذبح الولد وقد أمره بذبحه. فلو كان في الأمر إرادة كون ما أمر[2] به لكان لا يصدّقه في الوفاء بالرؤيا ولم يكن ذلك منه حقيقة. لكنهم يقولون: إن الأمر بالذبح لم يكن إلا ما كان منه من ذبح الكبش، وذلك[3] أراد، فكان ما أراد. وهذا منهم احتيال[4] لدفع ما ذكرنا. لكن نقول: إن الأمر بالذبح إنما كان بذبح الولد حقيقةً لا بذبح[5] الكبش. دليله وجوه. أحدها قول إبراهيم، حيث قال: إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، وقولُ ولده عليهما السلام: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ،[6] لو لم يجعل[7] الأمر من الله له بالذبح أمرا بالذبح على ذبح الولد حقيقةً لَكُنَّا[8] نُجهِّلهما في قولهما و[في] أمرِ الله وفي تسميتهما ما سَمَّيا، [وأما نحن] فلا نجهلهما[9] في ذلك.[10] فدلّ أن الأمر كان على حقيقة ذبح الولد لا على ذبح الكبش على ما يقولون. *والله أعلم*.

والثاني أن إبراهيم وولده -عليهما السلام- قد مُدحا وأثني عليهما بالصنيع الذي صنعا: هذا بإضجاعه إياه للذبح، وهذا ببذله[11] نفسَه له والطاعةِ له في ذلك. فلو كان الأمر منه لهما

---

[1] جميع النسخ: وأراد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[2] ن ث م: امره.
[3] جميع النسخ: من ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[4] جميع النسخ: ومذاهبهم الاحتيال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[5] ر م: لا نذبح.
[6] سورة الصافات، ١٠٢/٣٧.
[7] جميع النسخ: لم يجعل.
[8] جميع النسخ: كذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[9] ر: نجهلهما.
[10] وعبارة السمرقندي هكذا: «...لَكُنَّا نُجهِّلهما في قولهما وما جرى من الخطاب بينهما وما اعتقدا من أمر الله تعالى إياهما أحدُهما بالذبح والآخرَ بالصبر. ولا يجوز لأحد تجهيلُ الأنبياء في شيء» (*شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٢٩ط).
[11] جميع النسخ: نبذه له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.

لا غيرَ الإضجاعِ والبذلِ لذلك لم يكن لهما في ذلك الصنيع[1] فضلُ مدح ولا فضلُ ثناء[2] ومَنْقَبَة؛ إذ لأحدهما[3] إضجاع الولد لذلك وللآخر البذل له،[4] فإذ مُدِحا وأثني عليهما في صنيعهما الذي صنعا وصار لهما منقبة عظيمة إلى يوم القيامة حتى سُمِّي هذا ذبيحَ الله وهذا وَفِيَّ الله، حيث قال الله عز وجل: [وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى،[5] دَلَّ أن الأمر بالذبح أمر بذبح الولد حقيقة. والثالث ما ذكر من الفِداء أنه فداه به، حيث قال عز وجل:][6] **وفديناه بذبح عظيم**، فلو كان الأمر بالذبح ذبحَ الكبش لا ذبحَ الولد لم يكن الكبشُ فداءً عنه، إذ لا يسمى الفِداء إلا بعد إبدال غيرٍ عنه وإقامة غيرٍ مُقامه. دلَّ أنه[7] على ما ذكرنا. ***والله أعلم***. لكنه إذا أضجعه وتلّه للجبين على ما[8] ذكر[9] صارا ممنوعين عن ذلك الفعل غيرَ تاركَين أمر الله عز وجل على ما ذُكر في القصة أن الشَّفْرَة قد انقلبت عن وجهها فلم يقطع. فمن أُمِر بأمرٍ ثم مُنِع عما أُمِر[10] به وحِيلَ بينه وبين ما أُمِر به لم يصر تاركا للأمر ولا كان موصوفا بالترك له، لذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***.

ثم يجوز أن يستدل بهذه الآية في مسائل[11] لأصحابنا. إحداها في المرأة إذا أسلمت [نفسها لزوجها ولم يكن هناك][12] ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع صارت مُوفِيةً مسلمةً ما على نفسها إلى زوجها فاستوجبت بذلك كمالَ الصَّداق ولزمتها العدة، إذ لا يملك سوى ما فعلت وإن لم يجامعها زوجها. و[الثانية] فيمن عنده أمانة إذا سلّمها إلى صاحبها وصيرها بحال يقدر على أخذها وقبضها يصير مسلِّما إليه مؤديا خارجا منها موفيا،[13]

---

[1] ر م: الصنع.
[2] جميع النسخ: بناء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٩ظ.
[3] جميع النسخ: لكل أحد.
[4] م + نفسه له والطاعة له في ذلك فلو كان الأمر منه هما لا غير الإضجاع والبذل لذلك لم يكن لهما في ذلك الصنع فضل مدح ولا فضل بناء ومنقبة إذ لكل أحد إضجاع الولد لذلك وللآخر البذل له.
[5] سورة النجم، ٣٧/٥٣.
[6] الزيادة من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٧٥٢و.
[7] ر م – أنه.
[8] ر م – ما.
[9] ﴿فلما أسلما وتلّه للجبين﴾، الآية ١٠٣ من هذه السورة.
[10] ر م: أمره.
[11] جميع النسخ: لمسائل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٦٤٠و.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة، ٦٤٠و.
[13] جميع النسخ: يوما.

وإن لم يقبض الآخر ولم يقع في يده. و[الثالثة] في البائع إذا سلّم المبيع / إلى المشتري وخلّى [٦٤٥ط]
بينه وبين ذلك يصير مسلِّما إليه خارجا من ضَمَان ذلك وعهدته، وإن لم يقبضه المشتري. ونحوه من المسائل مما يكثر إحصاؤها إذ ليس في وسعهم إلا ذلك المقدار من الفعل.

وقوله عز وجل: **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**، لو كان هذا القول بعد ذبح الكبش ففيه حجة لقول أصحابنا، حيث قال أبو حنيفة رحمه الله: إن من أوجب على نفسه ذبح ولده يخرج منه بذبح الكَبْش لِما أخبر أنه قد صدَّق الرؤيا بذبح الكبش، فعلى ذلك يصير هذا موجبا على نفسه ذبح كبش لا غير. *والله أعلم*. وإن كان قوله: **قد صدقت الرؤيا** قبل[١] ذبح الكبش بإضجاعه إياه وإسلامه لذلك ففيه ما ذكرنا أنه نَزّل[٢] تسليمها نفسه منزلة إتيان غير ذلك، إذ منع عن ذلك لا أنه ترك ذلك.

وقوله: **إن هذا لهو البلاء المبين**، إن الأمر بذبح الولد الذي أُمر به إبراهيم محنةٌ عظيمة. ويقول بعض أهل التأويل: **إن هذا لهو البلاء المبين**،[٣] أي في الفداء الذي فَدَى لإبراهيم عليه السلام نعمة عظيمة.

وقوله: **وفديناه بذِبْح عظيم** وهو الكبش. قال بعض أهل التأويل: سماه عظيما لأنه كان رَعَى[٤] في الجنة أربعين خريفا، ويقول بعضهم: كان ذلك الكبش في نفسه عظيما. *والله أعلم*.

[٦٤٥ظ س٣٥ *وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: الذِّبح: الكبش واسمُ ما يُذبَح. والذَّبح -بنصب الذال- مصدر ذبحتُ، هذا قول القُتَبي.[٥] وقال أبو عَوْسَجَة: الذَّبح -بالنصب- هو الفعل وهما واحد، وقال القُتَبي: **البلاء المبين**: الإحسان المبين العظيم.* ٦٤٥ظ س٣٧]

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾[١٠٨] ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[١٠٩] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١١٠]

وقوله: **وتركنا عليه في الآخرين**. قال أهل التأول: أي **تركنا عليه في الآخرين** الثناء الحسن. ويجوز أن يكون قوله: **وتركنا عليه في الآخرين** ذلك السلامَ الذي ذُكر على إثره،

---

[١] ر: قيل.
[٢] ر ن م: بذل.
[٣] جميع النسخ + أي النعمة العظيمة.
[٤] جميع النسخ: يرعى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٥ظ/ سطر ٣٥-٣٧.

حيث قال عز وجل: **سلام على إبراهيم،** ترك ذلك فينا لنُسَلِّم عليه وعلى جميع المرسلين، كقوله: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،[1] [و]كقوله [عليه الصلاة والسلام:] «قد أُمرنا أن نُثْنِي ونُسَلِّم[2] على جميع الأنبياء والمرسلين».[3] وكقوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»،[4] ويكون الأنبياء عليهم السلام بعضهم آل[5] بعض كما كان بعضهم من شيعة بعض. أو أن يكون ذلك السلام من الله لهم أمنا من كل خوف وسلامةً عن كل خُبْث.

وقوله عز وجل: **كذلك نجزي المحسنين،** أي كذلك نجزي كلَّ محسن، أي نترك[6] له السلامَ والثناءَ الحسن في الآخِرين. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١١]**

وقوله عز وجل: **إنه من عبادنا المؤمنين،** يحتمل هذا وجوها.[7] أحدها أنه كان من عبادنا المؤمنين قبل أن يُوحَى إليه وقبل أن يُبعَث رسولا. ويحتمل: إنه من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الإيمان في قولٍ وفعلٍ، وقام في[8] وفاءِ ما عليه. أو إنه كان من عبادنا المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. والأنبياء جميعا بعضهم يصدّق بعضا ويؤمن به. *والله أعلم.*

**﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١١٢]**

وقوله عز وجل: **وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين.** كان[9] سأل ربه الولد بقول[ه:] هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ،[10] فاستجاب الله دعاءه وبشّره[11] بما ذكر، ثم أخبر أنه نبي من الصالحين.

---

[1] سورة الصافات، ٣٧/١٨٠-١٨١.
[2] ر ن م: يثني ويسلم.
[3] لم نجده بهذا اللفظ، ولكن أخرج الطبري عن قتادة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سلمتم عليّ فسلِّموا على المرسلين، فإنما أنا رسول من المرسلين» (تفسير *الطبري*، ٦٦١/١٩).
[4] صحيح *البخاري*، التفسير ١٠، الأنبياء، ١٠، الدعوات ٣١-٣٢؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٥، ٦٦، ٦٩.
[5] ر م: لى.
[6] جميع النسخ: أن يترك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٠ظ.
[7] ر ن: وجوه.
[8] ر م – وقام في.
[9] ر: وكان.
[10] سورة الصافات، ٣٧/١٠٠.
[11] جميع النسخ: ويسره. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٦٤٠و.

يحتمل قوله تعالى: **نبيا من الصالحين،** أي نبيا من السلف، كقوله عز وجل: وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ.[١] أي نبيا[٢] نصيره ونجعله من الأنبياء، كقوله عز وجل: هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ.[٣] ويحتمل أن تكون البشارة بولادة[٤] الولد الذي سأل ربه. ويحتمل أنْ بَشَّره[٥] بنبوته أو بشره[٦] بهما بالولادة وبالنبوة جميعا. **والله أعلم.**

**﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾**[١١٣]

وقوله عز وجل: **وباركنا عليه وعلى إسحاق.** البركة هي اسم لكل خير لا يزال على الزيادة والنماء. وقيل:[٧] إن البركة شيء من عَطَاءٍ[٨] كان لا تَبِعَة عليه. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين،** أي مؤمن مصدّق، **وظالم لنفسه،** أي كافر، وهو ما قال عز وجل: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فقال إبراهيم عليه السلام: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.[٩] أخبر أن في ذريته مَنْ لا ينال عهدَه كما ذكر هاهنا أنّ في ذريته محسنا[١٠] وهو مؤمن، **وظالم لنفسه مبين،** أي كافر ظاهر مبين. أو أن يكون قوله عز وجل: **محسن** إلى نفسه،[١١] أو **محسن** إلى الناس، **وظالم لنفسه،** أي ظالم إلى نفسه. **والله أعلم.**

ثم [اختلف في الذبيح من ولد إبراهيم]،[١٢] إن ثبت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الذبيح[١٣] هو[١٤] إسحاق»،[١٥] وما روي أن رجلا سأله فقال: يا رسول الله!

---

[١] سورة يوسف، ١٠١/١٢.
[٢] أي وبشرناه بإسحاق...
[٣] سورة النجم، ٥٦/٥٣. يمكن أن نقول: إن المؤلف رحمه الله فسر هذه الآية -أي اسم الإشارة "هذا"- بما بعدها: ﴿أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة﴾ الآية ٥٧-٥٨. لكنه لم يذكر هذا التأويل في سورة النجم.
[٤] جميع النسخ: في الولادة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٠و.
[٥] جميع النسخ: بشر له. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٣٠ظ.
[٦] جميع النسخ: بشر هما. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٣٠ظ.
[٧] جميع النسخ: أو يقول.
[٨] جميع النسخ: أعطى. والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[٩] سورة البقرة، ١٢٤/٢.
[١٠] جميع النسخ: محسن.
[١١] م + أو محسن إلى نفسه.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[١٣] ر ث م - وظالم لنفسه أي ظالم إلى نفسه والله أعلم ثم إن ثبت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الذبيح.
[١٤] ر ث م: وهو.
[١٥] عن عبد الله قال: «الذبيح إسحاق». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (*المستدرك على الصحيحين*، ٦٠٩/٢).

أيّ الناس أكرمهم حسبا؟[1] قال: «يوسف صدّيقُ الله بن يعقوبَ إسرائيلِ الله بن إسحاقَ ذبيحِ الله بنِ إبراهيمَ خليلِ الله»[2] فهو ذاك. وإلا فلا حاجة لنا إلى معرفة ذلك أنه فلان؛ إذ لو كان لنا إلى بيان ذلك حاجة لَبَيّن[3] وأزال الإشكالَ واختلافَ الناس عن ذلك. والتكلم فيه فضل[4] وتكلف؛[5] إذ لا يُحتمل أن يكون بالناس حاجةُ إلى معرفة ذلك وبيانِه ثم لا يُبيّن لهم[6] ولا يُعرَف ذلك، فدلّ تركُ التنازع لذلك على أن لا حاجة لهم إلى ذلك. *والله أعلم*.*

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **ولقد مننا على موسى وهارون**، يحتمل ما ذكر من المنة عليهما الرسالة والنبوةَ التي أعطاهما، والآياتِ والحججَ التي أعطاهما وخصهما بها[8] [و]الذي أبقى لهما الذكر والثناء الحسنَ عليهم في الآخرين، لقوله عز وجل: وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ
[٦٤٦و] عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ.[9] وإنما أوجب عليهم ذكر المنن والنعم التي خصهم / بها وميّزهم بها من بين غيرهم.[10] وأما أن يوجب عليهم ذكرَ كلِّ ما منَّ عليهم وأنعم عليهم فذلك ليس في وسع أحد القيامُ بذكر[11] جميع ما مَنَّ عليهم وأنعم والشكرِ لها، وإنما يجب القيام بذكر[12] ما خُصّوا بها ظاهرا وإن كان في الجملة أُخِذ[13] عليهم أن يروا[14] جعلَ النعم والمنن من الله جل وعز فضلا منه وإنعاما، لا حقّا عليه، بقوله عز وجل: **ولقد مننا على موسى وهارون**،

---

[1] جميع النسخ: حسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[2] *المعجم الكبير* للطبراني، ٨/٤٩٠.
[3] جميع النسخ: لتبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[4] جميع النسخ: فصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[5] ر ث م: وتكلم.
[6] ر ث م: لا يتبين لهم.
* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٠٦ ورقم ١٠٧؛ فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٤٥ظ/ سطر ٣٥-٣٧.
[8] ر ث م: بهما.
[9] سورة الصافات، ٣٧/١١٩-١٢٠.
[10] جميع النسخ: وفضلهم من بين غيرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠و.
[11] ر: يذكر.
[12] ر: يذكر.
[13] ر ن م: أحد.
[14] جميع النسخ: أن سردوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.

ما خصوا بها من الرسالة والنبوة والآيات والحجج التي وقعت لهم بالخصوص،[1] فأما في كل ما منّ عليهم وأنعم فلا، على ما ذكرنا أن ليس في وسع أحد القيامُ بشكر[2] كل[3] نعمه في عمره وإن طال. *والله أعلم.*

**﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[١١٥]**

وقوله: **ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم**. قال عامة أهل التأويل: قوله عز وجل:[4] **من الكرب العظيم**، أي من الغَرَق. ولكن جائز أن يكون **من الكرب العظيم** الذي نجاهم منه ما ذكر من قتل الرجال واستحياء النساء، حيث قال: يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ،[5] الآية، وما استعبدوهم واستخدموهم، أنجاهم الله من ذلك الذل وأنواع البلايا والشدائد التي كانت عليهم، كقوله عز وجل: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ،[6] أخبر أنهم كانوا مستضعفين[7] فأنجاهم الله من ذلك كله وهو الكرب العظيم.

**﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[١١٦]**

وقوله: **ونصرناهم فكانوا هم الغالبين**. يحتمل قوله: **نصرناهم** بالحجج والآيات التي أعطاهم، أو **نصرناهم** حيث أنجاهم بإهلاك فرعون[8] والقِبْط. *والله أعلم.*

**﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾[١١٧]**

وقوله عز وجل: **وآتيناهما الكتاب المستبين**، وهو التوراة.[9] ثم يحتمل قوله عز وجل: **الكتاب المستبين** بوجهين. أحدهما [أي الكتاب الذي][10] استبان لكل مَن عَقَل[11] ونَظَرَ أنه من عند الله نزل؛

---

[1] جميع النسخ: الخصوص.
[2] ر: يشكر.
[3] جميع النسخ: أحسن.
[4] جميع النسخ + ونجيناهما وقومهما.
[5] ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة الأعراف، ١٤١/٧).
[6] ﴿...مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).
[7] ر م: مستضعفون.
[8] جميع النسخ: وأهلك فرعون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٤٠ظ.
[9] ر م: والتوراة.
[10] الزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٠٣ظ.
[11] ر م: العقل.

لأن التوراة نزلت ظاهرة[1] في الألواح، ليس كالقرآن: لا يعرف أنه من عند الله نزل إلا بعد التأمل والنظر، لأنه نزل في الأوقات الخالية التي [لا][2] يَطّلع عليه أحد [إلا] سرا[3] عن ظهر القلب. والثاني أنه استبان لكل من نظر فيها ما لهم وما عليهم وما يُؤتَى[4] وما يُتقى.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **وهديناهما الصراط المستقيم**، يحتمل **الصراط** الذي من سلكه أفضاه إلى مقصوده وبلّغه إلى[5] مأمنه. أو سماه[6] **الصراط المستقيم** لما بالحجج والبراهين قام لا بهوى[7] الأنفس.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾[١١٩] ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[١٢٠]

وقوله: **وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون**، هو ما ذكرنا فيما تقدم أنه أبقى لهم الثناء الحسن في الآخرين وهو السلام الذي ذكر. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **إنا كذلك نجزي المحسنين**، أي إنا كذلك نُبقي ونترك لكل محسن الثناءَ الحسن في الآخِرين كما تركنا لهؤلاء. وهو المعروف في الناس: أن كل محسنٍ صالحٍ وإن[8] مات فإنه يُذكَر بالخير بعده ويُثنَى[9] عليه بالثناء الحسن. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **إنهما من عبادنا المؤمنين**. يحتمل الوجوه التي ذكرنا فيما تقدم.[10] **من عبادنا المؤمنين** قبل الرسالة، أو من عبادنا المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو **من عبادنا**[11] **المؤمنين** الذين حققوا الإيمان قولا وفعلا والقيامَ بوفاء ما وجب بعقد الإيمان وعهدته. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ظاهرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[2] الزيدة من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[3] ر م: سترا.
[4] ر ن م: وما نوى.
[5] ن ث – إلى.
[6] ر م – مأمنه أو سماه.
[7] ن: لا تهوى.
[8] ر: فإن.
[9] جميع النسخ: يثنون.
[10] انظر عند تأويل قوله تعالى من هذه السورة الآية ٨١، ١١١.
[11] ر ن م: ولعبدنا.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **وإن إلياس لمن المرسلين**، هذا ينقض على الباطنية مذهبهم لأنهم يقولون: إن الرسل عليهم السلام ستةٌ: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، وما سواهم أئمة. وفي الآية إخبار أن إلياس كان من المرسين. هذا كله ينقض قولهم ويردّ مذهبَهم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٢٤]

وقوله عز وجل: **إذ قال لقومه ألا تتقون**، يحتمل قوله: **ألا تتقون**[١] عبادةَ غير الله،[٢] [أي] ألا تخشون[٣] الله ولا تخافونه[٤] في ترككم عبادتَه واشتغالكم بعبادة غيره، أو **ألا تتقون** نقمةَ الله في مخالفتكم أمره ونهيه. ***والله أعلم.***

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[١٢٥] ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٢٦]

وقوله: **أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين**. قال بعض أهل التأويل: البعل هاهنا الرب بلسان قوم. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله عز وجل: **أتدعون بعلا**، فسكت.[٥] فقال رجل: من يعرف الآثار؟ فقال أعرابي: أنا[٦] بعلها، أي ربها. فقال ابن عباس: كفاني الأعرابيُ جوابَها.[٧] لكن لا يحتمل أن يكون المراد من قوله: **أتدعون بعلا**، أي ربا، إلا أن يكون ذَكَره[٨] بلسان قوم.[٩] فيقول: **أتدعون بعلا**، [أي] ربا تعلمون[١٠] أنه لا يضر ولا ينفع، وتذرون عبادة من تعلمون أنه يضر وينفع؛ أو تختارون[١١] عبادة من تعلمون[١٢]

---

[١] ر م - يحتمل قوله ألا تتقون.
[٢] جميع النسخ + أو يقول ألا تتقون. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[٣] ر ن م: ألا تحسنون؛ ث: ألا يخشون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[٤] ث: ولا يخافونه.
[٥] جميع النسخ: قال.
[٦] ن ث + أي؛ جميع النسخ - أنا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣١و.
[٧] عن عبد الله بن يزيد قال: كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية: ﴿أتدعون بعلا﴾ قال: فسكت ابن عباس، فقال رجل: أنا بعلها. فقال ابن عباس: كفاني هذا الجواب (*تفسير الطبري*، ٦١٣/١٩).
[٨] جميع النسخ: ذكر أنه.
[٩] أي بلغة اليمن.
[١٠] ر م: يعلمون.
[١١] جميع النسخ: أو يختارون.
[١٢] ر ن م: يعلمون.

أنه لا يملك الضر ولا النفع على عبادة من تعلمون[1] أنه يملك ذلك. وقال بعضهم: البعل السيد هاهنا، وكذلك يقول في قوله: هَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا،[2] أي سيدي.[3] وقال بعضهم: البعل هو[4] اسم الصنم هاهنا، يقول: أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين. وأصل البعل الزوج. كأنه يقول لهم: أتدعون من له أزواج وأشكال وتذرون عبادة من لا أزواج[5] له ولا أشكال. **والله الموفق.**

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أول هذه يماني[6] وآخرها مُضَرِيّ. وهو قوله: **وتذرون أحسن**
[٦٤٦ظ] **الخالقين**، [فهم] يُسَمُّون كلَّ صانع خالقا. والخلق هو التقدير في اللغة، يضاف إلى الخلق/على المجاز وإن كان حقيقة التقدير لله عز وجل. ذُكر على ما عندهم[7] لا على حقيقة الخلق.[8] **والله أعلم.**

[٦٤٧و س٣] *و[قال القُتَبي:] البعل: الزوج*

ثم يحتمل قوله عز وجل: **أحسنَ الخالقين**، أي أحكم وأتقن على ما ذكر وَأَنْتَ[10] أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،[11] أي جعل في كل شيء أثرَ شهادة وحدانية الله وربوبيته. أو [يحتمل] **أحسن الخالقين** لَمَّا ذَكَر أنه خَلَقَهم وخَلَق آباءهم الأولين وأنه ربهم وربُّ الخلائق، فقالوا: من أحسن الخالقين؟ ف[قال] عند ذلك ما ذَكَر ونَعَتَه:[12] **الله ربَّكم ورب آبائكم الأولين.**

ثم أخبر عنهم أنهم كذبوه مع ما ذكر لهم [أنه خلقهم وخلق آباءهم الأولين]، وهو ما قال عز وجل:

---

[1] جميع النسخ: يعلمون.
[2] ﴿قالت يا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا﴾ (سورة هود، ٧٢/١١).
[3] ر: اسيدي.
[4] ث - هو.
[5] ر م: زوج.
[6] ث: يمني.
[7] جميع النسخ: ما عبدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «قال بن عباس في هذه الآية: إن أول هذه الآية يماني وآخرها مضري. كأنه أراد بقوله: أول الآية ﴿أتدعون بعلا﴾ هو بلغة اليمن، [وبقوله] آخره مضري أراد قوله: ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾، فهم يسمون كل صانع خالقا. ويحتمل أنه أضاف الخلق إلى الناس بطريق المجاز، فإن الخلق هو التقدير في اللغة، وحقيقة الخلق لله لكن أضاف إليهم على المجاز على ما كان عندهم لا [على] حقيقة الخلق» (شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣١و).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ٦٤٧و/ سطر ٣.
[10] جميع النسخ: وهو.
[11] سورة هود، ٤٥/١١.
[12] ر ث: ونصه.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[١٢٧] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[١٢٨]

**فكذبوه فإنهم لمحضرون.** ولم يذكر في ماذا، لكنْ فيها[١] بيان أنهم إنما يُحضَرون[٢] النار والعذاب؛ لأن أهل اللذات هم يَحضرون بأنفسهم،[٣] و[أهل] العذاب يُحضَرون كَرْها لا بأنفسهم، كقوله عز وجل: [يَوْمَ] يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[٤] وقولِه عز جل: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ،[٥] وقوله: وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا،[٦] ونحوه.

[**إلا عباد الله المخلصين**]. ثم استثنى العباد المخلصين منهم أنهم لا يحضرون النار.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾[١٢٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ﴾[١٣٠] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٣١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين**، هو ما ذكرنا أنه أبقى لهم الثناء الحسن. [وقد ذكرنا تأويل قوله: **وتركنا عليه في الآخرين** إلى قوله: **إنه من عبادنا المؤمنين**[٧] إلا قوله: **سلام على إلياسين**].[٨]

---

[١] جميع النسخ: فيه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ. أي في الآية.
[٢] ن م: لمحضرون.
[٣] جميع النسخ: محضرون أنفسهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ.
[٤] سورة الطور، ١٣/٥٢.
[٥] سورة القمر، ٤٨/٥٤.
[٦] سورة الانشقاق، ١٢/٨٤.
[٧] انظر عند تأويل قوله تعالى من هذه السورة الآية ٧٨-٨١.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٠ظ. قال السمرقندي: «قرأ بعض القراء: آلِ ياسين -بهمزة مفتوحة ممدودة مكسورة اللام-، وقرأ الباقون: إلياسين -بكسر الهمزة وسكون اللام-. فمن قرأ إلياسين -بكسر الهمزة وسكون اللام- فله وجهان. أحدهما إلياسين جمع إلياس. ومعناه: سلام على إلياس وأمته المؤمنين، وهو كقوله: رأيت المحمدين، يريد محمدا وأمته. والثاني أن يكون إلياس بلغتين: إلياس وإلياسين كما يقال: ميكال وميكائيل فيكون على هذا الوجه السلام على إلياس النبي فيكون موافقا لما جاء في القرآن من السلام على الأنبياء والرسل دون آلهم. وعلى القراءة الأخرى يكون السلام على آل ياسين وقومه. وكأن هذه القراءة أحق. ومن قرأ "آل ياسين" جعل الآل اسما وياسين مضافا إليه. وآل الرجل أتباعه وقومه. فيكون المراد منه آل إلياس، فيكون السلام على آل إلياس وإن لم يذكر فيما سبق من الأنبياء السلام على آلهم. ويحتمل أن يكون المراد بالآل سابق الأنبياء؛ فالأنبياء بعضهم من آل بعض، فإن الآل هو الشيعة وأهل النصرة، فيكون على هذا التأويل السلام على جميع الأنبياء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: آلِ ياسين وقال: أراد بالآل آل محمد وبياسين محمد عليه السلام. وعلى هذا قال في قوله: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ فذكر سائر الأنبياء فيما تقدم وذكر هاهنا محمدا وآله. والله أعلم. وفي حرف ابن مسعود: سلام على إدريس، وفي بعض الحروف: إدراسين. وقد روي أن إلياس هو إدريس النبي عليه السلام. وله اسمان، وإدراسين كأنها لغة في إدريس. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ وإن إدريس لمن المرسلين مكان قوله: وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٠ظ - ٦٤١و).

﴿وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٣٣] ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾[١٣٤] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[١٣٥] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾[١٣٦] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾[١٣٧] ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٣٨]

[وقوله تعالى: **وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون**. يُذَكِّر أهل مكة ويعظهم بما نزل بالمكذبين من الأمم الماضية من العذاب والهلاك أن من هلك منهم][1] إنما هلك[2] بتكذيب الرسل والعناد في حقهم،[3] ومن نجا منهم إنما نجا بتصديقهم والإجابة لهم، وإياكم وتكذيبَ محمد صلى الله عليه وسلم فينزل بكم كما نزل بأولئك.[4]

وقال عز وجل: **وإنكم لتمرون عليهم**، أي على من هلك من مكذبي الرسل بالليل والنهار فتعلمون[5] أنهم إنما هلكوا بالتكذيب للرسل.

وقوله عز وجل: **أفلا تعقلون**، وتعتبرون وتمتنعون[6] عن تكذيبه. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٣٩]

وقوله: **وإن يونس لمن المرسلين**. هذا ينقض على الباطنية قولَهم، حيث[7] قالوا: إن الرسل ليسـ[وا] إلا ستة، لا يَعُدُّون يونس ولوطا عليهما السلام منهم فيخالفون ظاهر الآية وهو قوله عز وجل: **وإن يونس لمن المرسلين**، وهم يقولون ليس من المرسلين. ***وبالله العصمة***.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[١٤٠]

وقوله عز وجل: **إذ أبق إلى الفلك المشحون**، ذكر هاهنا الإباق، وفي سورة الأنبياء ذكر[8] الذَّهاب وهو قوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.[9] فمن الناس من يجعل[10] هذا غير الأول،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[2] جميع النسخ: أهبث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[3] جميع النسخ: وعنادهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[4] ر ن م: فبدل بكم كما بدل بأولئك.
[5] ر ن م: فيعسمون.
[6] جميع النسخ: وتعبرون و يمتنعون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[7] ر ن م: حتى.
[8] ر م - ذكر.
[9] سورة الأنبياء، ٨٧/٢١.
[10] م + الآية.

يعني إباقه الذي ذكر وذهابه. لكن جائز أن يكون ذكر الإباق وذكر الذهاب [يرجعان إلى معنى واحد] وإن كانا[١] في رأي العين [و]في ظاهر اللفظ مختلفين،[٢] فهما في المعنى واحد؛ فيكون قوله عز وجل: **إذ أبق** من قومه بدينه[٣] لِيَسلمَ له، أو **أبق** لخوف على نفسه من قومه، أو أبق على ما أوعد قومَه من نزول العذاب بهم؛ إذا لم يؤمنوا به. وكان الرسل صلوات الله عليهم يخرجون من بين أظهر قومهم إذا خافوا نزول العذاب بهم إلا أن يونس خرج من بينهم قبل أن يأتيه الإذن من الله عز وجل بالخروج[٤] من بينهم، لذلك[٥] جاء العتاب له والتعيير، لا لِما يقوله عامة أهل التأويل من الخرافات التي يذكرون وينسبون إليه ما لا يجوز نسبة ذلك إلى أجهل الناس بربه وأخسّهم، فضلاً أن يجوز نسبة ذلك إلى نبي من أنبيائه ورسول من رسله.

**﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[١٤١] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[١٤٢]**

وقوله عز وجل: **فساهم فكان من المدحضين**، ذُكِر في القصة أنه عليه السلام لما أَبَق أتى سفينةً فركبها أراد أن[٦] يَعبُر البحر. فجعلتْ تَكَفَّأُ[٧] وتقف: كادت أن تَغْرَقَ.[٨] فقال القوم بعضهم لبعض: إنّ فيكم لَرجلا مذنبا عظيمَ[٩] [الذنبِ]. وكانوا يعرفون[١٠] من عادتها من قبلُ [أنها] كانت إذا ركبها مذنب تغرق وتَسْرُب[١١] في الماء. فلم يعرفوا من هو[١٢] فاستهاموا مرارا فساهم يونسُ في كل مرة. فلما رأى ذلك يونس عليه السلام قال لهم: يا قومِ أَلْقُوني في البحر حتى لا تغرَقوا جميعا. فأبوا وقالوا: لا نُلقي نبيا من أنبياء الله في البحر. فألقى هو نفسَه فيه[١٣] فالتقمه الحوتُ على ما أخبر الله عز وجل، حيث قال: **فالتقمه الحوت وهو مليم**.[١٤]

---

[١] جميع النسخ: كذا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[٢] جميع النسخ: مختلفان.
[٣] ن - بدينه.
[٤] ر ن م: الخروج.
[٥] ر م + صادفت.
[٦] ر: ارامان.
[٧] جميع النسخ: تكفوا. تكفأت السفينة في جريها: تمايلت (*لسان العرب*، «كفأ»).
[٨] جميع النسخ: أن يغرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.
[٩] ر ث م: عظيما.
[١٠] ر ث ن + ذلك.
[١١] جميع النسخ: يغرق ويسرب.
[١٢] جميع النسخ + ذلك.
[١٣] م - فيه.
[١٤] انظر: تفسير *الطبري*، ١٩/٦٢٥.

ثم قوله: **فساهم فكان من المدحضين**. قال [بعضهم]: فكان من المغلوبين في القرعة والاستهام؛ أي خرجت القرعة عليه. والمدحَض[1] هو الذي لا حجة له فيما يريد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فالتقمه الحوت وهو مليم**، قال بعضهم: **هو مليم** أي مذنب، وقال بعضهم: **مليم**، من الملامة، أي كان يلوم نفسه فيما صنع من الخروج من بينهم بلا إذن من الله. *والله أعلم*.

[٦٤٧و س١] *و[قال أبو عَوْسَجَة:] المدحض: المغلوب. **ومليم** أي أتى أمرا يلام عليه.*

**﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾[١٤٣] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٤٤]**

وقوله عز وجل: **فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**، يحتمل قوله: **فلولا أنه كان من المسبحين** لربه قبل ذلك ومن المصلين له[3] **للبث في بطنه** إلى ما ذكر. ولذلك قيل: من عمل لله[4] تعالى في حال الرّخاء نفعه الله بذلك في حال البلاء ويرفعه إذا عثَر.[5] *والله أعلم*. قيل في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع[6] صاحبه إذا عثَر، وإذا صُرِع وجد متَّكأً.[7] *والله أعلم*.

ويحتمل: **كان من المسبحين**، أي صار من المسبحين في بطن الحوت، وهو قوله عز وجل: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ.[8] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: والمدحضين.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٧و/ سطر ١-٢.

[3] جميع النسخ + وإلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.

[4] ر ن م: لله.

[5] قال الحسن: «ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدّم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه وإذا عثر وَجَدَ مُتَّكأً». قال القرطبي: ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم أن تكون له خبيئةٌ من عمل صالح فيفعل». فيجتهد العبد ويحرص على خصلة من صالح عمله، يخلص فيها بينه وبين ربه، ويدّخرها ليوم فاقَتِه وفقره، ويخبؤها بجهده، ويسترها عن خلقه، يصل إليه نفعُها أحوج ما كان إليه (*تفسير القرطبي*، ١٥/١٢٦-١٢٧).

[6] جميع النسخ: رفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.

[7] *تفسير القرطبي*، ١٥/١٢٦.

[8] سورة الأنبياء، ٢١/٨٧-٨٨.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[١٤٥]

وقوله عز وجل: **فنبذناه بالعراء وهو سقيم. العراء**، قيل: هي الأرض الصحراء الذي لا شجر فيها ولا نَبْتَ ولا كِنّ.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: **العراء** الأرض التي لا ظل فيها.* [٦٤٧و] وقال القُتَبي: **العراء** هي الأرض التي لا يتوارى فيها شجر ولا غيره، كأنه مِن عَرِي الشيءُ.[3] *والله أعلم*.[4] *

وقوله عز وجل: **وهو سقيم**، ذُكِر أن الحوت لمّا نَبذَه بالعراء لم يكن به شَعر ولا جِلد ولا ظُفُر ولا شيء. [ويحتمل] **سقيم** من السُقم وهو المرض أي مريض لِما مسّه بطنُ[6] الحوت. *والله أعلم*.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾[١٤٦]

وقوله عز وجل: **وأنبتنا عليه شجرة من يقطين**، قال بعضهم: هي شجرة القَرْع أُنبتَ عليه ليأكل منها[7] ويستظل بها. وقال بعضهم: كلُّ شجرة تنبسط[8] على وجه الأرض مما يتسع أطرافه إذا مُدَّ أصله وجُرَّ[9] فهو يقطين من نحو البِطّيخ والقُرْجون وغيرهما. والأشبه أن تكون[10] شجرةَ القرع لأنها أسرع الأشجار نبتا وامتدادا وارتفاعا[11] في السماء في مدة لطيفة ووقت قريب، والوصولُ إلى الانتفاع بها أكلا واستظلالا لها ما لا يكون مثل ذلك في مثل تلك المدة من الأشجار. *والله أعلم*. وعلى ذلك روي أنه قيل: يا رسول الله إنّك[12] لَتُحِبّ القرع،

---

[1] ن: ولا كر؛ ث: ولا كرو. الكِنّ والكِنّة والكِنَان: وقاء كل شيء وستره. والكِنُّ: البيت أيضا، والجمع أَكْنَان وأَكِنّة. الكِنُّ: ما يَرُدّ الحر والبرد من الأبنية والمساكن (*لسان العرب*، «كنن»).

* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآية السابقة برقم ١٤١ ورقم ١٤٢، فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ٦٤٧و/ سطر ١-٢.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٤.

[4] ن + أعلم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية لسابقة برقم ١٢٥، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ٦٤٧و/ سطر ٣.

[6] جميع النسخ: نضر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.

[7] جميع النسخ: منه.

[8] ن: ينسط.

[9] جميع النسخ: وحد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١و.

[10] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٢و.

[11] م: ولارتفاعا.

[12] ر ث م: أنت.

قال: «أجل، هي شجرة أخي يونس، وهي[1] تزيد[2] في العقل».[3] فهذا يدل -إن ثبت- أنها[4] كانت شجرةَ القرع. **والله أعلم.**

ثم فيه لطف من الله عز وجل حيث أنبت[5] عليه شجرة في وقت لطيف لا يَنبُت مثلُها إلا بعد مدة طويلة[6] ووقت مديد، وأبقى عليه الضعف وقتا طويلا مما يَزيغ[7] ذلك ويزول في وقت يسير في العرف. ليُذكِّره ما أنعم عليه ويقومَ بشكره، وهو كما ذُكر في قصة صاحب[8] الحمار، حيث قال عز وجل: فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ،[9] أبقى[10] طعامه وشرابه، وحَفِظَه وقتا طويلا غير متغير مما طبعُه التغير في وقت يسير، وغَيَّر ما كان[11] طبعُه البقاء[12] لطفا منه. فعلى ذلك أنبت على يونس شجرة في وقت لطيف مما لا يَنبت مثلها إلا في وقت طويل، وأبقى[13] [عليه] ذلك الضعف الذي كان به والسَّقَم مما سبيله الزوالُ والارتفاع في وقت يسير، لطفا منه لتذكير ما ذكرنا. **والله أعلم.**

**﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[١٤٧]**

وقوله عز وجل: **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون**، هذا يحتمل وجوها. أحدها ما ذكرنا أن حرف الاستفهام إذا أضيف إلى الله فهو على التقرير[14] والإيجاب ليس على حقيقة الاستفهام،

[1] ر م: وهو.
[2] ث ن: مزيد.
[3] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل الثريد باللحم والقرع، وكان يحب القرع ويقول: «إنها شجرة أخي يونس» (*تفسير القرطبي*، ١٣٠/١٥). وروي عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بالقرع فإنه يزيد في العقل ويكبر الدماغ» (شعب *الإيمان* للبيهقي، ٤٣٠/١٢).
[4] ر: انه.
[5] جميع النسخ: أثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
[6] ر ن م: طيفة؛ ث - لطيفة.
[7] ر ن: يرتع؛ م: يرفع.
[8] جميع النسخ + موسى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
[9] سورة البقرة، ٢٥٩/٢.
[10] جميع النسخ: ابقاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
[11] ر ث م - كان.
[12] وهو الحمار.
[13] جميع النسخ: وابقاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
[14] ر ن م: التقدير.

فعلى ذلك حرف الشك [إذا أضيف إليه فهو على الإيجاب والإلزام فكأنه قال: وأرسلناه][١] إلى مائة ألف بل يزيدون[٢] لما يتعالى عن الشك.

[والثاني **أو يزيدون** بمعنى ويزيدون، إذ حرف "أو" يذكر على معنى الواو].[٣]

والثالث[٤] قوله: **أو يزيدون** [بمعنى] حتى يزيدوا [كأنه قال: إلى مائة ألف حتى يزيدوا]،[٥] كقوله عز وجل: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ،[٦] أي حتى يسلموا، فكأنه[٧] وقت ما بعثه إليهم كانوا مائة ألف ثم ازدادوا بعد ذلك. ***والله أعلم***.

والرابع[٨] **يزيدون**،[٩] أي يزيدون[١٠] عند الناس، فمعناه أن من نظر إليهم لا يظن دون مائة ألف ولكن يظن مائة ألف وزيادة. ***والله أعلم***.

**﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾**[١٤٨]

**فآمنوا فمتعناهم إلى حين**، قيل: آمنوا به فلم يُهلَكوا ولكن أُخر عنهم إلى وقت[١١] موت حتفِهم؛ وقال عز وجل في آية أخرى: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ،[١٢] أخبر هاهنا أنه لم ينفع قوما إيمانُهم عند معاينتهم العذابَ إلا قومَ يونس. وكذلك ذَكَر عزّ وجلّ في آية أخرى أنه لم ينفع الإيمانُ عند معاينة العذاب، حيث قال:[١٣] فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[١٤]

---

١ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٢ جميع النسخ + أو يقول ويزيدون.
٣ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٤ جميع النسخ: والثاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٥ الزيدتان من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٦ سورة الفتح، ١٦/٤٨.
٧ جميع النسخ: أو كأنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٨ جميع النسخ: والثالث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
٩ ر ن ث + مائة ألف؛ م + مائة.
١٠ جميع النسخ: أو يزيدون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
١١ ن – وقت.
١٢ سورة يونس، ٩٨/١٠.
١٣ جميع النسخ + عز وجل في آية أخرى.
١٤ سورة المؤمن، ٨٥/٤٠.

ثم لا يُدْرَى أنه إنما قُبِلَ[1] إيمانُ قوم يونس لأنهم آمنوا عند خروج يونس عليه السلام من بين أظهرهم قبل أن يُقبِل العذابُ عليهم، لِما كانوا يعلمون أن الرسول متى ما خرج من بينهم بعد ما أوعدهم بالعذاب أن العذاب ينزل بهم لا محالة، فآمنوا به قبل أن يعاينوا [العذاب][2]. أو أن يكون العذاب قد أقبل عليهم فعاينوه[3] فعند ذلك آمنوا. فإن كان الأولَ فهو بأنهم إنما آمنوا به عند خروجه منهم، فهو مستقيم، قُبِل إيمانهم لأنهم لم يؤمنوا عند معاينتهم العذاب ولكن إنما آمنوا قبلَ ذلك. وإن كان الثاني فجائز أن يكون قُبِل إيمانُهم ونَفَعَهم إيمانُهم وإن عاينوا العذابَ لِما عَرَف جلَّ وعلا أنَّ إيمانهم كان حقًّا وهم صادقون في ذلك مُحِقُّون،[4] لم يكونوا دافعين[5] العذاب عن أنفسهم إلا بإيمانٍ[6] حقيقةً. **والله أعلم**.

**﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾[١٤٩] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[١٥٠] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾[١٥١] ﴿وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٥٢]**

وقوله: **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون**، الاستفتاء والسؤال يخرج على أربعة أوجه. إن كان الاستفتاء والسؤال من عليم خبير لأهل الجهل يكون تقريرا وتنبيها إذا لم يكونوا أهلَ عناد. و إذا[7] كانوا أهل عناد فهو تسفيه وتوبيخ لهم. و إذا كان الاستفتاء من جاهل مُصَدِّقٍ طالبِ رشدٍ لعليم[8] خبير يكون على الاسترشاد[9] وطلب الصواب. و إذا كان من معاند مكابر فهو يخرج على الاستهزاء والسخرية، كقولهم: أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[10] إنما قالوا[11] ذلك استهزاء به.

---

[1] ر م: يقبل.
[2] جميع النسخ: فآمنو به فإن م يعايبوا. الزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ظ.
[3] ر ث م + عند معاينتهم.
[4] ن ث: محققون.
[5] ر ث م: رافعين.
[6] ث: الإيمان.
[7] ر: وإن.
[8] ث: تعليم.
[9] جميع النسخ: يكون استرشدا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ط.
[10] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٢).
[11] جميع النسخ: قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤١ط.

ثم ما ذكر من الاستفتاء لهؤلاء إنما يكون تسفيها منه لهم في قولهم: لله[1] عز وجل ولد، والملائكة بنات الله سبحانه، ونحوه من الفِرْيَة العظيمة التي لا فرية أعظمَ منها ولا كَذِبَ أكبرَ منه، [٦٤٧ط]
لأن درك الأشياء ومعرفتَها إنما يكون في الشاهد بأحد وجوهٍ ثلاثةٍ. أحدها المشاهدة، والثاني الخبر، والثالث الاستدلال بما شاهدوا وعاينوا على ما غاب عنهم. ثم معلوم عندهم -أي عند هؤلاء- أنهم لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد، ولا كانوا يؤمنون بالرسل حتى يكونَ عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا إليه من الولد وغيره، إذ الخبر إنما يوصَل إليه بالرسل وهم لا يؤمنون بهم؛ ولا كانوا شاهدوا ما يستدلون على ما قالوا فيه ونسبوا إليه حتى دلَّهم ذلك على ذلك. فسَفَّهَهم الله[2] في قولهم الذي قالوا فيه وما نسبوا إليه، [وقال في حقهم:] إنهم كَذَبَة في ذلك. إذ أسباب العلم بالأشياء ما ذكرنا ولم يكن لهم شيء من ذلك. ولذلك قال: **ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون.**

**﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[١٥٣]**

وقال عز وجل: **أصطفى البنات على البنين.** يقول: [أ]اختار لنفسه[3] ما تَأْنَفُون[4] أنتم عنه وتنسبون إليه ما تستنكفون أنتم عنه؟ يُسفِّههم في قولهم ونسبتهم إلى الله ما قالوا فيه ونسبوا إليه إلى آخر ما ذكر. *والله أعلم*. وفيه تصبير رسول الله على أذاهم وتركهم الإيمان به والاتباعَ [له]، لأنهم مع[5] علمهم[6] أنه خالقهم ورازقهم وقديم الإحسان إليهم قالوا فيه ما قالوا.

**﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١٥٤] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٥٥] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾[١٥٦] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٥٧]**

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون.** يحتمل قوله: **ما لكم كيف تحكمون** أي ما لكم تحكمون بلا حجة ولا علم.

---

[1] ن: لله.
[2] ر ن م - الله.
[3] جميع النسخ: لنفسي.
[4] ن ث: ما يقول.
[5] ر م - مع.
[6] ر: عميهم.

وقوله: **أفلا تذكرون،** [أي أفلا تعقلون] أنّ هذا الحكم جور وظلم عظيم، كقوله عز وجل: تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى.[1]

وقوله عز وجل: **أم لكم سلطان مبين،** أي لكم حجة وبيان على ما تزعمون وتقولون في الله سبحانه.

وقوله: **فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين،** أي ائتوا بكتاب من عند الله فيه ما تذكرون من الولد وغيره.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[١٥٨]

وقوله: **وجعلوا بينه وبين الجِنة نسبا،** قال عامة أهل التأويل: إن الجِنّة [هاهنا] هم الملائكة لقول أولئك الكفرة: إن الملائكة بنات الله. وما قالوا في قوله: **ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون،** أي[2] علمت الجن الذين وصفوا له بنين أنهم لمحضرون النارَ وعذاب الله؛ أو يحاسَبون[3] على قول مجاهد وغيره؛ أو الذين[4] [أَرَوْا] أولئك -أعني الأتباع- أنهم ملائكة الله.[5] *والله أعلم.*

﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١٥٩] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[١٦٠]

وقوله: **سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين.** قوله: **سبحان الله،** نزه نفسه عما وصفه الذين تقدم ذكرهم وتبرأ من جميع[6] ما قالوا فيه. ثم استثنى عز وجل: **إلا عباد الله المخلصين،**

---

[1] ﴿أفرأيتم اللات والعُزّى. ومَناةَ الثالثةَ الأخرى. ألَكُم الذكرُ وله الأنثى. تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ (سورة النجم، ٥٣/١٩-٢٢).

[2] ر: أو.

[3] ر م: ويحاسبون.

[4] ر ث م: والذين.

[5] وعبارة الشارح هكذا: «وقالوا في قوله: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي علمت أولئك الملائكة أن الجاعلين بينه وبينهم نسبا والقائلين به لمحضرون عذاب الله، إلى هذا يذهب عامة أهل التأويل. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ الجنَّ أنفسهم دون الملائكة، وهم عبدوا الجن واتخذوهم أربابا لِما أرى الجنُّ لأولئك الكفرة أنهم ملائكة الله، كقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١)، أخبر الملائكة أنهم عبدوا الجن لا هم؛ وكقوله: ﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٠) أخبر أن من الجنّ من خرق له بنين وبنات فيكون على هذا تأويلُ قوله: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي علمت الجن الذين خرقوا له بنين وبنات بغير علم أنهم محضرون النارَ وعذابَ الله؛ أو يحاسبون على قول مجاهد وغيره. ويحتمل أو الذين أروا أولئك الأتباع أنهم ملائكة الله» (شرح *التأويلات*، ٤٢٦و).

[6] جميع النسخ: عن جميع. يقال: تبرأت من كذا (*لسان العرب*، «برأ»).

فسنا ندري ما موضع الثُّنْيا هاهنا عىى إثر ما ذكر من التنزيه لنفسه. فيحتمل[1] الاستثناءُ وجهين. أحدهما سبحان الله عما يصفه[2] أولئك الكفرة من الولد وغيره، **إلا عباد الله المخلصين** فإنهم لا يصفونه وَصْفَةَ أولئك الكفرة. أي بريء عما وصفه أولئك الكفرة غيرُ بريءٍ مما وصفه عباد الله المخلَصين.[3]

والثاني **سبحان الله عما يصفون** إلا[4] من أخلص منهم وآمن [به] فإنه[5] غير بريء مما يصفه [هؤلاء]، لما يجوز أن يُسلم منهم نفرٌ[6] فيصفوه[7] بما يليق به، لأن المؤمن والمخلص لا يصف ربه إلا بما يليق به. *والله أعلم*.

وقال بعضهم: **إلا عباد الله المخلصين** استثناء[8] من قوله: **ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** النارَ **سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين** فإنهم لا يحضرون النارَ والعذابَ عىى [ما] سبق استثناء هؤلاء الذين أخلصوا ممن يُحضَر العذاب[9] فيما تقدم -والله أعلم- لكنه[10] عىى التقديم والتأخير.

**﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾[١٦١] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾[١٦٢] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[١٦٣]**

وقوله عز وجل: **فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالِ الجحيم**، يقول[11] -والله أعلم- إنكم وما تعبدون لا تملكون أن تَفْتِنوهم وأن تُضِلّوهم[12] إلا من هو في علم الله أنه يختار الضلالة؛ وما[13] يُصليه النار على حق المعرفة له[14] لا حقيقةِ الإضلال.

---

[1] جميع لنسخ: يحتمل. والتصحيح من شرح *التأويلات*. نسخة ولي الدين، ورقة ٣٣و.
[2] جميع النسخ: يصفون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[3] ر ث م - فإنهم لا يصفونه وصفة أولئك الكفرة أي بريء عما وصفه أولئك الكفرة غير بريء مم وصفه عباد الله المخلصين.
[4] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[5] أي الله تعالى.
[6] ر ن م: نفي.
[7] جميع النسخ: فيصفونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[8] جميع النسخ: استثنى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[9] ر ث م - العذاب.
[10] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[11] ر: لقول؛ م: لقوله.
[12] جميع النسخ: لا يمكنون يفتنوهم (ر: يفتنون) وأن يضلوهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[13] ر م: مما؛ ن ث: فما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[14] جميع النسخ: المعونة لهم

وهو كما ذكر[1] عز وجلّ في آية أخرى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.[2] وما أخبر: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ].[3] ***والله أعلم.***

[٦٤٧ط س٣٥ *[وقوله: **فإنكم**] **وما تعبدون** [يحتمل] الجنَّ الذين عُبِدوا[4] أو الملائكة. ويحتمل الأصنام التي عُبِدت؛ إذ قد ينسب إليهن الإضلالُ، كقوله:[5] رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.[6]

٦٤٧ط س٣٦] ***والله أعلم.****

[٦٤٨و س١ *وقوله عز وجل: **ما أنتم** [**عليه بفاتنين**، أي] بمضين أحدا من عبادي بباطلكم وهو الصنم[8] الذي تعبدون،[9] إلا من[10] تَولّاكم بعمل أهل النار. وذكر عن عمر بن عبد العزيز عن الحسن أيضا أنهما قالا في قوله عز وجل: **ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم**، يقول: ما أنتم بمضين بآلهتكم أحدا إلا من قُدِّر له[11] أنه يَصلي الجحيمَ.[12] وهو قريب مما ذكرنا.[13]

٦٤٨و س٤] ***والله أعلم.****

وقال بعضهم في[15] قوله عز وجل: **إلا من هو صال الجحيم**، إلا من كُتِب عليه في اللوح أنه يَصْلي الجحيمَ، وقال بعضهم: إلا من رضي الله عليه أنه يَصلي النارَ. وأصله ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[2] سورة الحجر، ٤٢/١٥.
[3] سورة النحل، ١٦/٩٩-١٠٠.
[4] جميع النسخ + الجن.
[5] جميع النسخ: لقوله.
[6] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
* وقع ما بين النجمتين بعد قوله: «وقال بعضهم في قوله عز وجل: إلا من هو صال الجحيم» بعد أسطر، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٧ظ/ سطر ٣٥-٣٦.
[8] جميع النسخ: من عبادي ما ظنكم هذا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٣و.
[9] ر ث م: يعبدون.
[10] جميع النسخ: الامر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[11] ر ث م - له.
[12] *تفسير الطبري*، ٦٤٨/١٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٦/١٢.
[13] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٤٨و/ سطر ١-٤.
[15] ر ث م: من.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[١٦٤]

وقوله: **وما منا إلا له مقام معلوم.** يحتمل هذا منهم -أعني الملائكة- وجهين. أحدهما قالوا ذلك تبرئة[1] لأنفسهم[2] من أن يأمروا[3] بالعبادة لهم، أي [ما منا إلا له مقام معلوم لعبادة مولانا وخالقنا] لم نتفرغ نحن عن عبادته[4] طرفة عين فكيف نأمر[5] هؤلاء بعبادتنا، [وهو] كقوله:[6] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾،[7] أي نحن[8] في طلب ولايتك[9] فكيف نتفرغ لذلك. أو أن يقولوا: إن ولايتك التي[10] وَلَّيْتَنا[11] / شغلتنا عن جميع ما ذكر. [٦٤٨و]
*والله أعلم.*

ثم قوله عز وجل:[12] **إلا له مقام معلوم**، يحتمل مكانا معلوما محدودا[13] لا يُبرَح منه ولا يُفارَق. ويحتمل **مقام معلوم**[14] عبادةٌ معلومةٌ، نحوَ ما ذَكَر حكيمُ بن حِزام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم [بين أصحابه، إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إنّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلامُ أَنْ تَئِطَّ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائمٌ»].[15] ***والله أعلم.***

---

[1] ن ث: تنزيه.
[2] جميع النسخ: أنفسهم.
[3] جميع النسخ: عن أن يأمروا.
[4] جميع النسخ: بعبادة هؤلاء. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٣ظ.
[5] ر: تأمر.
[6] جميع النسخ: كقولهم. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[7] ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٤١/٣٤).
[8] ر ث م: الجن.
[9] ر: ولا شك.
[10] ن ث - التي.
[11] جميع النسخ: وليتنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و.
[12] ر م - ثم قوله عز وجل.
[13] جميع النسخ: مكان معلوم محدود.
[14] جميع النسخ + أي.
[15] جميع النسخ + ولا بما نحن فيه ولكن أمر آخر. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٢و. *تفسير ابن كثير*، ٣٠٤/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٩/١٢. أطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطَّتْ. وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمّ أطيط، وإنما هو كلامُ تقريبٍ أريد به تقرير عظمة الله تعالى... يَئِطّ: يَحِنّ ويَصيح (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، ٥٦/١-٥٧)

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[١٦٥] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[١٦٦] ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾[١٦٧] ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٦٨] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[١٦٩] ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[١٧٠]

*[وقوله تعالى: **وإنا لنحن الصافون**، يحتمل [**الصافون**، أي] يُصَفُّون صفوفا كما يُصلِّي بنو آدم بالجماعة صفوفا. ويحتمل [**الصافون**]، أي قائمون صفوفا أو راكعون صفوفا أو ساجدون صفوفا. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **وإنا لنحن المسبحون**، يحتمل [**المسبحون**، أي] مُصَلُّون، على ما قاله أهل التأويل. ويحتمل [**المسبحون**] حقيقةَ التنزيه، أي يُنزِّهون الله ويُبرِّءونه عما تقول فيه الملحدة. ويحتمل قوله **المسبحون**، أي العابدون دائما أبدا. ***والله أعلم***.

وقوله: **وإن كانوا لَيقولون لو أن عندنا ذكرا من الأوَّلين لكنا عبادَ الله المخلصين**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن أهل مكة كانوا يقولون قبل أن يُبعَث محمدٌ رسولُ الله: قاتلَ اللهُ اليهودَ والنصارى كَذَّبوا أنبياءَهم، لو أُتانا ذكرٌ أو نبأٌ من الأوَّلين لكنّا عبادَ الله المخلصين. قد قالوا ذلك وأكَّدُوا القولَ فيه بالقسم بالله تعالى كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[1] أي كفروا بربهم. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُوعدهم أن يَنزِل بهم العذابُ بعبادتهم الأصنامَ على ما نَزَل بالأوَّلين من العذاب بعبادتهم الأصنامَ وتكذيبِهم الرسلَ، فيقولون عند ذلك: **لو أن عندنا ذكرا من الأولين** أي خبرا من الأمم الماضية أنهم على ماذا أُهلكوا؟ لو علمنا أنهم أُهلكوا بما يَذكر محمد **لكنا عباد الله المخلصين**، فقصّ الله تعالى عليهم خبرَ الأولين أنَّ العذاب إنما نزل بهم بما ذَكَر محمد، فلم يقبلوه وكفروا به عنادا منهم. ويحتمل أن يكون هذا احتجاجا منهم أن آباءنا قد عبدوا الأصنام وفعلوا ما نحن فاعلون ثُمّ لم يَنزل بهم العذابُ، فلو كان صنيعهم غيرَ مرضي عند الله ولا كانوا مأمورين به ما تركهم على ذلك. وهو كقوله: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا[2] وقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[3]

[1] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[2] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[3] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

ونحوِ ذلك من الاحتجاج الباطل. فعلى ذلك يحتمل أن يكون قولهم الذي قالوا: **لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين** أي لم يُهلَكوا لِما نحن فيه ولِما تُذْكَر ولكن لشيء آخر].*[1]

ثم قوله: **لكنا عباد الله المخلصين**، بنصب اللام، وعلى ظاهر[2] ما قالوا يجوز[3] أن يكون[4] المخلِصين، بكسر اللام، أي لو كان كذا فنحن نُخلِص له التوحيدَ والعبادةَ، لكن معنى المخلص -بفتح اللام- أي لو كان كذا لَيُخلِصنا الله تعالى.[5] *والله أعلم*.

ثم أخبر أنهم كفروا به[6] [بعدَ] ما أتاهم البيان أنَّ أولئك المتقدمين إنما أُهلِكوا لِمَا ذُكّر محمد عليه الصلاة والسلام لكنهم عاندوه وكابروه وكفروا به. وقوله عز وجل: **فكفروا به فسوف يعلمون** علمَ عِيان ومشاهدة[7] إذ عرفوا علمَ خبرٍ بالحجة والآيات. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾[١٧١] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[١٧٢] ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١٧٣]**

وقوله: **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن الرسل عليهم السلام كانوا منصورين لم يُقتَل[8] رسولٌ قط، فإنما قتل الأنبياء ورسلُ المرسلين الذين يبلغون رسالة الرسل إلى قومهم ويخبرون عنهم. فأما الرسل أنفسُهم فلم يُقتَل[9] أحد منهم، عصمهم الله تعالى عن الناس وعما هَمُّوا بهم. وقال بعضهم: إنهم منصورون لِما نَصْرُ العاقبة لهم إذ لم يكن رسول قط[10] إلا وقد كانت العاقبة له وإن غُلِب في الابتداء. وقال بعضهم: **إنهم لهم المنصورون** بالحجج والآيات والبراهين، إنهم يَغلِبون بحججهم وآياتهم ويرفعون بها الشُّبَه والتمويهات. *والله أعلم*.

---

[1] ما بين النجمتين ساقط من النسخ، لذا أثبتناه من *الشرح*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٣ظ - ٣٤و.
[2] جميع النسخ: على ظاهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[3] ر ن م: يخبر.
[4] ر ن م + من؛ ث + في. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[5] جميع النسخ: لكن المخلص أن يخلصنا الله لو كان كذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[6] ر ث م - به.
[7] ث + بعد.
[8] ر ث م: لم يبلغ.
[9] جميع النسخ: فأما الرسل أنفسهم فهم لم يقتلوا ولا قتل أحد منهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤و.
[10] ر ن ث - قط.

ويستدل صاحب التأويل الأول بقوله عز وجل: وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ -وفي بعض القراءات: قُتِلَ مَعَهُ رِبيون كثير- فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا،[1] أخبر أنهم وإن قُتلوا لم يَهِنوا ولم يَضعُفوا، ثم قال عز وجل: وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ،[2] ثم أخبر أنه أثابهم[3] حيث قال: فَآتَاهُمُ،[4] كذا -والله أعلم- دلّ وإن غُلِبوا وقُتِلوا فهم المنصورون.

ثم قوله: **إنهم لهم المنصورون**، ذكر بحرفين "إنهم"و"لهم"[5] ومعناهما واحد على التأكيد، كقوله عز وجل: وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ،[6] وقوله: إِنِّي أَنَا اللهُ،[7] وإن كان الواحد كافيا.[8]

وقوله عز وجل: **وإن جندنا لهم الغالبون**، أي رسلنا أو أتباعنا وأولياءنا[9] هم الغالبون على ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

**﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾[١٧٤] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[١٧٥]**

وقوله عز وجل: **فتول عنهم حتى حين**، يحتمل:[10] لا تكافئهم[11] بأذاهم إياك إلى حين، أو لا تقاتلهم.[12] فكيف ما كان ففيه وجهان من الدليل. أحدهما دليل على رسالته حيث أخبر أنهم يكونون على الكفر إلى الحين الذي ذُكِر ويَهْلِكون على ذلك، حيث قال: **فتول عنهم حتى حين.**

---

[1] سورة آل عمران، ١٤٦/٣.

[2] سورة آل عمران، ١٤٧/٣.

[3] جميع النسخ: ثم أخبر أنه آتاهم الله ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.

[4] يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٨/٣).

[5] جميع النسخ: ذكر إنهم لهم بحرفين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.

[6] سورة الصافات، ١٦٥/٣٧.

[7] سورة القصص، ٣٠/٢٨.

[8] ر م: كما في؛ ن ت: كافي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.

[9] ن: او اولياننا.

[10] جميع النسخ + أي.

[11] ر م: لا يكافئهم؛ ن ت: لا تكافئهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.

[12] جميع النسخ: لا يقاتلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.

والثاني فيه دليلُ حفظه إياه وعصمتِه عما كانوا[١] يَهُمّون به من القتل والإهلاك حيث[٢] معه من مقاتلتهم ونهاه عن التعرض لهم إلى وقت معلوم على ما كان[٣] منهم من الهم بقتله وإهلاكه لو وجدوا السبيل إليه.[٤] فدل أن الله عز وجل قد عصمه وحفظه عنهم حين قال لهم ما قال، حيث قال عز وجل: **وأبصرهم فسوف يبصرون**، [وهو] كقوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ.[٥]

وقوله عز وجل: **وأبصرهم فسوف يبصرون** عِيانا ومشاهدة، وقال بعضهم: **وأبصرهم** لعذابٍ إذا نزل بهم خبرا،[٦] **فسوف يبصرون** وقوعا. ويحتمل قوله: **وأبصرهم**، أي عَرِّفهم أن العذاب ينزل بهم فسوف يعرفون إذا نزل بهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[١٧٦] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[١٧٧]

وقوله عز وجل: **أفبعذابنا يستعجلون**، دل هذا أنهم كانوا يستعجلون نزولَ العذاب بهم -والله أعلم- وإنما[٧] يستعجلون العذاب استهزاءً بالرسول عليه السلام وتكذيبا له فيما يوعدهم أن العذاب ينزل بهم. ثم قوله عز وجل: **أفبعذابنا يستعجلون**، هو حرف التعجب: أن كيف يستعجلون عذابي؟ ألم يعرفوا قدرتي[٨] وسلطاني في إنزال العذاب والإهلاك إذا[٩] أردت تعذيب قوم وإهلاكهم؟ أي قَدَرت ذلك وملكت عليه.

ثم أخبر أنه إذا نزل العذاب بساحتهم ساء صباحُهم، حيث قال عز وجل: **فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين**. ثم قوله عز وجل: **فإذا نزل بساحتهم**، يحتمل النزول بالساحة، أي بقربهم.[١٠] ويحتمل النزولُ بالساحة النزولَ بهم والوقوع عليهم، كقوله عز وجل: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ / حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ،[١١] في نزوله بهم. ***والله أعلم***.[١٢] [٦٤٨ظ]

---

[١] جميع النسخ: كما كانوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[٢] ر م + قل.
[٣] جميع النسخ: إلى وقت على المعلوم ما كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[٤] م - إليه.
[٥] سورة هود، ٥٥/١١.
[٦] ر: خبرا؛ م: حين.
[٧] جميع النسخ: إنما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٢ظ.
[٨] جميع النسخ: قدري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[٩] ر: انا.
[١٠] ر: يقربهم.
[١١] سورة الرعد، ٣١/١٣.
[١٢] جميع النسخ + يحتمل نزوله بساحتهم ما ذكرنا من نزوله بقربهم (ت ن + أو نزوله بهم) ووقوعه عليهم.

ثم قوله عز وجل: **فساء صباح المنذرين**، ساء صباحُهم لأن ذلك العذاب إذا حلّ بهم صيَّرهم معذَّبين في النار أبدَ الآبدين. *والله أعلم*.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[١٧٨] ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[١٧٩]

وقوله عز وجل: **وتول عنهم حتى حين**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم.[١] وكذلك قوله عز وجل: **وأبصر فسوف يبصرون**، ويقول بعضهم أي انظر فسوف يَنظُرون، لكن الوجه فيه ما ذكرنا.[٢]

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١٨٠] ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[١٨١] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٨٢]

وقوله عز وجل: **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**، في هذه الأحرف الثلاثة جميع ما لله تعالى[٣] من الحق على الخلق من التوحيد، وجميع ما عليهم من التفويض إليه في الأمور كلها، وجميع ما عليهم من الثناء الحسن والحمدِ له فيما أنعم عليهم وما ألزمهم من الثناء الحسن على جميع المرسلين. أما حرف التوحيد فهو [في] قوله: **سبحان ربك رب العزة عما يصفون**، نزّه نفسه وبرّأه عن جميع ما قالت الملاحدة فيه مما لا يليق به من الولد والشريك والصاحبة وغير ذلك، فيُرجَى أن يُثاب قائلُ هذا ثوابَ كلِّ واصف لله عزَّ وجلَّ بالبراءة له والتنزيه عن ذلك كله. وفي قوله عز وجل: **رب العزة**، وصفٌ له[٤] بالعزة[٥] والقوة وتفويض الأمر إليه، فيرجى أن يُثاب قائلُ هذا ثوابَ كلِّ واصف لله بالعزة[٦] له والقوة. وأما الثناء الحسن على المرسلين فهو [في] قوله عزَّ وجلَّ: **وسلام على المرسلين**، أمر الله عزَّ وجلَّ عبادَه أن يُثنوا على المرسلين جملةً، وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[٧] قال: «إذا سلَّمتم عَلَيَّ فسَلِّموا على إخواني المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين».[٨]

---

[١] نظر عند تأويل قوله تعالى الآية ١٧٤ من هذه السورة.

[٢] ن + والله أعلم. انظر عند تأويل قوله تعالى الآية ١٧٥ من هذه السورة.

[٣] جميع النسخ: جميع ما بينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.

[٤] ر م – له.

[٥] ن: بالعز.

[٦] جميع النسخ: بالعز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.

[٧] ر م + إذا.

[٨] عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سلّمتم عليّ فسلّموا على المرسلين؛ فإنما أنا رسول من المرسلين» (*تفسير الطبري*، ١٩/٦٦١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٤٩٧).

وأما[1] الثناء الحسن على الله بكل ما أنعم عليهم وأحسن إليهم فهو [في] قوله عز وجل: **والحمد لله رب العالمين**، فيرجى أن يُثاب قائلُ هذا وتاليه على المعرفة [لله والإقرار] به[2] ثواب جميع القائلين به والتالين. *والله أعلم*.

وذكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخرُ كلامه من مجلسه: **سبحان ربك رب العزة عما يصفون**[3] **وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**.[4] *والله أعلم*.

و[قوله عز وجل] **رب العزة**، قال بعضهم: هو رب النقمة[5] والقوة، ويحتمل **رب العزة**، أي [الذي] به يتعزز كلُّ من يتعزز وإليه يرجع [عِزُّ] كلِّ عزيز. وكذلك [في قوله: **والحمد لله**، أي][6] كلُّ من حمد أو أثنى على شيء فحقيقة ذلك الحمد والثناء راجع إليه تعالى. والله أعلم[7] بحقيقة مراده. *وبالله التوفيق*.

---

[1] جميع النسخ: أما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[2] جميع النسخ + مما فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[3] ن + إلى آخره.
[4] ن - وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٩/١٢.
[5] جميع النسخ: النعمة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[6] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[7] ث: والله تعالى أعلم؛ ن + بالصواب تم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة ص[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.[٢]

**﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[١]**

قوله[٣] عز وجل: **ص والقرآن ذي الذكر**، قال بعضهم: **ص**،[٤] هو اسم تلك السورة التي ذكر [فيها ص]، وكذلك قوله: قٓ وَالْقُرْآنِ [الْمَجِيدِ]،[٥] وكذلك جميع الحروف[٦] المقطعات. ولله أن يسمي ما شاء بما شاء وبأي اسم شاء. وقال بعضهم: إنما[٧] هو من[٨] أسماء الرب تبارك وتعالى. وقال بعضهم:[٩] هو من[١٠] فواتح السور،[١١] وقد ذكرنا أنّ[ه] يفسره ما ذكر على إثره. وقد ذكرنا في غير موضع ما قيل في الحروف[١٢] المقطعة.[١٣] وقال بعضهم: [**ص**، أي] صادِ، أي عَارِض [الكفرة] بالقرآن. قال أبو عبيدة: صادِ من المصاداة.[١٤] وقال الزجاج: صادِ بالقرآن، أي قاتل[١٥] وحارب[١٦] بالقرآن. وقال بعضهم: صادِ بالقرآن،

---

[١] ر - سورة ص؛ ن م + مكية؛ ث + وهي ثمان وثمانون آيت مكية.
[٢] ن + وبه نستعين.
[٣] ر: وقوله.
[٤] جميع لنسخ + لنا.
[٥] سورة ق، ١/٥٠.
[٦] جميع النسخ: حروف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[٧] جميع النسخ: لنا.
[٨] جميع النسخ - من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[٩] جميع لنسخ + لنا.
[١٠] جميع لنسخ - من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[١١] جميع النسخ: السورة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[١٢] جميع النسخ: حروف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[١٣] نظر مثلا: تفسير الآية ١-٢ من سورة البقرة، وكذا من سورة آل عمران.
[١٤] نسبه الطبري إلى الحسن (*تفسير الطبري*، ٥/٢٠).
[١٥] ر: قاتل؛ ث ن: ميل؛ جميع النسخ + به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[١٦] ث ن: وجارب.

أي نادِ بالقرآن. وقيل: أقبِل بالقرآن، ونحوه. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هو قسم أقسم بقوله: **والقرآن**.

وقوله عز وجل: **ذي الذكر**، يحتمل ذي الشرف، سماه ذكرا لأن كل شريف يُذكر في كل ملأ من الخلق، أو سماه ذكرا لِما يُذَكِّرهم كلَّ ما لهم وما عليهم وما يُؤْتَى[1] وما يُذَر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: [**ذي الذكر**، أي][2] ذي البيان.

*ذكر عن الحسن في[3] قوله عز وجل: **ص والقرآن ذي الذكر**، يقول: حادِث القرآنَ [٦٥٠ظ س٣
بقلبك. وهو من قول العرب: صاديتُ[4] الدابةَ إذا كانت صعبةً فلاطفتَها[5] حتى ذلّت ولانت.
وقال أبو عَوْسَجَة: **ص**، هو أشد كلام، وهو شِبه قسم. قال: والصادي[6] في غير هذا الموضع
العطشان، وقومٌ صادُون.[7]* ٦٥٠ظ س٦]

*وقوله عز وجل: **ذي الذكر**، قال بعضهم: ذي الشرف، أي من أُوتيه شَرُف، وقيل: [٦٥٠ س١٢
ذي الشأن، وقيل: **ذي الذكر**، فيه ذكر ما يُؤْتى وما يُتَّقَى[9] وذكرُ من كان قبله من الأمم
الخالية.* ٦٥٠ظ س١٣]

* ثم اختلف في موضع [جواب] القسم على ما ذكرنا. قال الكسائي: من القسم في [٦٥٠ظ س٦
القرآن ما هو ظاهر لا يخفى، ومنه غامض. فمن ظاهره قولُه عزّ وجلّ: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ،[11] وجوابه قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ.[12] ومن غامضه **ص**، قال بعض الناس: موضع قسمه قوله عز وجل: إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: ونوى؛ ن: وما نوى.
[2] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.
[3] ر م: من.
[4] جميع النسخ: صادته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[5] ث ن: إذا كانت فاطعتها؛ ر م: إذا كانت منعت فأطعمتها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[6] جميع النسخ: الصاد. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدماه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ض/ سطر ٣-٦.
[9] ر ن م: ما نوى وما يبقى.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدماه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٢-١٣.
[11] سورة التكوير، ١٥/٨١-١٦.
[12] سورة التكوير، ١٩/٨١.
[13] الآية ٦٤ من هذه السورة.

إلا أنه قد[1] طال الكلام وجاء من[2] القصص ما لا يكون ذلك قَسَمَه.[3] ولكنّ قسمَه[4] -والله أعلم- عندي قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾،[5] ومعناه: لَكَمْ أهلكنا ... إلا أنه لما اعترض بينه وبين القسم قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾،[6] حُذِف لامُ القسم، ويكون مردودا عليه وجوابا له،[7] وهو غريب ظريف غامض.[8] * ‎[٦٥٠ظ س١٢]

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا في عزة وشقاق.** ذكر أن أبا طالب كان مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فجلس فيه وعنده مَلَأٌ من قريش. فشكوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب فقالوا: إنه يقع في آلهتنا. قال: يا ابن أخي ما تريد منهم؟ قال: يا عَمِّ، إنّي[10] أريد منهم كلمةً تَدِينُ لهم بها العربُ ويؤدِّي إليهم بها العجم الجزيةَ. قال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله. فقال أبو جهل: أَجَعل الآلهة إلٰها واحدا؟[11] فذلك أَخْذُهم[12] العزةَ التي[13] ذَكَر، حيث قال: **بل الذين كفروا في عزة وشقاق.**

---

[1] ر ن م: لا أريه شيئا؛ ت: لا أريد سيما. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.

[2] جميع النسخ: خمس. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.

[3] ر: قسمة.

[4] ر م: قسمة.

[5] الآية التالية.

[6] الآية ٢ من هذه السورة.

[7] جميع النسخ: عندي ص والقرآن ذي الذكر ثم اعترض أهلكنا القسم ههنا بكم أهلكنا ولكن لما اعترض بل الذين كفروا صار قوله ردا عليه وجوابا له. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٥ظ.

[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم اختلف في موضع جواب القسم هاهنا. قال بعضهم: جواب القسم قوله: ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾، فإن حرف "بل" لنفي ما قبله وإثبات ما بعده، معناه -والله أعلم- ليس الذين كفروا إلا في عزة وشقاق. قال بعضهم: موضع القسم في قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾. قال بعضهم: موضع القسم في قوله: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾، مع بعد ما بين هذا الكلام وبين القسم في أول السورة. والله أعلم». (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٤٣و- ٦٤٣ظ).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٦-١٢. (ورد هنا قسم من تفسير الآية متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى محله. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٢-١٣).

[10] ت - إني.

[11] انظر: *تاريخ الرسل والملوك* للطبري، ١/٤٠١؛ و*الكامل في التاريخ* لابن الأثير، ١/٢٦٠.

[12] جميع النسخ: بذلك أخذهم. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.

[13] جميع النسخ: الذي.

وقوله: **في عزة**، قال بعضهم: في[1] مَنَعَة معاندين ممتنعين. وقال بعضهم: **في عزة**، في حمية[2] واعتزاز. والحمية هي التي تحمل[3] على الخلاف والعصبية.[4] *والله أعلم.*

[٦٥٠ظ س١٣] *وقوله: **في عزة وشقاق**، قيل: في تكبر وتكذيب، وقيل: في حمية وخلاف، وقيل:
[٦٥٠ظ س١٤] في غفلة، ونحوه.*

﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ**﴾[٣]

قيل في قوله: **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** بوجهين. أحدهما أن هذا في كل كافر ومشرك ينادي عند موته وهلاكه، ويسأل ربّه الرجوع والعود إلى الدنيا ليؤمن، كقوله: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ] رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا،[6] وكقوله:
[٦٤٩و] فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ،[7] الآية، / ونحوه. لكن لا ينفع[8] ذلك النداء والغوث والسؤالُ[9] التأخيرَ، على ما أخبر أنه: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[10]

والثاني[11] هذا في الجملة في الأمم التي أُهلِكت من قبلُ واستؤصلت بالتكذيب والعناد، كانوا[12] ينادون عند نزول ذلك بهم ووقوعه عليهم، ويسألون الغوث ويُظهرون الإيمان، كقوله عز وجل: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.[13] لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت على ما أخبر الله[14] عز وجل، لأنه إيمانُ دفعِ العذابِ والاضطرارِ[15] لا إيمان اختيار.

---

[1] ر م - في.
[2] ر: حمئة.
[3] جميع النسخ: يحمى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[4] جميع النسخ: المعصية. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٣-١٤.
[6] سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣-١٠٠.
[7] ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكُنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ١٠/٦٣).
[8] ر م: لما ينفع.
[9] ث ن: وسؤال.
[10] سورة الأعراف، ٣٤/٧.
[11] جميع النسخ: ومنهم من يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[12] ث: وكانوا.
[13] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.
[14] ن - الله.
[15] جميع النسخ: و صطرار.

يخوّف [الله] بهذا[1] أهلَ مكة أن ينزل[2] بهم على ما نزل بأولئك ويندمون على صنيعهم كما ندم أولئك. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ولات حين مناص**، هو في الأصل ولا[3] فإذا وُصل بحين صارت[4] ولات كأنه يمين: أي والله. وهو قول الكسائي. وقال بعضهم: هو ولا وليس هنالك تاء وإنما التاء في حين أي تَحِينَ.[5] وربما تزاد[6] التاء في حين والآن[7] ونحوه. وقال بعضهم: ولات بالتاء.[8] وقد قرئ بالتاء والوقف عليها.[9] وقوله:[10] **حين مناص**، وابن عباس رضي الله عنه يقول: ليس بحين نَزْوٍ[11] ولا فِرار،[12] وقال بعضهم: ليس بحين مَغاثٍ، وقيل: ليس بحين جَزَعٍ. *والله أعلم*.

*وقوله: **فنادَوْا ولات حين مناص**، قال بعضهم: أي هَرَبِهم[13] في غير وقت الحرب. ومناص: مهرب [من قولهم:] ناص[14] ينوص نَوْصا وهو المنجي[15] والغوث. وقال القُتَبي: **ولات حين مناص**، [٦٥٠ظ س١٤]

---

[1] ر ن م: يخوف فهذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[2] جميع النسخ: أن نزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[3] جميع النسخ: ولاه.
[4] ر ن م + وهو؛ ث + تاء وهو.
[5] ث: تحين.
[6] ر ث م: يزاد.
[7] ث ن م: والات.
[8] ر ث: بالياء.
[9] ر ث ن: عليهما. «واختلفوا في وجه الوقف على قوله: ﴿ولات حين﴾. فقال بعض أهل العربية: الوقف عليه «ولات» بالتاء، ثم يبتدأ 'حين مناص'. قالوا: وإنما هي 'لا' التي بمعنى "ما" وفي الجحد وُصلت بالتاء، كما وصلت ثَمَّ بها فقيل: ثَمَّتَ، وكما وصلت رُبَّ فقيل: رُبَّتَ. وقال آخرون منهم: بل هي هاء زيدت في "لا" فالوقف عليها 'لاة' لأنها هاء زيدت للوقف... فإذا وصلت صارت تاء. وقال بعضهم: الوقف على "لا"، والابتداء بعدها 'تحين'، وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين، وأوان، والآن... وأنه ليس هاهنا لا فيوصل بها هاء أو تاء؛ ويقول: إن قوله: ﴿لات حين﴾ إنما هي: ليس حين، ولم توجد "لات" في شيء من الكلام» (*تفسير الطبري*، ٢٠/١٥-١٦).
[10] ر ث ن: قوله.
[11] ر ن م: بروز؛ ث: رود. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[12] ر ث ن: ولا قرار. *تفسير الطبري*، ١٣/٢٠.
[13] ر ث م: هربتهم؛ ن: هرتم.
[14] جميع النسخ: وناص.
[15] جميع النسخ: المنجاء.

أي لا حين مهرب[1] كما[2] قال أبو عَوْسَجَة. [وقال أبو عبيدة: هو من النجاة والغوث، أي ليس وقت نجاة وغوث].[3] وقال [القتبي:] النَّوص: التأخر في الكلام، والبَوْص[4] التقدم.[5] وأصله ما ذكرنا أن ذلك الوقت ليس هووقتَ المهرب ولا وقتَ المنجى ولا وقتَ الغوث

[٦٥٠ظ س١٨] على ما تقدم غيره.*

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما: **عجبوا أن جاءهم منذر منهم** أي من بشر مثلهم، كقوله عز وجل: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[7] وقوله عز وجل: يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ،[8] وقوله:[9] أَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَرًا رَسُولًا،[10] كانوا ينكرون الرسالة في البشر ويقولون: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ.[11] والثاني **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم**، أي مِن دُونِهم في أمر الدنيا لِما رأوا أنفسهم قد فُضِّلوا[12] في أمر الدنيا دونه فقالوا: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[13] وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[14] لم يروا مَنْ دُونَهم في أمر الدنيا [أهلا لنزول الوحي][15] على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: هرب.
[2] جميع النسخ: عمى م. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[3] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[4] جميع النسخ: لنوص. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ. والنَّوص في كلام العرب التأخر، والبَوْص: التقدم (*لسان العرب*، «نوص»).
[5] ر م: المتقدم. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٤-١٨.
[7] سورة الأنبياء، ٣/٢١.
[8] سورة المؤمنون، ٣٣/٢٣.
[9] جميع النسخ: وقولهم.
[10] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[11] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[12] ر م: ضلو.
[13] الآية ٨ من هذه السورة.
[14] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[15] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٤٣ص.

وقوله عز وجل: **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب**،[1] دل هذا القول منهم أنه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية[2] معجزة أتى بها حتى قالوا: ساحر كذاب، علموا [بها][3] أنه رسول الله. لكنهم عاندوا وأرادوا بقولهم: **ساحر كذاب** أن[4] يُغرُوا أتباعَهم عليه[5] كما أغرى فرعونُ قومَه على موسى عليه السلام، حيث قال: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[6] وهو عليه السلام لم يُرِد أن يُخرجهم من أرضهم إنما يريد الإسلامَ منهم. فعلى ذلك هؤلاء الرؤساء عرفوا أنه ليس بساحر ولكنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أرادوا أن يُغرُوا قومَهم وأتباعَهم عليه ويُيَئِّسوا[7] أمرَه عليهم لئلا يتبعوه.

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥]

وكذلك قوله عز وجل: **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**، هذا القول من الرؤساء والمتبوعين منهم إغراءُ [الأتباع] عليه لِما عَرَفوا من حُبّ[8] عبادة الأصنام والأوثان في قلوبهم فقالوا: **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**.[9]

[٦٥٠ظ س١٨ *وقوله عز وجل: **إن هذا لشيء عجاب**، قال بعضهم: **عجاب**، بلغة قوم عَجَب، وقال الكسائي: العُجَاب والعُجَّاب والعَجِيب[10] والعَجَب[11] كلها لغات واحدة، وقال أبو عَوْسَجَة: **عجاب** هو تكثير[12] لعجب، كما يقال: كُبَار وكُبَّار.* ٦٥٠ظ س١٩]

---

[1] ث + علموا أنه رسول الله لكنهم عاندوا وأرادوا بقولهم.
[2] جميع النسخ: انه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[4] ن: أي.
[5] م - عليه.
[6] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[7] جميع النسخ: لبسوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[8] جميع النسخ: خبر. الزيادة والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[9] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ بهذا القول أراد رؤساؤهم أيضا إغراءَ الأتباع على محمد لِما عرفوا من الأتباع شدة حبهم للأصنام وتمكن تعظيمها في قلوبهم» شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[10] م: والعجيب.
[11] ح: والعجيب.
[12] ر م: يكثر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٨-١٩.

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[٦]

وقوله: **وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم**. اختلف في قوله: **أن امشوا**، قال[١] بعضهم: إن الملأ منهم والأتباع أَتَوْا أبا طالب يشكون رسول الله صلى الله عيه وسلم فيما يذكر آلهتهم بسوء، فلمّا كَلَّموه في ذلك لم يلتئم أمرُهم فيما طمعوا[٢] منه ولم يُجِبهم إلى ما دَعَوه إليه وسألوه، فقال الملأ -وهم أشرافهم- للأتباع: امشوا من عنده واصبروا على عبادة آلهتكم. ويحتمل[٣] أنْ قال الملأ للأتباع: أن امشوا إلى آلهتكم واصبروا على عبادتها. ويحتمل أن قالوا لهم:[٤] أن امشوا إلى أبي طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا. ويحتمل: أن[٥] امشوا إلى [آلهتكم من عند][٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

[٦٥٠ظ س٢١ *[ويحتمل:][٧] أن امشوا إلى أبي طالب واثبتوا[٨] على عبادة آلهتكم إنَّ هذا [**لَشيءٌ يُراد**]. قيل: إنما قالوا ذلك[٩] حين أسلم عمر رضي الله عنه. [قوله:] **لَشيءٌ**، أي لَأمرٌ يُراد. فمَشَوْا[١٠] إلى أبي طالب وقالوا له ما ذكرنا فيما تقدم، والقصة طويل[ة]. وقال بعضهم: **أن امشوا** أي امضوا وارجعوا إلى عبادة آلهتكم واصبروا عيها. وقال بعضهم قوله: **أن امشوا** من عند محمد صلى الله عيه وسلم **واصبروا على** عبادة **آلهتكم**[١١] **إنّ هذا لشيء يُراد** بأهل مكة.

٦٥٠ظ س٢٤] *والله أعلم*.*

[٦٥٠ظ س١٩ *وقوله عز وجل: **وانطلق الملأ منهم**، أي الأشراف منهم، وقالوا للأتباع على ما ذكرنا:

٦٥٠ظ س٢٠] **أن امشوا واصبروا على آلهتكم**.*

---

[١] ر ث م: وقال.
[٢] ث + منهم.
[٣] جميع النسخ: أو أن يقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٤] جميع النسخ: أو أن يكون قولهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٥] جميع النسخ: أو أن يقولون. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٦] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦و.
[٧] جميع النسخ + قال بعضهم قوله.
[٨] جميع النسخ: وأنيبوا.
[٩] جميع النسخ: قال بعضهم بقبول (ر: يقول) إسلام وذلك.
[١٠] ر ن م: فامشوا.
[١١] ر – واصبروا عيها وقال بعضهم قوله أن امشوا من عند محمد صلى الله عيه وسلم واصبروا على عبادة آلهتكم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢١-٢٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٩-٢٠.

وقوله عز وجل: **إن هذا لشيء يراد**، لسنا ندري ما أرادوا بقولهم: **إن هذا لشيء يراد**. فجائز أن يكونوا أرادوا بذلك أن محمدا صى الله عليه وسلم وإن دعاكم إلى ترك عبادة الأصنام لا يترككم كذلك ولكن يدعوكم إلى عبادة غيرها. أو يطلب منكم[1] أشياء.[2] أو أشياءَ أرادوا لسنا نعرف ذلك ما أرادوا[3] بذلك. *والله أعلم*.[4]

**﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة**،[5] قال بعضهم: **الملة الآخرة** هي ملة عيسى عليه السلام. [وإنما] قالوا ذلك[6] لأن النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام، منهم من اتخذه إلها،[7] ومنهم من اتخذه ولدًا لله عز وجل. فيقولون: ما سمعنا[8] عبادة الواحد الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم في الملة الآخرة[9] وهي النصرانية؛ إذ [منهم] من صيّره إلها عنده، و[منهم] مَنْ قال: إنه ولده، صيّره بحيث يحتمل الشريك. فيقولون: ظهرت عبادة العدد في الملة الآخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا إلى عبادة الواحد؟ فقال بعضهم في قوله **في الملة الآخرة**: هي الحال التي كانوا عليها؛ يقولون: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** التي نحن عليها وكان آباؤنا عليها لا على عبادة الواحد؛[10] يقولون: **إن هذا إلا اختلاق** من عند محمد صى الله عليه وسلم.

---

[1] ر: عنكم.

[2] ر م + أحوالا.

[3] م: أرد.

[4] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ لسنا ندري حقيقة ما أرادوا بقولهم: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ فجائز أن يكونوا أرادوا بذلك أن محمدا وإن دعاكم إلى ترك عبادة الأصنام لا يترككم كذلك سدى ولكن يدعوكم إلى عبادة غيرها، فيكون له غرض وإرادة سوى ما يدعوكم من ترك عبادة الأصنام. ويحتمل أنه أراد تحت ما دعاكم من عبادة الواحد وترك عبادة الأصنام أشياءَ أُخرَ من الأموال وغيرها. أو يكون غرضه هو التسلط والإمارةَ عليكم دون الدعاء إلى عبادة الواحد ونحو ذلك. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٣٦و).

[5] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ عنوا بـ'بهذا' عبادةَ إله واحد وتركَ عبادة آلهة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤و).

[6] وعبارة السمرقندي هكذا: «قال عامة أهل التأويل: الملة الآخرة هي النصرانية لأنها آخر الملل. وإنما قالوا ذلك...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤و).

[7] ن – إلها.

[8] ر ث ع – ما سمعنا.

[9] ر: الاخر.

[10] ر ع: الواحدة.

[٦٥٠ظ س٢٥ *وقوله: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة**، يعنون [بهذا] عبادةَ إله واحد وترك[1] عبادة آلهة. **في الملّة الآخرة**، قال عامة أهل التأويل: الملّة الآخرة النصرانية واليهودية كتابهما.[2] وقال بعضهم: يعنون بالملة[3] الآخرة الملّة التي هم عليها وآباؤهم.[4] يقولون: ما سمعنا عبادة إله واحد وترك عبادة الآلهة[5] في الدين[6] الذي[7] نحن وآباؤنا عليه. **إنْ هذا**، أي ما هذا **إلا اختلاق**
٦٥٠ظ س٢٨] من نفسه.*

﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **أأنزل عليه الذكر من بيننا**، يدل على أنهم قد رأوا أنّ مَن أُنزل عليه
[٦٤٩ظ] الذكر من السماء إنما ينزل / لفضل[9] وخصوصية.[10] لكن إنما رأوا الفضل والخصوصية لأنفسهم لما هم الفضل والخصوصية[11] في الدنيا، فلم يروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك أنكروا إنزال الذكر عليه دُونَهم، ولذلك قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[12] وقالوا: **أأنزل عليه الذكر من بيننا**.

ثم أخبر عز وجل أنهم شاكّون في ذكره، حيث قال: **بل هم في شك من ذكري**، وتأويل هذا -والله أعلم- أن الشك هو الذي لا يُوجب القطع على شيء بل يُوجب الوقف فيبطل[13] القطعُ علي شيء فكيف قطعتم على الرد والإنكار دون أن[14] تقفوا[15] فيه. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: فترك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[2] جميع النسخ: كتبهم.
[3] جميع النسخ: الملة.
[4] جميع النسخ: وآثارهم.
[5] ر: آلهة.
[6] ن – الدين.
[7] ر ث م – الذي.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢٥-٢٨.
[9] ر م: الفضل؛ ث: للفضل.
[10] جميع النسخ: وخصوصه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[11] ر م – والخصوصية.
[12] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[13] جميع النسخ: فبطل.
[14] ر – أن.
[15] ر ن م: يقفوا.

وقوله عز وجل: **بل لما يذوقوا عذابِ**، ثم يحتمل أن يكون هذا على الإخبار عن الإياس من إيمانهم أنهم[1] لا يؤمنون حتى[2] يذوقوا العذاب، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.[3] وقال مقاتل: اللام زائدة كأنه قال: بل هم في شك من ذكري بل لم يذوقوا عذابِ.[4] *وقالوا: **أأنزل عليه الذكر من بيننا**، يعنون النبوة والكتاب أو الوحي[5] وهو أفقرنا وأصغرنا ونحن أكثر سنا وأعظم شرفا. [فرد الله تعالى عليهم] وقال:[6] **بل هم في شك من ذكري**، بأنه لم يُنزل عليه، بل[7] لم يذوقوا عذابِ،[8] وهو قول مقاتل.* يَذْكُر سفههم في ردهم الذكرَ وتكذيبِهم إياه على الشك منهم، والشكُّ يوجب الوقف في الشيء لا القطعَ في الرد والتكذيب له. [٦٥٠ظ س٢٨] [٦٥٠ظ س٣٠]

ثم فيها[10] الدلالة على أن الحجج والبراهين قد يُلزِم مَن جَهِلَها ولم تتحقق[11] عنده إذا كانت يسهل[12] التحقق لها والوقوف عليها بالتأمل والنظر فيها، وإن كانت لم تتحقق[13] عنده بالبديهة وعند قرعها سمعه.[14] فهو حجة لقول علمائنا: إنّ مَن أسلم في دار الإسلام و لم يَعلم أن عليه الشرائع والأحكامَ[15] كان مأخوذا بها غير معذور في جهله فيها لأنه يَسهُل ما يوصَل إليها[16] بالسؤال والبحث عنها والفحص منها. ***والله أعلم.***

---

[1] ث + لا يذوقون.
[2] ر م - لا يؤمنون حتى.
[3] سورة يونس، ١٠/٩٦-٩٧.
[4] جميع النسخ: بل لما يذوقوا عذابي. والتصحيح من *تفسير مقاتل*، ٣/١٥١.
[5] ر ث م: والوحي.
[6] جميع النسخ: يقول الله عز وجل.
[7] ر م - بل.
[8] جميع النسخ: لما يذوقوا. والتصحيح من *تفسير مقاتل*، ٣/١٥١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢٨-٣٠.
[10] جميع النسخ: فيه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[11] جميع النسخ: يتحقق. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦و.
[12] جميع النسخ: تسأل. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق، ورقة ٣٦و.
[13] جميع النسخ: يتحقق. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٣٦و.
[14] ن: سمعة.
[15] ر ن م: الشرائع وأحكام؛ ث: شرائع وأحكام.
[16] جميع النسخ: لأنها تسأل ما يوصل إليه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب**. قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الإيجاب والإلزام مما لو كان ذلك من مستفهم حقيقة يقتضي جوابا.[1] فقوله عز وجل: **أم عندهم خزائن رحمة ربك**، جواب لقولهم:[2] أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[3] فجوابه لهم: ليس عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لأنفسهم أو لمن شاءوا هم،[4] كقوله:[5] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[6] [وهذا لأنهم] كانوا لا يرون وضعَ الرسالة إلا فيمن كانت له أموال وله سَعَةٌ في الدنيا وفضلُ مالٍ؛[7] فيذكر أعندهم[8] خزائن ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيمن شاءوا[9] واختاروا؟ لذلك قال الله عز وجل: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ، أي لا يملكون قسمة رحمة ربك بل، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[10] الآية، يخبر أنهم لا يملكون توسيعَ[11] المعيشة على مَن ضَيّق عليه ورَفْعَ مَن وَضَعَ. فعلى ذلك ليس إليهم اختيار النبوة والرسالة لمن شاءوا واختاروا، بل اختيار[12] ذلك إلى الله عز وجل يضعها حيث يشاء فيمن شاء، عنده فضل المال والسعة. أو لم يكن ثَمّ هذا البلاء [والآفة] لهم[13] لِما رأوا السعة وفضل المال حقا لهم على الله عز وجل[14] فقالوا: إذ كنا أحقَّ بهذا في الدنيا فنحن أيضا أحق بالرسالة والنبوة على ما كنا أحق في الدنيا بالسعة والفضل فيها.

---

[1] جميع النسخ: يتضمن الجواب له. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦ظ.
[2] ث ن م: كقولهم.
[3] الآية السابقة.
[4] م: شاءوهم.
[5] جميع النسخ: كقولهم.
[6] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[7] جميع النسخ: وفضل ومال.
[8] جميع النسخ: أن عندهم.
[9] جميع النسخ: فيما ساوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[10] سورة الزخرف، ٣٢/٤٣.
[11] جميع النسخ: أنهم على ما لا يملكون بوسع. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦ظ.
[12] ث ن: حتار.
[13] ر م – لهم.
[14] ر م – يضعها حيث يشاء فمن شاء عنده فضل المال والسعة أو لم يكن بهم هذ البلاء لما رأوا السعة وفضل المال حقا لهم على الله عز وجل.

بل لو عرفوا أن ما نالوا من السعة في الدنيا وفضل الأموال إنما نالوا ذلك[1] برحمة الله وفضله لا بحق كان لهم على الله، فلو عرفوا [هذا] لكانوا لا ينكرون وضع الرسالة فيمن اختار الله عز وجل وضعها.[2]

وعلى ذلك قول المعتزلة: إنهم لا يريدون لله أن يفعل بأحد[3] شيئا إلا ما هو أصلح له في الدين، وأنه[4] لو فعل ما ليس بأصلح له في الدين لكان جائرا[5] ظالما، فيرون حفظ الأصلح له حقا، كما رأى أولئك الكفرةُ [إعطاءَ][6] السعة والأموال حقا على الله، فرأوا أنفسهم أحقَّ أيضا بالرسالة والنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7] ثم إن المعتزلة يقولون في ألم الصغار أن ليس لله أن يؤلمهم إلا بعوض يجعل لهم بإزاء ذلك الألم عوضا يَرضون هم[8] بذلك[9] إذ جعلوا أنفسهم له حقيقة؛[10] حيث لم يجعلوا لله الإيلام إلا بالعوض، ومن أخذ[11] حقا لغيرٍ لا يأخذه إلا ببدل وعوض برضاء ذلك الغير. فهذا تناقض[12] في قولهم: إن على الله حفظَ الأصلح للخلق في دينهم، حيث لم يجعلوا له ذلك إلا بعوض يَجعل لهم. ***والله أعلم.***

[٦٥٠ظ س ٣٠] *ثم قوله:[13] **أم عندهم خزائن رحمة ربك،** أي[14] نعمةِ ربك، أي [أ]بأيديهم مفاتيح الرحمة والنبوة والرسالة فيضعوها[15] حيث شاءوا؟ أي ليست تلك بأيديهم ولكنها بيد الله **العزيزِ** في ملكه **الوهابِ** يهب النبوةَ والرسالة لمن شاء ويضعها فيمن يشاء.* [٦٥٠ظ س ٣٢]

---

[1] ر ن م: بذلك.
[2] جميع النسخ + فيمن شاء.
[3] ر ن م: يأخذ.
[4] م + وأنه.
[5] ر: جائزا؛ م: جابرا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[7] «ولم يروا أنه يُفضِّل البعضَ على البعض وناقضوا في ذلك، حيث رأوا لبعضهم فضلا على البعض في نعيم الدنيا والملك والسلطنة ولم ينكروا ذلك، ثم أنكروا ما رأوا من تفضيل البعض في النبوة والرسالة. وكذا المعتزلة ناقضوا في إيلام الصبيان وليس في ذلك صلاح لهم». (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٤٤ظ).
[8] جميع النسخ: يرضونهم.
[9] ن + العوض.
[10] لعله يريد: إذا أسلموا وجوههم لله وكانوا مؤمنين حقيقة.
[11] ث ن + إلا.
[12] جميع النسخ: يناقض. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة مدينة، ورقة ٧٥٧ظ.
[13] جميع النسخ: ثم قال.
[14] جميع النسخ: يحتمل.
[15] جميع النسخ: فيضعونها.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣٠-٣٢.

ودل اتفاق القول إنه وهاب على أن ما يُنال من خير أو سعة أو فضل إنما يُنال برحمة وفضل [منه] لا بحق عليه، لأن من أدّى حقا عليه لا يقال: إنه وهّاب ولا يُسمّى وهابا [في الشاهد إلا][1] من أعطى ما أعطى[2] إنما أعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا كان عليه.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**، هو مثل الأول،[3] أي [أ]لهم ملك السماوات والأرض [حتى] يملكوا[4] ما شاءوا من الأمور ويختاروا وضعَ الرسالة فيمن شاءوا هم،[5] أي ليس لهم ملك السماوات والأرض فيمكوا ما يذكرون ويختارون.[6] فإن[7] قالوا: بل نملك[8] ذلك وإلينا ذلك، فعند ذلك يقال: **فليرتقوا في الأسباب**.

[٦٥٠ظ س٣٢] *ثم قال عز وجل: **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**، أي ليس لهم ذلك، ولكن الله[9] عز وجل يوحي[10] الرسالة إلى من يشاء ويختار لها من يشاء. ثم قال: **فليرتقوا في الأسباب**، أي الأبواب التي في السماء. وإن كانوا صادقين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه[11] فليستمعوا إلى الوحي حين يوحي الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم[12] [ليعلموا أن ذلك صدق أو اختلاق].[13] وقال بعضهم: السبب ما بين السماء والأرض أصلب من الحديد وأدق[14] من الشعر تعرج به الملائكة، وهو المعراج يُبصره الميتُ إذا خرجت روحه.

---

[1] جميع النسخ + عليه.
[2] جميع النسخ: على ما أعطى من أعطى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ٦٤٤ظ.
[3] أي مثل قوله: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾.
[4] جميع النسخ: ليملكوا. الزيادتان والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[5] م: شاءوهم.
[6] «أي إن قالوا [بأنّ] ليس لهم ملك السماوات والأرض يلزمهم أن لا يختاروا التصرف في وضع الرسالة فيمن شاءوا بل يتركوا ذلك إلى من بيده مفاتيح الرحمة والملك لهم على الحقيقة ليتصرف باختياره على سر الحكمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤ظ).
[7] ر م – فإن.
[8] جميع النسخ: يملك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[9] ر ث م – الله.
[10] جميع النسخ: فيوحي.
[11] جميع النسخ + أي.
[12] جميع النسخ: يقول أولئك.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[14] ر ث م: أدق.

وقال بعضهم: **فليرتقوا**، أي فيصعدوا[١] في طرقها فيعلموا علم ذلك: أَنَزل عليه الذكر أو لم يَنزل؟ *والله أعلم*. والارتقاء الصعود. أو أن يقول: ارتقَوْا أنتم[٢] السببَ الذي ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم وائتوا بمثل الذي أتى به محمد [وقولوا:][٣] إنه ليس برسول. أو أن يقول: ائتوا أنتم بالذي أتى به محمد من الدين والأسباب حتى تختصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم.* ٦٥١و س١]

ثم اختلف في الأسباب التي ذكر، قال بعضهم: السبب ما بين السماء والأرض وكذلك ما بين كل سماءين سبب، والأسباب جماعة. وقال بعضهم: الأسباب طرق[٥] السماء، وقال بعضهم: هي الأبواب التي في السماء تفتح[٦] للوحي / ومعناه -والله أعلم- أي **فليرتقوا في الأسباب** [٦٥٠و] إن كانوا صادقين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كذّاب وأنه ساحر وأنه اختلقه من تلقاء نفسه أي تفتح[٧] له أبواب السماء، فليستمعوا إلى الوحي حتى يوحي الله عز وجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم لقولهم: **إن هذا إلا اختلاق**. أو أن يكون معناه -والله أعلم- أن يرتقوا ملكا[٨] فينزل[٩] فيخبر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يدعي، لقولهم:[١٠] لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[١١] ونحوه.[١٢] *والله أعلم*.

**﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**، قال بعضهم: حرف "ما" هاهنا[١٣] صلة، كأنه قال عز وجل: جند هنالك مهزوم من الأحزاب، وقال بعضهم: جند بل هنالك مهزوم من الأحزاب.

---

١ ر م: فيصعد.
٢ جميع النسخ: أنهم.
٣ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣٢- ٦٥١و/ سطر ١.
٥ جميع النسخ: طرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
٦ جميع النسخ: يفتح.
٧ جميع النسخ: يفتح.
٨ جميع النسخ: مسك.
٩ ب: فنزل.
١٠ ن ت + لولا أنزل علينا الملائكة.
١١ سورة الفرقان، ٧/٢٥.
١٢ ر م - ونحوه.
١٣ جميع النسخ: هنالك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧و.

وجائز أن يكون على تحقيق "ما" فيه، أي جندٌ مَا يُهزَم هنالك من الأحزاب لا كُلّ الأجناد، وهم الجند الذين خرجوا عليه للمباهلة[1] وهم الذين قالوا: اللهم انصر أَيّنا أوصلُ رَحِمًا وأنفعُ مالا وأَخْيَرَ للخلق؟ فغُلبوا هم[2] وقُهروا. وقال عامة أهل التأويل هم الجند الذين قتلوا[3] ببدر.[4] *والله أعلم*.[5]

ثم في الآية وجوه ثلاثة من الدلالة. أحدها الأمن له عن أن يصلوا إلى قتله وإهلاكه على الآحاد والأفراد، كقوله عز وجل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ.[6] و[الثاني] فيها الأمن له[7] عن أن يصلوا إلى قتله وإهلاكه على الجمع والاجتماع عليه، كقوله عز وجل: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ،[8] أخبر عز وجل أنهم يُهزَمون جميعا. و[الثالث] فيها[9] بشارة له أنهم يُهزَمون في ضعفه وقلة أعوانه وأنصاره مع كثرة أولئك وعِدَّتهم. ففي الوجوه الثلاثة التي ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما ذكر فكان على ما أخبر، دلّ أنه بالله تعالى عرف ذلك صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**، [الأحزاب هم الذين][10] حين تحزبوا عليه قال بعضهم: إنه ساحر، وقال بعضهم: إنه كذاب وإنه مفتر وإنه مجنون على ما تحزبوا[11] عليه، وتفرقت قلوبهم فيه وتلونت. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: وهو الجند الذي خرجوا عليه بالمباهلة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.

[2] ر: فغلبوهم.

[3] جميع النسخ: هو الجند الذي قتل.

[4] *تفسير الطبري*، ٢٩/٢٠.

[5] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾، قيل: هذا وعد من الله نبيه أنْ سيُهزَم جند المشركين... ثم اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: المراد هم الجند الذين قتلوا ببدر. وقيل هم الجند الذين خرجوا عليه للمباهلة وقالوا: اللهم انصر أيّنا أوصل رحما وأنفع مالا وأخير للخلق؟ وقيل ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ الأحزاب هم الذين تحزبوا عليه أي تفرق قولهم فيه، قال بعضهم: إنه كذاب وإنه مفترٍ وإنه مجنون، فوُعِد بالنصر والظفر عليهم. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧و).

[6] يقول الله تعالى خبرا عن هودٍ عليه السلام: ﴿قال إني أُشهِد الله وَاشْهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرونِ﴾ (سورة هود، ٥٤/١١-٥٥).

[7] ر ن م: وفيه الأمر؛ ث: وفيه الأمن؛ ث - له. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.

[8] سورة القمر، ٤٥/٥٤.

[9] جميع النسخ: وفيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[11] ر م: تحزبون.

*وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**، قال: وعد الله عز وجل نبيه [٦٥١و س١]
صلى الله عليه وسلم أنه سيهزم جُنْد المشركين. فقال عامة أهل التأويل: جاء تأويلها يوم بدر
وقد ذكرنا تأويلها[١] فيما تقدم. *والله أعلم*. والأحزاب هم الذين تحزبوا عليه أي تفرقوا.* ٦٥١و س٣]

**﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[١٢] ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾[١٣]**

وقوله: **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد** إلى قوله: **أولئك الأحزاب**، أي الفِرَق.[٣] يَذكر هؤلاء الأحزابَ الذين كانوا [من قبلُ من الأمم السابقة][٤] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبره[٥] عن صنيعهم ومعاملتهم الرسلَ. [وفي ذلك] وجهان.[٦] أحدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام أولئك الكفرةَ مع تكذيبهم إياهم وسوء معاملتهم وصنيعهم مع الرسل وأنواعِ البلايا التي كانت منهم إليهم أنْ كيف عاملوهم وصبروا على أذاهم ليعامل هو قومَه مثلَ معاملتِهم قومَهم ويصبرَ على أذاهم كما صبر[٧] أولئك على أذى قومهم،[٨] كقوله عز جل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٩]

والثاني يَذكُر هذا لأهل مكة ويحذّرهم عمّا[١٠] نزل بالأمم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم وتمردهم معهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأن لا يعاملوه كما عامل أولئك رسلَهم عليهم[١١] السلام فينزلَ بهم مثلُ ما نزل بأولئك من العذاب والهلاك.[١٢] *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: تأويله.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١و/ سطر ١-٣.

[٣] جميع النسخ + وقوله إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٥] ر ث م: ويخبرهم.

[٦] جميع النسخ: لوجهين. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٧] ن: صبروا.

[٨] جميع النسخ + مثل معاملتهم قومهم وسوء صنيعهم.

[٩] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[١٠] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[١١] ر ن: عليه.

[١٢] جميع النسخ: مع العذاب والإهلاك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٦٥٠و س٢٧ *وقوله عز وجل: **وفرعونُ ذو الأوتاد**، قال بعضهم: إن فرعون كان إذا غضب على أحد من قومه مده بأوتاد[1] فيعاقبه بها ويعذّبه [لذلك سمي ذي الأوتاد].[2] ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **وفرعون ذو الأوتاد**، أي ذو[3] البناء المحكم. وقال بعضهم: كانت له أوتاد وأرسان،
٦٥٠و س٣٠] أي حبال وملاعبُ يُلعَب له عليها.[4] ***والله أعلم***.*

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[١٤]

وقوله: **فحق عقاب**، قال بعضهم: أي وجب عيهم عقابي. لكن معناه:[6] نزل بهم العقاب ووقع عليهم وإلا كان العذاب واجبا على [جميع] الكفار [فما معنى لتخصيصهم]؟[7]*

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[١٥]

وقوله عز جل: **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**. يخبر عز وجل رسولَه ويُؤيِسه من إيمانهم[9] أنهم لا يؤمنون إلا عند وقوع العذاب بهم حين[10] لا ينفعهم الإيمان، كقوله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.[11] ثم قوله عز وجل: **إلا صيحة واحدة**، يحتمل أن يكون سَمّى نفسَ العذاب صيحةً[12]

---

[1] ث + أي حبال.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[3] ر ن م: ذي.

[4] جميع النسخ: وملاعب يلاعبون بها.      عن قتادة قال: كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها... عن السدي قال: كان يعذب الناس بأوتاد، يعذبهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة تُمَدّ بالحبال ثم تلقى عليه فتشدَخُه (*تفسير الطبري*، ٢٠/٣٠-٣١).      الشدخ: كسرُ الشيء الأجوف. تقول شَدَختُ رأسَه فانشدح (*النهاية* لابن الأثير، ٢/٤٠٤).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠و/ سطر ٢٧-٣٠.

[6] جميع النسخ: عقاب لكن قوله عز وجل: ﴿فحق عقاب﴾ أي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.

[7] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.

* وقع هنا قطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٥٠و/ سطر ٢٧-٣٠.

[9] جميع النسخ: عن إيمانهم.

[10] ث: حين.

[11] ن ث + يخبر أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.      سورة يونس، ١٠/٩٦-٩٧.

[12] جميع النسخ + وجائز أن يكون ذكر صيحة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.

لِما أن العذاب إذا نزل بهم ووقع عليهم يَصيحون، فسمي ذلك صيحة لصِياحهم. أو أن يكون ذلك إذا نزل بهم كان فيه صياحٌ وصوتُ الشيءِ الهائلِ العظيم الشديد إذا هوى[1] ووقع[2] ومال إلى الأرض[3] حتى يفزع الناس منه. فعلى ذلك الصيحة التي ذَكَر تحتمل[4] ما ذكرنا. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **ما لها من فواق**، قال أبو عبيدة: من فَتَحها أراد: ما لها من راحة ولا إفاقة،[5] كأنه ذهب إلى إفاقة المريض من علته.[6] ومَنْ ضَمَّها جَعَلها[7] من فُواق الناقةِ وهو ما بين الحَلْبَتَيْن، يريد: ما لها[8] انتظارٌ ومُكْثٌ.[9] قال أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **ما لها من فواق**، أي من انقطاع إذ[10] هي دائمة أبدا لا تنقطع.[11] وقال الكسائي: الفواق -بالنصب والرفع- لغتان وهو من فُواق الناقة بين الحَلْبتين / والرَّضْعتين. وقال عامة أهل [٦٥٠ظ] التأويل: **ما لها من فواق**، أي من مَرَدّ ومرجع وقرار. وقال بعضهم: هو مَدّ[12] البصر، يقول: هي أقرب من ذلك، كقوله عز وجل: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[13] **والله أعلم**. وأصل الفُواق كأنه من العَوْد والرجوع كعَوْد[14] اللبن إلى الضَّرْع بعد ما حُلِب[15] مرة. **والله أعلم**.*

---

[1] ر م: هو.
[2] ر م: ورفع.
[3] جميع النسخ + كان فيه صياح وصوت. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[4] جميع النسخ: يحتمل.
[5] جميع النسخ: إقمة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.
[6] جميع النسخ: من عيبه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.
[7] جميع النسخ: حطها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[8] ر ن م: ويريد ما لها من فواق.
[9] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/١٧٩.
[10] ن: أي.
[11] جميع النسخ: لا ينقطع؛ ث م + به.
[12] جميع النسخ: مدة.
[13] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[14] ر ن م: كقوف.
[15] ث: حست.
* وقعت هنا قطع كثيرة من تفسير الآي السابقة برقم ١-١١، فنقلناها إلى محالّها. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣- ٦٥١و/ سطر ٤.

**﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾[١٦] ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب**. اختلف فيه. قال بعضهم: **عجل لنا قطنا**، أي كتابنا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوعدهم أنهم يُؤتَون كتابهم بشمالهم -فيه أعمالهم التي عملوها في الدنيا- في الآخرة. فعند ذلك قالوا له: **عجّل لنا قطنا**، أي كتابنا الذي تُوعِدُنا[١] أنه يعطي بشمالنا، قالوا[٢] ذلك استهزاء به[٣] وتكذيبا له. وقال بعضهم: **عجّل لنا قطنا**، أي نصيبنا وحظنا من العذاب الذي تُوعِدُنا به وتحذّرنا يوم الحساب، **قبل يوم الحساب**. قالوا ذلك استهزاء به وتكذيبا له. ولذلك قال له على إثر ذلك: **اصبر على ما يقولون**، يُصبّره ويُعزّيه على ما يقولون ليصبر على ذلك. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **عجل لنا قطنا**، ليس على سؤال العذاب والكتاب الذي حمله عامة أهل التأويل عليه، ولكنه [على] سؤال السعة والنصيب[٤] في الدنيا. ويكون ذلك في قوم لا يؤمنون بالآخرة سألوا ما وُعِدوا من النعيم في الآخرة السعةَ[٥] في الدنيا. وذلك أشبه لأنهم سألوا ربهم أن يُعجّل ذلك لهم. فلو كان على ما يحمله أهل التأويل من سؤال العذاب والكتاب على الاستهزاء بالرسول والتكذيب له لسألوا الرسول ذلك ولم يسألوا ربهم ذلك. فدل ذلك على أنه أشبه وأقرب. ***والله أعلم***.[٦] ويكون قوله عز وجل: **اصبر على ما يقولون** على ما تقدم من قولهم: إنه ساحر وإنه[٧] كذاب وإنه اختلق هذا القرآن من ذات نفسه ونحوه. ويؤيد ذلك قول سعيد بن جُبَيْر، قال: ذُكِرتْ لهم[٨] الجنة فاشتهَوْا ما فيها فقالوا: **ربنا عجل لنا قطنا**، أي نصيبنا من الجنة.[٩]

---

١ ر م: يوعدنا.
٢ جميع النسخ: قولوا.
٣ جميع النسخ: بهم.
٤ ر: والنصب.
٥ جميع النسخ: والسعة.
٦ وعبارة السمرقندي هكذا: «وجائز أن يكون قوله: ﴿عجل لنا قطنا﴾ ليس على سؤال العذاب والكتاب الذي حمله عامة أهل التأويل [عليه] ولكنه على سؤال السعة والنصيب في الدنيا، لما أنهم وُعدوا في الآخرة من نعم الجنة بالإيمان. وهم كانوا لا يؤمنون بيوم الحساب سألوا ما وُعدوا في الآخرة من النعم قبل يوم الحساب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٥و).
٧ ر ن م: انه.
٨ ر: هم.
٩ تفسير *الطبري*، ٣٨/٢٠.

*وقال أبو عَوْسَجَة: **قِطَّنا**، أي كتابنا. يقال: قَطَطْتُ، أي كتبت، أَقُطّ قَطًا فأنا قاطٌ، [٦٥١و س٣٦
والكتاب مقطوط. والقَطُّ أيضا القطع. يقال قَطَطْتُ أظفاري.[١] والقَطُّ: الدهر. ويقال: قَطِي،[٢]
أي حَسْبِي، وقَطُك أي حسبك.[٣] وقال القُتَبِي: القِطّ: الصحيفة المكتوبة وهي الصَّك.[٤]* ٦٥١و س٣٩]

وقوله عز وجل: **واذكر عبدنا داود**. يحتمل قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: **واذكر عبدنا داود** وجوها.[٦] أحدها أنْ اذكر[٧] نبأ داود ونبأ من ذكر في هذه السورة [من الأنبياء][٨] من قوله: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ،[٩] [وقوله:] وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ[١٠] ومن ذكرهم -عليهم السلام وعلى محمد- في هذه السورة. أي اذكر نبأهم الذي لم تكن[١١] لتعرف[١٢] أنت ولا قومك من قبلِ هذا لعلّهم يصدّقونك ويؤمنون[١٣] بك، كقوله عز وجل: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.[١٤]

والثاني قوله عز وجل: **واذكر عبدنا داود**، أي اذكر صبر هؤلاء على أذى قومهم وتكذيبهم إياهم لتصبر على أذى قومك وتكذيبهم[١٥] إياك كما صبر أولئك، كقوله عز وجل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ[١٦] أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[١٧]

---

[١] ر ن م: قططنا ظفاري.
[٢] ن: قضي.
[٣] ر - حسبك؛ م - أي حسبك.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٨. الصك الذي يُكتبُ للعُهدة، معرّب أصله جك. ويُجمعُ صِكَاكًا وصُكوكًا (*لسان العرب*، «صكك»).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١و/ سطر ٣٦-٣٩.
[٦] جميع النسخ: وجوه.
[٧] ر: ذكر.
[٨] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[٩] لآية ٤١ من هذه السورة.
[١٠] ﴿و ذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ الآية ٤٥ من هذه السورة.
[١١] جميع النسخ: تكن.
[١٢] ن: تعرف.
[١٣] جميع النسخ: ويؤمنوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[١٤] سورة هود، ٤٩/١١.
[١٥] ث - إياهم لتصبر على أذى قومك وتكذيبهم.
[١٦] ث - أولئك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر.
[١٧] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

والثالث اذكر داود ومن ذكر من الأنبياء، أي اذكر لهم المصدّقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرتَ لهم المكذبين وما نزل بهم من العذاب لعلهم يرجعون ويصدّقونك، ليعلموا من نجا منهم بم[1] نجا ومن هلك منهم بم[2] هلك، أو ليعلموا أن في[3] أوائلهم المصدقين له والمؤمنين فكيف اتبعتم المكذبين منهم دون المصدّقين؟ ***والله أعلم***.

و[الرابع][4] يحتمل قوله عز وجل: **واذكر عبدنا**، أي اذكر جهد داود وجهد من ذُكِر من هؤلاء في العبادة والدين.[5] وأمثالَ ذلك يحتمل.[6] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذا الأيد إنه أوّاب**، قال عامة أهل التأويل: **ذا الأيد**، أي[7] [ذا] القوة على العبادة. وجائز أن يكون قوله: **ذا الأيد**، [أي ذا القوة] في أمر الله [و]في[8] أمر الدين؛ لأنه أُلِين له الحديدُ حتى كان يتخذ منه الدِّرع وغيرها[9] من الأسلحة، وسُخِّر له الطير والجبال حتى كُنَّ يسبحن معه[10] بالعشيّ والإشراق، وحتى كان يستعمل ما اتخذ [من] الحديد فيما[11] شاء من أمر الدين من المحاربة مع الأعداء والذَّبِّ[12] عن أهل الإسلام والدفع عنهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه أوّاب**، قال بعضهم:[13] **أوّاب**، مطيع لله[14] مقبل على طاعته، وقال بعضهم: **أواب**، أي مُسبّح لله. ذُكِر أنه كان كثيرَ التسبيح. وكذلك قال عز وجل: **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ**،[15]

---

[1] ن: ثم.
[2] ر م – نجا ومن هلك منهم بم؛ ن: ثم.
[3] ر م: في أن.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[5] ر: والذين.
[6] ث: تحتمل.
[7] ر ث م: أن.
[8] الزيادات مستفدة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٨و.
[9] ر ث م: وغيرهما.
[10] جميع النسخ: حتى كن يسبح معهم. لعل المؤلف يشير إلى الآية التالية: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾.
[11] جميع النسخ: فيمن.
[12] جميع النسخ: والدرء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[13] ث – بعضهم.
[14] ر: لله.
[15] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطيرَ وألَنّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).

أي سبحي معه، هذا محتمل.[١] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **أوّاب**، أي رجّاع، إلى الله يرجع في كل أمر، وإليه يفزع في كل نائبة وحادثة. وقال بعضهم: **ذا الأيد إنه أوّاب**، أي ذا الإحسان والعمل الصالح. **أوّاب**، أي تواب. وقتادة يقول: ذا[٢] القوة في العبادة وذا الفقه في الإسلام وذا البصر في الدين.[٣]*

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق**، هو على التقديم والتأخير، كأنه قال عز وجل: إنا سخرنا الجبال يسبحن معه.[٥] أخبر أنه سخر الجبال والطير [٦٥١ظ]
وما ذُكِر لداودَ كي[٦] يُطِعنه ويُسبّحن معه. وفي الآية بيان لطف الله عز وجل وذكرُ الخصوصية لداود[٧] حيث صيّر الجبال والطير[٨] يقفن وقت تسبيح[٩] داود معه على ما أخبر عز وجل. وفيها[١٠] [أيضا] أن الله تعالى لمّا[١١] صيّر الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث تعرف وقت تسبيح داود[١٢] وتسمعه وتلين له.[١٣] فجائز أن يجعل قلبَ الكافر بحيث يلين ويخضع[١٤] لله بلطفه، إذ قلبه ليس أشدّ قسوة وصلابةً من الجبال، فإذا جعل لطفَه فيها لانت وخضعت، فعلى ذلك إذا جعل ذلك اللطف في قلب الكافر لا يحتمل أن لا يلين ولا يخضع، إذ هو ليس بأصلب وأشدّ من الجبال التي ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: يحتمل.
[٢] ر: «ذا»؛ م – ذا.
[٣] *الدر المنثور* للسيوطي، ٥١٢/١٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير هذه الآية متأخر، فقدمناها إلى محلها. انظر: ورقة ٦٥١و/سطر ٣٦-٣٩.
[٥] ر م – معه.
[٦] ر ن ث: وكي.
[٧] جميع النسخ: وفيه لطف من الله عز وجل في هذه الأشياء والخصوصية لداود في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥ظ.
[٨] جميع النسخ + بحيث.
[٩] ر ن ث: يسبح.
[١٠] جميع النسخ: وفيه
[١١] جميع النسخ: حيث
[١٢] جميع النسخ + ويعرف تسبيحه.
[١٣] ر ث م: ويسمعه ويلين له؛ ن: ويسمعه ويبين له. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٥ظ.
[١٤] ر ث م: تلين وتخضع.

وأما الخصوصية له فإن الله عز وجل جعل لكل[1] من الرسل خصوصية في شيء – لم يجعل مثل ذلك الخصوصية لأخرى في ذلك الشيء بعينه–[2] بلطفه. وخصوصية داود ما ذكر من تسخير ما ذكر له من الجبال والطير والتسبيح معه، وما ذُكر من إلانة الحديد له وغير ذلك من الأشياء. وخصوصية سليمان ما ذكر من تسخير الرياح له[3] وحملها إياه حيث شاء إلى ما شاء مسيرةَ شهرٍ بغُدُوِّه ومسيرةَ شهر بعشيه،[4] حيث قال عز جل: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ،[5] وما ذكر من فهمِ نطق الطير له[6] والنطقِ[7] معه وفهمه تسبيحها، ونحو ذلك كثير. ومثلُ هذا ما قد جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أنه أخذ أحجارا فسبّحن في يده حتى سمع ذلك من حَضَره،[8] وما ذكر أن أصابعه يسبّحن،[9] ونحوه كثير. فلكل منهم خصوصية في شيء ليست تلك لغيره. **والله أعلم.**

[٦٥١ظ س١٧] *ثم قوله عز وجل: **يسبحن بالعشي والإشراق**، جائز أن يكون لا على إرادة حقيقة العشي والإشراق، ولكن[10] على إرادة التسبيح معه في كل وقت، فيكون العشي كناية عن الليل والإشراقُ كنايةً عن النهار. يخبر أنهن يسبحن في كل وقت من الليل والنهار. **والله أعلم.** ويحتمل أن يكون يسبحن في العَشِيّات والغَدَوات خاصة، كقوله عز وجل لرسول الله[11] صلى الله عليه وسلم حيث قال: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.[12] **والله أعلم.**

[1] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من الشرح، ٦٤٥ظ.
[2] ر ن: يعينه؛ م: يعنيه.
[3] ر – له.
[4] ر ن ث: بعشية.
[5] ﴿ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهر وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْر ومِن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفانٍ كالجَواب وقُدُور راسيات﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٢-١٣).
[6] ر م – له.
[7] م + له.
[8] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلِّم علي قبل أن أُبعَثَ، إني لأعرفه الآن» (*صحيح مسلم*، "الفضائل" ٢؛ و*سنن الترمذي*، "المناقب" ٣). انظر: *روح المعاني* للألوسي، ١٧٤/٢٣.
[9] انظر: *سبيل الهدى والرشاد* للصالحي الشامي، ٤٩٣/٩.
[10] ر – على إرادة حقيقة العشي والإشراق ولكن.
[11] ن: لرسوله.
[12] سورة الكهف، ٢٨/١٨.

ثم جائز أن يكون ما ذكر من تسبيح هذه الأشياء صلاة، **يسبحن**، أي يصلّين لله، كقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ، ثم قال عز وجل: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ،[١] دل أن لها صلاة. ***والله أعلم***. ومن الناس من يقول: يسبح هذه الأشياء التي ذكر هو[٢] تسبيحَ خلقة[٣] لا تسبيح نطق وكلام. لكن لو كان على هذا لكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود عليه السلام، إذ ذاك[٤] مع داود وغيره في كل وقت، دل أنه على تسبيح النطق. وإن كان على الصلاة فهو أن لا تجوز[٥] الصلاة لأحد حتى يُشرق الشمس وترتفع[٦] حيث ذكر إشراق الشمس. ***والله أعلم***.

ثم من الناس من حمل قوله عز وجل: **والإشراق**، على صلاة الضحى، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. ذكر عنه[٧] أنه سأل أم هانئ عن صلاة الضحى: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل في بيتها؟ فأخبرته أنه فعل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقلت: أيُّ صلاةٍ [صلاةُ] الإشراق؟ [قالت:] وهذه صلاة الإشراق، تعني صلاة الضحى.[٨] ***والله أعلم***.

وسميت صلاة الضحى صلاةَ الأوابين.* [٦٥١ظ س٣٠]

[٦٥٢و س١٥ *والإشراق هو طلوع الشمس ووقوعها في كل ناحية بنورها، كقوله عز وجل: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.[١٠]* ٦٥٢و س١٧]

---

[١] سورة النور، ٤١/٢٤.

[٢] أي الله تعالى.

[٣] ر ن: خلقه.

[٤] ر ث م: ذا.

[٥] جميع النسخ: لا يجوز.

[٦] ر ث م: ويرتفع.

[٧] ر ن - عنه، صح هـ؛ م - عنه.

[٨] *تفسير الطبري*، ٤٤/٢٠-٤٥. عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: سألت عن صلاة الضحى في إمارة عثمان ابن عفان، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، فلم أجد أحدا أثبت لي صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أم هانيء قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاها مرة واحدة ثمان ركعات يوم الفتح في ثوب واحد، مخالفا بين طرفيه، لم أره صلاها قبلها ولا بعدها. فذكرت ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني كنت لأمرّ على هذه الآية ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ فأقول: أي صلاة صلاة الإشراق؟ فهذه صلاة الإشراق (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥١٧/١٢).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١ظ/ سطر ١٧-٣٠.

[١٠] سورة الزمر، ٦٩/٣٩.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٢و/ سطر ١٥-١٦.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[١٩]

وقوله: **والطير محشورة**، أي مجموعة مسخرةً، أي سُخرت له الطير أيضا. وقوله: **كلٌّ له أوّاب**. قال بعضهم: كل له مطيع، وقال بعضهم: كل له مسبح. فإن كان قوله عز وجل: **كل له أوّاب**، أي مطيع فهو يحتمل مطيع لله، ويحتمل مطيع[1] لداود. وإن كان الأوّاب هو المسبح فهو لا يحتمل لداودَ لكن لله تبارك وتعالى. ***والله أعلم***.*

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة**، قال عامة أهل التأويل في قوله: **وشددنا ملكه**، لأنه كان يَحرُسه كلَّ ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا من بني إسرائيل. لكن [هذا ضعيف، لأن هذا الكلام خرج على سبيل الامتنان عليه بشدّ الملك و][3] ليس فيما ذكروا كثير شد الملك وتقويته، إنما[4] هو وصفُ ضعفٍ، إلا أن يَعنوا[5] بما ذكروا كثرة أعوانه وأنصاره وفضل أتباعه وحواشيه فعند ذلك يحتمل ما ذكروا. فأما[6] نفس ما ذكروا من الْحَرْس له والحفظ فليس فيه كثير شد ولا فضل منقَبة.

وجائز أن يكون غير هذا أشبه له وأولى مما ذُكر في شدّ ملكه،[7] وهو يخرج على وجهين. أحدهما شدُّ ملكه مما ذكر من إلانة الحديد له[8] حتى كان يتخذ[9] منه ما شاء[10] من الدروع وغيرها من أسباب الحرب والتأهب لها وما يصلح للقتال ما لم يُعطَ بمثله لأحد سواه، فتنقطع بذلك طمع المنازعين[11] له في ذلك والراغبين في ملكه ويأمن هو بذلك ذهابه،[12] فهو شدُّ ملكه. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م - لله ويحتمل مطيع.

* وقعت هنا قطع من تفسير الآية السابقة فنقلتها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥١ظ/ سطر ١٧-٣٠.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[4] ر ن: اسماء؛ م: اسم.

[5] ر ن م: يعفوا.

[6] ر ن + في.

[7] جميع النسخ: وبما ذكر ملكه.

[8] ر ث م - له.

[9] ن: تتحد.

[10] ر ن م: بأسا؛ ث: لباسا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[11] ث: المبان عيره.

[12] م: ذهاب.

والثاني شدّ ملكه بما ذكر من تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر من طاعة هذه الأشياء له والخضوع لأمره. فمن بلغ أمر ملكه هذا المبلغَ الذي وصف مِن طاعة مَن ذكره والتسخير له وعبادته لله تعالى وطاعتِه لربه في نفسه، حيث قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا / الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] لم يَقصد أحدٌ من ملوك الأرض قصدَه ولا طَمَع في زوال [٦٥٢و] ملكه إليه بحالٍ. وهذا أشبه أن يُجعل تأويلَ شدّ ملكه الذي ذكر -والله أعلم- مما قاله أهل التأويل.

وقوله عز وجل: **وآتيناه الحكمة**، قال بعض أهل التأويل: **وآتيناه الحكمة** أي النبوة، **وفَصْلَ الخطاب**، أي [فَصْلَ الخصومة بين الخصوم بـ]ـالبينة[2] على المدّعِي[3] واليمين على المدّعَى عليه. لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على المدعي وجعل اليمين على المنكر كثيرُ مَنْقَبة وخصوصية إذ قد أُعطينا نحن مثلَه وقد ذُكر على الخصوصية له. ثم جائز أن يكون ما ذكر من الحكمة أنه آتاها له إحكامَ أمره فيما بينه وبين ربه [في] العبادة له[4] والطاعة[5] في كل وقت على ما وصفه حين قال: ﴿ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[6] أي ذا القوة والجهد في العبادة لله والطاعة له. [وجائز أن يكون ما ذكر من الحكمة أنه آتاها له إحكامَ أمره فيما بينه وبين الناس من معرفة السياسة][7] فيهم وإنزال كلٍّ منهم منزلته[8] وتأليف قلوب بعضهم من بعض وجمعِهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع تنازع ولا خلاف في الدين. *والله أعلم*.

وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل: **وفَصْلَ الخطاب**، أي قطع الخصومات فيما بينهم على التأليف والتلطف وإيصال كلٍّ إلى حقه من غير أن يقع بينهم خشونة أو ضغينة.[9] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وفصل الخطاب**، قال بعضهم: ما ذكرنا من القضاء بين الخصوم بالبينة على المدعي واليمين على المنكر،

---

[1] الآية ١٧ من هذه السورة.
[2] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٤٦و.
[3] م: للمدعي.
[4] جميع النسخ + أي لله تعالى
[5] ر ن ت + له.
[6] قد مر آنفا.
[7] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٤٦و.
[8] جميع النسخ: مرتبة.
[9] جميع النسخ: ضغنة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٤٦و.

وليس في ذلك كثيرُ منقبة ولا خصوصية. وقال بعضهم هو "أما بعد"،[1] وهذا أيضا ليس بشيء. والأصل فيه ما ذكرنا. **والله أعلم**.

والخطاب هو[2] الخصومة. قال أبو معاذ: الخطاب كالجدال والخصام، [تقول: خاطبته خطابا ومخاطبة كما تقول: جادلته جدالا ومجادلة، فكل فَاعَل له مصدران: فِعال][3] ومفاعلة. وقال أبو عَوْسَجَة: الفصل: القضاء، والخطاب: الخصومة؛ تقول:[4] خاطبت الرجل، أي خاصمته.* **والله أعلم**.

**﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[٢١] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[٢٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وهل أتاك نبأ الخصم**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الإيجاب أو على التقرير والتنبيه.[6] ثم قوله عز وجل: **هل أتاك نبأ الخصم** على الوجهين. أحدهما [على الإيجاب]، أي قد أتاك نبأ الخصم فتفكرْ فيه: كيف ابتلاه الله عز وجل وفَتَنَه[7] بما ذكر.[8] والثاني [على التقرير والتنبيه][9] أي لم يأتك نبأ الخصم،[10]

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ٥١/٢٠. وقولهم في الخطابة "أما بعد" إنما يريدون: أما بعد دعائي لك. وفي حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم فقال: «أما بعد». تقدير الكلام: أما بعد حمد الله فكذا وكذا. وزعموا أن داود عليه السلام أول من قالها، ويقال: هي فصل الخطاب، ولذلك قال جل وعز: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾. وزعم ثعلب أن أول من قالها كعب بن لؤي (*لسان العرب*، «بعد»).

[2] ر م: وهو.

[3] وعبارة جميع النسخ هكذا: يقول خاطبته ومخاطبة واحدا لا ومحادلة فكل فاعله لها جمعان فقل. والتصحيحات من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[4] جميع النسخ: يقول.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٨، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٢و/ سطر ١٥-١٦.

[6] ر ن م: والبينة.

[7] ر م: وفتنة.

[8] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[9] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و. جميع النسخ + قوله عز وجل: هل أتاك نبؤا الخصم.

[10] ر م: أي لم يأتك نبأ الخصم.

فأنبأك[١] وأرسل إليك نبأه وخبره أن كيف ابتلاه وفتنه.[٢] وعلى هذا يجوز أن يكون قوله عز وجل: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ،[٣] أي اذكر ما فُتِن به، أو اذكر مغفرة الله تعالى[٤] إياه، أو اذكر خصومة الخصمين إليه، أو اذكر ما أُعطي هو من الحكمة والحُكم وفصل الخطاب. ثم قوله: **نَبَأُ الخصم**، الخصم[٥] هو حرف التوحيد والوُحْدان. وقوله عز وجل: **إذ تسوَروا المحراب** [هو] حرف الجماعة، وكذلك قوله عز وجل: **إذ دخلوا على داود**، ذكره بالجماعة، وكذلك قوله عز وجل: **ففزع منهم**، ذكر بحرف الجماعة وقوله: **قالوا لا تخف**، ثم ذَكر بحرف التثنية، حيث قال عز وجل: **خصمان بغى بعضنا على بعض**. ذكر بعضه بحرف الوُحْدان والإفراد وبعضه بحرف الجُماعة[٦] وبعضه بحرف التثنية وهي قصة واحدة. قال[٧] بعضهم: أما قوله عز وجل: **الخصم** فهو مصدر والمصدر يذكر ويراد به المفرد والتثنية والجمع.[٨] وأما قوله تعالى: **تسوّروا**، **ودخلوا**، **وقالوا** ونحوه فقد يقال[٩] للاثنين ذلك، لأن الاثنين جماعة، كقوله عز وجل: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا،[١٠] والقلوب جماعة وإنما هو قلبان، وذلك كثير في القرآن، وذلك جائز في اللغة شائع فيها.

وعندنا جائز أن يكون قوله عز وجل: تسوروا ودخلوا عليه **وقالوا لا تخف** ونحوه إن كان مع الخصمين الْمَلَكَيْن ملائكةُ سواهما[١١] شُهودٌ على دعواهما وخصوماتِهما تسوروا معهما ودخلوا معهما عليه، فلما فزع منهم قالوا: لا تخف. وإن كان الذي يخاصم بين يديه اثنان لِما لا يحتمل أن يقول داودُ لأحد الخصمين: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ،[١٢]

---

[١] جميع النسخ: وأتاك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.
[٢] ر م: فتنة؛ ن + وابتلاه.
[٣] الآية ١٧ من هذه السورة.
[٤] جميع النسخ: أي اذكر ما قربه هو أو اذكر متقربه (ن: متقربة). والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٩و.
[٥] ر م – الخصم.
[٦] ر ث م – وبعضه بحرف الجماعة.
[٧] جميع النسخ: وقال.
[٨] جميع النسخ: فهو مصدر ومصدر للجمع (ن م + ومصدر الجمع) والفرد والتثنية واحد. الزيادات والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[٩] جميع النسخ: قد يقال.
[١٠] سورة التحريم، ٤/٦٦.
[١١] جميع النسخ: سواهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[١٢] الآية ٢٤ من هذه السورة

ينسبه إلى الظلم ويصفه بالبغي بلا شهود يشهدون[1] له[2] إلا أن يكون من الآخر إقرار على ما يُدَّعى عليه. فإذا كان كذلك فيشبه أن يكون ما ذكرنا أنه كان مع الملكين ملائكةُ آخرون شُهودٌ يشهدون على ذلك وأن حاصل الخصومة لاثنين منهم. فأضيف[3] الفعل إلى الجماعة [لما][4] كانوا جماعة في التسور والدخول عليه والقولِ منهم **لا تخف**، وأضيف [فعل الخصومة][5] إلى الاثنين لتفردهما[6] في الخصومة. ***والله أعلم***.

ثم فيه من الكلام والقول حيث قالا: **خصمان بغى بعضنا على بعض، وإن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب**، ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما.[7] كيف حققا ذلك وقطعاه أنهما خصمان ولم يكونا في الحقيقة خصمين، وأن لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدةً ولم يكن في الحقيقة ذلك، وأن هذا بَغَى على هذا ونحوَ ذلك من الخصومات التي جرت بينهما و لم يكن ذلك كذلك في الحقيقة. كيف قالا[8] ذلك وحققاه وهم ملائكة والملائكة لا يحتمل أن يَكْذبوا قطُّ أو يرسلهم[9] الله ليكذبوا [فما معنى ذلك؟][10]

[٦٥٢ظ] [قيل: يخرج ذلك] على طريق التقدير والتمثيل،[11] أي لو كان لأحدهما[12] كذا كذا **نعجةً** وللآخر واحدةً فغلب صاحب النِّعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فأخذها، أليس يكون ظالما أو يكون[13] باغيا؟ ليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا يُقدِّرانِ عنده الزلة ويمثِّلان[14] الخطيئة[15]

---

[1] ر م: ويشهدون.

[2] م – له.

[3] جميع النسخ: وفيما أضيف.

[4] التصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[5] جميع النسخ: وفيما أضيف. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.

[6] جميع النسخ: كان اثنان.

[7] ر ث م: منها.

[8] ر: والا.

[9] م: ويرسلهم.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[11] جميع النسخ: على التقرير والتمثيل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[12] جميع النسخ: لاحديهما.

[13] م: ويكون.

[14] ر ن م: ويمثلانه.

[15] ر م: الحصة.

إن كانت له[1] على ما يقوله أهل التأويل ليتقدر[2] [ما كان منه من الهفوة والزلة التي ابتلي بها فيرجع إلى الله تعالى ويتوب عن ذلك].[3] وقد ذكر الله عز وجل أشياء كثيرة على التمثيل والتقرير على تقرير أشياء غفلوا عنها وسَهَوا ليتقرر ذلك عندهم وينتبهوا[4] فيها. فعلى ذلك يشبه أن يكون خصومة هؤلاء الملائكة عند داودَ عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليتقرر ما كان منه من الهفوة والزلة، ليعرف ذلك ويرجع عنها. ***والله أعلم.***

ثم قول أهل التأويل: إن طائرا وقع بين يديه قريبا منه فنظر إليه وصار مُعْجَبا به،[5] فهمّ أن يأخذه وارتفع إلى كَوَّة المحراب فصعد ليأخذه فوقع بصرُه على امرأة فأعجبته، فإن هذا يحتمل أن يكون. وأما قولهم أدام[6] النظر، أما هذا فإنه لا يحتمل أن يكون [من] مثل[7] داود أو نبي[8] من الأنبياء عليهم السلام أنه يديم النظر إلى ما لا يحل النظر إليه. وأما الأول من الذَّهاب لطلب ذلك الطائر والنظر إليه أنه من أين وإلى ماذا؟ فذلك يحتمل أن يكون. ثم هو يكون معذورا في الصعود إلى الكوّة والارتفاع للنظر إلى الطائر لما[9] كان الطيور قد حُشِرت[10] له وسُخِرت في التسبيح معه والطاعة له. فجائز أن يكون له البحث والفحص عن حال ذلك الطائر على ما أخبر عن سليمان، حيث قال عز وجل: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ.[11] فإذا كان ما ذكرنا كان هو في الصعود إلى الكوّة والارتفاع إلى ذلك معذورا. لكن [إذا كان] وقع بصرُه عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها ومال[12] قلبُه إليها لحسنها وجمالها فذلك[13] مما يكون[14] بلا تكلف ولا صنع،

---

[1] أي داود عليه السلام.
[2] جميع النسخ: يقدرونه. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦٤-٦٦.
[4] جميع النسخ: وسهوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[5] ر: معجباة.
[6] ر: ادم.
[7] جميع النسخ: ميل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[8] م: ونبي.
[9] ر: لمان؛ م: لما ان.
[10] ر: حسرت.
[11] سورة النمل، ٢٧/٢٠.
[12] ر م: ومالا.
[13] جميع النسخ: وذلك.
[14] جميع النسخ: ما يكون.

وذلك مما لا يملك دفعه -نحوَ ما كان [من] ميل[1] قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة زيد حتى[2] وعد [الله] له[3] نكاحها، حيث قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[4]- وما ذكر من بعث زوجها إلى القتال ليُقتَل فهذا أيضا غير محتمل. لكن يحتمل بعثه إياه ليجاهد أعداءَ الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من غير أن يتوهم منه أنه قصد قتله وإهلاكه. *والله أعلم*.

فإن قيل: كيف عوتب كلَّ هذا العتاب حتى بعث[5] [الله] الملائكة إليه بالخصومة عنده والتمثيل[6] لما ذكر وتقريرِ ذلك عنده، ثم أخبر أنه غفر له بعد طول المدة، أنْ كان معذورا في ذلك غيرَ مؤاخَذ به؟

قيل: إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يؤاخَذون بأدنى شيء كان منهم ما لا يؤاخذ غيرُهم بذلك بل يُعَدُّ ذلك منهم من أرفع الخصال وأجلّها، نحوَ ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه من بين[7] قومه ليَسْلَم له[8] دينه أو نفسه، لكنه خرج بلا إذن كان له من الله فعوتب لذلك.[9] فعلى ذلك داود عليه السلام إنما[10] فعل بلا إذن من الله عز وجل. *والله أعلم*.

ثم في بعث الملائكة إليه فيما ذكر وجوهٌ من الحكمة وأنواعٌ من الفائدة. أحدها جواز الحُجّاب والحُرّس [للخلفاء والسلاطين والقضاة فإنه عليه السلام كان] له [الحُجّاب][11] حيث دخلوا عليه من غير الباب. والثاني رفع الحجاب عن الخصوم والجلوسُ للقضاء في وقت حاجة الخصوم[12] لا على وقت حاجة نفسه حيث دخلوا عليه[13] من غير الباب للخصومة بلا إذن منه.

---

[1] ر ن م: مثل.
[2] ر م – حتى.
[3] جميع النسخ: لها. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[4] سورة الأحزاب، ٣٧/٣٣.
[5] ر ث م + إليه.
[6] جميع النسخ: والتمسك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[7] ن: مرتين.
[8] ر ث م – له.
[9] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٦/٢١-٨٧).
[10] ر ث م: وإنما.
[11] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[12] ر م – والجلوس للقضاء في وقت حاجة الخصوم.
[13] ر ث م – عليه.

والثالث قدرة الملائكة على التصور بصورة البشر مع كون[1] النفس[2] الكثيفة ووجود الجسد[3] معهم.[4] وذلك يردّ على الفلاسفة مذهبهم أن النفس الروحانية خلقت منتشرة متحركة في كل حال، لكن الجسد الذي جعلت فيه يمنعها[5] عن ذلك، فإذا نام ذلك الجسد أو مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت إلى حاجتها. ألا ترى أن الملائكة قد تسوّروا عليه بصورة البشر واختصموا إليه خصومةَ البشر. دَلَّ على أنه ليس على ما وصفوا هم.[6]

ثم قوله عز وجل: **إذ تَسَوَّروا المحراب**، قال بعضهم: صَعِدوا. وأصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع، وهو النزول من السُّور، وهو الحائط المشرف المرتفع. وقوله عز وجل: **ففزع منهم**، لِما خاف دخول الوهن[7] في ملكه إذ دخلوا بلا إذن من غير الباب، أو خاف لِما ظن أنهم لصوص مكابرون، أو لِما عَرَف أنهم ملائكة جاءوا بأمر عظيم ونحوه.[8] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تُشْطِطْ**، أي لا تَجُرْ. وقوله: **أَكْفِلْنِيها**، قال[9] بعضهم: أَعْطِنِيها.[10] يقال: أَكْفَلْتُه أي أعطيتُه، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال بعضهم: أي ضُمَّها إليَّ واجعلني كافلَها، وهو قول القُتَبِي.[11] وقوله: **وعَزَّني في الخطاب**، قال بعضهم: غلبني في الخصومة، وقال بعضهم: وعزّني في القول والكلام[12] أي [هو] أبينُ مني كلاما وإن تكلفت فيه وجهدت.[13]

---

[1] ن - كون.
[2] جميع النسخ: نفس.
[3] ر ث م - الجسد.
[4] ر: معه. وعبارة السمرقندي هكذا: «والثالث بيان إقدام الملائكة على تصوير أنفسهم بصورة البشر مع كون النفس الكثيفة ووجود الجسد» (ورقة ٦٤٦ظ.).
[5] جميع النسخ: الذي جعل فيه يمنعه.
[6] ر ث م: وصفهم؛ ن: وصفوهم.
[7] ر م: الموهن.
[8] ث - ونحوه
[9] ر ث م. وقال.
[10] م + وقال.
[11] تفسير غريب القرآن، ٣٧٩.
[12] ن + أي صار بيانه [غير منقوطة] إلى في الكلام.
[13] ر ث م - وقال بعضهم وعزني في القول والكلام أي صار بيانه بي في الكلام أي أبين مني كلاما وإن تكلفت فيه وجهدت.

[٦٥٣و س ٣٠ *وقال بعضهم في قوله عز وجل: **وعزني في الخطاب**، أي غالبي في الكلام. أراد إذا تكلم أن يكون أبين مني، وإذا دعا ودعوت أن يكون[1] أكثر مني،[2] وإذا[3] ملت [عنه] أن يكون أعرض
٦٥٣و س ٣٢] [عني] على ما ذكرنا. **والله أعلم**.*

**﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾**[٢٤]

وقوله عز وجل: **وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض**، ثم استثنى: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، أي الذين آمنوا واعتقدوا في إيمانهم الأعمالَ الصالحاتِ فإنهم لا يبغي[4] بعضهم على بعض. ثم أخبر أن من آمن واعتقد في إيمانه العملَ الصالح، أي من اتقى
[٦٥٣ظ] من المؤمنين وتركَ البغي [قليلٌ، بقوله:] / **وقليل ما هم**.[5] وهذه الآية شديدة صعبة،[6] لأن[7] أن المؤمن الذي اعتقد في إيمانه العمل الصالح وترك البغي على غيره قليل في كل زمان ودهر.[8] **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وظن داود أنما فتناه**، أي علم داود وأيقن أن خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له[9] [وأنّ] الممتحَن بها [هو]،[10] لا أنهما كانا ممتحنَيْن بذلك، فاستغفر ربه؛ إذ[11] أيقن بذلك أنه[12] هو الممتحن بذلك لا غيره. **والله أعلم**.

---

[1] ر م – يكون.
[2] ر ث م: أكرمني.
[3] جميع النسخ: أو ما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٣و/ سطر ٣٠-٣٢.
[4] جميع النسخ: لا يبغون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٦٤٠ظ.
[5] جميع النسخ: قليل منهم. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[6] جميع النسخ + على ما ذكرنا.
[7] جميع النسخ: وفيه.
[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «وهذه الآية شديدة صعبة حيث جعل المؤمنين الذين لا بغي معهم قليلا، وهو إخبار من الله تعالى أنهم قليل في كل زمان ودهر» (ورقة ٦٤٧و).
[9] جميع النسخ + هو.
[10] الزيادتان من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤٠ظ.
[11] م: إذا.
[12] ر: إذ.

ثم فسّر أهل التأويل الظن هاهنا بالإيقان،[1] أي أيقن.[2] وكأنّ الإيقان هو علم يستفاد بالأسباب[3] على ما استفاد داود عليه السلام علما بخصومة الملكين عنده. ولذلك لا يضاف الإيقان إلى الله [فلا يقال:] إنه أيقن كذا؛[4] لأنه علم يستفاد بالأسباب وهو عالم بذاته لا بسبب. وأما العلم فإنه[5] قد يستفاد بسبب وبغير سبب[6] لذلك أضيف إليه حرف العلم ولم يضف حرف الإيقان. ***والله أعلم.***

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر زلّات الرسل صلوات الله عليهم والأصفياء في الكتاب، وهو وَصَف نفسه أنه غفور وأنه ستور، وقد أمرنا لنستر على من ارتكب شيئا من ذلك وبالغفران والعفو؟ فكيف ذَكَر هو زلّاتِ أنبيائه وأصفيائه حتى تقرأ[7] زلّاتهم في المساجد والمكاتب[8] بأعلى صوت إلى يوم التناد، وما الحكمة في ذكر ذلك؟

{قال الشيخ أبو منصور محمد بن محمد الفقيه رضي الله عنه:} يخرج ذكر[9] زلّات الأنبياء صلوات الله عليهم في القرآن وتركُ الستر عليهم على وجوه. أحدها ذَكَرَها ليكون ذلك آية لرسالة[10] محمد صلى الله عليه وسلم، لأن قلوب الخلق وأنفسهم لا تحتمل[11] ذكر مساوئ الآباء والأجداد، وكذلك لا تحتمل[12] قلوبهم ذكر مساوئ أنفسهم. فإذ ذَكَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دلّ أنه على أمرٍ من الله عزّ وجلّ يَذكر[13] ذلك ليعلم الناس أنه رسول الله وأنه عن أمر منه ذَكَر ذلك. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: الإيقان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[2] «لأن داود عليه السلام أيقن أنه هو المراد بذكر هذه القصة على طريق التمثيل فحصل له العلم بهذا السبب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٧و).
[3] ن: الأسباب.
[4] م + كذا.
[5] جميع النسخ: إنه.
[6] ر م – سبب.
[7] ر م: يقرأ.
[8] م: والكتب.
[9] جميع النسخ: ذلك.
[10] ر: لرسالته
[11] جميع النسخ: لا يحتمل.
[12] جميع النسخ: لا يحتمل.
[13] ن: يذكر.

والثاني ذكر زلّاتهم امتحانا منه عباده أن كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلّات وأظهر عنهم العَثَرات، وكيف ينظرون بعين الرحمة والرأفة؟ يمتحنهم بذلك على ما امتحنهم بسائر أنواع المحن.

والثالث ذكر منهم ليعلموا -أعني الخلق- كيف عاملوا[1] ربهم عند ارتكابهم الزلّات والعثرات فيعاملوا[2] ربهم عند ارتكابهم ذلك على ما عامله الرسل بالبكاء والتضرع والفزع إليه والتوبة عن ذلك.[3] *والله أعلم*.

أو أن يكون ذَكَرها ليُعلَم أن ارتكاب الصغائر لا يزيل الوَلاية ولا يُخرجه من الإيمان. وذلك على الخوارج لقولهم:[4] إن من ارتكب صغيرة أو كبيرة خرج من الإيمان. أو أن يكون ذلك ليُعلَم أن الصغيرة ليست بمغفورة، ولله[5] أن يعذب عليها ردا[6] على ما قالت المعتزلة أن ليس لله أن يعذب أحدا على الصغيرة. *والله أعلم*. وزلّات الأنبياء عليهم السلام[7] [من الصغائر في حقهم لقيام النهي، وإن كانت مباحة في نفسها في حق غيرهم وهي ترك الأفضل]،[8] فخافوا عليها، فلولا أنهم عرفوا أن لله[9] أن يعذبهم عليها وإلا لم يخافوا منها كل ما ذكر منهم.

يُذكَر عن الحسن أن داود جزّأ[10] الدهر أربعة[11] أجزاء: يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء بني إسرائيل ويوما لعبّاد بني إسرائيل [يذكّرهم] ويذكّرونه ويُبكيهم ويبكونه. فلما[12] كان يوم بني إسرائيل ذَكَروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه[13] ذنبا؟ فأضمر داودُ في نفسه أنه سيطيق ذلك. قال: فلما كان يوم عبادته غلّق أبوابه وأمر أن لا يُدخَل عليه أحدٌ

---

[1] أي الأنبياء والأصفياء.
[2] ر: فعاملون؛ ن م: فيعاملون.
[3] جميع النسخ: على ذلك.
[4] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[5] جميع النسخ: ولكن له.
[6] جميع النسخ: وليس.
[7] جميع النسخ + في قلوب الناس.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[9] ر: الله.
[10] جميع النسخ: جزى.
[11] ر م - أربعة.
[12] ر ن: فلم.
[13] ر ن م: به.

فأكبّ على الزبور يقرأها فابتُلي بما ذكروا. قال: ولذلك سُمّي أوابا.[1] *والله أعلم*. وابن عباس وهؤلاء قالوا: إنه كان له تسع وتسعون امرأة، فكان يكون عند كل امرأة يوما فإذا كان رأس المائة يفرغ للعبادة ففي ذلك اليوم أصابه ما أصابه.*

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فغفرنا له ذلك**، أي زلته[3] التي كانت منه وعَثْرَته. وما يقوله[4] أهل التأويل: إن[5] ربه أوحى إليه أني[6] قد غفرت لك، لكن لا بد أن يتعلق بك أُوريا في رءوس الخلائق ثم أستوهبُك منه وأعوضه[7] كذا،[8] فذلك مما لا نقول به ولا نعلم[9] ذلك، ولا يصح ذلك ولا يستقيم على ما ذكرنا نحن أنه لم يكن منه بأوريا[10] ما يلحقه ما يذكرون، إنما أَمَرَه بمجاهدة أعداء الله وكان له أن يأمر إلا أنه عوتب لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يعاتَبون بأدنى شيء كان منهم ويُعَيَّرون على ذلك، لذلك كان ما ذكرنا. وقد عرفنا أنه كان منه شيء عوتب عليه ثم علمنا أن ربه غفر له بقوله عز وجل: **فغفرنا له ذلك**، فأما ما سوى ذلك الذي ذكره أهل التأويل فلا نعرفه، فإن صح شيء منه نقول[11] به وإلا الترك أولى به وأسلم.[12]

وقوله عز وجل: **وإن له عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب**، يحتمل قوله عز وجل: **له عندنا لزلفى** في باقي عمره، أي له في باقي / عمره ما يُزْلفه لدينا ويُقرِّبه[13] عندنا. ***والله أعلم***. [٦٥٣ظ]
أو أن يكون له زلفى عنده في الآخرة، أي له كرامة ومنزلة. ***والله أعلم***.

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦٩-٧٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلنده إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٣و/ سطر ٣٠-٣٢.

[3] م: ذلته.

[4] م: وما يقول.

[5] ر م - إن.

[6] جميع النسخ: أي.

[7] ن ث: أو عوضه؛ ر م: أو عوض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[8] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٧٤-٧٥.

[9] جميع النسخ: لا يقول به ولا يعلم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[10] جميع النسخ: أوريا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[11] جميع النسخ: يقال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤٠ظ.

[12] قال الشارح رحمه الله: «فأما ما سوى ذلك الذي ذكره أهل التأويل فإن صح شيء منه بطريق التواتر نقول به إن كان شيئا يستقيم ذلك من الأنبياء، أو نحمله على تأويل صحيح إن كان لا يستقيم ذلك منهم. فأما ما ثبت بطريق الآحاد فالكف عنه في باب الاعتقاد أولى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٧و).

[13] ر: يقربه.

**﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض**. يحتمل قوله: **جعلناك خليفة في الأرض**[1] في جملة أهل الأرض من الرسل والأنبياء والملوك وغيرهم على الشريف والوضيع. **والله أعلم**. ويحتمل قوله عز وجل: **جعلناك خليفة في الأرض** في الرسل خاصة. وكلا[2] التأويلين يرجعان إلى واحد إلا أن أحدهما يرجع إلى الخاص[ة] من الناس والآخر[3] يرجع إلى العامة منهم. **والله أعلم**.

*ثم يقول قتادة في قوله عز وجل: **إنا جعلناك خليفة في الأرض**، إلى قوله: **بما نسوا يوم الحساب**، يقول: لم يذكر الله عز وجل من شأن داود عليه السلام ما ذكر إلا أن يكون داود قَضَى[4] نَحْبه من الدنيا على طاعة الله والعمل به والعدل فيما ولّاه الله عز وجلّ، ولكنّ الله تعالى وَعَظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية ليُعلِم[5] من وُلِّيَ [من] هذا الحكم[6] شيئا أنه ليس بين الله وبين العباد سببٌ يعطيهم خيرا ولا يدفع عنهم به شرا إلا بطاعة الله والعمل بما يرضى. وقوله عز وجل: **إنا جعلناك خليفة في الأرض**، أي جعلنا لك[7] الخلافة فيمن ذكرنا.* |٦٥٣ظ س٢٥ ٦٥٣ظ س٣١|

وقوله عز وجل: **فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**، دلّ قوله عز وجل: **ولا تتبع الهوى** أن النفس قد تهوَى في الحكم بغير حق، حيث قال: **فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**.[9] ثم لم ينهه عن هوى النفس ولكن نهاه عن اتباع هواها،[10] لأن النفس أُنشئت على الهوى والميل إلى اللذات والشهوات وعلى ذلك طُبعت وبُنِيت، فيكون في هواها إلى ما تهوى مدفوعا

[1] ر ث م + يحتمل قوله.
[2] ن: وكلي.
[3] ر م − يرجع إلى الخاص من الناس والآخر.
[4] ن: قصر.
[5] جميع النسخ: وليعلم.
[6] ر م: هذا يحكم.
[7] ر م: جعلناك.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٣ظ/ سطر ٢٥-٣١.
[9] ر ث م − دل قوله عز وجل ولا تتبع الهوى أن النفس قد تهوى في الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.
[10] ر ث م + أن النفس قد تهوى في الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.

غير مالك ولا قادر على دفعه. لذلك لم ينهه[1] عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها [لأنه قد يملك ترك اتباع هواها][2] ويقدر على منعها بالعقل وردّها إلى اتباع الحق، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فيضلك عن سبيل الله**، ذكر أنه لو اتبع هواها أضله عن سبيله ولا كل هَوًى إذا اتبعه المرء أضله عن سبيله، لكنه إذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الإضلال عن سبيله، إذ من ضل عن سبيله[3] إنما يضل لاتباعه هواه، كقوله عز وجل: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ،[4] أخبر أن من اتخذ إلها دونه إنما اتخذه بهواه لا بحجة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**، [يحتمل **بما نسوا**][5] أي تركوا الأعمال التي تُعمل[6] ليوم الحساب أو [يحتمل] **بما نسوا**، أي بما تركوا الإيمان به والإقرار. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**[٢٧]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا**، الباطل هو الفعل الذي يُذَمُّ عليه فاعله،[7] والحق هو الفعل[8] الذي يُحمَد عليه فاعله.[9] وقوله عز وجل: **ذلك ظن الذين كفروا**. لم يظن أحد من الكفرة أن الله خلق شيئا باطلا، لكن يكون خلق ما ذكر من السماوات والأرض وما بينهما من الأهل مخلوقا باطلا على ما عند[10] أولئك الكفرة وفي حسبانهم، لأن عندهم أن لا بعث ولا حياةَ بعد ما ماتوا. فكان خلق ذلك كله -لو لم يكن بعث ولا نشور- خلقا باطلا لوجهين.

---

[1] جميع النسخ: لم ينه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[3] م: من سبيله.
[4] سورة الفرقان، ٤٣/٢٥.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[6] جميع النسخ: يعمل.
[7] جميع النسخ - فاعله. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[8] ر م - الفعل.
[9] «بيّن أن خلقه السماوات والأرض بِحِكَمٍ بالغة وعواقب حميدةٍ لا أنه يَخلُوْ عن العاقبة حتى يكونَ باطلا عبثا، وهو كقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (سورة الدخان، ٣٨/٤٤)، وقوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣)» (شرح التأويلات، ورقة ٦٤٧ظ).
[10] ر ن ه: عند.

أحدهما أنه لو لم يكن بعثُ لحصل[1] إنشاؤه إياهم للفناء خاصة، وإنشاء الشيء وبناؤه للفناء خاصة لا لعاقبة تُقْصَد[2] عبث باطل سفه، كقوله عز وجل: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا، إلى آخر[3] الآية، صيّر خلقَه إياهم إذا لم يكن رجوعٌ إليه عبثا، لذلك كان ما ذكرنا.

والثاني أنه لو لم يكن بعث لكان خلقهم غيرَ حكمة، لأنه قد جمعهم جميعا في نعيم[4] هذه الدنيا ولذاتها ولم يُفرِّق بين[5] الوليّ والعدوّ. وفي[6] الحكمة التفريق والتمييز بينهما. فلو لم يكن دار أخرى يُفرِّق فيها[7] لكان في خلقهم غيرَ حكيم، وعندهم جميعا أنه حكيمٌ.*

[٦٥٤و س١٠ *ثم في قوله عز وجل: **ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**، دلالة لزوم الحجة والوعيد على الظن والجهل وإن لم يتحقق لهم العلم بذلك بعد[9] أن مُكِّنوا[10] من العلم وجُعل لهم سبيلُ الوصول إلى معرفة ذلك. وإنما لزمهم ذلك الوعيد والحجة بما هم[11] ضيّعوا[12] معرفة ذلك والعلمَ بها، لأنهم لو تأملوا فيه ونظروا لوقع لهم علم ذلك. لكنهم تركوا علم ذلك وضيعوه[13] فلم يُعذَروا في ذلك. وعلى ذلك نقول في القدرة أو من مُنِع عنه القدرةُ وحِيلَ بينه وبينها كان غير مكلف بها ولا مخاطبٍ ويكون معذورا.[14] ومن لم يمنع عنه ومُكِّن [مِن] ذلك إلا أنه ترك العملَ به كان مكلَّفا به غير معذور، لأنه هو الذي ضَيّع[15] ذلك وتركه بالاختيار،

٦٥٤و س١٧] والأول غير مضيّع لها ولا تاركٍ لذلك.[16] وذلك على المعتزلة. ***والله الموفق.****

---

[1] جميع النسخ: يحصل.
[2] جميع النسخ: يقصد.
[3] م - إلى آخر. ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[4] جميع النسخ: في بعثهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[5] جميع النسخ - ولم يفرق بين. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[6] جميع النسخ: في. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[7] جميع النسخ: لتفرق بينهما.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٣ظ/ سطر ٢٥-٣١.
[9] جميع النسخ - بعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[10] ر ن م: ان مكثوا.
[11] جميع النسخ: لهم.
[12] جميع النسخ: صنعوا.
[13] جميع النسخ: وصنعوه.
[14] جميع النسخ: ولا مخاطبا معذورا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[15] جميع النسخ: صنع.
[16] جميع النسخ + أمر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ١٠-١٧.

**﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار.** هو صلة قوله عز وجل: ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[1] كان ظنهم أن لا بعث ولا نشور. فيقول -والله أعلم-: إنه لو كان على ما ظن أولئك الكفرة أن لا بعث لكان في ذلك جعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في هذه الدنيا كالمفسدين في الأرض وجعلُ المتقين كالفجار؛ إذ قد سوّى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في لذاتِ هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها وسيئاتها، وفي الحكمة التفريقُ بينهما والتمييزُ وقد سوّى بينهما في الدنيا على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة بالخير والشر. فلو كان على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا حياة لكان ذلك جمع وتسوية بين الولي والعدو. وفي الشاهد من سوّى بين من عاداه وبين من والاه وجمع بينهم في البِر والجزاء كان سفيها غيرَ حكيم. فعلى ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا أخرى يفرق بينهما فيها كان[2] غير حكيم، إذ قد سوّى بينهما وجمع. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم من الناس من يقول يجب أن يفرق بينهما في الدارين جميعا: / في الدنيا والآخرة، [٦٥٤و] وقد فعل حيث سمّى هؤلاء ضُلّالا وهؤلاء مؤمنين وخذل الكفار وأذلّهم ووفّق المؤمنين وأعزهم، وهو قول المعتزلة.

ولكنا نقول:[3] لا يجب ذا في الدنيا ولكن إنما[4] ذا في الآخرة، لأن الدنيا دار محنة وابتلاء يُمتحَن الفريقان جميعا بالخير مرة والشر ثانيا، وبالحسنة[5] تارة وبالسيئة أخرى على ما أخبر، حيث قال عز وجلّ: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[6] وما ذكر: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[7] الآية،

---

[1] الآية السابقة.
[2] م - كان.
[3] جميع النسخ: ومنهم من يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[4] ر م - ذا في الدنيا ولكن إنما.
[5] ر: واحده.
[6] ﴿وقطّعناهم في الأرض أُمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[7] ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (سورة الأنبياء، ٣٥/٢١).

أخبر عز وجل أنه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة والحسنة، وذلك للفريقين جميعا على ما ذكرنا[1] من جمعه إياهم جميعا في الحالين، فإنما هي[2] مجعولة للجزاء[3] خاصة فهنالك يقع التفريق والتمييز بينهما لا فيما فيه المحنة والابتلاء. *والله أعلم*. وأما قولهم: إنه قد فرّق بينهما حيث سمّى هؤلاء ضُلّالا وهؤلاء مؤمنين، وخذل هؤلاء ووفّق أولئك، فليس ذلك[4] بتفريق بينهما، لأنه إنما سمّاهم ضلالا كفرة بفعلهم الذي اختاروه وصنعوا، أو أمرٍ[5] آثروه[6] على غيره فإنما هو تسمية[7] فعلِهم لا جزاءٌ يُجزون[8] [به]. *والله أعلم*.*

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**، سماه مباركا لأن من اتبعه وتمسّك به وعمل بما فيه صار شريفا مذكورا عند الناس عظيما على أعينهم وقلوبهم، وذلك أثرُ المبارك وعملُه؛[10] إذ[11] يَنال [به] كل برّ وخير[12] ويكون[13] أبدا على الزيادة والنماء. *والله أعلم*. وقوله: **ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**، أخبر أنه أنزله ليدبروا[14] في آياته [و]ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما يُؤتى وما يتقى؛[15] [إذ] إنما يعرف ذلك بالتأمل والتدبر والتفكر. وقوله: **وليتذكر أولوا الألباب**، أي ليتذكر وليتعظ أولوا الألباب مما فيه من المواعظ والآداب وغير ذلك.

---

[1] ر: على ما ذكره زا.
[2] أي الآخرة.
[3] جميع النسخ: الجزاء.
[4] ر - ذلك.
[5] ن م: أمرا.
[6] ر م: آثره.
[7] ر م: بسميه.
[8] ر م: يخرجون.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ١٠-١٧.
[10] جميع النسخ: وذلك عمل المبارك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[11] جميع النسخ: أن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٢و.
[12] ر: كل خير وبر.
[13] جميع النسخ: يكون. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[14] جميع النسخ: ليدبر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[15] ر ن م: وما يؤتى وما يبقى.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣٠]

وقوله: **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب.** أثنى الله عزّ وجلّ على داود وابنِه سليمانَ عليهما الصلاة والسلام بالأَوْبَة إليه والرجوع، وهو ما قال عز وجل في داود عليه السلام: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ،[١] [وقال في سلميان: **نعم العبد إنه أواب**][٢] ثم[٣] فسر ما[٤] الأواب؟ وقال في سليمان عليه السلام: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ،[٥] إلى آخر ما ذُكر، دلّ ذكر قوله عز وجل: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ، على إثر قوله: **إنه أواب**، أنه إنما كان أوابا بالذي ذكر منه، لأن حرف "إذ" لا يذكر إلا عن شيء سبق. وسمى[٦] عز وجل داود عليه السلام أوابا بما ذكر من تسبيحه بالعشي والإشراق والفزع إليه بما يَنُوبه.[٧] ***والله أعلم.***

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد**، قيل:[٨] **الصافنات** هو الخيل. وقال بعضهم: **الصافنات** هن القائمات على ثلاث قوائم رافعاتٍ إحدى الرجلين أو إحدى اليدين على طرف الحافر. وقال بعضهم: **الصافنات** هن القائمات لا غير. وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تمنّ أن يقوم له الرجال صُفُونًا،[٩] أي قياما، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النار»[١٠] أو كلام نحوه. **والجِياد**، قيل: السِراع. ***والله أعلم.***

*وقال بعضهم: صفونها[١١] قيامها وبسطها قوائمَها.* [٦٥٤و س٣٩]

---

[١] الآية ١٧ من هذه السورة.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[٣] ر م – ثم.
[٤] م: نا.
[٥] الآية التالية.
[٦] جميع النسخ: يسمي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[٧] جميع النسخ: هو به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[٨] جميع النسخ: وقيل.
[٩] ر م: صفوف.
[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤، ٩١، ٩٣؛ و*الأدب المفرد* للبخاري، ١٣٣٩؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ١٥٢؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ١٣.
[١١] م: صفوفها.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٩

[٦٥٤ظ س٢٥ *وقال القُتَبِي: **الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**، يقال: هي القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت[1] [اليد] الأخرى على طرف الحافر من يد كان أو من رجل. والصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها على ما ذُكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سرّه أن يقوم له الرجال صُفُونا فليتبوأ مقعده من النار»[2] أي يديمون له القيام.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: الجياد
٦٥٤ظ س٢٩] من الخيل السِراع. والواحد جواد. ورجل جواد أي سخي وقوم أجواد.[4]*

[٦٥٦و س٥] *والأصفاد الأغلال التي يشد[6] بها الأيدي إلى العنق.*

## ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب،** دل ما سبق من ذكر الصافنات الجياد بالعشي على أن قوله عز وجل: **حتى توارت بالحجاب،** إنما أراد به تواري الشمس بالحجاب؛ إذ ليس شيء يتوارى بالحجاب في ذلك الوقت سوى الشمس.* ثم قوله عز وجل: **حُبَّ الخير**، يجوز أن يُكَنَّى بالخير[9] عن الخيل نفسه، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة»،[10] تَمّى الخيلَ خيرا. فعلى ذلك قوله تعالى: **إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي. *والله أعلم*.**[11]

[٦٥٤و س٣٤ *ثم قوله عز وجل: **إني أحببت حب الخير،**[12] إذ المحبة يجوز أن يكنى بها عن الإيثار. ***والله أعلم***. والثاني [فيه تقديم وتأخير مع الجري على حقيقة لفظ المحبة، معناه:][13]

---

[1] جميع النسخ: قامت. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.
[2] عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قيام فيتبوأ مقعده من النار» قد مر بيانه.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.
[4] ر ن ث + أي. *تفسير القرطبي*، ١٥/١٩٣؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ٢٣/١٩٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٣، فنقلناه إلى هنا. انظر: ٦٥٤ظ/ سطر ٢٥-٢٩.
[6] ر م: يشتد.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٥.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية، فذكرناها إلى بعد أسطر. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٤-٣٦.
[9] ر ث م: الخير.
[10] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٨؛ *وصحيح مسلم*، الإمارة ٩٦-٩٩؛ *وسنن أبي داود*، الجهاد ٤١.
* وقع هنا سطر من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٩.
[12] جميع النسخ + حتى شغلني عن ذكر ربي.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ط.

**إني أحببت**[1] الخير حبا حتى شغلني عن[2] ذكر ربي حتى توارت الشمس بالحجاب على التقديم والتأخير. ***والله أعلم.*** * [٦٥٤و س٣٦]

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **أحببتُ** أي آثرتُ الخيرَ أي المال على ذكر ربي. [٦٥٤ظ س٢٥]

وفي حرف حفصة: إني[4] أهاني حبُّ الخير عن ذكر ربي، أي شغلني.[5]* [٦٥٤ظ س٢٦]

**﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: / **ردوها عَلَيَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق.** قال عامة أهل التأويل: [٦٥٤ظ] أي جعل يَعقِر سُوق الخيل ويضرب أعناقها -والسوق هو جماعة الساق- لِما شغلته عن ذكر ربه -وهي صلاة العصر- حتى غفل عنها فجعل يقطع سوقها[7] ويضرب أعناقها كفارةً عما شُغِل عن ذكر ربه. ثم إن ثبت ما ذكروا من عَقْر السوق والأعناق أنه على الحقيقة فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه كان ذلك في شريعته جائزا[8] وإن كان في شريعتنا لا يجوز نحوَ ما ذُكر عنه من تعذيب الهدهد وغيره حين تفقّده و لم يجده، حيث قال عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾،[9] الآية، فمثله لا يجوز[10] في شريعتنا. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكروا[11] من عقر الخيل وضرب الأعناق له جائزا وإن كان ذلك لا يجوز عندنا. ***والله أعلم.*** أو أن يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل[12] ثم جاء النهي عنه بعد ذلك فحُرِم[13] عليه ذلك وعلينا جميعا.

---

[1] ر م + حب.

[2] جميع النسخ: خير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

* وقع ما بين النجمتين قبل أسطر، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٤-٣٦.

[4] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

[5] جميع النسخ: أشغلني. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٢ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٩-٣٠.

[7] جميع النسخ: ساقها.

[8] م: جائز.

[9] سورة النمل، ٢٧/٢٠-٢١.

[10] جميع النسخ + تعذيب الطير.

[11] ث: ذكر.

[12] ن: عن خيل.

[13] جميع النسخ: فحرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.

وجائز أن يخرج تأويل الآية على غير حقيقة عقر الساق وضرب الأعناق، لكن ما ذكر من الأعناق يكون كناية عن الذبح. وقوله عز وجل: **فطفق مسحا بالسوق** كناية عن التسيم إلى الناس. أو أن يكون ما ذكر من المسح بالساق والأعناق كناية عن مسح وجهها ورأسها بعد ما رَدّوها عليه والتسليمِ إلى الناس من غير أن كان هناك عقر أو ذبح: أو [يكون] كفارةً عما غَفَل عن ذكر ربه.[1]

قال الحسن: قال سليمان عليه السلام: لا، والله لا تَشْغَلِيني عن عبادة ربي آخرَ ما عليك،
[٦٥٤ظ س٢٠ فكسف[2] عراقيبها[3] وضرب أعناقها. *وعن الحسن في قوله عز وجل: **رُدّوها عليّ فطَفِق مسحا بالسُّوق والأعناق**، قال: كسف[4] عراقيبها[5] وضرب[6] أعناقها فأبدله الله خيرا منها وأسرع: **ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ**،[7] الآية. قال أبو معاذ: قوله عز وجل: **فطفق مسحا بالسوق والأعناق**، يقول العرب: مسح عِلاوته[8] بالسيف مسحا أي ضربها. وقال القُتَبي: قوله عز وجل: **فطفق مسحا**، أي فأقبل[9] يمسح بضرب[10] سوقها وأعناقها.[11] قال أبو عوسجة: **فطفق** أي أخذ وجعل
٦٥٤ظ س٢٥] يمسح أي يقطع، يقال: مسح عنقه، أي قطعها.*

ثم اختلف في ذلك الخيل التي عرضت عليه فشغلته عن ذكر الله ففعل ما ذكر. قال بعضهم: إنها خيول أخرجها الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها أجنحة تعدو[13] وتطير.

---

[1] قال السمرقندي: «ويحتمل أن يكون مسح السوق والأعناق كناية عن الذبح على سبيل التقرب إلى الله تعالى مثل ذبح الهَدْي ونَحْر البُدْن، ويكون ذبح الخيل مشروعا في شريعته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٤٨ظ).

[2] كسف الشيءَ يَكْسِفه كَسْفًا وكَسَّفه، كلاهما: قطعه (*لسان العرب*، «كسف»).

[3] جميع النسخ: والله لا يَشْغَلَنّ عن عبادة ربي أحدٌ ما عليك لكن كشف عراقبها. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٨٦/٢٠. العرقوب: العصب الغليظ المُوَتَّر فوق عقب الإنسان. وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. وعَرْقَبَ الدابة: قطع عرقوبها (*لسان العرب*، «عرقب»).

[4] ر ث م: كشف.

[5] جميع النسخ: عراقبها.

[6] ر: أو ضرب.

[7] ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب﴾ الآية ٣٦ من هذه السورة.

[8] جميع النسخ: غلافه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ. العلاوة من كل شيء ما زاد عليه. والعلاوة ما يوضع على البعير بعد تمام حِمْله من سقاء وغيره (*المعجم الوسيط*، «علو»).

[9] ن: فصل.

[10] جميع النسخ: يضرب. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.

[11] المرجع السابق، نفس الورقة.

* وقع ما بين النجمتين بعد أسطر، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٠-٢٥

[13] جميع النسخ: تعدوا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٣و.

وقال بعضهم: لا، ولكن كانت خيلا ورثها من أبيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام أصابها من العَمَالِقَة. وقال: وما بقي اليومَ في أيدي الناس من الخيل فمن نسل بقية تمك الخيل. *والله أعلم*. وقال بعضهم: لا، ولكن أهل دمشق من العرب وأهل نَصِيبِينَ جمعوا جموعا لسيمان عليه السلام فأصاب منهم ألفَ فرس عِراب،[١] فعُرِض عليه الخيلُ حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب[٢] وضرب الأعناق.[٣] *والله أعلم*.*

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب**، اختلف أهل التأويل في سبب فتنة سيمان عليه السلام الذي ذَكَر أنه عز وجلّ فَتَنَه[٥] وأنه ألقى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا بيّنا[٦] ما يطول الكتاب بذكر كل ما ذكروا. ولا ندري[٧] أكان ذلك سبب افتتانه أم لا، مع علمنا أن ذلك كله لم يكن سبب فتنته،[٨] إن كان فإنما[٩] كان واحدا منها، ولا ندري ما هو؟ لذلك تركنا ذكر ما ذَكَر أولئك أنه كان سبب افتتانه.[١٠]

ثم يخرج قوله عز وجل: **ولقد فتنا سليمان** على وجهين. أحدهما أنه امتُحن بأمر فكان منه في ذلك زلة وغفلةٌ فعوقب بما ذَكَرَ وعوتب بنزع ملكه. والثاني أنه فتنه[١١] وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا عَثْرة وصَرَفه إلى غيره لا بسبب كان منه وزلة[١٢] ويجعله لغيره.

---

[١] جميع النسخ: عرت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

[٢] جميع النسخ: العرقين.

[٣] ر + وضرب أعناقها.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية هذه، وقطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣١ ورقم ٣٢ فقلنا كلا منها إلى محله. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٠-٢٦.

[٥] ر م: فتنة.

[٦] ر: بينا.

[٧] ث: ولا يدرى.

[٨] ر: فتنة.

[٩] جميع النسخ: فإنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.

[١٠] م: فتنانه.

[١١] ر: فتنة.

[١٢] «بل كان ذلك من الله تعالى في حقه ابتداء امتحان وفتنة وله أن ينزع ملكه عنه بلا سبب كان منه ولا زلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٩و).

ثم إن كان نَزْع[1] الملك منه بأدنى سبب كان منه وزلة فعوتب[2] لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير بأدنى شيء يكون منهم مما يُعَدّ[3] ذلك الذي كان منهم من أفضل الأعمال [لغيرهم][4] على ما ذكرنا فيما تقدم.[5] ثم [ما] كان منهم من التوبة والتضرع إلى الله عز وجل بالذي كان منهم لِما عرفوا لأنفسهم من الخصوصية لهم من الكرامات والفضائل التي [٦٥٥و] خُصُّوا[6] بها. فرأوا على أنفسهم بما[7] أُكرموا من أنواع الكرامات والفضائل التي خصوا هم بها من التوبة لله وفضل التضرع والابتهال إلى الله لما رأوا ما ارتكبوا كفرانا له فيما أنعم عليهم وأحسن إليهم فضلَ تضرعٍ وابتهال ما لا يلزم ذلك غيرهم في مثل ما كان منهم. ***والله أعلم.***

[٦٥٥ظ س ٣٢] *ثم اختلف في سبب[8] فتنة سليمان عليه السلام وفي ذنبه. قال بعضهم: وذلك أن الله تعالى أمره أن لا يتزوج[9] امرأة إلا من بني إسرائيل فتزوج[10] امرأة من غير بني إسرائيل وجعل لها صنما: فعُبد في بيته كذا كذا يوما فابتلاه الله بسلب ملكه عقوبةً له على قدر ما عُبد من الصنم في بيته. وقال بعضهم: كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذُكر في ناس[11] من أهل الجَرادَة، وكانت الجرادة امرأتَه وكانت من أحب نسائه إليه. وكان إذا أراد أن يُحدِث[12] أو يدخل الخلاء أعطاها خاتَمه. وإن ناسا[13] من أهلها جاءوا يخاصمون قوما إلى سليمان. قال:[14] وكان سليمان أحبَّ أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضيَ لهم فعوتب حيث[15] لم يكن هواه فيهم واحدا.[16] وهو قول ابن عباس.[17]

---

[1] ر ث م: بنزع.
[2] جميع النسخ: فعوقب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.
[3] جميع النسخ: ما يعد. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٧٦٣و.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.
[5] انظر مثلا: تأويل الآية ٧٥ من سورة الصافات.
[6] جميع النسخ: خصوهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٣و.
[7] ن: لما.
[8] م – سبب.
[9] م: أن يتزوج.
[10] ر ث: فيتروح.
[11] ن ث: في ما بين.
[12] جميع النسخ: يحنث.
[13] جميع النسخ: وإن ناس.
[14] أي بعض أهل التأويل.
[15] جميع النسخ: حين.
[16] وفي *الشرح*: «حيث لم يكن هوى سليمان وميله فيهم واحدا» (ورقة ٦٤٩و).
[17] انظر لتفصيل: تفسير *الطبري*، ٢٠ ٩١ ٩٢.

وقد ذكرنا نحن على أنه يجوز أن يكون نزع الملك منه وما ذكر فتنته[1] إياه بلا زلّة ولا سبب كان منه ابتداءَ محنةٍ وابتلاء. وذلك جائز، ولله[2] أن يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره. *والله أعلم*.* ‎[٦٥٥ظ س٣٩]

وقوله عز وجل: **وألقينا على كرسيه جسدا**. يحتمل أن يكون كرسيُّه ملكَه، فيكون ما ذكر كناية عن نزع ملكه. وجائز أن يكون ما ذكر من إلقاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي أُلقي عليه جسدا يشبه جسدَ سيمان في الجسمية لا في العلم والمعرفة والبصر وما كان فيه من الكرامات، كقوله عز وجل: عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ،[4] أي عجلا مجسّدا في الجسدية لا أنّ جسدَ العجل الذي اتخذه هو جسدُ العجل المعروف، فعلى ذلك قوله عز وجل: [وألقينا] **على كرسيه جسدا**، يشبه جسدَ سيمان في الظاهر في الجسدية لا أن[5] جسده كجسد سيمان فيما فيه من اللحم والبصر وغير ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم أناب** يحتمل وجهين. أحدهما [أناب إلى المُلْك، أي رجع الملك إليه إن كان نُزِع منه. والثاني] **ثم أناب** إلى الله تعالى ورجع إليه بجميع أموره إن كان فيه زلة وعثرةٌ [فتاب عليه].[6] **وأناب**: رجع[7] وأقبل أو تاب. *والله أعلم*.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا**، يحتمل سؤاله المغفرة عند سؤاله الملك أمرًا فيما بينه وبين ربه، لأن الملك مما يُتَلذّذ به وفيه هوى النفس. وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لمّا سأل ربه عز وجل الولدَ سأل أمرا بينه و بين ربه في ذلك، وهو ما قال: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً.[8] وكذلك إذا خرج[9] سؤال الأنبياء فيما سألوا مما فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قَرَنُوا في ذلك السؤال أمرا بينهم وبين ربهم،

---

[1] ر م: فتنة.
[2] ر: و لله.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٢-٣٩.
[4] ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حُلِيِّهم عجلا جسدا له خوار﴾ (سورة الأعراف، ١٤٨/٧).
[5] جميع النسخ + في أن.
[6] الزيادتان من الشرح، ورقة ٦٤٩و.
[7] ر م: ورجع.
[8] سورة آل عمران، ٣٨/٣.
[9] جميع النسخ: ولذلك خرج. والتصحيح من شرح التأويلات، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ٤٣ ط.

فعلى ذلك سؤال سليمان عليه السلام بالملك قرنه بالمغفرة لذلك.[1] ثم يحتمل سؤاله المغفرةَ نفسَها عما يكون منه من التقصير في ذلك. أو يكون سؤاله المغفرة سؤالَ الأسباب التي بها تكون[2] المغفرةُ لا نفسَ المغفرة، نحو قول نوحٍ عليه السلام لقومه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[3] وقولِ هودٍ عليه السلام: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ؛[4] [لأنه][5] لا يحتمل أن يأمروا قومهم أن قولوا: نستغفر الله،[6] ولكن أمروهم أن يأتوا بالأسباب التي بها يصيرون أهلا للمغفرة وبها يستوجبون التجاوز، فعلى ذلك يحتمل سؤال المغفرة ما ذكرنا. *والله أعلم*.

ثم [قوله: **وهب لي ملكا**]، يحتمل سؤاله الملك -والله أعلم- أنه أراد أن يستسلم له الخلق في الإجابة إلى ما يدعو[7] إليه من وحدانية الله تعالى وجَعْلِ العبادة له، لِما رأى أن إجابة الناس وإقبالهم إلى ما عنده من السعة والغنى[8] أسرع ولقوله أقبل ورغبتَهم[9] فيه أكثر. وإذا كان ما ذكرنا -وهو متعارف فيما بينهم: أن إجابتهم أعني إجابة الناس للملوك ولمن عنده السعة والغنى أسرع لهم وأطوع- فكان في سؤاله الْمُلكَ له نجاةٌ[10] الخلق كلهم بما[11] يستسلمون له ويجيبون إلى ما يدعوهم إليه فيَنْجون نجاةً لا هلاك[12] بعدها.[13] *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي**، يحتمل وجوها. أحدها أنه سأله ملكا لا يُنزَع عنه بعدُ؛ إذ نُزع مرة على ما يقوله[14] أهل التأويل. والثاني سأل ربه ملكا

---

[1] جميع النسخ: و لملك قرنه بالمغفرة في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، نفس لورقة.
[2] جميع النسخ: يكون.
[3] سورة نوح، ١٠/٧١.
[4] ﴿ويا قومِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُرسلِ السماءَ عليكم مِدْرَارًا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.
[6] جميع النسخ: يستغفر الله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٣ظ.
[7] ر م: يدعوا.
[8] ر: والغناء؛ م: والغنا.
[9] جميع النسخ: ورعيتهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
[10] ن: بجاه.
[11] ن ث: لما.
[12] ر م: نجاة الاهلاك.
[13] جميع النسخ: بعده.
[14] ن ث م: يقول.

لا يكون لأحد ما بقي هو حيا[١] فيكون له آية لنبوته[٢] على ما ذكرنا، إذ[٣] لو كان مثله لأحد منهم فلم يكن له في ذلك آيةٌ[٤] لنبوته. والثالث سأله ملكا ليبقى له الذكر والثناء الحسن كقول الناس: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وباركت على إبراهيم، ونحوه. فعلى ذلك جائز أن يكون سليمان عليه السلام أراد أن يكون مذكورا على ألسن الخلق بالثناء[٥] الحسن بالملك الذي سأله. ***والله أعلم.***

* دلّ قولُ سليمان عليه السلام ودعاؤُه ربّه باستهابة المُلك: **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا** [٦٥٦و س
**لا ينبغي لأحد من بعدي [إنك أنت الوهاب]**، على أن الملك الذي أعطاه لم يكن حقا عليه؛ إذ لو كان حقا له لكان[٦] لا يستوهبه ولا يقول له: **إنك أنت الوهاب**، ولكن يقول له: أعطني حقي؛ إذ كلّ طالبِ حقٍّ له قِبَل آخر لا يوصف إذا أعطاه إياه أنه وهابٌ ولكن مؤدي حقٍ عليه. ويدل هذا أيضا على أنْ ليس على الله حفظُ الأصلح في الدين؛ إذ لو كان عليه حفظ الأصلح في الدين، وأعطى الآخرَ، لكان لا يستوهب الملك؛ إذ كان الملك له أصلحَ في الدين ولكن يقول: أعطني حقي. فدلّ استيهابه[٧] منه الملكَ على أنْ ليس عليه حفظُ الأصلح في الدين ولا إعطاء[٨] الأخير وأنَّ له أنْ لا يعطيه وإن إعطاء الملك له فضل منه ورحمة. ***والله أعلم.***[٩]

فإن قيل: فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق لِما أنّ الله عز وجل جعل الغنى والسعة آية من آيات النبوة والرسالة ولم نر[١٠] الفقر والضيق جعلهما آية من آيات النبوة، فهلّا دلّ جعلُ الغنى آية من آيات النبوة على أنه أفضل من الفقر؟

---

[١] جميع النسخ: وحي.
[٢] ر: في نبوته؛ ر ل م + على أنه لنبوته.
[٣] ر - إذ.
[٤] جميع النسخ: انه.
[٥] ن: بالنباء.
[٦] ث + حقا له لكان.
[٧] ر ث م: استهابة.
[٨] جميع النسخ: ولا أعطى.
[٩] قال السمرقندي: «وعند المعتزلة: أن ما كان أصلح للخلق فإعطاء ذلك كان حقا على الله تعالى، والملك أصلح له حيث أعطاه. فلو كان حفظ الأصلح في الدين واجبا على الله تعالى وكان ذلك حقا لسليمان عليه السلام لا يستوهب الملك منه بل يطالبه بأداء حقه. ولما سماه وهابا وحيث استوهب وسماه وهابا دل أن الأصلح في الدين ليس بواجب على الله تعالى. فتكون الآية حجة على المعتزلة. لكنّ الملك فضل ورحمة من الله تعالى يُعطي من شاء في حقه لفضلَ ويحرِم من شاء. والله الهادي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٩ط).
[١٠] جميع النسخ: لم ير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٤و.

يقال لهم: إن الغنى والملك إنما جعهما[1] آية لرسالة نبي واحد، وأكثرُ الأنبياء عليهم السلام كانوا فقراء وأهلَ الحاجة والضيق في أمر الدنيا. فمهما كانوا ما ذكرنا من الضيق والفقر وقلة أعوانهم وأنصارهم نفذ[2] قولهم وظَهَر [دينهم، وأجاب الناسُ][3] إلى ما دَعَوْهم[4] [إليه] وهو التوحيد والإسلام، مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة والغنى ونِفارهِم وقلةِ رغبتهم ممن عنده الفقر والضيق. فدل اختيار أكثر الأنبياء الحالَ التي يفر طباع الناس عنها على الحال التي يرغبون فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين على أن الحال التي اختاروا هم[5] أفضل وأخيَرُ من الحال الأخرى. **والله أعلم**. وكذلك قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[6] نهاه أن يمدّ عينيه إلى ما مُتِّعوا هم؛[7] على العلم منه أنه[8] لو مدّ عينيه إلى ذلك واختاره[9] إنما يمد ويختار لسعة قومه وأصحابه في أبواب البر[10] والخير، وأنه لا يختار ولا يأخذ إلا ما يحل ويَطِيب. فدل النهي عما ذكر -على العلم منه ما وصفنا- على أن ذلك أفضل من الآخر. **والله أعلم**.* ٦٥٦و س٢٤]

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٣٦]

وقوله[12] عز وجل: **فسخرنا له الريح تجري بأمره**، بين ما أعطاه من الملك بما ذكر من تسخير الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لأحد من ملوك الأرض سواه.[13] وهذا يدل على أن تسخير هذه الأشياء التي ذكر أنه سخرها لسليمان عليه السلام

---

[1] جميع النسخ: جعله.
[2] جميع النسخ: بعد.
[3] جميع النسخ + ما دعوا الناس. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
[4] ر ث م: إلى ما دعواهم.
[5] ر م: اختروهم.
[6] سورة الحجر، ١٥/٨٨.
[7] ر ن م: متعوهم.
[8] ر ث م: أن.
[9] ر ن م: ويختره.
[10] ر ث م: البر؛ ن: السير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٥-٢٤.
[12] ن: ثم قوله.
[13] ن: لسواه.

كان بلطف من الله تعالى. لا يكون ذلك بالحيل،[١] إذ لا يملك أحد من الخلائق تسخير[٢] ما ذكر من الخلق لنفسه. ولو كان يملك ذلك بالحيل[٣] لكان يعني لذلك، مع العلم أن كل مَلِك لا يترك لنفسه من الحيل[٤] ما يزيد في مُلكه[٥] ويُبقيه إلى ما يبقي[٦] وهو حي.[٧] فإذ لم يكن ذل أنه إنما كان لسليمان ذلك بالله لطفا منه[٨] ليكون آية من آيات النبوة. **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **تجري بأمره رخاء حيث أصاب**. وصف تلك الريح باللِّين[٩] والرخوة في هذا الموضع، وقال في آية أخرى: [وَلِسُلَيْمَانَ] الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ،[١٠] وصفها بالشدة. فجائز أن تكون[١١] هي في أصل الخلقة شديدة.[١٢] لكنها صارت لسليمان عليه السلام لَيِّنة سَهْلة.[١٣] وقال قائلون: هي وقتَ الحمل شديدة لكنها تصير بالسير لينة سهلة. **والله أعلم**. أو أن تكون[١٤] لينة له بالأمر الذي ذكر، حيث قال عز وجل: **تجري بأمره رخاء**.[١٥] أو أن يكون[١٦] قوله عز وجل: عاصِفَةً على أعداء الله رُخَاءً ليّنة على أوليائه. **والله أعلم**.

---

[١] ر ث م: بالحيل.

[٢] ر م: تسخيرها.

[٣] ر م: بالخيل.

[٤] ر م: الحيل.

[٥] ر م: من ملكه.

[٦] جميع النسخ: بقي.

[٧] جميع النسخ: هو وحي.

[٨] م: من الله.

[٩] ر: بالليل؛ ن: بالله.

[١٠] م + رخاء. ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٨١).

[١١] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.

[١٢] ث: لشديدة.

[١٣] م: وسهلة.

[١٤] جميع النسخ: أو أن يكون.

[١٥] ر ث م – لينة له بالأمر الذي ذكر حيث قال عز وجل تجري بأمره رخاء. ن + وقوله عز وجل حيث أصاب أي حيث أراد وقصد.

[١٦] ن + وقوله عز وجل حيث أصاب أي حيث أراد وقصد أو أن يكون.

ثم فيما ذكر من جري[1] الريح بأمره حيث أراد وقصد[2] لطف [من][3] الله عز وجل لسيمان
[٦٥٥ظ] عليه السلام حين جعله بحيث / يفهم الريحُ مراده ويفهم هو منها ما أرادت حتى كان يستعملها
فيما[4] شاء وحيث شاء.[5] وكذلك ما فَهِم من نطق الطير وكلامه وكلام النمل الذي ذكر
وتفهم[6] هي منه،[7] فذلك كله بلطف منه له ورحمة.
[٦٥٥ظ س٣٩] *وقال القُتَبي / وأبو عَوْسَجَة: رُخاءً أي رِخوة ليّنةً،[8] وهو من الليّن. ويقال: رجل رِخْوٌ
[٦٥٦و س٢] أي ضعيف في عمله، وقوم[9] رِخاء. قال: والرُّخاء الساكن. ويقال استرخى، أي سكن.*
[٦٥٦و س٤] *وقوله عز وجل: حيث أصاب أي أراد. قال الأصمعي:[11] العرب تقول:[12] أصاب الصواب
[٦٥٦و س٥] فأخطأ الجواب، أي أراد الصواب.*

## ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[٣٧]

وقوله عز جل: **والشياطين كل بناء وغواص،** أي سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم فيما[14] شاء: بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر لاستخراج ما فيه من الأموال، ليتفرغ الناسُ بعبادة الله[15] والخدمةِ [و]لا يكونَ لهم شُغل في البنيان ولا في مئونة أنفسهم. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: جرية.
[2] ر + وأن يكون قوله عز وجل؛ ن ث – وقصد؛ م + أو أن يكون قوله عز وجل.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
[4] جميع النسخ: فيم.
[5] ر م – وحيث شاء؛ ث: حيث شاء.
[6] جميع النسخ: ويفهم.
[7] انظر: سورة النمل، الآية ١٦ وما بعدها.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.
[9] ر: أو قوم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٩ – ٦٥٦و/ سطر ٢.
[11] ر: لاصمع
[12] جميع النسخ: يقول.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٤-٥.
[14] ر ن م: فيم.
[15] م – الله.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وآخرين مقرنين في الأصفاد**، وآخرين الذين[١] لم يطيعوه فيما أمرهم من الأعمال في البناء والغوص وغير ذلك من الأعمال جَعَلَهم في الأصفاد،[٢] وهي الأغلال يجعل[ها] في الأعناق ليدفع شرهم وسوءهم عن الخلق حيث لم يطيعوه فيما أمرهم بالعمل للحق ليتفرغوا للعبادة. وفيه ما ذكرنا من آية عجيبة لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مَكَّن له من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين والريح وسَخَّر له ذلك لِيُعلِّم أنه إنما قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل[٣] والأسباب.

﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**. قال عامة أهل التأويل: هذا [عطاء الله] في الشياطين التي ذَكَر أنه سخرها له في العمل وآخرين في جعله إياهم في الأصفاد، خيّره بين أن يَمُنّ على من شاء منهم فيُخلِّي سبيلَه وبين أن يُمسك من شاء منهم فلا يخلي سبيله. وقال بعضهم: ذلك التخيير في الشياطين وفي جميع ما أعطاه له من الملك. يقول: إن شئت تَمُنّ فتعطيه[٤] من شئت وإن شئت أمسكت فلا تعطي[٥] أحدا شيئا، ولا تَبِعةَ عليك في ذلك الإعطاء ولا في الإمساك. *والله أعلم*. وجائز أن يكون لا على التخيير ولكن امتحنَ[ه] بالإعطاء لقوم والمنع عن قوم، فيقول: **هذا عطاؤنا فامنن**، أي أعط وابذُل لمن أُمرتَ وامتُحِنت بالإعطاء من كان أهلا لذلك وأمسك عمن ليس هو بأهل[٦] لذلك ومن لم تؤمر[٧] بدفعه إليه، وهو كقوله عز وجل: إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا،[٨] إنه[٩] ليس على التخيير ولكن على تعذيب من هو أهل للعذاب مستحق له واتخاذِ الحُسْن فيمن كان أهلا على ما بين ذلك[١٠]

[١] ر م - الذين.
[٢] ث - وآخرين لذين لم يطيعوه فيما أمرهم من الأعمال في ابناء والغوص وغير ذلك من الأعمال جعلهم في الأصفد.
[٣] ر م: الحيل.
[٤] ر م: يمن فيعطيه.
[٥] ر ن م: فلا يعط.
[٦] ر: باطل.
[٧] جميع النسخ: لم يؤمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٤ظ.
[٨] ﴿... قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ (سورة الكهف، ٨٦/١٨).
[٩] جميع النسخ: ان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[١٠] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.

وأظهر في الآية حيث قال عز وجل: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ، الآية، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ،[1] فعلى ذلك يحتمل الأول. **والله أعلم**.

وقال الحسن: قوله عز وجل: **[هذا] عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**، يقول: هذا مُلكنا الذي أعطيناك،[2] أعط[3] منه ما شئت وامنع منه ما شئت لا تَبِعَة[4] عليك فيه في الآخرة،[5] وهو قريب مما[6] ذكرنا في أحد التأويلين. وقال قتادة: احبس[7] منهم من شئت في وَثاقك[8] هذا وعذابك، وسرّح منهم من شئت لا حساب عليك في ذلك.[9] وهو قريب مما[10] ذكرنا في أحد التأويلين: رجع أحدهما إلى الشياطين خاصة في الحبس في العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم، والآخرُ إلى كل ما أعطاه من الملك. **والله أعلم**.

[٦٥٦و س ٢] *وقوله عز وجل: **فَامْنُنْ أو أَمْسِك بغير حساب**، ومثله[11] قوله: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ،[12]
[٦٥٦و س ٤] أي لا تُعط لتأخذ من المكافأة أكثر مما أُعطيتَ. وقال الفراء: تَمَنّى العطاء مَنّا.[13]*

وقوله عز وجل: **بغير حساب**، أي أعطاه[15] من الملك ما لا يُحسَب من الكثرة والعدد.

## ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٤٠]

وقوله: **وإن له عندنا لزلفى**، أي القربة، **وحسن مآب**، أي مرجع. هذا يدل على أن ما أعطاه من الملك لم يَحُطَّه عن مرتبته[16] ولا نَقَص من قدره عند الله، لأنه إنما سأله الملك -والله أعلم-

---

[1] سورة الكهف، ١٨/٨٧-٨٨.
[2] جميع النسخ + يقول.
[3] جميع النسخ: أعطه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[4] ر: لا اتبعة.
[5] ر ن م: من الآخرة. *تفسير الطبري*، ١٠٢/٢٠.
[6] جميع النسخ: ما.
[7] جميع النسخ: احسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[8] ر: وثاقل؛ ن ث: وتامل؛ م: وثايل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[9] *تفسير الطبري*، ١٠٣/٢٠.
[10] جميع النسخ: ما.
[11] ر: ومثل.
[12] سورة المدثر، ٦/٧٤.
[13] *معاني القرآن* للفراء، ٤٠٥/٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٢-٤.
[15] جميع النسخ + له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[16] ر م: مرتبة.

نما ذكرنا[1] من رغبته[2] في نجاة الخلق لسرعة إجابتهم إياه إلى ما يدعوهم إليه، لا رغبةً[3] منه في الدنيا ولذّاتها وطلب العزّ فيها ولكن لما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن له عندنا لزلفى**، أي الأسباب التي تُزلِفه إلى الله وتقرّبه[4] من التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة، وذلك يكون في الدنيا والأول يكون في الآخرة. *والله أعلم*. وهذا من أعظم المنن واللطف حيث أَمّنه عن جميع أنواع التّبِعات بقوله:[5] **بغير حساب**، ويَشّره[6] بالزلفى وحسن المرجع.[7] *والله أعلم*.*

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب**، ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى أضاف ذلك إلى الشيطان، وليس لنا أن نقول: إنه مكّن عليه كذا وفَعَل كذا في كذا وفَعَل به كذا إلا أن يُثبت عن الله.[9] ثم وجه الحكمة في تمكين الشيطان على أوليائه فيما مكّن في أمر الدين ليُعلَم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة، وأن له أن يمتحن عباده[10] بما شاء وكيف شاء من أنواع الشدائد والبلايا على أيدي من شاء بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك، وله أن يحسن إلى من شاء بأنواع[11] الخير والنعم ابتداءً بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك.[12] فعلى ذلك بلاء أيوب عليه السلام والشدائدُ التي أصابته جائز أن يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك، بل كان امتحانا[13] منه إياه بذلك.

---

[1] جميع لنسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[2] ر ث م: رغبة؛ ن: رعيته.
[3] ن: لا رعية.
[4] ر م: يقربه.
[5] جميع لنسخ: يعفرنه. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[6] ر ث م: ويسرنه؛ ن: وبشر له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[7] ر م: ارجع.
* وقعت هنا قطع كثيرة من تفسير الآيات لسابقة برقم ٣٤ ورقم ٣٦ ورقم٣٩، فنقلنا كلا منها إلى محله. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٢- ٦٥٦و/سطر ٢٤.
[9] «إلا أن يثبت من الله بيقين، وأما ما ورد من الحديث الواحد فإنه محتمل لغلط، والباب ليس باب العمل ليعمل به احتياطا، فكان الكف عن ذلك أسلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٠و).
[10] ر: عبادة.
[11] ر ث م: أن يحتي إلى من شاء من أنواع. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٠و.
[12] ث – وله أن يحتي إلى من شاء من أنواع الخير والنعم ابتداء بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك.
[13] جميع النسخ: ولكن ابتدأ امتحانا. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.

[٦٥٦ط س ١١ *ثم قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: **واذكر عبدنا أيوب**، أي اذكر صبره كيف صبر على البلاء من الله عز وجل بأنواع[1] الشدائد والبلايا، فاصبر أنت إذا ابتُليتَ بشيء من البلايا. وعلى ذلك يخرج جميع ما ذُكِر في هذه السورة وأَمَره أن يذكرهم بما[2] ابتلاهم من الشدائد أن كيف صبروا له على ذلك، ومن امتحنهم بالسعة والملك[3] أنْ كيف شكروا
٦٥٦ط س ١٥] ربهم وأطاعوه. *والله أعلم*.*

ثم قوله: **مَسَّنِيَ الشيطانُ بنُصب وعذاب**، إنه وإن أضاف إليه فهو في الحقيقة من الله، [لكن أضيف إليه][5] لِما أنه أجراه[6] على يديه، كقوله عز وجل: يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ،[7] أخبر أن حقيقة العذاب منه وإن كان على أيديهم يجري[8] ذلك. وهو كقوله تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ،[9] أي ما يمس الإنسانَ من ضُرّ على يَدَيْ أحد إلا ويكون[10] من الله، وله في ذلك صنع وفعل، لا على ما يقوله المعتزلة: أنْ لا صنعَ لله في فعل العباد. وأخبر أنه لو أراد بأحد[11] ضرا ومسّه بذلك لا كاشفَ لذلك الضر ولا دافعَ، وأنه لو أراد خيرا بأحد لا رادَّ لذلك الفضل غيرَه، فهو على المعتزلة أيضا. وقوله: **بنُصْب** ونَصَب واحد، وهو تَعَبٌ. وكذلك يقول القُتَبِي: النُّصْب والنَّصَب واحد مثل حُزْن وحَزَن، وهو العَناء والتعب. وقال أبو عبيدة: النُّصب الشر والنَّصَب الإعياء.[12] ومنهم من يقول: إن أحدهما فيما يصيب
[٦٥٦ظ] ظاهرَ جسده والآخرَ فيما يصيب باطنه. / *والله أعلم*.

---

[1] ع: من أنواع.
[2] جميع النسخ: بالذي.
[3] جميع النسخ + يقول ان اذكر لهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦ظ/سطر ١١-١٥.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[6] جميع النسخ: لما أخبر أنه. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[7] ﴿قاتِلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويَشْفِ صدورَ قوم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ١٤/٩).
[8] ر ن م: يخزي.
[9] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشفَ له إلا هو وإن يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده﴾ (سورة يونس، ١٠٧/١٠).
[10] جميع النسخ: من ضر يكون عى يدي آخر ويكون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[11] جميع النسخ: باخد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[12] جميع النسخ: الاعياء. والتصحيح من *مجاز القرآن* للأبي عبيدة، ١١٠/١؛ وتفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٠.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**، جائز أن يكون لَمَا قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[١] دعا عند ذلك أنْ يكشف[٢] عنه البلايا التي مسته، كأنه قال: إنّي مسني الضرُّ فاكشف ذلك عني وأنت أرحم الراحمين، ودل[٣] على ذلك قوله[٤] عز وجل: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ.[٥] فدل[٦] هذا على أن قد كان منه دعاء وسؤال في كشفه الضرّ عنه فاستجاب الله دعاءه فعند ذلك قال: **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**. جائز أن يكون لمّا ضرب برجله الأرض وركَضها نبع منها عينان، إحداهما للاغتسال فيها والأخرى للشرب منها. فكانت التي للشرب منها ماؤها بارد[٧] على ما يوافق للشرب ويُختار له،[٨] والأخرى ماؤها ما يوافق للاغتسال وهو دونه في البرودة[٩] على ما قاله أهل التأويل عامة، كقوله عز وجل: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ [وَالنَّهَارَ] لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ؛[١٠] وإنما السكون فيما يُسْكَن وهو الليل، والابتغاءُ بالنهار. وجائز أن يكون العين واحدا إلا أنه لمّا اغتسل منها كان ماؤها فاترا يوافق للاغتسال،[١١] [وإذا شرب منها كان ماؤها باردا يوافق للشرب].[١٢] قال بعض أهل التأويل: كان به البلاء بظاهر الجسد وباطنه، فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال وما كان بباطنه ذهب بالشرب. *والله أعلم*.*

---

[١] ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٣/٢١).
[٢] جميع النسخ: أن كشف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٣] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٤] م: وقوله.
[٥] سورة الأنبياء، ٨٤/٢١.
[٦] جميع النسخ: دل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٧] ن ث: باردا.
[٨] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٠ظ.
[٩] جميع النسخ: في النزول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[١٠] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).
[١١] جميع النسخ: كان ما يوافق الشرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة. فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٦ظ/ سطر ١١-١٥.

|٦٥٧و س ٢ *وقال أبو عَوْسَجة: **اركض برجلك**، أي اضرب بها الأرض. وكذلك تقول: ركضتُ الدابة[1]
إذا ضربتَها برجلك حتى تُسرع. وكذلك قال القُتَبِي.* *وقال: المغتسل الماء، وهو الغَسول أيضا.[3]* ٦٥٧و س ٥|

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ووهبنا له أهله ومثلهم معهم**. اختلف أهل التأويل فيه. قال بعضهم: وَهَب[5] له أهلَه، أي أحيا[6] مَنْ هلك من أهله وماله وزاد له على ذلك ضِعْفَهم في الدنيا رحمة منه وفضلا. والحسن يقول بهذا: إنه أحياهم له بأعيانهم وزاده مثلَهم معهم.[7] وقال بعضهم: قيل له: يا أيوب إنّ أهلك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوّضناك مثلهم. قال: لا، بل اتركوهم في الجنة، فتُرِكُوا له في الجنة وعوّض [له] مثلهم في الدنيا. ولله أن يُحيي من شاء بعدَ ما أماته وله أن يُؤجر على ذلك ما شاء. ألا يُرَى أنه قال على إثره: **رحمة منا وذكرى لأولي الألباب**، دل قوله: **رحمة منا** على أن كشف الضر عن أيوب وإعطاءَ ما أعطاه رحمة منه وفضلٌ ونعمة. وكان[8] له أن لا يكشف الضر عنه وأن لا يردّ عليه أهله ولا يزيد له. وهو على المعتزلة، لأنه لا يخلو إما أن يكون ما أعطى وردّ عليه أصلح له. وقد أخبر أنه برحمته كان ذلك له وفضلٍ منه، ولو كان عليه حفظ الأصلح له في الدين كان في تركه ومنعه جائرا[9] عندهم ظالما. أو أن يكون منعُه ذلك عنه أصلح له فأعطاه وترك الأصلح له. فدلّ أن ليس على الله حفظ الأصلح لأحد في الدين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وذكرى لأولي الألباب**، أي ذكرى وعِظَةً لمن ينتفع باللّب لِيُعْلَم أن ليس التضييق لمقتٍ منه وسَخَطُه لمن ضَيّق عليه، ولا في التوسيع رضاءٌ[10] منه، ولكن [هما][11] محنتان يَمتحن من شاء بالشدة والبلاء ومن شاء بالسّعة والرّخاء.

---

[1] جميع النسخ: ركض دابتها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٢-٣.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٥.
[5] ر م: ووهب.
[6] ر م: حياء.
[7] تفسير *الطبري*، ١١٠/٢٠.
[8] جميع النسخ: فضلا ونعمة كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[9] ر ن: جائز.
[10] ن: رضا.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث**. احتلف في السبب الذي كان من أيوب عليه السلام الحَنْفُ[١] بضرب امرأته. ولكن لسنا ندري ما السبب الذي حمله على الحلف[٢] بضربها. ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك السبب غيرَ أنا نعلم أنه كان من المحلوف[٣] عليه معنى يستوجب بذلك الضربَ حيث حَلَف[٤] هو بالضرب وأمره الله عز وجل بالضرب. ثم معلوم أن غضبه وحَلْفه لا يحتمل أن يكون لمنفعة نفسه ولكن[٥] لله عز وجل. ثم الغضب لا يخرج الأنبياءَ عليهم السلام عن أيدي أنفسهم على ما يُخرج[٦] من كان غضبه لنفسه.

ثم اختلف في قوله: **ضِغثا**، قال بعضهم: قُضْبان وأغصان ونحوه،[٧] ذلك لأيوب خاصة. وقال بعضهم: هو له ولسائر[٨] الناس أنّ من حنف أن يضرب [عبده][٩] كذا خشبة[١٠] أو سوطا فجمع قضبانا أو أغصانا[١١] فضرب بها برّ في يمينه. وليس في الآية أنه ضرب به مرة أو مرارا حتى يخرج بضربه المرأةَ عن يمينه. ثم الأصل عندنا أن من همّ بضرب آخرَ كانت[١٢] بالضارب هيئة[١٣] وأثر[١٤] يَعرف أنه يريد[١٥] الضرب فيحذر،[١٦] وبالمضروب[١٧] هيئة[١٨] وأثر وهو التألم.

---

[١] ر ن: الحنف.
[٢] ر ن: الحنف.
[٣] ر: المخنوق.
[٤] ر: خلف.
[٥] ث – لكن.
[٦] ن ث: من يحرج؛ ر م – ما يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[٧] ث: ونحو.
[٨] ر م: وسائر.
[٩] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[١٠] ث: حشية.
[١١] ث: غصان.
[١٢] جميع لنسخ: كان.
[١٣] ر ث م: هيئته.
[١٤] جميع النسخ: وابدا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[١٥] جميع النسخ: يزيد.
[١٦] ر: فتحرد؛ ث: فيتحرر؛ م: فيحرر.
[١٧] ر ث م: بالمصروب.
[١٨] ث م: هيئته.

فجائز أن يكون المراد به تلك الهيئة والأثر: الضربُ نفسُه ليس في يمينه، وإن الأفضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث.[1]

[٦٥٧ر] ثم أثنى الله على أيوب عليه السلام فقال عز وجل: **إنا وجدناه صابرا**. بما ابتلاه الله في نفسه وأهله وماله. **نعم العبد إنه أواب**، أي رَجّاع[2] إليه عز وجل في جميع أحواله في حال الشدة والبلاء وفي حال السعة والرخاء. ***والله أعلم***.*

قال [أبو عَوْسَجَة:][4] والضِغث مثل الكفّ من الحشيش[5] وغيره ومن كل شيء، وأضغاث جمع.[6] وقال القُتَبِي: الضِغث الحُزمة من الخَلَى و العيدان،[7] وهو قريب من الأول.*

وقوله عز وجل: **ولا تحنث** من الحِنث، والحِنث في الأصل الإثم. برّ في يمينه[9] إذا صدق فيها ووَفَى.[10]

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب**، يحتمل قوله عز وجل: **واذكر** مَنْ ذُكِر من الرسل عليهم السلام وأهلِ[11] الصفوة، أي اذكر هؤلاء بما لَقُوا من أعدائهم فتستعين أنت بما تنقى[12] من أعدائك. أو يقول: اذكر صبر هؤلاء على قومهم لتصبر أنت على أذى قومك، وهو قريب من الأول. أو يقول:[13] اذكر جَهد[14] هؤلاء في العبادة والدين

[1] «وكان في شريعته الأفضل هو البر في اليمين وهو العزيمة. وقد رخص الله تعالى لهذه الأمة تخفيفا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥١و).

[2] جميع النسخ: راجع.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٤٢، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٢-٣.

[4] الزيادة مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[5] ث: لحشيش.

[6] جميع النسخ: جميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[7] جميع النسخ: من الكلإ أو من العيدان. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨١.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٤٢، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر٥.

[9] جميع النسخ: برت يمينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[10] ن: ووفاء ث: ووفاء.

[11] ر ن م: وأصل.

[12] ر ث م: يبقى.

[13] ر م - أو يقول.

[14] ر م: حينئذ.

ليُحثَّك[1] ذلك ويحرِضك[2] على الجهد فيها. أو يقول: اذكر الأسباب التي بها صار هؤلاء أهل[3] صفوة الله ومحلَّ[4] إحسانه ليحملك ذلك على طلب تلك الأسباب لتصير[5] [أنت] من أهل صفوة الله، ونحوه يحتمل. أو يقول: اذكر هؤلاء الصالحين لتتسلّى بذكرهم عن بعض أمورك وهمومك. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **أولي الأيدي والأبصار**، قيل: **أولي الأيدي**، أي أولي القوة في العبادة والبصر في الدين. ثم معلوم أن هؤلاء لم يكونوا أهل قوة في أنفسهم وإنما كانوا أهل قوة في العبادة في الدين ليُعلَم أن القوة في الدين غير القوة في النفس. وقيل: أولي القوة في طاعة الله والبصر في الحق، وقيل: في الفقه، وقيل: أولي الفهم في كتاب الله، وهو واحد. ثم في قوله: **أولي الأيدي والأبصار** دلالةُ أن قد يُفهَم بذكر الأيدي غيرُ الجارحة وبذكر البصر غيرُ العين؛ لأنه معلوم أنه لم يرد بذكر الأيدي الجوارح ولا بذكر الأبصار الأعينَ ولا فهم منه ذلك أحدٌ،[6] ولكن فهم باليد القوة وبذكر البصر الفهم[7] أو ما فَهم. فعلى ذلك لا يُفهَم من قوله عز وجل: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[8] ونحوِه الجارحةُ على ما يفهم من الخلق، ولكن القوةُ أو غيرها. لكن كنَّى باليد عن القوة لما باليد يُقوَى،[9] وكنَّى بالبصر عن درك الأشياء[10] لما بالبصر يُدرَك الأشياء.

**﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**. قيل:[11] الخالصة التي أخصهم بها هي ما ذَكَر من ذكرى الدار.[12] ثم اختلف فيه. قال بعضهم: [هو ما][13] كانوا يدعون الناس

---

[1] ر ن م: ليحبك.
[2] جميع النسخ: ويخرجك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[3] ر ن م: أصل.
[4] ر ن م: ويحل.
[5] جميع النسخ: ليصير.
[6] ر م - أحد.
[7] جميع النسخ: انهم.
[8] ﴿قال يا إبليسُ ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي﴾ الآية ٧٥ من هذه السورة.
[9] ر: بقوى.
[10] جميع النسخ + حقيقة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[11] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[12] «فإنه جعل ذلك تفسيرا لها» (شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٦و).
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.

إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة. وقال[1] بعضهم: إنا جعلناهم أَذْكَرَ الناس لدار الآخرة. وقال بعضهم:[2] **أخلصناهم بخالصةٍ**، أي النبوةِ[3] والرسالة، **وذكرى الدار**، أي أن لا يذكرون[4] غير دار الآخرة. وأصله أن الله عز وجل أخلصهم وصفّاهم واختارهم لأشياء[5] وخصهم بها وجعل همتهم الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا واختيارَ ذكر الآخرة على ذكر الدنيا. أو أن يكون قوله عز وجل: **أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**، أي شرفِ الدار وذكرِهم [فيها. أي][6] صاروا مذكورين مشرَّفين في الدار.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**، أي هم عندنا أهل صفوة صفّاهم الله عز وجل واختارهم لنفسه ولرسالته. وقال بعضهم: **وإنهم عندنا لمن المصطفين**[7] **الأخيار** اختار[8] هم على علم الرسالة.[9] ***والله أعلم.***

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار**، يحتمل قوله عز وجل: **واذكر**، وجوها على ما ذكرنا.[10] [اذكر] صبرَ هؤلاء على ما لَقُوا من قومهم فتستعين أنت على الصبر مما تلقى[11] من قومك. أو يقول: اذكر حسن معاملة هؤلاء ربَّهم وحسنَ سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق لتعامل أنت ربَّك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم.

---

[1] ر م – هي ما ذكر من ذكرى الدار ثم اختلف فيه قال بعضهم كانوا يدعون الناس إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة وقال.
[2] جميع النسخ + أي.
[3] جميع النسخ: بخالصة النبوة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.
[4] جميع النسخ: وأن لا يذكروا.
[5] جميع النسخ: ناسا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[7] ن ث + بالنبوة.
[8] م: لاختيارهم.
[9] جميع النسخ: والرسالة.
[10] انظر عند تأويل الآية ٤٥ من هذه السورة.
[11] جميع النسخ: يلقى.

أو يقول: اذكر هؤلاء ومن ذُكِر، أي أَثْنِ[1] عليهم بحسن الثناء واذكرهم بخير ما أثنى [الله][2] عليهم وأَمَر الناس أن يُثنُوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا أبدا أحياءً بحسن الثناء والذكر. أو أن يقول: اذكر هؤلاء أنْ كيف عاملهم الله واختارهم لرسالته وما ذكر الله. **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **واليسع**. قال بعضهم: هو إلياسُ، وقال بعضهم: هو غيره وكان ابنَ عمّ إلياس. **والله أعلم**. [وقوله:] **وذا الكفل**، اختلف فيه أيضا. قال بعضهم: كان إلياسُ في أَرْبَعمِائَةِ نبيٍّ عليهم السلام في زمن مَلِكٍ، فقَتَل[3] الملكُ ثَلاثَمِائةٍ منهم فكَفَل رجل إلياس في مائة نبي فكفلهم وخبّأهم[4] عنده يُطعمهم ويَسقيهم[5] حتى خرجوا من عنده. وكان الكِفْل[6] بمنزلة من المَلِك؛ فلذلك سُمِّي ذا الكفل لأنه خبّأهم وكَفَلهم. **والله أعلم**. وقال بعضهم: سُمّي ذا الكفل لأنه كَفَل لله عز وجل قوتا[7] فسُمِّي ذا الكفل. وقال أبو موسى الأشعري: إن ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا، فكفل بعمل رجلٍ صالح عند موته كان يصلي لله عز وجل كلَّ يوم مائةَ صلاة فأحسن[8] الله عليه الثناءَ في كفالته.[9] وقال بعضهم: إن نبيا من الأنبياء قال لقومه: أيُّكم يَكْفُل بتبليغ ما بُعثتُ[10] أنا إلى الناس بعدي لأَضْمَن له الجنة والدرجة العليا؟[11] فقال شاب: أنا أَكْفُل[12] التبليغ على ذلك ووفى[13] ما كَفَل، فسُمّي ذا الكفل لذلك. **والله أعلم**. / وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ أنه لماذا وأن اليَسَع كان فلانا، سوى أن تعرفهم[14] أنهم من الأخيار على ما ذكر الله عز وجل. **والله أعلم**. [٦٥٧ظ]

---

[1] جميع النسخ: اثر.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[3] ر ن م: فقيل.
[4] م: وجنهم.
[5] ر ن م: يطعمهم وسقيهم.
[6] الكِفْل والكافل والكفيل: العائل، القائم بأمر اليتيم، الضامن (*لسان العرب*، «كفل»).
[7] جميع النسخ + لله به.
[8] ن ع: فاحبس.
[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٧٢/١٦.
[10] ر: بعث.
[11] جميع النسخ: العلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[12] جميع النسخ: نكفل.
[13] ر ن: ووفا؛ ت م: ووفد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[14] ر ن م: يعرفهم.

وبعد، فإن معرفة ذلك [بـ]أخبار الآحاد، وأخبار الآحاد[١] توجب علم العمل ولا توجب[٢] علم الشهادة، وليس هاهنا سوى الشهادة على الله، والترك أولى.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **هذا ذكر**. يحتمل قوله:[٣] **هذا ذكر**، أي شرف وذكر للذين[٤] تقدم ذكرهم من الأخيار،[٥] لأنهم يُذكَرون أبدا بخير وحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل. فذلك شرفهم حيث صاروا مذكورين على ألسن الناس وهم أموات.[٦] أو أن يكون ذكر هؤلاء ذكرا[٧] وعِظَة لمن بعدهم، أو ذكرًا[٨] لك وعظة لتعرف[٩] حسن معاملة الربّ بهم. أو هذا القرآن ذكر وعظة لمن آمن[١٠] به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن للمتقين لحسن مآب**. جملة الاتقاء هو أن يُتَّقى المهالكَ، أي [للذين] اتَّقَوْا جميع ما يُهلكهم لَحُسنُ مآب، أي مرجع. ثم بيّن ووصف حسن المرجع الذي يرجعون إليه حيث قال عز وجل:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[٥٠]

قوله عز وجل: **جنات عدن** أي مُقام. يقال: عَدَن في مكانٍ كذا أي أقام [به] كأنه[١١] جناتُ مقام فيها لا يبغون عنها حِوَلا ولا غِيَرًا،[١٢] على ما أخبر الله عز وجل: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[١٣] وقال بعضهم: عَدْن الشيء هو وسطه،[١٤] كأنه ذَكَر أن جنة عدنٍ وسط الجنان. *والله أعلم*.

---

[١] ر م – وأخبار الآحاد.
[٢] جميع النسخ: يوجب علم العمل ولا يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[٣] ر ن م: قول.
[٤] جميع النسخ: لذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[٥] ن ث: من الأخبار.
[٦] جميع النسخ: أحزاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[٧] جميع النسخ: ذكر.
[٨] جميع النسخ: ذكر.
[٩] ر ن م: ليعرف.
[١٠] ن ت: أمر
[١١] أي مرجعهم
[١٢] ت: ولا عدا.
[١٣] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلًا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة مريم، ١٨/١٠٧-١٠٨).
[١٤] جميع النسخ: عدن الذي هو وسط الشيء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

وقوله عز وجل: **مفتَّحةً لهم الأبواب**. يحتمل قوله: **مفتحة لهم الأبواب** أبواب الجنة، يقال له: ادخلْ أيَّ بابٍ من أبوابها شئت[١] على ما يقوله بعض الناس. وجائز أن يكون أبواب كلِّ أحد منهم في الجنة تكون[٢] مفتحة، لأن إغلاق الأبواب[٣] إنما يكون في الدنيا إما لخوف السَّرَق أو نظر الناس إلى أهله وحرمه، وخوفِ نظر أهله إلى الناس، لهذا المعنى تُتَّخذ[٤] الأبواب في الدنيا والغَلَق والإغلاق دونهم، وليس ذلك المعنى في الجنة لِما أخبر أن أزواجهم يَكُنّ قاصراتِ الطرف[٥] لا ينظرن إلى غير أزواجهن، ولا يكون فيها[٦] خوف السرق، لذلك كان ما ذكر. والأشبه أن لا يكون فيها أبواب لما ذكرنا أن الأبواب إنما تتخذ في الدنيا[٧] لخوف السرق والنظر في حرمهم. ***والله أعلم***.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب**، هذا -والله أعلم- كأنه وصفُ حال اجتماعهم، لأنه عند[٨] ذلك يدعى[٩] بالفواكه والشراب في الدنيا، وأما في حال الانفراد فقلّ[١٠] ما يدعون بالشراب. ثم فيه إخبارٌ أنهم يدعون في الجنة بالفواكه والشراب جميعا، وفي الدنيا العرف فيهم: أن أهل الشراب قلّما يجمعون بين الفواكه والشراب بوجهين: إما لخوف الضرر بهم إذا جُمِع، أو لِما لا يوجَدان، وليس هذان المعنيان في الجنة. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **بفاكهة كثيرة**، كأنّ ذكر الكثرة[١١] كناية عن أنواع[١٢] الفواكه وألوان مختلفة من كل نوع، ليس بعبارة عن الكثرة من نوع واحد. ***والله أعلم***.

---

[١] م: شيئت.
[٢] ر ن م: يكون.
[٣] جميع النسخ: الإغلاق والأبواب.
[٤] جميع النسخ: يتخذ.
[٥] انظر: الآية ٥٢ من هذه السورة.
[٦] ر ن م: فيهما.
[٧] جميع النسخ: يتخذ؛ ر ث م - في الدنيا.
[٨] ر م - عند.
[٩] ر ن م: يدعا.
[١٠] ر ن: قل؛ ث م: وقل. والتصحيح مستفاد من نسخة مدينة، ورقة ٥٧٤و.
[١١] جميع النسخ: من أنواع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥١ط.
[١٢] ت: الكثيرة.

﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وعندهم قاصرات الطرف،** أي طَرْفَهن يَقْصُرن[١] على أزواجهن لا ينظرن[٢] إلى غير أزواجهن ولا يردن غيرهم. *والله أعلم.*

وقوله: **أتراب**. قالوا: مستويات الأسنان. أرادوا[٣] أن يكونوا[٤] جميعا: الأزواج والزوجاتُ على سنٍ[٥] واحد. أو يخبر أنهم جميعا يكونون على حال واحدة لا يتغيرون ولا يهرَمون كما يكون في الدنيا بعضهم أكثر سنا من بعض وأضعف حالا من الآخر، ولكن لا يهرمون ولا يَكبَرون ولا يَضعُفون. *والله أعلم.*

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٥٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **هذا ما توعدون ليوم الحساب،** كأنه يقول لهم الملائكة: هذا ما توعدون[٦] [يا] أهلَ الجنة في القرآن. ثم أتاهم من الله بِشارة ببقاء تلك النعم هم[٧] أبدا، وهو ما قال عز وجل: **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد،** أي انقطاع وذهاب. نَفَدَ الشيء إذا فَنِيَ[٨] وذهب. *والله أعلم.*

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[٥٥] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا،** أي هذا الذي ذكرنا ثواب المتقين وجزاء تقواهم. ثم بين جزاء الطاغين وهو قوله عز وجل: **وإن للطاغين لشر مآب،** أي لبئس المرجعُ. ثم بيّن ذلك المرجع، ما هو؟ فقال عز وجل: **جهنم يصلونها فبئس المهادُ،** أي بئس ما مَهّدوا لأنفسهم.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **هذا،** أي هذا الذي ذكرنا جزاء الطاغين. والطاغي[٩] يرجع إلى وجوه،

---

[١] ن: يقصر.
[٢] ر: لا ينظر.
[٣] ر ش م، أراد.
[٤] جميع النسخ: أن يكونون
[٥] جميع النسخ: سن
[٦] ن: توعد.
[٧] جميع النسخ: بشارة يبقى لهم ذلك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥١ظ.
[٨] ر م: فني.
[٩] جميع النسخ: والطغين. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥١ظ.

إلا أن أصله هو الذي لا يجتنب المهالك ولا يتقي؛ والمتقي هو الذي يتقي[١] المهالك ويجتنبها حقيقةَ التُّقى.[٢] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فليذوقوه حميم وغساق**. كأن الملائكة يقولون[٣] لهم إذا أدحلوا جهنم وأُلقُوا فيها: **فليذوقوه حميم وغساق**. والحميم هو الشراب الذي قد انتهى حرّه غايته ونهايتَه. والغَسّاق، احتنفوا[٤] فيه. قال بعضهم: هو ما يسيل من الصديد والقَيح والدم، جعل ذلك شرابَهم في النار. وقال بعضهم: الغساق هو الزَّمْهَرير. والزمهرير هو البرد الذي بلغ غايته ونهايته، يُحرق لشدة[٥] برده كما يُحرق الحميم الذي بلغ نهايته لشدة[٦] حرّه. *والله أعلم*.

[٦٥٨و س١٧] *قال القُتَبي: **الغسّاق** ما يسيل من جلود أهل النار ولحومِهم من الصديد. يقال: غسَقتْ عينه[٧] أي سالت. ويقال: هو البارد المُنْتِن.[٨] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.* [٦٥٨و س١٩]

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾[٥٨] ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾[٥٩] ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج**، اتفق أهل التأويل أو أكثرهم[١٠] على أن قوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج** هو العذاب، كأنه يقول: وآخر من شكل ما ذكر من العذاب لهم. ثم اختلفوا في ذلك العذاب الذي قالوا: إنه[١١] من شكله. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [٦٥٨ر] هو الزمهرير.[١٢] وروي عن الحسن: **وآخر من شكله أزواج**، أي[١٣] ألوان من العذاب.[١٤]

---

[١] ن: اتقى.
[٢] جميع النسخ: + والطغيان ما ذكرنا.
[٣] ر م: يقول.
[٤] ن + احتنفوا.
[٥] ر ث م: بشدة.
[٦] ر م: شدة.
[٧] جميع النسخ: عنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦١، فقدمناه إلى هـ. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٧-١٩.
[١٠] وعبارة السمرقندي هكذا: «روي عن ابن عباس ومجاهد، ثم اتفق عامة أهل التأويل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٥١ظ).
[١١] ر ث م – انه.
[١٢] *تفسير الطبري*، ٢٠/١٣١.
[١٣] ر م – أي.
[١٤] *تفسير الطبري*، ٢٠/١٣٣.

وقال بعضهم: رَوحٌ من العذاب. ويشبه أن يكون قوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج،** أي قوم من شكل أولئك الذين ذكرهم يُقرَّبون[1] إلى أولئك فيُجمَعون في العذاب، كقوله عز وجل: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ.[2] أو أن يكون فوج آخرُ يُدخَلون من شكل الأولين وهو ما ذكر عز وجل: **هذا فوج مقتحم معكم** أي داخل معكم، **لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار** أي داخلو[3] النار.

يقول أهل التأويل: إن قوله عز وجل: **لا مرحبا[4] بهم،** يقول المتبوعون[5] للأتباع لَمَّا أُدخلوا النار وراءَهم:[6] **لا مرحبا بهم** أي لا سعة بهم، وهو من الرُّحب وهو السعة، فأجابهم الأتباع: لا، **بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار.** وقال بعضهم: قالت الخزنة لمن في النار: **هذا فوج مقتحم معكم،** فيَرُدّون على الخزنة: **لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار،** فيَرُدّ عليهم القومُ الذين اقتحموا النار بعدَهم: **بل أنتم لا مرحبا بكم.** وأصل هذا أن هذا منهم لَعْنٌ يلعَن بعضُهم بعضا، كقوله[7] عز وجل: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[8] ونحو ذلك من الآيات.

[٦٥٨و س١٩ *وقوله عز وجل: **وآخَرُ من شكله أزواجٌ،** من مثله. الشكل المثل والشكل بنصب الشين الغُنج،[9] وشكِلت المرأة إذا تغنّجت.[10] والتقحم الدخول؛ واقتحمت، وانقحمت، وتقحمت،[11]

٦٥٨و س٢١] كله واحد[12] وهو الدخول. وقوله: **لا مرحبا بهم أي لا سعة**[13] بهم. والرَّحِيب والرَّحْب الواسع.*

---

[1] ث: تقربون.

[2] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).

[3] ث: ادخلوا.

[4] ر ث م – معكم أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي داخلوا النار يقول أهل التأويل إن قوله عز وجل لا مرحبا.

[5] جميع النسخ: المتبوع. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[6] جميع النسخ: وراوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[7] ر ث م: لقوله.

[8] ﴿... ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[9] م: الغنج.

[10] ر م: تغنجت.

[11] ر م – وانقحمت وتقحمت.

[12] جميع النسخ: واحدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[13] جميع النسخ: لا سعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٩-٢١.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار**، هذا كقوله: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[١] فهذا[٢] قول الأتباع للقادة والرؤساء منهم. ثم ردت القادة[٣] على الأتباع وهو قوله عز وجل: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ.[٤] فعلى ذلك هذه المناظرة التي ذكرت هاهنا بين القادة والأتباع. ثم قوله عز وجل:[٥] **من قدم لنا هذا**، أي من شرّع لنا هذه وسنّ الذي كنا عليه وأمَرنا به،[٦] **فزده عذابا ضعفا في النار**. وهو كما ذكر في سورة سبأ، حيث قال:[٧] إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا.[٨] *والله أعلم*.*

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾[٦٢] ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[٦٣]

وقوله: **وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، إلى آخر ما ذكر. ذُكر أنهم يقولون[١٠] [هذا] في الآخرة في النار[١١] لِيلزمهم الحجة وأن لا يقولوا:[١٢] إنا كنا عن هذا غافلين، لأن هذه السورة مكية نزلت في محاجة[١٣] أهل مكة في إثبات التوحيد وإثبات الرسالة.

---

[١] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[٢] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[٣] ر – والرؤساء منهم ثم ردت القادة.

[٤] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٣٩/٧).

[٥] جميع النسخ + أنتم قَدَّمْتُموه لنا وقوله أي أنتم شرعتموه لنا في الدنيا وسننتموه ولذلك قولهم.

[٦] ر ن م: منه؛ ث – به.

[٧] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[٨] ﴿وقال الذين استُضْعِفوا للذين استكبَروا بل مَكْرُ الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعلَ له أندادا﴾ (سورة سبأ، ٣٣/٣٤).

* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٥٧ ورقم ٥٨ ورقم ٥٩. فنقلنا كلا منها إلى محلها. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٧-٢١.

[١٠] ن ث: ذكر هذا أنهم يقولون؛ ر م: ذكر هذا يقول.

[١١] جميع النسخ + هذا.

[١٢] جميع النسخ: وأن لا تقولوا.

[١٣] ر ث م: في محاجة.

ومنهم من ينكر البعث. فذكر[1] الأنباء المتقدمة لإثبات الرسالة فيما تقدم، وذَكَر حجج البعث في هذه الآيات وحجج التوحيد في آخره. ذكر ذلك كله لهم ليُلزمهم الحجةَ وإن أنكروا ذلك لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين.

ثم في هذه الآية دلالةُ أن عقوبة الله قد تلزم وإن لم يتحقق[2] عنده الحق و لم يعرفه حقيقةً، حيث أخبر أنهم يقولون في النار ما ذكر عز وجل: **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، لأنه معلوم أنهم لو علموا[3] حقيقةً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا [على حق][4] ما تركوا[5] اتباعه ولا سخِروا منهم. وعلى ذلك يخرج مُباهلةُ أبي جهل[6] يوم بدر، حيث قال: اللهم أيُّنا أَوْصَل رَحِما وأبرُّ لكذا[7] فانصر[8] عليه. ومعلوم أنه لو كان يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق لكان لا يجترئ على المباهلة، دلّ أنه لم يعلم حقيقة[9] أنه على حق، فعوقبوا وإن لم يعلموا لِما مُكِّن لهم من العلم والمعرفة لو تأمّلوا وأحسنوا النظر في ذلك. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، قال أهل التأويل: إنهم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يستهزءون بهم في الدنيا ويسخرون منهم، يقولون: كنا نسخر منهم في الدنيا فأين هم[10] وما لنا لا نراهم؟ **[أتّخذناهم سخريّا] أم زاغت عنهم الأبصار**، أي حارت وشُغلت أبصارُنا فلا نراهم. لكن لا يحتمل أن يكونوا يقولون على هذا الذي يقوله أهل التأويل، ولكن يقولون على التلهّف والتندّم على ما كان منهم في الدنيا من ترك اتباعهم والسُّخريّة منهم، قد ظهر عندهم أن أولئك كانوا على حق -أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه- وأنهم على باطل؛

[1] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[2] جميع النسخ: وإن يحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[3] جميع النسخ: لم يعلموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[5] جميع النسخ: وما تركوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[6] ر: أبو جهل.
[7] جميع النسخ: واثر كذا على ما ذكر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٧ظ.
[8] ث: وانصر.
[9] ر م: حقيقته.
[10] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

فلا يحتمل أن يقولوا ذلك على غير التهقف والتندم، وقد عرفوا بمادا عذبوا وجُعلوا في النار، عرفوا أنهم لا يكونون[١] في النار -يعني أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذ كانوا على خلاف ما كان أولئك الكفرة. *والله أعلم*. أو أن يقولوا ذلك على الاستغاثة بهم. يقولون: أين أولئك الذين كانوا اتخذناهم سِخْرِيًا في الدنيا لعلهم يشفعون لنا[٢] فيُعينوننا؟[٣] [٦٥٨ط] يَطْمَعون النجاة إذا اتبعوهم في ذلك الوقت، أو نحو ذلك، كقوله عز وجل: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.[٤] وهذا الذي ذكرنا هو أشبه مما يقوله أهل التأويل. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار**. قال بعضهم: القسم بقوله عز وجل: صٓ وَالْقُرْآنِ،[٥] وقع على هذا على ما ذكرنا. وقال بعضهم: هذا على التقديم والتأخير، يقول: إن ذلك الذي ذكره مِن لعْن[٦] بعض على بعض ومن دعاء بعض على بعض،[٧] حيث قالوا: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا، وقولُهم: رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[٨] وما ذكر في سورة الأعراف: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ كذا، [و] أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ،[٩] كذا. أي ذلك التخاصم الذي ذُكِر **لَحَقٌّ**،[١٠] أي كائن فيما بينهم. *والله أعلم*.

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا منذر**، ليس عليّ مما حُمِّلتم[١١] شيء، إنما ذلك عليكم، إنما عليّ الإنذار لكم فقط. وقوله عز وجل: **وما من إله إلا الله الواحد القهار**، يقول -والله أعلم-:

---

[١] جميع النسخ: لا يكذبون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[٢] ر ن م: يشفعوننا.
[٣] م: فيعيونا.
[٤] سورة الحجر، ٢/١٥.
[٥] الآية الأولى من هذه السورة..
[٦] ر ث م: من امن.
[٧] ر م - ومن دعاء بعض عبى بعض.
[٨] الآية ٦٠ و ٦١ من هذه السورة..
[٩] سورة لأعراف، ٣٨/٧-٣٩.
[١٠] جميع النسخ: الحق. ولتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٢و.
[١١] ر ن م: ما حملتم.

ما من إله عُبِد[1] دونه بإله إنما الإله هو الله[2] الواحد القهار الذي تفرد وتوحّد بربوبيته وألوهيته، قَهَر الخلائق كلَّهم بقدرته.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**، يخبر[3] عن غناه[4] وسلطانه يقول -والله أعلم-: تعلمون[5] أنه رب السماوات والأرض ومنشئهما ومنشئ ما بينهما، فلا يحتمل أن ما يأمركم به وينهاكم عنه إنما يأمركم لحاجة نفسه أو لمنفعة له، ولكن إنما يأمر وينهى لمنفعة أنفسكم[6] ولحاجتكم. أو يقول: تعلمون[7] أنه هو ربكم ورب ما ذكر من السماوات والأرض وما بينهما فكيف تعبدون من تعلمون[8] أنه ليس برب[9] ولا إلهٍ وإنما الإله ما ذُكِر فتتركون[10] عبادته وطاعته؟ وقوله عز وجل: **العزيزُ الغفار**، أي لا يلحقه الذُل بذُلّ أوليائه وخَدَمِه لأنه عزيزٌ بذاته لا بأحد، ليس كملوك الأرض يَذِلّون إذا ذلّ أولياؤهم وأتباعهم، لأن عِزّهم بأوليائهم وأتباعهم فإذا ذلّوا ذَلّ[11] من كان عزُّه بهم، فأما الله سبحانه وتعالى [ف]هو العزيز بذاته لا يلحقه الذلّ بذلّ أوليائه ولا هلاكِهم.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾[٦٧] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون**، له تأويلان. أحدهما أن هذا القرآن الذي أنزل[ه] على رسوله صلى الله عليه وسلم نبأٌ عظيم أنتم عن التفكر فيه والنظر معرضون؛ لأن فيه ذكر ما[12] نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد، وفيه ذكر من نجا منهم أنه[13] بِمَ[14] نجا،

---

[1] ر: عند.
[2] ر م - الله.
[3] ر م: ويخبر.
[4] ر ث: غنائه.
[5] ر ث م: يعلمون.
[6] ر م: له نفسكم.
[7] ر ث م: يعلمون.
[8] ر ث م: يعلمون.
[9] ر ث م: بربكم.
[10] جميع النسخ: فيتركون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[11] م - ذل.
[12] ر م: ذكرنا.
[13] ر ث م - انه.
[14] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

وفيه[١] ذكر ما يؤتى[٢] وما يُتَّقى، وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحوه، وذكرُ ما لهم وما عليهم، فهم عن التفكر فيه والنظر معرضون ما لو تفكروا فيه وتأملوا لأدركوا كله ووصلوا إلى معرفة كل ما فيه مما ذكرنا. *والله أعلم*.

والثاني قوله عز وجل: **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون**، أي البعث والحشر هو نبأ عظيم أنتم عن السعي والعمل لذلك معرضون تاركون. فمن جعل تأويله على البعث[٣] والحشر يجعل الإعراض عن السعي له والعمل لذلك اليوم، ومن حمل تأويله على القرآن يجعل الإعراض عن التفكر فيه والنظر. *والله أعلم*.

**﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٦٩] ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي**، الآية. اختلف **في الملأ الأعلى**. قال عامة أهل التأويل: الملأ الأعلى هم الملائكة الذين تكلموا في آدم عليه السلام حين قال لهم الرب عزّ وجلّ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، فقالوا عند ذلك: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،[٤] الآية. وقوله عز وجل: **إذ يختصمون**، ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك، كقوله عز وجل: يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا،[٥] ليس على التنازع المعروف عند الناس والخصومة، ولكن على اختلاف الأيدي؛ فعلى ذلك ما ذكر من اختصامهم. *والله أعلم*. ومعناه ما كان لِيَ[٦] من علم من اختصام الملأ الأعلى وما كان منهم من التكلم إلا أن أوحي إليّ فعلمت، وإنما أنا نذير مبين. وقال بعضهم: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**، وكان[٧] اختصامهم في الكفّارات وفي الدرجات وفي المنجيات والموبقات،[٨]

---

[١] جميع النسخ: وفي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٢] ر م: يوى.

[٣] جميع النسخ: غير البعث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٤] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٠).

[٥] جميع النسخ: كأنها. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٤٠٧ظ. ﴿... لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾ (سورة الطور، ٥٢/٢٣).

[٦] جميع النسخ - لي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٧] جميع النسخ: وما كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٨] ر ش م: والموتقات.

حتى علّمني الله ذلك بالوحي وأعلمني ذلك.[1] ويذكرون أن الكفارات هي[2] إسباغ الوضوء في المكروهات وبذل الطعام عند الضِّيق والشدائد ونحوها[3] مما يطول ذكره.[4] *والله أعلم*.

وجائز أن يكون قوله عز وجل: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**، أي بالجمع الأعلى وهو جمع يوم القيامة، سمّاه الجمع الأعلى لأنه جَمْع الأولين والآخرين من الفرق[5] جميعا، أي ما كان لي من علم بذلك الجمع حتى علمتُ بالوحي. وقوله عز وجل: **إذ يختصمون**، في ذلك اليوم[6] تقع[7] الخصومات كقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾،[8] وهو على حقيقة الخصومة. وجائز أن يكون: **الملأ الأعلى** هم الأشرافَ من أولئك الكفرة والقادة، منهم الذين أُهلكوا بالتكذيب، ومنهم من نجا[9] بالتصديق. يقول: ما كان لي من علم بهم وما نزل بهم حتى أُوحِي إليّ فعلمتُ بالوحي. كأنهم سألوه عن ذلك فأخبر أني[10] كنت كواحد منكم في ذلك حتى علمت ذلك بالوحي، **إلا أنما أنا نذير مبين** أمَرني ربي وأوحى إليّ أن أنذركم / بذلك.[11] *والله أعلم*. [٦٥٩و]

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين**، ظاهر هذا أن يكون لا على القول منه لهم ولكن على الخبر أنه كان ما ذكر. *والله أعلم*. ثم ذكر الذي خلق منه آدم على أوصاف مختلفة. مرةً ذكر أنه خلقه[12] من طين،[13] ومرة من تراب،[14] ومرة ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾،[15]

---

[1] جميع النسخ + إني.
[2] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[3] ن: ونحو ذلك.
[4] انظر: تفسير *القرطبي*، ٢٢٦/١٥.
[5] ن ث: لعرف.
[6] ن ث + وفي ذلك اليوم.
[7] جميع النسخ: يقع.
[8] سورة الزمر، ٣١/٣٩.
[9] جميع النسخ: ومن نجا منهم.
[10] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[11] جميع النسخ + حتى أعلم بالوحي.
[12] ر م: خلق.
[13] ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (سورة السجدة، ٧/٣٢).
[14] ﴿خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (سورة آل عمران، ٥٩/٣).
[15] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٢٦/١٥).

ومرةً من صلصال[١] كالفخار،[٢] ومرةً من [طين][٣] لازب[٤] وغيره عبى اختلاف ما ذكر. فجائز أن يكون كل وصف من ذلك قد كان وصفا[٥] عن حال: كان ترابا[٦] ثم صار طينا ثم[٧] ما ذكر ووصف.[٨] **والله أعلم.**

**﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **ونفخت فيه من روحي**، أي جعلت فيه من روحي.[٩] وإضافة الروح إلى نفسه كإضافة خلق من خلائقه إليه؛ إذ الروح خلقٌ من خلائقه كسائر الخلائق. وقوله عز وجل: **فقعوا له ساجدين**، لولا صرف أهل التأويل سجود الملائكة لآدم إلى حقيقة السجود، وإلا كنا نصرف الأمر به إلى الخضوع له والاستسلام لِما[١٠] أحوج الملائكة إلى معرفة هذه الأسماء إلى آدم وبه عرفوها، حيث قال عز وجل: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ.[١١] لكن صَرَف أهل التأويل سجود الملائكة لآدم[١٢] إلى حقيقة السجود له، وذلك جائزٌ لأنهم ممتحَنون بالأمر والنهي، وقد بينا ذلك فيما تقدم.[١٣]

**﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٧٣] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٧٤]**

ثم استثنى إبليس من الملائكة وأخبر أنه استكبر وأبى أن يسجد له، حيث قال عز وجل: **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**، عبى قول من يقول:

---

[١] جميع النسخ: كالصلصال ومرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[٢] ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[٤] ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (سورة الصافات، ١١/٣٧).
[٥] جميع النسخ: وصف.
[٦] ر ن م: أترابا.
[٧] ن ث + ما ذكر إلى اختلاف.
[٨] ر م: وصف؛ ث – وصف.
[٩] ر ث م – أي جعلت فيه من روحي.
[١٠] جميع النسخ: كما. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٢ظ.
[١١] ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٣٣/٢).
[١٢] ر م – لآدم.
[١٣] انظر تأويل الآية ٣١ من سورة البقرة.

إن إبليس كان من الملائكة فلما أبى السجود خذله ووَكَلَه إلى نفسه صار كافرا ليُعلَم أن كلّ أحد وإن عظُم قدره وجلّت منزلته يحتمل خلافَ ما هو فيه وضدَّه، وأنه متى امتحنه بأمرٍ فترك أمره تكبرا واستخفافا خذله[1] ووكله إلى أمره ونفسِه فصار كافرا مخذولا حقيرا، ليكونوا[2] أبدا على حذر وفزع إلى الله عز وجل على ما أخبر من عظم قدر الملائكة عند الله وجليل منزلتهم عنده، إذا خذلهم ووكلهم إلى أنفسهم صاروا كما صار إبليس. ***والله أعلم***. ثم قوله عز وجل: **وكان من الكافرين**، أي كان في علم الله أنه يكفر. أو كان بمعنى صار، [أي صار] من الكافرين إذ أبى السجود واستكبر، كقوله عز وجل لآدم: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[3] أي تصيرا من الظالمين. ***والله أعلم***.

**﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٧٥]**

وقوله عز وجل: **قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ**، قد ذكرنا فيما تقدم[4] في غير موضع أن تخصيص إضافة الشيء الواحد إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد وذلك الفرد، كقوله: بيت الله، و مساجد الله، و أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[5] و رسول الله، وولي الله وأشباه ذلك. وخص هذه الأشياء بالإضافة إليه وإن كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لذلك. فعلى ذلك يخرج إضافة خلق آدم إلى نفسه مخرج[6] تعظيم آدم حيث قال: **خلقت بيديّ**، وإن كان جميع الخلائق هو خلقهم. ويخرج إضافة كلية الأشياء إلى الله وكلية الخلائق إليه مخرج تعظيم الرب والمدح له، نحو قوله عز وجل: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[7] ورازق كل شيء،[8] [و]منشئ العالم ومبدئه،[9] و هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[10] [و] مَالِكَ الْمُلْكِ،[11] وغير ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: أو استخفافا وخذله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٨ظ.
[2] «أي لأخيار الذين لا عصمة لهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٥٢ظ).
[3] سورة البقرة، ٢/٣٥.
[4] انظر: *تأويلات القرآن*، ١/١٤٢، ١٧٣؛ ٦/١٦٠-١٦١.
[5] سورة الجن، ٧٢/١٨.
[6] ر ن م: يخرج.
[7] سورة الأنعام، ٦/١٠٢.
[8] جميع النسخ + ورزاق (ن ث: ورازق) الخلق (ر م: بخلق).
[9] جميع النسخ: مبدئها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٨ظ.
[10] سورة البقرة، ٢/٢٨٤.
[11] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

ثم قوله عز وجل: **بيديّ**، قد تكلف[1] أهل الكلام والتأويل في تأويل إضافة اليد إلى الله عز وجل. منهم من قال: [هي] القوة، ومنهم من قال كذا، لكن التكلف في ذلك فضل. مع ما قد يضاف اليد إلى من لا يد له ولا جارحة ولا عضو، نحو قوله[2] عز وجل: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[3] لم يفهم أحد بذكر اليد له ولا [بذكر] الخلف ما يُفهَم من الخلق.[4] وكذلك لم يفهم[5] ما ذكر من مجيء البرهان [و]مجيء[6] الحق ولا من زهوق الباطل ما يُفهَم من مجيء الخلق ولا ذهابهم،[7] حيث قال عز وجل: قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ،[8] و قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ،[9] وأمثال ذلك مما يكثر عدُّه وإحصاؤه. لم يَفهم أحدٌ من الخلائق من مجيء هذه الأشياء التي ذكرنا بمجيء الخلق ولا فَهِم من ذكر اليد لما ذكرنا من الأشياء جارحةً ولا عضوا؛ فكيف يُفهَم من ذكر اليد ما فُهِم[10] من الخلق لولا[11] فساد اعتقادهم لربهم والجهلُ بتعاليه عن معنى الغير، وإلا لم يخطر ببالهم[12] بذكر ذلك لله وإضافته[13] إليه ما يخطر ببالهم[14] من الخلق ومعنى الخلق.

أو أن يكون ذِكْرُ ذلك[15] لنفسه وإضافته إليه من اليد وما ذكر لما باليد يكون [العمل][16] في الشاهد لو احتمل كون[17] ذلك من الخلق، نحو قوله:[18] ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[19]

---

[1] جميع النسخ: قد تكلفت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[2] ر ن ث: قال.
[3] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[4] جميع النسخ + ولا ذهابهم.
[5] جميع النسخ – م يفهم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[6] ر ن ث: فمجيء.
[7] ر ن م + وكذلك ما ذكر من محي البرهان.
[8] سورة يونس، ٥٧/١٠.
[9] سورة النساء، ١٧٤/٤.
[10] ن: ففهم.
[11] ر م: اولا.
[12] جميع النسخ: بباله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[13] جميع النسخ: أو إضفته.
[14] جميع النسخ: بباله. والتصحيح المرجع السابق، نفس الورقة.
[15] ر م: ذلك ذكر.
[16] لزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[17] ن: كونه.
[18] جميع النسخ: ما قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[19] سورة الأنفال، ٥١/٨.

[وقوله:] فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ[1] ونحو ذلك مما يعلم في الحقيقة أن ذلك لم يكن[2] بكسب اليد[3] حقيقةً ولا عَمَلِه[ا] من نحو الكفر وغير ذلك من الأشياء، لكنه ذَكَر اليدَ لِما باليد يكتسب في الشاهد وبها يُعمل أكثر الأعمال والأفعال، فأضاف[4] ذلك إليها لما ذكرنا وإن لم يكن منها عمل حقيقةً. فعلى ذلك إضافة اليد إلى الله فيما أضاف، على ما لو كان[5] ذلك من الخلق [٦٥٩ظ] إنما كان باليد. وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش بعد أن ذكرنا فيه ما يليق به ونفينا عنه ما لا يليق.[6] وأصل ذلك أنا عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معاني الغير [بريئا][7] عن كل صفات يوصف بها الغير على ما ذكر في كتابه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[8] فإذا كان كذلك لا حاجة[9] لنا إلى تأويل اليد وما ذكر أنه ما أراد به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أستكبرت أم كنت من العالين**، معناه -والله أعلم- **أستكبرت** للحال عند ما أبيت[10] السجود له **أم كنت** في اعتقادك **من العالين**، أي المستكبرين. ويحتمل قوله عز وجل: **أم كنت** أم صرت، **من العالين**، أي استكبرت وصرت من العالين[11] على ما ذكرنا[12] في قوله عز وجل: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[13] أي صار من الكافرين. ثم حرف الشك والاستفهام من الله قد ذكرنا أنه على الإيجاب والقطع، كأنه قال: بلى كنتَ في [علم][14] الله أنك تكفر. أو يقول: وصرتَ من العالين، أي عمن يطلب العُلو، كقوله تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ.[15]

[1] جميع النسخ: وما كسبت يداك. لزيادة و لتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٣و. ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[2] ر ث م + ذلك.
[3] جميع النسخ: به.
[4] ر ث م: أو أضاف؛ ن: وأضاف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[5] ر م: على ما كان.
[6] ر: ما يليق. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات «الاستواء على العرش».
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[8] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[9] ن ث + يقع.
[10] ث: تيت.
[11] ن + أي استكبرت وصرت من العالين.
[12] ر ث م – ذكرنا.
[13] الآية السابقة.
[14] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[15] سورة القصص، ٤/٢٨.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. ظن إبليس -عليه لعنة الله- أن النار لِما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين التسفّل والانحدارُ [ظنَّ][1] أن الذي طَبعُه الارتفاع والعلوّ خير من الذي طبعه التسفّل والانحدار؛ لذلك قال -والله أعلم-: **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. أو لِما رأى أن إصلاح الأشياء كلها ونضجها بالنار فقال كذلك.[2] لكن لو نَظَرَ[3] الملعون وحَقَّق النظر لعلم أن الطين خير من النار، لأنه من الأرض والأرض كالأصل والأمِ لغيره لأن الأشياء التي[4] يكون صلاحها ونُضجها بالنار أولُ بدئها من الأرض كالابن من الأم الوالدة على غير ما ذكر. ***والله الموفق***. ثم كفره بإبائه[5] السجودَ له لِما لم ير أمر الله له بسجود من هو خير وأعلى لمن دونه حكمة وحقا، فكفر لِما رأى أنه وضعَ الأمرَ[6] في غير موضعه.[7] ***والله أعلم***.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فاخرج منها**، قال بعضهم: أي اخرج من الجنة، وقال بعضهم: أي اخرج[8] من السماء إلى الأرض، وقال بعضهم: أي اخرج من الأرض إلى جزائر البحر. والله أعلم بذلك. وليس لنا أنْ نتكلف القطع على القول فيه أنْ أمره بالخروج مِن كذا، وقد عرف اللعين أنه ما الذي أمره بالخروج[9] منه؟

ثم ذكر مرة: **فاخرج منها**، ومرة قال: فَاهْبِطْ مِنْهَا،[10] ونحو ذلك من الألفاظ المختلفة. وكذلك ما ذكر مرة: قَالَ [يَا إِبْلِيسُ] مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[11] وقال في موضع آخر:

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[2] جميع النسخ: عند ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[3] جميع النسخ: لو يظن. والتصحيح من نسخة تيره، ورقة ٤٥٠ظ.
[4] جميع النسخ - التي. والزيادة من *الشرح*، نسخة مكة ٥٣٠، ورقة ١٢٠ظ.
[5] ر ن م: باثباته.
[6] م: الأرض.
[7] جميع النسخ: موضع الأمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[8] ن ت - أي اخرج.
[9] جميع النسخ: أنه تمادى أمره بالخروج منه؛ ر ث م: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[10] سورة الأعراف، ١٣/٧.
[11] الآية ٧٥ من هذه السورة.

مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ،[1] وقال في موضع: مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[2] ونحو ذلك على الألفاظ المختلفة، فذلك كله يدل على أن ليس على الناس حفظ الألفاظ والحروف، وكذلك ما ذكر في القِصص على اختلاف الألفاظ مكررة مُعادة. وقوله عز وجل: **فإنك رجيم،** أي لعين، كأنه قال: فإنك لعين على ألسن الناس [إذ][3] ليس يذكره أحد من أعدائه وأتباعه وأوليائه إلا وقد لعنه.[4]

**﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٧٨]**

وقوله عز وجل: **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين،** كانت اللعنة عليه إلى يوم الدين هي[5] خذلانه وطردَه عن رحمته ودينه، لِما علم [في الأزل][6] أنه لا يعود إلى اختيار توحيده وطاعته أبدا، وإلا كانت[7] عليه لعنته في الدنيا والآخرة.[8] فأما في الدنيا [فـ]ـما ذكرنا من خذلانه وتركه في العمى،[9] وأما في الآخرة [فـ]ـطرده[10] عن جنته. ***والله أعلم.***

**﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٧٩] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[٨٠] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٨١]**

ثم سأل ربه أن يُنظره إلى يوم يبعثون فأجاب[ـه] حيث قال عز وجل: **فإنك من المنظرين.** وإنما أنظره –والله أعلم– [لِما علم][11] أنه يختار الكفر والخلاف له أبدا.

ثم قوله عز وجل: **إلى يوم الوقت المعلوم،** هو يومٌ اختلف فيه. قال بعضهم:[12] الوقت المعلوم هو يوم البعث، [لأنه] إلى ذلك أنظره على ما سبق منه السؤال على النَّظِرَة إلى يوم البعث،

[1] سورة الأعراف، ١٢/٧.
[2] سورة الحجر، ٣٢/١٥.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[4] ر – وقوله عز وجل فإنك رجيم أي لعين كأنه قال فإنك لعين على ألسن الناس ليس يذكره أحد من أعدائه وأتباعه وأوليائه إلا وقد لعنه.
[5] جميع النسخ: هو.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[7] جميع النسخ: كان.
[8] يشير الإمام رحمه الله إلى أن قوله تعالى: ﴿إلى يوم الدين﴾ ليس لانتهاء الغاية وأن لعنته تدوم في الآخرة أيضا.
[9] جميع النسخ: العمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين، ورقة ٤٩و.
[10] جميع النسخ: مطرود.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[12] ر ث م – قال بعضهم.

حيث قال: [قال رب فأنظرني] **إلى يوم يبعثون**. وقال بعضهم: الوقت المعلوم هو النفخة الأولى.[١] وقال بعضهم: لم يبين له ذلك الوقت، ولذلك ذُكر منه الخوف، وهو ما قال عز وجل: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ.[٢] ولو كان بيّن[٣] له الوقت المعلوم لكان لا يخاف دون ذلك الوقت ولكنه يأمن؛ فدل خوفه أنه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله. *والله أعلم*.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٨٢] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**، وقال عز وجل: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ،[٤] كأنه يقول -والله أعلم-: إن عبادي ليس لك عليهم سلطانُ أن تغويهم[٥] إلا من كان في علمي[٦] أنه يختار الغواية ويُؤْثِر[٧] اتباعك[٨] فيكون لك[٩] عليهم سلطانُ الإغواء، فأما من كان[١٠] في علم الله أنه يختار الإيمان والتوحيد فلا سبيل لك عليهم. *والله أعلم*.

ثم قال بعضهم: **المخلصين** للتوحيد، فإن كان ذلك فيكون قوله عز وجل: **لأغوينهم**، أي لَأُوقِعنّهم في الكفر.[١١] وقال بعضهم: **المخلصين** من الهلاك، فإن كان ذلك فيكون قوله: **لأغوينهم**، أي لأهلكنهم. وقال بعضهم: **المخلَصين** من كل ذنب وكل معصية، لكنّ الوجهين الأولين أشبه وأقرب. *والله أعلم*.

---

[١] ن: الأول.

[٢] ﴿وإذ زَيّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالب لكم اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلما تَراءت الفئتان نَكَصَ على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[٣] جميع النسخ: يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٤] سورة الحجر، ٤٢/١٥.

[٥] جميع النسخ: أن يغويهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٦] جميع النسخ: في علمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٧] ر م: ولويرا؛ ث - ويؤثر.

[٨] جميع النسخ: اتباعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٩] جميع لنسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[١٠] ر م + له.

[١١] جميع السخ: لأغويهم يكون كفرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾[٨٤] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **قال فالحق والحق أقول**، قد قرئ بنصبهما جميعا: فالحقَ والحقَ أقول. وقد قرئ أيضا برفع الأول ونصب الثاني: فالحقُ والحقَ. فمن قرأ بالرفع فيكون معناه -والله أعلم-

[٦٦٠و] أنا الحقُّ والحقَّ أقول. أو مِنِّي يكون الحقُّ [والحقَّ أقول].[1] ومن قرأ على النصب فهو على التأكيد تأكيدا[2] على ما ذكر على إثره، كأنه يقول: أقول الحقَّ الحقَّ. وهو قوله:[3] **لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين.**

[٦٦٠و س١٩] *ثم ذكر عز وجل في جهنم أنه يملأها ولم يذكر في الجنة أنه يملأها. فجائز أن يكون ما ذَكَر من الْمَلإ هو أن يُضيِّقها عليهم وفي التضييق زيادةُ في الألم. أو أن يكون في سعة الجنة حكمةٌ ولا يكون ذلك في جهنم؛ لأن السعة يُطلب للنزهة والانتشار في البساتين وغير ذلك،

[٦٦٠و س٢٢] وليس ذلك في جهنم. والله تعالى أعلم بالصواب.*

ثم جائز أن يُحتجَّ بهذه[5] الآية على المعتزلة [في قولهم: إن الله أخبر أنه لا يريد الشر]، فيقال لهم: أراد الله عز وجل أن يُنجز ما وعد وأن يُصدِّق خبره الذي أخبر أنه[6] يكون أو لم يرد أن ينجز ما وعد وأن لا يخرج خبره على الصدق؟ فإن قالوا: لم يرد، أعظموا القول، لأنهم زعموا أنه أراد أن يخلف ما وعد وأن يَكذِب[7] في خبره. فذلك عظيمُ القول حيث وصفوا ربهم بالسفه؛ إذ من أراد أن يخلف وعده وأن يكذب[8] في خبره فهو سفيه على زَعم من قال ذلك. وإن قالوا: أراد أن ينجز ما وعد وأن يصدق [في] خبره، فيقال لهم: أراد أن يتبعوا إبليس أو أراد أن يؤمنوا ولا يتبعوه؟ فإن قالوا أراد أن يؤمنوا ولا يتبعوا[9] إبليس فيقال: أراد أن يَجُور ويظلم على زعمكم لأنه أراد أن يملأ جهنم ولم يرد ما يستوجبون ذلك؟ فدلّ على أن الله تعالى قد أراد ما[10] علم أنه يكون منهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: أو مني يكون الحق على هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[2] م - تأكيدا.
[3] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٨، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٠و/ سطر ١٩-٢٢.
[5] ن: فهذه.
[6] جميع النسخ + كان.
[7] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[8] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[9] ن: ويتبعوا.
[10] جميع النسخ - قد أراد ما.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٨٦]

وقوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر**، هذا يحتمل وجوها. أحدها لا أسألكم على ما أدعوكم إلى الشرف[١] والذكر في الدنيا والآخرة من أجر. ولا أحَدَ في الشاهد من يَبذُل لآخر من الشرف أو الذكر إلا ويطلب منه الأجر.[٢] فكيف تتركون[٣] اتباعي ولا يقبلون[٤] ذلك مني؟ أو يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر فيمنعَكم ثِقَلُ ذلك الأجر وذلك الغُرم عن إجابتي، كقوله عز وجل: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ.[٥] أي لست تسألهم أجرا حتى يمنعهم ثقل ذلك الغرم عن الإجابة.

وقوله عز وجل: **وما أنا من المتكلفين**، قال عامة أهل التأويل: وما أنا ممن تكلف[٦] ذلك من تلقاء نفسه[٧] ولا أمرتكم بما آمركم إلا بالوحي. والمتكلف عند الناس في الظاهر هو الذي يفعل ويقول بلا إذن. وقال أبو عَوْسَجَة: المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يَعْنيه ويفعل ما لم يُؤمَر به. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **وما أنا من المتكلفين**، أي ما أنا من المتحملين ما حُمِّلتم[٨] إذا خالفتموني. *والله أعلم*.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي ما هذا القرآن وهذا النبأ إلا عِظَة[٩] وذكرٌ لمن انتفع به.[١٠]

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **ولتعلمنّ نبأه بعد حين**، يحتمل نبأ القرآن، ويحتمل البعث والحساب، أي تعلمون أن ذلك حق بعد حين.*

---

[١] جميع النسخ: من الشرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[٢] جميع النسخ: ولا يعطيه ذلك إلا بأجر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[٣] ر م: يتركون.
[٤] ر ث م: يصلون.
[٥] سورة الطور، ٤٠/٥٢.
[٦] ن ث: تكلفت.
[٧] جميع النسخ: نفسي.
[٨] ن ث: مما حملتم؛ ر م: فما حمتم.
[٩] ر م: الأعظم.
[١٠] وقع في نسخة ث تفسير هذه الآية بتمامها بعد الآية التالية.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٨٥، فنقلناها إلى هنالك. انظر. ورقة ٦٦٠و/ سطر ١٩-٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الزمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١]**

قوله[2] عز وجل: **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم**، يقول -والله أعلم- إن الكتاب الذي يتلوه[3] رسولنا[4] محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم إليه هو تنزيلٌ من عند الله، كقوله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[5] الآية. وقوله: **العزيز الحكيم**، على إثر قوله: **تنزيل الكتاب من الله**، يخرج -والله أعلم- [على] أنه يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم إلى اتباع الكتاب والطاعة، ليس لِذُلٍّ به[6] فيطلب بكم العزَّ أو لضعفٍ[7] في التدبير فيطلب بكم الاستعانة فيه؛ لأنه عزيزٌ بذاته حكيمٌ لا يلحقه الخطأ أو الضعفُ في التدبير، ولكن إنما أمركم بما أمر ونهاكم عما نهى لتكتسبوا[8] لأنفسكم ولتنتفعوا[9] به. فأما الله سبحانه [فهو] عزيز بذاته غني حكيم بنفسه. وقال بعضهم: **العزيز**، هو الذي لا يُعجِزه شيء، **والحكيم**، هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. وقال بعضهم: هو **العزيز**، لأنّ كل عزيز دونَه[10] يصير ذليلا عند[11] عزه،[12]

---

[1] ر – سورة الزمر؛ ن م + مكية؛ ث + وهي خمس وسبعون آيت مكية.
[2] ر: وقوله.
[3] ن ث: يتلو.
[4] ن – رسولنا.
[5] ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (سورة الشعراء، ١٩٢/٢٦-١٩٤).
[6] أي بالله.
[7] جميع النسخ: أو الضعف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠و.
[8] ر ث م: ليكتسبوا.
[9] جميع النسخ: ولينتفعوا.
[10] جميع النسخ + إذا.
[11] ن: عبد؛ ر ث م – عند. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠و.
[12] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٥٠و.

ويكون[1] عزُّ مَن دونه عند عزّه ذُلّا؛ والحكيم هو المصيب في فعله وتدبيره. وقيل: هو الذي وضع كل شيء موضعَه. وقال بعض أهل التأويل: **العزيز**، هو المنيع. وتأويل المنيع الممتنع عن جميع مكائد الخلق وعن جميع[2] حيلهم بالضرر له. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[3] *والله أعلم*.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق**. يحتمل قوله عز وجل: **بالحق**، أي بالحق الذي لله عليكم وبالحق الذي لبعضكم على بعض. أو يحتمل[4] ما[5] ذكر[6] أهل التأويل: **بالحق**، أي للحق، أي أنزلناه للحق، لم نُنزله عبثا باطلا لغير شيء ولكن أنزلناه لحق الحقوق والأحكام[7] ومحنٍ وأمور. *والله أعلم*.

وقوله: **فاعبد الله مخلصا له الدين**، جائز أن يكون ما ذُكر من إنزاله الكتاب بالحق[8] هو ما أمر[9] من العبادة له [بقوله: **فاعبد الله مخلصا له الدين**]، أمر[10] بوفاء ذلك الحق له. ثم يحتمل قوله: **فاعبد الله مخلصا له الدين** وجهين. أحدهما أصل في الاعتقاد، أي اعتقد جَعْلَ [٦٦٠ظ] كل عبادة وطاعة لله خالصا لا شرك لأحد فيها.[11] والثاني في المعاملة، أي[12] كلَّ عبادة وطاعة[13] اجعله لله خالصا لا تجعل[14] لغيره فيه شركا.[15] *والله أعلم*. وأما أهل التأويل [فقد] قالوا: **فاعبد الله**، وحّدِ الله **مخلصا له الدين**. وتأويل هذا أن اجعل الوحدانية والألوهية لله في كل شيء.

[1] ر ن م - ويكون.
[2] ر م: وجميع.
[3] انظر مثلا عند تأويل الآية ١٢٩ من سورة البقرة، والآية ٦٦ من سورة هود.
[4] جميع النسخ - يحتمل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[5] جميع النسخ: لما.
[6] ر ث م - ذكر.
[7] ث: وأحكام.
[8] جميع النسخ + ذلك.
[9] جميع النسخ: أمره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[10] جميع النسخ: أمره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[11] جميع النسخ: لا يعتقد أحد شركاء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠و.
[12] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[13] ن ث: كل أمر وعبادة.
[14] ث: لا يجعل.
[15] جميع النسخ: شركاء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠و.

**﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **ألا لله الدين الخالص**، أي لله[1] شهادة الوحدانية والألوهية في كل شيء. ويحتمل أيضا قوله عز وجل: **ألا لله الدين الخالص**، أي دين الله هو الدين الخالص؛ لأنه دين قام بالحجج والبراهين، وأما غيره من الأديان فهو دين [يقوم] بهوى[2] النفس وأمانيها لا بالحجج والآيات. *والله أعلم*.

وقوله: **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**، كأن فيه إضمارا،[3] يقول: **والذين اتخذوا من دونه أولياء**، وعَبَدُوها قالوا: **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**.[4] وقالوا في موضع آخر: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.[5] عرفوا أن ما كانوا يعبدون من الأوثان وغيرها ليسوا بآلهة في الحقيقة ولا لهم الألوهية حقيقةٌ وأن حقيقة الألوهية لله، لكنهم سَمَّوْها آلهة لأنهم كانوا يعبدونها. وكلُّ معبود عند العرب إله، لأن الإله هو المعبود، وقد رأوا تسمية كل معبود إلها،[6] لذلك سموها آلهةً وإن عرفوا أنْ ليست لهذه الأشياء ألوهيةٌ حقيقة وأن ذلك لله عز وجل.

ثم إن الذي حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله وجهان. أحدهما لما لم يروا أنفسهم تصلح[7] لعبادة[8] الإله العظيم أو تقدر[9] على القيام بخدمته، فعبدوا هذه الأشياء رجاءَ أن تقرِّبهم[10] عبادة هؤلاء إلى الله زلفى، وأنْ [يكون] هؤلاء شفعاءهم عنده.[11] وذلك ما رأوا في ملوك الدنيا أنْ لا كلُّ[12] أحد يجد السبيل إلى خدمة ملوكها أو يقدر على القيام بين أيديهم والخدمة لهم.[13]

---

[1] جميع النسخ: أي ولله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[2] ر ن ث: فهوى؛ م: تهوى. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[3] جميع النسخ: إضمار. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠و.
[4] «وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: والذي اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٤و).
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[6] ر ن: لها؛ م: بها.
[7] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[8] ر: لعبادة.
[9] جميع النسخ: يقدر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠ظ.
[10] جميع النسخ: أن يقربهم.
[11] ر ن م: عندهم.
[12] ر م: أن كل.
[13] جميع النسخ: بين يديه والخدمة له.

فيخدم من اتصل[1] بالْمَلِك ومن عظم قدره ومنزلته عند الملِك ليقرِبه ذلك المخدومُ له إلى الْمَلِك إذا بدت له الحاجة أو الشفاعة. وعلى ذلك ما ذُكِر في قصة فرعون أنه كان اتخذ لقومه أصناما يعبدونها من دونه لِما لم ير كلَّ أحدٍ منهم يصلح الخدمة. وهذا ما أغراه[2] قومه على موسى، حيث قالوا: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ،[3] ونحوه، هذا وجه.[4]

والثاني عَبَدُوها[5] لِما رأوا آباءهم قد عبدوها وتُركوا على ذلك حتى ماتوا[6] فاستدلوا بتركهم[7] على ذلك على أن الله قد رضي[8] بعبادتهم الأصنامَ وأَمَرَهم بذلك لقولهم: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[9] ولذلك قالوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا،[10] وقولهم: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ.[11] استدلوا بتركه[12] آباءهم على ما عبدوا من الأصنام على ذلك ولم يعاقبهم في الدنيا -وكانوا لا يؤمنون بالآخرة حتى [يتفكروا عسى أنه][13] يؤخرهم[14] إليها- على أن الله قد رضي عنهم[15] بذلك وأنهم عن أمر منه فعلوا ذلك؛ فردّ الله ذلك عليهم فقال:

**إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون.** يحتمل قوله: **في ما هم فيه يختلفون،** [أي يختلفون] في محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم اختلفوا فيه. فمنهم من قال: إنه ساحر،

---

[1] ر ن م: فيخدم من أهل.
[2] جميع النسخ: وهو ما أغرى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[3] ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ (سورة الأعراف، ١٢٧/٧).
[4] جميع النسخ: ونحو هذا أوجه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[5] جميع النسخ: عبدوهم.
[6] ق ث م: تابوا.
[7] ر ن م: تركهم.
[8] جميع النسخ: قد كان رضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[9] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[10] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[11] ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ (سورة النحل، ٣٥/١٦).
[12] ر ن م: تركه.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.
[14] ر ث م: يزجرهم.
[15] ر م - عنهم.

ومنهم من قال: إنه شاعر، وإنه مجنون، وإنه مفترٍ[١] ونحوه. فيخبر أنه يحكم بينهم ليبين لهم أن ما ذكروا ذكروا بهواهم.[٢] أو يحكم بينهم أن الأصنام التي عبدوها لا يشفع لهم وأنّ عبادتهم لا تقرّبهم[٣] إلى الله زلفى.[٤] ثم وقد بيّن [الله تعالى][٥] لهم في الدنيا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذّاب على ما قالوا، لِمَا أنبأهم وأخبرهم بأخبار عرفوا أن الساحر والشاعر[٦] لا يعرف مثلَها نحو ما أخبرهم بنصر الله إياه والظفر له عليهم -أعني على الأعداء- فكان على ما أنبأهم. وكذلك ما أنبأهم بأنباء وأخبار[٧] ما لا يستفاد مثلُها بالسحر ولا بالكهانة[٨] إلا بالوحي[٩] من الله عز وجل، لكنهم عاندوا وكابروا. وكذلك بيّن لهم أيضا ما عرفوا أن الأصنام التي عبدوها في الدنيا لا تملك[١٠] لهم الشفاعة يوم القيامة؛ حيث ابتلاهم بأهوال وأفزاع بركوب البحار والتضييق عليهم [بالجدب والقحط][١١] حتى فزعوا إلى الله في كشف ذلك عنهم ودفعه منهم، لم يفزعوا إلى الأصنام التي عبدوها. وهو ما قال عز وجل: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[١٢] وقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[١٣] ونحو ذلك. ولم يدفع ما عبدوه مَا ابْتُلُوا بذلك من الشدائد والبلايا[١٤] عرفوا أن معبودهم الذي عبدوه لا يملك دفع ذلك عنهم ولا كشفه وإنما المالك لذلك هو الله المعبود الحق. ثم يناقض فعلُهم[١٥] قولَهم[١٦] لأنهم كانوا ينكرون رسالة النبيين بقولهم:

---

[١] جميع النسخ: مفترى.

[٢] ر: أن ما ذكروا هواءهم؛ ن ث: أن ما ذكروا هواؤهم؛ م: أن ما ذكروا هواهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ٥٠ظ.

[٣] جميع النسخ: لا يقربهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠ظ.

[٤] «ويحتمل أيضا: أي يحكم بينهم في الذي يختلفون فيه في الدين: أيهما أحق، الذي عليه محمد أو الذي هم عليه؟» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٤و).

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.

[٦] ن ث: ولا الشاعر.

[٧] جميع النسخ + عرفوا أن صادق في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠ظ.

[٨] ر م: وبالكهانة.

[٩] م: بوحي.

[١٠] ر ث م: لا يملك.

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.

[١٢] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.

[١٣] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.

[١٤] جميع النسخ: ونحو ذلك ما ابتلاهم بالشدائد والبلايا. والتصحيح من مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٤و.

[١٥] ر ث م: فعلهم.

[١٦] جميع النسخ: وقولهم.

أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[1] فيرون للخشب والأشجار الألوهية والعبادةَ فذلك تناقض ظاهر. قال بعضهم في قوله: **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى،** أي مَقْرَبة فيشفعون لنا إلى الله تعالى.[2] **إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون.**

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار.** قال أبو بكر [الأصم: أي][3] **لا يهدي،** أحدا[4] بالضلال والكفر ولكن إنما يهدي بضد الضلال والكفر، أو كلام نحوه. وقال الْجُبَّائِي:[5] **لا يهدي** طريق الجنة في الآخرة، أي لا يهدي من كان في الدنيا كاذبا كفّارا في الآخرة طريق الجنة.* وقال جعفر بن حرب:[7] **إن الله لا يهدي،** إلى الزيادات التي يَهْدِي ويعطي[ها] من اختار[8] الهدى؛ لأنه يقول: إن من اختار الهدي واهتدى كان [له] عند الله لطف[9] ورحمةٌ يُعطِي ذلك زياداتٍ وفضلَ زيادة على من[10] كان اختاره، كقوله عز وجل: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ.[11] هذه التأويلات كلها للمعتزلة.

وأما عندنا فإن قوله: **إن الله لا يهدي** مَنْ هو في علمه أنه يختار الكفر وقتَ اختياره الكفر والضلالَ، أي لا يوفِّقه الهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يَخْذُله. وكذلك نقول[12] في قوله عز وجل: وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[13] و الْكَافِرِينَ،[14] ونحوه، أي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم. *والله الموفق.*

---

[1] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.

[2] جميع النسخ + وقوله.

[3] الزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٠ظ.

[4] م: أحد.

[5] أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، رد عليه الأشعري (انظر: الأعلام للزركلي، ٢٥٦/٦).

* وقعت هنا قطعة من تفسير هذه الآية، فأخرناها إلى آخر الآية، انظر: ورقة ٦٦٠ظ/ سطر ٣٩-٦٦١و/ سطر ٢.

[7] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: الأعلام للزركلي، ١٢٣/٢).

[8] جميع النسخ: من خبار. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ١٧٨ظ.

[9] ر م: لطفا.

[10] جميع النسخ: ما.

[11] سورة محمد، ١٧/٤٧.

[12] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤ ٦ط.

[13] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٥٨/٢؛ وسورة آل عمران، ٨٦/٣؛ وسورة التوبة، ١٩/٩.

[14] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٦٤/٢؛ وسورة التوبة، ٣٧/٩.

والثاني **لا يهدي**، أي لا يخلق فِعلَ مَنْ[1] فعلُه[2] [فعلَ] كفرٍ فعل هدًى[3] ولكن يخلق فِعلَ كفرٍ، وكذلك [لا يخلق][4] فِعلَ من[5] فعله[6] [فعل] هدًى[7] فِعلَ كُفرٍ، ولكن يخلق كلَّ فعل على ما[8] يفعله الفاعل ويختاره: يخلق فعلَ الكافر كفرا وفعل المهتدي فعلَ هدى؛ يخلق كلَّ فعل على ما يختاره الفاعل ويفعله، إن كان هدى يخلقه هدى وإن كان كفرا يخلقه كفرا. وقال بعض أهل التأويل: **إن الله لا يهدي** من كان في علمه أن يُختَم بالكفر ويَخرج به من الدنيا. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **من هو كاذب كَفّار** يحتمل وجهين. أحدهما: **من هو كاذب**[9] على رسول الله صلى الله عليه وسلم[10] **كفار** لنعم الله. والثاني[11] كاذب في القول كفار في الفعل. ***والله أعلم***.

[٦٦٠ظ س٣٩] *وجائز أن يكون قوله عز وجل: / **إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**، [كاذبٌ في] قوله:[12] **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**، [وقوله] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[13] **كفارٌ** لنعمه بصرفه[14] العبادةَ إلى غير المنعم.* [٦٦١و س٢]

﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء**، ظاهر هذا أن اتخاذ[16] الولد له من المحتمل والممكن ليس من الممتنع. وكذلك ظاهر قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا،[17]

---

[1] جميع النسخ + هو.
[2] جميع النسخ: فعل. الزيادة والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥١و.
[3] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[4] والزيادة من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[5] جميع النسخ + هو.
[6] جميع النسخ: فعل. الزيادة والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥١و.
[7] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[8] ن + هو.
[9] جميع النسخ + كفار. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق، ورقة ٦٥٤ظ.
[10] جميع النسخ + والثاني. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق، ورقة ٦٥٤ظ.
[11] جميع النسخ – الثاني. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق، ورقة ٦٥٤ظ.
[12] جميع النسخ + عز وجل. الزيادة والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[13] سورة يونس، ١٠/١٨.
[14] جميع النسخ: بصرفهم.
* وقع ما بين النجمتين قبل بضعة أسطر، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٠ظ/ سطر ٣٩- ٦٦١و/ سطر ٢.
[16] جميع النسخ: أن إيجاد. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[17] سورة الأنبياء، ٢١/١٧.

ظاهر هذا الذي ذكر هو من المحتمل والممكن[1] [دون الممتنع المستحيل. لكن قد أقام دلالة الامتناع والإحالة على إثره بقوله: **سبحانه هو الله الواحد القهار**، نزه نفسه عن ذلك بقوله: **سبحانه**. والله تعالى لا ينزه من المحتمل الممكن ولا من الواجب فكان من الممتنع ضرورة][2] وكان [من] الممتنع أيضا لقوله[3] عز وجل: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا،[4] فدلّت[5] هذه الآيات على أن اتخاذ[6] الولد له[7] من الممتنع والعظيم في العقول والقلوب جميعا.

ثم قوله: **لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء**، أي لو جاز أو احتمل اتخاذُ[8] الولد على ما تقولون[9] أنتم وتتوهمون[10] لاصطفى واختار مما يشاء هو [ما] شاء، ليس على ما تختارون[11] أنتم له وتشاءون:[12] أن الملائكة بنات الله على ما تزعمون؛ إذ العرف في الخلق أن من اتخذ لنفسه شيئا إنما اتخذ مِن أعزّ الأشياء وأرفعها وأعظمها قدرا عندهم، لا[13] من أخس الأشياء وأذلّها،[14] وهو كقوله عز وجل: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[15] أي إلى آلهتهم[16] التي اتخذ[ها] أولئك آلهة لا أنها آلهة[17] في الحقيقة، ولكن سماها بالذي عندهم.

---

[1] ن + والممتنع.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ.

[3] جميع النسخ: كقوله.

[4] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.

[5] جميع النسخ: دلت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ.

[6] جميع النسخ: إيجاد. والتصحيح من المرجع السابق، نفس الورقة.

[7] ر م - له.

[8] جميع النسخ: إيجاد. والتصحيح من المرجع السابق، نفس الورقة.

[9] ن ث: يقولون.

[10] ث: ويتوهمون.

[11] ن م: يختارون.

[12] ر م: وتتشاءون؛ ن: يشاءون.

[13] ث: الا.

[14] يقول الشارح رحمه الله: «فعلى ذلك لو أراد الله تعالى أن يتخذ الولد على ما في ظنونكم لاختار مما ذكر دون ما تقولون، لكنه ذَكَرَ اتخاذَ الولد بناءً على زعمكم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٥٤ظ).

[15] سورة الصافات، ٣٧/٩١.

[16] م - أي إلى آلهتهم.

[17] ر م - لا أنها آلهة.

وكذلك قول موسى عليه السلام: وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[١] أي انظر إلى الذي اتخذته[٢] إلها، سماه على ما هو عنده. فعلى ذلك قوله عز وجل: **لو أراد الله** على ما في ظنونكم وتوهمكم أنه اتخذ الولد لاختارَ مما ذَكَر لا مما تقولون أنتم، أي[٣] لو احتمل ذلك على ما في ظنكم[٤] وحِسبانكم لكان مما ذكر.

والثاني أن[٥] معنى الاتخاذ[٦] راجع إلى التبني؛[٧] إذ كانت الكفرة ينسبون الملائكة إلى أنهم[٨] بناته، لما عرفوا من كرامتهم على الله عز وجل وقدرهم[٩] عنده فينسبونهم[١٠] إلى أنهم بناته، و[كذلك النصارى إذ زعموا][١١] أن عيسى ابنه. وإنما[١٢] تتخذ[١٣] الأولاد وتُتَبَنَّى[١٤] ليُستَنصر بهم.[١٥] فبرأ[١٦] الله عز وجل نفسه عن احتمال الشكل وخوف الغلبة فقال: **سبحانه هو الله الواحد القهار**، ثم نزه نفسه عما قالوا فيه ونسبوا إليه من الولد وغيره، وهو قوله عز وجل:

**سبحانه هو الله الواحد القهار**، في قوله عز وجل: **الواحد**،[١٧] دفع ما قالوا فيه وإحالة ذلك لما أخبر أنه واحد في الذات، ولو[١٨] كان له ما ذكر هؤلاء من الولد لم يكن واحدا[١٩] في الذات،

---

[١] سورة طه، ٢٠/٩٧.
[٢] ر ن م: اتخذبه.
[٣] ر م - أي.
[٤] ن ث: ظنونكم.
[٥] ر م - أن.
[٦] جميع النسخ: مبنى الإيجاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ.
[٧] جميع النسخ: البنين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ.
[٨] ن: الانهم.
[٩] جميع النسخ: قربتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ.
[١٠] ر ث م: وينسبونه؛ ن: ينسبونه.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٤ظ. جميع النسخ + إلى.
[١٢] ر ث م: إنما.
[١٣] جميع النسخ: يتخذ.
[١٤] جميع النسخ: ويتبنى.
[١٥] جميع النسخ: يستنصروا بهم.
[١٦] ن ث م: فبرأه.
[١٧] جميع النسخ + القهار.
[١٨] ث: لو.
[١٩] جميع النسخ: واحد.

إذ كلُّ محتملِ الولد منه هو من شكل الولد، فإذ عرَفهم أنه واحد في الذات لم يحتمل الولد وما ذكروا. وفي قوله عز وجل: **القهار**، دلالة إحالة ذلك، لأنه أخبر أنه قهار. والولد في الشاهد إنما يتخذ لأحد وجوه: إما لوحشة[1] أصابته فيستأنس به،[2] وإما[3] لحاجة تمسّه فيدفع بالولد ذلك، وإما لغلبة[4] شهوة فيقضيها فيتولّد من ذلك الولد، وإما لوراثة ملكه بعد موته، وهو دائم باق لا يزول ملكه أبدا، وإما للاستعانة به والنصرة على أعدائه. لأحد هذه الوجوه التي[5] ذكرنا يحتاج المرء إلى اتخاذ الولد[6] [والله] قادر بذاته قاهر غني فلا يحتمل[7] ما ذكروا.[8] *والله أعلم*.

**﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، يحتمل قوله: **بالحق**، أي بالحق الذي لله عليهم ولما لبعض[9] على بعض من الحق. أو أن يكون قوله: **بالحق**، أي للحق وهو البعث ما لو لم يكن البعث لكان خلقهما عبثا باطلا على ما ذكر في آية أخرى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[10] وقوله عز وجل: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[11] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، أي بالحكمة، وهو أن جعل في خلقة كل شيء أثرَ وحدانيته وألوهيته ما يعرف كلٌّ أنه فعله وإن لم يشاهد خلقه وفعله،[12] على ما يكون ذلك / في فعل أحد من الخلائق إثر معرفة فاعله.[13] *والله أعلم*. [٦٦١ظ]

---

[1] ر: الوحشة.
[2] ر ث م - به.
[3] ث: إما.
[4] ر: الغلبة.
[5] ر ن م - التي.
[6] ن + فإذ كان الله سبحانه كان واحد في الذات. ث + فإذ كان الله سبحانه كان واحد بذاته.
[7] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٤ظ.
[8] ث: ما ذكر.
[9] ر ث: ولما بعض؛ م: وما لبعض.
[10] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[11] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[12] جميع النسخ: وقوله.
[13] «لمشاركة الأغيار له في ذلك» (شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥١٥و).

*وقوله عز وجل: **يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل.** قال[1] بعضهم: أي يُدخِل أحدهما على الآخر. كقوله: يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ[2] الآية. وقال بعضهم: **يكوّر الليل على النهار**، أي يُغشي أحدهما بالآخر، كقوله: يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا.[3] وقال بعضهم: **يكور**، أي يَلُفّ هذا بهذا وهو من كَوْر العمامة. ومنه قوله: إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ،[4] أي جمعت ولُفت. وأصل التكوير اللف والجمع،[5] وهو قول أبي عَوْسَجة والقُتَبِي.* [٦٦١ظ س١٤ / ٦٦١ظ س١٨]

وقوله عز وجل: **يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل [وسخر الشمس والقمر**، كما ذكر في آية أخرى:] يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ،[7] يذكر دلالة وحدانيته حيث جعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع النهار متصلة بمنافع الليل على اختلافهما وتناقضهما وتضادّهما ليُعلم أنهما فعلُ واحدٍ. وكذلك ما جعل من منافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بُعْد ما بينهما ليُعلَم أن منشئهما واحد؛ إذ لو كان عددا لامتنع ذلك، إذ[8] المعروف من عادة الملوك انفراد كلٍّ بملكه وسلطانه والاستيلاء على ما استولى وقبض يد[9] الآخر، ونفاذُ أمره في سلطانه، فإذ لم يمتنع ذلك دلّ أنه فعل واحدٍ. وكذلك[10] ما ذكر من تسخير الشمس والقمر لهم ولمنافعهم وجريتهما[11] في يوم واحد مسيرةَ ألفِ عامٍ أو ما ذكر من غير أن يعرف أحد سيرهما أنهما يسيران وقت سيرهما إلا بعد قطعهما ذلك. دلّ أنّ لهما مُنشِئا[12] وأنه واحد، ودلّ اتساقهما وجريانهما على سير واحد منذ كانا إلى آخر ما يكونان ويدوران على أن منشئهما واحد عالم مدبِّرٌ عرف حاجة [الخلق][13] إليهما أبدَ الآبدين ومنافعَهم بذلك.

---

[1] جميع النسخ: وقال.

[2] سورة الحج، ٦١/٢٢؛ وانظر أيضا: سورة لقمان، ٢٩/٣١؛ وسورة فاطر، ١٣/٣٥؛ وسورة الحديد، ٦/٥٧.

[3] سورة الأعراف، ٥٤/٧.

[4] سورة التكوير، ١/٨١.

[5] م – والجمع.

* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير قوله: ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦١ظ/ سطر ١٤–١٨.

[7] جميع النسخ + مر قريب. سورة الحج، ٦١/٢٢.

[8] جميع النسخ + العدد. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٥و.

[9] جميع النسخ: بر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٥و.

[10] ن: وكذلك.

[11] ن: وجريانهما.

[12] ن ث: منشئ.

[13] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٥٥و.

وقوله عز وجل: **كل يجري لأجل مسمى**، أي كل مما ذَكَر يجري إلى الوقت الذي جعل له، لا يتقدم ولا يتأخر ولا ينقطع ما كان للخلق[1] إليهما[2] حاجة. *والله أعلم*. أو إلى منازلَ معلومةٍ لا يجاوزانها.

وقوله عز وجل: **ألا هو العزيز الغفّار**، هو **العزيز** بذاته لا يتعزز بما ذكروا له من الأولاد ولا بطاعة مَنْ أطاعه. **الغفار** لمن كان[3] أهلا للمغفرة ولا[4] تُخرج[5] مغفرته إياه عن الحكمة. *والله أعلم*.*

**﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾**[٦]

وقوله عز وجل: **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**، ظاهر هذا أنه خَلَقَنا من تلك النفس قبل خلق زوجه منها، لأن حرف "ثم" إنما هو حرف إتباع و إرداف وحرف ترتيب لا حرف جمع، فإذا كان كذلك فظاهره يوجب ما ذكرنا. لكنّ أهل التأويل اختلفوا في معنى ذلك وتفسيره.[7] ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في بعض الروايات أنه تأول[8] في ذلك وقال:[9] خلقكم من نفس كانت واحدة ثم جعل منها زوجها، أو كلام نحو هذا. وعندنا أن قوله عز وجل: **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**، يخرج على ظاهر ما ذَكَر، لكنّ الخلق هو التقدير في اللغة، كأنه قال عز وجل: **خلقكم**،[10] أي قدّركم جميعا على كثرتكم من أول ما أنشأكم إلى آخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة، منها قَدَّركم.[11]

---

[1] ر: باحق.
[2] ر ث م – إليهما.
[3] جميع النسخ + له. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٥و.
[4] ر ث م: ما لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٥و.
[5] جميع النسخ: يخرج.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية هذه، فنقلناها إلى محله قبل أسطر. انظر: ورقة ٦٦١ظ/ سطر ١٤-١٨.
[7] ر م + ذلك.
[8] جميع النسخ: تأويل. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٥و.
[9] جميع النسخ + عز وجل. والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.
[10] ر م + من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها أو كلام
[11] جميع النسخ: قدرنا.

وقوله عز وجل: **ثم جعل منها زوجها**، ثم أخرجَها منها: من تلك النفس وزوجَها. وإلا كان تقديره إيانا منها[1] قبل [خلق] زوجها منها –وهو الظاهر على ظاهر ما خرج الكلام. *والله أعلم*. ثم كان منه خلق ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله: **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**، ظاهر الإنزال هو أن يُنزل من عُلوٍ مرتفع إلى سُفل منحدر.[2] لكن اللغة لا يمتنع عن استعمال لفظ الإنزال لا على حقيقة الإنزال[3] من علو إلى سفل. يقال: نزل فلان بأرضٍ كذا[4] أو بمكان كذا،[5] وإن لم يكن هناك منه نزول من علو إلى منحدر وسُفل، فعلى ذلك هذا. وأصله أن كلّ حرف من حروف الإنزال وغيره مما أضيف إلى الله عز وجل مما يستقيم صرفه إلى [لفظة] الخلق [يجب الصرف إلى ذلك ويقال:][6] إن المراد منه خلقه، نحو قوله عز وجل: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ،[7] [وقوله][8] وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ،[9] وغير ذلك مما يكثر ذكره، فهو خلقه إياه. فعنى ذلك قوله عز وجل: **وأنزل لكم من الأنعام**، أي خلق لكم من الأنعام ما ذكر على ما ذكر: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ،[10] أي خلق لكم ما ذكر، فعلى[11] ذلك حرف الإنزال. *والله أعلم*.

ثم ظاهر قوله: **من الأنعام ثمانيةَ أزواجٍ**، يجيء أن يكون على أحد وجوه ثلاثة: إما أن لا يُسمَّى الأنعام ولا يكون إلا الثمانيةَ الأزواج التي ذَكَر أنه خلقها لنا. فإن كان على هذا فيكون حرف "مِن" هاهنا صلة، كأنه قال عز وجل: وأنزل لكم أنعاما وهي ثمانية أزواج. أو أن يُسمَّى كل ما خلق من الدواب أنعاما إلا أنه لم يُحل لنا منها إلا الثمانية الأزواج التي ذكر.

---

[1] جميع النسخ + كان.

[2] جميع النسخ: إلى تسفل ومنحدر.

[3] م + لا عى حقيقة الإنزال.

[4] ر ث م – كذا.

[5] ن ث + أو ببيد كذا.

[6] جميع النسخ: إلى خلقه. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٥و.

[7] سورة الأعراف، ٢٦/٧.

[8] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٥٥و.

[9] سورة الحديد، ٢٥/٥٧.

[10] سورة النحل، ٧٨/١٦؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ٩/٣٢؛ وسورة الملك، ٢٣/٦٧.

[11] ر: فعن.

فإن كان هذا فيكون حرف "من" من[1] حروف[2] تبعيض وتجزئة. أو أن يسمّى كلُّ الدوابّ
[٦٦٢و] أنعاما إلا أنه / لم يُحِلَّ لنا كل شيء[3] من جميع أنواع الانتفاع بها من الأزواج التي ذَكَر، فإنه قد أحل لنا كل شيء من هذه الأصناف الثمانية من لحومها وألبانها وأصوافها وكل شيء منها. وأما ما سوى ذلك من الأنعام فإنه لم يحل لنا كل شيء منها من اللحوم وغيرها ولكنْ أحلَّ لنا الانتفاع بظهورها من نحو الحمير والبغال وغير ذلك مما يُشتهى. ***والله أعلم.***

ثم ثمانية[4] الأزواج التي ذكر أنه[5] خلَقَها لنا في هذه الآية هي التي ذكرها في سورة الأنعام، وهو قوله: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ -إلى قوله- وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ،[6] إلى آخر ما ذكر. فيُشبه أن يكون ما ذكر من ثمانية الأزواج أنه [ما] أُنزل لنا في سورة الزمر التي هي أحلَّ[7] لنا كلَّ شيء منها. وأما ما سوى ذلك فإنه إنما أحل لنا الانتفاع بها لم يحل لنا أكلها؛ لأنه ذكر في سورة الأنعام الأكلَ[8] ثم ذكر على إثر هذه الثمانيةَ الأزواج الإبل والبقر والضَّأْن والْمَعْز، حيث قال عز وجل: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، ثم قال عز وجل: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، إلى آخر ما ذكر.[9] وهذا يدل على أن قوله عز وجل: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ،[10] إنما هو مما ذكر، أي لا أجد محرما من هذه الأصناف الثمانية إلا ما ذكر من الدم والميتة ولحم الخنزير. ثم يخرج استثناء لحم[11] الخنزير مخرج استثناء غير الجنس[12] المذكور على إضمار كون ذلك الغير فيه.

---

[1] ر م – من.
[2] ث: حرف.
[3] جميع النسخ – منها.
[4] جميع النسخ: ثم الثمانية.
[5] ر م: أنها.
[6] سورة الأنعام، ٦/١٤٣-١٤٤.
[7] ث: أحلت.
[8] ر ن ث: الأحل.
[9] ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ إلى آخر الآيتين (سورة الأنعام، ٦/١٤٢-١٤٤).
[10] سورة الأنعام، ٦/١٤٥.
[11] ر م: هم.
[12] جميع النسخ: جنس. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٥ظ.

وذلك[1] جائز في الكلام، كقوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[2] كأنه قال: أحلت لكم بهيمة الأنعام والاصطياد إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد؛ فعلى ذلك الأول كأنه أضمر فيه استثناء لحم الخنزير منه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق،** قال أهل التأويل: تحويله من حال إلى حال: من نطفة إلى عَلَقَة ثم إلى مُضْغَة حتى يتم خلقا مستويا؛ **في ظلمات ثلاث،** قيل الرحم والبطن والمَشِيمةُ، وقيل: الظهر. يخبر عن قدرته وعلمه وتدبيره أنه حيث قدر على خلق الإنسان وكلِّ خلق في تلك الظلمات الثلاث والتسوية بين كل شيء منه من اليدين والرجلين والعينين والأذنين والسمعين والبصرين، وقسمةِ الأعضاء على السواء حتى لا يزداد إحدى اليدين على الأخرى؛ وكذلك إحدى الرجلين وإحدى العينين وإحدى الشفتين، وكذلك كل شيء منه في تلك النطفة من العينين واليدين والرجلين والبصر وكلُّ الجوارح ما لو اجتمع الحكماء جميعا حكماءُ البشر لم يعرفوا كون شيء من الجوارح والنفس وتقديرها من تلك النطفة وتصويرها منها. لِيُعلَم أنه قادر على خلق الأشياء من شيء ومن لا شيء وبسبب وبغير سبب، وما جعل من الأسباب لبعض الأشياء لم يجعلها استعانة منه[3] بها على إنشاء ذلك، وأنّ مَنْ قدر على تقدير ما ذكر تصويرَه في الظلمات التي ذُكِر على السبيل التي ذكر فإنه لا يخفى عليه شيء ولا يُعجزه شيء. يحتج عليهم لإنكارهم البعث وإنكارهم بعث الرسل والحجج. يخبر أنّ مَن فعل ما ذكر من تغييرهم من حال إلى حال وتحويلهم من صورة إلى صورة أخرى أنه لا يفعل ذلك ليتركهم سُدًى: لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم. ثم إذا امتحنهم لا يحتمل أن لا يبعثهم لِيَجْزي المُسيء منهم والعاصي جزاء الإساءة والعصيان، والمحسن منهم والمطيع جزاءَ الإحسان والطاعة؛ إذ[4] قد سوى بينهم في هذه الدار، وفي الحكمة والعقل التفريقُ بينهما، فلا بد من دار أخرى يفرَّق بينهما. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم له الملك،** يحتمل **ذلكم الله ربكم،** أي ذلكم الله الذي ذكر من تقديركم وتصويركم في ظلماتِ تلك النطفة هو ربكم الذي فعل ذلك.

---

[1] ر م + غير.

[2] سورة المائدة، ٥/١.

[3] م: منها.

[4] ر م: أن.

أو أن يكون قوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم له الملك**، أي جميع ما ذكر من قوله عز وجل: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ،[1] وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وجريانهما على سَنَنٍ واحد وعلى قدر واحد، وما ذكر من خلقنا جميعا من تلك النفس الواحدة إلى آخر ما ذكر. يقول: ذلكم الله الذي فعل كلّه هو ربكم، **لا إله إلا هو فأنى تُصرَفون**، أي فأنى تَصْرِفون عبادتَكم إلى غيره، أو فأنى تصرفون ألوهيته وربوبيته إلى غيره ويجعلون له شركاء وأعدالا وقد تعلمون أن الذي فعل ذلك كلّه هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مِثل. أو يذكر أن ما ذكر من النعم التي أعطاكم وأسدى إليكم هو ربكم الذي خلقكم فكيف تصرفون شكرها إلى غيره. *والله أعلم*.

**﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [٧]

وقوله عز وجل: **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم**، روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: / **إن تكفروا فإن الله غني عنكم**، [٦٦٢ظ] أي إن[2] تكفروا[3] دين الله الإسلام و لم تُسلموا[4] فإنه لا يُقبل منكم، **وإن تشكروا**، أي وإن تسلموا، **يَرْضه لكم**، أي يقبله[5] منكم، كقوله: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.[6] وقال غيره: [**إن تكفروا**] أي إن تكفروا دينه فإن الله غني عن عبادتكم، **وإن تشكروا**، أي توحدوه وتعبدوه،[7] **يرضه لكم**. وهو قريب[8] من الأول. وجائز أن يكون قوله: **إن تكفروا** النِّعَم التي عدّها عليكم فيما تقدم ذكرها من قوله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ،[9]

[1] الآية السابقة.
[2] جميع النسخ – إن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٥٥ظ.
[3] ر م: تكفرون.
[4] ر م: و لم يتسلموا.
[5] ر م: أي يقبل.
[6] سورة آل عمران، ٨٥/٣.
[7] ر م – وتعبدوه.
[8] ر ث م – وهو قريب.
[9] الآية ٥ من هذه السورة.

وقوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ،[١] إلى آخر ما ذكر من النعم. يقول: إن تكفروا هذه النعم التي عدّها عليكم فإنه غني عنكم، وإن تشكروا ما عدّ عليكم من النعم يقبل ذلك منكم. ***والله أعلم.***

وأصله أن الله عز وجل بيّن سبيل الهدى ورغّبهم[٢] إليه وبيّن سبيل الضلال وحذّرهم عنه. ثم بيّن أن من سلك سبيل الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال[٣] أفضاه إلى كذا. أو أن يقول: إنّ من سلك سبيل الهدى يرضى لنفسه عاقبة السبيل الذي سلك فيه. كقوله عز وجل: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ،[٤] ومن سلك سبيل الضلال والكفر يَمْقُت ذلك السبيلَ في العاقبة، كقوله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ،[٥] أخبر أنهم يمقتون أنفسهم إذا نُودُوا[٦] وعَرَفوا أنهم خَطِئوا الطريق. ***وبالله العصمة.***

وذكر في حرف عبد الله بن مسعود "والله يَكْره لعباده الكفر"، وقوله: "وإن تشكروا يرض[٧] عنكم" وكذلك ذُكِر هذا في حرف أُبَيّ وحَفْصَة.[٨]

وأصل قوله: **إن تكفروا فإن الله غني عنكم،** إخبار أنه لم يأمركم فيما أمركم به ولا نهاكم عما نهاكم عنه لحاجة نفسه أو لمنفعة له في ذلك، ولكن إنما امتحنكم بما امتحنكم لحاجة أنفسكم ولمنفعتكم ولدفع الضرر عنكم. وكذلك ما أنشأ من الأشياء لم ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن إنما أنشأها لكم ولمنافعكم. وكذلك نقول:[٩] لم ينشئها[١٠] لأنفسها حتى إذا أتلف[١١] شيئا منها عوّضها لها على ما تقول المعتزلة: أن ليس لله أن يُتلفها إلا أن يعوّضها لها عوضا بإزاء[١٢] ذلك، ولكن أنشأها للبشر،[١٣] ولهم تعويض[١٤] من أتلف شيئًا منها. ***والله أعلم.***

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ر م: ورغبتهم.
[٣] جميع النسخ + فله كذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٥ظ.
[٤] سورة الغاشية، ٨٨/٨-٩.
[٥] سورة المؤمن، ٤٠/١٠.
[٦] ر م: يودوا.
[٧] جميع النسخ: يرضى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٥ظ.
[٨] ر + وخاصة؛ ن ث م + خاصة. لم أجد هذه الرواية.
[٩] ر م: تقول.
[١٠] ر م: لم ينشأ.
[١١] ر م: تلف.
[١٢] ر: بإداء.
[١٣] ر م: للبشر.
[١٤] ر م: تقرر؛ ن ث: تعرير.

وقوله عز وجل: **ولا تزر وازرة وزر أخرى**، ذكر هذا -والله أعلم- جوابا لقولهم، حيث قال عز وجل: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[1] الآية، أخبر أن لا أحد يحمل وزر أخرى ولكن يحمل[2] وزر نفسه.[3] يخبر أنّ أمر الآخرة على خلاف أمر الدنيا لأن في الدنيا قد يحمل بعضُ آثام بعض وأوزار بعض. فأما في الآخرة فإنه لا يحمل أحد وزر آخر ولا آثامه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم إلى ربكم مرجعكم**، الآية، حضّ البعث بالرجوع إليه مرة وبالمصير ثانيا والبروز له ونحو ذلك، وإن كانوا في جميع الأحوال راجعين إليه صائرين، لأن المقصود من إنشائهم في هذه الدنيا ذلك البعث[4] فخصّ لذلك[5] المرجوع[6] إليه. *والله أعلم*.

وقوله: **إنه عليم بذات الصدور**، قال أهل التأويل: إنه عليم بما في الصدور. وعندنا: عليم بكل ما يصدر في الصدور[7] من الخير والشر. وذَكَر **بذات الصدور** لأن أصحاب الصدور هم يَصدرون ويظنون في صدورهم.[8]

**﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[8]**

وقوله: **وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل**، أخبر الله الخلق ما كان من عادة الكفرة في غير[9] آي من القرآن أنهم كانوا يخلصون الدين لله ويتضرعون إليه إذا مسّهم بلاء أو شدة، أو ركبوا[10] البحر وكان هم خوف الهلاك في ذلك وفزع، كقوله تعالى: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[11] الآية،

---

[1] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.
[2] ر م: تحمل.
[3] جميع النسخ + والثاني.
[4] «كيلا يكون خلقه إياها للفناء خاصة فيكون عبثا. تعالى الله عن ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٦و).
[5] ن + ذلك.
[6] جميع النسخ: رجوعا.
[7] ر ث م – من الصدور؛ ن: من الصدور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «هم يكتمون في صدورهم»، ورقة ٦٥٦و.
[9] ر م: من غير.
[10] جميع النسخ: إذا ركبوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[11] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.

وغير ذلك من الآيات. وكذلك كل بلاء وشدة أصابهم فزعوا إلى الله عز وجل وتضرعوا إليه[١] ثم إذا كشف الضر [عنهم][٢] عادوا إلى ما كانوا من قبل.

وقوله: **نسي ما كان يدعوا إليه من قبل**. يحتمل قوله: **نسي**، أن لا تملك[٣] الأصنام التي عبدوها دفع ذلك عنهم ولا كشفه. أو **نسي** أن لا تنفع[٤] شفاعتهم إياهم ونحوه. كقوله عز وجل: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٥] أي نسوا ما عملوا من عجز الأصنام ونحوه. وقوله: **وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله**، كأن الآية في الرؤساء منهم جعلوا أندادا ليضل الناس عن سبيله، يدل على ذلك قوله:[٦] **قل تمتع بكفرك قليلا** في الدنيا **إنك من أصحاب النار**، ذكر أنه من أصحاب النار[٧] لما علم أنه يُختم على الكفر. **والله أعلم**.

ثم الحكمة في ذكر[٨] هذا وأمثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتمل[٩] وجوها.[١٠] أحدها يصبّر رسوله عىى سوء معاملتهم إياه كما حَلُم[١١] [عز وجل] عن سوء معاملتهم و لم يستأصلهم[١٢] عىى إثر ذلك، وذلك أعظم في العقل. أو يخبر الأواخر عن سوء معاملتهم ربهم ليحذروا عن مثل معاملتهم ربهم. أو يخبر عن حلمه أن كيف حلم[١٣] منهم فَاحْلُمْ أنت. **والله أعلم**.

و[قوله: **لِيُضلّ**]، قرئ لِيُضِل وليَضِل، فيه ثلاث لغات.[١٤]

---

[١] جميع لنسخ + وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[٢] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[٣] جميع النسخ: أن لا يملك.
[٤] حميع النسخ: أن لا ينفع.
[٥] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[٦] ر ث م - قوله.
[٧] ر م - ذكر أنه من أصحاب النار.
[٨] ر ن م: ذلك.
[٩] ر ن ث: يحتمل؛ م - تحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[١٠] ن: وجوه.
[١١] جميع النسخ: حكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[١٢] م: لم يستأصلهم.
[١٣] جميع لنسخ - حلم. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[١٤] ن: لغات ثلاث. «﴿لِيَضِلَّ﴾: بن كثير وأبو عمرو ورُوَيس، ووافقهم ابن مُحَيصن واليزيدي. ﴿لِيُضِلَّ﴾: الباقون» (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لابن حوزوف، ٤٥٩)

**﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**[٩]

[٦٦٣و] / وقوله عز وجل: **أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه،** قال بعضهم: هذه الآية صلة ما تقدم من قوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ،[١] يقول: [إن] الذي تضرع إلى الله وأخلص دينه له ثم نسي[٢] ذلك وتركه إذا خوّله نعمة[٣] وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله [هل يكون] كالذي هو قانت أي مطيع لله آناء الليل والنهار يحذر عذابه ويرجو رحمته؟ ليسا بسواء عندكم: الذي أطاع الله في جميع أوقاته حاذرا[٤] تقصيرَه في ذلك راجيا[٥] رحمته بطاعته[٦] والذي عصى ربه ولم يطعه.[٧] فإذا عرفتم[٨] أنهما ليسا بسواء ثم رأيتم أنهما قد استويا في نعم هذه الدار وسعتها وشدائدها، وفي الحكمة التفريق بينهما، فلا بد من دار أخرى[٩] يُفرَّق بينهما فيها: يُثاب المحسن المطيع جزاءَ إحسانه وطاعته، ويُعاقَب الكافرُ[١٠] الظالم جزاءَ كفره وظلمه. *والله أعلم*. ومنهم من يجعل لهذه الآية مقابلا[١١] لكنه يقول: مقابلها ليس الأولَ،[١٢] [بل قوله: **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**]،[١٣] ويقول: على ما عرفتم أنه لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، فعلى ذلك لا يستوي الذي أطاع ربه آناء الليل وأَجْهَدَ نَفْسَه في عبادة الله والذي[١٤] عصى ربه وكفر نعمه.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ: ونسي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[٣] جميع النسخ: إذا خول ذلك نعمة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[٤] جميع النسخ: حاذر.
[٥] ن ث: راج؛ ر م: راجع.
[٦] جميع النسخ: لطاعته. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٣ظ.
[٧] ر م: ولم يعطه.
[٨] جميع النسخ: فإذا عرفهم.
[٩] م – أخرى.
[١٠] ن + بربه.
[١١] جميع لنسخ: مقابل.
[١٢] جميع النسخ + ولكن لم يذكر له مقابل.
[١٣] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[١٤] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من نسخة مدينة ١٨٠، ورقة ٥٧٩و.

وقد ظهر الاستواء بينهما في هذه الدنيا [ف]لا بد من التفريق بينهما في دار أخرى. ولو لم يكن دار أخرى فيها تُفرَّق و تميَّز لكان خلق هذا العالم على ما كان باطلا سفها غير حكمة. *والله أعلم.*

وقوله: **يحذر الآخرة**، أي يحذر عذاب الآخرة، وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود أنه قرأ: يحذر عذاب الآخرة.[١] وقوله: **ويرجو رحمة ربه**، دلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الرجاء والحذر، يرجو[٢] رحمته لا عملَه، ويحذر عذابه لتقصيره في عمله. ثم الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمنا، وقد قال الله عز وجل: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.[٣] والخوف إذا جاوز حدّه يكون يأسا، وقد قال الله تعالى: إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[٤] ويجب أن يكون المؤمن كما ذكر عز جل: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،[٥] وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا،[٦] لا يجاوز أحدُهما حده.[٧] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **ويرجو رحمة ربه**، أي جنته على ما سَمَّى الجنة رحمة في غير موضع[٨] لما برحمته يُنال هي. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **هل يستوي الذين يعلمون**، معرفة[٩] نعم الله والقيام بشكره والحذر عن عصيانه وعذابه. وقوله: **والذين لا يعلمون**، كل[١٠] ذلك. جوابه أن يقال: لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو ما قال عز وجل: إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.[١١] وقوله: **إنما يتذكر أولوا الألباب**، إنما يتذكر بمواعظ الله أولوا العقول والبصر والمعرفة. ***والله أعلم.***

وقوله: **آناءَ الليل**، أي ساعاتِ الليل. **وقانتٌ**، أي مطيع. وأصل القنوت هو[١٢] الطاعة. وقيل: القنوت القيام، وهو القيام في الطاعة. ***والله أعلم.***

---

[١] *زاد المسير* لابن الجوزي، ١٦٧/٧.

[٢] ر ن: يرجوا.

[٣] سورة الأعراف، ٩٩/٧.

[٤] سورة يوسف، ٨٧/١٢.

[٥] ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ (سورة السجدة، ١٦/٣٢).

[٦] ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ (سورة الأنبياء، ٩٠/٢١).

[٧] جميع النسخ – حده. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.

[٨] انظر مثلا: سورة آل عمران، ١٠٧/٣؛ وسورة النساء، ١٧٥/٤؛ وسورة الأعراف، ١٥١/٧؛ وسورة النحل، ٥٩/١٦.

[٩] جميع النسخ: في معرفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.

[١٠] جميع النسخ: في كل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.

[١١] سوره فاطر، ٢٨/٣٥.

[١٢] ث – هو.

وفي قوله: **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**، دلالة جواز الإرجاء لأنه لم يقطع على أحدهما دون الآخر، وكذلك في قوله تعالى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا.[1] وفي قوله: رَغَبًا وَرَهَبًا،[2] وفي القطع على أحدهما كفر على ما ذكرنا من قوله: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ،[3] وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ؛[4] إذ المجاوزة في الخوف إياس، والمجاوزة في حد الرجاء أمن. وقد ذكرنا أنه كفر.

**﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[١٠]

وقوله: **قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم**، يحتمل قوله: **اتقوا ربكم**، وجوها: اتقوا سخط ربكم، أو اتقوا نقمة ربكم، أو اتقوا مخالفة ربكم، ونحوه. وأصله[5] الاتقاء[6] عما[7] به[8] تَهْلِكون، أي اتقوا مَهالككم. *والله أعلم*.

وقوله: **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة**، قال عامة أهل التأويل: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة[9] في الآخرة. وجائز أن يكون لهم الحسنة في الدنيا والآخرة، كقوله عز وجل: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا[10] حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ،[11] الآية، وكقوله عز وجل: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ.[12] ثم تحتمل[13] الحسنة[14] وجه آخر استغفارَ الملائكة لهم والأنبياءِ عليهم السلام، لأن الله عز وجل امتحن ملائكته على استغفار المؤمنين والمؤمنات،

[1] سورة السجدة، ١٦/٣٢.
[2] سورة الأنبياء، ٩٠/٢١.
[3] سورة الأعراف، ٩٩/٧.
[4] سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[5] جميع النسخ: وأصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[6] جميع النسخ: التقى؛ ن + هو أن يقول اتقوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[7] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[8] جميع النسخ: – به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦و.
[9] جميع النسخ + لهم
[10] ر ث م – كقوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا.
[11] سورة النحل، ٣٠/١٦.
[12] سورة النحل، ٤١/١٦.
[13] جميع النسخ: ثم يحتمل.
[14] ن + ثم يحتمل الحسنة.

كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[1] وكذلك امتحن رسله بالاستغفار لمؤمنين والمؤمنات،[2] وكذلك المؤمنون يستغفر بعضهم لبعض،[3] ونحوه.

وقوله: **وأرض الله واسعة**، ذكر هذا -والله أعلم- لأن من آمن[4] منهم بمكة كانوا يُظهرون الموافقة لأعدائهم ويقيمون فيما بينهم لما كانت[5] لهم أسباب التعيش في بلدهم ولم يكن لهم تلك في بلد غيرهم، فخافوا الضَّياع إن هم[6] خرجوا من بلدهم فيهاجروا منها إلى غير بلدهم فيمتنعون[7] عن ذلك. فجاءت الآية على الترجي والإطماع لهم بمثل ذلك التعيش وأسبابه في غير ذلك البلد. وهو كما ذكر[8] في آية أخرى وهو قوله: اَلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا،[9] لم يُعْذَرُوا في تركهم الهجرةَ وإظهارهم / الموافقة للأعداء ولهم طاقةُ ووسع [٦٦٣ظ]
التحول من بلدهم إلى بلد غيرهم إلا من لم يكن به طاقة الخروج من بينهم وهم الذين استثناهم بقوله:[10] إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ،[11] الآية. ***والله أعلم***.

وقوله: **إنما يُوَفَّ الصابرون أجرَهم بغير حساب**، يحتمل قوله: **بغير حساب** وجوها. أحدها **بغير حساب** أي بغير تَبِعَة[12] ولا مَئُونَةٍ،[13] كقوله «مَنْ نُوقِش الحساب».[14] أو **بغير حساب**،

---

[1] ﴿تكادُ السماوات يَتَفَطَّرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).
[2] ر ن ث – والمؤمنات. لعله يشير إلى قوله تعلى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ولمؤمنين و لمؤمنات﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[3] ر ن ث: ببعض. انظر مثلا قوله تعلى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ (سورة الحشر، ١٠/٥٩).
[4] ر: آمنه.
[5] جميع لنسخ: فيما بينهم وكانت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[6] م: إذ هم.
[7] جميع النسخ: فيتمنعون.
[8] جميع لنسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[9] سورة النساء، ٩٧/٤.
[10] جميع النسخ: وهو قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[11] ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا﴾ (سورة النساء، ٩٨/٤).
[12] ر م: تبعية.
[13] ر: ينوية؛ ث: ينوبة؛ م: نيوبة.
[14] عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نوقش الحساب عُذِّبت» قالت قلت: أليس يقول الله تعلى: ﴿فسوف يُحاسَب حسابا يسيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨/٨٤) قال: «ذلك العَرْض» (صحيح *البخاري*، العلم ٣٥، التفسير، ٨٤، ٤٧؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٧٩–٨٠).

أي لا يحاسبون لما ليس وراء تلك الدار الآخرة[1] دارٌ أخرى يحاسبون فيها ما أُعْطُوا في الآخرة، ليس كدار الدنيا يحاسبون[2] ما أُوتُوا فيها في الآخرة، وأما ما أعطوا في الآخرة فلا يحاسبون في غيرها. ويحتمل **بغير حساب**، أي غيرَ مقدَّر بالحساب ولكن أضعافا مضاعفة. ويحتمل **بغير حساب**، أي بلا نهاية ولا غاية. ***والله أعلم***.

ثم الصبر هو حبس النفس إما على أداء ما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه، أو حبسها[3] وكفها في احتمال ما حُمِّلت [عليه] من الشدائد والمصائب والْمُؤَن العظام، [فالصابرون هم الذين][4] احتملوا ذلك ولم يَجزعوا، وهو ما ذكر في غير آي من القرآن: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[5] الآية، وقوله:[6] وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[7] ونحوه.

**﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[١١] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٢]**

وقوله: **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين**، يحتمل أن يكون قال هذا لِما أنّ أهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دينهم ودين آبائهم وكانوا يطمعون عَوْده إليهم.[8] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين**، ذكر هاهنا أنه أُمر أن يعبد الله مخلصا له الدين، وقال في آية أخرى: قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ[9] قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ]،[10] الآية، أخبر أنه لو اتبع أهواءهم فيما هم فيه لضل[11] إذًا[12] وما كان من المهتدين. ذكر في هذه الآيات النهي وترك اتباعه أهواءهم،

---

[1] ن ث - الآخرة.
[2] جميع النسخ: يحاسب.
[3] ر: حبسهما.
[4] الزيدتان من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[5] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).
[6] م + ولنبلونكم بشيء من الخوف الآية وقوله.
[7] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[8] أي إلى دينهم ودأبهم.
[9] جميع النسخ + الآية وقال في آية أخرى.
[10] سورة الأنعام، ٥٦/٦.
[11] جميع النسخ: يضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[12] ر م - إذا.

و لم يذكر الأمر فيها[1] بعبادة الله تعالى مخلصا له الدين. أو أن يقول: إني إذا أمرتكم بعبادة الله أُمرت أنا أيضا في نفسي أن أعبده مخلصا، لست أنا كمن يأمر غيره شيئا ولا يأتمر بنفسه أو هو غير مأمور بذلك، وهو ما قال: **وأمرت لأن أكون أول المسلمين**. أو يقول: لست أنا كالملوك[2] يأمرون أتباعهم بما شاءوا[3] ويستعملونهم[4] في أمورهم ثم[5] لا يستعملون في ذلك أنفسهم. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٣]**

وقوله: **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**، الخوف هاهنا ليس هو حقيقةَ الخوف ولكنْ [هو] العلمُ، كأنه قال: إني أعلم إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. ثم أيأسهم[6] الله[7] [عن اتباعه إياهم بعد هجرته إلى][8] المدينة والعودِ[9] إلى دينهم وقَطَع طمعهم عنه، وهو ما قال عز وجل: ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ،[10] فأما ما داموا بمكة فإنهم كانوا طامعين في ذلك راجين فيه. ***والله أعلم***.

**﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[١٤] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١٥]**

وقوله: **قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم**، إنه يخرج هذا الحرف منه مخرج التهدّد لهم والتوعد، يقول: أما أنا فإنما أعبد الله الحق وله أُخلص ديني فاعبدوا أنتم ما شئتم فإنه يجزيكم جزاء عبادتكم، كقوله تعالى: ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[11] الآية، وذلك معروف في كلام الناس، يقول الرجل: "اعمل ما شئت" أو "قل ما شئت فإن لك[12] الجزاءَ كما تعمل" على الوعيد،

---

[1] ن ث + الأمر.
[2] م: كملوك، صح هـ.
[3] ر ن م: بأشياء.
[4] جميع النسخ: ويستعمون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤و.
[5] جميع النسخ - ثم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٥٤و.
[6] جميع النسخ: فايسهم.
[7] ر م: بالله.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[9] جميع النسخ: بالمدينة عن عوده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[10] ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[11] ﴿أفمن يُلْقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١)
[12] ن ع: فاتك.

فعبي ذلك قوله عز وجل: **فاعبدوا ما شئتم من دونه**. *والله أعلم*. ويحتمل وجها آخر لا على الوعيد ولكن [على الإخبار، كأنه][1] يقول: قد بيّنت لكم وأوضحت[2] السبيلين جميعا بالآيات والحجج: سبيل النجاة الذي إذا سلكتموه نجوتم وهو سبيل الله، وسبيلَ الهلاك الذي إذا سلكتموه هلكتم وهو سبيل الشيطان. فإن أردتم النجاة فاسلكوا سبيل كذا،[3] وإن أردتم سبيل الهلاك فاسلكوا سبيل كذا. *والله أعلم*.

ثم قوله: **قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة**، كأنه[4] لَمّا أمرهم أن يَقُوا أنفسهم وأهليهم النارَ، حيث قال عز وجل: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا[5] ليكون لهم أنفسهم وأهلوهم[6] يوم القيامة ويَسلَم لهم ذلك، وقد مُكّن لهم ذلك[7] فتركوا ذلك و لم يَقُوها ولا أهليهم النارَ، قال عند ذلك: **خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**، ألا عند ذلك يتبين لهم أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم. أو أنهم قد أمروا بالسعي للآخرة والعمل لها ووُعدوا -إذا سَعَوا لها وعملوا-[8] النجاةَ في الآخرة والحياة الدائمة والأهل في الجنة، وإذا لم يسعوا لها و لم يعملوا خسروا أنفسهم والأهل الذين وُعدوا فيها إذا سَعَوا، وهلكت أنفسهم. **ألا ذلك هو الخسران**، ألا هنالك يَبِين[9] لهم أنهم خسروا خسرانا بيّنا. *والله أعلم*.

**﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾**[١٦]

وقوله: **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل**، [يجب][10] أن يكون ما كان تحتهم من النار أن يوصف بالمهاد لهم لا بالظلل، كقوله عز وجل: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.[11]

---

[1] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[2] ر م: أوضحت.
[3] ر - فاسلكوا سبيل كذا.
[4] جميع النسخ: كناية. و لتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٦ظ.
[5] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[6] جميع النسخ: وأهيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤ظ.
[7] جميع النسخ + وهلكوا.
[8] ر: وعمو.
[9] ر: مبين؛ ث: تبيين
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[11] سورة لأعراف، ٤١/٧.

وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود أنه قرأ:[١] لهم من[٢] تحتهم[٣] من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ذلك يخوف الله به عباده. **والله أعلم**. لكن جائز أن تكون[٤] الظلل[٥] التي[٦] تحتهم هي ظلل[٧] لمن تحتهم وهي لأولئك الذين فوقهم مهاد وللذين[٨] ليس تحتهم أحد مهاد أيضا -والله أعلم- [٦٦٤و]
لأن النار دركات وأطباق ليكون كل طبقة لمن تحتها ظلل ولمن فوقها مهاد على ما ذكرنا.

وقوله **ذلك يخوف الله به عباده**، [أي ذلك الذي ذكر من الظلل يخوف الله به عباده][٩] أو ذلك الذي ذكر في القرآن من المواعيد يخوف به[١٠] الله عباده.[١١] **يا عبادِ فاتقونِ**، اتقوا سخط الله ونقمته، أو اتقوا مخالفة الله، أو اتقوا المهالك.

**﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾**[١٧] **﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**[١٨]

وقوله: **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها**، اختلف في الطاغوت. قال بعضهم: هو الشيطان، أي اجتنبوا من أن يأتمروه ويطيعوه.[١٢] وقال بعضهم: **الطاغوت**، هم الكهنة، كانوا يأتون الكهنة فيخبرونهم بأمور فيعملون بقولهم ويصدقونهم. يقول: أي [الذين][١٣] اجتنبوا من أن يطيعوا الكهنة في أمرهم[١٤] ونهيهم. وقال بعضهم: كل معبود دون الله فهو طاغوت. وهو من الطغيان، وهو المجاوزة عن الحد. **والله أعلم**. وقوله: **وأنابوا إلى الله**،

---

[١] جميع النسخ: قل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[٢] ن - هم من.
[٣] ر ث م: لهم.
[٤] جميع النسخ: أن يكون.
[٥] م: الظل.
[٦] جميع النسخ: الذي.
[٧] م: الظل.
[٨] جميع النسخ: والذين.
[٩] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤ظ.
[١٠] ر م - به.
[١١] ث - أو ذلك الذي ذكر في القرآن من المواعيد يخوف الله به عباده.
[١٢] جميع النسخ: وأطاعوه. التصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤ظ.
[١٣] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[١٤] جميع النسخ: أمورهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.

أي[1] أقبلوا ورجعوا[2] إلى ما أمرهم الله به. أو رجعوا[3] إلى ما به طاعته[4] وتركوا ما به مخالفته وانتهوا عن مناهيه. والإنابة إلى الله هي الرجوع إلى أمر الله وإلى ما به طاعته. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لهم البشرى**، وهو ما ذكر في قوله: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [اَلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ،[5] فعلى [هذا] ما ذكر لهؤلاء من البشرى[6] في الدنيا وفي الآخرة لأنهم أولياء الله.

وقوله: **فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**، اختلف فيه. قال بعضهم: **الذين يستمعون** كلام الناس من الخير والشر والحسن والقبح فيتبعون أحسنه، أي يروون[7] ويحكون[8] منه ما هو خير وحسن ويتركون ما هو شر وقبيح.[9] وقال بعضهم: **يستمعون** القرآن وكلام الناس وأحاديثهم فيأخذون بالقرآن ويتبعونه ويتركون كلام الناس وأحاديثهم فهو اتباع الأحسن منه وهو القرآن. وقال بعضهم: **يستمعون**، وفيه الناسخ والمنسوخ فيتبعون أحسنه أي ناسخه ويعملون به ويتركون منسوخه لا يعملون به. وقال بعضهم: **يستمعون** إلى القرآن وفيه الأمر والنهي فيتبعون أمره وينتهون عما نُهِيَ عنه. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **فيتبعون أحسنه**، أي يتبعون الحسن منه، الأحسن بمعنى الحسن. *والله أعلم*. وقال قائلون: فيتبعون أحسن ما في القرآن من الطاعة لله،[10] كقوله: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا،[11] الآية، وتأويله ما ذكرنا: أنْ خذوا ما فيه من الأمر وائتمروا به وانتهُوا عما فيه من المناهي. *والله أعلم*.

وقوله: **وأولئك هم أولوا الألباب**، أي أولئك هم المنتفعون بلبهم وعقولهم حيث اختاروا وآثروا[12] هداية الله ونظروا إليها بالتعظيم والإجلال واهتدَوْا.

---

[1] ر - أي.
[2] ر ن: وارجعوا.
[3] ر: ارجعوا.
[4] جميع النسخ: طاعتهم.
[5] سورة يونس، ١٠/٦٢-٦٤.
[6] جميع النسخ + لهم.
[7] جميع النسخ: يرون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٤ظ.
[8] ر: ويحكمون.
[9] ر: وقبح.
[10] ر: منه.
[11] سورة الأعراف، ٧/١٤٥.
[12] ن: وابروا.

**﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[١٩]**

وقوله: **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار**، ذكر الله تعالى في هذه السورة أشياء لا تعرف[١] لها أجوبة في الظاهر إلا بالتأمل والاستدلال على غيره. من ذلك ما ذكر **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار**،[٢] كأنه يقول-والله أعلم- أفمن حق عليه العذاب كمن له البشرى في الآخرة، لأنه ذكر فيما تقدم لمؤمنين البشرى، حيث قال عز وجل: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى [فَبَشِّرْ عِبَادِ]،[٣] الآية، على هذا يخرج جوابه: أفمن وجب عليه العذاب كمن وجب له البشرى، ليسا بسواء.[٤]

أو أن يقول: أفمن حق ووجب عليه العذاب كمن شرح صدره للإسلام، أي ليس الذي وجب عليه العذاب كالذي شرح صدره للإسلام.

أو أن يقول: هذه النازلة[٥] كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحرصه على إسلام قوم أحبّ أن يسلموا، فقال هذا له على الإياس من إسلامهم، يقول: أفمن وجب عليه العذاب أفأنت[٦] تُنقذه وتُخلّصه من النار؟ أي لا تقدر أن تُنقذ وتخلّص من النار[٧] من قد وجب عليه العذاب، وهو كما قال[٨] عز وجل: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ،[٩] وكقوله: أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[١٠] كان لا يقدر أن يكرههم[١١] على الإسلام لكنه كان يُحب ويَحرِص[١٢] على إسلامهم ويحزن[١٣] لتركهم الإسلام، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[١٤]

---

[١] جميع النسخ: لا يغور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[٢] ن - أفأنت تنقذ من في النار.
[٣] الآية ١٧ من هذه السورة.
[٤] جميع النسخ: لا سواء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[٥] ن ث م: هذا لنازلة.
[٦] ن ث: فأنت.
[٧] ر ث م - أي لا تقدر أن تنقذ وتخلص من النار؛ ن: أي لا تقدر أن تنقذه وتخلصه من في النار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[٨] جميع النسخ: مـ قال. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[٩] سورة القصص، ٥٦/٢٨.
[١٠] سورة يونس، ٩٩/١٠.
[١١] ن: تكرههم.
[١٢] ن: تحب وتحرص.
[١٣] ن: وتحزن.
[١٤] سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وسورة النمل، ٧٠/٢٧.

وقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[1] [وقوله:] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[2] ونحو ذلك. كان يحزن[3] وكادت نفسه تَتْلَف[4] إشفاقا عليهم. فيقول: أفمن وجب وحق عليه العذاب أتقدر أن تنقذه من النار، أي لا تقدر على ذلك. *والله أعلم*.

**﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[٢٠]**

ثم بيّن الذين أُنقِذوا من النار وهم الذين اتقوا ربهم، حيث قال عز وجل: **لكن الذين اتقوا ربهم**، يحتمل اتقوا مخالفة ربهم، أو اتقوا سخط ربهم ونقمته. ثم بيّن ما أُعدّ[5] لهم في الآخرة فقال عز وجل: **لهم غرف من فوقها غرف مبنية**. ذكر أن لهم غرفا[6] في الجنة؛ والغرف على الغرف في الشاهد إنما تتخذ[7] لضيق المكان، لكنّ ذلك في الجنة ليس لذلك ولكن لِمَا كان عُرف[8] من رغبة الناس في الدنيا في الارتفاع[9] والعلوّ وكراهيتهم في التسفّل[10] والانحدار[11] في الأرض. رغّبهم في الآخرة على ما رَغِبوا وأحبوا في الدنيا [ووعد لهم ذلك لِيَرْغَبوا في طلب ذلك بما علّق به من الإيمان والعمل الصالح، ولذلك ذكر][12] لأهل الجنة الدرجات ولأهل النار الدركات.[13]

[٦٦٤ظ] ثم قوله: / **تجري من تحتها الأنهار**، يخبر أن أمر الجنة على خلاف أهل الدنيا إذ في الدنيا كل ما ارتفع وعلا من البنيان كان الماء منها أبعد والوصول إليه أصعب. فأخبر أنهم وإن كانوا في الغرف والدرجات فأبصارهم إنما تقع[14] على الماء والماء لا يَبْعُد عنهم ولا يَصعُب. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[2] سورة فطر، ٨/٣٥.
[3] ر ن م: تحزن.
[4] ر ن م: يتلف.
[5] جميع النسخ: أوعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[6] ر ن ث: غرف؛ ث – غرفا.
[7] جميع النسخ: يتخذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[8] ن: عرف.
[9] ر: ولارتفاع.
[10] جميع النسخ: والكرامة والتفضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[11] ث: والتفضيل لا الانحدار.
[12] جميع النسخ + ولكن. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[13] ن: الدرجات.
[14] جميع النسخ: مما يقع. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.

ثم ذَكَر في الغُرف البناءَ وكذا ذكر[1] في السماء أنه بناها.[2] فلم يُفْهَم من بنائهما[3] ما فهم من بناء الخلق، فكيف فُهم من مجيء [الرب][4] وغير ذلك ما فهم من مجيء[5] الخلق وبنائهم؟[6] [فما بال بعض الناس فهموا من إضافة المجيء والإتيان إلى الله ما فهموا من المضاف إلى الخلق][7] لولا ما كان فيهم من فساد اعتقادهم؟ *والله أعلم*.

[٦٦٤ظ س ٢٤ *ثم قال عز وجل: **وَعْدَ اللهِ لا يخلف الله الميعاد**، لأن من وعد في الشاهد وعدا ثم أخلفه إنما يُخلفه لحاجته أو لما يبدو[8] له من البَدَوات فيرجع عما وعد. والله سبحانه تعالى[9] عن ذلك كله فلا يُحتمل[10] خلفُ الوعد منه.* ٦٦٤ظ س ٢٧]

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢١]**

وقوله: **ألم تر**،[11] ونحوه على وجهين. أحدهما على الخبر: **ألم تر**، أي قد رأيت. والثاني على الأمر: أنْ رَ.[12] ثم الخطاب وإن كان في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لكل أحد يحتمل النظر والتأمل. ثم جهة الحكمة المودعة فيها ما ذَكَر من إنزال الماء من السماء وجعلِه ينابيع في الأرض -والينابيع هي العيون التي تخرج[13] من الأرض- والآبارِ التي جُعلت فيها لِيُعلم أن المياه الخارجة من الأرض والجارية فيها أصلها من السماء مُنَزَّلةٌ منها.

---

[1] جميع النسخ: ولا ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[2] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿والسماءَ بَنيناها بأيدٍ وإنا لَموسِعون﴾ (سورة الذاريات، ٤٧/٥١)؛ وقوله: ﴿أأنتم أشدّ خلقا أم السماء بناها رفع سَمْكَها فسوّاها﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٢٧-٢٨).
[3] جميع النسخ: من بنائه ما؛ ر ن م + ذكر.
[4] ر ن م: مجيه؛ ث: من محبته. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[5] ث: من مج؛ ر م: بجيه.
[6] ر ن م: وأنبائهم.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٧و.
[8] ث: يبدوا.
[9] جميع النسخ: وتعالى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[10] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلته إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٤ظ/ سطر ٢٥-٢٧.
[11] م - تر.
[12] جميع النسخ: ره.
[13] ر ن م: يخرج.

وهي طهور على ما أخبر أنه أنزله طهورا[1] وإن اختلف طعمه[2] لاختلاف جواهر الأرض ما لم يخالطه[3] شيء من جواهر الأرض من القذر والنجاسة وغيرها من الألوان التي يُخرج [الماء] من أن يكون طهورا أو يغيره[4] عن جوهره الذي أُنزل من السماء. ثم جعل الله عز وجل في شَرْبة ذلك الماء معنى ولطفا ما يوافق جميع النبات من الأشجار والنبات وكل خارج من الأرض وإن[5] اختلفت جواهرها وألوانها وطعمها، ليعلم أنّ من قدر على جَعْل ما جَعَل في الماء من اللطف والمعنى الذي يوافق كل شيء من النبات والشجر وإن اختلفت جواهرها وألوانها وطعمها لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. **ولا قوة إلا بالله**.

أو أن يقول: إن من تكلف زرع الزراعة في الأرض وتحمّل[6] الْمُؤَنَ العظام إلى أن بلغ المبلغ الذي ينتفع به وينال منه النفع[7] فتركه لم ينتفع به حتى صار حُطاما[8] يابسا لا ينتفع به[9] أليس يوصف بالسفه وبغير الحكمة؟ فكذلك الله سبحانه لما أنشأكم صغارا أطفالا[10] وغذّاكم بألوان الأغذية والأطعمة حتى كَبِرتم وبلغتم مبلغ الانتفاع بكم ثم أتلفكم[11] بلا عاقبة تقصد في ذلك كان غير حكيم، وقد عرفتموه حكيما. فدلّ أن المقصود في ذلك كله حتى يكونَ[12] إنشاؤه إياكم صغارا وتربيته[13] إياكم بألوان الأغذية التي جعل لكم حكمةً، وهو البعث ما لولا ذلك[14] كان سفها غير حكمة، على ما ذكر من إخراج الزرع[15] من الأرض بالماء الذي أخرج

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٤٨).
[2] جميع النسخ: طبعه. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٧ظ.
[3] جميع النسخ: ما لم يخالط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[4] ر ن م: بغيره؛ ث: وبغيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[5] م: وإذا.
[6] جميع النسخ: ويحتمل.
[7] ر م: لنفع.
[8] ن: خطابا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[9] ر ث م – حتى صار حطاما يابسا لا ينتفع به.
[10] جميع النسخ: طفلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[11] جميع النسخ: أبلغكم.
[12] ن: كون.
[13] ر: وتربية.
[14] م: ما لو ذلك.
[15] ر ن م: الذرع.

ثم تركه فيها حتى صار يابسا لا ينتفع به كان سفيها[1] غير حكيم. فعلى ذلك ما كان عند[2] أولئك الكفرة أنْ لَا بَعْثَ كان ما ذكر.[3] *والله أعلم*.[4] *

وقوله: **فسَلَكه ينابيعَ في الأرض**، أي أدخله فيها وجعله ينابيع أي عيونا. وقوله: **ثم يهيج**، أي يَيْبَس.[6] وقوله: **ثم يجعله حطاما**، متكسرا[7] مثل الرُفات والفُتات، وهو قول أبي عَوْسَجة والقُتَبِي. ويقال: هاجت الأرض إذا ابتدأت في اليبس.[8]

[٦٦٤ظ س٢٢ *وقوله تعالى: **إن في ذلك [لذكرى]**، أي فيما يَذكر[9] من إنزال الماء من السماء وإدخاله في الأرض وإخراج ما ذكر منها به، وما ذكر موعظة **لأولي الألباب**، أي لمن انتفع ببه[10] وعقله لما ذكرنا.* ٦٦٤ظ س٢٤]

**﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **أ فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**، قيل: شَرَح الله وسّع الله، وقيل: رحّب الله، وقيل: ليّن[12] الله، ونحوه، وكله واحد. ثم يحتمل قوله: **أفمن شرح الله صدره للإسلام**، فيُسلم، **فهو على نور من ربه**، أي يجعل الله في صدره النور[13] إذا أسلم حتى يُبصر الحقّ وحججه وبراهينه بصورة الحق أنه حق، والباطلَ بصورة الباطل[14]

---

[1] جميع النسخ: سفه.
[2] ر: عنه.
[3] ث - ما ذكر.
[4] جميع النسخ + وما ذكر لأهل الجنة من العرف وغير ذلك.
* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين. الآية هذه والآية التي قبلها، فنقلناهما إلى محليهما. انظر: ورقة ٦٦٤ظ/ سطر ٢٢-٢٦.
[6] ر م: ييس.
[7] ن ث: مكسرا.
[8] جميع النسخ + حطاما أي متكسرا. و لتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.
[9] ن ث: ذكر.
[10] ن: بلبة.
* وقع ما بين النجمتين قبل أسطر، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٤ظ/ سطر ٢٢-٢٤.
[12] ر م: قيل لهي.
[13] ث + أي يجعل لله في صدره النور.
[14] ر ث م - بصورة الباطل.

أنه باطل وأنه تمويه، يُبصر كلّ شيء بذلك النور على ما هو حقيقته: أنه حق أو باطل،[1] فيأخذ الحق ويعمل به، ويترك الباطلَ ويجتنبه. *والله أعلم*.

أو أن يكون قوله: **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**، يكون نوره هو إسلامَه الذي هداه، شرح صدره لنوره حتى أسلم. وهو [على] ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أنه هل ينشرح الصدر للإسلام، وكيف ينشرح؟ فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخله النور انشرح لذلك الصدرُ[2] وانفسح له».[3] أخبر أن النور إذا دخل الصدرَ انشرح لذلك الصدرُ وانفسح[4] له بذلك النور. *والله أعلم*.

وجائز أيضا أن يكون قوله عز وجل: **أفمن شرح الله صدره للإسلام**، في الدنيا **فهو على نور من ربه** في الآخرة، كقوله عز وجل:[5] وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ،[6] الآية؛ والذين كفروا طَبَع الله على قلوبهم فتُظلم وتَقْسُو فتبقَى[7] في الظلمة أبدا. *والله أعلم*. ومنهم من قال: **أفمن شرح الله صدره للإسلام**، الإسلامِ نفسه [أي] إذا أسلم، **فهو على نور من ربه**:

[٦٦٥و] [أي على] كتاب الله. / معناه: أنّ[8] هذا المؤمن به يأخذ وإليه ينتهي. ولما سئل[9] النبي صلى الله عليه وسلم هل لذلك أي لانشراح الصدر للإسلام علامة؟ فقال: «نعم، التَّجافِي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الموت»[10] فهذا في التحقيق ليس في المعاملة[11] ولكن في الاعتقاد، أي [يعتقد أن][12] يتجافى عن دار الغرور ويُنيب إلى دار الخلود ويتزودَ[13] من الدنيا للآخرة.

---

[1] جميع النسخ: حقيقة أنه حق وباطل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

[2] ث: لصدور.

[3] *الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٦٤٥-٦٤٦.

[4] ر: و نفسخ.

[5] ث + أفمن شرح الله صدره.

[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يومَ لا يُخزى الله النبيَّ والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أَتمِمْ لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ (سورة التحريم، ٨/٦٦).

[7] جميع النسخ: فيظلم ويفسق لـ بقي. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

[8] جميع النسخ: كتاب الله قال هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

[9] جميع النسخ: وما سئل.

[10] *نوادر الأصول في أحاديث الرسول* للحكيم الترمذي، ١/٤١٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٦٤٦؛ وقال ابن حجر: وفي إسناده إبراهيم بن أبي يحي وهو ضعيف (*الكاف الشاف*، ١٤٣).

[11] جميع النسخ + في العمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

[13] جميع النسخ: والإنابة إلى دار الخلود يتزود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٧ظ.

ثم قوله: **أفمن شرح صدر الله صدره للإسلام**، يحتمل أن يكون على الاستفهام على ما ذكر. ويحتمل أن لا يكون على الاستفهام ولكن على الإيجاب،[١] فإن كان على هذا فهو على إسقاط الألف، [كأنه قال:][٢] **فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**، الآية، كقوله في آية أخرى: فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا،[٣] فعلى ذلك يحتمل أن يكون هذه الآية على هذا. *والله أعلم*. وإن كان على الاستفهام فلا بد أن يكون له مقابل يعرف ذلك بدليلٍ أنه جوابه. ثم قال بعضهم: جوابه في قوله: **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**، كأنه يقول: ليس المنشرح صدره للإسلام كالقاسي قلبه بالكفر، وهو قول الكسائي. وجائز أن يكون جوابه ومقابله ما تقدم ذكره، وهو قوله: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ،[٤] الآية، كأنه يقول: أفمن حق عليه العذاب كمن شرح صدرَه للإسلام؟ أي ليس من وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه. *والله أعلم*.

**﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾**[٢٣]

وقوله: **الله نزل أحسن الحديث**، يحتمل قوله عز وجل: **نزل أحسن الحديث**، أصدقه خبرا وأعدله حكما، وهو ما ذكر في آية أخرى ووصفه بالصدق والعدل، حيث قال عز وجل: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[٥] أي صدقا في خبره وعدلا في حكمه. فعلى ذلك يحتمل قوله: **أحسن الحديث**، أي أصدق الحديث[٦] خبرا وأعدله حكما. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **أحسن الحديث**، أي أتقنه وأحكمه وهو مُتقَن ومُحكَم،[٧] وهو على ما وصفه بالصدق والعدل في آية أخرى قال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ،[٨]

---

[١] ث: الاستفهام.
[٢] لزيادة من *الشرح*. ورقة ٦٥٧ظ.
[٣] سورة الأنعام، ١٢٥/٦.
[٤] لآية ١٩ من هذه السورة.
[٥] سورة الأنعام، ١١٥/٦.
[٦] ث + أي أصدقه.
[٧] ن: متقن محكم.
[٨] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

أخبر أنه لا يأتي[1] القرآن باطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لإتقانه وإحكامه. **والله أعلم.** وهو أحسن الحديث لأن من تأمله ونظر فيه وتفكر أنار قلبه وأضاء صدره وهداه سبل[2] الخير والحق ودفع عنه الوساوس والشبهاتِ وكلَّ شر وأفضاه إلى كل خير وبِرّ. فهو أحسن الحديث إذ لا حديثَ يعمل ما يعمل هو لما ذكرنا، وغير ذلك. **والله أعلم.**

وقوله: **كتابا متشابها،** قوله: **متشابها،** أي ليس بمختلف[3] ولا متناقض. ليس كحديث الناس وكتبهم مما يختلف ويتناقض حديثهم وكتابهم، وخاصةً فيما امتد من الأوقات وطال وبعدت مدّته،[4] وهو كما ذكر:[5] أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[6] دلّ كونه متفقا متشابها غيرَ مختلف في طول نزوله وتفرّق أوقاته وتباعد أيامه في الإنزال أنه[7] من عند الله نزل ومنه جاء؛ إذ لو لم يكن من عنده لخرج مختلفا متناقضا على ما يخرج حديث الناس وخبرهم[8] مختلفا ومتناقضا. **والله أعلم.**

وقوله: **مَثَانِيَ،** قال أهل التأويل: سمّاه **مثاني،** لِمَا ثُنِيَ فيه أنباؤه وقِصَصُه مرة بعد مرة. وأصله أنه سمّاه مثاني لأنه ذكر فيه المواعظ والذِكْرى وكررها[9] في غير موضع لِمَا لو لم يكررها أغْفَلوا عنها وسَهَوا منها؛ لأن الحكيم إذا وعظ أحدا عِظَةً أو زجره[10] [عن شيء ثم تركه لم يعظه و لم يزجره ثانيا أغفل عما وعظه وزجره][11] وسها عنه. وكرّر عز وجل عليهم المواعظ والزواجر ليكونوا أبدا متعظين متذكّرين لذلك -والله أعلم- لكيلا يَغفُلوا عنها ولا يسهوا.

وقوله: **تَقْشَعِرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله،**[12] قال أهل التأويل: **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** عند تلاوة آية الرهبة والخوف،

---

[1] ر: لا يأتيه.
[2] ر ث م: سبيل.
[3] ر م: يختلف.
[4] ر: مدت.
[5] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و.
[6] سورة النساء، ٨٢/٤.
[7] جميع النسخ: آية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و.
[8] م: وخبر.
[9] م: وكرر.
[10] جميع النسخ: وزجره. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٦ظ.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و
[12] ث: إلى لله

وتلين قلوبهم عند تلاوة آية الرحمة. وجائز أن يكون ذلك لهم بجميع القرآن بما فيه من[١] الرحمة والرهبة جميعا يكون فيهما الموعظة: تلين قلوبهم وتقشعرّ جلودهم وتخاف[٢] أنفسهم، لأن[٣] آية الرحمة ليس بأحق بتليين القلوب من آية الرهبة بل آية الرهبة أحق بذلك. وقتادة يقول:[٤] كانت جلودهم تقشعر وعيونهم تبكي وقلوبهم تطمئن إليه ولا تذهب[٥] عقولهم ولا يُغْشَى عليهم كما رأينا أهل البدع يفعلونه[٦] وإنما ذلك من الشيطان.[٧]

وقوله عز وجل: **ذلك هدى الله يهدي به من يشاء**، قد بين سبيل الهدي والحق وحججه وبراهينه وبيّن سبيل الضلالة والباطل؛ فمن سلك سبيل الهدي فبتوفيقه سلك وبمعونته اهتدى، ومن سلك طريق الكفر والباطل فبخذلانه ضل وزاغ.

وقوله: **ومن يضلل الله فما له من هاد**، أخبر أن من أضله الله فلا هادي له، على ما قال[٨] في المعيشة والرزق حيث[٩] قال عز وجل: مَا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ،[١٠] وقال عز وجل: في الضر[١١] والخير حيث قال: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ.[١٢] ذكر في الضلال والهدى ما ذكر [٦٦٥ظ] في الرزق والضر والخير، دل[١٣] ذلك أن لله في فعلهم وصنعهم تدبيرا ليس على ما يقوله[١٤] المعتزلة:

[١] ن ث – من.

[٢] جميع النسخ: ويخاف.

[٣] ر: لأنه.

[٤] ن: يكون.

[٥] جميع النسخ: ولا يذهب.

[٦] م: يغفرونه.

[٧] عن قتادة في قوله: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ قال: هذا نعتُ أولياء الله، نَعَتهم الله فقال: تقشعر جلودهم، وتبكي عيونهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، و لم يَنعتهم الله بذهاب عقولهم والغِشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٤٩/١٢).

[٨] جميع النسخ: وعلى ما قال.

[٩] ث: وحيث؛ ر م – حيث.

[١٠] سورة فطر، ٢/٣٥.

[١١] ر م: الضراء؛ ر م + والسراء.

[١٢] سورة يونس، ١٠٧/١٠.

[١٣] ر ن م – دل.

[١٤] ر ث م: تقوله

أن لا تدبير لله في ذلك وأن من اهتدى إنما يهتدي بنفسه ومن ضل وزاغ إنما ذلك بنفسه لا تدبير لله في ذلك، فالآية تنقض[1] قوهم ومذهبهم.

وقتادة يقول في قوله: **تَقْشَعِرُّ منه جُلود الذين يخشون ربهم ثم تَلِين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**. وإنما يذكر الله أهلُ الإيمان فكانت تقشعر بذلك جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم ولا تذهب[2] عقولهم منه. وأما أن يَصْرَع[3] أحدهم فلم يكن، وإنما كان هذا في أصحاب البدع وربما هو من الشيطان. ولَعَمْري ما كان في هذه الأمة أحد أعمَّ من نبيه صلى الله عليه وسلم ومِن بعده أصحابُه الذين انتخبهم الله عز وجل لصحبة نبيه[4] صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، ولقد سألنا من لقينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب أصحابه فحدّثوا أن هذا إنما كان في أهل البدع.[5]

[٦٦٦و س١٨ * ثم[6] قوله: **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** يحتمل الأنبياء منهم والخواص، كقوله: إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.[7] وجائز أن يكون أراد جميع المؤمنين، وكذلك ذكر في حرف أُبَيّ و ابن مسعود:[8] تقشعر منه جلود الذين[9] يؤمنون بربهم ثم يطمئن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. وفي حرف حفصة: ثم تُنيب[10] جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.* ٦٦٦و س٢١]

**﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٢٤]**

وقوله[12] عز وجل: **أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة**، كأنه لم يذكر مقابل هذا في[13] هذا الموضع. فجائز أن يكون مقابله ما تقدم وهو قوله: [لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ

---

[1] جميع النسخ: ينقض. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧و.
[2] جميع النسخ: ولا يذهب.
[3] جميع النسخ: تضرع. وفي الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٦ظ: يصرعون.
[4] ر م: لنبي.
[5] الدر المنثور للسيوطي، ٦٤٩/١٢.
[6] ن ث + يحتمل.
[7] سورة فطر، ٢٨/٣٥.
[8] ر م: في حرف ابن مسعود.
[9] ن م + يخشون ربهم.
[10] جميع النسخ: ينيب. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي لدين ٤٢٦، ورقة ٥٦ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٢٩، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٦و/ سطر ١٨-٢١.
[12] ن: ثم قوله.
[13] ر م: إن.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[١] كأنه يقول:][٢] أفمن جَعَل له الغرف على العرف[٣] تجري من تحتها الأنهار كمن يتقي بوجهه سوء العذاب؟ أي [ليس] هذا كهذا. أو أن[٤] يكون مقابله: **أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب** كمن أُنعم في النعيم الدائم؟ ليس هذا كذاك. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب**،[٥] ولا أحد يتقي بوجهه سوء العذاب، لكن يخرج ذكر ذلك على وجوه. أحدها كناية عن الشفعاء وأهل النصر، كأنه يقول: لا يكون لهم من يشفع أو يملك دفع العذاب عنهم. أو أن يكون[٦] أيديهم مغلولة إلى أعناقهم فلا يد[٧] له يتقي[٨] بها سوء العذاب عن وجهه، لأن في الشاهد من أصاب شيئا من العذاب يتقي ذلك العذاب عن وجهه بيده، فيخبر أن لا يد له في الآخرة يتقي العذاب بها عن وجهه بل يصيب العذابُ وجهه فكأنه يتقي به. أو أن يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه، وهو ما ذكرنا أَنْ لا يكونُ له من يملك[٩] دفع العذاب عنه. أو أن يكون ذكر الوجه كناية عن قلبه، أي[١٠] يصل وجعُ ذلك العذاب إلى قلبه ولا يملك دفعه. ***والله أعلم***.

*وقال بعضهم في قوله عز وجل: **يتقي بوجهه سوء العذاب**، يقول -والله أعلم- ليس الضال الذي يتقي النار بوجهه كالمهتدي الذي لا تصل[١١] النارُ إلى وجهه ليسا بسواء على ما ذكرنا.* [٦٦٦و س٢١ - ٦٦٦و س٢٣]

وقوله: **وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون**، يحتمل قوله: **ذوقوا**،[١٢] أي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون. أو يقول: **ذوقوا** ما اخترتم من الكسب وهذا بما اخترتم، لأنه قد بين لهم الكسبين جميعا

---

[١] الآية ٢٠ من هذه السورة.
[٢] لزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و.
[٣] م - على الغرف.
[٤] ر ث م: وأن.
[٥] ر - أي هذا كهذ، أو أن يكون مقابله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أنعم في لنعيم الدائم ليس هذا كذلك والله أعلم ثم قوله عز وجل أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب؛ ث م + كمن أنعم في النعيم الدائم ليس هذا كذلك.
[٦] ر م: أو يكون.
[٧] جميع النسخ: بلا يد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و.
[٨] ر م: ليتقي.
[٩] ر م: لا يملك.
[١٠] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨و.
[١١] جميع النسخ: لا يصل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٢٩. فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٦و/ سطر ٢١-٢٣.
[١٢] ر م - ذوقوا.

وما يكون لكل كسب في العاقبة. فاختاروا هم[1] الكسب الذي كان عاقبةَ الذي أصابهم فكأنهم اختاروا ذلك الذي حل بهم باختيارهم ذلك الكسب. *والله أعلم*.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**، يخوفهم[2] ويحذرهم بما نزل[3] بالمتقدمين بتكذيب الرسل عليهم السلام والعناد بعد ما حذّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبعث[4] وما حل بهم يوم القيامة بذلك. فإذ لم يصدقوه فيما حذّرهم[5] بيوم القيامة[6] حذّرهم بالذي انتهى إليهم الخبر بغير[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَحْذَروا. وقوله: **من حيث لا يشعرون**، أي من حيث يأمنون[8] نزولَ العذاب بهم.[9]

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، العذابُ الذي نزل بهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر إنما هو عذابُ العناد والتعنت وأفعالٍ فعلوها في حال الكفر. [وأما عذاب الكفر][10] فهو في الآخرة أبد الآبدين[11] خالدين مخلَّدين فيه، ولذلك قال: **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**، أي بينا للناس في هذا القرآن من كل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم. أو بيّن لهم[12] ما لهم وما عليهم، أو ما لله عليهم،

---

[1] ر م: فاختاروهم.
[2] ر ن م: ليحوفهم.
[3] جميع النسخ: ما نزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ظ.
[4] ن: ابعث.
[5] ر م: يحذرهم.
[6] جميع النسخ: يوم القيمة.
[7] جميع النسخ: يعني. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧و.
[8] ر ن م: لا يأمنون.
[9] جميع النسخ: العذاب أي ينزل بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ظ.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ظ.
[11] جميع النسخ + فيه.
[12] ر ن م: أخبر هم؛ ث: أخبرهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧و.

أو ما[1] لبعضهم على بعض، وأمثاله. *والله أعلم*. وقوله: **لعلهم يتذكرون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لكي يَلزَمَهم التذكر والاتعاظُ. والثاني لكي يَبلغهم ما يتذكرون ويتعظون.[2]

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **قرآنا عربيا**، أي جعلناه قرآنا عربيا، كقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،[3] لكي يفقهوه ويعرفوه، كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ،[4] الآية. وقوله: **غير ذي عوج**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه لا يخالف الكتب السالفة بل يوافقها، لأن كتب الله جاءت كلّها على الدعاء إلى توحيد الله وربوبيته فكذلك القرآن فهو لا يخالف سائر الكتب بل يوافقها. والثاني لا عوج فيه لِما لا يخالف بعضها بعضا ولا يناقض، بل خرج كله موافقا[5] بعضُه بعضا[6] مستقيما على تباعد نزوله في الأوقات. *وبالله التوفيق*. وأصل[7] **غير ذي عوج**، أي ليس بمائل ولا زائغ عن الحق. وقوله: **لعلهم يتقون**، أي يتقون المهالك أو سَخَط الله ونقمته.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٩]

وقوله: **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما**، و[قرئ] سالما[8] **لرجل هل يستويان مثلا**، أي لا يستويان. يشبه أن يكون ما ذكر من المَثَل لرجلين [مَثَلًا] من البشر كلِّه المسلمين والكافرين.[9] ثم يحتمل الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، أي يتشاكسون / في نسبه يدّعي كلٌّ نسبه؛ أو يتشاكسون في الملك فيه، يقول كلٌّ: هو [٦٦٦و]
لي؛[10] أو في الملك في قوم يدعي كل أن المُلك له فيه. أو يدعي كل أن الملك فيهم له،[11]

---

[1] ن ث + ما لله عليهم أو ما.
[2] ر: وتتعظون.
[3] سورة يوسف، ٢/١٢.
[4] سورة إبراهيم، ٤/١٤.
[5] ث: موافق.
[6] ر ن ث: بعضه.
[7] جميع النسخ: وأصله.
[8] ر م – سالما. الزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧ظ.
[9] جميع النسخ: المسلمون والكافرون. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ط.
[10] جميع النسخ: في. التصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ط.
[11] ر ث م – له.

ولا يثبت لواحد منهم النسب فيه لينتسب هو إلى واحد منهم فيبقى متحيرا تائها. ولذلك لا يثبت لواحد منهم الملكُ الذي يدّعي ليطلب هذا منه النفقة وما يجب على ذي الملك من حقوق الملك، فيبقى ضائعا متحيرا. وإذا كان الْمُلْكُ[1] لرجل واحد أو النسبُ[2] سالما[3] له يصل إلى كل حق له ويكون محفوظا في نفسه معروفا. فيكون مثلُ الذي فيه شركاء متشاكسون هو الذي يعبد الشيطان أو الأصنامَ أو هوى[4] النفس يدعو[5] كل شيطان إلى غير الذي دعا الآخر. وكذلك الهوى يدعو[6] صاحبَه مرة إلى كذا ومرة إلى غير ذلك فهو كالذي فيه شركاء متشاكسون يدّعي[ه] هذا وهذا [فيبقى متحيرا].[7] والذي يعبد إله الحق الذي ثبتت[8] ألوهيته بالحجج والآيات كالرجل السالم لواحد[9] يكون أبدا على حالة واحدة مطيعا لله خالصا له.

وقوله: **هل يستويان مثلا**، أي هل يستوي الرجل الذي يدّعي فيه شركاء متشاكسون والرجل الذي يكون لرجل واحد فيما ذكرنا، أي لا يستويان. وقال أهل التأويل: **هل يستويان**: مَن يعبد آلهة شتى[10] مختلفة والذي يعبد ربّا واحدا، وهو المؤمن. وقد رأوا أنهم قد استويا[11] في هذه الدنيا،[12] وفي الحكمة التفريق بينهما، وفيه دلالة البعث. وكذلك في قوله: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا،[13] أي لا يستويان[14] وقد استويا[15] في هذه الدنيا. دلّ أن هناك[16] دارا أخرى يفرّق بينهما؛ إذ في الحكمة والعقل التفريق بينهما. ***والله أعلم.***

---

[1] ر: متحيرا وكان إذا الملك.
[2] جميع النسخ + أو الملك.
[3] جميع النسخ: سالم.
[4] ر: أو هو.
[5] ن: يدعوا.
[6] ن: يدعوا.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٨ظ.
[8] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧ظ.
[9] ر ث م: الواحد.
[10] ن: بشيء.
[11] جميع النسخ: قد استووا.
[12] ر م: هذه لدنيا.
[13] سورة هود، ٢٤/١١.
[14] ر م – مثلا أي لا يستويان.
[15] جميع النسخ: قد ستووا.
[16] ر ن ث: هنالك.

وقوله: **الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**،[1] ذكرُ الحمد على إثر ذلك يخرج على الوجهين.[2] أحدهما [أمرهم] أن يحمدوا ربهم[3] على ما خصهم بالتوحيد من بين[4] الكفار، **بل أكثرهم لا يعلمون** توحيد ربهم. والثاني أمرهم أن يحمدوا ربهم على ما جعلهم سالمين له ولم يجعل فيهم[5] شركاء متشاكسين.[6]

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: الشركاء المتشاكسون أي مختلطون يتنازعون ويَتَشاحُّون.[7] **ورجلا سالما**، أي خالصا. ومن قرأ: **سَلَمًا لرجل**،[8] أراد سَلِمَ إليه فهو سِلْم له.[9]*

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٣١]

**إنك ميت وإنهم ميتون**، وجه ذكر هذا على إثر ما تقدم من قوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا،[11] وقد استويا[12] في هذه الدنيا: من أخلص نفسه ودينه لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ومن جعل فيه شركاء ولم يُسلم نفسه له وهو الكافر؛ ثم تموت أنت ويموتون هم. فلو لم تكن[13] دار[14] أخرى يُمَيِّز[15] فيها ويفرِّق بين الذي جعل نفسه سالما[16] لله خالصا له وبينَ مَن لم يفعل ذلك لكان في ذلك استواءٌ بين من ذكر،

---

[1] ت + توحيد ربهم والثاني أمره أن يحمد ربه على ما جعله سالما.

[2] ن ت: على وجهين.

[3] جميع النسخ: أن يحمد ربه. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧ظ.

[4] ر + أي هذا كهذا وأن يكون مقابله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أنعم في النعيم الدائم ليس هذا كذلك والله أعلم ثم قوله عز وجل أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أنعم في النعيم الدائم.

[5] جميع النسخ: أمره أن يحمد ربه على ما جعله سالما له (ر ت م – له) خالصا بل يجعل فيه.

[6] جميع النسخ: متشاكسون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٧ظ.

[7] تشاحوا في الأمر وعليه: شح به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حذَر فوته. يقال: هما يتشاحان على أمر إذا تنازعاه، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته (*لسان العرب*، «شحح»).

[8] ت – لرجل.

[9] ر م – له.

* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٢٣ ورقم ٢٤. فنقلناهما إلى محلهما. انظر: ورقة ٦٦٦و/ سطر ١٨-٢١.

[11] الآية السابقة.

[12] جميع النسخ: وقد ستووا.

[13] جميع النسخ: فلو لم يكن.

[14] ر م: دارا.

[15] ن: تميز.

[16] ر م: سلما.

وفي الحكمة أن لا استواء بينهما وقد يموت[1] السالم نفسه لله ويموت الآخر. دلّ أن في ذلك بعثا[2] يثاب هذا ويعاقب الآخر. *والله أعلم*.

أو أن يذكر هذا لما كانوا يتشاءمون[3] برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيّرون فيما يصيبهم من المصائب والشدائد[4] حتى قال عز وجل: أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ،[5] أي لا يَخلُدون. فعلى ذلك يقول عز وجل: **إنك ميت وإنهم ميتون**، أيضا أي لا يَبقَوْن هم[6] بعد موتك أبدا ولكنهم يموتون، ولو كان ما يصيبهم بك[7] على ما يزعمون هم[8] فيخبر أن لا يصيبهم بعد موتك. نحوَ هذا يحتمل. *والله أعلم*.

أو أن يقول: **إنك ميت**، فتصل إلى ما وعد لك[9] من الكرامات والثواب ويموتون هم فيصون إلى ما أُوعدوا من المواعيد والعقوبات. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**، وروي عن ابن عمر رضي الله عنه[10] قال: كنا لا نعلم ما تفسير[11] هذه الآية وكنا نقول: من يخاصم؟ فلما وقعت الفتنة بين أصحاب رسول الله حتى كَفَح بعضنا وجوهَ بعض بالسيوف فعرفتُ أنها نزلت فينا.[12] وذكر عن الزبير لما نزلت هذه الآية فقال: يا رسول الله،[13] أتُكرّر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ فقال: «نعم» فقال: إن الأمر إذن[14] لشديد.[15]

---

[1] ر م: يموتون.
[2] جميع النسخ: بعث.
[3] ن ث م: يتشأمون.
[4] ن: الشدائد.
[5] سورة الأنبياء، ٣٤/٢١.
[6] م – هم.
[7] جميع النسخ + س أنت.
[8] ر ث م – هم.
[9] جميع النسخ: فيصل إلى ما وعد ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.
[10] ث: عنهما.
[11] ر ث م: يفسر.
[12] ن: فينا. *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٥/١٢.
[13] ن: فقال برسول الله.
[14] جميع النسخ: إذا.
[15] سنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٣٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٧/١٢.

وروي عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لما نزلت هذه الآية أنهم قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟[١] فلما قتل عثمان ظلما وعدوانا علموا أنها لهم وفيهم.[٢] *والله أعلم.*

ثم خصومتهم هذه يوم القيامة يحتمل وجهين. أحدهما في المظالم في الحقوق التي كانت لبعض على بعض، أو[٣] في الدين، أو في أمر الدين. أو أن يكون قوله / عز وجل: [٦٦٦ظ] **إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**، لَمّا بلغت المحاجّة غايتها في الدين والدنيا ولم تنجع[٤] فيهم ولا قبلوها[٥] أخبر أنهم يختصمون في ذلك يوم القيامة في الوقت الذي يعاينون العذاب ويظهر لهم الحق فينقادون لها في ذلك الوقت فلا ينفعهم ذلك. *والله أعلم.*

وفي حرف ابن مسعود: إنك مائت وإنهم مائتون. والعرب تقول:[٦] مات يمات فهو مائت.

**﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾**[٣٢]

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه**، يقول: لا ظُلْمَ أعظم ولا أفحش من الكذب[٧] على من يتقلب[٨] في إحسانه ويَتَصرف[٩] في نَعْمَائه، وأنتم تتقلبون[١٠] في نعم الله وأنواع إحسانه، فلا ظلم أعظم ولا أفحش من الكذب عليه. وقوله:[١١] **وكذّب بالصدق إذ جاءه**، ولا ظلم أعظم وأفحش من تكذيب خبره وردِّه، إذ لا خبر أصدق من خبره ولا حديثَ أحقُّ من حديثه.

---

[١] ن: أخوان.
[٢] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٦/١٢.
[٣] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من مستفاد من *الشرح*، ٦٥٩و.
[٤] ن ث م: ينجع؛ ر: ولم ينج.
[٥] ر ن م: ولا قتلوها.
[٦] ر ث م: يقول.
[٧] ر ن م: ما يكذب؛ ث: مما يكذب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.
[٨] ر م: يقلب.
[٩] ر م: وينصرف.
[١٠] ر م: تنقلبون.
[١١] جميع النسخ - قوله. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.

وقوله عز وجل: **أليس في جهنم مثوًى للكافرين**، كأنه يقول: أليس جهنم كافٍ للكافرين مثوًى، كقوله عز وجل: حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا،[1] أي حسبهم جهنَّمُ عقوبةً لهم بكفرهم وتكذيبهم. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **والذي جاء بالصدق وصدق [به]**، اختلف أهل التأويل فيه. قال بعضهم: **والذي جاء بالصدق**، جبرائيلُ عليه السلام **وصدق به**، محمدُ صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: **والذي جاء بالصدق**، محمدُ صلى الله عليه وسلم **وصدق به**،[2] أبو بكر الصديقُ رضي الله عنه. وقال بعضهم: **والذي جاء بالصدق**، محمد[3] **وصدق به**[4] أصحابه جميعا. فأهل[5] التأويل على اختلافهم اتفقوا أن الذي جاء به جبريل أو محمد صلى الله عليه وسلم[6] هو التوحيد، ومن صدَّق به صدَّق ذلك التوحيدَ. وعلى ذلك قوله: ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ،[7] في الموحدين المؤمنين. فإن كان التأويل ما ذكر أهل التأويل،[8] ففيه نقض قول الخوارج والمعتزلة: إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وإنه يخلَّدُ في النار؛ لأنه قال: **والذي جاء بالصدق وصدق به**، وكل مرتكب الكبيرة مصدِّق بالذي جاء به جبرائيل ومحمد. ثم أخبر أنهم **هم المتقون**، أي اتَّقَوْا الشرك، وقال لأولئك أيضا: إنه يكفِّر عنهم ما ارتكبوا من المَساوئ، وهو قوله: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا،[9] دلّ أن لهم مَسَاوِئَ. ثم إن شاء عذب على تلك المساوئ وَقْتًا ثم أعطاهم ما وعد، وإن شاء عفا عنهم وتجاوز[10] وأعطاهم ما ذُكر. فكيف ما كان فلهم ما ذكر، إذ هم على تصديق بما جاء [به] محمد صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿وإذا جاءوك حيَّوْك بما لم يُحيِّك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذِّبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ (سورة المجادلة، ٨/٨٥).
[2] ر م – به.
[3] ث – محمد.
[4] ر م – به.
[5] جميع النسخ: قلنا أهل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٦٥٩و.
[6] ث: عليهما الصلوات والسلام.
[7] سورة المائدة، ٥/٨٥؛ والآية ٣٤ من هذه السورة.
[8] جميع النسخ: فإن كان التأويل ما ذكر أهل التأويل وعلى ذلك قوله ذلك جزاء محسنين أي الموحدين المؤمنين. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] الآية ٣٥ من هذه السورة.
[10] ر ب ه: ويجاوز.

وجائز أن يكون قوله عز وجل: **والذي جاء بالصدق وصدّق به**. يحتمل وجهين. أحدهما صدّق بقلبه، أي جاء بالقول وتصديق القلب. والثاني صدّق به في المعاملة في اجتناب كل ما لا يَصلُح[1] ولا يوافق ولا يليق[2] الذي جاء به. وعلى ذلك ذكر عن الحسن قال: يا ابْنَ آدم قُلتَ لا إله إلا الله، فَصَدِّقْهَا. فإن كان التأويل هذا فهو أشدّ. لكنه وإن لم يعامل المعاملة التي توافق[3] الذي جاء به وهو التوحيد ولم يجتنب[4] ما ذكرنا فإن له ما ذَكَرَ، إما بعد[5] التعذيب[6] وإما بعد العفو. *والله أعلم*.

**﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٤]**

وقوله: **لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين**، دل هذا أن ذلك الوعد للجماعة، ليس لواحد ولا لاثنين[7] وهو لجميع المؤمنين.

**﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون**، ذَكَر نوعين من العمل: السّيء والحسنَ. ثم أخبر أنه يُكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم بأحسن، فيحتمل الأحسنُ الحسناتِ أنفسَها[8] يجزيها ويكفِّر السيئات. ويحتمل أنه[9] يكفّر السيئات أسوأها[10] وأعظمَها ويجزي على أحسن الحسنات[11] وأعظمِها. فعلى هذا أحسن وأسوء من نوعها: أحسن الحسنات وأسوء السيئات، وعلى الأول من غير نوعها، أي يكفر السيئات ويجزي بالحسنات.[12] *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: في اختيار كل ما يصلح ولا يوافق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.
[2] ر ث م – ولا يليق.
[3] جميع النسخ: وإن لم يعامل الذي يوافق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.
[4] ر ث م: م يجتنب.
[5] ث – بعد.
[6] جميع لنسخ: التوحيد. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: ولا اثنين. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: نفسها. والتصحيح من نسخة الظاهرية، ورقة ٤٦٩و.
[9] ر ث م: أنها.
[10] جميع النسخ – أسوأها. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٩و.
[11] ن + وأسوء السيئات.
[12] وعبارة *الشرح* نسخة مدينة هكذا: «أخبر أنه يكفر أسوأ الذي عملوا ويجزيهم بأحسن الذي عملوا ويحتمل بالأحسن بمعنى الحسن، والأسوأ بمعنى السيئ، أي يجزي الحسنات كلها؛ ويكفر السيئات، يحتمل أي يجزأ بظاهرها أي يكفر السيئات أسوأها وأعظمها ويجزي على أحسن الحسنات وأعظمها. والله أعلم». ورقة ٧٧٥و.

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣٦] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **أليس الله بكاف عبده**، وعِبَادَهُ، أيضا.[١] الآية يُحتج بها على إثبات الرسالة، وكذلك قوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،[٢] وكذلك قوله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ،[٣] ونحوُ ذلك، وأمثاله كثيرة. لأنه بعثه وحده -لا عون معه ولا ناصر[٤] له من البشر- رسولا إلى الأعداء. وكان يقرع أسماعَهم بهذه[٥] الآيات التي ذكرنا وغير ذلك من قوله: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ.[٦] ثم لم يقدِروا على إهلاكه بل عصَمَه من كيدهم ومكرهم على ما قال: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[٧] فبلَّغ إليهم ما أُمر بتبليغه[٨] من غير[٩] أن قدروا على ما قصدوا به. وفي ذلك لطفٌ من الله عظيم ودلالةٌ على[١٠] إثبات الرسالة. ثم قوله عز وجل: **أليس الله بكاف عبده**، وإن خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فهو في الحقيقة على الإيجاب والتقرير، لأنهم كانوا يعلمون أن الله عز وجل هو الكافي لخلقه، من ذلك أنهم إذا سُئِلوا مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض قالوا: الله تعالى،[١١] وإذا سئلوا من يرزقكم قالوا: الله،[١٢] ومَنْ أَنْزَلَ مِن / السماء ماءً ومن أخرج من الأرض النباتَ[١٣] ونحو ذلك: قالوا الله. [٦٦٧و]

---

[١] واختلفوا في "بكاف عبده"، فقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف: "عباده"، بألف على الجمع، وقرأ الباقون: "عبده"، بغير ألف على التوحيد. (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٠)؛ وانظر أيضا: *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٦٢٢.

[٢] ن – لا إله إلا هو. سورة التوبة، ١٢٩/٩.

[٣] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.

[٤] ر م: ولا نصر.

[٥] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.

[٦] ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدونِ فلا تنظرون﴾ (سورة الأعراف، ١٩٥/٧).

[٧] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[٨] ر م: تبيلغه.

[٩] ت: ما غير.

[١٠] ن م – على.

[١١] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولُنّ الله فأنى يؤفكون﴾ (سورة العنكبوت، ٦١/٢٩).

[١٢] ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سورة سبأ، ٢٤/٣٤).

[١٣] ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (سورة يونس، ٣١/١٠).

فعنى ذلك قوله: **أليس الله بكاف عبده**، أي قد[1] تعلمون أن الله هو الكافي لجميع خلقه في الدفع والذّبِّ[2] عنهم والنصر لهم، فإذ عرفتم ذلك فكيف تخوّفون[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي تخوفونه. ***والله أعلم***.

[٦٧١و س١٦] *وقال بعضهم في قوله عز وجل: **أليس الله بكاف عبده**. قال: بلى واللهِ ليكفينه الله وبعزّه وبنصره كافٍ عبدَه، وأصله ما ذكرنا. والله أعلم.* [٦٧١و س١٧]

وقوله عز وجل: **ويخوّفونك بالذين من دونه**، اختلف فيه. قال بعضهم: [أي يخوفونه][5] بأهل الأرض جميعا يقولون له: إن العرب يفعل بك كذا ويعملون بك كذا،[6] كانوا يُخَوِّفونه بهم. وقال بعضهم: كانوا يُخَوِّفُونه بالأصنام التي كانوا يعبدونها أن يصيبه سوءٌ[7] وأذًى من ناحيتها، كقوله عز وجل: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ.[8] وكان هذا أشبهَ بالآية، لأنه ذكر على إِثْرِ ذلك وعقّبه بالأصنام[9] حيث قال عز وجل: قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ،[10] هذا يدل أن ما ذكر من تخويفهم إياه إنما كان بالأصنام[11] التي كانوا يعبدونها.

وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدى الله فما له من مضل**، أخبر أنه إذا أراد هداية أحدكم لم يملك أحد إضلالَه، وإذا أراد إضلال أحد لم يقدر أحد على هدايته. ذكر في الدين أن لا أحدَ يملك دفعَ من أراد من هدًى أو ضلالٍ ولا مَنْعَه من ذلك[12] على ما ذكر في الرزق وأسباب العيش، وعلى ما ذكر في ضرر[13] الأنفس وحفظها حيث قال:

---

[1] ر م – قد.
[2] ث: والدرء؛ ن: والدر.
[3] جميع النسخ: يخوفون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧١و/سطر ١٦-١٧.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[6] ث – ويعملون بك كذا.
[7] ث: سوؤا.
[8] سورة هود، ٥٤/١١.
[9] جميع النسخ: الأصنام.
[10] الآية ٣٨ من هذه السورة.
[11] جميع النسخ: وعقبه الأصنام. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[12] جميع النسخ: على ذلك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[13] جميع النسخ – ضرر. والزيادة من المرجع السابق.

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ [مِنْ بَعْدِهِ]،[1] وقال في الأنفس: إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ.[2] وقد اجتمعوا في ذلك أعني[3] في الرزق والعيش وضرر الأنفس وحفظها أن لا أحد يملك دفع ما أراد هو، فعلى ذلك في الدين لأن الذكر خرج في الكل على مخرج واحد. وذلك على المعتزلة لقولهم: إن الله تعالى قد أراد هداية كل أحد ونصر كل وليّ لكنّ غيره منعه عن ذلك؛ فهو وحْشٌ من القول سَمْجٌ. *وبالله العصمة والنجاة.*

[٦٦٧و س٣٥ *ثم جائز أن يكون قوله: **ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل،** يخرج على الصلة بقوله: **أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه.** كأنه يقول: من أضله[4] اللهُ -حتى لا يعلمَ أن الله هو كافٍ عبدَه وأن ما يخوفون به لا يقع[5] به خوف ولا يلحق به ضرر- فلا هادي له ومن هداه فعرف ذلك فلا مُضِلَّ له عن ذلك. *والله أعلم بذلك.** ٦٦٧و س٣٩]

وقوله عز وجل: **أليس الله بعزيز ذي انتقام،** هو على الإيجاب والتقرير، أي يعلمون أنه عزيز ذو انتقام، أي عزيز لا يُعجزه شيء، ذو انتقام[7] لأوليائه من أعدائه.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**[٣٨]

وقوله: **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله،** قد علموا أن لا خالِقَ سواه، وعرفوا أنه لا يملك أحد سواه كشفَ ما أراد هو من الضُّرِّ[8] بأحد ولا إمساكَ ما أراد من الرحمة بأحد، ولذلك فَزِعوا إليه عند نزول البلاء بهم و لم يفزَعوا إلى ما عبدوه[9] من الأصنام ولا إلى أحد من الخلائق.[10] دل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك به ينال من خير أو غيره.

---

[1] سورة فاطر، ٢/٣٥.
[2] الآية لتالية.
[3] ر ث م - أعني.
[4] جميع النسخ: أضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[5] ر م: ولا يقع.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٦٧و/ سطر ٣٥-٣٩.
[7] ث - أي عزيز لا يعجزه شيء ذو انتقام.
[8] ر ث م: من الضرر.
[9] جميع النسخ: من عبدوهم من دونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[10] ر م: من الخالقين.

ولذلك[1] احْتَجَّ عليهم بما احتج ولو لم يكونوا علموا بذلك لم يكن ليحتج عليهم بذلك وهم بذلك[2] منكرون. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون**، في قوله: **حسبي الله**، ما ذكرنا من اللطف والدلالة على إثبات الرسالة. *والله أعلم*.

**﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾**[٣٩] **﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾**[٤٠]

وقوله عز وجل: **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الإياس منهم أنهم لا يؤمنون ولا يجيبون[3] إلى ما دُعُوا إليه بعد ما أقيم عليهم الحجج والبراهين. كأنه يقول: اثْبتوا[4] أنتم على دينكم واعملوا له ونَثْبُت[5] نحن على ديننا ونعمل له، فسوف تعلمون أيُّنا[6] على الحق: نحن أو أنتم؟ وهو كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[7] أي لا أَدِينُ[8] أنا[9] بدينكم ولا أنتم تدينون بدِيني،[10] ولكن يلزم كل منّا دينه الذي عليه، فعلى ذلك الأول.

والثاني على التوبيخ لهم والتعيير، يقول: اعملوا على مكانتكم أنتم مما تقدرون من الكيْدِ لي والمكرِ، وأنا عامل ذلك بمكانتكم، كقوله عز وجل: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[11] وغيرِ ذلك من الآيات التي فيها ذكر توبيخهم وتعييرهم. *والله أعلم*.

وفي هذه الآية وفيما تقدم من قوله عز وجل: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ،[12] إلى هذا الموضع تقرير وتوبيخ ومُنابذة[13] وإياسٌ. فأما الإياس فهو في قوله: **يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل**،[14]

---

[1] ر م + فزعوا إليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا.
[2] ن: وهم لذلك؛ ر – وهم بذلك.
[3] ن: ولا يجتنبون.
[4] ر م: أنيبوا.
[5] ر: تنيب؛ ن م: ننيب؛ ث: ونثيب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٩٠و.
[6] جميع النسخ: أنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[7] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[8] ث: لا ندين.
[9] ر ن م: أننا؛ ث – أنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[10] جميع النسخ: بديننا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.
[11] ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾ (سورة الأعراف، ١٩٥/٧).
[12] الآية ٣٦ من هذه السورة.
[13] ر ن ث: منابرة
[14] ر ث م – إني عامل

والتقرير في قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[1] والمنابذة[2] في قوله: قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ،[3] والتوبيخُ في قوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ.[4]*

وقوله عز وجل: **من يأتيه عذاب يُخزيه**، جائز أن يكون ذلك العذاب الذي يأتيه هو عذابا[6]

[٦٦٧ظ] / في الدنيا من نحو القتل والتعذيب بالذي أُهلك الأولون المعاندون للرسول؛ **يخزيه**، أي يفضحه. **ويَحِلّ عليه عذاب مقيم**، في الآخرة، وهو عذاب الكفر. وإلى ذلك ذهب بعض أهل التأويل. وجائز أن يكون ذلك كلُّه في الآخرة. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾**[٤١]

وقوله عز وجل: **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق**، هذا كأنه [يقول][7] -والله أعلم-: **إنا أنزلنا عليك الكتاب**، لتحكم[8] بين الناس بالعدل على ما ذَكَرَ في آية أخرى: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ [بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ]،[9] فعلى ذلك يكون[10] قوله: [**بالحق**، أي بالعدل. وقوله:][11] **فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها**، أنشأ الله -عز وجل- البشر[12] دَرّاكا مميّزا بين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح، وبيّن ما لهم وما عليهم وبيّن السبيلين جميعا بالحجج والبراهين[13] غايةَ البيان، وأوضح كل سبيلٍ نهايةَ الإيضاح [يدرك]

---

[1] الآية ٣٨ من هذه السورة.

[2] ر ن ث: والمنابزة.

[3] نفس الآية.

[4] الآية ٣٦ من هذه السورة.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣٧، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٦٧و/ سطر ٣٥- ٣٩.

[6] جميع النسخ: عذاب.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٩ظ.

[8] ر: كتحكم.

[9] سورة النساء، ١٠٥/٤.

[10] جميع النسخ: ويكون.

[11] الزيادة من المرجع السابق.

[12] م: لبشر.

[13] ر م - بالحجج والبراهين.

من سَلَكَه أنه إلى ماذا يُفْضيه[١] ويُنهيه. ثم امتحنهم في ذلك ومكَّن لهم من السلوك في كل واحد من السبيلين بَعْد البيان منه أنه من سلك سبيل كذا أفضاه إلى كذا، ومن سلك سبيل كذا أفضاه إلى كذا، امتحانا منه. ثم أخبر أنه فيما امتحنهم لم يمتحنهم لمنفعة يرجع إليه أو لمضرة يدفع عن نفسه، ولكنْ إنما امتحنهم لمنفعة يرجع إليهم إذا اختاروا ترك سلوكِ سبيل الباطل، وهو ما ذكر في غير آي من القرآن. أحدهما هذا حيث قال: **فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها**. والثاني بما قال عز وجل: إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٢] أي فعليها وغير ذلك من الآيات التي تُبين[٣] أنه إنما امتحنهم لمنفعة أنفسهم واكتساب الخير الدائم هم. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم قوله: **وما أنت عليهم بوكيل**، يخبر أن ليس عليك إلا تبليغُ ما أُرسِلتَ وأُمرتَ بتبليغه[٤] إليهم، كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[٥] وقوله عز وجل: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٦] وقوله تعالى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٧] وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً[٨] والوكيل هو[٩] الحفيظ. ***والله أعلم***.

**﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٤٢]

وقوله عز وجل: **الله يتوف الأنفس حين موتها**، إلى آخر ما ذكر. قال ابن عباس: كل نفس لها سبب تجري[١٠] فيه، فالتي قضى عيها الموتَ في منامها يُمسكها فينقطع السبب،

---

[١] ر م: يفضه؛ ن: مفضية.
[٢] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[٣] ر م: يبين.
[٤] ر م: تبليغه.
[٥] سورة الشورى، ٤٨/٤٢.
[٦] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[٧] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[٨] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ (سورة النساء، ٨٠/٤)، وإلى قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عيهم وكيلا﴾ (سورة الإسراء، ٥٤/١٧).
[٩] ر م – هو.
[١٠] ر ت م: يجري.

ويرسل التي لم يقض الموتَ عليها[1] فتجري[2] في السبب حتى تجري[3] في الجسد كله.[4] لكن لم يفهم مما ذكر ابن عباس تأويل[5] الآية. وعن سعيد بن جبير قال: يجمع[6] بين أرواح[7] الأحياء وبين أرواح الأموات فيتعارف ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموتَ ويرسل الأخرى إلى أجسادها.[8] وبهذا أيضا لم يفهم شيء من تأويل الآية. وقال الكلبي: النائم مُتَوَفًّى حين يردّ الله إليه نفسه،[9] فأما التي يتوفاها حين موتها فإنه يقبض الروح والنفس جميعا، ويُرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغَ[10] أجلَها المسمَّى وهو الموت. ويقال: إنما يقبض الله من النائم النفس والروحُ في الجسد لم يفارقه، فإذا قبض الله الروح ذهبت النفس مع الروح. وهذا الذي ذكر الكلبي أقربُ إلى تأويل الآية مِنَ الذي ذكر أولئك.

وأصله أن الله عز وجل جعل في الأجساد أنفسا درّاكة وأرواحا[11] بها[12] تحيا[13] الأجسادُ في حال نومها على الهيئة التي كانت من قبل ليس بها أثرُ الموتِ، لكنها لا تدرك شيئا ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، وبها آثار الحياة. يدلنا هذا على أنها في حال النوم قد ذهب منها وخرج ما به يُدرَك الأشياء وبقي منها ما به تحيا[14] وهو الروح، فإذا خرج الروح منها[15]

---

[1] جميع النسخ – في منامها يمسكها فيقطع السبب ويرسل التي لم يقض الموت عليها. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٠و.

[2] ر ث م: فيجري.

[3] ر ث م – في السبب حتى تجري.

[4] «عن ابن عباس في قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها...﴾ قال: كل نفس لها سبب تجري فيه، فإذا قضي عليها الموت نامت حتى ينقطع السبب ﴿والتي لم تمت﴾ تترك» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٥/١٢). وقال الآلوسي في تفسير هذه الآية: «قال بعض الحكماء المتألهين: إن القلب الصنوبري فيه بخار لطيف هو عرش للروح الحيوانية وحافظ لها وآلة يتوقف عليها آثارها، والروح الحيوانية عرش ومرآة للروح الإلهية التي هي النفس الناطقة وواسطة بينها وبين البدن بها يصل حكم تدبير النفس إليه، وإلى عدم التغاير ذهب جماعة، وهو قول ابن جرير وأحد قولين لابن عباس» (*تفسير الآلوسي*، ٨/٢٤).

[5] ر: تأويله.

[6] ر م: تجمع.

[7] ر ن: لأرواح.

[8] *تفسير الطبري*، ٢١٥/٢٠.

[9] ر ث م – نفسه.

[10] ر ث م: يبلغ.

[11] ر ي م: في الأجساد أشياء وأرواحا؛ ن: وأروحا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠و.

[12] ر ث م – بها.

[13] ر ث م: يحيى.

[14] جميع النسخ: يحيى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٩٠ظ.

[15] جميع النسخ + وإن.

كانت لا تدرك[1] شيئا على الهيئة التي كانت من قبل. دل ذلك على أن الذي به تُدرك[2] الأشياءَ غيرُ الذي به تحيا.[3] *والله أعلم*. ألا يرى أنها في حال النوم تلك الأنفس الدراكة -حيث كانت- تتألّم وتتلذّذ وتقضي الشهوات وهي في أقصى الدنيا؟ هذا كله يدل على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

ثم على هذا جائز أن يكون ما ذُكر من عذاب القبر أنه إنما يكون على تلك الأنفس الدراكة لا على الروح على ما ذكرنا من تألُّمِها وتلذُّذِها بعد خروجها من الأجساد ومفارقتها عنها. *والله أعلم*.

ثم أضاف في هذه الآية التَّوَفِّيَ إلى الله، وفي آية أخرى أضافه إلى الرسل، حيث قال الله عز وجل: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا،[4] الآية، وأضاف مرة إلى ملك الموت حيث[5] قال عز وجل: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ،[6] الآية.

ثم يحتمل إضافة التوفي إلى[7] الرسل وإلى ملك الموت وجهين. أحدهما وإن كان[ت] حقيقةُ التوفي والموت بالله لما يخلق فعل قبضهم الروح منها وينشئ[8] ذلك منهم، وهو كما ذُكِر من البشرى لهم وطُمَأْنِينَة[9] القلوب عند بَعْثه إليهم الملائكةَ بالإعانة لهم والنصر حيث قال عز وجل: وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، ثم[10] قال عز وجل: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ،[11] أخبر أنه جعل لهم بَعْثَ الملائكة بِشَارَةَ النصر وأن حقيقة النصر ليس إلا من عند الله. فعلى ذلك ما ذكر من إضافة التوفي إلى الرسل لما يخلق فعل قبضهم الروح وكان حقيقةُ ذلك لله عز وجل. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لا يدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠و.

[2] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٠٠و.

[3] جميع النسخ: يحيى.

[4] ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموتُ تَوَفَّتْه رُسُلنا وهم لا يُفَرِّطُون﴾ (سورة الأنعام، ٦١/٦).

[5] ر ن م: حين.

[6] ﴿قل يَتَوَفَّاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (سورة السجدة، ١١/٣٢).

[7] ر م - إلى.

[8] جميع النسخ: ويشبه.

[9] ر م: لهم طمأنينة

[10] ر م - ثم.

[11] سورة آل عمران، ١٢٦/٣.

[٦٦٨و] والثاني يكون[1] من الله لطف في ذلك ومعنًى لا يكون ذلك منهم، لكنه / لم يبيّن ما ذلك اللطف وما ذلك[2] المعنى الذي[3] يكون منه. والله أعلم بذلك.

ثم قوله: **يَتَوَفَّى الأنفسَ حين موتِها**، أي حين خلق موتها[4] بقبض الروح منها. وقوله: **والتي لم تَمُت في منامها**، لم يقبض منها الروح يرسل إليها النفس الدرّاكة إلى الأجل الذي جعل لها. *والله أعلم*. وقوله: **يتوفى الأنفس**، جائز أن يكون من القبض أي يقبض الأنفس، وجائز أن يكون من العدّ كقوله: إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.[5]

وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**، يحتمل قوله: **لآيات**، العِبر أو الأعلام أو الحجج. وقوله: **لقوم يتفكرون**، ويعلمون[6] أن من قَدَرَ على استخراج تلك الأنفس الدراكة من الأجساد وإبقائها على الهيئة التي كانت إلى وقت لا تُدرِكُ[7] شيئا، ثم ردِّها إليها وإعادتِها على ما كانت، قادرٌ بذاته لا يعجِزه شيء. إذ من قَدَرَ[8] على إنشاء النفس الدراكة في الأجساد حتى تُدرِكَ[9] بها لا يحتمل أن يَعجزَ عن إعادة الأجساد بعد ما بلِيَتْ وفَنِيَتْ. وذاك ألطف[10] من هذا وأكبر، لأن الناس قد يتكلفون تصوير صور النفس الظاهرة،[11] ولا أحدَ يتكلف تصوير نفس دراكة أو تصوير ما به يُدرَك. دل هذا على أن ذاك ألطف وأكبرُ، أعني إنشاء نفس دراكة[12] من غيرها، وهم أقرُّوا بذلك فيلزمهم الإقرار بالبعث. *والله أعلم*.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **أم اتخذوا من دون الله شفعاء**، على ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع أن حرف الاستفهام والشك إذا أضيف إلى الله عز وجل فهو على الإيجاب والإلزام. ثم قال بعض أهل التأويل:

---

[1] جميع النسخ: والبشارة أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠و.
[2] جميع لنسخ: وذلك. والزيادة من المرجع السابق.
[3] ر م – الذي.
[4] ر – أي حين خلق موتها.
[5] ﴿فلا تَعجلْ عليهم إنما نعد لهم عدا﴾ (سورة مريم١٩/٨٤).
[6] ر م: ويعملون.
[7] جميع النسخ: إلى الوقت لا يدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠و.
[8] جميع النسخ: أو من قدر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٠٦٠و.
[9] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠ظ.
[10] ر م ن: اللطف.
[11] جميع النسخ: الأنفس ظاهرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠ظ.
[12] ر ن م – أو تصوير ما به يدرك دل هذا على أن ذاك ألطف وأكبر أعني إنشاء نفس دراكة.

إن قوله عز وجل: **أم اتخذوا من دون الله شفعاء**، هم الملائكة الذين عَبَدوهم،[١] لكنه بعيد، لأنه قال عز وجل في ذلك:[٢] **قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون**، والملائكة أهل العقل والعلم وإنهم يملكون ذلك إذا جُعِلَ لهم ومُلِّكُوا. لكن الآية في الأصنام التي كانوا[٣] يعبدونها من دون الله على رجاء أن يشفع لهم وتقرب[٤] عبادتهم إياها إلى الله زلفى، لقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٥] وقولهم:[٦] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٧] فهو أشبه بالأصنام التي كانوا يعبدونها من الملائكة. *والله أعلم.*

ثم قوله: **أم اتخذوا من دون الله شفعاء**، يخرج على وجهين. أحدهما بل اتخذوا بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء لأنفسهم ولا يكونون[٨] شفعاء لهم ولا يملكون ذلك ولا يعقلون.[٩] والثاني بل اتخذوا لأنفسهم من دون الله شفعاء ولا يملك أحد جعْل الشفاعةِ لأحد دون الله إلا من جعل الله له الشفاعة. ولا يجعل الله لأحد الشفاعة إلا مَنْ كان له[١٠] عند الله عهد أو من ارتضى له الشفاعةَ، كقوله عز وجل: لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا[١١] وقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[١٢] يدل على هذا قوله حيث قال: **أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون.**

**﴿قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤٤]**

**قل لله الشفاعة جميعا**، هو ما ذكرنا هو المالك للشفاعة[١٣] جميعا لا يملك أحد سواه إلا من جعل الله له الشفاعة وارتضى له. فأما أن يملك أحد سواه اتخاذ الشفاعة لنفسه[١٤]

---

[١] جميع النسخ: عبدوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠ظ.
[٢] ر م: وذلك.
[٣] ث – كانوا.
[٤] جميع النسخ: ويقرب.
[٥] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٦] ر ن م: وقوله.
[٧] الآية ٣ من هذه السورة.
[٨] ن + هم.
[٩] جميع النسخ: ولا يفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن ث – له.
[١١] سورة مريم، ٨٧/١٩.
[١٢] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[١٣] ر م: الشفاعة.
[١٤] م – لنفسه.

أو جعْلَ الشفعاء لنفسه فلا. *والله الموفق*. وقوله: **ثم إليه ترجعون**، في البعث أو ترجعون إلى ما أعدّ الله لكم.[1] *والله أعلم*.

**﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**[٤٥]

وقوله: **وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**، قال بعض أهل التأويل: إذا ذَكَر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله في القرآن **اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**، أي نفرت، كقوله عز وجل في بني إسرائيل: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا.[2] وإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا مِنْ دونه مِن[3] الآلهة، كقوله في سورة النجم حيث قال:[4] أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى،[5] ألقى[6] الشيطان في فَمِهِ: «تلك الغرانيقُ العُلَى منها[7] الشفاعة[8] ترجى»،[9] ففرح الكفار حين سمعوا أن لها شفاعة. إلى هذا يذهب مقاتل[10] وغيره.[11] لكنه ليس كذا، وغير هذا كأنه أولى به وأقرب. وهو أن قوله عز وجل: **وإذا ذُكر الله وحده**،[12]

---

[1] جميع النسخ: هم.
[2] سورة الإسراء، ١٧/٤٦.
[3] ر م – من.
[4] ر + قل.
[5] سورة النجم، ٥٣/١٩–٢٠.
[6] ن ث م: وألقى.
[7] ن ث: عندها.
[8] ث – لشفعة.
[9] ر م: لترجى.
[10] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٣٨٦-٣٨٧.
[11] «عن ابن عباس، قوله:﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [سورة الحج، ٢٢/٥٢]. وذلك أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها، فسمعه المشركون فقالوا: إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير، فدنَوا منه، فبينما هو يتلوها وهو يقول: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ [سورة النجم، ٥٢/١٩–٢٠]. ألقى الشيطان: إن تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة تُرتَجى. فجعل يتلوها، فنزل جبرائيل عليه السلام فنسخها، ثم قال له: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إلى قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾» (*تفسير الطبري*، ١٠/٢٤٨). وانظر: تأويلات القرآن، ٩/٣٩٣-٣٩٧ (تفسير الآية ٥٢ من سورة الحج).
[12] ر ث م + اشمأزت.

أي إذا ذَكَر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله وألوهيته، أو ذَكَرَ ذلك[1] أهلُ التوحيد ونفوا[2] الألوهية ممن عبدوا دونه، **اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون [بالآخرة]**، أي نفرت وأنكرت، كقولهم: أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.[3] وقوله عز وجل: **وإذا ذكر الذين من دونه**، وإذا ذَكَرَ أهل الكفر الذين عبدوا مِن دونه عند[4] عبادتهم إياها وتَخَلُّوتِهم بها **إذا هم، يفرحون ويستبشرون**. *والله أعلم*.

وقوله: **اشمأزت**، قال بعضهم: ابغضت ونفرت. وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **اشمأزت**، أنكرت وذُعِرَتْ. ويقال في الكلام: ما لي أراك مشمئزًّا؟ أي مذعورا. ويقال: اشمأز المكان، أي بعد. وقال بعضهم: **اشمأزت**، استكبرت وكفرت. *والله أعلم*.

**﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**[٤٦]

وقوله عز وجل: **قل اللهم فاطر السماوات والأرض**، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم، وهو كلام التوحيد. وقوله: **فاطرَ السماوات والأرض**، يحتمل مُبدئَ، / ويحتمل [٦٦٨ظ]
مبدعَ أو خالقَ السماوات والأرض. *والله أعلم*.

وقوله: **عالِمَ الغيب والشهادة**، يحتمل قوله: **عالم الغيب والشهادة**، ما غيب الخلق بعضُهم من بعض، **والشهادة**،[5] ما أشهد الخلقُ بعضُهم على بعض، هو عالِمُ ذلك كلِّه. أو الغيبُ ما غاب عن الخلق كلهم، والشهادةُ ما شهده الخلق. أو أن يكون قوله: **عالم الغيب والشهادة**، أي عالمُ ما يكون أنه يكون، والشهادة ما قد كان، يعلم ذلك كلَّه، يعلم عما يكون أنه يكون، وما قد[6] كان يعلمه كائنا. *والله أعلم*.

وقوله: **أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**، يوم القيامة، كقوله: فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ،[7] الآية. أو أن يكون قوله: **أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**،

---

[1] ر ث م: هذا.
[2] جميع النسخ: وهذا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٦٠ظ.
[3] سورة ص، ٥/٣٨.
[4] جميع النسخ – عند. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٠ظ.
[5] ر ث م – ما غيب الخلق بعضهم من بعض والشهادة.
[6] ر م – قد.
[7] سورة النساء، ١٤١/٤.

في هذه الدنيا، فهو يخرج على وجوه. أحدها ما جعل الله في خلقتهم [من] إثبات الصانع وشهادة الوحدانية لله عز وجل والألوهيةِ.[1] والثاني بما أنزل الله[2] من الكتب والرسل وبيّن لهم فيها ما هُم وما عليهم. ثم إن كان في الآخرة فجائز أن لا[3] يحكم بيننا فيما وَسّعَ علينا الحكمَ في الأمر في الدنيا ويرتفعُ المحنة به في الآخرة من نحو الأحكام التي سبيل معرفتها بالاجتهاد، ولا يحكم[4] بذلك بيننا بشيء من ذلك. وأما ما كان غير موسّعٍ علينا في الدنيا تَركُ ذلك، وهو مما لا يرتفع المحنة به في الدارين جميعا من نحو التوحيد والدين، فذلك [الذي به] يحكم بيننا في الآخرة. **والله أعلم**.

**﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[٤٧]**

وقوله: **ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة**، كأنه[5] -والله أعلم- يذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ليُصَبِّرَه على أذاهم إياه وأن يشفق عليهم بما ينزل بهم في الآخرة، لأنه أخبر عن عظم[6] ما ينزل بهم أنهم مع بُخْلِهم وضَنِّهم بهذه الدنيا لو كان ما في الأرض من الأموال[7] وضِعْفِ ذلك أيضا لهم لافتدوا ذلك كلَّه من سوء ما ينزل بهم من العذاب. وعلى ذلك[8] ما ذَكَر من قوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،[9] يخبر عن سوء معاملتهم ربَّهم على علم منه أنهم يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك يشتد عليه ويشق،[10] ليصَبِّرَهُ[11] عن سوء معاملتهم إياه، ولا يَتْرُكَ الرحمة والشفَقَةَ عليهم بما يَنْزِل بهم في الآخرة من سوء العذاب. **والله أعلم**.

[1] ر م: وألوهية.
[2] ن ث - الله.
[3] ر ث م + يكون.
[4] ر م: ولا نحكم.
[5] ث + قال.
[6] جميع النسخ: عظيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين٤٢٦، ورقة ٠٦١و.
[7] جميع النسخ: الأحوال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٠ظ.
[8] جميع لنسخ: وكذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين٤٢٦، ورقة ٠٦١و.
[9] الآية ٤٥ من هذه السورة.
[10] جميع النسخ + لينظر أنهم كيف عاملوا ربهم من سوء المعاملة.
[11] ر ن م. ليصبرهم.

وقوله عز وجل: **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**، قال بعض أهل التأويل: **بدا لهم من الله**، من شهادة الجوارح عليهم والنطق ما لم يكونوا يحتسبون ذلك. ولكن غير هذا كأنه أقرب: بدا لهم من الهوان[1] والعذاب لهم في الآخرة ما لم يكونوا يحتسبون. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما أنهم كانوا يقولون: حيث فضَّلَنا الله في هذه الدنيا بفضول الأموال والكرامة فعلى[2] ذلك نكون[3] في الآخرة مفضَّلين عليهم كما كنّا في الدنيا. ولذلك قالوا: وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ،[4] وقولهم: إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ،[5] ونحوه، فبدا لهم وظهر في الآخرة ما لم يكونوا يحتسبون ما ذكرنا من الهوان لهم والعذاب.

والثاني كانوا ينكرون رسالة نبيّنا صلى الله عليه وسلم ويقولون: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[6] وقالوا: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[7] الآية، ونحو ذلك من الكلام كقولهم أيضا: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[8] لا يرون الرسالة توضع[9] إلا في العظيم من أمر الدنيا، فأخبر أنه يبدوا لهم ما لم[10] يكونوا[11] يحتسبون[12] لما ذكرنا. ***والله أعلم***.

**﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **وبدا لهم سيئات ما كسبوا**، يحتمل قوله: **بدا [لهم]**، أي ظهر لهم جميع ما صنعوا في الدنيا في الآخرة حتى حفظوها وذكروا ذلك كله. والثاني[13] **بدا لهم**، ما حسبوا حسناتٍ سيئاتٍ. ***والله أعلم***. أو أن يكون ذلك في الجزاء أي بدا لهم وظهر جزاء ما كسبوا، يدل على ذلك قوله: **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: من الهون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.
[2] ر م: فعل.
[3] ن: يكون.
[4] ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ (سورة الشعراء، ١١١/٢٦).
[5] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ (سورة هود، ٢٧/١١).
[6] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[7] سورة ص، ٨/٣٨.
[8] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (سورة الأحقاف، ١١/٤٦).
[9] ر ن م: يوضع.
[10] جميع النسخ – لم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.
[11] ث: يكونون.
[12] م: تحسبون.
[13] ن: الثاني.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٩]

وقوله: **فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا**، لا يحتمل أن يكون أراد كل إنسان، لأنه لا كلُّ إنسان[١] يكون على ما وصف وذَكر. ولكنه إنسان دون إنسان، ولا يجب أن يشار إلى واحد أنه فلان. وكذلك ما ذكر مِن مَسِّ الضُّرِّ[٢] لا يشار إلى ضُرٍّ دون ضُرٍّ، ولكن ما[٣] أعلم الله[٤] عز وجل رسولَهُ صلى الله عليه وسلم أنه ماذا؟ لأن ذلك يخرج مخرج الشهادة على الله عز وجل، والامتناع عن الإشارة إليه والتسمية له أسلم. ثم كانت عادة أولئك الكفرة -لعنهم الله- عند نزول البلاء بهم والشدة الفزع[٥] إلى الله عز وجل وإخلاصَ الدعاء له. فبعد الكشف عنهم ذلك والرَّفْع[٦] العودَ إلى ما كانوا من قبلُ على ما ذكرهم في غير[٧] آي من القرآن.

ثم قوله عز وجل: **ثم إذا خولناه نعمة منا**، أي أعطيناه نعمة أو ملَّكْنَاه نعمة. وقوله عز وجل: **قال إنما أوتيته على علم**، أي على حيلة مني أُعطيتُ ذلك. وقال بعضهم: **إنما أوتيته**، على شرف ومنزلة عَلِمه الله مني. وقال قتادة: على خيرٍ علمه الله عندي. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إنما أتانيه اللهُ على علم. وقال بعضهم:[٨] **قال إنما أوتيته على علم**، أي على [٦٦٩و] علمٍ[٩] وشرف أُعطيت ذلك. قال الله عز وجل ردًا لقوله:[١٠] **بل هي فتنة**، والفتنة هي المحنة التي فيها شدة، أي بل هي محنة فيها[١١] شدة وبلاء. والمحنة من الله بأمر وبنهيٍ،[١٢] أي فيها أمر ونهي.

---

[١] ر ث م - لأنه لا كل إنسان.
[٢] جميع النسخ + الضر به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١.
[٣] ر: بما.
[٤] ث + رسوله.
[٥] ن ث: والفزع.
[٦] ر: الرفع.
[٧] ر م - غير.
[٨] جميع النسخ + ما ذكرنا.
[٩] ن ث م + على علم.
[١٠] ر ث م: بقوله.
[١١] ث - أي بل هي محنة فيها.
[١٢] ر م: بأمر ونهي.

**ولكن أكثر هم لا يعلمون.** أي لكن أكثرهم لا يعلمون[١] أنها لم تُعْطَ[٢] لفضل وشرف له أو[على] حيلة منه، ولكنه لأمر ونهي. **والله أعلم.**

**﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥٠]**

وقوله: **قد قالها الذين من قبلهم،** غير ما قال هذا الرجل حيث قال: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ،[٣] كان من قارونَ حين قال: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي.[٤] ولم يزل القادة[٥] من الكفرة والرؤساء منهم وأهل الثروة قائلين[٦] بمثل هذا الكلام والقول، وهو ما أخبر عن قوم فرعونَ حين قالوا: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ،[٧] وما قال أهل مكة: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[٨] وغير ذلك من أمثال هذا لم يزالوا[٩] قائلين[١٠] بهذا.[١١]

ثم أخبر أن ذلك لم يُغنهم حيث قال: **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما ما قالوا: إنما أُوتِيناه لكرامة وفضل لنا عند الله. والثاني ما قالوا:[١٢] إنما[١٣] أوتينا هذا[١٤] بحيل من عندنا واكتساب. أخبر أن ذلك[١٥] لم يغنهم عن دفع عذاب الله عز وجل[١٦] إذا نزل بهم. **والله أعلم.**

---

[١] ر م - أي لكن أكثرهم لا يعلمون.
[٢] ر م ث: لم يعط.
[٣] الآية السابقة.
[٤] سورة القصص، ٧٨/٢٨.
[٥] جميع النسخ: لعادة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.
[٦] جميع النسخ: قائلون.
[٧] سورة الأعراف، ١٣١/٧.
[٨] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[٩] ن ث: لم يزلوا.
[١٠] جميع النسخ: قائلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: هذا.
[١٢] جميع النسخ: ما قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.
[١٣] ث - إنما.
[١٤] ر م: أوتيناه.
[١٥] ث + يخبرهم.
[١٦] جميع النسخ + عنهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا**، يوعد[1] أهلَ مكة ويخوِّفهم أنه ينزل بهم ويصيبهم بكسبهم الذي يكتسبون كما نزل بأولئك الأوائل بمثل كسبهم وصنيعهم. وقوله: **وما هم بمعجزين**، أي ما هم بمعجزين الله[2] عما يريد بهم من الانتقام عنهم والتعذيب. *والله أعلم*.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، يذكر هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة له[3] وفضل عند الله ولا لحق قِبَلَه، ويُضَيِّق على من يشاء لا لِهَوَانٍ له عنده ولا لجناية، ولكن امتحانا لهم بمختلفي[4] الأحوال؛ يمتحن هذا بالسعةِ ليَسْتأديَ به منه الشكر، ويضيقُ على هذا يطلب منه الصبر على ذلك. أو يمتحن بعضهم بالسعة وبعضهم بالشدة والضِّيق ليعلموا أن ذلك كله في يد غيرهم لا في أيديهم. أو[5] يمتحنهم بمختلفي[6] الأحوال ليكونوا أبدا فَزِعِينَ إلى الله في كل وقت وكل ساعة، ولو كانت[7] السعة والنعمة[8] لكرامة عند الله وفضل على ما ظن أولئك لكان لا يحتمل ذلك مختلفي المذهبِ الذي يناقض بعضه بعضا ويضادُّ بعضُه بعضا؛ نحو المسلم والكافر، وقد وَسَّع على المسلم ووسع على الكافر وقد ضَيَّق عليهما جميعا. يَدل أن التوسيع[9] ليس للكرامة والمنزلة عند الله أو لحق عليه، ولا التضييق والتقتيرَ لِهَوان، إذ لو كان لذلك لكان لا يجمع بين متضادِّي[10] المذاهب ومختلفيها،[11] فإذ جَمَع دل أنه لمعنى الامتحان لا لما ظن أولئك. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: لوعيد؛ ث: أوعد.
[2] ر ث م - الله.
[3] ر ث م - له.
[4] ن ث: بمختلف.
[5] ر ث م: إذ.
[6] جميع النسخ: بمختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.
[7] جميع النسخ: ولو كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث: والنقمة.
[9] ر ن: التوسع.
[10] ر م: متضاد.
[11] جميع النسخ: المذهب ومختلفهما. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله: **إن في ذلك**، فيما ذكر من التوسيع[١] والبسط والتضييق والتقتير، **لآياتٍ**، أي لعبرة وعِظَةً **لقوم**،[٢] **يؤمنون**، أنه لم يوسِّع على من[٣] وسع لكرامته[٤] عند الله ومنزلته وفضله،[٥] ولا ضيَّق على من ضيق لِهَوان له عنده ولا جنايةٍ. *والله أعلم*.

**﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٥٣]

وقوله: **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**، قال بعض أهل التأويل: إن الآية نزلت في شأن الوحشي[٦] [الذي][٧] قتل حمزة بن عبد المطلب في الجاهلية أنه أراد أن يُسلم،[٨] فذكر ما كان منه من قتله حمزة رضي الله عنه فظن أنه لا يقبل منه لعظم[٩] جنايته، فنزلت الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لسببه[١٠] وأخبر أنه يقبل[١١] فأسلم[١٢] بعد ذلك. *والله أعلم*. وقال بعضهم: لا، ولكن ناسا قد أصابوا ذنوبا عظاما[١٣] في الجاهلية من نحو القتل والزنا وكبائر، فأشفقوا أن لا يتاب عليهم فأنزل الله هذه الآية يدعوهم إلى التوبة والإسلام،

---

[١] ر ن م: التوسع.

[٢] جميع النسخ: + يتفكرون.

[٣] ر م: على م.

[٤] ن ث + له.

[٥] ن ث: ومنزلة وفضل.

[٦] أبو دَسْمَة وحشي بن حرب الحبشي، من سودان مكة، وهو مولى لطعيمة بن عدي، وقيل: مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم أحد، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم أن يغيّب وجهه عنه. عاش إلى خلافة عثمان. وشرك في قتل مُسَيْلِمَة الكذّاب يومَ اليمامة، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام. سكن حمص ومات بها. روى عنه ابنه حرب وآخرون. انظر: *أسد الغابة في معرفة الصحابة* لابن الأثير، ٥/٤٠٩-٤١٠؛ و*الإصابة في تمييز الصحابة* لابن حجر، ٦/٤٧٠.

الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٦١و.

[٨] جميع النسخ + الوحشي.

[٩] ن: لعظيم.

[١٠] م: لبيبه.

[١١] ر م: لا تقبل

[١٢] ر م: فأسلم؛ ر م + منه.

[١٣] ر + ما

وأطمع لهم القبول منهم والتجاوز عما كان منهم. وهو كأنه أشبه وأولى، لأن الوحشي مَن كان حتى يُنزل الله الآية بشأنه خاصة؟[1]

ثم قوله عز وجل: **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله،** يحتمل وجهين. أحدهما يقول- والله أعلم-: يا عبادي الذين جَنَوْا على أنفسهم وأوردوها المهالك بارتكاب ما ارتكبوا من الإسراف والكبائر لا تقنطوا من رحمة الله، فإن قنوطكم من رحمة الله وإياسكم منه أنه[2] لا يَغفر ولا يتجاوز[3] وذلك أعظم وأفظع،[4] إذ رجع أحدهما إلى نفسه[5] والآخر إلى رحمة الله وفضله.

والثاني [كأنه][6] يقول: إنكم وإن أسرفتم فيما ارتكبتم من الكبائر والفواحش وأعرضتم عن[7] أمر الله فلا تقنطوا من رحمة الله بعد إذ تبتم عما كنتم فيه ورجعتم عما كان منكم في الوقت الذي كانت أنفسكم في أيديكم، يَقبل ذلك منكم[8] ويتجاوز. فأما في الوقت الذي[9] خرجت أنفسكم من أيديكم فلا يقبل ذلك منكم، وهو وقت نزول العذاب بكم[10] وإشرافه عليكم،
[٦٦٩ظ] لأن التوبة في ذلك الوقت توبة اضطرار / وتوبة دفع العذاب عن أنفسكم، كقوله عز وجل: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، ثم أخبر أنه لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت الذي خرجت أنفسهم من أيديهم حيث قال عز وجل: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[11] ***والله أعلم.***

---

[1] قال الطبري: اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية. فقال بعضهم: عُني بها قوم من أهل الشرك، قالوا لما دُعُوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرّم الله، والله يعد فاعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان، فنزلت هذه الآية. وعن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآيات الثلاث ﴿قُلْ يا عِبَادِيَ إلى وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بالمدينة في وحشي وأصحابه وتخلل قوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عَنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عمّ بقوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف (*تفسير الطبري*، ٢٢٤/٢٠-٢٣٠؛ وانظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٤٩٧/١٧).

[2] جميع النسخ – أنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[3] جميع النسخ: ولا يجاوز. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[4] ن ر: وأقطع.

[5] جميع النسخ: إلى أنفسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[7] ر م: من.

[8] ن ث: منهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[9] ر م – كانت أنفسكم في أيديكم يقبل ذلك منكم ويتجاوز فأما في الوقت الذي.

[10] جميع النسخ: بهم.

[11] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥.

وقوله عز وجل: **إن الله يغفر الذنوب جميعا**، لمن يشاء[١] **إنه هو الغفور الرحيم**.

وذكر عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنه قال: أَرجى آيةٍ في القرآن هذه الآية.[٢] وذكر أن سورة الزمر كلها نزلت بمكة إلا هذه الآية فإنها نزلت بالمدينة.[٣] ***والله أعلم***.

**﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾**[٥٤]

وقوله عز وجل: **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**، الآية، كأنها صلة ما تقدم من قوله: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،[٤] بعد إذ أقبلتم إلى قبول ما دُعيتم إليه ورجعتم عما كان منكم. ثم قال عز وجل: **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**، قال بعضهم، **أنيبوا** بقلوبكم إلى طاعة ربكم، وأخلصوا له تلك الطاعة ولا تشركوا فيها غيره. وقيل:[٥] **وأنيبوا إلى ربكم**، أي ارجعوا إلى ما أمركم ربكم، **وأسلموا له**، أي أخلصوا له التوحيد. أو أن[٦] يقول: اجعلوا كل شيء منكم له. وأصل الإنابة هو الرجوع إلى طاعة الله والنزوع عما كان عليه ألا ترى[٧] يقول [هو] عز وجل: مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ،[٨] الآية.

وقوله عز وجل: **مِن قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُنصَرون**، يقول -والله أعلم- على الصلة للأول، أي[٩] أنيبوا إليه[١٠] وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب، فلا تُقبل[١١] منكم الإنابة والتوبة إذا[١٢] أقبل عليكم العذاب وأتاكم،[١٣] **ثم لا تنصرون**. ثم قوله: **ثم لا تنصرون**،[١٤] هذا يحتمل وجهين.

---

[١] «وفي حرف ابن مسعود: إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦١ظ).

[٢] *تفسير الطبري*، ٢٠/٢٢٨.

[٣] ر م: بمدينة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٦٣٢.

[٤] الآية السابقة.

[٥] ر ن م: قيل.

[٦] ر ث م: وأن.

[٧] ن: ألا تراه؛ ر ث م: الإراءة.

[٨] ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣١).

[٩] جميع النسخ: الأول أن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.

[١٠] ر ن م: له.

[١١] جميع النسخ: فلا يقبل.

[١٢] ر: إذ.

[١٣] ن ث + به

[١٤] جميع النسخ: ثم قوله ثم لا تنصرون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٢و.

أحدهما **ثم لا تنصرون** بإنابتكم إلى الله عز وجل في ذلك الوقت الذي أقبل عليكم العذاب على ما ذكرنا، أي لا تجابون في ذلك[1] الوقت. والثاني **لا تنصرون** بعبادة من عبدتموه من الأصنام والأوثان على رَجاءِ أن يشفع لكم ويدفع عنكم العذاب، أي أنيبوا إلى عبادة الله الحق قبل نزول العذاب بكم، فإنكم إن كنتم على عبادة من تعبدون[2] دونه لا تنصرون. ***والله أعلم.***

**﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**[٥٥]

وقوله عز وجل: **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**، يحتمل وجوها. أحدها كأنه يقول: اتبعوا ما أمركم ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه.

والثاني اتبعوا ما في القرآن وأَحِلُّوا حلاله وحَرِّموا حرامه واجتنبوه، يقول: اعملوا بها وبادروا في العمل به من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة.

والثالث أن الله عز وجل قد بين السبيلين جميعا سبيل الخير وسبيل[3] الشر على الإبلاغ، فيقول: اتبعوا سبيل الخير منه ولا تتبعوا سبيل الشر. فيكون تأويل هذا كأنه يقول: اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا غيره ونحو ذلك. وقد ذكرناه فيما تقدم.[4] ***والله أعلم.***

وقوله: **من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون**، كأنه موصول بالأول، يقول: لا تؤخروا[5] الإنابة إليه والتوبة فإن العذاب لعله سينزل بكم في وقت لا تشعرون أنتم به ولا تقدرون أن ترجعوا إليه وتُنيبوا. ***والله أعلم.***

**﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾**[٥٦]

وقوله عز وجل: **أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله**، هذا وما بعده من الآيات كأنه موصول بقوله عز وجل: وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ،[6] كأنه يقول: وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ، **أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله**، الآية، وقبل أن تقول:[7]

---

[1] جميع النسخ: من ذلك.
[2] ر م: يعبدون.
[3] ر ث م - سبيل.
[4] انظر تفسير الآية ٢٣ من هذه السورة.
[5] ر م: لا يؤخرون.
[6] الآية ٥٤ من هذه السورة.
[7] ر ث م: أن يقول.

لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،[1] وقبل أن تقول:[2] حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[3] كأن كل ذلك صلة ما تقدم من قوله: وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ،[4] أن تقول[5] ما ذَكَر في وقت لا ينفعه ذلك القول ولا يغنيه من عذاب الله ولا يدفعه. ثم قوله: **على ما فرَّطتُ في جنب الله**، قال بعضهم: في ذات الله، وقال بعضهم: ما فرّطت وضيعت من أمر الله، وأمثالَ ذلك. ولسنا نحتاج إلى تفسير قول ذلك الرجل الذي كان منه حتى قال ذلك،[6] وهو تضييع توحيد الله أو تضييع حدّ الله أو ما كان فيه من تكذيب البعث. يتأسف[7] على ما كان منه من تضييع ما ذكرنا من توحيد الله وحدوده أو كفران نعمه أو إنكاره[8] ما ذكرنا من البعث. **والله أعلم**.

*وفي حرف ابن مسعود وحفصةَ رضي الله عنهما: على ما فرطت من ذكر [الله].[9]* [٦٧٠و س٣٥]

وقوله عز وجل: **وإن كنتُ لمن الساخرين**، قال[10] بعضهم: وإن كنت لمن الساخرين من القرآن، وقال بعضهم: من أهل توحيد الله. قال قتادة: لم يكتف أن ضيع طاعة الله حتى جعل يَسْخر[11] من أهل طاعته،[12] وقال:[13] هذا قول صنف[14] منهم.[15] جائز أن يكون[16] ما قال:

[1] الآية التالية.
[2] ر ن م: أن يقول.
[3] لآية ٥٨ من هذه السورة.
[4] لآيتان السابقتان.
[5] ر ث م: أن يقول.
[6] ث - ذلك.
[7] ر م: بتأسف.
[8] ث: وإنكاره.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦١ظ.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧٠و/سطر ٣٥-٣٦.
[10] جميع النسخ: وقال.
[11] ر م: بسخر.
[12] عن قتادة في قوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾. قال: فلم يكفه أن ضيّع طاعة الله، حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله (*تفسير الطبري*، ٢٠/٢٣٥).
[13] ن: قال.
[14] ر ث م: ضعيف.
[15] جميع النسخ + وقوله عز وجل أو تقول حين ترى العذاب... إلى آخره قول صنف منهم. عن قتادة في قوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾. قال: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله، حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله. قال: هذا قول صنف منهم (*تفسير الطبري*، ٢٠/٢٣٥).
[16] جميع النسخ: جائز ما قال.

إن كل قول من ذلك قول صنف[1] عمى ما قال قتادة. وجائز أن يكون كل ذلك من كل كافر. *والله أعلم*.

**﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **لو أن الله هداني لكنت من المتقين**، ذلك الكافر الذي قال هذا القول
[٦٧٠و] أعرفُ بهداية الله من المعتزلة، وكذلك ما قال أولئك الكفرة لأتباعهم حيث قالوا: لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ.[2] يقولون: لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكن حيث علم منّا اختيار الضلال والغواية وترك الرغبة إلى الهدى والاستخفافَ به أضلّنا وخذلَنا ولم يوفقنا. والمعتزلة يقولون: بل هداهم الله وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا.

فإن قيل: هذا[3] قول أهل الكفر فلا دلالة فيه لما يذكرون.

قيل: وإن كان ذلك قول الكفرة فذلك القول منهم عند معاينتهم[4] العذاب، فلو كان على خلاف ما ذكروا لكان الله يكذّبهم في ذلك كما كذبهم في أشياء قالوا، حيث قالوا: فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا،[5] وقولُه: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا،[6] فقال[7] عز وجل: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[8] ونحوه. *والله أعلم*. والأصل في الهداية أن عند الله لطفا[9] من أعطي[10] ذلك لاهتدى، وهو التوفيق والعصمة. ومن حرم[ه] ذلك و لم يعطه ضل وغوى. ويكون استيجابه[11] العذاب وما ذكر لتركه الرغبةَ في ذلك والاستخفاف به وتضييعه واشتغالِه بضدّه، لذلك كان ما ذكرنا. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لكنتُ من المتقينَ** الشرك أو[12] المهالكَ. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: ضعيف.
[2] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مُغْنُون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).
[3] ن: ذا.
[4] ر ث م: معاينة.
[5] ﴿ربَّنا أَبْصَرنا وسمعنا فارجعنا نَعملْ صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ١٢/٣٢).
[6] ر م - وقوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحا. ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣-١٠٠).
[7] ر ن ث + الله.
[8] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[9] جميع النسخ: لطف.
[10] ن: أعطا.
[11] جميع النسخ: ستجاب. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٦٦٢و.
[12] ر: والمهالك.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة**، أي رجوعا، **فأكون من المحسنين**، قيل من الموحدين، ويحتمل كل إحسان وطاعة. ***والله أعلم***. وقد كذَّبه الله عز وجل في قوله هذا حيث قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[١] ثم كذَّبهم في قولهم: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،[٢] وفي قولهم: **لو أن لي كرة فأكون من المحسنين**، حيث قال:[٣]

﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥٩]

[وقوله عز وجل:] **بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين**.

يقول -والله أعلم-: **بلى قد جاءتك آياتي** وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل والخير من الشر والكَذِبَ من الصدق، ومكنتك[٤] من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق[٥] على الباطل والصدق على الكذب. لكن تركتم ذلك وضيّعتم واستخففتم به واشتغلتم بضد ذلك. فإنما جاء ذلك التضييع من قبلكم لا من قِبَل الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل[٦] قد أتى بالحجج والآيات والبيان في ذلك غايةَ ما يجب أن يُؤْتَى[٧] ما لم يكن لأحد عذر في الجهل في ذلك والتركِ له.[٨] ***والله أعلم***.

[٦٧٠و س٣٦] *وفي[٩] حرف ابن مسعود رضي الله عنه:[١٠] بلى قد جاءته آياتنا من قبل فكذب واستكبر

[٦٧٠و س٣٧] وكان من الكافرين. ***والله أعلم***.*

وأكثر القراء[١٢] على التذكير[١٣] في قوله عز وجل: **بلى قد جاءتك آياتي**، إلى آخره،

---

[١] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[٢] الآية السابقة.
[٣] جميع النسخ + الله.
[٤] جميع النسخ: ومكنت.
[٥] جميع النسخ: ومكن لهم اختيار الحق.
[٦] ر م - لأن الله عز وجل.
[٧] ر م: ترى.
[٨] ر م - له.
[٩] م - في.
[١٠] جميع النسخ + أيضا في قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧٠و/سطر ٣٦-٣٧.
[١٢] ر م: القرآن.
[١٣] ر م: على التذكر

على إرادة الإنسان[1] ومخاطبته،[2] وقد يقرأ بالتأنيث على إرادة النفس التي تقدم ذكرها والخبر عنها. ويروى في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بالتأنيث: بلى قد جاءتكِ آياتي.[3] *والله أعلم.*

**﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾**[٦٠]

وقوله عز وجل: **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة**، كَذِبُهم على الله يحتمل وجوها. أحدها في التوحيد حيث قالوا بالولد والشركاء. ويحتمل ما قال عز وجل: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[4] وكان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فكَذَبوا على الله عز وجل أنه[5] أمرهم بذلك. أو ما قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[6] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[7] أو أن يكون كذبهم على الله هو[8] إنكارهم البعث وقولَهم: إن الله لا يقدر على البعث والإحياء بعد الموت، ونحو ذلك. ***والله أعلم.***

والمعتزلة يقولون في قوله عز وجل **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**: هم المجبرة. فيجئ أن يكونوا هم أقرب في كونهم في وعيد هذه الآية من المجبرة، لأنهم يقولون: إن الله لا يأمر أحدا بشيء إلا بعد أن أعطاه[9] جميع ما يعمل ويعتصم[10] به حتى لا يبقى عنده شيء من ذلك. ثم قال[11] ذلك ثم يسأل ربه المعونة والعصمة. فهو بالسؤال كاتم لما أعطاه وهو كفران النعمة، لأنه يسأل ما قد أعطاه ربه. أو أن يكون هازئا به لأنه يسأل

---

[1] ر ث م – الإنسان.

[2] ر م: ومخاطبة؛ ث: مخاطبة.

[3] عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: «بلى قد جاءتكِ آياتي فكذبتِ بها وكنتِ من الكافرين» (سنن أبي داود، «الحروف والقراءات» ١).

[4] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[5] ر م: أنهم.

[6] سورة يونس، ١٨/١٠.

[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[8] ث – هو.

[9] ر م: أعطى.

[10] جميع النسخ: يقتصي. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٦٢و.

[11] أي المعتزلي.

وليس عنده ما يسأل على قولهم على ما ذكرنا من مذهبهم. وكل من يسأل أحدا شيئا[١] يعلم أنه ليس عنده ذلك ولا يملك ذلك فهو يهزأ[٢] به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أليس في جهنم مَثْوًى للمتكبرين**، على توحيد الله أو متكبرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمتكبر هو الذي لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا[٣] ولذلك يوصف الله عز وجل بالكبرياء لأنه لا نظير له ولا شكل؛[٤] ولا يجوز لغيره لأن غيره ذو[٥] أشكال وأمثال. ***ولا قوة إلا بالله***.*

والمثوى: المُقام، والثَّواء: الإقامة،[٧] [قال الله تعالى:][٨] وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا،[٩] أي مقيما.

وقوله عز وجل: **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**، كأنه يقول عز وجل: لو رأيت[هم] يا محمد يوم القيامة لرحمتهم وأشفقت عليهم بما[١٠] هم فيه[١١] وما نزل بهم. *والله أعلم*.

**﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦١]**

وقوله عز وجل: **وينجي الله الذين اتقوا / بمفازتهم**، وبمفازاتهم،[١٢] يخرج على وجهين. [٦٧٠ظ]
أحدهما قوله: **بمفازتهم**، أي بالأعمال والأسباب التي فازوا بها على أشكالهم. [والثاني لمفازاتهم، أي فازوا بها عن المهالك].[١٣]

---

[١] ر م – أحدا شيئا.
[٢] ر: يهذي؛ ن ت: يهزء.
[٣] م: مشكلا.
[٤] م: مشكل.
[٥] جميع النسخ: ذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٢و.
* وقع هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٥٦ ورقم ٥٩ فقدمناهما إلى محليهما، نظر: ورقة ٦٠٧و/سطر ٣٥-٣٧.
[٧] ن ت: المقام؛ ر م – والثواء الإقامة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٣و.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٢و.
[٩] جميع النسخ + من ذلك. ﴿وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين﴾ (سورة القصص، ٤٥/٢٨).
[١٠] ر ن م: بها.
[١١] جميع النسخ: هزوا به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٢و.
[١٢] قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف: ﴿بمفازاتهم﴾، ووافقهم الأعمش، والباقون: ﴿بمفازتهم﴾ (*الميسر للقراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٤٦٥).
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٢و.

وقوله عز وجل: **لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون**، قوله عز وجل: **لا يمسهم السوء**، بعد المفازة والنجاة وإلا قبل ذلك قد[1] يمسهم السوء. **ولا هم يحزنون**، وهو على الجهمية وعلى أبي الهذيل العلاف[2] إمام المعتزلة. أما على الجهمية لقولهم: إن الجنة تَفْنَى وينقطع[3] أهلها ولذاتها،[4] فإذا كان ما ذكروا مسّهم السوء والحزن. وعلى قول أبي الهذيل أيضا كذلك، لأنه[5] يقول: إن أهل الجنة[6] يصيرون بحال حتى إذا أراد الله أن يزيد لهم شيئا أو لذة لم يملك ذلك. فإن كان ما ذكر هو[7] فقد[8] مسّهم السوء والحزن أيضا؛ فالبلاء -على قوله- والسوء[9] والحزن إنما مس رب العالمين.[10] فنعوذ بالله من مقال يَعْقُب[11] كفرا. وقوله عز وجل: **لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون**، على إبطال قول أولئك. *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٦٢]**

وقوله عز وجل: **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل**، هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم من وجوه.[12] أحدها أن قولهم: إن شيئية الأشياء لم تزل كائنةً،[13] إذ من قولهم: إن المعدوم شيء فإذا كان[14] المعدوم شيئا على قولهم كانت[15] شيئية[16] الأشياء لم تزل كائنة.

---

[1] ث – قد.
[2] أبو الهذيل، محمد بن الهذيل العلاف البصري (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، صاحب التصانيف. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغزال. وأخذ عنه علي بن ياسين وغيره من المعتزلة. *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٤٢/١٠-٥٤٣.
[3] ر ث م: وتنقطع.
[4] ن ث: ولذتهم.
[5] ر: لا.
[6] ر: الجاهمية.
[7] م – هو.
[8] ر م – فقد.
[9] جميع النسخ: على قوله أن السوء.
[10] «على قوله [أي أبي الهذيل] والسوء والحزن يمس رب العالمين حيث لا يقدر على أن يزيد لهم شيئا من النعم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦٢ظ).
[11] ر ث م: تعقب.
[12] ر ث م: على وجوه.
[13] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٢ظ.
[14] ر م: كانت
[15] ن ث: كان؛ ر م: كما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٢ظ.
[16] ر: شيت.

و[الثاني] يقولون: إنه لم يكن من الله إلا إيجادُها. فإذا كان ما ذكروا لم يكن هو خالقَ شيء به فضلا من أن يكون خالق كل شيء[1] على ما ذكر ووصف[2] نفسه بخلق كل شيء.[3] فيكون[4] قولهم في التحقيق والتحصيل قول الدهرية والثنوية، لأن الدهرية يقولون بقدم الطينة والهيولى ونحوه وينكرون كون الشيء من لا شيء. وكذلك الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ثم كونِ كل جنس من جنسه وكون كل شيء من أصله. فعلى ذلك قول المعتزلة: إن المعدوم شيء، يرجع في التحقيق إلى ما ذكرنا من أقاويلهم.[5]

ثم قوله: **خالقُ كل شيء**، يخرج على ذكر الربوبية[6] والألوهية والوصف له بالمدح، لما ذكرنا أن إضافة كلية الأشياء إلى الله عز وجل يخرج مخرج الوصف له بالتعظيم والإجلال له، وإضافةَ الأشياء المخصوصة إليه يخرج مخرج التعظيم المضافة إليه. وإذا كان ما ذكرنا[7] كان قوله عز وجل: **خالقُ كل شيء**، مخصوصا شيئا دون شيء، على ما يقول المعتزلة. [و]لم يخرج مخرج الوصف له بالربوبية والألوهية ولا خرج مخرجَ المدح له والتعظيم. ثم[8] لا شك أنه لو لم يكن خالقا لأفعال الخلق لم يكن خالقا من عَشَرَةِ آلافِ ألف شيءٍ،[9] فدل أنه خالق للأشياء[10] كلها للأفعال والأجسام والجواهر جميعا.

فإن قيل: إنكم لا تقولون: خالق الأنجاس والأقذار والخنازير ونحوه، فإنما يرجع قوله عز وجل: **خالق كل شيء**، إلى خصوص.[11]

---

[1] ث – شيء.
[2] ر: ووصفهم.
[3] ن – بخلق كل شيء.
[4] ر + كل.
[5] ر م: أقاويلها.
[6] ن ث + له.
[7] جميع النسخ: ما ذكر ما.
[8] ر م + إنه.
[9] يقول المؤلف رحمه الله في *كتاب التوحيد*: «وأيضا إنه لو جاز خروج شيء [أي أفعال الخلق] هو تحت القدرة عن أن يكون لله عليه قدرة - بل ليس هو شيئا واحدا بل لعله أكثر من جميع الخلق -كيف يؤمَن بوعده ووعيده، وكيف يطمئن السامع إلى ما وعده من البعث أن يكون، وما أخبر أنه لو شاء خلق مثل الذي خلق، وهو لا يقدر على فعل بعوض، فضلا عن فعل ما هو أقوى» (ص ٣٧٠).
[10] ر م: الأشياء.
[11] «إنكم لا تقولون يا خالق الأنجاس والأقذار والخنازير ونحوها فدل أن الآية ترجع إلى الخصوص دون العموم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦٢ ط).

قيل: إنه لا يقال ولا يوصف بخلق هذه الأشياء على التقييد والتخصيص: يا خالق الأنجاس والأقذار وما ذكر، لأنه يخرج الوصف له بذلك مخرج التهجين[1] والذم، وإن كان[2] في الجملة يوصف بذلك وتدخل[3] الأشياء كلها في ذلك، لما ذكرنا أن قوله عز وجل: **خالق كل شيء** يخرج مخرج الامتداح والتعظيم له والوصف بالربوبية له والألوهية. ألا ترى أنه لا يقال على التخصيص: إنه وكيل [فلان][4] وإن كان في الجملة يقال، كما ذكر:[5] **وهو على كل شيء وكيل**، لأنه في الجملة يخرج مخرج وصف[6] الربوبية له والألوهية والوصف له بالمدح، وعلى التخصيص والإفراد [يخرج] على[7] التهجين[8] والذم لذلك افترقا. *والله أعلم*.

**﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٦٣]**

وقوله[9] عز وجل: **له مقاليد السماوات والأرض**، كأنه يقول: له مقاليد خزائن[10] السماوات والأرض، قيل: هي المفاتيح وهي فارسية عُرِّبت. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **له مقاليد**،[11] له مفاتيح جميع البركات والخيرات، تَفَتَّحُ تلك البركات والخيرات[12] على أهل السماوات والأرض، يخبر أن ذلك كله بيده ليس بيد أحد سواه، منه يطلب ذلك ومنه يستفاد. *والله أعلم*. ثم لم يُفهَم مما أضيف إليه من المقاليد ما يُفهم من مقاليد الخلق لو أضيف إليهم، فكيف فهم مما أضيف إليه من مجيء أو استواء، وغير ذلك ما فُهم مما أضيف إلى الخلق؟ *والله الموفق*.

[٦٧١و س١٥ *وفي حرف ابن مسعود وأبيّ رضي الله عنهما: **له مقاليد السماوات والأرض**، أي له

٦٧١و س١٦] ملك السماوات والأرض. قال الكسائي: **مقاليد**، فارسية معرّبة، وواحد المقاليد إقْليد.[13]*

---

[1] جميع النسخ: التهجي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٣ظ. والتهجين: التقبيح.
[2] ر م: وكان.
[3] جميع النسخ: ويدخل.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٢٦ظ.
[5] ر م: ذكرنا.
[6] ر م - وصف.
[7] ر م: وعلى.
[8] جميع النسخ: لتهجي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٣ظ.
[9] ر: قوله
[10] ر م: خزائن.
[11] ر م - له مقاليد.
[12] ر ن م - تفتح تلك البركات والخيرات.
[13] نسبه ابن الجوزي إلى ابن قتيبة (*زاد المسير*، ١٩٤/٧).
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧١و/سطر ١٥-١٦.

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون**، كان الله عز وجل جَعَل هذه الدنيا وما فيها لأهلها، وبيّن أحواهم يتّجرون بها ويشترون بها[١] الآخرة ويتزوّدون لها، ولذلك قال عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ،[٢] وقوله عز وجل: يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ.[٣] فمن تزوّد[٤] منها[٥] وجعلها بُلْغَةً إلى الآخرة سمي مُرْبِحا، ومن لم يجعلها زادا وبلغة[٦] سمّي خاسرا مغبونا. *والله أعلم*.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**، دلت هذه الآية على أن سفه أولئك الكفرة قد بلغ غايته وجاوز حدّه، حتى دعوا رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم إلى عبادة من دونه بعد ما عرفوا فضيلة الرسالة والرسول وخصوصيته[٨] حتى أنكروا الرسالة في البشر وبعثَ البشر رسولا. فلولا ما وقع عندهم من الفضيلة للرسول والخصوصية له / وإلا لم يُحتمل [٦٧١و]
أن يُنكروا وضعها[٩] في البشر وبعثَ البشر رسولا. ثم قد آتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيان والحجج ما قد تقرّر[١٠] عندهم أنه الرسول إليهم.[١١] فمع ما تقرّر[١٢] عندهم ذلك دعوه[١٣] إلى أن يعبد غير الله دونه فيكونَ هو كَهُمْ.[١٤] فهذا منهم تناقض[١٥] في القول[١٦] وسفه،

[١] ث - بها.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.
[٣] ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ (سورة النساء، ٤/٧٤).
[٤] جميع النسخ: يتزود. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤و.
[٥] ر ث م - منها.
[٦] جميع النسخ - سمي مربحا ومن لم يجعلها زادا وبلغة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٢ظ.
[٧] ن: الرسول.
[٨] ن: وخصوصية.
[٩] م: وصفها.
[١٠] جميع النسخ: قدر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤و
[١١] ث: عندهم آية الرسول عند إليهم.
[١٢] م: تفرد
[١٣] ر م: دعوه.
[١٤] جميع النسخ: فيكون هم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤و.
[١٥] ن: يناقض.
[١٦] ر: في العول.

حين صيّروا المفضَّل والمخصوص بالرسالة في العبادة مِنْ دونه كغير المفضل والمخصوص بها -والله أعلم- ليُعلَم أنهم لسفههم[1] وتعنتهم كانوا يدعونه إلى عبادة من [هو] دون[2] الله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أيها الجاهلون**، سمّاهم جهلة بما أمروه ودعوه إلى عبادة غير الله. وكذلك قال موسى عليه السلام لقومه حين سألوا موسى أن يجعل لهم إلها كما لهم آلهة فقال: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.[3] ثم يحتمل قوله عز وجل: **أيها الجاهلون** وجوها. أحدها أيها الجاهلون في التسوية بين المفضل والمخصوص وبين من لم يُخَصّ[4] في عبادة غير الله. أو جاهلون عن هداية الله وخصوصيته. أو جاهلون عن[5] جميع نعمه وإحسانه حيث لم يذكروه فيها. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما كأنه يقول: ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك وقيل لكل رسول: لئن أشركت ليحبطن عملك، ذكر هذا ليعلم أن الشرك لَيَحبطُ العمل، وإن أتى به من قد جلّ قدره وعظمت منزلته عنده. والثاني ولقد أوحي إليك وإلى من كان[6] قبلك لئن أشركت أنت لَيَحبطنّ عملك.

**﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**، يحتمل وجوها. يحتمل كن من الشاكرين لنعم الله جميعا، أو الشاكرين لخصوصية[7] التي خُصصتَ بها، أو الهداية التي هُديت. *والله أعلم*.[8]

---

[1] ت: سفههم.
[2] ن - دون.
[3] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأتوا على قوم يَعْكُفُون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف، ١٣٨/٧).
[4] جميع النسخ + فذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
[5] ر: عن.
[6] م - كان.
[7] ر: المخصوصية.
[8] وردت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٦ ورقم ٦٣ فنقلناهما إلى محلهما. انظر: ورقة ٦٧١و /سطر ١٥-١٦.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وما قدروا الله حق قدره**.[١] ذكر أهل التأويل أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له:[٢] إن ربك كذا وكذا، وإن السماواتِ عبى كذا منه، والأرضَ عبى كذ،[٣] ذكروه له ووصفوه كما يوصف الخلق فنزل قوله عز وجل: **وما قدروا الله حق قدره**.[٤] قيل: ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظّموه حق عظمته. ويذكر أهل الكلام أن اليهود مشبهة ولذلك قالوا بالولد حيث قالوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[٥] فلو لم يكونوا عرفوه ما يُعرَف به الخلق لم يكونوا يقولون له بالولد كما يقولون للخلق من الولد، فدل ما وصفوا[٦] له وذكروا له أنهم عرفوه بمعنى الخلق. فتعالى[٧] الله عما تقوله الملاحدة[٨] علوا كبيرا. ثم قوله عز وجل: **وما قدروا الله حق قدره**، أي ما عرفوا الله حق معرفته، أو ما عظّموه حق عظمته، أي لم يعظموا الله حق عظمته[٩] ما يحتمل وسعُ الخلق وكذلك لم يعرفوه حق معرفته التي يحتمله وسع البشر بينهم. فأما معرفة الله حق معرفته أو [معرفة] عظمةِ الله حق عظمته [فهي] ما لا يحتمله وسع الخلق. وهو لم يكلفهم أن يعرفوه حق معرفته أو يعظّموه حق عظمته،[١٠] لأنه لا يحتمل[١١] وسع[١٢] الخلق ذلك، وإنما كلّفهم ما احتمله وسعهم.[١٣] فالمشبّهة حيث وصفوه كما يوصف[١٤] الخلق ومن يعاينوه لم يعرفوه المعرفة التي يحتمل وسع الخلق وبِنْيَتهم ولا عظّموه العظمة التي يحتمله[١٥] وسع الخلق وبنيتهم.

---

١ جميع النسخ + والأرض جميعا.
٢ م – له.
٣ م – منه والأرض عبى كذا.
٤ *تفسير الطبري*، ٢٤٨/٢٠.
٥ سورة التوبة، ٣٠/٩.
٦ ث: وصفها.
٧ ر – فتعالى.
٨ ن + فيه.
٩ ر م – أي لم يعظموا لله حق عظمته.
١٠ ر م – حق عظمته.
١١ جميع النسخ: لا يحتمله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
١٢ ث + البشر.
١٣ ر م: ومعهم.
١٤ جميع النسخ: وصف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
١٥ جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.

ثم إن الله سبحانه جعل سبب معرفته الاستدلال بآثار الأفعال لا بالمحسوسات[1] فلا تفهم[2] معرفته ولا تقدّر[3] بمعرفة الخلق وتقديرهم. مع ما جعل الله سبحانه وتعالى الخلق على قسمين. قسم[4] منهما[5] مما[6] يحاط به وتدرك[7] حقيقته، وهو المحسوس منه والمدرَك. وقسم[8] مما يعرف بآثار الأفعال والاستدلال بها، وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع والروح وغير ذلك. فإذ لم يدرك من خلقه ولم يُحَطْ به مما سبيل [معرفته] الاستدلال بآثار الأفعال لا بالحس، فالذي أنشأ ذلك وأبدعه أحق أن لا يدرك ولا يحاط بمعرفته ما يحاط ويدرك بالمحسوس،[9] إذ الموصِل إلى معرفته[10] الاستدلال بآثار الأفعال لا[11] بالمحسوس. *والله أعلم*.

وكذلك ما أضاف إلى نفسه من الأحرف لا يفهم منه ما[12] لو أضيف ذلك إلى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والإتيان ونحو ذلك، ولا يُقدر منه ما يقدّر من الخلق، على ما لم يفهم من مجيء الحق وإتيانه ما[13] فهم من مجيء الخلق وإتيانهم.[14] فعلى ذلك لا يفهم [من قوله: **والأرض جميعا] قَبضَتُه يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه**، ما يفهم من[15] قبضة الخلق وطيّهم ويمينهم، بل يفهم من[16] ذلك كلِّه ما ذَكَر[17] من قوله عز وجل: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[18] كل ما ذكر من القبضة والطيّ واليمين في ذلك [داخل تحت][19] "كن":

---

[1] ر م: لا بأفعال المحسوسات.
[2] جميع النسخ: فلا يفهم.
[3] جميع النسخ: ولا يقدر.
[4] ر ث ع: قسما؛ ن: وسما.
[5] ر م: منها.
[6] ر ن م: ما.
[7] جميع النسخ: ويدرك.
[8] جميع النسخ: وقسما.
[9] جميع النسخ: المحسوس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
[10] جميع النسخ: إلى معرفة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤.
[11] جميع النسخ – لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
[12] ث – ما.
[13] ر + لم.
[14] جميع النسخ: ولا إتيانهم.
[15] ث – من.
[16] ث – من.
[17] جميع النسخ – ما ذكر. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.
[18] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[19] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

كاف ونون[1] أو شيء من ذلك. لكنه ذكر "كن" لأنه أخف كلام على الألسن وأوجز حرف / يفهم منه المعنى ويعبر به[2] فيما بين الخلق. **والله أعلم**. [٦٧١ط]

وأصله أن الله عز وجل خاطبهم بما تعارفوا[3] فيما بينهم حقيقة، وإن كان ما تعارفوا[4] فيما بينهم منفيا[5] عن الله تعالى نحوَ ما ذكر: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ،[6] وقوله عز وجل: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[7] وقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[8] لما باليد يُقدم ويؤخر في الشاهد وإن لم يكن ما ذكر عمل[9] اليد، وذَكَر بين يدَيْ ما ذكر[10] وإن لم يكن بين يديه، لما في الشاهد كذلك يُتقدم. فعلى ذلك ما أضاف إلى نفسه من أحرف كانت تلك منفية عنه، لما في الشاهد بذلك يكون. **والله أعلم**.

وأصل ذلك إذ قد ثبت[11] بالتنزيل على ما ذكر من إضافة ذلك[12] الأحرف إلى الله، وثبت بدليل السمع أن لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[13] وفي العقل[14] تعاليه عن الأشباه والشركاء لزم القول بوقوع تلك الآيات على ما لا تشابه[15] به[16] يقع بينه وبين الخلق في الفعل ولا في[17] جهة من جهات الخلق، إذ هو متعالٍ[18] عن جميع جهات الخلق في حد الإحداث والخلق.

---

[1] جميع النسخ: أو نون.

[2] ر م: وتعديه؛ ن ث: ويعد به. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٦٤ظ.

[3] ن: يعرفوا.

[4] ن: يعارفو.

[5] جميع النسخ: منفي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[6] سورة الحجرات، ١/٤٩.

[7] سورة آل عمران، ١٨٢/٣؛ وسورة الأنفال، ٥١/٨.

[8] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

[9] ر م: على.

[10] ر: ما ذكرو.

[11] جميع النسخ: ان قد بيت. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[12] ن: هذه.

[13] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[14] جميع النسخ: في لعقل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[15] ر ث م: لا يشابه.

[16] ر - به.

[17] ر م - في.

[18] ن: متعالي.

فيلزم الإيمان بها[1] على ما نطق به الكتاب[2] والتنزيه[3] عن التشابه[4] وتفويض المراد إلى من جاء عنه ذلك. مع ما توجد الإضافة إلى الله عز وجل من نحو قوله تعالى: حُدُودُ اللهِ،[5] ونحوه لا يحتمل فهم المضاف منه إلى غيره، فكذلك ما ذكرنا. على إمكان وجوه فيما يفي[6] معنى التشابه من ذلك ما يُضمَّن فيها معانيَ نحوَ قوله عز وجل: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[7] الآية، وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ،[8] و المرجع،[9] و يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ،[10] و رُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[11] في غير ذلك مما أُضيف إلى الله ولا معنى لتحقيقه في ذلك فيضمّن في ذلك دينه[12] ووعده ووعيده[13] وغيرُ ذلك من الوجوه مما يطول ذكره ويكثر، فمثه أمر هذه الآيات.

والثاني أن إضافة الأمور في الشاهد إلى الملوك وذكرَ التولّي لهم ليس يخرج مخرج تحقيق[14] ما جرى به الذكر، ولكن على الكناية والعبارة عن غيره، نحوَ[15] ما يقال:[16] بلدة كذا في يد[17] فلان وفي قبضته،[18] وأمر كذا في يد[19] فلان، إنما يراد بذلك قوته وقدرته. فعلى ذلك ما ذكر من قبضته ويده ويمينه إنما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على ذلك.

---

[1] أي الإيمان بالأحرف التي ثبتت بالتنزيل إضافتها إلى الله تعالى.

[2] ر م + به.

[3] ر ث م: والنهي؛ ن: وأسهى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[4] ر ن ث: المتشابه.

[5] انظر مثلا: سورة البقرة، ١٨٧/٢، ٢٢٩-٢٣٠.

[6] جميع النسخ: فيما يبقى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[7] سورة محمد، ٧/٤٧.

[8] سورة آل عمران، ٢٨/٣؛ و سورة النور، ٤٢/٢٤.

[9] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (سورة المائدة، ٤٨/٥) وغيره.

[10] ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ (سورة العنكبوت، ٥/٢٩).

[11] ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (سورة النساء، ٥٩/٤).

[12] جميع النسخ: فيضم في ذلك منه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٣و.

[13] ر م: ووعد وعيده؛ ث: وعده ووعيده.

[14] جميع النسخ + كما هو.

[15] ث: على.

[16] جميع النسخ: ما قال. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.

[17] ث + كذا.

[18] ر م: وقبضته.

[19] جميع النسخ - يد. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.

*وقوله عز وجل:[1] **والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات [مطويات بيمينه]**، [٦٧١ظ س١٩
هو على التقديم والتأخير، كأنه يقول عز وجل: الأرض والسماوات جميعا في قبضته مطويات
بيمينه. *والله أعلم*.* ٦٧١ظ س٢٠]

*وقوله عز وجل: **سبحانه وتعالى عما يشركون**، يحتمل تنزيه نفسه عما وصفه المشبهة [٦٧١ظ س١٧
وشبهوه بالخلق، أو عما أشرك عبدة الأصنام الأصنام[3] [ب]الله في العبادة وتسميتهم إياها آلهة.* ٦٧١ظ س١٩]

**﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾**[٦٨]

وقوله تعالى: **ونفخ في الصور**، اختلف في قوله عز وجل: **ونفخ في الصور**، أهو على حقيقة النفخ أم لا؟ قال بعضهم: ليس هنالك نفخ ولا شيءٌ وإنما ذكْر النفخ عبارة عن خفّة الأمر على الله عز وجل أمرِ قيام الساعة، كقوله عز وجل:[5] وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[6] وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[7] وقال بعضهم: ليس ثَمَّ[8] نفخ إنما هو عبارة عن قَدْر نفخٍ: إنه يحيي ويميت[9] على قدر النفخة، لأن[10] أسرع شيء في الدنيا هي النفخة. وقال بعضهم: هو على حقيقة النفخة من غير أن كانت النفخة سببا للإحياء والإماتة، ولكن على جعْل النفخة عَلَمًا وآية للإحياء أو الإماتة، امتحن بذلك الملَكَ الذي كان موكَّلا به على[11] ما امتحن[12] مَلَك الموت بقبض الأرواح في أوقات جُعل له، فعلى ذلك ما ذكر من النفخة. *والله أعلم*.

---

[1] م – والأرض.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧١ظ/سطر ١٩-٢٠.
[3] ر ث م – الأصنام.
* ورد ما بين النجمتين متقدما على موضعه فأخرناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧١ظ/سطر ١٧-١٩.
[5] ر م – أمر قيام الساعة كقوله عز وجل.
[6] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[7] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[8] جميع النسخ – ثم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.
[9] ر ن م: ويموت.
[10] جميع النسخ: لأنها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.
[11] ت – على.
[12] ت: كما امتحن

ثم اختلف في الصور أيضا، قال بعضهم: هو صور الخلق فيها يُنفخ، وإلى ذلك ذهب[1] جميع أهل الكلام. وقال بعضهم:[2] ليس هو صُوَر الخلق، ولكن إنما هو قَرْن، لأنه قال: **في الصور**، ولم يقل: في الصُوَر[3] بالتثقيل، وإنما ذكره بالتخفيف، وهو القَرْن، وذكر صُوَرَ الخلق بالتثقيل: صُوَرَ، حيث قال: فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.[4] فسنا ندري إنهما[5] يقال جميعا أم لا: الصُّور والصُّوَر؟[6] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فصعق من في السماوات ومن في الأرض**، قال عامة أهل التفسير والتأويل: الصَّعْق هو الموت، وقال بعضهم: الصعق هو الغَشَيان، كقوله عز وجل: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، أي مَغْشيا عليه؛ ألا يرى أنه قال عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ،[7] وإنما يفاق من الغشيان ولا يفاق[8] من الموت، والله أعلم بذلك. وقوله عز وجل: **إلا من شاء الله**، اختلف فيه، قال بعضهم: إنما استثنى أهل[9] الشهادة وهم[10] الذين استُشهدوا في الدنيا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **إلا من شاء الله**، هو جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.[11] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم نفخ فيه أخرى**، قال بعضهم: يكون فيه[12] ثلاث نفخات. نفخة تحملهم على الفزع: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[13] الآية.

---

[1] جميع النسخ – ذهب. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.

[2] ر ن م – بعضهم.

[3] جميع النسخ: صور. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥و.

[4] ﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾ (سورة التغابن، ٣/٦٤).

[5] ر ث ن: أيهما.

[6] «ولسنا ندري حقيقة ذلك، وأن الصُّور والصُّوَر هل يستعملان في جميع الصورة أم لا وله يثبت النقل بالتواتر ولا يقطع القول بواحد على اليقين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٦٣ظ).

[7] ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دَكًّا وخرّ موسى صَعِقا فلما أفاق قال سبحانك إني تبت إليك وأنا أول المسلمين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).

[8] ر م: يفارق.

[9] ر ث م – أهل.

[10] جميع النسخ – وهم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.

[11] اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية، فقال بعضهم: عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت... وقال آخرون: عنى بذلك الشهداء... وقال آخرون: عنى بالاستثناء في الفزع: الشهداء، وفي الصعق: جبريل، وملك الموت، وحملة العرش (*تفسير الطبري*، ٢٥٤/٢٠–٢٥٧).

[12] ر م – فيه.

[13] سورة النمل، ٨٧/٢٧.

ثم الأخرى يموتون بها، والثالثة يَحْيَون بها، وعلى هذا يروى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُنفخ ثلاث»،[١] ذكر كما ذَكَرنا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: نفختان على ما ذكر في هذه الآية. إحداهما يموتون، والثانية يحيون بها. *والله أعلم*.

[وقوله: **فإذا هم قيام ينظرون**، يحتمل: **ينظرون** ما ذا يؤمرون وما يُعمَل بهم، ويحتمل: **قيام ينظرون** أي تائهون متحيرون، لأنهم كانوا ينكرون البعث وذلك اليومَ، أعني أهل الكفر. *والله أعلم*].[٢]

**﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[٦٩]

وقوله عز وجل: **وأشرقت الأرض بنور ربها**، يحتمل بنور الذي أنشأه الله عز وجل لها وجعله فيها، ليس أن يكون لذاته نورا أو شيئا[٣] يضيء. ويكون قوله عز وجل: **بنور ربها**
كقوله عز وجل: / بِنِعْمَةِ رَبِّكَ،[٤] وإحسان[٥] ربك وآلاء ربك، لا يفهم منه سوى النعمة [٦٧٢و]
المنشأة[٦] والآلاء المجعولة. فعلى ذلك قوله عز وجل: **بنور ربها**، لا يفهم منه نور الذات ولا شيء من ذلك. ثم قوله عز وجل: **وأشرقت الأرض**، أي أضاءت، جائز أن يكون الله عز وجل ينشئ أرض[٧] الآخرة أرضا[٨] مضيئة مشرقة لما أخبر أنه يبدّل أرضا غير هذه حيث قال عز وجل: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ،[٩] الآية، كانت هذه [الأرض][١٠] مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا. *والله أعلم*. أو أن يكون إشراقها ارتفاع سواترها وظهور الحق لهم وزوالَ الاشتباه والالتباس، وكانت أمورهم في الدنيا مشتبهة[١١] ملتبسة،

[١] *تفسير الطبري*، ٢٤/١٣٠؛ *وتفسير البغوي*، ٤/٨٧.
[٢] شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥ظ.
[٣] جميع النسخ: نور أو شيء.
[٤] ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (سورة القلم، ٦٨/٢).
[٥] ر م: بإحسان.
[٦] ر ش م: والمنشأة.
[٧] ر: الأرض.
[٨] جميع النسخ: أرض. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥ظ.
[٩] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٣ظ.
[١١] ر م: مشبهة.

ويقرّون يومئذ جميعا بالتوحيد[1] له والألوهية والربوبية؛ وهو عنى ما ذكر من قوله عز وجل: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[2] وقوله عز وجل: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[3] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.[4] وقوله: اَلْمُلْكُ[5] يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[6] ونحو ذلك. ذكر[7] البروز له والرجوع إليه والمصير وإن كانوا في الأحوال كلها بارزين له راجعين إليه صائرين[8] والملك له في الدارين جميعا، خصّ البروز له[9] والرجوع إليه والملك له لما يومئذ يظهر المحق لهم من المبطل ويومئذ أقرّوا جميعا بالتوحيد له والملك. فعلى ذلك يحتمل إشراق الأرض وإضاءتها لما ترتفع[10] السواتر يومئذ وتزول[11] الشُّبه وتظهر[12] الحقائق. *والله أعلم*. أو أن تكون[13] إشراقها بما ظهر كل ما عمل[14] في الدنيا من خير أو شر وعرفه يومئذ،[15] وإن كان[16] في الدنيا لم يَظهر ولم يَعرف ما[17] عمل من خير وشر، كقوله عز وجل: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا،[18] الآية. *والله أعلم*. أو أن تكون[19] أرض الآخرة مضيئة مشرقة لما لا يُعصَى[20] عليها الربّ تعالى عز وجل، وأرضُ الدنيا مظلمةٌ بعصيان أهلها عليها الربَّ عز وجل.

---

[1] م - بالتوحيد.
[2] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[3] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٤٥/٢؛ و سورة يونس، ٥٦/١٠.
[4] انظر مثلا: سورة المائدة، ١٨/٥؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢.
[5] ث: والملك.
[6] سورة الحج، ٥٦/٢٢.
[7] ث + من قوله عز وجل.
[8] ر ن م: بارزون له راجعون إليه صائرون.
[9] ر م - له.
[10] جميع النسخ: ويرتفع.
[11] ر م: ويزول.
[12] جميع النسخ: ويظهر.
[13] جميع النسخ: أن يكون.
[14] جميع النسخ: بأظهر لكل ما عمل.
[15] ث - وعرفه يومئذ.
[16] ن ث: وكان.
[17] جميع النسخ: مما.
[18] سورة آل عمران، ٣٠/٣.
[19] جميع النسخ: أن يكون.
[20] جميع النسخ: لا يقضى. والصحيح مستفاد من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥ظ

وذلك كما روي في الخبر أن الحجر[1] الأسود من الجنة كان كذا[2] لكنه[3] صار أسود لما مسته أيدي الخاطئين العاصين.[4] **والله أعلم.**

*وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **أشرقت**، أي أضاءت وأنارت.[5]* [٦٧٢ظ س٩]

وقوله عز وجل: **بنور ربها**، قال بعضهم: بعَدل ربها أي تضيء[7] بعَدل ربها وهو ما قال عز وجل: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ،[8] أي بالعدل. **والله أعلم.** وجائز ما ذكر بنور أنشأه وجعله فيها. **والله أعلم.** وقوله عز وجل: **ووضع الكتاب**، وقال عز وجل في آية أخرى: وَوَضَعَ الْمِيزَانَ،[9] فجائز أن يكون الكتاب الذي ذكر أنه وضعه[10] هو ذلك الميزانَ فيكونان واحدا، وجائز أن يكون الكتاب غير الميزان. وقال بعضهم: **الكتاب**، هو الحساب بما قد حفظ عليهم ولهم من خير أو شرّ محذور[11] فيه، وقال بعضهم: هو الكتاب الذي يوضع في أيديهم يومئذ فيه ما عملوا يقرءونه، وهو مثل الأول. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **وجيء بالنبيين والشهداء**، اختلف في الشهداء. قال بعضهم: **الشهداء** هم المرسلون يؤتَى بالنبيين والمرسين يشهدون عليهم، كقوله عز وجل: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا،[12] وقوله عز وجل: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ،[13] الآية.[14] وقال بعضهم: **الشهداء** هاهنا هم الملائكة والحفظة الذين يشهدون عليهم بأعمالهم التي عملوها،

---

[1] ن م: حجر.
[2] جميع النسخ: ككذ.
[3] ر م – لكنه.
[4] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحجر الأسود من الجنة، وكان أشدّ بياضا من الثلج حتى سوّدته خطايا أهل الشرك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٧/١، ٣٢٩، ٣٧٣؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٤٩).
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٤.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧٢ظ/سطر ٩–١٠.
[7] ر ن م: رضي؛ ث: ضيئ. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥ظ.
[8] سورة الحجر، ٨٥/١٥.
[9] سورة الرحمن، ٧/٥٥.
[10] ر م: وصفه.
[11] ث م: محدود.
[12] سورة النساء، ٤١/٤.
[13] ر م + عليكم وقوله عز وجل إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم؛ ث + وقوله عز وجل إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم. سورة المزمل، ١٥/٧٣.
[14] ن ث: الا

وقال بعضهم: **الشهداء** هم الذين استُشهدوا في هذه الدنيا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون ما ذكر من الشهداء[1] الجوارح التي تشهد[2] عليهم يومئذ، كقوله عز وجل: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ،[3] الآية. وقوله تعالى: **وقُضي بينهم بالحق**، أي بالعَدل. وقوله عز وجل: **وهم لا يُظلَمون**، أي لا يُحمل على أحد ما لم يعمل، ولكن يُحمل عليه ما عمل. *والله أعلم*.

**﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**[٧٠]

وقوله عز وجل: **ووفيت كل نفس ما عملت**، أي وفيت كل نفس[4] كافرة ما عملت من سوء، فأما ما عملت من خير فلا تُوفّى. وكذلك تُوَفَّى[5] كل نفس مسلمة ما عملت من خير لا يُنقَص منها شيء، وما عملت من سوء جائز أن يتجاوز الله عنها ويُبدِّله حسنات، كقوله عز وجل: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[6] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وهو أعلم بما يفعلون**، أي عالم بما يفعلون من خير أو شر.

**﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**[٧١]

وقوله عز وجل: **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا**، قيل: أمة أمة[7] وجماعة جماعةً، كقوله عز وجل: كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا،[8] الآية، وقوله عز وجل: يُحْشَرُونَ،[9] [وقوله:] إِلَى[10] النَّارِ،[11] ونحوه.

---

[1] جميع النسخ + هم.

[2] جميع النسخ: يشهد. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٥ظ.

[3] ﴿... بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

[4] ر م - ما عملت أي وفيت كل نفس.

[5] ر م - وكذلك توفى.

[6] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).

[7] ر - أمة.

[8] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[9] «وقوله: ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾، أي يُجمعون، وهو ظاهر، يجمعون إلى جهنم بكفرهم بالله» (*تأويلات القرآن*، ٢١٢/٦). ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ (سورة الأنفال، ٣٦/٨).

[10] ر: على.

[11] ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ (سورة فصلت، ١٩/٤١).

*و[قوله:] **زُمَرًا**، أي جماعاتٍ، والواحد زُمْرة. ويقال: تَزَمَّر القوم إذا اجتمعوا، وزَمَّرْتُهم[1] أي جمعتهم. وأصله أن يساق كل فريق على ما أحبوا. وكانوا في الدنيا جماعة جماعة وأمة أمة، وعلى ما يجتمعون في هذه الدنيا: أهلُ الخير على أهل[2] الخير، وأهل الشر على أهل[3] الشر ويُسَرُّون[4] بالاجتماع في ذلك.[5] لكن أهل الخير يساقون إلى الجنة على ما كانوا يجتمعون في هذه الدنيا مسرورين، وأهل الكفر يساقون إلى النار على ما يجتمعون في هذه الدنيا على الشر مُغْتمِّين محزِنين. *والله أعلم*.* [٦٧٢ظ س ١٠ – ٦٧٢ظ س ١٤]

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها**، جائز أن تكون[7] لها أبواب يدخلون فيها، وجائز أن تكون[8] الأبواب المذكورة لا على حقيقة الأبواب ولكن على الجهات[9] والسبل التي كانوا فيها، أي[10] في الدنيا، وعملوا بها يدخلون النار بتلك الجهات والسبل التي كانوا في الدنيا وعملوا بها، كما يقال: فُتِح على فلان بابُ كذا، ليس يراد حقيقة الباب ولكن سبيل بابه.[11] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وقال لهم خزنتها / ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم**، يحتمل قوله عز وجل: **آيات ربكم**، أي[12] [آيات][13] التوحيد وحججه، ويحتمل آيات البعث التي أنكروه، وقال[14] بعض أهل التأويل: آيات القرآن. وقوله عز وجل: **وينذرونكم** بالآيات **لقاء يومكم هذا**. وقوله عز وجل: **قالوا بلى**، قد فعلوا ذلك. وقوله عز وجل: **ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين**، قال أهل التأويل: **ولكن حقت كلمة العذاب**، [٦٧٢ظ]

---

[1] ر ن م: زمرتهم.
[2] ث – أهل.
[3] ن ث – أهل.
[4] جميع لنسخ: وسرور.
[5] ث: عى ذلك.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٦٧٢ظ/سطر ١٠-١٤.
[7] جميع النسخ: أن يكون.
[8] جميع النسخ: أن يكون.
[9] ر ن م: الحجاب.
[10] ث: إلى.
[11] جميع النسخ: سبل. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٤و.
[12] ن – أي.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٤و.
[14] ر ث م: قال

أي عِدَة العذاب، وهو ما قال عز وجل ووعد أنه يملأ جهنم منهم وهو قوله عز وجل: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[1] أي حق وعد ذلك عليهم. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون ما ذكر من **كلمة العذاب** هو كلمة الشرك والكفر، أي حقت كلمة الكفر والشرك الذي عملا،[2] سمّوا كلمة الكفر كلمة العذاب لما[3] عُذّبوا وعوقبوا [به]. ***والله أعلم***.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٧٢]

وقوله: **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين**، تأويله ظاهر، **والمتكبرين** يحتمل المتكبرين على آياته وحججه، ويحتمل المتكبرين[4] على رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم. ***والله أعلم***.*

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وسيق الذين اتقوا**، يحتمل: اتقوا الشرك بربهم،[6] أو اتقوا سخطَ ربهم ونقمته، أو اتقوا[7] المهالك، وقد ذكرنا فيما تقدم.[8] ***والله أعلم***. [وقوله:] **وسيق**، وإن كان في الظاهر خبرا عما مضى لكنه يخرج على وجهين. أحدهما على الاستقبال، وذلك جائز في اللغة: استعمالُ حرف الماضي على إرادة الاستقبال كأنه قال: يساقون. والثاني كأنه خبر أمر قد كان ومضى[9] فقال عز وجل: **وسيق**، ولذلك ذكره بحرف النَّسَق.[10] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **زمرا**، قد ذكرناه، أي جماعة جماعة وأمة أمةً على ما كانوا في هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك، فعلى ذلك يساقون في الآخرة. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة هود، ١١٩/١١؛ وسورة السجدة، ١٣/٣٢.
[2] جميع النسخ: عمنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٤و.
[3] ن + بها.
[4] ن – المتكبرين.
* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٦٩ ورقم ٧٠، فنقلناهما إلى محليهما. انظر: ورقة ٦٧٢ظ/سطر ٩-١٤.
[6] جميع النسخ: ربهم.
[7] ر م: لو اتقوا.
[8] انظر: تفسير الآية ٦١ من هذه السورة.
[9] ر ث م: مضى.
[10] ن: نسق؛ ر ث م: سق. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخه ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٦و.

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**، فَتْحُ الأبواب لهم يحتمل حقيقة الأبواب، ويحتمل كناية عن الوجوه والسبل التي يأتونها في الدنيا لا على حقيقة الأبواب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقال لهم خَزَنَتُها سلام عليكم**، بدأ الخزنة بالسلام عليهم، فجائز أن يكون الله عز وجل امتحن الخزنة بالسلام على المؤمنين كما امتحن رسوله ببدئه[1] السلام على من آمن، وهو قوله عز وجل: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ،[2] الآية. ثم يحتمل سلام الخزنة عليهم السلامة[3] والبراءةَ عن جميع العيوب والآفات التي تكون[4] في الدنيا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **طِبْتُم فادخلوها خالدين**، فقوله: **طبتم**، يحتمل[5] أي صرتم طيبين لا تَخْبُثون أبدا وقد برئتم من الآفات والعيوب كلها. ***والله أعلم***. أو يقول طاب العيش أبدا من حيث ما[6] يأتيكم بلا عَناء.

**﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**[٧٤]

وقوله[7] عز وجل: **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده**، لا شك[8] أن الله عز وجل إذا وعد[9] يَصْدُق[10] وعدَه، لكن معنى قولهم: **الحمد لله الذي صدقنا وعده**، أي الحمد لله الذي جعلنا مستحقين لوعده وجعلَنا في الذين وعد هم الجنة. يحمدون لاختياره وجَعْلِه إياهم في الوعد الذي وَعَد، لا أنهم يحمدون على صدق[11] وعده، إذ[12] وعده لا شك أنه يصدق. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ث: ببداية.
[2] سورة الأنعام، ٥٤/٦.
[3] ر ث م: اسلام.
[4] ر ث م – تكون؛ ن: يكون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٦ظ.
[5] ث – يحتمل.
[6] ن – ما.
[7] ن: قوله.
[8] ر م: ولا شك.
[9] ث – إذ وعد.
[10] ر ث م: لصدق.
[11] ر م – لوعده وجعلنا في الذين وعدهم الجنة يحمدون لاختياره وجعله إياهم في الوعد الذي وعد لا أنهم يحمدون على صدق.
[12] ر: إذا.

وقوله عز وجل: **وأورَثَنا الأرض**، قيل: أنزلَنا الأرض، أي الجنة. وقوله عز وجل: **نتبوأ من الجنة حيث نشاء**، يحتمل قوله: **حيث نشاء**، نرغب[1] فيها[2] وهم لا يرغبون النزول في منازل غيرهم.[3] أو أن يكون قوله: **نتبوّأ من الجنة حيث نشاء**، أي جميع أمكنة[4] الجنة مختار، ليس مما نتخيّر هنالك مكانا على مكان كما يُتخير[5] في الدنيا مكان[6] دون مكان، لأن جميع أمكنتها ليست بمختارة فيقع فيها الاختيار. فأما الجنة فجميع أمكنتها مختارة فلا يقع هنالك اختيار مكان على مكان. ***والله أعلم***. وإلا ظاهر قوله عز وجل: **نتبوّأ من الجنة حيث نشاء**، ما لهم وما لغيرهم، والوجه فيه ما ذكرنا.[7] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **فنعم أجر العاملين**، ظاهر.

**﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **وترى الملائكة حافين من حول العرش**، قيل: مُحْدِقِين حول العرش. وقوله عز وجل: **يسبحون بحمد ربهم**، قال بعض أهل التأويل: بأمر ربهم، لكن التسبيح بحمد ربهم هو أن يسبحوا[8] بثناء ربهم وحمده ويُبرّءونه[9] وينزّهونه عن جميع معاني الخلق بحمد وثناء يحمدونه ويثنون عليه على ما ذكرنا في غير موضع.[10] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقضي بينهم بالحق**، قيل: بين الأمم والرسل، وقيل: بين الخلائق كلهم. وجائز أن يكون قوله:[11] [**وقضي بينهم بالحق**، أي بين المؤمنين وأعدائهم. ***والله أعلم***].[12]

---

[1] ر ث م: يرغب.
[2] ن: فيهما.
[3] جميع النسخ: من منازل عنهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٤ظ.
[4] جميع النسخ: مكان.
[5] ر م – هنالك مكانا على مكان كما يتخير.
[6] جميع النسخ: مكانا.
[7] ر م: ما ذكرناه.
[8] ر: يسبحون؛ ن ث م: يسبحوه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٦٤ظ.
[9] ر م: ويرئونه؛ ن: ويبرؤنه؛ ث: ويتبرئونه.
[10] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات.
[11] ن ث + عز وجل.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٦٤ظ.

**وقيل الحمد لله رب العالمين**، قال الحسن: فتح الله نعمه في الدنيا بالحمد له وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[1] الآية، وقوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ [٦٧٣و] عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[2] الآية، وغير ذلك من الآيات،[3] وختم نِعَمَه في الآخرة بالحمد له حيث قال: **الحمد لله رب العالمين**، وقوله[4] عز وجل: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[5]
وصل يا رب على محمد أفضل الصلوات وأكمل التحيات.[6]

---

[1] ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (سورة الأنعام، ٦/١).
[2] سورة الكهف، ١٨/١.
[3] ر م: في الآيات.
[4] ن ث: وهو قوله.
[5] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (سورة يونس، ١٠/٩-١٠).
[6] ر ن ث – وصل يا رب على محمد أفضل الصلوات وأكمل التحيات، ر ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (ث + وصحبه الطاهرين).

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة حم المؤمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿حٰمٓ﴾[١]

قوله عز وجل: **حم**، قال بعضهم: هو هجاء أسماء[3] الرب جل وعلا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال بعضهم: [هو] فواتح السور كلها، وكذلك قال في سائر الحروف المقطَّعة.[4] وقال بعضهم: أصله حُمَّ،[5] أي قُضِي، كقول الشاعر:

ألست ترى أن الذي حُمَّ كائن[6]

أي الذي قُضِي كائن. إلا أنه[7] ذكَره بالهجاء كمن ذكّر زيدا بالهجاء.[8] وقد قلنا نحن: إن تفسير الحروف المقطعة ما ذُكِر على إثرها. وقد ذكرنا أقاويل الناس واختلافهم فيها في غير موضع ما أغنانا عن ذكرها في هذا الموضع.[9] ***والله أعلم***.

---

[1] ر – سورة حم المؤمن؛ ن م + مكية؛ ث + وهي ثمانون وخمس آيات مكية.

[2] ن + وبه أستعين.

[3] ن: اسم.

[4] ن: الهجاء.

[5] وحُمَّ هذا الأمرُ حَمًّا إذا قُضِيَ، وحُمَّ له ذلك: قُدِّر. وحَمَّ اللهُ له كذا وأحَمَّهُ: قضاه (*لسان العرب*، «حمم»).

[6] من أشعار النابغة، وأصله هكذا:

ألست ترى أن الذي حُمَّ واقعٌ    وكل امرئٍ يوما له الدهرُ راهنُ

انظر: *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم* لنشوان بن سعيد الحميري، «رهن».

[7] م: لأنه.

[8] ن – إلا أنه ذكره بالهجاء كمن ذكّر زيدا بالهجاء. لعله يقصد بالهجاء هكذا: ز ي د.

[9] انظر مثلا تفسير الآية ١–٢ من سورة البقرة وسورة آل عمران.

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٢]

وقوله: **تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم**، قد ذكرنا قوله: **تنزيل الكتاب**. في سورة[١] الزمر،[٢] غير[٣] أنه ذكَر[٤] في الزمر:[٥] العَزِيزِ الْحَكِيمِ، وهاهنا ذكَر:[٦] **العزيزِ العليمِ**، وهما واحد. *والله أعلم*.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [٣]

وقوله **غافر الذنب**،[٧] يخرج على وجهين. أحدهما **غافر الذنب**، أي متجاوزِ الذنب،[٨] وهو في حق المؤمنين[٩] خاصة. والثاني **غافر الذنب** أي ساتر الذنب، وهو يحتمل الكافر[١٠] والمؤمن جميعا، فإنه يستر[١١] على المؤمن والكافر جميعا[١٢] في الدنيا ولم يَفْضَحْهما،[١٣] ويتجاوز عن المؤمن خاصة[١٤] في الآخرة. *والله الموفق*.

وقوله: **وقابِلِ التَّوْب**، يُخبِر أنه يقبل التوبة وإن عظُمت المعصية وجلّت الذنوب وكثرت.[١٥] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجة:[١٦] التوب جماعة التوبة.[١٧] وقوله: **شديد العقاب**، لمن لم يتب.

---

[١] ن – سورة.
[٢] سورة الزمر، ١/٣٩.
[٣] ن: سوى.
[٤] ن: يذكر.
[٥] ر ث م – في الزمر.
[٦] ن: ويذكر هها.
[٧] ن + هذا.
[٨] ن – الذنب.
[٩] ن: وهو للمؤمنين.
[١٠] ر ث م: للكافر.
[١١] ر ث م + كثيرا؛ ن: ستر.
[١٢] ر ث م + للذنب
[١٣] ن – ولم يفضحهما
[١٤] ن – خاصة.
[١٥] ن: وكثرت.
[١٦] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحوي الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب. كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه شيخان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتاخديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).
[١٧] ن – قال أبو عوسجة التوب جماعة التوبة. أي صيغة جمعها.

وقوله: **ذي الطَّوْل**، قال أبو عَوْسَجة: أي ذي القدرة.[١] وقال القُتَبِي:[٢] ذي لتفضل، يقال: طُلْ عليّ برحمتك، أي تفضل.[٣] وقيل: ذي السعة والغَناء.[٤] وقيل: ذي النعم.[٥] وكله قريب بعضه من بعض.

وقوله: **لا إله إلا هو إليه المصير**،[٦] وَحّد نفسه وأخبر أن مصير الخلق إليه في الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم. *والله أعلم*.[٧]

**﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾[٤]**

وقوله: **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**، أي ما[٨] يجادل في دفع آيات الله والطعن في آيات الله،[٩] **إلَّا الذين كفروا بالله**، أي كَفَروا[١٠] بآيات الله. وكانت مجادلتهم ما ذكر، حيث قال: لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ،[١١] أي يُبطِلوا به الحق. [فإنّ] أهل الكفر هم[١٢] الذين كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها. فأما أهل الإيمان بها[١٣] كانوا يفرحون بنزولها ويَزدَاد لهم بذلك إيمانًا؛ كما قال تعالى: وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ،[١٤]

---

[١] ن: ذي الطول قيل ذي القدرة.

[٢] جميع النسخ: العتبي. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، و*مشكل القرآن*: يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢/٢٨١؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٢٩٦-٣٠٠.

[٣] ن – وقال القتبي ذي التفضل يقال طل علي برحمتك أي تفضل. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٥.

[٤] ن: وأيضا.

[٥] ن: ذي التفضل على الخلق.

[٦] ن + وقيل ذي النعم لا إله إلا هو إليه المصير.

[٧] ن + قال أبو عوسجة قابل التوب التوب جماعة التوبة ذي الطول ذي القدرة وقوله عز وجل ما يجادل في آيات الله وقال القتبي ذي الطول ذي التفضل يقال طل علي برحمتك أي تفضل والله أعلم

[٨] ر م – ما.

[٩] ن – أي يجادل في دفع آيات الله والطعن في آيات الله.

[١٠] ر ث م: أو كفروا؛ ن: وكفروا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٧و.

[١١] يشير إلى الآية التالية؛ وقد تقدمت أيضا في سورة الكهف، ١٨/٥٦.

[١٢] ن – هم.

[١٣] ن – كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها فأما أهل الإيمان بها

[١٤] سورة الرعد، ١٣/٣٦.

وكقوله: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[1] ونحو ذلك من الآيات، كانوا[2] يستسلمون لها ويقبلونها ويستقبلون لها بالتعظيم والتبجيل. ***وبالله التوفيق***.

وقوله عز وجل: **فلا يَغْرُرْكَ تقلّبهم في البلاد**. معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغرّه تقلُّبهم في البلاد، لكنه ذكر هذا[3] الخطاب له وأراد به غيره،[4] لما يحتمل أن يظن قوم أن أهل الكفر -لما كانوا في أمن في التقلّب[5] في البلاد والسّعة في عَيْشهم وأن أهل الإيمان في ضِيق وشدة وخوف- أن أولئك على الحق وهؤلاء على الباطل. فجائز[6] أن يظن ظانٌّ ما ذكرنا، فأخبر عز وجل أن الأمن والسعة ليس بدليل على كون صاحبه على الحق ولا الضيقَ[7] والشدةَ بدليل على كون صاحبه على الباطل؛ ولكن محنةٌ امتحنهم بها،[8] مرة بالسعة والأمن، ومرةً بالضيق والخوف. دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف[9] مذهبهم وتضادِّ[10] أقاويلهم. ويحتمل أن يكون المراد منه أهلَ مكة، أي لا يَغْرُرْهم[11] تقلّبهم في البلاد وأَمْنهم وسعتهم بعد ما نزل بأهل الآفاق والنواحي ما نزل[12] أنهم على الحق، وأن ذلك إنما يَدفَع[13] عنهم لمكانهم، وإنما يدفع ذلك عنهم ويكونون على أمن[14] لمكان كونهم بقربٍ من البيت[15] لحرمته[16] وشرفه.[17]

---

[1] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[2] ر ت م: كان.
[3] ر ت م - هذا.
[4] ن - الخطاب له وأراد به غيره.
[5] ن: في أمر من التقلب.
[6] ن: جائز.
[7] ر ت م: للضيق.
[8] ر ت م - بها.
[9] ن: ما يختلف.
[10] ن: ويتضاد.
[11] ن: أو أن يذكر عز وجل فلا يغررك تقلبهم في البلاد لأهل مكة أن لا يغرر.
[12] ر ت م - ما نزل.
[13] ن: يرفع.
[14] ن: أمر.
[15] ن: قرب البيت.
[16] ن: لحرمة ذلك البيت.
[17] ن - وشرفه.

**﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ والأحزابُ من بعدهم.** ذكر[١] هذا ليُصبّر[٢] رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه إياه ومجادلتهم إياه[٤] بالباطل.[٥] يقول عز وجل:[٦] لست أنت بأول من كذبه قومه[٧] ولا بأول من جادله قومه بباطل. لم يزل الأمم المتقدمة يُكذبون رسلهم ويجادلونهم[٨] بالباطل، فصبروا على ذلك. فاصبر أنت على تكذيب قومك ومجادلتهم إياك بالباطل، كما صَبَرَ أولئك. كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[٩] وهو[١٠] ما ذكر في قوله عز وجل: **وهمّت كلُّ أمّةٍ برسولهم ليأخذوه وجادَلوا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق،** همّت كل أمة برسولهم ما ذكر. لكن الله تعالى بفضله عصم رسله عما هَمَّ أولئك الكفَرة بهم ما همّوا[١١] من القتل والمجادلة[١٢] بالباطل. وفي ذلك آية / من آيات الرسالة لهم، حيث حَفِظهم عما [٦٧٣ظ] همّوا بهم، وكانوا[١٣] بلا أعوان كان للرسل ولا أنصار[١٤] مع كثرة أولئك الكفرة. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فَأَخَذْتُهُم فكيف كان عقابِ،**[١٥] أي كيف وجدوا عقابي، أليس وجدوه حقا على ما وعد الرسل عليهم السلام أنه نازل بهم؛ أو يقول: أليس وجدوه أليما شديدا. *والله أعلم.*

---

[١] ن: يذكر.
[٢] ر م: لتصبير.
[٣] ر ث م: رسوله.
[٤] ر م – ومجادلتهم إياه.
[٥] ن: بباطل.
[٦] ر ث م – عز وجل.
[٧] ن – بأول من كذبه قومه.
[٨] ن: ويجادلونه.
[٩] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يُهْلَكُ إلا القوم الفسقون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥).
[١٠] ر ث م: وهي
[١١] ر ث م – ما هموا.
[١٢] ن: والمجادعة
[١٣] ر ث م: كدوا؛ ن: وكدوه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٢٤و.
[١٤] ر م: بلا أعوان وأنصار كان الرسل؛ ث: بلا أعوان وأنصار كان للرسل.
[١٥] ن + قوله عز وجل فكيف كان عقاب

**﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار**، يحتمل قوله: **حقت كلمة ربك على الذين كفروا**، ما ذكر في قوله: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ،[1] الآية. وقوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.[2] ويحتمل[3] أن يكون قوله: **حقت كلمة ربك على الذين كفروا**، ما قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[4] فذلك الذي حَقَّ عليهم من كلمة ربّك.[5] *والله أعلم*.

**﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم**، قد ذكرنا في غير موضع[6] أن التسبيح بحمد رَبِّهِم[7] هو الثناء عليه والحمد له بالتبرئة[8] والتنزيه عن جميع أوصاف الخلق ومعانيهم وعن جميع ما قالت الملحدة[9] فيه.

وقوله عز وجل: **ويستغفرون للذين آمنوا**. هذه أرجى آيةٍ للمؤمنين[10] والآياتُ التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو[11] قول نوح عليه السلام:[12] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[13] وقولِ إبراهيم صلوات الله عليه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ،[14] وما أمَر الله رسوله أن يَستغفِر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات،

---

[1] سورة الأحزاب، ٦٢/٣٣.
[2] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغْفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[3] ر م: يحتمل؛ ن: أو يحتمل.
[4] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١٩/١١).
[5] ل: ربه.
[6] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات، «التسبيح»، «الحمد».
[7] ن: ربه.
[8] ن + له.
[9] ر: قال الملحدة؛ م: قال الملاحدة.
[10] ن: للذين آمنوا إن جاء الآية للمؤمنين هذه.
[11] ن – نحو.
[12] ر ن م + حيث قال.
[13] سورة نوح، ٢٨/٧١.
[14] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.

حيث قال له: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[١] لأنه لا يحتمل أن يأمر بالاستغفار لهم ثم لا يجيبه إذا فعل.

ثم قال بعض المعتزلة: إن قوله عز وجل: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، إنما هو في الذنوب التي ليس له أن يعذبهم عليها، وهي الصغائر، إذ من مذهبهم أن ليس لله أن يعذب أحدًا على الصغائر،[٢] وليس له أن يغفر الكبائر. ويَستدِلُّ على ذلك بقوله: **فَاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك**، إنما أمَره أن يستغفر للذي تاب، فأما من لم يتب و لم[٣] يأمره بالاستغفار[٤] فيجب القول بما قلنا عملا بالآيتين.[٥]

لكن نقول نحن: إنه[٦] لو كان استغفاره لمن ذكر خاصةً لأصحاب الصغائر على ما قالوا، يصير كأنه أمَر النبيَّ صلى الله عليه وسلم[٧] أن يقول: اغفر[٨] لهم ولا تَجُرْ[٩] عليهم، إذ هم[١٠] مغفورة ذنبهم، فيحصل[١١] قولهم على ما ذكرنا. وذلك كفر ووَحِش[١٢] من القول. *والله أعلم*.

ثم يجب[١٣] أن يكون المعتزلة والخوارج في الظاهر أبعد الخلائق في المعاصي وأقربهم إلى الطاعات، ونحن أقربَ الخلائق[١٤] إلى المعاصي وأبعدهم[١٥] عن الطاعات. لأنهم لا يرون النجاة إلا بأعمالهم، ولا يرون برحمة الله ولا شفاعة أحد ولكن بأعمالهم. فيجب أن يكونوا أبدا مُنْكَبِّين[١٦] مُلازِمين على الطاعات في كل وقت وساعة، لا يعصون الله طَرْفَةَ عينٍ.

---

[١] ن – حيث قال له و ستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. سورة محمد، ١٩/٤٧.

[٢] ر ث م – إذ من مذهبهم أن ليس لله أن يعذب أحدا على الصغائر.

[٣] ن: فلم.

[٤] ن: بالمغفرة.

[٥] ن – فيجب القول بما قلنا عملا بالآيتين.

[٦] ن – نقول نحن إنه.

[٧] ن – النبي صلى الله عليه وسلم.

[٨] ر ث م: استغفر.

[٩] ر م: ولا تحرك

[١٠] ن: هي.

[١١] ن: عندهم فيحصل.

[١٢] ر ث م: كفر ووحش

[١٣] ر ث م: يجيء.

[١٤] ن: الخلق.

[١٥] ن: وأبعد

[١٦] ر م: متكلين؛ ن: متكئين.

ونحن لم نر النجاة بالأعمال، ولكن إنّما نَرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى[1] شفاعتَه.[2] فيجب أن نكون نحن[3] معتمدين على رحمة الله وفضله، غيرَ مشتغلين بشيء من الطاعات. ثم في الحقيقة يجب أن يكونوا هم أقرب الخلائق إلى المعاصي وأبعدهم من الطاعات، ونحن ألزم الخلائق بالطاعات وأبعدهم[4] عن المعاصي، لأنا نرى عند الله لطائف وفواضل باقيةً لم يُعطِنا ما لو أعطانا لم يَصدُر منا[5] إلا الخيرُ والطاعاتُ،[6] وشَبِمْنا عن المعاصي وأنواع الشرور وعُصِمْنا.[7] فيجب[8] أن نكون[9] نحن[10] مُتَّكِئِين[11] على الطاعات لتَصِل إلى تلك اللطائف. وهم لا يَرَون[12] بَقِي عنده شيء من اللطائف، بل يقولون: قد أعطانا كل شيء حتى لم يَبقَ عنده شيء من مصالح الدين،[13] فيجب[14] أن يكونوا ما ذكرنا. **والله أعلم.**

ثم قولنا: إن الله تعالى يُنجّينا برحمته وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا بأعمالنا؛ وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي[15] صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «لن يَدخُل الجنةَ [أحدٌ] إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟[16] قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدَنِيَ الله برحمته».[17]

---

[1] ر م – وبشفاعة من ارتضى.
[2] ر ث م: بشفاعته.
[3] ر م – نحن.
[4] ن: وأبعد.
[5] ن + لاهتدينا.
[6] ن – إلا الخير والطاعات.
[7] ن – عن المعاصي وأنواع الشرور وعصمنا.
[8] ن + فيجب.
[9] ر م: يكون.
[10] ر ن م – نحن.
[11] ر م: متكئين.
[12] ث: لا يرونه.
[13] ن – من مصالح الدين.
[14] ن: فيجيء.
[15] ن + عن نبي الله.
[16] ن – لن يدخل الجنة إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله.
[17] مسند أحمد بن حنبل، ٣/ ٥٢؛ وصحيح البخاري، الرقاق ١٨؛ وصحيح مسلم، صفة الجنة والنار ٧٣؛ واللفظ من المسند.

والمعتزلة يقولون: لا، بل ندخل بأعمالنا، وكذلك قول الخوارج. وأصل قولنا: إن الله عز وجل أن يعذب[1] عباده على جميع المعاصي على الصغائر والكبائر جميعا، وله أن يغفر جميع المعاصي[2] سوى الشرك والكفر،[3] على ما ذكرنا من دلائل[4] الآيات وغيرها.

وقوله: **ربنا وسعتَ كل شيء رحمةً وعلمًا**، قوله: **وسعت كل شيء رحمة**، فرحمة[5] الدنيا يدخل[6] فيها الكافر والمؤمن جميعا. وأما[7] رحمة الآخرة فهي للمؤمنين خاصة. وهو كما ذكر في قصة موسى عليه السلام، حيث قال: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ -إلى قوله- وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ،[8] الآية؛ وكقوله:[9] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[10] كأنه يقول: قل هي للذين آمنوا والذين لم يؤمنوا، ثم هي خالصة للذين آمنوا يوم القيامة. فعلى ذلك قوله: **وسعتَ كل شيء رحمةً**،[11] هي رحمة الدنيا، جُمِع[12] للمؤمن والكافر في ذلك؛[13] فأما[14] رحمة الآخرة ليست إلا للذين آمنوا.[15] ***والله أعلم.*** [٦٧٤و]

وقوله: **وعلمًا**، أي عَلِم مَنْ فيها[16] من الخلق.

---

[1] ن: إن الله عز وجل له أن يعذب.

[2] ن + صغائر كانت أو كبائر.

[3] ن - سوى الشرك والكفر.

[4] ن: دليل.

[5] ن: رحمة.

[6] ن: دخل.

[7] ر ش م: فأما.

[8] ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُدْنَا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٦/٧).

[9] ن - واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية وكقوله.

[10] سورة الأعراف، ٣٢/٧.

[11] ن + وعلما.

[12] ر ن م: جميع.

[13] ن: والكافر جميعا.

[14] ن: وأما.

[15] ن: إلا للمؤمنين.

[16] ن: فيهما.

وقوله عز وجل: **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك**. يحتمل وجوها. أحدها فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا[1] دينك وهو[2] الإسلام. والثاني أي[3] فاغفر للذين تابوا عن الكبائر والفواحش، واتبعوا سبيلك أي طاعتك. والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعصي صغائرها وكبائرها،[4] واتبعوا طاعتك. *والله أعلم*. وقوله: **وقِهِم عذاب الجحيم**، ظاهر.[5]

ثم قوله: **ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمة وعلما**. لا يمكن العمل بها[6] على قول المعتزلة. لأن رحمة الله عندهم[7] لا تسع لذنبٍ واحد، فإنه[8] ليس له أن يعفو عنه، فإن عندهم أن[9] من ارْتَكَب كبيرة ليس له أن يرحمه، ولكن يعاقبه على زعمهم خالدًا مخلَّدًا. وإذا كان قولهم ومذهبهم هذا[10] فليست رحمته بواسعة بزعمهم.[11] ثم يقولون أيضا:[12] إن الله تعالى قد هدى كل كافر وأعطاه ما يهتدي به.[13] لكنه لم يهتد به،[14] وإنه لم يبق عنده ما يهتديه به.[15] فعلى هذا القول رحمته لا تسع لهداية الكافر.[16] فإذًا رحمة الله تعالى بزعمهم[17] على خلاف ما ذَكَر الله تعالى[18] ووصفها[19] بالسعة.[20] *والله الموفق*.

---

[1] ر ث م + سبيلك إلى.
[2] ر ث م: هو.
[3] ن – أي.
[4] ن: أو كبائرها.
[5] ن – وقوله وقهم عذاب الجحيم ظاهر.
[6] ن – لا يمكن العمل بها.
[7] ن – لأن رحمة الله عندهم.
[8] ن – واحد فإنه.
[9] ن: لأنهم يقولون.
[10] ر ث م – هذا.
[11] ن: ولكنه يعاقبه فهو على زعمهم ليس بواسعة على ما ذكرنا من قولهم ومذهبهم.
[12] ن: ثم هم يقولون.
[13] ن – به.
[14] ن – به
[15] ن: يهديه.
[16] ر ث م: كافر؛ ن + على ما ذكرها.
[17] ن: فهي على زعمهم.
[18] ن: عز وجل.
[19] ن: وصفه.
[20] ن – بالسعة.

وأما عندنا فهو على[١] ما ذكرنا من جمع[٢] الكل في ذلك، لما ذكرنا أن تلك الرحمة هي الرحمة الدنيوية،[٣] أو ما ذكرنا من كون اللطائف عنده، من أعطاها اهتدى. ***والله الموفق.***

**﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **ربنا وأدخلهم جناتِ عدن التي وعدتهم**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أن الوعد كان منه لجملة المؤمنين، فسألوا أن يُدخِل قوما على الإشارة والتعيين[٤] في جملة ذلك الوعد، لاحتمال خصوص في الجملة.[٥] ***والله أعلم.*** والثاني سألوه أن يَختِمهم[٦] على الأسباب والأعمال التي يستوجبون ذلك الوعد.[٧] ***والله أعلم.*** والثالث يجوز أن[٨] يكون الوعد لهم بالشرط[٩] الذي سألوه، والله تعالى عالم في الأزل أنه يوجد ذلك الشرطُ وهو سؤالهم، فيكون لهم ذلك الوعد. ومثل ذلك جائز،[١٠] كقوله عز وجل:[١١] كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً،[١٢] إنما يَعِدهم[١٣] بسؤال هؤلاء. على ذلك كان[١٤] جرى[١٥] تقديره * أنه لا يعذبهم إذا سألوا، وعَلِم أنهم سألوا. وعلى ذلك الحديث الوارد «إن الصدقة تزيد في العمر»،[١٧]

---

[١] ر ث م - على.

[٢] ر م: جميع.

[٣] ن: في رحمة الدنيا.

[٤] ن - ولتعيين.

[٥] ن - لاحتمال خصوص في الجملة.

[٦] ر ث م: يحببهم.

[٧] ر ث م - الوعد.

[٨] ن - يجوز أن.

[٩] ر ث م: بشرط؛ ن: بالسوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة وي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨و.

[١٠] ن - والله تعالى عالم في لأزل أنه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جائز.

[١١] ر ث م: قال الله تعالى.

[١٢] ر ث م: كان على ربك حتما مسئولا. لعله من خطأ الناسخين لأن هذه العبارة لا توجد في القرآن الكريم. ﴿لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا﴾ (سورة الفرقان، ١٦/٢٥).

[١٣] ن م: يعذبهم.

[١٤] ث - كان.

[١٥] ر ث: جراء.

* ابتداء من هنا إلى آخر «والله الموفق» لا توجد في نسخة ن.

[١٦] انظر حول مختلف روايات الحديث والآراء في صحته: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢٨-٢٩.

جرى تقديره في الأزل أنه يوجد منه الصدقة فيكون عمره زائدا على ما لو عُلِم أنه لا يتصدق. وإنما لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في حق العباد أنْ يُوجد عند وجود الشرط ولا يوجد عند عدمه، ولا عِلْم لهم بعاقبة ذلك، والله تعالى عالم بالعواقب. فمتى علّق بشرط كان ذلك منه في الأزل حُكمًا على أن يوجَد مع ذلك الشرط لا محالة، لما عَلِم وجود ذلك الشرط، مع علمه أنه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان. ***والله الموفق.****

*أما ظاهر الآية أنه إذا وعدها لهم لأدْخلها، لا محالة فيها، فلا معنى لسؤال في ذلك لما يخرج السؤال في مثله مخرج السؤال في تصديق الوعد والامتناع عن الخُلْف، ولكن الآية تخرج[2] على الوجوه التي ذكرنا.*

وقوله: **ومن صلَح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم،** الآية، سألوه أيضا إدخال هؤلاء في ذلك الوعد أيضا على ما ذكرنا.

**﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]**

وقوله: **وقِهِم السيئات،** هذا يحتمل أنهم[4] سألوا[5] أن يَقِيَهم في الآخرة أمورا تسوؤهم من الأهوال والأفزاع وغير ذلك من العذاب. ويحتمل في الدنيا أمرَ[6] الشرك وغيره، يدل عليه قوله: **ومن تَقِ السيئات يومئذ فقد رحمته،** أي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ، **وذلك هو الفوز العظيم.**[7]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[١٠]**

وقوله: **إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم،** الآية، ذُكر أن أهل النار إذا دخلوا النار وعاينوا ما أنكروا من البَعث والعذاب، فجعل كلُّ إنسان منهم يَمقُت نفسه

---

* تنتهت هنا العبارة التي كانت ناقصة في نسخة ن، ورقة ٦٢٠ظ سطر ٣١.

[2] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨و.

* ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: وإلا ظاهر قوله عز وجل ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم أنه إذا وعدها لهم لا محالة أدخلهم فيها لكن الآية يخرج على الوجوه التي ذكرنا والله أعلم.

[4] ن: أن.

[5] ن: سألوه.

[6] ن - أمر.

[7] ن: وقوله عز وجل وذلك هو الفوز العظيم.

ويَنُومها[1] فينادون: لمقت الله إياكم فيما أوجب عليكم من للعن والنقمة أكبر[2] مما تَمقُتون[3] به أنفسكم وأشدُّ. هذا وجه. ووجه[4] آخر جائز أن يقال لهم: إن الواجب عليكم أن تروا مَقْت الله إياكم وقت ارتكابكم العصيان وعند تعاطيكم ما تعاطيتم أكبر وأشدَّ من مقتكم أنفسكم[5] حين معاينتكم العذابَ[6] ودخولكم النار. لأنكم لو رأيتم[7] مَقْت الله إياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم أنه يَنْزِل بكم لَزَجَرَكم ومنعكم عن ارتكاب ذلك وتعاطيه، وحَمَلكم على إيثار ما[8] دُعِيتُم إليه من التوحيد لله تعالى والإيمان به.[9] ***والله تعالى أعلم.***

وعلى هذين التأويلين يرجع تأويل قوله تعالى: وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ.[10] أحدهما أن ذكر الله إياكم بالرحمة والمغفرة أكبر وأعظم من ذِكْركم إياه وصلاتكم وعبادتكم له. والثاني أن ذكر نفسٍ[11] نَهْيَ الله تعالى إياها[12] عن المعاصي وقت ارتكابها أكبرُ في الزجر[13] عنها والمنع من لصلاة نفسِها، وإن[14] كانت الصلاة تنهى عن ذلك، لقوله[15] تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى[16] عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ،[17] لِما أن الصلاة فيها أعْمَال تَشْغَل عن ذكر النهي. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: ويرمها.
[2] ن ث: أكبر.
[3] ر م: يمقتون.
[4] م – ووجه.
[5] ن: مقت أنفسكم.
[6] ر م: من مقتكم العذ ب.
[7] جميع النسخ: إن رأيتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٥ظ.
[8] ن – وحمكم عى إيثار ما.
[9] ن: حين دعيتم إلى الإيمان بالله تعالى والتوحيد.
[10] ﴿اتْلُ ما أُوحي إليك من الكتاب وأقِم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥)
[11] ن: سر.
[12] جميع النسخ: إياكم.
[13] ر م: في الرحم.
[14] ت. إن
[15] ن: قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨ظ
[16] ر ت م – ذلك لقوله تعالى إن الصلاة تنهى.
[17] سورة العنكبوت، ٢٩ ٤٥.

ثم قوله تعالى: **مِن مَقتِكم أنفسَكم**. يحتمل وجهين. أحدهما، أي مِنْ مَقْت[1] بعضكم بعضًا،[2] كقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[3] *ويحتمل[4] أن[5] يَمْقُت كل إنسان نفسه لِما كان من العصيان والكفر. وإنما احتمل هذين الوجهين ؛ لأن المنع لهم من طاعة الله تعالى [٦٧٤ظ] واتباع أمره ونهيه يكون بأنفسهم ويكون من بعضهم بعضا، فيكون محتملا لكلا الوجهين. وهو كقوله تعالى: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،[6] وقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ،[7] ونحوه أي[8] لا يُهلكْ بعضكم بعضا،[9] إذ الظاهر أن المرء مع قيام عقله لا يُهلِك نفسه ولا يلقيها في التهلكة، وكذا لا يُسلِّم على نفسه. ويحتمل الظاهر أيضا أن يُسلِّم على نفسه إذا دخل البيت ولم يكن معه غيره. ولذلك نهى عن إهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو ذلك.* *والله أعلم*.

**﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [١١]**

وقوله عز وجل: **قالوا ربنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَين**، قال بعض أهل التأويل: كانوا أمواتا في أصلاب أبائهم، فأحياهم الله تعالى في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم لبعث يوم القيامة. فهما حياتان وموتتان.[11] وهو قول ابن عباس وابن مسعود[12] فيما أُرَى؛[13]

---

[1] ر م: أن مقت.

[2] ن: يحتمل قوله عز وجل أنفسكم أي بعضكم بعضا.

[3] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[4] ر ث م + ذلك لقوله إن الصلاة تنهى.

[5] ر ث م: أي.

[6] سورة النور، ٢٤/٦١.

[7] ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٥).

[8] ر ث م – ونحوه أي.

[9] ر ث م: لا تهلكوا بعضكم لبعض.

* ن: وقعت العبارة التي بين النجمتين في نسخة ن هكذا: ويحتمل أن يمقت كل إنسان نفسه بما كان منها من العصيان والكفر إذ المنع لهم من طاعة الله تعالى واتباع أمره ونهيه بأنفسهم وبعضهم بعضا وهو ما ذكر في قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله عز وجل فسلموا على أنفسكم ونحوه أي لا يهلك بعضكم بعضا ويحتمل على أن يهلك أحد نفسه ولا يلقيها في التهلكة وكذلك قوله عز وجل فسلموا على أنفسكم أي يسلم بعضكم بعضا أو يسلم على نفسه إذا لم يكن معه غيره فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا.

[11] ن: موتان.

[12] انظر: تفسير الطبري، ٢١/٢٩١؛ والدر المنثور للسيوطي، ١٣/٢٣-٢٤.

[13] ن: وهو قول ابن عباس فيما أرى وابن مسعود.

ويقولون: هو[١] كقوله تعالى: وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٢] الآية. وقال بعضهم: قوله: **ربنا أمَتَّنا اثْنَتَيْن وأحْيَيتنا اثْنَتَيْن**، إحدى الموتتين هي التي تنقضي بها آجالهم، ثم يُحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة؛ فهما مَوْتَتان وحياتان. وإلى هذا يذهب ابن الراوندي؛[٣] ويُحتجّ بهذا على عذاب القبر. وهو أشبه وأقرب، لأنهم بكونهم في أصلاب آبائهم أمواتا لا يقال: **أمَتّنا**، وهم كانوا[٤] أمواتا من الأصل.[٥]

وقوله عز وجل: **فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل**، يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما أنكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البَعْث والإحياء بعد الموت والعذاب لهم، لما عاينوا ذلك وشاهدوا[٦] وأقرّوا به،[٧] فإنكارهم ذلك هو ذَنْبهم. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون ذنوبهم التي اعتَرفوا بها ما ذُكِر في سورة تبارك حين قال لهم الخَزَنَة لمّا أُلقوا في النار: قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ،[٨] فيكون اعترافهم بذُنوبهم هذا. **والله أعلم**.

**﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾**[١٢]

وقوله: **ذلكم بأنه إذا دُعِي الله وحدَه كفرتم**، قوله: **ذلكم بأنه** أي ذلك المَقْت الذي ذُكِر أو العذاب الذي نزل بكم إنما كان **بأنه إذا دُعِي الله وحده كفرتم**، أي كفرتم بتوحيده. **وإن يشرك به**، أي بتوحيد الله **تؤمنوا به**، أي تُصدِّقوا. هذه الآية كقوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،[٩] فهما بمعنى واحد. **والله أعلم**.

---

[١] ر ث م – هو.

[٢] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢٨/٢).

[٣] ر ث م: ابن الرويدي؛ ن: ابن المرويدي. هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرُّوندي أو الرَّاوَنْدي أو ابن الراوندي، (ت ٩١٠/٢٩٨)؛ كان في البداية متكلما معتزليا ثم اتهم بالزندقة؛ غير أن أبا منصور الماتريدي قد ذكره من بين المقرين بالنبوة ونقل عنه في ذلك في *كتاب التوحيد*. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، فهرس الأعلام، ص ٦٧٨.

[٤] ث – كان.

[٥] ر ث م – من الأصل.

[٦] ن: وشاهدوه.

[٧] ر ث م: أقروا.

[٨] ﴿تكاد تميّز من الغيظ كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ (سورة الملك، ٦٧/٨-٩).

[٩] سورة الزمر، ٣٩/٤٥.

وقوله عز وجل: **فالحُكْم لله العلي الكبير**. قال قتادة: لما خرج أهل حروراء[١] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ هؤلاء؟ قيل:[٢] المُحَكِّمون. قال قائل: هم القُرَّاء. قال علي عليه السلام: ليسوا بالقُرَّاء، ولكنهم العيّابون الخيّابون.[٣] قالوا: إنهم يقولون: لا حُكْم إلا لله. قال علي رضي الله عنه: كلمةُ حقٍّ أُرِيد بها باطل وذُكِر وعنيٌ[٤] بها باطل.[٥]

﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾[١٣]

وقوله: **هو الذي يُريكم آياته**، اختُلِف في[٦] قوله عز وجل: **يُريكم آياته**، قال بعضهم:[٧] هو ما أراهم بمُكذِّبي رسله ومُصَدِّقيهم من أوائلهم، حيث استأصل مكذبيهم[٨] بتكذيبهم رسله[٩] وأنجى مُصدِّقيهم بتصديقهم إياهم؛[١٠] أراهم أن مُكذّبيهم إنما استأصلهم وأهلكهم بتكذيبهم رسله، وأن مُصدّقيهم إنما أنجاهم وأبقاهم لتصديقهم إياهم،[١١] ليَحْذَر هؤلاء عن تكذيب رسوله.[١٢] وقال بعضهم: أراهم آياتِ وحدانيته وربوبيته وقدرته وسلطانه في السماوات والأرض ما لو تأمّلوا لعرفوا ذلك، وهو كقوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١٣] أخبر أنه قد أراهم الآيات في السماوات والأرض،[١٤] آياتِ وحدانيته وربوبيته، وذكر أنهم يمرونَ عليها[١٥] أي يرونها، لكنهم يعرضون عنها. *والله أعلم*.

---

١ وهم الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد أن كانوا معه، وهم يسمون أهل حروراء لأنهم اجتمعوا بعد حادثة التحكيم بموضع يسمى حروراء؛ ومنه الحرورية، الفرقة الخارجية الأولى.

٢ ن – قيل.

٣ عاب يعيب عيبا: نسبه إلى العيب. عيّاب: كثير العيب للناس. وخاب يخيب خيبا: حُرِم ولم ينل ما طلب. وخاب: خسر. والخيّاب: صفة المبالغة. (*لسان العرب*، «عيب» و«خيب»).

٤ ن ث: وعزي.

٥ والرواية موجودة في *المصنف* للصنعاني (١٠/١٥٠) بلفظ: «لما سمع علي المحكمة قال: من هؤلاء؟ قيل له: القراء. قال: بل هم الخيابون العيابون. قيل: إنهم يقولون: لا حكم إلا لله، قال: كلمة حق عزي بها باطل».

٦ ن: اختلف فيه.

٧ ر ث م – قال بعضهم.

٨ ر م: هؤلاء؛ ن: مكذبيهم؛ ث + بمكذبيهم. والتصحيح من شرح التأويلات، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩و.

٩ ر ث م: رسلهم.

١٠ ر ث م: إياه؛ ن: رسلهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩و.

١١ ر ث م – أراهم أن مكذبيهم إنما استأصلهم وأهلكهم بتكذيبهم رسله وأن مصدقيهم إنما أنجاهم وأبقاهم لتصديقهم إياهم.

١٢ ن: رسلهم.

١٣ ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٥).

١٤ ر ث م – أخبر أنه قد أراهم الآيات في السموات والأرض.

١٥ ن: عنها.

* وقال بعضهم في قوله: **هو الذي يُريكم آياته**، [أي] يا أهل مكة إذا سافرتم في الأرض[١] رأيتم آيات المتقدمين ومنازلهم وهلاكهم؛ وهو الأول بعينه.*

وقوله تعالى: **ويُنزِّل لكم من السماء رزقا**، يخبر عن آيات وحدانيته أيضا أنه[٣] ينزل رزقهم من السماء، وحِيَلُ الخلق تَنقطِع[٤] عن استنزال الرزق من السماء ليعلموا أن منشئ الأرض والسماء واحد، حيث اتصل منافع السماء بمنافع الأرض على بُعْدِ ما بينهما. ويحتمل أنه يذكر[٥] نِعَمه عليهم، حيث[٦] يعلمون أنه هو الذي أنزل[٧] أرزاقهم من السماء دون من يعبدون من الأصنام؛ فكيف تصرفون[٨] عبادتكم وشكركم إلى غيره؟

وقوله: **وما يَتذكَّر إلا من ينيب**، وما يتذكر بما ذُكِر من الآيات ولا يتأملها إلا من ينيب إليه بطاعته. أو يقول: لا يتذكر ولا يتَّعظ بآياته ومواعيده[٩] **إلا من ينيب** إليه بالقبول لأمره وطاعته.

**﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١٤]**

وقوله: **فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**، كأن هذا صلة ما تَقدَّم من قوله تعالى: وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ،[١٠] الآية، وصلة قوله: ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ.[١١] يقول: فادعُوا الله يا أصحاب محمد وأيها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك، ووحِّدوه ولا تشركوا به شيئا على ما يشرك[١٢] به أهل مكة. *والله أعلم*.

---

[١] ر ت م - في الأرض.
* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن متأخرا عن موضعه، بعد تفسير القسم من الآية ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾.
[٣] ر م: آية.
[٤] ر ت م: ينقطع.
[٥] ن: أو يذكر.
[٦] ر ت م - حيث.
[٧] ن: هو إنزال.
[٨] ر م: يصرفون.
[٩] ن - ومواعده.
[١٠] سورة الزمر، ٣٩/٤٥.
[١١] سورة المؤمن، ٤٠/١٢.
[١٢] ر ت م: تشرك.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[١٥]

وقوله:[١] **رفيع الدرجات**، يحتمل وجهين. أحدهما رَفيع[٢] السماوات درجةً على درجةٍ وطبقا على طَبَقٍ على ما رَفَعها واحدةً على أخرى. والثاني قوله: **رفيع الدرجات**، أي درجاتِ [٦٧٥و] أهلِها ومنازلهم التي جعلها[٣] لهم في الآخرة على تفضيل بعض على بعض / في الدرجات. كقوله تعالى: أُنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً،[٤] أخبر أنه[٥] فضل بعضا[٦] على بعض في الدرجات في الآخرة. فجائز أن يكون ما ذكر من رفع الدرجات ما ذكر في هذه الآية. فإن كان المراد ما ذكر من رفع الدرجات[٧] هي رفعَ[٨] السماوات درجةً فدرجةً،[٩] فهو إخبار[١٠] عن قدرته وسلطانه أن[١١] من قَدَر على رفع السماوات في الهواء وإقرارها فيه بلا سبب من أسباب إمساكها من التعليق بشيء مع[١٢] ثِقَلها وغِلَظها، ولا شيءَ يَقِرّ في الهواء وإن خف ذلك. فمن قدر علي رفع ما ذكر وإقرارها وإمساكها في الهواء،[١٣] بحيث[١٤] لا يَنْحَطّ ولا يتَسَفَّل ولا يَرْتَفع عن أماكنها بلا سبب من الأسفل والأعلى،[١٥] لا يُحتَمل أن يُعْجِزه شيء أو يَخْفى عليه شيء أو يَمْنَعه[١٦] شيء[١٧] عما يريد. *والله علم*.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: رفع.
[٣] ن: جعل.
[٤] سورة الإسراء، ٢١/١٧.
[٥] ن + قد.
[٦] ن: بعضهم.
[٧] ر ث م – ما ذكر في هذه الآية فإن كان المراد ما ذكر من رفع الدرجات.
[٨] ن – رفع.
[٩] ن – درجة فدرجة.
[١٠] ن: يخبر.
[١١] ر ث م: أنه.
[١٢] ر: من.
[١٣] ر ث م – وإن خف ذلك فمن قدر علي رفع ما ذكر وإقرارها وإمساكها في الهواء.
[١٤] ن: بحيث.
[١٥] ن – بلا سبب من الأسفل والأعلى.
[١٦] ن: ويمنعه
[١٧] ر م – شيء.

وإن كان المراد بالدرجات الدرجاتِ[1] التي تُجعَل[2] لأهلها في الآخرة ففيه إخبار أن الفضيلة التي تُجعَل لهم[3] إنما يستوجبونها[4] بالله تعالى بأعمال تكون[5] لهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذو العرش[6] يلقي الروح من أمره.** اختلف فيه؛ قال بعضهم: هو جبريل عليه السلام يُلقي أي يُنزل الوحي[7] والنبوة[8] على من يشاء من عباده، كقوله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ [لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ]؛[9] أخبر أنه أمين، ليُعلَم أنه ليس في إنزاله غَلَطٌ ولا شيء مما قاله بعض الروافض:[10] إنه بُعِث إلى فلان لكنه[11] أداه[12] إلى غيره. وقال بعضهم: الروح هاهنا هو الوحي والرسالة، يقول: **يُلْقي**، ويُنزل الوحي[13] على من يختار ويصطفي[14] من عباده.[15] *والله أعلم*.

وقوله: **لِيُنْذِرِ يَوْمَ التَّلَاقِ**، اختُلِف فيه. قال بعضهم: يوم يلقى[16] أهلُ الأرض أهلَ[17] السماء. وقال بعضهم يوم يَلقى الآخِرون الأولين.[18] وجائز أن يكون قوله: **يَوْمَ التَّلَاقِ**،[19] يوم يلقى الإنسان عمله وأفعاله التي عملها في الدنيا.[20] *والله أعلم*.

---

[1] ر م – الدرجات.
[2] ر م: يجعل.
[3] ر ث م – ففيه إخبار أن الفضيلة التي تجعل لهم.
[4] ن: يستوجبون.
[5] ر ث م: يكون.
[6] ن – ذو العرش.
[7] جميع النسخ: بالوحي. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩ظ.
[8] م: فالنبوة.
[9] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.
[10] ن: الرافضة.
[11] ر ث م – لكنه.
[12] ر م: أوداه.
[13] ر ث م: وهو الوحي.
[14] ن + له.
[15] ن – من عباده.
[16] ر م: تلقي؛ ث: تلقاء.
[17] ن: وأهل.
[18] جميع النسخ: الأولون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٦٦ظ.
[19] ر م – يوم التلاق.
[20] ر ث م – في الدنيا.

وقالت الباطنية: أي[1] يوم تَلْقى[2] الصُوَرُ[3] المتولدة من الأجساد بأعمال البر والخير[4] التي كانت لهم في الدنيا الصُوَرَ[5] التي كانت لهم روحانيةً. لأن من مذهبهم[6] أن من مات منهم[7] يَحْدُث ويتولد بالأعمال التي كانت لهم من الخير صورًا روحانية،[8] يَلْقي هذه[9] الصور[10] الحادثةُ المتولدة من الأجساد الصورَ[11] الرحانيةَ التي خرجت من الأجساد[12] بعد الموت. ويكون البعث عندهم للأرواح، فيتصل هذه الأرواح النورانية بالنور الصِرْف.[13] ويستدلون[14] لهذا[15] بقوله: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ،[16] أي يَبرُز تلك الصور الروحانية من الأجساد، إذ الخلائق كلهم في جميع الأحوال والأوقات بارزون ظاهرون لله تعالى، لم يكونوا في وقت مستورين عنه.

ولكن هذا فاسد لأنه لو كان[17] الأمر[18] على ما يقوله الباطنية لكانت الأنفس إذا نامت وخرجت منها الصور الروحانية فرأت رؤيًا كانت تراها[19] مختلطة غير متحققة، وفي حالة اليقظة تراها متحققة غير مختلطة. دل على أنه ليس على ما تصوروا وتوهموا، ولكن على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.[20]

---

[1] ن – أي.

[2] ر م: يلقى.

[3] ن: صورهم.

[4] ر ث م: خير وشر؛ ن: الشر والخير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٦ظ.

[5] ر ث م: الصورة.

[6] ن: قولهم.

[7] ن – منهم.

[8] ر ث م: صور روحانية.

[9] ن: تلك.

[10] ر ث م: الصورة.

[11] ن: للصور.

[12] ر م – الصور الرحانية التي خرجت من الأجساد.

[13] ن – التي خرجت من الأجساد بعد الموت ويكون البعث عندهم للأرواح فيتصل هذه الأرواح النورانية بالنور الصرف.

[14] ن: يستدلون.

[15] ر ث م – هذا.

[16] الآية التالية.

[17] ن: لكن الوجه فيه عندنا ما ذكرنا ولو كان.

[18] ن – الأمر.

[19] ر ث م: يراها.

[20] ر ث م: دل أن الإدراك للأجساد بواسطة الصور الروحانية يجب أن يكون البعث للكل ولكن الوجه في ذلك ما ذكرنا والله أعلم.

وأصله أنه سُمِّي **يَوْمَ التَّلَاقِ**،[1] على[2] ما سُمِّي "يومَ الجمْع"[3] و"يوم التغابن"[4] و"يوم الحشر"[5] وغير ذلك. سُمِّي ذلك اليوم على أسماء مختلفة، كل اسم من ذلك لمعنى غير المعنى[6] الآخر. ***والله أعلم.***

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يوم هم بارزون**، قال بعضهم: أي ظاهرون لا شيء هنالك يسترهم. أي[7] يرتفع يومئذ جميعُ السواتر. وهو كقوله تعالى: [فَيَذَرُهَا] قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا،[8] أي لا شيء يُستَر فيها.[9] يذكر هذا لأن من الناس من يقول: تستر[10] الأشياء عن الله تعالى بالسواتر، رَدًّا لقولهم. ويحتمل[11] أن يكون قوله: **يوم هم بارزون**، سمّي ذلك اليوم يوم البروز لما[12] يتفقون جميعا ويقرون بالكلمة التي اختلفوا في الدنيا فيها،[13] فيبرزون[14] جميعا متفقين مقرين[15] على تلك الكلمة يومئذ وهي كلمة التوحيد. ***والله أعلم.*** ويحتمل أن يكون[16] سماه يومَ البروز والمصير والرجوع وما ذُكِر، لأن[17] المقصود من إنشاء الدنيا وما فيها من الخلائق ذلك اليوم وتلك الدارُ، وبذلك[18] صار إنشاء الدنيا[19] وإنشاء ما فيها[20] حكمة،

---

[1] ن + لمعنى الذي ذكرنا.
[2] ر ث م: وأصله أنه سمي ذلك اليوم على.
[3] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[4] سورة التغابن، ٩/٦٤.
[5] سورة ق، ٤٤/٥٠.
[6] ن + في.
[7] ن – أي.
[8] ن: قاعا صفصفا لا شيء عليها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. سورة طه، ١٠٦/٢٠-١٠٧.
[9] ن – أي لا شيء يستر فيها.
[10] جميع النسخ: يستر.
[11] ن: وجائز.
[12] ر م: بما.
[13] م – فيها.
[14] ن: مبرزون.
[15] ن: متفقون مقرون.
[16] ن: أو أن يكون.
[17] ر ث م: أن.
[18] ر ث م: وكذلك.
[19] ن: إنشاءها.
[20] ن + أعني الدنيا.

لما عُرِف أن الإنشاء للإفناء خاصةً ليس بحكمة،[1] فخَصَّ[2] ذلك اليوم بما ذكرنا،[3] وإن كانوا في جميع الأحوال بارزين إليه ظاهرين له. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لا يَخْفى على الله منهم شيء**، ظاهر؛ وهو ردّ[4] لقول من يقول: إن شيئا يُستر على الله تعالى.[5] تعالى الله[6] عن ذلك علوّا كبيرا.[7]

وقوله عز وجل: **لِمَن المُلْك اليومَ لله الواحد القهار**. قال عامة أهل التأويل: إذا أهلك الله[8] تعالى أهل الأرض وأهل السماء، فلم يبق أحد إلا الله تعالى فعند ذلك يقول: **لِمَن المُلْك اليومَ؟** فلم يُجِبْه أحد، فيقول هو في نفسه ويُجيب نفسَه: **لله الواحد القَهّار**. لكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يقول: **لمن الملك اليوم**، ولا أحدَ سواه، ويجيب نفسَه: **لله الواحد القهار**، لما لا حكمة في ذلك أن يسأل نفسه ثم يجيبها. لكن الوجه فيه –والله أعلم– أنه إنما يقول لهم ذلك إذا بعثهم وأحياهم: **لمن الملك اليوم**، فيقول الخلائق له بأجمعهم: **لله الواحد القهار**، يقرون له جميعا يومئذ بالملك[9] والربوبية، وإن كان بعض الخلائق في الدنيا قد نازعوه في الملك فيها وادّعوا لأنفسهم، فيقرون[10]

[٦٧٥ظ] يومئذ أن الملك في الدنيا والآخرة / لله تعالى. *والله أعلم*.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت**، أي من خير أو شر. **لا ظلم اليوم**، أي لا تُجْزَى غيرَ ما كسبت. ويحتمل **لا ظلم**،[11] أي لا نقصان في الحسنات التي عملوها ولا زيادة على السيئات التي اكتسبوها.[12] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم. وقوله عز جل: **إن الله سريع الحساب**، قد ذكرنا هذا أيضا. *والله أعلم*.

---

[1] ن – لما عرف أن الإنشاء للإفناء خاصة ليس بحكمة.
[2] ن: محض.
[3] ن: بما ذكر لما ذكرنا.
[4] ن: هو ظاهر رد.
[5] ن + شيئا.
[6] ر م – تعالى الله.
[7] ن – علوا كبيرا.
[8] ر ث م – الله.
[9] ن + له.
[10] ن + له.
[11] ن: أو لا ظلم.
[12] ن – التي اكتسبوها.

**﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾**[١٨]

وقوله: **وأنذرهم يوم الآزفة**، سَمّى ذلك اليوم يومَ الآزفة[١] لقربه ودنوّه منه. وعلى ذلك سماه غدا[٢] وقريبا، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[٣] وقوله: اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[٤] الآية. فعلى ذلك سماه آزفة لدنوّه وقربه منهم. يقال:[٥] أزِف فلان إلى فلان، أي قرب ودنا منه. ومعناه[٦] أي أنذرهم بما إليه مرجع عاقبتهم ومصيرهم، لأن أهل العقل والتمييز إنما يعملون ويسعَون[٧] للعاقبة وما إليه يرجع أمورهم،[٨] وهو ذلك اليوم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إذ القلوب لدى الحناجر**، يخبر عن شدّة حالهم وفزعهم في ذلك اليوم. ليس أن قلوبهم تزول[٩] عن أمكنتها وترتفع[١٠] إلى الحناجر حقيقة، ولكنه وصفٌ لشدّة حالهم في ذلك اليوم وكثرة خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم. وهو كقوله تعالى: وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ،[١١] أي ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حَلّ بهم من الشدائد والأهوال، ليس أن صارت الأرض في الحقيقة مضيّقةً لا يَسَعون فيها، ولكن وَصْفٌ لضِيق صدورهم لعِظَم[١٢] ما نَزَل بهم، فَكَنّىَ بضِيق الأرض عن ضيق صدورهم. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذُكِر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم لشدة حالهم وعظم[١٣] ما حل بهم. ***والله أعلم***.

والحناجر هي[١٤] مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدوابّ، واحدها[١٥] حَنْجَرة.

---

١ ن: اليوم آزفة.
٢ ﴿أَأُلقِيَ الذكر عليه من بيننا بل هو كَذّاب أَشِرٌ سيعلمون غدًا مَنِ الكذاب الأَشِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٢٥-٢٦).
٣ ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١).
٤ ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١).
٥ ن: وهو القرب والدنو منه يقول.
٦ ن: وقوله: وأنذرهم.
٧ ن: ويسمعون.
٨ ن: بصورهم.
٩ ر ت م: ليس أن يزول قلوبهم.
١٠ ر ت: يرتفع.
١١ ﴿لقد نصركم الله في مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ إذ أعجَبَتْكم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئا...﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٥).
١٢ ن: عظيم
١٣ جميع النسخ: وعظيم. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.
١٤ ن: الحناجر من.
١٥ ن: وواحدها

وقوله: **كاظمين**، قال بعضهم: الكاظم المغموم الذي يتردّد حزنه في جوفه غيظا لما كان منه في الدنيا. وقيل: الكاظم[1] الذي[2] لا يتكلم، قد كَظَم من الخوف.[3] وقيل: الذي لا يفتح فمه. وهو قريب بعضه[4] من بعض.[5]

وقوله عز وجل: **ما للظالمين من حميم**، أي قريب. وقيل: الحميم هو الذي يَهْتَمُّ بأمر صاحبه، ويسعى في دفع ما نزل به من البلاء. وقوله:[6] **ولا شَفِيعٍ يطاع**، أي يجاب. يذكر أن لا يكونُ لهم في الآخرة قريب يَهْتَم لأمرهم ولا شفيعٌ يَشْفع لهم فيجاب كما يكون في الدنيا. وكذلك[7] قوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[8] أي لا يكون لهم شفعاء تنفعهم شفاعتهم، وهو ما قال عز وجل في آية أخرى: وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[9] الآية.

**﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **يعلم خائنة الأعين**، الخائنة[10] والخيانة[11] واحد،[12] وهو ما قال عز وجل: وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ،[13] أي خِيانةٍ منهم. وقال بعضهم: هي النَّظْرة بعد النظرة؛ أما الأولى فليس فيها[14] شيء، وأما الثانية فعليه مأثمها.[15] وقوله: **وما تُخفي الصدور**،

[1] ن – يتردد حزنه في جوفه غيظا لما كان منه في الدنيا وقيل الكاظم.
[2] جميع النسخ – الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٦ظ.
[3] ن: في الخوف.
[4] ر م: بعضهم.
[5] ن: وهو واحد.
[6] ن – وقوله.
[7] ر م: ولذلك.
[8] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢٥٤/٢).
[10] جميع النسخ – الخائنة. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.
[11] ن: وخيانة الأعين.
[12] ر ث م: واحدة.
[13] سورة المائدة، ١٣/٥.
[14] ن: منها.
[15] عن بُرَيْدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «يا علي! لا تُتْبِع النظرةَ النظرةَ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة». *سنن أبي داود*، النكاح ٤٤؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٢٨. وزاد الترمذي أنه حديث حسن غريب؛ وأخرجه الحاكم أيضا في *المستدرك* (٢٣١/٢)، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم.

أي ما لم يتكلم به المرء[1] ولم يعمل،[2] كل ذلك يعلمه الله تعالى. وقال بعضهم: **خائِنَة الأعْيُن**، هي النظرة فيما لا يحل والغَمْزَة بعينه. وهو مثل الأول. وقال بعضهم: **خائنة الأعين**، هي التي ينتظر بها[3] غفلة الناس، إذا غفلوا عنه نظر إلى من[4] يهواه ويحبه مما لا يحل.[5] **وما تخفي الصدور**، هو ما ذكر عز وجل: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.[6] يذكر هذا ليكونوا أبدا[7] مرقبين أنفسهم حافظين لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد، على[8] ما ذكر في آية أخرى: إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً،[9] ليكونوا أبدا على حذر من ذلك وخوف. **والله أعلم**.

**﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [٢٠]

وقوله عز وجل: **والله يقضي بالحق**، قال أهل التأويل: أي يحكم[10] بالحق. والقضاء المذكور في الكتاب يخرج على وجوه. أحدها يقضي أي يأمر، كقوله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[11] أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه،[12] وكقوله: إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا،[13] أي إذا أمَرَ[14] أمرًا. يقول: **والله يقضي بالحق**، أي يأمر بالحق.[15] **والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء**، أي[16] لا يملكون الأمر بالحق، فكيف تعبدون مَن[17] دونه.

---

[1] ن - المرء.
[2] ن + به.
[3] ر ث م: ينتظرها.
[4] ر ث م: ما.
[5] ر ث م - مما لا يحل.
[6] سورة النمل، ٢٧/٧٤.
[7] ن - أبدا.
[8] ر م: وعلى.
[9] ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٣٦).
[10] ر م: الحكم.
[11] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٣).
[12] ر م - أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه.
[13] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٣٦).
[14] ن + الله.
[15] ن + وقوله عز وجل.
[16] ن - أي.
[17] ن - من.

والثاني القضاء هو[1] الوحي والخبر، كقوله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ،[2] أي أوحينا إليهم. فكأنه يقول: والله يوحي بالحق ويخبر به، والذين تعبدون[3] من[4] دونه لا يملكون الوحي ولا الخبر، فكيف اخترتم عبادتهم[5] على عبادة من يوحي بالحق ويخبر به. *والله أعلم*.

والثالث القضاء[6] هو الخلق والإنشاء، كقوله تعالى: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[7] أي خلقهن. فيكون قوله على هذا: **والله يقضي بالحق**، أي يخلق بالحق، والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا. وقد يعلمون أن[8] استحقاق العبادة إنما يجوز بالخلق والإنشاء، وهو كقوله تعالى: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ،[9] وكقوله تعالى: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ،[10] يقول: [هل] خلق من يدعون[11] دونه كخلق الله حتى تشابه ذلك عليهم فعبدوهم، أي[12] يعلمون أنها لم تخلق شيئا وقد خلق الله جميع الخلائق فكيف يعبدون دونه، أو[13] يعلمون أن من خلق ليس كمن لم يخلق. وقد تعلمون[14] أنها لم تخلق شيئا، فكيف عبدتموها. *والله أعلم*.

ثم قول أهل التأويل:[15] **يقضي بالحق**، أي يحكم بالحق،[16] يخرج على وجهين. أحدهما يحكم بالحق[17] في الدنيا بالآيات والحجج ما عرف كلّ أحد أنها حجج وآيات وبراهين، فالحكم[18] بما ذكرنا حكم بالحق. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – هو.
[2] سورة الإسراء، ٤/١٧.
[3] ر ث م: يدعون.
[4] ن – من.
[5] ر ث م: عبادته.
[6] ن + في الكتاب.
[7] ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (سورة فصلت، ١٢/٤١).
[8] ر ث م – أن.
[9] سورة النحل، ١٧/١٦.
[10] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء﴾ (سورة الرعد، ١٦/١٣).
[11] ن: يعبدون.
[12] ر ث م: إذ.
[13] ر ث م – أنها لم تخلق شيئا وقد خلق الله جميع الخلائق فكيف يعبدون دونه أو.
[14] ر ث م: وقد يعلمون.
[15] ر م: أقول أهل التأويل؛ ن: قال بعض أهل التأويل.
[16] ن – أي يحكم بالحق.
[17] ر م – يخرج على وجهين أحدهما يحكم بالحق.
[18] ر ث م: والحكم.

والثاني أي يحكم بالحق في الآخرة، وهو الشفاعة؛ أي لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون على [٦٧٦و]
رجاء الشفاعة،[١] كقوله:[٢] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[٣] ولكن إنما يجعل[٤] لمن ارتضى، كقوله تعالى:
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[٥] *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **إن الله هو السميع البصير**. تروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: السميع للمؤمن، والبصير بعقاب الكافرين. وتأويل قوله:[٦] السميع لمؤمن، أي المجيب للمؤمن، والبصير بعقاب[٧] أولئك. وقيل: السميع[٨] لأقوالهم، البصير بأفعالهم.[٩] وجائز أن يكون قوله تعالى: **إن الله هو السميع البصير**، صلةَ ما تقدم من قوله: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ،[١٠] يقول: السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول أو فعل، والبصير بما أخفوا في قلوبهم وتُكِنّ صدورهم. يخبر بهذا[١١] ليكونوا أبدا مراقبين حافظين أنفسهم ما ظهر منهم[١٢] وما خفي. *والله أعلم*.

**﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَاقٍ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة**، هذا[١٣] يخرج على وجوه. أحدها[١٤] ما قال الحسن: إنهم لو ساروا فنظروا في آثار من كان قبلهم من مكذبي الرسل لكان لهم في ذلك زجر ومنع عن مثل صنيع أولئك.[١٥]

---

[١] ن: تعبدون على رجاء الشفاعة لكم.
[٢] ر ث م: كقولهم.
[٣] ن + يقول لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون. ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٤] ن - إنما يجعل.
[٥] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٨/٢١).
[٦] ر ث م - السميع للمؤمن والبصير بعقاب الكافرين وتأويل قوله.
[٧] ر ث م: لعقاب.
[٨] ن + وقال بعضهم إنه هو السميع.
[٩] ر م: لأفعالهم.
[١٠] من الآية السابقة.
[١١] ن + ويذكر هم.
[١٢] ر ث - منهم.
[١٣] ن: به.
[١٤] ر ث م: على وجهين أحدهما
[١٥] ن + من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره.

وقال[1] بعضهم: هو على الخبر، أي قد ساروا في الأرض ونظروا في آثار من تقدمهم، لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار أنه لماذا أصابهم ما أصابهم. *والله أعلم*. وقال قائلون: هو على الإيجاب والإلزام، أي سيروا في الأرض وانظروا في آثار أولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء، كقوله من قبلُ: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا.[2] ولكن نقول: ليس على حقيقة السير في الأرض بالأقدام ولا نَظَرِ العين والبصر، ولكنه أمرٌ منه لهم بالتفكر والاعتبار في آثار من كان قبلهم، وإلى ماذا صار عاقبة أمرهم[3] من صنيع[4] مكذبي الرسل ومصدقيهم،[5] لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم[6] ويرغبوا في مثل صنيع مصدقيهم.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **كانوا هم أشدّ منهم قوة**، في أبدانهم وأنفسهم. **وآثارا في الأرض**، أي خبرا وذكرا في الأرض؛ ويحتمل[8] **وآثارًا في الأرض**، أي أشدّ أعمالا في الأرض. وليس كما يقول بعض المعتزلة:[9] إنهم كانوا أشدّ منهم قوّة في الخيرات، فإن كان ما ذُكر فذلك ليكون[10] أصلح لهم. وهذا بعيد سَمْج[11] من القول؛ والوجه فيه ما ذكرنا أنهم كانوا أشد منهم قوة في أبدانهم وأنفسهم.

وقوله عز وجل: **فأخذهم الله بذنوبهم**، يخبر أن أولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا أشد[12] من هؤلاء قوة وأشد آثارا في الأرض، ثم لم يمنعهم شدة قواهم في أبدانهم وأنفسهم وما ذُكر من آثارهم في الأرض[13] ولم يدفعوا عن أنفسهم ما[14] نزل بهم من عذاب الله. فأنتم يا أهل مكة دونهم في البطش والقوّة، فكيف تمنعون[15] عذاب الله إذا نزل بكم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: وقد قل.
[2] ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المجرمين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٦٩).
[3] ر م - أمر.
[4] ن - صنيع.
[5] ث: من صيع مد كذبوا مكذبي الرسل ومصدقيهم.
[6] ر م: مكذبهم.
[7] ر م: مصدقهم.
[8] ن: أي.
[9] ر ث م + أي.
[10] ن: يكون.
[11] السمج والسميج: القبيح الذي لا ملاحة فيه (*لسان العرب*، «سمج»).
[12] ن - أشد.
[13] ر ث م: من آثار الأرض
[14] ر م: وما.
[15] ن: يمتنعون عن.

وقوله عز وجل: **وما كان لهم من الله من واق**، يذكر[١] -والله أعلم- أن أولئك قد عبدوا الأصنام رجاء أن تتشفع[٢] لهم في الآخرة، وتقرّبهم[٣] عبادةُ الأصنام[٤] إلى الله زلفى،[٥] كما تعبدون أنتم على رجاء الشفاعة لكم والتقريب[٦] إليه. فلو[٧] كانت عبادتهم إياها طريق الشفاعة وسبب التقريب[٨] لكان يغنيهم من عذاب الله في الدنيا.[٩] وهو كما ادعت اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فقال ردا عليهم بقوله:[١٠] ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾،[١١] أي في الدنيا لو كنتم على ما تزعمون، إذ لا أحد يُهلك ويعذب ولده وحبيبه، فعلى ذلك الأول.

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[٢٢]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات**، فقوله: **ذلك**، يقول: ذلك[١٢] العذاب والإهلاك الذي نزّل بهم لِمَا كانت أتاهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا الآيات والأدلة التي أتاهم [بها] رسلهم أنهم رسل الله إليهم، فأصابهم ما أصابهم. لذلك[١٣] فأنتم يا أهل مكة! إذا كذبتم الرسول بعد ما أتاكم بالبينات والأدلة على رسالته ينزل بكم ما نزل بأولئك بالتكذيب والعناد وردّ الآيات والأدلة. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م: ذكر.

[٢] جميع النسخ: أن يشفع. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.

[٣] ن: ويقربهم.

[٤] ر ث م - عبدة الأصنام.

[٥] ن - زلفى. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[٦] ن: والتقرب.

[٧] ر ث م: ولو.

[٨] ن: فلو كانت عبادتكم إياها على رجاء ذلك.

[٩] ن + لأن عبادتهم إياها لو كانت يقربكم إلى الله زلفى على ما تزعمون لكان الله لا يعذبهم في الدنيا ونفى عنهم ما نزل.

[١٠] ن: حيث قال.

[١١] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾ (سورة المائدة، ٥/١٨).

[١٢] ن - يقول ذلك.

[١٣] ر م: كذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٢٣]

وقوله: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**، يحتمل **بآياتنا**، أي[1] بحُجَجنا والآيات التي آتاها إياه. وقوله عز وجل: **وسلطان مبين**، يحتمل بحجج بينة.[2] وذكرنا أنه يحتمل أن[3] الآيات والسلطان واحد،[4] ويحتمل أنهما غيران.[5]

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٢٤]

وقوله: **إلى فرعون وهامان وقارون**، مرة قال: إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ،[6] ومرة قال: إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،[7] ومرة قال: **إلى فرعون وهامان وقارون**،[8] ليُعلَم أنه كان مبعوثا إلى الكل، لم يُبعَث إلى بعض دون بعض.[9]

وقوله: **فقالوا ساحر كذاب**، دل قولهم: **ساحر كذاب**، على أن موسى عليه السلام قد أتاهم من الآيات والحجج ما عجزوا عن إتيان مثلها والمقابلة لها، فخافوا أن يتّبعه الناس لذلك، فمَوَّهوا[10] بقولهم: **ساحرٌ كذاب**، على سائر الناس لئلا يتبعوه فيما يدعو،[11] لما عرف الناس أن السحر ليس يعرفه كل أحد، وأن أكثر الناس يعجزون عن السحر. وكانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا[12] فمَوَّهوا بذلك القول أمرَ موسى عليه السلام[13] على أتباعهم،[14]

---

[1] ث – أي.

[2] ر ث م – والآيات التي آتاها إياه وقوله عز وجل وسلطان مبين يحتمل بحجج بينة.

[3] ن – وذكرنا أنه يحتمل أن.

[4] ن: والسلطان والحجج واحد.

[5] ن – ويحتمل أنهما غيران. انظر: تأويل الآية ٩٦ من سورة هود.

[6] ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه فظلموا بها﴾ (سورة الأعراف، ١٠٣/٧).

[7] ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ (سورة النمل، ١٢/٢٧).

[8] ر ث م – مرة قال إلى فرعون وملإه ومرة قال إلى فرعون وقومه ومرة قال إلى فرعون وهامان وقارون.

[9] ن + ولكن إليهم جميعا.

[10] مَوَّهَ الشيءَ: طلاه بذهبٍ أو بفضة وما تحت ذلك شَبَه أو نُحاس أو حديد، ومنه التمويه وهو التلبيس، ومنه قيل للمخادع: مُمَوِّه. وقد موه فلان باطله إذا زينه وأراه في صورة الحق (*لسان العرب*، «موه»).

[11] ر م: فيما يدعوا؛ ن – فيما يدعو.

[12] ن – وكانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا.

[13] ن – القول أمر موسى عليه السلام.

[14] ن + لئلا يتبعوه وقالوا إنه كذاب قالوا ذلك.

ونسبوه إلى الكذب من غير أن ظهر من موسى كذب قطّ.[١] وقد كان لم يزل من فرعون[٢] تمويه وتلبيس على قومه أمر موسى مخافة أن يتبعوه لما أتاهم من الحجج والأدلة التي ظهرت عندهم أنها حجج وأدلة. من ذلك قوله عز وجل: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ؛[٣] وقوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[٤] قال هذا بعد ما تبعه السحرة وآمنوا به.[٥] ليُموّه بذلك أمرهم على من لم يتبع موسى[٦] من الأتباع؛ وقوله:[٧] إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ [٦٧٦ظ] لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا،[٨] وغير ذلك من التمويهات التي كانت منه. فعلى ذلك هذا القول منهم حيث قالوا: ساحر كذاب.[٩] وجائز أن يكون قولهم: إنه كذاب، لأنهم[١٠] اعتادوا عبادة الأصنام دون الله تعالى. فلما جاء موسى صلوات الله عليه[١١] بما يمنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد ودعاهم إلى عبادة الواحد قالوا: إنه كذاب. وكذلك قال[١٢] أهل مكة لرسولنا وسيدنا محمد[١٣] صلى الله عليه وسلم:[١٤] [هَٰذَا] سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[١٥] سموه كذابا لما دعاهم إلى عبادة الواحد ومنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد. **والله أعلم.**

---

[١] ن + لكنهم لما قالوا إنه ساحر قالوا ذلك لما كانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا يموهون بذلك لقول أمر موسى عليه السلام على أتباعهم ويلبسونه عليهم.

[٢] ن: وكذلك كان من فرعون.

[٣] ﴿قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣٤-٣٥).

[٤] ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٤٧-٤٩).

[٥] ن – وآمنوا به.

[٦] ن – موسى.

[٧] ن: وقال.

[٨] ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢٣).

[٩] ر م + لأنهم اعتادوا.

[١٠] ن: لما.

[١١] ن – موسى صلوات الله عليه.

[١٢] ر م + إنه وكذا.

[١٣] ن: لرسول الله

[١٤] ر م + إنه.

[١٥] ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٤-٥).

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بالحق من عندنا**، قال بعضهم: أي جاءهم بالتوحيد.[١] وقال بعضهم:[٢] أي جاءهم[٣] بالرسالة. وكأنّ غير هذا أقرب، لما[٤] جاءهم بما[٥] يظهر عندهم من الحُجج أنها آيات وأنها[٦] من عندنا جاء.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم**، أمر أتباعه[٨] أن يقتلوا أبناء من آمن منهم لينزجروا بذلك عن متابعة موسى، لما رأى أن ما كان من التمويهات والحيل لم يمنعهم عن اتّباعه، بل كانوا يتبعونه. فأوعدهم بقتل الأبناء، كما[٩] كان أمر بقتل الأبناء عند ما قيل له: إن ذهاب ملكك[١٠] بولد[١١] يولَد كذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما كيد الكافرين إلا في ضلال**، لا شك أن كيدهم في الآخرة في ضلال، ولكن[١٢] كان كيدهم في الدنيا ظهر أنه ضلال، حيث لم يمنعهم كيده وحيله وتمويهاته عن اتّباعهم[١٣] موسى عليه السلام.

**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٢٦]**

وقوله: **وقال فرعون ذَرُوني أقتل موسى**، قال هذا لِمَا رأى أنه لم يمنعهم عن اتّباع موسى عليه السلام ما ذكر من قتل الأبناء، [ف]قال عند ذلك: **ذروني أقتل موسى**. ثم يحتمل قوله:

---

[١] ن + من عندنا.
[٢] ن: وقال قائلون.
[٣] ن + بالحق من عندنا.
[٤] ر ث م: هذا أقرب أي فيما.
[٥] ن: مما.
[٦] ن – آيات وأنها.
[٧] ن: ما جاء.
[٨] ن: أمرهم.
[٩] ن: عنى ما.
[١٠] ن: إن ملكك يذهب.
[١١] ر: ولد.
[١٢] ر ث م + أراد.
[١٣] ر ث م: اتباع.

**ذروني أقتل موسى،**[١] وجوها. أحدها[٢] أنه هَمَّ فرعون[٣] أن يقتل موسى عليه السلام،[٤] فمنعه قومه أو الملأ من قومه عن قتله،[٥] فقال عند ذلك: **ذَرُونِي أَقْتُل موسى**. والثاني يحتمل أنه[٦] قال هذا مُبْتَدِئًا[٧] من غير أن كان منهم منْع إياه عن قتله. وهو[٨] كما قال ربنا جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا،[٩] من غير أن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم منع له عن ذلك. وهذا في كلام العرب[١٠] موجود[١١] سائغٌ التكلمُ به[١٢] على الابتداء من غير أن كان من أحد منع عما يريدون أن يفعلوا. ***والله أعلم***. والثالث يحتمل **ذَرُونِي أَقْتُل موسى**، أي ذَرُوا[١٣] لائِمَتِي في قتل موسى، أي لا تلوموني إذا أنا قتلته. ***والله أعلم***.

وقوله: **وَلْيَدْعُ ربه**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه كان ذلك من فرعون، يقول: **ذروني أقتل موسى وليدع ربه**، فيمنعني[١٤] عن قتله إن كان صادقا فيما يدعي من الرسالة. لأن من أرسل رسولا فهمَّ أحد قتله أو الضرر به منعه المرسِل عن ذلك،[١٥] فعلى ذلك يقول فرعون.[١٦] ***والله أعلم***. والثاني يكون ذلك أمرا من الله عز وجل موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك، لِما هَمَّ قتله. وعلى ذلك الرسل عليهم السلام قد أُذِن لهم بالدعاء بالهلاك[١٧] على فَرَاعِنَتهم ومعانديهم ومكابريهم إذا بلغوا في العناد غايتهم والتمرّدِ نهايتّهم.[١٨] ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م – ثم يحتمل قوله ذروني أقتل موسى.
[٢] ر ث م + يحتمل.
[٣] ن – فرعون.
[٤] ن: أن يقته.
[٥] ن: أو منه عن قته؛ ث: والملأ من قومه عن قته.
[٦] ن – يحتمل أنه.
[٧] ن: مبتدرا.
[٨] ن: منع عن قته كما.
[٩] سورة المدثر، ١١/٧٤.
[١٠] ن: كلام الناس.
[١١] ن – موجود.
[١٢] ن: بهذا.
[١٣] ر ث م: ذروني.
[١٤] ر ث م: يمنعني.
[١٥] ن: عن الخلق لضرر به.
[١٦] ر م – فرعون.
[١٧] ر ث م – بالهلاك.
[١٨] ن: في العناد والتمرد نهايتهم وغايتهم.

وقوله عز وجل: **إني أخاف أن يُبدّل دينكم**، قد كان هناك[1] تبديل الدين، فإنه قد أظهر موسى عليه السلام دين الحق وآمن [البعض] من[2] أتباعه،[3] لكن كأنه أراد -والله أعلم- بقوله:[4] **أن يُبدّل دينكم**، أي يَذهب بدينكم من الأصل. وقوله عز وجل: **أو أن يُظهِر في الأرض الفساد**، ذكر اللعين وسمّى[5] إظهار التوحيد في الأرض ودين الإسلام فسادا ليُعلَم أن كل مدّعٍ[6] شيئا، وإن كان مبطلا في دعواه، فعنده أنه على حق وأن خصمه على[7] باطل، فلا يُقبَل قول أحد على أحد إلا ببرهان. ***والله أعلم***. ويحتمل أن[8] فرعون اللعين[9] أراد بقوله: **أو أن يُظهِر في الأرض الفساد**، قتل أبنائهم، أي يقتل[10] موسى أبناءكم[11] مجازاة لما[12] قتلتم أنتم أبناءهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**، يحتمل قوله: **من كل متكبر**، أي متكبر[13] على التوحيد. ويحتمل[14] من كل[15] متكبر على الرسل، لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان بالله والتوحيد له. أو من كل متكبر على الرسل، لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان[16] بيوم الحساب. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: هنالك.
[2] م - من.
[3] ن - فإنه قد أظهر موسى عليه السلام دين الحق وآمن من أتباعه.
[4] ر: يقول.
[5] ن - وسمى.
[6] ن ث: مدعي.
[7] ر ث م - على.
[8] ن: وجائز أن يكون.
[9] ن - اللعين.
[10] ر: فقتل؛ ن: قتل.
[11] ن: إياكم.
[12] ن: ما.
[13] ن - أي متكبر.
[14] ن: أو.
[15] ر ث م - من كل.
[16] ر ث م - بالله والتوحيد له أو من كل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وقال رجل مؤمن من آل فرعون**، هذا[1] يحتمل وجهين. أحدهما من آل فرعون في الظاهر،[2] لأنه كان يكتم إيمانه، وهو عندهم في الظاهر أنه من آله،[3] وإلا لم يكن في الحقيقة من آله وإنما هو من آل موسى وأتباعه، حيث آمن به وترك اتباع فرعون. ***والله أعلم***.

والثاني من آله، أي من نسبه لأنه ذُكِر أنه كان ابن[4] عمه. ***والله أعلم***.

وقوله: **يكتم إيمانه**، إشفاقا على نفسه. ففيه أن من خاف على نفسه هلاكها لأمر يخالف قومه كان له أن يكتم ذلك عليهم إشفاقا على نفسه،[5] ولا يُظهِر الموافقة لهم على ما هُم فيه إذا[6] قدَر على الكتمان دون إظهار الموافقة لهم.[7] وعلى ذلك[8] المكرَه على إظهار الكفر، إذا قدَر على أن لا يُظهِر ما أريد منه من كلمة الكفر ولا يُقتَل[9] بالامتناع[10] لا يَسَع له إظهار ذلك لهم، فإن لم يقدر فحينئذ يسع. فعلى ذلك[11] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

[٦٧٧و] وقوله عز وجل: **أتقتلون رجلا أن يقول ربّي الله**، / فيه إخبار أنه[12] كان يكتم إيمانه إشفاقا على نفسه، فلما خاف إهلاك رسول الله موسى عليه السلام فعند ذلك أظهر ما كان يكتمه، وإن كان في إظهار ذلك إهلاكُ نفسه، بعد أن يَرجُوَ[13] نجاة نبي من الأنبياء عليهم السلام.[14]

---

[1] ن – هذ.
[2] ر ث م – لأنه كان يكتم يمانه وهو عندهم في الظاهر أنه من آله.
[3] د + لأنه كان في الظاهر من آله.
[4] ن: من.
[5] ر ث م – ففيه أن من خاف على نفسه هلاكه لأمر يخالف قومه كان له أن يكتم ذلك عليهم إشفاقا على نفسه.
[6] ر ث م: إذ.
[7] ن – على ما هم فيه إذ قدر على الكتمان دون إظهار الموافقة لهم.
[8] ن: كذلك.
[9] ن: ولا يقتل.
[10] ن – بالامتناع.
[11] ن – ذلك.
[12] ن – فيه إخبار أنه.
[13] ن: يرجعو.
[14] ن + ورسول من الرسل.

وهكذا يجب أن لا يسع كتمانُ ما كان يكتمه،[1] وإن كانت[2] نفسه يَهلِك إذا أظهر[3] ذلك، إذا كان في إظهار ذلك رجاءُ[4] نجاة رسول من رسل الله تعالى، بحجج يدفع الهلاك بها عن نفس ذلك الرسول. ولذلك[5] ذُكِر عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أن أهل مكة لمّا هَمُّوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإهلاكه ألْقَى أبو بكر رضي الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل[6] الذي كان يكتُم إيمانه، حيث[7] قال: **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله**، فعند ذلك نزَلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن نزَل قبل ذلك.[8] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم**، أي جاءكم من البينات[9] ما يبين أنها آيات من عند الله لا اختراع[10] من موسى عليه السلام، ويبين أنه صادق فيما يقول ويدعي. وقوله:[11] **وإن يَكُ كاذبا فعليه كَذِبه وإن يَكُ صادقا يُصِبكم بعض الذي يَعِدُكم**، أي وإن كان[12] كاذبا فيما يدعوكم إليه فعليه كذبه، أي عليه إثم كذبه لا عليكم.[13] وإن كان صادقا فيما يقول ويدعي يصبكم[14] بعض الذي يعدكم. فهو[15] يعلم أنه صادق فيما يقول حقيقة؛ ولكن لما كان عند القوم احتمل الأمرُ ذكر على ما في زعمهم دفعا لقتل عن موسى عليه السلام.

---

[1] ن: تكتمه.

[2] ر ث م: وإن كان.

[3] ن: ظهر.

[4] ر ث م – رجاء.

[5] ن: وكذلك.

[6] ن – الرجل.

[7] ن: حين.

[8] «عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبَة بن أبي مُعَيْط فأخذ بمَنْكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوّى ثوبه في عنقه فخَنَقَه خنقا شديد. فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾» (*صحيح البخاري*، التفسير ٤١؛ فضائل أصحاب النبي ٥). وانظر أيضا: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٤/١٥-١٧.

[9] ن: بالبينات.

[10] جميع النسخ: لا اختراعا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢و.

[11] ن – وقوله.

[12] ن – كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي وإن كان.

[13] ر ث م – أي عليه إثم كذبه لا عليكم.

[14] م: يصيبكم.

[15] أي الرجل المؤمن.

ثم الإشكال أنه قال: **يُصِبْكم بعض الذي يعدكم**،[١] ذُكر أنه يصيبهم بعض الذي يعد.[٢] والرسل إذا وعدوا شيئا يصيبهم بكماله، لا يجوز أن يكون[٣] خلاف ما أخبروا أو دون[٤] ما ذكروا. لكن قوله: **يُصِبْكم بعض الذي يَعِدُكم**[٥] يخرج على وجوه. أحدها أنه كان وَعْده إياهم أن يصيبهم العذاب في الدنيا والآخرة فيقول: **يصبكم بعض الذي يعدكم**، وهو ما وعد لهم أن[٦] يصيبهم في الدنيا، وأما ما وعد لهم في الآخرة فهو يصيبهم في وقت آخر، وهو في الآخرة. فما أصابهم في الدنيا[٧] فهو بعض ما جرى الوعيد[٨] منه لهم، لأن الوعيد كان منه[٩] في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.[١٠] والثاني *يحتمل أنه كان عليه السلام وعدهم بأنواع من العذاب، وقد أصابهم بعض ذلك من الطُّوفان والجَرَاد والقُمَّل والضَّفَادِع والدَّم ونحو ذلك،[١١] وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم. فكأنه يقول لهم: إنه[١٢] قد أصابكم كثير[١٣] من ذلك فيُصيبكم بعض ما يعدكم الذي فيه هلاككم، مبالغةً في الزجر، لما قد أصابهم ما وعد لهم من أنواع العذاب، ولم يكن وعده كذبا، فبعض ما يعدهم[١٤] -وهو الهلاك- كيف يكون كذبا. *والله الموفق*.* والثالث يراد بالبعض الكل، لأنه أراد بهذا البعض الهلاك، وهو البعض الأقصى فيدخل العالي فيه.[١٦]

---

[١] ن - فهو يعمه أنه صدق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عند القوم احتمل الأمر ذكر على ما في زعمهم دفعا للقتل عن موسى عليه السلام ثم الإشكال أنه قال يصبكم بعض الذي يعدكم.

[٢] ن: بعض ما يعد.

[٣] ن - أن يكون.

[٤] ن: أو ما دون.

[٥] ن + لكن وقوله يصبكم بعض الذي يعدكم.

[٦] ن: أنه.

[٧] ن - في الدنيا.

[٨] ن: الوعد.

[٩] ن: منه كان.

[١٠] ن - والله أعلم.

[١١] لعله يشير إلى هذه الآية: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).

[١٢] ر م: إنهم.

[١٣] ر ث م: كثيرا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢و.

[١٤] جميع النسخ: ما يعدكم.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: والثاني أنه كان وعدهم بأنواع من العذاب فأصابه بعض ذلك إهلاكهم وفي بعض ذلك هلاكهم. انظر: ورقة ٦٢٧ظ سطر ٢-٣.

[١٦] ن: والثالث يراد بالبعض كل لأنه إذ أريد بعض الأقصى دخل العالي فيه.

*لأنه إذا أوعده بأنواع من العذاب، منها الهلاك، يكون الهلاك هو البعضَ الأقصى، إذ لا عذابَ في الدنيا بعد الهلاك. فيكون سائر أنواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك. فإذا أريد به هذا البعض يدخل فيه ما قبله، ويكون ذكره ذِكرا للكل، إذ لا وجود له بدون سائرها. لذلك قال: **يصبكم بعض الذي يعدكم**، أي يُصبكم كل الذي يعدكم.[1] ***والله أعلم***.*

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي مَن هو مسرف كذاب**، هذا يخرج على الوجهين. أحدهما أنه لا يهدي من هو في علمه أنه يُؤْثِر الإسراف والكذب.[3] والثاني لا يهدي من هو مختار للإسراف[4] والكذب وقت[5] اختياره[6] الإسراف والكذب.

**﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **يا قوم لكم المُلك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا**، يخرج على الوجهين. أحدهما يحتمل أن يقول ذلك بعد ما سألوه أن يتبع دينهم وما هم فيه. أي[7] لو اتبعتكم وأجبتكم، ومعكم الملك والحَشَم[8] والغَلَبة وليس معي ذلك، فإذا جاء[9] بأس الله وعذابه فصرتم أنتم مُمْتَنِعين عنه بما معكم، فمن ينصرنا من[10] عذاب الله[11] وليس معنا ذلك،[12] وإن كان يعلم حقيقة أن ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله. لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم إظهارا للعذاب عندهم كيلا يُقْدِموا على قتله لصيانة حياته، ومثل هذا لا بأس به.[13] ***والله أعلم***.

---

[1] ر م – أي يصبكم كل الذي يعدكم.

* ما بين النجمتين لا يوجد في نسخة ن. انظر: ورقة ٦٢٧ظ من وسط السطر الثالث.

[3] ر م: والكذاب.

[4] ر ث م: مختار الإسراف.

[5] ن + ووقت.

[6] ر ث م: اختيارهم. أي وقت اختيار العبد الإسراف والكذب وطلب حصولها.

[7] ر ث م: لي.

[8] حُشْمَةُ الرجل وحَشَمُهُ وأحشامُهُ: خاصَّتُهُ الذين يغضبون له من عبيدٍ أو أهلٍ أو جيرةٍ إذا أصابه أمر. والحَشَم: جماعة الأتباع اللائذون به لخدمته (لسان العرب، «حشم»).

[9] ن + جاءنا.

[10] ر م: بأمره.

[11] ن: عذابه.

[12] ن + أو كلام نحو هذا.

[13] ن – وإن كان يعلم حقيقة أن ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم إظهارا للعذاب عندهم كيلا يقدموا على قتله لصيانة حياته ومثل هذا لا بأس به.

والثاني يقول[1] على الرفق بهم وإظهار الموافقة لهم في الظاهر، يقول: إنه قد جاءنا من الله البينات ما أوضح الحق وبين السبيل. فإذا رددنا ذلك وكذبناهم[2] جاءنا بأس الله جملة وعذابه، فمن يمنعنا عنه[3] وينصرنا من عذابه إذا خالفنا أمره وتركنا اتباع دينه. على هذين الوجهين[4] يخرج هذا[5] القول منه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **قال فرعون ما أُرِيكم إلا ما أَرَى،** قال بعضهم: أي ما آمُرُكم إلا بما رأيته لنفسي. وقال بعضهم: ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي ذلك.[6] لكن اللعين ليس له[7] أن يختار لهم ما اختار لنفسه، لأن ما اختار لنفسه باطل فاسد.[8] *وكذب اللعين أيضا، حيث قال: ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي، لأنه اختار لهم أن يعبدوه، ولم يَختر لنفسه عبادة أولئك أن يعبدهم، فهو كَذِب من القول.*

وقوله عز وجل: **وما أَهدِيكم إلا سبيل الرشاد،** كَذِب أيضا في قوله:[10] إنه[11] / لا يهديهم [٦٧٧ظ]
إلا سبيل الرشاد، بل كان يهديهم سبيل الغيّ.

**﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾[٣٠] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم،** كأن فيه إضمارا يقول:[12] إني أخاف عليكم يوما مثل يوم الأحزاب،

---

[1] ن + لهم.
[2] ن: وكذبنا ثم.
[3] ن: منه.
[4] ر ث م: القولين.
[5] ر ث م - هذ .
[6] ن - ذلك.
[7] ر ث م - ليس له.
[8] ن: فاسد باطل.
* ما بين النجمتين يأتي في نسخة ن بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشد﴾. ورقة ٦٢٧ظ/سطر ١٦-١٥. وعبارته هكذا: وفي الأول حيث قال ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي كذب أيضا لأنه كان يختار لهم أن يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة أولئك أن يعبدهم فهو كذب من القول والله أعلم.
[10] ن: كذاب اللعين لعنه الله.
[11] ر ث: بهم.
[12] ر ث م: إضمر لقول؛ ن: إضمار. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢ط.

ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد وثمود.[1] فهو -والله أعلم- صِلَة قوله فيما تقدم: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا،[2] وَعَظَهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم موسى بالبينات، حيث قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.[3] وتتركون[4] اتِّباعه وتَتَّبِعون[5] رجلا لم[6] يأتِكم بالبينات.[7] هذا منه احتجاج عليهم أنْ كيف تقتلون رجلا وتتركون اتِّباعه بعد ما جاءكم بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان، يسفههم في صنيعهم الذي أرادوا أن يصنعوا[8] به. *والله أعلم*. ووعظهم أيضا وعظا لطيفا فيه رفق، حيث قال: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا، يقول -*والله أعلم*-: إنكم إن قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم عذاب الله وبأسه، فمن ينصركم عن ذلك العذاب ويمنعكم عنه، إذ[9] قتلتم نبيّه[10] بغير حق.

ثم وعظهم وعظا بما نزل بمُكذبي من كان قبلهم[11] من الرسل، حيث قال: **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ**، يقول: إني أخاف عليكم أن ينزل بكم ويقع عليكم من عذاب الله بتكذيبكم[12] الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات أنه رسول وأنه صادق فيما يقول ويدعي. كما نزَل ووقع من العذاب بالأحزاب الذين كانوا مِن قبلكم ممن ذكر بتكذيبهم الرسل واستقبالهم إياهم بما استقبلوا، بعد ظهور صدقهم عندهم بما يستقبلون أنتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات التي جاءكم بها.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م - وثمود.
[2] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[3] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[4] ن: يتركون.
[5] ر ن م: ويتبعون.
[6] ن: لما.
[7] ن + ولا شيء.
[8] ر: أن يصيعوا؛ ه: أن يضيعوا.
[9] ر م: إذا.
[10] ن - نبيه.
[11] ن: قتلهم.
[12] ن: بتكذيبهم.
[13] جميع النسخ - بها.

ثم ما ذكر من الأحزاب فيحتمل أن يكون تفسيره ما ذكر عىي إثره مں قوم نوح وعاد وثمود، ويحتمل سواهم من الأمم.[١] **والله أعلم**. ثم قوله: **مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود**، قال بعضهم: أي مثل صنيع قوم نوح ومن ذكر وفِعْلِهم. وقال بعضهم: أي مثل عذاب قوم نوح ومن ذكر. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وما الله يريد ظلما للعباد**. في هذه الآية للمعتزلة نوعُ أدنى[٢] تَعَلُّق، يقولون: إنكم تقولون:[٣] إن الله تعالى قد أراد من العباد ما يفعلون من أفعال الظلم والجور، وقد أخبر الله تعالى[٤] أنه[٥] لا يريد ظلما للعباد.[٦] ولكن الآية في التحقيق عليهم؛ لأنه قال في آية أخرى: يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ،[٧] أخبر أنه أراد أن لا يجعل لهم حظًا في الآخرة. ولو لم يرد منهم ما يستوجبون به العذاب كان في تعذيبه[٨] إياهم ظالما على زعمهم. دل أنه أراد منهم ما يستوجبون به العذاب، وهو فعل الظلم. **والله أعلم**.[٩]

ثم تأويل الآية يخرج على وجهين. أحدهما[١٠] أن الإرادة هي صفة كل فاعل يفعل عن اختيار،[١١] فكأنه قال: والله لا يَظلِم عباده، كقوله تعالى: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ،[١٢] *والثاني فيه إخبار أنه لا يعاقب أحدا بذنب غيره، ولا يؤاخذ بجريمة غيره، ولا يزيد على قدر ما يستحقون به العذاب أو لا ينقصهم من ثواب حسناتهم شيئا. كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[١٣] وغير ذلك من الآيات ما فيها إخبار أنه لا يجزيهم بأكثر مما يستوجبون، ليس على ظن أولئك. **والله أعلم**.*

---

[١] ر ث م: سواهم من الأمم؛ ن: ويختص غيرهم من الأمم وسواهم.
[٢] ر ث م – أدنى.
[٣] ر م – إنكم تقولون.
[٤] ن: وهو أخبر.
[٥] ر ث م: أن الله.
[٦] ن + وقال عز وجل وما الله يريد ظلما للعباد.
[٧] ﴿ولا يَحْزُنْكَ الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يَضُرُّوا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٧٦).
[٨] ر م: تعذيبهم.
[٩] ن + وبعد فإن ذلك على زعمهم فاسد محال لأنهم لا يصفونه بالقدرة على المحال.
[١٠] ن – على وجهين أحدهما.
[١١] ن – يفعل عن اختيار.
[١٢] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٦).
[١٣] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تَكُ حسنةً يُضاعِفْها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٤٠).
* ما بين النجمتين ساقط من نسخة ن. ورقة ٦٢٧ظ/سطر ٤٠.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[٣٢] ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين**، الآية. وعضهم أيضا بعذاب الآخرة وما يكون منهم يومئذ[1] من الندامة بتركهم[2] اتباع الرسول بعد ما وعظهم بعذاب[3] الدنيا وما نزل بأوائلهم بصنيعهم[4] مثل صنيعهم، وهو[5] ما قال: **إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين**، الآية.[6] ثم قوله: **يوم التناد**، فيه لغاتٌ ثلاثٌ. إحداها يوم التنادي[7] بالياء، والثانية بالتخفيف عنى حذف الياء،[8] والثالثة بالتشديد: التنادّ.[9] فمن قرأها بالتشديد[10] يقول: هو من نَدَّ يَنِدُّ نَدًا، إذا مَضَى عنى[11] وجهه هاربا فارًا من عذاب الله إذا عاينوا العذاب، وهو من نَدّ الإبل وغيره.[12] *والله أعلم*. *ومن قرأ بالياء[13] فهو التفاعل من النداء، فهو عنى نداء بعضهم بعضا يوم القيامة، كقوله تعالى: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا،[14] وقوله عز وجل: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[15] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[16]

---

[1] ر ث م – يومئذ.
[2] ن: تركهم.
[3] ر + وبعذب.
[4] ن – بصيعهم.
[5] ن – هو.
[6] م – وعظهم أيض بعداب الآخرة وما يكون منهم من الندامة بتركهم اتباع لرسول بعد م وعظهم وبعداب الدني وم نزل بأوائلهم بصيعهم مثل صنيعهم وهو ما قال إني أخاف عليكم يوم لتناد يوم تولون مدبرين الآية.
[7] ن + يوم.
[8] ن: بغير الياء.
[9] ر ث م – التند.
[10] م – فمن قرأها بالتشديد.
[11] ر ث م – عنى.
[12] ندّ البعير يَنِدّ ندودا: إذا شَرَد. وندّت الإبلُ تَنِدّ نَدًا وندِيدا: نفرت وذهبت شُرودا فمضت على وجوهها (*لسان العرب*، «ندد»).
[13] ن + بلياء.
[14] سورة الأعراف، ٤٤/٧.
[15] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ (سورة الأعراف، ٥٠/٧).
[16] سورة القصص، ٦٢/٢٨.

وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ،[١] ونحوه. ومن قرأ بغير الياء فقد حذف الياء، كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[٢] وأصله التنادي. *والله أعلم*.*

ثم قوله تعالى: **يوم تُوَلُّون مُدبرين**، قال بعضهم: يوم تولون[٤] هاربين من النار مدبرين عنها. وقال بعضهم: يوم تولون بكم إلى النار. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **يوم تولون مدبرين**،[٥] كقوله:[٦] يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ.[٧] وقوله عز وجل: **ما لكم من الله من عاصِم**، أي مالكم من عذاب الله إذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه.[٨] وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من هاد**، قد ذكرناه.

**﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات**، أي جاءكم يوسف[٩] من قبل موسى عليهما الصلاة والسلام **بالبينات**، أي بالآيات والأدلة على رسالته وصدقه. جائز أن يكون هذا قول[١٠] ذلك الرجل[١١] لقومه يخبرهم عن سفه[١٢] أوائلهم / من تكذيبهم يوسف[١٣] بأرض مصر قبل موسى، [٦٧٨و]

---

[١] سورة القصص، ٦٥/٢٨.

[٢] ﴿قالوا لن نُؤْثِرك على ما جاءنا من البينات والذي فَطَرَنا فاقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٧٢/٢٠).

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: «ومن قرأ بالياء يقول أي ينادون بأعمالهم كقوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ونحوه ومن قرأ بغير الياء يحمله على نداء بعضهم بعضا يوم القيامة كقوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقوله عز وجل ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ونحوه والله أعلم». ولكن هذا الترتيب خطأ، وما أثبت في المتن صحيح، لأن جميع الأمثلة تصح أمثلة للوجه الثاني لا للثالث؛ والوجه الثالث ذكر لأن تشار إلى حذف الياء فقط.

[٤] ن – يوم تولون.

[٥] ر ث م – وقال بعضهم يوم تولون بكم إلى النار وجائز أن يكون قوله يوم تولون مدبرين.

[٦] ن: كقوله.

[٧] سورة عبس، ٣٤/٨٠.

[٨] ن – من عذابه.

[٩] ن – جاءكم يوسف.

[١٠] ر م: قوله.

[١١] ن: ذلك المؤمن.

[١٢] ن + أولئك من.

[١٣] ن – يوسف.

وما كان من القول منهم بعد ما ذهب من بينهم، وردّهم آياته وحججه التي أتاهم بها، وما أخبر أنهم وأوائلهم لم يزالوا في شك وريب مما جاءتهم الرسل من الآيات والأدلة، وهو ما قال عز وجل: **فما زِلْتُم في شكّ مما جاءكم به**، يقول: لم تزل[1] عادتكم وعادة أوائلكم هذا.

وقوله: **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**. جائز أن يكون -وإن خاطبهم بقوله: **جاءكم يوسف بالبينات**، وقوله: **فما زلتم في شك مما جاءكم**، وقوله: **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**- إنما أراد أباءهم وأوائلهم،[2] لأن يوسف عليه السلام لم يكن في زَمَن هؤلاء مبعوثا إليهم، على ما عاتب الأبناء بصنيع[3] آبائهم في غير آي من القرآن، كقوله: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ،[4] وقوله: ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ.[5] وهؤلاء لم يقتلوا الأنبياء ولا اتخذوا العجل إلها،[6] وإنما فعل ذلك آباؤهم وأوائلهم، ثم جاء العِتاب لهم بسوء صنيع آبائهم وأوائلهم، فعلى ذلك هذا. وجائز أن يكون[7] -وإن خاطبهم بما ذكر من سُوء الصنيع والتكذيب- إنما يُخبر عن صنيع آبائهم وأوائلهم[8] فيحذرهم[9] عن مثل صنيع أولئك من التكذيب لهم والرد لأدلتهم والقول بعد ذهابه من بينهم والكذب على الله: إنه لم يَبعث رسولا. يقول: إياكم أن تُكذِّبوه[10] وتردوا آياته وحججه ثم تقولوا[11] إذا مات موسى: **لن يبعث الله من بعده رسولا**. كما قال أوائلكم إذا مات يوسف: لم يكن من بعده رسول،[12] بقولهم:[13] **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**، يشبه أن يخرج الآية على هذا. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: كم نزل.

[2] ر م: أباء أوائلهم.

[3] ر ث م: بصنع.

[4] ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة البقرة، ٢/٩١).

[5] ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٩٢).

[6] ر ث م - إلها.

[7] ن: وأوائلهم فعلى ذلك جائز هذا أن يكون.

[8] ر ث م: وإياهم.

[9] ر م: فحذرهم.

[10] ر م: يكذبوه.

[11] ن: تقولون.

[12] ن - لم يكن من بعده رسول.

[13] ن: حيث قال عز وجل.

وقوله عز وجل: **كذلك يُضلّ الله من هو مُسْرف مُرْتاب**، *فقد ذكرنا تأويله من وجهين فيما تقدم.[1] ثم قوله: **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**،* يخرج على وجهين. أحدهما آمنوا به وأنكروا رسالة غيره بعده بقولهم: **لن يبعث الله من بعده رسولا**. والثاني أي أنكروا رسالته في حال حياته ولم يؤمنوا به، فإذا هلك أنكروا أن يكون هو مبعوثا إليهم رسولا. فيحذر هؤلاء صنيع أولئك أن لا يكونوا كأولئك: آمنوا به وأنكروا رسالة غيره من الرسل بعده. أو يقول: لا تكونوا كأولئك يكذبونه ما دام حيا، فإذا هلك يكذبون[3] رسالته، يُحذرهم سفه أوائلهم. *والله أعلم*.

**﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾**[٣٥]

وقوله عز وجل: **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم**، أي يجادلون في دفع آيات الله وردّها بغير حجة وسلطان أتاهم من الله، أو بغير حجة مكّن لهم الاحتجاج بها، وإلا كان أهل الإيمان قد يجادلون فيها حتى إذا ظهر أنها آيات الله آمنوا بها وأقروا بها. لكن الوجه فيه ما ذكرنا، أي جادلوا في دفع آيات الله وردّها بغير حجة أتاهم، كقوله تعالى: وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.[4] *والله أعلم*.

وقوله: **كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا**، هكذا الواجب على أهل الإيمان أن يَمقُتوا من الأعمال ما مَقَتها الله تعالى، أو يمقتوا مَنْ مقته الله من أعدائه. وعلى ذلك ذكر أن خير أعمالكم حب ما أحبّه الله وبغض ما أبغضه الله،[5] أو كلام نحوه، وشر أعمالكم حب ما أبغضه الله تعالى[6] وبغض ما أحبه.[7]

---

[1] انظر: الآية ٢٨ من هذه السورة.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: أي هكذا يضل الله من هو في علمه أنه يؤثر الإسراف والارتياب على ما ذكرنا من الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله عز وجل إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب والله أعلم.

[3] م ح: ينكرون.

[4] الآية ٤ من هذه السورة.

[5] ن – الله.

[6] ر ث م – الله تعالى.

[7] ر ت م + الله تعالى. لم أستطع أن أجد نص هذه الرواية في كتب الأحاديث ولكن توجد روايات قريبة المعنى منها: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» مسند أحمد بن حنبل، ٥/١٤٦؛ وسنن أبي داود، السنة ٣، واللفظ لأبي داود.

وقوله: **كذلك يطبع الله على كل قلب متكبِّرٍ جبّار**، أي هكذا يطبع[1] الله على كل قلب مَن جادل في دفع آيات الله وردها بغير حجة، أي يطبع على كل من تعوَّد[2] التكبُّر والتجبر على الآيات والرسل. ***والله أعلم.***

ثم قوله: كذلك يطبع الله من هو كذا، وكذلك يضل الله من هو صاحبه[3] ونحوُه كله حروف الاعتلال، بيّن الله تعالى العلل التي لها لا يهديهم ويُضلهم. وكذلك في قوله: لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ؛[4] و مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ،[5] ونحوه، أي لا يهدي من كان طبعه وعادته الإسراف والكذب وكفران النِّعَم ودفع الآيات والحجج بلا حجة وبرهان.[6] فأما من كان طَبْعه وعادته غير هذا، لكن[7] لجَهْل جهل ذلك، أو لما يتحقق عنده لظنه وقلة التأمل، أو لاشتغاله بأمور الدنيا،[8] أو لمعنى من المعاني، يجوز أن يهديه الله تعالى[9] ويرشده. على هذا يخرج هذه الآيات.[10] ***والله أعلم.***
وعلى ذلك ما كان من فرعون اللعين من التمويهات والتلبيسات على أتباعه في أمر موسى عليه السلام، بعد معرفته أن ذلك ليس يقدح[11] في الآيات والحجج التي أتاهم بها[12] موسى عليه السلام، لكنه[13] أراد أن يموّه ويلبّس على قومه.[14] فكل من كانت عادته وطبيعته[15] ما ذكرنا من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الآيات بلا حجة والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى، ويطبع على قلبه.[16] ***والله أعلم.***

---

[1] ن: فطبع.
[2] ر م: يعود؛ ن: عود.
[3] ر م – لله من هو صاحبه؛ ث – من هو كذا.
[4] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[5] الآية السابقة.
[6] ن + فهدى من كان طبعه وعادته هذا.
[7] ن – لكن.
[8] ن – لظنه وقلة التأمل أو لاشتغاله بأمور الدنيا.
[9] ن – الله تعالى.
[10] ن + التي ذكر.
[11] ر م: بقدح.
[12] ر ث م – بها.
[13] جميع النسخ – لكنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٣ظ.
[14] ن: لكنه أراد تمويه ذلك وتلبيسه على قومه.
[15] ن: وطبعه.
[16] ن – والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه.

**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[٣٦] ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **وقال فرعون يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحا لعلّي أبلُغ الأسباب أسباب السماوات فأطّلع إلى إله موسى.** للمشبهة تعلقٌ بظاهر هذه الآية،[١] يقولون: لولا أن موسى عليه السلام كان ذكر وأخبر فرعون أن الإله في السماء وإلا لَمَا أمر فرعون هامانَ أن يَبْني له ما يَصْعَد به إلى السماء ويطّلع إلى[٢] إله موسى على ما قال تعالى خبرا عن اللعين.[٣]

لكنا نقول: لا حجة لهم، فإنه جائز[٤] أن يكون هذا من بعض التمويهات التي / كانت منه [٦٧٨ظ] على قومه في أمر موسى عليه السلام، ومن بعض مكائده[٥] التي كانت منه به من[٦] نحو قوله: سَاحِرٌ كَذَّابٌ،[٧] وقوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[٨] وقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[٩] ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه. فعلى ذلك قوله: **[يا هامانُ] ابْنِ لي صَرْحا ... فأطّلع إلى إله موسى،** تمويه منه على قومه[١٠] بموسى. يقول: إن موسى[١١] إنما يدعو[١٢] إلى إله في السماء، فهو نَحْوُ إله يكون في الأرض. يموّه بذلك على الناس أَمْرَ موسى من غير أن كان من موسى ذكر أو خبر[١٣] أن الله[١٤] في السماء، على ما كان منه سائر[١٥] التمويهات.[١٦] *والله أعلم*.

[١] ن: للمشبهة بظاهر هذه الآية سؤال وتعلق.
[٢] ن: على.
[٣] ن: على ما قال اللعين له.
[٤] ن: يقال لهم: جائز.
[٥] ن: مكاره.
[٦] ن – به من.
[٧] انظر الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٨] ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ (سورة طه، ٧١/٢٠).
[٩] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[١٠] ن: قومه.
[١١] ن: بموسى أن يقول موسى.
[١٢] ن: يدعوا.
[١٣] ر م: ذكرا وخبر.
[١٤] ن: من غير أن كان موسى ذكر أو أخبر أنه.
[١٥] ن: من.
[١٦] ر ث م + وإن لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات له.

ويحتمل أن فرعون قال ذلك[1] لِمَا رأى أن البركات والخيرات تنزل[2] من السماء، فظَنَّ[3] أنه في السماء.

ثم اختلف في الأسباب؛[4] قال بعضهم: أسباب السماوات أبوابها. ويحتمل الأسباب[5] أسبابَ السماوات[6] هي الطرقَ التي تَصعَد[7] إلى السماء، وهو واحد. وحقيقة الأسباب هي ما يوصل بها إلى أشياء[8] يُقصَد إليها. وقد علم اللعين أنه لا يصل إلى ذلك بما[9] ذكر من بناء الصَّرح، لكنه أراد بذلك ما ذكرنا من التمويه[10] والتلبيس على قومه. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وإني لأظُنّه كاذبا**، قال هاهنا: **لأظنّه كاذبا**، بعد ما قطع القول فيه: إنه كاذب وإنه كذاب، ليُعلَم أنه كان يعلم أنه[11] على حق وأنه صادق،[12] لكنه يموّه بذلك على قومه.

وقوله: **وكذلك زُيِّن لفرعون سوءُ عمله**، قال بعضهم: أي زَيَّن الشيطان عليه سوء عمله. ويحتمل أن يقال: زُيِّن له سوء عمله بالأتباع وكثرة الأموال والحَشَم التي[13] أُعطِيَ له،[14] زُيِّن له سوء عمله بالأسباب التي أعطيت له، فيكون الله تعالى مزيِّنا له سوء عمله بإعطاء الأسباب. ويحتمل زُيِّن له سوء عمله، أي خُلِق في طبعه أن[15] يرى ذلك حسَنًا مزيَّنًا، وإن كان قبيحا في نفسه حقيقةً على ما تقدم ذكره.[16]

---

[1] ن: أو قال فرعون ذلك.
[2] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٩و.
[3] ن: ظن.
[4] ن + وقوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات؛ – ثم اختلف في الأسباب.
[5] ر ث م – الأسباب.
[6] ن: السماء.
[7] جميع النسخ: يصعد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٣ظ.
[8] ر م: الأشياء.
[9] ر م: بها.
[10] ر ث م: التمويهات.
[11] ر ث م – يعلم أنه.
[12] أي كان فرعون يعلم أن موسى عليه السلام على حق وأنه صادق في ادعاء الرسالة.
[13] ر ث م: الذي.
[14] ن: أو يقال زين له سوء عمله بالأسباب التي أعطى له من كثرة الأموال والأتباع وغير ذلك.
[15] ر م: أي.
[16] ن – زين له سوء عمله بالأسباب التي أعطيت له فيكون الله تعالى مزينا له سوء عمله بإعطاء الأسباب ويحتمل زين له سوء عمله أي خلق في طبعه أن يرى ذلك حسنا مزينا وإن كان قبيحا في نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره.

*وقوله: **وصُدَّ عن السبيل**، وقُرِئ وصَدَّ بالفتح. فمن قرأ بالفتح فله معنيان. أحدهما صَدّ هو بنفسه صُدودا. والثاني صدّ هو الناسَ عن سبيله صَدًّا.[١] ومن قرأ صُدَّ بالضم، أي لم يُوَفَّق ولم يُرشَد لما عُلم منه اختيار صدّه.*

وقوله: **وما كيد فرعون إلا في تَباب**، أي في خسار. التباب الخسار.[٣] يقال في قوله:[٤] تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ،[٥] أي خسرت. ويقال:[٦] تبًّا له، أي هلاكا له، وقيل: تبت يدا[٧] الرجل، أي خابت.

**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٣٨]**

ثم أخبر عما ذكر ووعظ ذلك الرجل[٨] المؤمن من آله، وهو قوله تعالى: **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد**، أي أبيّن[٩] لكم سبيل الرشاد. مرةً خوّفهم بما نزل بأوائلهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم، ومرة بين سفههم في أنفسهم بسوء صنيعهم، ومرة وعظهم ونصحهم ودعاهم إلى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم إليه، وإن خاف على نفسه الهلاك بعد ما أظهر الإيمان ولم يبال هلاك نفسه. *وقال الكسائي: الرشاد والرُّشد والرَّشَد[١٠] ثلاث لغات، ولا يُقرَأ هاهنا غير الرشاد.*

**﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٣٩]**

ثم قال: **يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع**، أي متاع ومنفعة يبلغ إلى[١٢] منتهى آجالكم، يبلغ به العاصي والمطيع إلى أجله.[١٣] يخبر أنها على الانقضاء والذهاب عن قريب،

---

[١] الصَّدّ: الإعراض والصُّدُوف. صَدّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا وصُدُودًا: أعرض. ويقال: صدّه عن الأمر يَصُدُّه صَدًّا منعه وصرفه عنه (*لسان العرب* «صدّ»).

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن بعد الآية الآتية برقم ٤٠ من هذه السورة.

[٣] ن: أي في خسران لتباب الخسار تب أي خسر.

[٤] ن: ومنه قول الله عز وجل.

[٥] سورة تبت، ١/١١١.

[٦] ن: وقيل إلا في هلاك يقال.

[٧] ث م: يد.

[٨] ن - الرجل.

[٩] ن: يبين.

[١٠] م - والرشد.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن بعد الآية الآتية برقم ٤٠ من هذه السورة.

[١٢] ن: الحياة الدنيا متاع منفعة إلى.

[١٣] ن + فلا يعصي لأجلها فهي للعاصي والمطيع جميعا إلى ذلك الوقت أو.

ويخبر أن دار[1] الآخرة هي دار القرار، أي يَقِرّ بأهلها إن كان أهلها أهل خير، وقرّت[2] بهم خيرا أبدًا لا يزول. وإن كان أهلها أهل شر يَقِرّ بهم[3] الشر أبد الآبدين.

**﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤٠]**

ثم أخبر عن عدل الله تعالى في أعدائه وفضله في أوليائه، حيث قال: **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها**، أي لا يَجْزيهم[4] ولا يَزيد لهم على مثل جنايتهم،[5] لأن المثل هو العدل في جميع الأشياء. يخبر أن لا يزيد على عقوبة عمبهم ولكن يَجْزيهم بمثله. وأما جزاء الحسنة فإنه يزيد لهم على قدر ما يستوجبون فضلا منه وإحسانا. ثم فيه دلالة نقض[6] قول المعتزلة:[7] إن صاحب الكبيرة في النار أبدا. لو كان على ما ذكروا كان في ذلك تسويةُ بين صاحب الكبيرة وبين صاحب الشرك: فإما أن يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته أو زيادة لصاحب الكبيرة. وقد أخبر أنه لا يجزى إلا مثلها، فذلك خلاف لظاهر[8] الآية.

وقوله عز وجل: **ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة**، دلّ هذا على أن العمل الصالح لا ينفع[9] ولا يُجْزى به[10] إلا من كان منه الإيمان به. وقوله: **يُرزَقون فيها بغير حساب**، يحتمل بلا تَبِعَة، ويحتمل بغير تقدير وعدد.[11] وقد ذكرنا في غير موضع.[12]

*والله أعلم.**

---

[1] ن - دار.

[2] ر ث م: قرت؛ ن: وقرب.

[3] ن + إلى.

[4] ر ث م: لا يجزي.

[5] ن: ولا يزيدهم على مثل عقوبتهم.

[6] ن: بعض.

[7] ن + لقولهم.

[8] ر ث م: ظاهر.

[9] ن: لا يرفع.

[10] ر ث م - به.

[11] ن - وعدد.

[12] ر ث م: قد ذكرناه فيما تقدم.

* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٧ ورقم ٣٨ في نسخة ن. نص: ورقة ٦٢٤ظ/ سطر ٤٠-٤١، ٦٢٥و/ سطر ١-٢.

**﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار**، كأنه قال: يا قوم ما لي أدعوكم[١] إلى ما به نجاتكم وأَنْصَحُ لكم، وتدعونني أنتم إلى ما[٢] به هلاكي، فمتى يكون بيننا موالاة واجتماع؟ أي لا يكون. إنما يُذكَر هذا وأمثالها[٣] في المواعظ إذا[٤] انتهت غايتها وبلغت نهايتها فلم[٥] يَنْجَعْ[٦] فيهم، عند ذلك يقال.[٧] وهو كقوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[٨] وقوله تعالى: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ،[٩] الآية.

**﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾[٤٢]**

ثم فسّر ما يدعونه[١٠] إليه وما هو[١١] يدعوهم إليه من النجاة، حيث قال: **تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار**، هذا منه تفسيرُ ما دعاهم إلى النجاة وبيانُ ما يدعونه / إلى الهلاك. ثم قوله:[١٢] **وأُشْرِكَ به ما ليس لي به علم**، قد يستعمل قوله: **ما ليس لي به علم** في نفي العلم،[١٣] أي ليس ذلك. وذلك[١٤] في إثبات العلم بخلافه وضده، [٦٧٩و]
يقول: وأشرك به ما ليس لي به علم،[١٥] ولا كان من الشريك[١٦] وغيره. أو يقول: تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لكم به علم. *والله أعلم*.

---

[١] ن: كأنه يقول ما لي أدعوكم.
[٢] ر م - ما.
[٣] ن: وأمثاله.
[٤] ر م - إذا.
[٥] ر ث ه: فلم.
[٦] نجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثّر (*لسان العرب*، «نجع»).
[٧] ر ث م - عند ذلك يقال.
[٨] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[٩] ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ (سورة يونس، ٤١/١٠).
[١٠] ه: ما يدعون.
[١١] ر ث ه - هو.
[١٢] ن: وقوله عز وجل.
[١٣] ن: نفي العلوم.
[١٤] ن - ذلك.
[١٥] ن - لي به علم.
[١٦] ن: لشريك.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[٤٣]

ثم بيّن عجز ما يعبدون من الأصنام وغيرها، وهو ما قال عز وجل: **لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، لا جَرَم**، أي حقًا.[١] يقول -والله أعلم-: لَحَقٌّ[٢] أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة.[٣] اختلف في قوله: **ليس له دعوة**.[٤] قال بعضهم: ليس له دعوة أي شفاعة، وقال بعضهم: **ليس له دعوة** مستجابة. وقال بعضهم: **ليس له دعوة**،[٥] أي لم تدعكم[٦] إلى عبادة نفسها، أي الأصنامُ التي عبدوها. والأول أشبه لأنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام رجاء أن يشفَع[٧] لهم، فأخبَر أنها لا تَشفَع[٨] بقوله: **ليس له دعوة**، أي شفاعة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأن مردّنا إلى الله**، يقول -والله أعلم-: أن مرجِعَنا جميعا[٩] إلى ما أعد الله لنا؛ أعد لكم النار وأعد لي الجنة. وقوله عز وجل:[١٠] **وأن المسرفين هم أصحاب النار**، والمقتصدين من أصحاب الجنة. ***والله أعلم***.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فستذكرون ما أقول لكم**، أي ستذكرون إذا عاينتم ما أعد الله[١١] لكم وأعد لنا أن ما كنتم عليه ودعوتموني[١٢] إليه دعاء إلى الهلاك، وما دعوتكم إليه هو دعاء إلى النجاة.[١٣] أو يقول: ستذكرون ما نصحت بدعائي إياكم إلى ما[١٤] به نجاتكم.

---

[١] ث: لا خير من أن حق.
[٢] جميع النسخ: بحق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٤ظ.
[٣] ن - لا جرم أي حق يقول والله أعلم لحق أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة.
[٤] ر ث م - اختلف في قوله ليس له دعوة.
[٥] ر ث م - اختلف في قوله ليس له دعوة قال بعضهم ليس له دعوة أي شفاعة وقال بعضهم ليس له دعوة مستجابة وقال بعضهم ليس له دعوة.
[٦] ر ث م: لم يدعوكم؛ ن: لم يدعكم.
[٧] ر م: يشفع.
[٨] ن: لا يشفع.
[٩] ر ث م - جميعا.
[١٠] ر ث م - وقوله عز وجل.
[١١] ر ث م - الله.
[١٢] ر م: ووعدتموني.
[١٣] ر ث م: الجنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٩ط.
[١٤] ن - هو دعاء إلى النجاة أو يقول ستذكرون ما نصحت بدعائي إياكم إلى ما.

وقوله عز وجل: **وأفوض أمري إلى الله.** هذا يخرج على وجوه. أحدها كأنهم خوّفوه وأوعدوه بأنواع الوعيد[١] والتخويف، فقال عند ذلك: **وأفوض أمري إلى الله**، وأتوكل عليه فيحفظني ويدفع عني شركم وما تقصدون بي. *والله أعلم*.

والثاني **وأفوض أمري إلى الله**، أي عليه أتوكل و[به] أَكِلُ في جميع الأمور من الخيرات والشرور، وهو الكافي لذلك.

والثالث إظهار الحاجة إليه. والمؤمن أبدا يكون مُظهِرا الحاجة[٢] إلى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة. *والله أعلم*.

والرابع **وأفوض أمري إلى الله**، لا أشتغل بشيء في أمري، أُصَيِّره إلى الله تعالى.[٣] وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض إلى الله تعالى،[٤] لأنهم يقولون: إن عليه أن يعطيه جميع ما يحتاج إليه المكلف[٥] حتى لا يبقى عنده مزيد، وإذا لم يبق عنده شيء، فليس لتفويض الأمر إليه معنى. *والله الموفق*.

**﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[٤٥] ﴿اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **فوقاه الله سيئات ما مكروا**، دل هذا على أنهم قد قصدوا قصد المكر به حيث أخبر أنه وقاه سيئات ما مكروا. فجائز أن هَمُّوا به قتله، ويحتمل غيره. ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم بما وقى موسى عليه السلام لمَّا أهلكهم وأنجاه عن شرهم. ويحتمل بوجه[٦] آخر لا نفسره لأنا لا نحتاج إليه، وإنما حاجتنا[٧] إلى أن نعلم أن كل من[٨] بذل نفسه لله تعالى ووَكَّلَ[٩] أمره إليه وقاه الله تعالى[١٠] وحفظه.

---

[١] ن: التوعيد.
[٢] ر: للحاجة.
[٣] ولعله يعني: لا أشتغل بشيء في أمري إلا أصيره إلى الله تعالى.
[٤] ن: تفويض الأمر إليه.
[٥] ن – المكلف.
[٦] ر ث م: توجيه.
[٧] ر م: حاجاتنا.
[٨] ر م – من.
[٩] ن: فوكل.
[١٠] ر م – ووكل أمره إليه وقاه الله تعالى.

وقوله عز وجل: **وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النارُ يُعرَضون عليها غُدوًا وعَشِيًا.** استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله: **النار يُعرَضون عليها**، وإنما يعرض أرواحهم على النار، فتألمت أجسادهم في القبور لذلك. وكذلك يعرض أرواح أهل الجنة على الجَنة[1] فيتلذذ أجسادهم[2] بتلذذ الأرواح بعد أن أُحدث فيها الحياة التي بها[3] يتحقق الألم واللذة،[4] هذا في القبور. ثم إذا أُدخلوا[5] النار[6] يكون لهم ما ذكر من العذاب، حيث قال: **ويوم تقوم الساعة أدخِلوا آلَ فرعون أشد العذاب.** ***والله أعلم.*** وجائز أن يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيامة، قبل أن يُدخلوا النار، كقوله تعالى: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ،[7] يكون عرضهم على النار هو وقتَ وَقْفهم للسؤال وحبسهم لذلك. ثم يُدخلون النار فيكون لهم العذاب الذي ذُكر، وهو قول الحسن.[8]

ثم قوله: **غُدوًا وعَشيًا**،[9] يحتمل قَدْرَ غدو وقدرَ عشي. فإن كان التأويل في عذاب القبر يحتمل[10] ما قال بعضهم أن يقال لهم: هذا لكم ما دامت الدنيا. ويحتمل أنه ذَكر[11] لا[12] على إرادة الغدو والعشي حقيقةً، ولكن[13] كل وقت، لكن يتجدد التألم والوَجَع بقدر كل[14] غدو وعشي.[15] ***والله أعلم.*** وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جعلت أرواح آل فرعون في أجواف طير سُود،[16]

---

[1] ر م – على الجنة.
[2] ن – في القبور لذلك وكذلك يعرض أرواح أهل الجنة على الجنة فيتلذذ أجسادهم.
[3] ر م – بها.
[4] ن – بعد أن أحدث فيها الحياة التي بها يتحقق الألم واللذة.
[5] جميع النسخ: دخلوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٧٠و.
[6] ن + يوم القيامة.
[7] سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٤.
[8] ن – وهو قول الحسن.
[9] ن + وهو قول الحسن.
[10] ن: أما إذا كان ذلك في القبر فهو يحتمل.
[11] ن: أو يذكر.
[12] ر ث م – لا.
[13] ر ث م – ولكن، + ذلك.
[14] ر ث م: لكل قدر.
[15] ر ث م: عشي وغدو.
[16] السود: جمع الأسود والسَّوْداء.

يعرضون على النار كل يوم مرتين، يقال: يا آل[1] فرعون هذه داركم؛ قال عبد الله: فذلك عرضها.[2] فإن ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو تفسير لما ذكر من الغدو والعشي. ثم إن ثبت هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه باب ما[3] لا يُدرَك بالتدبر.[4] مع ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن نبي الله[5] صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات أحدكم عُرِض عليه[6] مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال له: هذا[7] مقعدك حتى يُبْعَث إليه يوم القيامة».[8] فإن ثبت هذا وصح عنه فهو دليل لوجوب[9] عذاب القبر.[10] *والله أعلم.*[11] وجائز أن يكون قوله: **النار يُعرَضون عليها غدوًا وعشيا**، أي يُعذَّبون[12] في الأوقات كلها بعد إدخالهم فيها. وذكر الغدو والعشي يخرج على سكون النار في أوقاتٍ تَخْمُدُ[13] ثم تلتهب،[14] كقوله تعالى: كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا.[15]

***والله أعلم.***

---

[1] ث: بآل.

[2] رواه بن أبي حاتم الرازي عن ابن مسعود. *تفسير القرآن العظيم*، ٣٢٦٧/١٠؛ وروى الطبري أيضا نحوه عن الهذيل بن شرحبيل ولسدي والأوراعي، *تفسير الطبري*، ٣٣٧/٢٠-٣٣٨).

[3] ر ث م - ما.

[4] جميع لنسخ: بالتدبير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠و.

[5] ن: رسول الله.

[6] ر ث م: عنى.

[7] جميع النسخ: هاذك. والتصحيح من مصادر الحديث.

[8] ولفظ الحديث في *موطأ مالك* هكذا: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل لنار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» *موطأ مالك*، الجنائز ٤٨. و نظر أيضا: *صحيح البخاري*، الجنائز ٨٩؛ و*صحيح مسلم*، جنة ٨٣.

[9] ن: هون.

[10] حول تفسير هذه الآية انظر: *تفسير الطبري*، ٣٣٩/٢٠-٣٤٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥/١٣-٤٦.

[11] ن + وقال بعضهم في قوله فستذكرون ما أقول لكم في الدنيا فيعلمون أنه الحق وأني قد نصحتكم حيث دعوتكم وأنكم كنتم تعينونني حين دعوتموني إلى ما به هلاكي وهو ما ذكر والله أعلم وقوله عز وجل لا جرم أني حقا والله يقول نحن بما يدعونني إليه ليس له دعوة.

[12] ن: يعرضون.

[13] ر ث م - تخمد.

[14] ر م: يلتهب؛ ث: يلتهب.

[15] ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ٩٧/١٧).

[ط٦٧٩] فإن قيل: ما الحكمة فيما ذكر من إدخال / آل فرعون في[١] أشدّ العذاب والخصوصيةِ لهم في ذلك من بين غيرهم من الكفرة؟

قيل: لوجهين. أحدهما أن غير موسى من الرسل عليهم الصلاة والسلام[٢] قد[٣] نُسِبوا إلى السحر كما نسب إليه موسى، لكن[٤] لم يتبين ولا تحقق[٥] لقومهم[٦] براءة رسلهم[٧] فيما[٨] قَرَفَهم[٩] الرؤساء والقادة منهم بالسحر والكذب[١٠] بما وُجد منهم التمويه على السفلة والأتباع.[١١] وقد[١٢] تحقق لآل فرعون[١٣] برآءة موسى مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم[١٤] صدق ما ادعى من الرسالة.[١٥] وذلك[١٦] لما[١٧] أقر جميع سحرة فرعون أن ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق، وإيمانُهم بموسى عليه السلام نَهارا جِهارا،[١٨] واختاروا القطع والصلب، ولم يمتنعوا عن متابعته، وما رأوا من انقلاب العصا حية تَسْعى وتَلقّف ما صنعوا. فيكون عنادهم أشد ومكابرتهم أكبر، فلذلك استحقوا أشد العذاب.[١٩] *والله أعلم*.

---

[١] ن - في.
[٢] ن: أن غيرهم من الرسل سوى موسى عليه السلام.
[٣] ن - قد.
[٤] ن - كما نسب إليه موسى لكن.
[٥] ن: ولا يتحقق.
[٦] ن: بقومهم.
[٧] ن: الرسل.
[٨] ن: ما.
[٩] قَرَفْتُ الرجل أي عِبْتُه. ويقال: هو يُقْرَف بكذا أي يُرمى به ويُتّهم. وقرّف الرجلَ بسوء: رماه. قَرَفْتُ الرجلَ بالذنب قَرْفًا إذا رَمَيْته (*لسان العرب*، «قرف»).
[١٠] ن - والكذب؛ + وغيره وكذلك أولئك ما تبين.
[١١] ن - بما وجد منهم التمويه على السفلة والأتباع.
[١٢] ن - قد.
[١٣] ن + من.
[١٤] ن - مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم.
[١٥] ن + واوحي إليه وكذب فرعون وأولئك.
[١٦] ن: وهو.
[١٧] ر ث ك: مما.
[١٨] ن + ظاهر.
[١٩] ن - واختاروا القطع والصلب ولم يمتنعوا عن متابعته وما رأوا من انقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم أشد ومكابرتهم أكبر فلذلك استحقوا أشد العذاب.

والثاني أن آيات موسى عليه السلام أكثرها[1] كانت حسية، وآيات غيره كانت عقلية. ومعرفة ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن فيه شبهة.[2] وقد يتمكن الشبهة فيما كان سبيله[3] العقل فيكون عنادهم أشد.

وبعدُ، فإنهم قد اتبعوا فرعون لما ادعى لنفسه من الألوهية بلا حجة وبرهان طلبوا منه، وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة بعد ما أقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين، فلذلك كان لهم أشدُّ العذاب.[4] *والله أعلم*.

**﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإذ يتحاجُّون في النار**، مُحاجّتهم في النار ما ذُكر هاهنا وفي آي من القرآن، وهو ما ذكر: **فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار**، قد علم الضعفاء والأتباع أن المتبوعين[5] لا يملكون دفع ما هم فيه. لأنهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا عن أنفسهم، فإذْ[6] لم يَمْلِكوا دفع ذلك عن أنفسهم فلَأَنْ لا يملكوا[7] دفع ذلك عنهم أحقُّ. لكنهم قالوا ذلك لهم ليزداد لهم[8] حسرة وندامةً،[9] وهو كقوله تعالى في آية أخرى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.[10] ويحتمل أنهم إنما قالوا لهم ذلك لِمَا[11] قالوا لهم في الدنيا:[12]

---

[1] ن: أكثر م.
[2] ن: مما لا شبهة يتمكن فيه.
[3] ن: سبيل دركه؛ م: سبيل.
[4] ن: والحجج والبرهان فيكون لهم أشد العذاب لذلك.
[5] ر ث م – أن المتبوعين.
[6] ر ث م: فإذا.
[7] ر ث: لا يملكون؛ فلا يملكوا.
[8] ر ث م – لهم.
[9] ن + على ذلك.
[10] ن – وهو كقوله تعالى في آية أخرى فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدنا الله لهديناكم سواء عينا أحزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص. وصدر الآية: ﴿وَبَرَزُوا لله جميعا فقال الضعفاء لذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم معنون...﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢١).
[11] ن. أو يقولوا ذلك لقولهم حيث
[12] ن – في لدنيا.

اِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[1] فيقولون هم ذلك[2] في الآخرة: **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء**، أي حاملون[3] عنا بعض الذي عيننا من العذاب إنا كنا لكم تَبَعًا في الدنيا؟ فقالوا:[4] إِنَّا كُلٌّ فِيهَا، أي[5] نعذَّب[6] في النار.[7] إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ.[8]

**﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[٤٨]**

*وقوله عز وجل: **قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد**، هذا من أولئك الذين استكبروا جوابا للضعفاء على أحد التأويلين، ولا يكون جوابا للآخر.* وهو جواب لقولهم الذي قالوا في الدنيا: وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[10] فيقولون: إن الله قد حكم بين العباد أن لا يزيدَ العذابُ على مثل السيئة، وقد حكم الله تعالى على كل منا[11] بالمثل، فلا يزيد على ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب**، كان فزَعُ الكفرة أبدا إلى الخلق إذا نزل بهم البلاء في الدنيا إلا[12] أن يُضْطَرُّوا، فعند ذلك يَفزَعون إلى الله تعالى، فأما ما لم ييْأَسوا منهم فلا يفزعون إليه. فعلى ذلك يكون فزعهم في الآخرة إلى الخلق، وهو ما سألوا أهل الجنة من الماء. أخبر الله تعالى عنهم بقوله:

---

[1] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ (سورة العنكبوت، ١٢/٢٩).
[2] ن: ذلك هم.
[3] ن: جاهلون.
[4] ر ث م: قالوا.
[5] ر ث م – أي.
[6] ر م: يعذب.
[7] ر ث م – في النار.
[8] ن – إن الله قد حكم بين العباد. الآية التالية.
* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: وكان من جواب أولئك ما قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وهذا القول منهم يكون جوابا لأحد التأويلين ولا يكون للآخر.
[10] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.
[11] ر م: منها.
[12] ن: إلى.

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ.[١] فلما أيسوا من ذلك عند ذلك فزعوا إلى مالك، وهو ما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ.[٢] سألوه الموت. فلما أخبرهم أنهم ماكثون، فعند ذلك فزعوا إلى الخزنة وقالوا: **ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب.**

**﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٥٠]**

**قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات،**[٣] فلما أيسوا[٤] منهم ومما سألوهم من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك فزعوا إلى الله تعالى، وهو قولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٥] وقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ،[٦] الآية ونحوه.[٧] لم يفزعوا إلى الله تعالى إلا بعد ما انقطع رجاؤهم منهم وأيسوا. ***وبالله العصمة والنجاة.***

وقد استدل بقوله تعالى:[٨] **أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى،** من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام،[٩] حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل وردهم البينات التي أتتهم[١٠] [بها] الرسل. واستدلوا أيضا بقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا،[١١] وبقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ،[١٢] وقوله تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا،[١٣]

---

[١] سورة الأعراف، ٥٠/٧.
[٢] سورة الزخرف، ٧٧/٤٣.
[٣] ن + قالوا بلى وما دعاء الكافرين.
[٤] ث - أيسوا.
[٥] سورة فاطر، ٣٧/٣٥.
[٦] سورة إبرهيم، ٤٤/١٤.
[٧] ر ث م - لآية ونحوه.
[٨] ن: وقوله عز وجل.
[٩] ن: ثم من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بدون الرسل وآياتهم يستدل بهذه الآية.
[١٠] ن: أتاهم.
[١١] سورة الإسراء، ١٥/١٧.
[١٢] ﴿...فنتبع آيتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).
[١٣] ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (سورة القصص، ٥٩/٢٨).

وغيرها من الآيات التي أخبر[1] فيها أنه لا يعذبهم إلا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم،[2] فعند ذلك يعذبون.

لكن تأويل هذه الآيات[3] يخرج عندنا[4] على وجهين. أحدهما أن يكون ذلك في قوم[5]

[٦٨٠و] حاصّ الذين لا يَرَوْن لزوم الحجة والحكمِ إلا من جهة الرسالة، فيُحتجَ عليهم بما كانوا يرون به،[6] ليكون أقرب إلى الإلزام والحجة، وإن كان يجوز أن يُحتجَ عليهم بما هو حجة وهم لا يرونه[7] حجة. *والله أعلم*.

والثاني إنما ذكر ذلك على المبالغة والنهاية في الحجة، وإن كانت الحجة قد تلزمهم[8] والحكم قد ثبت بدون ذلك، وهو العقل؛ لأن إرسال الرسل وإقامة المعجزات أقرب إلى الوصول إلى الحق، وقد أقام كِلَا الحجتين، فذكر[9] أظهر الحجتين ليكون أقرب إلى أظهار[10] عنادهم.[11] وهذا كما في تعذيب الكفرة في الدنيا أنهم لم يُعذَّبوا بنفس الكفر،[12] حتى كان منهم مع الكفر الاستهزاء بالرسل والعنادُ لهم وغير ذلك. وإنما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر، لكن[13] تَرَك تعذيبهم حتى يبلغوا النهاية والإبلاغ في التكذيب والعناد. وهو[14] كقوله تعالى: ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ،[15] ذكر هذا على النهاية والإبلاغ في الجناية منهم،[16]

---

[1] ر ث م – أخبر.
[2] ن: به.
[3] ر ث م: الآية.
[4] ن: عندنا يخرج.
[5] ر م – قوم.
[6] ن + كقوله ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا والحكم قد يجب بغير ذلك.
[7] جميع النسخ: لا يرونها.
[8] ر م: يلزمهم.
[9] جميع النسخ: فذكروا.
[10] ر م: أظهر.
[11] ن – ليكون أقرب إلى الإلزام والحجة وإن كان يجوز أن يحتج عليهم بما هو حجة ... فذكر أظهر الحجتين ليكون أقرب إلى أظهار عنادهم.
[12] ن: نحو تكذيب الكفرة لكنهم أنهم لا يعذبون بنفس الكفر.
[13] ن: لكنه.
[14] ن – وهو.
[15] سورة فصلت، ٧/٤١.
[16] ن – في الجناية منهم.

وإن كانوا يستوجبون العذاب[1] بجحودهم الزكاة دون جحود البعث أو جحود[2] البعث دون جحود الزكاة.[3] فعلى ذلك الآيات التي ذكرها[4] هي على الإبلاغ والنهاية، وإن كانت[5] الحجة يلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل.[6] *والله الموفق.*[7]

وبعد، فإن في[8] قوله: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا[9] دلالةَ[10] أن الحجة والحكم قد لزمهم بدون الرسل، لأنه لو لم يلزَم ذلك[11] لكان في التعذيب ظالما، لأنه يعذِّب[12] قبل أن يلزمهم الحكم، فيصير تقدير الآية: ولو أنا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك فلا تكونَ ظالما فيما عذّبتنا. والظلم من الله تعالى محال، فيستحيل تقدير الآية على هذا الوجه. دل أن التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم. *والله الموفق.*[13] وبعد، فإن في قوله: **أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات**، دلالةَ أن الحجة إنما تلزم[14] بالبينات لا بنفس[15] الرسل،[16] والبينات قد وُجدت وسبب المعرفة وطريقها -وهو العقل- قائم.[17]

---

[1] ن + بأحدهما.

[2] ل: وبجحود.

[3] ن + يستوجبون ذلك لكنه ذكر ذلك على المبالغة والنهاية.

[4] ن: ذكر.

[5] ر ث م: كان.

[6] ن: وإن كانت الحجة والحكم قد تلزمهم بدون الرسل على ما ذكرنا.

[7] ن: والله أعلم.

[8] ر م – في.

[9] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذِلَّ ونخزى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).

[10] ر ث م – دلالة.

[11] ر ث م – ذلك.

[12] ن: عذب.

[13] ن – فيصير تقدير الآية ولو أنا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك فلا تكون ظالما فيما عذبتنا والظلم من الله تعالى محال فيستحيل تقدير الآية على هذا الوجه دل أن التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم والله الموفق.

[14] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٥ظ.

[15] ث: لا بأنفس.

[16] ن + حيث قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى.

[17] ن – والبينات قد وجدت وسبب المعرفة وطريقها وهو العقل قائم

وقوله عز وجل:[1] **قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**،[2] ليس على الأمر بالدعاء، ولكن[3] معناه[4] وإن دعوتم لا ينفعكم دعوتكم، كقوله: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا،[5] أي هلاكا.[6] *والله أعلم*.[7]

**﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**، يحتمل ما ذكر من لنصر لرسل والمؤمنين[8] وجوها. أحدها أن[9] ينصرهم في الدنيا بالحجج والآيات التي أعطاهم في الدين، حتى يدفعوا[10] بها تسويلات[11] الشيطان[12] وتمويهات السَّحَرة وتغلّبها،[13] ويعلُوا[14] على الكل. هذا في الدنيا، وفي الآخرة أيضا ينصرهم بما يشهد لهم عليهم الملائكة والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين،[15] وأنهم[16] دعوهم إلى التوحيد والإيمان، لكنهم[17] كذبوهم وكفروا بما دعوهم إليه.[18] فذلك نصره[19] إياهم في الدنيا والآخرة.[20] *والله أعلم*.

---

[1] ن – وقوله عز وجل.
[2] ر ث م – قالوا فادعوا؛ ن – وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٥ظ.
[3] ن: لكن.
[4] ن: إنكم.
[5] سورة الفرقان، ١٤/٢٥.
[6] ن + وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.
[7] ن – والله أعلم.
[8] ن: والذين آمنوا.
[9] ن – أن.
[10] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ. حتى يدفعوا أي الرسل.
[11] سوّلت له نفسه كذا: زينته له. وسول له الشيطان: أغواه (*لسان العرب*، «سول»).
[12] ن: الشياطين.
[13] ن: وتعبيها.
[14] ر ث م: وتعلوا.
[15] ن: والذين آمنوا. أي تشهد الملائكة والجوارح (جوارح الكافرين) للرسل على الكافرين بأنهم كذبوا الرسل وعابوا المؤمنين.
[16] ن: أنهم.
[17] ن – دعوهم إلى التوحيد والإيمان لكنهم.
[18] ن + وهو التوحيد.
[19] ن: نصرة.
[20] ن – في الدنيا والآخرة.

والثاني ينصرهم لما يجعل لهم العواقب وآخر الأمر، وإن كان في الابتداء قد يكون عليهم.[١] وعلى ذلك لم يُذكَر عن أحد من الرسل إلا وقد كان عاقبة الأمر له، وهو كقوله تعالى: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[٢] فهذا النصر هو النصر في الأبدان، والأول هو[٣] نصر في الدين. ولكن وإن كان[٤] هو نصرا في الأبدان فهو[٥] نصر يرجع إلى الدين، لما يقوم الدين بسلامة الأبدان، ويتحقق به عن المسلمين.[٦] **والله الموفق.**

والثالث ذكر نصرهم لما أعطاهم من النعمة في الدنيا والسَّعة فيها. وهي[٧] تُذْكَر[٨] للرسل والمؤمنين نصرا ونعمة ومعونة. وهي[٩] للكفرة فتنة[١٠] ومحنة لا غير،[١١] لا تذكر[١٢] باسم النصر والنعمة. إذ هي في حق المسلمين وسيلة[١٣] إلى النعمة الأبدية، وفي حق الكفرة إلى العذاب الأبد، فتكون[١٤] نقمة[١٥] في حقهم حقيقة.[١٦] ولذلك قال تعالى:[١٧] الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ،[١٨] وقال: بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ،[١٩] وقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ.[٢٠]

---

[١] ن: والثاني ينصرهم لا يجعل لهم العواقب وآخر الأمر وإن كانوا في الابتداء عليهم. أي قد يكون الأمر على الرسل والمؤمنين.

[٢] سورة الأعراف، ١٢٨/٧؛ وسورة القصص، ٨٣/٢٨.

[٣] ن – هو.

[٤] ر ث م: ولكن إن كان؛ ن: لكنه وإن كان.

[٥] ن – كان هو نصرا في الأبدان فهو.

[٦] ن – لما يقوم الدين بسلامة الأبدان ويتحقق به عن المسلمين.

[٧] ن: هي.

[٨] ر ث م: وهو يذكر؛ ن – تذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.

[٩] ر ث م: أما هي.

[١٠] ر ث م: فيه.

[١١] ن – لا غير.

[١٢] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.

[١٣] ر ث م: وسببه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.

[١٤] ر ث م: فيكون.

[١٥] ر م: نعمة.

[١٦] ن – إذ هي في حق المسلمين وسيلة إلى النعمة الأبدية وفي حق الكفرة إلى العذاب الأبد فتكون نقمة في حقهم حقيقة.

[١٧] ن: وهو كقوله عز وجل.

[١٨] سورة العنكبوت، ١/٢٩-٢.

[١٩] ﴿فإذا مسّ الإنسانَ ضُرٌّ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمةً منا قال إنما أُوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الزمر، ٤٩/٣٩)

[٢٠] سورة المؤمنون، ٥٦/٢٣.

وقد[1] أخبَر أن ما أعطاهم من الأموال والسَّعة إنما هي فتنة ومحنة لهم،[2] وما أعطى الرسل والذين آمنوا إنما هو نصر ومعونة لهم.[3] *والله أعلم*.[4]

فإن قيل: ذَكَر أنه ينصرهم، وقد نرى مؤمنا قد ينقطع حججه ويعجز عن إقامتها، ونراه مغلوبًا، والكافرَ هو الغالبَ. قيل: لهذا[5] جوابان.[6] أحدهما ما ذكرنا[7] مِنْ جَعْلِ العاقبة له والغلبة والنصر[8] في آخر الأمر. والثاني جائز أن يكون نصره إياهم[9] بالشريطة، وهي القيام بوفاء[10] ما لله عليهم من الحق في ذلك.[11] فالنصر والظفر بالحجة في المناظرة أن يكون يُزَجّي[12] عُمْره في معرفة الحجج والدلائل، وأن يكون عارفا بطرق النظر. ومتى كان هذا الشرط موجودا يكون النصر له لا محالة. وشرط الظفر في المحاربة أن يكونوا قاصدين إعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا، وكلمتهم واحدة ونحوها. ومتى كانت[13] المحاربة بشرائطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين، وذلك[14] كقوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.[15] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويوم يقوم الأشهاد**، قال بعضهم: الأشهاد هم الملائكة[16] الذين[17] يكتبون أعمال بني آدم، يشهدون عليهم بما[18] عملوا من الأعمال. وقال بعضهم:[19] **الأشهاد**،

---

[1] ن – وقد.
[2] ن: فتنة هم ومحنة.
[3] ر ث م – وما أعطى للرسل والذين آمنوا إنما هو نصر ومعونة لهم.
[4] ن + على هذه الوجوه الثلاث يخرج ما ذكر من نصرة الرسل والذين آمنوا.
[5] ر ث م: عن هذا.
[6] ر ث م: جوابين؛ ن: وجهان.
[7] ر ث م – ما ذكرنا.
[8] ن + له على الكافر.
[9] ر ث م: جائز أن يكون وعده النصر لهم والظفر بالحجة.
[10] ن: إذا قاموا في وفاء.
[11] ن: فعند ذلك نصرهم.
[12] يقال: زجّيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق. يقال: كيف تزجي الأيام أي كيف تدافعها (*لسان العرب*، «زجا»).
[13] جميع النسخ: كان.
[14] ن – فالنصر والظفر بالحجة في المناظرة أن يكون يزجي عمره ... يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك.
[15] سورة البقرة، ٢/٤٠.
[16] ر م: هو الملائكة؛ ن: قال بعضهم الأشهاد هم الملائكة
[17] ر ث م – الذين.
[18] ن + عملوا أو.
[19] ن: بني آدم فعلوا أو يشهدون عليهم بما يوم يقوم.

هم الرسل يشهدون / عند رب العالمين على الكفرة[1] بالتكذيب والردّ. وقال بعضهم: يشهد [٦٨٠ط]
عليهم الجوارح يومئذ بما كان منهم. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم**، ذكر هاهنا لا ينفع الظالمين معذرتهم. وذكر في موضع آخر:[2] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.[3] وبينهما اختلاف من حيث الظاهر؛ لأن القول بأنه لا تنفع[4] معذرتهم بعد وجودها منهم،[5] وقد أخبر أنه لا يُؤذَن لهم بالاعتذار. لكن يحتمل أنهم، وإن لم يُؤذَن لهم الاعتذار،[6] لكنهم يعتذرون بلا إذن لهم، فلا يُقبَل اعتذارهم[7] ولا ينفعهم ذلك، فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه.[8] ويحتمل[9] **لا ينفع الظالمين معذرتهم**، لو كان منهم الاعتذار لكان لا يُقبل[10] اعتذارهم، لكن لم يُؤذَنوا[11] بالاعتذار حتى يعتذروا.[12] وهو كقوله تعالى: لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ،[13] أي لو كان منهم فذلك لا يقبل. وكذا قوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[14] أي لو كانت لهم شفعاء يشفعون لهم لكان لا تنفعهم شفاعتهم، لا أن كان لهم شفعاء.[15] فعلى ذلك قوله تعالى: **لا ينفع الظالمين معذرتهم**، أي لو كانوا يعتذرون لا يقبل اعتذارهم، ولا ينفعهم معذرتهم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: عليهم.
[2] ن: وقال عز وجل في آية أخرى.
[3] سورة المرسلات، ٣٦/٧٧.
[4] جميع النسخ: لا ينفع.
[5] ن - وبينهما اختلاف من حيث الظاهر لأن القول بأنه لا تنفع معذرتهم بعد وجودها منهم.
[6] ر ث م - لكن يحتمل أنهم وإن لم يؤذن لهم الاعتذار. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٦و.
[7] ن: لكن جائز أن لا يؤذن لهم بالاعتذار لكنهم يعتذرون وإن لم يؤذن لهم الاعتذار لكن لا يقبل اعتذارهم.
[8] ن - ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه.
[9] ن: أو أن يكون قوله عز وجل.
[10] ر ث م: ولا يقبل.
[11] ر م: لم يؤذن.
[12] ن - لكن لم يؤذنوا بالاعتذار حتى يعتذروا.
[13] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئا ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).
[14] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[15] ن - شفعاء.

**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾[٥٣] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٥٤]**

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الهدى**، يحتمل الهدي هاهنا وجوها.[١] أحدها أي آتيناه التوراة،[٢] وفيها البيان والدعاء[٣] إلى الرشد. وجميع كتب الله تعالى فيه هدى ونور ورحمة. والثاني أنه آتاه الهدى، أي التوحيد[٤] والإسلام. ويحتمل آتاه النبوّة[٥] والرسالة. أو آتاه[٦] كل ما لله عليه من حق. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب**، يحتمل قوله: **الكتاب**، التوراة خاصة. ويحتمل التوراة وسائر الكتب، لأن الكتب في بني إسرائيل كانت كثيرة؛ كان فيها التوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك. فجائز أن يريد بالكتاب جميع الكتب التي كانت فيهم، إذ ذكر الكتاب بالألف واللام، وإنه يحتمل الجنس والعهد، فيجوز الصرف إلى التوراة لمكان العهد، ويجوز الصرف إلى الجميع لمكان الجنس. ***والله أعلم***.[٧] وفي الآية[٨] دلالة[٩] أَنْ لا جميعُ كُتُب الله التي أُنزِلت فيهم غُيِّرت وبُدِّلت، بل فيهم ما لم يُغيَّر ولم يُبدَّل، حيث قال: **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب**.

ثم قوله[١٠] تعالى: **هدى**، هو[١١] ما ذكرنا أن[١٢] جميع كتب الله تعالى هُدى من الضلالة إلى الرشد، وبيانا لما[١٣] لله عليهم، وما لبعض على بعض. وقوله: **وذكرى**، قال بعضهم: موعظةً،

---

[١] ن: وجوه.
[٢] ن: أحدهم آتينا موسى الهدى أي التوراة.
[٣] ن: بيان ودعاء.
[٤] ر ث م: واثاني أي أتاه التوحيد.
[٥] ن: أي النبوة.
[٦] ر ث م: وآتاه.
[٧] ن - إذ ذكر الكتاب بالألف واللام وإنه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف إلى التوراة لمكان العهد ويجوز الصرف إلى الجميع لمكان الجنس والله أعلم.
[٨] ن: وفيه.
[٩] ن - دلالة.
[١٠] ن: وقوله.
[١١] ن - هو.
[١٢] ن: أي.
[١٣] ن: مما.

وقال بعضهم: تَفكُّرًا لأهل اللبّ والعقل. وجائز أن يكون[1] **ذكرى**، أي ذِكْر لما[2] سبق[3] أي يُذكِّرهم ما نَسُوا. وقوله: **لأولي الألباب**، ذكر أولي الألباب[4] لأن أهل اللبّ هم الذين يتفكرون ويتأمون فيه. أو أنّ أهل اللبّ هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر.[5] ***والله أعلم***.

**﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **فاصبر إن وعد الله حق**، يحتمل قوله: **فاصبر** وجوها. أحدها اصبر على أذاهم إياك ولا تكافئهم.[6] ثم يحتمل الأذى له وجوها. أحدها التكذيب، كان يتأذى بتكذيبهم إياه. والثاني كان يتأذى باستهزائهم به. والثالث أنواع ما يَكِيدونه[7] من هَمّهم قتْلَه وضرْبَه وغير ذلك.

والثاني[8] يحتمل قوله تعالى: **فاصبر**،[9] أي اصبر على تبليغ الرسالة إليهم ولا يُضْجِرَنَّك[10] تكذيبهم إياك ولا يَمنَعنَّك[11] ذلك عن[12] تبليغها. ***والله أعلم***.

والثالث[13] اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته؛ وذلك أن الرسل عليهم السلام كانوا لا يستعجلون العذاب ما لم يؤذن لهم بذلك. ***والله أعلم***.

ثم قوله:[14] **فاصبر إن وعد الله حق**، إن كان المراد من وعده نفسَ الوعد فيكون تأويله: إن وعد الله صدق، أي لا يُخلَف[15] ولا يكون كَذِبًا. لأن خُلف الوعد في الشاهد إنما يكون لأحد معنيين:

---

[1] ر ث م - أن يكون.
[2] ر م: ما.
[3] ن: أي ذكرى لما سوا.
[4] ر م - ذكر أولي الألباب.
[5] ن - وقوله لأولي الألباب ذكر أولي الألباب لأن أهل اللب هم الذين يتفكرون ويتأمون فيه أو أن أهل اللب هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر.
[6] ن: ولا يخافهم.
[7] ر م: ما يكيدون.
[8] ر ث م: والثالث.
[9] ن: يحتمل أمره إياه بالصبر.
[10] ر م: ولا يضجربك.
[11] جميع النسخ: ولا يمنعك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٦ط.
[12] ر: تكذيبها.
[13] ر ث م: والرابع.
[14] ن: وقوله عز وجل.
[15] ن: إن وعد الله حق أي لصدق لا يخلف.

إما لعجزه عن القيام بوفائه، وإما لضرر يخاف أن يحلقه لو قام بوفاء ما وعد، والله تعالى بريء عن المعنيين جميعا متعالٍ عن ذلك.[1] وإن كان المراد من قوله تعالى: **إن وعد الله حق**، أي موعودَ الله، فيكون تأويله: إن موعود الله تعالى لكائن حقًا. فوعْد الله تعالى على الوجهين اللذَين ذكرناهما.[2] وعلى هذا يُذكَر أمر الله تعالى ويراد[3] به نفس الأمر، كقوله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.[4] و يُذكَر ويراد به المفعول،[5] كقوله تعالى:[6] وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً،[7] أي ما يكون بأمره [يكون] مفعولا، ويكون موعود الله مفعولا. ***والله أعلم.***[8] وما ذُكِر: "الصلاة أمرُ الله" أي بأمر الله، وإلا الصلاة لا يكون أمره ولكن يكون بأمره، فعلى ذلك قوله عز وجل: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. *ثم لسنا ندري ما كان من وعده لرسوله حتى أخبر أنه كائن. فجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل: إنه وعد له أن يُعذب كفار مكة يوم بَدْر بالقتل وغير ذلك، فكذَّبوه وقالوا مستهزئين به: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ فقال: **فاصبر إن وعد الله حق**. ويحتمل غيرَه.*

وقوله: **واستغفر لذنبك**، وجائز أن يكون ما ذكر في قوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[10] باستغفاره إياه. وجائز أن يكون قوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، ما[11] يغفر له من أمته بشفاعته، كما ذُكِر في الخبر:[12] «يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صَوْتِهِ»،[13] أي يُجعَل له الشفاعة إلى حيث يَبلُغ صوتُه.

---

[1] ر ث م: عن ذينك.

[2] ن: لأن وعد لله عز وجل يخرج على ما ذكرنا من الوجهين.

[3] ر ث م: وقد يراد.

[4] ﴿الم غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سَيَغْلِبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١-٤).

[5] ن: إن أُريد نفس الوعد فيكون تأويل الحق الصدق وإن كان المراد الموعود فهو الكائن.

[6] ن: وكذلك يخرج قوله عز وجل.

[7] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٧.

[8] ن - أي ما يكون بأمره مفعولا ويكون موعود الله مفعولا والله أعلم.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن في آخر تفسير هذه الآية. انظر: ورقة ٦٢٦ظ/ سطر ٢٠-٢٣.

[10] ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتِمَّ نعمته عليك ويهديَك صراط مستقيما﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢).

[11] ن: من ما.

[12] ن - في الخبر.

[13] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُغفر للمؤذن مَدَّ صوته، ويَشهد له كل رَطْب ويابس، وشاهد الصلاة يُكتَب له خمس وعشرون، ويكفَّر عنه ما بينهما» انظر: مسند أحمد بن حنبل، ٢/٤٦٠؛ وسنن أبي داود، الصلاة ٣١؛ وصحيح ابن خزيمة، الصلاة ٩٠.

وقوله: **وسبّح بحمد ربك.** قد[1] ذكرنا التسبيح بحمد ربه.[2] ثم جائز أن يريد بالتسبيح نفس التسبيح؛ فإن كان كذلك،[3] فيكون ذِكْر العشي والإبكار ليس هو ذِكْرَ التوقيت له، ولكن الأوقات / كلها الليل والنهارَ، كقوله[4] تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ [٦٨١و] بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[5] ليس يريد نفس الغداة والعشي[6] خاصة دون[7] غيرهما من الأوقات. بل هما عبارة عن جميع الأوقات،[8] كأنه يقول:[9] اصبر[10] نفسك مع الذين يدعون ربهم آناء الليل والنهار. فعلى ذلك الأول يحتمل[11] هذا.[12] *والله أعلم*. وإن كان المراد من[13] التسبيح هاهنا هو[14] الصلاةَ، فكأنه يقول: فصل[15] بحمد ربك بالعشي والإبكار، أي صل في هذين الوقتين، فيكون العشي كناية عن صلاة الليل والإبكار[16] كناية عن صلاة النهار؛ أو أن يكون الإبكار كناية عن صلاة الغداة، والعشي كناية عن صلاة العشاء، على ما ذكره بعض الناس. *والله أعلم*.*

---

[1] ن: وقد.

[2] انظر: تفسير سورة طه، ١٣٠/٢٠.

[3] ن: هذا.

[4] ن: وكقوله.

[5] ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (سورة الكهف، ٢٨/١٨).

[6] ن: نفس الغدة نفس العشي.

[7] ن: لا يريد.

[8] ن – بل هما عبارة عن جميع الأوقات.

[9] ن: قال.

[10] ن: واصبر.

[11] ن: يحتمل الأول.

[12] ن: ما ذكرنا.

[13] ن – المراد من.

[14] ر ث م – هو.

[15] ن: وصل.

[16] ر ث م – أي صل في هذين الوقتين فيكون العشي كناية عن صلاة الليل والإبكار.

* وقعت هنا قطعة من تفسير جزء هذه الآية متأخرا في نسخة ن هكذا: ثم لسنا ندري ما كان من وعده عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم حتى أخبر أنه كائن فجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل إنه وعد له أن يعذب كفار مكة يوم بدر بالقتل وغير ذلك، فكذبوه وقالوا مستهزئين به متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فقال فاصبر إن وعد الله حق ويحتمل غيره. انظر: ورقة ٦٢٦ط/ سطر ٢٠-٢٣.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥٦]**

وقوله عز وجل: **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم**، قال عامة أهل التأويل: إن اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[١] في الدجال أنه منهم وأنه في الطُّول كذا ونحوه، وعلى ذلك نسقوا[٢] الآيات التي تتلو[٣] هذه الآية.[٤] ولكن لسنا ندري بماذا[٥] صرفوا[٦] مجادلتهم في آيات الله إلى[٧] المجادلة في الدجال، ولا يسعنا[٨] أن نحمل[٩] ما ذكر من مجادلتهم في آيات الله على المجادلة في الدجال إلا أن يثبُت خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر[١٠] أن المجادلة المذكورة في الآية في الدجّال، فحينئذ يُصرَف إلى ذلك. ***والله أعلم***.[١١]

ثم قوله: **إن الذين يجادلون في آيات الله**، أي يجادلون في دفع آيات الله بغير حجة أتتهم[١٢] من الله. وكانت[١٣] المجادلة[١٤] في دفع آيات الله من رؤساء الكفرة وأكابرهم، كانوا يُمَوِّهون بمجادلتهم في دفع آيات الله تعالى والطعن فيها على أتباعهم وسَفَلَتهم، ليَبقى لهم الرياسة والمأكلة[١٥] التي كانت لهم. وهو كما[١٦] ذكر: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ،[١٧] الآية؛

---

[١] ر ث م – وأصحابه.
[٢] ن: فسقوا.
[٣] جميع النسخ: يتلو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧١ظ.
[٤] انظر: *تفسير البغوي*، ١٥٣/٧؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٧٢/١٨-٣٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٩/١٣-٥٠.
[٥] ن: ولكنا لسنا ندري أنهم لماذا.
[٦] ن + ما ذكر من.
[٧] ن – إلى.
[٨] ر ث م: ولا يسع.
[٩] ن: يحمل.
[١٠] ن – بطريق التواتر.
[١١] ن – والله أعلم.
[١٢] ر م: أتاهم.
[١٣] م: ويكون.
[١٤] ن: مجادلتهم.
[١٥] والمأكُلة: ما جُعل للإنسان لا يحاسَب عليه (*لسان العرب*، «أكل»).
[١٦] ر ث م: ما.
[١٧] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[١] وغير[٢] ذلك من الآيات. لم يزل الأكابر منهم والرؤساء يطعنون في آيات الله تعالى ويدفعونها، يريدون التمويه والتلبيس على أتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز والشرف الذي كان لهم، ويُبطلوا به الحق ويطفئوا[٣] نوره، كقوله عز وجل: لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ،[٤] وقوله عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ.[٥] هذا كان مرادَهم من مجادلتهم في آيات الله والطعن فيها.

ثم أخبر عز وجل: أنهم يجادلون ويفعلون ذلك تكبرا منهم على آيات الله تعالى والخضوع لرسله عليهم السلام، حيث قال عز وجل: **إنْ في صدورهم إلا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالغيه**، أي ما في صدورهم إلا كبر، أي كبرهم هو الذي حملهم على المجادلة في آيات الله. ثم الذي حملهم[٦] على الكبر جهلهم بسبب[٧] العز والشرف. ظنوا أن العز والشرف إنما يكون بالأتباع الذين يصدرون عن آرائهم.[٨] ولو عرفوا فِيمَ[٩] يكون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك. إنما العز والشرف في طاعة الله عز وجل واتِّباع أمره، ليس في اتِّباع مَن اتَّبَعهم ولا في ائتمار[١٠] مَن ائتمرهم، ولكن فيما ذكرنا. *والله أعلم*. ثم أخبر أنهم ليسوا ببالغين إلى ما قصدوا من إطفاء النور الذي[١١] أَعْطَى المؤمنين ولا إدحاض الحق وإبطاله، حيث قال عز وجل: **ما هم ببالغيه**، وهو كقوله تعالى:[١٢] وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.[١٣]

---

[١] في نسخة ن ترد هذه الآية قبل الآية السابقة، ثم تأتي آية أخرى، وهي: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ (سورة الأنعام، ١٢١/٦). سورة الأنعام، ١٢٣/٦.

[٢] ن: ونحو.

[٣] ن: ويطعنوا.

[٤] ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ (سورة الكهف، ٥٦/١٨).

[٥] سورة التوبة، ٣٢/٩.

[٦] ر: حملكم.

[٧] ر: لسبب.

[٨] صدر الشيء عن غيره: نشأ. يقال: فلان يصدر عن كذا: أي يستمد منه (*المعجم الوسيط*، «صدر»).

[٩] ر م: منهم؛ ن: فيهم.

[١٠] ن: لائتمار.

[١١] ت: الدين.

[١٢] ر ن م: وقوله.

[١٣] ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة، ٣٢/٩).

وقوله عز وجل: **فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**. قال عامة أهل التأويل: أمره أن يستعيذ بالله من فتنة الدجال.[1] لكن عندنا أمره أن يتعوذ بالله من مكائد أولئك الأكابر والفراعنة الذين قد[2] همّوا[3] أن يمكروا به ويكيدوه. أمره أن يتعوذ[4] بالله[5] من مكرهم وكيدهم، كما أمره أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حيث قال: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[6] الآية. وهذا أولى من الأول. *والله أعلم*.

**﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**، قال أهل التأويل:[7] أي لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الدجال، لكن قد ذكرنا بُعْد[8] صرف الآية إلى الدجال. ثم يحتمل قوله: **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**، وجهين. أحدهما الآية نزلت[9] في المقرين[10] بخلق السماء والأرض منكري البعث.[11] يقول: إن خلق السماوات والأرض مُبْتَدَأً بلا احتذاء[12] بغيرٍ أكبر وأعظمُ من إعادة الناس. فإذا عرفتم أنه قدَر على خلق السماوات والأرض مبتدأ بلا احتذاءٍ بِغَيْرٍ لكان قدرته على إعادة الخلق أحقَّ، إذ إعادة الشيء في عقولكم أهون من البداية،[13] كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[14] فكيف أنكرتم قدرته على البعث وقد أقررتم بقدرته على خلق ما ذكر؟[15]

---

[1] ن: الرجال. قد مرت مراجع هذا التأويل آنفا.
[2] ن – قد.
[3] ر: تهموا.
[4] ر م: ويكيدوا أمره أن يتعوذوا.
[5] ن – بالله.
[6] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٨).
[7] ن: قال أولئك.
[8] ن: الرجال لكن قد ذكرنا بقدر.
[9] ن – نزلت.
[10] ر ث م: مقرين؛ ن: في المقر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٧ظ.
[11] ر ث م: منكرين بالبعث.
[12] ث: بالاحتذاء.
[13] ن: من ابتدائه.
[14] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).
[15] ن – على خلق ما ذكر.

والثاني[1] أن تكون[2] الآية نزلت في المقرّين[3] بخلق الناس منكرين بخلق السماوات والأرض. يقول: إن خلق السماوات والأرض وإمساكها في الهواء بلا تعليق من الأعلى ولا عماد من الأسفل مع غِلَظها وكثافتها أكبر وأعظم في الدلالة على حَدَثها وخلقها من خلق[4] الناس. لأن خلق الناس إنما يكون بالتغير والتولُّد من حال إلى حال.[5] فيجوز أن يُتوَهَّم كُمُون ذلك [٦٨١ط] في الأصل وافتراقه ثم اجتماعه من بعدُ وظهور ذلك منه. وأما السماء فهي على حالة[6] واحدة فلا يمكن[7] توهُّم[8] ذلك[9] لما ذكرنا.[10] ويحتمل أن تكون[11] الآية في نازلةٍ كانت وسببٍ لسنا نحن نعرف[12] ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾**[٥٨]

وقوله عز وجل: **وما يستوي الأعمى والبصير**، قال بعضهم: لا يستوي من عَمِيَ عن[13] توحيد الله وشكر نِعَمه [و]من[14] أبصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه، كما لم يستو عندكم من جَهِل حقَّ آخرَ وكفر نِعَمَه وإحسانه ومن[15] عرف حقه وقبل إحسانه وقام بشكره. فإذا عرفتم أنه لا استواء بين هذين عندكم فاعرفوا أنه لا يستوي من عمي عن توحيد[16] الله

---

[1] ن: أو.
[2] جميع النسخ: أن يكون.
[3] ر ث م: مقرين.
[4] ن - خلق.
[5] ن: من حال إلى الحال الأخرى.
[6] ن: حال.
[7] جميع النسخ: فلا يتمكن. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٧١ط.
[8] ن: يتوهم.
[9] ن + بذلك كان.
[10] ن: ما ذكر.
[11] ر ث م: أن يكون؛ ن: أو أن يكون
[12] ن + سبب.
[13] ر م: من.
[14] م + من.
[15] ر ث م: من؛ ن: لمن. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٧١ط.
[16] ر ث م: وحدانية.

وشكر نعمه [و]من أبصر وحدانيته وقام بشكره. وكذلك ما ذكر من قوله: **والذين آمنوا وعمِلوا الصالحات ولا المسيء**، يقول: إذ[1] عرفتم أنه لا يستوي من[2] صدق[3] آخر وأحسن إليه [و]من[4] كذَّبه وأساء[5] إليه، فعلى ذلك لا يستوي من آمن بالله وصدقه وقابل[6] إحسانه بالشكر [و]من[7] كذّبه وكفر[8] نعمه وإحسانه.

وقال بعضهم: أراد بقوله تعالى:[9] **وما يستوي الأعمى والبصير**، حقيقة الأعمى عَمَى البصرِ[10] والبصيرَ[11] نفسَه. يقول: تعرفون[12] أنه لا يستوي الأعمى أعمى البصر البصيرَ نفسَه[13] في الدنيا، فعلى ذلك لا يستوي من عمي عن دينه [و]من أبصر في الآخرة. وقد عرفتم أنهم قد استوَوْا في هذه الدنيا، أعني[14] المسيء والمحسن، والصالح والمفسد، والمطيع والعاصيَ؛[15] وفي الحكمة التفريق بينهما. دل أن هناك دارًا[16] أخرى يُفرِّق بينهما فيها. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تتذكرون**، أي قليلا ما تتذكرون[17] أن لا استواء[18] بين من ذكر من[19] المحسن والمسيء والصالح، والمفسد والمطيع والعاصي.[20] ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: إذا؛ ث + قد.
[2] ر ث م + آمن بالله و.
[3] ر ث م: صدقه.
[4] ن: ممن.
[5] ر ث م: وأساءت.
[6] ن: قبل.
[7] ن: ممن.
[8] ر م: كفره.
[9] ن – أرد بقوله تعالى.
[10] ر م: حقيقة لا عمي البصر.
[11] ث: ولبصر.
[12] ر ث م: تعرفوا.
[13] ن – نفسه.
[14] ن – أعني.
[15] ن: المحسن والمسيء والصالح والعاصي.
[16] ن: دار.
[17] ن – أي قليلا ما تتذكرون.
[18] ر ث م: أن الاستواء.
[19] ن: بين.
[20] ن: من ذكر بين المحسن و مسيء وبين الصلح والعاصي.

**﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون،**[١] أخبر أنها آتية لا محالة.[٢] وقد ذكرنا[٣] إنما صار خلق الدنيا وما فيها حكمةً[٤] بالساعة، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها. ***والله أعلم.***

**﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٦٠]**

وقوله عز وجل: **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم،** إن كانت الآية في أهل الإيمان فقوله عز وجل: **ادعوني أستجب لكم،** يخرج على الاستغفار مرة،[٥] لما كان منهم من التضييع في حقوق الله تعالى وما أمرهم به ونهاهم عنه والتفريطِ في ذلك، يقول عز وجل:[٦] استغفروني[٧] أغفرلكم.[٨] ويحتمل[٩] **ادعوني أستجب لكم،**[١٠] اطلبوا مني التوبة عن ذلك أتوب عليكم. ***والله أعلم.*** وإن كانت الآية[١١] في أهل الكفر فيكون قوله: **ادعوني أستجب لكم،** أي وَحِّدُوني أَغفر لكم أو[١٢] اعبدوني أغفرلكم،[١٣] وهو كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١٤] وقد جاء في بعض الأخبار عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: **ادعوني أستجب لكم.**[١٥] وفي بعض الأخبار: «الدعاء مُخ العبادة».[١٦]

---

[١] ن + بها آتية كائنة.
[٢] ن – أخبر أنها آتية لا محالة.
[٣] ن + أنها آتية لا محالة.
[٤] ن: حكمها.
[٥] ر ث م: إن الآية نزلت في أهل التوحيد يقول ادعوني أستجب لكم ثم تخرج على الاستغفار مرة.
[٦] ر ث م – يقول عز وجل.
[٧] ر ث م: استغفرو .
[٨] ن: ستغفر لكم.
[٩] ن: أو يقول.
[١٠] ن – ادعوني أستجب لكم.
[١١] ن: وإن كان ذلك.
[١٢] ر ث م: ويحتمل.
[١٣] ن: يغفر لكم.
[١٤] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨). .
[١٥] سنن *ابن ماجة*، الدعاء ١؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن، ٢/١٦.
[١٦] سنن *الترمذي*، الدعوات ١.

وأصل هذا[1] أنه ينظر كل أحد إلى ما ارتكبه.[2] فإن كان شيئا[3] يستوجب به[4] العقوبة كان استغفاره القيامَ بقضاء ما تركه وضيّعه، والعزمَ على أن لا يعود إلى ذلك[5] أبدا. وإن كان شيئا[6] غيرَ معروفٍ تَرَكه،[7] يستغفر الله تعالى في ذلك، ويطلب منه التجاوز والمغفرة. ***والله أعلم.***
وأصل ذلك ما قال الله[8] تعالى: أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.[9] وقوله: فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي.[10] ذكر[11] الإجابة بالشريطة، وهو أنهم[12] إذا آمنوا به وأوفوا عهده يُوفِ لهم ذلك.[13] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**، استدل بعض الناس بهذه الآية[14] على أن قوله: **ادعوني**، إنما أراد به العبادة على ما ذكرنا.

فإن قيل: إن هذه السورة نزلت بمكة، وأهل مكة كانوا يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[15] وفي ظاهر ذلك أنهم لا يستكبرون[16] عن عبادته، لكنهم لم يروا أنفسهم أهلا[17] لعبادة الله فعبدوا غيره دونه، كمن يعظّم ويخدِم خادما مِن خَدَمِ مَلِك من ملوك الدنيا لا يكون مستكبرًا عن خدمة الملك.

---

[1] ن: واصه.
[2] ن: ارتكب.
[3] ر ث م: سببا.
[4] ن: يستوجبه.
[5] ن: أن يعود إلى ترك ذلك.
[6] ر ث م: سببا.
[7] ن + أن.
[8] ن – الله.
[9] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ (سورة البقرة، ٤٠/٢).
[10] ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).
[11] ن + له.
[12] ن – وهو أنهم.
[13] ن: بعهده توف لهم بذلك.
[14] ن: استدل بعض الفقهاء بهذا.
[15] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[16] ن: لم يستكبروا.
[17] ن: أهل العبادة.

لكن تأويل الآية يخرج على وجهين. أحدهما أن الله تعالى أمر عباده[١] بطاعة رسوله والإجابة له إلى ما يدعوهم إليه. فإذا لم يجيبوه إلى ما يدعوهم إليه و لم يطيعوه استكبارا منهم[٢] وتكبرا عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته.[٣] والثاني أنهم وإن كانوا[٤] عبدوا الأصنام رجاء أن يقربهم إلى الله زلفى و لم يقصدوا قصد الاستكبار عن عبادته، فهم حيث[٥] تركوا عبادته مع أنهم أمروا بها وبلغ إليهم أمره على ألسن الرسل،[٦] فكأنهم[٧] استكبروا عن عبادة الله تعالى.[٨] *إذ في الشاهد يخدم المرء بعض[٩] خواصّ الملك ليقربه إليه، لكن إذا أمره المَلِك أن يخدمه وقرّبه إلى مجلسه فامتنع يُعَدّ[١٠] ذلك منه استكبارا، وتَبَيَّن[١١] أن خدمته لذلك ما كان [٦٨٢و] ليقرّبه إلى الملك، حيث قرّبه فلم يتقرب،[١٢] ففي[١٣] الغائب كذلك، لذلك كان استكبارا منهم. **والله أعلم.**

وقوله: **سيدخلون جهنم داخرين**، قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: داخرين: صاغرين ذليلين.[١٤]*

**﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**[٦١]

وقوله عز وجل: **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا**، يُذكِّرهم نِعَمه التي أنعم عليهم يستأدي بذلك شكره، حيث قال: **جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**،

---

[١] ن: عبدة.
[٢] ن: عنه.
[٣] ث: عبادة لله.
[٤] ن: والثاني أنهم كانوا إنه.
[٥] ر ث م – حيث.
[٦] ن – مع أنهم أمروا بها وبلغ إليهم أمره على ألسن الرسل.
[٧] ن: كأنهم.
[٨] ن: عبادته.
[٩] جميع النسخ: لبعض.
[١٠] ن ر ث: يقدر.
[١١] ر ث م: يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٢و.
[١٢] ر م: فلم يقرب.
[١٣] ر م: نفي.
[١٤] انظر: تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٧.
* ما بين النجمتين لا توجد في نسخة ن.

راحةً لأنفسكم وأبدانكم. **والنهار مبصرا**، تُبصِرون فيه معاشكم وما تحتاجون إليه. ثم قوله: **والنهار مبصرا**، أي يُبْصَر به وفيه.[1] وقوله عز وجل: **إن الله لذو فضل على الناس**، أخبر أن ذلك كله منه هم فضل ومنة ورحمةٌ، لا باستحقاق يستحقون[2] ذلك قِبَلَه. **ولكن أكثر الناس لا يشكرون.**

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون**، يقول: ذلك الذي صَنَع[3] بكم هو ربكم لا الأصنامُ التي تعبدون من دونه. **خالق كل شيء**، هو خلقكم وخلق كل شيء، واحد لا شريك له. **فأنى تؤفكون** أي أنى[4] تصرفون وتَعدِلون عن عبادته والقيام بشكره. *والله أعلم.*

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون**، أي يُصرفون مثل ما يصرف الذين كانوا بآيات الله يجحدون[5] عن عبادته والقيام بشكره قبلكم.[6] وأصل الأَفْك الصرف،[7] كقوله: أَجِئتَنَا لِتَأْفِكَنَا،[8] أي لتَصرِفنا. *والله أعلم.*

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء**، يُذكِّرهم عِظَم[9] نِعَمه عليهم، حيث جعل لهم الأرض بحيث يَقِرُّون عليها ويَتعيَّشون فيها،[10] **والسماءَ بناءً**، عليهم،

---

[1] ن – وفيه.

[2] ن: يستحق.

[3] ن: ضيع.

[4] ر ن: أنا.

[5] ر ث م – أي يصرفون مثل ما يصرف الذين كانوا بآيات الله يجحدون؛ ن: يقول مثل الذي يصرف عن ذلك الذين كانوا جاحدين بآياته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨و.

[6] ن – عن عبادته والقيام بشكره قبلكم.

[7] والأفك: مصدر قولك أَفَكَه عن الشيء يأفِكه أَفْكًا: صَرَفه عنه وقلبه، وقيل: صرفه بالإفك (*لسان العرب*، «أفك»).

[8] ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الأحقاف، ٢٢/٤٦).

[9] ن: عظيم.

[10] ر م – فيها؛ ن + وقوله عز وجل.

حيث[١] لا يسقط عليهم، وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على[٢] بُعْد ما بينهما، ليُعلَم أن ذلك كله صنع واحدٍ.

وقوله: **وصوركم فأحسن صوركم**، يحتمل[٣] وجهين. أحدهما قوله: **فأحسن**. أي أحكم وأتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على ما أظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته. والثاني قوله: **فأحسن صوركم**. أي حَسَّنَ[٤] تركيبها مُنْتَصِبا قامَتُها غيرَ مُنْكَبَّةٍ[٥] كسائر الصور التي خلقها مُنْكَبَّةً على وجهها.

وقوله عز وجل: **ورزقكم من الطيبات**، قال بعض أهل التأويل: أي رزقكم من الحلال. لكن الأشبه[٦] أي رزقكم مِن أطْيَب ما أخرج من الأرض، لأن الله تعالى أخرج من الأرض نباتا مختلفا،[٧] جعل أطْيَبه وأليَنه رزقا للبشر، وسائرَه رزقا للدواب. وقوله: **ذلكم الله ربكم**،[٨] ذلك الذي صَنَع بكم هذا هو ربّكم[٩] لا الأصنامِ التي تعبُدونها.[١٠] **فتبارك الله رب العالمين.**

**﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٦٥]

وقوله عز وجل: **هو الحي لا إله إلا هو**، قال أهل التأويل: الحي هو[١١] الذي لا يموت أبدا، لكن هذا مما يعرفه كل أحد. وأصل الحي هو النهاية والغاية في الثناء عليه والمدح، لأن[١٢] كل شيء يبلغ في الانتفاع به غايته يسمَّى[١٣] حيا، نحو الأرض والأشجار وكل شيء يبلغ في الانتفاع به غايته.[١٤] *والله أعلم*.

[١] ن: بحيث.
[٢] ر + ما.
[٣] ن + هذا.
[٤] ن: من حسن.
[٥] ن: منكب.
[٦] ن – قال بعض أهل التأويل أي رزقكم من الحلال لكن الأشبه.
[٧] ر ث م: مختلفة.
[٨] ن + يقول.
[٩] ر ث م: ربك.
[١٠] ن: يعبدونها.
[١١] ن – هو.
[١٢] ر م: لا.
[١٣] ن: سمي.
[١٤] جميع النسخ: عاينه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨ظ.

وقوله: **لا إله إلا هو**، الإله[1] هو المعبود في لسان العرب، ويُسمِّي العرب كل معبود إلها، كأنه يقول: لا إله ولا معبود[2] يستحق العبادة إلا هو.

وقوله عز وجل: **فادعوه مخلصين له الدين**، أي ادعوه بإخلاص[3] الدين له. ثم يحتمل قوله: **فادعوه مخلصين**، وجهين. أحدهما أي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره، من نحو ما كانوا يعبدون الأصنام دونه رجاء الشفاعة لهم وتقريبهم إليه. يقول:[4] أخلصوا العبادة والدين؛ والإخلاص هو التصفية له. والثاني ادعوه على حقيقة الدعاء له والتسمية، كأنه يقول -والله أعلم-: ادعوه وسَمُّوه إلها، لا تدعوا ولا تُسمّوا غيره[5] إلها، لأنهم كانوا يسمّون ويدعون الأصنام التي عبدوها آلهة.

وقوله عز وجل: **الحمد لله رب العالمين**، قال الحسن: هذا على التعليم منه لخلق [أن يقولوا] «الحمد لله».[6] ويحتمل أن يكون قوله: **الحمد لله**،[7] أي الحمد لله رب العالمين على خلقه بما[8] أنعم عليهم وصنع إليهم. ***والله أعلم.***

**﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٦٦]

وقوله عز وجل: **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي**، كأنّ الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم[9] إلى عبادة ما عبدوا هم من الأصنام، فقال: إني نُهيت عن ذلك. وهو كما[10] ذُكِر في غير آي من القرآن، حيث قال:[11]

---

[1] ر ث م - الإله.

[2] ن: لا إله إلا هو أي ولا معبود.

[3] ن: بالإخلاص.

[4] ر ث م - يقول.

[5] ر ث م: غيرا.

[6] لم أجده مرويا عن الحسن في المراجع، لكن الطبري روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير نحو هذا. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٣٥٧-٣٥٨.

[7] جميع النسخ - قال الحسن هذا على التعليم منه لخلق الحمد لله ويحتمل أن يكون قوله الحمد لله. والزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨ظ.

[8] ن: لما.

[9] ن: كأنهم دعوه.

[10] ن: ما.

[11] ن + لما جاءني البينات من ربي.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ،[١] وقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[٢] وغير ذلك من الآيات.

وقوله: **لَمَّا جَاءَنِيَ البيناتُ من ربي.** *يحتمل وجهين. [أحدهما] إن كان المراد من البيّنات القرآنَ أو الآياتِ التي نزلت معجزة له، على[٣] ما قاله أهل التأويل، فهو على التأكيد والإبلاغ، وإن كان[٤] النهي عن عبادة غير الله تعالى والشرك بالله لازما قبل مجيء الرسل وما أتوا من البينات، على ما تقدم. ***والله أعلم.*** والثاني يحتمل قوله: **لَمَّا جاءني البينات من ربي،** العقل، وما يعرف[٥] به ذلك،* ويكون قوله: **جاءني،** أي ظهر لي؛[٧] كقوله تعالى: جَاءَ الْحَقُّ،[٨] أي ظهر الحق. ***والله أعلم.***

وقوله: **وأُمرتُ أن أُسْلِمَ لرب العالمين،** أي أمرت أن أجعل الخلق وكل شيء لله سالما خالصا، لا أشرك فيه[٩] غيره. ***والله الموفق.***

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة،** يُذكِّرهم الوجوه / التي بها يُوصَل إلى معرفة شكر ما أنعم عليهم، حيث[١٠] قال: **هو الذي خلقكم من تراب،** [٦٨٢ظ] أي خلق أصلكم من تراب. **ثم من نطفة،** أي خلقكم من نطفة. يُذكِّرهم[١١] هذا ليُعلِم خلقُه إياهم من تراب؛ أعني خلق أصلهم ليس باستعانة منه بذلك التراب؛ لأنه لو كان على الاستعانة منه به[١٢]

---

[١] سورة الزمر، ٣٩/١١.
[٢] ﴿قل إني أُمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكوننّ من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤).
[٣] ر م: وعلى.
[٤] جميع النسخ: فإن كان.
[٥] ر م: ولم يعرف.
* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن (ورقة ٦٢٧ظ/سطر ٣٣-٣٥) هكذا: إن كان القرآن و الآيات التي نزلت على ما قاله أهل التأويل في التأكيد و الإبلاغ وإن كان النهي كان قبل مجيء البينات من ربي العقل وما به يعرف ذلك.
[٧] ن - لي.
[٨] ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨١).
[٩] ر ث م: فيه.
[١٠] ر ث م - حيث.
[١١] ن: يذكر.
[١٢] ر م - به.

لكان لا معنى لخلق أنفسهم من الماء على الصورة التي خلق[١] من تراب وعلى جنسه. إذ ليس في الماء من آثار التراب شيء، ولا في الماء والنطفة من آثار العلقة شيء، ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء[٢] من اللحم والعَظم والجلد والشَّعْر وغير ذلك.[٣] لأنه[٤] ليس في التراب معنى الماء، ولا في الماء معنى التراب. ولو كان على الاستعانة بذلك لكان[٥] المخلوق من أحدهما لا يكون مثل المخلوق من الآخر[٦] في تركيبه وتصويره. وهما مما يختلفان في أنفسهما.[٧] وكذلك ما ذكر من تقليبه[٨] من حال إلى حال وتبديله من نوع إلى نوع، وليس في كل حال الخلق التي[٩] تُقلَّب إليها من الحال التي كانت[١٠] شيء ولا من شِبْهِها،[١١] ليُعْلَم أن كل ذلك[١٢] إنما كان بقدرة ذاتية وعلم ذاتي وتدبير ذاتي[١٣] كذلك، لا باستعانةٍ بشيء[١٤] مما ذكر، ولا سببٍ له في ذلك، ولكن كان[١٥] لمعنى جعَل[١٦] فيه، كان ذلك كذلك بوجود[١٧] ذلك المعنى في الكل.[١٨] *والله أعلم*.[١٩]

---

[١] ن: خلقه.
[٢] ث – ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء.
[٣] ن – إذ ليس في الماء من آثار التراب شيء ولا في الماء والنطفة من آثار العلقة شيء ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغير ذلك.
[٤] ر ث م – لأنه.
[٥] ن + الخلق.
[٦] ر م: الآخرة.
[٧] ن: وهما يتضادّان.
[٨] ر ث م: تقلبه.
[٩] ر ث م – الخلق التي.
[١٠] ن: إليها من ذلك.
[١١] ن: من شبهة.
[١٢] ن: ذلك كله.
[١٣] ن – ذاتي.
[١٤] ر ث م: شيء.
[١٥] ن – كان.
[١٦] ن: حصل.
[١٧] ن: لوجوه.
[١٨] ر ث م – في الكل.
[١٩] ن + إذ ليس في التراب من آثار الماء والنطفة شيء ولا في النطفة من آثار العلقة شيء ولا في العلقة من آثار الطفولية والإنسان شيء من اللحم والعظم والشعر والجلد وغير ذلك ليعلم ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ثم لِتَبلُغوا أَشُدَّكم**، أي تبلغوا حتى يَشتدَّ كل شيء منه من[١] البِنيَة والعقل وغير ذلك. وقوله: **ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل**، أي منكم *من يتوفى من قبلِ أنْ[٣] يبلغ شيخا. وقوله: **ولتبلغوا أجلا مسمًى**، أي لتبلغوا الأجل الذي جُعل لكم. وقوله: **لعلكم تعقلون**، أي تعقلون ما بيَّن لكم وذَكر لكم.

**﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦٨]**

وقوله: **هو الذي يحي ويميت**، أي وهو الذي يخلق حياة كل شيء ويخلق موت كل شيء. وعلى قول المعتزلة يجوز أن يُسمَّى كلّ عبد محييا مميتا، لقولهم: إن القتيل ليس بميّت بأجله، بل يُميته[٤] القاتل، وقولهم: إن المتولِّدات من الفعل هو فعل ذلك الفاعل. فعلى قولهم هذا يجوز تسمية كل أحد مُحييا [و]مُميتا.

وقوله عز وجل: **فإذا قضى أمرا فإنما [يقول له كن فيكون]**، يُترجم بقوله: **كن**، من غير أن كان منه كاف ونون،[٥] فذلك تكوينه. ***والله الموفق***. وقد ذكرنا هذا فيما تقدّم على الإبلاغ.[٦]

**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[٦٩]**

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله**، قوله: **ألم تر**، هو على حقيقة الرؤية والنظر. ويحتمل **ألم تر**، ألم تعلم؛ معناه ألم تعلم سَفَه الذين يجادلون في آيات الله، أو جَهْل الذين يجادلون في آيات الله، أي في دفع آيات الله والطعن فيها بلا حجة، على ما تقدم ذكره في قوله: [اَلَّذِينَ] يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ،[٧] فعلى ذلك هذا. وقوله عز وجل: **أنى يُصْرَفون**، أي أيَّةُ حجةٍ تَصرِفهم أو صَرَفتهم عن آيات الله، أو مِن أين يُصرَفون ويُعرِضون عن آيات الله بعد ما تقرر عندهم أنها آيات الله. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: في.

* ابتداء من هنا إلى أواخر تفسير الآية ٧٠ من هذه لسورة لا توجد أي عبارة في نسخة ن غير «على الابتداء في قوم آخرين على غير تفسير للأول»؛ ويبدو أنه من خطأ ناسخ نسخة جار الله، إذ ناسخ نسخة ن استنسخ سورة المؤمن كلها من نسخة جار الله. انظر: نسخة ن، ورقة، ٦٢٨و/سطر ٧؛ ونسخة جار الله، ورقة ١٥٤ظ/سطر ٥.

[٣] م: أي

[٤] ر م: ميته

[٥] ن ك: أو نون.

[٦] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسة» في أواخر المجلدات، «التكوين».

[٧] الآية ٣٥ من هذه السورة.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، جائز أن يكون قوله: **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، تفسيرَ مجادلتهم التي ذكَر في دفع آيات الله. وجائز أن يكون قوله: **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، أي الذين كذبوا[1] بالكتاب الذي أتاهم الرسل به، وكذبوا **بما أرسلنا به رسلنا**، أي كذبوا أيضا بما أمَر بهم الرسل بالوحي من غير كتاب. إذ الوحي نوعان: متلوّ وغير متلوّ، فلم يكن قوله: **وبما أرسلنا**، تفسيرا للكتاب. وعلى التأويل الأول، قوله: **وبما أرسلنا به رسلنا**، أي الكتابِ، فيكون تفسيرا له. ***والله أعلم***. وقوله: **فسوف يعلمون**، وعيد لهم،[2] أي سوف يعلمون علم عِيان بعدما علموا علم خبرٍ. ***والله أعلم***.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[٧١] ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم**، ذُكر أن في[3] السلاسل ثلاثَ لغاتٍ: الرفع والنصب والخفض. فمن رفعها يقول: معناه إذ[4] جُعِل الأغلال والسلاسل في أعناقهم يُسحَبون بها في الحميم، أي يُجَرُّون فيها.[5] ومن قال بالخفض فتأويله: إذ الأغلال في أعناقهم وفي السلاسل، أي تجعل[6] الأغلال في السلاسل ثم في أعناقهم،[7] فيُسحَبون بها في الحميم. ومن قال بالنصب كأنه قرأ: إذ الأغلال في أعناقهم،[8] والسلاسلَ يَسْحَبون في الحميم، أي يَسحَبون السلاسلَ في الحميم.[9] وقوله: **يُسحَبون**، أي يُجَرُّون. **والحميم**، قد مَرّ تأويله،[10] وهو ما يُشرَب منه قد انتهى حَرُّه غايتَه.[11]

---

[1] م – وبما أرسلنا به رسلنا أي الذين كذبوا.
[2] ن – وعيد لهم.
[3] ن – في.
[4] ن – معناه إذ.
[5] ر ث م – أي يجرون فيها.
[6] جميع النسخ: يجعل.
[7] ر ث م – ثم في أعناقهم.
[8] ن – كأنه قرأ إذ الأغلال في أعناقهم.
[9] ن – أي يسحبون السلاسل في الحميم.
[10] انظر: تفسير الآية ٧٠ من سورة الأنعام (*تأويلات القرآن*، ٥/١٠١-١٠٢).
[11] ر م: غاية.

وقوله: **ثم في النار يُسجَرون**، أي يُوقَدون. ذكر ما يسقَون فيها وهو الحميم، وذكر ما يُحرَقون به. قال أبو عَوْسَجَة: **يُسحَبون**، أي يُجَرُّون؛ وصرفه سَحَب يَسحَب سَحْبا،[1] أي جَرَّ يجُرّ.[2] وقوله: **يُسجَرون**، أي يُوقَدون [بها]،[3] يقال: سَجرتُ التَّنُّور[4] أي أوْقَدْتُ فيه، وصرفه سَجَر يَسجُر سَجْرا.

**﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[٧٣] ﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾[٧٤]**

وقوله: **ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله**، ظاهر هذه الآية أن هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار، لأنه ذُكِر على إثْر قوله: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ.[5] فظاهرها[6] أن قوله: **ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله**، بعد دخولهم / النار.[7] وظاهر قوله بعد هذا متصلا به:[8] أُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ؛[9] على[10] أن ذلك القول إنما يقال[11] لهم قبل[12] أن يدخلوا النار. [٦٨٣و]

وقوله عز وجل: **قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، هذا القول منهم يخرج على وجهين. أحدهما على إنكارهم وجحودهم عبادة الأصنام التي عبدوها في الدنيا وأشركوها إياه[13] في ألوهيته. وهو[14] كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[15]

---

[1] ر م: وصرفه يسحب إسحابا.
[2] ر ث م – يجر.
[3] ر ث م: بها؛ ن: يوقدونهم.
[4] ر ث م – التنور.
[5] الآيتان السابقتان.
[6] ن: ظاهره.
[7] ن: في لنار.
[8] ن – بعد هذا متصلا به.
[9] الآية ٧٦ من هذه السورة.
[10] ن – على.
[11] ن – إنما يقال.
[12] ن: قيل.
[13] ن: وإشر كهم عيره.
[14] ن – وهو.
[15] سورة لأنعام، ٢٣/٦.

وكقوله:[1] ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾،[2] أنكروا ما كان منهم وأقسموا على ذلك. وهذا يدل على أن الآية لا تضطر[3] أهلها إلى قبول الآيات والتصديق لها، لأنهم أنكروا[4] أن يكونوا مشركين بعد ما عاينوا العذاب،[5] وظهر لهم خطأهم وكونهم على الباطل، ثم لم يمنعهم ما عاينوا من الكذب.

والثاني[6] قوله: **بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، ليس على الإنكار والجحود، ولكن لما رأوا أن عبادتهم الأصنام لم ينفعهم يومئذ، ولم يُغْنِهم عما نزل بهم، فقالوا[7] عند ذلك: **بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، أي إن[8] الذي كنا نعبده[9] في الدنيا كان باطلا لم يك شيئا، حيث لم ينفعنا ذلك في هذا اليوم. فإن كان تأويل الآية هذا، فهذا[10] يدل[11] على[12] أن قوله: **أين ما كنتم تشركون من دون الله**، بعد ما دخلوا النار. وإن كان تأويله الأول على[13] الإنكار والجحود فذلك يدل على أن ذلك القول[14] قبل[15] أن يدخلوا النار حين تشهد[16] عليهم الجوارح.[17] وذلك يقرر قوله:[18] ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾.[19] *والله تعالى أعلم*.

---

[1] ر م: بقوله.
[2] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).
[3] جميع النسخ: لا يضطر.
[4] ن + أنهم.
[5] ن – العذاب.
[6] ن – الثاني.
[7] ن: قالوا.
[8] ر ث م – إن.
[9] ن: نعبد.
[10] ن: فذلك.
[11] ر ث م: بها.
[12] ث ن – على.
[13] ن – على.
[14] ن – يدل على أن ذلك القول.
[15] ن: قيل.
[16] جميع النسخ: يشهد.
[17] ن + وإن كان التأويل هو الثاني فذلك بعد الدخول.
[18] ن: بدل قوله عز وجل.
[19] الآية ٧٦ من هذه السورة.

وقوله عز وجل: **كذلك يضل الله الكافرين**، أي هكذا يضل الله من علم منه اختيار الكفر والضلال، يضله. وهو كقوله: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[١] أي إذ[٢] علم منهم اختيار الانصراف صرفهم. وكذلك قوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[٣] أي إذ[٤] عِلِم منهم أنهم يختارون[٥] الزيغ أزاغهم. *والله أعلم*.

﴿ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[٧٥]

وقوله: **ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون**، أي ذلك[٦] جزاؤكم[٧] من النار[٨] بما كنتم[٩] تُسَرُّون في الدنيا[١٠] بالباطل. إذ هم[١١] كانوا كذلك[١٢] في الدنيا يفرحون ويُسَرُّون على كونهم[١٣] على الباطل. وقيل: **تفرحون**، أي تَبطَرون،[١٤] لكن هو على الفرح والرضاء بما اختاروا لأنفسهم.[١٥] وقوله: **وبما كنتم تمرحون**، أي وبما كنتم تتكبرون، كذلك كانوا يُسرون وَيرضَون بكونهم على الباطل، ويتكبرون[١٦] بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. والمرح التكبر،[١٧] وهو كقوله: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا،[١٨] أي تكبرا.[١٩]

---

[١] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة نَظَر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ١٢٧/٩).
[٢] ن – إذ.
[٣] سورة الصف، ٥/٦١.
[٤] ن: إذا.
[٥] ر م: يختار.
[٦] ن + الذي.
[٧] ر ث م: جزيتكم.
[٨] ن: في لدنيا.
[٩] ن + تفرحون أي.
[١٠] ن: في لأرض.
[١١] ن – إذ هم.
[١٢] ن: كذلك كانو .
[١٣] ن: على كذبهم.
[١٤] وهو شدة المرح (*لسان العرب*، «بطر»).
[١٥] ن – وقيل تفرحون أي تبطرون لكن هو على الفرح والرضاء بما اختاروا لأنفسهم.
[١٦] ر ث م: وينكرون.
[١٧] ن: المنكر.
[١٨] سورة الإسراء، ٣٧/١٧.
[١٩] ن: منكر .

﴿أُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٧٦]

وقوله: **ادخلوا أبواب جهنم**، الآية؛ وقد ذكرنا فيما تقدّم.[١]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[٧٧]

وقوله: **فاصبر إن وعد الله حق**، قد ذكرنا هذا[٢] أيضا.[٣] وقوله: **فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون**، كأنه كان[٤] يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول ما وعد لهم ويخطر ذلك بباله، ويطمع[٥] ذلك، فنهاه عن توقع نزول العذاب الذي[٦] وعد لكفرة في الوقت الذي يطمع فيه، وعن الخطر[٧] بباله النصر له وإهلاكَ أولئك في الوقت الذي يتوقع. كأنه[٨] يقول: إن شئنا أريناك بعض الذي نعدهم،[٩] وإن شئنا توفيناك ولم نُرِك[١٠] شيئا. وهو كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ.[١١] وإلا ظاهر قوله: **فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك**،[١٢] حرف شك لا يحتمل ذلك من الله[١٣] تعالى، إذ هو يعلم أنه يفعل ذا[١٤] أو لا يفعل أو يكون ذا أو لا يكون. لكن[١٥] الوجه فيه ما ذكرنا أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه[١٦] يطمع نزول ما وعد ويتحدَّث نفسه بذلك، فيقول له: ليس ذلك إليك إنما ذلك إلينا، على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ن: خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قد ذكرنا هذا. انظر: تفسير الآيتين ٧١-٧٢ من هذه السورة.
[٢] ن - هذا.
[٣] انظر: تفسير الآية ٥٥ من هذه السورة.
[٤] ر ث م: قال.
[٥] ن: ويطمعه.
[٦] م - الذي.
[٧] ن: فنهاه عن طمع ذلك ونزوله في الوقت الذي يطمع ويخطر.
[٨] ن - في الوقت الذي يتوقع كأنه.
[٩] ن: وعدناهم.
[١٠] ر ث م: ولم نترك.
[١١] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).
[١٢] ن + هو.
[١٣] ن: منه.
[١٤] ن - إذ هو يعلم أنه يفعل ذا.
[١٥] ن: ولكن.
[١٦] ر ث م - كأنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «هذه الآية من المكتوم»،[١] لأن ظاهره شك. وفي[٢] الآية دلالة الرسالة له،[٣] لأنها[٤] خرجت مخرج العتاب لنبي صلى الله عليه وسلم[٥] والتوبيخ له.[٦] ثم أظهر ذلك[٧] على الناس، والسبيل في مثله في عرف الناس الإخفاء والإسرار عن الناس،[٨] فدل[٩] أنه إنما أظهره لهم[١٠] للأمر بالتبليغ.[١١] وكذلك في قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ،[١٢] إذ المرء لا يُظهِر مثل ذلك من غير أمر وتكليف ممن وجب عليه طاعته.[١٣] ***والله الموفق.***

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾**[٧٨]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك**، يقول: لست أنت بأول رسول أُرسِلتَ إليهم فاستبعدوك وأنكروك وكذبوك، بل قد[١٤] أُرسِل إلى الأمم السالفة رسل مثل ما أُرسلت أنت إلى هؤلاء.

---

[١] نقل المفسرون هذه العبارة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير كثير من الآيات المتشابهة؛ وهو يريد المكتوم الذي لا يفسَّر، كما كانت في الحروف المقطعة؛ ولم يزل السلف في هذا وأمثاله يؤمنون ويَكِلُون فهم معناه إلى علم المتكلم به وهو الله تعالى، ولكن المتأخرين يرجحون التأويل. والإمام الماتريدي يأوّل الآية كما ترى وينقل الرواية عن ابن عباس قولا، ولكن لم أعثر عليها في كتب التفاسير والأحاديث في سياق تفسير هذه الآية خاصة ولتفسير آية أخرى. انظر مثلا: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٩٨/٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان الأندلسي، ١٣٣/٢.

[٢] ن + هذه.

[٣] ر ث م – له.

[٤] ن: أنها.

[٥] ن: له.

[٦] ن – له.

[٧] ن: أظهره.

[٨] د: على الناس.

[٩] د: فإذا أظهر ذلك للناس دل.

[١٠] ر ث م: أظهر عليهم.

[١١] ن + تبليغ الرسالة.

[١٢] سورة آل عمران، ١٢٨/٣.

[١٣] ن – إذ المرء لا يظهر مثل ذلك من غير أمر وتكليف ممن وجب عليه طاعته.

[١٤] م ر ث – قد.

وقوله: **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**، في الآية[1] دلالة أنا لم نؤخذ بمعرفة أعين[2] الرسل وأساميهم على التعيين.[3] إنما أُخذ علينا معرفتهم على الإجمال وتصديقُهم في جميع ما أخبروا عن الله من غير أن نَعرف[4] أنفسهم وأساميهم.[5] كما أنا لا نُؤخذ[6] بالإيمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنه[7] على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن[8] على الجملة.[9] وعلى هذا قلنا:[10] إن[11] الإيمان برسول واحد[12] من الرسل إيمان بجميع الرسل إذا لم[13] يوجد منه[14] الإنكار لغيره من الرسل[15] على الجملة أو التعيين.[16] وكذلك الإيمان بالله[17] إيمان بالرسل جميعا، لأن الإيمان بالله إيمان بأمره ونهيه،[18] فيكون إيمانا بمن جاء[19] الأمر والنهي على يده.[20]

*والله الموفق*.[21]

---

[1] ن: فيه.

[2] ن: اعني.

[3] ن – على التعيين.

[4] ن: إنما أخذ علينا معرفتهم بوخبار صدقهم وتصديقهم على الخبر وإن لم نعرف.

[5] ر ث م – إنما أُخذ علينا معرفتهم على الإجمال وتصديقهم في جميع ما أخبروا عن الله من غير أن نعرف أنفسهم وأساميهم. والزيادة مع التصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[6] ر م: نأخذ.

[7] ر: علمه.

[8] ر ث: لث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[9] ن – كما أنا لا نؤخذ بالإيمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن على الجملة.

[10] ن: وكذلك.

[11] ن – إن.

[12] ن – واحد.

[13] ر ث: إذ المرء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[14] ن: إذا لم يكن.

[15] ر ث – من الرسل.

[16] ن – من الرسل على الجملة أو التعيين.

[17] م – بجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن على الجملة وعلى هذا قلنا إن الإيمان برسول واحد إيمان بجميع الرسل إذا لم يوجد منه الإنكار لغيره على الجملة أو التعيين وكذلك الإيمان بالله. صح هـ.

[18] ن + فإذا آمن بأمره يكون إيمانا برسله.

[19] ث: بما جاء.

[20] ن – فيكون إيمانا بمن جاء الأمر والنهي على يده.

[21] ن + وكذلك الإيمان برسول من الرسل إيمان بجميع الرسل إذا لم يكن الإنكار لغيره من الرسل.

وقوله: **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، كأنهم سألوه أن يأتي بآية بعد آية وآية[١] عقى إثر آية أخرى، فقال عند سؤالهم ذلك: **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، [٦٨٣ط]
أي ليس لرسول أن يأتي الآية على شهوته أو على شهوة السائل. وهذه الآية تدل[٢] على نقض قول الباطنية، فإنهم[٣] يقولون: إن في[٤] أنفس الرسل جواهرَ روحانية يأتون بها الآية حيث شاءوا وكيف شاءوا، أو كلام نحوه.[٥] فكان للرسل عندهم بسبب الجواهر[٦] الروحانية التي فيهم قدرةُ إتيان الآيات كيف شاءوا من غير إذن من الله تعالى، ومن غير سؤال منهم إياه في وقت الإتيان.[٧] ولو كان الأمر[٨] على ما قالوا لم يكن لقوله: **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، معنى؛ وإنه مخالف للآية، فإن فيها[٩] إخبارا أنه لا يأتي الرسل بالآيات إلا بإذن من الله تعالى.[١٠] ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **فإذا جاء أمر الله قُضي بالحق وخسِر هنالك المبطلون**، أي إذا جاء الأمر بعذاب الله،[١١] أو إذا جاء الأمر بموعود الله. يُعبّر بالأمر عن الموعود الذي أُوعِدوا. وقد ذكرنا معنى الخسران فيما تقدم.[١٢]

**﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾[٧٩] ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾[٨٠]**

وقوله: **الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**، ذكَّرهم بهذه الآية وبالآية[١٣] التي تقدم ذكرها وجهين. أحدهما يذكّرهم النعمة التي أنعمها عليهم، حيث قال:

---

[١] ر ث م – وآية؛ ن: وأنه.
[٢] ر ث م: يدل.
[٣] ن: تدل على بعض قول الباطنية لأنهم.
[٤] ر ث م – في.
[٥] ر ث م – أو كلام نحوه.
[٦] ر م: الجوهر.
[٧] ن – فكان للرسل عندهم بسبب الجواهر الروحانية التي فيهم قدرة إتيان الآيات كيف شاءوا من غير إذن من الله تعالى ومن غير سؤال منهم إياه في وقت الإتيان.
[٨] ن – الأمر.
[٩] ن – وإنه مخالف للآية فإن فيها.
[١٠] ن: أخبر أنه إذا أمره وأذن له فعند ذلك يأتي به.
[١١] ن – الله.
[١٢] انظر: تفسير الآية ١١٩ من سورة النساء والآية ١١ من سورة الحج.
[١٣] ن: ذكرهم بهذه الآيات.

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ[1] وقال: [اَللهُ الَّذِي] جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ،[2] ثم قال هاهنا: **جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**، ذكَّرهم أولا بدء إنشائهم، حيث قال: هُوَ الَّذِي[3] خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ،[4] إلى آخر ما ذكر. وفيه دلالة وحدانيته وعلمه وتدبيره وقدرته. ثم ذكَّرهم من بعدُ نِعَمه[5] إلى آخره،[6] يستأدي بذلك[7] شكره وحمده على ذلك، هذا وجه.

والثاني يُذكِّرهم أنه إنما[8] أنشأ هذه الأشياء التي ذكرها وعدَّها عليهم للبشر لم يُنشئها لأنفسها ولكن لهم،[9] كأنه[10] يقول[11] -والله أعلم-: قد أنشِئت هذه الأشياء لكم لتنتفعوا بها وتستعملوها[12] كيف شئتم، فما بالكم أشدُّ إنكارا وكفرا بالنعمة من غيركم من العالَم؟ وسائر العالم أشد خضوعا واستسلاما لنعمه والقيام بشكرها له.

ثم في الآية دلالة[13] نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس لله تعالى أن يُؤْلِم طفلا ولا نَعَما[14] إلا بعوض يُعوِّضه.[15] ثم لا شك أن ما سخر من الأنعام والدواب للبشر ومكّن لهم استعمالها والانتفاع بها بأنواع[16] المنافع أنها يتأذى ويتألم[17] بذلك. فيجب على قولهم أن لا يكون لله تعالى

---

[1] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).
[2] سورة المؤمن، ٦٤/٤٠.
[3] ر م - قال هو الذي.
[4] ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يُخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدَّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يُتَوَفَّى مِن قَبلُ ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (سورة المؤمن، ٦٧/٤٠).
[5] ر م: نعمة.
[6] ن: إلى آخر هذا؛ ث: إلخ.
[7] ث: بذاك.
[8] ن: لما.
[9] ر ث م - ولكن لهم.
[10] ن - كأنه.
[11] ن: فيقول.
[12] ر ث م: تنتفعون بها وتستعملونها.
[13] ر ث م - دلالة.
[14] ن: ولا أنعاما.
[15] ر ث م: يعوضها.
[16] ر ث م: أنواع.
[17] ن: إنما يتألم ويتأذى.

أن يُؤْلِمَ[1] إلا بعوض ترضى[2] به هذه الأشياء، إذ هكذا حكمُ كل مجعول بعوض[3] أن يُشترط رضا أربابها[4] في العوض؛ وإذا لم يكن هذه الأشياء من أهل الرضا يجب[5] أن لا يجوز التعويض. فدل أن ذلك بناءً على ما قلنا من أن الأصلح ليس بواجب. *والله الموفق*.[6]

ثم جعل[7] منافعها مختلفة: منها الركوب ومنها الأكل وغير ذلك من الانتفاع بصوفها[8] ووَبَرها، وما أعطاهم[9] أيضا من السُّفُن يركبون بها البحار ليصلوا إلى حوائجهم في الأمصار[10] التي[11] بعدت منهم[12] ونأت[13] فضلا منه ومنّةً، فذلك قوله: **ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحمَلون**.

**﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾[٨١]**

وقوله: **ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون**، يحتمل أنه أراهم آيات وحدانيته وألوهيته وأراهم[14] آيات نعمه وإحسانه[15] إليهم ونحوها،[16] يقول: فأيَّ آيات الله[17] [التي] أراكم تنكرونها[18] أنها ليست من الله تعالى.

---

[1] ن: فيجيء أن يكون عى قولهم أن ليس أن يؤلم.
[2] جميع لنسخ: يرضى.
[3] ن – ترضى به هذه الأشياء إذ هكذا حكم كل مجعول بعوض.
[4] ن: بشرط رضاء أربابها والله أعلم.
[5] ر ث م: بحيث.
[6] ن – وإذا لم يكن هذه الأشياء من أهل الرضا يجب أن لا يجوز التعويض فدل أن ذلك بناء على ما قلنا من أن الأصلح ليس بواجب والله الموفق.
[7] ن + منه.
[8] ن: من صوفها.
[9] ر ث م: وما أعطى لهم.
[10] ن – في الأمصار.
[11] ن: في حيث.
[12] ن: عنهم.
[13] ن: بات.
[14] ن: أو أراهم.
[15] ن + وآيات إحسانه.
[16] ن: نحوه.
[17] ن + ينكرون التي.
[18] ر م: ينكرونها؛ ن: ينكرون.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم،** قد ذكرنا معناه[١] في غير موضع.[٢] وقوله: **كانوا أكثر منهم وأشد قوة،** أي كانوا أكثر عددا منكم وأشدّ في القوة والبطش. وقوله: **وآثارا في الأرض،** أي أكثر أعمالا[٣] منكم.[٤] ثم كانت عاقبتهم الهلاك والاستئصال. وقوله: **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون،** يقول: لم يُغنِ عنهم كثرة العدد والحَشَم والأموال ولا قوةُ الأبدان في دفع العذاب عن أنفسهم، فأنتم يا أهل مكة أحق أن لا تقدروا على دفع العذاب عن أنفسكم إذا نزل بكم مع ضعفكم وقلة عددكم. *والله أعلم.**

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم،** يحتمل قوله: **فرحوا بما عندهم من العلم،** وجهين. أحدهما أي فرحوا بما عندهم أنه علم،[٦] وليس[٧] هو في الحقيقة علم، لكن عندهم أن ذلك عِلْم. وهو كقوله: وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[٨] أي انظر إلى إلهك الذي هو عندك إله. وإلا لم يكن ذلك عند موسى عليه السلام إلها،[٩] ولكن ذَكَر على ما عند ذلك الرجل للتعريف. فعلى[١٠] ذلك قوله: **فرحوا بما عندهم من العلم،** أي بما هو[١١] عندهم أنه علم، وإن لم يكن في الحقيقة علما.[١٢] *والله أعلم.*

[١] ن: معنى هذا.
[٢] انظر مثلا: سورة يوسف، ١٠٩/١٢.
[٣] ن + وأشد قوة.
[٤] ن – منكم.
* وقعت هنا قطعات من تفسير الآيات السابقة برقم ٥٦، ورقم ٦٠، ورقم ٧٦، ورقم ٨١ في نسخة ن، ورقة ٦٢٨ظ/سطر ٣٥-٦٢٩و/سطر ٢؛ ووردت بعضها مكررة بعد ورودها في مواضعها.
[٦] ن: بما هو عندهم علم.
[٧] ن + وأنه ليس.
[٨] سورة طه، ٩٧/٢٠.
[٩] ن: إله.
[١٠] ن: ولكن ذكر بما عنده فعلى ذلك.
[١١] ر ث م – هو.
[١٢] ن: وإن لم يكن ذلك الحقيقة علم.

والثاني يحتمل أن يكون على حقيقة العلم، وذلك من أهل الكتاب.[١] قد كان من أهل الكتاب الإيمان بما عندهم من الكتاب، وهو على الحقيقة علم[٢] لا شك فيه.[٣] لكنهم لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا بها لم ينفعهم إيمانهم بما عندهم من العلم،[٤] كقوله تعالى: [٦٨٤و] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ [مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ]،[٥] كان إيمانهم بما أنزل عليهم[٦] حقا،[٧] لكنهم لمّا كفروا بغيره أبطل ذلك الكفر إيمانَهم بالذي أنزل عليهم.[٨] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**، أي يحق بهم[٩] العذاب بما كانوا يستهزءون بالرسل.[١٠]

**﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[٨٤] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٨٥]**

وقوله: **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما[١١] يحتمل أن يكون[١٢] هذا القول منهم وما ذكر من الإيمان منهم إذا رأوا بأس الله بعد وفاتهم في قبورهم، أي عذابَ الله.[١٣] فإن كان التأويل هذا فهذا يدل على عذاب القبر لمن شاء الله تعالى في حقه العذاب.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ن - يحتمل أن يكون على حقيقة العلم وذلك من أهل الكتاب.
[٢] ن: وهو العلم على الحقيقة.
[٣] ن - فيه.
[٤] ن - من العلم.
[٥] سورة البقرة، ٩١/٢.
[٦] ر ث م: إليهم.
[٧] جميع النسخ: حق. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠ظ.
[٨] ر ث م: إليهم.
[٩] ر ث م: يحويهم
[١٠] ر ث م: الرسل.
[١١] ر ث م - أحدهما.
[١٢] ن - يحتمل أن يكون.
[١٣] ن - أي عذاب الله.
[١٤] ن: فإن كان هذا منهم بعد الوفاة فهذا يدل لمن يقول بعذاب القبر.

والثاني[١] يحتمل أن يكون ذلك منهم في حياتهم حين[٢] رأوا بأس الله في الدنيا آمنوا بما ذكر.[٣] فإن كان ذلك في الحياة فلم ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت،[٤] كما قال الله تعالى: **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**. وقد تقدم ذكر هذا في سورة يونس على الاستقصاء.[٥] *والله أعلم*.

وقوله: **سنة الله التي قد خلت في عباده**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما قوله: **سنة الله**، أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده في[٦] أن[٧] لا يُقبَل الإيمان عند رؤية بأس الله ومعاينة عذابه. والثاني أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده من التعذيب والانتقام من مكذبي الرسل في الدنيا واستئصالهم. يُخوِّف أهل مكة بما نزل بأولئك[٨] ليحذروا مثل صنيعهم. وقوله عز وجل: **وخسر هنالك**، أي خسر عند ذلك، **الكافرون**. ***وبالله العصمة والنجاة***.

---

١ ن: والله أعلم ويحتمل.

٢ ن – حين.

٣ ر ث م: ذكروا.

٤ ن + بما رفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة فلم يقبل منهم ذلك لما علم أن إيمانهم إيمان دفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة وقيل من قوم يونس لما آمنوا عند معاينتهم العذاب لما علم منهم تحقيق الإيمان فقبل والله أعلم والثاني لم ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت لأن أنفسهم قد خرجت من أيديهم في ذلك الوقت فلم يقبل منهم ذلك بعد خروج أنفسهم من أيديهم ومن ملكهم والله أعلم. انظر: تفسير الآية ٩٨ من سورة يونس.

٥ ن – كما قال الله تعالى وقد تقدم ذكر هذا في سورة يونس على الاستقصاء.

٦ ر ث م – يحتمل هذا وجهين أحدهما قوله سنة الله أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده في.

٧ ر: أي.

٨ ر ث م: أنزل إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة حم فصلت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حمٓ﴾[١] ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم تنزيل من الرحمن الرحيم**، ظاهر هذا أن تفسير **حم** هو قوله: **تنزيل**؛ و**حم** خبر لمبتدأ محذوف مقدّر. **تنزيل**[2] مبتدأ **من الرحمن الرحيم**؛ وكذلك قوله: حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.[3] والأصل في حواميم وسائر الحروف المقطّعة أنها تَبْعَث سامعَها على التفكّر والتأمّل؛ لأنه لا يفهمها وقت قَرْعها السمع حتى يتأمل ويتفكرَ فيها. لأنها كلام لم[4] يسمعوه قبل ذلك، فيَحمِلهم ذلك على الاستماع[5] والتفكر فيها والنظر. فيقع ما هو المقصود من الخطاب في سماعهم ويعرفوا وجه الإعجاز، فيتوصلوا بذلك إلى الحق. ***والله أعلم***.[6] وقد ذكرنا في الحروف المقطعة وجوها آخر فيما تقدم.[7]

ثم ذَكر هاهنا رحمته ورأفته ليرغِّبهم فيما يرحمهم ويَرْأف بهم، وهو قوله: **حم تنزيل من الرحمن الرحيم**. وذَكر في السورة الأولى عزه وقدرته وسلطانه وعلمه، ليَحذَروا مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا، حيث قال: حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.[8] وليطلبوا[9] العز من عنده. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ر ن - سورة حم فصلت؛ ث + وهي مكية؛ م: ذكر أن سورة حم فصلت وهي مكية.

[2] م: فتنزيل.

[3] سورة المؤمن، ٤٠/١-٢.

[4] ر م: لا.

[5] ر م: على الاستمتاع.

[6] ر م - والله أعلم.

[7] انظر مثلا تفسير الآية ١-٢ من سورة البقرة وسورة آل عمران.

[8] سورة المؤمن، ٤٠/١-٢.

[9] ر م: ليطلبوا.

[10] ر م - والله أعلم.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣]

وقوله: **كتاب فصلت آياته**، قال أهل التأويل: **فصلت آياته**، أي بينت[1] فيه من الحلال والحرام وما لهم وما عليهم وما يُؤتَى وما يُتقى ونحوه. وعندنا يحتمل قوله: **فصلت آياته**، وجهين. أحدهما **فصلت آياته**، أي فُرِّقت كل آية من الأخرى، من نحو آية التوحيد فُرِّقت من آية الرسالة، وفرقت آية البعث من غيرها؛ فُرِّق كل آية من الأخرى. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل التفريقَ في الإنزال، أي فرقت آياته في الإنزال، لم يُجْمَع بينهما في الإنزال ولكن فُرِّق في أوقات متباعدة. ويحتمل قوله: **فصلت**، بُيِّنت على غير ما قاله أهل التأويل؛ وهو أن بينت[2] آياته بالحجج والبراهين حتى يُعلَم أنها آيات من الله تعالى. ***والله أعلم***.

وقوله: **قرآنا عربيا لقوم يعلمون**، أي أنزله بلسان يعلمونه[3] ويفهمونه،[4] لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه، أي أنزله بلسانهم. ويحتمل **لقوم يعلمون**، أي ينتفعون بعلمهم،[5] أي حصل إنزاله لقوم ينتفعون؛[6] فأما من لم ينتفع به فلم يحصل إلا[7] الإنزالُ له. ***والله أعلم***. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: قرآنا عربيا لقوم[8] يعقلون.[9]

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٤]

وقوله: **بشيرا ونذيرا**، البِشارة والنِذارة هي بيان ما يكون في العاقبة من الخير والشر. أو يقال: البشارة هي الدعاء إلى ما يوجب لهم من الحسنات والخيرات في العاقبة، والنذارة هي الزجر عما يوجب لهم من السيئات والمكروهات في العاقبة، والنذارة هي الزجر. فصار معنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أُرسِل داعيا إلى الحسنات وزاجرا عن السيئات. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م: ثبت.
[2] ر ث م: يثبت.
[3] ن: يعملون.
[4] ر ن ث: ويفهمون.
[5] ن: به.
[6] ن – أي حصل إنزاله لقوم ينتفعون.
[7] ن: إلا.
[8] ن + يعلمون.
[9] لم أجده في المراجع.

وقوله: **فأعرض أكثرهم**، يحتمل إعراضهم عنه وجهين. أحدهما أي أعرضوا عن التفكر فيه والتأمل. والثاني أعرضوا عن اتّباعه بعد ما تأملوا فيه وتفكروا، وعرفوا[١] أنه حق وأنه من الله تعالى. لكنهم تركوا اتباعه عنادا منهم ومكابرة، حَذَرًا عن ذهاب الرياسة. ***والله أعلم***.

وقوله: **فهم لا يسمعون**، أي لا يجيبون على ما ذكرناه.

**﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[٥]**

[٦٨٤ط] وقوله: / **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر**، لا شك أن قلوبهم على ما ذكروا أنها في أكنة، وفي آذانهم وقر؛ لأنه ذكر جل وعلا أنه جعل على قلوبهم أكنة[٢] وفي آذانهم وقرا، حيث قال تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا،[٣] على ما أخبروا أن قلوبهم في أكنة وغطاء، وفي آذانهم وقر، لا يفقهون ما يُدعَون إليه ولا يسمعون ذلك، وإن كانوا يفقهون غيره ويسمعون، لأنهم كذلك قالوا: إن قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه.

وقوله: **ومن بيننا وبينك حجاب**، إن ثبت ما ذكر بعض أهل التأويل أن ثوبا رفعوا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: كن أنت يا محمد في جانب ونكون نحن في جانب آخر، ونحوه من الكلام[٤] فهو ذلك. وإلا احتمل أن يكون قوله: **ومن بيننا وبينك حجاب**، هو ما حجبتهم ظلمة الكفر وغطّتهم عن فهم ما دُعُوا إليه وعِلم ما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **فاعمل إننا عاملون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما اعمل أنت بدينك فإنا عاملون بديننا، أو أن يقولوا: اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا،[٥] كقوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[٦] والثاني فاعمل أنت في كيدنا فإنا عاملون في كيدكم والمكر بكم.[٧] ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وأعرضوا.

[٢] ن + أن يفقهوه.

[٣] ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ (سورة الأنعام، ٢٥/٦).

[٤] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨٦/١٣؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٩٧/٢٤.

[٥] جميع النسخ – أو أن يقولوا اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٥٩و.

[٦] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.

[٧] جميع النسخ + ويحتمل أن يقولوا اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا (ر م: لإلهنا؛ ن – لآلهتنا).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٦] ﴿اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**، هذا الحرف يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول لهم: إنما أنا بشر مثلكم أفهَم وأعقِل، يوحى إليّ وأسمع ذلك. فأنتم في قولكم: إن قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر[1] لا عذر لكم، لأنه إنما يَحجُبُكم عن ذلك ويُغطِّي[2] قلوبَكم عن فهم ذلك الكفرُ الذي أنتم عليه والضلالُ الذي أنتم فيه، فاتركوا ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تُدعَوْن إليه وتؤمَرون به كما أفهم أنا وأعقل، إذ أنا بشر وأنتم بشر.[3] *والله أعلم*.

والثاني يقول: **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**، أي إنما أنا[4] بشر مثلكم أمرت أن أبلّغ إليكم أن إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه. وإلا لو لم[5] أُومَرْ[6] بتبليغ الرسالة إليكم إنما إلهكم إله واحد لكنت أتركك وما أنتم عليه، كقولكم: إن قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر[7] فاعمل إننا عاملون. على هذين الوجهين يخرج[8] تأويل الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **فاستقيموا إليه**، قال بعضهم: أي فاستقيموا إليه بالطاعة، وقيل: أي استقيموا إلى ما دعاكم إليه من التوحيد. وقوله: **واستغفروه**، أي انتهُوا عما أنتم عليه من الكفر والضلال، ليَغفِر لكم ما كان منكم في حال الكفر، كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[9] ويحتمل أي كونوا على حال بحيث يُقبَل استغفاركم وطلب تجاوزكم. *والله أعلم*.[10]

وقوله: **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**. والإشكال أنه لماذا خَصَّ المشرك الذي لم يُؤت الزكاة وينكر الآخرة بالويل، وقد يَلحق الويل للمشرك آتى الزكاة أو لم يؤت، آمن بالآخرة أو كفر بها؟ فنقول: قال بعض أهل التأويل:[11]

---

[1] جمع لنسخ: وقرا.
[2] ر ت م: وتغطي.
[3] ر م – وأنتم بشر.
[4] ر م – أن.
[5] جميع النسخ – لم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨/ ظ.
[6] ر م: أمر.
[7] ر م: وقرا.
[8] جميع النسخ – يخرج. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٥٩ظ.
[9] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨)
[10] ر م – والله أعلم
[11] حول تفسير هاتين الآيتين انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٣٧٩–٣٨٠؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٣٩٢–٣٩٣.

معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بإيتاء الزكاة ولا يؤمنون بالآخرة، وخصّهم بذكر جحود الزكاة والآخرة لما كان سببَ كفرهم ذلك.[١] وكان سبب كفرهم[٢] مختلفا. منهم من كان سبب كفره حُبه في المال وشُحه، حمله ذلك على إنكاره الزكاة والامتناع عن الإيتاء. ومنهم[٣] من كان كفره إنكاره جزاء الأعمال، حمله ذلك على إنكار الآخرة. ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه أو مثله في أمر الدنيا، حمله ذلك على إنكار الرسالة والجحود لها، وغيرُ ذلك من الأسباب التي حملتهم على الكفر والضلالة وهي مختلفة. ويحتمل قوله: **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**، لا على زكاة الأموال، ولكن على زكاة الأنفس. كأنه يقول: وويل للمشركين الذين لا يعملون[٤] ولا يَسعَوْن فيما به تَزْكُو[٥] أنفسُهم ويَشرُف[٦] ذِكرُها ويصلُح أعمالهم به، ولا ما يُجزَوْن به في الآخرة، أي ويل لمن لا يعمل ذلك. ***والله أعلم***.

وهذان الوجهان جواب عمن تعلق بظاهر هذه الآية على أن الكفار يخاطَبون بالشرائع، حيث ألحق الوعيد بهم بترك إيتاء الزكاة، والزكاة من الشرائع. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون**، أي غير مقطوع، وذلك في الآخرة. وقال بعضهم: أي غير محسوب، وقال بعضهم أي غير مُمْتَنٍّ عليهم، وذلك في الآخرة أيضا. ومعناه -والله أعلم- أنه يزاد لهم في الأجر[٧] على قدر أعمالهم ولا يُمَنّ عليهم في تلك الزيادة. وقال بعضهم: **غير ممنون**، أي غير منقوص ولا ممنوع؛ وذلك -والله أعلم- أن من كان يعمل في حال شبابه وقوته الصالحات والطاعاتِ، ثم كبِر و عجَز عن إتيانها أنه لا يُمنَع ولا يُنقَص منه الأجر الذي كان يُجرى[٨] عليه ويُكتَب له في حال شبابه وقوته. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: ذاك.
[٢] ر م - ذلك وكان سبب كفرهم.
[٣] ر: منهم.
[٤] م: لا يعلمون.
[٥] ر ث م: تركوا؛ ن: يزكو. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ.
[٦] جميع النسخ: ويسرف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨١ظ.
[٧] ر ث م: الآخرة.
[٨] جميع النسخ: يجرى. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ

﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**[١] **وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين.** تأويل هذه الآية كما ذكرنا في قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ،[٢] الآية. وهو يخرج على وجوه. أحدها كيف تكفرون وتُنكرون وحدانية الله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وما ذكر؟ أي[٣] كيف تُنكرون وحدانيته وتكفرونه وهو الذي أحياكم لا الأصنامُ التي تعبدونها؟ والثاني / كيف[٤] تُنكرون قدرة الله في البعث [٦٨٥و]
وقد رأيتم قدرته في ابتداء[٥] إنشائكم وتقليبكم من حال إلى حال؟ والثالث كيف تكفرون برسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم وقد خلقكم الله تعالى وامتحنكم بأنواع المحن وكنّفكم وأمركم بأوامر ونواهِيَ ما لو لم يكن رسول الله لا يمكنكم القيام بأكثرها وكان خلقه إياكم عبثا؟

فعلى هذه الوجوه يخرج قوله تعالى: **قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين،** الآية، أي أإنكم لتكفرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الأرض في يومين وما ذكر؟ ***والله أعلم.***[٧] والثاني أإنكم[٨] لتكفرون وتنكرون[٩] قدرته على البعث، وقد[١٠] خلق الأرض في يومين على بُعد أطرافها وسَعَتها، فكيف تُنكرون قدرته على البعث، وقد رأيتم قدرته على خلق ما ذكر؟ والثالث أإنكم لتكفرون نِعَمَه[١١] التي أنعمها عليكم من خلق ما ذكر من الأرض وغيرها وما أنعم عليكم من بعث الرسول عليه الصلاة والسلام، فكيف تصرفون شكرها إلى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله؟ ولا بد من رسول يُرسَل إليكم وذلك من أعظم النعم وأجلّها.

---

[١] ن – وقوله عز وجل قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين.
[٢] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[٣] ر ث م – كيف تكفرون وتنكرون وحدانية الله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وما ذكر أي.
[٤] ر ث م – كيف.
[٥] جميع النسخ: في ابتدائه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ.
[٦] ر م: رسوله.
[٧] ر م – والله أعلم.
[٨] ر م: إنكم.
[٩] ن: وينكرون.
[١٠] ر: قد.
[١١] ر م + الله.

فيخرج تأويل الآية على هذه الوجوه التي ذكرنا: أحدها في إنكار وحدانية الله وألوهيّته، والثاني في إنكار قدرته على البعث، والثالث في إنكارهم رسالة الرسول وصرفهم شكر نعمه إلى غيره بعبادتهم غير الله.

ثم الحكمة في خلق الأرض وجَعْلِه الحدَّ الذي ذَكَر يومين، وإن كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد[1] ولا توقيت، فقال بعضهم: فيه تعريفُه الخلق والتعليمُ لهم الأناةَ[2] في الأمور وترك الاستعجال فيها. والأصل في ذلك عندنا أن الله جل وعلا جعل أمر الدنيا وأمر هذا العالم على التحديد والتقييب من حال إلى حال، نحو ما ذكر من تقليبه وتغييره من حال النطفة إلى حال العلقة، ومن حال العلقة إلى حال المضغة، ومن حال المضغة إلى حال تركيب الجوارح، ثم إلى حال الإنسان، ثم من تلك الحال إلى أن يَكبُر، يُقلِّبه من حال إلى حال أخرى.[3] وكذلك أمر الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك، يُنشئها ويُحدثها في كل عام، وإن كان لو شاء أحدثها في عام واحد أو في ساعة واحدة، وأبقاها إلى آخر الأبد. لكن لم يفعل ذلك، لما بنى أمر هذا العالم على الفناء والفساد، فيستدل بطَرَيان[4] هذه الأحوال عليها على أصل الوضع. ولذلك ركّب فيهم المرض والسَّقَم والسلامة والصحة، وبنى أمر الآخرة على البقاء والدوام، فعلى ذلك من التحديد والتوقيت في خلق الأرض. **والله أعلم**.[5] ويحتمل أن يقال: جعل ذلك على التحديد والتقدير لأنها دار محنة وابتلاء، والابتلاء إنما يقع على التوقيت والتقدير في أوقات متباينة وأسباب مختلفة. فأما الآخرة فلا محنة فيها ولا بَلِيّة، فهي على الدوام والبقاء، لذلك كان ما ذكر. **والله أعلم**.[6]

---

[1] ن: بلا تحذير.

[2] الأناة: التُّؤَدة. يقال: لا تُؤنِ فُرصَتَك أي لا تؤخرها إذا أمكنتك. وكل شيء أخّرته فقد آنيته. آناه يُؤنيه إيناء: أي أخّره وحبسه وأبطأه؛ وتأنَّى في الأمر أي ترفَّق وتنظَّر. والاسم الأناة مثل قناة (لسان العرب «أني»).

[3] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضغة مُخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نُخرجكم طفلا ثم لِتبلُغوا أشُدَّكم ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢). وانظر أيضا: سورة المؤمن، ٦٧/٤٠.

[4] وطرأ علينا فلان: جاء من بعيد فُجاءةً من باب منع ومصدره الطُّرُوء.. وأما الطَّرَيان فخطأ أصلا (المعرب في ترتيب المعرب للمطرزي، «طرأ»).

[5] ر م: والله أعلم.

[6] ر م - والله أعلم

**﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[١٠]**

وقوله تعالى: **وجعل فيها رواسي من فوقها**، أي جعل في الأرض جبالا أرسى بها الأرض وأثبتها. لأنه ذُكِر أن الأرض كانت على الماء وكانت تميد[١] بأهمها، لكنه أرساها بالجبال وأقرّها بها.[٢] وفيه نوعُ وَهَاءٍ،[٣] لأنه معلوم أن الجبال التي أُثبت بها الأرضَ وأقرّها بها[٤] كانت تزيد في ثِقَل الأرض؛ فالسبيل فيه الترسّب[٥] في الماء والانحدار فيه، لا الإثبات بها والإقرار. لكنه جعل الجبال سبب إثبات الأرض وإقرارها تعليما منه الخلق تعيق الأشياء بعضِها ببعض، وتعليقها بالأسباب من غير أن يكون الأسباب معونة له على ذلك. ولو شاء أثبتها وأرساها بلا سبب ولا شيء علقه به، لكنه علق الأشياء بالأشياء والأسباب لما ذكرنا من تعيم الخلق[٦] تعيقَ الأشياء بالأسباب. *والله أعلم*.[٧]

وقوله عز وجل: **وبارك فيها**، يحتمل **وبارك فيها**، أي في الجبال، فقد جعل الله تعلى فيها البركات الكثيرة، منها المياه التي أُخرجت منها والعيون، ومنها الذهب والفضة وغيرهما،[٨] ومنها الثمار والأشجار التي يُنتفَع بها وأنواع النبات التي تصح للأدوية وغير ذلك من المنافع التي يكثر عدّها وإحصاؤها. ويحتمل قوله: **وبارك فيها**، أي في الأرض، فقد جعل الله تعالى في الأرض البركاتِ الكثيرةَ من المياه التي تخرج منها وأنواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها قوام[٩] الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب. *والله أعلم*.[١٠] والبركة هي اسم كل خير[١١] يكون أبدا على الزيادة والنماء.

---

[١] أي تتمايل وتضطرب وتتحرك.

[٢] ث: وأقر بها.

[٣] الوهاء بالمد خطأ، وإنما هو الْوَهْيُ مصدر وهي الْحَبْلُ يَهِي وَهْيًا إذا ضعف. (*المغرب في ترتيب المعرب* للمطرزي، «وهي»).

[٤] جميع النسخ: وأقر بها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٠ظ.

[٥] ر: الترتيب؛ ن هـ: التسرب؛ ث: التسرب. رَسَبَ الشيء في الماء يرسُب رُسُوبًا، ورَسُبَ: ذهب سُفْلاً (*لسان العرب* «رسب»).

[٦] ر ث م + تعليم.

[٧] ر م – والله أعلم.

[٨] ر هـ: وعيرها.

[٩] ن: قوله من.

[١٠] ث + وقوله عز وجل.

[١١] م: حير

وقوله: **وقدّر فيها أقواتها في أربعةِ أيامٍ سواءً للسائلين**. أي قدّر في الأرض أقوات أهلها وأرزاقهم في أربعة أيام. **سواء للسائلين**، قال الزجاج: في قوله: **سواء للسائلين**، ثلاثُ لغات. بالنصب والرفع والخفض. فمن خفَضَه **سواءٍ للسائلين**، صيّره صفة ونعتا للأيام؛ كأنه قال: في أربعة أيامٍ سواءٍ أي مستوياتٍ، ليس بعضها أطوَل من بعض. ومن قرأه[1] بالنصب **سواءً**، صيّره مصدرا، أي سواءً وتسويةً. ومن قرأه[2] بالرفع صيّره على الابتداء؛[3] يقول[4] -والله أعلم-: أي ذلك الأقوات التي قدّرها سواءٌ للمحتاجين، أي كفاية لهم على قدر حاجتهم. ثم اختلف في قوله: **سواءً للسائلين**، عن ابن / عباس رضي الله عنه[5] قال: من سأل عن ذلك وَجَدَه[6] |٦٨٥ظ|
كما قال الله تعالى؛ ويقول ابن عباس رضي الله عنه: وأنا من السائلين. فكان قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرنا، أي كفايةً للسائلين المحتاجين على السواء. وقال بعضهم: عدلا للسائلين. والعدل يخرج على وجهين. أحدهما العدل الذي يناقض[7] الجور،[8] أي[9] عدلا[10] للسائلين ليس بجور.[11] والثاني عدلا للسائلين، أي سواءً، يقول لمن يسأل[12] الرزق من السائلين. وقال الحسن: في أربعة أيام سواءٍ لمن يسأل عن خلقه في أربعة أيام[13] للسائلين، أو كلام نحوه. وقال بعضهم: هو من مقاديم الكلام، يقول: قدّر فيها أقواتها سواءً في أربعة أيام للسائلين، تلك الأقواتُ والأرزاقُ سواءٌ. ***والله أعلم***.[14]

---

[1] ن ث: قرئ.
[2] ن ث: قرئ.
[3] نظر: *معاني القرآن وإعرابه* لأبي إسحاق الزجاج، ٤/٣٨١.
[4] ن: نقول.
[5] ث: رضي الله عنهما.
[6] جميع النسخ: وحده. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.
[7] ن: تناقض.
[8] ر: الجوار؛ ن: الجواري.
[9] ن - أي.
[10] جميع النسخ: عدل.
[11] ن - ليس بجور.
[12] ر ث م: يشاء.
[13] جميع النسخ - أيام. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٦٠ظ.
[14] انظر حول آراء وأقوال ابن عباس والحسن وغيرهما في تفسير هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٢٠/٣٩٠؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٣٩٥-٣٩٦.

ثم في هذا مسألتان. إحداهما في تكوين الخلق وإحداثه وما ذكر من تقدير[1] الأقوات في الأوقات. فعندنا أن الله تعالى لم يزل مكوِّنا محدِثا، وأن ما كان ويكون إلى آخر الأبد إنما يكون بتكوينٍ كان منه في الأزل[2] لا بتكوين يَحدُث منه في كل وقت [فيه] يَحدُث المكوَّنُ والخلقُ. والأصل في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم أنه إذا أضيف الأوقات إلى فعله فيكون[3] التوقيت للخلق أعني المفعول لا لفعله، لما ذكرنا أنه لا حاجة تقع[4] له في المعونة بشيء مما ذُكر من التوقيت، وإنما ذُكر ذلك لئلا يُتوهَم قِدَم المفعول والخلق وليُعلم أنه مُحدَث. ومسألة أخرى في ذكر[5] التحديد والتوقيت في خلق ما ذكر لحكمة جعل[ها] في ذلك من غير أن يَصعُب عليه خلق ذلك في ساعة أو طرفة عينٍ. إذ المعنى الذي[6] في خلق ما ذَكَر في أيامٍ وأوقاتٍ ذلك في طرفة عين[7] موجود على السواء، وهو أن الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته، له قدرة ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد. فالأوقات إنما يحتاج إليها من كان يعمل بقدرة مستفادة وعلم مستفاد استعانةً له بذلك. فأما الله سبحانه وتعالى [فـ]ـما يكون منه إنما يكون بقدرة ذاتية وعلم ذاتي، لا حاجة تقع[8] له[9] إلى الاستعانة بشيء من ذلك، لذلك كان ما ذكرنا.

ثم قوله: **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**، الأربعة[10] الأيام التي ذَكَر هي مع خلق الأرض: يومان لخلق الأرض ويومان[11] لتقدير الأقوات لأهلها[12] والأرزاق فيكون أربعة؛ ثم ذكر لخلق السماوات يومين، فإذا جُمِع يكون ستة أيام. وهو ما ذَكَر في آية أخرى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،[13] فكان تمام ذلك في ستة أيام. وقد ذكرنا معنى ستة أيام في غير موضع.[14]

---

[1] ث: تقدر.
[2] جميع النسخ: في الأول. والتصحيح من الشرح نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.
[3] جميع النسخ: فتكوين. والتصحيح من المرجع لسابق، ورقة ٨٢ظ.
[4] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٢ظ.
[5] ن: في ذلك.
[6] جميع النسخ – الذي. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ، ومن نسخة جار الله، ورقة ١٦١ظ.
[7] ر: وأوقات ذلك عين؛ م: أوقات ذلك غير.
[8] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.
[9] جميع النسخ – له. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٦١ظ.
[10] م – الأربعة.
[11] جميع النسخ: يومين خلق الأرض يومين.
[12] ن: لأهلها.
[13] ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ (سورة الفرقان، ٥٩/٢٥).
[14] انظر مثلا: تفسير سورة الأعراف، ٥٤/٧، وسورة يونس، ٣/١٠.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [١١]

وقوله: **ثم استوى إلى السماء**، يخرج على وجهين. أي ثم استوت المنافع والأقوات التي قدّرها[1] في الأرض وجعلها معايش أهلها بالسماء؛ لأنه جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء، ما لولا السماء لم تستو[2] منافع الأرض وما قدّر لهم فيها. فبالسماء استوى ذلك لهم، أي تم بذلك. ***والله أعلم***.

والثاني قوله: **ثم استوى إلى السماء**، أي ثم استوى الهواء والجو الذي بين الأرض والسماء إلى السماء، ما لولا ذلك الهواء لم تستو؛ لأن السماء لو كانت ملتزقة بالأرض لا هواء بينهما لكانت لا تَخرُج ما جُعل في الأرض من الأقوات والمعايش، فبالهواء استوى ذلك. ***والله أعلم***.

ومنهم من يَصرف الاستواء إلى الله تعالى؛ ومعنى ذلك استوى أمره وملكُه بخلق السماء، أو استوى المقصود بخلق الأرض وأهلها وما فيها بخلق السماء. وأما التأويلان اللذان ذكرناهما يتوجهان إلى غير ذلك. أحدهما رجع إلى استواء الهواء، والثاني[3] إلى استواء ما جُعل في الأرض. وعلى هذا يخرج ما سُئِل ابن عباس رضي الله عنه عندنا، روي أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنه فقال: قرأتُ آيتين إحداهما تخالف[4] الأخرى. فقال له: مِن قِبَلِ رأيك أُتيتَ، ما هما؟ فقال ذلك السائل: قوله تعالى: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[5] إلى قوله: **ثم استوى إلى السماء**؛ وقوله تعالى: أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، إلى قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا.[6] فمراد السائل أن ظاهر الآية الأولى أنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، وفي ظاهر الآية الثانية أنه خلق السماء ثم خلق الأرض. فقال ابن عباس رضي الله عنه: خلق الله تعالى الأرض قبل أن يخلق السماء فدحا الأرض بعد ما خلق السماء[7] -والله أعلم- أراد به بسط الأرض بعد خلق السماء، فأما خَلْقُ أصل الأرض [فهو] قبل خلق السماء. ***والله أعلم***.[8]

---

[1] م: قدر.
[2] جميع النسخ: لم يستو.
[3] ث - إلى استواء الهواء والثاني.
[4] جميع النسخ: يخالف. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.
[5] الآية السابقة.
[6] ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٢٧-٣٠)
[7] انظر: تفسير الطبري، ٤٦٤/١
[8] ر م - والله أعلم.

وعندنا أَنْ ليس في ظاهر[1] هاتين الآيتين مخالفة ولا فيه بيانُ أنه خلق الأرض قبل السماء، ولا هذا بعد هذا. لأنه ذكر هاهنا أنه خلق الأرض في يومين، ثم قال: **ثم استوى إلى السماء**، ذكر الاستواء إلى السماء،[2] وليس فيه[3] أنه خلقها بعد خلق الأرض، بل فيه إنما استوى إليها بعد خلقها، وليس فيه إثبات خلقها قبل ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهي دخان**، قال بعضهم: دل قوله: **وهي دخان**، على أنه كان هنالك نار حتى خلق السماء بدخانها، لكن لا نعلم ذلك إلا بالسمع. ويحتمل أن يكون قوله: **وهي دخان**،
[٦٨٦و] أي شِبْهُ الدخان لا حقيقة الدخان، ومنه / خلق السماء والأرض. ***والله أعلم***.[4]

وقوله عز وجل: **فقال لها وللأرض ائْتِيا طَوعا أو كَرها قالتا أَتَيْنا طائعين**، قال بعضهم في قوله: **ائْتِيا**، أَعْطِيا ما جُعِل فيكما من المنافع والأقوات طوعا[5] أو كرها. ثم اختلف فيه أنه على التكوين والتسخير[6] ما ذكر من الطَّوع والكَره أو على حقيقة القول والأمر في ذلك. قال بعضهم: ذلك على التكوين والتسخير خِلْقَةً،[7] أي أنشأهما وخلقهما[8] على إخراج ما فيهما من المنافع والأقوات والأرزاق التي جعل فيهما. وكذلك ما ذكر من الطوع والكره لا قولا منه لهما وأمرا، لكنه طبّعهما وأنشأهما كذلك. وقال بعضهم: ذلك[9] على حقيقة القول والأمر منه لهما، نحو ما ذكر لكل شيء من الجبال وغيرها أنه يُسبِّح لله تعالى على الوجهين ولكن[10] بشرط[11] خلق الحياة التي[12] لا بد منها للنطق والسماء، فعلى ذلك هاهنا. ***والله أعلم***.[13]

---

[1] ر م: ليس ظاهر.
[2] م – ذكر الاستواء إلى السماء.
[3] ر م: وليس منه.
[4] ر م – والله أعلم.
[5] م – طوعا.
[6] ث + خلقة أي أنشأهما.
[7] جميع النسخ: خلقه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.
[8] ن: وخلقها.
[9] ر م – وقال بعضهم ذلك.
[10] ر م: لكن.
[11] ر م: شرط.
[12] ن + هي.
[13] ر م – والله أعلم

وقال بعضهم في قوله: **اِئْتِيا طوعا أو كرها**، أي اِئْتِيا عبادتي ومعرفتي؛ وذلك أن الله تعالى حين خلقهما عَرَض عيهما الطاعة والشهوة واللذات على الثواب والعقاب، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا،[١] الآية. فهذا الإباء والإعطاء[٢] هو إعطاء الخِلقة والتكوين على ما ذكرنا.[٣] ***والله أعلم***.[٤]

**﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **فقضاهن سبع سماوات في يومين**، أي خلقهن في يومين. هو موصول بقوله: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وكذلك بقوله[٥] تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ،[٦] وقد ذكرنا الوجوه في ذلك. ثم الأعْجُوبة في خلق السماوات ورفعها[٧] أعظم وأكبر من خلق الأرض؛ وقد ذكر في خلق السماوات من الوقت مثل الوقت الذي ذكر في الأرض وهو يومان، ليعلم أن الوقت الذي ذكر في ذلك ليس لما يتعذّر عليه ذلك ويَصعُب بدون ذلك الوقت، ولكن لحكمة جعل في ذلك لم يُطْلِع الخلقَ على ذلك، أو كانت الحكمة فيه ما ذكرنا. ***والله أعلم***.[٨]

وقوله: **وأوحى في كل سماء أمرها**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أنشأ وجعل في كل سماء أهلها،[٩] وهم الملائكة الذين جعلهم أهلا لها. وقال قائلون: أي أَمَرَ كل أهل سماء أَمْرَها وامتحنهم بمحنة. وقال بعضهم: هو مما أمر به وأراد، وهما واحد. ***والله أعلم***.[١٠]

وقوله: **وزينا السماء الدنيا بمصابيح**، أي بالكواكب. وقوله: **وزينا السماء الدنيا**، التي دنت منكم هي مقابلُ القصوى، من الدُنُوّ. ليس أن هذه السماء التي نراها ونشاهدها

---

[١] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ (سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣).

[٢] ر م – والإعطاء.

[٣] أي في سورة الأحزاب.

[٤] ر م – والله أعلم.

[٥] جميع النسخ: قوله.

[٦] الآيتين السابقتين برقم ٩ و١٠.

[٧] ر: ورفعهما.

[٨] ر م – والله أعلم.

[٩] جميع النسخ – قال بعضهم أنشأ وجعل في كل سماء أهلها؛ والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.

[١٠] ر م – والله أعلم.

مزيَّنةً بالكواكب -هي سماءُ الدنيا- فانيةٌ، وغيرها من السماء الآخرة لا تَفْنَىٰ،[1] بل كلها يَفْنَىٰ يعني هذه وغيرها بقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] وقوله: وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ،[3] فهن[4] كلهن دنيويات[5] فانيات. دل أن قوله: **وزيّنا السماء الدنيا**، أي التي دنت منكم وهي مقابل القُصْوى، لا مقابل الآخرة. ***والله أعلم.***

وقوله: **وحفظا**، يحتمل وجهين. أحدهما أي حفظناها وجعلناها محفوظة بما ذكَر من أن تَستَرِقَ[6] الشياطين والجن أسماعَهم إلى خبر السماء، وما يتحدّث به الملائكة فيما بينهم، فيُلقون ذلك على أسماع[7] أهل الأرض على ما كانوا يفعلون من قبل. أي حفظناها بالكواكب التي جعل فيها لتَرمِيهم الكواكبُ وتَقذِفهم ليكون سماع ذلك من جهة الوحي عن لسان الرسول صلى الله عليه وسلم دون إلقاء مَن ذكَر، وهو كما ذكر في آية أخرى، حيث قال: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى [وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ]،[8] الآية. ويحتمل وجها آخر: **وحفظا**، أي حفظناها على ما هي، حتى لا يَسقُط على الخلق، كقوله: إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا،[9] وقوله تعالى: وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ [إِلَّا بِإِذْنِهِ]،[10] ونحوه. ***والله أعلم.***[11]

وقوله:[12] **ذلك تقدير العزيز العليم**، يقول: ذلك الذي ذكر كلُّه وصَنَع هو **تقدير العزيز العليم**، أي تقدير من لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. ويحتمل قوله: **ذلك تقدير العزيز العليم**، أي تقدير من له العز الذاتي والعلم الأزلي، لا أنه قدّر ذلك وصنع ليستفيد بذلك العز أو العلمَ، إذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع لنسخ: لا يفنى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣ظ.
[2] ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).
[3] ﴿وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِه والأرضُ جميعا قَبْضَتُه يومَ القيمة والسموات مَطْوِيَّاتٌ بيمينه﴾ (سورة لزمر، ٦٧/٣٩).
[4] ر ث م: فهو.
[5] ن: دنياويات.
[6] جميع النسخ: يسترق. والاستِراق: الخَتْل سِرًّا كالذي يستمع (*لسان العرب*، «سرق»).
[7] ر م: سماع.
[8] سورة الصفات، ٦/٣٧-٨.
[9] سورة فاطر، ٤١/٣٥.
[10] سورة الحج، ٦٥/٢٢.
[11] ر م - والله أعلم.
[12] م: وكقوله.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[١٣]

وقوله سبحانه وتعالى: **فإن أعرَضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود،**[١] كانوا يُعرضون مرة عن الإيمان والتوحيد له، ومرة يعرضون عن الإيمان بالبعث، ومرة يعرضون عن الإيمان بالرسول. فيكون حاصل قوله: **فإن أعرضوا،** عن الإجابة لما دُعُوا إليه والإقرار به -إذ ما دُعُوا إليه مختلف- فقُل: أنذرتُكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود،[٢] دل قوله: **أنذرتُكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود،** أن صاعقة عادٍ وثمودَ[٣] كانت معروفة عندهم ظاهرة أنها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم إجابتهم إلى ما دُعُوا إليه، حيث خوّف هؤلاء بذلك، كأنه يقول: أنذرتكم بتكذيبكم إياي وترككم إجابتي إلى ما دعوتكم إليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم[٤] الرسول الذي أُرسِل إليهم وتَرْكِهم الإجابة إلى ما دُعُوا إليه. ***والله أعلم.***

وقوله:[٥] **صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود،** لم يُرِد به عين عذاب أولئك ومثله في رأى العين، ولكن مثلَه في الهلاك والاستئصال. ألا ترى أن عذاب عاد وثمود كان مختنفا[٦] في رأي العين، عذابُ عادٍ خلاف عذاب ثمود، لكن[٧] هما / في المعنى واحد. فعلى ذلك ما أوعد هؤلاء [٦٨٦ظ]
بمثل عذاب عاد وثمود لم يُرِد مثله في رأى العين، ولكن في المعنى. وهو كما ذكَرَ في قوله:[٨] تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ،[٩] وقوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ،[١٠] لم يُرِد التشابه والمضاهاة على أن نفس القول منهم وعينَ[١١] الكلام كان واحدا. بل كان سبب كفرهم مختنفا؛

---

[١] ر ث م + كانت معروفة عندهم ظاهرة.

[٢] جميع النسخ - كانوا يعرضون مرة عن الإيمان والتوحيد له ومرة يعرضون عن الإيمان بالبعث ومرة يعرضون عن الإيمان بالرسول فيكون حاصل قوله فإن أعرضوا عن الإجابة لما دعوا إليه والإقرار به إذ ما دعوا إليه مختلف فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣ظ.

[٣] رث م - وثمود.

[٤] ر م: وتكذيبهم؛ ث: وبتكذيبهم.

[٥] ن: ثم قوله.

[٦] م: ألا ترى أن عذاب عاد وثمود مختلفا؛ ن: ألا يرى أن عذاب عاد وثمود كان مختنفا.

[٧] ر ث م - لكن.

[٨] ن: من قوله.

[٩] ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٨).

[١٠] ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[١١] جميع النسخ: وعن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦ (هكذا في حار الله)، ورقة ٨٣ظ.

وقول هؤلاء خلاف قول أولئك، وما كان من هذا الفريق خلاف ما كان من الفريق الآخر. لكن لَمّا كان التكذيب من هؤلاء له كالتكذيب من أولئك، والردُّ له من هؤلاء كهو من أولئك في أَنْ كان كفرا واحدا سواءً، فمن هذه الجهة وصَف قلوبَهم بالتشابه وأقوالهم بالمضاهاة. وهذا يدل على أن الاستواء من جهة واحدة يوجب التشابه والتماثل. ***والله أعلم.***

**﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله،** هذا يحتمل وجوها. أحدها إذ[١] جاءتهم الرسل بنبإ من كان قبلهم[٢] ونبأ من كان بعدهم أنهم جميعا قالوا لقومهم: أن لا تعبدوا إلا الله. والثاني أي[٣] **إذ جاءتهم الرسل** بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل بهم، **من بين أيديهم،** أي من حيث يرونه ويعلمونه؛ **ومن خلفهم،** أي من حيث لا يرونه ولا يعلمونه.[٤] وهو كقوله عز وجل: أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ،[٥] ونحوه. وقيل: يبعث الله الرسل قبلهم وبعدهم بالذي ذكر، وهو الدعاء إلى توحيد الله وجَعْلِ العبادة له. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون،** هذا القول منهم يناقض[٦] قولهم وتكذيبهم الرسلَ وإنكارهم رسالة البشر وطمعَهم رسالة الملائكة. لأنهم ما عرَفوا الملائكة ولا عاينوهم،[٧] فإنما عرَفوا الملائكة وعلموا بمكانهم برسل البشر، فكيف أنكروا رسالتهم مع ما لو كان الرسل إليهم الملائكةَ لم يعرفوا أنهم[٨] ملائكة إلا بقولهم، لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملائكة، فهذا يناقض إنكارهم الرسل من البشر. والثاني ما قالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون،** قد أقرّوا رسالتهم، حيث قالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون،**

---

[١] ر م: إذا.
[٢] ر م – قبلهم.
[٣] ر م – أي.
[٤] ر م: ولا يعلمون.
[٥] سورة الأعراف، ٩٧/٧-٩٨.
[٦] ن: تناقض.
[٧] ر م: ولا عاينوا.
[٨] ث: أنتم.

لأنهم لم يقولوا: إنا بما جئتم به إلينا كافرون، ولكن قالوا: **إنا بما أرسلتم**، فذلك مما يناقض[١] قولهم ويردّ تكذيبهم. وإنما قالوا ذلك، أعني قولهم: لو شاء الله لأنزل ملائكة، تعنتا منهم وعنادا، وإلا قد عنموا أنهم[٢] رسل الله، فيُناقِضون بما قالوا على التعنت منهم. ***والله أعلم***.

**﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**[١٥]

وقوله: **فأما عاد فاستكبَروا في الأرض بغير الحق وقالوا مَن أشَدّ منا قوةً**، جائز أن يكون استكبارهم في الأرض بغير الحق على أهل الأرض بما ذُكروا من فضل القوة لهم وشدّتها من بين غيرهم، كقوله تعالى: وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ،[٣] فيهم[٤] ذِكْرُ[٥] ذلك. فجائز أن يكون استكبارهم على أهل الأرض بغير الحق لشدة بَطْشهم وقوتهم على غيرهم. ***والله أعلم***.[٦] ويشبه أن يكون استكبارهم على الرسل[٧] وأَتْباع الرّسل، فلم يَرَوْا أنفسهم أن يجعلوها تحت تدبير الرسل وأمرِهم وأن يخضعوا لهم ويستسلموا لِما دَعَوْهم إليه وقالوا: من أشد منا قوة. ثم قال الله: **أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**. هذا استفهام على طريق التقرير؛ معناه قد رَأوْا وعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم[٨] قوة، والرسل عليهم السلام لم يكونوا يوعدونهم ويُخوّفونهم بقُوى أنفسهم ولا بعذاب يكون منهم حتى قالوا: مَنْ أشَدّ منا قوة، ولكن إنما كانوا يوعدونهم ويُخوّفونهم بعذاب ينزل من عند الله؛ وبقوته وسلطانه يوعدونهم، وقد عرفوا قوته وسلطانه. لذلك قال: **أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**.

وقوله: **وكانوا بآياتنا يجحدون**، دل هذا على أنهم قد كذّبوا هودا وأنكروا آياته، وذلك قولهم: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[٩] وأنه قد أتاهم بآيات رسالته.

---

[١] ن: تناقض.
[٢] ث + أنهم.
[٣] سورة الشعراء، ١٣٠/٢٦.
[٤] ر ث م: فيهم.
[٥] ث: ذكرو.
[٦] ر م – والله أعلم.
[٧] ر م – على الرسل.
[٨] ر م – منهم.
[٩] ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة هود، ٥٣/١١).

**﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾[١٦]**

وقوله: **فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا**، ذكر ما[١] أهلكهم من العذاب وهو الريح الصرصر، أي[٢] الباردة، كذا[٣] قال أبو عَوْسَجَة. وقوله: **في أيام نَحِسَاتٍ**، وهو ما ذكر في سورة الحاقة، حيث قال: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا؛[٤] وقال في موضع آخر: فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ.[٥] ثم اختلف في تأويلها؛ قال بعضهم: **نحساتٍ**، مَشئومات نكِدات،[٦] وهذا[٧] قول القُتَبِي.[٨] وقال بعضهم: **نحسات**، أي شِدَاد. وقيل: **نحسات**، من النَّحْس؛ يقال: نَحِس يومنا،[٩] والنَّحْس الغُبار في الأصل.[١٠]

وقوله: **لِنُذِيقَهم عذابَ الخزي في الحياة الدنيا**، أي عذابا يُذِلّهم ويَفْضَحهم عند الخلق جميعا. وقوله: **ولعذاب الآخرة أخزى**، أخبر أن عذاب الآخرة[١١] عليهم أذل وأفضح وأشد من عذاب الدنيا. وقوله: **وهم لا ينصرون**، يحتمل لا يُنصَرون[١٢] بقوتهم[١٣] التي كانت لهم، واعتمدوا عليها بقولهم:[١٤] مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[١٥] ويحتمل **لا يُنصَرون**،[١٦] بالأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة.

---

[١] ر م: ذكره.
[٢] ر م – أي.
[٣] ن: وكذ.
[٤] ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧).
[٥] ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١٩).
[٦] ر م: نكرات.
[٧] ن: وهو.
[٨] انظر: تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٨.
[٩] ر م: مؤمنا.
[١٠] النَّحْسُ: الغُبار. يقال: هاج النَّحْسُ أي الغبار. وقيل: النحس الريح ذات الغبار، وقيل: الريح أيًا كانت (*لسان العرب* «نحس»).
[١١] ر م – أخبر أن عذاب الآخرة.
[١٢] ن: لا ينصرون.
[١٣] ن: لقوتهم.
[١٤] ر ن م: واعتمدت عليهم قوتهم؛ ث: واعتمدت عليهم بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ ظ.
[١٥] الآية السابقة.
[١٦] ن: لا ينصرون.

**﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٧]**

وقوله: **وأما ثمود فهديناهم**، يحتمل ما ذكر من الهداية لهم حقيقة / الهدى، وهو التوفيق، [٦٨٧و] وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين. وهو ما سألوا من الآية وهي الناقة، فلما أتاهم بالناقة[1] على ما سألوا آمنوا به وصدقوه، ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر. *والله أعلم.*[2] ويحتمل قوله: **فهديناهم**، أي بيّنّا لهم غاية ما يتبين[3] [به] الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل أنها آية وأنها من الله تعالى حيث جاء بهم[4] الآية التي سألوها على الإشارة والتعيين وهي الناقة. *والله أعلم.*[5]

وقوله: **فاستحبوا العمى على الهدى**، أي اختاروا الكفر على الهدى واختاروا ما به يَعْمَوْن على ما يُبيّن لهم. ثم أخبر عما نزل بهم من العذاب باختيارهم العمى على الهدى، وهو ما قال:[6] **فأخذتهم صاعقة العذاب الهون**، أي عذابٍ يُهانُون فيه، وهو من الهوان والإذلال. وكل عذاب الله صاعقة.

**﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[١٨]**

وقوله: **ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**، أي أنجينا[7] الذين اختاروا الهدى على العمى، وكانوا يتقون اختيارَ العمى على الهدى.

**﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٩]**

وقوله: **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار**، أي يجمع، والحشر الجمع؛ يُجمعون، ثم[8] يُجعلون في النار، وهو كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.[9]

---

[1] ر م - بالناقة.
[2] ر م - والله أعلم.
[3] جميع النسخ: ما يبين.
[4] ن: جائتهم.
[5] ر م - والله أعلم.
[6] ر: وهو قال.
[7] م: نجينا.
[8] ر م - يجمعون ثم.
[9] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣)

وقوله: **فهم يوزعون**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: **يوزعون**،[1] أي يساقون، كقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا.[2] وقال بعضهم: **يوزعون**، أي يُدفعون، كقوله تعالى: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[3] يدفعون فيها دفعا،[4] والوَزْع الدفع. وقال بعضهم: **يوزعون**، أي يُحبَسون، أي يُحبَس أوّلهم على آخرهم، حتى إذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك يُجعَلون في النار، كقوله تعالى: لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ،[5] الآية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**، كأنهم يوقَفون ويحبَسون في مكان يعاينون[6] النار فيُسألون عما كانوا يعملون. وهو كقوله تعالى: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ.[7] فينكرون ما كان منهم، كقوله تعالى: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[8] وقوله: بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا.[9] فعند ذلك يُنطِق الله جوارحَهم فتشهد[10] عليهم بما عملوا وما كان منهم، وهو قوله: **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**. وقال بعضهم: **جلودهم**، كناية عن الفروج، وهو قول الحسن.[11]

---

[1] ر م - اختلف في تأويله قال بعضهم يوزعون.

[2] سورة لزمر، ٧١/٣٩.

[3] سورة الطور، ١٣/٥٢.

[4] ر م - يدفعون فيها دفعا.

[5] ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعلَ الخبيث بعضَه على بعض فيَركُمَهُ جميعا فيجعلَه في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (سورة الأنفال، ٣٧/٨).

[6] ر: فيعاتبون؛ ن ث م: فيعاينون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.

[7] سورة الصافات، ٢٤/٣٧.

[8] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

[9] ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل﴾ (سورة المؤمن، ٧٣/٤٠-٧٤).

[10] جميع النسخ: فيشهد.

[11] ذكر الطبري هذا القول وروى في الآية روايتين؛ إحداهما قول عبيد الله بن أبي جعفر، والأخرى حديث مرفوع؛ ولم يسند الطبري القول إلى الحسن، ثم انتقد هذا القول. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٠٦/٢٠؛ والقرطبي أيضا يسند هذا القول إلى عبيد الله بن أبي جعفر والسدي والفراء. انظر: *الجامع لأحكام القرآن*، ٤٠٥/١٨؛ وانظر أيضا: *معاني القرآن* للفراء، ١٦/٣.

**﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢١]**

وقوله: **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**، أي أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء[١] يَنطِق، إذ لا[٢] كل شيء يَنطِق؛ ذكروا كل شيء وأرادوا به الخاصَّ لا العامَّ. *والله أعلم*. وكأن غير هذا أقرب، يقولون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء به[٣] يعصون الله تعالى، وهو ما يُنطِق الله الأشياء التي بها عصوا ربهم، وهي الأصنام التي عبدوها وغيرُها مما عبدوا دون الله، كقوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ،[٤] الآية، وقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ،[٥] وما ذكر من أخبار الأرض وحديثها بما عملوا عليها بقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[٦] وغير ذلك من الآيات التي فيها بيان أنه يُنطِق الله تعالى الأشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم. فعلى ذلك يُنطِق الله الجوارح التي عصوا بها ربهم فتشهد[٧] عليهم بجميع ما كان منهم. *والله أعلم*.[٨]

**﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢٢]**

وقوله: **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أي ما كنتم تعلمون وتستيقنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. وقال بعضهم: وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون.[٩]

---

[١] جميع النسخ – أي أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.
[٢] ر: ذلا.
[٣] ر م – به.
[٤] ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/ ١٧-١٨).
[٥] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨-٢٩).
[٦] سورة الزلزال، ٩٩/٤.
[٧] جميع النسخ: فيشهد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.
[٨] ر م – والله أعلم.
[٩] جميع النسخ – وقال بعضهم وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ-٨٥و.

الظن هاهنا على هذا التأويل حقيقةُ الظن أو الجهلُ، أي ولكن جهلتم [وقتم] أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. فإن كان[1] تأويل الآية ما ذكر هؤلاء ففيه دلالة أن العذاب قد يلزم ويجب وإن جهل ذلك و لم يتحقق عنده العلم به إذا كان بحيثُ إمكانُ الوصولُ إلى علم ذلك ومعرفته بالنظر والتأمل والتفكر أو[2] بغير ذلك من الأسباب، لكنه ترك التأمل فيه فلم يعلم ذلك فلم يُعذَر بجهله. وهكذا الحكم أنّ من مُكِّن له العلم وأسبابُ المعرفة فلم يتكشف معرفته لم يُعذَر في جهله. ولهذا قال أبو حنيفة في الأطفال: «أن لا علم لي لهم»، لما لا يُعْلَم أنهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الأشياء بالتأمل والتفكر أم لا. وقال بعضهم: **وما كنتم تستترون**، أي كنتم لا تقدرون أن تستتروا من سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، فأَحَدٌ لا يستطيع أن يستتر من نفسه إذا عمل شيئا. فذلك ظنكم أنّ ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون في السر.

**﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٣]**

وقوله: **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**، أي وذلكم ظنكم حملكم على ما صنعتم[3] بأن الله تعالى لا يعلم ذلك، وهو لا يخفى عليه خافية. فظنكم ذلك **أرداكم**، أي أغواكم وأضلكم عن الهدى. ***والله أعلم***.[4] وقال قتادة: يا ابن آدم! إن عليك لَشهودا غيرَ مُتَّهَمَة مِن بدنك،[5] فراقِبهم واتّق الله في سرّ أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية. ومن استطاع أن يموت وهو بالله حَسَن الظن فيفعل، ولا قوة إلا بالله.[6] ثم قال: الظن ظنان، ظنٌ مُنجٍ / وظن مُرْدٍ.[7] فأما المُنجي فقوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾،[8] الآية، وما قال: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.[9] وأما الظن المُردي فقوله: [٦٨٧ظ]

---

[1] جميع النسخ: فلو كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٥و.

[2] ر م - أو.

[3] جميع النسخ: وذلكم جهلكم على ما صنعتم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٥ظ.

[4] ر م - والله أعلم.

[5] ر ث م: من يديك.

[6] انظر لهذه الرواية المنسوبة إلى قتادة: تفسير ابن كثير، ٢٠٢/١٠.

[7] جميع النسخ: ظن منجي وظن مردي.

[8] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (سورة البقرة، ٤٥/٢-٤٦).

[9] ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٢٠).

**وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**، وقوله: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا،[1] ونحوه.[2] وذُكِر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويحدّث ذلك عن ربه تعالى: «عبدي أنا عند ظنك بي وأنا معك إذا دعوتني».[3] وقال الحسن: إنما عمِل الناس على قدر ظنونهم بربهم. فأما المؤمن فأحسن بربه الظن فأحسن العمل. وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن فأساءا[4] العمل، ثم تلا قوله عز وجل: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ،[5] الآية. وقال: الجلود كناية عن الفروج.[6] وفي حرف حفصة رضي الله عنها: وَمَا كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ. وفي حرف أُبَيّ وابن مسعود رضي الله عنهما: وَلٰكِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَذَا. وكذلك في حرفهما: فَذٰلِكُمْ زَعْمُكُمُ الَّذِي زَعَمْتُمْ.[7] والزَّعم في كلام العرب الكذب، وفيه يستعمل. وقوله تعالى: **أرداكم**، قال بعضهم: أهلككم، والرَّدَى الهلاك. وقيل: أَوْرَدَكم[8] المهالك. ويحتمل **أرداكم**، أي أغواكم وأضلّكم على ما ذكرنا.

**﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[٢٤]**

وقوله **فإن يصبروا فالنار مثوى لهم**، هذا يخرج على الوجهين. أحدهما أي فإن يصبروا[9] على ما هم عليه من الأعمال إلى أن خُتِموا به، **فالنار مثوى لهم** في الآخرة. والثاني أي فإن يصبروا[10] في الآخرة في النار[11] **فالنار مثوى لهم**، أي لا ينفعهم الصبر على ذلك، ولا يكون الصبر سبب الفَرَج عن ذلك؛ وهو كقوله سبحانه وتعالى خبرا عنهم: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.[12] فيكون أحد التأويلين في الدنيا والثاني في الآخرة.

---

[1] ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٣٢/٤٥).
[2] ر م + قال. نظر للقطعة الأخيرة من الرواية المنسوبة إلى قتادة: *تفسير الطبري*، ٤١٤/٢٠.
[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...» *صحيح البخاري*، التوحيد ١٥؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١؛ واللفظ للبخاري.
[4] ر م: فأساء الظن فأساء.
[5] الآية السابقة.
[6] *تفسير الطبري*، ٤٠٦/٢٠؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٤٠٥/١٨.
[7] لم أجده في المراجع.
[8] جميع النسخ: أورد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.
[9] جميع النسخ: فإن تصبروا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.
[10] جميع النسخ: فإن تصبروا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٥و.
[11] ر م - في النار.
[12] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

وقوله: **وإن يستعتبوا فما هم من المعتَبين،** معناه -والله أعلم- وإن يستقيلوا[1] ما كان منهم فما هم[2] من المُقالين، أي لا يقال[3] ذلك منهم ولا يرضى[4] عنهم وإن استرضَوا.

**﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[٢٥]**

وقوله: **وقيضنا لهم قرناء،** [هو] كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[5] الآية. ثم اختلف في قوله: **وقيضنا**. قال بعضهم: هيّأنا[6] لهم في الدنيا قرناء[7] من الشياطين وغيرهم. وقال بعضهم أي مكّنّا للشياطين حتى تَقذِفوا[8] في قلوبهم من الوساوس وغيرها، أو كلام نحوه. وقال بعضهم: أي خلّينا بينهم وبين الشياطين حتى عملوا[9] بهم ما ذكر.

وقوله عز وجل: **فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم**. اختلف في قوله: **ما بين أيديهم وما خلفهم**. قال بعضهم: **فزينوا لهم ما بين أيديهم،** أي حسّنوا لهم التكذيب بالآخرة والحساب والثواب والعقاب، أي ليس ذلك. وقوله عز وجل: **وما خلفهم،** أي حسّنوا لهم أمر الدنيا وأنها دائمة باقية. وقيل: **ما بين أيديهم،** أي ما عملوا، **وما خلفهم،** أي وما يريدون أن يعملوا من بعدُ. والثالث **ما بين أيديهم،** ما عملوا بأنفسهم، **وما خلفهم،** ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم، كقوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[10] ***والله أعلم.***

---

[1] ر: وإن تستقيمو؛ ن ث: وإن يستقبموا؛ م: وإن تستقبموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و. وهو من الإقلة وتكون الإقالة في البيعة والعهد. ويقال: أقال فلانا عَثْرته بمعنى الصفْح عنه. والإستقالة: طلب الإقالة (*لسان العرب* «قيل»). قال القرطبي: وفي التفاسير: وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين...أي إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء. *الجامع لأحكام القرآن*، ٤١١/١٨.

[2] ن - فما هم.

[3] ر ث م: أثقال.

[4] جميع النسخ: ولا يرض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[5] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.

ث: يقذفوا.

[7] جميع النسخ: قوما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[8] ن ث. هيأ.

[9] جميع النسخ: عملوا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٥ظ.

[10] سورة الانفطار، ٥/٨٢

وقوله عز وجل: **وحق عليهم القول،**[١] يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب والسخط. وقوله: **في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس،** أي مع أمم، وذلك جائز. وقوله: **قد خلت من قبلهم،** أي من قبل هؤلاء من الإنس والجن من الأمم الخالية أنهم كانوا خاسرين.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه،** أي لا تسمعوا أنتم بأنفسكم. **والغوا فيه،** لئلا[٢] تُسمَع[٣] منه قراءته ولا صوته. دل هذا القول على أنهم قد عرفوا أنه حجة، وأنه[٤] من عند الله جاء، وأن من سمع ذلك أذعن له وأطاع[٥] إذا لم يكابر عقلَه. ولهذا قالوا: **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه،** لئلا يَذْعَنَ ولا يُطاعَ، **لعلكم تغلبون.** وقال بعضهم: قوله: **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه،** بالمُكَاء والتصدية. وكانوا يفعلون ذلك لِيَخْلِطوا عليه صلاته وقراءتَه، **لعلكم تغلبون،**[٦] بالمكاء والتصدية، كقوله عز وجل:[٧] وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.[٨]

**﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٧]**

وقوله: **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون،** أي نذيقنّ[٩] الذين كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك. فأما من كفر في وقت ثم ترك ذلك وأسلم فليس له ذلك. ثم من الناس من يقول: إن قوله عز وجل: **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا،** أراد به في الدنيا. وقوله: **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون،** في الآخرة، يجعل أحد العذابين في الدنيا والآخر في الآخرة.[١٠] وجائز أن يكون كله في الآخرة.

---

[١] جميع النسخ: وحق احق. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.
[٢] ث: حتى لا.
[٣] ر ث م: يسمع
[٤] ن: وآية.
[٥] ر ث م: أطاع.
[٦] جميع النسخ - تغلبون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.
[٧] جميع النسخ: لقولهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٦ظ.
[٨] سورة الأنفال، ٣٥/٨.
[٩] ر م: يديقن.
[١٠] ر م: في الدنيا الآخرة.

ثم دل قوله: **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون.** أي لهم محاسن في الدنيا، لكنّ تلك المحاسن تبطل،[1] ولا يُجزَون بها شيئا، وإنما يُجزون على المَساوِئ التي عملوها في الدنيا. لأن المحاسن إنما تثبت وتبقى[2] ويُستوجب[3] بها الجزاء إذا أتوا بالإيمان والتوحيد؛ فأما إذا لم يأتوا به لم ينتفعوا بتلك المحاسن ولم يُجزَوا بها. وقد ذكر للمؤمنين مقابل ذلك: أن يُكَفِّر عنهم سيئاتهم ويُجزَوا[4]
[٦٨٨و] بأحسن ما كانوا يعملون. وهو قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[5] وقوله: لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[6] وَعَد للمؤمنين تكفير المَساوِئ التي عملوها في الدنيا والجزاءَ لهم بالمحاسن التي عملوها، ووعد لكافرين إسقاط محاسنهم والجزاءَ على مَساوِئهم لما لم يأتوا بالإيمان. *والله أعلم.*

**﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **ذلك جزاء أعداء اللهِ النارُ**، هذا يدل على أن ذلك في الآخرة. وقوله: **لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون**،[7] قوله: **دار الخلد**، أي دار البقاء يبقَون فيها أبدا، فيكون اسما للجنة كلها.[8] ويحتمل أن يكون في الجنة دار أو موضع يسمى دار الخلد، فيكون اسم موضع خاص. *والله أعلم.*

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾**[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين**، قال بعضهم: الذي أضلهم من الجن هو إبليس، لأنه أول من عصى الله تعالى وسَنَّ لهم ذلك. ومن الإنس ولد آدم الذي قتل أخاه، لأنه أول من سَنَّ القتل.

---

[1] ن ث: يبطل.
[2] ن: يثبت ويبقى.
[3] ر ث م: وتستوجب.
[4] ث: ويجزون.
[5] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[6] سورة الزمر، ٣٥/٣٩.
[7] جميع النسخ: جزء بما كانوا يعملون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.
[8] ر ت م – كلها.

ولكن عندنا أنهم سألوا أن يُرِيَهم الذي أضلّهم: كلّ جنيّ يُوسوس ويَقذِف في قلوبهم الوَساوِس والمَساوِئ، وكلّ إنسيّ يدعوهم ظاهرا إلى الضلال. وهكذا كل ضالّ وكافر، إنما كان ذلك الضلال والكفر لِوَساوِسَ من جنيّ أو تلقين من إنسي بلسانه. سألوا الله تعالى أن يجعلهم ظاهرين، فيجعلوهم تحت أقدامهم لما يكون العذاب في كل ما كان أسفلَ أشدَّ، لذلك سألوا ذلك. وهو ما سألوا ربهم زيادة العذاب لهم في آية أخرى حيث قال:[1] [حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا] قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ،[2] وقوله: فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[3] فعلى ذلك سؤال هؤلاء. *والله أعلم*.[4]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾**[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[5] لما نزلت هذه الآية قال: «أمتي أمتي، لأن اليهود قالوا: ربنا الله، ثم قالوا: عزير ابن الله، وأن النصارى قالوا: ربنا الله، ثم قالوا: المسيح ابن الله، وإن أمتي قالوا: ربنا الله ولم يشركوا به أحدا». وكذلك روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه[6] قال: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**، قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئا.[7] فإن ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو تفسير الاستقامة التي ذُكر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: أي قالوا ربنا الله ثم استقاموا في إخلاص العمل له والقيام بذلك، وقال بعضهم: ثم استقاموا على أداء الفرائض والشرائع والحدود، وقيل: ثم استقاموا في الطاعات له. والاستقامة تحتمل[8] وجوها ثلاثة.

---

[1] ن ت: قالوا؛ م – قال.

[2] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[3] ﴿قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾ (سورة ص، ٦١/٣٨).

[4] ر م – والله أعلم.

[5] جميع النسخ – أنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.

[6] جميع النسخ – أنه. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٦و.

[7] حديث عمر لم أستطع أن أجده، لكن القرطبي يروي عن أنس رواية قريبة لها في المعنى، وهي هكذا: وقال أنس: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هم أمتي ورب الكعبة». انظر: *الجامع لأحكام القرآن*، ٤١٧/١٨. والأثر المروي عن أبي بكر موجود بسنده في *تفسير الطبري*، ٤٢٢/٢٠-٤٢٣.

[8] ر م + تحتمل؛ ن ت: يحتمل.

أحدها في الاعتقاد؛ اعتقدوا أن لا يعصوه ويجتنبوا جميع ما يخالف أمره ونهيه. والثاني استقاموا في اجتناب جميع ما يخالف ما أعطَوا بلسانهم: أنه ربنا الله، وقاموا[1] بوفاء ما أعطوا بلسانهم قولا وفعلا. والثالث قاموا في جميع الأعمال مخلصين لله تعالى، لم يتركوا فيها أحدا ولا أعطوا[2] لأحد فيها نصيبا من المُراءاة[3] وغيرها،[4] بل خالصا لله تعالى سالما. والله أعلم بما أراد بذلك.

وقوله عز وجل: **تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك عند قبضهم الأرواح في الدنيا، تُبشِّرهم[5] بما ذكر. وقال بعضهم: تقول[6] لهم الملائكة ذلك[7] يوم القيامة عند معاينتهم الأهوال والأفزاع ليَسكُن بذلك قلوبهم عند تلك الأهوال والشدائد.[8] *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله: **ألا تخافوا ولا تحزنوا**، أي لا تخافوا ما أَمَامَكُمْ ولا تحزنوا على ما خلّفتم من الأهل والأولاد. وقيل: لا تخافوا ما تَقْدَمون[9] عليه من الموت وأمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلّفتم[10] من أهل أو دَيْن. وقال بعضهم: لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا على فوت ما وُعِدتم من النعيم فإنها دائمة لا تفوت ولا تنقطع[11] أبدا.

وقوله عز وجل: **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**، على ألسن الأنبياء والرسل عليهم السلام. فمن قال: إن البِشارة التي ذكر هي[12] في الدنيا عند قبض الأرواح فلِما ذُكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».[13] لأن المؤمن يُرَى له الجنة ويُبشَّر بها في ذلك الوقت، فيصير الدنيا له سجنا، لما عاين مما هُيِّئ[14] له وجُعل له من الثواب،

---

[1] جميع النسخ: وأقاموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.
[2] ر م - ولا أعطوا.
[3] ر م: المراء.
[4] ر م: غيرها.
[5] جميع النسخ: يبشر لهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٧و.
[6] ث: يقول.
[7] ر م - ذلك.
[8] ن - والشدائد.
[9] يقدمون.
[10] م: على ما خلفتموا.
[11] جميع النسخ: لا يفوت ولا ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.
[12] ر م - هي.
[13] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣.
[14] ن: تهيئ.

والكافرَ لِما أُرِي له مكانُه في النار أو بُشِر بها،[1] صارت له الدنيا جنة. وعلى ذلك يخرج قوله عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله[2] لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».[3] *والله أعلم*.

**﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يشبه أن يكون هذا القول من الذين بَشَّروهم بما بشروا، يقولون: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.[4] وجائز أن يكون ذلك من الله تعالى، وإن كان المذكور على إثر / البشارة[5] الملائكة، [٦٨٨ظ]
وذلك كقوله تعالى: وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ].[6] ثم إن كان ذلك من الله سبحانه وتعالى فيكون تأويله: نحن أولياؤكم في عصمتكم في الدنيا، وأولى بكم في الآخرة في المعونة. أو يقول:[7] نحن أولى بكم في النصر والتوفيق في الدنيا والجزاء والثواب في الآخرة. *والله أعلم*. وإن كان ذلك من أولئك الذين بَشَّروهم يقولون: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا بالصحبة، فكذلك يكون في الآخرة. *والله أعلم*.[8]

وقوله: **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **ما تشتهي أنفسكم**، أي لكم ما يَرغَب به أنفسكم وتَتُوق[9] إليه، أو لكم فيها ما تتلذذ[10] به أنفسُكم وتَتَنَعَّم بها. وقوله: **ولكم فيها ما تدّعون**، قيل: ما تَتَمَنَّوْن وتسألون، أو يقول: ما تَدْعُون[11] من الدعوى. *والله أعلم*.[12]

---

[1] جميع النسخ: والكافر لما أرى له مكانه في النار أو بشر له. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٧ظ.
[2] ر م - الله.
[3] مسند أحمد بن حنبل، ٣١٣/٢؛ وصحيح البخاري، الرقاق ٤١؛ وصحيح مسلم، الذكر ١٤، ١٨.
[4] ث - هذا يخرج على وجهين أحدهما يشبه أن يكون هذا القول من الذين بشروهم بما بشروا يقولون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
[5] م: بشارة.
[6] سورة المؤمن، ٥٠/٤٠-٥١.
[7] ر م: أو نقول.
[8] ر م - والله أعلم.
[9] من تاق، أي اشتاق.
[10] ر م: يتلذذ.
[11] ن: ما يتمنون وتسألون أو يقول ما تدعون.
[12] ر م - والله أعلم.

﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[٣٢]

وقوله: **نزلا من غفور رحيم**، قال بعضهم: **نزلا**، أي رزقا من غفور رحيم، وهو من الأنزال.[1] وقال بعضهم: **نزلا**، أي إنزالا في المَنزل من غفور رحيم. ***والله أعلم***.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٣]

وقوله: **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**، كأنه يقول: ومن أحسن مذهبا وسيرة ممن دعا إلى الله، أي إلى توحيد الله ودينه، أو دعا إلى المعروف والنهي عن المنكر، أي دعا غيره إلى ذلك وعمل بنفسه. وهذا الحرف يجمع جميع الخيرات والطاعات. فإن كان قوله: **ومن أحسن قولا**، على ما ذكرنا من المذهب[2] والسيرة فكأنه يقول: ومن أحكم وأتقن مذهبا وسيرة ممن ذَكَر. وإن كان على حقيقة القول، فيكون قوله: **ومن أحسن قولا**، أي ومن أصدق قولا ممن قال ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقال إنني من المسلمين**، أي اختار الانتساب إلى الإسلام من بين غيره من الأديان والمذاهب. وقد أبى سائر الفرق الانتساب إلى الإسلام سوى أهل الإسلام. والثاني انتسب إلى ما خص الله سبحانه وتعالى تسميتهم به وهو الإسلام، كقوله تعالى: هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ،[3] وقوله: أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ،[4] وقال في حق إبراهيم عليه السلام: أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[5] ويكون اسم المؤمن خاصا لأهل الحق؛ فإن اليهود والنصارى سَمَّوْا أنفسهم مؤمنين ولا يمتنعون عن إطلاق اسم المؤمن، ويمتنعون عن إطلاق اسم المسلم. ولهذا يقال دار الإسلام[6] ولا يقال دار الإيمان، وإن كان الإسلام والإيمان واحدا لاختصاص هذا الاسم بهؤلاء. ***والله أعلم***. أو يقال: إنه اختار النسبة إلى الإسلام، وغيرهم من الناس انتسبوا إلى ما لهم من العز في الدنيا والشرف فيها أو غير ذلك من الأسباب التي كانت لهم في الدنيا.

---

[1] النُزْل والنُزُل: ما هُيِّءَ للضيف إذا نَزَل عليه، والجمع: الأنزال (*لسان العرب*، «نزل»).

[2] ر ن م: من المذاهب.

[3] سورة الحج، ٧٨/٢٢.

[4] ﴿ربنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ (سورة البقرة، ١٢٨/٢).

[5] ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ (سورة البقرة، ١٣١/٢).

[6] م: دار السلام.

ثم اختلف فيه. قال بعضهم: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: هم المؤذنون؛ وعلى ذلك رويت الأخبار أنها نزلت في المؤذنين.[١] وقال بعضهم: ذلك في كل مؤمن دعا[٢] الخلق إلى طاعة الله تعالى وعمل بنفسه. *والله أعلم*. وعن الحسن أنه تلا قوله تعالى: **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**، قال: هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله تعالى، أجاب في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال:[٣] إنني من المسلمين بربه، هذا خليفة الله تعالى.[٤] *والله أعلم*.[٥]

**﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**، قيل: و"لا" الأخير هاهنا زائدة،[٦] كأنه قال: ولا تستوي الحسنة والسيئة، وقد يزاد حرف لا في الكلام وقد يُنقص، فعلى ذلك هذا. ثم جائز أن يكون قوله: **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**، وقوله: **ادفع بالتي هي أحسن**، كل واحد منهما موصولا[٧] بالآخر.[٨] وجائز أن يكون كل واحد منهما مقطوعا من الآخر على الابتداء. فإن كان أحدهما موصولا بالآخر يقول: لا تستوي الحسنة والسيئة في جلب حُبّ القلوب واللين والعطف لها، بل الحسنة تجلُب[٩] حب القلوب والميل إليها لا السيئة؛ **ادفع بالتي هي أحسن**، أي ادفع بالحسنة دون السيئة، وهو كقوله: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ،[١٠] الآية. فعلى ذلك يقول هاهنا: أن لا تستوي[١١] الحسنة والسيئة في الطاعة والميل وجلب حب القلوب، بل هما مختلفان مفترقان، فادفع سيئتهم بالحسنة. *والله أعلم*.

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٣٠-٤٣١.
[٢] ر م + إلى.
[٣] ر م: قال.
[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٢٩.
[٥] ر م – والله أعلم.
[٦] ن: زائد.
[٧] جميع النسخ: موصول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦ظ.
[٨] ر + يقول لا تستوي الحسنة والسيئة؛ ث م + يقول لا تستوي الحسنة.
[٩] جميع النسخ: يجلب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦ظ.
[١٠] سورة آل عمران، ١٥٩/٣.
[١١] ن: أن لا يستوي.

وجائز أن يكونا جميعا على الابتداء لا اتصال لأحدهما بالآخر. فإن كان على الابتداء فمعناه -والله أعلم- إنكم تعلمون بعقولكم أن لا استواء بين الحسنة والسيئة، ولا بين المحسن والمسيء، وكذا لا استواء[1] بينهما في الحكمة. وقد رأيتم أنهما[2] قد استويا في هذه الدنيا في جميع منافعها ولذاتها وجُمِع[3] بينهما في هذه؛ وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما. دل أن هنالك دارا أخرى تُفَرّق بينهما في الجزاء والثواب فيها. *والله أعلم*. وهو ما ذكر في آية أخرى: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[4] وقوله عز وجل: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ،[5] أي لا نجعل هذا كهذا، وقد جَعَل هذا كهذا[6]
[٦٨٩ر] في هذه الحياة الدنيا فدل ذلك على أن هناك دارا أخرى فيها يقع ذلك / التمييز والتفريق، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.** صرف عامة أهل التأويل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي جهل لعنه الله أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يدفع سيئة أبي جهل بالحسنة.[7] لكن هذا لا يحتمل، لأنه لم يُذكر أن أبا جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذَكر، حيث قال: **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**، بل دامت عداوته إياه إلى أن خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأغرى الناسَ عليه فرجع ذلك الإغراء إليه فقُتل[8] في ذلك اليوم،[9] فدل أنه لا وجه لصرف الآية إلى هذا. ثم يخرج قوله: **ادفع بالتي هي أحسن**، على وجهين. أحدهما ادفع سيئتهم في حادث الوقت بحسنة يكون منك إليهم، أي إذا أحسنت إليهم كَفُّوا هم عن الإساءة إليك في حادث الوقت. *والله أعلم*. فيكون كقوله:[10] وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.[11]

---

[1] ن: وكذا الاستواء.
[2] م: أنها.
[3] ر م: وجميع.
[4] سورة القلم، ٦٨/٣٥-٣٦.
[5] سورة ص، ٣٨/٢٨.
[6] ر م - وقد جعل هذا كهذا.
[7] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٧٤٣/٣.
[8] م: فقيل.
[9] ن + لعنه الله.
[10] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[11] سورة البقرة، ١٧٩/٢.

والثاني أي ادفع سيئتهم بالعفو والصفح عنهم، أي لا تكافئهم[١] بمساوئهم، ولكن تجاوَزْ عنهم واصفح؛ فإذا فعلت ذلك يصير الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، أي لا يعاديك.[٢] *والله أعلم*.

**﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **وما يلقاها إلا الذين صبروا**، أي ما يلقى ولا يؤتى هذه المعاملةَ التي ذكر إلا الذين صبروا[٣] على[٤] أمر الله والقيام بجميع أوامره.[٥] أو يقول: لا يُعطَى ولا يُؤتَى المعاملةَ التي ذكَرَ[٦] ولا يوفَّق لذلك إلا من عزم على الصبر على ما أمر الله تعالى وصبر[٧] على ذلك. وقوله: **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**، يقول: وما يُعْطَى[٨] هذه المعاملةَ التي ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن المجرم إلا من كان له حظ ونصيب عظيم عند الله تعالى. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٦]**

وقوله: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون الاستعاذة التي ذكر هي مباشرةَ الأسباب التي بها يَدفع نزغ الشيطان ووساوسه. أمَره أن يأتي بالأسباب التي يتهيأ له أن يدفع بها نَزَغَاته وهمزاتِه. وهذا كالاستغفار الذي أمر به، ليس هو أمرا[٩] بأن يقولوا: "نستغفر الله"[١٠] بألسنتهم، ولكن أمرٌ بمباشرة أسباب تقع[١١] وتجب[١٢] لهم المغفرة بها، فعلى ذلك الاستعاذة. والثاني جائز أن يكون أَمْرُه بالاستعاذة إياه أمرا له بسؤال لطف من عند الله يدفع به نزغاته وهَمَزَاته. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: لا يكافئهم؛ ن ث: لا تكافهم.
[٢] ر م: لا يعد ذلك؛ ن ث: لا تعاد ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي لدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[٣] جميع النسخ – أي ما يلقى ولا يؤتى هذه المعاملة لتي ذكر إلا الذين صبروا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٧و.
[٤] ر م: عن.
[٥] جميع النسخ: أموره. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٩و.
[٦] ث: ذكرت.
[٧] ر م: ولصبر؛ ن ث: أو الصبر.
[٨] ر ث م: ولا يعطى.
[٩] جميع النسخ: أمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[١٠] ر م: أستغفر الله؛ ث: يستغفر الله.
[١١] ر ث م: يقع.
[١٢] جميع النسخ: ويجب.

وعلى قول المعتزلة لا يصح الاستعاذة منه، لأنهم يقولون: إنه قد أعطى كلًّا ما به يدفع نزغاته وهمزاته، حتى[1] لم يبق عنده شيء يملك إعطاءه إياهم من اللطف وغيره. *والله الهادي*.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**، كأنه يقول -والله علم-: إن الشمس والقمر آيتان من آيات ألوهيته تعالى ووحدانيته، كسيل والنهار إنها آيتان من آيات الله، فإذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم الشمس والقمر. *والله أعلم*. أو يقول:[2] إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى سخرهما[3] لمنافع الخلق. والليلَ والنهار هما مسخران[4] للخلق؛ والمنافعُ التي جعل فيهما[5] للخلق إن لم تكن[6] أكثر لم تكن[7] دون منافع الشمس والقمر. فإذ لم تعبدوا[8] الليل والنهار فكيف عبدتم هاتين. يذكر هذا لأن منهم من كان يعبد الشمس، ومنهم من كان يعبد القمر ونحوه، يذكر سفههم بعبادتهم[9] غير الله.

وقوله: **واسجدوا لله الذي خلقهن**، أي اسجدوا لله الذي أنشأ هذه الأشياء وسخرها لكم، **إن كنتم إياه تعبدون**، أي إن كنتم[10] بعبادتكم هذه الأشياء[11] تقصدون[12] القربة عند الله تعالى، أو إن كنتم بعبادتكم هذه الأشياء إياه تريدون، لأنهم كانوا يعبدون هذه الأشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى،[13]

---

[1] ر م: متى.
[2] جميع النسخ: أو نقول. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[3] ر م: سخرها.
[4] جميع النسخ: كالسيل والنهر مسخرات؛ ولي الدين: كالسيل والنهار مسخران. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٩ظ.
[5] ر م: فيها.
[6] جميع النسخ: إن لم يكن. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[7] ر ث م: لم يكن؛ ن - لم تكن. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٧و.
[8] ر م: فإذا لم تعبدو.
[9] ر م: بعبادة.
[10] ن: أي كنتم؛ ث: وأي إن كنتم.
[11] ن + وسخرها لكم.
[12] ر ث م: يقصدون.
[13] سورة الزمر، ٣٩/٣.

يقول: إن كنتم إياه تقصدون عبادة هذه الأشياء[1] فاسجدوا له[2] واعبدوه،[3] لما أمركم بالسجود له والعبادة. *والله الموفق*.

**﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾[٣٨]**

وقوله: **فإن استكبروا**، قد ذكرنا فيما تقدم أن لا أحد يقصد قصد الاستكبار على الله تعالى.[4] ثم يخرج هذا على وجهين. أحدهما أنهم قد أمروا بطاعة الرسل عليهم السلام، فإذا استكبروا[5] عن الائتمار لهم بما دعوهم إليه،[6] فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى. والثاني لِما تركوا عبادة الله تعالى، وقد جعل في أنفسهم دلالة العبادة لله تعالى، فإذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الائتمار بأمره ولم يعتقدوا[7] الائتمار لذلك الأمر، فيكون استكبارا عليه. *والله أعلم*.

وقوله: **فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**، يقول -والله أعلم- فإن استكبر هؤلاء على عبادة الله تعالى فأوحشك ذلك فاذكر عبادة من عبده[8] من الملائكة بالليل والنهار حتى تستأنس بذلك، والله أعلم، وهو كقوله: وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ.[9] كان يستوحش[10] باستهزائهم به، فذكر له استهزاء أولئك بإخوانه ليَقِلّ ذلك فيه لمّا علم أنه ليس أولَ من استُهزئ به، فهذا مثله. والثاني فإن استكبر هؤلاء على عبادة الله وقد عبدوا الملائكةَ والأصنامَ وغيرَهم، فالذين هم عند ربك ممن عبدهم[11] / هؤلاء لم يستكبروا، بل يسبحون له[12] بالليل والنهار وهم لا يسأمون. وهو كقوله تعالى: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ،[13] الآية، [٦٨٩ظ]

---

[1] ث + رجاء لقربة عنده والزلفى.
[2] م - فاسجدوا له.
[3] جميع النسخ: واعبدوا. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧ظ.
[4] نظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «الاستكبار».
[5] ر م: فاستكبرو.
[6] ن - إليه.
[7] ر م: لم يعتقدوا.
[8] ر ث م: عنده.
[9] سورة الأنعام، ١٠/٦.
[10] ر ث م: مستوحش.
[11] ر م: عبدهم.
[12] ر ث م: بل هم مسبحون له؛ ن - له.
[13] ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (سورة الإسراء، ٥٧/١٧).

وكقوله تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ،[1] يقول: إن استنكف هؤلاء عن أن يكونوا عبيدا[2] لله فالمسيح ومن ذَكَر لم يستنكفوا عن ذلك. وقوله تعالى: **وهم لا يسأمون**، يخبر أنهم لا يسأمون عن عبادته كما يسأم البشر أحيانا عن عبادته. ***والله أعلم***.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت**، الآية، وقال في ما تقدم: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[3] فيما ذكر من الآيات آياتُ وحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره وآياتُ حكمته. أما آيات وحدانيته في الليل والنهار والشمس والقمر فهي أنها[4] إذا كان سلطان أحدهما ليلا أو نهارا أو شمسا أو قمرا[5] لم يَمْنَع عن كون الآخر، ولو كان ذلك فِعْلَ عددٍ لكان مَنَع الآخرَ عن إتيان ما يَذهب بسلطانه، فإذا لم يكن دل أنه فِعْلُ واحدٍ. ودل جريان[6] ما ذكر من الليل والنهار والشمس والقمر على سياق واحد وسَنَن واحد مُذْ كانا إلى آخر ما يكونان على أن مُنشئهما عليم مدبر له[7] علم ذاتي وتدبير ذاتي، ليس بمستفاد ولا مكتسب. ودل سيرهما وجريانهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرةً كذا وكذا عاما على أن منشئهما قادر له قدرة ذاتية لا يُعجزه شيء، إذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا يبلغ ذلك. وكذلك في إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات منها دلالةُ ذلك كله: من دلالة الوحدانية ودلالة العلم الذاتي والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير؛ لأنه لَمَّا أحياها بعد موتها وأماتها بعد إحيائه إياها دل أنه فِعْلُ واحدٍ لا عدد. لأنه[8] لو كان فعل عدد لكان إذا أحيا هذا منع الآخرَ عن الإماتة، وكذا إذا أمات هذا منع الآخرَ عن الإحياء على ما يكون من فعل ذي عدد من ملوك الأرض، فإذا لم يُمنع ذلك دل أنه فعل واحد.

---

[1] سورة النساء، ١٧٢/٤.
[2] ر م: عبدا.
[3] الآية السابقة برقم ٣٧.
[4] جميع النسخ: هو أنه.
[5] جميع النسخ: ليل أو نهار أو شمس أو قمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٧ظ.
[6] ن: حرمان.
[7] جميع النسخ - له. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧ظ.
[8] ر م - لأنه.

ودل جريان ذلك كله في كل عام على مجرى واحدٍ وسَنَن واحدٍ وعلى مقدار واحد من النبات وغيره على أنه إنما كان بعلم ذاتي وحكمة ذاتية، ودلت القدرة على إحيائها بعد موتها وإماتتها بعد حياتها أن له قدرة ذاتيةً لا يُعجزه شيء من البعث وغيره. ثم جعل جلّ وعلا في الماء معنى يوافق ذلك المعنى جميعَ النبات الخارج من الأرض على اختلاف أجناسها وجواهرها حتى يكون حياة كل شيء من ذلك به. دل[1] أن ذلك كان كذلك بلطف منه لا يبلغه فهم البشر ولا علمهم. ثم ذلك النبات مع لِينه وضَعْفِه ورقته يَشُق تلك الأرضَ مع شدتها وصلابتها ويخرج منها ما لا يتوهم خروج أشد الأشياء منها بفعل أحد سواه، دل[2] ذلك على قدرته ولطفه. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **وترى الأرض خاشعة**، أي مَيّتة خَشِنة، **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**، أي تحركت بنباتها وتزينت وصارت حية. وقوله: **وربت**، أي تربو وتزيد ما عليها من النبات. قال القُتَبِي: **اهتزت**، بالنبات، **وربت**: عَلَتْ وانتفخت.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **اهتزت**، أي فَرِحت[4] **وربت** من الزيادة. وقوله: **إن الذي أحياها لمحي الموتى**، هو ما ذكرنا أن الذي مَلَك وقَدَر على إحيائها لقادر على إحياء الموتى بعد موتهم. **إنه على كل شيء قدير**، أي لا يعجزه شيء.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٤٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين يلحدون في آياتنا**، قرأ بعضهم يُلحدون برفع الياء، وقرأ بعضهم بنصبها.[5] فمن قرأ بالرفع تأويله: إن الذين يميلون عن قبول آياتنا. قال أبو عَوْسَجَة: الإلحاد الميل، وأخِذ اللحد من هذا. ومن قرأ بالنصب يقول: يعملون في آياتنا، أي[6] إن الذين يعملون في دفع آياتنا وإبطالها **لا يَخْفَوْن علينا**. هذا[7] وعيد منه لهم، يقول: لا يخفون هم وما يفعلون[8] علينا، فنجزيهم بذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ – دل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨و.
[2] ر م – دل.
[3] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩.
[4] ت: فرحت. فرجت: أي انشقت.
[5] قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يلحدون﴾ هنا [في الأعراف] والنحل وحم السجدة، فقرأ حمزة بفتح الياء والحاء في الثلاثة. انظر: *النشر في القراءات العشر*، ٢/٢٧٣.
[6] ر م – أي.
[7] ر م – هذا.
[8] ر م: لا يخفون هم وما يفعلون؛ ت: وما يعملون.

وقوله: **أفمن يُلْقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة**، يشبه أن يكون هذا صلة لآيتين[1] تقدم ذكرهما؛ أحدهما قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ،[2] الآية، هذه في المؤمنين؛ وقال في الكافرين: فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا،[3] الآية. والآية الثانية قوله عز وجل: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ.[4] يقول: **أفمن يلقى في النار**، بأعماله السوء، **خير أم من يأتي آمنا**، عن ذلك بأعماله الحسنة، أي تعمون[5] أن من يُلْقى في الآخرة في النار ليس كالذي يأتي آمنا عن ذلك كله. ***والله أعلم***.

وقوله: **اعملوا ما شئتم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على التخيير، لأنه جل وعلا بيّن السبيلين جميعا على المبالغة بيانا شافيا واضحا، وبين عاقبة كل سبيلٍ من سلكه إلى ما يُفضِي، ثم قال: **اعملوا ما شئتم**، أي اسْلُكُوا أيَّ سبيل شئتم؛ فإن سلكتم طريق كذا فلكم كذا، وإن سلكتم طريق كذا فلكم كذا. ***والله أعلم***. والثاني على الوعيد، وكذا قوله: **إنه بما تعملون بصير**، على الوعيد.[6]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٤١]

وقوله: **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**، سَمَّى القرآن ذكرا، وهو يحتمل وجوها. أحدها سماه ذكرا لأن من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا؛ أو سماه ذكرا لما يُذكِّر لهم ما نَسُوا

[٦٩٠و] من أحكام الله؛ أو يذكرهم ما لله عليهم / من حق وما لبعضهم[7] على بعض. ***والله أعلم***.

**وإنه لكتاب عزيز**، يحتمل قوله: **كتاب عزيز**، أي عزيز لا يُذِلّه جحود الجاهلين ولا تكذيب المكذبين؛ أو يقول: عزيز عند الله تعالى أكرم به محمدا صلى الله عليه وسلم، أو عزيز[8] يُعِزّ[9] من اتبعه وعمل به، كما ذكرنا أنه يُشرِّف من اتبعه وعمل بما فيه. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ر م: لا يتبين.
[2] الآية ٣٠ من هذه السورة.
[3] الآية ٢٧ من هذه السورة.
[4] الآية ٣٤ من هذه السورة.
[5] ر م: يعمون؛ ن: يعمون.
[6] ث - على الوعيد.
[7] ر م: وما لبعض
[8] جميع النسخ: وعزيز. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨٨و.
[9] ر م: تعز.
[10] ر م - والله أعلم.

*ثم قوله: **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**، لم يخرج له جواب في هذا الموضع؛ |٦٩٠و س١٦
ثم قال بعضهم: جوابه ما ذكر في آية أخرى بعد هذا، وهو قوله: أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.[١]
وقال بعضهم: بل جوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث قال الله تعالى: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ
فِي أَعْنَاقِهِمْ،[٢] الآية. *والله أعلم*.* ٦٩٠و س١٨]

**﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، قال بعض أهل التأويل: أي لا ينزل كتاب مِن بعده يكذّبه أو يُبطله ولا قبلَه كتاب يكذبه أو يبطله، بل خرج موافقا لما قبله من الكتب. *والله أعلم*.[٤] ويحتمل أن يكون قوله: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، أي إبليس لا يستطيع أن يبطل منه حقا أو يُحق منه باطلا أو يَنقص منه حقا أو يَزيدَ فيه باطلا، بل هو على ما ذكرنا: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.[٥] وقال بعضهم ما ذكرنا: لا يكذبه الكتب التي كانت قبله. وقوله: **ولا من خلفه**، أي لا يجيء من بعده كتاب يكذبه. ومعنى هذا أنهم كانوا يردّون ذلك ويدفعونه، وليس لهم حجة من الله في ردّهم إياه ولا في دفعه، بل يدفعونه[٦] بلا حجة ولا برهان. **تنزيلٌ من حكيم حميد**. وعن الحسن قال في قوله تعالى: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**: إن الله سبحانه وتعالى حفظه من الشيطان، فلا يزيد فيه باطلا ولا يَنقص منه حقا. ثم قرأ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.[٧] ودل قوله: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، على أن كل من[٨] أضيف إليه اليدان[٩] والخَلْف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتان[١٠] أو بذكر الخلف الظَّهْر.

---

[١] الآية ٤٤ من هذه السورة.
[٢] ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٠-٧١).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٩٠و/سطر ١٦-١٨.
[٤] ر م - والله أعلم.
[٥] سورة الحجر، ١٥/٩.
[٦] ن - بل يدفعونه.
[٧] انظر لقول الحسن: *معاني القرآن* للنحاس، ٦/٢٧٦.
[٨] جميع النسخ - من. والتصحيح من *التفسير*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[٩] جميع النسخ: اليدين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٨ظ.
[١٠] جميع النسخ: الجارحتين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٨ظ.

إذ لقرآن لا جارحة له ولا يد ولا ظهر حقيقة، وقد أضيف إليه الخَلْف[1] واليدان بقوله: **من بين يديه ولا من خلفه**. فعلى ذلك ما أضيف إلى الله تعالى من اليدين، ومن بين يديه[2] لا تفهم[3] [منهما] اليدان حقيقة الجارحتين. *والله الموفق*.

وقوله: **تنزيل من حكيم حميد**، أي هذا القرآن هو تنزيل من حكيم حميد. الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره أو في حكمه، والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله. *والله الموفق*.*

**﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤٣]**

وقوله تعالى:[5] **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**، يُعزِّي[6] النبيَّ صلى الله عليه وسلم ويُصبِّره ليَصبِر على ما كانوا يقولون له: إنه كذاب، وإنه ساحر، وإنه مجنون، وإنه إنما يعلمه بشر، وإنه مُفترٍ، وغير ذلك من أنواع الأذى كانوا يؤذونه، وكان يشتد عليه ذلك ويَثْقُل، لأنه كان[7] يدعوهم إلى ما به نجاتهم، وهم كانوا يستقبلونه بما ذُكر، فقال الله تعالى عند ذلك: **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**، من التكذيب والنسبة إلى[8] السحر والجنون وغير ذلك يُصبِّره على ذلك. وهو كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[9] الآية. ويحتمل أنه إنما ذكر ذلك له ليتسلّى[10] به عن بعض ما يلحقه من الضَّجَر والوحشة بالذي قالوا فيه بما علم أنه ليس بأول مكذَّب من الرسل ولا بأول متأذٍّ[11] في ذات الله تعالى. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – إذ القرآن لا جارحة له ولا يد ولا ظهر حقيقة وقد أضيف إليه الخلف.
[2] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥) وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ (سورة الحجرات، ١/٤٩).
[3] جميع النسخ: لا يفهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٩٠و/سطر ١٦-١٨.
[5] جميع النسخ – فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم الآية والله أعلم و قوله تعالى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[6] ن: لعزى.
[7] ر م: كانوا.
[8] ر: التي.
[9] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).
[10] جميع النسخ: ليسلي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[11] جميع النسخ: متأذي.

وقوله عز وجل: **إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم**، يقول -والله أعلم- على إثر[1] ذلك: إن ربك لذو مغفرة لو تابوا ورجعوا عن ذلك، وذو عقاب أليم لو ثبتوا وداموا على ذلك. أو يقول -والله أعلم- على الصلة لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ،[2] أي إنه **لذو مغفرة**، يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب لك والتكذيب لقرآن لو تابوا ورجعوا وصدّقوا. **وذو عقاب أليم**، إن[3] لم يتوبوا وثبتوا[4] على التكذيب. ***والله أعلم***. أو يذكر هذا، أي ليس إليك مكافأتهم ومجازاتهم بما كان منهم، إنما ذلك إلينا، إن شئتُ غفرتُ لهم إذا رجعوا عنه،[5] وإن شئتُ عاقبتُهم، وهو كقوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،[6] الآية.

**﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾**[٤٤]

وقوله: **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي**، وقال في آية أخرى: وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ،[7] وقال في موضع آخر: وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.[8] يذكر في هذه الآيات كلها سفه أهل مكة وشدة تعنتهم. يقول: لو أنزلنا عليك الكتاب جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينونه [ل]قالوا: ما هذا إلا سحر مبين، ويقول أيضا-والله أعلم-: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين بلسان العجم[9] فقرأه عليهم، أي على أهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين، لأن قراءة الأعجمي إياه بلسان العرب[10] أكبر في الآية وأعظم في الأعجوبة من قراءة العرب بلسان العربية.

---

[1] ر م: أن.
[2] الآية ٤١ من هذه السورة.
[3] ر: أي.
[4] ر ن م: وثبتو.
[5] ر م + وإن شئت غفرت لهم إذا رجعوا عنه.
[6] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).
[7] سورة الشعراء، ١٩٨/٢٦-١٩٩.
[8] سورة الأنعام، ٧/٦.
[9] جميع النسخ - لعجم. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[10] ن - بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين لأن قراءة الأعجمي إياه بلسان العرب.

أي قراءة كل أحد شيئا بغير اللسان الذي هو لسانه أكبر[1] في الآية وأعظم[2] في الأعجوبة من القراءة بلسان هو لسانه. يقول: لو نزلناه على مَن لسانُه لسان العجم، والقرآن عربي، [٦٩٠ط] فقرأ الأعجمي ذلك على أهل مكة بلسان العرب فهو أكبر[3] أعجوبة وأعظم في الآية، لكانوا لا يؤمنون به. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: ولو جعلناه قرآنا أعجميا وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفَهْمَه وأداءه وقراءته عليهم بلسان العجم، ثم تَرْجَمه إلى العربية، لقالوا:[4] **لولا فُصِّلت آياته أأعجمي**، يعنون القرآن، **وعربي**، أي محمد عليه الصلاة والسلام. يقولون: القرآن[5] أعجمي ومحمد عربي كيف يكون هذا؟ أي لا يكون هذا، ويكذبونه ولا يؤمنون به. وذلك لما ذكرنا أن أداءه بلسان ليس ذلك لسانَه، وقراءتَه بغير[6] ذلك اللسان أكثر في جعله آية وأعظم في الأعجوبة. إذ يمكن الاختلاف من نفسه باللسان الذي هو لسانه وموهوم ذلك؛ وغير موهوم ذلك إذا لم يكن ذلك لسانَه. يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به. ***والله أعلم***.

وقال بعض أهل التأويل: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أحيانا يدخل على رجل أعجمي، يقال له أبو فُكَيْهَة،[7] فقالوا: إنما يعلّمه بشر، فأنزل الله تعالى: ولو جعلناه قرآنا أعجميا بلسان أعجمي لقال[8] كفار مكة: لولا فصلت آياته بالعربية، أي بُيِّنت حتى نفقهه ونعلمه،[9] أي[10] ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم، ولقالوا: [أبلسان] أعجمي أُنزل عليه القرآن ومحمد عربي؟

---

[1] ن: أكثر.
[2] م: وأعجم.
[3] ن: أكثر.
[4] جميع النسخ: وأداه وقرأه عليهم بلسان العرب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[5] ر ث م: لقرآن.
[6] جميع النسخ: بعين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩و.
[7] انظر حول الرواية: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٤٢٨/١٢-٤٢٩، ٣٦٨/١٥. وأبو فكيهة مولى لبني عبد الدار. يقال: إنه من الأزد أسلم بمكة، وكان يعذّب ليرجع عن دينه فيأبى. وكان قوم من بني عبد الدار يخرجونه نصف النهار في حر شديد في قيد من حديد ولا يلبس ثيابا ويبطح في الرمضاء، ثم يؤتى بالصخرة فتوضع على ظهره حتى لا يعقل. فلم يزل كذلك حتى هاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة فخرج معهم في الهجرة الثانية. قال ابن إسحاق: أبو فكيهة اسمه يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث. انظر: *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* لابن عبد البر النمري، ٢٩٣/٤.
[8] ر ن م: يقال.
[9] ر م: يفقهها ويعلمها؛ ث: نفقهها ونعلمه؛ ن: يفقهها ونعلمه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩و.
[10] جميع النسخ - أي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٩و.

فأنزله عربيا ليفقهوه فلا يكونَ هم الاعتلال والاحتجاج. وقال بعضهم: **لولا فصلت آياته.** حتى تفهمَها،[١] أعجميٌّ القرآنِ وعربيّ الرجل؟ وقال أبو معاذ: يكون معنى هذا أن الله تعالى يستفهم قرآنا أعجميا [أنزله] على رجل عربي فلا يفهمون. فيكون الحجة لهم بذلك، وهو مثل الأول. وقال بعضهم: **أأعجمي وعربي،** استفهام من قريش. يكون معناه: لو أنزلناه قرآنا أعجميا على رجل عربي لقالوا: أأعجمي وعربي، كيف يفهم هذا وكيف يعقله؟[٢] لكِنّا قد[٣] ذكرنا أن هذا في الدلالة[٤] أكثر وفي الأعجوبة أعظم. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا.[٥] وقال القُتَبِي: **لولا فصلت آياته،** أنزلت عربية مفصَّلة بالآي، كأنَّ[٦] التفصيل للسان العرب؛[٧] لكن لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام: أن التفصيل لسان العرب. وقال بعضهم: **لولا فصلت آياته،** أي هلا فُرِقت آياته حتى جُعل من كل لسان: من لسان العجم ولسان العرب حتى يفهمَها أهل كل لسان. ***والله أعلم.***

وفي هذه الآية دلالة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا، وأن اختلاف اللسان لا يغيّره ولا يحوّله عن أن يكون قرآنا. ***والله أعلم،*** فيكون دليلا لقول أبي حنيفة رحمه الله: إنه إذا[٨] قَرَأ بالفارسية في صلاته يجوز. ***والله أعلم.***[٩]

وقوله عز وجل: **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى،** وصف الله تعالى هذا القرآن بالشفاء والرحمة والهدى، وسماه مرة عزيزا،[١٠] كريما[١١] مجيدا[١٢] حكيما[١٣] ونحوه. فهو هدى من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة، وشفاء لكل داء وسقم يكون في الدين والأنفس جميعا، هو شفاء لذلك كله وهو هدى.

---

[١] ر م: يفقهه.
[٢] ر م: بعقله.
[٣] ن – قد.
[٤] ن: في الولاية.
[٥] م: بدئ.
[٦] جميع النسخ: كان. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩-٣٩٠.
[٧] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩-٣٩٠.
[٨] ن – إذا.
[٩] انظر: *المبسوط* للسرخسي، ٣٧/١.
[١٠] ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ (الآية ٤١ من هذه السورة).
[١١] ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٧٧).
[١٢] انظر مثلا: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (سورة ق، ٥٠/١).
[١٣] انظر مثلا: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ٣/٥٨).

ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع. أحدهما هو هدى لكل ضلالة، أي دعاءٌ إلى الذي يُضادُّ الضلال. والثاني هدى، أي جُعل بيانا لكل حيرة وشك وشبهة. من اتبعه وقَبِله ونَظَر إليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه إلى سبيله ودينه ويخرجه من الضلال. ويكون بيانا لكل من فيه الحيرة والشك ولشبهة ويُجلّي[1] له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه من الشبهات. فهو لمؤمنين كما ذكر[2] من الهدى والشفاء، لأنهم قبلوه واتبعوه وتكلفوا العمل بما فيه. وأما الكفرة فهو عليهم عَمًى وحيرةٌ وشكّ، لأنهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا إليه بالاستخفاف والهوان، ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبصروا ما فيه، فهو صار لهم عمى وما ذكر. ***والله أعلم***. ولذلك قال تعالى: **أولئك يُنَادَوْن من مكان بعيد**، سماهم غَيَبَة وإن كانوا بأنفسهم حُضورا شهودا، وسماهم موتى[3] وإن كانوا في الحقيقة أحياء، وسماهم صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا[4] وإن كانت لهم هذه الجوارح في الحقيقة، لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح بالذي جعلت هذه الجوارح له وأنشئت، فنفاها عنهم ليعلم أن المقصود بإنشاء[5] هذه الجوارح والأنفس لا نفسُ هذه الجوارح والأنفس ولكنْ طَلَبُ ما غاب عنها وخفي، إذ أنفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا. سماهم غَيَبَة وأحياءَ وبُصَرَاء، وسماهم موتى وعُمْيا وما ذَكَر ليعلم أنها إنما جعلت ليكتسبوا بها الحياة الدائمة والبصر الدائم وما ذكر من كل شيء من السمع[6] وغيره. وكذلك هذه النِعَم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النِعَم الدائمة، فإذا لم يستعملوها فيما جعت صاروا كما ذكر. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **وهو عليهم عمى**، أي عَمُوا عنه. وقال بعضهم: **وهو عليهم عمى**، أي في الآخرة جزاء بما[7] نسوه في الدنيا، كقوله تعالى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى.[8] وقيل: قوله: **يُنَادَوْن من مكان بعيد**،
[٦٩١و] / عبارة عن قلة أفهامهم، يقال للرجل الذي لا يفهم: أنت تُنَادَى[9] من مكان بعيد. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: ويخفى؛ ث: يحيي.
[2] ر ث م – كما ذكر؛ ن: ما ذكر.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠-٨١).
[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿صمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨؛ وانظر أيضا: الآية ١٧١).
[5] ر م: ما يشاء.
[6] ر م: من السميع.
[7] ن ث: م
[8] سورة طه، ٢٠/١٢٥-١٢٦.
[9] م: ينادى.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾**[٤٥]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه**، كأنه يقول -والله أعلم-: إنا قد آتينا موسى الكتاب ما عرفوا أنه إنما نزل من عند الله تعالى، حيث شاهدوا نزوله جملة، ومع أنهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذبه بعضهم، فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: لو أنزلنا القرآن عليك أعجميا فأديته إليهم بلسانك العرب لكذبوك ولا يصدقونك، وإن كان ذلك في الدلالة أكثر وفي[1] الأعجوبة أعظمَ، على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام. يذكر سفههم وتعنتهم. ***والله أعلم***.[2]

وقوله عز وجل: **ولو لا كلمةٌ سبقت من ربك لقُضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب**، ظاهر هذه الآية على أن ما ذكر من المنّة والرحمة في تأخير العذاب إنما هو لقوم موسى لا لهؤلاء، لأنه ذكره على إثر ذكر موسى،[3] وهو قوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب**. لكن أهل التأويل قد أجمعوا على صرف هذه المنّة والرحمة في تأخير العذاب إلى هذه الأمة؛ وكذا فيهم[4] ظهرت[5] المنة في العفو عن الإهلاك في الدنيا دون سائر الأمم. ***والله أعلم***. ثم لظاهر[6] قوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم**، استدلال واحتجاجٌ لأهل الإلحاد، لأن مثل هذا في الشاهد إنما يقال لأحد معنيين: إما لجهل بالعواقب أو لعجز عن وفاء ما وعد. لكن الله يتعالى عن الوصف بالجهل بعواقب الأمور والوصف بالعجز عن شيء بما أقام من الآيات والبراهين على العلم والقدرة.

ثم قوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك**، تحتمل[7] الكلمةُ الحجةَ، كقوله تعالى: وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[8] وقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي،[9] أي لِحُجج ربي،

---

[1] ر م: في.
[2] ر م - والله أعلم.
[3] جميع النسخ - لا لهؤلاء لأنه ذكره على إثر ذكر موسى. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩ط.
[4] ت: فهم.
[5] ت - ظهرت.
[6] ر م: ظاهر.
[7] جميع النسخ: يحتمل.
[8] ﴿أم يقولون افترى على الله كَذِبًا فإن يَشَإِ الله يَخْتِمْ على قلبك ويَمْحُ الله الباطل ويُحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ (سورة الشورى، ٢٤/٤٢).
[9] ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنَفِد البحر قبل أن تَنْفَد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ (سورة الكهف، ١٠٩/١٨).

وتكون[1] الكلمة منه الدين، كقوله تعالى: وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا،[2] ونحوه. وقيل: الكلمة هي الساعة التي أخر عذاب هذه الأمة إليها،[3] فقال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[4] ***والله أعلم.*** وجائز أن تكون[5] الكلمة هاهنا ما سبق من المنة لهذه الأمة أن لا يُعذّبها وقت استحقاقهم العذاب، أو سبق منه المنة والرحمة بتأخير الهلاك عن وقت اكتسابهم أسباب الهلاك. وهذا ينقض[6] على المعتزلة والخوارج لقولهم: أن ليس لله أن يعفو أو يؤخر العذاب عمن وجب عليه واستحقه، أو كلام نحوه، حيث منّ ورحم[7] هذه الأمة بتأخير العذاب عنهم إلى وقت. ولو لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة في ذلك معنى،[8] وهو كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[9] ***والله أعلم.***

**﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**، يخبر عز وجل أنه إنما يمتحنهم فيما امتحنهم لا لمنافع فيه يجرّ إلى نفسه أو لمضارّ يدفع عن نفسه، ولكنه إنما امتحنهم وأمرهم ونهاهم لمنافعَ يكتسبون لأنفسهم ولمضارّ يدفعون بذلك عن أنفسهم. وليس كملوك الأرض إنهم يمتحنون الخلق ويأمرون وينهون ويستعملونهم لمنافع أنفسهم ومُضارّ يدفعونها بذلك عن أنفسهم. فأما الله سبحانه وتعالى فإنما يمتحن الخلائق لمنافع يجرّون إلى أنفسهم ومُضارّ يدفعون به عن أنفسهم. فلهم حصول منافع ذلك الامتحان والأمر والنهي،[10] وعليهم حصول ضرر ذلك. فلأنفسهم يعملون ما يعملون من الخير والطاعة، وعليهم ما يعملون من الشر. ولذلك قال: **وما ربك بظلام للعبيد**، الآية، قد بيّن السبيلين جميعا بيانا شافيا وأقام لكل ذلك حججا وبراهين،

[1] جميع النسخ: ويكون.
[2] سورة التوبة، ٩/٤٠.
[3] ر م: التي هي آخر عذاب هذه لأمة.
[4] سورة القمر، ٥٤/٤٦.
[5] جميع النسخ: أن يكون.
[6] ر ث م - ينقض.
[7] ر - رحم.
[8] ر ع: المعنى.
[9] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[10] ر م + وعليهم حصول منافع ذلك الامتحان والأمر والنهي.

وبيّن أن من سلك[1] سبيل كذا أفضاه إلى كذا في العاقبة: إما نعيم دائم وسرور دائم وإما عذاب دائم وحزن[2] دائم. فمن سلك السبيل الذي عاقبته النار والحزن فَمِن قِبَل نفسه أتى[3] ذلك، وهو الذي أوقع نفسه في ذلك. ومن سلك السبيل الذي جُعِل[4] عاقبتُه الجنة والنعم الدائمةَ فبه وباختياره[5] وصل ذلك. فهو تفسير قوله تعالى: **وما ربك بظلّام للعبيد**. *والله أعلم*.

**﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **إليه يرد علم الساعة**. أجمع من آمن بالله تعالى وصدّق رسله عليهم السلام من أهل السماء وأهل الأرض أن ليس عندهم علم بوقت الساعة، فإن ذلك خفي عليهم لا يعلمونه وإنّ عِلْم ذلك عند الله تعالى، وهو ما قال عز وجل: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[6] الآية، غيرَ الباطنية والروافض، فإنّ عِلْم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زَعمهم. أما الروافض فإنهم يَعُدّون الأئمة ويقولون: إن الساعة على إمام كذا وفي زمان كذا. وأما الباطنية فإنهم[7] يقولون: إن اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك إنما هو اسم قائم الزمان وإنه فلان، فعلى قولهم يظهر وقت قيامها. فهو خلاف ما ذُكر في الكتاب وما أجمع عليه أهل السماء والأرض. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما تخرج / من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه.** [٦٩١ظ]
جائز أن يكون ما ذكر من إخراج الثمرة من الأكمام وما ذكر من حمل الأنثى ووضعها هو[8] موصولاً[9] بقوله: **إليه يرد علم الساعة**. فإن كان على ذلك فمعناه: لا يَعلم ذلك[10] كله إلا هو،

---

[1] ث: أن يمر مسلك.
[2] جميع النسخ: وشرور. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[3] ر م: إلى.
[4] ن - جعل.
[5] ر م: فيه واختياره.
[6] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو﴾ (سورة الأعراف، ١٨٧/٧)؛ وانظر أيضا: سورة النازعات، ٤٢/٧٩-٤٤.
[7] ر ث م - فإنهم.
[8] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[9] جميع النسخ: موصول.
[10] ر م - ذلك.

لا يَعلم [أحد] وقتَ خروجها ولا قدرَ خروجها ولا حدّها وأنها تخرج[1] أوْ لا. وكذلك الولد لا يَعلم [أحد] كيفيةَ عُلوقه ولا وقتَه ولا مقدارَه وأنه يَعْلَق[2] أوْ لا، عِلْم ذلك إلى الله تعالى كعلم الساعة. *والله أعلم*.

وجائز أن يكون قوله: **وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**، على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[3] وقوله:[4] وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً،[5] إلى ما ذكر. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: ومن آيات ألوهيته ووحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره أن تخرج[6] الثمرات من أكمامها، ومن آياته أن تحمل الأنثى الولد[7] وتضعه. وهو أن الله تعالى أنشأ تلك الثمرات[8] في الأكمام، وكذا الولدَ في البطن في حُجُب وسَواتِرَ وربّاه[9] في تلك الحُجُب والسواتر وغذّاه بأغذية، ودفع عنه جميع الأذى من البرد والحر وجميع ما يؤذيه لضعفه ولطافته لطفا منه ورحمة، وصوّره في تلك الحُجُب والسواتر بأحسن صورة لتعلم[10] ألوهيته ووحدانيته وأن له علما ذاتيا وقدرة ذاتية أزلية لا مكتسبا[11] مستفادا، إذ العلم المستفاد والقدرة المستفادة[12] لا يبلغ ذلك. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **من أكمامها**، أي المواضع التي كانت فيها مستترة؛ وغلاف كل شيء كُمُّه، وإنما قيل: كُمُّ القميص من هذا.[13] وقال أبو عَوْسَجة: أكمامها غطاؤها التي تكون فيها قبل أن تتفتّق[14] عنها. والتفتّق التشقّق، يقال: تفتّقتِ[15] الأكمامُ عن الثمرة، أي تشقّقتْ.

---

[1] ر م: وقت خروجها ولا حدها وأنها يخرج.
[2] عَبِقَ بالشيء عَبَقًا وعَلِقَهُ: نَشِبَ فيه (*لسان العرب*، «علق»).
[3] الآية ٣٧ من هذه السورة.
[4] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[5] الآية ٣٩ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ: أن يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[7] جميع النسخ – الولد. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٩٠و.
[8] جميع النسخ: تلك الثمرة.
[9] ر م: ورثاه.
[10] جميع النسخ: ليعلم.
[11] ن: لا يكتسب.
[12] ر ن م: المستفاد.
[13] ر ث م – من هذا.
[14] ر م: يكون فيها قبل أن يعق؛ ن ث: يكون فيها قبل أن يفتق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[15] ر: والتعق التشقق يقالبعيقت؛ م: والتعق التشقق يقال تعيقت.

وقوله عز وجل: **ويوم يناديهم أين شركائي**، يذكِّرهم ويخبر عما يُسألون يوم القيامة وما يكون من جوابهم لذلك السؤال، لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرونه، يقول: **ويوم يناديهم أين شركائي**، أي أين الذي تزعمون[١] أنهم شركائي في الدنيا، وأين الذين تعبدون في الدنيا وتزعمون أنها آلهة وأنها شفعاؤكم عندي. وإلا لا يحتمل أن يقول لهم الرب جل وعلا: **أين شركائي**، ولا شريك له ولا إله غيره، ولكن ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **قالوا آذَنّاك ما منا من شهيد**. قال بعضهم: **آذناك**، أسمعناك، وقيل: أعلمناك. والأشبه أن يكون معنى **آذناك:** أخبرناك، إذ الله تعالى كان عالما بذلك، وإعلام العالم لا يتحقق. أما الإخبار للعالم عن الشيء يتحقق بما علم به. *والله أعلم*.

ثم اختلف في ذلك أنه قول من؟ قال بعضهم: هو قول أولئك الكفرة الذين نُودوا[٢] يومئذ، يقولون: أخبرناك أن لم يكن منا أحد شهد بذلك أو قال بالشريك أو قال بإله[٣] سواك. يخرج على الإنكار والجحود والكذب أنهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا، وهو كما ذَكَر[٤] عنهم في آية أخرى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا، الآية، فقالوا: وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٥] أنكروا ما كان منهم من الإشراك. فعلى ذلك قوله: **آذَنّاك ما منا مِن شهيد**، أي لم نشرك[٦] فيك أحدا ولم نتخذ ما دونك[٧] إلها. *والله أعلم*. وقال بعضهم:[٨] هذا من قول الأصنام والذين عبدوهم من دون الله في الدنيا، يقولون: ما منا من شهيد على عبادة أولئك إيانا ولا أمرناهم بذلك، وهو كقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ [فَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ].[٩] أخبروا أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم إياهم وأنهم ما أمروهم بها.

---

[١] ر م: يزعمون.

[٢] م: نودو.

[٣] جميع النسخ: أو يقولون بالشريك أو بإله (ر م: ما له). والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٤ظ.

[٤] ن - ذكر.

[٥] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٢-٢٣).

[٦] ر م: يشرك.

[٧] ر م: ماد ذلك.

[٨] ن + قوله قالوا آذناك ما منا من شهيد.

[٩] جميع النسخ - ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾؛ + وقولهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٤). والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٤ظ. سورة يونس، ١٠/٢٨، ٢٩.

فعلى ذلك قوله تعالى: **آذَنّاك ما منا من شهيد**، أي أخبرناك. وقوله تعالى: **آذناك**، على هذا التأويل هو ما ذكروا: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ. ***والله تعالى أعلم***.

ثم إن الكفرة في يوم القيامة مرة أنكروا عبادتهم غير الله، وأحيانا أقروا بها وتبرءوا منها، ومرة سألوا الرجوع إلى المحنة والردَّ إلى الدنيا على اختلاف الأحوال والأوقات في ذلك اليوم. إذ لا يكون هذه الأسولة[1] المختلفة في وقت واحد. ***والله أعلم***.

**﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٤٨]

وقوله عز وجل: **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل**، هو ما ذكر في آية أخرى، حيث قيل لهم: أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا.[2] وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام في الدنيا رجاء أن تشفع[3] لهم في الآخرة وتقرّبهم[4] إلى الله زلفى، فلما أيسوا ما رجَوا منها وطمعوا قالوا ضلّوا عنا، فعلى ذلك قوله: **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل**، في الدنيا. وقوله عز وجل: **وظنوا ما لهم من محيص**، أي أيقنوا وعلموا[5] أن لا محيص لهم ولا نجاة. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما لهم من محيص**، أي مَهرَب.

**﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾**[٤٩]

وقوله عز وجل: **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط**، وقال في آية أخرى: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ،[6] هاتان الآيتان في ظاهر المخرج / إحداهما مخالفة للأخرى، لأنه ذكر في إحداهما [٦٩٢و]
الإياس والقُنوط إذا مسه الشر، وفي الأخرى كثرة الدعاء إذا مسّته[7] الشدة والبلاء. ومن طباع الخلق والعرف فيهم أنهم إذا[8] أيسوا وقَنِطوا لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سؤالهم،

---

[1] ر ث م: الأسؤلة. || الأسولة لغة من الأسئلة (لسان العرب، «سول»).
[2] جميع النسخ: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠ظ. || سورة الأعراف، ٣٧/٧.
[3] ر ن م: أن يشفع.
[4] ر ن م: ويقربهم.
[5] ر م: وعلموا.
[6] الآية ٥١ من هذه السورة.
[7] جميع النسخ: مسه. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٥و.
[8] ر م: إذن.

وإذا طَمِعوا ورجَوْا[١] عند ذلك سألوا ودعَوْا، هذا هو العرف فيهم، فدل أن بينهما مخالفةً من حيث الظاهر.

لكن نقول: إن الآية تخرج[٢] على وجوه. أحدها[٣] يحتمل أن [يكون] كل واحد من الآيتين في إنسان لعينه يشار إليه سوى الآخر، كان عادة[٤] أحدهما[٥] عند[٦] الإياس والقنوط من الخير تركَ الدعاء والسؤال، وكان عادة الآخر الدعاء والتضرع إليه والسؤالَ عن كشف ذلك عنه. فأخبر عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام ما أضمر كل واحد منهما في نفسه، أحدهما الإياس والقنوطَ والآخر الدعاء والسؤال والطمعَ في الخير، ليكون له عليهم دلالة الرسالة وآية النبوة، إذ أنبأ عن ضمير كل واحد منهما وما في نفسه ليعلم أنه[٧] رسول وأنه[٨] إنما عَلِم ذلك بالله جل وعلا. ***والله أعلم.***

والثاني أن الكفرة كانوا فِرَقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة. فرقة كانت تطمئن في حال الرجاء والسعة، وتَيْأس وتَنْقلِب[٩] في حال البلاء والشدة، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ،[١٠] الآية. وفرقة كانت تَفْزَع إلى الله تعالى وتُقبِل[١١] إليه عند إصابة الشدة والبلاء وتُعْرِض[١٢] عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسيعِ النعم عليهم، نحو قوله تعالى: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[١٣] الآية، ونحوه كثير في القرآن.

---

[١] ر م: ورجعو.

[٢] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠ظ.

[٣] جميع النسخ: – أحدهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٤] ر م: عبادة.

[٥] ر ن م: أحدها.

[٦] جميع النسخ: عنى. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٧] ر: أن.

[٨] جميع النسخ: – وأنه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٩] ث ن: وتتقلب.

[١٠] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

[١١] جميع النسخ: ويقبل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.

[١٢] جميع النسخ: ويعرض. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩١و.

[١٣] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).

وفرقة كانت تكون[1] في الحالين جميعا على الإعراض عنه وترك الإقبال إليه والطاعة له، لا يَفزَعون إليه ولا يُقبِلون لا في حال الرخاء والسعة ولا في حال البلاء والشدة، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ.[2] وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من أنفسهم، وإذا صارت[3] سيئة وشدة تَطيَّروا بالرسل عليهم السلام، كقوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ،[4] وقوله تعالى: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ.[5] وإذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت أجناسا شتّى فيكون كل آية منها في جنس غير الجنس الآخر، وفي أهل مذهب غير أهل مذهب آخر. فأما المسلمون فيكونون في الحالين جميعا على التوحيد والإقبال إلى الله تعالى: في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة، وهو على ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة، حيث قال: إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[6] وقوله تعالى: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،[7] الآية، وأمثال ذلك من الآيات، وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم في الأحوال كلها. ***والله أعلم.***

والثالث جائز أن يكون ما ذكر من الآيتين على ما ذكر إخبارا[8] عما طبع عليه البشر وأنشئ، وإنما أنشئ البشر وطبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار عن الشدة والبلاء والكراهة له. فهذا إخبار عما طبعوا عليه وأُنشئوا، ليس على حقيقة إظهار ذلك منهم قولا أو فعلا على ما طُبع كل إنسان راغبا حريصا[9] في السعة والرخاء، وأن يكون[10] ما ذكر **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير**، كارها نافرا عن البلاء والشدة. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م - تكون؛ ن ث: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.

[2] سورة الأنعام، ٤٣/٦.

[3] ث: أصابت.

[4] سورة الأعراف، ١٣١/٧.

[5] سورة النمل، ٤٧/٢٧.

[6] ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ٩/١١-١١).

[7] ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر، ١/١٠٣-٣).

[8] جميع النسخ: إخبار.

[9] ر ث م: حراصا.

[10] جميع النسخ: وإنه.

**﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [٥٠]**

وقوله عز وجل: **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي**. قال[١] بعضهم: **هذا لي**، أي أعطانيه من خير عَلِمه مِنّي. وجائز أن يكون ما ذكرنا أنهم كانوا يتطيّرون بالرسل عند البلاء والشدة، والسعةَ[٢] يرون[ها] من أنفسهم، حيث قال:[٣] فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ،[٤] الآية.

وقوله عز وجل: **وما أظن الساعة قائمة**، كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عَمِلوا[٥] في الدنيا، ثم يقولون: فلئن كان ما[٦] يذكر محمد من البعث والجزاء للأعمال والجنة إن ذلك لنا دونهم، وهو قولهم: **ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى**، أي إن رُجعت إلى ربي على ما يقوله محمد إن لي عنده للحسنى، وهو على ما قالوا في الدنيا: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[٧] لما رأوا السعة لأنفسهم في الدنيا دون المؤمنين، فعلى ذلك في الآخرة قالوا: لنا دونهم. ***والله الهادي***.

ثم أخبر تعالى عما ينزل بهم بأعمالهم في الآخرة، وهو قوله تعالى: **فلننبأنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ**، أي ننبئنّهم بجزاء ما عَمِلوا،[٨] لأن ذلك كان منهم تمنيا وتَشَهّيا،[٩] ثم نذيقهم[١٠] العذاب الغليظ.

**﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [٥١]**

وقوله عز وجل: **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**،[١١] هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير وطمعهم ذلك. وقوله: **فذو دعاء عريض**،

---

[١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.
[٢] ن: فاسعة.
[٣] جميع النسخ: قالوا.
[٤] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومن معه﴾ (سورة الأعراف، ١٣١/٧).
[٥] ن: لما علموا.
[٦] ر م - ما.
[٧] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (سورة الأحقاف، ١١/٤٦).
[٨] ر م: نخيرا ما عملوا.
[٩] ر م: وتسهيا.
[١٠] ر م: نمريد يعهم؛ ن: نمريد بهم؛ ت: لم يديقهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.
[١١] ن + قال أبو عوسجة ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذوا دعاء عريض.

قال أبو عَوْسَجَة: **ونأى بجانبه**، أي تَبَاعَد عما أُمِر به؛ **فذو دعاء عريض**، أي كثير الدعاء لا يَمَلّ ولا يَسأَم، وكذا قال القُتَبِي.[1]

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾**[٥٢]

وقوله تعالى: **قل أرأيتم إن كان من عند الله**، يقول: إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به **من أضل ممن هو في شقاق بعيد**.[2] جائز أن يكون هذا موصولا بقوله: **أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**.[3] وجائز أن يكون على الابتداء، ليس بجواب لقوله: **أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**، ويكون / كأن لم يكن يُذكَر جواب **أرأيتم إن كان من عند الله** [٦٩٢ظ]
**ثم كفرتم به**، لِما عرَفوا أن من عاند وعادى ما كان من عند الله[4] أنه ما يُعمَل بهم وما يُصنَع، وهو كقوله تعالى: أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] لم يُذكَر له جواب، لما عرفوا أن من عُبِد[6] دون الله -بعد معرفتهم أنه إفك وأنه كذب وأنه[7] ليس بإله[8]- ماذا يفعل [الله] بهم، فلم يُذكَر لهذا جواب لمعرفتهم بما يَفْعَل بهم. فعلى ذلك قوله: **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**، يجوز أنْ لم يُذكَر له جواب لما عرفوا أنه ما يَفْعَل بهم وما يستوجبون منه بما عاندوه وعادوه بعد معرفتهم أنه من عند الله جاء ثم كفروا به. ***والله أعلم***.

وإن كان موصولا فجوابه ما ذكر من قوله: **من أضل ممن هو في شقاق بعيد**، فيكون كأنه يقول -والله أعلم-: أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به، فإذا كفرتم ضللتم، فمن أضل ممن هو في شقاق بعيد، أي في خلاف وبُعْد، فيكون جوابه كأنه قال: لا أحد أضلّ ممن عرف أنه من عند الله ثم خالفه وتباعد عنه، على ما ذكرنا في قوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[9] أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

---

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٩٠.
[2] جميع النسخ – من أضل ممن هو في شقاق بعيد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٦و.
[3] جميع النسخ – جائز أن يكون هذا موصولا بقوله أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.
[4] ن + ثم كفرتم به.
[5] سورة الصافات، ٣٧/٨٦-٨٧.
[6] ر ث م: أن من تريدون عبدوا.
[7] جميع النسخ – أنه. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٦و.
[8] جميع النسخ + أن الله.
[9] سورة الأنعام، ٦/١٤٤. انظر تأويل هذه الآية (٥/٢٣٩).

**﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[٥٣]

وقوله عز وجل: **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**، اختلف فيه. قال بعضهم: **سنريهم آياتنا**، أي نريهم عذابنا الذي نَزَل بالأمم المتقدمة في بلاد عادٍ وثمودَ وقوم لوطٍ. كانوا يمُرّون عليها ويعرفون أنه لماذا نَزَل بهم ذلك، وهو[1] لتكذيبهم[2] الرسل وعنادهم، ونريهم عذابنا أيضا في أنفسهم ببدر، حيث قُتل فراعنتهم يومئذ. **حتى يتبين لهم أنه الحق**، يقول:[3] إن القرآن هو الحق من الله، لأن فيه الإخبارَ عن العذاب للذين[4] كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: **سنريهم آياتنا في الآفاق**، هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه. **وفي أنفسهم**، أي فتح مكة وظهوره عليهم على ما وعد له ربه جل وعلا من النصر له وفتح البلاد والقرى. فيكون هذان التأويلان آية لرسالته ونبوّته. ***والله أعلم***.

ويحتمل قوله:[5] **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**، آيات وحدانيته وألوهيته؛ أما في الآفاق هو[6] ما[7] جعل منافع البلاد النائية والقرى المتباعدة متصلة بمنافع أنفسهم ومنافع البلاد القريبة، ومنافعَ[8] السماء متصلة بمنافع الأرض على بعد ما بينهما، ليُعلَم أنه تدبير واحدٍ وفعلُ فردٍ لا عدد. أو أن تكون[9] آياته في الآفاق رفعَ السماء مع غِلَظها وكثافتها وسَعَتها بلا سبب ولا تعليق من أعلاها ولا عماد من أسفلها. **وفي أنفسهم** ما حوَّلهم وقَلَّبهم في الأرحام من حال النطفة إلى حال العلقة ومن حال العلقة إلى حال المضغة ثم من حال المضغة إلى حال الإنسان والتصوير والتركيب إلى آخر ما ينتهي إليه أمره، ليُعلم أنه صنع واحد وتدبير فردٍ، لا تدبيرَ لأحد سواه في ذلك. فهذان التأويلان في آية الألوهية والوحدانية، والأولان في إثبات الرسالة. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م - وهو.
[2] ر م: تكذيبهم.
[3] ن: تقول.
[4] جميع النسخ: الذين.
[5] ر م: قولهم
[6] ر ن م - هو
[7] ر م: وما
[8] ن + ومنافع.
[9] جميع النسخ: أو أن يكون

وقوله عز وجل: **أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**، كأنه يقول: أولم يكف ربُّك شاهدا أنه من عنده على ما تقول[1] أنت. أو يقول: أولم يكف ربك ناصرا ومعينا. أو يكون قوله: **أولم يكف**، أي أو لم يكفهم ما جاء من عند الله من البينات والقرآن، كقوله: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ،[2] الآية، فعلى ذلك يحتمل هذا. ويحتمل أولم يكفهم آيةً على رسالتك وآية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله. ***والله أعلم***.

**﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾**[٥٤]

وقوله عز وجل: **ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم**، أي ألا شكُّهم ومِرْيَتهم في البعث هو الذي حَمَلهم على تكذيب ما جاء من عند الله وإنكاره. ***والله تعالى أعلم بالصواب***.[3]

[1] ن: يقول.
[2] سورة العنكبوت، ٥١/٢٩.
[3] ر: والله أعلم؛ ن: والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الشورى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿حمٓ﴾[١] ﴿عٓسٓقٓ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم عسق**. قال بعضهم: **حم**، هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو[3] اسم من أسماء القرآن. وقال بعضهم: **حم**، أي قُضِي ما هو كائن.[4] وقد ذكرنا الحروف المقطعة فيما تقدم.[5] وقال بعضهم في **عسق**: [ال]عين عبارة عن عذابه، والسين عن المسخ،[6] والقاف كناية عن القذف. يقول[7] صاحب هذا القول: يخرج عين من الأرض فيها عذاب ويُمْسَخ رجل من هذه الأمة بالبادية فيقذفه الناس بالحجارة. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: -وهو قول ابن عباس- **حم سق**،[8] على إسقاط حرف العين؛ ثم يقول: السين كل فرقة تكون؛[9] والقاف كل جماعة تكون،[10]

---

[1] ر ن- سورة الشورى؛ ن م + ذكر أن حم عسق كلها مكية إلا آيات؛ ث + مكية وهي خمسون وثلاث آيات.

[2] د + رب وفق والأمل فحقق.

[3] ن - هو.

[4] جميع النسخ + وقد ضعف هذا القول ابن عباس رضي الله عنه والصحيح من الأقوال أن حم خبر مبتدأ محذوف وتنزيل الكتاب خبره من الله صفة الكتاب (ر: صفته لكتاب؛ ث: صفة لكتاب) والتقدير هذا حم تنزيل الكتاب من الله لعزيز الرحيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١ظ.

[5] جميع النسخ - وقد ذكرنا الحروف المقطعة فيما تقدم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٧و. انظر: تفسير أول سورة البقرة و سورة آل عمران.

[6] ر م: عن المسيح. المَسْخ: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها وتحويل خلق إلى صورة أخرى؛ يقال: مَسَخه الله قِرْدًا يَمْسَخه وهو مَسْخ ومَسِيخٌ (*لسان العرب*، «مسخ»).

[7] ن: كقول.

[8] ن ث: حم عسق.

[9] ر ث م: يكون.

[10] جميع النسخ: يكون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.

وذُكر أنه[1] كان يَعلم[2] علي بن أبي طالب[3] كرم الله وجهه حسابات العين. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ رضي الله عنهما أنهما قرءا[4] حم سق[5] على طرح العين.[6] وقال بعضهم:
[٢٩٣و] العين عبارة عن العذاب، والسين عن سيكون، والقاف عن الوقوع، أي قُضي ما سيكون لك.[7] *والله أعلم*.[8] وذكر عن جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنهم[9] قال: العين عبارة عن العذاب، والسين عبارة عن سيكون، ولم يفسر القاف وقال: عَجَبٌ!، أو كلام نحوه.[10] *والله أعلم*. وقال بعضهم: العين عبارة عن علمه، والسين السلام، والقاف عبارة عن القدرة، وهذا[11] محتمل. وجائز أن يكون كل حرف من هذه الحروف المقطعة عبارةً عن صفة من صفاته أو اسمٍ من أسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرفٍ عبارةً عن جميع الكلمة؛ فالحاء عبارة عن حلمه وحكمته وحكمه، والميم عبارة عن ملكه ومجده، والعين عبارة عن علمه، والسين عبارة عن سنائه وسُودَدِه،[12] والقاف عبارة عن قدرته وقوته. يكون كل حرف من هذه الحروف عبارةً عن اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو عبارة[13] عن حكم من أحكامه. وهذا الذي ذكرنا كله على الإمكان والاحتمال، لا يَسَع لأحد[14] أن يحقق فيه التفسير أنه كذا وأنه أراد كذا، لأنه من المتشابه وأنه من السر[15] الذي لم يُطْلِع الله تعالى عليه أحدا إلا رسلَه عليهم الصلاة والسلام.

---

[1] ر م – أنه.
[2] م: يعلم.
[3] ن + رضي الله عنه و.
[4] جميع النسخ – أنهما قرءا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[5] ر م ث: وحم سق.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٦٥/٢٠.
[7] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[8] ر – أعلم.
[9] هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، الإمام السادس عند الاثنا عشرية.
[10] ولم أجده مرويا عن جعفر الصادق. لكن القرطبي روى عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنهما التفسير التالي: «الحاء» من الرحمن، و«الميم» من المجيد، و«العين» من العليم، و«السين» من القدوس، و«القاف» من القاهر (*الجامع لأحكام القرآن*، ٤٤٢/١٨).
[11] ر م: وكذا.
[12] والسُّودَدُ: الشرف، وقد يُهمَز وتُضم الدال الأُولى: السُّؤْدُدُ، لغة طيء، وقد سادهم سُودًا وسُودُدًا وسِيادةً وسَيْدُودة (*لسان العرب*، «سود»).
[13] جميع النسخ: وعبارة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[14] جميع النسخ – لأحد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[15] ن + من.

**﴿كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك**. أي كما أوحى إليك فقد أوحى إلى الذين من قبلك مثله. ثم اختلف في قوله: **كذلك**. قال بعضهم: أي كما أوحينا إليك بسورة حم عسق أوحينا بها إلى الذين من قبلك. وقال بعضهم: أي كما أوحينا إليك بهذه الحروف، يعني حم عسق بعينها فقد أوحينا بعين هذه الحروف إلى الذين من قبلك، وهو حم عسق. وقال بعضهم: كما أوحينا إليك بحم عسق،[1] أوحينا إلى الذين من قبلك من الرسل بمعنى ذلك.[2] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليس نبي إلا وقد أوحى إليه بحم عسق، كما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو على ما ذكرنا.

**﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٤]**

وقوله: **له ما في السماوات وما في الأرض**، يخرج ذكر هذا في هذا الموضع على وجوه. أحدها[3] أي له ما في السماوات وما في الأرض شهودًا[4] على ألوهيته ووحدانيته. والثاني أن ما في السماوات والأرض[5] وما فيهما[6] دلالاتٌ وحدانيته وربوبيته. والثالث **له ما في السماوات وما في الأرض**، أي كلهم عبيده وملكه، فلا يحتمل أن يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة وما قالوا فيه؛[7] إذ لا أحدَ يتخذ من عبيده وملكه[8] ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة، فعلى ذلك يتعالى الله من أن يكون له في ملكه ما ذكروا. *والله أعلم*.

وقوله: **وهو العلي العظيم**، العلو والعظمة في الشاهد يكون من وجوه ثلاثة. أحدها العلو عبارة عن القهر والغلبة، يقال: فلان عالٍ، أي غالب وقاهر والعظمة عبارة عن القدرة والمنزلة ونَفَاذ الأمر. والثاني يكون العلو عبارة عن الكبرياء والسُّودَد، وكذلك العظمة.

---

[1] جميع النسخ: حم عسق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[2] ن + والله أعلم.
[3] ر م – أحدها.
[4] جميع النسخ: شهود. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[5] ن: وما في الأرض.
[6] ر م: فيها له؛ ش + له.
[7] ر ت م – فيه.
[8] ر م: و من ملكه.

و لثالث العو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان، والعظمة عظمة في البدن والنفس. وهذا مما لا يكون فيه كثرة[1] مَنْقَبَةٍ وقدرٍ ولا شيءٌ من ذلك، ولا يزيد ذلك في صاحبه رفعة ولا مرتبةً، والله يتعالى عن الوصف بهذا. فإنما رجع الوصف له بالعلو والعظمة إلى الوجهين الأولين: السلطانِ[2] والقدرة ونفاذ الأمر والمشيئة، أو الكبرياءِ[3] والغلبة؛ فأما ما رجع إلى الارتفاع في الأمكنة والعظمة في البدن فهو صفة المخلوق وهم الموصوفون بذلك. تعالى الله عما يقول الظالمون عنوا كبيرا.[4]

**﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥]**

وقوله: **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن،** يحتمل هذا وجهين. أحدهما تكاد يتفطرن لذنوب أهل الأرض وفسادهم وعِظَم ما قالت الملحدة[5] في الله من الولد والشريك والصاحبة، كادت تتشق لذلك وتتساقط، كقوله في آية أخرى: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا.[6] بين في هذه الآية أنها كادت تنفطر وتنشق[7] لماذا؟ وهو دعواهم للرحمن ولدا، فلذلك يحتمل هاهنا هذا المعنى. *والله أعلم*. والثاني كادت تنشق[8] لبكاء أهلها عليها إشفاقا[9] ورحمة على أهل الأرض. ويحتمل تكاد تنشق[10] لعظمة الرب وجلاله وعِظَم[11] سلطانه، كقوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[12] أخبر أنه لو جعل في الجبال والأرض والسماء من المعنى والتمييز ما جعل في البشر لكانت هذه الأشياء بالوصف[13] الذي ذكر من الخضوع لربها.

---

[1] ن: كبير.
[2] ر م: والسطان.
[3] ر م: والكبرياء.
[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى هذه الآية الكريمة: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون عنوا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤٣/١٧).
[5] ر: وعظم ما قالت الملحدة؛ ث: وعظيم ما قالت الملحدة؛ م: وعظم ما قالت الملاحدة.
[6] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[7] ن: ينفصر وتتشقق.
[8] ن. تتشقق.
[9] ر ث م. وإشفاقها؛ ن: وإشفاقك. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢ظ.
[10] ن: تتشقق.
[11] ن. وعظيم.
[12] سورة الحشر، ٥٩/٢١.
[13] ث + لوصف.

وهو كما ذكر في آية أخرى: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.[١] يخبر عن شدة خضوع هذه الأشياء وخشوعها لربها وتذللها له، وعناد الكفرة واستكبارهم وقلةِ خضوعهم وخشوعهم لربهم. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن**، لكثرة أهلها وازدحامهم فيها وعبادتهم[٢] لربهم، على ما ذُكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَطَّتِ[٣] السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما من موضع قدم فيها إلا ومَلَكٌ فيها ساجد أو راكع أو قائم يسبح الله تعالى ويصلي له».[٤] *والله أعلم*. [٦٩٣ظ]

وقوله: **والملائكة يسبحون بحمد ربهم**. هذا يدل على أن ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقول الملحدة[٥] فيه من الشريك والولد والصاحبة حيث قال على إثره: **والملائكة يسبحون بحمد ربهم**، أي الملائكة ينزهونه ويبرءونه عما يقولون فيه ويُثْنُون عليه بالثناء الذي يليق به ويصفونه بما هو أهله. *والله أعلم*.

وقوله: **ويستغفرون لمن في الأرض**، امتحنهم جل وعلا بالتسبيح له والثناء عليه[٦] والاستغفار لأهل الأرض على ما ذكر. ثم قال[٧] بعضهم: إن قوله: **ويستغفرون لمن في الأرض**، منسوخ بقوله تعالى: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا،[٨] لأن الأول عامٌّ لجميع أهل الأرض والثاني خاص. لكنّ هذا بعيد محال أن يستغفر الملائكة ويطلبوا[٩] التجاوز من ربهم لمن يقول له بالشريك والولد والصاحبة؛

---

[١] سورة البقرة، ٢/٧٤.

[٢] ر م: وعبادهم.

[٣] من الأطيط صوت الأقتاب. وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها. أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمّ أطيط وإنما هو كلامُ تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى (*النهاية* لابن الأثير، «أطّ»).

[٤] عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطّت السماء وحُقّ لها أن تَئِطَّ ما فيها أربعُ أصابعَ إلا وعليه ملكٌ واضع جبهته ساجدًا لله تعالى. لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفُرُشات ولَخرجتم إلى الصُّعُدات تَجْأَرون إلى الله». قال: فقال أبو ذر: والله لَوَدِدْتُ أني كنت شجرة تُعضَد. (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٣٨/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ١٩؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ٩.

[٥] ر م: الملاحدة.

[٦] جميع النسخ: له.

[٧] ث م: ما ذكر ثم قال.

[٨] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كُلَّ شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِمْ عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧).

[٩] ر م: ويطلبون.

وإذا كان كذلك كان استغفارهم يرجع إلى المؤمنين خاصة على ما ذُكر في آية أخرى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وبقوله: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ.[1] فكان المراد من العام هو الخاص لأن المراد[2] منه العموم، ثم صار منسوخا بورود الخاص متراخيا. *والله أعلم*.
ثم إن كان استغفارهم لجملة أهل الأرض على ما يقولون فهو عبارة عن طلب السبب الذي به تقع[3] لهم المغفرة وهو التوبةُ عن الشرك والتوحيدُ، فيكون هذا سؤال التوحيد والهداية لهم تقع[4] المغفرة لهم بذلك التجاوز[5] ويصيروا لذلك أهلا.[6] وعلى ذلك يخرج استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه سؤالُ وطلبُ السببِ الذي به[7] يقع[8] المغفرة له وأن يجعله[9] أهلا لذلك.
وكذلك أَمْرُ الرسل عليهم السلام قومَهم بالاستغفار ربهم؛[10] وهو ما قال هود عليه السلام: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[11] وقول نوح: [فَقُلْتُ] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[12] لا يحتمل أن يقولوا لهم: قولوا «نستغفر الله»،[13] ولكن يقولون لهم: اطلبوا واسألوا[14] ربكم السبب الذي به تقع[15] المغفرة لكم، وهو التوبة عما هم فيه واختيار الهداية والرشد لأنفسهم ليكونوا لذلك أهلا. فعلى ذلك يخرج استغفار الملائكة أن كان لجملة أهل الأرض على ما يقول بعض أهل التأويل.[16] وعلى هذا لا حاجة إلى النسخ ولا يحتمله. *والله أعلم*.[17]

---

[1] سورة المؤمن، ٤٠/٧.
[2] ن: لا أن المراد.
[3] ر ث م: يقع.
[4] جميع النسخ: ليقع.
[5] ن ث: والتجاوز.
[6] ر م – أهلا.
[7] ث – به.
[8] جميع النسخ: يقع.
[9] ن: ولن يجعله.
[10] جميع النسخ: هم.
[11] سورة هود، ١١/٥٢.
[12] سورة نوح، ٧١/١٠.
[13] ر م: قول "ستغفر الله؛ ث: قول يستغفر الله.
[14] ر م: طلبوا وسألوا.
[15] جميع النسخ: يقع
[16] ر: التوحيد.
[17] ر م – والله أعلم.

**﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[٦]**

وقوله: **والذين اتخذوا من دونه أولياء**، يحتمل قوله: **أولياء** الأصنام التي عبدوها دون الله تعالى اتخذوها أربابا وآلهة دون الله فعبدوها. ويحتمل **اتخذوا من دونه أولياء**، أي والذين اتخذوا أولياء من دون أولياء الله،[1] كقوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[2] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[3] وقوله تعالى: إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ.[4] ***والله أعلم***.[5] وقوله: **الله حفيظ عليهم**، يخبر أنه لا عن غفلة وجهل منه يعملون ما يعملون، ولكنه حفيظ عليهم وعلى أعمالهم لكنه يؤخر ذلك عنهم لحكمة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وما أنت عليهم بوكيل**، يحتمل وجهين. أحدهما **وما أنت عليهم بوكيل**، أي لا تؤاخذ[6] أنت[7] بمكانهم كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[8] والثاني **ما أنت عليهم بوكيل**، أي بمسلَّط عليهم ولا حفيظ، إنما أنت رسول فعليك البلاغ،[9] كقوله تعالى: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[10] وقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[11] ***والله أعلم***.

**﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٧]**

وقوله: **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا**، أي مثل الذي أوحينا إليهم قد أوحينا إليك قرآنا عربيا،[12] أي جعلناها قرآنا عربيا[13] ليكون أقرب إلى الفهم وأولى أن يكون حجة عليهم

---

[1] جميع النسخ - اتخذوها أربابا وآلهة دون الله فعبدوها ويحتمل اتخذوا من دونه أولياء أي والذين اتخذوا أولياء من دون أولياء لله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢ظ (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و).

[2] سورة آل عمران، ٢٨/٣.

[3] سورة الممتحنة، ١/٦٠.

[4] سورة الأعراف، ٣٠/٧.

[5] ر م - والله أعلم.

[6] ن ث: لا تؤخذ.

[7] م - أنت.

[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.

[9] ن + والله أعلم.

[10] الآية ٤٨ من هذه السورة.

[11] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[12] جميع النسخ - أي مثل الذي أوحينا إليهم قد أوحينا إليك قرآنا عربيا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣و (وهذه الزيادة موجودة في نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و).

[13] ر ث م - أي جعلناها قرآنا عربيا.

وأبلغَ في الحجاج، لأنه ذكر فيه الأنباء السالفة والأخبار المتقدمة باللسان العربي غيرِ لسان تلك الأنباء ومن غير أن يختلف إلى أحد من أهل ذلك اللسان لِتوهم التعلم[1] منهم بلسانهم والنقل بلسان نفسه، فدل أنه إنما عَرَف بالله تعالى.

وقوله: **لتُنْذر أم القرى ومن حولها**، أي لتنذر[2] أهل أم القرى وأهلَ من حولها من القرى. ثم يحتمل تسميته مكة[3] أم القرى وجوها ثلاثة. أحدها[4] سماها أم القرى لما منها دُحيث[5] سائر الأَرَضِين والقرى. والثاني سماها أم القرى[6] لأن فيها[7] أولَ بيت وضع للناس وأول بناء بَنَى في الأرض، فسماها لذلك أم القرى. ***والله أعلم***. والثالث سماها أم القرى لما على الناس أن يَؤُمُّوها[8] ويَقْصِدُوها بالزيارة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من[9] بعث رسولا بُعث[10] فيها، فإليها يؤمّ ويقصد بالدعوة أوّلَ ما[11] يَؤُمّ ويُقصَد، ثم من بعد ذلك يؤم إلى سائر القرى والبلدان ويقصد. والأَمُّ القصد، ومنه أُخذ التيمم، ولذلك سماها أم القرى. ***والله أعلم***.

وقوله: **وتُنْذر**[12] **يوم الجمع**، أي وتنذر[13] بيوم الجمع. ويحتمل أن يكون قوله: **وتنذر يوم الجمع**، أي تنذر[14] بالقرآن يوم الجمع لا ريب فيه. وقوله: **فريق في الجنة وفريق في السعير**، قد بين الله تعالى السبيلين جميعا على الإبلاغ، وبين عاقبة كل سبيل إلى ماذا يفضي مَن سلكها. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: العمم.
[2] ر ث م: ليـذر.
[3] ر ث م: كله.
[4] ر ن ث: إحداها.
[5] الدَّحْو: البَسْط. دحا الأرضَ يَدْحُوها دَحْوًا: بسطها (*لسان العرب*، «دحا»).
[6] ن + لما منها دحيت سائر الأرضين والقرى.
[7] جميع النسخ: لأنها.
[8] م: يؤمها.
[9] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و.
[10] ر م – بعث.
[11] ر: مما.
[12] ن: ويبدر.
[13] ر ث م: ويبذر؛ ن: أو تبدر.
[14] ر ث م: أي يبذر.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٨]

وقوله: **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة**، يخبر أن عنده من اللطائف والقدرة ما لو شاء لجعلهم جميعا أمة واحدة وعلى دين واحد، وهو ما قال: وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ،[١] الآية. فلو جعل ذلك لأهل التوحيد والإيمان لكانوا جميعا على دين الإسلام على ما أخبر أنه لو كان ذلك مع أهل الكفر لكانوا جميعا أهل كفر. [٦٩٤و] ثم قوله: **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة**، لا يحتمل[٢] مشيئة الجبر والقسر –على ما يقوله المعتزلة– لوجوه. أحدها لما لا يكون الإيمان في حال الجبر والقهر، لأنه لا صنع لهم في ذلك ولا اختيار لهم. والثاني أن كل أحد بشهادة الخلقة مؤمن موحد لله تعالى، ثم لم يصيروا[٣] بذلك مؤمنين؛ فعلى ذلك بالجبر والقهر إذ في الحالين ليس ذلك[٤] فعلَ المؤمن إنما هو فعل غيره. فدل أنه أراد أن يشاء منهم ما يكون مختارين في الإيمان لا مجبورين. والثالث أن الإيمان بالجبر والقهر مما لا يعرفه الناس، ولا يطلق اسم الإيمان عليه في العرف. وقد وعدهم الإيمان وجَعْلَ الدين واحدا، وهذا عند التعارف ينصرف إلى ما يوجد منهم عن طوع واختيار لا بالجبر والقهر، فتكون[٥] الآية منصرفة إلى المعهود عند الناس على ما هو الأصل في الكلام. ***والله الموفق***. وعندنا أراد به مشيئة الاختيار وأخبر[٦] أن عنده من اللطائف ما لو أعطى الكل لآمنوا جميعا عن اختيار، لكنه لم يعطهم ذلك ولم يشأ،[٧] لما علم منهم أنهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك، ولكنْ إنما يختارون ضد ذلك ونقيضه.[٨] لذلك لم يشأ لهم وإنما يشاء لمن علم أنه يختار ذلك فضلا. وقوله: **ولكن يُدخل من يشاء في رحمته**، يخبر أن من أعطى ذلك إنما يعطيه رحمة منه وفضلا، لا أنهم يستوجبون[٩] ذلك منه ويستحقون عليه. ***والله الموفق***.

---

[١] سورة الزخرف، ٣٣/٤٣.
[٢] ر م: ولا يحتمل.
[٣] ر م: لم يصيروا؛ ن: لم يصيروا لهم، و"لهم" مشطوب.
[٤] ر ن م – ذلك.
[٥] ر ن م: فيكون.
[٦] ر: أخبر.
[٧] ر: ولو يشاء.
[٨] ر: ضد ذلك ونقيضه؛ ن: ضد ذلك ونقضه.
[٩] ن: يستوجبون.

ثم إن الله تعالى سمى الإيمان مرة رحمة بقوله: **ولكن يدخل من يشاء في رحمته**، ومرة سماه نعمة بقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[1] ومرة سماه مِنَّةً بقوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ،[2] وبقوله: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[3] الآية. فلو كان الإيمان يقوم بالذي يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى إلى المؤمنين إلا وقد كان ذلك[4] مثله إلى الكافر -على ما يقوله المعتزلة: إن الإيمان إنما يكون بالذي يكون الكفر- لم يكن لتسميته هذا نعمة ومنة ورحمة وتسميةِ الكفر ضدّه معنى. *والله الموفق*. وبعد، فإنه لو كان على ما يقول المعتزلة لكان ما ذكر من النعمة والمنة والرحمة إنما يكون بالخلق ومنهم[5] لا بالله تعالى ومَنِّه. دل أن عنده لطائف، من أُعطى تلك اللطائف آمن واهتدى، ومن لم يعطه إياها لم يؤمن. وقد أعطى المؤمن تلك ولم يعطه[6] الكافر، لذلك كان ما ذكرنا. *والله الموفق*.

ثم في تخصيص أم القرى ومن حولها بالنِّذارة وجهان.[7] إذ ذكر[8] في آية أخرى أنه نذير للعالمين جميعا بقوله: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.[9] فإذا كان مبعوثا إلى جميع العالم لا إلى بعض دون بعض كما كان بعض الأنبياء عليهم السلام فلا بد أن يكون لتخصيص أم القرى ومن حولها معنىً وحكمةٌ. أحدهما[10] لما يحتمل أن يكون لأهل مكة طمع في شفاعته وإن لم يتبعوه، إما بحق القرابة والاتصال وإما[11] بحق الأيادي[12] ولمن حولهم بحق الجوار. فذكر تخصيصهم بالإنذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والنزوع عن الشرك، إذ ذلك لا يزول بمطلق الإنذار

---

[1] ر ث م – ومرة سماه نعمة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم. سورة الفاتحة، ١/٦.
[2] ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١١). يبدو أن المؤلف رحمه الله عد الرسالة من أعلى مراتب الإيمان، لأن هذا القول من الآية قول الرسل يخبرون به نعمة الرسالة التي أنعمها عليهم.
[3] ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/١٧).
[4] ر ث م – ذلك.
[5] ر م: منهم.
[6] جميع النسخ: ولم يعط. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣ظ (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٨١و).
[7] جميع النسخ: وجوه. وفي نسخة جار الله: وجهين. انظر: ورقة ١٨١و.
[8] ر م: إن ذكر.
[9] ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١).
[10] جميع النسخ: أحدها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨١و.
[11] ر: وإنما.
[12] الأيادي جمع الجمع لليد مثل أكرع وأكارع؛ أكثر ما تستعمل الأيادي في النعم لا في الأعضاء (لسان العرب، «يدي»).

لما عندهم[1] وفي زعمهم[2] أن المراد بذلك غيرهم، لما لهم من زيادة سبب الوسيلة معه. *والله أعلم.*[3] والثاني أي تنذر[4] هؤلاء ومن ذكر شِفَاهًا ولمن بَعُدَ منهم خبرا،[5] أو خص[6] هؤلاء بحق البداية، ثم بالأقرب فالأقرب. وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[7] على الوجوه التي ذكرنا.

وقوله سبحانه وتعالى: **والظالمون ما هم من ولي ولا نصير**، أي ما هم من ولي يشفع ولا من نصير ينصر ويمنعهم من عذاب الله تعالى.[8]

**﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٩]**

وقوله: **أم اتخذوا من دونه أولياء**، **أم** هاهنا على الإيجاب، معناه بل اتخذوا من دونه أولياء،[9] أي أربابا. **فالله هو الولي**، أي هو الرب. **وهو يحيي الموتى**، قد عرفوا[10] أن الإحياء إنما يكون بالله تعالى لا بالأصنام التي عبدوها وإن كانوا ينكرون البعث والإحياء بعد الموت، فقد عرفوا[11] أنه لو كان إنما يكون بالله تعالى لا بالأصنام التي عبدوا دونه.[12] **وهو على كل شيء قدير**، ظاهر قد تقدم ذكره.

**﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١٠]**

وقوله: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**، يحتمل قوله: **وما اختلفتم فيه** وجوها. أحدها في القرآن، والثاني في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالث في الدين. فإن كان اختلافهم في القرآن فقوله: **فحكمه إلى الله**، فيما أقام من الحجج والبراهين أنه من الله وأنه من عنده جاء،

---

[1] ن – والنزوع عن الشرك إذ ذلك لا يزول بمطلق الإنذار لما عندهم.
[2] ر م: في زعمهم.
[3] ر م – والله أعلم.
[4] ر م: أن ينذر.
[5] ن: و م يعد منهم خيرا.
[6] ن: إذ خص.
[7] سورة الشعراء، ٢١٤/٢٦.
[8] ر م – الله تعالى.
[9] ر ث م – أم هاهنا على الإيجاب معناه بل اتخذوا من دونه أولياء.
[10] ر ث م: وقد عرفو
[11] جميع النسخ: فلو عرفوا. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣ظ.
[12] م: عبدوها.

حيث عجزوا عن إتيان مثله أو مقابلة شيء يوازيه. وإن كان اختلافهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رسول أو ليس برسول، فقد أقام من الدلائل والبراهين ما يدل على رسالته ونبوته سمعيات وعقليات، مالا يتعرض لردها إلا من كابر عقلَه وعاند لُبَّه. وكذلك لو كان اختلافهم في الدين فقد أقام ما يعلم كل ذي لُبٍ وعقل أنه هو الصواب وأن غيره من الأديان ليس بحق. وقال بعض أهل التأويل في قوله: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**: أي إلى كتاب الله. كقوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[1] أي إلى كتاب الله. لكن هذا لا يصح، [٦٩٤ط] فإن قوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ / فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، إنما هو في المؤمنين إذا وقع بينهم الاختلاف في شيء من الأحكام يُرَدّ ذلك إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما قوله تعالى: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**، إنما هو في محاجة الكفرة، فهو في غير ذلك المعنى، إذ هم لا يعتقدون كونه حجة وإنما يُرجَع [فيه] إلى دليل آخر عقلي. ***والله أعلم***.

وقوله: **ذلكم الله ربي**، أي ذلك الذي يفعل هذا هو ربي. **عليه توكلت**، في كل أمري. **وإليه أنيب**، بالطاعة. ويحتمل أن يكون اختلافهم الذي ذكر هو اختلافَهم في الله تعالى، كقوله: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ.[2] وقوله: **ذلكم الله ربي**، أي ذلكم الذي اختلفتم فيه هو ربي؛ **عليه توكلت**، أي عليه اعتمدت؛ **وإليه أنيب**، أي إليه أرجع. ثم نَعَتَه فقال:

**﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[١١]

**فاطر السماوات والأرض**، وقال[3] في موضع آخر: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] وفي موضع آخر: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[5] وقال في موضع آخر: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[6] قال بعض الباطنية: المبدع هو الذي ينشئ الأشياء لا من شيء، والخالق هو الذي ينشئ الشيء من شيء ومن لا شيء،[7] والفاطر هو الذي ينشئ من شيء، أو نحوه من الكلام.

---

[1] سورة النساء، ٥٩/٤.
[2] ﴿والدين يحجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم د حضة عد ربهم﴾ (لآية ١٦ من هذه السورة).
[3] ر م + هو.
[4] سورة فاطر، ١/٣٥.
[5] جميع لنسخ: ﴿والدين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم﴾. ولتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و. سورة الأنعام، ١/٦.
[6] سورة الأنعام، ١٠١/٦.
[7] ن – ومن لا شيء.

وعندنا أن هذه الأسماء -وإن اختلفت ألفاظها وافترق اشتقاقها ومأخذها- فهي في المعاني واحدة. الإبداع هو الإنشاء بلا احتذاءٍ سبق، والخلق هو الإنشاء والتقدير. لكن غيرَه لا يجوز أن يسمى خالقا، لأنه لا يقدر على تقدير شيء إلا عن مشاهدة تقدير[1] عاينه ورآه، والفاطر كأنه مأخوذ من الشَّقِ. يَشُقُّ الشيء ويُخرِج منه أشياء. وكله[2] خلق وفاعله خالق على الحقيقة، وهو الله تعالى. *وبالله القوة والتوفيق*.

وقوله: **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**. هذا يُحتمل وجوه. أحدها **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**،[3] أي جعل من نفس آدم وحواء عليهما السلام أزواجا نَسَبَنا جميعا إليهما، لأنهما الأصل وإنا[4] جميعا إنما كنا من ذلك الأصل، وهو كنسبته إيانا إلى التراب بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[5] وإنما خلق أصلنا من التراب لكنه نسبنا إليه لما منه كنّا جميعا. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**، أي من نفس آدم وحواء ونسبنا إليهما لما منهما كنا جميعا. *والله أعلم*. والثاني يقول: جعل بعضكم من بعض أزواجا، أي حلائل، أي خلق الإناث من الرجال[6] والرجال من الإناث، وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا،[7] الآية. والثالث أي جعل لكم من مثل خلقكم أزواجا، أي أصنافا وأشكالا، جعل الخلائق كلها[8] ذوي أشكال وأمثال وذوي أزواج.[9] وكذلك يخرج قوله: **ومن الأنعام أزواجا**، على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إنه[10] جعل الأنعام أيضا ذات أزواج وأشكال.[11] والثاني جعل منها الذكور والإناث أيضا كما جعل من البشر. *والله أعلم*.[12]

[1] ر م - تقدير؛ ن ث: يقدر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و.
[2] ر م: كله.
[3] جميع النسخ - هذا يحتمل وجوها أحدها جعل لكم من أنفسكم أزواجا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٠ظ.
[4] ن: وآباء.
[5] سورة المؤمن، ٦٧/٤٠.
[6] ر م: من الرجل.
[7] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[8] جميع النسخ: كله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و.
[9] جميع النسخ: ذا أشكال وأمثال وذا أزواج. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٧١و).
[10] م: إن.
[11] ن + كالبشر.
[12] م - والله أعلم.

وقوله تعالى: **يذرؤكم فيه**. اختلف في تأويل قوله: **يذرؤكم**. وفي المراد[1] بقوله: **فيه**، أن الهاء كناية عن ماذا؟ قال بعضهم: **يذرؤكم**، أي يُكْثِركم، وقيل: يُعَيِّشكم[2] فيه، وقيل: يرزقكم فيه ويُعَمِّركم، وقيل: يخلقكم. وأما قوله: **فيه**، قال بعضهم: يجيء أن يكون[3] قوله: **فيه**، أي فيها كنايةً عن الأنعام. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يذرؤكم فيها،[4] أي في الأنعام، لما جعل لبشر فيها من أنواع المنافع. وأما من قرأ: **يذرؤكم فيه**، بغير ألف فهو يجعله كناية عن العالَم، كأنه يقول: يذرؤكم فيه، أي يخلقكم في العالم ويُكْثركم فيه، ويُعيّشكم ويعمّركم. وقال بعضهم: **يذرؤكم**، أي يكثركم في هذا التزويج الذي جعل بينكم، أي يكثركم بسبب هذا التزويج، ولولا هذا التزويج[5] لم يَكثُر الناس. وجائز أن يكون قوله: **فيه** كناية عن التدبير، يقول: **يذرؤكم فيه**، يخلقكم فيه نسلا بعد نسل، كقوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ،[6] وهو قول القُتَبِي[7] وأبو عَوْسَجَة.

وقوله عز وجل: **ليس كمثله شيء**، الآية. يستدل بعض أهل التشبيه بأن له مِثْلاً بقوله تعالى: **ليس كمثله شيء**، يقولون: لو لم يكن له مثل لم يذكر كاف التشبيه حيث قال: **ليس كمثله شيء**، لكن نفى مثلية الأشياء عن مثله، فيكون فيه إثباتُ مثل له لا يُشبِه سائرَ الأشياء سواه، أو كلام نحو هذا. وعندنا قوله تعالى: **ليس كمثله شيء**، أي ليس مثلَه شيء،[8] والكاف قد يزاد في الكلام. وقال بعضهم: أي ليس كهو شيء، والعرب قد تقيم المثلَ مقامَ النفس. وأصله أن الخلق ذو أعداد، وكل ذي عدد له أشكال وأمثال من حيث العدد. والأصل في ذلك أن الخلق وإن كانوا ذا أمثال وأشكال وأشباه فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل الجهات، ولكن إنما يشبه بعضهم بعضا[9] بوجه أو بصفة أو بجهة أو بنفس، ثم صار بعضهم أمثالا لبعض وأشباها بتلك الجهة وبذلك الوصف. فدل أن الله تعالى ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه ولا له شبيه منهم،

---

[1] ر م: والمراد.
[2] ر م: يعشيكم.
[3] ر ث م – أن يكون.
[4] لم أجده في المراجع.
[5] ر م: ولولا هذا لتزويج.
[6] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٩.
[7] غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٩١.
[8] ن – شيء.
[9] ر ت م + من جميع الوجوه أو.

لا ما يرجع إلى الصفة ولا ما يرجع[1] إلى النفس، وهو يتعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم. ودل قوله تعالى: **ليس كمثله شيء**، أنه شيء لأنه نفي عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية. [٦٩٥و] لكن يقال: شيء لا كالأشياء، يُنْفَى عنه شبه[2] الأشياء. والشيء إثبات وفي الإثبات توحيد. ولو لم يكن يجوز أن يقال: إنه شيء لكان يجوز أن يقال:[3] ليس هو شيئا،[4] دل أنه ما ذكر. وقوله سبحانه: **وهو السميع البصير**، ذكر في غير موضع. ***والله الموفق.***

**﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **له مقاليد السماوات والأرض**، وقال في آية أخرى: وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ،[5] وقوله: وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[6] وقوله: بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[7] ونحو ذلك من الآيات، فيها ذكر المفاتح والمقاليد والخزائن التي أضافها إلى نفسه.[8] ثم لم يفهم الخلق من المفاتح[9] المضافةِ والمقاليد والخزائن ما يُفهم لو أضيف إلى الخلق، بل فهموا من المفاتح المضافة إلى الخلق والمقاليد[10] المنسوبة إليهم معنى[11] لم يفهموا ذلك المعنى من المفاتح[12] والمقاليد المضافة إلى الله تعالى. فما ينبغي أن يفهموا[13] من[14] قوله: بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[15] وقوله تعالى: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ،[16] وقوله: لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ،[17]

[1] ر م - إلى لصفة ولا ما يرجع.
[2] ن: شبه.
[3] جميع انسخ: ولو لم يكن شيئا لكان يقول. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨١ص.
[4] جميع لنسخ: شيء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.
[5] سورة الأنعام، ٥٩/٦.
[6] سورة المنافقون، ٧/٦٣.
[7] سورة المؤمنون، ٨٨/٢٣.
[8] ن + بل فهموا من المفاتح المضافة إلى.
[9] ر م: من المفاتيح.
[10] م: والمقالد.
[11] ر: معنى.
[12] م - من المفاتح.
[13] جميع لنسخ: أن يفهموه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.
[14] م + من.
[15] تقدمت قريبا.
[16] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[17] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).

ونحو ذلك ما يفهموه[١] من اليد المضافة إلى الخلق. لكنه ذكر المفاتح والمقاليد وأضافها إلى نفسه لأن كل محجوب ومستور عن الخلق[٢] فيما بينهم إنما يوصلهم إلى ذلك المحجوب والمستور عنهم بالمفاتح والمقاليد التي ذَكَر. فعلى ذلك ما أضاف إلى نفسه من اليد وغيرها، لما باليد يُبسَط في الشاهد، وبها يُمنَع، وبها يكتسب ويُفعل ما يُفعَل، فأضاف إلى نفسه ما به يكون في الشاهد من الفعل والبسط والمنع كناية عن هذه الأفعال. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **يَبسُط الرزقَ لمن يشاء ويقدر**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأن الرزق المذكور يحتمل وجوها. أحدها ما ذُكر في قوله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٣] وهو المطر. والثاني الأملاك التي يكتسبون. والثالث المنافع التي جُعَل لهم. ثم لا شك[٤] أن الأملاك التي تكون لهم[٥] والمنافع التي ينتفعون بها وجعلت لهم إنما يكون بأسباب وأكساب[٦] منهم، ثم أضاف ذلك إلى نفسه في البسط والتقتير حيث قال: **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، دل أن الله[٧] تعالى في ذلك صنعا وتدبيرا، وهو أن خلق أكسابهم وأسبابهم التي بها يصل[٨] إليهم الرزق. *والله أعلم*.[٩] وقوله: **إنه بكل شيء عليم**،[١٠] تقدم.

**﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[١٣]**

وقوله: **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**. الدين يذكر ويراد به الجزاء، وهو قوله: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[١١] أي يوم الجزاء، أو يذكر ويراد به الحكم، كقوله تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام:

---

١ ن ث: مما يفهموه.
٢ ن + لكنه ذكر المفاتح.
٣ سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
٤ جميع النسخ: ثم لاشكل. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.
٥ جميع النسخ: يكون لهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٤ظ.
٦ جميع النسخ: وكتساب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٤ظ.
٧ ر: أن الله.
٨ ر ث م: يوصل.
٩ ر م − والله أعلم.
١٠ ن ت + قد.
١١ سورة الفاتحة، ٤/١.

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ،[1] أي في حكم الملك، ويذكر ويراد به المذهب والمعتقد، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[2] وقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ.[3] فكان المعنى من قوله: **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**، هو المذهبَ وما يُعتقد. وقد ذَكَر الدين معرفا بالألف واللام وإنه للجنس، فيكون كأنه قال: شرع لكم من الأديان[4] جملةً الدينَ الذي وصى به نوحا ومن ذَكَر من الأنبياء، وهو التوحيد لله تعالى والعبادة له. والأنبياء والرسل جميعا إنما بعثوا للدعاء إلى توحيد الله وجعل العبادة له وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم، وذلك قوله: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.[5] *والله أعلم*.[6] ومن الناس من يقول: **شرع لكم من الدين**، أي شرع لكم الدين، ويجعل من صلة زائدة فيه، أي شرع لكم الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر. والوجه فيه ما ذكرنا.

فإن قيل: ما معنى[7] تخصيص نوح ومن ذكر من الأنبياء عليهم السلام والكُلُّ بُعثوا للدعاء إلى هذا الدين وقد وُصِّي الكلُّ بهذا الدين؟

فنقول: قال: بعضهم:[8] إنما خص نوحا ومن ذكر بهذا لأن التحليل والتحريم لم يكن قبل زمن نوح وإنما جاء ذلك في زمن نوح عليه السلام، لذلك خص نوحا بما ذكر. ويحتمل أن يكون ذكر هؤلاء لا على تخصيصهم بذلك من بين غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن ذكر بعضا هاهنا وترك ذكر البعض، ليس أنه شرع له ما وصى به نوحا ومن ذكر من الأنبياء و لم يَشرَع له ما وصى به غيرهم، بل شرع[9] له ما وصى به هؤلاء وغيرَهم من الدين، كقوله تعالى: فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ؛[10] ذكر بعض هؤلاء وغيرهم، ثم أمره أن يقتدي بما هو عليه. دل أن ذكر البعض في موضع ليس لتخصيص، لما ذكر البعض في موضع آخر والكل في موضع آخر. *والله أعلم*.

---

[1] سورة يوسف، ٧٦/١٢.
[2] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[3] سورة آل عمران، ١٩/٣.
[4] ث: من جملة الأديان.
[5] سورة المائدة، ٤٨/٥.
[6] ر م - والله أعلم.
[7] ر م: معنى.
[8] ث + إن نوحا.
[9] ث + لهم.
[10] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (سورة الأنعام، ٩٠/٦).

ويحتمل تخصيص هؤلاء بالذكر لمعنى لم يُطلِعنا الله على ذلك المعنى كما خص إبراهيم بالصلاة عليه على ما أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:[1] «كما صلّيت على إبراهيم»،[2] لمعنى لم يطلعنا على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا تتفرقوا فيه**،[3] يحتمل وجهين. أحدهما **ولا تتفرقوا فيه**، أي في عبادة الله تعالى. [٦٩٥ظ] أي اعبدوه جميعا. والثاني / **ولا تتفرقوا فيه**، أي في الدين الذي ذكر، وهو التوحيد. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**، أي عَظُم عليهم دعاؤكم إلى التوحيد وعبادة الله وحده.

وقوله: **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**. هذا ينقض على المعتزلة، لأنه تعالى أخبر أنه يجتبي إليه من يشاء؛ ولو كان على ما يقوله المعتزلة: إنه قد أعطى الكافر جميع ما أعطى المؤمن، فالمؤمن حيث صار مجتبًى مصطفًى مختارًا إنما كان منه بفعله لا من الله تعالى،[4] وقد أخبر أنه هو يجتبي من يشاء وهو يهديه، فبطل قولهم. وقوله: **ويهدي إليه من ينيب**، أي هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى، وهو التوفيق، أي من[5] لم يطلب منه ذلك ولم يسأل فإنه لا يهديه[6] ولا يوفقه. وقال بعضهم: ويهدي إليه من يراجع نفسه عما هو عليه ويتوب. ***والله أعلم***. وقيل: قوله:[7] **ويهدي إليه من ينيب** تفسير قوله تعالى: **الله يجتبي إليه من يشاء**، أي يجتبي للهداية من ينيب إليه؛ فأما من لم ينب إليه فلا يجتبيه للهداية. لكن المراد من الهداية هاهنا ليس هدى البيان، لأن هدى البيان قد كان عامًا لمن أناب إليه ومن لم ينب، ولكن الهدى هاهنا هو الرحمة أو هدى النعمة والمنة.[8] سمّى التوحيد والإيمان مرة رحمةً، كقوله تعالى: وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ،[9] وسماه نعمة، كقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[10]

---

[1] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.
[2] انظر: صحيح *البخاري*، الأنبياء ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٥.
[3] ر ث م + أي في عبادة الله تعالى أي اعبدوه جميعا.
[4] جميع النسخ: لأمر الله تعالى. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.
[5] جميع النسخ: ما.
[6] ر م: لا يهدي به.
[7] جميع النسخ – ويهدي إليه من يراجع نفسه عما هو عليه ويتوب والله أعلم وقيل قوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.
[8] ر ث م: والنعمة
[9] الآية ٨ من هذه السورة.
[10] سورة الفاتحة، ٦/١.

وسماه منة، كقوله تعالى: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[١] وسماه نورا، كقوله تعالى: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ.[٢] فلذلك قلنا: إن الهدى المذكور هاهنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[١٤]**

وقوله: **وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**. هذا يخرج على وجوه. أحدها أي إنهم تفرقوا في رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة بعد[٣] ما جاءهم العلم في كتبهم أنه رسول، لما كانوا يجحدون نعته وصفته في كتبهم. لكنهم اختلفوا وتفرقوا؛ فآمن بعضهم به على ما وجده في كتبهم وكفر بعض وحرّفوا ما في كتبهم من نعته وصفته. *والله أعلم*. والثاني أي وما تفرقوا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي وصّى به نوحا ومن ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويحتمل أي وما تفرقوا في الإيمان بالرسل والكفر بهم إلا من بعد ما جاءهم العلم أنهم على الحق وأنهم رسل الله مبعوثون إليهم، فتفرقوا فآمنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم. ويحتمل أي وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم أن الفُرقة ضلالة وهلاك، أي عن علم بالفرقة أنها ضلال وهلاك تفرقوا.[٤] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بغيا بينهم**، يحتمل حسدا بينهم، لما قيل: إنهم كانوا مؤمنين به قبل أن يُبعث لما وجدوا نعته وصفته في كتبهم ظنا منهم أنه سيبعث[٥] منهم، فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا به. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **بغيا بينهم**، أي عدوانا وظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق.

وقوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم**، أي لولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم إلى وقت وإلا كانت الكلمة منه في تعجيل العذاب بهم. *والله أعلم*.

---

[١] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.

[٢] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.

[٣] ر م: بعده.

[٤] ت - تفرقو.

[٥] جميع النسخ: بعث.

وقوله عز وجل: **وإن الذين أُورِثُوا الكتابَ مِن بعدهم**، أي إن الذين أُعْطُوا الكتابَ من بعد الرسل الذين ذُكِر، **لفي شكٍّ منه مُريبٍ**، أخبر أنهم كانوا في شك مما جاء به الرسل، لكنهم لم يُعْذَروا في شكهم لما تركوا النظر والتفكر في ذلك، ولو نظروا في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم وبان الحق. فلم يعذروا في ذلك لأنه منهم كان ذلك الشك والريب. ولو تفكروا ونظروا لتَجَلَّى لهم.[1]

**﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **فلذلك فادع واستقم كما أمرت**، اختلف في قوله تعالى: **فادع واستقم**. عن ابن عباس رضي الله عنه، أي فبهذا القرآن الذي أنزل عليك[2] فادع؛ وكذا قال قتادة: فبهذا القرآن فادع.[3] وقيل: فلذلك وَعَد أن يُنزل عليك فادع. وقال بعضهم: أي وإلى ذلك الكتاب فادع. وقيل: فإلى التوحيد الذي بَعَث[4] الرسل إلى الدعاء إليه فادع أنت.[5] وقال بعضهم: فبذلك، أي فلأجل الذي بَعَث الرسل فادع، أي أدع إلى التوحيد الذي لأجله بعث الرسل.[6] *والله أعلم*.

ثم في قوله:[7] **واستقم كما أمرت**، دليل على أنه كان قد سبق له الأمر بالاستقامة. ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة التي أمر بها هو تبليغ الرسالة إليهم، ويحتمل العبادة له والطاعة، ويحتمل الاستقامة في التوحيد له ودعاء الخلق إليه. ***والله أعلم***. وقوله: وَمَنْ تَابَ مَعَكَ،[8] على هذين الوجهين الأخيرين يخرج الأمر بالاستقامة لمن تاب معه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: ليجلى لهم.

[2] ر ث م: إليك.

[3] ن: فاع. نظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٥٥.

[4] ن: بعثت.

[5] ر م - أنت.

[6] قال ابن الجوزي: وللمفسرين قولان [في هذه الاية]. أحدهما أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني أنه التوحيد، قاله مقاتل. انظر: *زاد المسير*، ٧/٢٧٨-٢٧٩. وانظر أيضا: *تفسير مقاتل*، ٣/٧٦٦.

[7] ر م: ثم إن قوله.

[8] ﴿فاستقم كما أُمرتَ ومن تاب معك﴾ (سورة هود، ١١/١١٢).

وقوله: **ولا تتبع أهواءهم**، أي في ترك الدعاء إلى التوحيد، إذ هو هَوَى[1] الكفرةِ: أن يَتْرُكَ هو الدعاءَ إلى التوحيد. ويحتمل أنه نَهَى عن إجابته إياهم فيما دعوهم، إذ هَوَى[2] الكفرةِ أن يجيبهم فيما دعوهم إليه من الشرك. *والله أعلم*.

وقوله: **وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب**. أمره بأن يخبر بأنه مؤمن بجميع الكتب التي أنزل الله تعالى، ليوافقوه في الإيمان بجميع الكتب، لأن[3] أولئك الكفرة كانوا يؤمنون ببعض [٦٩٦و] الكتب ويكفرون بالبعض.[4]

وقوله عز وجل: **وأُمرتُ لِأعدلَ بينكم**، يحتمل وجوها. أحدها أي أمرت لأعدل بينكم[5] في الحكم، أي أَحكُم فيما بينكم بالعدل، كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟.[6] ويحتمل قوله: **وأمرت لأعدل بينكم**، في الدعاء إلى توحيد الله ودينه. والعدل في الدعاء دعاؤهم[7] إلى دينه الذي أمر أن يدعوهم إليه. وجائز أن يكون قوله: **وأمرت لأعدل بينكم**، أي أمرت أن أكون عدلا فيما بينكم، أي سواءً[8] يسوِّي بينهم. ثم نَعَتَ الذي كان يدعوهم إلى توحيده وهو قوله: **اللهُ ربُّنا وربكم**. وقوله: **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما على المنابذة، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[9] وإنما يقال هذا بعد ما انتهت الحجج غايتها والحِجَاجُ نهايته فلم يَنْجَع[10] ذلك فيهم وأيسوا منهم. والثاني يقول: إنا لا نؤاخذ[11] بأعمالكم ولا أنتم تؤاخذون بأعمالنا، كقوله عز وجل:[12] فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ،[13] ونحوه.

---

[1] ر: هو.
[2] ر: هو.
[3] ر م - لأن.
[4] ر م: ببعض.
[5] م + يحتمل.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (سورة المائدة، ٥/٨).
[7] ر م: دعاهم؛ ن: أن دعاهم.
[8] ر م: فيما يتكلم؛ ن ث: فيما يتكلم أي سواء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥ظ.
[9] سورة الكافرون، ١٠٩/٦.
[10] نجع فيه الدواء وأنجع إذا عمل، ويقال: أنجع إذا نفع. ونجع فيه القول والخطاب والموعظ: عمل فيه ودخل وأثر (*لسان العرب*، «نجع»).
[11] ر م: لا نأخذ.
[12] جميع النسخ - كقوله عز وجل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٣ظ.
[13] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).

وقوله: **لا حجةَ بيننا وبينكم**، يحتمل قوله: **لا حجة بيننا وبينكم**، أي لا حجة بقيت فيما ادعيتُ ودعوتُكم إليه إلا وقد أقمتها عليكم، أي لم تبق[1] حجة في ذلك[2] إلا وقد أقمتها. ويحتمل أن يقول: لا حجة بيننا، أي لا مُحاجّة[3] ولا خصومة بيننا بعد ما بلغ الأمر ما بلغ. ثم قال: **الله يجمع بيننا**، في الآخرة، **وإليه المصير**.

**﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾**[١٦]

وقوله: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له**، قال بعضهم: إن أهل الكفر قالوا للمؤمنين: إن دينكم الإسلامَ إنما كان مادام محمد بين أظهركم وما دام حيا، فإذا مات فتصيرون[4] أنتم ومن تبع الإسلام إلى ديننا، أو كلام نحوه، فنزل لقولهم ذا قولُه: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم**. وقال بعضهم: إن اليهود قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للمؤمنين: إن ديننا أفضل من دينكم لأنه دين الأنبياء عليهم السلام فنزلت الآية فيهم بقولهم هذا: إن ديننا أفضل لأنه دين الأنبياء، فقال: **حجتهم داحضة**، أي هكذا إذا كانوا على دين الأنبياء وهو الإسلام، فأما إذا تركوا دين الإسلام وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بأفضل ولا شيءَ دونها. وقال بعضهم: إن قريشا قالوا: كيف نعبد من لم نره ولم نعاينه أنه من هو[5] وكيف هو،[6] أو كلام نحوه، فنزلت: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم**، لأن التوحيد ومعرفة الله تعالى إنما يكون بالدلائل والآيات في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فيزولَ[7] الامتحانُ. ثم احتمل أن يكون نزول الآية لقولٍ كان من أولئك على ما ذكر أهل التأويل، ويحتمل أن يكون على غير ذلك. ومعناه: والذين يحاجون في الله في دفع آيات الله وردها، ويحتمل أي في دفع توحيد الله وألوهيته **من بعد ما استجيب له**، أي من بعد ما استجيب له بحق الخلقة أنه واحد وأنه رب كل شيء.

---

[1] جميع النسخ: لم يبق.
[2] ر + حجة.
[3] ر م: لا حجة.
[4] ن: فتصرفن.
[5] ر ث م: مم هو؛ ن: ممن هو. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٤و.
[6] ر م + كيف.
[7] ر م: فزول.

ويحتمل قوله:[1] **من بعد ما استجيب له**، بما في كتبهم من الإيمان بها وبما فيها من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته. ثم أخبر أن حجتهم داحضة عند ربهم، هذا يخرج على وجهين.[2] يحتمل أي حجتهم داحضة يوم القيامة، أي باطلة غير مقبولة. ويحتمل أي حجتهم داحضة في الدنيا بما أقام الله تعالى من حجج التوحيد فأبطل حججهم. وقوله: **وعليهم غضب ولهم عذاب شديد**، بيان الجزاء لهم في الآخرة.

**﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾[١٧]**

وقوله: **الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**، يحتمل قوله: **بالحق**، أي بالحق[3] الذي لله عليهم أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. **والميزان**، أي بالعدل فيما بينهم، أعني الخلق. وجائز أن يكون قوله: **بالحق**، أي بالصدق بما فيه من الأنباء والأخبار، **والميزان**، أي بالعدل في الأحكام،[4] جعل الميزان كناية عن العدل، أي هو طريق العدل وسببه، وهو كقوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ،[5] وقوله تعالى: كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ،[6] وقوله تعالى: وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ٱعۡدِلُواْ،[7] وقوله: وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا،[8] أي صدقا[9] فيما فيه من النبأ والخبر، وعدلا في الحكم فيما بينهم.[10] ***والله أعلم***. ثم قوله تعالى: **والميزان**،[11] يحتمل أن يكون عطفا[12] على الكتاب وهو الظاهر، والمراد منه العدل، فيصير تقدير الآية -والله أعلم-: الله الذي أنزل الكتاب بالحق وأنزل العدل فيما بين الخلق، أو أنزل العدل في الأحكام. ويحتمل أن يكون عطفا على الحق، فيصير تقديره: أنزل الكتاب بالحق وبالعدل في الأحكام وفيما بينهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن - من بعد ما استجيب له بحق الخلقة أنه واحد وأنه رب كل شيء ويحتمل قوله.
[2] ر ث م: على هذين.
[3] جميع النسخ - أي بالحق. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٦و.
[4] ر ث م: في الأرحام.
[5] سورة النحل، ٩٠/١٦.
[6] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[7] سورة المائدة، ٨/٥.
[8] سورة الأنعام، ١١٥/٦.
[9] ن - أي صدق.
[10] ر: فيما بينكم.
[11] ر م - والميزان.
[12] ر م - عطفا.

وقوله عز وجل: **وما يدريك لعل الساعة قريب.** لم يُطلع الله جل وعلا أحدا العلمَ بوقت الساعة عىى ما ذكرنا في غير موضع.

**﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**[١٨]

وقوله: **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها،** كان استعجالهم بها استهزاء منهم وتكذيبا لهم أنها كائنة، لأن رسول الله صلى الله عىيه وسلم كان يوعدهم بها ويخبر أنها كائنة، فكانوا يستعجلون استعجال تكذيب لها.

[٦٩٦ظ] وقوله: **والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق،** لأن لأهل الإيمان / والتوحيد زلاتٍ ومساوئَ لم يتبين لهم التجاوز عنها والعفوُ منها، فيكونون[١] أبدا خائفين مشفقين لذلك الزلات والمساوئ وما يكون فيها من الأهوال والأفزاع. فأما أهل الكفر فهم لا يؤمنون بها ولا يصدقون أنها كائنة فلا يخافونها وما فيها من الأهوال.

وقوله عز وجل: **ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد،** قوله: **يمارون،** يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها أنها ليست بكائنة. ويحتمل **يمارون،** من المِرية وهي[٢] الريب والشك، أي يشكّون فيها. ودل قوله: **لفي ضلال بعيد،** أنهم لا يؤمنون أبدا.

**﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **الله لطيف بعباده يرزق من يشاء،** من الناس من قال: إن الآية وإن جاءت مجيئا عاما فهي خاصة للمؤمنين؛ **الله لطيف،** أي بارّ بالمؤمنين.[٣] ومنهم من يقول: إن الآية للفريقين جميعا: للكافر[٤] والمؤمن، بارّ بهما لطيف بهما بما يرزقهم جميعا في الدنيا[٥] الكافر والمؤمن، فأما في الآخرة فهو رحيم بارّ بالمؤمنين خاصة. ويحتمل أن يكون رحيم بارّ بالفريقين؛ أما في حق المؤمنين لا شك أنه بارّ رحيم بهم، وأما الكفرة [فهو] بارّ في حقهم حيث أخر عنهم العذاب في الدنيا. ثم في حق المحنة يجوز أن يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا عاما عىى ما ذكرنا.[٦]

---

[١] ر ث م: فيكون.

[٢] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩و.

[٣] ر م: للمؤمنين بها؛ ث: للمؤمنين.

[٤] ن: لكافر.

[٥] جميع النسخ - في الدنيا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٤ظ.

[٦] ر م: عاما ذكرنا؛ ن: على ما ذكر.

فإن قيل: إنه وُصف بالحلم والرحمة وقد أخبر أنه يعذبهم في الآخرة؟ قيل: إنه وإن عذبهم فإن ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة، لأنه لو ترك تعذيبهم يكون سفيها، لأنهم قد استحقوا بالكفر التعذيب[1] أبدا، وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم، بل في ترك التعذيب سفه وخروج عن الحكمة، لذلك كان ما ذكرنا. *والله الموفق*. وقوله عز وجل: **يرزق من يشاء**، قد ذكرنا في قوله تعالى: ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ[2] تأويله ومعناه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهو القوي العزيز**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لا يَقْوَى بشيء مما أمرهم به وامتحنهم ولا يَعِزّ بذلك لأنه قوي بذاته عزيز بنفسه. والثاني القوي في الانتقام والانتصار من أعدائه لأوليائه، العزيز الذي لا يُعجزه شيء ولا يلحقه الذل في ترك الطاعة له والائتمار.

**﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾**[٢٠]

وقوله عز وجل: **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها**، جعل الله تعالى الدنيا مزارع لأهلها، ما زرعوا فيها حصدوا ذلك في الآخرة؛ إن زرعوا خيرا حسنا حصدوا خيرا ونعيما في الآخرة، وإن زرعوا شرا وسوءا حصدوا في الآخرة شرا وعذابا دائما. وكذلك صيرها[3] مُتَّجَرا يَتَّجِرون فيها؛ فإن اتّجروا خيرا وحَسَنا رَبِحوا في الآخرة، وإن اتّجروا شرا وسوءًا خَسِروا في الآخرة. وكذلك صيرها مسلكا إلى الآخرة والآخرةَ غايةً لها؛ فإن سلكوا سبيل الخير وما أمروا به أفضى بهم ذلك إلى الخير والنعيم الدائم والسرور، وإن سلكوا سبيل الشر وما نُهوا عنه أفضى بهم[4] إلى العذاب الدائم والحزن الدائم. وهو ما ذكر[5] في غير آي من القرآن من قوله: إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ،[6] الآية،

---

[1] ر م: والتعذيب.
[2] سورة الرعد، ٢٦/١٣.
[3] ر ث م: صير.
[4] م: هم.
[5] ر ث م: وما ذكر.
[6] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

وقوله عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[1] الآية، وقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[2] الآية، وقوله: [أُولَئِكَ الَّذِينَ] اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ،[3] وقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ.[4] الآية. ونحو ذلك كثير، على هذا يُبْنى أمر الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.

ثم قوله تعالى: **من كان يريد حرث الآخرة نَزِدْ له في حرثه**، يخرج[5] على وجهين. أحدهما أي من كان يريد بمحاسنه في الدنيا وخيراته ثواب الآخرة وخيراته نزد له في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا هو التوفيق على الطاعات والزيادة له والنماء، وأما في الآخرة فالنعيم الدائم والسرور الدائم. والثاني أي[6] من كان عمل للآخرة[7] وسعى لها[8] نزد له ما ذكر من المحاسن. ويكون الإرادة هاهنا صفة لكل فاعل، كقوله: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[9] وهي لا تكون[10] بدون الفعل، فكان ذكرها ذكرا للفعل ضرورة، فكان المراد منها الإرادة مع الفعل. فكذلك يخرج قوله: **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها**، على وجهين. أحدهما من كان يريد محاسن الدنيا وسعتها نؤته منها ونوسّع عليه. والثاني من كان يريد، أي من عمل لدنيا وسعى لها نؤته منها وما عمل لها، **وما له في الآخرة من نصيب**.

[٦٩٧و س٧ *قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: **من كان يريد حرث الآخرة**، أي عمل للآخرة؛ يقال:[11] فلان يَحْرُث لدنيا، أي يعمل لها ويجمع المال. ومنه قول ابن عمرو[12] رضي الله عنهما: احرُثْ لدنياك
٦٩٧و س٩] كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ومنه سمي الرجل حارثا.*

[1] سورة البقرة، ٢٠٧/٢.
[2] سورة البقرة، ١٦/٢.
[3] سورة البقرة، ٨٦/٢.
[4] سورة الإسراء، ١٨/١٧.
[5] ر: ويخرج.
[6] ن: أن.
[7] ر م: لآخرة.
[8] ن: وسعى له.
[9] سورة الإسراء، ١٩/١٧.
[10] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من الشرح نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٥٩٦ظ.
[11] ن: الاخرة فيقال.
[12] جميع النسخ: ابن عمر. والتصحيح من غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٩٢؛ وغريب الحديث له أيضا، ١٢٢/٢.
* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٩٧و/سطر ٧-٩.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢١]

وقوله: **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**، قال بعض أهل التأويل: أم هم آلهة دوني شرعوا لهم، أي سَنُّوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، يَعْنون بالشركاء الأصنام التي عبدوها. لكن علموا أن الأصنام لم يَشْرَعوا لهم من الدين شيئا، إلا أن يقال بأنه أضاف ذلك إلى الأصنام لما هم شرعوا لأنفسهم عبادتها فأضيف إليها لذلك، وهو كقوله تعالى: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[1] وإنهن / لم يُضللْن أحدا لكنه أضاف إليهن الإضلال لما بهن [٦٩٧و] ضلوا،[2] فأضاف إليهن على التسبب، فعلى ذلك الأولُ يحتمل ذلك. ويشبه أن يكون غيره أولى بذلك، وهو أن القادة والرؤساء هم الذين سنوا للأتْباع وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، أي ما لم يأمر به الله. وهم كذلك كانوا يفعلون: يَشْرعون للأتباع دينا من ذات أنفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعونه.[3] والرسل عليهم الصلاة والسلام قد أتوهم بالدين بالحجج والبراهين من الله تعالى فلم يتبعوهم فيقولون: إنهم بشر، ثم[4] يتبعون بشرا بلا حجة ولا برهان، يذكر سفههم فيما ذكر. فكان المراد من الشركاء هم الرؤساء والقادةَ. *والله أعلم*.*

**شرعوا لهم**، أي ابتدعوا وسَنّوا، وكذلك في قوله: شَرَعَ لَكُمْ،[6] أي ابتدع وسن.

وقوله عز وجل: **ولو لا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم**، يحتمل وجهين. أحدهما الحكم، كأنه يقول: لو لا أن الله تعالى حكم لهذا الأمة[7] بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، وهو ما ذكر أنه بعث رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[8] والثاني الفصل البيان،[9] تأويله: لو لا ما وعد في الدنيا أنه يفصل بينهم ويبيّن[10] في الآخرة بما ذكر:

---

[1] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.

[2] م + فأضاف إليهن الإضلال لما بهن ضلوا.

[3] ر ث م: فيتبعون به.

[4] ر ث م: بم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٩٧و/سطر ٧-٩.

[6] الآية ١٣ من هذه السورة.

[7] جميع النسخ: في هذه الآية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٥ظ.

[8] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.

[9] ر م: لبيان.

[10] ر ث م: بين.

هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ[1] ونحوه. وقيل: **ولولا كلمة الفصل**، أي القضاء السابق أن الجزاء يوم القيامة **لقضي بينهم** في الدنيا. **والله أعلم**.

**﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم**، ذكر إشفاق الكفرة والظلمة وخوفهم في الآخرة وإشفاق المؤمنين وخوفهم في الدنيا. فمن خاف عقوبته في الدنيا أَمِنه الله تعالى عن خوف الآخرة، ومن استهزأ بعذاب الله تعالى في الدنيا خوّفه الله تعالى في الآخرة. وعلى ذلك يخرج قوله عليه السلام: «لا يجعل الله على أحد خوفين خوف الدنيا وخوف الآخرة، من خافه في الدنيا أمن في الآخرة ومن لم يَخَفْ في الدنيا خاف في الآخرة».[2]

ثم أخبر ما لمؤمنين في الآخرة، وهو قوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم**، ذكر ما لكل فريق بما كسبوا في الدنيا والآخرة. قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: الروضة البستان. وقال الكسائي: الروضة العُشْب حول الغدير.[3] وقوله عز وجل: **ذلك هو الفضل الكبير**، أخبر أن ما يعطى لهم من الأجر فضل منه،[4] لا أنهم يستوجبون ذلك. وسماه كبيرا لأنه دائم لا ينقطع أبدا.

**﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢٣]**

وقوله: **ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، قوله: **ذلك الذي يبشر الله**، أي الذي ذكر من الفضل الكبير ووعد أنه يعطيهم يبشر الله به من ذكر من عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات. **والله أعلم**.

---

[1] سورة المرسلات، ٧٧/٣٨.

[2] روي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، يرويه عن ربه جل وعلا، قال: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفَيْن وأمنَيْن، إذا خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة، فإذا أمِنَني في الدنيا أخفته يوم القيامة» (*صحيح ابن حبان*، ٤٠٦/٢؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ٢٢٣/٢).

[3] جميع النسخ: الغرور. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و. الغدير: مستنقع الماء (*لسان العرب*، «غدر»). الروايات عن أبي عوسجة والقتبي وعن الكسائي لم أستطع أن أجدها في كتب التفسير واللغة، لكن كثيرًا من اللغويين يذكرون أن في الروضة معنى البستان ومعنى العشب والماء. انظر مثلا: *تاج العروس* للزبيدي، «روض».

[4] ر م: من الآخرة والفضل منه؛ ث: والفضل منه

وقوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**. قال بعض أهل التأويل: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا كذا، فكأنهم افتخروا وقالوا: لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقال: «يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله تعالى؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله تعالى؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «ألم تكونوا ضُلّالا فهداكم الله؟» قالوا: بلى يا رسول الله![1] قال: «أفلا تجيبوني؟» قالوا: ما نقول[2] يا رسول الله؟[3] قال: «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أَوَ لم يكذبوك فصدقناك؟ أَوَ لم يَخذُلوك[4] فنصرناك؟» قال: فمازال[5] يقول حتى جَثَوْا للرُّكَب[6] بين يديه وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لرسول الله والفضل لله ولرسوله،[7] فنزلت قوله تعالى: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**.[8] لكن ذكر في الخبر ما لا يليق ذلك بالأنصار أن يظنوا ذلك برسول الله، وكذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم: لنا الفضل عليكم، هذا لا يحتمل منهم. فدل أن الحديث غير صحيح أو الزيادةَ التي لا تحتمل[9] منهم.[10] ***والله أعلم***. وفي بعض الأخبار أن الأنصار رضي الله عنهم قالوا: إن رسول الله[11] صلى الله عليه وسلم تنوبه النوائب من القرابة وغيرهم فتعالوا[12] حتى نجمع له شيئا من أموالنا[13] فيستعين[14] به على ما ينوبه[15] من الحقوق، ففعلوا. ثم أتوا به فقالوا: إنك قد تنوبك نوائب وحقوق وليست عندك لها سعة،

---

[1] جميع النسخ – قد أم تكونوا ضلالا فهداكم الله قالوا بلى يا رسول الله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و.

[2] ر ث م: ما تقول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و.

[3] ن – قالوا ما نقول يا رسول الله.

[4] ث: أو لم يخذلون.

[5] ر م: فماد.

[6] ن: لمراكب.

[7] ر م: والفضل لرسوله.

[8] نظر: *تفسير الطبري*، ٤٩٩/٢٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٧٧/١٠.

[9] جميع النسخ: لا يحتمل.

[10] ر ث م – منهم.

[11] ن م: إن لرسول الله.

[12] ر: فقالوا.

[13] م + شيئا.

[14] ن: فيستعين.

[15] ر م: من ينوبه.

فأتيناك بشيء تستعين به على ما ينوبك من النفقة في أهلك والنازلين بك، فنزل قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**.[1]

ثم يخرج قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا**،[2] على وجوه. أحدها يقول: لا أسألكم على ما أبلّغكم من الرسالة وأدعوكم إلى الإيمان بالله تعالى وبي[3] أجرا إلا صِلَةَ أرحامكم وقراباتكم،[4] أي لا أسألكم على تبيلغ الرسالة إليكم وما أدعوكم[5] إليه أجرا إلا أن تصلوا قراباتكم وأرحامكم، فتدل الآية على / وجوب صلة الأرحام. ويحتمل أن يكون ذكر هذا ردا لقول أولئك الكفرة [٦٩٧ظ] حيث قالوا: إن محمدا جاء بقطع الأرحام وتفريق القرابات حتى فرق بين من أجابه[6] إلى ما دعاه إليه وبين من لم يجبه من الوالد والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك. فقال عند ذلك: **لا أسألكم عليه أجرا**، ولا أدعوكم إلى قطع الأرحام والقرابات، بل ما أطلب منكم إلا صلة الأرحام بما دعوتكم إليه. ويحتمل أن يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا أو لا أقبله منكم إن أعطيتموني إلا أن تصلوني بحق القرابة والرَّحِم التي بيني وبينكم فأقبله منكم، وقد كان بينه وبينهم قرابات ورحم. ويحتمل ما قال الحسن فقال: والله ما كان نبي الله تعالى يسأل على هذا القرآن أجرا ولكنه أَمَر أن يتقربوا إلى الله تعالى بطاعته وحبّ كتابه، فكان معنى الآية **إلا المودةَ في القربى**، أي إلا التقرب إلى الله تعالى والتودد بالعمل الصالح.[7] وقال بعضهم: **إلا المودةَ في القربى**، إلا أن تَوَدُّوني لأجل قرابتي كما تودون لقرابتكم وتواصلون بها؛ ليس هذا الذي جئت به يقطع[8] ذلك عني،[9] ولست أبتغي على الذي جئت به أجرا آخُذُه منكم على ذلك. وقال قتادة: إن الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل على هذا القرآن والتبليغ أجرا إلا المودة في القربى [أي] إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة،

---

[1] ذكر السيوطي رواية قريبة منها وزاد: أخرج الطبراني في *الأوسط* وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور*، ١٤٤/١٣-١٤٥. وانظر أيضا: *المعجم الأوسط* للطبراني، ٣٥٤/٦-٣٥٥.

[2] ر م - ثم يخرج قوله قل لا أسألكم عليه أجرا.

[3] ر م: ربي.

[4] ر م: وقرابتكم.

[5] ر م: وأدعوكم.

[6] ر م: إجابة.

[7] *تفسير الطبري*، ٥٠٠/٢٠-٥٠١.

[8] ر م: يقطع.

[9] ر: تمني.

وكل بطون قريش بينه وبينهم قرابة.[١] وقال بعضهم إلا أن تَودُّوا قرابتي. وقال بعضهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لم تتبعوني على ما أدعوكم إليه وآمركم به فاحفظوني في قرابتي».[٢] وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا**، هو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ.[٣] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة: الاقتراف الاكتساب، والمقارفة المعاشرة، وقُرِف فلان فهو مقروف، أي اتُّهِم[٤] بشيء.[٥] وقوله عز وجل: **إن الله غفور شكور**، قوله: **غفور**، أي يغفر لهم وإن لم يحققوا التوبة والرجوع سرا وعلانية ولم يستوجبوا الغفران والعفو. وقوله: **شكور**، أي يشكر ويقبل منهم الشكر وإن لم يحققوا له الشكر ولم يستحقوا قبوله، فضلا منه ونعمة. *والله أعلم*. وقال أهل التأويل: **غفور** للذنوب، **شكور** للحسنات يضاعفها. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **أم يقولون افترى على الله كذبا**، أي بل يقولون: افترى محمد على الله كذبا. وقوله: **فإن يشأ الله يختم على قلبك**، اختلف فيه. قال بعضهم: فإن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجدَ مشقة استهزائهم بك ولا غُصّة[٦] تكذيبهم إياك. وقال بعضهم: فإن يشأ الله أن يُنْسيك القرآن[٧] فلا تُبلّغه إليهم فلا يستهزءوا بك ولا يكذبوك، أو كلام نحوه.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٩٧. وآخر قول قتادة قول ابن عباس أخرجه كثير من المحدثين. ولفظ الترمذي هكذا: سئل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: أَعَلِمْتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة؟ فقال: إلا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم من القرابة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن ابن عباس. انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٣.

[٢] *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٩٥؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٧٥.

[٣] الآية ٢٠ من هذه السورة.

[٤] م: اتهم.

[٥] يقال: هو يُقرَف بكذا، أي يرمى به ويتهم، فهو مقروف. وقَرَف الرجلَ بسوء: رماه. وقَرَف عليه قَرْفا كذب، وقَرَفه بالشيء، اتهمه (*لسان العرب*، «قرف»).

[٦] الغصة: الشجا، أي الهم والحزن (*الصحاح*، «غصص» و«شجو»).

[٧] جميع النسخ - القرآن. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٧و.

وعندنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا بدءا: فإن يشأ الله يختمْ على قلبك بالصبر[1] حتى لا تجدَ مشقة الاستهزاء ولا غصة التكذيب. والثاني يحتمل فإن يشأ الله يختم على قلبك كما ختم قلوب أولئك الكفرة حتى لا تفهمَ ولا تعقلَ[2] الحق من الباطل كما فعل بأولئك. يُذكّره إحسانه إليه وفضله بما أكرمه بأنواع الكرامات التي أكرمه بها، ليَشكر ربه على ذلك ويَرحم على أولئك بما ختم على قلوبهم وما ينزل بهم من أنواع العذاب. وعلى ذلك يبلغ أمرُه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ،[3] الآية، وقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[4] كادت نفسه تَهْلِك[5] إشفاقا عليهم ورحمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويَمْحُو الله الباطل ويُحق الحق بكلماته**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي يُظهِر ويُظفِر أهل الحق على أهل الباطل ويَنصرهم حتى يصيرَ أهل الحق ظاهرين قاهرين على أهل الباطل، فذلك محو الباطل[6] وإحقاق الحق. والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين حتى يعرف كل أحد الحق من الباطل بالحجج التي أقامها إذا تأمل فيها حق التأمل،[7] وهو كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.[8] *والله أعلم*. وقوله: **بكلماته**، أي بحججه وبراهينه. وقوله عز وجل: **إنه عليم بذات الصدور**، قال أهل التأويل: أي عليم بما في الصدور، ولكن قوله: **بذات الصدور**، عبارة عمن له الصدور عن الرأي والتدبير وهم البشر.[9] *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**، قد ذكرنا أنه لا أحد يحقق التوبة، لأن تحقيق[10] التوبة هو أن يَهرُب ويفِرّ عما استوجب به النار كهَرَبِه من النار

---

[1] ر: بالصبر.
[2] ر ث م: حتى لا يفهم ولا يعقل.
[3] سورة الكهف، ٦/١٨.
[4] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[5] ن ث: يهلك.
[6] جميع النسخ: محق البطل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧ظ.
[7] م: حق التأويل؛ ن: حق لباطل.
[8] سورة التوبة، ٣٣/٩.
[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٠٥/٢٠.
[10] ر م: تحقق.

لو كان فيها وفراره منها لو وجد مَهْرَبًا. ولا أحد يَهرُب من الذنب ويفر منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها. لكن الله تعالى بفضله وكرمه يقبل ذلك منه وإن لم يكن التوبة منه على الحد الذي ذكرنا. ثم قوله تعالى: **يقبل التوبة عن عباده**، أي يقبل حسناتهم وخيراتهم؛ **ويعفو عن السيئات**، أي يكفر عن سيئاتهم، كقوله تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ] نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[1] *والله أعلم*. وقوله: **ويعلم ما تفعلون**، هذا وعيد يُخبر رسولَه عليه الصلاة والسلام أنه يَعلم ما تفعلون سرا وعلانية، وأنه عن علم بما يكون منهم امتحنهم وأمرهم ونهاهم. *والله أعلم*. [٦٩٨و]

**﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾**[٢٦]

وقوله عز وجل: **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، أي يجيب الذين آمنوا بما يدعون ويسألون ربهم، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[2] أي يجيبهم على الذي ذكر في الآية. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ويزيدهم من فضله**، أي يزيدهم من فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب امرئٍ مسلمٍ،[3] وهي الجنة، وذلك زيادةٌ من فضله. *والله أعلم*. وقال في حق الكفرة: **والكافرون لهم عذاب شديد**.

**﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾**[٢٧]

وقوله عز جل: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، قال أهل التأويل: إن الآية نزلت في أهل الصُّفَّة، تمنوا أن تكون لهم الدنيا؛ فإن كانت فيهم فكأنه يُطيِّب[4] عليهم الضيق والقَتْر. وقال بعضهم: **لبغوا في الأرض**، أي يتقلبون[5] من لباس إلى لباس ومن مركب إلى مركب،

---

[1] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.

[2] سورة البقرة، ١٨٦/٢.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى الحديث الذي أخرجه كثير من أصحاب الصحاح، انظر مثلا: صحيح *البخاري*، التوحيد ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٣-٦.

[4] جميع النسخ: طيب. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٨و.

[5] ر م: أن يتقلبون.

ولكن ليس في ذلك كثيرُ بغيٍ فلا يصح صرف التأويل إليه. ثم عندنا يخرج **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، مخرج الامتنان والإفضال، وله أن يبسط عيبهم وإن علم منهم البغي. ألا ترى أنه لو لم يوسّع على فرعون لكان[1] لا يدعى الألوهية، لكنه منّ على بعض المؤمنين فضَيّق عليهم حتى لا يبغوا، فيُلزمهم بذلك القيامَ بشكر ما منّ عليهم، وأنعم بالتضييق حتى لا يبغوا. وكذلك يخرج ما روي: منعُ الله عطاءٌ.[2]

وفيما ذكرنا جواب عمن تعلق بظاهر الآية على أن الأصلح واجب حيث قال: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، بين أن الأصلح لهم أن لا يبسط. لأنا نقول: قد بسط كثيرا من الفراعنة والكفرة فبغوا، لكن ذكر هذا لبيان[3] المنة والإنعام بالتقتير والتضييق في حق البعض حتى لا يبغوا. ***والله أعلم***.

ثم البغي هو التعدى عن حد[4] الله الذي حد لهم والمجاوزةُ عنه، ولكن لا نفسر ما ذلك الحد[5] الذي سُمّي التعدى عنه بغيا لما لا يُعلم ما هو. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، أنه لو بسط عيبهم ووَسّع لزمهم الشكر؛ والبسط وكثرة المال يَشغلهم ويمنعهم عن القيام بشكره وما أوجب عليهم من الفرائض والأحكام، **ولكن ينزّل بقدرٍ ما يشاء**، ما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذي يلزمهم. ***والله أعلم***.

وقوله: **إنه بعباده خبير بصير**، قد تقدم تأويله.

ثم حاصل تأويلها يرجع إلى وجوه ثلاثة. أحدها إلى أهل الكفر أنه لو وسع عليهم وبسط لبغوا في الأرض، أي صاروا كلهم أهل كفر وضلال، كقوله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ،[6] الآية.

والثاني يتوجه إلى خاص من المؤمنين لِمَا علم منهم أنه لو بسط عيبهم ووَسّع لبغوا في الأرض، فضَيّق عليهم وقَتّر امتنانا منه وفضلا لئلا يبغوا. وهو كما ذكرنا في أحد تأويل قوله تعالى:

---

[1] ر ث م – لكان.

[2] ر م: عطا. روى أبو نعيم الإصبهاني هذا الكلام عن أبي حبيب البدوي. انظر: *حلية الأولياء*، ٢٨٨/٨.

[3] ر: البيان.

[4] ر م: من حد.

[5] جميع النسخ: ما الحد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٨و.

[6] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظْهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[1] أنه إن كان[2] على حقيقة العبادة[3] له[4] خلقهم فهو في الذين علم[5] منهم أنه يعبدون لا محالة، خلقهم[6] ليعبدوه على ما ذكر؛ فأما الذين يعلم أنهم لا يعبدونه لا يحتمل أن يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم أنه يكون منهم. *والله أعلم*.

فعلى ذلك قوله: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، يرجع إلى قوم خاص يعلم الله تعالى منهم أنه لو بسط عليهم ووسّع لبغوا في الأرض فضيق عليهم فضلا منه ومنة، فيلزمهم القيام بشكر ذلك له. *والله أعلم*.

[والثالث] أو أن يرجع ذلك إلى جملة الخلق من مؤمن وكافر أنه لو وَسّع وبسط على الكل لصاروا جميعا ملوكا، ومن عادة الملوك وطباعهم البغي والغلبة على من نازعهم في ملكهم ومملكتهم،[7] وفي ذلك التفاني والفساد، فوسّع على بعضهم وبسط، وضيّق على بعض لئلا يبغى بعض على بعض، إذ في ذلك[8] تفانٍ وتفاسدٌ. *والله أعلم بذلك*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**، يحتمل قوله: **من بعد ما قنطوا**، أي من رحمته، أو من بعد ما قنطوا من الأصنام التي عبدوها رجاء الغوث والشفاعة لهم والزلفى عند الله قنطوا ما رجوا منها، كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[9] ثم سمى المطر رحمة وغيثا، أي الغوث ليعلم أن له أن يمسك عنهم ويمسكهم على الحال الأولى في القحط والضيق، إذ لو كان عليه إرساله ولم يكن له إمساكه لم يسمه رحمة ولا غوثا، لأن من عليه فعل شيء لم يوصف بالفضل والرحمة. فهو على المعتزلة في الأصح. *والله الموفق*.

---

[1] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.

[2] ن: أنه كان.

[3] جميع النسخ - العبادة. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.

[4] ر: هم.

[5] ر م - علم.

[6] جميع النسخ - خلقهم. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.

[7] ن ر م - ومملكتهم.

[8] ن ث: أو في ذلك.

[9] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.

وقوله: **وهو الولي الحميد**، يحتمل **الولي**. أي هو الرب، **الحميد**، هو المستحق للحمد؛ أو **الولي**، هو الحافظ لهم وولي كل نعمة أعطاهم، **الحميد**. بما ذكر من التضييق عليهم لئلا يبغوا في الأرض.[1]

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[٢٩]**

وقوله: **ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة**، قوله تعالى: **ومن آياته**، يحتمل من آيات ربوبيته وتوحيده خلق السماوات والأرض وما ذكر، أو [من] آيات حكمته وعلمه وتدبيره خلق ما ذكر،[2] أو [من] آيات قدرته وسلطانه ما ذكر،[3] أو من آيات إحسانه ونعمه وأياديه ما ذكر. وقد بينا وجه كل ذلك ودلالته على قدر فهمنا منه فيما تقدم.[4]

[٦٩٨ظ] ثم اختلفوا في قوله: **وما بث فيهما من دابة**. قال بعضهم: قوله تعالى: **وما بث فيهما**، أي في الأرض خاصة، ألا ترى أنه قال من دابة، وهي اسم لما يَدُبّ، وأهل السماء[5] ملائكة ولهم الطَّيَرَان دون الدبيب. وهو كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[6] وإنما[7] يخرج من أحدهما. وقال بعضهم: **فيهما**، أي في السماء الملائكة وفي الأرض الدواب، لكنه سمى أهل السماء باسم ما في الأرض من الدواب، وذلك جائز في اللغة: ذكر شيئين باسم أحدهما، كقوله: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ،[8] والكناية يرجع إلى الصلاة لفظا، والمراد ما[9] سبق من الصبر والصلاة، وكذا قوله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا،[10] كنى عن التجارة وأراد كليهما، ونحو ذلك. فعلى ذلك هذا. ثم قوله: **وما بث فيهما**، قالوا: أي نشر.[11]

---

[1] ر ث م – الحميد بما ذكر من التضييق عليهم لئلا يبغوا في الأرض.
[2] جميع النسخ: مما ذكر. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[3] ر ث م: مما ذكر.
[4] انظر: سورة الروم، ٢٢/٣٠.
[5] ن: أهل السماء.
[6] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.
[7] ر ث: وإنهما؛ ن: وإنه.
[8] سورة البقرة، ٤٥/٢.
[9] ن: مما.
[10] سورة الجمعة، ١١/٦٢.
[11] جميع النسخ: نشر. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.

وقوله عز وجل: **وهو على جَمْعهم إذا يشاء قدير**، يحتمل ما ذكر من جمعهم بَعْثَهم وإحياءهم، قدير[1] على ذلك كما هو قدير[2] على ما ذكر من خلق السماوات والأرض وما ذكر. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**، يحتمل ما ذكر من المصيبة التي تصيبهم[3] المصيبةَ التي تعمّ[4] الخلق جميعا ممن كان منهم الزلةُ وما ذكر من كسب اليد، وممن لم يكن منهم كسب اليد من الزلة والمعصية: من نحو الجَدْب والقحط وغَلَبَة الأعداء وغير ذلك من الأشياء التي تعمّ[5] الخلائق ممن كان منه الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والأبرار والأخيار. فيكون ما أصاب ممن كان ذلك منه واستوجبه تنبيها هم وموعظة، أو كفّارةً لما كان منهم من كسب اليد؛ وما أصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار والأخيار فذلك في الحكمة. وهو يخرج على وجهين. أحدهما يصيب ذلك لهم ابتلاءً بشيء سبق منهم ليُعلَم أن ما يعطيهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان فضلا منه، وهم عبيده وإماؤه وملكه، إن شاء أهلكهم وفعل بهم ما شاء،[6] وإن شاء[7] أبقاهم. أو أن يفعل بهم ما ذكر،[8] وإن لم يَسبِق منهم ما ذكر من كسب اليد والزلة لعوض يعوّضهم[9] في الآخرة. وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة. والإيلامُ لتعويض جائز ممكن، لكن ليس بواجب -لا محالةَ- التعويضُ، خلافا للمعتزلة فإن عندهم واجب. ***وبالله العصمة.***

وجائز أن يكون ما ذكر من المصيبة التي تصيبهم[10] بكسب اليد أن يريد كلا في نفسه، يصيبه بما سبق منه من شيء ارتكبه واكتسبه.[11] فالسبيل فيه أن ينظر كلٌّ في نفسه[12] ما الذي سبق منه

---

[1] ن: قدر.
[2] ن: قدر.
[3] جميع النسخ: يصيبهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[4] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٨ظ.
[5] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٨ظ.
[6] ر م – وفعل بهم ما شاء.
[7] ن – إن شاء.
[8] ن: ما ذكرن؛ ر: ما ذكروا.
[9] ر م: يعوض.
[10] جميع النسخ: يصيبهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[11] ن: واكتسبه
[12] ن: في هسه.

حتى أصابه ما أصاب، فيراجعَ نفسه عن ذلك ويتوب إلى الله تعالى. ثم يخرج ذلك لهم إما تنبيها وزجرا عن المعاودة إلى مثله، وإما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم فيلزمهم[1] الشكر على ذلك. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يصيب ابنَ آدم خَدْشُ عُودٍ ولا عَثْرةُ قدمٍ ولا اختلاجُ عِرقٍ إلا بذنب وما يعفو الله [عنه] كثير».[2]

وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى أن يؤلم أحدا ولا يذيقه شيئا من الشدة إلا بعوض يعوّض له. ولو كان[3] على ما يقولون لم يكن الله تعالى[4] في إعطائهم الخيرات والحسناتِ والسعةَ محسنا مُفْضلا منعما، لأن من أخذ من آخر[5] شيئا بعوض لا يوصف بالإفضال والإنعام، وقد سمي نفسه بذلك محسنا منعما،[6] فيكون ما قالوا خلاف ذلك.

والثاني إن كان بعوض على ما يقولون يجب أن يعوّضهم عوضا يَرضَون بذلك العوض، ويكون ذلك العوض مثل ما أخذ منهم، وهم لا يشترطون ذلك، دل أن له أن يفعل لهم ما ذكرنا. وأصله ما ذكرنا أن الخلق كلهم عبيده وإماؤه، ولكل ذي مَلِك أن يفعل في ملكه ما شاء لا لائمةَ عليه، إذ كان له حقيقة الملك. فعلى ذلك اللهُ سبحانه وتعالى، إذ له حقيقة ملك الأشياء فله أن يفعل ما يشاء[7] بلا عوض ولا بدل. ***والله أعلم***.

وقوله: **ويعفو عن كثير**، ليس أحد يصيبه شيء من الشدة والبلاء إلا ويكون في ذلك عفوٌ منه جل جلاله، لأنه ما من ألم إلا ويتوهَّم زيادة الألم في ذلك، فيكون منع تلك الزيادة عنه عفوا عنه[8] وفضلا. فكذلك[9] هذا في هلاك كل شيء من حقوقه ما يَقِلّ ويَكثُر. ويحتمل أن يكون قوله: **ويعفو عن كثير**، أي لا بكل زلة منهم يكون يؤاخذهم[10] بها، بل يؤاخذهم ببعض ويتجاوز عنهم في بعض. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ت م: ولزمهم.
[2] نظر: شعب *الإيمان* لبيهقي، ٢٥٣/١٢-٢٥٤؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٥١٣/٢٠-٥١٤.
[3] ن ث: وإن كان
[4] ر م - أن يؤلم أحدا ولا يذيقه شيئا من الشدة إلا بعوض يعوض له ولو كان على ما يقولون لم يكن الله تعالى.
[5] ر م - من آخر.
[6] ث - لأن من أخذ من آخر شيئا بعوض لا يوصف بالإفضال والإنعام وقد سمي نفسه بذلك محسنا منعما.
[7] ن: وله أن يفعل ما شاء.
[8] ن: منه.
[9] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩و.
[10] ر م: يواخذه؛ ت: يواخذهم

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٣١]

وقوله: **وما أنتم بمعجزين في الأرض**، يقول: لا تقدرون[1] الهرب مما يريد أن يصيبكم بزلاتكم وما يريد أن يفعل بكم، ولا لكم منجأ. وقوله عز وجل:[2] **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**، أي ليس لكم ولي يحفظكم ويدفع عنكم ذلك العذاب، ولا نصير[3] ينصركم ويمنعكم من عذاب الله. *والله أعلم*.[4]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام**، يحتمل آياته ما ذكرنا من آيات وحدانيته وربوبيته، وآيات قدرته وسلطانه، وآيات علمه وتدبيره وحكمته، وآيات نعمه وإحسانه. وهو ما جعل الله جل وعز في سِرِّيَّة الخشب في السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر لِيَعرفوا ذلك المعنى واللطفَ الذي جعل في الخشب ما قدروا على إدراكه، وذلك المعنى واللطف المجعول فيها هو[5] ما جعل من طبعها السكونَ على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها / وغلظها، وإن كان بدون ذلك الثقل والعظم بكثير من غير جوهر الخشب مما [٦٩٩ر] يتسرب في الأرض وينحدر. وكذلك مما يُحْمَل في السفن من الأحمال العظيمة الثقيلة مما طَبْع كلٍّ من ذلك الحِمْل أن يتسرب وينحدر في الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من الخشب. *والله أعلم*. ثم قوله: **كالأعلام**، قال عامة أهل التأويل: أي كالجبال في البحار. وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة: الأعلام الجبال،[6] واحدها عَلَم.[7] ومعنى هذا الكلام هو ما ذكر من مَيْد[8] الأرض بأهلها والتسرب في الماء، ثم أرساها وأثبتها بالجبال. وطَبْع الجبال التسرّب والانحدار في الماء، فيجيء أن يزيد في التسرب والانحدار في الماء لا أن يُثبتها ويُقرّها على وجه الماء،

---

[1] ر ث م: لا يقدرون.

[2] ر م – وقوله عز وجل.

[3] ر م – أي ليس لكم ولي يحفظكم ويدفع عنكم ذلك العذاب ولا نصير.

[4] – والله أعلم.

[5] جميع النسخ – هو. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩و.

[6] ن: والجبال.

[7] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٤.

[8] ماد الشيء يميد ميدا: تحرك ومال بشدة. وماد الشيء يميد ميدا: زاغ وزكا. وفي الحديث لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال (*لسان العرب*، «ميد»).

لكن بلطفه ومَنِّه أقرّ بها الأرض وأثبتها[1] ومنع بها عن التسرب والانحدار والميد بأهلها. فعلى ذلك السفن في البحار تستقر[2] على الماء ولا ينحدر كالجبال مع الأرض في القرار على الماء. *والله أعلم*.

ويحتمل قوله: **كالأعلام**، معنى آخر، وهو الأعلام أنفسها. وهو أن جعل[3] السفن سببا وطريقا للوصول إلى منافع بعدت منهم وصعبت عليهم. فإذا حُمل فيها الأحمال من بلد إلى بلد آخر ومن مكان إلى مكان يُسَرّ أهل المحمول إليهم[4] بتلك الأحمال والسفن إذا رأوها في البحار يحمل إليهم لسعة يرجون بها ومنافع يتصل لهم. وكذلك يسرّ أهل البلد المحمول عنهم[5] إذا رأوها راجعة إليهم سالمة، لما يحصل لهم من الأثمان[6] والأعراض بها، فيكون السفن أعلاما وأدلة لهم على الوصول إلى الأغراض والمنافع. *والله أعلم*.

**﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣٣]**

وقوله: **إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره**، يذكر فضله ومنته بما أجرى هذه السفن في البحار التي ذكر، فأخبر أنه لو شاء لأمسكها ومنعها عن[7] الجريان. ثم صير الريح نوعين. إحداهما[8] طيبة بها تجري السفن والأخرى عاصفة شديدة تَهلِك بها السفن، وهو ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ،[9] الآية. ثم في ذلك خلال ثلاث تدل[10] على أن الريح ليست تُجرى السفن وتَهُبُّ[11] بطبعها وبنفسها ولكن بالله تعالى. أحدها أنه أخبر أنه جعل نوعا منها طيبة تُجرى السفن،

---

[1] ر ث م: ولا يثبتها.

[2] ن: يستقر.

[3] ن: وهو جعل.

[4] م – إليهم.

[5] ر م – عنهم.

[6] جميع النسخ: لايمان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.

[7] ر م: على.

[8] ر ث م: أحدهما.

[9] ﴿هو الذي يُسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).

[10] جميع النسخ: يدل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ص.

[11] جميع النسخ: ويهب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.

والأخرى عاصفة[١] تُهلك[٢] السفن وتَهيج[٣] الأمواج. والثاني ما ذكر في هده الآية: **إن يشأ يسكن الريح**، أخبر أنه لو شاء[٤] لأسكن الريح فيبقَيْن[٥] رواكد على ظهر الماء، فدل أنه هو المُجري لها حيث كان هو المُسكنَ. والثالث أن الفعل[٦] الطبيعي على سَنَنٍ واحد كالحرارة في النار والبرودة في الثلج وأمثال ذلك. ولو كان جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تَسكن[٧] في حال ولا تكون[٨] مرة طيبة سالمة ومرة شديدة عاصفة مهلكة، دل أن ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع. *والله الموفق*.

وقوله: **إن في ذلك لآياتٍ لكل صبار شكور**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما سمى المؤمن صبورا شكورا. والثاني سمّى من صبر على ما أصابه[٩] من الشدائد والمصائب التي ذكر صبورا، ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكورا. *والله أعلم*.

وقوله:[١٠] **رواكد على ظهره**، قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:[١١] أي وقوفًا،[١٢] وصرفه رَكَد يَركُد رَكْدًا ورُكُودا.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣٤]

وقوله: **أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير**، جائز أن يكون هذا[١٣] صلة ما ذكر من السفن الجواري في البحر[١٤] حيث قال: إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ،[١٥]

---

[١] ر م: على صفة.
[٢] ن: يهلك.
[٣] جميع النسخ: ويهيج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.
[٤] ث + لأمسك.
[٥] ر م: فبقين.
[٦] جميع النسخ: فعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[٧] ر ث م: لا يسكن.
[٨] جميع النسخ: ولا يكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[٩] ر م: على ما أصاب.
[١٠] ن: ثم قوله تعالى.
[١١] قال ابن قتيبة: أي سواكن على ظهر البحر. *تفسير غريب القرآن*، ٣٩٤.
[١٢] ر ن م: وقوف.
[١٣] ن - هذا.
[١٤] ن + التي بها يجرى بها السفن.
[١٥] الآية السابقة

يقول إن يشأ أسكن الريح التي بها تجرى[1] السفن في البحار، فيبقَيْن[2] رواكد في الماء، وإن شاء أرسل ريحا عاصفة قاصفة[3] شديدة فيهلكُهن[4] يعني السفن، وأراد أهلَ السفن بما كان منهم. يخبر أن له أن يفعل ما ذكر من الإهلاك في البحر أو الإبقاء فيه لكنه بفضله يُنجي من أنجى وأخرج منه[5] سالما. *والله أعلم*. وكذا قال أبو عَوْسَجَة: يُوبِقْهُنَ، أي يهلك[6] أهل السفن. ويحتمل أن يكون ذلك صلة ما تقدم من قوله تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[7] فيكون ما يصيبهم من المصيبة ما بلغت[8] النفسَ أو مما لم تبلغ[9] النفسَ، فيكون كل ذلك لهم من كسب أيديهم على ما ذكر. ثم أخبر أنه يعفو عن كثير مما كسبت أيديهم مما يستوجبون الإهلاك ويتجاوز عنهم. *والله أعلم*.

**﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[٣٥]**

وقوله: **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص**، المجادلة في آياته تخرج[10] على وجهين. أحدهما أن يجادلوه في تقدير أحكام الله تعالى وفهم ما ضُمّن فيها، وذلك ممدوح محمود، وهو كقوله تعالى: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[11] وقوله عز وجل: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا،[12] فهذه المجادلة والمراء المذكور في هذا محمود.[13] والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع أحكام آيات الله تعالى والحيلولة[14] عن فهم ما ضُمّن فيها،[15] وهي مذمومة.

---

[1] ن: يجرى.
[2] ر م: فبقين.
[3] ر م – قاصفة.
[4] ر ث م: فيهلكن.
[5] ر م – منه.
[6] ر م: ليهلك.
[7] الآية السابقة برقم ٣٠ من هذه السورة.
[8] ن: ومما بعت.
[9] جميع النسخ: لم يبغ. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.
[10] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[11] سورة العنكبوت، ٤٦/٢٩.
[12] سورة الكهف، ٢٢/١٨.
[13] م: محمود.
[14] ر ت م – والحيلولة.
[15] ر ت م – فيها.

وما ذُكر هاهنا من قوله: **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا**، هي المجادلة في دفع[1] أحكام آياته. [٦٩٩ط]
ثم أخبر أنه لا محيص لهم ولا ملجأ من عذاب الله بمجادلتهم في دفع آياته والمنع عن فهم ما فيها. *والله أعلم*.[2]

**﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[٣٦]

وقوله: **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أن الله تعالى أعطى من أعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها نعمة دائمة ولذات[3] باقية، وكذلك ما أعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى. فمن استعمل ما أعطاه من الأموال واللذات مما ذكرنا في غير ما أُمِر به وجُعِل سُمِّي خاسرا عابثا، وكذلك من استعمل ما أعطاه من الحواس في غير ما جُعلت وأُمِر باستعمالها سمي[4] "أصمّ" "أبكم" "أعمى". وكذلك النفس إذا لم[5] يَكتسب بها حياة دائمة سمِّي مَيِّتا. *والله أعلم*. أو أن يقال: إنهم ما أُعطُوا في هذه الدنيا من اللذات والمتعة إلا ترغيبا فيما أبقى عنده ووعدهم في الآخرة، وكذلك ما امتُحِنوا من الشدائد والمصائب إلا تحذيرا وترهيبا عما أوعدهم وخوّفهم في الآخرة. ثم قوله: **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا**، أي تتمتعون به فيفنى ويزول عن سريع وما أبقى، ولم يؤتكم هو الباقي الدائم.

ثم بين أن ما أبقى عنده لمن؟ بقوله:[6] **للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**، آمنوا بأن له الدنيا والآخرة، وأن له الخلقَ والأمرَ، وأنه بريء عن جميع معاني الخلق. **وعلى ربهم يتوكلون**، أي يَكِلون أمورهم إلى ربهم، هو مَفْزَعهم ومعتمدهم، لا يفزعون إلى أحد سواه ولا يعتمدون غيره في جميع أحوالهم.

---

[1] م + أحكام آيات الله تعالى عن فهم ما ضمن وهي مذمومة وما ذكر هاهنا من قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا هي المجادلة في دفع.
[2] ر م - والله أعلم.
[3] جميع النسخ: ولذة.
[4] جميع النسخ: يسمى. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و.
[5] ر ث م: يرد المرء.
[6] ر ت: يقوله.

**﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٣٧]**

ثم نعتهم أيضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر والفواحش فقال: **والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**، جائز أن يكون ما ذكر من كبائر الإثم هي الفواحش والفواحش هي كبائرَ الإثم، كل واحد منهما في معنى الآخر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: كبائر الإثم أنواعُ ما بها يصير المرء مشركا وهي كبائر الشرك، والفواحش هي التي توجب[١] الحدود في الدنيا. وقيل: الكبيرة ما يَكبُرُ ويَعظُم من الذنب، والفاحشة ما يَفحُش من العمل. وقد ذكرنا وجوها في ذلك فيما تقدم في سورة النساء.[٢] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإذا ما غضبوا هم يغفرون**، أي إذا ما غضبوا هم مما يرجع إلى الأموال والأنفس وأمر الدنيا يغفرون ويتجاوزون عن ذلك، فأما ما يرجع ذلك الغضبُ إلى أمر الدين فإنه لا يسع المغفرةَ عن ذلك ولكن يجب الرجوع والتوبة إلى الله. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣٨]**

وقوله عز وجل: **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة**، أي أجابوا لربهم إلى ما دعاهم ربهم. وقد دعاهم إلى دار السلام بقوله:وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[٣] لكن جعل لإجابتهم شرائط وأعلاما، فمن وَفَى بها استوجب الموعود، وهو كقوله تعالى: أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[٤] الآية، وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، إلى آخر ما ذكر،[٥] فعلى ذلك عَلَمُ إجابتهم لربهم وشَرْطُها ما ذكر من قوله تعالى: **وأقاموا الصلاة**، إلى آخر ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأمرهم شورى بينهم**. ذكر بعضهم أن الأنصار كانوا يتشاورون فيما بينهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم غائب، فنزل هذا مدحا لهم على فعلهم.

---

[١] ر ن م: يوجب.

[٢] نظر: تفسير الآية ٣١ من سورة النساء.

[٣] سورة يونس، ٢٥/١٠.

[٤] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ (سورة البقرة، ٤٠/٢).

[٥] ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفّرنّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).

وذكر عن الحسن أنه تلا هذه الآية، وهي[1] قوله: **وأمرهم شورى بينهم**، قال: والله ما شاور قوم قط إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما بحضرتهم.[2] وأصله أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشاور صحابته حيث قال: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.[3] وقول[4] الحسن: ما شاور قوم في أمر قط إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما بحضرتهم، لان المشاورة اجتماع العقول والأذهان، وإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أسرع وأبلغ مما[5] انفرد كلُّ عقلٍ بنفسه. **والله *أعلم***. وقال القُتَبِي: **وأمرهم شورى بينهم**، أي يتشاورون فيه.[6] وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، ظاهر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**، صَيَّر المُنتصِرَ من الباغي والغافرَ لمظلمة من ظَلَمَه جميعا في الذين استجابوا لربهم إلى ما دعاهم إليه حيث قال: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ،[7] ثم نعتهم فقال: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ،[8] ثم قال: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**، صيرهما جميعا المنتصر والغافر في الذين استجابوا لربهم إلى ما دعاهم إليه.[9] والمنتصر مستوفٍ حقٍّ جُعل له، والغافر تارك الحق، لكن إذ جُعل له الاستيفاء دخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى. لكن تارك الحق أفضل من مستوفي الحق. وعلى ذلك حث الله تعالى رسوله بالعفو عن المظلمة وترك الانتصار والمكافأة وأخبر أنه من عزم الأمور حيث قال: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.[10] ويحتمل أن يكون قوله تعالى: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ،[11]

---

[1] جميع لنسخ – وهي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و.
[2] *الأدب المفرد* لبخاري، ١٣٧/٢.
[3] سورة آل عمران، ١٥٩/٣.
[4] ر م: وقال.
[5] ر ن م: ما.
[6] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٣.
[7] الآية السابقة برقم ٣٧.
[8] الآية السابقة.
[9] جميع لنسخ – حيث قال وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... إلى ما دعاهم إليه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و–ظ.
[10] الآية التالية برقم ٤٣.
[11] الآية السابقة برقم ٣٧.

راجعا[1] إلى الأذى باللسان من نحو الشتيمة والسب والذي لا يؤثر في النفس أثرا. حثهم على المغفرة والعفو ومدحهم على ذلك. وقوله: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**،
[٧٠٠و] راجع إلى ما يؤثر في الأنفس والأبدان تأثيرا من الجراحات وغيرها.[2] حثهم على العفو فيما يرجع[3] إلى الأذى باللسان وأن لا يكافئوهم على ذلك؛ وفيما رجع إلى الأنفس والأبدان جعل لهم الاستيفاء والانتصار، وإن كان ترك الاستيفاء والعفو عن الكل أفضل على ما قال تعالى:[4] وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.[5]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٤٠]

وقوله: **وجزاء سيئة سيئة مثلها**، سمي الثانية سيئة، وإن لم تكن[6] في الحقيقة سيئة، لأنها جزاء السيئة فسماها باسم الأولى. أو سماها سيئة لأنه لو لم يكن الأولى كانت الثانية سيئة أيضا،[7] فسماها على ما هو في نفسها من باب الإضرار، والضررُ سيئة في نفسه وإن كان يصير[8] حَسَنا لغيره. ***والله أعلم***. ويشبه أن يكون سماها بما ذكر لاختلاف الأحوال: هي عند الذي يُقْتَصُّ[9] منه ويجازَى بها سيئة،[10] وتلك الحال عنده سيئة، وهو كقوله تعالى: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[11] سَمّى حالةَ الضيق والشدة سيئة لأنها عندهم سيئة، وحالَ السعة والرخاء حسنة لأنها عندهم حسنة، وإن لم يكن تلك الحال في الحقيقة سيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم. فعلى ذلك جائز أنه سمى الثانية سيئة لما هي عند المفعول به[12] سيئة. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: راجع. تصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[2] ر م: وغيرهم.
[3] ن: رجع.
[4] جميع النسخ - تعالى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٣٧.
[6] ر ن م: وإن لم يكن.
[7] ر م: كانت السيئة ثانية أيضا؛ ث: كانت السيئة ثابتة أيضا.
[8] ر م - يصير.
[9] جميع النسخ: يقبض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[10] ث: مسيئة.
[11] سورة الأعراف، ٧/١٦٨.
[12] ن - به.

وقوله: **فمن عفا وأصلح فأجره على الله**، هو ما ذكرنا أنه وإن جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار فالعفو[١] عن ذلك أفضل. ثم فيه من الدلالة[٢] أن لا يجمع بين العفو وأخذ البدل إذا لم يكن من الآخر الرضا بذلك، لأنه قال: **فمن عفا وأصلح فأجره على الله**، أخبر أنه إذا عفا عنه يكون أجره على الله، وليس له[٣] أن يأخذ من المعفو عنه شيئا. *والله أعلم*. فهو ينقض على من يقول بأخذ الدية من الجاني شاء أو أبى حيث قال: إن له أن يعفو عنه ويأخذ منه الدية.[٤] *والله أعلم*.[٥]

وقوله: **إنه لا يحب الظالمين**، لأنه لا يحب الظلم؛ والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه،[٦] فمن أخذ ما ليس له أخذُه فهو ظالم.

**﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل**، أي أولئك ما عليهم من حجة، أو ما عليهم من تبعة.

**﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس**، إنما الحجة أو التبعة[٧] على الذين يظلمون الناس ابتداء. وقوله عز وجل: **ويبغون في الأرض بغير الحق**، أي يأخذون من الناس ما ليس لهم أن يأخذوا، فالتبعة والحجة عليهم. فأما من يأخذ حقا وجب له واستوفاه فلا تبعة عليه ولا حجة. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويُفسدون في الأرض.[٨]

---

[١] جميع النسخ: والعفو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[٢] جميع النسخ: ثم فيه دلالة. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩١ظ.
[٣] ن ث: فليس له.
[٤] جميع النسخ: فهو ينقض على من يقول بأنه يأخذ البدل من الجاني شاء أو أبى وأن يعفو عنه ويأخذ البدل. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩١ظ.
[٥] ر م – والله أعلم.
[٦] م: في موضعه.
[٧] جميع النسخ: والتبعة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ص.
[٨] لم أجده في المراجع.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٤٣]

وقوله: **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور**. أي من صبر على الأذى والمظلمة وعفى عنها وتجاوز فإن ذلك من عزم الأمور، أي ذلك من تحقيق الأمور وإحكامه. ***والله أعلم***.[١]

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٤٤]

قوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده**، أي من أضله الله لما آثر ولاية الشيطان لا وليّ له سواه بعده يرشده، أو لا وليّ ينفعه من بعده. وهو كما قال: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ]،[٢] أخبر أن سلطان الشيطان على من يتولاه.[٣]

وقوله[٤] عز وجل: **وترى الظالمين لمَا رَأَوُا العذاب يقولون هل إلى مَرَدّ من سبيل**، قال أهل التأويل: أي هل إلى رجوعٍ إلى[٥] الدنيا من سبيل، يقولون [و]يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا. والأشبه أن يكون سؤالهم الرجوع إلى المحنة[٦] التي امتُحِنوا في الدنيا قبل موتهم، أي سألوا أن يكلفهم ويمتحنهم في الآخرة ليُظهروا الطاعة لله تعالى في أوامره ونواهيه. ***والله أعلم***.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾[٤٥]

وقوله: **وتراهم يعرضون عليها**، قال أهل التأويل: يعرضون على النار قبل أن يدخلوها، كقوله تعالى: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا،[٧] وكقوله تعالى: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ،[٨] الآية. وقوله عز وجل: **خاشعين من الذل**، لأن الله تعالى أذلّهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم وأَعطَوْا أنفسهم شهواتهم ومُناهم.

---

[١] ر م – والله أعلم.

[٢] سورة النحل، ١٦/١٠٠.

[٣] ر م: على ما يتولاه.

[٤] ر م – وقوله.

[٥] جميع النسخ – إلى. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.

[٦] ر: المحنة.

[٧] سورة الفرقان، ٢٥/١٢.

[٨] ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٣).

وقوله عز وجل: **ينظرون من طَرْف خفيّ**، يحتمل ما ذكر من نظرهم من طرف خفي ما ذكر في آية أخرى: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[1] لشدة هولهم وفزعهم في ذلك اليوم لا يرفعون رءوسهم ولا ينظرون إلى موضع. ***والله أعلم***.[2] ويحتمل أن يكون قوله: **ينظرون إليه من طرف خفي**، أي لا ينظرون إلى الناس ولا يُقبِلون بوجوههم إليهم إلا نظر التلصص والتغفل حياء منهم لسوء فِعالهم. وهكذا المعروف في الناس، لأن مَن صَنَع إلى الآخر سوءًا لا يتهيأ له رفع الطرف إليه ونظره إليه مقبلاً[3] إلا على التلصص منه والتغفل،[4] فعلى ذلك أولئك. ***والله أعلم***. وقال بعض أهل التأويل: إنهم يحشرون عُمْيًا فلا يرون بأعينهم، إنما يرون بقلوبهم، وهو الطرف الخفي. وقال القُتَبي: **ينظرون من طرف خفي**، أي قد غضّوا أبصارهم من الذلّ.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: أي ينظرون نظرا مستقيما. ***والله أعلم***.

وقوله: **وقال / الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة**، الآية، [٧٠٠ظ] يخرج ما ذكر من خسران أنفسهم وأهليهم على وجوه. أحدها ما ذكر بقوله تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] أمروا بأن يَقُوا[7] أنفسهم وأهليهم النار؛ فَهُمْ حيث لم يَقُوا ما ذكر من الأنفس والأهل خسروا. ***والله أعلم***. والثاني قوله: **خسروا أنفسهم وأهليهم**، أي خسروا بسبب أنفسهم وسبب أهليهم، كقوله: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[8] لما يتعاطون[9] أمورا بسبب الأموال والأولاد والأزواج هي فتنة لهم، وكقوله: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ،[10] فقد يَخسَر الرجل ويصير مؤاخذا بسبب هؤلاء. والثالث يحتمل أن يكون خسرانهم أنفسهم وأهليهم ما قالوا: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[11] وقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[12]

---

[1] سورة إبراهيم، ٤٣/١٤.
[2] ر م - والله أعلم.
[3] ر م: متصلا.
[4] والتغفل: تعمد الغفلة، تغافلت عنه وتغفلته: إذا اهتبلت غفلته (*تاج العروس*، «غفل»).
[5] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٤.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[7] ن: بأن يقول.
[8] سورة التغابن، ١٥/٦٤.
[9] ر ث م: لما يتعاملون.
[10] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ (سورة التغابن، ١٤/٦٤).
[11] سورة الكهف، ٣٦/١٨.
[12] سورة فصلت، ٥٠/٤١.

خسر ما كان رجا وطَمِعَ أن له عند ربه في الآخرة الحسنى. على هذه الوجوه الثلاثة يخرج تأويل الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليس من أحد من كافر ومسلم إلا وله أهل ومنزل في الجنة؛ فإن أطاع الله تعالى أتى منزله وأهله، وإن عصاه خسر نفسه وأهله ومنزله في الجنة وورثه المؤمنون عنه.[1] لكن لا يحتمل أن يكون الله عز وجل مع علمه أنه يموت كافرا أن يجعل له الأهل والمنزل في الجنة، اللهم إلا أن يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا. *والله أعلم.*[2]

**﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾**[٤٦]

وقوله: **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله**، يخرج على وجهين. أحدهما أي ما كان للأصنام التي عبدوها دون الله تعالى وِلايةُ النصر لهم وقدرة رفع العذاب عنهم، لأنهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء أن تشفع[3] لهم في الآخرة وأن تُزْلِفهم.[4] فأخبر الله تعالى أن ليس لها وِلاية النصر لهم على ما رَجَوْا وطَمِعُوا من عبادتها[5] الشفاعة لهم والدفعَ عنهم. *والله أعلم*. والثاني **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله**، أي ما كان للرؤساء الذين اتخذوهم في الدنيا أربابا وِلايةُ النصر لهم، لأنهم لا يملكون دفع ذلك من أنفسهم، فكيف يملكون دفع ما نزل بأتباعهم. يخبر أن ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من سبيل**. يحتمل قوله: **فما له من سبيل**، أي من حجة، أي من أضله الله فلا حجة[6] له أن يقول: إنك أضللتني، لأنه إنما يضله لما يختاره هو ويُؤْثِره، فيخلّي بينه وبين ما يختاره[7] ويُؤْثِره. والأصل في هذا أن ليس لأحد على الله حجة[8]

---

[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار. فإذا مات فدخل النار وَرِث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾» [سورة المؤمنون، ٢٣/١٠] (*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩). وانظر أيضا: *تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٨٦.

[2] ر م – والله أعلم.

[3] ر ن م: أن يشفع.

[4] جميع النسخ: وأن يزلفهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١و.

[5] ن: من عبادتهما.

[6] ر م: ولا حجة.

[7] ر م – هو ويؤثره فيخلي بينه وبين ما يختاره.

[8] ن: حجة.

فيما يفعله من المعاصي ويختاره بأنه قضاه ذلك وأراده وقدره، لأنه[1] لا أحد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعمه لأن الله تعالى قضى له ذلك أو أراده أو قدره أو لأنه أضله، فإذا كان[2] وقت فعله لا يفعه لأن الله أراد ذلك وشاءه أو قدره[3] وقضاه إنما يفعله لغرض له وهواه، لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك. *والله العصمة*. والثاني إنه ليس له حجة عليه بذلك، لأنه يعلم أنه لو خُيّر بين ما يريد أن يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك لكان يختار ذلك عى ضده ويختار تحصيله[4] ويؤثره عى ترك ذلك، فكيف تكون[5] له حجة بذلك. ***والله الموفق***. ويحتمل قوله: **فما له من سبيل**، أي من أضله الله تعالى فما له إلى الهدى من سبيل،[6] أي لا يملك أحد إرشاده. ويحتمل أي من أضله الله فما له من سبيل، أي ليس له سبيل ولكن عليه السبيل.

**﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **استجيبوا لربكم**، أي أجيبوا له، وقد ذكرناه.[7] وقوله عز وجل: **من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله**، الآية.[8] هذا يخرج على وجهين.[9] أحدهما أي أجيبوا له من قبل أن يأتي يوم لا يملك أحد رد ذلك اليوم إذا أتاهم، لأنه هو اليوم الذي يجزى فيه الخلائق، وفيه أهوال وأفزاع؛ يقول: لا أحد يملك رد ذلك اليوم ودفعه.[10] ***والله أعلم***. والثاني أي أجيبوا من قبل أن يأتي يوم لا مرد لما ينزل فيه بهم من العذاب والعقاب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ما لكم من ملجأ يومئذ**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام في الدنيا لتكون[11] لهم شفعاءَ وملجأً يلجئون[12] إليها، يقول:

---

[1] ر م – في هذا أن ليس لأحد على الله حجة فيما يفعمه من المعصي ويختاره بأنه قضاه ذلك وأراده وقدره لأنه.
[2] ن: وإذا كان.
[3] ر م – أو لأنه أضله وإذا كان وقت فعله لا يفعمه لأن الله أراد ذلك وشاءه أوقدره.
[4] ن: تفصيله.
[5] جميع النسخ: يكون.
[6] ر ث م + أي ليس له سبيل ولكن عليه السبيل.
[7] ث – وقد ذكرنا. انظر: سورة الأنفال، ٨/٢٤.
[8] ن – الآية.
[9] ر ث م: من وجهين.
[10] ر ث م – ودفعه.
[11] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.
[12] ر م: يلتجئون.

ما لكم [إلى] أولئك الأصنام ملجأُ تلجئون إليه[1] بل يكونون كما ذكر في آية أخرى: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ،[2] وقوله تعالى: بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ،[3] الآية. *والله أعلم*. والثاني **ما لكم من ملجأ يومئذ**، أي ما لهم من حِيَل يحتالون بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون في الدنيا من حِيَل يحتالون بها[4] دفع ما نزل بهم من البلايا والشدائد. ***وبالله النجاة***.

وقوله عز وجل: **وما لكم من نكير**. هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما أي لا يملكون أن ينكروا على الله تعالى ما يفعل بهم، لأنه إنما يفعل بهم ذلك بما كسبت أيديهم وما قدّمت أيديهم،[5] فلا يقدرون على إنكار ذلك على الله تعالى. والثاني **وما لكم من نكير**، أي ما لكم من تغيير، أي ما يملكون دفع ذلك عن أنفسهم ولا منعه وتغييره. وقيل لا يملكون أن يمنعوا[6] الله تعالى عما يريد أن يفعل بهم، وهو ما ذكرنا.

**﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾**[٤٨]

وقوله تعالى: **فإن أعرضوا**، أي إن تولوا عن إجابتك إلى ما تدعوهم إليه، **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يحتمل أي فما أرسلناك أن تحفظ[7] عليهم أفعالهم وأعمالهم. **إن عليك إلا البلاغ**، أي ما عليك إلا التبليغ، إنما حِفْظ / أعمالهم وأفعالهم على [٧٠١و]
الملائكة الذين جُعلوا حُفَّاظا عليهم، وهم الكرام الكاتبون. والثاني **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، يحتمل فما أرسلناك أن تمنعهم[8] عما يفعلون حَسًّا،[9] إنما عليك البلاغ فحسب وبيان الحق، وأنت غير مؤاخذ بما يفعلون، وهو كقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[10] ونحو ذلك.

---

[1] ر م: يلتجئون إليه؛ ن ث: يلجئون إليها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.

[2] ﴿هنالك تبلو كلُّ نفس ما أسلفت وردُّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة يونس، ٣٠/١٠).

[3] ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ (سورة الأحقاف، ٢٨/٤٦).

[4] جميع النسخ – بها. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.

[5] ر م – وما قدمت أيديهم.

[6] ر: عن يمنعو.

[7] ر ن م: أن يحفظ.

[8] ر ث م: أن يمنعهم.

[9] أي بالعنف والجبر.

[10] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

وقوله: **وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها**، إن كان هذا في المسلم فيكون قوله: **فرح بها**، أي رضي بها وسُرَّ بها، وإن كان في الكافر فيكون قوله:[١] **فرح بها**، أي بَطِر بها وأَشِرَ.[٢] وقوله: **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور**، وهذا أيضا إن كان في المسلم فإنه إذا أصابته[٣] شدة أو بلاء يَنْسَى ما كان إليه من الله تعالى من النعم،[٤] فجعل يشكوا عما أصابه، فهو كفور للنعم التي كانت له من قبل ذلك. وإن كان في الكافر فهو ظاهر أنه كفور لنعمه وإحسانه أجْمَعَ. *والله أعلم*.

**﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾**[٤٩]

وقوله: **لله ملك السماوات والأرض**، يخبر أنه بما يأمرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بأنواع المحن ليس يأمر ولا ينهي ولا يمتحن لحاجة[٥] نفسه في جر منفعة أو استفادة[٦] خير أو دفع مضرة أو بلاء، إذ له ملك السماوات والأرض. ولكن إنما يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم لحاجة أنفسهم في إصلاحها وفكاكها ونجاتها عن المهالك، وهو كقوله: وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ،[٧] يخبر بما ذكر أنه غني لا ينفعه إيمان مؤمن ولا يزيد في ملكه، ولا يضره كفر كافر ولا ينقص من ملكه. ويحتمل أن يكون قوله: **لله ملك السماوات والأرض**، أي له ملك ملوك السماوات[٨] والأرض، كقوله: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ،[٩] الآية. ويحتمل أن يقول: **له ملك السماوات والأرض**، أي هو يؤتى الملك من له الملك في الدنيا وهو ينزع عمن يشاء، على ما ذكر في آية أخرى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ،[١٠] الآية.

---

[١] ر م: فيكون له.
[٢] البَطَر: الأشر، وهو شدة المَرَح (لسان العرب، «بطر»).
[٣] جميع النسخ: إذا أصابه.
[٤] ر ن: من النعمى؛ ث: من لنعماء؛ م: من البغي. والثابت في المتن من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.
[٥] ر م: بحاجة.
[٦] ر م: واستفادة.
[٧] سورة النمل، ٢٧/٤٠.
[٨] ر م: له ملك ملكوت السماوات؛ ث: له ملوك السموات.
[٩] سورة آل عمران، ٣/٢٦.
[١٠] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

وفيه نقض قول المعتزلة في خلق أفعال العباد منهم وإنكارهم أن يكون فعلَ الله تعالى مخافةَ وقوع الشرك في ذلك بينهم وبين الله تعالى، فيكون ذلك فعلَ الله تعالى وفعلَ العبد، إذ هو تفسير الشركة في الشاهد. فيقال لهم: إن الله تعالى قال: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[1] وقال في آية أخرى: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،[2] أخبر أن ليس له شريك في الملك. وقد رأينا الملوك في الدنيا ثم لم يوجب ذلك الشركة في ملكه لاختلاف المعنى والجهات، إذ حقيقة الملك له، ولغيره ليست حقيقة الملك إنما له ملك الانتفاع لا على الإطلاق. فعلى ذلك أفعال العباد تكون[3] خلقًا لله تعالى وكسبا لهم، ولا يوجب ذلك شركا فيه على ما لم يوجب ما ذكرنا من الملك لهم شركا بينهم وبين الله تعالى. *والله الموفق*.

وقوله: **يخلق ما يشاء**، هذا أيضا على المعتزلة، لأنه أخبر أنه[4] يخلق ما يشاء، وهم يقولون: إن جميع الخيرات مما شاء الله تعالى. ثم لا يجعلون ما فعل العباد[5] من الخيرات خلقا لله تعالى، فيكون على[6] قولهم غير خالق لأكثر الأشياء مما شاء.[7] وهذا لأن قوله:[8] **يخلق ما يشاء**، إما أن كان[9] خرج على الوصف بالربوبية لله تعالى والألوهية، أو على وجه الوعد[10] والخبر بأنه يخلق ما يشاء. فإن كان على الوصف له بالربوبية فلا يكون ذلك وصفَ الربوبية، إذ لا يكون خالقا لجزء[11] من عشرة آلاف جزء[12] من الأشياء التي شاء[13] أن يخلقها؛ وإن كان[14] على الوعد والخبر فيخرج الخبر كذبا على قولهم. فنعوذ بالله تعالى من السَّرَف في القول. *والله الموفق*.

---

[1] سورة المائدة، ٥/٤٠.
[2] سورة الإسراء، ١٧/١١١.
[3] ن: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.
[4] ن - أنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.
[5] ر ث م - تكون خلقا لله تعالى وكسبا لهم ... ثم لا يجعلون ما فعل العباد.
[6] ث + غير.
[7] ن: مما يشاء.
[8] ن: لا قوله.
[9] جميع النسخ - كان. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.
[10] ن. على وعد الوعد.
[11] ر م: لجري.
[12] ر م - جزء.
[13] ن: وشاء.
[14] ن: فإن كان.

وقوله عز وجل: **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.** يخبر تعالى أن الأولاد جميعا من الذكور والإناث مواهب الله تعالى وهداياه، فيجب أن يقبلوها منه قبول الهدايا والهبات على الشكر له والمنة. ثم بدأ بذكر الإناث ثم بالذكور لأن من الناس من إذا وُلد له الإناثُ يَعُدّه[1] مصيبة ويَثقُل ذلك عليه. وعلى ذلك ما أخبر من الكفرة أنهم إذا بُشّروا بالأنثى ظلت وجوههم مسودة بقوله تعالى: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[2] يخبر عن ثقل ذلك عليهم وغيظهم على ذلك، فبدأ بذكر ذلك لئلا يَعُدّ أهل الإسلام أولاد الإناث مصيبة وبلاء على ما عدها الكفرة. ***والله أعلم.***

**﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا،** التزويج هو الجمع بين الشكين والمتماثلين في الحقيقة. وقد يسمى التزويج بين المتضادّين مجازا، والحقيقة بين الشكلين والقرينين[3] -والله أعلم- فيكون معنى قوله: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا،** أي يَقْرُن ويجمع بين الإناث والذكور فيهب له من النوعين جميعا في حالة واحدة.[4] وقال القُتَبِي: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا،** أي يجعل بعضهم بنين وبنات؛ تقول[5] العرب: زوجتُ إبلي،[6] إذا قَرَنْتُ[7] بعضها ببعض، وزوجتُ الكبار بالصغار، إذا قَرَنْتُ[8] كبيرا بصغير.[9]

وقوله عز وجل: **ويجعل من يشاء عقيما،** والعقيم من النساء التي لا تلد، وهي لا توصف بالبركة، ويقال: إنها ليست بمباركة[10] لا تُرغب فيها. ***والله أعلم.*** وقوله عز وجل: **إنه عليم قدير،** عليم بإنشاء الأولاد والإناث في الرحم، قدير على ذلك، أو عليم بمصالح الخلق، قدير لا يعجزه شيء.

---

[1] ر ت م: يعد؛ ن: بعد.
[2] سورة النحل، ١٦/٥٨.
[3] جميع النسخ - والحقيقة بين الشكلين والقرينين. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٩٥و.
[4] ر م: جميع حالة واحدة.
[5] ن: يقول.
[6] ر م: أهلي.
[7] ر م: إذا قربت.
[8] ر م: إذا قربت.
[9] ن: بصغر. غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٩٤. واللفظ هناك هكذا: ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾، أي يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات. تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضها ببعض، وزوجت الكبار بالصغار، إذا قرنت كبيرا بصغير.
[10] ر م: مباركة.

**﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾** [٥١]

وقوله: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء**، كأن هذا إنما ذُكر وأخبر عن نازلة أو سؤال كان عن كيفية الرسالة؛ [٧٠١ظ] وهل الرسل عليهم الصلاة والسلام يرون ربهم ويشاهدونه / ويشافهونه؟ فأخبر أنه ليس من البشر من يكلمه إلا بالطرق الثلاثة التي ذكرها. والسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال. *والله أعلم*. ثم قوله: **إلا وحيا**، قال بعضهم: يُلقِي في فهمه وقلبه فيعرف ذلك فيخبر الناس بذلك. وقال بعضهم:[1] **إلا وحيا** ما يُرى في المنام، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حقيقة. وقوله: **أو من وراء حجاب**، نحوَ ما كلم موسى عليه السلام: ألقى في مسامعه صوتا مخلوقا على ما شاء وكيف شاء[2] من غير أن كان[3] ثَمَّ ثالثٌ. وقوله: **أو يرسلَ رسولا فيوحيَ بإذنه ما يشاء**، أي يرسل ملكا يخبره عن الله تعالى. وطرق الرسل[4] إلى[5] معرفة ذلك في الدنيا [هي] الوجوهُ التي ذكرنا: إما الإلهام والإلقاء في الأوهام، وإما الإلقاء في المسامع، وإما رسول يرسل فيخبر عن أمره وكلامه. فأما أن يحتمل وُسْع أحد رؤيته أو يشافهه أو يعاينه في الدنيا فلا. *والله الموافق*.

ثم اختلف في قوله: **أو من وراء حجاب**، قال بعضهم: الحُجُب أنفسها[6] هي[7] حقيقة الحُجُب. وقال بعضهم: الحجاب هو عجزهم عن احتمال رؤيتهم، لأن الله تعالى أنشأهم على بِنْية وخِلْقة لا تقوم[8] أنفسهم القيام لذلك على ما أخبر عز وجل حيث قال لموسى عليه السلام: **وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**،[9] أي فإن احتمل ذلك فاحتمل ما سألت. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ - يبقي في فهمه وقلبه فيعرف ذلك فيخبر الناس بذلك وقال بعضهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[2] ر م - شاء.

[3] جميع النسخ: من غير كان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[4] ر م: وطرق الرسول؛ ن: وطريق الوصول؛ ث: وطرق الوصول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ط.

[5] ث + ما ذكر.

[6] ر م: نفسها.

[7] ر ث م: هو.

[8] جميع النسخ: لا يقوم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ط.

[9] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.

وفي الآية أن الله تعالى يكون مُكيِّما للبشر بالرسول وإن لم يشافهه المرسِل. وكان ذلك تسميةً بطريق المجاز، إذ لم يكن في الحقيقة كلام الرسول كلامَ المرسِل. وكذلك في قوله: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[١] لا يكون ما يسمع من الرسول كلامَ الله حقيقة؛ وكذا ما يقال: سمعت من فلان قولَ فلان أو حديث فلان. كله على المجاز ليس على التحقيق. ***والله أعلم.***

ويحتمل أن يكون سبب نزول قوله: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا**، الآية، قولَ أولئك الكفرة حيث أخبر الله تعالى عنهم[٢] بقوله: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ،[٣] الآية، وقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا،[٤] سألوا أن يَرَوْا ربهم جهارا، فقد حُجِبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة حيث قال: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ.[٥] وسألوا أن يكلمهم شفاها، فأخبر أنه لا يكلم أحدا شفاها ولكن يكلم[٦] بما ذكر من الأوجه الثلاثة حيث قال: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا**، ردا عليهم، فأخبر الله تعالى أن طريق تكليمه الخلق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكر.[٧] وقد كلم البشر من هذه السبل[٨] والطرق[٩] التي ذكر حيث قال: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] أخبر أنه أنزل إليهم ما ذكر كما أنزل على الرسل،[١١] وحيث قال: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[١٢] الآية، وغير ذلك من الآيات مما يكون كأنه قد كلَّمهم بما ذكر كما[١٣] كلَّم الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوه التي ذكر. ***والله أعلم.***[١٤]

---

[١] سورة التوبة، ٦/٩.
[٢] ر ث م – عنهم.
[٣] سورة البقرة، ١١٨/٢.
[٤] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[٥] سورة المطففين، ١٥/٨٣.
[٦] ن: تكلم.
[٧] ر م: ذكرنا.
[٨] ر م: السبيل.
[٩] جميع النسخ: والطريق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.
[١٠] سورة الأعراف، ٣/٧.
[١١] ر م: على الرسول.
[١٢] سورة التوبة، ٦/٩.
[١٣] ن: كنما.
[١٤] ر م – والله أعلم

**﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٢]**

وقوله: **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**، كأنه يقول: هكذا أوحينا إلى الرسل الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا[١] كما أوحينا إليك؛ أو يقول: مثل الذي أوحينا إليك فقد أوحينا[٢] إلى الذين من قبلك. وقوله: **روحا من أمرنا**، قال بعضهم: **روحا**، أي[٣] جبريلَ بأمرنا. وقال بعضهم: أي أوحينا إليك أمرا من أمرنا. وقال بعضهم: **روحا من أمرنا**، أي الكتاب الذي أنزله عليه وأوحاه[٤] إليه سماه روحا، لأنه يحيي به الدين ويكون به حياة الدين، ويحيي به الأبدان، وهو حياة الذكر والشرف، وهو كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [يُرْزَقُونَ]،[٥] حياة الذكر والشرف.[٦] *والله أعلم*.

وقوله: **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**، أما الكتاب فإنه لاشك أنه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى أدراه وأعلمه.[٧] وأما الإيمان حيث أخبر أنه لا يدريه فهو يحتمل وجوها. أحدها ما كنت تدري ما الإيمان في حق اللسان؛ أو ما كنت تدري ما الإيمان في حق فعل[٨] الإيمان؛ أو ما كنت تدري ما الإيمان في حق قدره ومحله ومنزلته عند الله تعالى. فإن كان المراد في حق اللسان فهو ظاهر أنه كان لا يدريه[٩] في حق ابتداء الأمر أن الإيمان هو التصديق أو التوحيد أو ما هو؟ وهو معروف أنه كان لا يدريه في حق اللسان حتى أدراه الله[١٠] وأعلمه أنه ماذا. وكذلك جميع أهل اللسان لا علم لهم بذلك[١١] حتى علّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل[١٢] وسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان وما الإسلام؟ على صورة أعرابي،

[١] ن: ذكر.
[٢] جميع النسخ – إليك أو يقول مثل الذي أوحينا إليك فقد أوحينا. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٦و.
[٣] ر م – أي.
[٤] ر ث م: وأوجبه.
[٥] سورة آل عمران، ١٦٩/٣.
[٦] ن – وهو كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم حياة الذكر والشرف.
[٧] ن: أو أعلمه.
[٨] جميع النسخ – فعل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.
[٩] ر م: كما لا يدري.
[١٠] ر م – الله.
[١١] ر: لا لذلك؛ ن ث م: لا علم لذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.
[١٢] ر م – جبريل

حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا كان[1] جبريل نزل ليُعلِّمكم معالم دينكم».[2] **والله أعلم**. وإن كان في حق فعل الإيمان ومباشرة ركنه فهو إذا كان غيرَ قادر على فعله وإتيانه على حِدَةٍ[3] كان[4] لا يدري، لكنه وإن كان[5] لا يدريه فإنه لا يوصف بالجهل به. ألا ترى[6] أن الصغار لا يدرون ولا يقال: إنهم جهلة. وإنما يوصف بالجهل مَن مَلَكَ الفكرة والنظر وأسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل،[7] فأما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فإنه لا يوصف بالجهل. ألا ترى أنه يقال للأعراض / والأشياء:[8] إنها لا تَدرِي[9] ولا توصف[10] [٢٠٧و] بالجهل.[11] فعلى ذلك يجوز أن يوصف ويقال:[12] إنه كان لا يدرى ولا يوصف ولا يقال: إنه كان جاهلا به. **والله أعلم**. ألا ترى أن الولد في البطن[13] لا يوصف بأن له سمعا وبصرا ونحوه، لأنه ليس بمحل للسماع والبصر، فإذا أُخرِج منه عند ذلك يُجعَل له، لِما مُكِّن من السماع والبصر، وهو ما ذكر بقوله: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ،[14] عندما مُكّن لهم ذلك جُعل ذلك.[15] **والله أعلم**.[16] وإن كان المراد أنه لا يَدري في حق المحل والمنزلة والقدر فهو هكذا كان لا يدري ما محل الإيمان وقدره عند الله تعالى حتى أَدرَاه وأعلمه محله ومنزلته. **والله أعلم**.

---

[1] ر م: إن كان هذا.

[2] هذا الحديث يعرف بحديث جبريل. انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ٣٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١.

[3] ر م: عى هذه؛ ث: عى حده.

[4] جميع النسخ: وكان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٦و.

[5] ر م – وإن كان.

[6] ن: ألا يرى.

[7] ر – من ملك الفكرة والنظر وأسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل.

[8] ر م: والاتسا.

[9] ر م: لا يدرى.

[10] جميع النسخ: ولا يوصف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[11] ث – ألا ترى أنه يقال للأعراض والأشياء أنها لا تدرى ولا توصف بالجهل.

[12] ن + له.

[13] ر ث م: في النظر.

[14] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ٧٨/١٦).

[15] جميع النسخ – جعل ذلك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.

[16] ر م – والله أعلم.

وقوله: **ولكن جعلناه نورا،** فإن كان المراد هو الإيمان فهو نور بالحجج والبراهين،[1] وهو كما قال: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ.[2] وإن كان المراد هو الكتابَ فهو نور لما يرفع جميع حُجُب القلوب وسواترها [ع]مَنْ اتَّبَعه ونظر إليه بعين التعظيم. وقوله: **نهدي به من نشاء من عبادنا،** من عَلِم أنه يختاره شاء أن يهديه. ثم قوله: **نهدي به،** يحتمل القرآن، ويحتمل الإيمان نفسه، أي يجعله بالإيمان مهتديا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم،** قوله: **لتهدي،** يحتمل لَتَدْعو، أو لَتُبَيِّن[3] لهم الصراط المستقيم. ثم فسره بقوله تعالى:

**﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٥٣]**

**صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض،** لم يُفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق أو صراط فلان، فكيف يفهم من مجيئه أو إتيانه ما يفهم من مجيء الخلق أو إتيانهم؟[4] فهذا يدل أنْ لا كلُّ ما أضيف إلى الله تعالى يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق. ***والله أعلم***. وقوله: **ألا إلى الله تصير الأمور،** يحتمل ألا إلى الله يرجع[5] تدبير الأمور. ويحتمل **ألا إلى الله تصير الأمور** في الآخرة وهو البعث. ***والله أعلم***.[6]

---

[1] جميع النسخ: والبرهان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.
[2] سورة الزمر، ٣٩/٢٢.
[3] ر ث م: لتدين.
[4] جميع النسخ: إتيانه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.
[5] ر م: ترجع.
[6] ر م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الزخرف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

**﴿حمٓ﴾[١] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]**

قوله عز وجل: **حم والكتاب المبين**؛ قال قتادة: هو اسم السورة.[3] وقال غيره: **حم**، قُضي ما هو كائن، وقد ذكرنا.[4] وقوله: **والكتاب المبين**؛ قال قتادة: مبين بركته وهُداه ورشدَه.[5] وقال بعضهم: مبين بَيَّن الحلالَ والحرامَ وما يؤتى[6] وما يُتَّقَى.[7] وقال بعضهم: مبين بيَّن الحق والباطل. وهو عندنا مبين بأنه من الله تعالى ليس هو من تأليف البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا عن إتيان مثله. ***والله الموفق.***

**﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]**

وقوله: **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**، كأنه يقول: جعلنا ذلك الكتاب عربيا لعلكم تعقلون. وقيل: **جعلناه**، أي أنزلناه قرآنا عربيا. وقيل: **جعلناه قرآنا**، أي سميناه قرآنا، ليس أن جعلناه قرآنا ولكن معناه جعلناه عربيا، أي نظمناه بالعربية لتعقلوا، وسميناه[8] قرآنا.

---

[1] ر – سورة الزخرف؛ ن: ذكر أن سورة الزخرف كلها مكية؛ ث: سورة الزخرف مكية وهي ثمانون وتسع آيات؛ م + كلها مكية.

[2] ن + رب وفق والأمل فحقق.

[3] لم أجده مرويا عن قتادة ولكن عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وروى عن قتادة أن ﴿حم﴾ اسم من أسماء القرآن. (انظر: *تفسير الطبري*، ١/٢٠٦، ٢٠/٢٧٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥٠). وقال ابن كثير في قول من قال: إنها أسماء السورة: ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ وزاد: قال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر، ونسبه أيضا إلى سيبويه (*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥١. وانظر أيضا: *الكشاف* للزمخشري، ١/١٢٩).

[4] انظر للحروف المقطعة: أولَ تفسير سورة البقرة وسورة آل عمران.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٤٦.

[6] جميع النسخ: والحرام ما يؤتى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣و.

[7] ن: وما يتقى.

[8] ر ث م: أو سمياه.

ثم قوله تعالى: **لعلكم تعقلون**، يخرج على وجوه. أحدها أي أنزلناه عربيا على رجاءِ أن تعقلوا.[1] والثاني أنزلناه عربيا لتعقلوا، وذلك يرجع إلى قوم مخصوصين قد عَقَلوه وفهموه، إذ لم يعقلوه جميعا؛ ولا يتصور أن يُنزله لتعقلوه ولا تعقلوه، فإن ما أراد الله تعالى يكون لا محالة وما فعل ينفعل، قال الله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[2] والثالث أنزلناه عربيا لكي يُلزمهم أن يعقلوه ويتبعوه ليزول عذرهم والاحتجاج على الله تعالى أنه كان على غير لساننا. *والله أعلم*. وعلى هذا يخرج تأويل "لعل" في جميع القرآن أنه لتحقيق إذا كان من الله تعالى.

فإن قيل: فعلى التأويل الأخير كيف يخرج قوله: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،[3] لا يستقيم أن يقال لكي يُلزمكم أن تفلحوا؟

قيل: معناه لكي يُلزمكم السببَ الذي به تفلحون، وهو مباشرة الإيمان والطاعات. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**؛ قوله:[4] **وإنه في أم الكتاب**، يرجع إلى وجهين. أحدهما أي القرآن في أصل الكتاب ومنه أُنزل،[5] وهو اللوح المحفوظ. وأم الشيء أصله، وتسمّى[6] أمّ القرى مكةُ لهذا. والثاني أي القرآن في الكتب المتقدمة، فإن الأمهات سميت أمهاتٍ لتقدمها على الولد، وهو كقوله: وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ،[7] وقوله تعالى: إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.[8]

وقوله عز وجل: **لعلي حكيم**. قال ابن عباس: أي هو أعلى الكتب وأحكمها وأعدلها. وقال بعضهم: وصف كتابه بالعظمة والمنزلة والشرف عنده. وقوله: **حكيم**، يحتمل وجهين. أحدهما حكيم بمعنى مُحْكَم، كقوله تعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ،[9] أي بالحجج والبراهين. والثاني سماه حكيما لما جعل فيه من الحكمة. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م: أن يعقلوا.
[2] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[3] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/١٨٩؛ وسورة آل عمران، ٣/١٣٠.
[4] م: وقوله.
[5] ر ث م: أقول.
[6] جميع النسخ: ويسمى.
[7] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٦.
[8] سورة الأعلى، ٨٧/١٨-١٩.
[9] ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (سورة هود، ١١/١).

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين.** اختلف في الذكر؛ قال بعضهم: القرآن، وقال بعضهم: الرسول، وقال بعضهم: العذاب والعقوبة. واختلف في قوله: [٢٠٧ط] **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**؛ قال بعضهم: أفنترك ونَذَر الذكر سُدًى **أن كنتم قوما مسرفين.** أي لأنكم كذا ولِأَجْل أنكم كذا. وقال بعضهم:[١] أفنترك الوحي لا نأمركم بشيء ولا ننهاكم عن شيء ولا نرسل إليكم رسولا. وقال بعضهم: **أفنضرب**، أي أفنذهب[٢] عنكم بهذا القرآن سدى لا تُسأَلون[٣] ولا تُعاقَبون على تكذيبكم[٤] إياه. وقال بعضهم: **أفنضرب عنكم**، أي فنمسك عنكم فلا نذكركم.[٥] **صفحا**، أي إعراضا، وهو قول القُتَبِي، يقال:[٦] صفَحْتُ عن فلان، أي أعرضتُ عنه. وأصل ذلك أنك تُوَلِّيهِ[٧] صفحتك، ويقال:[٨] ضربت وأضربت عن فلان، أي أمسكته.[٩] وقال أبو عَوْسَجَة: **أفنضرب**، أي نَسْكُت، ضربت وأضربت، أي سكَتُّ. وقوله: **صفحا**، أي ردًّا، يقال: سألني فلان حاجة فصفَحْتُه صفحا، أي رددتُه ردا.[١٠] ***والله أعلم.*** وبعضه قريب من بعض.

ثم الأصل عندنا أن الذكر يحتمل ما قالوا فيه من المعاني الثلاثة: القرآن والرسول والعذاب، لكن لا يحتمل قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**، أن يخرج على الابتداء على غير تقدم[١١] النوازل، لأنه لا يُبتدأ بمثله. ثم النوازل تحتمل[١٢] أن كان منهم قولٌ يقولون: يا محمد!

---

[١] ن – أفنترك ونذر الذكر سدى أن كنتم قوما مسرفين أي لأنكم كذا ولأجل أنكم كذا وقال بعضهم.
[٢] ن ث: فنذهب.
[٣] ن: لا يسألون.
[٤] ر م: على تكذيبهم؛ ن + فنذهب عنكم بهذا القرآن سدى لا يسألون ولا تعقبون على تكذيبكم.
[٥] ر م: أي فيمسك عنكم فلا يذكركم.
[٦] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *غريب القرآن*.
[٧] م: نوليه.
[٨] جميع النسخ: يقال. والتصحيح من *غريب القرآن*.
[٩] ولفظ ابن قتيبة في غريب *القرآن* (٣٩٥) هكذا: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ أي نمسك عنكم فلا نذكركم صفحا، أي إعراضا، يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عنه. والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك ... ويقال: ضربت عن فلان كذا، أي أمسكته وأضربت عنه.
[١٠] ر ث م – رد.
[١١] ن: تقديم.
[١٢] جميع النسخ: يحتمل.

لو كان ما تقوله أنت أنه[1] من عند الله وأنك رسوله فكيف أنزل الكتاب أو أرسل الرسول إلينا على عِلْمٍ منه أنا نكذّبه ونردّه ولا نقبله؟ ومن علم من الملوك في الشاهد أنه يُكذّب رسولُه ولا يُقبَل لا يَبْعَث الرسول، فكيف بعثك رسولا إلينا؟ أو إن أنزله[2] عبيث[3] أو بعثك رسولا فكذبناه وكذبناك ورددناه ورددناك فهلا[4] يرفعه ويرفعك دون تركه فينا؟ فيقول الله تبارك وتعالى جوابا لهم وردا لقولهم: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين**، يقول: إنا لا نترككم سدى وإن علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحي، ولا يمنعنا ذلك عن إنزاله إليكم وتركه فيكم، ولا يحملنا ذلك على رفعه من بينكم، بل نأمركم وننهاكم[5] وإن كنتم تكذبونه ولا تقبلونه.[6] وهذا لما ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الإيجاب والتحقيق. أو يقول:[7] **أفنضرب**، أي لا نترك إنزاله وإرساله وإن علمنا منكم التكذيب، وهو كقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[8] وقوله: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى،[9] أي لا يترك سدى، ولا تحسبون أنا إنما خلقناكم عبثا، فعلى ذلك قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**.

فإن كان الذكر هو القرآن والرسولَ فالتأويل أنه وإن علم منكم الرد والتكذيب فلا يمنعه[10] ذلك عن إنزاله عليكم وبعثه رسولا إليكم؛ أو أنكم[11] وإن كذبتموه ورددتموه فلا يحمله[12] ذلك على رفعه من بينكم بشرككم وكفركم، وهو كما ذكر في قوله: وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ،[13] أي إنا وإن علمنا من أوائلكم تكذيب الرسل[14]

---

[1] ن: أيت آية.
[2] ن: أو أنزله.
[3] ث: بيث.
[4] جميع النسخ: ملا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.
[5] ن: بل يأمركم وينهاكم.
[6] ر م: ولا يقبلونه.
[7] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٧ظ.
[8] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[9] سورة القيامة، ٣٦/٧٥.
[10] ن: ولا يمنعه.
[11] ر م: وأنكرتم؛ ن ث: أو أنكرتم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.
[12] ر م: يحمله.
[13] الآيتين المتتاليتين.
[14] ر ن م: التكذيب الرسل.

والكتاب لم يمنعنا[١] ذلك عن إنزاله عليهم وبعثهم إليهم. فعلى ذلك أنتم وإن عممنا منكم تكذيب الرسول وكتابه لا يمنعنا ذلك عن إرساله وإنزاله لتُلزمكم[٢] الحجة؛ أو لعل فيكم من يصدقه ويؤمن به؛[٣] أو غيركم يؤمن به ويصدقه وإن كذبتم أنتم. هذا إن كان تأويل الذكر رسولا أو كتابا. وإن كان تأويل الذكر العذابَ فيصير كأنه يقول: أفنترك تعذيبكم أو نمسك عنه ولا نعاقبكم وأنتم قوم مسرفون، أي مشركون. على ما ذكر على إثره العذاب حيث قال: فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا،[٤] أي قوة، معناه عذّبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم وأنتم دونهم لا تعذبون؟ بل تعذبون. **والله أعلم.**

وعن قتادة يقول: لو أن هذا القرآن رُفِع رُفِع حين رَدَّه أوائلُ هذه الأمة فهلكوا، لكن الله تعالى بفضله ورحمته كَرَّره عليهم ودعاهم إليه[٥] كذا كذا سَنةً وما شاء الله تعالى.[٦] وعن الحسن قال: لم يبعث الله تعالى نبيا إلا أنزل عليه كتابا، فإن قبله قومه وإلا رُفع، فذلك قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين**، لا تقبلونه فتلقته[٧] قلوبٌ نقيّةٌ،[٨] فقالوا: قبلناه ربنا، قبلناه رَبنا![٩] ولو لم يفعلوا[١٠] ذلك رُفع، ولم يُترَك على ظهر الأرض منه شيء.

ثم القراءة العامة: **أن كنتم**، منصوبةَ الألف بمعنى إذ كنتم. ويقرأ أيضا: إن كنتم، مكسورة على الشرط،[١١] ومعناه لا نترك ولا نمسك عن إنزاله وإن كنتم قوما مسرفين مشركين.[١٢]

---

[١] ر ث م: ولا يمنعنا؛ ن: لا يمنعنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.

[٢] جميع النسخ: ليلزمكم.

[٣] م — به.

[٤] الآية ٨ من هذه السورة.

[٥] ر م: إليهم.

[٦] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٤٩؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٧٢.

[٧] ر م: لا تقبلونه وتلقنه؛ ث: لا تقبلونه ويقنه؛ ن: ولا يقبلونه ويقنه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤و.

[٨] جميع النسخ: بقية. والتصحيح من *الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/١٨٧. والأثر المروي عن الحسن أخرجه ابن المبارك في *الزهد والرقائق* (٦/٢٧٦-٢٧٧)؛ ومحمد بن نصر المروزي في *مختصر قيام الليل* (١٧٩). ولكن الجزء الأخير من الأثر مختلف في النسخ المطبوعة لهذه الكتب؛ وفي *الدر المنثور* يرد على ما ضبطناه في المتن مع الاختلافات التي قيدها المحقق؛ وفي *الزهد والرقائق* لابن المبارك يأتي هكذا: لا تقبلونه فتقبله قلوب نقية؛ وفي *مختصر قيام الليل* لمحمد بن نصر يرد هكذا: لا تقبلونه فتلقيه على قلوب بقية.

[٩] ر م — ربنا؛ ن + قبلناه؛ ث + قبلناه ربنا. والتصحيح من كتب الأحاديث.

[١٠] ر م: لو يفعلون.

[١١] ر ث م: على أن الشرط.

[١٢] انظر حول القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٥٠-٥٥١.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[٦] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٧]

وقوله: **وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون**؛ فيه دعاء الرسول صلى الله عيه وسلم إلى الصبر بما يعامله قومه، حيث ذكر له أن ما أرسل من الرسل الذين كانوا قبله عاملهم قومهم من الاستهزاء بهم والأذى لهم مثل معاملة قومك إياك فصبروا على ذلك، فاصبر أنت على أذى قومك إياك[١] وسوء معاملتهم. ***والله أعلم***.

[٧٠٣و] وفيه أنه يرسل الرسول وإن علم أنهم يكذبونه، وكذا ينزل / الكتاب وإن علم منهم أنهم يردونه ولا يقبلونه؛ لأنه ليس يرسل الرسول ولا يُنزل الكتبَ لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن إنما يرسل وينزل لمنفعتهم ولدفع المضرة عن أنفسهم، فسواءٌ عليه أن قبلوه أو ردوه. وليس كملوك الأرض إذا أرسلوا رسولا أو كتابا[٢] إلى ما يعلمون أنهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفها،[٣] لأنهم إنما يرسلون لحاجة أنفسهم ولدفع المضرة، فحيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك ضرر وزيادة مَذَلَّةٍ[٤] واستخفاف لم يكن ذلك حكمة، بل يكون سفها. فأما الله سبحانه وتعالى إذا لم يرسل و لم ينزل[٥] لجر النفع ودفع الضَرّ بل لإلزام الحجة وإزالة العذر ونحو ذلك كان حكمة. ***والله الموفق***.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين**؛ فيه تحذير أولئك الكفرة أن يَنزِل بهم بتكذيبهم الرسولَ وسوءِ معاملتهم إياه كما نَزَل[٦] بأولئك الكفرة المتقدمين بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم إياهم. ***والله أعلم***. وقوله:[٧] **فأهلكنا أشد منهم بطشا**، يحتمل وجهين. أحدهما أي أهلكنا من كان أشد قوة وبطشا من هؤلاء، ثم لم يتهيأ لهم الامتناع لشدة قوتهم وبطشهم عما نزل بهم من العذاب، فعلى ذلك لو نزل بهؤلاء لم يتهيأ لهم الامتناع مع ضعفهم. والثاني أن يكون قوله: **أشدَّ منهم بطشا**، وَصْفَ ذلك العذاب الذي نزل بهم،

---

[١] ن – إياك.
[٢] جميع النسخ: وكتابا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤و.
[٣] ن: سفهاء.
[٤] ر ث م: وزيادة ضد له.
[٥] ر م: وينزل.
[٦] ر ن م: يرى.
[٧] ن: ثم قوله.

أي ذلك[١] العذاب أشدُّ منهم بطشا، فلا يُمنَع[٢] عمله لبطشهم وقوتهم. أما إذا كان شدة العذاب وبطشُه دون بطشهم ربما لا يعمل ولا يؤثر فيهم، لذلك وصف العذاب بكونه أشد منهم بطشا، وهو كقوله تعالى:[٣] إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ.[٤] ***والله أعلم.***

وقوله: **ومضى مثل الأولين.** هذا يخرج على وجهين. أحدهما **مضى مثل الأولين،** أي صار عذاب الأولين عبرة وعظة[٥] ومثلا لمتأخرين، كقوله: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٦] والثاني **مضى مثل الأولين،** أي مضى عذاب الأولين، وهو عذاب الاستئصال، فلا يُعذَّب هذه الأمة بمثل عذابهم لفضيلة[٧] نبينا محمد عليه أفضلُ الصلاة وأكمل التحيات وبركتُه ورحمته،[٨] وهو ما قال عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[٩] بفضله ورحمته أبقى هذه الأمة إلى يوم القيامة. ***والله أعلم.***

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم،** في قولهم وجوابهم: "أن الله خلق السماوات والأرض" دلالةُ أنهم قد عرفوا أنه رسول، لكن كذبوه عنادا أو مكابرة، لان أهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يَزْعموا[١٠] أنا عرفنا أن الله خلق السماوات والأرض بقولهم،[١١] وينكرون[١٢] رسالته خاصة بل ينكرون الرسل أجمع. ثم هم ما عرفوا أن[١٣] الله هو خلق السماوات والأرض إلا بالرسل، إذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الدلائل ليعرفوا الله تعالى بالدلائل العقلية.

---

[١] ر ن م: ملك.
[٢] ر ن م: فلا يمتنع.
[٣] ن - كقوله تعالى.
[٤] ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (سورة إبراهيم، ٧/١٤).
[٥] ث: عظة وعبرة.
[٦] سورة لبقرة، ٦٦/٢.
[٧] ر: لفضله.
[٨] ر ث م: وبرحمته.
[٩] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[١٠] ر م: حتى يزعمون.
[١١] أي بقول الرسل.
[١٢] جميع النسخ: وينكروا. والتصحيح من *المرجع السابق*، ورقة ١٠٤و.
[١٣] ن: لأن.

والظاهر في العوام حمية المعرفة بالدلائل السمعية، فكان الظاهر هذا: أن معرفتهم أن الله خلق السماوات والأرض بقول الرسل عليهم السلام. لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادا منهم ومكابرة، وما به عرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود معاين[1] لهم في حق رسولنا[2] صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يعرفوه رسولا لكنهم كذبوه عنادا، فدل أن قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته. *والله أعلم*.

ثم تمام الاحتجاج بهذا أن يقال لهم: قد عرفتم[3] أن الله هو خلق السماوات والأرض، فهلا عرفتم أنه لم يجعلها عبثا باطلا؟ إذ لو كان على ما تزعمون[4] أنْ لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقه إياها عبثا باطلا. فكان إقرارهم بخلقه إياهما إقرار الخلقة على وجه الحكمة، ولن[5] يخرج خلقه على الحكمة إلا بالإقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب على ما عَرَف غير مرة. أو أن يقال: فإذا عرفتم أن الله تعالى هو خلق السماوات والأرض وما ذكر إلى آخره فكيف أنكرتم قدرته على البعث والإعادة؟[6] و لأعجوبة في خلق السماوات والأرض أعظم وأكثر من الأعجوبة في بعثكم وإعادتكم، فكيف أنكرتم ما هو أقل في القدرة والأعجوبة؟ *والله الموفق*.

**﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون**، جائز أن يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله تعالى عز وجل صلةً لقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ،[7] الذي وصفه أنه جعل الأرض كذا وأنزل كذا. ويحتمل أن يكون أراد: ولئن سألتهم عن الأرض وما ذكر أنه مَنْ جَعَلَها

[٧٠٣ظ] مهدا ومن جعل لهم فيها سبلا لقالوا:[8] "الله جعل ذلك" على ما قالوا في السماوات / والأرض.

---

[1] م: معين.
[2] ن + وسيدنا.
[3] ر م: قد عرفتهم.
[4] جميع النسخ: على ما يزعمون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[5] م: ولكن.
[6] ن + بعد الموت.
[7] الآية السابقة.
[8] جميع النسخ: فقالوا.

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها يذكّرهم بِعَمه[١] عليهم حيث جعل هذه الأرض بحيث يَمْهَدونها ويفترشون[٢] وينتفعون بها بأنواع المنافع، وبحيث مَكّن لهم الوصول إلى حوائجهم التي فرّقها في الأمكنة المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلا وطرقا يسلكون فيها ليصلوا إلى حوائجهم التي فُرّقت في البلدان المتباعدة ما لولا جَعْلُه فيها السبل والطرقَ التي جعل ما قدروا السلوك فيها ولا عرفوا أنهم من أي جهة يصلون إلى حوائجهم التي فُرِّقت، فيلزمهم بما ذكر القيامُ بشكره على تلك النعم. و[الثاني] فيه دلالة حكمته ليدلهم أنه إنما جعل لهم ما ذكر لحكمةٍ[٣] لم يجعلها عبثا باطلا[٤] حيث فرق حوائجهم في أمكنة متباعدة، ثم مكّن لهم الوصول إليها ليُعلم أن الذي مَلّكَ أنفسهم هو مالك أطراف الأرض. إذ لو كان مالك[٥] هذا غير مالك ذلك[٦] لمنعهم ذلك[٧] عن الوصول إلى حوائجهم. و[الثالث] فيه دلالة قدرته حيث جعل لهم في الأرض ما ذكر من التسخير لهم حتى يَظْهروها ويفترشوها[٨] ويسلكوا فيها السبل التي جعلها[٩] لهم إلى حيث أرادوها وقصدوها، ومكن لهم ذلك ليعلم أن من قدر على ما ذكر لا يُعجزه شيء.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون.** فيما ذكر من إنزال الماء من السماء ونشره في الأرض وإنبات النبات فيها بذلك الماء[١٠] دلالةٌ من الوجوه التي ذكرنا في قوله: [اَلَّذِي] جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً.[١١] فإنه أنزل الماء من السماء ليكون في الأرض أنواع النعم التي ذَكَر، وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بُعْد

---

[١] ن: نعمة.
[٢] ن ث: ويفترسون.
[٣] ر م: لحكمته.
[٤] ر م + فيلزم؛ ث: فيبرمهم.
[٥] جميع النسخ – مالك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[٦] ن: داك.
[٧] ر م: دىك
[٨] ر م: حتى ظهروها ويفترشونها؛ ن: حتى ظهروها ويفترسوها؛ ث: حتى ظهروها ويفترسونها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي لدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[٩] جميع السنخ: جعل لها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٤ظ
[١٠] ن – من السماء ونشره في الأرض وإنبات النبت فيها بذلك الماء.
[١١] الآية السابعة

ما بينهما ليعمموا عظم[1] نعمه عليهم وليعلموا أن مالكها واحد، وما جعل في الماء من المعنى والنطف ما يوافق جميع النبات والثمار على اختلاف النبات والثمار واختلاف أجناسها وجواهرها ليعلم أن من قدر على إحياء الأرض بذلك المعنى الذي جعل في الماء وموافقتِهِ[2] جميعَ النبات والثمار على اختلاف جواهرها وأجناسها لا يُحتمل أن يُعجزه شيء من بعث أو غيره. إذ الأعجوبة فيما ذكر من إحياء الأرض بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول في الماء جميعَ ما ذكر أعظم وأكثر من البعث؛ لأنه إعادة وذلك ابتداء، فمن ملك وقدر على ما ذكر من الأشياء فهو على البعث أقدر وأملك. ولذلك قال الله تعالى: **وكذلك تُخْرَجون**، أي تبعثون.[3] *والله الموفق*.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾[١٢]

وقوله: **والذي خلق الأزواج كلها**، جائز أن يدخل فيما ذكر من خلق الأزواج كلِّها جميعُ ما يكون لها أزواج من مقابِلات وأشكال، إذ التزاوج قد يقع ويستعمل في الأضداد والأشكال من الأفعال والجواهر من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية. فيكون في ذلك دلالةُ خلق أفعال العباد، إذ أخبر أنه خلق الأزواج كلها، وبيَّن هذه الأفعال ازدواجٌ، وإن كانت متضادَّة متقابِلة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون**، فيه ما ذكرنا من الوجوه. إنه فرق حوائج الخلق في أمكنة بعيدة، وبينهم وبين أمكنة حوائجهم مَفاوز وفيافٍ[4] وبحارٌ، فجعل لهم في المفاوز أنعاما يركبونها يصلوا إلى حوائجهم، وفي البحار سُفُنا يركبونها[5] يصلوا إلى حوائجهم التي في البحار. يذكِّرهم[6] نعمه ليستأدي[7] بذلك شكرها، ويذكّرهم قدرته أن من ملك هذا وقدر لا يعجزه شيء.

---

[1] د: عظيم.

[2] ث م: موافقته.

[3] ر م: أي يبعثون.

[4] جميع النسخ: وفيافي. الفَيْفُ المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسَّعة، وإذا أُنِّثت فهي الفَيْفاة، وجمعها الفَيافي (*لسان العرب*، «فيف»).

[5] ر م: لتركبونها؛ ث: لتركبوها.

[6] ن - يذكرهم.

[7] م: يتأدى.

**﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **لتستووا على ظهوره**، جعل ظهوره بحيث يستوون عليها ويَقِرّون، وكان له أن يجعل ظهورها بحيث لا يستوون عليها ولا يَقِرّون. وهذا من نعمة الله تعالى عليهم.

وقوله عز وجل: **ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه**. ثم نعمته تخرج[1] على وجوه. أحدها[2] ما ذلل لهم من الأنعام وسخرها لهم بقوتها وشدتها، إذ جعل[3] لهم أن يستعملوا الدوابّ وهي تتألم وتتلذذ[4] كما يتألمون ويتلذذون،[5] ثم جعلها متعة[6] لهم لا أن جُعِلوا لها. أو أن يكون نعمته التي أمرهم أن يذكروها الإسلامَ والتوحيدَ، أي[7] قولوا: الحمد لله الذي هدانا الإسلام، **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**. أو يأمرهم أن يذكروا ما أنشأ لهم من النعم العظيمة.[8] وقوله: **وما كنا له مُقْرِنين**. قال بعضهم: مطيقين، يقال: أنا لك مُقْرِن، أي مطيق لك،[9] ويقال: أنا مُقرِن لهذا العمل، أي قَوِي عليه. وأصل هذا التأويل أن الدواب والأنعام في أنفسها أشد وأكثر قوة وأعظمها من البشر. لكن الله تعالى بفضله ومنه علّم الإنسان الحِيَل حتى قدر على استعمال الدواب والأنعام مع قوتها وشدتها حيث شاءوا فيما شاءوا وسخرها لهم. ويحتمل أن يكون قوله: **وما كنا له مقرنين**، أي لم يجعلنا من قِرْن الدواب ومن قرينها[10] بحيث نُستعمل كما تستعمل الدواب وتركب على الظهور،[11] أي لم يجعلنا من قرين[12] الدواب ومن أشكالها. *والله أعلم*.

---

[1] ر ن م: يخرج.
[2] جميع النسخ – أحدها. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٠و.
[3] جميع النسخ: أو جعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٠و.
[4] ن: يتألم ويتلذذ.
[5] ر ث م: كما تتألمون وتتلذذون.
[6] ر: منعمة.
[7] ر ث م – أي.
[8] ر م: لعصمة.
[9] جميع النسخ – لك. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٠و.
[10] ر م: ومن قرنها.
[11] ر ن م: بحيث يستعمل لنا يستعمل الدواب ويركب على الظهور؛ ث: بحيث نستعمل كما يستعمل الدواب ويركب على الظهور. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٣٦، ورقة ١٠٥و؛ (كذا في جار الله).
[12] ر م: قرن.

**﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[١٤]**

|٧٠٤ر| وقوله عز وجل: **وإنا إلى ربنا لمنقلبون**: هذا يحتمل وجوها. أحدها يحتمل البعث على ما قاله أهل التأويل.[1] ويحتمل: وإنا إلى ما جعل لنا ربنا من الوصول إلى حوائجنا لمقبون بها وراجعون. ***والله أعلم***. ويحتمل: وإنا إلى أوطاننا ومنازلنا راجعون بها ما لو لا هي لم يتهيأ لنا الرجوع إلى ذلك ولا الوصول إلى ما جُعِل لنا من الحوائج التي فُرِّقت في الأمكنة المتباعدة. ***والله أعلم***.

**﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾[١٥]**

وقوله: **وجعلوا له من عباده جزءا**. قال عامة أهل التأويل: أي الكفرة جعلوا لله تعالى من عباده أنثى، أي بنتا.[2] وقال الزجاج: **جزءا**، أي بنتا، وقال: إن الجزء عند بعض العرب البنت.[3] فإن كان يثبت ما ذكر الزجاج من اللغة فهو هو، وإلا جائز أن يكون الجزء الذي جعلوا له من عباده غيرَ ما ذكر أهل التأويل من البنت،[4] لأن الكفرة قد اختلفت[5] أنواعُ كفرهم وهم مختلفون في كفرهم. يقول الثنوية بالاثنين، يقولون: إن الله تعالى هو خالق الخيرات، وخالق الشرور غيره على حسب ما اختلفوا في ذلك الغير ما هو؟ فهؤلاء الثنوية جعلوا لله تعالى من عباده جزءا وهو الخيرات، ولم يجعلوا[6] له الجزء الآخر.[7] ومشركو العرب جعلوا له فيما رزقهم جزءا لله تعالى وجزءا لشركائهم حيث قال: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[8] فهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم، وهو الظاهر. وفريق آخر جعلوا له جزءا من عباده وهو الإناث، ولم يجعلوا لله البنين، كقوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ.[9] فجَعْلُ الجزء له على ما ذكرنا[10] أظهر مما ذكره أهل التأويل وصرفوه إليه. ***والله أعلم***.

---

[1] نظر: *تفسير الطبري*، ٥٦٠/٢٠.
[2] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٦٠/٢٠–٥٦٢.
[3] *معاني القرآن* لزجاج، ٤٠٦/٤–٤٠٧.
[4] جميع النسخ – فإن كان يثبت ما ذكر الزجاج من اللغة فهو هو وإلا جائز أن يكون الجزء الذي جعلوا له من عباده غير ما ذكر أهل التأويل من البنت. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٥و.
[5] جميع لنسخ: قد اختلف.
[6] ر م: ولم يجعل؛ ن ت: وم تجعل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٥و.
[7] ن: و لآخر.
[8] سورة لأنعام، ١٣٦/٦.
[9] ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ٥٧/١٦).
[10] ر م: على ما ذكر من؛ ت: على ما ذكرنا ما.

وقوله عز وجل: **إن الإنسان لكفور مبين**، أي كفور لنعمه، **مبين**، أي بيّن[١] كفرانه.

**﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين**، هو على الإضمار، كأنه يقول:[٢] أم يقولون اتخذ مما يخلق بناتٍ لنفسه وأصفاكم بالبنين، وهو ما ذكر في آية أخرى:[٣] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾.[٤] ثم قوله تعالى: **أم اتخذ**، أي قالوا: بل اتخذ مما يخلق بنات. يذكر في هذه الآيات سَفَه أهل مكة وشدةَ تعنتهم، لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادَّعوا بأن الملائكة بنات الله وما أقروا حين سُئِلوا: مَن خلق السماوات والأرض: "أن الله هو خالق ذلك كله" مما لا سبيل إلى معرفة ما قالوا وادّعوا إلا بالرسل، وهم ينكرون الرسل، فكيف ادّعوا ما ادّعوا وهم ينكرون خبرهم؟ لأن من ادّعي ولدا لغائب لا يعلمه إلا بخبر صادق، وكذلك معرفة الملائكة إنما هي[٥] بخبر[٦] يأتيهم، ثم هم ينكرون الأخبار والرسل، فيتناقض دعواهم ويضمحلّ على ما ذكرنا.

**﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١٧]**

ثم أخبر عنهم ما يظهرون من الحزن عند ما يولد لهم من الإناث وما يلحقهم من الكراهة في ذلك بقوله تعالى: **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم**. ثم قوله: **بما ضرب للرحمن مثلا**، أي شِبْها بالخلق؛ وإنه يخرج على وجهين. أحدهما بما جعلوا له ولدا، والولد هو شبيه الوالد، فكان في إثبات الولد إثباتُ المثل والشبيه. والثاني في إثبات الولد له إثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق، لأن الخلق لا يخلو إما أن يكون مولودا من آخر ويولّد منه آخرُ، وإما أن يكونَ له شريك فيما يملكه أو يكون هو شريك غيره، فيكون البعض شبيها بالبعض. فمن أثبت لله شريكا وولدا فقد جعله شبيها بالخلق، ولهذا بين الله تعالى من الولد[٧]

---

[١] ر م: أي يبين.
[٢] ر م: يقولون.
[٣] ن - أخرى.
[٤] ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ (سورة النحل، ٦٢/١٦).
[٥] ر ن م: هو.
[٦] ن: بخير.
[٧] ن - من الولد.

والشريك تَبَرِّئًا واحدا بقوله تعالى: لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،[1] نفى[2] الولد[3] والشريك عن نفسه نفيا[4] واحدا وبراءة[5] واحدة. *والله الموفق*.

وقوله: **أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين**، يحتمل أن يكون تفسيرا لقوله: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا.[6] وعلى ذلك قول أهل التأويل: إنهم جعلوا هذه تفسيرا للأولى. وجائز أن يكون لا على التفسير للأولى ولكن على الابتداء في قوم آخرين سواهم على ما ذكرنا نحن من التأويل. *والله أعلم*.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أَوَمَن يُنَشَّأُ في الحلية وهو في الخصام غير مبين.**[7] اختلف فيه؛ قال بعضهم: هي الأصنام التي عبدوها حَلَّوْها وزيَّنوها بأنواع الزينة والحَلْي؛ يقول -والله أعلم-: أَوَمَنْ حُلِّي بالحَلْي[8] وزُيِّن بالزينة وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يُلْتَفت إليه ولا يُكْتَرث له لولا تلك الحَلْي والزينة التي بها في جعل العبادة له كَمَنْ مِنْه خَلْقُ ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما من المنافع، أي ليس هذا[9] بسواء لذلك. يذكر سفههم في اختيارهم الأصنام التي هذا وَصْفُها في العبادة على عبادة الله تعالى الذي منه كلُّ شيء؛ يُصَبِّر[10] رسولَه صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتكذيبهم إياه وسوءِ معاملتهم معه. *والله أعلم*. وقال بعضهم: قوله: **أَوَمَنْ ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين**، هي الإناث، يقول -والله أعلم-: إن الأنثى ضعيف قليل الحيلة، وهي عند الخصومة والمحاورة[11] غير بين؛

[1] ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذُّلِّ وكبّره تكبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١١).
[2] ن: بغى.
[3] ث: الو.
[4] ن: بغيا.
[5] ن: ويراه.
[6] الآية ١٥ من هذه السورة.
[7] ن + الآية.
[8] ر م: ولو على الحلي.
[9] م - هذا.
[10] ر: يصير.
[11] ر م: والمحاورة؛ ن: والمحاورة.

[٤٧٠ظ] . يصف[1] عجزهن وضعفهن ونقصانهن. يقول -والله أعلم-: كيف نسبوا إلى الله عز وجل ما هو أضعف وأعجز وأنقص فيما ذكر، وقد أَنِفُوا[2] هم منها واختاروا لأنفسهم ما هو أكمل وأقوى، وهم الذكور. وهو صلة قوله عز وجل: أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ،[3] إلى آخر ما ذكر؛ وكل حرف مما تقدم ذكره من قوله: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا،[4] ونحو ذلك. ثم قوله عز وجل: **أَوَمَنْ ينشأ في الحلية**، يحتمل أن يرجع إلى معنى آخر غير المعنى فيما ذكر[5] من الآيات، وكلُّ حرف من هذه الحروف يرجع إلى فريق غير الفريق الآخر، لأنهم كانوا في المذاهب مختلفين متفرقين؛ وجائز أن يرجع الكل إلى معنى واحد. ***والله أعلم***. وفي هذه الآيات ما ذكرنا من الوجوه من تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى القوم ومن بيان سفه أولئك ومن التحذير لما تأخر[6] منهم. ***والله أعلم***.

وقال القُتَبِي: **أومن ينشأ في الحلية**، أي يُرَبَّى[7] في الحَلْي، وهي البنات، يريد جَعْلَهم بناتٍ لله تعالى، وهم إذا كان لأحدهم بنت ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[8] أي حزين. **والخصام** جمع خَصِيم؛ **غَيْرُ مبين**، أي غير مبيّن للحجة.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: **أومن يُنَشَّأ في الحلية**، أي يَنْشَأ كما يقال: نَشَأ الصبي يَنْشَأ نُشوءًا،[10] أي يَشِبّ ويرتفع؛ **والخصام**، المخاصمة. وقال أبو معاذ: **يُنَشَّأ في الحلية**، يَنْبت.[11] ويقرأ: **ويُنَشَّأ** بالتشديد، **ويُنْشَأ** بالتخفيف، وهما لغتان؛ وقرأ بعضهم: يَنْشَأ في الحلية.[12] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: نصف.
[2] ر م: وقد تقوا. أَنِفَ يأنَف من الشيء أَنَفا: إذا كرهه وشرُفَت عنه نفسُه (*تاج العروس*، «أنف»).
[3] الآية ١٦ من هذه السورة.
[4] الآية ١٥ من هذه السورة.
[5] ن: فمـ ذكر.
[6] ن: لما يأخر.
[7] ر م: يرى؛ ن: يرئى.
[8] يشير إلى الآية السابقة.
[9] ر م: حجة. غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٧.
[10] جميع النسخ – نشوءا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٢و.
[11] ر م: والله أعلم بنت. واشتهر بكنية أبي معاذ عالمان، أحدهما أبو معاذ بكير بن معروف الدامغاني المفسر، قاضي نيسابور (ت.١٦٣هـ / ٧٧٩م. انظر: *الوافي بالوفيات* للصفدي، ١٠/١٧١)؛ والآخر أبو معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي (ت. ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م.، وله كتاب في القراءات. انظر: *معجم المؤلفين* للكحالة، ٢/٦٢٢).
[12] ث – ويقرأ وينشأ بالتشديد وينشأ بالتخفيف وهما لغتان وقرأ بعضهم ينشأ في الحلية. انظر لمختلف القراءات في هذه الآية. *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٦٤-٥٦٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/١٩٤.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**. فإن قيل: كيف سَفَّههم في جعلهم عباد الرحمن إناثا وقد جعل الله من عباده إناثا، لماذا عاتبهم على ذلك؟ قيل: لهذا جوابان.[1] أحدهما إنما سَفَّههم وعاتبهم لشهادتهم على الله تعالى أنه جعل الملائكة إناثا وهم لم يشاهدوها، ولا يؤمنون بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم العلم والخبر بذلك بقول[2] الرسل. ***والله أعلم***. والثاني أن الله تعالى وصف ملائكته بأنهم لا يَفْتُرون من عبادته وأنهم لا يستحسرون[3] وأنهم مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يَرِد منهم عصيان طَرْفَةَ عينٍ على ما نطق بذلك الكتاب،[4] فهم إذا قالوا: "إنهم إناث" وصفوهم بالضعف والوهن والنقصان، لأن الإناث هي الموصوفات بالضعف[5] والعجز فلا يتهيأ لهن القيام بما ذكر. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا**، وقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،[6] وقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ،[7] ليس على حقيقة الجعل ولكن على الوصف له[8] والقول، أي قالوا: إن الملائكة بنات الله ووصفوا[9] لهم بما ذكر. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، تعلق المعتزلة بظاهر هذه الآية[10] في أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان، فإن الكفار ادَّعَوا أن الله تعالى شاء منهم الكفر

---

[1] جميع النسخ: عن هذا وجهين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠١ظ.

[2] ر: يقول.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ١٩/٢١-٢٠).

[4] مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وَقُودُها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦. وانظر أيضا: سورة النحل، ٤٩/١٦؛ وسورة الزمر، ٧٥/٣٩؛ وسورة الشورى، ٥/٤٢).

[5] جميع النسخ - والوهن والنقصان لأن الإناث هي الموصوفات بالضعف. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين، ورقة ١٠٦و.

[6] سورة النحل، ٥٧/١٦.

[7] سورة النحل، ٦٢/١٦.

[8] ن - له.

[9] ن: وصفو.

[10] ن + المعتزلة بظاهر هذه الآية.

وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام، حيث قالوا: **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، أي لو شاء منا ترك عبادة الأصنام لتركناها، ولكن شاء منا عبادة الأصنام،[١] والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم فقال:[٢] **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، أي ما هم إلا يَكْذِبون.

وعندنا الآية تخرج[٣] على وجوه. أحدها أنهم في قولهم: **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، صَدَقَةٌ، فإن معناه لو شاء منهم تَرْكَهم عبادة الأصنام ما عبدوها، ولكن شاء أن يعبدوها فعبدوها، فيكون هذا منهم إخبارا[٤] عن المخبَر به على ما هو، فيكون صِدْقا. ثم قوله تعالى: **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، يحتمل إنما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة: إنهم ادعوا وأخبروا أن الكفر بمشيئة الله تعالى وأنه شاء منهم الكفر دون الإيمان، فالله تعالى شاء منهم الإيمان دون الكفر، فقد أخبروا على خلاف[٥] المخبَر به، فيكونون كاذبين. ويحتمل أنهم قالوا ذلك وفي قلوبهم بخلاف ما أخبروا، وهو أن الكفر ليس مما شاء الله تعالى وإنما يشاء[٦] الإيمان كما يقوله[٧] المعتزلة، ولكن يقولون ذلك ردا على المسلمين الذين يدعونهم إلى الإيمان[٨] والنزوع[٩] عن الكفر: إنه إذا كان شاء منا الكفر دون الإيمان كيف نؤمن ونترك الكفر؟ والإخبارُ عما هو به،[١٠] وإن كان صدقا، ولكن إذا كان في قلب المخبِر واعتقاده خلافُ ذلك فيكون ذلك الإخبار في نفسه صدقا، ولكن من حيث أنه إخبار عما في الضمير يكون كذبا، وهذا كقول الله تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[١١] وهم في قولهم: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، صَدَقَة، لكن في إخبارهم عما في ضميرهم كَذَبَة، لما لا يوافق[١٢] ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم،

[١] ث - لتركناها ولكن شاء منا عبدة الأصنام.
[٢] ر م: فقالوا.
[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.
[٤] م: إخبار.
[٥] ر: الخلاف.
[٦] ر م: شاء.
[٧] ر ث م: كما تقوله.
[٨] ر: على الإيمان.
[٩] ر: والفروع؛ م: والردع.
[١٠] ن: عما يليق به.
[١١] سورة المنافقون: ٦٣/١.
[١٢] ن + لما لا يوافق.

فيرجع تكذيب الله تعالى إياهم لِكَذِب قلوبهم، وإن كانوا في نفس قولهم: إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، صَدَقَة. وإذا احتمل الوجهين فلا تكون[1] الآية حجة لهم مع الاحتمال، وعلى الوجهين جميعا يكونون[2] كاذبين، لذلك قال: **إن هم إلا يخرصون**. ***والله أعلم***.

[٧٠٥و] والثاني أنهم وإن كانوا صادقين / في ذلك فهم إنما[3] قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسُّخْرِيَّة لا على الجِدّ، فيكون قصدهم[4] تلبيس الصدق على الناس ورَدَّه، كقوله عز وجل: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا، وهذا القول من هذا الإنسان حق وصدق، لكن إنما قال ذلك استهزاء منه وإنكارا للبعث. ألا ترى أن الله تعالى وعظه على ذلك وذَكَّره حيث قال: أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا،[5] فعلى ذلك قول أولئك، وإن كان في الظاهر صدقا فهم إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الإنكار وتلبيس الحق، فيكون إخبارهم من هذا الوجه ولهذا الغرض خَرْصا وكذبا. ***والله أعلم***.

والثالث غرضهم بذلك الاحتجاج على المسلمين في توعيدهم بالعذاب بسبب العناد والكفر: أَنْ كيف عذَّب وإنا إنما باشرنا الكفر بمشيئته، ولو شاء أن نترك العبادة للأصنام تركنا، فإذا كان شاء منا[6] الكفر حتى كفرنا لماذا عَاقَبَنَا؟ فأبطل احتجاجهم بقوله تعالى: **مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، أي هم جاهلون في الاحتجاج بهذا كاذبون في أنهم باشروا الكفر بسبب مشيئة الله تعالى إياهم الكفرَ ولكن لسوء اختيارهم وأسبابٍ حاملةٍ هم على ذلك. وأصله أَنْ لا أحد من العصاة والفسقة والكفرة يفعل ما يفعل[7] وعندَه أن الله تعالى شاء ذلك منه،[8] فإذا كان وقتَ فعله لا يفعل ما يفعل لأن الله تعالى شاء ذلك منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول بما[9] قالوا.[10] ***والله الموفق***.

---

[1] جميع النسخ: فلا يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.

[2] ن: يكون.

[3] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.

[4] جميع النسخ: قصده. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٦و.

[5] سورة مريم، ١٩/٦٦-٦٧.

[6] ن: شاهد.

[7] جميع النسخ - ما يفعل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.

[8] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٦ظ.

[9] ر ث م: إنما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٩١و.

[10] ن - منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول بما قالوا.

والرابع يحتمل أنهم بقولهم:[1] **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، وقولهم: لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكْنَا،[2] أي لو أمرنا الله تعالى بترك عبادتنا أولئك الأصنامَ ما عبدناهم لكن أَمَرنا أن نعبدهم. كانو يدّعون إنما[3] يعبدون لأمر[4] من الله تعالى، كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا.[5] وأرادوا بالمشيئة الرضا، يقولون: لو لا أن الله تعالى قد رضي بذلك عنا وعن آبائنا وإلا ما تَرَكَنا و[إيا]هم على ذلك، فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على أن الله تعالى قد رضي بذلك عنهم، فرد الله سبحانه وتعالى بقوله: **إن هم إلا يخرصون**، وبقوله: قُلْ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[6] الآية. وقد ذكرنا على الاستقصاء في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا عَبَدْنَا،[7] الآية. ***والله أعلم.***

**﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون**، أي لم نؤتهم[8] كتابا ليكون لهم العلم بذلك. يُسفِّههم في قولهم لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل[9] والكتب، وذلك [من] أسباب العلم، وليست لهم تلك الأسباب لما لا يؤمنون بها ولا يصدقون.

**﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**، إنهم قوم ينكرون الرسل[10] ويكذبونهم بعلةِ أنهم بشر، ثم اقتدَوْا بآبائهم واتبعوهم وهم بشر أيضا، فهذا تناقض في القول، يذكر سفههم وتناقضهم في القول.

---

[1] ر ث م: يقولون.
[2] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[3] ن: ما.
[4] ر ن م: الأمر.
[5] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[6] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[7] يوجد الالتبس في جميع النسخ بين الآيتين، أحدهما من سورة الأنعم (١٤٨/٦) ﴿سيقول الذين أشركو لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ والآخر من سورة النحل (٣٥/١٦) ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ وكتب هكذا: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾. والثابت في المتن من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.
[8] جميع النسخ: لم يؤتهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.
[9] ن: بالرسل.
[10] ر م: الرسل.

﴿وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل:[١] **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.** يصبّر رسوله صلى الله عليه وسلم على ما قال هؤلاء: بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ.[٢] أنه ليس ببديع من هؤلاء، بل قال كذلك[٣] أوائلهم لرسلهم على ما قال[٤] قومك. يصبّره صلى الله عليه وسلم ويعزّيه ويذّكر سفههم في اتباعهم إياهم واقتدائهم بهم وهم بشر فيقول: فإذا كنتم لا محالة يتبعون البشر فاتّبِعوا من هم[٥] أهدى من آبائكم وهم الرسل، وهو ما قال عز وجل:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٢٤]

**قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم**، فقالوا عند ذلك: **إنا بما أرسلتم به كافرون**، عنادا وتعنتا منهم. وقال بعضهم: أنْ قل لهم[٦] يا محمد: **أولو جئتكم**، أي إن جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الدين أفتتبعوني فيما جئتكم به؟[٧] فردوا عليه وقالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون.**

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**، هذا وعيد. ثم قال بعضهم: **فانتقمنا منهم**،[٨] هو رجوع إلى ذكر الأمم الخالية، فقال: فانتقمنا منهم بالعذاب الذي نزل. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **فانتقمنا منهم**، أي ننتقم منهم،[٩] وذلك جائز. وقوله: **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**، يحتمل مكذبي الرسل ويحتمل مكذّبي العذاب.

---

[١] ن – وقوله عز وجل.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ر م – كذلك.
[٤] ن: قالوا.
[٥] جميع النسخ: أمرهم. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.
[٦] جميع النسخ – هم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٢و.
[٧] جميع النسخ – به. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٠٢و.
[٨] جميع النسخ + يقول. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٢و.
[٩] ر م – أي ننتقم منهم.

**﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾[٢٦] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[٢٧]**

وقوله: **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني**. والإشكال أنه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون[1] واستثنى عبادة[2] الذي فطره، وهو الله تعالى وهم لا يعبدون[3] الذي فطره. فكيف يستثنى من جملة عبادة من يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه؟ فنقول:[4] قال بعضهم: إنه تبرأ من عبادة من عبدوا واستثنى عبادة من فطره لأن فيهم من عبد[5] الذي فطر، الله تعالى، فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الإطلاق لصار متبرئًا عن عبادة الله تعالى، لذلك استثنى عبادة الله. *والله أعلم*. لكن الإشكال أنه لم يظهر أن في قومه من يعبد الله تعالى، وهو الذي فطره وخلقه فما معنى الاستثناء؟ [٧٠٥ط] فيقال: إن لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره[6] فكان في آبائهم وأوائلهم من يعبد الذي فطرهم، فيرجع استثناؤه إلى ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أنه إنما استثنى الذي فطره على طريق الاحتياط لاحتمال أن يكون فيهم من يعبد الله تعالى، ولا وقوف له على ذلك فيصير متبرئًا من ذلك لو تبرأ[7] ممن[8] يعبدون جميعا. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون استثنى الذي فطره لأنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان دون الله تعالى رجاءَ أن تشفع لهم فتقربهم[9] إلى الله زلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[10] وقولهم: هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[11] فرجع استثناؤه إلى حقيقة الذين قصدوا بالعبادة، وهو الذي فطرهم. *والله أعلم*.[12]

---

[1] ر ث م: ما تعبدون؛ ن - والإشكال أنه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.

[2] ن: عباده.

[3] ن: لا يعتدون.

[4] ر م: فيقول.

[5] ن: عبد.

[6] ن - فما معنى الاستثناء فيقال إن لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره.

[7] ر م: لو تبرؤا.

[8] م: مما.

[9] جميع النسخ: أن يشفع لهم فيقربهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.

[10] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[11] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[12] ن - والله أعلم.

ويحتمل أن يكون هذا استثناء منقطعا، وهو الاستثناء بخلاف الجنس بمعنى[1] "لكن"، معناه أني براء مما تعبدون ولكن أعبد الذي فطرني، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[2] أي ولكن سلاما،[3] وقوله عز وجل: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ،[4] أي ولكن تجارةٌ عن تراض، لأنه لا يجوز أن يستثنى التجارة عن تراض عن الباطل. ولا السلام من اللغو، ونحو ذلك كثير. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنني براء مما تعبدون**، ذُكر أن هذا الحرف "**براء**" على ميزان واحد في الوُحْدَانِ والتثنية والجمع. وقوله عز وجل: **فإنه سيهدينِ**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي سيُثَبِّتني[5] على الهدى. والثاني أي فإنه سيهديني في حادث الوقت لأنه كان مهتديا في ذلك الوقت،[6] والهدى مما يتجدد فينصرف إلى إرادة حقيقة الهدى في المستقبل. *والله الموفق*. فإن كان المراد حقيقة الهدى[7] فعلى هذين الوجهين يخرج. ويحتمل أن يخرج[8] على التوفيق على الهدى والعصمة عن ضده في المستقبل. ولا يحتمل أن يريد بهذا الهدى البيانَ بأن يقول:[9] فإنه سيبيّن لي، لأنه قد بين له جميع ما يقع له الحاجة إليه فلا يحتمل أن يسأل البيان. ولا يحتمل الأمرَ أيضا، فإنه قد تقدم الأمر به، فيرجع[10] إلى حقيقة الهدى أو إلى التوفيق والعصمة. ويكون في الآية دلالةُ على أن عند الله تعالى لطفا، وهو ما ذكرنا، من أعطى ذلك يصير مهتديا، وأنه لم يعط الكفرة[11] ذلك، ولو أعطاهم لآمنوا. *والله الموفق*.[12]

---

[1] ن: معنى.
[2] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[3] ر م – أي ولكن سلاما.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).
[5] ر م: سيبتني؛ ن: سيثني.
[6] ر ث م – لأنه كان مهتديا في ذلك الوقت.
[7] جميع النسخ – في المستقبل والله الموفق فإن كان المراد حقيقة الهدى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.
[8] ر م – ويحتمل أن يخرج.
[9] ث: بأ بأن يقال.
[10] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.
[11] ن: الكثرة.
[12] ر م – والله الموفق.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما الكلمة الباقية هي كلمة الهداية والتوحيد، فإنه سأل[١] أن يجعل ما وَجَد منه من التبري من غير الله تعالى وتحقيق عبادة الله تعالى بقوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي،[٢] كلمة باقيةً، وإنه كلمة التوحيد. فإن قوله: "لا إله" نفي غير الله، وقوله "إلا الله" إثبات ألوهية الله تعالى، وذلك معنى قوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي، وهو كقوله تعالى:[٣] تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[٤] الآية. وأجاب الله تعالى سؤاله في دعائه، فلم يزل في ذرية إبراهيم وعَقِبِه من يقولها، وذلك قوله تعالى: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[٥] والثاني الكلمة الباقية هي كلمة الدعوة إلى الهدى والتوحيد، وهي عبارة عن إبقاء النبوة والخلافة في ذريته إلى يوم القيامة، وهو ما قال عز وجل: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ،[٦] أخبر أن الظالم من ذريته لا ينال[ه] عهدُه، فأما من لم يكن ظالما فإنه ينال[ه] عهده، وقد استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوةُ في ذريته والنبوةُ وفي خلفائهم[٧] إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.[٨] ***والله أعلم.***

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾[٢٩]

وقوله: **بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين**، أخبر أنه متعهم وآباءهم[٩] في مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا ماء. سخّر الناس وحملهم على أن يحملوا إليهم الطعام والأغذية وأنواعَ الفواكه من الأمكنة البعيدة ويَجبُون إليهم ما ذكرنا، فذلك ما ذكر من تمتيعهم إياهم. وقوله: **حتى جاءهم الحق**، أي القرآن، **ورسول مبين**، أي محمد صلى الله عيه وسلم. بين أنه من عند الله تعالى جاء وأنه رسوله صلى الله عيه وسلم.

---

[١] ن: يسأل.
[٢] الأيتان السابقتان.
[٣] ن – إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وهو كقوله تعالى.
[٤] سورة آل عمران، ٦٤/٣.
[٥] سورة البقرة، ١٣٢/٢.
[٦] سورة البقرة، ١٢٤/٢.
[٧] ر م: في خلفائهم.
[٨] سورة الرعد، ٧/١٣.
[٩] ن: وإياهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون**، لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والأشراف منهم التكلم[1] بهذه الكلمة عند نزول الآيات والمعجزات، يريدون بذلك التموية[2] على أتباعهم والتلبيس. فعلى ذلك قول هؤلاء: **هذا سحر وإنا به كافرون**.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**، ظن هؤلاء أنه لما وُسِّع عليهم الدنيا وأُنعِم عليهم وأُعطِي[3] لهم الأموال إنما أُعطُوا ذلك ووُسِع عليهم لكرامة لهم عند الله وفضل وقَدْرٍ لديه، ومَنْ ضُيِّق عليه الدنيا و لم يُعطَ ذلك إنما ضُيِّق عليه ومُنِع لهَوَانٍ عنده، فقالوا عند[4] ادّعاء محمد صلى الله عليه وسلم الرسالةَ ونزول القرآن عليه من الله تعالى: **لو لا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**، ظنوا أن مَنْ عظُم قدرُه ومنزلته [٧٠٦و] / عند الخلق بما وُسِّع عليه وأعطى من الأموال هو عند الله كذلك. لذلك[5] قالوا:[6] لو كان ما يقول محمد حقا أن هذا القرآن إنما أنزل من عند الله هلا أنزل على رجل من القريتين عظيم؟ فأخبر عز وجل أنه لم يُوَسِّع الدنيا على من وسّع لفضل منزلته[7] وقدره[8] عنده وعلى من ضيّق إنما ضيّق لهوان له عنده، لكن رُبَّ مُضيَّق عليه مُكرَّم عظيم عند الله، ورُبَّ مُوَسَّع عليه يكون مُهانا عنده.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**، وهو يخرج على وجهين. أحدهما أي إنهم لا يملكون قسمة ما[9] على تدبيرها أُنْشِئوا

[1] ر م: المتكم.
[2] ن: التمويه.
[3] ر ث م: ويعطى.
[4] ر م - عند.
[5] جميع النسخ - لذلك. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.
[6] ر ن م: قال.
[7] ن: منزله.
[8] ن ث: وقدر.
[9] ر ث م: قسمها؛ ن: قسمتها. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

وعلى تقديرها[1] خُلِقوا وهو ما ذكر[2] من المعاش وأسباب الرزق من التوسيع والتفضيل، فالذي لم يجعل إليهم في ذلك شيء من تدبيره وتقديره أحق وأولى أن لا يملكوا قسمة[3] ذلك بينهم واختياره، وهو النبوة والرسالة ووضعُها حيث شاءوا. هذا أحد التأويلين. *والله أعلم*.[4] والثاني كما ليس إليهم قسمة المعائش فيما بينهم ولا يملكون التوسيع على من هو أولى وأجمع لأسبابها والتضييق على من ليس عنده تلك الأسباب فعلى ذلك ليس إليهم قسمة الرحمة، وهي النبوة. *والله أعلم*.[5]

ثم في قوله تعالى:[6] **نحن قسمنا بينهم معيشتهم**، دلالة في[7] خلق أفعال الخلق، لأن التفضيل والتوسيع في الرزق والمعيشة إنما يكون باكتساب يكون منهم وأسبابٍ جُعلت لهم، ثم أخبر أنه هو يقسم ذلك، دل ذلك على أنه هو منشئ اكتسابهم[8] وخالق أفعالهم وأن له في ذلك تدبيرا. لأنا نرى من هو أعلم وأقدر على أسباب الرزق كانت الدنيا عليه أضيقَ، ومن هو دونه في تلك الأسباب والاكتساب كانت عليه أوسعَ، دل[9] ذلك على أنه على تدبير غيره يخرج ويكون هكذا. إذ لو كان[10] على تدبيرهم خاصة لكانت تكون[11] هي أوسعَ على من هو أجمع لأسبابها واكتسابها وأقدرُ على ذلك، وتكون[12] أضيق[13] على من ليست له تلك الأسباب.

---

[1] م: على تقديرها.

[2] ر ث م: وهي ما ذكر؛ ن: وعلى ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[3] ر: أن لا يملكون أقسمها؛ ث: أن لا يملكوا قسمها؛ م: أن لا يملكون قسمها.

[4] ر م - والله أعلم.

[5] جميع النسخ - والثاني كما ليس إليهم قسمة المعائش فيما بينهم ولا يملكون التوسيع على من هو أولى وأجمع لأسبابها والتضييق على من ليس عنده تلك الأسباب فعلى ذلك ليس إليهم قسمة الرحمة وهي النبوة والله أعلم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[6] جميع النسخ: ثم قوله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[7] ن - في.

[8] جميع النسخ: كسابهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[9] ر م - دل.

[10] ر م - على تدبير غيره يخرج ويكون هكذا إذ لو كان.

[11] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[12] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[13] ر م - أضيق.

ثم قال جعفر بن حرب[1] للخروج عن هذا الإلزام:[2] إنما وسّع على من وسّع لأن التوسيع له أصلح وأخير، وضيّق على من ضيّق لأن التضييق له أصلح وأخير في الدين. فيقال: لو كان التوسيع والتضييق لأجل الأصلح لهم في الدين والأخير لم يكن ما ذكر من رفع بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض في الرزق معنى، وقد أخبر أنه رفع بعضهم على بعض درجات حيث قال: **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.**[3] ولو كان الكل في ذلك سواءً لا يكون لبعض على بعض في ذلك فضل ولا درجة. ولأنه لو كانوا على ما يقولون هم أنه يعطى كُلًّا ما هو الأصلح في الدين وأخير لهم في ذلك فهؤلاء الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الأموال لكان لا يتهيأ لهم فِعْلُ ما فعلوا ومَنْعُ الناس عن اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وعلى ذلك فرعون إنما ادعى لنفسه الألوهية بما أُعْطِيَ له من الملك والسعة ما[4] لو لم يكن له[5] ذلك لم يدَّع ذلك،[6] وكان ذلك أصلح له[7] في الدين. فدل أن الله تعالى قد يترك ما هو الأصلح لهم في الدين وأنْ ليس عليه حفظ الأصلح لهم في الدين.

وقوله عز وجل: **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا،** قال بعضهم: قوله: **سخريا**، برفع السين الاستخدام والاستعمال في الأمور، وسِخريا[8] بكسر السين الاستهزاء. وتأويله أنه عمم[9] منهم أن بعضهم يستهزئ ببعض ويَهْزَأ[10] بعضهم بعضا،[11] أعطى ذلك لهم ليكون منهم ما علم على ما عمم[12] منهم من الهُزْء والسخرية لا أن يكون يرفع[13] بعضهم على بعض ليأمر بما عمم أنه يكون منهم. ***والله أعلم.***

---

[1] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، *وكتاب الاستقصاء*، *وكتاب الرد على أصحاب الطبائع*، *وكتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[2] جميع النسخ + فقال.

[3] ر م – حيث قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.

[4] ن – ما.

[5] م – له.

[6] ن – لم يدع ذلك.

[7] ر م – له.

[8] جميع النسخ – برفع السين الاستخدام والاستعمال في الأمور وسخريا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[9] ر م: عليم.

[10] ر: ويهزؤ.

[11] م: بعض.

[12] جميع النسخ – لي ما علم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[13] ر م: يرفع.

وقوله عز وجل: **ورحمة ربك خير مما يجمعون**. يحتمل قوله: **رحمة ربك**، النبوة، أي ما اختار لرسول الله[1] صلى الله عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع أولئك الكفرة. ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم إليه[2] ويختار لهم من التوحيد والدين خير مما يجمعون هم من الأموال. ويحتمل ما وعد لأهل الإيمان من الثواب والكرامة بإيمانهم، وهو الجنة، خير مما يجمعون. *والله أعلم*.

**﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[٣٣] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾[٣٤] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون**، الآية، أي لولا أن يصير الناس كلهم على ملة واحدة وهو دين الكفر وإلا لجعلنا للكفار ما ذكرنا. في الآية دلالة التزهيد في الدنيا، لأنه ذكر أنه أعطى الكفار ما ذكر لولا رعايةُ قلوب ضَعَفةِ المؤمنين[3] حتى لا يتحولوا إلى دين الكفر، فما متّع الكافر ما متع إنما متّع بسبب المؤمن، فيجب أن يُزهَّد فيها. وفي الآية دلالة جوده وكرمه حيث لم يمنع ممن عادى أولياءه وعاداه نعيمَ الدنيا، وفي الشاهد أن من عادى آخر يمنعه ذلك ما عنده من الفضل والمال. وفيها دلالة هوان الدنيا على الله تعالى على ما ذكره أهل التأويل. إذ لو كان لها عنده خطَر وقدْرٌ لم يعط الكافر منها جناح بعوضة أو جناح ذباب،[4] فدل ذلك على هوانها على الله تعالى.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة حيث قالوا: ليس على الله أن يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم في الدين. لأنه أخبر تعالى أنه لولا ما يختار أهل الإيمان الكفر والدخولَ فيه وإلا لجعل لأهل الكفر ما ذكر من جعْل النعم. فلو كان الأصلح / واجبا في الدنيا لكان يجب أن يعطي لأهل الإيمان [٧٠٦ظ]
مثل ذلك الذي ذكر أنه لو أعطى لأهل الكفر فصاروا أهل الكفر حتى يصيروا جميعا أهل الإيمان.

---

[1] ر ث م: رسول الله.
[2] ر م - إليه.
[3] ر م - المؤمنين.
[4] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى حديث روي عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء". سنن ابن ماجة، الزهد ٣؛ وسنن الترمذي، الزهد ١٣.

إذ لا يحتمل أنه إذا أعطى ما ذكر لأهل الكفر[1] فيكونون[2] جميعا أهل كفر، وإذا أعطى ذلك لأهل الإيمان لا يكونون[3] جميعا أهل الإيمان، وهو الأصلح في الدين، ومع ذلك لم يعط. دل أنه ليس على الله تعالى حفظ الأصلح لهم في الدين ولا حفظُ الأَخْيَرِ. *والله الموفق*.

والأصل في قوله تعالى: **ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن**، الآية، أنهم خُيِّروا في هذه الدنيا بين[4] أن يختاروا النعمة[5] الدائمة واللذة الباقية و بين أن يختاروا اللذة الفانية[6] والنعمة الزائلة المنقطعة. فمن اختار وآثر النعمة[7] الدائمة واللذة الباقية على النعمة الزائلة واللذة الفانية[8] ضُيِّق عليه[9] النعمة[10] الزائلة واللذة الفانية لما آثر واختار الباقية على الفانية؛ ومن آثر الفانية الزائلة على الباقية الدائمة وُسِّع عليه الفانية لما اختار وآثر، وهو ما ذكر في قوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا،[11] بيّن لكل ما اختار وآثر من النعيم[12] الفانية والدائمة. *والله أعلم*. وذكر الفضة والذهب -وإن كانت أشياءُ أُخَرُ قد تكون[13] أرفع وأعظم قدرا منهما-[14] لأن هذين هما أعزا[15] الأشياء عندهم، وبهما يوصل إلى كل رفيع وعظيم. *والله أعلم*. ثم ما ذكر من جعل السُّقُف والمعارج من الفضة وما ذُكِر من الزخرف هو رد ما قاله فرعون في حق موسى عليه السلام:

---

[1] ر ث م - فصاروا أهل الكفر حتى يصيروا جميعا أهل الإيمان إذ لا يحتمل أنه إذا أعطى ما ذكر لأهل لكفر.
[2] ن ث: فيكونوا.
[3] م - لا يكونون.
[4] ر م - بين.
[5] ر ث م: النعم؛ ن: النعيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.
[6] ر م - الباقية وبين أن يختاروا اللذة.
[7] ث م: النعم؛ ر ن: لنعيم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.
[8] ر م - الفانية.
[9] ر م: عليهم.
[10] ر ن م: النعيم؛ ث: النعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.
[11] جميع النسخ - فأولئك كان سعيهم مشكورا؛ + الآية. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٨و. سورة الإسراء، ١٧/١٨-١٩.
[12] ث: النعم.
[13] جميع النسخ: قد يكون.
[14] جميع النسخ: منها. والتصحيح من مرجع السابق، ورقة ١٠٨و.
[15] جميع النسخ: أعز.

فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ،[١] أي لخساسة الدنيا وهوانها، لم يعطها[٢] لأوليائه[٣] والأخيار من عباده. ولولا ما يكون من ترك أهل الإيمان الإيمانَ[٤] وإلا لكان في حق كل كافر مثل ما فعل في حق فرعون وأمثاله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإنْ كُلُّ ذلك لَمَّا متاعُ الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**، أي كل ما ذكر ليس إلا متاعَ الحياة الدنيا أعطى من آثره على نعيم الآخرة، والعاقبة للمتقين كما اختاروها على غيرها. *والله المستعان*.

قال القُتَبِي: المعارج الدَرَج، يقال: عَرَج، أي صَعِد، ومنه المعراج لأنه سبب إلى السماء أو طرق.[٥] **عليها يظهرون**، أي يَعْلُون، يقال: ظهرتُ على البيت إذا عَلَوتَ سطحه؛ والزخرف الذهب.[٦] وكذا قال أبو عَوْسَجَة:[٧] المعارج: المصاعد؛ والمعراج: المِصْعد؛[٨] والزخرف: كل شيء حسنٍ، والزخرفة: التحسين والتزيين. وهذا أشبه ألا ترى أنه قال: في آية أخرى: حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا،[٩] أي زينتها وحُسْنها. والسُّقُف جمع السَّقْف وهو سَمْك البيت.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا**، قال بعضهم: **يعش**،[١٠] أي يُعرض **عن ذكر الرحمن**. وقال بعضهم: **يعش**، أي يَعْمَ[١١] بصره ويَضعَف **عن ذكر الرحمن**، أي يعمى عنه ولا يقبله. وقال بعضهم: عشا يعشو من عَمَى البصرِ وضعفِه، وعشِي يَعْشَى من الإعراض. وقال أبو عبيدة:[١٢] **ومن يعش عن ذكر الرحمن**، أي يُظلِمْ بصره.[١٣]

---

[١] الآية ٥٣ من هذه السورة.
[٢] ر م: لم يعط.
[٣] ن ث + وأحباءه.
[٤] ر م - لإيمان.
[٥] ر ن م: أو صرف.
[٦] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٧.
[٧] جميع النسخ: وكذا قول أبي عوسحة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨و.
[٨] جميع النسخ: الصعود.
[٩] سورة يونس، ٢٤/١٠.
[١٠] ر: نقيض؛ م: يقيض.
[١١] جميع النسخ: أي نعمى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨و.
[١٢] ن ث: أبو عبيد.
[١٣] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٠٤/٢.

وقال الفراء: **ومن يعش**، أي يعرض عنه؛ **ومن يعشَ** بنصب الشين، أي يَعْمَ[1] عنه.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: يعش، أي يُجاوِز، وإن شئت جعلته من العشي وهو ظلمة البصر، وإن شئت جعته من التعاشي وهو التعامي. ***والله أعلم.***[3] وقوله عز وجل: **عن ذكر الرحمن**، القرآن. ويحتمل التوحيد والإيمان، ويحتمل رسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين**، قال بعضهم: **نقيض**، نقدّر، والتقييض التقدير، يقال: قيّض الله لك خيرا، أي قدره، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال بعضهم: **نقيض**، أي نُهَيِّئ[4] له شيطانا ونَضُمّ[5] إليه، **فهو له قرين**. والأصل في ذلك أن من آثر معصية الله واختارها على طاعته كانت لذته وشهوته في ذلك، فالشيطان حيث اختار معصية الله على طاعته صارت لذته في ذلك، وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه وأجابه إلى ما دعاه إليه صارت لذته في ذلك، قاربه ولازمه في ذلك ليكونا جميعا في ذلك في الدنيا والآخرة، على ما ذكر في آية أخرى: ﴿اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[6] الآية.

**﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **وإنهم ليصدونهم عن السبيل**، السبيل المطلق هو سبيل الله، والدين المطلق هو دين الله، والكتاب المطلق هو كتاب الله. وقوله عز وجل: **ويحسبون أنهم مهتدون**،[7] كانوا يحسبون أنهم مهتدون لأن الشياطين كانوا يزينون لهم ويقولون: إن الذي أنتم عليه هو دين آبائكم وأجدادكم، ولو كانوا على باطل لا على حق ما تُرِكوا على ذلك ولكن أُهلِكوا واستُؤْصِلوا، فإذ[8] لم يهلَكوا وتُرِكوا على ذلك ظهر أنهم كانوا على الحق والهدى. كانوا
[٧٠٧و] يموّهون لهم / ويزيّنون لذلك،[9] وظنوا أنهم على الهدى كما يقول لهم الشيطان. ***والله الهادي.***

---

[1] جميع النسخ: يعمى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ظ.
[2] *معاني القرآن* للفراء، ٣/٣٢.
[3] انظر لتفصيل: *لسان العرب*، «عشو».
[4] ن: يهيأ.
[5] جميع النسخ: ويضم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ظ.
[6] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢). ﴿وأزواجهم﴾، "أي أشكالهم وقرناءهم من الجن والإنس والشياطين" (انظر: تفسير الآية من *تأويلات القرآن*).
[7] ن + الآية.
[8] ن: فإذن.
[9] ر م: كذلك.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءنا**، أي الكافر وقرينه في الآخرة **قال** الكافر: **يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**. يحتمل أن[١] يقول في الآخرة: يا ليت كان بينك وبيني في الدنيا بعد المشرقين حتى لم أكن أراك ولم أتبعك. ويحتمل أن يقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين في الآخرة. ثم قوله عز وجل: **بعد المشرقين**، قال بعضهم: ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء. ويحتمل ما قال بعضهم:[٢] أي بعد المشرق والمغرب لكن ذَكَر[٣] باسم أحدهما، كما يقال: "عمران" و"أسودان"،[٤] سماهما باسم أحدهما،[٥] لأن الأسود منهما واحد وهي الحية دون العقرب. والمراد من عمرين أبو بكر وعمر. فعلى ذلك قوله: **بعد المشرقين**. وقوله: **فبئس القرين**، حيث ألجأه وألقاه في النار والإهلاك[٦] لما ذكرنا.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ولن ينفعكم اليوم**، أي لا ينفعكم في الآخرة الاعتذار، **إذ ظلمتم**، أنفسكم في الدنيا، أي وضعتموها غير مواضعها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **أنكم في العذاب مشتركون**، ظاهر.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي**، يقول: إنك لا تملك إسماع الصم ولا هداية العمي[٧] ولا تملك[٨] أيضا[٩] هداية من كان في ضلال مبين. ثم معلوم أنه لم يرد بالهدى هداية البيان ولا إسماع الأذن،[١٠] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك ذلك كله،

---

[١] ن + يكون.
[٢] ر م: وقيل بعضهم يحتمل.
[٣] م - ذكر.
[٤] جميع النسخ: عمرين وأسودين. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ ظ.
[٥] ر م: واحدهما.
[٦] ن: والأملاك.
[٧] جميع النسخ - يقول إنك لا تملك إسماع الصم ولا هداية العمي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ ظ.
[٨] ر م: ولا يملك.
[٩] جميع النسخ - أيضا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ ظ.
[١٠] جميع النسخ: الأذن. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ ظ.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسم، الحمد لله![1] ولكنه أراد الهداية التي لا يملك إلا هو والإسماعَ الذي لا يملك غيره، وهو التوفيق والعصمة والرشد الذي إذا أعطى من أعطى اهتدى، يذكر[2] عجزَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وهو عبى المعتزلة، لأنه أخبر أن عنده لطائف[3] وأشياءَ لم يعطها كل أحد إنما أعطى بعضا دون بعض؛ فمن أعطاه[4] تلك اللطائف اهتدى، وهو ما ذكرنا من التوفيق والعصمة. وعلى قولهم ليس عند الله شيء يملك به هدايتهم، لأنهم يقولون قد أعطى كل كافر ما لو أراد[5] الكافر أن يهتدي يصير مهتديا بذلك، ولم يبق عنده شيء يملك بذلك هدايتهم. فعلى ذلك[6] قولهم: عجزه تعالى عن ذلك كعجز رسول الله عن ذلك. وهو إنما ذكر ذلك إعلاما أنه هو المالك لذلك دون عباده، ومعلوم أنه إنما ذكر على الربوبية والألوهية له في ذلك. ***والله الموفق***. وجائز أن يكون قوله تعالى: **أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي**، إنما ذكر لإياس[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمان قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾[٤١] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون**. فيه دلالة منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال إنزال العذاب الموعود لهم عيهم. ثم المنع فيه من وجهين. أحدهما النهي عن سؤال بيان الوقت أن يسأله أنه[8] متى يُنْزِله عليهم. والثاني النهي عن استعجاله، كقوله: وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[9] كأنه يقول: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إليّ إن شئتُ أنزلتُ في حياتك وأريتُك ذلك وإن شئت أُمِتُّك ولم أُرِك شيئا من ذلك،

[1] جميع النسخ – الحمد لله. والزيدة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩و.
[2] ن: يذكر.
[3] ر م + لم يعطها كل أحد إنما أعطى بعضها دون بعض فمن أعطاه تلك اللطائف.
[4] ن: أخطأه.
[5] ن: ما أراد.
[6] ر ث م – ذلك.
[7] ر: لا بأس.
[8] ر ث م – أنه
[9] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥).

وهو كما قال: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ،[١] الآية. وقال قتادة في ذلك: إن الله تعالى أذهب نبيه صلى الله عليه وسلم وأبقى النقمة بعده و لم يُرِه في أمته إلا الذي تَقَرُّ به عينه؛ وليس نبي أو رسول إلا وقد رأى في أمته العقوبة غير نبيكم، عافاه الله تعالى عن ذلك وما أُراه[٢] إلا ما تقر به عينه. قال: وذُكِر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أُرِي الذي تلقى أمته من بعده، فمازال منقبضا ما استبسط ضاحكا[٣] حتى لحق بالله تعالى. وقال الحسن قريبا[٤] من قول قتادة في قوله تعالى: **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون**؛ قال: أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما يكره، ورفعه الله تعالى وبقيت النقمة.[٥]

## ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم**. الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاثة. أحدها القرآن وهو الظاهر من الوحي إليه. والثاني وحي بيان يبين للناس ما لهم وما[٦] عليهم[٧] وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبريل أو غيره على ما أراد الله تعالى. والثالث وحي إلهام وإفهام، كقوله تعالى: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ.[٨] وما أراه الله تعالى هو[٩] ما ألهمه وأفهمه؛ أَمَرَه[١٠] عز وجل بالتمسك على أنواع ما أوحي إليه: ما هو قرآن وما هو بيان وما هو إفهام، وأراه وآمنه عن[١١] أن يَزيغ[١٢]

---

[١] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).

[٢] ر ث م: ولا أراه.

[٣] ر م: فمازل إلا متعضا ما استنشاط ضحكا؛ ن: فمازال متنقضا ما استنشاط ضحكا؛ ث: فمازال متبعصا ما استنشاط ضحكا. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٦٠٠/٢٠.

[٤] م + قريبا.

[٥] انظر لقول قتادة والحسن: *تفسير الطبري*، ٦٠٠/٢٠-٦٠١. وقول الحسن في *تفسير الطبري* هكذا: لقد كانت بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة، فأكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده.

[٦] جميع النسخ + لله. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٠و.

[٧] ن - عليهم.

[٨] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (سورة النساء، ١٠٥/٤).

[٩] ر م: وهو.

[١٠] ن: وأمره.

[١١] ر م - عن.

[١٢] ر م: أن يريع.

أو يَزِلّ أو يَعدلَ عن الصواب في ذلك كله، وبشّره[1] في ذلك كله: أنك لو تمسكتَ بجميع
[٧٠٧ظ] ما أوحى إليك كنتَ على صراط مستقيم حيث قال: **فاستمسك / بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.**[2]

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وإنه لذكر لك ولقومك.** قال أهل التأويل: أي القرآن ذكر لك، أي شرف لك ولمن آمن من قومك.[3] وجائز أن يكون المراد بالذكر جميع أنواع ما أوحى إليه، فإن قوله: **وإنه**، كناية عن قوله: بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ.[4] أي جميع ما أوحى إليه شرف له ولقومه لما اختصه واختاره بذلك من بين غيرهم. ***والله أعلم.*** ويحتمل أن يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر، أي ما أوحى إليه ذكر له ولقومه. يذكر لهم ما لله عليهم وما لهم وما عليهم[5] وما لبعضهم على بعض.[6] ***والله أعلم.***

وقوله: **وسوف تسألون**، يحتمل وسوف تسألون[7] شكر[8] ما أوحى إليك وأن يصير[9] ما أوحى إليك ذكرا لك ولقومك[10] وعن القيام بشكر ذلك. ويحتمل وسوف تسألون القيام بأداء جميع ما في القرآن[11] وفيما أوحى إليه. ويحتمل وسوف تسألون: مَنْ كذَّبه؟ على ما يقول بعض أهل التأويل، أو سوف تسألون:[12] أشكرتم تلك النعمة أم لا؟ ويحتمل وسوف تسألون يوم القيامة عن القرآن: هل عملتم[13] بما فيه؟ ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: وبنشره. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[2] ن - حيث قال فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.
[3] جميع النسخ - قال أهل التأويل أي القرآن ذكر لك أي شرف لك ولمن آمن من قومك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[4] الآية السابقة.
[5] ر م - لهم وما عليهم
[6] ر ث م: على البعض.
[7] ر م: يسألون.
[8] جميع النسخ: بشكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[9] ن: وأن تصير.
[10] جميع النسخ: وقومك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[11] ر م: يسألون القيام بأول جميع القرآن؛ ث: القيام بأول جميع القرآن.
[12] ر م: يسألون.
[13] ر م: علمتم.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [٤٥]

وقوله عز وجل: **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**. والإشكال أن ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات صِدْقِه أظهر من صدق[١] مَنْ أمَره أن يسأل من أهل[٢] الكتاب، إذ آيات صدقه معجزات عَجِزت[٣] الكفرةُ عن إتيان مثلها، وليس مع مَنْ أمَره بالسؤال عن ذلك آياتُ المعجزات، فما معنى السؤال له عن أهل الكتاب عن ذلك؟ فنقول: أمْرُه عز وجل إياه[٤] بالسؤال عنهم يخرج على وجهين. أحدهما يسألهم سؤال توبيخ وتعيير وسؤالَ تقرير[٥] وتنبيه: هل أتى رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلوا[٦] من قبلك أو كتاب بالأمر بعبادة غير الله؟ فيقرون جميعا أنه لم يأت رسول بإباحة ذلك ولا أُمِر[٧] أحد منهم بذلك. والثاني أن هذا أمر[٨] لغيره أن يسألهم[٩] وإن كان ظاهر الأمر والخطاب له، لما ذكرنا أن أدلة صدقه أظهر من دلالة صدق أولئك. وهو كقوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ، إلى قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا،[١٠] وكقوله تعالى: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[١١] وَ[لَا تَكُونَنَّ مِنَ] الْمُشْرِكِينَ،[١٢] إذ معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك[١٣] ولا يمتري في شيء من ذلك، فرجع الخطاب به[١٤] إلى غيره على ما ذكرنا.[١٥]

---

[١] ر م – من صدق.
[٢] ر م: من أمر.
[٣] ر: عجزة.
[٤] ر: آيت.
[٥] ث: تعرير.
[٦] جميع النسخ: أرسل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[٧] ن: ولا أمن.
[٨] ث: ولثني أنه أمر.
[٩] جميع النسخ: أن تسألهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[١٠] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧) ومعلوم أن أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ماتا من قبل.
[١١] سورة الأنعام، ١١٤/٦.
[١٢] سورة يونس، ١٠٥/١٠.
[١٣] ر: لا شك.
[١٤] ر م – به.
[١٥] جميع النسخ: إلى غير ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**، الآية، أي لو سألتهم عن ذلك لقالوا جميعا: لم يُرْسَل رسول[1] يأمر[2] بعبادة غير الله تعالى. ***والله أعلم***.[3]

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٤٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه** قد ذكرنا آيات موسى عليه السلام التي أتى بها في غير موضع. وفيه الأمر بتبليغ الرسالة. وقوله عز وجل: **فقال إني رسول رب العالمين**، وفيه أن التقية لا يسع لرسل عيهم السلام في ترك تبليغ الرسالة وإن خافوا على أنفسهم الهلاك.

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون**، هكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة أنهم إذا أتاهم الرسل بالآيات ضحكوا منهم واستهزءوا بهم، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ،[4] الآية.

**﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[٤٨]

وقوله: **وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها**. قال بعضهم: إن كل آية تأخرت عن الآية الأخرى فهي أعظم وأكبر من التي تقدمت، نحوَ ما كان منهم من الاستعانة حيث قالوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.[5] ثم هو مما أراهم من الآيات قبل ذلك أعظم. وقال بعضهم: **إلا هي أكبر من أختها**، كانت اليد البيضاء[6] أعظم وأكبر من العصا،

---

[1] جميع النسخ – رسول. والزيدة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.

[2] ر ن م: بأمر.

[3] جميع النسخ + وحكاية (ن: أو حكية) عى هذا وليس من نسخة الأصل سمعت مفسر ببخارى يقول نزلت هذه الآية ليلة المعراج ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس رأى الرسل والأنبياء عليهم اسلام مجتمعين ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقام جبريل عليه السلام من الصف وقال يا محمد واسأل من أرسنا من قبلك من رسند. هذه القطعة لا توجد في *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦ ولا في نسخة جار الله. ويلاحظ أنه أدرجت من قبل المستنسخ.

[4] سورة المطففين، ٨٣/٢٩.

[5] ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٤).

[6] جميع النسخ - البيضاء. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.

لأن العصا قد يتهيأ للسحرة تمويهُها[1] وتحويلُها من جنس العِصِيّ وجوهرها إلى غيرها[2] من الجواهر، ولم يَتَهيأ هم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد كان ذلك لموسى عليه السلام، دل أن آية اليد أكبر من آية العصا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هذا ليس على تحقيق جعل آية أكبر وأعظم من آية العصا[3] ولكن وصف الكل بالعِظَم والكِبَر، كقوله تعالى: آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا،[4] ليس على إثبات القرب في أحدهما دون الآخر ولكن وصفُ قرب[5] كل واحد منهما من الآخر على السواء.[6] وكما يقال في العرف: إن أفراس فلان كلّ واحد أَعْدَى من الآخر، وإن أصحاب فلان كلّ واحد أفضل من الآخر، وإنه لا يراد بذلك الترجيح ولكن إثبات المخبر به[7] على السواء.[8] فعلى ذلك قوله تعالى: **وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها**، وصفٌ لهما جميعا بالكبر. *والله أعلم*.

ثم ذكر قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ،[9] وغير ذلك من أمثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبّره على أذى قومه وأنواع ما كانوا يستقبلونه من الاستهزاء به [٧٠٨و]
وبأتباعه والضَّحِك بما[10] أتاهم من الآيات والحجج على رسالته، وعلى ذلك ما قال: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ،[11] أخبر أنه إنما قص عليه أنباء الرسل المتقدمة لتسلية فؤاده. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك**، الآية. والإشكال أنهم كيف يسمونه ساحرا وكانوا يطلبون منه أن يدعو ربه ويسأل حتى يكشف عنهم العذاب؟

---

[1] ر ث م: تمويه.
[2] ر م: إلى غير.
[3] ن: جعل آية أكبر من آية أخرى.
[4] سورة النساء، ١١/٤.
[5] ر م: قريب.
[6] ر م: لسؤال.
[7] ر ن: لمخبر؛ م: الخبر.
[8] ر م: عن السؤال.
[9] الآية السابقة.
[10] ن: بما.
[11] سورة هود، ١٢٠/١١.

فنقول: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم إنما[1] سموه ساحرا لأن الساحر عندهم هو العالم المعظَّم الذي بلغ في العلم غايته ونهايته،[2] لذلك قالوا: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك،** وإلا لا يحتمل أن يكونوا يسألونه ويطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ثم يسمونه ساحرا ويَعْنون به سحر الكذب[3] والباطل. ***والله أعلم***. وقال مقاتل: إنهم قالوا: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك،** قال لهم موسى عليه السلام: كيف أدعو ربي ليكشف عنكم ما ينزل بكم وقد تسمونني ساحرا؟ فرجعوا عن ذلك فقالوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ،[4] على ما ذكر في سورة الأعراف.[5] ***والله اعلم***. ويحتمل أن يكون قولهم: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك،** سمُّوه ساحرا على ما كان عندهم أنه ساحر فيقولون: إنك ساحر إلا أن تدعو ربك فيكشفَ عنا الرجز فعند ذلك نعلم أنك لست بساحر وأنك رسول فنؤمن بك. ويحتمل أن يكون عندهم أن اليد البيضاء والعصا وما أتى به موسى مما يبلغ السحر إلى تغيير ذلك عن جوهره ويستفاد بالسحر مثله، لكن سألوا منه[6] أن يسأل ربه ما ذكروا لما علموا أن إجابة الدعاء فيما دعا لا تكون[7] لساحر ولا تجاب[8] إلا للرسول والذي على الحق، فإذا أجابك إلى ما سألت آمنا بك. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك على حقيقة إرادة السحر على التناقض، إذ عامة أقوالهم على التناقض والتمويه على الأتباع،[9] كقوله: مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا.[10] والآية[11] لا يَسْحَرُهم بها لأن الآية هي التي لها حقيقة ودوام، والسحر هو الذي لا حقيقة له ولا دوام، فإذا كان آيةً لا يَسحرهم[12] بها ولا يكون عجزا،

---

[1] جميع النسخ – أنهم بما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.
[2] لم أستطع أن أجد هذا التأويل منسوبا إلى ابن عباس، ولكن الطبري ينسبه إلى أهل التأويل. انظر: *تفسير الطبري*، ٦٠٩/٢٠.
[3] ر م: سحرا للكذب.
[4] ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (سورة الأعراف، ١٣٤/٧).
[5] انظر: *تفسير مقاتل*، ٧٩٧/٣.
[6] م: عنه.
[7] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.
[8] جميع النسخ: ولا يجاب. والتصحيح من المرجع السابق ورقة ١٠٩ظ.
[9] ر ث م: على الاتساع.
[10] ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٢/٧).
[11] جميع النسخ: فالآية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٧و.
[12] ر ث م: لا تسحرهم.

وإذا كان سحرا[1] لا يكون آية، فكانت عامة أقوالهم خرجت على التناقض على ما ذكرنا في غير آي من القرآن، فعلى ذلك يحتمل هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بما عهد عندك**. قال بعض أهل التأويل: **ادع لنا ربك بما عهد عندك**،[2] قد كان الله عز وجل عاهد إلى موسى[3] عليه السلام: لئن آمنوا كشف عنهم العذاب، فلما دعي وكشف عنهم العذاب لم يؤمنوا. *والله أعلم*. ويشبه أن يكون عهده إليه ما جعله نبيا واختصه لرسالته. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **بما عهد عندك**، على الإضمار، كأنهم قالوا: ادع لنا ربك بما عهد كل واحد من عندك؛ لئن كشفت عنا العذاب إننا[4] لمهتدون، وهو قوله تعالى في آية: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.[5] ألا ترى أنه قال:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾[٥٠]

**فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون**، أي ينقضون[6] ما عهدوا، وعهدهم ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥١] ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**. يقول اللعين هذا مقابل ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموّه بذلك على قومه وأتباعه، أي لئن كان الله أرسل رسولا فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى لأنه ملّكني وأعطاني من الملك ما ترون ملك مصر وجري الأنهار تحتي وموسى لا يملك شيأ من ذلك، فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى.[7] ولذلك قال: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**،

---

[1] م: سحر.

[2] جميع النسخ – قال بعض أهل التأويل ادع لنا ربك بما عهد عندك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[3] ر ث م: عاهد موسى.

[4] ر م: أئنا؛ ن: إنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[5] سورة الأعراف، ١٣٤/٧.

[6] جميع النسخ: أي ينقضوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[7] جميع النسخ – لأنه ملكني وأعطاني من الملك ما ترون ملك مصر وجري الأنهار تحتي وموسى لا يملك شيأ من ذلك فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

أي ضعيف لا مال له ولا حَشَم ولا تَبَع ولا يكاد يبين حجته، وكذلك قال: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ،[1] كما أُلْقِي علي وكما أعطاني من المال والذهب. أو يقول: إن من كان له رسول يكرمه بأنواع الكرامات ويبذل له أموالا، فإذ[2] لم يؤته شيئا من ذلك فليس برسول. أو يقول: إنه لو كان رسولا كما يقول هو[3] لألقى الله عليه من الأساورة ما ألقيتُ أنا على أتباعي وحشمي ونحوه. وكان فرعون اللعين[4] لا يزال يموه أمر موسى عليه السلام على قومه، من ذلك قوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[5] ومنه قوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[6] ونحو ذلك كثير، فعلى ذلك هذا منه تمويه على قومه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يكاد يُبِينُ**. قال بعضهم: أي لا يكاد يبيّن كلامه وحجته لما في لسانه عُقْدَةٍ ورُتَّةٍ،[7] يقول: عَيُّ اللسان. وقال بعضهم: إن فرعون[8] لا يعني ذلك لأن الله تعالى قد أذهب تلك العقدة والرتة التي في لسانه حين دعا وسأل ربه بقوله: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي،[9] وقد أجاب الله دعاءه حيث قال: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى،[10] ولكن أراد -والله أعلم- لا يكاد يبيّن حجته، أي ليس يأتي بحجة تأخذ القلوب.[11] وقال القُتَبِي: في قوله: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**، قال: أمّا أنا خير منه.[12] وقال أهل التأويل:[13] أنا خير منه. وجائز أن يكون قوله: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**، موصولا بقول فرعون حيث قال: **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**. / أنا خير منه [۷۰۸ظ] بأن لي ملكَ مصرَ وليس لموسى ذلك على ما ذكرنا.

---

[1] الآية التالية.
[2] ر م: فإذا.
[3] ر ث م - هو.
[4] ر م - اللعين.
[5] سورة الشعراء، ۳۵/۲٦.
[6] سورة الشعراء، ٤۹/۲٦.
[7] الرتة بالضم عجمة في الكلام وقلة أناة، وقيل: هي العُجْمة في الكلام (*لسان العرب*، «رتت»).
[8] ن: إن اللعين.
[9] سورة طه، ۲۰/۲۷-۲۸.
[10] سورة طه، ۲۰/۳٦.
[11] ر م: ليست تأتي بحججه يأخذ القلوب؛ ن: ليست يأتي بحجج يأخذ القلوب؛ ث: ليست تأتي حججه يأخذ القلوب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.
[12] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ۳۹۹.
[13] ر م + قوله.

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين.** هذا القول منه يخرج على وجهين. أحدهما إن كان موسى يدّعي الملك في الدنيا ويطلبه فهلا ألقي عليه أساورُ من ذهب كما بقي على الملوك[١] من الأساور والتاج وغير ذلك؟ وإن كان يدّعي الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين؟[٢] ولا يزال الكفرة يطلبون من الرسل الآيات على وجه يتمنون هم ويشتهون، فأخبر أن الآيات ليست تأتي على ما يتمنون ويشتهون ولكن على ما أراد الله تعالى. والثاني يجمع الأمرين جميعا فيقول: إنه يدعي الرسالة والرسول معظَّم عند المرسِل، فيقول: إن كان ما يقول حقا هلا ألقي عليه الأساور تعظيما، وهلا كان معه الملائكة مقترنين[٣] تعظيما له وإجلالا؟ *والله أعلم*. وقال بعضهم: في قوله: **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب**، أي هلا سُوِّر،[٤] لأن الرجل منهم إذا ارتفع فيهم سَوَّرُوه. **أو جاء معه الملائكة**، مصدقين له بالرسالة. قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة: أساور وأسورة: جمع إسوار،[٥] ورجل إسوار: أي رامٍ، وقوم أساورة. وإنما سمي الرامي إسوارا لأنه إذا أجاد[٦] الرمي جعل في يده سِوار من ذهب.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **فاستخف قومه فأطاعوه**. قال بعضهم:[٧] أي فاستخف بقومه واسترذلهم فأطاعوه. وقال بعضهم: **فاستخف قومه فأطاعوه**، أي استزلّهم[٨] واستفزهم بالخروج على اتّباع موسى وطَلَبه فأطاعوه، وذلك أنه أمرهم بالخروج معهم في طلب موسى لمّا خرج من عندهم نحو البحر فأطاعوه في ذلك وخرجوا معه في طلب حتى أصابهم ما أصابهم، وكأن هذا أشبه وأقرب. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: لمملوك.

[٢] ر م: مقربين.

[٣] ر م: مقربين.

[٤] أساور: واحدها إسْوار. وسوَّرته: أي ألبسته السِّوار؛ السوار من الحُلي معروف (*لسان العرب*، «سور»).

[٥] جميع النسخ: السوار. والتصحيح من غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

[٦] ر م: جاد.

[٧] ت + استردلهم.

[٨] ر ت م: استردلهم.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فلما آسفونا انتقمنا منهم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي فلما عملوا الأعمال التي استوجبوا لها الغضب انتقمنا منهم على ذلك، لأن ظاهر قوله تعالى: **آسفونا**، أي أغضبونا؛ وصفة الغضب على الحدوث لله تعالى لا يجوز، فكان المراد منه ظهور أثر الغضب باستيجاب العذاب.[١] *والله أعلم*. والثاني **فلما آسفونا**، أي أغضبوا أولياءنا **انتقمنا منهم**، أي سلّطنا عليهم بدعاء أولئك الأولياء، أو ننتقم[٢] منهم بسبب إغضابهم أولياءنا، وهو كقوله تعالى: يُخَادِعُونَ اللّهَ،[٣] أي يخادعون أولياء الله، فعلى ذلك هذا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾[٥٦]

وقوله: **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين**، هو يخرج على وجهين. أحدهما جعلناهم في العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا للمؤمنين، أي عبرة لهم، وهو كقوله: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٤] والثاني جعلناهم سفا ومثلا للآخرين في العِظَةِ والانزجار لهم ليمتنعوا عن مثل ما فعلوا خوفا عن الوقوع فيما وقعوا. *والله أعلم*. وقال القُتَبِي: **فجعلناهم سلفا**، بالرفع والنصب[٥] وهو من التقدم،[٦] أي جعلناهم قوما[٧] تقدموا،[٨] مثلَ خَشَب وخُشُب[٩] وثَمَر وثُمُر.[١٠] وكذلك يقول أبو عَوْسَجَة، قال:[١١] السَّلْف: الجِراب،[١٢] والجميع سوف.[١٣]

---

[١] ر م: استحاب العذ ب.
[٢] ر م: أو ينتقم.
[٣] سورة ابقرة، ٢/٩؛ وسورة النساء، ٤/١٤٢.
[٤] سورة البقرة، ٢/٦٦.
[٥] انظر لمختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦١٨-٦١٩.
[٦] ن: من التقديم.
[٧] جميع النسخ: قدما. والتصحيح من غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٩.
[٨] ن يقدموا.
[٩] م: خبث وخبث.
[١٠] ر: حب وحشب وثمر وسمر
[١١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ.
[١٢] جميع النسخ: الخيرات. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ. الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه (*المعجم الوسيط*، «جرب»).
[١٣] والسَّلْف بالتسكين الجراب الضخم، وقيل: هو الجراب ما كان، وقيل: هو أديم لم يحكم دبغه. والجمع أسلف وسلوف (*لسان العرب*، «سلف»).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٥٧] ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون**. اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى ابن مريم عليه السلام؛ قال بعضهم: لما نزل قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ.[١] فقال أولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون الأصنام: إن عيسى عُبِد دونه وعزيرٌ والملائكة يُعبَدون دونه، فهؤلاء جميعا في النار إذًا، لأنهم عُبِدوا دونه؛ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون معهم وهم معنا، وهو ما ذكروا على إثره: **أآلهتنا خير أم هو**، يَعْنُون بقولهم: "**هو**" عيسى عليه السلام، فذلك منهم يخرج على وجهين. أحدهما لئن جاز أن يعذب عيسى عليه السلام ومن عُبِد من هؤلاء دون الله في النار رضينا أن يعذَّب آلهتنا في النار، إذ هم ليسوا بخير من عيسى عليه السلام وهؤلاء الذين[٢] عُبِدوا دون الله من الملائكة وغيرهم. والثاني يقولون: إن كان عيسى يعذب في النار لما عُبِد دونه فآلهتنا التي نعبدها دونه خير منهم فلا تُعذَّب[٣] لأنها خير. فأحد التأويلين يرجع إلى أنهم يقولون: لو جاز وصح أن يُعذَّب كل معبود دونه جاز أن تُعذَّب[٤] الأصنام التي نعبدها نحن. والثاني يقولون: إن كان يعذب عيسى وغيره من[٥] الذين عُبِدوا دونه فالأصنام التي نعبدها نحن لا تعذب[٦] لأنها خير من أولئك. *والله أعلم*. فنقول:[٧] إنما يكون لهم هذا الاحتجاج بالآية أن لو كانت الأصنام إنما تحرق[٨] في النار تعذيبا لها، أعني الأصنامَ؛ فأما إذا كانت الأصنام إنما تحرق[٩] بالنار تعذيبا لمن عبدها وعقوبة لمن اتخذها أربابا دون الله فلا، وإنما تحرق[١٠] الأصنام التي اتخذوها من الحجارة والحديد والصُّفر لزيادة تعذيب العَبَدَة، كقوله تعالى: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[١١]

[١] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٢] ر ث م: الذي.
[٣] جميع النسخ: فلا يعذب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[٤] جميع النسخ: أن يعذب.
[٥] جميع النسخ - من. والزيادة من المرجع السابق ورقة ١١٠ظ.
[٦] ر ن م: لا يعذب.
[٧] ر م: فيقول.
[٨] جميع النسخ: يحرق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[٩] ر ن م: يحرق.
[١٠] جميع النسخ: يحرق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[١١] ﴿يَا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).

[٧٠٩و] مع أنه لا جناية من الأصنام ولا ضرر لها بالإحراق، فكيف يحرق عيسى ومن / عُبِد دونه من الملائكة. وفي إحراقهم تعذيبهم إذ هم يتضررون بها ولا جناية منهم؟ فإذا كان إدخال الأصنام التي عبدوها وإحراقها في النار لتعذيب أولئك الذين عبدوها فلا معنى لذلك الخصومة والمجادلة التي كانت منهم. **والله أعلم**.

وبعدُ، فإن في الآية بيانا على أن الذي ذكر مِنْ جَعْل المعبود حَصَبا للنار راجع إلى عُبّاد الأصنام والأوثان خاصة دون غيرها، لأنه خاطب أهل مكة بقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ[١] الآية، وأهل مكة كانوا لا يعبدون إلا الأصنام والأوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملائكة، فذلك لهم ولكل عابد الأصنام دون غيرهم من المعبودين استدلالا بهم.[٢] **والله أعلم**. على أن في الآية بيانا أيضا أنه لم يرجع إلى ما ذكروا من عيسى وغيره، فإنه قال: وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وكلمة ما تستعمل[٣] في غير العقلاء من الجماد وغيرها لا في ذوات العقلاء. وعلى أن في الآية بيانا من وجه آخر أيضا على أنهم غير مرادين بها، فإنه استثنى وخص بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[٤] أخبر أن من سبقت منه الحسنى يكون مُبْعَدا عنها، ولا شك أن عيسى والملائكة عيهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى، فلا يحتمل صرف تلك الآية إليهم. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، الآية، راجعا[٥] إلى كل مَنْ منه الأمر بالعبادة لهم والدعاء إلى ذلك وهم الشياطين، لأن من عبد دون الله أحدا إنما يعبده بأمر الشياطين[٦] ودعائهم إليه، فأما من كان يتبرأ من الأمر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل. وذلك نحو قوله تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ،[٧] وقال إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[٨]

---

[١] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٢] ن: لهم.
[٣] ر ن م: يستعمل.
[٤] سورة الأنبياء، ١٠١/٢١
[٥] ر م – راجعا.
[٦] ث + لأن من عبد دون الله.
[٧] ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ (سورة الفرقان، ١٧/٢٥–١٨).
[٨] سورة مريم، ٤٤/١٩.

ولا أحدَ يقصِد قصد عبادة الشيطان، لكن من عبد شيئا دون الله إنما يعبد بأمر الشيطان،[١] فإذ عبده بأمره فكأنه عبده. هذا وما ذكرنا كله يُبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: ضرب المثل لعيسى عليه السلام هو أن الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن قال مشركو العرب من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: ما أردتَ بذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد محمد أن نحبه[٢] ونَعْبده[٣] كما أحبت[٤] النصارى عيسى وعبدته، فقالوا: **أآلهتنا خير أم هو؟** فلا يصنع محمد ذلك بآلهتنا، فوالله لهن خير من عيسى، أو ما قالوا، فقال الله عز وجل: **ما ضربوه لك إلا جدلا**، أي إلا ليجادلوك بالباطل، وهو قول قتادة.[٥]

ويحتمل أن يكون ما ذكر من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام من قومه أعني قوم[٦] عيسى لا من[٧] قوم محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك أن قومه قد اختلفوا فيه؛ فمنهم من قال: إنه إله وإنه رب، ومنهم من قال: إنه ابن الإله، ومنهم من قال: إنه وأمه إلهان ونحو ذلك من الاختلاف الذي كان بينهم فيه، فيكون قوله: **ولما ضرب ابن مريم مثلا**، قال قومه على ما ذكروا فيه. ثم قال: **إذا قَوْمُكَ منه يَصِدُّون**، أي يُعرِضون من عيسى أو يَضِجُّون[٨] على ما ذكروا. ***والله أعلم***. أو أن نَكُفَّ ونُمسك[٩] عن بيان ذكر المثل الذي ذكر في الآية لما لا حاجة إلى ذلك، وهو شيء ذكره أولئك الكفرة. ***والله أعلم***. ثم قوله تعالى: **إذا قومك منه يصدون**، قرئ برفع الصاد وكسرها؛ قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة: يصدون بالكسر: يَضِجُّون، والتصدية منه، وهو التصفيق؛ ومن قرأ بالرفع يقول: يَعدِلون ويُعرِضون.[١٠]

---

[١] ث – ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن من عبد شيئا دون الله إنما يعبد بأمر الشيطان.

[٢] ن ث: أن يحبه؛ ر: أن تحبه.

[٣] ر م – ونعبده؛ ن ث: ويعبده. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و. وفي جار الله: قال وخافوا لما يريد محمد أن يحبه ويعبده. نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩و.

[٤] ر ث م: كما أحب.

[٥] حدث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال: لما ذكر عيسى ابن مريم جزعت قريش، فقالوا: يا محمد ما ذكرك عيسى ابن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن يصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم، فقال الله عز وجل: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾. انظر: *تفسير القرآن* لعبد الرزاق، ٢/١٩٨. وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦٢٦-٦٢٧.

[٦] جميع النسخ – قوم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و.

[٧] م: لأمر.

[٨] ر م: ويضجون

[٩] جميع النسخ: أو أن يكف ويمسك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و.

[١٠] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠. وانظر مختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري* ٢٠/٦٢٣-٦٢٤.

وقوله عز وجل: **وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون،** هو يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما. *والله أعلم.*

**﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل.** إن الله عز وجل أخبر أن عيسى عبد وليس إله ولا ما ذكره أولئك، بل عبد[1] أنعم هو عليه بالنبوة والعلم والحكمة وغير ذلك. وقوله: **وجعلناه مثلا لبني إسرائيل،**[2] أي عبرة وآية لبني إسرائيل، لما كان هو مولودا من غير والد ولما كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وما كان من تكليمه الناس[3] وهو في المهد وغير ذلك من الآيات التي كانت خُصَّ هو[4] بها. *والله أعلم.*

**﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٦٠]**

وقوله عز وجل: **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون،** يخرج قوله:[5] **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة،** على وجهين. أحدهما أي لو نشاء لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملائكة ليعلم أن إنشاءه الملائكة من النور على ما ذكر ليس ذلك منه استعانة بتلك النور لإنشاء الملائكة منه، لأنه[6] قادر بذاته لا يعجزه شيء ينشئ ما يشاء مم شاء كيف شاء. والثاني أي لو نشاء لجعلنا الملائكة بدلا منكم، نهلككم ونبدّل مكانكم ملائكة لا يعصون ولا يخالفون ولا يَفْتُرون عن العبادة ولا يستحسرون،[7] لكن لم يفعل ذلك لما ليس في عصيان من عصاه ولا مخالفة من خالفه له ضرر ولا بطاعة من أطاع واتبع أمره ونهيه نفعٌ، ولا أنشأ هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم[8] بأنواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع بذلك عن نفسه،

---

[1] جميع النسخ – بل عبد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ.

[2] ر ث م – إن الله عز وجل أخبر أن عيسى عبد وليس إله ولا ما ذكره أولئك أنعم هو عليه بالنبوة والعلم والحكمة وغير ذلك وقوله وجعلناه مثلا لبني إسرائيل.

[3] ر ث م: للناس.

[4] ر ث م – هو.

[5] جميع النسخ – ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون يخرج قوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.

[6] ر م – لأنه.

[7] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ١٩/٢١–٢٠).

[8] ت + بما.

ولكن أنشأهم وامتحنهم لحاجة أنفسهم. فإذا كان ما ذكرنا كان ، إنشاء من[1] يعلم أنه يعصيه [٧٠٩ط]
ولا يطيعه حكمة؛ وفِعْلُ من يعلم في الشاهد أنه يضره ولا ينفعه سفه، لأنه إنما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه فصار فعله مع علمه ما ذكرنا يكون سفها، فافترق الأمران. *والله الموفق*.

ثم قوله تعالى: **ملائكةً في الأرض يَخْلُفون**، يحتمل وجهين. أحدهما أي[2] يخلف[3] الملائكة بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعض بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد، إذ ليس في الملائكة توالد وتناسل. والثاني **يخلفون**، أي يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد هلاككم على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وإنه لَعِلْم للساعة**، وعَلَم لِلسَّاعَةِ، كلاهما قد قُرِئا. ثم اختلف في ذلك؛ فمنهم من يقول: هو عيسى يكون نزوله من السماء عِلْما للساعة وآية لها، فيكون على هذا هو صلةَ ما تقدم من قوله: وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ،[4] كأنه قال: وجعلناه مثلا، أي آية وعبرة لهم على ما ذكرناه، وجعلناه أيضا علما للساعة. وقال بعضهم: قوله: **وإنه لعلمٌ للساعة**، أي محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن عِلْم لساعة لأنه به خَتَم النبوة والرسالة، وقال: «أنا والساعةُ كهاتين»، وأشار إلى إصبعين من يده،[5] وإنما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة فهو عَلَم للساعة.[6] ثم من قرأ: لَعَلَم لساعة بالتثقيل فمعناه العلامة لها والدليل عليها. ومن قرأ: علم الساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة.[7]

وقوله: **فلا تَمْتَرُنَّ بها**، أي لا تَشُكُّنَّ[8] بالساعة فإنها كائنة لا محالة، وعلى ذلك يقولون في بعض التأويلات في قوله تعالى: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا،[9] أي أعلامها، أي محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات. وقوله: **واتبعونِ هذا صراط مستقيم**. فإن كان قوله: **وإنه لعلمٌ للساعة**،

---

[1] ر م: ما.
[2] م – أي.
[3] ن + أي يخلف.
[4] لآية ٥٩ من هذه لسورة.
[5] ن: من مده. صحيح *البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ٢٧.
[6] ن: عم لها.
[7] و نظر مختلف القراءات في هذه الآية: تفسير *الطبري* ٢٠/٦٣٤.
[8] ن: لا تشك.
[9] سورة محمد، ١٨/٤٧.

هو محمداً[1] صلى الله عيه وسلم فكأنه قال عيه السلام: أنا علم للساعة وقريب منها فاتبعوني؛ وإن كان عيسى عيه[2] السلام، يقول:[3] إنه علم للساعة وآية لها فاتبعوني قبل أن يخرج وينزل.

**﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٦٢]**

وقوله: **لا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين**، ويحتمل قوله تعالى: **ولا يصدنكم الشيطان**، عن الإيمان بالساعة وكونها، فإنه لكم عدو مبين. ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم الذي ذكر، فإنه عدو مبين، بَيّن عداوته إياكم. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٦٣]**

وقوله عز وجل: **ولما جاء عيسى بالبينات**، الآية. قال[4] أهل التأويل: بيناته هي ما كان يأتي به من نحو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإنباء[5] ما يأكلون وما يدخرون[6] ونحو ذلك. والأصل في آيات الأنبياء والرسل عليهم السلام أنها كانت من وجوه ثلاثة تُلزِمهم[7] التصديقَ بهم. أحدها ما يأتون بالذي[8] في كل شيء صغُر أو عظُم، دلالة ذلك ما يعمم كل ذي لُبّ وعقلٍ على أن ذلك حكمة وحق[9] عليهم اتباعهم في ذلك، وهو[10] توحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به. ***والله أعلم***. والثاني كانت في أنفسهم وأحوالهم التي كانوا عليها بينات تُلزِمهم[11] تصديقهم، وهو أنهم نشأوا[12] بين أظهرهم وكانوا فيهم طول عمرهم، فلم يؤخذ عيهم كَذِبٌ قطّ ولا ظَهرَ منهم ما يرجع إلى دناءة الأخلاق ولا شيءٍ من ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع لنسخ: محمد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ط.
[2] ر ث م + عى نبينا وعيه.
[3] أي محمد عيه السلام.
[4] ر م: وقال.
[5] ر: وإما.
[6] ن: وما تدخرون. انظر: سورة آل عمران، ٣/٤٩.
[7] جميع لنسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.
[8] جميع النسخ - بالذي. والزيدة من امرجع السابق، ورقة ١١١ظ.
[9] ر م: وعقل.
[10] ن: وهي توحد.
[11] جميع لنسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.
[12] جميع لنسخ: لنثوا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١١ط.

والثالث ما كانوا يأتون من الأفعال والمعجزة الخارجة عن توهم العباد والمعتاد من فعلهم ما يُلزِم كلَّ مُنْصِف قبولها.[١] فعلى هذه الوجوه التي ذكرنا كانت آيات الرسل عليهم السلام. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال قد جئتكم بالحكمة**. قال بعضهم: الحكمة هاهنا هو الإنجيل، وقد ذُكِر في آية أخرى الكتاب والحكمة حيث قال: وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.[٢] ثم جائز أن يكون الكل واحدا، وجائز أن يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما أُودِع في المَتْلُوّ والمكتوب من المعنى. *والله أعلم*. ويحتمل أن تكون[٣] الحكمة راجعة إلى كل ما يوجب العقل القول به وقبولَه،[٤] وقد ذكرنا فيما تقدم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**. قال بعضهم: أي أبين لكم كل الذي تختلفون[٥] فيه، إذ لا يجوز أن يبين بعضا ويترك البيان لبعض؛ وقد يُذْكَر البعض ويراد به الكل نحو ما يقال في كثير من المواضع: الخطاب للرسول عليه السلام والمراد بذلك أمته. ويحتمل أن يكون المراد من البعض هو البعض نفسه لا الكلّ. ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها أي أبين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم يأتيكم رسول من بعدي ويبين لكم باقيَ ذلك، أو كلام نحوه. لأنه لم يقل: أبين لكم بعض ما اختلفتم فيه ولكن قال: بعض الذي تختلفون[٦] فيه، فهو في الظاهر على الاستقبال. والثاني يقول: أبين لكم الأصول ما تقدرون على استخراج الفروع من تلك الأصول. *والله أعلم*.[٧] والثالث يقول: أبين لكم بعض[٨] الذي تختلفون فيه، وهو[٩] يرجع إلى أمر الدين دون الراجع إلى أمر المعاش. *والله أعلم*.

[٧١٠ر] وقوله عز وجل: **فاتقوا الله وأطيعونِ**، فيما آمركم به وأدعوكم إليه وأنهاكم عنه. / ويحتمل أن يكون يقول: اتقوا مهالككم والزَموا ما به نجاتكم وأطيعونِ في ذلك.

---

[١] ر م: من فعلهم لا يلزم كل ضعف.
[٢] سورة المائدة، ٥/١١٠.
[٣] جميع النسخ: أن يكون.
[٤] ر م: وقوله.
[٥] ن: يختلفون.
[٦] ن: يختلفون.
[٧] ن – والله أعلم.
[٨] ر م – بعض.
[٩] ن: هو.

**﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٦٤]**

وقوله عز وجل: **إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه**. ذكر هذا[1] ليعلموا أنه وإن عظم قدره عند الله وجلّت منزلته[2] عنده فإنه لم يخرج[3] من العبودة وإنه عبد[4] الله ليس بإله ولا ابنٍ له على ما زعم أولئك الكفرة.[5] *والله الهادي*.

**﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٦٥]**

وقوله عز وجل: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون حرف "مِنْ" صلة زائدة، ومعناه فاختلف الأحزاب بينهم،[6] والاختلاف فيما بينهم في عيسى أمر ظاهر بين. والثاني **فاختلف الأحزاب من بينهم**، أي اختلف الأحزاب مِن اختراع كان منهم فيما بينهم، أو كلام نحوه، ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم إنما كان باختراعٍ من ذات أنفسهم، لا أن كان ذلك سماعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام. ولذلك نَهَي هذه الأمة عن الاختلاف والتفرق حيث قال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[7] وقد اختلفت[8] هذه الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن العرب ارتدت وامتنعت عن أداء الزكاة وقالت ما قالت: إنها أخت الجزية،[9] حتى قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على ذلك، واتبعه سائر الصحابة على ذلك، حتى قاتل الرجال وسَبَى النساء والذراريَّ. وظهرت أيضا الخوارج في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتلهم علي رضي الله عنه[10] على ذلك، حتى اجتمعوا على الوفاق، وغير ذلك من الاختلاف والتفرق الذي كان ظهر ووقع فيما بينهم.

---

[1] ن ت + لهم.

[2] ر ت م: صولته.

[3] ر م: فإنه يخرج.

[4] ر م: عبيد.

[5] ت + والله أعلم.

[6] ن – هذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون حرف من صلة زائدة ومعناه فاختلف الأحزاب بينهم.

[7] سورة آل عمران، ٣/١٠٥.

[8] ر م: وقد اختلف.

[9] جميع النسخ – لأن العرب ارتدت وامتنعت عن أداء الزكاة وقالت ما قالت إنها أخت الجزية. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.

[10] ر م – فقاتلهم علي رضي الله عنه.

وكان في ذلك دلالةُ الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه[1] ذكر عز وجل في كتابه أنهم يختلفون بعد وفاته وأنهم ينقلبون على أعقابهم حيث قال: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[2] الآية، وقال في ارتدادهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ،[3] هذا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال[4] في علي كرم الله وجهه: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[5] الآية. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقاتِل هذا بالتأويل كما نقاتِل نحن على التنزيل" يعني عليا رضي الله عنه.[6] وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع في الدين من الانقلاب على الأعقاب والارتداد والامتناع من أداء[7] الزكاة وإتيان ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين وغلبة[8] حزب الله وأهل توحيده على أولئك. ففي ذلك كله دلالة إثبات الرسالة، إذ خرج على ما أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر في المستقبل. *والله أعلم*.

ثم إن الله تعالى بفضله وبرحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق والتنازع من بينهم وجمعهم على ألفة وحب،[9] ولم يرفع من بين أولئك فقال: **فاختلف الأحزاب من بينهم**. والأحزاب الفِرَق الذي تحزبوا، أي تفرقوا، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[10]

وقوله عز وجل: **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم**، هي ظاهرة.

---

[1] ن: إنه.

[2] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.

[3] سورة المائدة، ٥/٥٤.

[4] م + بعضهم.

[5] سورة المائدة، ٥/٥٥.

[6] عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها، فمشى قليلا ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله». فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا، ولكن خاصفُ النعل»، يعني عليا. فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. *المستدرك*، ٣/١٤٢. وانظر أيضا: *السنن الكبرى* للنسائي، ٧/٤٦٥-٤٦٦؛ وصحيح *ابن حبان*، ١٥/٣٨٥.

[7] جميع النسخ: من إتيان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١١ظ.

[8] ن: وعلية.

[9] م: وحبة.

[10] انظر مثلا: تفسير الآيات ١٠٣، و١٠٤، و١٠٥ من سورة آل عمران؛ وتفسير الآيات ٥٤، و٥٥ من سورة المائدة.

**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٦٦]**

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**، أي فجأة، **وهم لا يشعرون**، هذا إخبار عن قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون. يقول: ما ينظرون إلا الساعة وتأتيهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون[1] بإتيانها وقيامها.[2] *والله أعلم*.

**﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٦٧]**

وقوله عز وجل: **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**، يحتمل قوله: **إلا المتقين**، الموحدين، فيكون خُلَّة أهل الكفر فيما بينهم في الدنيا عداوة في الآخرة، لقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[3] وما ذكر في غير آي من القرآن لَعْنَ بعضهم عن[4] بعض وتَبَرُّأَ بعضهم عن بعض، كقوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[5] الآية. وأما خُلَّة الموحدين المؤمنين فيما بينهم فهي خلة في الدارين جميعا، هذا يحتمل. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**، استثنى خلة من اتقى النار بنفسه ووَقَى صاحبَه أيضا بما أمره بالطاعات لله تعالى والقيام بالخيرات وزَجَره عن معاصيه ومخالفة أمره، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] أمرهم بوقاية أنفسهم وأهليهم.[7] وإنما يَقُونَ ذلك النار بالقيام بالأسباب التي أُمِروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها وزُجروا منها. فكل خُلّة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهي خلة ومودة في الدارين جميعا لا يصير عداوة، لأنها لله تعالى وطلب مرضاته. فأما الخلة التي تكون[8] فيما بينهم للدنيا فهي تصير عداوة أيضا على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ر ن م – هذا إخبار عن قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون يقول ما ينظرون إلا الساعة وتأتيهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون.
[2] ن – وقيامها.
[3] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥.
[4] ن ث: على.
[5] ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٦).
[6] ر م + أمرهم بوقاية أنفسهم وأهليكم نارا. سورة التحريم، ٦٦/٦
[7] ر: وأهليكم.
[8] ن: يكون.

وقد روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأخلاء أربعة: مؤمنان وكافران، فمات أحد المؤمنَين فيُسْأل عن خليله فقال: "اللهم لم أر خليلا آمَرَ بمعروف ولا أنْهَى عن منكر منه، اللهم اهده كما هداني وأمِتْه على ما أمَتَّني، فإنه كان يأمرني بالمعروف والخيرات والطاعة لك وينهاني عن المنكر والشر والمعصية لك". ومات أحد الكافرين فيُسْأل عن خليله فقال: "اللهم لم أر خليلا آمَرَ بمنكر ولا أنْهَى عن معروف منه، اللهم أَضِلَّه / كما أَضَلَّني[1] وأمِتْه [٧١٠ظ]
كما أمَتَّني عليه".[2] قال: ثم يبعثون يوم القيامة فقال: "لِيُثْنِ[3] بعضكم على بعض"؛ فأما المؤمنان فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء حسنا، وأما الكافران فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا». وعلى هذا السبيل روي هذا الحديث عن علي رضي الله عنه.[4] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أَحِبَّ في الله وأَبْغِضْ في الله ووادَّ في الله ووالِ في الله وعادِ في الله،[5] فإنما تنال[6] ولاية الله في ذلك، لا تنال[7] ما عند الله إلا بذلك، وقال: ولن يجد عبدٌ طَعْمَ الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه وصدقته حتى يكون كذلك، وقد صار عامة مؤاخاة الناس اليوم على الدنيا، وذلك لا يُجزئ عن أهله شيئا. ثم قرأ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**، وقرأ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،[8] الآية.[9] فقول بن عباس يومئ إلى أن كل خُلّة ومؤاخات فيما بين المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الآخرة.
***والله أعلم.***

---

[1] ر م: كما أضله.
[2] ر م – عليه.
[3] ر م: لعن.
[4] أخرجه بن المبارك عن علي رضي الله عنه. انظر: *زيادات كتاب الزهد* لابن المبارك، ١٠٧. وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٦/١٣.
[5] ر م – وعاد في الله.
[6] جميع النسخ: فإنما ينال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٢ظ.
[7] جميع النسخ: لا ينال. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٢ظ.
[8] سورة المجادلة، ٢٢/٥٨.
[9] أخرجه العدني ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما بقريب من العبارة هكذا (واللفظ من *الإيمان* للعدني): عن مجاهد عن بن عباس أنه قال: «أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعادِ في الله فإنما تنال مولاة الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طَعْمَ الإيمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجْدي عن أهله». ثم قرأ ابن عباس هاتين الآيتين: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وقرأ: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾. انظر: *الإيمان* للعدني، ١٥٥/١؛ و*تعظيم قدر الصلاة* لمحمد بن نصر المروزي، ٤٠٦/١.

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون**، أي لا خوف عليكم خوف الغِيَر،[١] كقوله تعالى: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[٢] **ولا أنتم تحزنون**، أي لا خوف عليكم خوف الأحوال، أي لا حزن هم في حال كونهم فيها ولا لهم فيها خوف غِيَرِ ذلك ولا زوالُه عيهم، لأن خوف الزوال مما يُنَغِّص[٣] صاحبه النعمة التي هي له. يخبر أن ذلك دائم باق لا زوال له ولا فناء.[٤] ***والله أعلم***.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**. والإشكال أنه[٥] سماهم مؤمنين مسلمين بالآيات، والإيمان والإسلام يكون بالله تعالى؟ فنقول: لأن الإيمان هو التصديق في اللغة بما أنبأت الآيات بوحدانية الله وألوهيته، لأن جهة سبيل معرفة الله تعالى وطريقَ العلم به إنما هو بالآيات والحجج التي أقامها على ذلك، ليس من جهة العِيان والمشاهدة. فالإيمان بالآيات والتصديق بها تصديق بالله حقيقة وإيمان به. ***والله أعلم***. وقوله: **وكانوا مسلمين**، ظاهر هذا يوهم أن الإيمان والإسلام غيران، لكنّ هذا من حيث ظاهر العبارة؛ فأما في الحقيقة هما يرجعان إلى معنى واحد، لأن الإسلام هو جعل كل شيء لله تعالى سالما لا يُشرك فيه غيره، كقوله تعالى: وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ،[٦] أي خالصا سالما لا حق لأحد فيه سواه. والإيمان هو الوصف له بالربوبية في كل شيء لله تعالى سالما، ومعناهما في الحاصل والتحقيق يرجع إلى معنى واحد، لأنك إذا وصفته بالألوهية والربوبية في كل شيء جعلت كل شيء[٧] لله تعالى سالما، وإذا جعلت كل شيء لله تعالى سالما وصفته بالألوهية والربوبية في كل شيء، فدل أن حاصل الإيمان والإسلام واحد وإن كانا من حيث ظاهر العبارة مختلفَين. ***والله الموفق***.

---

[١] لغِيَر من تغير الحال (*لسان العرب*، «غير»).

[٢] سورة لكهف، ١٠٨/١٨.

[٣] ر م: مما يعطى؛ ن: مما ينغض. نَغِص ينغَص نَغَصًا: لم يَتِمَّ له هَنَاؤُه، وأكثره بالتشديد: نُغِّصَ تَنْغِيصًا. وقيل: النَّغَص كَدَر العيش، وقد نَغَّص عليه عَيْشَه تَنْغِيصًا، أي كَدَّره (*لسان العرب*، «نغص»).

[٤] ن: دائم باقي لا زوال ولا فناء؛ ث: دائم يأتي لا زوال له ولا فناء.

[٥] ر ث م: أنهم.

[٦] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).

[٧] ر م – جعلت كل شيء.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون.** يحتمل الأزواجُ من[1] وجهين. أحدهما الأزواج المعروفة، وهي الأهل، لما وَقُوهُمْ في الدنيا عن الأسباب التي بها يستوجبون النار، كقوله تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[2] ويحتمل أن يكون أرواجُهم الذين ذكرهم القرناءَ والأشكالَ الذين[3] أعانوهم على الأعمال الصالحة التي بها نالوا الجنة. كقوله تعالى: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[4] أزواجُهم[5] هاهنا قرناؤهم وشركاؤهم الذين أعانوهم على ذلك. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **تُحْبَرون**، قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: أي تُسَرون،[6] والحَبْرَة السرور.[7] وقال بعضهم: **تحبرون**، أي تُكرَمون[8] وتُنعَمون،[9] وهو ما ذكرنا أن[10] ليس عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزنُ الحال. *والله أعلم*.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب**، يحتمل ذكر الصحاف من الذهب[11] والأكواب وجوها. أحدها ذَكَر ذلك لهم في الآخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا لما يرغبون بمثل ذلك ليُرغِّبهم نيلُ ذلك[12] إلى السعي للآخرة. *والله أعلم*.[13] والثاني يحتمل إنما ذكر ذلك لأن أهل الدنيا كانوا يتفاخرون[14] بهذه الأشياء في الدنيا، فيخبر أن لأوليائه ذلك في الآخرة،

---

[1] ن – من.
[2] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[3] جميع النسخ: ويحتمل الأزواج التي ذكر القرناء والأشكال التي. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة، ٢١٢ظ.
[4] سورة الصافات، ٣٧/٢٢.
[5] ر م – أزواجهم.
[6] ر ن م: يسرون.
[7] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠.
[8] ر ن م: يكرمون.
[9] ن: وينعمون.
[10] ر م: أي.
[11] ن + من الذهب.
[12] ر م – ليرغبهم نيل ذلك.
[13] ن: بمثل ذلك في الدنيا ليرغبهم نيل ذلك إلى السعي والله أعلم.
[14] ن: يتأخرون.

وذلك دائم وهذا فان، ولا عبرة لفاني[1] ولا معنى للافتخار به. و[الثالث] يحتمل أنه ذكر ذلك لأنه[2] حَرَّم عليهم الانتفاع في الدنيا باستعمال الذهب والفضة والحرير، فأخبر أن لهم الانتفاعَ بذلك في الآخرة التي هي دار التنعم؛ فأما ما سوى ذلك من الفُرُش والأواني فإنه لا بأس بذلك، وهو مباح في الدارين جميعا.

وأما ذكر الأكواب[3] يحتمل لترغيب على ما ذكرنا لأنهم يَتَمَنَّوْن ويرغبون فيها في الدنيا. والثاني يخبر أن لا مئونة عليهم في حمل الأواني ورفعها عند الشُّرب والأكل ولا يتولون ذلك بأنفسهم، ولكن[4] الخدام هم الذين يتولون سَقْيَهم. الصِّحاف جمع الصَّحْفَة، وهي القصعة التي ليست بضَخْمَة. والأكواب الأباريق التي لا عُرَى لها ولا خراطيم، واحدها كُوب، ويقال: كيزان لا عُرَى لها، قاله أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي.[5]

وقوله عز وجل: **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين**، فذلك في الجنة ليس كنعيم الدنيا، لأن في الدنيا قد يشتهي شاربها ولا تَلَذُّ به[6] العيون. *والله أعلم*. ويحتمل أنه إنما ذكر ذلك في الآخرة لما مُنِعوا وحُرِموا في الدنيا ما اشتهت أنفسهم الانتفاع به والتلذذ عِوَضًا وبدلا عما كَفُّوا أنفسهم في الدنيا عن الانتفاع بذلك وإعطاءِ الأنفس شهواتها.[7] أو حرموا ومنعوا
[٧١١و] وحِيلَ بينهم وبين ذلك وتَلَذّ[8] به الأعين لما غَضُّوا أبصارَهم في الدنيا عما لا يحل. *والله أعلم*.

**﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧٢]**

وقوله عز وجل: **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**، إن الله عز وجل بفضله عوّد عباده لما كان منه من الإحسان والإنعام إليهم،[9] كأن[10] ذلك كله منهم إليه فضلا ومنة،[11]

---

[1] م + ولا عبرة.
[2] ن – لأنه.
[3] ن: الأبواب.
[4] ر م: لكن.
[5] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠.
[6] ر ن م: ولا تلذه.
[7] جميع النسخ – شهواتها. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.
[8] م: وتلذذ.
[9] جميع النسخ – إليهم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٣و.
[10] ر م: كأنه.
[11] ر ث م: منه.

حيث نسب الجنة التي يعطيهم إلى أعمالهم التي عملوها وإن كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها بالأعمال حقيقة، وبذلك ما ذُكر في الخبر عن نبي الله أنه قال: «لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يَتَغَمَّدَنِيَ الله برحمته».[١] أخبر أَنْ لا أحدَ يدخل الجنة إلا برحمته، لكنه نسب الجنة التي يعطيهم وما ذكر من الثواب إلى أعمالهم فضلا منه وإنعاما. وكذلك ما ذكر من قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ،[٢] ذكر أنه اشترى أنفسهم وأموالهم بالجنة التي يعطيهم، وأنفسُهم وأموالُهم في الحقيقة له، ولا أحد يشترى ملكه وماله[٣] بمال نفسه وملكه، لكنه ذكر ذلك شِرَاءً إفضالا منه كأنْ لا ملك له في ذلك ولا حقّ. وكذلك ما ذكر من الإقراض له بقوله: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا،[٤] ولا أحد يستقرض ماله وملكه من غيره، لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في أموالهم وأنفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض. فعلى ذلك يَنْسِبَهُ[٥] الجنة والثواب الذي ذكر لهم إلى أعمالهم إفضالا منه وإنعاما وإن لم يستوجبوا ما ذكر بالأعمال.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون**، مثل هذا الوعد كأنه إنما جاء لأهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار، يخبر أن لكم في الجنة من الفواكه الكثيرة[٦] ما لا يفنى ولا ينقطع؛ **منها تأكلون**،[٧] ما شئتم فلا يؤذيكم ولا يضركم وإن أكثرتم. ويحتمل أنه[٨] إنما ذكر لما عرف من رغبة الناس إلى الفواكه والثمار في الدنيا رغّبهم بها في الآخرة وحثهم على دفع ذلك لهم. *والله أعلم.*

---

[١] مسند أحمد بن حنبل، ٥٢/٣؛ وصحيح البخاري، الرقاق ١٨؛ وصحيح مسلم، المنافقين، ٧٨-٧٣؛ واللفظ من المسند.

[٢] سورة التوبة، ١١١/٩.

[٣] ر م: ومال.

[٤] ﴿إن المصّدّقين والمصّدّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يُضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).

[٥] جميع النسخ: يشبه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.

[٦] جميع النسخ: كثيرة. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٣ظ.

[٧] ر م + ما تأكلون.

[٨] جميع النسخ – أنه. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٧٤]

وقوله: **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون**، الإجرام هو الكسب في اللغة، والمجرم الكاسب؛ يرجع ذلك إلى كل كاسب مما حل أو دَقَّ، إلا أن الناس عَرَفُوا من العذاب المذكور لمجرم الخاص وهو الكافر المشرك،[١] فلا يجوز صرفه إلى كل كاسب. ***والله أعلم***.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **لا يفتر عنهم**، يذكر هذا ليعلم أن النار وإن أنْضَجتْ جلودَهم وأحرقتهم لا يفتر التألم عنهم بنضج الجلود، بل التوجع والتألم بعد[٢] نضج جلودهم واحتراقها على ما كان قبل النضج. ***والله أعلم***. قال: **وهم فيه مبلسون**، قال بعضهم: المبلس الآيس؛[٣] وقال بعضهم: المبلس المستسلم[٤] الذليل الخاضع؛ وقال الزجاج: المبلس هو الساكت عن الكلام كمن لا يرجو الفرح من نطقه، لأن من يتكلم إنما يتكلم لفرح يرجو من نطقه، أو كلام نحوه.[٥]

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **وما ظلمناهم**، أي ما ظلمناهم[٦] في التعذيب الذي يعذبون؛ **ولكن كانوا هم الظالمين**، أي[٧] ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك عنهم. ***والله أعلم***. ويحتمل وما ظلمناهم في ترك البيان عليهم، أي لم نترك[٨] بيان ما عليهم وما لهم، بل بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا أنه إلى ماذا[٩] تفضي[١٠] عاقبة هذا الأمر وعاقبة[١١] هذا السبيل، ولكن هم ظلموا أنفسهم حيث اختاروا السبيل الذي أفضاهم إلى ذلك. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: للشرك.
[٢] ر: بل.
[٣] ث + وقال بعضهم: مبلس الآيس.
[٤] جميع النسخ – المستسلم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.
[٥] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤١٩/٤.
[٦] ر ث م – أي ما ظلمناهم.
[٧] جميع النسخ – أي. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٣ظ.
[٨] ن: لم يترك.
[٩] ر م: إلى ذلك ذا.
[١٠] جميع النسخ: يفضي.
[١١] ر ث م – هذا الأمر وعاقبة.

**﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [٧٧]**

وقوله عز وجل: **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون،** كأنهم يقولون: يا مالك، سل ربك ليقض عينا بالموت! يفزعون أولا إلى المؤمنين، وهو قولهم: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ؛[1] فلما أيسوا من ذلك يفزعون إلى الملائكة، وهو قولهم: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، حتى يقولوا لهم: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؛[2] فلما أيسوا منهم يفزعون إلى الله تعالى يسألون الرجوع إلى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا بقولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[3] فلما أيسوا عن ذلك عند ذلك[4] يفزعون إلى مالك ليسأل ربه ليقضي عيهم بالموت فقال: **إنكم ماكثون،** وهو ما قال عز وجل: لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا،[5] الآية.

**﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٧٨]**

وقوله عز وجل: **لقد جئناكم بالحق،** هذا على إثر ما ذكر، كقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا، على إثر قوله: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ،[6] الآية. يحتمل أن يكون القولان جميعا من الله تعالى، أعني قوله تعالى: **لقد جئناكم بالحق،** وقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا. ***والله أعلم.*** ويحتمل[7] أن يكون القولان[8] جميعا من الملائكة، إذ جائز إضافة الرسل إلى الملائكة، إذ هم رسل، كقول الناس:[9] رسولنا فعل كذا وقال كذا.[10] ***والله أعلم.***

---

[1] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[2] جميع النسخ – فلما أيسوا من ذلك يفزعون إلى الملائكة وهو قولهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ. ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٩-٥٠).

[3] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.

[4] ر م – عند ذلك.

[5] سورة فاطر، ٣٥/٣٦.

[6] ﴿قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥٠-٥١).

[7] ر ث م: ويكون؛ ن: ويجوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.

[8] جميع النسخ: لعذاب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٤و.

[9] ر م: إن هم إلا رسل الناس؛ ث: إن هم رسل كقول الناس.

[10] ر م – وقال كذا.

ثم قوله: **لقد جئناكم بالحق**، الحق كل ما يُحْمَد فاعله[1] عليه ويُحْمَد هو عاقبة ذلك الفعل، والباطل كل ما يُذَمّ عليه[2] فاعله ويذُمّ هو عاقبته.[3] **والله أعلم**. ثم الحق المذكور يحتمل القرآن، ويحتمل الرسول،[4] ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما دعاهم إليه ويقولون: الحق هو الذي عليه آباؤنا، وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. ثم قال: أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى
[٧١١ظ] مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ،[5] وقال هاهنا:[6] **لقد جئناكم بالحق**، أي جئناكم بما هو أهدى وأحق مما عليه آباؤكم.

وقوله: **ولكنَّ أكثرَكم للحق كارهون**. فإن قيل: كيف قال: **ولكن أكثركم للحق كارهون**، وإنما خاطب به أهل النار، وكانوا جميعا كارهين للحق؟ نقول:[7] إنه يخرج على وجهين. أحدهما أن أكثرهم قد عرفوا أنه الحق، لكنهم كرهوا وتركوا[8] اتباعه والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتَبَيُّنه[9] لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم وزوال مأكلتهم، ولم يظهر لأقلهم ولم يعرفوا. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون ما ذكر من كراهة أكثرهم للحق بحق الطباع بما[10] كان في طباع أكثرهم كراهة ذلك الحق. **والله أعلم**.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون**، قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل على الإيجاب والإلزام، فكأنه قال عز وجل: قد أبرموا أمرا فإنا مبرمون.[11] ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من إبرامهم أمرا[12] ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله تعالى:

---

[1] جميع النسخ – فاعله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[2] ث – عليه.
[3] ر م: عاقبة.
[4] ر م – ويحتمل الرسول.
[5] الآية ٢٣ و٢٤ من هذه السورة.
[6] م + لقد جئناكم.
[7] ر ث م: يقول.
[8] جميع النسخ – وتركوا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[9] م: وتبيه.
[10] جميع النسخ – بما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[11] جميع النسخ – قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل على الإيجاب والإلزام فكأنه قال عز وجل قد أبرموا أمرا فإنا مبرمون. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٤و.
[12] ر م: أمر.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[1] إبرامُهم أمرًا هو مكرهم الذي[2] مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون إبرامهم الذي ذكر غيرَ ذلك. وكيف ما كان[3] ففيه وجهان من الدلالة. أحدهما ليعلموا أن الله تعالى عالم سميع بما يُبرمون فيما بينهم من أمرٍ سرا، لأنه في ظنهم أن الله لا يعلم ولا يسمع ما يُبرمون من الأمر سرًا، ولذلك قال تعالى: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.[4] والثاني فيه[5] دلالة إثبات الرسالة، لأنهم أبرموا ذلك الأمر فيما بينهم سرا، ثم أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبرموا وأحكموا من الأمر ليعرفوا أنه إنما علم ذلك بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **فإنا مبرمون**، يحتمل فإنا جازون جزاء إبرامهم. ويحتمل **فإنا مبرمون**، أي إلينا يرجع تدبير إبرامهم الأمرَ ومَكْرُهم جميعا، وعلى ذلك قوله: فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[6] على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما.

**﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**[٨٠]

وقوله عز وجل: **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم**، أي بل يحسبون، على ما ذكرنا أن حرف الاستفهام منه يخرج على الإيجاب، كأنه قال: بل يحسبون. ألا ترى أنه قال: **بلى ورسلنا**. وقوله: **بلى ورسلنا لديهم يكتبون**، هذا وعيد وتنبيه منه لهم، يخبر أن رسله يكتبون[7] ما يُسرّون ويُخفون من المنكر وغيره ليكونوا أبدا على حذر ويقظة. **والله أعلم**.

**﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾**[٨١]

وقوله: **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**، يخرج قوله: **قل إن كان للرحمن ولد**، على وجهين[8] أحدهما[9] أي ما كان للرحمن، أي وليس للرحمن ولد. ثم يخرج قوله:

---

[1] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[2] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[3] ث: وكيفما كان.
[4] الآية لتالية.
[5] ن - فيه.
[6] سورة الرعد، ١٣/٤٢.
[7] ر: تكتبون.
[8] ر ن م: يخرج هذا على وجهين؛ ث: يخرج على وجهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[9] م - أحدهما.

**فأنا أول العابدين**، على هذا التأويل عى وجهين. أحدهما ما كاد لرحمن ولد فأنا أول العابدين[1] له بالتعالي[2] والتنزيه عن الولد، أي فأنا[3] أول من يعبد الرحمن بالإيمان والتصديق أنه ليس له ولد، على هذا أعبد الله تعالى. والثاني ما كان للرحمن ولد **فأنا أول العابدين**، أي أنا أول[4] الآنفين، وهو مِنْ عَبِد يَعْبَد، أي أَنِف يَأْنَف،[5] فيكون هذا تنزية تصريحٍ عن الولد، والأولُ تنزيها[6] له بالكناية. هذا إذا كان معنى قوله: **قل إن كان للرحمن ولد**، ما كان للرحمن ولد، أو ليس للرحمن ولد.

والثاني **قل إن كان للرحمن ولد**، أي لو كان للرحمن ولد؛[7] ثم قوله عز وجل: **فأنا أول العابدين**، يخرج على هذا[8] التأويل أيضا على وجهين. أحدهما أي لو كان للرحمن[9] ولد عى زعمكم وعلى ما عندكم فأنا أول من تبرأ[10] عن أن يكون له ولد، وأدعوكم إلى الرحمن الذي لا ولد له، وهو كقوله تعلى: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[11] أي أين[12] شركائي الذين[13] تزعمون أنتم أنهم شركاء، وقولِه تعالى: وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[14] أي انظر إلى إلهك الذي هو في زعمك إله. والثاني يحتمل أن يقول له: قل: لو كان يجوز أو يحتمل أن يكون له ولد فأنا أول من أعبده على ذلك، أو أول من أقول أنا بذلك، فإذ لم أقل بذلك وأنا رسول الله فظهر أنه لا يحتمل ولا يجوز أن يكون له ولد،

---

[1] ث – التأويل عى وجهين أحدهما ما كان لرحمن ولد فأن أول العابدين.
[2] ن + له.
[3] م: أو فأنا.
[4] جميع النسخ – العابدين أي أنا أول. والزيادة من نسخة حار الله، ورقة ٢١٤ظ.
[5] أنف من الشيء يأنف أنفا إذا كرهه (*لسان العرب*، «أنف»).
[6] جميع النسخ: تنزيه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي لدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[7] جميع لنسخ – أو ليس لرحمن ولد والثاني قل إن كان لرحمن ولد أي لو كان لرحمن ولد. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٤ظ.
[8] جميع النسخ – هذا. والزيادة من لمرجع السابق، ورقة ١١٤ظ.
[9] م – لرحمن.
[10] ر ن م: أتبرأ.
[11] ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٦٢، ٧٤).
[12] ر: لئن.
[13] ر م – لذين.
[14] ن – أي أين شركائي الذين تزعمون أنتم أنهم شركاء وقوله تعالى و نظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا. سورة طه، ٢٠/٩٧.

وهو كقوله تعالى: لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [سُبْحَانَهُ]،[١] أي لو كان يجوز أن يريد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ممن عنده وممن شاء لا[٢] مما هو عندكم ومما تختارون[٣] أنتم، لكن لا يحتمل ولا يجوز أن يتخذ ولدا. وقال بعضهم: قوله تعالى: **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**، يقول: كما أني لست أول من عبد الله فكذلك ليس للرحمن ولد، كقول الرجل: لو كان ما تقول[٤] حقا فأنا حمار، معناه ليس الذي تقوله[٥] بحق كما أني لست بحمار. *والله أعلم*. ثم[٦] نزه نفسه عن الولد وأنه لا يجوز أن يكون له ولد حيث قال:

**﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٨٢]**

**سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون**، أي رب السماوات ورب الأرض ورب من فيهن[٧] ورب العرش. قال أهل التأويل: أي رب السرير، لكن لا يحتمل أن يكون تأويل العرش هاهنا السريرَ فينسب إلى السرير فيقال: رب السرير، ويجوز لغيره أيضا أن يقال: رب السرير فتثبت[٨] المشاركة في النسبة بينه وبين الخلق، إلا أن يقال: إن لذلك السرير عند الخلائق موقعا وقدرا عظيما يليق القَسَمُ به وإنه من أعظم المخلوقات وأعجبها، فكان نسبة[٩] هذا إلى الله سبحانه وتعالى من باب التعظيم والإجلال له بمنزلة نسبة كل العالَم إليه فيكون جائزا. / *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون تأويل العرش هاهنا هو المُلكَ، يقول: سبحان [٧١٢و]
رب السماوات والأرض ورب الملك عما يصفون من الولد والشركاء.[١٠] ثم قد بينا حكمة ذكر السماوات والأرض[١١] على إثر ذكر الولد في غير موضع.

[١] سورة الزمر، ٣٩/٤.
[٢] ن: هؤلاء.
[٣] جميع النسخ: ومما يختارون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤ظ.
[٤] ر ن م: ما يقول.
[٥] ن: يقوله.
[٦] ر م – ثم.
[٧] ن: ورب من فهن.
[٨] جميع النسخ: فيثبت.
[٩] ن – نسبة.
[١٠] جميع النسخ – من الولد والشركاء. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة١١٤ظ.
[١١] ن – ورب الملك عما يصفون من الولد والشركاء ثم قد بينا حكمة ذكر السماوات والأرض.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فذرهم يخوضوا ويلعبوا**، هذا في الظاهر أمر بتركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره، ومثل هذا مما لا يليق بالحكمة، إذ هو حرام في العقل. لكن يخرج على الوعيد وإن كانت[١] صيغته صيغة الأمر، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[٢] هو في الظاهر وإن كان أمرا فهو في الحقيقة وعيد، فعلى ذلك هذا يخرج على الوعيد. ويحتمل أن يخرج على ترك المكافأة على ما يصنعون من الاستهزاء بهم والأنواع من الأذى إلى اليوم[٣] الذي يلاقون ويعاينون العذاب، حتى لا تنفعهم[٤] الندامة والرجوع في ذلك اليوم. وأصل ذلك أن الله تعالى قد أوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظَ بليغةٍ بقوله: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ،[٥] الآية، وغير ذلك من المواعيد، فلم ينجع تلك المواعيد فيهم ولم ينفعهم شيء من ذلك. والثاني قد بين ما يزيل عنهم الشُّبَه وما يوجب التعلق به،[٦] أوضح لهم طريق الحق والهدى فلم يسلكوا مسلك طريق الحق فأوعد لهم بما ذكر في ذلك اليوم ما لا تنفعهم[٧] ندامتهم في ذلك الوقت. *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**، الإله في اللغة هو المعبود، كأنه يقول -والله أعلم-: إنكم تعلمون أن الله تعالى هو المعبود في السماء وهو المعبود في الأرض، والأصنام التي تعبدونها[٨] أنتم لا يعبدها[٩] إلا أنتم، فكيف تركتم عبادة المعبود الذي هو معبود في السماء والأرض واخترتم عبادة من ليس بمعبود إلا بعبادتكم؟ ويحتمل أن يقول: تعلمون أنتم أن الله سبحانه وتعالى هو إله السماء والأرض وإله من فيهما وما فيهما وأنه خالق ذلك كله،

---

[١] جميع النسخ: وإن كان.

[٢] ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يُلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١).

[٣] ن: إلى النوم.

[٤] جميع النسخ: لا ينفعهم.

[٥] الآية ٧٤ من هذه السورة وما بعدها.

[٦] ر د م: التعيق به.

[٧] جميع النسخ: ما لا ينفعهم.

[٨] ن: يعبدونها.

[٩] ن: لا يعبدها.

لقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ،[1] والأصنام التي تعبدونها لم يفعلوا[2] ذلك ولا يملكون شيئا من ذلك، فكيف اتخذتموها آلهة دونه؟ *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهو الحكيم العليم**، ذِكْر الحكيم والعليم على إثر ذلك يخرج على وجوه. أحدها لسؤال الثنوية أن الله عز وجل لا يجوز أن يَبْسُط الرزق ويُوَسِّع الدنيا على من يعلم أنه يعاديه ويَشْتُمه ويعادي أولياءه ويَشْتُمهم، لأن في الشاهد من يصنع إلى من يعلم أنه يعاديه معروفا فليس بحكيم، فعلى ذلك يقولون: إن ذلك ليس من الله تعالى ولكنه من إله غيرِه سفيه، لأنه وصف نفسه بالحكمة وإنه[3] يزين الحكمة. ولقول[4] البراهمة في إنكارهم الرسالة أصلا، يقولون: ليس من الحكمة بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذِّبه[5] ويكذِّب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله[6] ويعاديه، لذلك ينكرون[7] رسالة الرسل. فأخبر تعالى بقوله: **وهو الحكيم العليم**، أن إعطائي إياهم ما أعطيتهم وبعثي الرسل إليهم على علم مني بما تكون منهم من التكذيب والعداوة لا يخرجني عن الحكمة؛ ويخرج فاعل ذلك في الشاهد عن الحكمة، لأن ملوك الأرض إنما يرسلون الرسل ويبعثون الهدايا لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فإذا علموا من المبعوث إليهم الرسلُ والمصنوعِ إليهم المعروفُ ما ذكرنا خرج من الحكمة. فأما الله تعالى إنما بعث الرسل لحاجة المبعوث إليهم ولمنافع أنفسهم، وكذلك ما يعطيهم من الدنيا لمنافع أنفسهم. فلم يخرج ذلك من الحكمة، لأنه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه، بل كل ذلك راجع إليهم. بل صُنْعُ ما يَصنع من المعروف إلى من يعلم أنه يعاديه يكون وصفا له لغاية الكرم والجود، لذلك كان على[8] ما ذكرنا وبطل قول[9] الثنوية[10] والبراهمة. *والله الموفق*.

---

[1] وتأتي القصعة التي تبدأ من «والأصـام التي تعبدونها أنتم لا يعبدها إلا أنتم» إلى «لقوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» مكررا في جميع النسخ، إلا نسخة ث، ولكن فيها جزء من القطعة المكررة وهي: «أنتم لا يعبدها إلا أنتم». والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤ظ.      سورة لقمان، ٣١/٢٥.

[2] ر ث م: تعبدونها لم تفعلوا؛ يعبدونها لم يفعلوا

[3] ن: إنه.

[4] جميع النسخ: وكقول. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٥ظ.

[5] ر م: يكذب

[6] م: بل يقبه.

[7] ن: منكرون.

[8] جميع النسخ – كان على. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦و.

[9] ر: قوة.

[10] ملاحظة. إن الإمام الماتريدي وعد أنه يذكر "وجوها" لتفسير قوله عز وجل: ﴿وهو الحكيم العليم﴾، ولكنه أورد وجهين وهما إنكار الثنوية بسط الرزق وإنكار البراهمة بعث الرسل.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما**، قوله **تبارك**، قال أهل التأويل:[١] أي تعالى وتعاظم، معناه تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة[٢] فيه من الشريك والولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز. فيكون تنزيها[٣] عن جميع ما قالوا فيه، وهو[٤] كحرف "سبحان" الذي يكون تنزيها[٥] عما قالوا فيه.[٦] *والله أعلم*. وقال[٧] بعض أهل الأدب: **تبارك**، هو من البركة، لكنّ بعض العلماء قالوا: إن هذا التأويل لا يصح، لأن قوله: **تبارك**، هو من وقوع البركة بنفسه فهو اسم ملازم، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بوقوع البركة عليه.[٨] لكن عندنا [٧١٢ظ] **تبارك**، هو تَفَاعَلَ، والتفاعل هو فعل اثنين. فجائز نسبة[٩] البركة إليهما / على حقيقة وقوعهما بأحدهما، وهو الخلق للاتصال[١٠] على ما هو الأصل في مثل هذا، وله نظائر كثيرة. وأصل تأويل "تبارك" ما قاله أهل التأويل:[١١] تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة[١٢] فيه مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك. لكن هو على التأويل لا على تحقيق الاسم، فنظيره ما فسروا في قوله: «وتَعَالَى جَدُّكَ»،[١٣] أي عظمتك،[١٤] والجد هو في الحقيقة ليس هو اسمَ[١٥] العظمة،

---

[١] ن: أهل التفسير.
[٢] ر م: الملاحدة.
[٣] ن ث: تنزيه.
[٤] ث + كقول.
[٥] ن: تنزيه.
[٦] ن – عما قالوا فيه.
[٧] ر م: قال.
[٨] ر ث م – عليه.
[٩] ن: يشبه.
[١٠] ر ث م: للإيصال.
[١١] ن + تبرك.
[١٢] ر م: الملاحدة.
[١٣] عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبّر ثم يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" (*سنن الترمذي*، الصلاة ٦٥؛ وانظر أيضا: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٥٠، ٦٩؛ و*سنن ابن ماجة*، الإقامة ١).
[١٤] ن: وتعالى جدك وعظمتك.
[١٥] ر – اسم.

ولكنه[1] خروج الأمر على ما يريد ويشاء، ويسميه[2] الناس فيما بينهم بالفارسية "بَخْتا"، فسروا الجد بالعظمة لنفاذ مشيئة العظيم وخروج الأمور على ما يريده ويشاءه. فعلى ذلك تفسيرهم **تبارك** بما قالوا: تعالى وتعاظم، على التأويل لا على تحقيق الاسم، إذ هو من البركة، لكنْ كلُّ من بورك فيه صار متعاليا فأطلقوا عليه "تبارك" بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما**، بيان منه وتعليم للخلق ما يجوز النسبة إليه،[3] فقال: **له ملك السماوات والأرض**، وقال: وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] ونحو ذلك، يبين لهم أن انْسُبوا[5] إليه هذا ولا تَنسُبوا[6] إليه من الولد والشريك والصاحبة ونحو ذلك. لأن نسبة الأشياء بكليتها يخرج مخرج الوصف له بالعظمة والجلال، نحو ما ذكرنا من قوله تعالى: **له ملك السماوات والأرض**، وقوله: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[7] وقوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[8] وقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[9] ونسبة خاصية الأشياء إليه يخرج مخرج التعظيم والتبجيل لذلك الأشياء. ثم يُنظَر بعد هذا: فإن كانت تلك الأشياء الخاصية مما يجوز تعظيمها نسبت إليه وأضيفت، نحو قوله: بيت الله ومساجد الله ورسول الله وغير ذلك من الأشياء التي عظّمها[10] الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها عنده؛ وإن كانت الأشياء مما يستقذر ويستقبح ويُسْتَرْذَل فلا يجوز النسبة إليه والإضافة لما ذكرنا أن نسبتها إليه وإضافتها[11] يخرج مخرج التعظيم لها، وهي ليست بمعظمة ولكنها مسترذلة مستقذرة، فيكون وضعَ الشيء غير موضعه،[12] وإنه خلاف الحكمة. ***والله الموفق.***

---

[1] ر ث م: ولكن هو.
[2] جميع النسخ: وتسمية. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥و.
[3] ر م - إليه.
[4] سورة النحل، ٥٢/١٦.
[5] ر ث م: أن نسبوا؛ ن: أن انسبوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥و.
[6] جميع النسخ: ولا ينسبوا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٥و.
[7] سور البقرة ٢٩/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦؛ وسورة الحديد، ٣/٥٧.
[8] سورة الأنعام، ١٢٠/٦؛ وسورة هود، ٤/١١؛ وسورة الروم، ٥٠/٣٠ وأمثالها.
[9] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وسورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الزمر، ٦٢/٣٩ وأمثالها.
[10] جميع النسخ: يعظمها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦ظ.
[11] ن: وإضافها.
[12] ن: غير موضعة.

وقوله عز وجل: **وعنده علم الساعة،** يخرج على وجوه. أحدها أي عنده عمم ساعة الصَّعْقَة،[1] كقوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[2] الآية. ويحتمل **وعنده علم الساعة،** الزلزلة، كقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.[3] ويحتمل **وعنده علم ساعة،** الفزع والهَوْل، كقوله: فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،[4] الآية. ويحتمل **وعنده علم الساعة،** القيامة، كقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[5] ونحو ذلك. ***والله أعلم.*** أخبر أنه لم يطلع الله عز وجل عمم حقيقة[6] ما ذكر أحدا من خلقه.

وقوله: **وإليه ترجعون،** قد ذكرنا في غير موضع أن تخصيص[7] ذلك بالرجوع إليه يخرج على وجوه وإن كانوا في جميع الأحوال راجعين فيه إلى الله تعالى صائرين[8] إليه. أحدها لأن المقصود من إنشائهم ذلك -أعني البعث- كيلا يكون خلقهم عبثا عمى ما ذكرنا[9] غير مرة. ويحتمل أنه خص ذلك اليوم بالرجوع إليه والمصير والخروج لأنه يومئذ يَخْلُصُ خروجهم ورجوعهم إليه وانقيادهم له، وقد ذكرنا. ***والله أعلم.***

**﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٨٦]**

وقوله عز وجل:[10] **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة،** إن قوما كانوا يعبدون الملائكة رجاء أن يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى، وذلك معروف في الناس أنهم يَخدمون ويُكرمون خواصَّ ملوكهم رجاء أن يشفع لهم أولئك الخواص عند الملك إذا نزل بهم بلاء[11] ووقعت لهم حاجة يوما من الدهر. فعنى ذلك هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله.

---

[1] ن: الضعفة.
[2] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.
[3] سورة الحج، ١/٢٢.
[4] ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ (سورة النمل، ٨٧/٢٧).
[5] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[6] ر م: حقيقته.
[7] ن: أن يخصص.
[8] ر م: صابرين.
[9] ن: عمى ما ذكر.
[10] ن: قوله.
[11] ن: ملأ.

ثم أخبر عز وجل عن الملائكة أنهم لا يملكون الشماعة ولا يشفعون إلا لمن ذكر،[1] وهو قوله: **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**، أي إلا لمن شهد بوحدانية الله تعالى وألوهيته. لا يشفعون لأولئك إنما يشفعون لمن ذكر وإن كانت لهم خصوصية عند الله تعالى، لأن الله عز وجل نهى أولئك أن يعبدوا الملائكة ويعظّموهم[2] من جهة العبادة، لذلك لا يملكون الشفاعة لهم. فيكون مَثَل هذا مثلَ ملك نهى قومه أن يخدموا أو يعظّموا أحدا سواه من خواصه، فإذا فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا نهيه لا يملك أولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة من[3] عند الملك لأولئك الذين نهاهم الملك أن يخدموهم ويعظموهم[4] دونه. فعلى ذلك الملائكةُ لم يجعل لهم شفاعة لأولئك الذين[5] عبدوهم دونه إلا لمن ذكر، وهم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى، فقد أذن الله لهم بالشفاعة / لأولئك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: [٧١٣و]
**ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**، أي لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا تنفعهم،[6] كقوله تعالى: فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[7] أي لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم شفاعتهم، ليس أن يكون لهم شفاعة أو شفعاء، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ،[8] الآية، وكقوله عز وجل: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ،[9] الآية. فعلى ذلك يحتمل قوله عز وجل: **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**، أي لا تنفعهم[10] لو كانت.[11] *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ - ولا يشفعون إلا لمن ذكر؛ + بقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦ظ.
[2] ر: ويعظمونهم.
[3] جميع النسخ - من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.
[4] ن: ويعظمونهم.
[5] ن - الذين.
[6] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.
[7] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[8] ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّل منهم﴾ (سورة المائدة، ٣٦/٥).
[9] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).
[10] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.
[11] جميع النسخ - لو كانت. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.

وقوله عز وجل: **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**، يخرج قوله: **وهم يعلمون**، على وجهين. أحدهما يرجع إلى الملائكة، فيكون كأنه يقول: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون أنهم لا يملكون الشفاعة. والثاني يرجع إلى من شهد بالحق. يكون كأنه يقول: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون أنهم يشهدون بالحق. والشهادة بالحق ما ذكرنا، يعني يشهدون على وحدانية الله تعالى وألوهيته وأنه هو المستحق للعبادة[1] دون من عبدوهم. *والله أعلم*.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٨٧]**

وقوله عز وجل: **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**، وقال في أول السورة: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ،[2] ثم نعته فقال: اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا،[3] إلى آخر ما ذكر، قد أقروا جميعا أن الذي خلق السماوات والأرض وخلقهم وما يحتاجون إليه هو الله تعالى. ثم علمهم وعرفانُهم[4] بذلك يحتمل وجوها. يحتمل علمَ حقيقةٍ على التسخير والاضطرار بأنْ أنشأ الله تعالى علما في قلوبهم فعلموا بذلك حقيقةً أن الله عز وجل هو خالق ذلك كله. ويحتمل أنهم قالوا ذلك تقليدا لآبائهم وسماعا منهم أنه كذلك.[5] ويحتمل علموا علم الاستدلال بالتأمل والنظر، إذ من عادة العرب التأمل والنظر في الأشياء، فنظروا وتأملوا فعرفوا بالاستدلال العقلي أنه كذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنى يؤفكون**، يقول: فأيُّ شيء يَأفِكُهم ويُصْرِفهم[6] عن القيام بوفاء ما أَعْطَوْا بألسنتهم وتحقيق ما أقَروا ونطَقوا أن الله خالقُ ذلك كلِّه وأن ذلك كلَّه منه،[7] وجعَل ذلك لمن يعلمون أنه ليس بشيء[8] من ذلك منهم بعد[9] معرفتهم بذلك، أعني الأصنام التي يعبدونها. *والله الهادي*.

---

[1] ر ث م: بلعبادة.
[2] الآية ٩.
[3] الآية ١٠.
[4] جميع النسخ: ثم علماءهم وعرفاءهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.
[5] جميع النسخ – ويحتمل أنهم قالوا ذلك تقليدا لآبائهم وسماعا منهم أنه كذلك. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.
[6] جميع النسخ: يصرفهم ويأفكهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.
[7] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.
[8] ر م: أنه بشيء؛ ن: أنه ليس شيء.
[9] جميع النسخ: وبعد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.

وقال أهل التأويل: أي فأنى يُكذِّبون بعد علمهم ومعرفتهم ذلك في تسميتهم معبودهم إلها أو شكرهم غير الذي صنع ذلك لهم بالعبادة[1] له دون الله تعالى.

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقيله يا رب**، قرئ بنصب اللام وكسرها[ها]؛ فمن قرأ بالنصب جعله معطوفا[2] على قوله: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ،[3] ونسمع قيلَه، أي قولَه الذي أَغْفَلُوه،[4] أي بل نسمع ذلك كله. ومن قرأ بالكسر عطفه على قوله: وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ،[5] أي عنده علم الساعة وعلم قيله. وقوله عز وجل: **يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون**، كأنه على الإضمار، أي قيل له:[6] قل: إن هؤلاء قوم لا يصدقون. وفيه دلالة إثبات رسالته، لأنه أخبر أنهم لا يؤمنون، وقد كان على ما أخبر لم يؤمنوا، دل أنه بالله عرف ذلك وعلمه.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **فاصفح عنهم**، أي أعرض عنهم[7] ودَعْهم، **وقل سلام**، أي قل: الصواب والحقّ. **فسوف يعلمون** يوما، فهو وعيد لهم. ويحتمل أن يكون قوله: **وقل سلام**، أي سلام عليهم لكنه على المؤمنين ليس على أولئك الكفرة، فسوف تعلمون، بالتاء[8] يكون لو صُرِف إلى المؤمنين، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ،[9] فيكون كأنه عز وجل قال: فسوف تعلمون أيها المؤمنون ما ينزل بأولئك. ***والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.***[10]

---

[1] ر م: بالعباد.
[2] جميع النسخ: مقطوعا. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.
[3] الآية ٨٠ من هذه السورة.
[4] ر ن م: أعقبوه؛ أغفبوه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.
[5] الآية ٨٥ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.
[7] جميع النسخ - عنهم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.
[8] ن: فسوف يعلمون بالياء.
[9] ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦)
[10] ت - بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة حم الدخان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حمٓ﴾[١] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله عز وجل:[2] **حم والكتاب المبين**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[3]

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **إنا أنزلناه في ليلة مباركة**، قال أهل التأويل: إنا أنزلنا الكتاب، أي القرآن، في ليلة القدر من اللوح المحفوظ[4] إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِل[5] على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق. ويحتمل أن تكون[6] الهاء راجعة إلى قوله: **حم**، أي قُضِي ما هو كائنٌ، على ما قال بعض أهل التأويل: إن ما قُضِي في كل سَنَةٍ من الموت والحياة والرزق ونحو ذلك يُنزِل في ليلة القدر نُسَخها[7] إلى الملائكة الذين وُكِلوا على ذلك، فهذا يحتمل. ويحتمل أن يكون الهاء راجعة إلى ما ضُمِّن في قوله: **حم**، على ما أراد به. ***والله أعلم***. ويحتمل أنه أراد بهذا[8] إنزالَ شيءٍ وأمرٍ في ليلة القدر عَرَف[ه] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، فيخبر أنه أنزل ذلك ولم يبينوا[9] لنا ذلك لما لا حاجة لنا إلى معرفته. وقالت الروافض / في قوله تعالى: **إنا أنزلناه:** [٧١٣ظ]

---

[1] ر - سورة حم الدخان؛ ن م + وهي مكية؛ ث: سورة الدخان مكية وهي خمسون وتسع آيات.
[2] ن: وقوله.
[3] انظر لحروف المقطعة: أول سورة البقرة وسورة آل عمران، و نظر أيضا: أول سورة المؤمن.
[4] ر ن م: من لوح المحفوظ.
[5] ر م: أنزله.
[6] جميع النسخ: أن يكون.
[7] ن: نسختها.
[8] ر م: هذا.
[9] م: ولم يتبينوا

إن الله تعالى أنزل شيئا على رسوله يكون ذلك الشيء على رأسه وعلى رءوس الأئمة الذين يكونون بعده بحيث يرون[1] ذلك دون غيرهم؛ إذا استقبلهم أمرٌ أو بَدَا لهم شيءٌ نظروا في ذلك لشيء [و]عرفوا ما احتاجوا وما يكون لهم من الصلاح، أو كلام نحو هذا. وأما عند أهل التأويل هو ما ذكرنا راجع ذلك إلى الكتاب[2] المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى ما ذكرنا من تضمين ما ضُمِّن في قوله: **حم**. وكذلك قالوا أيضا في قوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.[3] وقوله: **في ليلة مباركة**، وهي ليلة القدر سماها مباركة، وقد سمى المطر والماء المنزل من السماء مباركا،[4] كقوله تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا،[5] وكذلك الأرزاق المنزلة من السماء والمستخرجة من الأرض مباركةٌ بقوله: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.[6] والمبارك[7] هو الذي عنده يُدْرَك كل الخيرات. والبركة هي اسم كل خير يكون أبدا على الزيادة والنماء. فسمى تلك الليلة مباركة لما جعل فيها من الخيرات والبركات.

وقوله تعالى: **إنا كنا منذِرين**، يحتمل: إنا كنا منذرين للخلق إذا أُنْشِئوا وبَلَغوا المبلغ الذي يستوجبون الإنذار. ويحتمل إنا كنا منذرين[8] الخلق بالرسل، هذا هو الظاهر أن هذا القول من الله تعالى. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون هذا القول من الرسول، كأن النبي[9] قال: إنا كنا منذرين بالقرآن بما أنزل عليّ.

**﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤] ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **فيها يفرق كل أمر حكيم**، يحتمل أي يُفصَّل ويُبيَّن[10] كل أمر هو كائن في ليلة القدر. ويحتمل أي يبيّن[11] في ليلة القدر كل ما يكون في تلك السنة. ثم قوله: **كلُّ أمر حكيم**،

[1] ر ث م: يرو؛ ن: يرو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.
[2] ر م: إلى ذلك الكتاب.
[3] سورة القدر، ١/٩٧.
[4] ر م - مباركا.
[5] سورة ق، ٩/٥٠.
[6] سورة الأعراف، ٩٦/٧.
[7] ن: والمنازل.
[8] ن - الخلق إذا أنشئوا وبلغوا المبلغ الذي يستوجبون الإنذار ويحتمل إنا كنا منذرين.
[9] جميع النسخ - ويحتمل أن يكون هذا القول من الرسول كأن النبي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.
[10] ن: ويتبين.
[11] ن: يبين.

يحتمل أي كل أمر فيه حكمة، ويحتمل كل أمر محكم مُتقَن؛ **أمرًا من عندنا**. وقوله عز وجل: **إنا كنا مرسلين**،[١] الأمرَ الذي ذكر بقوله: **كل أمر حكيم أمرا من عندنا**. ***والله أعلم***.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **رحمة من ربك**، يحتمل قوله: **رحمة**، أي ما أُنزل من الكتاب هو رحمة من ربك. ويحتمل ليلةَ القدر، أي جعلها رحمة منه. ويحتمل ما ذكر من أمر حكيم هو رحمة منه. ويحتمل أي الرسول المبعوث إليهم رحمة منه لهم، وهو كقوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.[٢] ***والله أعلم***.[٣]

وقوله: **إنه هو السميع العليم**، يحتمل قوله: **السميع**، بأقوالهم التي أَسَرُّوها، **العليم**، بأفعالهم وأعمالهم التي أخفَوها وأضمروها. ويحتمل **السميع**، المجيب لمن دعا، **العليم**، بما يرجع إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم.[٤] ***والله أعلم***.[٥]

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[٧]

وقوله: **رب السماوات والأرض وما بينهما**، قال بعضهم: رب الشيء هو مُصْلِحه، معناه مصلح السماوات والأرض وما فيهما وحافظُ ذلك كلِّه. وقال بعضهم: **رب السماوات والأرض**، أي مالكهما ومالك ما فيهما. ويحتمل **رب السماوات والأرض**، أي خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله. وقوله: **إن كنتم موقنين**، قال بعضهم: هذا على إتمام[٦] الآية ومراعاة المقاطع على وجهها، هذا وأمثالها يخرج على هذا. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: **إن كنتم موقنين**، على إثر قوله: **رب السماوات والأرض**، أي هو رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم تعلمون أنه رب ما ذكر، فكيف تَصرفون العبادة واسم الألوهية إلى من ليس برب ما ذكر؟ إذ الإيقان[٧] هو العلم بالشيء حقيقة. ثم نعت الربَّ فقال:

---

[١] ن + يحتمل إنا كنا مرسلين.
[٢] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[٣] ر م – والله أعلم.
[٤] ن – ودنياهم.
[٥] ر م – والله أعلم.
[٦] م: على تمام.
[٧] ر ب م: إن الإيقان.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]

**لا إله إلا هو**. فكأنه يقول: لا معبود يستحق العبادة سواه، لأن الإله هو المعبود[١] عند العرب، يقول: لا تستحق[٢] الأشياءُ التي تعبدون[٣] العبادة إنما المستحق لها هو الذي لا إله غيرُه. ويحتمل أن يقول: لا يستحق اسم[٤] الألوهية إلا هو، لا الأشياء التي سميتموها آلهة. ثم نعته فقال: **يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين**، أي هو يحيي ويميت، وهو ربكم ورب آبائكم الأولين. إن من عادة العرب أنهم كانوا يعبدون ويخدمون شيئا دون الله تعالى رَجاءَ أن تشفع لهم وتُقَرِّبَهم[٥] تلك[٦] العبادة إلى الله تعالى، فيقول:[٧] إن الذي تعبدون[٨] دونه لا يقع لهم العلم بعبادتكم إياها فاصرفوا العبادة إلى الذي يعلم بعبادتكم على كل حال وأخلِصوا له ذلك ولا تشركوا غيره.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **بل هم في شك يلعبون**، يحتمل قوله عز وجل: **بل هم في شك**، أي في أمر القرآن. ويحتمل بل هم في شك في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوه. ***والله أعلم***.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**. اختلف أهل التأويل فيه؛ قال بعضهم: ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز. ثم[٩] اختلف في كيفية ذلك مع اتفاقهم أنه قد مضى ذلك وقد كان. قال بعضهم: **بدخان**، أي بجَدْبٍ[١٠] وقَحْطٍ. جعل الدخان كناية عن الجدب لوجوه. أحدها لِمَا يقال: إن الجائع في القحط كان يرى بينه وبين السماء والناس دخانا من شدة الجوع كالذي يشتد به العَطَشُ يرى السراب ماء،

---

[١] ن + هو المعبود.
[٢] جميع النسخ: لا يستحق.
[٣] جميع النسخ: يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.
[٤] م: باسم.
[٥] جميع النسخ: أن يشفع لهم ويقربهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.
[٦] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦ظ.
[٧] ن: ويقول.
[٨] جميع النسخ: يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.
[٩] ن: اختلف أهل التأويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز ثم.
[١٠] الجدب: المَحْل نقيض الخصب، وأجدبت البلاد: أي قحطت وغلت الأسعار (*لسان العرب*، «جدب»).

وذلك لأنه لما اشتد الجوع ضعفت أبصارهم وعطّاها الجوع، فيكون الجوع سبب ترائي الدخان فاستعير له.[١] ولأن في سَنَة الحدب تَيْبَس[٢] الأرض وينقطع النبات فيرتفع الغبار ويَصْعَد [٢١٤و]
الرَّهْج[٣] ليُبْسها، فيشبه ذلك الغبار الذي يرتفع من يبس الأرض بالدخان فسمي[٤] بالدخان، ولذلك قيل لسنة المجاعة: غبراء؛[٥] وقيل: جُوعٌ أَغْبَر.[٦] ولأن العرب ربما وضعت الدخان مواضع الشر إذا علا، فيقولون: لو كان[٧] بيننا[٨] أمر ارتفع له دخان. وقالوا: إن هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه قد كان، فإنه اشتد بهم القحط وقلّت الأمطار ويَبِست[٩] الأرض وارتفع الغبار وصَعِد الرَّهْج[١٠] كالدخان وضعفت الأبصار لشدة الجوع حتى كانوا يرون السماء كالدخان. على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان أحدهم ينظر إلى السماء فيَرَى كهيئة الدخان من شدة الجوع.[١١] وقال بعضهم: إنما مثل الأرض يومئذ كمثل بيت أُوقِد فيه ليس فيه خُصاصة.[١٢] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قد مضى الدخان وكانت سِنِينَ[١٣] كسِنِي يوسفَ، فجُهِد الناس.[١٤] **والله أعلم**. ومنهم من يقول: هو على حقيقة الدخان وإنه لم يمض بعد، وكذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الدخان لم يمض بعدُ، يأخذ المؤمنَ كهيئة الزُّكام وينتفخ الكافر حتى يَنْفَدَ،[١٥]

---

[١] ن – له.

[٢] ر: ييبط؛ ن ث م: ييبت. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.

[٣] جميع النسخ: الريح. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦ظ. الرَّهْج والرَّهَج: الغبار (*لسان العرب*، «رهج»).

[٤] ر م: وسمي.

[٥] ر ث م: قيل لسنة غبراء.

[٦] ن: جوع لا غبر.

[٧] ن + لو كان.

[٨] جميع النسخ: بينا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.

[٩] ر: وييسط.

[١٠] ر ن م: الريح؛ ث: الرمح. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.

[١١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٦–٢١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٢٦٢.

[١٢] والخُصاصة من الكرْم: الغُصْن إذا لم يَرْوَ وخرج منه الحَبّ متفرقاً ضعيفاً. والخُصاصة: ما يبقى في الكرم بعد قِطافه، العُنَيْقِيدُ الصغيرُ هاهنا وآخر هاهنا، والجمع الخُصَصُ، وهو النَّبْد القليل (*لسان العرب*، «خصص»).

[١٣] جميع النسخ: وهو سنون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٨ظ. وفي *تفسير الطبري* (٢١/١٧–١٨): وكان سنين كسني يوسف.

[١٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١٤–١٨؛ و*تفسير الثعلبي*، ٥/١٩٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٢٦٢-٢٦٤.

[١٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٢٠–٢١؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٨٨؛ و*تفسير الثعالبي*، ٥/١٩٥.

وكذلك قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وغيرهم.[1] لكنّ صرف الدخان المذكور في الآية على التمثيل أشبه، لأن الأمر إذا اشتد وبلغ نهايته يُشَبَّه بالنار والدخان، كقوله: كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ،[2] وليس هناك نار[3] لكنْ وصفُ شدةِ الحرب. فعلى ذلك جائز تشبيه ما اشتد بهم من الجوع والجَدْب والقَحَط بالدخان الذي ذكر، وكذلك يصف الناس الأمر إذا اشتد يقولون: هاج الدخان وثار. *والله أعلم*.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يغشى الناس هذا عذاب أليم**، يحتمل قوله: **يغشى الناس**، أي تَغْشِي الناسَ ما ذكر، وهو عذاب أليم على تأويل من قال: إنه ماضٍ كائنٌ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **يغشى الناس هذا عذاب أليم**، أي يغشى فيقول الناس: هذا عذاب أليم، وهو على قول من يقول: إنه لم يمض بعد. *والله أعلم*.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**. هذه الآية تدل على أن ذلك الذي أريد بالدخان والعذاب قد مضى وكان، لا أنه سيكون في المستأنَف. ثم قوله: **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**،[4] يحتمل[5] إنا نؤمن بك فيما تدعونا إليه لو كُشِف عنا العذاب، في معنى الشرط والجزاء، وهو كقول قوم[6] موسى عليه السلام حيث قالوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ،[7] الآية. ويحتمل أن يكون قوله: **إنا مؤمنون**، على الحال، كأنهم قالوا: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون للحال. ثم أخبر الله عز وجل أنهم لا يؤمنون وأنهم كذبة فيما قالوا حيث[8] قال تعالى:

---

[1] نظر: تفسير *الطبري*، ١٨/٢٠-٢١؛ وتفسير *الثعالبي*، ٥/١٩٥.
[2] سورة المائدة، ٥/٦٤.
[3] ن: بدر.
[4] جميع النسخ – هذه الآية تدل على أن ذلك الذي أريد بالدخان والعذاب قد مضى وكان لا أنه سيكون في المستأنف ثم قوله ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.
[5] جميع النسخ: أي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٧و.
[6] جميع النسخ – قوم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٧و
[7] سورة الأعراف، ٧/١٣٤.
[8] ر م: حتى.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾[١٣]

**أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين**، يقول:[١] أني يتوبون أو من أين تنفعهم[٢] توبتهم في ذلك بعد ما خرجت أنفسهم من أيديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبيّن أنه رسول. *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثم تولوا عنه**، يحتمل أي أعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن. ويحتمل تولوا عما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَرهم به. ويحتمل تولوا عن رسول الله نفسه. وقوله عز وجل: **وقالوا معلم مجنون**، قولهم: **معلم**، لأنهم يقولون: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[٣] وقوله: **مجنون**، نسبوه إلى الجنون لوجهين. أحدهما ما ذكر أنه إذا نزل به الوحي تغيرت حاله ولونه لِثِقَل ذلك عليه فيقولون: به آفة وجنون. والثاني لما رأوه[٤] قد خاطر بروحه ونفسه، لأنه خالف الفراعنة منهم والأكابر الذين كانت همتهم القتل والإهلاكَ لمن خالفهم ودعاهم إلى غير الذي كانوا عليه، لذا[٥] نسبوه إلى الجنون. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون**. قال بعضهم: إنكم عائدون في معاصيكم وكفركم الذي كنتم فيه. وقال بعضهم: أي إنكم عائدون إلى عذاب يوم القيامة. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**. قال بعضهم: ذلك يوم بدر، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقول عامة أهل التأويل، وقالوا: ذلك أشد من الدخان. وقال بعضهم: هو عذاب يوم القيامة، وهو قول ابن عباس والحسن رضي الله عنهما.[٦] *والله أعلم*.

---

[١] ر م: يقولون.
[٢] جميع النسخ: ينفعهم.
[٣] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[٤] ن: لما أراد.
[٥] ر ث م: إذا.
[٦] انظر: تفسير الطبري، ٢٥/٢١-٢٨؛ وتفسير الثعالبي، ٥/١٩٥.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون**، يقول -والله أعلم-: ولقد فتنا قومَ فرعون بموسى قبل قومك كما فتنا قومَك بك. ويحتمل أن يقول: ولقد فتنا قومَ فرعون بمثل الذي فتنا قومَك. ثم يحتمل[١] افتتان قوم فرعون بمثل الذي فَتَن قومَه[٢] وجوها. أحدها أن موسى عليه السلام قد أتاهم بالبينات المعجزات ما لم يقدر فرعون على مقابلة تلك الآيات وعجزوا عن الإتيان بمثلها. فمع ما أتاهم[٣] بذلك وعرفوا أنها آيات الله تعالى كذبوها وردوها ونسبوا موسى إلى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى. فعلى ذلك عمل أهل مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذي عامل أولئك موسى من النسبة إلى السحر والجنون والكذب والافتراء على الله تعالى. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: إن فرعون وقومه ازْدَرَوْا موسى وحقَّروه، لأنه وُلِد فيهم، كما ازدرى أهل مكة محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنت أصغرنا وأفقرنا وأقلنا حيلة، / كما قال فرعون لموسى: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا،[٤] الآية. ويحتمل أن يكون أهل [٧١٤ظ] مكة سألوا اليهود من الأنباء التي يجدونه في كتبهم ليُحاجُّوا بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يطلبون بذلك ظهور الكذب من رسول الله فيما كان يخبرهم عن[٥] الأنباء المتقدمة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وجاءهم رسول كريم**، كان جميع رسل الله عليهم السلام كِرَاما، لأن الله تعالى كان بعثهم إلى قوم جهال سفهاء كان لهم الرُّكون إلى الدنيا والميل إليها والرغبة فيها، فبعث إليهم كرام الخلق ليُدارُوا أولئك الأقوام وتتهيأ[٦] لهم المعاملة لهم والتحمل منهم سُوءَ[٧] ما كانوا يعاملونهم. ***والله أعلم***. ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[٨]

---

[١] جميع النسخ - يحتمل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٩ظ.
[٢] ث + يحتمل، صح هـ.
[٣] ر م: فمهما أتاهم.
[٤] ﴿قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عُمُرك سنين وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٨-١٩).
[٥] جميع النسخ: من.
[٦] جميع النسخ: ويتهيأ.
[٧] جميع النسخ: بسوء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ط.
[٨] سورة القلم، ٦٨/٤.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أن أدوا إلي عباد الله**، يقول: أن أرسلوا معي بني إسرائيل وخلُّوا عنهم ولا تحبسوهم[١] ولا تستعبدوهم فإنهم أحرار. ويحتمل أن يقول: أن[٢] أرسلوا معي بني إسرائيل فإنهم يرغبون[٣] في إجابتي إلى ما أدعوهم إليه ويطمعون في اتِّباعي فيما آمرهم به.

وقوله عز وجل: **إني لكم رسول أمين**، أي إني لكم رسول أمين على الوحي والرسالة. ويحتمل أن يقول: إني كنت أمينا فيما بينكم لا يظهر لكم مني خيانة ولا اطلعتم على كذبٍ قط، فلماذا تكذبونني[٤] وتنسبونني إلى السحر؟ ***والله أعلم***.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وأن لا تعلوا على الله**، قال بعضهم: أي وأن لا تتكبروا ولا تتعظموا على الله. لكن عندنا معناه: وأن لا تتكبروا ولا تتعظموا[٥] على رسول الله أو لا تتعظموا[٦] على عبادة الله أو على دينه،[٧] إذ لا أحد يقصد قصد التكبر على الله تعالى لكن وإن نُسِب إليه فهو على إرادة أوليائه أو دينه، كقوله: إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ،[٨] ونحوه. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **إني آتيكم بسلطان مبين**، أي آتيكم بحجة بينة أنها من الله وأني رسول الله، وهو ما آتاهم من الآيات المعجزات والحجج النيِّرات.[٩] ***والله أعلم***.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون**، لا يُحتمل أن يكون هذا الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء بلا سبب كان من فرعون ولا أمر سبق. فكان[١٠] سببه ونازلته -والله أعلم-

---

[١] ر ث م: ولا تحبسونهم.
[٢] ر ث م - أن يقول أرسلوا؛ ن: أن يقولو أن أرسلوا.
[٣] ن: ترغبون.
[٤] ن: يكذبوني.
[٥] ر ث م: وتتعظموا؛ ن - ولا تتعظموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ظ.
[٦] ر م: ولا تتعظموا.
[٧] ر م: وعلى دينه.
[٨] سورة محمد، ٤٧/٧.
[٩] ر ث م: والبراهين.
[١٠] ن: فكأنه.

هو ما ذكر في سورة أخرى حيث قال: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[1] الآية. لما قال فرعون ذلك وهَمّ أن يقتل موسى قال له موسى عند ذلك: **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون**. وفي ذلك دلالة آية من آيات الرسالة له،[2] لأنه قال فرعون: ذروني أقتل موسى وليدع ربه ليَمْنعني عن قتله، فقال: **إني عذت بربي وربكم**، الآية. دل هذا القول على أنه علم قول فرعون وقصده بقتله وتعييره[3] بالدعاء إلى الله تعالى ليمنعه عن ذلك، وعلم أن الله تعالى يعصمه عن شره وكيده، حتى قال ذلك. *والله أعلم*.

## ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾[٢١]

وقوله: **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون**، يقول: فإن لم تصدقوني فيما أدعوكم إليه وآمركم به فاتركوني فأُصدِّق وأُؤمِنَ[4] به ولا يضركم[5] تصديقي وإيماني. *والله أعلم*.[6] وقال بعضهم: أي دَعُونِي حِفَافا[7] جانبا لا عليّ ولا لِي. وقال بعضهم: وإن لم تؤمنوا لي[8] فاعتزلون ولا تقتلونِ.[9] *والله أعلم*.[10]

## ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون**. وهو كقوله حيث قال: وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ،[11] وكقول نوح عليه السلام: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا،[12] ونحو ذلك، يقولون -والله أعلم-:[13] يا ربنا إنا قد عاملْناهم المعاملة التي أمَرْتَنا

---

[1] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.
[2] ر م - له.
[3] ر م: وتعبيره.
[4] ن: وأومن.
[5] ر: ولا يضركم.
[6] ر م - والله أعلم.
[7] ر م: حفافا. الحِفافان: ناحيتا الرأس والإناء وغيرهما. وقيل: هما جانباه. وحِفاف الجبل: جانبه. وحفافا كل شيء: جانباه (لسان العرب، «حفف»).
[8] ن: بي.
[9] ر م: ولا يقبلون.
[10] ر م - والله أعلم
[11] سورة الزخرف، ٨٨/٤٣.
[12] سورة نوح، ٧١/٥-٦.
[13] ر م - والله أعلم.

أن نعاملهم واحتَلْنا الحِيَل التي عمَّمْنا أن نحتال[1] معهم، فلم يَنْجَعْ ذلك فيهم ولم يتبعونا[2] ولا أجابونا إلى ذلك، فهل من حيلة سوى ذلك أو معاملةٍ غيرِ ذلك نعاملهم بها لعلهم يتبعونا ويجيبونا؟[3] هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما أجهدوا أنفسهم في دعائهم إلى الحق زمانا طويلا، ليس يحتمل في ابتداء الأمر. ***والله أعلم***.[4]

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾[٢٣]

وقوله: **فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون**، كان في إخراج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من بين أظهر أعداءهم ليلا من غير أن شَعَر وعلم أحد من أعداءهم بذلك، وهم العدو الذي ذكر في القصة[5] أنهم زُهَاءُ[6] سِتِّمِائَةِ أَلْفِ آيةٌ[7] عظيمةٌ عجيبةٌ لموسى عليه السلام على رسالته، إذ خروج عدد يسيرٍ[8] من بين أَظْهُرِهم عسيرٌ صعبٌ، فكيف خروج العدد الذي ذكر في القصة. ***والله أعلم***.
وقوله عز وجل: **إنكم متبعون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم إلى الأمر[9] الذي كانوا يستعملونهم من قَبْلُ من نحو الاستخدام والاستعباد. ***والله أعلم***.
والثاني أي يتبعونهم[10] لقتال والحرب،[11] لأنه ذكر في القصة أنهم أخذوا أموالهم من الحُلِيّ واللباس فخرجوا بها. فجائز أن يكون اتّباعهم إياهم ليقاتلوهم ويحاربوهم لما ظهرت فيما بينهم معاداة وصاروا أعداءً لهم، فخرجوا[12] ليقاتلوهم[13] كما يقاتَل الأعداء.[14] ***والله أعلم***.[15]

---

[1] ر م: أن يحتال.
[2] ر م: ولا يتبعون.
[3] جميع النسخ: يتبعون يجيبون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ظ.
[4] ر م – والله أعلم.
[5] وهي قصة خروج موسى عليه الصلاة والسلام وبني إسرائيل من مصر هاربين من ظلم فرعون ومجاوزتهم البحر.
[6] وزُهاء الشيء وزهاؤه: قدره، يقال: هم زُهَاءُ مائَةٍ، أي قدرها (*لسان العرب*، «زهو»).
[7] اسم "كان" التي سبقت في بداية الجملة، أو فاعله.
[8] ر م: ستين.
[9] ر: إلى الأمر.
[10] ر م: أن يتبعونهم.
[11] ر م: للعباد والحرب؛ ن: للحرب والقتال.
[12] جميع النسخ – ليقاتلوهم ويحاربوهم لما ظهرت فيما بينهم معاداة وصاروا أعداء لهم فخرجوا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[13] ث: ليقاتلوا؛ ن: ليقاتلوهم.
[14] ث: كما يقال له عداء.
[15] ر م – والله أعلم.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **واترك البحر رهوا**. يحتمل قوله: **واترك البحر رهوا**، كأن موسى عليه السلام همّ[1] أن يضرب البحر بعصاه ليصل الماءُ بعضُه ببعض لئلا يَعْبُرَ فرعون وقومُه، فقال له: اتركه كما هو فإنهم جند مغرقون. ثم اختلف في قوله: **رهوا**. قال بعضهم: هي فارسية عُرِّبت، أي اترك البحر رَاهْ. وقال بعض أهل اللسان: **رهوا**، أي ساكنا. وقال بعضهم: **رهوا**، أي متصلا، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال أهل التأويل: **رهوا**، أي يابسا، وهو كقوله: فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا.[2] / وقوله تعالى: **إنهم جند مغرقون**، قد وعدهم جل وعلا أن يُغرِق فرعونَ [٧١٥و] وقومَه ففعل.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٢٥] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٢٦] ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[٢٧]

وقوله: **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين.** قيل: **فاكهين**،[3] أي ناعمين، وقيل: مُعْجَبِين.[4] ثم[5] من الناس من قال: إن هذه الآية مخالفة للآية الأخرى في ظاهر المخرج، وهي[6] قوله عز وجل: رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، الآية، ثم قال الله تعالى: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا،[7] فإذا كانت قد أجيبت دعوتهما في طمس أموالهم فطُمِسَتْ لا محالة، فكيف ذكر: **كم تركوا من جنات وعيون**، الآية؟ وما معنى قوله: كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ؟[8] لكن عندنا أنه لا مخالفة بين الآيتين، إذ جائز أن يكون طَمْس أموالهم التي كانت لهم من الحُلِيّ وغير ذلك من الصامت[9] ونحوه خاصة.

---

[1] ر ث م – هم.
[2] سورة طه، ٢٠/٧٧.
[3] جميع النسخ – قيل فاكهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[4] ر ث م: معجرين
[5] جميع النسخ – ثم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١و.
[6] ر ن م: وهو؛ ث – وهي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[7] ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة يونس، ١٠/٨٨-٨٩).
[8] الآية التالية.
[9] الصامت: الذهب والفضة (*لسان العرب*، «صمت»).

فأما الأموال التي كانت لهم بالشَّرِكَة من نحو البستان والزروع[1] وأمثالها فذلك لم يطمسها ولكنه تركها على ما هي عليه[2] لبني إسرائيل، وهو قوله عز وجل:

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[٢٨]

**كذلك وأورثناها قوما آخرين**، أي مثل ذلك وأورثناها قوما آخرين، وهو كما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا.[3] فيه أن بني إسرائيل قد عادوا إلى مصر ونزلوا أوطانهم ومنازلهم وبساتينهم. ***والله أعلم***.[4]

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[٢٩]

وقوله: **فما بكت عليهم السماء والأرض**. قال بعضهم: أي فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض، بل سُرُّوا بذلك واستبشروا بهلاكهم، فيكون ذكر نفى البكاء لإثبات ضده، وهو السرور والفرح لا لعينه. وذلك جائز في اللغة، أن يذكر نفي الشيء ويراد به إثبات ضده لا عين النفي، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[5] ليس المراد إثبات نفي الربح، أي لم يربح فحسب، بل المراد إثبات الخسران والوضيعة، أي خسرت ووَضِعَت. فعلى ذلك قوله تعالى: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، أي ضَحِكت وسُرَّت واستبشرت بهلاكهم، لأنهم جميعا أبغضوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الألوهية لفرعون. وقال بعضهم: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، يحتمل أن المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مؤمن إلا وله باب في السماء يصعد إليه عمله الصالح، وفي الأرض مصلًّى يصلى فيه، فإذا مات بكى ذلك عليه كذا كذا يوما، وليس لهم ذلك فلا يبكي[6] عليهم».[7] وجائز أن يكون أيضا قوله تعالى: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، أي لم يبق لهم أحد يبكي عليهم من الأولاد وغيرهم،

---

[1] ر م: وزروع.
[2] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[3] سورة الأعراف، ١٣٧/٧.
[4] ر م - والله أعلم.
[5] سورة البقرة، ١٦/٢.
[6] م: فلا تبكي.
[7] روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم، وابن أبي حاتم الرازي عن علي كرم الله وجهه وغيرهم نحوا من هذا. انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٥؛ وتفسير *الطبري*، ٤١/٢١-٤٥؛ وتفسير *ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٨٨/١٠-٣٢٨٩.

لأنهم استؤصِلوا جميعا من الأولاد وغيرهم فلم يبق عليهم أحد. فأما سائر الموتى قد يبقى لهم من يبكي عليهم لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*. ويحتمل أن يُذكر بكاء السماء إذا عَظُم الأمر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة ومَن عظم قدره عندهم، فيخبر الله تعالى أن موت فرعون وأتباعه لم يَعْظُم على أهل السماء والأرض لما لا قدر لهم عندهم. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[٣٠] ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣١]**

وقوله عز وجل: **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين**. قال بعضهم نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي نزل بفرعون وقومه، وهو الغَرَق في البحر، أُغرق أولئك ونَجّى هؤلاء. ويحتمل أن يكون المراد أنه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذَّبون من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وأنواع العذاب الذي كانوا يعذِّبونهم ما داموا بين أظهرهم وفي أيديهم، فنجاهم من ذلك حيث أخرجهم من بين أيديهم. *والله أعلم*. وهو أشبه، لأنه[١] قال:[٢] **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون** وقوله عز وجل: **إنه كان عاليا من المسرفين**، قوله: **عاليا**، أي غالبا عليهم قاهرا لهم بأنواع القهر الذي[٣] كان يقهرهم. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٢]**

وقوله عز وجل: **ولقد اخترناهم على علم على العالمين**، أي[٤] اخترنا[٥] بني إسرائيل. وقوله[٦] عز وجل: **على علم**، يخرج هذا على وجوه. أحدها **اخترناهم على علم**، أي بسبب علم آتيناهم ذلك لم نؤت ذلك غيرهم، لتظهر[٧] فضيلة العلم على العالمين وشرفُه. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ - لأنه. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١ ص.
[٢] جميع النسخ: م ق ب. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ ظ.
[٣] ن - الذي
[٤] ر م - أي.
[٥] ن - اخترنا.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ: ليظهر.

والثاني يحتمل اخترناهم على علم منا بأسباب فيهم وأشياء لم تُعْلَم[1] تلك[2] الأسباب والمعاني في غيرهم، بها استوجبوا[3] الاختيار على العالمين. والثالث[4] **اخترناهم على علم**، أي بسبب علم أحوَجْنا غيرهم إليهم فصاروا مختارين مفضَّلين بسبب تعليمهم إياهم ما احتاجوا إليه، فيكون هم فضل الأستاذ على التلميذ. وهذا كما نقول:[5] إن العرب أفضل من الموالي، لأن الموالي احتاجوا إلى العرب في معرفة لسانهم ومعرفة أشياء احتاجوا إليها، فاستوجبوا الفضيلة عليهم[6] لحاجتهم إليهم. ولذلك فُضِّل قريش على سائر العرب، لما احتاجت سائر العرب إلى قريش في معرفة أشياء لا يَصِلون إلى ذلك إلا بهم، ففُضِّلوا[7] على غيرهم لذلك. فعلى ذلك يحتمل **ولقد اخترناهم على علم على العالمين**،[8] أنه أحوج إلى بني إسرائيل غيرَهم في معرفة أشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**، يحتمل قوله: **بلاء مبين**،[9] [٧١٥ظ] وجهين. أحدهما أي محنة بينة، وهي أنواع ما امتحنهم من البلايا والشدائد. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل أن يكون قوله: **بلاء مبين**، أي نِعَم عظيمة، وهو ما آتاهم من أنواع النعم من المَنِّ والسَّلْوَى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ومجاوزتهم من البحر وإهلاك عدوهم وغيرها[10] من النعم التي آتاهم مما لا يحصى؛ وهو ما ذكر في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ،[11] أي نعمة عظيمة من ربكم.[12] ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: لم يعلم.
[2] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.
[3] ن: استوجبون.
[4] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.
[5] ر ث م: كما يقول.
[6] ر م - عليهم.
[7] جميع النسخ: إلا أنهم فضلوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.
[8] جميع النسخ - ولقد اخترناهم على علم على العالمين. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١ظ.
[9] ر م - يحتمل قوله بلاء مبين؛ ر ث م + من.
[10] ر م: وغيرهم.
[11] سورة البقرة، ٢/٤٩.
[12] ن: نعمة من ربكم عظيمة؛ نعمة عظيمة من ربكم عظيمة.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾[٣٤] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين**. يقول الله تعالى -وهو أعلم-: إن الذي يحمل هؤلاء على الإنكار والكفر بك وترك الإيمان[١] إنكارُهم البعثَ والإحياءَ بعد الموت، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[٢] يخبر أن من يؤمن به[٣] ممن آمن بالآخرة؛ فأما من لم يؤمن بالآخرة لا يؤمن به. *والله أعلم*. وأصله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِث لدعاء الخلق إلى الزهد في هذه الدنيا والرغبة في الآخرة والقطع عن جميع شهواتهم ومُنَاهم في الدنيا وتأخير ذلك إلى الآخرة؛ فمن آمن بالآخرة سَهُل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قَطْعُ نفسه عن قضاء ذلك كله؛[٤] ومن أنكر الآخرة وجحدها اشتد ذلك عليه وصعب، حَمَلَه ذلك على إنكارها والجحود لها. *والله أعلم*.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**،[٥] هذا منهم احتجاج عليه، يقولون: لو كنت صادقا فيما تقول: إنه بَعْثٌ وإحياءٌ فأحْيِ[٦] من ذُكِروا وَأْتِ بهم.[٧] لكنّ هذا احتجاج باطل لأن الآيات والحجج ليست تنزل وتأتي على ما تشتهي أنفس أولئك ولكن تنزل على ما توجبه[٨] الحكمة وعلى ما فيه الحجة، لا على ما يريد المُقامُ عليهم الحجةُ؛ كما في الشاهد أن الواجب على المدَّعِي إقامة ما هو حجة في ذاتها لا إقامة ما يريدها المُدَّعَى عليه. والنبي صلى الله عليه وسلم قد أتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والإحياء بعد الموت لو تأملوا ولم يكابروا عقولهم، فيكون[٩] سؤالهم منه آية أخرى مردودا[١٠] عليهم. *والله أعلم*.

---

[١] ن + بك.
[٢] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مُصَدِّقُ الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (سورة الأنعام، ٩٢/٦).
[٣] ر م - يخبر أن من يؤمن به.
[٤] ن - كله.
[٥] ن + قيل.
[٦] ر م: فأحر؛ ث: وأحر.
[٧] ر ث م: رأيت لهم؛ ن: والت لهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.
[٨] جميع النسخ: على ما يوجبه.
[٩] ر ث م: وكون.
[١٠] ر م: مردود.

وبعدُ، فإن[1] الله عز وجل قد وعد البقاء لهذه الأمة إلى يوم القيامة، ولو أعطاهم ما سألوا من الآيات ثم أنكروها أُهْلِكوا واسْتُؤْصِلوا، إذ من سنته أن كل آية أتت[2] ونزلت على إثر سؤال كان منهم ثم أنكروا كان في ذلك هلاك وعذاب، لذلك لم يعطهم ما سألوا. ***والله أعلم.***

**﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **أهم خير أم قوم تُبّعٍ والذين من قبلهم أهلكناهم**، ليس في هذا جواب لقولهم: فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[3] ولم يأت بجواب ذلك، وإنما كان لأنهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال، لأنهم سألوا ذلك سؤالَ[4] تَعَنُّتٍ وعناد. ويحتمل أن يكون في هذا جوابٌ لقولهم وسؤالِهم الآية المخترَعَةَ. وفي الآية دلالة على البعث أيضا. بيان الأول أنه أخبر عن قوم تُبّع ومَن ذكر من الأمم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم، ويوعدهم[5] الرسل بالعذاب والهلاك، فيكذبونهم أيضا فيما يوعدون من البعث فجاءهم الهلاك. فيقول: أهم خير أم قوم تُبّع ومن ذكر، أي أولئك هم أشد قوةً أم هؤلاء، وهم علموا أن أولئك أشد قوة وبطشا، ثم لم يتهيأ لهم الامتناع من عذاب الله إذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث، فأنتم دون أولئك، فكيف يتهيأ لكم الامتناع من العذاب الذي نزل بكم؟ وهو كقوله تعالى: أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ.[6] وإذا لم يتهيأ لهم الدفع، ومن سنته الاستئصال بالتكذيب للآيات المخترعة، وقد وعد البقاء لهذه الأمة إلى يوم القيامة وتأخير العذاب عنهم بسبب دعاء النبي[7] وكونِه رحمة للخلق، لذلك لم يعطهم الآية التي سألوا. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: قال.

[2] ن: ايت.

[3] الآية لسابقة.

[4] ر ن – سؤال.

[5] جميع لنسخ: ويوعدونهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.

[6] ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُّبُر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٣).

[7] جميع النسخ – وتأخير العذاب عنهم بسبب دعاء النبي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.
عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها، قالوا: يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها؟ قال: «أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بِسَنَةٍ فأعطانيه، وسألته أن لا يسلّط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» (*سنن الترمذي*، الفتن ١٤. وانظر أيضا: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠/٤٧٤، ٥٠٥).

وأما الثاني وهو أنه لما أخبر أن تعذيب أولئك الكفرة لتكذيب الرسل وإنكار البعث فدل أن البعث حق حتى يستحق منكره العذاب. **والله أعلم**. وذُكر أن تُبّعًا كان رجلا صالحا، وعائشة رضي الله عنها تقول: لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا.[1] وذكر أنه كان رسولا، وقد ذكرنا نعته. **والله أعلم**.

**﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[٣٨]**

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين**، وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[2] إن الكفرة كانوا لا يطلقون القول فلا يقولون: إن الله تعالى خلقهما وخلق ما بينهما باطلا ولَعِبًا، لكن تخلق[3] ذلك كله على فُتْيَاهم وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا باطلا، لأنهم كانوا ينكرون البعث ويقولون:[4] لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب. فإذا كانت[5] فتياهم وظنهم أن لا بعث ولا نشور يكون خلقهم وخلق السماء والأرض وما ذكر لعبا باطلا، لأن المقصود بخلق ما ذكر على زعمهم لم يكن إلا الإفناءَ والإهلاكَ، ومن لم يقصد في بنائه إلا النقضَ في الشاهد والإفناءَ في العاقبة كان في بنائه وقصده سفيها[6] غير حكيم. فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى في خلقه إياهم وإنشائه هُم [٧١٦و] وتحويله إياهم من حال إلى حال / أخرى: من حال النطفة إلى حال العَلَقَة ومن حال العلقة[7] إلى حال المُضْغَة، ومن حال المضغة[8] إلى حال تصوير الإنسان ثم إلى حال الكِبَر لو لم يكن ما ذكرنا من المقصود سوى الإفناء والإهلاك على ما زعموا كان سفها باطلا غير حكمة لما ذكرنا مِنْ قَصْد مَنْ قَصَد في الشاهد[9] في بنائه[10] الإفناءَ خاصةً لا غيرَ كان في فعله وقصده لاعبا عابثا سفيها.[11]

[1] انظر: تفسير الطبري، ٥٠/٢١.
[2] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[3] ن – خلق.
[4] جميع النسخ + أن. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.
[5] ن ث: فإذا كان.
[6] ر: سفيه.
[7] ر م – ومن حال العلقة.
[8] ر م – ومن حال المضغة.
[9] ر ث م – في الشاهد.
[10] ر ث م: في البناء.
[11] ر م: سفها.

ولذلك سفّه الله تلك المرأة التي لم يكن قصدها في غزلها إلا نقضَه في العاقبة حيث قال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا،[١] الآية. فعلى ذلك خلْقُ الخلق إذا لم يكن بعث ولا نشورٌ على ما قال أولئك الكفرة وظنوا كان كذلك سفها غير حكمة، ولذلك قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[٢] جعل خلقه إياهم لا[٣] لرجوع إليه عبثا. *والله الموفق*.

**﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **ما خلقناهما إلا بالحق**، قال بعضهم: إلا لإقامة الحق، وقال بعضهم: إلا لأمر كائنٍ مرادٍ. وأصل الحق هو أن يحمد عليه فاعله في العاقبة، والباطل هو ما يذم عليه فاعله. وإنما خلق جل وعلا ما ذكر ليحمد على فعله لا لِيُذَمّ، ولو لم يكن القصد في خلقهم إلا[٤] الإفناء والإهلاك لكان لا يحمد عليه ولكن يذم، على ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أنهما لم يُخلقا باطلا وعبثا، وهو ما ذكر من[٥] ظنهم. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين**، سَمَّى يوم القيامة مرة يوم الجمع، ومرة يوم التفريق،[٦] ومرة يوم الفصل. فهو يوم الجمع لما يَجمع فيه الخلائق جميعا، وكذلك يوم الحشر. ويوم الفصل يحتمل وجهين. أحدهما أنه يَفصل بين أوليائه وأعدائه فيه،[٧] ينزل أولياءه في دار الكرامة والمنزلة وهي الجنة، وأعداءه في دار الهوان والعقاب وهي النار، وهو[٨] ما قال: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.[٩] ويحتمل أن يكون قوله: **يوم الفصل**، أي[١٠] يوم القضاء والحكم،

---

[١] سورة النحل، ٩٢/١٦.
[٢] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٣] ر م – لا.
[٤] ر – إلا.
[٥] ر ث م – ذكر من.
[٦] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (سورة الشورى، ٧/٤٢)، وقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾، (سورة الروم، ١٤/٣٠).
[٧] ر ث م – فيه.
[٨] ر م – النار وهو.
[٩] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[١٠] ر م: إلى.

أي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافرين فيما تنازعوا[1] واختلفوا في الدنيا، بقوله: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.[2] ويحتمل أيضا ما ذكرنا من الفصل بين الأولياء والأعداء ما لو لم يكن ذلك في الآخرة بينهم كان جامعا مُسوِّيا[3] بين الأولياء والأعداء، وهم استَوَوْا واجتمعوا في الدنيا في ظاهر أحوالهم، ومن سوَّى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم؛ دل أن هناك[4] دارا أخرى يَفصل بينهما ويميّز. ***والله أعلم.***

**﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **يوم لا يُغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون**، هذا في الكفار خاصة، يخبر أنه لا ولي ينفعهم في الآخرة ولا يعين بعضهم بعضا على ما يعان في الدنيا إذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[5] الآية، وقوله عز وجل: وَاخْشَوْا يَوْمًا،[6] وقوله تعالى: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.[7] ***والله الموفق.***

ثم قوله تعالى: **لا يُغني مَولًى عن مولًى شيئا**، يحتمل مولى الأعلى ومولى الأسفل على ما يعين بعضهم بعضا في الدنيا، ويحتمل كل ولي وقريب. يخبر أنه لا قريب يملك دفع ما ترك به ولا وليّ يملك نصره ومعونته،[8] لأن ولايتهم يومئذ تصير[9] عداوة، بقوله عز وجل: اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[10] الآية، استثنى المتقين، وعلى ذلك استثنى في هذه الآية أيضا حيث قال:

---

[1] ر م: فيما يتنازعوا.
[2] سورة الجاثية، ١٧/٤٥.
[3] ن: مسوما.
[4] ن: هنالك.
[5] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٧).
[6] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يَجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا﴾ (سورة لقمان، ٣٣/٣١).
[7] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).
[8] ر ث م: ولأولى ولا يملك نصرة ومعونة؛ ن: ولأولى ولا يملك نصره ومعونته. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤و.
[9] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤و
[10] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٤٢]

**إلا من رحم الله**، أي إلا من رحمه الله[١] ومَنَّ عليه وهداه[٢] الإيمانَ ورزَقه التوحيدَ، فإنه يكون بعضهم لبعض شفعاء وأولياءَ ينصر بعضهم بعضا ويشفع بعضهم لبعض. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الرحيم**، العزيز في نقمته من أعدائه لأوليائه، الرحيم للمؤمنين الذين استثنى في الآية حيث قال: **إلا من رحم الله**.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾[٤٣] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾[٤٤]

وقوله: **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**، ظاهر الآية أنها طعام كل أثيم، لكنها ليست بطعام كل أثيم، بل هو طعام أثيم دون أثيم، وهو الكافر؛ لأن الأثيم[٣] المطلق هو الأثيم[٤] من كل وجه، وهو الكافر. فأما المؤمن المسلم لا يكون أثيما مطلقا مع قيام إيمانه وكثير طاعته، فلا يكون صاحب الكبيرة داخلا تحت الآية. ثم قال بعض أهل التأويل: لما نزل قوله تعالى:[٥] **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**، أتى بعض الكفار بالعسل والزَّبَد وقالوا لأصحابهم: تَعَالَوْا نَتَزَقَّم فإن محمدا أوعدنا[٦] بذلك، لِما كان الزقوم هو الزبد والتمر أو العسلَ بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله تعالى: إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،[٧] الآية، أخبر أنها شجرة أنشئت من النار، كقوله تعالى: إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، الآية، ليست كسائر الأشجار. ثم شبَّهها بالمُهْل بقوله تعالى:

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[٤٥] ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[٤٦]

**كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم**، والمُهْل دُرْدِيُّ الزيت.[٨] ثم يحتمل تشبيهها بالمهل وجهين. أحدهما لالتصاقه بالبدن، لأنه قيل: إنه ألصق الأشياءِ بالبدن. ويحتمل أن يشبهها بذلك

---

[١] جميع النسخ - أي إلا من رحمه الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤ظ.

[٢] ن: ومن هداه.

[٣] ر ث م: لأن لإثم.

[٤] ر ث م: هو الإثم.

[٥] ر ث م: قال بعض أهل التأويل إنه يدل قوله تعالى؛ ن: قال بعض أهل التأويل إنه نزل قوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي لدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.

[٦] ر ث م: وعدنا.

[٧] سورة الصافات، ٦٤/٣٧-٦٥.

[٨] دردي الزيت وغيره: ما يبقى أسفله (*لسان العرب*، «درد»).

لكثرة تلونها وتغيرها من حال إلى حال. ثم الإشكال أنه ليس في أكل دردي الزيت فَضْلُ شدة
[٧١٦ظ] وكثرة مؤنةٍ، فما معنى التشبيه به؟ لكن يقول:[١] إنه بين أن ذلك المُهل والدُّرْدِيّ من النار حيث قال: **كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم**. ثم الإشكال أن شجرة الزقوم كيف تكون[٢] طعام[٣] الأثيم؟ فيحتمل[٤] ذلك وجهين. أحدهما أنه يخرج منها شيء ويسيل فَيُسْقَى ذلك الكافر. و[الثاني] يحتمل أنه يأكد[ها] كما هي فتذوب في بطنه فتغلي،[٥] فيكون ما ذكر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه[٦] أنه رأى فضة قد أُذِيبَت فقال:[٧] هذا المُهْل.[٨] فجائز أن يكون على هذا كل[٩] شيء يذاب ويُحرِق فهو المهل. والحميم هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته. *والله أعلم*.

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**، ظاهر هذا أن يكون[١٠] ذلك بعد ما أُدخلوا في النار. لكن يحتمل أيضا أن يكون ذلك في أول ما يراد أن يُدخِلوا النار، كقوله: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ،[١١] فعلى ذلك **خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**. ثم قوله تعالى: **فَاعْتِلُوه**، قال بعضهم: أي ادفعوه[١٢] إلى سواء الجحيم، أي إلى وسط الجحيم. وقال بعضهم: **فاعتلوه**، أي قُودُوه قَوْدا إلى سواء الجحيم، يقال: جيء بفلان يُعْتَل إلى السلطان، أي يُجَرّ ويقاد. وقال بعضهم: هو السَّوق الذي فيه شدة وتعنيف، أي سُوقُوه سوْقا شديدا عنيفا، وبعضه قريب من بعض. **والجحيم** هو معظم النار. *والله أعلم*.

---

[١] ن ث: يقول.
[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.
[٣] ر ث م – طعم.
[٤] ن: ويحتمل.
[٥] جميع النسخ: فيذوب في بطنه فيغلي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.
[٦] ث: رضي الله عنهما.
[٧] ن: فيقال.
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥/٢١.
[٩] م – كل.
[١٠] ر ث م + هذا.
[١١] ن ث + ثم الجحيم صلوه. سورة الحاقة، ٣٠/٦٩.
[١٢] ن: ادفعوا.

**﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**، أي من شراب الحميم. جعل الله عز وجل لأهل النار من ألوان الشراب الحميم والصديد ونحوهما مكانَ ما جعل لأهل الجنة من أنواع الشراب، حيث قال: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ،[١] الآية. ثم في الآية أن[٢] الفريقين جميعا لا يتولون شُرْبها بأنفسهم لكنهم[٣] يُسْقَوْن على ما ذكر في أهل الجنة في غير آي من القرآن، حيث قال: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ،[٤] وقوله تعالى: وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا،[٥] ونحو ذلك كثير. وقال في أهل النار: **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**، وقوله تعالى: تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ،[٦] وقال في آية أخرى: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ،[٧] وغير ذلك.

**﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤٩]**

وقوله عز وجل: **ذق إنك أنت العزيز الكريم**، قال أهل التأويل: إنما يقال هذا لأبي جهل اللعين،[٨] وله ذلك العذاب الذي ذكر في الآية، وهو المراد بالأثيم.[٩] كان في الدنيا يفتخر ويقول: أنا العزيز الكريم وليس ما بين كذا إلى كذا أعز مني وأنا المتعزز المتكرم. فيقال له في الآخرة: ذق هذا الذي ذكر إنك أنت العزيز الكريم في الدنيا، يُصغّرونه ويُهينونه. ويحتمل أن يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكرم وكل رئيس منهم. *والله أعلم*. وقال بعضهم في قوله عز وجل: **ذق إنك أنت العزيز الكريم**: أي ذق فإنك لست بعزيز ولا كريم،[١٠] يقال ذلك له على التهزُّء به، أي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار. *والله أعلم*.

---

[١] سورة محمد، ٤٧/١٥.
[٢] ر – أن.
[٣] ن ث: ولكنهم.
[٤] سورة المطففين، ٨٣/٢٥.
[٥] ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ (سورة الإنسان، ٧٦/١٧-١٨).
[٦] سورة الغاشية، ٨٨/٥.
[٧] سورة الحاقة، ٦٩/٣٦.
[٨] ن – اللعين.
[٩] يشير إلى الآية التي سبقت في هذه السورة برقم ٤٤.
[١٠] جميع النسخ + ثم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٥و.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾[٥٠] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في مقام أمين**. فيه لغتان: مُقام بالرفع ومَقام بنصب الميم؛[1] فمن قرأ بالنصب فهو موضع المقام، وهو المنزل والمسكن، معناه في مسكن أمين، أي آمنون[2] فيها من الآفات والأوصاب والأسقام. ومن قرأ برفع الميم فهو المصدر يعني الإقامة، أي مقيمون[3] فيها آمنون عن الخروج عنها والزوال. *والله أعلم*.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٥٢] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٥٣] ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين**، قالوا: السندس ما رَقَّ من الديباج، والإستبرق ما غَلُظ منه. ثم يحتمل أن يكون ما ذُكر من اللبس لِمَا رقّ منه، فأما ما غلُظ منه فإنه يُبسَط وإن كان ذكر اللُّبس[4] فيهما في الظاهر يتناول ما رق منه وما غلُظ، فالمراد من ذكر اللبس يرجع إلى ما يُلبَس وهو الذي يَرِق منه ويَدِق؛ وجائز في اللغة أن يذكر الشيئان باسم أحدهما إذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة أو حقيقة. *والله أعلم*. ويحتمل أنه إنما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة الناس إليهما جميعا في الدنيا، فرغّبهم في الآخرة ووعدهم أن يكون لهم ذلك. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **متقابلين**، يخبر أن مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا يقابل[5] بعضهم بعضا. *والله أعلم*. حيث قال: **كذلك**، على إثر ذلك، أي كذلك[6] يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا من مقابلة بعض بعضا واجتماعهم في المجلس في الشراب وغيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وزوجناهم بحور عين**، قال بعضهم: **بحور**، أي بيض الوجوه، **وعين**، أي حِسان الأعين. وقال بعض أهل الأدب: الحَوَر في العين هو شدةُ سوادِ سوادِها وبياضِ بياضِها، ويقال: امرأة حَوْرَاء، ونسوة حُور، ورجل أحور، وقوم حُور. والعيناء الحسنةُ العينين، يقال: رجل أَعْيَنُ، ورجال عِينٌ، وامرأة عيناءُ، ونسوةٌ عِينٌ؛ فالجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب في المذكر والمؤنث. *والله أعلم*.

[1] ر م: بالنصب. انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/٦٣.
[2] ر م: آمنوا.
[3] ر م: يقيمون.
[4] ر ث م: وإن كان ذلك اللبس.
[5] جميع النسخ: مقابل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ط.
[6] ر م - أي كذلك.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**، تأويله -والله أعلم- أن ثمار[١] الجنة وفواكهها ليس لها فناء[٢] ولا انقطاع ولا نقصانٌ كما يكون في الدنيا فناء وانقطاع ونقصان، فإذا لم يكن لثمار الجنة انقطاع[٣] ولا زوال يَدْعُون ويَسألون[٤] إن حضروها، لا يسألون كما يسألون في الدنيا: هل بقي شيء أو هل عندكم شيء من الفواكه، ونحو ذلك؟ لما ذكرنا أن لثمار[٥] الدنيا انقطاعا[٦] وفناءً وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك، لذلك / ما ذكرنا. ***والله أعلم***. [٧١٧و]
وقوله: **آمنين**، يحتمل وجهين. أحدهما آمنين من انقطاع فواكهها وثمارها وما ذُكر. ويحتمل آمنين فيها، أي[٧] في الجنة ليس لهم خوف الخروج عنها والزوال، وآمنين[٨] من جميع الآفات التي تكون[٩] في الدنيا. ***والله أعلم***.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**، والإشكال أنه نفى الموت في الجنة واستثنى الموتة الأولى، وليس في الجنة موت أصلا، كيف يَستثني الموتة الأولى؟ وإن ظاهر الاستثناء أن يكون من[١٠] جنس المستثنى منه، فيُوهِم أن يكون في الجنة موت. قال بعضهم: إنّ "إلا" بمعنى غير وسوى وفيه إضمار، كأنه قال:[١١] لا يذوقون فيها، أي في الجنة الموتَ سوى الموتة التي[١٢] ذاقوا في الدنيا، لأن الموتة التي ذاقوا -وهي الموتة الأولى-

---

[١] ر م: أي ثمر.
[٢] جميع النسخ: فسد. والثابت في المتن من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ. ورجحت نسخة جار الله لأن النسخ الأخرى تنقص الجملة التالية التي تحتوي هذه الكلمة؛ وأيضا جميع النسخ تستعمل هذه الكلمة بعد قليل.
[٣] جميع النسخ - كما يكون في الدنيا فناء وانقطاع ونقصان فإذا لم يكن لثمار الجنة انقطاع. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.
[٤] جميع النسخ -يسألون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.
[٥] ن: ألثمار.
[٦] جميع النسخ: انقطاع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[٧] جميع النسخ - أي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٠ظ.
[٨] جميع النسخ: وآمنون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.
[٩] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[١٠] ر م - من.
[١١] ر م - قال.
[١٢] ر م: الأولى؛ ن: الذي.

لا يتصور ذوقها[1] ثانيا لو كان يكون مثلها. ولأن الجنة ليس محل الموت، فكان المراد ما قلنا، أي لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموت الذي ذاقوا في الدنيا، وهو كقوله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ،[2] الآية، أي سوى ما قد سلف، أنه كان فاحشة في ذلك الوقت على أحد التأويلين. *والله أعلم*. وعندنا يخرج تأويله على وجهين. أحدهما لا يذوقون فيها الموت إلا ما ذاقوا من الموتة الأولى، لأنه ذكر[3] في الخبر أنه يُؤْتى بالموت يوم القيامة على صورة كَبْشٍ أَمْلَحَ أو كذا فيُذْبَح بين يديهم، فعند ذلك يأمنون الموت هنالك.[4] *والله أعلم*. والثاني **لا يذوقون فيها الموت**،[5] أي لا يعرفون فيها الموت[6] ولا يرونه إلا الموتة الأولى التي رأوها في الدنيا، تلك يعرفونها ويذكرونها، فأما ما سواها[7] فلا. والذوق سبب المعرفة فاستعير لمعرفة مجازا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووقاهم عذاب الجحيم**، ليس هو تخصيصَ وقايةِ عذابِ الجحيم فحسب، بل المراد أنه يقيهم[8] العذاب كله، لكن الجحيم معظم النار فذكره[9] كنايةً عن الكل. *والله أعلم*.[10]

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥٧]

وقوله تعالى: **فضلا من ربك**، يخبر أن وقايته عنهم العذاب[11] فضل منه،[12] ليس باستحقاق منهم بالأعمال، على ما تقدم ذكره في غير موضع. وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**،

---

[1] ن: دونها.
[2] سورة النساء، ٤/٢٢.
[3] ر ث م: ذلك.
[4] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١٩/١؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ١٤.
[5] ن – الموت.
[6] ر ث م – أي لا يعرفون فيها الموت.
[7] ر م: فأما سواها.
[8] ر ن م: بل المراد نفيهم؛ ث: بل المراد تقيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[9] جميع النسخ: فذكروه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[10] ث – والله أعلم.
[11] ر ث م – وقوله تعالى فضلا من ربك يخبر أن وقايته عنهم العذاب؛ ن + والله أعلم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[12] جميع النسخ: فضلا منه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

الفوز بأحد شيئين: إما الظفر بما يَأْمل[١] ويرجو، فإذا ظَفِر ذلك يقال: فاز؛ وإما النجاة مما يحذر[٢] ويخاف، إذا حذر أمرا وخافه فتخلّص[٣] من ذلك يقال: فاز؛[٤] فأيهما كان فهو فوز. ***والله أعلم.***
وقوله عز وجل: **العظيم**، جميع أمور الآخرة وحالها سمي عظيما من العذاب والنعيم، قال الله[٥] تعالى: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ،[٦] وعَذَابٌ عَظِيمٌ،[٧] والْفَوْزُ الْعَظِيمُ.[٨]

**﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **فإنما يسرناه بلسانك**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول: فإنما أنزلنا القرآن بلسانك ويسرناه للذكر ليلزمهم التذكر، لأنه أنزله بلسانه ويسره لقومه؛ لأنه لو كان منزلا بغير لسانه لم يكن ميسّرا لهم للذكر، وهو ما ذَكَر في آية أخرى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ،[٩] أخبر أنه يسره للذكر لا أنه[١٠] يسره باللسان، ولكن معناه ما ذكرنا أنه أنزله بلسانه ويسره للذكر. ***والله أعلم.*** والثاني فإنما يسرناه على لسانك كي ذكرته وحفظته بلا كتابة ولا نظر في كتاب، لأنه ذُكر أنه كان عليه السلام يحفظ سورة طويلة إذا تلا عليه جبريل صلوات الله عليه، وقد أمّنه الله سبحانه وتعالى عن النسيان بقوله تعالى: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى.[١١]

وقوله عز وجل: **لعلهم يتذكرون**، وهو يخرج على وجوه. أحدها لكي يلزمهم التذكر. ويحتمل لكي يتذكروا ما[١٢] قد نَسُوا من حق الله الذي عليهم. أو ليتعظوا بمواعظِ الله تعالى.

---

[١] ر ت م: تأمل.
[٢] ن: يجور.
[٣] جميع النسخ: فيخص. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[٤] ر م - فاز.
[٥] ن - لله.
[٦] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٥).
[٧] سورة البقرة، ٢/٧؛ ومواضع كثيرة.
[٨] جميع النسخ: وفوز عظيم. ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ (سورة النساء، ٤/١٣).
[٩] سورة القمر، ٥٤/١٧ وتكرر فيما بعده.
[١٠] جميع النسخ: لأنه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[١١] سورة الأعلى، ٨٧/٦. للروايات حول أسباب نزول هذه الآية انظر: تفسير الطبري، ٢٤/٣١٥؛ وتفسير ابن أبي حاتم الرازي، ١٠/٣٤١٦.
[١٢] ر م: وأما.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **فارتقب إنهم مرتقبون،** هو[1] على وجهين. أحدهما ارتقب ما وعد الله أن يَنزل بهم من العذاب، فإنهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك ونحوه. أو يقول: ارتقب ولا تكافئهم[2] ولا تَدْع عليهم بالهلاك، فإنهم مرتقبون بما ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتهم بأن مُلكك يزول وأنه يعود[3] إليهم. *والله أعلم*. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فارتقبهم إنهم مرتقبون.[4] والارتقاب الانتظار. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ - هو. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦و.
[2] جميع النسخ: ولا تكافهم.
[3] ن: يزول.
[4] لم أجده في المراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الجاثية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿حم﴾[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢]**

قوله عز وجل: **حم تنزيل الكتاب**، قد ذكرنا في غير موضع.[2]

وقوله: **العزيز الحكيم**، وقد ذكرنا أيضا تأويلَ العزيز الحكيم في غير موضع أيضا.[3] ثم إنما ذكر قوله: **العزيز الحكيم**، على إثر ذلك لِيُعْلَم أنه ما أنزل الكتاب وما أمرهم وما نهاهم[4] و[ما] امتحنهم بأنواع المحن ليتعزّز هو بذلك أو يزيدَ[5] له عزا وسلطانا أو قوة في شيء[6] إذا ائتمروه وأطاعوه، ولا إذا خالفوه[7] ولم يطيعوه فيما أمرهم به[8] وارتكبوا ما نهاهم[9] عنه،[10] يلحقه ذل أو نقصان في ملكه وسلطانه. بل إنما فعل ذلك من الأمر والنهي وأنواع المحن لمنفعة[11] أنفس الممتحنين ليتعزّزوا إذا اتبعوا أمره وأطاعوه، ويَلحَقهم ذل ونقصانٌ إذا تركوا اتباعه.

---

[1] ر – سورة الجاثية؛ ن: ذكر أن سورة الجاثية وهي مكية؛ ث: سورة الجاثية وهي ثلاثون آيات مكية؛ م + مكية.

[2] انظر: السور التي تبدأ بـ﴿حم﴾ نحو سورة المؤمن وسورة الزخرف؛ وانظر أيضا لحروف المقطعة: أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[3] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات.

[4] ن: ونهاهم.

[5] جميع النسخ: أو يريد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.

[6] ر ث م – في شيء.

[7] ر ث م: وإذا خالفوه.

[8] – به

[9] ث م: ما نبأهم.

[10] جميع النسخ – عنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.

[11] ن: لمنفعة.

بخلاف ملوك الأرض فإنه يزيد لهم اتباعُ من اتّبعهم عزا وسلطانا وقوة في ملكهم؛ وترك اتباعهم إياهم وارتكابُ ما نهاهم عنه[1] يوجب لهم ذلا ونقصانا في ملكهم؛ لأن المخلوق كان عزيزا[2] بغيره، فإذا زال ذلك زال عزه وصار ذليلا؛[3] فأما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته فلا يلحقه [٧١٧ظ] النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزد د عزه بائتمار من ائتمره. وقوله:[4] **الحكيم**. والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. يذكر هذا ليعلم أن ما أنشأ[5] من الخلائق على علم منه أنهم يكفرون به ويعصونه لم يُزل عنه الحكمةَ ولا أخرجه منها، لما ذكرنا أنه لم ينشئهم لحاجة[6] له فيهم أو لمنفعة ترجع[7] إليه، ولكن لحاجة لهم ولمنفعة ترجع[8] إلى أنفسهم. ومثله في الشاهد يزيل الحكمة ويُدخل في حد السفه لما ذكرنا أنهم إنما يفعلون لحوائجهم، فكان الفعل مع العلم بأنه لا منفعة له فيه بل مضرةٌ لا تكون[9] حكمة منهم، لذلك افترق الشاهد والغائب. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤] ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **إن في السماوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين، وآياتٌ لقوم يوقنون، وآياتٌ لقوم يعقلون**، ونحو ذلك، يخرج ذكر الآيات لهؤلاء[10] على[11] وجوه. أحدها أي يكون ما ذكر من الآيات لهؤلاء آياتٍ على أعدائهم يحتجون بها عليهم فتكون[12] هي آياتٍ لهم على أعدائهم.

---

[1] جميع النسخ: عنهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[2] ن + في.
[3] جميع النسخ: ذلا. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.
[4] ر م: قوله؛ ن – وقوله.
[5] ر ث م: أن من يشاء.
[6] ر م: بحاجة.
[7] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[8] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.
[9] جميع النسخ: لا يكون.
[10] ث + هؤلاء.
[11] جميع النسخ – على. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[12] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.

والثاني أن منفعة هذه الآيات تحصل[١] لهؤلاء وهم المنتفعون بها، أعني مُتَّبِعِيها[٢] دون من ترك اتباعها. والثالث هي[٣] آيات لمن اعتقد اتباع الآيات والإيمان بها وهم المؤمنون؛ فأما من اعتقد رد الآيات وترك الاتباع لها فليست هي آياتٍ لهم. *والله أعلم*. وقد ذكرنا في غير موضع جهة الآيات فيما ذكر من السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض وإخراج ما أخرج منها أن[٤] في ذلك آياتِ هَسْتِيَّتِه[٥] وآيات وحدانيته وآيات قدرته وسلطانه وآيات علمه[٦] وتدبيره وآيات حكمته وغير ذلك ما يطول الكتاب بذكرها.[٧] *والله الموفق*.

**﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**، قوله عز وجل:[٨] **تلك**، إشارة إلى الآيات التي تقدم ذكرها، **نتلوها عليك بالحق**، أنها من الله تعالى لِمَا عجزوا عن إدراك ذلك من الحكمة البشرية به فيعلموا[٩] أنها من الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: لو كانوا بالذين يقبلون حديثا[١٠] فلا حديثَ أظهرَ صدقا من حديث الله تعالى ولا أبين حقا فيه من كلامه لأنه آيات معجزات عجزوا عن إتيان مثله. و[الثاني] إن كانوا بالذين لا يقبلون[١١] حديثا قَطُّ[١٢] فيلحقهم السفه في ذلك فيكفي مئونتهم. ***والله الهادي***.[١٣]

---

[١] ر ث م: يجعل؛ ن: نجعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.
[٢] ث م: متبعها؛ ر: متبعا.
[٣] جميع النسخ: هن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[٤] ر م – أن.
[٥] ر م: هيبته. الهستية بالفارسية: الوجود.
[٦] ن – علمه.
[٧] ن: يذكرها. انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «الآية، الآيات».
[٨] ن: وقوله تعالى.
[٩] ن: فتعلموا.
[١٠] جميع النسخ + قط.
[١١] ن: لا يقبلوا.
[١٢] ر ن م – قط. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١ظ.
[١٣] ث – وقوله عز وجل فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين ... فيلحقهم السفه في ذلك فيكفي مئونتهم والله الهادي.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ويل لكل أفاك أثيم**، الأفاك هو المصروف[١] عن اتباع ما توجب[٢] الحكمةُ اتباعه. وقال بعضهم: الأفاك الكذاب. والأثيم هو الذي اعتاد الإثم، وهو أكثر من الآثم. ثم نعت ذلك الأفاكَ فقال:

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٨]

**يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها**، يحتمل قوله: **آيات الله تتلى عليه**، القرآن، ويحتمل **آيات الله تتلى عليه**، آيات وحدانية الله عز وجل أو آيات بعثهم[٣] ونشورهم،[٤] أو آيات رسالة رسول الله صلى الله عيه وسلم. ثم أخبر عن تعنته[٥] وعناده في آيات الله حيث قال: **ثم يُصِرّ مستكبرا**، أي يُصِرّ مستكبرا[٦] بعد تلاوة الآيات عيه وبعد معرفته وفهمه أنها آيات الله كما كان يُصِرّ قبل ذلك، لأنها آيات خارجات عن وسعهم إذ عجزوا عن إتيان مثلها. فإذا[٧] كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هي خارجات عن وسع محمد صلى الله عيه وسلم، إذ هو واحد من البشر مثلهم، فعرفوا[٨] أنه إنما قدر على إتيان مثلها بالله تعالى بما أُوحي إليه وأعلمه بذلك. **كَأَنْ لم يسمعها**، عنادا منه واستكبارا. ثم أوعده العذاب الأليم، وهو قوله: **فبشره بعذاب أليم**، أي مؤلم موجع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**، أي عذاب يُهينهم باستهزائهم بالآيات.

---

[١] ن: المضروب.
[٢] جميع النسخ: ما يوجب.
[٣] ر م – أو آيات بعثهم.
[٤] ر م – ونشورهم.
[٥] ن: عن بعثه.
[٦] ن – أي يصر مستكبرا.
[٧] ر م: وإذا.
[٨] ر ث م: فيعرفوا.

**﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٠]**

ثم قال: **من ورائهم جهنم**، أضاف جهنم إلى ورائهم، يحتمل أن يكون المراد من ذكر[١] وراءهم وراءَ الدنيا، كأنه قال: من وراء هذه الدنيا لهم جهنم، لكنه أضاف ذلك إليهم[٢] لأنهم فيها وهم أهلها.[٣] ويحتمل أن يكون قوله: **من ورائهم جهنم**، أي من وراء أحوالهم التي هم عليها جهنم.

وقوله: **ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء**، يحتمل **ولا يغني عنهم ما كسبوا**، أي ما عملوا من القُرَب التي عملوها رجاء أن ينفعهم ذلك في الآخرة وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها[٤] رجاء أن تشفع لهم[٥] في الآخرة[٦] أو يقربهم ذلك إلى الله زلفى،[٧] يخبر أن ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم في الآخرة.

وقوله عز وجل: **ولهم عذاب عظيم**، وعد هم في كل حال وكل أمر كان منهم عذابا غيرَ العذاب في حالٍ أخرى: ذكر في الحال التي عبدوا الأصنام دونه واتخذوها أربابا العذابَ العظيم؛ وذكر هم باستهزائهم بآيات الله العذاب المهين عذابا يُهينهم ويهانون في ذلك؛ وذكر لهم بإصرارهم بما هم عليه واستكبارهم على آيات الله وعلى رسوله العذابَ الأليم حتى يكونَ مقابلُ كلِّ ما[٨] كان منهم[٩] نوعا من العذاب غيرَ النوع الآخر وبصفةٍ غيرِ الصفة الأخرى. ***والله أعلم.***

**﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **هذا هدى**، أي بيان لهم. وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم**، أي عذاب من عذاب أليم، إذ الرجز هو العذاب، كأنه فسر ذلك العذاب ووصفه بالألم. ***والله أعلم.***

---

١ ر ث م + من.
٢ ن - إليهم.
٣ ن + وهم أهلها والله أعلم.
٤ ث - رجاء أن ينفعهم ذلك في الآخرة وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها.
٥ ر ن م: أن يشفع لهم؛ ث: أن يشفعهم.
٦ ر م - وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها رجاء أن تشفع لهم في الآخرة.
٧ يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
٨ ر ث م - ما. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١ظ.
٩ ن - كل ما كان منهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٢]

[٧١٨و] [١] وقوله عز وجل: **الله الذي سخر لكم البحر**، يذكّرهم عظيم نعمه في تسخير البحر لهم، مع أهوالها وكثرة أمواجه وامتناعها عن منافع الخلق صيّرها بلطفه ورحمته لهم كسائر البقاع في الوصول إلى ما فيها من الجواهر واللآلي بالغَوْص فيه والخوض والاصطياد لما فيه من أنواع الصيد وغير ذلك الأشياء بحيلٍ[١] علّمهم وأسباب جعل لهم حتى يصلوا إلى ما فيه من أنواع الجواهر والأموال النفيسة. ***والله أعلم***. وسخرها لهم[٢] أيضا حتى عبروا البحر ومَرُّوا[٣] عليه بسفن أعطاهم وحِيَلٍ علّمهم حتى قدروا على عبوره والمرور عليه ليصلوا إلى قضاء حوائجهم التي تكون[٤] لهم في البلدان النائية، وهو ما قال: **لتجري الفلك فيه بأمره**. ثم قوله تعالى: **بأمره**، يحتمل أن يكون عبارة عن تكوينه، أي بما كوّنه وأنشأه[٥] كذلك، كقوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[٦] والثاني يحتمل **بأمره**، أي بالأمر الذي له على العباد وسائر خلائقه. ويحتمل **بأمره**، أي بإذنه. وقوله عز وجل: **ولعلكم تشكرون**، أي لكي يَلْزَمكم الشكر بذلك، أو ما ذكر ما فيه من الوجوه. ***والله أعلم***.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا**، أي سخر لهم ما في السماوات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وما في الأرض من لأشجار والنبات والبهائم والدواب حتى استعملوها كلها في منافعهم وحوائجهم كما استعملوا أملاكهم التي تحويها[٧] أيديهم بتسخير الله تعالى إياهم[٨] ذلك كله. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: بحيل.
[٢] ن: وسخر لهم.
[٣] ر ث ن: ومروها؛ م: ومرورها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢و.
[٤] جميع النسخ: يكون.
[٥] ر م: وإنشاؤه.
[٦] سورة يس، ٨٢/٣٦.
[٧] ن + إليهم. | جميع النسخ: يحويها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢و.
[٨] ن + بتسخير الله تعالى إياهم.

وقوله[1] عز وجل: **جميعا**، أي جميعُ ذلك من الله تعالى، أخبر أنه سخر جميع ما في هذين: في السماوات والأرض. ثم أخبر: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**. وقد ذكرنا جهة الآية في ذلك في غير موضع. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله**، أمر تعالى عز وجل المؤمنين[2] بالعفو والصفح عمن أساء إليهم وظلمهم، حتى أمرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم وأساء إليهم من الكفرة ليُعلَم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والإساءة عن الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل.[3] ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن هذه الآيات إنما نزلت بمكة ومن أسلم من أهل مكة بمكة كانوا مستَخْفِين مقهورين في أيدي الكفرة، ثم لا يَتَهَيَّأُ لهم الانتصار منهم والانتقام عن مساوئهم، وإنما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه وأساء إليه عند مَقْدَرة الانتقام منه والانتصار، فأما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للأمر له بذلك إذ هو عاجز عن ذلك.

فنقول:[4] الأمر بالعفو والصفح عنه -وإن كان أهل الإسلام منهم مقهورين[5] مغلوبين في أيدي أولئك الكفرة[6] على ما ذكرتم- لوجهين. أحدهما أنه أمرهم بذلك ليتقربوا[7] بذلك إلى الله تعالى ويجعلوا[8] ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم، وإن لم تكن[9] لهم مَقْدُرة[10] الانتقام والانتصار منهم، ليكون العفو عنهم بحق القربة لا[11] بحق[12] التذلل والخشوع.

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: للمؤمنين.
[3] ن: وما يكون لذلك الجهل.
[4] ر م: فيكون؛ ث: فيقول.
[5] ن: معهودن.
[6] ن - الكفرة.
[7] ن: ليقربوا.
[8] جميع النسخ: ويجعون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٨ظ.
[9] جميع النسخ: وإن لم يكن.
[10] ن - مقدرة.
[11] ن - لا.
[12] ن: الحق.

إذ يعفو[1] كلٌ عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك ابتغاءَ لوجه الله تعالى ويترك الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام. وهو ما أمر رسولَه عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة بعد[2] ما أخبره أنهم يريدون أن يقتلوه أو يخرجوه حيث قال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ،[3] الآية، لتكون[4] الهجرة له إلى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل بإخراجهم إياه. ***والله أعلم.*** والثاني أن يرجع الأمر بالعفو إلى كل واحد منهم في خاصة نفسه، وقد كان من[5] المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الأفراد والآحاد منهم، وإن لم تكن[6] لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم. ***والله أعلم.***

ثم قوله عز وجل: **لا يرجون أيام الله**، هذا يخرج على وجوه. أحدها **أيام الله**، أي نعم الله الدائمةَ التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعدها في الآخرة لأهل الإيمان. وهو ما قال في آية أخرى في قصة موسى عليه السلام حيث قال: وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، أي بنعم الله تعالى؛ ألا ترى أن موسى عليه السلام فسر أيام الله بالنعمة، حيث قال على إثره: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[7] الآية. والثاني لا يرجون أيام الله على حقيقة الأيام، لأنهم كانوا يرون[8] هذه النعم والسعة في الدنيا بجهد أنفسهم وكَدِّهم[9] لا بما أجرى الله تعالى النعم إليهم في الأيام. ***والله أعلم.*** والثالث **لا يرجون أيام الله**، أي لا يحذرون نقمة[10] الله وعقوبته.

وقوله عز وجل: **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون**، أي ليجزي كل قوم بما كسبوا من خير وشر، يجزي من عفا عنهم جزاء العفو ويجزي المحسن جزاء الإحسان والمُسيءَ جزاءَ الإساءة. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: أن يعفو.
[2] ن – بعد.
[3] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[4] جميع النسخ: ليكون.
[5] ن: أمر.
[6] جميع النسخ: وإن لم يكن.
[7] ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٥-٦).
[8] ن: يريدون.
[9] ن: أنفسهم ذكرهم.
[10] ر: نعمة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**، يخبر أن من عمل من خير فإنما يعمل لنفسه، ومن عمل من سوء فإنما يعمل على نفسه. يخبر أن من عمل من خير [٧١٨ط] أو صالح فلنفسه سعى في الآخرة، ومن عمل من شر فعلى نفسه سعى في الآخرة؛ كمن عمل في الدنيا من الأكل والشرب فلنفسه يعمل، ومن جنى من جنايات فعلى نفسه جنى في الدنيا والآخرة حيث يُهلك به نفسه ويرجع إليه وبالُ ذلك في الدنيا والآخرة، فعلى ذلك ما قلناه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ثم إلى ربكم ترجعون**، أي ثم إلى ما وعد ربكم من الثواب والعقاب ترجعون.[1]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب**، قال أهل التأويل: أي التوراة. والإشكال أنه آتى بني إسرائيل جملةً كتبا كثيرة، أما التوراة والإنجيل والزبور هي كتب معروفة قد نعرفها،[2] وقد يجوز أن تكون[3] لهم كتب غيرها، فما معنى[4] ذكر الكتاب، وما معنى حملهم على التوراة؟[5] إلا أن نقول: يجوز أن يريد بذكر الكتاب الكتب، فإنه أدخل الألف واللام فيكون لاستغراق الجنس. ويحتمل أنه أراد به التوراة كما قال أهل التأويل إذ يجوز أن يذكر اسم العامّ ويراد به الخاصّ، وهو الواحد منهم. ويحتمل أن تكون[6] التوراة[7] هو الكتاب الذي فيه عامة الأحكام، فإنه قيل: إن الزبور ليس فيه الحكم، إنما فيه التسبيح والتحميد؛ وكذا الإنجيل ليس فيه إلا أحكام قليلة،[8] فيجوز أن يكون المراد التوراة لهذا.[9] *والله أعلم*.

---

[1] ن ث: يرجعون.
[2] جميع النسخ: قد يعرفها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[3] جميع النسخ: أن يكون.
[4] ن: في معنى.
[5] ر م: عنى أن التوراة.
[6] ر ن م: أن يكون.
[7] ث: ويحتمل أنه أراد به التوراة.
[8] جميع النسخ: قليل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[9] ث - لهذا.

وقوله تعالى: **والحُكْمَ**، قال بعضهم: **والحكم**، أي فَهْمَ ما فيه. وقال بعضهم: الحكم فقه ما في الكتاب، إذ الحكم الظاهر داخل تحت قوله: **الكتاب**. لكن[1] بيّن بقوله: **والحكم**، أنه أعطي له الحكم الظاهر فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد. *والله أعلم*. ويحتمل أن يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم، وبالحكم[2] هو ما[3] أمرهم فيه أن يحكموا فيما بين العباد. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والنبوة**. إنما ذكر النبوة لأن النبوة كانت ظاهرة في بني إسرائيل، فإنه ذُكِر أن في بني إسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ورزقناهم من الطيبات**، قد كان رزقهم من[4] الطيبات ما ذكر من المَنّ والسَّلْوَى وغير ذلك من الطيبات فلا تحصى.[5] وقوله عز وجل: **وفضلناهم على العالمين**، قد ذكرنا تفضيلهم على العالمين في موضعه.[6]

**﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **وآتيناهم بينات من الأمر**، قال بعضهم: **بينات من الأمر**، أي آياتٍ من الأمر. وقيل: **بينات من الأمر**، أي ما بيّن لهم من الحلال والحرام والشُّبه ونبإ ما كان قبلهم. *والله أعلم*. ويحتمل **بينات من الأمر**، أي بيانَ ما يقع الحاجة إليه من الأمر. وعندنا **بينات من الأمر**، يخرج على وجهين. أحدهما **وآتيناهم بينات من الأمر**، أي بينات التكوين ودلالاته[7] لما جعل الله لهم في نفس كل أحد من دلالات وحدانيته وألوهيته، أو ما أقام من الآيات في العالم على التكوين يدل على جَعْل الألوهية والربوبية له.

وقوله عز وجل: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**، على ما ذكرنا من أمر التكوين، أي ما اختلفوا في صرف الألوهية والوحدانية عن الله تعالى إلى غيره إلا من[8] بعد ما جاءهم العلم،

---

[1] جميع النسخ - لكن. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[2] جميع النسخ: والحكم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٢ظ.
[3] ر ن: هو إما.
[4] جميع النسخ - من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[5] جميع النسخ: فلا يحصى. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٢ظ.
[6] انظر: تأويل الآية ٤٧ من سورة البقرة، وانظر أيضا: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «بنو إسرائيل».
[7] ر م: ودلالات؛ ث: ودلالة.
[8] جميع النسخ - من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.

أي إلا من بعد ما بَيّن لهم أن الألوهية والربوبية بالدلالات[١] الواضحة والحجج[٢] النيرة [له]، وأن له الخلق والأمرَ، إلا أنه ذكر العلم وأراد به أسباب العلم ودلائله. *والله أعلم*. والثاني يحتمل قوله عز وجل: **وآتيناهم بينات من الأمر**، أمر المحن من الأمر[٣] والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما يؤتى وما يُتَّقَى[٤] وما لهم وما عليهم.

ثم قوله عز وجل: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاء هم العلم**، واختلافهم فيما امتحنوا يتوجه إلى وجوه. أحدها ما اختلفوا فيما امتحنوا من الدين[٥] أو فيما امتُحنوا في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجابة له إلى ما يدعوهم إليه والطاعة له.[٦] ويحتمل اختلافهم الذي ذَكَر الاختلافُ في القرآن أو فيما امتحنوا من التحليل والتحريم. ثم يخبر جل وعلا أنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق في ذلك[٧] والبيانُ أنه من الله وأن ما هم عليه باطل مضمحلّ. ثم أخبر أن اختلافهم إنما هو لبغي بينهم وحسدٍ حَمَلَهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم. ثم أخبر أنه يقضي[٨] بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ثم قوله تعالى: **يقضي بينهم يوم القيامة**، يحتمل وجهين. أحدهما أي يجزيهم[٩] في الآخرة جزاء اختلافهم في الدنيا، أو **يقضي**، أي يَفْصل ويبين يوم القيامة الحق من الباطل والمحق من المُبْطل.[١٠] *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**، يحتمل أن يكون هذا صلة قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ،[١١] كأنه يقول: وآتيناهم بينات من الأمر وجعلنا ذلك

---

[١] ر م: بالدلالة.
[٢] ر ث م: والحجة.
[٣] ر ث م: أمر المجيء من الأمر؛ ن – أمر المحن من الأمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[٤] ر م: ويتقى؛ ن: وما يبقى.
[٥] ن: من الدين.
[٦] ن – له
[٧] ن – في ذلك
[٨] ن: نقصى.
[٩] ر م: يجز بهم.
[١٠] ر ث م: ومبطل.
[١١] الآية السابقة.

شريعة لك فاتبعها أنت وإن لم يتبعوها هم. والشريعة هي الملة والمذهب،[1] وهي ما يُشْرَع[2] فيه ويُذْهَب إليه، كذلك قاله القُتَبي، قال: يقال شرَع فلان في كذا إذا أخذ فيه، ومنه مشارع الماء الفُرَضُ[3] التي يَشرع فيها الناس والواردةُ.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: الشريعة السنة. ***والله أعلم***.

[٧١٩و] ثم أخبر أن الذي . هم عليه إنما هو هوى النفس، فقال عز وجل: **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**، يحتمل قوله تعالى: **لا يعلمون** [وجهين. أحدهما أنهم لا يعلمون] لما لم يتأملوا فيه ولم يتفكروا ما لو تأملوا وتفكروا فيه لعلموا، لأنه[5] قد ذَكَر في أول الآية أنهم إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، أي جاءهم من دلائل العلم ما لو تأملوا ونظروا فيها لعلموا. والثاني نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من العلم. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا**، أي لو اتبعت أهواءهم لن يغنوا عنك من الله، أي لن يغنوا[6] أولئك عن دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا، وهو ما قال في آية أخرى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ -إلى قوله- إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ،[7] الآية.

ثم أخبر أن الظالمين بعضهم أولياء بعض بقوله: **وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض**، يحتمل ولاية الدين والمذهب، أي بعضهم يوالي بعضا في الدين. ويحتمل في غيره، أي يلي[8] بعضهم أمر بعض في الإعانة والنصرة. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **والله[9] ولي المتقين**، يحتمل أي يلي أمور المتقين. ويحتمل **ولي المتقين**، أي ناصرهم ومعينهم.

---

[1] ث: والذهب.
[2] جميع النسخ: ما شرع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.
[3] فُرْضة النهر مشرب الماء منه، والجمع فُرَض وفِراض (*لسان العرب*، «فرض»).
[4] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.
[5] ن - لأنه.
[6] جميع النسخ: لم يغنوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.
[7] ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ (سورة الإسراء، ٧٣/١٧-٧٥).
[8] ن: يلي.
[9] ن: الله.

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **هذا بصائر للناس،** سمى الله تعالى هذا القرآن مرة بصائر وهو ما يُبْصَر به، ومرة هدى وبيانا ورحمة ونورا ونحوه، وهو هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة لمن اتبعه ونظر إليه بعين التعظيم والتبجيل وقَبِلَه.[١] ويحتمل **بصائر** بيانا[٢] يبين لهم أنه من الله، فيبين[٣] لهم[٤] الحق من الباطل ويبين لهم ما لهم[٥] وما عليهم لمن ذكر: **لقوم يوقنون.** ***والله أعلم.***[٦]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون.** قال بعض أهل التأويل: إن نفرا[٧] من الكفرة قالوا: والله إن كان ما يقوله محمد من الثواب والنعيم في الجنة حقا فنحن أولى بذلك منهم كما كنا في نعيم الدنيا ولذّاتها أولى منهم، أو لنُعْطَيَنَّ أفضلَ مما يُعْطَوْن ولنُفَضَّلَنَّ عليهم كما فُضِّلْنا في الدنيا، فأنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك قوله:[٨] **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات،** الآية.[٩] لكن هذا التأويل ضعيف، لأن هذا لا يصلح[١٠] أن يكون جوابا للنازلة التي ذكرها أهل التأويل، لأن أولئك قالوا: نحن أولى بما يكون في الآخرة من النعيم واللذات منهم كما كنا في الدنيا أولى، وكما فُضِّلنا في الدنيا نُفَضَّل في الآخرة، فلا يكون قوله تعالى: **أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات،** جوابا[١١] لما قالوا. وهم إنما قالوا: نحن أولى بذلك ونحن نُفضَّل فيها كما فُضِّلنا في الدنيا،

---

[١] ث: وقيل.
[٢] ر ن م: بيان.
[٣] ن: فتبين.
[٤] ث – هم.
[٥] ر م ن – ما هم.
[٦] ر م – والله أعلم.
[٧] ر م: وقال بعض أهل التأويل نفر.
[٨] ر م – قوله.
[٩] انظر: *تفسير الثعالبي،* ٥/٢٠٧.
[١٠] ن: لا تصلح.
[١١] جميع النسخ: فلا يكون قوله تعالى أن نجعلهم سواء جوابا. والتصحيح من *الشرح،* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.

فإذا كانوا حسبوا هم أنهم مفضَّلون على المؤمنين في الآخرة دون المساواة كيف يخبر عنهم أنهم حسبوا التساوي، ولا خُلْفَ في خبر الله عز وجل. *والله أعلم*. لكن الآية عندنا إنما كانت في منكري البعث وجاحديه، يقول -والله أعلم-:[1] **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء**، الآية. أي لو كان الأمر على ما ظن أولئك بأن لا بعث ولا نشور كان في ذلك جَعْلُ الذين اجترحوا السيئات -أي الشركَ- كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، لأنهم جميعا قد استَوَوْا في هذه الدنيا في لذاتها ونعيمها وشدائدها وآلامها، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز وإنزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه المسيء[2] العقوبة وجزاءَ الإساءة والمحسنُ الإحسان والإفضال وجزاءَ إحسانه. فإذا جمع بينهما في هذه الدنيا على ما ذكرنا دل أن هنالك دارا أخرى فيها يُفرَّقُ ويُمَيَّز بينهما في حق الثواب والعقاب. *والله أعلم*. وهو كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[3] لو كان كما ظن أولئك الكفرة أن لا بعث ولا نشورَ كان خلق ما ذكر من السماوات والأرض وما بينهما باطلا على ظنهم. فكذلك[4] قوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[5] صيّر خلق السماوات والأرض إذا لم يكن هنالك رجوع إليه عبثا باطلا. *والله أعلم*.[6] فهذا أولى وأحق أن تصرف[7] إليه الآية. وعلى ذلك ما ذكر في قوله عز وجل: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ،[8] الآية، وقوله عز وجل: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا،[9] أي لا يستويان. ولو كان الأمر على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا نشور ولا حياة كان في ذلك استواءٌ بين من ذكر، وقد سُوِّي بينهم في الدنيا، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز، إذ لا يجوز التسوية بين الولي والعدو وقد سُوِّي بينهما في الدنيا، فعلم[10] أن المراد به نفي الاستواء بينهما في دار أخرى. ***والله الموفق***.

---

[1] ت - لكن الآية عندنا إنما كانت في منكري البعث وجاحديه يقول والله أعلم.
[2] ن: المسمى.
[3] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[4] ر ت م: فلذلك.
[5] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[6] ر م - والله أعلم.
[7] جميع النسخ: أن يصرف.
[8] سورة الأنعام، ٥٩/٦؛ سورة الرعد، ١٦/١٣.
[9] سورة هود، ٢٤/١١.
[10] ن: فعلى.

ثم اختلف أهل الكلام فيما يعطي الولي والعدوّ في هذه الدنيا من الصحة والسلامة. [٧١٩ط]
على قول أكثر المعتزلة أن الله تعالى لا يعطي أحدا في الدنيا من كافر أو مؤمن شيئا إلا وهو أصلح له في الدين. ثم على قولهم لا يظهر عفو الله تعالى[1] في الآخرة، لأنهم يقولون: إنما يستوجبون الثواب والجنة بأعمالهم لا برحمة الله تعالى. فإذا عفا عن المسيء فلا يُعْلَم أنه كان مستحقا لذلك[2] أو يعفو[3] منه فضلا. وعندنا أن ما أعطاهم إنما يعطيهم إفضالا منه ورحمة فيعرفون فضله وإحسانه وعفوه. وأكثر أصحابنا يقولون: إن جميع ما أُعْطى الكافرَ في الدنيا فهو شر له، كقوله تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[4] وقوله عز وجل: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[5] ونحو ذلك مما[6] يخبر أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شرا لهم وما أعطى [المؤمنين] يكون خيرا لهم. ولكن عندنا ليس هذا على الإطلاق والإرسال، ولكن ما كان توفيقا منه على الخيرات في نفسها فهو خير له،[7] وما كان خذلانا فهو شر له، وليس على الله حفظ الأصلح لهم على ما يقوله المعتزلة، ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة [و]عدل كما يفعل ما هو إحسان وفضل. *والله الموفق.*

قال القُتَبِي: **اجترحوا السيئات**، أي اكتسبوها، ومنه قيل لكلاب[8] الصيد: جوارح.[9]

**﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهو لا يظلمون**، كأنه يقول -والله أعلم-: خلق السماوات والأرض بالحق لتجزى[10] كل نفس بما كسبت، أي إنما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت؛ فلو لم يكن جزاءٌ في الآخرة

---

[1] ر ث + لا يظهر عفوه تعالى.
[2] ر ث م: كذلك.
[3] ر م: أو يعفو.
[4] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.
[5] سورة المؤمنون، ٥٥/٢٣-٥٦.
[6] جميع النسخ: ما.
[7] ر ث م + أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شرا لهم وما أعطى يكون خيرا لهم.
[8] ن ث: لكلاب.
[9] انظر: غريب القرآن لابن قتيبة، ٤٠٥/١.
[10] ر م: ولتجزى.

لِما كسبوا في الدنيا[1] –على ما قال أولئك لكفرة: أن لا جزاء من الثواب والعقاب لإنكارهم البعث– لم يكن خلقهما بالحق على ما ذكرنا، فتبين أنه إنما صار خلقهما حقا[2] إذا كان هنالك جزاء. وهذا يدل على أن الآية الأولى هو في منكري البعث، ليست فيما ذكر أهل التأويل. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**[٢٣]

وقوله عز وجل: **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التحقيق، على ما قاله عامة أهل التأويل: إنهم عبدوا كل شيء استحسنوه؛ كانوا إذا[3] استحسنوا شيئا هَوَوْه، وإذا هووه عبدوه، ثم إذا رَأَوْ[4] شيئا آخر أحسن منه تركوا عبادة الأول وعبدوا الثاني، فذلك كانت عادتهم؛ وذلك اتخاذ الآلهة بهواهم، إذ الإله هو المعبود عندهم، وهو التحقيق[5] الذي ذكرنا. والثاني على التمثيل، وهو ما قال قتادة: إنهم ما هووا شيئا إلا ركبوه، لا تمنعهم[6] مخافة الله عما هَووه ولا تَرْدَعهم[7] خشيته[8] عما اشتهوا، فصيّروا هواهم متَّبَعا فهو كالإله لهم لا يتبعون أمر الله فلا يكترثون له، أو كلام نحوه.[9] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأضله الله على علم**، يخرج على وجوه. أحدها أي أضله الله على علم[10] من ذلك الإنسان طريق[11] الهدى والحق لا أنه أضله على خفاء من ذلك الإنسان طريق[12] الحق وسبيله، أي قد بين له السبيل وطريق الحق لكنه باختياره ضل. والثاني قوله: **وأضله الله على علم**،

---

[1] ر ث م: فلو لم يكن جزاء لما كسبوا في الدنيا في الآخرة؛ ن: فلو لم يكن جزاء لما كسبوا في الدنيا وفي الآخرة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣ظ.

[2] ر ث م – حقا.

[3] ر م – استحسنوه كانوا إذا.

[4] ر م – شيئا هووه وإذا هووه عبدوه ثم إذا رأو.

[5] ن: والتحقيق.

[6] جميع النسخ: لا يمنعهم.

[7] جميع النسخ: ولا يردعهم.

[8] ر م: خشية.

[9] روى عبد الرزاق الصنعاني والطبري عن قتادة نحو هذه الرواية، انظر: *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٢١٢؛ و*تفسير الطبري*، ٩٣/٢١.

[10] ن – يخرج على وجوه أحدها أي أضله الله على علم.

[11] جميع النسخ: بالطريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧٠٢ط.

[12] جميع النسخ: بالطريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧٠٢ط.

أي أضله الله على علم منه باختياره[1] الضلال، أضله لِما علم منه أنه يختار الضلال والكفر ليكون ما علم أنه يكون ويختار. *والله أعلم*. والثالث **أضله الله على علم**، أي أنشأ منه فعلَ الضلال على علم منه بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي غطّى قلبه بما هَوِيَه[2] وجعل فيه ظلمة، فتلك الظلمة وذلك الغطاء أوجب غطاء السمع والبصر وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين، وصارت[3] ظلمة البصر وغطاءه مانعة[4] له[5] عن اكتساب التدبير والتفكر. ويحتمل أن يكون ما هووه مانعا لهم عن اكتساب الحياة الدائمة ما[6] لو اتبعوا أمر الله تعالى وما دعاهم إليه كانت لهم تلك الحياة، كقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ،[7] وكقوله تعالى: أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ،[8] فما هووه واتبعوه منعهم عن اكتساب الحياة الدائمة المَدْعُوِّ إليها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن يهديه من بعد الله**،[9] هذا أيضا يحتمل وجهين. أحدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق والعصمة. فكأنه يقول -والله أعلم-: فمن يقدر دون الله هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال. والثاني الهدى البيان، فكأنه يقول -والله أعلم-:[10] فمن يقدر أن يأتيَ ببيان أكثر وأبيَنَ مِن بعد بين الله تعالى الذي بيّن له، أي لا أحد يقدر ذلك. **أفلا تَذَكَّرون**، أي أفلا تتعظون، أو أفلا تذكرون بين الله أو ما بين لهم. *والله أعلم*.

ثم الآية في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا لئلا يشتغل بهم ولا يهتمّ لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع طمعه عن إيمانهم.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – ض: والثاني قوله وأضله الله على علم أي أضله الله على علم منه باختياره.
[2] جميع النسخ: ت هواه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[3] جميع النسخ: وصار.
[4] جميع النسخ: مانع.
[5] ر م: لهم.
[6] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[7] سورة الأنفال، ٢٤/٨.
[8] ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (سورة الأنعام، ١٢٢/٦).
[9] ث + الآية
[10] ر م – والله أعلم.
[11] أي لئلا يشتغل النبي صلى الله عليه وسلم بهم...

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا**. أي قالوا:[١] ما الحياة إلا حياة الدنيا. ويحتمل أنهم يقولون: **ما هي**، أي لا حياة إلا الحياة التي دنت منا. وقوله عز وجل: **نموت ونحيا**. يخرج على وجهين.[٢] أحدهما أي نموت نحن ويحيا آخرون، أو نموت نحن[٣] ويحيا[٤] أبناؤنا وأولادنا. والثاني **نموت**، أي كنا مَيِّتِين[٥] فحَيِينا، **نموت** بمعنى كنا أمواتا، **ونحيا**، أي فصِرْنا أحياء، [٧٢٠و] ثم لا حياة / بعد تلك الحياة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما يهلكنا إلا الدهر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ما يهلكنا إلا مرور الأزمنة والأوقات، أي بسبب مرور الأوقات تنتهي[٦] آجالنا ونبلغ إلى الهلاك؛ كذلك قال القُتَبِي: **وما يهلكنا إلا الدهر**، أي إلا مرور السنين والأيام.[٧] والثاني[٨] يكون الدهر عندهم عبارة عن الأبد، فكأنهم يقولون في قوله: **وما يهلكنا إلا الدهر**: وما يُهلِك أنفسَنا إلا لأن أنفسنا لم تجعل[٩] للأبد ولا للبقاء[١٠] بل جعلت للانقضاء والفناء. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**، [هذا يخرج على وجهين أيضا. أحدهما] أي ما لهم[١١] [في قولهم] بأن لا حياةَ إلا حياتنا الدنيا من علم[١٢] إلا[١٣] ظَنٌّ يظنون. والثاني **وما لهم بذلك**، أي وما لهم بما قالوا: **وما يهلكنا إلا الدهر**، **من علم إن هم إلا يظنون**، أي ما هم إلا على ظن، أي على ظن يقولون ذلك لا عن علم. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: أي ما قالوا.
[٢] ر ث م: على الوجهين.
[٣] جميع النسخ – ويحيا آخرون أو نموت نحن. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[٤] جميع النسخ: ونحيا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.
[٥] ر: تين؛ ن + أي كنا ميتين.
[٦] جميع النسخ: ينتهي.
[٧] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.
[٨] ر ثم + أن.
[٩] جميع النسخ: لم يجعل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[١٠] ر م + للأبد.
[١١] جميع النسخ: ما هم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[١٢] جميع النسخ – بأن لا حياة إلا حياتنا الدنيا من علم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.
[١٣] جميع النسخ + على. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٢٥]

وقوله: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، أي وإذا تتلى عليهم آياتنا في البعث والحياة بعد الموت، **بينات.**[١] أي ما يوضح و يبين لهم البعث والحياة بعد الموت. وقوله عز وجل: **ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**. والإشكال أنه ذكر ما كان حجتهم،[٢] والحجة هي التي إذا أقامها الإنسان وأتى بها عُذِر في ذلك، وما قالوا لم يكن حجة إذ لم يعذروا بها.[٣] فنقول:[٤] معنى قوله: **ما كان حجتهم**، أي ما كان احتجاجهم إلا أن قالوا كذا، أو يقول: ما كانوا يحتجون إلا أن قالوا كذا. ثم قوله: **ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**، فيه دلالة أن لا يَلزم المسئولَ أن يأتي بحجة وآية يختارها السائل ويشتهيها، لكن يلزمه أن يأتي بما هو حجة في نفسه ويلزمه الاتباع بها؛ فأما أن يَلزم على ما يختاره السائل أو يتمناه فلا، وقد أتاهم الله تعالى من الآيات والحجج ما ألزمهم القولَ بالبعث والإقرارَ به. ثم أخبر أن الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم لا[٥] الدهرُ الذي قالوا، وهو قوله:

**﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٢٦]

**قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة**، يحتمل قوله: **قل الله يحييكم**،[٦] أي يحييكم في قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم إلى يوم القيامة. أو يقول: الله يحييكم في ابتداء أمركم[٧] ثم يميتكم في الدنيا عند انقضاء آجالكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة. وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أي ولكن أكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون،[٨] أو يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون لِما تركوا النظر بالتأمل في أسباب العلم.

---

[١] ن – أي وإذ تتى عيهم آياتنا في البعث والحياة بعد الموت بينات، صح هـ.
[٢] ر م + إذ لم يعذروا فيقول.
[٣] ر م – بها.
[٤] ر ث م: فيقول.
[٥] م: إلا.
[٦] ن – ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة يحتمل (ويحتمل) قوله قل لله يحييكم، صح هـ.
[٧] ر ث م: لأمر.
[٨] ن ث: بما يعملون.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **ولله ملك السماوات والأرض**. هذا يخرج على وجوه. أحدها أي ولله مُلك كل مَلِك في السماوات والأرض، أو لله ملك السماوات والأرض، أي خزائن السماوات والأرض، وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه،[١] أو يقول: ولله حقيقة ملك السماوات والأرض. فإن كان التأويل هو الأولَ[٢] فإن له مُلكَ كل مَلِك[٣] في السماوات والأرض. ففيه إخبار وإعلام لمنع[٤] اتباع أولئك الملوك والتعظيم لهم والإجلال والخدمة لهم بما في أيديهم من الملك والسلطان وفضل الأموال، بل فيه الأمر بصرف[٥] ذلك كله إلى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لأولئك؛ لأن الذي في أيديهم لله تعالى، وهو الجاعل ذلك[٦] في أيديهم والواضع عندهم، فإليه يلزم صرف الشكر والعبادة. *والله أعلم*. وإن كان تأويل المُلك الخزائنَ ففيه قطع[٧] الأطماع عما في أيدي الناس والأمرُ بصرف ذلك إلى الله تعالى والرجاءِ منه دون مَن سواه. *والله أعلم*. وإن كان الثالثَ، وهو أن حقيقة الملك لله تعالى، ففيه أنه فيما امتحنهم في الدنيا بأنواع المحن لم يمتحنهم لمنفعة ترجع[٨] إلى نفسه أو لمضرة يدفع عنها، وكذلك ما يثيبهم في الآخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له في الدنيا أو دفع مضرة عنه، ولكن لحكمة أوجبت ذلك لهم وعليهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويوم تقوم الساعة**، سَمَّى القيامة ساعة، فجائز أن يكون سماها لسرعة قيامها أو نفاذها، كقوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[٩] أو أن يكون سماها بذلك لما يكون حسابهم وأمرهم يوم القيامة إنما يكون في ساعة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يومئذ يخسر المبطلون**. يحتمل أي يومئذ يتبين[١٠] خسران المبطلين في الدنيا،

---

[١] لم أجده في المراجع.
[٢] ن - هو الأول، صح هـ.
[٣] ن - كل ملك، صح هـ.
[٤] ر ث م: بمنع؛ ن: من يمنع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[٥] ن: تصرف.
[٦] ر ث م - ذلك.
[٧] ر ث م: مطمع.
[٨] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[٩] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[١٠] جميع النسخ: يبين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.

وعلى ذلك يتبين[1] خسران كل مشتركين[2] في تجارة الدنيا أو[3] في عمل بالقسمة، عند ذلك يتبين[4] خسران عملهم وتجارتهم. وأصله أن الله تعالى جعل الدنيا وما أنشأ فيها من الأموال والأملاك رءوس أموال لأهلها يَتَّجِرون ويكتسبون بها الربح في الآخرة. وأنه إنما أنشأ الدنيا للآخرة لا أنه أنشأها لنفسها، ولذلك قال: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ [بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ].[5] الآية، وقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ،[6] ونحوه. ***والله أعلم***.

**﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها**، يحتمل ما ذكر من الجُثُوّ للرُّكَب في الآخرة تعريفا[7] لهم وإنباءً أنّهم يختصمون يوم القيامة جاثين للرُّكَب[8] كما يختصم في الدنيا عن الحكام والأمراء جاثٍ[9] للركبتين.[10] ***والله أعلم***. ويحتمل أن يذكر جثوهم لما لا تقوم[11] لهم الأقدام ولا تحملهم[12] لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين / للركب ويقومون بها. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كلُّ أمة تُدْعَى إلى كتابها**، يحتمل [٧٢٠ظ]
**كتابها**[13] كتابَ كلٍ في نفسه، وهو كقوله تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ،[14] وقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[15] وقوله:[16] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ،[17] ونحوه.

---

[1] ر ث م: يبين؛ ن: تبين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[2] جميع النسخ: مشركين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[3] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[4] جميع النسخ: في عمل عند القسمة يتبين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٢و.
[5] سورة التوبة، ١١١/٩.
[6] سورة البقرة، ٢٠٧/٢.
[7] ر ث م: تعريف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[8] ن - في الآخرة تعريفا لهم وإنباء أنهم يختصمون يوم القيامة جاثين للركب.
[9] جميع النسخ: جاثين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[10] جميع النسخ: للركب.
[11] جميع النسخ: لما لا يقوم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[12] جميع النسخ: ولا يحملهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[13] ن + يحتمل كتابها.
[14] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[15] سورة الحاقة، ١٩/٦٩.
[16] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[17] سورة الحاقة، ٢٥/٦٩.

ويحتمل أن يكون قوله: **كلُّ أمة تدعى إلى كتابها**، أي كتابها[1] الذي دعي[2] كل أمة إليه في الدنيا من نحو القرآن ونحوه. فيقال: يا أهل الإنجيل! يا أهل التوراة! ونحو ذلك. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون **كل أمة تدعى إلى كتابها**، أي إلى حسابها الذي عملت في الدنيا، تفسير ذلك ما ذكر: **اليوم تجزون ما كنتم تعملون**.[3]

[٧٢٠ظ س٢٠ *وقال أبو عَوْسَجة: الجاثية هي التي جثَتْ واجتمعت، ويقال: تجاثينا، أي تبَرَكْنا على رُكَبِنا لمخصومة. وقال القُتَبِي: **جاثيةً** على الرُّكَب، يراد أنها غير مطمئنة. وقوله تعالى: **تُدْعَى إلى كتابها**،

٧٢٠ظ س٢١] أي[4] إلى حسابها.*

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**، يحتمل الكتاب الذي أضاف إلى نفسه هو القرآنَ الذي كان ينطق لهم بالحق، أي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض، أو **بالحق**، أي بالصدق بأنه من الله تعالى. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ذلك الكتاب هو الكتابَ الذي يكون لكل بالانفراد الذي[6] كتبته[7] له الملائكة مما عملوا من خير أو شر، وهو كقوله تعالى: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[8] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**، اختلف في تأويله؛ قال بعضهم: إن الحفظة تكتب أعمال بني آدم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه أن فلانا يعمل كذا وكذا فلا يزيد شيء ولا ينقص. وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول قريبا من هذا: إن في السماء كتابا عليه ملائكة، والملائكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون؛ ثم قال: وهل تكون[9] النسخة إلا من كتاب أو شيء.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م – أي كتابها.
[2] جميع النسخ: دعيت.
[3] ن – تفسير ذلك ما ذكر اليوم تجزون ما كنتم تعملون.
[4] جميع النسخ – أي. والزيادة من *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢٠ظ/سطر ٢٠-٢١.
[6] ر ث م: للذي.
[7] ر م: كتبه.
[8] سورة الإسراء، ١٤/١٧.
[9] جميع النسخ: يكون.
[10] انظر: *تفسير مقاتل*، ٢١٥/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/١٠٤-١٠٥.

وقال بعضهم: ملكان مَوَكَّلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله، فإذا أراد أن يصعد إلى السماء يعارض[1] كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الآخر فلا يخطئ حرفا مما كتب هذا ما كتب الآخر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: يعرض[2] كتاب الناس الذي عملوا كل يوم أو كلَّ خميسٍ فيسخ منه الخير والشر وما يثاب عليه وما يعاقَب ويُلْقَى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب. *والله أعلم*. ويحتمل أن يراد من الانتساخ ابتداءُ الكتابة من غير أخذ من كتاب أو نحوه، فإنه يجوز أن يستعمل الانتساخ في ابتداء الكتابة على غير أخذ من الكتاب أو غيره، نحوَ أن يقول الرجل: انتسخته،[3] أي كتبته، فيكون كأنه قال: **إنا كنا نستنسخ**، أي نكتب، **ما كنتم تعملون**، ونُثْبِته عليكم من خير أو شر، فيُخرِج لهم كتبَهم التي فيها أعمالهم فكانت عيبهم حجة، وهي التي كتبت عليهم الحفظة.* وقوله: **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**، يريد أنهم يقرءونه فيدلهم ويُذَكِّرهم، فكأنه ينطق عليهم. وقوله تعالى: **إنا كنا نستنسخ**، أي نكتب،[4] على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾**[٣٠]

وقوله تعالى: **فأما الذين آمنوا**، آمنوا بجميع ما كان عليه الإيمان به والتصديق. وقوله عز وجل: **وعملوا الصالحات**، أي عملوا بما فيه صلاحهم وما توجبه[6] الحكمة من العمل. **فيدخلهم ربهم في رحمته**، أي في جنته؛ سَمَى الجنة رحمة لأنها تنال[7] برحمته ويدخل فيها، أو سماها رحمة لأنها هي النهاية والغاية التي تطلب بالرحمة وتراد بها.[8] *والله أعلم*.[9] وقوله: **ذلك هو الفوز المبين**،[10] الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل، أو يقال: الفوز هو الفلاح الذي لا خوف بَعدَه. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: فيعرض.
[2] جميع النسخ: عرض.
[3] ن: انتسخه.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٢٠ظ/سطر ٢٠-٢١.
[4] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥-٤٠٦.
[6] جميع النسخ: وما يوجبه.
[7] جميع النسخ: ينال.
[8] جميع النسخ: يطلب بالرحمة ويراد بها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥و.
[9] ر م – والله أعلم.
[10] ر م + الآية.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[٣١]

وقوله: **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**، كأن فيه إضمارا، لأن قوله تعالى: **وأما الذين كفروا**، إنما هو إخبار عن المغايبة،[١] وقوله تعالى: **أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**، خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الأول ولا من نوعه، فكأنه قال -والله أعلم-: وأما الذين كفروا في الدنيا فيقال لهم في الآخرة إذا طلبوا الرجوع والإقالة أو التخفيف ونحو ذلك: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا؟ ثم تحتمل[٢] آياته آياتِ وحدانيته وألوهيته، أو آيات قدرته وسلطانه على التعذيب، أو آيات قدرته على البعث، أو آيات[٣] رسالة رسله.[٤] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين**، لا أحد يقصد قصد الاستكبار على آيات الله، لكنهم لما كذبوها وردوا آياته و لم يعملوا بها فكأنهم استكبروا عليها، وهو كما قال: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[٥] ولا أحد يقصد قصد[٦] عبادة الشيطان، لكنهم لما عبدوا الأصنام بأمر الشيطان فكأنهم عبدوه. ويحتمل أن يكونوا استكبروا على رسله، فيكون استكبارهم على رسله كأنهم استكبروا عليه، أو[٧] استكبروا على آياته. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكنتم قوما مجرمين**. قيل المجرم، هو الوثّاب في المعصية. *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين**، كان عندهم فيها ريب، لكنهم لو تأملوا ونظروا[٨] فيما أقام من آياته زال عنهم الريب الذي كان لهم فيها. ويحتمل أن يقال: هذا على الإيقان[٩] إذا كان القائل به موقنا وإن كان الذي يقال له شاكا في ذلك، والأول أقرب وأشبه.

---

[١] ر م: على المعاينة؛ ث: على لمعاتبة.
[٢] جميع النسخ: يحتمل.
[٣] ن: أو آية.
[٤] ر م: رسالته.
[٥] سورة يس، ٣٦/٦٠.
[٦] ن – قصد.
[٧] ر م – استكبروا عليه أو.
[٨] ن + فيه.
[٩] ر م: على الإتقان.

ثم / الناس رجلان في الساعة: موقن بها ومتحقق، ولكن في العمل بها والاستعداد لها كالظان. [٧٢١و]
والثاني ظانٌ بها شاك فيها جاحد[١] لها ومكذب كالموقن أن لا يكون. ثم الإيقان[٢] بالشيء هو العلم بالأسباب الظاهرة، وقد يدخل[٣] في تلك الأسباب أدنى شبهة وشك، لذلك ذَكَر فيه الظن. *والله أعلم*. وأما العلم بالشيء قد يكون بالسبب وقد يكون[٤] بالتجلي له بلا سبب، ولذلك وُصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالإيقان ولا يقال:[٥] إنه موقن، لما ذكرنا أن أحدهما يكون بأسباب والآخر لا -والله أعلم- فيتمكن في الإيقان[٦] أدنى شبهة وشك، وقد يَعْمَل غالبُ الأسباب[٧] عمل[٨] حقيقة الأعمال، نحو المُكرَه على الشر يعلم بما أُوعِد به بغالب أسبابه ليس على الحقيقة. *والله أعلم*.

*ثم في قوله: **إن نظن إلا ظنا**، وقوله: وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا،[٩] الآية، [٧٢١و س ٣١
وقوله عز وجل: اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ،[١٠] دلالةُ أَنْ لا يجبُ أن يُفهم على ظاهر ما[١١] خرج الخطاب، لأنه[١٢] ذكر الظن في المؤمنين والمراد به الإيقان لا ظاهر الظن، وذكر في الكافرين الظن وأريد به الحقيقة، ولا يجوز أن يفهم من الظن في الفرقين معنى واحد بل يفهم من هذا غير الذي فهم من الآخر. *والله أعلم*.* ٧٢١و س ٣٤]

## ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وبدا لهم سيئات ما عملوا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما بدا لهم أن الأعمال التي عملوها في الدنيا أنها سيئات[١٤] في الآخرة، لأنهم عملوها في الدنيا وعندهم

[١] جميع النسخ: جحة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥و.
[٢] ر م: ثم الإتقان.
[٣] ن: وقد خل.
[٤] ن - بالسبب وقد يكون.
[٥] ر م: بالإتقان ولا يقال؛ ث + ولا يقال.
[٦] ر م: في الإتقان.
[٧] ر م: غالبا لأسباب.
[٨] ر م: على.
[٩] سورة الكهف، ٥٣/١٨.
[١٠] سورة البقرة، ٤٦/٢.
[١١] جميع النسخ: على ظاهره. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[١٢] ر م: أنه.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية الآتية برقم ٣٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢١و/سطر ٣١-٣٤.
[١٤] ر ث م: أسباب

أنها حسنات فيظهر لهم في الآخرة أنها سيئات. والثاني **وبدا لهم**[١] **سيئات ما عملوا**، أي ظهر لهم في الآخرة، وتذكروا سيئات ما عملوا[٢] في الدنيا، أي يتذكرون تلك السيئات التي عملوها في الدنيا[٣] في الآخرة.[٤] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون.** أي نزل بهم ووجب ما كانوا يستعجلون[٥] من الرسل، وهو العذاب الذي كانوا يوعدونهم، لأنهم إنما كانوا[٦] يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم بأنه غير كائن ولا نازل بهم ما كانوا يوعدونهم. ***والله أعلم***.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**. والإشكال أنهم كيف يُنْسَون[٧] يومئذ، لأنهم لو كانوا يُنْسَون لتسلموا من العذاب. لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين. أحدهما كَنَى بالنسيان عن الترك، يقول: اليوم نترككم في النار وفي العذاب كما تركتم أنتم العملَ لذلك اليوم والنظرَ فيه. والثاني على التمثيل، أي اليوم نُصيّركم في[٨] النار كالشيء المنسيّ لا يُكترث[٩] إليكم ولا يُتفت ولا يُعْبأ بكم، كما صيرتم أنتم ذلك اليوم كالشيء المنسي لم تكترثوا[١٠] إليه ولم تعملوا له.[١١] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**، جعل الله تعالى النار لهم مأوى بإزاء كل ما افتخروا في الدنيا على رسل الله عليهم السلام وأتباعهم من المنازل والمراكب والملابس وغير ذلك، وأخبر أنه لا ناصر لهم يملك إخراجهم من تلك النار والمأوى الذي جعل لهم ولا يقدر دفعَ ذلك عنهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: بدا هم.
[٢] جميع النسخ: ما عموها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٣ظ.
[٣] ر ث م – أي يتذكرون تلك السيئات التي عملوها في الدنيا.
[٤] ر م: والآخرة.
[٥] ن + ذلك.
[٦] ن – يوعدونهم لأنهم إنما كانوا.
[٧] ن: تنسون.
[٨] ن + في.
[٩] ن – لا يكترث.
[١٠] ر ن م: لم يكترثوا.
[١١] ن: به.

**﴿ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾**[٣٥]

ثم أخبر أن بعض ذلك الذي أصابهم ونزل بهم إنما كان بما ذكر من اتخاذهم آيات الله هُزُوًا في الدنيا هَزَءُوا بها وسَخِروا بالرسل عليهم السلام. ثم **آيات الله**، يحتمل ما ذكرنا من آيات وحدانيته وألوهيته أو آيات[١] قدرته وسلطانه على البعث أو آيات رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام. وقوله عز وجل: **وغرتكم الحياة الدنيا**، قد ذكرنا فيما تقدم[٢] معنى نسبة التغرير إلى الحياة الدنيا وإضافته إليها وإن لم يكن منها على التحقيق تغرير وخِداع. وهو أنهم إنما اغتروا[٣] بها فنسب فعل التغرير إليها كأنها هي غرتهم، وقد ينسب الفعل إلى السبب الذي به صار ذلك[٤] وإن لم يكن منه حقيقة ذلك، نحو قوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٥] أي يُبْصَر به، وذلك كثير في اللغة. أو يقال:[٦] إن ما كان منها لو كان ذلك ممن يحتمل التغرير ويملك ذلك كان تغريرا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فاليوم لا يُخْرَجون منها ولا هم يُسْتَعْتَبون**، اختلف في قوله: **ولا هم يستعتبون**؛ قال بعضهم: إنهم يعاتَبون إلى أن يُدْخَلوا النار: "إنكم فعلتم كذا وتركتم كذا ولم فعلتم[٧] كذا؟" فإذا أدخلوا النار يُترك العتاب ويجعل كالشيء[٨] المنسي فيها. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **ولا هم يستعتبون**، أي لا يُسترجَعون إلى ما يطلبون من العَوْد والرجوع إلى العمل الصالح، لقولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٩] الآية.*

**﴿فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣٦]

وقوله عز وجل: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين**. إن جميع ما ذُكر في القرآن من الحمد له فإنما ذكر لأحد شيئين. أحدهما بما يستحق من الثناء بتعاليه

---

[١] جميع النسخ: وآيات. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[٢] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الدنيا».
[٣] ن: اعتبروا.
[٤] ن - ذلك.
[٥] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[٦] ن: إذ يقال.
[٧] ر: ولو فعلتم.
[٨] ن: كالشيء.
[٩] سورة فاطر، ٣٧/٣٥.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٢١و/سطر ٣١-٣٤.

عن جميع معاني الخلق وأوصافهم. والثاني بما يستحق من الثناء عليهم بالنعم والإحسان الذي كان منه[1] إليهم، وهو ما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[2] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[3] ونحوَ ذلك. *والله أعلم*. وأصل آخر أنه إذا أضيفت[4] كلية الأشياء إلى الله تعالى ففيه وصف له بالعظمة والجلال، وإذا أضيفت[5] جزئية الأشياء إليه وخاصّيّتها[6] فإنما[7] فيه تعظيم تلك

[٧٢١ظ] الخاصية المضافة إليه. وفي قوله تعالى: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين**، إضافة كلية الأشياء والخاصية والجزئية جميعا[8] ففيه الأمران جميعا؛ فإن قوله عز وجل: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض** إضافة جزئية الأشياء إليه وخاصيته، وقوله عز وجل: **ربِّ العالمين** إضافة كلية الأشياء إليه. *والله أعلم*. وقد تقدم تأويل[9] الرب في غير موضع.[10]

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وله الكبرياء في السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي وله الوصف بالكبرياء والعظمة على أهل السماوات وأهل الأرض،[11] أو من حقه على أهل السماوات وأهل الأرض أن يصفوه بالكبرياء والعظمة والجلال. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وهو العزيز الحكيم**، أي هو العزيز الذي لا يلحقه الذل بخلاف الخلق له ولا بعصيانهم، أو هو العزيز بما به يتعزز من أعتز[12] دونه ومن وُصِف بعزٍ دونه، فذلك راجع في الحقيقة إليه. **الحكيم** الذي وضع كل شيء موضعه، أو **الحكيم** الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. *والله الموفق والحمد لله رب العالمين وبه نستعين*.[13]

[1] ر ث م: الذي منه إليهم؛ ن: كان منهم إليهم.
[2] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ٢/١.
[3] سورة الأنعام، ١/٦.
[4] جميع النسخ: أضيف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[5] جميع النسخ: أضيف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[6] جميع النسخ: وخاصيته. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[7] ن + هي.
[8] جميع النسخ – جميعا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[9] ر ث م: ذكر.
[10] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الرب».
[11] ر ث م + أن يصفوه بالكبرياء والعظمة.
[12] ر ث م: أعز
[13] ر: والله الموفق والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأحقاف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿حمٓ﴾[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢]**

قوله عز وجل: **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[2]

**﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق**، قوله عز وجل: **إلا بالحق**، أي خلق السماوات والأرض وما بينهما[3] بالحق[4] الذي صار إنشاء ذلك وخلقه حكمة، لأنه لو كان الأمر على ما ظن أولئك الكفرة وتوهموا بأنْ لا بعث ولا جزاءَ من ثواب وعقاب كان إنشاء ما ذكر من السماوات والأرض وخلقُ ذلك كلِّه عبثا باطلا، على ما تقدم ذكره في غير موضع.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والذين كفروا عما أنذروا معرضون**، يحتمل **عما أنذروا معرضون**، وجهين. أحدهما أي بما ألزمهم من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السماوات والأرض وما أنشأ فيهما من المنافع وجَعْلِ ذلك لهم أنه[6] لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن لعاقبة[7] يقصد ولأمر يراد،

---

[1] ر – سورة الأحقاف؛ ن م: ذكر أن سورة الأحقاف مكية؛ ث + وهي ثلاثون وأربع آيات مكية.

[2] انظر: أوائل السور التي تبدأ بـ﴿حم﴾ نحو سورة المؤمن وسورة الزخرف. وانظر أيضا: أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[3] ر م + إلا.

[4] ث – بالحق.

[5] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات.

[6] جميع النسخ: آية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥و.

[7] ر ث م: لعاقبة.

إذ عرفوا بعقولهم أنه لا يجوز خلق الخلق على أن يهملوا ويُترَكوا سُدًى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يُمتحنون.[١] فأعرضوا عما ألزمهم من النظر والتفكر في ذلك، فهم معرضون إعراض ترك النظر والتفكر. **والله أعلم**. والثاني ما أنذروا بألسن الرسل. ثم هو يكون بوجهين. أحدهما ما أنذروا[٢] بما نزل لمن[٣] تقدمهم من مكذبي الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ والثاني ما أنذروا بما أوعد لهم[٤] من العذاب في الآخرة، فهم معرضون عن ذلك كله. **والله أعلم**.

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ايتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**. يحتمل أن يكون ما ذكر كله موصولا بعضُه ببعض، ويحتمل أن يكون بعضه مفصولا عن بعض. فإن كان على الوصل فكأنه يقول: أرأيتم ما تعبدون من دون الله من الأصنام وتدعونها آلهة هل خلقوا مما لكم من المنافع ومما به حياتكم وقوامكم ومعاشكم مما تخرج الأرض؛[٥] أو هل يُنزلون لكم من المنافع التي[٦] جعل لكم في السماء من الأمطار[٧] وغيرها؛ أو هل أتاكم كتاب من عند الله فيه أنه أمركم بعبادة من[٨] تعبدونه؟ **أو أثارة من علم**، هو يخرج على وجهين. أحدهما أَوَ جاءكم من الحكماء الأولين المتقدمين كتاب أو قول فيه الأمر بذلك، أو استخرجتم[٩] من العلوم ذلك فعلمتم[١٠] به؟ يقول -والله أعلم-: إن الأسباب التي تحمل[١١] الناس على العبادة والخدمة لهم هذه الوجوه: إما منافعُ تتصل[١٢] بهم منهم مما به قوامهم ومعاشهم وحياتهم،

---

[١] ر م: ولا يمتحنهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[٢] جميع النسخ - بألسن الرسل ثم هو يكون بوجهين أحدهما ما أنذروا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٦و.
[٣] ر ث م: بمن.
[٤] ر ث م: بما أنذروا وأوعد هم.
[٥] جميع النسخ: مما يخرج الأرض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[٦] ر ن م: الذي.
[٧] ن: من الانفطار.
[٨] ن - من.
[٩] ر م: و ستخرجتم.
[١٠] ر م: فعلتم.
[١١] ر ث م: يحمل؛ ن: يحمد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[١٢] جميع النسخ: يتصل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٦و.

وإما كتابٌ من الله تعالى فيه حجة لهم وأمر لهم في ذلك، أو كتاب من الحكماء والرسل يأمرون لهم، وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب، وليست لهم علوم مستخرجة من العلوم [الأخرى]. يقول: ليس لكم مما ذكر من الأسباب[1] والعلوم لما عبدتموها،[2] فكيف اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم أن ما به قوامكم وحياتكم منه؟ *والله أعلم*. وإن كان بعضه[3] مفصولا من بعض فيكون كأنه يقول: أروني ماذا خلقوا من الأرض من المنافع وغيرها أم لهم شرك فيما ذكر؟ فإن قالوا: قد خلقوا ما ذكر ولهم شرك فيما ذكر، فقل لهم: ائتوني بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء أو العلوم المستخرجة من العلوم إن كنتم صادقين أنهم خلقوا ما ذكرتم أو لهم شرك فيما ذكر. *والله أعلم*. وقد علموا أنهم لا يقدرون أن يُرُوه[4] ما ذكر لمَا لم يكن لهم من هذه الأسباب شيء، إذ هي أسباب العلم وقد عجزوا عن ذلك كله.

ثم قوله عز وجل: **أو أثارة من علم**، قال بعضهم: أو خاصّة من علم، وقال بعضهم: أو بقية من علم،[5] وقال بعضهم: أو بقية من علم أوائلهم، وهو قول القُتَبِي: أي بقية من علم تُؤْثَر[6] عن الأولين. ويقرأ: أَثَرَةٍ:[7] اسم مبني على فَعَلَةٍ من ذلك، والأثارة على فَعَالَةٍ.[8] / وأصله ما ذكرنا |٧٢٢و| من الوجهين. أحدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام، والثاني العلوم المستخرجة من سائر العلوم. وقال بعضهم: **أو أثارةٍ من علم**، هو الخط، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[9] وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان نبي من الأنبياء عليهم السلام يخط فمن صادف مثل خطه عَلِمَ».[10] وقال أبو عَوْسَجَة: **أو أثارة من علم**، أي قديم من علم، قال: والأثارة[11] الشحم القديم.

---

[1] ن: من الأشياب.

[2] جميع النسخ: بما عبدتموها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥و.

[3] ر م - بعضه.

[4] جميع النسخ: أن يرونه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.

[5] ر ث م - وقال بعضهم أو بقية من علم.

[6] جميع النسخ: يؤثر. والتصحيح من *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧.

[7] للقراءات المختلفة انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١١٢-١١٣.

[8] جميع النسخ - اسم مبني على فعلة من ذلك والأثارة على فعالة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٧و. وعبارة ابن قتيبة هكذا: ويقرأ: أَثَرَةٍ اسم مبني على فَعَلَةٍ من ذلك، والأول على فَعَالَةٍ. (*غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧).

[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١١٣؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٢٣٩٣.

[10] جميع النسخ: علم. والتصحيح من *كتاب الضعفاء* للعقيلي، ٢/٦٩٣؛ وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٣١١؛ و*تفسير الألوسي*، ٢٦/٥-٦.

[11] ر م: د الأثارة.

وقيل: **أو أثارة من علم**، أي رواية يروون[1] عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ثم ذكر سفههم وبين نهاية تعنتهم، وهو قوله عز وجل:

**﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾**[٥]

**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**، أي لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.[2] ثم يحتمل قوله: **من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**،[3] وجهين. أحدهما لا يستجيب له إذا دعاه إلى يوم القيامة،[4] لأنه لا يملك إجابته ولا يحتمل ذلك. والثاني لا يستجيب له إلى يوم القيامة،[5] ثم إذا أجابه يوم القيامة أجابه باللعن والتبري، كقوله تعالى: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[6] وقوله عز وجل: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[7] وقوله تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ،[8] وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر تبري بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وهم عن دعائهم غافلون**، لم يكن منهم لهم أمر بذلك ولا دعاء ولا شيء من ذلك، كقوله تعالى: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[9]

[٧٢٢ظ س ٢٩] *ثم قوله عز وجل: **ومن أضل ممن يدعو من دون الله**، إن كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ،[10] الآية،

---

[1] ر ث م – يروون.

[2] جميع النسخ – أي لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥ظ.

[3] ر ث م – ثم يحتمل قوله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

[4] جميع النسخ – وجهين أحدهما لا يستجيب له إذا دعاه إلى يوم القيامة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥ظ.

[5] ن – لأنه لا يملك إجابته ولا يحتمل ذلك والثاني لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

[6] سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩.

[7] سورة البقرة، ١٦٦/٢.

[8] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ٢٨/١٠).

[9] ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ٢٩/١٠).

[10] الآية السابقة.

يقول -والله أعلم-: ومن أضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الأرض ولا له شرك في السماوات وما ذكر وتَرَك عبادة من خلَق السماوات وخلَق الأرض وشهد كل شيء له بذلك وأتى بالحجج والبراهين على ذلك. أي لا أحد أضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة إلى الذي لا يملك شيئا من ذلك. *والله أعلم*. وإن كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما يتلوه، وهو[1] ما ذكر من قوله: **لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**، أي ومن أضل ممن يدعو[2] من دون الله من لا يملك[3] إجابته ولا يسمع دعاءه وتَرَك دعاء من يملك إجابته ويسمع دعاءه ويقدر قضاء ما يدعون ويسألون، أي لا أحد أضل ممن[4] اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك ذلك كله. يُسفِّههم في صنيعهم واختيارهم[5] على ما اختاروا. *والله أعلم*.* ٧٢٢ظ س٣٧]

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**، هو ما ذكرنا أنه يصير بعضهم لبعض أعداء يتبرءون منهم ويلعنونهم ويكفرون بعبادتهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، أي بينات أنها من الله تعالى، أو بينات واضحات ما يبين[7] لهم ما عليهم مما لهم وما لبعض على بعض وما لله عليهم. وقوله عز وجل: **قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين**، يحتمل أن يكون الحق الذي قالوا: إنه سحر هو تلك الآياتِ البينات التي ذكر أنها تُلِيت[8] عليهم، قالوا لها: إنها سحر. ودل قولهم: إنها سحر على أنها كانت معجزاتٍ خارجات عن وسعهم حيث نسبوها إلى السحر.

---

[1] ر م - ما يتلوه وهو.
[2] ن: تدعو.
[3] ن: ولا يملك.
[4] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.
[5] ن + واختيارهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٧.
[7] ن. ما تبين.
[8] ر ن م: سيت؛ ث: يبت. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا**. هذا حرف المنابذة، يقول: إن افتريته فلا تملكون أنتم دفع عقوبة ذلك الافتراء عن نفسي، وهو كقوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي.[١] يقول: عليّ إثم ذلك وجُرمه. وإنما يقال: هذا عند انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يُطْمَعَ منهم القبول والنُّجعُ فيهم ويُيْأَس[٢] منهم، فعند ذلك يقال ذلك وينابذ. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **هو أعلم بما تفيضون فيه**، أي بما تخوضون[٣] فيه. يقول هذا ويذكر لئلا يقولوا ولا يَدّعوا[٤] غفلته عن ذلك، بل يذكّرهم أنه كان عالما بما يُسرّون وما يعلنون.[٥] وقيل: **تفيضون**،[٦] من قولهم: أفاضوا إذا تكلموا[٧] وتحدثوا،[٨] وهو قول القُتَبِي.[٩]

وقوله عز وجل: **كفى به شهيدا بيني وبينكم**، يخرج على الوجهين.[١٠] أحدهما أي يشهد[١١] في الآخرة أنه قد بلّغ رسالته. والثاني أي كفى به شهيدا بيني وبينكم في الدنيا بما علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب ومِنِّي من التبليغ، فهو شاهد بما كان مني ومنكم في الدنيا من سر وعلانية. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وهو الغفور الرحيم**، ذكر هذا في هذا الموضع على إثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم -والله أعلم- كأنه يقول: إنكم وإن بَلَغْتم في السفه ما بلغتم فإنكم إذا رجعتم عن ذلك وتبتم يَغْفِرْ لكم ما كان منكم. *والله أعلم*.*

---

[١] سورة هود، ١١/٣٥.
[٢] ن: ويؤيس.
[٣] جميع النسخ: بما يخوضون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.
[٤] ر م: ولا تدعوا.
[٥] ر ث م: ويعلنون.
[٦] ن: يفيضون.
[٧] جميع النسخ: إذا علموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.
[٨] ث: ويحدثوا.
[٩] قال ابن قتيبة: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (سورة يونس، ٦١/١٠)، أي: تأخذون فيه، يقال: أفضنا في الحديث. (غريب *القرآن*، ١٩٧).
[١٠] ن: وجهين.
[١١] ر ث م: يشهدون.
* وقعت هذه قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٥، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٢٧ط/سطر ٢٩-٣٧.

**﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **قل ما كنت بدعا من الرسل**، كأن هذا إنما ذكر -والله أعلم- لإنكار أهل مكة الرسل من البشر واستعظامهم وَضْعَ الرسالة فيهم فقال عند ذلك: **ما كنت بدعا من الرسل**، أي لست أنا بأول[١] رسول من البشر، بل لم يزل الرسل من قبل كانت من البشر [٧٢٢ظ] في آفاق الأرض وأطرافها، فما بالكم تنكرون[٢] رسالتي وأنْ كنت من البشر وتستعظمونها وسائرُ الرسل الذين[٣] من قبلي كانوا من البشر؟ *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة: **ما كنت بدعا من الرسل**، أي ما أنا بأوهم، قد أُرسل قبلي. وقال القُتَبِي: وما كنت بَدْءًا منهم ولا أوّلا.[٤]

وقوله عز وجل: **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي ما كنت أدري قبل ذلك ما يفعل بي[٥] ولا بكم: أُرْسَل وأُختَصّ لرسالة وأُختار لها وأُبْعَث إليكم وتُلْزَمون أنتم اتباعي والإجابةَ إلى ما أدعوكم إليه. *والله أعلم*. والثاني وما أدري ما يفعل[٦] بي ولا بكم من إخراجي من بين أظهركم وإهلاككم كما فُعِل بالرسل الذين كانوا من قبل وأقوامِهم أمروا بالخروج من بين أظهرهم، ثم تعقب[٧] ذلك استئصال قومهم. أي ما أدري أيفعل[٨] بي وبكم ما ذكرنا كما فُعل لمن تقدمنا من الرسل وقومهم أم لا.[٩] *والله أعلم*. والثالث وما أدري ما يفعل بي ولا بكم مخافة التغيير عليه وتبديل الحال. ولم يزل الرسل عليهم الصلاة والسلام يخافون تغيير الأحوال عليهم وتبديل ما أُنعم عليهم وذهاب ما اختَصُّوا هم به، كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[١٠] وقال شعيبٌ عليه الصلاة والسلام:

---

[١] ث: تارك.
[٢] ر ن م: ينكرون.
[٣] ر م: الذي.
[٤] ر ث م - ولا؛ ن: ولاولا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧و. *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧.
[٥] ث - بي.
[٦] ر م: ما تفعل.
[٧] ن: يعقب.
[٨] ث ن: أفعل.
[٩] جميع النسخ - أم لا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧و.
[١٠] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا،[1] الآية، وما ذكر في سورة يوسف عليه السلام: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ،[2] الآية، وقول يوسف عليه السلام: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[3] وقول يعقوب عليه السلام: فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ،[4] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مُقَلِّبَ القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك».[5] لم يزل[6] الرسل عليهم الصلاة والسلام [كانوا] على خوف من تغيير الأحوال التي كانوا عليها. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**، أَتُغَيَّرُ[7] عليّ وعليكم الأحوالُ التي نحن عليها اليومَ، أم نُتْرَك على ذلك. وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء قد مرت.[8] ***والله أعلم.***

وذكر بعض أهل التأويل[9] أن أهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين[10] بأنواع الأذية، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يَلْقَوْن منهم، فقال: «إني لم أُؤْمَر بشيء فيهم من القتال وغيره، فاصبروا على ذلك، ولكني رأيت في المنام أن أُهَاجِرَ إلى أرضٍ أخرى ذاتِ كذا»، فاستبشروا بذلك فمكثوا[11] بعد ذلك زمانا لا يرون شيئا مما ذكر. فشكوا إليه ثانيا بما يلقون منهم، وقالوا: ما نرى[12] ما قلت لنا من الخروج عنهم. فقال: «إنما رأيت ذلك في المنام ولم يأت به وحي من السماء أيكون ذلك أم لا يكون»،

---

[1] ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عُدْنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٨-٨٩).

[2] ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كِدْنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ (سورة يوسف، ١٢/٧٦).

[3] سورة يوسف، ١٢/١٠١.

[4] ﴿وَوَصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تَمُوتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٢).

[5] مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٩١؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ٩٥؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢/٣٤٥-٣٤٦.

[6] جميع النسخ + كانت. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٦.

[7] ن: أيعير.

[8] لعل المؤلف رحمه الله يقصد قوله: «العصمة لا تزيل المحنة». انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات، «العصمة»، «محمد (ع)».

[9] ن - بعض أهل التأويل.

[10] ن - رضوان الله عليهم أجمعين.

[11] ر م: نكثوا.

[12] ر: ما ترى.

أو نحو هذا من الكلام.[1] وهذا لا يحتمل أن يكون، فإنه لا يُظَنّ[2] بأصحابه رضي الله عنهم أن يقولوا له: ما نرى الذي قلت لنا من الخروج عنهم؛[3] وفي ذلك اتّهامه بذلك وترك تعظيمه؛ ولا يظن[4] بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: «أنا رأيت ذلك[5] في المنام ولم يأت به وحي من السماء»، جوابا لقولهم؛ ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالوحي من السماء؛ دل أن هذا لا يحتمل أن يصح ويثبت. *والله أعلم*. فجائز أن يكون[6] بعض ما ذكر في القصة من الشكاية منهم من الأذى والوعد لهم بالخروج من بينهم. *والله أعلم*. والوجوه التي ذكرنا أشبه وأقرب إلى العقل. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين**، ظاهر.

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم**، الآية. قال بعضهم: إن عبد الله بنَ سلام آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه[7] وشهد أنه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامِينَ. وقال بعضهم: شهد ابن يامين أولا أنه[8] رسول وآمن به وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام. *والله أعلم*. والأشبه في هذا أن يكون قوله تعالى: **وشهد شاهد من بني إسرائيل**، التوراةَ أو موسى عليه السلام على ذلك، كقوله تعالى: وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا،[9] شهد كتاب موسى وموسى على مثل ما شهد[10] كتاب رسول الله ورسولُه عليه السلام. *والله أعلم*.

[1] انظر: *أسباب النزول* للواحدي. ٦٠٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١٨٦. قال محقق *أسباب النزول*: هذا إسناد لكذب، وأبو صلح ضعيف م يلق ابن عباس.
[2] ر ش م: لا نظن.
[3] ن عنهم.
[4] ر ت م: ولا نظن.
[5] ن - ذلك.
[6] جميع النسخ: أما جائز. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٧و.
[7] ر م - وصدقه.
[8] ن + أنه.
[9] الآية ١٢ من هذه السورة
[10] ر م كتاب موسى وموسى على مثل ما شهد.

ولأن عبد الله بن سلام إنما أسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين، وهذه السورة مكية، لكنهم يقولون: هذه السورة مكية إلا هذه الآيات الثلاث.[1] *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه**، يحتمل أن يكون هذا القول من الأجلّة والرؤساء منهم الذين كان منهم صلة الأرحام وأنواع الخيرات والأعمال الصالحة، قالوا: إنا قد سبقناهم في الخيرات كلها[2] سوى ذلك، فلو كان ذلك الذي يدعوننا[3] إليه خيرا ما سبقونا[4] كما لم يسبقونا إلى سائر الخيرات.

وقوله عز وجل: **وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم**، أي وإذ لم يهتدوا به هم من بيننا فيقولون: هذا القرآن[5] إفك قديم، أي كذب قديم. فكأن قولهم: **لو كان خيرا ما سبقونا إليه**، منهم[6] بحق الاحتجاج، وقولهم: **فسيقولون هذا إفك قديم**، تكذيب منهم ورد [٧٢٣و] لذلك. ثم قوله: **إفك قديم**، يقولون -والله أعلم-: لم يزل من ادعى / الرسالة يدعي[7] على الله ما يدعي محمد صلى الله عليه وسلم من إنزال الكتب[8] عليهم وبعثه إياهم رسلا[9] إلى الناس وطلب[10] الرياسة[11] لهم عليهم.

---

[1] أخرج البخاري والترمذي وغيرهما أن هذه الآية نزل في عبد الله بن سلام، وهي رأي أكثر أهل التأويل. لكن الطبري تابعا لمسروق رحمه الله رأى أن ظاهر الآية في مشركي العرب. انظر: *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ١٩؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٤٦؛ وانظر أيضا: *تفسير مقاتل*، ٤/١٧-١٩؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/١٢٤-١٣٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٣١٨-٣٢١.

[2] ر م - كلها.

[3] ر م: تدعون؛ ث ن: تدعوننا.

[4] ن + إليه.

[5] م - القرآن.

[6] جميع النسخ - منهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧ظ.

[7] ن: تدعي.

[8] ر م: الكتاب.

[9] ر ث م: ابن سلام.

[10] جميع النسخ: نطلب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧ظ.

[11] جميع النسخ: الرسالة. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٧ظ.

**﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة**، أي إماما يقتدى به ورحمةً لمن اتبعه في دفع العذاب عنه. وقوله تعالى: **وهذا كتاب مصدق**، ذكر هاهنا، **مصدق**، ولم يذكر أنه مصدق لماذا، لكن قد ذكر في غير آي من القرآن: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ.[١] ثم قوله: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يحتمل أي موافقا، لما لم يُحَرِّف ولم يغير من تلك الكتب، لأن تلك الكتب قد حرفوها وغيروها، ولم يغير[٢] ولم يحرف هذا الكتاب، وقد حفظه الله تعالى عن التبديل والتغيير، فهو مصدق موافق لما لم يغير ولم يُحَرِّف من تلك الكتب. *والله أعلم*. وقوله: **لسانا عربيا**، أي أنزله بلسان عربي ليعلم أنه لم يأخذه محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب، لأن تلك الكتب كانت على غير لسان العرب، ولسانه عربي، ولكن جاءه من الله تعالى بلسانه. وقوله عز وجل: **لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين**، فمن قرأ: لتنذر، بالتاء فتأويله لتنذر يا محمد الذين ظلموا؛ ومن قرأ بالياء: **لينذر**، أي لينذرهم القرآن.[٣] وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير النذارة والبشارة.[٤] *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[١٣] **﴿أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**، الاستقامة تحتمل[٥] وجهين. أحدهما أي قالوا: ربنا الله ثم استقاموا على ذلك القول الذي[٦] قالوا وثبتوا على ذلك ولم تتغير ولم تتبدل[٧] حالتهم تلك. *والله أعلم*. والثاني قالوا: ربنا الله ثم استقاموا بحق الوفاء بالعمل بما أعطوا بلسانهم وقلوبهم. **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها**، وقد ذكرناه في غير موضع. وقوله عز وجل: **جزاء بما كانوا يعملون**، جعل ذلك لهم جزاء أعمالهم بفضله ورحمته، لا أنهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم ولكن بالتفضل والرحمة، وذكر جزاء العمل[٨] فضلا منه.

---

[١] انظر مثلا: سورة البقرة، ٩٧/٢؛ وسورة آل عمران، ٣/٣؛ وسورة المائدة، ٤٦/٥.
[٢] ر م: ولم يغيروا.
[٣] لمختلف القراءات انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٥/٢١.
[٤] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الإنذار»، «البشارة».
[٥] ر م: يحتمل؛ ن ت: يحتمل.
[٦] ر م: بالذي.
[٧] جميع النسخ: ولم يتغير ولم يتبدل.
[٨] ر ت م: جزاءه الأعمال.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا**، وحَسَنًا.[١] كأنه قال: أمرنا الإنسانَ أن يحسن إلى والديه. فالحَسَن[٢] هو اسم[٣] ما يقع بهما[٤] من البِرّ وهو المفعول، والإحسان هو اسمُ فِعْلِه الذي يَفعل بهما.[٥] وقوله عز وجل: **حملته أمه كرها ووضعته كرها**، وقال في آية أخرى: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ،[٦] وقال في آية أخرى: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ،[٧] الآية، وبين هذه الآيات اختلاف من حيث الظاهر. ثم تخرج على وجهين. أحدهما جائز أن تكون على التفريق، بعضها في حق الوالدة وبعضها في حق الولد، فقوله: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا،[٨] أي إنها في أول ما حملت حملا خفيفا، فلما كبر أَثْقَلَتْ، وهو وصف الولد. وقوله عز وجل: وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ،[٩] وذلك في الأم لأنها لا تزال[١٠] تَضْعُف وتَهِن من أول ما حملت إلى آخر ما وضعت. وقوله تعالى: **حملته أمه كرها ووضعته كرها**، في أول ما تحمل تجد[١١] كراهة في نفسها إلى وقت وضعها. والثاني يشبه أن يكون على الجمع في الأم دون الولد على اختلاف الأحوال،

---

[١] ر – وحسنا. قرأ الكوفيون إحسانا، وقرأ الباقون: حسنا (انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١٣٦-١٣٧؛ و*الكافي في القراءات السبع* للرعيني، ٢٠٣).

[٢] ن ث + إحسانا.

[٣] ن – اسم.

[٤] جميع النسخ: بهم.

[٥] جميع النسخ: بهم.

[٦] سورة لقمان، ٣١/١٤.

[٧] ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٨٩).

[٨] جميع النسخ – فمرت به الآية وبين هذه الآيات اختلاف من حيث الظاهر ثم تخرج على وجهين أحدهما جائز أن تكون على التفريق بعضها في حق الوالدة وبعضها في حق الولد فقوله حملت حملا خفيفا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.

[٩] سورة لقمان، ٣١/١٤.

[١٠] ن: لا يزل.

[١١] ن ء: تحد.

وهو في الابتداء يَخِفّ عليها الحمل، ويَثْقُل ذلك عليها إذا دنا وقت وضعها. وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا أنها لا تزال[١] تزداد ضعفا فيها ووهنا من أول حملها إلى وقت وضعها. وما ذكر من الكراهة فهو إذا تم حملها شق ذلك عليها، وكذلك الوضع لا شك أن ذلك يشق عليها. والتأويل الأول على التفريق: في حال يرجع الوصف إلى الولد وفي حال إلى الوالدة، والثاني يرجع ذلك كله[٢] إلى وصف الأم. وعلى التأويلين حصل التوفيق بين الآيات لرجوعها إلى اختلاف الأحوال فأمكن الجمع بين الكل في أحوال، والاختلاف إنما يكون في حال واحد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، **حملته أمه كرها**، أي بمشقة **ووضعته** بمشقة، ثم وضعته على تمام ستة أشهر. وقال بعضهم: الآية نزلت في الحسن والحسين رضي الله عنهما وضعته[٣] على ما ذكر في المدة. ثم منهم من يقول: الآية وإن نزلت في نازلة بعينها لكن ما ذكر من الحُكْم فذلك في كل إنسان، وهو أن يكون الولد ثابت النسب من الأب بهذه المدة. فإنه روي عن عمرَ رضي الله عنه أنه أُتِيَ بامرأة وضعت في ستة اشهر فأراد أن يرجمها، فقال ابن عباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجا، قال الله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ،[٤] وقال: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، ستةُ أشهر لحملها ورضاعه[٥] سنتين، فأخذ بقول ابن عباس رضي الله عنه ودَرَأَ عنها الرجم. وكذلك روي عن عثمان رضي الله عنه أنه أُتِيَ بامرأة وضعت لستة أشهر فهَمَّ أن يرجمها، فقال له ابن عباس رضي الله عنه:[٦] أمَا إنها لو خاصمتْكم بكتاب الله خَصَمَتْكم، ثم تلا هذه الآية.[٧] وكذلك ذكر عن علي رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه[٨]

---

[١] ن: لا يزل.

[٢] ث - كله.

[٣] أي وضعت كل واحد منهما.

[٤] سورة لبقرة، ٢/٢٣٣.

[٥] ن: ورضاعة.

[٦] ن: ورضاعة.

[٧] روى عبد الرزاق وابن أبي حاتم رواية أخرى فيها تقول: إن الذي ذكر هذه الآية لعمر هو علي بن أبي طالب لا ابن عباس. انظر: *مصنف عبد الرزاق* ٧/٣٥٠-٣٥٢؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٢/٤٢٨.

[٨] ن: ورضاعة.

لما أمر[1] برجم المرأة التي وضعت لستة أشهر سمع[2] علي رضي الله عنه فأتى عثمان رضي الله عنه فقال له: ما صنعت؟ فقال له عثمان رضي الله عنه: وهل تلد / المرأة الولد التامّ لستة أشهر؟ [٧٢٣ظ] قال: نعم، ثم تلا عليه هذه الآية.[3] فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم[4] قد رأوا الآية في كل امرأة وضعت لتلك المدة في حق ذلك الحكم الذي ذكر. ***والله أعلم.***

ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا وضعت المرأة لستة أشهر أرضعته حولين كاملين، لأن الله عز وجل يقول: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرا، وإذا وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدا[5] وعشرين شهرا.[6] فعلى قياس هذا جائز أنها[7] وضعته لِسَنَتَيْنِ أن يكفي رضاع ستةِ أشهرٍ، يزاد وينقص على ذلك القدر. ألا ترى أنه روي أن المرأة التي حملت سنتين ولدت وقد نبتت له ثَنِيَتّان،[8] فمثل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع ما يحتاج الذي ولد لستة أشهر، لذلك كان ما ذكرنا. ثم إذا احتمل النقصانَ عن الحولين لما ذكرنا جازت الزيادة على الحولين على ما قال أبو حنيفة رحمه الله، لأن ما ذكر من الحولين إنما هو رضاع أقل الحمل وهو ستة أشهر، لأن الذي وُلد لستة أشهر كان إلى الاغتذاء بالطعام أبعد من الذي ولد لتسعة أشهر لضعفه في نفسه؛ والذي ولد لتسعة أشهر[9] فهو إلى الاغتذاء بالطعام أقرب منه؛ والذي ولد لسنتين هو أقرب إلى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة أشهر لقوته وقلة حاجته إلى الغذاء باللبن، فإذا كان قوله تعالى: حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ[10] هو أقلّ رضاع يكون -لأنه ذكر للمولود لأقل الحمل حيث قال: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، ثم قال: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ،[11] فإذا كان أقلّ- احتمل الزيادة التي ذكر أبو حنيفة رحمه الله

---

[1] ن - أمر.

[2] ر م: فسمع؛ ن ث: فسمع ذلك.

[3] انظر: *مصنف عبد الرزاق* ٣٥٢/٧؛ *والموطأ* لمالك، الحدود ١١؛ *وتفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٩٣/١٠.

[4] ن: رضوان الله عليهم أجمعين.

[5] جميع النسخ: أحد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨و.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠١/٤-٢٠٢؛ *وتفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٩٤/١٠؛ *والمستدرك* للحاكم، ٣٣٦/٢.

[7] ن ث + إذ.

[8] الثّنِيّة من الأضراس أولُ ما في الفم. وثَنايا الإنسانِ في فمه الأربعُ التي في مقدم فيه (*لسان العرب*، «ثني»).

[9] ن - لضعفه في نفسه والذي ولد لتسعة أشهر.

[10] سورة البقرة، ٢٣٣/٢.

[11] سورة لقمان، ١٤/٣١.

وهو ستة أشهر على السنتين كما يصير رضاع أكثر الحمل ستةَ أشهرٍ، واعتُبر في الباب إلى قوة الولد وضعفه[1] واحتمال الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال.[2] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ أشُدَّه وبلغ أربعين سنة**. إلى آخر ما ذكر.[3] دلت هذه الآية على أن الآية التي ذكرنا نزلت في نازلة حيث أخبر أنه إذا بلغ ذلك المبلغ **قال رب أَوْزِعْني أن أشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ عليّ**، الآية. ثم قوله تعالى: **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة**. ذكر أولَ ما يشتدّ عقلُه ويدخل في القوة إلى الوقت الذي يكون على الزيادة، فإذا جاوز ذلك الوقتَ يأخذ في الانتقاص، وهو أربعون سنة. وقال أهل التأويل: بلوغ الأَشُدّ هو ثمانيَ[4] عَشْرَةَ سنةً إلى أربعين سنة،[5] وهو ما ذكرنا أنه أول وقت دخوله في الزيادة والقوة إلى الوقت الذي إذا بلغ ذلك جعل[6] يأخذ في النقصان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ**، دل قوله: **وعلى والدي**، على أنه[7] على الرجل شكر ما أنعم على والديه وأحسن إليهما

---

[1] ر م – وضعفه.

[2] قال السرخسي: ثم اختلف العلماء في المدة التي تثبت فيها حرمة الرضاع. فقدّر أبو حنيفة رحمه الله تعالى بثلاثين شهرا، وأبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى قدّرا ذلك بحولين. وزُفَرُ قدر ذلك بثلاث سنين. فإذا وجد الإرضاع في هذه المدة تثبت الحرمة وإلا فلا. واستدلا بظاهر قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾، ولا زيادة بعد التمام والكمال. وقال الله تعالى: ﴿وفصاله في عامين﴾، ولا رضاع بعد الفصال. ولأن الظاهر أن الصبي في مدة الحولين يكتفي باللبن وبعد الحولين لا يكتفي به، فكان هو بعد الحولين بمنزلة الكبير في حكم الرضاع. وأبو حنيفة رحمه الله تعالى استدل بقوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾، وظاهر هذه الإضافة يقتضي أن يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما، إلا أن الدليل قد قام على أن مدة الحبل لا تكون أكثر من سنتين فبقي مدة الفصال على ظاهره. وقال الله تعالى: ﴿فإن أرادا فصالا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ﴾ الآية، فاعتبر التراضي والتشاوُرَ في الفصلين بعد الحولين، فذلك دليل على جواز الإرضاع بعد الحولين. وقال الله تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾، قيل: بعد الحولين إذا أبت الأمهات. ولأن اللبن كما يغذي الصبي قبل الحولين يغذيه بعده، والفطام لا يحصل في ساعة واحدة لكن يُفطَم درجة فدرجةً حتى ينسى اللبن ويتعود الطعام، فلا بد من زيادة على الحولين بمدة. وإذا وجبت الزيادة قدرنا تلك الزيادة بأدنى مدة الحبل وذلك ستة أشهر اعتبارا للانتهاء بالابتداء. وبهذا يحتج زفر رحمه الله تعالى أيضا إلا أنه يقول: لما وجب اعتبار بعض الحول وجب اعتبار كله، وتُقدَّر مدة الفطام بحول، لأنه حسن للاختبار والتحول به من حال إلى حال. *المبسوط* للسرخسي، ١٣٦/٥.

[3] ر م: إلى آخره ذكر.

[4] جميع النسخ: ثمان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨و.

[5] ر م – سنة.

[6] جميع النسخ – جعل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩و.

[7] ر م: على أن.

كما يلزمه شكر ما أنعم عليه، لما يكون بَدْءُ إسلامِ[1] الأولاد الصغار بالوالدين. وما لهما من النعم يصل نفعها إليهم أيضا، فيلزمهم شكر ما أنعم عليهم بالإيمان والنعم في وقته. وقوله عز وجل: **وأن أعملَ صالحا ترضاه.** هذا، على كل مسلم أن يدعوَ بمثل هذا الدعاء يسأل ربه التوفيق على عمل صالح يرضاه. وقوله عز وجل: **وأصلح لي في ذريتي**، هذا يحتل وجهين. أحدهما أصلح لي في ذريتي ليقتدوا بي ويتبعوني. والثاني **وأَصْلِحْ لِي فِي ذريتي**، أي أصلح ذريتي[2] على طرح حرف "في" منه، كقوله: هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[3] وقوله عز وجل: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي.[4] ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **أَوْزِعْنِي**، ألهمني. وفيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه سأل ربه أن يوزعه ما أنعم عليه، ومن قولهم أن ليس على المرء الشكر إلا بعد إعطاء جميع ما به يشكر[5] حتى لا يبقى عنده[6] مزيد، فيكون مثل هذا الدعاء لَعِبا وهُزُءًا[7] على قولهم، لأنهم يسألون ما يعلمون أن ليس عنده ذلك وأنه لا يملك، وكذلك قوله: وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ،[8] ومن قولهم أنه ليس عنده ما يُغيثه، فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم. ***وبالله العصمة.***

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم**، كان لهم عملان: حسنات وسيئاتٌ، فأخبر أنه يتقبل عنهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز عن سيئاتهم ويُكفِّرها ولا يجزيهم جزاءها فضلا منه ورحمة. والمراد من الأحسن الحَسَنُ ويجوز ذلك في اللغة. وقوله عز وجل: **وعد الصدق الذي كانوا يوعدون**، أي ذلك الذي أخبر وذكر أنه يفعل لهم هو وعد الصدق يَفِي ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما وعد.

---

[1] ن: وبإسلام.

[2] جميع النسخ – ليقتدوا بي ويتبعوني والثاني وأصلح لي في ذريتي أي أصلح ذريتي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.

[3] آل عمران، ٣٨/٣.

[4] سورة مريم، ٥/١٩-٦.

[5] ر ن: نشكر.

[6] ر م: عند.

[7] ر م: لعاد ردا.

[8] الآية ١٧ من هذه السورة.

ومن يكون منه الخلف في الوعد في الشاهد إنما يكون لأحد وجوه ثلاثة: إما لعجز يمنعه عن وفاء ما وعد، أو جهلٍ وبُدُوٍ يَبْدُو له فيرجع[١] عن ذلك، أو حاجة. والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله للقدرة الذاتية والغنى الذاتي والعلم الأزلي. *والله الموفق*.

**﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾**[١٧] **﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج**، إلى آخر ما ذكر. خرج أهل التأويل هذه الآيةَ في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ووالدتِه فلانةَ والآيةَ الأولى في أبي بكر الصديق ووالديه،[٢] وهي قوله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ.[٣] فيقولون: إن أبا بكر الصديقَ رضي الله عنه / أطاع والديه وأُمر بالإحسان إليهما والشكر لهما [٧٢٤و] وسأل التوفيق في الشكر لربه[٤] على ما أنعم عليه وأنعم على والديه؛[٥] وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه وخالفهما فيما يدعوانه إليه وقال لهما قولا رديئا[٦] حيث قال: أُفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرَج من القبر وأُحيا وقد خلتْ من قبلي من القرون فلا أَراهم بُعثوا، ونحو ذلك من الكلام.[٧] إلا أن هذا لا يصح لأن عبد الرحمن بنَ أبي بكر الصديقَ عُدَّ[٨] في أَجِلَّة الصحابة رضي الله عنهم، فالظاهر أنه لم يكن منه مثل هذه المجادلة. ولأن أهل التأويل قالوا: إنه[٩] قال لوالديه: إن كان ما تقولون حقا أخرجوا فلانا وفلانا، ذكر نفرا من أجداده، فقال: **أولئك الذين حق عليهم القول**، الآية، ولا يحتمل أن يكون هذا جواب ما تقدم من القوم،

---

[١] ر م: فرجع.
[٢] ن: ووالدته.
[٣] الآية ١٥ من هذه السورة.
[٤] ر م: له به.
[٥] ر ت م: ولدته.
[٦] ن ث: رويا.
[٧] انظر: *تفسير مقاتل*، ٣/٢٥٨؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/١٤٤-١٤٥؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٩٥-٣٢٩٦.
[٨] جميع النسخ – عد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.
[٩] جميع النسخ + كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩ظ.

لأنه ليس[1] في وجوب ما ذكر -وهو استحقاق العذاب عليهم- منعُ العَوْد والإحياء في الدنيا، ولأنهم لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذي حُقّ عليهم إذ هم لا يؤمنون. ألا ترى أن الله تعالى قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[2] لكن جائز أن يكون الآيتان في رجلين من ولد بني آدم عليه السلام مع والديهما[3] أطاع أحدهما والديه وأجابهما إلى ما دعواه إليه وأبَى الآخر إجابة والديه إلى[4] ما[5] دعواه إليه وخالفهما في أمرهما. فاستغاث والدا[6] مَنْ عصاهما وخالفهما في أمرهما، وقالا ما ذُكر في الآية؛ وقال من أجابهما ما ذكر. وهو كما ذكرنا في قوله تعالى: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا،[7] صرف أهل التأويل بأجمعهم هذه الآية إلى آدم وزوجته حواء عليهما السلام. وقلنا نحن: جائز أن يكون هذا في كل والد ووالدة يقولان ما ذُكر ويدعوان[8] إلى ما ذكر؛ فلما آتاهما ما ذكرا[9] من الصلاح كانا ما ذكر. فعلى ذلك جائز أن تكون[10] الآيتان اللتان ذكرناهما تكونان[11] في كل ولد مع والديه: من أجاب والديه ومن عصاهما. ***والله أعلم.*** فلا يصرف الآية إلى من ذكروا إلا ببيان من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنها في كذا وكذا وفي فلان وفلان على طريق التواتر، فعند ذلك يقال ما قالوا، فأما إذا لم تثبت[12] النصوص والإشارة إلى قوم بالتواتر فالكف عن ذلك أسلم. ***والله أعلم.***

ودل قوله تعالى: **وهما يستغيثان الله ويلك آمِنْ إن وعد الله حق،**[13] أن عند الله[14] لطفا لو أعطي ذلك لآمن، لذلك يستغيثان الله ويأمرانه بالإيمان بقولهما: آمن.[15] ***والله أعلم.***

[1] جميع النسخ - ليس. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٣٩ظ.
[2] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[3] ر ث م: مع والدته؛ ن: مع والديه.
[4] ن - إلى.
[5] ن: بما.
[6] ر م: والد.
[7] سورة الأعراف، ١٨٩/٧.
[8] جميع النسخ: ويدعون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ
[9] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩ظ.
[10] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.
[11] جميع النسخ: يكونان. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٨ظ.
[12] جميع النسخ: لم يثبت.
[13] ن ث - إن وعد الله حق.
[14] ر م - حق أن عند الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٠و.
[15] ر م - لذلك يستغيثان الله ويأمرانه بالإيمان بقولهما: آمن: + وقوله وهما يستغيثان الله ويلك من فيقولان ويلك امن.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **ولكل درجات مما عملوا**، من خير أو شر، **وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون**، أي لِيُوَفِّيَهم أجر أعمالهم وجزاءَ أعمالهم من خير أو شر، **وهم لا يظلمون**،[١] أي لا يُنقصون من خيراتهم ولا يزاد لهم في سيئاتهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا**، وقال في آية أخرى: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ،[٢] وقال في آية أخرى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[٣] ونحوهما، يذكّرهم بهذه الآيات وأمثالها ليعرفوا ما كان منهم وما استوجبوا من العقوبات إنما استوجبوا بما كان منهم في الدنيا من التكذيب والاستهزاء بآياته لينزجروا عن ذلك.

ثم قوله عز وجل: **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**، يخرج على وجهين. أحدهما أذهبتم طيباتكم التي أُعْطِيتُموها في الدنيا[٤] في منافعكم وأتلفتموها[٥] ولم تؤدوا شكرها ولم تقوموا[٦] بوفائها. *والله أعلم*. والثاني **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا**، أي أتلفتموها[٧] ولم تكتسبوا بها الطيباتِ الموعودة في الآخرة والنعم[٨] الدائمة، فكل ما أُعْطى في هذه الدنيا من الأموال إنما أُعْطى ليستعينوا بها على عمل الآخرة وليتزوّدوا[٩] بها ويجعلوها[١٠] زاد الآخرة.[١١] فأما إذا جعلوها في غير ذلك فهو إتلافٌ وجَعْلٌ في غير ما جُعل، وذلك وبال عليهم وحسرة،

---

[١] ن – أي ليوفيهم أجر أعمالهم وجزاء أعمالهم من خير أو شر.
[٢] الآية ٣٤ من هذه السورة.
[٣] سورة الزمر ٧١/٣٩.
[٤] ر م – في الدنيا.
[٥] ن: وأسختموها.
[٦] ر ن م: و لم يقوموا.
[٧] ن: وأسختموها.
[٨] ن: والنعيم.
[٩] ر م: وليتزودوا.
[١٠] ن: زاد للآخرة.
[١١] ر م: ويجعلوها

وهو ما قال الله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،[1] وكذا [ما] ذكر: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ.[2] فكل نفقة كانت في غير ما ذكر من الاستعانة على زاد الآخرة والتزود لها فهو لحياة الدنيا، وهو لعب ولهو، وهو ما ذكر من الريح فيها صِرٌّ. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فاليومَ تُجزَوْن عذابَ الهون**، أي عذابًا تُهَانون[3] فيه ويُهينكم ذلك العذاب. وقوله عز وجل: **بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق**، يحتمل استكبارهم الذي ذكر على الرسل استكبروا على الرسل[4] فتركوا اتّباعهم فاستكبروا على آياته. وقوله عز وجل: **وبما كنتم تَفسُقون**، والفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى.

**﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[٢١]

وقوله عز وجل: **واذكر أخا عاد**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي اذكر نبأ أخا عاد، وهو هودٌ عليه السلام بما عامله قومه من سوء المعاملة وما قاسى هو منهم لِتتسلَّى[5] بذلك بعض ما عامل به قومك معك. ***والله أعلم.*** والثاني واذكر نبأ عاد بما نزل بهم من العذاب والاستئصال بتكذيبهم الرسل والاستكبار عليهم والاستهزاء بهم لتُحَذِّر به قومَك في تكذيبك والاستهزاء بك. ***والله أعلم.*** وقوله عز وجل: **إذ أنذر قومه بالأحقاف**، أي خوّف قومه بالأحقاف. وقد اختلف في تأويل الأحقاف. قال بعضهم: الأحقاف هو[6] اسم أرض خوّفهم بنزول العذاب هنالك. وقال بعضهم: هي / جبال من رَمْلٍ مستطيلةٌ مرتفعةٌ. وقال القُتَيبي: الأحقاف واحد حِقْف، وهو الرمل: [٧٢٤ظ]
ما أشرف[7] من كُثْبانه واستطال وانحنى.[8] وقال أبو عَوْسَجَة: الأحقاف رمل بشِحْر[9] عُمَان،[10]

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٣٢.

[2] ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٧).

[3] ن: يهينون.

[4] ن م – استكبروا على الرسل.

[5] ر ن م: ليتسلى.

[6] ر م – وقال بعضهم الأحقاف هو.

[7] جميع النسخ: ما أسرف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.

[8] انظر: *غريب القرآن*، ٤٠٧.

[9] ر ن م: بشجر.

[10] الشحر بكسر أوله وإسكان الحاء المهملة هو شحر عمان، وهو ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان (*الروض المعطار في خبر الأقطار* للحميري، «شحر»).

وهي منازل عادٍ فيما زعموا، وشِحْرُ[1] بلاده.[2] وقيل الحِقْف تَلّ مُعْوَجّ. وقال بعضهم: الأحقاف الجبل حين نَضَب الماء[3] زمانَ الغرق ينضُب[4] عن المكان من الجبل ويبقى أثره وينضب[5] من مكان أسفل من ذلك[6] ويبقى أثره دون ذلك فذلك الأحقاف. وقيل أيضا: الأحقاف جبل بالشام. وقيل: هو المكان الذي كان منازل عاد ومُقامَهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله**، أي خلت الرسل من قبلِ هود ومن بعده[7] عليه الصلاة والسلام. وقوله عز وجل: **ألا تعبدوا إلا الله**، كان الخطاب بهذا وقع للكل،[8] يقول: لم يزل[9] الرسل عليهم السلام ينذر قومهم بأنواع العذاب عند تكذيبهم إياهم، ولم يزل الرسل عليهم السلام مِن قبل ومن بعدُ دعوا الناس إلى عبادة الله تعالى ونهوهم عن عبادة غيره. وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، يحتمل قوله: **أخاف عليكم**، حقيقة الخوف لما لم ييأس من إيمانهم واتباعهم إياه، لذلك لم يقطع فيهم القول بنزول العذاب بهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون الخوف هو العلمَ حقيقةً، أي أعلم أن ينزل بكم عذاب يوم عظيم إن خُتِمْتم على ما أنتم عليه. وقد يذكر الخوف في موضع العلم.

**﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا**، أي قالوا لهودٍ عليه السلام: أجئتنا لِتَصرفنا عن عبادة آلهتنا، وقال بعضهم: لتردّنا عن عبادة آلهتنا، وقال بعضهم: لتصدنا،[10] وقال بعضهم: لتكذّبنا في آلهتنا، والإفك الكذب، وكله واحد. وأصل الإفك الصرف، كأنهم قالوا: أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: بشجر.
[2] جميع النسخ: تلاوة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.
[3] نضب الشيء: سال، ونضب الماء ينضب بالضم نضوبا ونظب إذا ذهب في الأرض (*لسان العرب*، «نضب»).
[4] ر: حين نصف المارمان لغرق كان يصب؛ ن: حين نصب المارمان الغرق ينصب؛ ث: حين نضب المارمان الغرق ينضب؛ م: حين نصف المارمان العرق كان ينصب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.
[5] ر ن م: وينصب.
[6] ن – من ذلك.
[7] م: من بعده.
[8] ن: الكل.
[9] ر – م يزل؛ + تم.
[10] ر م – وقال بعضهم لتصدنا.

وقوله عز وجل: **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**، كانوا يقولون ذلك استهزاء منهم به،[1] ولم يزل الكفرة يسألون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاءً بهم[2] وتكذيبا بما يوعدون. ***والله أعلم.***

**﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **قال إنما العلم عند الله**، الآية، أجابهم هود عليه السلام أن العلم بنزول العذاب ووقته عند الله. **وأبلّغكم ما أرسلت به**، من الدعاء إلى توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره. أو يقول: أبلغكم ما أمرت من التوحيد والتبليغ[3] بنزول العذاب بكم، ولست أبلغكم أنه متى[4] ينزل بكم لما لم أؤمر به. وقوله عز وجل: **ولكني أراكم قوما تجهلون**، أي تجهلون[5] دين الله، أو تجهلون آيات الله وقبولها، أو تجهلون نعم الله وإحسانه، أو تجهلون أمر الله تعالى.

**﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا**، قال بعضهم: العارض السحاب، فقالوا: هذا سحاب ممطرنا، وكأن حقيقة العارض هي[6] الريح[7] التي فيها عذاب أليم، ظنوا أنها سحاب ولم يكن سحابا ولكن كانت ريحا؛ لكن من ذلك الجانب كان يأتيهم السحاب الممطر، لذلك[8] قالوا: هذا[9] عارض ممطرنا. وقوله عز وجل: **بل هو ما استعجلتم به**، كان هود عليه السلام قال لهم: ليس هو بعارض ممطر ولكن هو ما استعجتم به من العذاب حيث[10] قلتم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[11] هو **ريح فيها عذاب أليم.**

---

[1] ر ث م: به منهم.
[2] ر ث م: لهم.
[3] ر ث م: ما أمرت من التبليغ.
[4] ن: متي.
[5] ر م - أي تجهلون.
[6] جميع النسخ: هو.
[7] ر م: العارض والريح.
[8] ر م: لذلك.
[9] ن ث - هذا.
[10] ر م + قال.
[11] الآية ٢٢ من هذه السورة.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢٥]

ثم وصف ذلك الريح فقال كما أخبر الله تعالى بقوله عز وجل: **تدمر كل شيء بأمر ربها**. يخرج قوله: **تدمر كل شيء بأمر ربها** على وجهين. أحدهما تدمر كل شيء[1] أُرسِلتْ وأُمِرتْ بتدميره،[2] لا تجاوز[3] أمر ربها ولا تدمر ما لم تُرسَل ولم تُؤمَر[4] بتدميره،[5] كقوله تعالى: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[6] هذه الآية تفسر قوله: **تدمر كل شيء**، أي[7] كلّ شيء[8] أتت[9] عليه وأمرت[10] بتدميره؛ فأما ما لم تؤمر[11] بالتدمير فلا، على ما ذكر في تلك الآية. *والله أعلم*. والثاني **تدمر كل شيء**، أي عند من عاينها وتأملها عنده أنها تدمر كل شيء لا تُبقي[12] شيئا على وجه الأرض لشدتها وقوتها لكنها لا تجاوز[13] أمر ربها. ألا ترى أنها لا تدمر هودا وأتباعه وهم فيهم وبقرب[14] منهم، وهو كقوله تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[15] أي يأتيه أسباب الموت وما به يموت لو كان فيه أمر الموت. فعلى ذلك قوله تعالى: **تدمر كل شيء** أي تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر في أحوالها وأهوالها أن لو كان لها أمر بذلك لكنها لم تجاوز[16] أمر ربها. ألا ترى أنه قال:[17]

[1] ن - يخرج قوله تدمر كل شيء بأمر ربها على وجهين أحدهما تدمر كل شيء.
[2] ث: بتدبيره.
[3] جميع النسخ: لا يجاوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.
[4] ن: ولم يؤمر.
[5] ث: بتدبيره.
[6] سورة الذريات، ٥١/٤١-٤٢.
[7] ن: الا.
[8] ر م - أي كل شيء.
[9] ن: أنت.
[10] ن: وأقرت.
[11] جميع النسخ: لم يؤمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.
[12] جميع النسخ: لا يبقي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[13] جميع النسخ: لا يجاوز. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[14] جميع النسخ: ويقرب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[15] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.
[16] جميع النسخ: لم يجاوز. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.
[17] جميع النسخ + في آية أخرى. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤١و.

**فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم**. في ظاهر هذه الآية أنها قد أبقت[1] مساكنهم و لم تدمرها،[2] وكذلك قال في آية أخرى: تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ،[3] قال بعضهم: إنهم لما التجئوا إلى مساكنهم وهربوا منها كانت تدخل[4] الريح مساكنهم وتخرجهم[5] منها فتلقيهم[6] في صحاريهم وأفنيتهم موتى. وقال بعضهم: تنزع[7] مفاصلهم وتقطعها ثم تُلقيهم[8] في أفنيتهم على ما وصف، وشبههم بأعجاز نخل منقعر. فالريح التي تعمل في إخراج أهلها من مساكنهم وإلقائهم في الفيافي لَأَنْ تعمل[9] في هدم المساكن والمنازل أولى،[10] وكذلك إذا عملت في نزع [٧٢٥و] / المفاصل وقَطْعِها[11] ففي[12] نقض البنيان والمساكن أولى؛ ومع ذلك لم تعمل[13] في هدم مساكنهم، فدل ما ذكرنا أنها لم تجاوز[14] أمر ربها في الإهلاك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم**، الآية. يحتمل قوله:[15] **لا يرى إلا مساكنُهم**، وجهين. أحدهما أي لم تَترك[16] الريح مِن عادٍ ومما لهم إلا مساكنَهم التي ذكر. والثاني **لا يرى إلا مساكنُهم**، أي[17] إلا آثار مساكنهم. فعلى أحد التأويلين تركت لهم المساكن لم تهلكها؛[18] وعلى التأويل الآخر تركت آثار مساكنهم، فأما نفس مساكنهم فقد أهلكتها.

---

[1] ن: قد أبقيت.
[2] جميع النسخ: و لم يدمرها.
[3] سورة القمر، ٥٤/٢٠.
[4] ن: يدحل.
[5] جميع النسخ: ويخرجهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.
[6] جميع النسخ: فيلقيهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[7] جميع النسخ: ينزع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[8] جميع النسخ: ويقطعها ثم يلقيهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[9] جميع النسخ: يعمل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[10] ر ث م + ومع ذلك.
[11] ر م: واقطعها.
[12] ر م: نفي.
[13] جميع النسخ: لم يعمل.
[14] جميع النسخ: لم يجوز. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[15] ر م – قوله.
[16] جميع النسخ: لم يترك.
[17] ر ث م – أي؛ ن – وجهين أحدهما أي لم تترك الريح من عاد ومما لهم إلا مساكنهم التي ذكر والثاني لا يرى إلا مساكنهم أي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.
[18] جميع النسخ: لم يهلكها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

وهذان التأويلان خرجا على ما ذكرنا من التأويلين في قوله تعالى: **تدمر كل شيء بأمر ربها**، فالأول على التأويل الأول في قوله: **تدمر كل شيء**، أرسلت وأمرت بتدميره و لم تُؤمَر[١] بتدمير مساكنهم فبقيت.[٢] والتأويل الثاني على التأويل الثاني في قوله: **تدمر كل شيء**، أي[٣] عند من عاينها ونظر إليها لشدتها وقوتها فتدمر مساكنهم أيضا فلا يرى إلا آثارها، لكن سماها مساكن باسم ما قد كان، وإنه أمرٌ مستعمل في عرف لسان اللغة. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كذلك نجزي القوم المجرمين**، كأن[٤] المجرم هو الذي يُدِيم اكتساب الجرم والإثم. وقال بعضهم: هو الوَثَّاب في الجرم. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾**[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه**، الآية،[٥] قال بعضهم: "إنْ" هاهنا في موضع "لَمْ"، كأنه يقول: ولقد مكناهم فيما لم نُمَكِّن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك، وذلك قوله تعالى: **وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**، أي قد مكنا عادا فيما ذكرنا ما لم نمكن لكم يا أهل[٦] مكة في ذلك. ثم إذا أتاهم عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يمكنوا دفع عذابه، فأنتم -حيث لم تُمكّن لكم ذلك- أحرى أن لا تمكنوا دفع ذلك[٧] إذا نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: إن حرف "إن" صلة زائدة، فيكون تقدير الآية كأنه يقول: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد، ثم[٨] لم يمكنوا دفع العذاب عن أنفسهم فأنتم لا تمكنون[٩] أيضا دفعه عن أنفسكم، وكان لهم ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد.

---

[١] جميع النسخ: و لم يؤمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[٢] ر م: وبقيت.
[٣] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٢و.
[٤] ر م - كأن.
[٥] جميع النسخ + فيه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.
[٦] ن: بأهل.
[٧] ر م: دفع عذابه؛ ن: أن لا يملكو دفع ذلك.
[٨] ن - ثم.
[٩] ر م: عن نفسهم فأنتم لا تملكون؛ ن: لا يمكنون.

وقوله عز وجل: **وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**، على التأويل الأول - حيث ذكرنا أنهم مُكِّنوا ما لَمْ يُمَكَّنْ[1] هؤلاء- يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به أعيانها حقيقة لكن السمع يكون كناية عن العقل، كقوله تعالى: أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ.[2] ذكر السمع ثم فسر به العقل، ويكون قوله: **أبصارا**، أريد به البصائر؛ فالبصر يذكر ويراد به البصيرة، إذ قد وصفهم الله تعالى بذلك بقوله: وَعَادًا وَثَمُودَ، إلى قوله: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ؛[3] ويكون قوله: **وأفئدة**، كناية عن القوى، فالفؤاد يكنَّى به عن القوة. يخبر تعالى أنهم مُكِّنوا من العقل والبصيرة والقوة ما لم تُمكَّنوا[4] أنتم يا أهل مكة، ثم لم يقدروا على رفع[5] عذاب الله إذا نزل بهم، فأنتم كيف تملكون[6] دفعه وليس لكم تلك الأسباب؟ وعلى التأويل الثاني كان المراد هو حقيقةَ ما ذُكِر من السمع والبصر والفؤاد، فيكون معناه ما ذكرنا: أنْ لكم هذه الأسبابُ مثلَ ما لهم، ثم هم لم يقدروا على دفع[7] ما حل بهم من العذاب، فأنتم لم تقدروا[8] أيضا.[9] **والله أعلم**.

ثم بين الله سبحانه وتعالى الذي بهم نزل ما نزل من العذاب حيث قال: **إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**، وكان استهزاؤهم مرة بما يوعد لهم الرسل عليهم السلام بالعذاب،[10] ومرة كانوا يستهزءون بالرسل عليهم السلام لما يدعونهم[11] إلى ما دَعَوْا. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: ما لم تمكن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.
[2] سورة يونس، ٤٢/١٠.
[3] ﴿وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٣٨/٢٩).
[4] ر م: ما لم تمكنوا.
[5] ر: على وقع.
[6] ر م: يمكنون.
[7] ر: على وقع.
[8] ن: لم يقدروا.
[9] جميع النسخ + بها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٥٧و.
[10] ن: بالعقاب.
[11] جميع النسخ: لما يدعوهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.

ثم عذاب عادٍ بالريح التي وضعها الله تعالى في سورة الحاقّة وذكر فيها، حيث قال: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، أي شديدة عاتية،[١] سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا.[٢] الآية. وقال في آية أخرى: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.[٣] ***والله أعلم.***

**﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى**. خلق الله تعالى البشر على طبعٍ وبنيةٍ وحال يحذرون ما ينزل بأشكالهم وأمثالهم بذنوب ارتكبوها ويتعظون بغيرهم، فكأنه يقول: احذروا صنع الذين أُهلِكوا ما حولكم وبقربكم لئلا ينزل بكم ما نزل بأولئك[٤] بتكذيبهم الرسل وعنادهم واستهزائهم بهم، يحذّرهم بما[٥] نزل بأولئك الذين أهلكوا حولهم ليرتدعوا عن ذلك وأن لا يعاملوا[٦] رسوله كما عاملوا أولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون**، قوله تعالى: **وصرفنا الآيات**، يخرج على وجهين. أحدهما أي جعلنا للرسل عليهم السلام آيات أقاموها على قومهم ما يُعْلِمهم ذلك ويُخبِرهم[٧] على صدقهم / فردوها وكذبوهم بها، فعند ذلك أهلكناهم. فعلى ذلك جعلنا لمحمد [٧٢٥ظ]
صلى الله عليه وسلم من الآيات ما يُعلِمكم[٨] يا أهل مكة ويخبركم[٩] عن صدقه ويدلكم[١٠] على رسالته، فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم. ***والله أعلم***. والثاني **وصرفنا الآيات**، أي نشرنا[١١] في الآفاق والأطراف النائية ما حل بأولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد والرد ما يُلزِم من بَلَغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل بأولئك الرجوعَ عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم.

---

[١] جميع النسخ: عادية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٢و.

[٢] سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧.

[٣] سورة الذريات، ٥١/٤١.

[٤] جميع النسخ + الذين أهلكوا حولهم ليرتدعوا عن ذلك وأن لا يعاملوا رسوله كما عمل أولئك حتى لا يزال بهم مثل ما نزل بأولئك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.

[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[٦] ر ث م: وأن لا تعاملوا.

[٧] ر م: ما يعلمهم ذلك وتخبرهم؛ ن ث: ما تعلمهم ذلك وتخبرهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[٨] ر ث م: ما تعلمكم.

[٩] جميع النسخ: وتخبركم. والتصحيح من *الشرح*، من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[١٠] جميع النسخ: وتدلكم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[١١] ن: نشرنا.

فأحد التأويلين يرجع إلى انتشار ما نزل بأولئك في الآفاق ليرجعوا عن ذلك فيصير ذلك آية له، فيحملهم على الرجوع عن صنيع أولئك؛[1] والثاني إخبار أنه جعل لكل رسول ونبي آية على صدقه ودلالةً على رسالته، أي لم يهلكهم إلا بعد لزومهم التصديق لهم. *والله أعلم*.

**﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يرجع إلى الله تعالى، والآخر يرجع إلى الأصنام التي عبدوها واتخذوها آلهة. فأما الذي يرجع[2] إلى الله تعالى يقول: لو لا نصرهم الله، أي هلا نصرهم الله تعالى عند نزول العذاب بهم ولا يهلكهم لو كانت[3] عبادتهم الأصنامَ مما يقربهم إلى الله زلفى ويكونون شفعاء عنده. يقول -والله أعلم-: لو كان قولهم حقا أن ذلك مما يقربهم إلى الله هلا نصرهم الله عند نزول ذلك بهم.[4] فإذ لم ينصر الله تعالى أولئك بل أهلكهم فاعلموا أنه ليس الأمر كما توهمتم وظننتم. *والله أعلم*. والثاني يقول -والله أعلم-: لو كان للأصنام التي تعبدونها شفاعةٌ عند الله تعالى على ما زعمتم هلا نصروا أولئك ودفعوا[5] الهلاك عنهم بشفاعتهم. وإذ لم يفعلوا ذلك ولم ينصروهم ولم يدفعوا عنهم فعلى ذلك لا يمكنون دفع ذلك عنكم إذا نزل بكم ما نزل بأولئك. *والله أعلم*. وتفسير **لَوْلا** هاهنا هلّا، وهلّا يستعمل في الماضي فيكون معناه لم يفعل، أي لم ينصرهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل ضلوا عنهم**، أي ضل هؤلاء عنها، أو ضل الأصنام عنهم، فلم يكن لهم منها[6] ما طَمِعوا ورَجَوْا بسبب عبادتهم إياها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وذلك إفكهم وما كانوا يفترون**، يحتمل أن يكون إفكهم وافتراؤهم هو قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونحوه. *والله أعلم*.

---

[1] ر م + ليرجعوا عن ذلك.
[2] جميع النسخ: ترجع. والتصحيح من الشرح، نسخة وبي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.
[3] جميع النسخ: لو كاد. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠ظ.
[4] جميع النسخ: لو كان قولكم (ر م: حقكم) حقا أن ذلك مما يقربكم إلى الله هلا نصركم الله عند نزول ذلك بكم.
[5] ر ش م: ودفع
[6] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠ظ. أي لم يكن ولم يحصل لعبدة الأصنام ما طمعوا من شفاعة الأصنام ونصرها إياهم.

**﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي**، أي فُرِغ مِنْ قراءته، **وَلَّوْا إلى قومهم منذرين**. قال بعضهم: إن النُّذُر من الجن، والرُّسل والنُّذُر من الإنس؛ فإن كان ما ذُكر فجائز على هذا أن يكون النفر الذين[1] ذَكَر[2] أنه صرفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القرآن منه هم النُّذُر، يدل على ذلك قوله: **وَلَّوْا إلى قومهم منذرين**. وفي ظاهر قوله تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا،[3] أن قد يكون[4] من الجن الرسلُ كما يكون من البشر، إلا أن يقال: إنه[5] قد يُذكر الإثنان[6] والمراد به أحدهما، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[7] وإنما يخرج من أحدهما، وهو المِلْح،[8] فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***.

ثم يحتمل **صرفنا إليك نفرا من الجن**، أي ألهمناهم وقذفنا في قلوبهم حتى صاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إليه ليستمعوا القرآن منه. ويحتمل أنه أمرهم في الكتب التي أُعطُوا معرفتها بالتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا منه القرآن، لأنه قال عز وجل على إثره خبرا عنهم:

**﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٠]**

**قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه**، هذا يدل على أنهم قد عرفوا الكتب التي[9] قبل هذا الكتاب حيث قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابا

---

[1] ر م: الذي.
[2] ر م + أنهم.
[3] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.
[4] ر ث م: أن قد يكونون.
[5] جميع النسخ: بأنه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.
[6] ر ث م: الاتيان.
[7] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.
[8] المِلْح والمَلِيح خلاف العَذْب من الماء. والجمع مِلَحَةٌ ومِلاح وأملاح ومِلَح. وقد يقال: أمواهٌ مِلْح، ورَكِيَّة مِلْحة، وماء مِلْح، ولا يقال: مالح إلّا في لغة رديئة (*لسان العرب*، «ملح»).
[9] ر م: التي.

أنزل من بعد موسى مصدقا لما يديه.[1] فجائز أن يكونوا أُمِروا بتلك الكتب استماعَ هذا الكتاب والعملَ به.[2] ويحتمل أن يكونوا عرفوا بذلك لِمَا كانوا يَسْتَرِقُون السَّمعَ إلى السماء فيستمعون أخبار السماء ثم ينزلون فيخبرون أهل الأرض بذلك. فيكون[3] العلم لهم بذلك من الوجوه الثلاثة التي ذكرناها. *والله أعلم*. وقوله تعالى: **يهدي إلى الحق**، أي يدعو إلى الحق الذي لله عليهم والحق الذي لبعض على بعض. ويدعو **إلى طريق مستقيم**، المستقيم هو الذي من سلكه أفضاه إلى مقصوده وبلغ مراده وحاجته. *والله أعلم*.[4]

**﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به**، فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد، لأن النفر الذين[5] حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن سمعوا القرآن منه وصدقوه كانوا قليل العدد؛ ولَمَّا رجعوا[6] إلى قومهم فإنما يرجع كل إلى قومه. وقد يحتمل الاجتماع والتواطؤ[7] على ذلك ودعا كلٌّ قومَه إلى إجابته داعيَ الله تعالى وحذّرهم مخالفته، وقد[8] يحتمل ما ذكرنا من الأفراد والآحاد. دل أن خبر الواحد حجة في حق العمل، وهو ما قال عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ،[9] فكان العمل بخبر الآحاد والأفراد ظاهرا مشهورا في الإنس والجن حيث ذكر ما ذكرنا وألزمهم الإجابة والحذر. *والله أعلم*. ثم قوله تعالى: **أجيبوا داعي الله**، يحتمل الإجابة في الاعتقاد بالتوحيد[10] والإيمان به. ويحتمل في المعاملة في كل أمر وفي كل شيء. وكذلك[11] قوله: [٧٢٦و]

[1] ث – هذا يدل على أنهم قد عرفوا الكتب التي قبل هذا الكتاب حيث قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما يديه.
[2] ث – به.
[3] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.
[4] جميع النسخ – وقوله تعالى يهدي إلى الحق أي يدعو... وبلغ مراده وحاجته والله أعلم. والزيادة من نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.
[5] ر م: الذي.
[6] ر ث م: لما رجعوا.
[7] جميع النسخ: والتوصل. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٣و.
[8] جميع النسخ: وأنه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٤٣و.
[9] سورة التوبة، ١٢٢/٩.
[10] ر ث م – بالتوحيد.
[11] جميع النسخ: فكذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

**﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**[٣٢]

**ومن لا يجب داعي الله**، يحتمل هذين الوجهين. أحدهما في الاعتقاد بالتوحيد والإيمان به. ويحتمل في المعاملة في كل أمر. ثم أخبر أن من لم يجب داعي الله[١] فيما دعاه، **فليس بمعجز في الأرض**، أي ليس بسابق ولا هارب من عذابه. يقول -والله أعلم-: أن ليس يقدر[٢] أحد التخلص من عذابه بهربه[٣] منه والفرار عنه كما يقدر[٤] الفرار والهرب بعضٌ من عذاب بعض في الدنيا ربما. وكذلك[٥] ما قال: **وليس له من دونه أولياء**، أي ليس لهم من دونه أولياءُ ينفعونهم[٦] ويدفعون العذاب عنهم، كما يقوم بعض في دفع ما يلحقهم من البلايا والشدائد في الدنيا؛ إذ ليس قوله: **ليس له من دونه أولياءُ**، أن لا ولاية لهم، إذ قال في موضع آخر: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[٧] ولكن لا ينفع ولايتهم يومئذ كما تنفع[٨] في الدنيا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **أولئك في ضلال مبين**، أي من لم يجب داعي الله فهم في ضلال مبين.

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٣٣]

وقوله: **أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض**، الآية. والإشكال ما معنى قوله:[٩] **أولم يروا**، وهم لم يشاهدوا خلقهما ولم يروا؟ لكن قال بعضهم: أي أو لم يُخْبَرُوا، وقال بعضهم: أو لم يعلموا، أي قد أُخْبِروا أو عَلِموا،[١٠] ذكر هذا لأنهم كانوا مقرين جميعا أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض.

---

[١] جميع النسخ - يحتمل هذين الوجهين أحدهما في الاعتقاد بالتوحيد والإيمان به ويحتمل في المعاملة في كل أمر ثم أخبر أن من لم يجب داعي الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٣و.

[٢] ر ن: يقدر.

[٣] ن: يهربه.

[٤] ن: كما يقرر.

[٥] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

[٦] جميع النسخ: ينفعونه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣١و.

[٧] ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة الأنفال، ٧٣/٨).

[٨] ر م: كما لا ينفع؛ ن ث: كما ينفع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

[٩] ن: لقوله.

[١٠] ث: وأعلمو.

ثم قوله عز وجل: **ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى**، يقول -والله أعلم-: أي لما علموا أن الله سبحانه وتعالى هو خلق السماوات والأرض ولم يُضْعِفه خلقُ ما ذكر ولم يُعْجِزه ذلك عن تدبير ما يحتاج ذلك إليه من الإمساك[1] والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق وإصلاحهم؛ فإذ لم يَعْجِز عما ذكر[2] لا يحتمل أن يكون عاجزا عن إحياء الموتى أو عن شيء ألبتة. أو يقول: حيث لم يعي ولم يظهر فيه الضعف فإذًا لم يَعْجِز ولم يَضْعُف[3] في خلق ما ذكر. ثم لا أحد يملك أن يعمل عملا إلا ويظهر فيه الضعف، فإذن لم يَعْجِز ولم يَضْعُف[4] في خلق[5] ما ذكر دل ذلك على أنه إنما لم يُضْعِفه لأن قدرته ذاتية؛ ومن كانت قدرته ذاتيةً لا يُعجزه شيء. فأما غيره إنما يعمل بأسباب فيقدر على العمل على قدر الأسباب ويعجز ربما عنه. *والله أعلم*. أو يقول: إذ قد عرفتم أن الله تعالى هو خلق السماوات والأرض، ثم لا يحتمل أن يخلقهما عبثا باطلا إذ لو لم يكن بعثٌ كان خلقهما باطلا عبثا. وأصله ما ذكرنا بدءًا أن من قدر على إنشاء ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما بلا احتذاء تقدم ولا استعانة[6] بغيرٍ ثم الإمساكِ والقوام على التدبير الذي دبّر إلى آخر الدهر لا يحتمل أن يعجزه شيء.

وقوله عز وجل: **بلى إنه على كل شيء قدير**، لأنه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة. قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: قوله: **ولم يعي بخلقهن**، يقال: عَيِيتُ بهذا الأمر، أي لم أُحسنه ولم أقْوَ[7] عليه.[8]

**﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا**، مرة قيل لهم: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى،[9]

---

[1] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ (سورة فاطر، ٤١/٣٥).
[2] ر ث م: عما ذكره.
[3] ر م – فإذن لم يعجز ولم يضعف. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.
[4] ن ث – فإذن لم يعجز ولم يضعف في خلق ما ذكر ثم لا أحد يملك أن يعمل عملا إلا ويظهر فيه الضعف فإذن لم يعجز ولم يضعف.
[5] ن ث: بخلق.
[6] ر: والاستعانة.
[7] ر: عيت بهذا أي لم أحسنه ولم أقو؛ م: عيت بهذا أي لم أحسنه ولم أقر.
[8] لم أجده في غريب *القرآن* لابن قتيبة.
[9] سورة الزمر، ٧١/٣٩.

ومرة قيل لهم: **أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا**، يعرض[1] هذا عليهم يومئذ ليعترفوا بالذي كانوا ينكرون في الدنيا، لأنهم كانوا ينكرون في الدنيا الرسل والآيات وكانوا ينكرون كون البعث وعذابه، فيعرضون على النار فيقال لهم: هذا الذي وُعِدْتم في الدنيا، أليس هو حق؟ فيعترفون ويقولون: بلى وربنا، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا. ***والله أعلم***.

**﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**، يَلزَم الرسلَ الصبرُ من وجوه ستة: ثلاثة مما خُصّوا هم بها لا يَشْرَكهم غيرهم فيها، وثلاثة مما يشترك غيرهم فيها. فأما الثلاثة التي خصوا[2] بها أحدها هم بُعثوا لتبليغ الرسالة إلى الفراعنة والأكابرة والجبابرة الذين[3] كانت عادتهم وهمتهم القتل وإهلاكَ من خالفهم وعصى أمرهم ومذهبهم، فلم يُعذَر الرسل[4] في ترك تبليغ الرسالة إليهم مع ما ذكرنا من[5] خوف الهلاك والقتل؛ فأما غيرهم من الناس قد أبيح لهم كتمان الدين الحق[6] منهم حتى لا يُهلكوا. والثاني ألزمهم الصبرَ بالمُقام بين أظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء بهم والافتراء عليهم والتكذيب لهم وأنواع الأذى الذي كان منهم إلى الرسل، لم يؤذن لهم بمفارقتهم لذلك، ولذلك قال: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ،[7] لم يكن منه سوى الخروج من بين قومه لسلامة دينه أو ليُسلِم[8] أولئك،[9] ثم أصابه ما أصابه بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج. ***والله أعلم***. والثالث لم يجعل لهم الدعاء على قومهم بالهلاك والعذاب وإن كان منهم من التمرد والتعنت ما كان. فهذه الثلاثة من المعاملة مما خُصّ الرسل عليهم السلام بها من بين سائر الناس.

---

[1] ر ن م: نقض؛ ث: يقص. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٤و.
[2] ر م: حضوا.
[3] ر ن م: الدي.
[4] جميع النسخ – الرسل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٤و.
[5] ر م: مع.
[6] ن – الحق.
[7] سورة القلم، ٤٨/٦٨.
[8] ر م: لو لم يسلم؛ ن ت: أو لم يسلم. والتصحيح من الشرح نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٨١ظ.
[9] ر م – أولئك.

وأما الثلاثة التي يشترك فيها غيرهم أحدها أُمروا بالصبر على ما يصيبهم[1] وينزل من البلايا والشدائد. والثاني أمروا بالمحافظة على العبادات التي[2] جعلت عليهم ومحافظة حدودها والصبر على القيام بها. والثالث أمروا بالصبر على ترك قضاء الشهوة وترك إعطاء النفس هواها ومُناها.

[٧٢٦ط] فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم، وهي مما يشترك فيها غيرهم. والثلاثة الأولى لهم فيما بينهم وبين الخلق، وهم قد خُصّوا بتلك الثلاثة دون غيرهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أولوا العزم من الرسل**، قال بعضهم: أولوا العزم من الرسل هم[3] نوحٌ وإبراهيمُ ويعقوبُ ويوسفُ وموسى عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء عُدّوا نفرا منهم. وقال بعضهم: هم الرسل جميعا. وجائز أن يكون أولوا العزم من الرسل هم الذين كان منهم الصبر على ما[4] ذكرنا من المعاملة مع قومهم. وقيل: أولوا العزم هم الذين كانوا أبدا متيقظين[5] القائمين بأمر الله الحافظين لحدوده؛ وقال[6] في آدم عليه السلام: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا.[7] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا تستعجل لهم**، أي لا تستعجل[8] عليهم بالهلاك والنقمة.

وقوله عز وجل: **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-:[9] كأنك لا توعدهم بالعذاب إلا ساعة من النهار، وعذاب ساعة من النهار مما لا يحملهم على ترك قضاء شهواتهم ومنع ما هم فيه من الأحوال. والثاني كأنهم إذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوه استقصروا المُقام في الدنيا، كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، وهو كقوله عز وجل: كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[10] وقوله عز وجل: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ،[11] استقصروا المقام في الدنيا إذا عاينوا يوم القيامة وأهوالها. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م: عى ما تصيبهم.
[2] ر م - التي.
[3] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.
[4] ر م: كانوا منهم الصبر عى م صبر؛ ث: كانوا منهم الصر على م.
[5] ر: متعضين.
[6] جميع النسخ: وقالوا. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.
[7] سورة طه، ١١٥/٢٠.
[8] ر م: أن لا يستعجل.
[9] ر م + كأنك لا توعدهم بالساعة إلا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين أحدهما يقول والله أعلم.
[10] سورة لكهف، ١٩/١٨.
[11] سورة الروم، ٥٥/٣٠.

وقوله عز وجل: **بلاغٌ**، قال بعصهم: من الإبلاغ.[1] وقيل: البلاغ من البُلْغَة، أي زَادُ يَتَبُغ به لسفرَ حيث يريد. *والله أعلم*.[2] وقوله عز وجل: **فهل يُهْلَك إلا القوم الفاسقون**، كأنه يقول: لا يهلك الهلاك الدائم المؤبدَ إلا القوم الفاسقون. وإلا الهلاكُ الذي ليس هو بالهلاك الدائم المؤبد مما يُهلك [به] الفاسق وغير الفاسق، إذ الموت حتم[3] على الكل. أو يقول: لا يُهلك هلاكَ العذاب إلا الفاسق، فأما الهلاك الذي هو هلاك النجاة والفوز عن شدائد الدنيا فمما[4] يُهلك به الصالح. *والله أعلم*.[5]

---

[1] ر ث م: قال بعضهم الإبلاغ. والتصحيح من الشرح نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.

[2] د – وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم من الإبلاغ وقيل البلاغ من البلغة أي زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله أعلم. صح هـ.

[3] ر م: حق.

[4] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من الشرح نسخه ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.

[5] ر + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة محمد عليه الصلاة والسلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١]**

قوله عز وجل: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**، قال عامة أهل التأويل: هم أهل مكة؛ والأشبه أن تكون[2] الآية في كفار المدينة وهم أهل الكتاب، لأن السورة مدنية على ما قال بعض أهل التأويل. لكن جائز أن تكون[3] كما قال أهل التأويل بأنها نزلت في كفار مكة، لأن هذه السورة ذكرت على إثر خبرهم وعَقيب نبإهم في سورة الأحقاف. ثم إن كانت الآية في كفار المدينة وأهل الكتاب فيكون قوله تعالى: **الذين كفروا**، بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه؛ **أضلَّ أعمالهم**، أي أبطل إيمانهم الذي كان لهم بسائر الأنبياء وبمحمد عليهم الصلاة والسلام، لأنهم كانوا مؤمنين به قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. يقول -والله أعلم-: قد أبطل إيمانهم الذي كان منهم قبل ذلك بما كفروا به إذا بُعث. وإن كانت الآية في كفار مكة على ما قال أكثرهم فيكون قوله: **الذين كفروا**، بوحدانية الله تعالى، أو كفروا[4] بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه الصلاة والسلام، أو كفروا بالبعث ونحو ذلك.

---

[1] ر - سورة محمد عليه الصلاة والسلام؛ ن: ذكر أن سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مدنية. ث: سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية؛ م + مدنية.

[2] جميع النسخ: أن يكون.

[3] جميع النسخ: أن يكون.

[4] م: وكفروا.

**أضل أعمالهم**، أي أبطل[1] حسناتهم التي كانت لهم في حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة الأرحام وفك الرقاب وغير ذلك من الأعمال التي كانوا يتقربون بها -والله أعلم- قد أبطل أعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله. أو[2] يقول:[3] قد أبطل عبادتهم[4] التي كانوا يعبدون من الأصنام وغيرها لِتُقرّبهم[5] عبادتهم إلى الله زلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[6] وقولهم: هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[7] يقول: قد أبطل ذلك ولم يكن على ما رجَوْا وطَمِعوا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وصدوا عن سبيل الله**، يحتمل[8] صدوا بأنفسهم، أي أعرضوا عن سبيل الله على ما ذكر من الكفر[9] عنهم. ويحتمل **وصدوا عن سبيل الله**، أي صدوا الناس عن سبيل الله، وقد كان منهم الأمران جميعا. **أضل أعمالهم**، أي أبطلها،[10] يقال: ضل الماء في اللبن إذا غُيِّب فلم يتبين.[11]

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾**[٢]

**والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد**، يقول: والذين آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يُضلَّ أعمالهم و لم يبطل إيمانهم الذي كان منهم، بل يكفرَ سيئاتهم التي كانت منهم من الكفر وغيره من[12] السيئات. أو يقول: والذين أمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم،

---

[1] ر: وأبطل؛ ه: أو أبطل.
[2] ن - والله أعلم قد أبطل أعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله أو.
[3] ن + والله أعلم.
[4] ن: قد أبطل الله أعمالهم.
[5] ر ث م: ليقربهم.
[6] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[7] سورة يونس، ١٨/١٠.
[8] ر م + أن؛ ن ث + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.
[9] جميع النسخ - من الكفر. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٣٢و.
[10] ر م: أي أبطل؛ ن ث: أي أبطله. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢و.
[11] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٩.
[12] ن: من الكفر والسيئات.

وهو الكفر والمساوئ التي كانت هم في الكفر،[1] كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[2] إن كانت الآية في مؤمني مشركي[3] العرب وأهل مكة فيكون قوله:[4] **كفر عنهم سيئاتهم**، الشرك والمساوئ التي كانت لهم في حال الكفر؛ وإن كان في مؤمني أهل الكتاب فيكون قوله: **كفر عنهم سيئاتهم**، التي كانت لهم في حال إيمانهم. ***والله أعلم***.

[٧٢٧و] وقوله: **وهو الحق من ربهم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما آمنوا بما نزل على محمد عليه الصلاة والسلام وهو الحق، أي[5] من ربهم نزل، وكل شيء من الله تعالى فهو الحق. والثاني **وهو الحق من ربهم**، أي وهو الصدق من ربهم. وقوله عز وجل: **وأصلح بالهم**، أي حالهم وشأنهم فيما كان من قبلُ وفيما بعده.

**﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾**[٣]

ثم أخبر أن الذي أبطل أعمالهم لأولئك الكفرة وما ذكر وثبّتَ للذين[6] آمنوا ولم يبطل أعمالهم وما ذكر من إصلاح حالهم هو ما قال: **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل**، يحتمل الباطل الشيطانَ أو هوى النفس أو كلَّ باطل؛ وهو الذي يذم عليه فاعله ومُتَّبِعُه. وقوله عز وجل: **وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم**، يقول لهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الباطل ولهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الحق وقبوله. وقوله عز وجل: **كذلك يضرب الله للناس أمثالهم**، أي مثل الذي بيّن ما لهؤلاء[7] وما لهؤلاء يُبَيِّن ما لكل متبع الباطل ومتبع الحق،[8] وضربُ المثل هو أن يبين لهم ما خفي واشتبه عليهم بالذي ظهر عندهم وتقرر وتجلى لهم ليصير الذي خفي عليهم واشتبه ظاهرا متجليا. والله أعلم بالذي ذكر لهم من أمثاله ومَشَابِهه.[9] ***والله أعلم***.[10]

---

[1] جميع النسخ: من الكفر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.
[2] سورة الأنفال، ٨/٣٨.
[3] ر م: ومشركي.
[4] ن - قوله.
[5] ر م - أي.
[6] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٥ظ.
[7] ر: ما هؤلاء.
[8] ر م: لباطل.
[9] ن: مشابهة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و. مَشابه، أي أشباه (*لسان العرب*، «شبه»).
[10] ر ث م - والله أعلم بالذي ذكر لهم من أمثاله ومشابهه والله أعلم.

**﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**. وقال في آية أخرى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.[١] جائز أن يكون قوله تعالى: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**، في القتال والحرب، وكذلك قوله تعالى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ، في القتال والحرب أيضا يضربون ويقتلون على ما يَظْفَرون ويقدرون بهم من المفاصل وغير المفاصل وفي كل موضع، ويكون قوله:[٢] فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، في المفاصل التي ليس فيها كَسْرُ عِظَمٍ[٣] ولا شيءٌ[٤] ولكن إبانةٌ من المفصل. *والله أعلم*. لما روى في الخبر: «إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة»،[٥] وحُسْن القتل هو أن يضرب ويبان[٦] من المفصل. *والله أعلم*. فعلى هذا جائز أن[٧] يخرج تأويل قوله تعالى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٨] وتأويل قوله: **فَضَرْبَ الرقاب**. وجائز أن يكون لا على التقديم والتأخير والإضمار، ولكنْ كلُّ آية على نظم ما ذكر. *والله أعلم*؛ ثم إن كان على ما ذكرنا من التقديم والتأخير والإضمار فيكون كأنه قال تعالى: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى إذا أثخنتموهم وأَسَرْتمُوهم فاضربوا فوق الأعناق، لأن الإمام بالخيار عندنا إذا أخذهم وظفرهم: إن شاء قتلهم وإن شاء مَنَّ عليهم وتركهم بالجزية، لقوله: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ،[٩] ويكون قوله: **فَشُدُّوا الوَثَاق**، على هذا في المن يستوثقهم بالمواثيق وإن شاء فَادَاهُمْ. لكنهم اختلفوا في المفاداة؛

---

[١] سورة الأنفال، ٨/١٢.

[٢] ث – قوله.

[٣] ن ث: عظيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.

[٤] ر م – وغير المفصل وفي كل موضع ويكون قوله فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان في المفصل التي ليس فيها كسر عظم ولا شيء.

[٥] جميع النسخ: القتل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٢٣، ١٢٤، ١٢٥؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ٥٧؛ وسنن *ابن ماجة*، الذبائح ٣.

[٦] ر م: وبيان؛ ن: وبنان.

[٧] ن + يكون.

[٨] سورة الأنفال، ٨/١٢.

[٩] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٩).

قال بعضهم: يُفدَون بالأموال وأُسَرَاء المسلمين منهم. وقال بعضهم: يفادون بالأسراء منهم ولكن لا يجوز أن يفادوا بالأموال. وهو قولنا. وقال بعضهم: لا يفادون بأسراء المسلمين ولا بالأموال، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.[١] واختلفوا في قتل الأسراء منهم. قال بعضهم: لا يقتلون[٢] ولكن يُمَنُّ عليهم أو يفادون. وقال بعضهم: الإمام بالخيار: إن شاء قتلهم وإن شاء من عليهم وإن شاء فاداهم بالأسارى من المسلمين. أما القتل فبما ذكرنا من الاستدلال بقوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ،[٣] ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استشار أبا بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم في أسارى بدر فأشاروا إلى المن عليهم والترك وأشار عمر إلى القتل فيهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «لو جاءت من السماء نار ما نجا منكم إلا عمر»، أو كلام نحوه.[٤] دل أن الحكم فيهم القتلُ، أعني في هؤلاء الذين حكم فيهم عمر رضي الله عنه بالقتل، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نجا إلا عمر». فدل هذا الخبر أن للإمام[٥] أن يقتل أسارى أهل الشرك، وله أن يَمُنّ عليهم بالترك بالجزية في حق أهل الكتاب والعجم، فإنه لمّا جاز لنا في الابتداء أن نأخذ[٦] منهم الجزية إذا أبوا الإسلام ونتركهم[٧] على ما هم عليه فعلى ذلك بعد الظفر بهم والقدرة عليهم. ثم قال بعضهم: هذه الآية -وهي قوله **فإما مَنًّا بعدُ وإما فِداءً**- منسوخة بقوله:[٨] فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ،[٩] ونحو ذلك. ولكن أمكن التوفيق بين الآيتين؛ هذه في قوم والأخرى في قوم آخرين، أو هذه في وقت والأخرى في وقت آخر. ***والله أعلم.***

---

[١] انظر للأقوال حول هذه الآية: *أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٢٦٨-٢٧٢.

[٢] ر م: لا تقتلون.

[٣] سورة الأنفال، ٨/١٢.

[٤] انظر للروايات في قصة أسرى بدر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٣-٢٥٤؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٧١؛ و*تفسير الطبري*، ١١/٢٧٤-٢٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٢٠١-٢٠٤.

[٥] ر: أن الإمام.

[٦] ر ث م: أن يأخذ.

[٧] جميع النسخ: وتركهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.

[٨] جميع النسخ: لآية وهو قوله فإما منا بعد وإما فداء يخالف من حيث الظاهر لقوله. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢ظ.

[٩] سورة التوبة، ٩/٥.

وقوله عز وجل: **حتى تضع الحرب أوزارها**، وقال بعضهم: حتى يخرج عيسى ابن[1] مريم عليه السلام فعند ذلك تذهب[2] الحروب والقتال، أي اقتلوهم وافعلوا بهم ما ذكر إلى وقت خروج عيسى عليه السلام. وقال بعضهم: **حتى تضع الحرب أوزارها**. أي حتى يضعوا[3] أسلحتهم ويتركوا[4] القتال. وقال بعضهم: حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكونَ الدين إلا دين الإسلام، وهو كقوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[5] أي شرك وكفر. ***والله أعلم***.

قيل: الإثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والجراح. وقال أبو عَوْسَجة: **أثخنتموهم**، أي أكثرتم[6] فيهم القتل والجِراحة، ويقال في الكلام: ضربته حتى أُثخنته حتى لا يقدر أن يتحرك. **والوثاق** ما أوثقتَ به[7] يدي الرجل أو رجليه، يقال: أوثقته واستوثقت منه. وقوله: **أوزارَها**، أي أثقالها، واحدها وزر وهو الثِقل. وقال القُتَبِي: **حتى تضع الحرب أوزارها**، أي يضع[8] / أهل الحرب السلاح، وأصل الوِزْر ما حملته، فسمى السلاح وزرا لأنه يحمل.[9] ***والله أعلم***. [٧٢٧ظ]

وقوله عز وجل: **ذلك ولو يَشاءُ اللهُ لانتصر منهم**، قوله: **ذلك**، أي ذلك الذي أُمِرتم[10] به من أول ما ذكر من قوله تعالى: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**، إلى قوله: **حتى تضع الحرب أوزارها**. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **ولو يشاء الله لانتصر منهم**، تأويله -والله أعلم- ولو يشاء الله لانتصر[11] لأوليائه من أعدائه بلا قتال ولا نَصْبِ الحروب فيما بينهم. ثم انتصاره منهم يكون مرة بأن يُهلكهم إهلاكا ويَقْهَرهم قهرا، ومرةً ينتصر[12] منهم بأن يسلّط عليهم أضعف خلقه وأَخسِّهم فيَقهَرهم بأضعف خلقه.

---

[1] ن: عيسى بن.
[2] ر ث م: مذهب؛ ن: يذهب.
[3] ر م: حتى تضعوا.
[4] جميع النسخ: وتركوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.
[5] سورة البقرة، ١٩٣/٢؛ وسورة الأنفال، ٣٩/٨.
[6] ن: أكثرتموهم.
[7] جميع النسخ + كن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.
[8] ر ن م: أي تضع.
[9] نظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٩.
[10] جميع النسخ: أمرتهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٦ظ.
[11] ر ث م - منهم تأويله والله أعلم ولو يشاء الله لانتصر.
[12] ر م: ومرة ينصر.

وقوله عز وجل: **ولكن لِيَبْلُوَ بعضَكم ببعض،** أي يمتحن بعضكم بقتال بعض وبأنواع المحن، أنشأ[1] الله عز وجل هذا البشر في ظاهر الأحوال بعضَهم مشابها لبعض غيرَ مخالف بعضُهم بعضا، فإنما يظهر الاختلاف[2] بالامتحان بأنواع المحن على اختلاف الأحوال، فعند ذلك يظهر المصدّق من المكذّب والمُحق من المبطل والموافق من المخالف والمتحقق من المضطرِب والموقن من الشاكّ على ما ذكر تعالى: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[3] وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[4] و[الَّذِي] خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً،[5] وغير ذلك من الآيات التي ذكر الابتلاء[6] والامتحان فيها باختلاف الأحوال التي عند ذلك يظهر ما ذكر من التصديق والتكذيب والتحقيق[7] وغيره. ثم لو كان جل وعلا انتصر لأوليائه من أعدائه بما ذكرنا بأن ينصرهم على أعدائهم نصرا بلا امتحان وكُلْفة منه لأوليائه لكان التوحيد له والتصديق لرسله بحق الاضطرار لا بحق الاختيار، لأنهم إذا رأوا أنهم يُستَأصلون ويُهلَكون إهلاكا بخلافهم إياهم لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم مخافة الهلاك والاستئصال، فيرتفع الابتلاء والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره، لذلك كان ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالهم سيهديهم،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: والذين قاتلوا في سبيل الله فَهُزِموا أو غُلبوا أو هَرَبوا في وقت أو في قتال، **فلن يضل أعمالهم،** أي لن يبطل أعمالهم[8] التي كانت منهم من الجهاد مع الأعداء وغير ذلك من الأعمال التي كانت لهم. **سيهديهم،** أي[9] يوفقهم ثانيا مرة أخرى للقتال والنصر لهم على أعدائهم في الدنيا ويُدخلهم في الآخرة الجنة.[10] والثاني أي والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم في الآخرة سيهديهم في الآخرة الجنة.[11]

---

[1] جميع النسخ: إن شاء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.
[2] جميع النسخ: اختلاف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢ظ.
[3] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[4] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[5] سورة الملك، ٢/٦٧.
[6] جميع النسخ: الاختلاف. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٦ظ.
[7] ر م: والتكذيب لتحقيق.
[8] ر م - أي لن يبطل أعمالهم.
[9] ر م: أو.
[10] ر م: الجنة.
[11] ر: لجنته.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ويدخلهم الجنة عرفها لهم**، قال بعضهم: أي يدخلهم الجنة التي بينها لهم في الدنيا ووصفها. وقال بعضهم: عرّفها لهم في الآخرة[١] حتى يَعرِفَ كلُّ منزله وأهله[٢] من غير أعلام وأدلة جعلت لهم كما يعرف كل أحد في الدنيا منزله[٣] وأهله وخَدَمَه. **والله أعلم**. وقال بعضهم: **عرفها لهم**، أي طَيَّبها لهم، يقال: فلان مُعرِّف، أي مُطيِّب، وطعام مُعرّف،[٤] أي مُطيَّب،[٥] وهو قول القُتَبِي.[٦]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم**، أي إن تنصروا دين الله ينصركم، أو[٧] إن تنصروا أولياء الله ينصركم على أعدائكم. ثم نَصْرُنا دينَ الله وأولياءه يكون مرة بالأنفس والأموال ببذلها في سبيله لابتغاء وجهه. والثاني يكون[٨] نصرا بالحجج والبراهين بإقامتها عليهم بما أُمِرْنا من إقامة الحجج والآيات. ثم يكون نصر الله إيانا[٩] وجهين. أحدهما ينصرنا على أعدائه بما نغلبهم ونقهرهم؛[١٠] لكن إن كان هذا فيكون في حال دون حال وفي وقت دون وقت لا في كل الأحوال. والثاني يكون نصره إيانا بما يجعل العاقبة لنا،[١١] وإن كنا غُلِبنا وقُهِرنا في بعض الحروب والقتال وكانوا هم الغالبين علينا قاهرين لنا. **والله أعلم**. وقوله عز وجل: **ويُثَبِّتْ أقدامكم**، يحتمل في الحروب والقتال، أو يثبت أقدامكم[١٢] في الآخرة كيلا تزول. **والله أعلم**.

---

[١] ن – التي بينها لهم في الدنيا ووصفها وقال بعضهم عرفها لهم في الآخرة.

[٢] ر: منزلة وأهله؛ ث: منزلة أهله.

[٣] ر: منزلة.

[٤] ر م: معروف.

[٥] ن – وطعام معرف أي مطيب.

[٦] انظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٠.

[٧] ر ث م: أي.

[٨] ن: أن يكون.

[٩] ن + من.

[١٠] جميع النسخ: بما يغلبهم ويقهرهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.

[١١] ر م – لنا.

[١٢] ر ن م: أقدامهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا فتعسا لهم**، أي بُعْدًا لهم؛ ثم يحتمل بعدا لهم عن النصر، ويحتمل بعدا لهم عن رحمته. وقال بعضهم: **فتعسا لهم**،[١] أي هلاكا لهم، وقيل:[٢] فَخَيْبَةً[٣] عند الهزيمة والقتل؛ وجائز أن يكون أريد به الهلاك. وأصل التعس هو العَثر والسقوط وهو الهلاك، فيرجع كله[٤] إلى ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**، أي ذلك الذي ذُكّر لهم من التعس والهلاك وإبطال الأعمال بأنهم تركوا اتباع ما أنزل الله على رسوله، إذ كل من ترك اتباع شيء اعتقادا فقد كرهه. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله**، أي كرهوا ما أنزل الله[٥] على غير بني إسرائيل؛ فإن كان هذا فالآية في أهل الكتاب لأنهم لم يروا الرسل من غير بني إسرائيل ولا إنزالَ الكتب على أحد من غير بني إسرائيل. ***والله أعلم***. وقوله: **فأحبط أعمالهم**، أي بتركهم اتباع ما أنزل الله وقبولَه. ***والله أعلم***.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها أي لو ساروا في الأرض / لعرفوا [٧٢٨و] ما نزل بأولئك بماذا نزل بهم، وهو تكذيبهم للرسل وكفرُهم بهم، ولعرفوا أن من نجا منهم بماذا نجا، وهو التصديق لهم والإيمان بهم.[٦] والثاني على الأمر، أي سيروا في الأرض

---

[١] جميع النسخ – أي بعدا لهم ثم يحتمل بعدا لهم عن النصر ويحتمل بعدا لهم عن رحمته وقال بعضهم فتعسا لهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.

[٢] ر ث م + أي.

[٣] ر ث: محنته؛ ن: فحية؛ م: محنة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.

[٤] جميع النسخ – كله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٧و

[٥] ن – أي كرهوا ما أنزل الله.

[٦] ن: لهم.

فانظروا ما الذي نزل بمكذِّبي الرسلِ ومستهزئيهم ليكونَ ذلك مَزْجَرَةً[1] لهم عن مثل معاملتهم الرسول عليه السلام. والثالث أي قد ساروا في الأرض لكن لم ينظروا ولم يعتبروا فيما نزل بأولئك أنه بماذا نزل بهم، ولو تأملوا فيهم لكان ذلك زجرا لهم عن المعاودة إلى مثل ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي دمر الله عليهم وللكافرين[2] سوى[3] هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم أمثالُ مآلهم من الهلاك بتكذيبهم الرسل. والثاني[4] **دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**، أي للكافرين من قومك أمثالها، وهذا وعيد لقومه. والثالث أن يقول لقومه: ولكل كافر أمثالُ ذلك. ***والله أعلم***.

**﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**، تأويله أي ذلك الذي ذكر لهم لِأَجْلِ أنّ الله ناصر الذين اتبعوا[5] أمره وآمنوا به وصدقوه فدفع العذاب عنهم باتباعهم أمره، وأن للكافرين[6] ذلك لما ليس[7] هو بناصر لهم لتركهم اتباع أمره[8] وتصديقهم إياه فلم يدفع العذاب عنهم؛ أو يقول: **ذلك**، أي دَفْعُ العذاب عن الذين آمنوا لما أن الله تولى[9] أمورهم وعصمهم، وأنه لم يتولَّ أمور الكفرة، أي لم يعصمهم وخذلهم وتركهم على ما اختاروا، لعلمه باختيارهم ما يختارون[10] من التكذيب، وتولّى[11] المؤمنين وعصمهم لعلمه بما يختارون من التصديق والاتباع له. ***والله أعلم***.

[1] ر م: من قوة؛ ن: من حرة.
[2] ن + أمثالهم.
[3] ن: ستوى.
[4] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[5] ر م: اتبعوه.
[6] جميع النسخ: وأن الكافرين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٧ظ.
[7] ر م: لما بئس؛ ث: لما يئس.
[8] ر م: أمر.
[9] جميع النسخ: يتولى.
[10] ر م: ما اختاروا.
[11] ت: ويتولى.

**﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾**[١٢]

ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لأمره والتصديق لرسله عليهم السلام وهو قوله تعالى: **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**. وبيّن ما لأولئك الذين اختاروا من الكفر به والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال: **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**، أي مأوًى لهم بما اختاروا. *والله أعلم*. وذلك أن أهل الإيمان والتوحيد نظروا في جميع أحوالهم وأمورهم إلى ما فيه أمر الله تعالى وما يُعقِب لهم نفعا في العاقبة، لم ينظروا إلى ما فيه قضاء شهواتهم ومُنَاهُم، بل اختاروا أمر الله على جميع ما ذكرنا. وأولئك[١] الكفرة لم ينظروا إلى ما فيه أمر الله ولا ما يوجب[٢] لهم في العاقبة من النفع، بل اختاروا شهواتهم[٣] ومُناهم وما فيه هَواهم على ما فيه أمر الله ونهيه. فجعل للمؤمنين في الآخرة قضاء شهواتهم التي تركوا قضاءها في الدنيا وكَفُّوا أنفسهم عن مناها مكانَ[٤] ذلك في الجنة والبساتين التي وعد لهم في الآخرة؛ وجعل لأولئك الكفرة في الآخرة مكان ما قضوا في الدنيا من شهواتهم وإعطاءِ أنفسهم مناها النارَ وما يُنغِّصهم[٥] ما أَعطَوا أنفسَهم في الدنيا.

ثم قوله: **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**، يحتمل تشبيه أولئك الكفرة بالأنعام في الأكل وجهين. أحدهما يخبر أنهم يأكلون وهِمَّتُهم في الأكل ليست إلا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة، لا ينظرون إلى ما أمرهم الله به ونهاهم عنه[٦] كالأنعام التي ذكر، همتها ليست في الأكل إلا الشِّبَعُ وامتلاء البطن وقضاء الشهوة. *والله أعلم*. والثاني يخبر عنهم أنهم لا ينظرون في أكلهم وشربهم إلى عاقبة ولا إلى وقت ثانٍ، بل نظرهم إلى الحال التي هم فيها كالأنعام التي ذكر أنها تأكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا تترك[٧] شيئا ما دامت تشتهي،[٨] فعلى ذلك أولئك الكفرة. *والله أعلم*.

---

[١] ث: أولئك.

[٢] ر ث م: ولا يوجب.

[٣] ر م: لشهوتهم.

[٤] ن: فكان.

[٥] ر م: وما ينقصهم. نَغَّص عليه عيشه تنغيصا، أي كدّره (*لسان العرب*، «نغص»).

[٦] ر: إلى أمر الله به ونهاهم منه؛ إلى أمر الله به ونهاهم عنه.

[٧] ر ن م: يأكل ولا ينظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا يترك.

[٨] ر م: يشتهي.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [١٣]

وقوله عز وجل: **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم**، كأن سنة الله تعالى في الذين كانوا من قبل أنه إذا أُخرِج الرسل من بين أظهرهم أهلَكهم،[١] فيخبر أن أهل مكة قد استوجبوا العذاب -إذ أُخرجتَ من بين أظهرهم- كما يستوجب أولئك الكفرة. لكن الله تعالى بفضله ورحمته أخر ذلك عنهم لأنه بعثك إليهم رحمةً، كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛[٢] أو أخر ذلك عنهم لما وعد أنه خاتم الأنبياء عليهم السلام لتبقى[٣] شريعته ورسالته إلى يوم القيامة، ولو أهلكهم واستأصلهم على ما فعل بأولئك لانقطعت رسالته وشريعته، وقد وعد أنها تبقى[٤] وأنه رحمة لهم وأنه[٥] لا يخلف الميعاد. ثم أخبر أن أولئك الكفرة[٦] أكثر أهلا وأشد قوة وبطشا من هؤلاء، ثم لم يتهيأ لهم دفع ما نزل بهم بقوتهم في أنفسهم[٧] وبطشهم، ولا كان لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه. فأنتم يا أهل مكة أولى أن لا تدفعوا[٨] عن أنفسكم العذاب إذا نزل بكم. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **أخرجتك**، أضاف الإخراج إلى قومه وهم لم يتولوا إخراجه بأنفسهم بل اضطروه حتى خرج هو بنفسه، لكنه أضاف الإخراج / إليهم لأن سبب خروجه من بينهم [٧٢٨ظ] كان منهم فكأن قد أخرجوه. وهو كما ذكر من إخراج الشيطان آدم وحواء عليهما السلام من الجنة بقوله: فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ،[٩] والشيطان لم يتول إخراجهما حقيقة؛ لكن لَمّا كان منه من أشياء حملهم ذلك على الخروج فكأنه وُجد الإخراجُ منه. وأصله أن الأشياء والأفعال ربما تنسب[١٠] إلى أسبابها وإن لم يكن لتلك الأسباب حقيقةُ الأفعال. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: أمسكهم.
[٢] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[٣] جميع النسخ: ليبقى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[٤] ن: يبقى.
[٥] ن – لهم وأنه.
[٦] ن – الكفرة.
[٧] م: في نفسهم.
[٨] ر ش م: أن تدفعوا؛ ن: أن لا يدفعوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[٩] سورة البقرة، ٢/٣٦.
[١٠] جميع النسخ: ينسب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.

وقوله عز وجل: **فلا ناصر لهم**، هو خبر من الله تعالى،[١] أي لا يكون لهم ناصر، وهو يحتمل وجهين. أحدهما لا يكون ناصر لهم[٢] في الآخرة. والثاني على إضمارٍ، أي لم يكن لهم ناصر وقت ما عُذِّبوا في الدنيا. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**. لم يخرج لهذا الحرف جواب لما هم عرفوا بالبديهة[٣] أن ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع هواه، يُعرَف ذلك بالبديهة، كمن يقول: ليس المحسن كالمسيء وليس من يحسن كمن يسيء ونحوه ذلك مما يعرفه كل أحد لا يحتاج إلى بيان وجواب، فعلى ذلك هذا. ثم في ذلك وجهان. أحدهما يذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم وما زُيّن لهم من سوء عملهم على اتباع من كان على بينةٍ منه وبيانٍ على علم منهم[٤] بذلك ويقين. ***والله أعلم***. والثاني فيه ذكر دلالة البعث، يقول -والله أعلم-: لمّا عرفتم أن من كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه، وقد استويا في هذه الدنيا: انتفع هذا كما انتفع الآخر، وفي العقول لا استواء بينهما، فدلّ استواؤهما في هذه الدار على أن هناك دارا أخرى ثَمّ يُفرّق بينهما ويميز. ***والله الموفق***.

**﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أن قوله تعالى:[٥] **وعد المتقون**، على حقيقة المَثَل، كأنه يقول: مثل الجنة التي وعد المتقون من جناتكم هذه لو كانت جناتُكم في الدنيا على المثل الذي وَصَف في الآية، أليس كانت نفس كل أحد ترغب[٦] فيها

---

١ ن: هو خبرا منه تعالى.
٢ ر ث م – لهم؛ ن: لهم ناصر.
٣ ر م: بالبديهية.
٤ ر ث م – منهم
٥ ن + مثل الجنة التي.
٦ جميع النسخ: يرغب. والصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.

وتَحرِص[1] في طلبها لتكون[2] تلك الجنة له؟ فما بالكم لا ترغبون في تلك الجنة التي وعد المتقون في الآخرة، لا ترغبون فيها ولا تحرصون في طلبها؟ *والله أعلم*. ويخرج على هذا التأويل قوله تعالى: **كمن هو خالد في النار**، أي ليس من كان خالدا في جنة من جناتكم التي[3] وصفها كمن هو خالد في نار من نيرانكم.

والثاني يحتمل قوله تعالى: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، أي صفة الجنة التي وعد امتقون[4] ما ذكر، فيخرج على الصلة لما تقدم من قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[5] ثم وصف ونعت الجنة التي أخبر أنه يُدخلهم فيها فقال: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، أي صفتها فيها أنهار من كذا وكذا الآية. وعلى هذا ما ذكر في آخره من قوله: **كمن هو خالد في النار**، يحتمل أن يكون صلة قوله: مَثْوًى لَهُمْ،[6] ثم وصف تلك النار التي أخبر أنها مثوى لهم[7] ومأوى لهم فقال: **وسُقُوا ماءً حميما**، الآية.

والثالث يذكر على أن من وعِد له ما وُعِد لمتقين من الجنة وما فيها من النعم ليس كمن وعد له النار. ألا ترى أنه جل وعلا ذكر في آخر ما ذكر من وصف الجنة: **كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميما فقطّع أمعاءَهم**، أي ليس هذا كهذا ولا سواءَ بينهما، أي لا مساواةَ، وهو كقوله تعالى فيما تقدم من حيث قال: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ،[8] أي ليس هذا كهذا؛[9] فعلى هذا يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار، أي ليس من وَعد له الجنة التي وصفها ونعتها كمن وعد له النار التي وَصْفُها ما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قال: **فيها أنهار من ماء غير آسن**، الآية، يخبر أن ما يكون في الجنة من المياه والخمور والألبان وما ذكر ليس كالتي في الدنيا، لأن المياه في الدنيا يتغير بأحد وجهين.

---

[1] جميع النسخ: ويحرص. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٤و.
[2] جميع النسخ: ليكون.
[3] جميع النسخ + ما ذكر. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٩و.
[4] ر م – أي صفة الجنة التي وعد المتقون.
[5] الآية ١٢ من هذه السورة.
[6] الآية ١٢ من هذه السورة.
[7] ر ن ه: له.
[8] الآية السابقة.
[9] ر ه: كهكذا.

إما لنجاسة وآفة تصيبها[1] أو لطول الزمان والمكث، فيخبر أنْ ليس في الجنة شيء يغيّر مياهها؛[2] وكذلك اللبن في الدنيا يتغير ويَفسد عن قريب[3] إذا تُرك لما ذكر، فيخبر أن ألبان[4] الجنة لا يَفسُد للترك ولا يصيبها شيء فيفسدها ويُخرجها عن طعم اللبن. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين**، يخبر أن الخمر في الجنة مما يتلذذ بها أهلها عند الشرب ليس كخمور الدنيا يتكرّه[ها] أهلها عند شربها ويَعبِسون وجوههم عند التناول منها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأنهار من عسل مصَفًّى**، أي أنهار من عسل خلق وأُنشِئ[5] مصفى لا كدورة فيه، لا أنه كان كَدِرا فصُفِّي[6] أو كان خَلق بعضَه كَدِرا وبعضَه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الابتداء، وهو كقوله تعالى: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[7] أي خلقها في الابتداء مرفوعة لا أنها كانت موضوعة ثم رفعها. *والله أعلم*.

[٧٢٩و] وقوله عز وجل: **ولهم فيها من كل الثمرات**، يحتمل[8] / من كل الثمرات التي عرفوها في الدنيا ورأوها،[9] أو يقول لهم: فيها من كل الثمرات التي يريدون فيها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماءً حميما فقطّع أمعاءَهم**، أي ليس من وُعد له ما ذُكر من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر من ألوان الثمار والنعم وما ذكر[10] من المياه والخمور والألبان كمن هو خالد في النار وما ذُكر. *والله أعلم*.

**﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا**. جعل الله عز وجل آيات رسالة رسوله عليه الصلاة والسلام

---

١ جميع النسخ: يصيبها. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.
٢ ن: أن ليس في الجنة تغير مياهها.
٣ ن: عن قرب.
٤ ن: أن النار.
٥ ر م: والشيء؛ ن: وأنسئ.
٦ ر م: مصفى.
٧ سورة الرعد، ٢/١٣.
٨ ر ن م + أي.
٩ ر م: وردها
١٠ ر ن م: ما ذكر.

وحججه على المنافقين صنيعَهم وما أسرُّوا في أنفسهم من الخلاف له والعداوة، فأطلع الله رسوله على ما أسَرُّوا في أنفسهم وأضمروه ليكون ذلك آية لرسالته وحجة لنبوته، إذ علموا أن لا أحد يطّلع على ما في القلوب إلا اللهُ تعالى. فإذا أخبر رسول الله لهم بما أسروا وأضمروا علموا[1] أنه عرف ذلك بالله تعالى، كقوله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا،[2] وقوله: وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ[3] ونحو ذلك. ثم الناس في الاستماع[4] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَفْتَنّ[5] إلى فرق ثلاث. فالمؤمنون كانوا يستمعون إليه للاسترشاد ولاستزادة الهدى،[6] *وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى،[7] الآية. والكفرة كانوا يستمعون إليه ليقولوا لأتباعهم: إنه افترى بنفسه وإنه كَذِب وإنه سحرٌ، كيلا يقعَ في قلوب أتباعهم أن ما جاء محمد حق فيسمعوا منه، ويُزيِّفوا[8] ذلك بين يدي أتباعهم، وهو كقوله: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ،[9] الآية. والمنافقون كانوا يستمعون إليه لإظهار الموافقة له لئلا يتعرض لهم فيما أضمروه وأسروا منهم من العداوة والخلاف. *والله أعلم*. ثم قوله: **قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا**، هذا القول منهم في الظاهر ليس هو قولا يجب أن يذم قائله، لأن من خفي عليه أو أشكل أو ذهب عنه ما سمعه فالواجب عليه أن يسأل من حفظ ذلك وضبط، لكن أولئك إنما قالوا لهم ذلك ليعلموا أنهم على دينهم وأنهم يستمعون إليه ويحفظونه، وكانوا في الحقيقة[10] يستهزءون بهم، لذلك ذُمّوا بذلك القول.

ثم أخبر أنه طبع على قلوبهم بقوله: **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**، لما كان استماعهم إليه لما ذكرنا من إظهار الموافقة وإضمار الخلاف له والعداوة والاستهزاء. وقوله: **آنفا**، قال بعضهم: أي مستأنَفًا من الائتناف. وقال بعضهم: الساعة.

---

[1] ر م: واعلموا.
[2] سورة النور، ٢٤/٦٣.
[3] سورة البقرة، ٢/١٤.
[4] ر م: في الاستمتاع.
[5] ر م: يفرق. يَفْتَنّ: أي يتنوع.
[6] ر م: لاسترشاد واسترادة الهدى.
[7] الآية التالية.
[8] زيّف قوله أو رأيه: فنّده وأظهر باطله، صغّره وحقّره (*المعجم الوسيط*، «زيف»).
[9] سورة المائدة، ٥/٤١-٤٢.
[10] ن + يستمعون.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[١٧]

وقوله تعالى: **والذين اهتدوا زادهم هدى**، لأنهم كانوا يستمعون إليه للاسترشاد واستزادة الهدى،* وهو كقوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ.[٢] وقوله تعالى: **وآتاهم تقواهم**، يحتمل قوله: **وآتاهم تقواهم**، أي أعطاهم ما اتقوا مخالفة أمره. ويحتمل **آتاهم تقواهم**، أي يوفقهم ما يتقون مخالفة أمره مِنْ بعدُ[٣] في المستأنَف. وقال بعضهم: أي أعطاهم الله ثواب أعمالهم في الآخرة. يقول: كما جاءهم من الله أمر وأخذوا به[٤] فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم، أي أجْرهم. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وأنطاهم تقواهم، أي أعطاهم،[٥] وهي لغة معروفة: أنطى، أي أعطى، وكذلك قرأ: إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.[٦]

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**، كأن هذه الآية نزلت[٧] في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون إلا عند قيام الساعة، كأنه يقول: ما ينتظرون[٨] لإيمانهم إلا الساعة أن تأتيهم[٩] بغتة لكن لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت، كقوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[١٠] وقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[١١] كأنه -والله أعلم-[١٢] يُؤيِس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في إيمانهم قبل ذلك الوقت.

---

* ما بين النجمتين لا يوجد في نسخة ر، ونسخة م. انظر: ورقة ٧٢٩و/سطر ١١ من نسخة مهرشاه.
[٢] سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥.
[٣] ن - من بعد.
[٤] ر م: كما جاء من الله وأخذوا به.
[٥] انظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/١٦.
[٦] سورة الكوثر، ١٠٨/١.
[٧] ر م - نزلت.
[٨] ر م: ما ينظرون.
[٩] جميع النسخ: أن يأتيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤ظ.
[١٠] سورة الأنعام، ٦/١٥٨.
[١١] سورة المؤمن، ٤٠/٨٥.
[١٢] ن - والله أعلم.

وقوله عز وجل: **فقد جاء أشراطها**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يحتمل [أن يكون] ما ذكر من مجيء أشراطها هو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، لأنه خاتم الأنبياء وبه ختمت النبوة، وروى عنه أنه قال: «بُعثتُ والساعةُ كهاتَين»، وأشار إلى إصبعين جمع بينهما.[1] فإن كان التأويل هذا فهو على تحقيق مجيء أشراط الساعة، أي قد جاء أشراط الساعة حقيقة وتحققت. والثاني يحتمل أن يكون ما ذكر من مجيء أشراطها هي الأعلام والشرائطَ التي جعلت عَلَمًا لقيامها من نحو نزول عيسى وخروج دابة الأرض وخروج الدجال وغير ذلك، وقد مضى بعض تلك الأعلام. فيكون قوله: **فقد جاء أشراطها**، أي كأنْ قد جاء أشراطها، إذ كل ما هو آتٍ جاءٍ فكأنْ قد جاء، كقوله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللّٰهِ.[2]

وقوله عز وجل: **فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**، يحتمل وجهين. أحدهما من أين[3] ينتفعون بإيمانهم في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى إذا جاءت والتوبة لا تقبل[4] حينئذ. والثاني من أين لهم الإيمان والتوبة إذا جاءتهم[5] الذكرى، أي ما يُذكّرهم، أي ما يؤمنون وقد ذكّروا[6] في الدنيا قبل ذلك فلم يؤمنوا ولم يتذكروا. ***والله أعلم***.

**﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **فاعلم أنه لا إله إلا الله**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما اعلم في حادث الوقت أنه لا إله إلا الله، كقوله تعالى: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[7] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّٰهِ،[8] ونحو ذلك. والثاني يقول: فاعلم أن الإله[9] المستحق لعبادة والمعبود الحقّ هو الإله الذي لا إله غيره إذ الإله عند العرب هو المعبود، يقول: إن المعبود الذي يستحق العبادة

---

[1] صحيح *البخاري*، التفسير ٧٩، لطلاق ٢٦، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الجمعة ١٨، الفتن وأشراط الساعة ١٧٦-١٧٩، ١٨١.

[2] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحنه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١٦/١).

[3] جميع النسخ: من أنى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[4] ن: لا يقبل.

[5] ر: إذا جاء بهم.

[6] جميع النسخ – أي ما يؤمنون وقد ذكروا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٠و.

[7] سورة الفاتحة، ٦/١.

[8] سورة النساء، ١٣٦/٤.

[9] ر ث م: أن لا إله.

هو الله تعالى لا الأصنام التي تعبدونها[1] دونه وترعمون أن عبادتكم إياها تقربكم[2] إليه زلفى. والثالث أمره أن يُشعر قلبه في كل وقت حالَ كلمة الإخلاص والتوحيد له والقول به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واستغفر لذنبك**. جائز أن يكون قوله: **واستغفر لذنبك**، إنما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يُؤمر المرء أن يبتدئ بالدعاء لنفسه[3] عند أمره بالدعاء لغيره.[4] وكان حقيقة الأمر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه، ولكن أُمِر بالدعاء لنفسه استحبابا.[5] *والله أعلم*. وجائز أن يكون له ذنب فيأمره بالاستغفار له، لكن نحن لا نعلمه، وليس علينا أن نتكلف حفظ ذنوب الأنبياء عليهم السلام وذكرها. وكل موهوم منه الذنبُ يجوز أن يؤمر بالاستغفار، كقول إبراهيم عليه السلام حيث قال: وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ.[6] [٧٢٩ظ]
لكن ليس ذنب الأنبياء وخطاياهم كذنب غيرهم، فذنب غيرهم[7] ارتكاب القبائح من الصغائر والكبائر، وذنبهم ترك الأفضل دون مباشرة القبيح في نفسه. *والله الموفق*.

ثم أرجى آية للمؤمنين هذه الآية، لأنه عز وجل أمر رسوله أن يستغفر لهم، فلا يحتمل أن لا يستغفر وقد أمره مولاه بالاستغفار؛ ثم لا يحتمل أيضا أنه إذا استغفر لهم على ما أمره به فلا يجيبُ له.[8] وكذلك دعاء سائر الأنبياء عليهم السلام، نحو دعاء نوح عليه السلام: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[9] وقول إبراهيم عليه السلام: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ،[10] ونحو ذلك.[11]

---

[1] ر ت م: يعبدونها.
[2] جميع النسخ: يقربون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.
[3] ن: بنفسه.
[4] أي حين أمره الله تعالى بالدعاء لغيره.
[5] ر: استحابا.
[6] سورة الشعراء ٨٢/٢٦.
[7] م – فذنب غيرهم.
[8] ر ن + وكذلك دعاء سائر الأنبياء نحو دعاء نوح رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك.
[9] سورة نوح، ٢٨/٧١.
[10] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.
[11] ت: وكذلك دعاء سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نحو دعاء نوح عليه الصلاة والسلام رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك.

وكذلك[1] استغفار الملائكة لهم أيضا لقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[2] وقوله: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ.[3] الآية. هذه الآيات أرجى آيات للمؤمنين. ودعوات الأنبياء عليهم السلام أفضلُ وَسائِلَ تكون[4] إلى الله تعالى وأعظمُ قُرَبٍ عنده. *والله الموفق.*

ثم قوله عز وجل: **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات،** فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الصغائر مغفورة لا يجوز لله تعالى أن يعذّب عباده عليها، والكبائرَ مما لا يحل له أن يغفرها لهم إلا بالاستغفار منهم والتوبة. فهذه الآية تنقض قولهم ومذهبهم، لأنه أمر رسوله أن يستغفر لهم. فلا يخلوا إما أن يكون صغائر وهي مغفورة عندهم فكأنه يقول: اللهم لا تَجُرْ،[5] لأنها مغفورة لا يسع له أن يعذب عيها، ولو عذب يكون جائرا؛[6] أو كبائرَ ولا يحل له المغفرة عنها، فيكون قوله: اللهم اغفر لهم، كأنه قال:[7] اللهم جُرْ،[8] لأن مغفرته إياهم عن الكبائر لا تجوز[9] وتكون[10] جورا ووضع الشيء في غير موضعه. فكيف ما كان ففيها نقض قولهم وحجةٌ لقولنا: إن له أن يعذبهم عليها وإن كانت صغائر وله أن يعفوَ عنها وإن كانت كبائرَ، إذ المغفرة عن الذنب تكون.[11] *والله الموفق للصواب.*

وقوله عز وجل: **والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومَثْواكم،** قال بعضهم: والله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم من الليل. وقيل: يعلم ما تتقلبون[12] بالنهار وما تسكنون[13] بالليل، وهما واحد.

---

[1] جميع النسخ: وكذ. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[2] ﴿تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ والملائكة يُسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لِمَنْ في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).

[3] ﴿الذين يحملون العرش ومَنْ حولَه يُسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمةً وعِلْمًا فاغْفِرْ للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وَقِهِمْ عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).

[4] ر ث م: يكون؛ ن – تكون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[5] ن: لا تحر؛ ث: لا فحش.

[6] ر م – ولو عذب يكون جائرا.

[7] ن – اللهم اغفر لهم كأنه قال.

[8] ن: حر.

[9] ر م – لا تجوز؛ ن ث: لا يجور. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[10] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[11] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[12] جميع النسخ: ما يتقلبون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ

[13] ر ث م: ويسكنون؛ ن: وما يسكنون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

وقال بعضهم: والله يعلم متقنسكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، أي مُقامَكم فيها. وهو يخرج عندنا على وجوه. أحدها يحتمل أنه ذكر هذا لظن قومٍ[1] وتوهمهم أن الله تعالى يجهل عواقب الأمور حيث أنشأ هذا العالم فجحدوه وجحدوا نعمه، فلا يحتمل أن ينشئهم ويجعل لهم النعم وهو يعلم أنهم يجحدون[2] وينكرون نعمه، لأن من فعل هذا في الشاهد فهو عابث غير حكيم. فعلى ذلك هذا على زعمهم. فقال تعالى جوابا لهم: **والله[3] يعلم مُتَقَلَّبَكم ومثواكم**، أي على علم بما يكون منهم أنشأهم وخلقهم، لا عن جهل على ما ظنوا هم. لكن ما ينبغي لهم أن ينسُبوا الجهل إلى الله تعالى لجهلهم بحق الحكمة في فعله، لأن الله جل وعلا لم ينشئ هذا العالم لحاجة له أو لمنافع نفسه بل إنما أنشأه لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فإليهم يرجع منفعة الإجابة والطاعة وعليهم يكون مضرة الجحود والرد. فأما في الشاهد فمن يأمر أحدا أمرا أو ينهاه عن أمر أو أرسل إليه رسولا على علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم، لأنه إنما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له، فإذا[4] علم منه الرد والإنكار فهو غير حكيم، فافترق الشاهد والغائب لافتراق وجه الحكمة. *والله الموفق*.

والثاني قوله تعالى: **والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومثواكم**، أي يعلم[5] جميع أحوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم لتكونوا[6] أبدا على حذر ويَقَظَة. *والله أعلم*.

والثالث **يعلم متقلبكم ومثواكم**،[7] أي يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم إلى ماذا يكون مرجعكم في الآخرة. أي أنشأ كلا على ما علم أنه يكون منهم، كقوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ،[8] وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[9] أي أنشأ مَن عَلم أنه يختار الكفر وعداوته لجهنم وأنشأ من علم أنه يختار التوحيد وولايته للجنة. *والله الموافق*.

---

[1] ر م: يحتمل هذا الظن قوم؛ ن ث: يحتمن إنما ذكر هذا الظن قوم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.
[2] ن: يجحدونه.
[3] ن + أعلم.
[4] ن + عمل.
[5] ن: أي ليعلم.
[6] ر ن م: ليكونوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.
[7] ث – أي يعلم جميع أحوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم لتكونوا أبدا على حذر ويقظة والله أعلم والثالث يعلم متقلبكم ومثواكم.
[8] ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).
[9] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[٢٠] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال**، إن الذين آمنوا كانوا يتمنون إنزال السورة ويقولون: "هلا نزلت سورة" لوجوه. أحدها لتكون[1] السورة حجة لهم وآية على أعدائهم في الرسالة والبعث والتوحيد. والثاني كانوا يستفيدون[2] بإنزال السورة أشياء ويزداد لهم يقينا وتحققا في الدين، كقوله تعالى: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ، إلى قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ،[3] على ما ذكر. والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم المصدق من المكذب والمتحقِّق من المُريب. هذه الوجوه التي ذكرنا تكون[4] لأهل الإيمان في إنزال السورة، إذ[5] لذلك يتمنون. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فإذا أُنزلت سورة محكمة**، قال بعضهم: **محكمة**، أي[6] محدَثة، والمحدثة ليست بتفسير للمحكمة إلا أن يعنوا بالمحدَثة الناسخَ، والناسخُ هو المحدَث والمتأخر نزولا، [٧٣٠و] وهو محكم لأنه يلزم العمل به. *والله أعلم*. وفي حرف / ابن مسعود رضي الله عنه: لو لا نُزِّلت سورةٌ محدَثة،[7] والوجه ما ذكرنا. والمحكمة عندنا على وجهين. أحدهما أي محكمة بالحجج والبراهين، والثاني لِما أنزلت على أيدي قوم وتداولت[8] فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه[9] بل حفظوه ليُعلَم أنه من عند الله جاء ومنه نزل. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وذُكر فيها القتالُ**، جعل الله عز وجل في القتال خصالا. أحدها[10] كثرة أهل الإسلام وكثرة الأموال

---

[1] ر ن م: ليكون.

[2] ر ن م: يستعدون؛ د: يستبعدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[3] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

[4] ر ن م: يكون.

[5] جميع النسخ – في إنزال السورة إذ. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٥١ظ.

[6] جميع النسخ – قال بعضهم محكمة أي. من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[7] انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤/٣٠٠؛ *وفتح القدير* للشوكاني، ٥/٥٠.

[8] ن: فداولت.

[9] ن: ولا بدلوه.

[10] ن: إحداها.

وإن كان في ظاهر القتال إفناءُ الأنفس والأموال، لأنه قبل أن يُفرَض القتال كان يدخل في الإسلام[١] واحد واحد.[٢] فلما فرض القتال دخل فيه فوج فوج على ما أخبر: [وَرَأَيْتَ النَّاسَ] يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.[٣] والثاني ليتبين المصدق منهم من المكذب لهم والمتحقِّق من المريب، لأنه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره إلى ذلك الوقت، فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين[٤] لهم أهل النفاق والارتياب من أهل الإيمان والتصديق. والثالث فيه آية الرسالة والبعث. أما[٥] آية الرسالة فلأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عددا قليلا لا عُدَّةَ لهم ولا قوة. أُمروا بالقتال مع عدد لا يُحصُون ولهم عدة وقوة ليُعلم أنهم لا بأنفسهم يقاتلون ولكن بالله تعالى، أو لا يحتمل قيام أمثالهم لأمثال أولئك مع كثرتهم وقوتهم. ***والله أعلم***. وأما آية البعث فلأنهم أمروا بقتال[٦] أقاربهم وأرحامهم والمتصين[٧] بهم، وفي ذلك قطع أرحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم أنهم إنما يفعلون هذا بالأمر لعاقبة تُؤمل وتقصد،[٨] إذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة تقصد[٩] وبلا شيء[١٠] يعمد.[١١] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نَظَرَ الْمَغشِيِّ عليه من الموت**، كان أهل النفاق يكرهون نزول ما ينبئهم[١٢] عما في ضميرهم من النفاق والارتياب، كقوله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ؛[١٣] وإذا أنزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث قال: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.[١٤]

---

[١] ر م: من الإسلام.
[٢] ر م – واحد.
[٣] سورة النصر، ٢/١١٠.
[٤] ر: ويتبين.
[٥] ر م: وأما.
[٦] ر م: بالقتال.
[٧] ر ن م: والمتعلق.
[٨] ر م: ويقصد.
[٩] جميع النسخ: ويقصد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦و.
[١٠] ن: وبلا شيء.
[١١] جميع النسخ: يعتقد. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥١ظ.
[١٢] ر: ما بينهم؛ م: ما يبينهم.
[١٣] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٦٤/٩).
[١٤] سورة التوبة، ١٢٥/٩.

وقوله عز وجل: **فأَوْلَى لهم طاعةٌ وقول معروف**، قال أهل التأويل: هذا وعيد لهم كقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[1] الآية. لكنّ ظاهره ليس بوعيد ولا تهديد[2] إنما ظاهره أي أحرى لكم وأولى أن تطيعوه وأن تقولوا معروفا، فإذا تركوا ذلك فعند ذلك[3] يكون وعيدا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإذا عزم الأمر**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: هو صلة قوله: **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال** وعَزَم الأمر فعند ذلك كان ما ذكر[4] من المنافقين[5] حيث قال: **رأيت الذين في قلوبهم مرض [ينظرون إليك نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عليه من الموت]**، وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت، إنما ذلك الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتأكيده[6] عليهم، وذلك في قوله تعالى: **فإذا عزم الأمر**، أي وجب وفُرِض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكر، فأما بذكر[7] نفس القتال فلا. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: **فإذا عزم الأمر**، هو في الآخرة، أي فإذا تحقق وظهر ما كان أوعدهم الرسول عليه الصلاة والسلام من نزول العذاب بهم في الآخرة، **فلو صدقوا الله**، في الدنيا، **لكان خيرا لهم**، في الآخرة، حيث كان لا يزال العذاب بهم في الآخرة، أي لو صدقوا رسولَ الله فيما يوعدهم من العذاب أنه ينزل بهم في الآخرة وتركوا مخالفته في الدنيا لكان خيرا لهم في الآخرة. ***والله أعلم***.

**﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**[٢٢]

وقوله عز وجل: **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**، اختلف في تأويل هذه الآية؛ قال بعضهم: قوله تعالى: **فهل عسيتم**، أي فلعلكم، **إن توليتم**، أي وَلِيتم أمر هذه الأمة، **أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**. قال ابن عباس رضي الله عنه: قد كان هذا، وهم بنو أمية وُلُّوا أمر هذه الأمة ففعلوا ما ذكر من الفساد وقطع الأرحام، وكان لهم اتصال برسول الله وكان منهم ما ذكر.[8] ***والله أعلم***.

---

[1] سورة القيامة، ٣٤/٧٥.

[2] ر: بتوعد ولا تعدد؛ م: بتوعد ولا تهدد.

[3] ر م – فعند ذلك.

[4] جميع النسخ: بما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦و.

[5] ن: من المناقض.

[6] م: وتأكده.

[7] ن: يذكر

[8] لم أستطع أن أجد هذا التأويل في كتب الروايات والتفاسير لأهل السنة، ولكنها موجودة في كتب الروايات للشيعة. انظر مثلا: *الفروع من الكافي* للكليني، ١٠٣/٨.

وقال بعضهم: إن الآية في المنافقين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه ما قال، ثم إذا تولوا منه كانوا يسعون في الأرض بالفساد وما ذكر، كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا -إلى قوله- وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ -إلى قوله- وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.[1] وقال بعضهم: ما أُراه إلا نزلت الآية في الحرورية وهم الخوارج. وجائز أن يكون هذا ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[2] وقد انقلبوا على ما أخبر، وهو في أهل الردة.[3] **والله أعلم**. وقال قتادة: فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ،[4] أي طواعية الله ورسوله، وقول المعروف عند حقائق الأمور خير لهم. **فهل عسيتم إن توليتم**، يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أن تفسدوا في الأرض، يقول: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يَسْفكوا الدماء الحرام وقَطَعوا الأرحام [٧٣٠ظ] وعصوا الرحمنَ وأكلوا المال الحرام؟[5] ويحتمل أن تكون[6] الآية في الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. **والله أعلم**.

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **أولئك الذين لعنهم الله**، اللعن هو الطرد عن الرحمة، وهو كقوله لإبليس: وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[7] أي أنت مطرود[8] عن رحمتي. وقوله تعالى: **لعنهم الله**، أي طردهم الله[9] عن رحمته. وقوله عز وجل: **فأصمهم وأعمى أبصارهم**، أي أصمهم حتى لم يسمعوا سماعَ الاعتبار[10] والتفكر، **وأعمى أبصارهم**، حتى لم ينظروا فيما عاينوا نظرَ اعتبارٍ وتفكرٍ ما لو تفكروا وتأملوا ونظروا نظر مُعتَبِر لأدركوا. **والله أعلم**.

---

[1] ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألَدُّ الخصام وإذا تولَّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ سورة البقرة، ٢/٢٠٤/٢٠٥.

[2] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.

[3] ر: في أهل الرد.

[4] الآية السابقة.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/٢١٣-٢١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٤٣٥.

[6] ر ن م: أن يكون.

[7] سورة ص، ٣٨/٧٨.

[8] ر م: مطرد.

[9] ر ث م - الله.

[10] ر: سماع الاعسار.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**،[١] فيه أنهم لو تدبروا وتأملوا[٢] فيه لأدركوا ما فيه. وفيه أيضا أنهم لو تدبروا العذاب لَفَتَح تلك الأقفال التي ذكر أنها عليها وذَهَب بها. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **أم على قلوب أقفالها**، أي بل[٣] على قلوبٍ أقفالها. ثم يحتمل **أقفالها** الظلمةَ التي فيها وهي ظلمة الكفر؛ تلك الظلمة تُغطِّي[٤] نور البصر ونور السمع. وجائز أن يكون ما ذكر من الأفعال هي كنايةً عن الطبع. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم**، وقوله: **سول لهم**،[٥] أي زين. أضاف التزيين مرة إلى الشيطان ومرة إلى نفسه، فما يفهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من تزيين الله تعالى كالإضلال المُضاف إلى الله تعالى والمضاف إلى الشيطان؛ فالمفهوم من إضلال الله غير المفهوم من إضلال الشيطان، فعلى ذلك التزيين. وقوله عز وجل: **وأملى لهم**، أي أخرهم وأمهلهم إلى أجل ووقت، كقوله تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ [لِيَزْدَادُوا إِثْمًا]،[٦] الآية، أي يؤخرهم ليكون ما ذكر. ***والله أعلم***. ثم قوله عز وجل: **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى**، الآية، جائز أن تكون[٧] الآية في اليهود لما ذكرنا أنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ،[٨] الآية، ارتدوا على أدبارهم من بعد ما آمنوا به واتبعوه. وجائز أن تكون[٩] في المنافقين، ارتدوا على أدبارهم وأظهروا الخلاف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أظهروا الموافقة لهم في حياته. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م + لآية.

[٢] ر م: وقاتلوا.

[٣] جميع النسخ – بل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

[٤] جميع النسخ: يعطي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٦ظ.

[٥] ر ث م – وقوله سول لهم.

[٦] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.

[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

[٨] سورة البقرة، ٨٩/٢.

[٩] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

**﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[٢٦]**

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر**، قوله: **ذلك بأنهم**، إن كان راجعا إلى قوله: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ،[١] فإن[٢] المراد بذلك اليهودُ؛ فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين، وإنّ[٣] قوله: **ذلك بأنهم**، راجع إلى قوله: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ؛[٤] فإذا احتمل ذلك الوجهين فلا نفسره أنه إلى ماذا يرجع. ثم قال بعضهم: **للذين كرهوا ما نزل الله**، هم المنافقون قالوا لليهود: سنطيعكم في تكذيب محمد والمظاهرة عليه. وقال بعضهم: هم اليهود ظاهروا سائر الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم. ثم كراهة نزول ما أنزل الله تعالى على رسوله كان من اليهود وجميع الكفرة لقوله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ.[٥] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والله يعلم إسرارهم**، هذا يدل على أنه[٦] لا يفسر قوله: **ذلك بأنهم قالوا**، ولا يشار[٧] على أنه أراد كذا ورجع إلى كذا لما أخبر الله تعالى أنه هو العالم بما أَسَرُّوا، ولم يبين ذلك. *والله أعلم*.

**﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[٢٧] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه**، لا أحد يقصد قصدَ اتّباع سَخَطَ الله ولا كراهةَ رضوانه، لكنهم لمّا اتبعوا الفعل الذي كان الله يَسْخَطَ ذلك الفعل فكأنهم اتبعوا سخطه، وكذلك إذا تركوا اتباع ما كان الله يرضاه وكرهوه[٨] فكأنهم كرهوا رضوانه، وهو كقوله تعالى:

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ + كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٣و.
[٣] جميع النسخ + كان.
[٤] الآية السابقة.
[٥] سورة البقرة، ١٠٥/٢.
[٦] ن: على أنهم.
[٧] ن: ولا يشار.
[٨] ن: وكرهوا.

[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ] لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[1] ولا أحد يقصد عبادة الشيطان، لكنهم لما اتبعوه فيما يأمرهم ويدعوهم إليه فكأنهم عبدوه، وهو تسمية الشيء باسم سببه، واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فأحبط أعمالهم**، التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم إياه. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم**، أي حسب المنافقون أن لن يظهر الله عداوته وأن لن يُبديَ الله ما في قلوبهم من العداوة. جعل الله جل وعلا في إظهار ما أسر أهل النفاق وإبداء ما أخفوه فيما بينهم آية عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**، كأنه على التقديم والتأخير كأنه قال: ولو نشاء لأريناكهم[2] بسيماهم بالنظر إليهم بالبديهة ولتعرفنهم أيضا في لحن القول، أي لو نشاء لجعلنا لهم أعلاما في الوجه والقول لتعرفنهم، ولكن لم نجعل لهم. ولكن جعل معرفتهم بأعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك -والله أعلم- كقوله: وَمِنَ النَّاسِ
[٧٣١و] / مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[3] وقال في آية أخرى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ]،[4] وقوله: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[5] الآية، وقوله عز وجل: وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[6] وقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ،[7]

[1] سورة يس، ٣٦/٦٠.
[2] ن - فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول كأنه على التقديم والتأخير كأنه قال ولو نشاء لأريناكهم.
[3] ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألَدُّ الخِصام وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠٤-٢٠٥).
[4] سورة المنافقون، ٦٣/٤.
[5] الآية ٢٠ من هذه السورة.
[6] سورة التوبة، ٩/٥٤.
[7] سورة التوبة، ٩/٤٥.

ونحو ذلك من الآيات مما كان يظهر نفاقهم وخلافهم بالأعمال التي كانوا يعملون. فدلت هذه الآيات على أنه كان لا يعرفهم بالسيماء والنطق والقول والأجسام وإنما يعرفهم بأفعال كانوا يفعلونها. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **وَلَتَعْرِفَنَّهم في لَحْن [القول]**، أي فحوى الكلام، فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلموا، فيخرج على هذا التأويل قولُه:[١] **ولتعرفنهم**، على الوعد، أي تعرفهم في حادث الوقت.[٢] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجة: يقال: رجل لَحِنٌ بحجته،[٣] ويقال: لَحَن يَلْحَن، إذا أخطأ، لَحْنا فهو لاحن، كأنه من العدول والميل عن الحق. وقال القُتَبِي: **في لحن القول**، أي في فحوى كلامهم.[٤] وقوله عز وجل: **والله يعلم أعمالكم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما والله يعلم[٥] ما تُسِرُّون[٦] من الأعمال وتخفونها. والثاني على الجملة، أي يعلم جميع أعمالهم ما أسروا وأعلنوا؛ يخرج على الوعيد، كقوله: إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.[٧] *والله أعلم*.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي حتى يعلم أولياؤه المجاهدين منكم والصابرين من غير المجاهدين وغير الصابرين، فيكون المراد من إضافته العلم إلى نفسه عِلْمَ أوليائه، كقوله تعالى: إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ،[٨] وقوله عز وجل: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ،[٩] ونحوه. فالمراد منه أولياؤه على أحد التأويلات. *والله أعلم*. والثاني يكون المراد بالعلم المعلومَ، وذلك جائز في اللسان واللغة كقول الناس: الصلاة أمر الله، أي مأمور الله، وكقوله عز وجل: حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[١٠] أي الموقَن[١١] به،

---

[١] ر م: وقوله.
[٢] ر م: الوعد.
[٣] ر م: ألحن بحجحه؛ ن ث: وألحن بحجته. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧و.
[٤] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.
[٥] ر م: أعلم.
[٦] م: ما يسرون.
[٧] سورة هود، ١١٢/١١؛ وسورة فصلت، ٤١/٤٠.
[٨] الآية ٧ من هذه السورة.
[٩] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[١٠] ﴿وعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (سورة الحجر، ٩٩/١٥).
[١١] ن: أي موقر.

وقولِه: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ،[1] أي بالمُؤمَنِ به، ونحو ذلك كثير. والثالث أي يعلم كائنا ما قد علمه أنه سيكون، إذ لا يجوز أن يوصف هو بعلمِ ما سيكون يعلمه كائنا أو يعلم ما قد كان يعلمه أنه يكون كائنا. ولكن يوصف بما قد علمه كائنا أنه علمه كائنا[2] أو يعلم ما علم أنه سيكون أنه يكون، لأنه يوجب الجهل، ويكون التغير في ذلك في المعلوم[3] لا في علمه. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ونَبْلُوَ أخباركم**، أي ونبلو في أخباركم التي أخبرتم عن أنفسكم، كقوله: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ،[4] وقوله عز وجل: مَنْ عَاهَدَ اللهَ، إلى آخر ما ذكر؛[5] أُبتُلوا في تلك الأخبار التي[6] أخبروا عن أنفسهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكونوا ابتلوا في قولهم الذي قالوا وأعطوا[7] بلسانهم حيث قالوا: آمنا، كقوله تعالى: الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ،[8] فُتِنوا فيما قالوا وأخبروا، أي ابتلوا؛ فالفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء واحد. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **وَنَبْلُوَ أخباركم**، أي نُظهر[9] نفاقكم للمسلمين، إذ كان الله تعالى عالما قبل أن يبلوَهم. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣٢]**

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**، قوله: **كفروا**، أي كفروا بنعم الله، من الكفران، أو كفروا بتوحيد الله. وقوله: **وصدوا عن سبيل الله**، يحتمل قوله: **وصدوا**، أي أعرضوا بأنفسهم عن دين الله؛ ويحتمل **صدوا**، أي صرفوا[10] الناس عن دين الله. *والله أعلم*.

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥.
[2] ث – أنه علمه كائنا.
[3] جميع النسخ: في ذلك المعلوم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٤و.
[4] ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾ (سورة التوبة، ٧٤/٩).
[5] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ (سورة التوبة، ٧٥/٩-٧٧).
[6] ن – التي.
[7] ر ث م: لو أعطوا.
[8] سورة العنكبوت، ١/٢٩-٢.
[9] جميع النسخ: أي يظهر. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧و.
[10] ر م: أي صدفو.

وقوله عز وجل: **وشاقُّوا الرسول**، أي عَادُوه وعاندوه من بعد ما تبين لهم الهدى. وقوله عز وجل: **لن يضروا الله شيئا**، يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم نعمه أو كُفرهم بوحدانية الله تعالى. ومعناه -والله أعلم- أنه ليس يأمر بما يأمر أو ينهى عما[١] ينهى لدفع مضرة عن نفسه أو لجر منفعة إلى نفسه ولكن يأمر وينهى لحاجة أنفس أولئك ولمنافعهم؛ فهم بتركهم اتباع أمره والانتهاء عن نهيه ضَرُّوا أنفسهم. *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد من قوله: **لن يضروا الله شيئا**، أي لن يضروا[٢] أولياء الله بما كفروا وصدوهم عن سبيله بل ضروا أنفسهم، كقوله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[٣] أي إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وقوله عز وجل: **وسيُحبط أعمالهم**، يحتمل حبطَ الأعمال بالارتداد بعد الإيمان وإحداث الكفر بعد الإسلام. ويحتمل سيحبط[٤] أعمالهم التي كانت لهم بالإيمان قبل بَعْثِه[٥] صلى الله عليه وسلم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾**[٣٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**، قال بعضهم: أي أطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسُّمْعة. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الرسول.[٦] ويحتمل **ولا تبطلوا أعمالكم**، بالارتداد والكفر بعد الإيمان.[٧] / ويحتمل أي لا تبطلوا[٨] أعمالكم بالمن على الله [٧٣١ظ] أو على الرسول في الإسلام، أي تُسلمون[٩] فَتَمُنُّون[١٠] على الله أو على رسوله، كقوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ [إِسْلَامَكُمْ]،[١١] الآية. وقال قتادة: ولا تبطلوا أعمالكم بالرياء، وقال: فمن استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا بعمل سيء[١٢] فليفعل،

---

[١] ر م: مما ينهى.
[٢] ر: أن لن يضروا.
[٣] الآية ٧ من هذه السورة.
[٤] ر م - سيحبط.
[٥] ر م: قبل بعثة.
[٦] لم أجده في المراجع.
[٧] ر م + ويحتمل أي لا تبطلوا أعمالكم بالارتداد والكفر بعد الإيمان.
[٨] ن: ولا تبطلوا.
[٩] ر م: يسلمون.
[١٠] جميع النسخ: متمنون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.
[١١] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[١٢] ر ن م: شيء.

إن الشر ينسخ[1] الخير، وإنما مَلَاك العمل بخواتيمه؛ فمن استطاع أن يختم بخير فليفعل. ولا قوة إلا بالله.[2] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما كنا معشرَ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل أعمالنا حتى نزلت هذه الآية فعلمنا ما الذي يبطل أعمالنا، يبطل أعمالنا[3] الكبائرُ الموجبات[4] والفواحش، فكنا على ذلك حتى أنزل الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[5] الآية، فلما نزلت هذه الآية كَفَفْنا عن هذا القول.[6] وجائز أن يكون قوله تعالى: **ولا تبطلوا أعمالكم**،[7] قال هذا ليكونوا أبدا على اليقظة والحذر لئلا تَبْطُلَ[8] أعمالهم من حيث لا يشعرون، كقوله: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[9] وفي حرف أُبَيّ رضي الله عنه: ولا تبطلوا إيمانكم.[10]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم**، تأويلها ظاهر.

**﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم**، أي فلا تَضْعُفُوا[11] وتدعوا إلى الصلح، كذلك قال القُتَيْبي.[12] وقال أبو عَوْسَجَة: السِّلم بكسر السين الصلح، ولا أعرف[13] بفتح السين هاهنا له معنى.

---

[1] ن: كمسح؛ ث: يكسح.
[2] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٦/٢١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٠/١٣.
[3] ر م - يبطل أعمالنا.
[4] أي الكبائر الموجبات للنار. انظر: *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «وجب».
[5] سورة النساء، ٤٨/٤.
[6] انظر: *تعظيم قدر الصلاة* لمحمد بن نصر المروزي، ٦٤٦/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٢٢٩/٢٠-٢٣٠؛ و*شرح مشكل الآثار* للطحاوي، ٣٨٣/٥.
[7] ر م + وأنتم لا تشعرون.
[8] جميع النسخ: لئلا يبطل.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الحجرات، ٢/٤٩).
[10] لم أجده في المراجع.
[11] ر ث م: أي لا تضعفوا؛ ن: إلى السلم ولا تضعفوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.
[12] انظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.
[13] ن: ولا عرف.

وقوله عز وجل: **وأنتم الأعلون**، أي وأنتم الغالبون. فيه النهي[1] عن الدعاء إلى الصلح إذا كانوا هم الأعلون أعني أهل الإسلام. ثم قوله تعالى: **وأنتم الأعلون**، يحتمل وجوها. يحتمل الأعلون بالحجج والبراهين، فإن كان أراد هذا فمعناه فلا تدعوهم إلى الصلح في كل وقت لأن أهل الإسلام هم الأعلون عليهم بالحجج والبراهين[2] في كل وقت. ويحتمل وأنتم الأعلون بالقهر والغلبة في العاقبة،[3] أي آخرِ الأمر لكم. ويحتمل وأنتم الأعلون في الدنيا والآخرة لأنهم وإن غُلبوا في الدنيا وقُتلوا كانت لهم الآخرةُ، وإن ظَفِروا بهم[4] كانت لهم الدنيا والأموال. وقال بعضهم: **وأنتم الأعلون**، أي وأنتم أولى بالله منهم، وهو ما ذكرنا في الآخرة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **والله معكم**، يحتمل[5] معكم في النصر والغلبة، ويحتمل معكم في الوعد الذي وعد، أي يُنجز ما وعد لكم في الدنيا ويفي بذلك. وقوله: **ولن يَتِرَكم أعمالَكم**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أي لن يجعل الله للكافرين عليكم مَظلَمةً ولا تَبِعةً، وهو يحتمل في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً.[6] وقال بعضهم: **لن يتركم أعمالكم**، أي لن يَنقصكم أعمالكم، وكذا قال أبو عَوْسَجَة: يقال: وَتَرْتُه، أي نقصته.[7] وقال بعضهم: لن يظلمكم أعمالكم، يقال: وترني حقي، أي بَخَسَنيه، كذلك قال القُتَبِي.[8] ولكن كلاهما واحد في المعنى، أي لا يَنقُص من أعمالهم شيئا[9] ولا يُظلَمون فيها ولا يُبخَسون. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾[٣٦] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو**، أي الحياة الدنيا على ما عندهم[10] وعلى ما يُقدِّرون لعب ولهو، لأنهم كانوا يقولون: أنْ لا بعث ولا حياةَ، فعلى ما عندهم

---

[1] ن: فيه التمني.

[2] جميع النسخ – فإن كان أراد هذا فمعناه فلا تدعوهم إلى الصلح في كل وقت لأن أهل الإسلام هم الأعلون عليهم بالحجج والبراهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.

[3] ن: في الغلبة.

[4] ن: وإن ظفر واتهم.

[5] ر م: ويحتمل.

[6] سورة النساء، ١٤١/٤.

[7] ر م: أي نقصه.

[8] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.

[9] ن: شيء.

[10] ر م: على ما عدهم.

تكون[1] حياة الدنيا عىى ما ذكر من اللهو. ويحتمل أنه سماها لعبا ولهوا[2] لأنهم على ما يزعمون أنشأها للانقطاع والفناء لا لتُكتَسب[3] بها الحياة الدائمةُ في الآخرة. وإنشاء الشيء للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة تُقْصَد[4] يكون لعبا ولهوا. ثم اللعب واللهو يجوز أن يكونا[5] شيئا واحدا، ويجوز أن يكون أحدهما ما يُستَمتع بظاهر الأشياء والآخرُ ما يُستمتَع بباطن الأشياء؛ اللعب هو[6] ما يُستمتَع بظواهر الأشياء واللهو هو ما يُتلقّى ببواطنها. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم**، أي وإن تؤمنوا بما أُمِرتم الإيمانَ به[7] وتتقوا[8] عما نُهيتم عن مخالفة أمره، **يؤتكم أجوركم**. جعل الله عز وجل بفضله ورحمته لأعمالهم التي يعملون لأنفسهم أجرا إذ لا أحد يعمل لنفسه ويأخذ الأجر من غيره، لأنهم بالأعمال[9] يُسقطون عن أنفسهم التكليف بالشكر لنعم الله تعالى حيث أسدى عليهم النعم ابتداء. لكنه جعل لأعمالهم أجرا كأنهم يعملون له ابتداء وإن كانوا عاملين لأنفسهم في الحقيقة، وإليهم[10] ترجع[11] منافع أعمالهم؛ ولأن أنفسهم وأموالهم في الحقيقة لله تعالى، فكيف يستحقون الأجر عىى مولاهم بأعمالهم؟ وهذا كما ذكر[12] من الإقراض له والشراء منهم،[13] كأَنْ لا ملك له في ذلك وأن ليس له ذلك وإن كانت[14] حقيقة أملاكهم وأنفسهم لله تعالى، فضلا منه وكرما، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: يكون.
[2] جميع النسخ: لهوا ولعبا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[3] جميع النسخ: يكتسب.
[4] ر ن م: يقصد.
[5] ث: أن يكون.
[6] ن – ما يستمتع بظاهر الأشياء والآخر ما يستمتع بباطن الأشياء اللعب هو.
[7] ر ث م – به.
[8] ر م: ويتقوا.
[9] ن + لأنهم بالأعمال.
[10] جميع النسخ: وإليه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[11] جميع النسخ: يرجع.
[12] جميع النسخ: كما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[13] ر م: من الاقتراض له والاستدانة منه. يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الذي يُقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥)، وقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[14] جميع النسخ: وإن كان.

وقوله عز وجل: **ولا يَسْأَلْكم أموالكم.** هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ليس يسألكم الإنفاق من أموالكم وإنما يسألكم من ماله لِتَسْتَمْتِعُوا[1] بمال غيره لأنفسكم وتجعلون[2] ذُخْرا لأنفسكم بمال[3] غيرٍ. [وقوله:] **إن يَسْأَلْكموها فَيُحْفِكُم تَبخلوا**، أي لو كان يسألكم من أموالكم لبخلتم وتركتم الإنفاق منها. والثاني **ولا يسئلكم أموالكم**. أي ولا يسألكم الإنفاق من جميع أموالكم ولكن يسألكم الإنفاق من طائفة من أموالكم. **إن يسألكموها فيحفكم**، [٧٣٢ر] أي لو يسألكم جميع أموالكم لحملكم ذلك على البخل وترك الإنفاق. فإذ[4] يسألكم الإنفاق من جزء من أموالكم فلماذا بخلتم وتركتم الإنفاق؟ وقوله: **فيحفكم تبخلوا**، يخرج على وجوه.[5] أحدها أي يحملكم على البخل لو سألكم جميع الأموال. ويحتمل **فيحفكم**، أي يجعلكم حُفاة لا شيءَ يبقى عندكم. الإحفاء أن يأخذ كلَّ شيء عنده وهو من الاستئصال، ومنه إحفاء الشوارب. وقال أبو عَوْسَجَة: الإحفاء شدة المسألة، أي إن يُلِحّ عليكم فيما[6] يوجبه في أموالكم. **تبخلوا**، يقال: أحفى في المسألة[7] وألحف[8] وألحّ، واحد. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويُخْرِجْ أضغانكم**، أي لو أمر بالإنفاق من جميع أموالكم أو من أموالكم[9] حقيقة يُظهر ذلك من أضغانكم التي في قلوبكم؛ لأن ذلك الأمر إنما يجري على ألسن الرسل فيوجب[10] ذلك إظهار ما في قلوبهم من الضغائن للرسل عليهم السلام. فإن كان التأويل هذا فهو في المنافقين فيكون الأمر بالإنفاق سبب إظهار نفاقهم وضغائنهم وعداوتهم، فكان كالأمر[11] بالقتال كان[12] سببا لإظهار نفاقهم. وإن كان في المسلمين فيحتمل أنه قال ذلك تحريضا لهم على الإنفاق والتصدق،[13]

---

[1] ر ث م: ليستمتعوا؛ ن: استمتعوا. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[2] جميع النسخ: ويجعلون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٨و.
[3] جميع النسخ - بمال. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٣٨و.
[4] م: فإن.
[5] جميع النسخ: من وجوه.
[6] ر م: فيه.
[7] ن - أي إن يلح عليكم فيما يوجبه في أموالكم تبخلوا يقال أحفى في المسألة.
[8] ر م: والحف.
[9] ر م: ومن أموالكم.
[10] ر م: فوجب.
[11] م: الأمر.
[12] ر م: كأنه.
[13] ر: والتصدق.

أي إنه سبب إخراج الضغائن والعداوة لما فيه من التحبب[1] والتودد بإيصال[2] ما هو محبوب إليه. *والله أعلم*.

**﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [٣٨]

وقوله عز وجل: **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله**، أي ها أنتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا[3] في سبيل الله، أي في إظهار دين الله أو في طاعة الله أو في الجهاد، لأن الإنفاق في ذلك كله في سبيل الله. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فمنكم من يبخلُ ومن يبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه**، جعل لله عز وجل الإنفاق لهم حقيقة إذا أنفقوا فيما أمرهم الله تعالى بالإنفاق في طاعته، عند ذلك يصير تلك الأموال لهم، لأنهم إذا أنفقوا فيما أمر الله تعالى انتفعوا بها في الدنيا بما استمتعت[4] أنفسهم بذلك وتلذذت، وانتفعوا بها أيضا في الآخرة وقت حاجتهم وفقرهم، بذلك تتحقق وتحصل[5] لهم تلك الأموال. فأما عند تركهم الإنفاق فيما أمروا بالإنفاق والبذل فلا تتحقق[6] لهم تلك الأموال المجعولة في أيديهم، لأنه إما أن تُجعَل[7] لوارثهم أو يأخذها منهم بلا سبب من غير أن يحصل لهم بذلك نفع، فيكون ما ذكرنا.[8] فذلك تأويل قوله تعالى: **ومن يَبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه**، -والله أعلم- لما يُهلِك نفسه بترك الإنفاق منها[9] ولم يتمتع ولم ينتفع به[10] وقت حاجته[11] إليه في الآخرة. وقال بعضهم:[12] فمنكم من يبخل عن الصدقة والإنفاق في طاعة الله،[13] ومن يبخل بالصدقة في طاعة الله فإنما يبخل عن نفسه بالجزاء في الآخرة.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: من التحبب.
[2] ن: باتصال.
[3] ر ن ث: ليفقوا.
[4] ر م: واستمتعت.
[5] جميع النسخ: يتحقق ويحصل.
[6] جميع النسخ: فلا يتحقق.
[7] جميع النسخ: أن يجعل.
[8] ن - فيكون ما ذكرنا + والله أعلم.
[9] ن: ببهما.
[10] أي بماله.
[11] ن: وقت حاجتهم
[12] ر ت م + قوله. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٣، ورقة ١٣٨ ظ.
[13] ن - وقال بعضهم فمنكم من يبخل عن الصدقة والإنفاق في طاعة الله.
[14] ر م - في الآخرة.

وقوله عز وجل: **والله الغني وأنتم الفقراء**، أي والله الغني عن إنفاقكم وعما يأمركم بالإنفاق وأنتم الفقراء إلى ما تنفقون،[1] أي أنتم المنتفعون بذلك الإنفاق الذي يأمركم به لا أنه ترجع[2] منفعة ذلك إليه أو يأمر لحاجة نفسه ولكن إنما يأمركم بذلك لحاجتكم إليه يوم ما.[3] *والله أعلم*. ويحتمل أن[4] يقول: والله الغني عنكم وعما في أيديكم وأنتم الفقراء إليه في كل وقت وكل ساعة في جميع أحوالكم وأوقاتكم، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[5] ويحتمل والله الغني عن أموالكم وأنتم الفقراء إلى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته.

وقوله عز وجل: **وإن تَتَوَلَّوا يستبدلْ قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالَكم**، قال بعضهم: قد تولوا، وهم أهل مكة، واستبدل قوما غيرهم، وهم أهل المدينة. لكن هذا بعيد لأن السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لأهل مكة بقوله: **وإن تتولوا**. ومنهم من يقول: الله عز وجل أخبر ووعد أهل المدينة أنهم إن يتولوا يستبدلْ[6] غيرهم أطوع منهم لله تعالى فلا تَوَلَّوا هؤلاء ولا استبدل غيرَهم.[7] وقال بعضهم: هو على وجهين. أحدهما قوله: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم**، أي لم يتولوا ولم يستبدل قوما غيرهم.[8] والوجه الآخر قد تولوا واستبدل بهم النَّخَع[9] والحُمْس[10] وناسا[11] من كندة[12] والذين تولوا حنظلةُ وأَسَدُ وغَطَفَان وبنو فلان. وقوله عز وجل: **ثم لا يكونوا أمثالكم**، أي لا يكونوا أمثالكم في الطاعة لله تعالى بل أطوع له وأخضع. *والله أعلم*.

---

[1] ر ن: إلى ما ينفقون.
[2] جميع النسخ: يرجع.
[3] جميع النسخ - ما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.
[4] ر م + يكون.
[5] سورة فاطر، ١٥/٣٥.
[6] ر ن م: ستبدل.
[7] ن: فلا تولى ولا استبدل غيرهم؛ ث: فلا تولى استبدل غيرهم.
[8] ر ن م: غيركم.
[9] ر م: النجع. والنَّخَع قبيلة من الأزد. وقيل: النَّخع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النخعي (*لسان العرب*، «نخع»).
[10] جميع النسخ: والحمس. والحُمْس: قريش ومن وَلَدَتْ قريش وكِنانة وجَديلةُ قَيْسٍ وهم فَهْمٌ وعَدْوَانُ ابنا عمرو بن قَيْس عَيْلان وبنو عامر بن صعصعة. هؤلاء الحُمْس، سُمّوا حمسا لأنهم تحمّسوا في دينهم أي تشددوا. والأحمس: الشديد الصُّلْب في الدين والقتال. وقد حَمِس، بالكسر، فهو حَمِس، وأَحْمَس: بَيِّن الحَمَس (*لسان العرب*، «حمس»).
[11] جميع النسخ: وناس. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.
[12] ن: من كيده.

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم**، فضرب يده على فخذ سلمان الفارسي وقال: «والذي نفسي بيده لو كان الدين منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس».[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت غنما سُودا رَدِفَتْها غنم[2] بِيضٌ فاختلطَتْ بها فنَعَقْتُ[3] بهن جميعا». قالوا: يا رسول الله! فما أوّلت؟[4] قال: «العجم يَشْرَكونكم في دينكم وأنسابكم». قالوا: العجم[5] يا رسول الله؟ قال: «نعم، لو كان الإيمان [٧٣٢ظ] معلَّقا بالثريا لناله رجال من العجم، وأسعَدُهم به أهل فارس».[6] فإن ثبت هذا الخبر فجائز أن يستدل به على جعل العجم أكفاء العرب، لأنه قال: يَشْرَكونكم في أنسابكم؛ فإذا شركوهم في أنسابهم صاروا أكفاء لهم. ويحتمل أن يكون قوله: «يشركونكم في أنسابكم»، لأنهم ينسبونهم فتقد[7] منهم أولاد فشَرِكوا فيما ذكر.[8] *والله أعلم*. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**، قالوا: ومن يستبدل قوما؟ قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَنْكِب سلمانَ ثم قال: «هذا وقومه هذا وقومه».[9] وقال في حديث آخر: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوط بالثريا لناله رجال من فارس».[10] ***والله أعلم بالصواب***.

---

[1] انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٧/٢-٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢٣٤/٢١؛ و*شرح مشكل الآثار* للطحاوي، ٣٧٩/٥-٣٨٢؛ و*صحيح ابن حبان*، ٢٠٥/١٠؛ و*تفسير القرآن العظيم* لابن كثير، ٨٣/١٣. وزاد ابن كثير: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة. وروى البخاري ومسلم والترمذي وغيره هذا الحديث حول تفسير الآية ٣ من سورة الجمعة؛ واللفظ في المتن للترمذي. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ١/٦٢؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٢٣٠-٢٣١.

[2] ر ث م: سوداء ردفهم غيم؛ ن: سوداء رد فيها غيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[3] جميع النسخ: فتعقب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٨ظ. ونَعَق الراعي بالغنم يَنْعِق، بالكسر، نَعْقًا ونُعاقًا: صاح بها وزجرها (*لسان العرب*، «نعق»).

[4] ر: فما أقلت.

[5] ث: المعجز.

[6] رواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ «رأيت غنما كثيرة سُودا دخلت فيها غنم كثيرة بِيضٌ»، قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: «العجم يَشْرَكونكم في دينكم وأنسابكم، لو كان الإيمان معلَّق بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الفرس». وزاد الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. انظر: *المستدرك*، ٥٥١/٤.

[7] ر ث م: فتقد.

[8] ر ث م: فيتركوا فما ذكر؛ ن: فشركوا فما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[9] ر م - وقومه؛ ث: هذا وقوم هذا. سبق مثله قريبا. وانظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٧/٢-٣؛ وزاد الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال.

[10] سبق قريبا.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الفتح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[١]**

قوله عز وجل:[2] **إنا فتحنا لك فتحا مبينا**، قال بعضهم: هو فتح مكة، وقال بعضهم: هو صلح الحديبية[3] الذي [كان] بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة حين صَدُّوهم عن دخولهم مكة وحالوا بينه وبين زيارة البيت. وكان له فيها، أعني[4] في قصة الحديبية، أمران وآيتان ظاهرتان عظيمتان. أحدهما[5] أنه أصابه ومن معه من أصحابه عطش فأُتي[6] بإناء ماء،[7] فنبع من ذلك الإناء من الماء مقدار ما شرب منه زُهاءُ ألفٍ وخمسَمائةٍ حتى رَوُوا جميعا،[8] فذلك آية عظيمة حسية على رسالته. والثاني أخبر بغلبة الروم الفارس، وذلك علم غيبٍ وكان كما ذكر وأخبر، فدل أنه إنما علم ذلك بالله تعالى.

---

[1] ر ن – سورة الفتح؛ ث + مدنية وهي تسع وعشرون آيات؛ م + مدنية.

[2] ر ن – قوله عز وجل.

[3] روى قتادة عن أنس رضي الله عنه: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾، قال: الحديبية. انظر: صحيح *البخاري*، المغازي ٣٥، التفسير ٤٨.

[4] ث: أي.

[5] ث: إحداهما.

[6] ن: فأتا.

[7] ن ث – ماء.

[8] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوة فتوضأ فجَهَش الناس نحوه فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. (مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٩/٣؛ وصحيح *البخاري*، المناقب ٢٥).

وقصة الحديبية روي عن رجل، يقال له مُجَمِّعُ بنُ جارِيةَ،[1] قال: شهدت الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا انصرفنا عنها إذ[2] الناس يُوجِفون الأباعر.[3] فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قال: أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فخرجنا نُوجف مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كُراع الغميم،[4] اسم موضع. فلما اجتمع إليه بعض ما يريد من الناس قرأ عليهم: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا**. قال: قال رجل من أصحاب رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم: أَوَ فتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «إي[6] والذي نفسي بيده إنه لفتح».[7] قال: ثم قُسمت الحديبية على ثمانيةَ عشرَ سهما وكان الجيش ألفا[8] وخمسمائةٍ.[9] وفي بعض الأخبار أن[ه هو] الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ولم نر قتالا ولو نرى لقاتلنا. قال: فنزلت سورة الفتح، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر رضي الله عنه فأقرأها إياه، فقال: يا رسول الله فتح هو؟ قال: «نعم».[10] وعن عامر[11] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية فأنزل الله تعالى: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا، فقال** رجل: إنها فتح هو؟ قال: «نعم».[12] وعن جابر أنه قال: ما كُنّا نَعُد الفتح إلا يوم الحديبية.[13]

---

[1] جميع النسخ: حارثة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٩و. هو مُجمِّع بن جارية بن عامر، أو ابن يزيد بن جارية بن عامر، صحابي، من بني العطاف ابن ضبيعة الأوسي الأنصاري: أحد مّن جمع القرآن، إلا يسيرا منه. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك في صِباه. ويقال: إن عمر رضي الله عنه بعثه أيام خلافته إلى أهل الكوفة يعلمهم القرآن، ومات بالمدينة في خلافة معاوية نحو ٥٠هـ/٦٧٠م. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢٨٧/٥).

[2] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح* نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧١٣ ظ.

[3] أي يسرعون الإبل الصالحة للركوب.

[4] ر ن ث: الغنم؛ م: الغم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٩و.

[5] ن: النبي.

[6] ث – أو فتح هو يا رسول الله قال إي.

[7] ر ث م: يفتح.

[8] جميع النسخ: ألف. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٠/٣.

[10] *تفسير الطبري*، ٩٣/٢٦.

[11] «عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي، من شَعْب هَمْدان، علاّمة أهل الكوفة؛ ولد في وسط خلافة عمر بن الخطاب، وروي عن علي يسيرًا وعن المغيرة بن شعبة وعمران بن حُصين وعائشة وأبي هريرة وجرير البجلي وعدي بن حاتم وابن عباس ومسروق وخلقٍ كثير» (*الوافي بالوفيات*، ٥٨٧/١٦).

[12] الدر المنثور للسيوطي، ٥١٠/٧.

[13] *تفسير الطبري*، ٩٣/٢٦؛ *وتفسير ابن كثير*، ٣٠٧/٧.

وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** بالحديبية.[١] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه[٢] قال: لم يكن في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية، وضعت الحربُ أوزارَها، وأَمِنَ[٣] الناس كلهم، ودخل في الإسلام في السَّنتَين أكثر مما كان دخل قُبَيلَ[٤] ذلك، فلمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من الحديبية ... وفي الحديث طول تركنا ذكره.[٥] *والله أعلم.*[٦]

وقوله عز وجل: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا،**[٧] يخرج على وجوه ثلاثة.[٨] أحدها، أي إنا قضينا ذلك قضاء بَيّنا بالحجج والبراهين على رسالتك ونُبُوّتك، لِيُعلم أنك محق على ما تدّعي صادق في قولك، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ بما أكرمك وعظّم أمرك بالرسالة والنبوّة، أي أعطاك ذلك وأكرمك به ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

والثاني **إنا فتحنا لك فتحا مبينا،**[٩] ما لم يطمع أحد من الخلائق أنه يَفتح عليك أمثال ذلك الفتوح، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.[١٠]

والثالث **إنا فتحنا لك** جميعَ أبواب الحكمة والعلوم وجميع أبواب الخيرات والحسنات، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، بما أكرمك من أبواب الحكمة والخيرات؛ يخرج على هذه الوجوه الثلاثة. *والله أعلم.*

**﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٢]**

ثم قوله عز وجل: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر،** يخرج على وجهين. أحدها يرجع إلى ذنبه، أخبر أنه غفر له. ثم لا يجوز لنا أن نبحث عن ذنبه ونتكلف أنه ما كان ذنبُه،

---

١ روي ذلك عن الشعبي في *تفسير الطبري*، ٩٣/٢٦.
٢ ث – انه.
٣ ر + من.
٤ ن: قبل.
٥ انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٠/٢٦.
٦ ن – والله أعلم.
٧ ن: فتحا عظيما.
٨ ن ث – ثلاثة.
٩ ن: فتحا بينا.
١٠ الآية التالية.

وأَيْشٍ كان زلته؟ لأن البحث عن زلته مما يوجب[1] التنقيص[2] فيه. فمن تكلف البحث عن ذلك يُخاف عليه الكفر. لكن ذنبه وذنب سائر الأنبياء عليهم السلام ليس نظير ذنبنا، إذ ذنبهم بمنزلة فعلٍ مباح منا لكنهم نُهوا عن ذلك، *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**، أي يغفر ذنبه ابتداءَ غفرانٍ، أي عصمه عن ذلك، وذلك جائز في اللغة. *والله أعلم*.

[٧٣٣و] والوجه الثاني / يرجع إلى ذنوب أمته، أي ليغفر لك الله ذنوب أمتك، وهو ما يشفع لأمته فيَغفِر هم[3] له، أي لشفاعته، وهو كما روي في الخبر: «يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صوته»،[4] أي يجعل له الشفاعة.[5] فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **ليغفر لك الله**، أي يغفر له أمته[6] بشفاعته. *والله أعلم*.

[٧٣٣و س١٩] *وجائز أن يكون قوله: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك**، أي من ذنب أمتك،[7] **وما تأخر** من ذنبهم، على ما قاله[8] بعض أهل التأويل، ويتم نعمته عليهم من أنواع الخيرات والأمن[9] لهم والإياس لأولئك الكفرة عنهم.* [٧٣٣و س٢١]

وقوله عز وجل: **ويُتِمَّ نعمته عليك**، يحتمل إتمامُ نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة وفتحِ ما ذكر من أبواب الخيرات والحكمة في الدنيا والآخرة، أو الشفاعةُ له في الآخرة، أو إظهار دينه على الأديان كلها وإياس أولئك الكفرة عن عَوْده إلى دينهم، كقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾،[10] الآية. *والله أعلم*.

[وقوله تعالى: **ويهديك صراطا مستقيما**، هو ظاهر].[11]

---

[1] م: وأيش كان زلته ما يوجب.

[2] ر: التنقص؛ م: النقص.

[3] ر م – هم.

[4] «المؤذن يغفر له مَدّ صوته ويصدّقه من يسمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معه» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/١٣٦، ٢٦٦؛ وانظر: صحيح *البخاري*، الأذان ٥؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ٣١. قارن معناه: *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «مد» و«مدى»).

[5] أي يغفر لمن كان في حدود مدّ صوته بسبب المؤذن وأذانه.

[6] ن – أي يجعل له الشفاعة فعلى ذلك جائز أن يكون قوله ليغفر لك الله أي يغفر له أمته.

[7] ث – أي من ذنب أمتك، صح هـ.

[8] ر ث م: قال.

[9] ر ث م: والأمر.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٣٣و/ سطر ١٩–٢١.

[10] سورة المائدة، ٣/٥.

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩و.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وينصرك الله نصرا عزيزا**، يحتمل أن يَنصُرك[١] نصرا عزيزا بالغلبة عليهم والقهر والظفر لا صلحا ولا موادعة. وعلى ذلك يخرج قول أهل التأويل: **نصرا عزيزا** لا يُستَذَلّ ولا يُستَرْذَل. وظاهر الآية ليس على ذلك لأنه قال على إثره:[٢] لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ،[٣] لأن الخيرات والحسنات يكون سببا للمغفرة. فجائز أن يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا، لا ما ذكروه،[٤] إلا أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُسأل من الفتح[٥] لما أقدم على أسباب الفتح، وهو القتال مع الكفرة ونحوُ ذلك، وذلك من الخيرات التي تكون[٦] سبب المغفرة، إلا أن الله أضاف الفتح إلى نفسه لقوله: فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا،[٧] لما أنه هو الخالق لذلك الأسباب ومنشئ فعل الجهاد[٨] والقتال منهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ما ذكر من الفتح له ليغفر له[٩] هو أن الله جعل رسوله[١٠] بحيث لا يَخُطُّ بيده خطا ولا يكتب كتابا ولا يفهم كتابة، وهو ما وصفه الله جل وعلا بقوله: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ،[١١] لِيدفع ارْتياب المبطين فيه على ما ذكر.

ثم مع أنه جعله هكذا أحوج جميع حكماء الخلق إليه وأحوجَ أيضا جميع أهل الكتب السالفة إليه في معرفة ما ضمَّن كتابه المنزل عليه وجعله رسولا إليهم، فيكون كأنه قال: إنا فتحنا لك النبوة والحكمة وأنواع العلوم والخيرات والحسنات. لِيَغْفِرَ لَكَ، أي إنما فتح لك ما ذكر ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة وإظهار دينه على الأديان كلها، ويهديه صراطا مستقيما وينصُره نصرا عزيزا، أعطاه ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز. *والله أعلم*.*

---

[١] جميع النسخ: أي ينصرك. والتصحيح مستفاد من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧١٣ ظ.

[٢] أي على إثر قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾.

[٣] الآية السابقة.

[٤] جميع النسخ: ذكره. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ. أي لا ما ذكره أهل التأويل.

[٥] ن: على الفتح.

[٦] ر م: يكون.

[٧] الآية ١ من هذه السورة.

[٨] ر ث م – لقوله فتحنا لك فتحا لما أنه هو الخالق لذلك الأسباب ومنشئ فعل الجهاد.

[٩] ث – ليغفر له.

[١٠] ر م: ورسوله.

[١١] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.

* وقع هنا قسم من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى موضعه انظر: ورقة ٧٣٣و/ سطر ١٩-٢١.

ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا، أي فتحنا لك ما ذكر ليكون لأمتك ما ذكرنا من المغفرة لهم وإتمام النعمة، والهداية لهم الصراط المستقيم، والنصر لهم النصر العزيز، أي نصرا يَعِزّون به في حياتهم وبعد وفاتهم[1] في الدنيا والآخرة. **والله أعلم**.

ومن الناس من يقول: إن الله جل وعلا امتحن رسوله عليه الصلاة والسلام في الابتداء بالخوف حين قال: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ،[2] وجد[3] النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، إلى آخره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «قد[4] نزلت عليّ آية أحبُّ إليّ مما على الأرض»، ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله، قد بين الله[5] لك[6] ماذا يفعل بك ولم يبين ماذا يفعل بنا، فنزل قوله تعالى: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ، الآية.[7] **والله أعلم**.

**﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين**، قال بعضهم: السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان ولها رأس كرأس الهِرّ. لكن هذا ليس بشيء [لأنه قال: **أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** وما فسروا من السكينة كيف يكون نزولها في القلوب ولا يعلم ذلك. **والله أعلم**. وقيل: **أنزل السكينة**، هي الطمأنينة والرحمة، وأصل السكينة ما يسكن بها القلوب. والآية حجة على المعتزلة][8] فإنه عز وجل قال: **أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** بحقيّة[9] الدين،

[1] ر: فاتهم.
[2] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.
[3] وَجَد عليه في الغضب يَجُد ويَجِد وَجْداً وجِدَة وموجَدَة ووِجداناً: غضب (*لسان العرب*، «وجد»).
[4] ث م − قد.
[5] ر م − الله.
[6] ر م: لكم.
[7] الآية ٥ من هذه السورة. عن أنس رضي الله عنه قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ مَرْجِعَه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله، قد بين الله لك ما ذا يفعل بك، وما ذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى بلغ ﴿فوزا عظيما﴾. وفيه عن مُجَمِّع بن جارية (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤٨).
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ.
[9] ر م: بحقيقة.

وهو[1] تفسير العلم. وهذا يدل على أن خالق العلم الاستدلالي ومنزله ومنشئه هو الله تعالى. وهم يقولون: إن خالقه هو المستدل،[2] فيكون حجة عليهم. قال بعض المعتزلة: إضافة إنزال السكينة إلى نفسه على سبيل المجاز ليس على التحقيق. كما يقال: فلان أنزل فلانا في منزله[3] أو مسكنه، وإن لم يكن منه حقيقةُ إنزاله إياه في المنزل لكن أضيف إليه ذلك لأنه وُجد منه أمر[4] وسبب به يصل ذلك إلى نزوله[5] في منزله ومسكنه، فعلى ذلك أضاف إنزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا، [لأمر كان منه وسبب ليس على حقيقة الإنزال وإثبات العلم وإحداثه في قلوبهم. لكنا نقول: إنزال الشيء لشيء لا يكون على ما ذكروا ولا إنشاء الشيء للشيء. وأخبر أنه أنزل السكينة ليزدادوا إيمانا]،[6] فلا يقال في مثله لأمر كان منه أو بسبب جعل له ذلك، وهو كقوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ،[7] وإنما يقال ذلك لتحقيق إنزال ذلك ليكون ما ذكر على ما أخبر أنه فتح ليغفر له ما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم**، يخرج على وجوه. أحدها ما قال أبو حنيفة رحمه الله: **ليزدادوا إيمانا**، بالتفصيل[8] على / إيمانهم بالجملة. والثاني **ليزدادوا إيمانا** بمحمد [٧٣٣ظ] صلى الله عليه وسلم وبكتابه **مع إيمانهم** بسائر الرسل والكتب التي كانوا آمنوا بها وصدقوها، وهذا في أهل الكتاب خاصة. والثالث[9] **ليزدادوا إيمانا** في حادث الوقت **مع إيمانهم** فيما مضى من الأوقات. فإذا وُصل هذا بالأول فيكون بحكم الزيادة. وإن شئت جعلته بحكم الابتداء، إذ للإيمان حق التجدد والحدوث في كل وقت. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولله جنود السماوات والأرض**، فإن كان نزوله على إثر قول ذلك المنافق على ما ذكر بعض أهل التأويل حيث قال لأصحابه: يزعم[10] محمد أن الله قد غفر له،

---

[1] م + وهو.
[2] ر م: المستدل.
[3] د: على منزله.
[4] ر م - أمر.
[5] ن + وله.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ.
[7] الآية ١-٢ من هذه السورة.
[8] جميع النسخ: بالتفسير. وفي هامش *الشرح*: أي تفصيل، ورقة ١٣٩ظ.
[9] ن - ليزدادوا إيمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه مع إيمانهم بسائر الرسل والكتب التي كانوا آمنوا بها وصدقوها وهذا في أهل الكتاب خاصة والثالث.
[10] ث: هو عمر.

وأن له على عدوه ظفرا،[1] ويهديه صراطا مستقيما، وينصره نصرا عزيزا، هيهات هيهات! لقد بقي له من العدو أكثر وأكثر[2] فأين أهل فارس والروم هم أكثر عددا؟ فعند ذلك نزل: **ولله جنود السماوات والأرض**، فمعناه أي لله تدبير جنود السماوات والأرض ينصر من يشاء على من يشاء، ويجعل الأمر لمن يشاء على ما[3] يشاء، ليس لهم التدبير وإنفاذُ الأمر على من شاءوا، ولكن ذلك إلى الله تعالى. وهو كقوله تعالى: فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[4] أي لله تدبير مكرهم لا يَنفُذ مكرهم إلا بالله تعالى، فعنى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان الله عليما حكيما**، أي عن علم بما يكون منهم من إيثارهم عداوة الله على ولايته واختيار الخلاف له أنشأهم لا عن جهل، ليُعْلَم أنه لم ينشئهم ولم يأمرهم بما أمرهم وامتحنهم بما امتحن لحاجة[5] نفسه أو لمنافعَ يرجع إليه، ولكن لحاجة أولئك ولمنافعهم. ولذلك قال: **حكيما**، لأن الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. فإذا كان إنشاؤه إياهم وما أمرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له في نفسه[6] ولا منفعة ولكن لحاجتهم ومنفعتهم كان حكيما في إنشائه إياهم على علم منه بما يكون منهم من إيثار العداوة له على ولايته واختيار الخلاف له والمعصية. *والله الموفق*.

**﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**، الآية، كأن هذا صلة قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[7] **ليدخل المؤمنين والمؤمنات**، الآية، أنزل السكينة في قلوبهم، أي أنزل ما تسكن بها قلوبهم ليزدادوا بذلك إيمانا، وأنزل السكينة أيضا ليدخلهم فيما ذكر، كما ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ،[8] فتح له ليغفر له،

---

[1] جميع النسخ: ظفر.
[2] ن: وأكبر.
[3] ن ث: على من.
[4] سورة الرعد، ٤٢/١٣.
[5] ر م: لحاجته.
[6] ن ث: ذلك.
[7] الآية السابقة.
[8] الآية ١-٢ من هذه السورة.

فعلى ذلك أنزل السكينة في قلوبهم ليزداد[1] لهم الإيمان وليدخلهم جنات التي وصف. ثم أخبر أن ذلك لهم عند الله فوز عظيم[2] لا هلاك بعده ولا تبِعَة. *والله أعلم*.

**﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**، ذكر للمنافقين والمشركين من العذاب مقابل ما ذكر للمؤمنين من إنزال السكينة عيهم وإدخالهم الجنة. حَرَمَ[3] هؤلاء السكينة التي ذكر أن قلوب المؤمنين بها تسكن،[4] لما علم أنهم يختارون عداوته[5] ويؤثرون عداوة أوليائه على ولايته وولايتهم،[6] وعلم من المؤمنين أنهم يؤثرون ولايته على عداوته وولاية أوليائه على عداوتهم، فأنزل[7] السكينة في قلوبهم ولم ينزل على أولئك هذا، ليعلم أن من بلغ في الإيمان الحد الذي ذكر إنما بلغ ذلك بالله تعالى وبفضله وبرحمته. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله: **الظانّين بالله ظن السَّوْء**، جائز أن يكون قوله[8] عز وجل: **الظانين بالله ظن السوء** هم المنافقين[9] الذين ذكرهم في آية أخرى حيث قال: بَلْ ظَنَنتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ،[10] ظنوا[11] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع إلى أهله وكذلك المؤمنون لا يرجعون إلى أهليهم أبدا. ثم أخبر أن ذلك الظن منهم ظن السّوء، فيحتمل ما ذكر هاهنا: **الظانين بالله ظن السوء هو**[12] ما ذكرنا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **الظانين بالله ظن السوء** هم المشركين.[13] ثم إن كانوا من المنافقين

---

[1] جميع النسخ: ليزدادوا.
[2] جميع النسخ: عند الله فوزا عظيما.
[3] ر م: حزم.
[4] ر ث م: يسكن.
[5] ن – عداوته.
[6] ر م: على ولايتهم؛ ث: على ولايته وفي ولايتهم.
[7] ر م: فإنزال.
[8] ث – قوله.
[9] جميع النسخ: المنافقون.
[10] الآية ١٢ من هذه السورة.
[11] ر – ظنوا.
[12] ر ث م: هذا.
[13] جميع النسخ: المشركون.

فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يرجع هو وأصحابه إلى أهليهم أبدا، وإن كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يُكْرِم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظِّمه بالنبوة ولا يختاره[1] ولا يؤثره[2] على غيره من الناس الذين[3] يختارون هم، كقوله:[4] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[5] فيكون ظنهم بالله ظن السوء على هذا: أن لا يكرم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يختاره[6] لرسالته ونبوته. *والله أعلم*. وإن كانوا[7] من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء، وهو أن لا يقدر على البعث والإحياء بعد الموت. ثم أخبر أن عليهم دائرةَ السوء الذي ظنوا، فإن كانوا من المنافقين ظنوا[8] أن لا يرجع[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلى أهله] فصار عليهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا من أوطانهم وهُتِك أستارهم ونحو ذلك.
[٧٣٤و] وإن كانوا من مكذبي الرسول صلى الله / عليه وسلم أنه لا يرسله، فعليهم[10] كان ما ظنوا، لأنه بُعث هو رسولا ولم يبعث من[11] اختاروا هم،[12] وإن كانوا من منكري البعث فعليهم كان عذاب [ذلك][13] اليوم وفيه هلاكهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا**، أخبر[14] عز وجل أنهم استوجبوا غضب الله ولعنه بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله وبرسوله[15] وأعدّ لهم جهنم بذلك وساءت مصيرا لهم.

---

[1] ر ث م: لا يختاره.
[2] ر م: ولا يؤثر.
[3] م: الذي.
[4] جميع النسخ: كقولهم.
[5] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[6] ر ث م: ولا يختار.
[7] جميع النسخ + ذلك.
[8] ر م – فإن كانوا من المنافقين ظنوا.
[9] جميع النسخ + إلى.
[10] جميع النسخ: فظنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[11] ث: من.
[12] ن: اختاروهم.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[14] ن + أنه.
[15] ث م: ورسوله.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما**، ذكر على إثر ما ذكر **عزيزا حكيما** ليعلم أن عزه ليس بما ذكر من الجنود الذين له في السماوات والأرض ولكنه عزيز[١] بذاته، له العز الذاتي الأزلي. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**، قوله: **شاهدا**، لله بما[٢] لله تعالى على عباده وما[٣] لبعضهم على بعض. فعلى هذا التأويل يكون قوله: **شاهدا**، أي مبينا، أي ليتبين ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض، وهو قول أبي بكر الأصم.[٤] وقال بعضهم: أي شاهدا للرسل عليهم السلام بالتبليغ بالإجابة لمن أجابهم، وشاهدًا على من أبى الإجابة بالإباء والرد. فعلى هذا التأويل يكون قوله: **شاهدا** على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا.[٥] ***والله أعلم***. وقال بعضهم: أي أرسلناك شاهدا على أمتك وعلى[٦] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ ومن ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومبشرا ونذيرا**، البِشارة هي تذكير[٧] عواقب الخيرات والحسنات والإخبارُ عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي[٨] أربابَها وعُمّالها ليرغّبهم فيها، والنِذارة هي[٩] تذكير[١٠] عواقب الشرور والسيئات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي[١١] أربابها ومرتكبيها ليزجرهم عنها. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: عزيزا.
[٢] ر م: عما؛ ن - لله بما.
[٣] ر م: ما.
[٤] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «*تفسير*»، و«*مقالات*» في الأصول، و«*مناظرات*» مع العلاّف. وله أيضا *أنباء في الرفض والتجسيم*. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر، ٥١٩/٣.
[٥] ن: ذكرناه.
[٦] جميع النسخ: على أمتك عنى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[٧] ر ث م: تذكر.
[٨] جميع النسخ: يفضي.
[٩] ن - عواقب الخيرات والحسنات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي أربابها وعمالها ليرغبهم فيها والنذارة هي.
[١٠] ر ت م: تذكر؛ ن - تذكير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: يفضي.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٩]

وقوله عز وجل: **لتؤمنوا بالله ورسوله**، خاطب بهذا البشر كلَّه وفي الأول خاطب رسول الله صلى الله عيه وسلم، كأنه يقول على الجمع[١] بينهما في الخطاب: أرسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا[٢] أنتم بالله ورسوله. ويحتمل أن يكون على الإضمار، أي إنا أرسلناك مبشرا ونذيرا، وقل لهم: إنما أرسلت لتؤمنوا بالله ورسوله، وهو كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ،[٣] معناه: يا أيها النبي قل لهم: إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن،[٤] فعلى ذلك جائز ما ذكرنا. *والله أعلم*. وقرئ بالياء[٥] وهي ظاهرة. ثم الإيمان بالله تعالى هو أن يَشهد له بالوحدانية والألوهية وأن له الخلق والأمرَ في كل شيء وكل أمر، والإيمانُ برسوله هو[٦] أن يشهد له بالصدق في كل أمر والعدالةِ[٧] له فيما يحكم ويقضي ويصدقه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعو إليه ويطيعه في كل أمر يأمر به[٨] وينهى عنه. *والله أعلم*.

قوله عز وجل: **وتُعَزِّروه**، اختلف فيه. قال بعضهم: أي تنصروه وتعينوه،[٩] وقال بعضهم: أي تطيعوه،[١٠] وقال بعضهم: أي تعظموه.[١١] فمن يقول: إن قوله: **وتعزروه** ليس على النصر والإعانة ولكن على التعظيم أو على الطاعة استدل بما قال في آية أخرى: وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ،[١٢] ذكر التعزير وعَطَف النصر عيه، والمعطوف غير المعطوف عيه فدل أنه غير النصر. ولكن جائز أن يذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين، ومعناهما واحد، على التأكيد. وكذلك من يقول بالتعظيم يقول: أمرهم بتعظيمه في الحرفين، أعني قوله: **وتعزروه وتوقروه**، وذلك جائز في الكلام.

---

[١] م: على الجميع.
[٢] ن: ليؤمنوا.
[٣] سورة الطلاق، ١/٦٥.
[٤] ث – معناه يا أيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن.
[٥] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه﴾ كله بالياء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٠).
[٦] ن – هو.
[٧] ر ن م: وبالعدالة.
[٨] ر ن م: ربه.
[٩] جميع النسخ: ينصروه ويعينوه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ ط.
[١٠] ر ن م: أي يطيعوه.
[١١] ر ن م: أي يعظموه.
[١٢] ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

ويحتمل أن يكون التعزير هو الطاعة له، والتوقير هو التعظيم، وفي الطاعة له تعظيمه. *والله أعلم*.

ومن قال بالنصر والمعونة في التبليغ [فمراده] تبليغ الرسالة إلى الخلق والدفع عنه والذب، والتعظيم له في قلبه وجميع جوارحه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتسبحوه بكرة وأصيلا**.[١] أجمع أهل التأويل أن قوله تعالى: **وتسبحوه بكرة** راجع إلى الله تعالى، وكذلك ذكر في بعض القراءة:[٢] وتسبحون[٣] الله بكرة وأصيلا. والتسبيح[٤] هو التنزيه عن العيوب والآفات فإن كان المراد بالتسبيح هو التنزيه[٥] في الأفعال والأقوال فجائز نسبة[٦] ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان بريء العيوب في أفعاله وأقواله لا يدخل في أفعاله وأقواله عيب، وإن كان هو تنزيها عن الحدثية[٧] والفناء وآفات تحل[٨] في نفسه فذلك لا يجوز إضافته ونسبته إلا إلى الله[٩] عز وجل، فأما غيره لا يجوز إضافة ذلك إليه. وأصله ما ذكر أهل التأويل من صرفه إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **بكرة وأصيلا**، صرف أهل التأويل البكرة إلى صلاة الفجر والأصيل إلى صلاة المغرب والعشاء، ولكن جائز أن يكون البكرة كناية عن النهار والأصيل كناية وعبارة[١٠] عن الليل، فكأنه يقول: سبحوا بالليل والنهار جملة في كل وقت. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[١٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**، أجمع أهل التأويل أو عامتهم على أن المبايعة[١١] المذكورة في هذه الآية هي البيعة التي كانت بالحُدَيْبِيَة بايعوه على أن لا يفروا إذا لَقُوا عدوا.

---

١ ر م + والتسبيح.
٢ ن: القرآت.
٣ ر ن م: ويسبحون.
٤ ن: التسبيح.
٥ ر ث م – عن العيوب والآفات فإن كان المراد بالتسبيح هو التنزيه.
٦ ن: شبه.
٧ م: عن الحديثة.
٨ ر م: كل؛ ن: يحل.
٩ ر: ونسبة إلى الله؛ م: ونسبته إلى الله.
١٠ ه – وعبارة.
١١ ر: المبالغة.

[٧٣٤ط] قال مَعْقِل بن يسار: لقد رأيتني يوم الشجرة / والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعَ عَشْرَةَ مائةً، أي ألفُ وأربعُ مائةِ نفرٍ، وقال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نَفِرّ.[1] وجائز أن تكون[2] المبايعة على أن لا يفروا كما[3] ذكر في آية أخرى: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ.[4] والمبايعة هي[5] المعاهدة، ألا ترى أنه قال:[6] **ومن أوفى بما عاهد عَلَيْهُ الله**، ذكر في أول الآية المبايعة وفي آخرها المعاهدة[7] ليعلم أن المبايعة والمعاهدة سواء. ***والله أعلم***. ثم إضافة مبايعتهم رسوله إلى نفسه يحتمل[8] وجهين. أحدهما لما بأمره يبايعونه. [والثاني][9] ذكر ونَسَب إلى نفسه لعظم[10] قدره وجليل منزلته عنده. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يد الله فوق أيديهم**، قال بعضهم: يد الله في جزاء المبايعة فوق أيديهم في المبايعة أو كلام نحوه. وجائز أن يكون قوله تعالى: **يد الله فوق أيديهم**، أي يد الله في الجزاء إذا وَفَوْا بالعهد فوق أيديهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت لهم عنده[11] يد فيخبر أن جزاء الله الذي يَجْزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق أيديهم التي لهم عند[12] رسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ما ذكر من يد الله وإضافتها إليه يريد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه يقول: يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فيما بايعكم فوق أيديكم عنده، لما يحتمل أن يقع عندهم[13] أن يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه، كقوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا،[14] الآية،[15]

---

[1] صحيح مسلم، الإمارة ٧٦.
[2] ر ث م: أن يكون.
[3] ن ث – كما.
[4] سورة الأحزاب، ١٥/٣٣.
[5] ث – هي.
[6] جميع النسخ + في آية أخرى.
[7] ث – وفي آخرها المعاهدة.
[8] ن: ويحتمل.
[9] جميع النسخ: أو.
[10] ر ن م: لعظيم.
[11] ث: له عندهم.
[12] ن – عند.
[13] ث: عنده.
[14] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[15] ن – الآية.

فيخبر أن يد رسول الله عندكم[١] فوق أيديكم عنده بالمبايعة التي بايعتم. *والله أعلم*. ويحتمل: أي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] بالمدّ والبسط بالمبايعة فوق أيديهم. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **يد الله فوق أيديهم**، أي توفيق الله تعالى إياكم ومعونته على مبايعتكم رسوله فَوْقٌ وخيرٌ من وفائكم ببيعته وعهده. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **يد الله فوق أيديهم**، أي يد الله في النصر لرسوله فوق أيديهم، كقوله تعالى: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ،[٣] حقيقةُ النصر إنما يكون بالله تعالى. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله عز وجل: **فمن نكث فإنما يَنكُثُ على نفسه**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما كقوله جملة:[٤] مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[٥] فعنى ذلك من نكث فإنما له جزاء نَكْثه وهي النار، ومن أوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء. والثاني **فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**، أي من نكث فعليه ضرر نكثه وإليه يرجع ذلك الضرر لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، لأن الله جل وعلا قد[٦] وعد النصر له والظفر بأولئك، فمن نكث فإنما يرجع ضرر نكثه إليه، إذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد[٧] من النصر له. *والله أعلم*.

**﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **سيقول لك المخلفون من الأعراب**، قوله تعالى: **المخلفون**، سماهم مخلَّفين ولم يخلِّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، ولكن الله تعالى خلَّفهم عن ذلك بأن أحدث فيهم فعل التخلّف لما علم منهم ما كان من اختيارهم التخلف، وهو[٨] كقوله تعالى:

---

[١] ر ث م – عندكم.
[٢] ن – صلى الله عليه وسلم.
[٣] سورة آل عمران، ١٢٦/٣.
[٤] ث – جملة.
[٥] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[٦] ر ث م - قد.
[٧] ر + الله.
[٨] ر ث م – وهو.

وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[1] أي منعهم؛ فعلى ذلك ما ذكر من المخلَّفين أن الله سبحانه[2] وتعالى[3] خلَّفهم عن ذلك، وهم اكتسبوا فعل التخلف في أنفسهم. دل أن خالق أفعال[4] العباد[5] هو[6] الله تعالى. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل خبرا عنهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقولهم:[7] **فاستغفر لنا**، طلبوا منه الاستغفار مع إظهارهم العذر في التخلف بقولهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، يقولون: وإن حبَسَتْنَا أموالنا[8] وأهلونا لم يكن لنا التخلف عنك: **فاستغفر لنا**. ولكن مع هذا لم يُقبَل عذرهم، لأنهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لأنهم أهل نفاق لا يؤمنون برسالته ولا بالبعث كي ينفعهم المغفرة في الآخرة. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ،[9] الآية، دل هذا الفعل منهم[10] على أنهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم: **فاستغفر لنا**، حيث قال: **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**، أي يقولون بألسنتهم قولهم: **فاستغفر لنا** ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك. ولا جائزٌ أن يُصرف قولهم: **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**، إلى قولهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، أي كانوا[11] كاذبين في العذر ولكن طلبوا[12] الاستغفار حقيقة، لا يقال هذا لأنهم كانوا صادقين في أن أموالهم وأهليهم[13] شغلتهم عن ذلك فلا يمكن صرف الآية إلى ذلك. *والله الموفق*.

---

[1] ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (سورة التوبة، ٤٦/٩).

[2] ن – سبحانه.

[3] ن + هو.

[4] ن: الأفعال.

[5] ن – العباد.

[6] ث: وهو.

[7] ن – وقولهم.

[8] أي ولو لم يكن حبستنا أموالنا.

[9] سورة المنافقون، ٥/٦٣.

[10] ن + على.

[11] ر ث م – كانوا.

[12] م + لاسعة.

[13] ر ن م: وأهلوهم.

وقوله عز وجل: **قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضَرًا أو أراد بكم نفعا**، قد ذكرنا أن حرف الاستفهام من الله تعالى يكون على الإيجاب.[١] فيُنظَر أن لو كان ذلك السؤال من مستفهم كيف يجاب / له؟ فيكون من الله تعالى على الإيجاب: أن[٢] لا أحد يملك لكم نفعا [٧٣٥و]
إن كان الله أراد بكم ضَرًا، ولا أحد يملك لكم ضرا إن كان الله أراد بكم نفعا. يخبر أنكم وإن تخلفتم لحفظ أموالكم وأهليكم فإن الله تعالى لو أراد بكم ضرا لا تملكون[٣] دفعه عن أنفسكم، وإن لم تتخلفوا[٤] ولكن خرجتم معه فلا يملك أحد الضرر لكم. غير أنه لا عذر لهم[٥] في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أوعدهم فقال: **بل كان الله بما تعملون خبيرا**. جعل الله أنفس المنافقين وصنيعهم آية ودلالة[٦] على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم في حق المنافقين حين كان يُطْلع رسوله على جميع ما أسرّوا في أنفسهم وأضمروا في قلوبهم ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى وجعل الآية له في حق غيرهم من الكفرة من غير صنيعهم وأنفسهم حتى علموا بذلك أنه بالله قدر على ذلك. **والله *أعلم***. وقال أهل التأويل: **إن أراد بكم ضَرًّا**، أي الهزيمة، **أو أراد بكم نفعا**، ظهورا على عدوكم وغنيمة. يحتمل أن يكون الخطاب بهذا أهل[٧] الإيمان والوعظ لهم[٨] بذلك، لأن أهل النفاق كانوا لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ وغيره.

**﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا**. فإن قيل: ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون إلى أهليهم أبدا؟ إذا[٩] كان ذلك في خروجهم إلى الحديبية، على ما قال أهل التأويل:

---

[١] ن - يكون على الإيجاب؛ ن هـ: يكون على الإيجاب؛ ن + واجب.
[٢] ن: أي.
[٣] ن: لا يمكون.
[٤] ن: وإن لم يتخلفوا.
[٥] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.
[٦] ر: ودلالته.
[٧] جميع النسخ: الأهل.
[٨] ث - لهم.
[٩] ن: إذ.

إن ذلك كان في خروجهم إلى الحديبية، وكان خروجهم للحج[1] وقضاء المناسك لا للقتال والحرب معهم، حتى يقع عندهم أنهم لا يرجعون بل يَهلِكون في ذلك، وأهل مكة لم يكونوا يمتعون[2] أحدا من أهل الآفاق[3] يدخل مكة للحج وقضاء المناسك.

قيل: لأن أهل النفاق كانوا قد كتبوا إلى أهل مكة وأعلموهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم خرجوا إليكم[4] للحج وزيارة البيت، فقالوا: إنا لا نَدَعُهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم[5] يدخلونها. فإذا كان منهم ما ذكرنا فجائز أن يكونوا ظنوا ما ذكرنا من ظنهم، فأما على غير ذلك فلا يحتمل مع اجتماع أهل التأويل على أن ذلك كان في أمر الحديبية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وظننتم ظن السَّوْء**، أي ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظن السوء أنهم لا يرجعون إلى أهليهم، ويحتمل: ظننتم بالله ظن السوء أنه لا ينصر رسوله ولا يعينه.[6]

وقوله عز وجل: **وكنتم قوما بورا**، قال بعضهم: **بورا** أي هَلْكَى، أي تصيرون[7] قوما هلكى. فيه دليل أنهم يموتون على نفاقهم. وقال الحسن: **كنتم قوما بورا**، أي فاسدون لا خير فيكم[8] وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن البُور هو الفاسد.[9] وقال بعضهم: البور في كلام العرب لا شيء،[10] وقال القُتَبِي: البور الهلكى.[11]

**﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا**، فهو ظاهر.

---

[1] ر: لمحجج.

[2] جميع النسخ: يتبعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.

[3] ر ث م: الإيمان.

[4] ر ن - إليكم.

[5] ر م: ولا يتركهم.

[6] ن + والله أعلم.

[7] ر م: يصرون؛ ن ث: يصيرون. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] جميع النسخ: فيهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] *معاني القرآن* للفراء، ٣/٦٦؛ و*تفسير غريب القرآن* للقتبي، ٤١٢.

[10] *تفسير غريب القرآن* لقتبي، ٤١٢.

[11] *تفسير غريب القرآن* لقتبي، ٤١٢.

**﴿ولله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [١٤]

وقوله عز وجل: **ولله ملك السماوات والأرض**، قيل فيه بوجوه. أحدها ولله خزائن السماوات والأرض، وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأه: ولله خزائن السماوات[١] والأرض. والثاني ولله مُلْك كلِّ مُلْكٍ في السماوات والأرض، أي لله حقيقة مُلك كل مُلك في السماوات والأرض.[٢] والثالث ولله ولاية أهل السماوات والأرض وسلطانه، أي الولاية والسلطان له على أهل السماوات والأرض. ثم يحتمل ذكره هذا وجهين. أحدهما يخبر أنه فيما يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم بأنواع المحن بما يأمر[٣] وينهى ويمتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له، إذ له ملك السماوات والأرض، ولا يحتمل من له[٤] ملك ما ذكر أن يقع له الحاجة إلى ما ذكر أو المنفعةُ، لأنه غني بذاته، ولكن يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم بما امتحن لحاجتهم ولمنفعتهم. ***والله أعلم***.

والثاني يذكر هذا ليقطعوا الرجاء عما في أيدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء[٥] إلى الله تعالى، ومنه يرون كل نفع وخير يصل إليهم، ومنه يخافون في كل أمر فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره، وهو ما أخبر: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ،[٦] ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**، يقول -والله أعلم- هو يغفر لمن يشاء[٧] وهو المالك لذلك، وهو يعذب من يشاء؛ أي ليس يملك أحد مغفرة ذنوب أحد سواه ولا تعذيبَه، إنما ذلك منه وله ملك ذلك، وله الفعل[٨] دون خلقه ليصرفوا طمعهم ورجاءهم في كل أمر إلى الله تعالى، ومنه يخافون في كل أمر فيه خوف. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وكان الله غفورا رحيما**، أي وكان الله لم يزل رحيما لا أنه حدث ذلك له بخلقه.[٩] ***والله الموفق***.

---

[١] ن – وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأه ولله خزائن السماوات.

[٢] ر – والثاني ولله ملك كل ملك في السماوات والأرض أي لله حقيقة ملك كل ملك في السماوات والأرض.

[٣] ر ث م + هم.

[٤] ن – من له.

[٥] ن: الرجاء والطمع.

[٦] سورة فاطر، ١٥/٣٥.

[٧] ن + ويعذب من يشاء.

[٨] ن: الفضل.

[٩] م: بخلقه.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[١٥]

[٧٣٥ظ] وقوله: **سيقول المخلفون**، أي المخلفون[1] من الحديبية خَلَّفهم الله عز وجل لما علم منهم من اختيار التخلف. وقوله:[2] **إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم**، الآية.[3] ذكر أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل مكة عام الحديبية ورجع [و]اشتد ذلك على أصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة والزيارة لبيته بشره ربه بفتح خيبر والغنيمة لهم، فعند ذلك لما انتهى إلى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البِشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا: **ذرونا نتبعكم**، فنصيب معكم الغنائم. وإنما رغبوا في اتباعهم معهم[4] لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدُق فيما يخبر من البشارة له بالفتح[5] والغنيمة له[6] بلا مئونة قتال ولا حرب يقع هنالك.

وقوله: **يريدون أن يبدلوا كلام الله**، لأن البشارة بفتح خيبر وجَعْلِه[7] غنيمة لمن شهد الحديبية، فأما من تَخلَّف عنها فليس له في ذلك من[8] نصيب. فأخبر الله[9] تعالى أنهم يريدون أن يبدلوا ما وعد الله تعالى للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية [من] فتح خيبر خاصة بأن يشركوهم فيها، وفي ذلك تبديل ما وعد الله -والله أعلم-[10] إذ لم يشهدوا هم الحديبية، والبشارة بالفتح لمن شهدها فأما من تخلف عنها فلا.[11] وقال بعضهم: تبديل كلام الله ما قال في سورة براءة: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾،[12]

[1] ر م - أي المخلفون.
[2] ن: قوله.
[3] ن - الآية.
[4] ن - معهم.
[5] ر م: والفتح.
[6] ن - له.
[7] ث: وفعله.
[8] ن - من.
[9] ن - الله.
[10] ر م - الله والله اعلم.
[11] ن ث - إذ لم يشهدوا هم الحديبية والبشارة بالفتح لمن شهدها فأما من تخلف عنها فلا.
[12] سورة التوبة، ٨٣/٩.

فلما سألوا الخروج إلى خيبر[١] والاتباع لهم وقد نهاهم عن الخروج معه[٢] أبدا يريدون أن يبدلوا ذلك النهي الذي نُهُوا في سورة براءة. فيحتمل الأمرين جميعا.

كذا ذكر {الشيخ رحمه الله}. وعامة أهل التأويل على أن قوله: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[٣] نزل[٤] في غزوة تبوك وأنها بعد خيبرَ فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر تبديلَ النهي الذي نُهوا عن الخروج معه. لكن كأنه لم يثبت عنده نزول الآية في غزوة تبوك أو وقع الخطأ من الذين تلقنوا[٥] منه وكتبوه. *والله أعلم*.[٦]

وقوله عز وجل: **قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**، يحتمل قوله: **كذلكم قال الله من قبل**، هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية، قال: إن "مغانم خَيْبَرَ" لمن شهد الحديبية وأما من لم يشهد فلا. ويحتمل قوله: **من قبل**، ما ذكر في سورة براءة: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا**. كانوا يقيسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم، لأنهم إذا أصابوا شيئا، أعني المنافقين، كانوا يحسدون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن لا يكون[٨] لهم[٩] في ذلك نصيب[١٠] ولا حظ حسدا منهم لهم. فلما منعهم المؤمنون عن الخروج إلى خيبر وقالوا: إن الله نهاكم أن تخرجوا معنا وقد بُشِّروا بالفتح، قالوا عند ذلك: بل تحسدوننا في إصابة تلك الغنائم، لم يَنْهَنا الله تعالى عن الخروج معكم. قاسوا[١١] المؤمنين بأنفسهم. **بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا**،

---

١ م: إلى الخيبر.
٢ ر م: معهم؛ ن – معه.
٣ سورة التوبة، ٨٣/٩.
٤ ر: أنزل.
٥ ن: يلقنوا.
٦ يبدو أن هذه القطعة ليست من إملاء الإمام رحمه الله، بل هي نقلت من الناسخين الذين اهتموا *بتأويلات القرآن* ومعانيها.
٧ سورة التوبة، ٨٣/٩.
٨ ر م: أن لا يكونوا.
٩ ن + شيء.
١٠ ن – نصيب.
١١ ن: قالوا.

الفقه[1] هو الاستدلال بما عرفوه[2] وشهدوه على الذي لم يعلموه وغاب عنهم، يخبر أن هؤلاء لا يعرفون الاستدلال؛ وقال بعضهم: الفقه[3] هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره. **والله أعلم**.

**﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **قل للمخلفين من الأعراب**، وهم الذين تخلفوا عن الحديبية، **ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد**، على قول ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل، وهؤلاء هم بنو[4] حنيفة وفيهم مُسَيْلِمة الحنفي الكذّاب اسْتُنْفِرت[5] إليهم الأعراب بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم فدعا هم[6] أبو بكر الصديق إلى قتالهم.[7] وقال الحسن: هم أهل فارس والروم، وقال قتادة وغيره: دُعوا إلى قتال هَوازنَ وثقيف يومَ حُنَيْن. ويروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: دُعوا يوم حنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد ومنهم من أبى.[8] لكن ما قال قتادة غير محتمل، لأن قتال هوازن وثقيف يوم حنين كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تولَّى ذلك. وقال في آية أخرى: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[9] الآية، فلا يحتمل أن يُدْعَوْا إلى قتال هؤلاء وهو تولى قتالهم؛ وقد قال الله[10] تعالى خبرا عنه: وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا، فإذا[11] لم يحتمل هذا رجع التأويل إلى ما قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما: إنهم إنما دُعوا إلى قتال أهل اليمامة، وهم بنو حنيفة، دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. لكن لو كان ما قال أهل التأويل: إن قوله تعالى: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[12] نزل في غزوة تبوك وهي بعد يوم حنين فيكون ما قاله قتادة محتملا. **والله أعلم**.

---

[1] ر: القصة.
[2] ر م: عرفوا.
[3] ر: القصة.
[4] ن: بنوا.
[5] ر ث م: استقرت.
[6] ن - فدعاهم.
[7] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٥٠.
[8] *تفسير الطبري*، ٢٦/١٠٨.
[9] سورة التوبة، ٩/٨٣.
[10] ن – الله.
[11] ن: فإذ.
[12] سورة التوبة، ٩/٨٣.

أو أن يكون قوله: وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا، في قوم خاص وهو ما قال: اِسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ،[١] أي أهل الغناء والثروة.[٢] إنما قال ذلك لأولي[٣] الطول الذين استأذنوه القعود مع القاعدين. *والله أعلم*. ويحتمل قوله تعالى: **ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد**، في أهل / فارس والروم [٧٣٦و] على ما قال الحسن، وذلك إنما فتح في زمن عمر رضي الله عنه. وقوله عز وجل: **تُقاتلونهم أو يُسلمون**، ومن قرأها:[٤] "تقاتلونهم[٥] أو يسلموا" بالألف، فيكون تأويله: تقاتلونهم حتى يسلموا.[٦]

وقوله تعالى: **فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا**، أي إن تطيعوا فيما دُعِيتم إلى الجهاد يؤتكم الله أجرا حسنا.[٧] ذكر أنه يؤتهم أجرا[٨] حسنا لأن توبتهم تكون[٩] فيما كان كفرهم، وكان نفاقهم إنما ظهر[١٠] بتخلفهم عن الجهاد، فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد. وقوله: **وإن تتولوا**، فيما دعيتم إليه **كما توليتم**، عن الحديبية وغيره **يعذّبكم عذابا أليما**.

**﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[١٧]

ثم عذر أهل العذر منهم بقوله تعالى: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، كما عذر[١١] أهل العذر من المؤمنين بقوله: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ،[١٢] الآية. وقوله عز وجل: **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما**، لأنهم إذا تولوا عادوا إلى ما كانوا.

---

[١] ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطَّول منهم وقالوا ذَرْنَا نكنْ مع القاعدين﴾ (سورة التوبة، ٨٦/٩).
[٢] ر: والثرو.
[٣] ث: لأن.
[٤] ن: ومن قرأ.
[٥] جميع النسخ: يقاتلونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[٦] نسبه القرطبي إلى أبي. *تفسير الطبري*، ١٠٩/٢٦؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٧٣/١٦.
[٧] ن – أي إن تطيعوا فيما دعيتم إلى الجهاد يؤتكم الله أجرا حسنا.
[٨] ر: أجر.
[٩] ن: يكون.
[١٠] ث: يظهر.
[١١] جميع النسخ: كما عجز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[١٢] سورة التوبة، ٩١/٩.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١٨] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١٩]

وقوله[١] عز وجل: **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**، يحتمل قوله:[٢] **لقد رضي الله عن المؤمنين**،[٣] لِما عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدقِ لذلك والتحقيق لما عهدوا من الوفاء، لذلك أخبر الله أن قد رضي[٤] عنهم لذلك. فنحن نستدل به على صدق[٥] ذلك وتحقيقه وإن لم يخبرنا الله تعالى أنهم قد عزموا على ذلك، فيجوز لنا أن نشهد أنهم قد عزموا على الوفاء لذلك والصدق له. وقد يكون من الاستدلال ما تجوز[٦] الشهادة له بالحق والصدق إذا[٧] كان في الدلالة مثل ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فعلم ما في قلوبهم**، هذا يحتمل وجوهًا. أحدها ما ذكرنا [أنه] عَلِم[٨] ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق لما أعطوا بأيديهم من أنفسهم.

والثاني علم[٩] ما في قلوبهم من الخوف والخشية، وذلك يتوجه وجهين. أحدهما أنهم خشُوا أن لا يتهيأ لهم القيام بأهل مكة، لأنهم كانوا مستعدين لحرب والقتال، وهم كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت، خشُوا أن لا يقوموا لهم فلم يَفُوا ما عاهدوا. والثاني خشوا أن لا يقدروا على وفاء ما بايعوا وأعطوه، لأن في ذلك مناصبة جميع أهل الأديان والمذاهب. *والله أعلم*.

والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها أهل التأويل؛ لكن تلك الكراهة كراهة الطبع لا كراهة الاختيار، لأنهم طمعوا الوصول إلى البيت ورجوا دخولها، فلما جرى الصلح بينهم على أن لا يدخلوا[١٠] عامَهم ذلك وينصرفوا[١١] فاشتد ذلك عليهم فكرهوا[١٢] ذلك

---

[١] ر – وقوله.
[٢] ث – قوله.
[٣] ن – إذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله عن المؤمنين.
[٤] ر ث م + الله.
[٥] ر م: على الصدق.
[٦] ر م: ما يكون؛ ن ث: ما يجوز. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[٧] ث: وان.
[٨] ن: على.
[٩] ر م: على؛ ن – علم.
[١٠] ر ث م: لا تدخلوا.
[١١] ر ث م: فانصرفوا.
[١٢] ن: وكرهوا.

لكن كراهة الطبع لا كراهةَ الاختيار. وقد يكره طبع الإنسان شيئا والخيارُ غيره، كقوله عز وجل: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا،[١] وكقول يوسف: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[٢] محبة الاختيار لا محبة الطبع بل الطبع إلى ما يدعونه أميل من السجن.

وقوله عز وجل: **فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا**، أي أنزل عليهم ما تسكن[٣] به قلوبهم لما علم تحقيق الوفاء لَمّا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصِدْق ما أعطوا من أنفسهم، **وأثابهم** مكان ما كانوا يرجون ويطمعون من دخول مكة وما كرهت أنفسهم من الرجوع، **فتحا قريبا**[٤] وهو[٥] فتح مكة أو فتح خيبر. ***والله أعلم***.

ثم قوله[٦] تعالى: **وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها**، اختلف فيه. منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الآية إلى فتح خيبر وإلى مغانم خيبر حين بُشِّروا بالحديبية بفتح خيبر وجَعْلِ المغانم لهم مكان ما مُنعوا من دخول مكة وحِيلَ بينهم وبين ما قصدوا، أو في الطريق بعد مُنْصَرَفِهم من الحديبية على ما ذكر في[٧] القصة. ***والله أعلم***. ومنهم من صرف الفتح إلى مكة، لأنه ذكر في القصة أنهم بشروا في الطريق بعد انصرافهم[٨] من الحديبية بفتح مكة، ويكون قوله: **وأثابهم**، على هذا التأويل بمعنى: ويثيبهم، وذلك جائز في اللغة فَعَل بمعنى يَفْعَل، كقوله عز وجل: وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[٩] كذا، بمعنى[١٠] يقول له.

[وجائز أن يكون قوله: **وأثابهم فتحا قريبا**، هو فتح الروم وفارس، لأنه ذكر أنهم بُشروا يوم الحديبية بفتح الروم وفارس وفيه نزل قوله: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ.[١١] ***والله أعلم***].[١٢]

---

[١] سورة النساء، ١٩/٤.
[٢] سورة يوسف، ٣٣/١٢.
[٣] جميع النسخ: ما يسكن.
[٤] ن + ومغانم كثيرة يأخذونها.
[٥] ر: هو.
[٦] ن: وقوله.
[٧] ن + بعض.
[٨] ر: انصرفهم.
[٩] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (سورة المائدة، ١١٦/٥).
[١٠] ر ث م: يعني.
[١١] سورة الروم، ٤/٣٠-٥.
[١٢] الزيادة من الشرح، ورقة ١٤٣و.

﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٢٠]

وقوله تعالى: **مغانم كثيرة تأخذونها**،[1] على هذا ينصرف إلى غيره من المغانم لأنه لم يكن بمكة غنائم. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا،[2] الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته، وكذلك قوله: وَمَغَانِمَ *[كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا،[4] وكذلك قوله: **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها**. وقوله: **فعجّل لكم هذه**، على هذا التأويل، أي عجل لكم هذه الفتوح والمغانم في الدنيا مع ما يثيبكم في الآخرة ثوابا عظيما. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **فعجل لكم هذه**، أي غنائم خيبر. ثم قوله: **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** بعد ذلك إلى يوم القيامة. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين**، يحتمل هذا وجوها. أحدها ما كف أيدي أهل مكة عنهم عام الحديبية، وهم كانوا مستعدّين للحرب والقتال، والمؤمنون لم يكونوا استعدّوا للحرب و لم يكن معهم سلاح وإنما خرجوا للحج وزيارة البيت، فمع ما كانوا كذلك ألقى الله تعالى الرعب في قلوبهم، أي قلوب أهل مكة، حتى صالحوهم، وكان ذلك آية للمؤمنين. وقال بعضهم: أي كف أيدي أهل غَطَفَانَ وأَسَدٍ منهم، لأن غطفان وأسدا كانوا مع أهل خيبرَ وظاهَروهم على ذلك، وكانوا حُلَفاء لأهل خيبرَ، فلما رأوا ذلك منه سألوه الصلح فصالحوه على أن يخرجوا عنه فلا يقاتلوه ويَدَعُوه وأهل خيبر ففعل ذلك فخرجوا عنه فلم يقاتلوه، فذلك قوله: **وكف أيدي الناس عنكم**، فلم يقاتلوه مع أنهم حلفاء أهل خيبر.

وقوله: **ولتكون آية للمؤمنين**، يقول: هزيمةً من غير قتال. ويقال: فتح خيبر آية لهم، أي حجة لهم على الكفرة كلهم، ويقال: **آيةً للمؤمنين** فيزدادون بالإسلام تصديقا وقوة من الله، كقوله: وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا،[5] بمحمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من القرآن. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: يأخذونها.
[2] الآية ١٨ من هذه السورة.
* من هنا إلى آخر تأويل الآية ٢٢ لا توجد في النسخ. وقد نقلت من *الشرح*، ورقة ١٤٣و-١٤٣ظ.
[4] الآية السابقة.
[5] سورة المدثر، ٣١/٧٤.

وجائز أن يكون قوله: **وكف أيدي الناس عنكم**، هو إياسَ أولئك الكفرة عن عود أهل الإسلام والإيمان في دينهم وانقطاع طمعهم عن رجوعهم إليهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾،[1] هذا يحتمل ما ذكر من كف أيدي الناس عنهم. *والله أعلم*.

**﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٢١]**

وقوله تعالى: **وأخرى لم تقدروا عليها**، قيل: لم تملكوها، على التأويل الذي ذكرنا في قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾،[2] أن ذلك غنائم خيبر، فيكون تأويل قوله: **وأخرى لم تقدروا عليها** غير ذلك من الغنائم التي لم يغتنموها، وعد أنهم سيغتنمون بعد ذلك ويجعلها لهم. وجائز أن يكون قوله: **وأخرى لم تقدروا عليها**، قرًى سوى قرية خيبر التي فتحوها. يقول: **وأخرى** من القرى، **لم تقدروا عليها**، أي لم يفتحوها، **قد أحاط الله بها**، أي قد جمعها لكم بعد إذ لم تقدروا عليها. وقد أخبر أنه قد أحاط بها وجعلها لهم ليعلم أن القدرة إنما يعطيهم[3] حين وقوع الفعل منهم ووقتِه لا يتقدم عنه. **وكان الله على كل شيء قديرا**.

**﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢٢]**

وقوله تعالى: **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار**، يحتمل قوله: **ولو قاتلكم الذين كفروا** أي أهل مكة، **لولوا الأدبار**، منهزمين مع كثرتهم وقوتهم وعُدّتهم وقلة عددكم وضعف أحوالكم لتكون آية للمؤمنين على أحد التأويلات الثلاثة التي ذكرنا. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **ولو قاتلكم الذين كفروا**، حلفاء أهل خيبر أسدا وغَطَفَانَ ومن ذكروا،[4] أي لو قاتلكم لولوا الأدبار هاربين منهزمين، **ثم لا يجدون وليا**، في دفع ذلك عنهم، **ولا نصيرا**، ينصرهم ويمنع ذلك عنهم].[5]

وجائز أن يكون الكفرة جملة،[6] أي لو قاتلوكم لولّوا الأدبار. *والله أعلم*.

---

[1] سورة المائدة، ٥/٣.

[2] الآية لسابقة.

[3] أي إنما يعطيها لهم.

[4] أي ومن ذكرهم أهل لتفسير في إيضاح هذه الآيات.

[5] تم المتن هنا منقول من *الشرح*، ورقة ١٤٣و - ١٤٣ظ.

[6] ت: جمله.

﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **سنة الله التي قد خلت من قبل**، ما سن في كل أمة من هلاك؛ لم يجعل عين[1] ذلك ومثل ذلك[2] الهلاك في غيرها من الأمم، نحو ما جعل هلاك قوم نوح الغَرَق، وكذلك قومِ فرعون، وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمودَ بالطاغِيَة، جعل الله تعالى هلاك كل أمة بنوع لم يجعل ذلك لغيرها، يقول: لم يكن لذلك تبديل إلى غيره. وكذلك

[٧٣٦ظ] ما جعل لكل أمة من هلاك لم يبدل ذلك ولم يجعل / ذلك في غيره. وجائز أن يكون قوله: **سنة الله التي قد خلت من قبل**، أن جعل عاقبة الأمر للمؤمنين. وقوله عز وجل: **ولن تجد لسنة الله تبديلا**، في أمتك، ولكن جعل عاقبة الأمر لهم كما جعل عاقبة الأمر في سائر الأمم للمؤمنين.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي كف أيديهم عنكم**، مع كثرة أولئك وقوتهم وتأهُّبهم للقتال وضعف هؤلاء وقلة عددهم، لأن أولئك كانوا خرجوا للقتال والحرب مستعدين لذلك متأهبين، وهؤلاء كانوا[3] خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت. فكفّ أيديَ أولئك مع عُدتهم وقوتهم وكثرتهم عن هؤلاء مع ضعفهم وقلة عددهم حتى أظفرهم بأولئك؛ بما ذكر في القصة أن المسلمين كانوا اشتغلوا بالترامي بالنبل والحجارة حتى هزموهم وأدخلوهم بطن مكة على ما ذُكر. ثم إذا[4] أظفرهم بهم كفّ أيدي هؤلاء عنهم ولم يُتم[5] لهم الظفر بهم ليعلم هؤلاء أن التدبير في الأمر إلى الله تعالى دونهم، وله السلطان على الخلق جميعا لا سلطانَ لأحد[6] في سلطانه. *ولا قوة إلا بالله*. وأما ما ذَكر من الامتنان هو ما ذكر من كف أيدي أولئك عن هؤلاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم لما[7] ذكرنا من قوة أولئك وكثرتهم[8]

[1] ر ث م: عن.
[2] ر ث م – ومثل ذلك.
[3] م – كانوا.
[4] ر م – إذا.
[5] ر ث م: ويتم.
[6] ر: الأحد.
[7] ر ث م: بما.
[8] ر م: كثرتهم.

وضعف هؤلاء وقلة عددهم حتى أظفرهم؛ يذكر[1] منته عليهم ليستأدي[2] بذلك[3] شكره ويكفَّ أيديَ هؤلاء عنهم.

فإن قيل: أمّا[4] [في][5] كف أيدي أولئك عن هؤلاء المنة ظاهرة، ولكنْ أيّةُ منةٍ تكون[6] في كف أيدي المؤمنين عن أولئك الكفرة؟

فيقال: جائز أن يكون المنة في كف أيدي المؤمنين عن أولئك الكفرة ليستأدي[7] منهم شكره بذلك، وهو الإسلام، ولله تعالى على جميع خلقه منة يستأدي منهم بذلك شكرا[8] على الكافرين والمسلمين جميعا. ويحتمل أن يكون المنة في كف أيدي المؤمنين عن أولئك على المؤمنين أيضا هو ما ذكر على إثره: وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[9] أنه لو لم يَكُفَّ أيديَ المؤمنين عنهم حتى يتم لهم الظفر بهم فدخلوا مكة -وهنالك مؤمنون- لأَصابهم ما ذكر من المعرة وغيره، فكان في كف أيدي المؤمنين عن أولئك منة عظيمةٌ عليهم لما بينا مِن قبلُ مَن فيها[10] من المؤمنين من غير علم منهم.[11] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ببطن مكة**، وهم لم يكونوا في بطن مكة إنما كانوا بالحديبية، وبينها وبين مكة أميال، لكن يخرج على وجهين. أحدهما أظفرهم بهم وقهرهم وهزمهم حتى أدخلهم بطن مكة على ما ذُكر أنهم هزموهم حتى أدخلوهم في بيوتات مكة. والثاني **ببطن مكة**، أي بقرب مكة. وجائز أن يُكنِيَ **ببطن مكة**، أي قربها، وقال بعضهم: **ببطن مكة**، أي[12] الحرم، [والحرم] كله مكة، والوجه فيه ما ذكرنا.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ر ن م: بذكر.
[2] ن: يستادي.
[3] ر ث م - بذلك.
[4] ر م: ما.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٣ظ.
[6] جميع النسخ: يكون.
[7] ن: يستادي.
[8] ر م ليستأدي منهم شكرا؛ ث: يستأدي منهم شكرا.
[9] الآية التالية.
[10] ن: عظيمة لما بينا من قبل من فيهم؛ ث: ث: فيهم.
[11] ث م + منهم.
[12] ر + الحدم و.
[13] ن ث - والثاني ببطن مكة أي بقرب مكة وجائز أن يكني ببطن مكة أي قربها وقال بعضهم ببطن مكة أي الحرم كله مكة والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **وكان الله بما تعملون بصيرا**، لم يزل الله تعالى عالما بأعمالهم بصيرا. وفيه دلالة خلق أفعالهم لأنه ذكر أنه كف أيدي هؤلاء عن أولئك وأيديَ أولئك عن هؤلاء، ثم قال: هو عالم بما تعملون بصير[1] ليعلم أن له في فعلهم صنعا. *والله أعلم*.

**﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[٢٥]

وقوله عز وجل: **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**، أي صدوهم عما قصدوا، وهو الطواف بالبيت والزيارة له وذلك في المسجد الحرام. ذكر صدهم عن المسجد الحرام لما كان الذي قصدوه هو في المسجد الحرام فإذا صدوهم عن المسجد الحرام[2] صدوهم عما فيه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والهَدْيَ معكوفا أن يبلغ مَحِلَّه**، وقوله: **معكوفا**، أي محبوسا، والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف. ثم قوله: **والهديَ معكوفا أن يبلغ محله**، مَحِلُّ دمِ هديِ المتعة هو مكةُ أو مِنى،[3] فأما الحرم نفسه فليس هو محله. فكأنه قال: وصدوا الهدي عن أن يبلغ محل الذي جعل لهدي المتعة وهو منى[4] أو مكة، لأنه ذكر في الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم معتمرا، وذكر أنه كان متمتعا. وفيه أن دم المتعة إن[5] مُنع عن محله سقط وخرج عن حكم[6] المتعة ويعود إلى ملكه، وله أن يصرفه إلى ما شاء. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البُدْنَ التي ساقها عن الإحصار في الحرم.[7] دل أن هدي المتعة إذا منع عن المحِلّ سقط ويخرج عن حكم المتعة. وفيه أن دم الإحصار لا يجوز إراقته إلا في الحرم إذ الحديبية[8] يجمع الحرم والحل جميعا عندنا، فإنما كان نحرها في الحرم. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: بصيرا.

[2] ر ث م - لما كان الذي قصدوه هو في المسجد الحرام فإذا صدوهم عن المسجد الحرام.

[3] ر م: أو منا.

[4] ر ن م: منا.

[5] م: إذا.

[6] ن: عن حد.

[7] تفسير الطبري، ١٢٤/٢٦.

[8] ر: أن الحديبية.

وقوله عز وجل: **ولو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم**، أي تقتلوهم وتُهلكوهم، **فتصيبَكم منهم مَعَرَةٌ بغير علم**، أي لو لا ما فيها أعني في مكة من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لأتم لكم الظفر بهم ودخلتم عليهم، لكن[١] مَنَعَكم عن دخولكم مكة لما ذكر.

ثم اختلف في قوله تعالى: **فتُصيبَكم منهم مَعَرَةٌ بغير علم**، قال بعضهم: لزمتكم[٢] الدية بقتلهم، وكذا روى عن محمد بن إسحاق.[٣] وقال بعضهم: الكفارة، وقال بعضهم: الإثم والذنب، أي يصيبكم منهم الإثم بقتلكم إياهم؛ وهذا لا يحتمل لأنهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الإثم والذنب لأن الله تعالى وضع الإثم عنا فيما لا نعلمه ولم يضع طريق العلم به، قال الله تعالى: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ.[٤]

[٧٣٧و] وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما / أي فيصيبكم[٥] من الكفرة وأهل النفاق ما يسوءكم بقتلكم إياهم من اللائمة والتعيير وغير ذلك من القيل والقال، يقولون: إنهم قتلوا أصحابهم ومن كان على دينهم من أهل الإسلام، فيجدون بذلك سبيلا إلى ما ذكرنا فيسوءكم ذلك. *والله أعلم*. والثاني يصيبكم الأسف والحزن والندامة الدائمة[٦] بقتلكم[٧] أهل الإيمان وأهل الإسلام إذا علمتم أنكم قتلتم أصحابكم وأهل دينكم. *والله أعلم*.

ثم المخالف لنا تعلق بهذه الآية في مسألتين. إحداهما فيمن أسلم ولم يهاجر إلينا أنه تجب[٨] الدية في قتله لقوله تعالى: **فتصيبكم منهم مَعَرَةٌ بغير علم**، وهي غُرْمُ[٩] الدية. والثانية هل يباح الرمي إلى حصون المشركين إذا كان فيها أُسَارَى المسلمين وأطفالُ المسلمين،

---

[١] ر – لظفر بهم ودخلتم عليهم لكن.

[٢] ر ث م: لزمكم.

[٣] محمد بن إسحق بن يسار، كنيته أبو عبد الله، المطّلبي القرشي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية. كان علامة حافظًا أخباريًا، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. وهو من دون العلم. توفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م. انظر: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٥٥٢/٧؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٣/٧-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٢٦/٥-٣٠.

[٤] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.

[٥] ن: فتصيبكم.

[٦] ث – الدائمة؛ ن ث + بقتلهم.

[٧] ر: بقتلهم.

[٨] ر ث م: يجب.

[٩] ر م: عزم.

أو إحراق[1] الحصون أو الرمي إلى الكفار الذين تَتَرَّسُوا[2] بأطفال المسلمين؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري: لا بأس[3] برمي[4] حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم، ولا بأس بأن يحرقوا الحصن ويقصدوا به المشركين دون المسلمين، وكذلك إحراق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين. وقال مالك: لا تحرق[5] سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.[6] وقال الأوزاعي: إذا تترس[7] الكفار بأطفال المسلمين لم يُرْمَوا ولا يُحرق الحصن، ولكن لا بأس بأن يرمي الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك. وقال الشافعي: لا بأس بأن يرمي الحصن وفيه أسارى وأطفال المسلمين و لم يَتَتَرَّسُوا[8] بهم، فله قولان.

*[واحتج هؤلاء بقوله: **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات**، وبقوله: **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**. أخبر أنه إنما منع النبي والمؤمنين عنهم لما كان فيهم من المؤمنين. **ولو تزيلوا**، أي لو تميّز الكفار من المسلمين لعذَّبهم، دل أنه لا يباح ذلك. لكنا نقول: إن أهل السير نقلوا أن النبي عليه السلام حاصر أهل طائف ورماهم بالْمَنْجَنِيق مع نهيه عن قتل النساء والولدان، وقد عَلِم أنه يصيبهم، دل أن كون المسلمين فيهم لا يمنع من الرمي إذا لم يقصدوا المسلمين. وروي عن النبي عليه السلام أنه سئل عن أهل ديار المشركين يُبَيَّتُون فيصاب من ذراريهم ونسائهم. فقال عليه السلام: «هم منهم».[10] وعن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أنهم كانوا يأمرون السرايا بأنهم إذا سمعوا الأذان أمسكوا عنهم وإن لم يسمعوا الأذان أغاروا عليهم، ولا يخلو من أن يصيبوا ذَرارِيّهم ونساءهم، وكذلك لا يخلو من أن يكون فيهم من المسلمين من التجار وغيرهم. دل أنه لا بأس بذلك. فأما الآية فلا حجة لهم فيها لأن فيها بيانَ أن المندوب هو الكف عن ذلك، أمّا ليس فيها حظر الإقدام.

---

[1] ر م: وإحراق.
[2] ر ن م: يترسوا. أي توَقَّوْا بأطفال المسلمين كأنهم تُرُسٌ واختفوا بهم.
[3] ن – لا بأس.
[4] ن: يرمى.
[5] ر ث م: لا يحرق.
[6] ن ث – وقال مالك لا تحرق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين؛ صح هـ.
[7] ن: ترس؛ ر م: يترس.
[8] ر م: و لم ترسوا.
[9] من هذه الفقرة إلى آخر أول فقرة من تأويل الآية التالية لا توجد في النسخ، وقد نقلت من *الشرح*، ورقة ١٤٤ظ؛ ومن نسخة حميدية، ورقة ٧١٦ظ.
[10] صحيح البخاري، الجهاد والسير ١٤٦؛ صحيح مسلم الجهاد والسير ٢٦.

ولا يقال إن ظاهر الآية على التحريم ألا ترى أنه قال: **لم تعلموهم أن تطئوهم فتُصيبَكم منهم مَعَرَّة بغير علم**، لولا الحظر وإلا لما أصابتهم المعرة، لأن الناس قد اختلفوا في تأويلها والصحيح ما ذكرنا من الوجهين من تعيير الكفار أو لحوق الحزن والغم بسبب إصابة المسلمين، وذلك يكون بترك الندب. ويحتمل أن يكون ذلك كان خاصا في أهل مكة لحرمة الحرم، ألا ترى أن المستحق للقتل إذا التجأ إليها لم يُقتل عندنا، وكذلك الكافر الحربي إذا دخله ملتجئا لحرمة الحرم. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **ليدخل الله في رحمته من يشاء**، كأنه كفَّ أيديهم عنكم ليدخل الله في رحمته من يشاء. جائز أن يكون هذا أيضا جهة الامتنان في كف أيدي المؤمنين عنهم، أي كفَّ أيديكم عنهم ليدخل الله في دينه من يشاء. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **لو تزيلوا**، أي لو تميّز أولئك الكفرة عن المؤمنين، **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**، بقتلكم إياهم، أي سلّطناكم عليهم لو تميز أولئك عنهم. ***والله أعلم***.

قال أبو عبيدة: **فتصيبكم منهم معرة**، أي جناية كجناية العَرّ وهو الجَرَب.[١] وقال أبو عَوْسَجَة: المعرة الشر، والمعرّات الجميع؛ يقال: عرّني فلان، أي أصابني بشرّ والعَرُّ في الأصل الجَرَب، ويقال رجل معرور أي جَرِبٌ؛ والتَّزَيُّل التفرق. وقال القُتَبِي: **تزيلوا**، أي تميَّزوا.[٢] وقال أبو عَوْسَجَة:[٣] **أنْ تطئوهم**، هذا الوطء ليس من الوطء بالرِّجلين ولكن أن تصيبوهم بالشر.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢٦]

وقوله تعالى: **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية**، لسنا نعلم ما تلك الحمية التي جعلوها في قلوبهم، لكن أخبر الله تعالى أنها **حمية الجاهلية**، فلا نفسرها ولا نشير أنها كذا، وهم قد عرفوا ما تلك الحمية حتى صدوا[٤] رسول الله وأصحابه عن دخولهم مكة ومنعوهم عما قصدوا. ثم يخرج على وجهين. أحدهما أن من عادتهم أن واحدا منهم إذا جنى جناية أو قتل قتيلا كانوا يأخذون القاتل والجاني والمتصلين بالقاتل والجاني بَعُدوا أو قَرُبوا.

---

[١] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٧.

[٢] *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٨.

[٣] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحويّ الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتُريدي في الأدب، روى عنه سَيحان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).

[٤] [ح: صرفوا].

فجائز أن يكونوا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[1] وصدوهم عن دخول مكة لما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من بعض أصحابه قتل أحد منهم أو جناية على أحد أو قد كان[2] بينهم وبين أولئك قتال وحرب. فيحتمل ما ذكر من الحمية التي أحدثوها وجعلوها[3] في قلوبهم حتى حمتهم على ذلك هو ما ذكرنا. *والله أعلم*].*

والثاني[5] من عادتهم أنهم كانوا يعبدون ما يَهوَوْن ومالت إليهم أنفسهم من الأصنام والأوثان وغيرها وينصرون من عبدوها[6] ويدفعون عنهم فيذبون عنها. فجائز أن يكون الذي حملهم على ذلك هو نصرهم أولئك الأصنام وعُبّادَها والذبُّ عنهم حميةً منهم[7] حميةَ الجاهلية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**، جائز أن يكون ما ذكر من السكينة التي أخبر أنه[8] أنزلها على رسوله ومن ذكر هو شيء أنزله من السماء لطفا منه عليهم حتى سكنت بذلك[9] قلوبهم. وجائز أن يكون لا على حقيقة إنزال شيء من مكان إلى مكان ولكن أنشأ في قلوبهم ما يَسكن به قلوبهم، كقوله تعالى: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[10] أي أنشأ لكم من الأنعام ما ذكر وخلقها لهم، ليس أن أنزلها عليهم من مكان إلى مكان ولكن على الإنشاء والخلق، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*. ثم السكينة تحتمل[11] أسبابا لديها[12] تسكن[13] قلوبهم وأنفسهم، والأسباب تختلف، وتحتمل[14] شيئا آخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم فسكنت[15] قلوبهم بذلك اللطف. *والله أعلم*.

---

[1] [ح: وأصحابهم].
[2] [ح: إذا قد كانوا].
[3] [ل: أحدثهم وجعلوا].
[4] تم المتن هنا المنقول من *الشرح*، ورقة ١٤٤ظ؛ ومن نسخة حميدية، ورقة ٧١٧و.
[5] جميع النسخ: واحتج هؤلاء. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧١٧و.
[6] ن ث: عبدها.
[7] ر ن م – حمية منهم.
[8] ن: أنها.
[9] ر ث م: لذلك.
[10] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[11] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧١٧و.
[12] ر م: لذيها؛ ث: لديها.
[13] جميع النسخ: يسكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: يختلف يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: فسكن. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما **ألزمهم كلمة التقوى**[١] بها يتقون النار. ثم تحتمل[٢] **كلمة التقوى** كلمة الإخلاص وغيرها ما يقيهم النار. ***والله أعلم***. ويحتمل قوله: **وألزمهم** إظهار كلمة التقوى حتى تصير[٣] ظاهرة في الخلق أبدا إلى يوم القيامة. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **كلمة التقوى**، هي بسم الله الرحمن الرحيم، وذلك أنه لما كُتب كتاب الصلح فيما بين أهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كُتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ذلك الكافر:[٤] اكتب كذا، لا ندري ما الرحمن الرحيم؟ وذلك كلمة التقوى. ***والله أعلم***. والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله: **وكانوا أحق بها وأهلَها**، أي بتلك الكلمة وكانوا أهلا لها، **وكان الله بكل شيء عليما**. وقال بعض أهل التأويل: **كلمة التقوى** هي[٥] كلمة الإخلاص، **وكانوا أحق بها وأهلها** من الأمم السالفة وأهلها.[٦] ***والله أعلم***. أو كانوا أحق بها في الإظهار في الخلق والقيام بذلك، أو كانوا أحق بها في التزامها[٧] في أنفسهم. ***والله أعلم***.

**﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق**، قال أهل التأويل: قوله: **صدق الله رسوله**، أي حقق الله رسوله الرؤيا التي أراها إياه بالحق، أي بالوفاء لذلك. ويحتمل أي صيّر النبيَّ صلى الله عليه وسلم صادقا عندهم فيما أخبرهم أنه رأى وجعله صادقا في ذلك، والأول أشبه.

وقوله عز وجل: **لتدخلُنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر أن ادخلوا المسجد الحرام وإن كان في الظاهر خبرًا[٨] كرؤيا إبراهيم عليه السلام

---

[١] ر ث م – التقوى.
[٢] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.
[٣] ر م: يصير.
[٤] ر م – الكافر.
[٥] ث – هي.
[٦] ن + وأهلها.
[٧] م: في إلزامها.
[٨] ن ث م: حبر.

حيث قال: إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ، ثم قال الله تعالى: اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ،[1] دل هذا[2] على أن ما رأى إبراهيم صلوات الله عليه من الذبح هو أمرٌ أمِر[3] بذلك. فإن كان التأويل هذا فيخرج الثُّنْيَا[4] المذكور فيه على إثره كأنه يقول: ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين إن شاء الله أن تَأمَنوا في دخولكم وإذا لم تأمنوا لم يشأ أن تدخلوه. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، على الوعد فيخرج الثُّنْيَا المذكور على وجهين. أحدهما على التبرك والتيمن كما يُتبرّك بذكر اسمه في فعلٍ يُفعَل. *والله أعلم*. والثاني على الأمر لكل في نفسه إذا أخبر غيره أنه يدخل أن يقول: إن شاء الله، كما يؤمر بالثنيا من أخبر آخر شيئا أنه يفعله،
[٧٣٧ظ] كقوله عز وجل: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ / ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[5] ويحتمل أن يذكر الثنيا لأن الوعد في الظاهر وإن كان للجملة كقوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، فجائز أن يكون المراد منه بعضا[6] منهم لا[7] الجملة لاحتمال أن يموت بعض منهم، إذ[8] لا يكون هو مرادا من الجملة،[9] فذكر الثنيا لئلا يكونَ خلفٌ في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ما ذكر من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه حققها[10] يحتمل ما ذكر من دخول المسجد الحرام على إثره. فإن كان ذلك فيكون قوله تعالى: **لتدخلن المسجد الحرام**، هو تفسيرًا[11] لتلك[12] الرؤيا، وجائز أن يكون الرؤيا في غير ذلك. وقوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، ابتداء وعد وأمرٍ من الله تعالى، وكذلك ما ذكر من قوله حيث قال: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ،[13]

---

[1] ﴿فلما بلغ معه السعيَ قال يا بُنَيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعَلْ ما تؤمر﴾ (سورة الصفات، ١٠٢/٣٧).
[2] ر م – هذا.
[3] ر م – أمر.
[4] الثنيا: الاستثناء، وهو قوله تعالى: ﴿إن شاء الله آمنين﴾.
[5] سورة الكهف، ٢٣/١٨-٢٤.
[6] ر ث م: بعض؛ ن – بعضا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.
[7] ر م: ليس.
[8] ر م: أن.
[9] ر م: والجملة؛ ث: وبالجمىة.
[10] ر م: حققهما.
[11] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] سورة الإسراء، ٦٠/١٧.

يحتمل ما ذكر في هذه الآية **لتدخلن المسجد الحرام**، إلى آخر ما ذكر. ويحتمل غير هذا أيضا وقد أخبر أنه حققها وصدقها. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **محلقين رءوسكم ومقصرين**، يخبر أنهم يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين، ثم يخرج على وجهين. أحدهما في ابتداء الإحرام يخرج على التزين على ما يتزين[١] المحرم في ابتداء إحرامه من نحو التطيب واللباس والحلق والقصر ونحو ذلك. [والثاني] يخبر[٢] أنهم يدخلون على التزين في المسجد الحرام آمنين من الكفار، فإن كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير ذلك. وذكر أن[٣] النبي صلى الله عليه وسلم كان[٤] معتمرا فسميت تلك عمرة القضاء، حيث مُنع في عام الحديبية وكان معتمرا فسميت[٥] تلك عمرة،[٦] وإن كان حاجا، فيكون قوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، بعد رجوعهم من مِنًى[٧] إلى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين مقصرين. ***والله أعلم***.

فإن قيل: ما الحكمة في أمره رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية على علم منه أنه لا يصل إلى مكة، وأنه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء النسك؟ إذ لا يحتمل[٨] ذلك إلا بأمر من الله[٩] تعالى، ليس هو كغيره من الناس أنهم يفعلون أفعالا بلا أمر، ثم يُمنعون أو يُنهون عن ذلك، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئا إلا عن أمر منه له بذلك.

قيل: يحتمل إنما أمر بذلك مع علم بأنهم[١٠] يُمنعون عن ذلك تعليما منه رسوله وأمته حكم الإحصار، أن من أُحصر[١١] عن الحج ومُنع عن دخول مكة لقضاء النسك ما ذا يلزمه وبم[١٢] يخرج منه؟

---

[١] ر م: تزين.
[٢] جميع النسخ: غير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.
[٣] ن: أنه كان.
[٤] ن – كان.
[٥] ر م – فسميت.
[٦] ن – فسميت تلك عمرة.
[٧] ر ن ث هـ: من منا.
[٨] ر م: أو لا يحتمل؛ جميع النسخ + إلى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: بأمر الله.
[١٠] ث: مع أنهم.
[١١] ر م: حصر.
[١٢] ر: وثم.

ولله تعالى أن يعلم خلقه أحكام شريعته مرة بأمر يأمرهم بذلك أو بخبر يخبرهم، ومرة بفعل[1] النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهم بما شاء، له الحكم والأمر في الخلق. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لا تخافون**، أي تدخلون مكة آمنين، لا تخافون عدوكم ولا منعهم إياكم.

وقوله عز وجل: **فعلم ما لم تعلموا**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي علم ما وعد لكم من فتح خيبر وغنائمه ما لم تعلموا، ويحتمل أي علم ما أرى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم تعلموا، ويحتمل أي علم في رجوعكم عن الحديبية أشياء لم تعلموها أنتم من إظهار ما أظهر من نفاق[2] أهل النفاق فيهم وأهل الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير ذلك. *والله أعلم*. وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **فعلم ما لم تعلموا** يقول: إن ذلك الدخول إلى سنة و لم تعلموا أنتم.[3] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**، قال بعضهم: جعل من قبل أن يدخلوا مكة **فتحا قريبا**، أي عاجلا فتح خيبر.[4] *والله أعلم*. وقول أهل التأويل: إنه اشتد على الناس رجوعهم من الحديبية وصدّ المشركين[5] عما قصدوا بعد ما أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أنهم يدخلون، على ما وقع عندهم أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق كالوحي. لكن هذا لا يحتمل من المسلمين، إنما[6] يحتمل من المنافقين على ما ذكر أنهم قالوا حين نحر[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أن الرؤيا [حق] أو كلام نحوه، فدل أن[8] هذا يحتمل من المنافقين. فأما من المسلمين فلا يحتمل أن يقع في قلوبهم شيء من ذلك، لما لم يكن في الآية بيان ولا توقيت أنهم متى يدخلون، بل فيها الوعد بالدخول ليس فيها أنه متى؟ ألا ترى أن يوسف عليه السلام رأى رؤيا[9] وخرجت تلك بعد أربعين سنة أو أقل أو أكثر، فعلى ذلك لا يحتمل أن يخفى عليهم إذا لم يكن في الوعد توقيت أنه يجوز أن يتأخر وأن يتقدم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: يفعل.
[2] م: انفاق.
[3] روي ذلك عن الكلبي، انظر: *بحر العلوم* للسمرقندي، ٣/٢٥٨؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٥/٣٢٢.
[4] ن + وقال بعضهم فجعل من دون التحريم بالحديبية والحل فتحا قريبا وهو فتح خيبر.
[5] ر م: وصدهم المشركون.
[6] ر م: أما.
[7] ر ث م: يخبر.
[8] ر ن م – أن.
[9] ن – رؤيا.

ثم فيما ذكرنا من أمر الحديبية وصد المشركين إياهم عن دخول مكة والحيلولة بينهم وبين ما قصدوا أنه لا يحتمل أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد الحج وزيارة البيت مع أصحابه بلا أمر منه بذلك لما ذكرنا. ثم إن ثبت له الأمر بذلك على علم من الله تعالى أنه لا يصل إلى تحصيل المأمور به وما قصدوا من دخول مكة زائرين وما يكون من المشركين من المنع لهم والصد عن ذلك[١] وما أرادوا[٢] تحصيل ما أمرهم بذلك فهذا دليل على أن الله تعالى قد يأمرهم ويريد غير الذي أمر به / وأنه يريد ما علم أنه يكون منهم دون[٣] الذي أمر به. [٧٣٨و]
وهو كما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثم كان حقيقة المراد بالأمر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش، دل أن الأمر بالشيء لا يدل على أنه أراد الذي أمره به، بل يريد ما علم أنه يكون منهم من خلافه وضده. ***والله أعلم***.

**﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى**، أي أرسله بالهدى من كل ضلال وحيرة،[٤] أو أرسله بالبيان من كل عمى وشبهة، وهو هذا القرآن الذي سماه مرة بيانا و[٥]مرة هدى ورحمة ونورا ونحو[٦] ذلك. وهو ما وصفه جل وعلا أن من تمسك به يكون له[٧] ما ذكر[٨] هدى من كل ضلالة وحيرة ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل عمى وشبهة. ***ولا قوة إلا بالله***.
وقوله عز وجل: **ودين الحق**، جائز أن يكون الحق هو نعت الدين وهو الإسلام، وهو الدين الحق وسائر الأديان باطلة. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **ودين الحق**، أي دين الإله الذي هو الإله الحق وهو الإله المستحق للألوهية،[٩] وغيره من الأديان دين الشيطان. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[١] ن + ثبت أنه أراد ما علم أنه يكون منهم من الامتناع عن مقصودهم والصد عن ذلك.
[٢] ن ث: وما أراد.
[٣] ر م – دون.
[٤] ر م: أو حيرة.
[٥] ر م – مرة بيانا و.
[٦] ث: ويحق.
[٧] جميع النسخ – له. والزيادة من الشرح، ورقة ٤٦ او.
[٨] ن: أما ذكر
[٩] جميع النسخ: الألوهية. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ليظهره على الدين كله**، الإظهار هو الغلبة، ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجهين.[1] أحدهما أي غلب هذا الدين على الأديان كلها بالحجج والبراهين أنه حق وأنه من عند الله جاء، وقد كان بحمد الله كما ذكر حتى عرف أهل الأديان كلّها بالحجج والبراهين أنه حق إلا من كابر عقله وعاند الحق أو غفل عن دلائله. *ولا قوة إلا بالله*.

والثاني يغلب على الأديان كلها، أي يغلب على أهل الأديان كلهم حتى يصيرَ أهل الإسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ويتوارى جميع أهل الأديان ويختفوا. ولكن ذلك في وقت دون وقت وهو الوقت الذي ذكره بعض أهل التأويل وهو في وقت خروج عيسى عليه السلام يصير أهل الأديان كلهم أهل دين واحد وهو الإسلام. وجائز أن يكون قوله: **ليظهره على الدين كله**، أي يُظهر ما يحتاج أهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة على الأديان كلّها بما ضمّن في القرآن معاني يقع الكفاية بها في الحوادث كلها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكفى بالله شهيدا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **وكفى بالله شهيدا**، بأن ما جاء به سيدنا[2] محمد صلى الله عليه وسلم إنما[3] جاء به من عند الله، فإن كان التأويل هذا فإنما يكون هذه الشهادة في الآخرة. والثاني يحتمل قوله تعالى: **وكفى بالله شهيدا** بما أنشأ له من الآيات والحجج والبراهين وجعلها آيات رسالته ونبوته، أي كفى بما أنشأ له من الآيات والحجج[4] شهادة منه على رسالته ونبوته وذلك في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **محمد رسول الله**. من الناس من احتج على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وبغيرها من الآيات، يقول: لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن إلا وخاطبه باسم الرسالة أو النبوة،[5]

---

[1] ن + كله.
[2] ن – سيدنا.
[3] ر ث م: أي بما.
[4] ر ث م – والبراهين وجعلها آيات رسالته ونبوته أي كفى بما أنشأ له من الآيات والحجج.
[5] ر م: والنبوة.

كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ،[١] و يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ،[٢] وقوله:[٣] **محمد رسول الله**، ونحو ذلك، وسائر الأنبياء عليهم السلام إنما خاطبهم بأسمائهم التي جعلت لهم خلقة دون ضم[٤] الرسالة والنبوة، كقوله: يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا، ويَالُوطُ،[٥] ويَا مُوسَى،[٦] ويَا هَارُونُ،[٧] ويَا هُودُ،[٨] ويَا صَالِحُ،[٩] جميع من ذكرهم سواه إنما ذكرهم بأسمائهم الموضوعة في أصل الخلقة، ولم يُحلّوا ولم يُسَمَّوا بأسماء الرسالة والنبوة، وذلك[١٠] لفضل جعل له من بين غيرهم. وكذلك يَحتجّ لتفضيل أمته وأصحابه على سائر الأمم حيث خاطب هذه الأمة[١١] بأحسن الأسماء فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا،[١٢] وقوله: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ،[١٣] وقال في سائر الأمم: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١٤] ويَا بَنِي آدَمَ،[١٥] ونحو ذلك. ومما يدل على فضيلتهم قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ،[١٦] الآية، أي كنتم خير أمة في الكتب المتقدمة بما ذكر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والذين معه أَشِدّاء على الكفار رحماء بينهم**، الآية، يحتمل[١٧] ما وصفهم ونعتهم يرجع إلى أصحابه على الاجتماع، أي الكل موصوفون بهذه الصفات[١٨] التي ذُكِر في الآية وأنها كلها فيهم، وهو كقوله تعالى في صفتهم: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[١٩]

---

[١] سورة الأنفال، ٨/ ٦٤، ٧٠.
[٢] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[٣] ر ن م: وقول.
[٤] ر م: ختم.
[٥] سورة هود، ١١/٤٨، ٨١.
[٦] سورة الأعراف، ٧/١٤٤.
[٧] سورة الصافات، ٣٧/١٢٠.
[٨] سورة هود، ١١/٥٣.
[٩] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[١٠] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٦و.
[١١] م: الآية.
[١٢] سورة البقرة، ٢/ ١٠٤.
[١٣] سورة النور، ٢٤/٣١.
[١٤] ر - يا بني إسرائيل. سورة البقرة، ٢/٤٠، ٤٧.
[١٥] سورة الأعراف، ٧/٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥.
[١٦] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[١٧] ر م - يحتمل.
[١٨] ر م: الصفاة.
[١٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).

أي أشدّاءَ على الكفار ورحماءَ على المؤمنين، وصفهم بذلك جملة فعلى ذلك هاهنا. ويحتمل أن يكون ذلك وَصْفَ بعضهم دون بعض أو وصفَ عامّتهم فأما الكل فلا، وذلك نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث[1] قال: لولا قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾،[2] ما كنا نعرف أن[3] أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا.[4] فإنما يكون ذلك وصف أمثال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ثم قد جعل الله تعالى الرحمة والرأفة نعتا للمؤمنين يتراحم بعضهم بعضا. وكذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا»،[5] قالوا:[6] كلنا نتراحم ولده. فقال: «ليس ذلك برحمة إنما الرحمة أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولولده»،[7] أو كلام نحوه. وروى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون كلهم كرجل واحد إن اشتكى عنه تداعى[8] له سائر جسده / بالسَّهر والحُمَّى».[9] وليس فيما وصفهم بالشدة [٧٣٨ظ] على الكفار على أن ليس لهم شَفَقَةٌ عليهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت يُهلك نفسه لذلك. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾،[10] وقال:[11] ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾،[12] فعلى ذلك أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

[1] م – حيث.

[2] ﴿ولقد صدقكم الله وعدَه إذ تَحُسّونَهم بإذنه حتى إذا فَشِلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٢).

[3] م – أن.

[4] قال ابن مسعود: ما كنت أظن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدًا يريد الدنيا، حتى قال الله ما قال. (*تفسير الطبري*، ٤/١٧٣-١٧٤).

[5] ن ر: تتراحموا. روي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفشوا السلام بينكم تحابوا والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا» قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة» (*المستدرك على الصحيحين*، للنيسابوري ٤/١٨٥).

[6] ر م: قال.

[7] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٧؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٧١).

[8] ن: يداعي.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٢٧٠؛ و*صحيح البخاري*، الأدب ٢٧؛ و*صحيح مسلم*، البر ٦٦.

[10] سورة فاطر، ٣٥/٨.

[11] ر م: قال.

[12] سورة الشعراء، ٢٦/٣.

ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة، وإن كان في الظاهر ليس برحمة، لأنه وُضع لِيَضْطَرَّهم ذلك إلى قبول الإسلام والتوحيد وفي قبولهم ذلك نجاتهم. وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين ليس فيه أنهم ليسوا بأشدَّاء عليهم إذا عاينوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التغيير عليهم، بل من الشفقة لهم عليهم ما يغيّرون عليهم المنكر، إذ في ذلك نجاتهم؛ وذلك لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها، بل ذلك من الشفقة لهم والرحمة. *والله أعلم*.

ثم نعتهم وقال: **تراهم رُكَّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود.** وقوله عز وجل: **تراهم ركعا سجدا**، يحتمل وجهين. أحدهما وصف لهم بالمداومة في إقامة الصلوات بالجماعات وأراد بالركوع والسجود[1] الصلاة على طريق الكناية. والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يبتغون فضلا من الله ورضوانا**، يحتمل قوله: **يبتغون فضلا من الله**، أي[2] الجنة، أي يبتغون بكل ما وصفهم من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة؛ والفضل يُذكر عبارة عن الجنة في القرآن في غير موضع.[3] وجائز أن يكون ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيّشون به.[4] وقال بعضهم: **يبتغون فضلا من الله**، أي يبتغون[5] معيشة يَتَقَوَّوْنَ بها على طاعة الله. وقوله عز وجل: **ورضوانا**، أي رضاء ربهم،[6] وهو بمعنى الفضل أيضا على التكرار للتأكيد، كقوله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ،[7] لكنه أخبر أنهم يبتغون ذلك الفضل والرضوان من الله تعالى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**، اختلف فيه. قال الحسن وغيره: أي أثرُ الخشوع والصلاة في وجوههم. وقال بعضهم: إن الرجل إذا قام من الليل فأطال القيام والسَّهرَ تَبَيَّنَ سهر الليل في وجهه إذا أصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا.

---

[1] جميع النسخ + هو. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٦ظ.
[2] م - أي.
[3] ر ث م: مواضع.
[4] جميع النسخ + وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله أي يبتغون ما يتعيشون به (م - به).
[5] ث - ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله؛ م + فضلا من الله يبتغون.
[6] ر: رضاء بهم.
[7] ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/١٠).

وكذلك روي عن الحسن قال: قال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله قوما يَحْسَبهم الناس مرضى وما هم بمرضى»، قال الحسن: أَجْهَدَتْهم[2] العبادة.[3] وقال قتادة: أثر الصلاة في وجوههم، وهو أثر التراب.[4] لكن ذلك بعيد. وقال بعضهم:[5] **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**، يوم القيامة وهو بياض وجوههم من أثر السجود والوضوء. وكذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني أعرف أمتي من بين غيرها من الأمم»، قيل: وكيف تعرف يا رسول الله أمتك من بين الأمم؟ فقال: «أمتي غُرٌ مُحَجَّلون[6] يوم القيامة من أثر السجود»،[7] ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم من آثار العبادة له والجهد فيها من النور والحلاوة والحُسْن ما يُعرَفون أنهم أهل عبادة الله[8] تعالى وطاعته. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، يحتمل وجوها. أحدها[9] أي شِبْهُهم في التوراة والإنجيل كشِبْه الأَجِلَّة من أهل التوراة والإنجيل:[10] الآحاد والأفراد منهم المختارين[11] من بين غيرهم الذين يعظّمونهم الأتباع والملوك ويُبَجّلونهم،[12] فما بالكم لا تعظّمون أنتم هؤلاء ولا تتبعونهم[13] كأولئك. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، أي ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة والإنجيل، أي على ذلك نعتوا ووُصفوا في التوراة والإنجيل،

---

[1] ر م – قال.

[2] ر م: أجهدتم.

[3] *كتاب الزهد والرقائق* لابن المبارك، ٩٨/١.

[4] نسبه الطبري إلى عكرمة، انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٤/٢٦.

[5] ر م – بعضهم.

[6] «أمّتي الغُرّ المُحَجَّلُون» أي بيضُ مَواضع الوُضوء من الأيدي والوجْه والأقْدام. استَعار أثرَ الوضوء في الوجْه واليَدَين والرِّجلين للإنسان من البَياضِ الذي يكون في وجْه الفَرس ويَدَيْه ورِجْلَيْه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «حجل»).

[7] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٩/٤.

[8] ن: لله.

[9] ر: أحدهما.

[10] ر م – كشبه الأجلة من أهل التوراة والإنجيل.

[11] جميع النسخ: المختارون.

[12] ر م: ويجلونهم.

[13] ر ث م: ولا يتبعونهم.

وقد عرفتم ذلك فهلّا اتبعتموهم إذا نعتوا ووصفوا[١] في القرآن.[٢] و[الثالث] قال بعضهم: قوله: **ذلك مثلهم في التوراة**، مقطوع مقصود وهو ما تقدم من قوله: **والذين معه أشداء على الكفار** -إلى قوله- **من أثر السجود**، ثم ابتدأ[٣] فقال: **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأه**، الآية، وهذا يحتمل وهو[٤] وجه حسن. وعلى التأويلين الأولين ما ذكرنا من وصفهم كأنه في التوراة والإنجيل جميعا، ثم نعتهم أيضا بقوله تعالى: **كزرع أخرج شطأه**. *والله أعلم*. ثم ذكر نعت أصحابه رضي الله عنهم في هذه الآية ولم يذكر نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما ذكر نعته في آية أخرى وهو قوله تعالى: ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ،[٥] الآية؛ ذكر نعته وصفته في الآية صلى الله عليه وسلم ونعتَ أصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة. *والله أعلم*.

ثم [في][٦] قوله عز وجل: **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، الآية، دلالةُ الرسالة، لأنه أخبر أن نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر في القرآن، ثم لم يقل أحد من أهل الكتب المتقدمة، أنْ[٧] ليس ذلك نعتهم أو شِبْهَهم في تلك الكتب، ثبت أنه بالله عرف. / *ولا قوة إلا بالله*. [٧٣٩و]

ثم قوله عز وجل: **كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**، الآية،[٨] شبههم بالزرع الذي ذكر -والله أعلم- لأنهم أَحْيَوا[٩] سنن الدين[١٠] وشرائعه التي كانت من قبلُ بعد ما دَرَسَتْ وانقطع أثرها، لأنه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام رسول فقد انقرض ذلك واندرس. ثم جاء محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات بعد دروس ذلك وانقراضه كالزرع الذي يخرج وحده، وهو النبت الواحد في أول ما يَخرج،

---

[١] ن - في التوراة والإنجيل وقد عرفتم ذلك فهلا اتبعتموهم إذا نعتوا ووصفوا.
[٢] ن + والله أعلم.
[٣] ن: ثم ابتداء.
[٤] ر م - هو.
[٥] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف ١٥٧/٧).
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٦ظ.
[٧] ر ن م: أي.
[٨] ن - الآية.
[٩] ر ث: أحيو.
[١٠] ر م: الذين.

فأعانه أصحابه وآزروه كالوالية[1] التي تنبت[2] حول الساق تُؤَازِرُ[3] الْخِنْفة[4] والنبت. فأما **شَطْأَه** فقيل: هو[5] محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج أولُ النبت وحدَه، وأما الوالية التي تنبت[6] حول الشطأة فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان أولُ الزرع دقيقا، ثم زاد نبت الزرع فغلُظ: **فآزره فاستغلظ**، كما آزر المؤمنون بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستوَوْ على أمرهم كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سُوقه. ثم احتمفوا في الشطْأة، قال أبو عَوْسَجة: هو قَصَب الزرع أي صار له [قصبٌ]،[7] وأشطأ[8] الزرع، أي صار له ورق، **فآزره** أي قوّاه، **سُوقِه** جمع ساق. وقال أبو عبيدة: شطء الزرع فِراخه[9] وصغاره،[10] يقال: قد أشطأ[11] الزرع فهو مُشطئ إذا أفرخ.[12] وقال الفَراء: **شَطْأَه**، أي سُنْبُلَه تنبت[13] الحبة عشرا وتسعا وثمانيا،[14] **فآزره** أي أعانه وقواه. قوله:[15] **فاستغلظ**، أي غلُظ، **فاستوى على سوقه**، جمع ساق،[16] ومنه يقال: قام كذا على سوقه، إنما يراد[17] به تناهَى وبلَغ الغايةَ، يقول -والله أعلم-: كما أن الزرع إذا قام على السوق فقد استحكم. فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم،[18] إذ[19] خرج وحده

---

[1] ر ث م: كانوا إليه. أي كالنبات التي تنبت في قربه.
[2] جميع النسخ: ينبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[3] جميع النسخ: يوازر. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: الحنقة؛ ن: خلقلة؛ ث: احفنة. الخِنْفَة: ما يجيء بعد الشيء، كالغصن ينبت في جِذْع الشجرة (*المعجم الوسيط*، «خنف»).
[5] ن ث – هو.
[6] ث: ينبت.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[8] ر م: واسط؛ ن ث: واشط. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[9] ر م: فراغه.
[10] ر: وصفارة.
[11] ر ن: أشطئ.
[12] ر م: فرغ. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٨.
[13] جميع النسخ: ينبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[14] ر: وثمانية.
[15] ن – قوله.
[16] *معاني القرآن* للفراء، ٣/٦٩.
[17] ر ث: زاد؛ م: أرد.
[18] ن: عليه الصلاة والسلام.
[19] ر ث م: أي

وحده فأيده بأصحابه فقوي واشتدّ، كما قويت[1] الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى غلُظت[2] وعظُمت واستحكمت.[3] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يُعجب الزُّرّاع لِيَغِيظَ بهم الكفار**، قال بعضهم: الزراع[4] هو محمد صلى الله عليه وسلم، يُعجب محمدا ما رأى من أصحابه والمؤمنين ويَغيظ الكفارُ بذلك[5] من الغيظ، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ –إلى قوله تعالى– هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ.[6] وقال بعضهم: **الزراع** هو صاحب الزرع **[يعجب الزراع]**[7] إذا كثر جوانبه ووالياته وتنبت،[8] **ليغيظ بهم الكفار**، أي يغيظ ذلك سائر الزّرّاعين. وقال بعضهم: كما يعجب الزّرّاع حسن زرعه حين استوى قائما على ساقه، فكذلك يَغيظ الكفارَ كثرةُ المؤمنين واجتماعهم. وقال بعضهم: هم الزُّرّاع سُمُّوا كفارا،[9] لأنهم يَكفرون أي يسترون[10] البَذْر في الأرض. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مَغْفِرَةً وأجرا عظيما**، [قال بعضهم: قوله: **منهم**، حرف "من" هاهنا بحق الصلة، أي لهم مغفرة وأجرا عظيما]،[11] وذلك كثير في القرآن. وقال بعضهم هو ليس بصلة بل أريد بها ما وضعت له، وهو التبعيض من جملة سائر البشر كأنه يقول: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات**[12] من بين غيرهم من الناس **مغفرة وأجرا عظيما**. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: قوي.
[2] جميع النسخ: غلظ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٣-٤١٤؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٦٩/٣.
[4] ت – قال بعضهم الزراع.
[5] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[6] ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فَلْيَمْدُدْ بسبب إلى السماء ثم لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ (سورة الحج، ١٥/٢٢).
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.
[8] ر ت م: نبت.
[9] م: كفور.
[10] ت + الزرع.
[11] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[12] ر ث م – وذلك كثير في القرآن وقال بعضهم هو ليس بصلة بل أُريد بها ما وضعت له وهو التبعيض من جملة سائر البشر كأنه يقول وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله، لقولهم:[1] إنهم[2] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الإسلام جميعا، أو كلام نحوه، وفي الآية[3] رد لقولهم لأنه وعد لهم المغفرة وما ذكر من[4] الأجر[5] العظيم فلا يحتمل أن يكونوا على ما ذكر أولئك، ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الأجر العظيم. فدل ما ذكر من الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم أنهم ثبتوا على ما كانوا من قبلُ في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته.
**والله أعلم**.[6]

---

[1] ن: كقولهم.
[2] أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
[3] ر م: في الآية.
[4] ن - وما ذكر من.
[5] ن: والأجر.
[6] ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحجرات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، قال بعضهم: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهما فنزل قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، إلى آخر ما ذكر من قوله: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ.[3] وذكر عن الحسن في قوله تعالى: **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، أي لا تذبحوا قبل ذبح النبي يوم النحر. وذلك أن ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر.[4] وقال قتادة: ذكر لنا أن رجالا كانوا يقولون: لو أُنزل كذا وكذا أو صُنع كذا وكذا، فنزلت هذه الآية[5] وأمرهم أن لا يسبقوا نبيه[6] صلى الله عليه وسلم بقول[7] ولا عمل حتى يبين الله بيانه، وأمثالَ ذلك قد قالوا.

**والله أعلم.**

---

[1] ر – سورة الحجرات؛ ن م + ذكر أنها مدنية؛ ث + وهي ثمان وعشرة آيات مدنية.

[2] ن – قوله.

[3] الآية التالية. *تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٦/٧.

[4] *تفسير الطبري*، ١٥١/٢٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٧/٧.

[5] *تفسير الطبري*، ١٥١/٢٦؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧.

[6] م: بسيه.

[7] ن: يقول.

وأصل ذلك عندنا في قوله:[1] **يا أيها الذين آمنوا**، الآية، أي[2] يا أيها الذين آمنوا اعمموا[3] أن لله[4] الخلق والأمر لا تقدموا أمرا ولا قولا ولا فعلا ولا حكما ولا نهيا سوى ما أمر الله تعالى به ورسولُه صلى الله عليه وسلم وغيرَ[5] ما نَهى عنه. بل اتبعوا أمره ونهيه وراقبوه على ما آمنتم به[6] وأقررتم بأن له الخلق والأمرَ فاحفظوا أمره ونهيه ولا تخالفوه[7] ولا رسوله في شيء من الأمر [٧٣٩ظ] / والنهي. فهذا يدخل فيه كل شيء وكل أمر من القول والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك، على ما ذكرنا من إيمانهم بأن له الخلق والأمر في الخلق. إذ مثل هذا الخطاب لو كان لواحد خاص لكان حكمه يلزم الكل، وكذلك لو كان في أمر واحد وفعل واحد كان يدخل في ذلك جميع الأمور. فكيف والخطاب بذلك عامّ مطلق فهو للكل وفي كل الأمور؟ ***والله الموفق***. وعلى ذلك ما روي عن مسروق أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فأمرت الجاريةَ أن تَسقيه، فقال: إني صائم، وهو اليوم الذي يُشكّ فيه. فقالت له: قد نُهي عن هذا وتلت[8] قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، في صيام ولا غيره.[9] اعتبرت عائشة رضي الله عنها عموم الآية في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ومخالفةِ النبي صلى الله عليه وسلم في قول أو فعل. وكذلك روي عن أبي عُبَيْدةَ مَعْمَر بن المثنى قال في قوله: **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، أي لا تعجلوا[10] بالأمر والنهي دونه.[11]

وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله سميع عليم**، أي اتقوا مخالفة أمر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله فيما يأمركم بأمر الله ونهيه، وفي كل ما دعاكم إليه. **إن الله سميع** لأقوالكم، **عليم** بأفعالكم وأعمالكم. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] جميع النسخ: من قوله. والتصحيح من *الشرح*، ١٤٧ظ.
[2] ن - أي.
[3] ر م: اعمموا.
[4] ر: الله.
[5] ر ث م: وغيره.
[6] جميع النسخ: ما أنتم به. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: ولا يخالفوه.
[8] ن: وتبت.
[9] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٢٦٠.
[10] جميع النسخ: لا تعجلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧ظ.
[11] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٩.

ثم لم يفهموا مما ذَكَر في قوله: **بين يدي الله ورسوله**، الجوارح[١] ولا العدد في اليد كما فهموا من دلك في الخحق فما بالهم يفهمون ذلك من قوله: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[٢] بل يجب أن يفهموا من قوله: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[٣] أي[٤] خلقتُه على علمٍ مني بما يكون منه خلاف[٥] أو معصية،[٦] لم أخلقه عن جهل بما يكون منه. وهو ما ذَكَر في قوله تعالى: وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. و خَبِيرٌ،[٧] أي عن علم بأحوالهم وما يكون منهم أنشأهم لا عن جهل بذلك. فعنى ذلك هذا كما فهموا من قوله: **لا تقدموا بين يدي الله**، أَمْرَ الله ونهيه دون الجوارح والعدد. ***والله الموفق.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم**، إلى قوله: **لبعض**. قال بعضهم: إن الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهما.[٨] وقال بعضهم: إنها نزلت في قوم كانوا إذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل[٩] قول النبي صلى الله عليه وسلم.[١٠] وعندنا لا يحتمل أن يكون ما ذَكَر من رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهرِ بالقول له وما ذكر من التقدم[١١] بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي أن يكون الخطاب لذلك الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره ونهيه، إذ لا يحتمل منهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ويجهروا له بالقول، أو يقدموا[١٢] بين يديه في أمر ولا نهي

[١] ن: والجوارح.
[٢] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[٣] ر ث م - بل يجب أن يفهموا من قوله خلقت بيدي.
[٤] ن: أن.
[٥] ن: خلافا.
[٦] ن: ومعصية
[٧] سورة الحديد، ٤/٥٧، ١٠.
[٨] *تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧؛ *والدر المنثور* لسيوطي، ٥٤٦/٧.
[٩] ن: قيل.
[١٠] ث + عن شيء قالوا فيه.
[١١] ر: من تقدم.
[١٢] جميع النسخ: أو تقدموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧ظ.

إلا عن سهو أو غفلة أو إذن منه لهم[1] بالمناظرة والمحاورة[2] في العلم فعند ذلك يرتفع أصواتهم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجلّ في قلوبهم وأعظمَ قدرا من أن يتجاسروا التقدم بين يديه بأمر أو قول أو رفع صوت أو جهرِ القولِ له. فيكون الآية في أهل الشرك وفي أهل[3] النفاق. **والله أعلم.**

ثم إن كان الخطاب بذلك للذين آمنوا فهو على وجهين. أحدهما أن ذلك منه ابتداءُ محنة امتحنهم بذلك وأمرهم به من غير أن كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين يديه ورفع الصوت والجهر له بالقول. ولله[4] تعالى أن يمتحن ويأمر وينهى من شاء بما شاء ابتداءَ امتحانٍ منه لهم. وهو[5] ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم السلام عن الشرك والمعاصي وإن كانوا معصومين عن ذلك، لأن العصمة لا تمنع[6] النهي لان العصمة إنما تكون[7] عصمة إذا كان هناك[8] أمر ونهي. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من النهي عن التقدم والرفع بالصوت والجهر بالقول -وإن لم يكن منهم شيء مما ذُكِر- ابتداءَ محنةٍ منه لهم. **والله أعلم**. ويحتمل أنه خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم[9] بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من الكافرين، إذ كان يشهد مجلسه أهل النفاق وسائر الكفرة، لئلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**. ذكر هذا ليكونوا[10] أبدا متيقظين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذِرين معظِّمين له في كل وقت، لئلا يكون منهم في وقت من الأوقات ما يخرج مجرى الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فيُحبط[11] ذلك أعمالهم؛

---

[1] ر ث م – لهم.
[2] ر ن م: والمجاوزة.
[3] ر م: في أهل.
[4] ر: والله.
[5] ر ث م: وهم.
[6] جميع النسخ: لا يمنع. والتصحيح من *الشرح*، ١٤٧ظ.
[7] جميع النسخ: إنما يكون.
[8] ر: هنالك.
[9] ن: رضوان الله عليهم أجمعين.
[10] ن: ليكون.
[11] ر ث م: فتحبط

لأن[1] هذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يُكَفِّر صاحبه ولا يكون معذورا وإن فعله على السهو والغفلة، لأن له قدرة الاحتراز وإمكان[2] التحذّر[3] وإن كانوا معذورين فيما بينهم على غير التعمد والقصد، ولا مؤاخذةَ لهم برفع[4] الله تعالى المؤاخذة عنهم فيما بينهم.[5] ولم يرفع في حق النبي عليه أفضل الصلوات، مع[6] أن الكل في حد جواز المؤاخذة. *والله أعلم.*

وذكر الكرابيسي[7] فقال: ومن حكمة الآية عند قوم حبوط الأعمال بالكبائر على ما روي عن الحسن قال: أَمَا يشعر هؤلاء الناس / أن عملا يُحبط أعمالا، والله يقول: **يا أيها الذين آمنوا،** [٧٤٠و]
الآية.[8] وقيل: المراد بالآية[9] أن يناوئ[10] بشؤم تلك المعصية إلى أن يَهُوَن عليه ارتكاب الكبيرة يستحقرها حتى يَخِفَّ عليه الكفر فيكفر فتصير[11] المعصية[12] الأولى –وإن قلّت– سببا لحبوط[13] ثواب أعماله فإن أساس كل خطير حقير. ونحن نقول: إن المعصية لا تحبط[14] الطاعة ولكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك كفر والعياذ بالله.[15]

---

[1] ر ث م: أن.

[2] جميع النسخ: وأمكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨و.

[3] ث م: التحذير.

[4] ن: يرفع.

[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦.

[6] ن – مع.

[7] هو الحسين بن علي بن يزيد، أبو علي الكرابيسي، فقيه من أصحاب الإمام الشافعي. له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه والجرح والتعديل. وكان متكلما، عارفا بالحديث، من أهل بغداد. نسبته إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة كان يبيعها. توفي سنة ٢٤٨هـ /٨٦٢م. انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢/٢٤٤.

[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٣٣/٤٧). وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر. تفسير البغوي، ٢٩٠/٧.

[9] ر ث م: عن الآية.

[10] جميع النسخ: أن ينادي. المناوأة: المفاخرة (*لسان العرب*، «نوأ»).

[11] ر م: فيصير.

[12] ن ث – إلى أن يهون عليه ارتكاب الكبيرة يستحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكفر فتصير المعصية.

[13] م: سبب الحبوط.

[14] ن: لا يحبط.

[15] ر ث م – والعياذ بالله.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**، دلت هذه الآية أن الآيتين اللتين تقدم ذكرهما من قوله تعالى: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ،[١] وقوله عز وجل: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ[٢] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ،[٣] في أهل الشرك أو[٤] في أهل النفاق. فأما أصحابه[٥] الذين صحبوه وآمنوا به وعرفوا[٦] أنه رسول[٧] رب العالمين فلا يحتمل أن يكون منهم ما ذُكر من رفع الصوت عنده وجهر القول به والنداء له باسمه من بُعْدٍ، إنما ذلك به فعل من ذكرنا من أهل النفاق أو الشرك.[٨] فأما الذين آمنوا به و صدقوه وعرفوا أنه رسول فلا يحتمل منهم سوى التعظيم له والتوقير والتشريف لما عرفوا أن[٩] نجاتهم وشرفهم وعزهم في الدنيا والآخرة بتعظيمه وتوقيره، فكيف يحتمل منهم[١٠] ذلك؛ بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلا من أن يرفعوا[١١] أصواتهم أو يُقدّموا[١٢] بين يديه أو النداءَ من بُعد. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**، هذا وصف المؤمنين أنه[١٣] امتحن قلوبهم للتقوى[١٤] فوجدها صافية خالصة لذلك. والامتحان هاهنا هو التصفية والإخلاص، يقال امتحن الذهبَ إذا أخلص وصفّى الصافيَ منه والخالص من غيره. وقوله عز وجل: **هم مغفرة وأجر عظيم**، ظاهر.

---

[١] الآية الأولى من هذه السورة.
[٢] جميع النسخ + وقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨و.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ر م - في أهل الشرك أو.
[٥] ر م: فأما أصحاب.
[٦] ر ث م: عرفو.
[٧] ر ث م - رسول.
[٨] ر م: والشرك.
[٩] ن: إذ
[١٠] ر م: عنهم.
[١١] ن: أن ترفعوا.
[١٢] ر: أو يتقدموا؛ ن ث: أو تقدموا؛ م: ويقدموا. والتصحيح من المرجع السابق
[١٣] ر م - أنه.
[١٤] ن - هذا وصف المؤمنين أنه امتحن قلوبهم للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**. هذا وصفُ مَن ذكرنا من أهل الشرك والنفاق، وقال بعضهم: إن نفرا من الأعراب جاءوا وقالوا: ننطلق[١] إلى هذا الرجل -يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم- فإن يكن رسولا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعيش في جناحه. فأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات: يا محمدُ فنزلت هذه الآية.[٢] وقال بعضهم: كان النبي صلى الله عليه وسلم سَبَى ذراريَّ بني تميم ونساءهم،[٣] فأتوا يطلبون منه تخلية سبيل أولئك وإعتاقهم وردَّهم إليهم،[٤] فنادوه من وراء الحجرات، فأعتق بعضهم وفَدَى بعضا فنزلت الآية.[٥]

وقوله: **أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم**، لأن ذلك أعظم لقدره وأجل لمنزلته وأعرف لحقه وأحفظ لحرمته. ثم قوله:[٦] **أكثرهم لا يعقلون**، يحتمل وجوها. أحدها[٧] أكثرهم لا يعرفون قدره ومنزلته وإن كان قليل منهم يعرفون ذلك وهم المؤمنون. والثاني أكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون. والثالث أكثرهم[٨] لا يعقلون أنه رسول،[٩] وهم الأتباع والسفلة من الكفرة، وإنما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندون. وفي هذه الآية وفي قوله تعالى: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[١٠] دلالة أن قد يلحق المرءَ حكمُ الكفر ويحبط[١١] العملُ إذا خرج مخرج الاستخفاف وإن لم يعلم به ولم يقصد. **والله أعلم**.

---

[١] ر: نطلق.
[٢] تفسير الطبري، ١٥٧/٢٦.
[٣] ر: ونساؤهم.
[٤] ر: إليه.
[٥] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٥٩/٣.
[٦] ن: وقوله.
[٧] ر م - أحدها؛ ث + أنهم.
[٨] ث - أكثرهم.
[٩] ر م: رسوله.
[١٠] الآية ٢ من هذه السورة.
[١١] ر ث م: وتحبط.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**، أجمع[١] أهل التأويل أو عامّتهم على أن الآية نزلت في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الْمُصْطَلِق وإلى قوم سواهم لجباية الصدقات، وكان بينه وبين أولئك القوم عداوة في الجاهلية. فخرجوا يتلقونه فخافهم لذلك[٢] فرجع وقال:[٣] إن القوم قد منعوا الصدقات. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية الصدقات فوجدهم يصلّون ويعملون الطاعات، واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجَبَوْها وسلّموها إليه. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**. لكن إن كان ما ذكروا فلم يكن في ذلك النبإ التثبت لأن الآية نزلت بعد نبإ الرجل وفي الآية الأمر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يَحدث من الأمور من بعدُ. فدل أن الآية نزلت لبيان الحكم في نبإ الفاسق ابتداءً. *والله أعلم*. ولأنه يحتمل أن يكون ذلك الرجل منافقا، ولم يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر المنافق ولم يَشْرَع ذلك، لأن النفاق يكون في الضمير فلا يظهر ذلك فأما الفسق فإنه يظهر فأمر لنا بالتثبت فيه. فدل أن الآية لم ينزل في ذلك الرجل، إذ لا يحتمل غير[٤] المنافق أن يُزوّر على المسلمين مثلَ ما ذكر منه، دل أن ما قاله أهل التأويل فيه وَهْم. *والله أعلم*.[٥]

ثم في الآية دلالة قبول خبر الواحد إذا كان عدلا، لأنه لو لم يقبل خبره إذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم والشتم سفه فلا يجوز أن يوصف الله تعالى [به].[٦] فدل ذكر الفسق على أن هذا الحكم وهو رد الشهادة مختص باسم الفسق وأن العدل لا يشاركه[٧] فيه حتى لا يكون[٨]
[٧٤٠ظ] ذكر الفسق سفها / لما تعلق به بيان حكم شرعي يختص بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره.

---

[١] ر م: جميع.
[٢] ر م – لذلك.
[٣] ر م: قاب.
[٤] ر م: عن.
[٥] ر ث م – والله أعلم.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٨ظ.
[٧] ر ث م. لا تشاركه.
[٨] ر ت م – لا يكون.

فأما متى كان الحكم عاما في الفاسق والعدل عند الانفراد فكان ذكر الفاسق يبقى شتيمةً[١] وأنه لا يليق بالحكمة، فدل ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أَنْ تُصِيبُوا قوما بجهالة**، أي تصيبوا قوما بجهالة في الظاهر بسبب تهمة الفسق، فأما في الحقيقة فإنه يجوز أن يُصيبَ[٢] ذلك بخبر العدل.[٣] لكن الأحكام وقبول الأخبار[٤] فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وإنما وضعت على الظواهر وكذلك قبول الشهادات والحكمُ بها. وجميع الشرائع التي جعلت في الناس إنما هو على الظواهر من الأحوال والأمور فأما على إصابة حقيقة ذلك فلا، إذ قد يجوز أن يحكم الحاكم ويقضي بقتل إنسان وبقطع يده بشهادة[٥] شهود[٦] عنده لما ظهرت عنده عدالتهم ولم يكن في الحقيقة كذلك. وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه:[٧] قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ،[٨] لم يأمن عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية[٩] حين طلبوا منه إرساله ولده يوسف عليه السلام في الرعي، بل قال هنالك: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[١٠] إنما اعتلّ عليهم واحتج بأكل الذئب ولم يَتّهمهم فيه لما[١١] لم يكن ظهر له منهم زلة وجناية؛ فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم وأخبر أنه لا يأمن عليهم بما ظهر له من زلتهم. فدل أن التهمة سبب الرد وأنه يجب التثبت[١٢] لدفع[١٣] الجهالة من حيث الظاهرُ لا للحقيقة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**، أي نادمين بما فعلوا على خلاف ما كان في الظاهر ويندمون لما تركوا التثبت في الخبر.[١٤]

---

[١] ر م: مع شتمه؛ ث: يعني شتمه.
[٢] جميع النسخ: أن تصيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨ظ.
[٣] ر ث م: الواحد.
[٤] ن: الاختيار.
[٥] ر م – بشهادة.
[٦] ر م: بشهود.
[٧] ن – لبنيه.
[٨] سورة يوسف، ٦٤/١٢.
[٩] م: ذلة وخيانة.
[١٠] سورة يوسف، ١٣/١٢.
[١١] ر ث م: مما.
[١٢] ر: التثبت.
[١٣] ر ث م: بدفع.
[١٤] ن + والله أعلم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٧] ﴿فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم،** أي لَأَثِمْتُم. من الناس من احتج بهذه الآية على أن الإجماع ليس بحجة، وقالوا: لو كان إجماعهم حجة لكانوا[١] لا يأثمون لو أطاعهم في كثير من الأمر، لأن الحق والصواب مما لا يوجب الإثم لصاحبه فيمن تبعه في ذلك الصواب والحقِ[٢] إن كان لا يوجب الثواب، دل أنه ليس بحجة يجب اتباعه. ولكن هذا فاسد لأن الحجج والبراهين لم يكن انتهت يومئذ غايتَها ولا أتت على نهايتها. فالإجماع الذي هو إجماع حجةٍ عندنا ويجب اتباعه والانقياد له هو إجماع[٣] من استوعب الحجج والبراهين وأتى على عامتها أو على الجميع.[٤] وكان الوقت وقت نزول الوحي، وإنما يستقر الأحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينقطع الوحي، فيُستدل على استيعاب الحجج ونزول جميع ما يحتاج الناس إليه من حيث الإيداع[٥] في النصوص، فمتى اجتمعوا على ذلك يكون حجة. ولأنه لا إجماع يتحقق[٦] دون رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا وُجد رأيه استُغني عن رأي الغير لما كان ينطق عن الوحي. فإذا لم يكن وقتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان انعقاد[٧] الإجماع حجة بطل[٨] استدلالهم بالآية.

ثم قوله عز وجل: **واعلموا أن فيكم رسولَ الله،** أُرسل إليكم ليزيل عنكم أشكالكم وشُبُهاتِكم فلا عذر لكم في الكفر واعتراض الشُّبَه لكم لما تقدرون[٩] أن تسألوه[١٠] ما أشكل عليكم واشتبه فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم.

[١] ر ث م: لو كان لإجماعهم لكان.
[٢] ر م: ولكن.
[٣] ن: الإجماع.
[٤] ر: أو على الجمع.
[٥] ن: الإبداع.
[٦] ر م: تحقق.
[٧] ن: انقطاع؛ صح هـ.
[٨] جميع النسخ: فبطل.
[٩] ر م: عما يقدرون.
[١٠] ن: أن يسألوه.

والثاني يحتمل: **واعلموا أن فيكم رسول الله**، يُطْلِع الله تعالى إياه على ما تُضمرون[١] في أنفسكم وما تُولِدون من الأخبار التي لا أصل لها ولا أثر ما لو أظهر ذلك لافتضحهم. وهو صلة ما ذكر من قوله: إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا.[٢] ***والله أعلم***. ويحتمل أن[٣] فيكم رسول الله تسألونه ما أشكل عليكم فيخبركم بالحق والأمر على حقيقته[٤] كي لا تصيبوا قوما بجهالة. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: **واعلموا أن فيكم رسول الله**، أي فيكم رسول الله[٥] فإليه الرأي والتدبير في الأمور ومن رأيه وتدبيره يجب أن تصدر[٦] لا عن رأي أنفسكم وتدبيركم، وعلى ذلك يخرج قوله: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ،[٧] على الوجوه التي ذكرنا. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّمْ**، أي لو يطيعكم فيما تدعو[٨] إليه أنفسكم من التمويهات والشبهات وهواها؛ أو يقول لو يطيعكم في الصدور عن آرائكم وتدبيركم في الأمور لعنتم. ثم قال: **ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان**، هذا في الظاهر كناية غير موصولة بقوله: **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**، لأنه لا يليق ذلك إلا على الإضمار كأنه يقول: لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم وإن الله قد أرسله إليكم رسولا وحبب إليكم الإيمان به[٩] وزينه في قلوبكم حتى صار هو في قلوبكم أحبَّ من أنفسكم ومن كل شيء، فالواجب عليكم أن تَصرفوا الأمر إلى رأيه وتدبيره وأن تَصدُروا عن رأيه ولا تعتمدوا على رأي أنفسكم وتدبيركم. ***والله أعلم***. ويحتمل أي لا تَدْعوه إلى أن يطيعكم فيما تهوى به أنفسكم واشهت[١٠] بعد ما[١١] حبّب الإيمان به إليكم وزينه في قلوبكم وكرّه / إليكم الكفر وما ذكر. والله أعلم بحقيقة جهة وَصْل[١٢] هذا بالأول. [٧٤١و]

---

[١] ت: رسول الله على ما يضمرون.
[٢] الآية السابقة.
[٣] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٠ط.
[٤] جميع النسخ: على حقيقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩و.
[٥] ر م – أي فيكم رسول الله.
[٦] ر ت م: أن يصدر؛ ن: أن يصدروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة آل عمران، ١٠١/٣.
[٨] ر م: تدعوا.
[٩] ر م – به.
[١٠] ر ت م: فأشبهت؛ ن: فاشتهست؛ وفي *الشرح*: فاشتهت، ورقة ١٤٩و.
[١١] ر ت م: بعده ما.
[١٢] ر م: جهته وحل؛ ن ت: وحل. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم يحتمل وجهين أيضا. أحدهما لو يطيعكم الرسول في كثير من الأمر لعنتم، والله تعالى ألزمكم طاعته في كل أمر فأطيعوه ولا تطلبوا منه طاعته إياكم في الأمور ولكن أطيعوه أنتم في الأمور كلها، وقد حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق أو الخروج[1] عن أمره والعصيانَ.

والثاني يشبه أن يكون موصولا بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ،[2] **وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان.**

ثم قال الله[3] عز وجل: **أولئك هم الراشدون**، كأنه يقول: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب إليهم الإيمان[4] وزينه في قلوبهم[5] وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان. [ثم قال:] **أولئك هم الراشدون.**[6] أخبر وشهد لهم بالرشاد وأخبر أن ذلك فضل منه إليهم ونعمة لا بشيء كان منهم استوجبوا بذلك. فذلك قوله: **فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم.**

ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى: **حَبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر**، وما ذكر، يقولون: لم يحبب الإيمان إلى هؤلاء إلا وقد حبب مثله إلى جميع الكفار، وكذلك لم يُكرّه الكفر على هؤلاء إلا وقد كره إلى جميع الناس. لكن المراد من تخصيص[7] هؤلاء بما ذكر من التحبيب إليهم الإيمانَ وتكريه الكفر هو اختصاصُهم بما وعد من الثواب والجزاء الجزيل على الإيمان والمواعيد الشديدة على الكفر،[8] فحببه وزينه في قلوبهم بما وعد لهم من الثواب وكرّه الكفر والعصيان إليهم بما أوعد على ذلك من العذاب العظيم.

لكنّ هذا فاسد لأنه ليس مؤمنٌ به صار حُبُّ الإيمان في قلبه لِما ذكروا من الثواب والجزاء ولا كافرٌ أسلم حين أسلم يَخطُر ثواب الإيمان في قلبه حتى يكونَ إسلامه لذلك،

[1] ر ن: والخروج.
[2] الآية ٣ من هذه السورة.
[3] ن – الله.
[4] ر م – الإيمان.
[5] جميع النسخ: في قلوبكم. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٤٩و.
[6] ن – كأنه يقول أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون.
[7] ر ث م: تخصيص.
[8] ر م – على الكفر.

بل كان في قلبه بُغضُ الإيمان قبل الإسلام فإذا أسلم وجد حبّه في قلبه وكراهة الكفر ليُعْلَم أن ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فإذا أعطاه صار ما ذكر. **والله أعلم.**

**﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.** قال بعضهم: كان بين رجلين مُدارَأَةٌ،[١] أي منازعة في شيء فغضب قوم كل رجل حتى كان بينهم تَخْفُقٌ[٢] بالنعال[٣] والأيدي فنزلت الآية. وقال بعضهم: كان بين الأوس والخزرج قتال بالعِصِيّ فنزلت هذه[٤] الآية بالأمر بالصلح بينهم. وقال بعضهم: قتالهم بالعصي والتَّناصي[٥] ونحوهما.[٦] وقال الحسن: إن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك.[٧] وقال قتادة: كان بين رجلين حق فتَدَارَءَا فيه فقال أحدهما: لآخُذنه[٨] عَنْوَةً لكثرة عشيرته، وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.[٩]

وجائز أن يكون الآية فيما كان بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين الحرورية وأهل نَهْرَوَانَ. ذكر أن عليا رضي الله عنه لما قتلهم فقال الناس: هم مشركون؟ فقال علي:[١٠] من الشرك قد فَرّوا[١١] فقالوا: فمنافقون هم؟ قال علي رضي الله عنه: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

---

[١] ر م: مدارة.
[٢] ر ن: حقق؛ ث م: حفق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.
[٣] التخفق: صوت لنعل وما أشبهها من الأصوات. وكل ضرب بشيء عريض تَخْفُقٌ (*لسان العرب*، «خفق»).
[٤] ر م: عنده.
[٥] تناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة (*لسان العرب*، «نصو»).
[٦] جميع النسخ: ونحوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.
[٧] *تفسير الطبري*، ١٦٧/٢٦.
[٨] ر ث: لأخذنه.
[٩] ن - فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك وقال قتادة كان بين رجلين حق فتدرا فيه فقال أحدهما لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الآخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي. *تفسير الطبري*، ١٦٧/٢٦.
[١٠] جميع النسخ: عليه السلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.
[١١] ر م: قد حسدو.

قالوا فما هم؟ قال: هم ناس بَغَوا عينا فقاتلونا فقاتنا هم.[1] ويحتمل أنه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه وبين معاوية[2] يوم الْجَمَل ويوم صِفِّينَ ذُكر عن جعفرَ بنِ محمد عن أبيه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل: هم [قد][3] كفروا، فقال: لا تقل ذلك ولكن هؤلاء قوم بَغَوا عينا وزعموا أنا بغينا عليهم فقاتناهم على ذلك. لكن في الآية الأمر بالصلح إذا كان بينهم -أعني المؤمنين- اقتتال بأي شيء كان، بقوله تعالى: **فأصلحوا بينهما**. وكذلك أمر في غير آي بالصلح والإصلاح، قال تعالى:[4] وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،[5] أي بين المؤمنين.

وهذه الآية حجة على المعتزلة والخوارج، فإنه أبقي اسم الإيمان بعد ما كان منهم الإقتتال[6] والبغي، والقتال والبغي مع أهل الإسلام من الكبائر. دل أن الكبيرة لا تخرج[7] عن الإيمان ولا توجب[8] الكفر. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**، أي[9] فإن ظلمت إحدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي أي تظلم وتجور،[10] **حتى تفيء إلى أمر الله**،[11] حتى ترجع إلى أمر الله وإلى الحق. أمر بمعونة الطائفة التي لم تبغ[12] والانتصار لها من الباغية؛ وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ.[13] وعد عز وجل النصر لهم، فيحتمل أن يكون ذلك النصر الموعودَ في الدنيا ويحتمل في الآخرة. وفي الآية[14] الأمر بقتال أهل البغي من غير قيد بين السيف وغيره / بقوله: [٧٤١ظ]

[1] مصنف ابن أبي شيبة، ٧٠٧/٨، ٧٤٣؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ١٧٤/٧.
[2] ر ث م: ومعوية.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ١٤٩ظ.
[4] ر م: يقال.
[5] ر م + كان. سورة الأنفال، ١/٨.
[6] م: الاقتال.
[7] جميع النسخ: لا يحرج. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٤٩ظ.
[8] جميع النسخ: ولا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن - أي.
[10] ن: يظلم ويجور.
[11] م - أي فإن ظلمت إحدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي أي تظلم وتجور حتى تفيء إلى أمر الله.
[12] ن: لم تبغ.
[13] سورة الحج، ٦٠/٢٢.
[14] ث - الآية؛ صح هـ.

**فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي**. لكن متى أمكن دفع[1] البغي وكَسْرُ[2] مَتَعَتِهم بغير السلاح فهو الحق وهو الواجب. لكن إذا لم ينقمعوا عن البغي إلا بالقتال مع السيف فلا بأس به، فإن عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم وأهل بدر[3] وكان هو محقّا في قتاله إياهم، دل أنه لا بأس بقتالهم بالسيف. وبعضهم قالوا: إن قتال البُغاة لا يجوز بالسيف، وقالوا: إن سبب نزول الآية في القتال بالعِصِيّ والنعال. ولكن لا حجة لهم فيها لأن القتال بين الفئتين وإن كان بالنعال والعِصِيّ ولكن لم يصيروا بغاة في تلك الحال وهو القتال الذي أمر الله تعالى فيه أن يُصلَح[4] بينهم. وإنما يصيرون[5] بغاة بأن لم يجيبوا إلى الصلح و لم يقبل أحد من الطائفتين الصلح، وحينئذ أمر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا**، ذكر أنها وإن فائت ورجعت إلى ما أمر الله تعالى به لا تتركوهما[6] كذلك بغير صلح ولكن أصلحوا بينهما وألِّفوا حتى يتآلفوا، لأن أهل الإسلام نُدبوا إلى التآلف بينهم والجمع وشُرط فيه الصلح بالعدل. فهو -والله أعلم- يقول: إنكم وإن رأيتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل، ولكن أصلحوا بينهم[7] بالعدل ولا تجاوزوا الحد الذي جُعل له،[8] وأكد ذلك قوله: **وأقسطوا**، أي اعدلوا في الصلح، **إن الله يحب المقسطين**، أي العادلين.

**﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[١٠]

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**، أمر الله عز وجل بإصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،[9] وأمر بالإصلاح بين الطائفتين من المؤمنين إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[10]

---

[1] ر ث م: رفع.
[2] ر: وكبر؛ وكثر.
[3] ر م: البدر.
[4] ر ث م: أن تصلح.
[5] ر ث م: يصيروا.
[6] ر ث م: لا يتركوهما.
[7] ث: بينكم.
[8] ر ث م - الذي جعل له.
[9] سورة الأنفال، ١/٨.
[10] الآية السابقة.

وأمر بالإصلاح بين[1] الآحاد والأفراد بقوله: **فأصلحوا بين أخويكم**، لأن الإيمان يوجب التآلف وبالتآلف نُدبوا وإليه دُعوا وبه مَنّ الله تعالى علينا حيث قال: مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ،[2] وقال في آية أخرى: وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.[3] أمر بالتآلف[4] والاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأمر المؤمنين جملة أن يصلحوا ذات بينهم إذا وقع بينهم تنازع واختلاف واقتتال على ما ذكر. *والله أعلم*.

ثم من الناس[5] من استدل بقوله تعالى: **فأصلحوا بين أخويكم** على أن اسم الطائفة تقع[6] على الواحد فصاعدا فقال: إنه ذكر في أول الآية: **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**، ثم[7] قال في آخره: **فأصلحوا بين أخويكم**، فدل أن اسم الطائفة تقع[8] على الواحد فصاعدا.[9] فيستدل بهذا على أن في قوله عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ،[10] يراد بها الواحد، فيدل على لزوم خبر الواحد العدل. لكن عندنا ما ذكر أنه أَمَرَ بإصلاح ذات البين بين جملتهم وأمر بالإصلاح[11] بين فريقين وأمر بذلك بين الآحاد والأفراد، وليس في قوله: **فأصلحوا بين أخويكم** دلالةٌ أنه أراد به الأخوين، أو ذكر: **بين أخويكم** وأراد به الاثنين اللذين كان الاقتتال بينهما وفيهما هاج القتال بينهم. فأما أن يكون اسم الطائفة تقع[12] على الواحد فلا، بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة. *والله أعلم*.

---

[1] ر م – الطائفتين من المؤمنين إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وأمر بالإصلاح بين.

[2] ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٢-٦٣).

[3] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.

[4] ن ث: بالتأليف.

[5] ن – من الناس.

[6] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.

[7] ر م – ثم.

[8] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م + فقال.

[10] سورة التوبة، ٩/١٢٢.

[11] ر م: بالصلاح.

[12] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.

وقوله: **واتقوا الله لعلكم ترحمون.** أي اتقوا مخالفة أمر الله لكي تقع[١] لكم[٢] الرحمة ولكي[٣] تلزمكم[٤] الرحمة.[٥]

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم،** ظاهر الآية نهي للجماعة عن سخرية جماعة، لأن السخرية[٦] إنما تقع[٧] وتكون[٨] في الأغلب بين قوم وقوم، وقل ما يقع بين الآحاد والأفراد فعلى ذلك جرى النهي؛ ولكن يكون ذلك النهي للجماعة[٩] والأفراد والآحاد جميعا. *والله أعلم.*

ثم تحتمل[١٠] السخرية المذكورة في الآية على وجهين. أحدهما في الأفعال يقول: لا يسخر قوم من قوم في الأفعال[١١] عسى أن يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الأفعال، أو خيرا منهم، أي أفعالهم أخلص عند الله من أفعال أولئك وأقرب إلى القبول. والثاني سخرية في الخلقة وذلك راجع إلى مُنشئها لا إليهم، وهم قد رضوا بالخلقة التي أُنشئوا عليها، وعسى أن يكونوا هم[١٢] على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم.

ثم قوله عز وجل: **عسى أن يكونوا خيرا منهم،** يحتمل وجهين. أحدهما عسى أن يصيروا من بعدُ منهم خيرا في تلك الأحوال والأفعال التي هم عليها اليوم. والثاني عسى أن يكونوا هم

---

[١] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠١و.
[٢] ن ث: بكم.
[٣] ر م: أو لكي.
[٤] جميع النسخ: يلزمكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن - ولكي تلزمكم الرحمة.
[٦] م: لسخرية.
[٧] ر ت م: إنما يقع.
[٨] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: الجماعة.
[١٠] جميع النسخ: يحتمل.
[١١] ن - يقول لا يسخر قوم من قوم في الأفعال.
[١٢] ر ت م: لهم.

عند الله خيرا منهم[1] في الحال، كقوله عز وجل: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ،[2] أخبر أن الأكرم منهم عند الله تعالى هو أتقاهم لا ما افتخروا بما هو أسباب الفِخار عندهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**، ذكر سخرية نساء[3] من نساء لأن النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى تجري[4] السخرية بينهم، وإنما الاختلاط في الغالب بين الجنس يكون، فعلى ذلك جرى[5] النهي بالسخرية. ***والله أعلم***. ويحتمل أنه خص

[٧٤٢و] هؤلاء بهؤلاء[6] كما خص القصاص في قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ / الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ،[7] الآية، ثم جمع بين الأحرار والعبيد والذكور والإناث بالمعنى الذي جمعهم فيه وهو ما ذكر: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[8] أبان عن المعنى الذي[9] به وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك: الأحرار والعبيد والذكور والإناثُ. فعلى ذلك ذَكَر المعنى الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر: **عسى أن يكونوا خيرا منهم**، فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية النساء من الرجال. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تلمزوا أنفسكم**، فاللمز[10] هو الطعن، ثم منهم من يقول: هو الطعن باللسان، ومنهم من يقول: بالشِّدْق[11] والشَّفَة، ومنهم من يقول: بالعين، وحاصله هو الطعن فيه. وقال القُتَبي: اللمز هو العيب، أي لا تعيبوا،[12] وقال أبو عَوْسَجَة: هو شِبْه العيب. ثم قوله عز وجل: **أنفسكم** يحتمل وجهين. أحدهما **لا تلمزوا أنفسكم**، أي تذكروا[13] مساوئ أنفسكم عند الناس، وفيه الأمر بالستر على أنفسهم وأن لا يَهتِكوا[14] سترهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: عبد الله منهم.
[2] الآية ١٣ من هذه السورة.
[3] ر: السخرية النساء.
[4] جميع النسخ: يجري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.
[5] ن: يجري.
[6] ن – بهؤلاء.
[7] ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).
[8] سورة البقرة، ١٧٩/٢.
[9] ث + ففيه.
[10] جميع النسخ: والمز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.
[11] ن: بالسدق.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٦.
[13] ر ن م: يذكروا.
[14] ن: وأن لا تهيكوا.

[والثاني يريد بأنفسهم أنفس المؤمنين إذ أنفسهم كنفس واحدة، وهو كقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[١] كأنه يقول: لا يلمزْ بعضكم بعضا. *والله أعلم*].[٢]

وقوله عز وجل: **ولا تنابزوا بالألقاب**، أي لا تَدْعُوا بالألقاب. والنبز اللقب يقال: نبزتُ فلانا أي لَقَبته وفي الحديث: «قوم تَنْبُزهم الرافضة»،[٣] أي لقبهم. ولو قال: لا تتنابزوا لكان كافيا، لكنه[٤] كأنه قال: ولا تُظهروا ألقابهم فيسوء هم ما أظهرتم من اللقب. *والله أعلم*. ثم قال بعض أهل التأويل: إنما نهوا عن ذلك لأنهم يسمونهم بعد إسلامهم بالأفعال التي كانوا يفعلون في حال جاهيتهم من الكفر والفسوق ويلقّبونهم بذلك ويقولون: يا كافر، يا فاسق ونحو ذلك، ودل على ذلك قوله تعالى: **بئس الِاسْمُ الفسوقُ بعد الإيمان**. وجائز أن يلقبوا بذلك وبغيره من الألقاب فنهوا عن أن يسمونهم بغير أسمائهم التي كانت لهم وأن يُعرّفوا بأسمائهم التي لهم ونهوا عن التعريف بالألقاب وبغير[٥] الأسباب والأسماء التي لهم، إذا كان التعريف بذلك يسوء هم ويَغيظهم. *والله أعلم*. ثم قال الله تعالى: **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**، أي واضعون الشيء في غير موضعه.[٦] *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **بئس الِاسْم الفسوق بعد الإيمان**، يحتمل وجهين. أحدها ما ذكرنا، أي بئس النسبة إلى الفسق الذي[٧] كان والتسمية به بعد الإيمان، [فإنما يرجع النهي بذلك إلى التسمية والنسبة بعد الإيمان][٨] إلى الاسم والفعل الذي كان له ومنه قبل الإيمان، كأنه قال لا تسموهم بذلك[٩] بعد الإيمان. *والله أعلم*. والثاني **بئس الِاسم الفسوق بعد الإيمان**، أي بئس[١٠] ما اختاروا من اسم الفسق بعد ما كان اختار اسم الإيمان وفعله. فهذا يرجع إلى اختيار الفسق بعد الإيمان. *والله أعلم*.[١١]

---

[١] سورة النور، ٦١/٢٤.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٦؛ و*بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٢٦٤/٣.
[٤] ر م: لكنا.
[٥] ربألقاب وتغير؛ ث م: وتغير.
[٦] ر ن م: موضع.
[٧] ن ث م: التي.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.
[٩] جميع النسخ: لا تسمونهم بتسك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث: تبين.
[١١] م - والثاني بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس ما اختاروا من اسم الفسق بعدما كان اختار اسم الإيمان وفعله فهذا يرجع إلى اختيار الفسق بعد الإيمان والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم**، هاهنا أسماء ثلاثة يجب أن يتعرف ما محلها وما قدرها وكيف أسبابها؟ أحدها الظن، والثاني الشك، والثالث العلم واليقين. أما الظن فكأنه هو الذي له ظاهر الأسباب التي لها خوف الزوال والانتقال، والشك هو الذي فُقد[١] ظاهرُ أسبابه أو له استواء الأسباب ومقابلة بعضها بعضا، فهو المتردد بين[٢] الحالين لا يَقِرّ[٣] قلبه على شيء. واليقين هو الذي له الأسباب الظاهرة التي ليس لها خوف الزوال والانتقال. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **اجتنبوا كثيرا من الظن**، كأنه نهى أن يحقق القول[٤] أو[٥] العملَ في صاحبه بسوءٍ بناءً[٦] على ظاهر الأسباب التي هي على شَرَف الزوال وطرف الانتقال، يجوز أن تكون[٧] غير متحققة في الأصل أو زائلةً. ***والله أعلم***. ثم في الآية دليل على أنه ليس كل ظن يجب أن[٨] يجتنب عنه ولا كل الظن يكون إثما لأنه استثنى منه بعضه بقوله: **[إن] بعض الظن إثم**. فجائز أن يكون ما استثنى من الظن ولا يأمر[٩] بالاجتناب عنه هو ما يغلب عليه الأسباب، وغالب الأسباب ربما يعمل عمل العلم واليقين، نحوَ[١٠] المكرَه على شيء يُرخَّص له أو يُباح العمل إذا رأى مِن ظاهر حال المكرِه أنه فاعلٌ به ما أوعده وإن كان يجوز أن لا يفعل[١١] به أو لا يقدر على ما أوعده. وعلى ذلك موضوع عامة الأحكام والشرائع بين الخلق أنها على غالب الظن وضعت ليس على التحقيق. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: بعد.
[٢] ر: فهو المتردد بن.
[٣] م: لا يفر.
[٤] ر ث م - القول.
[٥] ث: أن يتحققوا.
[٦] ر ث م - بناء.
[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.
[٨] ر م - يجب أن.
[٩] ر ث م: ولا يأمن.
[١٠] ر ث م: بحق.
[١١] ر م: أن لا يعقل.

ويحتمل أن يرجع ما استثنى من الظن القليل الذي لا إثم فيه إلى الظن الحسن، إذ يجوز أن يُظَنّ بالإنسان الظن الحسنُ ولا إثم فيه، إنما الأمر بالاجتناب إلى الظن بالسوء على غير تحقق أسبابه[١] أو غير تحقق[٢] عين ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تجسسوا**. التجسس هو تكلف طلب الْمَساوِئِ في الناس من غير أن يظهر منهم من أسبابها شيء، فنَهَى عن تكلف طلب ذلك، أو نهى عن الإظهار[٣] وأمر بالستر. وبمثل[٤] ذلك روي في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: هل لك في فلان تَقْطُرُ[٥] لحيته خمرا؟ فقال عبد الله بن مسعود[٦] رضي الله عنه: إن يظهر لنا شيء نأخذه وإلا فإن الله تعالى قد نهانا عن التجسس.[٧] ***والله أعلم***.

وفرّق بعضهم بين التجسس والتحسس، فقال بالجيم في الشرور والمساوئ وبالحاء في الخير وفيما يباح[٨] طلبه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا يَغْتَبْ / بعضكم بعضا**. الغِيْبَة يرجع إلى وجهين. أحدهما أن يُذكر ما فيه من مساوئ الأفعال[٩] التي سترها[١٠] عن أعين الناس مما يكره إظهار ذلك عنه. والثاني يُذكر ما فيه من قبح[١١] الأحوال والخلقة[١٢] التي لا يكاد يذكر ذلك منه أو يظهر. وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يذكر الرجل أخاه بما فيه مما يكره. فقيل: إنما كنا نذكره بالشيء الذي فيه لا بما ليس فيه. قال: «ذلك البهتان».[١٣] [٧٤٢ظ]

---

١ ر م: أسباب.
٢ جميع النسخ: تحقيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.
٣ ر م: أو من الإظهار.
٤ ن: ومثل.
٥ جميع النسخ: يعطر. والتصحيح من المرجع السابق.
٦ ن – بن مسعود.
٧ *سنن أبي داود*، الأدب ٣٧.
٨ ن + له.
٩ ر: والأفعال.
١٠ ن ث: أسترها.
١١ ن: فتح.
١٢ ر م: والأخلاق؛ ث: ولا يخلقه.
١٣ روي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع». قال: يا رسول الله وإن كان حقا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قلت باطلا فذلك البهتان» (*الموطأ* لمالك، الكلام ٤).

وقوله عز وجل: **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**، أي لا يحب أحدكم أن يأكل[1] لحم أخيه بعد موته. فكأنه يقول: فإذا لم يحب هذا وكرهه بل يستقذره كلَّ استقذار فالغِيبة[2] هي تناول من أخيك وهو حي، فهو في القبح يبلغ التناول منه بعد موته. فإن كان لا أحدَ يتناول من لحم أخيه بعد موته لا في حال اختياره ولا في حال اضطراره فلا تغتابوا[3] ولا تذكروا منه ما فيه فإنه في القبح مثل[4] ذلك.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله تواب رحيم**، أي اتقوا الله عما نهاكم عنه، **إن الله تواب** لمن تاب، أي قابلُ توبته، **رحيم**، أي يرحم عليه ويعفو عنه إذا تاب.[5] *والله الموفق*.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**، يخرج تأويل الآية على وجهين. أحدهما إنا خلقناكم جميعا من أصل واحد وهو آدم وحواء عليهما السلام، فيكونون جميعا إخوة وأخوات وليس لبعض الإخوة والأخوات الافتخار[6] والفضيلة على بعض بالآباء والقبائل التي جعلت لهم، إنما[7] القبائل وما ذُكِّر للتعارف، والفضيلة والكرامة فيما ذكر: **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**. مع ما[8] لو كان في ذلك فضيلة وافتخار فالكل في النسبة إليهم على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار.

والثاني يحتمل إنا خلقنا كل واحد منكم من الملوك والأتباع والحر والعبد والذكر والأنثى من ماء الذكر والأنثى، فليس لأحد على أحد من تلك الجهة التي يفتخرون بها الافتخار والفضيلةُ إذ كانوا جميعا من نطفة مَذِرَةٍ[9] مُنْتِنَة يستقذرها الطباع. ذكر هذا ليتركوا التفاخر والتطاول بالأنساب والقبائل. *والله أعلم*.

---

[1] ر: تأكل.
[2] ر م: بل يستقذره فما لعينيه.
[3] ن: فلا يغتبوا.
[4] ر م – مثل.
[5] م: إذ تاب.
[6] ر: الافحار.
[7] ث: أنما.
[8] ر م: معا.
[9] ر: مدزة.

وقوله عز وجل: **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.** ثم اختلف[١] في تأويل قوله: **شعوبا وقبائل**، قال بعضهم: الشعوب أكبر من القبائل، فالشعوب هم الأصول والقبائل هي الأفخاذ منهم، فالشعوب للعرب والأمم والقرون للعجم. وقال بعضهم: الشعوب للعجم والقبائل للعرب. وقال أبو عَوْسَجَة: الشعوب الضروب وهي القبائل، والواحد شَعْب، والشعب الاجتماع، يقال: شعبتُ الإناء إذا انكسر فجمعتَه وأصلحتَه، ويسمى لمن يصلح الإناء شعّابا، والشَّعْب التفريق أيضا، وشَعُوبُ[٢] المنيّة، ونحو ذلك. ثم قوله عز وجل: **لتعارفوا**، أي جعل فيكم هذه القبائل ليعرف بعضكم بعضا بالنسبة إلى القبائل والأفخاذ فيقال: فلان التميمي والهاشمي، إذ كل أحد لا يعرف بأبيه وجده.

ثم قال عز وجل: **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**، بين الله تعالى بما به تكون[٣] الفضيلة والكرامة وهو التقوى لا فيما يرون ويفتخرون بذلك[٤] وهو النسبة إلى الآباء والقبائل، بل ذلك لما ذكر من التعارف. وهذا لأن التقوى فِعْله وهو إتيان الطاعات والاجتناب عن المعاصي وذلك مما يأتيه تعظيما لأمر الله تعالى ونهيه. فجائز[٥] أن يَنال به الفضيلة والكرامةَ بفضل الله وكرمه بناء على فعله، فأما ما لا فعل[٦] له في التولد من آباءٍ كرام فأنّى يستحق الفضل بذلك؟ [فـ]لو كان افتخار [به فهو] إنما يكون[٧] للآباء بمباشرتهم أسباب حصول الأولاد ليوحّدوا الله تعالى ويتمسكوا بطاعته. *والله أعلم*. وقوله[٨] عز وجل: **إن الله عليم خبير**، على الوعيد.

**﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**، هذه الآية وإن خرجت على مخرج العموم ولكن أراد بها[٩] الخاص وهو بعض الأعراب، إذ[١٠] في الإجراء

---

١ ر م: اختلفوا.
٢ جميع النسخ: والشعوب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١و.
٣ جميع النسخ: يكون.
٤ ن – بذلك.
٥ ر م: وفجائز.
٦ م: فأما لا فعل.
٧ جميع النسخ: فتخارا بما يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
٨ ن: في قوله.
٩ ث: به.
١٠ ن: اذ.

على العموم يؤدي إلى الكذب في خبر الله تعالى عن ذلك، إذ لا كل الأعراب قالوا ذلك ولا كل الأعراب يجب أن يقال لهم: **لم تؤمنوا**، ولكن يقال لهم: **قولوا أسلمنا**، فهو يرجع إلى خاص من الأعراب. فكأنه يرجع إلى أهل النفاق منهم فإنهم أخبروا أنهم آمنوا وَلَمّا آمنوا. فلما[1] أطلع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم لم يؤمنوا ولكنهم استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا عن معرة السيف وطمعا فيما عند المسلمين من الخير[2] فنهاهم أن يقولوا: **آمنا** إذ[3] لم يكن في قلوبهم ذلك وأمرهم أن يقولوا: أسلمنا. ومعناه ما ذكرنا، أي خضعنا واستسلمنا ليرتفع عنهم السيف. ولا يصح الاستدلال بالآية على أن الإسلام والإيمان غيران فإنه غاير بينهما حيث نهاهم أن يقولوا: **آمنا** وأمرهم أن يقولوا: **أسلمنا**، ولو كانا واحدا لم يصح هذا، لأنا[4] نقول: لم يرد بهذا الإسلام[5] الإسلام[6] الذي
[٧٤٣و] هو الإيمان ولكن أراد به الاستسلام[7] / والانقياد الظاهر. وهو كما يسمى إسلاما يسمى إيمانا أيضا من حيث الظاهر. فأما حقيقة الإيمان والإسلام [فإنها] ترجع[8] إلى واحد، لأن الإيمان هو أن يصدق كل شيء في شهادته على الربوبية والوحدانية لله تعالى، والإسلامَ هو أن يجعل كل شيء لله سالما لا شركة لأحد فيه. فمتى اعتقد أن كل شيء في العالم لله تعالى وهو الخالق له وكلَّ مصنوع شاهد ودليل على صانعه فقد صدقه في شهادته على صانعه.[9] *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **وَلَمّا يَدخل الإيمان في قلوبكم**. الإيمان ليس هو محسوس مركب يدخل في القلب أولا [يدخل] ولكن معناه نفي[10] فعل القلب وهو التصديق، كأنه قال: و لم تؤمن[11] قلوبهم،

[1] ر: قلما.
[2] ر: من الخير.
[3] جميع النسخ: إذا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٢ظ.
[4] ر: الإناء.
[5] جميع النسخ + هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١ظ.
[6] ث + هو الإسلام.
[7] ر م + الذي هو الإيمان ولكن أراد به الاستسلام (ر: الإسلام).
[8] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر - فقد صدقه في شهادته على صانعه.
[10] ر ن م: نقي.
[11] ر ن م: و لم يؤمن.

على ما ذكر في آية أخرى: قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.[١] ثم هاتان الآيتان تنقضان[٢] على الكرامية مذهبهم في أن الإيمان لا يكون بالقبب ولكن باللسان والقول، فإن أهل النفاق قد قالوا ذلك بلسانهم ثم أخبر أنهم لم يؤمنوا وهم يقولون: بل قد آمنوا، فيقال لهم: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ،[٣] قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ.[٤] وفي هذه الآية آية عظيمة على رسالته حيث قال له: **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**،[٥] وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ذلك ولـم يتهيأ[٦] لهم إنكار ذلك القول؛ فعرفوا أنه بالله عرف ذلك، و لم يُظهروا[٧] ما في ضميرهم خوفا من السيف لتعرُّف[٨] النبي صلى الله عليه وسلم. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكم من أعمالكم شيئا**، جائز أن تكون[٩] الآية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن أمر الحديبية مع المؤمنين حيث قال: سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ،[١٠] وما ذكر من أمرهم في غير آي من القرآن.[١١] يقول: إن تطيعوا الله ورسوله[١٢] فيما يدعوكم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الخروج إلى الجهاد والقتال بعد تخلفكم عن الحديبية لا يَنْقُصْكم من أعمالكم التي كانت لكم شيئا. ***والله أعلم***. ويحتمل: وإن تطيعوا الله ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتكم من أعمالكم شيئا، أي لم ينقصكم من أعمالكم التي عملتموها[١٣] من قبل و لم تَضِلّوا[١٤] أعمالكم التي عملتم من بعدُ

---

[١] سورة المائدة، ٤١/٥.
[٢] جميع النسخ: ينقضان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١ظ.
[٣] سورة البقرة، ١٤٠/٢.
[٤] سورة يونس، ٥٩/١٠.
[٥] ن + وقد قال الله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا.
[٦] ر م: ولم تهنا؛ ث: ولم تهيأ.
[٧] جميع النسخ: أو لم يظهروا.
[٨] جميع النسخ: ليعرف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٢ظ.
[٩] ر ن م: أن يكون.
[١٠] سورة الفتح، ١٦/٤٨.
[١١] ن + جائز أن تكون الآية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن أمر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد وما ذكر من أمرهم في غير آي من القرآن.
[١٢] ر ث م – يقول إن تطيعوا الله ورسوله.
[١٣] ر ن م: عملتموه.
[١٤] ر ث م: و لم يصلوا؛ ن: و لم يضلوا.

وإن عصيتموه وتخلفتم عنه في حياته، لأنه قال: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا،[1] قد كان نهاهم عن الخروج معه للغزو أبدا فيقول: إن تطيعوا بعد وفاته وتجاهدوا في سبيل الله لم يلتكم من أعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون في المنافقين فيكون فيها وعد المغفرة للمنافقين إذا تابوا وأطاعوا الله[2] ورسوله كما وعد المغفرة[3] لجميع[4] الكفرة إذا تابوا عن الكفر بقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[5] فعلى ذلك هذا، وهو كقوله تعالى: لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ،[6] وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ.[7] *والله أعلم*. وقال[8] بعضهم: هذا في جميع المؤمنين أن من أطاع الله ورسوله لا يَنْقُصْكم من أعمالكم شيئا، أي لا يُضيع أعمالكم بل يثيبكم، كقوله تعالى: يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ،[9] أي من عمل لله لا يُضيع ومن عمل لغيره قد يُضيع فلا يَظفَر على ثوابه[10] بشيء. ويحتمل أن يكون الآية في المؤمنين الذين أسلموا، يقول: إذا أسلمتم فلم ينقصكم من ثواب أعمالكم ما سبق منكم من الكفر، وهو كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[11] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إن الله غفور رحيم**، ظاهر.

**﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**، كأنّ هذا ذَكَر مقابلَ ما تقدم من قول المنافقين

---

[1] سورة التوبة، ٨٣/٩.
[2] ن: لله.
[3] ن: لمغفرة.
[4] ر ث م: بجميع.
[5] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[6] سورة الأحزاب، ٨/٣٣.
[7] سورة الأحزاب، ٢٤/٣٣.
[8] ر م: قال.
[9] ﴿إن الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ (سورة فاطر، ٢٩/٣٥).
[10] ر: على ثواب.
[11] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

حيث قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، فقال لهم: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا،[١] أنتم، **إنما المؤمنون**، هؤلاء، ثم نَعَتَهم فقال: **الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**، أخبر أن هؤلاء هم الصادقون في إيمانهم، وأنتم يا أهل النفاق بحيث أضمرتم الخلاف له ولم تجاهدوا[٢] معه فلستم بصادقين في إيمانكم. فجعل الجهاد دليل ظهور الصدق في الإيمان لا أنه من شرائط الإيمان الذي لا يجوز الإيمان[٣] دونه. ويحتمل[٤] **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله**، أي صدقوا الله ورسوله سرا وعلانية على الحقيقة، لا الذين أظهروا ولم تكن[٥] قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين. ألا ترى أنه قال: **ثم لم يرتابوا وجاهدوا**، أي لم يشكّوا في حادث الوقت بل **جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**، إظهارا لتحقق[٦] الإيمان وصدقه، وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا في إيمانهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[١٦]

ثم قال الله عز وجل: **قل أتعلمون الله بدينكم**، كأنه صلة قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا،[٧] حيث قالوا ذلك بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم فأخبر أنه يعلم ما في قلوبهم / من الإيمان [٧٤٣ظ] والشك والخلاف، كأنهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: لَمْ تُؤْمِنُوا،[٨] فَلَجُّوا في ذلك وقالوا: بل آمنا. ظنوا أنه إنما قال ذلك من دأب نفسه فقال عند ذلك: **قل أتعلمون الله بدينكم**، يخبر أن الذي أنبأني وأخبرني بذلك هو الذي يعلم غيب ما في السماوات وما في الأرض وهو بكل شيء -مما في القلوب من الصدق وغيره- عليم، فكيف تعلّمون الله بأنكم مؤمنون وهو يعلم أنكم كاذبون.[٩]

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ: ولم يجاهدوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.
[٣] ر م + الذي.
[٤] م: يحتمل.
[٥] ر ث م: ولم يكن.
[٦] جميع النسخ: لتحقيق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٨] نفس الآية.
[٩] ر م: لكاذبون.

**﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **يمنون عليك أن أسلموا**، الذي حملهم وبعثهم على الامتنان عليه بالإيمان الذي أَتَوْا به أنهم[١] قوم لا يؤمنون بالآخرة فيظنون أنهم إذا أظهروا الموافقة[٢] له[٣] لم يلحقهم بسببه مؤنة الخروج إلى القتال، أو متى أظهروا الإيمان يصير المسلمون أعوانا لهم ونحو ذلك؛ هذا الذي ذكرنا ونحوه بعثهم وحملهم على الامتنان عليه. ولو كانوا يؤمنون بالآخرة لعرفوا[٤] أن إيمانهم لأنفسهم إذ به نجاتهم وإليهم يقع نفعه، ليس في الإيمان لله تعالى [له] نفع ولا في تركه ضرر، تعالى عن الضرر والنفع، فيكون الامتنان لله تعالى عليهم كما قال: **بل الله يَمُن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.**

ثم في قوله[٥] عز وجل: **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**، نقض قول المعتزلة: إنه يجب على الله تعالى أن يهديهم، لقولهم بالأصلح، فإنه قال: **بل الله يمن عليكم**، ولو كان هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة[٦] لأنه مُؤَدِّي ما هو[٧] عليه لهم من الحق، ومن أدى حقا عليه لآخر لا يكون له الامتنان على صاحب الحق. وكذلك في قوله تعالى: فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَنِعْمَةً،[٨] لو كان الهداية عليه لا يكون في فعله مفضِلا ولا مُنعِما بل يكون لهم عليه[٩] الامتنان ومنهم الإفضال والإنعام لما عظَّموه وبجّلوه بشيء كان عليه فعل ذلك حقا واجبا لهم، فدل على فساد مذهبهم. وفيه دلالة أن الهداية ليست هي البيانَ فحسب لوجهين. أحدهما لأن هداية البيان مما قد كان في حق الكافر والمسلم جميعا فلا معنى لتخصيص المسلمين بهذه المنة ومثلُها موجود في حق غيرهم. والثاني أن البيان قد عمّ الكافر والمؤمن وقد أخبر الله تعالى بأن له المنّة عليهم إن كانوا صادقين في إيمانهم، فلو كانت الهداية هي البيانَ لا غير لكان لا يشترط فيه[١٠] شرط صدقهم،

[١] ر ث: لأنه؛ ن: لأنهم؛ م: لا.
[٢] ر: لموافقة.
[٣] ر م – له.
[٤] ر ث م: ليعرفوا.
[٥] ر م: ثم قوله.
[٦] ر: منته.
[٧] ر ن م – هو.
[٨] الآية ٨ من هذه السورة.
[٩] جميع النسخ: لهم عليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.
[١٠] ث: فيهم، صح هـ.

لأن منة البيان يعم الصادقين وغير الصادقين. دل أن المراد من الهداية الإسلام حتى يتحقق له المنة على الخصوص في حق المسلمين. *والله الموفق*.

ثم الهداية المذكورة هاهنا يحتمل وجهين. أحدهما خلق فعل الاهتداء منهم. والثاني التوفيق والعصمة، كأنه يقول: بل الله يمن عليكم أن خلق منكم الاهتداء أو وفقكم للإيمان وعصمكم عن ضده، وكذلك يخرج قوله تعالى: وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ،[1] على هذين الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده، أو خلق حُبه في قلوبكم وزينه. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[١٨]

[وقوله تعالى: **إن الله يعلم غيب السماوات والأرض**، أي يعلم ما غاب في السماوات والأرض، والذي لم يغب وهو في ضمائرهم أحق أن يعلم. *والله أعلم*.][2]

وقوله عز وجل: **والله بصير بما تعملون**، هذا يخرج على الوعيد، أي هو بصير بما أسرّوا وأعلنوا ليكونوا أبدا على يقظة وحذر. *ولا قوة إلا بالله*.[3]

---

[1] الآية ٧ من هذه السورة.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.

[3] ت + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة ق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[١] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٢] ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[٣]**

قوله[2] عز وجل: **ق والقرآن المجيد**، يحتمل أن يكون قوله: **ق** اسم هذه السورة، ولله سبحانه وتعالى أن يسمي السور بما شاء.[3] **ق**، كناية[4] كما سمى كتبه[5] قرآنا وزبورا وتوراة وإنجيلا، أقسم بهذه السورة والقرآن جملة. ويحتمل أن يذكر **ق**، كناية عن جميع الحروف المقطعة، **والقرآنِ**، هو اسم الحروف المجموعة والمقطعة؛[6] أقسم بالحروف المقطعة والمجموعة جميعا. ومن الناس من يقول: إن **ق**، اسم لجبل المحيط بالأرض، وهي من ياقوتة خضراء أو ياقوتة حمراء فخضرة السماء من ذلك، أقسم الله تعالى به وبالقرآن؛ والأول أشبه وأقرب، لأن العرب لم تعرف[7] جبل قاف ولم تعرف عظمته. والقسم في الأصل لتأكيد الخبر فإنما يتحقق بما يَعرف من أريد القسم في حقه، فأما إذا لم يعرف ولم يَعْظُم ذلك في عينه يخرج القسم مخرج العبث، تعالى الله عن ذلك.

---

[1] ر – سورة ق؛ ن م: ذكر أن سورة ق كلها مكية؛ ث + وهي خمس وأربعون آيات مكية.

[2] ر: وقوله.

[3] ر م: بما ذكر.

[4] ث – ق كناية.

[5] ر ث م: كتابه.

[6] ر ث م: مقصعة.

[7] ن: لم يعرف.

إلا أن يقال: إن[1] هذا القسم في حق أهل الكتاب فإنه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك وكانت لهم رسل قد بلغهم ذلك، ولكن[2] الظاهر أن القسم في حق العرب، فدل أن الأول أشبه.

ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الأخبار تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر أو الاشتهار ولم يثبت عن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-[3] أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسبيله الوقف فيها،[4] لأنه معلوم أنْ لا يقفُ أحد على المراد بالحروف المقطعة إلا من جهة السمع، فلما لم يظهر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دل أنهم تركوا ذلك. وإنما تركوا[5] لوجوه: إما لأن هذه الحروف المقطعة [٧٤٤و] كانت بيان أحكام في نوازل عرفوها وتركوا سؤالها / لما عرفوا تلك الأحكام والنوازل؛ وإما إن تركوا ذلك لما كان ذلك من السرائر التي لم يُطْلع الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب الإيمان به ولا يطلب[6] له تفسير؛ أو كان ذلك مما اختص الرسولُ صلى الله عليه وسلم بمعرفته لقوله تعالى: إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ،[7] فلم يسألوا منه بيان ذلك؛ وإما أن كان ذلك عندهم أسماءَ السور لتعريف السور، وأسماء الأعلام لا يُطلب فيها المعاني، لذلك لم يسألوا معانيها ولم يَرد التعليم من النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن[8] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير للآيات إما لأن في وسعهم الوصولَ إلى معرفة ما تضمنته[9] الآيات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا إلى السؤال؛ وإما إن تركوا[10] لما أنها تضمنت أحكاما عرفوها وتركوا السؤال، فعلى ذلك هذا.[11]

**والله أعلم.**

---

[1] جميع النسخ: أن يكون هذا القسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢ظ.

[2] ر ث م: وكذا.

[3] ن - أجمعين.

[4] ن - فيها.

[5] ن - وإنما تركوا.

[6] ن: ولا تطب.

[7] ﴿عَالِمُ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ (سورة الجن، ٧٢/٢٦-٢٧).

[8] ر: كان.

[9] جميع النسخ: ما تضمنها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢ظ.

[10] م - تركوا.

[11] ن - هذا.

ثم ذكر القَسَمَ ولم يبين[١] موضع القسم، فاختلف[٢] فيه. قال بعضهم: موضع القسم في آخر السورة: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ،[٣] الآية، وقال بعضهم: قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[٤] الآية، وقال بعضهم: موضع القسم قوله تعالى:[٥] فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ،[٦] أقسم بقوله: **ق والقرآن المجيد**، بأن الكفرة في أمر مريج. ويحتمل أن يكون موضع القسم هو ما عجبوا كما قال: **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، ذكر هاهنا عجبهم من شيئين. أحدهما ما ذكر **أن جاءهم منذر منهم**، أي من البشر: **فقال الكافرون هذا شيء عجيب**، وهو كقولهم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٧] وقولهم: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[٨] لا يزالون ينكرون الرسالة في البشر. والثاني من الإحياء بعد الموت لقولهم: **أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، وقد ذكرنا[٩] في غير آي من القرآن عجبهم وإنكارهم البعث بعد الموت. فجائز أن يكون موضع القسم ما عجبوا أو أنكروا[١٠] من أن يكون البشر رسولا[١١] أو يُحيَوْن بعد الموت، أقسم بما ذكر من قوله عز وجل: **ق والقرآن المجيد**، أنه يكون ذلك ردا لإنكارهم وتعجبهم. ***والله أعلم***.

ثم إنكار الكفرة وعجبهم "أن كيف بَعث من البشر رسولا وكيف[١٢] لا اختار[١٣] بعث الرسل[١٤] ممن عنده وهم[١٥] الملائكة، وأبدا إنما يُبعث الرسل ممن كان عند المرسِل

---

[١] ث: ولم يتبين.
[٢] ر ث م: واختنف؛ ن: اختنف. والتصحيح من *الشرح*، رقة ١٥٢ظ.
[٣] الآية ١٦ من هذه السورة.
[٤] الآية ٣٨ من هذه السورة.
[٥] ن – ولقد خلقنا السماوات والأرض الآية وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى.
[٦] الآية ٥ من هذه السورة.
[٧] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[٨] سورة اشعراء، ١٥٤/٢٦.
[٩] ن: وقد ذكر.
[١٠] ن ث: وأنكروا.
[١١] ر ن م: رسول.
[١٢] جميع النسخ: رسول أو كيف. والتصحيح من *الشرح*، ١٥٢ظ.
[١٣] ر ث م: لا إختار.
[١٤] م: الرسول.
[١٥] ث: من.

لا من كان عمد المبعوث[1] إليهم في الشاهد،" لا معنى له.[2] ولا ينبغي[3] لهم أن ينكروا بعث الرسول ممن هو عند المبعوث إليهم، وإن تعجبوا عن ذلك،[4] لأن بعث الرسول من جنس المرسَل إليهم والمبعوث إليهم في معرفة صدقه وحقيقة دعواه[5] أقرب من أن يكون من خلاف جنسهم، لأنهم إنما يعرفون رسالته بآيات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج عن وسعهم إقامتُها. ولا يعرفون صدق تلك الآيات وحقيتها[6] إذا كانت تلك من غير جنسهم بما لعل أن ما أتاهم به وزعم أنها آيات ليست بآيات لما في وسعه إتيان مثلها وليس في وسعهم ذلك لما أن القوى تختلف[7] عند اختلاف الجنس. فدل أن بعث الرسول من جنس المرسل إليهم أحق وأقرب إلى معرفة صدق الآيات والمعجزات. **والله الموافق**. ولأن كل ذي نوع من نوعه وكل ذي شكل من شكله أميل وبه آنسُ من خلاف جنسه ونوعه فكان الغرض -وهو التأليف والاجتماع- في هذا أقربَ إلى الحصول. **والله أعلم**.

ثم قولهم: هلا بعث إلينا الرسل[8] ممن هو عنده فاسد، لأن الخلائق جميعا من حيث العِنْدُ لله تعالى واحد لا يوصف أحد من الخلائق أنه عنده إلا من حيث القربُ به بالطاعة له والائتمار بأمره وترك الخلاف له. فأما على ما يوصف المخلوق عند مخلوق فلا، إذ ذاك وصف المتمكن في المكان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[9] فإذا كان المراد من "عنده" من حيث القرب به بالطاعة والقيامُ بأمره مما يثبت [به][10] أهلية الرسالة وصلاحها فذلك مما[11] لا يوجب الفضل بين البشر والملائكة، بل من جهة البشر أحق لما هم[12] يفعلون عن غيب الدلائل[13] أجمعَ دون العِيان. **والله أعلم**.

---

[1] ر ن: هذا مبعوث؛ ث م: هذا مبعوثا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.

[2] ر ث م – له.

[3] ن: وما ينبغي.

[4] ن ث: من ذلك.

[5] ر م: ودعواه.

[6] م: وحقيقتها.

[7] جميع النسخ: يختلف. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ن – الرسل.

[9] ن – علوا كبيرا.

[10] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[11] م: ما.

[12] أي الملائكة.

[13] وفي *الشرح*: عن غيب الدلالة، ورقة ١٥٣و.

وأما عجبهم[١] أنه "لو أراد إحياءنا[٢] كيف أماتنا ولا أحد في الشاهد يبني بناء فيهدمه ويبني مثله فليس بشيء، لأنه لو لم يكن أماته ثم أحياه[٣] لكان الجزاء بالأعمال يكون [عند][٤] حَضْرَةِ الأفعال وذلك يوجب أن يكون[٥] إيمانهم إيمان اضطرارٍ لا إيمانَ اختيار وإيثار، لأن من عاين أنه يدخل النار ويعذَّب فيها أبد الآبدين لا يعمل ذلك[٦] العمل الذي أوعد به بل يتركه. وكذا[٧] من عاين أن من آمن بالله تعالى وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويُكرَم أبدَ الآبدين[٨] لا يعمل غير ذلك العمل، فيرتفع المحنة ويكون الإيمان بحق الاضطرار، فأخر ذلك[٩] ليكون الإيمان بحق الاختيار حتى يكون / له قيمةٌ. [٧٤٤ظ]

ثم قوله: **والقرآنِ المجيدِ**، وصف القرآن مرة[١٠] بأنه كريم، ومرة بأنه حكيم، ومرة بأنه مجيد.[١١] يحتمل إنما سماه بهذه الأسماء على معنى أن من تمسك به يصير[١٢] مجيدا كريما حكيما، أو[١٣] مُنزله[١٤] مجيد كريم حكيم. ويحتمل أن تكون[١٥] هذه صفاتِ القرآن راجعةً إلى عينه كما يقال: كلام حكمةٍ وكلام سفه، وإنما يراد به عينه فعلى ذلك[١٦] هذا يحتمل. ***والله أعلم.***

قال أبو عَوْسَجَة: المجيد الماجد، والتمجيد[١٧] التعظيم، وأمجدت الدابة من العلف إذا أكثرت[١٨] ذلك، وأمجد القوم إذا أكثروا من الطعام والشراب.

---

[١] جميع النسخ: والله أعلم بحجتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.
[٢] جميع النسخ: أحيانا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ن م: أحيا.
[٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٥] ن – يكون.
[٦] ن: بذلك.
[٧] ر ث م + أن.
[٨] ر ن م: الأبد.
[٩] ن: بذلك.
[١٠] ن – مرة.
[١١] انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات، «القرآن».
[١٢] ر م: بصير؛ ن: يكون.
[١٣] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.
[١٤] ر ث م: منزلة.
[١٥] ر ن م: يكون.
[١٦] ر ث م – ذلك.
[١٧] ن: والمجيد؛ ث: والمجد.
[١٨] ر ن م: إذا كثرت.

وقوله عز وجل: **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**، قد ذكرنا تأويله.

وقوله عز وجل: **أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، أي لا يكون، كَنَوْا بالبعيد عما لا يكون عندهم، كذلك قال القُتَبِي. وقال أبو عَوْسَجة: **رَجْع بعيد** أي رَدٌّ، يقال: رُجِعَ رَجْعا إذا رُدّ، ورَجَع رُجوعا إذا انصرف.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**، ظاهر هذا أن يكون[١] قول أولئك[٢] الكفرة، قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لِمَا أنكروا من البعث، أي قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومنا وتأكل[٣] من أنفسنا فأنَّى يُحْيَى بعد ذلك؟ وهو كقولهم: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ،[٤] ونحوه. لكن أهل التأويل بأجمعهم صرفوا هذا[٥] القول إلى الله تعالى أنه قال ذلك جوابا لقولهم:[٦] أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ،[٧] فقال: **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**، أي عن علم منا بما تأكل منكم وتنقص.[٨] قلنا: إنكم تُبعثون وتُحيَوْن وعلى[٩] علم منا بذلك أخبركم الرسل بالإحياء والبعث بعد الموت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وعندنا كتاب حفيظ**، أي عندنا كتاب يحفظ أحوالهم وأفعالهم وجميع ما يكون منهم، وقال بعضهم: أي مع علمي فيهم هم عندنا في كتاب حفيظ. وقال قتادة: ما أكلت الأرض منهم وكانوا ترابا فنحن[١٠] عالمون به[١١] وهو[١٢] مع علمنا في كتاب حفيظ،[١٣] وهو مثل الأول.

[١] جميع النسخ + هذا.
[٢] ر م + هم.
[٣] ن ث: ويأكل.
[٤] سورة يس، ٧٨/٣٦.
[٥] ن: هذه.
[٦] ر: لقومهم.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ر ث م: بما يأكل منكم وينقص.
[٩] ن: على.
[١٠] جميع النسخ: ونحن.
[١١] ر ث م - به.
[١٢] جميع النسخ: وهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣ظ.
[١٣] تفسير *الطبري*، ١٩٢/٢٦.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بل كذبوا بالحق لما جاءهم [فهم في أمر مريج، يحتمل بل كذبوا بالحق لما جاءهم]**،[١] أي بالقرآن، ويحتمل أي بمحمد[٢] صلى الله عليه وسلم، وقد كذبوا بهما جميعا. وقوله[٣] عز وجل: **مريج**، قال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة: **في أمر مريج**، أي مختلط، يقال: مَرِج أمر الناس، ومَرِج الدين. وأصل الْمَرَج أن يَقلَق[٤] الشيء فلا يستقرّ، يقال: مَرِج الخاتم في يدي مَرَجا إذا قلق[٥] للهُزال، أي تحرك. وقيل: مضطرب مختلف، وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا في القرآن والرسول جميعا. قالوا في الرسول صلى الله عليه وسلم أقوالا مضطربة مختلفة: مرة نسبوه إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة إلى الجنون ومرة إلى الافتراء[٦] على الله تعالى[٧] وأنه يتلقاه من فلان ونحو ذلك من أقوال مختلفة مضطربة فيما يدفع كل واحد من ذلك الآخرَ. وكذلك قالوا في القرآن مرة: إنه سحر ومرة إنه شعر وإنه من أساطير الأولين وإنه مفترًى وإنه اختلاق، وكل ذلك مما يدفع بعضه بعضا، وهذا هو الاضطراب والاختلاف والاختلاط. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **في أمر مريج**، أي في ضلال.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**، الآية،[٨] يحتمل أن يكون هذه الآيات صلة ما ذكر من عَجَبهم من بعث الرسل من البشر والبعث بعد الموت بقوله: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ،[٩] كأنه يقول: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض مُنَضَّدَة بلا فروج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها وغِلَظِها، وألم ينظروا إلى الأرض كيف بسطناها وألقينا فيها الجبال الرواسي أوتادا لئلا تَمِيدَ بأهلها، حتى عرفوا أن من قدر على رفع السماء بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها وصلابتها

---

[١] ر ث م - فهم في أمر مريج يحتمل بل كذبوا بالحق لما جاءهم.
[٢] ر ث م: محمد.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن: أن يغلق.
[٥] د: فلق.
[٦] ر م: على الافتراء.
[٧] ر - على الله تعالى.
[٨] ن - الآية.
[٩] الآية ٢ من هذه السورة.

حتى لا ينتهيَ أحد إلى طرف من أطرافها ولا عَلِم نهايتها، وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما لقادر على الإحياء بعد الموت، وأنه لا يُعجزه شيء، وأن من فعل هذا لا يفعل عبثا باطلا[1] ولكن يفعله عن حكمة وتدبير. ولو كان على ما قالوا أن لا بعث ولا جزاء كان خلق ذلك كله عبثا باطلا. ويكون فعل ذلك فعلَ سفهٍ لا فعل حكمة. فلما كان فعل ذلك كله على التدبير الذي ذَكَرَ وعلى الاتّساق الذي جرى منذ[2] أنشأ[3] ذلك من غير تفاوت دل أنه لم ينشئ الخلق من المكلَّفين ليتركهم سدى لا يأمر ولا ينهى ولا يمتحن فيكون عبثا، بل ليمتحنهم بالأمر والنهي ليكون فعله في العقلاء على نَهج الحكمة كما في غيرهم من الخلائق. وإذا كان كذلك فلا بد من رسول يخبرهم ويعلمهم مالا يقف عليه العقل من كيفية وجوب[4] شكر المنعِم ومقدارِه ووقته ونحو ذلك، ويؤكد[5] ذلك الأمر والنهيَ بالوعد والوعيد. ثم كان له [اختيار][6] وضع الرسالة فيمن شاء وفي أي جنس شاء، لأنه حكيم عليم لا يكون منه الخطأ في التدبير والجهل بالأصلح والأوفق بالحكمة. فدل ذلك على إثبات الرسالة والبعث بعد الموت. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **أفلم ينظروا**، يخرج على[7] وجهين. أحدهما

[٧٤٥و] / أي انظروا إلى ما ذكر. والثاني قد نظروا[8] بأبصارهم لكن لم ينظروا نظر معتبر بنظر القلب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما لها من فروج**، قيل:[9] أي[10] من صدوع وشقوق، والواحد فَرْج وهو الموضع بين الموضعين، والفُرْجة من الفَرَج، ومنه يقال: فَرَجْت عنه الغم أي كشفتُ، وهو كقوله تعالى: فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ،[11] أخبر أنكم لم تروا في السماء شقوقا وفطورا.

---

[1] ن - باطلا.
[2] ر ث م: حكمه.
[3] ر م: إن شاء.
[4] ر ث م - وجوب.
[5] جميع النسخ: ومؤكد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣ط.
[6] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[7] ر م - على.
[8] ر م: نصروا.
[9] م: قتيل.
[10] ر م - أي.
[11] سورة الملك، ٦٧/٣.

وفي الشاهد البناء -وإن عَظُم وأُحكم- لا يخلو من نقصان وشقوق تَرِد[١] عيبه، فإذا لم تروا[٢] ذلك فهلا دلكم ذلك على أن خالقه قادر على الكمال لا يعجزه شيء.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي**، قد ذكرنا فيما تقدم.[٣]

وقوله عز وجل: **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**، اسم الزوج يقع على الشكل والضد، وكل ذي شكل هو ذو ضد؛ والبهيج ما يُبهج به. فمعناه أنبتنا من كل زوج ما يَبهَج[٤] به أهلُه وما يُسَرُّون[٥] بذلك من ألوان النبات وجواهرها. وقال القُتَبِي: **من كل زوج بهيج**، ما يَبْهج به أهلُه،[٦] أي من كل جنس حسن.[٧] يقال: بَهج يبهَج بَهَجا فهو بهيج أي حَسَن. وأما من السرور يقال:[٨] بَهج يبهَج بَهْجا [به] فهو بهيج، أي مسرور.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**، أي يُبْصر[٩] ذلك كل عبد منيب، أي منفعة ذلك تكون[١٠] لمن ذَكَر، وهو العبد المنيب إلى الله تعالى والمقبل على طاعته، فأما من اعتقد الخلاف له فلا.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ونزلنا من السماء ماء مباركا**، سماه مباركا لأنه يستعمل في أمر الدين والدنيا ويطهِّر به[١١] كل شيء ويزين، وبه حياة كل شيء ونماؤه. والمبارك اسم[١٢] كل خير يكون على النماء والزيادة في كل وقت. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: أو شقوق ترد؛ ن ث: أو شقوق يرد.

[٢] ر ث م: لم يروا.

[٣] انظر تفسير الآية ١٩ من سورة الحجر.

[٤] ر: يهيج.

[٥] ث: ويسرون.

[٦] ن - ما يبهج به أهله.

[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٧.

[٨] ر ث م: فقال.

[٩] جميع النسخ: تبصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.

[١٠] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: ويطهره. [١٢] ر م - اسم.

وقوله عز وجل: **فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**، يقول: أنبتنا بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات، أي بساتين. والمكانُ الذي جُمع فيه كل أنواع الشجر سمي بستانا وجنة. وقوله: **وحب الحصيد**، أي أنبت بذلك[1] الماء كل حب حصيد، فدخل تحت قوله: **وحَبَّ الحصيد**، أنواع الشجر والغرس والنبات. ثم قوله تعالى: **وحب الحصيد**. الحب[2] والحصيد [واحد][3] وهو الحب نفسه، لكن أضاف الحب إلى الحصيد ويجوز مثل هذا، كما يقال: صلاة الأُولى ومسجد الجامع. وقال بعضهم: هما غيران، الحب ما يَخرج منه والحصيد ما يُحصَد من القصب الذي يصير تبنا، لأن الحب لا يحصد وإنما يحصد الساق منه، لذلك أضاف الحب إلى الحصيد، وهو شجرة وقوامه به، لذلك أضافه إليه، كما يقال: ثمر الشجر ونحو ذلك.

**﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **والنخل باسقات لها طلع نضيد**، قوله:[4] **والنخل باسقات، أي طِوالا**،[5] يقال: بسق الشيء بُسوقا إذا طال. وقال أبو عَوْسَجة: **باسقاتٍ** أي حواملَ.[6] يخبر الله عز وجل عن بركة الماء أنه بلطفه جعل[7] الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه وأثره على رأس النخل وإن طال بِسَقْيِ[8] الأصل لما جعل في سِرّيّته من البركة والمعنى ما يُظهر ذلك ولا يُعلم حقيقة ذلك المعنى. وقوله عز وجل: **لها طَلْعٌ نَضيد**، أي منضود. والطلع أول ما يخرج من النخل فيَحمِل، والتنضيد[9] هو التأليف والتركيب، أي يؤلّف بعضه إلى بعض ويركّب، ويسمى ذلك كُفُرَّى[10] وإذا[11] نَضِج استوجب الطلع وتفرق[12] وصار رَطْبا. وقال أبو عَوْسَجة: **نضيد**،

[1] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.
[2] م – الحب.
[3] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ن: وقوله.
[5] جميع النسخ: طوال. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: حوائل.
[7] ر: ووجعل؛ م: وجعل.
[8] ر م: يسقي؛ ن + الأرض؛ ث: ليسقى.
[9] ر م: والنضيد.
[10] الكَفْر والكُفُرَّى والكِفِرَّى والكَفَرَّى والكُفَرَّى: وعاء طلع النخل وقشره لأعلى (*لسان العرب*، «كفر»).
[11] ن: فإذا.
[12] ر ت م: ويعرف.

أي متراكم بعضه على بعض، والتَّلّ[1] المتراكم يقال له منضود، والتنضيد[2] هو جَعْل بعضه فوق بعض ونَضَد الشيءُ بنفسه فهو نضيد، وقيل: **نضيد**، أي كثير.

**﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **رزقا للعباد**، أخبر أن ذلك كله إنما أنبته وأخرجه رزقا للعباد. وقوله عز وجل: **وأحيينا به بلدة** أي بالماء، **بلدة ميتا** أي أحيى بالماء كل بدة ميتة[3] وكل بقعة ميتة وكل غرس فصار به[4] حياة كل حي ونماء[5] كل شيء. ثم قال: **كذلك الخروج**، أي كما قدر على إحياء ما ذكر من الأرض بعد موتها وإحياء النبات والغرس وكل شيء بعد موته بذلك الماء، فعلى ذلك قادر على إحيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا. والأعجوبة في إحياء ما ذكر كله من الأرض والنبات والغرس إن لم يكن أكثر لم يكن دون ما في إحياء الناس من بعد موتهم، فإذ قد عرفوا قدرته في إحياء ما ذكر وأقروا به كذلك لزمهم أن يقروا به في إحياء كل شيء. *والله الموفق*.

**﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾[١٢] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾[١٣] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد**، ذكر هذه[6] الأنباء لوجهين. أحدهما يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على أذى قومه وتكذيبهم إياه كما صبَّر أولئك يقول: إنك لست بأول رسول كذَّبه قومه بل كان قبلك رسل كذبهم قومهم فصبروا على ذلك فاصبر أنت أيضا. وهو[7] كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[8]

---

[1] ر ث م: والميل. التَّل: ما ارتفع من الأرض عما حوله، وهو دون الجبل (*المعجم الوسيط*، «تل»).
[2] ر م: والنضيد.
[3] جميع النسخ: ميت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.
[4] ن - به.
[5] ر ن ث: وبما.
[6] ن: هذا.
[7] ن - وهو.
[8] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

والثاني يحذّر قومه أن ينزل بتكذيبهم إياه وسوء معاملتهم به كما نزل بمن ذكر من الأقوام
[٧٤٥ظ] بتكذيبهم وسوء معاملتهم.[1] / وعلى هذين المعنيين جميع ما ذكر في القرآن من الأنبياء. *والله أعلم*.

ثم: **أصحاب الرس**، اختلف في الرس،[2] قال بعضهم:[3] هو بئر دون اليمامة وكان عندها أقوام كذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى. وقيل: الرس هو الوادي، وقال بعض: الرس هو خَدّ خدّوه[4] وجعلوا فيه النار وأحرقوا فيها نبيهم عليه السلام. وقال بعضهم: سُمّوا بذلك لأنهم رَسُّوا[5] نبيهم عليه السلام في البئر. وقال بعضهم: هم قوم الرسل الذين[6] ذكرهم في سورة يس بقوله تعالى: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ.[7] وعن الأصم أنه قال: الرسّ كل موضع خُدَّ فيه ولذلك سُمّي الخَدّ خدا لجري الدمع عليه. *والله أعلم*.

وقوله: **وإخوانُ لوط**، أي قوم لوط. وقوله: **وقومُ تُبَّع**، قيل: إنه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه، سمي تبعا لكثرة أتباعه. ولا حاجة بنا إلى تفسيره أنه[8] من كان وما اسمه؟ كما ذكر بعض أهل التأويل لما لم يذكر في القرآن إلا ذلك القدْرُ[9] ولم يثبت بالتواتر، فلا نزيد[10] على ذلك القدر احترازا عن الكَذِب. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **كل كذب الرسل فحق وعيدِ**، يخوّف أهل مكة أن أولئك الذين ذكرهم جميعا قد أهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك، فعلى ذلك يَحِق[11] عليكم ذلك الوعيد بتكذيبكم[12] الرسول. *والله أعلم*.

---

[1] ن – به كما نزل بمن ذكر من الأقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم.
[2] م – اختلف في الرس.
[3] ر ث م – قال بعضهم.
[4] خدّ الأرض يَخُدّ خدًا: حفرها، والأُخدود: الشق المستطيل في الأرض (*المعجم الوسيط*، «خدّ»).
[5] رسَّ البئرَ: حفرها.
[6] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤ظ.
[7] سورة يس، ١٤/٣٦.
[8] ر م: أنه.
[9] ر ث م – إلا ذلك القدر.
[10] ر: فلا يزيد.
[11] ن: لحق.
[12] ر ث م: بتكذيب.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **أفعيينا بالخلق الأول**، هو يخرج على وجهين. أحدهما **أفعيينا**، أي أعجزنا عن خلق. أي حيث[١] لم نعجز عن الخلق الأول فكيف نسبونا إلى العجز[٢] عن الخلق الثاني. والثاني **أفعيينا**، أي أجهلْنا وخفي علينا تدبير الخلق الثاني وابتداءُ تدبير الخلق الأول وإنشاؤه أشد عندكم من إعادته والإعادة عندكم[٣] أهون. فإذ[٤] لم نعجز[٥] عن ابتداء إنشائه ولم نجهل[٦] ولم يَخْفَ علينا الابتداء فأنى نعجز[٧] عن الإعادة؟ ثم قال بعضهم: الخلق الأول هو آدم عليه السلام، وقال عامتهم: هو ابتداء خلقهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بل هم في لَبْس من خَلْق جديد**، أي هم في شك واختلاط من خلق جديد لما تركوا النظر في سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**، هو يخرج على وجهين. أحدهما يقول: على علمٍ منا [ما][٨] تحدّث به[٩] نفسه وتوسوس[١٠] من أنواع الحديث والوسوسة لا عن جهل وخفاء عن ذلك. فإنْ هو كفّها وحبسها عما تدعو[١١] به إليه نفسه وتهواه[١٢] ويصرفها إلى ما يدعوه عقله وذهنه نجا وفاز، لقوله[١٣] تعالى: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[١٤] وقال: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى،[١٥]

---

[١] ث – حيث.
[٢] ر م – العجز؛ ن + الخلق؛ ر م + من أعادته والإعادة عندكم.
[٣] ر م – من إعادته والإعادة عندكم.
[٤] ر ث م: فإذا.
[٥] جميع النسخ: لم يعجز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٥ظ.
[٦] جميع النسخ: و لم يجهل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: فأنى يعجز. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٩] جميع النسخ: يحدث به. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن ث: ويوسوس. أي توسوس النفس في صدور الإنسان.
[١١] جميع النسخ: عما يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: يهواه؛ ن: وشهواته. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: لقوله.
[١٤] سورة يوسف، ١٢/٥٣.
[١٥] سورة النازعات، ٧٩/٤٠-٤١.

وإن تركها حتى تمادى في هواها هلك، قال الله[1] تعالى: فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى،[2] وقال في آية أخرى: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ،[3] ونحوه كثير في القرآن.

والثاني يذكر قوله:[4] **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه،** أي نحن مطلعون على ذلك ليس علم ذلك إلى الحفظة ولا هم[5] يتولون[6] كتابته،[7] أي لم يجعل ذلك إلى أحد إنما ذلك إلى الله تعالى، هو العالم بذلك وهو المطلع عليه دون الملائكة، وإنما إلى الملائكة ما يلفظه ويفعل بالجوارح لقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[8] وقال في آية أخرى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[9] أخبر أن الحفظة إنما يعلمون ما يفعلون[10] ظاهرا، أما ما يسرون في قلوبهم فالله هو المطلع على ذلك العالم به[11] ليكونوا[12] أبدا على اليقظة والحذر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.** يُفهَم من قرب الرب تعالى إلى العبد[13] ما يفهم من قرب العبد إلى الله تعالى. وإنما يكون قرب العبد إلى الله تعالى بالطاعة له والقيام بأمره والانقياد والخضوع له، هذا هو المفهوم من قرب العبد إلى الله تعالى لا قربُ شيء آخر. فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى إلى العبد الإجابة له والنصر والمعونة والتوفيقُ على الطاعات. وعلى ذلك[14] ما يقال: فلان قريب إلى فلان، لا يَعْنُون قرب نفسه من نفسه في المكان

[1] ن – الله.
[2] سورة النازعات، ٧٩/٣٧-٣٩.
[3] سورة الفرقان، ٢٥/٤٣.
[4] ر ث م – قوله.
[5] ر م: وهم.
[6] م: يتولونه.
[7] ر م: كنايته.
[8] الآية ١٨ من هذه السورة.
[9] سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢.
[10] ر ث م: ما تفعلون.
[11] ر ث م – به.
[12] ر: ليكونون.
[13] ر ث م: إلى العبيد.
[14] ن – له هذا هو المفهوم من قرب العبد إلى الله تعالى لا قرب شيء آخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى إلى العبد الإجابة له والنصر والمعونة والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك.

ولكن يعنون نصره له ومعونته إياه وإجابته. ويحتمل أن يذكر القرب منه كناية عن العلم بأحواله ظاهرا وباطنا. *والله أعلم*. وأصله أن يعتبر الأحوال فيما ذكر من القرب فإن كان في السؤال فالمراد أنه قريب منه بالإجابة له أي يجيبه، كقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ.[١] وإن كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب في تلك الحالة العلم به، كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[٢] الآية، فعلى ذلك قوله: **ونحو أقرب إليه من حبل الوريد**، وقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ،[٣] يفهم منه النصر والمعونة أو العلم. فيكون قوله: **ونحن أقرب إليه**، أي أعلم[٤] وأولى به وأحق من غيره في النصر والمعونة وأولى به في الإجابة. *والله أعلم*. وعلى ذلك يخرج ما روي عن / النبي صلى الله عليه وسلم: [٧٤٦و]
«من تقرب إليّ شبرا تقربت منه شبرين»[٥] على ما ذكرنا من قرب الطاعة له وقرب الرب إليه[٦] بالنصر والمعونة لا قرب المكان. *ولا قوة إلا بالله*. وقوله عز وجل: **حَبْلِ الوريد**، قال بعضهم: عِرق العنق، والوريد العنق، وقال[٧] بعضهم: هو عرق بين العِلباء[٨] والحلقوم، وقال بعضهم: هو عرق القلب[٩] معلق به فإذا قطع ذلك العرق[١٠] يموت الإنسان. *والله أعلم*.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**،[١١] أي اذكر تلقى[١٢] المتلقيين أو احفظ تلقى[١٣] المتلقيين أو أحذر تلقى[١٤] المتقيّيْن، وهما الملكان المسلّطان على أعمالك وأقوالك،

---

[١] سورة لبقرة، ١٨٦/٢.
[٢] سورة المجادلة، ٧/٥٨.
[٣] سورة الواقعة، ٨٥/٥٦.
[٤] ث + به.
[٥] مسند *أحمد* بن حنبل، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١.
[٦] ث: له.
[٧] ن: قال.
[٨] رم: القلباء؛ ن ث: العيباء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥و. وهو العصبة الممتدة في العنق [وهو مذكر].
[٩] ن – عرق القلب.
[١٠] ن – العرق.
[١١] جميع النسخ + ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.
[١٢] ن: ليذكر يبقى.
[١٣] ن: يبقى.
[١٤] ن: يبقى.

إذ يتلقيان منك أعمالك وأقوالك ويحفظان عليك ويكتبان. يذكر هذا ويخبرهم أن عليهم حافظا ورقيبا وإن كان هو تعالى حافظا لجميع أفعالهم وأقوالهم عالما به، فحفظ الملائكة وكتابتهم وعدم ذلك بمنزلة في حق الله تعالى. لكن يخرج الأمر للملائكة بحفظ أعمالهم وكتابة ذلك على وجوه من الحكمة. أحدها ليكونوا على حذر أبدا مما يقولون ويفعلون؛ على ما يكون في الشاهد مَن علم أن عليه شاهدا[1] حافظا ورقيبا في أمر يكون أبدا على حذر وخوف من ذلك الأمر وذلك أَذْكَرُ له وأدعى إلى الانتهاء عن ذلك. فعلى ذلك إذا علم العبد أن عليه حفيظا ويكتب ذلك عليه وأنه يكلَّف تلاوة ذلك المكتوب بين يدي الله تعالى فيستحيي من ذلك أشد الاستحياء يكون ذلك أزجر له وأبلغ في المنع، وإلا فكان[2] إحصاء ذلك على الله تعالى مع الكتاب وغير الكتاب سواءً إذ هو عالم بذاته لا بالأسباب، وهو تأويل قوله:[3] لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى.[4] ***والله أعلم.***

والثاني من الحكمة امتحان الملائكة بحفظ[5] أعمال بني آدم وأقوالهم وكتابة ذلك. فيمتحنهم بذلك[6] ويأمرهم به.[7] ولله[8] أن يمتحن الملائكة من شاء منهم بالتسبيح والتعظيم، ومن شاء منهم بالركوع، ومن شاء بالسجود، ومن شاء بحمل العرش والكرسي، ومن شاء بحفظ[9] بني آدم، ومن شاء منهم بسوق السحاب وإنزال المطر مما في ذلك منافع بني آدم. ويكون ذلك كله بحق العبادة ليعلم أن من امتحن منهم بالركوع والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع يرجع إليه في ذلك ولكن يمتحنهم بمحن بما شاء وفيما[10] شاء ويكون ذلك كله عبادة وإن اختلفت[11] أنواعه. فعلى ذلك أمرُه إياهم بحفظ أعمال بني آدم[12] وأقوالهم[13] وكتابتها. ***والله أعلم.***

---

[1] ن ث + شاهدا.
[2] ر م: وإلا مكان.
[3] ر ث م − قوله.
[4] سورة طه، ٥٢/٢٠.
[5] ر م: بحفظ.
[6] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥و.
[7] جميع النسخ: وأمرهم به. وفي *الشرح*: في أمرهم به، ورقة ١٥٥و.
[8] ر: والله.
[9] ر: بحمل العرش والكرسي ومن شاء بحفظ.
[10] ن ث: وفيم.
[11] جميع النسخ: وإن اختلف. والصحيح من مرجع السابق.
[12] ن: ابني آدم.
[13] ث: أعمالهم وأقوالهم.

والمحنة بحفظ[١] تلك الأعمال والأصوات وكتابتها أشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع أو السجود أو القيام أو التكبير أو التهليل[٢] ونحو ذلك.[٣] ومن محنة بني آدم من إقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها، إذ لو اجتمع الخلائق على معرفة كيفية عمل واحد ما قدروا عليه فدل أن هذا التأويل محتمل.

والثالث وهو أن الله تعالى أخبرهم بكتابة الملكين أعمالهم وبقعودهم عن اليمين والشمال من غير أن رأى أحد من[٤] البشر إياهم ولا رأي كتابهم ولا سمع صوت كتابتهم، وقد أقدرهم على العلم بما في ضمائرهم وكتابة ذلك كله وأقدرهم[٥] على رؤيتنا ولم يُقدرنا على رؤيتهم وهم أجسام مرئية، ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل وأن لا يقدروا قوة كل خلق الله تعالى بقوة أنفسهم ولا رؤيةَ غيرهم برؤية أنفسهم، وأن قوة الرؤية يختلف باختلاف الأوقات والأشخاص فإن الملائكة يروننا ولا نراهم في الدنيا وإن كانوا أجساما مرئية حيث يرى بعضهم بعضا.[٦] ثم أخبر[٧] وقال: وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[٨] أخبر أنه يرى ذلك الكتاب في الآخرة وإن كان لا يراه في الدنيا وكذا يرى الملائكة في الآخرة، وهذا لأن هذه البِنْية[٩] لا يحتمل أشياء لضعف فيها ولحجاب[١٠] يكون في ذلك في الدنيا. ثم يحتمل أن يكون في الآخرة أقوى في احتمال ذلك فيبصر في الآخرة. وفي هذا[١١] رد قول المعتزلة في إنكارهم رؤية الله تعالى أنه لو كان يرى لَيُرَى في كل مكان على ما يُرَى الملائكة في الآخرة[١٢] دون[١٣] الدنيا ونحو ذلك فعلى ذلك رؤية الله.

---

[١] ر م: يحفظ.
[٢] ث: والتهييل.
[٣] ن – بالركوع أو السجود أو القيام أو التكبير أو التهليل ونحو ذلك.
[٤] ن – أحد من.
[٥] ن: أقدرهم.
[٦] جميع النسخ: لبعض.
[٧] م: أخبره.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/١٣.
[٩] ر: النسبة.
[١٠] ر ن م: وبحجاب.
[١١] ن: وهذا.
[١٢] ث: في الدنيا.
[١٣] ث + الملائكة.

ثم القراءة[1] العامة: **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: إذ يتلقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال،[2] فعلى قراءته يخرج تأويل الآية على وجه واحد أي يأخذ الملكان عن ابن آدم ما فعلوا وقالوا. وعلى قراءة العامة[3] يخرج على وجهين. أحدهما أن يأخذ الملكان عنه ما أدى إليهما من قول أو فعل. والثاني أن يتلقى أحد الملكين عن الآخر ما ألقى عليه ذلك الملك، على ما روي عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنه[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صاحب اليمين أمين[5] على صاحب الشمال، فإذا[6] عمل العبد سيئة قال له صاحب اليمين: أمسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها سيئة واحدة».[7] ويجوز أن يكون [٧٤٦ظ] / أحدهما كاتبا دون الأخر وإن كانا يتلقيان ويأخذان منه ذلك، لما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ،[8] ولم يقل:[9] قال قريناه. ويجوز أن يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كاتبان كاتب عن يمينه وكاتب عن يساره فيكتبان الحسنات والسيئات ثم يَرفعان إلى من فوقهما كلَّ اثنين وخميسٍ فيُثبتون [ما كان] من ذلك من ثواب أو عقاب ويُلقُون ما سوى ذلك.[10] وروي أيضا عنه وعن غيره من أهل التأويل أنهما يكتبان ما كان من خير وشر وما سوى ذلك فلا. ولكنّ ظاهر الكتاب يدل على أنه يكتب كل شيء وهو قوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[11]

---

[1] ر م: قراءة.

[2] ث – قعيد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه إذ يتقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال.

[3] جميع النسخ: على قراءة العامة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥ظ.

[4] ن ث – أنه.

[5] ر ث م – أمين.

[6] ر ث م: وإذا.

[7] *المعجم الكبير* للطبراني، ١٩١/٨.

[8] الآية ٢٣ من هذه السورة.

[9] ر ث م: ولم يقرأ.

[10] ن – ذلك. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ما يلفظ من قول﴾ الآية، قال: كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته وكاتب السيئات عن يساره، فإذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه حتى يسبح أو يستغفر. وإذا كان يوم الخميس كتب ما يجزى به من الخير والشر، ويلقى ما سوى ذلك، ثم يعرض على أم الكتاب فيجده ثمته فيه (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٤/٧).

[11] الآية التالية.

إلا أن يقال: المراد من قَوْلٍ[١] هو سبب الثواب والمآثم كما قال في آية أخرى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٢] أي لا يغادر صغيرة من المآثم ولا كبيرة منها لا مطلقَ[٣] صغائر الأشياء وكبائرها فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**. ثم جَعْل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جَعَل في الشهادة اثنين فيما بينهم في الأحكام والحقوق ليشهدا عليه في الآخرة.[٤]

*ثم قوله[٥] عز وجل: **عن اليمين وعن الشمال قعيد**، قال القُتَبِي: أراد قعيدا[٦] من كل جانب منهما إلا أنه اكتفى بذكر الواحد إذ[٧] كان دليلا على الآخر. **وقعيد** بمعنى قاعد، كما يقال: قدير وقادر، أو يكون بمنزلة أكيل وشريب، أي مُؤاكل ومشارِب، **قعيد** أي مقاعد. وبه قال أبو عَوْسَجَة: قعيد من المقاعدة، كما يقال: قعيدي وجليسي. **والله أعلم**.* [٧٤٦ظ س١٣ - ٧٤٦ظ س١٦]

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**، في ظاهر الآية أن الملائكة إنما يكتبون ظاهر الأقوال والأفعال لا في الضمائر، لكنه غير مستنكر في العقول أن يكون الله تعالى أقدرهم على العلم بما في ضمائرهم فيعرفون ذلك ويكتبون، ولكن ظاهر الآية يشير إلى ما قلنا. **والله أعلم**.* وقوله عز وجل: **رقيب عتيد**، الرقيب الحفيظ، والعتيد الحاضر، أي ليس بغائب حتى يغيب عنه شيء. **والله أعلم**.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وجاءت سكرة الموت بالحق**، قال أبو عَوْسَجَة: **سكرة الموت**، أي شدته، يخبر أن لا بد أن ينزل بالنفس عند الموت شدة[١٠] ومشقة. ثم الآية تخرج[١١] على وجهين.

---

[١] جميع النسخ: هو قول.
[٢] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٣] ث م: إلا مطلق.
[٤] ث + والله أعلم.
[٥] ر: وقوله.
[٦] ر م: قعيد.
[٧] ر م: إذا.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٧٤٦ظ/سطر١٣-١٦.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى موضعه.
[١٠] ر م: وشدة.
[١١] جميع النسخ: يخرج.

أحدهما أن تُجرَى[1] على ظاهرها في الماضي، أعني لفظة: **جاءت**، أي جاءت سكرة الموت على الذين كانوا من قبلكم فوجدتهم[2] غير متأهبين ولا مستعدّين له. ***والله أعلم***. والثاني أن يكون قوله: **وجاءت**، بمعنى تجيء،[3] وكذلك: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ.[4] وذلك جائز في اللغة. وقوله عز وجل: **بالحق**، أي من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة. يقول: عند ذلك يتبيّن له[5] ويظهر أنه من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة، أو من أهل الجنة أو من أهل النار. وأصله عندنا أن الحق هو ما وُعد كلُّ نفس من خير وما أُوعد كل[6] نفس من الشر: إن كان مؤمنا وقد وعد له الجنة فيُتحقق[7] له ذلك وإن كان كافرا وقد أوعد له النار[8] فيتحقق له ذلك. ويحتمل ما ذكر من الحق هاهنا هو الموت نفسُه، أخبر أنه لا بد من الموت وأنه كائن لا محالة وهو كقوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ،[9] يقول: لم يخلق الخلقَ للخلود في الدنيا ولكن للآخرة فلا بد من الموت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك ما كنت منه تحيد**، يحتمل وجهين. أي أتاك[10] ما كنت تكره مجيئه وتنكر ولم تؤمن به،[11] وهو البعث ويوم القيامة الذي تنكرونه وتكرهونه.[12] والثاني يحتمل الموت نفسه، أي أتاك[13] ما كنت[14] تكره وتفر منه -إذ هم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه- فإنه ملاقيكم، أي يأتيكم من حيث لا مفر،[15] كقوله تعالى: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ،[16]

---

[1] ر: أن لا يخبرى؛ ن ث: أن يجري؛ م: أن لا يجزئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥ظ.
[2] ر ث م: فوجدتم.
[3] ث: يجيء.
[4] الآية ٢١ من هذه السورة.
[5] جميع النسخ: يبين له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[6] ن + كل؛ ث: أو ما أوعد كل.
[7] ن: فيحقق.
[8] ن: وقد أوعد النار؛ ث: وقد أوعد له النا.
[9] سورة الأنبياء، ٣٤/٢١.
[10] ر ن م: إياك.
[11] ن – به.
[12] جميع النسخ: ينكرونه ويكرهونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[13] ر ن: إياك.
[14] ر ن م: مما كنت.
[15] ن - فإنه ملاقيكم أي يأتيكم من حيث لا مفر.
[16] سورة الجمعة، ٨/٦٢.

أي يأتيكم من حيث لا مفر لكم عنه.[١] ثم الحَيْد هو الميل والكراهة، وقال أبو عَوْسَجَة: الحيد الفرار، يقال: حاد يحيد حيدا فهو حائد.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد**، يحتمل أن يكون أراد النفخة الأولى وهى النفخة التي يفزع عندها أهل السماوات والأرض فيموتون. ويحتمل أن يريد النفخة الثانية التي عندها البعث وإدخال الأرواح في الأجساد. ويحتمل[٢] أن يريد عند ما يوضع كل واحد في القبر، وهو أن يسأل، على ما جاءت الأخبار من سؤال مُنكَر ونكير وذلك أيضا هو[٣] يوم الوعيد في حق ذلك الرجل، وهذا للكافر[٤] خاصة. وقوله عز وجل: **ذلك يوم الوعيد**، أي ذلك يوم وقوع الوعيد، إذ يوم الوعيد الدنيا فأما القيامة فهو يوم وقوع الوعيد وتحققه. *والله أعلم.*

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**، قال بعضهم: السائق الذي يقبض روحه، والشهيد الذي / يحفظ عمله. وقال بعضهم: السائق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته، [٧٤٧و]
والشهيد هو الذي يكتب حسناته، وقيل: السائق هو النار التي يأتي فيسوق[٥] الكفرة إلى المحشر، والشهيد هو عمله الذي عمل في الدنيا. وقيل: السائق الكاتب، والشهيد الجوارح[٦] بقوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ،[٧] الآية. وأصله ما ذكر في قوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[٨] وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[٩] ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[١٠]

[١] ر ن م: عنده.
[٢] ن: وويحتمل.
[٣] ن: هو أيضا.
[٤] ن: الكافر.
[٥] ر م: يسوق.
[٦] ن ث: جوارحه.
[٧] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[٨] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[٩] سورة الزمر، ٧٣/٣٩.
[١٠] سورة الصافات، ٢٢/٣٧.

وقال عز وجل: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ.[1] فالسائق هو ملك يسوق إلى ما أمر من الجنة أو النار، والشهيد هم الملائكة الذين يكتبون علينا الأعمال فيشهدون في الآخرة إن كان شرا فشر وإن كان خيرا فخير. والله أعلم بحقيقة ما أراد، وإن كان ما قالوا فمحتمل. *والله أعلم*.

**﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد،** يقول: لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي[2] تعاين وتشاهد، أو في غفلة مما أُوعدت من المواعيد والشدائد التي عاينتها. **فكشفنا عنك غطائك،** أي كشفنا عنك الشُّبه التي يمنع وقوع العلم به والتجليّ[3] له. **فبصرك اليوم حديد،** أي ثاقب نَيِّر يُبصر الحق، كقوله تعالى: أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا.[4] وقيل: **حديد،** من الحدّة أي نافذ لا يخفى عليه شيء. فكأنه أراد –والله أعلم– إنك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعن هذه الحال والآن قد عاينت ما كنت عنه في غفلة وأتقنت[5] به، وهو كقوله عز وجل: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ.[6]

**﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد،** أي يقول الملك الذي كان عليه رقيبًا،[7] أي كل ما عمل فهو عندي حاضر من تكذيب وعمل السوء؛ فيشبه أن يكون شهادة الحفظة عليه هذا القولَ. ويحتمل أن يكون ذلك على السؤال للملائكة عما كتبوا وحفظوا، يقول كل ملك: **هذا ما لديَّ عتيد،** أي هذا الذي عمل هذا عندي حاضر محفوظ إذ الكتاب الذي كتبت فيه أعماله حاضر. ثم جائز أن الذي يكتب الأعمال لكل واحدٍ واحدٌ، على هذا حيث قال:

---

[1] سورة فصلت، ١٩/٤١.
[2] ر ث م – لدي.
[3] جميع النسخ: والتحلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[4] سورة مريم، ٣٨/١٩.
[5] ن: وأبقيت.
[6] سورة التكاثر، ١٠٢/٦–٧.
[7] ر ن م: رقيب.

**وقال قرينه**، و لم يقل قريناه وإن كان قال: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ،[1] على ما ذكرنا أنهما ملكان، لكن يجوز أن يتولى الكتابة[2] واحد والآخر شاهد. وجائز أن يكونا[3] يكتبان جميعا، بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[4] لكنه ذكر هاهنا بحرف التوحيد فقال: **وقال قرينه**، لما يقول كل واحد منهما ذلك على حِدَةٍ وهو كما ذكرنا في قوله:[5] عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ،[6] أي كل واحد منهما قعيد. ***والله أعلم***.

## ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **ألقيا في جهنم كل كفار عنيد**، يحتمل أن يكون الخطاب بقوله تعالى: **ألقيا**، لاثنين على ما هو ظاهر الصيغة: الذي يسوقه والذي يشهد عليه حيث قال: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ،[7] كان الأمر بذلك لهما. ويحتمل أن يكون المراد بالخطاب هو القرينَ الذي سبق ذكره: وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ،[8] لكن قال: ألقياه لوجهين. أحدهما ما قيل: إن العرب قد تذكر[9] حرف التثنية على إرادة الواحد والجماعة. والثاني ما قال بعضهم: إن المراد من قوله: **ألقيا**[10] أي ألق ألق على التأكيد، كقوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،[11] على الوعيد في الذم، ويقال في المدح: بَخٍ بَخٍ ونحو ذلك على التأكيد. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كُلَّ كفَّار عنيد**، يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها إلى غيره، أو كل كفار لتوحيد الله وتسمية غيره إلها. والعنيد قال بعضهم: هو الذي بلغ في الخلاف غايته والمخالِفُ أشدَّ الخلاف، من عَنَد يعنِد عُنودا فهو عاند وعنيد بمعنى عاند، وقيل: هو الذي لا يُنصِف من نفسه، وقيل: هو الذي يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له. ***والله أعلم***.

---

[1] الآية ١٧ من هذه السورة.
[2] ر: الكناية.
[3] ن: أن يكون.
[4] سورة الانفطار، ٨٢/١١-١٢.
[5] ر ث م: وفي قوله.
[6] الآية ١٧ من هذه السورة.
[7] الآية ٢١ من هذه السورة.
[8] الآية السابقة.
[9] ر ن ث: قد يذكر.
[10] م: ألقياه.
[11] ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٣٦).

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **مناع للخير**، يحتمل وجهين. أحدهما مناع عن الخير،[1] وهو من[2] منع غيره عن التوحيد وقبول الحق. والثاني **مناع للخير** أي منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في أمواله ونفسه. وقال بعض أهل التأويل: أراد به الوليد بن المغيرة المخزومي. لكن هذا عادة كل كافر، كقوله عز وجل: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا،[3] فلا معنى لتخصيص واحد به. وقوله عز وجل: **مُعْتَدٍ مُرِيبٍ**، المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى، والمريب من الرِّيبة وهو الشك والفساد، فكان المريب هو الذي فيه الشك والفساد جميعا. ثم نعت ذلك الإنسان فقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾[٢٦]

**الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد**، أي وصف وذكر مع الله إلها آخر،[4] وهو كقوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،[5] وقوله تعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا،[6] أي قالوا ووصفوا أنهم إناث وإلا لا يملكون جعل ذلك حقيقة. وقوله عز وجل: **فألقياه في العذاب الشديد**، وصَف نار جهنم بالشدة لما أنه لا انقطاع لها وكل عذاب يرجى انقطاعه في بعض الأزمان ففيه بعض الراحة. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[٢٧] ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[٢٨]

[٧٤٧ظ] وقوله عز وجل: / **قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**، أي قال شيطانه الذي أضله ودعاه إلى ما دعا فصار قرينه في الآخرة، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[7] ويحتمل: **قرينه** أي رفيقه الذي كان معه يتبعه ويصدر[8] عن رأيه.

---

[1] ن - يحتمل وجهين أحدهما مناع عن الخير.
[2] ر م - من.
[3] سورة المعارج، ١٩/٧٠-٢١.
[4] ن - أي وصف وذكر مع الله إلها آخر.
[5] سورة النحل، ٥٧/١٦.
[6] سورة الزخرف، ١٩/٤٣.
[7] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.
[8] ر م: تبعه وتصدر؛ ت: وتصدر.

ثم هذا القول من قرينه إنما كان بعد أن كان منه إنكار بما كان منه من الكفر والشرك عن اختيار، وقال: هذا الذي أضلني وأطغاني وهو الذي[1] حملني عليه، كقولهم: هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ.[2] فيقول رفيقه: **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد.** وكانت الكفرة لحيرتهم وقلة حيلتهم أحيانا ينكرون الشرك، كقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[3] وقوله عز وجل: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ، ثم قال: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[4] وأحيانا يقولون: هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[5] وأحيانا: يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[6] ثم قوله[7] عز وجل: **ربنا ما أطغيته،** أي ما قهرته على الضلال ولا لي قوةُ ذلك، ولكن اتبعني على ما كنت أنا فيه وأطاعني من غير أن يكون مني إكراه وإجبار على ذلك، وهو ما ذكر: **ولكن كان في ضلال بعيد،** أي كان في ضلال لا يرجى الرجوع عنه[8] ولا الانقطاع. وقال بعض أهل التأويل: إن ذلك الكافر يكذب الحفظة بأنهم كتبوا ما لم أعمل، وهم كانوا يكذبون في ذلك اليوم لحيرتهم،[9] كقولهم: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[10] فقال قرينه وهو الذي يكتب أعماله: **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد.** لكن هذا فاسد وهذا القول من الشيطان لا من الملائكة،[11] إذ هم لا يدّعون على الملائكة الإطغاء والإغواء. ألا ترى أنه قال: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد،** واختصامهم مع الشيطان كما أخبر عز وجل في غير آي من القرآن، قال الله تعالى: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[12] وقوله عز وجل: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ -إلى قوله تعالى-

---

[1] ن – الذي.

[2] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[3] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

[4] جميع النسخ: الكافرون. سورة المجادلة، ١٨/٥٨.

[5] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[6] ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

[7] ر ث م: وقوله.

[8] ر ث م – عنه.

[9] ر م: لحيرتهم.

[10] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

[11] ر ث م + الإطغاء والإغواء.

[12] سورة الصافات، ٢٧/٣٧-٢٩.

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي،[1] الآية.[2] فهذه الخصومة بينهم وبين قرنائهم وهم الشياطين؛ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا.[3] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لا تختصموا لديَّ**، خصومتهم ما ذكرنا قالت الأتباع: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[4] وما ذكر من لعن بعضهم على بعض ومن تبرى بعض عن بعض فقال عز وجل: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**، أي قدمت إليكم من الوعيد في الدنيا ما يقطع[5] خصوماتكم هذه، أي بينت في الدنيا ما يلحق بمن ضل بنفسه ومن ضل بغيره. كأن هؤلاء الكفرة يطلبون وجه الاعتذار بما لا عذر لهم فلذلك يقال لهم: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**، أي أرسلت إليكم الرسل ومعهم[6] الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا[7] ذلك كله.

فإن قيل: قال هاهنا: **لا تختصموا لديَّ**، وقال في موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ،[8] وبين الآيتين[9] مخالفة من حيث الظاهر فما وجه التوفيق بينهما؟

قيل: من وجوه ثلاثة. أحدها ما قال[10] بعضهم: قوله: **لا تختصموا لدي**، في أهل الكفر خاصة وقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ، في أهل القبلة، وهو[11] في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا.

والثاني ما قال بعضهم بأن إحدى الآيتين في موضع والأخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جمعا[12] بين الآيتين، وهو كقوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ،[13]

---

[1] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[2] ن – الآية.

[3] سورة النساء، ٣٨/٤.

[4] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[5] جميع النسخ: فانقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧و.

[6] ر م: معهم.

[7] ن: فلم يقبلوا.

[8] سورة الزمر، ٣١/٣٩.

[9] ن: الآية.

[10] ر ث م: أحدها قال.

[11] ن: وهي.

[12] ر م: جميعا.

[13] سورة الرحمن، ٣٩/٥٥.

وقال في آية أخرى: وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[١] وقال في آية أخرى:[٢] يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ،[٣] فعلى ذلك هذا.

والثالث جائز أن يكون قوله تعالى: **لا تختصموا لديَّ** في الدين:[٤] فيما بينهم وبين ربهم في دفع عذاب الله عن أنفسهم[٥] وذلك لا يملكون ولا ينتفعون به، وأما قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ،[٦] فيما بين أنفسهم في المظالم والغرامات. ***والله أعلم***.

**﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **ما يبدل القول لدي**، هذا يحتمل وجوها. أحدها **ما يبدل**، ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب وما[٧] سبق مني من الوعد والوعيد في الدنيا بأن أجعلَ جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النارَ، إذ قد سبق في وعدي ووعيدي بأن أجعل الجنة مثوى المؤمنين والنارَ مثوى الكافرين، فلا يبدل[٨] عندي[٩] ذلك الوعد والوعيد.[١٠] والثاني **ما يبدل القول لدي**، يحتمل أنه أراد به قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[١١] والثالث[١٢] لا يبدل اليومَ ما يستوجب به الجنة والخلود فيها وهو الإيمان عن غيب / كما أخبر عز وجل: [٧٤٨و] مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ،[١٣] الآية، فأما الإيمان بعد العيان لا ينفع كما أخبر عز وجل: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[١٤] الآية. وقوله عز وجل: **وما أنا بظلام للعبيد**، أي في العقل والحكمة تعذيب من أتى بالكفر والشرك فيكون ترك تعذيبه سفها.

---

[١] ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[٢] ن – أخرى.
[٣] سورة المدثر، ٤٠/٧٤-٤٢.
[٤] ن: في الذين.
[٥] م: من أنفسهم.
[٦] سورة الزمر، ٣١/٣٩.
[٧] جميع النسخ: والثواب ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧و.
[٨] ر: ولا يبدل.
[٩] ر م – عندي.
[١٠] ث – فلا يبدل عندي ذلك الوعد والوعيد.
[١١] سورة هود، ١١٩/١١.
[١٢] ث + أي.
[١٣] الآية ٣٣ من هذه السورة.
[١٤] سورة المؤمن، ٨٥/٤٠.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم: **هل امتلأت؟** وعلى تحقيق القول من جهنم والإجابة له: **هل من مزيد؟** وذلك جائز أن يُنطق الله تعالى جهنم حتى تُجيب له بما ذكر: **هل من مزيد؟** على ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم والنطق منها لمكن حتى أجابت الجوارح لهم لَمّا قالوا: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ،[١] وعلى ذلك ما ذكرنا في قوله جل وعلا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[٢] ونحو ذلك. ومثل هذا غير مستنكر في العقول على تقدير إحداث الحياة فيها التي هي شرط النطق عن عدم. *والله أعلم*.

والثاني على التمثيل لا على تحقيق[٣] القول لها: **هل امتلأت؟** ولا على[٤] تحقيق الإجابة منها: **هل من مزيد؟** ولكن على التمثيل لوجهين. أحدهما أي إن جهنم لو كانت بحيث تنطق وتستمع[٥] وتعلم لو قلت لها: هل امتلأت وتقول هل من مزيد. يخبر عن انقياد المخلوقات له والطاعة والإجابة، وهو ما ذكرنا في قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[٦] لا يكون من الدنيا حقيقة التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه أنها بحال من التزين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم. *والله أعلم*. والثاني وصفٌ لها بالعظم والسعة وإخبار عن أنها تحتمل[٧] المزيد وإن جُمع فيها[٨] من الكفرة ما لا يحصى على التمثيل، وهو كقوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[٩] وكذلك قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[١٠] وصفٌ لها بالتزين والحُسن الظاهر ما لو لم يتأمل[١١] الناظر فيها العاقبة لاغتر بها من حسنها وزينتها فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

---

[١] سورة فصلت، ٢١/٤١.
[٢] سورة سبأ، ١٠/٣٤.
[٣] ر: على تمثيل لا على تحقيق؛ ث: لا على التحقيق.
[٤] ر م: وعلى.
[٥] جميع النسخ: ينصق ويستمع. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٥٧ظ.
[٦] سورة الأنعام، ٧٠/٦.
[٧] جميع النسخ: يحتمل.
[٨] ر ث م - فيها.
[٩] سورة الحشر، ٢١/٥٩.
[١٠] سورة الأنعام، ٧٠/٦.
[١١] ر ث م: ما لم يتأمل.

ثم قوله عز وجل: **هل من مزيد،**[1] يخرج على وجهين. أحدهما هل بقي من أحد[2] يزاد فيّ، فإني قد امتلأت وليس فيّ سعة تحتمل[3] غيرها؟ والثاني **هل من مزيد.** أي فيّ سعة عظيمة. فهل من زيادة خلقٍ أمتلئ بها، لأن الله تعالى وعد أن يملأ جهنم كما قال:[4] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[5] فتسأل المزيد من ربها لتمتلئ.[6] ***والله أعلم بذلك.*** وقال بعض أهل التأويل بأنها تسأل الزيادة[7] حتى يضع الرحمن قدمه فيها فتضيق[8] بأهلها حتى لا يبقى فيها مدخل رجل واحد، وروي خبرا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأنه فاسد وقول بالتشبيه[9] –وقد قام الدلائل العقلية على إبطال التشبيه فكل خبر ورد مخالفا للدلائل العقلية يجب رده– ومخالف لنص التنزيل وهو قوله عز وجل: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[10] ثم هذا الخبر[11] –على قول المشبهة على ما توهموا– مخالفٌ للكتاب لأن الله عز وجل قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وعندهم لا يمتلئ بهم ما لم يضع الرحمن قدمه فيها. ثم ذكر البلخي أن مدار ما ذكروا من الحديث على حمّاد بن سلمة وكان تَحرِفا[12] مُفَنَّدًا في ذلك الوقت لم يجز أن يؤخذ منه. مع ما روي في خبر أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يأتي الله تعالى ببشر فيضع في النار حتى تمتلئ»[13] فهذا يحتمل لا ما رَوَوْا. ***والله الموفق.***

---

[1] ث + أي في سعة عظيمة فهل من زيادة خلق امتلأ بها وليس في سعة تحتمل غيرها والثاني هل من مزيد أي في سعة عظيمة.
[2] ر ث م – أحد.
[3] ن: يحتمل.
[4] ن – كما قال.
[5] سورة هود، ١١٩/١١.
[6] ن: ليمتلئ.
[7] م: المزيد.
[8] ر: فيفسق؛ ن ث م: فيضيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.
[9] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم، وقالت النار يعني: أوثرت بالمتكبرين. فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»، قال: «فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا وإنه ينشئ للنار من يشاء فيُلْقَوْن فيها فتقول: ﴿هل من مزيد﴾ ثلاثا حتى يضعَ فيها قدمَه فتمتلئ، ويُردّ بعضُها إلى بعض وتقول: قَطْ قط قط» (*صحيح البخاري*، التوحيد ٢٥، التفسير ٥٠؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٣٥). انظر لتأويل كلمة «قدمه» الوارد هنا: *مسند أحمد بن حنبل*، نشر مؤسسة الرسالة، ١٣/١٥٠-١٥٢.
[10] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[11] ر م: لقول.
[12] ر م: حرفا.
[13] جميع النسخ: يمتلئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وأزلفت الجنة للمتقين**، أي قُرِبت، وذكر في آية أخرى: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا،[١] ذكر هاهنا تقريب[٢] الجنة إلى أهلها وذكر ثَمَّ سوق أهل الجنة إليها، فبين[٣] الآيتين مخالفة من حيث الظاهر. ولكن يحتمل وجهين. أحدهما أن أهل الجنة إذا قُرِبوا منها بالسَّوق إليها قُرِبت هي إليهم، لأن أحد الشيئين إذا قَرُب إلى الآخر قرب الآخر منه ويزول البعد بزوال المسافة وذلك معروف. و[الثاني] يحتمل أن يكون إخبارا عن وصف الجنة أنها بحال تُقَرِّب[٤] إلى أهلها وتُزْلَف. [ثم][٥] ذكر في الجنة التقريب وفي النار البروز والظهور بقوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[٦] فهو -والله أعلم- أن أهل النار كانوا يجحدون النار وينكرونها: فبرزت[٧] الجحيم ليرونها ويطّلعون عليها، وهو كقوله عز وجل: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ.[٨] فأما أهل التوحيد فإنهم كانوا يقرون بالجنة ولكن لا يرون أنفسهم من أهلها لما بدا[٩] منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من أنفسهم فذكر الله تعالى التقريب لهم ووعدهم بذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **غيرَ بعيد**، أي غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في القيامة. ***والله أعلم***. / والثاني[١٠] **غير بعيد** منهم في الدنيا، أي يأتونها ويكونون من أهلها عن قريب لأن كل ما هو[١١] آت فكأنْ قد أتى. ***والله أعلم***. ويحتمل[١٢] **غير بعيد**، منهم ما في الجنة[١٣] إذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب[١٤] منهم يتناولون كيف شاءوا. ***والله أعلم***.[١٥] [٧٤٨ظ]

---

[١] سورة الزمر، ٧٣/٣٩.
[٢] ر ن: بقريب.
[٣] ن: وبين.
[٤] جميع النسخ: يقرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.
[٥] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٦] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[٧] ر م: وبرزت.
[٨] سورة التكاثر، ٦/١٠٢.
[٩] ر ن م: بدوت؛ ث: بدت.
[١٠] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.
[١١] ر ث م – ما هو.
[١٢] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر ث م: منهم في الجنة.
[١٤] ن: قربت.
[١٥] ث – ويحتمل أي غير بعيد منهم في الجنة إذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم يتناولون كيف شاءوا والله أعلم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ**، الأواب الرجاع، من الأوبة وهي الرجوع. فمعناه لكل رجاع إلى الله تعالى في كل وقت أو رجاع[١] إلى أمره وطاعته. وقوله عز وجل: **حفيظٍ**، أي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية والحافظ لحدوده في أوامره ونواهيه، وهو كقوله تعالى: لِلْمُتَّقِينَ،[٢] ولِلْمُحْسِنِينَ،[٣] إذ التقوى هو الائتمار بما أُمر والامتناع عما نُهي وحُظر، والإحسان هو العمل بجميع ما يَحْسُن في العقول.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **من خشي الرحمن بالغيب**، أي خاف وحَذِره بما أُوعد.[٤] ثم يخرج على وجهين. أحدهما[٥] **من خشي الرحمن بالغيب**، أي قبل أن يراه[٦] على ظاهر ما ذكر. والثاني أي من خشي الرحمن في الدنيا التي هي حالُ غيب الدلائل بالمواعيد التي أُوعدها وحُذّر عنها قبل أن يعاينها، إذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدّقه فيما أُوعد وخافه، وهو كقوله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ،[٧] أي عقوبته ونقمته. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وجاء بقلب منيب**، [أي خُتم بقلب منيب]،[٨] والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع أوامره ونواهيه المطيع له في ذلك كله.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ادخلوها بسلام**، كأنه على الإضمار، أي يقال لهم: ادخلوها بسلام. [يحتمل وجوها. أحدها أي بسلام][٩] الملائكة أي تسلم[١٠] الملائكة عليهم وقت دخولهم الجنة،

---

[١] م: ورجاع.

[٢] ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ (سورة الشعراء، ٩٠/٢٦). وانظر مثلا: سورة ص، ٤٩/٣٨؛ وسورة القلم، ٣٤/٦٨؛ وسورة النبأ، ٣١/٧٨.

[٣] انظر مثلا: سورة الزمر، ٣٤/٣٩؛ وسورة الذاريات، ١٦/٥١؛ وسورة المرسلات، ٤٤/٧٧.

[٤] ر: بما أوعدهم.

[٥] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.

[٦] ر م: يرد؛ ن ث: يره. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] سورة آل عمران، ٢٨/٣، ٣٠.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.

[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[١٠] ر ث م: يسلم.

كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.[1] والثاني السلام هو اسم من أسماء الله تعالى فيقال لهم: ادخلوها باسم الله على ما هو الأصل في كل خير[2] أنه يبتدأ باسم الله تعالى امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لم يُبدأ باسم الله فهو أبتر».[3] وقال بعضهم: **ادخلوها بسلام**، أي سالمين عن الخوف والحزن لا آفة تصيبكم فيها وهو كقوله:[4] أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ،[5] عن الخوف والحزن.[6] ويحتمل أي ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا أمرَ ولا محنةَ سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم على بعض، بل يسقط عنكم جميع المحن والأوامر التي عليكم في الدنيا، وذلك قوله تعالى: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[7] وكأنه لا شيءَ أَلَذُّ[8] في الدنيا على أهل الإيمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضهم[9] على بعض فلذلك أبقي ذلك في الجنة وأسقط ما وراء ذلك. ***والله أعلم***. وقوله[10] عز وجل: **ذلك يوم الخلود**، يحتمل أي ذلك يوم الخلود لأهل[11] الجنة بالسرور والراحة ولأهل النار بالعقوبة والعذاب. ويحتمل أي يومٌ لا انقطاع لذلك الذي وُعدوا وهي الجنة. ***والله أعلم***.

**﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **هم ما يشاءون فيها**، أي لهم ما يختارون فيها لا يُجْبَرون ولا يكرهون فيها على شيء، إذ المشيئة هي صفة كل فاعل مختار. وإن كانت المشيئة مشيئة التمني والتشهي فكأنه قال: لهم ما يتمنّون ويتخيرون لقوله: لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ].[12] ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الزمر، ٧٣/٣٩.

[2] ر م: وفي كل خير؛ ث: وفي كل خير.

[3] «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع» (*الجامع لأخلاق الراوي* للخطيب البغدادي، ٨٧/٢؛ وفيض *القدير* للمناوي، ١٧١/٥).

[4] ن يصيبكم فيها وهو كقوله؛ ث: قوله.

[5] سورة الحجر، ٤٦/١٥.

[6] ن – عن الخوف والحزن.

[7] سورة يونس، ١٠/١٠.

[8] ر م: الذي.

[9] ر م: بعضكم.

[10] ن – وقوله.

[11] ر م: ولأهل.

[12] جميع النسخ + وقوله عز وجل ولهم ما يشتهون. لكن هذه الآية (سورة النحل، ٥٧/١٦) في حق نسبة المشركين لبنات إلى الله تعالى والبنين إلى أنفسهم. وهي غير موجودة في الشرح، ورقة ١٥٨و. سورة فصلت، ٣١/٤١.

وقوله عز وجل: **ولدينا مزيد،** قال بعض أهل التأويل بأنه يأتيهم سحابة فتمطرهم[١] كل ما يشاءون وذلك هو المزيد لهم في الجنة، وقال بعضهم بأنه تَنبُت[٢] لهم شجرة فينفطر[٣] لهم كل ما يشاءون فذلك هو المزيد. لكن يحتمل وجهين [آخرين].[٤] أحدهما النظر إلى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ.[٥] قيل: الزيادة[٦] هو رؤية الله تعالى في الجنة.[٧] و[الثاني] يشبه:[٨] **ولدينا مزيد،** من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم، كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة: «ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطَرَ على قلبِ بشر»،[٩] لأن الأماني والشهوات إنما يكون لما سبق لجنسه من الذي يقع عليه الرؤية والنظر أو الخبر، فأما ما لا معرفة له فلا يُتمنَّى[١٠] ولا يُشتهى. ***والله أعلم.***

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: كم أهلكنا قبلهم من قرن لم يملكوا دفع ذلك عن أنفسهم ولا الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما ينزل بهم لو أصرّوا على التكذيب. والثاني يقول: قد أُهلك الذين كانوا قبل قومك الذين كذبوا رسلهم أُهلكوا إهلاكَ عقوبة وتعذيب، والذين صدّقوا هَلَكوا[١١] بآجالهم لا هلاك عقوبة، وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين سواءً في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما، دل أن هنالك دارا أخرى يفرِّق بينهما [فيها].[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] ن ث: فيمطرهم.
[٢] ن: ينبت.
[٣] ن: فينقطر.
[٤] الزيادة من الشرح، ورقة ١٥٨و.
[٥] سورة يونس، ٢٦/١٠.
[٦] ر - قيل الزيادة.
[٧] تفسير الطبري، ٢٢٣/٢٦.
[٨] ن ث + أي.
[٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾» (صحيح البخاري، بدء الخلق ٨، التوحيد ٣٥؛ وصحيح مسلم، الإيمان ٣١٢، الجنة ٢-٥).
[١٠] ر م: فلا تمنى.
[١١] ر م: أهلكوا.
[١٢] الزيادة من الشرح، ورقة ١٥٨ظ.

وقوله عز وجل: **فنقبوا في البلاد**، قال[1] أبو عَوْسَجَة: **فنقبوا في البلاد هل من محيص**، أي صاروا في البلاد هل من مفر. وقال القُتَبي: **فنقبوا في البلاد**، أي طافوا وتباعدوا، **هل من محيص**، أي هل يجدون من الموت محيصا[2] أي مفرا. ويحتمل أي تقلبوا في البلاد في تجاراتهم فلا يجدون ملجأ يُرَدّ به هلاكُهم. يوعد بما ذَكَر[3] أهل مكة أنهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون[4] أنتم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣٧]

[٧٤٩و] وقوله عز وجل: **إن في ذلك / لذكرى لمن كان له قلب**، يحتمل وجوها. أحدها **إن في ذلك** [أي في القرآن][5] **لذكرى**، أي عظةً لمن كان له قلب. والثاني فيما ذكر من إهلاك الأمم الخالية وذهاب آثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر. والثالث أي فيما ذكرنا[6] من استواء المحسن والمفسد في هذه الدنيا والصالح والطالح لذكرى لمن كان له قلب أن هنالك دارا يميّز فيها بينهما. وقوله: **لمن كان له قلب**، أي عقل وفهم، أو لمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر. وإنما كَنَى بالقلب عن العقل لأن الناس اختلفوا، بعضهم قالوا: إن القلب محل العقل، وقال بعضهم: محله الرأس لكن نوره يصل إلى القلب فيبصر القلب الأشياء الغائبة بواسطة العقل فلذلك[7] كَنَى بالقلب عن العقل لمجاورة[8] بينهما وهو سائغ في اللغة.

وقوله عز وجل: **أو ألقى السمع وهو شهيد**،[9] أي يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه. وأصله أن القلب جُعل للوعي والحفظ[10] بعد الإدراك والإصابة. ثم أصل ما يقع به العلم والفهم شيئان: التأمل والنظر في المحسوس. والثاني أن يُلقى إليه الخبر وهو يستمع له. فكأنه يقول –والله أعلم–: **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**، يطلب الرشد والصواب يتأمل[11] وينظر ويعي ويحفظ،

---

[1] ر: وقال.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٩.
[3] ث: ما ذكر.
[4] ن: يجدون.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨ظ.
[6] ر ث م: ذكروا.
[7] ر ث م: فكذلك.
[8] ن ث: لمحاوزة.
[9] ر م + أي يستمع وهو شهيد.
[10] ن + والوعي والحفظ.
[11] ر م - يتأمل.

**أو ألقى السمع**، أي يستمع بما ألقي إليه وهو شاهد السمع والقلب، فيكون الذكرى لمن اختُصّ بهذين أو ينتفع به هذان الصنفان بالتأمل: فيرى بالعقل محاسن الأشياء ومساوئها أو يستمع حقيقة ذلك بالسمع فيتذكر. *والله أعلم.*

**﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾**[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**، قد ذكرنا[١] فيما تقدم تأويل خلق السماوات والأرض في ستة أيام.[٢] وقوله: **وما مسنا من لغوب**، أي من إعياء وتَعَب ونَصَبٍ. وفيه نقض قول اليهود -لعنهم الله- صُراحا[٣] ونفي إيهام[٤] المشبهة في قوله:[٥] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٦] وتبيين[٧] المراد من قوله[٨] عز وجل: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. أما نقض قول اليهود -لعنهم الله-[٩] فإنهم يقولون: خلق الله[١٠] السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في يوم السبت، وهم يتركون العمل يوم السبت لهذا. فالله عز جل أخبر أنه لم يَمَسَّه بخلق ما ذكر إعياء[١١] ولا لغوب على ما زعمت اليهود -لعنهم الله-[١٢] فيكون ردا لقولهم صريحا. وأما نفي إيهام[١٣] المشبهة فإنهم توهموا أن قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، على إثر خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام[١٤] في آية أخرى أن ذلك للراحة، فشبهوا الله تعالى بالخلق أنهم إذا فرغوا من أعمال عملوها ثم استوَوا على شيء إنما يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش حقيقة. فالله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق[١٥] السماوات والأرض

---

[١] ر ث م: ثم ذكرنا.
[٢] انظر: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.
[٣] جميع النسخ: مراحا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨ظ.
[٤] جميع النسخ: أنفهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: في قولهم.
[٦] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٧] ن: وتبين؛ ث: ويتبين.
[٨] ن: من قولهم.
[٩] ن – لعنهم الله.
[١٠] ن: إن الله خلق.
[١١] ر م: بإعياء.
[١٢] ن – لعنهم الله.
[١٣] ن: انفهام.
[١٤] ر ث م – في ستة أيام.
[١٥] ن: وخلق.

على أن استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما في الشاهد بين الحق. وبيّن تعاليه وبراءتَه عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق. ويتبين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر خلق السماوات والأرض على أن المراد منه التمام، أي تم ملكه بعد خلق السماوات والأرض[١] وما بينهما بخلق العرش، ويُذكر الاستواء ويراد به التمام. **والله أعلم.**

قال أبو عَوْسَجَة: اللغوب الإعياء، يقال: لَغِب يلغَب لُغوبا فهو لاغب، وأصله ما ذكرنا أنْ خلق الله تعالى الأشياء لا لمنفعة له أو حاجة يقع له ولا بالآلات[٢] والأسباب التي بها يقع التعب والإعياء في الشاهد؛ إذ الإعياء إنما يلحق مَن فِعْلُه الحركة والانتقال والسكون، فأما الله تعالى إنما يخلق الأشياء بقوله: "كُنْ" ولا يلحقه شيء من ذلك، وهو قادر بذاته فاعل لا بآلة وسبب فأنى يقع له الإعياء والتعب. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[٣٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فاصبر على ما يقولون**، أي فاصبر على ما يقولون فيك: إنك ساحر وشاعر[٣] ومجنون ونحوه، فأمره بالصبر على ذلك وأن لا يدعو[٤] عليهم بالهلاك. ويحتمل: **فاصبر على ما يقولون**، في الله من معاني الخَلْق فلا تُحازهم[٥] ولا تقاتلهم ولا تدع[٦] عليهم بالهلاك،[٧] ولكن اصبر فإن الله تعالى ينتقم[٨] منهم لك. وإنما أمره بالصبر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من المناكير وسمع وكذلك جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام لذلك أمره بالصبر فيما يقولون في الله أو فيه.

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**، قيل: **بحمد ربك**، أي بالثناء على ربك، أي أَثْنِ عليه بما هو أهله وما يليق به. وأهل التأويل يفسرون التسبيح

---

[١] ن – على أن المراد منه التمام أي تم ملكه بعد خلق السماوات والأرض.
[٢] ر ث م: بالات.
[٣] ن: شاعر وساحر.
[٤] ر م: أن لا يدعوا.
[٥] ر ث م: فلا تحارىهم؛ ن: فلا تجزيهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩و.
[٦] ر م: ولا تدعوا؛ ن ث: ولا تدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث – ويحتمل فاصبر على ما يقولون في الله من معاني الحق فلا تحارهم ولا تقاتلهم ولا تدع عليهم بالهلاك.
[٨] ر م: وينتقم.

في هذا الموضع وفي غيره من المواضع بالصلاة، فمعنى قوله تعالى: **وسبح بحمد ربك**، أي صلِّ بأمر ربك. وإنما صرفوا التسبيح[١] إلى الصلاة لأن الصلاة من أولها إلى آخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب قولا وفعلا، ولأنه لما قام إلى الصلاة فقد فارق جميع الخلائق بما هم فيه، وكذلك إذا حنا[٢] للركوع والسجود فارق جميع الخلائق فيما هم فيه من الأمور واعتزلهم واشتغل بمناجاة ربه جل وعلا. فجائز أن يكون تسميتهم التسبيح صلاة لهذا. [٧٤٩ظ]
ويحتمل أن يسموه[٣] صلاة لما أن في الصلاة تسبيحا.

وقوله عز وجل: **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**، قال بعضهم: قبل صلاة الفجر وقبل غروبها، وقال بعضهم:[٤] صلاة العصر، وقال بعضهم: صلاة العصر والظهر لأنهما جميعا قبل غروب الشمس. وقوله: **وأدبار السجود**، قال[٥] عامة أهل التأويل: هما ركعتان بعد المغرب، وذلك[٦] جائز محتمل. ويحتمل أن يكون أدبار السجود ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ،[٧] وتَفَيُّؤُ[٨] الظلال إنما يكون بالنهار وهو تسبيح الظلال. فمعناه: وسبحه وقت أدبار سجود ذلك الظلال الذي[٩] أخبر أنه يَتَفيأ[١٠] إذ تفيؤه[١١] هو تسبيحه. وهو ما ذكر في قوله تعالى: فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ،[١٢] وإدبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى: **وأدبارَ السجود**، أي سبحه بعد ذهاب سجود الظلال فذلك إنما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها.
**والله أعلم.**

---

١ ر: لتسبيح.
٢ ر ث م: حتا؛ ن: حنى. حَنا يَحْنُو حَنْوًا وحَنَى يَحْنِي حَنْيًا: عطفه وثناه. وفي الحديث: «لم يَحْنِ أحد منا ظهره»، أي لم يثْنِه للركوع (*لسان العرب*، «حنا»).
٣ ر م: أن تسموه.
٤ ن: وقيل؛ ث – وقال بعضهم.
٥ ر م: وقال.
٦ ر م – ذلك.
٧ سورة النحل، ٤٨/١٦.
٨ ر: وتفيؤا.
٩ جميع النسخ: والدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩و.
١٠ ر ث: يتفيؤا.
١١ ر م: أن تفيئه؛ ث: إد بعيته.
١٢ سورة الطور، ٤٩/٥٢.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واستمع يوم يناد المناد**[١] كأن هذا صلة قوله عز وجل: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ،[٢] وانتظر يوم ينادي[٣] المنادي[٤] ولا تكافئهم[٥] ولا تنتقم[٦] منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم. ثم قوله: **يناد المناد**، يخرج على وجهين. أحدهما كقوله تعالى: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ،[٧] **يوم يناد المناد**، أي يوم يدعوهم الداعي إلى شيء أنكروا. والثاني ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ،[٨] الآية، وقوله: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ.[٩] يقول عز وجل: انتظر يوم ينادون ويدعون إلى ما أنكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا.

وقوله عز وجل: **من مكان قريب**، أي من مكان يسمعون ما يُنَادَون ويُدْعَوْن ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به، أي[١٠] ينتهي ذلك الدعاء والنداء[١١] إلى كل في كل نفس[١٢] حتى يعرفه. وذكر أهل التأويل أن المنادي هو جبريل عليه السلام،[١٣] ينادي عند بيت المقدس بنداء يسمعه كل أحد، وبيت المقدس أرفع مكان في الأرض وهو بقرب من السماء بكذا كذا ذراعا فهو المكان القريب.[١٤] ولكن هذا لا معنى له فإنه يسمع صوته جميع الخلائق وإن لم يقم في ذلك المكان، وليس المراد من القرب ما ذكره ولكن على الأسماع في أي موضع كانوا، ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب. ***والله أعلم.***

---

[١] ر م: المكان.

[٢] الآية ٣٩ من هذه السورة.

[٣] ر ث م: يناد.

[٤] جميع النسخ: المناد.

[٥] ر م: ولا يكافئهم.

[٦] ن: ولا ينتقم.

[٧] سورة القمر، ٦/٥٤.

[٨] سورة الأعراف، ٤٤/٧.

[٩] سورة الأعراف، ٥٠/٧.

[١٠] ر م - أي.

[١١] ن: النداء.

[١٢] جميع النسخ: في نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ط.

[١٣] ن: عيه الصلاة والسلام.

[١٤] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٢٦-٢٣٦.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يوم يسمعون الصيحة بالحق**، الصيحة النفخة أو النداء الذي ذكر. ثم قوله تعالى: **بالحق**، يحتمل[١] وجهين. أحدهما أي يسمعون[٢] الصيحة بما أوعدهم الرسل من المواعيد فيتحقق لهم ذلك في ذلك اليوم. ويحتمل: **بالحق**، أي تَحقُّق[٣] ذلك اليوم لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد أخبروهم بذلك اليوم وهم أنكروه؛ أو **بالحق**، الذي لبعضهم على بعض، أي يستوفي بعض من بعض ما لهم من الحق في ذلك اليوم وأُمروا بأداء الحقوق في ذلك اليوم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ذلك يوم الخروج**، قيل:[٤] يوم الخروج من قبورهم، وقيل:[٥] يوم الخروج والبروز إلى الله تعالى.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **إنا نحن نحي ونميت**، أي نحي الموتى ونميت الأحياء، أي نحن نملك ذلك لا يملك أحد ذلك غيرنا. وقوله عز وجل: **وإلينا المصير**، خص ذلك اليوم بالمصير إليه وإن كانوا في الأوقات كلها صائرين إليه لما ذكرنا من[٦] الوجوه في غير موضع.[٧] *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا**، يحتمل أن يكون ما ذكر من السراع هو صفة تشقق الأرض كأنه يقول: يوم تشقق الأرض سراعا لا تنتظر[٨] طرفة عين ولكن تتشقق[٩] أسرع من لمحة[١٠] البصر. ويحتمل أن يكون وصف سرعة خروجهم من الأرض، يقول: يوم يُسرعون الخروج من الأرض. وقوله عز وجل: **ذلك حشر علينا يسير**، وغير الحشر يسير على الله تعالى أيضا،

[١] ث: محتمل.
[٢] ر م: يستمعون.
[٣] ن: يحقق.
[٤] م: قبل.
[٥] م: وقبل.
[٦] ن: لما ذكر أمر.
[٧] انظر مثلا: تفسير الآية ٤٤ من سورة يونس.
[٨] ر: لا يطر؛ ن ث ه: لا ينتظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ظ.
[٩] ر ت م: يتشقق.
[١٠] ر ث ه: وبحة.

ليس شيء أيسرَ عليه من شيء أو أصعبَ من شيء. لكن خص ذلك بالذكر لأن أولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسير هذا، إذ وجود الأشياء كنها بالتكوين الأزلي. وعبّر عن ذلك بحرف "كُنْ" لمعرفة العباد، لا أن التكوين الذي به وجود المكونات مما يوصف بالحرف، وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق وإعادته والحشر وكل شيء. *ولا قوة إلا بالله*. وهو كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ.[1] *والله الموفق*.

**﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٤٥]**

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار**، يقول -والله أعلم-: اصبر على ما يقولون فنحن أعلم بما يقولون فنكافئهم، أو يقول: عن علم بذلك نتركهم على ذلك ونمهلهم. يُصبّر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليتسلى به بعضَ ما يَحزُن عليه. وقوله عز وجل: **وما أنت عليهم بجبار**، قال بعضهم: من الجبر والقهر، أي ما أنت بقاهر عليهم وجبار تجبرهم[2] على التوحيد. وقال بعضهم: من التجبر والتكبر، والجبار هو الذي يقتل بلا ذنب [٧٥٠و] ولا حق. وقيل: أي وما أنت بِمُسَلَّطٍ / عليهم، وهو كقوله عز وجل: وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا،[3] أي مسلَّطا.

وقوله عز وجل: **فذكّر بالقرآن من يخاف وعيدِ**، أي بلّغ ما أنزل إليك[4] فعليك التبليغ وأنا المجازي بهم والمكافئ بما يفعلون. ثم ليس يَخُصّ بالتذكير من يخاف الوعيد لكن أمر بتذكير الكل إلا[5] أن منفعة الذكرى[6] تكون[7] لمن يخاف الوعيد لا لمن لا يخاف الوعيد فلذلك خصه بالذكر. لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم ونفيا عن غيره، فيَبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك. والله أعلم[8] بحقيقة ما أراد[9] وإليه المرجع والمآب.[10]

---

[1] ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ (سورة النحل، ٧٧/١٦).
[2] ر ث م: يجبرهم.
[3] سورة الأنعام، ١٠٧/٦.
[4] ن: إليكم.
[5] ر ث م: لا.
[6] ن: الذكر.
[7] جميع النسخ: يكون؛ ث + لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ظ.
[8] ن + بالصواب.
[9] ن – بحقيقة ما أراد.
[10] ر ث – وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الذاريات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾[١] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾[٢] ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾[٣] ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[٤]**

قوله عز وجل: **والذاريات ذروا**، سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: **والذاريات**، هي الرياح، **فالحاملات وقرا**، هي السحاب، **فالجاريات يسرا**، هي[2] السفن، **فالمقسمات أمرا**، هي الملائكة.[3] وعلى هذا خرج أقاويل[4] عامة أهل التأويل إلا[5] ابن مسعود رضي الله عنه فإنه قال: **والذاريات ذَروا**، هي الملائكة.[6] ثم يحتمل أن تصرف[7] هذه الأحرف كلها من الذاريات وغيرها إلى الرياح خاصة. **والذاريات**، هن يَذْرُون[8] الأشياء ذَروا؛ **فالحاملات وِقرا**، هن[9] يحملن السحاب وغيرها [من الأشياء؛ **فالجاريات يُسرا**، يَجرِين جريا؛ **فالمقسمات أَمرًا**، يُقسِّمْن السحاب وغيرها][10] في الآفاق. وجائز أن يصرف كل حرف من ذلك إلى نوع وجنس

---

[1] ر – سورة الذاريات؛ ن م: ذكر أن سورة والذاريات مكية. ث + وهي ستون آيات مكية.

[2] ر م: هن.

[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٣٩-٢٤١.

[4] ر م: تأويل؛ ث: اولوبل.

[5] ن + أن.

[6] لم أجد هذه الرواية.

[7] جميع النسخ: أن يصرف.

[8] ر: تذريرة م ث: تدرين؛ ن: يذرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و. ذَرَتِ الريح التراب وغيره تَذْرُوه وتَذْرِيه ذَرْوًا: أطارته وسَفَتْه وأَذهبته، والواو أعلى (*لسان العرب*، «ذرا»).

[9] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.

[10] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

على ما حمله أهل التأويل وصرفوه إليه.[1] قال القُتَبِي: ذَرَتِ الريح تذرو[2] ذروًا، ومنه قوله تعالى: فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ.[3] ومنه:"ذَرَّيْتُ البُرّ"، لأن التذرية لا يكون إلا بالريح، و"تَذَرَّيْتُ"، أي أشرفت من الذِّرْوة؛ وذَرِئَ الرجل يَذْرَأ ذَرَءًا فهو أذْرَأ، أي شمِط؛[4] وشاة ذَرْآءُ إذا كان في ذَنبها بياض. **فالجاريات يسرا**، أي سَهْلا أي تجري[5] السفن في الماء جريا سهلا. وقال أبو عَوْسَجَة: **يسرا**،[6] أي هَيّنا. ثم **المقسمات أمرا**، هم الملائكة. واختلفوا في التقسيم. قال بعضهم: أربعة أملاك يقسمون الأمور: فجبريل عليه السلام يَنزل في إنزال العذاب والشدائد؛ وميكائيل ينزل في إنزال النعمة والرخاء والرحمة؛ وإسرافيل في نفخ الصور؛ وملك الموت في قبض الأرواح. فكل واحد من هؤلاء مُوكَّل في أمر على حِدَةٍ. وقال بعضهم: هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي يأخذ هذا من هذا، إذ الله تعالى أن يرسل الوحي على يدي من يشاء من ملائكته. *والله أعلم*.

ثم اختلف في ذكر هذه الأشياء من الرياح والسفن والسحاب والملائكة لماذا؟ قال عامة أهل التأويل: إنما ذكرها على القَسَم بها. وقال بعضهم: إنما ذكرها على سبيل تَعداد[7] النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم. واحتج هؤلاء وقالوا: إن الله تعالى نهانا عن القسَم بغيره فكيف يُقسم[8] بغيره، فيكون ذكرُ هذه الأشياء على الامتنان لا على القسَم. والقائلون بالقسَم اختلفوا.[9] فمنهم من يقول: القسَم بأعيان هذه الأشياء لعظم منافع هذه[10] الأشياء عند الخلق. ومنهم من يقول: إن القسم بالله تعالى لا بعين هذه الأشياء على الإضمار، كأنه قال: والذي ذَرّأ الذاريات ذَرْوا، والذي[11] خلق الحاملات وِقرا، والجاريات[12] يُسرا، والمقسمات أمرا،

[1] جميع النسخ: وصرفه إليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[2] م: تذرا.
[3] سورة الكهف، ٤٥/١٨. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠.
[4] الشَمَط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، وقد شَمِط يشمَط شمَطا (*لسان العرب*، «شمط»).
[5] ر ث م: يجري.
[6] جميع النسخ - يسرا. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[7] ن: تعديد.
[8] ن: تقسم.
[9] ث + فيه.
[10] ر م - هذه.
[11] ر م: الذي.
[12] ن ث: والحاريات.

وهو كقوله تعالى: فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[1] فيكون القسم بخالق هذه الأشياء لا بأنفسها. وكل واحد من الوجهين محتمل،[2] لأن القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعد ما أقام عليهم حجج البعث وبراهينه على أنه كائن لا مَحالةَ بحيث لو تأملوا[3] ونظروا فيها لزال[4] ذلك الارتياب والشبهة عنهم. والقسم لتأكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة، فيدلهم ذلك على تأكيد الخبر المَقْرُون بالقسم. فالقسم[5] من الله تعالى بأنه خالق هذه الأشياء المذكورة مما يَجِلّ ويَعظُم عند الكفرة لما كانوا يُقسِمون بالله تعالى عند عظم الأمور، كما أخبر تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[6] فيصلح لتأكيد ما وقع عليه القسم.

وكذلك القسم بهذه الأشياء يصلح مؤكِّدا لعظم خطر هذه الأشياء عندهم لما يَجِلّ منافع هذه الأشياء، والعرف في الناس أنهم إنما يُقسِمون بالذي عظم خطره وجل قدره عندهم.[7] فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء لما عرَف عظيم[8] خطرِها وجليل قدرها عندهم. فمنافع الرياح مما يكثر عدّها: قد أهلك بها أقواما، وبها استأصلهم؛ وبها تُلْقَح الأشجار المثمرةُ وغيرها؛ وبها تساق[9] السحاب في الآفاق للأمطار؛ وبها تجري[10] السفن في البحار وغيرها من المنافع؛ وبها سبب حياة الحيوانات بالتنفس[11] ودخول الريح فيهم، ونحوها من تَذْرِية[12] الطعام بحيث لولاها لحَرِج[13] الناسُ في التذرية. وفيها آيات، فإن الريح جسم لطيف يُرى ولا يدرك،[14] ليعلم أن الرؤية لا توجب[15] الإحاطة والإدراك، وغير ذلك من جهة الآيات على ما تقدم.

---

[1] الآية ٢٣ من هذه السورة.
[2] ر ث م - محتمل.
[3] ر ث م - بحيث لو تأملوا.
[4] ر م: لزوال.
[5] ث: فأقسم.
[6] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[7] ر ن ث: خطره وجل قدره عنده؛ م: وخطره وجل قدره عنده.
[8] ر - عظيم؛ ث م: عظم.
[9] جميع النسخ: يساق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[10] ر ث م: يجري.
[11] ر ث م: بالنفس.
[12] جميع النسخ: في تذرية. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: ليحرج.
[14] ر م: ولا تدرك. لعله يريد برؤية الريح رؤيةَ ما تُحرِك من التراب وأغصان الأشجار وغيرها التي هي أثر الريح.
[15] جميع النسخ: لا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧٥٠ظ] وكذلك أقسم بالحاملات وِقْرًا، وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل الأمطار والتظليل في الحر ونحو[1] ذلك مع ما فيه من الآيات، إذ هو يمسكها في الهواء حيث لا يقع بسَوْق الرياح مع ما فيه من الحِمْل والوِقْر.[2] ثم يرسل المطر حيث أمر، إذ قد يوجد السحاب ولا مطر، دل أنه لم يُرسِل بنفسه بل بالأمر يَرفع ويُمسِك ويرسل، وهو في نفسه مسخَّر لا بد له من مسخِّر، إذ لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف الأحوال. وفيه آيات البعث، إذ خلْقُ مثله لا يكون إلا لعاقبة.

وكذلك أقسم بالجاريات يُسْرًا، وهي السفن، لما فيها من منافع الخلق إذ لولاها لانقطع[3] بعض المنافع عن الخلق، إذ ما يحتاج المرء من المنافع[4] لا توجد[5] في مكان واحد بل خلقها متفرقة في أماكن. فطريق تحصيل هذه المنافع والحوائج شيئان: الحمل على ظهور الدواب في البر وفي السفن في البحار. مع ما فيها من الآية العظيمة بما جعلها بحيث لا تتسفل[6] في الماء مع ثقل الأحمال بل يجري بها الريح حيث[7] ما شاءوا بأمر الله تعالى. والملائكة منافعهم عظيمة ظاهرة، وعِظَم قدرهم وجلالةُ خطرهم[8] عندهم[9] واضح.

وإذا كان كذلك فكان القسم بهذه الأشياء لتأكيد الخبر المُقْسَم عليه مما يعقل، وهو متعارَف. ولا معنى لقول أولئك: إنه نهى عباده[10] عن القسم بغيره فكيف يقسم بنفسه؟ إذ يجوز أن يقسم هو بشيء ينهانا عن القسم به، إذ القسم بالشيء تبجيل تلك الأشياء وتعظيمها، وإنها لا يستحق التعظيم بأنفسها بل بالله تعالى، فأمرنا بالقسم[11] بالله تعالى، إذ هو المستحق للتعظيم[12] في الحقيقة،[13]

---

[1] ن: وغير.
[2] الوقر: الحمل الثقيل (*المعجم الوسيط* «وقر»).
[3] ن: لا يقطع.
[4] ن: في المنافع.
[5] جميع النسخ: لا يوجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠ظ.
[6] جميع النسخ: لا يتسفل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: وحيث.
[8] ث: قدرهم
[9] ر ث م – عندهم.
[10] ر: عبادة.
[11] ث + وتعظيمها وإنها لا يستحق التعظيم بأنفسها بل بالله تعالى فأمرنا بالقسم.
[12] ر م + بأنفسها.
[13] ث – في الحقيقة.

إذ هو خالق الأشياء كلها. فأما القسم[1] من الله تعالى بشيء ليس لتعظيم ذلك في نفسه بل بيانٌ منه قدرَ منافعه التي للخلق فيه، التي عظمت وجلت عندهم، فيكون لذكرها خطر عندهم. *والله أعلم*.

ثم ذَكَر أفعال هذه الأشياء التي أقسم بها و لم يذكر أنفسها، والقسم إنما يكون بالأنفس لا بالأفعال: فإما أن عرف أولئك الكفرة أنفس هذه الأشياء بذكر أفعالها وقت قرع ذكر[2] هذه الأفعال سمعهم، أو إذا لم يعرفوا يسألون عنها وما أريد بها. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[٥] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع**، هذا موضع القسم، **أقسم** بهذه الأشياء لتأكيد الصدق فيما وقع عليه القسم،[3] والصدق إنما يستعمل في الخبر. فكأنه قال: إن ما أخبركم الرسول بالبعث أو وعدكم به[4] لصادق في خبره ووعده؛ إذ الوعد في الجملة مما قد يكون صدقا وكذبا، فأكد هذا الوعد من الرسول بالقسم أنه لصادق فيما وعد من البعث وغيره. وكذلك قوله تعالى: **وإن الدين لواقع**، موضع القسم، أي الجزاء لواقع كائن. وقيل: إن المراد من الدين الحساب، أي إن[5] الحساب لكائن لا محالة. ***والله أعلم***.

**﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٧] ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾[٨] ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف**، أقسم أيضا بالسماء ذات الحبك، وموضع القسم **إنكم لفي قول مختلف**. ثم اختلف في تأويل قوله تعالى: **والسماء ذات الحبك**، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما **ذات الحبك**، قال: حسنها واستواؤها.[6] وقال بعضهم: **ذات الحبك**، أي ذات بُنيان مُتقَنة محكمَة.[7] وكلا التأويلين يرجعان إلى واحد، فإن حسن خلق السماء بالإتقان والإحكام، يقال للحائك إذا أحسن النسج وأحكمه: حبَكَ الثوبَ.

---

[1] ث - القسم.
[2] ن - ذكر، صح هـ.
[3] ر ث م - أقسم بهذه الأشياء لتأكيد الصدق فيما وقع عليه القسم.
[4] ث: وأوعدكم به.
[5] ن - إن.
[6] *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٤٤-٢٤٥.
[7] ر ث م: محكم.

وقال الحسن: حُبِكت بالنحوم، وحُبِكت بحسن الخَلْق.[1] وقال بعضهم: ذات الشدة والاستواء، يقال: حَبَكْتُ الحبل،[2] أي شددت[3] فتله،[4] كذلك قاله أبو عبيدة.[5] وقال القُتَيبي: **ذات الحبك**، أي[6] ذات الطرائق.[7] وكذلك قال[8] أبو عَوْسَجَة. ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين أن القسم بعين السماء أو برب[9] السماء. ***والله أعلم***.

ثم قوله[10] عز وجل: **إنكم لفي قول مختلف**، يخرج على وجوه. أحدها إنكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القرآن ما لو كان ذلك القول منكم عن علم ومعرفة لم يخرج مختلفا متناقضا. لأنهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه مجنون وإنه ساحر وإنه شاعر وإنه مفتر.[11] وهذا مختلف متناقض؛ لأن الساحر هو الذي يبلغ في معرفة الأشياء غايتها، وكذا الشاعر، ولا يحتمل أن يبلغ المجنون ذلك المبلغ بحال. فيكون نسبتهم إياه إلى هذه الجملة في حال واحدة يخرج على التناقض. وكذلك قولهم في القرآن: إنه أحاديث الأولين، وإنه مفترًى. والافتراء خلاف الأساطير، مع أنهم عجزوا عن إتيان مثله، فيكون هذا متناقضا[12] من القول. فدل اختلافهم في القول فيهما على أنهم قالوا ذلك عن جهل لا عن علم، إذ لو كان عن علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض. وهذا الخطاب على هذا التأويل يكون للكفرة.

والثاني إنما قال ذلك في الدلالة على البعث؛ **إنكم لفي قول مختلف**، أي في عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء، وقد عرفتم الاستواء بينهما في هذه الدنيا.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٤٤.

[2] ر ن م: الجبل.

[3] ن: سددت.

[4] ر م: قبله.

[5] لم يوجد هذا التأويل في *مجاز القرآن* لأبي عبيدة معمر بن المثنى في تفسير هذه الآية (٢/٢٢٩)، بل هو فسّر الحبك هناك بالطرائق.

[6] ر م – أي.

[7] انظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠.

[8] ث: قاله.

[9] ر ث م: أو رب.

[10] ن: وقوله.

[11] ر م: مفترى.

[12] ر م: متناقض.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرِّق بينهما ويُميِّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر]
يعم الكل. *والله أعلم*.

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبات لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم*.

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف**.

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن - تعالى.
[6] سورة القلم، ٦٨/٣٥-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث - كانوا.
[9] جميع النسخ - إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن: فذلك.

والثاني صُرِفوا عما رَجَوا في الآخرة لِما صُرِفوا عن الحق في الدنيا، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رجاءَ أن تقرِّبهم[1] عبادتُها إلى الله تعالى وأنها شفعاؤهم عند الله تعالى، يقول تعالى: صُرِف من رجا[2] في الآخرة لما صُرِف عن الحق في الدنيا. **والله أعلم.**

والثالث يُصرَف من طمع في الآخرة الشَّرِكة مع المسلمين، أو ادعى الخلوص بما صُرِف في الدنيا عن الإيمان الذي به ينال[3] الآخرة.

والرابع **يؤفك عنه**، أي عن الحق، **من أُفك**، أي صُرِف عن الحق من صُرِف، لقوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[4] الآية،[5] وقوله تعالى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ.[6]

## ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[١٠]

وقوله تعالى: **قتل الخراصون**، قال أبو بكر الأصم:[7] الخراص الذي يكذب على العمد،[8] ولكنْ عندنا الخراص الذي يكذب[9] ويقطع على الظن، ومنه يقال للذي يُقدِّر[10] الشيء ويُفرِّقه[11] بالظن: خراص. فعلى ذلك يحتمل قوله: **الخراصون. ثم** قوله: **قتل الخراصون**، يحتمل حقيقة القتل، وذلك يرجع[12] إلى قوم خاص قتلوا. والثاني **قتل**، أي لعن، واللعن هو الطرد،

[1] جميع النسخ: أن يقربهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[2] ر ث: من رجاء.
[3] ن – ينال.
[4] سورة التوبة، ١٢٧/٩.
[5] ن – الآية.
[6] سورة الصف، ٥/٦١.
[7] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات* في الأصول، و*مناظرات* مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتحسيه. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣.
[8] انظر: *النكت والعيون* للماوردي، ٣٦٤/٥.
[9] ث – على العمد ولكن عندنا الخراص الذي يكذب.
[10] ر م: يقدم.
[11] في هامش *الشرح*: في الأصل ويقومه، ورقة ١٦١و. يقول الراغب الإصفهاني في تفسير ﴿قتل الخراصون﴾: «قيل: لُعن الكذابون، وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال: خَرْصٌ، سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له، من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين، كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولا على هذا النحو قد يسمى كاذبا –وإن كان قوله مطابقا للمقول المخبَر عنه– كما حُكي عن المنافقين في قوله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (*المفردات*، «خرص»).
[12] ن – يرجع.

أي طُرِدوا عن رحمة الله. وإنما سمي اللعن قتلا لأن القتل سبب التبعيد عن منافع الحياة، وبالقتل خرج من أن يكون منتفعا به، واللعن هو الطرد عن رحمة الله التي[1] بها يقع ويتحقق المنافع في الآخرة. *والله أعلم*. وقال أهل التأويل: **الخراصون**، الكاذبون، وكذا قال أهل الأدب.

**﴿اَلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **الذين هم في غمرة ساهون**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: أي في غفلة، وقال بعضهم: أي في غطاء وغشاء، كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[2] وقوله عز وجل: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذَا،[3] أي في غطاء وغُلُف. وقال بعضهم: أي في عَماية عن أمر الآخرة. ولكنّ الكل[4] يرجع إلى معنى واحد. وقوله: **ساهون**، أي ساهون عن الحق وعما دُعوا إليه. وقيل: **ساهون**، أي غافلون، وقيل: أي لَاهُونَ عن التوحيد والإيمان، وقيل: **ساهون**، أي تاركون الإيمان. وأصل السهو هو الترك، وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[5] أي تركوا. *والله أعلم*.

**﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٢] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **يسألون أيان يوم الدين**، الآية،[6] كانوا يسألون عن يوم القيامة سؤال استهزاء وعناد لا سؤالَ استرشاد، لذلك قال الله تعالى: **يوم هم على النار يفتنون**، ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان لا يأتيهم ذلك الوعيد. ألا ترى أن جبريل عليه السلام أتى[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإيمان والإسلام في حديث طويل وسأله عن الساعة، فلم يأته الوعيد فلا ذُمَّ في سؤاله ذلك، لأن سؤاله[8] سؤال استرشاد. وقوم موسى عليه السلام لما سألوا رؤية الرب تعالى بقولهم: أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً،[9] فأُخذوا،[10] لأنهم سألوا

---

[1] ر م – التي.
[2] سورة الأنعام، ٢٥/٦، وسورة الإسراء، ٤٦/١٧.
[3] سورة المؤمنون، ٦٣/٢٣.
[4] ن – الكل.
[5] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[6] ن – الآية.
[7] ر: أن.
[8] ث – لأن سؤاله.
[9] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنَزِّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ (سورة النساء، ١٥٣/٤).
[10] جميع النسخ: فأهلكوا؛ وفي الشرح: فأخذ، ورقة ١٦١ ظ.

سؤال استهزاء وتعنّتٍ لا سؤال استرشاد. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا[1] الرؤية أيضا فبُشِّروا ووُعِدوا في الآخرة، لما أنهم سألوا سؤال استرشاد لا سؤال استهزاء. فعلى ذلك أولئك الكفرة سألوا عن القيامة سؤال استهزاء: متى يكون الساعة التي تَعِدُنَا بها وأين[2] وقت العذاب الذي تعدنا به؟ لذلك قال جوابا لهم: **يوم هم على النار يُفْتَنُون.** ***والله أعلم.***[3]

[٧٥١ظ] /وفي[4] الآية دلالة على أن الحكم لا يُبْنَىَ على ظاهر المخرج، فإنه لا فرق بين سؤال الكفرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبريل عليه السلام إياه عن الساعة. ثم أجاب لجبريل عليه السلام: ما المسئول بها بأعلم من السائل.[5] ثم الجواب لكفرة: **يومَ هُمْ على النار يفتنون.** ثم من شهد[6] النوازل عَيِم المراد من النازلتين أن أحد السؤالين خرج على الاستهزاء والآخرَ على الاسترشاد، فحَمَلوا أحد[7] الجوابين على إحدى الحالتين والآخر على الحال الأخرى. دل أن الحكم لا يُبْنَىَ على ظاهر المخرج، ولكن يجب النظر فيه[8] ليعرف المراد إما بالسؤال ممن[9] شهد النازلة أو من حيث المعنى المودع فيه. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **يوم هم على النار يفتنون**، يخبرهم[10] عن اليوم الذي سألوا عنه على الاستهزاء وهم منكرون في الحقيقة له، فقال: هو اليوم الذي[11] يفتنون فيه. وقيل: فيه بوجهين. أحدهما **يفتنون**، أي يُبتلَوْن ويمتحنون بالشدة والعذاب. والفتنةُ هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء، فسمى العذاب فتنة لما فيه من الشدة. و[الثاني] قال بعضهم: **يفتنون**، أي يحرقون.

---

[1] ر م: وسألوا.
[2] ن: وأن.
[3] ن - والله أعلم.
[4] ن: وكذلك في.
[5] يشير المؤلف إلى حديث معروف بحديث جبريل عليه السلام. انظر: *صحيح البخاري*، الإيمان ٣٧؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان، ١.
[6] م: مشهد.
[7] جميع النسخ: إحدى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[8] ر م - فيه.
[9] ر ث م: ممن.
[10] ن: يحشرهم.
[11] ر ث م - سألوا عنه على الاستهزاء وهم منكرون في الحقيقة له فقال هو اليوم الذي.

**﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **ذوقوا فتنتكم**، أي ذوقوا العذاب الذي[١] فيه الشدة. وقوله عز وجل: **هذا الذي كنتم به تستعجلون**، أي تستعجلون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون في الآخرة.

**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٥]**

وقوله[٢] عز وجل: **إن المتقين في جنات وعيون**. والإشكال كيف ذكر أن المتقين في جنات وعيون، وهم يكونون في جنات فأما في العيون فلا يحتمل. لكن نقول:[٣] معناه أنهم يكونون في جنات[٤] ويكونون في العيون[٥] بحيث يرونها وتقع[٦] عيبها أبصارهم وينتفعون بها، وهو كقوله تعالى: يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ،[٧] وإنما هم يلبسون السندس فأما الإستبرق فهو لبسط[٨] وغير ذلك من الانتفاع به. فعلى ذلك ما ذكر من كون المتقين في جنات وعيون يكونون في الجنة وينتفعون بالعيون. *والله أعلم*. ثم قوله[٩] عز وجل: **إن المتقين**، أي الذين اتقوا الشرك والكفر. ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الإطلاق عملا وقولا واعتقادا. ويحتمل أي الذين اتقوا المهالك.

**﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **آخذين ما آتاهم ربهم**، يحتمل وجهين. أحدهما أي قابلين[١٠] ما آتاهم ربهم في الدنيا من القدرة والقوة والمال بحق الله تعالى والقيام[١١] بشكره والعبادة له والاستعمال في طاعته، لذلك قال: **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**، أي قبلوا ذلك بحق الإحسان فاستعملوها

---

[١] ر م – الذي.
[٢] ر: قوله.
[٣] ن: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[٤] ر ث م – فأما في العيون فلا يحتمل لكن نقول معناه أنهم يكونون في جنات.
[٥] جميع النسخ: من العيون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن: ويقع.
[٧] سورة الدخان، ٥٣/٤٤.
[٨] جميع النسخ: فهو السبط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[٩] ن: وقوله.
[١٠] ر ث: قائلين.
[١١] ن: أو القيام.

في حق الله تعالى والقيام بطاعته. وعلى هذا التأويل كأنه على التقديم والتأخير: إن المتقين في جنات وعيون، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين، آخذين ما آتاهم ربهم، أي إنما نالوا الجنة لما أنهم كانوا في الدنيا كذلك.

والثاني ما قاله[1] أهل التأويل: **آخذين ما آتاهم ربهم**،[2] في الآخرة، أي راضين بما أعطاهم الله من النعم[3] في الجنة، وهو كقوله تعالى:[4] ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.[5] وعلى هذا يخرج تأويلهم في قوله عز وجل:[6] **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**، في الدنيا.

**﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١٧] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١٨]**

ثم نعت إحسانهم فقال عز وجل: **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**، أي قليلا ما ينامون بالليل. وقوله تعالى:[7] **وبالأسحار هم يستغفرون**، قال أهل التأويل جميعا: أي يصلّون. وإنما حملوا عليها لأن الاستغفار طلب المغفرة، وذلك مرة بالصلاة ومرة باللسان ومرة بدفع المال، ويحتمل حقيقة الاستغفار أيضا. وإنما مدحهم بذلك لأن أرجى وقت الاستغفار وقت السحر، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لنافع: إذا كان وقت السحر فأعلمني به، فكان هو يصلي إلى وقت السحر ثم يدعو ويستغفر في ذلك الوقت.[8]

**﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**، قال بعضهم: إن الآية في الزكاة. لكن هذا لا يحتمل، لأن[9] السورة مكية و لم يكن بمكة الصدقة المفروضة، إلا أن يقال: إن السورة مكية إلا هذه[10] الآيات إن ثبت. وجائز أن يكون ذلك الحق ليس هو المفروضَ ولكنْ حقٌّ سوى الفرض.

---

[1] ر م: ما قاله.

[2] ث - أي إنما نالوا الجنة لما أنهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني ما قاله أهل التأويل آخذين ما آتاهم ربهم.

[3] ر ث م: من النعيم.

[4] ر م: ما قاله.

[5] سورة المائدة، ٥/١١٩؛ وسورة التوبة، ٩/١٠٠؛ وغيرهما.

[6] جميع النسخ: وقوله عز وجل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.

[7] جميع النسخ - أي قليلا ما ينامون بالليل وقوله تعالى. والزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[8] انظر: مختصر *قيام الليل* لمحمد بن نصر المروزي، ٩٦.

[9] ر: أن.

[10] ن: إلا أن هذه.

وقيل: إن الآية نزلت في قوم خاص جعلوا على أنفسهم أن لا يرُدُّوا سائلا ولا محروما[١] ولا يمنعوا أموالهم من أحد، فمدحهم بذلك. ألا ترى أنه ذكر الحق للسائل والمحروم، وقد بين مصارفَ الزكاة الأصنافَ الثمانية بقوله[٢] تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ -إلى قوله تعالى- فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ.[٣]

ثم اختلف في تأويل المحروم والسائل. قال عامة أهل التأويل: المحروم هو الذي لا سهم له في الغنيمة والفيء بأن لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويُحْرَم عن ذلك. وقال بعضهم: المحروم الذي هلك زَرْعه وكَرْمه ببلاء أصابه يُحْرَم عن ذلك، كما وصفهم في سورة الواقعة: إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ،[٤] فلما حُرِموا زَرْعَهم وُصِفوا بذلك. وقيل: المحروم الذي لا يعرف[٥] حِرفةً ولا كسبا[٦] وهو مُحارَف[٧] أيضا. وقيل: المحروم المتعفف الذي به فقر لكنه لا يسأل الناس شيئا، والسائل الطوّاف. وعندنا الفقراء ثلاثة: السائل الذي يطوف ويسأل / الناس، والمُعْتَرّ[٨] الذي يَعتَرّ الناس ويُظهِر حاجته للناس ويَتعرض [٧٥٢و] لسؤال ولا يسأل صريحا؛ والمحروم هو الذي يستر فقره وحاجته عن الناس لا يسألهم ولا يعترّ لذلك. ثم جائز أن يكون سماه محروما، أي حُرِم المكاسب وأسبابَ العيش من التجارة والحرفة وغيرهما. وجائز أن يكون له المكاسب والأسباب لكنه محروم عن أبدال[٩] المكاسب والأرباح في التجارة يكتسب ويعمل بتلك الأسباب لكنه مُحارَف لا يُرْزَق منها شيء. والله أعلم.

---

[١] ر: ولا محرما.

[٢] ن + بقوله.

[٣] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفةِ قلوبُهم وفي الرِّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[٤] ﴿أفرأيتم ما تَحْرُثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهون إنا لَمُغْرَمُون بل نحن محرومون﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٦٣-٦٧).

[٥] ر ث م: لا يعلم.

[٦] ن: وهو كسبا.

[٧] المُحارَف الذي لا يُصيب خيرًا من وجْهٍ توجّه له، والمصدر الحِراف (لسان العرب، «حرف»).

[٨] المُعْتَرّ: الفقير المتعَرِّض لمعروف من غير أن يَسأل (لسان العرب، «عرر»). ويشير المؤلف رحمه الله إلى هذه الآية: ﴿والبُدْنَ جعلناها لكم من شَعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافَّ فإذا وجبت جُنوبها فكلوا منها وأطعِموا القانع والمُعْتَرّ﴾ (سورة الحج، ٢٢/٣٦).

[٩] جميع النسخ: عن إبران. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٢و.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وفي الأرض آيات للموقنين،** هذا يخرج على وجهين.[١] أحدهما أي في الأرض آيات ينتفع بها الموقنون، وهم المؤمنون الذين علموا[٢] الآيات بطريق الإيقان. ويحتمل في الأرض آيات يعلم الموقنون حقيقةً أنها آيات، فأما[٣] غيرهم فلا. ***والله أعلم***. ثم يحتمل آيات الأرض آيات التوحيد وآيات البعث وآياتِ القدرة وغير ذلك على ما ذكرنا أنه خلق على وجه الأرض من الدواب والأشجار والنبات[٤] وأنواع الثمار من غير أن عرف الخلقُ كيفية وجودها ومائياتها[٥] وأنه لم يُخْلَق مثلُها للفَناء خاصة، فتكون[٦] آياتٍ لما ذكرنا. وقيل: أي في خلق الأرض آيات وهو أن خلقها وكانت تَميد بأهلها ثم أرساها بالجبال حتى استقرت. ***والله أعلم***.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وفي أنفسكم أفلا تبصرون،** صلة قوله: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ،[٧] أي وفي أنفسكم أيضا آيات أفلا تبصرون، أي آيات الوحدانية والربوبية وآيات البعث وآية وجوب الشكر والعبادة والامتحان. أما آيات الربوبية وهو أن الله تعالى أنشأ هذا البشر من نطفة، ثم قَلَبَ تلك النطفة علقة، ثم قلب[٨] العلقة مضغة ثم المضغة عظْما[٩] ولحْما، ثم ركّب فيها الجوارح في ظلمات ثلاث،[١٠] ما رأى المصالح له في الاستواء والصحة سليمةً عن الآفات غير متفاوتة. فدل أنه فعل واحد لا عددٍ، وأن له القدرة الذاتية والعلم الذاتيّ لا المستفادَ، وأن ما قَلّبهم من حال إلى حال وما ركّب فيهم الجوارح التي بها يقبضون وبها يأخذون وبها يدفعون ويُسلّمون وبها يبصرون ويسمعون وبها يمشون، لم يفعل بهم ليتركهم سُدًى

---

[١] ن: على الوجهين.
[٢] ث: عملوا.
[٣] ر: وأما.
[٤] ر م: والأشجار من النبات.
[٥] ر: وماء ياتها؛ م: ومائيتها.
[٦] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢و.
[٧] الآية السابقة
[٨] ر م – قلب.
[٩] ر م: عظاما.
[١٠] يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

ويُمهِلهم ولا يمتحنهم[١] ولا يأمرهم ولا ينهاهم، وأنه حيث سخر جميع الخلائق من السماء والأرض وما بينهما ما سخر إلا ليمتحنهم وليستأدي منهم شكر ذلك كله. وفيه آية البعث، لأنه لا يحتمل أن يكون منه[٢] ما ذكرنا ثم لا يبعثهم ليُثاب المحسنُ منهم ويُعاقَب المسيءُ ويُجازَى كلٌّ[٣] بقدر عمله، إذ لو لم يكن لكان خلقه إياهم عبثا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع.

وقيل: **وفي أنفسكم**، أي في خلق أنفسكم، **أفلا تبصرون**، أنه كيف سَوَّى أنفسكم على أحسن الصور وأحسن التقويم بعد أن كان أصلها وجوهرها من ماء. وكذلك أصل جواهر الأنعام والبهائم من نطفة أيضا، ثم ركّبها[٤] على صور صالحة لمنافعكم. وركّبكم على أحسن الصور؛ ثم جعل فيكم من العقل والسمع والبصر ما يُدرَك بها حقائقُ الأشياء المحسوسة والمعاني الحِكَمِيّة لتتأملوا[٥] في ذلك كله، فتكونَ[٦] آيةَ الوحدانية وآيةَ إلزام الشكر والعبادة له. *والله الموفق*.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وفي السماء رزقكم وما توعدون**. قال أبو بكر الأصم: **وفي السماء رزقكم وما توعدون**، أي في السماء رزقكم وما توعدون[٧] من الخير والشر. وقال الحسن وغيره: **وفي السماء رزقكم**، أي المطرُ الذي ينزل منها في الأرض فينبت[٨] فيها[٩] بذلك المطر من أنواع الأرزاق من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها، كل ذلك سببه من السماء، لذلك أضاف إليها.[١٠] *والله أعلم*. وجائز أن يكون ما ذكر من أرزاقنا أنها في السماء المطر وجميعَ ما سخر لنا فيها من الشمس والقمر والملائكة حيث جعل صلاح ما في الأرض جميعا من الأرزاق والأغذية بذلك الأشياء التي في السماء من الإنضاج بالشمس والقمر وحفظ الأرزاق والأمطار بالملائكة،

---

[١] ن ث: فلا يمتحنهم.
[٢] ن - منه.
[٣] جميع النسخ: كلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[٤] جميع النسخ: ثم ركبهم.
[٥] جميع النسخ: ليتأملوا.
[٦] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن - قال أبو بكر الأصم وفي السماء رزقكم وما توعدون أي في السماء رزقكم وما توعدون.
[٨] ر م: فنبت؛ ن: فيثبت؛ ث: فثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: بها.
[١٠] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٦٥-٢٦٦.

فإنهم جُعِلوا موَكَّلين ممتَحَنين بذلك[1] حيث قال تعالى: فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا،[2] هي الملائكة. **والله أعلم**. وقوله عز وجل: **وما توعدون**، كل موعود من مرغوب أو مرهوب من السماء. **والله أعلم**.

**﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **فورب السماء والأرض إنه لحق**، يحتمل قوله: **إنه لحق**،[3] أي الساعة والقيامة، ويحتمل **إنه لحق**، أي جميع ما جاء به محمد[4] صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **مثل ما أنكم تنطقون**، يحتمل أن يقول –والله أعلم–: كما أنكم لا تَشُكّون[5] فيما تنطقون فعلى ذلك لا تَشُكّون[6] في أمر الساعة وقيامها وكونها، كما يقال: هذا ظاهر بيّن كالنهار. وقال الزجاج: **إنه لحق**، أي إنه[7] لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار، أو كلام نحوه.[8] ويحتمل أن يقول: إن من قَدَر على إنطاق هذه الألسن وتكليمها حتى يُفهَم منها حاجتُهم –وهي قطعة لحم[9] وليس فيها[10] شيء من آثار النطق والكلام، إذ يكون مثله للبهائم ثم لا يُفْهَم منه[11] ذلك ولا يكون منه[12] ذلك النطق– قَدَر على البعث والإعادة، إذ هذا في الأعجوبة

[٧٥٢ظ] أكثر[13] وأعظم من ذاك. **والله الموفق**.

**﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**. قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله تعالى على الإيجاب والإلزام. وقوله عز وجل: **هل أتاك**،

---

[1] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[2] الآية ٤ من هذه السورة.
[3] ر – يحتمل قوله إنه لحق.
[4] ث – محمد.
[5] ن: لا يشكون.
[6] ن: لا يشكون.
[7] ر م – إنه.
[8] *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٣–٥٤.
[9] جميع النسخ – لحم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[10] ر: منها.
[11] جميع النسخ: منها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: منها. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: أكبر.

يخرج على وجهين. أحدهما أي قد أتاك حديث ضيف إبراهيم فحَاجَّ به أولئك وخَاصِمْ. والثاني لم يأتك بعد ولكن سيأتيك حديث[١] ضيف إبراهيم، فإذا أتاك به فحَاجَّ على أولئك الكفرة به. **والله أعلم**. ثم قوله: **حديث ضيف إبراهيم**، دل أن اسم الضيف يقع على من يَطْعَم ويتناول وعلى من لا يَطْعَم ولا يتناول، لأنه سَمّى الملائكة ضيف إبراهيم وإن لم يطعموا و لم يكن غذاؤهم الطعامَ. وفيه أن الضيف اسم يقع على الفرد[٢] والجماعة. وقوله عز وجل: **المكرَمين**، سماهم مكرَمين لأن إبراهيم عليه السلام كان يخدمهم ويقوم بين أيديهم، وذلك هو الإكرام الذي صاروا به مكرَمين. ويحتمل أن سماهم مكرَمين لأنهم كانوا أهل كَرَم وشَرَف عند الله تعالى. **والله أعلم**.

**﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون**، وقال في آية أخرى:[٣] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ.[٤] ذكر هاهنا سلام الملائكة عليهم السلام[٥] و لم يذكر سلام إبراهيم صلوات الله عليه إنما ذكر وَجَلَه منهم، وذكر في الأول سلامَ الملائكة عليهم الصلاة والسلامُ عليه[٦] وسلامَ إبراهيم عليه السلام عليهم، وذكر أنهم قوم منكرون. وقال في آية أخرى: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً.[٧] قال بعضهم: إنما أوجس منهم الخيفة لما خشي أن يكونوا سُرّاقا، لأنه كان بين إبراهيم عليه السلام وبين المكان[٨] الذي انتابوا منه مصرِف[٩] بعيد ما يحتاج المنتاب[١٠] إلى طعام، فإذا امتنعوا عنه خاف أن يكونوا سُرّاقا،[١١] إذ لا يمتنع عن التناول إلا السُّرّاق. لكن هذا ليس بشيء، لأنه قد كان منهم السلام، والسلام أحد علامة الأمان. لكن يكون خوفه بعد ما عرف أنهم ملائكة لما علم أن الملائكة عليهم السلام

---

[١] ر م + حديث.
[٢] جميع النسخ: على العدد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[٣] ر م + إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في آية أخرى.
[٤] سورة الحجر، ٥٢/١٥.
[٥] ن – السلام.
[٦] جميع النسخ – عليه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[٧] سورة هود، ٧٠/١١.
[٨] جميع النسخ – مكان. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[٩] ر ث م: بصرف. وفي هامش *الشرح*: «في الأصل مَضْرِبُ» (ورقة ١٦٣و).
[١٠] ر: المتاب.
[١١] ر م – سراق.

لا ينزلون إلا لأمر عظيم لإهلاك قوم أو لتعذيب أمة. كقوله تعالى: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ،[1] وقوله عز وجل: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[2] هذا يحتمل. *والله أعلم*. ثم قوله: **قوم منكرون**، جائز أن يكون هذا إخبارا من الله تعالى أنهم قوم منكرون، أي غيرُ معروفين[3] عندنا لم نعرفهم.[4] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[5]

**﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[٢٦] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **فراغ إلى أهله**، قيل: راغ، أي مال، لكن قوله: **فراغ**، أي مال[6] إلى أهله على خفاء من أضيافه وسرّ منهم، ولذلك سمي الطريق المختفي رائغا، وهو من[7] رَوَغَان الثعلب.[8] وقيل: زائغا بالزاي.[9] وقيل: راغ، أي رجع. وذكر محمد في بعض كتبه: في زائغة[10] مستطيلة،[11] وقيل: رائغة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فجاء بعجل سمين، فقربه إليهم قال ألا تأكلون**، وقال في موضع آخر: فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ،[12] والحنيذ هو المشويّ. وقيل: هو الذي يُشوَى في الأرض بغير تَنُّور. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الحنيذ الذي أُنْضِج بالحجارة. وقيل: الحنيذ هو الصغير[13] الذي كان غذاؤه اللبن لا غير. *والله أعلم*.

وما ذكر أهل التأويل في قصة إبراهيم عليه السلام أنه لما قرّب إليهم العجل قالوا: لا نأكله[14] إلا بثمن. قال: فكلوه[15] وأدُّوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تُسمّون[16] الله تعالى جل وعلا

---

[1] سورة الحجر، ٨/١٥.
[2] سورة الأنعام، ٨/٦.
[3] ر م: معروف.
[4] جميع النسخ: لم يعرفهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[5] انظر: تفسير الآية ٧٠ من سورة هود، وتفسير الآية ٦٢ من سورة الحجر.
[6] ن ث - أي مال.
[7] م - من.
[8] راغ الصيد والثعلب: ذهب هاهنا وهاهنا (*لسان العرب*، «روغ»).
[9] ن: رائغا بالراي.
[10] ن: في رائغة.
[11] انظر: *الجامع الصغير* للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ٣٨٤.
[12] سورة هود، ٦٩/١١.
[13] ث - الصغير.
[14] م - لا نأكله.
[15] ر ث م: قدموه.
[16] ر ث م: يسمون.

إذا أكلتم وتحمدونه[١] إذا تركتم. قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلا، وغير ذلك من الكلام.[٢] فنحن لا نذكر إلا قدر ما ذكره الله تعالى[٣] في الكتاب مخافة أن تدخل[٤] الزيادةُ أو النقصان[٥] عما في كتبهم ويجد أهل الإلحاد في ذلك مقالا. وهذه الأنباء إنما ذكرت حجةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الرسالة، فإذا قيل في ذلك ما يُخاف أن يكون في ذلك زيادة أو نقصانٌ عما ذكر[٦] في كتبهم كان الإمساك والكف عنه أولى.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **فأوجس منهم خيفة**، أي أحسّ ووجد منهم خيفة[٧] لما ذكرنا. وقوله عز وجل: **قالوا لا تخف**، لا لذلك أُرسِلنا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وبشروه بغلام عليم**، يحتمل قوله: **عليم**، وجهين. أحدهما أي بشروه بغلام يصير عليما إذا كبِر. والثاني بشروه بغلام يُولَد عليما يؤتيه الله تعالى علما في بطن أمه أو إذا وُلد[٨] في صغره. ولله أن يؤتي العلم من يشاء في حال الصغر والكبر، ألا ترى أنه قال عز وجل في عيسى عليه السلام: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.[٩] فعلى ذلك يحتمل هذا. ***والله أعلم***. ثم ذلك الغلام هو إسحاق عليه السلام لأنه بين في آية أخرى فيمن كانت البِشارة حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[١٠] دل أن البشارة إنما كانت[١١] بإسحاق. ثم ذكر في سورة هود عليه السلام البشارة لامرأته حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ، وذكر في هذه السورة البشارة لإبراهيم عليه السلام بقوله: **وبشروه بغلام عليم**. لكن جائز أنه لما بشرها بالولد بشرها بالولد منه، وإذا بشر إبراهيم عليه السلام بالولد إنما بشره بالولد[١٢] منها، فإذا بُشر أحدهما بالولد من الآخر فيكون البِشارة لهما جميعا. ***والله أعلم***.

---

[١] ث: وتحمدون.
[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٩٧-٩٨.
[٣] جميع النسخ - الله تعالى. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[٤] ر م: أن ندخل؛ ن: أن يدخل.
[٥] جميع النسخ: والنقصان.
[٦] جميع النسخ - ذكر. والزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٧] ر ث م - أي أحس ووجد منهم خيفة.
[٨] جميع النسخ: وإذا ولد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة مريم، ١٩/١٢.
[١٠] سورة هود، ١١/٧١.
[١١] ث: دل أنما كانت البشارة.
[١٢] ر ث م - إنما بشره بالولد.

قال أبو بكر الأصم: دل قوله تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ -إلى أن قال- وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا،[1] أن إسحاق كان أكبر من إسماعيل، لأنها لما بُشِّرت بالولد أَخبَرت[2] أنها عجوز وأنها عقيم

[٧٥٣و] وأن بعلها شيخ.[3] ولو كان إسماعيل هو الأولَ وكان الآخرُ على قرب منه ليس بينهما زمان مديد لم يكن يبلغ إبراهيم عليه السلام في ذلك[4] المقدار من الوقت ما يخبر عن إياس الولد منه. دل أن إسحاق هو المتقدِّم[5] وأنه أكبر من إسماعيل عليه السلام. إلا أن هذا خلاف ما عليه أهل التأويل أن إسماعيل عليه السلام كان أكبر من إسحاق عليه السلام.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها**، ذكر ههنا الإقبال، وقال في آية أخرى في سورة هود: وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[6] وذكر هناك القيام. فجائز أن لا يكون على حقيقة الإقبال ولكن لما ذكر فعلها، وهي الصَرَّة وصَكُّ الوجه، ذكر الإقبال من[7] غير أن كان منها الإقبال من المكان، أي أَقْبَلَت فصكّت[8] وجهها في صرّة، كما قال عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[9] أمَر بالرؤية والنظر إلى الفعل الذي ذكر، وهو[10] مد الظل، وإذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر إلى نفسه لا غير-والله أعلم- فعلى ذلك هذا. ثم قوله تعالى: **في صرة**، أي في صيحة.[11] وقوله عز وجل: **فصكت وجهها**، أي ضربت وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة التي بُشِّرت بالولادة. وقوله عز وجل: **وقالت عجوز عقيم**، وكانت كما أَخبَرت عجوزا عقيما.

---

[1] ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا﴾ (سورة هود، ١١/٧١-٧٢).

[2] جميع النسخ: أخبر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.

[3] ن: شيخا.

[4] ن: هذا.

[5] ر ث م: المقدم.

[6] سورة هود، ١١/٧١.

[7] ر م - من.

[8] جميع النسخ: فصلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.

[9] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.

[10] ر م: ذكروا هو.

[11] ن: في صحة.

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **كذلك قال ربك**، أي على علم بالحال التي أنتِ بُشِّرتِ بذلك لا عن جهل. وقوله عز وجل: **إنه هو الحكيم العليم**، أي حكيم واضع الولد في موضعه، عليم[١] بمصالح الأمور وعواقبها. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[٣١] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **قال فما خطبكم أيها المرسلون**، أي ما شأنكم ولأي أمر أُرْسِلْتم: أُرْسِلْتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أو لهما جميعا؟ فأجابوا وقالوا: **إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين**، وقال في آية أخرى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ،[٢] كأن الاستثناء هاهنا لم يكن مذكورا في خبر الملائكة، وإنما ذكر في الخبر الذي قال إبراهيم عليه السلام حيث قال: إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ.[٣] فدل ذكر الثُّنيا[٤] منهم بعد سؤال إبراهيم عيه السلام وإخباره إياهم أن فيها لوطا أن تأخير البيان عن الكلام جائز. ***والله أعلم***.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **لنرسل عليهم حجارة من طين**، دل قوله تعالى: **حجارة من طين**، على أن ما ذكر في آية أخرى: حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ،[٥] أن السجيل ليس هو اسمَ المكان على ما ذكر بعض أهل التأويل، ولكن السجيل اسم الطين على ما ذكره هاهنا، وهو طين مطبوخ كالآجرّ، إلا أن يقال هو طين حُمِل من مكان يسمى سجيلا. ***والله أعلم***.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **مسومة**، أي مُعْلَمَة، **عند ربك للمسرفين**. ثم الإعلام يحتمل وجهين. أحدهما مُعْلَمة مسوّمة باسم من تقع عليه ويُهْلَك بها، أي مكتوب عيها اسمه. والثاني مُعْلَمَةً في نفسها حتى يعلم كل أحد أنها لهلاك جاءت وأنها أرسلت لذلك مخالفة لسائر الأحجار. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: العليم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.
[٢] سورة الحجر، ١٥/٥٨-٥٩.
[٣] سورة العنكبوت، ٢٩/٣٢.
[٤] ر: الثناء؛ م: الثياء. لثّنوة: الاستثناء، والثُّنْيٰ بالضم الاسم من الاستثناء، وكذلك الثَّنْوَى، بالفتح. والثُّنيا والثُّنْوى ما استثنيته (*لسان العرب*، «ثني»).
[٥] سورة هود، ١١/٨٢؛ وسورة الحجر، ١٥/٧٤.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٥] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين،** قوله: **فيها،** كناية عن قرية لوط. وقوله: **غير بيت من المسلمين،** هو منزل لوط عيه السلام. دل تسميةُ الملائكة إياهم مؤمنين ومسلمين على أن الإسلام والإيمان واحد، وقد بينا جهة الاتحاد بينهما في غير موضع.[١]

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وتركنا فيها آية،** أي تركنا في قَرَيَّات[٢] لوط عليه السلام التي أهلكنا[٣] آية وعبرة[٤] لمن بعدهم، وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ،[٥] أي إنكم لتمرون على أولئك الذين أُهْلِكوا وعُذِّبوا[٦] بالليل والنهار وتعلمون[٧] أنهم بم[٨] أُهْلِكوا وبم[٩] عُذِّبوا، [عذّبوا] بالتكذيب والعناد، والذين نجوا إنما نجوا بالتصديق والإسلام، وذلك آية[١٠] لمن بعدهم. ثم قال: **للذين يخافون العذاب الأليم،** أي يكون ذلك آية للذين يخافون العذاب الأليم، وهم المؤمنون، أي هم المنتفعون بها. ***والله أعلم.***

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٣٨]

وقوله: **وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين،** فيما[١١] ذكر من قصة موسى ولوطٍ[١٢] وقصة إبراهيمَ وقصة هودٍ وثمودَ وهذه الأنباء[١٣] تفسير لقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.[١٤]

---

[١] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات «الإيمان» و«الإسلام».
[٢] جمع قرية كضَخْمة وضَخَمات، وشَرْبة وشَرَبات (*لسان العرب*، «ضخم»)؛ ويتلفظ أيضا القُرَيَّات.
[٣] جميع النسخ: أهلكها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٣٠ظ.
[٤] ن: وغيره.
[٥] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.
[٦] ر م: أو عذبوا.
[٧] ر م: يعلمون؛ ن ث: ويعلمون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.
[٨] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ن م: وثم.
[١٠] ر م: إنهم.
[١١] ن: فما.
[١٢] ر م: ولوطا.
[١٣] جميع النسخ: وهذه الأشياء. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الآية ٢٠ من هذه السورة.

ثم الآيات في الأرض من وجهين. أحدهما فيما خلق في الأرض من الخلائق. والثاني فيما في الأرض من أنباء السلف وأخبارهم من مكذّبي الرسل ومصدّقيهم.[١] أي[٢] في هلاك من هلك من مكذّبيهم[٣] ونجاة من نجا من مصدّقيهم آيات لمن ذكر. فهذه الأنباء والقِصص التي ذكرت هاهنا تفسير لقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٣٩]

وقوله: **فتولى بركنه**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي فتولّى هو وركنُه، وهم جنوده وقومه، عن اتِّباع موسى عليه السلام وما يدعوهم إليه. والثاني أي فتولّى هو بقوة ركنه وهم قومه، أي تولّى عن الحق واتّباع موسى عليه السلام بقوة قومه ومعونتهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقال ساحر أو مجنون**، سماه ساحرا بما أتى من الآيات / المعجزة، [٧٥٣ظ]
وقومُه إنما يَعرِف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك -وإن أيقن[٤] هو أن مثل ذلك الفعل لا يكون سحرا- تمويها على قومه؛ وسماه مجنونا لما خاطر بنفسه بمخالفته[٥] مع علمه أن هِمّته القتل لمن خالفه في دينه وملكه.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فأخذناه وجنوده**، هذا يدل على أن تأويل قوله تعالى: فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ،[٦] أي تولى هو وتولى[٧] قومه وجنوده. وقوله عز وجل: **فنبذناهم في اليم وهو مليم**، الآية،[٨] قال بعضهم: **مليم**، أي يلام عليه، وقال بعضهم: **مليم**، أي هو مذموم، وقال القتبي: هو مذنب.[٩] ثم دل قوله تعالى: **فنبذناهم**، على أن لله[١٠] تعالى في أفعال العباد صُنْعا حيث أضاف ذلك إلى نفسه، وهم الذين دخلوا في اليم.

---

[١] ر ن م: ومصدقهم.
[٢] ن - أي.
[٣] ن: من مكذبهم.
[٤] ر ث م: أتقن.
[٥] ن: لمخالفته.
[٦] لآية السابقة.
[٧] ن - وتولى.
[٨] ن - الآية.
[٩] انظر: تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٢.
[١٠] ن: على أن الله.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وفي عاد**،[١] أي في أمر عادٍ بينةٌ وآية وعبرة[٢] للمؤمنين، كقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.[٣] وقوله عز وجل: **إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**، أي أهلكوا بالريح. وقد بلغ من عُتُوّهم أن قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[٤] فأذلهم الله تعالى حتى خضعوا لأضعف شيءٍ وأخافهم منه، وهي الأصنام التي عبدوها حتى خوّفوا [نبيهم هودا] وقالوا: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ،[٥] وذلك غاية الذل والهوان أن خافوا من أضعف شيء وأعجزه بعد ما بلغ من عتوّهم وتمرّدهم أن قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.

ثم قوله عز وجل: **الريح العقيم**، قال أبوا عَوْسَجَة: تفسيرها ما ذكر في الآية: مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[٦] وقال غيره: العقيم هو الذي لا خير فيه ولا بركة، أي عَقُمَت عن الخيرات. ولذلك يقال للمرأة التي لا تلد والرجل الذي لا يولد له: العقيم، لما أنه ليس منهما منفعة الولد ولا بركته. فعلى ذلك الريح العقيم، أي لا منفعة لأولئك[٧] فيها ولا بركة. فأما للمؤمنين فهي نافعة[٨] حيث أهلكت أعداءهم و لم يهلكهم، وفي ذلك تطهير الأرض عن نجاسة الكفر. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور».[٩] وقيل: **الريح العقيم**، هي الدبور، وهي التي لا تُلقح[١٠] الأشجار والسحاب والنبات.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**، أي ما تذر من شيء أتت عليه[١١] وأُمِرَتْ هي بإهلاكه وأُذِنَ لها بذلك إلا جعلته كالرميم. ألا ترى أنها أتت على أشياء لم تهلكها،[١٢]

---

[١] جميع النسخ + إذ أرسلنا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤و.

[٢] ر: وآية وغيره؛ ن: وأنه وغيره.

[٣] الآية ٢٠ من هذه السورة.

[٤] سورة فصلت، ١٥/٤١.

[٥] سورة هود، ٥٤/١١.

[٦] الآية لتالية.

[٧] جميع النسخ - لأولئك. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤و.

[٨] ر ث م + أيضا.

[٩] نظر: صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الاستسقاء ١٧.

[١٠] ه: التي تلقح.

[١١] ث + إلا جعلته كالرميم.

[١٢] ن: لم يهلكها.

وقد سلِم هودٌ[1] عليه السلام وقومُه من المؤمنين. وألا [ترى][2] أنهم لما رأوها من بُعدٍ قالوا: هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا. فقال هود عليه السلام: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، وما ذكر، فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ، أخبر أنها قد أبقيت مساكنهم، وهو ما ذكر في آية أخرى: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا،[3] أي تدمر كل شيء أُمِرتْ وأُذِن لها بالتدمير ليعلم أنها كانت تعمل بالأمر. **والله أعلم**.

**﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين**، أي وفي أمر قوم[4] هود عليه السلام وإهلاكهم أيضا آية وحجة للموقنين.[5] ثم ذكر عتوهم وتمردهم: **إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين**، وهو ثلاثة أيام التي ذكرت في آية أخرى: فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.[6] يخبر أنْ كان قد بلغ[7] عتوهم أن قد أُجِلوا ثلاثة أيام لنزول العذاب بهم، فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم ولم ينجع فيهم. فقومك يا محمد -حيث لم تَذْكُر[8] لعذابهم وقتا ولا أجلا- أحق أن لا ينجع فيهم ما تُوعِدهم به ولا ينفعهم. **والله أعلم**.

**﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **فعتوا عن أمر ربهم**، أي عما أمروا بطاعة ربهم، والعُتُوّ هو البلوغ في اليبس[9] والقساوة غايتَه[10] كقوله تعالى: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،[11] أي يابسا.[12] وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون**، أي إلى الصاعقة.

---

[1] ر ث م - هود.

[2] الزيادة من نشر الخيمي.

[3] ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٢٤-٢٥).

[4] ر ن م - قوم.

[5] ر ث م: للمؤمنين.

[6] سورة هود، ١١/٦٥.

[7] ن + من.

[8] جميع النسخ: لم يذكر. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٤ظ.

[9] ر: في اليأس؛ ن ث م: في البأس. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر: غاية.

[11] سورة مريم، ١٩/٨.

[12] ر: بائسا؛ ن: عتيا بائسا؛ ث م: بائسا. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٤ظ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ما استطاعوا في الانتصاب لعذاب الله والقيام له. والثاني[1] ما استطاعوا من دفع العذاب عن أنفسهم لا بأنفسهم ولا بغيرهم، **وما كانوا منتصرين**، بالأنصار والأعوان. **والله أعلم**.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وقوم نوح من قبل**، أي في أمر نوح عليه السلام من قبل هؤلاء وإهلاكهم آيةٌ وبينة[2] وحجة للمؤمنين على ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **إنهم كانوا قوما فاسقين**، ظاهر.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **والسماء بنيناها بأيد**، أي خلقناها بقوة، **وإنا لموسعون**، أي لقادرون. وجائز أن يكون الموسع[3] الواجدَ، كقوله تعالى: وعَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ،[4] أي على الواجد[5] الْمُوسِرِ قَدَرُه. [وقال بعضهم: **وإنا لموسعون**، ما بين السماء والأرض، لأنه ذكر على إثر قوله تعالى: **والسماءَ بنيناها بأيد**، وهو قول الزجاج].[6] وقال بعضهم: **وإنا لموسعون**، في التدبير تدبيرِ جميع الخلق، وهو قول أبي بكر الأصم. **والله أعلم**. ويحتمل **وإنا لموسعون**[7] عليهم أرزاقهم.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **والأرض فرشناها فنعم الماهدون**، أي بَسَطناها ومَهَدناها، **فنعم الماهدون**، لكم الأرض حيث مهّدها لكم مبسوطة مفترَشةً، يجدونها[8] كذلك ما كانوا وأينما كانوا من غير تكلّف، ويستعملونها كيف شاءوا وفي أيّ[9] منفعة شاءوا. **والله أعلم**.

---

[1] ر ن + أي.
[2] ر م: بينة.
[3] ر: الموضع.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٣٦.
[5] ث: الموجد.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ. *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٧.
[7] ر ث م – وهو قول أبي بكر الأصم والله أعلم ويحتمل وإنا لموسعون.
[8] ر ن م: تجدونها.
[9] جميع النسخ: في أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ومن كل شيء خلقنا زوجين**، قال بعضهم: صنفين غير الحيوان،[١] فإنه خلقهم ذَكَرًا وأنثى. [وقال بعضهم: **زوجين**، أي ضدين نحو حُلْو وحامض ومرّ وأشباه ذلك].[٢] وقال بعضهم: **زوجين**، أي لونين نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر. والأول قول الزجاج،[٣] والثاني قول القتبي.[٤] وأصله أنه يخرج على وجهين. أحدهما **زوجين**، أي شكلين فيعاون[٥] / بعضه بعضا، أو ضدين فيناقض[٦] بعضه بعضا. والله سبحانه وتعالى ليس بذي شكل [٧٥٤ر] ولا ذي ضد، فيدل ما أنشأ من الأضداد والأشكال على وحدانيته وألوهيته. والثاني خلق الأشياء مختلفين متضادّين ليدل على إيجاب المحن عليهم من نحو[٧] عسر ويسر وغنىً[٨] وحاجةٍ وخيرٍ وشرٍ، ليمتحنهم على اختلاف الأحوال وتضادِها فيُرَغِّبَهم[٩] في كل مرغوب ويُحَذِّرهم عن كل مرهوب. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لعلكم تذكرون**، أي تذكرون آيات وحدانيته وألوهيته، أو تذكرون[١٠] باختلاف الامتحان البعثَ[١١] والثواب والعقاب. *والله أعلم*.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ففروا إلى الله**، يحتمل وجوها. قال بعضهم: ففروا إلى توحيد الله من الشرك به، دليله قوله على إثره: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ،[١٢] وهو قول[١٣] أبي بكر الأصم.

---

[١] م: الحيوانات.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.
[٣] *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٧-٥٨.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٢.
[٥] ر: فيعملون؛ ن ث م: فيعلمون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.
[٦] ن: فتناقض.
[٧] ث - نحو.
[٨] جميع النسخ: وغنا.
[٩] ر ث م: فرغبهم.
[١٠] جميع النسخ: أو يذكرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] م: المبعث.
[١٢] الآية التالية.
[١٣] ر - قول.

ويحتمل **ففروا إلى الله**، أي ففروا[1] إلى ما دعاكم الله تعالى إليه عما نهاكم عنه. كقوله سبحانه: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[2] أي ففروا إلى الأعمال الصالحة من الأعمال القبيحة. ويحتمل ففروا إلى ما وعد لكم من الثواب عما أوعد لكم من العقاب، أي فِرُّوا إلى ثواب الله عن نقمته وعقابه. ويحتمل ففروا إليه في جميع حوائجكم ولا تطلبوا[3] شيئا من ذلك من غيره، فإنه هو القادر عليها حقيقة، فيكون في الآية ترغيبٌ في الرجوع إليه في الحوائج وقطع الطمع عن غيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إني لكم منه نذير مبين**، يحتمل وجوها.[4] يحتمل أي نذير لمن عبَد دونه أو سمَى دونه إلها، مبينٌ آياتِ ألوهيته ووحدانيته. ويحتمل إني لكم نذير منه مبين لما يقع لكم به النِذارة والبِشارة. وقال أبو بكر الأصم: إني لكم منه نذير مبين بما نزَل بمكذِّبي الرسل بتكذيبهم.

**﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٥١]**

وقوله عز وجل: **ولا تجعلوا مع الله إلها آخر**، أي لا تُسَمُّوا مع ألوهية الله تعالى لأحد دون الله ألوهيةً، ولا تسموا[5] دون الله[6] إلها؛ أو يقول: لا تعبدوا[7] دون الله إلها آخر، أي معبودا آخر، فإنه لا يستحق دون الله أحد العبادةَ.[8] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إني لكم منه نذير مبين**، قد ذكرنا.[9]

**﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**، لم يذكر في هذا الموضع القول منهم أنهم قالوا الرسول عليه الصلاة والسلام: إنك ساحر أو مجنون.

---

[1] ر – أي ففروا.
[2] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[3] ن: ولا يطلبوا.
[4] ر م: إني لكم رسول نذير مبين بما نزل وجوها.
[5] ث + عن.
[6] ر – ألوهية ولا تسموا دون الله.
[7] ر م: لا تعبدون.
[8] جميع النسخ: للعبادة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[9] ث – وقوله عز وجل إني لكم منه نذير مبين قد ذكرنا.

ولكن إن لم يكن مذكورا في ظاهره لكن ما ذكر[١] أن أوائلهم كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة أنهم قد قالوا: إنه ساحر وإنه مجنون حيث قال: **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**؛ يُصبِّر رسوله صلى الله عليه وسلم على أذاهم بنسبتهم إياه إلى السحر والجنون، كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[٢] وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالصبر على أذاهم.[٣] *والله أعلم.*

ثم قوله عز وجل: **ساحر أو مجنون**، قال أبو بكر الأصم: إنما قالوا ساحر أو مجنون لأن السحر والجنون عندهم واحد، كقول فرعون لموسى عليه السلام لَمّا أتى[٤] به من الآيات: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[٥] فلذلك قالوا مرة: ساحر، ومرة، مجنون.[٦] ولكنّ هذا فاسد، فإنه لا يحتمل أن يكون الجنون والسحر عندهم واحدا،[٧] لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم في كل شيء غايته، والمجنون[٨] هو الذي بلغ في الجهل غايته، فنسبوهم[٩] إلى السحر لِما أتى لهم من الآيات ما عجز[١٠] الناس عن إتيان مثلها، وقد عرفوا هم[١١] أنها آيات، أعني رؤساءهم وأئمتهم. لكن قالوا: إنها سحر، على إرادة التلبيس على الأتباع والعامة لما عند الناس أنْ لا كلُّ أحد يقدر على إتيان السحر، فقالوا: إنهم سَحَرَة، للرسل لهذا. وإنما نسبوهم إلى الجنون لما أنهم خالفوا الفراعنة والأكابر الذين كانت همّتُهم القتل وإهلاكَ من خالفهم في المذهب والأمر. *والله أعلم.*

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **أتواصوا به بل هم قوم طاغون**، أي أَوْصَى أوائلُهم أواخرَهم[١٢] في تسميتهم الرسل عليهم السلام سحَرةً ومجانين وأنْ يوافق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل إلى السحر والجنون،

---

[١] م: ذكرنا.
[٢] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٣] ر ن: عن أذاهم.
[٤] ن - أتى.
[٥] سورة الإسراء، ١٠١/١٧.
[٦] جميع النسخ: ومجنون مرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[٧] ر: واحد.
[٨] جميع النسخ: والجنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م: ونسبوهم.
[١٠] م: أعجز.
[١١] م: عرفوهم.
[١٢] ر م: أواخر

أي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم ذلك. ويحتمل أن يكون ذلك على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لأجل هذا القول في كل وقت، فصار ذلك الاجتماع منهم كالتواصي من بعضهم لبعض. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بل هم قوم طاغون**، يخبر أنهم لا عن جهلٍ وشبهةٍ قالوا: إنهم سحرة، ولكن عن طغيانٍ وتعدِّي حدِّ الله عز وجل والمجاوزةِ له، لأن الطاغي هو المجاوز[1] عن الحد الذي جُعل له والمتعدِّي عنه.

﴿فَتَوَلَّ عَنهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[٥٤]

وقوله تعالى: **فتول عنهم فما أنت بملوم**، قال بعض أهل التأويل: لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أنه[2] ينزل بهم العذابُ حتى نزل قوله تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[3] لكن عندنا يخرج قوله: **فتول عنهم فما أنت بملوم**، على وجهين. أحدهما أي تَوَلَّ عنهم وأَعْرِضْ[4] ولا تُكافِئهم بإساءتهم إليك بقولهم: إنه[5] ساحر وإنه مجنون، فإن الله تعالى سيكفيهم عنك ويجازيهم[6] مجازاة إساءتهم. والثاني يأمره بالإعراض والتولي عنهم عن قومٍ عَلِمَ الله تعالى أنهم لا يؤمنون، يُؤْيِسه عن إيمانهم ويقول: [٧٥٤ظ] / لا تشتغل[7] بهم فإنهم لا يؤمنون[8] بك[9] ولا يصدقونك، ولكن اشْتَغِل بمن تَرجو منه الإيمانَ. *والله أعلم*. وجائز أن يكون لا على حقيقة الأمر ولكن على التخيير، أي لك أن تتولى[10] عنهم وتُعرِضَ، فإنك قد بلَّغتَ وأَعْذَرْتَ في التبليغ والدعاء غايتَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فما أنت بملوم**، جائز أن يكون المراد من نَفْي الشيء إثباتَ مقابِلِ ذلك الشيء وضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ،[11] نَفَى عن تجارتهم[12] الربحَ والمراد إثبات الخسران،

---

[1] جميع النسخ: هو المجاوز له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[2] ن – أنه.
[3] الآية التالية. انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٨٠/٣.
[4] ر ث م: فأعرض.
[5] ر: وإنه.
[6] ن: ونجازيهم.
[7] ر: لا يشتغل.
[8] ن – يؤيسه عن إيمانهم ويقول لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون.
[9] ر ث ء: لك.
[10] جميع النسخ: أن تتول.
[11] سورة البقرة، ١٦/٢.
[12] ر م – نفى عن تجارتهم.

كأنه قال: فما ربحت تجارتهم بل حسرت، فعلى ذلك جائز أن يكون[١] قوله: **فما أنت بملوم،** بل بمحمود. *والله أعلم*. وقال أبو بكر الأصم: **فما أنت بملوم،** لأنه قد بلَّغ الرسالة وما أُمِر بتبليغه إلى الخلق وقام[٢] بأمره ونَصَح خلقَه وخَفَض جناحه لهم، فكيف يلام؟[٣] أي ما أنت بالذي تلام على صنيعك وعلى فعلك،[٤] وإن كان بعض الناس يَلُومك، وهم الكفار. وفيه دلالة الحفظ والعصمة له عن الزيغ والزلات، إذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة[٥] لكان يحتمل الملامة،[٦] فدل أنه لا يحتمل الزيغ والعدول عن الحق.

**﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين،** جائز أن يكون الأمر بالتذكير للكل ثم أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين لا الكلَّ. وجائز [أن يقول:] فذَكِّر المؤمنين، فإن منفعة الذكرى لهم ولمن أنْصَف دون المكابرين والمعاندين.[٧] *والله أعلم*.

**﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥٦]**

وقوله: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون،** إن كان المراد من ذكر العبادة حقيقةَ العبادة فيخرج تأويله على وجهين. أحدهما جوابٌ[٨] لمن لا يرى[٩] الجنَّ والإنس يُؤْمَرون بالعبادة ويُمْتَحَنُون بها، فقال: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ،** أي ما خلقتُهم[١٠] على معرفة المحاسن والمساوئ والتمييز بين ما يُؤتى وما يُتَّقى بما رُكِّب فيهم من أسباب التمييز والمعرفة، لأتركهم[١١] سدى مُهْمَلين، بل لأمتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما أنعمتُ عليهم من أنواع النعم،

[١] ر ث م - أن يكون.
[٢] ر م: وقال.
[٣] جميع النسخ: فكيف تلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[٤] ر: قولك.
[٥] ن - إذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة.
[٦] م: الملازمة.
[٧] جميع النسخ: المعتدين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: جوابا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ث: جوابا لمن يرى.
[١٠] ر م: ما خلقهم.
[١١] ن: لا نتركهم.

إذ الحكمة توجب[1] ذلك وتدفع[2] تركَهم سدى هَمَلا. *والله أعلم*. والثاني خرج جوابا لمن يرى العبادة دونه جائزا[3] لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] فقال: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**، أي[5] لم أَخْلُقهم لعبادة غيري، بل لآمُرهم[6] بعبادتي لا لآمُرهم[7] بعبادة غيري، كما قاله بعض الكفرة بقولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[8] ردا لقولهم[9] ونقضا لاعتقادهم. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل:[10] **إلا ليعبدونِ**، تحتمل[11] حقيقةُ العبادة وجهين. أحدهما على حقيقة فعل العبادة، وعلى هذا الوجه لم تكن[12] الآية معمولا بها على العموم بل على الخصوص، وهم المؤمنون من الجن والإنس دون الكفرة منهم، فإنه لا يجوز أن يخلق الكفرة الذين[13] علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة، إذ تخلّقه عن اختيار وإرادة. فإذا خلقهم وأراد منهم العبادة لا بد أن توجد[14] منهم، وقد علم منهم أنه لا يُوجَد، فيصير كأنه أراد تجهيل نفسه، وهذا[15] محال. فدل أن المراد منه الخصوص؛ وقد خص منه البعض بلا خلاف، فإن الصغار والمجانين قد خُصُّوا، فإنه لا يتحقق منهم العبادة، فجاز[16] أن يُخَصَّ منه الكفرةُ الذين عَلِم منهم أنهم لا يؤمنون. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون[17] المراد منه الأمر بالعبادة، أي ما خَلَقْتُهم إلا لآمُرَهم بالعبادة[18] والتوحيد. وهذا التأويل أقرب إلى العمل بالعموم، فإنه يدخل فيه العقلاء من الجن والإنس دون الصغار والمجانين.

---

[1] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.

[2] جميع النسخ: ويدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] ن: جائزا.

[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[5] جميع النسخ – أي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.

[6] جميع النسخ: أو لآمرهم.

[7] م: لا أمرهم.

[8] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[9] ر م – لقولهم.

[10] ن – قوله عز وجل.

[11] جميع النسخ: عنى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.

[12] جميع النسخ: لم يكن.

[13] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] جميع النسخ: أن يوجد. والتصحيح من المرجع السابق.

[15] ر ث م: وعدا.

[16] ر ث م: فجائز.

[17] ر ث م – يكون.

[18] ث – أي ما خلقتهم إلا لأمرهم بالعبادة.

ويجوز أن يأمر[1] بشيء ولا يريدَ تحصيلَ المأمور به وصيرورةَ المأمور مطيعا له، بل يريد أن يصير عاصيا فيدخلَ النار. بخلاف ما[2] إذا خلقه للعبادة وأراد منه لا يجوز أن لا توجد.[3] وحقيقة هذا تعرف[4] في *كتاب التوحيد* أنه خلق للإيمان[5] والعبادة مَنْ علِم منه أنه يَعبده[6] ويختار العبادة له. فأما من علم منه اختيارَ الضلال والغواية.وصرف العبادة إلى غيره فإنه خلقه على ما علم منه أنه يختار ويفعل، لقوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[7] الآية.

وقال قائلون: لم يُرد بقوله تعالى: **ليعبدونِ**، حقيقةَ العبادة التي هي فعل العبد على وجه الاختيار، ولكن معناه وما خلقت الجن والإنس إلا وقد جعلت في خِلْقَةِ[8] كل أحدٍ منهم دلالةَ وحدانيتي ودلالةَ صَرْف العبادة إليّ والقيام بالشكر لي فيما أنعمت عليهم من أنواع النعم ما لو تأملوا فيها ونظروا يَدُلّهم على ما ذكرنا من العلم بالوحدانية لي[9] والقيام بالعبادة والشكر. ***والله أعلم***. وعلى هذا التأويل تكون[10] الآية عامة لا خصوص فيها، لأن [في] خلقة كل أحد منهم -على أيّ وصف كان- دلالةُ ما ذكرنا. ***والله الموفق***.

ويحتمل أيضا: وما خلقت الجن والإنس إلا على خلقة تصلح[11] للمحنة بالأمر والنهي والوعد[12] والوعيد ولتحقيق فعل ذلك، بما رَكَّب فيهم العقلَ وجعَل مفاصلهم لَيِّنَةً قابلةً لأفعال تصلح[13] للخدمة من الركوع والسجود والقيام والقعود ونحوها على خلاف غير هؤلاء من المخلوقات، فإنها خلقت على خلقة تصلح[14] لمنافع الممتحَنين لا على وجه تصلح[15] للمحنة. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: يؤمر.
[2] ن + أراد.
[3] جميع النسخ: أن لا يوجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[4] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: الإيمان؛ ن + والتوحيد.
[6] جميع النسخ: يعبد. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[8] ر ث م – حلقة.
[9] ن – لي.
[10] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[11] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: والوعيد
[13] ر م: لأفعال يصلح؛ ن ث: لأفعال يصح. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: يصح. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في العبادة خصوصية معنى ليس ذلك في الطاعة والخدمة وغير ذلك من الأفعال،[1] حيث لم يُجِزِ العبادةَ لغيره وأجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الأفعال، كقوله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ.[2] دل أن في العبادة / معنى ليس ذلك المعنى في غيره، لذلك [٧٥٥و] وقعت الخصوصية له. ولذلك خصَّ نفسه بتسمية الإله لم يُجِز التسمية به لغيره. إذ الإله عندهم معبود فكل معبود عندهم يسمونه إلها. وذلك كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك[3] لغيره، وأجاز[4] تسميةَ غيره رحيما لما أن[5] في اسم الرحمن زيادةَ معنًى ليس في الرحيم. وكذا خص نفسه بتسميته خالقا و لم يُجِز هذا الاسم لغيره لما أن في الخالق معنى ليس ذلك المعنى في الفاعل وغيره، فكذلك[6] هذا. *والله أعلم.*

﴿مَا أُرِيدُ مِنهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**، قال عامة أهل التأويل: أي[7] ما أريد منهم أن يَرْزُقوا أنفسهم ولا أن يُطْعِموا أحدا من خلقي، إنما عليّ رزقُهم وإطعامُهم كقوله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا.[8] ويحتمل: ما أريد منهم أن يَرْزُقوا من لا يقوم بأسباب الرزق وأن يُطعِموهم إذ ذلك عليّ،[9] وإنما أريد منهم العبادةَ أو الأمرَ بالعبادة على الوجوه التي[10] ذكرنا. لأنهم لم يُنْشَئُوا لأولئك الذين لم يُجْعَل لهم المكاسبُ[11] وأسبابُ الرزق من الدواب بل أُنْشِئَت هي[12] لأجلهم[13] رزقا ومتعة. *والله أعلم.*

---

[1] ر ث م + كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.
[2] سورة النساء، ٨٠/٤.
[3] ر م: لذلك.
[4] ر ث م: وجاز.
[5] ث – أن.
[6] ن: وكذلك.
[7] ر ث م – أي.
[8] سورة هود، ٦/١١.
[9] ن – علي.
[10] ر ن ث: على الوجه التي؛ م: على الوجه الذي. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٦و.
[11] ث: للكاسب.
[12] جميع النسخ: بل هن أنشئت. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: لهم.

ويحتمل أن يكون على الإضمار على ما قال بعضهم، أي قل يا محمد: ما[١] أريد منكم فيما أدعوكم إليه من أجر وما أريد أن تطعموني[٢] فيَثْقُل عليكم الإيمان. ويحتمل **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**، إخبارٌ أنه لم يخلقهم لحاجة له في خلقهم من الرزق والإطعام منهم لما أقام من[٣] دلالات تَبَرّيه[٤] عن الحوائج وعن الرزق والطعام، وإنما خلقهم للأمر والنهي والامتحان فترجعَ[٥] منافعُ ذلك إليهم. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أن الأسباب والمكاسب التي بها يُرزَقون ويَصِلون إلى الانتفاع بها هي فعل الله تعالى، وله فيها صُنعٌ صار بذلك رازقا ما لولا[٦] ذلك لم يصلوا إلى ذلك، وإن كان الخَلْق[٧] هم الذين يكتسبون ويعملون تلك الأسباب والمكاسب.[٨] فإنما أضيف إليه الرزق لما أنشأ فعل تلك الأسباب والمكاسب منهم. ***والله أعلم***. فيكون في هذا دليل[٩] على أن لله تعالى صنعا في أفعال العباد، وهو الخلق والإنشاء حيث سمى نفسه رازقا، وهم يُرزقون بتلك المكاسب والأسباب وأكثرها أو عامتها[١٠] بأفعالهم. دل أن له فيها صنعا حتى يصح إضافة ذلك إليه وتسميته رازقا ولا يجوز هذا الاسم لغيره. ***والله أعلم***.

والثاني يحتمل إضافة الرزق إليه لأنه يرزقهم بما جعل في تلك الأسباب والمكاسب من اللطف لا بأنفس الأسباب، لأنهم يَزرعون ويَطرَحون البَذْر فيها فيَهْلِك[١١] ذلك فيها، وكذلك يَسقُون الأرض ويَهلِك[١٢] ذلك الماء فيها. ثم إن الله تعالى جعل بلطفه ورحمته في ذلك من اللطف

---

[١] ث: وما.
[٢] ن م: أن يطعمون.
[٣] ن - من.
[٤] ر م: تبرئة؛ ن: تنزيه.
[٥] ن: فيرجع؛ ر ث م: رجع.
[٦] ن م: أولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[٧] ن - الخلق.
[٨] ث: وللكاسب.
[٩] جميع النسخ: دليلا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: عامتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: فهلك.
[١٢] ر: وتهلك.

ما يصير ذلك رزقا لهم بعد ذهاب عينه والقوة التي جعل فيه. وكذلك ما جعل في ذلك[1] من الصلاح[2] والنضج[3] والطبخ وما يرجع إلى الإصلاح لذلك؛ والأكلُ والمَضْغُ والابتلاع ونحو ذلك ليس في ذلك إلا امتلاء البطن، وفي ذلك فساد. فجعل فيه من القوة ما ينتشر[4] في البدن والأطراف قوةً، فتبقى[5] بتلك القوة التي[6] فيها الحياة والبقاء لا بنفس الرزق. وهو ما وصف الله عز وجل: **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**، بتلك القوة يَحيَون وبها يَبقَون.

ثم قوله عز وجل: **المتين**، قيل: **المتين**،[7] هو وصف ونعت لتلك القوة، فيجوز وصف تلك القوة بالمتانة؛[8] فأما الله سبحانه وتعالى[9] لا يوصف بها ولا يقال:[10] إنه متين، وهو كقوله عز وجل: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾،[11] وصف العرش بالمجد، والعرش غيره،[12] فعلى ذلك القوةُ التي جعل فيها ما ذكرنا غيرُه. [و]يجوز أن يوصف بما ذكرنا من المتانة، وهي القوة التي لا يَمِلكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف الذي[13] جعل في ذلك. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **ذو القوة المتين**، أي ذو البطش الشديد فيما أهلك الأمم الخالية. *والله أعلم*.[14]

**﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾[٥٩]**

وقوله عز وجل: **فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون**، فكأنهم استعجلوا نزول العذاب فنزلت هذه الآية على إثر سؤال العذاب، كقوله تعالى:

---

[1] ر م: وجعل ذلك.
[2] ن: ذلك الصلاح.
[3] ن: من النضج.
[4] ر م: ينشر؛ ن: تنتشر.
[5] جميع النسخ: فيبقوا.
[6] جميع النسخ – التي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[7] م – قيل المتين.
[8] ر م: بمتانة. «قرأ يحيى والأعمش: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾» (*المحتسب* لابن جني، ٢/٣٣٨).
[9] ن – سبحانه وتعالى.
[10] ر ت م: ولا يوصف.
[11] سورة البروج، ١٥/٨٥.
[12] أي غير الله تعالى.
[13] ر ن م: التي.
[14] ت – وقال بعضهم ذو القوة المتين أي ذو البطش الشديد فيما أهلك الأمم الخالية والله أعلم.

سَأَلَ سَائِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[1] وقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[2] فقال عند ذلك: **فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم [فلا يستعجلونِ]**، أي لهم نصيب[3] من ذلك العذاب مثل نصيب أوائلهم من العذاب، فيكون على التمثيل، كما يقال: حَذْوَ النعل بالنعل وحَذْوَ القُذَّة بالقذة، ويقال: صاع بصاع وكَيْلٌ بكيل، أي يكال عليه مثلُ ما كيل لغيره. ونحو ذلك من الأمثال[4] التي تضرب. فعلى ذلك ما ذكر[5] من الذَّنوب. ***والله أعلم***. وكذلك ذكر عن [أبي بكر] الأصم، قال:[6] ذكر الذَّنوب، وهو الدلو العظيم الذي كانوا يقتسمون به المياه، وكان من عادة العرب أنهم يجتمعون[7] فيرسلون دِلاءهم في البئر، فكان كل واحد منهم يأخذ حظه ونصيبه من الماء. فيقول لأهل مكة: لا تستعجلوا[8] فإن لكم نصيبا من ذلك العذاب كما كان لأولئك الكفرة،[9] كالدلاء التي تكون[10] / في البئر فيأخذ كل واحد منهم نصيبه. وكذلك قال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة: الذَّنوب الحظ والنصيب.[11] وعن ابن عباس رضي الله عنهما سَمّى ذلك[12] العذاب ذَنوبا لما يَتْبَع بعضهم بعضا،[13] فيقول: يَتْبَعَ العذاب لهؤلاء كما تبع[14] لأولئك[15] كالدلاء يتبع بعضها بعضا.[16] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **فلا يستعجلونِ،** [٧٥٥ظ]

---

[1] سورة المعارج، ١/٧٠.

[2] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[3] جميع النسخ: نصيبا.

[4] جميع النسخ: ومن الأمثال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.

[5] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ن ث: وقال.

[7] ر ث م: يجمعون.

[8] ر م: لا تستعجلون.

[9] ر م – الكفرة.

[10] ر م: يكون.

[11] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٣.

[12] ن: لذلك.

[13] ر ث م + والله أعلم.

[14] جميع النسخ: كما يتبع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.

[15] م: لا لأولئك.

[16] روى الطبري وابن أبي حاتم الرازي عن ابن عباس أن "ذنوبا" الدلو. *تفسير الطبري*، ١٩/٢٧؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣١٣/١٠.

أي قد يبلغون[1] وقته[2] فلا يستعجلوني[3] العذاب، وهو الوقت الذي يسألون[4] الرجوع، كما أخبر الله عز وجل عنهم:[5] رَبِّ ارْجِعُونِ.[6]

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**، قال أهل التأويل: يومُهم الذي يوعدون[7] يومُ القيامة. ولكن لم يبين ذلك اليومَ ما هو؟ فيحتمل ما قالوا، ويحتمل غيره. والويل قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[8]

فإن قيل: كيف خوَّف الله جل وعلا هذه الأمة بما أنزل على الأمم الخالية من الاستئصال والهلاك،[9] وقد عفا هذه الأمة عن هذا وآمَنَهم منه؟

قيل: إنما خوفهم بما ذكر لأن المعنى الذي استوجب أولئك الاستئصال والهلاك[10] به يحتمل أن يتحقق ذلك في هؤلاء وقد يحتمل أن لا يكون. فالتخويف[11] صحيح لهؤلاء بهم؛ وإنما يكون مثل هذا التخويف في أول الأمر، ثم إن الله بفضله ورحمته عفا عنهم بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[12] ويحتمل أن يكون العفو لهم عن ذلك[13] بالتأخير عنهم إلى وقت، وهو وقت قبض[14] أرواحهم وخروجهم من الدنيا، وفي ذلك الوقت يُعاقَبون بأنواع العذاب وينزل بهم ما نزل بأولئك، لا أنهم عُفُوا عن ذلك أصلا. ويحتمل أن يكون ينزل بهم ذلك في الآخرة، وذلك كله فضل منه ورحمة. *والله أعلم*.[15]

---

[1] جميع النسخ: قد تبلغون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.
[2] ر م: وفيه.
[3] جميع النسخ: فلا تستعجلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن ث: تسألون.
[5] ر ث م - عنهم.
[6] ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعونِ﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣).
[7] ر ث م - قال أهل التأويل يومهم الذي يوعدون.
[8] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات «الويل».
[9] ر ث م: والإهلاك.
[10] ر ث م: والإهلاك.
[11] ن: والتخويف.
[12] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[13] ث - عن ذلك.
[14] ن - قبض.
[15] ر: ورحمته والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الطور[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالطُّورِ﴾[١] ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[٢] ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾[٣]**

قوله عز وجل: **والطور وكتاب مسطور في رق منشور**، الآية. ثم اختلف في القَسَم[٢] بالطور وما ذكر. قال قائلون: القسم إنما هو بمنشئ هذه الأشياء التي ذكر لا بهذه الأشياء أنفسها، إذ الله تعالى نهى الخلق بأن يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسه. وقال قائلون: يجوز أن يقسم جل وعلا بما شاء وبمن شاء بالذي عظم قدره عندهم. وقد ذكرنا أن الأقسام إنما يكون بالأشياء التي عظمت أقدارها ومحلها عند الخلق، يقسم بها لدفع الشبه التي تمنع[٣] وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذي اشتبه عليهم والتبس، ليعرفوا أن ذلك كائن لا محالة وأنه[٤] حقٌّ ما[٥] لو تفكروا في ذلك الأشياء وأمعنوا[٦] النظر فيها على غير قسم لوقع لهم[٧] العلم بذلك وتحقق. *والله أعلم*.

---

[١] ر – سورة الطور؛ ن: ذكر أن سورة الطور كلها مكية؛ ث + وهي أربعون وثمان آيات مكية؛ م: سورة الطور كلها مكية.

[٢] ر م: بالقسم.

[٣] ر ن م: يمنع.

[٤] ر ث م + بالذي اشتبه عليهم والتبس وأنه.

[٥] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧و.

[٦] ن: وأعموا.

[٧] ن: بهم.

ثم إن الله تعالى[1] أقسم بأشياء سواه وليس للخلق ذلك لأن قسم الخلق يخرج مخرج الفزع إليه والتضرع ولا يجوز الفزع إلى من سواه والاستعانة به. فأما القسم من الله تعالى حقيقةً فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتأكيد ما وعد لهم من الجزاء، فيجوز له القسم بكل[2] ما يكون لهم التذكير والتنبيه والتأكيد وإن كان بغيره وبسواه[3] مما لذلك خطر ومحل عند الناس وعند الله تعالى. *والله أعلم*. ولأن القسم المذكور في القرآن لإثبات صدق أخبار الرسل [فيما يخبرون عن الله تعالى أنه أرسل][4] إليهم وأنهم[5] رسله وأنهم[6] إذا فعلوا كذا ينزل عليهم من العذاب كذا، لأن أولئك الكفرة لم يكذبوا الله تعالى في خبره[7] حتى يكون قسمه لإثبات صدق خبره. وإنما يتحقق صدق خبرهم بما أقاموا من المعجزات والبراهين، لكن يتأكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم. فأما قسم الخلق لإثبات أصل الصدق فيجب أن يقسموا بذكر ما هو النهاية في العظمة والقدر في القلوب وهو أسماء الله تعالى وصفاته. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون القسم بهذه[8] الأشياء من الرسل عليهم السلام، فإن كان كذلك فهو على الإضمار كأنهم قالوا: بمنشئ الطور وكتاب مسطور وما ذكر إلى آخره، إذ القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته. **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **والطور**، جائز أن يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما أن الله عز وجل أنشأ[9] الأرض خلقا تميد بأهلها وأرسى فيها هذه الجبال ووَتَّدها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلائق إلى الانتفاع بهذه الأرض والقرار عليها وصارت مهادا لهم وفراشا لهم على ما ذكر، يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاءوا وأين[10] أرادوا وحيث أحبوا. ثم إذا عرفوا ذلك لزمهم أن يعرفوا أن عليهم شكر ما أنعم عليهم فإذا تركوا ذلك ألزمهم[11] عقوبة الكفران

---

[1] م: ثم الله تعالى.
[2] ن - ما وعد لهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل.
[3] جميع النسخ: لغيره وسواه. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٧و.
[4] الزيادة من الشرح، نفس الورقة.
[5] جميع النسخ: وأنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن: وأنهم.
[7] ر م: في خبر.
[8] جميع النسخ: هذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: السماء.
[10] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: لزمهم.

وجزاءه[١] وأوعدهم[٢] ذلك فيؤكد ما ذكر من القسم وقوع ما ذكر من العذاب بهم حيث قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.[٣] ويحتمل أن يكون المراد بالطور هو جبلا خاصا،[٤] وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وأنزل عليه[٥] التوراة وهو طُورُ سَيْنَاءَ. وذلك الجبل / مما عظم قدره عند بني إسرائيل حتى عرفوا قدره وفضله فأقسم بذلك [٧٥٦ر] الجبل: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. ويحتمل أن يكون المراد بالطور هو جبالا[٦] خاصة[٧] وهي الجبال التي أوحى عليها إلى رسله عليهم الصلاة والسلام على ما روي في الخبر: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في طور سَيْنَاءَ[٨] وإلى عيسى عليه السلام في جبل ساعُورا[٩] وإلى محمد عليه الصلاة والسلام في جبل فاران، فأقسم بها أن ما وعد من العذاب واقع بهم. *والله أعلم.*

وفي الآية دلالة إثبات الرسالة، فإنه أخبر عليه الصلاة والسلام عن أمكنة الوحي وفضل تلك الجبال، ومعرفة ذلك إنما هي[١٠] من الكتب المتقدمة. وهم قد أحاطوا العلم بأنه لم يكن اختلف إلى أحد ممن له معرفة بتلك[١١] الكتب حتى يَعلم[١٢] منه، فدل أنه بالله عز وجل عرف أمكنة الوحي وفضل تلك الجبال. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وكتاب مسطور**، الآية،[١٣] يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ بها يوصل إلى معرفة آيات الرسل عليهم السلام وإلى معرفة ما يُؤتى وما يتقَى[١٤] وإلى أخبار السماء ومعرفة الأحكام والحدود وغير ذلك من[١٥] وجوه الحكمة

---

[١] ر م: وجزاؤه.
[٢] ر م: وأوعد لهم.
[٣] الآية ٧ و ٨ من هذه السورة.
[٤] جميع النسخ: جبل خاص. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧و.
[٥] ث – عليه.
[٦] جميع النسخ: جبل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: خاص. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م – في طور.
[٩] ر ن ث: ساعور.
[١٠] جميع النسخ: هو. والتصحيح من مرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: تعلم.
[١٣] ن – الآية.
[١٤] ر ن م: ويتقي.
[١٥] ر ث م: من أحكام.

أقسم بها أن العذاب واقع بهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن القسم يرجع إلى عدد من الكتب التوراة والإنجيل والزبور المعروفة[1] التي عرف أهل الإيمان بها حقها ونزولها من السماء. ويحتمل أنه راجع[2] إلى خاص من الكتب وهو القرآن بما عظم قدره عندهم لما يَعجز البشر عن إتيان مثله على ما ذكرنا في [تفسير] الطور. *والله أعلم*. ويحتمل ما ذكره أهل التأويل أنها الكتب التي يكتب فيها أعمال بني آدم ولم يذكروا جهة القسم بها ولست[3] أعرف[4] له وجها.

وقوله عز وجل: **في رَقٍّ منشور**، أي غير مطوي، وقال أبو عبيدة: الرق الورق،[5] وقال أبو عَوْسَجَة: الرق الكتاب.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **والبيت المعمور**، يحتمل البيوت كلها جملة وهي البيوت التي جعل الله تعالى للخلق يسكنون فيها ويَتَّقون بها من الحر والبرد ويأمنون[6] فيها، وهو ما قال الله[7] تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا،[8] الآية، ما عرف كلُّ منافعها وعِظَم نعمة الله تعالى عليهم في ذلك ليستأدي[9] بذلك شكرا، فأقسم بما ذكر إن لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة. *والله أعلم*. ويحتمل[10] أن يكون القسم بالبيت المعمور هو الكعبة وهو معمور، قد عظم الله تعالى شأنه وأمره في قلوب الناس كافة: في قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى كان قريش وسائر العرب يحجّونه ويزورونه[11] ويعظمونه فأقسم به على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: والمعروفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ظ.
[2] ن: رجع.
[3] م: القسم ولست.
[4] ر: القسم بها وعرف.
[5] «﴿في رق﴾ أي في ورق» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٠).
[6] ن: يأمنون.
[7] ن – الله.
[8] سورة النحل، ١٦/٨٠.
[9] ن: يستأدى.
[10] ث – ليستأدي بذلك شكرا فأقسم بما ذكر إن لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله أعلم ويحتمل.
[11] ر: ويزرونه.

وقال أبو عبيدة: **البيت المعمور**، الكثير الأهل.[١] وأهل التأويل يقولون: البيت المعمور هو في السماء يزوره أهل السماء ويطوفونه. لكن القسم به يَبْعُد لما لم يَسبِق لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف أقسم بشيء لم يعرفوه ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة إلا أن يقال: إن القسم به لأهل الكتاب وذلك في كتبهم يعرفونه، فأما من لم يسبق له الحبر والمعرفة بذلك مشاهدة فبعيد. *والله أعلم*.

### ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والسقف المرفوع**، هو السماء التي رفعها بلا عمد يرونه من أسفلَ ولا تعليقٍ من الأعلى على[٢] بعدها من الأرض وسعتها وعرضها وشدتها وغلظها ليعلم أن من فعل هذا لا يفعله لغير شيء، بل يمتحن ويأمر وينهى ويستأدي[٣] شكره. فمن خالف أمره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ما ذكر، والله أعلم، وليعلم أن من قدر على ما ذكرنا قادر على كل شيء لا يعجزه شيء. يذكر سلطانه وقدرته وعظمته. *والله أعلم*.

### ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والبحر المسجور**، قال أهل الأدب: هو البحر الملآن الحارّ لأنه جل وعلا منذ أنشأه[٤] أنشأه[٥] حارا ممتلئا عميقا لم يتغير في وقت من الأوقات ولا في حال من الأحوال، بل كان على حالة واحدة حارا مالحا ممتلئا عميقا عريضا ليس كسائر الأنهار التي ربما يتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونه وغَورها في الأرض وامتلائها من الطين وحاجتها إلى الحفر وغير ذلك من الغِيَرِ[٦] التي[٧] تكون[٨] بها، فأما البحر فهو[٩] على حالة واحدة في الأحوال كلها.

---

[١] «﴿والبيت المعمور﴾ الكثير الغاشية» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٠).
[٢] م - على.
[٣] ر ث م: وليستأدى.
[٤] ر: أنشؤه.
[٥] ر م - أنشأه.
[٦] جميع النسخ: من التغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ظ.
[٧] ث: الذي.
[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م - فهو.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[٧] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[٨]

فأقسم به إن عذاب ربهم[١] لواقع. *والله أعلم*. [وقوله تعالى: **ما له من دافع**، أي ليس لذلك العذاب عنهم من دافع. *والله أعلم*].[٢]

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[٩] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا**، بيّن الوقت الذي ينزل بهم العذاب الموعود حين قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ،[٣] ودل أن وقت تعذيب هذه الأمة يومُ القيامة وهو ما قال عز وجل: وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[٤] *والله أعلم*. وفيه وصف ذلك اليوم بالأهوال والشدائد[٥] لأنه تعالى ذكر أن السماء تمور مَورا أي تستدير استدارة وتتحرك[٦] تحركا، وذكر سير الجبال وما ذكر، وهذه الأشياء من أشد الخلائق وأصلبها فهو لذلك اليوم وشدته عمل فيها ما ذكر من التحرك والسير[٧] والتغير وغير ذلك. وفيه أن هذا العالم كله أنشأه بحيث يفنيه وينشئ عالما آخر لأنه ذكر فيه التغير من حال إلى حال؛ / لأنه ذكر مرة [٧٥٦ظ] سيرها وتحركها[٨] حيث قال: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ،[٩] وذكر السماء وتحركها[١٠] ومَوْرها، وذكر للأرض[١١] انشقاقها حيث قال: وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ،[١٢] وقال في آية أخرى: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[١٣] وقال: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[١٤] وقال هاهنا: **وتسير الجبال سيرا**. وكذلك قال في السماء والأرض [من] اختلاف الأحوال فقال: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[١٥]

---

[١] جميع النسخ: ربك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ط.
[٢] الزيادة من *الشرح*، نفس الورق.
[٣] الآية ٧ من هذه السورة.
[٤] ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٦).
[٥] ر ث م: والشدة.
[٦] ر ن م: ويتحرك.
[٧] ر ن م + والتحرك.
[٨] ن ث: تحركها.
[٩] سورة لكهف، ١٨/٤٧.
[١٠] ث: تحركها.
[١١] ن: الأرض.
[١٢] سورة مريم، ١٩/٩٠.
[١٣] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[١٤] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).
[١٥] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٤.

فدل إثبات التغير في هذه الأشياء على هلاكها كما دل[١] أنواع الأمراض والتغير من حال إلى حال في أهلها على هلاكها.[٢] *والله أعلم*.

**﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **فويل يومئذ للمكذبين**، الآية،[٣] أي المكذبين لرسله،[٤] ويحتمل لتوحيده أو لحججه أو للبعث.

**﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **الذين هم في خوض يلعبون**، نَعَتهم ووصف أمرهم حيث قال: **الذين هم في خوض يلعبون**، والخوض هو البحث عن الشيء إلا أن الخوض المطلق ذكروه واستعملوه[٥] في الباطل خاصة.

**﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **يوم يدعون إلى نار جهنم دعا**، أي يدفعون في النار على وجوههم. وقال أبو عبيدة: يُدفَعون دفعا في القفاء خاصة.[٦]

**﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **هذه النار التي كنتم بها تكذبون**، هو على الإضمار كأنه يقال لهم: **هذه النار التي كنتم بها تكذبون** في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، يقال لهم في الآخرة لما أُلقوا في النار: **أفسحر هذا**، مقابلَ ما قالوا هم للحجج[٧] والبراهين في الدنيا: إنها سحر. وقوله:[٨] **أم أنتم لا تبصرون**،

---

[١] ر: كما قال.

[٢] ن – كما دل أنواع الأمراض والتغير من حال إلى حال في أهلها عى هلاكها.

[٣] ن – الآية.

[٤] ر م: لرسلهم.

[٥] جميع النسخ: ذكروا واستعملوا.

[٦] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣١.

[٧] ث: لحجج.

[٨] ث: قوله.

هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقال لهم لما أُدخلوا النار: لعل ما أنتم فيه[1] ليس بعذاب وأنها ليست بنار وأنتم لا تبصرون بذلك،[2] كما أخبر عنهم في الدنيا أنهم يقولون لحجحه[3] حيث قال: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[4] الآية، فقال مقابل ذلك: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، أي لعلكم لا تبصرون. والثاني يقول: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، في الدنيا أن هذا ينزل بكم في الآخرة. *والله أعلم*.

**﴿اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم**، هذا كما قال إبليس: سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ،[5] فعلى ذلك قوله عز وجل: **اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم**، أي سواء عليكم صبرتم[6] أو جزعتم فلا ينفعكم ذلك. وقوله عز وجل: **إنما تجزون ما كنتم تعملون**، أي ذلك استوجبتم بأعمالكم لا أن أوجبت عيكم شيئا لم تستوجبوه.

**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في جنات ونعيم**، الآية،[7] يحتمل في جنات وفي نعيم، ويحتمل في جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى مع، أي في جنات مع نعيم.

**﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **فاكهين بما آتاهم ربهم**، قال بعضهم: أي ناعمين متنعمين، وقال بعضهم: معجَبين، وهما واحد: المعجب به والناعم سواء لأنه إذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا. وقال بعضهم: **فاكهين** ناعمين وفاكهين معجبين بذلك، وهو قول القتبي.[8] ثم ذكر هاهنا: **فاكهين بما آتاهم ربهم**، وذكر في سورة والذاريات: آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ،[9]

---

[1] ن: به.
[2] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨و.
[3] ن: لحجته.
[4] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.
[5] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[6] جميع النسخ: أصبرتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨و.
[7] ن – الآية.
[8] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٥.
[9] سورة الذاريات، ١٦/٥١.

فالفاكهة ما ذكرنا، وقوله عز وجل: آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ،[١] أي آخذين ما آتاهم ربهم بالشكر منه والحمد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما وقاهم أي عصمهم في الدنيا عن الأعمال التي يوبقهم ويهلكهم لو أتوا بها وعملوها، فإذا عصمهم عن ذلك وقاهم عن عذاب الجحيم. *والله أعلم*. والثاني وقاهم أي عفا[٢] عنهم في الآخرة وصفح عما عملوا من الأعمال الموبقات في الدنيا ما لولا عَفْوه إياهم لكانت يوبقهم ويستوجبون ذلك. *والله أعلم*.

**﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**، كأنه على الإضمار، أي يقال لهم لما أُدخلوا الجنة ونزلوا منازلهم: كلوا واشربوا. وقوله: **هنيئا**، أي ليس عليهم في ذلك خوف التَّبِعة[٣] ولا خوف حدوث مكروه في أنفسهم ولا [خوف] آفة، لأن ذلك ينغّص عليهم ذلك؛ ليس كما يؤكل في الدنيا فيه خوف التبعة[٤] وخوف حدوث المكروه والآفات في أنفسهم والضرر فأخبر أن لا يكون لهم في الجنة ذلك لئلا ينغّص عليهم نعمها. *والله أعلم*.

**﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين**، ذكر [أنّ] لهم في الجنة جميعَ ما يرغب إليه أنفسهم في الدنيا ويتمنونه،[٥] كقوله تعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ،[٦] وقوله: وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا،[٧] وقوله عز وجل: فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ،[٨] وأشباه ذلك مما يكثر عدّه[٩]

---

[١] ث – فالفاكهة ما ذكرنا وقوله عز وجل آخذين بما آتاهم ربهم. سورة الذاريات، ١٦/٥١.
[٢] ر م: عفى.
[٣] ر: السعة.
[٤] ر: السعة.
[٥] جميع النسخ: ويتمنون بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[٦] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٧] سورة النبأ، ٣٣/٧٨-٣٤.
[٨] سورة الغاشية، ١٣/٨٨-١٦.
[٩] ر: عدة.

مما تحدّث به أنفسهم في الدنيا[1] ورغّبهم فيه ليرغبوا في طلبها أو ليتركوا طلب ما[2] في الدنيا من ذلك لِيصفُو[3] لهم ذلك في الآخرة. وهذه الأحوال التي ذكر وأخبر أنها تكون[4] هم في الآخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة في المجلس وغير ذلك من الأشياء التي ذكرها في الكتاب [والتي لا نعرف ماهيتها]. ثم قوله عز وجل: **وزوّجناهم بحور عين**، الباء في الحور زائدة معناه وزوجناهم حورًا عِينا[5] كما يقال تزوجت بفلانة وفلانةَ فعلى ذلك هذا.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٢١]**

[٧٥٧و] وقوله عز وجل: **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم / ذريتهم**، قيل فيه بوجوه. أحدها ما قال أبو بكر الكيساني:[6] أي يَلحق الأولادُ بإيمانهم وأعمالهم درجاتِ الآباء والأمهات وإن[7] قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء والأمهات، لأن الدرجات إنما تكون[8] بالأعمال فهم وإن لم يبلغوا في الأعمال مبلغ آبائهم فإنهم يُلحقون بهم في الدرجات. *والله أعلم*.

وقال بعضهم: إن الذرية الْتَقَنُوا الإيمان من آبائهم وأمهاتهم وأخذوه منهم و لم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون أخذهم وقبولهم عن البحث عن الحجة والبرهان، فهم وإن كانوا مقلدين آباءهم في الإيمان متقِّنين[9] منهم فإنهم يُلحقون بآبائهم[10] وإن كان الإيمان عن الحجة أفضل من[11] الإيمان بالتقليد والالتقان. وقال بعضهم: إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان فإنهم يُلْحقون بآبائهم وأمهاتهم في إيمانهم وإن لم يكن منهم الإيمان و لم يأتوا به. *والله أعلم*.

---

[1] ن: أنفسهم الدنيا.
[2] ر ث: أو ليتركوا ما؛ م وليتركوا ما.
[3] جميع النسخ: ليصفوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[4] جميع النسخ: أنه يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م – الباء في الحور زائدة معناه وزوجناهم حورا عينا؛ ن: الحور لعين. و لتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: الكساني. هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و«مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلاف. وله أيضًا أنباء في الرفض والتحسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣.
[7] ر م: ولن؛ ن: ولو.
[8] ر ن م: يكون.
[9] ث: متلقين.
[10] ن: بإيمانهم.
[11] ر ث م: عن.

وقوله عز وجل: **وما ألتناهم من عملهم من شيء**، على تأويل أبي بكر، أي وما ألتنا من أعمال الذرية من شيء، أي[1] ما نقصنا أعمالهم عن[2] أعمال آبائهم[3] في الثواب وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم[4] بل يبلِّغون درجات آبائهم، ويُوفَّرون كما يوفَّر على آبائهم.[5] وتأويله أبعد هذه التأويلات التي ذكرنا. وعلى تأويل غيره أي ما نقصنا من أعمال آبائهم شيئا، أي إنهم وإن بلغوا مبلغ الآباء فإن الآباء لا يُنْقَصون من أعمالهم شيئا. ذكر هذا حتى لا يُظن أنه يُنقص من ثواب آبائهم ويعطي ذلك لهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كل امرئ بما كسب رهين**، قال بعضهم هذا صلة قوله عز وجل: اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ،[6] **كل امرئ[7] بما كسب رهين**. وهو يرد[8] قول من يقول بأن الرهن لصاحبه، له أن يَحلِبه وأن يركبه[9] وأن ينتفع به ثم يَرُدّ إلى المرتهن؛ ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا إذ أخبر أنه رهين أي محبوس، فالرهن هو الذي يحبس في كل وقت. *والله أعلم*.

**﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **وأمددناهم بفاكهة**، أي وأمددناهم فاكهة، والباء في الفاكهة زائدة كما ذكرنا في قوله تعالى: بِحُورٍ عِينٍ.[10] ثم يحتمل أن يكون قوله: **وأمددناهم**، إخبارا عن دوامها وكثرتها، أي لا تنقطع[11] ولا تَقِلّ[12] وليست كفواكه الدنيا أنها لا توجد في كل وقت. وقوله عز وجل: **ولحم مما يشتهون**، أخبر أنهم يأكلون جميع ما يشتهون ويجدون ما يتمنون،

---

[1] ث + أي.
[2] ر م - أعمالهم عن.
[3] ن + ويوفرون كما يوفر على آبائهم.
[4] ر - عن أعمالهم.
[5] ن - ويوفرون كما يوفر على آبائهم.
[6] الآية ١٦ من هذه السورة.
[7] جميع النسخ: نفس. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٨ظ.
[8] ن: يراد.
[9] ن: وإن تركه.
[10] الآية ٢٠ من هذه السورة
[11] جميع النسخ: لا ينقطع. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٦٨ظ.
[12] ر ن م: ولا يقل.

ليس كالدنيا ربما يشتهي شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه؛ وهو كقوله تعالى: وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ.[1]

**﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **يتنازعون فيها كأسا**، أي يتعاطَون فيها كأسا ويأخذ بعضهم من بعض كما يكون في الدنيا لا يكون لكل أحد كأس على حدة، وهو كما روي في الخبر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم: كان يغتسل مع بعض أزواجه وربما يتنازع أيديهما.[2] وقال أبو بكر الكيساني:[3] الكأس هو الخمر، وقال غيره: هو الإناء المملوء من الخمر وأما[4] الذي لا شراب فيها فهو الإناء. وقوله عز وجل: **لا لغوٌ فيها ولا تأثيم**، قرئَ لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ بالرفع والتنوين. قال أبو عبيدة:[5] إنه خبر بأنه ليس فيها لغو ولا تأثيم كما قال: لَا[6] [فِيهَا غَوْلٌ] وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ،[7] وقرئَ بالنصب فيهما على التبرئة[8] وهو وجه غير مدفوع.[9] وتأويل الآية أي لا يكونُ منهم من اللغو وما يُؤْثِمهم[10] من القول كما يكون في شراب الدنيا من اللغو وقول الإثم. وقيل: **لا لغو فيها ولا تأثيم**، لأنها أحلت لهم. ***والله أعلم.***

**﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون**، يرغّبهم فيما ترغب[11] إليهم أنفسهم في الدنيا من الخَدَم والفواكه والبُسُط ليطلبوها. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة فصلت، ٤١/٣١.

[2] قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل بدأ بيمينه فصب عليها من الماء فغسلها، ثم صب الماء على الأذى الذي به بيمينه وغسل عنه بشماله حتى إذا فرغ من ذلك صب على رأسه. قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد ونحن جُنُبان (*صحيح مسلم*، الحيض ٤٣).

[3] ر: الكسائي.

[4] ر: أو ماء.

[5] ر ن م: أبو عبيد.

[6] جميع النسخ + غول فيها.

[7] سورة الصافات، ٣٧/٤٧.

[8] ر ث م: على التنزيه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. وافقهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن ﴿لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ﴾ *الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٢٤.

[9] «أي غير مردود» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و).

[10] جميع النسخ: وما يؤثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.

[11] ر: فيها رغب؛ ن: يرغب؛ ث م: رغب. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**، قال أبو بكر الكيساني:[١] يتساءلون عن المعاصي التي كانت منهم[٢] في الدنيا واستدل بقوله على إثر هذه الآية: إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ.[٣] وقيل: **يتساءلون**، عن الدنيا، ويشبه أن يكون تساؤلهم عما كان عليهم في الدنيا ولهم.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[٢٦]

وقوله: **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين،**[٤] يحتمل قوله: **في أهلنا مشفقين**، وجهين. أحدهما **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**، كقوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[٥] والثاني أي إنا كنا قبلُ على أنفسنا وأهلنا مشفقين، أي خائفين على ما كان منا من الجنايات والمعاصي. وقوله عز وجل:[٦] إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ،[٧] أي -والله أعلم- **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**، على أنفسنا لجناياتنا وراجين برحمته بقوله تعالى: إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ. وصف[هم][٨] الله تعالى في غير آي من القرآن بالإشفاق والخشية والطمع والرجاء، كقوله تعالى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،[٩] وقوله: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا،[١٠] ونحو ذلك.*

﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**، دل قوله: **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**، أن لله أن يعذبهم بعذاب السموم لكنه بِمَنِّه وفضله[١٢] وقاهم، ولو كان عليه ذلك كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر المنة معنى.

---

[١] ر: الكسائي.
[٢] ر م: عنهم.
[٣] الآية التالية.
[٤] ر ث م - وقيل يتساءلون عن الدنيا ويشبه أن يكون تساؤلهم عما كان عليهم في الدنيا ولهم وقوله إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.
[٥] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[٦] أي دليل هذا التأويل قوله عز وجل على إثره.
[٧] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[٩] سورة السجدة، ١٦/٣٢.
[١٠] سورة الأنبياء، ٩٠/٢١.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ٢٨ متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٥٧و سطر ٣٥-٣٧.
[١٢] م: بفضله وبمنه.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[٢٨]

[٧٥٧و س ٣٥] * ثم قوله: **إنه هو البر الرحيم**، قرئ إنه هو البر بنصب الألف وخفضه.[1] فمن كسره حمله على الابتداء،[2] أي رَبُّنا كذلك على كل حال. ومن نصب[ه][3] أراد: [كنا] ندعوه بأنه
[٧٥٧و س ٣٧] أولا[4] ولأنه هو البر الرحيم أي ندعوه[5] لأجل أنه كذلك. ***والله أعلم.****

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[٢٩]

وقوله: **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**، أي بما أنعم عليك من النبوة
[٧٥٧ظ] / والقرآن لست بكاهن ولا مجنون. ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي إنك لم تقابل نعمة ربك بما يجب أن تُبْتَلَى بجنون أو كهانة أو ما ذكروا فيك. والثاني أي أنت بنعمة ربك[7] عُوفِيتَ وعُصِمتَ[8] عما ذكروا من الجنون والسحر وغير ذلك. ***والله أعلم.*** دلت[9] هذه[10] الآية على أنهم قالوا:[11] إنه كاهن ومجنون. وكذا كانت عادة أولئك أنهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها إلى السحر، والأنباء المتقدمة إلى الكهانة، وخلافَ الرسل عليهم الصلاة والسلام لقادتهم[12] وفراعنتهم إلى الجنون، والكلام المستَمْلَح والمُسْتَلَذّ إلى الشعر تلبيسا للأمر على أتباعهم؛ هذه كانت عادتهم مع العلم منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف إلى أحد من الكهنة ولا السحرة[13] ولا كان القرآن على نظم الشعراء. عجزوا[14] عن إتيان مثله وهم عن الشعر غير عاجزين.

---

[1] ر: وحفظه.
[2] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٦.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[4] جميع النسخ: يدعوه بأنه ثانيا و. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يدعوه. والتصحيح من المرجع السابق.
* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنا.
[7] ر ث م - بما يجب أن تبتلى بجنون أو كهانة أو ما ذكروا فيك والثاني أي أنت بنعمة ربك.
[8] ر: وعوصمت.
[9] جميع النسخ: دل.
[10] ر م: هذا؛ ث: دل على هذه.
[11] ر ن م + له.
[12] ن ث: لعادتهم.
[13] ر م: ولا السحر.
[14] ر ث م: وعجزوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[٣٠]

ثم لما عجزوا عن مقابلة ما أتاهم [به][١] من الحجج قالوا:[٢] **نتربص به ريب المنون**، أي عن قريب يرجعون إلى ديننا وإلى ما نحن فيه. وكانوا يقولون لضعفاء[٣] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن محمدا يموت ويصير الأمر لنا فترجعون إلينا. *قال القُتَبي: **ريب المنون** حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، **والمنون** الدهر.[٤] وقال أبو عَوْسَجَة: **ريب المنون**،[٥] أي المَنِيَّة وريبها ما يأتي به.* [٧٥٧ظ س١٢ ٧٥٧ظ س١٣]

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[٣١]

فقال الله[٧] تعالى: **قل تربصوا فإني معكم من المتربصين**، أي تربصوا ذلك فإني متربص ذلك بكم فكانوا جميعا أو عامتهم، أعني الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ،[٨] أُهلكوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.*

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **أم تأمرهم أحلامهم بهذا**، قد[١٠] ذكرنا في غير موضع أن حرف "أم" [الاستفهام من الله تعالى لتقرير النفي أو الإثبات]،[١١] أي ليست لهم عقول تأمرهم[١٢] بذلك، أي من يأمر[١٣] بهذا فليس بعاقل. والثاني على تسفيه أحلامهم، أي أيّ عقل يأمر بعبادة الأصنام

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[٢] ر: قالوا.
[٣] ن: الضعفاء.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٥.
[٥] ن - وأوجاعه ومصائبه والمنون الدهر وقال أبو عوسجة ريب المنون.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٥٧ظ/سطر ١٢-١٣.
[٧] ر ث م - الله.
[٨] الآية السابقة.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ٣٠ متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٥٧ظ/سطر ١٢-١٣.
[١٠] ن: وقد.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[١٢] جميع النسخ: يأمرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ث + بذلك.

وينهى[1] عن عبادة الله تعالى، أي لا عقل يأمر به. وقوله: **أم هم قوم طاغون**، أي طاغون في ذلك. والطغيان هو المجاوزة عن الحد في العداوة.

**﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٣]**

وقوله: **أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون**، أي يعلمون أنك[2] لست بمتقوِّل ولكن ينسبونك إلى التقول لتكذيبهم بآيات الله تعالى وهو ما ذكر في آية أخرى: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، بالتخفيف والتشديد، وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ.[3] يقول: إنهم لا يقولون: إنك كاذب فيما تقول ولا ينسبونك[4] إلى الكذب ولكن إنما يكذبون الآيات ويعتقدون كَذِبَها. فعلى ذلك يقولون:[5] **تَقَوّله**،[6] على علم منهم أنك لم تتقول ولكن اعتقدوا تكذيب الآيات والجحودَ لها فيقولون: إنك تتقول.

**﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٣٤]**

ثم[7] قال: **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**، أي لو كانوا صادقين بأن محمدا تقوّل[8] على الله فليأتوا بمثل ما أتى[9] به محمد. ثم قوله عز وجل: **فليأتوا بحديث مثله**، وإن خَرَج مخرج الأمر في الظاهر فهو في الحقيقة ليس بأمر لأنه لا يحتمل أن يأمرهم أن يأتوا[10] بالكذب والافتراء. ثم هذا يخرج على وجهين.[11] أحدهما على الإعجاز عن أن يأتوا بمثله. والثاني على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافتراء والتقول. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: ويخفى.
[2] ن + أنك.
[3] سورة الأنعام، ٦/٣٣.
[4] ر م: تنسبونك.
[5] ر ث م - يقولون.
[6] ث: يقول.
[7] ر ث م: من.
[8] ر م: تتقول.
[9] جميع النسخ: ما أوتي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩ظ.
[10] ر ث م: إن تابوا.
[11] ن: يخرج مخرج الوجهين.

**﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**، قال عامة أهل التأويل: أي أم خلقوا من غير أب، ولكن ليس فيما ذكروا كبير[١] فائدة لو خلقوا من غير أب إلا أن يريدوا بذلك حتى لم يَعرفوا من خلقهم وممَ[٢] خُلقوا،[٣] بل كانت لهم آباء[٤] عوَّدوهم وأعلموهم بأن لهم خالقا وأنهم مخلوقون وليسوا بخالقين، أو كلام نحوه. فكيف يتكلمون[٥] بما هو سفه وكيف يصرون عليه؟ وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما **أم خلقوا من غير شيء**، أي يعلمون أنهم لم يخلقوا لغير شيء لأنهم لو خلقوا لغير شيء[٦] ولغيرِ معنى وحكمةٍ لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون أنهم لم يخلقوا لعبا باطلا. والثاني يقال: لا يخلوا إما[٧] أن يكونوا خلقوا من غير شيء أو خلقوا من تراب وماء فكيف ما كان فدل أن قدرته ذاتية لا مستفادة فلا يحتمل أن يعجزه شيء.[٨] وقوله عز وجل: **أم هم الخالقون**، أي ليسوا هم بخالقين.

**﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾[٣٦]**

وقوله[٩] عز وجل: **أم خلقوا السماوات والأرض**، أي يعلمون أنهم لم يخلقوهما. وقوله: **بل لا يوقنون**، يخرج على وجهين. أحدهما أن ما يقولون إنما يقولون على الظن لا على اليقين. والثاني **بل لا يوقنون**، أي لا يصدقون وذلك في قوم[١٠] علم الله تعالى أنهم[١١] لا يؤمنون. فإن كان التأويل هذا[١٢] ففيه دلالة إثبات الرسالة حيث أخبر عن الغيب، وإن كان التأويل هو الأولَ ففيه أن جميع ما يقولون[١٣] إنما يقولون على الظن والجهل لا على اليقين. ***والله أعلم***.

---

[١] ر: ليس ذكروا كثير؛ ث م: كثير.
[٢] ر ث م: وممن.
[٣] ن + من غير أب.
[٤] ن: أبا.
[٥] ث: تتكلمون.
[٦] ر م – لأنهم لو خلقوا لغير شيء؛ ر ث م + أو خلقوا من تراب.
[٧] ث: ما.
[٨] ن + وحكمة لكان خلقهم عبثا باطلا.
[٩] ر: قوله.
[١٠] جميع النسخ: في قوة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩ظ.
[١١] ر ث م: بأنهم.
[١٢] ن: فإذا كان هذا التأويل.
[١٣] ن + على الظن.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرِّق بينهما ويُميِّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر] يعم الكل. *والله أعلم*.

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبات لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم*.

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف**.

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن – تعالى.
[6] سورة القلم، ٣٥/٦٨-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث – كانوا.
[9] جميع النسخ – إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن: فذلك.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرِّق بينهما ويُميِّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر]
يعم الكل. *والله أعلم*.

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبات لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم*.

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف**.

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن - تعالى.
[6] سورة القلم، ٣٥/٦٨-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث - كانوا.
[9] جميع النسخ - إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن. فذلك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**، أي لست تسألهم أجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك. يذكر أن ليس لهم أسباب المنع وهذه أسباب المنع وإنما امتنعوا عن الاتباع تعنتا ومكابرة.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أم عندهم الغيب فهم يكتبون**، أم[١] عندهم علم الغيب فيعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوّله،[٢] بل ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون**، أي يريدون كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هم المكيدون، أي إليهم يرجع ذلك الكيد والذي أرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم يحتمل ذلك الكيد الذي أخبر عز وجل أنه[٣] عليهم في الدنيا على ما قاله أهل التأويل: إنهم قُتلوا يوم بدر، ويحتمل ذلك في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **أم لهم إله غير الله**، أي أم لهم إله يأمرهم بالذي يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو[٤] أم لهم إله[٥] غير الله يمنعهم من عذاب الله تعالى؟ أي ليس لهم. ويحتمل: **أم لهم إله غير الله** يأمرهم بالذي يدّعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقوُّل على الله تعالى، أو يُطلعهم على ذلك؟ أي ليس لهم إله يطلعهم على ذلك ويدفع عنهم ما ينزل[٦] من العذاب وهو ما قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.[٧] ثم نزّه نفسه عما أشركوا فيه[٨] من الأوثان في تسمية الألوهية واستحقاق العبادة فقال: **سبحان الله عما يشركون**.

---

[١] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠و.
[٢] ن: يقوله.
[٣] ن: أنهم.
[٤] ر ث م: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن – يأمرهم بالذي يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أم لهم إله.
[٦] ر ث م + من السماء.
[٧] الآية ٧ و ٨ من هذه السورة.
[٨] ر م: أشركوا معه؛ ن: اتركوا فيه.

**﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم**، يخبر عن عناد أولئك الرؤساء ومكابرتهم وإنما قالوا ما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد، وأن هذه الآيات من قوله: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا -إلى قوله عز وجل- أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ[١] كلها مُحاجة مع أولئك الرؤساء المعاندين، يبين ذلك قوله تعالى: **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم**، يقول: إنهم وإن يروا ما يوعدهم من عذاب ينزل بهم يقولوا لتعنتهم ومكابرتهم: إنه سحاب ليس بعذاب، وهو كما قال: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[٢] يخبر عن عنادهم، وكقوله عز وجل: [أَفَلَمْ] يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ،[٣] لا يؤمنون ويقولون ما ذكر: إنه **سحاب مركوم**، تعنتا ومكابرة.

**﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾[٤٥]**

ثم أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يعرض عنهم[٤] وأن لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وهو ما قال عز وجل: / **فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**. يُؤيِس [٧٥٨ظ] رسوله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ويأمره بالصبر على أذاهم وترك المكافأة لهم ويخبر أنهم لا يؤمنون إلا في اليوم الذي فيه يُصعقون أي يموتون. ثم قرئ قوله: **يصعقون**، بفتح الياء وضمه.[٥] فمن قال بالنصب احتج بقوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٦] ولم يقل فصُعق. ثم يحتمل الصَّعْقة التي ذكر[٧] ما ذكرنا[٨] أي يموتون، ويحتمل أي ينزل بهم الشدائد والأوجاع ولكن لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم.

---

[١] الآيات ٣٢-٤٣ من هذه السورة.

[٢] سورة الأنعام، ١١١/٦.

[٣] سورة السبأ، ٩/٣٤.

[٤] ر م: عليهم.

[٥] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٧.

[٦] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.

[٧] ث: ذكرت.

[٨] ث: التي ذكرت كرنا.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون**، أي لا يغنيهم[1] ولا ينفعهم كيدهم[2] برسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل[3] بهم يومئذ جزاءً على كيدهم برسول الله صلى الله علي وسلم.[4] ويحتمل أنْ لا يغنيهم من عذاب الله الأصنام التي عبدوها رجاء أن تشفع[5] لهم أو تُقرّبَهم[6] إلى الله زلفى كما أخبر عز وجل.[7] *والله الموفق.*

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك**، قال أهل التأويل: أي لمشركي أهل مكة عذابا دون عذاب النار وهو القتل بالسيف يوم بدر. ويحتمل أن يكون قوله: **وإن للذين ظلموا**، أي للكفرة عذاب في الدنيا دون العذاب[8] الذي ذكر في يوم القيامة حيث قال: حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ.[9] ثم قال لهم: **عذابًا دون ذلك**، وهم ما داموا كفارا فهم في عذاب يكونون في خوف وذل وخزي فذلك كله عذاب الله. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم أو لا يعلمون حقيقةً لما لم ينظروا في أسباب العلم و لم يتفكروا فيها حتى يمنعهم ويزجرهم عن صنيعهم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **واصبر لحكم ربك**، دل هذا الحرف أن النبي[10] صلى الله عليه وسلم قد كُلِّف أمرا شديدا شاقًا عليه حتى قال له: **واصبر**، إذ الأمر بالصبر لا يكون إلا في أمور شاقة شديدة،

---

[1] ر ث م: لأنفسهم.
[2] ر م – شيئا ولاهم ينصرون أي لا يغنيهم ولا ينفعهم كيدهم.
[3] ر: بنزول.
[4] ر + جزاء على كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ر م + عما ينزل بهم يومئذ.
[5] ر ن م: يشفع.
[6] جميع النسخ: أو يقربهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٧٠ظ.
[7] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[8] ر ث م – العذاب.
[9] الآية ٤٥ من هذه السورة.
[10] ن: أنه.

ولذلك قال له: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[١] أمره بالصبر على ما كلفه كما صبر إخوانه على ما لحقهم من الأمور الشاقة؛ وما قال: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ،[٢] أخبر أنه لو صبر إنما يصبر بتوفيق الله تعالى إياه، أو فيه أنه إذا صبر يكون صبره لله تعالى حتى يَسهُلَ عليه احتمال ذلك. *والله أعلم*. ثم قوله:[٣] **لحكم ربك**، يحتمل وجوها. أحدها ما أمر من تبليغ الرسالة إلى الفراعنة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم، فذلك أمر شديد فأمره بالصبر على ذلك والتبليغ إلى أولئك.[٤] والثاني أمره بالصبر على أذاهم واستهزائهم به وترك المكافأة لهم. ويحتمل أن يكون[٥] الأمر بالصبر على الأمور التي كانت عليه في خاص[٦] نفسه[٧] من احتمال غُصّة التكذيب وحزنه على تركهم التوحيدَ والإيمان وإنما ذلك كله حكم الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فإنك بأعيننا**، أي بمنظر[٨] وعِلمٍ منا. فإن كان الأمر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة إلى من ذكرنا فيخرج قوله: **فإنك بأعيننا**، مخرج وعد النصر له[٩] والمعونة، كقوله تعالى:[١٠] وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[١١] وإن كان الأمر بالصبر على ترك مكافأتهم أو على القيام بالأمور التي فيما بينه وبين ربه تعالى فيصير كأنه قال: على علم منا بما يكون منهم[١٢] من التكذيب والاستهزاء والأذى، كلفناك لا عن جهل[١٣] منا بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك**، أي نزِّهه عن معاني الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء عليه بما هو أهله. وقوله عز وجل: **حين تقوم**، يحتمل حين تقوم من مجلسك أو من منامك[١٤]

[١] سورة لأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٢] سورة النحل، ١٢٧/١٦.
[٣] ن - قوله.
[٤] ر + والثاني أمره بالصبر عى ذلك والتبيغ إلى أولئك.
[٥] ن + لهم.
[٦] ر م: في خالص.
[٧] ر ث م: نهيه.
[٨] ن: بمنظرنا.
[٩] ر ث م - له.
[١٠] ن + إلى من ذكرنا فيخرج قوله فإنك بأعينا، مشطوب.
[١١] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[١٢] ن + بالأمور التي فيما، مشطوب.
[١٣] ن: لا على جهل
[١٤] ر م: من مناسك.

أو حين تقوم للتعيش والانتشار. فإن كان المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من جلس مجلسا كثر فيه لَغَطُه[1] فقال[2] قبل أن يقوم:[3] "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن[4] لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" غفر له ما كان في مجلسه ذلك»،[5] ولم يذكر الآية. وإن كان المراد حين تقوم من منامك فجائز أن يكون المراد منه الصلاة. وإن كان المراد[6] حين تقوم للانتشار[7] والتعيش فيصير كأنه أمر بالتسبيح بالنهار في وقت الانتشار. * وروى الضحاك عن عمر رضي الله عنه أنه قال: فسبح [٧٥٨ظ س٣٧
بحمد ربك حين تقوم في الصلاة المفروضة[8] قبل أن تكبر: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره. وروى الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في الصلاة قال[9] ذلك وذلك قوله تعالى: «وسبح بحمد ربك حين تقوم». وروى أبو سعيد وعائشة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا[10] افتتح الصلاة قال ذلك. وعن مجاهد أنه قال: **حين تقوم**، من كل / مجلس.[11] [٧٥٩و]
*والله أعلم.** ٧٥٨ظ س٣٩]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[٤٩]

وعلى هذا قوله: **ومن الليل**، أي سبح بالليل في وقت الراحة فيصير كأنه قال: وسبح بحمد ربك في الأوقات كلها بالليل والنهار في وقت الراحة وفي وقت الانتشار.★

---

[1] ث: لفظه.
[2] جميع النسخ: فقل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠ظ.
[3] جميع النسخ: أن تقوم من مجلسك. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] م – أشهد أن.
[5] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس في مجلس كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: "سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك ثم أتوب إليك" إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٩٤/٢؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ٣٨).
[6] ر ن م – المراد.
[7] جميع النسخ: الانتشار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠ظ.
[8] ث: والمفروضة.
[9] ث: قبل.
[10] ث: إذ.
[11] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٣٧/٧.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إليه. انظر: ورقة ٧٥٨ظ/سطر ٣٧-٣٩.
★ ورد هنا قسم من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى موضعه.

وقوله عز وجل: **فسبحه وإدبار النجوم**،[1] قال أهل التأويل: هو ركعتا[2] الفجر، رُوي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.[3] وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أنه أراد بإدبار النجوم الركعتين قبل الفجر وإدبار السجود الركعتين بعد المغرب.[4] فإن ثبت فهو التأويل. فإن كان على هذا فهذا يدل على تأخير صلاة الفجر لأن إدبار النحوم إنما يكون عند[5] ذهابها وانقضائها، وذلك لا يكون بأول وقت طلوع الفجر وإنما يكون وقت الإسفار فيكون حجة لنا. *والله أعلم*.[6]

---

[1] ث + الآية.
[2] م: ركعتان.
[3] *تفسير الطبري*، ٢٧/ ٥٣.
[4] م: المعرب. *سنن الترمذي*، التفسير ٥٢.
[5] ر م – عند.
[6] ن: والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النجم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[١]**

قوله عز وجل: **والنجم إذا هوى**، قيل: المراد هو النجوم أنفسها فأقسم بها على أن[2] محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قاله[3] الكفرة، وبه يقول الأصم. وقيل: أراد بقوله:[4] **والنجم**، نزول القرآن نجما فنجما على التفاريق، أقسم بالقرآن أنه لم يَضلَّ ولم يَغْوِ. وقال مجاهد: أقسم بالثُّريّا إذا غابت،[5] والعرب تسمّي[6] الثريا، وهي ستة أنجمٍ ظاهرةٍ، نجما.[7] وقال أبو عبيدة:[8] أقسم بالنجم إذا سقط في الغَور[9] فكأنه لم يَخُصَّ الثريا دون غيرها.[10] فإن كان التأويل هو الأول فهو لِمَا جعل الله تعالى للنجوم محلا في قلوب الخلق وأعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق، وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الأنزال والسعة والضيق، وما ينزل بهم من المصائب والشدائد، وما يكون من انقلاب الأمور، وما جعل فيها من المنافع:

---

[1] ر – سورة النجم؛ ن م: ذكر أن سورة النجم مكية؛ ث + وهي اثنان وستون آيات مكية.

[2] ر – أن.

[3] ر: على أقاله.

[4] ن: أن لا بقوله.

[5] جميع النسخ: إذا غاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[6] جميع النسخ: يسمي. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] م – نجما. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

[8] جميع النسخ: أبو عبيد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[9] ر: في العود.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

من معرفة[1] القبلة وطرق الأمكنة النائية ومعرفة الأوقات وغيرها مما يكثر عَدَدها. فأقسم بنفسها أو بالذي أنشأ النجوم وما جعل فيها من المنافع أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غَوى. وإن كان النجم هو[2] النجومَ التي أنزل القرآن فيها نجوما على التفاريق فالقسم بالذي أنزل القرآن على التفاريق.

وقوله عز وجل: **إذا هوى**، أي[3] سقطت، كقوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ،[4] أي بمساقطها. والأشبه أن يكون قوله: **إذا هوى**، أي إذا سارت[5] سيرا دائما في سيرها؛ لأنها أبدا يكون في السير، وفي سيرها منافع الخلق من الاهتداء للطرق وغيرها وإلا[6] ليس في مساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك. ***والله أعلم***.

**﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **ما ضل صاحبكم وما غوى**، يخرج على وجهين. أحدهما أي ما ضل عما نزل به القرآن وعما أُمر به، لأنهم كانوا يدّعون عليه الضلال، إذ[7] خالف دينهم ودين آبائهم فقال: ما ضل هو عما أُمر به وما غوى. والثاني **ما ضل صاحبكم وما غوى**، إذ ليس بساحر ولا شاعر، لأنهم كانوا يقولون: إنه شاعر وإنه ساحر، فقال: ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[8] بل رشد واهتدى.

**﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[٣] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٥] ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[٦]**

وهو ما قال تعالى: **وما ينطق عن الهوى**، أي لا ينطق[9] عما يَهوَى به نفسه بل إنما ينطق عن الوحي، بقوله: **إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى**.

---

[1] ن: من المنافع ومعرفة.
[2] ث - هو.
[3] ن + إذا.
[4] سورة الواقعة، ٧٥/٥٦.
[5] ر م: أي سقطت كقوله تعالى إذا صارت.
[6] ر م: وأما؛ ن: فأما؛ ث: ولما.
[7] ر ث م: أن.
[8] سورة الشعراء، ٢٢٤/٢٦
[9] ر ث م: ما ينطق.

وإلا جائز أن يصرف قوله تعالى: **علمه شديد القوى،** إلى الله تعالى إذ الله تعالى قد أضاف تعليمه إلى نفسه بقوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ﴾.[1] لكن أبان بقوله: **ذو مِرّة فاستوى،** أن المراد[2] غيره إذ هو لا يوصف بأنه: **ذو مرة فاستوى،** وهو جبريل عليه الصلاة والسلام على ما قاله[3] أهل التأويل. [وأصله من قوى الحبل وهي طاقاته، والواحدة قوة. فالإضافة إلى جبريل لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف].[4]

ثم أضاف التعليم مرة إلى جبريل عليه السلام ومرة إلى نفسه. فالإضافة إلى جبريل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف، والإضافة إلى الله تعالى يخرج على وجهين. أحدهما أضاف[5] إلى نفسه لما أنه هو الباعث لجبريل إليه والآمر له[6] بالتعليم والخالقُ لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

والثاني لما يكون من الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم. ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلافهم في آثار اللطف. *والله الموفق*.[7]

وقوله عز وجل: **ذو مِرّة فاستوى،** الآية،[8] قال أهل التأويل: **ذو مرة،** أي ذو قوة، وقيل: **ذو مرة،** أي ذو إحكام. وأصله من قوى الحبل وهي طاقته، والواحد قوة. وأصل المرة الفَتْل.[9]

وقوله: **فاستوى،** يحتمل: استوى[10] محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي إليه. وقيل: استوى[11] جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته، لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل[12] ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته[13] فاستوى جبريل على صورته[14] فرآه كذلك.

---

[1] سورة الرحمن، ٥٥/١-٢.
[2] م: أي المراد.
[3] ر ث م: قال.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١و.
[5] ر: أحدهما إضافة؛ ن: وجهين أضاف.
[6] ر ث: والأمن له؛ ن: لجبريل عليه السلام والآمر له.
[7] ث: والله أعلم الموفق.
[8] ن – الآية.
[9] ر: المرة اة لفتل.
[10] ر ن م + أي؛ ث: يحتمل أي استوى. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: سئل. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته.
[14] ر: على صورة.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[٧]

[٧٥٩ظ] وقوله عز وجل: **وهو بالأفق**، أي جبريل بالأفق الأعلى. / ثم يحتمل: **الأفق الأعلى**، أي أفق السماء، ويحتمل أن يكون الأفق الأعلى مكان الملائكة ومسكنهم فأخبر أنه عليه الصلاة والسلام رآه[1] على صورته في مكانه. وجائز أن يكون الأفق ما ذكر في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فسأله أن يُريه فقال: إن الأرض لا تَسَعُني[2] ولكن انظر إلى الأفق الأعلى فنظر فرآه. وفي بعض الأخبار: إنك لا تقدر أن تراني في صورتي ولكن انظر إلى الأفق الأعلى.[3] ثم جائز أن يكون ما ذكر من النظر إلى الأفق الأعلى لما أن بصره كان لا يحتمل النظر إليه من قرب، ويحتمل ذلك من البعد. وذلك معروف فيما بين الخلق أن الشيء إذا كان له شعاع أو نور أو بياض شديد[4] [فـ]إن البصر لا يحتمل النظر إليه من القرب في أول ملاقاته، ويحتمل إذا كان يبعد منه.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٨]

وعلى هذا قوله: **ثم دنا فتدلى**، يحتمل دنا منه جبريل عليه الصلاة والسلام شيئا بعد شيء وقرب منه كذلك ليحتمله، إذ جُبل الإنسان على طبيعة تحتمل الأشياء إذا انتهت[5] إليه على التفاريق ما لو أتته[6] بدُفْعة واحدة في وقت[7] واحد لما احتملها كالحَرّ[8] يأتي الخلقَ[9] بعد شدة البرد شيئا فشيئا، وكذلك البرد[10] بعد شدة الحر شيئا فشيئا حتى يشتد ما لو أتيا بدفعة واحدة [لما احتملها الأنفس].[11] فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدُفعة واحدة[12]

---

[1] جميع النسخ: رأى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[2] جميع النسخ: لا يسعني. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسدّ الأفق، وأما الأخرى فإنه صَعد معه حين صَعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠٧/١).
[4] ن - شديد.
[5] جميع النسخ: يحتمل الأشياء إذا انتهى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[6] ر ن ع: أتيه.
[7] م - وقت.
[8] جميع النسخ: احتملها الأنفس كالحر. والترجيح من المرجع السابق.
[9] م - الخلق.
[10] ن: البر.
[11] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[12] ر ن م - فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدفعة واحدة.

إذا كان قريبا منه، ويحتمل من البعد ثم يقرب ويدنو[1] قليلا قليلا حتى يحتمل من القرب. **والله أعلم**. ثم من الناس من يقول: إن قوله تعالى: **ثم دنا فتدلى** على التقديم والتأخير، أي تدلى فدنا[2] لأنه يكون التدلي أولا ثم الدنو منه. ومنهم من قال: بل هو على ما قال وهما سواء أعني التدلِّيَ والدنوَّ،[3] بمنزلة القرب والدنو. **والله أعلم**.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فكان قاب قوسين أو أدنى**، اختلف فيه. قال بعضهم: القاب هو صدر القوس، أي فكان قدرَ[4] صدر القوس[5] من الوَتَر مرتين. وقال بعضهم: أي قدر قوسين حقيقة. وقال القُتَبِي: **قابَ**، قدرَ **قوسين**، عَرَبِيَّتَيْن.[6] وقال أبو عَوْسَجَة: القاب قدر الطُّول. وقيل: القوس الذراع هاهنا، أي كان قدر ما بينهما[7] ذراعين، قال: والأول أعجب إليَّ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَابُ قوسِ أحدكم، أو موضعُ[8] قِدِّه خير من الدنيا وما فيها»،[9] والقِدُّ السَّوط.

فنقول: أيَّ الوجوه كانت[10] ففيه[11] دليل أنه لم يكن جبريل عليه السلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط به لأن الشيء إذا بعد عن البصر يعرفه[12] بالاجتهاد

---

[1] ر م: ويدنوا.
[2] جميع النسخ: قربا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[3] ر: والدنوا.
[4] ن م + قوس.
[5] ث: فكان قد صدر القوس.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.
[7] ن: ما بينها.
[8] جميع النسخ: أي موضع. والتصحيح من رواية الحديث.
[9] روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «لَغَدْوة في سبيل الله أو رَوْحةٌ خير من الدنيا وما فيها، ولَقاب قوس أحدكم أو موضع قده [وفي الترمذي: أو موضع يده] يعني سوطه من الجنة، خير من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما، ولَنَصِيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١٤١؛ وسنن *الترمذي*، فضائل الجهاد ١٨). «وفي صفة الحور: "ولَنَصيف إحداهن خير من الدنيا وما فيها" هو الخمار، وقيل: المِعْجَر» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، ٩٠٦).
[10] جميع النسخ: كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[11] ن: فيه.
[12] ر ث م: لعرفه.

ولا يدركه حقيقة، وكذلك[1] إذا قرب منه حتى ماسّه والتصق به قصر البصر عن إدراكه. وإذا كان بين البعد والقرب أحاط به وأدركه. فيخبر الله تعالى أنه أحاط به علما وأدركه حقيقة لا أن كان معرفته إياه بطريق الاجتهاد. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **أو أدنى**، قال أهل التأويل: حرف "أو" حرف شك، وذلك غير محتمل من الله تعالى ولكن معناه على الإيجاب، أي بل أدنى. وقال بعضهم: **أو أدنى** في اجتهادكم ووهمكم لو نظرتم إليهما لقلتم إنهما بالقرب والدنو قدر قوسين أو أدنى.

### ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأوحى إلى عبده ما أوحى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير.[2] أي فأوحى جبريل ما أوحى [الله تعالى][3] إليه إلى محمد عبده ورسوله عليهما الصلاة والسلام. والثاني فأوحى الله جل وعلا إلى عبده جبريل[4] ما أوحى هو إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

### ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، قرئ كَذَبَ مخفف الذال ومُشدَّده.[5] فمن قرأ بالتخفيف أي ما كذَب عبدُه في ما رأى، أي ما رأى حق. وقال أبو عُبيدٍ:[6] ما كذب في رؤيته، أي رؤيته قد صدقت. ومن قرأ بالتشديد أي لم يجعل الفؤادُ رؤية العين كذِبا. وعندنا أي ما رد الفؤاد ما رأى[7] البصر. وأصله أن الفؤاد مما يوعَى به، يقول: قد وعى[8] ما رأى

---

[1] ن: وكذا.

[2] ن - والتأخير.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[4] م - جبريل.

[5] قرأ أبو جعفر وهشام: ﴿ما كَذَّبَ الْفُؤادُ﴾ مشددة الدال، وقرأ الباقون: ﴿ما كَذَبَ﴾ خفيفة الذال (انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٨؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٨٣).

[6] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ وتقريب *التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[7] م + أي.

[8] ر + يقول قد وعى به؛ م + به.

[أي][1] لم يتركه ولم يضيعه.[2] وقيل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، أي ما علم، والرؤية كناية عن العلم. لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى،[3] ولا يتصور أن يعلم مرتين، وكذا ذكر أنه رأى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل أن الحمل على العلم لا يصح.

وأصله عندنا **ما كذب الفؤاد ما رأى** من الآيات، دليله ما ذكر في آخره: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى،[4] وقال: وَلَقَدْ رَآهُ[5] نَزْلَةً أُخْرَى. وعن الحسن أي رأى[6] عظمة من عظمة الله وأمرا من أمره.[7] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «رأى جبريلَ عليه السلام على صورته مرتين»،[8] أي ما كذب الفؤاد ما رأى البصر جبريل عيه الصلاة والسلام ولقد رآه أيضا مرة أخرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.[9]

ومنهم من قال: إنه رأى ربه على العِيان بعينه. فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة،[10] ولأنه لو رأى ربه تعالى على ما قالوا لكان لا يَحتاج إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يُحتاج إليها[11] عند ما يُعرَف الشيء بالاجتهاد. فأما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع[12] إليها إلا أن يقال برؤية[13] القلب على ما ذكر في الخبر أنه سئل عن ذلك فقيل: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيته مرتين بقلبي». وفي بعض الأخبار قال: «أما بعيني فلا وأما بفؤادي فقد رأيته مرتين».[14] ويفسرون رؤية / القلب بالعلم [٧٦٠و] ولكن الإشكال عليه ما ذكرنا فإن ثبت الحديث فهو على ما كان وأراد لا يفسر ذلك،

---

[1] لزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[2] ر: ولم يضيقه.
[3] الآية ١٣ من هذه السورة.
[4] الآية ١٨ من هذه السورة.
[5] ر: وقال أراه.
[6] ر: أو رأى.
[7] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٣٠٨/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٢٥/٧.
[8] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٣.
[9] انظر: الآية ١٣ و١٤ من هذه السورة.
[10] ر م: المتواتر.
[11] ن + إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يحتاج إليها.
[12] جميع النسخ: يقع.
[13] ن: يريد.
[14] روي عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أنه قال: رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٣/١؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٨٥).

وكذلك قول من يقول[1] في قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى:[2] "إنه دنا من ربه"[3] قولٌ وَحْش فيه إثبات المكان والتشبيه، تعالى الله عن ذلك. ولكن المراد ما ذكرنا أن رسول الله صلى الله عيه وسلم دنا من جبريل عليه الصلاة والسلام على ما ذكرنا.

ثم في قوله تعالى:[4] **ما كذب الفؤاد ما رأى**، وقوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،[5] إلى آخره[6] ذِكرُ[7] خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلائق؛ منها رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام عبى صورته، ورؤية الرب تعالى بقلبه إن ثبت الحديث عنه، وبلوغه إلى سدرة المنتهى إذ لم يذكر لأحد من رسل الله تعالى أنه بلغ هذا المبلغ سواه.

## ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **أفتمارونه على ما يرى**، عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس[8] أنهما قرءا[9] مفتوحة التاء بغير ألف،[10] ومعناه: أفتجحدونه؟ وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال: معناه أفتجادلونه؟[11] وعن شريح مثله.[12] قال أبو عبيد: فالأولى[13] أن يقرأ بمعنى الجحود، وذلك أن المشركين إنما كان شأنهم الجحودَ فيما يأتيهم من الخبر السماوي وهو أكثر[14] من المماراة والمجادلة.

---

[1] ن + ثم.
[2] الآية ٨ و ٩ من السورة.
[3] ن + أنه.
[4] ن + ثم.
[5] الآية ١٣ و ١٤ من السورة.
[6] م: إلى آخر ما.
[7] ن: ذلك.
[8] ن ث: عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما (ن: عنهم).
[9] ر م: قرأ.
[10] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿أَفَتَمْرُونَه على ما يَرى﴾ بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف، وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَارُونَه﴾ بالألف وضم التاء (انظر: *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٩؛ *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣).
[11] ن – وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال معناه أفتجادلونه.
[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٤٧/٧.
[13] جميع النسخ: بالأولى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.
[14] ر ث م: أكبر.

وقيل: أفَتَمْرونه،[١] أي أفتُشَكّكونه[٢] على ما يرى.[٣] وقال أبو بكر الأصم: لا يصح القراءة بغير ألف ولا تأويله إنما القراءة بالألف وتأويله: أفتجادلونه. ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر[٤] من الجحود والقراءة صحيح. وتأويل من قال: أفتجادلونه[٥] على ما يرى لا يحتمل، لأن مجادلتهم لا يكون فيما يَرى لكن يجادلونه عىى ما يخبر أنه يرى[٦] إذ في الخبر يقع التكذيب وبه يجادلونه. *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد رآه نزلة أخرى**، فهو على ما ذكرنا من اختلاف الناس أن ما رأى[٧] أيش هو. *والله أعلم.*

﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **عند سدرة المنتهى**، قيل: سمى ذلك الموضع سدرة لما انتهى إليه علم الخلق فلا يجاوزه، وقيل: لما انتهى إليه كرامات الخلق لا يجاوز كراماتهم عنها. وقيل: السدرة الشجرة، ويروون[٨] في ذلك خبرا مرفوعا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا من جناح».[٩] وقيل: سميت سدرة المنتهى لما ينتهي إليها أرواح الشهداء. ثم جائز أن يكون رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام أولا عند سدرة المنتهى من الأرض إما برفع الحجب عنه وإما بزيادة قوة وضعت في بصره ثم رآه مرة أخرى هنالك أيضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى. *والله أعلم.*

---

[١] وفي هامش *الشرح*: أفتمرونه بفتح التاء وتسكين الميم من غير ألف كوفي غير عاصم ويعقوب، ورقة ١٧٢و.
[٢] ر ث م: تشككونه؛ ن: يشككونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.
[٣] ن ث: ترى.
[٤] ث: من ذكر.
[٥] ن - ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر من الجحود والقراءة صحيح وتأويل من قال أفتجادلونه.
[٦] جميع النسخ: جرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م - رأى.
[٨] ر: ويرون.
[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٢/١، ٤٦٠.
[١٠] ن - رسول الله.

### ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **عندها جنة المأوى**، قرئت بنصب الجيم وخفضه. روي أنه قيل: لسعد[١] بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن فلانا يقرأ بالخفض: عندها جِنة المأوى،[٢] فقال سعد: ما كذا جَنة الله وقرأ بالفتح. وعن الأعمش[٣] قال: قالت [عائشة:] من قرأ جِنة المأوى فأجنه الله.[٤] وعن أبي العالية قال: سئل عنها ابن عباس رضي الله عنه فقال: لي كيف تقرأها[٥] يا أبا العالية؟ فقلت: **جَنة المأوى**، بفتح الجيم، فقال: صدقت وهي مثل الأخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ[٦] الْمَأْوَى﴾.[٧] وعن الحسن أنه قرأ: **جَنة المأوى**، وقال: إنها من الجِنان ويصدّقها[٨] حديث الإسراء أنه أُرِيَ الجنةَ وأُدخلها. قال: ودلت الآية أن الجنة [هي] التي يأوي إليها المؤمنون في السماء.

### ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، قال عامة[٩] أهل التأويل: يغشاها فراش من ذهب، وكذا ذكر في خبر مرفوع أنه قال: «رأيت عليها[١٠] فراشا من ذهب».[١١] ولكن لا تفسر[١٢] ما الذي يغشى السدرة بل نُبهم كما أبهم الله تعالى إلا بحديث ثبت عن تواتر. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: لسعيد.

[٢] ن – قرئت بنصب الجيم وخفضه روي أنه قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن فلانا يقرأ بالخفض عندها جنة المأوى.

[٣] ر: وعن الأعش.

[٤] ن: من قرأ جنة المأوى جنة المأوى قال جنة الله.

[٥] ر ث ه: يقرأها.

[٦] ر ث م: جنة.

[٧] سورة السجدة، ١٩/٣٢. وروينا عن قرظب قال: سأل ابن عباس أبا العالية: كيف تقرءونها يا أبا العالية؟ فقال: ﴿عندها جَنَّةُ المأوى﴾ فقال: صدقت، هي مثل الأخرى: ﴿جنّات المأوى﴾ فقالت عائشة رحمة الله عليها: من قرأ ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ يريد جُن عليه، فأجنه الله. قال أبو حاتم: روي عن ابن عبس وعائشة وابن الزبير قالوا من قرأها ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فأجنه الله. قال: وقال سعد بن مالك: وقيل إن فلانا يقرأ: ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فقال: ماله أجنه الله (*المحتسب* لابن جني، ٣٤٣/٢).

[٨] جميع النسخ: وتصديقها. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٩] ن – عامة.

[١٠] ر ث م – أنه قال رأيت عليه؛ ر ث م + غشاها.

[١١] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥١/٧.

[١٢] جميع النسخ: لا يفسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

وقال بعضهم في قوله تعالى: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، أي ما يغشى[١] من أمر الله تعالى، ويروون خبرا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما انتهيت إلى السدرة رأيت ورقها أمثال آذان الفيلة، ورأيت نَبْقَها أمثال القِلال؛ فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت...» فذكر الياقوت.[٢] إن ثبت هذا الخبر ففيه دليل أن السدرة[٣] شجرة إذ ذكر ورقها وفيه أن الذي يغشاها أمر الله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، الملائكة.[٤] *والله أعلم*.[٥]

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ما زاغ البصر وما طغى**، قال أبو بكر [الأصم]: أي ما قَصُر البصر عن الحد الذي أمر وجُعل له. **وما طغى**، وما جاوز عنه، أو كلام نحوه. ويحتمل: **ما زاغ**، أي ما مال وما عدل يمينا وشمالا، **وما طغى**، وما جاوز. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما زاغ البصر**،[٦] أي ما مال، **وما طغى**، من الارتفاع، طغى الماء إذا ارتفع يَطغَى طُغيانا.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **لقد رأى من آيات ربه الكبرى**، جائز أن تكون[٧] آيات ربه التي ذكر أنه رأى هو جبريل عليه السلام حيث رآه بصورته، وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه «رآه بصورته مرتين»،[٨] و[هو] تأويل الآية، ويحتمل غيره من التأويلات.[٩] ولكن لا نفسرها. *والله أعلم*.

---

[١] ن + أي ما يغشى.

[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انتهيت إلى السدرة فإذا نبقها مثل الجرار وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتة أو زمردا أو نحو ذلك» (مسند *أحمد بن حنبل* ١٢٨/٣؛ وانظر: مصنف *ابن أبي شيبة*، ٤٢٧/٧).

[٣] ر: أن الدرة.

[٤] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٦٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥١/٧.

[٥] ن + والله أعلم.

[٦] ن – البصر؛ ث – ما زاغ أي ما مال وما عدل يميا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال أبو عوسجة ما زاغ البصر.

[٧] جميع النسخ: أن يكون.

[٨] سنن *الترمذي*، التفسير ٥٣.

[٩] جميع النسخ: من الآيات.

**﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[١٩] ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[٢٠] ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾[٢١] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢٢]**

[٧٦٠ظ] وقوله عز وجل: **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى**، الآية، يخرج تأويل هذه الآية على وجوه، وإلا ليس في هذا الموضع لظاهر قوله عز وجل: **ومنات الثالثة الأخرى**، جواب ولا لقوله: **ألكم الذكر وله الأنثى**. أحدها أن يقول: أهؤلاء الذين يعبدونهم من اللات والعزى ومناةَ أخبروكم وقالوا لكم: إنه اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وإن الملائكة بنات الله ونحوه، أخذتم ذلك منها؟ أو ممن أخذتم ذلك وأنتم قوم لا تؤمنون[١] بالرسل والكتب؟ وقد عرفوا أنها لم تخبرهم[٢] بذلك، فيذكر بذلك سفههم.

[والثاني] يقول:[٣] **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى**، التي سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله ونسبتم[٤] البنات إليه والبنين إلى أنفسكم؟ ثم لم يذكر جوابها أنه من أمرهم بذلك ومن اختار لهم ذلك أو ممن أخذوا ذلك؟ ثم قال: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ،[٥] الآية، كأنه يقول -والله أعلم-: إنكم إنما سميتموها[٦] آلهة واخترتم لأنفسكم البنين وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم، إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بلا حجة ولا سلطان[٧] إنما هو هوى النفس والظن.

و[الثالث] يحتمل أن يقول: **أفرأيتم اللات والعزَّى ومناتَ الثالثةَ الأُخرى**، [هل] أَمَرَتْكم[٨] بصرف شكر ما أنعم الله تعالى عليكم [إلى غيره]، و[بعدم] قبولِ ما وهب لكم من البنات على ما أخبر أنها من مواهب الله[٩] بقوله تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ،[١٠] وبردِّ مواهبه ودفنها حَيَاتٍ[١١] ودَسِّها في التراب، وبصرف العبادة إلى غير المنعم،

[١] جميع النسخ: لا يؤمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٢] ر م: لم يجزهم؛ ن ث: لم يخبرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] ر: ونسبتكم.
[٥] الآية التالية.
[٦] ر م – أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الآية كأنه يقول والله أعلم إنكم إنما سميتموها.
[٧] ن: وسلطان.
[٨] جميع النسخ: أمركم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٩] ن + من.
[١٠] سورة الشورى، ٤٢/٤٩.
[١١] م: حيا.

وقسمة البنين لأنفسكم والبنات له؟ ثم أخبر وقال: **تلك**[١] **إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**، أي تلك قسمة جور وظلمٍ؛ أي صرف شكر النعم[٢] إلى غير المنعم وتوجيه العبادة إلى[٣] من لا يستحقه ورد مواهبه. على هذه الوجوه يشبه أن تخرج[٤] الآية وإلا فلا يُدرَى[٥] ظاهرها[٦] وما تأويلها وما جواب هذا الحرف؟ ***والله أعلم.***

ثم قوله: **اللات**، قرأ مجاهد وغيره مشدد التاء.[٧] فقالوا هو رجل كان يقوم على آلهتهم ويَلُتّ لها السويق بالزيت فيُطعمه الناس.[٨] وروى ابن الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان يَلُتّ السويق للحاجّ.[٩] ومن قرأ مخفف التاء[١٠] جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومناةَ وهي آلهة كانوا يعبدونها. ذكر قتادة في تفسيره: كان اللات بالطائف والعزى ببطن نخلة[١١] ومناةُ بِقُدَيدٍ.[١٢]

وقوله عز وجل: **تلك إذا قسمة ضِيزَى**، قال القُتَبِي: هي في الأصل ضُيْزَى على وزن فُعْلَى فكسرت الضاد للياء، وليس[١٣] في النعوت فِعْلَى، أي قسمة جائرة.[١٤] وقال أبو عَوْسَجَة: **ضيزى**، أي غير مُنْصِفة، والضَّيْز في الأصل الجور،[١٥] وقال أبو عُبَيْدة: ناقصة.[١٦]

---

[١] ن - تلك.

[٢] ر ث م: المنعم.

[٣] ر م - إلى.

[٤] جميع النسخ: أن يخرج.

[٥] ث: يدرا.

[٦] جميع النسخ: ظاهره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٧] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.

[٨] اللَّتُّ الفِعْلُ من اللُّتات وكلُّ شيء يُلَتُّ به سَوِيقٌ أو غيره نحو السَّمْن ودُهْنِ الألْيَةِ، وفي حديث مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾؟ قال كان رجلٌ يَلُتُّ السويقَ لهم (*لسان العرب*، «لتت»).

[٩] روى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿اللات والعزى﴾: «كان للات رجلا يلت سويق الحاج» (*صحيح البخاري*، التفسير ٥٣).

[١٠] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.

[١١] ن: نخمة.

[١٢] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٤٨؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٣٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٣.

[١٣] ن - وليس.

[١٤] ر ث م: حائرة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.

[١٥] ر: اجوز.

[١٦] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٧.

وقال بعض الناس: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى: **أفريتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى**، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغَرَانِيق العُلى شفاعتُهن تُرْتَجَى ومثلُهن لا تُنسى.[1] ثم قال بعضهم: الغرانيق العلى الملائكة، وقال بعضهم: الأصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ.[2]

لكن لا يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم أو يجري على لسانه ما ذكروا[3] والله تعالى قال: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ،[4] ولو جاز أن يجري على لسانه لَتُوُهِّمَ منه التقول وذلك بعيد. وقال في آية أخرى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ.[5] ولو جاز ذلك لجاز أن يُجري الله الكذب على لسانه فلا يكونُ فيمن[6] وجد من الحرج في قضائه ما ذكر وهو الكفر. دل أن ما ذكروه فاسد. فإن ثبت ما ذُكر أنه جرى على لسانه تلك الكلمات أو ألقى الشيطان في فمه يريد: تلك[7] الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى[8] عندهم وفي زعمهم؛ وهو كقول موسى عليه السلام: وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[9] أي إلى إلهك الذي هو عندك إله، وإلا لا يحتمل أن يكون موسى عليه السلام يسمي العِجْل إلها؛ وكقوله تعالى: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[10] أي إلى آلهة عندهم؛ وقوله عز وجل: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ،[11] أنها شركائي. فقد ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج في قوله[12] عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ،[13] الآية. **والله أعلم**.

---

[1] انظر: تفسير لآية ٥٢ من سورة الحج؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٧/١٨٧، ١٨٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧/١٧٦.

[2] سورة يونس، ١٠/١٨.

[3] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[4] سورة الحاقة، ٦٩/٤٤-٤٦.

[5] سورة النساء، ٤/٦٥.

[6] م: في ما.

[7] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[8] ث: يرتجى.

[9] سورة طه، ٢٠/٩٧.

[10] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١-٩٢).

[11] سورة القصص، ٢٨/٦٢، ٧٤.

[12] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[13] سورة الحج، ٢٢/٥٢.

﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ما أنزل الله بها من سلطان**، أي ما أنزل الله على[1] تسميتكم الأصنامَ آلهةً وعبادتكم إياها ونسبتِكم[2] البنين إلى أنفسكم والبنات إلى الله تعالى من حجة وبرهان إنما هو من هوى النفس والظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن**، في قولهم: الملائكة بنات الله، أو قولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] أو تسميتهم[4] الأصنام آلهة وظنِّهم[5] أن آباءهم كانوا على الحق. واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم، وقالوا: لو كانوا على باطل ما تركهم على ذلك. واستدلوا بذلك أيضا على رضاه منهم بذلك وأمرِه إياهم، كما أخبر عنهم بقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[6] هذا ظنهم بالله تعالى.

[٧٦١و] وقوله: **وما تهوى الأنفس**، أي[7] يتبعون هوى[8] النفس. / فالنفس إنما تعرف[9] المنافع الخاضرة والمضار الحاضرة فأما ما غاب عنها فلا تعرف،[10] وإنما يُعرَف ذلك[11] بالتفكر والنظر؛ وهي لا تعرف[12] لما تكره[13] النظر والتفكر ولا ترغب[14] في الشدائد ولا فيما يثقل عليها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من ربهم الهدى**، أي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه.

---

[1] ن: من.
[2] ر م: وتسميتكم.
[3] سورة يونس، ١٠/١٨.
[4] ر م: وتسميتهم.
[5] جميع النسخ: وظنوا.
[6] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[7] ر م: إن.
[8] ر: هو.
[9] ر ث م: ما يعرف؛ ن: إنما يعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.
[10] جميع النسخ: فلا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ث: هذا.
[12] ن: لا يعرف.
[13] جميع النسخ: لما يكره.
[14] جميع النسخ: ولا يرغب. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[٢٤]﴿فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أم للإنسان ما تمنى**، أي [ليس][١] للإنسان[٢] ما تمنى. ثم يحتمل تمنيهم شفاعة ما[٣] عبدوه، أو ما اختاروا من البنين لأنفسهم والبنات لله تعالى، أو ما سموا واتخذوا الأصنام آلهة، أو ما ظنوا[٤] على الله وادّعوا أمره ورضاه في فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنّون. يقول: ليس للإنسان ما تمنى أن يكون له إنما يكون ذلك له بجعل[٥] الله الذي له الدنيا والآخرة. وذلك قوله تعالى: **فلله[٦] الآخرة والأولى**.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي كم من[٧] ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته وإن يشفع إلا لمن ذكر. والثاني أي كم[٨] من ملك في السماوات لا شفاعة[٩] له ولا يشفع إلا لمن يشاء الله ويرضى أن يشفع، وهو كقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١٠] أي ليست لهم شفاعة تنفع[١١] لهم.[١٢] وقال أبو بكر الأصم: إنما يشفعون في الآخرة لمن شفَعُوا في الدنيا واستغفروا لهم، كقوله تعالى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[١٣] وقوله تعالى:[١٤]

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٧٣و.
[٢] جميع النسخ: للإنسي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: شيئا.
[٤] ر: آلهة وما ظنوا.
[٥] ر ث م: يجعل.
[٦] جميع النسخ: ولله.
[٧] ر ث م - من.
[٨] م + كم.
[٩] ن: ولا شفاعة.
[١٠] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[١١] جميع النسخ: ينفع. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٧٣ظ.
[١٢] م + شفاعته.
[١٣] ﴿تكاد السموات يتفطَّرن من فوقهن والملائكةُ يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).
[١٤] ث - ويستغفرون لمن في الأرض وقوله تعالى.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا، الآية، وقولهم: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[١] وقد ذكرنا في ما تقدم الوجه في ذلك.[٢]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى**، [لا كل من لم يؤمن بالآخرة يسمي الملائكة تسمية الأنثى][٣] وإنما يسمي ذلك قوم.[٤] وقد أضاف ذلك إلى الكل في الظاهر لأن الذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى[جماعة فكأن معناه أن جماعة من الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى].[٥] ***والله أعلم***. ويجوز أن يذكر الكل ويراد به البعض في اللغة ومثله في القرآن كثير. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٢٨]**

وقوله:[٦] **وما لهم به من علم**، أي ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الأنثى من علم لأن العلم بمعرفة الأنثى من الذَّكَر بطريقين. أحدهما المشاهدة يشاهد ويعاين فيعرف الأنثى من الذكر، وهم لم يشاهدوا[٧] الملائكة فكيف يعرفون ذلك. والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهؤلاء قوم لا يؤمنون بالرسل؛ ولا يعرف بالاستدلال. وطرقُ العلم الثلاثةُ [هي] التي ذكرنا. فإذا[٨] كان [ما ذكرنا][٩] حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن**، أي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا إلا الظن، ووجه ظنهم ما ذكرنا. ثم أخبر أن ظنهم لا يغنيهم من الحق شيئا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه. والثاني أن ظنهم الذي ظنوا في الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الآخرة.

---

[١] سورة المؤمن، ٤٠/٧-٨.
[٢] انظر: تفسير هاتين الآيتين.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[٤] ر م: قيوم.
[٥] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٦] ر + وقوله.
[٧] ر: لم يتشاهدو.
[٨] ن: فمدذا
[٩] لزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على ترك مكافأتهم، أي لا تكافئهم لصنيعهم وأذاهم. والثاني يخرج على الإياس له من إيمانهم، أي لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون أبدا. فهو في قوم خاص علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

وقوله[١] عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، يحتمل أنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة فلم يريدوا بحسناتهم التي فعلوا إلا الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يتصدقون ويَصِلُون الأرحام لكن لم يريدوا[٢] بذلك إلا ما ذكر في الحياة الدنيا. وجائز أن يكون الإرادة هاهنا كناية عن العمل. وقوله عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، أي لم يعمل للآخرة رأسًا، يخبر عنهم أنهم يعملون لدنيا[٣] لا للآخرة، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، وقوله عز وجل: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[٤] الآية، ونحو ذلك.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ذلك مبلغهم من العلم**، بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها. وقال بعضهم: **ذلك مبلغهم من العلم**،[٥] أي ذلك مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة بنات[٦] الله وأنها تشفع لهم.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، مثل هذا الكلام إنما يخرج على إثر خصومات كانت من أولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كأن أولئك الكفرة قالوا: نحن على الهدى وأنتم على الضلال. فقال عند ذلك: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا،[٧] ثم قال: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلالة في الآخرة وهو أعلم بمن اهتدى فيجزيه[٨] جزاء الهدى. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.

[٢] جميع النسخ + إلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.

[٣] ر: الدنيا.

[٤] سورة الإسراء، ١٧/١٨-١٩.

[٥] ن ث - بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم، صح هـ.

[٦] ر ن: آيات.

[٧] الآية السابقة.

[٨] ر م: فجزيه.

**﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: **لله ما في السماوات وما في الأرض**، وهو غني عن عبادتكم وإنما يأمركم وينهاكم ليجزيكم بأعمالكم لا لمنافع يرجع إليه. والثاني **لله ما في السماوات وما في الأرض**، / أي إنما أنشأ أهل السماوات والأرض [٧٦١ظ]
ليمتحنهم بالأمر والنهي ثم ليجزي الذين أساؤا جزاء الإساءة والذين أحسنوا جزاء الإحسان. ولو كان على ما قال أولئك الكفرة أن لا بعث ولا جزاء لكان خلقهم وخلقُ ما ذكر عبثا باطلا، وفي الحكمة التفريق بين المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية بينهما، فدل ذلك على دار أخرى يفرّق[١] بينهما فيها. ثم يحتمل جزاء إساءة أولئك في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا القهر والدَّبْرة والهزيمة، وفي الآخرة النار؛ وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر، وفي الآخرة الجنة.

**﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾**[٣٢]

ثم نعت الذين أحسنوا[٢] بالحسنى[٣] وهو التوحيد فقال: **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**، ثم يحتمل أن يكون الكبائر ما يعرفها كل أحد أنها كبيرة، والفاحشة ما يعرفها كل أحد أنها فاحشة، واللمم[٤] على هذا يجيء أن يكون من[٥] تلك[٦] الكبائر والفواحش لأنه استثناه[٧] منها[٨] فيجب أن يكون من جنسها، لكنه استثناها[٩] وعفا عنها لما يقعون فيها

---

[١] ن: تفرق.
[٢] ر م: أحسن.
[٣] ر م: الحسنى.
[٤] ر: واللهم.
[٥] ر م – من.
[٦] ر: ذلك.
[٧] جميع النسخ: الفواحش لأنه استثناها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[٨] ر ث م – منها.
[٩] يبدو أن كلمة "اللمم" قد تستعمل مؤنثة رعاية لمعنى الجنس.

عن غفلة[1] وسهو أو عن[2] غلبة شهوة ونحوها،[3] وهو الأشبه بتأويل الآية. وقال أهل التأويل: الكبائر والفواحش هي التي ذُكر فيها الحد في الدنيا والعقوبةُ في الآخرة، واللمم[4] التي لم يذكر لها حد في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:[5] «زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدّق ذلك ويُكذبه الفرج، فإن تقدم فهو زنا وإلا فهو لمم».[6] وفي رواية: «إن تقدم كان[7] زنا وإن تأخر كان لمما».[8] وعن[9] ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت أشبه باللمم مما[10] قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا مَحالةَ، فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق[11] والنفس يتمنى ويشتهي والفرج يُصدق ذلك كله أو يكذّبه».[12] وعن أبي هريرة أنه [قال]:[13] النظْرة والغمزة والقُبْلة والمباشرة.[14] وعنه: إن اللمم[15] النكاح. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: اللمم لمم[16] الجاهلية، كقوله تعالى: وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ.[17] وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو أن يُلِمَّ[18] المرأة.[19]

---

[1] ر: من غفلة.

[2] ث + غفلة.

[3] ن ث: ونحو هذا.

[4] ر: واللحم.

[5] ن – أنه قال.

[6] ر: لحم. *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٢٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٥.

[7] ن: فهو.

[8] م: لمم.

[9] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.

[10] م: ما.

[11] ث: المنطق.

[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٧٦، ٣٧٩؛ وصحيح *البخاري*، الاستئذان ١٢، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٠؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٣.

[13] م – أنه. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.

[14] *تفسير الطبري*، ٢٧/٨٧؛ وتفسير ابن كثير، ٧/٤٣٦.

[15] ر: إن اللحم.

[16] ر: اللحم لحم.

[17] سورة النساء، ٤/٢٣.

[18] ث: تلم.

[19] *تفسير الطبري*، ٢٧/٨٩.

وقيل: **اللمم**، الهمّ[1] بالخطيئة من جهة حديث النفس[2] شيئا من غير عزم. وقيل: إن اللمم[3] مقاربة[4] الشيء من غير دخول فيه.

وعن[5] ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

إن تغفِر اللهمّ[6] تغفرْ[7] جمّا وأيّ عبدٍ لك لا ألَمّا.[8]

وقيل: اللمم[9] الصغير من الذنوب لقوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ،[10] الآية.[11] وقال القُتَيْبي: اللمم[12] الصغار من الذنوب، وهو من ألَمّ بالشيء إذا لم يتعمق فيه ولم يَلزمه.[13] وقال بعضهم: اللمم[14] ما بين الحدين: حد الدنيا وحدِّ الآخرة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[15] وذلك يحتمل والأول أقرب. وقال أبو بكر الأصم: اللمم[16] التي يتوب عنها فإنهم إذا تابوا عنها يتجاوز عنهم. فهو يجعل اللمم[17] من تلك الكبائر والفواحش، لكنه يقول:[18] إنما استثنى لما يتوب عنها لما يقعون فيها على السهو والغفلة أو لغلبة شهوة على حسن الظن بربه فيغفر له، أو يتوب عليه فيعفو[19] عنها. وعلى تأويل أهل التأويل اللمم[20] ما دون الكبائر والفواحش.

---

[1] ر: اللحم اهم.
[2] ن – وعن ابن عباس رضي الله عنه هو أن يمر المرة وقيل اللمم الهم بالخطيئة من جهة حديث النفس، صح هـ.
[3] ر: اللحم.
[4] ر ث م: مقارنة.
[5] ن: عن.
[6] جميع النسخ: لاهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[7] ن: يغفر يغفر.
[8] انظر: *لسان العرب*، «لمم».
[9] ر: اللحم.
[10] سورة النساء، ٣١/٤.
[11] ن – الآية.
[12] ر: لنحم.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.
[14] ر: لنحم.
[15] *تفسير ابن عباس*، ٤٤٦؛ و*تفسير الطبري*، ٩٠/٢٧.
[16] ر: لنحم.
[17] ر: اللحم.
[18] ن: تقول.
[19] ر: فيعفوا.
[20] ر: اللحم.

وجائز أن يكون الكبائر والفواحش التي ذكر كبائر الشرك وفواحشه،[1] كقوله عز وجل: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[2] الآية، وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا.[3] فيكون اللمم[4] على هذا ما دون الشرك، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفى عنها وإن شاء عذب عليها، كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[5]

وقوله عز وجل: **إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض**، أي هو أعلم بكم وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم، أي عن اللمم. وعلى قول أبي بكر: **إن ربك واسع المغفرة**، لمن تاب عنها وهو أعلم بكم[6] أنكم تتوبون[7] عنها. وعندنا ما ذكرنا[8] هو واسع المغفرة لمن شاء تاب عنها أو لم يتب. ثم إن كانت المغفرة هي الستر[9] فهي تعم[10] المؤمن والكافر في الدنيا، وإن كانت التجاوز فهي للمؤمنين خاصة. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **هو أعلم بكم**، عندنا هو أعلم بكم[11] بأنكم تعملون وتقعون فيها على السهو والغفلة، أو هو أعلم بأحوالكم وأفعالكم وما يكون منكم. ويحتمل:[12] **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**، ما لو اجتمع حكماء البشر ما أدركوا معنى الإنسان في ذلك ولا أدركوا معنى تصوير اليدين والعينين وغيرهما[13] من الجوارح

---

[1] ر: وفواحشة.

[2] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٥).

[3] ﴿ ... من دونه من شيء﴾ (سورة النحل، ١٦/٣٥).

[4] ر: النجم.

[5] سورة النساء، ٤/٤٨.

[6] ن – وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم أي عن اللمم وعلى قول أبي بكر إن ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو أعلم بكم.

[7] ر ن م: يتوبون.

[8] ر ث م: ما ذكر.

[9] ر ث م:أيسر.

[10] ن: يعم.

[11] ر – عندنا هو أعلم بكم.

[12] ر ث م – يحتمل.

[13] ر م: وعيرها.

وقتَ ما كنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم. ثم نِسْبَتُنا[1] إلى الأرض بقوله تعالى: **إذ أنشأكم[2] من الأرض،** يحتمل وجهين. إما الخلق أصلنا من الأرض، كقوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[3] ونحوه. أو لجعل أقواتنا منها لقوله تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا،[4] إذ لا قوام لنا إلا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الأرض. *والله أعلم.*

[٧٦٢و] وقوله عز وجل: **فلا تزكوا أنفسكم،** في ظاهر / الآية نهيٌ عن التزكية، وأَمَر في آية أخرى بالتزكية ورغَّب فيها حيث قال: وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.[5] لكن فيما أمر بالتزكية أمر بإصلاح أنفسهم في أنفسهم وتزكيتها فعلا وفي ما نهى عن التزكية نهى عن أن يَصِفوا أنفسهم بالتزكية والصلاح والتُّقى والبراءة، لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة إذ[6] يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية والوصف بالبراءة.[7] *والله أعلم.*

فإن قيل: إن الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا أن نقول لأنفسنا إنا مؤمنون ومسلمون[8] إذ ذلك مدح وتزكية.

قيل: إنا أمرنا بقول الإيمان والإسلام ابتداء حيث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ،[9] الآية، وقوله: وَأَسْلِمُوا،[10] ونحو ذلك، ولم نؤمر[11] بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بأن نقول:[12] نحن صلحاء أتقياء. فجاز أن لا نمتنع في الإيمان ونمتنع[13] في غيره من الطاعات. والثاني أنْ ليس في نفس الإيمان تزكيةٌ لأن كل أهل[14] الأديان مؤمنون بشيء كافرون بشيء، بقوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ،[15]

---

[1] ن: يستثني.
[2] ر ث م - إذ أنشأكم.
[3] سورة الروم، ٣٠/٢٠؛ وسورة فاطر، ٣٥/١١؛ وسورة المؤمن، ٤٠/٦٧.
[4] سورة فصلت، ٤١/١٠.
[5] سورة البقرة، ٢/١٥١.
[6] جميع النسخ: أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[7] ن: والبراءة.
[8] ن: مسلمون.
[9] سورة البقرة، ٢/١٣٦.
[10] ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٥٤).
[11] ر م: ولم يؤمر.
[12] ر م: يقول.
[13] ر م: أن لا يمنع في الإيمان ويمنع. ن ث: أن لا يمتنع في الإيمان ويمتنع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[14] ت: لأن أهل كل.
[15] سورة البقرة، ٢/٢٥٦.

وقول أولئك: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ،[1] وقوله:[2] يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ،[3] وفي نفس التقى والصلاح تزكية.

وقيل: **ولا تزكوا أنفسكم**، أي لا تزكوا[4] أهل دينكم ومذهبكم. وذلك متعارف في الناس أنهم يزكون أهل مذهبهم وإن كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون أهل خلافهم في مذهبهم وإن لم يعرفوا منهم الشر وما به يجب المذمة وذلك محتمل. ويحتمل[5] ما ذكرنا أنه نهى كلا في نفسه أن يزكّيَ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هو أعلم بمن اتقى**، أي اتقى محارم الله ومناهيه، ويحتمل أي اتقى الكفر بالله والشرك به.

**﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾[٣٣] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾[٣٤]**

وقوله[6] عز وجل: **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **أفرأيت الذي تولى**، من كبراء[7] الكفرة وعظمائهم، **وأعطى قليلا**، من المال لضَعفَة أهل الإيمان ليَرجعوا عن الإيمان بمحمد والتصديق له ويَكذِبوا عليه. وقوله: **وأكدى**، أي قطع عنهم في وقت أيضا، وكذا قال القُتَبِي: **وأكدى**، أي قطع. وهو من كُدْيَة الرَّكِيّة، وهي الصلابة فيها إذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقَطَع الحَفْرَ.[8] وقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ أو أعطى فلم يُتْمم: أكدى.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: أكدى بخل،[10] ورجل مُكْدٍ[11] بخيل.[12]

---

[1] سورة النساء، ١٥٠/٤.

[2] ر ن م: وقولهم.

[3] سورة النساء، ٥١/٤.

[4] ن: ولا تركوا.

[5] ر م: يحتمل.

[6] ن: قوله.

[7] ر: من الكبير؛ ث م: من كبر.

[8] كَدَى الرجل يكدِي وأكدى: قلّل عطاءه. وقيل بخل. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأعطى قليلا وأكدى﴾، قيل: أي وقطع القليل. قال الفراء: أكدى: أمسك من العطية وقطع. وقال الزجاج: معنى أكدى: قطع. وأصله من الحفر في البئر. يقال: للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر: قد بلغ إلى الكُدْيَة، وعند ذلك يقطع الحفر. والرَّكية: البئر تحفر، والجمع: ركيّ وركايا (*لسان العرب*، «كدى»، «ركو»).

[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.

[10] ث: بحل.

[11] جميع النسخ: مكدي.

[12] ر: نجيل.

**﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾[٣٥]**

وقوله: **أعنده علم الغيب فهو يرى**. فهو -والله أعلم- أعنده علم الغيب فيأمر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه وإعطاءِ المال على التكذيب له، أي ليس عنده علم الغيب لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب، وأسباب العلم هذا.

**﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[٣٦] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى**، كأن هذا مقطوع من الأول، كان أولئك الكفرة يقولون لأتباعهم: إنا نتحمّل منكم الظلم والوزر، فلا تأتوا محمدا ولا تصدقوه، كقوله تعالى حكاية عنهم: اِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[1] فقال عند ذلك: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى** أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، أي قد بينا في صحفهما: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وقيل: إنما سمي وفيا[2] لأنه بلّغ ما أمر بتبليغه، وقيل:[3] لأنه كان يصلي أربع ركعات عند الضحى. وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما وفّى؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال[4] «وفّى أربع ركعات»[5] فإن ثبت هذا اُكْتُفِي عن تأويلٍ آخرَ. وأصله أنه سماه وَفِيًّا لما قام بوفاء ما أمر به.

**﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣٨]**

وقوله عز وجل: **ألا تزر وازرة وزر أخرى**، فيه أن هذا في الكتب كلها: في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما من الكتب أن لا يحمل أحد وزر آخر إنما يحمل وزر نفسه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:[6] لا يؤخذ الرجل بذنب غيره.[7] وعن عمرو بن أويس[8] قال: كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الآية.[9]

---

[1] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.

[2] ر: وفيتا.

[3] ر: قيل.

[4] ر م - قال.

[5] *تفسير الطبري*، ٧٣٥/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٩/٧.

[6] ر + قال.

[7] عن بن عباس ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الولي بالولي، حتى كان إبراهيم، فبلّغ ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره (*تفسير الطبري*، ٩٥/٢٧).

[8] جميع النسخ: أوس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.

[9] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٥٩٩/٨؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٦٦١/٧.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،**[١] يتبه أن يكون قوله: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،** أي ليس على الإنسان إلا ما سعى لأنه جل وعلا يثيب ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله وكرمه، كقوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا؛[٢] ونحو الصغار التي لا سعي لهم قد يعطيهم[٣] الثواب بفضله. وأما جزاء الشر فإنه لا يكون إلا بالمثل، كقوله تعالى: فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا. وجائز أن يكون "له" بمعنى "عليه" في اللغة،[٤] كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٥] أي فعليها. ويحتمل أن تكون[٦] الآية في أولئك الكافرين[٧] الذي نزل فيهم قوله تعالى: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى،[٨] يقول: ليس لذلك الإنسان إلا ما سعى.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **وأن سعيه سوف يرى،** وحرف "سوف" من الله سبحانه وتعالى على التحقيق والإيجاب كحرف "لعل وعسى" فيكون قوله تعالى: **سوف يرى،** أي يَرَى جزاءَ عمله لا محالة.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[٤١]

ثم قوله عز وجل: **ثم يجزاه الجزاء الأوفى،** جزاءُ الآخرة على الوفاء لا نقصان فيه، خيرا كان أو شرا. ويحتمل أن يكون ذلك للكافر يجزى جزاءَ الشرك وجميعِ ما يعمل من السوء. فأما المؤمن فإنه يكفَّر سيئاته ويجزى جزاءَ الخيرات، كقوله تعالى: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ
[٧٦٢ظ] أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا / وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ [فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ].[٩]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ﴿... ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلَمون﴾ (سورة الأنعام، ١٦٠/٦).
[٣] ن: فلا يعصيهم.
[٤] أي وأن ليس على الإنسان.
[٥] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[٦] ر ن م: أن يكون.
[٧] ر م: الكافرون.
[٨] الآية السابقة.
[٩] سورة الأحقاف: ١٦/٤٦.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وأن إلى ربك المنتهى**، سَمّى الآخرة منتهى ومصيرا ورجوعا، ويحتمل أي إلى جزاء ربك ينتهي.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، بين الله عز وجل قدرته وسلطانه في إنشاء أنفسهم وأحوالهم وأفعالهم. أما بيان قدرته في أنفسهم حيث قال: هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.[١] وأما بيان قدرته في أحوالهم ما ذكر من قوله تعالى: وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى،[٢] وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا.[٣] وأما في أفعالهم قوله: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يذكر قدرته وسلطانه بما ذكر ليعلموا أنه لا يعجزه شيء. ثم قوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يخرج على وجهين. أحدهما على الكناية والاستعارة، جعل الضحك كناية عن السرور والبكاءَ كناية عن الحزن. وكذا العرف في الناس أنه إذا اشتد بهم السرور[٤] ضحكوا وإذا اشتد بهم الحزن بكوا.[٥] والثاني على حقيقة الضحك والبكاء، فهو على وجهين. أحدهما أي أنشأهم بحيث يضحكون ويبكون. والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء. فهو[٦] أشبه التأويلين عندنا.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أمات وأحيا**، قوله: **أمات**، يحتمل وجهين. أحدهما أي جعلهم بحيث يموتون وبحيث يَحيَون. والثاني **أمات** بإخراج روحهم، **وأحيا** بإدخال الروح فيهم، وهو كقوله تعالى: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ،[٧] وقوله عز وجل: [اَللّٰهُ الَّذِي] خَلَقَكُمْ [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٨] فيحتمل إماتتهم في الدنيا وإحياءهم في الآخرة وأصل ذلك أنه يفعل بهم كل ما ذكرنا.

---

[١] الآية ٣٢ من هذه السورة.
[٢] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٣] الآية التالية.
[٤] ن + والضحك.
[٥] ر: بكو.
[٦] ن ث: وهو.
[٧] سورة الملك، ٢/٦٧.
[٨] سورة الروم، ٤٠/٣٠.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**، اسم الزوج يحتمل الشكل، ويحتمل المقابل. أي يجعل أحدهما شكلا للآخر وإن كانا ضدين نحو الذكر والأنثى. ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.[١] يقول جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون أو يتقابلون ويتضادون. *والله أعلم*.

﴿مِن نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **من نطفة إذا تمنى**، أي تقذف.[٢] قال الأصم: دل قوله: **من نطفة إذا تمنى**، أنها إذا لم تقذف[٣] تصير[٤] مَذِيًا، وإنما تقذف[٥] التي تخرج[٦] على شهوة فأما التي تخرج[٧] لا على شهوة فإنها[٨] تكون[٩] مذيا ولا يوجب الاغتسال. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وأن عليه النشأة الأخرى**، أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى،[١٠] لأنه لو لم تكن[١١] النشأة الأخرى كانت النشأة الأولى باطلا[١٢] عبثا غير حكمة. أو نقول:[١٣] **أن عليه النشأة الأخرى**، ليعلم أن له قدرة عليها كما له القدرة على الأولى، لأن أولئك الكفرة كانوا مقرين بالأولى والقدرة عليها وينكرون الأخرى، فيخبر أن له القدرة عليهما. *وبالله التوفيق*.

---

[١] ر ث م – نحو الذكر والأنثى ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.
[٢] جميع النسخ: يقذف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.
[٣] ر ن م: إذا لم يقذف.
[٤] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: يقذف.
[٦] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: فإنه.
[٩] جميع النسخ: يكون.
[١٠] ث – أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى.
[١١] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ث – باطلا.
[١٣] ر م: تقول.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أغنى وأقنى**،[١] يحتمل قوله: **أغنى**، أي وسّع عليهم، **وأقنى**، أي صيّر لهم[٢] ما يقتنون به[٣] من الخَدَم وغيرها، فيكون الإغناء هو التوسيع[٤] بأنواع الأموال، والإقناء هو[٥] إعطاء القِنية من الخادم وما يحتاج إليه لىمهنة، فيكون في جعل الخَدَم له فضلُ حاجةٍ لا غِنًى. وذلك دليل على صحة مذهبنا في استحازتهم دفع الزكاة إلى من له الخدم. وقيل: **أغنى**، أي أعطى ما يغنيه ويستغني به، **وأقنى**، أي أقنعه وأرضاه. وقيل: على العكس: **أغنى**، أي أرضى،[٦] **وأقنى**، أي أخدم. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أغنى وأقنى**، أي أكثر.[٧] وقال عطاء: يا ابن[٨] آدم، هو أغناك وأقناك، أي أعطاك الخدم على ما ذكرنا. وقال القُتَبِي: هو من القِنْيَة والنَّشَب،[٩] يقال أقنيته كذا.[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: هو من القُنُوّ، قَنا، [أي][١١] أعطاه مالاً يَقْنُو[١٢] قُنُوًا.[١٣]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وأنه هو رب الشعرى**، قيل: إن الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب، فكأنهم ظنوا أن ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لِقَدْرٍ له عند الله

---

[١] ر ث م + الآية.

[٢] جميع النسخ: أي صيرهم.

[٣] ر ث م – به.

[٤] ن: التوسع.

[٥] ر ث م: وهو.

[٦] ث – وقيل على العكس أغنى أي أرضى.

[٧] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٦٤.

[٨] ر ث م: يابن.

[٩] ر ن: والسبب؛ ث م: والتبب. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾، قال أبو إسحاق: قيل في أَقْنَى قولان، أحدهما أَقْنَى أَرْضَى. والآخر جعل قِنْية أي جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتًا. ومنه قولك: قد اقتنيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عندي لا أُخرجه من يدي. قال الفراء: أَغْنَى رَضَّى الفقير بما أعطاه به، وأَقْنَى من القِنية والنَّشَب. ابن الأعرابي: أقنى، أعطاه ما يدّخره بعد الكِفاية. النشب: المال والعقار (*لسان العرب*، «قنو»، «قني»، «نشب»).

[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠.

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.

[١٢] جميع النسخ: يقني. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] قَنَا يقنو قَنْوا وقُنُوّا: جمع المال واتخذه لنفسه (*المجد*، «قنو»).

ومنزلة وأن تدبيرهم يرجع إليه فعبدوه لذلك. ويحتمل أنهم عبدوه لما لم يروا لأنفسهم أهلية لعبادة[1] الرب تعالى فعبدوا مَن دونَه رَجاءَ التقرب إليه على ما يخدم المرء المتصلين بملوك الأرض. ولكنّ هذا فاسد لأن من خدم المتصين بملوك الأرض إنما يخدم لما لم يَسبِق لهم النهي[2] من خدمة متّصِليه[3] ولا الإذنِ بعبادة[4] أنفسهم وخدمتهم. فأما الله تعالى قد أمرهم بعبادة نفسه ونهاهم عن عبادة غيره، فلم يسع[5] لهم بعد الأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره عبادة[6] مَنْ دُونَه. ذكر سفههم في عبادتهم الشِّعْرَى وأمثالِها. أي أعبدوا رب الشعرى فإنما فيه من الحسن والجمال هو الذي فعل فإليه اصرفوا العبادة.

**﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾[٥٠]**

وقوله: **وأنه أهلك عادا الأولى**، قرئ **عادا الأولى**، بإظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا إظهار التنوين حتى يصير كأنها لام مثقلة.[7] ثم هذا ليس نوعَ ما ذكر من قبلُ، إنما ذكر هذا لهم لينزجروا عن صنيعهم، أي إذا أهلك[8] عادا، وهم أشد منكم قوة وأكثر عددًا وأموالا، فلما لم ينزجروا بمواعظ الرب تعالى أهلكهم. فعلى ذلك يفعل[9] بكم يا أهل مكة إن لم تتعظوا.[10] أو أنه أهلك عادا فلم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله تعالى مع قوتهم فكيف أنتم يا أهل مكة؟ ثم اختلف في قوله تعالى: **عادا الأولى**. منهم من قال: كانوا عادَين: أحدهما قوم هود وهم[11]
[٧٦٣و] أوّلُ فأهلكوا بالريح، وكانت أخرى / في زمن فارسَ الأولِ. ومنهم من قال: **عادا الأولى**، الذين أهلكوا من قبل من الأمم، وأهل مكة وهؤلاء عاد أخرى.

---

[1] ن: عبادة.
[2] جميع النسخ: إليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.
[3] ث: متصية.
[4] ن: بعباده.
[5] ن: فلم يسمع.
[6] م – عبادة.
[7] ن: مثقله. قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿عادَ لُّولَى﴾ موصولة مدغمة، وقرأ الباقون: ﴿عادًا الأولى﴾ منونة (حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٧).
[8] ر م: هلك.
[9] ر ث م: نفعل؛ ن + ذلك.
[10] ن: لم يتعظوا.
[11] ر م: وهو.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وثمود فما أبقى**، أي أهلك ثمودا أيضا. وقوله:[١] **فما أبقى**، قال بعضهم: أي استأصلهم لم يُبق منهم أحدا، أي ما أبقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما أبقى للأنبياء[٢] والرسل عليهم الصلاة والسلام من النسل. أو ما أبقى[٣] لهم[٤] من آثار الخير شيئا كما أبقى للرسل وأتباعهم[٥] إلى آخر الأبد. *والله أعلم*.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**، أي كانوا أفحش ظلما وأكثر طغيانا؛ لأن نوحا عليه السلام دعاهم إلى توحيد الله: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا،[٦] فما زادهم إلا نفورا واستكبارا على ما أخبر: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.[٧]

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **والمؤتفكة أهوى**، قيل: قَرْيات لوطٍ عليه السلام أي أهلكها أيضا.

وقوله: **أهوى**، قيل: أي أهوى إلى النار، وقيل: أي أهوى من السماء إلى الأرض على ما ذكر أن جبريل عليه السلام رفعها إلى السماء وأرسلها[٨] إلى الأرض.[٩]

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **فغشاها ما غشى**، قيل: غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها بالأرض، وقيل: غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب عنهم. وقيل: المؤتفكة المكذِّبة: من الإفك[١٠] وهو الكَذِب.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ث م: الأنبياء.
[٣] ر ث م - أبقى.
[٤] ن - هم.
[٥] ر ث + عليهم السلام.
[٦] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).
[٧] سورة نوح، ٦/٧١.
[٨] ر: وأسلها.
[٩] *تفسير الطبري*، ١٠٤/٢٧.
[١٠] ر ن م: من الأول.

وقيل: المنقلبة:[1] ائتفكت أي انقلبت. **فغشاها**، أي غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى أولئك الذين ذكر من قبلُ من[2] عاد ومن قوم نوح، وهو قول القُتَبِي.[3] وقال أبو عبيدة:[4] المؤتفكة المخسوفة.[5]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربك تتمارى**؟ فظاهر هذا وظاهر[6] قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟[7] مشكل، لأنه ذكر آلاء ولو عرف أنه آلاء ربه لكان لا يكذبه [ولا يتمارى].[8] لكن يخرج على وجوه: على التقديم والتأخير والإضمار، كأنه يقول: فبأي آلاءٍ من آلاء ربكم شاهدتموه وعاينتموه تتمارون؟[9] وكذلك فبأي آلاء ربكما الذي أقررتم به تكذبونَ؟[10] أو نقول:[11] فبأي آلائه وإحسانه تتمارى؟ فكيف أنكرتم إحسانه بمحمد صلى الله عليه وسلم أو كيف صرفتم شكر نعمه إلى غيره؟ أو يكون الآلاء هاهنا هي الحججَ، يقول: فبأي حجة من حجج ربك تنكر[12] رسالة محمد عليه أفضل الصلوات[13] أو تُمارِي[14] فيها، أي لا حجة لك في تكذيبك إياه أو إنكارك رسالته.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نذير من النذر الأولى**، أي الذي يوعدكم[15] وينبئكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى التي أنبأها الرسل الأولون وأوعدوا قومهم، فيكون صلة قوله عز وجل:

---

[1] ث: المتقلبة.
[2] ث - من.
[3] ﴿فغشى﴾: من العذاب والحجارة؛ ﴿ما غشى﴾ (تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠).
[4] ر ث: فقال أبو عبيدة؛ م: فقال أبو عبيد.
[5] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٩.
[6] ر: فظاهر.
[7] سورة الرحمن، ١٣/٥٥.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[9] ث: يتمارون.
[10] جميع النسخ: تكذبوني. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: أو يقول.
[12] جميع النسخ: ينكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن - أفضل الصلوات.
[14] جميع النسخ: تتماري. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: يدعوكم. والتصحيح من المرجع السابق.

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى.[١] إلى آخره.[٢] وقيل: **هذا نذير من النذر الأولى**، هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى،[٣] أي الرسل الأولى. وتمام هدا التأويل أي هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل. وقيل: هذا الذي يُنذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النُّذُر التي في اللوح المحفوظ أي مما ينذر به. ***والله أعلم***.

**﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **أزفت الآزفة**، أي قربت القيامة. سمى الله تعالى القيامة بأسماءٍ مختلفة، مرة الآزفة، ومرة الساعة، ومرة القيامة. فسماها آزفة لقربها إلى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة.

**﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾[٥٨]**

وقوله عز وجل: **ليس لها من دون الله كاشفة**، دلت الآية على أن الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعِها أحدا، وهو كقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.[٤]

وللباطنية أدنى تعلق في هاتين الآيتين، لأنهم قالوا: إن الآخرة للحال كائنةٌ لكنها مختفية مستترة يظهر ويكشف عند فناء هذه الأجسام وذهاب هذه الأبدان، ويستدلون بقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وبقوله تعالى: **ليس لها من دون الله كاشفة**، ويقولون: إن لفظ التجلي والكشف إنما يستعملان فيما هو كائن ثابت يظهر عند ارتفاع السواتر[٥] وما يخفيها إلا[٦] في الإنشاء ابتداء.

ولكنْ عندنا أن حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الإحداث والإنشاء وفي إظهار ما كان كامنا[٧] خفيا، فإذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك؛ وهو كقوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[٨] هو عالم بما كان خفيا عن[٩] الخلق وما هو شاهد[١٠] ظاهر، وعالم بما يكون وبما هو كائن للحال. ***والله الموفق***.

---

[١] سورة لنجم، ٥٣/٥٠.
[٢] ث: الخ.
[٣] ر ث م - هذا نذير أي محمد صلى الله عيه وسلم من النذر الأولى.
[٤] سورة الأعراف، ٧/١٨٧.
[٥] ر م: التواتر.
[٦] ن: لا.
[٧] ث: مما.
[٨] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة التوبة، ٩/٩٤، ١٠٥.
[٩] ر ث م: نحق؛ ن: نحو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[١٠] ر: شاء.

﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[٥٩] ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون**، كانوا يعجبون[١] من أمرين. أحدهما من بعث الرسل من البشر،[٢] كقوله تعالى: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ،[٣] ومن البعث بعد ما يفنَون ويبلَون[٤] كقوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا،[٥] الآية.

وقوله عز وجل: **وتضحكون**، الضحك هاهنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة الضحك، أو يكون[٦] الضحك كناية عن السرور، أي تُسَرُّون[٧] على ما أنتم عليه. وقوله عز وجل: **ولا تبكون**، أيضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن، أي ولا تحزنون[٨] على ما فرط منكم من الأعمال وسوء الصنيع والمعاملة.

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وأنتم سامدون**، [عن ابن عباس رضي الله عنهما: سامدون][٩] لاهون [٧٦٣ظ] معرضون، وعن الحسن وسعيد بن جبير: **سامدون** غافلون.[١٠] وقيل: / **سامدون**، حزِنُون على رسالة محمد صلوات الله عليه وغائظون على ما أنزل عليه. وعن[١١] عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **وأنتم سامدون**، قال: هو الغِناء بلغة اليمن، يقول اليماني: أُسْمُدْ لنا أي غَنِّ لنا، قال: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنَّوا وتَلعَّبوا.[١٢]

---

[١] ر ن م: تعجبون.
[٢] ر ث م – من البشر.
[٣] سورة ق، ٥٠/٢.
[٤] ر م: ويبلغون.
[٥] سورة الرعد، ١٣/٥.
[٦] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[٧] ر ن م: يسرون.
[٨] ر ث م: ولا يحزنون.
[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٩.
[١١] م: عن.
[١٢] جميع النسخ: ويلعبوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و. *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٨ سَمَدَ يَسْمُد سُمودًا، والسُّمود اللهو وسَمَد سُمُودًا لها وسمَّده ألهاه وسمَد سُمودًا غَنَّى. قال ثعلب: وهي قليلة. وقوله عز وجل: ﴿وأنتم سامِدون﴾ فُسِّر باللهو وفسر بالغِناء، وقيل: سامدون لاهُون. وقال ابن عباس: سامدون مستكبرون. وقال الليث: سامدون ساهون، والسُّمود في الناس الغفلة والسَّهْوُ عن الشيء. وروي عن ابن عباس أنه قال: السُّمود الغناء بلغة حِمْيَر يقال: اسْمُدي لنا أي غَنِّي لنا (*لسان العرب*، «سمد»).

﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فاسجدوا لله واعبدوا**،[١] أي اخضعوا لله واستسلموا له، إذ الأمر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلاة أمر بالخشوع له والاستسلام، والأمر بالسجود هاهنا للتلاوة[٢] للأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. روى الأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قرأ سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه أحد إلا سجد[٣] إلا شيخ من قريش فإنه أخذ كفا من حَصًى فرفعه[٤] إلى جبهته.[٥] وروى أبو هريرة والمطلب بن[٦] أبي وَدَاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها.[٧] وروي عن عمر وعثمان رضي الله عنهما: أنهما سجدا فيها.[٨] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: عزائم السجود أربع: تَنْزِيلُ السجدة،[٩] وحم السجدة،[١٠] وَالنَّجْمِ، واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.[١١] وما روي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فلم يسجد،[١٢] **يحتمل** أن يكون التلاوة واقعة في وقت يكره السجود فيه.[١٣] والحديث حكاية فعل لا عمومَ له. والله أعلم بحقيقة ما أراد. والحمد لله رب العالمين[١٤] وبه نستعين.[١٥]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ن: التلاوة.
[٣] م – إلا سجد.
[٤] ر ن م: فرفعته.
[٥] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ١، ٤؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٥.
[٦] ر: ابن.
[٧] مصنف عبد *الرزاق*، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.
[٨] مصنف عبد الرزاق، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.
[٩] سورة السجدة، ٣٢.
[١٠] سورة فصلت، ٤١.
[١١] سورة العلق، ٩٦. *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٤٤٦؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/١٢٨.
[١٢] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ٤٦ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٦.
[١٣] ر م – فيه.
[١٤] ر + والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ث + والصلاة والسلام على محمد وآله.
[١٥] ر ث – وبه نستعين؛ ن – بحقيقة ما أراد والحمد لله رب العالمين وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١]**

قوله عز وجل: **اقتربت الساعة وانشق القمر**، قال بعضهم: أي اقتربت الساعة واقترب[2] انشقاق القمر. **وقيل**: على التقديم والتأخير: **اقتربت الساعة** وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا،[3] وإن كان انشقاقُ القمر. فعلى هذين التأويلين لم يكن انشقاق القمر بعدُ ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة، وهو قول أبي بكر الأَصَمّ. ويقول معنى قوله: **انشق القمر**، أي سينشق القمر عند الساعة، إذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على أهل الآفاق، ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به، إذ هو أمر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب. وعامة أهل التأويل على أن القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم. روي[4] عن عبد الله[5] بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بِمِنًى[6] فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام: «اشهدوا، اشهدوا».[7]

---

[1] ر – سورة القمر؛ ن: ذكر أن سورة اقترب وهي مكية؛ ث + مكية وهي خمس وخمسون آيات؛ م: سورة اقترب وهي مكية.

[2] جميع النسخ: واقتربت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[3] الآية التالية.

[4] جميع النسخ: وروي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م – عبد الله.

[6] جميع النسخ: بمنا.

[7] *صحيح البخاري*، التفسير ٥٤.

وروي عن غيره أيضا نحو[1] عبد الله بن عمر وعبد الله[2] بن عباس[3] وأنس بن مالك وحذيفة وجُبير بن مُطعم في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم رأوا[4] انشقاق القمر.[5] وقول أبي بكر: لو كان لم يَخْفَ وظهر. فيقال له: قد ظهر فإنه روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعامّ وفشى[6] الأمر بينهم حتى قلّ من يخفى عليه سماع هذا الحديث؛ على أنه قد نطق[7] به[8] ظاهر[9] الكتاب، وإنما يكلَّف حفظ ما لم ينطق به الكتاب، والعمل بحقيقة اللفظ واجب. وقال بعضهم: يجوز أن يستره الله تعالى عن أهل الآفاق بغيم[10] أو يَشغلَهم عن رؤيته ببعض الأمور بضرب[11] تدبير ولطف[12] منه لئلا يدّعيه بعض المتنبّسين في الآفاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه أنه فعل ذلك. فيحتمل أنه أخفى عن أهل الآفاق إلا[13] في حق من[14] يُظهر[15] المعجزة عيهم من الحاضرين، والكفرة يكتمونه[16] والصحابة الذين رأوا قد نقلوه. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **اقتربت الساعة**، كأنه يقول اقتربت الساعة التي يُجزون[17] فيها أو الساعة التي ينشرون فيها أو الساعة التي يحاسَبون[18] فيها. فإن قيل: أليس روي عن النبي

---

[1] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.
[2] ر ن ث: عمر بن عبد الله.
[3] ر ث + رضي الله عنهم.
[4] ث - رأوا.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧/١١١-١١٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٦٩-٦٧٢.
[6] ث + وفشى.
[7] ر ث م: يطلق.
[8] ر م - به.
[9] ن - ظاهر.
[10] ر: بغم.
[11] جميع النسخ: لضرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.
[12] ر: ولفظ.
[13] م - إلا.
[14] ن ث - من.
[15] ن: مطهر.
[16] م، يكتمون.
[17] جميع النسخ: تحرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] جميع النسخ: تحاسبون. والتصحيح من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧٣٩ظ.

صلى الله عليه وسلم أنه قال: «[بُعثتُ] أنا والساعة كهاتين»[١] وأشار إلى السبَّابة والوسطى، وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقم[٢] الساعة بعد.

قيل: يحتمل أن مراده عليه السلام أن به[٣] ختمَ النبوة والرسالة وتبقى[٤] أحكامه وشريعته إلى وقت قيام الساعة، وبقاء شريعته كبقائه فصار كأنه قال: شريعتي والساعة كهاتين. ويحتمل أنه لما كان به ختمُ النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة للساعة وآية لها، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا،[٥] على تأويل من جعل بعث الرسول عليه السلام عَلَمًا وآية للساعة. **والله أعلم.**

**﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٢]**

وقوله: **وإن يروا آية يعرضوا**، ذكر تعنتهم وعنادهم أنهم وإن يروا آية [يعرضوا ولا يقبلوها. ثم يحتمل وجهين. أحدهما وإن يروا آية][٦] سألوها يعرضوا فلم يُرِهِمْ تلك إذ[٧] من سنته أن كل آية جاءت على إثر السؤال فلم يقبلوها أُهلكوا. فإذا كان من سنته هذا وقد وعد تأخير عذاب هذه الأمة إلى الساعة وعفا[٨] عنهم التعجيل لم يُرِهِمْ تلك الآيات المقترحة. **والله أعلم.** ويحتمل: **وإن يروا آية** حسية **يعرضوا**، لأن آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها وأكثرها كانت عقلية وسمعية، فيخبر[٩] عن سفههم وتعنتهم أنهم وإن يروا آية حسية يعرضوا عنها. وهو كقوله عز وجل: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[١٠] وكقوله تعالى: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا / مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [٧٦٤ر]
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[١١] الآية.

---

[١] عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْن»، قال: وضَمَّ السَّبَّابَة والوُسْطى (صحيح البخاري، الرقاق ٣٩؛ وصحيح مسلم، الفتن ١٣٣).
[٢] جميع النسخ: ولم يقم.
[٣] ر م أنه.
[٤] جميع النسخ: ويبقى.
[٥] سورة الزخرف، ٦١/٤٣.
[٦] الزيادة من الشرح، ورقة ١٧٦ظ.
[٧] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وعفى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ت: فيخبرهم.
[١٠] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[١١] سورة الحجر، ١٤/١٥-١٥.

وقوله تعالى: **ويقولوا سحر مستمر**، اختلف فيه. منهم من قال: **سحر مستمر**، أي ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا يأتون بمثله من السحر. ومنهم من قال: **مستمر**، أي قوي مأخوذ من المِرة وهي القوة، وأصل المِرة القتل. ومنهم من قال: **مستمر**، أي ذاهب يذهب ويتلاشى ولا يبقى.

**﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وكذبوا واتبعوا أهواءهم**، يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما أتا به من الآية على الرسالة. ويحتمل **وكذبوا** بالتوحيد **واتبعوا أهواءهم**، يخبر أنهم إنما كذبوا ما ذكر باتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان.

وقوله عز وجل: **وكل أمر مستقرٌّ**، أي كل أمر مستقر بأهله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر. ويحتمل كل أمر كائنٍ قارٌّ يَقِرّ بأهله. وقال بعضهم: لكل أمر وفعل حقيقةٌ ما كان، فما كان منه في الدنيا فسيظهر[١] وما كان منه في الآخرة فسيُعرَف.[٢]

**﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٤] ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة**، يحتمل قوله:[٣] **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وجاءتهم أيضا حكمة بالغة وهو القرآن. ويحتمل أن يكون معناه: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وفي تلك الأنباء حكمة بالغة. ثم الأنباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة هي[٤] ما ذُكِر في هذه السورة من أنباء عادٍ وثمودَ وقوم لوط وقومِ نوح وموسى، فقد جاءهم أنباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والإهلاك وبأي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام ليرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يَلحقهم مثل ما يلحق أولئك، وفي ذلك حكمة بالغة. والبالغة هي النهاية في الأمر، يقال: فلان بالغ في العلم، إذا انتهى في[٥] ذلك نهايته.[٦]

---

[١] ر: فيظهر.
[٢] ر ن م: مستعرف.
[٣] ن - قوله.
[٤] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[٥] م: وفي.
[٦] ر م: نهاية.

قال[1] القُتَبي: **مزدجر**، أي[2] مُتَّعَظ،[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **مزدجر**، أي زاجر.

وقوله عز وجل: **فما تغني النُّذُر**، يقول -والله أعلم-: قد جاءهم ما ذكر من الأنباء التي فيها مزدجر وإنذار فلم يَزجُرهم ذلك ولم ينفعهم فأنَّى تغني النذر لهم ومن أين ينفعهم النذر؟ أي لا تغنيهم. ثم النذر يحتمل وجهين. أحدهما الرسل[4] عليهم السلام، جمع نذير.[5] والثاني ما تقع[6] به النِّذارة وهو الأنباء التي أنذر[7] الرسل بها وحذّروا بذلك. يقول فما يغنيهم[8] قول الرسول ولا خوفُ ما بلغهم من القِصص التي فيها تعذيب الكفرة[9] بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم. *والله أعلم*.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فتول**[10] **عنهم**، يحتمل وجوها. أحدها قوله: **فتول**[11] **عنهم**، أي أعرض عنهم ولا تكافئهم[12] بإساءتهم. والثاني **فتول**[13] **عنهم**، أي لا تقاتلهم[14] ولا تجاهدهم. فإن كان التأويل هذا فهو يحتمل النسخ على ما قاله أهل التأويل، وإن كان للأول فهو لا يحتمل النسخ. والثالث يحتمل **فتول**[15] **عنهم**، أي لا تشتغل بهم[16] فإنهم لا يؤمنون، وذلك في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون. يُؤْيِسُ رسولَ الله[17] صلى الله عليه وسلم عن الطمع في إيمانهم.

---

[1] ر ث م: وقال.
[2] ر د م: أمر.
[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٣١.
[4] ر ث م: النذر.
[5] ر م: نذر.
[6] ر د م: يقع.
[7] ث: إنذار.
[8] ر ث م: تغنيهم.
[9] ث: لكفرة.
[10] ر م: فتولى.
[11] ر ع: فتولى.
[12] ر ن ث: ولا تكفهم.
[13] م: فتولى.
[14] جميع النسخ: لا تقاسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[15] م: فتولى.
[16] ن: عنهم.
[17] ن ث: رسوله.

وقوله عز وجل: **يوم يدع الداع إلى شيء نكر**، أي إلى شيء منكر فظيع هائل، ويحتمل إلى شيء أنكروه في الدنيا وهو الساعة فيقرون في الآخرة.[1]

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **خشعا أبصارهم**، وقرئ "خَاشِعًا"، بالألف،[2] روي عن ابن عباس، وتصديقها في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خاشعةً أبصارهم.[3] وصفهم بالخضوع في الآخرة مكان استكبارهم في الدنيا، وبالإقرار[4] والتصديق بالساعة مكان إنكارهم في الدنيا، وبالإجابة[5] للداعي مكان ردهم له في الدنيا، حيث قال: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.[6] وقوله عز وجل: **يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما شبههم[7] بالجراد لحيرتهم لا يدرون من أين يأتون وإلى أين يصيرون كالجراد الذي لا يدرى من أين وإلى أين؟ وهو كقوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.[8] والثاني شبههم[9] بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يُحشَر الكل بدفعة واحدة. *والله أعلم*.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **مهطعين إلى الداع**، قال عامة أهل التأويل: **مهطعين**، أي[10] مسرعين. وقال قتادة: أي عامدين.[11] وقال مجاهد: الإهطاع السيلان[12] وهو بالفارسية پُوى رَفْتَنْ.[13]

---

[1] ث: في الآية.

[2] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٤.

[3] «قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: "خاشعا أبصارهم" بالألف على التوحيد، واحتجوا بحرف ابن مسعود: 'خاشعة أبصارهم' على التوحيد» (*حجة القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٨).

[4] ر: و لإقر ر.

[5] ن + الداعي.

[6] الآية التالية.

[7] ر م: تشبيههم.

[8] سورة الحج، ٢٢/٢.

[9] ر م: تشبيههم.

[10] م – أي.

[11] قارن: *تفسير الطبري*، ٢٧/١٢٠؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٧/٦٧٤.

[12] قارن: *تفسير الطبري*، ١٣/٣١٠؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٧/٦٧٤.

[13] جميع النسخ: بويه رفيق. وفي *الشرح* پويه رفتن، ورقة ١٧٧و.

وقال بعضهم: **مهطعين**، ناظرين رافعي رءوسهم، وهو قول الكلبي.[١] وقال أبو عَوْسَجَة: أي مسرعين مادِّين أعناقهم، وقيل: الإهطاع إدامة النظر إلى الداعي. وقوله عز وجل: **يقول الكافرون هذا يوم عسر**، وهو ما قال في آية أخرى: يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ.[٢]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كذبت قبلهم قوم نوح**، يقول -والله أعلم-: كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وآذوه فصبر على التكذيب وأنواع الأذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الإذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى، فاصبر أنت على تكذيب القوم وأنواع الأذى. وهو كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٣]

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار هذه الأنباء في القرآن ولم يكرّر ما فيه من الأحكام؟

قيل: إن هذه الأنباء والقِصص إنما جاءت لمحاجة أهل مكةَ وأمثالِهم من الكفرة في إثبات الرسالة والتوحيد والبعث، إذ هم المنكرون لهذه الأشياء وهم كانوا أهل عناد ومكابرة، وفيهم أيضا مسترشدون. ومن حق المُحاجة مع من[٤] ذكرنا / وأمثالِهم أن تعاد[٥] الحجة مرة [٧٦٤ظ] بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت وإن ردوها في وقت[٦] وتَنْجَعَ[٧] في قلوبهم في وقت وإن لم تنجع[٨] في وقت. ومن حق الموعظة للمسترشدين[٩] أيضا أن تكرر[١٠] لتتعظ[١١] إذ[١٢] يختلف ذلك باختلاف الأحوال. وقد ذكرنا فوائد تكرارها واقتصار الأحكام فيما تقدم.[١٣] *والله أعلم*.

فإن قيل: إن نوحا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك.

---

[١] «قال الكلبي: مهطعين، ناظرين إليك تعجبًا» (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩٣/١٨).
[٢] ﴿فإذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ (سورة المدثر، ٨/٧٤-١٠).
[٣] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٤] ر م - من.
[٥] جميع النسخ: أن يعاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[٦] ر م - وإن ردوها في وقت.
[٧] ر ث م: وينجع.
[٨] ر ث م: وينجع.
[٩] ر: المسترشدين.
[١٠] جميع النسخ: أن يكرر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ليتعظ. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن ث: أن.
[١٣] انظر تفسير الآية ٣٥ من سورة العنكبوت.

قيل: إنما دعا على قومه بالهلاك بعد ما أيس من إيمانهم حيث قيل [له][1] إنه: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[2] أما رسول الله لم يؤيسه عن إيمان قومه جملةً إنما يُؤْيِسُه عن بعض بطريق التعيين وهم[3] قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، لا عن الكل فلذلك لم يأذن[4] بالدعاء عليهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فكذبوا عبدنا**، يحتمل كذبوه فيما ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما[5] دعاهم إليه بالتوحيد وتوجيه الشكر إلى الواحد[6] القهار. وقوله عز وجل: **وقالوا مجنون**، أي قالوا لأتباعهم: إنه مجنون. وقوله عز وجل: **وَازْدُجِر**، أي نوح عليه السلام حيث قالوا لقومهم: لا تتبعوه وزجروهم عنه بقولهم: إنه مجنون، فهذا منهم زجر لأتباعهم عن اتباعه فصار بذلك[7] نوح عليه السلام مُزْدَجَرا عن القوم وصار القوم مُزْدَجَرِين عنه. وقال بعضهم: زجروا نوحا عليه السلام أي منعوه عن إظهار ما آتاهم من الآيات على رسالته. *والله أعلم*.

**﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[١٠]**

وقوله[8] عز وجل: **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر**، أي مغلوب بالسفه والمكابرة وأنواع الأذى، إذ لا يحتمل أن يكون مغلوبا بالحجج. **فانتصر** عبدك[9] عليهم.

**﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[١١] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر**، يحتمل قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**،[10] أي مِن فوقُ لأن ما كان فوقك فهو سماء، فيحتمل أن يكون ذلك من البحر المكفوف

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.

[2] سورة هود، ٣٦/١١.

[3] ر ث م: وهو.

[4] جميع النسخ: لم يؤذن.

[5] ن – ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما.

[6] م: الوحد.

[7] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.

[8] ن: قوله.

[9] ن: عبدك؛ م – عبدك.

[10] ت + والأرض وفجرنا الأرض.

الذي ذكر أنه بين السماء والأرض. **وفجّرنا الأرض عيونا**، أي أنبعنا الماء من الأرض كأنه قال: أنزلنا الماء من فوقُ وأنبعنا[1] من أسفلَ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**. هو حقيقة فتح السماء وإنزالِ الماء منها والله[2] تعالى[3] أن يرسل الماء ممن شاء[4] وكيف شاء.[5] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بماء منهمر**، قيل:[6] مُنْصَبٍّ، وقال أبو عبيدة:[7] **منهمرٍ**، أي كثيرٍ سريعِ الانصباب،[8] يقال: هَمَرَ الرجل[9] إذا أكثر في الكلام فأسرع.[10] وقال أبو عَوْسَجَة: انهمرت السماء وهمرت أي أمطرت[11] فأكثرت.

وقوله عز وجل: **فالتقى الماء على أمر قد قُدِر**، يذكر[12] أن الماءين جميعا: ما أرسل من[13] الفوق وما أخرج من[14] التحت على تقدير وتدبير لا جُزَافًا، وهو كقوله تعالى: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى،[15] أي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك في ذلك لا على غير[16] تقدير منه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه:[17] فالتقى الماءان[18] على أمر قد قدر. وقال بعضهم: **على أمر قد قدر**، أي قد قدّر لهم أن يَغْرَقُوا بالماء إذ كفروا. وقال بعضهم: **قد قدر**، أي استوى الماء: نصفه من عيون الأرض ونصفه من السماء. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ن: وأتبعنا.
[2] ر م: والله.
[3] ر م + قادر.
[4] ر م: يشاء وكيف شاء.
[5] ر م – شاء.
[6] ث + أي.
[7] ر ن م: أبو عبيد.
[8] م: الأنصاب.
[9] ر ن م: الرمسل.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣١.
[11] ر م: مطرت.
[12] ن – يذكر.
[13] ر ن ث: عن.
[14] ن: عن.
[15] سورة طه، ٢٠/٤٠.
[16] ن – غير.
[17] ر: عنهما.
[18] ث: الماءن.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وحملناه على ذات ألواح ودسر**، وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها: وحملناه وذريته على ذات ألواح ودسر. ذكر هاهنا **ذات ألواح** وذكر في آية أخرى السفينة بقوله تعالى: [وَآيَةٌ لَهُمْ] أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ،[١] ونحوه، فيكون **ذاتِ ألواح** تفسير السفينة. ولو لم يتقدم ذكر السفينة[٢] لم يُفهم من ذات ألواحٍ السفينةُ، إذ ذات الألواح قد يرجع إلى الأعماد وغيرها، لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا. ***والله أعلم***. ثم اختلف في قوله تعالى: **ودُسُرٍ**، قال عامة[٣] أهل التأويل: الدُسُر المَسامير التي يُشدّ بها السفينة، وقيل: الدسر أضلاع السفينة، وقيل: صدرها، وقال الحسن: هي السفينة لأنها تَدْسُر[٤] الماءَ بِجُؤْجِئِها.[٥] قال أبو معاذ: واحد الدُسُر دِسار وجِماع الجُؤْجئ الجآجِئُ وهي الصدور.

ثم في قوله:[٦] **وحملناه**، وتسميةِ هذا المصنوع[٧] سفينة دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله[٨] تعالى، لأنهم هم الذين ركبوا السفينة ثم أخبر أنه هو الذي حملهم، وكذا الخشب المجتمعة لا تسمى سفينة إنما تسمى[٩] بهذا الاسم الخاص بعد الإيجاد والصنعة الموجودة من العباد. دل أن لله[١٠] في فعل العباد صنعا. ***والله الموفق***.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **تجري بأعيننا**، أي بتقديرنا وبحفظنا. وقوله: **جزاءً لمن كان كفر**، أي حَمْلُ نوحٍ عليه السلام وأتباعه في السفينة ونجاتُهم[١١] من الغَرَق جزاءُ ما كفر به قومه،

---

[١] سورة يس، ٤١/٣٦.
[٢] ر م – لم يتقدم ذكر السفينة؛ د: ولو لم يقدم ذكر السفية.
[٣] ر م – عامة.
[٤] جميع النسخ: يدسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٢٤/٢٧. قال تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودُسُر﴾، أي مسامير، الواحد دِسار، وأصل الدَّسْر الدفع الشديد بقهر. قال الحسن: الدُّسُر صدر السفينة لأنها تدرس الماء بجؤجئها. ويقال: الدُّسُر: ما يشد به السفينة من المسامير والشُّرُط (*المفردات* للراغب الأصبهاني «دسر»).
[٦] م: ثم قوله.
[٧] ر م: المصنوعة.
[٨] ن: الله.
[٩] ر م: لا يسمى سفية إنما سمي؛ ن ث: لا يسمى سفينة إنما يسمى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٠] ر: الله.
[١١] ر ث م: ونجاهم

كذا قال عامة أهل التأويل: إنه جزاء[1] لنوح[2] عيه السلام حين[3] كفر به قومه ولم يؤمن[4] به قومه. وقال مجاهد: **جزاءً لمن كان كُفِر**. الله[5] تعالى، أي الغرق جزاؤهم لما كفروا بالله تعالى.[6] وقال أبو معاذ: وقرئ **جزاءً لمن كان كَفَر**، بنصب الكاف.[7] وتأويل هذه القراءة أي إهلاك من أُهلك من قومه جزاءً لما كفروا بالله تعالى أو بنوح عيه السلام.

**﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **ولقد تركناها آية**، يحتمل وجهين. أحدهما تركنا[8] سفينة نوح عيه السلام بعينها[9] مدة طويلة حتى صارت آية لأواخرهم ولمن بعدهم، وبه يقول قتادة، قال: أبقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بينة ببَاقِرْدَى[10] من أرض الجزيرة حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا؟[11] والثاني، **تركناها آية**، [أي تركنا][12] آثار تلك السفينة وأنباءها آية لمن بعدهم، لأن أنباءها قد بقيت في المتأخرين حتى عرفوا أن من نجا بِمَ[13] نجا ومن هلك / بِمَ[14] هلك. ***والله أعلم***. [٧٦٥و]

وقوله عز وجل: **فهل من مُدَّكِرٍ**، عن الأسود قال: قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **فهل من مُدَّكِرٍ**، أو مُذّكر؟ فقال أقرأني رسول الله صلى الله عيه وسلم **مدّكر**، بالدال.[15]

---

[1] ر م: أخبر.
[2] ر: النوح.
[3] جميع النسخ: وحين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[4] جميع النسخ: فلم يؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: بالله.
[6] *تفسير الطبري*، ١٢٥/٢٧.
[7] قرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وعيسى وحميد: ﴿جزاءً لمن كان كَفر﴾ (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٣٣/١٧؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٧٨/٨).
[8] ن: ركبا.
[9] ر ن م: بعينه؛ ث: لعينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[10] ر م: للمسافرين؛ ث: بباقريبا. باقِرْدَى: بكسر القاف وفتح الدال، قرية في شرقي دجلة وبالقرب منها جبل الجودي (*تاج العروس*، «بقرد»).
[11] *تفسير الطبري*، ١٢٦/٢٧.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[13] جميع النسخ: لمن.
[14] جميع النسخ: لمن.
[15] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٩٥/١.

قال أبو عبيد[ة]:[1] وأصله في العربية مُذْتَكِرٌ فإنه من باب الافتعال على وزن مفتعل، فنقل لاجتماع التاء والذال فأدغمت الحرف الأول وهو الذال في التاء فانقلب دالا، وهو كقوله: اِدَّخَرَ أصله اِذْتَخَرَ من الذَّخر لما قلنا. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **مدكر**، أي هل [من][2] متذكر[3] متعظ يتعظ بما نزل بأولئك فينزجر عن مثل صنيعهم. قال[4] قتادة: فهل من طالب خير فيعانَ عليه.[5]

**﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، يخرج على وجهين. أحدهما أليس ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا؟ وأريد بقوله: **وَنُذُرِ**، أي رسلي. والثاني أليس وجدوا عذابي شديدا، ونذري[6] ما وقعت به النِّذارة وهو العذاب الذي أُنذروا به. والنذر على هذا التأويل المنذَر به، كقوله تعالى: إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً،[7] أي موعودا، وإلا وعده لا يكون مفعولا إذ هو صفة أزلية.

**﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٧]**

وقوله[8] عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**، هذا يحتمل وجوها. أحدها **يسرنا القرآن للذكر**، أي للحفظ، أي صيرناه بحيث يحفظه كل أحد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل أحد يتكلف حفظه.

والثاني **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي لذكر ما نسوا من نعم الله تعالى ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى[9] عليهم ولذكر ما أنبأهم فيه من أخبار الأوائل من مصدقيهم ومكذبيهم.[10]

---

[1] «﴿مُدَّكِرٍ﴾ مدتكر فسا أدغم التاء في الذال تحولت الذال دالا» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٠).
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[3] ر م: متدكر.
[4] ن ث: وقال.
[5] *تفسير الطبري*، ١٢٨/٢٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٧٦/٧.
[6] ر: شديد أي نذري.
[7] جميع النسخ: وكان وعد الله مفعولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و. سورة الإسراء، ١٠٧/١٧.
[8] ن: قوله.
[9] ر م - ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى.
[10] ر م: مدكر.

والثالث جائز أن يكون ذلك[١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً، أي يسرناه عليه حتى حفظه كلَّه عن ظَهْر قلبه حتى[٢] إذا أراد أن يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة أراد، كقوله تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[٣] وقوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[٤] وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ،[٥] أمّنه عن أن ينساه ومنّ عليه بالتيسير.

وقوله: **فهل من مدكر**، فعنى التأويل الأول -والله أعلم- أنه وإن يَسّر[٦] القرآن للحفظ ولكن لم ينزله للحفظ ولكن إنما أنزل لِيُذَّكَّر ما فيه وللاتعاظ[٧] به، أي فهل من متعظ يتعظ به.[٨] وعلى التأويل الآخر: **فهل من مدكر**، خرج مخرج الأمر أي اذكروا واتعظوا بما فيه من الأنباء. ***والله أعلم***.

**﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر**، ذكر أنباء الأوائل[٩] وما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم الرسل عليهم السلام،[١٠] وهو صلة قوله: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ.[١١] وتأويل الآية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما.

**﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[١٩]**

وقوله تعالى: **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا**، قيل: باردة، وقيل: شديدة. وقوله: **في يوم نحس مستمر**، أي استمر بهم العذاب، كما قال الله عز وجل: سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا،[١٢] وقيل: **مستمر**، أي ذاهب على الصغير والكبير فلم يَبق[١٣] منهم أحد إلا أهلكته.

---

[١] ر م – ذلك.
[٢] ن – حتى.
[٣] سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.
[٤] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣-١٩٤.
[٥] سورة الأعلى، ٨٧/٦-٧.
[٦] ر ث م: وإن يسرنا.
[٧] ن: والاتعاظ.
[٨] ر م: من متعض به؛ ن – به.
[٩] ر: الأول.
[١٠] ر ث م: لرسول عليه السلام.
[١١] الآية ٤ من هذه السورة.
[١٢] سورة الحاقة، ٦٩/٧.
[١٣] ر: فلم يسبق

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**، من الناس من قال لما اشتد بهم الريح تنادّوا فيما بينهم: البيوتَ البيوتَ،[١] فدخلوها فدخلت الريح عليهم فأخرجتهم من بيوتهم وألقتهم في فنائهم فذلك النزع. ومنهم من قال: تنزع[٢] مفاصلهم فتبقيهم[٣] كأعجاز نخل منقعر؛ لأنهم كانوا أطول الخلق. فذكر أن كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا تبلغ[٤] ذلك المقدار إلا بعد قطع المفاصل. فجائز التشبيه بأعجاز نخل[٥] منقعر بعد انتزاع[٦] مفاصلهم. والانقعار هو الانقلاع. قال أبو عَوْسَجَة: **منقعر**،[٧] أي منقطع ساقط. ومنهم من قال: شبّههم بأعجاز النخل لعظم[٨] أعجازهم، وقال بعضهم: شبههم بأعجاز النخل[٩] لطولهم، ولكن ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: تنزع[١٠] الناس[١١] على أعقابهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٢١] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٢٢]

وقوله: **فكيف كان عذابي ونذر**، فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين، وكذا قوله: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بالنذر**، يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما **بالنذر**، أي بالرسل التي دعتهم إلى الإيمان بالله تعالى. والثاني **كذبت**، بما وقعت به النِّذارة التي أخبرتهم[١٢] الرسل أنها نازلة واقعة بهم. ***والله أعلم***.[١٣]

---

[١] ر م – البيوت.
[٢] ر م: تنزع؛ ث: ينزع.
[٣] ر ث م: فيبقيهم.
[٤] جميع النسخ: لا يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.
[٥] ر م: كل.
[٦] ر: انقراع.
[٧] ث – منقعر.
[٨] ر م: العظم.
[٩] ن: شبههم بالنخل.
[١٠] جميع النسخ: ينزع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م – الناس.
[١٢] ر ث م: أخبر بهم.
[١٣] ن – والله أعلم.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه،** لم يزل الأكابر من الكفرة والرؤساء منهم يُلبِسون على أتباعهم بهذا الحرف: **أبشرًا منا واحدا نتبعه،** [وكذلك قال أهل مكة لرسول الله: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،][1] وقالوا: مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وقالوا:[2] وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ،[3] ونحو ذلك. وذلك تناقض في القول[4] لأنهم كانوا ينهون أتباعهم عن اتباع بشر مثلِهم ويدعونهم إلى اتباع آبائهم والاقتداء بهم، وهم أيضا بشر وليس مع آبائهم حجج وبراهين، ومع الرسل حجج وآيات،[5] فيكون تناقضا في القول ومعارضة فاسدة. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **إنا إذًا لفي ضلال وسُعُرٍ،** قال بعضهم: السعر الجنون، أي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون. وهو مأخوذ مِنْ سُعِرت[6] النار إذا التهبَتْ، يقال: / ناقة مسعورة [٧٦٥ظ]
أي كأنها مجنونة من النشاط، وقيل: الضلال والسُّعُرُ واحد. ويحتمل أي إنا إذًا[7] لفي ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة، والسعر من السعير وهو النار. ***والله أعلم.***

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أألقي الذكر عليه من بيننا،** فجائز أن يكون هذا القول من أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى خبرا عنهم: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[8] والذكر هو القرآن على هذا التأويل. وجائز أن يكون ذلك من ثمودَ لصالحٍ[9] عليه السلام، والقصة قصة صالح، فهو الأشبه بالتأويل. و لم يزل الكفرة ينكرون تفضيل[10] الرسل عليهم السلام على غيرهم من البشر بالرسالة وإنزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لأنفسهم الفضل على أولئك الرسل:

---

[1] سورة الشعراء، ١٥٤/٢٦، ١٨٦. الزيادة من *الشرح* ورقة ١٧٨ظ.
[2] جميع النسخ: وقوله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ سورة المؤمنون، ٣٣/٢٣-٣٤.
[4] ر ث م: تناقض القول.
[5] م: وبراهين.
[6] جميع النسخ: من سعر.
[7] ن - إذا.
[8] سورة ص، ٨/٣٨.
[9] ر: وتصالح.
[10] ر ث م: تفضل.

إما يفضل مال أو بفضل نسب أو رياسة[1] ونفاذِ قول بلا سابقة كانت منهم ولا تقدمة[2] صنع. وما ينبغي لهم أن يكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا تَقْدِمَةِ[3] صُنع إذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل هو كَذَّاب أَشِرٌ**، عن مجاهد أنه قرأ بفتح [الألف وضم] الشين، وقرأ العامة الأشر بكسر الشين.[4] قال بعضهم: الأشر بفتح الشين الذي[5] يَنْشَط في الشر، قاله[6] أبو عَوْسَجَة: وقيل: الأشِر والأشَر هو البَطِرُ كما يقال: حذِر وحذَر، وهو المرِح المتكبر.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سيعملون غدا من الكذاب الأشر**، قرئ بالياء والتاء جميعا[7] فمن قرأ بالياء احتج بقوله: فِتْنَةً لَهُمْ،[8] ولم يقل "لكم"، ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة، أي[9] ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم مَنِ الكذاب الأشر:[10] أنا أو أنتم، وهذا وعيد منه لهم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[٢٧]

وقوله: **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم**، يفتنهم[11] بها ويمتحنهم، لم يعطهم مجانا جُزافا، كقوله عز وجل: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]،[12] وقوله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.[13]

---

[1] م: ورئاسة.
[2] ر ن م: ولا تقدمه.
[3] ر م: ولا يقدمه؛ ن ث: ولا تقدمه.
[4] «قرأ جمهور الناس: "الأشِر" بكسر الشين كحذِر بكسر الذال. وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه الكسائي "الأشُر" بضم الشين كحذُر بضم الذال، وهما بناءان من اسم فاعل. وقرأ أبو حيوة: "الأشَر" بفتح الشين، كأنه وصف بالمصدر. وقرأ أبو قلابة: "الأشَرّ" بفتح الشين وشد الراء، وهو الأفعل، ولا يستعمل بالألف واللام وهو كان الأصل لكنه رفض تخفيفًا وكثرة استعمال» (*المحرر الوجيز* لابن عطية الأندلسي، ٥/٢١٧).
[5] ر ث م - الذي؛ ن + التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.
[6] ر م: قال.
[7] م - جميعا. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١.
[8] الآية التالية.
[9] م + أي.
[10] ر ث م - الأشر.
[11] ر: ليفتنهم.
[12] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[13] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

وقوله عز وجل: **فارتقبهم واصطبر**، أي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب لناقة والعَقْر لها. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **فارتقبهم**، هو خطابا[1] لرسوله عليه الصلاة والسلام في حق أهل مكة، كقوله: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.[2] وقوله: **واصطبر**، أي اصطبر على أذاهم ولا تكافئهم أو اصبر على بتبليغ الرسالة.

**﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**، وقال في آية أخرى: لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[3] وفيه من الفوائد والدلائل. أحدها أن تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النُّوق حتى احتاجت هي إلى الماء مثل الذي احتاج إليه سائر النوق وأهدها حتى قُسم الماء بينها وبين سائر النوق. وفيه أنه لا بأس بقسمة الشرب حيث ذَكَر في الآية قسمة الماء وذكر في الآية الأخرى:[4] [وَلَكُمْ] شِرْبُ يَوْمٍ [مَعْلُومٍ]، وهو قسمة بالأيام. وقوله: **كل شرب محتضر**، أي كل شرب يحضره[5] من له شرب ذلك لا يحضره غيره. وفيه أن تلك الناقة وإن كانت آية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كسائر النوق التي ليست هي بآيات وإن كانت تخالف[6] سائر النوق في عظمها وقدر علفها وشربها. ثم جَعَل الماء بينها وبين أولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء: أعني البهائم والبشر، وحاجة كل منهم إلى الماء. فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر البهائم، لأن في ذلك كثرةٌ فلا حاجة إلى القسمة، فأما في الماء في ذلك الموضع [ففيه] عِزّة[7] لما يَسْقُون من الآبار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة. *والله أعلم*. وفيه أن المياه إذا ضاقت[8] قسمتها بالأجزاء تُقْسَم بالأيام حيث[9] جُعل لها شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ولهم شرب يوم معلوم. وفيه أن الماء وإن كان عينا فهو كالمنفعة في جواز قسمتها بالأيام.

---

[1] جميع النسخ: حطاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[2] سورة الدخان، ١٠/٤٤.
[3] سورة الشعراء، ١٥٥/٢٦.
[4] م: في آية أخرى.
[5] ر ن ث: بحضرة.
[6] ر ث م: يخلف.
[7] جميع النسخ: غيره. عَزّ الشيء يَعِزّ عِزًّا وعِزّة وعَزازة: قلّ حتى كاد لا يوجد (*لسان العرب*، «عزز»).
[8] م: أضاقت.
[9] ر ث م: بالأجر القسم بالأيام من حيث؛ ن: بالأجر القسم بالأيام حيث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.

ثم قوله: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم**، جائز أن يكون الخطاب لصالح عليه السلام، أمره أن يُنْبِئ قومه أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة. وجائز أن يكون الخطاب به[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره أن يخبر قومه أن الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة. *والله أعلم*.[2]

**﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر**، أضاف العَقْرَ هاهنا إلى واحد وفي آية أخرى[3] أضاف إلى الجماعة وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،[4] وقال في موضع آخر: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ،[5] فيكون ظاهر هذه الآيات على التناقض من حيث ذِكْرُ الفرد والجماعةِ. وفيها[6] تناقض من وجه آخر فإنه ذكر في آية أخرى:[7] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا،[8] وقال في موضع: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، ذكر الندامة وهي خلاف العُتُوّ. لكنا نقول: لا تناقض ولا اختلاف عند اختلاف الأحوال والأوقات. فقوله:[9] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، قبل أن ينزل بهم العذاب، وقوله: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، إذا نزل بهم العذاب، والتناقض في وقت واحد في حال واحد. وكذلك العقر من واحد على الحقيقة، ولكن إنما أضاف إلى الجماعة لأنه عَقَرَ بمعاونتهم أو الواحد
[٧٦٦و] هو الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا، ونحو / ذلك، فثبت أنه لا تناقض. وقال بعضهم: **فَتَعَاطَى**، تناول، **فَعَقَرَ**، أي ضرب عُرْقُوبها، أي ساقها. وقيل: العقر قد يكون جرحا وقد يكون قتلا.

**﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٠]**

[٧٦٦و س١٢] *وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، قال أهل التأويل: أليس الذي أنذروا به
[٧٦٦و س١٣] وجدوه حقا. وقال بعضهم: أليس وجدوا عذابي ورسلي حقا وقد ذكرناه.*

---

[1] ث – به.
[2] ث: والله سبحانه أعلم.
[3] ن: وفي الآية الأخرى.
[4] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[5] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٧.
[6] ر ث م: وفيه.
[7] ن ث – أخرى.
[8] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[9] ث: وقوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[٣١]

وقوله: **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**، يحتمل أي أرسلنا عليهم العذاب قدر صيحة واحدة، يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم. ويحتمل أن يكون أرسل عليهم الصيحة فأهلكتهم[١] وصاروا كما ذَكَر من هشيم المحتظر[٢] وهو قوله:[٣] **فكانوا كهشيم المحتظر**. قيل الهشيم العظام البالية، وقيل كالشيء المتناثر[٤] من الحائط، وأصل الهشيم الانكسار، أي صاروا[٥] كالشيء المنكسر المجتمع في موضع. وقوله تعالى: **المحتظر**،[٦] [قرئ][٧] بكسر الظاء ونصبها.[٨] روي النصب عن الحسن.[٩] قال أبو عبيد: بالكسر يقرأ على تأويل الإنسان المحتظر. وقال أبو عَوْسَجة: الهشيم البالي[١٠] من الشجر، والمحتظَر الذي يُتّخذ حظيرة.[١١] وقال القُتَبي: الهشيم يابس[١٢] النبت الذي ينهشم أي ينكسر، والمحتظر بكسر الظاء صاحب[١٣] الحظيرة[١٤] لغنمه، وبفتح الظاء[١٥] أراد الحيطان وهو[١٦] الحظيرة.[١٧]

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي يسرنا القرآن لذكر ما نَسُوا من نعم الله تعالى وأغفلوا عنها، أو يسرنا القرآن لذكر ما أغفلوا من الحجج والآيات ونسوها،

---

[١] ر ث م: وأهلكهم؛ ن: فأهلكهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[٢] ر ث م: المحتضر.
[٣] جميع النسخ: وهو كقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ث م: المتأثر.
[٥] ن: صارو.
[٦] ن ث + فهي.
[٧] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٨] جميع النسخ: ونصبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] *المحتسب* لابن جني، ٢/٣٥٠.
[١٠] ر: المبالي؛ م: الباقي.
[١١] ن: حظره.
[١٢] ر ن م: اليابس.
[١٣] م - صاحب.
[١٤] ن: الحظرة.
[١٥] ر ث م: الطاء.
[١٦] ث: وهي.
[١٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٤.

أو يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من الأنباء وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام بالتكذيب والعناد. وقوله: **فهل من مدكر**، قد تقدم ذكره.*

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **كذبت قوم لوط بالنذر**، أي بالرسل عليهم السلام أو بما يقع به النِذارة.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[٣٤] ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط**، على تأويل من يقول بأن تلك القَرَيات قُلِبت بمن فيها ظَهْرًا لبطن على ما ذكر في آية أخرى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا،[٢] أرسل[٣] الحاصب[٤] على من غاب عنها في البلدان فأهلكهم بها. يخرج على الإضمار، كأنه قال: قَلَبْناها بمن فيها وأرسلنا على من غاب عنها حاصبا إلا آل لوط، حتى يستقيم الثُّنْيَا الذي أُسْتُثْنِيَ ويكونَ كقوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[٥] كأنه قال: أحلت لكم بهيمة الأنعام والصيدُ إلا ما يتلى عليكم غيرَ محلي الصيد. *والله أعلم*. وعلى[٦] تأويل من يقول بأنها قلبت ثم أُرسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم، فيكون هلاكهم بأمرين، واستثناء[٧] آل لوط عليهم السلام بالنجاة من أحدهما استثناء بالنجاة[٨] منهما جميعا. *والله أعلم*.

وقوله: **نجيناهم بسحر. نعمةً من عندنا**، أي منعنا عنهم العذاب عند السحر. فيكون فيه دلالةُ أنه يكون بمنع العذاب عنهم منجيا لهم وإلا لم تكن[٩] نجاتهم عند السحر.

وقوله[١٠] عز وجل: **كذلك نجزي من شكر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يكون هلاك أولئك على لوط وآله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكره فهو جزاء شكرهم،

---

* وقع هنا تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.
[٢] سورة الحجر، ٧٤/١٥.
[٣] ن ث: ان سل.
[٤] جميع النسخ: الحاضرين. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٧٩ظ.
[٥] ر ث م – وأنتم حرم. سورة المائدة، ١/٥.
[٦] ر ث م: على.
[٧] ر ث م: واستثنى.
[٨] ر م + من أحدهما استثناء بالنجاة.
[٩] جميع النسخ: لم يكن.
[١٠] ن: قوله.

وهو كقوله تعالى: جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ،[١] يحتمل أن يكون هلاك أولئك وإغراقهم جزاء ما كفُر بنوح، وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام.[٢]

والثاني أن يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم إذ له[٣] أن يهلك الكل: من كفر ومن لم يكفر، ألا ترى أنه يهلك الدواب والصغار وإن لم يكن لهم مأثم. فإذا كان[٤] كذلك كان إبقاء من أبقى منهم فضلا منه ونعمة عليهم وإلا لا كل [من][٥] كُفِرَ استوجب النجاة. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر**، [يحتمل **بطشتنا**؛ أَخْذَنا وقوتنا. وقوله: **بالنذر**][٦] يخرج على الوجهين[٧] اللذين ذكرناهما. أحدهما تماروا بالواقع من النِذارة. والثاني بالنُّذُر أي بالرسل.[٨] *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولقد راودوه عن ضيفه**، أي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه. وقوله عز وجل: **فطمسنا أعينهم**، ذكر أن جبريل عليه السلام مسح جناحيه على أعينهم فَعَمُوا، ثم قيل لهم: **فذوقوا عذابي ونذرِ**.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر**، أي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر. العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم وأهلكهم، وأما طَمْس الأعين فقد انقضى.

---

[١] الآية ٥٤ من هذه السورة.

[٢] ن - عليه السلام.

[٣] ن: أن له.

[٤] ر: فإن كان.

[٥] الزيادة من الشرح، ورقة ١٧٩ظ.

[٦] الزيادة من الشرح، نفس الورقة

[٧] ر م: على وجهين.

[٨] ر م: الرسل؛ ن: بالنذر بالرسل.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٩] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٤٠]

وقوله: **عذابي ونذر**، النذر هاهنا ما وقع به النِّذارة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ولقد جاء آل فرعون النذر**، يحتمل ما قال من النذر أنه جاء [إلى][1] آل فرعون موسى وهارون عليهما السلام سماهما باسم الجمع وهو النذر. ويحتمل[2] أن يكون المراد من النذر التي جاءتهم هي ما نزل بهم[3] من أنواع العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع به النذارة.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **كذبوا بآياتنا كلها**، يحتمل أنهم كذبوا جميع الآيات التي[4] جاءهم بها موسى عليه السلام من آيات الألوهية والوحدانية وآيات الرسالة. وجائز أن تكون[5] هي جميع ما يدل على وحدانية الرب وألوهيته[6] من الخلائق، لأن ذلك اللعين قد ادعى الألوهية لنفسه، وجميع ما في العالم يدل على ألوهية الله تعالى. فهو حيث ادعاها لنفسه وصدّقه قومه كذبوا بذلك جميع الآيات التي تشهد[7] على ألوهية الله تعالى ووحدانيته. وقوله عز وجل: **فأخذناهم أخذ عزيزٍ / مقتدر**، أي أخذ عزيز ذليلاً وأَخذَ[8] غالبٍ مغلوبا وأخذ قادر عاجزا وأخذَ قاهرٍ مقهورا. [٧٦٦ظ] *والله أعلم*.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **أكفاركم خير من أولئكم**، يقول[9] تعالى -والله أعلم-: **أكفاركم**، يا أهل مكة أقوى في دفع العذاب عن أنفسهم والانتصار منه إذا نزل بهم العذاب من أولئك

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[2] ن: يحتمل.
[3] ر ث م – بهم.
[4] م – التي.
[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: وألوهية.
[7] جميع النسخ: يشهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ت: أو أخذ.
[9] ر ث م + لله.

الذين كانوا من قبلكم، أي ليس كفاركم أقدرَ منهم بل أولئك أكثر وأقوى،[١] ثم لم يقدروا القيام بدفع العذاب عن أنفسهم ولا الانتصارَ منه إذا نزل بهم، فأنتم يا أهل مكة أضعفَ وأقلَّ عددا أحقُّ أن لا تقدروا على دفع العذاب عنكم إذا نزل[٢] بكم. وقوله:[٣] [**أم لكم براءة في الزبر**، أي][٤] ليس لكم براءة في الكتب أنكم تقدرون على القيام في دفع العذاب عن أنفسكم إذا نزل بكم، أو يقول ليس لكم براءة في الكتب[٥] أن العذاب لن يصيبكم إذا نزل [بكم].[٦]

**﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **أم يقولون نحن جميع منتصر**، أي بل تقولون: **نحن جميع منتصر**، أي لا تُنْصَرون بِجَمْعكم.[٧] هذه الآيات الثلاث على النفي والدفع، أي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن أنفسهم وليس لهم جمْع ينتصرون به[٨] ولا كفارهم خير من كفار أولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار. *والله أعلم*.

**﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٤٥] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٤٦]**

ثم قال على الابتداء: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، فيه دليلان. أحدهما أخبر أن لهم جمعا[٩] يهزم ويولون الدبر،[١٠] وقد كان ما ذكر.[١١] وقال[١٢] أهل التأويل: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، هو جَمْعُ يومِ[١٣] بَدْرٍ، أخبر أنهم يهزمون ويولون الدبر. وقد كان على[١٤] ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] ر ث م – وأقوى.
[٢] ر م: انزل.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] الزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ث + المتقدمة.
[٦] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٧] ر م: لا ينصرونكم كجمعهم؛ ن: لا تنصرون لجمعهم؛ ث: لا ينصرون كجمعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وليس لهم ما ينصرون به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن – فيه دليلان أحدهما أخبر أن لهم جميعا يهزم ويولون الدبر؛ ث + وقد كان.
[١١] ر ث م: ما ذكر وقد كان.
[١٢] ر ث م – وقال.
[١٣] ر م – يوم.
[١٤] ر ث م – على.

دل أنه علم بالله تعالى. والثاني أخبر أن الساعة موعد إهلاكهم واستئصالهم لا الدنيا بقوله تعالى: **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**، وكان كما أخبر. وفيه أيضا دلالة إثبات الرسالة. ***والله أعلم***. ثم قوله:[1] **أدهى وأمر**، أي أعظم وأشد.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **إن المجرمين في ضلال وسعر**، جائز أن يكون قوله **في ضلال** في الدنيا وفي سعر[2] في الآخرة وهو السعير. ويحتمل: **في ضلال** في هلاك، **وسعر** في حيرة وجنون وتيهٍ، كقوله تعالى: إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ.[3]

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[٤٨]

وقوله[4] عز وجل: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، كأنه يقول له: قل لهم: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، أن خُتموا على ما هم عليه: **ذوقوا مس سقر**، أي يقال لهم: ذوقوا مس سقر، أي ذوقوا عذاب سقرَ، والسقر هو اسم النار، فيصير كأنه على الإضمار، أي يقال لهم: ذوقوا عذاب النار. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤٩]

وقوله: **إنا كل شيء خلقناه بقدر**، يحتمل وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، أي إنا خلقنا كل شيء بقدر.[5] فإن كان على هذا فيكون كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[6] وفيه إثبات خلق كلية[7] الأشياء. والثاني على ظاهر ما جرى به[8] الخطاب: إنا كل شيء خلقناه خلقناه[9] بقدر،[10] فإن كان على هذا فليس فيه إثبات خلق كلية الأشياء ولكن فيه إثبات أن ما خلقه

---

[1] ر: قوله؛ ن م: وقوله.
[2] جميع النسخ: وفي السعر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[3] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[4] ن: قوله.
[5] ر ث م – بقدر.
[6] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وسورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الزمر، ٦٢/٣٩؛ وسورة المؤمن، ٦٢/٤٠.
[7] ر م: كل.
[8] ر ث م: آية.
[9] ر ث م – خلقناه.
[10] ر ن م + أي إنا كل شيء بقدر.

إنما خلقه[١] بقدر، وإلى هذا التأويل يذهب المعتزلة. والتأويل عندنا هو الأول: إنا خلقنا كل شيء بقدر، كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[٢] ويحتمل أي إنا كل شيء خلقناه بقدر وحدّ ينتهي إليه ذلك ويبلغ حده،[٣] ليس كالمخلوق لا يعرف أحد قدر فعله ولا حده الذي ينتهي إليه، ولا يخرج فعل أحد من المخلوقين على ما يُقدّره.[٤] فأخبر أن فعله يخرج على ما يقدّره خلافا لفعل[٥] غيره فيدل على أنه هو الخالق. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، الأمر فيما بين الخلق على وجهين. أحدهما أمر شأن وفعل،[٦] والآخر[٧] أمر تكليف لغير. ثم قوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، إنما هو أمر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه، أي شأنه وفعله يسير عليه [سَهْلٌ][٨] لا يعجزه شيء ولا يَشغله، فعلى[٩] ذلك أَمْرُ الله وخَلْقُه[١٠] عليه. والواحد ليس هو اسم العدد[١١] وإن كان الحساب به يُبتدأ، إنما هو اسم التوحد والتفرد. كما يقال: فلان واحد زمانه، لا يريدون من جهة العدد إذ له أعداد وأمثال من جهة العدد، ولكن إنما يراد بأنه المتوحد في شأنه وفعله لا نظير له.[١٢] فعلى ذلك تسميته[١٣] إياه واحدا لتفرده وتوحده في ألوهيته وربوبيته.[١٤] وتسمية أمره واحدا أنّ فعله وشأنه لا يُشبه[١٥] أفعال غيره وأنه لا نظير له في ذلك وأنه يسيرٌ عليه لا حاجة له إلى الوقت والآلة وغير ذلك.

---

[١] ر م - إنما خلقه.
[٢] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[٣] ر م: حد.
[٤] جميع النسخ: من المخلوق على ما يقدروه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ر: الفعل.
[٦] ر م: بالفعل.
[٧] ن: والأحسن.
[٨] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٩] ن ث: فعل.
[١٠] ر م: وخاتمه.
[١١] ر: القدر.
[١٢] ر م: ولا نظير له.
[١٣] ر: تسمية.
[١٤] ر: في ألوهية وربوبية.
[١٥] ر ث م: لا يشبهه.

ألا ترى أنه قال: **كلمح بالبصر**، يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته[1] من حيث لا يَثقُل على أحد رد البصر ولا لَمْحُه. هذا وجه. والثاني[2] فيه إخبار أنه لا يشغله شيء، لأن الناس يشغلهم بعض[3] أمورهم عن بعض.

وأهل التأويل يصرفون الآية إلى الساعة كقوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[4] وهو محتمل، فيُخبر أن أمر[5] الآخرة ليس على تقدير أمر الدنيا على إتْباع بعض بعضا وعلى إرداف شيء على شيء وعلى الانتقال والتغيير من حال إلى حال ولكنّ أمر الآخرة على التكون بمرة واحدة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر**، يحتمل قوله: **أشياعكم**، على وجهين. أحدهما إخوانكم / وأهلَ دينكم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام، فاذَّكروا[6] أنتم [٧٦٧و] يا أهل مكة لأن لا تَهلِكوا بتكذيبكم محمداً[7] صلى الله عليه وسلم. والثاني أي ولقد أهلكنا أشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مدّكر، يتذكر ويتعظ ويعتبر به. وجائز أن يكون معناه: ولقد أهلكنا جنسكم. والحكيم لا يخلق الخلق للفناء والهلاك فاعلموا أنه أنشأكم لعاقبة.[8] وفيه إثبات البعث لكنه لا يدركه أفهام الكفرة وعقولهم. ***والله أعلم***.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، يخرج هذا أيضا[9] على وجهين. أحدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب المتقدمة، أي عن علم بصنيعهم وفعلهم أنشأهم وبعث إليهم الرسل، وهو رد على من يقول: إنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يكون منهم ذلك،

---

[1] ر: وسهولة.
[2] ر م: الثاني.
[3] ر: بعد.
[4] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[5] ر م – أمر.
[6] ر ث م: واذكروا؛ ن: فادكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[7] ر ث م: محمد.
[8] ر: العاقبة.
[9] ن – أيضا.

لأنه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل أن يبعث الرسل عليهم السلام إليهم ويأمرهم وينهاهم وهو يعلم أنهم يكذّبون[١] رسله ويخالفون أمره. فرد عليهم وبين أنه لم يزل عالما بما كان ويكون. وقد بينا قبل هذا أنه تعالى بعث الرسل إليهم وإن علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لأن المنافع والمضارّ راجعة إليهم دونه. *والله أعلم*. و[الثاني] جائز أن يكون معناه: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، أي في الكتب التي تكتب[٢] عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة، كقوله: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[٣]

## ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **وكل صغير وكبير مستطر**، هذا أيضا يخرج على هذين الوجهين. أحدهما **مستطر**، في الكتب التي قبلهم، أو في الذين يُملُون على[٤] الحفظة، كقوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[٥]

## ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٥٤]

[هذا للمتقين مقابلَ ما ذكر لكفرة، حيث قال: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ[٦] وقال في موضع آخر: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ].[٧] ثم اختلف في تأويل قوله:[٨] **ونَهَر**، قيل: نَهَر من النهار،[٩] أي هم في ضياء ونور وسرور، وهو قول الأصم. وقال الفراء: النهر السعة، يقال: أَنْهرتُ الطَّعْنة، أي وسعتها.[١٠] وقال أهل التأويل: أي الأنهار.

---

[١] ر م: يكونون.
[٢] جميع النسخ: يكتب.
[٣] سورة الإسراء، ١٤/١٧.
[٤] ر: يملونه من.
[٥] جميع النسخ + وقوله عز وجل ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار﴾ وقال في موضع آخر ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾. وهاتان الآيتا متعلقتان بالآية التالية، كما سيأتي. سورة ق، ١٨/٥٠.
[٦] الآية ٤٧ و٤٨ من هذه السورة.
[٧] سورة الزخرف، ٧٤/٤٣. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[٨] ر + قوله.
[٩] ر م: من النار.
[١٠] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٥.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **في مقعد صدق**، أي موعود صِدْقٍ، كأنه كناية عن راحة وسرور لهم، كقوله: كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا،[١] أخبر أنهم يستريحون فيها ويَسكنون[٢] ويَقِرّون لا يريدون التحول منها. وهو مقابل ما ذكر[٣] للكفار: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[٤] أي يُجَرُّون، وقوله[٥] عز وجل: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[٦] وقوله تعالى: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا،[٧] يطلبون الخروج منها؛ وأخبر أنهم يكونون أبدا في عناء وشدة وبلاء حتى لا يَقِرّون في مكان. وعلى هذا يخرج قوله: أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[٨] أي لهم موعود صدقٌ عند ربهم، أي تَقر[٩] أقدامهم في ذلك، فيكون هو كناية عن الثبات.

وقوله عز وجل: **عند مليك مقتدر**، إن الرجل إذا كان في فضل[١٠] وخير يضاف بكونه فيه[١١] إلى الله تعالى، نحوَ ما يقال: "في سبيل الله"[١٢] و"وفود الله" وغير ذلك من الأمكنة التي هي أمكنة الفضل والخير يضاف إلى الله نحو بيت الله ومساجد الله لأنها أمكنة القرب والفضل. فعلى ذلك قوله: **في مقعد صدق عند مليك مقتدر**، أضاف كونهم[١٣] في أمكنة الفضل والخير والمنزلة إلى الله تعالى،[١٤] لا أنه يوصف بمكان أو مقام بل هو ممسك الأمكنة كلها ومنشئ الأزمنة بأسرها. ***والله أعلم***.[١٥]

---

[١] سورة الكهف، ١٨/١٠٧.
[٢] ر م: أو يسكنون.
[٣] ن – ما ذكر.
[٤] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٥] ث: قوله.
[٦] سورة المدثر، ٧٤/١٧.
[٧] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠٧.
[٨] سورة يونس، ١٠/٢.
[٩] جميع النسخ: يقر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[١٠] ن: في فعل.
[١١] ن – فيه.
[١٢] م: في رسول الله.
[١٣] جميع النسخ: بكونهم.
[١٤] جميع النسخ: عند الله تعالى.
[١٥] ر ن ث: والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الرحمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الرَّحْمٰنُ﴾[١] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[٢]

قوله عز وجل: **الرحمن علم القرآن**، قد عرفت العربُ وعلمتْ أن الرحمن على ميزان فَعْلان مشتق من الرحمة، لكن أحدا[2] من الخلائق لا يبلغ في الرحمة[3] مبلغا يستحق التسمية[4] به رحمانا. لذلك[5] خص الله تعالى نفسه بتسميته رحمانا وإن كان مشتقا من[6] الرحمة كالرحيم وجاز[7] تسمية غيره رحيما. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **علم القرآن**، ذكر أن **الرحمن علم القرآن**، ولم يذكر لمن علمه. فجائز[8] أن يكون المراد منه أنه تبارك وتعالى علم القرآن رسولنا صلى الله عليه وسلم. ثم يُخرّج ذلك على وجوه. أحدها أنه أمر[9] جبريل عليه السلام حتى علمه، كقوله:[10] عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ،[11] لكن خرجت الإضافة إلى الله تعالى لما أنه علمه بأمره.

---

[1] ر - سورة الرحمن؛ ن: ذكر أن سورة الرحمن مكية وقيل مدنية؛ ث + وهي ست وستون آيات مكية؛ م + مكية وقيل مدنية.

[2] جميع النسخ: أحد.

[3] ر م: في الرحمن.

[4] ر م: تسمية.

[5] ر: كذلك.

[6] ث - مشتقا من.

[7] م: وجائز.

[8] جميع النسخ: فجاز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.

[9] ر م - أمر.

[10] ر ث م - علمه كقوله.

[11] سورة النجم، ٥٣/٥-٦.

والثاني أضاف التعليم إلى نفسه لما أنه هو الذي أثبته في قلبه حتى لا ينساه، كقوله عز وجل: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى،[1] وقوله تعالى: لَا تُحَرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[2] وقوله: كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.[3]

والثالث أضاف إلى نفسه وإن علمه جبريل عليه السلام لأنه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾[٣] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان علمه البيان**، قال بعضهم: **خلق الإنسان**، أي آدم عليه السلام، **وعلمه البيان**، أي الأسماء التي ذكر في آية أخرى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا،[4] إذ لا سبيل إلى معرفة[5] الأسماء إلا بالتلقين ليس كالأشياء التي تعرف وتدرك[6] بالاستدلال. ويحتمل أن يكون

[٧٦٧ظ] المراد بقوله تعالى: **خلق الإنسان**، / أي خلق كل إنسان، **وعلمه البيان**، أي علمه بيان ما يمتحنهم به من الأمر والنهي ليعلم أنه لم يخلق الإنسان ليتركه[7] سُدًى. ويحتمل علّم كل إنسان ما غاب عنهم حتى عرفوا بما شاهدوا من الطعم واللون[8] واللذة طعم ما غاب عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا بما شاهدوا.[9] ويحتمل الاستدلالَ بالشاهد على معرفة الله تعالى، وهو أنهم لما شاهدوا الإنسان[10] محتاجا عاجزا محاطا بالحوائج والحوادث عرفوا أن له خالقا عالما قادرا أنشأه كذلك. ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيانَ القرآن وذلك راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه علمه[11] القرآن، وعلمه البيان، هو بيان القرآن حتى يبين[12] للناس

---

[1] سورة الأعلى، ٦/٨٧.
[2] سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٧.
[3] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[4] سورة ابقرة، ٣١/٢.
[5] ر: المعرفة.
[6] جميع النسخ: يعرف ويدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[7] م: ليترك.
[8] ر ث م: من اللون والطعم.
[9] جميع النسخ: بما شاهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: الأشياء. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: علم.
[12] ن: تبين.

كلَّ ما يحتاجون إليه وما لهم وما عليهم. وجائز أن يُصرَف بعضه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ،[١] وبعضه إلى آدم عليه السلام وهو قوله: **خلق الإنسان علمه البيان**، وتفسيره ما ذكرنا. وقال بعضهم: **خلق الإنسان**. آدم، **وعلمه البيان**، بيان الدنيا والآخرة. وجائز أن يكون **خلق الإنسان**. كلَّ إنسان علّم القرآن **وعلّمه البيان**. أي علّم شيئا من بيان القرآن من الأحكام[٢] والشرائع ونحو ذلك. وقال القُتَبي: **علمه البيان**، أي الكلام.[٣] *والله أعلم*.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **الشمس والقمر بحسبان**، قال أهل التأويل [فيه][٤] بوجهين. أحدهما أي يُحتَسب بهما عددُ الأوقات والأزمنة ويعرف بهما حساب ذلك. والثاني يحسب بهما حساب[٥] منازلهما التي يَطلُعان منها ويغيبان فيها ومجاريهما[٦] التي[٧] يجريان فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف. وقال أبو عَوْسَجة: قوله:[٨] **بحسبان**، جمع الحساب. وقال القُتَبي: **بحسبان**، بحساب ومنازل لا يعدونها.[٩] وفيه زيادة معنى أن الله تعالى جعلهما بحيث تُعرَف[١٠] بهما حقيقة أعين الأشياء لما جعل فيهما من النور والضياء الذي بهما[١١] يتجلى للخلق الأشياء المستورة. فيقال لمنكري الرسالة وتفضيل بعض البشر على بعض: لمّا شاهدتم أشياء خُصّت بفضل ضياء وتجلّ[١٢] لم يكن ذلك لغيرها فلِمَ أنكرتم فضل بعض البشر بفضل بيان وعلم ورسالة؟[١٣] *والله أعلم*.

---

[١] الآية ١-٢ من هذه السورة.
[٢] م: والأحكام.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٦.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[٥] ن + منازل.
[٦] ر: ومجازيهما.
[٧] ر ث م - التي.
[٨] ن - قوله.
[٩] ر ث م: لا يعدوا بها؛ ن: لا تعدونها. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٦.
[١٠] جميع النسخ: يعرف.
[١١] جميع النسخ: بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[١٢] ن ث م: وتجلى.
[١٣] ر م: وعلم رسالة.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والنجم والشجر يسجدان**، النجم يحتمل وجهين. أحدهما الكواكب، فإن كان هو المرادَ فكأنه يقول: يسجد له ما به زينة السماء [وهو الكواكب][١] وما به زينة[٢] الأرض وهو الأشجار.[٣] ويحتمل النجم كل نَبْت يَنْبُت في الأرض لا ساق له والشجرُ هو الذي له ساق، كأنه يقول: يسجد له كل ما يظهر من الأرض ويخرج، ما ارتفع وعلا وما لم يرتفع. ثم سجودهما يحتمل وجوها. أحدها[٤] سجود خلقة، قد جعل الله تعالى في خِلْقة.[٥] كل شيء دلالة السجود له والشهادةَ له بالوحدانية.

والثاني سجود هذه الأشياء المواتِ طاعتُها له عن اضطرار وتسخير، نحوَ قوله تعالى: اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.[٦]

والثالث سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سِرِّية[٧] هذه الأشياء معنى يسجدون به لله تعالى يعلمه هو ولا يعلمه[٨] غيره، كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[٩]

وقال بعض الناس: سجودهما هو تمثيل ظلالهما،[١٠] كقوله تعالى: يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ.[١١]

ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الآية وأمثالها مما فيه[١٢] ذكر سجود الموات وطاعتها لأنها[١٣] مواتُ ليست بأهل للسجود[١٤] وإنما سجودها عن اضطرار، وكل[١٥] مخلوق في معناه

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[٢] ن – زينة.
[٣] جميع النسخ: وهي الكواكب وهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ن: أحدهما.
[٥] ث: في خلقه.
[٦] سورة فصلت، ١١/٤١.
[٧] ر م: في سيرته؛ ث: في سيرة.
[٨] ر: يعلم.
[٩] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[١٠] ر ث م: ظلاها.
[١١] ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾ (سورة النحل، ٤٠/١٦).
[١٢] ر م – فيه.
[١٣] ن: لا أنها.
[١٤] ر م: السجود.
[١٥] ر م: كل.

في الدلالة على السجود. وإنما يلزم السجود بتلاوة آيات ذكر فيها سجود مَن هو من أهل السجود. *والله أعلم*.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **والسماء رفعها**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أراد حقيقة الرفع أي رفعها بلا عمد من الأسفل ولا تعليق من الأعلى، أي أنشأها كذلك مرفوعة لا أن كانت موضوعة فرفعها وأمسكها كذلك، ليعلم أن قدرته خلاف قدرة الخلق وقوتهم.[١] والثاني **رفعها**، أي رفع قدرها ومنزلتها في قلوب الخلق حتى يرفعوا[٢] أيديهم وأبصارهم إليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الأرزاق والبركات التي تنزل من السماء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووضع الميزان**، يحتمل حقيقة الميزان[٣] الذي يزن الناس به الأشياء وبه يتحقق الإيفاء والاستيفاء. امتحنهم بذلك ليعرفوا[٤] بذلك قبح التقصير فيما أمروا به والمجاوزةِ عما نُهوا عنه. وذلك يحتمل في الأحكام والشرائع والتوحيد وصرف الألوهية والعبادة إلى غير الذي يستحقه ليعلموا التقصير في ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل المراد بالميزان[٥] الأحكام التي وُضعت بين الخلق والشرائعَ التي جعلت عليهم ليقوموا بوفائها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي عن حدودها. وقيل: الميزان العدل وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*. وذكر أن الموازين ثلاثة. أحدها العقول وهي التي يعرف بها محاسن الأشياء ومساوئها وقبح الأشياء وحسنها. والثاني الميزان الذي جُعل بين الخلق لإيفاء الحقوق والاستيفاء. والثالث الذي جعل في الآخرة ليُوفَّى[٦] به ثواب الأعمال وجزاؤها. *والله أعلم*.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[٨] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٩]

[٧٦٨و] وقوله عز وجل: / **ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**، قوله: **ألا تطغوا في الميزان ... ولا تخسروا**، أي لا تنقصوا في الميزان. وقوله: **وأقيموا الوزن**،

---

[١] ن: وقوهم.
[٢] ر: يرفعها.
[٣] ر - يحتمل حقيقة الميزان.
[٤] ن: ليوفوا.
[٥] ر ن م + أن.
[٦] جميع النسخ: ليوفا. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨١ظ.

أَمَر بإقامة الوزن، والإتمام في الوزن أَمْرٌ بالإتمام ونهي عن النقصان، والأمر بالشيء نهي عن ضده، وهاهنا جمع بينهما صريحا تأكيدا لباب الوزن والميزان. وإنه[1] يحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا. وعن قتادة: كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: يا معشر الموالي إنكم قد وُلِّيتم أمرين بهما[2] هلك الناس قبلكم هو المِكْيال والميزان.[3] وقال مجاهد في قوله تعالى: **وأقيموا الوزن بالقسط**، أي الميزانَ[4] باللسان،[5] أي لسان الميزان. وقيل: لابن عمر رضي الله عنهما: إن أهل المدينة لا يُوفُون الكيل. قال: وما يمنعهم وقد قال الله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ؟[6]

### ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **والأرض وضعها للأنام**، قال بعضهم: الأنام[7] هو كل ذي روح، وقال بعضهم: الأنام هو جميع الخلق. ولكنْ عندنا الأنام كأنه البشر هاهنا[8] لأنه أخبر أن الأرض أنشأها للبشر: وضعها[9] لهم، وهو ما ذكر في مواضع: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ،[10] وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ[مَا فِي] الْأَرْضِ [جَمِيعًا مِنْهُ].[11]

### ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام**، يذكِّرهم نعمه[12] التي أنشأها[13] لهم في الأرض من الفواكه وأنواع الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوتا. وقوله عز وجل: **ذات الأكمام**، أي ذات الغُلُف[14] والأغطية.

---

[1] ر م – أنه.
[2] ر م – بهما.
[3] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٧/٢٣٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥/٢٨٥.
[4] ر م: في الميزان.
[5] *الدر المنثور* لسيوطي، ٧/٦٩٢.
[6] سورة المطففين، ٨٣/١.
[7] ن: للأنام.
[8] ر م: الآية؛ ث – هاهنا.
[9] ر م: وصفها.
[10] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[11] سورة الجاثية، ٤٥/١٣.
[12] ر ن: نعمة.
[13] ن: أنشأ.
[14] ر ن م: العلف.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[١٢]

وقوله[1] عز وجل: **والحب ذو العصف والريحان**، قرئ الريحان[2] برفع النون وكسرها.[3] فمن كسرها ذهب إلى أن الريحان هو الرزق[4] الذي يرتزقون [به][5] من الحبوب والثمار، والعَصْف الوَرَق. فيكون المعنى والحَبُّ ذو الورق والرزق. ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحَبّ. واختلفوا في تفسير العصف والريحان. منهم من قال: العصف[6] ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرهما، وقيل هو التين، وقيل هو أول ما ينبت من الزرع، وقيل العصف هو الزرع نفسه ولكن أضاف العصف إلى الحب لما منه ينشأ الحب ومنه يخرج. وأما الريحان [قال بعضهم]:[7] هو خُضْرَة[8] الزرع، وقيل هو الذي يُشمّ،[9] وقيل هو الرزق[10] الذي يرتزقون من الحبوب والثمار.[11] كذلك[12] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الريحان هو[13] الحب. وقال القُتَبي: الريحان الرزق، يقال: أُطلب ريحان الله[14] أي رزقه. ***والله أعلم***.[15]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، هذا خطاب للجن والإنس. وفيه دلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا. ألا ترى أنه قال في آية أخرى:[16]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ث م – قرئ الريحان.
[3] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٣.
[4] ر ث: الورق؛ م: العدق.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨١ظ.
[6] ث – العصف.
[7] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[8] ر م: حضرة.
[9] ر ن: يشتم.
[10] ر ث م: الورق.
[11] ر م: في الثمار.
[12] ن: وكذلك.
[13] ن – هو.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٧.
[15] ر م: لله أعلم.
[16] ن – أخرى.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.[1] وقيل: ليس أن يخاطبهما جملة لكن يخاطب كل إنسي وجني في نفسه، كقوله[2] تعالى: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[3] ليس أن قال الفريقان جميعا، كونوا هودا تهتدوا ولكن[4] قال اليهود: كونوا هودا تهتدوا، وقال النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فعلى ذلك هذا. ثم قوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان،** يخرج على وجهين. أحدهما أي لأي آلاء ربكما تكذبان التي ذُكِر من وضع الأرض لكم وجعْل الفاكهة والنخل والحَبّ ونحوِ ذلك أنها ليست من الله تعالى، فإذا عرفتم أنها من الله تعالى فكيف تصرفان الشكر إلى غيره؟ والثاني فبأي نعمه وآلائه[5] تكذبان: التوحيدِ والرسل أو العبادةِ،[6] أي لأي[7] نعمة تكذبان؟[8] وعن جابر[9] بن عبد الله قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها[10] فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا[11] منكم، كلما قرأت عليهم **فبأي آلاء ربكما تكذبان،** قالوا: لا شيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد».[12]

ثم فيما ذكر من قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ،[13] إلى آخره، يذكر نعمه وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته. أما نعمه[14] فإنه بسط الأرض لهم بما فيها ما أحبوا من[15] أنواع الحبوب

---

[1] الآية ٣٣ من هذه السورة.

[2] م: كقو.

[3] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

[4] ن - لكن. صح هـ.

[5] ن: نعمة وآلاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢و.

[6] ن: والرسل له والعبادة. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: لا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر ث م - يخرج على وجهين أحدهما أي لأي آلاء ربكما تكذبان التي ذكر من وضع الأرض لكم وجعل الفاكهة والنخل والحب ونحو ذلك أنها ليست من الله تعالى فإذا عرفتم أنها من الله تعالى فكيف تصرفان الشكر إلى غيره والثاني فبأي نعمه وآلائه تكذبان التوحيد والرسل أو العبادة أي لأي نعمة تكذبان.

[9] ث: عن جابر.

[10] ر ث م - إلى آخرها.

[11] م: ردودا.

[12] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٠/٧.

[13] الآية ١٠ و١١ من هذه السورة.

[14] ن: نعمة.

[15] ر - من؛ ن: فيها أحبوا من؛ ث م: فيها من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢و.

والفواكه التي بها قوامهم والعصف وأنواعِ النبات التي بها قوام دوابهم. وأما بيان قدرته وسلطانه [فإنه] أنشأ هذه الفواكه والحبوب في أكمامها ما يُعجز الخلق عن إحداث شيء وفعله في الغُلُف[١] والأغطية،[٢] ليعلم أن صنعه وفعله خارج عن المعالجات والمماسات التي لا يتحقق مع الأغطية وأن قدرته[٣] وفعله غير مَقيسَين بأفعال الخلق وقدرتهم. وكذلك[٤] الأولاد في البطون والفِراخُ في البيض وأمثالُها في الظلمات ليعلم أنه لا يخفى عليه شيء. ثم أنشأ هذه الثمار والحبوبَ في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحرّ في الأكمام من وراء الحجب وأمسكها فيها في حال ضعفها فإذا اشتدت وقويت[٥] أخرجها من الغُلُف.[٦] وفي[٧] ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه.

وفيه إثبات البعث من وجهين. أحدهما أن من قدر على إنشاء هذه الأشياء لقادر على إعادة الخلق. والثاني أنه لما أنشأ لهم ما ذكر، ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا -وفي الحكمة التفريق بينهما- فلا بد من دار أخرى فيها يفرَّق بينهما.

وفيه لزوم الامتحان إذ لا يحتمل أن ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يستأدي شكر ما أنعم عليهم. ثم معرفة الشاكر[٨] منهم والكافرِ لا تعرف[٩] إلا بمعرِف يُعرِّفهم[١٠] لأن مقدار الشكر وكيفيته لا يعرف بمجرد العقل فيضطرهم إلى رسول يخبرهم عن الله تعالى ذلك،[١١] فيكون فيه إثبات الرسالة.

ثم في إخراج هذه الحبوب والفواكه كلِّها في وقت واحد من المشرق والمغرب على سَنَنٍ واحد في زمان / واحد من غير تفاوت دليلٌ أن علمه وتدبيره أزليان ذاتيان إذ لم يمنعه[١٢] شيء عن شيء. [٧٦٨ظ]

[١] ر م: العلف.
[٢] ر م - والأغطية.
[٣] ر ث م: وأن قدر به.
[٤] ر م: كذلك.
[٥] جميع النسخ: اشتد وقوي.
[٦] ر م: في العلف.
[٧] ر م: في.
[٨] جميع لنسخ: الشكر. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٢و.
[٩] جميع النسخ: لا يعرف.
[١٠] ث - يعرفهم.
[١١] ن - ذلك
[١٢] م: لم يمنعه.

ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر[1] من منافع الأرض بمنافع السماء من غير منع[2] من أحد دليل على وحدانيته، إذ لو كان ذلك فعل عدد ما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو التدافع والتمانع في الأمر القائم بين اثنين عند الاختلاف. **والله الموفق.**

**﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من صلصال كالفخار**، ذكر في خلق[3] الإنسان أحوالا مختلفة، مرة قال: خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ،[4] والتراب هو الذي لم يصبه الماء؛ ومرة قال: خَلَقْتَهُ مِن طِينٍ،[5] والطين هو الذي أصابه الماء واعتجن؛ ومرة قال: مِن طِينٍ لَّازِبٍ،[6] واللازب هو الذي يلتصق باليد ويَلْزَقه وهو الجير[7] الخالص. وقال مرة مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ،[8] وهو الذي اسودّ وتغير[9] لطول المكث. ومرة قال: **من صلصال كالفخار**، والصلصال هو الذي له صوت إذا حُرِّك، وهو من صلصلة الحديد. ويحتمل **صلصال**، أي مُنتِنٍ، يقال: صَلَّ البئر إذا أَنْتَنَ، **والفخار** هو الذي ينكسر[10] إذا يبس.[11] وقال أبو عَوْسَجَة: الفخّار[12] الذي طُبِخ.

فجائز أن تكون[13] هذه الأحوال التي[14] ذكرت على اختلافها في ذلك الإنسان: كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا[15] ثم صار لازبا -لأنه كان من جيّد الطين وحره- ثم صار مسنونا مُنتِنا أسودَ لطول مُكثه، وصلصالا لكثرة[16] تربيته ولجودته يكون له صوت. وتشبيهُه بالفخار يحتمل وجهين.

---

[1] ن: ملك. صح هـ.
[2] ر م: مدخل؛ ث - منع.
[3] ن + ذلك.
[4] سورة آل عمران، ٥٩/٣.
[5] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[6] سورة الصافات، ١١/٣٧.
[7] ر ن ث: احر؛ م: اجر. الجير: الجص، فإذا خلط بالنورة فهو الجيّار (*لسان العرب*، «جير»).
[8] سورة الحجر، ٢٦/١٥.
[9] ن: ويغير.
[10] جميع النسخ: تكسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[11] ن: أنتن.
[12] م + هو.
[13] جميع النسخ: أن يكون.
[14] ن: الذي.
[15] ر م - ثم صار طينا.
[16] ث: لكبره.

أحدهما[١] لتكسُّره[٢] ويُبْسه، أو لأنه كان[٣] ذا جوف كالفخّار، أو لطول المُكْث وكثرة التربية، إذ طين الفخار له هذه الصفات. *والله أعلم*.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وخلق الجان من مارج من نار**، الجان[٤] ذُكر أنه أبو الجن وأنه لفظ الوُحْدَانِ، والجن جماعة؛ وكذا قال أبو عَوْسَجَة: **الجان**، الجن. وقوله: **من مارج من نار**، قال بعضهم: المارج هو لهب النار صافٍ[٥] لا دخان فيه؛ يقال: مَرَجَت النار إذا الْتَهَبَت، فالمارج على هذا هو[٦] النار التي[٧] فارقت الحطب والْتَهَبَت وارتفعت منه. وكذا قال أبو عَوْسَجَة: المارج هاهنا اللهب من قولك مَرِج الشيء إذا اضطرب ولم يستقرّ. وعلى ما قال بعضهم في قوله: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ:[٨] أي خلط وجمع بينهما. يجيء أن يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من الحطب ولا خاليةٍ من الدخان. وكذا قال أبو عبيدة:[٩] **من مارج من نار**، أي من خلطٍ من النار.[١٠] وعلى تأويل من قال في قوله: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، أي أرسل أحدهما في الآخر، فهو يكون من نار منقطعة من الحطب. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، إنما الحاجة إلى معرفة ما أودع من الحكمة فيما ذكر من خلق آدم من التراب وخلْقِ الجان من النار والفائدة في ذلك. *والله أعلم*. يخبر عن قدرته أن من قدر على خلق الإنسان من ذلك التراب وإخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل أن يُعجزه شيء؛ وكذلك ما ذُكر من خلق الجانّ[١١] من النار وإخراج ما أخرج منه من النسل حتى أَخذ الدنيا بأسرها لا يُعجزه شيء، ولا ما لو اجتمع حكماء البشر والجن أدركوا[١٢] المعنى الذي به أنشأ الإنسان منه وأخرج هذا الخلق منه.

---

[١] ن - أحدهما.
[٢] ن: ليكسره.
[٣] ن - كان.
[٤] ر ث م: الآية.
[٥] جميع النسخ: صافي.
[٦] جميع النسخ: هي.
[٧] ن - التي.
[٨] الآية ١٩ من هذه السورة.
[٩] جميع النسخ: أبو عبيد.
[١٠] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٣.
[١١] جميع النسخ: ألوان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[١٢] أي وكذلك لو اجتمع حكماء البشر والجن ما أدركوا.

وفي ذلك وجهان من الحكمة. أحدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث. والثاني أن كل ما ذكر من النقل والتغيير[1] من حال إلى حال وإخراج ما أخرج منه لا يحتمل أن يفعل ذلك عبثا باطلا، ولو لم يكن بعثٌ لكان إنشاء هذا الخلق عبثا باطلا. *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، يقول -والله أعلم-: إذا لم تنكروا شيئا من آلائه أنه ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث وغيره؟

**﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[١٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **رب المشرقين ورب المغربين**، وقال في موضع آخر: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[2] وقد ذكرنا فيما تقدم.[3] ثم دل قوله: **رب المشرقين ورب المغربين**، ورب المشارق والمغارب[4] وذِكرُ الحد لهما أعني الشمس والقمر في الشروق والغروب على أنهما طلعا حيث طلعا[5] بأمر وغربا حيث غربا بأمر، إذ لو كان ذلك لا بأمر لكن بأنفسهما لكانا[6] يطلعان ويغربان في جميع الأوقات والأطراف ولا يرجعان إذا بلغا مكانا ولا يزدادان ولا ينقصان في وقت من الأوقات. ثم هذا كله مُنْشَأٌ للبشر مسخّر لهم. فيقول -والله أعلم-: ما بال المجعول لكم أطوَعُ لله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون أمر خالقهما، وأنتم تجاوزون أمره ونهيه وتتعدون[7] حدوده.

وفي الآية دليل على أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه. ألا ترى أنه خصّ أنه[8] رب المشرقين ورب المغربين[9] ولم يدلَّ على أنه ليس برب ما بينهما، أَوَ ليس برب ما سوى المشارق والمغارب؟ *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: والتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[2] سورة المعارج، ٧٠/٤٠.
[3] انظر تفسير الآية ٥ من سورة الصافات.
[4] ر ث م: ورب المغارب.
[5] ر م - حيث طلعا.
[6] م: لكان.
[7] ر ن م: ويتعدون.
[8] ر م - أنه.
[9] ث: المشرقين.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[١٩]

وقوله: **مرج البحرين**، قيل جمع بينهما وخلط، وقيل أرسل أحدهما في الآخر. وقوله تعالى: **يلتقيان**، قيل: **يلتقيان**، يُماسّ أحدهما الآخر[1] أحدهما العذب والآخر المالح، وقيل: **يلتقيان**، أي يتقابلان.[2]

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[٢٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **بينهما برزخ لا يبغيان**، أي بين البحرين حجاب وحاجز، **لا يبغيان**، قيل: لا يختلطان ولا يمتزجان[3] ولا يتغير طعم كل واحد منهما. / يخبر عن لطفه في منعهما [٧٦٩و] عن الامتزاج ومن طبع الماء الامتزاج والاختلاط. فمن قدر على هذا لا يُعجزه شيء. وقيل: **لا يبغيان**، أي لا يجاوزان حد الله تعالى الذي حد لهما.

ثم اختلف في البحرين. قال بعضهم: أحدهما بحر روم والآخر[4] بحر هند، **وبينهما برزخ**، أي سكان، **لا يبغيان**، أي لا يختلطان، وهو قول الأصم. ومنهم من قال: أحدهما بحر روم والآخر بحر فارس، **بينهما برزخ**، أي جزيرة العرب.[5] وقيل: أحدهما بحر السماء والآخر بحر الأرض، كقوله: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ،[6] **وبينهما برزخ**، وهو الهواء والأرض وسكان الأرض، وهذا أيضا لطف منه تعالى.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٢٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**، منهم من قال: يخرج من العذب والمالح جميعا[7] كما هو ظاهر الآية، ومنهم من قال: يخرجان من المالح خاصة دون العذب وإن كانت[8] الإضافة إليهما وذلك جائز في اللغة، كقوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[9] ولم يأت من الجن رسل، وذلك كثير في القرآن.

---

[1] ر ث م – أرسل أحدهما في الآخر وقوله تعالى يلتقيان قيل يلتقيان يماس أحدهما الآخر.
[2] ر م: يقابلان.
[3] ر ث م: ولا يمزجان.
[4] ث – بحر روم والآخر.
[5] ر: العزير.
[6] سورة القمر، ٥٤/١١-١٢.
[7] ن م – جميعا.
[8] ن: وإن كان.
[9] سورة الأنعام، ٦/١٣٠.

ثم قرئ "يَخرج" بنصب الياء ورفع الراء، وبرفع الياء ونصب الراء،[1] فالأول على جعل الفعل لهما، والثاني على جعل الفعل[2] لغيرهما، كقوله تعالى: وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا،[3] ولم يقل:[4] تخرج[5] منه حلية.

ثم اختلف في اللؤلؤ والمرجان. منهم من قال: اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ، ومنهم من قال: على العكس، وأكثرهم[6] على الأول. كذلك روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك.[7] وكذا قال أبو عَوْسَجة: المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة. وقيل: إن المرجان المختلطُ من الجواهر، من قولهم: مرجت أي خلطتُ. وقيل: إنه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا جاء القَطْر من السماء انفتحت الأصداف فكان من ذلك اللؤلؤ.[8] وقيل: إنما قال تعالى: **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**، وإنما يخرج اللؤلؤ من العذب دون المالح لأن العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب لَقاحا للمالح، كما يقال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما تلده الأنثى. *والله أعلم*.

## ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام**، عن إبراهيم رحمه الله أنه قرأ المنشِئات بكسر الشين.[9]

---

[1] ر م: بنصب ايباء ورفع الياء ونصب الراء. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: ﴿يُخْرَجُ منهما اللؤلؤ﴾ بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الباقون: ﴿يَخْرُجُ منهما﴾ بفتح الياء وضم الراء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٣؛ *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٤).

[2] ر ث م – لهما والثاني على جعل الفعل.

[3] سورة فاطر، ١٢/٣٥.

[4] ن – يقل. صح هـ.

[5] جميع النسخ: تخرج.

[6] م: وأكثر.

[7] *تفسير الطبري*، ١٧٠/٢٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٧/٧.

[8] *تفسير الطبري*، ١٧٢/٢٧.

[9] «أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم النخعي والضحاك أنهما كانا يقرآن ﴿وله الجوار المنشِئات في البحر﴾ قال: أي الفاعِلات» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٨/٧). «قرأ حمزة: ﴿المنشِئات﴾ بكسر الشين. وقرأ الباقون: ﴿المنشَئات﴾ بالفتح» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٤».

وفسر بعض الناس **المنشئات**، أي ظاهراتُ السير. وعن الحسن أنه قرأها بفتح الشين. قال أبو عبيدة:[١] وبها يُقرأ لأن تفسيرها أنها التي قد رُفع قِلْعها[٢] في البحر فهي الآن مفعول[٣] بها. فقيل: المنشئات هي[٤] المرتفعات والتي لم يُرفع قِلعها[٥] فليست بمنشئات. وقيل: المحسوقاتُ. والجواري هي السفن المنشئات. وقوله عز وجل: **كالأعلام**، أي هي في البحار كالجبال في البراري. وقيل: هي[٦] الأعلام أنفسها.[٧]

ثم في هذه الآيات التي ذكرت[٨] وجوه من الحكمة وإثبات القدرة لله تعالى وسبحانه. أحدها أن من قدر على تسخير البحار وإنشاء ما فيها [من المال النفيس][٩] وعلّم إخراج ما فيها للآدمي واتخاذ السفن وإجراءها في البحار للوصول إلى المنافع التي في البلدان النائية لقادر على البعث وغيره. والثاني أن لا سبيل إلى معرفة ما في البحار من الأموال واتخاذ السفن وإجرائها في البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان النائية وما فيها إلا بخبر الرسل. فيقول[١٠] -والله أعلم-: ما بالكم صدّقتم الرسل والأوائل[١١] فيما يرجع إلى منافعكم الدنيوية و لم تصدقوهم فيما يرجع إلى الدين والآخرة من الوعد والوعيد، أو[١٢] يقول: ما بالكم لا تنكرون شيئا من هذه النعم التي جعلها لكم أنها من الله تعالى فكيف تنكرون ما أتاكم به الرسل عليه السلام.

ثم في قوله: **وله الجوارِ المنشَئاتُ**، دلالة نقض قول المعتزلة في إنكارهم خلق أفعال العباد فإنه أضاف السفن إلى نفسه بقوله: **وله الجوار المنشئات**، وقد اتخذها بنو[١٣] آدم بأفعالهم، فلو لم يكن له في أفعالهم صنع[١٤] لكانت السفن لهم لا له. ***والله أعلم***.

---

[١] ن ث: أبو عبيد.

[٢] القِلْع: شِراع السفينة، وجمعه: قُلُوع، وقِلاع، وقِلَعة (*لسان العرب*، «قلع» و*المعجم الوسيط*، «قنع»).

[٣] ر م: مقلوع.

[٤] جميع النسخ: وهي.

[٥] ر: لم يرتفع قنعهما؛ ث م: لم يرتفع قلعها.

[٦] ر م: قيل وهي؛ ث: وقيل وهي.

[٧] ر م: أنفسهما.

[٨] ن ث: ذكر.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٣و.

[١٠] ن: فنقول.

[١١] ر م: أو الأوائل.

[١٢] ن + أو.

[١٣] ث: سوا.

[١٤] جميع النسخ: صنعا. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، إذا[1] لم تكذّبا[2] شيئا من آلاء ربكما أنه من الله تعالى ولم تكذبا[3] ما أتاكم من الأخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبان أخبار الرسل بعد ما جاءوا بالآيات والحجج.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٢٦] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**، يحتمل وجوها. أحدها أي مُلْكُ كلِّ مَن في الأرض فانٍ ويبقى ملك ربك أبدا دائما. والثاني يحتمل: سلطانُ كل من عليها أو قوة كل من عليها وقدرته فانٍ ويبقى سلطان ربك وقدرته وربوبيته ليعلم أن ملكه وسلطانه وقدرته[4] بذاته لا بالخلق حتى يكون فناؤهم وذهابهم يُدخِل نقصا أو وهنا في ملكه خلافَ مُلك ملوك الأرض وسلطانهم. وجائز أن يكون قال هذا على الإياس للكفرة وقطع الرجاء عن عبادة من عبدوا دونه من الأصنام والملوك والرؤساء وما يخدمونهم، كأنه[5] يقول: كل من عُبد دونه أو خدم أو عمل لا لوجه الله فكله فانٍ ذاهب إلا ما عُمل لوجه الله فإنه باق. *والله أعلم*.

[٧٦٩ظ] / والباطنية يقولون: **كل من عليها فان**، أي النفس الجسدانية ويبقى النفس الروحانية أبدا، لأنهم يقولون: إذا فنيت هذه الأجساد[6] ينشئ الله تعالى من أعمالهم الصالحات[7] أنفسا روحانية يبقى أبدا.

ويحتمل **وجه ربك**، أي كُلُّ ما يُطلب من العمل وغيره رضاءُ الله تعالى فكَنى بالوجه عن الرضاء. وقوله عز وجل: **ذو الجلال والإكرام**،[8] يخرج على وجهين. أحدهما على الخلق[9]

---

[1] ن: إذ.
[2] ر م: لم يكذبا.
[3] ر م: ولم يكذبا.
[4] ر ث م - وقدرته.
[5] ر م: كأنهم.
[6] ن - الأجساد.
[7] ن: الصالحة.
[8] ر م - ذو الجلال والإكرام.
[9] ر م: على خلق.

إجلالُ حق الله وأمره وتعظيم ذلك. والثاني أي[1] يُجلّ الله تعالى من شاء من خلقه، أي منه إجلال من جلّ في الدنيا وإكرام من أُكرم في الآخرة. *والله أعلم.*

**﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٠]**

وقوله عز وجل: **يسأله من في السماوات والأرض**، يخبر الله عز وجل عن فزع أهل السماء وأهل الأرض إليه عند الإياس عن الخلق[2] وانقطاع الرجاء عنهم.[3] يذكر أنه المفزع في الأحوال كلها وللخلائق كلهم ومنه يسألون الرزق والنجاة، وهو ما ذكر: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، الآية، وقوله عز وجل: قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ،[4] وقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[5] وقوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ.[6] [جائز أن يكون][7] هذا صلة قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ.[8] يقول -والله أعلم-: شأنه وأمره باقٍ دائمٌ أبدا وذهابُ الخلق لا يُدخل نقصا في شأنه وأمره ولا وَهْنا في سلطانه وملكه، بل هو في شأنه وأمره عند فنائهم كهُوَ في حال قيامهم.[9] وجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل: إن اليهود قالت: إن الله تعالى استراح يوم السبت لا يقضي بشيء ولا يحكم ولا يأمر ولا يفعل فعلا، فنزلت الآية عند ذلك: **كلَّ يوم هو في شأن**، من إحداث وإفناء وإحياء وإماتة.

وأصله أن الله تعالى إذا وُصف بشيء يوصف بالأزل يقال: عالم لم[10] يزل قادر لم يزل[11] رازق بذاته لم يزل. وإذا ذكر بأمر أو تدبير[12] مضاف إلى الخلق يوصف على ذكر الوقت

---

[1] م: أن.
[2] ن - عن الخلق.
[3] ر ث م + وهو.
[4] سورة الأنعام، ٦/٦٣-٦٤.
[5] سورة الزمر، ٣٩/٨.
[6] ﴿وإذا مسكم الضُّرُّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٦٧).
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٣ظ.
[8] الآية ٢٦ و٢٧ من هذه السورة.
[9] ر ث م: فنائهم.
[10] ن - لم.
[11] ن + خالق.
[12] ر ن م: وتدبير.

فيكون الوقت للخلق لا له، نَحوَ أن يقال: إن الله تعالى لم يزل عالما[1] بجلوسك هاهنا أو في هذا الوقت،[2] أي لم يزل عالما أن تجلس[3] الآن أو تجيء[4] الآن أو في هذا الوقت. وإذا وصفته بالماضي قلت: لم يزل عالما بما كان، وبالمستقبل: لم يزل عالما بما يكون أنه يكون في وقتٍ كذا. وللحال: لم يزل عالما بكونه كائنا للحال، ونحو ذلك، نفيا لوهم الخلق أن المخلوق كيف يكون في الأزل.[5] فعلى ذلك قوله عز وجل: **كلَّ يوم هو في شأن**، ذكر اليوم والوقت لئلا يتوهم تَكَوُّن[6] الخلق قديما. ***والله أعلم***.[7]

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[٣١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **سنفرغ لكم أيها الثقلان**، الآية،[8] قرئ سنفرغ بالنون والياء برفع الراء في الحالين. قال أبو عبيد: بالياء نقرأها[9] كقوله تعالى: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] ذكر على المغايبة فكذلك هذا الذي بُنِيَ عليه. قال الزجاج قوله تعالى: **سنفرغ لكم**، ليس هو الفراغَ عن الشغل لكن كما يقول الرجل لآخر: سأفرغ لك[11] كذا أي سأجعل لك، أو كلام نحوه.[12] ومنهم من يقول هذا على الوعيد في كلام العرب، يقول الرجل: سأفرغ لك وإني لفارغ، على الوعيد. وقال أبو بكر الكيساني: إن الفراغ ليس يستعمل في الفراغ[13] عن الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره من نحو إنجاز ما وعد وأوعد؛ كأنه قال: سنُنجز لكم ما أوعدتكم: **أيها الثقلان**.

---

[1] ر ث م: عالم.
[2] ن – الوقت.
[3] جميع النسخ: يجلس.
[4] جميع النسخ: أو يجيء.
[5] ر ث م: في الأول.
[6] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٣ظ.
[7] ن ث: والله الموفق.
[8] ن – الآية.
[9] جميع النسخ: يقرأها. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[11] ن: لكم.
[12] «وقال الزجاج: الفارغ في اللغة على ضربين، أحدهما الفراغ من شُغلٍ، والآخر القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي قد زال شغلي به، وتقول: سأتَفرغ لفلانٍ، أي سأجعل قصدي له» *معاني القرآن* للزجاج، ٩٩/٥؛ و*بحر العلوم* للسمرقندي، ٣٠٨/٣).
[13] ر ث م: عن الفراغ؛ ن: غير الفراغ.

وعندنا أن الفراغ هو[1] اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ عن الشغل. يقال: فلان فرغ من شغله[2] إذا فرغ من بناء داره إذا أتمه وانقضى[3] ذلك. ألا ترى أنه وإن فرع من شغل تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول بغيره،[4] دل أنه ليس باسم لفراغ من الشغل إذ لو كان اسما لفراغ من الشغل لا يوصف به وهو مشغول بغيره،[5] دل أنه اسم للتمام والانقضاء. لكن فَهِمَ الخلق بعضهم[6] من بعض الفراغ من الشغل لما أن فعلهم للشيء لا يتتم إلا بالشغل[7] في ذلك ففُهِم[8] ذلك من فعلهم. فأما الله سبحانه وتعالى حيث لا يَشغله فعل عن فعل ولا شيء عن شيء لم يجز أن يُفهَم من فراغه الفراغ[9] من الشغل.[10] ***وبالله العصمة والتوفيق.***

**﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[٣٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**، له تأويلان. أحدهما كأنه يقول: لو مُكِّن لكم النَّفاذ من أقطار السماوات والأرض ونواحيها فتَنفذون[11] فتجدون هنالك وتَرَون[12] من آيات مَن كذّب بالرسل[13] وما حل بهم بالتكذيب. ثم قال: **لا تنفذون إلا بسلطان**، أي لا تنفذون لو مُكِّن لكم من النفاذ إلا[14] وتجدون[15] حجج من أُهلك منهم ظاهرةً أنه بم[16] أهلكهم.

---

[1] ر م: هم.
[2] ن + يقال.
[3] ر: وانقض.
[4] ن: لغيره.
[5] ر: مشغوله بغيره؛ ث: مشغول لغيره.
[6] ث - بعضهم.
[7] ن: لا بالشغل.
[8] ث: وفهم.
[9] ر ث م - الفراغ.
[10] ر م + فراغه.
[11] م - فتنفذون.
[12] جميع النسخ: فتجدوا هنالك وتروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[13] م: الرسل.
[14] ر: الذي.
[15] ن: ويجدون.
[16] ن: ظاهره أنه ثم؛ م: ظاهره أنه بم.

وهو كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[1] أمرهم بالسير في الأرض والتدبر في آثار من أهلك بماذا أُهلك من أهلك منهم وبماذا نجا من نجا منهم.[2] *والله أعلم*. والثاني على الإعجاز، أي لا تستطيعون أن تخرجوا[3] أو تنفذوا[4] من أقطار السماوات والأرض، ولو مُكِّن لكم من النفاذ والخروج منها لوجدتم ثَمَّ سلطاني وحجتي وملكي هنالك قائما. أي لا تقدرون الخروج من سلطاني وملكي حيث ما كنتم. بل حيث ما سرتم وكنتم
[٧٧٠و] كنتم[5] في سلطاني وملكي فلا تتخلصون[6] / من الموت والهلاك، وهو كقوله تعالى: فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ،[7] الآية.[8]

وقال الضحاك في حرف ابن مسعود رضي الله: **يا معشر الجن والإنس**، قد جاء أجلكم فانفذوا من أقطارهما[9] **لا تنفذون إلا بسلطان**، يعني أنه لا يجيركم[10] أحد من الموت وأنتم ميتون، أي لا تأتون[11] قُطْرا من أقطار السماوات والأرض إلا تجدون هنالك سلطان الله وملكوته.[12] يقول: لا تستطيعون فرارا من الموت ولا محيصا وإن نفذتم[13] من أقطار السماوات والأرض فلم تخرجوا من سلطاني[14] وأنا آخذكم بالموت حيث كنتم، وهو كقوله: [أَيْنَمَا تَكُونُوا] يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ.[15] وقال بعضهم:[16] يبعث[17] الله تعالى ملائكة

---

[1] سورة الأنعام، ٦/١١.
[2] ر ث م – منهم.
[3] ن: لا يستطيعون أن يخرجوا.
[4] ر: وينفذون؛ م: أو ينفذوا.
[5] ر م – كنتم.
[6] ن: يتخلصون.
[7] ﴿وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣٥).
[8] وفي *الشرح*: أي لا تستطيع ذلك. فعلى هذين التأويلين يخرج الآية. والله أعلم. ورقة ١٨٤و.
[9] ر: من أقطارها.
[10] جميع النسخ: لا يخبركم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: لا يأتون.
[12] جميع النسخ: وملائكته.
[13] ر: ولا محيطا وإن نفذتم؛ ن ث: ولا محيصا وإن تقدمتم.
[14] ر م: من سلطان.
[15] سورة النساء، ٤/٧٨.
[16] ن: وقال تعالى.
[17] ر م: نعث.

عند الحشر فتحيطون[1] بالدنيا يكونون[2] في أقطارها،[3] فلا يستطيع[4] شيطان ولا إنس ولا جان أن يخرج من الأقطار ولو خرجوا كانوا في سلطان الله. وقيل: **إلا بسلطان**، أي بحجة،[5] وقال قتادة: إلا بملك،[6] وقال بعضهم:[7] إلا بقدرة الله تعالى.[8] *والله أعلم*.

**﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾[٣٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٦]**

ثم أوعدهم فقال: **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**، قرئ شواظ بضم الشين وكسرها،[9] روي عن الحسن بالكسر، وكذا عن مجاهد. وقرئ **نحاس**، بكسر السين وضمه،[10] فمن رفع **نحاس**، عطفه على قوله: **شواظٌ**، ومن كسره عطفه على قوله: **من نار**. ثم اختلف في تأويل الشواظ والنحاس، عن ابن عباس رضي الله عنه النحاس الدخان،[11] وقيل: الشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان. وعن الكلبي: الشواظ[12] لهب النار، والنحاس الصُّفْر الذي يذاب فيعذبون به. وقيل: الشواظ هو الذي فيه الدخان، والنحاس هو النحاس المعروف يذاب فيُصَبّ[13] على رءوسهم. وقال الضحاك: الشواظ الدخان الذي[14] يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب،[15] والنحاس الصفر. فمن قرأ بالخفض يقول:

---

[1] ن: فيحيطون.
[2] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[3] ر م: في أقطارهما.
[4] ر م: فلا تستطيع.
[5] جميع النسخ: الحجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧٠١/٧.
[7] ر ث م - بعضهم.
[8] ن - الله تعالى.
[9] ن: وكسره. «قرأ ابن كثير ﴿شِواظ﴾ بكسر الشين، وقرأ الباقون ﴿شُواظ﴾ بضمها» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٥/٢).
[10] «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح: ﴿ونحاسٍ﴾ بخفض السين، وقرأ الباقون ﴿ونحاسٌ﴾ برفعها» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٥/٢).
[11] *تفسير الطبري*، ١٨٢/٢٧.
[12] ن - هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان وعن الكلبي الشواظ.
[13] ر م: ويصب.
[14] جميع النسخ: التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[15] *تفسير الضحاك*، ٨٢٠/٢.

لهب من نار ومن دخان، ومن قرأ بالرفع أراد به الصفر. يقول: **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس،** ذائب[1] في النار، وقيل: النحاس في القراءتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر. *والله أعلم.*
وقوله عز وجل: **فلا تنتصران،** قيل: لا تمتنعان من[2] ذلك، ويحتمل: أي لا ناصر لكما كما يكون في الدنيا.

فإن قيل: إنه قد ذكر في أول الآيات الآلاء[3] والنِّعَم فقرن بآخرها[4] **فبأي آلاء ربكما تكذبان،** وقد انقطع ذكر الآلاء هاهنا وذَكَرَ[5] المواعيد في هذه الآيات، فما فائدة قِران قوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان** بآخرها؟ قيل: إن في الوعد ترغيبا وفي الوعيد ترهيبا. فيَرغب[6] في الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع ويمتنع عما يوعَد، فيكون في ذلك نعمة عظيمة، إذ بالوعد والوعيد يتم المحنة وبالمحنة[7] يتم النعمة، لذلك ذكر على إثر الوعيد: **فبأي آلاء ربكما تكذبان.**[8]

**﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٣٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٨]**

وقوله عز وجل: **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان،** يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك اليوم، وهو كما ذكر من تبديل السماء والأرض حيث قال: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ،[9] وقوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[10] وغير[11] ذلك من الآيات؛ وكذلك ما ذكر من تغيير الجبال من قوله: هَبَاءً مُنبَثًّا،[12] وقوله: كَثِيبًا مَهِيلًا،[13] وقوله: كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ،[14] ونحو ذلك.

---

[1] جميع النسخ: ذاهب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[2] ن: لا يمتنعان من ذلك؛ م: لا تمتنعان عن ذلك.
[3] ر: آلاء.
[4] ر م: بأحدهما؛ ن ث: بأحدها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن: فذكر.
[6] ر ث م: فرغب.
[7] ر ث م: والمحنة.
[8] ن + والله أعلم.
[9] سورة إبراهيم، ٤٨/١٤.
[10] سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١.
[11] جميع النسخ: في غير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[12] جميع النسخ: هباء منثورا. والتصحيح من المرجع السابق. سورة الواقعة، ٦٥/٥٦.
[13] ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).
[14] ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ٥/١٠١).

ثم قوله تعالى: **فكانت وردة كالدهان**، منهم من قال: شبه السماء لكثرة تلونها بالفرس[1] الوَرْد يكون في الربيع بلون ثم يصير[2] إلى لون آخر ثم إلى آخر، فعلى ذلك ما ذكر من تغيير السماء وتلونها. ومنهم من قال: شبهها بالدهان وهو الدُّهن لِلينها وضعفها، وهو كما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ.[3] والمهل هو دُرْدِيّ الزيت، لكن التشبيه بالمهل إنما يكون لكثرة التلون لا للين[4] فيكون في هذا التأويل نوع وهْيٍ.[5] *والله أعلم*. وقيل: إنها[6] تَحْمَرّ[7] وتذوب كالدهن. وروي أن سماء الدنيا من حديد فإذا كان يومُ القيامة صارت من الخُضْرة إلى الاحمرار من حر جهنم كالحديد إذا أُحمي بالنار. ثم قال بعضهم: الدِّهان جمع الدُّهْن، ويقال: الدهان الأديم الأحمر. *والله أعلم*.

**﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[٣٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: أي لا يسأل إنسي ولا جني عن ذنب غيره إنما يسأل [كل][8] عن ذنب نفسه، نحو أن لا يُسأل من أضل غيره عن ضلال ذلك الغير إنما يسأل الذي أضله عن إضلاله ويسأل الضال عن ضلاله، كقوله: رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا،[9] الآية. ومنهم من قال: لا يسأل بعض عن بعض، أي لا يسأل جني عن ذنب إنسي ولا إنسي عن ذنب جني. ومنهم من قال: لا يسألون سؤال استخبار واستفهام، أي: لماذا فعلتم ما فعلتم، ولكن يسألون لم فعلتم؟

---

[1] جميع النسخ: بفرش. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ. «معنى ﴿وَرْدَةً﴾ صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى ﴿كالدهان﴾ تَتَلوَّن من الفزع الأكبر تَلَوُّنَ الدهان المختلفة، والدِّهان جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله ﴿يوم تكون السماء كالمُهْلِ﴾ أي كالزيت الذي قد أُغلي. وقيل ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ أي فكانت كلون فرسٍ وَرْدٍ، و[قال] الكميت: الورد يتلوّن فيكون في الشتاء لونه خلاف لونه في الصيف، ويكون في الفصل لونه غير لونه في الشتاء والصيف» (*معاني القرآن* للزجاج، ٥/١٠١).

[2] ن ث: تصير.

[3] سورة المعارج، ٨/٧٠.

[4] ر: لا اللين.

[5] جميع النسخ: وهاء. أي نوع انشقاق.

[6] ر م: إنما.

[7] ر: تخمر؛ م: تحمر.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.

[9] سورة فصلت، ٢٩/٤١.

يطلبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لأن كل ذي مذهب ودين إنما يفعل لحجة تكون له.[1] [ومنهم من قال: لا يسألون في وقت ويسألون في وقت آخر].[2] ومنهم من قال: لا يسألون عن ذنوبهم لما يكون في وجوههم من الأعلام من الاسوداد وزَرَقِ العيون وغير ذلك مما ذكر
[٧٧٠ظ] في الكتاب أنها تكون[3] للكفار، كقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ،[4] وقوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ،[5] الآية؛ وما ذَكَر من أعلام المؤمنين من قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[6] وقوله تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ] ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ.[7] وقال بعضهم: لا يُسأل الملائكة عن المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم.[8]

**﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٤١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **يعرف المجرمين بسيماهم**، ذكر الله تعالى في كتابه للمجرمين أعلاما يعرفون في الآخرة بها على ما ذكرنا من اسوداد الوجوه وقال: [قُلُوبٌ] يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ،[9] وقال:[10] نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا،[11] أي على أعقابها. فهو -والله أعلم- يكون وجوههم في أول الأحوال خاشعة ثم غَبِرَةً[12] ثم مُسْوَدّة ثم تُطْمَس[13] من بعد[14] ذلك. فنعوذ بالله من ذلك[15] الأحوال التي ذكر.

[1] جميع النسخ: يكون له.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[3] ر ث م: يكون.
[4] سورة عبس، ٨٠/٤٠.
[5] سورة آل عمران، ٣/١٠٦.
[6] ن - إلى ربها ناظرة. سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.
[7] سورة آل عمران، ٣/١٠٧.
[8] يشير إلى الآية التالية.
[9] سورة النازعات، ٧٩/٨-٩.
[10] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[11] ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ (سورة النساء، ٤/٤٧).
[12] ن: غيده؛ ث: غيره.
[13] جميع النسخ: يطمس.
[14] جميع النسخ: نظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[15] ث: من هذه.

وقوله عز وجل: **فيؤخذ بالنواصي والأقدام**، قيل: يكسر[١] أضلاعهم وظهورهم فيجمع أقدامهم ونواصيهم فيُرْمَى بهم في النار. وقال[٢] بعضهم: يُغَلّ أيديهم إلى أعناقهم ثم يجمع بين[٣] نواصيهم وأقدامهم ثم يدفعون إلى النار.[٤]

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل:[٥] **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون**، أي إذا دُفعوا[٦] على الوصف الذي[٧] ذكر عند ذلك يقال لهم:[٨] هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يطوفون بينها وبين حميم آن**، أي يطوفون بين[٩] جهنم وبين حميم. فيجوز أن يكون كَنّى بجهنم عما يأكلون وهي النار، وبالحميم عما يشربون. كأنه يقول -والله أعلم-: يطوفون بين ما يأكلون وبين ما يشربون، لا يشبعون عما يأكلون ولا يَرْوَوْن عما يشربون، بل كلما أكلوا زاد بهم[١٠] جوعا وكلما شربوا[١١] زادتهم عطشا. والحميم هو الشراب الذي جعل لهم. والآني[١٢] هو الذي قد انتهى حره غايته ونهايته.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٥]

وقوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**،[١٣] ومن الناس من قال في قوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، على إثر الوعيد إنما يقال لهم في الآخرة: أي بأي[١٤] آلاء ربكما تكذبان في الدنيا،

---

[١] ر ن م: نكسر.
[٢] ث: فقال.
[٣] ر ث م: به.
[٤] ن: في النار.
[٥] ن - وقوله عز وجل.
[٦] ر م: وقعوا.
[٧] ر م - الذي.
[٨] جميع النسخ: له. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٤ظ.
[٩] ر: أي بين يطوفون بين؛ ن: يطوفون بينها بين.
[١٠] ر ث م: زادتهم.
[١١] ر م: يشربون.
[١٢] جميع النسخ: والآن. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٥و.
[١٣] ر ث م + الآية.
[١٤] ر م: فبأي.

كقوله عز وجل: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا -إلى قوله- وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[1] الآية.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٤٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل:[2] **ولمن خاف مقام ربه جنتان**، ذكر الخوف عن الْمُقام بين يدي ربه ولم يبين خوفه من[3] ماذا ولا أنه إذا خافه تَرَكَه أو لا؟ فجائز أن يكون ما ذكر من الخوف عن المقام بين يدي ربه ما بيّن في آية أخرى وهو قوله: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى،[4] [قوله: وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى][5] يحتمل وجهين. أحدهما نهي النفس عما تهواه،[6] والثاني منع النفس عن أن تهوى[7] ما نُهيت عنه. *والله أعلم*. وجائز أن يكون في هذه[8] الآية بيان ما ذكر في تلك[9] الآية من الخوف من المقام بين يدي ربه؛ أي خاف مُقام ربه وترك ما همّ من المعصية أو ما هوت نفسه.

ثم لسنا نعرف ما فائدة ذكر الجنتين له، ليس ذلك[10] في ثلاث وأربعٍ. قال أهل التأويل: إنما ذكر جنتين لأن الجنان أربع:[11] جنة عدنٍ وفردوسٌ وجنة المأوى وجنة النعيم. فجنة العدن وجنة النعيم للمقربين والشهداء والصديقين، والجنتان[12] الأخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم أصحاب[13] اليمين.[14] وجائز أن يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون

---

[1] ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم﴾ (سورة الزمر، ٧١/٣٩).

[2] ن: وقوله تعالى.

[3] ر م - من.

[4] ﴿...فإن الجنة هي المأوى﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٤٠-٤١).

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.

[6] ر ن م: يهواه.

[7] ر ن م: يهوى.

[8] ث: أن تكون هذه.

[9] ن: وتلك.

[10] ر م: لك.

[11] جميع النسخ: أربعة.

[12] ر ث م: فالجنان؛ ن: فالجنتان. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر ث: لأصحاب.

[14] جميع النسخ: التميز. والتصحيح من المرجع السابق.

بصره إذا نظر يمينا وشمالا لا يقع إلا على جنته[١] لا يقع على جنة غيره، وكذلك إذا نظر من الأعلى أو من الأسفل يقع بصره على ملكه لا يقع على ملك غيره. فليس ذلك على تحقيقٍ إخبارا عن عدد الجنتين ولكن إخبارا أن بصره حيث نظر لا يقع إلا على ملكه وجنته. *والله أعلم*. والثاني يكون له جنتان[٢] إحدى الجنتين لترك المساوئ والأخرى لإتيان المحاسن.

وذكر القُتَبي عن الفراء في قوله: **ولمن خاف مقام ربه جنتان،** قال قد يسمّي العرب الشيء الواحد باسم الاثنين إذا كان في رءوس الكلام أو مقاطعه[٣] لتحقيق الموافقة في المقاطع. فعلى ذلك جائز أن يكون ذكر **جنتان**، لموافقة مقاطع الآية والمراد منه جنة واحدة. لكن القُتَبي أنكر عيه ذلك، وقال[٤] إنما يقال ذلك إذا انقطع الكلام فأما إذا كان الكلام غير منقطع فإنه لا يقال ذلك.[٥] *والله أعلم*.

ثم سمى البعثَ مُقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا إليه ومصيرا[٦] وبروزا[٧] فهو يخرج[٨] على وجهين. أحدهما أنه سماه بما ذكر لأن البعث هو نهاية هذا العالم. والثاني سماه بذلك لأنه يظهر لكل أحد في ذلك اليوم[٩] أن الأمر لله تعالى وأن التدبير[١٠] له في الدنيا والآخرة وأن لا تدبير لأحد سواه، كقوله عز وجل: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[١١]

ثم جائز أن يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره بعض أهل التأويل، وما ذكر من قوله: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ،[١٢] لأصحاب اليمين.

---

١ م: جنة.
٢ ر ث: جنان.
٣ ر ن ث: في رءوس الآية ومقاطعها؛ م: في رءوس الآية ومقاطعهما.
٤ ر ث م: وذلك؛ ن - وقال.
٥ *معاني القرآن* للفراء، ١١٨/٣؛ و*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٩.
٦ ن + إليه. انظر: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «رجع»، «صار».
٧ ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا...﴾ ﴿...وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/ ٢١، ٤٨).
٨ ر م - يخرج.
٩ جميع النسخ: لأن لكل أحد يظهر في ذلك اليوم.
١٠ ن: وأن التدبر.
١١ سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
١٢ الآية ٦٢ من هذه السورة.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[٤٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٩] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[٥٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥١]

ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق؛ فأما نَعْتُ ما جعل للسابقين والصديقين[١] والشهداء ما ذكر حيث قال: **ذواتا أفنان**، قال عامة أهل التأويل: ذواتا أغصان.[٢] ولكن ليس في هذا كبير[٣] حكمة، لكن يحتمل أن [يكون] قوله: **ذواتا أفنان**، من الفنون،[٤] أي فيهما من كل فن وكل[٥] نوع. وقال مقاتل:[٦] ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لأصحاب اليمين: مُدْهَامَّتَانِ،[٧] والمدهام[٨] هو الذي يضرب خضرته لشدته إلى السواد،[٩] وهو دون الأول في الوصف إذ لم يصفهما إلا بصفة[١٠] واحدة ووصف تَيْنِك الجنتين بالفنون؛ وقال في تينك: **فيهما عينان تجريان**، [٧٧١و] / وقال في أصحاب اليمين: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ.[١١] والناضخ هو الذي لا يتبين[١٢] جَرَيانه، ووصف تَينك بالجريان، والنضخُ[١٣] دون الجريان.

وقال القُتَبي: نَضَّاخَتَانِ، اللتان تفوران بالماء والنَّضْح، دون النَّضخ[١٤] وهو الرش.[١٥] وقال في جنتين السابقتين:[١٦] فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ،[١٧] أي صنفان[١٨] أو لونان أيَّ شيء كان؛

[١] ن – ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق فأما نعت ما جعل السابقين والصديقين، صح هـ.
[٢] ن: أفنان.
[٣] ر ث م: كثير.
[٤] ر م: من العيون.
[٥] ث – وكل.
[٦] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٠٨-٣١٠.
[٧] هي الآية ٦٤ من هذه السورة.
[٨] جميع النسخ: والمدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.
[٩] إدْهَامَّ الشيء إدْهِيمَامًا: أي إسْوادّ، وإدهام الزرع: علاه السواد ريًّا. وفي التنزيل العزيز ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾، أي سوداوان من شدة الخضرة من الريّ، يقول: تخضراوانِ إلى السواد من الرِّيِّ. وقال الزجاج: يعني أنهما تخضراوان تَضْرِب خُضرتُهما إلى السواد، وكل نَبْت أخضر فتَمامُ خِصْبِهِ ورِيِّهِ أن يَضرب إلى السواد (*لسان العرب*، «دهم»).
[١٠] م – إلا بصفة.
[١١] الآية ٦٦ من هذه السورة.
[١٢] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.
[١٣] ر م: أو النضيخ.
[١٤] ث: الجريان.
[١٥] ر م: الرأس. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٣.
[١٦] جميع النسخ: السابقين.
[١٧] الآية ٥٢ من هذه السورة.
[١٨] ر م: صنعان.

وقال في أصحاب اليمين: فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ.[١] ذكر أشياء معدودة وعم[٢] الأشياء في تَيْنك، حيث قال: مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، لتفضيل أولئك على هؤلاء. وجائز أن يذكر في كل واحدة منهما حكمة على حِدَة قوله: **ذواتا أفنان**، ما ذكرنا أن فيهما من كل فن وكل نوع. وإحدى العينين[٣] هي العين المعروفة الموعودة والأخرى التي لا يَعرفون ولا يوعَدون.

**﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٥٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٣]**

وقوله عز وجل: **فيهما من كل فاكهة زوجان**، أي صنفان ولونان على غير تغير الطعم ولا فسادٍ[٤] يدخل في ذلك، لأن تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه إلا بعد دخول فساد فيها،[٥] فيخبر أن تغير لونه لا لفساد[٦] يدخل في ذلك. ***والله أعلم***. وقال[٧] بعضهم: إنما ذكر الزوجين من الفواكه لما أن قلوب البشر قد خطرت بأحد الزوجين وتُمَنِّيهم[٨] أنفسهم، والزوج الآخر هو لطف الله تعالى على عباده فضلا منه إليهم من[٩] غير أن يَخْطُرَ على بالهم ولا وقعت عليه أبصارهم ولا انتهت إليه آمالهم إكراما[١٠] لهم بها وامتنانا. وقال بعضهم: ليس المراد في هذه الآيات تبيين ما لأهل الجنة [في الجنة]،[١١] ولكن فيه تبيان فضل السابقين على أصحاب اليمين أن أولئك يُعطَون من الفضل ضِعفَيْ ما أعطي هؤلاء. ***والله أعلم***.

**﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٥٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٥]**

وقوله عز وجل: **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**، قال الفراء: يجوز أن يكون البطانة والظِهارة جميعا من شيء واحد ومن جهة واحدة، لكن سَمَّى الجهة التي تلي أجسادهم

---

[١] الآية ٦٨ من هذه السورة.
[٢] ر: وعمر.
[٣] ر م: العنتين؛ ث: الفنين.
[٤] ر: والفساد؛ م: وفساد.
[٥] ر م: فيهما.
[٦] ن: أن يغير لونه لا الفساد.
[٧] ن: قال.
[٨] م: وتمنيهم.
[٩] ن — من.
[١٠] م: إلزاما.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.

بِطَانةً والأخرى ظهارةً كالسماء: إن الجهة التي تَلي الملائكة هي بطانتهم وظهارتنا،[1] وما يلينا[2] ظهارتهم وبطانتنا. وكذلك كل شيء تلي إنسانا فهو[3] بطانة والجانب الذي لا يليه ظِهارة، يقال: هذا ظهر السماء لنجانب الذي نراه والآخر بطن[4] السماء.[5] *والله أعلم*. وقال القُتَبي: لا، ولكن ذكر البطانة من إستبرق ولم يذكر الظِّهارة، والعرف في الناس أن ظهارة[6] فرشهم أنفسُ من البِطانة والبطانة دون الظهارة. فعلى ذلك في ذكر البطانة ووصفها بأنها من الإستبرق دلالةُ أن ظِهارتها أرفع وأنفس من البطانة.[7] لكن ما قاله الفراء صحيح وما ذكره القُتَبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذ الظهارة فوق البطانة لما لا يحتمل أملاكهم التسوية بين ما بطن وما ظهر في النفاسة والرفعة. فأما الله سبحانه وتعالى فلا نفاد لخزائنه يفعل ما يشاء كيف شاء. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قد أُخبِرتم[8] بالبطائن فكيف بالظَّهائر.[9]

ثم الإستبرق اختلف فيه، قيل: هو ما غَلُظ منه بلسان قوم، وقال بعضهم: هو ما دق ورق. *والله أعلم*. ولا نفسره نحن أنه ما هو وكيف هو ولكن نعلم أنه شيء وعد لهم ربهم وهو شيء ترغب[10] فيه أنفسهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجنى الجنتين دانٍ**،[11] جائز أن يكون ذُكّر هذا في حق السابقين الذين سارعوا في الخيرات واستبطئوا ما وعد لهم، بما لم يروا لطاعاتهم قيمة ولغلبة[12] خوفهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليهم[13] وفي أوامره ونواهيه فقال: **وجنى الجنتين**، الذي[14] وعد لكم **دانٍ**.

---

[1] ر م: وظهارتها.
[2] ر ث م: وما تلينا؛ ن: وما بيننا.
[3] م: فهي.
[4] ث + بطن.
[5] انظر: *معاني القرآن* للفراء، ١١٨/٣.
[6] ث: ظها.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢.
[8] ر ث م: اخترتم.
[9] ر م: بالظهارة؛ ن ث: بالظهار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ. «روي عن ابن مسعود في قوله: ﴿فرشٍ بطائنها من استبرق﴾ قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟» (*تفسير الطبري*، ١٩٣/٢٧، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٠٩/٧).
[10] جميع النسخ: يرغب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[11] ر م – دان.
[12] جميع النسخ: ويعبه. والتصحيح من المرجع السابق
[13] ر ث م: عليه.
[14] ر م: الذين.

وقال[1] أهل التأويل: أي الشجر دان منهم قريب حتى[2] يتناولها الرجل كيف شاء. لكن يذكر هذا -والله أعلم- أن الجنتين وإن بعدتا[3] فإن الثمار منهم دانية. قال أبو عَوْسَجَة: الجَنْيُ الحمل، وأَجْنَت[4] الشجرة تُجْنِي:[5] إذا حملت وأدركتْ[6] حِمْلَها.

**﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٥٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٧]**

وقوله عز وجل: **فيهن قاصرات الطرف**، أي قَصَرن[7] طَرْفَهنّ على أزواجهن ولا ينظرن إلى غيرهم ولا تشتهيهم، وقال في آية أخرى: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ،[8] ذكر[9] هذا لأن أهل الدين يكونون من[10] أهل غيرة[11] لا يريدون أن ينظر أزواجهم إلى غيرهم ولا غيرهم ينظرون إليهن، فأخبر بالآيتين أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن ولا غيرهم إليهن حيث وصفهن بأنهن قاصرات مقصورات في الخيام.

وقوله عز وجل: **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**، قرئ **لم يطمثهن** بضم الميم وكسره.[12] قال الفراء: **لم يطمثهن**، أي لم يفتضّهن،[13] والطَّمْث النكاح بالتَّدْمِية.[14] وقال أهل التأويل:

---

[1] ر م: قال.
[2] ر ث م: قربت حين؛ ن: قريب حين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[3] ر ن م: وإن يعدتا.
[4] جميع النسخ: واجتنت.
[5] ر م: تجئ؛ ن: يجنى.
[6] ر ن م: وأدرك.
[7] م: فصرن.
[8] الآية ٧٢ من هذه السورة.
[9] م - ذكر.
[10] ن ث - من.
[11] ر: غيره.
[12] قرءوا. ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ﴾ بكسر الميم في الحرفين [أي في هذه الآية وفي الآية ٧٤] إلا الكسائي، فإنه كان يكسر الميم في أحدهما، ويضمه في الآخر، وقال أبو حمدون عن الكسائي: الأول ﴿لم يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضم الميم، والثاني ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ﴾ بكسر الميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران ٤٢٤).
[13] جميع النسخ: لم يقتضهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[14] جميع النسخ: بالرومية. والتصحيح من مصادر الرواية. «قال الفراء: ﴿لم يطمثهن﴾ لم يفتضَّهن. و"الطَّمْث": النكاح بالتَّدْمِية، ومنه قيل للحائض: طامث» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢). وانظر: *معاني القرآن* للفراء، ١١٩/٣. طَمِثَت الجارية إذا دَمِيَت بالاقْتِضاض. والطَّمْث: الدمُ والنكاح. وطَمَثْت الجارية. إذا افْتَرَعْتَها (*لسان العرب*، «طمث»).

لم يجامعهن إنس قبلهم ولا جان. وقال أبو عَوْسَجَة: أي لم يَمْسَسْهن.[1] [قال أبو عبيدة: وعندنا جائز **لم يطمثهن**، أي لم يمَسّهن][2] إنس في التربية كما يُرَبَّى الأولاد، ولا جانٌّ[3] على ما تمس الجن الأولاد فيُفسدهم ولكنهن[4] كما وصف: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.[5]

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٥٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **كأنهن الياقوت والمرجان**، قال أهل التأويل: شبههن بالياقوت لصفائهن[6] وبالمرجان لبياضهن، وهو كما قالوا. ***والله أعلم***.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٦٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦١]

[٧٧١ظ] وقوله عز وجل: **هل جزاء الإحسان / إلا الإحسان**، قيل: **هل جزاء الإحسان** في الدنيا **إلا الإحسان**، لهم في الآخرة، أي هل جزاء فعل الحسن في الدنيا إلا إعطاء الحسن في الآخرة وهي الجنة. ولكن غيره كأنه أقرب، أي هل جزاء إحسان الله تعالى بما أنعم عليهم في الدنيا إلا الإحسانُ له بالشكر والقبول، أي إلا إتيان[7] فعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول، لأنه ليس يستوجب أحد قِبَلَ الله تعالى بإحسانه في الدنيا جزاءً في الآخرة إنما الجزاء لهم بحق الفضل والإنعام لا بحق الاستحقاق. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **هل جزاء الإحسان**، [أي هل جزاء من صحب نعم الله بالإحسان][8] في الدنيا **إلا الإحسان** له في الآخرة. ***والله أعلم***.

واستدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله بهذه الآية على أن للجن ثوابا كما للإنس، فإنه[9] جرى الخطاب من أول السورة إلى آخرها للجنك[10] والإنس من قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[11]

---

[1] ر: لم يسمعهن.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٥؛ وتفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢.
[3] ن ث: ولا الجان.
[4] جميع النسخ: ولكنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[5] سورة الواقعة، ٥٦/٣٥-٣٨.
[6] ر: لصفاتهن.
[7] جميع النسخ: أي إتيان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[8] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[9] ن: بأنه.
[10] ن: للحق.
[11] الآية ٣٣ من هذه السورة.

وقوله عز وجل: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ،[١] فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد. لكنْ أبو حنيفة رحمه الله يقول: لا ثواب للجن، وذهب إلى أن ما ذكر من النعم[٢] إنما ذكر أكثرها[٣] للإنس لا حظ للجن[٤] في ذلك من نحو الفواكه والسفن[٥] الجواري،[٦] فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم بحق[٧] الثواب وللجن بحق[٨] العين. *والله أعلم*. وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.[٩]

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٦٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **ومن دونهما جنتان**، فإن كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما[١٠] للسابقين والصديقين فهاتان اللتان ذكر هما[١١] هاهنا لأصحاب اليمين على ما ذكره بعض أهل التأويل. فجائز أن يكون قوله: **ومن دونهما**، أي في الفضل والقدر والمنزلة لفضل أولئك على أصحاب اليمين. وإن كانت[١٢] الجنتان جميعا لكل فريق منهم فجائز أن يكون قوله: **ومن دونهما جنتان**، في المكان والموضع لا في الفضل والقدر، فكأنه قال: من أي جهة وقع بصرهم يقع في جناتهم[١٣] مِن فوق ومن تحتُ وعن يمين وشمالٍ، أي[١٤] يكونون وَسْطَ الجنان لا يحتاجون إلى التحول[١٥] من مكان إلى مكان، كقوله تعالى: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[١٦]

---

[١] الآية ٧٤ من هذه السورة.

[٢] ن + إنما ذكر من النعم.

[٣] ن: أكثر ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.

[٤] ر ث م – وذهب إلى أن ما ذكر من النعم إنما ذكر من النعم إنما ذكر أكثرها للإنس لا حظ للجن.

[٥] م: والسمس.

[٦] م: بالجواري. يشير الآية ٢٤ من هذه السورة.

[٧] جميع النسخ: يجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.

[٨] ر ث: يجوز؛ ن م: بحور. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات، «الجن».

[١٠] أي في الآية ٤٦ من هذه السورة.

[١١] ر م: ذكرها.

[١٢] ر ث م: وإن كان.

[١٣] ن: في حياتهم.

[١٤] ن: أهو.

[١٥] ر م: إلى التحويل.

[١٦] سورة الكهف، ١٠٨/١٨.

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[٦٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٥]

وعلى هذا يخرج قوله تعالى: **مدهامّتان**، على ما ذكرنا[١] أن المدهام[٢] هو شديد الخُضْرة الذي يضرب إلى السواد، فوصف هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى: ذَوَاتَا أَفْنَانٍ،[٣] على التأويل الأول.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٦٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٧]

وكذلك قوله تعالى: **عينان نضاختان**، على ما ذكرنا أنهما[٤] دون الجاريتين،[٥] وكذلك[٦] روي عن البراء[٧] [بن عازب] قال: العينان تجريان أفضل من النضاختين،[٨] وقيل:[٩] **نضاختان**، لأنهما تَنْضَخان[١٠] بالخير والبركة لأهل الجنة، وقيل: تنضخان[١١] بالماء[١٢] وأنواع الفواكه. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: تنضخان[١٣] بالمسك والعنبر[١٤] كما ينضخ طير الماء على بيوت أهل الدنيا.[١٥]

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٦٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **فيهما فاكهة ونخل ورمان**، من الناس من احتج لأبي حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا لا يحنث في يمينه لأنه احتج[١٦] بهذه الآية في أن الرمان

---

[١] انظر: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[٢] ر م – أن المدهام؛ ن ث: المدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[٣] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٤] ر م: أنها.
[٥] انظر: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[٦] ر ث م: ولذلك.
[٧] جميع النسخ: الفراء. والتصحيح من مصدر الرواية.
[٨] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣٢٧/١٠، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٦/٧ .
[٩] ر م: بقوله.
[١٠] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[١١] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: بالياء.
[١٣] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر ث م: والغير.
[١٥] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣٢٨/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٦/٧. انظر لتفسير ﴿عينان نضاختان﴾: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[١٦] ن ث – احتج.

والرَّطْب ليسا من الفاكهة لأنه عطفهما على الفاكهة، والشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطف على غيره. هذا هو ظاهر الكلام إلا أن تقوم[1] الدلالة على انفراده[2] بالذكر وإن كان من جنسه لضرب من التعظيم أو غيره، كقوله تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ [وَرُسُلِهِ] وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ.[3] **والله أعلم**.

**﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[٧٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧١]**

وقوله عز وجل: **فيهن خيرات حسان**، قيل: حسان[4] الخُلُق وحسان الوجوه، يقال: امرأة خَيِّرَة وخَيْرَةٌ ونسوة خَيِّرات يقرأ بالتثقيل والتخفيف جميعا. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لكل مؤمن خَيْرَةٌ ولكل خيرة خيمة.[5]

**﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٧٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٣]**

وقوله عز وجل: **حور مقصورات في الخيام**، قيل: أي محبوسات في الخيام لا يخرجن عن الخيام. وأصله ما ذكرنا أنهن يَكُنّ[6] في الخيام لا يراهن غير أزواجهن. وقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ،[7] أي لا يرفعن بصرهن إلى غير أزواجهن ولا يبغين غيرهم. **والله أعلم**.

**﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٧٤][8] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٥]**
**﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٧٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٧]**

وقوله عز وجل: **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**، هو قراءة العامة بغير ألف.[9]

---

[1] ن: أن يقوم.
[2] ر ث م: على أن مراده.
[3] سورة البقرة، ٩٨/٢.
[4] ر م: الحسان.
[5] ث: خيره ولكل خيره ختمه. «روي عن ابن مسعود أنه قال: إن لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مَرَاحات ولا طَمّاحات، ولا بَخِرات ولا ذَفِرات، حور عين، كأنهن بيض مكنون» (*تفسير ابن كثير*، ٤٨٣/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٠/٧).
[6] ث: تكن.
[7] الآية ٥٦ من هذه السورة.
[8] مر تأويلها في الآية ٥٦ من هذه السورة.
[9] ر ث م: الألف.

وعن عاصمِ الجَحْدري رَفَارِفَ[1] وعَبَاقِرِيَّ.[2] قيل:[3] الرفرف المجلس. وقيل: المجالس،[4] وقيل: الرياض الخُضْر، وقيل: الخيام، وقيل: هو فضول[5] الفُرُش والبُسُط. وأما العبقريّ قيل: هو الزَّرابي[6] وهو بالفارسية النخ. وقال أبو عبيدة: العبقري الطَّنافِسُ الثِّخان،[7] وقيل: لكل شيء من البسطِ عبقري.[8] وقال القُتَبِي[9] وأبو عَوْسَجَة: العبقري في غير القرآن ثياب يتخذ بعَبْقَرَ[10] وهي بلدة فينسب إليها.[11]

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٧٨]

وقوله[12] عز وجل: **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**، قال أبو بكر الأصم: تَعظَّم[13] اسم ربك من[14] أن يستحق غيره اسمه. وقوله: **ذي الجلال**، أي استحق على الخلق أن يُجِلّوه ويعظّموه من أن يُسَمُّوا غيره باسمه، **والإكرام** هو أن لا يُحقوا[15] به ما لا يليق به من الولد والشريك وغيره.

ثم قيل في فائدة تكرار قوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**: فبأي آلاء ما في السماوات والأرض تكذبانه في الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بأنه خالقهما[16] ومرسل رسله وما جاءت به عنه. وذلك أن جميع ما فيهما [أنفعُ][17] من المال والطعام والشراب على ما ذكرنا.

---

[1] م: رفاف.
[2] انظر: *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٢٨٣-٢٨٤.
[3] ث: وقيل.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٧٣.
[5] ن: فضول.
[6] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٧٣.
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٤.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٦.
[9] ن – القتبي.
[10] ر ث م: بعبقري.
[11] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٤.
[12] ن: قوله.
[13] ر م – تعظم.
[14] ث + غير.
[15] جميع النسخ: أن يحقوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ط.
[16] جميع النسخ: خالقه.
[17] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

وذلك / كما يقول الرجل لآخر يبوبخه ويعاتبه: ألم تكن جائعا فأطعمتك، أفتنكر هذا؟ ألم [٧٧٢و]
تكن ظمآن[1] فسقيتك، أفتنكر[2] هذا؟ [ألم تكن عريانا فكسوتك، أفتنكر هذا][3] ونحو ذلك.
وجائز أن تكون[4] فائدة التكرار غير هذا، وهو أنه خرج مخرج العِظَة والتذكير؛ ومن شأن الموعظة
والذكرى التكرار والإعادة ليكون أنجع وآخذَ للقلوب[5] وأقرب إلى القبول. **والله أعلم**.[6]

---

[1] جميع النسخ: ظمآنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[2] ن ث: فتنكر.

[3] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[4] جميع النسخ: أن يكون.

[5] ن: القلوب.

[6] ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الواقعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [١]

قوله: **إذا وقعت الواقعة**، هذا مما لا يبتدأ به الخطاب، وإنما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر. فيحتمل أن يكون المؤمنون ذكروا كراماتهم التي وُعدوا في الآخرة، فقال لهم أولئك الكفرة: متى يكون ذلك لكم؟ فقالوا: **إذا وقعت الواقعة**، كما يسأل الرجل: متى يكون أمر كذا؟ فيقول: إذا كان كذا، فهو حرف جواب لسؤاله. وعلى هذا يُخرَّج جميع ما ذكر في القرآن من هذا النوع من نحو قوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[2] ونحو ذلك. وقوله: **الواقعة**،[3] جائز[4] أن يكون تأويلها:[5] إذا وقعت المثوبة والعقوبة؛ فتكون[6] الواقعة كنايةً عنهما.[7] وجائز أن تكون[8] الواقعة اسما من أسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر – سورة الواقعة؛ ن م: ذكر أن سورة الواقعة مكية؛ ث + وهي ست وتسعون آيات مكية.

[2] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[3] ر م + كناية عنها.

[4] ن: جائزة.

[5] جميع النسخ: تأوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[6] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: عنها.

[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ليس لوقعتها كاذبة**، قال بعضهم: أي ليس لوقعتها مثنوية[١] ولا تَزداد.[٢] يقال: حَمَل عليه فما كَذَبَ أي فما رجع. وقال بعضهم: أي هي حقٌّ ليست بكذب. وقال بعضهم: أي لا يكذِّب بها أحد إذا وقعت ليست كالآيات التي عاينوها في الدنيا مع ما عرفوا أنها آيات كذبوها، كقوله تعالى: وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٌ مَّسۡحُورُونَ،[٣] وغير ذلك يكذبونها[٤] مع العلم بأنها آيات. يقول الله[٥] تعالى: إذا عاينوا القيامة يُقِرّون بها ويصدّقونها ولا يكذِّبون بها، كقوله: رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ،[٦] ونحوه. ويحتمل أن يكون قوله:[٧] **ليس لوقعتها كاذبة**، أي ليست الأنباء[٨] والأخبار التي جاءت على وقوعها وقيامها كاذبةً بل هي صادقة.

﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **خافضة رافعة**، قال بعضهم: **خافضة**، تُسمِع القريب **رافعة** تُسمع[٩] البعيد. وقال صاحب هذا التأويل: إنّ تفسير[١٠] الواقعة هو الصيحة وتلك **خافضة رافعة**. وقال بعضهم: **خافضة** أناسا في النار، **ورافعة** أناسا في الجنة. ويحتمل **خافضة** لمن تكبّر وتعظّم على الخلق ورده، **ورافعة** لمن تواضع للحق[١١] وانقاد له وقَبِله. وقيل: **خافضة** لأهل النار في النار، كقوله تعالى: يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ،[١٢] **ورافعة** لأهل الجنة، كقوله:[١٣] فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ،[١٤] وقوله: [أَنَّ] لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ.[١٥]

---

[١] ر م: مثبوتة؛ ن ث: مشوبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ. مثنوية: أي رجوع.

[٢] ن: ولا تزداد.

[٣] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.

[٤] ن: يكدبوها.

[٥] ر ث م – الله.

[٦] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.

[٧] ن – ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ونحوه ويحتمل أن يكون قوله.

[٨] ن ث: للأنباء.

[٩] جميع النسخ: خافضة يسمع القريب رافعة يسمع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[١٠] جميع النسخ: أن يفسر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: للحق.

[١٢] ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذُوقوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٨).

[١٣] ن: لقوله.

[١٤] ﴿إن المتقين في جنات ونَهَرٍ في مَقْعَدِ صدقٍ عند مليك مقتدرٍ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٥٤-٥٥).

[١٥] سورة يونس، ١٠/٢.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إذا رجت الأرض**،[1] على السؤال، كأنهم لمّا سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك: متى[2] تكون[3] الواقعة فعند ذلك قال:[4] **إذا رجت الأرض رجا**، وهو كقوله عز وجل: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا.[5] فزلزلت حتى تُلقيَ[6] ما في بطنها.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وبست الجبال بسا**، قيل: فُتِتَتْ حتى صارت[7] كالدقيق[8] المبسوس. والبَسيسة [عند العرب: دقيق أو][9] سويق يُلَتّ به الزيت[10] ويخلط به.[11] وقال الحسن: **بُست الجبال**، أي سُيِّرت تسييرا.[12]

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فكانت هباء منبثا**، قيل: الهباء الذي يكون فوق النار إذا خَمَدت[13] لا يكون غيره، **منبثا**، أي متفرقا. وقيل: **هباء منبثا**،[14] أي ترابا منتشرا. وقيل: الهباء المبثوث هو ما يَسْطَع من سَنابِك[15] الخيل. وقيل: الهباء الغبار الذي تراه[16] في الشمس إذا دخلت من الكَوّة.

---

[1] «هذا أيضا يخرج على ما ذكرنا في قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾، يخرج على إثر سؤال، فعلى ذلك قوله: ﴿إذا رجة الأرض﴾»، (شرح التأويلات، ورقة ١٨٦ظ).

[2] ن: حتى.

[3] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٦ظ.

[4] م - قال.

[5] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[6] جميع النسخ: يلقي. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٦ظ.

[7] جميع لنسخ: فتت حتى يصير. والتصحيح مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[8] جميع النسخ + ومنه يقال للسويق.

[9] الزيادة مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[10] ن: تدت بالزيت.

[11] ر ث م: والخلط.

[12] م: تسيير. روي عن محمد بن كعب. *النكت والعيون* للماوردي، ٤٤٦/٥؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩٧/١٧

[13] ن: إذا جمدت.

[14] ث - قيل الهباء الذي يكون فوق النار إذا خمدت لا يكون غيره منبثا أي متفرقا وقيل هباء منبثا.

[15] السُنبُك: طرف الحافر وجانباه من قُدُم، وجمعه سنابك (*لسان العرب*، «سنبك»).

[16] ر ث م: يراه.

فيه إخبار[1] عن شدة ذلك اليوم وهَوْلِه أنه يُفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها لله تعالى، فكيف يفعل بكم يا بني آدم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم. *والله أعلم.*

**﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[٧] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٨] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٩] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **وكنتم أزواجا ثلاثة**، أي أصنافا ثلاثة. والأصناف الثلاثة[2] ما فسّر عقيبه، حيث قال: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون**، الآية. وقيل: الأصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون والسابقون.

وقوله عز وجل: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يحتمل وجهين. أحدهما أصحاب الميمنة من اليُمْن وأصحاب المشأمة من الشُؤم. والثاني سُمُّوا أصحابَ الميمنة لأنهم أصحاب الطيبات. واليمين هي[3] التي تستعمل[4] في الطيبات؛ والكفرةُ أصحابُ الشمال لأنهم أصحاب الخبائث، والشمال تستعمل[5] في الخبائث. وعلى ذلك قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[6] لأن في كتبهم طيبات وخيرات، وفي كتب[7] الكفرة خبائث فتؤتى[8] بشمالهم. وقيل: سُمُّوا أصحاب الميمنة والمشأمة لِما ذكر الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
[٧٧٢ظ] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا،[9] / وقوله: وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[10] فكذا كل[11] من أوتي كتابه بيمينه فهو من[12] أصحاب اليمين ومن أوتي كتابه بشماله فهو من[13] أصحاب المشأمة.

---

[1] ن: إخبارا.
[2] ر م – والأصناف الثلاثة.
[3] ر م: وهي.
[4] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[5] جميع النسخ: يستعمل.
[6] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[7] ر: وفي الكتب.
[8] جميع النسخ: فيؤتى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[9] سورة الانشقاق، ٧/٨٤–٨.
[10] سورة الانشقاق، ١٠/٨٤.
[11] ر ث م: فكل.
[12] ر م – من.
[13] ر م – من.

وكذا قوله:[١] **والسابقون السابقون**، يحتمل وجهين أيضا. أحدهما السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير. والثاني السابقون في الإجابة لله ورسوله في ما[٢] دعاهم إليه.

ثم جائز أن يكون الخطاب به للناس كافةً الأولين والآخرين؛ فيكون الناس كلهم أصنافا ثلاثة: السابقون[٣] وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال. وجائز أن يكون الخطاب بهذه الآية[٤] لهذه الأمة خاصة[٥] ففيهم السابقون، وفيهم أصحاب اليمين وهم أصحاب النظر في الحجج والآيات والتأملِ فيها، وأصحاب[٦] الشمال وهم الكفرة.

ثم قوله: **وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة**، على التعجيب[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يُكرمهم أو على التعظيم لأولئك لعِظَم ما يُعطيهم. وكذلك قوله:[٨] **وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يخرج على هذين الوجهين. على التعجيب[٩] والتعظيم لما يحل[١٠] بهم. وكذلك قوله: **والسابقون السابقون**، يخرج على هذا أيضا. يقال:[١١] فلانٌ ما أمرُ فلان. ويقال:[١٢] فلانٌ فلانٌ على تعظيم أمره وشأنه، فعلى ذلك هذا.[١٣]

ثم في قوله تعالى: **وكنتم أزواجا ثلاثة** [دلالة][١٤] لقول[١٥] أصحابنا رحمهم الله في جعلهم الكفرَ كلّه ملة واحدة؛ لأنه جعل الله[١٦] تعالى أهلَ الكفر على اختلاف مذاهبهم وأديانهم زوجا واحدا،[١٧] وأهلَ الإسلام زوجين، حيث جعل الكلّ أزواجا ثلاثة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وقوله.
[٢] جميع النسخ: إلى ما.
[٣] ن + السابقون.
[٤] ن- بهذه الآية.
[٥] ر ث م: عامة.
[٦] ر م: أصحاب.
[٧] ر ن م: عى التعجب.
[٨] ر م: وقوله.
[٩] ر ث م: وجهين على التعجب.
[١٠] جميع النسخ: ما يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[١١] ر م – يقال.
[١٢] ر م: فيقال.
[١٣] ن – هذا.
[١٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٥] جميع النسخ:يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ن – الله.
[١٧] ر م – واحدا.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **أولئك المقربون**، يحتمل أن يكون وصفُ التقريب[١] لهم لمسابقتهم[٢] في الخيرات في الدنيا. ويحتمل أنهم مقرّبون في الآخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات[٣] أو في الإجابة. والسبقُ فعلُهم والتقريبُ بلطف من الله تعالى وفضل منه. *والله أعلم*.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **في جنات النعيم**، جميع الجنان نعيم لأن فيها نعيما. وله أن يسمي واحدة منها نعيما والأخرى عَدْنًا[٤] والفردوسَ والمأوى لما له أن يسمّي ما شاء بما شاء[٥] وكيف شاء.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، اختلف في ذلك. قال بعضهم: أي **ثلة من الأولين** ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَرُبوا منه. **وقليل من الآخرين** ممن بَعُد من هذه الأمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته[٦] وإدراك[٧] زمانه. **وقليل** من المقربين **من الآخرين**. وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الناس قرني[٨] ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم»[٩] وعلى ذلك قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ،[١٠] على ما يذكر. *والله أعلم*. ومنهم من قال: **ثلة من الأولين**، أي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الأمم الماضية، **وقليل من الآخرين**، أي من هذه الأمة. وهكذا يكون لو اجتمع أهل الإيمان من هذه الأمة مع الأمم الماضية يكون هؤلاء أقل منهم.

---

[١] ر ث م: القريب.
[٢] ث: لمسبقيهم.
[٣] ن + في لدنيا ويحتمل أنهم مقربون في الآخرة.
[٤] ن: عذبا.
[٥] ر م: ما شاء ثم ما شاء؛ ن: ما شاء ثم شاء؛ ث: ما شاء م شاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن ث: وصحبه.
[٧] ر ث م: وأدرك.
[٨] ن ث: قربي.
[٩] ر م – ثم الذين يلونهم. صحيح البخاري، الشهادات، ٩؛ وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، ٢١٢.
[١٠] سورة الحديد، ٥٧/١٠.

ويحتمل أيضا أن السابقين المقربين من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين[١] من هذه الأمة لأن الأنبياء عيهم السلام كلهم من الأمم السالفة.

وقال أهل التأويل: لما نزل قوله تعالى: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجْدا شديدا، وقالوا: لن يدخل الجنة منا إلا قليل[٢] فنزل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[٣] لكنّ هذا لا يحتمل لأنه خبر ولا يَرِد[٤] في الأخبار نسخ،[٥] وما قالوه[٦] فهو نسخ. والوجه فيه ما ذكرنا. ويحتمل قوله تعالى: **ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ**[٧] مِنَ الْآخِرِينَ، هم أصحاب اليمين من الأولين والآخرين جميعا أي جماعة، كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين. ثم يحتمل أن يكون الأولون والآخرون من هذه الأمة. ويحتمل أن يكون الأولون[٨] من الأمم الماضية والآخرون من هذه الأمة وهم المؤمنون. وقوله: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، في المقربين خاصة. ***والله أعلم***.

**﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **على سرر موضونة**، وقال في آية أخرى: عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ.[٩] والسرر قد تكون[١٠] في الدنيا مصفوفة ولكن لا تكون[١١] موضونة أي منسوجة.[١٢] والوَضْن هو[١٣] النسج.[١٤] يخبر أنه لا يكون بين السرر في الآخرة انفصال ولا فروج كما يكون في الدنيا لكن موصولةٌ بعضها ببعض.

---

[١] ث – من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين.
[٢] ر م: قيلا.
[٣] سورة الواقعة، ٣٩/٥٦-٤٠.
[٤] جميع النسخ: ترد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[٥] ن: فنسخ.
[٦] م: قالوا.
[٧] ن: وقيل. صح ه.
[٨] ن – والآخرون من هذه الأمة ويحتمل أن يكون الأولون.
[٩] سورة الطور، ٢٠/٥٢.
[١٠] جميع النسخ: قد يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[١١] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: أي مسموحة.
[١٣] ر م: وهو.
[١٤] ن: السمح.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **متكئين عليها**، أي على السرر التي ذكر أنها مصفوفة موضونة. وقوله: **متقابلين**، أي يقابل بعضهم[١] بعضا ولا يُعرضون ولا ينظر بعضهم إلى بعض بالقفا كما يفعل أهل المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويجفو[٢] بعضهم بعضا. يخبر أنهم يكونون[٣] في الآخرة خلاف ما [يكونون][٤] في الدنيا بحيث لا يتأذى بعضهم[٥] من بعض بوجهٍ مّا.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يطوف عليهم ولدان مخلدون**. فيه أنهم يعطون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا من الشرف وطواف الولدان، وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من أنواع ما ترغب[٦] أنفسهم في الدنيا. ثم ذكر أنهم ولدان وإن لم يكن في الجنة وِلاد. فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن يكونوا[٧] على هيئة الولدان وإن لم يولدوا. أو سُمُّوا ولدانا لوِلادهم في الدنيا وإن لم يولَدوا في الجنة لأن التوالد في الدنيا لحاجة البقاء، وأهل الجنة باقون. وقوله عز وجل:
[٧٧٣و] **مخلدون**، قال بعضهم: أي المقرّطون. والخَلَدَة:[٨] القُرط، وجمعه / الخِلَدَة. وقال بعضهم: هو من الخلود، كقوله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا،[٩] أي باقين[١٠] ويقال: مُسوَّرون[١١] من السِّوار.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾[١٨]

وقوله: **بأكواب وأباريق**، قيل: الأكواب[١٢] هي الكيزان المدوَّرَةُ الرءوسِ التي لا عُرَى لها، والأباريق التي لها عُرّى وخراطيم. وجائز أن تكون الأكواب الأقداح[١٣] التي يشربون بها

---

[١] ر م – بعضهم؛ ن: أي يقابل بعضهم.
[٢] ر: ويحقر؛ ن: ويجفوا؛ م: يحضر.
[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٥] جميع النسخ: بعض. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ث م: ما يرغب؛ ن: ما رغب.
[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: والخلد. والتصحيح مستفاد من *المعجم الوسيط*، «خلد».
[٩] سورة البقرة، ٢/١٦٢؛ وسورة آل عمران، ٣/١٥، ٨٨.
[١٠] ر ن م: باقون.
[١١] جميع النسخ: مسور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[١٢] ر ث م – قيل الأكواب.
[١٣] جميع النسخ: أن يكون الأكواب القداح.

لأن في الدنيا يكون لأهل الشراب الأباريق والأقداح يصبون من الأباريق في القَدَح ويشربون منه لا يشربون من الأباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة. وقوله عز وجل: **وكأس من معين،** الكأس: هو القدَح المملوء من الشراب، وأما المعين فقال[1] بعضهم: هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر لأن أهل الدنيا يستحبون شرب[2] الشراب الذي يقع عليه البصر[3] فوعد لأهل الجنة ذلك. *والله أعلم.*[4]

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **لا يصدعون عنها ولا ينزفون،** قرئ بكسر الزاي ونصبه[5] أي لا تُصدِّع[6] خمورُهم في الجنة رءوسَهم كما تصدِّع[7] خمور الدنيا أهلها. وقوله: **ولا ينزفون،** قيل: بكسر الزاي لا يَنفد شرابُهم، وبالفتح لا يَسكَرون فيه؛ إنه ليس في خمورهم الآفةُ التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل والصُّداع والنَّفاد.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٢٠]

وقوله: **وفاكهة مما يتخيرون،** جميع فواكه[8] الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين. أحدهما[9] أن جميع فواكهها مما يتخيرون.[10] والثاني أن[11] العرف في الفواكه أن تقدم[12] من أجناس مختلفة وألوان لا من لون واحد ونوع واحد[13] فيتخيرون من أي نوع اشتهَوْا وشاءوا.[14]

---

[1] جميع النسخ: قال.
[2] ن: شراب.
[3] ر م - لأن أهل الدنيا يستحبون شرب الشراب الذي يقع عليه البصر.
[4] ر: الله أعلم.
[5] ﴿ولا يُنزِفون﴾ (بكسر الزاي) عاصم وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش. ﴿ولا يُنزَفون﴾ الباقون (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٣٥).
[6] جميع النسخ: لا يصدع.
[7] جميع النسخ: كما يصدع.
[8] م: فاكهه.
[9] م: أحدها.
[10] ن: فواكههما مما يتخير؛ ت: مما يتحير.
[11] ر م - أن.
[12] جميع النسخ: أن يقدم.
[13] م - ونوع واحد.
[14] ر: أو شاءوا.

**﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **ولحم طير مما يشتهون**، إن أهل الجنة إنما يتناولون ما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة لأن ما يؤكل على الشهوة يكون أكله على اللذة، وما يتناول لحاجة يكون لدفع الحاجة[1] وسدّ الجوع وهو كما ذكر: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.[2]

**﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٢٢] ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**، يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين. أحدهما لِما لا شيء أصفى من اللؤلؤ والياقوت، فَضَرب مَثَلَهن بذلك لصفائه وبياضه، وإلا ما خَطَرُ اللؤلؤ حتى يُشبَّه[3] الموعود في الجنة من الجواري[4] به. والثاني أن للؤلؤ والياقوت فضل قدر ومنزلة عند العرب، وليس ذلك الخطر[5] لغيره من الأشياء، فيُشبِّه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس[6] ذلك لغيره، وهو كقوله تعالى: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ،[7] ضَرَب مَثَل منْ يشرك بالله بالذي خرّ من السماء، والشرك بالله أعظم مما ذكر، لكن ليس [عندهم] شيء أعظم وأبعد[8] من الخر من فوق السماء السابعة؛[9] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

**﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٤]**

وقوله: **جزاء بما كانوا يعملون**، إن الله تعالى ذكر لأعمال العباد[10] جزاءً كأنهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وإن كانوا في الحقيقة عاملين لأنفسهم، كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، الآية.[11] وكذلك ما ذكر من شرائه أنفسهم وأموالهم منهم[12]

---

[1] ر ث م – لأن ما يوكل عى الشهوة يكون أكله على اللذة وما يتناول حاجة يكون لدفع الحاجة.
[2] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[3] ر م: تشبه؛ ث: شبه.
[4] ر ث: من الحواري.
[5] ر ث م: أن لۆلۆ فضل ومنزلة عند العرب وليس الخصر.
[6] ن – ليس.
[7] سورة الحج، ٣١/٢٢.
[8] ن + عنهم مما ذكر من الخبر من السمء فيشبهه وإن كان الشرك به أعظم وأبعد.
[9] جميع النسخ: السابع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[10] ر ث م: الأعمال.
[11] ر ث م – الآية. سورة الإسراء، ٧/١٧.
[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

وما ذكر من الإقراض بقوله تعالى: وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا،[1] وإن كانت أنفسهم وأموالهم له. ولكن[2] عاملَ[3] عبادَه في أنفسهم وأموالهم كأنها ليست له فضلا وكرما؛ فعسى ذلك ذَكَر لأعمالهم جزاء كأن منهم إلى الله تعالى صنعا[4] وإحسانا[5] وإن كانوا عاملين لأنفسهم ومنافعُ أعمالهم ترجع[6] إليهم، بفضله[7] وكرمه. **والله أعلم**.[8]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما**، هذا يرجع إلى وصف خمور أهل الجنة، أي ليس فيها الآفات التي تكون[9] في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول[10] اللغو والهذيان مثل ما يجري على ألسنتهم في الدنيا حين يشربون[11] الخمور وما يأثمون به. وذَكَر لهم هذه الخمور في الجنة لأن قوما يرغبون فيها في الدنيا فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها[12] بالامتناع عن شربها[13] في الدنيا من الخمور المحرمة. **والله أعلم**.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **إلا قيلا سلاما سلاما**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي إلا كلاما فيه سلامة عن جميع الآفات التي ذكر. والثاني **إلا قيلا سلاما سلاما**، أي يُحَيّي بعضهم بعضا بالسلام، كقوله تعالى: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[14]

---

[1] سورة الحديد، ١٨/٥٧.
[2] ر ث م - ولكن.
[3] ر م + عسى.
[4] جميع النسخ: صنع.
[5] جميع لنسخ: وإحسان.
[6] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨٨و.
[7] ن: لفضله.
[8] ن ث: والله الموفق.
[9] ر ث م: يكون.
[10] ث + اللهو.
[11] جميع النسخ: شربوا.
[12] ن: ويطلبونها.
[13] ن ث: شبهها.
[14] سورة إبرهيم، ٢٣/١٤.

**﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٢٧] ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[٢٨] ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود،** الآية، أصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا. ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك. منهم من قال: إنما ذكر هذا لهم لتفضيل المقربين على أصحاب اليمين لأنه قال في المقربين: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،[١] إلى آخر ما ذكر من عِظَم[٢] الكرامات التي ذكر لهم. ثم ذكر لأصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على أصحاب اليمين. ومنهم من قال: إن قوما من العرب ينتفعون بذلك لأن لها ثمرةً لكن ليست بمرغبة ولها شوك، فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة ذلك بلا شوك ولا أذى بل مرغَب[٣] فيه. وهو كما وعد لهم من الخمور ثم نفى عن خمورها الآفات فعلى ذلك جائز أن يكون شجر السدر فيها بغير آفات. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وطلح منضود،** منهم[٤] من قال: هو طلح منضود متراكم كما ذَكَر في آية أخرى: طَلْعٌ نَضِيدٌ.[٥] ذكر في إحدى الآيتين فعيل وفي الأخرى مفعول، وذلك جائز في اللغة. وقيل: **طلحٍ** بالحاء هو الْمَوْز. وذكر أن عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ: **وطلح** [٧٧٣ظ] **منضود.** فقال علي رضي الله عنه: ما[٦] شأن الطلح إنما هو طلع. فقيل له: / إن في المصحف **وطلحٍ،** أفلا نغيره فقال: إن المصحف لا يغيَّر اليوم.[٧] وهذا يؤيد التأويل الأول. وقال أبو معاذ: الطلح[٨] في كلام العرب شجر عظام كثير الأغصان، واحدها طلحة. وقوله عز وجل:[٩] **مَخْضُودٍ،** أي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك. ومنه قوله عليه السلام في شجر الحرم: «لا يُخضَد شوكُها ولا يُعضَد شجرُها».[١٠]

---

[١] سورة الواقعة، ٥٦/١٠-١٢.
[٢] جميع النسخ: من عظيم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[٣] ر: يرعب.
[٤] ر م: ومنهم.
[٥] ﴿والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٠).
[٦] ن ث – ما.
[٧] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٣٤.
[٨] ر ث م: الطلع.
[٩] ر ن م: وقال.
[١٠] صحيح *البخاري*، العلم، ٣٩.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وظل ممدود**، يصف أنه ليس فيها شمس يؤذي حرُّها ولا برد يؤذي بل ضر، لأن الظل شيء لطيف لا أذى فيه ولا [هو] شيء يثقل[١] على الأبدان بل هو شيء يوافق البدنَ ويخفّ عليه. وقيل: **ممدود**، لأنه لا شمس فيها فتنسخه[٢] وبالشمس يعرف الظل هاهنا، وظل الآخرة ممدود أبدا.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وماء مسكوب**، قيل: جارٍ غير منقطع، وهو قول القُتَبِي.[٣] وقال أبو عَوْسَجة: أي مصبوب. والأول كأنه أقرب، أي جارٍ[٤] أبدا ليس كمياه الدنيا إلا أن يراد بالانصباب صبه من الأعلى إلى الأسفل وذلك مما يرغب[٥] إليه في الدنيا. ثم قوله: **وماء مسكوب**، جائز أن يكون ذكر هذا لأصحاب اليمين، وما ذكر من قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ،[٦] وقوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ.[٧] يكون[٨] للمقربين.[٩] وكذلك ما ذكر من [قوله:] جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[١٠] للمقربين؛ يكونون في العليين وتكون[١١] الأنهار تحتهم.[١٢] وما ينسكب وينصبّ من الأعلى لأصحاب اليمين لأنهم يكونون دونهم في الدرجة. *والله أعلم*.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[٣٢] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة**، كانقطاع فواكه الدنيا. يخبر أنها لا تنقطع[١٣] في الجنة في وقت من الأوقات وأنها كلما قُطعت مرة خرجت أخرى مكانَها بهيئة الأكل من غير

---

[١] ر ث م: أثقل.
[٢] جميع النسخ: ينسخه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٨.
[٤] ن: جاري.
[٥] ر ث: رغب.
[٦] سورة الإنسان، ٧٦/٦.
[٧] سورة المطففين، ٨٣/٢٧.
[٨] جميع النسخ: فيكون.
[٩] جميع النسخ + قوله عينا يشرب ولأصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم.
[١٠] سورة البقرة، ٢/٢٥؛ وسورة آل عمران، ٣/١٥، ١٣٦.
[١١] جميع النسخ: ويكون.
[١٢] ر: تحيتهم؛ ن: تحهم.
[١٣] ر ن م: لا يقطع.

أن يحتاج فيه إلى وقت النضج، كما في الدنيا تنقطع[1] في وقت[2] خروجها إلى وقت نضجها، وبعد النضج والإدراك تنقطع[3] إلى وقت وجود حمل آخر. وقوله عز وجل: **ولا ممنوعة**، أي لا آفة بها[4] تصير[5] ممنوعة كفواكه الدنيا إذ هي ربما تُمْنَع[6] بآفة تصيبها.[7] وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **لا مقطوعة**، أي لا تحبس[8] كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض.

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وفرش مرفوعة**، أي مرفوعة القدر والمنزلة أو مرفوعة بنفسها[9] في القامة،[10] وهو ما ذكرنا في قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا.[11] وقيل: **وفرش مرفوعة**، النساء، يقال: امرأةٌ فَرِيش[12] ونساء فُرُشٌ.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنا أنشأناهن إنشاء**، قال الأصم[13] وغيره: إن هذا صلة قوله: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ،[14] كأنه قال على إثره. وقال القُتَبِي: إنه لمّا ذكر على إثر قوله: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ،[15] **إنا أنشأناهن**، دل أن الفرش كناية عن الأزواج إذ هن[16] اللواتي[17] تُفْرَش.[18]

---

[1] جميع لنسخ: ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[2] ر ن ث: من وقت.
[3] جميع النسخ: ينقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: لها.
[5] ن ث: يصير.
[6] ر ث م: يمتنع؛ ن: يمنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: يصيبها.
[8] ر م: لا يحبس؛ ن: أي لا بحر حتى ينقطع ولا ممنوعة؛ ث: أي يحبس.
[9] ن: نفسها.
[10] ر ث م: في القيامة.
[11] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألّا تطغوا في الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧-٨).
[12] م: فرش.
[13] ر: الأمم.
[14] الآية ٢٢ و٢٣ من هذه السورة.
[15] الآية السابقة.
[16] ن: إذ بين.
[17] ر م: اللؤلؤ؛ ث: اللواتي.
[18] جميع النسخ: يفرش. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وواحدة الفُرُش فَريش. وقيل: قد استَفرشتِ الناقةُ إذا اشتهت الفحل.[١] والأشبه أن يكون هذا[٢] صفة: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، إذ ذَكَر قوله:[٣] وَحُورٌ عِينٌ، على ذكر إثر المجالس والزوجات، لا معنى لذكرهن في هذا الموضع. ثم قوله:[٤] **إنا أنشأناهن إنشاء**، أي أنشأناهن في الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا. وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه أنها غير مقطوعة ولا ممنوعة أي أنها تخرج أول ما تخرج على هيئة الأكل لا كثمار الدنيا.

**﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[٣٦] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٣٧] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٣٨] ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[٣٩] ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **فجعلناهن أبكارا عربا أترابا**، قيل: أي خلقناهن كذلك ويكنّ أبدا كذلك: كلما ذهبت عُذْرَتهن عادت فيكنّ[٥] أبدا على تلك اللذة لأنهن أنشئن[٦] هكذا. ***والله أعلم***.

وقال عامة أهل التأويل في قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً،[٧] **فجعلناهن أبكارا**، أي خلقنا نساء الدنيا من الثيبات والأبكار خلقا جديدا سوى الخلق الذي كان في الدنيا **فجعلناهن أبكارا**، وكنّ في الدنيا عجائز[٨] وثيبات. ورووا[٩] على ذلك خبرا[١٠] عن النبي صلى الله عليه وسلم -إن ثبت أنه قال- في قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً: «الثيب والبكر». وفي بعض الأخبار قال: «إن العجوز لا تدخل الجنة»[١١] ثم تلا[١٢] قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، **فجعلناهن أبكارا**.[١٣] ومن قال: هو صفة قوله: وَحُورٌ عِينٌ،[١٤] هنّ[١٥] لسنَ نساء الدنيا. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: العمل.
[٢] ر م + عنى.
[٣] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[٤] ر م: وقوله.
[٥] ن: فتكن.
[٦] ر ن م: أمسين.
[٧] الآية السابقة.
[٨] جميع النسخ: عجاز. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: روي.
[١٠] ر م: خبر.
[١١] ن - الجنة.
[١٢] ر م - تلا.
[١٣] *تفسير ابن كثير*، ٤٩/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٨.
[١٤] الآية ٢٢ من هذه السورة.
[١٥] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وقوله عز وجل: **عُرُبا أترابا**، بجزم الراء مخففة وضمها.[1] قال[2] أبو عُبيد: نقرأها[3] بالضم لوجهين. أحدهما[4] التفخيم. والثاني أنها أقيس في العربية لأن واحدها عَرُوب وهو مثل صَبُور وصُبُر وشَكُور وشُكُر. وأما الوجه الآخر التخفيف. وقيل في تأويله: عرُبا، [أي] عاشقاتٍ لأزواجهن.[5] وقال أبو عَوْسَجة: العروب المَرِحة. وقال القُتَبِي: هي المتحبِبَة إلى زوجها.[6] وقيل: الغَنِجات لأزواجهن. وقيل: إن أهل مكة يسمونها العَرِبَة وأهل مدينة غَنِجَة[7] وأهل العراق الشَكِلَة.[8] وقال سعيد بن جبير: **عربا**، أي ضَبَعَاتٍ[9] والضبعات هي التي تَعرض للزوج من الشهوة. ويقال لناقة إذا اشتهت الضِراب:[10] ضَبِعَة. وقوله عز وجل: **أترابا**، أي مستويات الأسنان. وقال القتبي: التِرب واللِدة[11] واحدة وهو بالفارسية هَمْزَاذ.[12] وأصله: أنهن انشئن بلا وِلاد يتقدم ويتأخر -كما يكون في الدنيا يتفاضلن[13] في الأسنان- فصرن[14] في الآخرة أترابا.

ثم قال: **وثُلَّةٌ من الآخِرين**، قد ذكرنا تأويله أنه يخرج على الوجهين. وروي عن ابن عباس [٧٧٤و] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هما جميعا من أمتي»[15] / وكذلك تأويل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[16]

---

[1] جميع النسخ: ومضمومة.
[2] ر م: وقال.
[3] جميع النسخ: يقرأها. والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ث: أحدها.
[5] «القربة و لقروب: كلتاهما المرأة الضحاكة. وقيل: هي المتحبِّبَة إلى زوجها المظهرة له ذلك؛ وبذلك فُسّر قوله عز وجل: ﴿عُرُبا أترابا﴾. وقيل: هي العاشقة له. فأما العُرُب فجميع عَروب، وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها (*لسان العرب*، «عرب»).
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٩.
[7] ن: المدينة الغنجة.
[8] ث: الشكه.
[9] ر م: عربا ضبعات. وقد تستعمل الضَبَعَة في النساء (*تاج العروس*، «ضبع»).
[10] ر ن م: الضرات.
[11] ن ث: والذلذة.
[12] «التِرب اللِدَة والتِبنُ. يقال: هذه تِرْبُ هذه أي لِدَتُها. وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، فسره ثعلب فقال: الأتراب هنا الأمثال. وهو حسن إذ ليست هناك وِلادةٌ (*لسان العرب*، «ترب»). ومعنى «همزاد»: اللتان وُلدتا في نفس الوقت.
[13] ن: يتماصن.
[14] ن: فيصرن.
[15] *تفسير الطبري*، ٢٤٩/٢٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٩/٨.
[16] الآية ١٣ و١٤ من هذه السورة.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**، وذَكَر في أصحاب اليمين مثله من التعجب[١] وأخبر عما يكرمهم به[٢] ويعطيهم من أنواع النعم، وذكر أصحابَ الشمال وذكر على إثره ما أعدّ[٣] لهم من العذاب والهوان بقوله: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٤] الآية. ثم ذكر في أول السورة أصحاب الميمنة والمشأمة ولم يذكر لهم الثواب ولا العذاب، وذلك -والله أعلم- لأن في ذكر الميمنة والمشأمة دلالةَ ما لهم؛ لأن الميمنة من اليمن والمشأمة من الشؤم ففي ذكر ذلك بيان ما[٥] لهم من الكرامات وما لأولئك من العقوبات. وليس في ذكر اليمين والشمال بيان العقاب فذكر على إثر ذلك ليُعرَف ما لكل[٦] فريق من الجزاء. *والله أعلم*.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **في سموم وحميم**، قيل: السموم هو فَيْح جهنم، والحميم هو الذي قد انتهى حرُّه[٧] غايته؛ وقيل: السموم هو[٨] حر النار، وقيل: هو ريح باردة، وقيل: ريح[٩] حارة. وأصله أنه لمّا أصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك يشربون الحميم رجاء أن يسكن به[١٠] عطشهم ويذهب ذلك عنهم، فلا يزداد هم بذلك إلا شدة عطش على ما كان. *والله أعلم*.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[٤٣]

وقوله تعالى: **وظل من يحموم**، قيل:[١١] هو دخان أسود. وقال بعضهم: **اليحموم** هو من الحميم. وقال أبو بكر: أي ظل من بخار[١٢] يجعل اليحموم بخارا. ثم الظل الذي ذكر هاهنا

---

[١] ن ث: من التعجيب.
[٢] ر م - به.
[٣] جميع النسخ: ما أوعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.
[٤] الآية التالية.
[٥] ر م - ما.
[٦] ن: ليعرف بالكل.
[٧] ن: بحرة.
[٨] م: هي.
[٩] ث - ريح.
[١٠] ر ث م: بهم؛ ن - بهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: وقيل.
[١٢] م: من بخار.

يحتمل أن يكون هو الضل الذي ذكر في قوله: اِنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ،[1] وقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ.[2] وقيل: هو السرادق من النار.

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **لا بارد ولا كريم**. لا بارد لأنه من النار ولا كريم لأنه لهوانهم ليس لىكرامة. وقال الحسن وقتادة: **لا باردِ** المنزل **ولا كريم** المنظرِ.[3]

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**، أي هذا الجزاء لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[4] وإنما قال ذلك مترفوهم دون السفلة والأتباع لقوله تعالى: إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.[5]

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وكانوا يصرون على الحنث العظيم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **كانوا يصرون على الحنث**، أي على الإثم العظيم وهو الشرك. وقيل: **الحنث العظيم**، الكبائر والإصرار،[6] [و]هو الإدامة عليها. وقال بعضهم: **يصرون**، على القَسَم:[7] يُقسمون ويَحْنَثُون[8] فيه، كقوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، أقسموا أنهم لا يُبعَثون فحنثوا[9] في ذلك لأنه تعالى أخبر أنهم يبعثون، حيث قال: بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[10] ويحتمل أن يكون قسمهم ما ذكر: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[11]

---

[1] سورة المرسلات، ٣٠/٧٧.
[2] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[3] تفسير *ابن كثير*، ١٥/٨؛ وتفسير *الطبري*، ٢٥١/٢٧.
[4] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[5] سورة سبأ، ٣٤/٣٤.
[6] ن: والأضرار.
[7] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.
[8] ر ن: ويحشون.
[9] ن: فحشوا.
[10] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[11] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.

وقوله:[١] لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٢] وقد جاءهم النذير[٣] فلم يكونوا أهدى، وجاءتهم الآيات فلم يؤمنوا بها فحنثوا[٤] فيها. فإن كان قسمهم بأنهم لا يبعثون حنثوا[٥] حين فراغهم من[٦] اليمين لأنهم أيسوا عن ذلك. وفيه دلالة لصحة مذهب أصحابنا أنّ من حلف لَيَمَسَّنّ[٧] السماء أنه يحنث عند فراغه من اليمين.

**﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤٧] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[٤٨]**

وقوله عز وجل: **وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون**،[٨] قالوا هذا القول[٩] على الاستهزاء والاستبعاد للبعث. ألا ترى أنه أجابهم فقال:

**﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾[٤٩] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٥٠]**

**قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**. ثم قوله:[١٠] **إن الأولين والآخرين**، يخرج على[١١] وجهين. أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين[١٢] في التخليق، أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق،[١٣] حيث خلق الآخرين[١٤] على إثر الأولين وإلا لم يكونوا وقت ما قال: **لمجموعون**، إذ الآخرون لم يكونوا مخلوقين بعدُ. والثاني مجموعون في الأرض أي في القبور **إلى ميقات يوم معلوم**.

[١] ث: وقولهم.
[٢] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[٣] ن: اليدين.
[٤] ن: فحشوا.
[٥] ن: خشوا.
[٦] ن – من.
[٧] ر م: لمس.
[٨] ر ث م – الأولون.
[٩] ر م – القول.
[١٠] ر: ثم وقوله.
[١١] ث + على.
[١٢] ن – يخرج على وجهين أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين.
[١٣] ث – أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق.
[١٤] ر ن م: الأخرى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون**، أي الضالون المكذبون[١] بآيات الله[٢] الدالة على توحيده ورسله والبعث.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾[٥٢]

وقوله: **لآكلون من شجر من زقوم**، أخبر أن المكذبين يكونون[٣] آكلين من الشجر الزقوم فيكون كما أخبر. ثم شجرة الزقوم هي التي ذكر: إِنَّهَا [شَجَرَةٌ] تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،[٤] وقد ذكرنا تأويله[٥] في موضعه.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **فمالئون منها البطون**، يخبر أنْ[٦] ليس لهم مما يأكلون ويشربون إلا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما يأكلون من الزقوم وغيره الجوعَ،[٧] ولا ما يشربون من الحميم العطشَ عنهم، بل يزداد لهم بذلك[٨] جوع وعطش[٩] على ما كان. *والله أعلم*.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[٥٥]

وقوله: **فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم**، قيل: الهيم هو إبل يأخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يَرْوَى أبدا[١٠] للداء الذي فيه، فعلى ذلك أهل النار يشربون ويأكلون حتى تمتلئ[١١] بطونهم فلا يَرْوَوْن ولا يشبعون. *والله أعلم*. وقيل: الهيم الإبل الذي يهيم[١٢] في الأرض ولا يَرِد الماءَ أياما ثم إذا ورد الماء فيشرب فيمتلئ بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن، وهو قول الأصم.

---

[١] ر ث م – أي الضالون المكذبون.
[٢] ن – الله.
[٣] ن: يكونوا.
[٤] سورة الصافات، ٣٧/٦٤-٦٥.
[٥] ن ث: تأويلها.
[٦] ر: أنه.
[٧] ر م: الجموع.
[٨] ر: عنهم يزداد لهم بذلك؛ م: عنهم يزداد بذلك لهم.
[٩] جميع النسخ: جوعا وعطشا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩ط.
[١٠] ن – أبدا.
[١١] جميع النسخ: يمتلئ. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: يهم.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نزلهم يوم الدين**، أي الذي[1] ذكر غذاؤهم ورزقهم يوم الدين. [٧٧٤ط]

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناكم فلولا تصدقون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: لما صدقتموني ورسلي بأنا خلقناكم في الابتداء فهلّا صدقتمونا ورسلنا بأنا نعيدكم تارة أخرى، إذ الأعجوبة[2] في ابتداء الإنشاء[3] أكثر[4] منها في الإعادة[5] وهو ما قال: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[6] والثاني إنكم صدقتموه ورسله أنه أنشأكم[7] في بطون أمهاتكم في الظلمات الثلاث[8] ونقلكم من حال إلى حال لا يحتمل أن يترككم سُدًى بلا عاقبة، فيكون فيه إثبات البعث؛ إذ لولا ذلك لكان خلقهم وتحويلهم من حال إلى حال عبثا كما قال تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا.[9] *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾[٥٨] ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**، قد علموا أنهم لم يخلقوا ما يُمْنون[10] ولا خلقوا أنفسهم؛ فيقول -والله أعلم-: قد أقررتم أنكم لم تخلقوا ما أمنيتم[11] ولا أنفسكم ولا تملكون[12] ذلك، فقد عرفتم أن الله هو خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك.

---

[1] ر م: الذين.

[2] ر: إذ لا أعجوبة.

[3] جميع النسخ: الأشياء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[4] ث: أكبر.

[5] ن: منها والإعادة.

[6] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

[7] ر م: أنشأ لكم.

[8] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[9] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

[10] جميع النسخ: تمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[11] ر: أمنيتهم؛ ن م: أمنيتهم.

[12] ر م: ولا يملكون.

فإذا[1] عرفتم ذلك وأنتم أهل تمييز وأكمل عقلا من غيركم فإذ[2] لم تملكوا[3] خلق أنفسكم فالذين هم دونكم أحق أن لا يملكوا خلق أنفسكم وخلق ما ذكر؛ ثبت أن الله تعالى هو خالق ذلك كله، فكيف عبدتم غيره وصرفتم الألوهية إلى غيره؟

**﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٦٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦١]**

وقوله عز وجل: **نحن قدرنا بينكم الموت**، يحتمل وجوها. أحدها أنه لما كان هو الذي خلقكم وما ذكر ثم قدّر بينكم الموت وفيكم الولي له والعدو وقد سوّى في الدنيا بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما،[4] دلّ أن هنالك دارا أخرى يُفرِّق بينهما.

والثاني **نحن قدرنا بينكم الموت**، أي المعجل والمؤجل، أي لم يجعل موت جميعكم في وقت واحد بل جعل معجلا ومؤجلا في الأصل، وقدّر أن تكون[5] مدة أجل هذا أكثر من مدة أجل الآخر. وقيل: **نحن قدرنا بينكم الموت**، أي سوينا بينكم في الموت بين عزيزكم وذليلكم ورفيعكم ووضيعكم لا يَسلم[6] أحد عنه.

ويحتمل وجها آخر هو أولى [به][7] وهو أنه لما قدّر بينكم الموت، وكلٌّ واحد منكم يكره[8] الموت ثم لم تملكوا[9] دفع الموت عن أنفسكم، دلّ أن هاهنا غيرا[10] قاهرا قادرا يجب القول بوجوده والانقياد لأوامره ونواهيه.

[٧٧٤و س١٨] * وفي قوله تعالى: **نحن قدرنا بينكم الموت**، نقض قولهم من أن المقتول لم يمت بأجله؛ لأنه تعالى أخبر أنه قدّر الموت بينهم، وعندهم أنّ من قُتِل لم يمت بما قدّر الله تعالى و لم يمت بأجله،

---

[1] ن ث: فإذ.
[2] ر م: فإذا.
[3] ن ث: لم يملكوا.
[4] ر + أن.
[5] جميع النسخ: أن يكون.
[6] ن: لا تسلم.
[7] الزيادة من الشرح، ورقة ١٨٩ظ.
[8] ن: نكرة.
[9] ن: لم يملكون؛ ر م: لم تملكون.
[10] ر ن م - غيرا.

وقد أخبر أنه[1] قدّر ذلك، وأنه لا يسبق في ذلك، لقوله:[2] **وما نحن بمسبوقين**، ولو كان على ما تقوله[3] المعتزلة: إن المقتول[4] يموت قبل أجله فقد قالوا: إنه لم يقدّر[5] له الموت وإن القاتل[6] قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الأجل والبلوغ إلى ذلك الأجل الذي جعل له وكذّبه في خبره أنه يبلغ إلى ذلك الأجل. *والله الموفق*.* |٧٧٤و س٢٢|

وقوله: **وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم**، أي وما نحن بمغلوبين في تبديل أمثالكم. أو يقول: وما نحن بعاجزين على أن نبدل[8] أمثالكم. وقوله: **وننشئكم فيما لا تعلمون**، قال أبو بكر الأصم: **وننشئكم[9] فيما لا تعلمون**، من تبديلكم إلى صورة ذميمة قبيحة كصورة القِرَدَة والخنازير ونحوهما.[10] وقيل: **ننشئكم فيما لا تعلمون**، في أيّ خلقٍ شاء، وهو قريب[11] من الأول. وجائز أن يكون معناه **وننشئكم فيما لا تعلمون** في ظلمات ثلاث[12] الذي لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء إلى أن بلغوا ما بلغوا، فمن ملك[13] ذلك لا يحتمل أن يعجز عن بعث أو غيره. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦٢]**

وقوله عز وجل: **ولقد علمتم النشأة الأولى**، فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى[14] لا عن أصل سبق لا يحتمل أن يَعْجِز عن النشأة الآخرة

[1] ر ث م + هو.
[2] ر ث م: بقوله.
[3] ن: يقوله.
[4] ر م - إن المقتول.
[5] ن + إنه لم يقدر.
[6] ن: وإن العامل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٧٧٤و /سطر ١٨-٢٢.
[8] ن: يبدل.
[9] ر ث م - وننشئكم.
[10] جميع النسخ: ونحوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[11] ر م: أقرب.
[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[13] ر م: تملك.
[14] ن - فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى.

لأنها مثل الأولى بل في وهمكم أسهل وأهون. وقوله عز وجل: **فلولا تَذَكَّرون**، يخرج على ما ذكرنا: هلّا تذكرون وحدانيته وربوبيته؛[1] أو هلا تذكرون أنه قادر على البعث؛ أو [لو] لا تذكرون[2] أنه هو المستوجب لشكر ما أنعم عليكم؛ أو هلا تذكرون[3] نعمه وإحسانه. ومن الناس من قال: النشأة الأولى هاهنا نشأة آدم عليه السلام وخلقه، أي علمتم نشأته لا من أصل ولا احتذاء[4] بغير،[5] فمن قدر على ذلك فهو على النشأة الأخرى لقادر، وعلى تقدير وهمكم أقدر. *والله الموفق*.

**﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾**[٦٣] **﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾**[٦٤]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، جائز أن يكون هذا[6] صلة ما تقدم من قوله: أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ،[7] كأنه يقول: **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم[8] تخلقون الزرع أم نحن الخالقون له؛ فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك. *والله أعلم*. والثاني **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم جعلتم الحِراثة بحيث تُنبت أم نحن الجاعلون بحيث تنبت.[9]

[٧٧٣ظ س٣٥ * وأهل التأويل يقولون: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، أي تُنبتونه[10]

٧٧٣ظ س٣٥] أم نحن المنبتون، وأصله ما ذكرنا.*

**﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾**[٦٥]

ثم قال: **لو نشاء لجعلناه حطاما**، أي يابسا، وقال أبو عَوْسَجَة: أي[12] متكسرا. يذكر[13] نعمه[14] التي أنعمها عليهم. يقول: هو الذي جعله بحيث ينتفع [به] ويبقى ولو شاء لجعه بحيث

---

[1] ر: وحدانية وربوبية.
[2] ن: يذكرون.
[3] ن: يذكرون.
[4] ر ن: ولا احتذا.
[5] جميع النسخ: لغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[6] ر: هذه؛ ن ث: هذه الآية.
[7] الآية ٥٨ من هذه السورة.
[8] ن: لأنتم.
[9] جميع النسخ: ينبت أم نحن الجاعلون بحيث ينبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: ينبتونه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.
[12] ن – أي.
[13] جميع لنسخ: متكسر ليذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[14] ر: نعمته؛ ن: لنعمه.

لا يُتفع به. أو يخبر عن قدرته أنه قادر على الإنبات وعلى الإهلاك؛[1] فعلى ذلك قادر على الإنشاء والإعادة.*

وقوله عز وجل: **فظَلْتم تفكهون**، قيل: تَعَجَّبون،[3] وقيل: تَنَدَّمون،[4] وهي لغة عُكْل.[5] وقال أبو بكر الأصم: أي صرتم تتنعمون وتتلذذون،[6] كما يقول الرجل لآخر: لو أخذتُ[7] مالك أو سلبتُه صرتُ غنيا[8] أو استغنيت. ولكن[9] لا ندري أيقال ما ذكر أم لا؟ فإن كان يقال ذلك يصير تقديره: كأنه يتلذذ لكثرة ما يذكره[10] في كل وقت؛ لأن الرجل إذا ذهب ماله لا يزال يذكره[11] كالمتلذذ به والمتنعم. وعن ابن عباس رضي الله عنه:[12] **فظَلْتم تفكهون**، أي تَلَاومون.[13] / وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فظِلْتم[14] تفكهون. وقوله: **فظلتم**، [٧٧٥و]
يستعمل في زمان النهار دون الليل.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[٦٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **إنا لمغرمون بل نحن محرومون**، أي فَظَلْتم تقولون:[15] **إنا لمغرمون**. ثم اختلف فيه، قيل: إنا لمعذبون، بقوله: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا.[16] وقيل: إنا لَمُذَمُّون المُلْقَوْن لشر[17] ونحو ذلك.

---

[1] ن: عى الإثبات وعلى الإهلاك؛ م: عى الإنبات والإهلاك.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.

[3] ن: يعجبون.

[4] ن: يندمون.

[5] ر م: عكيل. عُكْلٌ، وتَيْمٌ، وَعَدِيٌّ قبائل من الرِّباب (لسان العرب، «عكل»)؛ وقال ثعلب: الرِّباب هم خمس قبائل: ضَبَّةُ، وثَوْرٌ، وعُكْلٌ، وتَيْمٌ، وَعَدِيٌّ (لسان العرب، «ربب»).

[6] ن: يتنعمون ويتلذذون.

[7] ن: لو أحدث؛ م: لو أخذته.

[8] ن: عينا.

[9] ر: ولا كين.

[10] ث: يذكر.

[11] ر م: ذكره.

[12] ن - رضي الله عنه.

[13] نسبه الطبري إلى عكرمة (تفسير الطبري، ٣٤٩/٢٢).

[14] جميع النسخ: فصرتم. والتصحيح من تفسير القرطبي، ٢١٩/١٧.

[15] ر م: يقولون.

[16] ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ (سورة الفرقان، ٦٥/٢٥).

[17] ر: لىشر؛ ن: لسرت.

لكنه من الغُرْم الظاهر لأن من لحقه[1] خسران في ماله أو هلاك تلحقه[2] الغرامة لما يحتاج إلى غيره. وأصله كأنه يقول -والله أعلم- لو جعله حطاما يابسا [بحيث][3] لا تنتفعون[4] به ظَلْتم تقولون: **إنا لمغرمون**. وقوله: **بل نحن محرومون**، قيل: المحروم هو الذي يُمنع[5] عنه المال أو ما ينتفع به. وقال بعضهم: محدودون، وقيل: مُحارَفون،[6] لكن المحروم ظاهر لا يحتاج إلى التفسير. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾[٦٨] ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾[٦٩] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[٧٠]**

وقوله عز وجل: **أفرأيتم الماء الذين تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**، يذكر نعمه عليهم بما أنزل لهم من الماء العذب فيشربونه،[7] وأخبر أنه لو شاء لجعله أجاجا مالحا ما تهلك[8] به[9] الأنفسُ ولا تقوم[10] له. وكذلك قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[11] حتى يَخرج من أن يكون غذاءً[12] لهم[13] فيه، ولكن بفضله ورحمته أبقى لهم ذلك أغذية وأشربة ولذلك قال في آخره: **فلولا تشكرون**، أي هلا تشكرون ما أنعم عليكم.

ثم في هذه الآيات دلالة نقض قول المعتزلة في أفعال العباد حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ،[14] والإمناء[15] هو فعل العبد؛ إذ هو دفق المَنِيِ، ثم أخبر أنه هو خالق ذلك حيث قال: أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ. وكذلك الحِراثة والزراعة فعل العباد، وأخبر أنه خالق ذلك.

---

[1] جميع النسخ: مرجعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[2] جميع النسخ: يحقه.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: لا ينفعون. الزيادة والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: ينتفي.
[6] وفي الصحاح: رجل مُحارَف -بفتح الراء- أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك (*لسان العرب*، «حرف»).
[7] ر م: فيشربون.
[8] جميع النسخ: ما يهلك.
[9] ر م - به.
[10] جميع النسخ: ولا يقوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[11] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[12] ن ث: غدا.
[13] ر ث م - لهم.
[14] الآية ٥٨ و٥٩ من هذه لسورة.
[15] م: والإمار.

وفي قوله[1] تعالى: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[2] و[قوله: **لو نشاء جعلناه**][3] **أجاجا**، نقض قولهم في الأصلح. فإنه يقال لهم: إن قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا و[قوله: **لو نشاء جعلناه**] **أجاجا**، لا يخلو إما أن يكون الأصلح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء[4] لجعل[5] كذا ثم لم يفعل ذلك فقد ترك الأصلح لهم؛ أو يكونَ الأصلح لهم في إبقاء[6] ذلك فيصير كأنه قال: لو شاء لجعل ما هو حق وعدل جورا، ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى لو شاء أن يجور لجار.[7] فعلى أيّ الوجهين حُمِل كان في ذلك نقضُ مذهبهم.* ثم قوله:[9] **أأنتم أنزلتموه من المزن**، اختلف في تأويل المزن. قال عامة أهل التأويل والأدب: المزن هو السحاب. وقال أبو بكر الأصم: المزن هو الماء[10] العذب، فعلى قوله يكون حرف "مِن" صلة كأنه قال: أأنتم أنزلتم[11] المزن. والظاهر ما ذهب إليه أولئك أنه ينزل من السحاب. ***والله أعلم***.

**﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾[٧١]**

وقوله عز وجل: **أفرأيتم النار التي تورون**، قال بعضهم: توقدون، وقال بعضهم: تَقدَحون.[12] يقال: قدحتُ[13] النار وأَوْرَيْتُها،[14] أي أخرجتها. يقال: وَرَتِ[15] النارُ تَرِي[16] وَرْيا فهي[17] وارية، أي أضاءت.

---

[1] ر م: في قوله.
[2] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.
[4] ر ث م – حطاما وأجاجا لا يخلو، ما أن يكون الأصح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء.
[5] ر ث م: لجعمه.
[6] ن: إتقاء.
[7] ن: أن يجوز لجاز.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٠، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٤و/ سطر١٨-٢٢.
[9] ر: ثم وقوله.
[10] ن + هو الماء.
[11] ث + من.
[12] ر م: تفرحون.
[13] ر م: قرحت.
[14] ن: وأورثتها.
[15] ر م: ورت.
[16] ر م: يري.
[17] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[٧٢]

وقوله[١] عز وجل: **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**، قيل: هي الشجرة التي تُجعل[٢] حطبا وتوقد بها النار وتُحْرَق[٣] وقيل: هي الشجرة التي فيها النار وهي التي تتخذ منها الزُّنُود.[٤] والأول أقرب. *والله أعلم*.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾[٧٣] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **نحن جعلناها تذكرة**، قال بعض أهل التأويل: أي جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار الآخرة. ويحتمل أن يكون قوله:[٥] **نحن جعلناها**، أي هذه النعم الحاضرة **تذكرة** للنعم[٦] الموعودة، أو جعلنا هذه الشدائد والبلايا في الدنيا تذكرة لما أُوعدوا[٧] في الآخرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ومتاعا للمقوين**، قال بعض أهل التأويل: أي متاعا للمسافرين؛ خصّ المسافرين لنزولهم[٨] القَوَاء وهو القَفْر، وهو قول القُتَبِي.[٩] وقيل: المقوين المستمتعين. وقال أبو عَوْسَجَة: المقوي الذي[١٠] لا زاد له. وقيل: الذي يقع في أرضٍ قَوَاءٍ، والقَوَاء الخالية من الناس. وقال أبو عبيد: لا أرى[١١] الذي لا زاد[١٢] معه أولى بالنار ولا أحوج إليها مِن الذي معه الزاد[١٣] بل صاحب الزاد[١٤] إليها أحوج. ويقال: رجلٌ مُقوٍ[١٥] إذا كانت معه مطية قوية.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: يجعل.

[٣] جميع النسخ: ويوقد بها النار ويحرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ط.

[٤] جميع النسخ: يتخذ منها الربود. والتصحيح من المرجع السابق. الزَّنْد: العود الأعلى الذي يقتدح به النار. والجمع: أَزْنُد وأَزْناد وزُنُود وزِناد. وأزانِد جمع الجمع (*لسان العرب*، «زند»).

[٥] ر ث م – قوله.

[٦] ث: المنعم.

[٧] ر م: أوعدهم.

[٨] ن: ليزولهم.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥١.

[١٠] ن – الذي.

[١١] جميع النسخ: أرى. والتصحيح من *الشرح*، ١٩٠ظ.

[١٢] ر م – له.

[١٣] ن: الراد.

[١٤] ن: الراد.

[١٥] جميع النسخ: مقوى. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[٧٥] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**، عن ابن مسعود وإبراهيم [النخعي][1] أنهما قرءا[2] "بموقع النجوم" على الوُحْدان. وعن الحسن أنه قرأها: **بمواقع النجوم**.[3] على الجمع[4] وبه أخذ أبو عبيد. وقال: إن بعض أهل التأويل يتأولونها على منازل القرآن، وبعضَهم على مغائب الكواكب[5] ومساقطها، وأي الوجهين كان فالجمع فيه أولى من الوحدان. ثم اختلف في قوله: **فلا أقسم**، منهم من قال: إن حرف "لا" هاهنا صلة كأنه قال: أقسم بمواقع النجوم. وذلك جائز في اللغة كقوله:[6] ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾،[7] ونحوه، يكون [٧٧٥ظ] على الصلة والزيادة على التوكيد. ومنهم من قال: على إثبات حرف "لا" لكنه جعل ذِكْره لرد قولٍ كان من أولئك الكفرة ولدفع منازعةٍ كانت منهم، لكن لم يَذكر ذلك لِما كانت معروفة بينهم فردّ ذلك بقوله: **فلا**، ثم ابتدأ القسم بقوله: **أقسم**، كأنه قال: أقسم قسما بمواقع النجوم.

ثم اختلف في تأويل قوله: **بمواقع النجوم** على الوجهين اللذين ذكرناهما. قال[8] بعضهم: **بمواقع النجوم**، أي بمواقع نزول القرآن نجوما، دليله ما ذكر على إثره: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.[9] والثاني **بمواقع النجوم**، النجوم المعروفة على ما قال بعضهم. ثم إن كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون[10] على وجوه. أحدها لعظم موقع النجوم ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلُها بعض الملحدة[11] مدبّرةَ العالم. أو لكثرة منافع الخلق بها من معرفة الطرق[12] بها والسبل، ومعرفة كثرة الأنداء[13] والمياه ومعرفة الأوقات والأزمنة وغيرها مما يكثر ذكرها.

---

[1] ر ث: قرأ. *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٣٣٧؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.
[2] هو أبو عمران (أبو عمار) إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة، تابعي. توفي سنة ٩٦هـ/٧١٤م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ١/٢٥-٢٦.
[3] ر ث م - النجوم. *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.
[4] ن: على الجميع.
[5] ر م: الكوكب.
[6] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.
[7] سورة الأعراف، ١٢/٧.
[8] ر م: وقال.
[9] الآيتان التاليتان.
[10] ن: يقع.
[11] م: الملاحدة.
[12] ث: الطريق.
[13] ر م: الأنداد. النَّدَى: المطر والبلل، وجمعه أنداء (*الصحاح*، «ندى»).

أو **بمواقع النجوم**، أي بمساقطها[1] وفي ذلك إخبار وإنباء[2] عن شدة طاعة[3] النجوم له[4] وتسخيره إياها للخلق حيث يملك قطع مسيرةِ خمسَمِائَةِ عامٍ بيوم واحد أو ليلة[5] واحدة ما لا يتوهم قطع ذلك مَن سواها من دوي الأرواح[6] والأجنحة التي[7] هي أسرع لقطع المسافات والوصول إلى مقاصدها. *والله أعلم*.

ثم قال أهل التأويل بأجمعهم بأن القسم بها[8] من الله تعالى. وجائز أن يكون القسم بذلك[9] من الرسول صلى الله عليه وسلم[10] لكن أضاف إلى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم برب هذه الأشياء، وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء؛[11] إذ لم يقع التنازع[12] بينهم وبين الله لِيُقْسَمَ، وإنما وضع القسم لتأكيد الخبر عند الإنكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام. وكذلك ما ذكر من قوله:[13] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾،[14] [جائز أن يكون القسم برب المشارق والمغارب][15] ليس من الله تعالى ولكن من الرسول؛ إذ لا يحتمل أن يكون الرب عز وجل هو الْمُقسِم ويقولَ:[16] ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾، فظاهره[17] أن يكون الرسول هو المقسم بها، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: مساقطها.
[2] م: إنباء وإخبار.
[3] ث: إطاعة.
[4] ر ث م – له.
[5] ر ث م: خمسمائة بيوم وليلة (ث: أو ليلة).
[6] ث: الأزواج.
[7] ن: أي.
[8] م: بهما.
[9] ر ث م – بذلك.
[10] ن – صلى الله عليه وسلم.
[11] ر – وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء.
[12] ر م: إذ المتنازع؛ ث: إذ لم التنازع.
[13] ر ث م – من قوله.
[14] ر م: والمشارق. سورة المعارج، ٤٠/٧٠.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[16] ن: وتقول.
[17] ر ث م: بظاهره.

ومن الناس من قال: إن الأقسام التي جرى ذكرها في القرآن بالأشياء التي ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الأشياء تؤكد وتوجب القسم وتؤكد[1] أن لو وقع بها القسم، لأن الأقسام فيه[2] إنما جرى أكثرها في إيجاب البعث والتوحيد وإثبات الرسالة ونحوها. وما جرى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لأن في هذه الأشياء دلالاتٍ على البعث والتوحيد والرسالة. *والله الموفق*.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **إنه لقرآن كريم**، على قول من يجعل القسم بالقرآن فهو ظاهر.[3] يقول: **إنه لقرآن كريم**، أي الذي أقسم به وأنزله نجوما[4] هو كريم. وعلى التأويل الذي يجعل القسم بالنجوم المعروفة[5] يجعل قوله: **إنه لقرآن كريم**، ابتداءَ ذكرٍ منه له. ثم تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه. أحدها وصفه بالكرم لما هو محل لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، وفي العرف الكريم: مَنْ نَصَب نفسَه وأعدّها[6] لقضاء حوائج الخلق والقيام لإنجاحها.[7] أو وصفه بالكرم لأن من اتبعه كَرُم وشَرُف. أو كريم عند الله عظيم لذلك وصفه بالكرم. *والله أعلم*.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **في كتاب مكنون**، قال أهل التأويل: في اللوح المحفوظ. سماه مكنونا لأنه مستور عن خلقه عند الله.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٧٩] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٠]

وقال عز وجل: **لا يمسه إلا المطهرون**، يقول: لا يمس ذلك إلا المطهرون. وقال بعضهم: هم الملائكة الذين يجري ذلك على أيديهم، كقوله تعالى: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ،[8]

---

[1] جميع لنسخ: يؤكد ويوجب القسم ويؤكد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[2] أي في القرآن.
[3] ر م + أن.
[4] ر م: نحو ما.
[5] م: والمعروفة.
[6] ث: وأعد.
[7] ر: لإنجاحها. يقال: أنجحت الحاجةُ أي قضيت (*المعجم الوسيط*، «نجح»).
[8] سورة عبس، ٨٠/١٥-١٦.

طُهِّروا من الذنوب والآثام، وكان ذكر هذا ليأمنوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله. وهو ما قال عـى إثره: **تنزيل من رب العالمين**، أي إنه مكنون عمن يحرفه ويبدّله وإنه **لا يمسه إلا المطهرون**، من الذنوب، إذ التحريف[1] إثم وذنب وإنه تنزيل[2] من رب العالمين، وهو كما ذكر في آية أخرى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[3] وقال: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.[4] أخبر أن الذي[5] نزل به من السماء أمين لا يكون منه التحريف ولا التبديل، وأنه قويّ لا يقدر أحد من جني أوإنسي[6] أخذَه من يده[7] ولا تحريفَه.[8] ثم تمام الأمن بقوله[9] تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[10] وَكَّلَ حفظَه إلى نفسه لا إلى أحد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف. ***والله أعلم.***

**﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُمْ مُدْهِنُونَ﴾[٨١] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٨٢]**

وقوله:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**، قال بعضهم: أفبهذا[12] القرآن أنتم كافرون. **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**. الله تعالى جعل هذا القرآن حياة الدين وقوامه[13] والرزقَ حياة الأبدان والأنفس[14] وما به قوامها، فكذبوا الأمرين جميعا: ما به حياة الدين والأبدان[15] جميعا. ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه. أحدها ما ذكر بعض[16] أهل التأويل أنهم كانوا يقولون: رزقنا بنوء كذا، كانوا ينسبون الرزق إلى[17] ذلك النَّوء. [لكن إن أرادوا بقولهم:

[1] جميع النسخ: والتحريف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[2] ن ث + وإنه تنزيل.
[3] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.
[4] سورة النجم، ٥/٥٣.
[5] ر + أخبر.
[6] ر ن م: وإنسي.
[7] ن - ولا التبديل وأنه قوي لا يقدر أحد من جني وإنسي أخذه من يده.
[8] ث + وقوله عز وجل.
[9] ر ث م: لقوله.
[10] سورة الحجر، ٩/١٥.
[11] ن: قوله.
[12] ر م: فبهذا.
[13] جميع النسخ: قواما.
[14] ر م - والأنفس.
[15] ث: حياة الأبدان والدين.
[16] ر م + الناس.
[17] ر م - إلى.

رُزقنا بنوء كذا أنّ فِعل الرزق من النوء][1] فهذا يخرج على قول[2] / المنجمة: إن النجوم هي[3] [٧٧٦و]
مدبرة العالم وأرزاقِهم، لا يجعلون لله في ذلك تدبيرا. فأما من ينسب الرزق إلى الله تعالى ويقول: رَزَقَنا اللهُ بنوء كذا، فليس في ذلك تكذيبه. إنما يخرج ذكر النوء ذكرَ[4] سبب من الأسباب التي يرزق الله تعالى بها. وكذلك من رأى الرزق من الأسباب خاصة. وأما من يقول: رزقنا الله[5] تعالى بسبب كذا فكذا[6] فذلك جائز القول به. وقال بعضهم: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، أي تجعلون[7] شكر الرزق التكذيب، وبه قال أبو عبيدة.[8] وجائز أن يكون تكذيبهم الرزقَ صرفَ تسمية الألوهية إلى غير الذي رزقهم، والعبادةَ لغير المستحق لها. ***والله أعلم.***

وقال الحسن: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، بِئسما أَخَذَ[9] القومُ لأنفسهم حتى لم يُرْزَقُوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب.[10] يقول: صار حظكم من القرآن التكذيب، ويجعل هذه الآية مع الآية الأولى:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**. وقال أبو بكر الأصم في هذه الآية: **وتجعلون رزقكم**، وهو هذا القرآن الذي خصكم به دون آبائكم ورُزقتم به ما لم يُرزق آباؤكم منه، ثم جعلتم تكذبون ذلك الرزق الذي خُصصتم به ورزقتم، أو كلام[12] نحوه، وهو كقوله تعالى: وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ.[13] وقال في قوله تعالى: **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**، [المدهن][14] هو الذي يُرِي الموافقة ويحتال[15] في دفع حجة ما يُلزمه ويَرد عليه، أو كلام يشبه معناه هذا. ***والله أعلم.***

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[2] ر م: قوله.
[3] جميع النسخ: هن. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] م – ذكر.
[5] ر م – الله.
[6] ر ث م – فكذا.
[7] جميع لنسخ: يجعلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: عبيد. تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٢.
[9] ر ن ه: أخذ.
[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠/٨.
[11] ر: أولى.
[12] ر ث ه + من.
[13] سورة الأنعام، ٩١/٦.
[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[15] ر: ويحتال

وقال أبو معاذ: مُدهِن ومُداهِن[1] لغتان. ثم أصل المداهنة[2] المخادعة. يقال: داهنتُه وأدهنته واحد.[3] ثم الفرق بين المداهنة والمداراة، كأن المداهنة لطمع له فيه يخادعه[4] حتى يصل إلى ما يطمع. والمداراة الشفقة يداريه إشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق لِيَسلم له دينُه، وإلا هما في الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض[5] الجناح، لكن الفرق بينهما ما ذكرنا. *والله أعلم*.

**﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[٨٣] ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[٨٤]**

وقوله عز وجل: **فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون**، ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام. ثم يشبه أن يكون صلةَ ما قال أولئك الكفرة: لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا.[6] يقول -والله أعلم-: لو كانوا عندكم لم يموتوا و لم يقتلوا على ما زعمتم، فهلا إذا كانوا عندكم فبلغت الأرواح الحلقوم أن ترجعوها وتردوها[7] إلى الأجساد التي كانت لو كنتم صادقين في قولكم: لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، الآية، على هذا جائز أن يخرج تأويل الآية. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **وأنتم حينئذ تنظرون**، يخرج على وجهين. أحدهما تنظرون أي تنتظرون[8] خروج الروح أنها متى تخرج؟ لا تملكون[9] ردها إلى حيث كانت ولكن تنتظرون[10] خروجها متى تخرج؟ والثاني **وأنتم حينئذ تنظرون**، على حقيقة النظر أي تنظرون[11] إلى سلطاني وقدرتي. وقيل: هو من الانتظار أي تنتظرون أن يَحُلّ[12] بكم الموت، وهو[13] ما ذكرنا. وجائز أن يكون قوله:

[1] جميع النسخ: ومدهن. والتصحيح من *الشرح*، ١٩١ظ.
[2] ر ث م + من.
[3] ر - وأدهنته واحد.
[4] ر م: مخادعة.
[5] ر: وحفض.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٦).
[7] ر م: أن يرجعوها ويردها؛ ن: أن يرجعوها ويردوها.
[8] ر ن م: ينظرون أي ينتظرون.
[9] جميع النسخ: لا يمكنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[10] جميع النسخ: ينتظرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: ينظرون.
[12] ن: يجعل.
[13] ر م: هو.

**وأنتم حينئذ تنظرون**، لأنهم كانوا يعبدون هذه[1] الأصنام رجاء أن تتشفع[2] لهم في ضيق الحال. وإنما يضيق[3] عليهم الأمر عند حلول الموت بهم؛[4] إذ لا بعث عندهم. فيقول: فلولا إذا بلغت الأرواح الحلقوم فتشفع[5] لكم[6] الأصنام التي تعبدونها[7] وترد الأرواح إلى المكان الذي كانت فيه؛[8] فإذا لم تملك[9] ذلك فكيف عبدتموها؟ *والله أعلم*.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**، قال بعض أهل التأويل: **ونحن أقرب إليه منكم**، أي ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون الملائكة، لكن أضاف إلى نفسه لما أن الملائكة بأمره وتسليطه يعملون. وقيل: **ونحن**[10] **أقرب إليه منكم**، أي أولى به منكم[11] في ذلك الوقت لما يعلم هو خطأه ويتبين[12] له الحق في ذلك الوقت من الباطل **ولكن لا تبصرون** أنتم، أي لا تعلمون ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٨٦] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**، قال بعضهم: **غير مدينين**، أي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم، ترجعون الأرواح وتردونها إلى الأجساد التي كانت فيها إن كنتم صادقين أنكم غير مملوكين فإذ[13] كنتم عندكم غير مملوكين تكونون[14] مالكين؛

---

[1] ر م - هذه.
[2] جميع النسخ: أن يشفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[3] ر م + الحال.
[4] ر ث م - بهم.
[5] ن: فيشفع؛ ر ث م: فينتفع.
[6] جميع النسخ: لهم.
[7] ر ث م: يعبدونها.
[8] ر ث م - فيه.
[9] جميع النسخ: لم يملك. والتصحيح من مرجع السابق.
[10] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م - منكم.
[12] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: فإذا.
[14] ن: يكونون.

إذ ليس إلا المملوك أو المالك فإذا لم تكونوا[1] مملوكين تكونون[2] مالكين فتمكون[3] ردها إلى ما فيها فإذ[4] لم تملكوا[5] كنتم مملوكين. **والله أعلم.**

وقال بعضهم: **غير مدينين،** أي غير محاسَبين ولا مجزيِّين ولا مبعوثين. من قولك: كما تَدِينُ تُدانُ،[6] وكذلك الدين[7] يستعمل في الحساب. وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين[8] فرُدُّوا النشأة الأولى[9] واجعلوها بأنفسكم حتى تكونَ[10] النشأة الأولى حكمةً؛ إذ لم تملكوا[11] ردّ هذه الأرواح إلى الأنفس. أو اجعلوا النشأة الأولى لغير الذي يكوّن النشأة الأخرى حتى تكون[12] النشأة الأولى[13] حكمة. **والله أعلم.**

**﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٨٨] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٨٩] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩٠] ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩١] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾[٩٢] ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٩٤]**

وقوله عز وجل: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم،** إلى آخره.[14] اختلف[15] في وقت ما ذكر لمن ذكر[16] ذلك. قال بعضهم: إنّ ذلك يقال لهم عند الموت بشارةً لهم

---

[1] ر م: والمالك فإذا لم يكونوا؛ ن: م يكونوا.
[2] ن: يكونون.
[3] ر ن م: فيملكون.
[4] جميع النسخ: فإذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[5] ر م: يملكوا.
[6] يروى حديثا مرفوعا ومرسلا، وفي إسناده ضعف. انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، «كما تدين».
[7] ن: ولذلك الذي.
[8] ر ث م – ولا مبعوثين من قولك كما تدين تدان وكذلك الدين يستعمل في الحساب وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين أحدهما يقول والله أعلم إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين.
[9] ن: التي؛ ث: الأخرى.
[10] ر ن م: يكون.
[11] ر ن م: لم يملكوا.
[12] ن: يكون.
[13] ر ث م – غير الذي يكون النشأة الأخرى حتى تكون النشأة الأولى.
[14] ن: إلخ؛ م: الآية.
[15] ر م: واختلف.
[16] ث – لمن ذكر.

بما يكون لهم[1] في الجنة. ومنهم من يقول: إنما يقال ذلك إذا دخل هؤلاء الجنة وأولئك النارَ أعني الكافرين، وهو ما ذكر ، **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**. وجائز أن يكون يقال ذلك[2] لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة. وَصَف لرسول الله صلى الله عليه وسلم محلهم[3] عنده في الجنة ومكانَهم لديه على ما كانوا عنده في الدنيا: السابقون كانوا في الدنيا المقربين[4] عنده، ومكانهم لديه أقرب من مكان غيرهم من المؤمنين. فعلى ذلك يخبر أن السابقين في الإجابة يكونون في الآخرة عنده أقرب، ويكون قوله: **فَرَوْحٌ وَرَيْحَان**، أي يستأنس هو بهم[5] ويستأنسون به لا يفارقونه ولا يفارقهم على ما كانوا في الدنيا. وسائر المؤمنين يسلّمون عليه في أوقات وهو ما ذكر: **فسلام لك من أصحاب اليمين**، على ما كانوا يفعلون في الدنيا وهو أقرب من الوجهين اللذين ذكرناهما. ويحتمل ما ذكروا من البِشارة عند الموت أعني المؤمنين والكافرين: في حق[6] المؤمنين: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان** [**وجنة نعيم**] **وأما إن كان من أصحاب اليمين** فكذا.[7] وفي حق الكفرة: **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنُزُلٌ من حميم**، الآية. ويحتمل ما ذكر[8] بعضهم أن ذلك يقال لهم بعد ما دخل أهل الجنة الجنةَ[9] وأصحاب[10] النار النارَ. *والله أعلم*. [٧٧٦ط]

وقوله عز وجل: **فروحٌ وريحان وجنةُ نعيمٍ**، اختلف في تلاوته [وتأويله].[11] أما تلاوته [فقد] روي عن عائشة رضي الله عنها [أنها] قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف فرُوح وَرَيْحان يعني بضم الراء.[12] وعن الحسن أنه قرأها بالضم أيضا.[13]

---

[1] ن - بما يكون لهم، صح هـ.
[2] م - ذلك.
[3] ر م - محلهم.
[4] جميع النسخ: المقربون.
[5] ن: هونهم.
[6] م: وفي حق.
[7] ر ن م: كذا.
[8] ر م: ويحتمل ذكر
[9] ر: والجنة.
[10] ر: أهل الجنة والجنة أصحاب النار النار؛ م: أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦٤/٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٦/٨؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٦/٢.
[13] *تفسير الطبري*، ٢٧٥/٢٧؛ *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.

وعن الضحاك بفتح الراء.[1] وعليه[2] جميع القراء. وقال أبو عبيد: لولا كراهة خلاف الأمة وإلا ما قرأتها إلا بالضم ولكن لا أجد[3] أحدا عيبها،[4] فاستوحش من مفارقة الناس، ولا يجمع الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة.[5] وأما تأويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال: الرُوح الرحمة، والريحان ريحانا.[6] وعن أبي عبيدة[7] قال: بالرفع هو الحياة والبقاء.[8] وعن الضحاك بالفتح: الرَّوح الاستراحة والريحان الرزق.[9] وقال بعضهم: الرَّوح كناية عن دوام النعمة والسعة؛ يقال: فلان[10] في رَوْحٍ إذا كان في سعة ونعمة. والريحان كناية عن الشرف والمنزلة؛ يقال: فلان ريحانيّ وذلك لشرفه ومنزلته عنده. ومنهم من قال: الرَّوح الراحة، والريحان الرزق في الجنة. وقال بعضهم: الرُّوح بالرفع من الرحمة وبالنصب من الراحة.[11] ونحن نقول: جائز أن يكونا جميعا -بالنصب والرفع- من الرحمة لقوله: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾،[12] أي من رحمته. وقال في موضع آخر: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾،[13] أي برحمة منه. يخبر[14] الله تعالى أن المقربين يكونون في الجنة في رحمة الله ونعمته. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين**، يحتمل ما وَصَفْنا أنّ أصحاب اليمين يسلّمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويُحَيّي بعضهم بعضا بالسلام.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٥؛ *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.

[2] ر م: عيه.

[3] ر ث م + عيبها.

[4] ث – عيبها.

[5] ر م: اضلالة. يروى حديثا مرفوعا: «لا تجتمع أمتي على الضلالة». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٣٩٦؛ *وسنن ابن ماجة*، الفتن ٨؛ *وكشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٤٨٨.

[6] ث: ريحانيا. *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.

[7] ر ث: أبي عبيد؛ ن: ابن عبيد.

[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٥٣.

[9] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.

[10] ث + فلان.

[11] ر ث م: وبالنصب الراحة.

[12] سورة يوسف، ١٢/٨٧.

[13] سورة المجادلة، ٥٨/٢٢.

[14] ر م + أن

ويحتمل **فسلام لك**، أي السلامة لك منهم من جميع الآفات والأذى. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فسلامٌ إنك من أصحاب اليمين. فهذا إن ثبت فهو يخرج على البشارة له عند الموت. *والله أعلم*. وقيل: يسلّم عليهم الملائكة. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا لهو حق اليقين**، يقول: هذا الذي ذكرنا للمقرّبين ولأصحاب اليمين وللمكذِّبين[١] هو الحق اليقين، أي كائن لا محالة، لا شك فيه. مثلُ هذا يقال على التأكيد وتحقيقِ ما سبق ذكرُه ووصفُه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فسبح باسم ربك العظيم**، يقول -والله أعلم-: فسبح ربك باسمٍ[٢] لا يُسمَّى به غيره، أي نزِّهه عن جميع ما قالت الملحدة[٣] فيه من الولد والشريك وتسميةِ مَنْ دونه إلهًا وغيرِ ذلك. *والله الموفق للصواب وبه نستعين*.[٤]

[١] ث - وللمكذبين.
[٢] ن: باسم ربك.
[٣] م: الملاحدة.
[٤] ر ن ث - للصواب وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحديد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **سبح لله ما في السماوات والأرض**، يجوز أن يقرأ: "سبّح للهِ" و"سبّحَ اللهَ"، كما يقال[3] في الكلام: شكر للهِ وشكر اللهَ، ونصح لِلهِ ونصح اللهَ.[4] ويجوز أن يكون معناهما في الظاهر مختلفًا ويتفق في الحقيقة والباطن، لأن التسبيح هو التخليص والتنزيه والتبرئة،[5] فمتى أُضيف الفعل إلى الله تعالى ووقع عليه فيقال: "سبّح اللهَ"، فمعناه أنه نزّهه وبرّأه عن جميع معاني الخَلق وخلّصه عن شبه المخلوقين. وإذا قيل: "سبّح للهِ" فقد وقع الفعل على الأشياء المخلوقة، أي خلَّص الأشياء كلها له وبرأها عن غيره. وإذا وَصَفَ[6] بأن كل الأشياء له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون أذلّاء [له][7] فقد وَصف بالغِنى ونَفَى الحاجة عنه وأنه متبرّئ عن الشَّبه بمماليكه ومخلوقاته. فهما جميعًا من هذا الوجه يُنظَمان معنًى[8] واحدًا

---

[1] ر – سورة الحديد؛ ن + وهي مكية؛ ث + وهي تسع وعشرون آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة الحديد وهي مكية.
[2] ر: وقوله.
[3] ن – كما يقال.
[4] ن ث: شكر الله وشكر لله ونصح الله ونصح لله؛ م: شكر الله وشكر لله ونصح الله ونصح.
[5] ن: والتنزيه.
[6] جميع النسخ: وإذا أضيف. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٩٢ظ.
[7] الزيادة من الشرح، نفس الورقة.
[8] ن + من هذا الوجه ينظمان معنى.

وإن كانا[1] في الظاهر[2] [مختلفين على سبيل ما قلنا في الإيمان والإسلام أنهما في الظاهر][3] مختلفان[4] وفي الباطن مؤتلفان. فإن[5] الإسلام هو أن يُجعَل كل شيء من الخلق لله تعالى خالصًا سالمًا له، والإيمان هو التصديق بالربوبية [له][6] في كل شيء. فمتى صدّق الله تعالى بالربوبية في الخلق والأمر فقد جعل الخلق[7] سالمًا له، ومتى[8] جعل سالمًا له فقد صدّقه في الربوبية، فقد اتفقا
[٧٧٧و] من حيث المعنى وإن اختلفا من حيث الظاهر، فعلى ذلك هذا. **والله الموفق**.

ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح [له][9] هو تسبيح الخلقة، تشهد له[10] خلقة كل شيء بالوحدانية والألوهية، فهذا على خلقة الكافر والمؤمن جميعًا وغيرهما من المخلوقات. ويحتمل أن يكون أراد الممتحنين الذين في السماوات والأرض فيرجع[11] إلى تسبيح خاص، وهو تسبيح النطق واللسان عن اختيار. وجائز أن يرجع إلى كل ذي روح يجعل الله في سرية هذه الأشياء من التسبيح له ما يعلمه هو ولا يعلمه[12] غيره إلا بإعلام الله تعالى إياه ذلك. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الحكيم**، يخرج على وجوه. أحدها، **العزيز**، هو الذي أفقرَ الخلقَ وأحوجهم إليه، **والحكيم**، هو المحكِم للأشياء المُتقِن لها،[13] أو **العزيز**،[14] القاهر الغالب، **الحكيم**، هو العالِم بالأشياء على حقيقتها، أو **العزيز** هو مالك[15] كلّ ملك، كقوله: مَالِكَ الْمُلْكِ،[16] **الحكيم** هو[17] الواضع كلّ شيء موضعه.

---

[1] ر م: وإن كان.
[2] ر ث م - في الظاهر.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٢ظ.
[4] ث: مختلفين.
[5] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الزيادة من الشرح، نفس الورقة.
[7] ر م: حق.
[8] ر م: فمتى.
[9] الزيادة من الشرح، نفس الورقة.
[10] جميع النسخ: يشهد له. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: لا يعلمه.
[13] ر م: المتقق به ها.
[14] ر م: والعزيز.
[15] جميع النسخ: المالك؛ ر ث + هو. والتصحيح من المرجع السابق
[16] ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ (سورة آل عمران، ٣/٢٦).
[17] ر ن ث - هو.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٢ظ.
[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] من الآية السابقة.
[٤] ر: الإماتة.
[٥] ر م: تمد؛ ث: تمر.
[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.
[٧] م: حرف.
[٨] انظر: تأويلات القرآن، ٣٧٠/٥.
[٩] ر: حرفي.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٢ظ.
[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] من الآية السابقة.
[٤] ر: الإماتة.
[٥] ر م: تمد؛ ث: ثمر.
[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.
[٧] م: حرف.
[٨] انظر: *تأويلات القرآن*، ٥/٣٧٠.
[٩] ر: حرفي.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٢ظ.
[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] من الآية السابقة.
[٤] ر: الإماتة.
[٥] ر م: ثم؛ ث: ثمر.
[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.
[٧] م: حرف.
[٨] انظر: تأويلات القرآن، ٥/٣٧٠.
[٩] ر: حرفي.

وقوله عز وجل: **وهو معكم أينما كنتم**، هذا الحرف يخرج على وجهين. أحدهما **وهو معكم**، أي عالم بكم وبأفعالكم ومحيط بكم وحافظ عليكم. والثاني **وهو معكم**، يتوجه المعنى فيه لاختلاف الأحوال، يقول: إن كنتم محبين له خاضعين مطيعين فهو معكم بالنصر[1] لكم والمعونة على أعدائكم، وإن كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم بالسلطان عليكم والانتقام منكم. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله بما تعملون بصير**، وقال بعض أهل التأويل: أي علمه وسلطانه وقدرته معكم أينما كنتم. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم أنه إذا ذُكر جل وعلا بلا ذكر الخلق معه ولا ضم أحد[2] إليه سواه يوصف بالأزل فيقال: لم يزل عالما قادرا خالقا، بلا ذكر وقت ولا حدّ ولا شيء من المكان وغيره. وإذا ذكر معه شيء من الخلق يذكر على ما عليه أحوال الخلق من الوقت والمكان وغير ذلك، ويكون ذكر الوقت والمكان[3] والأحوال للخلق دون الله تعالى فيقال: لم يزل عالما للخلق وقت كونهم، لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا توهم قدم المخلوق. وعلى ذلك قوله تعالى: حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[4] الآية، وقوله تعالى: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ،[5] وقوله: وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ،[6] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[7] الآية، وقوله تعالى: وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ،[8] ونحوه مما كثر[9] ذكره، كذلك على ما عليه أحوال الخلق فعلى هذا قوله: **وهو معكم أينما كنتم**. ***ولا قوة إلا بالله***.

**﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، الملك إنما ينسب [إلى ما ينسب][10] بحق نفاذ المشيئة والأمر والولاية. فجائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض**، أي له نفاذ المشيئة وله الولاية في السماوات والأرض وعلى أهلهما وله السلطان عليهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: بالبصر.
[2] م – أحد.
[3] ر م – وغير ذلك ويكون ذكر الوقت والمكان.
[4] سورة محمد، ٣١/٤٧.
[5] سورة المائدة، ٩٤/٥.
[6] سورة الحديد، ٢٥/٥٧.
[7] سورة البقرة، ١٥٥/٢.
[8] سورة العنكبوت، ١١/٢٩.
[9] ر ن: يكثر.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.

وجائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض**، أي له خزائن السماوات والأرض يعطي من يشاء ويَحرِم من يشاء. *والله أعلم*. وقوله[١] عز وجل: **وإلى الله ترجع الأمور**، أي إلى الله يرجع[٢] تدبير الأمور من إحداث وتكوين وإعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك إلى الخلق. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **وإلى الله ترجع الأمور**، أي إلى الله ترجع[٣] أمور[٤] الممتحَنين في الآخرة من الحساب والسؤال والثواب والعقاب وغير ذلك. *والله أعلم*.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**. إيلاج الشيء في الشيء[٥] إنما هو إدخاله فيه على إبقاء المدخل فيه، هذا هو المعروف. لكن ما ذكر هاهنا من إيلاج هذا في هذا وهذا في هذا[٦] أنْ جَعَل ما كان في حال الاستواء في حد الليل نهارا، وجعل ما كان في حال الاستواء في حد النهار ليلا على إتلاف[٧] كل واحد منهما بالآخر لا على الإبقاء. وفي ذلك[٨] وجوه من الدلالة.[٩] أحدها[١٠] يدل ذلك على أنه فعل واحد عليمٍ له تدبير لا فعلُ عددٍ لا تدبيرَ له،[١١] لأنه لو كان فعل عدد لكان لا يجري على سَنَن واحد[١٢] وتدبير واحد[١٣] منذ كان إلى أبد الآبدين، بل يقع في ذلك تمانع وتغالب يمنع كل واحد ما له مما لغيره ويَقْلِبه[١٤] عليه

---

[١] ر: قوله.
[٢] جميع النسخ: ترجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.
[٣] ن م + تدبير.
[٤] جميع النسخ: الأمور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ؛ ن + من إحداث وتكوين وإعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك إلى الخلق والله أعلم وجائز أن يكون قوله وإلى الله ترجع الأمور أي إلى الله ترجع تدبير الأمور؛ م + من المحدث.
[٥] ر م – في الشيء.
[٦] ر م – في هذا.
[٧] ر ث م: على إيلاف.
[٨] جميع النسخ + دلالة.
[٩] ر: من الدلالاة.
[١٠] ر ن: إحداها.
[١١] جميع النسخ: ولا تدبير له. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن – واحد.
[١٣] ث – وتدبير واحد
[١٤] ر ن ث: ولعلبه؛ م: ويعبه. والتصحيح من المرجع السابق.

ولا يوافقه في تدبيره على ما يكون من عادة الملوك على ما قال: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا،[1] وقال: إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.[2] *والله الموفق*. وفيه دلالة البعث، وهو[3] إتيان الليل بعد ذهاب أثر النهار وإتيان النهار بعد ذهاب أثر الليل ونحو ذلك على ما تقدم ذكره.

وقوله: **وهو عليم بذات الصدور**، قال[4] أهل التأويل: أي عليم بما في الصدور. وجائز أن يكون تأويله وهو عليم بما في صدور[5] أرباب الصدور وهم البشر الذين لهم الصدور والتدبير، لأن الصدور إنما يقال للذين لهم تدبير وتمييز وهم البشر. *والله أعلم*.

**﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾**[٧]

وقوله عز وجل: **آمنوا بالله ورسوله**، الإيمان بالله هو أن تجعله[6] رب كل شيء وأن له الخلق والأمرَ، والإيمان برسوله هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل وأنه صادق وأنه محق، وتعلمَ[7] أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه. هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**، يقول -والله أعلم- وأنفقوا من المال الذي جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم لأن الناس يَخلُف بعضهم بعضا في هذه الأموال، كأنه يقول: أنفقوا من المال الذي جعلكم خلفاء من تقدمكم قبل أن يَخلُفكم مَن بعدَكم [وتأخَّركم، ولا تتركوا الإنفاق مما صرتم فيه
[٧٧٨و] خلفاء من تقدمكم][8] كما ترك الإنفاق من تقدمكم، إذ هي إنما أنشئت للإنفاق / والانتفاع بها لا للترك كما هي. *والله أعلم*.

---

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.

[2] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩١).

[3] ر م: هو.

[4] ر م: وقال.

[5] ر ث م: الصدور.

[6] جميع النسخ: أن يجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.

[7] جميع النسخ: ويعلم. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

ثم أخبر تعالى بقوله: **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**، أن من كان آمن[١] به وأنفق فله أجر كبير. [ثم][٢] ما وعد[٣] لهم من الأجر على جهة الإنعام منه والإفضال دون الاستحقاق،[٤] إذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد أجر على سيده. *والله الموفق*.

**﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[٨]

وقوله[٥] عز وجل: **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم**، في الظاهر[٦] متناقض لأنه يقول: **ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم**، ولو كانوا لا يؤمنون بالله كيف يقرون بالله وبالرسول[٧] ويصدقونه أنه رسول الله[٨] إذ[٩] التصديق بالرسول تصديق بالمرسِل وهم لا يؤمنون بالله فكيف يصدقون الرسول؟ لكنه يخرج على وجهين. أحدهما أي ما لكم لا تؤمنون بالله أي بقدرة الله على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم[١٠] [والرسول][١١] قد أتاكم ودعاكم وأتاكم بما يبين[١٢] لكم من قدرته وسلطانه على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته؟ على هذا جائز أن يُخَرَّج، لأن أهل مكة كانوا أصنافا، منهم من يذهب مذهب الدهر، ومنهم من يذهب مذهب الشرك، ومنهم من يقر بالتوحيد وينكر البعث. *والله أعلم*.

والثاني يقول أيُّ عذر لكم في ترك الإيمان بالله تعالى والرسولُ دعاكم وقد أتاكم من الآيات والحجج ما يدفع عنكم العذر ويزيح عنكم الشُّبه، فأي عذر لكم من ترككم الإيمان به، فما لكم لا تؤمنون؟[١٣]

---

[١] ر ن م: أمر.
[٢] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٣ظ.
[٣] ر م: أوعد.
[٤] ن: الاستيجاب.
[٥] ر: قوله.
[٦] ر م: في ظاهر.
[٧] ن: يقرون بالرسول؛ م: والرسول.
[٨] ن ت - لله.
[٩] ر: إذ.
[١٠] ر م: موتها.
[١١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٤و.
[١٢] ر ث: وياكم بما تبين؛ ن: وأتاكم.
[١٣] ن: فما لكم لا لا يؤمنون.

وقوله عز وجل: **وقد أخذ ميثاقكم،** قد ذكرنا فيما تقدم أن أخذ الميثاق من الله تعالى يخرج على وجوه. أحدها[1] على ألسن الرسل عليهم السلام كقوله تعالى: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[2] إلى آخر ما ذكر وغير ذلك من أمثاله.

والثاني أَخْذُ الميثاق[3] ما جعل في خلقة[4] كل أحد من شهادة الوحدانية له.[5]

والثالث عَهِد إليهم[6] حيث ركّب فيهم العقول والأفهام وجعلهم بحيث يميزون ما لهم مما[7] عليهم وبما[8] لا يحتمل إهمال مثلهم وتركهم سدى.

ويحتمل ما ذكر بعض أهل لتأويل من إخراجهم من صلب آدم عليه السلام. والوجوه الأول أقرب.

وجائز أن يكون قوله: **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم،** في أهل[9] الكتاب الذين كانوا مؤمنين بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام[10] قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به، يقول -والله أعلم-: ما لكم لا تؤمنون بالله[11] والرسول الذي كنتم مؤمنين به وقد أخذ ميثاقكم يدعوكم لتؤمنوا[12] بربكم؟[13] *والله أعلم.*

ويحتمل أن يكون الآية في أهل النفاق[14] الذين كانوا يظهرون الإيمان به ولا يحققونه، يقول: ما لكم لا تحققون[15] الإيمان بالله والرسولُ يدعوكم لتحققوا[16] الإيمان بربكم، وهو كقوله تعالى:

---

[1] ن: أحدهما.
[2] سورة المائدة، ١٢/٥.
[3] ث + أخذ الميثاق.
[4] ن: في خلقه.
[5] ن - له.
[6] ر: إليكم.
[7] رم: فما.
[8] جميع لنسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٤و.
[9] ر ث م: من أهل.
[10] ر ث م: من أهل.
[11] ث - ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله أعلم ما لكم لا تؤمنون بالله.
[12] جميع النسخ: ليؤمنوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م - وقد أخذ ميثاقكم يدعوكم ليؤمنوا بربكم.
[14] ث: في لمنافقين.
[15] ن: لا يحققون.
[16] ن: ليحققوا.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ،[١] أي لا عذر لكم في الكفر بالله ورسوله وترك الإيمان بهما، فعلى ذلك الأول. **والله أعلم.**

وقوله تعالى: **إن كنتم مؤمنين،** يحتمل: **إن كنتم مؤمنين**[٢] بالآيات والحجج. أو يذكر هذا لا على الشرط بل على التأكيد، كقوله تعالى: وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[٣] لأنهن إذا كن أذعنّ[٤] الإيمان لم يَحلّ لهن أيضا كتمان ما في أرحامهن.

**﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات،** الآيات في الحقيقة هي الأعلام، لكن فسرت الآيات بالحجج لأن الآيات حجج من عند الله تعالى جاءت، لا أنها مفتَعَلات[٥] من الخلق. وقوله:[٦] **بيناتٍ،** أي[٧] واضحات أنها من عند الله جاءت لا من عند[٨] الخلق، أو **بينات** أمره ونهيَه وما لهم وما عليهم وما يؤتَى وما يُتّقى.

وقوله عز وجل: **ليخرجكم من الظلمات إلى النور،** ما أضيف إلى[٩] الله تعالى من الإخراج فهو على وجهين. أحدهما على حقيقة الإخراج وهو أن يوفق لهم على الإيمان ويُعطيَهم المعونة والعصمة، فيَخرجون مما ذكر من الكفر إلى الإيمان. والثاني يخرج على الأمر به والدعاء إلى الإيمان ليس على حقيقة الإخراج وهو كقوله: **ليخرجكم من الظلمات إلى النور،** في هذه الآية. ونظير[١٠] حقيقة الإخراج قوله: اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[١١]

---

[١] سورة آل عمران، ١٠١/٣.
[٢] ر ث م - يحتمل إن كنتم مؤمنين.
[٣] سورة البقرة، ٢٢٨/٢.
[٤] ن ث: إذا غير.
[٥] ر م: معتقلات.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر م + أي.
[٨] ن + الله.
[٩] د: من.
[١٠] د: ونظيره.
[١١] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.

وعلى هذا يخرج إضافة الهداية إلى الله تعالى على التوفيق وإنشاء فعل الهداية منهم. والثاني على الدعاء والبيان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن الله بكم لرءوف رحيم**، جائز أن يكون معناه وإن الله بمن خرج من الظلمات إلى النور لرءوف رحيم، وهو يرجع إلى المؤمنين خاصة. وجائز[1] أيضا أن[2] يوصف بالرحمة[3] والرأفة على الكل أي: **بكم لرءوف رحيم**، بما أرسل إليكم الرسول وأنزل عليكم الكتاب وإن كان في أنفسكم وعقولكم كفايةٌ على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون إنزال الكتاب وإرسال الرسول، لكن بفضله ورحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب ليكون ذلك[4] أدعى لهم وأوصل إلى إدراك ما دُعوا إليه وأقرب في دفع الشبه والعذر. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[١٠]

وقوله[5] عز وجل: **وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما[6] ما قال أهل التأويل: إن الخلق يفنون كلهم ويبقى الله تعالى، كقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[7] فعلى هذا قوله: **وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله**،

[٧٧٨ظ] / أي ما لكم لا تنفقون[8] في سبيل الله قبل أن يزول ملككم وصار ميراثا لله تعالى. وجائز أن يكون قوله: **ولله ميراث السماوات والأرض**، إضافة وراثة بعضهم من بعض إليه لما أنهم عبيده وإماؤه ومال العبد يكون لسيده، فيصير كأنه يقول: ما لكم ألا تنفقوا لأنفسكم وما يرجع[9] إلى منافعكم قبل أن يصير ذلك ميراثا لغيركم. *والله أعلم*.

---

[1] ن + أن يكون.
[2] ر م - أن.
[3] ن + والرحمة.
[4] ت - ذلك.
[5] ر: قوله.
[6] ن - أحدهما.
[7] سورة مريم، ٤٠/١٩.
[8] جميع النسخ: لا تنفقوا.
[9] ن ت: يرفع.

وقوله عز وجل: **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك**[١] **أعظم درجة**. الآية، قال بعضهم: **لا يستوي منكم من أنفق**، أي لا يستوي منكم من آمن قبل الفتح، لأن قبل الفتح[٢] كان على من آمن خوف الهلاك وأنواعُ العقوبات لأن الغلبة في ذلك الوقت كان لأهل الكفر، لذلك لم يستو من آمن منهم قبل الفتح ومن آمن منهم بعد الفتح. وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمانهم لرَجَحَ».[٣] لأن إيمانه رضي الله عنه في وقت الخوف على متبعي[٤] الإسلام، أو لما يكون بإيمانه إيمان نفر كثير لأنه كان رئيسهم. وكذلك الإنفاق في ذلك الوقت أفضل وأعظم لما في الإنفاق في ذلك الوقت معونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تابعه، أو لما أن الإنفاق من بعد الفتح يقع به طمع الوصول إلى المنافع والأبدال من الصدقات والمغانم، وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل[٥] ولا طمع كان منه.[٦] ***والله أعلم***.[٧]

وقيل: لا يستوي من هاجر و[من][٨] لم يهاجر ولا هجرة بعد فتح مكة وكذلك[٩] روي عنه صلى الله عليه وسلم:[١٠] «لا هجرة بعد اليوم ولكن جهادٌ ونية».[١١]

وقوله عز وجل: **وكلا وعد الله الحسنى**، أي وعد الله لِكِلَي[١٢] الفريقين: من أنفق[١٣] قبل الفتح وبعده الجنة والثواب الحسن. وقال[١٤] بعض أهل التأويل: هذه الآية نزلت[١٥] في فتح الحديبية.

---

[١] ن + أولئك.
[٢] م - لأن قبل الفتح.
[٣] *الكامل* لابن عدي، ٣٣٥/٥. ورواه البيهقي في *الشعب الإيمان* عن عمر من قوله، ٦٩/١؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢٣٤/٢.
[٤] ر م: سعي.
[٥] ن: بذل.
[٦] ر م: كان معه.
[٧] ث + وقوله عز وجل.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٤ظ.
[٩] ر م: فعدلك؛ ن ث: فذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن + من.
[١١] صحيح *البخاري*، الجهاد ٢٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.
[١٢] ث م: لكلا.
[١٣] ن + من أنفق.
[١٤] ن ث: قال.
[١٥] ن: نزلت.

فقيل: يا رسول الله فتح هو؟ قال: «نعم فتحٌ عظيم».[1] وعن قتادة: هو فتح مكة.[2] *والله أعلم*.
وقوله عز وجل: **والله بما تعملون خبير**، فيه ترغيب وترهيب فيما يرغب فيه ويرهب عنه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم**. قد ذكرنا فيما تقدم أنه جل وعلا عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق له ولا ملك في أنفسهم وأموالهم، لا معاملة من [له][3] حقيقة أملاكهم وأموالهم وأنفسهم:[4] من نحو ما ذكر من الإقراض له،[5] وما ذكر من شرائه أنفسهم وأموالهم[6] منهم بأن لهم الجنة[7] وما ذكر لأعمالهم من الأجر؛ وهم عبيده وأعمالهم التي يعملون[8] لأنفسهم كأنهم عاملون له، وما يمسكون لأنفسهم ويدخرونها في وقت الحاجة لهم سماه قرضا، وما يكتسبون به الحياة[9] الدائمة والنعم الباقية فهم المنتفعون بها. ولا أحد في الشاهد يستقرض مال نفسه من آخر ببدل[10] ثم يعطي له الأجر على ذلك. هذا كله خارج عن عادة[11] الخلق وطبعهم وصنيعهم[12] بعضهم مع بعض. لكن عاملهم بما يليق بكرمه[13] وجوده ووعد لهم[14] بما أمسكوا لأنفسهم أضعافا مضاعفة. ثم جائز تسمية ما يمسكون لوقت حاجتهم قرضا لئلا يَمُنُّوا على الفقراء وأهل الحاجة بما أعطوهم منةً،[15]

---

[1] سنن أبي داود، الجهاد ١٤٤.
[2] تفسير الطبري، ٢٢/٣٩٣.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ١٩٤ظ.
[4] جميع النسخ + له.
[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥).
[6] م – وأموالهم.
[7] يشير إلى قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... ﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[8] ن – يعملون.
[9] جميع النسخ: لحياة. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٩٤ظ.
[10] ر ث م: يبذل؛ ن: يبدل.
[11] ن: عبادة.
[12] ن: وصنعهم.
[13] ث: كرمه.
[14] جميع النسخ: وعد لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر ن م: منه.

لما عرف جل وعلا من طبعهم الامتنانَ عليهم أو لما يدفع[1] عنهم مؤنة حفظ ذلك إلى وقت حاجتهم إليه[2] من السَّرِقة والغصب[3] وغير ذلك من أنواع ما يخاف التلفُ منها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وله أجر كريم**، قال أهل التأويل: أي أجر حسن. *والله أعلم*. وجائز تسميته كريما لما أن من ناله يصير كريما أو لما يؤمَّل ويرجى أن يكون لهم ذلك.[4] والكريم في الشاهد هو الذي يرجى منه كل خير ويؤمل. *والله أعلم*.

**﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**، جائز أن يكون قوله: **يسعى نورهم**، أي كتبهم التي يُعطَون في الآخرة،[5] فإنه يُعطَى كتاب المقربين والسابقين من أمامهم وقُدّامهم، وكتاب سائر المؤمنين من أيمانهم، وكتاب أهل الشرك[6] من وراء ظهورهم؛ يؤيده حرف حفصة رضي الله عنها: نورهم يسعى بين أيديهم وفي أيمانهم، كقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[7] الآية. وجائز أن يكون نور إيمانهم ودينهم[8] الذي كانوا عليه[9] في الدنيا. وجائز أن يكون نورهم الذي ذكر كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه: السابقون يرون ما أمامهم وسائر المؤمنين عن أيمانهم على ما سلكوا في الدنيا، وأهل الشرك بشمالهم وأهل النفاق من ورائهم. وجائز أن يكون قوله: **بأيمانهم**، كناية عن اليمن[10] والبركة فإن بالأيمان[11] ينال اليمنَ[12] والبركات فسماها بذلك. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل أنه يُرفع لهم نور فيمشون بذلك.

---

[1] وفي *الشرح*: يرفع، نفس الورقة.
[2] ر ث م - إليه.
[3] ر: ولغضب.
[4] ن - ذلك.
[5] ث + فإنها.
[6] ر م: المشركين.
[7] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[8] ث: دينهم.
[9] ر م: عيهم.
[10] ر ث م: عن اليمين؛ م: عن اليمن اليمن به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
[11] ر: الأيمان.
[12] ن: ليمين.

وقوله: **بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.** إنما يقال ذلك قبل[1] دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهذا يدل أن النور المذكور لهم يكون[2] قبل دخول أهل الجنة الجنة[3] وأهل النار النار. وقوله: **ذلك هو الفوز العظيم.** لأنه لا هلاك بعده ولا تَبِعَة ولا انقطاع[4] لذلك.

[٧٧٩و] ثم قوله: **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات،** ليس أن يراه هو خاصة / لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين، فيبطل به قول من جعل التنصيص على الشيء دالا على التخصيص ونفي غيره. وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من المؤمنين من يُضيء نورُه من المدينة إلى عَدَنَ وإلى صنعاءَ فدون ذلك حتى إن من[5] المؤمن[ين] من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه، وللمؤمنين منازل لأعمالهم».[6]

وروي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ[7] ما أفرطوا من أولادهم».[8]

**﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم،** منهم من قرأ: **للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم،** موصولة[9] ومنهم من قرأ مقطوعةً مِن أنظرتُ.[10]

---

[1] ر – قبل؛ م: عند.
[2] ر + يكون.
[3] ر م – الجنة.
[4] ر م + ذلك.
[5] ن ث – من.
[6] *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٥٧؛ و*تفسير الطبري*، ٢٧/٢٨٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٤/٢٦٧.
[7] سورة التحريم، ٦٦/٨.
[8] أفرط فلانٌ ولدا: إذا مات له ولد صغير قبل أن يبلغ الحلم (*لسان العرب*، «فرط»).
[9] ر م – موصولة.
[10] قرأ حمزة وحده: ﴿للذين آمنوا أَنظِرونا﴾ بقطع الألف وكسر الظاء، وقرأ الباقون: ﴿للذين آمنوا انْظُرونا﴾ بوصل الألف وضم الظاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٩؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٧).

قال أبو عبيد:[١] فالاتصال[٢] أحب إلينا لأن تأويلها -والله أعلم-: انتظرونا، يقال منه: نظرت فلانا أَنْظُره. وأما القراءة الأخرى فإنها من التأخير يقال منه: أنظرت فلانا أُنْظِره إذا أخرته ولا أعرف لتأخير هاهنا موضعا. وقال أبو عَوْسَجَة: أنظرته ونظرته: أي انتظرتُه،[٣] يقال منه: نَظَره[٤] نَظِرةً.[٥] ثم الآية دلت على أن أهل النفاق يكونون ببعد من المؤمنين وأن لا ينتفعون[٦] بنور المؤمنين ولكن يرون ذلك النور[٧] من بُعْد حيث قالوا: **انظرونا نقتبس من نوركم**، ولو كانوا[٨] بقربٍ[٩] منهم أو ينتفعون بنورهم لكانوا لا يطلبون منهم الانتظار لهم[١٠] والاقتباس من نورهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا**. من الناس من يقول إن هذا هو الاستهزاء الذي ذكر في آية أخرى أنه يستهزئ بهم حيث قال: ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ،[١١] وقوله:[١٢] **ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا**، هو ذلك الاستهزاء. وقلنا نحن في قوله: **الله يستهزئ بهم**، أي يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين. وجائز أن يكون قوله: **ارجعوا وراءكم**، ليس على الأمر بالرجوع من وراءٍ والتماس النور ولكن على التوبيخ والتعيير، أي النور إنما يطلب من وراء هذا اليوم، أي من قبل هذا اليوم، لا يطلب فيه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فضرب بينهم بسُور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذابُ**، الآية،[١٣] جائز أن يكون السور الذي ذُكِر[١٤] ضُرب بينهم ما ذكر في سورة الأعراف حيث قال:

---

١ جميع النسخ: أبو عبيدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
٢ ن: فالإيصال.
٣ جميع النسخ: أنظرته. والتصحيح من المرجع السابق.
٤ جميع النسخ: نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
٥ ن: فطره.
٦ ن ث: وأن لا ينتفعوا.
٧ ر ث م: اليوم.
٨ م: كان.
٩ ر ن: يقرب.
١٠ ث - لهم.
١١ سورة البقرة، ١٥/٢.
١٢ جميع النسخ: بقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
١٣ ن - الآية.
١٤ ر ث + لدي؛ ن + أنه.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ،[1] السور هو الأعراف التي ذَكَر أنها تكون حجابا[2] بين أهل النار وأهل الجنة يرفع ذلك السور بينهم لئلا ينتفعوا بنور المؤمنين.

وقوله: **له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره مِن قِبَلِه العذابُ**، جائز أن يكون قوله: **له باب**، ليس على حقيقة الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل. يقول: هو طريق وسبيلُ مَن يأخذ ذلك السبيل أفضاه إلى الرحمة ومن سلك ظاهره أفضاه إلى العذاب. وجائز أن يفتح من النار إلى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرى[3] أهل النار أهل الجنة على ما هم[4] عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامةً. أو يكون اطّلاعا لا من باب ولكن من السور والأعراف الذي ذكر وهو ما قال: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[5] والاطلاع في الظاهر إنما يكون من مكان عليّ[6] مرتفع إلى موضع منحدر. *والله أعلم*.

**﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **ينادونهم ألم نكن معكم**، أي ينادي أهل النفاق المؤمنين **ألم نكن معكم قالوا بلى**، جائز أن يكون هذا[7] القول منهم **ألم نكن معكم**، تغريرا[8] منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا يغرّونهم[9] في الدنيا. وهو ما أخبر عنهم أنهم[10] يكذبون في الآخرة كما كانوا في الدنيا حيث قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[11] ثم أخبر أنهم هم الكاذبون في حَلِفهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قولهم: **ألم نكن معكم**، يخرج على تغريرهم إياهم.

---

[1] سورة الأعراف، ٤٦/٧.
[2] جميع النسخ: حجاب.
[3] جميع النسخ: ويرون.
[4] ر م: على ما هو.
[5] سورة الصافات، ٥٥/٣٧.
[6] م: أعلى.
[7] ن – هذا.
[8] ر: تقرير؛ ن ث م: تغرير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ١٩٥ظ.
[9] ن: يغرونهم.
[10] ر م – أنهم.
[11] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

ثم الإشكال والكلام قول المؤمنين: **بلى**، وقد علموا أنهم لم يكونوا معهم فكيف **قالوا بلى**؟ فنقول: جائز أن يكون جوابهم خرج لأولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم فأجابوا هم[١] على ذلك. أو أن يكون[٢] قولهم: **بلى**، أي[٣] كنتم تقولون[٤] بأنا معكم ولكن لم تكونوا[٥] معنا. أو يخرج جوابهم على ظاهر ما يرون من أنفسهم الموافقة دون الحقيقة.

وقوله عز وجل: **ولكنكم فتنتم أنفسكم**، يخرج على وجوه. أحدها امتحنتم أنفسكم في الرجوع إلى من جعل لكم المنافع. أي امتحنتم أنفسكم فجعلتموها حيث كانت المنافع أو حيث كانت العاقبة[٦] كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[٧] أي شدة. وقال القُتَبِي: **فتنتم أنفسكم**، أي آثَمْتُموها.[٨]

وقوله: **وتربصتم**، يخرج على وجهين. يحتمل: **تربصتم**، [عواقب الأمور وصرتم إلى ما صار عواقب الأمور. والثاني تربصتم][٩] برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيموت عن قريب، أو أنه يرجع عن الإسلام إلى دين أولئك الكفرة. وقوله: **وارتبتم**، أي شككتم وإن قام[١٠] لكم ما يدفع الارتياب والشك عنكم[١١] والشبه. وقوله[١٢] عز وجل: **وغرتكم الأماني**، يحتمل الأماني[١٣] وجهين. أحدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيف ما كان يتّبعون غرضهم[١٤] في ذلك. والثاني ما تمنت / أنفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧٧٩ظ]

---

[١] ن م: فأجابوهم.
[٢] ن: أو أن تكون.
[٣] ر م: ان.
[٤] ر: يقولون.
[٥] ر ث م: لم يكونوا.
[٦] ث + المنافع و.
[٧] سورة الحج، ١١/٢٢.
[٨] ر ث: أتيتموها؛ ن م: آثتموها. وفي *الشرح*: أَثْمتموها، ورقة ١٩٥ظ. *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٧٣.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٥ظ.
[١٠] ر م: وإن أقام.
[١١] ن: عنهم.
[١٢] ر: قوله.
[١٣] ن – يحتمل الأماني.
[١٤] ن ث: عرضهم.

وهلاكه أو عَوده إلى دينهم. وقوله: **حتى جاء أمر الله**، أي الأمر بإهلاك أو يومِ القيامة. وقوله:[1] **وغرّكم بالله الغَرور**، أي غركم عن دين الله الشيطانُ.

**﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا**، قرئ بالياء والتاء[2] وأكثرهم على الياء،[3] ومعناهما[4] واحد. أي لا يكون لهم فدية يومئذ، ليس أنْ[5] يكونُ لهم فدية ولا يؤخذ. أو أن يقول على التمثيل: أي لو كان لهم فدية لكان لا يقبل[6] منهم. يخبر أن أمر الآخرة على خلاف ما يكون في الدنيا، إذ في الدنيا ربما يُحتال لدفع البلاء بالفِداء مرة وبالشفعاء[7] ثانيا. وقوله عز وجل: **مأواكم النار**، أي تأوون[8] إليها. وقوله:[9] **هي مولاكم**، أي أولى بكم وأحق.[10] وقوله:[11] **وبئس المصير**، أي بئس ما يصيرون إليه.[12]

ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في تخليد أصحاب[13] الكبائر في النار، لأنه تعالى جعل الناس على ثلاث فرق وأنزلهم منازلَ ثلاثةٍ: المنافقين، والكافرين كُفرَ تصريحٍ،[14] والمؤمنين؛ وجعل النار لأهل الكفر وأهل النفاق و لم يجعلها لغيرهما. وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم. وكذلك ما قَسَم الله تعالى الناس أقساما ثلاثة: السابقين وأصحاب اليمين وأصحابَ الشمال؛

[1] ر: قوله.
[2] ن: بالتاء والياء.
[3] «قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿لا تُؤخذُ منكم فدية﴾ بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون ﴿لا يُؤخذُ منكم فدية﴾ بالياء على التذكير» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٧).
[4] ر م: معناهما.
[5] ر م: أنه.
[6] ر ث م: لا تقبل.
[7] ر م: وبالشفاء.
[8] ر ن م: يأوون.
[9] ر: قوله.
[10] ر م: وأحقه.
[11] ن: وهو.
[12] جميع النسخ: إليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥ظ.
[13] ن + أصحاب.
[14] ت: صريح.

وأصحاب الشمال[1] هم المكذبون وأصحاب الكبائر ليسوا بمكذبين عندهم، وهو ما جعل النار إلا للمكذبين. ألا ترى أنه قال في آخره: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ [أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ] الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.[2] جعل الجنة للمقربين وأصحاب اليمين، والنار للمكذبين خاصة لم يجعلها لغيرهم، فمن جعلها لغيرهم فهو مخالف لظاهر هذه الآيات التي ذكرنا. *والله أعلم.*

**﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق،** [قوله:][3] **وما نزل،** قرئ مخففا ومثقلا،[4] فمن شدد شدد لما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف جعل الفعل للحق. ثم الآية تحتمل[5] وجوها. أحدها ما قال بعض أهل التأويل: إنها نزلت في المنافقين الذين[6] أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر: **ألم يان،** أي قد أنَى للذين آمنوا ظاهرا وأظهروا الموافقة للمؤمنين، **أن تخشع قلوبهم لذكر الله،** أي إذا ذُكر الله، **وما نزل من الحق،** أي القرآن إذا تتلى عليهم،[7] أي تَرِق[8] قلوبهم وتؤمن[9] به، لأنهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدوائر[10] ويطمعون هلاكه.[11] آمن الله تعالى المؤمنين من ذلك الخوف[12]

---

[1] ر ن م - وأصحاب الشمال.

[2] سورة الواقعة، ٥٦/٨٨-٩٤.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.

[4] م: مثقلا. «قرأ نافع وحفص ﴿وما نَزَل﴾ خفيفة الزاي، وقرأ الباقون ﴿وما نَزَّل﴾ مشددة الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).

[5] جميع النسخ: يحتمل.

[6] ن: الذي.

[7] ن: عليه.

[8] جميع النسخ: يرق.

[9] ن ث: ويؤمن.

[10] ر م: والدوائر.

[11] ث: اهلاك.

[12] ر م: والخوف.

وأيأس[1] أولئك عما تربصوا فيه من نزول الدوائر فقال: **ألم يأن للذين آمنوا**، ظاهرا **أن تخشع قلوبهم لذكر الله**، والقرآن وتَرِق لذلك وتؤمن به.[2] ***والله أعلم***. ثم[3] قوله[4] عز وجل: **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم**، على[5] هذا التأويل، أي لا تكونوا كأولئك الذين[6] تمادَوا في الضلال وقساوة القلوب لِما طال عليهم الوقت وتركوا النظر في الكتب.

و[الثاني] يحتمل أن تكون[7] الآية في أهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فيقول:[8] **ألم يأن للذين آمنوا**، به من قبل أن يبعث، **أن تخشع قلوبهم لذكر الله**،[9] أي كتابهم **وما نزل من الحق**، وهو القرآن أن يؤمنوا به كما كانوا آمنوا به لِما وجدوا نعته في كتابهم. ثم قوله عز وجل: **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل**، الآية، أي لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم من أهل الكتاب **فطال عليهم الأمد**، أي[10] طال عليهم أن ينظروا في كتبهم، **فقست قلوبهم**، بطول ترك نظرهم فيها. ***والله أعلم***.

و[الثالث] يحتمل أن تكون[11] الآية في المؤمنين الذين حققوا الإيمان بالله ورسوله،[12] وهو يخرج على وجهين. أحدهما **ألم يأن**، أي قد أَنَ **للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم**، عند ذكر الله بالنظر والتأمل[13] في ذلك فيحملهم ذلك على خشوع قلوبهم، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[14] جعل وصف المؤمنين

---

[1] جميع النسخ: وآيس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[2] ث: ويؤمن به.
[3] ن – ثم.
[4] ن: وقوله.
[5] ر – على.
[6] ن: لا تكونوا كالذين.
[7] جميع النسخ: أن يكون.
[8] ن: ويقول.
[9] ر ث م – لذكر الله.
[10] ر ث م: إن.
[11] جميع النسخ: أن يكون.
[12] ن ث: وبرسوله.
[13] ر: والتأويل.
[14] سورة الأنفال، ٢/٨.

أن تَوجَل[1] قلوبهم عند ذكر الله تعالى ويزداد لهم الإيمان واليقين للنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه. *والله أعلم*. والثاني[2] **ألم يأن**، أي قد أنى **للذين آمنوا أن**، تَقَطَّع[3] شهواتهم وأمانيُّهم في الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله، **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب**، أي لا تَغفُلوا عن كتاب الله وذكره ولا تتركوا النظر فيه والتفكر [كالذين أوتوا الكتاب من قبل فتركوا النظر فيه والتفكر][4] فغفلوا عما فيه، **فقست قلوبهم**، فلا تكونوا أنتم كَهُمْ فتقسُو[5] قلوبكم كما قست قلوبهم.[6]

وقوله عز وجل: **وكثير منهم فاسقون**، أي كثير من أولئك الذين أوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر في الكتاب. وجائز أن يكون[7] **وكثير منهم فاسقون**، أي المعاندون والقليل منهم المقلدون، وهو كقوله: وَأَكْثَرُهُمْ [لِلْحَقِّ] كَارِهُونَ،[8] أي معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وعاندوهم إلا قليلاً[9] منهم اتبعوهم وقلدوهم.

**﴿اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**، ذكر هذا ليس على أنهم لم يكونوا علموا أن الله هو يحيي الأرض بعد موتها بل كانوا عالمين بذلك، لكنه ذكر كما ذكر لرسول الله / صلى الله عليه وسلم حيث قال: فَاعْلَمْ[10] أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ،[11] أي أَشْعِرْ قلبك [٧٨٠و]
في كل وقت وساعة الربوبية لله عز وجل والوحدانية له. فعلى ذلك[12] يحتمل قوله: **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**، أي أشعروا قلوبكم في كل وقت جَعْلَ الألوهية والربوبية لله تعالى

[1] جميع النسخ: أن يوجل.
[2] ن ث + يقول.
[3] جميع النسخ: أن يقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[4] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[5] ر م: فتقسوا.
[6] ن – كما قست قلوبهم، صح هـ.
[7] ر ث م - أن يكون.
[8] ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم لحق كارهون﴾ (سورة المؤمنون، ٧٠/٢٣).
[9] جميع النسخ: إلا قليل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[10] ن – فاعلم، صح هـ.
[11] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[12] ر م: هذا.

وصَرْفَ العبادة إليه والتنزيه والتبرئةَ[1] له عما لا يليق به مما يوصف به الخلق، إذ علمتم أنه يحيي الأرض بعد موتها[2] فاعلموا أنه يمتحنكم بأنواع المحن إذ لا يحتمل إحياءُ ما ذكر بغير فائدة وترككم[3] سُدًى. أو نقول:[4] قد علمتم أن الله تعالى هو يحيي الأرض بعد موتها وأنتم ترغبون فيما أحياه وتصيبون منه وتجتهدون[5] في نيل ذلك وإصابته، فاجتهدوا في إصابة البركات الدائمة في الحياة الباقية. أو نقول:[6] لَمّا علمتم أنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها فاعلموا[7] أنه قادر على البعث. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**، قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف "لعل" من الله تعالى يخرج على الإيجاب، لكن يخرج هاهنا على الترجي وإطماع العقل للآيات والفهم ها إذا نظروا فيها وتأملوا أنها آيات من الله تعالى. أو أن يرجع ذلك إلى خاص من الناس لو خرج حرف "لعل" للإيجاب دون الترجي، وهم الذين علم الله تعالى أنهم يعقلون أنها آيات ويؤمنون بها. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١٨]**

وقوله[8] عز وجل: **إن المصدقين والمصدقات**، قرئ مشدَّدَ[9] الصاد والدال ومُخَففَ الصاد.[10] فمن شدده[11] جعله من التصدق، أي المتصدقين[12] والمتصدقات فيدغم[13] التاء في الصاد، فيصير المصّدّقين مثل المزّمّل والمدّثّر. يؤيد ذلك ما ذكر في حرف أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

---

[1] ن: والتنزيه.
[2] ث + أو يقول أو عملتم أنه يحيي الأرض بعد موتها.
[3] ن ث: وتركهم.
[4] ر ث م: أو يقول.
[5] ن ث: ويجتهدون.
[6] ر ث م: أو يقول.
[7] جميع النسخ: فاعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[8] ر: قوله.
[9] م: مشددة.
[10] «قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: ﴿إن المصَدِّقين والمصَدِّقات﴾ خفيفة الصاد في الحرفين، وقرأ الباقون: ﴿إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات﴾ مشددة الصاد فيهما» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).
[11] ر م: شده؛ ن ث: شدد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ظ.
[12] ث: أي المتصدقون.
[13] جميع النسخ: فأدغم. والتصحيح من المرجع السابق.

أنه قرأ بالتاء: إن[١] المتصدقين والمتصدقات.[٢] ومن خففه جعله[٣] من التصديق والإيمان. وقوله:[٤] **وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[٥]

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**، سَمَّى المؤمنين صديقين، والصدّيق لا يقال إلا لمن يكثر منه التصديق، وقد يكثر من كل[٦] مؤمن التصديق وإن كان ما يأتي به إنما هو شيء واحد، نحوَ أنه إذا صدق الله صدّق رسله[٧] فيما أخبروا عن الله تعالى وفيما دعوهم إلى ما دعَوا وبلّغوا عن الله إلى الناس، وصدّق الخلائق جميعا فيما شهدوا على وحدانية الله تعالى وألوهيته من حيث شهادةُ الخلقة وشهادة الاختيار[٨] في حق المؤمنين. فتصديقه يكثر وإن كان الكلام في نفسه يقِلّ. وهو كما قلنا لأبي حنيفة رحمه الله في جواز الخطبة بتسبيحه أو تهليله:[٩] إنها كلمة وجيزة لو فسرت وبسطت صارت خطبة طويلة. ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن أبا بكر رضي الله عنه فُضّل باسم الصدّيق على غيره من الأمة فإذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص[١٠] هو بتلك الفضيلة.

قيل: إن أبا بكر رضي الله عنه سُمي صديقا وخُصّ به من بين سائر الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم، وغيره من المؤمنين سُمّوا صديقين من بين سائر أهل الأرض جميعا إلا في مقابلته فهو[١١] اختص[١٢] بهذا الاسم من بين سائرهم إلا في مقابلة النبي وسائر الأنبياء عليهم السلام.

---

[١] ر: أي.
[٢] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٠١.
[٣] جميع النسخ: جعلها.
[٤] ر: قوله.
[٥] انظر مثلا: تفسير الآية ١١ من هذه السورة.
[٦] ر: موكل.
[٧] ر ث م: رسوله.
[٨] جميع النسخ: الأخبار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ط.
[٩] ر ن م: بتسبيحة أو تهيلة.
[١٠] ث: لم يحص.
[١١] جميع النسخ: كهو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] م - اختص.

هذا هو معنى تفضيله، والفضل عند المقابلة يكون. ويحتمل أن يكون ذلك الاختصاص له للاعتقاد والمعاملة جميعا، وسائر المؤمنين سُمّوا صديقين للاعتقاد خاصة، ومن وَفى الأمرين جميعا كان أفضل ممن وَفى أمرا واحدا.[1]

وقوله: **والشهداءُ عند ربهم**، من الناس من جعل قوله: **والشهداء عند ربهم** على الابتداء مقطوعا من قوله: **أولئك هم الصديقون**، ومنهم من وصله به. فمن قطع عنه فإنه يقول: الشهداء هم الرسل، لقوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا،[2] ثم أخبر أن لهم أجرهم ونورَهم.[3] ومن قال: إنه موصول بالأول ذهب[4] إلى أن المؤمنين شهداء على الناس، كقوله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[5] الآية، سماهم شهداء[6] على غيرهم من الأمم. *والله أعلم*.

ولأهل الاعتزال أدنى تعلق بظاهر هذه الآية، وذلك أنهم يقولون: إن الله تعالى إذا ذكر المؤمنين على الإطلاق ذكر على إثر ذلك ما وعد لهم من الكرامات والثواب الجزيل، وإذا ذكرهم مع جريمتهم ذكر الوعيد لهم؛ يستدلون بذكر الوعيد على إثر ذلك على[7] أنه قد خرج من الإيمان. لكن ليس لهم بذلك دليل لأنه ذكر مقابل ما ذكر للمؤمنين من الكرامات للكفار الجحيمَ. *والله أعلم*.

**﴿اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢٠]**

وقوله: **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد**، ففي ظاهر ما ذكر من هذه[8] الآية ونحوها من الآيات لأهل الإلحاد طعن عظيم فإنهم يقولون:

---

[1] ن ث + والله أعلم.
[2] سورة النساء، ٤١/٤.
[3] ر م – ونورهم.
[4] ر م: موصولة ذهب.
[5] جميع النسخ: لتكونوا على الناس شهيدا. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).
[6] ر ث م: شهيدا.
[7] ث – إثر ذلك على.
[8] ث: في هذه.

إن كانت الحياة الدنيا لعبا ولهوا فلِم أنشأها[1] الله لعبا ولهوا[2] ولا منشئ سواه؟ فلهم موضع الطعن على هذا الوجه ولهم دعوى التناقض أيضا فيه لما ذكر في بعض الآيات فقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ / وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ،[3] وقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[4] [٧٨٠ظ]
وقال في هذه الآية وغيرها: **أنما الحياة الدنيا لعب ولهو.**

فنقول: إن الآية تخرج[5] على وجوه. أحدها على التقديم والتأخير مع الإضمار كأنه قال: اعلموا أن مثل الحياة الدنيا وزينتها وتفاخرها وتكاثرها[6] ولعبها ولهوها، أي ما[7] يتزينون بها ويتفاخرون بالأولاد والأموال ويتلهّون بها ويلعبون كمثل غيث[8] أعجب الكفار نباته ثم يصير ما ذكر حتى لا ينتفع به، فعلى ذلك حياة الدنيا. *والله أعلم.*

والثاني إنما الحياة الدنيا[9] على ما هي عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى[10] ما ظننتم أنه لا بعث ولا حياة بعده كان إنشاؤها عبثا ولهوا، إذ لو كان على ما ظنوا لم يكن إنشاؤها إلا للإفناء والإهلاك خاصة. وبِنَاء[11] البِنَاء المحكم للإفناء خاصة عبث وسفه ليس بحكمة، وهو ما ذكر: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[12] وكان ظنهم أن لا بعث ولا حياة بعده. فعلى ما كان ظنهم كان إنشاؤها لعبا ولهوا. فأما الحياة الدنيا على ما هي عند أهل التوحيد حكمة وحق وصواب، فعلى ما كان عند أهل الإلحاد هو[13] سفه وباطل، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله:[14] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[15]

---

[1] ر ث م: أنشأه.
[2] ث – فلم أنشأه الله لعبا ولهوا.
[3] سورة الدخان، ٣٨/٤٤.
[4] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[5] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ظ.
[6] ن – وتكاثرها.
[7] ر م – ما.
[8] ر ث م: وتعبون كمثل الغيث.
[9] ر ث م – الدنيا.
[10] ر م: وعلم.
[11] ن: وبنى.
[12] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[13] ر ث م: وهو.
[14] ر ث م + تعالى.
[15] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

وجائز أن يكون معنى قوله: **أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**، أي لو قوبلت بحياة الآخرة لكانت[1] لعبا[2] ولهوا. لأن الدنيا بنيت على الفناء والانقطاع والزوال عن قريب والآخرة على الدوام والبقاء، وهو ما ذكر: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى،[3] لأنها باقية والدنيا فانية. أو نقول:[4] **أنما الحياة الدنيا**، للدنيا خاصة، **لعب ولهو**، أي من جعل الحياة الدنيا للدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحياة الدنيا زادا للآخرة وبُلْغَةً إليها وهي ليست بلعب، وهو ما قال تعالى: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [فَأَهْلَكَتْهُ]،[5] أخبر أن الإنفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر. وقال[6] في النفقة التي تكون[7] في الدنيا لحياة الآخرة: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ [فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ]،[8] الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **كمثل غيث أعجب الكفارَ نباتُه**، والإشكال أنه كيف خص الكفار[9] بإعجابهم[10] النبات وقد يُعجِب[11] النباتُ لأهل الإيمان؟ فنقول: لأن الكفار يعجبهم[12] ظاهر ذلك النبات وما يرون من النُّزهة لا ينظرون[13] إلا ما ضُمِّن في ذلك النبات وجعل فيه من المنفعة في العاقبة لكن ينظرون إلى ظاهره. وأما المؤمنون إنما يعجبهم[14] ما في ذلك النبات من المنفعة في العاقبة وإلى[15] ذلك يكون نظرهم لا إلى ظاهره.[16] وهو كما شبّه إنفاق الكفرة بالريح التي فيها صر

---

[1] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
[2] ر م: عبثا.
[3] سورة النساء، ٧٧/٤.
[4] ر ث م: يقول.
[5] سورة آل عمران، ١١٧/٣.
[6] ر م - وقال.
[7] ر م: في النفقة التي يكون؛ ث: في البقعة التي تكون.
[8] سورة البقرة، ٢٦١/٢.
[9] ن: للكفار.
[10] ر ث م: تعجبهم؛ ن + ظاهر دنث.
[11] جميع النسخ: وقد تعجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
[12] جميع النسخ: تعجبهم.
[13] جميع النسخ: لا يرون. والترجيح من المرجع السابق.
[14] ر م: تعجيبهم؛ ث: تعجبهم.
[15] ن - وإلى.
[16] ن: نظر إلى ظاهره.

يصيب حرث قوم لما لا يقصدون بإنفاقهم سوى نفس الإنفاق،[١] وشبه نفقة أهل الإيمان بالحبة التي تُنبت:[٢] سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ،[٣] لِما كان مقصدهم في الإنفاق عاقبته[٤] لا عينَ الإنفاق.

ويحتمل أن يكون المراد من الكفار الزراعَ وبه فسر بعض أهل الأدب وهو كقوله: يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ،[٥] فعلى هذا التأويل يرجع[٦] إلى الكل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وفي الآخرة عذاب شديد**، أي لهؤلاء الذين اتخذوا الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا وتكاثرا دون أن يتخذوها زادا وبُلْغة إلى الآخرة. وقوله: **ومغفرة من الله ورضوان**، فهو للمؤمنين الذين اتخذوا الحياة الدنيا للآخرة وعقلوا الآيات التي بيّنها لهم للنظر فيها والتفكر والتأمل فتأملوها[٧] ووضعوها[٨] مواضعها. *والله أعلم*. وقوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**، هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله تعالى: **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**.

قال {إمام الهدى رضي الله عنه} في قوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**: إن الحياة الدنيا وحُبَّها لنفسه[٩] وعلى ما أنشئت[١٠] وجعلت له حكمة[١١] وحق وسرور ليس بغرور. وأما اختيارها وحبها لغيره واستعمالها لغير الذي أنشئت وجعلت غرورٌ ولعب ولهو، لأن من أحب شيئا استكثر منه وحبسه لنفسه[١٢] وحفظه عن تلفه وضَياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم[١٣] فقره. فعلى ذلك مَن جمع الدنيا لنفسه وأحبها واستعملها فيما أذن له وأُمر، وهو أن يجعلها زادا للآخرة وبُلغةً إليها، فإذا علم ذلك استكثر منها عند الله ليوم فاقته. فمن أحبها واختارها لهذا فهو ليس بغرور

---

١ الآية سبقت قريبا.
٢ ن: ينبت.
٣ سورة البقرة، ٢٦١/٢.
٤ ر: عاقبة.
٥ ﴿ذلك مَثَلُهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأَه فآزَرَه فاستغلظ فاستوى على سُوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).
٦ ن: رجع.
٧ جميع النسخ: فتأملوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
٨ ث: ووضعوا.
٩ ن: في نفسه.
١٠ ن + الدنيا.
١١ ن + وهو.
١٢ ر م: نفسه.
١٣ ر: في يوم.

ولا لعب بل سرور وبهجةٌ. ومن طلبها لغيره واستعمها في غير[1] ما أنشئت كان غرورا ولعبا على ما ذكر. فخرج قوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**، على ما يختارون هم ويحبونها. وذلك أن الله تعالى أنشأ لنا هذه النعم حيث قال: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[2] وقال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[3] يجب أن ينظر[4] إلى ذلك بالتعظيم لها والإجلال
[٧٨١و] لا بعين الاستخفاف والهوان. / ألا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو أكرم أحدًا بكرامة وأهدى بهدية ثم علم منه الاستخفاف بهديته يسبب منه هديته ويستحقره. فعلى ذلك يجب أن يَتلقى نعمة الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقبول[5] الحسن لا على الاستخفاف بها والإهانة.

ثم الناس بعد هذا رجلان: رجل يرغب في نعمة الدنيا وجمعها وجَعْلِها عند الله ذُخرا[6] وزادا ليوم فقره وحاجته،[7] ورجل زهِد فيها خوفا لتقصير في عبادة الله تعالى وفي حقوقه[8] أن يشتغل بها ويمنعه ذلك عن أداء ما عليه والاقتداءِ برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره وله أسوة حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم.

وأما من ترك الدنيا وما أنشأ الله تعالى فيها من النعم استخفافا بها وهوانا فهو الجاهل المستخِف بنعم الله تعالى الغافلُ عما أنشئت له الدنيا وما فيها. فهذا والذي طلب الدنيا للدنيا مذمومان، والذي طلبها لنفسه زادا للآخرة والذي زهد فيها محمودان. ***والله أعلم.***
وعلى ذلك[9] يخرج ما ذكر[10] أن: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[11] أنّ من أحبها لغيره ولغير الذي جعلت له يكون رأس كل خطيئة،[12] ومن أحبها لنفسه ويتخذها زادا للآخرة فهي رأس كل حسنة وطاعة. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: لغير.
[2] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[3] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[4] ر م: أن ينظروا.
[5] ن: والقول.
[6] ر: زخرا.
[7] ن ث: وفاقته.
[8] ر م: في حقوقه؛ ن: أو في حقوقه.
[9] ن: هذا.
[10] ر ث م - ما ذكر.
[11] *جامع الأصول في أحاديث الرسول* لابن الأثير، ٥٠٦/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٤٥/١٠؛ *وكشف الخفاء* للعجلوني، ٤١٢/١.
[12] ن - أن من أحبها لغيره ولغير الذي جعلت له يكون رأس كل خطيئة.

**﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[٢١]

وقوله عز وجل: **سابقوا إلى مغفرة من ربكم**، يقول:[١] اجعلوا المسابقة فيما بينكم في مغفرة ربكم وإلى جنته[٢] لا إلى جمع الأموال والأولاد. وكان أهل الكفر[٣] جعلوا المسابقة في الدنيا في جمع الأموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لأهل الإيمان: اجعلوا أنتم المسابقة في طلب مغفرة الله وجنته. ***والله أعلم***. ويحتمل سابقوا[٤] آجالكم بأعمالكم التي توجب[٥] لكم المغفرة [من ربكم قبل أن تسابق الآجال الأعمال التي توجب لكم المغفرة].[٦] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وجنةٍ عَرْضُها كعرض السماء والأرض**، الآية،[٧] ذَكَّر سعة الجنة لأن العَرْض إنما يذكر لسعة يكون للشيء وقد ذكر سعة فيها حيث قال: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ،[٨] وقال أيضا: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[٩] ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها. ***والله أعلم***. ثم ذِكْرُ عرضها كعرض السماء والأرض ليس يخرج على التحديد والتقدير أن عرضها مثل عرض السماوات والأرض، لكن لما لا شيء أوسعَ في أوهام الخلق مما ذكر، وهو كقوله: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[١٠] ذكر دوامها لما[١١] لا شيء أبقى وأدوم منها في الأذهان[١٢] وإلا كانتا[١٣] تفنيان.[١٤] ويحتمل أن يقول:[١٥] **عرضها كعرض السماء والأرض**،

---

[١] ر: لقول.
[٢] ر م: وإلى جنة.
[٣] ر م: اكفرة.
[٤] ر م: سابقون.
[٥] ر ن م: يوجب.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٧ظ.
[٧] ن - الآية.
[٨] سورة الواقعة، ٥٦/٣٢-٣٣.
[٩] سورة الزخرف، ٤٣/٧١.
[١٠] سورة هود، ١١/١٠٧، ١٠٨.
[١١] ر م - لما.
[١٢] ن ث: في الأوهام.
[١٣] م: كانت.
[١٤] ن: يفنيان.
[١٥] ن: يكون.

أي يصير السماء[1] والأرض جميعا جنة لهم، ثم وصَفَ[2] الجنة بالسعة ووصف النار بالضيق حيث قال: إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا،[3] وذلك أنه ليس في فضل النار على قدر المجعول عذابا لم يصل إلى المعذَّب بها فائدةٌ فضُيِّقت، ولفضل[4] الجنة على قدر الحاجة لذة وسرور ومنفعةٌ فوُسِّعت لذلك. **والله أعلم.**

ثم أخبر أنها **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله،**[5] والإيمان بالله تعالى هو أن يُصدِّق كلَّ شيء يشهد على وحدانيته وألوهيته، والإيمان برسله هو أن يصدقهم فيما أخبروا عن الله تعالى، وكل صاحب كبيرة مصدق بالذي ذكرنا فهو مؤمن وذلك على المعتزلة.

وقوله[6] عز وجل: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،** دلت الآية أن ما يعطي من الثواب لعبيده فضل منه وإن سماه جزاء[7] وأجرا لما سبق منه إليهم من الإحسان والنعم[8] ما يصير تلك الأفعال -وإن كثرت- شكرا لأدنى نعمه وإن طال عمره فأنى يستوجب الجزاء والثواب على تلك الأعمال، ولكن بفضله ورحمته جعل لتلك الأعمال[9] ثوابا وجزاء. **والله الموفق.**

**﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها،** أي ذَكَرها في كتاب كان ذلك الكتاب قبل أن نبرأ تلك المصائب، أي نَخلقَها،[10] إذ لا يحتمل كون أنفس تلك المصائب في الكتاب قبل خلقها، فدل أنه على كون ذكر المصائب فيه، وهو كقوله: وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ،[11] ليس عين تلك الشجرة في القرآن[12]

[1] ر: السماوات.
[2] ث: وصفه.
[3] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.
[4] ن: وأفضل.
[5] م: ورسوله.
[6] ر: قوله.
[7] ن ث: جرا.
[8] ن + والنعم.
[9] ر م – ولكن بفضله ورحمته جعل لتلك الأعمال.
[10] ن: نحلقها.
[11] ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾ (سورة الإسراء، ٦٠/١٧).
[12] ر ث م – ليس عين تلك الشجرة في القرآن.

ولكن ذكرها فيه. وعلى ذلك ما روي في الخبر أنه نهى أن يسافر[1] بالقرآن إلى أرض العدو،[2] أي نهى أن يسافِر بالذي كُتب فيه القرآن وإلا لم يكن عين القرآن في ذلك المصحف، فعلى ذلك ما ذكر من المصائب وذلك يخرج على المجاز دون الحقيقة. *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله: **من قبل أن نبرأها**، منهم من قال: من قبل أن نخلق[3] تلك المصائب، ومنهم من قال: من قبل[4] أن نبرأ[5] تلك الأنفس والأرض، والأول أظهر.

وقوله[6] عز وجل: **إن ذلك على الله يسير**، يخرج على وجهين. [أحدهما][7] كثرة ما يصيب الخلق في أنفسهم وأموالهم يسير على الله غير شديد عليه، ليس كملوك الأرض لأن ما يصيب حشمهم وخَدَمَهم من المصائب يشتد عليهم لما أن قوامهم بحشمهم وخدمهم ولهم[8] منافع منهم[9] فيخبر الله تعالى بهذا أن ليس له في بقاء الخلق منفعة ولا في ذهابهم وفنائهم ضرر فذلك يكون عليه يسيرا.[10]

والثاني أن كتابة ما لم يكن بعدُ ولم يُخلَق وعلمَه قبلَ كونه على الله يسير هيّن. يخبر أنه عالم في الأزل بكون الأشياء في أوقاتها لا يصعب عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل ظهورها / كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم. *والله أعلم*. [٧٨١ظ]

وفي الآية دلالة خلق أفعال العباد لأن اسم المصائب يقع على ما للخلق فيه صنع كما يقع على ما لا صنع لهم فيها. ثم أضاف الله تعالى خلقها إلى نفسه[11] مطلقا بقوله: **من قبل أن نبرأها**، دل أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. ألا ترى أن الله تعالى سمى ما يصيب بأيدي الخلق مصيبة فقال: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[12]

---

[1] ر م: سافر.
[2] صحيح *البخاري*، الجهاد ١٢٩؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٢-٩٤.
[3] ن: يخلق.
[4] ن – من قبل.
[5] ر: نبرأها.
[6] ر: قوله.
[7] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[8] ن: أن قوامهم حشمهم ولهم.
[9] ر م – منهم.
[10] ر ن م: يسير.
[11] ر ن م: إلى نفسها.
[12] سورة التوبة، ٩/٥٢.

وقال في آية أخرى:[1] ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[2] الآية. قالت المعتزلة: يقال: أصابنا كذا، فيما[3] لا صنع لنخلق في ذلك، فأما فيما فيه[4] صنع لنخلق يقال: أصبنا. لكن هذا فاسد فإنه جائز أن يقال في كل ما أصابك: أصبتَه، وما أَصَبْتَه أصابك[5] لأنه إذا أصابك شيء فقد أصبته،[6] وذلك جائز في اللغة. *والله أعلم.*

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢٣]

وقوله[7] عز وجل: **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**، جعل الله تعالى في طباع الخلق الحزنَ والأَسَى على ما فاتهم من النعمة وينزل[8] بهم [من][9] البلاء والشدة، والسعةَ والفرح والسرور بما ينالون من النعمة، هذا هو المُنْشأ والمجعول في طباعهم.

ثم يخرج تأويل الآية بالنهي عن الأسى والحزن بفوت النعمة وعن الفرح والسرور عند إصابتها على وجوه. أحدها يقول -والله أعلم-: لكيلا تستكثروا[10] من الأسى والحزن على ما فاتكم فيحملكم[11] ذلك على الشكوى من الله تعالى: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، أي لا تستكثروا الفرح والسرور حتى يحملكم ذلك[12] على الطغيان والعدوان. ومثله ذكر في الخبر: «أعوذ بالله[13] من الفقر المُنْسِي والغِناء المُطغِي».[14] *والله أعلم.*

---

[1] ر م + قاتلوهم يعذبهم الله بأيدينا وقال في آية أخرى.
[2] سورة التوبة، ١٤/٩.
[3] ر م - فيما.
[4] ر ث م - فيه.
[5] جميع النسخ: إصابتك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[6] ن - فقد أصبته.
[7] ر: قوله.
[8] ر م: وينزلهم.
[9] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[10] ر ن م: لكي لا يستكثروا.
[11] ن + على.
[12] ن: كذلك.
[13] ن - بالله.
[14] «وعن أنس قال: ما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة مكتوبة قط إلا قال حين أقبل علينا بوجهه: اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يُخزيني وأعوذ بك من صاحب يؤذيني وأعوذ بك من كل أمل يلهيني وأعوذ بك من كل فقر ينسيني وأعوذ بك من كل غِنًى يُطغيني"» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٤٥/١٠). وانظر: *المبسوط* للسرخسي، ٢٨٢/٣٠.

والثاني يقول: لكيلا يَشغلكم الأسى والحزن على ما فاتكم من النعمة حتى يفوتكم[١] أضعاف ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب إذا صبروا، كقوله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ -إلى قوله-[٢] وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ،[٣] ثم قال: أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.[٤] يقول: لا يَشْغَلَنَّكم[٥] الجزع وترك الصبر على ما[٦] وعد لكم من الصلوات[٧] والرحمة والاهتداء. ولذلك قيل: الجزع في المصيبة أعظم المصيبتين. ويقول أيضا: ولا يشغلنكم[٨] شدة الفرح والسرور بما آتاكم عن الشكر حتى يفوتكم الزيادة على ذلك، لأن الله تعالى وعد الزيادة على النعمة إذا شكر بقوله: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.[٩] ***والله أعلم.***

والثالث يقول: **لا تأسوا على ما فاتكم**، ولكن انظروا إلى ما كان منكم من الجريمة حتى فاتكم ذلك حيث قال: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[١٠] يقول: **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، ولكن انظروا إلى تفريطكم في جنب الله وارجعوا[١١] عن ذلك، ولذلك[١٢] يقول: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، ولكن انظروا إلى إحسان الله الذي كان إليكم. ***والله أعلم.***

ويحتمل أن يقول: **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**، أو لكن انظروا إلى ما امتحنكم به وابتلاكم،[١٣] إذ هو امتحن بعضا بالشدائد والبلايا وأمرهم بالصبر على ذلك، وبعضا بالسعة والرخاء وأمرهم بالشكر على ذلك. فاصبروا ولا تجزعوا إن فاتكم النعم وأصابتكم المصائب، واشكروا له ولا تفرحوا[١٤] عند النعم فَرَحًا يكون بَطَرًا وأَشَرًا.

---

[١] جميع النسخ: يقويكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[٢] ر ث م - إلى قوله.
[٣] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).
[٤] سورة ابقرة، ١٥٧/٢.
[٥] ر ث م: لا يشغلكم؛ ن: لا تشتغنكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[٦] ن + فاتكم حتى يفوتكم ما؛ ث + فاتكم حتى نقويكم ما.
[٧] ر م: من الصلاة.
[٨] ر ث م: ولا يشغلكم.
[٩] سورة إبراهيم، ٧/١٤.
[١٠] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[١١] ر: وارحوا.
[١٢] م: لذلك.
[١٣] جميع السخ: و بتلاؤكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[١٤] ن + بما.

أو يقول:[1] **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، فإن الذي أُخذ منكم لم يكن في الحقيقة لكم إنما هو لغيركم، ومن كان عنده مال لآخر فيأخذه لا يجب[2] أن يحزن عبى ذلك. **ولا تفرحوا بما آتاكم** فإن الذي آتاكم يجوز أن يكون لغيركم لا لكم. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، قرئ ممدودا ومقصورا.[3] فمن مده رد الفعل[4] إلى الله تعالى. ومن قصره[5] جعل[6] الفعل لذلك الشيء لموافقة قوله: **على ما فاتكم**، ولم يقل أفاتكم.

{٧٨٢و س؛ * ثم في قوله: **لِكيلا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، وجوه أيضا. أحدها أن المصائب ربما يجري عبى أيدي الناس ويصيبهم منهم فقال: **لِكيلا تَأسَوْا على ما فاتكم**، ما جرى ذلك عبى أيدي الناس لأن لا يروا ذلك[7] منهم فيحملَهم ذلك عبى العداوة والبغضاء ولكن يروا ذلك مكتوبا عليهم من الله تعالى، وكذلك ما ذكر فيما يؤتيهم من النعم على أيدي الخلق فلا يرون[8] ذلك منهم فيَشغلَهم عن القيام بشكر الرب جل وعلا ولكن يرون[9] من فضل الله تعالى ومَنّه فيشكرونه.

والثاني يحتمل أن يكون النهي عن الحزن أمرا[10] بالفرح، أي لا تأسَوا عبى ما فاتكم ولكن افرحوا بما لعل الذي فاتهم، فإنهم[11] لو لم يفتهم لكان يشغلهم عن القيام بحقوق الله تعالى وأداء ما عليهم من الفرائض. ***والله أعلم***.

وفي قوله تعالى: **ولا تفرحوا**، أمرٌ بالحزن، وقد يذكر الشيء ويراد به إثبات ضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[12] أي خسرت[13] تجارتهم. وينبغي أن يُتلقّى نعم الله على وجهين.

[1] ن: ويقول.
[2] ث: لا يحب.
[3] قرأ أبو عمرو وحده: ولا تفرحوا بما أَتاكم مقصورة الألف، وقرأ الباقون: بما آتاكم ممدودة الألف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).
[4] ر: العقل.
[5] ن: قصرها.
[6] ر م: وجعل.
[7] ر م: لا يزول؛ ث: لا يزول ذلك.
[8] ر م: فلا يزال؛ ث: فلا يزول.
[9] ر ث م: يزول.
[10] ر ث م: أمر.
[11] ن – فإنهم.
[12] سورة البقرة، ١٦/٢.
[13] م: أي خسرت.

أحدهما بحسن القبول لها والتعظيم والشكر للمنعم إذ أغناه[1] بذلك عن النظر بما في أيدي الناس ورفع الحاجة إليهم[2] وذلك من أعظم النعم.[3]

والثاني يخاف لما لعله فَعَل[4] ذلك به استدراجا وامتحانا، إذ[5] الأموال ربما تكون[6] فتنة وبلاء، أو تشغله[7] عن أداء[8] ما عليه وكذلك هذا فيما يفوت عنه يفرح بذلك من وجهين لما يحتمل[9] أن كان ذلك[10] سبب استدراجه وبلائه فأُخذ منه، أو لما يصل بذهابه إلى أداء الفرائض من العبادات وكان ذلك يمنعه. ويحزن من وجهين أيضا. أحدهما لما لعل فوته يُحوجه إلى ما في أيدي الناس وكان غنيا[11] عنهم، أو لما لعل ذلك عقوبةُ لتفريط كان منه، كقوله: وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[12] ***والله أعلم.***

ثم أضاف ما نالوا من النعم إلى نفسه، حيث قال: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، ولم يضف[13] ما فاتهم إلى نفسه، وهو كما قال في آية أخرى: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.[14] وهو ما ذكرنا أنه جائز أن يكون ما يفوتهم من النعم باكتساب وبسبب كان منهم. ***والله أعلم.**** [٧٨٢و س ٢٠]

وقوله عز وجل: **والله لا يحب كلَّ مختال فخور**، ولكن يحب ضد ذلك وخلافه. المختالُ المتكبر[16] فيحب المتواضع الخاضع؛ والفخور هو الذي يفتخر بما أنعم الله تعالى عليه على[17] الناس،

---

[1] ن ث: إذ أعناه.
[2] ر م - إليهم.
[3] ر - النعم.
[4] ر م: فعله.
[5] ر: إذا.
[6] ر م: يكون.
[7] جميع النسخ: أو يشغله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[8] ر ث: نحن إذا؛ م: نحو إذا.
[9] ر ث م - وكذلك هذا فيما يفوت عنه يفرح بذلك من وجهين لما يحتمل.
[10] ن - ذلك.
[11] ن: غيبا.
[12] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[13] م ن: ولم يضفه.
[14] سورة النساء، ٧٩/٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٨٢و/ سطر ٤-٢٠.
[16] م: التكبر.
[17] ر ث م: وعلى.

فيحب[1] التكور[2] الذي يشكر على نعمه[3] بالتوسيع على عباده. وجائز أن يكون هذا كنه وصف الكفّار، كأنه يقول: لا يحب كل كفّار، كقوله: يحب كل صبار شكور، أي يحب المؤمن لأن المؤمن يكون صبارا على المصائب شكورا لنعمائه.[4] *والله أعلم.*

**﴿اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٤]**

وقوله[5] عز وجل: **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، جائز أن يكون هذا صلة قوله: لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ،[6] [فيكون][7] تفسيرا له. وجائز أن يكون على الابتداء وهو كقوله: وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ،[8] كان قوله تعالى: اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ مفصولا من الأول وكذلك[9] هذا. ثم قوله: **يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، يحتمل ما ذكر من بخلهم في آية أخرى فقال: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[10] بخلوا بالإنفاق على المؤمنين أو بخلوا بالإنفاق على[11] أتباعهم ليبقى الكبر[12] والرياسة عليهم. وجائز أن يكون ما ذكره بعض أهل التأويل أن ذلك نزل في الرؤساء من أهل الكتاب،[13] بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي[14] كان[15] في كتبهم وأمروا أمثالهم وأشكالهم بكتمان ذلك.
[٧٨٢و] / *والله أعلم.*

---

[1] ر م: فيجب.
[2] ر م: الشكر.
[3] ن: على نعمة.
[4] ر م: نعمائه.
[5] ر: قوله.
[6] الآية السابقة.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[8] سورة المؤمن، ٤٠/٦-٧.
[9] ن ث: كذلك.
[10] سورة يس، ٣٦/٤٧.
[11] م – المؤمنين أو بخلوا بالإنفاق على.
[12] جميع النسخ: الكرم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[13] ث + بيان.
[14] م: الذين.
[15] ر ث م: كانوا.

وقوله عز وجل: **ومن يَتولَّ فإن الله هو الغني الحميد**، أي ومن يعرض عن[1] ذلك فالله هو الغني الحميد، **الغني** عن عبادتكم وعما دعاكم إليه إذ لم يدعكم إلى ما دعاكم لحاجة نفسه إذ هو[2] الغني بذاته، **الحميد** بفعاله، أي بما علم منكم من الرد لرسالته[3] لا يخرج فعله من أن يكون محمودا، ولا يصير لفعله إلى أعدائه بما صنع غير حميد. ***والله أعلم***.*

**﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[٢٥]

وقوله[5] عز وجل: **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**، يحتمل وجهين. أحدهما أي أرسلنا بما يبين ويوضح أنهم رسل الله وأن تلك الآيات التي أتوا بها من عند الله لا باختراع[6] من عندهم لما هي خارجة عن وسع البشر. والثاني ما يبين صدق الرسل في خبرهم وعدلهم في حكمهم، أو يبين[7] ما لهم وما عليهم.

وقوله عز وجل: **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**، وقال في آية أخرى: اَللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ.[8] ثم يحتمل **والميزان**، الموازين المعروفة التي بها تُستوفَى[9] الحقوق فيما بين الناس وبها[10] تُوفَّى وبها تحفظ[11] حقوق الأموال التي بينهم[12] وحدودها، فإن كان المراد هذا فكأنه قال: **وأنزلنا معهم الكتاب**، الذي به يحفظ الدين وحدوده، **والميزان** الذي به يُحفظ حدود الأموال لا يزاد على الحق ولا ينقص منه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: عني.
[2] ر: هي.
[3] ر: لرسالة.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٨٢و/ سطر ٤-٢٠.
[5] ر: قوله.
[6] ر: للاختراع.
[7] ث: ويبين.
[8] سورة الشورى، ١٧/٤٢.
[9] جميع النسخ: يستوفى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.
[10] ر م: وبما.
[11] جميع النسخ: يوفى وبها يحفظ.
[12] ر م: بينهم.

وجائز أن يكون المراد بالميزان الحكمة إذ ذكره على إثر[1] الكتاب، كقوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[2] كأنه يقول -والله أعلم-: وأنزلنا معهم الكتاب والحكمة، فتكون[3] الحكمة[4] بها تحفظ[5] حدود الأفعال والأقوال وتكون[6] الحكمة ما يقوم الناس بها بالقسط. أو أن[7] تكون[8] الحكمة ما أودع في الكتاب من المعاني. وقال الحسن في قوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ:[9] إنهما[10] واحد.

ثم قوله عز وجل: **ليقوم الناس بالقسط**، يخرج على وجهين. أحدهما أنزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليُلزِمَ الناسَ القيامَ بالعدل وقد ألزمهم ذلك بما أنزل عليهم من الكتاب والميزان وبيّن الحدود. والثاني أنزل ما ذكر **ليقوم الناس بالقسط**، على وجود القيام بالعدل. فإن كان المراد منه الوجود فهو راجع إلى خاص من الناس، وإن كان على الإلزام فهو راجع إلى الكل، وهو كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[11] فإن كان على وجود العبادة فهو يرجع إلى خاص من الناس، وإن كان المراد بقوله: إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي لِآمُرَهم أو أُلزِمَهم[12] فهو للكل فإنه قد خلقهم ليأمرهم ويلزمهم وقد أمرهم وألزمهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**، خص الله تعالى ذكر الحديد بما جعل فيه من البأس من بين غيره[13] من الأشياء وإن كان يشاركه غيره في احتمال الأذى والضرر به بما[14] يُطعَن به فيَنفذ ويُضرَب به ويستعمل في الحروب والقتال. [لوجهين].[15]

---

[1] م: إثره.
[2] سورة آل عمران، ٤٨/٣.
[3] جميع النسخ: فيكون.
[4] ر م: الكتاب.
[5] جميع النسخ: يحفظ.
[6] جميع النسخ: ويكون.
[7] ر ن م: وأن.
[8] جميع النسخ: يكون.
[9] سورة آل عمران، ٤٨/٣.
[10] ن: إنها.
[11] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[12] ر م: وإلزامهم.
[13] ث: من غيره.
[14] ر م: ما.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.

أحدهما أنه هو الكامل في الظفر والنفاذ والجرح وإن كان قد يتحقق من غيره، ولذلك اعتاده الناس آلة القتال والحرب فيكون البأس فيه أشد. والثاني لما يُتحصن به باتخاذ الدروع[1] لقوله: [٧٨٢ط] وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ،[2] لهذا خصّ الحديد به. **والله أعلم**.

وقوله: **ومنافعَ للناس**، جعل الله تعالى في الحديد منافع ليست تلك في غيره وهو ما يتخذ منه ما يُخْرَز[3] به ويخاط[4] من الخِفاف[5] وغيرها[6] ما[7] لا يحتمل هذا النوع بغيره.[8] وكذلك حوائج الخلق لا تقوم إلا به[9] في سائر أنواع الحِرَف والأعمال من التجارة والزراعة والبناء وغيرها. وفيه خصوصية في حق المحن وهو ما يظهر عند فرض القتال صدقُ إيمان المحقِّق ونفاقُ[10] المرتاب بقوله: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً،[11] ونحو ذلك. فظهر الصادق من الكاذب في الحروب[12] وإنما ذلك بالحديد، فصار مخصوصا في حق المحنة وغيرها من المنافع حتى لا يتأم أمرٌ من أمور المعاش إلا به فلذلك خُصّ. **والله أعلم**.

وقال أهل التأويل: أنزل من السماء المِطْرَقة والعَلاةَ والكَلْبَتَيْن، وعندنا ليس على حقيقة الإنزال من السماء كذلك. ومعنى[13] قوله تعالى: **وأنزلنا الحديد**، أي خلقنا، كقوله تعالى: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[14] أي خلقها، وقوله تعالى: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ،[15] ومعلوم أنه لم ينزل اللباس على ما هو[16] ولكن معناه خلَقَه لباسا لكم،[17] كذلك هذا.

---

[1] ر م: الدرع.
[2] سورة الأنبياء، ٢١/٨٠.
[3] ن: يحذر.
[4] جميع النسخ: ويخاط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.
[5] ن: من الحفاف؛ ث: من الجفاف.
[6] ر م: وغيره.
[7] ر ن ث: مما.
[8] جميع النسخ: لغيره. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: لا يقوم؛ ن: لا يقوم به. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م + في.
[11] سورة النساء، ٤/٧٧.
[12] ن ث: بالحروب.
[13] ر م: ومعنا.
[14] سورة الزمر، ٣٩/٦.
[15] سورة الأعراف، ٧/٢٦.
[16] ن ث + عليه.
[17] جميع النسخ: لباسا لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.

وقوله عز وجل: **وَلِيَعْلَم الله من ينصره ورُسُلَه**، يحتمل: **من ينصره**، أي دينه أو أراد بإضافة النصر إلى نفسه نصر رسوله محمد[1] وسائر رسله عليهم الصلاة والسلام. ثم نصرُ الرسل مرة يكون بتبليغ ما أمروا إلى أقوامهم[2] ينصرونهم ويعينونهم على ذلك. ونصر دينه إظهاره في الخلق والذب عن أهله[3] والمعونة لهم، هذا يحتمل. وعلى هذا يخرج قوله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ.[4] *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد من إضافة النصر إليه نصر أنفسهم ودينهم، إذ هم المنتفعون بذلك ولهم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة. لكنه بفضله وكرمه سمى ذلك نصره وأضافه[5] إلى نفسه؛ على ما جعل لأعمالهم التي يعملونها لأنفسهم ثوابا وذكر لهم على ذلك أجرا كأنهم عاملون له وهم المنتفعون بها المحتاجون إليها. فعلى ذلك جائز أن يكون ما عملوا لأنفسهم سماه نصرا له[6] وإن كان ذلك النصر لهم وإنه ناصرهم وناصر[7] الكل حيث قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[8] أخبر أنه إذا نصرهم لا غالب لهم سواه وإذا خذلهم[9] [ف]لا[10] ناصر لهم دونه.[11] *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **وَلِيعلمَ اللهُ من ينصره ورسلَه**، يخرج على وجهين. أحدهما ليعلم من قد علم أنه ينصر ناصرا وليعلم من قد علم بالغيب أنه يكون كائنا شاهدا؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، عَلِمَه بالغيب أنه يكون، وإذا كان علمه شاهدا،[12] والتغير[13] على المعلوم لا على العلم. والثاني يريد بالعلم المعلومَ وذلك جائز في اللغة: ذكر العلم والفعل على إرادة المعلوم والمفعول، نحوَ ما يقال: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله لأن الصلاة لا يكون أمره.

---

[1] ن + صلى الله عليه وسلم.
[2] ر م: إلى قومهم.
[3] ر: عن أصله.
[4] سورة محمد، ٤٧/٧.
[5] ن: وإضافة.
[6] ث - له.
[7] ر م - هم وناصر.
[8] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٠).
[9] ر م: أخذ لهم.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.
[11] ن - دونه.
[12] ر ث م - لأنه عالم الغيب والشهادة علمه بالغيب أنه يكون وإذا كان علمه شاهدا.
[13] ر م: والتغيير.

وقوله عز وجل: **إن الله قوي عزيز**، ذكر هذا ليعلم أنه لم يأمر فيما أمرهم من القتال والنصر لحاجة نفسه، ولا استعملهم فيما استعمل من النصر والمعونة لنفسه، ولا أن يكتسب بذلك العِزَّ لنفسه، حيث أخبر أنه قويٌّ بنفسه عزيز بذاته، ولكن إنما أمرهم بما أمر[1] واستعملهم فيما استعمل لنصر أنفسهم ولقوتهم. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب**، وإنما ذكر نوحا وإبراهيم -والله أعلم- لما أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب[2] وإلا قد ذكر الرسل بجملتهم في قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ،[3] فدخل نوح وإبراهيم عليهما السلام في قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ. ثم ذكر أن منهم من اهتدى، أي من قومهم، وكثير منهم فسقوا بقوله: **فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**، يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قد كان[4] في قومهم من اتبعهم فصاروا مهتدين، ومنهم من ترك اتباعهم وخرجوا من أمر الله فصاروا فاسقين. يُصبّره ويسكّن[5] قلبه على ما كان في قوم من تقدم من الرسل من المجيبين[6] لرسله والتاركين للإجابة كقومك، أي لست أنت بأول من كذب ورُدّ قوله تعنتا وعنادا. *والله الهادي*.

**﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **ثم قفينا على آثارهم برسلنا**، أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب وبعث منهم رسلا. ذكر في الآية الأولى أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة،

---

[1] ت: أمروا.
[2] ن - وإنما ذكر نوحا وإبراهيم والله أعلم لما أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب.
[3] الآية السابقة.
[4] ن: أنه كان.
[5] ن: ويشكر.
[6] ن: من المحبين.

وذكر في هذه الآية الرسالة فيهم وفي ذريتهم. أي أرسلنا رسولا على إثر رسول وأتبعنا بعضهم بعضا، من "قفا يقفو"،[1] ثم ذكر أنه قفّى بعيسى ابن مريم لأن عيسى عليه السلام من أولاد إسحاق عليه السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بعدُ وهو من ولد إسماعيل عليه السلام. وقال بعض أهل التأويل:[2] **وقفينا**، أي أتبعنا، يقال[3] قفيتُ فلانا، أي عينته وسميته. وقَفَوْتُه أَقفوه قَفْوا وقُفُوًّا،[4] واقتفيتُ به[5] أي لزمته.

وقوله عز وجل: **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة**. وصف الله تعالى الذين [٧٨٣و] / اتبعوا الرسل وآمنوا بهم بالرحمة والرأفة[6] فيما بينهم وهو كما ذكر في آية أخرى: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[7] وقال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا،[8] وقال في آية أخرى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[9] وقال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[10] ونحو ذلك؛ وذلك لأن السبب الذي جمعهم واحد وهو التوحيد والإسلام.

فإن قيل: كيف وقع بينهم من العداوة والبغضاء ما وقع وسبب الجمع قائم حتى استحل بعضهم قتال بعض من نحو الخوارج والمعتزلة؟

قيل: إنما وقع ذلك فيما بينهم -وإن كان سبب الجمع قائما- لما كانت تلك الألفة والرأفة بلطف من الله تعالى وقد زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث. أو نقول: إن الخوارج قد أحدثوا من أنفسهم أشياء حتى سَمَّوا المسلمين كفرةً بما ارتكبوا من الكبائر حتى نصبوا القتال والحرب معهم، وكذلك المعتزلة سمّوا أصحاب الكبائر فَسَقة[11] وفجرةً[12]

---

[1] ر ن: يقفوا.
[2] وعبارة *الشرح* هكذا: «قال بعض أهل اللغة»، ورقة ١٩٩ظ.
[3] ر ث م: ويقال.
[4] ر ن م: وقفنا؛ ث: وقفيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.
[5] ر: بـه.
[6] ر م: بالرحمة والرحمة الرأفة؛ ث: وآمنوا بهم بالرأفة والرحمة الرأفة.
[7] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[8] سورة مريم، ٩٦/١٩.
[9] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[10] سورة المائدة، ٥٤/٥.
[11] ر: فسقه.
[12] ث + وكفرة.

وأنزلوهم[١] بين الكفر والإيمان. ومن سمى آخر كافرا أو فاسقا فلا شك أنه[٢] يحدث بينهما عداوة وتباغض. فما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم إيانا فسقة وفجرة وكفرة بارتكاب الكبائر وإن كان السبب الذي جمعهم قائما عندنا. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **ورَهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم**، الآية،[٣] ذكر في القصة أن في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان على بني إسرائيل ملوك[٤] غيروا التوراة والإنجيل وبقي منهم أناس مؤمنون بعيسى[٥] عليه السلام ويعملون بما في الكتب. فهمّ أولئك الملوك أن يقتلوهم لإبائهم اتباعهم والعود إلى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء أن يتخلصوا منهم. فذلك قوله: **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**، أي ما فرضنا[٦] عليهم تلك الرهبانية ولم نأمرهم بها، ولكن فُرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك الرهبانية رجاء أن يكون فيها رضوانُ الله تعالى. ***والله أعلم.***

قال: **فما رَعَوْها حق رعايتها**، أخبر أنهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر أنهم لم يَرعَوا حق رعايته، ذمّهم لتركهم الرعاية لما ابتدعوه. ففيه دلالة أن من افتتح قربة لم تُفْرَض[٧] عليه من صلاة أو صوم أو نحو ذلك ثم[٨] لم يقم بوفائه وإتمامه لحقه ذم كما لحق هؤلاء.

وقوله[٩] عز وجل: **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون**، أخبر أن الذين آمنوا وثبتوا على الإيمان أن يؤتيهم أجرهم أي يوجب لهم، **أجرهم وكثير منهم فاسقون**[١٠] أي كافرون. كذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وكثير منهم كافرون. وذكر أن بعضا منهم بعد ما[١١] ترهبوا اشتد عليهم[١٢] الترهب فعادوا ورجعوا ودخلوا في دين أولئك الملوك. ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ: وأنزلهم.
[٢] ر م: أن.
[٣] ن – الآية.
[٤] جميع النسخ: ملوكا.
[٥] ن – بعيسى.
[٦] ر: أي فرضنا.
[٧] ر ث م: لم يفرض؛ ن: لم يعرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.
[٨] ن – ثم.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ث – أخبر أن الذين آمنوا وثبتوا على الإيمان أن يؤتيهم أجرهم أي يوجب لهم أجرهم وكثير منهم فاسقون.
[١١] ن – بعد ما.
[١٢] ن: منهم.

قال القُتَبِي: **ورهبانيةً**، أي العبادةَ يعني الخوف، **وابتدعوها**، الابتداع أن تفعل[1] شيئا لم يُفعَل قبلك، يقال منه: أبدعت وابتدعت وبَدَّعت أيضا. وقيل: الرهبانية اسم مبني من الرَّهْبَة لما أُفرِط فيه وهو ما نهى الله عنه[2] بقوله: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ،[3] ويقال: دين الله بين المقصِّر والغالي. وقوله: **ما كتبناها عليهم**، أي ما أمرناهم بها. ***والله أعلم.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله**، يقول بعض أهل التأويل: يا أيها الذين آمَنوا بعيسى ابن مريم[4] آمِنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا ضعيف [لأن من آمن بعيسى فقد آمن بمحمد وغيره من الرسل][5] إذ[6] الإيمان برسول من الرسل إيمان بجميع الرسل.[7] وتأويل الآية:[8] **يا أيها الذين آمنوا**، بالرسل جملة[9] على غير الإشارة والتفسير آمِنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الإشارة به؛ لأن الإيمان بالرسل على غير الإشارة أمر سهل وإنما يَصعُب الإيمان به ويشتد بالإشارة إلى واحد، لأنه لما[10] آمن بالمشار إليه لزمه اتباع أمره ونهيه، ويلزمه موالاة من والاه واتبعه، ويلزمه معاداة من عاداه وخالفه في أمره ونهيه وترك اتباعه وإن كان له ابنًا وأبًا[11] وجدًّا، وكان يجب أن يكون أحب الناس إليه وأقربه[12] وأبره. فهذه معاملة الرسول الذي آمن به على الإشارة إليه وأنها تشتد وتصعب.[13]

---

[1] جميع النسخ: أن يفعل.
[2] ن – عنه.
[3] سورة النساء، ١٧١/٤.
[4] ث م: بعيسى بن مريم.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.
[6] ر م: أن.
[7] لعل المؤلف يشير إلى آية البشارة وهي قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (سورة الصف، ٦/٦١).
[8] ن: وتأويله.
[9] ر: جمله.
[10] ن – لما.
[11] ث: وأباء.
[12] ر م: وأقرب.
[13] جميع النسخ: يشتد ويصعب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.

وأما عند الإجمال والإرسال فأمر سهل إنما فيه تصديق كل صادق وتكذيب كل كاذب، وكل الناس قد اعتقدوا في الأصل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب وليس في الإجمال والإرسال إلا ذلك. وأما عند التعيين يوجب الامتحان وبه يظهر نفاق المنافقين وتحقيق المؤمنين المحققين، وذلك قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ، وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ،[1] ظهر نفاقهم بما أُمروا بالجهاد والخروج معه[2] على الإشارة إليه؛ وكقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ،[3] وقد وَعدوا في الجملة أنه لو أعطاهم كذا من فضله لَيَصَّدَّقُنَّ؛[4] فلما أُوتوا / ذلك وأمروا بإخراجه أبَوا إخراج ذلك عند الإشارة إليه. [٧٨٣ظ]

فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **يا أيها الذين آمَنوا**، بالرسل جملة آمِنوا بهذا الرسول المشار إليه لما يصعب الأمر ولِما يَلزم في ذلك معاداة[5] من خالفه وتَرْك اتباعه وإن كان أقرب الخلائق إليه. وكذلك عامل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربهم وأرحامهم لَمّا آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وآبائهم وأولادهم وعادَوا جميع أقاربهم الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتّباعه. وفي ذلك آية عظيمة، ولذلك فضِّل إيمان من آمن في أول خروجه على[6] إيمان من تأخر منهم عن ذلك الوقت. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **يؤتكم كِفلَين من رحمته**، قوله: **يؤتكم**، أي يوجبْ لكم **كفلين من رحمته**، أي أجرين: أجر الإيمان بالرسل كلهم على الإجمال وأجرَ الإيمان بالرسول[7] على الإشارة والتفصيل.[8] ذكر هاهنا **كفلين من رحمته**، وقال في آية أخرى: يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا.[9]

---

[1] ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٩-٣٠).

[2] ر م: ومعه.

[3] سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦.

[4] جميع النسخ: لنصدقن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.

[5] ن: معاداه.

[6] جميع النسخ: عن. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر م: بالرسل.

[8] ن: والتفضيل.

[9] سورة القصص، ٢٨/٥٤.

يحتمل قوله: **كفلين**، مرتين. وقوله: مَرَّتَيْنِ كِفْلَيْنِ فيكون أحدهما تفسيرا للآخر. ثم ذكر هاهنا الأجر لهم من رحمته وذكر هنالك[1] الأجر مطلقا ليعلم أن ما ذكر لأعمالهم من الأجر إنما هو فضل منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا. ***والله الموفق***.[2] ثم يحتمل ما ذكر من الأجر مرتين يكون مرة في الدنيا والأخرى في الآخرة، كقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ،[3] الآية، وقوله: لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.[4] ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ما ذكر من الأجر مرتين يكون وعدا في الآخرة ويكون قوله: مَرَّتَيْنِ، أو[5] **كفلين** أي ضعفين، كقوله: يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ.[6] ثم قوله: **كفلين**، قال أكثر أهل التأويل: أي أجرين. وقال بعضهم: حظّين ونصيبين. وجائز أن يكون سماه كفلا لأنه كفله، ألا ترى أن ذا الكِفْل[7] ذُكر إنما سُمّي[8] به لأنه كان يَكفُل لفلان فعلى ذلك جائز تسمية هذا كفلا لأنه يكفل به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وَيَجْعَلْ لكم نورا تمشون به**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما النور كناية عما يُبصَر به وَيتّضح، والمشي كناية عن الأمور. يقول -والله أعلم-: يجعل ما تبصرون[9] به السبيل ويتضح لكم الأمور ويزول عنكم الشبه. فيكون المشي كناية عن الأمور والنور كناية عن البصر. ***والله أعلم***. وهو كقوله تعالى: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ،[10] أي لا سواءٌ،[11] وهو كناية عما ذكرنا ليس بتصريح. والثاني على حقيقة إرادة[12] المشي وحقيقة النور وذلك يكون في الآخرة، كقوله:

---

[1] ر م: هاهنا لك.
[2] ن: والله أعلم.
[3] سورة النحل، ١٦/٣٠.
[4] جميع النسخ: لهم البشرى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ. سورة يونس، ١٠/٦٤.
[5] ر ث م: أي؛ ن: إذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.
[6] الآية ١٨ من هذه السورة.
[7] ر: ذاتكفل.
[8] ن ث: يسمى.
[9] جميع النسخ: ما يبصرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.
[10] سورة الأنعام، ٦/١٢٢.
[11] ث: سوله.
[12] ث: إرادة حقيقة.

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا،[١] الآية. وقال أهل التأويل: النور هاهنا هو[٢] القرآن، أي أعطاكم قرآنا ما[٣] يفضيكم إلى سبيل الخير. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ويَغفرْ لكم**، الغفران من الستر، كأنه يقول: يَستُر عليكم مساوئكم ويُنْسِيكم،[٤] لأن ذكر المساوئ ينغّصهم[٥] النعم ويحملهم على الحياء من ربهم. وقوله: **والله غفور رحيم**، أي يرحمهم ويُخلّدهم في جنته.

**﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[٢٩]

وقوله: **لئلا يعلم أهل الكتاب**، أجمع أهل التأويل واللغة أن حرف "لا" زيادة هاهنا[٦] وصلة،[٧] أي ليعلم أهل الكتاب. وقد يزاد في الكلام حرف "لا" ويُسقَط بحق الصلة يعرفه[٨] أهل الحكمة والفقه، كقوله تعالى: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا،[٩] ليس يبين لنا لِنَضِلَّ[١٠] ولكن يبين لنا[١١] لنعلم[١٢] ونهتدي. فعرف الحكماء والفقهاء أن كلمة "لا" أسقطت هاهنا فعلى ذلك عرفوا أن حرف[١٣] لا هاهنا في قوله: **لئلا يعلم**، زيادة، ومعناه:[١٤] ليعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله. ثم لا يحتمل أن يكون ذِكرُ قوله: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**،[١٥] على غير تقدم قول كان منهم [ولا سابقة شيء كانت منهم؛

---

[١] سورة التحريم، ٦٦/٨.

[٢] ر م – هو.

[٣] ر ث م – ما.

[٤] ر م: بينكم؛ ن ث: وينسئكم.

[٥] ر: ينغضهم.

[٦] ث: هنا.

[٧] ن: وصله.

[٨] ر ث م + ذلك.

[٩] سورة النساء، ٤/١٧٦.

[١٠] ر ث م: لنا أن نضل؛ ن: لنا أن ليضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.

[١١] م – لنا.

[١٢] ن: ليعلم.

[١٣] ث – حرف.

[١٤] ر م: معناه؛ ث: زيادة ومعناه

[١٥] ن – ثم لا يحتمل أن يكون ذكر قوله لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله.

ولسنا ندري ما الذي كان منهم][1] حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك. ولكن نذكر[2] شيئا يشبه أن يكون الذي ذكر هو جواب ذلك الذي كان منهم. وهو أنهم كانوا أهل كتاب وأهل علم بالكتاب يرون لأنفسهم [بذلك][3] فضلا على غيرهم وخصوصية ليست لغيرهم عندهم. فلما بعث[4] الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا[5] إليهم وإلى الناس كافة وأنزل عليه كتابا وهو أمين عندهم وذكر في كتابه ما كان في كتبهم وأمرهم باتباعه والإنقياد[6] له والطاعة وأحوجهم[7] جميعا إليه وإلى ما في كتابه أنكروا فضل الله عليه وإحسانه إليه فعند ذلك قال: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، أي يفضّل من يشاء على من يشاء ليس ذلك إليهم.

ثم في[8] قوله تعالى: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**، دلالة نقض قول المعتزلة في أن الله تعالى قد أعطى كل إنسان[9] ما يقدر على الوصول إلى جميع فضائله وإحسانه وقد أخبر ليعلموا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. والمعتزلة يقولون: بل [٧٨٤و] يقدرون، / فهذا خلاف لظاهر[10] الآية. *والله أعلم*.[11]

وفي قوله: **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، أيضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة أخرى وهو أنه ذكر المشيئة في ما هو حقه فضل وما هو حقه عدل حيث قال: **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، ولم يذكر المشيئة في ما هو حقه عدل وما هو ظلم وجور بل أطلق القول في ذلك فقال: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ،[12] وقال: وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ،[13]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[2] جميع النسخ: يذكر.
[3] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ر م: فما ثبت.
[5] ن - رسولا.
[6] رم: وانقياد.
[7] ن: وأحرجوهم.
[8] ر م - في.
[9] ر ن م: شيء.
[10] ر م: الظاهر.
[11] ن - والله أعلم.
[12] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[13] سورة المؤمن، ٤٠/٣١.

وقال: [إِنَّ اللَّهَ] لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[1] وقال: [إِنَّ اللَّهَ] لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا،[2] وغير ذلك من الآيات، نفى أن يُلْحَق أحد منه الظلمَ والجورَ ليُعلَم أن فعل[3] الهدي منه فضل[4] إلى من هداه وأرشده والإضلال منه عدل، ولذلك[5] قال: يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[6] أي من نال الهدى والرشد إنما ناله بفضله ورحمته ومن ضل فذلك عدل منه[7] ولذلك قال: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.[8] ***والله الهادي ومنه الهداية والتوفيق.***[9]

---

[1] سورة النساء، ٤/٤٠.
[2] سورة يونس، ١٠/٤٤.
[3] ث – فعل.
[4] ر ث م: يصل؛ ن: فعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[5] ر م: وكذلك.
[6] سورة المدثر، ٣١/٧٤.
[7] ر ث م: عنه.
[8] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[9] ر: والله الهادي والله أعلم بالصواب؛ ن ث – ومنه الهداية والتوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المجادلة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**[١]

قوله[2] عز وجل: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله.** قال جماعة من أهل[3] التفسير: إنها نزلت في أوس بن الصامت أخي عُبادة بن الصامت وامرأته. غير أنهم اختلفوا في اسم امرأته، قال[4] ابن عباس رضي الله عنه: كان اسمها خَوْلَة، وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جميلة، وقال بعضهم بأنها كانت تُسمي خُوَيلة، على تصغير خولة. وروي في بعض الروايات بأنه كان سببُ هذا القول من أوس لزوجته لمّا دعاها ليلة إلى فراشه، وكانت امرأته بحيث لا يحل[5] له التمتع بها، فأبت عليه وأرادت أن تخرج من البيت، فقال لها: إن خرجتِ من البيت فأنتِ عليّ كظَهر أمي، فخرجت. فلما أصبحت قال لها زوجها: ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليّ، قالت: والله ما ذكرت لي طلاقا. قال: فَأْتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسْأَلِيه فإني أستحيي أن أسأله عن هذا. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته، فنزلت فيهما هذه الآية.[6]

---

[1] ر – سورة المجادلة؛ ث + وهي اثنتن وعشرون آيات؛ ن م + وهي مدنية.

[2] ر: وقوله.

[3] ن ث: جماعة أهل.

[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠١و.

[5] جميع النسخ: لا تحل. والتصحيح من مرجع السابق.

[6] انظر: الدر المنثور للسيوطي، ٧٤/٨.

وروي في بعض الأخبار أن أول من ظاهر عن امرأته[1] أوس، قال: وكان به[2] لَمَم فقال في بعض ضَجَرته ذلك القول. وهذا يرويه محمد بن كعب القُرَظِيُّ.[3] لكنه لا يحتمل أن يكون أراد باللمم الجنونَ،[4] لأن المجنون لو طَلَّق[5] امرأته لا يقع الطلاق فضلا أن يكون ظهاره ظِهار. وتأويل قوله: كان به لمم، أي فضل غضب وشدة، فكأنه لم يكن به حِلْم.

ثم اختلفت الروايات في شأنها وشأن زوجها. منهم من روى، وهو محمد بن كعب، أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: إن أوسا أبا ولدي وابن عمي وأحبّ الناس إليّ قال[6] كُنَيْمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه». قلت: يا رسول الله لا تقل ذاك ما ذَكَر طلاقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمْتِ عليه». فكررت[7] المرأة ذلك ويردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك.[8] ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وَجدي به وما يشق علي[9] من فراقه، اللهم أنزل علي نبيك. فأنزل الله تعالى: **قد سمع الله**[10] –إلى قوله تعالى– فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.[11]

وفي بعض الأخبار رواها الكلبي أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تَزَوَّجني يوم تزوجني، وأنا شابة ذات أهل كثير ومال كثير فأكل [مالي وأفنى][12] شبابي، حتى إذا كَبُرتْ عنده سنّي وذهب أهلي وتفرق مالي وضَعُفْتُ جعلني عليه كظهر أمه[13] ثم تركني إلى غير شيء،[14] وقد ندم وندِمتُ، فهل من شيء

---

[1] ر ث م: ظاهر امرأته.
[2] ر ث م – به.
[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/٦-٧.
[4] ن: الحيوان.
[5] ر: أطلق.
[6] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[7] ر ث م: وكررت.
[8] ر م – ذلك.
[9] ن: عليه.
[10] م + تعالى قد سمع الله
[11] الآية ٤ من هذه السورة
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١ظ.
[13] ر: أمة
[14] ن: ثم تركني تركني إلى غير شيء.

يجمعني وإياه يا رسول الله؟ فقال عليه السلام لها: «أَطَلَّقَكِ؟»، قالت: لا. قال: «ما أُمِرتُ في شأنكِ من شيء فإن يَنزل[1] عليّ في شأنكِ شيء أُبَيِّنه[2] لكِ». فرفعتْ يديها إلى السماء تدعوه[3] وتتضرع إليه أن يُنزل إليه بيان أمرهما، ثم خرجت من عنده وأتت زوجها. فنزل[4] جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية. وروي في بعض الأخبار أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني، وإني شابة[5] ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى[6] شبابي وكبرت سني ورقّ عَظْمي وباد أهلي جعلني عليه كظهر أمه؛ ولي منه صبيان إن أنا وكَلْتُهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إلى نفسي جاعوا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اُعْزُبِي[7] فلعلكِ الظالمةُ لزوجكِ»، فقالت: يا أمين الله في أرضه إنه لظالم لي، فقال: «اذهبي،[8] فإنّ فِيكُن[9] الضعف والعجزَ». قال: فجعلت تجادله، فلما رأت أنه لا يرفع بها رأسا ولا تجد[10] عنده مخرجا خرجت فرفعت طَرْفها إلى السماء تشكو إلى الله صنع زوجها بها، وقالت:[11] اللهم إني أتيت أمينك في أرضك، فلم يرفع بي رأسا، فتَولَّ اليومَ حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي. [٧٨٤ظ] فلم تصل إلى منزلها حتى هبط[12] جبريل صلوات الله عليه بالوحي: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**، فدعا أوسا زوجها فقال: «ما الذي حملك على ما صنعت بخَوْلَة،[13] وقد أنزل الله فيها ما أنزل»؟ وبعث إليها ورحّب[14] بها. فقال: يا رسول الله، عملُ الشيطان، فهل من أمر يجمعني الله وإياها؟ قال: «نعم»، ثم تلا عليهم آية الكفّارة إلى آخرها.[15]

---

[1] ر ث م: نزل.
[2] ن: أتينه.
[3] ر م: يدعوه.
[4] جميع النسخ: فنزلت. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠١ط.
[5] م: وأنا شابة.
[6] ر: أفنى.
[7] ر: اغزبي؛ ن ث: عزلي
[8] ر: اذهبى.
[9] ن: فإن فيك
[10] ر م: ولا يجد.
[11] جميع النسخ: وقت. والتصحيح من المرجع السابق
[12] ر ث م: يهبط؛ ن: نزل. والتصحيح من مرجع السابق.
[13] ن: نحو قوله.
[14] ن: ورحب
[15] انظر: تفسير الطبري، ٣/٢٨-١٠؛ والدر المنثور للسيوطي، ٨/٦٩-٧٥.

ثم بين هذه الروايات اختلاف. ذكر في رواية القُرَظِيِّ أنه قال عليه السلام: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمْتِ عليه»، وفي رواية قال لها: «ما أُمِرت في شأنكِ من شيء». لكنه يمكن التوفيق[1] بين الخبرين. وهو أن قوله: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمتِ عليه» على ما كان أهل الجاهلية يرونه محرِّما، وقال: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمتِ عليه[2] من ذا الوجه، لكنه لم ينزل عليَّ شيء في بيان هذا، فإن ينزل شيء في بيان هذا أبينه[3] لكِ». والثاني أن ليس في قوله: «ما أُراكِ» إثبات حرمة، بل هو قول على الظن بما قد كان الناس يعرفون بينهم ذلك[4] حرمة. فيجوز أن يرد[5] التقرير على ذلك أو يَرِدَ لهذه الحادثة الحرمةُ بالوحي، فتوقف في الجواب مع الإشارة له بالامتناع من الزوج احتياطا لباب الحرمة. **والله أعلم**.

ثم إن بعض الفقهاء[6] ذكر الاختلاف بين السلف في حكم الظهار قبل نزول الآية. عن عكرمة أنه[7] قال: كانت النساء تُحَرَّم بالظهار حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، وكان طلاقا قبل نزول الآية، فجعله الله تعالى بهذه الآية ظهارا.[8] وعن أبي قِلابة وغيره: كان طلاقهم في الجاهلية الإيلاء والظهارَ.[9] [فلما جاء الإسلام جعل الله في الظهار ما جعل فيه وجعل في الإيلاء ما جعل فيه. وعن الزهري كان طلاق أهل الجاهلية الظهار].[10] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إنما كان طلاق أهل[11] الجاهلية الظهارَ، ثم جعل[ه] لهذه الأمة حرمة ترتفع[12] وتزول[13] بالكفارة التي أوجب. وعن الحسن أنه قال:[14] كان الظهار أشد الطلاق وأحرمَ الحرامِ، إذا ظاهر[15] من امرأته لم يرجع إليه أبدا.

---

[1] ن + يمكن التوفيق.
[2] ن – على ما كان أهل الجاهلية يرونه محرما وقال ما أراك إلا وقد حرمت عليه.
[3] ن: آتيه.
[4] ر م: بذلك.
[5] ر ث م: أن يراد.
[6] ن ث: لفقهاء.
[7] ن: أنها.
[8] *تفسير ابن كثير*، ٦٣/٨.
[9] *تفسير الطبري*، ١٠/٢٨.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١ظ.
[11] م: طلاقا لأهل.
[12] ن: ويرتفع.
[13] جميع النسخ: ويزول. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ – قال. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ن: إذا ظهرا

والأشبه أنه لا يكون طلاقا في الإسلام لو كان يكون في الجاهلية وأنه [لا] يكون موجب حرمة لا ترتفع أبدا، كما قال الحسن فإنه ذَكَر في حديث خولة أن زوجها لما قال لها: ما أُراكِ[1] إلا وقد حُرمت علي، قالت: والله ما ذكرتَ لي طلاقا. ولو كان الظهار طلاقا لَعَرَفَتْه. وكذلك لما أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال لي: أنتِ عليَّ كظهر أمي، فقال عليه السلام: «ما أُراكِ إلا وقد حُرمت عليه»، قالت: يا رسول الله! لا تقل ذاك ما ذكر طلاقا، ولم يَرُدَّ عليها اعتقادَها في أن الظهار طلاق. وكذلك ما روي في رواية أخرى في حديث طويل: جعلني عليه كظهر أمه ثم تركني إلى غير شيء، فهل من شيء يجمعني وإياه يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: «أَطَلَّقَكِ؟» قالت: لا، قال: «ما أمرت في شأنك من شيء». ولو كان الظهار طلاقا بعد الإسلام قبل نزول هذه الآية[2] لما قال لها: «أَطَلَّقَكِ؟» بعد ما قلت: جعلني عليه كظهر أمه ولَمَا قال: «ما أمرت في شأنك من شيء» وحكم شريعته أنه طلاق مزيل للملك؛ دل أنه[3] الأشبه. هذا يقرر ما قلنا: إنه ذَكَر في حديث خولة وأوس أنه أول من ظاهر في الإسلام، فكيف يكون طلاقا؟

فإن قيل: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال:[4] «ما أُراكِ[5] إلا وقد حُرمتِ عليه»، والحرمة التي لا ترفع[6] النكاح بالظهار إنما ثبتت[7] بعد نزول الآية؛ والآيةُ نزلت بعد هذا القول في أوس بن الصامت، فدل أن مراده[8] تحريم الطلاق. فهذا يدل على[9] أن هذا الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول آية الظهار بوحي غير متلو، وإن كان قبل ذلك في حكم الجاهلية. فكذلك ذلك الزوج قال للمرأة أيضا: ما أراك إلا وقد حرمت علي، دل على[10] أنه كان طلاقا قبل نزول الآية.

---

[1] ر ث م: ما أريك.

[2] ن: الآيات.

[3] ن: أن.

[4] ث – قال.

[5] ر م: ما أريك

[6] ن: لا يرفع.

[7] ر ث م: إنما تثبت؛ ن: إنما ثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢و

[8] ن ث: أن المراد.

[9] ن – على

[10] ن – على.

قيل:[1] هذا حجة عليكم، فإنه لو كان المراد بقوله[2] عليه السلام: «ما أراكِ[3] إلا وقد حرمت عليه» إثباتَ الحرمة[4] فيها بالظهار لكونه طلاقا فكيف يَحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك القول بعينه في شخص بعينه؟ وقد صح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا أوسا وأمره[5] بالكفارة وأبقى النكاح بينهما. ولو كان[6] ذلك طلاقا وأُثبت حكمُه إنما ينتسخ[7] بالآية حكمُه إلى حكمٍ آخر، فيظهر[8] ذلك في المستقبل لا في الماضي. فدل أن هذا حجة عليه، ولكن إنما قال: «ما أُراكِ[9] إلا وقد حُرمتِ عليه» للوجهين اللذين ذكرنا هما. **والله أعلم**.

فإن قيل: إن[10] النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها مع أن الظهار كان طلاقا بطريق القطع، بل قال: «ما أراك[11] إلا وقد حرمت عليه» على طريق الظن، لأنه جائز أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه سينسخ[12] حكم هذا القول وينقله من الطلاق إلى تحريم المتعة، فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الآية.

قيل: لو كان ذلك حكما ثابتا مقررا في شريعته، لم يمتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل به والحكم بذلك ما لم ينزل عليه الناسخ وإن أعلم[13] أنه سينسخ، لأنه يجب عليه العمل بما أُنزل عليه لقوله: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ،[14] وقوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ.[15]

[٧٨٥و] وإذا ورد الناسخ بخلافه يكون عمله في المستقبل لا فيما مضى. وإنما يستقيم هذا / على ما قلنا:

---

[1] ر م – قيل.
[2] م: من قوله.
[3] ر ن م: ما أريك.
[4] ر م: للحرمة.
[5] جميع النسخ: وامرأته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢و.
[6] جميع النسخ: لو كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: إنما ينسخ. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: فظهر.
[9] ر م: ما أريك.
[10] ن – إن.
[11] ر م: ما أريك.
[12] ن: سينتسخ؛ م: ينسخ.
[13] ن: فإن أعلم
[14] ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ (سورة المائدة، ٤٩/٥).
[15] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

إن الظهار قبل نزول الآية لا حكم له في الإسلام، وكان محرّما[1] في الجاهلية. فمتى وُجد هذا السبب ووقعت هذه الحادثة أَمَرها[2] بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى تنزل[3] لآية فيَظْهرَ[4] أن حكمه ما هو من حين وجوده؛ إذ يجوز[5] أن يريد الله تعالى بهذا هذا الحكم -وإن كان لا علم للمباشر به- إذا كان بحيث يمكنه الوصول إلى العلم به عند الحاجة إلى العمل به. والحكم كالنص الذي ورد مجملا في إيجاب حكم ثم ورد البيان متأخرا والنصّ العام[6] الذي يتأخر بيانه على خلاف ظاهره، فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**. أي سمع قولها ومجادلتها في زوجها ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤالها إياه عما ابتُليتْ بقول زوجها لها: أنتِ عليّ كظهر أمي. المجادلة هي المخاصمة وهي المحاورة، وكان مجادلتها في زوجها أن قالت: والله ما ذكرتَ طلاقا، حين قال لها بعد ما قال لها: إن خرجتِ من الدار فأنتِ عليّ كظهر أمي، وخرجت: ما أُراكِ إلا وقد حرمت عليّ. وأما مجادلتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ومحاورتها هي قولها: "لا تقل ذلك"، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه» فهذه محاورتهما. ومن الناس من يقول: المحاورة هي المراجعة في الكلام، وهما يُرَدِّدَان الكلامَ ويراجعانه. ويكرّرانه؛ وهو ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم يكرر قوله: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه» وهي تُرَدِّدُ وتُكَرِّرُ قولها: لا تقل ذلك يا رسول الله فإنه ما ذكر طلاقا، ولكن هذا قريب من الأول.*

وقوله عز وجل: **وتشتكي إلى الله**،[8] قيل فيه بوجهين. أحدهما أن تشتكي[9] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الله أضاف إلى نفسه، لأن مرادها كان[10] أن تَنزل[11] آية من الله تعالى

---

[1] جميع النسخ: تحريما.
[2] ن ث: أمرهما.
[3] ر س ه: نزل؛ ث: ينزل.
[4] ب: فنزل.
[5] ر: أن يجوز؛ ب: يريد يجوز.
[6] ه: العام.
* وقع هنا مقطع متأخر عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٨٥و سطر ١٣.
[8] جميع النسخ + والله يسمع تحاوركما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢ظ.
[9] ب: أن يشتكي.
[10] ر ن ه - كان.
[11] ب: أن ينزل.

على رسوله بالفرج عنها. والثاني أنَّ شكواها إلى الله تعالى وتضرعَها قد كان بحيث[1] لم تجد الفَرَجَ والمخرج في ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُراكِ إلا وقد حُرمتِ عليه» فاشتَكَتْ إلى الله تعالى ودعت وتضرعت حتى أنزل الله تعالى على رسوله الآية فيها، وجاءت الرخصة لها بالاجتماع بعد التكفير على ما ذكر في الخبر. **والله أعلم**.

ثم قوله[2] عز وجل: **والله يسمع تحاوركما**، أي سمع لها بما أجاب وأغاث بالفَرَج والمخرج عما اشتكت إليه، وسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبان ما ظهر له من الحكم في الحادثة التي اشتبهت عليه، وأشكل وجهُ الحكم في ذلك. *وقال بعض أهل اللغة: **تَحَاوُرَكُما**، أي كلامكما، والتحاور الكلام بين اثنين.*

ثم اختلفت الأخبار في أمرهما أيضا حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالآية التي نزلت في أمرهما. ذكر في حديث القُرَظِيّ[4] لما نزلت الآية دعا زوجها أوسا فقال له: «أَعْتِقْ رقبة»، قال: ما عندي رقبة أُعتِقُها. قال: «فصم شهرين متتابعين»، قال: ما أستطيع يا رسول الله، إني لأصومُ[5] يوما واحدا فيَشُقّ عليّ، فكيف صومُ[6] شهرين متتابعين؟ قال: «فأطعم ستين مسكينا»، قال: أما هذا فَنَعَمْ، قال: فأطعم ستين مسكينا فأمسكها.[7] وفي رواية أخرى ذكرها الكلبي: لما نزلت رخصتهما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها أوسِ بنِ الصامت، فأتاه، فقال: «وَيْحَكَ ما حملك على ما صنعت وقلت؟» قال: الشيطان يا رسول الله، فهل من رخصة تجمعني وإياها؟ قال: «نعم» وقرأ عليه هذه الآياتِ الأربعَ، وقال له: «هل تستطيع أن تُعتق رقبة؟» قال: لا، واللهِ يا رسول الله، إن المال لقليل وإن العيال لكثير[8] وإن الرقاب لغالية. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، والله يا رسول الله، لولا أني آكل في اليوم مرة أو مرتين لَكَلَّ بصري، ولظننتُ أني سأموت. قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا»؟ قال: لا، والله يا رسول الله، إلا أن تُعينَني بصدقة.

---

[1] ر ن ت: حيث
[2] ر - ثم قوله
* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٨٥و/ سطر ١٣.
[4] ر ن م: القرظي
[5] ن: إن أصوم.
[6] ن: صوم
[7] ن: فأطعم ستين وأمسكها.
[8] ن: إن المال لقليل وإن العيال لكثير.

فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسةَ عشرَ صاعا، وأخرج أوسٌ من عنده خمسة عشر صاعا فتصدق به[١] على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين أهله.[٢]

وذُكِرَ في خبر آخر أن رجلا كان ظاهر من امرأته وكان هو يصوم عنه، فوقع امرأته في وقت الصوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك. فعابه[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله ثم أمره بأن يكفِّر بما وصفنا من الكفارات، فقال كلَّ واحدة منها: لا أستطيع. قال: فأمره[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي موضع كذا إلى أبي زُرَيْقٍ، ويأخذَ منه وَسْقا من التمر فيعطيَ ستين مسكينا كلَّ مسكين صاعا، والباقي ينفقه على عياله. ذُكِرَ في الإطعام في خبر: لا أستطيع، وفي خبر أنه قال: أمّا هذا فنعم. وفي حديث آخر: لا إلا أن تعينني بصدقة. فيشبه أن يكون هذا القول منه: "أما هذا فنعم" بعد ما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعانة[٥] أو بإعطاء الكل؛ فتخرج[٦] الأخبار على الوفاق. ***والله أعلم***.

وفي هذه الأخبار دليل على أن الكفارة إذا لزم فيها طعام، فمن الحنطة نصف صاع. وفيه دليل أن نصف صاع من الحنطة طعام مسكين وأنه يجوز من صدقة الفطر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إن الله سميع بصير**، أي سميع لمقالتكما، بصير في أمركما وفي الحكم فيكما.[٧]

**﴿اَلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِن نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم**، قرئ يظَّهَّرون،[٨] مشددة الظاء بغير ألف، وهو في الأصل: / يتظهرون، فأدغمت التاء في الظاء وشُدّدت.[٩] وقرئ يَظَّاهَرون [٧٨٥ظ]
بفتح الياء وتشديد الظاء بألف، وهو في الأصل: يتظاهرون[١٠] فأدغمت التاء في الظاء، وشددت.

---

١ ر م: تصدق به.
٢ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/٥-٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٧٢.
٣ ن: فعتبه.
٤ ن: فأمره.
٥ جميع النسخ: في لإعانة.
٦ ن ث: فيخرج.
٧ ر م - وقوله عز وجل إن الله سميع بصير أي سميع لمقالتكما بصير في أمركما وفي الحكم فيكما.
٨ ن: يظهر.
٩ ن ث + شددت؛ م: وشددت.
١٠ ر م: تظاهر.

وقرئ أيضا **يُظاهِرون** بضم الياء وتخفيف الظاء بألف من ظاهر يظاهر مظاهرة. والمعنى واحد فيما اختلف من قراءاتهم. يقال: ظاهر الرجل من امرأته، وتظاهر منها واظّاهر[1] واظّهّر[2] وتَظَهّر منها، بمعنى واحد، وهو أن يقول لها: أنتِ عليّ كظَهر أمي. وقال القُتَبِي:[3] **يظاهرون**، أي يُحَرِّمُون[4] تحريمَ ظهورِ الأمهاتِ،[5] وقال أبو عَوْسَجَة:[6] **يظاهرون**، هذه يمينٌ أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. وأما يَظّاهَرون من التظاهر، وهو التعاون. يقال: تظاهر القوم أي تعاونوا. ولكن هو خلاف ما تضمنته[7] الآية. ***والله أعلم***.

ثم الظهار كان عند ذلك القوم ظاهرا وهو ما رُوينا في الأخبار أن امرأة أوس لما همت أن تخرج من الدار قال لها: إن خرجت من الدار فأنت علي كظهر أمي. وكذلك هذه الدلالة في قوله: **الذين يظاهرون**، والظهار أُخِذ اسمه[8] من الظَّهْر. وكذلك فيما عرفه المسمون فيما بينهم هذا اللفظَ، وهو قوله: أنتِ عليّ كظهر أمي. أما ظاهر الآية: [ف]يوجب أن يكون الظهار فيما يقول: أنتِ عليّ كأمي. وهو قوله: **ما هن أمهاتِهم إن أمهاتُهم إلا اللائي وَلَدْنَهم**، ذكر الأمهات، ولم يذكر ظهر الأمهات فصار ظاهر الآية يوجب هذا. وبهذا احتج محمد بن[9] الحسن لمذهبه فيمن قال لامرأته: أنتِ عليّ كأمي، قال: يكون ظهارا من غير نية. وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه قال: لا يكون مظاهرا إلا أن ينوي بذلك الحرمة، فإن نوى به كان. وذهب في ذلك إلى ما روي في الأخبار ذلك الحرف أعني قوله: أنتِ عليّ كظهر أمي. وإنما نزلت الآية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا أن نصرفه[10] إلى غيره إلا بدليل.

---

[1] جميع النسخ: وتصاهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.
[2] ر ث م - واظهر.
[3] هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، و*مشكل القرآن*. يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢/٢٨١؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٢٩٦-٣٠٠.
[4] ر ن م: تحرمون.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٦.
[6] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحوي الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب. كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتُريدي في الأدب، روى عنه سبحان بن الحسين بن حرم المؤدب من محلة شتاندبرة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).
[7] ر ع: ما تضمنه.
[8] ز: اسم.
[9] ن - محمد بن.
[10] ن: ولا يحل لنا أن يصرفه

ثم قوله تعالى: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتِهم**، أي ما هن لهم كأمهاتهم؛ لأنه تعالى قال: **ما هن أمهاتهم**، على سبيل الرد لما أخبر عنهم بقوله: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم**، أي قالوا لنسائهم: أنتن[1] علينا كظهور أمهاتنا. وقوله عز وجل: **ما هن أمهاتهم**، في الظاهر يكون[2] ردا لقول من قالوا لنسائهم: إنهن أمهاتنا. لا لمن قالوا: إنهن كأمهاتنا أو كظهور أمهاتنا؛[3] فيحتمل بذلك القول أن مراد الله تعالى بقوله: **ما هن أمهاتهم**، أي كأمهاتهم. ولكنَّ الإشكالَ أنه إذا صار تقدير الآية: ما هن كأمهاتهم[4] فما معنى قوله: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي ولدنهم**، لأنهم كانوا يدّعون التشبيه بالأمهات. والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه[5] فما معنى لبيان حقيقة الأمهات وهي اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم أنهن أمهاتهم حقيقة حتى يردّ عليهم[6] دعواهم بقوله: **إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم**.

وإشكال آخر: أنه قال: **وإنهم لَيقولون منكرا من القول وزورا**، وظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر، إذ ليس في قولهم:[7] ظهركِ كظهر أمي، أو أنتِ علي كظهر أمي أو[8] كأمي إلا التشبيهَ، وهي لعلها كذلك،[9] فإنَّ ظهرها كظهر أمهات في الهيئة والخلقة، والتشبيه لا يقتضي العموم. فما معنى تسميتهم تشبيهَ المرأة بالأم منكرا وزورا.

وإشكال آخر أنه قد سمى الله تعالى غير الأمهات اللائي ولدنهم أمهاتٍ لهم، فإنه قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[10] وقال في النساء اللاتي يُرضعن أولاد الغير: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ،[11] وإن لم يلدنهم.[12]

---

[1] ن: أبين.
[2] م – يكون.
[3] ر – أو كظهور أمهاتنا.
[4] ن: كامهاتهن.
[5] ن – بالأمهات والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه.
[6] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.
[7] ن: في قلوبهم.
[8] ن – أنت علي كظهر أمي أو.
[9] ر ث – كذلك.
[10] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).
[11] ﴿حُرِّمتْ عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ (سورة النساء، ٢٣/٤).
[12] ر: وإن لم يلدنهم.

فنقول وبالله التوفيق: إنهم كانوا يريدون أن يوجبوا في نسائهم حقوقا وأحكاما كانت في أمهاتهم لم يكن لهم إيجاب ذلك، فإنهم كانوا يشبهون النساء بالأمهات و لم يريدوا بذلك التشبية من حيث الصورة أو الخلقةُ، ولكن يريدون بذلك التشبيةَ في الحرمة. وحرمة النساء في الأصل غير حرمة الأمهات؛ فإن الأم حرام الاستمتاع بها على التأبد،[1] لكن يباح للرجل أن يدخل على أمه ويخدمها ويسافر بها ويباح النظر والمس والإركاب والإنزال والخلوة بها والمُقام معها. والمرأة متى حرمت بالطلاق الثلاث أو بالبينونة[2] لا يثبت شيء من هذه الحقوق. والمشابهة بين الشيئين إن كان لا تقتضي[3] التساويَ بينهما من كل وجه ولكن تقتضي[4] المساواة[5] بينهما في وجه من الوجوه على الكمال. فإن الذات في الشاهد إذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما، ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين العلمين والتساويَ من كل وجه، فلم يُعَدَّ تشابها. تعالى الله عن ذلك. فدل أن هؤلاء بتشبيههم[6] النساء بأمهاتهم أرادوا أن يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة أمهاتهم، ويوجبون فيهن حقوقا وأحكاما كحقوقهن وأحكامهن،[7] حتى يباح لهم المعاملةُ مع نسائهم ما يباح مع أمهاتهم ويحرم ما يَحْرُم معهن ويكون احترامهن كاحترامهن. والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك، فقال: **ما هن أمهاتِهم**، أي كأمهاتهم في هذه الحرمة التي يريدون إثباتها، وأنه[8] لم يجعل لنسائهم حرمة أمهاتهم. ثم قال: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي وَلَدْنَهم**، أي إن هذه الحرمة التي يريدون إثباتها فيهن إنما جعلنا لأمهاتهم اللائي ولدنهم. فما بالهم يخترعون من أنفسهم شيئا لم أجعله ولم أَشْرَعه،[9] فرد صنيعهم بهذا.

[٧٨٦ر] وعلى هذا يخرج / تأويل قوله تعالى: **وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا**، إنما كَذَّبَهم بما قالوا من إيجاب تلك[10] الحقوق والأحكام على أنفسهم في نسائهم من غير أن جعل الله تعالى ذلك،

---

[1] ر م: على التأبيد.
[2] م: أو البينونة.
[3] جميع النسخ: لا يقتضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.
[4] جميع النسخ: يقتضي.
[5] م: المساوات.
[6] م: تشبيههم.
[7] ن – وأحكامهن.
[8] ن: وإنها.
[9] ن: و لم أسرعه.
[10] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.

أي[1] وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا في إيجاب الحقوق فيهن كما في الأمهات وتشبيههم إياهن بالأمهات في الأحكام والحقوق والحرمة، وإن كان كلامهم وقولهم من حيث ظاهر التنبيه ليس بمنكر ولا بزور. وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.[2] وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا صَدَقَةً ولكن لما كان قصدهم غير ذلك وكان في قلوبهم إيجابُ شيء غيرِ ما أظهروا سماهم كَذَبَة، فكذلك هؤلاء المظاهرون[3] لما أرادوا إيجاب حكم لم يُجعَل لهم ذلك سَمَّى قولَهم منكرا وزورا. والمنكر هو الذي لا يعرَف في الشريعة، والزور هو الكذب. فنهاهم الله تعالى عن ذلك.

وأما قولهم: إن الله تعالى قد سمى غير اللائي يلدنهم[4] أمهاتٍ من نساء[5] النبي عليه السلام والمُرضِعات. منهم من قال: جائز أن تكون[6] هذه الآية متقدمة على قوله: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ،[7] ومن قوله: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[8] فلم يكن في ذلك الوقت أمهات من رضاع ثم كانت من بعد؛ فيكون الإخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت. وهو كقوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ،[9] لم يجد في ذلك الوقت، ثم وجد من بعد ذلك غيره محرّما، فعلى ذلك هذا. وقيل: يحتمل أن يكون قال ذلك في قوم خاص وقبيلة خاصة لم يكن لهم أمهات من رضاع،[10] فيكون الإخبار بأن أمهاتهم ليست إلا اللائي ولدنهم صدقا. ولكن هذا تكلف، لأن قوله: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي ولدنهم**، أي إن هذه الحقوق والأحكام التي يوجبون ليست تثبت[11] إلا في الأمهات اللائي يَلِدْنَهم،[12] أو من كانت في معناهن وصِرْنَ أمثالهن شرعا بجعل الله تعالى، كأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والأمهاتِ بسبب الرضاع، والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك الحقوق

---

[1] ن – أي.
[2] سورة المنافقون، ٦٣/١.
[3] جميع النسخ: المظاهرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.
[4] ن: تلدنهم.
[5] ر – من نساء.
[6] ن: أن يكون.
[7] سورة النساء، ٤/٢٣.
[8] سورة الأحزاب، ٣٣/٦.
[9] سورة الأنعام، ٦/١٤٥.
[10] ر م: إرضاع.
[11] جميع النسخ: ليس تثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: تلدنهم.

ولا ألحقهن بالأمهات، فيكون تشبيههن بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن الله لعفو غفور**، [ظاهر].[1]

**﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[٣]

وقوله تعالى: **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**، اختلف في حكم الظهار ما هو؟ وفي تأويل العود عن طاوس[2] قولان. في قول قال: **ثم يعودون لما قالوا**، [هو] الوطء، فإذا حنث فعليه الكفّارة. وهذا تأويل بعيد مخالف للنص؛ لأن الله تعالى يقول: **من قبل أن يتماسّا**، وإنما الذي ذهب إليه حكم الإيلاء أنه إذا وطئ تجب الكفارة. فأما في الظهار تجب الكفارة قبل الوطء. وفي قول:[3] إنه إذا تكلم بالظهار تجب[4] عليه الكفارة ولم يَشترط معه شيئا[5] آخر. وعن مالك أنه إذا ظاهر من امرأته ثم أجمع وعزم على إمساكها وإصابتها وجَبَت عليه الكفارة، حتى إذا طلقها أو ماتت المرأة بعد العزم على الإمساك والإصابة أو بعد الإصابة بقي[6] وجوب الكفارة عليه. وإن لم يُجْمِعْ[7] على إمساكها حتى ماتت تسقط[8] الكفارة. وكذلك إذا طلقها،[9] لكنه إذا تزوجها بعد ذلك لم يمسكها حتى يكفّر فيكون العود هو إمساكَها ليطأها. وعن الحسن أن العَوْد هو العزم على الجماع، حتى إذا عزم على جماعها تجب[10] الكفارة وإن أراد تركها بعد ذلك. وقال عثمان البَتّي[11] فيمن ظاهر من امرأته

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.

[2] طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقهًا في الدين ورواية للحديث، وتقشفًا في العيش، وجرأةً على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن. توفي سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م حاجا بالمزدلفة أو بمنى. (*الأعلام* للزركلي، ٣/٢٢٤).

[3] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.

[4] جميع النسخ: يجب.

[5] جميع النسخ: شيء.

[6] ن: بقى.

[7] م: وأن لا يجمع.

[8] جميع النسخ: يسقط. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ن: إذ طلق.

[10] ن: يجب.

[11] عثمان البتي الفقيه البصري بياع البتوت توفي في حدود المائة والأربعين. وروى له الأربعة. (الوافي بالوفيات، ١٩/٣١٠).

ثم طلقها قبل أن يطأها، قال: أرى عليه الكفارة رَاجَعَها أو لم يراجعها. وإن ماتت لم يرتفع الظهار والكفارة ولا يَرث حتى يكفّر. وقال الشافعي: العود هو الإمساك والكفارة تجب به.

وحكم الظهار هو تحريم المتعة، حتى إذا أمكنه أن يطلقها بعد الظهار و لم يطلق وأمسكها ساعة ليطأها فقد وجبت عليه الكفارة عاشت أو ماتت، وإذا عاشت طلقها أو لم يطلقها راجعها أو لا. وإذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل يبطل الظهار ولا تجب[1] الكفارة بعزم إمساك المرأة. وقال بعض المتأخرين في تأويل قوله تعالى: **ثم يعودون لما قالوا**، أي ثم يعودون إلى القول الأول فيكررون ذلك القول. وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول: أنت علي كظهر أمي، مرتين. وأما عندنا فحكم الظهار هو تحريم مؤقت بالكفارة ولا يرفعه[2] إلا الكفارة. وهكذا[3] روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إذا قال: "أنت علي كظهر أمي" لم تحلّ له حتى يكفّر. وعندنا لا تجب الكفارة بنفس الظهار، وإنما الظهار يوجب الحرمة لا غير، وإنما تجب بالعود حتى إنها إذا ماتت لا تجب عليه الكفارة[4] إذا ارتفع المعنى الذي يجب وهو استباحة الوطء. وكذلك إذا طلقها بائنا أو ثلاثا لا تجب[5] الكفارة لهذا. حتى إذا عادت إليه بالتزوج وأقدم على استباحة الوطء تجب الكفارة. وهو عند بعض[6] أصحابنا أن يجعل المرأة على الحالة الأولى ويحلها على نفسه على ما كان عليه ويستبيح وطأها. فإذا أراد أن يحلها على نفسه ويستبيحها ويُقدم عليه يجب عليه أن يكفّر. ولا تزول تلك الحرمة عندنا إلا بالكفارة، فالتكفير سبب[7] الحل. كذا ذكر القُمّي[8] في تأويل قوله: **ثم يعودون لما قالوا**، أي يعودون / بفسخ ما قالوا ونقض ذلك. [٧٨٦ظ]

واستدل بما ذكر عن الأصمعي[9] أن أعرابيا تكلم بين يديه بأنه كان يبني[10] بناء ثم يعود إليه،

---

[1] ن: ولا يجب.

[2] جميع النسخ: ولا يرفعها.

[3] ر م: هكذا.

[4] ن – وإنما تجب بالعود حتى إنها إذا ماتت لا تجب عليه الكفارة.

[5] ن: إذا طلقها ثانيا أو ثلاثا لا يجب.

[6] ر م – بعض.

[7] ن: سبب.

[8] علي بن موسى بن داود القُمّي أبو الحسن، الفقيه الحنفي، المتوفى سنة ٣٠٥هـ. (*الفهرست* لابن النديم، ٢٦٠؛ و*كشف الظنون* لكاتب الجلبي، ١/٣٠؛ و*هدية العارفين* لإسماعيل باشا البغدادي، ١/٦٧٥)

[9] عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. توفي سنة ٢١٦هـ. (*الأعلام* للزركلي، ٤/١٦٢).

[10] ر م: شيء.

قال له[1] الأصمعي: ما أردت[2] به؟ فقال: أي أنقضه وأفسخه. فهذا يدل على أن المراد من قوله: **ثم يعودون**، أي يعودون إلى استحلال ما حرّموا وينقضون ذلك ويردون الحِلّ إلى الحالة الأولى. إلا أن ظاهره العود إلى القول، بقوله: **ثم يعودون لما قالوا**، ولكن أراد به المقول[3] به والثبت به[4] وهو الحرمة، كأنه قال: ثم يعودون لما حرّموا بالقول فيستبيحونه. ويجوز أن يذكر الفعل ويراد به المفعول، كقوله عليه السلام: «العائِدُ في هِبَتِهِ[5] كالكلب يَعُودُ في قَيْئِهِ»،[6] وإنما هو عائد في الموهوب؛ وقال الله تعالى: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[7] أي المُوقَنُ به. ***والله أعلم.***

فإن قيل: العَود الذي تجب به[8] الكفارة هو العزم على استباحة الوطء والقصدُ على تحبيسها على نفسه وإعادةُ الحل إلى الحالة الأولى، أم الإقدام على الوطء، أو مباشرة نفس الوطء؟ فإن كان المراد هو الأولَ يجب أن يقولوا بوجوب[9] الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحبيس، كما قال مالك رحمه الله والحسن. وإن كان المراد إيقاع الوطء يجب أن يقولوا: إنه لا تجب الكفارة إلا بعد الوطء كما قاله قوم، وهو خلاف الآية وخلاف قولكم.

قيل: يعني بذلك هو الإقدام على استباحة الوطء والاشتغالَ بإقامته فيقدّم التكفير ثم يفعله، أم لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل، وهذا لأنه إذا ظاهر حَرُمت المرأة عليه بسبب فعله [ف]يجب عليه توفير[10] حقها في الجماع إن كانت بكرا في الحكم حتى يُجبَر عليه.[11] وإن كانت ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى إيصالُ ذلك إليها. وعند بعض أصحابنا يجبر في الحكم أيضا على ذلك، فإذا أقدم على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل إلى إقامة ذلك الواجب عليه من الجماع؛ إذ لا يحل ذلك بدون الكفارة. وهذا كالوضوء في باب الصلاة، ليس بفرض مقصود بنفسه لكن يجب لإقامة الصلاة؛

---

[1] ن + قال له.

[2] ر: أرت.

[3] ر: المقول؛ م: المقول.

[4] ر م - به.

[5] ر: في فيئه.

[6] مسند أحمد بن حنبل، ١/٢١٧؛ وصحيح البخاري، الهبة ١٣، الجهاد والسير ١٣٧.

[7] سورة الحجر، ١٥/٩٩.

[8] ر م - به؛ ن: يجب به.

[9] ر م: بوجب.

[10] ر: توقير.

[11] ر ت م + وهذا.

إذ لا تجوز[١] الصلاة بدون الطهارة، فإذ أقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من أداء ما عليه[٢] ولا يجب بنفس الإرادة ولا يجب بنفس الحدث؛ حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلاة ويَقُمْ[٣] إليها. وكذلك المرأة إذا حاضت بعد الوقت حتى سقط عنها الصلاة يسقط الوضوء. فعلى ذلك هذا يجب عند الإقدام على إقامة هذا الواجب وهو الوطء، والظهار شرط. ولهذا إذا ماتت المرأة[٤] تسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالإقامة وهو الوطء. وكذلك إذا طلقها ثلاثا أو بائنا،[٥] لكن إذا عادت إليه تلزم[٦] الكفارة إذا أقدم على الوطء، ولم يبطل الظهار لاحتمال حصول الغرض. **والله أعلم**.

ويحتمل وجها آخر وهو[٧] قوله تعالى: **والذين يظاهرون من نسائهم**، الآية،[٨] هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا يظاهرون في جاهليتهم، أي ظاهروا في ذلك الوقت ثم يعودون لما قالوا، أي لو قالوا ذلك القول بعد إسلامهم فعليهم ما ذكر، إذ الظهار[٩] كان ظاهرا في الجاهلية، من عاد[١٠] إلى ذلك القول ورجع إليه وقت إسلامه فعليه ما ذكر. وهو كقوله تعالى: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ.[١١] فهذا يرجع إلى فعل ذلك مرة وإلى استحلال[١٢] ما حرم الله ثانيا، فإن عاد[١٣] إلى الفعل الأول لا من وجه الاستحلال فينتقم الله منه بالغرامة عليه، وإن عاد إلى الاستحلال[١٤] فينتقم الله منه بالعذاب. وكذلك مثل هذا في آية الربا حيث قال: فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ وَمَنْ عَادَ،[١٥] أي عاد إلى ما كان يفعله قبل الإسلام.

---

[١] ن: لا يجوز.
[٢] ت - فإذا أقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من أداء ما عليه
[٣] جميع النسخ: ويقوم.
[٤] ن ت م - المرأة.
[٥] ن: أو ثاني.
[٦] ن: يلزمه.
[٧] ن + أن.
[٨] ن - الآية.
[٩] ت: إن الظهار.
[١٠] ن م: عادت.
[١١] ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٥).
[١٢] ن: إلى استحلال.
[١٣] ن ت م: وإن عاد
[١٤] ن ت م: استحلال.
[١٥] ﴿... فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٥)

فكذلك هذا العَوْد إلى الظهار، على هذا التقرير يخرج تأويل الآية عندنا. وهو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[1] أي كانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العَود إلى ما كانوا عليه. فعلى ذلك يحتمل هذا. ***والله أعلم***.

لكن على هذا التأويل [كون][2] الإقدام على الوطء سببا لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص، إنما فيه أن الظهار يوجب تحريما مؤقتا بالكفارة، وكذلك الأحاديث التي ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم: أمر أَوْسًا بالكفارة حين ظاهر من زوجته.[3] وإنما يُعرَف من حيث الدلالة؛ فإنه لما كان التحريم مؤقتا بالكفارة وتكون رافعة له فإنما يجب الرافعُ بالإقدام عليه لا بسبب سابق موجب للتحريم، لأن رافع الحرمة لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء أنه لا يجب بالحدث[4] الذي هو رافع للطهارة، ولكن لما وجب على المكلف الصلاةُ بالطهارة يجب[5] عليه الوضوء بالإقدام على الصلاة التي لا تجوز[6] بدونه، فكذلك هذا. ***والله أعلم***.

وقول من جعل العود هو العزمَ على إمساك النكاح والبقاءِ عليه فاسد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب الكفّارة على أوس بن الصامت حين ظاهر من زوجته[7] ولم يسأله الإمساك والبقاء على النكاح. ولأن تفسير العود بالإمساك / لا يستقيم، لأنه لم يُعرَف في الأصل إمساك [٧٨٧و]
المرأة عودا عليها ولا إمساك شيء من الأشياء يُتكلم فيه[8] بالعود إليه، فيكون هذا خلاف اللغة؛ ولما ذكرنا أن العود[9] إلى الشيء هو الرجوع إلى ما كان عليه فيقتضي انعدامه وزوالَه حتى يتحققَ العود، إذ العود[10] هو وجودٌ ثانٍ.[11] وهذا إنما يتحقق فيما قلنا من الحل[12] لأنه قد تبدل[13] بالحرمة.

---

[1] الآية ٧ من هذه السورة.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٤ظ.
[3] جميع النسخ: من زوجها.
[4] ر ث م: ما يحدث.
[5] ر ث م: ويجب.
[6] ن: لا يجوز.
[7] ر ن م: زوجها.
[8] ر ث م – فيه.
[9] ر م – أن العود.
[10] ن م – إذ العود.
[11] ن ث: ثاني.
[12] جميع النسخ: من الجزاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: قد يبدل. والتصحيح من المرجع السابق.

فأما العقد [فهو] قائم لم يزل بالظهار فكيف يعود إلى العقد؟ فلا يكون البقاء على العقد وإمساك المرأة بالنكاح عودا. ولأن الله تعالى قال: **ثم يعودون**، و«ثم» يقتضي[1] التراخي، ومن جعل العود هو الإمساك والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا عقيب القول بلا تراخ وذلك خلاف ظاهر الآية.

وقول من جعل العود هو العزيمة على الوطء لا معنى له، لأن موجب الظهار هو تحريم الوطء لا تحريم العزم على الوطء وإن كان العزيمة على المحظور محظورة لكونه وسيلة إلى المحظور، فيكون العود هو الرجوعَ إلى ما يفوت به[2] مقصودا[3] لا وسيلة على حسب[4] الأول؛ ولأنه لا حظَّ للعزيمة في حق تعلق الأحكام في سائر الأصول. ألا ترى أن سائر العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة، فلا اعتبار بها. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى عفا عن أمتي ما حدَّثت به نفسها ما لم يتكلموا به أو يعملوا».[5]

وقول من جعل العود هو[6] تكرارَ القولِ الأول فاسد أيضا وإن كان ظاهر اللفظ يحتمله[7] وهو العود إلى القول الأول، لأنه خلاف الإجماع وخلاف أصول[8] الشرع. أما خلاف الإجماع فإن السلف والخلف أجمعوا أن هذا ليس بمراد عن الآية،[9] فيكون قائله خارجا عن الإجماع. وأما مخالفة الأصول فلأن الحل[10] والحرمة إنما تعلق وجوبهما بابتداء القول لا بتكراره[11] في جميع الأصول من البِيَاعات والنكاح والطلاق والعتاق والإجارات. فمما كان الأصل هذا في سائر الأسباب والمَظاهر موجبا[12] للحرمة بقوله دل أن الموجب هو القول الأولُ دون الثاني، فيكون تعليق الحرمة بتكرار السبب[13] الموجب مخالفة لسائر الأصول. وبهذا يبطل قول الشافعي

---

[1] ن ث: تقتضي.
[2] ر م: يقوى به؛ ث: تقوي به.
[3] ن – مقصودا.
[4] ر ث م: إلى حسب.
[5] ر م: ويعملوا. صحيح البخاري، الطلاق ١١؛ وسنن النسائي، الطلاق ٢٢.
[6] ر م – هو.
[7] ر م: تحتمل.
[8] م: الأصول.
[9] ر م: الأئمة.
[10] ن: الحرمة.
[11] ر م: القول بتكراره.
[12] ر ن م: والمظاهر موجب؛ ث: والظاهر موجب.
[13] ر م – للسبب.

في أنه يُعلَّق[1] الحرمة بتكرار الرَّضَعات لا برَضْعة واحدة. *والله أعلم*. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالكفارة في حق أوس و لم يسأله عن تكرار القول، ولما لم يسأل دل أن الحكم[2] غير متعلق بالتكرار. وما قاله[3] الشافعي: إنه إذا طلقها بعد الظهار بلا فصل فلا كفارة عليه، وإن لبث ساعة ثم طلقها كفّر راجعها أو لم يراجعها أو ماتت قولٌ تَفرَّد به؛ لأن طاوسا أوجب عليه الكفارة طلقها أو أمسكها، وسائر[4] التابعين قالوا: إن ماتت أو طلقها و لم يراجعها فلا كفارة عليه. ولم يَفصِلوا بين أن يطلقها على إثر الظهار[5] بلا فصل أو بعد ذلك بساعة. فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر. *والله أعلم*.

ثم قوله[6] عز وجل: **فتحريرُ رقبةٍ من قبل أن يَتماسّا**، ظاهره يقتضي أن يكون الوطء محظورا عليه قبل الكفارة؛ لأنه جعل الحرمة مؤقتة بالكفارة وإذا وَطِئَ يسقط الظهار والكفارة؛ لأن[7] كل ما تعلق بشرط أو توقَّت بوقت[8] فمتى فات[9] الوقت أو عُدم الشرط لم يجب لذلك النص واحتيج[10] إلى دلالة أخرى في إيجاب مثله في الوقت الثاني، إلا أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا ظاهر من امرأته فوطئها ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم[11] فقال له: «استغفر الله ولا تَعُدْ حتى تُكفّر».[12] فصار التحريم الذي بعد الوطء عرفناه بالسنة. *والله أعلم*.

ثم قوله:[13] **فتحرير رقبة**، يرجع إلى وجهين:[14] مرة إلى اسم الرقبة ومرةً بما يستحق حكم الرقبة. فإن كان المراد من ذكر الرقبة اسمَ الرقبة نفسِها فيجيء أن يجوز كل ما يقع عليه

---

١ جميع النسخ: تعلق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٥و.
٢ ر: أن يحكم.
٣ ر م: ومله.
٤ م: أو سائر.
٥ جميع النسخ: على إثر الطلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
٦ ر ش م: وقوله.
٧ ر: لأنه.
٨ ن: أو بوقت.
٩ ر م: فاتت.
١٠ ر م: و حتج
١١ ب + ثم.
١٢ ن: حتى يكفر. *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٢٦؛ وسنن الترمذي، الطلاق ١٩.
١٣ ر م: وقوله.
١٤ م + أحدهما

اسم الرقبة صغيرا كان أو كبيرا كافرا [كان][1] أو مسلما، مقطوع اليدين كان أو مقطوع[2] الرجلين أو أعمى أو كيف ما كان. وبشرُ المَريسِيُّ[3] يذهب إلى هذا ويجيز كيف ما كانت الرقبة. وإن كان[4] المراد من ذكر الرقبة ما يستحق حكم الرقبة فيجيء أن لا يجوز إعتاق رقبة فيها أدنى[5] نقصان، إذ الأصل في العبيد والإماء أن النقصان[6] فيما دون النفس يوجب نقصانا في كل النفس، فيجيء أن لا يجوز، إذ يصير معتِقا بعض الرقبة لا كلَّها. ثم الدليل على أن النقصان الحالّ فيما دون النفس في الرِّقاب جعِل كالنقصان الحال في النفس أنَّ العبد إذا قُطعت يده أو فقئت[7] عينه يشترى بنصف ما كان يُشْتَرى وقت الصحة.[8] فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد، وإن لم يكن ذلك من نفسه النصفَ. فيجيء على هذا أن لا يجوز إذا كان فيه أدنى النقصان، إذ الحكم فيما دون النفس في العبيد حكم الأنفس وحكم الجناية عليهم محمول على حكم كمال النفس. لكنْ هذان التأويلان في الآية لا يصحان. وأما الجواب عن الفصل الثاني [فهو] أن النقصان الحالّ[9] في بعض الرقبة كالحالّ في كلها، [و]أن ذلك النقصان يرتفع بالعتق وإن كان وقت قيام الرق بحكم النقصان لما يصير رقبته[10] له بحكم الكمال بالعتق، إذ[11] صار هو منتفعا بالعتق، إذ بالعتق جُبِر النقصان الذي كان به، فيَسْلم له الرقبة كاملة من حيث المعنى، فيجوز كما إذا أعتق الرقبة السليمة.

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٠٥و.
[2] ر م - اليدين كان أو مقطوع.
[3] أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العدوي بالولاء: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة "المريسية" القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأي الجهمية، وأوذي في دولة هارون الرشيد. وكان جده مولى لزيد بن الخطاب. وقيل: كان أبوه يهوديا. وهو من أهل بغداد ينسب إلى "درب المريس" فيها. توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م. له تصانيف (الأعلام للزركلي، ٢/٥٥).
[4] ن: وإن كانت
[5] ر: أولى.
[6] ر م - أن النقصان
[7] ر: يد فقئت.
[8] ر م: القيمة.
[9] ر: الحق
[10] ر م: رقبة.
[11] ر م: إذا

[٧٨٧ظ] والدليل عليه أنه[1] لو جُني عليه بعد ما عُتق لم يَنقُص من ديته شيء، وإن كان ذلك النقصان في نفسه وقت العبودة[2] والرق. وثبت بهذا[3] أنه في حق نفسه كامل النفس وإنما كان ذلك النقص فيه لحق المولى في قيمته وقت العبودة، إذ هو لو كان مقوصا في حق نفسه لا يرتفع[4] عنه ذلك النقصان أبدا، فلما ارتفع النقصان في حكم الرقبة دل أن[5] اعتاقه جائز.

والأصل فيما أوجب الله تعالى من هذه الكفارة إنما أوجب ليكفّر بها ما ارتكب من المآثم ولِمَا ارتكب من الشهوات[6] التي حُظِر عليه ارتكابُها ليتألّم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود إليها. فبِنَا أن ننظر[7] في هذه الكفارة، فإن كفّر بشيء لا يتألم به نفسه ولا يَفجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة، وإن كان بالذي[8] يُفجعه[9] ويؤلمه يجوز. ثم ما يصل إليه من الألم في إعتاقه وجهان. أحدهما[10] أنه إذا تأمل[11] ذهاب منافع ذلك المملوك عنه بما كان هو يَصلُح لخدمته يتألم بذلك ويَفجع. والثاني لِمَا يأمُل[12] منه النفعَ في العاقبة وإن لم يكن للحال ينتفع به فيتألم أيضا بذهاب تلك المنفعة المؤمّلة.[13] فكل من كان بسبيلٍ[14] مِن هذين الوجهين جاز عتقه عن الكفارة وإلا فلا. ***والله أعلم***.[15]

ثم لا يجوز إعتاق الأعمى والمُقْعَد ومقطوع اليدين ونحو ذلك عن الكفارة. ويُخرّج على الكلامَين. أما على الأول [ف]أنه وإن ارتفع النقص الحاصل في نفسه بسبب[16] العبودة عند وجود الإعتاق

---

[1] ث م: إذ.
[2] ن ث م: العبودية.
[3] ن: هذا.
[4] ر ث م: لارتفع.
[5] م: إذا.
[6] ر ث م: ولما ارتكب الشهوات.
[7] جميع النسخ: أن ينظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٥ظ.
[8] ن: الذي.
[9] جميع النسخ: يبخعه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن – أحدهما.
[11] ر: إذا تألم.
[12] ر ث م: وتفجع والثاني لما تأمل.
[13] ر م: المؤلمة.
[14] ر ث م: يسأل.
[15] ن – والله أعلم.
[16] ر ث م: سبب.

فإنما لا يجوز لا للنقصان ولكن لأنه يصير معتِقا ببدل،[1] والإعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة وإن كانت الرقبة بصفة الكمال. ومعنى قولنا: إنه يصير معتِقا ببدل أنه ما دام في ملكه على تلك الحال فإن مئونته تلحقه[2] وبالإعتاق يسقط مئونته عن نفسه وتلحق تلك المئونة[3] المسلمين، فلم يجز[4] عن الكفارة لهذا. وأما على الثاني فلا يلزم على الوجهين جميعا. أما على الأول فلأنه لا يَفجع ولا يتألم نفسه بإعتاق مثله لما ليس له منفعة الخدمة ليتألم بفوتها، وعلى الثاني لما ليس له منفعة تؤمل[5] في المآل فيتألمَ بذلك أيضا. ولا يُلزم الصغيرُ على هذا العذر أنه ليس له منفعة الخدمة ونفقته[6] عليه أيضا، ومع ذلك يجوز إعتاقه عن التكفير. لأنا نقول: إنه إنما ينفق على الصغير لما يأمل[7] منفعته في العاقبة، والناس إنما يُرَبّون الصغار والصغائر وينفقون عليهم لينتفعوا بأثمانها[8] وأعيانها[9] في العواقب؛ فلم يصر عتقه عن هذا الوجه ببدل، والتألم في عتقه موجود حسب[10] ما كان في الكبير أو أكثر. والأعورُ ومقطوع إحدى اليدين وإحدى الرجلين يجوز عن الكفارة؛[11] فإنه قد يمكنه[12] الاكتساب فيتألم مَولاه بإعتاقه لما فيه ذهاب[13] منفعته، فيصلح أن يكون كفارة لما ارتكب من الشهوة ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان وارتفاعه بالعتق. *والله أعلم.*

وذكر عن الشافعي أنه لا يجيز عتق الرقبة الكافرة عن الكفرة واحتج بما ذكر الله تعالى في كفارة القتل الرقبة المؤمنة[14] فكذلك في كفارة الظهار، إذ هما كفارتان.

---

[1] ن: ببدله.
[2] ن: يلحقه.
[3] ن: مؤنة.
[4] ر ت ه: فلم تجز.
[5] ر ت ه: يؤمل؛ ن: فيؤمل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٥ظ.
[6] ر ن ت: وتعقبه.
[7] ر ت ه: لما تؤمل.
[8] جميع النسخ: بإيمانها. والتصحيح من مرجع السابق.
[9] ر ه: وإعتاقها.
[10] ر ه: وحسب.
[11] ن - عن الكفارة.
[12] ر ه: فإنه يمكنه.
[13] ن + ذهاب.
[14] لقول الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا...﴾ (سورة النساء، ٤: ٩٢)

ولكن نحن نقول: هذا على أصل مذهبه خطأ، لأن مذهبه العمومُ، [ولفظة الرقبة][1] تعم[2] كل رقبة في دار الدنيا. والأصل في ذلك عندنا أن الله تعالى لم يذكر في كفارة الظهار الرقبة المؤمنة فلا يجوز أن يُوجَب ما ذكره في كفارة القتل هاهنا. والدليل عليه أنه ذَكَر في تلك الآية الأشياء وهو قوله تعالى: وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ [إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا]،[3] فذكر الدية؛ ثم ذكرُ الدية في آية القتل لم يوجِب على الْمُظاهِر[4] إذ ترك[5] ذكرها في آية الظهار، فكذلك ذكر الإيمان واشتراطه في كفارة القتل لا يكون كالمذكور في آية الظهار،[6] ومثله في القرآن كثير. وأيضا إن أحق ما يجوز في الكفارة إعتاق الرقبة الكافرة وذلك لما أن المسلم قد يتألم بإعتاق الرقبة الكافرة بما لا يتألم[7] بإعتاق المسلمة، لما يأبى[8] طبعه الإحسان إلى الكافر ولا يأبى[9] بمثله[10] إلى المسلم. وقد وصفنا أن الكفارة لتألم بإخراج ما أُمر بإخراجه عن ملكه. مع ما في القرآن دليل على جواز اصطناع المعروف إليهم، وهو قوله تعالى: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، ثم قال أيضا بعد ذلك: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ.[11] وذكر في القصة أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتنعوا عن الإنفاق على أقربائهم لما أبوا الإسلام، فنزلت فيهم[12] هذه الآية.[13] فهذا يبين ذلك[14] أن في الاصطناع إليهم وإعتاقهم[15] تكفيرا.[16]

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٠٥ظ.
[2] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] سورة النساء، ٩٢/٤.
[4] ر: على الظاهر؛ م: على الظهار.
[5] جميع النسخ: إذا ترك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م - فكذلك ذكر الإيمان واشتراطه في كفارة القتل لا يكون كالمذكور في آية الظهار.
[7] ن ث: ما لا يتألم.
[8] ر: يأتي.
[9] ر: ولا يتأتى.
[10] ن م: إلى الكفرة ولا يأبى مثله.
[11] سورة البقرة، ٢٧١/٢-٢٧٢.
[12] ر م - فيهم.
[13] تفسير الطبري، ١٣٠/٣-١٣١؛ وبحر العلوم للسمرقندي، ٢٣٣/١.
[14] ر ن ث: تبين ذلك؛ م: بين ذلك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٦و.
[15] ر م + تكون؛ ن ث + يكون.
[16] ن: إعتاقا.

ثم قوله عز وجل: **من قبل أن يتماسا**، فتأويله عند أبي حنيفة رحمه الله: أي عتقا لا مَسيسَ فيه، لأن عنده الإعتاق يحتمل التجزيَ فيحتمل[1] أنه يُعتق نصفه ثم النصف الآخر، فيُشترط أن يعتق النصفين جميعا قبل المسيس، حتى لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استئناف العتق.

**﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٤]

وعلى هذا التأويل[2] قوله: **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا**، أي صومُ شهرين لا مسيس فيه، حتى لو واقعها في وقت لم يتمّ صومُ شهرين بعدُ يلزمه الاستئناف، وكان معناه لا مسيس في خلال الكفارة. فمتى وُجد المسيس في وقت لم تتم[3] الكفارة بعدُ يلزمه الاستئناف.

وتأويل قوله: **من قبل أن يتماسا**، عند أبي يوسف رحمه الله: أي يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك، ويقول بأن الآية خرجت لبيان وقت التكفير فيه، حتى إذا جامع امرأته في صوم الظهار / [ف]إنه لا يستأنف الصوم بل يصوم الباقي، إذ قد فات عن وقته فصار قاضيا عما عليه. [٧٨٨ر]
وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء، فيجوز متفرقا ومتتابعا، كصوم شهر[4] رمضان لَمّا تعين له وقت الأداء ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا، كذا هذا. ولا يتصور المسألة في الإعتاق[5] لأنه لا يتجزأ عنده. ولا خلاف أنه إذا جامع بعد ما أطعم ثلاثين مسكينا أنه لا يلزمه استئناف الطعام، ولا خلاف أنه إذا جامع قبل الكفارة لا يلزمه شيء سوى التوبة والاستغفار في قول عامة الفقهاء. وعند بعضهم تلزمه[6] كفارتان -لأبي يوسف رحمه الله ما ذكرنا- ولأنه قد أدى[7] بعضها في الوقت، [وأداء العبادة المؤقتة بعضِها في الوقت][8] وبعضِها في غير الوقت أولى من أداء الكل بعد الوقت، وهذا المعنى في الطعام كذلك.

---

[1] ر م: فيحتمل.
[2] ن ت: تأويل.
[3] جميع النسخ: لم يتم.
[4] ر ن م: شهور.
[5] ن ت + عنده.
[6] جميع النسخ: يلزمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[7] ر ث م: قد رأى.
[8] الزيادة من المرجع السابق

ولأبي حنيفة رحمه الله أن الظهار ليس يوجب الكفارة، ولكن يوجب حرمة لا ترتفع[1] إلا بالكفارة. ولا يؤمر هو بالكفارة مقصودا، لكن[2] إذا أراد الاستمتاع بها يقال له: ليس لك ذلك إلا بالكفارة. فإذا كان كذلك، فإذا أدى بعضها ثم ماسها ثم أدى البقية لم يصر ما أدى بعد المماسة قضاء عن[3] الوقت الذي قبل المماسة.[4] فإذا لم يصر قضاء عن ذلك جُعل النص[5] إنما جاء في هذه الحالة: أن حرّروا رقبة[6] قبل أن تُماسوا، ثانيا صوموا[7] شهرين متتابعين إذا أردتم العود إليها. ولذلك قال عليه السلام للمظاهر الذي جامع امرأته: «استغفر الله ولا تعد حتى تكفر».[8] لكن يدخل على هذا أمر الطعام أنه إذا أطعم بعض الطعام ثم ماسها لم يلزمه الاستقبال. والعبارة التي ذكرناها توجب[9] الاستئناف. لكن يُستحسن في الطعام لأن الطعام وقع في الأصل متفرقا؛ إذ لو أطعم بعضه للحال وبعضه بعد سنة فإنه جائز من ذي الجهة. لكن يدخل عليه الإعتاق عند أبي حنيفة رحمه الله فإنه إذا أعتق بعضه للحال وبعضه بعد سنة يجوز أيضا، ومع ذلك إذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستئناف. وما ذهب إليه أبو يوسف رحمه الله من حمل الآية على بيان الوقت لا يصح؛[10] لأنا لو حملنا تأويل الآية على الوقت نفسه[11] لكان[12] لا فائدة تقع[13] في الآية، لأن معرفة وقت ذلك ثابتة بدلالة العقل. وذلك أنا[14] قد علمنا إيجاب الحرمة بالظهار وعلمنا أن تلك الحرمة لا ترتفع[15] بالكفارة فصار وقت الحل بذكر الحرمة معلوما.

---

[1] ن: لا يرتفع.
[2] ر م: ولكن.
[3] ر ث م: فضاعف.
[4] ر م: الماسة.
[5] جميع النسخ: كالنص.
[6] ن: قبل.
[7] جميع النسخ: وصوموا.
[8] *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الطلاق ١٩.
[9] ن: يوجب.
[10] ر: لا تصح.
[11] جميع النسخ: نفسها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[12] ر م - لكان؛ ث + تأويل الآية.
[13] ن: يقع؛ ث: يصح.
[14] ر ث م: أن.
[15] ن: لا يرتفع.

وكذلك[1] هذا في جميع الحرمات من الطلاق وغيره أنه لا يرتفع إلا بسبب رَفْعِه. فمو حمل تأويل الآية على بيان الوقت لم يفد[2] شيئا، ولو حمل على بيان إخلاء الكفارة عن المسيس وعلى نفي المسيس في خلال الكفارة يفيد فائدة جديدة، فيكون هذا التأويل أحق وأولى.

ثم في الآية دلالة بأنْ ليس ذلك على بيان الوقت وهو قوله تعالى: **فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا**، ثم ذَكَر في العتق والصوم ترك المماسة و لم يذكر ذلك في الإطعام، ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة، إذ الكفارة إذا كانت عن شيء واحد لا يختلف فيه أوقاتها بل يكون وقتها واحدا. ولا يقال: إنما لم يذكر الوقت في الإطعام لأن ذكْرَه في العتق والصوم ذكْره في الإطعام، لأنه من أنواع هذه الكفارة، فذكر الوقت في البعض[3] يكون ذكرا[4] في الباقي. فإذا أدى بعضه في الوقت وبعضه في غير الوقت كان أولى من أن يؤدي الكل في غير الوقت. لأنا نقول: ذِكرُه في العتق والصوم لا يصح أن يكون بيانا في الإطعام، لأن البيان على وجوه ثلاثة: بيان نهاية وبيان كفاية وبيان تفصيل. فأما بيان الكفاية وهو أن يكتفي ببيان الواحد أو القبيل[5] عن الكل[6] ليعرف ذلك بالاجتهاد والقياس على نظائره، فيدل ذلك على معنى مودَع فيه وأنه محل الاجتهاد والتعليل.[7] وأما بيان النهاية هو أن يبين الكل على المبالغة حتى لا يبقى للاجتهاد فيه موضع. وأما بيان التفصيل هو الذي يبين في أكثره ولا يبلغ به نهايته. فهو فيما يبين لا يتعدى إلى غيره، إذ لو كان فيه معنى مودَعٌ[8] يجمع الكلَّ لم يكن لذكر الزائد عليه وتركِ بعضه معنى. وهاهنا بيان تفصيل دون كفاية إذ لم يكتف[9] بذكره في واحد، ولا هو بيان نهاية إذ[10] لم يُنْهِ[11] البيان في الكل. فهو بيان التفصيل الذي ذكرنا أنه يَقِرّ في المذكور ولا يتعدى إلى آخره.[12]

---

[1] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[2] ن: لم يعد.
[3] ر م: في بعض.
[4] ر م: ذكر.
[5] ر: والقبيل.
[6] ن: غير الكل.
[7] م: والقياس.
[8] جميع النسخ: مودعا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[9] جميع النسخ: إذ لو لم يكتف. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: إن.
[11] ر م: لم يبينه
[12] ر ن م: إلى آخر.

ولو كان ذكر ذلك لبيان[1] الوقت لاكتفى بذكره في الواحد عن الكل؛ إذ الذكر[2] في الكل على المبالغة. فلما ذكر على بيان التفصيل دل أنه ليس لبيان الوقت ولكن لنفي المسيس عن خلال الصوم والعتق المذكورَين دون الطعام الذي لم يُذكر فيه. وتبين أن إخلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص غيرَ معقول المعنى فلا يتعدى عنه إلى غيره. ويكون مثاله ما ذُكر في قوله تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً**،[3] الآية، على ما عرف في موضعه.

والحاصل في المسألة طريقان. أحدهما بحق القياس والآخر بحق الاحتياط. أما القياس فما ذكرنا[4] أن قوله تعالى: **مِن قبلِ أن يتماسّا**، لإخلاء الصوم عن المسيس ونفي المسيس عن خلال الكفارة. لكن إنما ذكره[5] في الإعتاق والصوم / دون الإطعام. فدلنا ذلك على أنه بيان تفصيل [٧٨٨ظ] فيكون دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومَنْعِ التعدية إلى غيره لما[6] عُلِم أن العقول تَقصُر[7] عن إدراك ذلك المعنى. فجعلنا نفي المسيس عن خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارةً بدونه[8] ولم نجعل[9] في باب الإطعام شرطا. وأما طريق الاحتياط وهو أنه لما احتمل أن يكون ذلك[10] لبيان الوقت أو لنفي المسيس عن خلال الصوم فأُخذ فيه بالاحتياط، وفي الإطعام أخذ بالقياس لما أنه لم يُذكَر فيه المسيس؛ وذكْره في الصوم والعتق لم يكن بيانَ كفاية حتى يكونَ ذكرُه ذكرا في الإطعام، بل هو بيان تفصيل وأن حكمه[11] القصر على المنصوص دون التعدي. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة لصحة[12] مذهب أبي حنيفة رحمه الله في أن العتق يحتمل التجزئة، وهو أن يُعتِق بعضه ويَبقي الباقي بحاله ثم يعتقه بأوقات بعده، إذ قال: **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**،

---

[1] م: البيان.
[2] جميع النسخ: إذ ذكر.
[3] سورة النساء، ٩٢/٤.
[4] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[5] جميع النسخ: إنما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ + هو.
[7] ن: يقصر.
[8] ن – بدونه.
[9] جميع النسخ: ولم يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م – ذلك.
[11] ن: وأن حكمة.
[12] ر: الصحة.

أي تحرير رقبة لا مماسة في التكفير. ولو كان بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله: **من قبل أن يتماسا**، إذ لا يقع العتق إلا قبل المماسة. فلما قال دل أنه أراد -والله أعلم- بأن لا تَمَسُّوهن عندما أعتقتم بعضه و لم تعتقوا الكل حتى يكمُلَ ويتم فيه الإعتاق. وهذا قال بأنه يلزمه الاستئناف في العتق كما في الصوم. فدل[1] أن الإعتاق متجزئ. ***والله أعلم***.

ثم جَعَل الكفارة فيه ما ذكرنا ولم يجعل الكفارة فيه التوبة[2] والاستغفارَ فقط لوجهين. أحدهما أنه لو جعل توبته[3] به لكان لا يظهر ذلك وأنه أمر[4] بينه وبين المرأة فلا يُدرَى[5] أنه تاب أو لم يتب، وربما[6] يظهر التوبة بالقول وإن لم يتب حقيقة بقلبه فتتَّهِمه[7] المرأة. فجعل التوبة فيه أمرا ظاهرا يعرف به توبته دفعا للتهمة عنه وتسكينا لقلب المرأة. ***والله أعلم***.

والثاني أن الله جعل الاستمتاع في النكاح نعمة عظيمة، فتشبيهها بالمحرَّم الذي يتأبد[8] حرمته أمر فظيع، فلم يجعل له الخروج منه بشيء[9] لا يَثْقُل عليه فيُقدمَ ثانيا وثالثا لخفة أمره عليه، بل جعل[10] ما يتألم به[11] ويشتد عليه زجرا له عن مثله في المستقبل ولغيره كما في الزنا وغيره من الأجرام. ثم لم يَجعل للأمة حظا من هذه الحرمة لأنه لم يجعل[12] مِلكَ[13] اليمين للاستمتاع خاصة وإن أُبيح لهم ذلك، ولا جَعَلَ لهن قِبَل[14] السادات حقَّ الاستمتاع، فلم يصر تشبيههن بمن ذَكر كفرانَ نعمةٍ عظيمة ولا إبطال[15] حق لهن قِبَل مواليهن، لذلك افترقا. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: دل.
[2] ن: والتوبة.
[3] ن ث م: توبة.
[4] ر م - أمر.
[5] ن: فلا ندري.
[6] ن: ورنما.
[7] جميع النسخ: فيتهمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[8] ن: تأبد.
[9] ر م: شيء.
[10] ن + عليه.
[11] ر ث م: عليه؛ ن - به. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م - للأمة حظ من هذه الحرمة لأنه لم يجعل.
[13] ر م: تملك.
[14] م: قبل.
[15] ن: ولا بطل.

وقيل: إن الظهار كان طلاق قوم فأُبدِل إلى تحريم المتعة ولم يكن للإماء حظ من الأصل[1] وهو الطلاق، لم يكن[2] لها[3] من الذي صار وانتقل[4] إليه. ولكن إن تبت[5] هذا كان طلاقا يوجب حرمة لا ترتفع[6] أبدا، لا طلاقا يوجب حرمة ترتفع[7] بالنكاح على ما تقدم ذكره. والأَمَة لم يكن لهن حظ من هذا التحريم لعدم تصور مِلك النكاح مع مِلك اليمين. فأما هن حظٌّ من الحرمة المؤبّدة[8] بالمحرميّة[9] فإن كان تلك الحرمة هي الأصلَ وهن أصل لها مع قيام ملك اليمين يَكُنَّ أهلا لما ينتقل إليه من الحرمة المؤقتة. دل أن الطريق ما قلنا. ***والله أعلم***.

وفي الآية دلالة جواز تأخير البيان، لأن ذلك الرجل لما ظاهر من امرأته اشتد بهم الحاجة إلى معرفة ما يجب فيه من الأحكام، ثم تأَخَّر نزول بيان ما يجب فيه[10] بعد طلبهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانَ الحكم. فدل أن البيان قد يجوز أن يتأخر عن وقت قرع الخطاب السمعَ. وهو أولى لأن في الأول قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة،[11] وفي نزول العام الذي أريد به الخصوص لا. وكذلك -على هذا- ما نزل من أحكام الإيلاء والقاذف زوجتَه بعد وقوع النازلة بأوقات دليل على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق في كفارة الظهار والقتل وكفارة الإفطار في شهر رمضان، وجعل في كفارة اليمين صوم ثلاثة أيام بدلا عن العتق، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[12] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله**، ذكر صاحب *الواضح* بأن قوله: **ذلك**، أي ذلك أُمِرتُم ونُهيتُم لتؤمنوا. ولكن عندنا تأويل قوله: **ذلك لتؤمنوا بالله**، هو صلة قوله تعالى:

---

[1] ر ث م: من الطلاق.

[2] ر ث م: ولم يكن.

[3] جميع النسخ: هن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧و.

[4] ر ث م: صار و ينقل.

[5] م: يثبت.

[6] ن: لا يرتفع.

[7] ن: يرتفع.

[8] ر م: لمؤبدة

[9] ر: لحرمية

[10] ر ث م - فيه

[11] ر م: المسألة

[12] نظر تفسير الآية ٨٩ من سورة مائدة، ٤ ٣١٩ ٣٢٣.

قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا،[١] الآية، يقول: أخبركم بما كان ذلك منكم في السر وأطلعكم على ذلك **لتؤمنوا بالله ورسوله**، أي لتُصدِّقوا وتَعْلَمُوا أنه لا يخفى على الله من أعمالكم شيء. ومنهم من قال: **ذلك**، راجع إلى قوله: وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا،[٢] أي الفرج والمخرج عما امتُحِنتُم به من الحرمة وما اشتد عليكم، **لتؤمنوا بالله ورسوله**، لما فَرَّج عنكم بالخروج بما ذكر. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **ذلك**، القولُ المنكرُ والزورُ[٣] الذي قلتم وأعلَمَكم أنه منكر وزور، **لتؤمنوا بالله ورسوله**. فيخرج ذلك على الأمر بالشكر له [على][٤] ما أنعم عليهم وجعل لهم من الفرج والمخرج عما امتُحِنوا بأدائها. وهكذا العبادات التي أُمِروا بها أُمِروا لإحدى ثلاث خلال: إما بحق الشكر بما أنعم عليهم، أو لتسليم الأمر له والخضوع، أو لحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون قوله تعالى: **لتؤمنوا بالله ورسوله** على غير هذا، أي ذلك الذي أُنزل [أُنزل]، **لتؤمنوا**، أي لتُجددوا الإيمان بالله تعالى [٧٨٩و] ورسوله في كل وقت وكل ساعة؛ إذ يلزم الناسَ إحداثُ الإيمان وتجديدُه[٥] لإحداث الرُّخص والعزائم التي تجددت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وتلك حدود الله**، قيل: أي الذي افترضه الله عليكم من الأحكام. وقال الزجاج: **حدود الله**، أي موانع الله وحججه، ولذلك سمي الحاجب حدادا لأنه يمنع الناس منه. وعندنا قوله: **وتلك حدود الله**، أي زواجر الله وموانعه، على معنى أنه يمنع هذا عن الدخول في حد الآخر، يمنع الباطل عن الدخول في حد الحق والاختلاط به. وفي الآية دلالة خلق أفعال العباد لأنه أضاف الحدود، وهي الطاعات، إلى نفسه بقوله: **وتلك حدود الله**، وأنها أفعال العباد. دل أن[٦] أفعال العباد كلَّها مخلوقة لله تعالى. وإنما خص الطاعات بالإضافة إلى نفسها مع أن جميع الأفعال بخلقه إياها تبجيلا وتعظيما لها، كما قال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[٧] أضافها إلى نفسه تبجيلا وتعظيما لها. وعلى هذا يخرج تأويل من قال في قوله: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا،[٨]

---

[١] الآية ١ من هذه السورة.
[٢] الآية ١ من هذه السورة.
[٣] جميع النسخ: الزور. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٧و.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ر، ه: وتجديده
[٦] ر، ه ــ أن
[٧] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الجن، ٧٢/ ١٨).
[٨] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (سورة طه، ٢٠/ ١٥).

من نفسي فكيف أُظهرها لكم؟ إنه أراد بهذه الإضافة تبجيلا وتعظيما لأمر الساعة، فكأنه يقول: إنما لم أظهر أمر الساعة لذلك الخلق الذي هو بهذه المنزلة فكيف أُعلِنُها[1] لكم؟ أي لا أفعل ذلك.

وقوله عز وجل: **وللكافرين عذاب أليم**، أي وللكافرين[2] بالله وبحدوده[3] عذاب أليم في الآخرة، لأن عذاب الكفر إنما يكون في الآخرة عذابا دائما لا انقضاء له. ***ولا قوة إلا بالله***.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين يحادون الله ورسوله**، قال بعض أهل الأدب: المُحادُّ هو الذي يجعل نفسه في حد غير الحد الذي أمره الله ورسوله أن يكون في ذلك الحد، ويكونُ في[4] حد غير الحد الذي فيه رسوله،[5] وكذلك قوله: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ،[6] أي يكونون في شِقّ غير الشق الذي عليه رسول الله، أو كلام نحوه. ومنهم من قال: حدَّدْتُه عن طريقه، أي عدلتُه عنه، وبعضه قريب من بعض. وأصله ما ذكر: **يحادون الله ورسوله**، أي يمانعون الناس ويزجرونهم في[7] الطريق[8] لئلا يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ويتبعوه.

وقوله عز وجل: **كُبِتوا كما كبت الذين من قبلهم**، قيل: غلبوا، وردوا بغير حاجتهم كما غُلِبَ ورُدَّ الذين كانوا من قبلهم، وقيل: أُهلِكوا كما أهلك الذين من قبلهم، وقيل: أُخزُوا كما أُخزِي الذين كانوا من قبلهم. وكله قريب بعضه من بعض. ثم يخرج تأويله على وجهين. أحدهما أي كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كما كبت الذين[9] من قبلهم، أو كبت هؤلاء الذين مانعوا[10] الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين مانعوهم عنه بمكة، لأن هذه السورة مدنية. ***والله أعلم***.

[1] جميع النسخ: عنها. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٧و.
[2] ر م: للكافرين.
[3] ن: والحدوده.
[4] ن + حق. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٧ظ.
[5] ر ت م – أن يكون في ذلك الحد ويكون في حد غير الحد الذي فيه رسوله.
[6] ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقِّ الله فإن الله شديد العقاب﴾ (سورة الحشر، ٤/٥٩).
[7] جميع النسخ: عن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: الطرق.
[9] ر م – الذين.
[10] م: منعوا.

وقوله عز وجل: **وقد أنزلنا آيات بينات**، أي آيات تبين[1] حدود الله من غير حدوده أو ما يبين الحق من الباطل أو الرسولَ[2] من غيره أو المحادَّ من غير المحادِّ.[3] وقوله عز وجل: **وللكافرين عذاب مهين**، أي للكافرين[4] كلهم[5] عذاب يهينهم كما أهانوا المؤمنين.

**﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **يوم يبعثهم الله جميعا**، أي الأولين والآخرين أو المحادّين[6] والموافقين. وقوله عز وجل: **فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**، أي يبعثهم الله[7] جميعا فينبئهم بما عملوا من خير أو شر، أحصى الله ما عملوا وإن طال ذلك أو كثر ونسُوا هم تلك الأعمال. خرج هذا على الوعيد. وفيه دلالة رسالته، إذ أخبر أن الله تعالى يحصي ذلك عليهم وأنهم نسوا فلم يتهيأ لهم أن ينكروا عليه أنهم لم ينسَوا. دل أنه بالله عَلم ذلك.[8] وقوله عز وجل: **والله على كل شيء شهيد**، أي على كل شيء من الإحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**، فإن كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيه دلالةُ رسالته إذ أَطْلعه[9] على ما أسرّوا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

---

[1] ر: يبين.

[2] ر ن: والرسول.

[3] ث - وقوله عز وجل وقد أنزلنا آيات بينات أي آيات تبين حدود الله من غير حدوده أو ما يبين الحق من الباطل أو الرسول من غيره أو المحاد من غير المحاد.

[4] ر ن م: الكافرين

[5] ر ن م: كله.

[6] ر ث م: والمحادين؛ ن: والآخرين محادين. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٧ظ.

[7] ر م: ليبعثهم الله.

[8] ن - ذلك

[9] جميع النسخ: أن أطلعه. والتصحيح من المرجع السابق.

وتناجوا[1] بينهم من الكيد والخداع. أطلع الله تعالى رسوله على ذلك ليعلم أنه بالله علم ذلك. والثاني بشارة له بالنصر والمعونة، وهو كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[2] أي أسمع ما يقول لكما وما يجيب[3] وأرى إذا قصد بكما وأدفع[4] عنكما ما قصد بكما. فعلى ذلك ما ذكر له:[5] **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**، فيطلعك[6] على ما[7] هموا بك[8] وأسروا فيك فينصرك ويدفع[9] عنك كيدهم. وجائز أن يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة[10] ولكن لكل في نفسه فيصير كأنه قال: ألم تر إلى عجائب[11] ما أنشأ من السماوات والأرض قبل إنشاء أهلهما[12] فيهما، فإذا رأيت عجائب ما أنشأ[13] من السماوات والأرض وأهلهما وعلمت ذلك، فَاعْلَم أنه بما يكون[14] من نجواهم فيما ذكر[15] عالمٌ، فيخرج على التنبيه والزجر عن الإسرار والنجوى.

ثم قوله: **رابعهم** أو **سادسهم ومعهم** ونحوه، يجب أن ينظر إلى المقدّم من الكلام فيُصرف [٧٨٩ظ] / قوله: **هو معهم**[16] إلى ذلك، نحو قوله: إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[17] وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ،[18] ونحوه،

[1] جميع النسخ: وتناجوه.
[2] سورة طه، ٤٦/٢٠.
[3] ر: وما يجب.
[4] ر: وارفع.
[5] م – له.
[6] ن: وطلعك.
[7] ر م + هو.
[8] ن – بك.
[9] ن: فننصرك وأدفع.
[10] ن – خاصة.
[11] ن + إلى.
[12] م: أهلها.
[13] ن – أهلهما فيهما فإذا رأيت عجائب ما أنشأ.
[14] ن: لا يكون.
[15] ن: مما ذكر.
[16] ن م: معهم.
[17] سورة النحل، ١٢٨/١٦.
[18] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩).

يكون معهم في التوفيق والمعونة هم والنصر. فعلى ذلك ما ذكر من قوله: **هو معهم**، في النجوى وما أسروا فيما بينهم؛ أي شاهدُ معهم حافظ عليهم، يدفع عنكم كيدهم ومكرهم[١] وينصركم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**، أي ينبئهم بما تناجوا[٢] وأسرُّوا من الكيد يوم القيامة.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه**، هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:[٣] اعلم أن **الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه**، الآية.[٤] وفيه دلالة إثبات الرسالة لأنه أخبر أنهم عادوا إلى ما نهوا عنه وهو النجوى. ومعلوم أنهم لا يعودون إلى ما نهوا عنه[٥] بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند غَيبة منهم، دل أنه بالله علم.

ثم اختلف في سبب ذلك النجوى. قال بعضهم: إنه كان بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة، فإذا [رأوا][٦] رجلا[٧] من المسلمين وحده يتناجون بقتله بينهم، يظن المسلم[٨] أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره فيترك الطريق من المخافة. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا[٩] وعادوا إلى النجوى فنزل ما ذكر.[١٠]

---

[١] ن: ويمكرهم.
[٢] ر ش م: ينجوا.
[٣] ن م + والله.
[٤] ن – هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم أن الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الآية.
[٥] ن + ومعلوم أنهم لا يعودون إلى ما نهوا عنه وهو النجوى.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٧ظ.
[٧] ر م: رجل.
[٨] ن: المسلمين.
[٩] جميع النسخ: فلم ينتهو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٨و.
[١٠] تفسير ابن كثير، ٦٨/٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨٠/٨.

ومنهم من قال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أناس من اليهود وأناس من المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم. فإذا رآهم [المؤمن] ينظرون نحوه قال: ما أظن هؤلاء إلا قد بلغهم خبر أقربائي الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرايا من قتل[1] أو موت فيقع في قلبه من ذلك ما يحزنه، فلا يزال كذلك حتى يقدمَ[2] حميمُه من تلك السرية.[3] لكن الأولى عندنا السكوت عن ذكر[4] هذا وأمثاله، لأنه خرج مخرج الاحتجاج وجعله آية عليهم. فيجوز أن يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب في الخبر، فالإمساك عنه أحق.

وقوله عز وجل: **وإذا جاءوك حَيَّوْك بما لم يُحَيِّك به الله**، ذُكر أنهم كانوا إذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: السام[5] عليك يا محمد، فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عليهم ويقول: «عليكم».[6] ففيه دلالة رسالته لأنهم حَيَّوْه سرا منه فأطلعه الله تعالى على ما أسروا،[7] وكذلك ما قال: **ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله**، أي[8] هلا يعذبنا الله، **بما نقول**، في السر. فيه دلالة الرسالة لأنه معلوم أنهم قالوا ذلك سرا في أنفسهم فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في أنفسهم، ففيه أنه بالله تعالى عرف ذلك.[9]

ثم قوله عز وجل خبرا عنهم: **لو لا يعذبنا الله بما نقول**، جائز أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب لأجل التناجي الذي [كان][10] منهم. فلما تأخر ذلك عنهم[11] قالوا عند ذلك: إنه لو كان رسولا على ما يقوله[12] لَعُذِّبْنَا على ما قال ووعد.

---

[1] ر ث: في السر نا من قبل؛ ن: من قبل.
[2] ن: تقدم.
[3] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٣١.
[4] ن: عن ذكر.
[5] ر: السلام.
[6] *تفسير الطبري*، ٢٨/١٩-٢١.
[7] ن: على ما أسروه.
[8] ر ث م - أي.
[9] ر ث م - ذلك.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨و.
[11] ن - لولا يعذبنا الله بما نقول جائز أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب لأجل التناجي الذي كان منهم فلما تأخر ذلك عنهم.
[12] ر م: على ما يقول.

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان وعد هم العذاب لم يبين متى يعذبون. فعذابهم ما ذكر حيث قال: **حسبهم جهنمُ يَصلونها فبئس المصير**. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قولهم: **لو لا يعذبنا الله بما نقول**. إنما قالوا ذلك عند رد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حيوه حين قال: «وعليكم». يقولون: إنه دعا علينا بقوله: «وعليكم». فإن كان رسولا لأُجيب دعاؤه الذي دعا علينا. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَدْعُ عليهم إنما رد قولهم[1] عليهم ردا. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى**. إن أهل التأويل صرفوا الآية إلى المنافقين. وعندنا يحتمل صرف النهي إلى المؤمنين عن التناجي بمثل ما تناجوا أولئك، أي لا تتناجوا أنتم يا أهل الإيمان فيهم بالإثم والعدوان كما تناجوا[2] فيكم. يقول: لا تُجازُوهم بالذي فعلوا هم بكم[3] ولكن تَناجَوا فيهم بالبر والتقوى. وهو كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا،[4] نهى المؤمنين أن يجازوهم جزاء الاعتداء الذي كان منهم مِن صَدِّهم عن المسجد الحرام،[5] بل أمرهم بالتعاون[6] على البر والتقوى، حيث[7] قال: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،[8] فعلى ذلك يحتمل هذا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون في المؤمنين حقيقة على الابتداء ابتداءٍ[9] نهيٍ منه لهم، يقول: إذا تناجيتم فلا تتناجوا فيما يُؤْثمكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن الحد ومعصية الرسول فيما يأمركم وينهاكم، **وتناجَوا بالبر والتقوى**.

---

[1] ث - عليهم إنما رد قولهم.
[2] ر م: تتنجوا.
[3] ن: فعلوا بكم.
[4] سورة المائدة ٢/٥.
[5] ن - أن تعتدوا نهى المؤمنين أن يجاروهم جزاء الاعتداء الذي كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام.
[6] ر ث م - بالتعاون.
[7] ر م - حيث.
[8] سورة المائدة، ٢/٥.
[9] ر ث م - ابتداء.

[ثم][1] البر[2] يحتمل كل أنواع الخير، وأما التقوى فهو كل ما يَقُون[3] به أنفسهم عن النار. وقد تقدم ذكره.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله الذي إليه تُحشرون.** جائز أن يكون هذا الخطاب لهم، أعني المؤمنين والكافرين الذين يُقِرُّون بالحشر، لأن أهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث، وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية.

**﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[١٠]

وقوله عز وجل: **إنما النجوى من الشيطان**، أي النجوى الذي[4] كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ليس كل نجوى على ظاهر ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع [٧٩٠و] إلى النجوى الذي[5] ذكرنا وهو النجوى[6] الذي نهوا عنه. / ثم قوله: **إنما النجوى من الشيطان**، جائز أن يكون معناه أن[7] ابتداء النجوى في الشر من الشيطان. وهو ما ذكر في بعض القصة أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام قال إبليس للملائكة: أرأيتم إن فُضِّل هو عليكم ما تصنعون؟[8] فأجابوه بما أجابوا فقال هو: إن فُضِّلتُ عليه لأُهلِكَنَّه وإن فُضِّل هو عليَّ لأُعادِيه؛ فقد ناجاهم في أمر[9] آدم عليه السلام بالشر، فكان أول النجوى في الشر من الشيطان.

وقوله عز وجل: **ليحزن الذين آمنوا.** لو لا أن الشيطان في حال الحزن[10] يكون أملكَ على إفسادهم وإخراجهم من أمر الله تعالى وإدخالهم في نهيه، وإلا لم يكن لقوله: **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا**، معنى، فدل أنه لعنه الله في حال[11] الحزن والغضب

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨و.
[2] ر م – البر.
[3] ر م: يقول؛ ن: تقون.
[4] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.
[5] ر ث م – لذي.
[6] ر ث م – النجوى.
[7] ر م – أن.
[8] ر: ما تصفون.
[9] ن م – أمر.
[10] ر ث م: يحزن.
[11] ر – الحزن يكون أملك علي إفسادهم وإخراجهم من أمر الله تعالى وإدخالهم في نهيه وإلا لم يكن لقوله إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا معني فدل أنه لعنه الله في حال.

أمث وأقدر من حال السرور والسعة. لكنه بما يدعوه إلى الذات ويُمنّيه أشياء كان قصده من ذلك أن يوقعه في الضيق والشدة لما هو عليه أقدرُ في تلك الحال. ولذلك قال لآدمَ وحوّاءَ عليهما السلام: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى،[1] تَلَقَّاهم[2] بالغرور بالذي ذكر ومنّاهم ما ذكر، وكان قصده من ذلك إبداء عورتهما وإيقاعَهما في الضيق والبلاء حيث قال: فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا،[3] الآية. مكّن الله تعالى إبليس من الشر[4] بالذي ذكرنا ولم يُمَكِّن له من إفساد الطعام واللباس والأشربة ونحو ذلك، وهو دون[5] الأول، وذاك أكثر. لكن هذا في الضرر الدنياوي أكثر فلم يمكّنه من إفساد هذه الأشياء تفضلا منه وإحسانا عليهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله**، أي ليسوا بضارين لهم فيما يتناجون من الكيد بهم والمكر. *والله أعلم*.

ثم قال: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، أي[6] في دفع مَن قَصَد بهم[7] من الكيد والمكر[8] والهلاك، وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على أعدائهم والتوفيق لهم في كل خير، وكل هذا وصف المؤمنين.

وأما المعتزلة فهم بمَعْزِلٍ[9] عن هذه الآية، وكذلك[10] المؤمنون على قولهم غيرُ متوكلين على الله لأنهم يقولون:[11] إن الله تعالى قد أعطى كلا من النصر والمعونة ما ينتصر على أعدائه وينتقم منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء. فعلى قولهم:[12] لا يقع للمؤمنين في التوكل على الله تعالى شيء،[13] لأنه ليس عنده ما ينصرهم ولا ما يعينهم،

---

[1] ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (سورة طه، ١٢٠/٢٠).
[2] ن: يلقاهم.
[3] ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطَفِقا يَخْصِفان عليهما من ورق الجنة﴾ (سورة طه، ١٢١/٢٠).
[4] ن ت: من البشر.
[5] ر ن ت: أدون.
[6] ت م - أي.
[7] ن: من قصدهم.
[8] جميع النسخ: من الكيد بهم والمكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.
[9] ن: فهم بمعزل.
[10] ن: ولذلك.
[11] ن + يقولون.
[12] ن + لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم.
[13] جميع النسخ: في شيء.

فعلى ماذا يتوكلون عليه على قولهم إذا لم يملك ما ذكرنا؟ ومن قولهم: إن على الله تعالى أن يعطي [كلًّا][1] من المعونة والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا من ذلك ولم يعطهم[2] يكون جائرا.[3] ثم إذا[4] أعطاهم ما ذكروا ولا يهتدون ولا ينتصرون، والله تعالى قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[5] وقال: مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي.[6] فدل أن ما قالوه[7] مخالف للكتاب.

ثم اختلف[8] في اشتقاق النجوى. منهم من قال: هو من النَّجْوَة،[9] وهي المكان[10] العالي المرتفع. وذلك أنهم كانوا يقومون في مكان مرتفع فيتحدثون فيه لِيَرَوْا من قصد بهم فيتفرقوا، أو كلام هذا معناه. ومنهم من قال: التناجي التخالي بما ذكروا. فيكون معنى قوله: **إذا تناجيتم**، إذا تخاليتم[11] فلا تتخالوا[12] بما ذكر. وقال القُتَبِي: التناجي من التشاور. ***والله أعلم.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم**، الآية. [فهو][13] يخرج على وجهين. أحدهما **إذا قيل لكم تفسحوا**، أي إذا[14] قيل لكم تأخّروا في المجلس فتأخروا. **وإذا قيل انشزوا فانشزوا**، أي ارتفعوا وتقدّموا.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.
[2] جميع النسخ: ثم يعطهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ن م: جائزا.
[4] ن: إذ.
[5] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.
[6] سورة الأعراف، ١٧٨/٧.
[7] ر ن م: أن ما قالو.
[8] ر ن م: ثم اختلفوا.
[9] ن: منهم من قال يوم النجوة.
[10] جميع النسخ: وهو المكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] م: إذ تخاليتم.
[12] ن: فلا تتخالوا.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: وإذ.

فيكون قوله: **تفسحوا**، إذا كان الحضور أوّلا هم الذين هِمّتهم السماع والعملُ به، دون أَخْذِه و لتفقه[١] فيه. فقيل لهم: تأخّروا حتى يَقرُب من يصير إماما للناس وفقيها لهم. وإذا كان الحضور[٢] هم الذين همتهم التفقه،[٣] وهم الأئمة، ثم جاء بعد ذلك من كان همتهم السماع والعملَ به، قيل للذين تقدموا أولا: ارتفعوا أو تقدموا حتى يسمع مَن حضر[٤] بعدكم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*. والثاني أنه إذا كان في المجلس أدنى[٥] سَعَة وفُسْحةٍ ما يمكن تمكين غيره بالتحرك[٦] والتفسح دون القيام يقال لهم: **تفسحوا**، وإذا لم يمكن ذلك إلا بالقيام، قيل لهم: قوموا وارتفعوا وتقدموا.

وقوله: **يَفْسَحِ اللهُ لكم**، يحتمل وجوها. أحدها يفسح الله لكم في القبر أو في الآخرة في الجنة، أو يفسح الله لكم في المجلس. وهو فُسحة القلب وتوسعة للعلم والحكمة.[٧] *والله أعلم*. وقال الحسن: **إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس**، أي في القتال والحرب؛[٨] **وإذا قيل انشزوا فانشزوا**، أي إذا قيل: انْهَدُوا إلى العدو فانهدوا.[٩] وقال[١٠] قتادة: أي إذا دُعِيتُم إلى خير أو صلاة[١١] فأَجِيبُوا.[١٢] وقال غيره: إلى كل خير من قتال عدو أو أمر بمعروف[١٣] أو نهي عن منكر أو [إلى] حقٍ، كائنا ما كان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يَرْفَعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**، أخبر أنه يرفع[١٤] الذين آمنوا، وأخبر أنه يرفع[١٥] الذين أوتوا العلمَ من المؤمنين على الذين لم يُؤْتُوا العلمَ درجاتٍ،

---

[١] ن: والنفقة.
[٢] الحضور هنا: جمع الحاضر.
[٣] ن: النفقة.
[٤] ر ث م: من حضره.
[٥] ر: أوفى.
[٦] ر م: بالتحريك.
[٧] ر م: والحكم.
[٨] *النكت والعيون* للماوردي، ٤٩٢/٥.
[٩] جميع النسخ: انهروا إلى العدو فانهروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و. *الدر المنثور* للسيوطي، ٨٢/٨.
[١٠] ر م: قال.
[١١] ن: إلى الخير أو الصلاة.
[١٢] *تفسير الطبري*، ٢٥/٢٨.
[١٣] ر ث م: وأمر بمعروف.
[١٤] ر ث م + الله.
[١٥] ر ث م + الله.

لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره. ألا ترى أنه قال في آية الجهاد: فَضَّلَ اللهُ
[٧٩٠ظ] الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ / عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً.[١] جعَل للمجاهدين على القاعدين فضلَ درجة وللذين أوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجاتٍ ليعلم فضيلة العلم على غيره. وكذلك قوله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ.[٢] قال بعضهم: إن النبي[٣] صلى الله عليه وسلم كان يحبس[٤] قوما عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سَرَايَا، حتى إذا رجع السرايا أنذرهم الذين تفقهوا في الدين وتَعَلَّموا[٥] من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٦] فإن كان التأويل هذا ففيه دلالة فضيلة العلم على الجهاد حتى أحوج أولئك إليهم. وقال بعضهم: كان يَنفِر من كل قوم طائفة ليتفقهوا في الدين فإذا رجعوا إلى قومهم أنذروا قومهم. وقال قتادة: إن بالعلم لأهله فضيلةً[٧] وإن له على أهله حقا، ولَعَمْري الحق[٨] عليك أيها العالم أفضلُ والله يعطي كل ذي فضل[٩] فضله.[١٠] وقال[١١] قتادة في قوله تعالى: **إذا قيل لكم تفسحوا**: إنهم كانوا إذا رأوا أخًا لهم[١٢] مقبلا يَضِنون بمَجالسهم عند رسول الله صلى الله عيه وسلم فأمرهم[١٣] الله تعالى أن يَفْسَح بعضهم لبعض.[١٤] وقال مقاتل: أقبل نفر من الأنصار ممن شهد بدرا فسلَّموا على النبي[١٥] صلى الله عليه وسلم ومن حوله فردوا السلام[١٦] وضَنوا بمجلسهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسّعوا لهم.

---

[١] سورة النساء، ٤/٩٥.
[٢] سورة التوبة، ٩/١٢٢.
[٣] ن: قال بعضهم أنه.
[٤] ر م: يجلس.
[٥] ر م: ويعمموا.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢٨/٩٠.
[٧] ن: فضلا.
[٨] ث: حقا؛ م: محق.
[٩] جميع النسخ: كلا من فضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٨/٢٦.
[١١] ر – وقال.
[١٢] جميع النسخ: رأوا حالهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[١٣] ر ث م: فأمر.
[١٤] *تفسير الطبري*، ٢٨/٢٤.
[١٥] ن: على نبي الله تعالى.
[١٦] ن: السلم.

فقال لهم[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا فلان ويا فلان»[٢] لنفر منهم من الذين لم يشهدوا بدرا، فتكلم[٣] في ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية.[٤] *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢] ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**، يشبه أن يكون ما ذكر من مناجاة الرسول عليه السلام على وجوه. والناس في مناجاته طبقاتٌ. أحدهم يناجيه مسترشدا في أمر الدين وما ينزل[٥] به من النوازل، والآخر يناجيه افتخارا به على غيره من الناس ومباهاةً منه ليُعلَم أن له خصوصيةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلا له عنده، وهو صنيع المنافقين. والفريق الثالث يناجونه ليُسمِعُوا الناسَ الكذب ويُسمعونهم غير الذي سمعوا، كقوله تعالى: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ.[٦] وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر. فجائز أن يخرج المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي ذكرنا.

ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجاة يُخَرَّج على وجوه. أحدها أمر بتقديم الصدقة[٧] لعِظَم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخصوصيةُ له تظهر[٨] بتلك[٩] الصدقة ويصير أهلا لمناجاته بها، وهو كالطهارة التي جعلها سببا للوصول إلى مناجاة الرب سبحانه وتعالى.

---

[١] ن – لهم.
[٢] ر – ويا فلان.
[٣] جميع النسخ: فتكلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[٤] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٣٣.
[٥] ر ث م: تنزل.
[٦] ﴿ومِنَ الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلِمَ من بعد مواضعه﴾ (سورة المائدة، ٥/٤٢).
[٧] ن – على المناجاة يخرج على وجوه أحدها أمر بتقديم الصدقة.
[٨] ر ث م: يظهر؛ ن: يطهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[٩] ر م: تلك.

والثاني لما خصهم بمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلهم أهلا لها أمرهم بتقديم الصدقة شكرا له منه بذلك. والثالث جائز أن يكون أمرهم بتقديم[1] الصدقة امتحانا منه إياهم لتظهر[2] حقيقة أمرهم. وهو كما جعل[3] الأمر بالجهد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الأمر، فكذلك الأول. *والله أعلم*. وجائز أن يكون الأمر بالصدقة لأهل المناجاة على الدين كانت لهم حوائجُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة، فأمرهم[4] بالصلة لأولئك تطييبا لقلوبهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلك خير لكم وأطهر**، أي إنَّ تقديم الصدقة أطهر لقلوبكم من ترك الصدقة. وقوله عز وجل: **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**، جائز أن يكون هذا الأمر لأهل الغِناء دون الفقراء[5] حتى قال: **فإن لم تجدوا**، ما تتصدقون[6] به **فإن الله غفور رحيم**.

وقوله عز وجل: **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**، قال عامة أهل التأويل: أي أبَخِلتُمْ بها يا أهلَ[7] المَيْسَرة أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات. وقوله[8] عز وجل: **فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم**، أي تجاوز عنكم إذ لم تفعلوا **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، أي إذا لم تصدقوا[9] تلك الصدقة فأتُوا زكاة أموالكم. قال أهل التأويل: نُسخ ما أمروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون**، هذا وعيد.

ثم في قوله: **إذا ناجيتم الرسول**، دلالة قبول خبر الواحد لأنه يناجيه ولا يعلم به غيره. [وذلك في أمور الدين والدنيا. فلو لم يُقْبَل خبره إذا أخبر غيرَه لكان لا معنى للمناجاة وكان لا يناجيه خاصة دون غيره].[10] دل أنه يُقبَل إذا أخبر به غيرَه. وفيه أنْ لا كل[11] مناجاة

---

[1] ر م: تقديم.
[2] جميع النسخ: ليظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[3] جميع النسخ: ما جعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: أمرهم؛ ث: وأمرهم.
[5] ر ث م: الفقر.
[6] ر ث م: ما تصدقون؛ ن: ما يتصدقون.
[7] ر م: بها أهل.
[8] ن: قوله.
[9] ن: إذا لم يتصدقوا.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٩ظ.
[11] ن: أن كل.

يكون من الشيطان؛ لأن[1] النبي صلى الله عليه وسلم ناجى من ذُكر، فدل أن قوله: إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ،[2] مصروف إلى ما سبق ذكره. وفيه أن لا يفهم من ذكر اليد الجارحةُ لا محالة؛ فإنه قال: **بين يدي نجواكم**، وليس للنجوى يد ولا بين. وكذلك قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.[3] ولم يُشكِل على أحد أنه لم يُرِد باليد[4] الجارحة هاهنا فكيف فُهِم فيما أُضيف إلى الله تعالى في قوله: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ،[5] وقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تقع في يد الرحمن»[6] الجارحةُ لو لا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم إياه بالخلق.

وقال قتادة: أكثروا النجوى مع رسول الله فمنعهم الله تعالى عنه، فقال: **إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**، الآية.[7] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: أنا[8] أول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة.[9]

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم**، يذكر سفه المنافقين لرسول الله صلى الله / عليه وسلم لتَوَلِّيهم قوما غضب الله[10] عليهم على [٧٩١و]
عِلْمٍ[11] منهم أن الله تعالى قد غضب عليهم، لكنهم تولوهم[12] طمعا منهم في أموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا. ثم أخبر أنهم ليسوا منكم، أي ليسوا على دينكم ولا أنتم منهم، أي على دينهم، أي أولئك اليهود لكنهم يتولونهم[13] طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا،

---

[1] ر م: أن.
[2] لآية ١٠ من هذه السورة.
[3] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).
[4] ن: لم يرد اليد.
[5] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[6] تفسير الطبري، ١١/٢٧-٢٨؛ وتفسير ابن كثير، ٤٢٨/٥.
[7] تفسير الطبري، ٢٧/٢٨.
[8] ن - قال أنا.
[9] تفسير عبد الرزاق، ٢٩٤/٣؛ وتفسير الطبري، ٢٧/٢٨.
[10] ر م - الله.
[11] جميع النسخ: ما علم. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٢٠٩ظ.
[12] ن: تولوهم.
[13] ر ت م: تولونه.

**ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**، كأنه قيل لهم: لِمَ توليتم قوما غضب الله عليهم فحلفوا أنهم[1] لم يتولوهم فأخبر أنهم كاذبون في حَلْفهم.

وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم تولوا اليهود سرا من المؤمنين وحَلَفوا كَذِبا فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوليهم وكَذِبهم في الحَلْف، دل أنه عليه السلام عرف ذلك بالوحي.

**﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٥]**

ثم أخبر ما أعد لهم في الآخرة بتوليهم أولئك وحَلِفهم بالكذب فقال: **أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون**، أي قد أساءوا[2] إلى أنفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا.

**﴿اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **اتخذوا أيمانهم جنة**، أي حَلِفَهم الذي حلفوا أنهم لم يتولوا أولئك اليهود جُنَّةً، **فصدوا عن سبيل الله**، يحتمل صدوا أنفسهم عن سبيل الله أو صدوا الناس عن سبيله بما ذكر. **فلهم عذاب مهين**، أي يُهانون في ذلك العذاب.

**﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**، يخبر أن أموالهم التي لأجلها تولوا اليهود وعاندوا[3] المؤمنين لا تغنيهم[4] تلك الأموال من عذاب الله شيئا إذا نزل بهم.

**﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[١٨]**

ثم أخبر عن شدة سفههم أنهم يحلفون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله: **يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم**. ثم فيه أن الآية لا تضطر أحدا[5] إلى الإيمان به والتوحيد،

---

[1] ر ث م: أنه.
[2] ر م: سؤو.
[3] م: وعادو
[4] جميع النسخ: لا يغنيهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٩ ظ.
[5] ر ن ث: لا يضطر أحدا؛ م: لا يضطر أحد. والتصحيح من مرجع السابق

لأنه لا آية[1] أعظمُ من قيام الساعة. ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب والكفر به ولا اضطرهم إلى الإيمان به. وكذلك قوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[2] في الدنيا. فإذا كان ما ذكرنا كان تأويل قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[3] وقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ،[4] أنهم يؤمنون إذا شاء الله، ولا يؤمنون وإن نزلت[5] عليهم الآيات التي ذَكر، ولا آيةَ أعظمُ مما ذَكَر من إنزال الملائكة وإحياء الموتى وتكليمهم أنهم على الباطل وأن الحق هو الذي دعاهم[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه. دل هذا كله أن الآية لا تضطر[7] أهلَها على الإيمان. *والله أعلم*.

**﴿اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[١٩]

وقوله: **استحوذ عليهم الشيطان**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **استحوذ**، أي غلب عليهم،[8] وقال مقاتل: أي أحاط بهم،[9] وقال الزجاج والقتبي: أي استولى عليهم.[10] وذلك كله يرجع إلى معنى واحد. وفيه أن الشيطان قد سُلِّط عليهم حتى غلب عليهم بإجابتهم لما دعاهم[11] إليه من معاداة الله ورسوله والمؤمنين. ولكنّ سلطانه على من ذكر[12] وهو قوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[13] فغلبهم[14] إذا عملوا بما أراد وأجابوه إلى ما دعا.

---

[1] ر م: لأن الآية.
[2] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[3] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[4] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[5] ر ث م: وإن نزل.
[6] جميع النسخ: دعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩ظ.
[7] ر ث م: لا يضطر.
[8] ر م: غلبهم الشيطان؛ ث: عليهم الشيطان. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٨٤.
[9] نسبه الماوردي إلى المفضل. *النكت والعيون* للماوردي، ٤٩٤/٥.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٨؛ *ومعاني القرآن* للزجاج، ١٤٠/٥.
[11] جميع النسخ: لما دعاهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و.
[12] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ١٠٠/١٦).
[14] ر ث م: فعليهم.

وقوله[1] عز وجل: **فأنساهم ذكر الله**، يحتمل أي أنساهم عظمةَ الله أو نِعَمَ[2] الله وإحسانه أو شُكرَ نعمِه.

وقوله عز وجل: **أولئك حزب الشيطان**. الحزب هو جمع الفِرَق، تحزبوا أي تفرقوا. فحزبه هو جنده كما قال أهل التأويل. لأنهم يصيرون فرقا ثم يجتمعون،[3] فيكونون[4] جندا له. وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شاء من القتال وغيره ويَصدُرون[5] لرأيه. فعنى ذلك أولئك الكفرة هم جنده. وقوله[6] عز وجل: **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**، لأنه منّاهم في الدنيا أمورا وأمَّنَهم تأميلا فيما اتبعوه فلم يصلوا إلى شيء من ذلك، وفي الآخرة بقوله: أنْ لا بعث ولا جنة ولا نارَ، ولهم فيها عذاب فخسروا الدارين جميعا.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٢٠]**

وقوله[7] عز وجل: **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**، قيل: في الأسفلين، وقيل: في المهزومين، وقيل: في الآخرين، وقيل: هو في الآخرة، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[8] وأما في الدنيا فربما يكونون هم الغالبين والعالين.[9] ومنهم من يقول: ذلك في الدارين جميعا هم الأذلاء. ***والله أعلم.***

**﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢١]**

وقوله[10] عز وجل: **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي**، أي قَضَى الله لأغلبن. ثم قال بعضهم: ليغلبنّ محمد صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

---

[1] ر: قوله.
[2] ر: وأنعم.
[3] ر م: يجتمعوا.
[4] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و.
[5] ر: ويصدون.
[6] ر: قوله.
[7] ر: قوله.
[8] ﴿زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٢).
[9] ر ت م: والعالين.
[10] ر: قوله.

بِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[١] وفعل ذلك. وجائز أن يكون المراد منه[٢] جملة رسله، كقوله تعالى: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ،[٣] وقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا.[٤] ثم الغلبة قد تكون[٥] من وجهين. أحدهما بالحجج والبراهين، وما من رسول إلا وقد غلب عنى خصمائه بالحجة. والثاني بالقتال والحرب، وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام لما لم يذكر أنه قتل رسول.[٦] *والله أعلم*.[٧] وإضافة الغلبة إلى نفسه عنى[٨] إرادة الرسل وأوليائه عنى ما ذكرنا في غير موضع.

وقوله عز وجل: **إن الله قوي عزيز**، قوي بذاته، لأنه يكون قوةٌ[٩] مَن دونه به،[١٠] وكذلك [عزّ][١١] كل من دونه بتكوينه؛ أو يكون فيه بشارة لأوليائه أنه قوي عزيز بذاته [و]أنه ينصرهم عنى أعدائهم ويقهرهم.

**﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٢٢]

وقوله عز وجل: **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله**، الآية، [٧٩١ظ]
قال عامة أهل التأويل: نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة، لأنه كان كتب إلى أهل مكة أن رسول الله يقصد إليكم فخُذُوا حِذْرَكم، وكان له بمكة أهلٌ فأراد أن يكون له عندهم يَدٌ،

---

١ سورة التوبة، ٩/٣٣.

٢ ث م - منه.

٣ سورة الصافات، ٣٧/١٧١-١٧٣.

٤ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥١).

٥ جميع النسخ: قد يكون.

٦ جميع النسخ + الله صلى الله عبيه وسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و. في نظر المؤلف رحمه الله لم يقتل أحد من المرسل، وإنما قتل الأنبياء ورسل مرسلين. انظر: *تأويلات القرآن*، ١٢/١٩٧-١٩٨.

٧ ن م - أعلم.

٨ ن: وعنى.

٩ ر ث م: قوته.

١٠ ر م: تكوينه.

١١ الزيادة من المرجع السابق.

فشعر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حملك على هذا؟» فقال ما ذكرنا، فنزلت الآية.[1] فإن كان نزولها فيه على ما ذكروا فهي في براءته من وجهين. أحدهما أنه لم يرجع عن الإيمان والتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يعود إلى مثله بعد ذلك أبدا. والثاني أنه لم يقصد بصنيعه موادّتهم ولكن قَصَدَ إلقاء المودة إليهم ليقع عندهم أنه وادّهم، وهو في الحقيقة يبقي المودة، وقد يكون ذلك، كقوله تعالى: تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.[2] *والله أعلم*. وإن كانت الآية في غير حاطب فهي في المؤمنين[3] الذين حققوا الإيمان بالله تعالى وثبتوا عليه، لأن أهل الإيمان كانوا أصنافا ثلاثة. صنف منهم[4] محققون الإيمانَ مظهرون القتالَ مع أعدائهم. وصنف منهم لا يقدرون على إظهار ذلك والمناصبة معهم ولكن يتبعون الأقوياء منهم. والصنف الثالث متردّدون يوادون الكفرة في السر ويُظهرون الموافقة للمؤمنين. فجائز أن يكون قوله تعالى: **لا تجد قوما يؤمنون بالله**، أي الذين يحققون الإيمان بالله تعالى **واليوم الآخر يوادون من حاد الله** [**ورسوله**]، ولكن إنما[5] يوادّهم من لم يحقق الإيمان. فيكون فيه إخبارٌ عن إثبات الإيمان في قلوبهم كقوله تعالى: **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**، أي أثبت في قلوبهم الإيمان فلا يرجعون عنه. وفيه أن الإيمان موضعه[6] القلب. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يوادوا من حاد الله.

وقوله عز وجل: **وأيدهم بروح منه**، قيل: أيدهم بنور الإيمان الذي أُثبت في قلوبهم، وأخبر عز وجل: أنه أثبت المؤمنين على الإيمان، فقال: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ،[7] وقال: كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ،[8] وقيل: **وأيدهم بروح منه**، أي برحمة منه. ثم وصف حالهم وثوابهم في الآخرة

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ١٤/٧٤-٧٨.

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ (سورة الممتحنة، ١/٦٠).

[3] ر م: بالمؤمنين.

[4] ر م - منهم.

[5] ث - إنما.

[6] ن: هو صبغة.

[7] ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (سورة إبراهيم، ٢٧/١٤).

[8] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (سورة إبراهيم، ٢٤/١٤)

فقال: **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله.** أي جند الله على ما ذكرنا أنهم يأتمرون بأمره ويقاتلون أعداءه ويوالون أولياءه، فهم جند الله. وقوله عز وجل: **ألا إن حزب الله هم المفلحون.** قيل: هم الناجون، وقيل: الباقون في نعم الله تعالى. ***والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.***[1]

[1] ر ث - بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ م - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]

قوله عز وجل: **سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**، قد سبق تأويل التسبيح وبيان وجوهه.[2]

وقوله: **وهو العزيز الحكيم، العزيز**، هو الغالب القاهر، وقيل: **هو العزيز**، حيث جعل في كل شيء من خلقه أثر الذُّل والحاجة. وقوله: **الحكيم**، له معنيان:[3] معنى الإحكام ومعنى الحكمة. فأما معنى الإحكام فهو أنه أحكم الأشياء على اختلافها وتضادّها حيث تشهد له[4] بالوحدانية، وحكيم حيث وضع الأشياء مواضعها وخلق للأشياء[5] مواضع. ثم الأصول التي تتولد[6] منها هذه الأشياء والأفعال ثلاثة: الكِيانات[7] والطبائع والعقول. أما الكيانات[8] فنحوُ النطفة إنها بحيث يصلح أن يكون منها[9] البشر إذا اتصلت به[10] موادّها، ونحوُ الماء إنه جعله بحيث يحيى به كلُّ شيء وبحيث يصلح به كل شيء. والطبائع حيث خلق[ها] في البشر وهي[11] ما يميلون بها إلى المحاسن والمنافع ويحذرون من المساوئ والمضارّ. والعقول ليدركوا به العواقب.

---

[1] ر – سورة الحشر؛ ث + وهي أربع وعشرون آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.
[2] انظر: تأويل لآية ١ من سورة الحديد؛ و"فهرس المصطلحات و لأفكار الرئيسية" أو خر المجلدات، «التسبيح».
[3] ر ن م: معنيين.
[4] جميع لنسخ: يشهد له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠ط.
[5] ر ن م: الأشياء.
[6] جميع لنسخ: يتولد.
[7] ر م: والكيانات؛ ن: الكنايت؛ ث: والكنايات.
[8] ث: أما الكنايت.
[9] ن – منها.
[10] جميع النسخ: بها. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: وهو.

ثم إنه علّمهم الوجوه التي تتولد[1] من هذه الأشياء. فهو حكيم حيث خلق الأصول التي وصفنا، وعلّم عباده الأسباب التي بها تُولَدون.[2] *والله أعلم*.

**﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر**، [قال الحسن:][3] هم بنو قُرَيْظَة،[4] وقال غيره من المفسرين: هم بنو النَّضِير، وهو أقرب. ثم المعنى في إضافة الإخراج إليه[5] يخرج على وجهين. أحدهما أنه اضطرهم[6] إلى الخروج فنسب الإخراج إليه، كما قال الله تعالى: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا،[7] الآية. والثاني[8] أنه خلق الخروج من ديارهم منهم فأضيف إليه بحكم الخلق. ثم الأصل في إضافة الفعل إلى الله تعالى أنه يجوز أن يضاف إليه على التحقيق وعلى التسبيب، وأما الخلق فإنما[9] يضاف الفعل إليهم على جهة التسبيب لا على التمكين. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لأول الحشر**، اختلفوا فيه. قال بعضهم: أول الحشر الجلاء إلى الشام، والحشر الثاني حشر القيامة. وقال بعضهم: أول الحشر هو حشر أهل الكتاب وجلاءهم من جزيرة العرب، والحشر الثاني حين أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام.

وقوله عز وجل: **ما ظننتم أن يخرجوا**، أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن تنتصروا منهم فضلا من أن يخرجوا من ديارهم ولكن ذلك[10] من لطف الله ومنه عليكم. وقوله عز وجل:

---

[1] جميع النسخ: يتولد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠ظ.

[2] ر ث م: يولدون.

[3] الزيادة من المرجع السابق.

[4] *تفسير القرطبي*، ٣/١٨.

[5] ر م - إليه.

[6] ث - اضطرهم.

[7] ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانيَ اثنين﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٠).

[8] ث - والثاني.

[9] ر ث م: فلما.

[10] ن ث: ذاك.

**وظنوا أنهم مَانِعَتُهم** / **حصونهم من الله.** [والإشكال أن يقال: كيف ظن الكفرة أن حصونهم مانعتهم من الله،][1] ولا يحتمل أن يتوهم أحد هذا. والمعنى في ذلك عندنا وجهان –والله أعلم– أحدهما أنهم ظنوا أن الله تعالى حيث آتاهم القوة والحصون لا يبلغ بهم حكمه المبلغ الذي يخرجون من ديارهم، لأنهم كانوا أهل كتاب وكانوا يزعمون أنهم أولى بالله من غيرهم، كقوله:[2] نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[3] ويكون قوله: **من الله**، أي بالله وبأمره، كقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ،[4] أي بأمر الله، فعلى ذلك[5] الأول. والثاني أي ظنوا أن حصونهم وقوتهم يمنعهم من أولياء الله أن يَظهروا عليهم، أو من دين الله أن يظهر فيهم. ***والله أعلم.*** [٧٩٢و]

وقوله عز وجل: **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**، يعني أنه قذف في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمن ولا الكافر، لأن المسلمين لم يظنوا أن يقهروهم ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عدد أولئك، وكذا لم يحتسب الكفرة أنهم مع قواهم[6] وقوة حصونهم يُقهرون ويغلَبون، حتى منّ الله تعالى على المؤمنين بأن قذف الرعب في قلوب الكفرة، وذلك[7] لطف عظيم[8] من الله تعالى إلى المؤمنين. ***والله أعلم.***

ثم الأصل فيما خرج هذا المخرج من نحو قوله عز وجل: فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ،[9] ومن نحو قوله تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[10] ومن نحو قوله عز وجل:[11] إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[12] وما يشاكله أن يحمله على إحدى معان[13] ثلاثة.[14]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٠ظ.
[2] ن ت: كقولهم.
[3] سورة المائدة، ١٨/٥.
[4] سورة الرعد، ١١/١٣.
[5] ر م + يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله فعلى ذلك.
[6] جميع النسخ: مع قوتهم. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[7] ر م: ذلك.
[8] ن – عظيم.
[9] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[10] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[11] ن – وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله عز وجل.
[12] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[13] ر ن ت: معاني.
[14] جميع النسخ: ثلاث. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدها[1] أن نقول:[2] المراد إتيان آثار فعل الله تعالى، ويجوز أن يضاف إليه سبيلَ إضافة حقيقة العمل، كما يقال: الصلاة أمر الله، ونحن نعلم أنها ليست بعين أمر الله، لكنها أثر أمر الله تعالى؛ وكذلك يقال: المطر رحمة الله تعالى، يعني أثر رحمته.[3] فكذلك إذا نزل[4] بهم آثار حكم الله تعالى وتدبيره وفعِيه وهو العذاب جاز أن يضاف إليه إضافةَ حقيقة الفعل. *والله أعلم*.

والثاني أن يقال بأن ما كان من هذه الأفعال موصولا بصلة فإنه يجوز أن يراد منه تلك الصلة، وإنما يتكلم[5] بإضافة هذا الفعل إليه مجازا على ما اعتاد الناس من أفعالهم إذا أرادوها أن يأتوها بأنفسهم. وشرح ذلك وبيانه أنه قال: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ،[6] فكان المقصود من هذا تلك الصلة، وهو قوله عز وجل: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ.[7] وكذلك قوله تعالى: **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب**، فالمقصود قوله تعالى: **وقذف في قلوبهم الرعب**.[8] وكذلك ما أشبهه من نحو قوله عز وجل: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[9] ومن نحو[10] قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[11] أي استوى تدبيره من حيث وَصَل منافع الأرض بمنافع السماء وكذلك ما أشبه هذا. *والله أعلم*.

والثالث نقول[12] بأن هذه[13] أسماءٌ مشتركة المعنى، وما كان سبيله هذا السبيل جاز أن يضاف إلى الله تعالى على معنى ليس يقع فيه الاشتراك بالمخلوقين. ألا ترى أنه يقال: جاء الليل وذهب النهار، ونحو ذلك على معنى الظهور ونحوه.

---

[1] ن: أحدهما.
[2] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[3] ن: رحمة الله.
[4] ن: أي أنزل.
[5] ر ث م: تكلم.
[6] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[7] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[8] ر م – فالمقصود قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب.
[9] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[10] ر م – نحو.
[11] سورة البقرة، ٢٩/٢؛ وسورة فصلت، ١١/٤١.
[12] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: بأن هذا.

وقوله عز وجل: **يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين**، هذا يدل على أن المُلْك للمسلمين في أموال أهل[١] الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة ما لم يكن ثَم أسْرٌ[٢] لأنه أخبر أن المؤمنين كانوا يخربون بيوتهم، أضاف الملك إلى الكفرة مع أن الغلبة للمسلمين. فدل ذلك على ما وصفنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاعتبروا يا أولي الأبصار**، يحتمل تأويلين. أحدهما أن نصرفه[٣] إلى المسلمين، أي اعتبروا يا أولي الأبصار من المسلمين،[٤] فإنكم إذا اعتبرتم علمتم أن الله تعالى منّ عليكم حيث أخرج الكفار من ديارهم فإنه لم يكن ذلك بقوتكم. و[الثاني] يحتمل أن يكون المعنى فيه: **فاعتبروا يا أولي الأبصار**، من أهل الكتاب[٥] فإن ذلك يدلكم ويعرّفكم أن اتفاقكم على النصرة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن هؤلاء الذين خرجوا إلى مكة واتفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا**، يعني لولا أن كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل. وقوله: **ولهم في الآخرة عذاب النار**، قال هذا[٦] في قوم علم الله أنهم يموتون على الكفر وما روي أن أحدا منهم مات على الإسلام، فيكون فيه دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر ذلك بالوحي والتنزيل لا من تلقاء نفسه. *والله أعلم*.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**، يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها أن نقول:[٧] **ذلك**، يعني ذلك العذابُ في الآخرة بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله. [أو ذلك الذي كنت عليهم

---

[١] م – أهل.

[٢] ن: أشيرا.

[٣] جميع النسخ: أن يصرفه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.

[٤] ر م – فدل ذلك على ما وصفنا والله أعلم وقوله عز وجل فاعتبروا يا أولي الأبصار يحتمل تأويلين أحدهما أن نصرفه إلى المسلمين أي اعتبروا يا أولي الأبصار من المسلمين.

[٥] جميع النسخ: الكفار. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ث – هذا.

[٧] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

لأجل أنه علم أنهم يشاقون الله ورسوله؛ أو ذلك الجلاء الذي أجلاهم بأنهم شاقوا الله ورسوله].[1] ثم المُشاقّة والمعاداة والمحادّة والمُضادّة بمنزلة واحدة، وذلك كله بمعنى المعاداة.[2] وقوله: **ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب**، يحتمل أن يكون على التقديم والتأخير. ووجهه أن نقول:[3] إن الله شديد العقاب لمن يشاقِ الله[4] ورسوله. أو يكون[5] فيه إضمار كأنه يقول: إن عقوبته لمن يشاق الله[6] ورسوله شديدة.

**﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله**، وما روي[7] أن اليهود نادَوا المسلمين أنكم تزعمون أن الله لا يحب الفساد وأنتم تفسدون بقطع النخيل،[8] لا يحتمل هذا، [لأنه][9] قال تعالى قبل هذا:[10] ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾،[11] فإذا كانت أنفسهم تسخو[12] بتخريب[13] البيوت فما بالها لا تسخو[14] بقطع الأشجار؟ ومعلوم [٧٩٢ظ] أنه[15] لا يؤمل في البيوت منفعة /بعد تخريبها،[16] وقد يؤمل في النخيل منافع بعد قطعها. ولكن إن كان يصح ذلك الخبر فتأويله عندنا أنه يجوز أن يكون المسلمون[17] خوّفهم بالقتل

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[2] ن: المعاداه.
[3] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: لمن يشاقق الله.
[5] ر م: أن يكون.
[6] ث: لمن يشاقق الله.
[7] ر ث م: وما ذكر.
[8] *تفسير الطبري*، ٤٣/٢٨-٤٤.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[10] ر م - هذا.
[11] الآية ٢ من هذه السورة.
[12] ن: تسخوا.
[13] ر: تفحريب.
[14] ن ث: لا تسخوا.
[15] ن: بأنه.
[16] ر: تخربها.
[17] ر: المسلمين.

فقالوا على إثر ذلك: إنكم إذا قتلتموها صارت هذه النخيل ملكا[1] لكم فكيف تفسدون أملاككم؟

ثم في إذن الله بقطع النخيل أوجه[2] من التأويل. أحدها أن يكون فيه بيان أن مقاتلة المسلمين إياهم لم يكن لرغبة[3] في أموالهم بل ليستسلموا[4] لله ورسوله ويخضعوا لدينه.

والوجه الثاني أن حرمة هذه الأموال إنما هي لحرمة أربابها، فإذا سقطت حرمة أربابها[5] وأبيح قتلهم وإتلافهم فما ظنك بأموالهم؟

والوجه الثالث أن الله عز وجل كتب عليهم الْجلاء، ومعلوم أن أنْفُسَهم بالجلاء إذا خَرِبت بيوتُهم وقُطعت أشجارهم أسخى منه إذا بقيت ليُقطَع طمع من أُجلي عن المُقام. فأذن الله تعالى في قطع النخيل إتماما لما كتب عليهم من الجلاء. **والله أعلم**.

والرابع أن هؤلاء كانوا أئمة اليهود، والتحريف والتبديل للتوراة إنما وقع منهم رغبة في الدنيا وسَعَتِها، فأذن الله تعالى في قطع النخيل عقوبة لهم وخزيا[6] من الوجه الذي وقع له التبديل منهم. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **فبإذن الله**، إن كان المراد منه العلمَ فوجهه أن الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا فيه لنهاهم عن ذلك، وإن كان المراد منه الأمر فهو أن الله تعالى أمر بالقطع والترك جميعا، وإن كان المراد منه المشيئةَ فهو أن الله تعالى قد شاء الأمرين جميعا. **والله أعلم**.

واللِّينة اللون من النخيل،[7] كما يقول: قُوتٌ وقِيتَة.[8]

وقوله عز وجل: **وليُخزِيَ الفاسقين**، أي ليكون كَبْتا[9] وغَيظا للفاسقين. **والله أعلم**.

---

[1] ر: لمكا؛ م - ملكا.

[2] جميع النسخ: أوجها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.

[3] ن: في رغبة.

[4] ر م: يستسلموا.

[5] ر ث م - فإذا سقطت حرمة أربابها.

[6] جميع النسخ: وحزنا. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] قال ابن سيده: قوله في التنزيل العزيز: ﴿مَا قَطَعْتُم مِن لِينَةٍ﴾، كلُّ شيء من النخل سوى العَجْوة فهو من اللِّين، واحدته لِينةٌ. وقال أبو إسحاق: هي الألوان، الواحدة لُونَةٌ، فقيل: لِينة -بالياء- لانكسار اللام (*لسان العرب*، «لين»).

[8] ر: وقتية. القُوت والقِيت والقِيتة: المُمْسِكة من الرزق (*لسان العرب*، «قوت»).

[9] ن: كيتا

﴿وَمَا أَفَاءَ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**، {قال:} حق هذه الآية أن تكون[1] مؤخرة وأن يكون قوله عز وجل: مَا أَفَاءَ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى،[2] متقدمة لوجهين. أحدهما أنه ذكر فيه الواو، والواو لا يبتدأ بها إلا في القَسَم. والثاني أن قوله: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، حرف كناية، والكناية لا بد لها من معرفة تعطف[3] عليها وترجع[4] إليها، فلذلك قلنا: إن حقه التأخير وحق الثانية التقديم. وعلى ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإذا كان كذلك فوجهه أن الذي وجب صرفُه إلى الأصناف التي ذكرها[5] إنما هو الخُمُس،[6] وأوجب هاهنا من كل الغنيمة فأبان بقوله: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، أنه إنما صرف[7] هذه الأربعة الأخماس إلى النبي صلى الله عليه وسلم دونهم لهذا المعنى أنهم لم يُوجفوا عليه من خيل ولا ركاب، أشار إلى أن استحقاقهم الأربعة الأخماس بسبب إيجاف الخيل والركاب. *والله أعلم*. وإن كانت القراءة على ما يتلى للحال ليس على التقديم والتأخير فإنه يحتمل أن يكون قوله تعالى: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، صلة قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ،[8] **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**، وإذا كان بناءً على ذلك استقام أن يذكر بحرف الواو وحرف الكناية.

{قال رضي الله عنه:} إن[9] المنافقين وأهل الضَّعْف من المؤمنين الذين آمنوا بالتقليد يظنون في هذا الموضع أن كيف تخصّ هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا إليه وكيف آثر بها نفسه؟ والجواب عن هذا أن هؤلاء الأصناف قومٌ على عامة[10] المسلمين تُحمَل مؤنتهم لولا هذه الغنيمة.

---

[1] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[2] الآية التالية.
[3] جميع النسخ: يعطف. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: فيرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق. أي في الآية التالية.
[6] ر – الخمس.
[7] جميع النسخ: إنما يصرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الآية ٢ من هذه السورة.
[9] ر م – إن.
[10] ر م – على.

ومعلوم أن أنفس[١] المسلمين ببذل ما عليهم من ملك العامة[٢] أسخى منه لو صُرف إلى كل واحد منهم على الإشارة إليه من ملكه الخاص.

وعلى هذه العبارة[٣] تجري[٤] مسائل لنا. إحداها ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه جعل العقل[٥] على أهل الديوان لأن ذلك يخرج مخرجَ المعونة. ومعلوم أن المعونة[٦] على عامتهم، فبذْل[٧] ما رجع من هذا الحق إلى ملك[٨] العامة أسهل[٩] عليهم لو صُرف إلى خاصتهم، وكذلك قوله: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا.[١٠] ومعلوم أن منع تلك الزوجة عن أن تذهب[١١] إلى دار الحرب بشيء من مال زوجها كان واجبا على العامة [فأوجب ما وجب من ذلك الحق على تلك العامة]،[١٢] وكذلك المسلمون إذا أصابوا غنيمة، وفيها مال مسلم قد غلب عليها المشركون[١٣] أنه ما دام الملك للعامة و لم يُقْسَم يُرَدّ عليه من غير بدل، وإذا اقتسموا[١٤] واختص كل واحد منهم[١٥] بملكه لم يأخذه إلا ببدل، فكذلك الأول. **والله أعلم**.

{قال الفقيه رحمه الله:} والذي يجب من جهة العرف والشريعة أن يكون تحمل مئونة رسول الله عليه وسلم على أمته. أما من جهة العرف فهو أن من عمل لغيره كان مئونته على ذلك المعمول[١٦] له، وكذلك من جهة الشريعة. ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] ر: نفس.
[٢] ر م: من تلك الأمة؛ ن ث: لإمامة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[٣] ر ن م: العبادة.
[٤] ر م: يجري.
[٥] سُمّيت الدِّية بأي شيء كان عَقْلا، وسُمي الملتزمون له عاقلةً (*لسان العرب*، «عقل»).
[٦] ر – ومعلوم أن المعونة.
[٧] ر ث م: فيدل؛ ن: فبدل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[٨] ر م: تلك.
[٩] ر: سهل.
[١٠] سورة الممتحنة، ٦٠/١١.
[١١] جميع النسخ: عن أن يذهب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر: المشركين.
[١٤] ر م: وإذا قسموا؛ ن ث: وإذا أقسموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢و.
[١٥] ر ث م – منهم
[١٦] ر: المقول.

كان يقوم بأمور أمته في أمور دنياهم وآخرتهم، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا كان[1] أولى
[٧٩٣و] ما يُجْعَل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو مالَ العامة وذلك هو الفيء. هذا لو اختصه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه، فكيف وقد قسمه بين الفقراء وأهل الحاجة و لم يُؤْثره[2] لنفسه.[3]

ووجه آخر في هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحلت لي الغنائم و لم تَحِلَّ[4] لأحد قبلي»، وقال: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرين».[5] فلو اختص ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه لجاز[6] له بما قال، ولكن الله جعل الفيء له [حتى يفرّقه][7] بين من كان تَحَمُّلُ[8] مؤنتهم على المسلمين لو لا هذا الفيء كي تكون[9] المنة له على أمته، ولئلا يكونَ لأحد من أمته عنده عليه الصلاة والسلام يدٌ ولا صنيعة. ***والله أعلم***.

ووجه آخر أنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا وفضولها حتى يصطنع من فضولها بالمعروف، فجعل الله له الفيء ليكتسب به الفضائل والمعروف. ***والله أعلم***. وفي قوله: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرَيْن» دلالة أن ما أفاء الله على رسوله وأعطاه فهو له خاصة يصنع به ما شاء ويفرّق فيمن شاء.

والقول عند أصحابنا في الإمام إذا أعطاه أهل الحرب شيئا[10] أن يُشرك[11] فيه قومه لأن هبة الأئمة إنما هي لقومهم، وكانت[12] هبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نُصر بالرعب فجاز أن يختص لنفسه. ***والله أعلم***.

---

[1] ث - كان.
[2] ر م: و لم يوحده؛ ث: و لم يوقده.
[3] ن: على نفسه.
[4] جميع النسخ: و لم يحل. والتصحيح من مصدر الرواية.
[5] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢. وفي الرواية المشهورة: «...نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ و*صحيح البخاري*، التيمم ١؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣).
[6] ن + ذلك.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٢و.
[8] ن: يحمل.
[9] جميع النسخ: كي يكون.
[10] ر م - شيئا.
[11] ر ث م: أن يشترك.
[12] ر م: وكان.

**﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [٧]

ثم قوله: **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى**، يعني ما رد الله[1] على رسوله من ملك الكفرة، أو ما أعطى الله رسوله[2] من ملك الكفرة. وقوله: **من أهل القرى**، يجوز أن تكون[3] قُرًى قد أُعْطُوه، أو تكون[4] هذه بِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح القرى. وقوله عز وجل: **ولذي القربى**، يجوز أن يقال: إن الظاهر من هذه الآية أن يكون المراد منها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما في قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى،[5] فقرابة[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يدخل في هذه الآية بالتأويل، وذلك أن المفهوم من ذكر القرابة إنما هو قرابة المخاطبين في الآية. ومعلوم أن الخطاب في القسمة إنما هو للمغتنمين، وفي قوله تعالى: **ما أفاء الله على رسوله**، إنما يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام. وأما سهم ذوى القربى فإن أصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين؛ منهم من يقول: إن هذا الحق في الأصل للمحتاجين من القرابة لوجهين. أحدهما قوله: **واليتامى والمساكين وابن السبيل**، وكان المراد منه منصرفا إلى المحتاجين فكذلك في القرابة. ومنهم من قال: إن الخُمُس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصل به[7] قرابته، فلما قبض عليه السلام انقطع ذلك الحق لوجهين. أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام: «إنا مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُورَث[8] ما تركنا صدقة».[9] والثاني أنهم إنما كانوا يستوجبونه برسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق عن أصحابها[10] عند وفاتهم.

---

[1] ر م: يعني رد الله.
[2] ر ث م: ورسوله.
[3] جميع النسخ: أن يكون.
[4] جميع النسخ: أو يكون.
[5] سورة الأنفال، ٤١/٨.
[6] ن ث: فقرأ به.
[7] ر م + إلى.
[8] ن: لا يورث.
[9] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مئونة عاملي، ونفقة نسائي صدقة» مسند أحمد بن حنبل، ٢/٤٦٣؛ وصحيح البخاري، الخمس ١.
[10] ر م: أصحابها.

ثم الفائدة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوراثة وجهان. أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستعمل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قائما لله تعالى خالصا. فإذا كان كذلك جاز أن يكون الذي في يده بمنزلة مال في يَدَيْ عبد إنسان أن تكون[1] حقيقة الملك فيه لمولاه، وإن كان في الظاهر له. **والله أعلم.**

فإن قيل: أليست[2] الأملاك كلها لله تعالى؟ قيل لهم: نعم غير أن الإضافة [إلى الله][3] قد تكون لخصوصية حال، كقوله تعالى: نَاقَةُ اللهِ[4] وبيت الله.[5]

ووجه آخر أن ما كان[6] لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه إلى يوم القيامة. ألا ترى أن زوجاته محبوسات عليه لا يَحِلن لأحد بعده، ونبوته عليه [السلام] لم تتحول[7] بعده إلى غيره. جاز أيضا أن يوقف عليه ملكه عليه السلام، ومعلوم أن ما كان موقوفا فسبيله الصدقة.[8] **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **كيلا يكونَ دُولَةً بين الأغنياء منكم**، له معنيان. أحدهما أنه لو لم يبين هذه المواضع لكان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يَخلُفه فيه الخلفاء من بعده فيتداوله الأغنياء بينهم. ومعنى آخر لو فُرّق هذا بين الفقير والغني لكان الغني[9] حين يقع هذا في يده كان يكتسب به فضول الدنيا، وأما الفقير فأول ما[10] يقع في يده يستمتع به[11] في منافع نفسه فلذلك فُرّق في الفقراء. **والله أعلم.** وقال بعضهم: الدُّولة هي اسم للذي يدول بين الناس، والدَّولة واحدة وهي فِعْلُه.[12]

---

[1] ر ث م – الذي في يده بمنزلة مال في يدي عبد إنسان أن تكون؛ ن: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢و.
[2] ر م: ليست.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] م – الله. سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وسورة الشمس، ١٣/٩١.
[5] يقول الله تعالى: ﴿وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهّرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢)؛ وانظر أيضا: سورة الحج، ٢٦/٢٢.
[6] ر م: آخر ما كان.
[7] جميع النسخ: لم يتحول. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ن م: الصدق؛ ث: تصديق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – الغني.
[10] ر م – ما.
[11] ر: يستمتع به؛ ن – به.
[12] ث: فعله. قال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداوَل، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال (*لسان العرب*، «دول»).

وقوله عز وجل:[1] **وما آتاكم الرسول فَخُذُوه وما نهاكم عنه فَانْتَهُوا**، يعني ما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنيمة فخذوه ولا تظنوا به ظنا مكروها. **وما نهاكم عنه فانتهوا**، ليس نهي زجر وشريعة ولكن نَهْيُ منعٍ،[2] يعني[3] وما منع[4] [منكم][5] من هذا الفيء فانتهوا[6] عنه. وعلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه **وما آتاكم**[7] **الرسول فخذوه**، يحمل[8] معنى الأمر[9] ومعنى الإعطاء، أي ما آتاكم من الدنيا فخذوه، وما نهاكم[10] عنه [يعني منع عنكم فلا تظنوا أنه المكروه. أو **ما آتاكم**، يعني ما أمركم به فخذوه، **وما نهاكم عنه**][11] يعني زجركم عنه فانتهوا عنه.

{قال رحمه الله:} ونرى[12] عامة الفقهاء يحتجون[13] بهذه الآية في موضع / الأمر[14] [٧٩٣ظ] مع لفظ الإيتاء، وليس يوجب ظاهره هذا، إذ الإيتاء هو الإعطاء والتمليك، كقوله: وَآتُوا الزَّكَاةَ.[15] ولكن وجه الاحتجاج به[16] أن الله تعالى لما أمرنا[17] بأخذ معروفه عليه الصلاة والسلام -وإن كان في أخذ[18] المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم خيار- فَلَأَنْ يَلْزمنا الأخذُ بأمره والاتباع له أحرى وأولى. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله شديد العقاب**، هذا يؤكد ما ذكر من اتباع أمره. *والله أعلم*.

---

[1] ن: لقوله تعالى.
[2] ر ث م + منكم.
[3] ر م – يعني.
[4] م – وما منع.
[5] زيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[6] ن – ليس نهي زجر وشريعة ولكن نهي منع يعني وما منع منكم من هذا الفيء فانتهوا.
[7] لم يمكن لنا أن نثبت قراءة ابن مسعود عن المنابع.
[8] ر ث م: ويحمل.
[9] ن: الأجر.
[10] ر م + من الدنيا.
[11] زيادة من المرجع السابق.
[12] ر ن م: ويرى.
[13] ن: محتجون.
[14] ن: الأجر.
[15] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/١١٠.
[16] ن – به.
[17] ن: ما أمر.
[18] ن: في أخذ

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **للفقراء المهاجرين**، الآية وما نُسِق[١] عليه من قوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ،[٢] وقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ،[٣] الآيات. ظاهر هذا يقتضي إيجاب حق لهم، لأنه إذا قيل: "الفلان..." لم يكن[٤] بُدٌّ مِن أن يقال: "كذا وكذا". وإذا كان كذلك لم يكن بُدّ[٥] من حق يُذكر لهم، ولا يحتمل أيضا أن يُخفيَ الله تعالى علم ذلك الحق[٦] الذي أوجب لهذه الأصناف عن خلقه، فالسبيل في ذلك من جهة التأويل عندنا. *والله أعلم*. ثم يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن جوابه لمن؟ فقال:[٧] **للفقراء المهاجرين**. ويحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل وعلا عن جوابه لمن.[٨] فأخبره[٩] أنه[١٠] **للفقراء المهاجرين**.

ثم إنه يجوز أن يكون ذلك الحق ما وُظّف[١١] من الخراج على أهل القرية إذا فتحت. وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعليّ وابن مسعود رضي الله عنهما حين فتح سواد الكوفة: إني كنت[١٢] أستشيركم[١٣] في أمر قد أغناني الله تعالى عن مشورتكم حين تلوت[١٤] هذه الآية، ثم تلا قوله:[١٥] **للفقراء المهاجرين**، ثم قال: ليس[١٦] هؤلاء خاصة،

---

[١] ر م: ينسق؛ ن ث: يشق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[٢] الآية التالية.
[٣] الآية ١٠ من هذه السورة.
[٤] ن: لم يك.
[٥] ر م: به.
[٦] م: الحق.
[٧] جميع النسخ: قال. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] م – لمن.
[٩] ر ث م: فأخبر؛ ن: فأخبر أنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م – أنه.
[١١] ر: وما وظف.
[١٢] ر م – كنت.
[١٣] ر ث م: أستشير بكم؛ ن: أسلسين بكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ث: تموت.
[١٥] م – قوله.
[١٦] ر م – ليس

وتلا قوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ،[1] ثم قال: ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ.[2] وروي أن بلالا قال له: إقسِمْ بيننا كما قسَم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين أهل العسكر. فقال:[3] اللهم اكْفِنِي بلالا وأهله. ثم قال عمر رضي الله عنه: لو قسمتها بينكم لتركت آخرَ عِصابة[4] في الإسلام لم يُصبْ[5] من هذا.[6] وأخبر الله بقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، أنهم شركاء هؤلاء. فجائز أن يكون عمر رضي الله عنه حين تلا هذه الآيات[7] تَذكَّرَ خبرا أخبر به[8] رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم[9] أن الحق الذي أوجب الله تعالى لهؤلاء ذلك. أو يجوز أن يكون الله تعالى بلطفه ألهمه وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم، لأنه روي أنهما أشارا عليه بذلك.

ولذلك قال أصحابنا: إن الإمام إذا افتتح قرية من قرى أهل الحرب فهو فيها بالخيار، إن شاء قسمها بين أهلها ووظّف عليهم الخراج وإن شاء قسمها بين أهل العسكر، وإنما كان كذلك لأن المقصود من المقاتلة أحد معنيين: إما توسيع أمكنة الإسلام أن تضيقَ أو تضييقُ[10] المكان بهم ليستسلموا لدين الله وينقادوا لأمره[11] وينظروا في حججه. وليست مقاتلتهم[12] عقوبة لكفرهم[13] بل لِما وصفنا من المعنى. وهذا المعنى قد يستفاد إذا وُظّف عليهم الخراج، فلذلك كان[14] للإمام الخيار. *والله أعلم*. ولو فهم بلال رضي الله عنه المعنى الذي لأجله[15] قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم لم يَقِسْ أمر سواد الكوفة عليه.

---

[1] الآية التاسعة.
[2] الآية ١٠ من هذه السورة. انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٥٧١/٦-٥٧٢.
[3] ر ث م: وقال.
[4] ن ث: عصابه.
[5] ر: لم يصيب.
[6] انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٥١٧/٦.
[7] ر: الآية.
[8] م - به.
[9] ر ث م: فيعلم.
[10] جميع النسخ: أن يضيق أو تضيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[11] ر ث م: الأمر.
[12] ر م: مقاتلهم.
[13] جميع النسخ: كفرهم. والصحيح من المرجع السابق.
[14] ن - كان.
[15] ر م: لأجل.

والمعنى من قسمته عليه الصلاة والسلام خيبر بينهم عندنا -والله أعلم- هو أن المسلمين لما صُدّوا عن البيت بالحديبية بشّرهم الله تعالى بفتحٍ قريب عوضا عما نالهم فيما أصابهم، وأما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا المعنى، فلم يجز أن يكون أمره مقيسا عليه. ***والله أعلم***.

ثم قوله:[1] **للفقراء المهاجرين**، يحتمل أن يكون المراد منه المجاهدين المقاطَعين[2] لأسباب عيشهم من الأموال والديار، أي لهم هذا الحق الذي سبق وصفه.

وقوله عز وجل: **الذين أخرجوا من ديارهم**، لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة، ولكنهم ضيقوا عليهم حتى خرجوا فأضيف[3] الإخراج إليهم إذ كانوا[4] أسبابا لخروجهم. وهذا كقوله تعالى: فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ،[5] وإبليس عليه اللعنة لم يتول إخراجهما من الجنة ولكنه[6] حرّضهما على سبب إتيانه فلم يستقرا بعده في ذلك المكان، فأضيف الفعل إليه. وقد وصفنا أن هذه الأفعال إذا أضيفت إلى العباد فإنما المعنى [من][7] ذلك أسباب يكون منهم لا حقيقة تلك الأفعال، وما أضيف إلى الله تعالى من ذلك فهو يحتمل الأمرين جميعا: الحقيقة والسبب. وذلك[8] لأجل أن العبد لا يمكنه أن يُقدر آخر على فعل في وقت فعله إلا على السبب، فأما رب العالمين فإنه قادر على إقدار العبد على فعله[9] وقت فعله، فلذلك قلنا: إنه يجوز أن يراد حقيقة الفعل فيما يضاف إلى الله تعالى. ***وهو الموفق***.

وقوله عز وجل: **من ديارهم وأموالهم**، يدل على أنها كانت لهم[10] بمكة ديار وأموال، ثم مع هذا لم يُروَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردُّ شيء من ديارهم عليهم[11] بعد فتح مكة ولا تضمينُ أولئك شيئا من أموالهم ليعلم أن أهل الحرب إذا غلبوا على أموال المسلمين ملكوها. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: وقوله.
[2] ر ث م: القاطعين.
[3] ر م: فإذا أضيف.
[4] ر م: إذا كانوا.
[5] سورة البقرة، ٣٦/٢.
[6] ن: ولكن.
[7] الزيادة من الشرح، ورقة ٢١٣و.
[8] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: على فعل.
[10] ث: لهم.
[11] ن - عليهم.

[٧٩٤و] وقوله عز وجل: **يبتغون فضلا من الله**، يعني أنهم هاجروا لدينهم وانقطعوا عن أسباب عيشهم من الأموال يبتغون الرزق من الله تعالى [عند انقطاع أسبابهم. وقوله: **ورضوانا**، أي ويبتغون بهجرتهم رضوانا من الله].[1] وقوله[2] عز وجل: **وينصرون الله ورسوله**، دل أن هذا لحق للمجاهدين منهم. ثم قوله:[3] **وينصرون الله**، يحتمل وجهين. أحدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرُ "الله" صلة. والثاني وينصرون[4] دين الله ويطيعون رسوله عليه السلام. وقوله: **أولئك هم الصادقون**، يعني الذين أظهروا صدق الإيمان من قلوبهم هجرتهم لدينهم وسعيهم إلى ما يُزلفهم إلى الله تعالى ويقرّب إليه.

**﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **والذين تبوءوا الدار**، يعني الذين اتخذوا ديارا واسعة تسعهم[5] والمهاجرين، وهم الأنصار. وقوله: **والإيمانَ**، أي أنهم آمنوا قبل هجرة هؤلاء لكي يأمن هؤلاء المهاجرون إحْنَتَهم[6] ولا يخافوا شرهم. وقوله: **من قبلهم**، يعني من قبل الهجرة. وقوله عز وجل: **يحبون من هاجر إليهم**، يعني أن الله تعالى ألقى محبته حتى أنزلوا المهاجرين ديارهم وأنفقوا عليهم أموالهم. وقوله عز وجل: **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا**، يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر بين[7] المهاجرين وتَرَك الأنصار لم[8] يَقسِم بينهم لم يجد الأنصار في قلوبهم حاجة مما أَعطى المهاجرين. يعني أن الله تعالى أغنى قلوبهم حتى لا يتفكروا[9] عن حاجة ولا فقر البتة.

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٢١٣و.
[2] ر: قوله.
[3] ر: ثم وقوله.
[4] ر م: ينصرون.
[5] ر ث م: يسعهم؛ ن: يسعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: المهاجرين من أحستهم؛ ن ث: المهجرين من أجتهم؛ م: المهجرين أحسهم. والتصحيح من مرجع السابق. الإحنة الحقد في الصدر (لسان العرب، «أحن»).
[7] ن: من.
[8] ر م: لم.
[9] جميع النسخ: لا تفكروا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٣و.

ويحتمل أن يكون المعنى من الحاجة هاهنا الغل والحسد؛ يعني أن الله تعالى طهّر قلوبهم حتى لم يجدوا في صدورهم حاجة. وقوله[1] عز وجل: **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ**، أي يؤثرون[2] على أنفسهم في[3] أملاكهم أنهم لا يجدون بما يبذلونهم[4] من[5] حاجة مما يملكون، ويؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة.

وقوله[6] عز وجل: **ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون**. إن الله تعالى خلق في طبع البشر محبة المحاسن والمنافع والطيبِ لها وبغضَ المساوئ والمضارّ والهربَ عنها. ثم إنه امتحنهم بالإنفاق مما يحبون[7] وحملِ النفس على ما يكرهون طلبا لنجاتهم وتوصلا إلى ثوابهم. ثم[8] وقاية الأنفس من الشح تكون[9] بوجهين. أحدهما أن يمن الله على عبده ليصير ما هو غائب عنه من الثواب في الآجل كالشاهد فيخِفَّ[10] عليه الإنفاق مما يحب[11] ويصير ذلك كالطبع له. والثاني يوفقه الله تعالى ويعصمه، ويلهمه تعظيم[12] أمره ونهيه حتى يَقهَر نفسه ويحملها على الائتمار بأمر الله تعالى والانتهاء عما نَهى عنه وإن كان طبعها على خلاف ذلك. ثم إضافة الوقاية إلى نفسه تدل[13] على أنه قد بقي في خزانته شيء لم يؤته عبده حتى يصف[14] نفسه بأنه يَقِي عبده[15] شحَّ نفسه ولولا ذلك لم يكن لوعده بوقاية نفسه عن شحها معنى. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأولئك هم المفلحون**، يعني الباقون في النعيم الدائم، والفلاح في الحقيقة هو البقاء في النعيم.

---

[1] ر: قوله.
[2] ن: أي ويؤثرون.
[3] ث - في.
[4] ر م: بما يبدلون؛ ن ث: بما يبدلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣و.
[5] ن ث: هم.
[6] ر: قوله.
[7] ن: تحبون.
[8] جميع النسخ + يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م: فيخفف؛ ن: فيخف.
[11] ر م: مما يجب.
[12] ر: ويلهم تعظيم؛ م: بتعظيم.
[13] جميع النسخ: يدل. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ن + عبده.
[15] جميع النسخ: بقي عبده. والتصحيح من المرجع السابق.

**﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١٠]

وقوله[١] عز وجل: **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا**، الآية، قد علم الله تعالى أنه قد يكون في أمة[٢] محمد صلى الله عليه وسلم من يلعن سلفه حتى أمرهم بالاستغفار لهم.

وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة، لأن الروافض من قولهم: إن القوم لما وَلَّوا الخلافة أبا بكر الصديق رضي الله عنه كفروا. ومن قول الخوارج: إن عليا رضي الله عنه كفر بقتاله معاوية وأصحابه، وقالت المعتزلة بأن من عدل عن الحق في القتال خرج عن الإيمان. ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يُكفِّرهم أو يُخرجهم عن الإيمان لم يكن للاستغفار لهم معنى، لأن الله سبحانه وتعالى نهى[٣] عن الاستغفار للمشركين. فإذا أذن هاهنا بالاستغفار لهم تبين[٤] بهذا أن ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الإيمان. ولأنه أبقى الأخوة فيما بينهم مع علمنا أنه لم يكن بين الآخرين والأولين[٥] أخوة إلا في الدين، فلو لا أنهم كانوا مؤمنين لم يكن لإبقاء الأخوة معنى. *والله أعلم*. ولأنه قال تعالى: **ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين** آمنوا، ولو كان ذلك يخرجهم من الإيمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لأن الواجب أن يكون في قلوب المؤمنين عداوة الكفار[٦] ومقتُهم. فلما ندب جل ثناؤه في هذه الآية إلى نفي الغل والحسد عن قلوبهم بتلك الدعوة ثبت أنهم كانوا مؤمنين. *والله أعلم*. ثم في الأمر بالاستغفار لهم[٧] دلالة أنه قد كانت منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته وإن كانوا فيما يتعاطونه مجتهدين لِيُعلم أنه ليس كل مجتهد مصيب.

ثم قوله عز وجل: **ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا**، يعني عداوة؛ يحتمل أن يكون المراد منه[٨] المؤمنين الذين سبقوهم، ويحتمل أن يكون هذا في كل المؤمنين.

---

[١] ر: قوله.
[٢] ر: في ٔمته
[٣] ث نهى.
[٤] ر ث م: يبين.
[٥] ب: بين الأولين والآخرين.
[٦] ر: الكفارة
[٧] د: ثم بالأمر في الاستغفار لهم.
[٨] م: من.

وقوله عز وجل: **ربنا إنك رءوف رحيم**، الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده وإحسان إليهم. ألا ترى إلى قوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.[1] فأخبر أن رحمته هبة منه وإحسان إلى عبده. ***والله أعلم.***

[٧٩٤ظ] ثم الاستغفار في حال الحياة له معنيان. أحدهما طلب / السبب الذي إذا جاءه استوجب المغفرة. والثاني حقيقة المغفرة. وفي حال الوفاة ليس إلا طلبَ عينِ[2] المغفرة. فلما ندب جل وعلا إلى الاستغفار لهم بعد وفاتهم، وحال الاستغفار بعد الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه إلا على حقيقة المغفرة، ثبت أن ذنوبهم لم يخرجهم من الإيمان[3] لأنه لو كان من حكمه -جل ثناؤه- أن لا تَحِلّ[4] مغفرتهم إذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الأمر بالاستغفار لهم حكمة. ***والله أعلم.***

وقال جعفر بن حرب:[5] إنه ليس في قوله: **ولا تجعل في قلوبنا غلا**، ما يدل على أنه يجعل في قلوبهم، لأنه إذا قيل: لا تفعل فلانا شيئا، لم يفهم به أنه يفعله إذا أحب. ولكن يجاب عن هذا أنه ذكر الله تعالى نصا في آية أخرى ما يدل على جعل العداوة. ألا ترى أنه قال: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[6] فإن قال تأويله: أنه خلّى بينهم وبينها لا أنه جعلها. قلنا: غير محتمل أن يخلق الله تعالى العداوة في قلوبهم من غير فعل يكون منهم بها،[7] وإذا كان[8] كذلك ثبت أنه يخلق هذه الأشياء وقت فعل العبد لها. ***والله أعلم.***

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب**، هذه الآية تدل[9] على أن الله تعالى جعل حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين في أنفسهم،

---

[1] سورة آل عمران، ٨/٣.
[2] ن: عن.
[3] ر ث م - من الإيمان.
[4] جميع النسخ: أن لا يحل.
[5] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).
[6] سورة المائدة، ١٤/٥.
[7] ث - بها.
[8] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣ظ.
[9] ر ث م: يدل.

لأنهم قالوا هذا القول سرا منهم إلى أهل الكتاب، لأنه لا يحتمل أن يظهروا مثل هذا القول بين يدي المؤمنين ولا كان الكفار يخبرون بهذا أحدا من المؤمنين. فلما أخبره ما قال المنافقون[١] ثبت أنه ما علمه إلا عن الوحي والتنزيل وذلك عَلم نبوته عليهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لئن أُخرجتم لَنَخرُجَنَّ معكم**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكونوا[٢] قالوا لهم هذا[٣] على أن يتكثر أتباعهم في القتال. والثاني أنهم قالوا ذلك لأهل الكتاب على حِسْبانٍ منهم أن الرسول[٤] صلى الله عليه وسلم إذا علم بحال هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا أن يقال: أخرج أصحابَه، وإذا[٥] لم يخرج أولئك لم يخرج أهلَ الكتاب ولم يقاتلوا.

وقوله: **ولا نطيع فيكم أحدا أبدا**، يعني لا ننصر[٦] أحدا فيكم أبدا. وقوله عز وجل: **وإن قوتِلتم لَنَنصُرنكم**، يجوز أن يكونوا وعدوا نصرهم هذا في قُرًى محصَّنَةٍ، كما قال في آية أخرى: لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ.[٧] ثم أخبر أنهم وإن نصروهم ثم انهزموا هربوا ونفروا[٨] وتولوا ولم ينصروهم بعد ذلك أبدا. وقوله عز وجل: **والله يشهد إنهم لكاذبون**. ولقائل أن يقول: كيف يشهد عليهم بالكذب، والكذب[٩] إنما يدخل في الأخبار، وقولهم الذي قالوه[١٠] إنما هو[١١] وعد منهم فحقه أن يقال: إنهم لَمُخْلِفُوا[١٢] الوعدِ.

وبمثل هذه الآية يحتج الخوارج في تكفير من أذنب[١٣] ذنبا، وذلك أنهم يقولون: إن من آمن بالله تعالى فقد اعتقد أن لا يعصيه، فإذا عصاه تبين بعصيانه كَذِبٌ في اعتقاده، فكفر هذا المعنى.

---

[١] ن: المنافقين.
[٢] ن: أن يكون.
[٣] م – هذا.
[٤] ر: أن رسول.
[٥] ث + وإذا.
[٦] م: لا ننظر.
[٧] ر ث م – كما قال في آية أخرى لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة. الآية ١٤ من هذه السورة.
[٨] ر م: ونصروا.
[٩] م: في الكذب.
[١٠] ر م: قالوا.
[١١] م – هو.
[١٢] ر: خلفوا؛ ن: متحتمو.
[١٣] ر: ذنب.

ومن جوابنا عن هذا أن قول المنافقين لأهل الكتاب إخبار منهم عن موالاتهم[1] إياهم، فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون فيما[2] أخبروا عن الموالاة.[3] *والله أعلم*.

**﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**، في هذه الآية حجة رسالته عن الفريقين جميعا. وذلك أن هذا خبر عن الغائب، وذلك لا يوصل إلى علمه إلا بالتعليم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف إلى أحد يخبره، ولا تَلَقّن[4] شيئا من أحد من البشر. فإذا أخبر عما يحدُث وعما هو غائب ثبت أنه ما قال[5] إلا عن الرسالة والوحي. *والله أعلم*.

{قال:} ويجوز أن يكون الله تعالى ذكّر المؤمنين بهذه الآيات[6] ما لقي الرسول عليه السلام ممن كان الواجب على ما كانت[7] عادتهم الإحسانَ إليه؛ وذلك أنه كان من عادة العرب المعونة والنصرةُ لمن قاربهم في النسب أو القبيلة، وإن كان ظالما. ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم من قريش فأظهروا معه من العداوة ما أظهروا حتى هموا بقتله، وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين أرسله حجة تَظهر[8] لليهود والنصارى وجميعِ أهل ما ذُكر في كتابهم من نعته وصفته، فقابلوه بذلك ما قابلوا من سوء الصنيع وإظهار العداوة. وكان هذا كله –والله أعلم– حجة[9] وعلامة يُعلَم بها أن رسالته عليه السلام لم تظهر[10] بمعاونة أحد بل بنصر الله وفضله[11] وتأييده. *والله المستعان*.

---

[1] ر م: عن مولاتهم.
[2] ن: فما.
[3] ر: عن المولاة.
[4] ر: ولا يلقس؛ ن م: ولا يلقن.
[5] ث م: ما قاله.
[6] ر ث م + على.
[7] جميع النسخ: على ما عليه كانت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.
[8] جميع لنسخ: يظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: حجته.
[10] جميع النسخ: لم يظهر. والتصحيح من لمرجع السابق.
[11] ن: وبفضله.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[١٣]

وقوله[١] عز وجل: **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**، يحتمل أن تكون رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق، ويجوز أن تكون[٢] على التمثيل. فأما وجه التمثيل فهو ما قال: يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ،[٣] فأخبر أنهم يعتذرون إليهم بالحَلْف،[٤] فيجوز أن تكون معاملتهم هذه في التمثيل[٥] معاملة من يَرْهَبهم[٦] فتسمّى ذلك رهبة في صدورهم.[٧] وهذا نحو قوله تعالى: [اَلَّذِي] جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،[٨] يعني جَمَعَ ماله جمع من يحسب أن ماله أخلده، فكذلك الأول.

ويجوز أن يكون على التحقيق، ولذلك أوجه[٩] من التأويل. أحدها[١٠] أنهم كانوا يظهرون الموالاة لكل فريق، وكان عندهم أن الله تعالى وَلِيُّ أحد الفريقين لا محالة، وإذا نجا أحد الفريقين نجوا هم[١١] أيضا. فكأنهم على هذا التأويل كانوا يرهبون الخلق جميعا لا أن يختص به المؤمنون. وكانوا لا يرهبون الله لأنهم أمنوا ناحيته[١٢] من الوجه الذي وصفنا. و[الثاني] يجوز أن يكون [٧٩٥و]
رهبتهم من المؤمنين خاصة، وذلك أن أهل النفاق إنما كانوا من أحد الصنفين: إما أن كانوا[١٣] دهرية فنافقوا أو كانوا[١٤] أهل كتاب[١٥] فنافقوا. فإن كانوا دهرية[١٦] فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين بالصانع، وإن كانوا أهل كتاب فإنهم قد أَمِنوا أيضا لما كانوا يصفون

[١] ر: قوله.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] سورة التوبة، ٥٦/٩.
[٤] ر: بالخلف.
[٥] ر م: هذه التمثيل.
[٦] ن: ترهبهم.
[٧] جميع النسخ: في قلوبهم.
[٨] سورة الهمزة، ٢/١٠٤-٣.
[٩] ر ث م: أوجها.
[١٠] ن ث: أحدهما.
[١١] م: نجوا بهم.
[١٢] ر: ناحيته؛ م: ناحية.
[١٣] ر م: إما إذ كانوا.
[١٤] ر ث م: إذا كانوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٤و.
[١٥] ر م + وإن كانوا أهل كتاب.
[١٦] ن - فنافقوا أو كانوا أهل كتاب فنافقوا فإن كانوا دهرية.

من قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[1] وإذا سقطت الرهبة من كلا[2] الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة. *والله أعلم*.

ويجوز أن يكون تفسير قوله تعالى: **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**، في قوله: **ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما أنهم لا يفقهون أن البلايا التي في الدنيا[3] ونعيمَها تذكير لبلايا الآخرة ونعيمها، وكانوا يرون أنها جعلت لأنفسها؛ وإذا كان هذا وهمهم وحِسبانَهم لم يرهبوا من الله تعالى. والثاني **أنهم قوم لا يفقهون**، من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن كانوا يأمُلون منهم المنافع ويحذرون مضارّهم فلا يرهبون من الله تعالى.

ولقائل أن يقول: إنه لا أحد من أهل الإسلام إلا ورهبته من الناس أشد من رهبته[4] من الله تعالى، لأنك ترى الرجل يمتنع عن الزلة عند اطّلاع الناس عليها[5] ما لا يمتنع عن كثير من الزلات[6] فيما بينه وبين الله تعالى.

والجواب عن هذا وجهان. أحدهما أنه ليس بإزاء الخوف من الإنسان رجاءٌ يرجوه، وبإزاء رهبته[7] من الله تعالى رجاء يرجوه من رحمته وفضله وإحسانه. فيجوز أن يكون الرجاء من رحمة الله[8] وفضله يغلب عليه فيقترف الذنوب[9] ويرتكبه. والوجه الثاني أنه[10] إذا كان له[11] فيما يرتكبه من الذنب شركاءُ فليس يهابهم،[12] وإنما خوفه من قوم فيهم[13] سِمَةُ الصلاح وأمارة النصر لدين الله تعالى، وإذا كان كذلك ثبت أن رهبته في الحقيقة من الله تعالى[14] ليس من نفس المخلوقين. *والله أعلم*.

---

[1] سورة المائدة، ١٨/٥.
[2] ر ن م: من كل.
[3] ن: أن البلاء في الدنيا.
[4] ر ن: رهبة.
[5] جميع النسخ: عنيه.
[6] م: الزلا.
[7] جميع النسخ: رهبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.
[8] ر ث م + ورحمته.
[9] ن ث: الذنب.
[10] جميع النسخ – أنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[11] ر م – له.
[12] ر م: شركا فليس يهابهم؛ ن: يهابهم.
[13] ث: فهم.
[14] ر ث م – وإذا كان كذلك ثبت أن رهبته في الحقيقة من الله تعالى.

**﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة**، قوله: **جميعا**، أي لا يقاتلكم أهل النفاق وأهل الكتاب جميعا معا وإنهم ليسوا بفاعلين ما وعدوا لأهل الكتاب من النصر والقتال. وقوله: **إلا في قرى محصنة**، يحتمل أن يكون هذا استثناء عن القتال،[١] واحتمل أن يكون استثناءً[٢] عن الوعد الذي وعدوا لأهل الكتاب. فإن كان عن القتال فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم لا يقاتلون إلا أن يكونوا في قرى[٣] أو حصون أو من[٤] وراءِ جُدُرٍ[٥] لا يعلم بهم أهل الإسلام. ***والله أعلم***. وإن كان على الوجه[٦] الثاني فهو يحتمل وجهين أيضا. أحدهما أنهم لا يوفون ما وعدوا من النصر في القتال لأهل الكتاب ولكنهم يلتجئون إلى قرى محصنة. ألا ترى إلى ما أخبر الله تعالى منهم في ناحية[٧] المسلمين: وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ،[٨] فأخبر أنهم قد أظهروا الموالاة للمسلمين كما أظهروا لأهل الكتاب إلى أن جاء القتال فإذا جاء القتال[٩] التجئوا إلى مكان يستمعون من أخبارهم. فعلى ذلك النحو يجوز أن يكون في أهل الكتاب. والوجه الثاني أنهم لا يقاتلون ولكنهم يدخلون في قرى محصنة يتربصون[١٠] لمن يكون الظفر والعاقبة، كما أخبر عنهم في آية أخرى وهو قوله تعالى: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ،[١١] فأخبر الله تعالى أنهم يتربصون العاقبة، فالتجاؤهم[١٢] إلى قرى محصنة يجوز أن يكون بهذا التأويل. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م – وقوله إلا في قرى محصنة يحتمل أن يكون هذا استثناء عن القتال.
[٢] ر م: استثناءه.
[٣] ن + محصنة.
[٤] ر: ومن.
[٥] ن ث: الجدر.
[٦] ر م: من الوجه.
[٧] م: في ناحية.
[٨] سورة الأحزاب، ٣٣/٢٠.
[٩] ر م – فإذا جاء القتال.
[١٠] ن: ويتربصون.
[١١] ﴿... وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النساء، ٤/١٤١).
[١٢] ن: والتجاءهم.

وقوله عز وجل: **بأسهم بينهم شديد**، يحتمل وجهين. أحدهما أن نقول:[1] **بأسهم**، يعني قوتهم **بينهم شديد**، ما لم يروا أعداء ظاهرة. أو نقول:[2] **بأسهم**،[3] شديد مادام القتال بينهم، لأنه ليس فيهم من أكرم بالرُّعْب. [فأما إذا وقع القتال بينهم وبين محمد وأصحابه فإنهم يضعُفون لما في المسلمين من أُكرم بالرعب، وهو الرسول، على ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «نصرت بالرُّعْب]،[4] مَسيرة شهرَيْن».[5] فإذا أكرم بالرعب هذا المقدارَ من المسير[6] فلا يُحرَم ذلك في أهل قرية.[7] وإذا كان كذلك ثبت أن التأويل ما وصفنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**، لأن همة المنافقين سلامة الأنفس وراحة الأبدان، وهمة أهل الكتاب الذب[8] عن المذهب والسعيُ في إقامته.[9] فإذا اختلفت هممهم[10] ومقاصدهم تشتت قلوبهم، وذلك معنى قوله: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ،[11] يعني في الهمم[12] والقلوب. وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**، يحتمل ثلاثة أوجه. أحدها[13] أنهم لا يعقلون حق الوعد والوعيد. والثاني أنهم لا ينتفعون بما يعقلون. والثالث أنهم لا يعقلون لمن يكون له العاقبة. وقد وصفنا أن عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة[14] فإذا اشتبهت عليهم العاقبة ولم يعقلوها[15] لم يُوالُوا[16] واحدا من الفريقَين في الظاهر والباطن جميعا. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: أن يقول.
[2] ر ث م: أو يقول.
[3] ن ث + بينهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[5] حديث: «نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهرين ...» (*المعجم الكبير* للطبراني، ٦٤/١١؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢)؛ وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣)
[6] م: من المصير.
[7] ن: قريته.
[8] ن: الدب.
[9] ن: في قامته.
[10] جميع النسخ: فإذا اختلف همتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[11] سورة النساء، ١٤٣/٤.
[12] ن: في الهمهم.
[13] ر: أحدهما.
[14] ن: لمن يكون العاقبة؛ ث – وقد وصفنا أن عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة. صح ه
[15] ر ن م: ولم يعقلوه.
[16] ث: ولم يوالوا.

**﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم**، الآية. يجوز أن يكون في هذا إضمارُ مثلَ آخرَ، كأنه يقول: مَثَلُ هؤلاء الكفار كمثل الذين كانوا من قبلهم، وكذلك في قوله: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً،[1] يعني مثلُ محمد صلى الله عليه وسلم ومثلُ[2] هؤلاء الكفار / على إضمار "مثل" آخر. ثم التمثيل وكيفيته يحتمل [٧٩٥ظ] أوجها ثلاثة. أحدها أن يقول: مثل هؤلاء الكفار الذين أساءوا [صحبة][3] رسولهم[4] كمثل الكفار الذين أساءوا الرسل من قبله، كان قريبا أن ذاقوا وبال أمرهم. والوجه الثاني أن يقول: مثل أهل المدينة من الكفار حين هموا بإخراج الرسول من المدينة[5] كمثل أهل مكة حين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة، وكان[6] قريبا حتى ذاقوا وبال أمرهم من الأسر والقتل. والدليل على أن كفار المدينة هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم منها[7] قوله عز وجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا،[8] الآية. ويحتمل أن يكون تخصيصا لقرية أو قبيلة، ووجه ذلك أن نقول: مثل بني قُرَيْظَةَ كمثل الذين من قبلهم وهم بنو[9] النَّضِير، وكانوا[10] قريبا أنْ ذاقوا وبال أمرهم. *والله أعلم*. وقوله: **ولهم عذاب أليم**، هذا إخبار أنهم يموتون على الكفر. وفيه دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن الغيب.

**﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك**، فكذلك المنافقون يظهرون الموالاة والنصر فإذا جاء القتال امتنعوا وتبرءوا عنهم.

---

[1] سورة البقرة، ١٧١/٢.

[2] ر ث م: مثل.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.

[4] ر ث م: رسوله.

[5] ن – من الكفار حين هموا بإخراج الرسول من المدينة.

[6] ث: وكانوا.

[7] ر ث م – منها.

[8] سورة الإسراء، ٧٦/١٧. انظر تفسير هذه الآية من *تأويلات القرآن* (٨ ٣٣٥).

[9] ر م: بني؛ ن ث: بنو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.

[10] ر م: وإن كانو.

ثم قوله: **إني بريء منك**. يجوز أن يكون في الآخرة حيث يقول:[1] مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ.[2] ويجوز أن يكون في الدنيا وهو قوله: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ.[3] الآية.

**﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾**[١٧]

وقوله عز وجل: **فكان عاقبتهما أنهما في النار خالِدَيْن فيها وذلك جزاء الظالمين**، ظاهر.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**، قوله: **واتقوا**[4] **الله**، الأصل أنه[5] إذا ذكرت حال بين العبد وبين سيده لم يكن بُدٌّ من إضمار يدخل في ذلك، مثاله قوله: إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[6] يعني أنه معهم في النصر والمعونة، وقوله: [لَ]مَعَ الْمُحْسِنِينَ،[7] في التوفيق والولاية.[8] وكذلك قوله عز وجل: **اتقوا الله**، لأنه لا يحتمل أن يتقيَ الله حتى يكونَ معهم في التقوى إذ ظاهر اللفظ يقتضي هذا، كقوله: كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ،[9] أي في الصدق. وإذا ثبت فيه الإضمار كان الوجه في ذلك أحد معانٍ:[10] إما أن يقول: اتقوا حق الله تعالى أن تُضيعوه، أو اتقوا[11] حَدَّه أن تَتعدَّوه[12] وتبطلوه، أو اتقوا سخطه، أو اتقوا[13] مخالفته،

---

[1] ت: قال.
[2] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[3] سورة الأنفال، ٤٨/٨.
[4] ر ث م – قوله واتقو.
[5] ر م – أنه.
[6] ﴿... والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل، ١٢٨/١٦).
[7] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩).
[8] ن ث: وفي الولاية.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ سورة التوبة، (١١٩/٩).
[10] جميع النسخ: معاني. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٥و.
[11] ر م: أو اتقوه.
[12] ر م: أن تعدوه؛ ن ث: أن يتعدوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م: واتقو

أو اتقوا الأسباب التي تستوجبون بها[1] مقت الله تعالى. ويحتمل أن يراد من التقوى في هذه الآية أوامره ونواهيه على ما وصفنا أن التقوى إذا أُطلق جاز أن يراد به الأوامر والنواهي، وإذا ذكر مقابلةَ أمر كان المعنى[2] منه محارمه ونواهيَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وَلْتَنْظُرْ نفسٌ ما قدمت لغد**، {قال:} من عمل بما أمر في هذه الآية سلم من تَبِعات الآخرة لأنه إذا أشعر قلبَه وقتَ فعله[3] أن الذي يفعله يُقدِمه[4] لغد امتنع عن ارتكاب ما يجب أن يستحييَ عنه أو يحزنَ[5] عليه في ذلك الوقت وأتى بما يُسَرّ عليه. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون معنى الآية على النظر لما قدمته نفسه للغد، وذلك أنه إذا تذكّر فنظر فيما قدمته[6] نفسه للغد،[7] دعاه إلى أحد أمرين: إما إلى التوبة عن السيئة التي قدمها، أو إلى الشكر على الحسنة التي تعاطاها.[8] وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب أن لا يغفل المرء عن ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون هذا على المستأنَف من الأفعال أنه ينظر فيما يريد أن يقدّمه لغد، فإن كانت[9] عاقبته[10] الهلاك انتهى عنه، وإن كانت[11] عاقبته[12] النجاة مضى عليه وأتى به. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**، أن يكون المراد منه الاتقاءَ عن ترك النظر لما تُقدّمه نفسٌ لغد.[13] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله**، ذِكرُ قوله: **واتقوا الله**، مرة أخرى والآية واحدة يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون المراد من الأول أن اتقوا مخالفة الله في أوامره ونواهيه، وفي الثاني اتقوا سخطه وعقوبته. والثاني أنه خرج على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرار

[1] جميع النسخ: يستوجبون بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.
[2] ن – المعنى.
[3] ر: فعمه.
[4] ر ث م: تقدمه؛ ن: لقدمه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: أو يحرب؛ ث: أو يخبرر.
[6] ر ث م: قدمت.
[7] ر ث م + وذلك أنه.
[8] ر م: يتعاطاها.
[9] ن: فإن كان.
[10] ر م: عاقبه.
[11] ن: وإن كان.
[12] ر: العقبة؛ ث م: عاقبة.
[13] ن + أن يكون المراد منه الاتقاء عن ترك النظر لما تقدمه نفس لغد.

عند الوعيد على التأكيد، كقوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ،[1] وكقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[2] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والله خبير بما تعملون**، فيه تحريض على المراقبة والتيقظ وقت فعله، لأن من علم وقت فعله أن الله تعالى مطلّع على ما يرتكبه من الذنوب ويُقرِّبه من الشرور امتنع عنها[3] وَازْدَجر.

وقالوا: في قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**، وعيد من أربعة أوجه. أحدها في قوله: **اتقوا الله**، والثاني في قوله: **ولتنظر نفس ما قدمت لغد**، والثالث في قوله: **واتقوا الله**، والرابع في قوله: **إن الله خبير بما تعملون**. ثم ذِكرُ هذه الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين بقوله تعالى:[4] **يا أيها الذين آمنوا**، فكان الوعيد في المؤمنين أكثر من الوعيد[5] في الكفرة. لكن المؤمنين يُوعِدهم عما هي مُعدَّة
[٧٩٦و] للكافرين لئلا يعملوا عملا يستوجبوا بذلك ما أُعد للكافرين، / وهو كقوله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.[6] ثم إن الله عز وجل سمى الآخرة باسم الغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا باسم الأمس لسرعة فنائها، وهو كقوله: فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ.[7] فيذكّرهم[8] ويعظهم بهذه الآية ليتفكر كل أحد في نفسه[9] [عند عمله أنه لماذا يعمل: للآخرة أم للدنيا؟ وليتذكر كل أحد في نفسه بأنه][10] خلق للعبث[11] أم خلق لأمر عظيم على ما ذكره الله تعالى.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**، قال بعض المفسرين: **نسوا الله**، أي نسوا العمل لله، والنسيان هو[12] الترك، أي تركوا العمل الواجب لله تعالى.

---

[1] سورة المؤمنون، ٣٦/٢٣.
[2] ن: كقوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وكقوله هيهات هيهات لما توعدون. سورة القيامة، ٣٤/٧٥-٣٥.
[3] ن: عيبها.
[4] جميع النسخ: كقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥ط.
[5] ث – خرج بعد ما خاطب المؤمنين بقوله تعالى يا أيها الذين فكان الوعيد في المؤمنين أكثر من الوعيد.
[6] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[7] سورة يونس، ٢٤/١٠.
[8] ن: فتذكرهم.
[9] جميع النسخ: ما به.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ن: للبعث.
[12] ن + العمل.

**فأنساهم أنفسهم**، أي خذلهم الله تعالى بما نسوا هم.[١] ثم الوجه عندنا في الآية أن ليس أحد من البشر يعمل عملا إلا وهو يَأمُل بذلك نفعا لنفسه، إذ من لا يعمل[٢] للنفع فهو عابث[٣] في الشاهد في ذلك العمل. فهؤلاء الكفرة لما لم يأتمروا بأمر الله تعالى و لم يطيعوه[٤] وتركوا[٥] العمل له صار تركهم العملَ لله [تَرْكَهم العمل لأنفسهم. فيكون قوله: **نسوا الله**، أي تركوا العمل لله]،[٦] والعملُ له عمل لأنفسهم، فصاروا تاركين العمل لأنفسهم، فكأنه قال: نسوا أنفسهم فصاروا منسيين.

وقوله عز وجل: **فأنساهم أنفسهم**، أي خلق فعل النسيان والتركِ فيهم. أضاف اختيار النسيان إليهم ثم أضاف الإنساء إلى نفسه وأثبت فعله فيه. وليس هذا[٧] على أن تَقَدّم منهم فعل النسيان ثم هو أنساهم بعد ذلك، لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك الفعل، وهو كقولهم: هداه الله تعالى فاهتدى، واهتدى فهداه الله، فذلك كله في وقت واحد. فكذلك هذا[٨] في الخذلان والنسيان، لَمّا اختار هو فعل النسيان خلَق الله تعالى ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر فيه[٩] عند اختياره، ولا يجوز أن يحمل ذلك[١٠] على تقدم[١١] بعض على بعض. وقوله عز وجل: **فأنساهم أنفسهم**، كقوله: **نسوا الله**، إذ قوله تعالى: **أنفسهم**، في قوله: **نسوا الله**،[١٢] إذ العمل لله هو العمل لأنفسهم والعمل لأنفسهم هو العمل الذي[١٣] أريد به وجه الله. فلذلك قلنا بأنّ [في][١٤] كل واحد منهما ما في الآخر.[١٥] ويحتمل وجها آخر

---

[١] ر ث م – هم.
[٢] ن + لنفسه.
[٣] جميع النسخ: غائب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥ظ.
[٤] ر م: و لم يطيعوا.
[٥] ن: وترك.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] ن: فيه.
[٨] ن – هذا.
[٩] ر ث م – فيه.
[١٠] ن – ذلك.
[١١] م: على ما تقدم.
[١٢] ن + إذ قوله أنفسهم في قوله نسوا الله.
[١٣] ر ن م: للذي.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: في الآخرة. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو أنهم لما تركوا طاعة الله جزاهم[1] الله تعالى بتركهم أمرَ الله تَرْكَهم أنفسَهم[2] ولم يوفقهم للخيرات والطاعات، وهذا من أشد العقوبات. ويحتمل أن يكون معناه، أي يجازيهم[3] في الآخرة جزاءَ ما[4] عملوا بأنْ تَرَكَهم في الآخرة في العذاب الدائم، فيكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الإيمان بالله تعالى. وهذان التأويلان يرجعان إلى ما ذكر من الخذلان فيما فعلوا. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **أولئك هم الفاسقون**، فالفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**، أي الناجون،[5] والفوز هو الظفر بالحاجة. ثم قوله عز وجل: **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة**، يحتمل وجهين. أحدهما أن لا يستووا في الدنيا أو لا يستوُوا في الآخرة. فإن كان على الأول فمعناه لا يستوي عمل أهل الجنة في الدنيا في العقول وعملُ[6] أهل النار، إذ عملُ[7] أهل النار بالذي يستقبحه العقول. وأما أفعال أهل الجنة الداعية إليها بالتي يستحسنها العقول، لأن عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين والحجج وليس لعمل[8] أولئك براهين. وما أقيم[9] بالبراهين والحجج فهو في العقول أحسن من الذي لا برهان عليه. وكذلك كل عمل يستحق صاحبه عليه الثواب فهو في العقول مستحسن، وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبح فلم يستويا. وأما الوجه الثاني[10] لا يستوي جزاء أهل النار وجزاء[11] أهل الجنة، إذ في الجنة النعيم الدائم وفي النار الشدة والنقمة الدائمة فلم يستويا. يذكّرهم الله تعالى هذا لينتهوا عن غفلتهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا بها الثواب في الآخرة.

---

[1] جميع النسخ: فخذلهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢١٥ظ.
[2] جميع النسخ: لهم.
[3] ن: تجارتهم.
[4] ن: حرما.
[5] ن: أي نجون.
[6] جميع النسخ: عمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: أو عمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: بعمل.
[9] ن: ومن أقسم.
[10] ن + أي.
[11] ر ت م: جزاء.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله.** الآية، اختلف الناس في تأويل هذه الآية. قال بعضهم: خرجت هذه الآية[١] على التمثيل وهي على التنبيه والتذكير، وذهبوا في ذلك إلى أن العرب إذا استقبلهم أمر وأرادوا أن يصفوه بالعظم والشدة كانوا يضربون الأمثال بما يَعْظُم ذلك عندهم وصفُه ولم يكونوا[٢] يريدون به الحقيقة في ذلك، وهو كقولهم[٣] عند شدة الأمر: أظلم علي ما بين السماء والأرض، وكقولهم: ضاقت عليّ الأرضُ برَحْبها، وكما وصف الله تعالى من أمر لوطٍ عليه السلام: وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا.[٤] فهذ القول من العرب إنما كان على التمثيل فيما يريدون أن يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة، لأنه معلوم أن الدنيا عليه كما كنت لم تتغير،[٥] وكذلك لم يُظلم عليه ذلك. لكنهم تكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الأمر. فكذلك[٦] قوله تعالى: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله،** يقول: لو كنت هذه الحجج أنزلت على جبل مع صلابته وشدته لَخَضع[٧] لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل، لكن قلوب هؤلاء أقسى منه حيث لم تخضع ولم تخشع.[٨] وهو كقوله: كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً،[٩] إذ الحجارة قد تكون[١٠] فيها منافع نحو خروج الماء وغيره. فأما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء [٧٩٦ظ] من المنافع، بل هي قاسية[١١] لا تخشع ولا تتصدع. وعلى ذلك حملوا تأويل قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[١٢] على التمثيل ليس على حقيقة ذلك.

---

[١] ر ث م - قال بعضهم خرجت هذه الآية.
[٢] ر م: لم يكن؛ ن ث: ولم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.
[٣] ر م: كقوله.
[٤] سورة هود، ٧٧/١١؛ وسورة العنكبوت، ٣٣/٢٩.
[٥] جميع النسخ: لم يتغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: وكذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن: يخضع.
[٨] جميع النسخ: لم يخضع ولم يخشع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ (سورة البقرة، ٧٤/٢).
[١٠] جميع النسخ: قد يكون.
[١١] ر: قسية.
[١٢] سورة مريم، ٩٠/١٩.

وقال قائلون: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل**، إنه على[1] حقيقة ذلك الفعل منه وهو الانصداع والخشوع، وكذلك تأويل قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، فمعناه لو كان نزول هذا القرآن وما فيه من الأحكام والأمانات التي أُوجب على البشر على الجبل، وكان هو بحيث يملك قبول ذلك باختياره لقيام شرائطه لكان هو يفزع ويخضع ويتصدع من خشية[2] الله تعالى، وكان لا يقبل[ه] مخافة أن لا يمكنه أداء[3] ما لزمه بنزوله؛ وهو كقوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ،[4] الآية. فنقول:[5] معناه لو أنزلنا هذه الأمانات التي في هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا، إذ الأمانات[6] مما[7] قد يلزم المرءَ لا يمكن أداؤها كلها لأن الأمانات مما يكثر عددها فضلا من أن يمكن أداؤها. فعلى هذا التأويل يخرج على حقيقة التصدع أن لو أنزل عليه مع عظمته[8] وصلابته لانصدع. ففي[9] هذا تنبيه للخلق وتذكير لهم.

وقال بعضهم: إن في هذه الآية تذكير[10] الرسول صلى الله عليه وسلم منته[11] عليه[12] وعلى جميع الرسل بأنه[13] لو لا فضل الله ومنته[14] على الرسل لكان لا يطيق أحد من الرسل حمل ما في الكتاب[15] ولا أداء[16] ما افترض[17] عليهم من أداء الرسالة، ولكنه منَّ عليهم بأن يسّر عليهم ذلك

---

[1] ر م - على.

[2] ر: من خشيته.

[3] ن: إدا.

[4] يقول الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢).

[5] ر ث م: فيقول.

[6] ر ث م + التي في هذا القرآن.

[7] م: ما.

[8] ر ث م: عظمه.

[9] ر ث م: فعلى.

[10] ر: تذكر.

[11] ر: منة.

[12] ر ن م: عليهم.

[13] ر م - بأنه.

[14] ر: ومنة.

[15] ر م: في الكتب.

[16] ر: أداء؛ ن: إدا.

[17] ر ن م: ما فرض؛ ث: ما فرض.

حتى قاموا بذلك كله؛ وهو كقوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا؛[1] وقال[2] في موضع آخر: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ[3] مُدَّكِرٍ،[4] فيَسَّر عليهم ثقل[5] العمل بما فيه. فيقولون:[6] كذلك قوله: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**، لثقل ما فيها لكنه منَّ[7] عليك ويسّر ذكره عليك ووفّقك[8] بتبليغ ما فيه إلى أهله.

وقال قائلون: إن الله تعالى لما أراد أن يُنزل التوراة على موسى عليه السلام وكانت في لوح من زَبَرْجَدٍ حمراءَ [أو ياقوتة حمراء][9] أمر الملائكة أن يحملوها، فلم يطيقوا حملها؛ ثم أمرهم أن يحملوا كل حرف منها، فلم يطيقوا ذلك. فخفف الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل ذلك. وكذلك[10] ذُكر ذلك في عيسى وداودَ عليهما السلام، ثم خفف ذلك على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فكأنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم:[11] لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته كذا، لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على الأنبياء من قبلك. وإليه يذهب الكلبي.[12]

لكن إن صح هذا الخبر فإن ذلك الثقل لم يكن في نفس الكتابة[13] التي في الألواح، لكن ذلك فيما يلزمهم من العمل بذلك من أداء الأمانات وغيرها، لأن الله[14] تعالى أخبر أنه لو كان إنزال هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، وقال في موضع آخر:

---

[1] سورة المزمل، ٥/٧٣.

[2] ن - قال.

[3] ر م - عليهم من أداء الرسالة عليهم بأن يسر عليهم ذلك حتى قاموا بذلك كله وهو كقوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال في موضع آخر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من.

[4] سورة القمر، ١٧/٥٤.

[5] جميع النسخ: وثقل.

[6] أي القائلون بهذا القول.

[7] ر م - من.

[8] ر م: وفقك.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.

[10] ر ث م: فكذلك.

[11] ث + فكأنه يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام.

[12] «قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن السماء أطّت يعني [صوّتت] أو ازداد من ثقل الألواح بما وضعها الله عليها في وقت موسى، فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى، وكذلك الإنجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام» *روح البيان* لإسماعيل حقي، ٤٥١/٩-٤٥٢.

[13] ر م: في ذلك الكتاب، ث: في ذلك الكتابة.

[14] ر ث م: لأنه لله.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ،[1] الآية. ثم كانت تلك الألواح قد احتملتها[2] الأرض، وأمكن لموسى عليه السلام حملها. فكذلك هذا القرآن كله والتوراة والإنجيل والزبور مما قد يحتمل [حمل][3] ذلك[4] حقيقةً ويمكن كتابته في قلبل[5] الألواح. ثبت أن المراد من ذكره ليس هو الحروف، أَنْ لو كان[6] كان على ما فيه من الأمر والنهي وأداء الأمانة،[7] واتقاء الله حق تقاته لا على نفس تلك الألواح. وهذا الذي ذكرنا هو تأويل القوم في نزول هذه الآية.

فأما إني لا علم لي بحقيقة تأويل هذه الآية. ولو لا أن في الآية تذكيرا وتنبيها لكنا نقول: هي من المتشابه المكتوم الذي لا يفسَّر، لكنه لما خرج مخرج التذكير[8] واستيداء شكر ما سَهُل علينا قراءتُه احتجنا إلى تأويله. وقوله عز وجل: **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**، هو ظاهر.[9]

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**،[10] فمن الناس من يقول: إن قوله: **هو**، من أرفع أسماء الله تعالى. وذكر عن بعض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] كان يدعو بقوله: «يا هُو يا من لا هُو إلا هو». وتأويل[12] هذا الكلام

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣).

[2] جميع النسخ: قد احتملها.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.

[4] ر ث م - ذلك.

[5] جميع النسخ: في قلبك.

[6] ر م - لو كان.

[7] ر: وأداء الأمانات.

[8] ر: التذكر.

[9] ن: ظاهرو.

[10] روى الترمذي عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيدا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة». قال: حديث حسن غريب. (انظر: *سنن الترمذي*، ثواب القرآن ٢٢). وللمزيد المعلومات انظر: *تفسير القرطبي*، ٤١/١٨؛ و*تفسير البغوي*، ٣٢٧/٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣٢/٨.

[11] م - أنه.

[12] م: تأويل.

أن كل شيء بهويته كان. وقوله عز وجل: **عالم الغيب والشهادة**، قيل فيه بوجوه ثلاثة. أحدها أنه عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه.[١] والثاني بما قد كان وبما يكون. والثالث أنه عليم[٢] بما قد كان وبكيفيته[٣] أنْ كيف يكون إذا كان. وقوله عز وجل: **هو الرحمن الرحيم**، فهما اسمان مشتقان من الرحمة.

وفي هذه الآية بيان وجوه أربعة. أحدها فيه بيان التوحيد، وهو قوله: **هو الله الذي لا إله إلا هو**، إذ الإله هو[٤] اسم المعبود، إنّ كل معبود دونه باطل. والثاني أن فيه تنبيها وتحذيرا بأن يتذكر الإنسان في جميع أحواله اطّلاع الله تعالى عليه[٥] وعلمه فيه، وذلك من قوله: **عالم الغيب والشهادة**. والثالث فيه ترغيب في رحمته وإخبار[٦] لهم أن كل نعمة لهم في الدنيا والآخرة من الله تعالى، إذ في قوله عز وجل: **الرحمن الرحيم**، ذكر الرحمة.[٧] والرابع ما ذكرنا في قوله:

**﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[٢٣]

**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس**، الآية. **المَلِك**،[٨] من المُلْك، أي مُلك كل شيء له، ليس لأحد سواه حقيقة الملك. **القدوس**، قيل فيه بوجهين. قال بعضهم: **القدوس**، هو المبارك، والبركة اسم كل خير، أي منه[٩] جميع الخيرات. لكن لا يجوز أن يقال لله تعالى: "يا مبارك"، وإن كان المعنى / منه يؤدي إلى أن يأتي منه كل خير، لأنه لا يعرف في أسمائه هذا [٧٩٧و]
بالنقل. وعلينا أن نسكت عن تسميته بما لم يُسمِّ نفسه بذلك. لذلك قلنا بأنه لا يجوز التسمي بالمبارك. *والله الموفق*. والثاني **القدوس**، هو الطاهر؛[١٠] يعني هو مقدّس عما قالت الملحدة[١١]

[١] ر م: وبما شهدوا.
[٢] ر م: عليهم.
[٣] ر م: ويكتفيه.
[٤] ر م - إذ الإله هو.
[٥] ن - عليه.
[٦] ن ث: واختار.
[٧] ر م - ذكر الرحمة.
[٨] ن ث: فالملك.
[٩] ن - منه.
[١٠] ن: هو الظاهر.
[١١] ر م: الملاحدة.

والكفرة فيه من الولد والشريك. وقوله[1] عز وجل: **السلام**، اختلف في تأويله. منهم من قال: سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الآفات، وغيره[2] من المخلوقين لا يسلمون من حلول الآفات بهم.[3] وقال آخرون: سمى نفسه سلاما لما سَلِم المؤمنون من عذابه. والتأويل الأول أقرب.

وقوله[4] عز وجل: **المؤمن**، اختلف الناس في تأويله. قال قائلون: هو من الأمان،[5] أي[6] يؤمّن المؤمنين من العذاب، ولا يمكن لأحد أن يؤمّن أحدا من عذابه. وقال قائلون: أصله من الإيمان، وهو التصديق. ثم ذلك يتوجه إلى وجهين. أحدهما أي مصدِّق القولَ بما وعد للمؤمنين الجنةَ. والثاني **المؤمن**، هو المصدق لِمَا قال المؤمنون[7] من تصديقهم، فيصدقهم بما قالوا. ومن الناس من قال سمى نفسه [مصدقا][8] بما أخبر أن هذا القرآن لما بين يديه مصدق.

وقوله[9] عز وجل: **المهيمن**، اختلف فيه أيضا. قال قائلون: **المهيمن**، هو الأمين، وقال قائلون: **المهيمن**، هو المسيِّط، وقال قائلون: **المهيمن**، هو الشاهد. فمن قال بالأول فإنه يذهب إلى أن أصل ذلك من المؤتَمَن[10] وهو من الأمانة، وإلى هذا التأويل يذهب القُتَبِي،[11] أي أمين[12] في كل ما يقول وفي كل ما يفعل أن لا يجور.[13] ومن قال بأنه هو المسلِّط أصله من هيمن يهيمن أي سلَّط يُسلِّط. وسئل[14] عن تأويل المسلط فقال: هو كالقاهر،[15] إذ قهر العباد كلهم وهم ملك له.

---

[1] ر: قوله.
[2] ن: أو غيره.
[3] ن – بهم.
[4] ر: قوله.
[5] ر ث م: هو الأمان.
[6] ر م: أن.
[7] ر ث م + المصدقون.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.
[9] ر: قوله.
[10] م: المؤمّين.
[11] ن + إلى أن أصل ذلك من المؤتمن وهو من الأمانة. «﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، ٥/٤٨] أي أمينا عليه» (تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٤).
[12] جميع النسخ: أمينا.
[13] ر ن م: أن لا يجور.
[14] جميع النسخ: سئل. والتصحيح من *الشرح*، ورقه ٢١٦ظ.
[15] ر م: كالطاهر.

ومن فسره بالشاهد فإنه يحتمل تأويله[1] وجهين.[2] أحدهما[3] هو شاهد[4] على أفعال العباد وعلى العباد[5] من حيث لا يعيب عنه شيء. والثاني أي شاهد بما أنزل على رسوله بالصدق، وهو كقوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.[6] أي شاهدا عليه. وقوله: **العزيز**، أي ما من عزيز دونه إلا وهو ذليل.

وقوله عز وجل: **الجبار**، قيل فيه بوجهين. أحدهما سمى نفسه الجبار لأنه هو المجبر لكل كسير.[7] وقال[8] قائلون: سمى نفسه [جبارا][9] لجبروته وعظمته، ولا يجوز لأحد أن يسمَّى[10] بذلك الاسم إلا هو، أي الله تعالى،[11] وتَجَبَّر عن أن يكون له أمثال وأشكال. وقوله عز وجل: **المتكبر**، من الكبرياء والعظمة. هذا الاسم لا يليق بغيره، لأن الخلق بعضهم لبعض أكفاء في الخلقة، فلا فضل لأحد على آخر، فلما استوَوْا[12] لم يجز[13] لأحد على آخر التكبر، فصار الحق[14] في ذلك لله تعالى. والتكبر على الآخر هو الارتفاع. والأصل فيه واحد، وهو أن لا يرى لنفسه شكلا. والله تعالى[15] إنما سمى نفسه متكبرا إذ هو المتكبر لذاته، لم يكن تكبره بغيره، فلذلك قلنا: إنه لا يستحق أحد من الخلائق التكبر إلا الله[16] تعالى، إذ لم يكن [له][17] أحد شكلا ولا ضِدًّا ولا نِدًّا، وأما غيره من الخلائق فكل واحد منهم بالذي له شكل.

---

[1] ر ث م: تأويلين؛ ن – تأويله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.
[2] ر ث م – وجهين.
[3] ن + أي.
[4] ر ث م: أحدهما أي شاهد.
[5] ر: على لأفعال العباد؛ م: على الأفعال.
[6] سورة المائدة، ٤٨/٥.
[7] ر: كثير؛ م: كبير. جَبَر العَظْمَ والفقيرَ واليتيمَ يَجْبُرُ جَبْرًا وجَبَّره: أي أصلحه وأغناه وأطعمه. (*لسان العرب*، «جبر»).
[8] ر ث م: فقال.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.
[10] ر م: أن سمي.
[11] ر ث م: والله تعالى.
[12] ر: استوقة.
[13] ر: لم يجبر.
[14] ر: لحق.
[15] ر ث م: والله أعلم.
[16] ر م: لله.
[17] الزيادة من المرجع السابق.

وقوله: **سبحان الله عما يشركون**، فيه تنزيه لله تعالى عما قالت فيه[2] الملحدة.[3] فهذا اسم سمي به نفسه وأمر الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يقولوا ذلك. ومعنى قوله: **سبحان الله**، أي معاذَ الله أن يكون ذلك على ما قالت الكفرة. وسمى نفسه جبارا لما أنه يَجْبُر الأشياء فيجعلها على ما يشاء، وهو كقوله: يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ،[4] فيخلق الأشياء[5] على ما يريده،[6] لا على ما يريده[7] غيره.

{قال رحمه الله:} إن الله تعالى يتعالى بمعان[8] أربعة. أحدها تعاليه عن الظلم[9] والجور وجميع ما لا يليق. والثاني تعاليه على الأشياء كلها بقهره لها وتصريفه إياها على ما يشاء،[10] أي ليس أحد يقهره بل هو يقهر الخلائق. والثالث تعاليه عن أن[11] تمسه[12] الحاجة والآفة، وكل من هو دونه لا يخلو[13] عن ذلك. والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والأضداد والأشكال والأنداد وتعاليه عن جميع السوء الذي يصيب الخلق. *والله المستعان*.

**﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **هو الله الخالق البارئ المصور**؛ فالخالق والبارئ واحد. ويقال برأ، أي خلق، والبرية[14] الخلق. ويقال: سميت البرية برية لأنه خلق من التراب، إذ البَرَى هو[15] التراب.

[1] ر: الله تعالى.
[2] ر م – فيه.
[3] ر م: الملاحدة.
[4] سورة آل عمران، ٣/٦.
[5] ر ث م – فيخلق الأشياء.
[6] ر ث + الأشياء؛ م + غيره.
[7] ن: إلا على ما يريد.
[8] ر ن ث: بمعاني.
[9] ن: من الظلم.
[10] م: ما شاء.
[11] ر م – أن.
[12] جميع النسخ: يمسه.
[13] ر م: لا يخلوا.
[14] ر ن ث + هو
[15] ن: من.

وقوله عز وجل:[1] **المصور**، والمصور هو الذي يعطي كل شيء صورته فيصوره على ما هو. فالتصوير هو بيان الحدود وهو [من] قول الناس: صوّرتُ الأمر عند فلان، أي بينته. وقوله عز وجل: **له الأسماء الحسنى**، أي الأمثال العُلَى وهي[2] الصفات. إذ المَثَل[3] يرجع إلى وجهين: إلى الصفة مرة وإلى التشبيه ثانيا؛ فإذا رجع إلى الصفة فإنه يرجع إلى حقيقة ذلك، وإن رجع إلى التشبيه فإنه لا يرجع إلى حقيقة ذلك. ثم قوله عز وجل: **له الأسماء الحسنى**، أي الصفات العلى، أي[4] لا يسمى بذلك إلا هو، إذ لا يقال لغيره "الرب" ولا "الرحمن" ولا "المالك" إلا أن يضاف ذلك إلى شيء، فأما التصريح فلا يطلق / ذلك إلا له جل وعلا. ويحتمل وجها [٧٩٧ظ]
آخر: أي لا شبيه له في أسمائه، أو أن[5] يشركه أحد في تلك الأسماء، بل هي خاصة [له].
*والله المستعان.*[6]

---

[1] ر: وهو قوله.
[2] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.
[3] جميع النسخ: الصفة. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ت - أي.
[5] ر ح: وأن.
[6] ن - والله المستعان؛ ت + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الممتحنة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١]**

قوله عز وجل:[2] **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**، [في] هذه الآية وما أشبهها من نحو[3] قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ،[4] وفي كل ما ذكر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، دلالة واضحة أن الإيمان ذو حد في نفسه، وأنه ليس[5] كما قالت الحشوية[6] والمعتزلة وأصحاب الحديث: إن الطاعاتِ كلَّها إيمان. ووجه ذلك أن كلا في نفسه قد فهم من هذه الآية أنه محتمل لهذا الخطاب وأنه لازم له، فثبت أنه ذو حد في نفسه، وهو التصديق بالقلب، وغيره من الطاعات شرائعه. *والله أعلم*.

---

[1] ر – سورة الممتحنة؛ ث + وهي ثلاث وعشرون آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[2] ر: وقوله عز وجل؛ ن – قوله عز وجل.

[3] ر م – نحو.

[4] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[5] ن – ليس

[6] ر م: الحشرية.

وفيما ذكر من قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ[1] وما أشبهها من الآي دلالة[2] على أن الإنسان ما نشاهده،[3] وليس كما قال النظام:[4] إن الإنسان إنما هو جسم آخر لطيف في هذا الإنسان، ولا كما قال[5] الناشي:[6] إن الإنسان إنما هو جوهر[7] بسيط في هذا الإنسان. ووجه ذلك أنه ليس كل أحد يعلم أن في نفسه جوهرا بسيطا أو جسما آخر[8] لطيفا.[9] وقد فهم لكل من هذه الآيات أنه محتمل للخطاب بها فثبت بما وصفنا أن الإنسان هو ما نشاهده.[10] *والله أعلم.*

وفيه دلالة أن ما يُفهَم من هذه الآيات من عموم أو خصوص ليس يفهم بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة، فإن أوجبت عمومَها أجروها على عمومها وإن أوجبت تخصيصها أجروها على ذلك. والذي يدل على ما وصفنا أنه قال: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**، وهذا مخرجه في الظاهر على العموم، ولكنه لما قال: **تُلْقُون إليهم بالمودة**، -ومعلوم أن الذي كان يُلقِي[11] [إليهم][12] بالمودة خاصا لا كل المؤمنين- فكان يجب أن يكون مجراها على الخصوص لما بُيّن في سياق هذه الآية. ولكن الحكمة توجب[13] تعميم هذه الآية، لأنه لو قال لواحد: لا تتخذ عدوي وعدوكم أولياء، كان هذا الخطاب لازما لكل بما توجبه[14] الحكمة من أنه إذا علم من أحد عداوته أن لا يتخذه[15] وليا.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢١.

[2] ن + دلالة.

[3] ر م: ما يشاهد؛ ن ث: ما يشاهده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.

[4] إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة. توفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (*الأعلام* للزركلي، ٤٣/١).

[5] ر م: ولا كمال.

[6] الناشي الأكبر أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله الانباري المعتزلي. من كبار المتكلمين وأعيان الشعراء والنحويين. له تصانيف. توفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م (*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٤/٤٠-٤١؛ و*الأعلام* للزركلي، ١١٨/٤).

[7] ث + لطيف.

[8] جميع النسخ + فيه.

[9] ر ن م: لطيف.

[10] جميع النسخ: ما يشاهده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.

[11] ن: تلقى

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ر م: يوجب.

[14] جميع النسخ: كما يوجبه

[15] ث: أن لا تتخذه.

وكذلك قوله: **وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرجون الرسول وإياكم**، خرج مخرج العموم في الظاهر، ولكن الذين[1] أخرجوه إنما كان أهل مكة خاصة دون سائر الكفرة. فهذا يبين[2] أن ما أُجري مجرى العموم لم يجز بظاهر اللفظ ولكن لما توجبه[3] الحكمة والدليل.[4] وكذلك قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ،[5] الآية. ليس أن السعي إنما فُرض يوم الجمعة لتخصيصه بالذكر، ولكن لِما أن النداء في يوم الجمعة إلى ذكرَيْن[6] وفي غيره من الأيام إلى ذكر واحد، أو لأجل[7] أن النداء المضيَّق في يوم[8] الجمعة هو النداء الأول وفي غيره من الأيام هو النداء الثاني. فإذا جاز أن يكون فرض السعي في يوم الجمعة إنما هو لهذين المعنيين ثبت أن التخصيص ليس لظاهر اللفظ. *والله أعلم*.

وفي هذه[9] الآية دلالة رسالته[10] صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قوله: **تسِرُّون إليهم بالمودة**، يدل[11] أن ذلك الرجل لم يُطْلع على سره أحدا وقد أطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أخبر هم بالكتاب، فثبت أنه إنما علمه[12] بالوحي. *والله أعلم*.

ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية. فقال الحسن: إنها نزلت في أهل النفاق، وقال غيره من عامة المفسرين: إنها نزلت في حاطب بن [أبي] بلْتَعة،[13] وهذا أشبه التأويلين[14] بالصواب وأقرب إلى الحق.

---

[1] م: الذي.

[2] جميع النسخ: تبين.

[3] ر م: لم يوجب؛ ن ث: لم يوجبه.

[4] ث – والدليل.

[5] سورة الجمعة، ٦٢/٩.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بالذكرَيْن الفرضَيْن، يعني الخطبة وصلاة الجمعة.

[7] ر م: ولأجل.

[8] م: في اليوم.

[9] ن – هذه.

[10] ر: رسالة محمد.

[11] ر م – يدل.

[12] ر ث م: أنه علمه.

[13] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/٧٤–٧٨. «حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي (ت ٣٠هـ/٦٥٠م)، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة في الصحابة. وكانت له تجارة واسعة. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى المُقَوْقس صاحب الإسكندرية. ومات في المدينة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية» (الأعلام للزركلي، ٢/١٥٩).

[14] ر م: التأويل.

وذلك أن الله تعالى قال:[1] **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**، فقد أخبر أن الكفرة عدو لهم. ولو كانت الآية في أهل النفاق لم يكن الكفرة عدوا لهم، بل كانوا أولياء فثبت أن المراد منه[2] المؤمنون. *والله أعلم*.

وفي هذه الآية دلالة أن[3] ذلك الذنب الذي ارتكبه ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لأنه قال: **لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**، ولو كان ذلك الذنب يُكفره ويخرجه عن الإيمان[4] لم يكن ذلك الكافر عدوا له[5] بل يكون وليا له[6] بقوله: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[7] ولأجل أنه قال: **يا أيها الذين آمنوا**، سماه مؤمنا. والدليل على أن ذلك الذنب كان كبيرة أنه[8] أخبرهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهَّزهم للقتال، وفيما أخبر أمرٌ بأن يستعدوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وحربه.[9] ولا يُشكل أن من أَمر بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مرتكب كبيرة. وإذا كان كذلك وقد أدخله[10] الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**،[11] وبما وصفناه[12] من الدليل ثبت أن الكبيرة لا تُكفِره[13] ولا تغير[14] اسم[15] الإيمان عنه. *والله الموفق*.

[٧٩٨و] / ثم فيما نهانا أن نتخذ عدونا وعدوه أولياء دلالةُ أنْ ليس في الحكمة اتخاذُ الولاية مع الأعداء. ثم من قول المعتزلة أن الله تعالى أراد من جميع عباده أن يؤمنوا، وإذا أراد أن يؤمنوا[16]

---

[1] ر – قال.
[2] ن: به.
[3] ر – أن.
[4] ن: من الإيمان.
[5] ر م + يكون.
[6] ر م –له.
[7] سورة الجاثية، ١٩/٤٥.
[8] أي حاطب بن أبي بتعة.
[9] ث: وحزبه.
[10] ر م: أحله؛ ث: أخله.
[11] ر ث م – وعدوكم.
[12] م: وصفنا.
[13] ر ن م: لا يكفره.
[14] جميع النسخ: ولا يغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧ط.
[15] ر م: باسم.
[16] ث – وإذا أراد أن يؤمنوا.

فقد أراد أن[1] يواليهم مع علمه[2] أنهم يختارون عداوته. فكأنهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة ويدخله[3] في السفه والجهل بالعواقب. وذلك كله منفي عن الله سبحانه وتعالى، والمعتزلة فيما وصفوه[4] فجرة فسقة، ويخشى أن يكونوا كفرة. ***والله المستعان.***

وقوله عز وجل: **تُلْقُون إليهم بالمودة**، أي بما كتب في الكتاب.[5] وقوله عز وجل: **وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم**، وقوله: **إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي**، يحتمل أن يكون ذلك فيمن هاجر من مكة إلى المدينة وهو أقرب[6] التأويلين لأن حاطبا[7] إنما كان[8] هاجر من مكة إلى المدينة، وفيه نزلت الآية. ويحتمل أن يكون ذلك حين أرادوا الجهاد إلى مكة، والله أعلم أيَّ ذلك كان.[9] وقوله: **تُسِرّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**، أي هو أعلم بما أخفيتم مِن كِتْبَة[10] الكتاب إلى أهل مكة، **وما أعلنتم**، بما أظهرتم من العذر. وقوله عز وجل: **ومن يفعله منكم**، أي من اتخاذ الولاية مع أعدائه، **فقد ضل سواء السبيل**، في الاعتقاد إن اعتقد[11] ذلك[12] وفي الفعل إن لم يعتقده. ***والله أعلم***. ثم [في][13] قوله عز وجل: **تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**، إلزام[14] مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذير له ليجمعوا بين السر والعلانية، وتخويف لهم عن أن يُطْلِع رسوله[15] صلى الله عليه وسلم على سرائرهم كما أطلعه على[16] أمر الكتاب إلى أهل مكة.

---

[1] م – أن.

[2] ر: علم.

[3] ر م: ويدخل.

[4] ر م: وصفوا.

[5] أي بما كتب حاطب بن أبي بلتعة في مكتوبه إلى أقربائه.

[6] ن + إلى.

[7] ر م: حاطب.

[8] ن – كان.

[9] ن – كان.

[10] ر ن م: من كتبه.

[11] ر: في لاعتقد إن من اعتقد؛ ن ث: إن من اعتقد؛ م: في الاعتاد وإن من اعتقد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧ ظ.

[12] ن – ذلك.

[13] الزيادة من المرجع السابق.

[14] ر ث م: التزم.

[15] ر: رسول الله.

[16] ر م: علم.

ثم في هذه الآية أعظم شيء في زجرهم ونهيهم عن المعاصي، وذلك أنه لِما أطلعه على جميع ما يتعاطَونه من الذنوب سرا وعلانية؛ فإذا علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم من سرهم ما يعلم من علانيتهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى الإجابة إلى ما يدعوهم إليه. *والله أعلم*.

**﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم [وألسنتهم بالسوء]**،[1] فوجه ذلك وتأويله عندنا -والله أعلم- أنه لما رآهم رغبوا في أموالهم ومودتهم رغبةً منهم في الكفرة أن يحفظوا أولادهم وأموالهم أخبرهم أنْ كيف يرغبون في حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليكم وظفروا بكم قتلوكم وآذَوْكم بألسنتهم، فكأنه يقول: كيف توالونهم[2] من حيث تُسِرّون[3] إليهم بالمودة وهم لو ظفِروا بكم قتلوكم وكانوا لكم أعداءً.

وقوله عز وجل: **ووَدُّوا لو تكفرون**، يعني أنهم يودون أن تكفروا،[4] ومع ما يودون أن تكفروا[5] لو قدروا عليكم قتلوكم. فمن كانت حالهم معكم مثل هذا فكيف تطمعون أن يحفظوا[6] أولادكم وأموالكم.

**﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٣]

وقوله عز وجل: **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم**، له وجهان. أحدهما أن كيف تُوالون الكفرة لمكان أولادكم وأرحامكم وهم لا ينفعونكم يوم القيامة؟ والثاني أن أرحامكم لا تنفعكم ولا تشفع لكم[7] يوم القيامة. وقوله: **يفصل بينكم**، [له وجهان.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٨و.
[2] جميع لنسخ: توالوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ل: يسرون.
[4] ر ث م: أن يكفروا.
[5] ر ث م: أن يكفروا.
[6] ث: يحفظوا
[7] جميع النسخ: لا ينفعكم ولا يشفع لكم. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدهما][1] أي بينكم وبين أرحامكم، لقوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ.[2] والثاني[3] أي يفصل بينكم وبين أرحامكم لاختلاف أعمالكم، فينزل[4] كل واحد منكم منزل عمله.

**﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**، الآية. الأصل في أنباء المتقدمين أنها عِبَر هذه الأمة. فما ذُكر منها في المؤمنين[5] منهم فهو تذكير للمؤمنين من هذه الأمة وتعليم لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل المؤمنون[6] منهم بكَفَرتهم[7] من سائر الأمم، وما ذُكر[8] منها في الكفرة من الأمم الماضية فهو تخويف لكفرة هذه الأمة لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجب أولئك. وما كان منها في حق الرسل عليهم السلام فهو في حق التسلي لرسولنا وسيدنا[9] صلى الله عليه وسلم عن بعض ما مسه. وأصلٌ آخرُ أن الخطاب قد يلزم المخاطَب مرة بما يخاطَب في نفسه، ومرةً بما يؤمر بالاقتداء بغيره إذا كان ذلك الغير لم يفعل ما فعله إلا عن أمر.

ثم إن الله تعالى أمر المؤمنين من هذه الأمة الاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه[10] من المؤمنين وأخبرهم عن معاملتهم إياهم[11] وتركِ موالاتهم. فكأنه قال: اتركوا موالاة الكفرة

---

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٢١٨و.
[2] سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٥.
[3] ن – والثاني.
[4] ر: فنزل.
[5] ن – أنها عبر لهذه الأمة فما ذكر منه في المؤمنين.
[6] ر م: المؤمنين.
[7] جميع النسخ: يكفر بهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: وقد ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – وسيدنا.
[10] ن: ومن معهم.
[11] ن – عن معاملتهم إياهم.

والإسرارَ إليهم بالمودة ما داموا على كفرهم، كما فعله إبراهيم عليه السلام، **والذين معه**[1] **إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآء منكم**. فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا كفعلهم. **إلا قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك**. فكأنه قال:[2] اقتدُوا بهم إلا بما قال إبراهيم لأبيه **لأستغفرن لك**. يعني [٧٩٨ظ] لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر إبراهيم عيه السلام لأبيه المشرك، ؛ لأنكم لا تعلمون المعنى الذي له استغفر إبراهيم عيه السلام لأبيه.

ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر إبراهيم لأبيه. فقال أبو بكر [الأصمّ]: إنه كان صلوات الله عيه وعد أن يستغفر لأبيه، ورأى أن إنجاز[3] الوعد لازم عيه فاستغفر لهذا المعنى.[4] وقال الحسن: إنه[5] إنما استغفر له لوقت توبته لا في حال الشرك، لأنه لا يتوهم أنه لم يعلم أنه لا يحل له أن يستغفر للمشرك، ومن عم أنه يحل له لم يكن مسلما مؤمنا. فثبت أنه[6] إنما استغفر لوقت إسلامه. وعندنا الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة من الله تعالى على وجهين. أحدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم. والثاني أن يوفقه للسبب الذي إذا جاء به غَفَر له، ألا ترى إلى قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾،[7] أي اطلبوا منه[8] السبب الذي إذا جئتم به غفر لكم. وإذا كان كذلك جاز أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه على هذا الوجه: أن يكون طَلَبَ من الله تعالى التوفيق له[9] بالسبب الذي إذا جاء به غفر له وذلك مستقيم، ولكنه لما تبين له[10] أنه لا يوفقه لذلك السبب تبرأ منه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما أَمْلِك لك من الله من شيء**، أي لا أملك أن أدفع منك عذاب الله من شيء، أو لا أملك أن أهديك دون أن يهديك الله. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾،[11] فكأنه قال: سوى أن أدعوَ لك بالتوفيق للهداية لا أملك لك من عذاب الله من شيء.

---

[1] ه + من المؤمنين وأخبرهم عن معاملتهم إياهم وترك موالاتهم.
[2] ر: قالوا.
[3] جميع النسخ: أن إيجاب.
[4] ث: لمعنى.
[5] ن – إنه.
[6] ر ث م – أنه.
[7] سورة نوح، ٧١/١٠.
[8] ر م – اطلبوا منه؛ ث – منه.
[9] ن – له.
[10] ر ث م – له.
[11] ر ث م – ألا ترى إلى قوله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. سورة القصص، ٢٨/٥٦.

وقوله عز وجل:[1] **ربنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنَا**، يجوز أن يكون هذا عند المنابذة وإظهار العداوة مع الكفرة، يعني عليك مُعْتَمَدُنَا في النصر على أعدائنا عند قلة عددنا وكثرة عددهم، وإليك مرجعنا ومفزعنا، وإليك المصير إذا قُبِضنا.

**﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**، ذكر أهل التفسير أن تأويل هذه الآية يخرج على ثلاثة أوجه. أحدها أي لا تسلط علينا أعداءنا، فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.[2] أو لا تُنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل. أو لا توسّع[3] عليهم الدنيا وتُضيِّق علينا فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.[4] ولو كان التأويل هو الثانيَ لكان يجيء على هذا أن يكون الواجب على العدول من هذه الأمة أن يسألوا الله تعالى العافية لئلا يتوهم فُسّاقهم أنهم على الحق. ولكن الجواب عن هذا[5] أن الفساق من هذه الأمة قد علموا أن الذي هم فيه من الفسق محظور. وأما الكفرة فإن عندهم[6] أن ما يدينون به من الكفر[7] حق فإذا سُلِّطوا على المؤمنين توهموا أن الذي حسبوه حقا حق. وأما الفسقة من هذه الأمة إذ[8] علموا أن الفسق منهي عنه محظور فلا يقع[9] لهم هذا الحسبان. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن يكون المعني من قوله: **لا تجعلنا فتنة**، يعني عذابا، أي سببا يُعذَّب به الكفرة، كما قال: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ،[10] وكان تأويله أي[11] آتنا[12] السبب الذي نستوجب به[13] ما وعدتنا على رسلك، فكذلك الأول. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **واغفر لنا ربنا**،

---

[1] ر: قوله عز وجل.
[2] ث + ولو كان التأويل هو الثاني.
[3] ن: أو لا يوسع.
[4] ت – أو لا توسع عليهم الدنيا وتضيق علينا فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.
[5] ن: عن هذا.
[6] ر م: فإن عدوهم؛ ث: فإن عدهم.
[7] ر م: من الكفرة.
[8] ر م: إذا.
[9] ر ت م: ولا يقع؛ ن: ولا نقع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٨ظ.
[10] ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٩٤).
[11] ر ت م: أن.
[12] ر ث م: إيتاء
[13] جميع النسخ: يستوجب به. والتصحيح من المرجع السابق.

أي اغفر لنا الذنوب التي نستوجب بها[1] نصر[2] أعدائنا علينا.[3] وقوله عز وجل: **إنك أنت العزيز الحكيم**، **العزيز**[4] يعني المنتقم من أعدائه.

**﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**[٦]

وقوله عز وجل: **لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، يعني لقد كانت[5] لكم في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة تَحْسُنون بها[6] إذا اقتديتم بهم وأطعتموهم. وقوله عز وجل: **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، يحتمل معنيين. أحدهما أي لمن كان يرجو[7] ثواب الله تعالى. والثاني لمن يؤمن[8] بالبعث. وذلك أن الله تعالى وصف أمر البعث في كتابه بصفات مختلفة، مرة أضافه إلى نفسه، بقوله: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ،[9] وكان المعنى منه البعث؛ ومرة وصفه بصفة أخرى. وإن كان المراد منه[10] الثواب ففيه إخبار أن الراجيَ في الحقيقة هو الطالب لما يرجوه بالأسباب التي يرجو[11] الوصول بها إلى ما دُعِيَ وأُرْجِيَ. والخائف في الحقيقة هو الهارب عما حُذِّر، والمنتهي[12] عما نُهي عنه وحُظِر. فإن من اعتمد على مجرد الرجاء والخوف دون التمسك بسببهما[13] فهو مُتَمنٍّ[14] على الله تعالى. والدليل على تأييد ما نقوله[15] قوله عز وجل: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ.[16]

[1] ن ت: الذي يستوجب به. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٨ظ.
[2] ن: يصير.
[3] ر م – وقوله عز وجل واغفر لنا ربنا أي اغفر لنا الذنوب الذي نستوجب بها نصر أعدائنا علينا.
[4] ر م – العزيز.
[5] م: كان.
[6] جميع النسخ: يحسبون بها. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: يرجوا.
[8] ر ت م: والثاني أن يؤمن؛ ن: والثاني أي يوم
[9] سورة الكهف، ١٨/١١٠.
[10] ر م – منه.
[11] ر: يرجوا.
[12] حذروا المنتهي.
[13] ر م: سببه.
[14] ر ن م: متمني
[15] ر م: يقول؛ ن: نقوله.
[16] سورة البقرة، ٢/٢١٨.

أفلا تراه كيف حقق معنى الرجاء بالمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته؟ *والله أعلم*. وإن كان على البعث فكذلك أيضا لأنه إذا هرب عما نهي عنه وطلب لما أمر به فقد تبين أنه يوالي من يُفضي موالاتُه إلى ثواب الله ورحمته وأنه يعادي من يفضي عاقبة موالاته إلى نقمة الله[١] وعذابه. ومعلوم أنه لا يفعل ذلك إلا من يؤمن بالبعث، لأنه[٢] من لم يؤمن بالبعث[٣] فإنما يوالي من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره في هذه الدنيا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتول**، يعني من يتول عن طاعة الله فيما أمره من الاقتداء بهم **فإن الله هو الغني الحميد**، يعني عن طاعة الخلق، ليُعلَم أن ما أمرهم به[٤] لم يأمرهم لحاجة له في طاعتهم أو لمنفعة ترجع[٥] إليه، بل هو غني عن كل ذلك. وإنما أمرهم لحاجتهم إلى ذلك ولِما علم أن منافع طاعتهم ترجع[٦] إليهم خاصة. وقوله عز وجل: **الحميد**، له معنيان: معنى الحامد ومعنى المحمود. فإن كان المراد منه المحمود ففيه أن الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما أنعم عليهم. وإن كان المراد منه[٧] الحامدَ فمعناه أن الله يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير[٨] من الثواب عن القليل من الأعمال، أو[٩] يثني[١٠] عليهم بأعمالهم، فهو حميد من هذين المعنيين.

**﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: / **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير** [٧٩٩و]
**والله غفور رحيم**. إن الله أمر المؤمنين بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا كفارا، ثم وعد أن يجعل بيننا وبينهم مودة إذا آمنوا. فكان[١١] في هذا من أعظم الدليل على أن الخلق عند الله تعالى في كل حال على ما هم عليه في أحوالهم، وليس كما قال بعض الجهال:

---

[١] ن – ورحمته وأنه يعادي من يفضي عاقبة موالاته إلى نقمة الله.
[٢] ن: لأن.
[٣] ر م – لأنه من لم يؤمن بالبعث.
[٤] ن + لما.
[٥] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٨ظ.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع لسابق.
[٧] ر م – منه.
[٨] ن: بالكثير.
[٩] ن ت: إذ.
[١٠] ر م: أثنى.
[١١] ن + من.

إنه يؤمن في وقت من الأوقات فهو عند الله مؤمن في حال كفره، وهذا خلاف ما وصف الله تعالى في هذه الآية.[١] *والله أعلم*.

ثم المعتزلة قد خالفوا هذه الآيات وعاندوها على[٢] قولهم. وذلك أن الله تعالى قال: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[٣] ومن قولهم:[٤] إن من كان[٥] على خلاف مذهبهم[٦] فهو عدو لهم، ولا شك أنهم يوالونه ويصافونه[٧] وقد نهى الله تعالى عن هذا فهذا إحدى الخلافين. والثاني أن الله تعالى وعد أن يجعل بيننا وبينهم مودة. ومن قولهم: إنه لا يقدر على شيء من أفعال الخلق. فكان الله تعالى على قولهم وعد ما لا يقدر عليه، وهذا لا يليق بأسفه[٨] خلق الله فكيف برب العالمين؟ فثبت أنهم عاندوا هذه الآيات. *والله أعلم*. وخلاف ثالث أن الله سبحانه وتعالى[٩] وصف نفسه بالقدرة بقوله:[١٠] **والله قدير**، ومن قولهم: إنه ليس بقدير[١١] على شيء من أفعال الخلق. فأي خلاف أشهر من هذا وأظهر؟ *والله الموفق*.

**﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٨] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم**، لا يحتمل أن يكون النهي وغير النهي[١٢] في الإقساط

---

[١] في *الشرح* (ورقة ٢١٩و) في حذاء هذه العبارة: «في مسألة الموافاة».
[٢] ر: علمي.
[٣] الآية ١ من هذه السورة.
[٤] جميع النسخ: من قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[٥] ر م: إن كان.
[٦] ر: فذهبهم.
[٧] ن: ويضافونه؛ م: ويصادقونه.
[٨] ث: تأسفه.
[٩] ث: أن الله تعالى.
[١٠] ر ث م - بقوله.
[١١] ر ث م: يقدر.
[١٢] ر م – وغير النهي

لأن الإقساط هو العدل، وليس يَنهى عن العدل إلى من[١] كان وليا[٢] أو عدوا. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا،[٣] فقد أخبر أنه لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة، وإذا كان كذلك ثبت أن[٤] المراد من هذا النهي وغيره هو[٥] قوله: **أن تبروهم**. ثم الذي لم يُنْهَ عنه خلافُ ما نُهيَ في الظاهر لأنه قال: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم**، وقال فيما نهى: **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم**،[٦] ومعلوم أنه قد يجوز أن يُبَرَّ[٧] من لا يجوز أن[٨] يتولاه. ألا ترى إلى قوله: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا،[٩] ثم نهى عن تولى الكفار، بقوله: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.[١٠] ولكنه لمّا جاز أن يجتمع في نفس واحدة البر وترك التولي فكذلك جاز أن يأمر[١١] بالبر ممن ينهى عن التولي معه. *والله أعلم*.

ثم قوله تعالى:[١٢] **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**، يحتمل أن يكون المراد منه لا ينهاكم بل يأمركم، ويحتمل أن يكون معناه يُرخص لكم، كقوله: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[١٣] ومعناه بل خسرت، وإن كان قد يجوز أن تكون[١٤] التجارة إذا لم تربح[١٥] لا تخسر،[١٦]

---

[١] ر م: ما.
[٢] ن + كان.
[٣] سورة المائدة، ٨/٥.
[٤] ر م – أن.
[٥] ر ث م: وهو.
[٦] ر م: أن تبروهم.
[٧] ر م: أن نبرأ؛ ث: أن نبر.
[٨] ر م + لا.
[٩] ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (سورة لقمان، ١٥/٣١).
[١٠] الآية ١ من هذه السورة.
[١١] ر ث م: يؤمر.
[١٢] ن – تعالى.
[١٣] سورة البقرة، ١٦/٢.
[١٤] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[١٥] جميع النسخ: إذا لم يربح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: لا يخسر. والتصحيح من المرجع السابق.

فكذلك قوله تعالى: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**. بل يأمركم أن تبروهم.[1] ويحتمل أن يكون المراد بل يرخص لكم أن تبروهم. ***والله أعلم.***

ثم اختلفوا فيمن أمر ببرهم ونهى عن[2] توليهم.[3] فقال بعضهم: هم المستضعفون من أهل مكة الذين آمنوا في السر وخشُوا إظهاره من المشركين فأمر الله تعالى المؤمنين بالمدينة أن تبروهم بالكُتب إليهم ليحتالوا في انقياد أنفسهم؛ لأن المشركين من أهل مكة إذا علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لقتالهم كان يجوز أن يُخشَى على أولئك المؤمنين المستضعفين، فأمر هؤلاء أن تبروهم بالكتاب إليهم ليتأهبوا في أنفسهم ويحتالوا لما يُخشَى عليهم من المشركين. ***والله أعلم.***[4] وقال بعضهم: هذا في الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمةٌ، فأمر المؤمنين أن يبروا[5] أولئك في إيفاء[6] عهودهم إلى مدتهم، ونهاهم عن أن يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم.[7] وقال بعضهم: في النساء والولدان من المشركين، أمر المؤمنين أن يبروهم[8] بترك القتال وأن لا يتولَّوا من قاتلهم من جملة الرجال[9] من المشركين[10] بل يقاتلونهم.[11]

ثم قال: **ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**، أي من[12] يتولهم في الاعتقاد، **فأولئك هم الظالمون**، في حق الاعتقاد، أو من[13] يتولهم في الأفعال **فأولئك هم الظالمون**، في حق الأفعال، كما وصفنا في قوله: فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.[14]

---

[1] ث: أن تبروكم.
[2] ر م – عن.
[3] ن ث: عن توليتهم.
[4] ن + والله أعلم.
[5] جميع النسخ: أن تبروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[6] ر م: في إبقاء.
[7] ن – إلى مدتهم ونهاهم عن أن يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم.
[8] جميع النسخ: أن تبروهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – الرجال.
[10] جميع النسخ + من الرجال.
[11] جميع النسخ: بل يقاتلوهم. والتصحيح من المرجع السابق
[12] ر م: ومن.
[13] ن ث: أو ومن.
[14] أي في آخر تفسير الآية ١ من هذه السورة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اَللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٠]
﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات**، المعنى عندنا -والله أعلم- إذا جاءكم المؤمنات[١] يعني قائلاتٍ إنهن[٢] مؤمنات **فامتحنوهن**، لأنه لو كان على حقيقة الإيمان لم يكن لقوله: **فامتحنوهن**، معنى فلما أمر بالامتحان ثبت أن تأويل قوله: **إذا جاءكم المؤمنات**، ما وصفنا بدءًا. ومثال[٣] هذا ما قال:[٤] مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ،[٥] وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فكذلك يجوز أن يكون المعنى من الأول ما سبق[٦] ذكره. ***والله أعلم***.

ثم إن المفسرين ذكروا وصف امتحانهن أنهن يحلفن بالله ما أخرجهن من دارهن بُغض أزواجهن، أو يحلفن أنهن ما أردن بخروجهن أرضا سوى أرضهن، وإنما أردن / بذلك الإسلام. [٧٩٩ظ]
وهذا تأويل فاسد، وذلك أنها إذا أسلمت كان الحق[٧] عليها في دينها أن تبغض[٨] زوجها الكافر، كقوله تعالى: وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ،[٩] فكيف يجوز أن يكون صفة امتحانهن ما ذكروا وحكم الشريعة والدين[١٠] يوجب ما كُنّ[١١] يفعلنه؟

---

[١] ر م: المؤمنون.
[٢] ن: أيهن.
[٣] ر م: ومثل.
[٤] ن – ما قال.
[٥] سورة النحل، ١٠٦/١٦.
[٦] ن: يسبق.
[٧] ر: لمحق.
[٨] جميع النسخ: أن يبغض. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢١٩ظ.
[٩] الآية ٤ من هذه السورة.
[١٠] ن: والدين.
[١١] ر: قوله.

فلذلك[1] قلنا: إن هذا التأويل الذي[2] ذكره بعض المفسرين في وصف الامتحان غير مستقيم. ويجوز أن يكون تأويل امتحانهن على وجهين. أحدهما أن يُسْتَوْصَفْن عن الإيمان ما هو؟ فإذا أخبرن عن حقيقة الإيمان عُلم أنهن مؤمنات. والثاني أن يُعْرَض[3] عليهن ما على[4] المؤمنات في إيمانهن، كما قال تعالى: وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ.[5] فإذا قبلن ذلك كله كان ذلك امتحانهن. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **الله أعلم بإيمانهن**، هذا يدل على أن الذي كُلِّف به المؤمنون من امتحانهن إنما هو بما يعلمون[6] من إيمانهن في الظاهر وأن الحقيقة إنما يعلمها رب العالمين.

وهذا يبين[7] أن العلم علمان: علم العمل وعلم الشهادة. فعلم العمل ما يعلمه الخلق في الظاهر فيعملون به. وعلم الشهادة ما يجوز أن يُشهد على الله به وذلك إنما يوصل إليه[8] بما يُطْلعهم الله عليه نصا: إما بكتاب أو بسنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلم العمل هو الذي ينساغ[9] فيه الاجتهاد نحو خبر الآحاد وجهة القياس وغير ذلك.

وقوله عز وجل: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**. ذكر في القصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عام الحديبية مشركي أهل مكة على أن من أتاه من أهل مكة فهو عليهم ردٌّ، ومن أتى مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم، وغير ذلك، وكتب بذلك كتابا وهو بالحديبية. فلما فرغ من الكتاب إذ أتت سُبَيْعَة [بنت الحارث الأسلمية] مسلمة فجاء زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رُدّ عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت لنا ذلك وهذه طينة لم تَجِفَّ[10] بعد، فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**،[11]

---

[1] ر م: فكذلك.
[2] ث – الذي.
[3] ر م: والثاني ليعرض.
[4] ر: ما علمي.
[5] الآية ١٢ من هذه السورة.
[6] ر م: إنما هو لما يعلموا؛ ن: إنه هو ليعلموا؛ ث: إنما هو لما يعلموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩ظ.
[7] ن ث: تبين.
[8] ر م + وذلك.
[9] م: يسوغ.
[10] ر م: طينة لم يجف.
[11] *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٥٦/٨.

يقول لا تَرُدّوهن إلى أرواجهن الكفار **لا هن حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن**، يقول: لا يحل نكاح مؤمنة لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة.

وقوله عز وجل: **وآتوهم ما أنفقوا**، يقول: أَعْطُوا زوجها الكافر ما أنفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم وبين المسلمين أن ما خرج من نساء أهل مكة إلى المدينة مؤمناتٍ لم يرجعوهن[1] إلى الكفار وأعطَوا أزواجهن[2] ما أنفقوا من المهور، وما خرج من نساء المسلمين مرتدات لم يَرُدّوا إلى المدينة وأعطَوا أزواجهن ما أنفقوا.

ثم معلوم أنه كان يأخذ[3] بإعطاء الصَداق وإيتاء ما أنفق غيرُ الذي أخذ الصداقَ ولكن كان يؤخذ به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظائره فيما تقدم. ولذلك قال أصحابنا: إن أهل الإسلام يأخذون من تجار أهل الحرب مُجازاةً[4] لما يأخذه أهل الحرب من تجار المسلمين، وإنما يؤخذ ذلك ممن كان من جنسه وإن كان ذلك غيرَ الذي أخذ منه. وعلى ذلك نقول:[5] إن المحنة قد[6] تجوز أن تستوي[7] على البر والفاجر، وإن ما ينزل بالآدمي من المحن[8] يجوز أن لا يكون جزاءً لما تعاطى من الذنوب والسيئات، لأن الله تعالى أن يمتحن عبده في هذه الدنيا مُبتدَأً. وأما في الآخرة فلا يؤاخذ[9] فيها أحد بذنبِ آخرَ بل يُجزَى كلٌّ بعمله إن شرا فشر وإن خيرا فخير. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**، يقول: لا إثم عليكم يعني المسلمين أن تتزوجوهن[10] إذا آتيتموهن مُهُورَهُنّ.

وقوله عز وجل: **ولا تمسكوا بِعِصَمِ الكوافر**، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمَتْ قبل زوجها، ثم أسلم بعد ذلك زوجُها،

---

[1] ر ث م: لم ترجعوهن.
[2] ر ث م: أزواجهم.
[3] ر ث م: يؤخذ؛ ن: يوجد.
[4] أي أجرة الجواز، أو رسم الجواز.
[5] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩ظ.
[6] ر م: وقد.
[7] جميع النسخ: قد يجوز أن يستوي. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: من محنة.
[9] ن: فلا يوجد؛ ث: فلا يؤخذ.
[10] ن: تتزوجوهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.

فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه[1] بالنكاح الأول قبل أن ينزل **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، فلما نزلت كان إذا أسلم الزوج وخرج إلى دار الإسلام انقطعت العصمة[2] بينه وبين امرأته.[3] وكذلك المرأة إذا خرجت وبقي الزوج. ثم قوله: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، قال بعضهم: أي يُعقَد الكوافر، فمن[4] كانت له امرأة بمكة كافرةٌ فلا يَعْتَدُّ[5] بالمرأة الكافرة فإنها ليست بامرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما. وقال بعضهم: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، حَظَرَ علينا الامتناع والكف والإمساك من نكاح المهاجِرة لأجل زوجها الحربي وعصمته، والعصمة المنع. والكوافر يجوز أن تتناول[6] الرجالَ، وظاهره في هذا[7] الموضع للرجال لأنه في ذكر المهاجِرات. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، يقول: إذا لحقت امرأة المسلم بكفار مكة فاسألوا مَهرها من أهل مكة ورُدّوا إلى زوجها. **وليسألوا ما أنفقوا**، يقول: إن جاءت امرأة من أهل مكة[8] مهاجرة إليكم فردوا على زوجها المشركِ ما أعطاها من المهر، وذلك من أجل العهد الذي كان بين أهل مكة وبين النبي صى الله عليه وسلم.

[٨٠٠و] وقوله: **ذلكم / حكم الله يحكم بينكم**، يقول: هذا[9] هو حكم الله[10] بين المسلمين والكفار من أهل العهد من أهل مكة في أن يرد بعضهم عى بعض النفقة أي المهر. وقوله: **والله عليم حكيم**، أي فيما حكم بين المسلمين و[بين][11] أهل العهد ما ذكرنا من الحكم.

وقوله: **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم**، يقول: إن لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من أهل الحرب ممن ليس بينكم وبينهم عهد ولها[12] زوج عندكم مسلم. **فعاقبتم**، أي [ف]أعقبكم مالا من الغنيمة، **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**،

---

[1] ر ن م – عليه.
[2] ن – العصمة.
[3] *تفسير ابن كثير*، ٨/١١٨-١١٩.
[4] ن: لمن.
[5] ر ث م: فلا تعيدن؛ ن: فلا يعتدن.
[6] جميع النسخ: أن يتناول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.
[7] ر م: في هذه.
[8] ن – وردوا إلى زوجها وليسألوا ما أنفقوا يقول إن جاءت امرأة من أهل مكة.
[9] ن – هذا.
[10] ر + يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله؛ م + يحكم بينكم.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] ر م: لها.

من المهر مما أصبتم من الغنيمة قبل القسمة. **واتقوا الله** فيما فرض عليكم من هذا،[١] **الذي أنتم به مؤمنون**. أي مصدقون فلا تنقصوه.[٢] *والله أعلم*.

وهكذا روي عن[٣] مسروق رحمه الله[٤] وعن الزهري أنه قال: مِن حكم الله تعالى أن يسأل المسلمون من الكفار مهر المرأة المسلمة إذا صارت إليهم ويسألَ الكفار من المسلمين مهر من صارت إلينا من نسائهم مسلمة، فأقر المؤمنون[٥] بحكم الله تعالى وأبى المشركون أن يُقروا بذلك فأنزل الله تعالى قوله: **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**.[٦] فأمر الله تعالى المسلمين إذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج إلى الكفار أن يردّوا إلى زوجها ما أعطاها من المهر من صداق كان في أيديهم مما يريدون[٧] أن يردوا إلى المشركين بمهاجَرَة امرأة منهم[٨] مسلمة إلينا، وإن لم يكن في أيديهم صداق وجب رده على أهل الحرب فعوضوهم من غنيمة[٩] أصبتموها.

وأصل هذا -والله أعلم- **وإن فاتكم شيء**، مما أنفقتم على أزواجكم ثم ظفِرتم على أعدائكم وغَنمتم **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم**، ما فات عنهم مما أنفقوا. فكأنه يقول: واسألوا أولئك الذين ذهبت نساؤكم إليهم ما أنفقتم. فإن سألتم ولم يعطوكم شيئا وفتكم ذلك من ذلك الوجه ثم قاتلتموهم وغنمتم[١٠] فأعطُوا الذين فات عن أزواجهم ما أنفقوا.

{قال رحمه الله:}[١١] اعلم بأن هذه الآية تنتظم[١٢] أحكاما. أحدها جواز الاجتهاد والعمل بالعلم الظاهر، فإنه قال: **فامتحنوهُنَّ ٱللهُ أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات**، أي بالاجتهاد والامتحان، **فلا ترجعوهن إلى الكفار**، وهذا حكم مبني على العلم الظاهر، دل أن العمل به جائز.

---

[١] جميع النسخ: عن هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.
[٢] ر ث م: فلا تنقصوه؛ ن: فلا ينقصوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م - عن.
[٤] ر: رحمة الله عليه.
[٥] ن: المسلمون.
[٦] *مفاتيح الغيب*، ٣٠٦/٢٩.
[٧] ر: فما أيديهم يردون؛ م: فيما أيديهم يردون.
[٨] ر م - منهم؛ ث + بينهم.
[٩] ر: فوصوهم من غنيمته.
[١٠] ث: وغنمتموهم.
[١١] ر: رحمة الله.
[١٢] جميع النسخ: ينتظم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٠و.

والثاني أن أحد الزوجين إذا أسلم في دار واحد: إما دار الإسلام أو دار الحرب هل تقع[1] الفُرقة بنفس الإسلام أو بانضمام شيء آخر إليه. قال بِشْر المَريسي[2] بأن الفرقة تقع للحال من غير انضمام شيء آخر إليه. وقال الشافعي: إن كانت المرأة مدخولا بها لم تقع[3] الفرقة حتى تحيض ثلاثَ حِيَضٍ، وإذا كانت غير مدخول[4] بها وقعت الفرقة للحال. وقال أصحابنا: إذا كانا[5] في دار الحرب فأسلم أحدهما لم تقع[6] الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض،[7] وإذا كانا في دار الإسلام ذِمّيَّيْنِ فأسلم أحدهما لم تقع[8] الفرقة حتى[9] يَعرِضَ السلطان الإسلام على الآخر فإذا عرض عليه الإسلام وأبى فرّق بينهما. فأما بِشر احتج بظاهر قوله تعالى: **إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ** -إلى قوله- **فلا تَرجعوهن إلى الكفار لا هن حِلٌّ لهم ولا هم يَحِلُّون لهن**، فقد أخبر أنه لا يحل واحد منهما[10] لصاحبه ولم يذكر شيئا آخر فلا يُقرَن به شيء آخر.

وأما أصحابنا رحمهم الله فإنهم احتجوا وقالوا: إن الفُرقة لا تقع بنفس الإسلام لقوله:[11] **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن**، فلو كانت الفُرقة واقعة بمجرد الإيمان لم يكن للامتحان معنى فلما لم يَذكر الحرمة إلا بالامتحان ثبت أن الفرقة لا تقع بمجرد الإيمان. ويجوز أن يكون مثال هذا قوله تعالى: ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ... وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ،[12] ثم قال: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ،[13] فلو كان الزنا يوجب الحرمة لم يكن هو راميا للزوجة، بل إذا قال لها: زنيتِ، فكأنه قال: لم يكن بيني وبينك نكاح. فلما ثبت رمي الزوجات بقوله: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ،

---

[1] ن: الحرب أو يقع.
[2] ر: المرسي.
[3] ن: لم يقع.
[4] ن: مدخولا.
[5] ر م: إذا كان.
[6] جميع النسخ: لم يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠ظ.
[7] ر ث م – حيض.
[8] جميع النسخ: لم يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: حين؛ ث – تحيض ثلاث حيض وإذا كان في دار الإسلام ذميين فأسلم أحدهما لم تقع الفرقة حتى.
[10] ر: منها.
[11] جميع النسخ: بقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] سورة النور، ٣/٢٤.
[13] سورة النور، ٦/٢٤.

ثبت أن الزنا لا يوجب حرمتها عليه. فكذلك الإيماد بمجرده لو كان يحرّمها على الأزواج لم يكن للأمر[١] بالامتحان معنى. فلما أمر بالامتحان على إيمانها بعد أن أظهرت في نفسها الإيمان ثبت أن الحرمة لا تقع بنفس الإيمان حتى ينضم إليه شيء آخر، وتبين أن العمل بظاهر الآية غير ممكن إذ لا يجرى على إطلاقها. **والله أعلم.**

ودليلٌ ثانٍ[٢] أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أسلموا، ثم أسلم نساؤهم من بعد، ثم لم يرو عن أحد منهم أنه جدد النكاح. ولو كانت الفُرقة تقع[٣] بنفس الإسلام من أحد الزوجين لكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتجديد النكاح. [فإن قيل: يجوز أن يكن إسلامهم جميعا معا. قلنا: هذا مما يخرج عن العادة والعرف وعما عليه الأغلب، فإنهم لو أرادوا أن يسلموا معا في كلمة تعذّر عليهم، وإذا كان كذلك ولم يخل أن يكون أحد منهم سبق إسلامه على إسلام زوجته ولم يرُو عنه تجديد النكاح][٤] ثبت أن الفرقة لا تقع[٥] بمجرد الإسلام. **والله أعلم.**

والوجه الثالث ما روي عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[٦] على اختلاف الأسباب باختلاف الدارين ونحوه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه[٧] أنهما على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث / حِيَضٍ إذا كانا في دار الحرب. وعن علي رضي الله عنه أنهما [٨٠٠ظ]
على النكاح ماداما في الهجرة. وعن عمر رضي الله عنه أنهما إذا كانا في دار الإسلام فأسلم أحدهما فهما على النكاح حتى[٨] يعرض السلطان الإسلام على الآخر. فهؤلاء قد ثبت عنهم أن الفرقة لا تقع بنفس الإسلام إلى[٩] أن يُضَامّهُ شيء آخر. ولم يثبت عن غيرهم خلاف ذلك فيكون إجماعا، فلذلك أخذ أصحابنا رحمهم الله تعالى بقولهم.[١٠] **والله أعلم.**

---

[١] ر م: الأمر.
[٢] ن: ثاني.
[٣] جميع النسخ: يقع.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٠ظ.
[٥] ن: لا يقع.
[٦] ت: عنهما.
[٧] ن – أجمعين.
[٨] ت: حين.
[٩] م: إلا.
[١٠] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٣٢٨-٣٣٣.

والربع[1] أن أحد الزوجين إذا خرج إلى دار الإسلام مهاجرا وبقي الآخر في دار الحرب تقع[2] الفرقة بينهما عندنا. وعند الشافعي لا تقع الفرقة بتباين الدارين، قال: لأن المسلم إذا دخل بأمان لم يبطل نكاح امرأته، وكذلك لو دخل حربي[3] إلينا بأمان لم تقع[4] الفرقة بينه وبين زوجته. وكذلك لو أسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج أحدهما إلى دار الإسلام لم تقع الفرقة؛ فعلم أنه لا مُعتبرَ[5] باختلاف الدارين في إيجاب الفرقة.

ولكنْ عندنا ليس معنى اختلاف الدارين ما ذكر إنما معناه أن يكون أحدهما من أهل دار الإسلام إما بالإسلام أو بالذمة، والآخرُ من أهل دار الحرب فيكون حربيا كافر. فأما إذا كانا مسلمين فهما من أهل دار واحدة وإن كان أحدهما مقيما في دار الحرب والآخر في دار الإسلام. وفي هذه الآية دلالة على ما قلنا من وجوه. أحدها أنه قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان الزوج أولى بها[6] وبأن يكون معه، فلا معنى للنهي عن الرجع إلى الزوج الكافر. وكذا قال عز وجل: **لا هُنّ حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن**، أثبت الحرمة بين المهاجرات وأزواجهن، ولا يتصور بقاء النكاح في غير محل الحل، أو كان معناه تحريم الاستمتاع. ولكن النكاح لما لم يكن المقصود به[7] إلا الاستمتاع وما هو[8] من آثاره فكان في تحريم الاستمتاع تحريمُ النكاح. وكذا قوله تعالى: **وآتوهم ما أنفقوا**، دليل عليه أيضا، فإنه أمر برد مهرهن إلى الزوج، ولو كانت الزوجية باقية لما استحق الزوج استرداد المهر، لأنه لا يجوز أن يستحق البُضع وبدَلَه. وكذا قوله تعالى: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**، ولو كان نكاح الأول باقيا لما جاز للمسلم في دار الإسلام أن يتزوجها. وكذا قال الله تعالى: **ولا تُمسكوا بِعِصَم الكوافر**، نهانا عن الإمساك والامتناع من تزويجها[9] لأجل عصمة الزوج الكافر وحرمته؛ دل أن الحرمة تقع[10] بالتباين.

[1] جميع النسخ: والثالث.
[2] ن: يقع.
[3] ت: عربي.
[4] جميع النسخ: لم يقع.
[5] ر ت م: لا يعتبر.
[6] ر م: بهما.
[7] م – به.
[8] جميع النسخ: وما هذا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢١و.
[9] م: عن تزويجها.
[10] ن: يقع.

ودليل آخر من جهة المعقول على ما ذكرنا وهو أنهم أجمعوا أنها إذا سُبِيَت وقعت الفُرقة حتى يحلّ للسابي وطء المسبية بعد الاستبراء. فأما أن تقع الفرقة[1] بإسلامها وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على أنه لا تقع[2] الفرقة بنفس الإسلام إذا كان بعد الدخول ما لم ينضمّ إليه شيء آخر أو بحدوث[3] المِلْك للسابي. ومعلوم أن المِلْك لا يمنع النكاح. ألا ترى أنه يجوز ابتداء العقد على المملوكة.[4] وهذا إذا بيعت الجارية لم تقع الفرقة وإن وجدت المِلْك فيها للمشتري. وكذلك إذا مات رجل وخلف أَمَةً منكوحة ثبت المِلك فيها للوارث ولا يبطل النكاح. وإذا لم يثبت الفرقة بهذين الوجهين لم يبق إلا تباين الدارين. فدلّ أن سبب الفرقة هو تباين الدارين في المسبِيَة[5] والتباينُ موجود في المهاجرة. *والله أعلم*.

فإن احتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رد النبي صلّى الله عليه وسلم بنته زينب على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول بعد سنين، وقد كانت زينب هاجرت إلى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة، ثم ردها عليه بالنكاح الأول، فدل أن اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة.[6]

فنقول له: لا يصح الاحتجاج به من وجوه. أحدها أنه[7] ردها بعد ستِ سنين بالنكاح الأول، ولا خلاف بين الفقهاء أنها لا ترد[8] إلى الزوج بالعقد الأول بعد انقضاء ثلاثِ حِيَضٍ، ومعلوم أنه ليس في العادة أن لا تكون[9] ثلاث حيض في ست سنين، فسقطَ الاحتجاج به.

والثاني أنه روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في اليهودية تُسلِم قبل زوجها: إنها[10] أملكُ بنفسها، فكان من مذهبه أن الفرقة وقعت بإسلامها.[11] والراوي متى عمل بخلاف ما روى دل على انتساخ ذلك، إذ لا يُظَنّ به أنه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] ن – حتى يحل للسابي وطء المسبية بعد الاستبراء فأما أن تقع الفرقة.
[2] ن: لا يقع.
[3] ر م: وبحدوث.
[4] ر م: المملوك.
[5] ن: في المسبة.
[6] تفسير ابن كثير، ١١٩/٨.
[7] ن + قد.
[8] جميع النسخ: لا يرد.
[9] جميع النسخ: أن لا يكون.
[10] ن: إنما.
[11] أحكام القرآن للجصاص، ٥/ ٣٣١.

والثالث أن عمرو بن شعيب روى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب رضي الله عنها على أبي العاص بنكاح ثان،[1] فوقع التعارض بين الحديثين فبطل احتجاجه بالحديث. ثم الترجيح لما روينا لأن فيما رواه إخبارا[2] عن كونها زوجة له بعد ما أسلم الزوج ولم يُعلَم حدوث عقد ثان.[3] وفي حديث عمرو بن شعيب إخبار عن حدوث عقد ثان بعد إسلامه، فيكون أولى من الأولى، لأن الأول إخبار[4] [عن ظاهر الحال].[5] والثاني إخبار عن معنى حادث عَلِمَه. وهذا كما رجّحنا حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي / صلى الله عليه وسلم [٨٠١و] تزوج ميمونة وهو مُحْرِمٌ على حديث يزيدَ [بن][6] الأصم أنه تزوجها وهو حلال، لأن في حديث ابن عباس رضي الله عنه إخبارا عن حالةٍ حادثة وأخبر الآخر عن ظاهر الأمر الأول. وكحديث[7] بَرِيرَة[8] أنه كان زوجُها حرا حتى أُعتقت. ورواية من روى أنه كان عبدا يكون الأول أولى [منها] لإخباره عن حالٍ حادثة وفي الثاني[9] إخبار عن ظاهر الحال، فكان الأول أولى فكذلك هذا.[10]

والرابع أن المهاجِرة لا عِدّة عليها عند أبي حنيفة رحمه الله[11] وعلى قولهما عليها العدة. وهذه الآية دليل أبي حنيفة رحمه الله[12] من وجوه. فإنه عز وجل قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، نهى عن الرد إلى الزوج الأول، ولو كانت عليها العدة لكان للزوج أن يردها إلى مسكنه لِتَعتدّ.[13] ألا ترى[14] إلى قوله تعالى: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ،[15]

[1] ر ن: ثاني. تفسير ابن كثير، ١١٩/٨.
[2] ر ن م: إخبار.
[3] ر م: ثاني.
[4] ر ث م – فيكون أولى من الأولى لأن الأول إخبار؛ ن + عن حدوث عقد ثان بعد إسلامه.
[5] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٢١و.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر ث: وحديث؛ م: وحديث.
[8] م: بريدة. مولاة عائشة أم المؤمنين. (الاستيعاب لابن عبد البر، ٨٧٦؛ والإصابة لابن حجر، ٥٠/٨).
[9] ر ث م – الثاني.
[10] انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي، ٨٢/٣.
[11] ر: رحمة الله.
[12] ر: رحمة الله.
[13] ر ن م: لتعيد.
[14] ن: ألا يرى.
[15] سورة الطلاق، ٦/٦٥.

كيف أمر الأزواج بإسكانهن في بيوتهم ما دمن في عدتهن. فلما قال هاهنا: **فلا ترجعوهن إلى الكفار**، دل على أن[١] لا عدة عليها، وكذا قال: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن**، فأباح نكاحها مطلقا من غير ذكر العدة، وكذا قال: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**. ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت العصمة[٢] باقية بقوله: فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا.[٣] ألا تراه كيف جعل العدة في حقه وإذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته، وقوله: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**،[٤] يوجب[٥] قطع العصمة. فما كان في إيجاب العدة إبقاء العصمة بينهما ونهى الله تعالى عن ذلك فقطعناها وأسقطنا العدة عنها. ***والله أعلم***. ولأنهم أجمعوا أنها إذا سُبِيت وقعت الفُرْقة وسقطت العدة، والمِلك ليس بسبب لإسقاط العدة ولكنه سبب لنقض العدة، فلما سقطت العدة عند السبي والمهاجرة، والسبي لا يوجب الإسقاط، دل سقوط العدة لاختلاف الدارين. ***والله أعلم***.

والخامس فيه دليل على أن الكتاب يجوز أن ينسخ حكمه بترك الناس العملَ، فإن في قوله: **وآتوهم ما أنفقوا**، وقوله: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، الحكم متروك من غير أن يكون في تركه كتاب أو سنة. ولكن الناس لما أجمعوا على تركه [تُرك].[٦] وهذا وأمثاله [من قوله: وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ][٧] في حكم عرفٍ ثبوتُه على الخصوص لمعنى، ثم ينعدم المعنى. فأما ما لا يُعقل[٨] معناه يجب العمل بالكتاب ولا يُترَك بترك الناس، ولا يجوز لهم الإجماع على تركه ولا يتحقق الإجماع على ذلك. وبعض أصحابنا قالوا: إنه صار منسوخا بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ،[٩] وبقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يَحل مالُ امرِئٍ مسلم إلا من طِيبَة من نفسه».[١٠] ***والله أعلم***.

---

[١] ر – أن؛ م: أنها.
[٢] ر م – العصمة.
[٣] سورة الأحزاب، ٣٣/٤٩.
[٤] م – ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت باقية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ألا تراه كيف جعل العدة في حقه وإذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر.
[٥] ن: توجب.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢١ظ.
[٧] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠). الزيادة من المرجع السابق.
[٨] ن: لا تعقل.
[٩] سورة النساء، ٤/٢٩.
[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٧٢.

والسادس في قوله تعالى: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، دلالة على أنه سَوّى في الحكم بين أموالنا وأموالهم. ثم الإجماع جرى على أنا إذا غلبنا على أموال أهل الحرب ملكناها، فكذلك إذا غلبوا على أموالنا يجب أن يملكوها. وفيما أوجب من الحرمة إذا جاءت النسوة إلينا مؤمنات مهاجراتٍ دلالةٌ على أن الأحكام في الأنفس مختلفة. وعلى هذا ما خَلَّف كل واحد منهما من المال في الدار التي هاجر منها إلى[1] أخرى أنه يصير فَيْئًا، لما لم يُرْوَ عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح مكة أن يكون تَفَحَّص عن شيء من تلك[2] الأموال التي كانت مُخَلَّفة[3] حين هاجروا إلى المدينة. فلا بد أن يكون ذلك للتوارث[4] أو لما ذكرنا أنها تكون فيئا لهم. ومعلوم أن التوارث بين أهل الإسلام وأهل الكفر منقطع، وإذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الآخر. *والله أعلم*.

والسابع في قوله: **ذلكم حُكْمُ الله يَحكم بينكم**، دلالة على وجوب العدل بين الأعداء، وهو كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا،[5] وقال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا،[6] وقال هاهنا: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، سوّى بين أموالنا وأموالهم وهو العدل، فكأنه يقول: ذلكم[7] أَمْر في العدل بينكم وبين أعدائكم حكم الله يحكم بينكم. لكن إذا علموا أن العداوة لا تحملكم[8] على ترك العدل حَمَلَهم ذلك على التآلف والتعاطف،[9] وعلموا أنكم إذا تركتم شهواتكم واتبعتم[10] العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم، ولكن من عند الله تعالى، فيرغِّبهم[11] ذلك في الإسلام. فكأنه قال: ذلك الذي أَمَرَ من العدل وجعله سببا يرغِّب[12] أعداءكم في الإسلام ويحملهم على التآلف: **حكم الله يحكم بينكم**.

---

[1] ر: التي.
[2] ر م: من ملك.
[3] جميع النسخ: مختفة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢١ظ.
[4] جميع النسخ: ذلك التوارث. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة المائدة، ٥/٨.
[6] سورة المائدة، ٥/٢.
[7] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق
[8] جميع النسخ: لكي إذا علموا أن العداوة لا تحملكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: والتعطف.
[10] جميع النسخ: وأنفقتم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث ه: فرغبهم.
[12] ر ث ه: رغب.

والله **عليم حكيم**، يعني **عليم**[1] بما أمر من العدل والتسوية، **حكيم**، لا يلحقه الخطأ في التدبير. فدلّ أن العدل واجب بينهم. *والله*[2] *الموفق*.

والثامن في الآية دلالة على أن النساء إذا ارتددن لم يقتلن فإنه قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، فثبت أنهم إذا لم يعلموهن[3] مؤمنات رجعوهن[4] إلى الكفر لما كان جرى بينهم من الصلح. ومعلوم أنه إذا رُجعْن إلى الكفار بعدما أظهرن الإيمان كن مرتدات، ولو كانت المرتدة تقتل[5] لكان إذا ظهر ذلك عندهم قتلوها و لم يرجعوها إلى الكفار. فلما ثبت بما / وصفنا أنهم كانوا يصرفون النساء إليهم مع علمهم أنهن مرتدات ثبت أن المرتدة لا تقتل.[6] [٨٠١ظ] *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**، الآية، المبايعة[7] والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناهما اليوم واجب أيضا. وذلك أن الهجرة إنما كانت من مكة إلى المدينة لما كان أحدهم إذا أسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة[8] أن لو أقام بين أظهرهم، وكان أيضا يحتاج إلى علم الشرائع والأحكام، وإنما ارتفعت[9] الهجرة اليوم من مكة إلى المدينة.[10] فأما واحد من أهل الحرب إذا أسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة أنْ لو أقام بين أظهرهم فالواجب عليه أن يهاجر منها إلى دار الإسلام

[1] ر م – عليم.
[2] ر – الله.
[3] ر ث م: لم تعلموهن.
[4] ن: ترجعوهن.
[5] ن ث: يقتل.
[6] ن ث: لا يقتل.
[7] ث – المبايعة.
[8] ر ن: بالكفر.
[9] ر. تفعت.
[10] م – لما كان أحدهم إذا أسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة أن لو أقام بين أظهرهم وكان أيضا يحتاج إلى علم الشرائع والأحكام وإنما ارتفعت الهجرة اليوم من مكة إلى المدينة

ليأمن[1] فسادَ دينه ويتحصن[2] على عدم الشرائع. وأما المبايعة فإن معناها في النساء ترغيب الكفرة في الإسلام، وفي الرجال حمل الكفرة على الإسلام.[3] وذلك[4] أن الذي أُمرت به[5] النساءُ من المبايعة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، والكفرة إذا علموا أن هذا [دين][6] يؤمر فيه بمحاسن الأمور رغّبهم[7] ذلك في الإسلام. والذي أُمر به الرجال إنما هو من جهة النصر والمجاهدة مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يُظهر الإسلام ويبيّن.[8] وهذان المعنيان [واجبان][9] على كل في نفسه في زماننا هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **يُبايِعنَك على أن لا يُشرِكن بالله شيئا**، يتوجه إلى الاعتقاد والمعاملة جميعا. وقوله: **ولا يَسْرِقن**، يتضمن النهي عن الخيانة في الأموال كافة والنقصانِ عن العبادة جملة، لأنه يقال: أَسْرَقُ السارقِ مَن سرق مِن صلاته.[10] وقوله عز وجل: **ولا يزنين**، يحتمل أن يكون على حقيقة الزنى، ويحتمل أن يكون على حقيقة الزنى وعلى[11] دواعيه، على ما روي من قوله عليه الصلاة والسلام: «اليدان تزنيان والعينان تَزنِيان والرِّجْلان تزنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه».[12] وقوله عز وجل: **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن**، يحتمل أن يكون هذا[13] نهيا عن النميمة أن تَنِمّ[14] إحداهما على صاحبتها[15] فتورث[16] القطيعة؛

[1] ن: لتأمن.
[2] ر ث م: ويحصل.
[3] جميع النسخ: إلى الإسلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.
[4] م: فذلك.
[5] جميع النسخ: أمر به.
[6] ر م: – دين؛ ن ث + دينا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: رغبتهم.
[8] ر ن م: وتبين.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أسوأ الناس سَرِقَةً الذي يَسرِق من صلاته» قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها». أو قال: «لا يقيم صُلْبه في الركوع والسجود» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥٦/٣، ١١٠/٥).
[11] ن – على.
[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٤٤/٢، ٥٣٥.
[13] ر ث م – هذا.
[14] جميع النسخ: أي تنم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.
[15] جميع النسخ: على صاحبتهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] جميع النسخ: فيورث. والتصحيح من المرجع السابق.

أو يجوز أن يكون نهيا[١] عن إلحاق الولد بأرواجهن وهن يعلمن أنه من الزنى، وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.[٢] وقوله عز وجل: **ولا يعصينك في معروف**، يجوز أن يكون هذ كناية عن الأمر. لأنه بين النواهي والمناكير ثم قال: **ولا يعصينك في معروف**[٣] فكأنه أمرهن أن يَنْتَهِينَ عن هذه المناهي وأن يتبعن أمره. ألا ترى إلى قوله: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.[٤]

وقوله عز وجل: **فبايعهن واستغفر لهن الله**، ولم يقل هاهنا: فَامْتَحِنُوهُنَّ، كما قال في المهاجِرات.[٥] ومعنى ذلك عندنا وجهان. أحدهما أنه قد بين[٦] هاهنا وجه الامتحان بقوله: **ولا يُشركن بالله شيئا ولا يَسرقن ولا يزنين**، فاستغنى عن ذكر الامتحان. والوجه الثاني أن المهاجِرات إنما كُنّ يأتين من دار الحرب و لم يكن علمن الشرائع فاحتجن[٧] إلى الامتحان. وأما هؤلاء [فقد][٨] كن في دار الإسلام وقد علمن شرائعه فلم يَذكر الامتحان لذلك. *والله أعلم*. وقوله: **واستغفر لهن الله**، هذا يدل على أن الكبائر لا يُخرجن عن الإيمان لأنه يُعلَم أن الاستغفار لِمَا يجيء منهن من تضييع هذه الحدود، ولو خرجن بتضييعها من الإيمان لم يأمر النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن؟ لأن الاستغفار طلب المغفرة، ويستحيل أن يطلب منه مغفرةً مَن ليس له غفرانه. فدل على ما وصفنا أن ارتكاب الكبائر لا يخرج صاحبه من الإيمان. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم**، [يجوز أن يكون هذا في اليهود، لأنهم هم الذين غضب الله عليهم].[٩] فكأنّ الله عز وجل أمرنا أن نغضَب على من غضِب

---

١ ر ث م – أن تنم إحداهما على صحبتها فتورث القطيعة أو يجوز أن يكون نهيا.

٢ «روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ يقول: لا يُلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم» (*تفسير الطبري*، ٩٨/٢٨).

٣ ر ث م – يجوز أن يكون هذا كناية عن الأمر لأنه بين النواهي والمناكير ثم قال ولا يعصينك في معروف.

٤ ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (سورة التوبة، ٧١/٩).

٥ انظر: الآية ١٠ من هذه السورة.

٦ ر م: تبين.

٧ ر: فاحتجو

٨ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.

٩ لزيادة من الشرح، ورقة ٢٢٢ظ.

هو عليه وأن نُعاديَ من عاداه ونُواليَ من والاه. وقوله عز وجل: **قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور**، الآية[1] له تأويلان. أحدهما أن اليهود غيّروا نعت نبينا[2] محمد صلى الله عليه وسلم وحرفوه من التوراة؛ فكان في التوراة أن الله تعالى آيسهم من ثوابه في الآخرة **كما يئس الكفار من أصحاب القبور**، أن يُبعَثوا. ويجوز أن يكون معناه يئس[3] هؤلاء من رحمة الله كما يئس[4] الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى. ***والله أعلم***.[5]

---

[1] ن – الآية.
[2] ن – نبينا.
[3] ر م: ييأس؛ ث: يأيس.
[4] ث: يأيس.
[5] ر م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الصف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[١]

قوله[2] عز وجل: **سبح لله ما في السماوات وما في الأرض**، قال هاهنا: **سبح**، وقال في موضع آخر: يُسَبِّحُ،[3] ليعلم أن تسبيح[4] من ذكره تسبيح[5] غير منقطع، وأنه قد سبح حين كان ويسبح إلى أن يكون.[6] وفيه تسفيه أولئك الكفرة المتمردة. وذلك أن التسبيح والثناء في الشاهد إنما يرجعان إلى المسَبح والمُثْنِيَ لأنه لا يُثنَى إلا على من يستحق الثناء، ولا يسبَّح إلا من يستحقه. فإنما تسبيح المسبِّح وثناؤه خضوع له وتقرب إليه، وذلك يزيده شرفا ونُبْلا. فكأن الله عز وجل أخبر أنه قد خضع لله[7] تعالى واستسلم له،[8] وأتى بما فيه شرف له وزَين، وتقرب إلى ربه إلا الكفرةَ فإنهم تركوا التسبيح لله تعالى مع ما فيه من نُبْلهم وشرفهم وزَينهم. ***والله الموفق.***

---

[1] ر – سورة الصف؛ ث + وهي أربع وعشرون آيات مكية؛ م + وهي مدنية.

[2] ر: وقوله.

[3] انظر: سورة الجمعة، ٦٢/١؛ وسورة التغابن، ٦٤/١.

[4] ر م: أن يسبح.

[5] ر ث م – من ذكره تسبيح.

[6] أي إلى نهاية وجوده في العالم.

[7] ر ن م: خضع الله.

[8] ن: فاستسلم له.

[٨٠٢و] ويجوز أن يكون ذكر سفههم[١] أيضا[٢] من وجه آخر، وهو أنه لو كان لله تعالى بتسبيح[٣] شيء من الخلائق حاجةٌ لكان في تسبيح من ذكر كفايةٌ وغِنًى[٤] عن تسبيح الكفرة. ولكنهم تركوا التسبيح،[٥] والله تعالى غنيّ[٦] عنهم وعن تسبيحهم، فما تركوه إلا لسفههم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وهو العزيز**، يدل على أنه عزيز في ذاته وأنّ ترك التسبيح من الكفرة إياه لا يُذلّه، بل هو عزيز منيع. وقوله: **الحكيم**، يعني حكيم حيث جعل في الأشياء المتضادّة علمَ ربوبيته وآيةَ وحدانيته.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، قال بعضهم: هذه الآية** في أهل النفاق في القتال[٧] لأنهم تمنّوا القتال، فلما أمرهم الله تعالى به قالوا: [رَبَّنَا] لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ،[٨] فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**، أي لم تَعِدون ما لا تَفُونَ به. ومنهم من قال: إنها في بعض المؤمنين في القتال أيضا، وإنها على التقديم والتأخير. ووجه[٩] ذلك أنهم أحبوا أن يعملوا بأحب الأعمال إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى:[١٠] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ،[١١] الآية، وقولَه عز وجل: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا،[١٢] فلم يَفُوا بما وَعدوا، فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.**

---

[١] م: سعيهم.
[٢] ن - أيضا.
[٣] ر: تسبيح.
[٤] ن: وغناء.
[٥] ن + والله أعلم.
[٦] ن - غني
[٧] ث: في أهل القتال.
[٨] ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفّوا أيديَكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كُتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشيةً وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ (سورة النساء، ٧٧/٤).
[٩] ر: وجه.
[١٠] ر م - فأنزل الله تعالى.
[١١] الآية ١٠ من هذه السورة.
[١٢] الآية ٤ من هذه السورة.

ويجوز أن يكون هذه الآية في كل مؤمن، لأنه قد اعتقد كل من آمن[1] بإيمانه الوفاءَ بما وعده من الطاعة لله تعالى والاستسلامِ له والخضوع. فإذا[2] لم يف بما وعد خيف عليه في كل زلة أن يدخل في هذه الآية. وليس أحد من المؤمنين قد وَفَى بما وعد كلِّه، والواجب[3] عليه أن يتوب من ذلك توبة بليغةً.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **كبر مقتا عند الله**، المقت البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه[4] العقاب لا محالة. ولكنه يحتمل أن يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحلالَ ما نهاه الله تعالى، فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة. وإن كان فيمن ثبت على اعتقاده وزلَّ في أفعاله فالواجب أن تُقَسَّم[5] الذنوبُ فيَلزَمه الخوف فيها[6] على مراتبها ودرجاتها. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**، ليس فيه أن الله تعالى لا يحب المبارِز لأن الجهاد والقتال على المبارز أشد، وذلك أنه إذا كان في الصف أعانه على القتال غيره، فكان أمنه على نفسه في الصف أكثر. وأما المبارز فإنه وحده ليس له مُعين فإن ظَفِر على صاحبه وإلا هلك، فالخوف[7] عليه في ذلك أشد، فيجب أن تكون[8] المحنة فيه أكثر. ولكنه يجوز أن يكون الله تعالى علّمهم بهذه الآية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض ولتكون[9] كلمتهم واحدة، لأنهم إذا تفرقوا اختلفت آراؤهم فيخشَى عليهم الهزيمة والإدبار. وإذا كانت آراؤهم متفقة وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة، وذلك قوة في القتال وزيادة نصرة. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ش م: أمر.
[2] ن: وإذا.
[3] ن: وأما الواجب.
[4] ن: لزمته.
[5] جميع النسخ: أن يقسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢ظ.
[6] ر م – فيها.
[7] ر ش د: والخوف.
[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: وليكون.

ثم قوله[1] عز وجل: **كأنهم بنيان مرصوص،** قال بعضهم: ضَرَب هذا المثل لثبات، يعني إذا اصْطَفُّوا تبتوا كالبنيان المرصوص الذي يكون ثابتا مستقرا،[2] لا يتقض[3] بأدنى شيء. ومنهم من [قال:][4] ضَرَب هذا المثل لأن تكون[5] كلمتهم واحدة ويعينَ بعضهم بعضا. ويتبه أن يكون[6] للأمرين جميعا، لأنهم إذا تبتوا أعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة، وإذا كانت كلمتهم واحدة كان ذلك أدعى إلى الثبات وأقرب إليه، فلذلك قلنا: إنه يجوز أن يكون للأمرين جميعا. *والله أعلم.* ثم المحبة[7] تحتمل[8] وجهين. أحدهما الرضا[9] عن الخلق، والثاني الثناء عليهم بما يفعلون.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم،** يحتمل وجهين. أحدهما[10] تنبيه لهم وإعلام عن معاملة اعتادوها فيما بينهم من غير أن يعلموا فيها أذًى لموسى عيه السلام، نحوَ أن قال في حق رسولنا صلى الله عيه وسلم: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[11] فيجوز أن يكونوا لا يَعُدّون تلك[12] المعاملة أذى لموسى عيه السلام ولا يعلمونها، فأخبرهم أنها تؤذيه[13] لينتهوا عن ذلك. والثاني أنه يجوز أن يكونوا علموا أن ذلك[14] يؤذيه، ولكنهم عاندوه وكابروه

---

[1] ن: وقوله.
[2] جميع النسخ: التي تكون ثابتة مستقرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[3] ر: لا ينتقص.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: لأن يكون.
[6] ث – أن يكون.
[7] ر: ثم للحبة.
[8] جميع السخ: يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – الرضا.
[10] م – أحدهما.
[11] سورة الحجرات، ٤٩/٢.
[12] جميع السخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع السخ: يؤذيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] م + والتاني أنه يجور أن يكونوا عمموا أن ذلك.

فيخبرهم أن كيف تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم وقد علمتم[١] أن حق رسل الملوك التعظيم والتبجيل، فكيف [حق][٢] رسول رب العالمين؟ فأخبرهم[٣] أنهم يؤذونه شكاية منهم إليهم.

ثم اختلفوا في الأذى، فقال بعضهم: إن موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فآذَوه بأن قالوا: إن في بدنه آفة ومكروها. وقال بعضهم: إن موسى عليه السلام ذهب مع هارون عليه السلام إلى جبل، فقُبض هارون في ذلك الجبل، فآذَوه بأن قالوا: قتل موسى أخاه. ومنهم من قال: كانوا يؤذونه بألسنتهم حيث قالوا: أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً،[٤] وبقولهم: اِجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٥] وبقولهم:[٦] لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ.[٧] ولكن الوجه في ذلك[٨] أن لا يشار إلى[٩] شيء بعينه. فإن كان التأويل هو الوجه الأولَ: أنهم / آذوه من غير أن يعلموا أن ذلك [٨٠٢ظ] يؤذيه [فالجواب] أن لا يصرف إليه شيء من هذه الأوجه الثلاثة. وإن كان على الوجه الثاني فكذلك.[١٠] وإن كان على الوجه الثالث جاز أن يصرف إليه أي الوجوه منها. ***والله أعلم***.

ثم حقُّ هذه في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون بنو إسرائيل آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكّره الله تعالى أمر موسى عليه السلام وإيذاءهم إياه ليكون فيه تصبير[١١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين[١٢] لقلبه. أو يجوز أن يكون هذا تحذيرا لأصحابه عن أن يرتكبوا ما يُخاف أن يكون فيه أذاه عليه السلام.[١٣] ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وقد علموا.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[٣] ن: أخبرهم.
[٤] سورة النساء، ١٥٣/٤.
[٥] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.
[٦] ن: وقولهم.
[٧] سورة البقرة، ٦١/٢.
[٨] ر ث م – في ذلك.
[٩] ن: إليه.
[١٠] يبدو أن الإمام رحمه الله يقصد بالوجه الثاني ما قال قومه: قتل موسى أخاه، ويقصد بالوجه الثالث إيذاءهم بألسنتهم حيث قالوا ... إلى آخره.
[١١] جميع النسخ: تصبيرا. والتصحيح مستفاد من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧٧١ظ.
[١٢] جميع النسخ: وتسكينا.
[١٣] ن – عليه السلام.

وقوله عز وجل: **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**، له معنيان. أحدهما أن يقول: أزاغ الله قلوبهم، يعني خَلَق فعل الزيغ في قلوبهم، يعني خذلهم الله ووَكَلَهم إلى أنفسهم.

قالت المعتزلة محتجين علينا: إن الله تعالى قال: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ،[1] ذكر أنه إنما يضله بعد ما فَسَق وأنتم تقولون: إنه يضله وهو مهتدٍ.[2]

قلنا: إن هذا تمويه علينا، وذلك أنا نقول: إن الله تعالى يضله لوقت اختياره الضلال ويُزيغه لوقت اختياره الزيغ، وإذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة. مع أنهم يقولون: إن الله تعالى يضله بعد ضلالته بنفسه عقوبة له، ويزيد له هدى بعد اهتدائه ثوابا له؛ ولا يستقيم ذلك[3] لأنا قد نراه في الشاهد يكفر بعد إيمانه ويؤمن بعد كفره. وإذا كفر بعد ما كان مؤمنا وذلك وقتُ يزيده[4] الله تعالى هدى ثوابا لإيمانه المتقدم، فإذا كفر فكأن هداية الله تعالى [كانت][5] سببا لكفره. أو إذا آمن[6] بعد ما كان كافرا وذلك[7] وقت عقوبته بالكفر، فكأن عقوبة الله تعالى بالكفر على الكفر المتقدم كان سببا للإيمان، وهذا كلام مستقبَح.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الفاسقين**، يعني الذين علم الله منهم أنهم يختارون الظلم والكفر فلا يتوبون منه ولا ينقلعون فلا يهدي أولئك، وأما من علم منهم أنه يتوب ويُسلم فإنه يهديه. ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة**، قوله: **مصدقا**، يحتمل وجوها. أحدها أن يقول: جئت إليكم بالنعت[8]

[1] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[2] جميع النسخ: وهو يهدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[3] ر م: كذلك.
[4] ن: يريده.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ.
[6] ر: وإذا آمن؛ ن: أو إذا أمر.
[7] ر ث م: وذلك.
[8] ر ث م: بالبعث. والتصحيح من المرجع السابق.

التي وصفت في التوراة. أو **مصدقا** بالتوراة[١] وبكتب الله تعالى لِيُعلَم أن الرسل كان يَلزمهم التصديق[٢] بالكتب المتقدمة والرسل جميعا كما يَلزم ذلك أمتهم. أو يقول: **مصدقا**، يعني أمُرُكم بعبادة الله تعالى وتوحيده كما أُمرتم به في التوراة، ليعلم أن الرسل كان دينهم واحدا وأن كلهم يدعون إلى التوحيد وعبادة الرحمن. وأما الشرائع فقد يجوز اختلافها ولا يدل ذلك على اختلاف في الدين، لأن الشرائع قد تختلف[٣] في رسول واحد ولا يختلف دينه، فكذلك الرسل جميعا.[٤] *والله الموفق*. وقوله عز وجل: **ومبشِرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**، يعني مبشرا برسول يصدِّق بالتوراة على مثل تصديقي، فكأنه قيل له: ما[٥] اسمه؟ فقال: اسمه أحمد.

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بالبينات**، قال بعضهم:[٦] الذي جاء هم عيسى عليه السلام، وقال بعضهم: محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاءا جميعا. وقوله: **بالبينات**، أي بالبينات التي تُبيّن أن الذي جاء به إنما جاء من عند الله. وقوله: **[قالوا] هذا سحر مبين**، أو ساحر مبين.[٧] واختلفوا فيمن قيل له هذا. قال بعضهم: هو عيسى عليه السلام، وقال بعضهم: هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قالوا لهما جميعا. ويحتمل أن يكون هذا قول أكابر الكفرة للضعفاء منهم، وذلك أنهم لم يجدوا سببا للتمويه سوى أن نسبوه إلى السحر. وهذا يدل أنه جاءهم بالآيات المعجزة حيث نسبوه إلى السحر وقالوا: هذا سحر وإنا لا نعلم السحر. ولو كان الذي جاءهم به[٨] سحرا كانت حجة عليهم، لأنهم قد علموا أن الرسل لم يختلفوا إلى السحرة ولم يتعلموا منهم، وكان لا يتهيأ لهم اختراعه من تلقاء أنفسهم. فلو كان سحرا كانت حجة عليهم، لأنهم قد علموا ما ذكرنا، ولكن الله تعالى برّأه ونزّهه من السحر. *والله الموفق*.*

---

[١] ن – قوله مصدقا يحتمل وجوها أحدها أن يقول جئت إليكم بالنعت التي وصفت في التوراة أو مصدقا بالتوراة.

[٢] ر م – التصديق.

[٣] جميع النسخ: قد يختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ.

[٤] ر م – جميعا.

[٥] ر م – ما.

[٦] ث – على مثل تصديقي فكأنه قيل له ما اسمه فقال اسمه أحمد وقوله عز وجل فلما جاء هم بالبينات قال بعضهم.

[٧] قرأ حمزة والكسائي. ﴿قَالُوا هَذَا سَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ بالألف. وقرأ الباقون: ﴿سِحْرٌ﴾. *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٧٠٧.

[٨] ن – به.

* ورد هذا قسم من تفسير الآية ٨ متقدما فأخرناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٨٠٢ظ/ سطر ٣٣–٣٥.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[٧]

وقوله عز وجل: **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب**، أي ومن[١] أوحش ظلما وأقبح ظالما[٢] ممن بلغ افتراؤه المبلغ الذي[٣] يفتري على الله الكذب؟ لأنهم قد علموا أن ما نالوا من نعمة وكرامة[٤] فإنما نالوه بالله ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله. أو يقول: لا أحد أظلمُ ممن يفتري على الله الكذب. وذلك أن قوله: **ومن أظلم**، كلام استفهامٍ، ومعلوم أن الله تعالى لا يستفهم أحدا، وإذا كان كذلك كان حقُّ كلِّ ما خرَجَ مخرجَ الاستفهام أن يُنْظَر إلى جوابه: لو كان من[٥] مُستفهِمٍ فيُفهَم منه معنى قول رب العالمين. وإنما المفهوم
[٨٠٣و] من جواب من يُسْتَفْهَم عن مثل / هذا أن يقول: لا أحد أظلمُ ممن افترى على الله الكذب والله يدعوه[٦] إلى الإسلام، وهو أن يجعل الأشياء كلها سالمة له. فهو إذ علم أن ما ناله من نعمة فإنما ناله بالله تعالى وعَلِم الأشياء كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم، فإذ علم هذا فلا أحد أظلم منه حين افترى[٧] على الله الكذب. ***والله الموفق.***

**﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[٨]

[٨٠٢ظ س٣٣ *وقوله عز وجل: **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره**، **نور الله**، يعني دين الله أو كتاب الله أو رسل الله. وقوله: **بأفواههم**، أي ليست[٨] عندهم حجة ولا معنى
٨٠٢ظ س٣٥] يدفعون به هذا النور سوى أن يقولوا بألسنتهم: هذا سحر.*

وقوله عز وجل: **والله متم نوره**، له أوجه. أحدها بالحجج والبراهين، والثاني بنصر[١٠] أهله وغلبته، والثالث بإظهاره في الأماكن كلها. فإن كان على النصر والغلبة فقد كان حق

---

[١] ن: من.
[٢] ر م – ظلما.
[٣] ر ث م – الذي.
[٤] ر ث م: من نعمه وكرمه.
[٥] ر م – من.
[٦] ر م: يدعوا.
[٧] جميع النسخ: حتى افترى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤و.
[٨] ث. ليت.
* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٨٠٢ظ/ سطر ٣٣-٣٥.
[١٠] ر م: لينصر.

كان المشركون في خوف والمسلمون في أمن. ألا ترى إلى قوله: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ،[١] وإلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرةَ شهرَين».[٢] وإن كان بالحجج والبراهين[٣] فقد كان أيضا لأنهم عجزوا عن أن يأتوا بما يشبه أن يكون مِثْلا له فضلا[٤] من أن يأتوا بمثله. فدل أنه قد أتم نوره بالنصر والغلبة والبراهين والحجج. وإن كان المراد منه إظهارَه فإنه يرجى أن يظهره، على ما روي أنه إذا نزل عيسى صلوات الله عليه لم يبق على وجه الأرض دين إلا[٥] الإسلامُ.[٦] ثم قوله تعالى: **والله متم نوره**، ليس فيه أنه كان به شيء من الكَدَر فصفّاه، ولكن على ما ذكرناه من التأويل. فكذلك لا يجب أن يفهم من قوله: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،[٧] أنه كان ناقصا فأكمله بالشرائع، ولكنه على هذه الوجوه، يعني أظهر الدين بالشرائع التي وصفناها في قوله: **والله متم نوره**. ***والله أعلم***.[٨]

وقوله عز وجل: **ولو كره الكافرون**، وقال حين ذكر الإظهار: وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ،[٩] لأن هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال: **ولو كره الكافرون**، وأولئك أشركوا به في التوحيد فقال: وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. ***والله أعلم***.[١٠]

## ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى**، يعني بما لو اتبعوه اهتدوا به. وقوله: **ودين الحق**، له أوجه ثلاثة. أحدها أن يَجعل[١١] الحق كناية عن الله تعالى، فكأنه قال: ودينِ الله.

---

[١] سورة الرعد، ٣١/١٣.
[٢] جميع النسخ: شهرين. *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢؛ وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).
[٣] ر ث م – والبراهين.
[٤] ث – فضلا.
[٥] ر ث – إلا.
[٦] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٣٠٣/٩-٣٠٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٨٦/١٨.
[٧] سورة المائدة، ٣/٥.
[٨] ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.
[٩] الآية التالية.
[١٠] ث – والله أعلم.
[١١] أي من أراد تفسير كلمة الحق.

والثاني أن يجعل الحق نعتا للدين، فكأنه قال: والدين الذي هو الحق من بين سائر الأديان. والثالث أن يقول: والذي يحق على كل أحد قبوله والانقيادُ له. ***والله أعلم.***

وقوله: **ليظهره على الدين كله،** له وجهان. أحدهما أن يقول: **ليظهره** يعني يظهر رسوله عليه السلام على كل ما يُحتاج في هذا الدين من النوازل، فيكون فيه بيان أن ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في هذه النوازل إنما هو بالوحي وبما أظهره الله تعالى عليه. ويحتمل إظهارَ هذا الدين في الأماكن كلها.[1] {قال}: والدين هو الخضوع والاستسلام[2] لله تعالى، فحقيقته[3] أن يجعل الأشياء كلها سالمة له.

وقوله: **ولو كره المشركون،**[4] {قال الشيخ رحمه الله:} ويقتضي هذا: ولو كره المعتزلةُ، لأن إتمام نوره، إن كان بالحجج أو بالنصر والغلبة أو بإظهاره في الأماكن كلها فإنما يكون ذلك بأفعال العباد، ثم أضاف الله تعالى إلى نفسه، فثبت أن لله تعالى في أفعال العباد صنعا وتدبيرا. وأن[5] أفعالهم كلها مخلوقة لله[6] لا يخرج عن تدبيره ومشيئته. ***والله المستعان.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١١]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله.** الإيمان بالله أن يؤمن بأنه الواحد الأحد الصمد الفرد الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،[7] ويؤمنَ بأن له الخلق والأمرَ، وأنه قادر لا يُعجزه شيء، وعليم لا يخفى عليه شيء، وحكيم لا يخرج خلقه الأشياءَ المختلفة من السراء والضراء والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمة، وأنه ليس كما قالت الثنوية: إن خالق الظلمة[8] والشر والقبيح غير خالق[9] النور،

---

[1] ر م - كلها.

[2] ن: والإسلام.

[3] ر. محقيقة.

[4] ر ت م: الكافرون.

[5] ر م + كان.

[6] ن - لله.

[7] لعله يشير إلى سورة الإخلاص، ١١٢/١-٤.

[8] ن - والصحة عن حكمة وأنه ليس كما قالت الثنوية إن خالق الظلمة

[9] ن: خلاف

بل يَعْلمه أنه خالق كل شيء سواه من ظلمة ونور وسَرّاء وضَرّاء[1] وسُقْم وصحة؛ ولا على شبيه ما قالت المجوس: إن الله تعالى غَفَل غفلة فتولد منه الشيطان، بل هو لا يَغفُل عن شيء ولا يخفى عليه شيء؛ ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق حتى استجازوا[2] أن يكون له ولد؛ ولا على ما قالت القدرية: إنه لا يقدر شيئا من الشر ولا النَّقَم ولا الوجع؛ ولا علي ما قالت المعتزلة: إنه ليس له في أفعال العباد صنع وتدبير. بل يعلمه عليما بكل شيء، قديرا على كل شيء، متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق، متنزِها عن كل آفة وحاجة وعيب. فهذا هو الإيمان بالله تعالى عندنا. ***والله تعالى أعلم.***[3] والإيمان بالرسول أن يؤمن بأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق.

وقوله: **وتجاهدون في سبيل الله**، هذا على وجهين. أحدهما أن تقاتلوا[4] أعداء الله[5] تعالى. والثاني أن تجاهدوا[6] في طاعة الله تعالى وفيما دعا إليه من عبادته.[7]

والجهاد ينصرف إلى أنواع أربعة. جهادٌ في سبيل الله بمقاتلة أعدائه والاستقصاء في طاعته. وجهاد فيما بينه وبين نفسه، / أن يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها وشهواتها وعما يعلم [٨٠٣ظ] أنه يُهلكها[8] ويُرديها. وجهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يَدَع الطمع فيهم، وأن يُشفق عليهم ويرحمهم وأن لا يرجوَهم ولا يخافَهم.[9] وجهادٌ فيما بينه وبين الدنيا، وهو أن يتخذها زادا[10] لمعاده أو مَرَمَّةً[11] لمعاشه، ولا يأخذ[12] منها ما يضره في عقباه. وكل هذه الأنواع يستقيم أن يسميها جهادا في سبيل الله.

---

[1] ر م: وشر وضر؛ ث: وشر وضراء وسراء.
[2] ر م: أجازوا.
[3] ن ت: والله أعلم.
[4] جميع النسخ: أن يقاتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[5] ر م: أعدائه.
[6] جميع النسخ: أن يجاهدوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: من عادته.
[8] ن: يمكنها.
[9] جميع النسخ: ولا يخافوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: وردا.
[11] الرَّمّ والمَرَمَّة: إصلاح الشيء الذي فسد بعضه. ورمّه أيضا: بمعنى أكله. والمرمّة: متاع البيت. (*لسان العرب*، «رمم»).
[12] ر م: ولا يؤخذ.

ثم إن هذه الآية تنتظم مسائلَ ثلاثًا.[١] إحداها[٢] أن كيف أمرهم بالإيمان بعد قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا**. والثانية[٣] أن كيف يرجى له النجاة إذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد عُلّق بالكل؟ والثالث أن كيف يُخاف عليه العذاب إذا آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله وإن أتى[٤] بالكبيرة مع قوله: **تنجيكم من عذاب أليم؟**

أما الجواب عن المسألة الأولى أنه يحتمل أن يكون المراد من هذه الآية أهلَ النفاق، فيكون المعنى من قوله: **يا أيها الذين آمنوا**، يعني الذين آمنوا[٥] في الظاهر، **هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله**، أي تصدقون بقلوبكم. ويجوز أن يكون في أهل الكتاب أيضا، فكأنه قال عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا**، بالكتب المتقدمة آمِنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب؛ هذا إذا كان في الكفار. فأما إذا كان هذا[٦] في المؤمنين يجوز أن يكون أَمَر بالإيمان مِن بعد ما آمنوا بمعنى الثبات عليه أو الزيادةِ أو بحق[٧] التجدد؛ لأن الإيمان[٨] في حادث الأوقات له أسماء ثلاثة: الزيادة والثبات والتجدد. وذلك أن الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،[٩] ومرة باسم الثبات بقوله: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَفِي الْآخِرَةِ]،[١٠] ومرة باسم الإيمان[١١] بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ.[١٢] فإن كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى، وذلك أن الزيادة والثبات هما اسمان ينطلقان على فعل دائم، وفعل الإيمان مُنْقَضٍ[١٣] ولكنه يجوز أن يكون الله تعالى بلطفه جعل المنقضيَ كالدائم،

---

[١] جميع النسخ: ينتظم مسائل ثلاث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[٢] ر م: أحدها.
[٣] جميع النسخ: والثاني.
[٤] ر م: وأتى.
[٥] ر ث م – يعني الذين آمنوا.
[٦] ر ث م – هذا.
[٧] ر م: وبحق.
[٨] ر ث م: أن الإيمان.
[٩] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).
[١٠] سورة إبراهيم، ١٤/٢٧.
[١١] ر م: بالإيمان.
[١٢] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[١٣] جميع النسخ: منقضى.

فيخرج هذا الفعل مخرج الزيادة والثبات. *والله أعلم*. وإن كان على التجدد في الأوقات الحادثة فذلك مستقيم، وذلك لأن المرء منهي عن الكفر في كل وقت يأتي عليه، فهو[١] إذا أتى بالإيمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر، فصار لإيمانه حكم التجدد. *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد بقوله: **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله**، الاعتقادَ. وإذا كان المراد منه ذلك وأتى بما أُمر من الاعتقاد[٢] بهذه الأمور، ولكنه لم يف بالفعل فهو في رجاء من النجاة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلكم خير لكم**، يعني ذلك الذي أمركم به من الإيمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله، **خير لكم**، من أن تتبعوا[٣] أهواءكم، **إن كنتم تعلمون**، يعني إن كنتم تعلمون عِيانا لَعَلِمْتُمْ[٤] أن ذلك خير لكم. [أو يجوز أن يكون المراد منه إن كنتم تنتفعون بما عَلمتم فهو خير لكم].[٥]

**﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٢]**

وقوله: **يغفر لكم ذنوبكم**، يعني: يغفر الله لكم بتلك التجارة. وقوله عز وجل: **ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً [في جنات عدن]**،[٦] يجوز أن يكون رغّبهم في هذه الآية بما أمرهم[٧] بتركها، وذلك أنه أمرهم بمفارقة مساكنهم وإنفاق أموالهم والجهاد[٨] بأنفسهم. ثم أخبر أنهم إذا فعلوا ذلك آتاهم مكان كل ما فات عنهم خيرا[٩] منها: مكانَ ما فارقوا من المساكن يؤتيهم[١٠] مساكن طيبةً، ومكانَ ما أنفقوا من أموالهم يؤتيهم[١١] النعيم الدائم،

[١] ر م – فهو.
[٢] ن – وإذا كان المراد منه ذلك وأتى بما أمر من الاعتقاد.
[٣] ر م: يتبعوا.
[٤] ر م: يعممهم؛ ن ث: بعلمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] ن: لما أمرهم.
[٨] ر ث م: ىالجهاد.
[٩] ر م: حير.
[١٠] ر م: بؤتيهم.
[١١] ر ث م: بؤتيهم.

ومكان ما أفنوا من حياتهم وأنفسهم يؤتيهم[1] حياة دائمة باقية. *والله أعلم*.[2] وقوله عز وجل: **ذلك الفوز العظيم**، يعني ذلك الثواب الدائم هو الفوز العظيم.

**﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب**، فكأنه يقول: يعطيكم الله بتلك التجارة التي دلكم[3] عليها ما ذكر من الثواب في الآجل، وأخرى[4] تحبونها نصر من الله على أعدائكم في الدنيا[5] وفتح البلاد، وبشر المؤمنين بهما. وقد فعل الله تعالى ذلك بهم.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله**، هذا كلام يورث شبهة في القلب أن كيف قال: **كونوا أنصار الله**، والله تعالى لا يخاف حتى يَستنصرَ[6] عليه غيره؟ ولكن السبيل في كشف هذه الغُمَّة عن القلوب هو أن المعنى في هذا وفي قوله: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا[7] [سواء]،[8] وقد وصفنا في ذلك[9] أن الله تعالى جعل ما يَصِلون به أرحامهم ويتصدقون[10] على فقرائهم كأنهم أقرضوه لله[11] كرما منه وفضلا ولطفا. فكذلك يحتمل أن يكون جَعَلَ ما ينصرون به دينه أو رسوله نَصْرًا له تعالى، وكذلك قوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[12]

---

[1] ر م: يؤتيهم.
[2] ث: والله سبحانه أعلم.
[3] ر م: ذلكم.
[4] ن - التي دلكم عليها ما ذكر من الثواب في الآجل وأخرى.
[5] ن م - في الدنيا.
[6] ن ث: لا يخاف من يستنصر.
[7] ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/٢٠). وانظر أيضا: تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.
[9] انظر: تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.
[10] ن + به.
[11] ر م: أقرضو لله.
[12] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).

والمعنى في هذا: إن تنصروا[1] دين الله ينصركم، أو إن تنصروا[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنصروا[3] الحق. والله أعلم أيَّ ذلك كان. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك كله أي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى ولوجهه، وكذلك قوله: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ[4] يعني[5] اجعلوا ذلك لله ولوجهه الكريم.[6]

ولا بد من أن يكون في هذه الآية إضمار، إما في الابتداء أو في الانتهاء حتى يستقيم[7] / عليه. قوله[8] عز وجل: **كما قال عيسى ابن مريم للحواريين**، فكأنه يقول: قل للذين آمنوا: [٨٠٤و] كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله. أو يكون معناه وإضماره في حق الإجابة، أي أجيبوا لله ورسوله وكونوا أنصارا له كما أجاب قوم عيسى بقولهم: **نحن أنصار الله**. والحواريون المبيّضون[9] المُنَقُّون دينَهم عن الشبهة.[10] وهم قوم كانوا خِيَرَةَ عيسى عليه السلام وخاصته، حيث دعاهم إلى دينه فأجابوه وآمنوا به ونَقُّوا[11] دينهم عن كل شبهة وآفة وعيب.

وقوله عز وجل: **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة**، هذا يحتمل أن يكون في حياة عيسى عليه السلام حين اتبعه الحواريون،[12] ثم دعا بعد ذلك قومه إلى دينه فآمنت طائفة وكفرت طائفة. **فأيدنا الذين آمنوا**، بالبراهين والحجج على الطائفة الذين كفروا،

---

[1] ر ن م: إن ينصروا.
[2] ر م: إن ينصروا.
[3] ث: أو إن تنصروا؛ م: أو إن ينصروا.
[4] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[5] ر م: تعالى ؛ ن ث – يعني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.
[6] ن – الكريم.
[7] ر م: حتى تستقيم.
[8] جميع النسخ: وقوله.
[9] جميع النسخ: والحواريين المنتصرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] حَوَّرت الشيء: بيّضته ودوّرته... والحواريون أنصارُ عيسى صلى الله عليه وسلم. قيل: كانوا قَصَّارين، وقيل: كانوا صَيّادين. وقال بعض العلماء: إنما سُمّوا حَوَارِيّين لأنهم كانوا يُطهِّرون نُفُوس الناس بإفادتهم الدين والعلم المُشارَ إليه بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله لِيُذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهِّركم تطهيرا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣/٣٣]. قال: وإنما قيل: كانوا قَصّارين على التمثيل والتشبيه، وتُصُوِّرَ منه من لم يَتَخَصَّص بمعرفته الحقائقَ المِهنَةَ المُتَداوَلَةَ بين العامة. قال: وإنما كانوا صَيّادين لاصطيادِهِمْ نُفُوسَ الناسِ من الحيرة، وقَوْدِهِمْ إلى الحق (*المفردات* للراغب: «حور»)
[11] ن ث: وبقوا.
[12] ر م: الحواريين

**فأصبحوا ظاهرين** على أعدائهم بالحجج والبراهين. ويجوز أن يكون ذلك[1] بعد وفاة[2] عيسى عليه السلام حين اختلفوا[3] في ماهيته. فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، فكفرت به هذه الطائفة وآمنت به طائفة أخرى. **فأيّدْنا الذين آمنوا على عدوهم**، حين وقع بهم[4] قتال، فنُصِروا عليهم وظَفِروا. *والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب*.[5]

[1] ر ث م – ذلك.
[2] ر م: وفات. انظر: تأويل الآية ٥٥ من سورة آل عمران.
[3] وفي *الشرح*: حتى اختلفوا. ورقة ٢٢٥و.
[4] ر ث م: لهم.
[5] ر + تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين؛ ن + تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين؛ ث + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الجمعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١]

قوله عز وجل: **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض.** قال: **يسبح لله**، ولم يقل: يسبح الله، وقد جرت العادة[2] في الناس التسبيحَ بالألف، كقولهم: سبحان الله وسبحان رَبِّيَ العظيم. فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في اللسان أن يقول: يسبح الله ما في السماوات وما في الأرض. ولكنه يجوز أن يكون هذا من نوع ما يجري فيه اللفظان جميعا كما يقال: شكره وشكر له، ونصحه ونصح له.

والتسبيح يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها تسبيح الخلقة أنك إذا نظرت إلى كل شيء على الإشارة إليه والتعيين دلّك[3] جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه عن الأشباه[4] وبراءته عن جميع العيوب والآفات، فذلك[5] من كل شيء تسبيحه.

---

[1] ر – سورة الجمعة؛ ن + مدينية كلها؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية؛ م + وهي كلها مدنية.

[2] ر: العادت.

[3] ن: دلك.

[4] ر م: عن الأشياء.

[5] ت م: فذلك.

والثاني تسبيح المعرفة، ووجه ذلك أن يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة ليعرف الله تعالى وينزهه وإن كان لا يبلغه عقولنا. ألا ترى إلى قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ،[١] ولكن [ذاك][٢] عندنا بواسطة إحداث نوع حياة فيه إذ المعرفة[٣] بدون الحياة لا تتحقق.[٤]

والوجه الثالث هو أن يكون التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين. ووجهه أن الله تعالى يُجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير أن يكون له حقيقة المعرفة كما أظهر من آياته وأعلامه على عصا[٥] موسى عليه السلام،[٦] وكما أجرى السفينة على وجه الماء، وإن لم يكن لها حقيقة المعرفة وذلك تسبيح كل شيء. *والله أعلم*.

وقوله: **المَلِك**، يعني الملك الذي له مُلْك الملوك، أو الذي له الملك في الحقيقة. وقوله عز وجل: **القدوس**، له تأويلان. أحدهما الطاهر من كل عيب وآفة وحاجة، أو الطاهر مما يحتمله غيره. والثاني المبارَك، يعني به ينال كل بركة[٧] وخير. ويجوز أن يُجمع في المبارك معنى التبرئة[٨] من العيوب ومعنى البركة، لأنك إذا وصفته بالبركة فقد وصفته بالبراءة من كل عيب[٩] وأضفت إليه كل بركة ويمن. كما روي في الخبر:[١٠] «سبحان الله نصف الميزان والحمد لله يملأ الميزان».[١١] وكان معناهما عندنا أن قوله: «سبحان الله» يختص بتبرئته[١٢] من العيوب، «والحمد لله» ينتظم معنى التنزيه[١٣] من العيوب ومعنى إضافة النعم كلها إليه. فإذا كان فيه هذان المعنيان جميعا جاز أن يمتلئ به الميزان، ولمّا اختص «سبحان الله» بتطهيره من العيوب

---

[١] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.
[٣] ر: إذا المعرفة.
[٤] جميع النسخ: لا يتحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[٥] ر ث م: على عصى.
[٦] ن ث - عليه السلام.
[٧] ن: كل بر له.
[٨] جميع النسخ: معنى التنزيه. والتصحيح من مرجع السابق.
[٩] ن: شيء.
[١٠] جميع النسخ + أن قوله.
[١١] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤/٢٦٠، ٥/٣٧٠.
[١٢] ر م: تبرئته.
[١٣] ن: التبرئة.

ولم يتعد[1] إلى غيره أخذ[2] نصف الميزان. *والله أعلم*. وكذلك هذا الاختلاف في تأويل قوله: [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا] الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ.[3]

وقوله عز وجل: **العزيزِ الحكيمِ. العزيز**،[4] يعني الغالب القاهر، أو الذي[5] لا يعجزه شيء. أو يجوز أن يكون **العزيز**، مقابل الذليل، والذليل ينتظم كل فقر وحاجة وضعف. فالواجب أن ينتظم العزيز إذا كان ضدا له ومقابلا كلَّ شرف ومَكْرُمَة وغِناء وقوة. *والله الموفق*. و**الحكيم**، قالوا هو الذي يضع الأشياء مواضعها، فالله تعالى حكيم حيث وضع الأشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها، [وغيره من الخلق حكيم إذا وضع الأشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها].[6] أو **الحكيم**، هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. وهو معنى المصيب أيضا. *والله أعلم*.

**﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢]**

[٨٠٤ظ] وقوله عز وجل: **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**، احتج أهل الكتاب / علينا أن الله تعالى إنما بعث محمدا رسولا إلى الأميين خاصة بهذه الآية، وفهموا منها تخصيص الأميين بإرسال[7] الرسول إليهم فيقتضي نفيه عن غيرهم.

ولكن نقول:[8] لا يجب أن يفهم من الآية نفي [غير] ما ذُكر في ظاهرها بل يفهم منها ظاهرها دون النفي، والتخصيص بالذكر لا يحتمل على النفي، لأنه إذا حمل التخصيص بالذكر[9] على نفي غيره أدى إلى ما لا يستقيم ولا يَحلّ. ألا ترى إلى قوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[10] حيث لم يفهم أنه حيث[11] لم يخطه بيمينه أنْ كان خطَّه بشماله،

---

[1] جميع النسخ: ولم يتعده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[2] ن ث: أخذ.
[3] جميع النسخ: في تأويل قوله في الأرض المقدسة. والترجيح من المرجع السابق. انظر: سورة المائدة، ٢١/٥؛ وقارن: سورة طه، ١٢/٢٠.
[4] ث - العزيز.
[5] ر م - أو الذي.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ن: بإرسال.
[8] ر م: يقول.
[9] ن - بالذكر.
[10] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.
[11] ر ث م - حيث.

ولا من قوله: وَمَا كُنتَ تَتْلُو، أنه حيث[1] كان يُتْلَى عليه. ولكن المعنى من ذلك كله –والله أعلم– أن الله بعث رسوله أميا في قوم أميين لا يعلمون الحكمة ومائيتها، وجعل ذلك آية لرسالته وحجة[2] لنبوته، لأنه إذا كان أميا[3] لا يكتب ولا يقرأ الكتب ثم أتاهم بكتاب[4] مؤلَّف منظوم يوافق كتب أهل الكتاب دل أنه إنما علم ذلك بالوحي وأنه لم يختلقه من عند نفسه. **والله أعلم**.

ثم الدليل على أنه كان رسولا إليهم جميعا قوله: كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا،[5] وما روي عنه عليه السلام أنه قال: «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود»،[6] يعني إلى الإنس والجن. ولأجل أنه لما بعث إلى طائفة ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى وعبادته عُلم أنه رسول إلى غيرهم إذ لم يكن لهم رسول آخر، لأن الطائفة الأخرى إذا لم يكن لهم[7] رسول آخر احتاجوا[8] إلى معرفة الأمر والنهي وإلى طاعة الرحمن حاجةَ الطائفة التي بُعث إليهم، دل أنه رسول إليهم جميعا. **والله أعلم**.

وقوله: **بَعَثَ فِي الأميين رسولا منهم**، معناه أنه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم أميين لا يعرفون عبادة الله ولا يقرءون الكتاب، بل كانت عادتهم عبادة الأصنام. وقيل في تأويل الأميين: هم الذين لم يؤمنوا بالكتب، [كقوله: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ،[9] كأنه قال: هو الذي بعث في قوم لم يؤمنوا بالكتب][10] ولكن هذا فاسد لأن الله تعالى سمى نبيه عليه السلام أميا بقوله: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.[11] وقيل: سماهم أمِّيِّين لأنهم لا يقرءون عن الكتاب ولا يكتبون على الأعم الأغلب وإن كان فيهم القليل ممن يقرأ ويكتب، ومن هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم أميا لأنه كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب و لم يتعلم ذلك، قال الله تعالى: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[12]

---

[1] ر م – حيث.
[2] ر م: وحجته.
[3] ر: أمينا.
[4] جميع النسخ: الكتاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[5] ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة سبأ، ٢٨/٣٤).
[6] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٤/٣، ٤١٦/٤، ١٤٧/٥؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ومواضع الصلاة ٣.
[7] ن: له.
[8] جميع النسخ: واحتاجوا.
[9] سورة آل عمران، ٢٠/٣.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ
[11] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧)
[12] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.

وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١] «الشهر هكذا» وأشار بأصبعه.[٢] وقال: «إنما[٣] نحن أمّة أمّية لا نَحْسُب[٤] ولا نكتب».[٥] وقال الزجاج: الأمي هو الذي لا يُحسن القراءة والكتابة و لم يتعلم ويكون على ما سقط من أمه، فنسب إلى حال ولادته التي سقط [فيها][٦] من أمه، لأن ذلك إنما يكون بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود.

ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الأمي[٧] أن يكون ذلك سبب معرفة نبوته وعلامةَ رسالته بحيث يُعلَم أنه ما اخترع من ذات[٨] نفسه إذ لم يَعرف الكتابة والقراءةَ ولا اختلف إلى أحد ليتعمم منه. ثم أَحوجَ[٩] جميع الحكماء إلى حكمته وجميعَ أهل الكتاب إلى معرفة كتابه لحسن نظمه وتأليفه ليُعلَم أنه إنما ناله بالوحي والرسالة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يتلو عليهم آياته**، الآيات الأعلام، فكأنه يقول: يتلو[١٠] عليهم في كتابه أعلاما تبين رسالته وتظهر[١١] نبوته، أو يجوز أن يكون الآيات الحلال والحرامَ وما أشبهه، أو الآيات الحجج التي يُستظهَر بها الحق. ***والله أعلم***. وقوله: **ويزكيهم**، قال بعضهم: يصلحهم، يعني يدعوهم إلى اتباع ما يصيرون به[١٢] أزكياء أتقياء. أو يجوز[١٣] أن يكون[١٤] معنى قوله: **ويزكيهم**، أي يطهرهم من خبث الشرك وخبث الأخلاق وخبث الأقوال[١٥] والأفعال.[١٦] ***والله أعلم***.

---

١ ر ث م – أنه قال.
٢ صحيح *مسلم*، الصوم ١٦.
٣ ن: وإنما.
٤ ر ن م: لا يحسب.
٥ ر م: ولا يكتب؛ ن: ولا يكتسب. مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٣/٢، ٥٢، ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصوم ١٥.
٦ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٦و.
٧ م: في الآدمي.
٨ ن: دأب.
٩ ر م: أخرج.
١٠ ر ث م: تتنو؛ ن: تتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
١١ جميع النسخ: ويظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
١٢ ث: إلى ما تباع أيصيرون.
١٣ ر م: ويجوز.
١٤ ر ث م – أن يكون.
١٥ ث – وخبث الأقوال.
١٦ ر: والأقوال؛ م: والأحوال.

وقوله: **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، اختلفوا فيه. قال الحسن: هذا كلام مُثَنًّى، الكتاب[1] والحكمةُ واحد. وقال أبو بكر [الأصمّ]: الكتاب ما يتلى من الآيات[2] والحكمة هي الفرائض. وقال بعضهم: الحكمة هي السنة لأنه كان يتلو[3] عليهم آياته ويعلمهم سنته إما بلطف[4] من الله تعالى وإلهامه إياه أو بالوحي. ومنهم من قال: الحكمة قولٌ صوابٌ عُمل به. ومنهم من قال:[5] الكتاب ما يتلى من الآيات نصا، والحكمة ما أودع فيها من المعاني. [والله أعلم][6] أيَّ ذلك كان.[7]

وقوله تعالى: **وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين**، أي إنهم كانوا عن الكتاب والحكمة لفي ضلال بين[8] ظاهر لأنهم كانوا مشركين[9] عَبَدةَ الأصنام ليس عندهم كتاب ولا يعرفون الحكمة. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**، أي في الشرك وعبادة الأصنام، فدعاهم الرسول عليه السلام إلى توحيده وتركِ ما هم فيه من عبادة الأصنام.

{قال الفقيه رحمه الله:}[10] وفي قوله: **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، أن الله تعالى إذ جعلهم أتقياء أزكياء علماء بعد ما كانوا أميين جهالاً سفهاء آيةٌ ودلالة على حقية دينه عليه السلام

[٥٠٨و] / على سائر الأديان حيث لم يكن أهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا للآخرين ليصيروا علماء حكماء. وقوله: **ويعلمهم**، يجوز أن يكون هذا تعليما من الله تعالى أنه جعلهم علماء بعد ما كانوا جهلاء، وحكماء بعد ما كانوا سفهاء، وأزكياء بعد ما كانوا أنجاسا وأقذارا عبدة الأوثان، وذلك من لطف[11] الله تعالى.

---

[1] ن: والكتاب.
[2] ن - من الآيات.
[3] ر: لا يتلوا.
[4] ر: سطفه.
[5] ر م - الحكمة قول صواب عمل به ومنهم من قال.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[7] ن - كان.
[8] ن: مبين.
[9] جميع النسخ: مشركي.
[10] ر: رحمة الله.
[11] ن: وذلك لطف من.

ثم الأصل أن ما أضيف من هذه الأفعال إلى الله تعالى فهو على حقيقة الوجود وما أضيف إلى الرسول عليه السلام فهو على الأسباب، وذلك أنه لا يجوز أن يعلّم الله تعالى أحدا فلا يصير عالما لأن تعليمه خلق العلم في المحل الذي أراد، وما أراد وخلق يكون لا مَحالةَ. فأما [ما] يجوز أن يُعلّمه البشر فلا يتعلم لأن تعليمه تسبيب،[١] لأنه ليس له قدرة الخلق والإيجاد، فثبت أنه على جهة السبب. *والله الموفق*.

**﴿وَآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]**

قوله[٢] عز وجل: **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**، فإن كان معناه الخفضَ[٣] فهو منسوق على قوله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ، وفي الآخرين لما يلحقوا بهم، فيكون فيه إخبار أن رسالته تبقى إلى آخر الدهر. وإن كان معناه النصب فهو منسوق على قوله: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[٤] فيكون فيه بشارة أنه يكون في الآخرين علماء أتقياء حكماءُ كما كان في هؤلاء. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون هذا في أهل النفاق، فيكون معناه هو[٥] الذي بعث في الأميين رسولا فيصيرون علماء حكماء مؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن، وآخرين من هؤلاء الأميين في الظاهر لَمّا يلحقوا بهم في الباطن. والتأويل الأول أصح وأقرب.[٦]

وقوله: **وهو العزيز**، حيث جعل في كل أحد[٧] من البشر أَثَرَ الذل به والفقر إليه. وقوله: **الحكيم**، في أمره حيث أمرهم بالحكمة، أو الحكيم في تدبيره حيث جعل في كل مخلوق[٨] ما يشهد بوحدانيته وتدبيره فيه، أو هو الحكيم في تقديره حيث خلق الأشياء المتضادّة من نحو النور والظلمة والليل والنهار، لأنه وَضَع كل شيء موضعه، لم يَخلِط[٩] ظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا بنهار ولا نهارا بليل.[١٠]

---

[١] ر ث م: بسبب.
[٢] ر ث م: وقوله.
[٣] ر م: الخفض.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ر م: فهو.
[٦] ن + والله أعلم.
[٧] ر ن م: واحد.
[٨] ر ن م: في كل مخلوقات.
[٩] ر: لم يخلطه.
[١٠] ن + و لرسالة.

**﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٤]**

وقوله: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**، يعني بذلك[١] الفضلِ النبوة والرسالةَ، **يؤتيه من يشاء**،[٢] يعني يخلق من البشر من يَصلُح للنبوة والرسالة. أو **ذلك** الفصل من تعليم الكتاب والحكمة **فضل الله يؤتيه من يشاء**.

وفيه دلالة على كَذِب قول المعتزلة، لأن من قولهم: إن الله لا يعطي[٣] أحدا شيئا بفضله، بل حَقّ عليه أن يفعل ذلك. فإذا كان هذا على الله فِعلُه كان ذلك حقا يقضيه، ومن قضى حقا عليه[٤] فليس يوصف بالفضل وقد وصف الله تعالى نفسه بالفضل، فثبت بهذا كذب قولهم. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **والله ذو الفضل العظيم**، أي ذوا الفضل العظيم في الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة بعد ما كانوا جهالا. أو يجوز أن يكون هذا في الآخرة أن الله يجزيهم عن أعمالهم الجنة فضلا منه عليهم. **والعظيم**،[٥] هو الدائم الباقي. ***والله أعلم***.

**﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها**، له أوجه من التأويل. أحدها يحتمل أن يكون هذا كناية عن العمل، يعني حملوا العمل بما في التوراة فلم يعملوا بها.

والثاني أن يقول: **لم يحملوها**، يعني لم يحملوا[٦] إلى من أُمروا بحملها إليهم على ما أمروا لأنهم حرفوا وبدّلوا.

أو يجوز[٧] أن يكون تأويله -والله أعلم- أنهم كذبوا بالتوراة وتلقَّوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها، فمثلهم كمثل الحمار يحمل كتبا لا يعلم قدرها وخطَرها كما قال: **كمثل الحمار يحمل أسفارا**، لأنهم وإن عرفوا التوراة فحين لم يعظموها حق تعظيمها وكذبوا بما فيها

[١] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[٢] ن - يؤتيه من يشاء.
[٣] ر ث م: لا يؤتي.
[٤] ر ن م - عليه.
[٥] ر م: العظيم.
[٦] م: لم يحملوها.
[٧] م: ويجوز.

كانوا[١] كأنهم لا يعرفون قدرها وخطرها، فصار مَثَلُهم كمثل الحمار يحمل كتبا[٢] لا يعلم ما قدرها وخَطَرَها. وهذا التأويل أقرب لأنه قال[٣] في سياق هذه الآية: **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**، فثبت أن المعنى من الأول التكذيب. ***والله أعلم.***

{قال:} ثم معلوم أن هذا التكذيب والتحريف إنما كان من عمل كبرائهم ورؤسائهم، فأخبر أنهم كذبوا ولم يعرفوا قدرها حين كذبوا ليزجر ضَعَفَتهم[٤] عن اتباعهم، ويبين[٥] أن رؤساءهم ليسوا ممن يستحقون الاتباع. وفيه أيضا زجر للمسلمين أن يستخفّوا كتاب الله والعملَ بما فيه. ***والله أعلم.***

ثم قوله:[٦] **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يقول: بئس النعت والصفةُ صفةُ الذين بلغ كَذِبُهم مَبلغا كَذَبوا على الله، لأن الكاذب في المتعارف[٧] موصوف بالشر. فإذا بلغ كَذِبه مبلغا يَكْذِب على الله تعالى عُلم أنه في النهاية من الشر.[٨] فكأنه يقول: صفة الذين كذبوا على الله / في الغاية من الشر والقبح. أو يقول: **بئس مثل** [٨٠٥ظ] **الذين كذبوا بآيات الله**، لأن الله تعالى ضرب أمثال المشركين بكل ما يُستخبَث[٩] ويستقبح، وضرب أمثال المؤمنين بكل حَسَن وطيّب؛ فقال: المَثَلَ يعني الشَّبَه[١٠] الذي[١١] شبّه اللهُ تعالى به المكذبين بآياته شَبَهٌ[١٢] قبيح [خبيث].[١٣]

ثم في هذه الآية دلالة أن الله تعالى يخلق القبيح[١٤] والحسن والخبيث والطيب جميعا، لأن قوله: **بئس مثل القوم**، وذلك المثل الذي شَبّههم به مما خلقه وقد سماه بئسا، فثبت أن الله تعالى

---

[١] ث + هم.
[٢] ر م: الكتب.
[٣] م – قال.
[٤] ر م: منفعتهم. أي ليزجر الله تعالى ضعفة القوم عن اتباع الرؤساء.
[٥] ن: يبين.
[٦] ن: ثم وقوله.
[٧] جميع النسخ: في الميعاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[٨] جميع النسخ: في الشر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: ما يستجيب.
[١٠] جميع النسخ: السنة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث – الشبه الذي.
[١٢] ر ن م: سنة الله تعالى به المكذبين بآياته سنة.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] ن: القبح.

قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن، وعند المعتزلة لم يخلق إلا الحسنَ، فتكون[1] الآية حجة عليهم.

وقوله: **والله لا يهدي القوم الظالمين**، له تأويلان. أحدهما أنه لا يهدي القوم الظالمين، لوقت اختيارهم الظلم والفسقَ؛ أو لا يهديهم بظلمهم الآيات ومكابرتهم وعنادهم إياها فهو لا يهدي هؤلاء. وأما من ظَلَم عن جهل أو فَسَق عن جهل[2] ثم استرشَد فإنه يهديه ويُرشده. *والله أعلم*.

**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**، وقال في موضع آخر: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.[3] فكان في هذا بيانُ أن من كان من أوليائه فله الدار الآخرة عند الله خالصةً، ومن كانت له الدار الآخرة فهو من أوليائه، ويجوز أن يكون نالهما[4] جميعا. *والله أعلم*. ثم المباهلة في المتعارف إنما[5] هي المُحاجَّة في بلوغ العناد والتمرد غايتَه. فكأنه[6] لما قُرِّر[7] عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها أمرهم[8] بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى، لأنه يجوز أن قد كان في كتابهم هذا أن المباهلة من غاية المحاجة، وأن من بَاهَل نزل عليه العذاب واللعنة إن لم يكن مُحِقًا فلذلك امتنعوا من المباهلة. وأما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا. وذلك أنه روي أن[9] أبا جهل كان يقول: "اللهم انصر أحبّنا إليك وأَقْرَأنا للضيف وأَوْصلنا للرَّحِم"،[10]

---

[1] جميع لنسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ط.
[2] ر م – عن جهل.
[3] سورة لبقرة، ٩٤/٢.
[4] م: لهما.
[5] ن: وإنما.
[6] م: فكأن.
[7] ر ش م: لما قررت.
[8] جميع النسخ: أمره.
[9] م – أن.
[10] ن: للرحم.

فنصر الله تعالى نبيه[١] صلى الله عليه وسلم. فأبو جهل باهله لأنه لم يكن له كتاب، و لم يباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم المباهلة. ***والله أعلم.***

**﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٧]**

وقوله: **ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم**، هذه الآية تدل على رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم، لأنه لو كان يقوله[٢] من نفسه لكانوا[٣] يبادرون فيتمنون الموت لمحال[٤] ليظهر كذبه فيه. فلما أخبر أنه لن يتمنوه[٥] أبدا و لم يتمنوا تبين أنه قال من الوحي، وأنهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا للهلاك على أنفسهم لعلمهم أنهم لو تَمنّوا لماتوا. ***والله أعلم.*** وقوله: **بما قدمت أيديهم**، أي من تحريف التوراة والإنجيل، لأن قول النصارى: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[٦] لم يكن في الإنجيل، وقولَ اليهود:[٧] لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا،[٨] لم يكن في التوراة، ولكنهم غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم من تحريف هذه الآيات وتبديلها وتغيير نعت محمد عليه الصلاة والسلام.[٩] وقوله[١٠] عز وجل: **والله عليم بالظالمين**، يعني بظلمهم الآيات وعنادهم لها ومكابرتهم إياها.

**﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٨]**

وقوله:[١١] **قل إن الموت الذي تفرون منه [فإنه ملاقيكم]**، أي الموتَ الذي تفرون منه بما قدمت أيديكم من تحريف التوراة والإنجيل يلقاكم لا مَحالةَ وإن فررتم منه، فيكون فيه تذكيرهم

---

[١] ر: لنبيه.
[٢] ث: تقوله.
[٣] ر م: لكاذبون.
[٤] ن: في الحال.
[٥] ر ن م: لا يتمنوه؛ ث: لا يتمنونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧و.
[٦] سورة المائدة، ١٨/٥.
[٧] ن + وقالوا.
[٨] سورة البقرة، ١١١/٢.
[٩] ث: عليه الصلوات والتحيات.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ن: قوله.

أن ارجعوا[1] عما تهربون[2] منه يعني الموت. وقوله: **ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة،** يعني إلى عالِمِ ما أشهدتم[3] الخلق من التوراة والإنجيل وعالِم[4] ما غَيّبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك؛ أو إلى عالِم[5] ما غيبتم في أنفسكم وأسررتم من تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أشهدتم عليه ضعفتكم وأتباعَكم من نهيكم إياهم عن اتباعه. وقوله عز وجل: **فينبئكم بما كنتم تعملون،** إما عيانا تقرءونه في كتابكم يوم القيامة، أو ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء إن خيرا فخير وإن شرا فشرٌّ. ***والله المستعان.***

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩]**

وقوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله،** هذا السعي يحتمل وجهين.[6] أحدهما أن أَقْبِلوا على العمل الذي أُمرتم به وامضُوا فيه. والثاني فاسعوا[7] في المشي وأسرِعوا، لأن السعي في المشي هو السرعة فيه والسعيَ في الأعمال هو الإقبال عليها والمبادرة إليها. فإن كان المراد من هذا[8] السعيَ في المشي فخروج الآية مخرج الترهيب والتضييق. ألا ترى إلى قوله: **وذَرُوا البيع،** كيف أمر[9] بترك البيع[10] وقد يمكن[11] البيع في حال المشي، وإلى قوله: **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ،**[12] كيف أمر بالانتشار في الأرض بعد الفراغ من الفريضة دون أن يذكر هنالك شيئا[13] في أدائها؟ ولو كان المراد منه / الترغيب لكان يأمره بالعَدْو[14] إليها. [٨٠٦و]

---

[1] ر م: أن رجعوا.
[2] ر م: عما يهربون؛ ن: عما يفرون.
[3] ر م + ثم.
[4] م: وعلم.
[5] ث − عالم.
[6] ر ث م: الوجهين.
[7] جميع النسخ: واسعوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧و.
[8] ر: أهل.
[9] جميع النسخ: أمرك. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ث − كيف أمر بترك البيع.
[11] ث: تمكن.
[12] الآية التالية.
[13] ن ث: مشيا.
[14] ر م: بالعدل.

فدلت هذه المعاني أن مخرج[١] الآية على الترهيب والتضييق، وإن كان السعي في سائر الصلوات[٢] المفروضة غير مندوب إليه؛ على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أتيتم الصلاة فأتوها وأنتم تمشون ولا تأتوها وأنتم تسعون؛ عليكم بالسكينة والوقار، ما أدركتم فصَلُّوا وما فاتكم فاقضوا».[٣] فاختص الجمعة به لما ذكرنا من التضييق هاهنا والتوسيع في سائر الصلوات.[٤]

ولكن الأشبه أن المراد من السعي هو الإقبال على أدائها والتأهب لها والمبادرة إليها، والسعي مستعمل في هذا؛ قال الله تعالى: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[٥] وقوله: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى،[٦] وإنما أراد العمل. وكذلك روي عن عمر وابن مسعود وأُبيّ وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرءوا "فامضُوا إلى ذكر الله"،[٧] حتى قال عبد الله: لو كانت القراءة **فاسعوا**، لسعيت ولو سقط ردائي[٨] لم ألتفت إليه خوفا من تضييع حقها. فذلك يدل على أن تأويل الأول عندهم على الإقبال والمبادرة إليها دون السرعة والمشي، ولأن هذا موافق لسائر الصلوات في أن العدو غير مستحب، والحديث الوارد في السكينة والوقار[٩] مطلق، ليس فيه فصل بين الجمعة وغيرها، وعليه إجماع الفقهاء أنه يمشي إلى الجمعة[١٠] على هيئته.[١١] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وذروا البيع**، قال بعض الناس بأنه إذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الآية.[١٢] وعندنا أن البيع جائز لكنه مكروه، والذي يدل على جوازه أن النهي عن البيع في هذه الآية ليس لمكان البيع، ولكن لمكان الجمعة. فالفساد إذا ورد فإنما يرد في الجمعة لا في البيع، لأنه إذا باع في الصلاة فالبيع يُفسد الصلاة، لا أن الصلاة تُفسد[١٣] البيع. ولأن الأصل عندنا

---

[١] ر ث م: أن يخرج.
[٢] ر م: الصلاة.
[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٣٨؛ وسنن *النسائي*، الإمامة ٥٧.
[٤] ر م: الصلاة.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/١٩.
[٦] سورة النجم، ٥٣/٣٩-٤٠.
[٧] *المحتسب* لابن جني، ٢/٣٧٥.
[٨] تفسير *الطبري*، ٢٨/١٢٨-١٢٩.
[٩] ر ث م: الوقار.
[١٠] ن - إلى الجمعة، صح هـ.
[١١] ث: هيئته.
[١٢] ن: لهذا الوقت.
[١٣] ر ن م: لأن الصلاة يفسد؛ ث: لا الصلاة يفسد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧ط.

أن كل عقد نُهي لأجل غيره فالنقصان إذا ورد من النهي فإنما يرد[1] في ذلك العين لا في العقد. وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «الْمُحرم لا يَنْكح ولا يُنْكح»[2] أن النهي عن النكاح إنما هو لمكان الإحرام ليس لمكان النكاح. ولذلك نقول[3] بجواز نكاح[4] الْمُحرم وبفساد الحج إذا جامع بذلك النكاح، لأن النهي إذا لم يكن لنفس العقد[5] لم يستقم إفساد[6] العقد، والنهي ليس من أجله. **والله أعلم**. ثم لما قال: **فاسعوا إلى ذكر الله**، ولم يقل: "إلى الجمعة ولا لها"، دل أنه قَبْل الجمعة ذكرٌ يجب الاستماع[7] إليه والسعي إليه، فدل هذا على فرضية الخطبة. ولمّا ثبت أن المعنى من قوله: **إلى ذكر الله**، أن المراد من الذكر الخطبة، ثم أمر بترك البيع لسعي إلى هذا الذكر والاستماع له. ثبت أن الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الإمام للخطبة[8] أيضا، لأن البيع في ذلك الوقت مكروه والبيع كلام، فيدل على كراهية[9] كل كلام. فيدل على صحة[10] مذهب أبي حنيفة رحمه الله في أن يَلزمَ السكوتُ إذا خرج الإمام حتى يفرغ من[11] الصلاة. وعلى ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أتى الجمعة ثم صلى ما شاء أن يصلي ثم إذا خرج الإمام سكت إلى أن يفرغ من صلاته، كان ذلك كفارةً له من الجمعة[12] إلى الجمعة وزيادةِ ثلاثةِ أيام[13] بعده»[14]

---

[1] ن: رد.

[2] مسند أحمد بن حنبل، ١/٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٣؛ وصحيح مسلم، النكاح ٥؛ وسنن الترمذي، الحج ٢٣.

[3] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٧ظ.

[4] م: النكاح.

[5] ن: العين.

[6] ر ث م: فساد.

[7] ن: الاستمتاع.

[8] ر م + مكروه.

[9] ن: كراهة.

[10] ن: فيدل لصحة.

[11] ن – من.

[12] ث – من الجمعة.

[13] ن: ايا من.

[14] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحضر الجمعة ثلاثةٌ: فرجل حضرها يلغو فذاك حظه منها؛ ورجل حضرها بدعاء، فهو رجل دعا الله عز و جل فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه؛ ورجل حضرها بإنصات وسكوت و لم تتخطَّ رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادةِ ثلاثة أيام فإن الله يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾» (مسند أحمد بن حنبل، ٢/٢١٤؛ وسنن أبي داود الصلاة، ٢٢٧).

فلما ألزمه السكوت من حين يخرج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة ثبت أن الكلام في ذلك[١] الوقت مكروه. *والله أعلم*.

{قال:} وفي هذه الآية دلالة على كَذِب من قال: إن الصلاة إنما تُفترَض[٢] في آخر الوقت وإن من أدى فرضا في أول الوقت فإنما يؤدي تطوعا لأنه أمره بالسعي وفَرَض عليه إذا نودي. ومعلوم أنه يتهيأ[٣] للإمام تأخير الصلاة في ذلك الوقت وقد فُرض عليه مع ذلك، فدل هذا على كذب مقالتهم. *والله أعلم*.

وأقبح من هذا أنهم قالوا: إن الصلوات مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوّعٌ، مع أنه يجيء على قولهم: إنه ليس أحد من الأمة[٤] أدى فرضا ألبتةَ، لأنه لم يُذكَر عن أحد منهم أنه فرّط في أداء الصلاة حتى خاف خروج وقتها. فهذا قول قبيح يجب أن يستتاب صاحبه عنه[٥] وعن أمثاله. *والله أعلم*.

وفي هذه الآية دلالة على أن الجمعة لا تجب[٦] على من بَعُدَ عن الإمام[٧] بفرسخين، لأنه أمره بالسعي بعد النداء. ومعلوم أنه لا يمكنه أن يسعى بعد النداء[٨] فرسخين وقد يخرج وقت الجمعة ولا يدركها. فثبت أنه على ما دونه وهو أن يكون في حد الأمصار. *والله أعلم*.

ثم الوقت الذي نَهيَ عن البيع فيه يومَ الجمعة، عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال[٩] إلى أن يفرغ الإمام عن الجمعة. وعن مجاهد والزهري أنه يُنهى عن البيع بعد النداء عملا بظاهر الآية **إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**.[١٠] والأول أشبه، لأنه إنما يجب الحضور إلى الجمعة عند دخول الوقت، وهو زوال الشمس وإن تأخر النداء، ولأن النداء قبل الزوال غير معتبر فكان وجوده وعدمه سواءً.

---

١ ن + الكلام.

٢ جميع النسخ: إنما يفترض. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٧ظ.

٣ ر: أنه إذ يتهيأ؛ م: أنه إذا تهيأ.

٤ ن + حتى.

٥ ر ش م: عنه صاحبه.

٦ جميع النسخ: لا يجب. والتصحيح من المرجع السابق.

٧ ر ش م: من الإمام.

٨ ر ش م - ومعلوم أنه لا يمكنه أن يسعى بعد النداء؛ ر م + ومن بعد.

٩ وفي الشرح: وقت الصلاة، ورقة ٢٢٧ص.

١٠ الدر المنثور للسيوطي، ٨/١٦٣-١٦٤.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٠]

[٨٠٦ط] / وقوله عز وجل: **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله.** {قال رحمه الله:}[١] خرج هذا في الظاهر مخرج الأمر، ولكنه في حكم الإباحة عندنا؛ لأن هذا أمر خرج على إثر حظْر،[٢] والأصل المجمع عليه عندهم أن كل أمر خرج على إثر حظر[٣] فهو في حكم الإباحة، وما خرج لا على إثر حظر[٤] فإن الحكم فيه ينصرف على تصرف الأحوال. فإن كانت الحالة توجب فرضيته كان[٥] فرضا وإن كانت توجب واجبا فواجب وإن أدبا فأدب. والدليل على أن كل أمر خرج عى إثر حظر فهو في حق الإباحة قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا،[٦] وقوله: فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ،[٧] ولم يكن ذلك محمولا عى الأمر الحتم الذي لا يجوز تركه، ولكن على إباحة الاصطياد،[٨] أي اصطادوا إن شئتم،[٩] وأتوهن إن أردتم. فكذلك يجوز أن يكون[١٠] المعنى من قوله: **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض**، على ذلك الوجه؛ وإذا[١١] كان الأمر على هذا السبيل صار كأنه قال: فإذا قضيت الصلاة التي نودي لها فانتشروا في الأرض إن أردتم أو إن شئتم. *والله المستعان.*

وقوله عز وجل: **وابتغوا من فضل الله**، يعني التجارة والكسب فإن[١٢] البيع كأنه ينتظم ابتغاء فضل الله لكن قال[١٣] فيما خرج الإذن والإطلاق: **وابتغوا من فضل الله**، وقال فيما نهى عن ذلك:

---

[١] ر: رحمة الله.
[٢] جميع النسخ: الحظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٨و.
[٣] جميع النسخ: الحظر. والتصحيح من لمرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: مخرج الإباحة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: كانت.
[٦] سورة المائدة، ٢/٥.
[٧] سورة البقرة، ٢٢٢/٢.
[٨] ر م: الاصطاد.
[٩] ر: أشئتم؛ م: شئتم.
[١٠] ن - يجوز أن يكون.
[١١] ث: وإن.
[١٢] جميع النسخ: قال. والتصحيح من المرجع اسابق.
[١٣] ن: فضل الله وقال.

وَذَرُوا الْبَيْعَ،[١] وإن كان المراد منهم جميع البيع، لأنه كان يَقبُح أن يقول: وذرو ابتعاء فضل الله، ولأن ابتغاء الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم أن يقال:[٢] وذروا بتغاء فضل الله. فقال هاهنا: وَذَرُوا الْبَيْعَ، ليلحقه النهي خاصة. وأما الإطلاق والإذن فإنه يستقيم في البيع وغيره فقال:[٣] **وابتغوا من فضل الله**. ***والله المستعان***.

وقوله: **واذكروا الله كثيرا**، يحتمل وجهين. أحدهم اذكروا الله كثيرا بألسنتكم وقلوبكم. والثاني اذكروا الله بالإقبال على الطاعات التي فيها تحقيق[٤] ذكر الله. وقوله: **لعلكم تفلحون**، له أوجه. أحدها على رجاء الفلاح، والثاني أي لكي تفلحوا. والثالث على قطع وجوب الفلاح إذا فعل ذلك بما قالوا: إن "لعل" و"عسى" من الله تعالى واجب.

**﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١١]**

وقوله: **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما**، التجارة واللهو لا يُرَيَانِ في الحقيقة وإنما يرى اللاهي والتاجر، ولكنه ذكر فيه الرؤية لقرب اللهو من اللاهي والتجارة من التاجر، كما قال الله[٥] تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٦] وكما يقال: سمعت كلام فلان، والكلام ليس بمسموع في الحقيقة، وإنما المسموع في ذلك الصوت الذي به يفهم كلامه. ولكن أطلق لفظ السماع في ذلك لتقاربهما. ***والله أعلم***. وبعد، فإن المعنى من هذا -والله أعلم- ليس نفس الرؤية وإنما المعنى منه[٧] عندنا العلم[٨] فكأنه قال: وإذا[٩] علموا، وذلك أنهم كانوا لا يرون التجارة، ولكن يُنْهَى إليهم خبرها فيعلمون بها.[١٠] ***والله أعلم***.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ن: أن يقول.
[٣] ن: فإنه قال.
[٤] جميع النسخ: تحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٨و.
[٥] ر ث م - الله.
[٦] سورة التوبة، ٩/٦.
[٧] ن - منه.
[٨] ر س م: العلم.
[٩] ر: فإذا
[١٠] ن: بهما

وقوله[1] عز وجل: **انْفَضُّوا إليها**، ولم يقل: إليهم، وقد ذكر شيئين ولم يُلحق ما بعدهما من الكناية بهما بل بأحدهما. ويجوز مثل ذلك كقوله: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا،[2] ولم يقل ولا ينفقونهما ليرجع[3] الكناية إلى جميع ما سبق ذكره؛ وكما قال: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ،[4] وقد رجعت الكناية إلى أحد المذكورين لا إليهما؛ فكذلك[5] هذا. وهذا لأن المقصود من خروجهم إنما كان هو التجارةَ دون اللهو، ولكنهم إنما يعلمون ما يُجْتَبَ إليهم بذلك اللهو فجاز أن يكون ذكر اللهو لهذا المعنى، وإنما المقصود من ذلك التجارة. وكذلك قوله: وَلَا يُنْفِقُونَهَا،[6] فذكر حق الإنفاق فيما كان الإنفاق منه أيسر وأسهلَ في المتعارف، وذلك[7] الفضة وإن كان الحق واجبا فيهما جميعا لما أن المقصود هو[8] الصرف[9] إلى الفقراء فعنى ذلك هاهنا. وأما المعنى منه عندنا إنما خص الصلاة برجوع الكناية إليها لأنها ثقلت على اليهود، لأن القبلة كانت أولا إلى بيت المقدس فلما حُوّلت إلى الكعبة ثقلت الصلاة إلى الكعبة على الكفار فقال: وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً،[10] يعني الصلاة إلى الكعبة. ***والله أعلم.***

فإن قيل: كيف جاز أن يَنفِر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه[11] -وهو في الخطبة- إلى اللهو والتجارة مع جلال قدرهم وتعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك السؤال عن ضِحكهم حين دخل الأعمى المسجد فوقع في بئر؟[12]

---

[1] ن: قوله.

[2] سورة التوبة، ٣٤/٩.

[3] ر ث م: يرجع.

[4] سورة البقرة، ٤٥/٢.

[5] ر ث م: وكذلك.

[6] سورة التوبة، ٣٤/٩.

[7] ر م: وذلك.

[8] ر ث م: وهو.

[9] م - الصرف.

[10] جميع النسخ: وإنها لكبيرة. ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).

[11] ر ث م - عنه.

[12] روي أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعمى تردّى في بئر، فضحك ناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة (سنن الدارقطني، ١٦٢/١).

والجواب عن هذا أن القوم كانوا[1] حديث عهد بالإسلام وكانوا من سُوقَةِ القوم ومن سِفْلَتها و لم يكونوا عرفوا حق الخاطب[2] وحق الخطبة عليهم، وكانت تلك تجارة يَأمُلون منها منافع لو لم يبادروا إليها ذهبت عنهم، فإنما[3] خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والخاطب.[4] وبعدُ، فإنهم لم يكونوا من أَجِلَة القوم ولا صحبوا أجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فانفلتت[5] منهم هذه[6] الزلة ومِن مثلهم لا يَنْدُر مثل[7] هذه. فأما الذين[8] كانوا من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن عمائهم فلم ينفر أحد[9] منهم. وكذلك أمر الضحك [٨٠٧و] أيضا يجوز[10] أن يكون مَن ضحك مِن أتباع القوم وسفلتهم و لم يكونوا من الأجلّة و النجباء، ولا يستنكر من مثل أولئك هذا الصنيع. **والله أعلم**.

{قال:} والمعنى مِن ترك النبي صلى الله عليه وسلم نهيَهم عن الخروج وجهان. أحدهما أن الكلام كان محرَّما وقت الخطبة فلم ينههم للنهي[11] عن الكلام في ذلك الوقت. والثاني يجوز أن يكونوا أسرعوا الخروج فلم يبلغهم نهيه أو لم ينههم لما علم أنهم لم يسمعوا. **والله أعلم**. وفي الخبر أنه عَدّ الذين ثبتوا معه بعد ما فرغ من الصلاة فوجدهم اثني عشر رجلا فقال: «لو لَحِق آخركم بأولكم لاضطرم[12] الوادي نارا»[13] أي المدينة.

ففي هذا دلالة[14] على أن الجمعة تقام[15] بدون الأربعين لأنه عليه السلام جمع باثني عشر رجلا. **والله أعلم**.

---

[1] م - كانوا.
[2] ر م: الخطاب.
[3] م: فلما.
[4] ر م: و مخاطب.
[5] جميع النسخ: فانفلت.
[6] ر ش م - هذه.
[7] ر م - لا يندر مثل؛ ن: لا يندر مثل
[8] ر + فأما الذين؛ م + هذه.
[9] ر م فلم ينفردوا واحد.
[10] ن: تجوز.
[11] ن: النبي عليه السلام.
[12] ن: لاضطرمن.
[13] تفسير عبد الرزاق، ٣/٣١٠؛ وتفسير مقاتل بن سليمان، ٣/٣٦١.
[14] م - دلالة
[15] ر ت م: تقدم

وقوله: **وتركوك قائما**. هذا يدل على الخطبة إنما تكون[1] قائما. وقوله: **قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة.**[2] {قال إمام الهدى رحمه الله:} ولو لا هذا قد كان يُعلَم أن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، ولكن المعنى من ذلك -والله أعلم- أن الدنيا كلها مَتْجَر وأن أهلها فيها تجّار:[3] إما تجارة الدنيا أو تجارةَ الآخرة، لأن الطاعة والعادة[4] في الاعتبار كأنها تجارة لأنه[5] يكتسب بها منافع الآخرة، وتجارة الدنيا يكتسب[6] بها منافع الدنيا. فقال: التجارة التي عند الله في طاعته واكتسابِ منافع الآخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع[7] الدنيا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون معناه كأنه قال: اتقوا الله فإنكم إذا اتقيتموه[8] اكتسبتم به المنافع في الرزق وغيره، والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها إلا منافعُ الدنيا. ألا ترى إلى قوله:[9] وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ،[10] وقال في موضع آخر: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ.[11] فإذا كان التقوى يستفاد به الرزق واليسر[12] في الأمور وكفارةُ الذنوب، والتجارة لا يكتسب بها إلا منافع الدنيا، فرغّبهم فيما فيه جملة المنافع وهو التقوى ليمكثوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: رَغّبتكم فيما يُكسبكم[13] جملة المنافع، إن اتقيتم[14] ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم [هو] خير من اللهو ومن التجارة التي تُكسبكم[15] منفعة واحدة. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: إنما يكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٨ظ.
[2] ث + الآية.
[3] جميع النسخ: تجار.
[4] ر ث م: والعادة.
[5] ن: لأنها.
[6] ث: يكسب.
[7] ن - الآخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع
[8] ن: أتقيتموه.
[9] م: قوله
[10] سورة الطلاق، ٦٥/٢-٣.
[11] ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٥)
[12] ر م: واليسر: ن: واليسير
[13] ر ث م: فيما يكسبكم؛ ن: فيما يكسبكم
[14] ن: أتقيتم.
[15] جميع النسخ: يكسبكم. والتصحيح من المرجع السابق

وقوله عز وجل: **والله خير الرازقين**، ليس يقتضي ذكر هذا أن هنالك[١] رازق آخر ليكون هو خيرهم. ولكن المعنى من هذا وفي قوله:[٢] أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[٣] وأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.[٤] لو كان[٥] كان هو خيرَ الرازقين وأحسن الخالقين وأحكم الحاكمين، لأنه لا يحكم إلا عدلا ولا يخلق إلا ما فيه حكمة، فكذلك[٦] قوله: **والله خير الرازقين**. وجائز أن يضاف الرزق والخلق والحكم إلى العبيد مجازا فقال: **والله خير الرازقين**، ممن يرزقكم، لأن غيره من الخلق إنما يرزق غيره من رزقه ويعدل بحكمه ويفعل بتوفيقه وتسديده فقال: **والله خير الرازقين**، الذين يرزقون من رزقه. ***والله أعلم بالصواب***.[٧]

---

١ م: هناك.

٢ ر م: في قوله.

٣ سورة المؤمنون، ١٤/٢٣.

٤ سورة هود، ٤٥/١١.

٥ ر ث م: لأنه؛ ن: لأنه لو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٨ظ.

٦ ن: فلذلك

٧ ن: والله أعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه؛ ث: والله أعلم والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المنافقون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**[١]

قوله عز وجل: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**، اختلفوا في تأويل قوله تعالى: **نشهد**. قال بعضهم: **نشهد**، بمعنى نُقسم ونَحلفُ، وقال بعضهم: **نشهد**، على ابتداء الشهادة. فمن حمله على القَسَم قرأ: اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً،[2] يعني حَلِفهم، ومن حمله عى الشهادة ابتداءً قرأ: اِتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ [جُنَّةً]،[3] يعني تصديقَهم، ليس أنها قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فقرئت[4] بالمعنيين جميعا. *والله أعلم*.

[٨٠٦ظ س٣٢] *{قال الفقيه رضي الله عنه:} في قوله تعالى: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**: إن المنافقين لم يجيئوا بأجمعهم رسول الله صلى الله عليه سلم وإنما جاءه بعضهم. وكذلك في قوله: **نشهد**، لأنّ[5] المعنى من قوله: **نشهد**، في بعض التأويلات نُقسم،[6]

---

[1] ر - سورة المنافقون؛ ن: ذكر أن فيها سورة المنافقين؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة المنافقين مدنية.

[2] الآية التالية.

[3] *المحتسب* لابن جني، ٣٧٧/٢؛ و*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٤٦٧/٩.

[4] ن: فقريت.

[5] ر م: أن.

[6] ن ث: يقسم.

والقسم ليس من فعل الأتباع والسفلة وإنما ذلك من فعل الأَجِلّة والرؤساء، فدل أنه إنما تعاطى هذا الفعلَ بعضُ المنافقين. ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل، فعُلم أنه ليس[1] كل ما خرج في الظاهر مخرجَ العموم يتناول كل من دخل تحت ذلك الاسم، ولكنه يُنظَر في معنى اللفظ وحقيقته. فإن كان الدليل يوجب تعميمه أجري[2] على عمومه، وإن كان يوجب تخصيصه
[٨٠٦ظ س٣٨] أُجري[3] على خصوصه. *والله أعلم*.*

وقوله: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**. والإشكال أنْ كيف قال الله تعالى: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، وهم إنما قالوا: **نشهد إنك لرسول الله**، ومعلوم أن هذا القول منهم صدقٌ؟ ولكن المعنى من هذا -والله أعلم- أنهم طُعِنوا فيما أظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون: **نشهد إنك لرسول الله**، وإنّ ما بلغك منا من القول كَذِب وما قلناه. فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون[5] فيما أخبروا أنهم ما قالوه، ألا ترى إلى قوله: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ.[6] ويحتمل أن يكون معناه: إنا نشهد أن في قلوبنا إنك لرسول الله كما نظهره بألسنتنا. فأخبر تعالى: **إن المنافقين لكاذبون**، فيما يشهدون بالإيمان في قلوبهم. ويحتمل أن[7] يكون[8] المعنى من قوله: **نشهد**، أي نعلم برسالتك في قلوبنا. **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، فيما أخبروا أنهم يعلمون رسالته في قلوبهم.
[٨٠٧ظ] وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الآيات والحجج، ولكن / تَعَامَوْا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنُّتا، فصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي. ثم أخبروا[9] عن أنفسهم وضمائرهم أنهم يعلمون، وأخبر الله أنهم كاذبون[10] [في] أنهم يعلمون برسالته.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ن + كمثله.
[2] ن: أخرى.
[3] ن: أخرى.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٨٠٦ظ / سطر ٣٢-٣٨.
[5] ر م: لكاذبون.
[6] سورة التوبة، ٧٤/٩.
[7] ر ث م: ويعلم أن؛ ن: في قلوبهم ويكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٩و.
[8] ث - يكون.
[9] ر م: ثم أخبرهم؛ ث: أخبر.
[10] ر م: لكاذبون.
[11] ن: رسالته.

ثم الواجب أن يُعلَم ما الذي أخرجهم[1] إلى أن قالوا: نشهد إنك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك؟ فمعناه عندنا –والله أعلم– أنهم حيث اعتادوا مخادعة الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة. ويحتمل أن يكونوا جَرَوْا على عادتهم. وكان[2] من عادتهم[3] أنهم إذا لَقُوا المسلمين قالوا: آمنا بمثل ما آمنتم، وإذا لقوا المشركين قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزءون؛[4] فإذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا نشهد إنك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه. **والله أعلم**. ويجوز[5] أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبُهم فكانوا إذا لقوه قالوا: نشهد إنك لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه. ألا ترى إلى قوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ،[6] كانوا يحسبون من سوء ما يُضمرون في قلوبهم من النفاق أنَّ كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه[7] بسببهم، فكذلك الأول. **والله أعلم**.[8]

ثم قال هاهنا: **نشهد**، و لم يقل: نشهد بالله لأن المعنى من هذا الحَلِفُ، والحلف من المؤمن[9] في المتعارف إنما يكون بالله تعالى فلذلك اجْتُزِئَ[10] بقوله: **نشهد**، عن قوله: بالله، فيكون هذا دليلا لقول أصحابنا: إن قوله: **نشهد**، يكون يمينا حيث ذُكر هاهنا بطريق القسم والمعنى ما أشير إليه. **والله أعلم**.

---

[1] ن: أخرجهم.

[2] ر ث م: فإن.

[3] ر م – وكان من عادتهم.

[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى الآية ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤).

[5] ن: أو يجوز.

[6] الآية ٤ من هذه السورة.

[7] ر م: فإنما كلمهم.

[8] ث – ويجوز أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا إذا لقوه قالوا نشهد إنك لرسوله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه ألا ترى إلى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم من النفاق أن كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه بسببهم فكذلك الأول والله أعلم.

[9] ر م: من المؤمنين.

[10] ر م: جرى.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]

وقوله: **فصدوا عن سبيل الله**، له تأويلان. أحدهما صدوا أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله والإيمان برسوله. والثاني أن صدوا الضعفة[١] عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به. وقوله: **إنهم ساء ما كانوا يعلمون**، أي بئس ما كانوا يعملون من الإعراض عن الآيات والحجج وحيث آثروا الكفر على الإيمان. ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد[٢] الضعفة والأتباع من الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٣]

وقوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**، له تأويلان. أحدهما ذلك بأنهم آمنوا بلسانهم ثم كفروا بقلوبهم.[٣] والثاني على حقيقة الإيمان والكفر. وذلك أنهم لما رأوا قلة المسلمين وضعفهم في أنفسهم يومَ بَدْرٍ ثم رأوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أنهم لا يُغلَبون أبدا. ثم إن المسلمين لما غُلبوا يوم أُحُدٍ وأصابهم ما أصابهم اضطربوا في إيمانهم وشكّوا وكفروا. وذلك معنى[٤] قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[٥] فكذلك[٦] تأويل قوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**. وقوله: **ذلك**، إشارة إلى أن السبب الذي تولد منه نفاقهم وحَلِفُهم وقولهم: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ،[٧] بأنهم آمنوا ثم كفروا. وجائز أنه لم يكن منهم حقيقة إيمان ولا كفر ولكنهم كانوا أقواما همتهم الدنيا وسَعَتُها وكانوا يكونون مع من يكون معه الدنيا، إن رأوا[٨] مع المؤمنين أظهروا من أنفسهم أنهم مؤمنون، وإن رأوا مع[٩] الكفار أظهروا أنهم كفار، لا أن يكون منهم حقيقةُ إيمانٍ أو[١٠] كفرٍ. *والله المستعان*.

---

١ ن + عن الله تعالى و.
٢ ن: يصنعون صد.
٣ ن: يقتلونهم.
٤ جميع النسخ: بمعنى. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٩ظ.
٥ سورة الحج، ١١/٢٢.
٦ ن ش: فذلك.
٧ الآية ١ من هذه السورة
٨ ن: معير الدنيا ان يراءوا
٩ ن − مع.
١٠ ن: حقيقة إيمـ رأوا.

وقوله: **فطبع على قلوبهم**، الطبع يجوز أن يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون به الحق وحججه. {قال:} ويجوز أن يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والآيات. أو يجوز أن يجعل الكفر كِنًّا في قلبه لِيَضِيق. فلا يرى من بعد ذلك منافعه ومضارّه إلا من ذلك الوجه، فيكفر وأيّما كان.[1] فذلك معنى الطبع. يعني أن اشتغالهم بالكفر وكسبهم إيه غَطَّى قلوبهم وسترها عن أن يُبصروا الحق وحججه. ***والله أعلم***.*

وقوله عز وجل: **فهم لا يفقهون**، يحتمل أن يكون معناه أي لا يفقهون لأنه طبع على قلوبهم وإلا لم يعرضوا عن الحق والآيات. وذلك أنهم كانوا[3] يظنون أنهم على الحق فأخبر أنهم لا يفقهون / [٨٠٨و] أنه طُبِع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق[4] وجعلوا جميع همتهم في المنافع والمضار الدنيوية، وإلا لو فَقِهوا أن لله تعالى دارا أخرى يُجازُون فيها بأعمالهم لعلموا أنه[5] لا بد من دين يدينون به، ولم ينظروا إلى منافعهم ومضارهم. ***والله المستعان***. ويحتمل:[6] **لا يفقهون**، عن الله تعالى وأنه تعبدهم وأمرهم بطاعته[7] [وطاعة][8] رسوله واتباعه، ويحتمل:[9] **لا يفقهون**، أنهم يَتعدَّوْن[10] وأن لله دارا أخرى يسألهم عما فعلوا ويجازيهم على جميع ذلك.

ثم قال هاهنا: **لا يفقهون**، ولم يقل: لا يعلمون، لأن الفقه[11] إنما هو الذي يعرف به الشيء بالشيء، فأخبر أنهم لا يعرفون الآخرة بالدنيا. وقال ابن سُرَيج:[12] الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالِّ على نظيره. وعندنا أن الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على[13] غيره،

---

[1] جميع النسخ: وإنما كان.

* ورد هنا قسم من تأويل الآية ١ من هذه السورة متأخر، فقدمناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٨٠٦ظ/ سطر ٣٢-٣٨.

[3] ر - كانوا.

[4] ن - فأخبر أنهم لا يفقهون أنه طبع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق.

[5] م + أنه.

[6] جميع النسخ + أي. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٩ظ.

[7] جميع النسخ: بطاعة. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] الزيادة من المرجع السابق.

[9] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] جميع النسخ: يتعبدون؛ ن + أنهم لا يتعبدون. والتصحيح من المرجع السابق

[11] ر: لأن الفقهة

[12] ر م: ابن شريح. أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. توفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م. (الأعلام للزركلي، ١/ ١٨٥).

[13] م + غير.

كان ذلك نظيرا له أو لم[1] يكن؛ لأن من عرف الحق بمعاهم دله دلك عى معرفة الصانع، ومن عرف الدنيا دله دلك عى معرفة الآخرة وليسا بنظيرين. ثم بين الفقه والعلم فصلٌ[2] من وجه وإن كانا جميعا[3] في الحقيقة يرجعان إلى معنى واحد، لأن العلم إنما هو[4] تجلي[5] الشيء له وظهوره بنفسه، والفقه تَعَرُّف [الشيء][6] بغيره استدلالا. ولذلك[7] جاز أن يقال: الله تعالى عالم، لتجلي[8] الأشياء له، ولم يجز أن يقال: إن الله فقيه، لأنه لا يعرف الأشياء بالاستدلال. **والله الموفق**. والحكمة وضع الأشياء مواضعها، والإيقان إنما هو يتولد عن ظهور الأسباب. ولذلك[9] جاز أن يقال: إن الله تعالى حكيم، ولم يجز أن يقال: إنه موقن. **والله المستعان**.

**﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم**، في هذا بيان أن الله تعالى قد كان آتاهم حسن الصورة وحُسْنَ البيان، وأنه قد آتاهم العلم[10] لأن حسن البيان لا يكاد يكون إلا عن[11] علم. فكأن الله تعالى ذكر نعمه التي آتاهم فإنهم لم يشكروا نعمه وأساءوا صحبتها، فكأنه يقول: كيف ترجوا[12] منهم حُسن الصحبة لك وإنهم لم يُحسنوا صحبة نعمة[13] رب العالمين؟ فيكون فيه[14] بعض التسلي لِما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به وإعراضهم عن اتباعه وطاعته.

---

[1] ث: نظير له ولم.
[2] ن ث م: فضل.
[3] ث – جميعا.
[4] ر م – هو.
[5] ر م: يجلي.
[6] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٩ظ، والزيادة منه.
[7] ر م: وكذلك
[8] ث: تجلي.
[9] ر م: وإن لذلك.
[10] ت – العلم
[11] ر: إلاه عن؛ م: آتاهم
[12] جميع النسخ: يرجوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠و
[13] ث: نعمه
[14] ر ت م – فيه.

وقوله عز وجل: **وإن يقولوا تسمع لقولهم**، يعني وإن يقولوا[1] تحسب قولهم حق فتسمع لقولهم لتقبله.[2] ويحتمل[3] تسمَعُ لقولهم لما يُعجبك[4] قولهم،[5] أو تسمعُ لقولهم[6] على ما كانت عادته عليه السلام في كل مَن كلّمه أنه لا يُعيّر[7] عيبه ولا يقطع عليه كلامه حتى يفرغ منه، ثم قَبِلَه إن كان مما يجب قبوله، وعيَّر[8] على صاحبه ورده إن كان مستحقا لتعيير[9] عيبه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَة**، يقول: إنهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن[10] الصورة والبيان بحيث يعجبك،[11] وفيما تُنقِي[12] إليهم من الحق والدين والحكمة **كأنهم خشب مسندة**، لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة. ويحتمل أن يكون[13] هذ تمثيلا بالخشب من حيث أن الخشب المسنَّدة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا أجواف لها فيوضع فيها شيء. فكذلك المنافقون كأنهم خشب[14] لا أجواف لها يوضع فيهم الحكمة والدين والحق.[15] *والله أعلم*. وجائز أن يكون معناه: **كأنهم خشب مسندة**، من حيث أن الخشب المسنَّدة[16] ليس لها أسماع[17] ولا أبصار ولا قلوب، فكذلك المنافقون كأنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ في ناحية الحق وقبوله. *والله المستعان*.

---

[1] ن: وإن تقولو.
[2] ن: لثقيه.
[3] جميع لنسخ + أو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠و.
[4] ن: لما تعجبك.
[5] ث + قولهم.
[6] ث: لقوله.
[7] جميع النسخ: لا يغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: وغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: للتغيير. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: أحسن.
[11] ن: تعجبك.
[12] جميع النسخ: يبقى.
[13] ر ث م - أن يكون.
[14] ر م - خشب.
[15] ن: الحق.
[16] م - المسندة.
[17] ر م: سماع.

وقوله عز وجل: **يحسبون كل صيحة عليهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يحسبون كل صيحة سمعوها كلمةً تَهتِك[1] عليهم[2] أستارهم[3] وتَفضَحُهم.[4] ألا ترى إلى قوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.[5] فأخبر أنهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك أستارهم والاطّلاع على ما في قلوبهم، فكذلك كانوا[6] يحسبون أن من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يكلم[7] بما يهتك عليهم أستارهم ويفضحهم. ***والله المستعان.***

والثاني يحتمل[8] أن يكون ذلك في الحرب أنهم كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا أن يكون فيه هلاكهم، وذلك أنهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حِدَةٍ، وإذا وافقوا هذا الفريق[9] صاروا حربا للفريق الآخر،[10] وإذا وافقوا[11] الآخر صاروا حربا لهؤلاء. فأخبر الله تعالى أنهم يحسبون من كل صيحة سمعوها أن يكون ذلك سببا لهلاكهم.

ويحتمل أن يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لتأميهم الأمن من وجه لم يُؤْذَنُوا فيه؛ وذلك لِمَا وصفنا أنهم كانوا يظهرون الموافقة[12] لكل فريق[13] رجاءَ أَمْنِهم، وكان جميع مقاصدهم في ذلك تحصيلَ منافع الدنيا دون الديانة بدين من الأديان وذلك غير مأذون فيه. فلما آثروا ذلك واختاروه من غير أن يؤذن لهم عاقَبَهم[14] بالخوف الدائم: إما عن الافتضاح[15] والاطلاع على ما في قلوبهم أو عن الهلاك. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: يهتك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠و.
[2] م – عليهم.
[3] جميع النسخ: سترهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: يفصحهم. ن ث: ويفضحهم.
[5] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[6] ر ث م – كانوا.
[7] ر ن ث: تكلم.
[8] ن: ويحتمل.
[9] ن – وإذا وافقوا هذا الفريق.
[10] ن – صاروا حربا للفريق الآخر.
[11] ن: وإذا وفقو ؛ ث: وإذا فقو .
[12] ن – الموافقة.
[13] ر م – فريق.
[14] ر م: عاقبتهم.
[15] ر م: عن الافتصاع.

/ وقوله عز وجل: **هم العدو فاحذرهم**، له أوجه من التأويل. أحدها أن يقول. **هم العدو**، [٨٠٨ظ]
يعني أنهم أدنى عدوك[1] **فاحذرهم**، في جميع أحوالهم في المطعم[2] والمشرب وغيره، لأن الحذر عمن قرب من الأعداء ودنا أوجبُ ممن بعد ونأى، أو احذرهم أن تُطلعهم على سرك[3] فيما تُرَوِّيه[4] وتُضمره[5] من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك أو يُطْلعون الكفرة على سرك. أو احذرهم أن تَقْبل[6] منهم قولا يقولونه عن أصحابك لأنهم يُغْرُون أصحابك عليك[7] فاحذرهم أن تقبل[8] قولهم على أصحابك.

وقوله عز وجل: **قاتلهم الله**، يعني لعنهم الله.[9] وقوله: **أنى يُؤْفَكُون**، له تأويلان. أحدهما أن يقول: أيُّ سبب يمنعهم عن الإيمان[10] بك وطاعتك واتباعك،[11] وقد أتيتهم بالآيات والحجج في اطّلاعك على سرائرهم، وذلك لا يكون إلا عن الوحي؟ أو يقول: **أنى يؤفكون**، يعني أنى يكذّبون[12] تقيدا بأولئك الكفرة من غير أن يظهر لهم في ذلك آية وحجة، ولا يقلدون البرهان والحجة فيتبعونك؟ ***والله أعلم***.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾**[٥]

وقوله: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوَّوْا رءوسَهم**، ظاهر هذه الآية أن هذا القول منه إنما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.[13]

---

[1] ر ث م: عدوكم؛ ن: عدوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[2] ر م: في المطمع.
[3] ر م: عنى سر.
[4] جميع النسخ: ترونه. والتصحيح من المرجع السابق. رَوَّى في الأمر: نظر فيه وتعقبه وتفكر (*لسان العرب*، «روي»).
[5] ن: ويضمره.
[6] ر ن م: أن يقبل.
[7] ن: عليهم.
[8] ر ن م: أن يقبل.
[9] ر ث م - الله.
[10] ر م + أحدهما أن يقول أي سبب يمنعهم عن الإيمان.
[11] ر م - واتباعك.
[12] جميع النسخ: تكذبون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠و.
[13] الآية ٨ من هذه السورة

وروي في الخبر أن هذه الآية نزلت في عبد الله بنُ أُبَيّ بن سَلُول المنافق لأنه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن أبيّ بن[1] سلول في ناحية المسجد. وقال: هذا رسول الله فوقّروه وعظِّموه، حتى نزلت هذه السورة، فقال بمثل مقالته. فقال له عمر رضي الله عنه: اجلس يا كافر! فإن الله تعالى قد فَضَحَك. قال: فخرج من المسجد قبل أن يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسألوه عن خروجه من المسجد قبل أداء الجمعة، فأخبرهم عن القصة، فقالوا: ارجع إلى رسول الله وسله أن يستغفر الله[2] لك، فَلَوَى[3] رأسه،[4] وقال: ما لي إلى استغفاره حاجة.[5]

وروي أنه لما قال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] ثم أراد دخول المدينة من بعد هذه المقالة فحبسه ابنه عن دخول المدينة،[7] وقال: لا أَدَعُك تدخلها ما لم تُقِرّ أنك الأذل وأن رسول الله هو الأعزُّ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يُخَلِّي عن أبيه، ثم قال له: «إنك أولى أن تُسمَّى[8] عبدَ الله من أبيك»، فسُمّي من بعد ذلك عبدَ الله[9] وكان يسمى حُبَابًا.[10] فهذان الخبران يدلان على أن هذه الآية إنما نزلت[11] في واحد منهم، وظاهرها يدل[12] على [أن][13] ذلك كان في جملة المنافقين.

ولكن الوجه في ذلك عندنا[14] -والله أعلم- أنه يجوز أن يكون اعتقاد جملتهم على ذلك، فذكرهم الله تعالى جملة[15] لاعتقادهم عليه، وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة.

---

[1] ر م - بن.
[2] ر ث م - الله.
[3] ر م: فلوا.
[4] ن: برٔسه.
[5] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٧٥.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ر م - عن دخول المدينة.
[8] ر م: أن يستمي؛ ن ث: أن يسمي.
[9] م - عبد الله.
[10] ر ث: حناب. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/١٤٣.
[11] ن: ان ذلك الآية إنما دلت.
[12] ر ث م: تدل.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[14] ن - عندنا.
[15] ر: جميلة.

والاستغفار إنما هو طلب المغفرة، وذلك إنما يتحقق في الآخرة. فإذا كان على هذا أصلُ اعتقادهم جملةً ذكرهم الله تعالى[1] على ذلك. وكذلك قوله: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[2] كان عندهم أن الله تعالى إنما آتاهم العز والغنى والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون[3] عليه من ذلك الوجه.

ثم إن الله بما ذكر في هذه الآية أنبأ أنه قد كان آتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق هذه النعم وتعظيمها وشكرها، وأنهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفرة في سوء الصحبة بالنعم. وذلك أنه لما قال: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ،[4] دل أنه كان آتاهم حسن الصورة وحسن البيان؛ ولما قال: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا،[5] دل أنه قد كان آتاهم الغنى، ولما قال: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] دل أنه قد كان آتاهم العز والشرف. ومعلوم أن هذه الأسباب التي وصفنا هي أسباب العز والشرف في الظاهر. ثم أخبر أنهم تركوا شكر ما أنعم عليهم في تعظيم الحق وأداء[7] شكره، وأنهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع؛[8] لأنه دل بقوله تعالى: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا،[9] على غاية البخل حيث امتنع عن الإنفاق بنفسه وأمر غيره[10] أن لا ينفق أيضا،[11] وذلك في غاية البخل. ولَمّا قال: كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ،[12] دل أنهم كانوا في الغفلة عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته. ولما قال: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لَوَّوْا رءوسهم**، دل أنهم كانوا في الاستخفاف به حيث تركوا الإنصاف،

---

[1] م – جملة لاعتقادهم عليه وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة والاستغفار إنما هو طلب المغفرة وذلك إنما يتحقق في الآخرة فإذ كان على هذا أصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى.
[2] الآية ٨ من هذه السورة.
[3] ر م: تنكرون.
[4] الآية السابقة.
[5] الآية ٧ من هذه السورة.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ر ن: وإذا.
[8] ر ت م: الصنع؛ ن: الظن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠ظ.
[9] الآية ٧ من هذه السورة.
[10] م + أيضا.
[11] ر م – أيضا.
[12] الآية السابقة.

وأخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار عليه غايته. ولما قال: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ،[1] دل أنهم كانوا في سوء السريرة غايته.

{قال:} ويجوز أن يقع كل ذلك منهم لوجهين. أحدهما أنهم رأوا ذلك حقا لهم على الله تعالى.[2] أو رأوا[3] أن الله تعالى آتاهم ذلك تفضيلا لهم[4] على غيرهم؛ فكانوا يتكبرون ويستعظمون[5] على غيرهم ويستخِفّون برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الوجه. ولم يتأملوا ولم يتفكروا ليتبين لهم أن الله تعالى آتاهم جميع ذلك النعم محنة عليهم، فعبّدهم[6] بأداء شكرها وتعظيم حقها. وذلك[7] معنى لَا يَفْقَهُونَ،[8] أي لا يتأملون النظر في هذه النعم. وذلك أنه لو لم يكن

[٨٠٩و] / رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُلزمهم[9] أن يتأملوا فيما أُوتُوا من النعم وينظروا؛ فإذا تفكروا في ذلك ولم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا به عنده مكافأةً[10] لذلك ولا لهم فضل يُفضّلهم الله بها على غيرهم، فكان يتبين لهم أن الله تعالى إنما أعطاهم هذه النعم محنة[11] ليتعبدهم بأداء شكرها.[12]

ولذلك وقع الفصل[13] فيما بين العلم والفقه أن ما كان حقه التأمل والنظرَ فحق اللفظ فيه أن يقال: يفقهون، ولا يفقهون؛ وما كان حق العلم به السماعَ والخبر أُطلق فيه لفظ العلم. ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر: لَا يَعْلَمُونَ،[14] لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة[15] لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[2] ر ن ث + إياهم؛ م + آتاهم.
[3] ر م: أو يروا.
[4] ر م: تفضلا لهم.
[5] ن: ويتعظمون.
[6] جميع النسخ: تعبدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[7] ث: وهذا.
[8] من الآية ٣ من هذه السورة.
[9] م: لا يلزمهم.
[10] ر: مكافات.
[11] ث: محنته.
[12] ر م: شكر.
[13] ر ن م: الفضل.
[14] أي في قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ الآية ٨ من هذه السورة.
[15] ن - والنصر لا يعلمون لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة.

وقوله عز وجل: **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**، له وجهان. أحدهما رأيتهم يصدون عن طاعتك[1] واتباعك. والثاني يصدون ضعفتهم عن اتباعك.

**﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[٦]

وقوله: **سواء عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم**، لأنهم لم يَعدّوا ذلك زلة وذنبا لأنه كان عندهم أنهم على الحق. والثاني ما قلنا: إنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة، والمغفرة إنما يطلب من الله ويتحقق ذلك في الآخرة. وقوله عز وجل: **لن يغفر الله لهم**، على ذلك أيضا أنه لا يغفر أستغفرت أم لم تستغفر.

{قال رحمه الله:} ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم، ولكنه يجوز أن يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له.[2] ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **لن يغفر الله لهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: **لن يغفر الله لهم**، ما داموا على النفاق ولم يتوبوا عنه. والثاني أن يقول:[3] **لن يغفر الله لهم**، في قوم علم الله منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فقال في أولئك: **لن يغفر الله لهم**، وكذلك هذا في قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[4]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي القوم الفاسقين.** فيه أن الله تعالى يملك هدايةً وراءَ هداية البين، لأن من لم يملك[5] شيئا لم يستقم أن يوصف بالتعظيم أنه لا يفعل، لأنه يعلم [أنه][6] إذا لم يقدر ولم يملك لا يفعل.[7] وإنما يوصف بهذا من يملك ذلك[8] ولكن لا يفعل. فلو لم يملك ولم[9] يقدر خلق فعل الاهتداء فيمن أراد لم يوصف بأنه لا يهدي الفاسقين. فدل أنه يملك هداية وراء هداية البيان، وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك. ***والله الموفق.***

---

[1] ن: عن طاعته.
[2] ر م – له.
[3] ث: والثاني يقول.
[4] سورة البقرة، ٦/٢.
[5] ن: من يملك.
[6] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٣١و.
[7] ن + وهو يملك
[8] ن: هذا.
[9] ر ن م – يملك ولم

وقال أبو بكر [الأصمّ:] معنى قوله: **لا يهدي القوم الفاسقين**، أي لا يهديهم بفسقهم.[1] وقالت المعتزلة: أي[2] لا يسميهم مهتدين إذا فسقوا وضلوا. وأيّهما كان فهو محال، لأن من هدى ضالًّا بضلالته[3] فهو سفيه، فكأنه يقول: لا يَسْفَهُ، ومن سمى الضال[4] مهتديا فهو كاذب، فكأنه قال: لا يكذب، وهما جميعا غير مستقيم، لأنا نعلم أنه لا يَسفه ولا يكذب. فثبت أن في ملكه هداية يهدي من يشاء من عباده[5] سوى هداية البيان. وإذا ثبت ما وصفنا أن في ملكه هدايةً سوى هداية[6] البيان ثبت أن له فيها مشيئة؛[7] لأن من ملك شيئا لم يجز أن يُقطع عنه مشيئتُه. فلذلك قلنا: إن الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم أنه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى، ويهدي من يشاء لمن علم أنه يؤثر الهدى على الضلالة، فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده. *والله المستعان*.

**﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾**[٧]

وقوله عز وجل: **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**، قد وصفنا أن هذا من غاية بخبثهم.[8] و[في] قوله: **حتى ينفضوا**، دلالة أنهم أرادوا إطفاء هذا النورِ وإخفاءه فأبى الله تعالى إلا إظهاره.

وقوله عز وجل: **ولله خزائن السماوات والأرض**، يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالإنفاق على المؤمنين. أو **لله خزائن السماوات والأرض**، يُضيّقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق. أو يجوز أن يكون هذا بِشارةً للمؤمنين بأن الله تعالى يوسّع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت، وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح وآتاهم النصر والغلبة على أعدائهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لفسقهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١و.
[2] ر: - أي.
[3] جميع النسخ: لضلالته. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: الضلال.
[5] م: من عنده.
[6] ر ت م: سوى هدايه.
[7] ن: مشية.
[8] ن: بحنقهم.

**﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**. الأعز قد يحتمل معاني. أحدها الأغلب والأقهر، على مثال قوله: وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ،[١] أي غلبني في الخصومة. والثاني الأقوى والأشد، على مثال قوله عز وجل: أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[٢] يعني أقوياء وأشداء. والثالث الأعلى والأجلّ، وكذلك قوله: **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**. فإن كان على الأعلى والأجل فذلك أن المؤمنين أعلى وأجل لأنهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفارَ اتبعوا أهواءهم. وإن كان على الأغلب والأقهر فذلك للمؤمنين بالغلبة والنصرة على أعدائهم. وإن كان[٣] على القوة والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين، لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين[٤] لم يكن أهل النفاق يُظهرون الوفاق للمؤمنين. ولكنهم لما رأوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار أخرى أظهروا الموافقة للفريقين جميعا. ولذلك قال / ذلك المنافق: **لَيُخرِجَنَّ الأعز منها الأذل**، [٨٠٩ظ] لأنه لما رأى العزة والشدة للكافرين يوم أُحُدٍ توهم أنهم يغلبونهم أبدا فأظهر النفاق وقال عند ذلك: **ليخرجن الأعز منها الأذل**. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**، اختلف[٥] فيه. فمنهم من قال: هذه الآية في المنافقين، ومنهم من قال: في المؤمنين. فإن كانت[٦] في المنافقين فكأنه يقول: يا أيها الذين أظهرتم بلسانكم الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم[٧] عن ذكر الله، وإن كانت[٨] في المؤمنين فكأنه قال: يا أيها الذين حققوا الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله.

---

[١] سورة ص، ٢٣/٣٨.
[٢] سورة المائدة، ٥٤/٥.
[٣] ن: وإن كانوا.
[٤] ث – لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين.
[٥] ر م: واختلف.
[٦] ن: وإن كانت.
[٧] ر ث – ولا أولادكم.
[٨] ر ث م: وإن كان.

ثم اختلفوا في معنى الذكر. فمنهم من قال: معناه القرآن على مثال قوله: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا،[1] يعني قرآنا ورسولا. ومنهم من قال: معنى الذكر التوحيد. فإن كان تأويله القرآنَ فهو يتوجه إلى المنافقين والمؤمنين جميعا. فإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر والتأمل في القرآن، لأن الله تعالى بين في القرآن[2] أمورا تُظهر[3] سرائرهم، وما يُظهر[4] عندهم [ف]إن الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه وإنه إنما يقوله بالوحي. فكأنه يقول: إذا تأملتم النظر في القرآن حملكم ذلك على التحقيق في الإيمان؛ فلا يَحملْكم حب المال والولد على ترك التأمل في القرآن لأنكم إذا نظرتم فيه وتأملتم حصلتم منه على تحقيق الإيمان. *والله أعلم*. وإن كان في المؤمنين فمعناه أنْ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر في القرآن فإنكم إذا نظرتم فيه صرتم من أهله وجلّ قدركم. وإن كان المراد من الذكر التوحيدَ فهو راجع إلى الناس كافة.

فأما المؤمنون فكأنه حذرهم عن حب المال والولد أن تحملهم[5] غاية حبهما[6] على أن يَنْسَوا وحدانية الله والإيمانَ بالرسل والبعث. فكأنه يقول: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم كما ألهى الكفرة، فيحذِّرهم عن أن يقعوا في الهلاك من حبهما،[7] كما قال: اِتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[8] يعني اتقوا[9] [السبب][10] الذي يُفضي بكم إلى النار المُعَدّة للكافرين، فكذلك الأول. وإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا يحملْكم حب المال والولد أن تتركوا[11] حقيقة الإيمان به والتوحيد له[12] والطاعةَ لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة الطلاق، ٦٥/١٠-١١.
[2] ر ث م - في القرآن.
[3] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[4] ر م: ما يظهر.
[5] جميع النسخ: أن يحملهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: حبها.
[7] جميع النسخ: من حبه.
[8] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[9] ر + النار.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يتركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: الإيمان والتوحيد له.

وقوله عز وجل: **ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**، فعلى ما ذكرنا من التأويلين في إنكار البعث والتوحيد ظاهر، وإن كان في المؤمنين فمعنى الخسار هو[١] الخوف من أن يقع به الوعيد.

**﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[١٠]

وقوله: **وأنفقوا مما رزقناكم**، يجوز أن يكون صلة قوله: **لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**،[٢] فيمنعكم ذلك عن الإنفاق؛ فإنكم إذ امتنعتم عن الإنفاق ازداد حبكم فتنسون[٣] وحدانية الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقوله عز وجل: **لولا أخرتني إلى أجل قريب**، قال بعضهم: تمنَّى الرَّجْعَة لما رأى من الهلاك والعذاب حيث ترك[٤] الحقوق. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥] أنه قال: لو كان ثمة[٦] خير لم يَتمنَّ الكَرَّة.[٧] ولكن المعنى في ذلك عندنا -والله أعلم- أنه يتمنى الرجوع ليتصدق ليس للإنفاق[٨] خاصة ولكن ليتصدق وليكون من الصالحين أي الموحدين.[٩] وذلك مستقيم أن يقال إذا ترك التوحيد فنزل به الموت: إنه يتمنى الرجوع لما يرى[١٠] من الهلاك والعقوبة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا إن كانت الآية في المؤمنين الموحدين أنهم يتمنون الرجوع حياءً[١١] من ربهم لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجبون[١٢] به الحسنات، وقصّروا فيما فرض[١٣] الله تعالى عليهم من العبادات. وحق على كل مؤمن أن يستحيي من ربه إذا لقيه بما ترك من حقوقه التي ألزمها عليه والأسباب الواجبة.

---

١ ر م + هو.
٢ الآية السابقة.
٣ ر ث م: فيثبتون؛ ن: فينسون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
٤ ر ث م: تركوا.
٥ ر ن م: عنه.
٦ ر ن م: ثم؛ ث: ثمه.
٧ ر م: الكفرة؛ ن: لكره. الكرة: الرجوع. انظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٧٤/٨.
٨ جميع النسخ: الإنفاق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
٩ ر: ولتكون من الصاحين أي الموحدين؛ ن ث: ولتكون من الصالحين أي من الموحدين.
١٠ ن: لما ترى.
١١ ر ث م: حيا.
١٢ ر ن م: ما يستوجبو.
١٣ ن ث: أفرض.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١١]

وقوله: **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها**، الآية،[١] ليس يحتمل تأخيرَ الله تعالى أجله إذا جاء، لأنه لو أخره دل أنه بدا له في أجله، ومن بدا له في أمر فذلك دليل الجهل بالعواقب ولا يوصف رب العالمين[٢] بذلك. وقوله عز وجل: **والله خبير بما تعملون**، أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم: سرِّكم وعلانيتكم. والله أعلم بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق.[٣]

---

١ ن - الآية

٢ ب + جل جلاله

٣ ر - ومنه التوفيق؛ ن - بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق؛ ت: والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ما أراد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة التغابن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١]**

قوله عز وجل:[2] **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض**،[3] الآية. والتسبيح يحتمل أوجها ثلاثة وقد سبق ذكره.[4] وقوله: **له الملك وله الحمد**، يحتمل وجهين. أحدهما[5] يحتمل الملك الولاية والسلطان. والثاني يقول: **له الملك**، يعني ملك كل الملوك، كما قال في آية أخرى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾،[6] الآية، فأخبر أن ملك الملوك كلّها له، وأن من استفاد الملك إنما يستفيده بالله تعالى وبامتنانه عليه. *والله أعلم*. وقوله: **وله الحمد**، يحتمل أوجها ثلاثة من التأويل. أحدها أن يقول: **له الحمد**، يعني له / الثناء الحسن بصفاته العُلَى وأسمائه[7] الحسنى. والوجه الثاني أن يقول: [٨١٠و]
**له الحمد**، يعني حمدُ كل مَن يَحمد فحقيقة ذلك الحمد له بما أحسن إلى عباده[8] وأنعم عليهم

---

[1] ر – سورة التغابن؛ ن م + وهي مدنية؛ ث + وهي ثمان عشرة آيات مدنية.

[2] ر: وقوله عز وجل.

[3] ر ث م – وما في الأرض.

[4] انظر: تفسير الآية ١ من سورة الجمعة

[5] ر ث م – أحدهما.

[6] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

[7] جميع النسخ: وسمائه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٢و.

[8] ن: إلى عبده.

وذلك معنى قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ،[1] أي الحمد والثناء الحَسَن لله تعالى على إحسانه إلينا[2] وإنعامه علينا. والثالث أن يُجعَل معنى الحمد معنى الشكر لأن الحمد قد يستعمل في موضع الشكر.

وقوله عز وجل: **وهو على كل شيء قدير**، يحتمل أن يكون معناه وهو على كل شيء أراده[3] قدير. وهو حجة على المعتزلة لأن الله تعالى لا يزال يمدح نفسه بأنه بصير عليم،[4] وأنه على كل شيء قدير، وأقرت المعتزلة بأنه بصير عليم،[5] وأبت عن الإقرار بأنه قدير على أفعال[6] العباد أو على إصلاح أحد من العباد، وهذا خلاف ما مدح الله تعالى به نفسه.[7] ***والله الموفق.***

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**، يحتمل أن يكون تأويله: فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين[8] بدين الإيمان؛[9] ودل هذا على أن المعصية والطاعة يجتمعان في دين واحد وأن المعصية لا تخرجه[10] من دينه، لأن المعصية[11] لم يرتكبها تدينا بها ولكن لغلبة شهوة أو غضب عليه. وأما الكفر والإيمان فإنه يأتي بهما المرء اختيارا، ويتدين بالكفر والإيمان لما عنده أنه حق.

وفي هذه[12] الآية دلالة أن ليس بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة، وليس كما قالت المعتزلة: إن صاحب الكبيرة بين منزلتين من[13] الكفر والإيمان، والله تعالى قسّم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا ومنهم من خلقه مؤمنا، ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة، فلا يجب أن يُجعل. ***والله الموفق.***

---

[1] سورة الفاتحة، ١/١.
[2] ن: الشاء.
[3] ر م – أراده.
[4] م + عليم.
[5] ن – وأنه على كل شيء قدير وأقرت المعتزلة بأنه بصير عليم، صح هـ.
[6] ر م: فعل.
[7] ر ث م: ما مدح الله تعالى نفسه به.
[8] ن: تدين.
[9] ن: الإسلام.
[10] جميع النسخ: لا يخرجه. وفي الشرح: لا تخرج، ورقة ٢٣٢و.
[11] م – المعصية.
[12] ر: وفي هذا.
[13] جميع النسخ: بين. والتصحيح من المرجع السابق.

وفيها[1] أيضا وجه لطيف سوى ما ذكرنا، وهو أن كل أحد في الدنيا مؤمن وكافر في الحقيقة، لأن من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا بالله فهو مؤمن بالطاغوت، وإذا[2] كان كذلك وجب[3] أن يُستبحَث عن معنى قوله: **فمنكم كافر ومنكم مؤمن**. ومعناه عندن أن الحقيقة وإن كانت كذلك[4] فالإيمان إذا ذُكر[5] مطلقا لم يفهم منه إلا[6] الإيمان بالله تعالى، والكفر إذا أطلق أيضا لم يفهم منه إلا الكفرُ بالله تعالى. وإذا كان كذلك جاز أن يكون لفظ الكتاب خارجا عن ما عليه المعهود من المتعارف المعتاد. ***والله أعلم.***

وقوله: **والله بما تعملون بصير**، في الأزل بما يعمله العباد وأنه ليس كما قال بعض الناس أنْ لا يعلمُ فعل العبد إلا وقت فعله، واحتجوا في ذلك أنا لو قلنا: إن الله تعالى[7] بصير في الأزل بما يفعله لكان قولا بما لا يستقيم في المعقول. ألا ترى أنا لا نرى في الشاهد من يبني[8] بناء يعلم أنه يضره، أو يشتري عبدا يعلم أنه[9] يعاديه، فكذا لا يستقيم أن يقال: إن الله تعالى[10] خلق عبدا قد كان[11] يعلم من قبلُ أنه إذا خلقه عاداه.

والجواب عن هذا أن هذا[12] الذي وصفه غير مستقيم في الشاهد، لأن منافع ما يفعله العباد ومضارهم ترجع[13] إلى أنفسهم وليس من العقل أن يفعل المرء فعلا يعلم أنه يضره. وأما رب العالمين فإنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه، فجاز أن يخلق خلقا يعلم أنه يختار عداوته لِيَظْهر عند الخلق أنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه[14] بعد أن يكون في الحكمة ذلك. ***والله أعلم.***[15]

---

[1] جميع النسخ: وفيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢و.
[2] ر ث م: فإذا.
[3] ر م: وجبت.
[4] ر ن ث: لذلك.
[5] ن: إذ ذكره.
[6] ر م: لم يفهم منه الإيمان.
[7] ث – إن الله تعالى.
[8] ر م: من بني؛ ث: من بن.
[9] م: أو يشتري غلاما أنه.
[10] ر م: أنه تعالى.
[11] ر م: عبد كان.
[12] ر ث م – أن هذا.
[13] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢ظ.
[14] ث – فجاز أن يخلق خلقا يعلم أنه يختار عداوته ليظهر عند الخلق أنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه.
[15] ر: الله أعلم.

ثم في قوله: **والله بما تعملون بصير**، و عَلِيمٌ،[1] و وَكِيلٌ،[2] وحَفِيظٌ،[3] إلزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب، لأنه إذا علم المرء أن عليه في كل ما يفعله رقيبا يتيقظ[4] و لم يفعل إلا ما يرضى به ربه. *والله المستعان*.

**﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قد وصفنا أن الحق إذا جرى ذكره يُصْرَف[5] في كل شيء إلى ما هو أليق به، فإذا ذكر في الأخبار أريد به[6] الصدق، وإذا[7] ذكر في الأحكام أريد به العدل، وإذا ذكر في الأقوال أريد به الإصابة. فما قال: **بالحق**، هاهنا فكأنه أراد به الحكمة، كأنه يقول: خلق السماوات والأرض بالحكمة. وقال بعضهم: **بالحق**، يعني للحق وهو البعث، فكأنهم عنوا به أن الله تعالى لم يخلقها عبثا بل خلق للعباد.[8]

وقوله عز وجل: **وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أحسن أي أتقن وأحكم. ومعنى ذلك أن الله تعالى خص صُوَر بني آدم في الاستدلال بوحدانيته وربوبيته في أن جعل في أنفسهم حقيقة المعرفة والاستدلال بأنفسهم على وحدانية الله[9] تعالى. وأما غيرهم من الصور فإنما يقع الاستدلال لغيرها بها، ليس لنفس تلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلالُ بوحدانية الله تعالى. ولذلك كان خلق صور بني آدم أتقن وأحكم.[10] *والله أعلم*.

والثاني أن يصرف الحُسْن إلى حسن المنظر، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق بني آدم على صورة لا يَوَدّون[11] أن يكون صورتهم مثل صورة غيرهم من الخلائق، فثبت أن صورتهم في [٨١٠ظ] المنظر أحسن / صورةً. فذلك معنى قوله تعالى: **وصوركم فأحسن صوركم**. *والله أعلم*.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٨٣؛ وسورة لنور، ٢٤/٢٨.
[2] سورة الأنعام، ٦/١٠٢؛ وسورة الزمر، ٣٩/٦٢.
[3] سورة سبأ، ٣٤/٢١.
[4] ر م رقيب متيقظ؛ ت: متيقظ.
[5] جميع النسخ: تصرف.
[6] ر م − به.
[7] ت + أريد به.
[8] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٣).
[9] ر ت م: وحدانيته.
[10] ت: أحكم.
[11] جميع النسخ: لا يودوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٢ظ.

وقوله:[1] **وإليه المصير**، يعني البعث، وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه هو النهاية[2] والمقصود في خلقهم.[3] ولما لم يَفهَم أحد من[4] قوله: **وإليه المصير**، معنى الانتقال والتحول من مكان إلى مكان من حيث أنه يضاف إلى الله تعالى، لأن هذا فعل يكون باثنين فإن من صار إلى شيء صار ذلك إليه مثل الملاقاة[5] والإتيان ونحو ذلك، فلما لم يَفهم منه الانتقال لم ينبغ[6] أن يفهم من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[7] معنى الانتقال. ***والله أعلم***.

**﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[٤]

وقوله عز وجل: **يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون**، في إخباره عن علمه بذلك كلِّه إيجابُ المراقبة والتيقظ والتبصر والمحافظةِ على ما أمره الله تعالى ونهاه. وفي هذا إخبار أن الله تعالى مطلّع على ما تُضمرون[8] محصٍ[9] عليكم جميع ما تظهرون[10] فاحذروا أن ترتكبوا[11] ما فيه سخطه في الحالين جميعا. ***والله المستعان***. وقوله عز وجل: **بذات الصدور**، قال أهل التفسير: أي بما في الصدور، ويحتمل أن يكون المراد منه بالأنفس[12] التي لها الصدور، وكل من كان ذا فكرة وتدبير فإنه يسمى ذات الصدر.[13] ومعناه أن التدبير إنما يصدر عن ذلك الموضع ويرجع إليه، وكان[14] بنو[15] آدم خُصّوا بهذا المعنى فلذلك[16] ذُكر هذا فيهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: هو الهداية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢ظ.
[3] ر م: وفي خلقهم.
[4] ن + خلقه، مشطوب.
[5] ر م: لملاقت.
[6] جميع النسخ: لم ينبغي. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[8] جميع النسخ: يضمرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: مخفي.
[10] جميع النسخ: يظهرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يرتكبو. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: الأنفس.
[13] جميع النسخ: ذات الصدور. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر ث م: وكل.
[15] ر ث: سوا.
[16] ر م: فكذلك.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل.** فتأويله عندنا[1] -والله أعلم- أي قد أتاكم نبأ الذين كفروا من قبل[2] وماذا نزل بهم حين كفروا وعاندوا. ومعنى ذلك أن الله تعالى قد حذّرهم بما يكون في الآخرة من ألوان العذاب، فلم يتعظوا لما لم يكونوا يؤمنون[3] بالبعث. فلما لم ينجع فيهم ذلك حذرهم بعقوبات تنزل[4] بهم لو لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان. وقوله عز وجل: **فذاقوا وبال أمرهم**، أي شدة[5] أمرهم. ويحتمل أن يكون عاقبة أمرهم. وقوله: **ولهم عذاب أليم**، فيه إخبار أن ما نزل بهم من العذاب في الدنيا لم يكفّر عنهم ذنب الكفر، وأن عذاب الدنيا إنما كان جزاء شرهم في الكفر، وأنه يعذبهم[6] في الآخرة عذاب الكفر والشرك. *والله أعلم.*

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٦]

وقوله: **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا**، فكأنه يريد بقوله: **ذلك**، أي تلك العقوبات التي نزلت بالأمم الماضية إنما كان سببها أن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا، وكان قولهم: **أبشر يهدوننا**،[7] تلقين إبليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وأنكم لو احتجتم إلى طاعته ففيكم من هو أعظم منه درجة وأكثر منزلة، فإذا لم تطيعوه فكيف تطيعون بشرا مثلكم؟ وهذا كله عناد وخطأ. وذلك أنهم قد كانوا يعبدون الأصنام تقليدا منهم البشر. ألا ترى إلى قوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.[8] ومعلوم أنّ جعْل الأصنام معبودا يعبدونه بقول البشر تقليدا له أكثر[9] وأعظم

---

[1] ر: عند.

[2] ث - فتأويله عندنا والله أعلم أي قد أتاكم نبأ الذين كفروا من قبل.

[3] ر م: تؤمنون.

[4] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٣و.

[5] ر م: سده.

[6] ر م: لعذابهم؛ ن: لعدبهم.

[7] ر - فكأنه يريد بقوله ذلك أي تلك العقوبات التي نزلت بالأمم الماضية إنما كان سببها أن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا وكان قولهم أبشر يهدوننا.

[8] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣.

[9] ر م: أكثره.

من تصديق البشر أنه رسول من عند الله عند قيام الدليل المعجز. فإذا استجازوا تقليد البشر في ذلك فكيف لا استجازوا تصديق الرسول فيما يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته فيما يرجع إليهم من المنافع والمضار؟ ولكنهم كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم وعنادهم. *والله أعلم*. وكذلك قولهم: إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[1] وكيف يكون سحرا وقد أتاهم بآيات أعجزتهم وأعجزت السحرة أن يأتوا بمثلها؟ ولكنهم عاندوا ولم يجدوا حيلة سوى أن قالوا: إن هذا إلا سحر مبين.

وقوله: **فكفروا وتولَّوا واستغنى الله**، أي كفروا بالرسل، **وتولوا**، أعرضوا عن طاعته وطاعة[2] رسوله. وقوله: **واستغنى الله**، لم يسمع من أحد من المتكلمين يقول: "استغنى اللهُ" على الابتداء إلا ما ذكر في ظاهر هذه الآية. والقول في الاستغناء[3] فيما يريد به الإخبار جائز، نحو قولك: الله مستغن.[4] فأما أن تبتدئ فتقولَ:[5] "استغنى الله" فيما فيه شك وريب [ف]إنه لا يجوز البداية به. وقد غلط بعض المفسرين حيث قالوا: استغنى اللهُ بطاعة من أطاعه عن[6] معصية من عصاه، لأن الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية لمنافعَ يَأْمُلها، أو مضارَّ[7] يخشاها ويخافها، بل هو مستغن بذاته عن ذلك في الأزل. *والله أعلم*. ويجوز أن يكون في هذا إضمار، يعني واستغنى الرسول عن طاعتهم بالله تعالى؛ أو يصرف الاستغناء إلى الإخبار عن ذاته أنه مستغن[8] بذاته في الأزل لا يمسه حاجة، وأنه لا يضره كفر من كفر، ولا ينفعه إيمان من آمن، بل إنما يحصل ذلك كله للممتحن بهما. *والله أعلم*.

وقوله: **والله غني حميد**، قد وصفنا معنى الغني. وأما الحميد يحتمل وجهين. أحدهما يعني المحمود، أي المستحق للحمد بذاته، إذ[9] يستحق [مِن][10] كل أحد الحمدَ على ما يُحسن إليه.

---

[1] انظر مثلا: سورة المائدة، ٥/١١٠؛ وسورة الأنعام، ٦/٧.
[2] ر م - وطاعة.
[3] ر م: استغناء.
[4] ر ن م: مستغنى.
[5] جميع النسخ: أن يبتدئ فيقول. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٣و.
[6] ن: غير.
[7] جميع النسخ: تأمنها أو مضرة. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: مستغنى.
[9] ر م: أي؛ ن: إذ قد.
[10] الزيادة من المرجع السابق.

أو يحتمل[1] معنى الحميد على معنى الحامد. ووجه ذلك أن الله تعالى يَحْمَد محاسن الخلق
[٨١١و] وآثار أفعالهم، وأن حقيقة تلك الأفعال من جهة التوفيق والتسديد إنما كانت به[2] وذلك غاية الكرم.[3]

**﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن**، قوله: **قل بلى وربي**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون هذا تعليما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلّمه القسمَ تأكيدا لما كان يخبر[4] عن البعث، وكذلك جميع ما ذكر من القسم في القرآن يجوز أن يكون على هذا المعنى، لأن القسم إنما هو لنفي تهمة تمكّنت، والله تعالى لا يُتّهم في خبره، والرسولُ هو الذي كانوا يتهمونه فيما يخبر لما[5] لم يثبت عندهم رسالته لعدم تأملهم في دلائله. فعلّمه القسم تأكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة عما يقوله. ***والله أعلم***. ويجوز أن يكون هذا قسما مقابلا لما أقسم به الكفرة في أمر البعث. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[6]

وقوله عز وجل: **وذلك على الله يسير**، يحتمل وجهين. أحدهما أن أمر البعث على الله يسير[7] هين، لأنهم أنكروا البعث بعد ما صاروا ترابا، وأخبر أن بعثهم وإعادتهم أهون في عقولهم من إنشائهم[8] ولم يكونوا شيئا [فإذ لم ينكروا قدرته على إنشائهم حيث لم يكونوا شيئا][9] فكيف أنكروا قدرته على إعادتهم[10] بعد أن صاروا ترابا، فأخبر جل وعلا أن ذلك على الله يسير.

---

[1] ر: أو تحمل؛ ن: أو يحمل.
[2] ر - به.
[3] ر م - الكرم.
[4] م + يخبر.
[5] ن: فيما.
[6] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[7] ن - يحتمل وجهين أحدهما أن أمر البعث على الله يسير.
[8] جميع النسخ: من أسبابهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٣ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] ر ث م - أهون في عقولهم من إنشائهم ولم يكونوا شيئا فكيف أنكروا قدرته على إعادتهم.

والوجه الثاني من التأويل أن تذكير[1] ما عملوا من خير أو شر، وأحصاءه عليهم كلَّ سر وعلانية وكلَّ صغير وكبير ليعاينوا ذلك في كتبهم ويعلموا بحقيقتها[2] على الله يسير.

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٨]

وقوله[3] عز وجل: **فآمنوا بالله ورسوله**، يجوز أن يكون هذا صلة ما تقدم؛ وذلك أن الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالأمم الماضية، وأن ذلك إنما نزل بهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل، فآمنوا أنتم[4] بالله ورسوله لأن لا ينزل بكم ما نزل بهم من البأس والعقوبة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **والنور الذي أنزلنا**، النور هو القرآن، ويجوز أن يكون سماه نورا لأنه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة والمعصية والإحسان والإساءة والإيمان والكفر، كما يبصر بنور النهار حقيقة الأشياء من جيّدها ورديّها كذلك يبصر بهذا منافع الطاعة ومضار المعصية فسُمّي نورا من هذا الوجه. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله بما تعملون خبير**، أي إن الله خبير بما تسرون وما تعنون، فراقبوه وحافظوه في الحالين جميعا. وفي هذا بيان أن الله تعالى عالم بما يعمله[5] العباد في الأزل وبما[6] يكون منهم، وأنه ليس كما وصفه بعض الجهال. ***والله المستعان***.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]

وقوله: **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**، ذلك اليوم[7] في الحقيقة يوم جمع وتفريق[8] وهو أيضا في الحقيقة يوم تغابن وترابح وإن ذَكَر أحدَهما، دليل[9] ذلك ما ذكر في غيرها[10] من الآيات.

---

[1] جميع النسخ: أن يذكر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٣ظ
[2] ر ث م: تحقيقها
[3] ن: ووقوله.
[4] ن - أنتم.
[5] ر م: يعلمه.
[6] ر م: ربما.
[7] ر ث م - ذلك اليوم.
[8] ر م: والعرق؛ ن: والعرق؛ ث: يوم الجمع والتفريق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: دليل.
[10] ر م: في غيرها

ألا ترى إلى قوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١] وإلى ما ذَكَر في عقيب قوله: **ذلك يوم التغابن**، من قوله: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**، وهذا هو معنى التراابح. ولكنه جل ثناؤه يجوز أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر. ثم الغبن يذكر في التجارات.

والأصل في ذلك عندنا أن كل سيم طَبْعُه لا يخلو[٢] مِن عمل، وعمله لا يخلو[٣] من إحدى ثلاثة أوجه: إما أن يكون في مباح، أو أمر، أو نهي. ومعلوم أن من استعمل المباح فهو يستعين به في إقامة الأمر، إذ لا بد من البقاء لإقامة الأمر وذلك باستعمال المباح والاشتغال بأسبابه، فكأنه[٤] في إقامة ذلك الأمر. فحقيقته يرجع إلى أن الأعمال في الحقيقة ينصرف إلى نوعين: إلى أمر ونهي. ومعلوم أن من كان في أمر فهو تارك لما نُهي عنه ومن كان في نهي فهو تارك لما أمر به. والتجارة في الحقيقة هو أن يأخذ شيئا بترك شيء آخر، وإذا تحقق معنى التجارة في أعمال بني آدم أطلق لها لفظ التجارة.

{قال:} والدنيا لها ثلاثة أسماء: المتجر والمزرع والمسلك.[٥] وقد وصفنا معنى التجارة.[٦] وأما معنى المزرع فلأجل[٧] أن كل من يعمل في الدنيا فإنما يعمل لعاقبة؛[٨] ولا بد أن تكون[٩] عاقبته خيرا أو شرا. فكل من كانت[١٠] عاقبته الخير فهو زارع للخير ومن كانت عاقبته[١١] الشر فهو زارع لشر. ***والله أعلم***. وأما معنى المسلك والطريق فلأجل أن الخلق لم يخلقوا في هذه الدنيا لِيَقِرّوا فيها، وإنما خلقوا لأحد أمرين: إما لثواب أو للعقاب.[١٢] فكل من عمل عملا

---

١ سورة لشورى، ٤٢/٧.
٢ ر م: لا يخلو.
٣ ر م: لا يخلو ؛ ث – من عمل وعمله لا يخلو.
٤ ن – فكأنه. فكأنه: أي كأن مباح.
٥ ث – قال ولدنيا ها ثلاثة أسماء المتجر و مزرع و لمسلك.
٦ ث – وقد وصفنا معنى لتجارة.
٧ جميع النسخ: ولأجل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٣ظ.
٨ ر م: لعاقبة.
٩ جميع النسخ: أن يكون.
١٠ ن: من كان.
١١ ر: عاقبه.
١٢ ن: أو العقاب

يمضي به إلى الثواب والجنة فكأنه يسلك طريق الجنة. وكل من عمل[1] عملا يمضي به[2] إلى النار فكأنه يسلك طريق النار، فلذلك سميت[3] مسلكا وطريقا. *والله أعلم*.[4]

ثم التغابن عندنا يجوز أن يكون معناه أن أهل الكفر يُغْبَنون في أهليهم[5] وأموالهم في الآخرة، لأنهم كانوا يتعاونون بهم في الدنيا فحسبوا أنهم يكونون كذلك في الآخرة. فإذا لم يجدوا وصار[6] بعضهم يلعن بعضا، غُبنوا ما كانوا يأمُلونه[7] / منهم. وقال بعضهم: إن [٨١١ظ]
لكل كافر في الجنة قصرا وبيتا وأهلا، فإذا صاروا إلى النار ورث المؤمن أهله وقصره الذي كان له في الجنة فهذا هو التغابن. ولكن هذا غير صحيح عندنا، لأنه لا يحتمل أن يَبْنِيَ الله تعالى لكافر في الجنة بيتا مع علمه أنه لا يأتيه، لأن هذا فعل من لا يعلم العواقب ومن هو عابث في فعله، جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف. إلا أن يُحمل على الوعد إن ثبت الخبر[8] أي إن[9] أسلم[10] الكافر كان له ذلك المنزل في الجنة، وإن ارتد المسلم عن الإسلام كان له ذلك المنزل في النار وهو عالمٌ أن عاقبة أمره ماذا: الكفر أو الإسلام وأن مأواه النار أو الجنة[11] وحكمه على ما علم وأراد. ولكن[12] الله تعالى عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون أن لو كان كيف يكون فأخبر على[13] ذلك وإلا لم يصحَّ لما ذكرنا من المعنى.[14] *والله الموفق*.

---

[1] ر − عمل.

[2] ن − به.

[3] جميع النسخ: سمي.

[4] ث − والله أعلم.

[5] ر ث م: في أهلهم.

[6] ر ن م: وصاروا؛ ث: وصاروا يلعنت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.

[7] ر م: يأملون

[8] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار. فإذا مات، فدخل النار ورث أهل الجنة منزله» سنن *ابن ماجة*، الزهد ٣٩.

[9] ر: إيمان

[10] ن + له ذلك.

[11] ر م: والجنة.

[12] ن ت: لكان

[13] ت + على.

[14] ن − من معنى

ويحتمل أنه إنما سماه يوم التغابن لأن الدنيا جعلت أسواقا والأحوال التي تكون[1] هم رءوس الأموال، والأعمال التي يعملون فيها ويكتسبون تجارةً، قال الله تعالى: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، ثم قال: تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،[2] الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[3] الآية، وقال: اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[4] وقال: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ.[5] فإذا كانت الدنيا متجرة، فالآخرة[6] هي التي تقسم[7] فيها الأرباح، وفي ذلك يقع الربح والخسران ويظهر الغبن والفضل والنقصان والزيادة. *والله أعلم.*

أو سماه يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك أنهم خسروا أو رَبِحوا ولا يظهر لهم[8] ذلك في الدنيا. ثم بيّن العمل الذي يُربَح[9] عليه والعمل الذي يُخسَر به والتجارة التي يوصل بها إلى الأرباح والتي يستحقهم[10] بها الخسرانُ، وهو ما قال: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويُدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**، الآية، وقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا،[11] الآية.[12]

ثم قوله عز وجل: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا**، يعني ومن يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وأن له الخلق والأمر ويؤمن بالرسل والبعث فذلك[13] هو الإيمان بالله تعالى. وقوله: **وَيَعْمَلْ صالحا**، أي[14] ومن يؤمن بالله ويعملْ في إيمانه صالحا إلى أن يموت.

---

[1] جميع النسخ: يكون.
[2] سورة الصف، ٦١/١٠-١١.
[3] سورة التوبة، ٩/١١١.
[4] سورة البقرة، ٢/١٦، ١٧٥.
[5] سورة البقرة، ٢/٨٦.
[6] جميع النسخ: والآخرة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٤و.
[7] جميع النسخ: يقسم.
[8] م: لهم.
[9] ر م: ربح.
[10] جميع النسخ: يستحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] الآية التالية.
[12] ت – وقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا الآية.
[13] ن: ذلك.
[14] ر ش م: يعني.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٠]

وقوله: **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**، يعني كفروا بوحدانية الله تعالى وبقدرته وكذبوا بآياته أي بحججه أو كذبوا بالبعث. **أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**، قال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بأمر الله. وهو قول الحسن،[١] وقال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بعلم الله، وقال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بمشيئة الله، ولكل من ذلك وجه.

فأما من قال بأمر الله[٢] فمعناه وحجته أن هذه المصائب كلها عقوبات. ألا ترى إلى قوله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[٣] ومعلوم أن جزاء[٤] ما كسبت يده عقوبة له. والتعذيب والعقوبة إنما يكون[٥] بأمر الله فلذلك قال: معنى قوله: **بإذن الله**، أي بأمر الله. لكن[٦] عندنا هذا يرجع إلى ما يصيبهم من أيدي الخلق، كقوله تعالى: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ،[٧] وقوله: هَلْ تَرَبَّصُونَ -إلى قوله- أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[٨] ونحو ذلك، وهذه المصائب لا تحتمل[٩] تأويل[١٠] الأمر من الله تعالى.

ومن قال بعلم الله فوجه ذلك أن هذه المصائب فيها إهلاك العبيد، وفي الشاهد أنه لا يحب أحد أن يعلم بما فيه هلاك عبيده وخدمه. فأخبر عز وجل أن هذه المصائب -وإن كان فيها[١١] هلاك عبيده- فإنما يكون ذلك بعلمه، وأن هلاكهم لا يضره[١٢] ولا ينقص ملكه،

---

[١] *النكت والعيون* للماوردي، ٤٥٢/٢؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٥/٣٠.
[٢] ن - بأمر الله.
[٣] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٤] ر ث م: أجزاء.
[٥] ن: تكون.
[٦] ر م: ولكن.
[٧] سورة التوبة، ١٤/٩.
[٨] ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا﴾ (سورة التوبة، ٥٢/٩).
[٩] جميع النسخ: لا تحتمل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٤و.
[١٠] ر ث م - تأويل.
[١١] ر ت م: فيه.
[١٢] ن م: لا يضر.

لأن الله سبحانه وتعالى أنشأ[1] ما أنشأ من الخلائق لحاجة لهم ولمنفعة ترجع[2] إليهم ومضرة تلحقهم.[3] فحلول ما يحل بهم من المصائب لا يضره ولا ينفعه، لذلك كان على ما ذكر.

ومن قال بمشيئة الله وإرادته فوجه ذلك أن الله تعالى وعد وأوعد، ولا محالةَ يريد من عبيده ما يكون بوعيده عادلا وأن يضع وعده موضعه. وإذا كان كذلك ثبت أنه يريد من كل أحد ما يعلم أنه يكون منه؛ لأنه إذا خلق النار وأوعد عليها، فلو أراد[4] من كل منهم الطاعة لكان إذا أحرق بالنار أحرق من أراد منه الطاعة فدخل في حد الجور، ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان إذا أنجز وعده وأدخله الجنة كان يضع ثوابه غير موضعه، ويخرج به[5] عن حد الحكمة. وإذا كان كذلك ثبت أنه أراد من كل ما علم أنه يختاره ويكون منه ليخرج فعله على الحكمة.[6] *والله الموفق*.

ونحن نقول: قد ذكر[7] الله تعالى الإذن في مواضع مختلفة، ولكل من ذلك وجه غير وجه

[٨١٢و] / صاحبه، فالواجب أن يُصرف معناه[8] في كل موضع إلى ما يليق به. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **ومن يؤمنْ بالله يهدِ قلبَه**، قال أبو بكر [الأصمّ]: أي من آمن بما شاهد من التدبير يهديه الله تعالى لِيَعْلَم أن من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه[9] بهذه المصيبة. ويجوز أن يكون تأويله على وجه آخر، وهو أن نقول:[10] من يؤمن بالله أن له الخلق والأمر يهد قلبه ليسكن ويَعلمَ أن الله أولى به فيسترجعَ عند ذلك. وذلك تأويل من قرأ: "يَهْدَأْ قلبُه"[11] أي يسكن، مِن الْهَدْء وهو السكون. **والله أعلم**. والثاني يحتمل أن يكون هذه الهداية، وإن خرجت على لفظ الإحداث، فليس على الإحداث. ولكن معناه إن إيمانه بالله تعالى

---

[1] ر م: إن شاء.
[2] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.
[3] جميع النسخ: يحققهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: ولو أراد.
[5] ر م – به.
[6] ر م: عن الحكمة.
[7] ر م: فذكر.
[8] ر ث م – معناه.
[9] ر م: ابتلاء.
[10] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤ظ.
[11] قرأ عكرمة وعمرو بن دينار ومالك بن دينار وأبو بكر الصديق: ﴿يَهْدَأْ قَلْبُه﴾ بهمزة ساكنة من هدأ، أي سكن، و﴿قلبه﴾ مرفوع على الفاعلية. *المحتسب* لابن جني، ٣٧٩/٢؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٤٩١/٩.

بما كان[1] بهداية[2] منه لأنه لا يجوز أن يكون الإيمان متقدما والهداية متأخرة. ولكن حين هده آمن بما هداه. وهذا على ما قال الله تعالى: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.[3] فهذا خرج في الظاهر على لفظ الإحداث ولكنه في الحقيقة ليس عليه ولكن عى معنى أنهم لما آمنوا أخرجهم بالإيمان عن الظلمات[4] إلى النور بعد الإيمان فكذلك الأول. **والله أعلم.**

ويجوز أن يكون تأويله أن الله يهدي[5] قلبه أي يتوب عى قلبه عن الزلات عند الموت، على ما قال تعالى: وَيَتُوبَ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[6] وقيل: فيه[7] لغات أربع:[8] **يَهدِ قلبَه**،[9] بنصب الياء والباء جميعا، ويُهْدَ[10] قلبُه، برفع الياء والباء جميعا،[11] ويَهد قلبُه بفتح الياء وضم الباء، أي يهتدي، ويَهْدأ[12] قلبُه، من السكون.[13]

وقوله عز وجل: **والله بكل شيء عليم**، الأصل في الأسماء المشتركة إذا أضيف شيء[14] منها إلى الله تعالى فحق التخصيص في الإضافة إليه أن يضاف بحق[15] الكليات ليكون فرقا بينه وبين العباد؛ فيقال: **والله بكل شيء عليم**، ويقال في الخلق: فلان عليم بكذا على الخصوص، وليعلم أن العبيد إنما يعلمون[16] ما يعلمون بعلمه، وكذلك هذا في قوله: وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.[17]

---

[1] ن: يكون.
[2] ر ت م: هدايته.
[3] سورة البقرة، ٢/٢٥٧.
[4] ر م: من الظلمات.
[5] ر م: يهد.
[6] سورة الأحزاب، ٣٣/٧٣.
[7] ر م: منه.
[8] م: أربع لغات.
[9] ر م - يهد قلبه.
[10] ر م: يهدي.
[11] ر ت م - جميعا.
[12] ن س: ويهدئ.
[13] انظر: معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٤٩٠-٤٩١.
[14] ر م: إلى شيء.
[15] ت - بحق.
[16] ت: إنما يعلمون.
[17] انظر مثلا سورة البقرة، ٢/٢٨٤؛ وسورة آل عمران، ٣/٢٩، ١٨٩.

وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الله عز وجل ليس بقدير على كثير من الأشياء، فكأنهم أشركوا في اسم القدرة غيره لأنه لا أحد من الخلق إلا وله جزء من القدرة. فلو قلنا: إن الله تعالى يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوّينا بينه وبين خلقه، وشبهناه بهم، وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف. **والله المستعان**.

**﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، يعني أطيعوا الله فيما تعبّدكم وأطيعوا الرسول فيما أخبر عنه؛ أو أطيعوا[١] الله فيما أمركم وأطيعوا الرسول فيما دعاكم إليه. وهذا كله واحد إلا التعبد[٢] فإنه لا يجوز أن يضاف إلى الرسول، وما سواه من الألفاظ[٣] من الأمر والدعاء والإخبار فهو جائز أن يضاف إليه سبحانه وتعالى[٤] وإلى الرسول عليه السلام. وقوله عز وجل: **فإن توليتم**، يعني توليتم عن إجابة الرسول إلى ما دعاكم إليه وعن طاعته. وقوله: **فإنما على رسولنا البلاغ المبين**، فيه بيان أن تولّيهم عن إجابته[٥] وكفرهم به لا يوجب تقصيرا في التبليغ.

**﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[١٣]

وقوله عز وجل: **الله لا إله إلا هو**، يجوز أن يكون هذا صلة ما تقدم من الآيات من قوله: لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[٦] [وقوله]:[٧] وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ،[٨] [وقوله: وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ].[٩] ثم قال: **الله**، الذي له الأوصاف التي[١٠] تقدمت هو الذي **لا إله إلا هو**، أي لا معبود إلا هو، وأن معبودهم ليس يجوز أن يكون معبودا لتعرّيه عن هذه الأوصاف التي تقدم[١١] ذكرها. **والله أعلم**.

---

[١] ر: وأطيعوا.
[٢] ر ث م: إلا لعبيد.
[٣] ث: وما سواه الألفاظ.
[٤] ن: أن يضاف إلى الله تعالى.
[٥] ر م: عن إجابتكم.
[٦] الآية ١ من هذه السورة.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٤ظ.
[٨] الآية ٤ من هذه السورة
[٩] جميع النسخ: وعليم. والزيادة من المرجع السابق. الآية ١١ من هذه السورة.
[١٠] ن: الذي
[١١] جميع النسخ: تقدمت. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٥و.

وقوله عز وجل:[1] **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، فيه بيان أن معتمد المؤمنين على الله تعالى، وإن قلت أعوانهم وأنصارهم، وأنهم ليسوا كالمنافقين والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما رأوا من قلة الأتباع والأعوان لهم. وأخبر أن المؤمنين بخلاف تلك الصفة، وأن ثقتهم واعتمادهم على الله تعالى ليس على كثرة الأنصار. **والله أعلم**.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم**، يحتمل أن يكون على تحقيق العداوة، ويحتمل أن يكون على فعل العداوة. فإن كان على تحقيق العداوة.[2] فهو يحتمل وجهين. أحدهما عداوة ظاهرة وهي عداوة الكفر والشرك، وذلك أنه كان في ذلك الزمان يُسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر. فعلّمهم الله تعالى صحبة الأولاد[3] والزوجات أنه إذا دَعَوكم إلى الكفر والشرك فاحذروهم أن تطيعوهم.[4] **وإن تعفوا**، عن عقوبتهم على ما دعوكم إليه **وتغفروا فإن الله غفور رحيم**.

ثم ذكر الله تعالى في صحبة الأولاد والزوجات، إذا كانوا كفارا، العفو والصفح ولم يذكر ذلك في الوالدَيْن المشركين ولكنه أمره أن يصاحبهما في الدنيا معروفا بقوله: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا.[5] فوجه ذلك عندنا –والله أعلم– أنه يجري سلطانه وغلبته وقهره على زوجته وولده، فأمره هاهنا بالعفو والصفح. وأما في الوالدين فليس يجري له عليهما السلطان والقهر والغلبة فلا معنى للأمر بالعفو والصفح عنهما، لكنه أمر أن يصاحبهما في الدنيا معروفا، وأن لا يطيعهما فيما أمراه من المنكر. **والله أعلم**. [٨١٢ظ]

ويحتمل أن تكون[6] هذه العداوة عداوة مستورة وهو عداوة النفاق، فكأنه قال: إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وأنتم لا تشعرون [فاحذروهم أن يخونوكم في السر فيُهلكوكم،

[1] ن – وقوله عز وجل.
[2] ر ت م – ويحتمل أن يكون على فعل العداوة فإن كان على تحقيق العداوة.
[3] م: أولاده.
[4] جميع النسخ: أن يطيعوهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٥و
[5] ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (سورة لقمان، ١٥/٣١)
[6] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق

لأن من أضمر عداوته لم يؤمن عليه في أكله وشربه وفي كل شيء من حالاته أن يُهلكه فقال: احذروا خيانتهم في السر فإنهم يهلكونكم وأنتم لا تشعرون].[1] وإن تعفوا عن جنايتهم ولم تؤذوهم عليها وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. ألا ترى إلى ما حذر الله المؤمنين من أهل النفاق مع ما بهم[2] من الضعف والفشل، كما أخبر عز وجل عنهم بقوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ،[3] فكذلك الأزواج والأولاد وإن كانوا تحت قهره وغلبته[4] أَمَره بالحذر عنهم. ***والله أعلم.***

ويحتمل أن يكون على فعل[5] العداوة ليس أنهم أعداءٌ في الحقيقة. وذلك أنهم في المتعرف والمُعتاد يدعون الآباء إلى البخل والمنع عن الإنفاق على غيرهم، ويشتد عليهم صنيع[6] أبيهم من الإحسان والبر في حق الناس ويكرهون ذلك، وهذا[7] في الظاهر فعل العدو. فيجوز أن يكون الله تعالى علّم صحبة[8] هؤلاء إن من أزواجكم وأولادكم من يُظهر فعل العداوة، فاحذروهم أن تمتنعوا[9] عن وجوه الإحسان والتبرع بقوله:[10] **وإن تعفوا**، عن صنيعهم بكم **وتغفروا فإن الله غفور رحيم**.

**﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٥]**

وقوله: **إنما أموالكم وأولادكم فتنة**، المفتون هو المولَع بالشيء العاشقُ له، فكأنه قال: إنما أموالكم وأولادكم معشوقكم، فلا يحملْكم حبهم على أن تتركوا[11] ابتغاء الأجر العظيم عند الله تعالى. ويحتمل أن يكون معناه أن[12] الله تعالى لم يخلق الأزواج والأولاد لكم مَجّانا، بل إنما خلقهم ليبتليكم ويمتحنكم أن كيف تعاملون الله تعالى فيما أمركم به ونهاكم عن حبهم.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٥و.
[2] جميع النسخ: مع أنهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] سورة المنافقون، ٦٣/٤.
[4] ر ث م: وعتبة.
[5] ر: على فعلى.
[6] ر م: صنع.
[7] ر م - وهذا.
[8] ر: صحبته.
[9] جميع النسخ: أن يمتنعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يتركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: أن.

ثم أخبر أن الله **عنده أجر عظيم**، ليتحملوا المئونة العظيمة في أوامره ونواهيه عند حبهم الأولاد والأموال. وهذا معنى ما قال بعضهم: إن الأزواج والأولاد كانوا يتعلقون بهم ويقولون: نُنشدك بالله أن تَذَرَنا[1] وتُضيّعَنا، إذا أراد الرجل أن يهاجر إلى المدينة.[2] والأشبه أن لا يكون هذا لأن هذه الآية نزلت بالمدينة وأفعالهم هذه إنما كانت بمكة إلا أن يكونوا كتبوا إليهم بها. *والله أعلم*.

**﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[١٦]

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله ما استطعتم**، قال بعضهم: نَسَخَت[3] هذه الآيةُ قوله تعالى: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ،[4] حيث أمر هاهنا بالاتقاء على قدر الاستطاعة وثمة[5] خلافَه.[6] ولكن هذا لا يستقيم لأن قوله: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، لا يراد به الاتقاء فيما لا يستطيعون، لا فوقَ الطاقة والاستطاعة، لكنه إن كان فوجهه أن اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وإن هَلكتْ فيه طاقتكم، لأنه أمرهم بتقوى تهلك به طاقتهم على ما قال: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[7] ولو كُتب عليهم أن يقتلوا أنفسهم جاز ولكنه تهلك طاقتهم فيه، فكذلك الأول. ثم قال: **فاتقوا الله ما استطعتم**، تخفيفا عليهم وتيسيرا. *والله أعلم*.

ولكن الكلام في أن كيف قال: **فاتقوا الله ما استطعتم**، ولم نكن نَتَّقِي[8] لو لا هذه الآية إلا ما استطعنا؟ ولكن معناه -والله أعلم- على جهة البِشارة أنكم إذا قصدتم قصد التقوى آتاكم الله الاستطاعة في تقواه، وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[9] وقوله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى.[10]

---

[1] ر م: يذرنا.

[2] قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده، يقولون: ننشدك بالله أن لا تضيعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. (*تفسير البغوي*، ٤/٢٤؛ و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٤٥).

[3] ن: نسخ.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٢).

[5] ر ن م: وثم.

[6] جميع النسخ: بخلافه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥ظ.

[7] ﴿... ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦٧).

[8] ر ت م: ولم نكن يتقي؛ ن: ولم نكن نتقي. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.

[10] سورة الليل، ٩٢/٥-٧.

وهذه الآية على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الاستطاعة تتقدم[1] الفعل وهي تزول عن الفاعل وتَقْدَم[2] عند الفعل. ولو كان كذلك كان يَخْصُن[3] قوله: **فاتقوا الله ما استطعتم**، استطاعة[4] زالت عنهم وكذلك قوله: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ،[5] وكذلك قوله: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ،[6] زالت عنهم، هذا مستحيل. والذي يؤيد قولنا قوله جل ثناؤه: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا،[7] والحاجة إلى هذه الاستطاعة تقع[8] عند أداء البدل عن الأصل. فأما[9] قبل ذلك إن كان مستطيعا أو غير مستطيع فهو سواء.

قوله تعالى:[10] **واسمعوا وأطيعوا**، أي اسمعوا إلى ما أمركم الله تعالى به ورسوله، أو يكون قوله: **واسمعوا**، بمعنى أجيبوا[11] لما أمركم الله به وإلى ما دعاكم الله ورسوله، كقوله:[12] «سمع الله لمن حمده»،[13] أي أجابه. وقوله: **وأنفقوا خيرا لأنفسكم**، أي وأنفقوا مما رزقتم [يكن] خيرا لكم من أن تَدَعُوا الإجابة لما أمركم والإنفاقَ مما رزقكم.

وقوله عز وجل: **ومن يُوقَ شُحَّ نفسه**، قال سفيان بن عُيَيْنَة:[14] أي ومن يوق ظلم نفسه، والشح الظلم؛[15] وقال بعضهم: الشح البخل الذي فيه الحرص. {قال:} **ومن يوق شح نفسه**،[16]

---

[1] جميع النسخ: يتقدم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥ظ.
[2] م: ويتقدم.
[3] جميع النسخ: يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن – استطاعة.
[5] سورة الأعراف، ١٤٥/٧.
[6] سورة البقرة، ٦٣/٢، ٩٣؛ وسورة الأعراف، ١٧١/٧.
[7] سورة المجادلة، ٤/٥٨.
[8] ر ن م: يقع.
[9] ن + ما.
[10] ن – قوله تعالى.
[11] ث + إلى.
[12] ن: كقولهم.
[13] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمام: سمع الله من حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» (*صحيح البخاري*، الأذان ٥١؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٧٧).
[14] سفيان بن عُيَيْنَة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر. توفي سنة ١٩٨هـ/٨١٤م (*الأعلام* للزركلي، ١٠٥/٣).
[15] *تفسير القرطبي*، ١٨ /٣٠؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٥ /٥٠٧.
[16] ر ث م – وقال بعضهم الشح البخل الذي فيه الحرص قال ومن يوق شح نفسه.

أضاف الوقاية إلى نفسه[٢] ليعلم أن من اتّقاه فإنما اتقاه[٣] مما وقاه الله بلطفه وكرمه. ألا ترى [٨١٣و]
إلى قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[٤] كيف علمهم دلت التقوى بقوله: وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[٥] أن قولوا: وقنا عذاب النار[٦] لِيُعْلَم أن جميع أفعال العباد إنما تقوم[٧] وتصح[٨] بتدبير الله تعالى وتوفيقه وتسديده وتقديره. *والله أعلم*.

ثم قوله: **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**، فيه أوجه من الدلالة. أحدها أن قوله: **ومن يوق شح نفسه**، لم يبين فاعله، ففيه بيان أن في سلطان الله وملكه ما يقي به شُحّ عبده وأنه إذا وقاه شح نفسه أفلح، وكذلك في قوله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[٩] إخبارٌ أنّ من ينصره الله فلا يُغلَب. وقد نرى[١٠] في الشاهد من لا يوقَى[١١] شحَّ نفسه البتّة ومن قد يوقَى[١٢] شح نفسه ولا يفلح.[١٣] وقد نرى من يجاهد أعداءه فيُغلَب مع ما وعده وأخبر أنه هو الغالب وأنه لا يُغلَب فلا بد ذلك من أحد وجوه:[١٤] إما أنْ لم يكن لله تعالى النصرةُ في ملكه وسلطانه كما ادعى فهو كاذب فيما ادعى، وإما أن[١٥] آتاه من القوة ما يَقِي به شحّ نفسه فلم يُفلح فصار كاذبا في خبره، وإما أن كانت المعتزلة فيما زعموا أن الله تعالى قد آتى عبده جميع ما يقي به شُحّ نفسه حتى لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه لِيقِيَ به شح نفسه كَذَبةً. وإذا لم يكن بُدٌّ من نسبه الكذب إلى الله تعالى أو إلى المعتزلة[١٦] كانت المعتزلة أولى

---

[١] ث: أضافه.
[٢] ومن يُوقَ، بصيغة المجهول، والفاعل المحذوف هو الله تعالى، أي ومن وقاه الله شح نفسه.
[٣] ن: من ابقه فإنه ابقاه.
[٤] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢٠١؛ وسورة آل عمران، ٣/١٦.
[٦] ر م - أن قولوا وقنا عذاب النار.
[٧] ر ث م: بما يقوم.
[٨] جميع النسخ: ويصح.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٦٠.
[١٠] ر ث م: وقد يرى.
[١١] ن: يوق.
[١٢] ر م: قد يوق.
[١٣] ث - ولا يفلح.
[١٤] جميع النسخ: وجهين.
[١٥] ث - أن.
[١٦] ر م: وإلى المعتزلة

أن يُنسَبوا إلى الكذب من رب العالمين فيما أخبروا، وأن[1] الله تعالى فيما أخبر صادق وأن في ملكه وسلطانه ما لم يؤت عبده ليقي به شح نفسه. **والله المستعان**.

و[الثاني] فيه دلالة على إبطال قول من قال: إن على الكفرة أداءَ هذه العبادات والحقوق،[2] وذلك أن الله تعالى وعد[3] في هذه الآية أن من وُقي شحَّ نفسه وأدّى ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد أفلح. وقد نرى الكافر في الشاهد يوقى[4] شح نفسه ويؤدي حقوق أمواله ويسخو[5] بماله على الناس ولا يُفلح، ولو كان عليه هذه الحقوق[6] لكان يحصل له الفلاح. ثبت[7] أنه ليس عليه أداؤها وإنما عليه قبولها. **والله أعلم**.

وفيه أن صاحب الكبيرة قد يرجى له الفلاح وإن لم يتب عن الكبيرة[8] حتى مات، لأنا قد نرى صاحب الكبيرة قد يوقَى شحَّ نفسه، وقد وعد الله عز وجل أن من وُقي شح نفسه فهو من المفلحين، فإذا كان صاحب الكبيرة قد يوقى[9] شح نفسه فقد ثبت أنه يرجى له[10] الفلاح. **والله أعلم**.

**﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم**، تُوَلِّد من هذه الآيات ظنون فاسدة. أحدها ظنُّ اليهود حيث قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[11] وذلك أنهم لما سمعوا أن الله تعالى يقول: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[12] والاستقراض في الشاهد يدل على الحاجة إلى ما يُستقرَض، وكذلك قوله تعالى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[13]

---

[1] ر ن: أخبر وأن؛ م: أخبروا أن.
[2] جميع النسخ + واجبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و؛ ن: أداء هذه الحقوق والعبادات.
[3] ر م: أوعد.
[4] جميع النسخ: يوق. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: وشحوا؛ م: وشحوا.
[6] جميع النسخ: + واجبة. والتصحيح من المرجع السابق. ث: ولو كان هذه الحقوق عليه.
[7] ر م: يثبت.
[8] ر م: على الكبير.
[9] ن: يوق.
[10] ر م - له.
[11] سورة آل عمران، ١٨١/٣.
[12] ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).
[13] سورة التوبة، ١١١/٩

والشراء يدل على حاجة في المشتري؛[١] وحيث استعمل عبيدَه في الأعمال ثم قال: لكم أجر عظيم؛ ورأوا أن من يستعمل آخر فإنما يستعمله[٢] في عمل يرجع منفعته إليه[٣] ويحتاج إلى عمله، ظنوا بذلك أن الله فقير وأنه محتاج.

وظنت المعتزلة أن أنفس العبيد وأملاكهم ملك لهم حقيقةً ليس لله في شيء من ذلك مِلك ولا تدبير، قالوا: وذلك أن الله تعالى استقرض من عبيده، والمرء في الشاهد لا يستقرض ملك نفسه، فلما استقرض واستباع دل أن هذه الأشياء[٤] كانت ملكا لهم حقيقة. والذي يدل على أن قول المعتزلة على ما وصفنا أن من قولهم أَنْ ليس لله تعالى أن يُمرض أحدا ولا يُؤلم دابة إلا بِعِوَضٍ، ومن لم يملك فعل شيء إلا بعوض وبدل يُعَوَّض [له][٥] يتبين[٦] أنه لا يملكه. فثبت على أن عندهم أنه لا يملك حقيقته،[٧] وأن حقيقة الملك فيه لعبيد. ويشبه أن يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا إنما تولد من قولهم أَنْ ليس لله تعالى أن يفعل بعبيده[٨] إلا ما هو أصلح لهم في دينهم. فذهبت اليهود إلى أن هذا لما كان حقا على الله تعالى أن يفعله لا محالة حتى إذا لم يفعله يكون جائرا.[٩] ومن كان مأخوذا[١٠] بحق أو بشيء يفعله ففيه بيان أن حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى أُخذ به[١١] لا محالة. لذلك قلنا: إن ظنونهم تولدت عن القول بالأصلح. *والله المستعان.*

وأما الحكماء وأهل العقل ومن انتفع بعقله حمل هذه الآيات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية الغِنَى،[١٢] لأن الله تعالى أعطى عبيده ثم استقرض منه ذلك الذي أعطاه ليصير ذلك العطاء دائما ببدله[١٣] الدائم وهو النعيم في الآخرة. ومعلوم أن من أراد دوام عطاء[١٤]

---

[١] ر ن م: في المشترا.
[٢] ن: يستعمل.
[٣] جميع النسخ: عبيه.
[٤] ر م: الآيات.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و.
[٦] ر م: اثنين؛ ن: ثبتين؛ ث: تبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: حقيقة.
[٨] ر: بعبده؛ م: عبده.
[٩] ر ن: جائر.
[١٠] ر ث م: مأخوذا.
[١١] ن: أخذه.
[١٢] ر ن: الغناء.
[١٣] ر م: لعطاء إلى بدله؛ ث: لعطاء وإنما بدله.
[١٤] ر م: إعطاء

من أعطاه فهو في غاية الكرم. وكذا اشترى منه حياة فانية ليعطي له حياة دائمة وهذا من غاية
[٨١٣ظ] الجود، ومن استعمل عبيده في عمل يوصف بأنه جواد سخيّ ويَشْرُف به ويَكْرُم، ثم وعد له على ما فيه شرفه أجرا دائما دل على غناه. فثبت أنه أراد بهذه الآيات أن يُعْلمنا غاية كرمه وغاية جوده ونهاية غناه وأن جوده وكرمه مما لا يدركه عقولنا. *والله المستعان*. والذي يدل على غاية كرمه وغاية جوده أنْ جَعَلَ ما نتصدق[1] به على فقرائنا وما نَصِل به أرحامنا قرضا[2] على نفسه، ووعد الأجر لعمل[3] يعمله العبيد لنفسه، و[جعل] على عملٍ على العبدِ فعلُه لا محالة أجرا،[4] ولا شك أن ذلك من غاية الجود والكرم. *والله المستعان*.

وقوله:[5] **إن تقرضوا الله قرضا حسنا**، قال بعضهم: القرض هو القطع كأنه قال: اقطعوا شيئا من أموالكم لله تعالى قطعا حسنا، وقال بعضهم: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا [حَسَنًا]،[6] أي اجعلوا ما يتصدقون به مما فَضَل عن حاجتكم على فقرائكم قرضا حسنا[7] على الله تعالى يؤتكم أجره عند حاجتكم إليه. وقوله: **يضاعِفْه لكم**، يعني يضاعفُ ما يعطيكم في الآخرة من الثواب الذي تُكْرَمون به[8] بما شَرُفتم به[9] وتزينتم في الدنيا بالتصدق.

وقوله: **والله شكور حليم**، يعني **شكور**، حيث شكر لكم على ما أعطيتموه شيئا هو أعطاكم. وقوله: **حليم**، وصف نفسه بالحلم. وعلى قول المعتزلة: لا يتحقق هذا الوصف لأنهم يقولون: إنه[10] إذا وجبت[11] العقوبة فليس لله تعالى أن يؤخرها تفضلا منه، وإنه[12] فيما أخرها كان ذلك حقا عليه حيث رأى الأصلح في تأخيرها. ومعلوم أن من أدى حقا عليه لم يوصف بالحلم،

---

[1] ر م: يتصدق.
[2] ر م + حسنا.
[3] جميع النسخ: بعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و.
[4] ر م - أجرا.
[5] ن: ثم قوله؛ ث: ثم قوله عز وجل.
[6] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[7] ن ث - حسنا.
[8] ر ن م: يكرمون به.
[9] ث - بما شرفتم به.
[10] ث - أنه.
[11] جميع النسخ: إذا أوجبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[12] ن + إذا أوجبت العقوبة فليس لله تعالى أن يؤخرها تفضلا منه وإنه.

ولكنه يقال: إنه يتقي[1] الجور. و الحليم[2] من يَحلُم عن عقوبة لزمت فيؤخرها ويتركها ويعفو[3] صاحبها عنها فيوصف بالحلم عند ذلك، وأما أن يكون عليه تأخيرها فلا يوصف بالحلم في هذا الموضع.[4]

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **عالم الغيب والشهادة**، يعني عالمٌ ما غاب من أفعال الخلق عن الملائكة وعالم بما شهدوا[5] من أفعالهم، أو عالم[6] بما غاب عن العباد وبما شهده العباد. وقوله عز وجل: **العزيز الحكيم**،[7] **العزيز**، الذي لا يعجزه شيء، **والحكيم**، الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره. ثم المعتاد في القرآن أنه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكره تحقّق الكفرة ليعمّم أن فسادهم لا يوجب وهنا[8] في حكمته وتدبيره، ولا يبطل عزه وسلطانه؛ لأن من صنع إلى آخر شيئا يعلم أنه يُفسد[ه] دل ذلك على جهله بالتدبير، وإذا استعمل عبده[9] بما يُهلكه دل على ذُلّه.[10] فأخبر بعد خلق الكفرة أنه عزيز ليعلم أن كفرهم لا يوجب نقصا في عزه، ولا يُدخل ذلا عليه، وأن فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير.[11] *والله المستعان*.[12]

[1] ر ل م: يبقى.
[2] د: والحسم.
[3] ر: ويعفوا.
[4] ب + والله أعلم
[5] م: شهدها.
[6] ر ث م: وعام
[7] ر م - العزيز الحكيم.
[8] م: وهدا
[9] ب: عبده
[10] جميع النسخ: على دله.
[11] ر م - والتدبير.
[12] ن + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الطلاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾**[١]

قوله عز وجل: **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**، فإنه يخرج عى الإضمار -والله أعلم- كأنه يقول: يا أيها النبي قل لأمتك إذا أردتم أن تطلقوا[2] نساءكم فطلقوهن لعدتهن. والدليل عى أنه هكذا فإنه يخرج الخطاب بعده للجماعة حيث قال: **إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**؛ أو خاطب به النبي، والمراد أمته،[3] وذلك كثير في القرآن. ثم قوله: **فطلقوهن لعدتهن**، أمر بالطلاق للعدة، ولم يبين أن الطلاق للعدة كيف يكون، وذكر في بعض القراءات، فطلقوهن لِقُبُل عدتهن.[4] ثم تركُ بيان ذلك لا يخلو إما أن يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك لهم فعرفوا ذلك فلم يُبيِّن[5] ذلك في الآية، أو جعل بيان معرفة ذلك إليهم ليعرفوا بالاجتهاد. ثم قوله: لقُبُل عدتهن يحتمل أولَ عدتهن، ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو الحيض، من المقابلة.

---

[1] ر – سورة الطلاق؛ ن: ذكر أن فيها سورة الطلاق وهي مدنية؛ ث + وهي اثنتا عشرة آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[2] ن: أن يطلقو.

[3] ل + غيره.

[4] تفسير عبد الرزاق، ٣/٣١٥-٣١٦؛ والدر المنثور للسيوطي، ٨/١٩٠.

[5] ل + لهم

فمن يقول: الاعتداد بالأطهار يجعل القُبل كناية عن أول الطُّهر، ومن يقولها بالحيض يجعل القبُل[1] ما يقابل العدة، وهو الحيض. ثم لنا[2] أن ننظر[3] أيُّ التأويلين أقرب. وقد أجمعوا أنّ له أن يطلقها في آخر الطهر إذا لم يجامعها[4] فيه. دل أن تأويل القُبُل بما يقابل العدة أحق، وهو الحيض، والاعتداد به أولى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأحصوا العدة**، يخرج على وجهين.[5] أحدهما احفظوا الحقوق والأحكام التي تجب[6] في العدة فأدُّوها. والثاني احفظوا نفس ما يَعْتدِدْن[7] به وهو عدد الحيض الذي به[8] يعتددن[9] لئلا[10] يزاد ولا يُنقَص. ثم جَعْل الإحصاء إلى الأزواج يحتمل وجهين. أحدهما أنهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمُؤَن. والثاني لهم[11] نفع تحصين[12] الأولاد في العدة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله ربكم لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يَخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، دل قوله: **من بيوتهن**، على صحة مسألة لأصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل بيت فلان فدخل بيتا هو فيه بإعارة أو إجارة أنه يَحنث. ووجه ذلك أن الله تعالى أضاف البيوت إليهن وإن كان حقيقة الملك[13] للأزواج فيها.[14] ألا ترى إلى قوله: أَسْكِنُوهُنَّ

[٨١٤و] مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ،[15] ثم قال: **لا تخرجوهن / من بيوتهن**، فدل قوله: **من بيوتهن**، أنه أراد به البيوت التي أسكنهن الأزواج فيها. وإذا صحت هذه الإضافة دل على صحة المذهب.[16]

---

[1] ر: القبيل.
[2] ن: بنا.
[3] ن: ينظر.
[4] ر م: ذ امرء يجامعها.
[5] ر ت م: على هذين لوجهين.
[6] ر ت: يجب.
[7] ر ت م: تعتدون.
[8] جميع النسخ: بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[9] ر م: تعتدون.
[10] ر ن م: لأن لا.
[11] ن: أنهم.
[12] ر م: يحصين.
[13] م – الملك.
[14] ر ت م – فيها.
[15] الآية ٦ من هذه السورة.
[16] ر: المذهب.

وقال الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان، فدخل مسكنا [يسكن][1] فيه بإعارة: إنه يحنث، وقال فيمن حلف لا يدخل بيت فلان: إنه لا يحنث، واحتج في المسكن أنه إنما حنث لأنه وجد حقيقة السكنى من المحلوف عليه. فإن كان هذا هو الدليلَ على الحنث فالواجب عليه أن يُحنته[2] في البيت لوجود البيتوتة على ما حنثه في المسكن لوجود السكنى. وبعد فإن في الحنث أقرب في البيت لأن الله تعالى أضاف البيوت إليهن في كتابه، وإن كن يَبِتْن[3] فيها بإعارة، ولم يوجد في السكنى ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إلا أن يأتين بفاحشة مبيَنة**، ومبيِّنة،[4] قرئا جميعا.[5] فمنهم من حمل[6] الاستثناء وهو قوله: **إلا**، على قوله: **لا تخرجوهن من بيوتهن**، وصرفه إليه، ومنهم من صرفه إلى قوله **ولا يخرجن**. ولكل من ذلك وجهان. فأما من حمله[7] على قوله: **لا تخرجوهن**، فإنه جعله استثناء وللاستثناء[8] وجهان. أحدهما **لا تُخرجوهن [من بيوتهن ولا يَخْرُجْن] إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، أي بزنى يَزنين فتخرجوهن[9] لإقامة الحد عليهن. أو لا تخرجوهن[10] إلا أن يظهر منهن بذاءة[11] اللسان[12] على أهل أزواجهن، فتخرجوهن[13] لمكان البذاءة[14] التي في لسانهن.

ومن حمله على قوله: **ولا يَخْرُجْنَ**، فإنه يجعل معنى قوله: **إلا**، على معنى لكن، كما قيل في قوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[15] أي لا يسمعون فيها لغوا ولكن سلاما،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[2] ر م: أن يحنث.
[3] ر م: يبين.
[4] ر – مبينة؛ م: مبينة.
[5] معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٠.
[6] ن: جعل.
[7] ر: حملة.
[8] ن: والاستثناء.
[9] ر ت م: فيخرجوهن.
[10] جميع النسخ: أو لا يخرجوهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧و.
[11] ر ث م: بذادة؛ ن: بذلك، ت ه: بذاءة. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ث: لسان.
[13] ر ث م: فيخرجوهن.
[14] جميع النسخ: لبذاءة. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] سورة مريم، ٦٢/١٩.

إذ لا يحتمل استثناء السلام من اللغو لما ليس في جملة اللغو سلام فيستثنى منه، فكذلك قوله عز وجل: **ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، فكأنه قال: لا يخرجن ولكن إذا خرجن فخُرُوجهن فاحشة. ويدل هذا على أن النهي لنفس الخروج لا للانتقال.

ووجه آخر في ذلك وهو أن لا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة فإنهن إذا خرجن يخشى عليهن أن[1] يأتين بفاحشة، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو[2] عاهر».[3] وكان المعنى من ذلك أنه إذا تزوج فوَطِئَ فهو عاهر، ولكن نُهي عن النكاح لأنه يخشى عليه في النكاح أن يطأها فيصير عاهرا لا[4] أن يكون نفس التزوج منه زنى. فكذلك **لا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة**، فيكون النهي لا عن نفس الخروج ولكن لكونه سببا للفاحشة في الجملة وطريقا إليه. ثم قال[5] عز وجل: **مبينة**، فمن قرأ مبَيِّنَة، بالخفض فمعناه أن نفس الفاحشة إذا تفكر فيها[6] المرء ونظر تبين له أنها فاحشة، ومن قرأ مبَيَّنَة بالفتح،[7] عنى به أنها مبينة بالبراهين والحجج.

وقوله عز وجل: **وتلك حدود الله**، الحدود الموانع والنواهي [هي التي] لا يحل مجاوزتها، ومن ذلك سمي الحدّاد حدّادا لأنه يمنع تحديدُه كلَّ أنواع أمتعته أن يجاوز حدها الذي جعل لها. والحد في الحقيقة هو النهاية التي يُنتهَى إليها ولا يجاوَز.[8] وإذا كان كذلك كان الخيار إلى صاحب التأويل؛ فإن شاء حمله على الحد بين الطاعة والمعصية، أو ما بين الحلال والحرام حيث ذكر في هذه الآية أنواعا من النهي، فسَمّى ذلك كله حدودا.

وقوله عز وجل: **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**، أي ضر نفسه. ويجوز أن يكون المعنى منه أي إن جاوز هذا الحد الذي جعله الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه. والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير موضعه. والتأويل الآخر أن من جاوز موانع الله

---

[1] ر م: وإن.
[2] ث: فهي.
[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٧٧؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢١.
[4] م: إلا.
[5] ن س: قوله
[6] ن: فيه
[7] قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن والحسن ﴿مُبَيَّنَة﴾ بفتح الياء (معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٠).
[8] جميع النسخ: فلا تجاوز. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٧و.

ونواهيه فقد ظلم نفسه. دل بهذا على أن منافع هذه النواهي ومضارّها لا ترجع[1] إلى الله بل ترجع[2] إلى نفس[3] المُمتحَنين.

وقوله عز وجل: **لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**، أي لا يُطلِّقْ فإنه إذا طلق[4] لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله أو رغبة فيها، فيكون فيه دلالة النهي عن نفس الطلاق. وقد بينا كراهة نفس الطلاق في الحكمة في أنه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة في القربة، ولا مما يستمتع به فيكونَ فيه زيادة في الاستمتاع، بل المقصود منه التأديب والمَخلَص، وفي الواحدة كفاية عما زاد عليها. فكأنّ في هذه الآية دلالةَ النهي عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة. ***والله أعلم***.

{قال:} فإن كان تأويل قوله عز وجل: **لا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**، هو الرغبة فيها أو الندامةَ على ما سبق منه[5] فإنه دلالة على إبطال قول المعتزلة، لأن الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد، والله تعالى قد أضاف ذلك إلى نفسه بقوله: **لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**. وإذا كان كذلك ثبت أن لله تعالى في إحداث أفعال العباد صنعا وتدبيرا. ***والله أعلم***.

وقال أصحاب الشافعي: إن قوله **فطلقوهن**، يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله أن يطلقها في الوقت أيَّ عدد كان. ولا يستقيم ذلك لأن[6] التأويل إنما يستقيم على أحد وجهين: إما على ما جرى به التفاهم / في العادات بين العباد، وإما على ما جرى[7] به التفاهم [٨١٤ظ]
في حق الحكمة. وليس يفهم من قوله: **فطلقوهن**، العددُ[8] الثلاثُ على واحد من الوجهين اللذين وصفناهما. ألا ترى أن من قال لآخر: طَلِّقْ امرأتي، لم يجز له أن يطلقها ثلاثا إلا أن يكون نوى ثلاثا، فثبت أنه لا يفهم به في عادة[9] اللفظ الثلاث. وأما وجه الحكمة فلِمَا ذكرنا

---

[1] جميع النسخ: لا يرجع.
[2] ن: بل يرجع.
[3] ر م: بل رجع نفس؛ ث: بل يرجع نفس.
[4] م: إذا أطلق.
[5] ر ث م - منه.
[6] ن: لأنه.
[7] ر م: وإما ما جرى.
[8] ر م: للعدد.
[9] ر م: في عبارة.

أن الطلاق ليس مما يتقرب به، فيُرَغَّبَ[1] في الاستكثار منه[2] زيادةً في القربة، ولا مما يستمتع فيستكثَرَ منه زيادةً في الانتفاع؛ وإنما المراد منه التأديب والمَخْلَص. وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة، وما خرج مخرج الرُّخَص لم يُتَعَدَّ به[3] عما وقعت به الرخصة. وإذا ثبت ما وصفنا ثبت أنه لا يجوز الفهم من قوله تعالى: **فطلقوهن لعدتهن**، الثلاث. والتعليم[4] في العدد أليق به من الوقت لأنه لا ضرر يلحقه في تعديه عن الوقت المجعولِ له فيه الطلاقُ، ولا شك أنه يلحقه[5] الضرر في تعديه في العدد والزيادة منه. ***والله أعلم***. ومما يدل على أن المراد من قوله: **فطلقوهن**، ليس عدد الثلاث قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ،[6] ولا شك أنه إذا أوقع[7] عليها ثلاثا لم يمكن إمساكها. ومعلوم أن قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، للطلاق[8] المتقدم من قوله: **فطلقوهن**، ولو كان المراد عدد الثلاث لم يكن لقوله: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ معنى. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**، فيه فوائد شتى وأدلة متفرقة من الفقه والأحكام. أحدها أن الله تعالى قال: **فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**،[9] والمعروف إليها في المتعارف من نوع الفعل أظهرُ من نوع القول لأنه إنما يُحسن إليها استمتاعا وإنفاقا ونحو ذلك، فذلك نوعُه نوعُ الفعل، فثبت أن حقيقة الإمساك بالمعروف في الأفعال، فلذلك قلنا: إنه إذا راجعها بالفعل يكون مراجعا.

---

[1] جميع النسخ: فرغب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧ظ.
[2] ر ث م – منه.
[3] ر م: لم يعد به؛ ن ث: لم يعد به. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: في التعليم.
[5] ن – في تعديه عن الوقت المجعول له فيه الطلاق ولا شك أنه يلحقه.
[6] الآية التالية.
[7] ر م: إذ وقع.
[8] جميع النسخ: الطلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – أو فارقوهن بمعروف.

فإن قيل: أليس قال الله تعالى **وأشهِدوا ذَوَيْ عدلٍ منكم**، والإشهاد على الفعل غير صحيح؟

فجوابه أن يقال: إن الله تعالى قال: **وأشهدوا**، ومعلوم أن هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن[1] للإشهاد معنى، بل إذ سمعوا ذلك صاروا شُهودا أُشْهِدوا أو لم يُشهدوا. وإذا كان كذلك ثبت أن المعنى من هذا الإشهاد على الإمساك المتقدم. وذلك في الأفعال مستقيم. *والله أعلم*.

ووجه آخر، وهو أن كل عقد استقام بغير شهود جرى فيه الأمر بالإشهاد نحو قوله: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ،[2] وكل ما جُعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى الذكر فيه لا يكون[3] إلا بشهود، نحو قوله [صلى الله تعالى عليه وسلم]: «لا نكاح إلا بشهود»[4] فلما جرى الذكر في هذه الآية بالأمر بالإشهاد بقوله[5] تعالى: **وأشهِدوا ذوَيْ عدلٍ منكم**، ثبت أنه يستقيم من غير شهود. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**، دليل على أن المراد من الأقراء هي الحيض،[6] فإنه ذُكر نوع هذا في كتاب الله في مواضع. قال الله تعالى في موضع: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[7] وقال في آية أخرى: فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ،[8] وقال في هذا الموضع: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**. ومعلوم أن معاني[9] هذه الألفاظ[10] مختلفة وإن اتفقت مخارجها. واختلافها أن يكون المراد ببلوغ الأجل في أحد النوعين على التمام وانقضاء الأجل، والثاني على الإشراف[11] عليه. وأحق ما يكون في حق الإشراف[12] على البلوغ هو ما يرجع إلى الأزواج،[13]

---

[1] ن + بحضرة الشهود لم يكن.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.
[3] ر ث - يكون؛ ن: نكاح.
[4] *سنن الترمذي*، النكاح ١٥.
[5] ر ن م: وبقوله.
[6] ر م: في الحيض.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[8] سورة البقرة، ٢/٢٣٢.
[9] ث م: المعاني.
[10] جميع النسخ: بهذه الألفاظ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧ظ.
[11] ر ن ث: على الإسراف.
[12] ر ن ث: الإسراف.
[13] ن: على الأزواج.

لأنه قد كان لهم حق الإمساك قبل انقضاء الأجل وهم أحق بهن[1] ما لم يتم بلوغ الأجل لا بَعْده. وإذا ثبت أن المعنى من قوله: **فإذا بلغن أجلهن**، في هذا الموضع هو الإشراف على البلوغ والقربُ من انقضاء الأجل دون التمام ثبت أن الأقراء هي الحيض، لأنه لو كان المراد منه الأطهار[2] لم يُعرَف إشراف[3] الأجل على البلوغ، لأنه لا نهاية لأكثر الطهر. وأما الحيض فإنه له غاية معلومةً لأن أيامها لا تخلو[4] إما أن تكون[5] عشرا أو دون العشر. فإن كانت[6] عشرا فيعرف بالعدّ، وإن كانت[7] دون العشر فإن دمها إذا انقطع راجعها قبل أن تغتسل[8] وذلك وقت إشراف أجلها على البلوغ، والأطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذي وصفنا. ***والله أعلم.***

ثم قال هاهنا: **فأمسكوهن بمعروف**، فدل الأمر بالإمساك في الظاهر أنها ما دامت في العدة فهي على ملكه، وقال في موضع آخر: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ،[9] فدل على أنه قد وقع شيء من الزوال حتى أمره بردها، فيكون حجة للشافعي في[10] أن الطلاق الرجعي يُحرِم الوطء. ولكن المعنى عندنا في هذا -والله أعلم- أنا قد عرفنا بقوله: **أو فارقوهن**، بعد وجود الطلاق المتقدم أنه لم يُرد به الفُرقة للحال ولكن معناه[11] "اتركوهن حتى تنقضيَ[12] عدتهن فتفارقوهن".[13]

[٨١٥و] فثبت أنه قد وقع شيء من شبهة الفراق / بالطلاق، وهو أن صار الفراق مستحقا لازما حال انقضاء العدة، فيكون له عَرَضُ الوجود للحال فقال: **أمسكوهن**، على إبقائهن على أصل الملك، وقال: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ،[14] لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق.

---

[1] ر م: بهم.
[2] ن: الإظهار.
[3] ن - إشراف، صح هـ.
[4] ر: لا يخلوا؛ ن م: لا يخلو.
[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨و.
[6] جميع النسخ: فإن كان.
[7] جميع النسخ: وإن كان.
[8] جميع النسخ: أن يغتسل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[10] ت - في.
[11] ن: لمعنى.
[12] ن: حتى ينقضي.
[13] جميع النسخ: فيفارقوهن. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] سورة لبقرة، ٢/٢٢٨.

وهذا على سبيل ما قال تعالى: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ،[١] وكان الفيء هو الرجوع. ومعلوم أنه لم يقع[٢] بالإيلاء شيء[٣] من الفُرقة. ولكن لما كان الإيلاء موجبا للبينونة في العقبى أوجب في الحال شبهة الفرقة، وهو استحقاق الزوال فذكر الفيء لرفع[٤] تلك الشبهة، فكان[٥] تركها منه لا يُفيء إليها عزمٌ منه على الطلاق، فكذلك الأول.[٦]

والمعروف، إذا صنع إليك إنسان صنيعةً فعرفتها واستحسنتها فهو معروف، وما دفعته وأنكرته فليس بمعروف؛ أو هو الذي عرَّفنا الله تعالى من المراجعة والمفارقة. ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن إليه القلوب وتسكن[٧] عنده الأنفس.

وقوله عز وجل: **وأشهدوا ذوَيْ عدلٍ منكم**، دل قوله تعالى: **ذوي عدل منكم**، أن قد يكون منا فُسّاق[٨] وأن الفسق لا يخرجه من الإيمان[٩] وكذلك قوله: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ.[١٠] فثبت أن قد يكون منا من لا يُرضَى وأن خروجه ممن يرضى لا يخرجه من الإيمان.

وقوله عز وجل: **وأقيموا الشهادة لله**، [كأن المعنى في قوله: **وأقيموا الشهادة لله**][١١] حيث[١٢] أضافها إلى نفسه هو أنه لا بد في الشهادة من نفع يقع لأحد الخصمين وضرر يرجع إلى الآخر، فكأنه قال: لا ينظر بعضهم إلى رضاء من تنفعه[١٣] الشهادة وإلى سخط من تضره[١٤] ولكن اجعلوها لله تعالى.

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٢٦-٢٢٧.
[٢] ر ث م + شيء.
[٣] م - شيء.
[٤] ر: الرفع.
[٥] ن: وكان.
[٦] ن ث + والله أعلم.
[٧] ر ث م: ويشكر؛ ن: وتشكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨و.
[٨] م: فسق.
[٩] ث: عن الإيمان.
[١٠] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ر: حيث
[١٣] جميع النسخ: ينفعه. والتصحيح من مرجع لسابق.
[١٤] جميع النسخ: يضره. والتصحيح من مرجع لسابق

وقوله عز وجل: **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**، الموعظة وإن كانت لمن يؤمن ولمن لا يؤمن فالمعنى في هذا: ذلكم[1] يتعظ بما يوعظ به[2] من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، كما كان المعنى من قوله تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[3] أي إنما ينتفع بالإنذار من يتبع الذكر، وكما كان في قوله: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[4] أي ينتفعون بتلاوته، فكذلك الأول. *والله أعلم*. وقوله: **يوعظ به**، أي بما أُمر فيما تقدم من الآيات من الطلاق[5] للعدة والنهي عن إخراجهن من البيوت والإنفاق ونحوه، إنما يوعظ به أي يأخذ بما أمر به،[6] ونُهي عنه في هذه الآيات من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**، قد بينا أن التقوى إذا ذكر مفردا انتظم[7] الأوامر والنواهيَ، وإذا ذكر معه البِرّ والإحسان صُرف التقوى إلى معنىً والبرُّ إلى معنى، وذكر في هذا الموضع مفردا فجاز أن ينتظم الأوامر والنواهيَ. ثم جاز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، فيما بُيّن له من الحدود فلم يضيّعه **يجعل له مخرجا**، فيما لم يبين له وفيما اشتبه من الحد. [أو يجوز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، فيما أمره ونهاه، **يجعل له مخرجا**، في أن يعصمه من الشبهات ويُجنّبه من المحُرمات.][8] أو يجوز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، أي يجاهد[9] فيما أمره ونهاه، **يجعل له مخرجا**، في أن يهديه ويبين[10] له السبيل. ألا ترى إلى قوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[11]

{قال:} ويجوز أن ينال من يَلزم التقوى خير الدنيا والآخرة؛ لأن الله تعالى ذكر التقوى وما يبيه بألفاظ مختلفة فقال في موضع: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا**، وقال في موضع آخر:

---

[1] ن – ذلكم، صح هـ.

[2] ث – به.

[3] سورة يس، ١١/٣٦.

[4] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ (سورة البقرة، ١٢١/٢).

[5] ر م – من الطلاق.

[6] ن: بما أمره به.

[7] ن: ينتظم.

[8] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٣٨ظ.

[9] ر ن م: المجاهد.

[10] ر ن م: وتبين.

[11] سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩.

وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا،[1] وفي موضع آخر: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ [وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا]،[2] وفي موضع آخر:[3] إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ،[4] أي إن الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة والتوفيق[5] والعصمة. ومن نصره الله[6] فلا يعيبه أحد، ومن يعصمه الله تعالى فلا يضله أحد، وإذ نال هاتين الخصلتين فقد[7] نال خير الدنيا والآخرة. أو يجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، يعني يتق[8] عقابه **يجعل له مخرجا**،[9] من الشدة في الدنيا وعن سكرات الموت وغمراته وعن شدائد الآخرة وأهوالها. ويجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، في مكاسبه **يجعل له مخرجا**، من الشبه والحرمات فيسلم منها. أو يجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، فيما بيّن له من الحدود في هذه الآيات المتقدمة فحفِظَها مِن صحبة النساء على ما أُمر به، **يجعل له مخرجا**، مما أهمه من ناحيتهن.

**ويَرزُقْه من حيث لا يحتسبُ**، يجوز أن يكون هذا فيما بَيّن له من الحدود إذا حفظها أن يرزقه ما وصفنا من المرأة والمال. ويجوز أن يكون هذا في جميع الأمور من المكاسب والتجارات، لأن التجار يظنون أنهم إنما يُرزَقون الفضل والربحَ لِما يُدخِلون فيها من الشبه[10] والحرمات وأنها إذا نفيت من تجاراتهم[11] [لا يُرزَقون مثل ذلك، فاخبر أنهم إذا تَقَوا في تجاراتهم][12] تلك الشبه والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا. أو يجوز أن يكون[13] هذا خطابا للكفرة، وذلك أنهم كانوا يخافون أنهم إذا آمنوا بالرسول[14] صلى الله عليه وسلم حُرِموا من الرزق وَابتُلوا بالضِّيق.

---

[1] الآية التالية.
[2] الآية ٥ من هذه السورة.
[3] ر ث م - آخر.
[4] سورة النحل، ١٦/١٢٨.
[5] ن ث: أو التوفيق.
[6] ث + تعالى.
[7] ر: فقال.
[8] ر ث م: يتقي.
[9] ن + وفي نسخة من الشبه في الدنيا.
[10] ث: فيها لشبه.
[11] ر م: تجارتهم.
[12] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٣٨ظ.
[13] ر م: أن يكونوا.
[14] ر: برسول الله.

[٨١٥ط] ألا ترى[1] إلى قوله: وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا،[2] الآية، / فكأن الله تعالى آمنهم[3] عما يخافون بسبب الإسلام، وأخبرهم أنهم إذا وحدوا الله تعالى وآمنوا برسوله رزقهم من حيث لم يحتسبوا ووسّع عليهم الرزق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتوكل على الله فهو حسبه**، يجوز أن يكون معناه أي من يعتمده في كل نائبة ويفوض إليه كل نازلة. والوكيل هو الموكول إليه الأمور. وقيل: الوكيل هو الحافظ، فكأنه قال: ومن يعتمد على الله فيما نابه كفى به وكيلا موكولا إليه أمره، وكفى به حافظا وناصرا ومعينا.

وقوله عز وجل:[4] **إن الله بالغ أمره**، أي[5] فيما أخبر من حكمه ووعده ووعيده أن يَنزل بهم. ويجوز أن يكون **بالغ أمره**، أي مبَلّغٌ ما أمر رسولَه بتبليغه إلى آخِرِ عِصابَةٍ تكون من أمته[6] في تسخيرهم ليصيروا كأن الرسول بلّغهم.

وقوله عز وجل: **قد جعل الله لكل شيء قدرا**، قال الحسن: لكل شيء من أعمال العباد قدرا وثوابا في الآخرة. والوجه عندنا قد جعل الله لكل شيء مما كان ويكون إلى يوم القيامة من حَسَن وقبيح في الحكمة قدرا. ألا ترى إلى أفعال العباد أنها كيف تخرج[7] عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليعلَم أن الله تعالى هو الذي قدر ذلك المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل هذا العبد عن تقديره الذي قدره. *والله أعلم*.

وفي قوله تعالى: **ويرزقه من حيث لا يحتسب**، وجه آخر وهو أنه لو جَعَل جميع الرزق من حيث لا يحتسبُ جاز، لأن الرزق في الحقيقة هو الذي يتقوى به الإنسان ويتغذى به، وليس ذلك في عين الأكل والشرب، ولكن فيما يتفرق من قوة الطعام والشراب في الأعضاء وذلك باللطف من الله تعالى. فثبت أن قوة الأكل والشرب إنما يصل إلى الأعضاء من حيث لا يحتسبه الإنسان. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: ألا يرى.
[2] سورة القصص، ٢٨/٥٧.
[3] ر: أنهم.
[4] ن – وقوله عز وجل.
[5] ث – أي.
[6] ر م: عصيانه يكون أمر منه؛ ث: عصاته يكون أمر منه؛ ن: عصاته يكون أمته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨ظ.
[7] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم ليس في قوله تعالى: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا،**[1] تخصيصُ أنّ من لا يتقيه لا يرزقه من حيث لا يحتسب، لأنا قد نرى في الشاهد من يرزقه من حيث لا يحتسب اتقاه أو لم يَتّقِه، فثبت أن فائدة التخصيص ليست[2] نفي غير المذكور.[3] ولكن فائدة تخصيص المتقي بالذكر هو أنه يرزقه من حيث يَطِيب له[4] ولا يلام عليه، وليس ذلك في غير المتقي. ***والله المستعان.***

ثم ليس في قوله: **ومن يتوكل على الله فهو حسبه**، ما يدل على ترك الأسباب، ولكن لما رأى الناسَ يفزع بعضهم إلى بعض ويستغيث بعضهم ببعض أمرهم أن يجعلوا المقصد والمفزع إلى الله تعالى، وأن يصيّروا هذه الأسباب كلها محنة عليهم، لا أن يروا أرزاقهم معصوبة[5] متعلقة بها. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ،[6] كيف أمر بإدراك فضله من تلك التجارة؛ فثبت أن هذه المكاسب كلها أسباب للخلق بها يتوصلون إلى فضل الله تعالى، وأن المقصد والمفزع فيها إلى الله تعالى. ***والله أعلم.***

ثم اختلفوا في العدة فمنهم من قال:[7] هي استبراء الرَّحِم، ومنهم من قال: هي عبادة تَتْبَع[8] النكاح الذي استُوفي فيه المقصود بالنكاح. وهذا القول عندنا أصوب لأوجه. أحدها أن الاستبراء واجب في حق السنة والأدب قبل الطلاق؛ فإن من أراد أن يطلق امرأته فالواجب عليه أن يستبرأها بحيضة ثم يطلقها. وأما العدّة فإنها لا تجب إلا بعد الطلاق، فثبت أنها على ما ذكرنا من العبادة التي تتبع[9] النكاح الذي استوفي فيه المقصود.[10] ***والله أعلم.*** ومعنى آخر أن العدة لو كانت استبراء لكانت يُكتفَى بالحيضة الواحدة، فلما قُرنت بالعدد، وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء، ثبت أنها على الوجه الأول. ***والله أعلم.***[11]

---

[1] ر م + له.
[2] جميع النسخ: ليس.
[3] ر ث م: المقصود.
[4] ن - له.
[5] ر م: مقصودة؛ ن: مفصوبة؛ ث: مفصوبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.
[6] ﴿فإذا قُضِيَت الصلاة فانتشِروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة، ١٠/٦٢).
[7] ن: في العدة فقال بعضهم.
[8] جميع النسخ: يتبع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: يتبع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م + أن الاستبراء واجب.
[11] ث: ومعنى اخر أن العدة لو كانت استبراء لكانت يكتفي بالحيضة الواحدة فلما قرنت بالعدد وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء ثبت أنها على الوجه الأول والله أعلم.

**﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم**، هذا يدل على أن المراد من الأقراء الحيض؛ وذلك لأن الأصل عندنا في الأصول أن الشيء متى ذكر باسم مشترك ثم جرى البيان له عند ذكر البدل باسم خاص[١] دل على أن المراد[٢] من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ،[٣] وكان اسم الغسل مشتركا يتناول الماء وكل مائع، فلما قال عند ذكر البدل، فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً، تبين[٤] أن المراد من ذلك الاسم المشترك هو هذا الاسم الخاص[٥] المذكور عند البدل، فكذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة[٦] أشهر**، اختلفوا في قوله: **إن ارتبتم**، أنه أريد به إن ارتبتم في حيضهن أو في عدتهن. وعندنا الارتياب في عدتهن لأنه لو كان المراد منه الارتياب في حيضهن لكان من حق الكلام أن يقول: إن ارْتَبْنَ، أو يقول: واللائي ارتبن ليكون منسوقا على قوله: **واللائي يئسن**، فلما قال: **ارتبتم**، ثبت أن المراد إن ارتبتم في عدة[٧] الآيسات والصغائر فهي ثلاثة[٨] أشهر. *والله أعلم*. ولأن المرتابة إذا رأت الحيض ارتفع ريبها وصار [٨١٦و] عدتها بالحيض وخرجت من العدة بالشهور. وأما الآيسة / والصغيرة فإنه لا يتوهم عليهما[٩] ارتفاع الإياس والصِغَرِ[١٠] فيكون عدتهما بالأشهر، فلذلك قلنا: إن هذا الارتياب في عدة الآيسات والصغائر.

---

[١] ر: خواص.
[٢] ن: دل أن المراد.
[٣] سورة المائدة، ٥/٦.
[٤] ر ن م: يبين.
[٥] ر: الخوص.
[٦] ن ث: ثلثة.
[٧] ر م: في هذه.
[٨] ن ث: ثلثة.
[٩] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.
[١٠] ر ت م + وإنه لا يتوهم عليها.

ثم من قول أصحابنا: إن الرجل إذا طلق امرأته الآيسة أو الصغيرة[1] أو الحامل للسُّنَّة يطلقها[2] متى شاء وليس[3] له وقت معين في طلاقها لسنة،[4] وإنما كان كذلك لأنا قد وصفنا في قوله: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ،[5] أن المراد منه لقُبُل عدتهن. ومعلوم أن عدة التي ترى[6] الحيض أحد شيئين: [إما الأطهار وإما الحيض، ومن جعل حيضها هي العدةَ لم يَعتدَّ][7] ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة. وكذلك من جعل عدتها بالأطهار[8] لم يعتبر ما يقابلها[9] وهو الحيض من العدة. وإذا كان كذلك لم يكن بُدٌّ من أن يكون هاهنا شيء يقابل عدتها، فثبت فيه معنى قُبُل عدتها، فيُجعَل ذلك الطهرَ.

وأما الآيسة والصغيرة[10] والحامل فجميع أيامها من عدتها، وهو ثلاثة أشهر، وليس في أيامها شيء يقابل[11] عدتها، فلذلك قلنا: إن له أن يطلقها في أي وقت[12] شاء. وكذا له أن يطلق الحامل التي من ذوات الأقراء، وذلك لأنه إنما نهي عندنا عن الطلاق على إثر الجماع في التي تحيض لتوهم أن يكون الجماع أحبلها، فإذا طلقها ثم أراد نفي الحبل في العدة لم يتهيأ له ذلك. وأما الآيسة والصغيرة والحامل فليس فيهن هذا التوهم. **والله أعلم**.

ثم هذه العدة، وإن ذكره في هذه السورة على إثر الطلاق الواحد،[13] فكأنها في التطليقات الثلاث، لأن هذه العدة مكان العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ،[14] لأنه ذكر هاهنا وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ،[15] على الإجمال وذكرها ثَمَ على التفسير،

---

[1] ر م: والصغيرة؛ ث – ثم من قول أصحابنا إن الرجل إذا طلق امرأته الآيسة أو الصغيرة.

[2] ر ث م: مطلقها.

[3] ن: يطلقها شاء فليس.

[4] ر: السنية؛ م: السفينة

[5] الآية ١ من هذه السورة.

[6] ث: يرى.

[7] ر م: إما الدم؛ ن: أحد شيئين ولم يعتبر إما لعبد. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.

[8] ن – ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالأطهار.

[9] ث – إما الدم ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالأطهار لم يعتبر ما يقابلها.

[10] م: والصغير.

[11] ن: تقابل.

[12] م + وقت.

[13] م: الواحدة.

[14] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.

[15] الآية ١ من هذه السورة.

وإذا التحق[1] التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كأنه واحد.[2] ومعلوم أن تلك [الآية][3] في الواحدة[4] والثلاث، ألا ترى إلى قوله تعالى: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ،[5] وقوله: أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ، هي التطليقة الثالثة. وإذا كان الأمر على ما وصفنا ثبت أن للمرء أن يطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا. **والله أعلم.**

{قال رحمه[6] الله:} ثم في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ،[7] أوجه من الفقه. أحدها أنه لما قال: مِنْ بُيُوتِهِنَّ، دل أنه ألزمهن السكون في بيوتهن التي كن فيها في حال قيام النكاح، فيكون دليلا في قول[8] أصحابنا: إنه ليس للزوج أن يُسكنها معه في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك المسكن وينتقل هو بنفسه إن كان يريد الانتقال. يصحح هذا قولُه: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ،[9] فلما أدخل حرف "مِنْ" في[10] هذه الآية دل أن الواجب على الزوج أن يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت إلى أن تنقضي[11] العدة. **والله أعلم.**

ثم المعنى عندنا في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، لِيُحْصِنَّ[12] ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطئ غير الأزواج واشتباه النسب أن[13] لو حَبِلْن. وإذا كان النهي عن إخراجها وخروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بُدّ من إيجاب النفقة عليه لأنها إنما تكتسب[14] نفقتها بالخروج، فإذا نهيت عن الخروج لتحصين[15] مائه لم يحتمل أن تكون[16] النفقة على غيره. **والله أعلم.**

---

[1] ر: وإذا لتحقق.
[2] جميع النسخ: واحدة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٩ظ.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: في الواحد. والتصحيح من المرجع السابق
[5] سورة البقرة، ٢٢٩/٢.
[6] ر: رحمة.
[7] الآية ١ من هذه السورة.
[8] ن: لقول.
[9] الآية ٦ من هذه السورة.
[10] ر م - في
[11] ر م: إلى أن ينقض؛ ن ث: إلى أن ينقضي.
[12] ن: لتحصن.
[13] ر م - أن.
[14] ث: يكتسب.
[15] ر ث: لتحصن.
[16] ر ن م: أن يكون

ثم قوله: **وأُولَاتُ الأحمال أَجَلُهن [أن يضعن حملهن]**. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من شاء باهَلْتُه أن قوله: **وأولاتُ الأحمال أجلهن**، نزل بعد قوله في سورة البقرة: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا،[1] وجَعَل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يَعتبر أبعدَ الأجلين.[2] لكن إن كان ابن مسعود رضي الله عنه يباهل فعليّ رضي الله عنه لا يباهل ويقول بأن قوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، لا يجوز أن يدخل في قوله: **وأولاتُ الأحمال أجلهن**.[3] وذلك لأن قوله: **وأولات الأحمال**،[4] إنما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا تتضمن[5] عدة الوفاة، إذا كانت بالحيض لم تدخل[6] عدة الطلاق في عدة الوفاة. ألا ترى أن من طلق امرأته وهي حامل ممن تحيض، ثم مات عنها[7] زوجها قبل انقضاء عدتها لم تدخل[8] عدة الوفات في الحيض الثلاث، بل الحيض هي[9] التي تدخل[10] في عدة الوفاة، ويؤمر[11] بأن تعتدَّ[12] بأبعد الأجلين فكذلك أمر الحامل. وإذا اشتبه الحال أمرت فيه بالاحتياط أن تعتد[13] بأبعد الأجلين، ولأن عدة الوفاة لم تلزم لوطئ متقدم. ألا ترى أنها قد تلزم[14] من لم يكن زوجها من أهل الوطئ؟ وأما عدة الحبل والحيض إنما لزمت لوطئ متقدم، وإذا لم[15] تكن[16] عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل لم تدخل في عدة الحبل فوجب[17] فيه الاحتياط، وذلك في الاعتداد بأبعد[18] الأجلين.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[2] *سنن النسائي*، الطلاق ٥٦؛ و*تفسير الطبري*، ٢٨/١٨٢.
[3] *تفسير الطبري*، ٢٨/١٨٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/١٧٥.
[4] ن ث + أجلهن.
[5] جميع النسخ: لا يتضمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[6] جميع النسخ: لم يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث – عنها.
[8] جميع النسخ: لم يدخل.
[9] ر ث م – هي.
[10] جميع النسخ: يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: وتؤمر.
[12] ر ث م: أن يعتد. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: أن يعتد. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: لم يلزم لوطئ متقدم ألا ترى أنها قد يلزم. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر م – لم.
[16] جميع النسخ: يكن.
[17] جميع النسخ: لم يدخل في عدة الحبل فلا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] ن: أبعد.

ثم التخصيص بذكر الإنفاق على الحوامل يحتمل أن يكون بمعنى[1] أنها في الحقيقة لا تدخل[2]
|٨١٦ط| في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ،[3] لأنا قد وصفنا أنها إنما نهيت لتحصين[4] ماء الزوج، وإذا مضت تسعة أشهر فقد خرجت عن التحصين، فكان الواجب[5] أن تسقط[6] النفقة بعد التسعة. لكن الله تعالى حثَّ على الإنفاق[7] في جميع المدة لأنها لا محالة إنما بقيت[8] في هذه المدة لوطئه المتقدم. فلذلك حثَّ الله تعالى في الإنفاق على الحوامل فيما يقع عندنا. *والله أعلم*.

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه يجوز[9] أن يكون قوله: **وأولات الحمل أجلُهن**، عنده مبتدأً خطابٍ ليس بمعطوف على قوله: **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم**، لأنا نعلم أنه لا يجوز أن يقع الارتياب فيمن تحتمل[10] القَرْءَ؛ وذلك[11] لأن الأشهر في الآيسات إنما أقيمت مقام الأقراء في ذوات[12] الحيض، وإذا كانت الحامل ممن يحتمل القرء لم يجز أن يقع لهم شك في عدتها ليسألوا[13] عن عدتها. وإذا كان كذلك ثبت أنه خطابٌ مبتدأ، وإذا كان خطابا مبتدءًا تناول العدد كلها. ومما يدل على أنه مبتدأ خطاب ما روي في خبر سُبَيعةَ بنت الحارث الأسمية أنها وضعت بعد وفاة زوجها بخمسةَ عَشْرةَ ليلةً[14] فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج.[15] فدل إباحته النكاح قبل مضيّ أربعة أشهرٍ وعشرٍ على أن عدة الحامل تنقضي[16] بوضع الحمل في جميع الأحوال. وقال الحسن: إن الحامل إذا وضعت أحد الولدين[17] انقضت عدتها،

---

[1] ن: لمعنى.
[2] جميع النسخ: لا يدخل.
[3] الآية ١ من هذه السورة.
[4] ر ث م: لتحصن.
[5] ر ث م: الوجه.
[6] جميع النسخ: أن يسقط.
[7] ر م: عن لإنفاق.
[8] ن: إنما نفيت.
[9] ن: تجوز.
[10] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[11] ن: وكذلك.
[12] ن: الأقراء ذوات.
[13] ن: لتسألوا.
[14] جميع النسخ: بخمسة عن ليلة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠و.
[15] صحيح *البخاري*، المغازي ١٥؛ وصحيح مسلم، الطلاق ٥٦.
[16] ر ث م: يقضي.
[17] ن: الوالدين.

واحتج بقوله: **أن يضعن حملهن**، و لم يقل أحمالهن. ولكن لا يستقيم ما قاله لوجهين. أحدهما أنه قرئ في بعض القراءات أن يضعن أحمالهن.[٢] والثاني أنه قال: **أَجَلُهن أن يضعن حملهن**، ولم يقل يَلِدْنَ، بل علق بوضع حملهن والحمل[٣] اسم لجميع ما في بطنهن، ولو كان كما قاله لكانت[٤] عدتهن بوضع بعض حملهن، والله تعالى جعل أجلهن أن يضعن حملهن. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يجعلْ له من أمره يُسرا**، فقد وصفنا أن التقوى إذا ذكر مطلقا مفردا تناول الأوامر والنواهي فكأنه قال: **ومن يتق الله**، في أوامره أن يضيّعها[٥] أو في نواهيه أن يرتكبها، **يجعل له من أمره يسرا**. ثم قوله: **يجعل له من أمره يسرا**، له وجهان. أحدهما يجعلْ له من أمره يسرا في نفس التقوى أن يُيَسّره[٦] عليه، كما قال[٧] في قوله: **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**،[٨] يعني نيسر[٩] عليه فعل[١٠] التقوى والطاعة فكذلك الأول. ويحتمل أن يكون في جميع الأمور: في المكاسب والتجارات وغيرها أن من اتقى الله من الحرام يسّر الله عليه الحلال، ومن اتقى الله في الشُّبه يسّر عليه المباح،[١١] ومن يتق الله في تجارته رزقه ما يرجو[١٢] من الربح ويأمُلُه، وكذلك جميع الأمور على هذا السبيل. ***والله أعلم.***

**﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾**[٥]

وقوله عز وجل: **ذلك أمر الله أنزله إليكم**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون معنى قوله: **ذلك أمر الله**، أي ذلك التقوى أمر الله أنزله إليكم. ويحتمل أن يكون أراد[١٣] بقوله: **ذلك**،

---

[١] *بدائع الصنائع* للكاساني، ٤٣٣/٤؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٦/٣٠؛ وانظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٠٦/٨.
[٢] قرأ الضحاك: ﴿أَحْمَالَهُنَّ﴾ جمعا. (*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٨٤/٨؛ و*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥٠٥/٩).
[٣] ن + والحمل بل علق بوضع حملهن.
[٤] جميع النسخ: مكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠و.
[٥] ن: أن يضيعها.
[٦] ر م: أن تيسيره؛ ن ث: تيسره. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن - قال.
[٨] سورة الليل، ٥/٩٢-٧.
[٩] ر م: نيسره.
[١٠] ن: فعلى.
[١١] ر ث م: في المدح.
[١٢] ر م: ما يرجوا.
[١٣] ن: المراد.

م تقدم من الآيات في المراجعة والإشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك أنها، وإن خرجت[1] في الظاهر مخرج الخبر، فإنها كلها أمر الله تعالى أنزله إليكم فاتبعوها، وحذوا[2] بأمره فيها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يُكَفِّرْ عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجرا**، هذا يدل على ما وصفنا أن التقوى إذ ذكر مفردا انتظم الأمر والنهي جميعا. ألا ترى[3] إلى قوله: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[4] وقال هاهنا: **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته**، فجعل التقوى مكفرا لسيئات[5] فلولا أن في التقوى أعظمَ الحسنات لم يكن لقوله: **يكفر عنه سيئاته**، معنًى. *والله أعلم*.

**﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[٦]**

وقوله عز وجل **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**، وفي قراءة[6] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن مِن وُجْدكم.[7] ويجوز أن يكون قراءة عمر رضي الله عنه هذه أيضا. ألا ترى أنه قال: "لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري[8] أصدقت أم كذبت".[9] فالكتاب هذا؛ والسنة يجوز أن يكون سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، أو يجوز أن يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة، قد رُفع عينها وبقي حكمها لذلك قال: لا ندع كتاب ربنا. ألا ترى إلى ما قاله[10] عمر رضي الله عنه في أمر الزنى:

---

[1] م + في.
[2] ن: وجدو .
[3] ر ث م: ألا يرى.
[4] سورة هود، ١١/١١٤.
[5] ن: مكفر السيئات.
[6] ر م: في قراءة.
[7] *روح المعاني* للآلوسي، ٢٨/١٣٩؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٧.
[8] ر ث م: لا تدري.
[9] قالت فاطمة بنت قيس: طلقني زوجي ثلاثا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا سُكْنَى لكِ ولا نَفَقَةَ». قال مغيرة: فذَكَرْتُه لإبراهيم فقال: قال عمر: لا نَدَعُ كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة، لا ندري أَحَفِظَتْ أم نَسِيَتْ. وكان عمر يجعل لها السكنى والنفقة. سنن *الترمذي*، الطلاق واللعان ٥
[10] ر م: قال.

«سيأتي على الناس زمان يقولون: لا نجد الرجم في كتاب الله، وإنا كنا نتلو من قبل في سورة الأحزاب: "إن الشيخ والشيخة إذا زنَيَا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم"».[1] فقد رفعت التلاوة وبقي حكمها. فكذلك[2] في أمر النفقة يجوز أن يكون التلاوة مرفوعة، وحكمها باقيا. *والله أعلم.*

ثم [في][3] قوله: "لا ندع[4] كتاب ربنا" [إلى آخر] الخبر دلالةٌ أن الكتاب قد ينسخ بالسنة[5] لأن عمر رضي الله عنه إنما احتج في امتناعه عن ترك كتاب ربه بقوله لامرأة:[6] "لا ندري[7] أصدقت / أم كذبت"، ولو لا أن الكتاب قد[8] ينسخ بالسنة[9] وإلا لم يكن لاحتجاجه[10] بقوله: [٨١٧و]
"لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة" معنى بل كان[11] يقول: "لا ندع[12] كتاب ربنا بالسنة." فلما قال: "لا ندع[13] كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري[14] أصدقت أم كذبت" دل أن السنة قد تنسخ[15] الكتاب.[16] *والله أعلم.*

وروى أبو بكر الأصم أن فاطمة بنت قيسٍ لما أنكر عليها عمر رضي الله عنه حديثها تركت روايتها إلى زمن مروان، فلما استُخلف مروان جعلت تروي[17] حديثها، فأُخبر بذلك مروان فدعاها، فروت هذا الحديث، فقال لها مروان على ما كان يقول لها عمر رضي الله عنه.

---

[1] مصنف عبد الرزاق، ٣٢٩/٧-٣٣٠؛ ومسند أحمد بن حنبل، ١٣٢/٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٥٥٨/٦.
[2] ن: وكذلك.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٠و.
[4] ر ن ت: لا تدع.
[5] ر ث م: السنة.
[6] جميع النسخ: بقول امرأة.
[7] ر ث م: لم تدر؛ ن: لم يدر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن - قد.
[9] ر: السنة؛ ت + لأن عمر رضي الله عنه.
[10] جميع النسخ: احتجاجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ت - كان.
[12] ر ث: لا ندع.
[13] ر ث: لا تدع.
[14] ن: لا يدري.
[15] ر ت م: قد ينسخ.
[16] ر ت م: بالكتاب.
[17] ر م: يروى.

فقالت له: أين كتاب ربنا؟ فتلا عليها قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم**، وأنفقوا عليهن من وُجدكم، فقالت: كيف يحتمل أن يكون هذا في المطلقة ثلاثا؟ والله يقول في هذه: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.[1] ومعنى الإمساك في المطلقة ثلاث معدوم. فأُفحم مروان. ولو فهم مروان ما فهمه غيره لم يُفْحَمْ؛ وذلك أن هذه العدة المذكورة في هذه الآيات إنما هي مكانُ قوله: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ،[2] ولا فرق هناك[3] بين المطلقة الواحدة والثلاث. وإذا كان المذكور في هذه العدة مكانُ تلك فالمذكور في النفقة في هذه كالمذكورة في تلك، وليس في تلك الآية فرق بين الثلاث والواحدة، فلذلك قلنا: في كتاب الله تعالى دلالة إيجاب النفقة للمبتوتة[4] والمطلقة ثلاثا. *والله أعلم*. فيكون حجة على الشافعي.

ومما يدل عليه وهو أنه لما استُدلّ بذكر الإنفاق في قوله: **فأنفقوا[5] عليهن حتى يضعن حملهن**، على وجوب الإسكان والنهي عن الإخراج مع توهم الإنفاق دون الإسكان فَلَأَنْ يُستَدلّ بذكر الإسكان على الإنفاق -ولا يكون[6] الإسكان إلا بالإنفاق لاتصاله به- أحرى،[7] فصار قوله: **أسكنوهن**، دليلا على وجوب الإنفاق. وإنما قلنا: إن الإنفاق متصل بالإسكان لأنه إذا[8] نُهِي عن إخراجها عن بيته[9] وأُمر بإسكانها فلا يحتمل أن لا يؤمر بالإنفاق لأن في ذلك تضييق [الأمر][10] عليها وتعسيرَه.[11] ألا ترى أنها إنما تكتسب[12] النفقة[13] بالخروج، فإذا نُهي الزوج عن إخراجها ونهيت هي عن الخروج لم تصل إلى نفقتها إلا بالزوج ضرورة. *والله أعلم*.

---

[1] الآية ٢ من هذه السورة.
[2] سورة البقرة، ٢٢٨/٢.
[3] ن - هناك؛ ت: هنالك.
[4] ر ث م: في المبتوتة.
[5] جميع النسخ: وأنفقوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠ ظ.
[6] ن: ولا يكاد؛ ث: وإلا ولا يكاد.
[7] ن ث: أحرى.
[8] ر ث م - إذا.
[9] ث: من بيته.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ر: وتفسيره.
[12] ر م: يكتسب.
[13] ر: المنفعة.

ولأجل أنا نظرنا أن النفقة في الحامل للحمل أو العدة؟ فوجدنا أنها لو كانت واجبة للحمل لم تجب[1] إذا كان حملها بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته عليه. وقد وجدنا هذا الحكم لحق حُرّ يتزوج أَمَةَ رجلٍ بإذن سيدها، فولدت ولدا إن نفقة الولد على السيد، وهي تجب[2] عليه مادام في بطن أمه، فلما استقام وجوب النفقة على الزوج مادامت حاملا، وإن كان الحبل[3] بحيث لو وضعته لم يلزمه[4] نفقته،[5] تبيّن[6] أن النفقة في الحامل لمكان العدة لا للحبل؛ والعدة في الحابل[7] والحامل واحدة، فكذلك كان حكمها واحدا. *والله أعلم*. ثم الأصل عندنا ما وصفنا أن النفقة إنما وجبت لاستمتاعه المتقدم. فإذا كانت محبوسة لاستمتاعه السابق أُوجبت النفقة عليه. وإذا[8] كانت محبوسة لا بهذا الحق لم تكن[9] عليه النفقة. *والله أعلم*.

ولأن في قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم**، إضمار النفقة، كأنه يقول: أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وُجدكم، لأنه لولا هذا الإضمار لم يكن لقوله: **من وجدكم**، على الظاهر معنى، لأنه لما قال: **أسكنوهن**، عُلم أنه جعل الإسكان عليهم. ومن كان عليه الإسكان فإنما يكون مِن وُجْده فلم يكن في قوله: **من وجدكم**، إلا إعلامَ ما قد عَلِمناه. وإذا كان كذلك[10] ثبت أن في قوله: **من وجدكم**، إضمارًا[11] يستقيم عليه قوله: **مِنْ وُجْدكم**. [وليس ذلك إلا النفقة، وعلى هذه قراءة ابن مسعود أنه كان يقرأ "وأنفقوا عليهن (من) وجدكم"].[12] وليس بين القراءتين اختلاف، ولكن إحداهما[13] خرجت على الإجمال، والثانية على التفسير على ما قرئ في قوله: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا،[14]

---

[1] ر ث م: لم يجب.
[2] جميع النسخ: وكان يجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠ظ.
[3] ر م – الحبل.
[4] ث: لم يلزم.
[5] ث + عليه.
[6] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر: في الحائل؛ ن: في الحامل.
[8] ر م: فإذا.
[9] جميع النسخ: لم يكن.
[10] ر ن: ذلك.
[11] جميع النسخ: إضمار.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ر م: أحدهما.
[14] سورة المائدة، ٣٨/٥.

"فاقطعوا أيمانهما"،[1] ولم يحمل ذلك على الاختلاف، بل حملت إحداهما على الإجمال والثانية على التفسير، فكذلك الأول. *والله أعلم*. مع ما إن لم يثبت اللفظ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأقبه[2] أن يكون من خبر الآحاد. ومعلوم أن خبر ابن مسعود رضي الله عنه -وإن كان من خبر الآحاد فيما يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم- مقبول. أو لمّا وجب قبول خبر أبي هريرة رضي الله عنه مع ما قيل فيه من الضعف[3] فَلَأَنْ يقبل خبر ابن مسعود رضي الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وتبحّره[4] في الفقه أولى. ومن هجر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه خِيفَ عليه الزلّةُ. ألا ترى إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه[5] أنه سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تَعدّون آخِرَ القراءة؟
[٨١٧ظ] / قالوا: قراءةَ زيد بن ثابت رضي الله عنه. فقال: كلا، كان يُعرَض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة، وعرض عليه في العام الذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، وقد شهدهما جميعا ابن مسعود رضي الله عنه.[6] وإذا[7] كان ابنُ مسعود قراءتُه آخرَ القراءات، وهو الذي شهد قراءة القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مرة، لم ينبغ أن يُعرَض عن قراءته ويُهجَر. *والله أعلم*.

وفي قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم**، دلالة أنه إنما يُسكنها في جزء من أجزاء مسكنه لا في الموضع الذي يَسكنه هو لأن حرف "من" للتجزئة والتبعيض.

وقوله: **ولا تُضارُّوهن لتُضيّقوا عليهن**، يحتمل وجهين من التأويل. أحدهما أي[8] لا تضاروهن في الإنفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن. أو لا تضاروهن في المسكن فتدخلوا عليهن من غير استئذان فيَضيق[9] عيهن المسكن فيخرجن. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: فأيمانهما. وهي قراءة ابن مسعود. *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٠٦؛ و*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٢/٢٧٠.

[2] ن ث: فأقلة.

[3] ن: فيه الضعف.

[4] ر: وتجره.

[5] ن ث: عنهما.

[6] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٧٥؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢/٢٥٠.

[7] ر ث م: وإذا.

[8] ن: لتي.

[9] ن: فتضيق.

وقوله عز وجل: **وإن كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن.** دل الأمر بالإنفاق على النهي عن الإخراج، كما دل النهي عن الإخراج[1] على وجوب الإنفاق. ثم التخصيص بذكر الإنفاق على الحوامل[2] يحتمل أن يكون لمعنى أنها في الحقيقة لم يدخل في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ،[3] لأنا قد وصفنا أنها إنما نهيت لتحصين[4] ماء الزوج، وإذا مضت تسعة أشهر فقد خرجت عن التحصين،[5] فكان الواجب أن تَسقط[6] النفقة بعد التسعة، وقد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم.[7] ويحتمل أن تكون[8] الفائدة في تخصيص الحوامل بالإنفاق عندنا -والله أعلم- أنه لو لا هذه الآية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله تعالى: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، ومن قوله: وَلَا يَخْرُجْنَ،[9] لأن الأزواج لهم أن يحتجوا عليهن أن حرمة النكاح في ذوات الأحمال ليس لحق الأزواج، ولكن لحق ما في بطنها من الولد. ألا ترى أنه يَحرم عليها النكاح وإن كان[10] الولد من غيره. وقد قلنا: إن النفقة إنما أُوجبت في غير الحوامل لأنهن يُحْبَسْن[11] عن نكاح الأجانب بحق الأزواج، فإذا كان[12] الحبس في الحوامل لا لحق الأزواج جاز أن يكون هذا[13] حجة لهم في إسقاط النفقة عنهم. وإذا كان[14] كذلك حث الله لهم في الإنفاق على الحوامل ما لم يضعن حملهن، لأن ذلك الحمل[15] من أثر استمتاعهم المتقدم، ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هذا. والله أعلم.

---

[1] ن + عن الإخراج.
[2] ر م: لحمل.
[3] الآية ١ من هذه السورة.
[4] ر ث م: لتحصن.
[5] ر ث م: عن التحصن.
[6] ن: أن يسقط.
[7] لكن الله تعالى حث على الإنفاق في جميع مدة الحمل لأنه لا محالة إنما بقيت في هذه المدة بوطئه المتقدم. فلذلك حث الله تعالى في الإنفاق على الحوامل عندنا. والله أعلم. (من الشرح، ورقة ٢٤١و).
[8] جميع النسخ: أن يكون.
[9] الآية ١ من هذه السورة.
[10] ن: وإن كان.
[11] ر ن ث: تحبس.
[12] ر م: فإذا كانت.
[13] ر ث م: هذا.
[14] ر م: وإذا كانت.
[15] ن: الحمل.

وقوله عز وجل: **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**، هذا يتضمن أوجها من أدلة الفقه. أحدها أنه[1] قال: **فآتوهن أجورهن**. ثبت أن الإرضاع كان بإجارة، وأنه إذا استأجرها لتُرضع[2] ولده[3] منها بعد المفارقة جازت الإجارة وحل لها أخذ الأجر، وأنه إذا استأجر امرأته في صُلْب النكاح على إرضاع[4] ولده منها لم يجز ولم يكن لها أخذ الأجر، لأن الله تعالى ذكر بدل الرضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله: وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[5] فإذا سمى ما ذكره الله تعالى رزقا أجرا لم يكن أجرا، وكان بحق الرزق والكسوة، فلذلك لم يجز الإجارة في صُلب النكاح. *والله أعلم*.

ثم قوله: **فآتوهن أجورهن**، دليل على أن اللبن، وإن خلق لمكان الولد، فهو ملك لها، ولو لا ذلك لم يكن لها أن يأخذ الأجر على لبن ليس لها فيه ملك. وفيه دليل على أن حق الإرضاع والنفقة[6] على الأزواج في حق الأولاد، وحق الإمساك والحضانة والكفالة على الزوجات، ولولا ذلك لكان لها بعض الأجر دون الكل. فلما أَمَرَ[7] بإيتاء كل الأجر ثبت أن حق الإرضاع على الأزواج، وعلى الزوجات[8] الكفالة والإمساك. *والله أعلم*.

ولأجلِ أنا لو جعلنا اللبن ملكا للولد مخلوقا له وجعلنا النفقة على الأم من مال نفسها لكانت نفقتها تَفْنَى، ولا يتهيأ لها كسب النفقة لاشتغالها بالإرضاع فتجوع وتهلك[9] ويذهبُ لبنها فيبطل[10] الإرضاع. فإذا كان[11] إيجاب الإرضاع عليها يَسقطُ من حيث يُراد جَعْل النفقة، فأسقطنا عنها وجعلنا ملك اللبن [لها][12] لتأخذ[13] الأجر عليه. *والله أعلم*.

[1] ث: فيه.
[2] جميع النسخ: ليرضع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤١و.
[3] ر م: وولده.
[4] ر ث م: على الرضاع.
[5] سورة البقرة، ٢٣٣/٢.
[6] ن: والفقه.
[7] ر م – أمر.
[8] م: وعلى الأزواج.
[9] جميع النسخ: فيجوع ويهلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤١ظ.
[10] ن: فبطل.
[11] ر م: وإذا كانت؛ ن ث: وإذا كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ن: ليأخذ.

وفي هذه الآية دلالة على أن الأجر إنما يجب بعد استيفاء المنافع، فإنه قال: **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**. إنما أوجب الإيتاء بعد الإرضاع. وفي قوله: **أُجورَهنّ**. دلالة على أن الإرضاع إنما هو بإجارة[1] قد سبقت، لذلك قال أصحابنا: إن الأجرة إنما تجب[2] عند استيفاء العمل.

وقوله عز وجل: **وائتمروا بينكم بمعروف**، له وجهان. أحدهما أن يقول: **وائتمروا**، يعني تشاوروا في إرضاعه إذا تعاسرت هي. والثاني **وائتمروا**، أي اعملوا[3] بأمر من جعل الله تعالى إليه الأمر بالمعروف، وهو [الحاكم][4] إذا أمركم في أمر الولد بالمعروف.[5]

وقوله: **وإن تعاسرتم فستُرْضع له أخرى**، يعني إذا تنازعتم في الرضاع وأبَتِ الأُمّ أن تُرضعه فطلبوا أخرى ترضعه[6] عندها.

**﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾**[٧]

وقوله: **لينفق ذو سعة من سعته**، أي من وُسّع عيه في الرزق فلينفق نفقة واسعة، **ومن قدر عليه**، يعني ضُيّق عليه؛ **وقدر**، / هاهنا بمعنى ضيق عليه[7] وهو كما قال: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ،[8] يعني[9] فظن أن لن نضيق عيه، وكذلك قوله:[10] يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ،[11] يعني ويضيق عيه؛ أي من ضُيّق عيه فلينفق نفقة ضيقة فذلك قوله: **فلينفق مما آتاه الله**. *والله أعلم*. [٨١٨و]

وقوله عز وجل: **لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**، فهو يدل على أن العباد ما اكتسبوا[12] من الأموال فهي كلها مما آتاهم الله تعالى، وأن لله تعالى في أفعال العباد وفيما يكتسبونه من الأموال صنعا وتدبيرا،

---

[1] ن: بإجرة.
[2] ر ث م: إنما يجب.
[3] ر م: اعلموا.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤١ظ.
[5] ر ث م - وهو إذ أمركم في أمر الولد بالمعروف.
[6] ن ث: يرضعه.
[7] ن - عليه.
[8] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[9] ر م: أي.
[10] ر ث م - قوله.
[11] سورة العنكبوت، ٦٢/٢٩؛ وسورة سبأ، ٣٩/٣٤.
[12] ر م: على أن العبادة اكتسبوا.

لأنه لو لا ذلك لكان يجوز أن يكنفه الله تعالى وإن لم يؤتها لهم إذا كان في قدرته أن يكتسب ما لم يؤته الله تعالى.

وقوله عز وجل: **سيجعل الله بعد عسر يسرا**. هذا دليل على أنه إذا عجز عن نفقة امرأته لم يفرَّق بينها وبينه لأنه إذا فُرِّق بينهما لم تصل إلى زوج ينفق عليها للحال بل تحتاج[1] فيه إلى انقضاء العدة. وقد يُتوهم في خلال ذلك أن يُوسِر الزوجُ، لأن إنجاز وعد الله تعالى في اليسار بعد العسر[2] أقرب من قدرتها على زوج ينفق عليها. وليس هذه كالأَمَة، لأنه إذ باع الأمة دخلت في ملك آخرَ ينفق عليها. ***والله أعلم***.

ثم يجوز أن يكون قوله: **سيجعل الله بعد عسر يسرا**، وعدا لجميع الأمة أن من ابتُلي بالعسر يَتْبَعه اليسر. ويجوز أن يكون خطابا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا في عسر وضِيق عَيش، فوعدهم الله بعد ذلك العسرِ الذي كانوا فيه يسرا. وقد أنجز ذلك[3] الوعد حيث فتح لهم الفتوح ونصرهم على أعدائهم فغَنِموا أموالهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله**، وصف الله تعالى القرية بالعتوّ ومعلوم أنها[4] لا تَعْتُو،[5] ولكن المراد منه أي عتا[6] أهلها عن أمر ربهم. وقد يجوز أن يُكنَى بالمكان عن الأهل كما قال في آية أخرى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا،[7] يعني واسأل أهل القرية. وفي هذا دلالة أن ما خرج مخرج الكناية في الحقيقة لم يكن كذبا، وإن كان في ظاهره يتراءى[8] أنه كذب. ألا ترى إلى قوله:[9] إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً،[10]

---

[1] ر ث م: يحتاج.
[2] ر: اليسر.
[3] ر م: ذلك.
[4] ر ث م: أنه.
[5] ن: لا تعتوا.
[6] ر ث: أي عتى.
[7] سورة يوسف، ٨٢/١٢.
[8] جميع النسخ: ترايا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٤١ط.
[9] ر م: ألا ترى قوله.
[10] سورة ص، ٢٣/٣٨.

ومعلوم أنه لم يكن هناك[١] نَعَجاتٌ،[٢] ولكنه[٣] كناية عن النساء، فخرج على الصدق في الحقيقة كأنه[٤] قال: إن هذا أخي لو كان له تسع وتسعون امرأة، فكذلك[٥] الأول. *والله أعلم*. والعُتُوّ النهاية في الاستكبار ألا ترى إلى قوله تعالى: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا.[٦]

وقوله عز وجل: **فحاسبناها حسابا شديدا**، له أوجه من التأويل. أحدها يقول: **حاسبناها**، أي بلغوا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من أهل الحساب الشديد والعذاب المنكر. أو يُجعَل ما ذكر الله من نزول النقمة بالأمم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا هذه الأمة ليتذكروا ويتعظوا. أو يكون معناه **فحاسبناها**، أي سنحاسب[٧] حسابا شديدا في الآخرة، كما كان معنى قوله تعالى: وإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[٨] بمعنى وإذ يقول الله، فكذلك الأول. *والله أعلم*.

ووجه نزول هذه الآية[٩] أن يكون له معنيان. أحدهما تخويف أمة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرةِ من أهل مكة بما نزل بالأمم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والإيمانَ بهم، واستكبروا في أنفسهم وعَتَوا، لكي ينتهيَ أهل قريته[١٠] عليه السلام[١١] عما هم فيه من الكفر والعتو، أو يَحذروا[١٢] الوقوع فيه في حادث الأوقات. ويحتمل أن يكون هذا[١٣] تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه فيما يَلْقَى من كفر[١٤] قومه وعصيانهم وعُتوّهم، وليَعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من أممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارُهم المبلغَ الذي وقع اليأس عن إيمانهم

---

[١] ن – هناك.
[٢] جميع النسخ: نعجة.
[٣] ر ث م: ولكن.
[٤] ر ث م: كناية.
[٥] ن: فلذلك.
[٦] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[٧] جميع النسخ: سيحاسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.
[٨] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[٩] ر م: الآيات.
[١٠] ر ث م: قرية.
[١١] ن – عليه السلام.
[١٢] ر: ويحذرو؛ ث: أو يحذر.
[١٣] ر ث م – هذ.
[١٤] ر ث م: من أمر.

حتى أنزل الله تعالى بهم ما أنزل من النقم والعقوبة. ويجوز أن تكون[1] هذه[2] محنة امتحن بها[3] رسولَه ليُعلِّم شفقته على أمته في ترك الدعاء عليهم بالإهلاك. *والله أعلم*.

**﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[٩]**

وقوله: **فذاقت وبال أمرها**، أي شدة أمرها أو نقمة أمرها[4] وعقوبة كفرها. وقوله: **وكان عاقبة أمرها خسرا**، أي عاقبة عتوها خسارا في الآخرة.

**﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[١٠] ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾[١١]**

وقوله: **أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب**، أي فاتقوا الله يا من تدَّعُون[5] أن لكم[6] لُبًّا فاتقوه عن أن تكفروا[7] به وبرسوله. وفيه دلالة أن خطاب الله إنما يتناول العقلاء منهم وأن من لا عقل له فلا خطاب عليه.

وقوله: **قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا**، له وجهان. أحدهما أن يجعل الذكر والرسول كلَّه واحدا[8] فيقول: أنزل الله إليكم ذكرا وهو الرسول. وإنما سماه ذكرًا لوجهين. أحدهما أن من اتبعه شَرُف وصار مذكورا. أو سماه ذكرا لأنه يُذكِّرهم المصالح[9] والمضارَّ وما يرجع إلى دينهم وعقباهم. ويجوز أن يكون فيه إضمار وهو أن يقول: أنزل الله إليكم ذكرا وأرسل إليكم[10] رسولا.

---

[1] ر ن م: أن يكون.
[2] ن: هذ.
[3] ن: ها.
[4] ن + أو نقمة أمرها؛ ث – أو نقمة أمرها.
[5] جميع النسخ: يدعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.
[6] جميع النسخ: أن لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: عن أن يكفروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: واحد.
[9] ر م: الصالح.
[10] ر م – ذكرا وأرسل إليكم.

وقوله عز وجل: **يتلو عليكم آيات الله مبينات**، بالخفض والنصب.[1] الآيت الأعلام |٨١٨ظ|
والحجج؛[2] فمن قرأ مبيّنات بالخفض فمعناه أنها تبين[3] الحلال والحرام والأمر والنهي. ومن قرأ بالنصب[4] فكأنه يريد به[5] أن الله تعالى أوضح آياته وبينها حتى إن من تفكر فيها وفي جوهرها علم أنها من عند الله.

وقوله عز وجل: **ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور**، كل من آمن فقد خرج من الظلمات إلى النور،[6] وإذا كان هذا هكذا فحق هذا الكلام أن يقول: ليخرج الذين كفروا من الظلمات إلى النور. ولكن يحتمل أن يكون معناه: ليخرج الذين يؤمنون، على ما جاز أن يراد من الماضي المستقبل، نحوَ قوله تعالى:[7] وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ،[8] أي وإذ يقول الله: يا عيسى بن مريم، جاز أن يراد من الماضي المستقبل،[9] وهذا سائغ[10] في اللغة. ويحتمل أن يقول: ليخرج الذين آمنوا من ظلمات تحدث[11] لهم بعد إيمانهم إلى النور. *والله أعلم*.

وقيل قوله: **الذين آمنوا**، يعني الذين وحّدوا الله تعالى وعظموه وبجلوه من معاني الشبه، ووصفوه بالتعالي عن العيوب والآفات، وعملوا في إيمانهم صالحا إذا خافوه ورجوه بإيمانهم. وذلك عملهم الصالح في الإيمان، وذلك معنى قوله: أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا،[12]

---

[1] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب واليزيدي وابن عباس وابن محيصن: ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء. وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش والحسن وعيسى: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء (*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥١٢/٩).

[2] ر ث م + فمعناه أنها تبين الحلال والحرام والأمر والنهي.

[3] ر ن م: يبين.

[4] ن - الآيات الأعلام والحجج فمن قرأ مبينات بالخفض فمعناه أنها تبين الحلال والحرام والأمر والنهي ومن قرأ بالنصب.

[5] ن - به.

[6] ر م - كل من آمن فقد خرج من الظلمات إلى النور؛ ث + ولكن يحتمل أن يكون معناه.

[7] جميع النسخ: وقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.

[8] سورة المائدة، ١١٦/٥.

[9] جميع النسخ: من المستقبل الماضي. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ن: شائع.

[11] ن ث: يحدث.

[12] ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).

ومعنى ذلك الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الإيمان. *والله أعلم*. ويجوز أن يكون معنى قوله: **وعملوا الصالحات**، في أداء الفرائض التي افترض الله عليهم.

وقوله: **قد أحسن الله له رزقا**، أي طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة، وذلك معنى قوله تعالى: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[1] وفي هذه الآية دلالة أن من نال الإيمان فإنما ناله بفضل الله ورحمته،[2] لأنه لولا هكذا لم يكن لِيَمُنَّ الله تعالى عليه بذلك.

**﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾**[١٢]

وقوله: **الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن**. اختلفوا في قوله: **ومن الأرض**، منهم من قال: **مِثلَهن**، أي طِباقا مثل السماوات بعضها طَبَقا فوق بعض. ومنهم من قال: **مثلهن**، يعني سبع جزائر على مثل ما قال: سَبْعَةُ أَبْحُرٍ،[3] فكذلك خلق سبع جزائر.[4] ومنهم من قال: خَلَق هذه الأرض التي نشاهدها[5] على حد السماء [الدنيا][6] ومقدارِها، والسِّتُّ من وراء هذه[7] السماء. *والله أعلم*. وليس بنا إلى تعرف مائيتها وكيفيتها وعددها حاجة لأنه ليس في تعرفها حكم يتعلق به. *والله أعلم*.

وقوله: **يتنزل الأمر بينهن**، له تأويلان. أحدهما يتنزل الوحي بينهن، وما يُنزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن. ومعناه أن الله تعالى ذكر أمة محمد عليه السلام أنهم لم يُخَصُّوا بمحنة[8] الرسل والكتب والوحي، بل كل من في السماوات والأرض ممتحن بذلك.

---

[1] سورة البقرة، ٢٠١/٢.

[2] ر ث م: وبرحمته.

[3] ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعةُ أَبْحُرٍ ما نفدت كلمات الله﴾ (سورة لقمان، ٢٧/٣١).

[4] ن – سبع جزائر.

[5] ن: يشاهدها.

[6] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٢ ظ.

[7] ر م: هذا.

[8] ر م: محنة.

والثاني **يتنزل الأمر بينهن**، يعني التكوين، ووجه ذلك أنه لا يخلو[1] مكان في السماوات والأرض في كل وقت من مكوَّن يكوّنه الله تعالى أو محدَث يُحدثه. وذلك قوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[2] فيجوز أن يكون المراد بالأمر[3] في قوله: **يتنزل الأمر**، أمرَ التكوين،[4] ومعناه ما وصفنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، أي لكي تعلموا إذا تفكرتم في خلق السماوات[5] والأرض وما جرى من التدبير فيهما أن من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية، لا يعجزه شيء عما أراده، أو يدل هذا التدبير أنه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، يحتمل أوجها. أحدها أن الله تعالى[6] على خلْقِ فعلِ كل فاعل[7] من خلائقه قدير. ووجه ذلك أن الله تعالى قد كان أعلمهم بخلق السماوات والأرضين[8] بقوله: **الله الذي خلق سبع سماوات**، فلما قال **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، لم يكن بُدّ[9] من أن يكون هذا في غير[10] خلق السماوات والأرضين. فثبت أن فيه دلالةَ قدرته على خلق فعل كل مخلوق، ولأنه لما بلغ قدرته وتدبيره في السماوات والأرضين مع عظم أمرهما وشأنهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما، فَلَأَنْ تبلغ[11] قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر، وهو أفعالهم، أحقُّ. ***والله المستعان.*** ووجه آخر أن يقول: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**،[12] بما وعد وأوعد قدير،[13] أو على كل شيء من منافع العباد ومضارّهم قدير.

---

[1] ر: لا يخلوا.
[2] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[3] ر م - بالأمر.
[4] ر م: تكوين.
[5] ن ث: السماء.
[6] ن + قدر.
[7] ن: عباد.
[8] ن: والأرض.
[9] ر + لا
[10] ن - غير.
[11] جميع النسخ: تبلغ.
[12] ن - قدير.
[13] م - قدير

وعلى قول المعتزلة:[١] إن الله تعالى لا يقدر على فعل بَعُوضة فما فوقَها، ولا يقدر على إصلاح أحد من خلقه وإن أنفد[٢] جميع[٣] خزائنه، وإن من صلح فإنما يصلح بنفسه ومن فسد فإنما يفسد[٤] بنفسه. وهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من أنه على كل شيء قدير.

وقوله عز وجل:[٥] **وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علما**. يعني أن علمه لا يَشُذُّ عن شيء ولا يخفى عليه شيءٌ من الفعل والأمر وغيره. *والله تعالى أعلم*.[٦]

---

[١] ر م - المعتزلة.
[٢] ر م، وإن نفد.
[٣] ن - جميع.
[٤] ن، فسد.
[٥] ن، قوله.
[٦] ن - والله أعلم تمت السورة؛ م - والله تعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة التحريم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]**

قوله عز وجل: **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك**، هذا في الظاهر فظيع بأن يُحرِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحل الله له، ومن قال بأنه حرّم ما أحل الله فقد / قال أمرا منكرا، ولو اعتقد ذلك كان كفرا منه، إذ من حرم ما أحل الله تعالى [٨١٩و] كان كافرا، ومن كان اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا[2] فهو كافر. وقال أبو بكر الأَصَمّ: دلت هذه الآية على أن ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله تعالى لأن الله تعالى منع رسوله عن ذلك. لكن الأمر عندنا ليس على ما ظنه أبو بكر ولا على ما يَسبِق[3] إليه وَهْم بعض الجهّال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا أحله الله تعالى. ومن توهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر.

وتأويله عندنا -والله أعلم- على وجهين. أحدهما أن تحريم ما أحل الله تعالى هو أن يعتقد تحريم المحلَّل وتحليل المحرَّم فيما حرّم الله تعالى مطلقا، فمن اعتقد تحريمه حُكم عيه بالكفر.

[1] ر – سورة التحريم؛ م + وهي مكية؛ ث: سورة المتحرم وهي اثنتا عشرة آيات مدنية؛ ن: سورة المتحرم وهي مدنية كلها.

[2] ن – هذا.

[3] ر: سبق؛ م – ما يسق.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما أحل الله، إذ لم ير جمعها عليه محرم بل امتنع عن الانتفاع بها باليمين. والحرمة التي تَثبت[1] بسبب اليمين لم تكن[2] من فعل الآدمي وإن ثبتت[3] بمباشرة السبب منه، كالتحريم بالطلاق وبغيره من الأسباب، وإنما[4] تثبت[5] من الله تعالى عقيب مباشرة الأسباب من العباد كسائر[6] الأحكام. كيف وإنه باليمين لا تَثبت[7] حرمة نفس الفعل وإنما المحرَّم ترك[8] تعظيم الله تعالى الواجب بسبب اليمين، وهذا لا يعد تحريم الحلال وتحليلَ الحرام. أو أريد بالتحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالا لا أن يكون[9] قصد به[10] قصد تحريم عينه. وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لغرض له في ذلك، وهو كقوله تعالى: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[11] ولم يُرَدْ[12] به[13] تحريم عينه ولا التحريم الشرعيُّ إذ الصبي ليس من أهله، وإنما أريد به امتناعه من الارتضاع إلا من ثدي أمه، فعنى ذلك هاهنا. ***والله أعلم.***

والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نُدب إلى حُسن العِشرة مع أزواجه وإلى الشَّفَقَة[14] عليهن[15] والرحمة[16] بهن، فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما أحل الله[17] له وأباح له التلذذ به يبتغي به حسن عشرتهن ويطلب به مَرضاتَهن،

[1] ر ن م: يثبت.
[2] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢ظ.
[3] جميع النسخ: وإن ثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: فإنما.
[5] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: وكسائر.
[7] جميع النسخ: لا يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: وإنما المتحرم من ترك.
[9] ر م: حلالا أن يكون.
[10] ن: قصده.
[11] ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلُّكم على أهل بيت يَكْفُلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، ١٢/٢٨).
[12] ر م: ولم ير.
[13] ر ث م - به.
[14] ر ث: إلى الشفقة.
[15] ر م: عليهم.
[16] ر م: الرحمة.
[17] ر م - الله.

فقال: **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**، أي لا يبلغنَّ بك الشفقة عليهن وحسْن العِشرة معهن مبلغا تمتنع[1] عن الانتفاع بما أحل الله لك. فيخرج هذا مخرج تخفيف المئونة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة. وهو كقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[2] فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلغ من شفقته على أولئك الذين تخلفوا عن الإيمان مبلغا كادت نفسه تَهلك[3] فيهم، فكان في قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، تخفيفُ الأمر عليه. وكذلك قال: وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[4] ليس في الحقيقة نهي عن السخاء على النهاية لكن تخفيفُ الأمر عليه أن ليس عليك الإسراف في السخاء والنهاية في ذلك بحيث لم تبقِ[5] لنفسك وعيالك شيئا[6] وتؤثر غيرك. فعلى ذلك قوله: **لِمَ تُحَرِّمُ ما أحل الله لك**، خارج مخرج تخفيف المئونة عليه في حسن العشرة لا مخرج النهي. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في سبب التحريم. فمنهم[7] من ذكر أن حفصة رضي الله عنها زارت أهلها والنبي[8] صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فجاءت أم إبراهيم ماريةُ القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقعها، فجاءت حفصة وهما نائمان فرجعت إلى بيت أهلها فمكثت عامّةَ الليل، القصةَ. وقالت حفصة في آخر هذا الخبر: ما رأيت لي[9] حرمة وما عرفت لي حقا؟ فقال لها عليه السلام: «اكتمي عليّ وهي عليّ حرام»،[10] فنزلت هذه الآية.[11] ومنهم من يذكر أن ذلك اليوم[12] كان يومَ عائشةَ رضي الله عنها، فاطّلعت حفصةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاريَتِهِ ماريةَ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكتم[13] عليه،

---

[1] ر م: يمتنع؛ ث + عم.
[2] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[3] ر: يهلك.
[4] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[5] جميع النسخ: لم يبق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣و.
[6] ن – شيئا.
[7] ر – فمنهم؛ م: منهم.
[8] ن ث: ونبي الله عليه السلام.
[9] ر: بلى.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٧٦/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٩٩/٢٨–٢٠٠.
[11] ن + وقال عكرمة نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضاة أزواجه فنزلت الآية والله أعلم.
[12] ر م – أن ذلك اليوم.
[13] ن ث: يكتم.

فأخبرت حفصة بما رأت عائشةَ رضي الله عنها، فعصت عائشة فلم تزل[1] بنبيّ الله حتى حرمها[2] فنزلت هذه الآية.[3] وقال عكرمة: نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شُرَيك وهبت[4] نفسها[5] للنبي صلى الله عليه وسلم،[6] فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مَرْضات أزواجه فنزلت الآية.[7] **والله أعلم**.[8]

ومنهم من قال: إن الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شربه عند بعض نسائه،[9] فقالت امرأة من نسائه لصاحبتها: إذا جاءك النبي صلى الله عليه وسلم فقولي له: ما ريح المغافير منك؟ فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.[10] وليس لنا إلى تعرف[11] السبب الذي له[12] وقع التحريم ولا إلى تعيين الشيء الذي[13] حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجةٌ، ولكنا نعلم [٨١٩ظ] أن الأمر الذي كان فهو جرى بينه وبين زوجته.

وقوله عز وجل: **والله غفور رحيم**، أي غفور لما تقدم من ذنبك وما تأخر لو كان أو يكون، **رحيم**، حيث لم يعاقبك بما اجترأت[14] من الإقدام على اليمين لا بإذن[15] سبق من الله لك فيه؛ أو **غفور رحيم**، عليك وعلى زوجتيك[16] إن تابتا ولم تعودا إلى صنيعهما؛ أو **غفور رحيم**، بما خفّف عليك من مئونة العشرة ولم يحمل عليك ما حملت على نفسك.

---

[1] ن: فلم يزل.

[2] ن + رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[3] *تفسير الطبري*، ٢٨/٢٠٠.

[4] ر ث م: وهب.

[5] ر ث م: بقلبها.

[6] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿وامرأةً مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥٠).

[7] *الكشف والبيان* للثعلبي، ٩/٣٤٤.

[8] ن – وقال عكرمة نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضات أزواجه فنزلت الآية والله أعلم.

[9] ر م: النساء.

[10] *صحيح البخاري*، الطلاق ٨، الأيمان والنذور ٢٥؛ و*سنن النسائي*، الطلاق ١٧، الأيمان والنذور ٢٠، عشرة النساء ٤.

[11] وعبارة *الشرح* (ورقة ٢٤٣و) هكذا: "وليس لنا إلى أن نعرف".

[12] ر م – له.

[13] ن – الذي.

[14] ر ث م: بما اجترأت.

[15] ر: لا لاذن؛ ث: لا باذن؛ م: لا بلاء. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٣و.

[16] جميع النسخ: وعلى زوجتك. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٢]

وقوله: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، فمنهم من يحمل هذا على ابتداء الخطاب ويصرف[١] المراد إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج إلى التكفير لإزالة المآثم. ولكن نحن نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان هذا مَحلّه فهو وأمته في أحكام الشرائع مأخوذون.[٢] ويكون على هذا مغفرةُ زلاته[٣] ما تقدم وما تأخر بمباشرة أسبابها من التوبة والكفّارة ونحو ذلك، فيكون قوله تعالى: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، منصرفا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمته. ثم يجوز أن يكون رسول الله قصد إلى[٤] التحريم، أعني منع نفسه عن الانتفاع[٥] بها[٦] مع اعتقاد الحل لا إلى اليمين، فجعل الله تعالى ذلك منه يمينا، فيكون فيه دلالة على أن التحريم يمين. ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن من قال لامرأته: أنتِ عليّ حرام، ولا نية له فهو يمين. وجائز أن يكون أفصح بالحَلِف[٧] فكَنّيَ عنه باليمين.

ثم قوله: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، على قراءة[٨] العامة وفي بعض القراءات: قد فرض الله كفّارة أيمانكم.[٩] ووجه الفرض فيه أن الأمم من قبل لم يكن يؤذن[١٠] لهم بالحنث في اليمين ولا أن يَحِلّوا[١١] منها بالكفّارة. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ،[١٢] فلم يأذن له بالحنث[١٣] وأباح له الضرب. ثم أباح لهذه الأمة حَلّ اليمين بالحنث والكفارة فيُنْسَب[١٤] الحل إلى الكفارة [مرة] ومرة إلى انحلالها بنفسها من جهة الحنث.

---

[١] ر ث م: وينصرف.
[٢] ث: مؤاخذون.
[٣] ن: لأنه.
[٤] ر – الله قصد إلى.
[٥] ن – رسول الله قصد إلى التحريم أعني منع نفسه عن الانتفاع.
[٦] ر ث م: بهذا.
[٧] ن: الحنف.
[٨] ن ث: القراءة.
[٩] مفاتيح الغيب للرازي، ٣٠/٤٣.
[١٠] ر: لم تؤذن؛ م: لم يؤذن
[١١] ن: تحلو.
[١٢] سورة ص، ٣٨/٤٤.
[١٣] ث: فلم يأذن له بالحنث
[١٤] جميع النسخ: فيسب. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٣ظ.

ثم قوله: **قد فرض الله لكم**، أي وسّع عليكم وأحل لكم تحلة اليمين. ففي هذا أن كل ما ذُكر فيه: "كُتب لكم"، أو[1] "فَرَض لكم" فهو في موضع الإباحة والتوسيع[2] وما ذكر فيه "عليكم" فهو على الإيجاب والإلزام. قال الله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ،[3] وقال: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[4] وذلك كله في موضع الوجوب؛ وقال الله[5] تعالى: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ،[6] معناه أباح لكم الدخول فيها.

وقوله تعالى: **والله مولاكم**، أي أولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها، أو أولى بكم في نصركم والدفع عنكم. وقوله عز وجل: **وهو العليم الحكيم**، أي العليم بمصالحكم أو بمقاصدكم[7] أو بما تسرون وما تُعلنون أو بما كان[8] ويكون، **الحكيم**[9] هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، أو حكيم بما حكم عليكم من تَحِلَّة الأيمان. ***والله أعلم***. ثم في قوله: **العليم** إلزام المراقبة والمحافظة ودعاء إلى التبصر والتيقظ في كل ما يتعاطاه المرء من الأفعال ويأتي[10] به من الأقوال.[11] وفي قوله: **الحكيم** دعاء إلى التسليم بحكم الله تعالى إذ الحكيم لا يحكم على أحد إلا ما فيه حكمة وفائدة، فلزمه[12] تسليم النفس لحكمه عَلِمَ[13] وجه الحكمة فيه أو جهله.

ثم الأصل بعد هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيح له نكاح التسع وأُمر بأن يحسن صحبتهن ويبتغيَ مرضاتهن. والمرء يَعْسُر عليه صحبة الأربع بحسن العشرة ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن جميعا فكيف إذا امتُحن بصحبة التسع؟ فكانت المحنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر النساء أعسر منه على غيره، وأُمر مع هذا أيضا معاملة الخلق مع اختلاف هممهم

---

[1] ر م: أي.
[2] ر م: والتوسع.
[3] سورة البقرة، ٢/١٨٣.
[4] سورة البقرة، ٢/١٨٠.
[5] ن ت - لله.
[6] سورة المائدة، ٥/٢١.
[7] ر م: أو مقاصدكم.
[8] ن: كانوا.
[9] ر م: الحكم.
[10] ن: ويُتى.
[11] ن: من الأقول.
[12] ن: ولزمه.
[13] ر ت م: علي لحكمه؛ ن: على حكمة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٣ظ.

وأطوارهم بأحسن المعاملة. ولكن الله تعالى لَمّا امتحنه[1] بما ذكرنا آتاه من الأخلاق الحميدة[2] والشمائل المرضية ما خَفّ[3] بها عليه هذه المحنة وسَهُل عليه المعاملة مع الجملة، وآتاه من القوة ما مَلَك بها حفظ حقوقهن وإرضاءَ جملتهن حتى بلغ في حسن العشرة وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه، وبلغ مِن جَهْده في الإسلام إلى أن قيل [له:][4] عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ،[5] وبلغ في الشفقة والرحمة على الأمة إلى أن قيل له:[6] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ[7] وقال: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ.[8] وكان من عظيم خلقه بما جاوز خُلُقه قوةَ نفسه فكادت نفسه تَهلك[9] فيه. ثم في قيامه عليه السلام بوفاء حقوق التسع وإرضائهن دلالة نبوته ورسالته، لأن الناس إنما يَقوَون على الجماع بما يصيبون[10] من فضل[11] الأطعمة والأغذية. ثم هم مع إصابتهم فضول الأطعمة والأشياء اللذيذة يَفتُرون عن إيفاء حقوق الأربع[12] وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آثر الزهد في الدنيا وقلة رغبته في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يفي بحقوقهن. فعلم بهذا أنه إنما وصل إلى ما ذكرنا بما قوّاه الله تعالى عليه وأقدره لا بالحيل والأسباب.

ثم أزواج رسول الله / صلى الله عليه وسلم أُمْتُحِنّ بالقيام بوفاء حق رسول الله صلى الله عليه [٨٢٠و] وسلم وأن ينظرن إليه بعين التبجيل والتعظيم، فكانت المحنة عليهن أشد من المحنة على غيرهن من النساء مع أزواجهن؛ لأن المرأة قل ما تَسْلَم[13] عن رفع أصواتها على صوت زوجها إذا لم تكن[14] له امرأة سواها فكيف إذا كانت معها أخرى؟ ثم هن لو رفعن أصواتهن على صوت رسول الله

---

[1] ن: امتحنهم.
[2] ر ث م – الحميدة.
[3] ن: حف.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٣ظ.
[5] سورة عبس، ١/٨٠.
[6] ن – له.
[7] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[8] سورة القلم، ٤/٦٨.
[9] ر: يهمث.
[10] جميع النسخ: بما يصيبوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م – فضل.
[12] ر ث م: حقوقهن.
[13] ن: يسلم.
[14] ن ث: لم يكن.

أوجب ذلك إحباط أعماهن[1] على ما قال تعالى: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[2] فلا يجوز أن يُمتحنَّ بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة إلا بما يشرح[3] الله تعالى صدورهن ويفسح قلوبهن لاحتمال ذلك.

ثم المحنة علينا بعد هذا أشد من المحنتين اللتين ذكرناهما، لأنا امتُحنا بمعرفة ما ضَمِنَتْه هذه الآية والاعتقادِ لذلك، وهي قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ.[4] فالذي علينا من المحنة أن نصرف[5] الأمر إلى وجه لا يحق[6] رسولَ الله[7] صلى الله عليه وسلم [به][8] تنقص فَتَسْلَمَ[9] من المؤاخذة. فجائز أن يُصرف [المعنى] إلى ما ذكرنا من تخفيف الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكونَ[10] الآية في موضع تخفيف الأمر عليه ليس في موضع النهي وإن خرجت مخرج النهي في الظاهر. وجائز أن يكون العتاب لمكان مارية إن كانت قصة التحريم من أجلها، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُذن له بإمساك مارية ولم يُنْدَب إلى تزويجها لتصل إلى قضاء شهوتها من قِبل الأزواج فإنما تتوصل[11] إلى تسكين شهوتها برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم هو[12] بتحريمها على نفسه لم يمنع[13] عنها الحقَّ -إذ الأَمَة لا حظَّ لها في القَسْم- فيحقّه العتاب من هذه الجهة. ولكن لما كان لها فيه مطمع وهو بالتحريم قَطَعَ طمعها فقيل له:[14] لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ،[15] أي لِمَ تمنع[16] نفسك عن قضاء شهوة أباح الله لها قضاء تلك الشهوة،

---

[1] جميع النسخ: عمهن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٣ظ.
[2] سورة الحجرات، ٢/٤٩.
[3] جميع لنسخ: بما شرح. والتصحيح من المرجع لسابق.
[4] الآية السبقة.
[5] ن: أن يصرف.
[6] ر م: لا يحقه.
[7] ر ث م: برسول الله.
[8] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٤و.
[9] ن ث: فيسلم.
[10] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: يتوصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: هو؛ ن: ثم بين هو
[13] ر ث م: لم يسغ؛ ن: لم يمتنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر ث م: لها.
[15] الآية السابقة.
[16] جميع النسخ: لم يمنع. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون في العتاب دعاءٌ له إلى أن يعمى بأحير الوجهين. وأخيرهما أن يوصلها إلى ما طَمِعت منه لا أن يقطع طمعها عنه وإن لم يكن لها فيما طمعت حق. ***والله أعلم.***

والمحنة الثانية علينا أن لا ننسب إلى أزواج رسول الله صلى الله عيه وسم ما تكره أنفسُنا نسبةَ مثله إلى الأمهات، لأن لأزواجه عينا حقَّ الأمهات. فإن أمكننا أن نُخَرِّج من أمرهن وجها يسم[1] عن تنقصهن[2] فعلنا، وإلا أمسكنا عن ذكره خشية التنقص وترك التبجيل والتعظيم. ألا ترى إلى قوله تعالى: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا.[3] وهكذا الواجب على كل مؤمن أن لا يظن بأزواج رسول الله صلى الله عيه وسلم ورضي[4] عنهن إلا خيرا وأن لا ينظر إليهن إلا بعين التعظيم؛ وقال أيضا: سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.[5] وإذا كان هذا حقَّهن علينا فلا يجب أن نذكر[6] زلتهن كانت كَيْتَ وكيت لما يُتوهم أن تكون[7] زلتهن دون الذي خطر على بالنا فتكون قد أعظمنا القول فيهن فيصيبنا من ذلك عذاب عظيم، كما قال: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[8]

ولقائل أن يقول في قوله: هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ،[9] من أي وجه صار بهتانا عظيما ونساء رسول الله صلى الله عيه وسنم لم يكنَّ[10] معصومات بل كان يتوهم منهن الصنع الذي رُمِين به؟

فجوابه أن أزواجه كن بالمحل الذي إذا[11] ابتلين بزلة سرا أو جهرا[12] أطلع الله تعالى ذلك لنبيه عيه السلام. ألا ترى أن إحداهن لما أفشت سر رسول الله صلى الله عيه وسنم إلى أخرى أطلع الله تعالى نبيه على ذلك؟ فإذا[13] كان لا يَستُر عليهن هذا القدر من الزلة

---

[1] حميع النسخ: نسلم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٤و.
[2] ث: يقصهن.
[3] ن – خيرا؛ ث + وأن لا تنظر إليهن. سورة النور، ١٢/٢٤.
[4] ر ث م: ويرضى.
[5] ﴿ولولا إد سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ (سورة لنور، ١٦/٢٤).
[6] جميع النسخ: أن يذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة النور، ١٤/٢٤.
[9] سورة لنور، ١٦/٢٤.
[10] ر م: لم تكن.
[11] ر: إد.
[12] م: وجهرا.
[13] ر ث م: وإذا

فكيف يَستر عليهن فعل الزنا لو وجد[1] منهن؛ فلو وجد من التي رميت فعلُ الزنا لكان يَسبِق الإطلاع من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام قبل أن يَجريَ به التحادث على ألسن الخلق. فإذا لم يَسبِق أوجب ذلك المعنى براءة[2] ساحتها عما رُميت به وصار الرامي لها به قائلا بالبهتان والزور.

وفي هذه الآية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بإذن سبق من الله تعالى إذ لو كان الإذن سابقا لما عوتب عليه.[3] ثم قد ذكرنا [أنه][4] لم يعاتَب[5] لزلة ارتكبها حتى يكونَ فيه منع عن العمل بالاجتهاد، وإنما عوتب لمكان ما حَمَل على نفسه من فضل المئونة في العِشرة.

ثم الأصل أن الإماء لا حظ لهن في القَسْم وليس لهن من الأيام[6] ما يكون مثله للحرائر حتى كان يَقسم لها فيؤديَ فيه حقها. وقد أُذن له في إمساكها وأن لا يزوّجها فلا يجوز أن لا يؤمر بتزويجها ثم هو لا يُسكّن شهوتها، ثم هو إنما يصل إلى قضاء وطرها وتسكين[7] [٨٢٠ظ] شهوتها في نوبة[8] ذلك اليوم لزوجة من زوجاته. فجائز أن يكون الله تعالى / أكرمه أن يسكّن شهوتها ويأتيَها[9] من حيث لا يعلمها أزواجه بذلك، ثم أُطلع بعض نسائه على فعله ليعلمن أن المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحدة وأن عليهن أن يعظّمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا يحملهن[10] الغيرة[11] على الاستقبال له بالمكروه[12] والنظرِ إليه بالتنقص، إذ لم يكن عليهن فيما يأتي تلك الأَمَةَ في أيامهن تقصيرٌ في حقهن إذ[13] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعطي من القوة في الجماع ما يطوف على جملة نسائه في ليلة واحدة.

---

[1] ر م – لو وجد.
[2] ر: برأة؛ ث: تراه.
[3] ر م: عليهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٤و.
[5] ن: لم نعاتب.
[6] جميع النسخ: من الآثام. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: ويسكن.
[8] ن – نوبة؛ ث: نوم.
[9] ر ث: وتأتيها.
[10] ث: وأن لا يحمس.
[11] ر ث م: العنوة.
[12] ث: بالمعروف.
[13] م: إذا.

وأما ما ذكر أن رسول الله صلى الله عيه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فدلك يحتمل أيضا، ولكن ما ذُكر من تحريم مارية أمكنُ؛ لأنه لا يحتمل أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما يَدخل على نسائه المكروهُ لأجله. وجائز أن يلحقهن في استمتاعه بأَمَته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا.[1]

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به**. دل قوله: **فلما نبأت به**، أنه قد طلب منها إسرار ذلك الحديث الذي أَسَرّ إليها، وليس بنا حاجة إلى تعرف الحديث الذي أسر إليها. وفيه دلالة أن رسول الله صلى الله عيه وسلم إنما علم بإفشائها سره إلى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله: **وأظهره الله عليه**.

وقوله عز وجل: **عرَّف بعضَه وأعرض عن بعض**، فقوله: **عرف**: قرئ بالتخفيف والتشديد،[2] فمن قرأه[3] بالتشديد فهو عنى أن رسول الله صلى الله عيه وسلم عرفها بعض ما أنبأت من القصة التي أسر إليها ولم يعرفها البعض، لأنه لم يكن القصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرها[4] بذلك النبأ الذي أسر[5] إليها، وإنما كان[6] المقصود منه تنبيهها[7] بما أظهرت من السر وأفشت إلى صاحبتها لتنزجر[8] عن المعاودة[9] إلى مثله، والبعض من ذلك يَعمه من يعلم[10] الكلَّ فلم يكن إلى إظهار الكل حاجة. وذكر في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال لها: «ألم أقل لكِ؟» وسكت عيه. وفي هذا آية رسالته.[11]

[1] الآية ٤ من هذه السورة.
[2] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٠؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن جزري، ٢/٢٩٠.
[3] م: فمن قرأ.
[4] ن: تخبرها.
[5] جميع النسخ: أسرت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[6] ر م: كانت.
[7] ر ث م: تسيها.
[8] جميع النسخ: لينزجر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: إلى المعادة، ن ث: إلى المعاودة. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: يعلمها ما يعلم.
[11] ن: وفي هذه الآية دلالة رسالته.

ومَنْعُهن عن أسرار ما يحتشمن[1] عن إبداء مثله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهن[2] إن[3] فعلن ذلك أظهر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما يُسرِرْن.[4]

ومن قرأ "عَرَفَ" بالتخفيف فهو يحمله على الجزاء فيقول: عرف بعضه، أي[5] جزى[6] عن بعض ما استوجبته بإفشاء السر وأعرض عن بعض اجزاء، يقول الرجل لآخر: عرف حقي فعرفت له حقه، أو عرفتَ حقي فسأعرف حقك، أي أقوم بجزاء ذلك.

وذكر في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسل طلق حفصة تطليقة ثم نزل جبريل[7] عليه السلام فقال له: راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لزوجتك في الجنة.[8] فجائز أن يكون طلاقه إياها جزاء لبعض صنيعها.

ثم من الناس من يختار إحدى القراءتين على الأخرى فيقرأ إحداهما ويرغب عن الأخرى. وذلك مما لا يحل لأن الأمرين جميعا قد وُجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الأمرين جميعا[9] في آية واحدة وفَصَل بين الأمرين بالإعراب فليس لأحد أن يؤثر إحدى القراءتين على الأخرى. وهذا كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعون فقد كان الأمران جميعا، فجمع الله تعالى بين الأمرين في آية واحدة. فلا يحل لأحد أن يقرأ بأحد[11] الوجهين ويمتنع عن الوجه الآخر. وكذلك هذا في قوله تعالى: رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[12] و"ربُنا باعَدَ بين أسفارنا"،[13] فمن قرأ: "بَاعِدْ بين أسفارنا" حمله على الدعاء، ومن قرأ باعَدَ حمله على الإخبار،

[1] ن ث: ما يحتسمن.
[2] ن: وإنهن.
[3] م: وإن.
[4] ن ث: تسرون؛ م: يسرون.
[5] ر م: أن.
[6] جميع النسخ: يجزي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[7] ر: جبرائيل.
[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٧٧/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٩/٨.
[9] ن – قد وجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الأمرين جميعا.
[10] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[11] ر ث م: بإحدى.
[12] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[13] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر. *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.

وقد كان الأمران جميعا: الدعاء والإخبارُ فليس لأحد أن يؤثر أحدهما على الآخر، فعلى ذلك الحكم في قوله: **عرَّف بعضه** و"عرَف بعضه".[١] *والله أعلم*.

وقد وصفنا تأويل قوله: **العليم الخبير**. ثم فيهما ما يدعو الإنسان إلى المراقبة والتيقظ.

**﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**، في هذه الآية دلالة أن الحديث الذي أُفشِي كان بين زوجتين لقوله: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**،[٢] كان أسرّ النبي صلى الله عليه وسلم عند إحداهما ومنعها أن يفشي إلى الأخرى فأفشت. لكنا لا نعلم أن ذلك الحديث كان ماذا؟ لكنه كان منهما ما يجوز أن تعاتبا وتُدْعَيا[٣] إلى التوبة لقوله: **إن تتوبا إلى الله**، وإن خفي ذلك عينا. ثم إذ عرفنا أن الله جعل عقوبتهن وتأديبهن أشد من العقوبة على غيرهن بقوله: [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ،[٤] فيجوز أن يُنْدَبْن إلى التوبة بأدنى زلة حقها التجاوز عن غيرهن. ثم قوله: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**، فجائز أن يكون قوله: **إن** زيادة في الكلام وحقه الحذف، فيكون معناه: تُوبَا إلى الله فقد صغت قلوبكما، ويوقَف عليه ثم يبدأ بقوله: **وإن تظاهرا عليه**. وجائز / أن يكون حقه الإثبات [٨٢١و]
فلا يكون حرف **إن**، زيادة ويكون معناه: إن تتوبا إلى الله وإلا **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**، فيكون الجزاء فيه مضمرا. وجائز أن يكون[٥] جزاء صنيعهن أن يطلقهن فكأنه قال: إن تتوبا إلى الله وإلا طلقكن،[٦] فيكون في هذا أنه حُبِّب[٧] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهن حتى اشتد عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن. *والله أعلم*.

وقوله: **فقد صغت قلوبكما**، أي مالت عن الحق الذي لرسول الله عليكما، وحق الرسول صلى الله عليه وسلم حق عظيم يَرِد فيه العتاب بأدنى تقصير.

---

[١] م: بعض.
[٢] ث – في هذه الآية دلالة أن الحديث الذي أفشي كان بين زوجتين لقوله إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما.
[٣] ر ث م: أن تعاتبان وتدعيان؛ ن: أن يعاتبان وتدعيان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[٤] سورة الأحزاب، ٣٠/٣٣.
[٥] م + جزاء أن يكون.
[٦] ث: طلقكن.
[٧] ر: حب؛ ن: حب.

وقوله عز وجل: **وإن تظاهرا عليه**. هذا في الظاهر معاتبة[1] فيبغي أن يذكر على المخاطبة فيقال: 'وإن تظاهرتما عليه" كما قال تعالى: **إن تتوبا إلى الله**، قيل جائز أن يكون معنى قوله: **إن تتوبا إلى الله**، تابتا[2] ورجعتا، على إرادة المعاتبة[3] وإن كان اللفظ لفظ المخاطبة. ولكن الصحيح أن قوله: **وإن تظاهرا**، على المخاطبة معناه وإن تتظاهرا.[4] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **فإن الله هو مولاه**، حق هذا أن يقف عليه ثم يقولَ: **وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**، حتى لا يوهِم[5] أن غير الله تعالى مولاه. ثم ذكْر هذا إبلاغ[6] في التهويل وإلا فالواحد[7] من هؤلاء المذكورين يكفي لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر عقوبتهن إذا وجد منهن الخلاف بقوله: يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ.[8] والأصل أن المبالغة في التأديب مما يعين المؤدَّب على حفظ الحدود، وكذلك المجاوزة في حد العقوبة معونة له في تأديب النفس حتى يملكَ حفظَ نفسه عما تدعو[9] إليه نفسه.[10]

وقوله عز وجل: **وصالح المؤمنين**، قيل صالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رضي الله عنه فقال: لو علم الله تعالى في آل عمر خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بمراجعتها وذكَر أنها صوامة قوامة.[11] فجائز أن تكون[12] حفصة رضي الله عنها تصوم النهار وتقوم الليل في غير نوبتها فلا يعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلعه جبريل عليه السلام على ذلك.[13]

---

[1] ر ن م: مغايبة.
[2] ن: تايبا.
[3] ر ن م: مغايبة.
[4] م: وإن تظاهرا.
[5] ر م: لا يتوهم؛ ن: لا توهم.
[6] ر: بلاغ.
[7] ر: قالوا أحد.
[8] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٠.
[9] ر: عما يدعوا؛ ن ث م: عما يدعو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥و.
[10] ث – نفسه.
[11] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٧٧/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٨؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٤١/٣٠.
[12] ر ن م: أن يكون.
[13] ث – على ذلك.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما»[١] وقيل: هم الأنبياء والرسل عليهم السلام. وذكر عن حسن[٢] أنه قال: صالح المؤمنين من لم يُسِرَّ[٣] نفاقا ولا أظهر فسقا. ثم خَصّ من المؤمنين الصالحين منهم ولم يَعُمّ جملة المؤمنين فهذا -والله أعلم- لأنه لو ذكر المؤمنين على الإجمال لدخلت فيه الزوجتان[٤] اللتان تظاهرتا، لأن إصغاء القلب لا يخرجهما عن أن يكونا من جملة المؤمنين، ولأنه ذَكَر هذا في موضع المعونة في أمر الدين، وصالح المؤمنين هم الذين يقومون بالمعونات في أمر الدين.

**﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا منكن**، وعلى قول المعتزلة: لا يملك أن يبدل خيرا منهن[٥] إذ لا يقدر على أن يجعل في أحد خيرا على قولهم ولا يملك أن يُبدله أزواجا، لأنه لا يقدر على زَعمهم على أن يجعل أحدا من النسوان زوجة[٦] لأحد من الرجال،[٧] وإنما المشيئة والاختيار إلى المتزوج والمتزوجة والفعل منهما. وعلى قولنا يملك أن يجعل الخير لمن شاء فيما[٨] شاء، وله أن يجعل من النسوان زوجة لمن شاء من الرجال. فهذه الآية تشهد[٩] بالصدق لمقالتنا وترد[١٠] على المعتزلة قولهم[١١] لأنه جعل الإبدال إلى نفسه بقوله: **يُبْدله**، وعلى قولهم لا يملك أن يفي بما وعد.

ثم في هذه الآية إباحة الإبدال وإباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي قوله: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ،[١٢] حَظْرُ الإبدال. فجائز أن يكون قوله:

---

[١] الدر المنثور لسيوطي، ٢٢٤/٨.
[٢] ر ث م: وذكر حسن.
[٣] ر م: لم يستر.
[٤] جميع لنسخ: لزوجان. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٥و.
[٥] ث: منكن
[٦] ر ث: زوجه.
[٧] ر - الرجال؛ م - من الرجال
[٨] ر م: فيمن.
[٩] ر ث م: يشهد.
[١٠] جميع النسخ: ويرد. والتصحيح من مرجع السابق.
[١١] ث: قولهم.
[١٢] سورة الأحزاب، ٥٢/٣٣.

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ، مقدما وقوله: **عسى ربه إن طلقكن**، متأخرا فيصير ما تقدم منسوخا بهذه الآية. والذي[1] يدل على صحة هذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أُحلت له النساء؛[2] فثبت أن الحظر كان متقدما ثم وردت الإباحة من بعد فتُحمَل الآيتان[3] على التناسخ ليرتفع التناقض من بينهما. وجائز أن يكون حُظِر عليه الإبدال إذا قصد بالطلاق قصد الإبدال مما أعجبه من الحُسن كما قال: وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ،[4] الآية، فإذا كان قصده من الطلاق الإبدال كان ذلك محظورا عليه وإذا لم [٨٢١ظ] يقصد بالطلاق قصد الإبدال ولكن يقصد به قصد المجازاة[5] للخلاف الذي ظهر[6] أبيح له ذلك. ثم الله تعالى يُبدله خيرا من المطلقة وهو ليس يقصد بالطلاق في قوله: **عسى ربه إن طلقكن**، قصد الإبدال، وإذا كان كذلك سمت الآيتان عن التناقض. وذكر عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه سئل فقيل: أكان يَحِلّ لرسول الله إبدال امرأة بامرأة؟ فقال: بلى، فسئل عن قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ،[7] فقال: هذا منصرف إلى مَن هنّ مِن[8] وراء المسمَّيات، وهو كقوله تعالى: وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ -إلى قوله- وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ،[9] فذكر[10] بنات العم وبنات الخال والأجنبيات وحظر عليه مَن سواهن من المحارم، فيكون فيه إبانة[11] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حُظر عليه تزويج محارمه من ذَوي الرَّحِم كما حُظر على غيره، إذ[12] هو موضع الإشكال أنه لَمّا حَلّ له الزيادة[13] على الأربع يحل له ذوات الأرحام من المحارم، فأزال الإشكالَ به.[14]

---

[1] ر ث م: الذي.
[2] تفسير الطبري، ٢٢/٤٠.
[3] ر م: فحمل الإيثار؛ ن: فيحمل لإتيان؛ ث: فيحمل الإيثار. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٥و.
[4] سورة الأحزاب، ٥٢/٣٣.
[5] ر م: مجازات.
[6] ر م: أظهر.
[7] سورة الأحزاب، ٥٢/٣٣.
[8] م – من.
[9] سورة الأحزاب، ٥٠/٣٣.
[10] ن – فذكر.
[11] ن: إباحة.
[12] ن: إن.
[13] جميع النسخ: زيادة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٥ظ.
[14] مشكل الآثار للطحاوي، ١٥٢/١.

وقوله عز وجل: **خيرا منكن،** فجائز أن تكون[١] خيرا منهن لرسول عليه السلام لا أن يكن[٢] خيرا في أنفسهن لأنه قال: **مسلماتٍ مؤمنات قانتات تائبات،** وقد كانت أزواجه على هذا الوجه: **مسلمات مؤمنات قانتات.**[٣] ألا ترى إلى ما ذُكر أن جبريل[٤] عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة.[٥] والذي يدل على هذا أيضا قوله تعالى في آخر هذه الآية: **ثَيِّبات وأبكارا،** وقد وجدت هاتان الصفتان في أزواجه، فثبت أن معناه ما ذكرنا. وجائز أن يكن خيرا منهن أيضا في أنفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو ذلك، أو يصرن خيرا منهن لما يتركن الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه. ولكن[٦] هؤلاء دونهن إذا الْتَزمْن الخلاف ودُمْنَ على التظاهر، فأما إذا أمسكن عن الخلاف وتُبْنَ عما سبق من الخلاف فهن وغيرهن بمحل واحد.

وقوله عز وجل: **مسلمات مؤمناتٍ،** قد بينا أن كل مسلم مؤمن في التحصيل[٧] لأن معنى الإسلام والإيمان واحد. إذ الإسلام هو أن يجعل[٨] الأشياء كلها لله تعالى خالصة سالمة لا يُشرك فيها غيرَه؛ والإيمان التصديق وهو أن تُصدّق[٩] أن الله تعالى رب كل شيء، وإذا صدقته أنه رب كل شيء فقد جعلت الأشياء كلها له سالمة، أو تصدق[١٠] كلا بما يشهد لله تعالى بالربوبية بجوهره. فثبت أن كل واحد منهما يقتضي ما يقتضيه الآخر من المعنى، فإذا ذكر أحدهما بالإنفراد[١١] ففي ذكره ذكر الآخر، وإذا جُمعا في الذكر صُرف هذا إلى وجه وهذا إلى وجه. وهذا[١٢] كما ذكرنا في التقوى أنه يقتضي معنى الإحسان إذا ذكر مفردا، لأن التقوى هو أن يُتقَّى من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن.

---

[١] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.
[٢] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث م – تائبات وقد كانت أزواجه على هذا الوجه مسلمات مؤمنات قانتات.
[٤] ر: جبرائيل.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٩/٨.
[٦] ر ث: ويكن.
[٧] ث: التحصن.
[٨] ر ن ث + الله.
[٩] جميع النسخ: أن يصدق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.
[١٠] جميع النسخ: أو يصدق. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: بالإفراد.
[١٢] ر م: وهكذا.

وإذا ذكرا معا صرف التقوى إلى اتقاء[1] الكفر والإحسان[2] إلى فعل الخيرات. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم يؤمن مَن لم يأْمَن جارُه بَوائقَه»[3] وقال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده».[4] فصُرف هذا إلى وجه وهذا إلى وجه وهما في التحصيل واحد لأنهم إذا أَمِنُوا بوائقَه فقد سَلِموا من لسانه ويده.

وقوله عز وجل: **قانتاتٍ**، قيل: مطيعات، وقيل: قائماتٍ[5] بالليالي للصلاة. وهذا أشبه لأنه ذَكر السائحات بعد هذا، والسائحات الصائمات فذِكْرُ[6] الصيام بالنهار فيكون تأويل القانتات راجعا إلى قيام الليل ليكون فيه إحياء الليل والنهار بالعبادة،[7] وكذلك[8] قال جبريل صلوات الله عليه في وصف حفصة رضي الله عنها: إنها صوامة قوامة، أي صوامة بالنهار قوامة[9] بالليل. وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال: «طول القنوت»[10] وهو القيام بالليل.

وقوله عز وجل: **تائباتٍ**، هن[11] اللاتي لا يُصْرِرْن على الذنب بل يفزعن إلى الله تعالى بالتوبة والتضرع إذا ابتُلين بالخطيئة.[12]

وقوله:[13] **عابدات**، ذكر أبو بكر [الأصم] أن العابد لا يسمى عابدا حتى يتطوع، فإن كان على هذا ففيه أنهن يقمن بأداء الفرائض ويتطوعن مع ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كل عبادة في القرآن فهو توحيد.[14] والعابدات الموحدات، فالموحد هو الذي

---

[1] ر م: الاتقاء.

[2] م: فالإحسان.

[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٨٨/٢؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ٢٩.

[4] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٧٩/٢؛ وسنن *النسائي*، الإيمان وشرائعه ٨.

[5] جميع النسخ: القائمات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.

[6] جميع النسخ: وذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن ث: بالعادة.

[8] ر ث م: ولذلك.

[9] جميع النسخ: وقوامة. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٢/٣، ٣١٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦٤-١٦٥.

[11] ر م: هده؛ ن ث: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.

[12] ن: باحطة.

[13] ن: قوله.

[14] *بحر العلوم* للسمرقندي، ٣٥٣/١؛ وتفسير *القرطبي*، ١٩٣/١٨.

يصدق أن خالق الخلق كلِّه واحد لا شريك له. فجائز أن يكون العابد موحدا[1] لأنه يعمل لله تعالى خالصا لا يشرك في عبادته أحدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من حيث الفعلُ، فيكون أحد التوحيدين بالقول[2] والثاني بالمعاملة والفعل. وقيل العابد هو الذي يؤدي الفرائض.

وقوله: **سائحاتٍ**، هو الذي يَسيح في الأرض بغير زاد، فسمي الصائم سائحا لما كف نفسه عن التناول من الزاد. فقوله: **سائحات**، أي صائمات.

وقوله عز وجل: **ثيبات وأبكارا**، لم يُرد بهذا أنه ينشئ نسوة أبكارا وثيبات ولكن معناه أنه يُبْدله مَن كنّ بهذا الوصف. ثم جمع بين الثيبات والأبكار لأن الثيبات ممن يَقِلّ[3] رغبة[4] الخلق فيهن وينفر عنهن[5] الطبع، فجمع بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لأن لا يصرفوا[6] كل الرغبة إلى الأبكار بل يتزوجون[7] / الثيّبات كما يتزوجون الأبكار. [٨٢٢و]
*والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، يحتمل أن يكون معناه قوا أنفسكم مما تدعو[8] إليه أنفسكم لأن الأنفس تأمرهم[9] بالسوء وتدعوهم[10] إليه، كما قال الله تعالى:[11] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ.[12] وجائز أن يكون قوله تعالى: **قوا أنفسكم**، أي قُوها عن الطريق الذي إذا سلكتموه أفضى بكم إلى النار،

[1] ن + معنى التوحيد.
[2] ر ث م: بالقبول.
[3] جميع النسخ: مما يقل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٦و.
[4] ر م: رغبته.
[5] ر ث م: عنه.
[6] ر ث م: لا تصرفوا.
[7] ر م: بل تزوجو ؛ ن ث: بل يتزوجوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: فيما يدعوا؛ ن: فيما يدعو. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: يأمرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: ويدعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن – الله تعالى
[12] سورة التغابن، ١٤/٦٤.

وقوا أهليكم أيضا عن ذلك الطريق؛ وذلك يكون بالعمل. لأن العمل على ضربين: عمل يفضي بصاحبه إلى الجنة، وعمل يُفضي به إلى النار. فيكون التقوى في هذا الوجه راجعا إلى الأعمال وفي الوجه الأول إلى الأنفس. ويحتمل: **قوا أنفسكم**، باكتساب الأسباب التي هي أسباب النجاة عن العَطَب والهلاك، **وأهليكم** في أن تعلّموهم[1] الأسباب[2] التي هي أسباب الخلاص عن النار. وقال مجاهد تأويله: **قوا أنفسكم**، وَلْيَتِّقِ[3] أهلوكم[4] النار. ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[5] فألزمنا[6] التضرع إليه والفزعَ لديه ليكون هو بفضله يقي عنا النار لما علم أنا لا نَصِل إليه بقوى أنفسنا وحِيَلِنا.

وقوله عز وجل: **وقودها الناس والحجارة**، فهذا على المبالغة في وصف شدة النار وأخبر أن شدتها[7] ينتهي إلى هذا في أن صيّر الناس وَقودا وكذلك الحجارةَ. والناس والحجارة لا يَتَّقِدَان في الدنيا،[8] لأن النار[9] إذا عملت في الإنسان حَرَقته ولم تُبْقِهِ[10] فلا يصير وقودا، وكذلك إذا أصابت الحجارة رضَّتْها ولَاشَتْها.[11] فيكون فيه تبيين شدتها إبلاغا في الزجر. وجائز أن يكون أريد بالحجارة التي اتخذوها أصناما يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لتنصرهم وتدفع[12] عنهم العذاب، كما قال تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[13] وقال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[14] أي يصير عذابا عليهم وهم رجوا أن يكون سببا لخلاصهم فصارت عليهم ضدا.

---

[1] ر ث م: أن يعلموهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٦و.
[2] ن – النجاة عن العطب والهلاك وأهليكم في أن تعلموهم الأسباب.
[3] ر ث م: وليقي؛ ن: ويتقي. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: أهليكم.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٠١.
[6] جميع النسخ: قال منا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: شديها.
[8] جميع النسخ: في النار. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – لأن النار.
[10] ر ث م: ولم يبقه؛ ن: ولم يتقه.
[11] ر م: ولشتها.
[12] جميع النسخ: لينصرهم ويدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] سورة يس، ٣٦/٧٤.
[14] سورة مريم، ١٩/٨١-٨٢.

وقوله عز وجل: **عليها ملائكة غلاظ شداد**، فجائز أن يكون هذا وصفهم أنهم خلقوا غلاظ شدادا. وجائز أن يكونوا أشِدّاء على الكفار وأعداء الله تعالى رُحَماء على أوليائه. ألا ترى إلى قوله تعالى: **ويفعلون ما يؤمرون**، فبين أن اشتدادهم بمكان الأمر. وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[1] وصفهم بالشدة على الكفرة والرحمة على المؤمنين. فجائز أن يكون الملائكة كذلك في الآخرة. وفي هذا[2] دلالة أن الملائكة امتحنوا بالأمر والنهي في الآخرة، لأن[3] ملائكة[4] الرحمة امتُحنوا بإتيان التُّحَف والكرامات إلى أهل الجنة وملائكة العذاب امتحنوا بتعذيب أهل النار وبالغلظة عليهم والشدة، وإذا أُمر كل واحد[5] من الفريقين بما ذكرنا فقد نُهي عن تركه.

قال أبو بكر الأصمّ في قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، وفي قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا،[6] الآية،[7] إلزام الوعيد بأهل الصلاة؛ لأنه ألزمهم الاتقاء من النار وألزمهم التوبة ليكفّر عنهم سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد لازما عليهم لم يكونوا يحتاجون إلى الاتقاء.

وهذا منه ومن جملة أهل الاعتزال تحريف الكلام عن مواضعه، لأن الله تعالى ذكر هذا الوعيد في أهل الإيمان بقوله: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، ولم يذكر الله تعالى[8] أهل الصلاة ولا ألحق بهم الوعيد.[9] فهم يقطعون الوعيد عمن ألحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المؤمنون ويُلزمونه على من لم يجرِ[10] ذكره في القرآن ولا ألحق به الوعيد. وهذا تحريف الكتاب وقلب[11] القصة.

---

[1] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[2] ر م: وهذا.
[3] ر: أن.
[4] ر م: الملائكة.
[5] ر م - واحد.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ن - الآية.
[8] ن - الله تعالى.
[9] ن: الوعيد.
[10] ن ر: لم يجر.
[11] ن: وقلب.

ولأنه صار من أهل الصلاة بإيمانه إذ لولا إيمانه لما كان هو من أهل الصلاة. فإذا ألحقوا الوعيد بأهل الصلاة فقد ألحقوه بأهل الإيمان فلم يبق بيننا وبينهم إلا سوء الْخُلق وإلا فلا معنى لقبه عن أهل الإيمان وإلحاقه بأهل الصلاة وأهل الصلاة هم أهل الإيمان. ثم الوعيد على قولهم إنما يلزم أهل الإيمان في وقت خروجهم من الإيمان.[1] ونحن نقول في الوعيد المذكور في أهل الإيمان: إنه يجوز أن يُلحقهم وقت إيمانهم ويعذبهم الله تعالى بأجرامهم؛ ويحتمل أن يقع لهم الوعيد إذا خرجوا من الإيمان. وهم يقطعون الوعيد عن أحد[2] الوجهين ويجعلونه على الوجه الآخر. ونحن نُلزمهم الوعيد إذا خرجوا من الإيمان ولا يبقى الوعيد عمن لم يخرج بعدُ من إيمانه.[3] فصرنا نحن أشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر الآيات منهم فصار العموم حجة عليهم لا علينا. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**، ليس في هذا نفي قبول العذر
[٨٢٢ظ] لو كان[4] لهم عذر، ولكنّ اعتذارهم هو الندم عما كانوا فيه والإنابة إلى الله تعالى والتوبة إليه، وليس ذلك وقتَ قبول التوبة[5] لأن ذلك الوقت هو وقت خروج مِلْك أنفسهم عن أنفسهم[6] فلا يُقبل في ذلك الوقت إيمان ولا عمل.

وقوله عز وجل: **إنما تجزون ما كنتم تعملون**، يعني أن عملكم السوء هو الذي ألزمكم العذاب في الحكمة فتجزون بعملكم ولستم تجزون بمنفعة[7] ترجع إلينا أو بما حملتم من أوزار الغير، ولكنْ بأعمالكم الخبيثة التي في الحكمة التعذيب عليها.

وفي هذا دلالة نفي العذاب عن أطفال المشركين لأنه لم يوجد منهم عمل فيجزون بعملهم، ولا يجوز أن يعذَّبوا بذنوب آبائهم لأنه أخبر أن كلا يُجزَى بعمله لا بعمل غيره. *والله أعلم*.

---

[1] ن: عن الإيمان.
[2] ر م: من أحد.
[3] ر م: من إيمانهم.
[4] ث: ولو كان.
[5] ت - إنه وليس ذلك وقت قبول التوبة.
[6] ن - عن أنفسهم.
[7] ر ث م: لمنفعة.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**. ففي هذه الآية إلزام التوبة على بقاء اسم الإيمان لأنه ألزمهم التوبة بعد أن سماهم مؤمنين، وأخبر أنه يكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة. ومن مذهب[١] الاعتزال أن الصغائر مغفورة لأربابها إذا اجتنبوا الكبائر فلا يحتاجون إلى التوبة عنها. وإذا كان كذلك[٢] فالآية في الكبائر عندهم، والكبائر تخرج[٣] أهلها على قوهم من الإيمان، والله تعالى قد أبقى[٤] لهم اسم الإيمان. فمن أزال عنهم الاسم فقد خالف نص القرآن. وإن زعموا أن الآية في الصغائر ففيه دلالة على أن لله[٥] تعالى أن يعذب على الصغائر وأنها غير مغفورة حتى وقعت لهم الحاجة إلى التوبة وطلب المغفرة. وقال أيضا في آية أخرى: وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.[٦] فإما أن يكونوا أمروا بالتوبة عن الصغائر فيكون فيه دلالة أنها ليست بمغفورة إذا احتاجوا إلى التوبة، أو عن الكبائر فيكون فيه دلالة[٧] بقائهم على الإيمان. وكذلك قال:[٨] وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[٩] وإن كان استغفاره هذا[١٠] عن الصغائر[١١] ففيه دلالة أنها غير مغفورة لحاجته إلى طلب المغفرة. ولو كان الأمر على ما ظنت المعتزلة لكان سؤاله المغفرة يخرج مخرج الاستهزاء برب العالمين لأنه يطلب منه ما لا يملك وذلك في الشاهد هُزُءٌ[١٢] به واستخفاف بالمسئول. وإن كان في الكبائر ففيه دلالة بقائهم وثباتهم على الإيمان لأنه قال: وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

---

١ ر م: ومذهب.
٢ ن ت: لذلك.
٣ جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٦ظ.
٤ ر م: والله أعلم قد أبقى؛ ن: قد اتقى.
٥ ر م: أن الله.
٦ سورة النور، ٣١/٢٤.
٧ ر ت م – أنها ليست بمغفورة إذا احتاجوا إلى التوبة أو عن الكبائر فيكون فيه دلالة.
٨ ن – قال.
٩ سورة محمد، ١٩/٤٧.
١٠ ن – هذا.
١١ ر م: على الصغائر
١٢ ن: هزؤا؛ ت: هزؤ.

ثم قوله تعالى: **توبة نصوحا**، قرئ بنصب النون وضمها نُصُوحا.[1] فالضم[2] يخرج مخرج المصدر والنصوح بالفتح يحرج مخرج النعت للتوبة. والفعول من الأفعال هو اسم للمبالغة في الأمر فكأنه يقول: توبوا توبة تناهت[3] في نصحها. والمبالغة في النصح أن يكون صادقا في توبته. وعلامة الصدق أن يكون نادما بقلبه عما فعل عازما على أن لا يرجع إليه، وأن يقنع يديه عما كان فيه من المعاصي، وأن يستغفر الله بلسانه فيستعمل كل جسده في الندم والانقلاع كما[4] استعمل سائره في التلذذ بالمآثم فذلك هو المبالغة في النصح.

وقوله عز وجل: [**عسى ربكم أن**][5] **يُكَفِّرَ عنكم سيئاتكم**، [أي][6] بالتوبة. ففي هذا إبانة أن من السيئات سيئاتٍ لا تُكفَّر[7] إلا بالتوبة، ومنها ما يكفّر باجتناب الكبائر، بقوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ،[8] لا أن يكفّر[9] كلها بالاجتناب عن الكبائر كما زعمت المعتزلة. وقوله عز وجل: **ويُدْخِلَكم جنات تجري من تحتها الأنهار**، وقد مر بيان هذا.

وقوله: **يوم لا يُخزي الله النبي والذين آمنوا معه**. وللمعتزلة بهذه الآية تعلق وهو أن قالوا بأن الله تعالى أخبر أنه[10] لا يخزي[11] النبي والمؤمنين، والإخزاء[12] يقع[13] بالعذاب فقد وعد أن لا يعذب الذين آمنوا. ولو كان أصحاب الكبائر مؤمنين لم يُخَفْ عليهم العذاب إذ قد وعد أن لا يُخزيَ[14] المؤمنين، ومن قولكم: إنه يُخاف عليهم العقاب فثبت أنهم ليسوا بمؤمنين.

---

[1] ن – نصوحا. انظر: *لسان العرب*، «نصح».
[2] ر ث م: والضم.
[3] ن: شاهت.
[4] ث: عما.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: لا يكفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة النساء، ٣١/٤.
[9] ن: لا أن نكفر.
[10] ن: بأنه.
[11] ر: لا يخري.
[12] ر: والإخراء.
[13] ر م: يقع.
[14] ر: أن لا يخري

ولكن نقول: إن هذا[١] السؤال يُلزمهم من الوجه الذي أرادوا إلزام خصومهم، لأن في الآية وعدا بأن لا يُخزيَ الذين آمنوا وهم مقرون أن أهل الكبائر ممن قد آمنوا ولكنهم بعد ارتكابهم الكبائر ليسوا بمؤمنين. والآية لم تنطق[٢] بنفي الإخزاء عن المؤمنين[٣] لأنه لم يقل: **يوم لا يخزي الله النبي**، والمؤمنين وإنما قال: **والذين آمنوا**، وهم يقطعون القول بإخزاء[٤] من قد آمن فصاروا هم المحجوجين بهذه[٥] الآية. ثم حق هذه الآية عندنا أن نقف على قوله: **النبي**، أي لا يخزيه الله تعالى في أن يردّ شفاعته أو يعذبه. وقوله: **والذين آمنوا معه**، ابتداء كلام وخبره: **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**، وهو كقوله تعالى: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ.[٦] أو لا يخزي[٧] الذين آمنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن الإخزاء[٨] هو الفضيحة، أي لا يَفْضَحُهم يوم القيامة بين يَدَيِ[٩] الكفار. ويجوز أن يعذبهم على وجه لا يقف عليه[١٠] الكفرة. والخزي[١١] هو الفضيحة وهتك الستر ولا يَفعل ذلك بالمؤمنين بفضله. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**، أي بين أيديهم إذا مشوا، وبأيمانهم عند الحساب، لأنهم يؤتون الكتاب بأيمانهم وفيه نور وخير، أو يسعى النور بين أيديهم في موضع وضع / الأقدام، وبإيمانهم لأن ذلك طريقهم وشمالهم طريق الكفرة. [٨٢٣و]

وقوله عز وجل: **يقولون ربنا أتمِمْ لنا نورنا**، فجائز أن يقولوا هذا عند انطفاء نور[١٢] المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم أيضا، أو يقولون[١٣] هذا عند ضعف النور فيسألونه الإتمام.[١٤] ***والله أعلم.***

---

[١] ر ث م: إن بهذا.
[٢] جميع النسخ: لم ينطق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[٣] ن: عنهم.
[٤] ر: بإجزاء.
[٥] ن ث: لهذه.
[٦] سورة آل عمران، ٣/٧.
[٧] ر: أو لا يجزي.
[٨] ر: أن الإجزاء.
[٩] ر م: أيدي.
[١٠] جميع النسخ: عليهم.
[١١] ر: والحري.
[١٢] ر م: لنور.
[١٣] ر ث م. ويقولون.
[١٤] ن ت: الإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين**، قيل: **جاهد الكفار** بالسيف **والمنافقين** بإقامة الحدود عليهم. وذلك أن المنافقين هم الذين كانوا يرتكبون المآثم التي أُوجب فيها الحدودُ ففيهم نزلت الحدود، وأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عُصموا عن المآثم التي لها الحدود.

وقالت الباطنية في قوله: **جاهد الكفار والمنافقين**، أي جاهد الكفار والمنافقين بالقتال، فكان مأمورا بالقتال مع الفريقين جميعا، ولكنه اشتغل بقتال أهل الكفر و لم يتفرغ لقتال أهل النفاق. فتولى[١] قتالهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكر[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين رأى عليا رضي الله عنه يَخصِف نعله: «إن خاصف[٣] نعله يقاتِل على التأويل كما نقاتل[٤] نحن على[٥] التنزيل»[٦] وقتاله على التأويل قتال أهل النفاق.

فإن كان الأمر على ما ذكروا من القتال فأبو بكر رضي الله عنه هو الذي تولى قتال أهل النفاق لا علي رضي الله عنه؛ لأنه ذُكر أن العرب ارتدت بعد ما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، وارتدادهم يدل على أنهم[٧] لم يكونوا محققين في إيمانهم إذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا، بل كانوا منافقين. وأما الذين قاتلهم علي رضي الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا يَدْعُون عليا رضي الله عنه إلى أن يحكم بكتاب الله تعالى. والمنافق هو الذي يُظهر من نفسه أنه يعمل بحكم الله تعالى ثم يُسِرّ[٨] بخلاف حكمه[٩] لا أن يَدْعُوَ إلى العمل بحكم الله تعالى. وهذه السمة ظهرت في الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه[١٠] دون الذين قاتلهم علي رضي الله عنه.

---

[١] ث: فيولى.
[٢] جميع النسخ: وما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[٣] ر م: إن خاصفه.
[٤] ن: كما يقاتل.
[٥] ن ث: عن.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣٣، ٨٢؛ و*المستدرك* للحاكم، ٣/١٣٢.
[٧] ث + ليسو.
[٨] ر م: يسره.
[٩] ر: حكم
[١٠] م: عنهم.

ثم مجاهدته صلى الله عليه وسلم في تقرير[1] الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين وإلزامها عليهم، وذلك يكون مرة بالسيف ومرة بإلزامها باللسان. ووجه إلزام الحجة بالسيف ما ذكرنا أن غلبته[2] على الأعداء مع كثرة شوكتهم وقلة أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم تُظهر[3] لهم نصر الله إياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الإيمان بالله تعالى. وإذا كان كذلك فقوله: **جاهد الكفار والمنافقين**، في إلزام الحجة؛ فإن كانوا في موضع أمن فمجاهدتهم في إلزام الحجة عليهم من جهة القول، وإن كانوا في موضع المحاربة والقتال فمجاهدتهم في قتالهم. وقد كان من المنافقين من قد لحق بالكفرة وذبّ عنهم، ألا ترى إلى قوله: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ؟[4] فمن لحق بهم قاتلهم مع الكفرة ومن لم يلحق بهم ألزمهم الحجة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وَاغْلُظْ عليهم**، أي اشْدُدْ عليهم، والتشديد عليهم أن يُسفّه أحلامهم ويَهتِك أستارهم وهو أن يبين[5] لهم ما هم عليه من النفاق. وقوله عز وجل: **ومأواهم جهنم وبئس المصير**، قد تقدم ذكر هذا.

ثم[6] في قوله: **يا أيها النبي جاهد الكفار**، دلالة فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على من تقدمه[7] من الأنبياء والرسل عليهم السلام، لأنه ذكر موسى عليه السلام في التوراة: يا موسى،[8] وفي الإنجيل: يا عيسى، وفي مخاطبات آدم: يا آدم، فسمى كل نبي[9] باسمه سوى نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه ذكره وخاطبه بقوله: **يا أيها النبي**،[10] يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ،[11] وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة، فذكره باسم فضله وخاطبه[12] به وذكر غيره من الأنبياء عليهم السلام باسم شخصه.

---

[1] ر م: في تقدير.
[2] ر م: غلبة.
[3] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧ظ.
[4] سورة النساء، ٨٨/٤.
[5] ن: أن يلين.
[6] م - ثم.
[7] ن: يقدمه.
[8] ث + يا موموسى.
[9] ن: شيء.
[10] تكرر خطاب ﴿يا أيها النبي﴾ كثير في القرآن الكريم انظر. *المعجم المفهرس* محمد فؤاد عبد الباقي، «النبي».
[11] سورة المائدة، ٤١،٦٧/٥.
[12] ن: وخاطب.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين**. فجائز أن يكون[١] هذا المثل لمكان الكفرة الذين لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال من حرمة القرابة، فكانوا يطمعون منه الشفاعة في الآخرة إن كان الأمر على ما ذكره[٢] محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم عرفوه بالشفَقَة والرحمة على الخلق جملة. فكيف يَدَعُ شفقته[٣] ورحمته على قرابته وهو يراهم يترددون في الهلاك. فبين لهم شأن امرأة نوح وامرأة لوط وما كان بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لأن لا يغترّوا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يكون هذا في بدء[٤] الإسلام في الوقت الذي يتفرد الآباء[٥] بالإسلام دون الأبناء والأبناءُ دون الآباء، فيكون المَثَل لمكان أولئك الذين التزموا وداموا[٦] عليه ولم يتبعوا آباءهم وأبناءهم فيقول: لا ينفع من دام على الكفر إسلامُ مَن أسلم منهم وإن كان بينهما قرب من جهة الأبوة والبنوّة، لأن رحمة الإنسان وشفقته على زوجته [٨٢٣ظ] أكثر من شفقته على من[٧] ذكرنا وكذلك الاتصال، فإذا لم ينفعهما[٨] إسلام / زوجيهما[٩] فكذلك لا ينفع أولئك الذين داموا على الكفر إسلام من أسلم من آباءهم وأبناءهم. وجائز أن يكون هذا المثل لمكان أهل النفاق فيما أظهروا موافقة المؤمنين وأسرّوا الخلاف له، فيخبر[١٠] أنه لا ينفعهم إظهار موافقتهم في الدين إذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتَيْ نوحٍ ولوطٍ عليهما السلام إظهار الموافقة[١١] منهما لزوجيهما إذ[١٢] كانتا على خلافهما في السر. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م – يكون.
[٢] ر م: ذكر.
[٣] ن: بشفقته.
[٤] ن: في يدي.
[٥] ن: ينفرد إلا.
[٦] ر م: وداوموا.
[٧] ر ث م: ما.
[٨] ر م: فإذا لم ينفعها.
[٩] ر: زوجتها؛ ن م: زوجتهم.
[١٠] ر. وأسرو الخلاف له فيخبروا.
[١١] ث: موافقة.
[١٢] ر ث م: لزوجته إذ؛ ن: لزوجتهم إذا. والتصحيح من الشرح، ورقه ٢٤٧ظ

قال أبو بكر الأصم: في هذه[١] الآية دلالة أن صلاح الصالح لا ينفع لطالح كما لم ينفع صلاح نوح ولوط للزوجتين إذا كانتا في أنفسهما فاسدتين. وأراد بهذا نفي[٢] الشفاعة لأهل الكبائر.

وليس[٣] كما ذكر لأن هذا المَثَل ضُرب للكافرين[٤] لا لعصاة إذ لم يقل:[٥] ضرب الله مثلا لمذين عَصَوا. فليس له متعلَّق[٦] في هذه الآية. ثم قد نجد[٧] صلاح الصالح في الشاهد ينفع الطالح وإن لم ينفع الكافر، لأن المرء قد تكون[٨] له زوجة طالحة تمتنع[٩] عن كثير من الشرور[١٠] لمكان زوجها إذا كان زوجها[١١] من أهل الصلاح والبر.[١٢] وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا إذ بخشيتهما ينتهي عن كثير من المناهي لصلاحهما، فقد نفعه صلاح والديه[١٣] ونفعها صلاح زوجها.[١٤] فجائز أن ينفع الطالح أيضا في الآخرة صلاح الصالحين. وأما الكافر فهو لم يمتنع[١٥] عن الخلاف لمكان[١٦] أبويه ولا لمكان[١٧] أحد من الخلق فلم ينفعه إسلام أبويه ولا صلاحهما في الدنيا فكذلك لا ينفعه في الآخرة. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فخانتاهما فلم يُغنِيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين،** أي فخانتاهما في الدين.[١٨] ومنهم من يذكر أن خيانة امرأة نوح هو أن أخبرت قومه بجنون[١٩] زوجها،

---

١ ن: وهذه.
٢ ر م: النفي.
٣ ن: وليسوا.
٤ ر م: للكافر.
٥ ر: إذا لم يقل.
٦ ر م: تعلق.
٧ جميع النسخ: قد يجد. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٧ظ.
٨ جميع النسخ: قد يكون.
٩ جميع النسخ: يمتنع. والتصحيح من المرجع السابق.
١٠ ث: من السرور.
١١ ر م – إذا كان زوجها.
١٢ ن ث: والنشر
١٣ ن: أبويه.
١٤ ر م: ونفعها صلاح زوجهما؛ ث: ونفعهما صلاح زوجها.
١٥ ر ن م: لم ينتفع
١٦ ر م: بما كان؛ بمكان. والتصحيح من المرجع السابق
١٧ ر: ولا مكان.
١٨ ن: في الدين.
١٩ ن: بجنون.

وكانت خيانة امرأة لوط هي أن أخبرت قوم لوط بشأن أضافه. ولكن إن كان هذا صحيحا فهو يرجع إلى الأول، لأن الذي حمل كل واحدة منهما على الإخبار بما أخبرت موافقتها أولئك القومَ وخلافُها لزوجها في الدين فلا يجب أن يُشهَد بهذا إلا بتواتر[1] جاء [من لدي الحجة].[2] وذكر بعضهم أنهما زنت[3] فخيانتهما زناهما. وهذا غير ثابت لأن الأنبياء عليهم[4] السلام عُصموا عما يرجع العار والشَّيْن[5] إليهم والزوج يُعيَّر برناء زوجته وقرابته،[6] وفيه توهم التهمة في أولادهم. فدل أن هذا[7] التأويل غير صحيح، وحاجتنا إلى وجود[8] الخيانة منهما دون التفسير. ولا يجب أن يشهد بهذا إلا بتواتر جاء من لدي[9] الحجة.

**﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون**، وجه ضرب[10] المثل بها هو أن يعلم المقهور تحت أيدي الكفرة أن لا عذر له في التخلف عن الإيمان بالله تعالى، إذ كانت امرأة فرعون مقهورة تحت يديه وكانت بين ظَهْرَانَيِ الظلمة، ولم يمنعها ذلك عن الإيمان[11] بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام.[12]

والثاني أنها لم تشاهد[13] من زوجها ومن القوم الذين[14] [هي][15] بين ظَهْرَانَيْهِم سوى الكفر بالله تعالى ثم الله تعالى بلطفه ألهمها الإيمان به فآمنت. وكانت امرأة نوح تحت نوح

---

[1] ن ث: نتواتر.
[2] لزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٨و.
[3] جميع النسخ: زنيا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: عليهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: والشئان؛ ث: والشيان.
[6] جميع النسخ: وفراشه. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: صلاح.
[8] ر م: وجوب.
[9] جميع النسخ: من يدي.
[10] ر م: صرف.
[11] ر م: من الإيمان.
[12] ن - موسى عليه السلام.
[13] ر م: لم يشاهد.
[14] ر ث م - الذين
[15] الزيادة من المرجع السابق.

ولم تشاهد منه[1] سوى الطاعة والعبادة لربه جل وعلا[2] ثم لم ينفعها إيمانه وعبادته؛ ليعلم أنه لا ينفع أحدا إسلام أحد ولا يضر أحدا[3] كفر غيره، إنما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا بفعل نفسه.

وقوله عز وجل: **إذ قالت رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتا في الجنة**. وهي لم تُرد بقولها: **ابن لي عندك بيتا**، بقيام الوجه الذي[4] عَرَفَتْ بناء زوجها وغيره من الخلائق، وإنما أرادت بقوله: **ابن لي**، أي اخلق لي بيتا في الجنة. وكذلك[5] لم يفهم أحد بقوله:[6] فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[7] ما فهم الخلق من النفخ في الأشياء، وإنما فهموا به الخلق والإنشاء. فما بال المشبهة فهموا من قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[8] ومن قوله: اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[9] ما فهموا من الاستواء المضاف إلى الخلق لو لا ضعف اعتقادهم وجهلُهم بصانعهم في التحقيق.

ثم الأصل أن يَنظر إلى الأسماء التي هي أسماء الأفعال المشتركة فيما بين الخلق إذا أضيف شيء منها إلى الله تعالى فَيَعْرِضها على الأسماء التي هي أسماء الأفعال المخصوصة لله تعالى،[10] فما أريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى هو المراد بالاسم المشترك. فالاسم المخصوص لفعل[11] الله تعالى هو "الخلق" -إذ لا أحد يسمِّي أحدا من الخلائق خالقا- فيَفهم بقوله: **ابن لي عندك بيتا**،[12] أي اخلق لي، ويفهم من قوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[13] الخلق والإنشاء. والذي يبين[14] أن الأسماء المشتركة تجب عرضها على الأسماء[15] المخصوصة ويُفهم[16] بها[17] ما يفهم بالأخرى

---

[1] ن - منه.
[2] ن - جل وعلا.
[3] م: أحد.
[4] وعبارة الشرح هكذا «﴿ابن لي عندك بيتا﴾ من الوجه الذي» (ورقة ٢٤٨و).
[5] ر م: وذلك؛ ن ث: وبذلك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٨و.
[6] ن - بقوله.
[7] الآية التالية.
[8] سورة لبقرة، ٢٩/٢؛ وسورة فصلت، ١١/٤١.
[9] سورة الأعراف، ٥٤/٧؛ وسورة يونس، ٣/١٠؛ وسورة الرعد، ٢/١٣.
[10] ن - فيعرضها على الأسماء التي هي أسماء الأفعال المخصوصة لله تعالى.
[11] ر م: بفعل.
[12] ن - بيتا.
[13] الآية التالية.
[14] ن: بين؛ ث: تبين.
[15] ر ث م - مشتركة تجب عرضها على الأسماء.
[16] ر: يفهم.
[17] ن: من فيها.

قوله تعالى:﴿هُوَ لَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] ومعناه هو الذي خلق سَيْرَكم في البر والبحر. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2] أي يخلق الموت والحياة.[3] وقال:[4] ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾[5] أي يخلق الضلال، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[6] أي يخلق هدايته. ومن حمل الأمر على ما ذكرنا سلم من الشُّبه كلها ووسواس الشيطان وسلم من التشبيه. **والله الموفق.**

وفي هذا دلالة إيمانها بالبعث والحساب. ثم من الجائز أن تكون[7] وصلت إلى علم

[٨٢٤و] البعث والحساب بالتلقين أو بنظرها[8] وتفكرها / في الحجج والبراهين. وذكر أهل التفسير أنها قالت ذلك عند ما عذبها فرعون. واختلفوا في صفة العذاب من أوجه، وحق مثه الإمساك عنه وأن لا نشتغل[9] بتفسيرها لما[10] يتوهم من وقوع زيادة فيها أو نقصان على القدر الذي بُيّن في الكتب المتقدمة. وهذه الأنباء جعلت حججا لرسالة نبينا عليه السلام على أهل الكتب[11] لما وجدوها موافقة للأنباء التي ذكرت في كتبهم، وإذا وقع فيها زيادة أو نقصان وجدوا فيه[12] موضع الطعن في رسالته فلهذا المعنى ما يجب ترك الخوض[13] فيها والإعراضُ عن ذكرها.

وذكر عن الحسن وغيره أنه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويُبنَى له بيت في الجنة، فإن مات على الإسلام سكن البيت وإن قُبض كافرا ورثه[14] غيره.[15] وهذا لا يحتمل لأن الله تعالى

---

[1] سورة يونس، ٢٢/١٠.
[2] سورة مؤمنون، ٨٠/٢٣؛ وسورة المؤمن، ٦٨/٤٠.
[3] ن – الحياة.
[4] جميع لنسخ: قال.
[5] سورة الرعد، ٢٧/١٣؛ وسورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥.
[6] انظر مثلا: سورة يونس، ٢٥/١٠؛ وسورة إبراهيم.
[7] ن ث: أن يكون.
[8] ن: أو ينظرها.
[9] ر ث م: ولا يشتغل.
[10] ن: كما.
[11] ر م + والإعرض عن ذكرها.
[12] م – فيه.
[13] ن: الحوض
[14] ن: ورث.
[15] سنن ابن ماجة، الزهد ٣٩.

إذا علم أنه يموت على الكفر فهو يبني له ذلك لكيلا[١] يسكنه.[٢] ومن بنى لنفسه في لشاهد وهو يعلم أنه لا يَسكنه صار عابثا في فعمه، وجل الله تعالى عن أن يوصف بالعبث.

وقوله[٣] عز وجل: **ونَجِّني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين**، أي نجني من شر فرعون وجوره ومن عمله أي من كفره، فيكون قولها: **نجني من فرعون**. راجعا إلى نفسه والأخر راجعا إلى عمله، **ونجني من القوم**، راجعا إلى قومه. فسألت النجاة عنهم جملة لما كانوا يمنعونها[٤] عن عبادة الله تعالى، فكانت تخاف[٥] ناحيتهم ولا تأمن[٦] وتخاف منهم فسألت النجاة منهم لتصل إلى عبادة ربها.

**﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**[١٢]

وقوله عز وجل: **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها**، فأخبر عنها بإحصانها فرجها وذلك بالأسباب، وهي ما اتخذت بين نفسها وبين الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فتصل[٧] به إلى تحصين فرجها. قال الله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ.[٨] وهم إذا غضوا الأبصار وصلوا إلى حفظ الفروج، ففي الحجاب غض البصر وفي غض البصر وصول إلى حفظ الفرج وإحصانه. وقال في آية أخرى: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ [عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ].[٩] وتطهيره[١٠] إياها في أن طهرها من الفواحش والزنا، فأضاف الإحصان إليها في الآية[١١] الأولى وأضاف التطهير هاهنا إلى نفسه. فوجه إضافة الإحصان إليها ما ذكرنا أنها تكلفت الأسباب التي هي أسباب الموانع لزنا الدواعي إلى الإحصان.

---

[١] جميع النسخ: كيلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.
[٢] م: يسكن.
[٣] ر: قوله.
[٤] ر م: يمنعون بها.
[٥] ن: يخوف.
[٦] ن: ولا يأمن.
[٧] جميع النسخ: فيصل.
[٨] سورة النور، ٣٠/٢٤.
[٩] سورة آل عمران، ٤٢/٣.
[١٠] ر م: وتطهيرك.
[١١] ر م: آية

وأضاف إلى نفسه التطهير لأن وقوع ذلك وحصوله[1] كان به. ففيه دلالة أن كل فعل من أفعال العباد لا يخلو من أن يكون لله تعالى فيه صنع وتدبير.

وقوله: **فنفخنا فيه من روحنا**، أي خلقنا فيه ما به تحيى[2] الصوَر والأبدان. وقوله: **فيه**، أي في عيسى، وقال في آية أخرى: فَنَفَخْنَا فِيهَا،[3] أي في نفس عيسى عليه السلام والنفس مؤنث.[4] ثم تشبيهه[5] بالنفخ أن الروح إذا خُلق فيه انتشر في الجسد كالريح إذا نفخت في شيء انتشرت فيها، أو التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نُفخ فيه كالريح. **والله أعلم**.

وقوله: **وصدّقت بكلمات ربها**، فجائز أن يكون الكلمات هي التي بُشّرت[6] بها مريم من قوله: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ،[7] وقوله تعالى: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ،[8] وقوله: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ،[9] وقوله: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ،[10] فصدقت بحملتها أنها[11] من عند الله لا شيءٌ ألقى إليها الشيطان. أو **صدقت**[12] **بكلمات ربها**، أي بحجج ربها وبراهينه، كقوله:[13] وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[14] أي بحججه وأدلته. ثم تكون[15] الحجج حجج[16] البعث أو حجج الرسالة أو الوحدانية، أو يكون[17] قوله: **وصدقت بكلمات ربها**، أي بالكلمات التي يستعاذ بها من الشرور[18] فصدّقت أنها تُعيذ مَن تعوّذ بها. **والله أعلم**.

---

[1] ر م: حصولة.
[2] ر ث م: يحيى؛ ن: يحي.
[3] سورة الأنبياء، ٩١/٢١.
[4] النفس مؤنث إن أريد بها الروح ومذكر إن أريد بها الشخص (انظر: *لسان العرب*، «نفس»؛ *والمعجم*، «نفس»).
[5] ن: بشبهه.
[6] ن: نشرت.
[7] سورة آل عمران، ٤٥/٣.
[8] سورة آل عمران، ٤٣/٣.
[9] سورة آل عمران، ٤٢/٣.
[10] سورة مريم، ٢٥/١٩.
[11] ر ث م – أنها.
[12] ن: وصدقت.
[13] ر م: كقوله.
[14] سورة يونس، ٨٢/١٠.
[15] جميع النسخ: ثم يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.
[16] ن: الحجج حجج.
[17] ر ث م: أي ويكون.
[18] ن: من السرور.

وقوله: **وكتبه،**[١] وقرئ وكتابه.[٢] وفي تصديقها بالكتاب تصديق منها بالكتب لأن من آمن بكتاب من كتب الله تعالى فقد آمن بسائر كتبه لأنها يوافق بعضها بعضا، ومن آمن بكتبه فقد آمن بكل كتاب له على الإشارة إليه، فثبت أن في الإيمان بكتاب إيمانا[٣] بسائر الكتب. فكل واحدة من القراءتين تقتضي[٤] معنى القراءة الأخرى، فإن قوله: بكتابه أي بالإنجيل، وقوله: **وكتبه،**[٥] أي بالإنجيل وسائر الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى.

وقوله عز وجل: **وكانت من القانتين**، قيل: من المصلين، لأنه قال في آية أخرى: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ،[٦] وذا[٧] وَصْفُ الصلاة،[٨] فالتزمت هذا الأمر فصارت من القانتين، وقيل: أي من المطيعين لربها. ***والله أعلم.***[٩]

---

[١] جميع النسخ: وكتابه. والتصحيح من الشرح، نسخة مدينة، ورقة ٩٣٢ظ.

[٢] قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿وصدّقت بكلمات ربها وكُتُبِه﴾ بغير ألف وضم الكاف على الجمع. وقرأ الباقون: ﴿وكِتَابِه﴾ بالألف وكسر الكاف على واحدة. (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٠؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٠).

[٣] جميع النسخ: إيمان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.

[٤] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: بكتبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] سورة آل عمران، ٣/٤٣.

[٧] ر: وإذا أوصف؛ ث: وإذا؛ ه: وإذ وصف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ن: وإذا وصف به لصلاة.

[٩] ر + بالصواب وصلى الله على رسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ت: والله سبحانه أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الملك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]

قوله عز وجل: **تبارك الذي بيده الملك**، قيل: تعالى وتعاظم. وتبارك: تَفَاعَلَ من البركة. والبركة كناية عن نفي كل عيب، قال الله[2] عز وجل: وَنَزَّلْنَا[3] مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا،[4] أي ماءً لا كُدُورة فيه ولا قَذَرَ بل هو ماء مطهَّر من كل آفة وعيب.[5] فمعنى قوله:[6] **تبارك**، أي تعالى من أن يكون له شبيه وعديل، وتعاظم عما قالت فيه الملحدة ومن أن يلحقه المعايب والآفات.

وقوله: **بيده الملك**، أي الذي له مِلك المُلك، لأنه قال في موضع آخر: قُلِ اللَّهُمَّ / مَالِكَ [٢٤٨ظ] الْمُلْكِ،[7] أي الذي له الملك.[8] فذكر اليدَ هاهنا مكان المالك هناك فامتدح جل وعلا بمِلْك المُلْك وكونه مالكا له. والمعتزلة يقولون: بأن مِلك مُلك[9] الكفرة ليس له وأنه لا يؤتى[10] الملك للكافر،

---

[1] ر ن – سورة الملك؛ ث + وهي ثلاثون آيات مكية.

[2] ر م – الله.

[3] جميع النسخ: وأنزلنا.

[4] سورة ق، ٩/٥٠.

[5] جميع النسخ: وغير.

[6] جميع النسخ: قولنا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٩و.

[7] سورة آل عمران، ٢٦/٣.

[8] ن – أي الذي له الملك.

[9] ر: الملك.

[10] ن: لا يولى؛ ث: لا تولى.

ويقولون في قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ:[1] إن الذي آتاه الله الملك هو إبراهيم عليه السلام واهاء ينصرف إليه لا إلى الذي حاجه. وإذا لم يجعلوا مُلك ملك لكافر[2] في يده لم يصر ممتدحًا بما ذكرنا، لأنه يكون في يده بعض الملك لا كله. وقال في آية أخرى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ،[3] وعلى قولهم يصير الملك في يد من لا يشاء لأنه لا يشاء[4] الملك للكافر، ومع ذلك يوجد فيهم الملك. ثم ما ينبغي لهم أن يقطعوا القول بأن الله تعالى[5] لا يؤتي الملك للكافر بل عليهم أن يقولوا:[6] إن كان إيتاء الملك أصلح لهم آتاهم، وإن كان شرًا هم[7] لم يؤتهم؛ إذ من مذهبهم أن الله تعالى[8] لا يفعل بعبده[9] إلا ما هو أصلح له في الدين والدنيا في حقه. فهذا جملة اعتقادهم. ثم هم لا يعرفون الوجه الذي له صار[10] أصلح في كل شيء على الإشارة إليه، لأنهم يقولون: في إبقاء إبليس اللعين إلى اليوم[11] المعلوم[12] صلاح وإن كنا لا نعرف الوجه الذي له صار أصلح، وإفناءُ الأنبياء والرسل[13] عليهم السلام كان أصلح وإن لم نعرف من أي وجه صار أصلح. فليقولوا هاهنا [أيضا][14] بأن إيتاء الملك إن كان أصلح لهم لم يكن له أن لا يؤتيهم وإن كان شرا فعليه أن لا يؤتيهم لا أن يُخصّصوا[15] الأمر على النفي.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٥٨.

[2] ر م: الكفرة.

[3] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

[4] ن - لأنه لا يشاء.

[5] ث + لا يعطى.

[6] ر ث م - أن يقولوا.

[7] م - لهم.

[8] ر ث م - لله تعالى؛ ر ث م + الملك أصلح لهم.

[9] ر ث م: لعبده.

[10] ن + لهم.

[11] م: إلى يوم.

[12] يشير الإمام الماتريدي رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿قال ربّ فأنظرني إلى يوم يُبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٦-٣٨). وانظر أيضا: سورة ص، ٣٨/٧٧-٨١.

[13] ث: الرسل والأنبياء.

[14] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٩و.

[15] جميع النسخ: أن يجعلوا. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم المِلْك اسم عامّ وهو عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية، والمُلْك هو أن يكون للمالك خاصة في الشيء لا يُتناول من ذلك الشيء إلا بأذنه. وقد يكون المرء مالكا وليس بمَلِك وقد يكون مَلِكا ليس بمالك. فكل واحد من الوجهين يقتضي معنى غير ما يقتضيه الآخر. وجائز أن يكون تأويل قوله: **بيده الملك**، أي مُلْك كل مَلِك من أهل الأرض بيده، لأنه إن شاء أبقى له المُلْك وإن شاء نزعه. فما من مَلِك في دار الدنيا إلا ومُلكه في الحقيقة لله تعالى.

وقوله عز وجل: **وهو على كل شيء قدير**، فامتدح نفسه تعالى بأنه على ما يشاء قدير وذلك من أوصاف ربوبيته أيضًا. ومن قول المعتزلة أنه على أكثر الأشياء غير قدير لأنهم يجعلون المعدوم شيئا فشيئية الأشياء كانت بأنفسها[1] لا بإنشاء الله تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط. وإذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شيئية الأشياء؛ وكذلك ينفون الخلق والقدرة عن أفعال العباد. ومن قولهم أيضا: إن إقدار العبد بيد الله وإذا أقدر عبدًا من عبيده على الهداية خرجت القدرة من يده فتصير[2] هذه القدرة مستفادة لا ذاتية. وإذا كان كذلك فقد نفوا عنه القدرة عن أكثر الأشياء فلا يصير هو قادرًا على كل شيء وإنما هو قادر على البعض. تعالى الله عما يقول الظالمون فيه[3] علوًا كبيرًا.

**﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**، قال أبو بكر الأصمّ: **الذي خلق الموت**، أي خلقكم أمواتا: نطفة وعَلَقة ومُضْغة ثم أحياكم ليبلوكم. وقال غيره: **الذي خلق الموت**، ليجزيكم بعده، **والحياة**، ليبتليكم بها، واستدل بقوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،[4] فصرف المحنة إلى الحالة التي أنشأهم على وجه الأرض وهي حالة الحياة، ثم أخبر بعد ذلك أنه يجعلهم صعيدًا جرزًا بعد الابتلاء بقوله: وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا.[5]

---

[1] ر ث م – كانت بأنفسها.

[2] جميع النسخ: فيصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.

[3] ر ث م – فيه

[4] سورة الكهف، ٧/١٨

[5] سورة الكهف، ٨/١٨.

وعندنا أنه خلقهما جميعًا للابتلاء، لأن الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكرهه[1] الأنفس وتنفر[2] عنه، وخلق الحياة على غاية ما تتلذذ به[3] الأنفس وترغب[4] فيها، والمحنةُ[5] في الترغيب والترهيب. فثبت أن [في][6] خلق[7] الموت محنةً [كما في خلق الحياة محنة].[8] فيكون قوله تعالى: **خلق الموت والحياة**، كأنه يقول: خلق الموت مُرَهِّبا وخلق الحياة مُرغِّبة. **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**، أي ليبلوكم أيكم أرهب[9] من الشر وأرغبُ في الخير.[10] ثم الموت[11] مما لا مهرب منه لأحد ولا مَخْلَصَ لمخلوق، وكذلك الحياة وإن كانت من أرغب الأشياء إلى الأنفس فليست هي بحيث يتهيأ للمرء أن يزيد فيها[12] بالطلب ولا مما يوجَد بالكَدّ والسعي، فصارت هي مرغِّبة في الحياة الدائمة[13] وهي نعيم الآخرة وصار[14] الموت مرهِّبًا عن الموت الدائم. والموت الدائم هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع كما قال تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[15] أي لا ينقضي عنه الآلام والأوجاع بل يبقى فيها أبدًا. وإذا ثبت أن الموت صار مُرهِّبا عن العذاب الدائم والحياة صارت مرغِّبة في مثلها فيقوم بطلبها.[16] ووجب القول بالبعث أيضا؛ إذ الراغب[17] إنما يصل إلى ما يرغب[18] فيه بالبعث والآخر إنما يصير إلى العذاب الدائم بالبعث.

---

[1] ن: يكرهه.
[2] جميع النسخ: وينفر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.
[3] ر ن م: ما يتلذذ به؛ ث: ما يتلذذ به به. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: ويرغب. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: المحنة.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر ث م: أن خلق.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ر م: أرغب.
[10] م: في الخير.
[11] ن + ثم الموت.
[12] جميع النسخ: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.
[13] جميع النسخ: الدائم. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: وصارت.
[15] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.
[16] جميع النسخ: بطلبه.
[17] ن: إذا الراغب.
[18] ر ث م: يصل ما يرغب.

وفيه إيجاب القول بالرسالة، لأنه إذا ثبت الرغبة في الموعود من الثواب والرهبة عن العذاب وهما جميعًا غائبان فاحتيج إلى من يظهرهما[1] ويخبر عنهما، فلم يكن بُدّ من رسول ، يخبرهم ويحضر علمه لهم. [٨٢٥و]

ثم الأصل في قوله تعالى: **ليبلوكم أيكم أحسن عملا**، أنه إنما يَحْسُن عمله بحسن رغبته [ورهبته][2] ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته، فخلق الحياة والموت ليتفكر[3] فيهما المرء ويعتبرَ بهما. فمن حسنت رغبته ورهبته حسن عمله، ومن لم يتفكر فيهما و لم يعتبر بهما ساء عمله. فالموت والحياة أُنشئا مرغِّبين ومرهبين، وكذلك الدنيا وما فيها[4] أنشئت دالة على طريق الآخرة. فالسمع يدل على السمع والبصر[5] على البصر، وآلامها تدل على آلام الآخرة ونعيمها[6] دليل على نعيم الآخرة. ***والله أعلم***. ثم قوله: **لِيبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملا**، فيه دليل على إضمار قوله: "وأيّكم[7] أسوء عملا" على مقابلة الأول، إلا أنه اكتُفِيَ بذكر أحد المتقابلين عن الآخر.[8] ***والله أعلم***.

فإن قال قائل: كيف أضاف الابتلاء إلى نفسه بقوله: **ليبلوكم**، والابتلاء في الشاهد لاستظهار ما خفي ولاستحضار ما غاب، والله تعالى لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه أمر فكيف أضيف إليه الابتلاء؟

فجوابه أن نقول:[9] إن الابتلاء في الحقيقة كناية عما به ظهور الشيء وبروزه، فاستُعمل الابتلاء[10] في كل ما فيه[11] ظهور الأمر وإن كان الذي ظهر من الأمر عند المبتلِي ظاهرا. وهذا كما أضيف الاستدراج والمكر إلى الله تعالى لوجود معنى المكر والاستدراج فيه

---

[1] ن ث + ويحضرهما.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.
[3] ر ث م: ليبلوكم.
[4] ر م: ومما.
[5] ث + يدل.
[6] ر م: على آلام الآخر ونعمها.
[7] جميع النسخ: وأنكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: على الآخر.
[9] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[10] ن – كناية عن ما به ظهور الشيء وبروره فاستعمل الابتلاء؛ ث – فجوابه أن يقول إن الابتلاء في الحقيقة كناية عما به ظهور الشيء وبروره فاستعمل الابتلاء.
[11] ر م – فيه.

وإن لم يكن[1] المقصود من ذلك المكر والاستدراج. وفي الشاهد المكر أن تحسن إلى عدوك[2] ليقع عنده أنك تركت عداوته فيغترّ[3] بإحسانك إليه، ثم تأخذه[4] من وجه أمنه ومن حيث لا يَشْعُر به. هذا هو معنى المكر في الشاهد. وقد وُجد الإحسان من الله تعالى إلى أعدائه ووجد منهم الاغترار[5] بالنعم ووقع عندهم أنهم من جملة أوليائه ثم أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. فوُجد معنى المكر وإن لم يَقصد بإحسانه إليهم المكر بهم.

والثاني أن[6] من أمرَ [آخر][7] في الشاهد فإنما يأمره[8] لمنفعة تصل[9] إليه، وإذا نهاه[10] عن شيء فإنما ينهى لنفي مضرة تصل[11] إليه. والله تعالى لم يأمر الخلق ولم يَنْهَهم لمنفعة يجتلب[12] بها إلى نفسه أو لمضرة يدفعها عن نفسه، وإنما أمرهم ونهاهم لمنافع يرجع إليهم ومضارّ يلحقهم، ثم أضيف إليه الأمر[13] والنهي وإن كان لا منفعة له ولا مضرة عليه. فكذلك[14] ابتلى خلقه ليَظهر للمبتلَى عداوته ووَلايتُه[15] وأضاف الابتلاء إلى نفسه وإن كان هو مستغنيا عن الابتلاء. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الغفور**، ففيه إبانة أنه لم يَبْتَلِنا[16] لمنفعة أو أمر يرجع إليه أو لذل[17] يدفع عنه، ولكن لِعِزّ[18] يُحرزه الممتحَن إذا أحسن العمل وذنوبٍ تغفر له وتستر[19] عليه

---

[1] ر م – لم يكن.
[2] جميع النسخ: أن يحسن إلى عدوك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.
[3] ر م: فيعتبر.
[4] جميع النسخ: ثم يأخذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: الاعتذار.
[6] ر م – أن.
[7] الزيادة من المرجع اسابق.
[8] م: يامر.
[9] جميع النسخ: يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م: وإذا نها.
[11] ن: يصل.
[12] ر م يجب؛ ن ث: يجلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م – الأمر.
[14] ر م: فبذلك.
[15] ن: للمبتلا عداوته وولايته لا ليظهر له وأضاف.
[16] جميع النسخ: لم يبتيا. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] ر: الدين؛ ن: لذل.
[18] ر م: عن؛ ث: لعي.
[19] جميع النسخ: يغفر له ويستر. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو عزيز بذاته. وجائز أن يكون معنى[1] قوله: **وهو العزيز**، أي القوي على الانتقام ممن ساء عمله واختار[2] عداوته؛ **الغفور**، الستور على من حسن عمله[3] يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن[4] عمله. ***والله أعلم.***

**﴿اَلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[٣] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **الذي خلق سبع سماوات طباقا**،[5] ففي ذكر السماوات السبع[6] إيجاب القول بتصديق ما يأتي به الرسل، لأن كون السماوات سبعا لا يعرف إلا من طريق الخبر. فالآية الأولى أثبتت[7] القول بالرسالة وهذه الآية أثبتت[8] تصديق ما يأتي به الرسل[9] من الخبر. وقد ثبت وجود هذا القول على ألسن الرسل فلزمنا القول في السماوات: إنها سبع وإن لم نشاهد.[10] ثم يحتمل قوله: **الذي خلق سبع سماوات طباقا**، ليَبلوَ أهلَها أيُّهم[11] أحسن عملا لأنه بين أنه لم يخلق السماوات والأرضين باطلا.[12] ثم السماوات بأنفسها لا تُمتحن[13] وإنما يمتحن أهلها، لكنه اقتضى ذكر السماوات ذكر أهلها، واقتضى ذكر الأرضين[14] ذكر أهلها. فأخبر[15] بذكر الأرض عن ذكر أهلها وبذكر السماوات عن ذكر أهلها. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م – معنى.

[2] ر ن م: واختيار.

[3] ن – واختيار عداوته الغفور الستور على من حسن عمله.

[4] ر: يحسن.

[5] ر م – طباقا.

[6] ر م – ففي ذكر السماوات السبع.

[7] جميع النسخ: أثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.

[8] ن: أثبت.

[9] ر ث م – لأن كون السماوات سبعا لا يعرف إلا من طريق الخبر فالآية الأولى أثبتت القول بالرسالة وهذه الآية أثبتت تصديق ما يأتي به الرسل.

[10] ر ث م: وإن لم يشاهد.

[11] ر م: أيهم.

[12] يشير المؤلف إلى مثل قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ (سورة ص، ٢٧/٣٨).

[13] جميع النسخ: لا يمتحن. والتصحيح من مرجع السابق.

[14] ر م: الأرضون.

[15] ن: فاختبرا.

وقوله عز وجل: **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**، أي انظر في خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت أو فطور؟[1] فإنك إن رأيت فيه فطورًا ظننت في مدبّره[2] عددًا وإن رأيت فيه تفاوتا ظننت في مُنْشئه سفها. فإنك إذا رأيت فيه فطورًا وشقوقا رأيت فيه تمانعا وتدافعا. وفي حصول التمانع والتدفع حصول العدد؛ لأن التدافع والتناقض إنما يقع عند ثبات العدد. لأن ما يبني هذا يهدمه الآخر، وما يهدمه الآخر[3] وينقضه يبني الآخر فعند ذلك يقع التدافع. وإذا لم تر فيه فطورًا وشقوقا بل ترآه[4] مُتسقا مجتمعا دل [ذلك][5] على وحدانيته[6] وقدرته وسلطانه. وكذلك[7] التفاوت يدل على السفه ونفي الحكمة وارتفاعُ التفاوت يدل على حكمته وعجيب تدبيره. فيكون في ارتفاع الفطور والتفاوت إثباتُ القول بالوحدانية وإيجاب القول بالبعث من حيث تثبت[8] حكمته، وفي نفي القول بالبعث زوال الحكمة. وفيه إيجاب المحنة والابتلاء لأن العدد إذا ثبت كان للممتحَن أن لا يعمل حتى يتبين له الغالب من المغلوب فلا يَضيع عملُه، أو يشتغل كل بإقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ للأمر بالمحنة. ألا ترى إلى قوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ،[9] قيل: يَذهب كل واحد منهم بالجزء الذي خلقه فيظهر عند ذلك فطور[10] وشقوق لأن ما خلق هذا يمتاز من الذي خلقه الآخر.[11] فارتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع / جل جلاله. وقيل في قوله:[12] **في خلق الرحمن من تفاوت**، [٨٢٥ظ] أي من حيث الدلالةُ على وحدانية الرب تعالى أو من حيث الحكمة والمصلحة، فالخلائق كلها في المعاني التي ذكرناها غير متفاوتة، لا أن تكون[13] الأشياء المحدثة غير متفاوتة في أنفسها،

---

[1] م: وفطور.
[2] جميع النسخ: في مدبر به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.
[3] ر م – وما يهدمه الآخر.
[4] جميع النسخ: بل رآه.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] م: على وحدانية.
[7] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩١/٢٣).
[10] ر م – عند ذلك فطور.
[11] ن – فيظهر عند ذلك فطور وشقوق لأن ما خلق هذا يمتاز من الذي خلقه الآخر
[12] ن – في قوله.
[13] جميع النسخ: لا أن يكون.

لأن بين السماوات والأرضين تفاوت وكذلك بين الحياة والموت تفاوت. ولكن منافع السماء متصلة بمنفع الأرض ومنافع أهل الأرض متصلة بالأرض، وقوامهم ومعاشهم بما يخرج منها، وكل ذلك يدل على وحدانيته[1] وعلى حكمته ولطائف تدبيره.

وقوله[2] عز وجل: **فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب [إليك البصر خاسئًا وهو حسير]**، فجائز أن يكون هذا على رجوع بصر[3] الوجه، وجائز أن يكون عى رجوع بصر[4] القلب، أو يكون أحدهما على بصر الوجه والثاني على بصر القلب. والأشبه أن يكون على بصر القلب، لأنه قد سبق منه النظر إلى السماوات والأرضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظرِ أنه لا تَفاوتَ فيها[5] ولا فطور. فدعاه إلى أن ينظر ببصر القلب ليدله ذلك على المعاني التي ذكرناها، وهو كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[6] وقال: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[7] ولم يَرد به السير بالأقدام إذ قد سبق منهم السير فيها ولكنّ معناه: أو لم يتفكروا في عواقبِ من تقدمهم من مكذِّبِي الرسلِ أنهم بأي سبب أُهلكوا ولأي معنى عوقبوا واستؤصلوا.

ثم قوله: **فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين**، الآية، منهم من قال: إن الكرتين هاهنا كناية عن مرة بعد مرة وليس[8] عى تثبيت العدد، فكأنه أمره[9] أن يكون أبدا معتبرا ناظرا في خلق الرحمن. وإلى هذا يذهب الحسن[10] والأصم. وجائز أن يكون قوله: **كرتين**، مرتين ولكن عى اختلاف الوقتين فيكون إحدى النظرتين[11] بالليل وثانيتهما[12] بالنهار؛

---

[1] م: وحدانية.
[2] ر: قوله.
[3] ر ث م: البصر.
[4] ر م: البصر.
[5] ث - فيها.
[6] سورة الأنعام، ٦/١١.
[7] ن - انظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال أو لم يسيروا في الأرض. سورة الروم، ٣٠/٩؛ وسورة فاطر، ٣٥/٤٤؛ وسورة المؤمن، ٤٠/٢١.
[8] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.
[9] ر ث م - أمره.
[10] *روح البيان* لإسماعيل حقي، ١٠/٧٩.
[11] ر م: النظرين؛ ن: النظرتين.
[12] جميع النسخ: وثانيتها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.

لأنه يرى[1] بالليل آيات وبالنهار آيات سواها وثبوت كل ذلك[2] يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه. أو أن تكون[3] النظرة الأولى ببصر الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب، لأنه إذا نظر النظرة[4] الأولى ببصر وجهه فرأى ما فيه من العجائب أشعر قلبه ما رأى فينظر فيه مرة أخرى ببصر القلب ليتأكد ذلك ويتقرر. ويجوز أن تكون[5] النظرتان[6] جميعًا ببصر الوجه لأنه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة الأولى فينظر مرة أخرى ليدرك ما غاب عنه في المرة الأولى.

وقوله عز وجل: **خاسئا**، أي صاغرا مستسلِمًا معترفًا بالقصور عن درك كنه سلطانه والإحاطة بعظمته وجلاله. **وهو حسير**، أي منقطع عن درك بلوغ حكمته ونفاذ[7] أمره.

ثم الأشبه أن يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان الخطاب متوجها إليه في الظاهر لأنه إنما أراد بالنظر في خلق الله تعالى ليتقرر[8] عنده عظمة الله تعالى وسلطانه وعجيب حكمته ونفاذ تدبيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان تقرر عنده علم ذلك كلِّه فلم يكن يحتاج إلى النظر فيما ذكر ليتقرر. فثبت[9] أنه انصرف[10] إلى المكذبين بالبعث فأُمروا بالنظر فيما ذكر ليتقرر عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره وأنه ليس بالذي يعجزه أمر وأن قدرته ليست بمقدَّرة بقوى البشر، وهم كانوا ينكرون البعث والإحياء على تقدير[11] الأمور بقوى أنفسهم. فإذا نظروا في هذه الأشياء وعرفوا فيها لطائف وحِكَما لا تدركها[12] عقولهم وقوةً لا يبلغها حِيَلُهم أدّى ذلك إلى رفع الإشكال عنهم وإزاحة الريب[13] الذي اعتراهم في أمر البعث فيحملهم على الإيمان [به].[14]

---

[1] ر م: لا يرى.
[2] ر ث م: شيء.
[3] جميع النسخ: أو أن يكون.
[4] ر م: نظرة.
[5] ر ث م: أو أن يكون.
[6] ر: لنظريان؛ م: النظر بأن.
[7] ر ث م: وبفساد.
[8] ر م: لتقرر.
[9] جميع النسخ: فصرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ط.
[10] ر م - أنه انصرف.
[11] م: تقرير.
[12] ر ث م: لا يدركها.
[13] ث: الريب.
[14] الزيادة من المرجع السابق.

**﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح،** سماها سماء الدنيا لدونها إلى المخاطبين الممتحَنين لا أن تكون[1] السماء الثانية سماء الآخرة. والذي يدل على صحة ما ذكرنا أن مقابل الدنيا ليست هي الآخرةَ بل مقابلها الأولى ومقابل الدنيا القصوى، فثبت[2] أنْ ليس فيها تثبيتُ[3] أن السماء الثانية هي سماء الآخرة، والمصابيح هي النجوم. فذكر عباده عظيم ما أودع من النعيم في النجوم عليهم. فجعل فيها ثلاثة أوجه من النعيم. أحدها[4] أنه جعلها زينة للناظرين، كما قال تعالى: وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ.[5] ثم هذه الزينة إنما تظهر[6] عند ما يخفى على الناظرين زينة الأرض وذلك في ظُلَم الليالي، فأبدل الله لهم زينة في السماء مكان الزينة التي أنشأها في الأرض وفضّل هذه الزينة على سائرها لأن سائرها لا يظهر إلا بالدنو إليها والقرب منها، ثم جعل هذه الزينة بحيث تظهر وتُرَى[7] من البعد، فثبت أن لها فضلا وشرفا على زينة الأرض.

والنعمة الثانية ما ذكر في قوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[8] فجعلها هدى عن ظلمات[9] أحوال تقع[10] فيسلم بها المرء عن الوقوع[11] في المهالك.

والنعمة الثالثة ما ذكر من قوله تعالى: **وجعلناها رجوما للشياطين،** وفي جَعْلها[12] رجوما لشياطين[13] رفع الاشتباه عن الخلق وإخراجهم من ظلمات الأفعال إلى النور. / وذلك أن الشياطين [٨٢٦و]
كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون إلى الأخبار التي يتحادث بها أهل السماء فيما بينهم

---

[1] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[2] ر ث م: فيثبت.
[3] ن: تثبت.
[4] جميع النسخ: إحداها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ (سورة الحجر، ١٦/١٥).
[6] ر ث م: إنما يظهر.
[7] جميع النسخ: يظهر فيرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة الأنعام، ٩٧/٦.
[9] جميع النسخ: من ظلمات. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ن م: يقع.
[11] ر: عن وقوع.
[12] جميع النسخ: ومن جعلها. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – ومن جعلها رجوما للشياطين.

مما يراد بأهل[1] الأرض فيَسْتَرِقُون السمع منهم فيأتون بها أهل الأرض ويُلقونها إلى أهل الأرض بعد ما يَخلطونها بالأكاذيب من عند أنفسهم، فيشتبهون[2] على الخلائق ويضلونهم[3] بذلك عن سبيل الله تعالى. فملأ الله تعالى[4] السماء بالحَرَس والشُّهُب[5] ليدفعوا الشياطين عن استراق السمع[6] ليكون تبليغ الأخبار إلى أهل[7] الأرض بمن يؤمَن عليه الكَذِب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فيَسلَمَ تلك الأخبار عن التخاليط والشُّبه فيسلم الناس عن الوقوع في الظلمات. ثم يكون في جعل النجوم زينة للسماء[8] الدنيا[9] أن أهل السماء[10] [امتُحنوا][11] وابتلوا أيُّهم أحسن عملا كما ابتُلي به أهل[12] الأرض. ألا ترى إلى ما ذكر في أهل الأرض من قوله:[13] إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،[14] فأخبر أن الزينة للامتحان.

وقوله عز وجل: **وأعتدنا لهم عذاب السعير**. ففيه أنهم -وإن عذبوا بالنيران التي جعلت في النجوم- الرجومُ لا تدفع[15] عنهم ما استوجبوا من العذاب الدائم بل قد أعد لهم عذاب السعير كما أعد لغيرهم من الشياطين وأهل الكفر.

**﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وبئس المصير**، فالمصير هو الطريق أي فبئس الطريق طريق من سلكه أفضى به إلى عذاب السعير.

---

[1] ن: أهل.
[2] ث: فيشتبهون.
[3] ث: وتضلونهم.
[4] ر ث م - لله تعالى.
[5] ر م: والشهيب.
[6] ث - عن ستراق اسمع.
[7] م - أهل.
[8] جميع النسخ: السماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[9] ر ث م - الدنيا.
[10] ن + لدنيا.
[11] لزيادة من المرجع السابق.
[12] ث - أهل.
[13] ر ث م: في قوله.
[14] سورة الكهف، ٧/١٨.
[15] جميع النسخ لا يدفع.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾[٧]

وقوله: **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا**، فالشهيق هو الصوت[١] المنكَر. ثم[٢] من الناس من يقول: **سمعوا لها**، أي لجهنم، ومنهم من جعل الشهيق من أهلها. وقد يجوز أن يذكر المكان والمراد منه الأهل كما قال: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا.[٣] وكلا الأمرين يحتمل عندنا. ولا يُحتاج[٤] إلى معرفة ذلك لأن الصوت المنكر أمر ظاهر ممن لا يعقل الصوتَ كهو من الذي يعقل فليس الذي يعقل الصوتَ أولى أن يُجعَل الفعل له من الذي لا يعقل. وقوله عز وجل: **وهي تفور**،[٥] أي تغلي.[٦] ثم النار بنفسها لا تغلي، وإنما تغلي بالذي يُجعَل فيها ففيه أن طعامهم وشرابهم في النار فتغلي[٧] النار بطعامهم وشرابهم.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٨] ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾[٩]

وقوله: **تكاد تميز من الغيظ**، فجائز أن يكون هذا كناية عن الخزنة، وجائز أن يكون هذا وصف النار. ولله تعالى أن يجعل في جهنم وفيما شاء من الأموات ما يُعرف به عظمته وجلاله فتغضب[٨] له على أعدائه غضبا تكاد[٩] أن تنقطع في نفسها وتَسْلَمَ لأوليائه.[١٠] ثم في ذكر غضبها تذكير أنّ مِن حق الله تعالى على أوليائه أن يغضبوا له[١١] على أعدائه غضبَ جهنم عليهم بل جهنم أبعد عن أن تُمتحن[١٢] بذلك منا. ثم هي[١٣] بلغت من الغضب على أعداء الله تعالى

---

[١] جميع النسخ: والشهيق الصوت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.

[٢] ر م - ثم.

[٣] سورة الطلاق، ٨/٦٥.

[٤] جميع النسخ: ولا تحتج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.

[٥] جميع النسخ + تكاد تميز من الغيظ.

[٦] ر ث م: أي تغظي.

[٧] ر ث م: فيغلي.

[٨] جميع النسخ: فيغضب. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: يكاد.

[١٠] ر ث م: أن ينقطع في نفسه ويسلم من لأوليائه؛ ن: أن ينقطع في نفسه ويسم من أوليائه. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[١١] ب - له.

[١٢] جميع النسخ: أن يمتحن. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ن: منا.

مبلغًا كادت تتقطع[1] بنفسها. فالأولياء أحق أن يوجد فيهم[2] هذا الوصف. وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا وُجد فيهم من الشدة على الأعداء وذلك قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ،[3] وقال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]،[4] وهكذا الحق على كل مؤمن أن يكون على هذا الوصف. وفيه حكمة أخرى وهو أنه ذَكَر شدة النار على أهلها لئلا[5] يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين.[6]

وقوله: **كلما أُلقي فيها فَوْجٌ سألهم خَزَنَتُها ألم يأتكم نذير،** ينذركم لقاء يومكم هذا. **قالوا بلى قد جاءنا نذير،** وهذا هو الإخبار[7] عن نهاية أمرهم وآخر شأنهم. وذلك أنهم فَزِعوا في الآخرة إلى اليمين بالكذب فقالوا: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[8] رجاءَ أن ينفعهم ذلك في الآخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا. فلما أُلقُوا فيها أيقنوا أن أيمانهم لا تدفع[9] عنهم العذاب [و]فزعوا إلى الاعتراف والصدق رجاءَ[10] أن يتخلصوا من العذاب فقالوا: **بلى قد جاءنا نذير،** ينذرنا عن لقاء هذا اليوم، **فكذّبنا،** بالذي كان ينذرنا النُّذُر، **وقلنا ما نزل الله من شيء،** مما تنذروننا به. وقوله عز وجل: **إن أنتم إلا في ضلال كبير،** فجائز أن يكون القائل لهم بهذا هم الخزنة أو هذا خطاب لهم[11] في الدنيا: **إن أنتم إلا في ضلال كبير.**

**﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١٠]**

وقوله: **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل،** ففي قوله: بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ،[12] اعتراف منهم بأنهم قد سمعوا وعقَلوا، فقوله: **لو كنا نسمع أو نعقل،** ليس هو على نفي السمع والعقل،

---

[1] ن: ينقطع.
[2] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[3] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[4] سورة المائدة، ٥٤/٥.
[5] ر ن م: لأن لا.
[6] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٢/٧).
[7] جميع النسخ: هو إخبار. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[9] جميع النسخ: لا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: وجاء.
[11] ر م: هم.
[12] الآية السابقة.

إذ قد أقروا أنهم سمعوا وعقلوا، وإنما هو على نفي الانتفاع بما سمعوا وعقلوا؛ لأن الانتفاع بالمسموع هو الإجابة لما سمع،[1] والانتفاع بالعقل أن يقوم بوفاء ما عقل. وهم لم يجيبوا لما سمعوا[2] ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا. وقال بعضهم: **لو كنا نسمع**، في الدنيا كما نسمع الآن أو كنا نعقل كما نعقل الآن **ما كنا في أصحاب السعير**، وهذا غير مستقيم لأن تلك الدار ليست بدار إسماع وإفهام وإنما المعنى ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فسحقا لأصحاب السعير**، أي بعدًا، على معنى الدعاء عليهم، وقيل: السحق واد في جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن الذين يخشون ربهم بالغيب**، يحتمل إن الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غائب، فأهل الإسلام يخشون عذاب الله وهو غائب عنهم، والكفرة لا يخشونه [٨٢٦ظ] إلا أن يعاينوه.[3] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **يخشون ربهم بالغيب**، أي يخشون الله تعالى أن يعذبهم، أو أن يخشوه فيما أوعدهم. ثم الأصل أن ما من مؤمن يؤمن[4] بالبعث، سوى المعتزلة، إلا وهو يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون في الخشية.

ثم الخشية تقتضي[5] الرجاء والخوف ليس كالأمن[6] والإياس الذي لا يقتضي كل واحد منهما إلا وجها واحدًا. وإذا كانت الخشية تقتضي[7] ما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما رأى من كثرة نعم الله تعالى وغفلته عن حقوق تلك النعم، لأن من حقها أن يشكر الله تعالى عليها. وقد عرف كل مؤمن تقصيره في أداء الشكر وتفريطَه في قضاء الحقوق فيرجو[8] رحمته لما عرف من سعة رحمته وعَرَفه مُفْضِلا عفوًّا غفورًا. لكن فيهم تفاوت في الخشية والرهبة.

[1] ن: بما سمع.
[2] ن: بما سمعوا.
[3] ر م: إلا أن يعاينوا.
[4] ن ث - يؤمن.
[5] جميع النسخ: يقتضي، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[6] ر م: كالأمر.
[7] جميع النسخ: يقتضي.
[8] ر م: فيرجعوا.

فمن كان أذكرَ[1] لغفلته فهو لعقوبته أكثر[2] خشيةً، ومن كان أقلَّ ذكرًا لغفلته[3] فهو أقل خشية، فيتفاوتون على تفاوتهم في الذكر. وهو كالموت الذي يرهبه الناس جميعًا[4] ويتيقنون بحلوله لكنهم يتفاوتون في ذلك. فمن كان له أكثر ذكرا كان أبلغ في التيقظ وأكثر رهبة.[5] ومن كان أغفل عن ذكره فهو له[6] أقلُّ رهبةً.

ولقائل أن يقول: كيف جعلتم[7] كل مؤمن خائفًا راجيًا، والراجي هو الذي يطلب والخائف هو الذي يهرب. فكل من رجا[8] شيئًا يعلم أنه لا وصول إليه إلا بأعمال وأسباب فهو يقوم بتلك الأعمال بغاية[9] ما يحتمله[10] وسعه ليصل إلى مأموله، وإذا لم يقم بها لم يكن راجيًا في الحقيقة بل كان متمنيًا. وكذلك من خاف حقيقة الخوف وعلم أن المخوف نازل به إن لم يهرب فهو يهرب[11] مما يخافه أشد الهرب. ثم كثير من المؤمنين تراهم مقصّرين في الأعمال التي يتوصل بها إلى بلوغ الآمال ولا يهربون مما يُخاف عنه[12] أشد الهرب وغايةَ الخوف، فكيف وصفتم كل مؤمن بالخوف والرجاء وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف. واستدل على صحة ما ذكر بقوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ،[13] فالراجي[14] لرحمة الله مَن دَأَب في طاعته؛ وقال تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ،[15] فقيل: يا رسول الله، أهم الذين يزنون ويسرقون؟

[1] ر م: كان إذا ذكر؛ ن ث: كان إذ أذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[2] ث: اىرشد.
[3] ر م: ذكر الغفلة.
[4] ث – جميعا.
[5] ر م: رهبته.
[6] ر م – له.
[7] ر م: جعلتهم.
[8] جميع النسخ: من رجى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.
[9] ن: بغاير.
[10] ر ث م: تحتمله.
[11] ر ث م – فهو يهرب.
[12] ب – عنه.
[13] سورة البقرة، ٢/٢١٨.
[14] ن: والراجي
[15] سورة المؤمنون، ٢٣/٦٠.

فقال: «بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة».[١] وقال تعالى: إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ.[٢]

فجوابه أن المؤمن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وأَمْنَه من العقاب بعمله حتى إذا وُجِد [منه][٣] التقصير في العمل أظهر ذلك لمعنى فسادَ الرجاء والخوف. وإنما يتوقع خلاصه بعفو الله تعالى ويرجو[٤] رحمته بكرمه وجُوده، لذلك لم يوجب التقصير في العمل إبطال الرجاء والخوف. وهذا إذا كان غير معتزليّ المذهب ولم يكن من الخوارج. فأما إذا كان الراجي والخائف أحد هذين فتقصيره[٥] في العمل يدل على فساد الرجاء والخوف، لأن كل واحد منهما ليس يرى لنفسه شفيعا إلا عَمَلَه به ينجو[٦] وبه[٧] يَهلك. فإذا[٨] لم يبالغ في الطلب من جهة العمل ولم يبالغ في الهرب من الخوف بالعمل ظهر أنه ليس براجٍ ولكنه مُتمنٍ،[٩] وتبين أنه غير خائف في الحقيقة.

ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته في الحقيقة، لأنهم يزعمون أن العبد إذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى أن لا يعذبه عليها وأن يغفرها له، وإذا اجتنب الكبيرة استوجب المغفرة وإن ارتكب الصغائر، وليس لله تعالى أن يعذبه عليها.

والقائل بهذا غير راجٍ[١٠] رحمةَ الله تعالى ولا خائفٌ من عذابه وإنما يقع الخوف والرجاء من عند نفسه؛ لأن الزلة التي استوجب بها العذاب فهو الذي اكتسبها ولو لم يعملها[١١] لم يعذَّب وفاز بالنجاة. فصار رَجاؤه وخلاصه بعمله لا برحمة الله تعالى وفضله. ولا بذلك وصف الله تعالى

---

[١] عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدّق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه». *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٩/٦، ٢٠٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٣.

[٢] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٨/٢١).

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.

[٤] ن: ويرجو.

[٥] ت: فيقصره.

[٦] جميع النسخ: ينجوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ت: ـ به.

[٨] س: وإذا

[٩] جميع النسخ: براجي ولكنه متمني

[١٠] جميع النسخ: راجي.

[١١] م: ولو لم يعملها

المؤمنين في كتابه ولأن الله تعالى أثنى على الذين يدعونه خوفا وطمعا ورغبا ورهبًا.[١] وعلى قول أهل الاعتزال لا يدعو أحد ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع، لأن الداعي إن كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعو الله تعالى ليغفر له إنما يدعو[٢] ليجور[٣] عليه، إذ لا يسعه أن يغفر له ولا يعذب عليه. فدعاؤه[٤] بالمغفرة معناه يقتضي أَنْ جُرْ عليّ وذلك عظيم. وإن كان صاحب صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى يسأله أن لا يجور[٥] عليه، لأنه ليس له أن يعذب على الصغائر على مذهبه ولو عذب صار به جائرا. فإذا خاف عَدْلَهُ[٦] حتى[٧] فزع[٨] إلى الدعاء فقد[٩] خاف جوره. ومن لم يأمن من ربه الجورَ بل خاف ذلك منه فهو لم يعرف ربه حقيقة المعرفة. وكذلك من دعا الله تعالى ليجور عليه فقد دعا إلى أن يَسْفَهَ والسفيه لا يَصلُح أن يكون إلها. فثبت أن الداعيَ على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه.

[٨٢٧و] وقوله عز وجل: **لهم مغفرة وأجر كبير**، أي من يرجو / الله[١٠] تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه[١١] وأجر كبير وهو الجنة.

**﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور**، فهذه الآية كأنها في إلزام الوعيد. يقول: إنه عالم بالأنفس التي فيها الصدور بما يضمرون فيها ويودعون ويكتمون، وبما يخبرون عما أودعوا فيها ويظهرون. والصدر هو ساحة[١٢] القلب سمي صدرا

---

[١] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة السجدة، ١٦/٣٢)، وفي قوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ (سورة الأنبياء، ٩٠/٢١).

[٢] ن: إنما يدعوا.

[٣] رم: ليجوز؛ ث: لتجوز.

[٤] ث: فدعاءه

[٥] ر م: أن لا يجوز.

[٦] جميع النسخ: عدبه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥١ظ.

[٧] جميع النسخ: إذا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر ث: فرغ؛ ن: فرع.

[٩] ر ث م - فقد.

[١٠] ر م: يرجو الله

[١١] ن - لذنوبه

[١٢] ر م: حسة.

لأن الآراء تَصدرُ[1] عنها، فهو عالم بالأنفس التي لها الصدور بما يَصدُر عن آرائهم وعالم بما يُضمَر فيها من الأسرار.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١٤]

وقوله[2] عز وجل: **ألا يعلم من خلق**، تأويله عند أهل الإسلام ألا يعلم من خلق مما أسروا وجَهَروا؟[3] و"مَن" راجع إلى الله تعالى دون الخلق، كأنه يقول: ألا يعلم الخالق. **وهو اللطيف الخبير**. وفيه إثبات خلق الأفعال والأقوال وخلقِ الشر، فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق أفعال[4] العباد.

وقال جعفر بن حرب وأبو بكر الأصم: إن حرف **من**، لا يرجع إلى الله تعالى وإنما يرجع إلى الخلق، فكأنه يقول: ألا يعلمِ الله مَن خلق، على إضمار اسم الله تعالى. فاحتالا بهذه الحيلة لنفي الخلق عن الأفعال، لأن حرف **من** يرجع إلى الأنفس دون الأفعال والأقوال.

وذلك فاسد لأن الآية في موضع الوعيد، ولو كان قوله: **مَن خلق**، راجعًا إلى الأنفس لزال موضع الوعيد، إذ ليس في خلق الأنفس وعلمُ الله بها إثبات العلم بأفعال وُجدت منهم، ولا في خلق الأنفس إيجاب الوعيد بالأفعال. ولأنه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يَجهر به العبد ولما يُخفيه لم يكن ليحتجّ به على علمه، إذ قد يجوز جواز الجهل من غير[5] الذي يفعله فلا يجوز أن يحتج عليهم بفعلِ غيره. ولأنه ليس في إثبات العلم بخلق الأنفس إثباتُ العلم بما أسرّوا وجهروا كما لم يكن عند المعتزلة في إيجاب الخلق لنفس الإنسان إيجابُ الخلق لأفعالهم. ومعلوم بأن الآية في تحقيق العلم بما أسروا وجهروا، لأن قوله: **ألا يعلم من خلق**، مذكور على إثر قوله: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ، وقولِه:[6] إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ،[7] أي عليم بما تُسرون وما تَجهرون،[8] فثبت أن الخلق راجع إلى ما أسروا وجهروا.

---

[1] جميع النسخ: يصدر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.

[2] ر: قوله.

[3] ت + به.

[4] ر: الأفعال.

[5] ن: من جهة.

[6] ن: قوله

[7] الآية السابقة.

[8] ن: وما يجهرون.

ثم إن الناس على اختلافهم اتفقوا أن كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق الله تعالى وإنما اختلفوا في الفعل[1] الواقع بكسب العبد؛ فمنهم من أثبت فيه الخلق وهو قول أهل الهدى، ومنهم من أبى القول بحقه. ثم امرء لا يتهيأ له استعمال اليد إلا في العمل الذي جُعل في طبع اليد احتمال ذلك العمل، ولا يتهيأ[2] له أن يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها[3] احتمال ذلك، لأنه لو أراد أن يرى بيديه أو يسمع[4] بهما لم يملك ذلك. فثبت أنه مَكّن استعمالهما في القبض والأخذ والتسليم بما جُعل في طبعهما[5] احتمال ذلك، وإذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه وفيما يرى بعينيه ويسمع بأذنيه. ***والله الموفق.***

وقوله: **وهو اللطيف الخبير**، [اللطيف][6] في تدبيره إذ دبر لسانَ الإنسان على ما إذا[7] استعمله يخرج منه الكلام، ولو أراد أحد أن يتعرف المعنى الذي به صَلَح لنطق لم يقف عليه. ودبر قلبَه على أن يصوّر ما يقع[8] فيه من الخيال فيؤديه بلسانه، ودبره على وجه يصلح أن يُوعيَ[9] الأسرار والودائع من وجه لو أراد الخلائق أن يتعرفوا الوجه الذي صلح القلب أن يكون مصوِّرا وحافظا ومَعدِنا للأسرار لم يقفوا عليه. وقيل: **اللطيف**، هو الذي لا يَعْزُب عنه علم ما جلّ ودَق، وقيل: **اللطيف**، بعباده في الإحسان إليهم والإنعام عليهم، **الخبير**، بما فيه[10] مصالحهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها**، الآية،[11] [ليس في قوله: **فامشوا في مناكبها**، حقُّ الأمر أنِ امْشُوا وإن كان في الظاهر الأمرُ، ولكن تأويله –والله أعلم–

---

[1] ر م – لفعل.
[2] ر م: لا يتهيأ.
[3] ل: طبعهم
[4] ر م: أو تسمع.
[5] ر م: في طبعه.
[6] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٥٢و.
[7] ر م: على ما إذا.
[8] ر ش م: ما وقع.
[9] ر م: أن يوعا؛ ل ش: أن يودعا. والتصحيح من المرجع السابق
[10] ت + من
[11] جميع النسخ – ور د،

هو الذي][1] ذَلَّلَ لكم الأرض لتمشوا[2] في مناكبها وتأكلوا[3] من رزقه، فلا يجوز أن يكون خلقها[4] عبثًا باطلًا، فلا بد من الرجوع إليه ليسألكم عما له خَلَقَ أَوَفَيْتم بالذي خلق[5] أو لم تَفُوا وذلك أن المرء في الشاهد إذا أعطى إنسانا مالا ليستعمله[6] في جهة[7] من الجهات فلا بد من أن يرجع إليه فيسأله هل استعمله في الذي أذن له فيه أم لا؟ وإذا ثبت أنه لم يخلقها[8] عبثا باطلا وإنما خُلقت للمحنة[9] فلا بد من أن يُنشَروا[10] إليه ليخبروه عما بَلاهم به وامتحنهم.

ثم احتمل أن يكون هذا صلة قوله:[11] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾.[12] فخلق[13] ذلك كلها ليمتحن أهلها بها، فعلى ذلك خلق الأرض ذلولا[14] ليبلوهم[15] بها. ويحتمل أن يكون هذا صلة قوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾.[16] فأمر هناك بالنظر مرة بعد مرة هل ترى فيه تفاوتا أو فطورًا ليتبين عنده إذا لم ير فيه تفاوتا ولا فطورا[17] وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمتُه. فأمرهم أيضا بالمسير في الأرض والمشي في مناكبها وهي أطرافها هل يرون / فيها فطورا أو تفاوتا.[18] فإذا لم يروا فيها شيئا من ذلك تقرر [٨٢٧ظ] عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هناك، فهو في قوله: **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا،** موجود. ولأنه ذكّرهم لطيف تدبيره في خلق الأرض وما له على الخلق من عظيم النعمة في حقه،

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٢و.
[2] ن: ليمشوا.
[3] ن: ويأكلوا.
[4] جميع النسخ: خلقا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: أو فيهم خلق.
[6] جميع النسخ: استعمله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر: جهته.
[8] ن: يخلقهما.
[9] ر: المحنة.
[10] ر ن م: يبشروا.
[11] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] الآية ٢ والآية ٣ من هذه السورة.
[13] ن: فجعل.
[14] ن: ذلالا.
[15] جميع النسخ: ليبلوكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] من الآية ٣ من هذه السورة.
[17] ر م: فلا فطورا.
[18] ر م: وتفاوتا.

وهو أنه قدر لهم فيها أرزاقهم إلى حيث يمشون فيها وهيأ لهم الرزق هنالك.[1] ولا يحتمل أن يذلل لهم الأرض فيضربون فيها حيث شاءوا ويستخرجون منها أقواتها أينما تصرفوا عبثا باطلا. بل لا بد أن يستأديهم شكر ما أنعم عليهم.[2]

﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور**، هذه الآية في موضع المحاجّة على منكري البعث، فكأنه يقول -والله أعلم-: إذ أنكرتم[3] البعث -وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي وبين المطيع والعاصي- فكيف أمنتم عذابه في الدنيا أن ينزل بكم من فوق رءوسكم أو من تحت أرجلكم؟ أو قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختيارِكم عبادةَ غيره فكيف أمنتم نزول عذابه عليكم في حالتكم هذه وأنتم لا تقرون[4] بالآخرة[5] ليتأخر عنكم العذاب؟ ثم قوله: **أأمنتم**، أي قد أمنتم.

والثاني أنكم كيف أمنتم عذاب الله تعالى وأنتم تنكرون البعث لتكون[6] المحنة في الدنيا للجزاء في الآخرة؟ وهم يرون المحنة في الدنيا لأنهم كانوا يزعمون أن من وُسّع عليه النعم[7] في الدنيا فإنما وسع جزاءً لعمله،[8] ومن ضُيّق عليه العَيش فإنما ضيق عقوبة له بما أساء من عمله، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ،[9] فكانوا يعدون التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يقرون بالمحنة في الدنيا. والمحنة تكون[10] من الرجاء والخوف. وقد رجوتم إنزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم أن يُخرج لكم من الأرض ما تتعيشون به وتُرزَقون منه.

---

[1] ر ث م: هناك.

[2] ر ن م: أن يستأذنكم شكر ما أنعم عليكم؛ ث: أن يستأديكم شكر ما أنعم عليكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.

[3] ر ث م: إذا أنكرتم.

[4] ن: لا يقرون.

[5] ن - بالآخرة.

[6] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: النعيم؛ ن - لأنهم كانوا يزعمون أن من وسع عليه النعم. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر: عامه.

[9] سورة الفجر، ٨٩/١٥-١٦.

[10] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

فكيف لا تَحذرون[١] نزول العذاب عليكم من السماء أو إتيانه من الأرض كما رجوتم النفع منهما جميعًا.

والثالث أنكم إذا أنكرتم الرسول وجحدتموه وقد انتهى إليكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل كيف عذِّبوا واستُؤصلوا؛ فمنهم من أهلك بإمطار الحجارة عليه من السماء، ومنهم من أُهلك بالخَسْف بالأرض؛ فكيف أمنتم أنتم[٢] أن يَنزل عليكم ما نزل بهم وقد أوجدتم أنتم وتعاطيتم ما تعاطاه[٣] الذين أهلكوا من التكذيب؟

ثم قوله: **من في السماء**، أراد [به] نفسه تعالى[٤] أخبر أنه[٥] إله السماء، لا على تثبيت أنه في الأرض سواه وعلى النفي أن يكون هو[٦] إلهَ الأرض، بل هو في السماء إله وفي الأرض. وهذا كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[٧] ليس فيه أن النجوى إذا كان بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم. وجائز أن يكون قوله: **أأمنتم من في السماء**، أي أأمنتم من في السماء ملكه وسلطانه ولم تروا[٨] أحدا انتهى ملكه إلى السماء، فكيف تأمنون[٩] ممن بلغ ملكه السماء في معاداتكم إياه وأنتم لا تجترءون[١٠] على معاداة مَلِك من ملوك الأرض الذي لا يجاوز ملكه الأرض هيبة[١١] وخوفا من سلطانه. فكيف تأمنون[١٢] عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا؟

وقوله عز وجل: **فإذا هي تمور**، قيل تَهوِي[١٣] من الأرض[١٤] أبدا إلى أسفل السافلين. وقيل: تمور بأهلها في قعرها على ما كانت من قبلُ تمور على ظهرها قبل أن تُوتَدَ[١٥] بالجبال.

---

[١] جميع النسخ: ما يتعيشون به ويرزقون منه فكيف لا يحذرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.
[٢] ن - أنتم.
[٣] ر م: ما يعطاه.
[٤] ر ث م: بعلى نفسه..
[٥] ر: أنه أخبر.
[٦] ر ث م - هو.
[٧] سورة المجادلة، ٥٨/٧.
[٨] جميع النسخ: ولم يروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: يأمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: لا تجيزون.
[١١] جميع النسخ: تنبيه منه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: يأمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: يهوي.
[١٤] جميع النسخ: في الأرض. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: أن يوتد. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[١٧]

[وقوله تعالى: **أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا**]. والحاصب الحجارة.

وقوله عز وجل: **فستعلمون كيف نذير**، أي ستعلمون[١] نُذُري[٢] الذين أنذروكم بالعذاب أنهم كانوا محقّين فيه ولم يكونوا كاذبين كما زعمتم، أو ستعلمون ما أنذرتكم به[٣] إذا وقع العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[١٨]

وقوله: **ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير**، يذكّرهم حال من تقدمهم[٤] من المكذبين وما حلّ بهم من النكير[٥] ليرتدعوا عن التكذيب فلا يحلّ بهم[٦] ما حل بأولئك. ثم قوله: **فكيف كان نكير**، أي كيف كان إنكاري عليهم أليس وجدوه شديدًا أو حقًا؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن**، قيل: صافات بأجنحتها لا يتحرك منها شيء، ويقبضن فما يمسكهن إلا الله تعالى في الحالين جميعًا أعني القبض والبسط. وقال في آية أخرى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ،[٧] والجوّ هو الهواء. ثم قوله: لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ،[٨] أي لآيات للمؤمنين على الكفرة. وهكذا شأن الآيات: إنها جعلت آيات للمؤمنين والأولياء على الكفرة والأعداء، لأن الكفرة إنما[٩] تصل[١٠] إليهم الآيات على ألسن الرسل والأنبياء والأولياء، فجعلت الآيات آياتٍ للمؤمنين ليحتجوا بها على أهل الكفر.

---

[١] جميع النسخ + حال. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.

[٢] ن: ندري.

[٣] ر م: ما أريدكم به؛ ن: أنذركم به؛ ث: ما أنذروكم به.

[٤] ن: يقدمهم.

[٥] ر ث م – من النكير.

[٦] ن: لهم.

[٧] سورة النحل، ٧٩/١٦.

[٨] ر ث م – والجو هو الهواء ثم قوله لآيات لقوم يؤمنون.

[٩] جميع النسخ: أنهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ن: يصل.

ثم الهواء ليس بمكان يُمسِك ما عليه من الأشياء مثل السماء والأرض فيما أنشئتا عى حد يمسكان الأشياء ويَقِرّ عليهما الخلائق. وإذا كان كذلك فإن الله[1] تعالى بلطفه أمسك / الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء. ومن قدر عى إمساك الطيرِ مع ثِقَله[2] وتقريره في مكان لا يَقر فيه الأشياء لَقادر عى ما يشاء. [٨٢٨و]

ثم في هده الآية إنباء[3] أن لله تعالى في أفعال الطير صنعًا وتدبيرا عى ما يشاء، لأن الفعل الذي يوجد من الطائر الطيرانُ إذا طار والوقوفُ إذا قَبض، ثم أضاف فعل الإمساك وكل ذلك إلى نفسه.

وذكر عن جعفر بن حرب في قوله: مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ،[4] أن الإمساك كناية عن التعليم وعبارة عنه،[5] لأنه قد يعبَّر بالإمساك عن التعليم، يقول الرجل لآخر فيما يُعلّم الرماية: أمسكت عى يده حتى رمى، فيريد به أي توليت تعليمه الرماية؛ فقوله: مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، أي ما يُعلّم إمساكهن[6] وقت الطيران إلا الله تعالى[7] وكذلك وقت القبض.

والجواب عن هذا أن القائل يقول: أمسكت عى يده حتى رمى، إنما يستجيز[8] إطلاقَ هذا[9] اللفظ من نفسه إذا وُجد منه فعل الإمساك في وقتِ ما يَهُمّ[10] الرامي بالرمي[11] وأما إذا لم يوجد منه[12] في ذلك الوقت فعلُ الإمساك لم يستقم أن يقول: أمسكت عى يده وإن كان هو[13] الذي علّمه[14] الرمي. ألا ترى أن من علّم آخر الخِياطة حتى اهتدى الخياطة إذا خاط ثوبا لم يَستجز[15]

---

[1] ن: فالله.
[2] ر ث م: مع وقفه؛ ن – مع ثقمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.
[3] ر م – إنباء.
[4] ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٩).
[5] ن: أن الإمساك عبارة عن التعليم وكناية عنه.
[6] ث + إلا الله.
[7] ث – إلا الله.
[8] جميع النسخ: إنما يستخبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – هذا.
[10] ر ث م: فألهم.
[11] ر ث م: بالرامي.
[12] ث + ذلك.
[13] ن: فهو.
[14] ث: عمله.
[15] ر ث م: م يستجر.

أستاذُه [من نفسه][1] أن يقول: أنا[2] الذي جطْته وإن كان هو الذي علّمه الخياطة؛ وكذلك من بنى[3] بناء لم يستقم من أستاذه[4] أن يُضِيف فعل البناء إلى نفسه فيقولَ: أنا الذي بنيته، ويريد به أنا الذي علّمته. وإذا لم يستقم هذا بطل أن يضاف فعل[5] الإمساك إلى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى التعليم. فلو كانت الإضافة إليه من حيث التعليمُ لجاز أن ينسب إليه فعل الخياطة وفعل البناء والحِياكة فيقالَ: حائط[6] وبانٍ وحائكٌ لأنه هو الذي علّم. فإذا بطل أن ينسب إليه ما ذكرنا من الأفعال وإن كان هو الذي علم الخلق بطل أن ينسب إليه فعل الإمساك من حيث التعليم. *والله الموفق*.

واحتج جعفر بن حرب أيضا في نفي الفعل عن الله تعالى فقال: إن الله تعالى لم يقل: ما خلق طَيَرانهن إلا اللهُ، ولا خلق القبضَ إلا الله، وإنما قال: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ﴾، فثبت أنه لا صنع له في الإمساك، وبانَ أن الذي أضيف إليه من الإمساك هو على الوجه الذي ذكرنا.

فالجواب عن هذا أن الأمة فهمت من قوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ﴾، ما يفهم من قوله ما خلق طيرانهن وقبضهن إلا الله، إذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق، وإذا كان كذلك فلا فرق بين أن يضيف الخلق نفسه وبين أن يضيف فعل الإمساك. ثم لو ذكر الخلقَ مكان الإمساك أمكن جعفر[7] أن يتأول[8] في الخلق ما تأول في الإمساك فيقولَ: معنى قوله: خلَق[9] طيرانهن، أي علّم طيرانهن وقوّاهن على الأسباب التي بها[10] يطرن[11] فلا[12] يتهيأ لله تعالى على قوله أن يُثبت لخلقه[13] ويقرر[14] عندهم خلق شيء من الأشياء.

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٣و.
[2] ر: أن.
[3] ر: من نبأ؛ م: من بنـ.
[4] ن: من أستاده.
[5] جميع النسخ: فبى. والتصحيح من مرجع السابق
[6] ث: حائط.
[7] ر ن م: جعفر
[8] ن: ما تأول.
[9] ث – خلق.
[10] ر م – بها.
[11] ر ن م: يطير.
[12] جميع النسخ: فلان. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: لحقهن.
[14] ر ن م: وتقرر.

ثم الأصل أن الآيات المذكورة في القرآن إنما ذكرت لإثبات أوجه خمسة. **أحدها** في تثبيت القدرة على البعث. وهي لا تُثبت[1] القدرة ولا توجب[2] القول بالبعث على قول المعتزلة. وذلك أن الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال: أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ،[3] وقال: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[4] فاحتج بأمر الابتداء[5] على تثبيت القدرة على الإعادة. وليس فيه ما يثبت القدرة[6] على الإعادة عندهم لأنهم نَفَوا خلق الأفعال عن الله تعالى مع إقرارهم أن الله تعالى هو الذي ابتدأ الخلائق وهو الذي أنشأهم.[7] ولم يكن في إثبات القدرة على خلق الأعيان إثبات قدرة منه على خلق الأفعال وإن كان خلق الأفعال دون خلق الأنفس، فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الإعادة وإن كان أمر الإعادة أيسر من الابتداء؟ مع أن آثار الخلق في أفعال العباد وإثباتَ التدبير فيها أوجد منه في أمر البعث. وذلك أنك تجد من الأفعال أفعالا هي مؤذية لأهلها متعبة[8] مؤلمة، ومعلوم بأن قصد أربابها أن يتلذذوا بها ويتمتعوا بها. فثبت أن لغيرهم فيها[9] تدبيرًا وصنعًا حتى صارت كذلك. ولأنه يوجد في أفعالهم أحوال لا يبلغها أوهامهم ولا يقدّرها عقولهم، لأن الفعل يأخذ من الجو والمكان والوقت مالا يقدّره الأوهام ولا يبلغها العقول. فثبت أن لغيره فيه صنعًا وتدبيرًا. ولأن فعله يخرج على قبيح وحسن لا يبلغ[10] علم فاعله أنه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا، لو أراد أن يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يخرج كذلك. فكل ما ذكرنا يبيّن[11] أن جميع أفعالهم على ما هي عليها ليست لهم. ثم مع ذلك أنكروا أن تكون[12] الأفعال من جهة الخلق لله تعالى و لم يظهر شيء من أمارات البعث ولا وُجد فيه التدبير.

---

[1] ن: لا يثبت.

[2] ن: ولا يوجب.

[3] سورة يس، ٧٧/٣٦.

[4] سورة الروم، ٢٧/٣٠.

[5] ر م: فاحتج بالابتداء.

[6] ر ث م - على تثبيت القدرة على الإعادة وليس فيه ما يثبت القدرة.

[7] م: أنشأكم.

[8] ح: متعة.

[9] ر م: فيه.

[10] ن: لا يعلم.

[11] ر ن م: تبين.

[12] جميع النسخ: أن يكون.

فصارت الكفرة في إنكارهم أمر البعث أعذرَ من المعتزلة في إنكارهم خلقَ الأفعال. ولم يوجب
[٨٢٨ظ] القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة / على إنشاء البعث والإعادة بعد الإفناء، فثبت أن ليس في الآيات التي جمعها الله تعالى دلالةُ إثباتِ البعث على قولهم.

**والوجه الثاني** في تثبيت[1] الوحدانية وجَعْلِ دليل وحدانيته[2] تُوحّده بخلق الأشياء وتفرّده بإنشائها. ألا ترى إلى قوله تعالى: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[3] وقال: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ.[4] وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق الأشياء بل أكثر خلق الأشياء كان بالعباد لا بالله تعالى. وإذا لم يوجد منه التوحد والتفرد بخلق الأشياء ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع ووحدانية الرب، وإذا كان كذلك لم تثبت[5] وحدانية الله تعالى على قولهم من الوجه الذي[6] جَعَله دليلَ الإثبات.

**والوجه الثالث**[7] وهو أن الآيات ذُكرت في إثبات حكمة الله تعالى وجَعْلِ دليلِ حكمته خلقَ السماوات والأرضين[8] وغيرهما[9] من الأشياء. ونحن إنما عرفنا خلق السماوات والأرضين بما شاهدناهما مجتمعَين، والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث، والحادث لابد له من محدِث ولو لا ذلك لم نعرفه ولا يثبت لنا خلقهما. وعلى قول المعتزلة: الجمع والتفريق لا يدل على الخلق لأن كل[10] من له القوة يقدر على جمع الأشياء وتفريقها. والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرِّق لقولهم بالمتولّدات،[11] فمن استحكمت قوته أمكنه جمع الأشياء القوية[12] ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما تنتهي[13] إليه قوته. وإذا كان كذلك

---

[1] ر ث م: ولوجه الثاني تثبيت.
[2] ر م: وحدانية.
[3] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).
[4] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩١).
[5] جميع النسخ: لم يثبت. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٣ظ.
[6] ث + ذكرنا.
[7] ن + جعله دليل الإثبات.
[8] ر ن م + بما شاهدنا.
[9] ن: وغيرها.
[10] ن – كل.
[11] ر م: بالمتوالدات.
[12] ر م: بقوته.
[13] جميع النسخ: ما ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.

لم يتبين عند الخلائق على قولهم أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرضين، إذ خلقهما لا يعرف إلا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز تحققه[١] لا بالله تعالى. وجائز أن يكون الله تعالى أقدر ملكا من ملائكته وقوّاه على خلق السماوات والأرض، وإذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا أن الله تعالى هو الخالق لهما. فبطل أن يكون في خلق السماوات والأرضين وفي خلق سائر الأشياء دلالةُ حكمته وقدرته ووحدانيته، وقد جعل الله تعالى خلقهما دلالة لهذه الأوجه التي ذكرناها. والثاني أنه جعل إتقان الأشياء وإحكامها عَلَما لحكمته، وقد يقع الإتقان والإحكام للأشياء لا به؛ ثم لم يجعل الله لشيء مما أتقن وأحكم عَلَما يتميز من بين ما أتقنه غيره وأحكمه، فصار الإتقان والإحكام غير دال على حكمته، بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتهيأ له تمييز[٢] ما صار به متقِنا وما بغيره صار كذلك. ولأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وتبيين[٣] ما له[٤] مما ليس له. ومن قولهم: إن الله تعالى أعطى الكافر قوة الإيمان ولم يُبق في خزائنه ما جُعل سببًا يُتوصَّل به إلى الإيمان إلا وقد أعطاه مع علمه أنه لا يؤمن به. وهذا من أعظم الجهل وأبيَنِ السفه في الشاهد؛ لأن المرء إذا قام بسقي أرض وعمارتها بالكِراب والثَّنايا[٥] وألقى البذَرَ فيها مع علمه أنها لا تُنبت[٦] شيئًا عُدّ ذلك منه سفها وجهلا، والسفيه لا يصلح أن يكون إلهًا حكيمًا. وقال تعالى: هو ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾؛[٧] وعلى قول المعتزلة قد[٨] خلق غيرُه الحياة والموت جميعًا؛ لأن القتيل[٩] ميّت بالاتفاق، ثم لا يجعل أهل الاعتزال لله تعالى في موته صنعا ويزعمون أنه مات قبل أجله. فإذا قدر غيره على الإماتة ويقدر غيره[١٠] أيضًا على الإحياء بالأسباب

---

[١] ر ث م – تحققه.

[٢] ر م: تميز.

[٣] ن ث: ويتبين.

[٤] ن – ما له.

[٥] ر ث م: والثنيا؛ ن: والبنيان. الكِراب: مجاري الماء في الوادي. والثَّنِيّة: طريق العقبة، الطريقة في الجبل. وقيل: هي العقبة أو الجبل نفسه. والجمع: الثَّنايا (*لسان العرب*، «كرب»، «ثني»).

[٦] ر ن م: لا ينبت.

[٧] الآية ٢ من هذه السورة.

[٨] ر ث م: فقد.

[٩] ر م: القتل.

[١٠] ر ث م – غيره.

-لأنه يسقي الأرض والزرع ويكون في سقيه إحياؤها- فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحياة على قولهم بل يشْرَكُه غيره في خلق الأشياء، فيبطل امتداحه على قولهم نفسَه بأنه خالق الأشياء.

**والوجه الرابع** أنه احتج بعلمه بأفعال الخلق بخلقه تلك الأفعالَ وذلك قوله: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ،[1] وهم قد نفوا الخلق عن الأفعال. وإذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الآيات التي فيها[2] إثبات العلم لا تثبت على قولهم ويكون فيه كذبٌ[3] في الخبر. تعالى الله عن ذلك.

**والوجه الخامس** أنه سمى نفسه محسنا منعما وأثبت إحسانه وإنعامه بآيات احتج بها على خلقه. وما من نعمة أنعم بها العباد إلا وقد كانوا لها مستوجِبين على الله تعالى [على قول المعتزلة]، فيصير الله تعالى[4] بإعطائهم ذلك قاضيًا ما عليه من الحق بالنعمة. ومن قضى آخر حقا[5] كان عليه لم يصر به منعما مفضّلا وإنما صار قاضي حق، فصارت الآيات التي فيها إثبات النعم غير مثبتة[6] على قولهم. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقوله عز وجل: **إنه بكل شيء بصير**، أي بكل شيء لَطُف أو جلّ أو استتر أو ظهر أو اختلط بغيره أو تميّز فهو بصير يُبلغه إلى أجله الذي ضرب له ويأتيه بالرزق الذي قدَّر له؛ أو بصير بأفعال الخلق ما كان وما يكون لأنه ذكر [هذا][7] على إثر ذكر الأفعال وهو قوله: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ.[8] ثم في قوله: **إنه بكل شيء بصير**، ترهيب وترغيب وإلزام المراقبة والتيقظ والتبصر. وكذلك في قوله: إنه على كل[9] شيء حفيظ[10] وبكل شيء عليم،[11] لأن مَن علم أن عليه حافظا ورقيبا[12] يعلم بكل شيء يتعاطاه فهو لا يتعاطى إلا المحمود من الفعال والمرضيَّ منها.

---

[1] الآية ١٤ من هذه السورة.

[2] ن: بها.

[3] جميع النسخ: لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٣ظ.

[4] م - فيصير الله تعالى.

[5] ر م: ومن قضا آخر ما كان؛ ت: ومن قضا آخر كان.

[6] ر ت م: مبينة.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.

[8] الآية ١٣-١٤ من هذه السورة.

[9] ر م: وكذلك إنه بكل؛ ن ت: إنه بكل. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ (سورة هود، ١١/٥٧. وانظر: سورة سبأ، ٣٤/٢١؛ وسورة الشورى، ٤٢/٦).

[11] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٢٩، ٢٣١، ٢٨٢.

[12] م: رقيبا وحافظ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [٢٠]

وقوله عز وجل: **أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن**، / فهذا صلة قوله: [٨٢٩و] أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ، وقوله: أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا،[١] ثم قال: **أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن**، إذا خسف بكم الأرض وأرسل عليكم حاصبًا من السماء؟ وجائز أن يكون على التقديم والتأخير فيكون معناه: أمن هذا الذي هو جند لكم من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله إن حل بكم؟ أو يكون قوله: **أمن هذا الذي هو جند لكم**، يدفع عنكم العذاب من دون الله إذا حل بكم؟ وجائز أن يكون أريد بالجند آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لتنصرهم[٢] ويَعِزّوا بها. قال الله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا،[٣] وقال: وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ.[٤]

ثم هم قد علموا أنها لا تقوم بنصرهم ولا يدفع الذل عنهم فيَعِزّوا بها، لأنهم كانوا يفزعون إلى الله تعالى عندما يحل بهم الشدائد والذل، كما قال الله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[٥] ويتركون الفزع إلى آلهتهم لعلمهم أنها لا تُعزّهم[٦] ولا ينصرهم. فذكّرهم في حالة الأمن ما قد عرفوا وقوعه في حالة الخوف لينقلعوا عن عبادة الأصنام ويُقبلوا على عبادة رب الأنام ليدفع عنهم الشدائد والأهوال والآلام[٧] إذا حلّتا[٨] بهم[٩] من خاص أو عام ويقوم بعزهم إذا لحقهم الذل.

وقوله عز وجل: **إنِ الكافرون إلا في غُرور**، أي اغتروا في عبادتهم آلهتهم لتقوم[١٠] بنصرهم وعزهم مع ما علموا أنها لا تدفع[١١] عنهم شدة ولا تُحصّل[١٢] لهم عزا.

---

[١] الآية ١٦ و ١٧ من هذه السورة.
[٢] جميع النسخ: لينصرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.
[٣] سورة مريم، ٨١/١٩.
[٤] سورة يس، ٧٤/٣٦.
[٥] سورة الزمر، ٨/٣٩.
[٦] جميع النسخ: لا يعزهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م: والآم؛ ث - والآلام.
[٨] جميع النسخ: إذا حلت. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: لهم.
[١٠] ر م: ليتقوم؛ ن: ليقوم.
[١١] جميع النسخ: لا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: ولا يحصل.

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **إن أمسك رزقه**، هم كانوا يرجون رزقهم من السماء والأرض، فيقول: من الذي يرزقكم إن لم يرسل عليكم من السماء مطرا ولا ذَلّل لكم الأرض لنبات؟ وقد علموا أيضا أن لا رازق لهم غير الله تعالى لأنهم كانوا[١] يفزعون إليه بالسؤال لرزق عندما يُبتَلَوْن بالقحط والجُدوبَةِ، فذكّرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يكفروه. ثم قوله عز وجل: **بل لَجّوا في عتو ونفور**، فالعاتي هو المارد الشديدُ السفهِ. فكأنه يقول: **لَجّوا** وعتَوا في قبول الحق وتمادَوا[٢] في طغيانهم ولم يتذكروا ولم يراقبوا الله تعالى ولم يشكروا له، بل نَفَروا[٣] عن قبول[٤] ذلك كله.

فقوله: أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ،[٥] وقوله: **أمن هذا الذي يرزقكم**، يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها على التخويف والتهويل، والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه أحلامهم، والثالث على البِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وبإجابة دعوته على أهل الكفر. فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الأحلام ما ذكرنا أنهم قوم[٦] كانوا يعبدون الأصنام لتنصرهم وتُعزّهم في الدنيا وليبتغوا بها[٧] الرزق من عندها، إذ هم كانوا لا يؤمنون بالبعث ليطلبوا بعبادتها عزَّ الآخرة والنصرَ فيها وإنما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا. ثم هم في الدنيا كانوا إذا نزلت بهم الشدة والفزع تضرعوا إلى الله تعالى كما قال:[٨] وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٩] ولم يكونوا يفزعون إلى أصنامهم، فكيف اتخذوها جندًا ينصرهم عند النوائب وقد أحاط علمهم أنها لا تنصرهم ولا تغني[١٠] عنهم من عذاب الله شيئا؟ فيكون فيه تسفيهُ أحلامهم وتنبيه[١١] ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى ويدعَوهم إلى عبادة من يملك دفع الشدائد عنهم إذا حلت بهم.

---

[١] ر ث م – كانوا.
[٢] م: وتماردوا.
[٣] جميع النسخ: بعدوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.
[٤] ر م + الحق.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ث – قوم.
[٧] جميع النسخ: لينصرهم ويعزهم في الدنيا وليبتغوا به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م – كانوا إذا نزلت بهم الشدة والفزع تضرعوا إلى الله تعالى كما قال.
[٩] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.
[١٠] جميع النسخ: لا ينصرهم ولا يغني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ + من عذاب الله. والتصحيح من المرجع السابق.

وأما وجه التخويف فهو أنه يجوز أن يكون قيل لهم هذ عندما ابتُلوا بالشدائد وضيق العيش فيقول لهم: استنصروا من آلهتكم واسألوا الرزق من عندهم، هل يملكون لكم رزقا أو يدفعون عنكم ذلا وهل يقوون على نصركم؟

وجائز أن يكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وبإجابة دعوته. وقد وُجد النصر[١] له[٢] لأنه غلب عليهم يوم فتح مكة و لم يتهيأ لأهلها أن ينتصروا، بل غُلبوا وقُهروا وفازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر؛ وابتُلوا أيضا بالقحط والسِنِينَ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استكانوا ولانُوا وتضرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فدعا لهم بالسعة[٣] حتى رفع الله عنهم القحط.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**، ففي هذه الآية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويلٌ وتعريفُ حالٍ هي على خلاف ما هم عليها في الحال. ثم ذكر الصراط في الذي يمشي سويا و لم يذكر الصراط في الذي يمشي[٤] مكبا فهو على الإضمار، كأنه يقول: أفمن يمشي مكبا على غير الصراط أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم،[٥] فيكون [في][٦] هذا تذكير وتنبيه وتسفيه لأحلامهم؛ لأن الذين[٧] آثروا الإيمان وسلكوا طريقه فإنما سلكوا بالحجج والبراهين، والذين آثروا الكفر آثروه من غير حجة بل حيرتهم وسفههم هما[٨] اللذان دَعَواهم إلى التزام الكفر والتدين[٩] به، ومن آثر الحياة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه. وجائز أن يكون قوله: **أفمن يمش مكبا على وجهه أهدى**،

---

[١] ن: النصرة.

[٢] ر ث م - له.

[٣] جميع النسخ: حتى استكانوا ولانوا وتضرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حتى دعا لهم وابتلوا أيضا بالقحط والسنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤ظ.

[٤] ر ث م - سويا و لم يذكر الصراط في الذي يمشي.

[٥] ن: الصراط المستقيم.

[٦] الزيادة من المرجع السابق.

[٧] م: لأن الذي.

[٨] ر ث م: هاهنا.

[٩] ر ث م: والتدبر.

[٨٢٩ط] / أي أهدى طريقا أم الذي يمشي سويا على صراط مستقيم. وحق هذا الكلام أن يقال: بل الذي يمشي[1] على صراط مستقيم هو الأهدى من الذي يختار الطريق المعوج الزائغ عن الرشاد. فيكون في الوجه الأول معنى التخويف والتذكير[2] والتنبيه جميعًا، وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه. وقولنا بأن فيه تعريفَ حال خلافِ الحال التي هم عليها أن كل واحد من الفريقين، أعني به أهل الإسلام وأهل الكفر، يزعم أنهم على الهدى والفريق الآخر على الضلال. وإذا اتفقت الدعاوَى على تضليل أحد الفريقين ثم لابد أن يكون جزاء الضال[3] غير جزاء المهتدي وجزاءُ الولي غيرَ جزاء العدو، ثم الدنيا تمر[4] على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من تثبيت دار أخرى والقولِ بها للجزاء. فيكون فيما ذكروا إيجابُ القول بالبعث والإقرار به. فهذا الذي ذكرنا هو[5] يعرِّفهما خلافَ الحالة التي هم عليها. ولأن الذي يمشي مكبا على غير الطريق هو[6] الأعمى الذي لا يُبصر [و]المُقْعَد الذي لا يَقْوَى على المشي، والذي يمشي سويا على صراط مستقيم هو الذي ليست به زَمانةٌ ولا به[7] عَمًى يمنعه عن الصراط. فيكون قوله: **يمشي مكبا على وجهه**، هو الأعمى والذي **يمشي سويا على صراط مستقيم**، هو السميع البصير. فيكون معناه ما قال في سورة هود: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا.[8]

**﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**، فهذه الآية صلة قوله: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، وصلة قوله: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا،[9] وقوله: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا.[10] ثم في ذكر الإنشاء وجَعْل السمع

[1] ر ث م: مشى.
[2] ر ث م - والتذكير.
[3] ر م: الضلال.
[4] ر م: ثم.
[5] ن - هو.
[6] ن: وهو.
[7] ث + هو.
[8] سورة هود، ٢٤/١١.
[9] الآية ٢ والآية ٣ من هذه السورة.
[10] الآية ١٥ من هذه السورة.

والأبصار و لأفئدةِ تذكيرُ قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والائه[1] وتعاليه عن الأشباه والأمثال. فوجه تذكير[2] القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة "المرسلات" وفي سورة "والسماء والطارق".[3] وسنذكر طرفا من ذلك[4] هاهنا بعون الله تعالى وتوفيقه.

فنقول بأن الله تعالى أنشأنا في أظلم مكان وأضيق موضع بحيث لا ينتهي إليه تدبير البشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم، لأن علم الخلق لا يجد نَفاذا في الظلمات وكذلك حكمتهم. ثم إن الله تعالى أنشأه في تلك الظلمات كيف شاء وأجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشيء ليُعلّم به أن علْمه بالخفيّات من الأمور كعِلمه بما ظهر منها ويَعرفَ الخلائق أنه[5] لا يخفى عليه شيء فيدعوهم ذلك إلى المراقبة في كل ما يُسِرّون وما يعلنون. ويوجب ما ذكرنا نفي[6] تقدير قوته وعلمه وسلطانه بقوى البشر وعلومهم وسلطانهم، فيكون فيه انفتاح عن الشُّبه التي اعترتْ منكري البعث في أمر البعث و[التي] تحملهم[7] على الإيمان به إذا أمعنوا النظر فيه؛ وليعلموا أن من بلغت حكمته ما ذكرنا لا يجوز أن يخلقهم سُدًى لا يخاطبهم ولا ينهاهم بل يتركهم[8] هَمَلا.

وأما وجه تعاليه عن الأشباه والأشكال [ف]هو أنه [حيث][9] أنشأ الخلق في أظلم مكان وأضيقه كان فيه إبانة أنه لا يوصف[10] بالكون[11] في ذلك المكان الذي ظهر فيه آثار فعله؛ لأنه في وقت ما خلق عَمْرًا[12] في بطن أمه[13] فقد خلق زيدًا في ذلك الوقت[14] في بطن أمه،

---

[1] ن ث م: والاية.

[2] ن: تذكيره.

[3] انظر قوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مَهين فجعلناه في قرار مكين إلى قَدَر معلوم فَقَدَرْنا فنعم القادرون﴾ (سورة المرسلات، ٢٠/٧٧-٢٣؛ وقوله: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ سورة الطارق، ٥/٨٦-٧).

[4] ث + هذا.

[5] ن: أعلم.

[6] ر ث م: في.

[7] جميع النسخ: في أمر البعث ويحملهم.

[8] جميع النسخ: بل يتركهم.

[9] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٥٥و.

[10] ن: لا يوجب.

[11] ر ث م: ما يكون.

[12] ر م: عمروا

[13] ن - أمه

[14] ر م: لنص

وخَلَق[1] خلائقَ في بطون الأنعام والسباع[2] وبطونِ بنات آدم وأنشأ النبات في الأرضين في ذلك الوقت. ولو كان يوصف بالكون في مكان الفعل لكان إذا أخذ في خلق هذا لا يخلق في ذلك الوقت في أقطار الأرض أمثالَه من الخلائق. فدل أن الفعل ليس يتحصل[3] منه بشهوده المكانَ الذي ظهر فيه فعله، وإنما يكون بما ذكر من قوله:[4] إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[5] وأما سائر الفَعَلة فهم لا يتمكنون من الفعل إلا بشهودهم مكان الفعل. فهذا الذي ذكرناه ينفي[6] عنه شَبَه الخلق ويوجب[7] تعاليَه عن الأشكال.

وفيه تذكير نعمه ومننه على خلقه. ألا ترى أنه قال على إثر هذا: **قليلا ما تشكرون،** ولو لم يكن منعما مُفْضلا لم يكن يستأدي منهم الشكر. ووجه النعمة وهو[8] أنه قدّره في تلك الظلمات وصانه عن الآفات وعن كل أنواع الأذى، وغَذّاه في ذلك الموضع بما شاء من الأغذية، وستره عن أبصار[9] الناظرين وغيّبه[10] عن أعينهم، لأنه في تلك الحال بالمحل الذي يُستعاف ويستقذر منه ولا يمكن أن يُدفع عنه المعنى الذي وقعت به الاستعافة[11] والاستقذار بالتطهير. وأنشأ له السمع والبصر والفؤاد ليصل بها إلى أنواع العلوم والمصالح فلزمهم أن يقوموا بشكر ذلك.

وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لأنهم يزعمون أن الله تعالى لو خلقهم[12] على غير الوجه الذي ظهر لكان جائزا،[13] لأن مِن مذهبهم أنه لا يفعل بهم[14] إلا ما هو أصلح لهم.

---

[1] ر م - خلق.
[2] ث: السباع والأنعام.
[3] ر م: بتحصيل.
[4] ن: قولنا.
[5] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[6] ر: سقي؛ ن: ينتفي.
[7] ر م: وتوجب.
[8] ث - وهو.
[9] جميع النسخ: على أبصار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥و.
[10] ر م: وعيبته؛ ن ث: وعيبة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: الاستعانة.
[12] ر م: لو جعلهم.
[13] ر م: جائزا.
[14] ر ن م: بهما؛ ن: بهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا كان خلقهم هو الأصلح،[١] -ومن شرطه فعل الأصلح- فإذًا صار هو[٢] قاضِيَ حق[٣] وليس لقاضي الحق على المقضيّ موضعُ منةٍ، ولا منةَ بمكانه[٤] ولا نعمةَ يَلزمه[٥] شكرها له.

ثم قوله عز وجل: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**، أي جعل لكم السمع لتسمعوا[٦] ما غاب عنكم ونَأَى / فتعرفونه بالسمع، وأنشأ لكم الأبصار لتُبصروا بها[٧] ما حضر[٨] من الأشياء [٨٣٠و] وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما خَبُث منها وما طاب، وأنشأ لكم أفئدة تدركون[٩] بها حقائق الأشياء ومبادئ الأمور ومآلها وما حل منها وما حَرُم. ثم خص هذه الأشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل إلى العلوم ومعرفة الأشياء. قال الله تعالى: وَاللهُ أَخرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[١٠] ومعناه أنه أنشأ لكم هذه الأشياء لتهتدوا بها وتصِلوا بها إلى أنواع العلوم. فثبت أن هذه الأشياء هي التي يتوصل بها إلى العلم[١١] والحكمة وإلى ما به المصلحة والمنفعة، ولذلك قال: إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً،[١٢] فلو[١٣] لم يقع بها الوصول إلى علم الأشياء لكانت لا تُخَصّ[١٤] بالسؤال عنها.

**﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**، جمع في هذه الآية بين خبرين. أحدهما مما قد نوزع فيه وهو قوله: **وإليه تحشرون**، فإن بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث.

---

[١] وفي الشرح «وإذا كان هذا هو الأصلح» ورقة ٢٥٥و.
[٢] جميع النسخ: هو صار. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ن: الحق.
[٤] ن ث: بمكانة. أي بمكان الإنسان.
[٥] جميع النسخ: يلزمها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ن م: ليسمعوا.
[٧] جميع النسخ: لتبصروا به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن – ما حضر.
[٩] ر ن م: تدركوا.
[١٠] سورة النحل، ٧٨/١٦.
[١١] م: العلوم.
[١٢] سورة الإسراء، ٣٦/١٧.
[١٣] ر م – فلو.
[١٤] جميع النسخ: لكن لا يخص. والتصحيح من المرجع السابق.

والثاني مما لم يقع فيه التنازع وهو قوله: **هو الذي ذرأكم في الأرض**. ثم إن الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الإعادة بقوله: قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،؟[1] وقال: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[2] وإذا جعل لابتداء دليل الإعادة لزمهم أن يستدلوا به. فهو وإنْ ذكره على وجه الجمع لا على[3] وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم.

وقوله عز وجل: **في الأرض**، فيه إخبار أنه خلقهم في الأرض ليشاهد بعضهم خلق بعض في الابتداء فيعلموا أنهم لم يكونوا على الحالة التي هم عليها لمحال، بل كانوا نُطَفا وعَلَقا وأطفالا إلى أن انتهوا إلى الحالة[4] التي هم[5] عليها. فإذا تقرر عندهم أمر الابتداء أوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الإعادة. أو يكون[6] قوله: **في الأرض**، أي أنشأكم وجعل لكم مساكن في الأرض وبسطها لكم لتنتفعوا بها وجعلها لكم كِفاتا، فيكون فيه تذكيره[7] النعمة والقدرة والسلطان.

وقوله عز وجل: **ذرأكم**، أي كَثَّرَكم من أصل واحد، كما قال تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً.[8] ومعلوم بأن الخلق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة، ومن قدر على خلق[9] الأنفس من نفس واحدة لقادر على إعادة ما قد سبق كونه.

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، فقولهم هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام أن يجيبهم بالجواب الذي يليق من الحكماء ولم يأذن له أن يجازيهم باستخفافهم إياه باستخفاف[10] مثله فقال:

---

[1] سورة يس، ٣٦/٧٨-٧٩.
[2] سورة الروم، ٣٠/٢٧.
[3] ر م – وجه الجمع لا على.
[4] ر ش م: على الحالة.
[5] ر م – هم.
[6] ن: ويكون.
[7] ن: تذكره.
[8] سورة النساء، ٤/١.
[9] ر م: حق.
[10] جميع النسخ: ستخفاف. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٥ظ.

**﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢٦]**

**قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين،** يبين[١] لهم أنه لا ينذرهم إلا بالذي أمره به ولا يبلّغ إليهم إلا ما قد أنزل إليه وأمر بتبليغه. وفي هذه الآية دلالة نبوته وآية رسالته، لأنه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان محتيقا من تبقاء نفسه لكان يمكنه أن يُحيل ذلك إلى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كَذِبُه[٢] لديهم وهو أن يحيله إلى وقت لا يعيش إلى مثل ذلك الوقت، فإذ لم يفعل بل قال: **إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين،** دلهم ذلك على رسالته وأنه إذا كان رسولا لم يكن له أن يزيد في الرسالة ولا أن يتكلف من عنده فيها زيادة، كما ذكر في قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى،[٣] أن فيه ما يقرّر[٤] رسالته عندهم من الوجه الذي نذكر[٥] في تلك السورة إن شاء الله تعالى. وقوله[٦] عز وجل: **وإنما أنا نذير مبين،** أي لا أزيد في الإنذار على القدر الذي أُمرتُ به.

**﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾[٢٧]**

وقوله: **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا،** جائز أن يكون قوله تعالى: **رأوه،**[٧] أي رأوا الذي وُعدوا. وقوله:[٨] **زلفة،** أي قريبة. ثم أَنَّثَ الزلفة لما أريد بها الأحوال التي تكون[٩] في ذلك اليوم من الأهوال والشدائد، ويكون قوله: **رأوه،** كناية عن ذلك اليوم، فَذَكّر لأن اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التأنيث لأنها كناية عن الأهوال التي تكون[١٠] في[١١] ذلك اليوم. وجائز أن يكون قوله: **زلفة،** أي[١٢] رأوا تلك الأهوال والشدائد قريبة عن الأوقات التي وُعدوا فيها فعلموا أنها كانت قريبة منهم وإن كانوا يستبعدونها في هذا اليوم.

---

[١] ن: تبين.
[٢] ن: ولا كذبة.
[٣] سورة عبس، ١/٨٠.
[٤] ر م: ما تقدر؛ ن ت: ما يقدر.
[٥] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٥ظ.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ت م + زلفة.
[٨] ن: قوله.
[٩] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: يكون.
[١١] ن - في
[١٢] ر م - أي.

وهو كقوله: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا،[1] وقال: وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.[2] وكذلك إذا رأوا شدائد ذلك اليوم وأهواله علموا أن الوقت الذي كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبًا منهم. وقوله عز وجل: **سيئت وجوه الذين كفروا**، فسيئت من ساءت. أي ساءت وجوههم. أي قبحت[3] وجوههم[4] بتغير ألوانها.

وقوله عز وجل: **وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعون**، قال أبو بكر الأصم: معناه تمنعون[5] وتدفعون،[6] كقوله تعالى: فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ،[7] وقوله: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[8] [٨٣٠ظ]
أي دفعا. وليس الأمر كما ذكره لأنه لو كان من الدفع والمنع لكان حقه أن تُشدَّد[9] العين لا الدال كما شُدّت في قوله: يَدُعُّ الْيَتِيمَ، فإذا شددت الدال دون العين ثبت أن اشتقاقه ليس من الدَّعّ ولكنه من الإدّعاء إذ الدال هي المشددة. فتأويله –والله أعلم– **هذا الذي كنتم به تدعون**، أي هذا الوقتُ الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدَّعون[10] عليه أنه كاذب في الإخبار. وجائز أن يكون قوله: **تدعون**، أي تَدْعُون،[11] وقد يستعمل الادعاء مكان الدعوة كما[12] يقال: ذَكَر واذَّكَر وخَبَر واختَبَر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**. ففي هذه الآية دلالة أن في حكمة الله مشيئةَ المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الزلات وإيجابَ العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه وأن ليس في الحكمة عفوُ مثله من العقوبة،

---

[1] سورة النازعات، ٤٦/٧٩.
[2] سورة البقرة، ١٦٥/٢.
[3] ن: أو قبحت.
[4] ث: أي ساءت وجوههم وقبحت.
[5] جميع النسخ: يمنعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥ظ.
[6] ر ن م: ويدفعون.
[7] سورة الماعون، ٢/١٠٧.
[8] سورة الطور، ١٣/٥٢.
[9] جميع النسخ: أن يشدد.
[10] ن – أي هذا الوقت الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون.
[11] ن: أي يدعون. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٢؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٩١.
[12] ن: الدعوى فكما.

لأنه قال: **أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا**، فأثبت[1] فيه خيار الإهلاك ومشيئة الرحمة والمغفرة. ومعلوم بأنه يُهلك ومن معه أو يرحم عند ما يُبتلى بالزلات، وكذلك قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[2] فجعل لنفسه مشيئة المغفرة لمن تَوقّى[3] الكفرَ وحَكم بإيجاب العقاب على من أشرك به. والذي يدل على أن الحكمة توجب[4] ما ذكرنا أن الكفر لنفسه قبيح لا يحتمل الإطلاق ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه، لأن من رضي بشتم[5] نفسه فهو سفيه. فعلى ذلك عقوبته لا يحتمل في الحكمة رفعها والعفو عنها؛ أو لما كان الكفر لا يحتمل الإباحة ورفع العقوبة، والإفضال بالمغفرة يخرج مخرج الإباحة لذلك[6] لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو، وسائر المآثم جائزٌ رفع الحرمة عنها. ولأن الكافر اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمه والذي اعتقد الإسلام اختار ولايته. والحكمة توجب[7] التفرقة[8] بين العدو والولي وفي العفو[9] عنه وإكرامِه بالإحسان تسويةُ بين الولي والعدو، وفي ذلك تضييع الحكمة. ولأن الكافر عند نفسه[10] أنه[11] على الحق والصواب وغيره على الباطل والضلال وأنه غير مستوجِب للعذاب،[12] يدلك[13] على ذلك [قوله][14] حكايةً عن أهل الكفر: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[15] فالله تعالى إذا أنعم عليه بالعفو وتَطوّل عليه بالإحسان لم يقع ذلك عنده موقع التجاوز والغفران بل يقع عنده أنه إنما أحسن إليه لاستيجابه[16] الإحسانَ وعفى عنه

---

[1] ن: وأثبت.
[2] سورة النساء، ٤/٤٨، ١١٦.
[3] جميع النسخ: لمن يوقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥ظ.
[4] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[5] ر م: بشيم.
[6] ر ث م: كذلك.
[7] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] م: التفريق.
[9] ن: والعفو.
[10] ر ث م: في نفسه.
[11] ر ث م + يظن.
[12] ن + بذلك.
[13] ر م: يدل؛ ن: بذلك.
[14] الزيادة من المرجع السابق.
[15] سورة سبأ، ٣٤/٣٥.
[16] جميع النسخ: لاستجابة. والتصحيح من المرجع السابق.

لما يسبق منه ما يستوجب به العفوَ.[1] وإذا كان كذلك أدى ذلك إلى تضييع الإحسان وتضييع العفو وإبطال النعمة، فثبت أن الحكمة لا توجب[2] العفو عن الكافر إذ يحصل العفو في غير موضعه. وأما أهل الإسلام الذين سبقت منهم الأجرام فقد علموا أن الذي سبق منهم زلّاتٌ ومآثمُ وأن العذاب قد لزمهم وأنهم مستوجبون للعقاب. فإذا[3] عفا عنهم علموا أنهم إنما نالوا العفو بفضل الله تعالى فيقع الإحسان موقعه. ولأن من أحسن إلى عدوه في الشاهد ولم يقصد بإحسانه[4] إليه قصدَ استدراجه والمكرِ به فهو إنما يُحسن إليه لما يخاف ناحيته ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له. فلو لم يؤاخذ الله الكافر[5] بما تعاطى[6] من الكفر بل أحسن إليه من غير تَبِعَة عليه خرج عفوه وإحسانه إليه مخرج الخوف وإظهار التذلل، والله تعالى يَجِلّ عن هذين الوصفين.[7] فثبت أن الحكمة توجب[8] القول بالتخليد وتمنع[9] القول بالعفو. *والله أعلم*.

وفي قوله: **قل أرأيتم إن أهلكنِيَ اللهُ ومَن مَعِيَ أو رَحِمَنا**، دلالة أن لله تعالى أن يعذب على الصغائر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد عُصموا عن ارتكاب الكبائر فلا يجوز أن يرتكبوا الكبائر فيُهلَكوا لأجلها، فثبت أنهم لو أهلكوا لأهلكوا بالصغائر. فلو لم يكن لله[10] تعالى أن يعذب أهل الصغائر لصار هو بإهلاكه إياه [و]بمن معه جائرًا ظالمًا، وجلَّ الله تعالى عن الوصف بالجور. وقال[11] تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[12] ولو لم يكن لله تعالى أن يعذب على الصغائر[13] أحدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضعُ الامتنان بما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

[1] جميع النسخ: العقاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[2] ر ن م: لا يوجب.
[3] ن: وإذا.
[4] ر م: إحسانه.
[5] ر م: بكافر.
[6] ر م: تعاطا.
[7] ر م: الوجهين.
[8] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من مرجع السابق.
[9] جميع النسخ: ويمنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: الله.
[11] ن + لله.
[12] سورة الفتح، ٢/٤٨.
[13] ر م: عن الصغائر.

ثم الحق أن يقال: إن جميع الخوارج[١] والمعتزلة لا يجوز أن يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكبائر وإنما هذا الرجاء الذي[٢] ذكرنا لغيرهم من منتحلي الإسلام؛ لأنهم يقولون: لا يجوز أن يغفر الله تعالى لأهل الكبائر ولا أن يتطول عليهم بالعفو، بل حق أمثالهم أن يخلدوا في النار أبد الآبدين. وإذا كان هذا هو الحكم فيهم فالله[٣] تعالى إن غفر لهم ومن عليهم بالعفو وقع عندهم أنه إنما عفا[٤] عنهم لأن الذين ارتكبوا من المآثم[٥] لم تكن كبائر[٦] بل كانت صغائر، إذ لا يجوز المغفرة عن الكبائر فيحصل العفو في غير موضعه والإحسان في غير موقعه. وأما غيرهم / من منتحلي الإسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته في كل أيامهم، فإذا تفضل عليهم [٨٣١و] بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الإحسان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ثم قوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي**، أي قل: إن أهلكني الله ومن معي بما سبق من الأجرام والزلات **أو رحمنا**، بما سبق منا من الإيمان به[٧] والانقياد لأمره والخضوع لطاعته، **فمن يجير الكافرين**، أي[٨] أيّ شيء يجير الكافرين من عذابه ولم يسبق منهم إلى ربهم حسنة يرحمون لأجلها ولا طاعة يستوجبون الغفران بها. أو فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى إن حل بهم، فكأنه قيل له: قل[٩] لهم هذا لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن تنصرهم[١٠] من العذاب الأليم.[١١] فيقول لا تجيرهم[١٢] تلك الأصنام من العذاب الأليم.

*والله أعلم.*

---

[١] ر: الجوارح.
[٢] ر ث م - وإنما هذا الرجاء الذي.
[٣] ر ث م: والله.
[٤] جميع النسخ: إنما عفى.
[٥] ن + ثم.
[٦] جميع النسخ: لم يكن كبائرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[٧] ث - به.
[٨] ن - أي.
[٩] ن: كل.
[١٠] جميع النسخ: أن ينصرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن - الأليم.
[١٢] جميع النسخ: لا يجيرهم.

**﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** [٢٩]

وقوله عز وجل: **قل هو الرحمن آمنا به**، فجائز أن يكون معناه إن الذي خلق الموت والحياة وخلق سبع سماوات طباقا وجعل الأرض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن. فيكون فيه إنباء[1] أن خالق السماوات والأرض وخالق الموت والحياة وخالق أفعال العباد وأفعال الطير هو الرحمن جل جلاله. وقوله عز وجل: **آمنا به**، أي آمنا أنه خالق ما ذكرنا وأنه المتعالي عن الأشباه والأمثال والبريء من كل العيوب.[2] وجائز أن يكون **هو**، اسما[3] من أسماء الله تعالى على ما نذكر[4] في سورة الإخلاص، فيكون **هو والرحمن**، اسمين من أسمائه.

وقوله عز وجل: **وعليه توكلنا**، فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوّفه المشركون بأنواع من[5] المخاوف، فقيل له قل: **عليه توكلنا**، أي اعتمدنا هو الذي يدفع عنا شركم وينصرنا عليكم.

وقوله عز وجل: **فستعلمون من هو في ضلال مبين**، فجائز أن يكونوا نسبوه أيضا إلى الضلال وادّعوا أنهم على الهدى ولم ينظروا في آيات الله تعالى ليتيقنوا بها مَن المهتدي منهم ومَن الضالّ، فقال: **فستعلمون من هو في ضلال مبين**، إذا جاءكم[6] بأس الله تعالى، وذلك عند الموت أو في الآخرة.

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾** [٣٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا [فمن يأتيكم بماء معين]**،[7] فهذا صلة قوله: ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾،[8] فيقول أيضا: من الذي يأتيكم بماء معين، إذا أصبح ماؤكم غورًا. والمعين هو الماء الذي يقع عليه العين ويراه[9] البصر. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ن: إثبات.
[2] ر م: من كل عيوب؛ ث: من كل عيب.
[3] ر ن م: اسم.
[4] ر م: على ما ذكر؛ ن ث: على ما يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ن – من.
[6] ر: إذ جاؤكم.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] الآية ٢١ من هذه السورة.
[9] ن ث: وتره.
[10] ر + وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ ث: والله سبحانه أعلم؛ م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القلم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **ن**، اختلف في تأويل[2] ن.[3] فمنهم من يقول: هو الحوت، كقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا،[4] فنسبه[5] إلى النون وهو الحوت، ألا ترى إلى قوله: فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ.[6] ومنهم من يقول: النون هو الدواة. فتأويله هذا على جهة الموافقة، لأنه ذكر القلم وما يُسْطر به، فلم يبق هاهنا سوى الدواة، فحمله على الدواة على الموافقة، لا أن يكون فيه معنى يدل على إرادة الدواة منه. *والله أعلم*. ومنهم من يقول: هي فارسية معرَّبة: أَكْنُونْ[7] كن،[8] أي اصنع ما شئت. يقال هذا عند الإياس أن المرء إذا أَيِس عن آخَرَ قال له:[9] اصنع ما شئت إِذَنْ.[10]

---

[1] ر – سورة القلم؛ ن: ذكر أن سورة ن والقلم مكية؛ ث: سورة ن وهي اثنتان وخمسون آية مكية؛ م: سورة ن والقلم وهي مكية.

[2] ن: في قوله.

[3] ر ث م: نون.

[4] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظلمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).

[5] ث: فنسبه.

[6] سورة الصافات، ١٤٢/٣٧.

[7] جميع النسخ: انون.

[8] ن: كن.

[9] ر م: قاله.

[10] جميع النسخ: إذا.

ومنهم من يقول: هو من الحروف المقطعة. يشبه أن يكون هو المراد، لأنه ذكر القلم وما يُسْطَر على إثره، وإنما تكتب[1] بالقسم وتسطر[2] الحروف المعجمةُ. فأخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بإنشائه هذه الحروف وخَلْقِه القلمَ وما يسطر به،[3] حيث توصل[4] بها إلى تَعرُّف الحكمة وكل ما يكون به[5] المصلحة من الدين والدنيا، بل جعل قوام الدين والدنيا بها. ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسما من أسماء الله تعالى أو افتتاح اسم من أسمائه. وكذلك يروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ذلك.[6] فإن كان النون اسما من أسماء الله تعالى فالقسم[7] به قَسَم بالله تعالى. وإن كان على غيره من الوجوه التي ذكرناها فالقسم[8] جار[9] بما به قوام سائر الخلق ومصالحُهم. وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما يقصد من الأمر.[10] **والله أعلم.**

**﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون**، فموضع القسم هذا، أقسم بما ذكر: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون**، [وهو] يحتمل أوجها. أحدها أي نعمة ربك حَفِظَتْكَ[11] عن الجنون، فنفى عنه الجنون بقوله: ما أنت بما أنعم الله عليك بمجنون. وهذا كما يقال: ما أنت بحمد الله بمجنون، يراد به نفي الجنون. والثاني أنك لست ممن خدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته عن العمل بما له وعليه. والمجنون بالنعمة هو الذي غرته[12] النِعم وألْهَتْه عن التزود للمعاد. أو ما أنت بغافل عن نعمة ربك بل تذكرها[13] وتشكر[14] الله تعالى عليها. والمجنون من غفل عن النعمة وأعرض عن شكرها.

---

[1] جميع النسخ: يكتب.
[2] ر ث: ويسطر؛ ن: وتسطير؛ م وبسطر.
[3] جميع النسخ: عليه.
[4] جميع النسخ: يوصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ن: بها.
[6] عن ابن عباس أنه قال: «الر وحم ون» حروف الرحمن مقطعة (*تفسير الطبري*، ١٩/١٤).
[7] ر ث م: والقسم.
[8] ر ث م: ولقسم.
[9] ر ن م: جاري.
[10] نظر مثلا: تفسير الآية ٧٥ و ٧٦ من سورة الواقعة؛ وتفسير الآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الحاقة.
[11] جميع النسخ: حفظك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[12] ن: عربه؛ م: عربته.
[13] ن: يذكرها.
[14] ن: يشكر.

ثم الكفرة كانوا ينسبونه إلى الجنون، إما لما كان يُغْشَى [عليه][1] لثقل الوحي فكانوا ينسبونه لهذا، وإما لما رأوا / أنه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف أهل الأرض -وفيها الجبابرة والفراعنة- [٨٣١ط] وانتصب لمعاداتهم. ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه في الشاهد جنون. فأجاب الله تعالى للفريقين جميعا. أما الأول بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ،[2] أي كيف ينسبونه إلى الجنون، وعند الإفاقة من تلك الغَشْية يأتيكم[3] بحكمة وموعظة يَعْجَز حكماءُ الجن والإنس عن إتيان مثلها،[4] وليس ذلك من علم المجانين ولا[5] مما يمكن تحصيله في حال الجنون. لأن المجنون[6] إذا أفاق من غشيته تكلم بكلام لا يُعْبَأُ بمثله ولا يُكْتَرث. و[الثاني] أجاب لمن كان نسبه إلى الجنون لِمَا خاطر بروحه ونفسه بقوله: إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فأخبر أن الذي حمله على المخاطرة[7] بروحه وجسده هو أنه مأمور بالتبليغ والنِذارة، فهو يقوم بما أُمر وإن أدى ذلك إلى إتلاف النفس. ثم بحمد الله تعالى لم يتهيأ لفراعنة أن يقتلوه ولا تمكّنوا من المكر به، بل أظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم وردَّ كيدهم في نحورهم، فصار الوجه الذي استدلوا به على جنونه آيةَ رسالته ودلالة نبوته. ***والله الهادي.***

**﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وإن لك لأجرا غير ممنون**، قال[8] الحسن: أي لا يَمُنُّ عليك[9] المنةَ التي[10] تؤذيك ولكن يمن عليك منةَ رحمةٍ وكرامة. والمن المؤذي كما ذكر عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى،[11] فليس لأحد عليك منة تؤذيك.[12]

---

[1] الزيدة من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[2] سورة سبأ، ٣٤/٤٦.
[3] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٥و.
[4] جميع النسخ: مثله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ر م: وإلا.
[6] ث: لمجنون.
[7] ث: لمخاطرة.
[8] ر م: وقال.
[9] ر - عليك.
[10] ث: الذي.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٦٤.
[12] ر م: يؤذيك؛ ن - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فليس لأحد عليك منة تؤذيك.

وقال بعضهم: **غَيْرَ ممنونٍ**، أي غير مقطوع، أي إن أجرك غير مقدَّرٍ بالأعمال حتى تُجزَى[١] بقدر الأعمال، فإذا انقطعت الأعمال انقطع الأجر وانقرض، بل يتتابع عليك ويَدُرُّ. يقال في الكلام: مَنَنتُ الحبل،[٢] أي قطعته. وقال بعضهم: **غيرَ ممنونٍ**، أي غير محسوب، أي لا تُحْسَبُ[٣] عليك النعم فتَفْنَيَ[٤] بفناء[٥] الحساب.

**﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وإنك لعلى خلق عظيم**، خُلُقه العظيم القرآن، ومعناه ما أدّبه القرآن. وذلك كقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ،[٦] وكقوله:[٧] اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٨] وكقوله:[٩] وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ.[١٠] فأخذه بالعفو وأمْره بالعرف وإعْراضه عن الجاهلين ودفْعه[١١] السيئة بالتي هي أحسن وخفْضه الجناح للمؤمنين من أعظم الخُلُق، وتخلَّق بهذا كله بما أدَّبه القرآن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الخُلُق العظيم هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى. وقد استسلم لذلك وسَلِم الناس من لسانه ويده وعن كل أنواع الأذى، وذلك من أعظم الخلق.

والأصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلِّف معاملةَ أعداء الله تعالى[١٢] ومعاملة أولياء الله وأنصاره، وكُلِّف أن يَرفُض الدنيا ويتزهَّد فيها، وكُلِّف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والإنس، وكلِّف معاملةَ نسائه. ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يقم لها إلا بخُلُق عظيم. فرزقه الله تعالى خُلُقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العِشْرة،

---

[١] ر ث م: يجري؛ ن - تجزى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.
[٢] ن: الخيل.
[٣] ن: لا يحسب.
[٤] جميع النسخ: فيفنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: نفي.
[٦] سورة الأعراف، ١٩٩/٧.
[٧] ن: وكقو.
[٨] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[٩] ن: وقوله.
[١٠] سورة الحجر، ٨٨/١٥.
[١١] ن + عن.
[١٢] جميع النسخ + ومعاملة أعدائه. والتصحيح من المرجع السابق.

وحتى عوتب على عظيم خُلُقه بقوله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[١] وبقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ،[٢] وقال: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ،[٣] وقال: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٤] فالذي حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسْنُ خُلُقه وفضل شَفَقَته ورحمته. فعِظَمُ خُلقه أن خُلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله وكادت تَهْلِك فيه. وغيره من الخلائق تَقْصُر[٥] أخلاقهم عن قوى أنفسهم، وأنفسهم تحتمل أضعافَ ما هم عليه من الخلق، وتضيق[٦] أخلاقهم عن ذلك. فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم. *وبالله التوفيق*.

## ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[٥] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون**. قال جعفر بن حرب:[٧] **المفتون** في هذا الموضع هو المفتون بضلالته المُعْجَبِ بخطئه المشغوف[٨] بجهله. وقال الحسن: **المفتون** هو الذي معه[٩] الشيطان. وقيل: **المفتون** من به الفتنة؛ كما يقال: فلان لا معقول له، أي ليس له عقل. وقيل: **المفتون** المعذّب، كقوله عز وجل: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[١٠] أي يعذبون. فكأنه يقول: ستعلمون أيكم المعذب وأيكم الضالُّ، إن حُمل على ما ذكر الحسن، وأيكم المغتر إن كان معناه على ما ذكروا أن المفتون من الفتنة. وجائز أن يكون نسبوه إلى الاغترار فيما كان يدّعي من الرسالة ويزعمون أنه مغتر[١١] بها، ويَغُرّ بها غيرَه، كما قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.[١٢]

---

[١] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٣).

[٢] سورة التحريم، ٦٦/١.

[٣] ﴿فلعلك بَاخِعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٦).

[٤] ﴿أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فطر، ٣٥/٨).

[٥] جميع النسخ: يقصر. والتصحيح من *الشرح*، ٢٥٧و.

[٦] جميع النسخ: ويضيق.

[٧] أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. توفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[٨] ر ن م: المسعوف.

[٩] ر ث م: معه.

[١٠] سورة الذريات، ٥١/١٣.

[١١] ر ن: المغتر.

[١٢] سورة الأحزاب، ٣٣/١٢.

وحق هذا عندنا أن لا نتكلف[1] تفسيره، لأنه قال: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون**. فذكر هذا جوابا عما وقعت فيه الخصومة، فكانوا يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنهم هم المفتونون،[2] فخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة أنهم وأنت ستبصرون. وقد وقعت الخصومات من أوجه.[3]
[٨٣٢و] فمرة كانوا يدّعون أنه ساحر، / ومرة كانوا[4] يدعون أنه مجنون، ومرة بأنه ضال، ومرة أنه[5] مفتون،[6] وغيرها من الوجوه. وإذا ثبت أن الآية نزلت في حق الجواب، فما لم يُعلَم بأن الخصومة فيم كانت لم يعلم إلى ماذا يُصرَف الجواب. ***والله أعلم***. ويشبه أن تكون[7] الخصومة الواقعة في الضلال والهدى، فكانوا يدّعون أنهم على الهدى، وأنهم بالله أحق وإليه أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدّعي أنهم على الضلال، وأنه على دين الحق والهدى. يدل على ذلك ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون، وهو قوله:

**﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧]**

ثم هذه الآيات كأنها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يَحِقُّ[8] لمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن الله تعالى لما امتحن رسوله[9] صلى الله عليه وسلم بالعفو والإعراض عن المكافأة[10] بالجواب تولي الله تعالى الجواب عنه بقوله:[11] **إن ربك هو أعلم**، أي قد تعلمون[12] أن ربكم أعلم **بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**. وسنبين لكم ذلك.

---

[1] جميع النسخ: يتكلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.
[2] ر م: المفتون.
[3] ت: واحد.
[4] ن - كانوا.
[5] ن + أنه.
[6] جميع النسخ: مفتر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[7] ن: أن يكون.
[8] جميع النسخ: يحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: رسول الله.
[10] ر ن م: المكافات.
[11] ر ت م + تعالى.
[12] ن: قد يعلمون.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فلا تطع المكذبين**، وقال في موضع آخر: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا.[١] ليس في قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمر من الله تعالى بأن يطيع المصدقين، لأن[٢] من صدقه وآمن به لا يجوز أن يتقدم بين يديه فيأمره أو ينهاه عن أمر ويدعوَه إلى الطاعة،[٣] بل ينظر إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه فيأتمر بأمره ويطيعه فيما يدعوه إليه. وأما من كذَّبه فقد يدعوه إلى طاعته، فخص ذكرَ المكذِّب عند ما نهاه عن طاعته، لأن الدعاء إلى الطاعة يوجد [من المكذب] لا من المصدق؛ دون أن يتضمن قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمرا بطاعة المصدق.[٤] وهو كقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[٥] فليس فيه أنه إذا لم يخش الإملاق يَسَعُه قتله، ولكنه خص تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت[٦] تحملهم على[٧] القتل ولم يكونوا يُقدمون على القتل عند الأمن من الإملاق. وفي هذا دلالة إبطال قول من قال بأن تخصيص الشيء بالذكر يدل على أن الحكم فيما غايره بخلافه. *والله أعلم*.

وقوله: **المكذِّبين**، هم المكذبون بآيات الله تعالى أو بوحدانيته[٨] أو برسله أو بالبعث.

ثم يجوز أن يكون هذا الأمر منهم في أول الأحوال فكان يَطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجابة لهم فيما يدعونه إليه، إذ كانوا[٩] يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون له من المال، فيكون النهي راجعا إلى ذلك الوقت. فأما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لأمر الله تعالى فلا يحتمل أن يطيعهم أو يُخافَ منه ذلك فيُنْهَى عنه. وجائز أن يكون دعاؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ،[١٠] والمداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول.

---

[١] ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ (سورة الإنسان، ٢٤/٧٦).
[٢] ر ث م - لأن.
[٣] ر: الطعم.
[٤] ر ث: الصدق.
[٥] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[٦] ث - كانت.
[٧] ر م: إلى.
[٨] ن: بوحدانية لله.
[٩] ن: إن كانوا.
[١٠] الآية التالية.

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر آلهتهم بسوء، ويسفههم بعبادتهم إياها، ويسفه أحلامهم ويجهلهم. وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا، وكانوا يتخذونه[1] هزوا إذا رأوه. فكانوا يطعنون فيه من هذه الأوجه بإزاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر آلهتهم بسوء مع علمهم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن. ألا ترى إلى قوله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.[2] فأخبر تعالى أنهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب، بل قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق و لم يكونوا وقفوا منه على كذب قط، وإنما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم إياه هزوا ذكرُ آلهتهم بسوء. وكذلك قال: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[3] أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ،[4] فكانت معاملتهم هذه مجازاةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون**، يخرج على هذا -إن شاء الله تعالى- هو أنك لو تركت ذكر آلهتهم بسوء و لم تُسفِّه[5] أحلامهم لامتنعوا أيضا عما هم عليه من نسبتهم إياك إلى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك. ولكنه كان يذكرهم بما يذكرهم[6] وهو في ذلك محق،[7] وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور. فيكون قوله: فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ،[8] فيما يدعونك إلى المداهنة. ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم محقين، فإذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنته[9] محقا، فبذلك نهي عن المداهنة. وقال بعض المفسرين:[10] **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون،**

---

[1] ن - إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا وكانوا يتخذونه.

[2] سورة الأنعام، ٣٣/٦.

[3] ن - ذكر آلهتهم بسوء وكذلك قال وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا.

[4] سورة الأنبياء، ٣٦/٢١.

[5] ر ن م: يسفه.

[6] ر ث م - بما يذكرهم.

[7] ر: محق.

[8] الآية السابقة.

[9] جميع النسخ: في مداهنتهم.

[10] ن - المفسرين.

أي لو تَرْفُضُ ما أنت عليه من الدين ويرفضون ما هم عليه من الدين.[١] وهذا لا يستقيم، لأنه إذا رفض ما هو عليه من الدين كفر،[٢] وهم لو تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين، فيبقى بينهم الاختلاف الذي لأجله[٣] دعوا إلى المداهنة ووَدُّوها.

**﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[١٠] ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١١] ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ولا تطع كل حلاف مهين**. قيل: إن[٤] هذه الآيات نزلت في واحد يشار إليه، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.[٥] وفيما يشار إلى واحد لا يطلق فيه لفظة "كل"، فيقال: **ولا تطع كل حلاف مهين**، والحلاف المهين ليس إلا الواحدَ. ولكن معناه لا تطع هذا، وكلَّ من يوجد فيه هذه الصفة.

ثم ذِكرُ المرء بقوله: **حلّاف مهين همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم**، / يخرج مخرج الهجاء والشتم[٦] في الشاهد، لأن ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوئ تهجين له وشتم. وجلَّ الله ورسوله أن يقصدوا إلى شتم إنسان. فالآية ليست في تثبيت فواحشه، وإنما هي في موضع التوبيخ والزجر عن اتباع مثله. وذلك أنه كان من رؤساء الكفرة وممن بُسطت عليه الدنيا، فكان القوم يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم[٧] إلى الصد عن سبيل الله. فذكر الله تعالى فيه[٨] هذه الأشياء، وأظهرها للخلق ليُزَهِّدهم عن اتباعه، إذ كل من كانت فيه هذه الأحوال لم تَسْتَحْ[٩] نفس عاقلٍ لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعةَ مثله، فلا يتمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى. فكان في ذكره بالعيوب التي ذكرها زجرُ الناس عن طاعته، [٨٣٢ظ]

---

[١] ر ث م – ويرفضون ما هم عليه من الدين.
[٢] ن: كفروا.
[٣] جميع النسخ: + ما.
[٤] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٦و.
[٥] أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن المخزومي القرشي، (ت ١هـ/٦٢٢م)، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش كلها. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هَرِم، فعاداه وقاوم دعوته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (*الأعلام* للزركلي، ٤/٩٥).
[٦] ر – والشتم.
[٧] ن – هم.
[٨] ن فيه.
[٩] ر ن م: م تسنح. لم تسنح: أي لم تمكن ولم تتيسر لنفس عاقل.

فذكرها لإثبات هذا الوجه، لا أن تكون فائدتها على تحصيل الشتم والهجاء. وكذلك ذِكرُ[1] أبا لهب بالتَّبِ والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجُر[2] الناس عن اتباعه. وفي هذه الآية[3] دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي نذكره[4] في سورة "تبت" إن شاء الله تعالى. ثم قيل **المهين**، من المَهانة ومن المِهنة ومن الوَهْن، وهو الضعف.[5] ثم قوله: **همَّازٍ مشَّاءٍ بنميم منّاعٍ للخير مُعتدٍ أثيم**، جائز أن يكون استوجب المهانة لكونه همازاً[6] مشاء بالنميم ويمنعه[7] الخير واعتدائه. فيكون هذا كله تفسير المهين. فإن كان هكذا فقوله المهين من المَهانة هاهنا. ثم لا يجوز[8] أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخشَى عليه طاعة مَنْ هذا[9] وصْفُه وإن يميل قلبه إليه. ولكن النهي لمكانِ غيرِه، وإن كان هو المشارَ إليه بالذكر. وجائز أن يكون قوله: **كل حلاف مهين**، تمام[10] الكلام ويكون قوله **هماز مشاء بنميم**، عىى الابتداء، فكأنه يقول: لا تطع كل حلاف مهين وكل[11] هماز مشاء بنميم، وكل معتد أثيم، وكل عتل زنيم.[12] وتفسير الهَمْز[13] يذكر في تفسير "سورة الهمزة" إن شاء الله تعالى. والمشّاء بالنميم[14] هو الذي يسعى في الفُرْقة بين الإخوان، ويقوم فيما بينهم بالقطيعة. والمنّاع للخير؛ قال بعضهم: إنه كان يمنع أهلَ الآفاق مَن كان بحضرته عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: إنه ضالٌّ مضلٌّ، فقيل: منّاع لىخير، لهذا.

---

[1] م + ذكر.

[2] ن: لنزجر.

[3] ر ث م – الآيات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨و.

[4] ن: يذكره. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] وفي التنزيل العزيز: ﴿ولا تطع كلَّ حلَّاف مهين﴾، قال الفراء: المهين هنا الفاجر. وقال أبو إسحاق: هو فعيل من المَهانة، وهي القلة. قال: ومعناه هاهنا: القلة في الرأي والتمييز. ورجل مهين: أي من ماء قليل ضعيف. الوهن: لضعف في العمل والأمر وكذلك في العَظْم ونحوه (*لسان العرب* «مهن» و«وهن»).

[6] ر: هماز.

[7] ر ن م: ويمنعه.

[8] ر م: يجوز؛ ن – استوجب المهانة لكونه همازا مشاء بالنميم ويمنعه الخير واعتدائه فيكون هذ كله تفسير المهين فإن كان هكذا فقوله المهين من المهانة هاهنا ثم لا يجوز.

[9] ر م: وهذا.

[10] ر ن: تمام.

[11] ر ث م – وكل.

[12] ن: زميم. من مفهوم الآية التالية.

[13] ر ن م: الهمزة.

[14] ن: بنميم.

ومنهم من ذكر أنه كان يمنع ولده من الاختلاف إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يكون مَنْعُه للخير هو امتناعَه عن أداء حقوق الله تعالى الواجبة في ماله. وقوله عز وجل: **مُعْتَدٍ**، أي معتد حدودَ الله تعالى، أو ظالم لنفسه. وقوله عز وجل: **أثيم**، الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.[١]

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **عتل بعد ذلك زنيم**، العتل؛ الفَظُّ الغليظ والشديد الظلومُ. وقيل: هو الفاحش اللئيم الضريبة. وقال مجاهد: العتل الشديد الأشر إلى الخنق. وقد[٢] روي في الخبر[٣] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة جوّاظ ولا جَعْظَرِيٌّ ولا العتلُّ الزنيمُ». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله[٤] وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما الجواظ فالذي[٥] جَمَع ومَنَع، تدعوه لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى.[٦] وأما الجعظري فالفظُّ[٧] الغليظ، قال الله[٨] تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.[٩] وأما العُتُلُّ الزنيم هو الشديد الخَلْقِ، الرحيب الجَوْف، المصحَّح الأكولُ الشَّرُوبُ، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس. وأما الزنيم هو الدَّعِيُّ الملصق بالقوم، الملحق في النسب».[١٠] واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

---

[١] ر ن ث - وقوله عز وجل أثيم الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.

[٢] ر ث م: قد.

[٣] ث - في الخبر.

[٤] م - يا رسول الله.

[٥] ث: هو الذي.

[٦] يشير إلى قوله تعالى: ﴿كلا إنها لظَى نزّاعة للشّوَى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٥-١٨).

[٧] م: والفظ.

[٨] ر م - الله.

[٩] سورة آل عمران، ١٥٩/٣.

[١٠] روى عن ابن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا الْعُتُل الزّنيم». فقال رجل: ما الجوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العُتُلّ الزّنيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجوّاظ الذي جَمَع ومَنَع. والجَعْظَرِيّ الغليظ. والعُتُل الزّنيم الشديد الخَلْق الرحيب الجوف المصَحَّح الأكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس». وذكره الثعلبي: عن شدّاد بن أوس: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُل زنيم» سمعتهن من النبيّ صلى الله عليه وسلم. قلت: وما الجوّاظ؟ قال: الجَمَّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرحيب الجوْف الوَتِير الخَلْق الأكول الشروب الغشوم الظلوم (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٣٢/٩).

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه[1] بَغيُّ الأمِّ ذو حسب لئيمِ[2]

ويقول آخر:

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ[3]

ومنهم من قال: إنه كانت به زَنَمَةٌ في أصل أُذُنه يعرف بها. ومنهم من[4] يقول: الزنيم هو العَلَم في الشر.

ولقائل أن يقول: إذا كان تأويل العُتُلِّ ما ذُكر في الخبر، ومعنى الزنيم[5] الدعيّ أو ما ذكر من العلامة. فكيف عُيِّر[6] بهذه الأشياء و لم يكن له في ذلك صنع، والمرء إنما يعيَّر بما لَه فيه صنعٌ، لا بما لا[7] صنع له فيه؟

فيجاب عن هذا من وجهين. أحدهما ما ذكرنا أن ذِكْره بما فيه من العيوب ليس لمكان المذكور نفسه، ولكن لزجر الناس عن اتباعه، لأن من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك عتُلًّا زنيما فأنفس الخلق تأبَى[8] عن اتباعه. ففائدة تعييره بما أُنشئ عليه[9] ما ذكرنا من الحكمة لا تعيِيرُه. والثاني أن ذكر أصله كناية عن سوء فعله، ليعلم أن خبث الأصل يدعو الإنسان إلى تعاطي الأفعال الذميمة، وصحة الأصل وحسنه[10] ونَقَاوَتَه تدعو[11] صاحبه إلى محاسن الأخلاق وإلى الأفعال المرضية.

---

[1] ر: أبواه.

[2] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٣٤/٩.

[3] نسب إلى حسان بن ثابت؛ *الدر المصون* للسمين الحبي، ٤٠٤/١٠. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٤/٩. والزنيم والمزنَّم: المستحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زَنَمَة. وأنشد ابن بري للخطيم التميمي، جاهلي:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ.

وورد في الحديث أيضا: الزنيم هو الدعيُّ في النسب (*لسان العرب*، «زنم»). لكُراع من البقر والغنم: بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحُمُرِ وهو مُسْتَدَقُّ الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث، والجمع أكْرُع ثم أكارع. وفي مثل: أعطي العبد كُراعا فطلب ذراعا، لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. (*لسان العرب*، «كرع»).

[4] ن + كذ.

[5] ر م: زنيم.

[6] ر م: عبر.

[7] ن - لا.

[8] ن: يأبى.

[9] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨ط.

[10] جميع النسخ: وحسبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ش م: يدعو.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أن كان ذا مال وبنين**، فيخبر أن من يتَّبِعه يتبعه لكثرة أمواله وبنيه.[١] وذلك أن كثرة المال للإنسان من أحدٍ ما يستدعي قلوب الخلق إلى تعظيمه. فذكر ما فيه من العيوب[٢] والمساوئ[٣] لئلا يستميل[٤] قلوب الضعفة إلى نفسه بماله. فيقول: كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى. ثم أخبر عن معاملته[٥] رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٥]

**إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**، وإن كان عامًّا بظاهره، لكن لم يرد به العمومَ، لأن [قوله تعالى:] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٧] ليس في كل الآيات، وإنما هو في الآيات التي / هي[٨] في حق الإخبار عن الأمم السالفة. وأما إذا تليت عليه الآيات التي فيها دلالة إثبات الرسالة [٨٣٣و]
ودلالة التوحيد ودلالة[٩] البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.[١٠] وهذا دليل على أن لا يجبُ اعتقاد ظاهر العموم ما لم يُعْلم بيقين. ***والله أعلم.***

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **سنسمه على الخرطوم**، قيل: شَيْنًا[١١] لا يفارقه. فجائز أن يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره من رآه، فيجتنب صحبته، فهو يصير[١٢] شينا[١٣] من هذا الوجه،

---

[١] ر: وبينه.
[٢] ن – من العيوب.
[٣] ر: والمسوى.
[٤] ر ث م: يشتمل.
[٥] ر: معاملة.
[٦] ن: برسول.
[٧] ن + ثم قوله إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٢٥؛ وسورة الأنفال، ٨/٣١؛ وسورة المؤمنون، ٢٣/٨٣.
[٨] ر م: هو.
[٩] ر: ودلالته.
[١٠] سورة المدثر، ٧٤/ ٢٤-٢٥.
[١١] ر م: شيئا. "قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نلزمه عارا لا ينمحي عنه، كقولهم: جُدِعَت أنفه. والخرطوم: أنف الفيل، فسُمِّيَ أنفه خرطوما استقباحا له" (*المفردات للراغب*، «خرطوم»).
[١٢] ر ث م – يصير.
[١٣] ر م: شيئا

فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته على رسول الله صلى الله عيه وسلم وعظم[1] أذاه له.[2] وجائز أن يكون هذا في الآخرة، فيجعل الله تعالى[3] في أنفه[4] عَلَمًا يتبين به ويمتاز من غيره يوم القيامة زيادة له في العقوبة، كما جعل لآكلي الربا يوم القيامة علما يعرفون به، وذلك قوله:[5] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا[6] لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[7] وجائز أن يكون نَسِمَ خرطومه خصوصا من بين الكفرة، فيحشره[8] ولا أنف له، لأنه ذَكر أن سائر الكفرة يُحشرون يوم القيامة بكما وعميا[9] وصما[10] ولم يذكر في أنوفهم شيئا. فجائز أن يكون يُحشر ولا أنف له.[11] وذلك هو النهاية في القبح. **والله أعلم**.

**﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾**[١٧] **﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾**[١٨]

وقوله عز وجل: **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أهل مكة ابتُلوا بالإحسان إلى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتُلي أصحاب الجنة بالإحسان إلى المساكين[12] ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين[13] فحَلَّ بهم من البلاء ما ذُكر لامتناعهم عن الائتمار.[14] فذَكَّر أهل مكة أنهم إن امتنعوا عن الإحسان إلى أتباع محمد صلى الله عيه وسلم حل بهم ما حل بأولئك. وقد وُجد منهم الامتناع،

---

[1] ر ث م: عظيم.
[2] ر: أواه له؛ م: أو أهمه.
[3] ر ث م + عىما.
[4] ر: أنفسه.
[5] ر + الربوا؛ م - الربا يوم القيامة عىما يعرفون به وذلك قوله.
[6] ث - يوم القيامة عىما يعرفون به وذلك قوله الذين يأكلون الربا.
[7] سورة البقرة، ٢٧٥/٢.
[8] ن: فيعشره.
[9] ر م: عميا.
[10] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم﴾ (سورة الإسراء، ٩٧/١٧).
[11] ر م - له؛ ن + ولا أنف له.
[12] ن: إلى المساكن.
[13] ر ث م - ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين.
[14] انظر: الآيات التالية.

فابتُلوا[1] بِسِنِينَ كسِنِي يوسفَ حتى اضْطُرُّوا إلى أكل الجِيَف والأقذار.[2] ثم إن أصحاب الجنة لما مسهم العذاب وأيقنوا به أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوءهم، فتاب الله عليهم[3] ورفع البلاء عنهم. وأهل مكة تمادَوا في غيّهم ولم يتوبوا، فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا، وسيوردهم إلى العذاب في الآخرة.

و[الثاني] جائز أن يكون الله تعالى لما أعزّهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق إليهم امتحنهم بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه. فلما أساءوا صحبته عاقبتهم بما ذكرنا. ووسّع على أصحاب الجنة فامتحنهم بما وسّع عليهم بأن يوسِّعوا على غيرهم، فلما امتنعوا[4] عن ذلك عوقبوا بزوال النعمة عنهم، وعوقب هؤلاء بزوال العز عنهم ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إذ أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصبحين**، فقوله: **مصبحين**، أي لأول وقت ينسب إلى الصباح. وذلك يكون في آخر[6] الليل كما يقال: مُمْسِين، لأول وقت ينسب إلى المساء. وإذا كان كذلك فالانصرام يقع بالليل. ألا ترى إلى قوله: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾،[7] وهم لا يمكنون بعد مُضِيّ الليل منع المساكين عن الدخول.

وقوله عز وجل: **ولا يستثنون**، قيل: أي لا يقولون: إن شاء الله. وقيل: لا يقولون: سبحان الله. فإن كان على هذا ففيه أن التسبيح كان مستعملا في موضع الاستثناء. وقد يجوز

---

[1] ن: وبتلوا.

[2] عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قَحْطٌ وجَهْدٌ حتى أكلوا العظام. فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ [سورة الدخان، ٤٤/١٠-١١] قال: فأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقيل: يا رسول الله استَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فإنها قد هلكت. قال: «لِمُضَرَ؟ إنكَ لجريءٌ» فاستسقى فسُقُوا. فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [نفس السورة، الآية ١٥]، فلما أصابتهم الرَّفَاهِيَة عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل﴿يوم نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنّا منتقمون﴾ [الآية ١٦]. قال: يعني يومَ بَدْرٍ. (صحيح *البخاري*، التفسير، ٤٤/ ٢-٥). وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٥/١٥١-١٥٢.

[3] ن - أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوئهم فتاب الله عليهم.

[4] ر. متحنوا.

[5] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[6] ر: في لآخر.

[7] سورة القلم، ٦٨/٢٤.

أن يُؤَدِّيَ معنى الاستثناء، لأن في تسبيح[1] الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه، لأن فيه إقرارا [ب]أن الله تعالى هو المغير للأشياء والمبدِّلِ[2] لها. ثم أصحاب الجنة بقسمهم قصدوا قصدا يلحقهم العصيان فيه، وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه معصيةً، وعوتبوا بتركهم الاستثناء. ففيه دلالةُ أن الله تعالى يوصف بالمشيئة لفعل المعاصي ممن يعلم أنه يختارها،[3] لأنه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته[4] إياهم بتركهم الاستثناء معنى؛ إذ لا يجوز استعمال الاستثناء فيما لا يجوز أن يوصف به الرب جل وعز. ألا ترى أنه[5] لا يستقيم أن يقال: إن شاء الله جاز وإن لم يشأ لم يجز، وإن شاء ضل وإن شاء لم يَضِلَّ، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل. فلو لم يوصف أيضا بإضلال من يعلم منه أنه يؤثر الضلال لم يجز أن يلاموا على ترك الاستثناء، ولا مدخل للاستثناء فيه. والذي[6] يدل على صحة[7] ما ذكرنا قولُه: مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[8] فتبين أنه يشاء إضلال من ذكرنا.

وفيه دلالة[9] أن خلق الشيء غير ذلك الشيء، لأنه يستقيم أن يوصف الله تعالى بالإضلال، ولا يجوز أن يوصف بالضلال، وإن كان الإضلال خلقا له،[10] ويوصف بأنه[11] المحيي والمميت فلا[12] يستقيم أن يقال: إن شاء حَيِيَ، وإن شاء مات، وإن كان هو الذي خلقهما.

ثم ليس في قوله: **إذ أقسموا**، إبانة أنَّ قسمهم كان بماذا؟[13] فإن كان بغير الله تعالى ففيه إبانة أن القسم قد يكون بغير الله تعالى، وإن كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لأبي يوسف على أبي حنيفة رحمهما الله أن اليمين إذا كانت مُوَقَّتَةً فإن هلاك الشيء المحلوف بها قبل مُضِيِّ وقتها لا يُسقط اليمين،

---

[1] ر: التسبيح؛ م: التنزيه.
[2] ر ث م: المعدل.
[3] ن + بالمشية لفعل المعاصي ممر يعلم أنه يختارها.
[4] ر ث م: لمعاتبة.
[5] جميع النسخ – أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[6] ر ث م + فيه.
[7] ر ث: صحبة.
[8] سورة الأنعام، ٣٩/٦.
[9] ر ث م – دلالة.
[10] ن – له.
[11] ر ث م: أنه.
[12] ن: ولا.
[13] ن: لماذا.

بل يَبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكمُ الحِنْث إذا مضي[١] وقتها، لأن الثمر[٢] الذي حلفوا على صَرْمه[٣] قد هلك قبل[٤] الوقت الذي أُوجب فيه الصرمُ.[٥] فلو كانت اليمين يَسقط عنهم بهلاك الثمر[٦] لم يكونوا يحتاجون إلى الاستثناء. لأن الحاجة إلى الاستثناء لإسقاط المئونة التي تلزمهم[٧] بالحنث في اليمين. فلو[٨] كان هلاك الثمر[٩] مسقطا لليمين ومئونة الحنث لاستغنوا [٨٣٣ط] عن الاستثناء. فلما لحقتهم اللائمة بتركهم الاستثناء دل أن المئونة تبقى عليهم إذا عريت عن الاستثناء، وإن كانت موقتة.

ولكنْ أبو حنيفة رحمه الله يُسقط عنه اليمين بهلاك الشيء المحلوف عليه إذا كانت يمينه بالله تعالى، ولا يسقطها إذا كانت بشيء من القُرَب والطاعات، أعني النُّذر.[١٠] وليس في الآية إبانة أن يمينهم كانت بالله تعالى، فجائز أن يكون يمينهم بشيء من القرب فبقيت عليهم. ولأنه عاتبهم[١١] على ترك الاستثناء لعزمهم على المعصية،[١٢] والاستثناء يسقط[١٣] العزيمة، لأن من عزم على المعصية وقال فيه،[١٤] إن شاء الله، لم يصر آثما بمقالته ولا صار عازما على المعصية. وأبو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية في اليمين الموقتة إذا عقدت على أمر من أمور المعصية. والذي يدل على أن العتاب في ترك الاستثناء للوجه الذي ذكرنا أنه لم يُذْكَر في شيء من الأخبار ولا ذُكر في الكتاب أن أحدا منهم أمر بالتكفير، ولو كان الحنث لازما لكانوا يلامون عى ترك التكفير أيضا كما لحقتهم اللائمة[١٥] بترك الاستثناء. **والله أعلم**.

---

[١] ر – مضي.
[٢] ن: اليمين، صح هـ.
[٣] ر: صرمة.
[٤] ر م – قبل.
[٥] م: الصوم.
[٦] ر: التمر.
[٧] ر ن ت: يلزمهم.
[٨] ن: فإن.
[٩] ر: التمر.
[١٠] جميع النسخ: لندب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١١] ن: غايتهم.
[١٢] ر: المعصية.
[١٣] ر ت: تقسط؛ م: تسقط.
[١٤] ر ت: في.
[١٥] ر ن م: ملائمة.

**﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، طائف من ربك** قيل: عذاب ربك، وسمي طائفا لأنه أتاهم بالليل، وكل آت بالليل فهو[١] طائف.

**﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **فأصبحت كالصريم**، قيل: أي الجنةُ[٢] كأنها صُرِمت، وهم أصبحوا لِيَصْرِموها.

**﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾[٢١] ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾[٢٢]**
**﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾[٢٣] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **فانطلقوا وهم يتخافتون**،[٣] يَتَسَارُّون[٤] فيما بينهم. فيجوز أن يكون مُسارَّتهم[٥] كانت في الأمر[٦] بالإسراع في المشي[٧] لئلا[٨] يَشْعُرَ بهم المساكين أو [أن] يتعجلوا في الخروج والمشي قبل الوقت الذي يُصبح فيه المساكين.

**﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **وَغَدَوْا على حرد قادرين**، فمنهم من ذكر أن اسم جنتهم كان حَرْدًا. وقيل: غَدَوْا على أمر قد اسَّسُوه[٩] فيما بينهم. وقال الزجاج: الحرد له أوجه ثلاثة. أحدها القصد. واستدل عليه بقول الشاعر:

أقبل سَيْلٌ كان من أمر اللهْ    يَحْرِدُ[١٠] حَرْدَ الجنةِ[١١] المُغِلَّةْ[١٢]

---

[١] ن - فهو.
[٢] ن: الحية؛ ث: الحبة.
[٣] ر ن ث + قيل.
[٤] ن: يشارون.
[٥] ن: مساريهم.
[٦] ن: بالأمر.
[٧] ن - في المشي.
[٨] ر ن م: لأن لا.
[٩] ر ث م: استثنوه، ن: استقلبوه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١٠] ث: تحرد.
[١١] ن: الحبة؛ ث: الحية.
[١٢] ر ث: العمة. العلة: الدَّخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض. وأَعلّت الضياع أيضا: من الغَلَّة. قال الراجز:
أقبل سَيْل جاء من عند الله    يَحْرِد حَرْدَ الجنة المُغِلّة (*لسان العرب*، «غلّ»).

أي يقصد قصدها. والثاني هو المنع؛ يقال: أَحْردت السَّنة، إذا[1] قَحَطت[2] وذهبت بركتها.[3] والثالث الغضب. **وَغَدَوْا على حرد قادرين**، أي غضبوا[4] على الفقراء.[5] وقوله:[6] **قادرين**، أي قادرين[7] عليها في أنفسهم.

ولقائل أن يقول: إن[8] في هذه الآية دلالةَ تقدم القدرة على الفعل، لأنه أثبت لهم القدرة قبل الفعل. ولكنَّ هذه القدرة ليست هي قدرةَ الأفعال، وإنما هي قدرة الأسباب والأحوال.

**﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾[٢٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٢٧]**

وقوله عز وجل: **فلما رأوها قالوا إنا لضالون**، أي قد ضللنا الطريق، فكأن عندهم أنهم قد ضلوا الطريق [و]لذلك لم يتوصلوا إلى ثمارها. ثم[9] ظهر لهم أنهم لم يَضلوا الطريق بل حُرِمُوا بركةَ الثمار بجنايتهم التي جنوها، فتذكَّروا صنيعهم وندموا على ذلك فأقبلوا بالاستكانة والتضرع إلى الله تعالى فتاب عليهم. فلعل الذي قال: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ،[10] يخرج على هذا،

---

[1] ر ث م: أي.

[2] ر ث م: أقحطت.

[3] ث: ركبتها.

[4] ر: على غضب، جميع النسخ: غضب.

[5] الحَرْدُ: الجِد والقصد. حَرَدَ يَحْرِد، بالكسر، حَرْدًا: قصد. وفي التنزيل: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. والحَرْدُ المنع، وقد فسرت الآية على هذا، وحَرَّد الشيءَ منعه؛ قال:

كأن فِداءها إذا حَرَّدوُه ... أطافوا حولَه سلَكٌ يتيم

ويروى، حَرَّدوه أي نقوه من التبن. ابن الأعرابي: الحَرْدُ القصد، والحَرْدُ المنع، والحَرْدُ الغيظ والغضب، قال: ويجوز أن يكون هذا كله معنى قوله: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. قال: وروي في بعض التفسير أن قريتهم كان اسمها حَرْدَ. وقال الفراء: ﴿وغدوا على حرد﴾ يريد على جَدٍّ وقُدْرة في أنفسهم. وتقول للرجل: قد أقبلتُ قِبَلَكَ وقصدت قصدك وحَرَدْتُ حَرْدَكَ، قال وأُنشدت:

وجاء سَيْل كان من أمر الله ... يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المغلَّة

يريد: يقصد قصدها. قال: وقال غيره: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ قال: منعوا وهم قادرون أي واجدون، نصب قادرين على الحال. وقال الأزهري في كتاب الليث: ﴿وغدوا على حرد﴾ قال: على جِدٍّ من أمرهم. قال: وهكذا وجدته مقيدًا والصواب على حَرَدٍ، أي على منع. قال: هكذا قاله الفراء (*لسان العرب*، «حرد»).

[6] ر: وقوله.

[7] ر م – أي قدرين.

[8] جميع النسخ: أن.

[9] ر ث م – ثم.

[10] سورة القلم، ١٧/٦٨.

وهو: إنا بلونا أصحاب الجنة، فتذكروا فرفع عنهم العذاب، و لم يتذكر أهل مكة فحلَّ بهم العذابُ يوم بدرٍ، كما قال: فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ.[1]

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **قال أَوْسَطُهم**، أي أعدلهم.[2] وقوله عز وجل:[3] **ألم أقل لكم لولا تسبحون**، جائز أن يكون معناه: لولا تصلُّون[4] الفجر ثم تخرجون.[5] وجائز أن يكون معناه: لولا تَسْتثنُون.[6] وقد ذكرنا أن في الاستثناء معنى التسبيح، لأن فيه إقرارا بأن الأمور كلها تَنفُذ[7] بمشيئة الله تعالى، وأنه هو المغيِّر والمبدِّل دون أحد سواه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قالوا سبحان ربنا**، فهذا منهم توحيد وتنزيه.[8] وفي قوله: **إنا كنا ظالمين**، اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب وإنابة إلى الله. وتمامُ التوبة منهم في قوله:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾[٣٠] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾[٣١]

**فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين**، ذكر[9] المفسرون في قوله: **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، أي أقبل بعضهم عىى بعض باللوم، يقول:[10] أنت أمرتنا أن نَصْرِمَها[11] ليلا، وقال هذا لهذا: بل هو عملك أنت. وهذا [التأويل] لا معنى له، لأن هذا يوجب تبرئة[12] كل واحد منهم عن ارتكاب الذنوب. وقد سبق منهم الإقرار بالذنب

[1] ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ (سورة المؤمنون، ٧٦/٢٣).
[2] ر م: عدلهم.
[3] ر + فمما.
[4] ر ن م: يصلون.
[5] ر ن م يخرجون.
[6] ر م: يستثنون.
[7] ن ث: ينفذ.
[8] ر ث م: تبرئة.
[9] جميع النسخ: وذكر.
[10] ر ت م: تقول.
[11] ر م تضرمها.
[12] ن: وجب تبريه.

بقوله: قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ،[١] وبقولهم:[٢] **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين**، فكيف يبرءون أنفسهم عن الذنوب وقد اعترفوا بها. فهذا تأويل لا معنى له. بل معناه -والله أعلم- **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، على إدخال كل منهم نفسه في ذلك اللوم؛[٣] أو أقبل كل واحد منهم باللائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا لقوله: **إنا كنا طاغين**.[٤] وقوله تعالى: **يا ويلنا إنا كنا طاغين**، ففي هذا تمام التوبة. ففيه أنهم أظهروا الندامة على ماسبق[٥] منهم من أوجه ثلاثة: مرة بما وصفوا أنفسهم بالظلم،[٦] ومرة بما لاموا أنفسهم، ومرة بما وصفوا[٧] أنفسهم[٨] بالطغيان.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، أي يبدلنا خيرا منها إذا تبنا وأنبنا إلى ربنا؛ لأنه لا يجوز أن يتوقعوا خيرا[٩] منها وهم مصرون على ذنوبهم؛ إذ قد عرفوا أنهم إنما حُرِمُوا بركةَ الثمار بما ارتكبوا من الذنوب، فثبت أن معناه ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون / هذا [٨٣٤و] في الآخرة، يقولون: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، في الآخرة إذا تبنا وأنبنا إليه. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **إنا إلى ربنا راغبون**، إلى ما عند ربنا من العطايا والمِنَنِ لراغبون، أو إلى ما وعد ربنا للتائبين من الذنوب لراغبون.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **كذلك العذاب**، كأنه يخاطب أهل مكة أَنْ كذلك العذاب في الدنيا في أن يأخذ أهله [حال كونهم] آمَنَ ما كانوا أو أَغْفَلَ[١٠] ما كانوا، كما أخذ أصحابَ الجنة عند الأمن إذ كان[١١] عندهم أنهم يقدرون على صَرْم تلك الثمار ولا يفوتهم.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ث: وقوله عز وجل.
[٣] جميع النسخ: القوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[٤] ن: ظالمين.
[٥] ر م: على نسق.
[٦] ن: بالطغيان.
[٧] ن - بالظلم ومرة بما لاموا أنفسهم ومرة بما وصفوا.
[٨] ر م - أنفسهم.
[٩] ر ث: خير.
[١٠] ن ث: أعقل.
[١١] ر م: إذا كان؛ ث: إذ كان به.

وقوله عز وجل: **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، ففي هذا إيجاب العذاب على من لم يَعْلم بالعذاب و لم يؤمن به، لأنهم لم يؤمنوا بعذاب الآخرة ولا علموا به. ثم أوجب لهم العذاب -وإن لم يعلموا- ولم يُعْذَروا بالجهل، لأنهم قد وقفوا على السبب الذي لو تفكروا لعلموا بالعذاب ولأيقنوا به. وفي ذلك[1] حجةُ أن لا عذر لمن تَخَلَّف عن التوحيد والإيمان بالله تعالى وإن جَهِل،[2] إلا أن يكون جهله جهلَ خلقة، لأن الذي أفضى[3] به إلى الجهل هو التقصير في الطلب، وإلا لو لم يقصِر في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية الرب تعالى.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**، وفيه ترغيب لمن لزم التقوى[4] وهو الإسلام.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[٣٥] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، أي[5] أفنجعل من جعل كل شيء سوى الله تعالى لله سالما [له تعالى] لا يشرك فيه أحدا كالذي أجرم فجعل في كل شيء سالمٍ[6] له شركا في العبادة والتسمية. أو يبيّن[7] الله تعالى، أنه ولي المؤمنين وعدو المجرمين.[8] فيقول:[9] أفيزعم[10] أعدائي أن أسوّي بينهم وبين الأحباء والجمعَ بينهم. فلا نجعل[11] ذلك، لأن فيه[12] تضييعَ الحكمة، لأن الحكمة توجب التفرقة بين العدو والولي، وفي الجمع بينهما تضييعها.[13]

---

[1] ن: ولا يفتوا به وفي هذا؛ ث: وفي هذا.
[2] ر: جعل.
[3] ر ث م - أفضى.
[4] ن: للتقوى.
[5] ر ن م - أي
[6] ر: سالما.
[7] جميع النسخ: بين.
[8] ث - وعدو المجرمين.
[9] ر م: فنقول.
[10] ر ث م: أفئن عمر.
[11] جميع النسخ: لا يفعل ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[12] ر م - فيه.
[13] ر ن ث: تصيعهما.

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أن أجعل عدوي[١] بمنزلة وليي[٢] أو وليي[٣] بمنزلة عدوي. أو أيُّ شيء حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك، فكيف تطمعون ذلك؟ أو كيف[٤] تحكمون[٥] بالجور على ربكم؟ لأن من الجور أن يجمع[٦] بين الولي وبين[٧] العدو في دار الكرامة.

ثم قوله: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، يستقيم أن يجعل هذا جوابا للفريقين: لمن[٨] ينكر البعث، ولمن[٩] يزعم أنه شريك أهل الإسلام في الآخرة فيما يكرّمون من النعيم. فمن أنكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الآية هو أن العقل[١٠] يوجب التفرقة بين الولي وبين العدو، والشكور[١١] والكفور.[١٢] فأنتم إذا أنكرتم البعث فقد زعمتم على الله تعالى أنه يجعل المسلم[١٣] كالمجرم،[١٤] والكفور كالشكور، والعدو كالولي. ومن فعل[١٥] هذا فهو سفيه لا يصلح أن يكون حكيما.[١٦] ففي إنكار البعث تحقيق السفه وإثبات الجور، لأن من الجور أن يجمع[١٧] بين الولي وبين[١٨] العدو في الجزاء.

ومن ادعى الوجه الآخر، وهو التسوية بين الفريقين لِمَا تساويا في منافع الدنيا ومضارِّها وفي لذاتها وشدائدها وبلياتها، فعلى ذلك يكون أمرهم في الآخرة. فجوابهم في ذلك أن الدنيا هي دار [لا] يظهر فيها العدو من الولي، والشكور من الكفور، والآخرة دار جزاء العداوة والولاية.

---

١ ر: ودي.
٢ ر: ولي.
٣ ر م: ووليي.
٤ ر – حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك فكيف تطمعون ذلك أو كيف.
٥ ر ث م: يحكمون.
٦ ر ث: أن يجعل.
٧ ر ث م – بين.
٨ ر ن م: ولم.
٩ ر م: لم.
١٠ ر ن م: الفعل.
١١ ن – الشكور؛ ث + ولكنه.
١٢ جميع النسخ – والكفور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠و.
١٣ ر ث م: المسلمين.
١٤ ر ث م: المجرمين.
١٥ ن: جعل.
١٦ ر: حكما.
١٧ ر: يجعل.
١٨ ر م – بين.

فجائز أن يقع فيما فيه[1] ظهور الولاية والعداوة اتفاق. ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه الجزاء، لأن الجزاء لعداوة سبقت ولولاية سبقت، والحكمة توجب[2] التفرقة بين الجزاءين. فلا يجوز أن يُجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة. وليس قِبَلَ المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في المحنة. فجائز أن يقع بينهما الاتفاق في ذلك. ولأنه لو كان تفرُّقٌ[3] بينهما في الدنيا لكانت المحنة تخرج عن حدها، والدنيا هي دار المحنة. وإنما قلنا: إن فيه إخراج المحنة عن حدها لأن المحنة تكون على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة. فلو فُرِّقَ بين العدو والولي في الدنيا، فوسِّع على الأولياء وضُيق على الأعداء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة؛ لأن من علم أنه يُضَيَّقُ عليه إذا اختار وجه العداوة ويعجَّل[4] عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال إلى الولاية، فيرتفع وجه المحنة. فلذلك جاز أن يجمع[5] بين الولي والعدو في دار المحنة ليبقى وجه الحكمة[6] بحاله، ولم يجز أن يجمع بينهما في الآخرة؛ لأنها دار جزاء، والعقل يوجب تفرقة جزائهما. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أحكم الحكماء بالسفه حيث تزعمون أنه يجمع بين الولي والعدو في الجزاء، وذلك من أعلام السفه؟ أو كيف تحكمون في أحكم الحاكمين وأعدل العادلين بالجور؟ إذ تزعمون أنه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور أن يُجْمَعَ[7] بينهما. وهم كانوا يقرون أن الله تعالى أحكم الحاكمين.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[٣٧] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أم لكم كتاب فيه تدرسون**، فحاجّهم أولا بما يوجبه الحكمة، وهو أنكم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، فإن كنتم تدّعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فأنتم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، / وإن كنتم تدعون ذلك من كتاب [٨٣٤ظ]
فأي كتاب من عند الله جاءكم، فيوجب التسويةَ بينكم وبين الأولياء؟ وأي رسول أخبر لكم أنكم تساوون الأولياء في نعيم الآخرة؟ ثم وجه المحاجة بالكتاب، هو أن مشركي العرب

[1] ر – فيه.
[2] جميع النسخ: يوجب.
[3] ن: يفرق.
[4] ر م: يعجل.
[5] ر: يجعل.
[6] ن: المحنة.
[7] ر م: يقع.

لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل، ولو كانوا يؤمنون بهما لكانوا يقدرون أن يقولوا:[١] إن لنا كتابا درسناه فوجدنا[٢] فيه[٣] ما نذكر[٤] وندعي، ورسول قد أخبرنا بذلك. ولكنهم إذا كانوا لا يؤمنون بهما صار هذا الوجه الذي ذكره الله تعالى حجة[٥] لازمة عليهم. *والله أعلم*. وقوله: **إن لكم فيه لما تخيرون**، أي وفي ذلك الكتاب [هل] تجدون[٦] أن لكم فيه ما تخيرون.[٧]

**﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾**[٣٩]

وقوله: **أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون**، وهذا أيضا صلة الأول، أي هل شهدتم[٨] الله تعالى أقسم لكم أنه هكذا كما تحكمون؟[٩] وهذا[١٠] كقوله تعالى: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا، فأخذهم [في هذه الآية] بالمقايسة أولا، وهو قوله[١١] تعالى: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ، فلما لم يتهيأ لهم تثبيت ذلك بالقياس والمعقول احتج عليهم بقوله: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا.[١٢] وقد عرفوا أنهم لم يشهدوا، وما ادَّعَوْهُ لَا ثبات له إلا مِن الوجوه التي ذكرها.[١٣] وإذا لم يُثبتوا بشيء من ذلك تبين[١٤] عندهم فساد دعواهم. فهذا أيضا مثله وهو أنه سألهم عن إيراد الحجة، إما من جهة الحكمة أو من جهة الكتاب أو من جهة الشهادة. فإذا لم يَثْبُت لهم واحد من هذه الأوجه فبأي وجه يَشهدون على الله تعالى أنه يفعل ذلك. وقوله: **بالغة**، أي وكيدة، أو بُلِّغت إليكم عن الله تعالى.

---

[١] ر م: يقولون.
[٢] ر: فوجه.
[٣] ن - فيه.
[٤] ر: تذكر.
[٥] ن - حجة.
[٦] ن: يجدون.
[٧] جميع النسخ: لما تخيرون.
[٨] ر: تشهدتم.
[٩] ر: يحكمون.
[١٠] ن: هكذا.
[١١] ر م: كقوله.
[١٢] ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أَمِ الأُنثَيَيْنِ أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كَذِبا لِيُضلَّ الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ١٤٤/٦).
[١٣] ن: ها.
[١٤] ن: بدين.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **سلهم أيهم بذلك زعيم**، يقول: فإنهم تَعَنَّتُوا مع هذا كله في أن يدوموا على دعواهم من غير حجة تشهد لهم، فسلهم، أي أطلبهم بالزعيم، أي من يَكْفُلُ لهم أن الأمر كما يزعمون.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أم لهم شركاءُ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**، أي شركاءُ يشفعون لهم يوم القيامة؟ وقال بعضهم: أم لهم شهداء ممن عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون؟

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يوم يكشف عن ساق**، أي يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والأهوال. والساق الشدة، وسُمِّيَ الساق ساقا[١] لأن الناس شِدَّتُهُم في سُوقهم، إذ بها يحملون الأحمال، فكُنِّيَ بالساق عن الشدة.[٢] وقيل أيضا: إنهم[٣] كانوا إذا أُبْتُلوا بشدة[٤] وبلاء كَشفوا عن أَسْوُقِهم،[٥] فكنى بذكره عن الشدة، لا أن يراد بذكر الساق تحقيقُ الساق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويُدْعَوْن إلى السجود فلا يستطيعون**، يحتمل أن يكون هذا على دعاء الحال، ويحتمل أن يكون على دعاء الأمر. فأما[٦] دعاء الحال فهو أن من عادات الخلق أنه إذا اشتد بهم الأمر وضاق فَزِعوا إلى السجود. فجائز أن يكون ما حل بهم من الأحوال والشدائد يدعوهم إلى السجود، فيَهُمُّون بذلك فلا يستطيعون، فيكون قوله: **ويدعون إلى السجود**، أي تدعوهم الحالة[٧] إلى السجود، فهذا دعاء الحال. وجائز أن يؤمروا بالسجود ويُمتحنوا به. ثم إن كان التأويل على الأمر فيحتمل أن يكون ذلك يوم القيامة، وجائز أن يكون وقت الموت. وإن كان على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت.

---

[١] جميع النسخ + لهذا.
[٢] م – وسمي الساق ساق لأن الناس شدتهم في سوقهم إذ بها يحمون الأحمال فكني بالساق عن الشدة.
[٣] جميع النسخ: بأنهم.
[٤] ر ث م: شدة.
[٥] ر م: سوقهم. السُّوق والأَسْوُق: جمع الساق.
[٦] م + دعاء الأمر.
[٧] ث + التي.

ثم الأمر بالسجود يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون على حقيقة الفعل. ويحتمل أن يكون على الاستسلام والخضوع؛ إذ السجود في الحقيقة هو الخضوع والاستسلام. وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود. وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود. ثم إن ذُكِرَ في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام[١] بالاعتقاد،[٢] ليس بعين الفعل. وأهل الإسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد،[٣] فيلزمهم أن يستسلموا من جهة الفعل. فجائز أن يكون هذا لمّا عاين الشدائد والأفزاع استسلم لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه، لأن تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة.

والثاني أن السجود هو بذل[٤] النفس لما طُلب منه طائعا.[٥] وإذا أشرف المرءُ على الموت طُلب منه في ذلك الوقت بذْلُ روحه لا بذْلُ نفسه. فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عليه بذل روحه[٦] لما يعلم أن مصيره إذا قبض إلى العذاب، وكَرِه ذلك[٧] أشد الكراهة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن أحب لقاء الله أحب الله[٨] لقاءه». فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «ذلك عند الموت».[٩] فهو لما يرى من المكروه يَحِلُّ[١٠] به بعد الموت يكره قبض روحه. فيكون قوله: **فلا يستطيعون**، إن كان المراد من قوله: **ويُدْعَون إلى السجود**، عند الموت على ذلك.[١١] والمؤمن إذا رأى ما أُعَدَّ له من الكرامات ودَّ أن يُقْبض روحه سريعا ليصل إلى الكرامات. وإن كان هذا بعد البعث وأريد من السجود تحقيقه، ففيه تذكير لهم أنهم لم يكونوا يُمْتحنون في الدنيا بالسجود لمنفعة تصل إلى الله تعالى أو لحاجة له إلى ذلك،

---

[١] ر – وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود ثم إن ذكر في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام.

[٢] ر: بالاعقاد.

[٣] ر: الاعتقاد.

[٤] ر: بذلك.

[٥] م: طايعا.

[٦] ر ث م – لا بذل نفسه فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عيه بذل روحه.

[٧] ث م – ذلك. أي كره بذل روحه.

[٨] ر – الله.

[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٢٠؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤-١٨.

[١٠] ن: ويحل.

[١١] أي إن كان المراد من قوله: ﴿ويدعون إلى السجود﴾ عند الموت يكون قوله: ﴿فلا يستطيعون﴾ محمولا على كراهة بذل الروح.

وإنما امتحنوا بالسجود لمكان أنفسهم؛ إذ لو كان الامتحان لمنفعة يناها[1] الله تعالى لما كانوا يُمنعون عنه في القيامة. *والله أعلم*.

وقال كثير من أهل الكلام: لا يجوز أن يمتحنهم الله تعالى بعد البعث بالسجود، إذ تلك الدار ليست بدار محنة. وإنما الأمر بالسجود يَخرج مَخرج التوبيخ. وكذلك زعم جعفر بن حرب
[٨٣٥و] أن هذا عنى[2] التوبيخ؛ يقال للرجل إذا كان مُكْثِرا فذهب ماله ولم يؤد الزكاة ولا حج[3] في حال يسره:[4] حُجّ الآن وزَكِّ[5] الآن، ليس يراد به أن أَوْجِد الفعل، ولكن يراد[6] به تذكيره[7] وتوبيخه. فهذا الذي قالوه محتمل. ويحتمل أن يمتحنوا بالسجود للوجوه التي ذكرنا، وهو أن يظهر عند الممتحنين أن منافع سجودهم راجعة إليهم لا إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فلا يستطيعون**، فجائز أن يكون هذا عنى نفي استطاعة الأحوال والأسباب، أو لا يستطيعون[8] للأشغال التي حلت بهم والأفزاع التي ابتُلوا[9] بها.

**﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**، ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب. *والله أعلم*.[10]

**﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث**، فجائز أن يكون الحديث هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به البعث، وهو الغالب أن يكون هو المرادَ.

---

[1] جميع النسخ: ينال.
[2] ر – على.
[3] ر ث م – ولا؛ ن: وحج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠ظ.
[4] ر ث: نشره.
[5] ر: حج بزل؛ ن م: حج زل.
[6] جميع النسخ: يريد. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر م: تذكره.
[8] ر م – فجائز أن يكون هذا على نفي استطاعة الأحوال والأسباب أو لا يستطيعون.
[9] ر ث م: التي.
[10] ث – وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب والله أعلم.

وقوله عز وجل: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون.** قال القُتَبِي: الاستدراج هو الأدنى من المَهْلكة درجة فدرجةً حتى يَهْبِتَ.[١] وقيل **سنستدرجهم،** أي نُنْعم عليهم، ونُنْسيهم شكرها بالإملاء، وينزل بهم العذاب والهلاك آمَنَ[٢] ما كانوا.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأملي لهم إن كيدي متين.** والأصل أن الكيد والمكر والاستدراج يقتضي معنى واحدا، وهو أن يأخذ من وجه أمْنِه ويراقب وجوهَ هلاكه؛ وهو يستعمل في الخلق على وجه يُذَمُّ أهله. فهو يضاف إلى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له، إذ لا يجوز له[٣] أن يسمى ماكرا كائدا مستدرجا، وإنما يضاف إليه في حق الجزاء. وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد، ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاءُ[٤] باسم ما له الجزاء، كما يسمى جزاء السيئة سيئةً وإن لم يكن الجزاء سيئة،[٥] وكما سمى جزاء الاعتداء[٦] اعتداءً.[٧] فكذلك سمى جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى، لا أن يكون ذلك منه كيدا في الحقيقة. أو نقول[٨] بأن الذم إنما يلحق الماكر والكائد إذا[٩] استعمله في وَلِيِّه وصَفِيِّه، فأما إذا مكر بعدوه وكاد به فذلك مما لا بأس به ولا يُذَمُّ عليه فاعله. وما أضيف من الكيد إلى الله تعالى فذلك حالٌ بأعدائه ليس بأوليائه، فلم يكن فيه إلحاق معنى مكروهٍ بالله تعالى.

ثم الأصل أن يُنظر في الفعل: لماذا أضيف إلى الله تعالى بحقيقة أم بمجاز؟ فإن كانت الإضافة بحق المجاز فلا يُجعل ذلك اسما له، لأنه لا يجوز أن يقال: هو كاتب، نافخ[١٠] روح،

---

[١] انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ١٦٦.

[٢] ر ن م: أمر؛ ث: أم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.

[٣] ن – له.

[٤] ر ث م – وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاء.

[٥] ر ث – وإن لم يكن الجزاء سيئة. لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[٦] ر: الاعتدال.

[٧] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).

[٨] ر ث م: يقول.

[٩] ن: إن.

[١٠] ر: نافع.

ولا كائد ولا ماكر،[١] إذ لا يتحقق ذلك منه. وما كانت إضافته لأجل التحقيق فإنه يستقيم[٢] أن يُسَمّى به، لأنه يستقيم أن نسميّه[٣] مُنعما مُفْضلا[٤] خالقا[٥] رحمانا، إذ الإنعام والإفضال والخلق موجود منه.

وقوله عز وجل: **متين.** أي قوي ثابت. فقوله تعالى: **إن كيدي متين،** أي كيدي لأوليائي على أعدائي ثابت، ليس ككيد الأعداء لأن كيد الأعداء بكيد الشيطان، وكيد الشيطان ضعيف.[٦] والأصل أن الكيد الذي أضيف إلى الله تعال حق، والحق قوي ثابت[٧] لا مَدْفَعَ له وكيد الشيطان باطل، وليس للباطل قرار، بل هو كما قال الله تعالى: أُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.[٨]

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون.** الأصل أن الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق إلى ما يستثقله عقل أو طبع، بل كانوا يدعونهم[٩] إلى ما يَخِفّ ويَسْهُل على الطبع والعقلِ الإجابةُ له؛[١٠] لأنهم كانوا[١١] يدعونهم إلى التوحيد، وهم كانوا يعبدون غير واحد من الآلهة، وعبادة[١٢] الواحد أيسر من عبادة[١٣] عدد؛ وكانوا يدعونهم إلى الصدق وإلى مكارم الأخلاق، والإجابة[١٤] بمثله أمر يسير. فيقول:[١٥] أحملتَ عيهم أجرا فَثَقُل عليهم ذلك حتى تركوا الإجابة لك مع تيسيره عليهم؟ فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه أحلامهم.

---

[١] ر: وماكر؛ ن: ولا ما ذكر.
[٢] ر: ستقيم.
[٣] جميع النسخ: أن يسميه.
[٤] ر – مفضلا.
[٥] ر: خالق.
[٦] ن: ضعيف. يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٧٦/٤).
[٧] ث: ثابت قوي.
[٨] ﴿ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ٢٦/١٤).
[٩] ر م: يدعونه.
[١٠] ن – له.
[١١] ر ث م: كأنهم.
[١٢] ر ث – عبادة.
[١٣] ر ن: عادة.
[١٤] ر م – والإجابة.
[١٥] ن ث م: فقول.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **أم عندهم الغيب فهم يكتبون.** فهذا يحتمل أوجها. أحدها أم[١] عندهم علم الغيب بالذي ادَّعَوا أنَّا نجعل المسلمين كالمجرمين،[٢] وذلك مكتوب عندهم[٣] أو[٤] عند سلفهم عِلْمَ الغيب، فوجدوه[٥] في كتبهم ويعلم به خَلَفهم[٦] فيخاصمونك به؟ ثم هم قوم لم يكونوا يؤمنون بالكتب ولا بالرسل، فكيف يخاصمونك ويكذبونك فيما تخبرهم،[٧] وإنما يوصَل إلى التكذيب بما يَثْبُتُ[٨] من العلم بخلافه ويتأيد بأحد الوجهين اللذين ذكرناهما. أو يكون هذا في موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا "أنَّا نعبد الأصنام ليقرِّبُونا إلى الله زلف ويكونوا لنا شفعاء".[٩] فما الذي حملهم[١٠] على هذا الدعوى، أم[١١] عندهم علم الغيب فهم يكتبون؟ أو أن يكون القوم قد ألزموا أنفسهم الدنيوية بدين الله وأقروا له بالألوهية، وذلك يُلزمهم العملَ بما فيه تبجيل[١٢] الله تعالى وما به يشكر الخلائق، وذلك لا يعرف إلا بالرسل عليهم السلام. فقد عرفوا حاجة أنفسهم إلى من يعلِّمُهم علم الغيب. فما لهم امتنعوا عن الإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم إليه، أم[١٣] عندهم علم الغيب فيستغنُون به[١٤] عن الرسول عليه الصلاة والسلام؟[١٥]

---

[١] جميع النسخ: أن.
[٢] يشير إلى الآية ٣٥ من هذه السورة.
[٣] ر + فيخرج ذكر هذا مخرج.
[٤] ر: أم.
[٥] ن: فجلدوه.
[٦] ر: خلقهم.
[٧] ن: يخبرهم.
[٨] ن: ثبت.
[٩] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣)؛ وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعؤنا عند الله قل أَتُنَبِّئُونَ الله بما لا يعلم في السماوت ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[١٠] ن: عملهم.
[١١] ث: أما.
[١٢] ر ث: بتبجيل.
[١٣] جميع النسخ: أن ما.
[١٤] ر – به.
[١٥] ن – عليه الصلاة والسلام.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، إن حُكْم الله تعالى في الرسل ثلاثة.[١] أحدها أن لا يدعوا على قومهم بالهلاك وإن اشتد أذاهم من ناحيتهم[٢] حتى يؤذَنَ لهم. والثاني أن لا يفارقوا[٣] قومهم وإن اشتد بهم[٤] البلاء إلا بإذن الله تعالى. والثالث أن لا يقصِروا[٥] في التبليغ وإن خافوا على أنفسهم. ثم من وراء[٦] هذا عليهم أمران. أحدهما أنهم[٧] أمروا أن لا يغضبوا إلا لله[٨] تعالى. والثاني أن لا يحزنوا لمكان أنفسهم إذا أذاهم قومهم، / بل يحزنون لمكان أولئك [٨٣٥ط] القوم إشفاقا عليهم منه ورحمة بما يَحِلُّ عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل، فهذا هو حكم ربك.[٩] ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **فاصبر لحكم ربك**، أي لا تجازهم[١٠] لصنيعهم[١١] ولا تستعجل[١٢] عليهم، بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب.

وقوله عز وجل: **ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**، [يحتمل وجهين: أحدهما ما] قيل: نادى[١٣] على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك. لكنه لم يظهر دعاؤه على قومه عندنا، وإنما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة على قومه، بقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.[١٤] لم يكن له أن يفارقهم فيقول:[١٥] اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك، **ولا تكن كصاحب الحوت**، الذي فارق قومه قبل مجيء الإذن له من الله تعالى.

[١] جميع النسخ: ثلاث.
[٢] ن: من ناجيتهم.
[٣] ر ث م: لا تفارقوا.
[٤] ن: لهم.
[٥] ر م: أن لا تقصروا.
[٦] ر ث م: من وراه.
[٧] ر ث م – أنهم.
[٨] ر ث: إلا الله.
[٩] جميع النسخ: ربه.
[١٠] ن: لا تجازيهم.
[١١] ن: بصنيعهم.
[١٢] ر م: واستعمل؛ ث: واستعجل.
[١٣] ر: ونادي.
[١٤] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٨٧).
[١٥] ن: فقول. أي فيقول الله تعالى.

والثاني أن يونس عليه السلام لم يصبر على أذى[1] قومه، بل فارقهم حتى ابتُلي ببطن الحوت. ثم فَزِع بالدعاء إلى الله تعالى ليُخَلِّصه من بطنه. فيقول: عليك الصبر مع قومك ولا تكن كصاحب الحوت، حيث لم يصبر مع قومه فابتلي بما ذَكَر حتى احتاج إلى أن ينادي في الظلمات: أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ،[2] فتُبْتَلَى[3] أنت أيضا بمثل ما ابتلي هو به.

ثم لا يجوز أن تلحقه[4] اللائمةُ ويعاتَب على ما دعا في بطن الحوت، لأن ذلك عذاب ابتلي به، ولا ينبغي للمرء أن يصبر على العذاب، بل عليه أن يبتهل إلى الله تعالى ليكشف عنه، وإنما لحقته[5] اللائمة بمفارقته قومه ولتركه الصبر معهم.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم**، نعمة ربه هي[6] ما وفقه للتوبة والإنابة وما قبل منه توبته، وكان له ألا يقبلها، إذ هو إنما أتى[7] بالتوبة بعد أن صار إلى تلك المضائق، وابتلى بالشدائد، وجاءه بأس الله. ومن حِكَمِه أنه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ -إلى قوله- فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[8] فإذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى عليه. وقوله: **لنبذ بالعراء**، هو المكان الخالي، فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث في بطنه إلى يوم يُبْعثون. ثم ينبذ[9] بعد ذلك بالعراء وهو مذموم، لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته [كما قال:] فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ،[10] محموم. فقوله: **لنبذ بالعراء وهو مذموم**، لو عاقبه بالنبذ، ولكن إنما نُبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما.

---

[1] ر ث: على أدى.
[2] سبقت قريبا.
[3] ن: فيبتلى.
[4] جميع النسخ: ان يلحقه.
[5] جميع انسخ: لحقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.
[6] جميع انسخ: ربك هو.
[7] جميع النسخ + به.
[8] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).
[9] ر م: نبذ.
[10] ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٤٣-١٤٦).

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه،** فنعمته عليه كانت من ثلاثة أوجه. أحدها في تذكير الزلة. وذلك كان بالْتقام الحوت إياه، وكان عنده أن مفارقته قومه لم يكن زلة، لأنه إنما فارقهم لأن قومه كانوا له أعداء في الدين، ففارقهم لينجو منهم ولِيَسْلم له دينُه، ولا يسمعَ المكروه منهم[1] في الله تعالى.

والثاني أن[2] في مفارقته إياهم تخويفا[3] منه[4] لهم وتهويلا، لأن القوم كان لا يفارقهم نبيهم من بين أظهرهم إلا عند ما يريد [الله] أن ينزل بهم العذاب، وذلك مما[5] يدعوهم إلى الانقلاع عما هم فيه، ويدعوهم إلى الفزع إلى الله تعالى.

و[الثالث] من خوّف آخرَ بأمر فيكون فيه دعاؤه إلى الهدى كان محمودا مصيبا. ولأن مفارقته إياهم هي التي دعتهم إلى الإسلام فأسلموا، لقوله: فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ.[6] ومن كانت مفارقته لهذه الأوجه التي ذكرناها،[7] لم تُعَدَّ[8] مفارقته زلة، بل عدت من أفضل شمائله. ولكن لحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا أن الرسل لا يسعهم أن يفارقوا قومهم وإن اشتد عليهم الأذى من جهتهم إلا بعد وجود الإذن من الله تعالى، وكانت مفارقته تلك بغير إذن. *والله أعلم.*

ثم كان[9] في ظنه أن ليست تلك المفارقة زلة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ.[10] قيل في التأويل: أي لن نُضَيِّق[11] عليه، وقيل: أي لن نعاقبه.[12] ولولا[13] أن عنده أن تلك المفارقة

---

[1] ر ث م - منهم.
[2] ر ث م - أن.
[3] جميع لنسخ: تخويف.
[4] ر م: منهم.
[5] ر: ما.
[6] سورة الصافات، ١٤٨/٣٧.
[7] ر م: ذكرنا.
[8] ر ث م: لم يعد.
[9] ر ث م: كانت.
[10] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (سورة لأنبياء، ٨٧/٢١).
[11] ر ث م: أن لن يضيق.
[12] ث: لن يعاقبه؛ م: لن تعاقبه.
[13] ر ث م: فلولا.

ليست بزلة وإلا كان لا يظن هذا،[١] فتبين عنده بالْتِقام[٢] الحوت إياه وبما أفضى إليه من الشدائد أن تلك زلة منه، وتذكير الزلة من إحدى النعم. والنعمة الثانية والثالثة ما ذكرناهما من توفيق الله تعالى إياه بالتوبة وإكرامه عليه بقبولها. ومن حُكمه أن لا يقبل التوبة ممن جاءه[٣] بأس الله وأحاط به العذاب، وهو إنما فزع إلى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه بأس الله تعالى.

وجائز أن يكون حكمه هذا في الكفرة ليس في المؤمنين، لأنه قال في آية أخرى: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا،[٤] ففيه[٥] إشارة إلى أن من سبق منه الإيمان قبل أن يأتيه آيات ربه أو سبق منه كسب الخير من بعد الإيمان فإن إيمانه في ذلك الوقت ينفعه. وقال في أهل الكفر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[٦] فهذا حكمه في أهل الشرك. وقال: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار.[٧] وقال في المؤمنين: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.[٨] فثبت أن ما ذكرنا من الحكم هو حكمه في أهل الكفر ليس في أهل الإيمان. والعقل يدل على هذا، وذلك أن المؤمن قد علم[٩] أن الذي سبق منه زلة وارتكاب معصية، فهو ليس يحتاج إلى إثبات / آيات فينبهه على أن الذي فعله زلة. فجائز [٨٣٦و] أن تقبل منه التوبة في ذلك الوقت كما تقبل[١٠] قبل[١١] تلك الحالة. وأما الكافر فعنده أن ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية، فيحتاج إلى آيات تنبهه عن غفلته،[١٢] وتذكُّره[١٣] أن الذي فعله معصية.

---

[١] ر ث م – هذا.
[٢] ن: التقدم.
[٣] ر م: جاء.
[٤] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.
[٥] ن: وفيه.
[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥.
[٧] سورة النساء، ١٨/٤.
[٨] ﴿...فأولئك يتوب الله عليهم﴾ (سورة النساء، ١٧/٤).
[٩] ن: فقد عمم.
[١٠] ن: يقبل.
[١١] ر ث + منه.
[١٢] ر م: عصة.
[١٣] ر ن ث: ويذكره؛ م: يذكره.

فإذا نزل به البأساء والشدة فذلك يمنعه[1] عن النظر والتدبر، فلا يكون إيمانه عن تحقق ويقين فلا ينفعه. والثاني[2] أنه يفزع إلى التوبة والإيمان ليدفع عن نفسه البأساء لا [ل]يدوم عليه لو كُشف[3] عنه العذاب، كما قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[4] فلهذا لا ينفعه إيمانه.[5]

فإن قيل: إن قوم يونس قد نفعهم إيمانهم وهم آمنوا بعد ما أيقنوا بالعذاب.

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون عذابهم موعودا و لم يكن مشاهدا مرئيا. و[الثاني] جائز أن يكون الله علم صدقهم في إيمانهم لو مُكّنوا منه[6] فكشف عنهم العذاب لما كانوا متحققين. وغيرهم كان يفزع إلى الإيمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود إلى كفره فلم يقبل منه. وجائز أن يكون من حكم الله تعالى أن لا يقبل من أحد التوبة إذا حل به العذاب، ولكنه يقبلها[7] من المؤمنين إفضالا وإنعاما، ولا يتفضل على الكافرين[8] الذين آثروا الدنيا على الدين.

وعلى قول المعتزلة: ليست لله تعالى عليه[9] نعمةٌ ولا على أحد من أهل الإسلام، لأن من[10] قولهم: إن الله تعالى إذا علم من كافر أنه يسلم يوما من الدهر وإن كان بعدَ ألفِ سنةٍ، فليس له أن يميته قبل أن يُسلم، وعليه أن يوفقه للتوبة، وعليه[11] أن يقبل منه التوبة. فإذا كان هذا كله حقا عليه للعبد لم يكن له موضعُ نعمة عليه في قبول التوبة، لأن من قضى حقا عليه وأوصله إلى مُحِقِّه لم يَعُد ذلك منه إنعاما، فلا يكون لقوله: **لولا أن تداركه نعمة من ربه،** معنى. وقد قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]،[12] ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان.

---

[1] ن: لمنعه.
[2] أي المؤمن.
[3] ر: كشفه.
[4] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[5] أي إيمان الكفر.
[6] جميع النسخ – منه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.
[7] ث: يقبله.
[8] ث: الكفر.
[9] أي على العبد.
[10] ث: معنى.
[11] ر: عليه.
[12] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **فاجتباه ربه**، أي اختاره واصطفاه للرسالة، ألا ترى إلى قوله، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.[1] وقوله تعالى: **فجعله من الصالحين**، فهذا وصف كل نبي مرسل في الآخرة.[2]

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**. فمنهم من يقول: هذا على التحقيق، وصُرِف ذلك إلى قوم بأعيانهم قد عُرفوا بخبث[3] الأعين وحلول الآفات بمن يَعِينُونه[4] من أهل الشرف والتبجيل. ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه الصلاة والسلام فلم يتهيأ لهم أنْ يَعِينُوه، فكان فيه تقرير رسالته وآيةُ نبوته عند أولئك الكفرة.

فإن قال قائل: إنهم كانوا يعدُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون: إنه لمجنون، والمجنون لا يعان، وإنما يعان أهل الشرف والحِجَى وذوا الأحلام والنُّهى. فما[5] أنكرتَ أنه سلم من الآفة حتى يُقْصَد إليه بالعِينَة؟

فجوابه أنهم وإن كانوا يعدونه من جملة المجانين، فإنهم سمعوا منه ذكرا عجيبا[6] وهو القرآن؛ ومن أُعْطِيَ مثلَ ذلك[7] الذكر والشرف فهو مما يقصد إليه بالحسد، فكانوا يَعِينُونه لذلك المعنى. ثم لم يضرَّه كيدُهم ولا نفذت[8] فيه حِيَلُهم، فأوجب ذلك تنبيهَهم[9] أنه رسول من الله تعالى. ومنهم من حمله على التمثيل ليس على التحقيق، فيقول: **وإن يكاد الذين كفروا**، لشدة بغضهم وعداوتهم إياك، **لَيُزلقونك بأبصارهم**، كما يقال: نظر إليَّ فلان نظرا كاد أن يقتلني، فيقوله على التمثيل. ثم قوله: **ليزلقونك**، أي يُسقطونك ويَصرعونك.

---

[1] سورة الصافات، ١٤٧/٣٧.

[2] أي بعد رجوعه إلى قومه ودعوته إلى الإيمان وقبول قومه دين الحق.

[3] ر ث: بخبيث.

[4] عان الرجلَ يَعينه عَيْنًا، فهو عائن، والمصاب مَعِين ومَعْيُون: أصابه بالعين (*لسان العرب*، «عين»).

[5] ر ث م: فمن.

[6] ر ث: عجبا.

[7] ن: منك.

[8] جميع النسخ: نفذ.

[9] جميع النسخ: بينهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.

وقوله عز وجل: **لَمَّا سمعوا الذكر**، وهو القرآن. وقوله عز وجل: **ويقولون إنه لمجنون**، وقد وصفنا[1] أنهم لأيّ معنى كانوا ينسبونه إلى الجنون، وذكرنا ما يردُّ عليهم مقالتهم ويفي[2] عنهم الرَّيْبَ والإشكال.[3]

**﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٥٢]**

وقوله عز وجل: **وما هو إلا ذكر للعالمين**، فجائز أن يكون الذكر هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد تقدم ذكرهما جميعا، إذ كل واحد منهما ذِكْر يذكر[4] ما للخلق وما على الخلق، وما تنتهي[5] إليه عواقبهم، ويذكر ما يؤتَى وما يُتَّقى. ***والله أعلم بالصواب.***[6] تمت بعون الله الملك الوهاب.[7]

---

[1] ن ث م: وقد صفنا.
[2] ن: ينفي.
[3] انظر: تفسير الآية ٢ من هذه السورة.
[4] م: يذكر.
[5] جميع النسخ: ينتهي.
[6] ن ث م - بالصواب.
[7] ن ث م - تمت بعون الله الملك الوهاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الحاقة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الْحَاقَّةُ﴾[١] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[٤]**

قوله عز وجل: **الحاقة ما الحاقة**، قد ذكرنا أن يوم القيامة سُمي بأسماء النوازل التي تكون[٢] من البلايا والشدائد ليقع بها التخويف والتهويل، وليس في تبيين وقته ولا في ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب. فذكر ذلك اليوم بالأسباب التي هي[٣] أسباب الزجر والردع. فقوله: **الحاقة**، أي حَقَّتْ لكل عامل عَمَله ويحق لكل ذي حق حقُّه، فإن كان من أهل النار استوجبها وإن كان من أهل الجنة دخلها. وقال بعضهم: **الحاقة**، هي النازلة التي لا ترتفع أبدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وأنواع ما وُعدوا به يوم القيامة. وقيل:[٤] هي الواجبة مثل قوله: وَحَاقَ بِهِمْ،[٥] أي وجب ونزل بهم. والأصل أن القيامة سميت بالأحوال التي يبتلى[٦] الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة والتنادِ والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القرآن، أُخذت أسماؤها من أحوال ما يبتلى[٧] الخلق [بها].[٨] *والله أعلم*.

---

[١] ر – سورة الحاقة؛ ث + وهي اثنتان وخمسون آيات مكية.
[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[٣] م: هو
[٤] ن: وقال.
[٥] ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولُنّ ما يحبسه ألا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ (سورة هود، ٨/١١).
[٦] ر: يتلى؛ ن م: يبلى؛ ث: تبتى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن: أحدث أسماؤها من أحوال ما يبى؛ ث م: ما لي.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٨٣٦ط] وقوله عز وجل: / **ما الحاقة**، فهو على تعظيم أمر ذلك اليوم، كما يقال: فلان ما فلانٌ، إذا وصف بالغاية في القوة أو السخاوة[١] أو نحوه.[٢]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما الحاقة**، فهو على تعظيم أمر ذلك اليوم أيضا. أو **وما أدراك ما الحاقة**، أي لم تكن تدري[٣] فأدراك الله. لأنه لم يكن خبر القيامة [من] علمك ولا [من][٤] علم قومك. لكن الله تعالى أطْلعك عليه؛ لأن قومه كانوا منكري البعث ولم يكن عندهم من خبره شيء. وذلك أن الله تعالى لما ذكّرهم من دلائل البعث التي جهة[٥] دركها العقول والحكمة من إحالة التسوية بين البر والفاجر[٦] والمطيع والعاصي، وأنه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا و[من] الدلائلِ الأخرِ التي لا يأتي عليها الإحصاء. فلما لم يقنعهم ذلك ولم يتفكروا في خلق السماوات والأرض ولا اعتبروا بالآيات احتج عليهم بما لقي من سلفهم[٧] مِن مكذبي البعث ومنكري الرسلِ حيث استأصلهم فلم يَبق لهم سلف ولا تَخلُفُ عنهم خَلَفٌ[٨] ليكون ذلك أبلغ في الإنذار. وذلك قوله: **كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة**، ذكر هم بما حل بثمود وعاد وما أصابهم بتكذيبهم الرسل. يقول: سيصيبكم بتكذيبكم[٩] محمدا عليه الصلاة والسلام فيما يخبركم من الأنباء[١٠] عن الله تعالى[١١] [ما] أصاب[١٢] ثمود وعادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه. أو يخبرهم أن ثمود وعادا كذبوا رسلهم[١٣] حتى إذا[١٤] صاروا إلى الهلاك ندموا على ما سبق من تكذيبهم،[١٥] فستندمون أيضا إن دمتم على تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما يأتيكم من الأنباء بعد موتكم.

---

[١] ر ث م: والسخاوة.
[٢] ر ث م – ونحوه.
[٣] ن: لم يكن يدري.
[٤] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[٥] ر ن م: جهته.
[٦] ر م: بين الفاجر والبر.
[٧] ث: سفلهم.
[٨] م – خلف.
[٩] ن: تكذيبهم.
[١٠] ر: من الأبناء؛ ث: بالأنباء.
[١١] ن: عز الله.
[١٢] جميع النسخ: كما يصيبهم ما أصاب.
[١٣] ن – ليتهوا عن تكذيبه أو يخبرهم أن ثمود وعادا كذبوا رسلهم.
[١٤] ر ث م إدا.
[١٥] ن – من تكذيبهم.

ثم ذكّر هم نبأ عادٍ وثمودَ وإن كانوا مكذبين بتلك الأنباء لئلا[١] يبقى لهم يوم القيامة حجة فيقولوا:[٢] إنا كنا عن هذا غافلين. ولأنهم لو بحثوا عن علم ذلك لكانت هذه الآيات والأنباء[٣] تُحقّق لهم علمَ[٤] ذلك. فقد وقعت هذه الآيات موقع الحِجَاج لولا إغفالهم وإعراضهم عنها، فانقطع عذرهم ولزمتهم الحجة وإن تركوا الإيمان بها.

ثم قوله عز وجل: **الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة**، وقوله: ٱلْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ،[٥] يحتمل أن يكون هذا مخاطبةَ كل مكذِّبٍ بالبعث لا مخاطبة الرسول، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[٦] إنه خطاب لمن يغْترُّ بالدنيا لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يخاطب[٧] به رسوله عليه الصلاة والسلام، فإنْ صُرِف الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو أريد بالخطاب المكذِّبون. والأصل أن قول القائل: فلان وما فلان؟ يوجب اجتذاب الإسماع ويستدعي السامعَ إلى[٨] البحث في الشاهد، لأنه إنما يُذكَر فُلانٌ بهذا الأعجوبة[٩] فيه أو لعظمِ[١٠] أمره فيُستبحث عن ذلك لتُوقَف[١١] على تلك الأعجوبة التي فيه. فإن كان الخطاب للمكذبين دعاهم ذلك إلى تعرف ما فيه من الأعجوبة والتعظيم. وفي قوله: **وما أدراك ما الحاقة**، مبالغة في التعجب، وإذا نظروا فيه وفهموه دعاهم ذلك إلى الإيمان به، فصارت الآية في موضع الإغراء واجتذاب الأسماع.

وإن كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأويله أن المكذبين يؤذونه ويمكرون به فيتأذى[١٢] بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما ينزل بهم من العذاب ويَحِق عليهم،

---

[١] ر ن م: لأن لا.
[٢] ر: فتقولوا؛ ن م: فيقولون.
[٣] ث: هذه الأنباء والآيات.
[٤] ر ن م – علم.
[٥] سورة القارعة، ١٠١/١-٣.
[٦] سورة الانفطار، ٨٢/٦.
[٧] ر م: أن يكون يخاطب.
[٨] ر م – إلى.
[٩] ن + التي.
[١٠] جميع النسخ: يعظم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[١١] ر: لتوقفه.
[١٢] ن: فيتنادى.

فيكون فيه بعض التسلي عما أصابه الأذى من ناحيتهم. أو ذكره أن العذاب يحق عليهم فلا يحزن[1] بصنيعهم؛ بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم والرحمة لهم.

[٨٣٧و] وقيل: إن كان الخطاب في المكذبين / ففيه تخويف لأهل مكة وتهويل أنهم إن[2] كذبوا رسولهم فيما يخبرهم من أمر البعث نزل بهم من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل، وقد عرف أهل مكة ما نزل بأولئك. وإن كان الخطاب في رسول الله ففي ذكر نبأ عاد وثمود ما يدعوه إلى الصبر على أذاهم ويكون له بعض التسلي، لأنه يخبر أنك لست بأول رسول كُذّب، بل شَرِكتك الرسل من قبل وابتُلوا بالتكذيب، ثم بين ما نزل بعادٍ وثمودَ بالتكذيب بالقارعة [فقال:]

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[٥]

وهو قوله: **فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**؛ فالطاغية والعاتية والرابية يمكن أن يُجعل هذا كله صفةً للعذاب الذي نزل بهم. وجائز أن يكون صفة الأحوال التي سبقت منهم وكانوا عليها. فإن كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة. والطاغي هو العاتي الشديد لا يراقِب ولا يتقى. فوصف العذابَ الذي أرسله عليهم أنه لم يُبقِ منهم أحدا، بل استأصلهم وأهلكهم بجملتهم. وقيل: ذلك العذاب هو الصاعقة، وقيل: هو[3] الصيحة، وسُمي طاغيةً ولم يُقلْ طاغٍ لهذا. وقيل اشتق هذا الاسم للعذاب من أفعالِ مَن عُذّب به، ليس أنها طاغية لكن أُخذ اسمُه عن فعل القوم، كقوله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[4] وقال: [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ] فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[5] وإنما ذلك[6] كله جزاء سيئاتهم واعتداءهم.[7] وقيل: **بالطاغية**، أي بطغيانهم وذنوبهم التي سلفت[8] منهم، كقوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا.[9]

---

[1] جميع النسخ: فلا تحزن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[2] ر ن م – إن.
[3] رث م – هو.
[4] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
[5] سورة البقرة، ٢/١٩٤.
[6] ر ث م: ذكر.
[7] ر م – واعتداءهم.
[8] جميع النسخ: الذي سلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.
[9] سورة الشمس، ٩١/١١.

ويحتمل أن يكون هذا صفةً لأحوالهم التي كانوا عليها من شدة التمرد والعتو.[١] ومن طغيانهم التكذيب بالحاقة والقارعة. ففيه تخويف لأهل مكة أنْ سيهلكهم إن لم ينتهوا عن التكذيب كما أهلك أولئك.

**﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية،** قال الحسن: الريح الصرصر هي الصَّيِّتَةُ،[٢] وهي التي لها صوت. وقال بعضهم: هي الريح الباردة[٣] الشديدةُ البردِ، كقوله: رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ،[٤] الآية. والصِر البارد والصرْصَر المكرَّر منه، فوصفها لدوامها وتكررها. وقوله عز وجل: **عاتية،** فتأويلها على ما ذكرنا في الطاغية. وذكر الكلبي[٥] وغيره أنها سميت عاتية لأنها عتت[٦] على الخُزّان و لم يطيقوها.[٧] وهذا لا يستقيم، لأنه لا يجوز أن يُوكَّل الخُزّانُ على حفظها ثم لا يمكَّنُون من الحفظ حتى تَعْتُو عليهم، إلا أن يقال: إنهم لم يوكلوا[٨] بحفظها في ذلك الوقت. فأما إذا وكلوا بحفظها ثم لا يُجعل لهم إلى حفظها سبيل فهذا مستحيل. ***والله الموفق.***

**﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٧]**

وقوله: **سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما،** قوله:[٩] **سخرها،** قيل: أرسلها، وقيل: أدامها عليهم، وقيل: التسخير التذليل، أي ذللها فصيرّها[١٠] بحيث لا تمتنع[١١] عن المرور عليهم

---

[١] ث م: والعتق.
[٢] ن: المصية.
[٣] ن – الباردة.
[٤] ﴿مَثَلُ ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٧).
[٥] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)؛ نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة، فيها مولده ووفاته. انظر: *الفهرست* لابن النديم ١٠٧؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ١٥٨/٩؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٠٩/٤-٣١١؛ و*ميزان الاعتدال* للذهبي، ٥٥٦/٣.
[٦] ن: عتب.
[٧] ر: فلم يطيقوها.
[٨] ث م: لو يوكنوا.
[٩] ر ث م: وقوله.
[١٠] ن: يصيرها.
[١١] جميع النسخ: لا يمتنع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.

في الوجه الذي جعلها عليهم وإطاعتِه في الوجه الذي أرسلها، وإنما أَرسل الريح على أبدانهم خاصة لم تُهلِك شيئا من مساكنهم، كقوله: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ.[1] والريح إذا عملت على الأبدان فهي[2] على البنيان أكثر، لكن الله تعالى لم يأمرها بذلك. *والله أعلم*.

ثم قوله: **سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حسوما**، فيه تبيين أن الأيام لم تكن[3] على عدد الليالي ولو كانتا[4] على عدد واحد لكان في ذكر أحد العددين ذِكْرُ العدد الآخر، لأن تسمية الليالي تسمية للأيام[5] وتسمية الأيام تسمية لليالي، ألا يرى أنه قال في قصة زكريا: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[6] وقال في موضع آخر: ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا.[7] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **حسوما**، قيل متتابعة[8] دائمة، وقيل: قِطعا قطَعا، من الحسم؛ يقال: حسَمَتِ الريح كل شيء: مرت به حَسْما، أي قطعته. وقيل: مشئوماتٍ حيث انقطعت بركتها عنهم.

وقوله: **فترى القومَ فيها صَرْعَى**، أي إنك لو أدركتهم وشهدتهم[9] وعاينتهم لرأيتهم صرعى، **كأنهم أعجاز نخل خاوية**. وقال بعضهم: أي[10] ترى الأعضاء المتفرقة كلُّ قطعة منها كأنها عجزُ نخلة، إذ[11] كانوا هم أعظمَ في أنفسهم من أعجاز النخل، فيصرف تأويله إلى الأعضاء المتباينة.[12]

ثم ذكر النخل هاهنا بالتأنيث فقال: **أعجازُ نخلٍ خاوية**، ووصف في سورة اقترب بصفة التذكير فقال: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ،[13] لأن النخل يذكَّر ويؤنث كذا قاله الزجاج.[14]

---

[1] سورة الأحقاف، ٢٥/٤٦.
[2] ر م: فهو.
[3] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.
[4] جميع النسخ: ولو كانا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر – تسمية للأيام.
[6] سورة آل عمران، ٤١/٣.
[7] سورة مريم، ١٠/١٩.
[8] ر ث م: متابعة.
[9] ن – شهدتم.
[10] ر ث م: ألا ترى.
[11] ر ن م: إذا.
[12] ث: المتبانية.
[13] سورة القمر، ٢٠/٥٤.
[14] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢١٤/٥.

وقيل: النخل[1] يُذَكّر على كل حال،[2] لكن قوله: **خاوية**، صفة للأعجاز لا صفة النخل، والأعجاز جماعة، والجماعة مؤنثة،[3] والنخل واحد، فيُذكَّر. وليس كذلك، لأن الخاوية صفة النخل، ألا ترى أنْ[4] عند الوصل يذكر بالخفض لا بالرفع؛ ولأن النخل اسم جمع، يقال: نخلة ونخل كما يقال: شجرة وشجر وثمرة وثمر وتمرة وتمر[5] ونحو ذلك.

وقوله عز وجل: **خاويةٍ**، قال بعضهم أي بالية. وقيل: **خاوية أي**[6] ساقطة، كقوله تعالى: وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا[7] أي ساقطة على قوائمها. وقيل: أي خاليةٍ، فوصفها بالخلاء لأنها اقتلعت[8] من أصلها حتى خلا ذلك المكان عنها. وأعجاز النخل[9] أصولُه.

**﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **فهل ترى لهم من باقية**، فيه أنه لم يبق لهم نسل يذكرون بهم، بل أهلكوا بأجمعهم وانقطع عنهم الذكر إلا بالسُّوء، وإلا كان يُرى لهم [من][10] باقية. ففيه أنهم أُستُؤْصِلوا وعمّ العذاب الكبير والصغيرَ، يخوِّف أهل مكة بما يخبرهم عما فعل بأولئك. وفيه إخبار أنهم عذبوا بعذاب لا رحمة فيه. وهكذا سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من قبل.[11] وجعل تعذيب هذه الأمة أن يجاهَدوا ويقاتَلوا، فتعذيب هذه الأمة تعذيب فيها رحمة لأن الصغار منهم لا يقاتَلون[12] والنساء لا يقاتَلْن بل يُسْبَيْن[13] رجاء أن يُسلمن. فعلى هذا يخرج قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[14] *والله أعلم*.

---

[1] م – النخل.
[2] ر + مكره.
[3] جميع النسخ: مؤنث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.
[4] ر م – أن.
[5] م – وتمرة وتمر.
[6] جميع النسخ + الخاوية أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٥٩؛ وسورة الكهف، ١٨/٤٢.
[8] ر: اقنعت.
[9] جميع النسخ: نخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ن م: من قيل؛ ث: من القبل.
[12] ر م – فتعذيب هذه الأمة تعذيب فيها رحمة لأن الصغار منهم لا يقاتلون.
[13] ن: يستبن.
[14] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.

ويشبه أن يكون هذا جواب قولهم: إن محمدا صُنبُورٌ[1] أي ليس له ولد [به] يبقَى نسله أو ذكرُه. فأخبر[2] تعالى أن كثرة الأولاد لا يغني من الله شيئا، إذ قد كانت لهم أهالٍ وأولادٌ فأُهلكوا عن آخِرهم وانقطع التناسل منهم، ليعلموا أنه يُبقِي ذِكْرَ من أطاع الله ورسوله كان ثَمّ أولادٌ أو لم يكن. *والله أعلم*.

**﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾[٩] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[١٠]**

وقوله: **وجاء فرعون ومن قبله**، قرئ بكسر القاف وفتح الباء، وقرئ بنصب القاف وجزم الباء.[3] فتأويل القراءة الأولى أي جاء فرعون ومَن معه مِن جنده وأتباعه، أو مَن قِبَله مَن كان من أهل القرى التي بقرب المصر. وقد قرئ بالشاذ[4] في بعض الحروف: وجاء فرعون ومَن دونه، وجائز أن يكونوا[5] من أتباع فرعون وجائز أن لا يكونوا.[6] وتأويل القراءة الثانية أي جاء فرعون ومن كان متقدما عليه من الأمم الماضية. وقوله: **والمؤتفكات**، قيل: قَرِيات لوطٍ ائتفكت على أهلها، أي انقلبت عليهم بما عصت رسلها. وقيل: المؤتفك الذي يأتفك من الصدق إلى الكذب، ومن الحق إلى الباطل، ومن العدل إلى الجور. فمن قرأ ومَن قِبلَه بخفض القاف كان قوله: **وجاء فرعون ومن قِبَلَه والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم**، واقعا كلُّه على العصيان

[٨٣٧ظ] لموسى عليه السلام؛ والمراد من **المؤتفكات**، / كل من ائتفك من الحق إلى الباطل دون أهل قريات لوط لأنهم كانوا قبل زمان موسى بكثير. ومن قرأ ومَن قَبله بنصب القاف كان قوله: **فعصوا رسول ربهم**، واقعا على رسول كل فريق كان،[7] أي عصى كل أمة رسولها. وعلى هذا يجوز أن يكون المراد من **المؤتفكات**، قومَ لوط.

---

[1] ن ث: صبور. قال أبو حنيفة: الصنبور بغير هاء: أصل النخلة الذي تَشَعَّبت منه العُرُوق. ورجل صُنْبُورٌ: فَرْد ضعيف ذليل لا أهل له ولا عَقِب ولا ناصر. وفي الحديث أن كفار قريش كانوا يقولون في النبي صلى الله عليه وسلم: محمد صُنبُور، وقالوا: صُنَيْبِرٌ أي أبتر لا عقب له ولا أخ، فإذا مات انقطع ذِكْرُهُ. فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [سورة الكوثر، ١٠٨/٣] (*لسان العرب*، «صنبر»).

[2] ر ث م: وأخبر.

[3] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٤؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن جزري، ٢/٢٩١.

[4] ر ث م: وقد روي في الشاذ؛ ن: وقد روي الشاذ. والتصحيح من *الشرح* ورقة ٢٦٣ظ.

[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: أن لا يكون.

[7] جمع النسخ: كل فريق كأنه قال. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم قوله: **بالخاطئة**، أي بالخطايا والشرك. وذكر أبو معاذ عن مجاهد في تفسير الخاطئة الشرك والكفرَ وأنكر ذلك، واحتج بأن الله تعالى لم يذكر من قوم لوط كفرا وشركا في كتابه، إنما ذكر ركوبَهم[١] الفاحشة،[٢] وبها أهلكوا، إذ لم ينزعوا[٣] [بها] ولم يتوبوا. قال: ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط: إنَّ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ،[٤] أراد بذلك الإنكاح،[٥] والكافر لا يصح منه نكاح المسلمة. وليس كما زعَم، بل كانوا أهل[٦] شرك وكفر بالله تعالى، ألا ترى[٧] إلى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قوله: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[٨] فإخراج الرسل من أماكنها من صنيع أهل الكفر. وقال في موضع آخر: أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[٩] فطابت أنفسهم بإخراج لوط عليه السلام من قراهم. ومن فعل هذا لم يُشَكَّ في كفره. وقال في قصة لوط أيضا: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[١٠] فثبت أنهم كانوا كفارا.

ثم لقائل أن يقول في قوله: **وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم**، أخبر أنه جاء فرعون إلى موسى وعصاه، كيف ذَكَر مجيءَ فرعونَ إلى موسى ولم يوجد منه المجيءُ إلى الرسول، بل الرسول هو الذي جاءه، فعصاه فرعونُ، لا أن فرعون أتاه فاستقبله بالعصيان.

قيل: [فيه بأوجه أحدها] أن كل من أتى آخر وجاءه فقد أتاه الآخر، ومن قرب إلى آخر فقد قرب الآخر إليه.[١١] لأن المجيء فعل مشترك، لأنه اسم الالتقاء، وإنما يقع الالتقاء بهما جميعا ليس بأحدهما، فلذلك استقام إضافة المجيء إلى فرعون. وعلى هذا تأويل قوله تعالى:

---

[١] جمع النسخ: ركونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣ظ.
[٢] ث م: لفاحشة.
[٣] ر م: لم يبرعوا؛ ث: لم يرعبو.
[٤] سورة هود، ٧٨/١١.
[٥] ن: بالإنكاح.
[٦] ن م: هل.
[٧] ر ث م: ألا يرى.
[٨] سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.
[٩] ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ (سورة النمل، ٥٦/٢٧).
[١٠] سورة الداريات، ٣٥/٥١-٣٦.
[١١] ر م: إلى أخر فقد قرب الأخر إليه؛ ر ن م + إلا إليه.

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ،[1] أي قُرِّبت، وأهلها هم الذين يُقرَّبون إليها في الحقيقة. ولكنهم إذا قُرِّبوا إليها فقد قُرِّبَتْ هي[2] إليهم، فأضيف[3] إليها التقريب لهذا. فعلى هذا العبارة يمكن أن يتأول قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[4] وقوله عز وجل: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[5] أي أتاه الخلق لا أن يكون هو الذي يأتيهم، لأنه قال: وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ،[6] وقال: وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ،[7] وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[8] فأخبر أن الخلق هم الذين يأتونه ويرجعون إليه، ولكن نسب[9] المجيء والإتيان إلى الله تعالى لأنهم إذا أتوه فكأنه قد أتاهم من الوجه الذي ذكرنا دون أن يكون فيه إثبات الانتقال في الله تعالى.

والثاني أن اسم المجيء وإن أطلق واستعمل في المجيء إلى مكان من مكان فقد يستعمل أيضا في الموضع الذي ليس فيه حركة ولا انتقال.[10] قال الله تعالى: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ،[11] ومعناه ظهر الحق، ليس أن الحق كان في موضع فانتقل عنه إلى غيره. فأمكن أن يكون قوله: **وجاء فرعون**، أي [ظهر و][12] كذّب بما أنزل على موسى عليه السلام.

و[الثالث] جائز أن يكون قوله: **وجاء فرعون**، أي جاء بالخاطئة فيكون المجيء مصروفا إلى الخطايا. وهذا التأويل أَمْلَكُ بظاهر الآية، لأنه قال: **وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة**، أي جاءوا بالخطايا.

وقوله عز وجل: **فأخذهم أَخْذَةً رابية**، [قيل: مرتفعة وزائدة وشديدة. ومعناه أن العذاب أحاط بهم فأهلكهم وعلاهم حتى صاروا بحيث لا يُرَوْن فهي أخذةٌ رابيةٌ][13] أي عالية حيث علت أبدانَهم.

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠.
[2] ر: هم.
[3] ن: فأضيفت.
[4] سورة الفجر، ٨٩/٢٢.
[5] سورة البقرة، ٢/٢١٠.
[6] سورة النور، ٢٤/٦٤.
[7] سورة آل عمران، ٣/٢٨؛ وسورة النور، ٢٤/٤٢؛ وسورة فاطر، ٣٥/١٨.
[8] انظر مثلا: سورة البقر، ٢/٢١٠؛ وسورة آل عمران، ٣/١٠٩؛ وسورة الأنفال، ٨/٤٤.
[9] ر ث م: بسبب.
[10] ن + و لانتقال.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٨١.
[12] جميع النسخ: أي كذب بما أنزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.
[13] الزيادة من المرجع السابق.

وجائز أن يكون المراد منه أن عقوبتهم رَبَت[١] على الأخذ أي زادت على الأخذ لأنها أخذت أبدانَهم وأهلكتها. ثم رُدَّت أرواحُهم إلى جهنم فَتُعْرض[٢] عليها [النار] غدوا وعشيا،[٣] فذلك هو الزيادة على الأخذ. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إنا لما طغى الماء**، قال بعضهم: أي طغى على الخُزّان لأن الخزان يُرسِلون القَطْرَ بالكيل والوزن والقدر المعلوم. ثم ذكر[٤] في موضع آخر: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ،[٥] أي مُنْصَبٍّ. فيكون تأويله أن الله تعالى لم يُمكّنهم حفظ[٦] القَطر في ذلك الوقت، فطغى عليهم لهذا المعنى، وإلا لو لُزموا حِفظَه[٧] في ذلك الوقت لكان الماء لا يطغى عليهم على ما ذكرنا أنه لا يجوز أن تؤمروا[٨] بحفظه ولا يملكون حفظه. وجائز أن يكون قوله:[٩] **طغى**، أي طغى على الذين أهلكوا من مكذبي نوح عليه السلام. وقد وصفنا تأويل الطاغي.[١٠] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **حملناكم في الجارية**، فذكر أنه "حملنا" و لم نكن[١١] نحن يومئذ فنُحْمَلَ. والخطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كان لأن بنجاة[١٢] أولئك المحمولين نجاة ذريتهم، وبهلاك أولئك فناء ذريتهم، فكأنه قد حملهم بحمل أولئك لما حصل لهم النجاة بحملهم.[١٣] أو أضاف إليهم لأنه قدَّرَ كونهم من آبائهم، فكأنهم حُمِلوا تقديرا،

---

[١] ن: رتب.
[٢] جميع النسخ: فيعرض.
[٣] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿النار يُعْرَضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آلَ فرعون أشدّ العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٦).
[٤] ن ث م - ذكر.
[٥] سورة القمر، ٥٤/١١.
[٦] ن ث م: خفظ.
[٧] ن: حفظ؛ ث م: خفظه.
[٨] ن: أن يأمروا؛ ث م: تأمرو.
[٩] ر ث م - قوله.
[١٠] انظر تفسير الآية ٥ من هذه السورة.
[١١] ن: و م يكن.
[١٢] ر: بنجاه؛ ث: كان الإنجاه.
[١٣] ن ث م: بحممهم.

وهو كقوله: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ،[1] ومعناه أنزلنا عليكم ماء قدّرنا كون اللباس منه وهو المطر، فإذا أنزل المطرَ الذي قدّر كون اللباس منه[2] فكأنه أنزل اللباس. وقال عز وجل: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا] خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[3] ونحن لم نُخْلَقْ من التراب ولكن لما قَدَرَ خلقنا من التراب الذي أصلُنا منه فكأنا خُلِقْنا منه. فعلى ذلك

[٨٣٨و] وإن لم نكن نحن[4] محمولين في السفينة، فقد حمل[5] أصلنا / لنكون[6] نحن من ذلك الأصل، فكأنا قد حُملنا منها، إذ كنا في إرادة الله تعالى من الكائنين. *والله أعلم*. أو ذكر ذلك مِنّةً منه على الأبناء بصنيعه بالآباء ليُعْلم أنَّ على الأبناء شكر ما أحسن إلى آبائهم وأجدادهم. *والله أعلم*.

## ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **لنجعلها لكم تذكرة**، فوجه التذكرة[7] فيه أن أهل مكة أبَوْا إجابة الرسول، وقالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[8] فذَكّرهم أنهم أولاد من حُملوا مع نوحٍ عليه السلام في السفينة وهم إنما استوجبوا النجاة وشَرُفوا في الدارين جميعا باتباعهم الرسل، فما لكم لا تتبعونهم في تصديق الرسل دون أن تتبعوا[9] المكذبين للرسل. أو[10] يذكِّرهم كذبهم في قولهم: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، بل قد وجدتم آباءكم على خلاف ما أنتم عليه، وقد تعلمون أن آباءكم هم الذين اتبعوا نوحا فنجوا، وهم المؤمنون دون الكفرة. ووجه آخر أنه ذكَّرهم أحوال المكذبين وإلى ماذا آل أمرهم من الغَرَق والهلاك، فيكون فيه تخويف من كَذَّب من أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت تلك الجارية وهي السفينة موعظة وتذكرة تذكرهم[11] عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم،

---

[1] سورة الأعراف، ٢٦/٧.

[2] ر م + وهو المطر؛ ن + فإذا أنزل المطر الذي قدر كون اللباس منه وهو المطر فإذا أنزل الذي قدر كون اللباس منه.

[3] سورة الحج، ٥/٢٢.

[4] جميع النسخ: وإن لم يكن محمولين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.

[5] ر: يحتمل؛ ن ث م: يحمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر: ليكون.

[7] ر م: التذكير.

[8] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.

[9] ر م: أن يتبعون.

[10] م – أو.

[11] جميع النسخ: يذكرهم. والتصحيح من المرجع السابق.

أو ذَكَّرهم عظيم نعمه على آبائهم الذين حملوا في السفينة ليستأدي[١] منهم شكر ذلك. وقال بعضهم: كم من سفينة قد هلكت منذ ذلك الوقت وهي قائمة في موضع كذا عبرة وتذكرة. ثم التذكرة تُخرَّج[٢] على وجهين. أحدهما أن يراد بها الآية والعبرة، أي جعلنا لكم ذلك لتعتبروا وتكون آية لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته، كقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.[٣] والثاني أي جعلنا تلك الأنباء تذكرة لكم، أي جعلناها قرآنا تقرءونها وتذكرونها[٤] إلى آخر الأبد، فتشكرون[٥] الله تعالى على ما صنع إليكم. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وتَعِيَها أُذُنٌ واعية**، يقال: وعي الشيء إذا حفِظه، وأوعاه إذا حفظه بإناء أو غيره؛ أي تحفظها أذن حافظة. فأضاف الوعيَ والحفظ إلى الأذن، والأذن لا تعي بل تسمع.[٦] ثم يعيه[٧] القلب[٨] ولكن نسب الوعي إلى الأذن لأنه يوصَل إلى الوعي من جهة الأذن إذ بالسمع يوعى، والسمع من عمل الأذن. ثم يقع المسموع فيما فيه يُوعَى وهو القلب، فنسب الوعي إلى السمع لما يُتطرَّق به إلى الوعي؛ كما ذكرنا من إضافة اللباس إلى ما منه قُدِّر اللباس وهو المطر، وأضيف خَلْقُنا إلى التراب لأن أصل ما منه قُدِّر خلقنا هو التراب. وجائز أن يكون الله تعالى يجعل للقلوب آذانا بها تعي وأبصارا بها تُبصر فيضيف[٩] الوعي إلى آذان القلوب ليس إلى آذان الرءوس. **والله أعلم**.

وقيل: **أذن واعية**، أي عَقَلَت[١٠] عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتابه،[١١] وهي أذن المؤمن. فأما أذن الكافر فإنها تسمع وتَقذِف[١٢] ولا تعي[١٣] لما لم يحصل لهم الانتفاع به.

---

[١] ث: ليتأدي.
[٢] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.
[٣] سورة العنكبوت، ١٥/٢٩.
[٤] ر ن م: يقرؤنها ويذكرونها.
[٥] جميع النسخ: فيشكرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤ظ.
[٦] ر ن م: لا يعي بل يسمع؛ ث: لا يقي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] م: يعين.
[٨] ن ث: قلب؛ م: القبل.
[٩] ر م: فتضيف.
[١٠] ر ث: غفلت.
[١١] ن: من كتابة.
[١٢] ن: ويقذف.
[١٣] جميع النسخ: ولا يعي. والتصحيح من المرجع السابق.

ألا ترى أنه وصف أذانَهم بالصمم لما لم ينتفعوا بالمسموع، وكذلك قال: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[1] جعل تركهم الانتفاع به نبذا. فعلى ذلك جعل الانتفاع[2] به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق أنهم إذا أرادوا بعلم أو بشيء اجتهدوا في وعيها وحفظها.

**﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[١٣] ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١٤] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**، فكأنهم سألوا متى تكون الواقعة والحاقّة والقارعة، فأخبر عن ذلك بقوله: **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة**، فجوابهم في قوله: **فيومئذ وقعت الواقعة.** ثم قد بينا أن الأسئلة كلها خرجت[3] عن الأحوال التي تكون في ذلك الوقت لما لا فائدة لهم في تبيين وقته، ولا حاجة إلى معرفته، وإنما الفائدة في تبيين أحواله لما يقع بها الترغيب والترهيب. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **نفخةٌ واحدةٌ**، فجائز أن يكون على حقيقة النفخ واحتمل أن يكون على قدر[4] نفخة واحدة، فيكون فائدته ذكر سهولة أمر البعث على الله تعالى، لأن قدر النفخة مما[5] يسهل على المرء في الشاهد ولا يتعذر. وجائز أن يكون ذكر النفخ لما أن الروح يدخل في أجسادهم وينتشر[6] فيها، وذلك عمل النفخ، لأن الريح إذا نُفخت في وعاء سَرَت فيه وانتشرت، فكنَّى عن دخول الروح في الجسد بالنفخ إذ ذلك عمله، وكنَّى بالنفخ عن خروج الروح من الأجساد لهذا. وعلى هذا[7] تأويل قوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[8] ليس على حقيقة النفخ ولكن عَمِل الروح فيها عملَ النفخ، فقيل ذلك. *والله أعلم.* وقوله عز وجل: **في الصور**، قيل: الصور هو القرن يُنفخ فيه النفخة الأولى، فيَصْعَق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله

[1] سورة آل عمران، ١٨٧/٣.
[2] ر ث + الانتفاع؛ ن - به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق أنهم إذا أرادوا.
[3] ن + عن بيان الوقت والله تعالى لم يبين لهم وقت كونه وإنما أجاب.
[4] ر ث م - قدر.
[5] ث م: ما.
[6] ث: وتيسير.
[7] ث - هذا.
[8] سورة التحريم، ١٢/٦٦.

ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام يَنظرون.[١] ومنهم من يقول: أي نفخ الروح في صُوَر الخلق. لكنْ جميعُ الصورة الصوَر بنصب الواو فلا يحتمل أن يكون المراد منه جمعَ الصورة. لكنه يجوز أن يكون الله تعالى جعل نفخ الصور سببا لإفنائهم وإحيائهم، لا أنه يعجزه شيء / عن الإفناء [٨٣٨ط] والإحياء ما لم يُنفَخ في الصور. لكنه جعله سببا لنوع [من][٢] الحكمة والمصلحة، أو لمحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرف من أنواع المحن في الملائكة من إنزال الأمطار وتسيير السحاب وجعلهم الموكَّلين على أعمال بني آدم وغير ذلك.

وقوله: **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة**، [قالوا][٣] كسرتا كسرة واحدة، وقيل: هدمتا هدمة واحدة،[٤] وقال بعضهم: زُلزلتا زلزلة واحدة. فكأنه يقول - والله أعلم- تَتَزلْزلُ الأرض فتَقذِف ما في بطنها من الفضول وتُخرج ما فيها من الجواهر التي ليست منها بتلك الدَّكَّة وتُخرج[٥] أصولَ الجبال منها. ثم يجعلها الله تعالى كَثِيبًا مَهِيلًا،[٦] مثل الرمل. ثم يُعمِل عليه الريحَ فيجعله هباء منثورا، ويُرِيه من لينه كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[٧] ثم يُصَيِّرُ مثل السحاب فيقع في شِعاب الأرض والأودية والأماكن المختلفة، فتصير الأرض كما قال تعالى: فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٨] وهكذا الريح إذا عملت على شيء ويقع عليه تُفرّقه في النواحي وتُسوّي[٩] به الشقوق وتَبْسطه على وجه الأرض.

وقوله عز وجل: **وحملت الأرض**، ليس أنها تحمل من مكان إلى مكان،[١٠] ولكن تُدْخَل هذه في هذه وتضرب[١١] هذه على هذه بالدكة[١٢] فتصير[١٣] كأنها حملت لذلك.

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٧/٣٩).

[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٤ظ.

[٣] الزيادة من المرجع السابق.

[٤] ن - كسرتا كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة.

[٥] ر م - وتخرج؛ ن ث: ويخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿يوم تَرْجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).

[٧] سورة القارعة، ٥/١٠١.

[٨] سورة طه، ١٠٦/٢٠-١٠٧.

[٩] ر م: ويستوي؛ ث: وسوى؛ ن: ويسوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر م - إلى مكان.

[١١] جميع النسخ: يدخل هذه في هذه ويضرب. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ن: في هذه بالذكر.

[١٣] جميع النسخ: فيصير. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ. وهذا على اختلاف الأوقات ليكون معنى الآيات التي جاءت في الجبال على السواء. *والله أعلم*. وقيل: في آياتٍ أُخَر بيانٌ آخرُ: بيان تقديم فناء الجبال قبل الأرض، بقوله: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا، أي يذر الأرض، قَاعًا صَفْصَفًا،[1] وغيرها من الآيات مما يدل على تقديم فناء الجبال قبلها. فأما أن يكون معنى تبديل الأرض تغييرَها عن الحالة التي هي عليها اليومَ من انهدام البنيان واستواء الأودية وإزالة الجبال على ما جاء في الأخبار، فسمي لذلك تبديلا، كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة إلى غيرها: تبدَّلت، يراد أي تغَيَّرتَ عن حالتك. فعلى ذلك معنى الآية، أي تتكسر[2] الجبال وتتغير حالة الأرض في دُفْعة واحدة. أو يكون في الآية إخبار عن شدة الفزع في ذلك اليوم؛ أَنْ بدَكَّةٍ[3] واحدة تفنى[4] الجبال والأرض[5] وإن كان إفناء الجبال قبل إفناء الأرض، ليس أنهما تفنيان[6] جميعا بدفعة واحدة، لكن بالدكة الواحدة تهلك[7] الجبال والأرض، فيكون المراد بيان شدة اليوم وهوْلِه لا بيانَ[8] ترتيب فناء البعض[9] على البعض. *والله أعلم*.

وقوله: **فيومئذ وقعت الواقعة**، وهو على الحساب والجزاء، كقوله: وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ.[10] وأدخلت الهاء في أسماء القيامة تعظيما[11] لشأنها.

**﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية**، قال بعضهم: تفرقت، وهكذا الشيء إذا انشق تفرق وتباين،[12] وبه يظهر الشق. ويحتمل أن يكون الشق كناية عن اللين،[13]

[1] سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦.
[2] ر ث م: تكسرت.
[3] ر: يدكه؛ ن: أن يذكر؛ م يدركه.
[4] جميع النسخ: يعني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.
[5] ر ث م - والأرض.
[6] ر م: أنهم يفنيان؛ ن ث: أنهما يفنيان. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: يهلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: لاتيان؛ ن: الاتيان.
[9] ر ث م: الأرض.
[10] ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥-٦).
[11] م - تعظيما.
[12] ر ث م: وتباثر؛ ن: يفرق وتأثر. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث م: عن الذين.

أي تلين[١] بعد صعوبتها، دليلُهُ قَوْلُه:[٢] **فهي يومئذ واهية**، أي ضعيفة بعد ما كانت تُنسَب إلى الصلابة؛ ويدل على ذلك قوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[٣] وإنما يُطْوَى الشيءُ في الشاهد بعد ما كان يلين في نفسه. وجائز أن تنشق[٤] السماء لنزول[٥] أهلها فلا تبقى[٦] فيها إلا الملائكة الذين على أطرافها، ثم تنضم فتلين للطيّ.[٧] *والله أعلم*. وجائز أن يكون ذكر انشقاقها وانفطارها[٨] وانفتاحها تهويلا للحلق من الوجه الذي ذكرنا فيما قبل. وجائز أن يكون للسماوات أبواب فتفتح أبوابُها فيكون انشقاقُها وانفطارُها[٩] فتْحَ أبوابها. وجائز أن يكون الشق ليس [على][١٠] فتح الأبواب، لأنه ذُكر هذا في موضع التهويل وليس في فتح أبوابها كثير تهويلٍ. وقوله: **فهي يومئذ واهية**، أي ضعيفة مسترخِية. وقيل: الوهي الخرق، وهو يحتمل لأنها إذا انشقت انخرقت.

**﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **والملك على أرجائها**، الأرجاء النواحي والأطراف، وهي أطراف السماوات ونواحيها. واحد الأرجاء رَجا مقصور، **والملك**، أريد بها الملائكة. أخبر أنهم على أطراف السماوات ونواحيها، فيحتمل أنهم وُكِلوا وامتُحنوا بحفظها بعد الشق لئلا يسقط على أهل الأرض. وجائز أن يُجعل أطرافها وجوانبها لبعض الملائكة فتفتح[١١] أبواب السماء فتنزل[١٢] الملائكة [التي][١٣] كان مسكنهم عندها إلى الأرض، كما قال تعالى: وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا،[١٤]

---

[١] ر ن: يلين.
[٢] ر دليلة وقوله؛ ث م: ذليلة وقوله.
[٣] سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١.
[٤] جميع النسخ: أن ينشق.
[٥] جميع النسخ: ليزول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.
[٦] جميع النسخ: فلا يبقى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م: فتبين الطي؛ ن: فيبين لطي؛ ث: فتبين للطي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث م + وانفطارها.
[٩] ن م: وانقطارها.
[١٠] والزيادة من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: فيفتح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: فينزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.

وتبقى[1] الملائكة الذين كان مسكنهم في أرجائها ينتظرون أمر ربهم. ثم الملك ليس يحتاج إلى مكان يقر فيه وإن جعلت السماء مسكنا لهم، لأن الملائكة ينزلون من السماء إلى الأرض ويَقرّون على الهواء من غير أن يكون في الهواء مَقرٌّ. والثالث يبين[2] أنها لا تتفرق[3] كل التفرق، ولكنّ وسَطَها ينشق لما ذكرنا والباقي بحاله. ويحتمل **والملك على أرجائها**، على ما يُمَرّ به في السماء. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**، فيحتمل أن يكون الملائكة بالنفخة الأولى يصعقون إلا الثمانيةَ التي يحملون العرش، كما قال: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ،[4] فيكون هؤلاء الثمانية من الذين استُثنُوا، فلا يصعقون فهم يحملون العرش فيكون أمكنتهم على أرجاء السماوات، وهو قوله: **والملك على أرجائها**. وقوله عز وجل: **ثمانية**، جائز أن يكون أراد به ثمانية أملاك، وجائز أن يكونوا
[٨٣٩و] ثمانية أصناف من / الملائكة كما ذكر في التفسير. وجائز أن يكون هؤلاء الثمانية يُهْلَكون ثم يُحيَوْن قبل[5] أن يحيى سائرُ الخلق، فيحملون عرش ربنا[6] على اكتافهم،[7] فإذا[8] بعث الله تعالى الخلائق رأوا العرش على أكتافهم. والعرش هو سرير المُلْكِ. وجائز أن يكون[9] ذلك من نور كما ذكر في الخبر: «إن عين الشمس إذا أرادت أن تَطْلُع فإن جبريل عليه السلام يأتي العرش فيأخذ كفا من ضيائه ثم يُلْبس الشمس كما يُلبس أحدَكم قميصُه، وإذا أراد القمر أن يطلع أخذ جبريل عليه السلام كفا من نور العرش فيُلبس القمرَ كما يُلبس أحدَكم قميصه».[10] فجائز أن يكون العرش من الضياء والنور.

[1] جميع النسخ: ويبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.
[2] ر ث م: يتبين.
[3] ن: لا يتفرق؛ ث م: لا يفرق.
[4] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.
[5] ث م: قتل.
[6] ر م: ربها.
[7] ر ث م: عبى اكتافها.
[8] ر ث م: وإذا.
[9] ث + هؤلاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل أن يحيى سائر الحلق فيحملون عرش ربنا عبى اكتافهم وإذا بعث الله تعالى الحلائق رأوا العرش عبى اكتافهم والعرش هو سرير الملك.
[10] انظر لرواية الحديث: *اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة* لسيوطي، ٤٩/١.

ثم أجلُّ الأشياء وأعظمها في أعين الخلق الضياء والنور وإليهما[١] ينتهي الرَّغَب، فيكون في ذكر العرش ذكر عظيم[٢] مُلْك الرب جل جلاله. ثم إن كل ملك في الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على مقدار ملكهم وسلطانهم لا ليجعل ذلك مسكنا لنفسه، فإذا لم يتوهم[٣] من الخلق أنهم يتخذون[٤] ذلك لمقاعدهم ومجالسهم[٥] فَلأَنْ لا يُتَوهَّمَ ذلك من الله أولى.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**، أي تعرضون على أعمالكم فلا تخفى عليكم خافية، أي تُظهَر لكم في ذلك[٦] اليوم وتصير بارزا في ذلك اليوم، كما قال تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[٧] أي تُظهَر لهم سرائرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شيء منها. وجائز أن يكون قوله: **لا تخفى منكم خافية**، أي على الله تعالى، [ليس أنه كان يخفى عليه من قبلُ فيَظهر له في ذلك اليوم،][٨] ولكن كل من ادعى إخفاء شيء من أمره على الله تعالى وظن أن الله تعالى لا يَطّلع عليه فسيعلم[٩] في ذلك اليوم أنه لا تخفى عليه خافية، وهو كقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[١٠] ليس فيه أن الملك كان لغيره ولكنّ بعض الناس كانوا يدّعون الإشراك في الملك في الدنيا، فيتركون في ذلك اليوم دعواهم ويتيقَّنُون أنه هو المتفرد بالملك، وعلى ذلك قوله تعالى: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[١١] ولم يكونوا بمختفِين عنه قبل ذلك بل كانوا له في كل وقت بارزين، ولكن من ادعى[١٢] الإخفاء في الدنيا يَدَعُ في ذلك اليوم ويُقِرُّ بالبروز. ***والله المستعان.***

---

[١] ر ث م: وإليها.
[٢] ر م – عظيم.
[٣] ر: فإذا لا يتوهم.
[٤] ر ث م: يتحدثون.
[٥] ن: ومجالستهم.
[٦] ث م – في ذلك.
[٧] سورة الطارق، ٩/٨٦.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٥ظ.
[٩] ن ث م: فتعلم.
[١٠] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١١] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[١٢] جميع النسخ: من أنكر إدعاء. و لتصحيح من المرجع السابق.

ثم روى في الخبر أن العَرَضَات ثلاث: عرضتان فيهما خصومات ومعاذير، أي يختصمون ويتنازعون، فإذا ظهر ذلك جعلوا يعتذرون ويسألون ربهم العفو والصفح عن خصومهم. والعرضة الثالثة عند تطائر الصحف. ومعنى قوله **تُعْرَضون**، أي يُعرَض الخلقُ بعضُهم على بعض حتى لا يخفى على أحد خصمه، أو يُعرض أعمالُهم حتى يَذكر[1] كل[2] أحد صنيعه وكل خصم خصومته، فكأنهم قد نَسُوا ذلك من كثرة الفزع وشدة الأهوال، لكن الله تعالى يُطْلِعهم على ذلك، حتى يذكروا[3] ذلك. *والله أعلم*.

**﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾**[١٩]

وقوله عز وجل: **فأما من أوتي كتابه بيمينه**، ظاهر ما جرى به الخطاب في القرآن يوجب أن يُرحَم المؤمنون جميعا فلا يعذبون في الآخرة، ويُعذَّب الكافرون ولا يُرحمون، لأنه قسّم الخلق يوم القيامة صِنفين، فجعل صِنفًا منهم أهل اليمين وصنفا أهل الشمال. ثم وصف كل واحد من الصنفين بأعلام[4] ثلاثة: فذكر مرة أنه يَخِفُّ ميزانهم بقوله: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ،[5] وذكر مرة أن وجوههم تَسودّ،[6] وذكر مرة أنهم يُعطوْن كتابهم بشمالهم.[7] فهذه الأعلام ذكرها في أحد[8] الصنفين. وذكر في الصنف[9] الثاني ووصفهم بأعلام ثلاثة: ببياض الوجوه وبثقل[10] الميزان وبإعطاء الكتاب بأيمانهم. ثم فيما فيه سواد الوجوه ذكر فيه، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ،[11] وكذلك حين ذكر خفة[12] الميزان ذكر في آخره ما يُبيّن أن الذين خفت موازينهم هم الكفرة،

---

[1] ن: يتذكر.
[2] جميع النسخ – كل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٥ظ.
[3] ن: تذكروا.
[4] ن: أعلام.
[5] سورة الأعراف، ٩/٧.
[6] ر ن: يسود.
[7] ستأتي الآيتان.
[8] ث م: في أخذ.
[9] ن: في الصف.
[10] ن: ويثقل.
[11] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.
[12] ن: حقة.

لأنه قال: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.[١] وذكر في إعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما يبين أنه من أهل الكفر لأنه قال: إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ.[٢] فثبت أن الوعيد المطلق ذكر في أهل الكفر. وكذلك قال:[٣] وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[٤] ولم يقل أعدت للخلق، وقال: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ،[٥] فثبت أن أهل النار هم الكفار. ثم المؤمنون قد يعترض منهم زلات ومآثم[٦] في هذه الدنيا، والكفار يوجد[٧] منهم المحاسن فيها. ولكن أهل الكفر يجزون جزاء حسناتهم في دنياهم، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وإذا لم يؤمنوا بها لم يقع سعيهم لها. وأمكن أن يكون المؤمن يُجعلُ له العقاب بسيئاته في الدنيا، فتخلص[٨] له الحسنات في الآخرة فيجزي بها. وجائز أن تُكفَّر سيئاته بالحسنات التي توجد منه، لأن المحاسن جعل سببا لتكفير المساوئ، قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[٩] وإذا كُفِّرت[١٠] سيئاته في الدنيا لم يعذب بها في الآخرة. وجائز أن يكون الله تعالى يُعذِّبهم بقدر ذنوبهم، ثم يعفو عنهم بحسناتهم التي سبقت منهم من الإيمان وغير ذلك. فكل مؤمن في الحقيقة آخره الجنة ويثقل ميزانه ويَبْيَضُّ وجهه ويُعطَى كتابه بيمينه. ثم يجوز أن يكون الذي يعاقب بذنوبه من أهل الإيمان يعاقب به قبل أن يُعطى كتابه بيمينه ويثْقُلَ ميزانه. وقبل[١١] أن يَبْيَضَّ وجهه[١٢] لم يكن مسودَّ الوجه[١٣] / ولكن على ما عليه في الدنيا. ثم متى عُفِي عنه [يَبْيَضّ وجهه بما أكرم الله تعالى إياه من النور، [٨٣٩ظ]

[١] ﴿ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تَلْفَح وجوههم النار وهم فيها كالِحون ألم تكن آياتي...﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠٣-١٠٥).
[٢] نظر الآية ٢٥ والآية ٣٣ و ٣٤ من هذه السورة.
[٣] ن: وقال أيضا.
[٤] سورة آل عمران، ٣/١٣١.
[٥] سورة آل عمران، ٣/١٣٣.
[٦] ن: ومأثم.
[٧] ر ث م: يؤخذ.
[٨] جميع النسخ: فيخلص.
[٩] سورة هود، ١١/١١٤.
[١٠] ر م: كفت.
[١١] ر: وقيل.
[١٢] ث: ويثقل مزانه قبل أن تبيض وجهه لم يكن مسود الوجه؛ ن: وقبل أن يبيض وجهه ويثقل ميزانه.
[١٣] ر ث م: الوجوه.

لأنه][1] في الخبر: «إن الناس يُعرضون يوم القيامة ثلاث عَرَضاتٍ، فأما عرضتان ففيهما[2] خصوماتٌ ومعاذيرُ، وأما العرضة[3] الثالثة فتطايُرُ الصحف في الأيدي».[4] فيجوز أن يكون تعذيبه[5] قبل العرضة الثالثة، ثم يُعطَى كتابَه في العرضة الثالثة بيمينه، فيظهر له أعلام السعادة إذ ذاك. فإذا ثبت أن[6] الوعيد المطلق إنما جاء في أهل الكفر لم يُلحَق أهلُ الكبائر من أهل الإيمان بهم في الحكم، بل وجب الوقف في حالهم كما قال أصحابنا. **والله الموفق.**

وقوله عز وجل: **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**، قال بعضهم: **هاؤم**، أي تعالَوا، وقال بعضهم: هو بمعنى هاكُمْ، أي خذوا، فأبدلت الهمزة مكان الكاف. فظاهر الآية أن المعْطَى له الكتابُ يقول هذا يدعو الخلق، أو يناولهم[7] الكتاب استبشارًا وحُبُورا، فبشَّرهم بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه. ولكن أهل التأويل صرفوا التأويل إلى المُعطِي فقالوا بأن المعطِيَ هو الذي يقول هذا. فكأَنَّ الذي[8] كَتَبَ الكتاب في الدنيا من المَلَك هو الذي يعطى الكتاب إلى المكتوب عليه، ويقول: **هاؤم اقرءوا كتابيه**، أي خذوا واقرءوا ما كَتَبْتُ[9] لكم وعليكم. **والله أعلم.**

**﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **إني ظننت أني ملاق حسابيه**. فإن حَمَلْتَه على حقيقة الظن فهو يخرج على ثلاثة أوجه. أحدها[10] إني ظننت في الدنيا أني أُلاقي الحساب الشديد فيما سبق من سيئاتي وأؤاخذ بها وأُجازَى عليها، وظننت الساعة أن لا أَنْجُوَ من ذنوبي لفزع هذا اليوم،

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.
[2] ر م: ففيها.
[3] ن: وأما عرضة.
[4] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذٌ بشماله» (*سنن الترمذي*، صفة القيامة ٤).
[5] ث: تعديته.
[6] ث – أن.
[7] ر ث م: أو تناولهم.
[8] ر م + يقول.
[9] ر ث م: ما كتب.
[10] ن + أي.

فوجدت سيئاتي قد غفرت وحطاياي كفِّرتْ عني. فيكون قوله هذا منه[١] شكرا لله تعالى وإظهارا لمنته. والثاني[٢] أني كنت[٣] في دار الدنيا إذا عرضت لي الحوادث من الزلّات والهَفَوَات ظننت أني ألاقي الله تعالى بها،[٤] فأمسكت عنها وانزجرت[٥] عن إتيانها،[٦] فيكون إخبارا عن بيان سبب نيل ذلك. والثالث أني تفكرت في أمري فظننت أن مِثْلي لا يُتْرك سُدًى همَلاء، فأدى ظني إلى اليقين فآمنت وصدقت الرسل، فإنما نجوت بأول ظني وفكرتي. *والله أعلم*.[٧]

ومنهم من صرف الظن إلى اليقين والعلم فقال: معنى قوله **ظننت**، أي[٨] أيقنت وعلمت.

والأصل أن كل يقين حدث في الأمور المستترة والعلوم الخفية فإنما يتولد ذلك عن ظنٍّ[٩] يسبق فيحمله[١٠] ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به إلى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي له جليا، فيكون سبب بلوغه إلى اليقينِ والإحاطةِ الظنَّ الذي سبق منه.[١١] فجائز أن يسمي ذلك يقينا مرة على الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ،[١٢] أن الأذن لا تعي[١٣] شيئا بل تسمع،[١٤] ولكنه إنما يوصل إلى الوعي بالأذن فصارت الأذن سببا للإيصال إلى الوعي فأضاف الوعي إليها. فعلى ذلك ظُنُونهم في الابتداء إذا بلَغتهم إلى اليقين والعلم سمَّوْا يقينَهم وعلمَهم ظنًّا مرَّةً ويقينًا ثانيا. ألا ترى أن الله تعالى قال: ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ،[١٥] وقال في موضع آخر: وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ،[١٦]

---

[١] ر ن م: منه هذا.
[٢] ن + أي.
[٣] جميع النسخ: تركت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.
[٤] ن – بها.
[٥] ر م: وابن جرت؛ ن: وإنني جرت.
[٦] ث: عن إيتانها.
[٧] ن – والله أعلم.
[٨] ر: أني.
[٩] ر م: على ظن.
[١٠] ر ث م: فيحمله.
[١١] ر م: والإحاطة التي سبق منه؛ ن ث: والإحاطة الذي سبق منه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الآية ١٢ من هذه السورة.
[١٣] ر: لا يعي.
[١٤] ر ن م: بن يسمع.
[١٥] سورة البقرة، ٢/٤٦.
[١٦] سورة البقرة، ٢/٤.

فجعلهم مرة ظانّين ومرة موقنين فيما كان طريقه البحث[1] وإعمالَ الفكر.[2] ولهذا[3] ما لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالإيقان في أمر من الأمور، لأن الأشياء له بارزة ظاهرة، إذ هو منشئها وخالقها، فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاج إلى البحث عنها والنظر فيها. **والله الموفق.** أو نقول[4] بأن الأمور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلو شيء منها من اعتراض وساوس وخواطرَ فيها، فتلك الوساوس والخواطر تُفضي[5] بصاحبها إلى الظنون؛[6] فاستجازوا إطلاق الظن فيها لما لا يخلو عنه، واستجازوا إطلاق اليقين فيها[7] لما غلب عليها دلالات اليقين[8] والإحاطة. ألا ترى أن مَن[9] يهدَّدُ[10] بالوعيد[11] الشديد أو بالقتل على أن يكفر بالله تعالى أبيح له أن يُجري[12] كلمة الكفر على لسانه وجُعل كالموقن بإحلال[13] العذاب من المكرِه،[14] ولو امتنع عن الإجابة إلى ما دعاه وإن لم يتيقن بأنه يفعل به لا محالة ما أُوعِدَ به، لأنه يجوز أن لا يمكَّن[15] من ذلك، ويجوز أن لا يبقى إلى ذلك الوقت؛ ثم وسِّع له فِعْلُ ذلك بأكبر الرأي وغلبة الظن وحل[16] ذلك محل الإحاطة واليقين. فعلى ذلك هاهنا لمّا غلب دلالات اليقين والصدق جاز إطلاق لفظة اليقين عليه. فأما الأشياء التي تدرك[17] بالحواس والمشاهدات فلا سبيل إلى تسمية مثله ظنا لما لا يحتمل اعتراضَ الشبه فيها. **والله الموفق.**

---

[1] ر ن م: البعث.
[2] ر م: الكفر؛ ن: اذكر.
[3] جميع النسخ: وبهذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.
[4] ر: أو بقول؛ ن ث م: أو يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: إلى الجنون.
[6] ر ث م: إلى الجنون.
[7] ر ث م – فيها.
[8] ر ث م: النفس.
[9] ر م – من.
[10] ن: يهتد.
[11] ر ث م: بالوعد.
[12] م: أن يجزي.
[13] ر: بإخلال.
[14] م: من المكروه.
[15] م: لا يكن.
[16] ر ث م: وحل.
[17] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **فهو في عيشة راضية**، أي في حياة راضية، يقال: عاش وحيِيَ، بمعنى واحد. وقوله: **راضية**، بمعنى مرضية، معناه أن نفسه في حياة ترضي بها، كقوله: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[١] أي مدفوق، ومثله في الكلام كثير. ويجوز أن يكون المراد نفسَ الجنة قد رضيت بأهلها وأظهرت رضاها بهم، كما وصَفَ الجحيمَ بالتَّسخط والتَّغيظ[٢] على أهلها. فجائز مثله في الجنة رضًا واستبشارا؛ إذ على معنى أن الجنة تُظهِر لهم من أنواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من ذي العقل يكون ذلك دليل الرضاء[٣] كما يضاف الغرور إلى الدنيا،[٤] وهي أنها تُظهر من نفسها ما لو كان ذلك ممن يملك التغرير[٥] يكون ذلك غُرورا من نفسها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٢٢] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: / **في جنة عالية**، قال بعضهم: مرتفعة على ما يُستَحبُّ[٦] في الدنيا من الجنان [٨٤٠و] في رَبْوة من الأرض مرتفعةٍ. وقال بعضهم: الجنة[٧] اسم لروضة ذات أشجار، فكأنه يصف أشجارها بالارتفاع والطول والمنظر، وذلك أشهى إلى أربابها، ولهذا ما قال: **قطوفها دانية**، من غير ذكر الأشجار، لأن ذكر الجنة اقتضى ذكر الأشجار. والثالث يكون معنى **عالية**،[٨] أي عظيمة[٩] القدر والخطر مرتفعةً. وقد يوصف الشيء الرفيع بالعلوّ. ***والله أعلم***.

ثم قوله تعالى: **قطوفها دانية**، أي في القطوف متدانيةٌ من أهلها لمن يريد قطعها وبعيدة لمن لا يريد قطعها.[١٠] وقيل: **دانية**، ينالها القاعد كما ينالها القائم، وقيل: ثمارها دانية، أي لا يَرِد[١١] أيديهم بُعْد ولا شوكٌ.

---

[١] ﴿فلينظر الإنسان مِمّ خُلِق خُلِق من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).
[٢] يقول الله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١١-١٢).
[٣] ر: الرضا.
[٤] انظر مثل قوله تعالى: ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٣٥).
[٥] ث: التعزير.
[٦] ر ث م: تستحب.
[٧] ث - الجنة.
[٨] جميع النسخ: العالية. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٦٢ظ.
[٩] ر ث م: عظيم.
[١٠] ث: قطعها وبعيد لمن لا يريد قطفها.
[١١] جميع النسخ: لا ترد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**، تأويله أن يقال لهم: **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**، إنما جعلتم أيامكم الخالية سَلَفا في أيام الآخرة. وسلفُ الرجل لآخر[١] هو أن يعطيه قرضا ليأخذ مثله وقت الحاجة إليه، أو يسلِّم الرجل رأسَ ماله في الأشياء التي يأمل[٢] منها الربح،[٣] فكأنه بما يشري[٤] نفسه يجعلها[٥] سلفا ورأسَ مالٍ ليأخذ ربح ما باع في الآخرة، فذلك هو الإسلاف. أو يجعل عمله للآخرة رأسَ مالِه، وما رُزِقَ من الأموال ينفقها[٦] في سبيل الله ويجعل ذلك رأس ماله.[٧] وذُكر عن وكيع أنه قال: بلغنا أن الذين أسلفوا الصوم أي أنهم صاموا في الدنيا وتركوا الطعام والشراب فأثابهم الله في الآخرة فقال:[٨] **كلوا واشربوا هنيئا**.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه**، والإيتاء بالشمال أحد أعلام الشقاء، فتمنى[٩] أن لا يُؤتى بما فيه عَلَمُ شقائه.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولم أدر ما حسابيه**، يقول هذا في الوقت الذي قرأ ورأى فيها خلاف ما كان يظن في الدنيا ويحسب، لأنه كان يحسب أنه في الدنيا أحسنُ صنعا من الذين آمنوا وأقربُ منزلة إلى الله تعالى، كما قال: وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،[١٠] فظهر له بقراءته الكتاب

---

[١] ن: الآخرة.

[٢] جميع النسخ: تأمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦ظ.

[٣] ر م: الريح.

[٤] ر: بمادي؛ ث: يرى؛ م: رأى.

[٥] ث: لجعلها.

[٦] ن + وما رزق منه الأموال ينفقها.

[٧] ن + في سبيل الله ويجعل ذلك رأس ماله.

[٨] ر: فقالوا.

[٩] ر م: فمتى.

[١٠] ﴿قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٠٣-١٠٤).

أنه لم يكن على ما حيسب، بل قد أساء صنعَه، فَوَدَّ عند ذلك أن لا يَعرف ما حسابه[١] لئلا يظهر مساوئه. ويحتمل أنه يتمنى أنه تُرِكَ ميتا ولم يُحْيَ[٢] حتىّ[٣] كان لا يدري[٤] الحساب ولا يعرفه.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **يا ليتها كانت القاضية**، أي يا ليت المِيتَة الأولى كانت دائمة عليَّ. وقال بعضهم: يا ليت النفخة الأخيرةَ[٥] كانت تقضي[٦] بالموت والهلاك لم تكن مَجِيئَة[٧] باعثة. *والله أعلم*. وقال قتادة:[٨] تمنوا الموت و لم يكن شيء في الدنيا أكره إليهم منه.[٩] ثم الموت عليهم مقضي وليس[١٠] بقاض، فحقه أن يقول: يا ليتها كانت مقضيةً.[١١] ولكنَّ هذه اللفظة يذكرها الناس في كل مكروه من الأمور، ألا ترى أن الناس يدعون الله تعالى بأن يصرف عنهم قضاء السوء وليس بقضاء الله بل هو مقضيه،[١٢] فخرج القول على ما تعارفوا. وهذا كما يقال: الصلاة أمر الله، وليست هي بأمره ولكن تأويله أنها بأمره ما تقام،[١٣] فسمى أيضا قضاء الله وهي[١٤] في الحقيقة مقضيه.[١٥] *والله أعلم*.

---

[١] ن: ما حسابيه.

[٢] ن: ولم يجيء.

[٣] ن ث م: حي.

[٤] جميع النسخ: لا يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦ظ.

[٥] ن: الآخرة.

[٦] ر ن م: يقضي.

[٧] ن: مجيئه.

[٨] هو أبو الخطاب قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز، السَّدوسي البصري (ت ١١٨هـ/ ٧٣٦م)؛ مفسر حافظ، وضرير أكمه. وكان رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. كان يرى القدر، ويدلِّس في الحديث. انظر: *معجم الأدباء* ليعقوب الحموي، ١٧ /٩-١٠؛ *ووفيات الأعيان* لابن خلكان، ٨٥/٤-٨٦؛ *وتذكرة الحفاظ* للذهبي، ٩٢/١-٩٣.

[٩] *تفسير الطبري*، ٧٧/٢٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٣/٨.

[١٠] ر ن م: ليس.

[١١] ث - فحقه أن يقول يا ليتها كانت مقضية.

[١٢] ر ن: مقضيته.

[١٣] ن: ما يقام.

[١٤] ر ث م: وهو.

[١٥] ر ن: مقضيته.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ما أغنى عني ماليه**، فالأصل[١] أن الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة أموالهم، فيقولون: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[٢] فيزعمون أن الله تعالى بما آتاهم من الأموال يدفعون عن أنفسهم العذاب بأموالهم إن حل بهم، فيتبين لهم في ذلك الوقت أنها لا تغني عنهم شيئا، فيقول كل واحد منهم: **ما أغنى عني ماليه**.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **هلك عني سلطانيه**، ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كُلُّ سلطان في القرآن فهو حجة.[٣] والأصل أن الكافر كان يحتج[٤] في الدنيا لنفسه بحجج باطلة، فمرة يقول: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[٥] ومرة يقول:[٦] مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٧] ومرة يقول:[٨] هٰذَا سِحْرٌ،[٩] ومرة يقول: هو مجنون،[١٠] وغير ذلك. فيعبر[١١] بقوله: **هلك عني سلطانيه**، أي هلك تلك الحجج التي كنا نتشبث بها واضمحلت وظننا أنها حجج. ومنهم من يقول: السلطان هو القدر والشرف، أي ذهب ذلك كله. وقيل: أي هلك عني تكبري وسلطاني على الأنبياء[١٢] في الدنيا وترك الاكتراث إليهم. وجائز أن يكون أراد به أن السلطان الذي كان لي على نفسي في الدنيا قد انقطع، لأنه كان يملك استعمالها في مرضات الله تعالى، فيقول: قد انقطع ذلك السلطان لأني لا أملك استعمالها فيما أستوجب به مرضات الله[١٣] تعالى، لأنه يسلم فلا يقبل منه إسلامه.

---

[١] ر ن م: في الأصل.
[٢] سورة سبأ، ٣٤/٣٥.
[٣] صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ١٧.
[٤] م: يحج.
[٥] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٤، ١٨٦.
[٦] ن – يقول.
[٧] سورة الأحقاف، ٤٦/١٧.
[٨] ن – يقول.
[٩] ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٠).
[١٠] لعل المؤلف يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليُزلِقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾ (سورة القلم، ٦٨/٥١).
[١١] ن: فيصير.
[١٢] ث: على الأبياء.
[١٣] ر ن ث: الرب.

ثم يجوز أن تكون[١] الهاءات في هذه الخطابات[٢] على معنى الإشارات إلى الأنفس، أو على تأكيد الأمر والمبالغة كالتشابه،[٣] أو كأنهم ينادون أنفسهم بذلك. وقد تدخل[٤] الهاء في النداء، كقوله: يا ربّاه ويا سيّداه! وجائز أن يكون للوقف وإتمام[٥] الكلام. وأهل النحو يسمونه هاءَ الاستراحة.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **خذوه فغلوه**، وقال في موضع آخر: خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ،[٦] وهو السوق على العنف. وقال في موضع آخر: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا،[٧] فكأنهم -والله أعلم- / يُغَلُّونَ. وبدأ بالأمر بالأغلال لأن الناس في الدنيا يجتهدون كل الجهد في منع العذاب بأيديهم، [٨٤٠ظ]
فأخبر أن أيديهم تُغَلُّ في الآخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يَحُلُّ لهم[٨] من العذاب، فيكون ذلك أشد عليهم، ويكون حالهم كما قال الله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٩] فتُغَلُّ يداه كي لا يتَّقِيَ النارَ بوجهه، ثم يُدْخَلُ في السلاسل، فيُجَرُّونَ ويُسْحَبون ويساقون على وجوههم على اختلاف أحوال القيامة.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[٣١] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ثم الجحيم صلوه**، أي أدخلوه؛ يقال جَمَلٌ مَصْلِيٌّ أي مَشْوِيٌّ. فجائز أن يُؤمر بأن يُشْوَي في الجحيم. وقوله: **في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه**، فذكر أوَّلا أنهم يُغَلّون ثم يُصلُّون الجحيم،[١٠] ثم يُسَلْسَلُون إذ ذاك، وحق مثله أن يسلْسَلَ، ثم يمدُّ إلى جهنم.[١١]

---

[١] جميع النسخ: أن يكون.
[٢] ر ث م: الخطيئات؛ ن: الخطايات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.
[٣] ر م: كالمتشابه.
[٤] جميع النسخ: وقد يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: وإجمام. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] سورة الدخان، ٤٤/٤٧.
[٧] سورة مريم، ١٩/٨٦.
[٨] ر م - لهم.
[٩] سورة الزمر، ٣٩/٢٤.
[١٠] ث - وقوله في سلسة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فذكر أولا أنهم يعلون ثم يصون الحجيم.
[١١] ر م: الجهنم.

ولكنه يشبه أن يكونوا أوّلا يحشرون، ثم يساقون إلى نار جهنم، بقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[1] وإذا وردوها همُّوا أن يفروا منها فيسلسلون إذ ذاك ويسحبون[2] في النار حينئذ،
[٨٤٠ظ س٣٦] فلا يتهيأ لهم الهرب. * ثم قوله عز وجل: **في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه،** لا يجوز أن يكون السلسلة تفضل[3] عن أبدانهم فتأخذ فضل مكان[4] من جهنم لأنه تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجِنّة والناس أجمعين،[5] ولو كانت تلك السلسلة آخذة[6] فضلَ مكان لكان[7] لا يقع الامتلاء بالجنة والناس أجمعين فقط، فيؤدي[8] إلى خُلْفِ الوعد، والله عز وجل لا يخلف الميعاد. ولكن إن كانت تلك السلسة أطول من أبدانهم فهي تُدار[9] على أهلها ليقع لهم بها فضل تضييق
[٨٤١و] وغمّ. فأما أن تفضل / عن أبدانهم فلا يحتمل. وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا فإنه أهون -أو قال- أيسر عليكم، وزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر يوم القيامة؛ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ.[10] وعن الحسن أنه قال: إن المؤمن قَوّام [على][11] نفسه يحاسب نفسه لله تعالى، وإنما تخفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم[12] في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم[13] أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمن يفجأه الشيءُ [فيعجبه][14] فيقول: والله إني[15] لأشتهيك وإنك لِمنْ حاجتي، ولكن واللهِ ما لي من صلة إليك، هيهات حِيلَ بيني وبينَك.

---

[1] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[2] ر: ويسبحون.
[3] ر م: يفضل.
[4] ر ث م + هم.
[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود ١١٩/١١؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٨/٧؛ وسورة السجدة، ١٣/٣٢؛ وسورة ص، ٨٥/٣٨).
[6] ث: اخذ.
[7] ن – لكان.
[8] ر ث م: يؤدي.
[9] ر ث م: تذكير.
[10] الآية ١٨ من هذه السورة. *الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١٠٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٨.
[11] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.
[12] ر: أنفسكم.
[13] ن – على قوم.
[14] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.
[15] ر م: لأني.

ويَفرُط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت هذا، ما لي ولهذا؟ والله ما لي عذر بها،[١] والله لا أَعُودُ لهذا إن شاء الله تعالى. إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن[٢] وحال بينهم وبين هَلَكَتِهم. إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فِكاك نفسه لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم[٣] أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها.[٤] فمحاسبة النفس أن ينظر في كل فعل يريد أن يُقْدِمَ عليه إلى عاقبته. فإن كان رُشْدا أمضاه وأنفذه،[٥] وإن كان غيا انتهى عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أردت أمرا فدبِّرْ عاقبته، فإن كان رشدا فأمضه، وإن كان غيا فانْتَهِ عنه».[٦] وقال في خبر آخر: إن المؤمن وقّاف وزّان. ووزنه ما ذكر في الخبر الأول من النظر في العواقب، فإذا نظر في العاقبة ورأى الرشد في إنفاذه فقد وَزَنَهُ، وإذا رأى خِلافَ الرشد انتهى عنه ولم يُقْدِمْ عليه فذلك وقفه. فهذا الذي ذكرنا محاسبة المرء نفسَهُ فيما يَرُومُ من الأُمور؛ ومحاسبة نفسه في الأفعال التي ارتكبها وأمضاها أن ينظر. فإن كان ارتكب محرَّمًا تاب عنه واستغفرَ الله تعالى لعله بفضله يَمُنُّ عليه بالمغفرة، وإن كان ذلك فعلا مرضيا حمد الله تعالى وسأله التوفيق بمثله.فهذه هي محاسبة العبد لنفسه[٧] فيما ارتكب من الأفعال.* [٨٤١و س١٦]

---

[١] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.

[٢] جميع النسخ: العذاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.

[٣] ث م: بعلم.

[٤] روي عن الحسن أنه قال: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة. إن المؤمن يفجأه الشيء فيعجبه فيقول: والله إني لاشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا، مالي عذر بها والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله. إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٥٧/٨).

[٥] ث: وأنقده؛ ر م: وأنقضه.

[٦] م – عنه. أخبرنا سفيان الثوري، عن خالد بن أبي كريمة قال: سمعت أبا جعفر –قال ابن صاعد: أبو جعفر هذا يقال له عبد الله الهاشمي وليس بمحمد بن علي رضي الله عنهما– يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بارك الله للمسلمين فيك، فخُصَّني منك بخاصةِ خير، قال: «مُسْتَوصٍ أنت؟» أُراه قال ثلاثا. قال: نعم، قال: «اجلس، إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته، فإن كان خيرا فأمضه، وإن كان شرا فانته». (*الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١٤؛ وانظر: مصنف *عبد الرزاق*، ١٦٥/١١).

[٧] ن: نفسه.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٤٠ظ/سطر ٣٦ - ٨٤١و/سطر ١٦.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل:[١] **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم**، ففيه بيان السبب الذي لأجله استوجبوا هذا العقاب وهو[٢] أنهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم. ثم قوله: **لا يؤمن بالله**، جائز أن يكون لا يؤمن بوحدانيته،[٣] أو لا يؤمن بإرسال الرسل، أو كان لا يؤمن بالبعث، وإلا فهُم[٤] يؤمنون بالله، ولكن من لم يكن[٥] مؤمنا[٦] بالرسل والبعث فهو غير مؤمن في الحقيقة، لأن الإلهَ الحق هو الذي أرسل الرسل، ويقدر على البعث، والكافر لا يُثبتُ له قدرة البعث ولا يراه أرسل الرسلَ، فصار لا يؤمن بالله العظيم في الحقيقة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل:[٧] **ولا يحض على طعام المسكين**، ففي قوله: **ولا يحض على طعام المسكين**،[٨] إخبار أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس ليسوا يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم، وإنما يطعمونهم لوجه الله تعالى ورجاء الثواب في الآخرة، والكافر غير مؤمن بالجزاء ليحمله ذلك على الإطعام وليس هو بكسب[٩] يُرَغِّب فيه من مكاسب الدنيا، فكأنه يقول: إن الذي أفضى به إلى النار تركُه الإيمانَ بالله تعالى أو بالبعث. ويجوز أن يكون قوله: **ولا يحض على طعام المسكين**، إثباتَ السُّخْرية من الذي ترك الحضَّ على أهله بالإطعام، كقوله: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[١٠] يقول: كيف أُطْعِمه[١١] ومن بيده خزائن السماوات والأرض لا يطعمه، فلو كان أهلا للإطعام لكان أَوْلى[١٢] مَنْ يطعمه هو الله تعالى.

---

[١] ن – عز وجل.
[٢] ر م: وهم.
[٣] ر ن م: بوحدانية.
[٤] ن: فهو.
[٥] ن: من لم يؤمن.
[٦] ت – مؤمنا.
[٧] ن – عز وجل.
[٨] ر ث م – ففي قوله ولا يحض على طعام المسكين.
[٩] ن: يكتسب.
[١٠] سورة يس، ٤٧/٣٦.
[١١] ن – أطعمه.
[١٢] جميع النسخ: الأولى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **فليس له اليوم هاهنا حميم**، أي قريب يرجو منه، وهو كقوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[١] فليس له قرب[٢] يرجوه أو ينفعه ذلك الحميم، وقد كان له في الدنيا حميم ينتفع به ويرجو منه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولا طعام إلا من غسلين**، وقال في موضع آخر: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ،[٣] وقال في موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ،[٤] والزقوم غيرُ الضريع. فهذا –والله أعلم– أن في جهنم دركاتٍ، فأهل دركة منها لا يجدون غير الغسلين، وأهل دركة منها يجدون غير ذلك، وأهل[٥] دركة منها[٦] طعامهم الزقوم، ليس لهم غيره وإلا لو لم يحمل[٧] الأمر على هذا أوجب ما ذكرناه اختلافا، فيخرج [من][٨] أن يكون من عند الله بقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[٩]

ثم يجوز أن يكون قُدِّر لكلِّ أهل دركة ما توجبه[١٠] الحكمة أن يكون ذلك[١١] طعامَهم. فعلى ما كانوا يفتخرون في هذه الدنيا بالأطعمة على من دونهم ويُهِينُونَ مَنْ لم يكن عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك الوجه طعاما في الجحيم يُهانون به. وقال الحسن: إن القرآن كلَّه كسورة واحدة، والسورة كأنه آية واحدة، فكأنه جمع بين هذه الأشياء كلها في آية واحدة[١٢] فقال: ليس لهم طعام إلا من غسلين، وليس لهم طعام إلا من ضريع ومن زقوم، وإذا حُمِلَ على ما ذكر ارتفع توهم التناقض. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿فإذا نُفخ في الصور فلا أنسابَ بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[٢] جميع النسخ: قريب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.
[٣] سورة الغاشية، ٦/٨٨.
[٤] سورة الواقعة، ٥١/٥٦-٥٢.
[٥] جميع النسخ – ولأهل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧ظ.
[٦] ر م – يجدون غير ذلك ولأهل دركة منها.
[٧] ن: لو لم نحمل.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] سورة النساء، ٨٢/٤.
[١٠] جميع النسخ – ما يوجبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م – دلك.
[١٢] ن – فكأنه جمع بين هذه الأشياء كلها في آية.

وقوله عز وجل: **إلا من غسلين**، فجائز أن يكون هذه اسما لشيء من الأشياء التي يعذب بها أهل النار لم يُطْلِعِ اللهُ تعالى الخلقَ على علم ذلك ومعرفته، وقد ذكر أَسَامِيَ في الآخرة ليس للخلق بمعرفتها عهد. ألا ترى أن الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح ويستفظع في الدنيا، ثم جعله الله تعالى اسما للشيء المستشنَع[1] الكريهِ في الآخرة، وقال: عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا،[2] والسلسبيل غير معروف فيما بين أهل اللسان. وقال بعضهم: الغسلين ما يسيل من جلود أهل النار إذا عذبوا، وذلك هو الصديد والقيح.[3] وجائز أن يكون إذا اشتد حرُّهم استغاثوا إلى الله تعالى وطلبوا منه ما رجوا[4] أن يَرفع عنهم الحر فيُصَبّ[5] عليهم[6] ما يزيد في عذابهم، فيسمَّى ما يزول عنهم غسلينا. *والله أعلم*.

**﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[٣٧]**

وقوله عز وجل: **لا يأكله إلا الخاطئون**، وهم الذين قال [الله تعالى فيهم]: إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ.[7]*

**﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾[٣٨] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون**، قد وصفنا أن تأويل قوله: **فلا أقسم**، أي فلأقسم[9] بما تبصرون من خلق السماوات والأرضين[10] وأنفسكم وما لا تبصرون في أنفسكم من الأسماع والأبصار والقلوب والعقول؛ أو ما تبصرون من الخلائق ممن حضركم وما لا تبصرون من الخلائق ممن غاب عنكم. فيكون القسم بما تبصر وما لا تبصر قسما[11] بالخلائق أجمعَ،

---

[1] جميع النسخ: المستبشع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧ظ.
[2] سورة الإنسان، ١٨/٧٦.
[3] ر ن م: والقبيح.
[4] ر م: يرجوا؛ ن ث: ما يرجوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] م: فيصمت.
[6] ن – عليهم.
[7] الآية ٣٣ والآية ٣٤ من هذه السورة.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٣٧ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٤٠ظ/سطر ٣٦ – ٨٤١و/ سطر ١٦.
[9] جميع النسخ: فلا أقسم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م: والأرض.
[11] جميع النسخ: قسم. والتصحيح من المرجع السابق.

لأن جملة الخلائق على هذين الوجهين، فصِنفٌ منهم يرى وصِنفٌ لا يُرى. وقد ذكرنا أن القَسَمَ من الله عز وجل لتأكيد ما يَقصِد إليه مما يُعرف بالتدبر والتأمل.[١]

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل:[٢] **إنه لقول رسول**، أي الذي تسمعونه منه تسمعون[٣] من رسول كريم. ثم ذكر هاهنا: **إنه لقول رسول كريم**، وقال في موضع آخر: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٤] فذكر هاهنا كلامَ الله، وذكر في الآية الأولى: **إنه لقول رسول كريم**. فأما ما أضيف إلى الرسول فهو من حيث[٥] بلوغُنا إليه من جهة الرسول لأنا من عنده[٦] وصَلْنا إليه، وأضيف إلى الله تعالى لأن بَدْأه[٧] من عنده[٨] وأضيف[٩] إلى الرسول لأن ظهوره في حقنا كان به. وهذا كما أضيف ما وعاه[١٠] القلب إلى الأذن بقوله: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ،[١١] لأنه إنما يوصل إلى الوعي بالأُذُن، فعلى ذلك أضيف القول[١٢] إلى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول عليه السلام.

ثم الأصل أن الكلام والقول لا يسمعان وإنما المسموع منهما[١٣] الصوت الذي يعرِّفُ الكلام والقول ويدل عليه لا أن يكون كلامه في الحقيقة صوتَه، فنُسِب[١٤] أيضا هذا القرآنُ إلى كلام الله تعالى لما يدل على كلامه لا أن يكون المسموع في الحقيقة[١٥] كلامه.

---

[١] انظر تفسير الآيتين ٧٥ و ٧٦ من سورة الواقعة.
[٢] ن - وقوله عز وجل.
[٣] ن: يسمعون.
[٤] سورة التوبة، ٦/٩.
[٥] ن ث + من.
[٦] ر م: لا بأمر غيره؛ ن: لأنا من غيره؛ ث: لا يأمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٦٨و.
[٧] ر م: لأن مجيئه ويروه؛ ن ث: لأن مجيئه وبدؤه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م - من عنده.
[٩] ن: وما أضيف.
[١٠] ر م: ما وعاء.
[١١] الآية ١٢من هذه السورة.
[١٢] ن - إلى الوعي بالأذن فعلى ذلك أضيف القول.
[١٣] ر ث م: منها.
[١٤] جميع النسخ: فينسب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.

وجائز أن يكون تأويل قوله: **إنه لقول رسول كريم**، أي إن الذي سمعتموه[1] من النبي صلى الله عليه وسلم وأتاكم[2] به لَقول تلقاه من عند الله الرسول الكريمُ، فيذكِّرهم هذا ليُؤمنهم من تخليط يقع فيه من الشياطين وغيرهم من الأعداء. ثم جائز أن يكون الرسول الكريم هو جبريلَ عليه السلام كما قال تعالى في سورة إذا الشمس كورت: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ.[3] ويحتمل أن يكون الرسول الكريم هو محمدا[4] صلى الله عليه وسلم، والأشبه أن يكون هو المرادَ، لأنهم كانوا ينكرون رسالته و لم يكونوا يقولون في جبريل عليه السلام شيئا.

**﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾[٤١] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤٢]**

وقوله عز وجل: **وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون**، أي إن هذا القرآن لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن. ثم قوله: **قليلا ما تؤمنون، وقليلا ما تذكرون**، يحتمل أن يكون تأويله: فبقليل[5] ما تؤمنون وبقليل[6] ما تذكرون مما جاءكم به الرسول. فالقليل[7] الذي آمنوا به وتذكَّروا فيه هو الذي كان راجعا إلى منافعهم. فأما الذي كان عليهم فهم لم يؤمنوا به ولا تذكروا فيه.[8] وإذا كان تأويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لانتزاع[9] حرف الخفض،[10] وفي الحقيقة انتصابه لكونه مصدرا وهو المفعول المطلق. وجائز أن يكون أضاف القليل إلى قول الشاعر والكاهن.[11] وتأويله أن الأمور لو كان على ما تزعمون[12] بأنه قول شاعر وقول كاهن[13] فما بالكم لا تصدّقون بالقليل منه وقد تعلمون أن الشاعر[14]

---

[1] ر ث م – وجائز أن يكون تأويل قوله إنه لقول رسول كريم أي إن الذي سمعتموه.
[2] جميع النسخ: وإياكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨و.
[3] سورة التكوير، ٨١/ ١٩-٢٠.
[4] جميع النسخ: محمد. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن: فتقليل.
[6] ن: فتقبيل.
[7] ر ث م: والقليل.
[8] م – فيه.
[9] ر: لا ينزع؛ ث: لا نزع؛ م: لا بنزع.
[10] ر ث: الخافض.
[11] جميع النسخ: الكاهن والساحر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: على ما يزعمون. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: بأنه قول كاهن وقول ساحر. من المرجع السابق.
[14] ر ث م: أن الساحر.

/ وإن كان الغالب عليه الكذبَ فيما يأتي فقد يَصْدق في القليل منه؟ وكذلك الكاهن، فما [٨٤١ظ] بالكم[١] لا تصدّقون بالقليل منه وأنتم تعلمون أنه يصدق؟[٢] فإن كان على هذا فهو في موضع إيجاب الحق عليهم أن يصدّقوه،[٣] وإن كان على التأويل الأول ففيه إضمار أنهم لا يؤمنون إلا بالقليل منه. *والله أعلم*.

**﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٣]**

وقوله عز وجل: **تنزيل من رب العالمين**، فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل أن يُسمعَ لأنه إخبار عن فعله، وإنما الذي يسمع منه هو المنزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أضاف إلى نفسه التنزيل ليعلم[٤] أن هذه الأخبار وهو قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،[٥] وقوله عز وجل: **تنزيل**، خرجت على المجاز ليس على التحقيق، لأن التنزيل هو إنزاله، فسمى تنزيلا لأنه هو الذي كنفه الإنزال لا أن يكون هو الذي تولّى الإنزال وإن كان هو خالقه.

**﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[٤٤]**

وقوله عز وجل: **ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل**، فهذا عطف على ما تقدم من قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ،[٦] وعليه وقوع القسم وهو موضعه، فكأنه يقول: إن الذي تلقاه من عنده رسول كريم وما هو بقول تلقاه من كاهن أو شاعر[٧] ولا بقول تقوله علينا، ولو تقول لأخذنا منه باليمين. ويحتمل وجها آخر، وهو أن الذي تسمعون[٨] منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا مُتَقَوِّلٍ، لأنهم كانوا مرة ينسبونه إلى الكهانة ومرة إلى السحر ومرة أنه تقوّله على الله، ولو تقوّل[علينا] لأخذنا منه باليمين؛ يبين أن عذاب الله بأخصّ عباده أسرع وقوعا -إذا هم خالفوا وزلوا- منه بأعدائه. ألا ترى[٩] إلى قوله عز وجل: لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ.[١٠]

---

[١] ر ن: فما لكم.
[٢] جميع النسخ: أنه صادق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨و.
[٣] ر: أن يصدقون.
[٤] ث: ثم أضاف التنزيل إلى نفسه ليعلم.
[٥] الآية ٤٠ من هذه السورة.
[٦] الآيتان ٤٠ و ٤١ من هذه السورة.
[٧] جميع النسخ: أو ساحر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.
[٨] جميع النسخ: يستمعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: ألا يرى.
[١٠] الآية التالية.

فتبين[1] أنه لو وُجد منه شيء مما قالوا فيه[2] لأخذه على المكان. ألا ترى إلى آدم عليه السلام وما حلّ به عند ما ابتُلي بالزلة والخلاف؟ وكذلك يونس عليه السلام وما عُوتِب على إثر الزلة. وهذا لأن عذاب الأولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكير والاستدعاء إلى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل[3] ارتكابهم الزلة، ولا كذلك عذاب الأعداء فأخر عذابهم إلى اليوم الذي يدوم عليهم فيه العذاب. وفيه وجه آخر، وهو أن الذي سمعتم منه لو كان سحرا أو شعرا أو كهانة أو تقوُّلاً[4] لكان لا يُمهله الله تعالى بل يؤاخذه على المكان من غير أن يَحْجِزوا،[5] كما قال: فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ،[6] فإمهاله دلَّ على أن الأمر ليس كما قالوا، بل هو تنزيل من رب العالمين.

## ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[٤٥] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **لأخذنا منه باليمين**، فأَخْذُ الله تعالى عذابه وعقوبتُه، كقوله تعالى: فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ،[7] وقوله عز وجل: فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً.[8] وقوله: **باليمين**، أي بالقوة، أي لا يعجزنا[9] عنه شيء ولا يفوتنا عذابُه، كقوله عز وجل: وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ،[10] وكقوله عز وجل: وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ،[11] أي لا يعجزنا ما عنده من الشرف والقوة من أن نؤاخذه ونُنزل[12] عليه النقمةَ. وجائز أن يكون اليمين صلة القول، لا على تحقيق اليد، فذَكَر اليمين لأن التأديب في الشاهد والأخذَ يقع بها، وهو كقوله عز وجل: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ،[13]

[1] جميع النسخ: فبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.
[2] ر ث م – فيه.
[3] ر: قيل.
[4] جميع النسخ: أو تقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: أن عجزوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الآية ٤٧ من هذه السورة.
[7] ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ (سورة الأنعام، ٤٢/٦).
[8] ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف، ٩٥/٧).
[9] ر م: لا يعجزه؛ ن: لا يعجزها.
[10] ر م + وهو كقوله عز وجل وما هم بمعجزين. ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ (سورة الزمر ٥١/٣٩).
[11] ﴿نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ (سورة الواقعة، ٦٠/٥٦؛ وانظر أيضا: سورة المعارج، ٤١/٧٠).
[12] ر م: وينزل.
[13] ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الحج، ١٠/٢٢).

فأضاف التقديم إلى اليد لا على تحقيق اليد، إذ يجوز ألا يكون ليديه بما قدّم صنع، لكن لما كان التقديم في الشاهد يقع بالأيدي فذُكِرَت اليدان على ذلك، لا على تحقيق الفعل بهما؛ فكذلك يجوز أن يكون اليمين ذكرت لِمَا بها يقع الأخذ والتأديب في الشاهد وإن لم يكن هنالك يمين. *والله أعلم*.

واليمين القوة، وسُمِّيَتِ اليمين يمينا لأن قدرة الرجل يكون فيها، وسمي مُلْكُ الرقاب ملكَ يمين، لأن ملك اليمين يُكْتَسَب بالقهر والغلبة، وإنما يصل المرء إلى القهر والغلبة بالقوة، فسُمي ملك يمين لهذا، لا أن يراد بذكر اليمين تحقيق اليمين، إذ اليد لا يملك شيئا حتى يضاف إليها، فكذلك فيما أضيف من اليمين إلى الله تعالى فالمراد منه القوة.

وقوله عز وجل: **ثم لقطعنا منه الوتين**، قيل: الوتين عِرْقٌ في القلب، وقيل: حبل في القلب، وقيل: هو العرق الذي إذا قُطِع مات صاحبه، وهو عرق متصل بالظهر. فكأنه قال: نُعذِّبه عذابا لا بقاء له مع ذلك العذاب. وهذا من أعظم آيات الرسالة في أنهم متى زَلُّوا أُخذوا على المكان، ويكون فيه أمان الخلق عن إحداث التغيير والتبديل من الرسل لأنهم لو غَيَّروا لعُذِّبُوا.

ثم قوله عز وجل: **منه باليمين**، فجائز أن يكون قوله: **منه**، زيادة في الكلام وحقه الإسقاط، ويكون معناه لأخذناه باليمين. وجائز أن يكون معناه لأخذنا مِنْ تقَوُّلِه وسحره وكهانته باليمين. فإن كان على هذا فحقه الإثبات، وليس بصلة زائدة.

﴿**فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **فما منكم من أحد عنه حاجزين**، ففي هذا إياس[١] منه لأولئك الكفرة، لأنهم كانوا يطمعون[٢] من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتِّبَاعهم وموافقتهم على ملتهم، فأخبر أنه لو أجابوهم[٣] لقَطَعَ منه وَتِينَهُ وأخذه أخذا لا يملكون منعَ ذلك عنه ولا دفْعَه، و لم يكن أحد ينصره عند ذلك أو يَحْجِزه عنه،[٤] وهو كقوله عز وجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، إلى قوله: إِذًا لَأَذَقْنَاكَ / ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا.[٥] [٨٤٢ر]

---

[١] جميع النسخ: يأس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.
[٢] م: يطعمون.
[٣] ر م: لو أجابوه.
[٤] جميع النسخ: عنا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿وإن كادوا ليَفتِنُونَكَ عن الذي أوحينا إليك لتَفْتَرِيَ علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أنْ ثَبَّتْناك لقد كِدْتَ تركن إليهم شيئا قليلا إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٣-٧٥).

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وإنه لتذكرة للمتقين**، فالمتقون هم الموحّدون، فسماهم مرة متقين ومرة صابرين شاكرين، كقوله عز وجل: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[١] وهو تذكرة لأنه يُذَكِّرهُمْ الوعد والوعيد وما يُتَّقَى وما يُؤْتَى وغير ذلك، فهو تذكرة يعني القرآن.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين**، أي بآياتي ورسلي ثم نُمْهِلُكُم،[٢] فهو صلة قوله: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ.[٣] فبين أنه مع كذبهم بآياته ورسله يمهلهم ولا يَعْجَل[٤] عليهم بالعقوبة، ولو وَجَدَ التَّقَوُّل من الرسول لكان يستأصله ويقطع وتينه. فهو على ما ذكرنا أن عذابه على خواص عباده أسرع وقوعا إذا خالفوا منه بأعدائه.[٥] وجائز أن يكون قوله: **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين**، هم المنافقين،[٦] لأنهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويخالفونه ويكذّبونه بقلوبهم، فيكون هذا التأويل راجعا إلى أهل النفاق، والتأويل الأولُ إلى أهل الكفر الذين أظهروا التكذيب.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وإنه لحسرة على الكافرين**، أي القرآن[٧] حسرة عليهم يوم القيامة لأنه شافع مُشَفَّعٌ لمن اتبعه[٨] وعمل بما فيه، ومَاحِلٌ مصَدَّقٌ لمن نبذه وراء ظهره ولم يعمل به.[٩] فهو حسرة عليهم لأنه يخاصمهم فيَخْصِمُهم ويشهد عليهم فيصدَّق في شهادته.

---

١ سورة إبراهيم، ٥/١٤.

٢ جميع النسخ: يمهكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

٣ الآية ٤٤ من هذه السورة.

٤ ث: ولا تعجل.

٥ ن: بأعاديه.

٦ جميع النسخ: هم المنافقون.

٧ جميع النسخ: أي العذاب. والتصحيح من المرجع السابق.

٨ ث – لمن اتبعه.

٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن هذا القرآن شافع مشفع وماحِلٌ مصدَّق مَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار». (*المعجم الكبير* للطبراني، ١٣٢/٩؛ و*الدر المنثور* لسيوطي، ٣٨٧/٣). «...ماحِلٌ مصدق أي خصْمٌ مجادِل مصدَّق». (*النهاية* لابن الأثير، «محل»).

أو يذْكرون يوم[١] [القيامة][٢] معاملتهم بالقرآن فيندمون عليه ويزيدهم حسرةً؛ لأنهم كانوا إذا تُلِيَ عليهم القرآن في الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالا[٣] وكفرا وازدادوا به رجسا إلى رجسهم، كما قال: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٤] وهو ليس بسبب لازْدياد الرجس، ولكنهم كانوا يحْدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة، فأضيفت الزيادة إلى القرآن إذ كان القرآن هو الذي يحملهم على زيادة التكذيب. فهذه المعاملة تَزيدهم حسرةً يوم القيامة. فأضيفت إلى القرآن إذ كان القرآن هو الذي عنده وقعوا فيه كما أضيف الرجس إليه. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإنه لحق اليقين**، والأصل أن الحق اسم لما يُحْمد عليه فحقه أن يَنظر فيما يُستعمَل هذه اللفظة فيَصرفها إلى أحمد الوجوه؛ فإذا استعملت في الأخبار أريد بها الصِدق نحو أن يقال: هذا خبر حقٌّ أي صدق، وإذا استعملت[٥] في الحكم أريد بها العدل، وإذا استعملت في الأقوال والأفعال أريد بها الإصابة.[٦] فقوله: **إنه لحق**، أي صدق ويقين أنه من رب العالمين، فهو صلة قوله عز وجل: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.[٧]

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **فسبح باسم ربك العظيم**، قيل: صَلِّ، وقيل: اذكُرْهُ بالاسم الذي إذا سَمَّيْتَ [به] كان تسبيحا أي تنزيها عن كل ما قالت فيه الملحدة،[٨] وما نسبت إليه مما لا يليق به. *والله الهادي*.[٩]

---

[١] ث + ما يعمل به فهو حسرة عليهم.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

[٣] ر ث م: ضلالة.

[٤] سورة التوبة، ١٢٥/٩.

[٥] جميع النسخ: وإذ استعمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م: الإضافة.

[٧] الآية ٤٣ من هذه السورة.

[٨] ر ث م: الملاحدة.

[٩] وعبارة *الشرح* هكذا (ورقة ٢٦٩و): والله الهادي إلى الرشاد والعاصم عن الفساد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المعارج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[١]**

قوله عز وجل:[2] **سأل سائل بعذاب واقع،**[3] قرئ بتسكين الألف، ومعناه سَالَ وادٍ بعذابٍ واقع، أي جرى وادٍ بعذاب واجب. والقراءة العامة بالهمز،[4] من السؤال. وتأويله على سؤال القوم العذابَ،[5] بقولهم: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[6] وقولهم: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا.[7] وقيل: هو النَّضْرُ بنُ الحارثِ سأل ذلك فقُتل يوم بدر بعد ما أُسِر،[8] هكذا قال بعض أهل التأويل.[9] ولكنْ عندنا أَنَّ هذا وإن كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا لينزل به العذابُ في التحقيق، وإنما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي حملهم على الاستبعاد والإنكار

---

[1] ر – سورة المعرج؛ ث + وهي أربع وأربعون آيات مكية.

[2] ر: وقوله تعالى.

[3] جميع النسخ + للكافرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

[4] ر م: بالهمزة. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿سَالَ سائل﴾ ساكنة الألف غير مهموزة، وقرأ الباقون ﴿سأل﴾ مفتوحة الألف مهموزة. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩١/٢.

[5] م – العذاب.

[6] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[7] ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ (سورة ص، ١٦/٣٨).

[8] ر م: بعد أسر.

[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٠٦/٩.

هو أنه كان عند أهل مكة أنه لو كان فيهم نبيّ لكانوا هم أحقَّ بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين بُسِطَتْ لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم تُبْسَط[1] له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذٌ؛ فيظنون بهذا أنهم أقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يستقيم في العقل أن يَصِلَ الولي إلى عدوه ويحسنَ إليه ويدعَ صلة وليه ويجفوَه.[2] فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به، فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والإنكار[3] للعذاب لا أن كانوا مقرين به ثم استعجلوه. وذُكر أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم انصر أَبَرَّنا قَسَمًا[4] وأوصلَنَا رَحِمًا وأقرانا للضيفِ.[5] فكان يدعو بهذا لما عنده أنه أشرف حالا وأعلى منزلة عند الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم[6] وأتباعه، ومن كان هذا شأنَه فهو أولى أن يُنصَر من عنده. قال الله تعالى:[7] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[8] ولو لم يكن عندهم أنهم أقربُ منزلة وأحقُّ أن يكونوا أولياءَ وإلا لم يكونوا
[٨٤١ظ] / يجترءون أن يسألوا هذا.[9] فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي أورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا أنهم أحق[10] بالرسالة. وظنهم هذا متولد من ظن إبليس؛[11] وذلك أن إبليس، قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[12] فظن أن أمر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حدِّ الحكمة فصار إلى ما صار إليه من الخزي[13] واللعن.

---

[1] جميع النسخ: لم يبسط.
[2] ر ث م: ويخوفه.
[3] ر ث م: والإمكان.
[4] م: فسما.
[5] روي أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي فأهلكه (*تفسير الكشاف*، ١٥٠/٢).
[6] ر ن م – من محمد صلى الله عليه وسلم.
[7] ر م – وأتباعه ومن كان هذا شأنه فهو أولى أن ينصر من عنده قال الله تعالى.
[8] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[9] ر ث م: بهذا.
[10] ث م: حق.
[11] ر ث م: وظنهم هذا متولد من إبليس.
[12] سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[13] ر: من الجزي.

فكذلك هؤلاء لما رأوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا ظنوا أنهم أقرب إلى الله تعالى إذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب.

ثم سعتهم هي التي حملتهم[١] على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترْكِ الخضوع وإلا لو أُعْطُوا النَّصَفَةَ من أنفسهم لكان يجب أن يكونوا هم أطوعَ خلق الله تعالى، لأن الواجب على من كَثُرتْ عليه النِعم من آخَرَ أن يكون هو أشكر للنِعم وأطوعَ له فيما يدعوه إليه مِنَ الذي قلَّتْ نِعَمُهُ عليه. فإذا كانوا مقِرِّين أن نِعَمَ الله عليهم[٢] أكثرُ وإحسانَه إليهم أوفرُ أوْجَبَ ما ذَكَرُوا أن يكونوا هم ألْزَمَ لطاعته وآخَذَ لما يأمر به. وكذلك إبليس اللعين إذا رأى لنفسه[٣] فضلا -وإنما استوجب ذلك[٤] بما أنعم الله عز وجل عليه- كان الحق عليه[٥] أن يتسارع إلى طاعته وينقاد لما أُمر به، لا أن يُظْهِرَ الخلافَ من نفسه وتَرْكَ الائتمار بأمره.

وقوله عز وجل: **بعذاب واقع**، أي هو[٦] واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى، أو واقع بمعنى سيقع، كما يقال: قاتل[٧] أي سيقتل.[٨]

﴿لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **للكافرين ليس له دافع**، فإن كان قوله: **للكافرين**، صلة قوله: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[٩] فحقه أن يقول: "على الكافرين"، ولكن اللام[١٠] من حروف الإضافة والخفض، وحروف الإضافة مما يُسْتَبْدَلُ[١١] بعضها ببعض، فجَعَلَ اللامَ بدلا عن عَلَى. وإن كان قوله: **للكافرين**، صِلَةَ قوله: **ليس**[١٢] **له دافع**، فمعناه أن ليس على الكافرين دافع لعذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة،

---

[١] جميع النسخ: سفههم هو الذي حملهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٢] ث: عليكم.
[٣] ث م: نفسه.
[٤] ن - ذلك.
[٥] ث - عليه.
[٦] ن: هم.
[٧] ر م: قائل؛ ن: غير منقوطة؛ ث: قابل.
[٨] ر: سيقيل؛ ن ث: غير منقوطة؛ م: سيقبل.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ر ث م: اللازم.
[١١] ن: يستدل.
[١٢] ث م - ليس.

فأبدلت اللام مكانَ عَنْ، لأنهما جميعا من حروف الخفض. وقد يُدفع العذاب عن المسلمين من وجوه: إما برحمة الله تعالى، أو بشفاعة الرُّسل والأخيار، وإما بحسنات[1] سبقت منهم توجب[2] تكفير سيئاتهم. وأما[3] الكفار فلا تنالهم[4] رحمته ولا شفاعة أحد من الخلائق، وليست لهم حسنات تكفّر[5] سيئاتهم، فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب. وجائز أن يكون معناه أن الذي[6] ظنوا أنه ينصرهم عند النوائب وحلول الشدائد لا يقوم بنصرهم ولا يشفع لهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الملائكة على رجاء أن يشفعوا لهم ويُقرِّبوا إلى الله تعالى.

**﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **من الله ذي المعارج**، أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج،[7] كقوله عز وجل: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ،[8] أي الذي له العرش. واختلفوا في المعارج، قال بعضهم: هو المصَاعِد وهي السماوات، وسماهن مصاعدَ لأن بعضها أصعد من بعض وأرفعُ. ولو قال: ذي المَسَافِل، كان مستقيما واقتضى ما يقتضي قوله **ذي المعارج**، لأن بعضها إذا كان أصعدَ والذي تحتها أهبط[9] وأسفلُ. ولكن ذَكَرَ[10] المصاعد لأن هذا أعلى في الوصف. ثم في ذكر هذا ذكر[11] عِظَمِ[12] نعمه وإحسانه إلى خلقه حيث خلق السماوات مَسْكنا لأهلها وبسط الأرض مسكنا لأهلها، حتى إذا عرفوا هذا عرفوا[13] أن له أن يُفَضِّل بعضا على بعض وله أن يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختصَّ[14] بها.

---

[1] ر ث م: الحسنات.
[2] جميع النسخ: فوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[3] ن: فأما.
[4] ن: فلا يناهم.
[5] جميع النسخ: يكفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: جميع النسخ: أن الذين. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن - أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج.
[8] سورة البروج، ١٥/٨٥.
[9] م: هبط.
[10] م - ذكر.
[11] جميع النسخ - ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: أعظم.
[13] م - هذا عرفوا.
[14] م: ويخص.

وذكّرهم أيضا حكمته وعلمه[١] وقدرته وسلطانَه،[٢] حيث وضع سماء على سماء وخَلَقَهُنَّ طِبَاقًا من غير عَمَدٍ تحتها تمسكها[٣] أو علائقَ من فوقها تربطها.[٤] فتبين أنه يمسكها بحكمته وقدرته وسلطانه. فيكون في ذكر كل وجه فيما[٥] ذكرنا إزالة الشبهة التي اعترضت لهم في أمر البعث والرسالة وإيضاح بأن من قدر على ما ذكرنا لقادر على الإعادة بعد الإفناء. وقيل: **المعارج**، المعالي أي الذي له العلو والرفعة، كما قلنا في قوله: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ،[٦] أي لا أحد يستحق الحمد في الحقيقة، وما حُمِدَ أحدٌ إلا وذلك في الحقيقة لله تعالى، لأنه به استفاده. فعلى ذلك قولنا: له العلو والرفعة، أي ليس أحد يستفيد العلو والكرامة إلا وحقيقة ذلك لله تعالى لأنه استفاده به. والثاني أي هو الموصوف بالعلو والجلال عما يقع عليه أوهام الخلق.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **تعرج الملائكة والروح إليه**، يحتمل أن يكون معنى قوله: **تعرج**، ليس عن هبوط تصْعَد وتعرج،[٧] لكن أنشأهم كذلك معروجين، كقوله: وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ،[٨] أي أنشأهم كذلك، وقولِه عز وجل: وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا،[٩] ليست أنها كانت[١٠] في موضع مُنْحَطٍّ فرفَعها، لكنه كذلك خلقها مرفوعةً. فعلى ذلك قوله عز وجل **تعرج الملائكة**، أي أنشأهم كذلك ليستعملهم[١١] **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**. ووجه آخر -وهو الأشبه بالآية- وهو ما قالوا: إن الملائكة تعرج إليه أي إلى الموضع الذي عنه أرسلهم إلى أنواع الأمور في يوم لو قُدِّر ذلك العروج[١٢] بعروج البشر وسيْرِهم لكان مقداره[١٣] خمسين ألف سنة.

---

[١] ر م: وعلم.
[٢] ر ن م + أنه.
[٣] جميع النسخ: يمسكها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٤] جميع النسخ: يربطها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: فما؛ ن: مما.
[٦] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ١/١.
[٧] جميع النسخ: يصعد ويعرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[٨] ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[٩] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧).
[١٠] جميع النسخ: ليس أنه كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: استعلمهم.
[١٢] ن: المعروج.
[١٣] ر ث م: مقدار.

[٨٤٣و] وقوله عز وجل: **في يوم كان مقداره خمسين / ألف سنة**، وقال في موضع آخر: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[١] فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة وصعودهم.[٢] وهو أن البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير ألفُ عام، والبعضُ منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرةَ خمسين ألف سنة. فيكون في هذا إبانةُ أَنْ ليس أهل سماء أَحَقَّ أن يدور عليهم تدبير أهل الأرض من أهل سماء، بل ينزل أهل سماء إلى الأرض مرة لما يراد من التدبير[٣] وينزل أهل سماء أخرى بتدبير آخر. ثم [من][٤] أيّ سماء يُرسَل فهو يَصعد إلى تلك السماء بيوم واحد، إن أُرسل من السماء السابعة أو السادسة أو الأولى فهو يصعد إليها في ذلك اليوم، ويكون[٥] في هذا تبيين قوة بعض الملائكة على بعض أن فيهم مَنْ يسير مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد، وفيهم من[٦] يسير مسيرة أَلْف سنة. ومن قدر على أن يخلق في خلق من خلائقه من القوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل أن يعجزه شيء؛ فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما به هُوِّلُوا من القيامة والبعث. وجائز أن يكون قوله: **في يوم كان مقداره خمسينَ أَلْفَ سنةٍ**، راجعا إلى يوم القيامة، فذكر في موضع أن مقداره أَلْفَ سَنَةٍ[٧] وذكر هاهنا أن مقداره خمسين ألفَ سنةٍ.

فالأصل أن ذلك اليوم ليس بذي حد ولا له غاية،[٨] ينتهي إليه، فما يخبر من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع.[٩] فبأي شيء يَعظُم ذكره في القلوب يذكره، فمرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل: ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ،[١٠] ومرة قال: لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا،[١١] ومرة قال: **خمسين ألف سنة**، ومرة قال: أَلْفَ سَنَةٍ، إذ هذه الأشياء مما يعظم في القلوب،

---

[١] ﴿يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنةٍ مما تعدون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

[٢] ر ث م: فصعودهم؛ ن + فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة.

[٣] ر ث م: تدبير.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.

[٥] ر م: فيكون.

[٦] ر م – من.

[٧] سورة السجدة، ٥/٣٢.

[٨] ر ث م + نهاية.

[٩] ن: والتقريع.

[١٠] سورة ق، ٣٤/٥٠.

[١١] سورة النبأ، ٢٣/٧٨.

وكذلك الألْف هي عظيمة في القلوب. فإذا كانت هذه الأشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الواحد من الجملة أو ذكر الأشياء يقتضي معنى واحدا. ومنهم من يصرف الألف إلى تقدير عروج الخلائق إلى السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله: **خمسين ألفَ سنةٍ**، إلى تقدير المُقام للحساب[١] قبل أن يدخلوا النار. وجائز أن يكون تأويله على ما ذكره بعض أهل التفسير،[٢] وهو أن الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ إلى الخلق فتكلفوا[٣] أن يَفْرَغوا من حسابهم لم[٤] يفرغوا منه إلا[٥] في مقدار خمسين ألف سنة. لكن الله عز وجل بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في أدنى وقت حتى يصير أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[٦] على ما جاء في الأخبار، وذلك قوله: وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.[٧]

فإن قيل في قوله عز وجل: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[٨] أن كيف قدّر ذلك بصعودنا ونحن لم نُمَكَّنْ[٩] من الصعود ولم نُنْشَأْ[١٠] على ما في طبعنا إنشاءَ الصعود حتى ننظر[١١] أنه ألف سنة أو أقل[١٢] أو أكثر؟

وجوابه أن يقال: إن تأويله –والله أعلم– أنه لو بُسِط ما بين السماء والأرض وصار بحيث يمكن السير عليه لم يُقطع ذلك المسير إذا احتجنا إلى قَطْعه إلا بألف سنة مما تعدون. وجائز أن يكون تأويله أن لو جَعَل لنا[١٣] إلى السماء بابا وفَتَحَ وظَلَلْنا نعرج إليها لم نتوصل[١٤] إليها إلا في ألف عام.

---

[١] ر: لا حساب.
[٢] ر: التأويل.
[٣] ن + إلى.
[٤] ر م: أن.
[٥] ث: إلى.
[٦] ر م – في النار.
[٧] سورة البقرة، ٢٠٢/٢؛ وسورة النور، ٣٩/٢٤.
[٨] سورة السجدة، ٥/٣٢.
[٩] ر ث م: ولم يمكن.
[١٠] جميع النسخ: ولم ينشأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[١١] ر ث: ينصر؛ ن ينظر؛ م: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] م: وأقل.
[١٣] ر ث م – لنا.
[١٤] جميع النسخ: لم يتوصل. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فاصبر صبرا جميلا**، قيل: الصبر الجميل هو صبر لا جزَع فيه، والصبر الذي لا جزع فيه هو أن يصبر صبرا لا يُرى عليه أثر الصبر بأن لا يَظهر في وجهه كراهة[١] وعبوسة؛[٢] وهو أن ينظر إلى من أذاه بعين الرضا[٣] والشفَقَة، ليس بعين السَّخَط والكراهة. أو الصبر الجميل أن لا يكافئهم[٤] ولا يَدَعَ شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفَقَته ورحمته وحزنُه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه[٥] تَهلِك[٦] فيها؛ كما قال الله عز وجل: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٧] وقال: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ.[٨] فالرسل عليهم السلام كانوا إذا أُوذوا لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا[٩] بل كانوا يحزنون لمكان[١٠] مَن يؤذيهم[١١] خوفا من أن يحل بهم[١٢] الهلاك والبوار بإيذائهم رسل الله تعالى، وإشفاقُهم على قومهم هو الذي كان يُحزِنهم ليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾[٦] ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا**، أي بعيدا[١٣] أن يكون، فيكون على النفي[١٤] والإنكار. وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول[١٥] الرجل في المناظرة لصاحبه:

---

١ ر م: كراهته.
٢ ر م: عبوسة.
٣ ث م: الرضاء.
٤ ر ن ث: أن لا يكافهم.
٥ ن + تبلغ.
٦ ر ث م: يهلك.
٧ سورة فاطر، ٨/٣٥.
٨ ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).
٩ م + لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا.
١٠ جميع النسخ: بمكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
١١ ر ث م: من ذنوبهم.
١٢ ر ث م: لهم.
١٣ م: أي بعيد.
١٤ ر: على الشقي.
١٥ ر ث م: بقول.

أبعدتَ في القول، إذا أجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة، فيريد بقوله: "أبعدت" النفيَ، أي ليس كما تقول.[١] وقال الله عز وجل: أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،[٢] ومعناه على نفي النداء أي لا ينادَون. أو يكون[٣] قوله: بعيدا أي مستبعَدا[٤] كونه؛ فبَعُد عن أوهامهم حتى أنكروه. **ونراه قريبا**، أي قريبا كونه، إن كان معنى قوله: **بعيدا**،[٥] أي بعيدا كونه، **ونراه**[٦] **قريبا**، أي كائنا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم. وكل ما هو كائن فهو قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[٨] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[٩]

/ وقوله عز وجل: **يوم تكون السماء كالمهل**، فكأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٤٣ظ] عن الوقت الذي وعِدوا أن يقع بهم العذاب: متى وقته؟ فنزلت هذه الآية **يوم تكون السماء كالمهل**. وقيل: المهل، عَكَر الزيت وهو دُرْدِيُه.[٧] فجائز أن يكون هذا على التحقيق، وهو أنها[٨] تتغير[٩] في ذلك اليوم من لون إلى لون فتحمرّ[١٠] مرة وتصفر[١١] أخرى لشدة هول ذلك اليوم فتكون[١٢] كدُرْديّ الزيتِ لِينًا[١٣] ولونا متغيرا من حال إلى حال. وجائز أن لا يحُل بها التغير ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع تضعف[١٤] بصره حتى يرى[١٥] السماء على خلاف[١٦] اللون الذي هي عليه، وهو كما يُرَى[١٧] المرء إذا حل به الضعف والمرض في الشاهد

---

[١] ن: كما يقول.
[٢] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[٣] ر ث م: أو أن يكون.
[٤] ث: بعيدا.
[٥] ث – كونه فبعد عن أوهامهم حتى أنكروه ونراه قريبا أي قريبا كونه إن كان معنى قوله بعيدا.
[٦] ر م: أو نراه.
[٧] ر م: دردية.
[٨] ر م: أنهما.
[٩] جميع النسخ: يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[١٠] ر ث م: فيتحمر.
[١١] جميع النسخ: ويصفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م: لنا.
[١٤] ر ث م: يضعف؛ ن: بضعف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ر م: ترى.
[١٦] ن: على حلاب.
[١٧] ر م: ترى.

وجد[1] طعم الأشياء على خلاف ما هي عليها، فيكون في ذكر هذا تهويل وتفزيعٌ. إن هول ذلك اليوم شديد لا تقوم[2] لهوله[3] السماوات والأَرَضون مع صلابتها وغلظتها[4] في نفسها[5] فكيف يقوم لهوله[6] الآدمي[7] الموصوف بالضعف[8] واللين؟[9] وجائز على ما ذكرنا أنه يصير[10] شبيها[11] بالمهل للينها ورخاوتها[12] وهو أنها[13] تلين وترخو[14] من هول ذلك اليوم حتى تصير[15] السماء كالمهل والجبال كالعهن. فيكون في هذا أيضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويُقبِلوا على عبادة الله ويتسارعون[16] إلى طاعته. وتأويل العهن[17] ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا في قوله عز وجل: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[18]

## ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل **ولا يسأل حميم حميما**، قرئ برفع الياء ونصبها،[19] فمن يرفع[20] الياء فتأويله أي لا يُطلَب حميم من حميم ولا يؤخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا، لأن ذلك اليوم هو يوم العدل،

---

[1] ر: ووجه؛ ث م: ووجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[2] ن: لا يقوم.
[3] جميع النسخ: لهولها.
[4] ر ث م: وغلظها.
[5] ث: في أنفسها.
[6] جميع النسخ: لهولها.
[7] ن: آدمي.
[8] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفِّف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٢٨/٤).
[9] م: واللبن.
[10] م: بصير.
[11] ن: سببها.
[12] ر ن م: ورخوتها.
[13] ر م: وأنها.
[14] ن: ويرخو؛ ث: وترخوا.
[15] جميع النسخ: يصير.
[16] ر ن: ويتسارعوا.
[17] ن – العهن.
[18] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[19] قرأ أبو جعفر وابن كثير في رواية ابن أبي بزة والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم ﴿وَلَا يُسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ بضم الياء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦).
[20] م: رفع.

وليس من العدل أن يؤخذ الغير بذنب الغير. ومن قرأه بالنصب فتأويله ألّا يسأل[١] حميم حميما من شدة ذلك اليوم وهؤلِه النصرة والشفاعة، أو لا يسأل[٢] عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه.

**﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[١١] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[١٢] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[١٣] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[١٤] ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾[١٥] ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **يبصرونهم**، يحتمل أن يعرَّف بعضهم ببعض:[٣] إن هذا أبوك وابنك وحميمك، إذ لا يعرفه[٤] إلا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع. ثم إذا عرفوا لا يسألونهم بل يفر بعضهم عن بعض، كما قال تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٥] الآية. أو يكون معناه أن يبصَّروا ما سبق منهم من الذنوب والأجرام فيعرفونها ويصير لهم حاضرةً. وقوله عز وجل: **يود المجرم لو يفتدي من عذاب يَوْمِئِذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا**، ففي هذا أنه[٦] يستقبلهم في ذلك هول عظيم[٧] وفزع لم يكن لهم يمثله[٨] عهد في الدنيا ولا كان خطرَ ببالهم ذلك، لأن المرء لا يبلغ به الهولُ في الدنيا مبلغا يود أن يفتدي[٩] ببنيه وصاحبته[١٠] وأخيه وأقربائه وجميع من في الأرض. فيكون فيه إخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الإنابة إلى الله تعالى والانتهاء[١١] عما هم عليه.

---

[١] ن: أن لا يسأل.
[٢] م: و لا يسأل.
[٣] جميع النسخ: عن بعض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[٤] ث: أن لا يعرفه.
[٥] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/ ٣٤-٣٧).
[٦] ر ث م: آية.
[٧] ر ن م - عظيم.
[٨] ر ث م: مثله.
[٩] جميع النسخ + به. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: وصاحبه.
[١١] ر م: وانتهاء.

ثم بدأ بذكر البين والأقربين وأنهاه[1] بالأبعدين. وحق هذا أن يُبدأ بالأبعدين ثم يختم بذكر الأقربين،[2] لأن المرء قد تسخو[3] نفسُه بفداء الأبعدين وتَضِنُّ[4] ببذل[5] الأقربين فِداء. فإذا سخت[6] أنفسهم في ذلك اليوم بفداء البنين والأقربين فَلَأَنْ تسخو[7] بفداء الأبعدين أحق. وإذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع أن يبدأ بذكر الأباعد ويختم[8] بذكر الأقارب، فكيف ابتدأ[9] بذكر الأقربين؟

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه إنما يُتَوصَّل إلى فداء أهل الأرض إذا كان له عليهم مُلك وكانوا بأجمعهم له، وإذا كانوا جميعا له ملكا كانت شَفَقته على ملكه وأولاده واحدةً أو أكثر. فكما يَضِنُّ[10] ببذل أولاده -وإن يكونوا عنه فِداء- فكذلك يضن[11] بالأباعد إذا كانوا جميعا ملكا له، فلذلك استقام أن يبدأ بذكر الأقربين قبل[12] الأبعدين إذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع. *والله أعلم*.

و[الثاني] جائز أن يكون ذكر الأقربين وذكرُ أهل الأرض ليس على جهة[13] الأَولى، ولكنه ذَكَّر الآحاد أولا ثم ذكر الجماعة[14] ثم ذكر جماعة الجماعة[15] ليعلموا أن لا ينفعُهم الفداء في ذلك اليوم وأن الذين وَدّوا الفداء ليتخلصوا من عذاب الله تعالى لا يشتدّ عليه ما فَدَوا وإن كان[16] ذلك ملءَ الأرض. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: وأنها.
[2] جميع النسخ: بالأبعدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[3] ر ث م: قد يسخو؛ ن: قد سخوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: ويظن؛ ن ث: ويضن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.
[5] ن ث: يبدل.
[6] ن: نسخت.
[7] ر ث م: فلأن يسخو؛ ن: فلأن يسخوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر م - بذكر الأباعد ويختم.
[9] جميع النسخ: ابتداء. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م: فكما يظن.
[11] ر م: يظن.
[12] ر: قيل.
[13] ر: جبهة.
[14] ث - ثم ذكر الجماعة.
[15] ر م - ثم ذكر جماعة الجماعة.
[16] ن: وإن كانوا.

وقوله عز وجل **ثم ينجيه، كلا**، رد وتنبيه أن لا ينجيه ذلك اليومَ. وقوله عز وجل: **إنها لظى نزَّاعَةً للشوى**،[١] فاللظى اسم من أسماء النار، والشوى قيل:[٢] مكارم خَلْقه، وقيل: هي القوائم والأطراف، وقيل: هي الجلود.[٣] والأصل أن نار جهنم تعمل[٤] على أصحابها[٥] كل قبيح وكل مُستشنَع مستفظع، فإن شئت صرفت ذلك إلى الأرجل، وإن شئت إلى الجلود،[٦] وإن شئت إلى مكارم خَلْقِه،[٧] لأن التقبيح في كل ذلك موجود. وهو كقوله عز وجل: لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ،[٨] فقيل في تأويل المطهرة [من][٩] وجوه. أحدها[١٠] أنهن مطهرات [من الأخلاق الذميمة، وقيل: مطهرات من الأنجاس، وقيل: مطهرات][١١] من العيوب والآفات. وجملته أنه ما من شيء يُستحسن ويُستقبح[١٢] من خُلق أو نَفْس أو معاملة إلا وهن مطهَّرات[١٣] من ذلك، وما من شيء يستشنع[١٤] ويستفظع إلا وذلك في أهل النار موجود.

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **تدعو من أدبر وتولى**، فجائز أن يكون الدعاء منها على التحقيق، / وهو أن يجعل [٨٤٤و]
الله تعالى [لها][١٥] باللطف لسانا تدعو[١٦] به، أو يخلق فيها الكلام من غير لسان فتقول:[١٧] إليّ إليّ.[١٨]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ر م + هي.
[٣] جميع النسخ: الخلود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.
[٤] جميع النسخ: يعمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م + قبيح.
[٦] ر ن م: الخلود.
[٧] جميع النسخ + الأخلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] سورة البقرة، ٢/٢٥.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ر: إحداها.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ث م: ليستحسن ليستقبح.
[١٣] ر: مطهرة.
[١٤] ر ن: يستبشع؛ م: يستشفع.
[١٥] الزيادة من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] جميع النسخ: فيقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٨] ر م − إلي.

وجائز أن يكون هذا على التمثيل، وهو أنها لا تَدَعُ أحدا[1] يفرّ عنها ويتخلص من عذابها فكأنها دعته إلى نفسها. ثم قوله عز وجل: **من أدبر وتولى**، جائز أن يكون قوله: **من أدبر**، أي من كان أدبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الإجابة لرسله، كقوله تعالى: تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا،[2] أي أَعْرَضَ؛ أو أدبر عن توحيده وتولى عن النظر في حججه[3] وفيما جاء من عنده. ويحتمل قوله: **من أدبر**، أي **أدبر** عن طاعة الله عز وجل، **وتولى**، أي تولى الشيطان، من الولاية [لا عن الإعراض].[4] وجائز أن يكون أدبر، في جهنم فيُدبر[5] رجاءَ أن يفر عنها، **وتولى**، كذلك، فلا تدعه[6] النار ليفر بل تغشاه[7] عن الإعراض، كقوله عز وجل: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ.[8] ولكن هذا قريب من الأول لأن من تولى عن ذكر الله فقد تولى الشيطان.[9]

## ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وجمع فأوعى**، يخبر بقوله: **وجمع**، على ما جُبِل عليه[10] من شدة الحرص على الدنيا فيكون الجمع كناية عن الحرص فبلغ به هذا الحرص مبلغا أنساه ذكر الآخرة. وقوله عز وجل:[11] **فأوعى**، فيه بيان صفته فيما عليه من النهاية في البخل، فيكون الإيعاء كناية عن البخل حتى لم يؤد حق الله تعالى في ماله؛ أو لم يقم بشكر [ما أنعم][12] الله تعالى [عليه][13] من النعم؛ أو بلغ به البخل[14] مبلغا منعه ذلك عن قبول[15] حق الله تعالى في ماله.

---

[1] ر: أحد.
[2] ﴿فَأَعْرِضْ عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ (سورة النجم، ٥٣/٢٩).
[3] جميع النسخ: في حجته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] ر ث م: فتدبر.
[6] ر م: يدعه ويتولى كذلك يدعه؛ ن ث: ويتولى كذلك فلا يدعه.
[7] جميع النسخ: بل يغشاه.
[8] سورة النحل، ١٦/١٠٠.
[9] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٦).
[10] ن: عليها.
[11] م + وجمع.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ث: البخل به.
[15] ر: عن قول.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن الإنسان خلق هلوعا**، اختلف في تأويل الهلوع من وجوه، كل يرجع إلى معنى واحد. فقال[١] بعضهم: الطامع في اللذات الطالب لها، والكاره للأثقال الهارب منها. وقيل: **خلق هلوعا**، أي على حب ما يتلذذ به والقيامِ[٢] بطلبه[٣] وبُغض ما يتألم به والهربِ عنه. ومنهم من يقول: الهلوع الضجور، وهذا[٤] موافق للتأويل الأول، لأن الذي يحمله على الضجر هو ما يصيبه[٥] من الألم فيضجر لذلك أو يضجر عن حق الله تعالى. ومنهم من يقول: تفسيره[٦] ما ذكر[٧] على إثره من قوله:

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾[٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٢١]

**إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا**، وهذا أيضا مثل الأول لأن الذي حمله على المنع شدة حبه إياه، والذي حمله على الجزع ما مسه من الضرِ والشر، فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر[٨] ومبغضة له. وقال الله عز وجل: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا،[٩] وقال في موضع آخر: وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا،[١٠] أي لا تسخو [نفسه][١١] على إخراج ما في يديه. ففي هذه الآيات إنباء أن الإنسان خلق على هذه الأحوال، قتورا عجولا هلوعا. فلما أنشئ على حب ما ينفعه وبغضِ[١٢] ما يكرهه[١٣] ويتألم به عُلم أنه[١٤] خلق على هذه الأحوال[١٥] للمحنة.

---

[١] ن: قال.
[٢] ر ن م: القيام.
[٣] ر م: يطلبه.
[٤] ر ث م: وهو.
[٥] ن: هو ما يظنه.
[٦] جميع النسخ: تفسير ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[٧] ر ث م + ذلك.
[٨] ن – والشر فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر.
[٩] سورة الإسراء، ١١/١٧.
[١٠] سورة الإسراء، ١٠٠/١٧.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ث: وبعض.
[١٣] ث: يكرمه.
[١٤] جميع النسخ: أنها
[١٥] رث م – الأحوال.

فمن تذكّر فيما وعد الله تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما أمره به حمله[١] ذلك على التسارع في الخيرات وتَرْك[٢] ما يحبه في الدنيا لينال الموعود في الآخرة، إذ هو في الأصل أُنشئ محبا لما يتلذذ [به].[٣] ومن تذكر[٤] ما أُوعد من العذاب بما يعطى نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وبما يمتع من حقوق الله تعالى الواجبة[٥] في ماله سَهُل عليه ترك الشهوات، وخف عليه بذل ما طُلب منه لكلا يَحُلّ به ما يُنغّص[٦] بعيشه من الآلام والمكاره.

والأصل أن الإنسان وإن كان مطبوعا على هذه الأخلاق الذميمة من البخل والإقتار والعجلة وجُبِل عليها فقد مَلّك رياضة نفسه[٧] ويمكنه أن يستخرجها من تلك الطبائع[٨] الذميمة إلى أضدادها من الأخلاق الحميدة والشمائل المرضية، فلزمه القيام بذلك. ألا ترى أنه يتهيأ له أن يقوم برياضة[٩] الدواب والسباع فيُخرجها بالرياضة عن طباعها[١٠] التي أنشئت عليها من النفار[١١] عن الخلق والامتناع عن الانقياد، حتى تصير[١٢] منقادة للخلق ذليلة لهم فيُتهيأ لهم[١٣] الاستمتاع والتواصل إلى منافعها، فكذلك الإنسان إذا قام برياضة نفسه أمكنه أن يستخرجها عن خلقتها فتصير[١٤] مطيعة له فيَخِفّ عليها بذْلُ ما يُطلب منها ويَسهُل عليها تحمّل ما كان يشتدّ عليها.

ثم الأصل أن المرء وإن جُبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتألم ويتوجع فقد جبل أيضا على ترك ما[١٥] فيه من اللذة لِلذّة[١٦] هي أعظم منها وعلى التصبّر لاحتمال الأذى والمكروه

---

[١] ن: جملة.
[٢] ر م - وترك.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[٤] ن: ومن يذكر.
[٥] ن: الواجه.
[٦] ر ن م: ينغض.
[٧] جميع النسخ: رياضة نفسها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: الطباع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: رياضة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: عن طاعتها.
[١١] ر: من النفاد.
[١٢] ن: حتى يصبر.
[١٣] ث م - فيتهيأ لهم.
[١٤] ن: فيصير.
[١٥] ر ن ث م + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ن م: اللذة.

ليتخلص عما هو أعظم من ذلك المكروه والألم.[١] وإذا كان كذلك فهو إذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة وأقربَ اللذتَين بأبعدهما فرأى أن[٢] الآخرة أعظم وأبقى خَفّ عليه ترك أقربهما لأبعدهما وأقلهما لأكثرهما.[٣] وإذا قابل مكروة الدنيا بمكروه الآخرة وعذابها[٤] بعذاب الآخرة فرأى عذاب الآخرة أشدَّ وأبقى خَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. فهذا السبب الذي ذكرنا مما يتوصل به إلى رياضة النفس. والذي يدل على أن المرء قد يخف عليه عمل الشدائد وترك اللذات الحاضرة لما يَأْمُل من اللذات الآجلة، أنك ترى المرء قد يَهُون عليه الضرب في الأرض وقطعُ الأسفار وتحمل المُؤَن / وركوب الأهوال والفظائع والانقطاعُ عن اللذات، كالذي [٨٤٤ظ] يخرج للتجارة من بلده إلى بلاد نائية[٥] لما يرجو من النفع والربح في ذلك فيتحمل[٦] ما يمسه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل اللذات التي هي أعظم من نيل اللذات التي[٧] تركها. فعلى ذلك إذا تفكر في نعيم الآخرة وتفكر في عقابها سهل[٨] عليه ترك اللذات الحاضرة وخَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. ووجه آخر أنه لمّا جُبل على حب اللذات[٩] وبغض المكاره أُمر أن يجعل ما يحبه من العاجل آجلا فيكون شُغْله أبدا فيما يوصله إلى نعيم[١٠] الآجل وأُمر أن يجعل هربَه عن الآلام الآجلة فيجتهد فيما فيه[١١] التخلص والنجاة عن تلك الآلام. **والله أعلم.**

**﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[٢٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**، معناه -والله أعلم- لأن المصلين يقومون برياضة أنفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التي أنشئت عليها. ثم بيّن أن الذين

---

[١] ر: والآلام.
[٢] ر ن م: أنه.
[٣] ر: لأكثرها.
[٤] م: وعذابا.
[٥] م: نائبة.
[٦] ر م: فتحمل.
[٧] ر م - هي أعظم من اللذات التي.
[٨] ر ث م: يسهل.
[٩] ث م: للذات.
[١٠] ث + الآخرة.
[١١] ن م - فيه.

يقومون برياضة أنفسهم هم الذين يقومون على صلاتهم دون الذين يقومون إلى الصلاة كُسالى ولا يدومون عليها ولا ينفقون من أموالهم إلا عن كراهة.

ثم قوله عز وجل: **على صلاتهم دائمون**،[1] دوامهم عليها في لزوم ما عرفوها وهو[2] أن يقيموها[3] في أوقاتها ويحافظون[4] عليها دون أن يكون[5] دوامهم أن يكونوا فيها أبدا. ألا ترى إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قَلَّ».[6] وأراد بقوله "أدومها" لزومها في الوقت الذي أَوْجب فِعْلَ ذلك على أنفسهم لا أن يكونوا أبدا فيها، لأنهم إذا بَقُوا فيها أبدا كثر ذلك منهم فلا يكون لقوله: وإنْ قَلَّ معنى، فثبت أن معنى الدوام ما وصفنا. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون المراد من المداومة هو أن يدوم على الأحوال التي تليق[7] بالصلاة عند كونه فيها من الإقبال على المناجات وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الأشغال والوساوس.

وقال بعضهم: **على صلاتهم دائمون**، هو التطوع، وَعَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ،[8] الفريضة.[9] قال: وتصديقه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا صلوا صلاة داموا عليها. وكان يقال:[10] خير الأعمال أدومها[11] وإن قل. وأصله أن الله تعالى قال: وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ،[12] والإقامة على الشيء هو الدوام عليه، لأنه إذا فعل الشيء مرة ثم تركه لم يوصف بالإقامة عليه. فقوله: **دائمون**، وَيُقِيمُونَ،[13] يقتضي معنى واحدا، فيكون فيه إبانة أن الصلاة يلزم فعلها مرة بعد مرة، وليست كالفرائض التي إذا أُدِّيت مرة سقطت من نحو الجهاد والحج.

[1] ن + وقوله.
[2] م – وهو.
[3] ر: أن يقوموها.
[4] ر م: ويحافظوها.
[5] ر: أن يكونوا.
[6] مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/١٦٥؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، المسافرين ٢١٥-٢١٦.
[7] جميع النسخ: يليق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.
[8] الآية ٣٤ من هذه السورة، وغيرها من الآيات.
[9] ث م: الفرضية.
[10] ر م: وكانوا يقول.
[11] جميع النسخ: أدومه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] سورة البقرة، ٢/٢٧٧؛ وسورة التوبة، ٩/٥، ١٥ وغيرها.
[13] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٣ وغيرها من الآيات.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾[٢٤] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والذين في أموالهم حق معلوم**، قيل: هو الزكاة. ذكر ذلك عن قتادة[١] وغيره. وقال أبو بكر [الأصم]: هذا غير محتمل، لأن هذه الآيات[٢] مكية وإنما فرضت الزكاة عليهم بعد هجرتهم إلى المدينة. ولكن ليس فيما ذكره دفع هذا التأويل لأنه يجوز أن تكون[٣] الزكاة لم تفرض[٤] عليهم لما لم يكونوا أصحاب الأموال، لأن الزكاة لم تكن[٥] مفروضة في الجملة فبيّن[٦] الوجوب إذا استفادوا الأموال. ألا ترى أن الفقير[٧] قد يعلم إيتاء الزكاة من المال -وإن لم يكن له مال- ليقوم بأدائها إذا صار من أهلها. فقوله: **حق معلوم**، أي أعلمه الله في أموالهم فلزمهم إخراجه. ثم بين أن خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في أموالهم بالدفع إلى السائل والمحروم. وجائز أن يكون ذلك الحق المعلوم هو حق[٨] القرابة وغيره. ومن ذَكر أن هذا الحق غير الزكاة قالوا: إنهم كانوا أُعْلِموا [أن] في أموالهم حقا فَجَعَلَ طائفة[٩] منها للسائل وطائفة للمحروم لذلك سماه[١٠] حقا معلوما. ويحتمل أن يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في أموالهم نسختها آية الزكاة و لم يُذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا إلى معرفته.

ثم السائل معروف وهو الذي يسأل. وأما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن المحروم فقال: «المحروم هو الذي لا يَثْمُر نخله ويَثْمُر نخل الناس ولا يزكو زرعه ويزكو زرع الناس ولا تَلْبَن[١١] شاته وتلبن شاة الناس»[١٢] فَعَنَى[١٣] بالمحروم هذا أنه حُرِم بركةَ ماله. وفي هذا الخبر دليل على أن المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والأرض.

---

[١] ث + ونحوه. انظر: *تفسير الطبري*، ٩٩/٢٩.
[٢] ن ث: الآية.
[٣] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.
[٤] جميع النسخ: لم يفرض. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: لم يكن.
[٦] جميع النسخ: وبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م: إن الفقر.
[٨] ن: هو الحق.
[٩] جميع النسخ: فجعلوا لطائفة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] م: سماها.
[١١] ن: ولا يلبن.
[١٢] لم أطلع عليه. قال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٩/١٧).
[١٣] جميع النسخ: فعنوا.

وجائز أن يكون المحروم هو الذي جِيل[1] بينه وبين وجوه المكاسب، فمن كان حاله هكذا كان علينا أن نتعاهده ونقوم[2] بكفايته. وقال الحسن: المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وإن هلك.[3] *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **والذين يصدقون بيوم الدين**، فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب، فكل من عرف[4] الجزاء وآمن به لم يجزّع بما يصيبه ولا منَع الحق الذي طُلب منه ولم يوصف[5] بأنه هلوع، وإنما الهلوع هو الذي يكذّب بيوم الدين، كما قال: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، فأخبر أن الذي يدع اليتيم وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[6] هو الذي لا يؤمن بالآخرة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**، أي خائفون وَجلون. وهم الذين قال عز وجل [فيهم] في آية أخرى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ.[7] وسئل رسول الله / صلى الله عليه وسلم وقيل له: أهم الذين يَسرِقون ويزنون [٨٤٥و]
ويعملون بالمعاصي؟ فقال: «لا بل هم الذين يصلون ويصومون ويؤتون الزكاة»[8] أو كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم. ووجلُهم هو أنهم يخافون أن لا يقبل[9] منهم حسناتهم أو يخافون أن يكونوا قصّروا عن الوفاء بشكر النعم أو غفلوا عن شكر كثير منها.

---

[1] ر: جبل.
[2] ر ن م: أن يتعاهده ويقوم.
[3] قارن بما ورد في تفسير *مفاتيح الغيب* للرازي، ١٣٠/٣٠.
[4] ر ث م: ما عرف.
[5] م: لم يوصف.
[6] سورة الماعون، ١/١٠٨-٣.
[7] سورة المؤمنون، ٦٠/٢٣.
[8] جميع النسخ: لا بل هم الذين يقومون ويصلون ويؤتون الزكاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و. عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه». (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٩/٦، ٢٠٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٣).
[9] ت: أن يقبل.

**﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٢٨]**

وقوله عز وجل: **إن عذاب ربهم غير مأمون،** فهذا هو الحق أن لا يأمن أحد من عذابه وإن دَأَب في عبادته واجتهد في طاعته لما لا يدري على ماذا يُختم أمره، أو يخاف أن لا يقبل منه[١] ويردّ عليه، أو يخاف أن يكون قد قصّر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها. والأصل أنه ما من أحد ينظر في أمره وحاله إلا وهو يرى على نفسه من الله تعالى نعما[٢] لو أجهد[٣] نفسه ليقوم بشكر واحد منها لقصّر عن ذلك ولم يتهيأ له القيام بوفائها. فمن كان هذا وصفَه فأنى يقع له الأمن من عذابه ويوجد[٤] منه الوفاء بالأسباب التي يأمن[٥] بها؟ إلا أن يكون من الخاسرين.

**﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٢٩]**

وقوله عز وجل: **والذين هم لفروجهم حافظون،** ذكر حفظ الفرج ولم يذكر بم يُحفظ. وحفظه يكون[٦] بخصال. أحدها أن يُسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد. والثاني بما جعل[٧] الله عز وجل [له] سببا للتعفف من النكاح ومُلْك اليمين، فيمنعه ذلك عن الزنا وحُفِظ الفرج. والثالث يُجيع[٨] بطنَه بالصيام،[٩] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يقدر على الباه[١٠] فليصم فإن الصوم له وِجاءٌ».[١١] والرابع بما يترك النظر إلى النساء ولا يخلو بهن ويَدَع مجالسة الفجّار وأهل الرِّيبة.

---

[١] ر م – منه؛ ث: منهم.

[٢] ر ث م: أنعما.

[٣] ث: اجتهد.

[٤] ر ن م: ويوخذ.

[٥] جميع النسخ: يؤمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.

[٦] ث م – يكون.

[٧] جميع النسخ: بما جعله.

[٨] ر: بجميع؛ ن: بجمع.

[٩] ر م: بالقيام.

[١٠] ر: على الباء؛ م: على الباد.

[١١] عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شباب لا نقدر على شيء. فقال: «يا معشر الشباب! عليكم بالباءة فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء» (*سنن الترمذي*، النكاح ١؛ و*سنن النسائي*، الصيام ٤٣).

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**. ولو لم يقل: **غير ملومين**، لكنا نعلم [أيضا] بقوله: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**، أنهم لا يلامون، لأنه[١] قد أباح لهم الاستمتاع بمن ملكت أيمانهم ومن كان تحتهم بملك[٢] النكاح، ولا يجوز أن يلحق اللائمة باستعمال المباح المطلق. ولكنْ فيه فوائد. أحدها أن من الناس من يحرّم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين، فيخبر أنهم عند من اعتقد الإيمان بالرسل غير ملومين، وإنما يلومهم[٣] من أنكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة. وجائز أن يكون معناه أنهم وإن منعوا النساء عن الجماع بما هو خير لهن[٤] من الصيام وأنواع القُرَب لم يلحقهم اللائمة كما يلام[٥] من يمنع آخر عن طاعة الله تعالى، أو إذا استمتعوا[٦] بملك النكاح وملك اليمين ثم يُبتلَوا[٧] بالزنا فيلحقهم اللائمة بذلك.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**، العادي هو الظالم في الحقيقة؛ يقال: عدا فلان على فلان إذا ظلمه، فهم عادون حيث ظلموا أنفسهم فوضعوها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها. وقال الحسن: هم العادون حيث عدَوْا من الحلال إلى الحرام.[٨] وفي هذه[٩] الآية دلالة تحريم المتعة، لأنه أخبر أن من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو إذا من العادين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**، فالأمانات لها وجهان. أحدهما ما ائتمن الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم. والثاني ما ائتمن[١٠] بعضُهم بعضا

---

[١] ر ث م: لأنهم.
[٢] م: بملك.
[٣] جميع النسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[٤] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: كما لا يلام.
[٦] جميع النسخ: وإذا استمعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لم يبلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٧٥/٣.
[٩] ر م: وفي هذا.
[١٠] ر م. والثاني ائتمن.

على الحقوق والعهود التي تجري[١] بين الخلق من الذِّمَم والنذور وغير ذلك. فيدخل فيه كل أمانة بين العبد وبين ربه وبينه[٢] وبين الخلق وكلُّ عهد أُخذ عليهم من نحو قوله: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ،[٣] قيل: في التأويل: العهود، ثم بيّن ذلك، فقال: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ،[٤] الآية، والعهدُ الذي أعطينا المعاهدين، فكل ذلك داخل[٥] تحت الآية.[٦] وقد يدخل معنى الأمانة في العهد والعهدُ في الأمانة، وقد يجوز أن يقع بينهما فرق. *والله أعلم*.

**﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **والذين هم بشهاداتهم قائمون**، أي يقيمون بها[٧] لله تعالى، كقوله: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ،[٨] أو قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة، فيقومون بها[٩] أحبُّوا أو كرِهوا ضَرَّهم ذلك أو نفعهم.

**﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **والذين هم على صلاتهم يحافظون**، محافظة الصلاة أقامتها في أوقاتها بشرائطها، والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى، ولما جعلت تكفيرا لسيئاتهم فيرغبون في إقامتها تكفيرا عنهم سيئاتهم.

**﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **أولئك في جنات مكرمون**، في الآية إبانة أن من يكرم بالجنان هؤلاء. وذكر عن أبي بكر الأصمّ أنه قال: في هذه الآية[١٠] دلالة أن من وَفَّى بهذه الأشياء التي ذكرها

---

[١] ر م: التي يجري؛ ن: الذي يجري.
[٢] ر ث م: وبينهم.
[٣] سورة المائدة، ١/٥.
[٤] ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).
[٥] ن: فكل ذي داخل.
[٦] ن + والعهد الذي أعطينا المعاهدين.
[٧] جميع النسخ: يقيمونها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[٨] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٩] جميع النسخ: لها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م - الآية.

في هذه السورة من الإدامة على الصلاة وإيتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين إلى آخر ما ذكر، فهو الذي يكرَم بالجنة أو الخاطئُ[1] الذي يرجع عن خطيئته ويتوب عنها. فأما غير هذين[2] فهو لا[3] يستوجب الإكرام بالجنة. فما ذكر من الإكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما فهو كما ذكر. وأما الصنف الثالث فهم الذين بُنُوا بالخطيئات من أهل الإيمان ولم يتوبوا عنها
[٨٤٥ظ] فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه[4] وتعالى وكرمه وجُودِه. ومن كان / هذا وصفه لم يُؤْيَسْ من إحسانه[5] بل كان العفو منه مأمولا والإحسان منه مرجوًّا.

﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾[٣٦] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين**. اختلف في تأويل الإهطاع. فمنهم من يقول: هو الإسراع في المشي، ومنهم من يقول: هو إدامة النظر. فمن حمله على الإسراع فمعناه أن أئمة الكفر كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن منه، ثم يُسرِعون إلى أتباعهم ويجلسون حلقا حَلَقًا ويحرّفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتبسون على ضعفائهم وأتباعهم ليصدهم[6] ذلك عن الإيمان بالله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام. فإن كان الأمر على هذا فتأويله: مالهم يُسرعون إليك ليستمعوا[7] كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك، نحو أن يقول بعضهم: مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[8] ومَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[9] إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ،[10] ونحو ذلك. وما المنفعة لهم في طعنهم عليك سوي[11] استيجابهم[12] المقت والهلاك بذلك من الله تعالى،

---

[1] ر م: والخاطي.
[2] ر م: على غير هذين.
[3] ر ث م: فهؤلاء.
[4] ن – سبحانه.
[5] ر: من الخشا.
[6] ر: ليضدهم.
[7] ر ث م: يسمعوا.
[8] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).
[9] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.
[10] ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾ (سورة المؤمنون، ٣٨/٢٣).
[11] م + إلا.
[12] ر: استحبابهم؛ م: استيخافهم.

وما يرجون بإعراضهم عن تصديقك بعد ما رأوا الآيات؟ ومن حمله على النظر فمعناه أنهم كانوا يجلسون من بعيد، فينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وأنه[١] من أساطير الأولين، فيمكرون بمن يفتري[٢] برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعاديه[٣] من الكفرة. فإن كان على هذا فتأويله كأنه يقول لهم: مالهم يجلسون[٤] من البعد ناظرين إليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما أنزل إليك فينتفعوا به؟ لكنهم متفرقون[٥] عن اليمين وعن الشمال يصدّون الناس عن مجلسك، وقد علموا أن لهم إلى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجةً، إذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالأنباء المتقدمة ليعلموا أنك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة.[٦] فإن كان على هذا[٧] الوجه فالعتاب[٨] [في ترك الاستماع، وإن كان على الأول، فالعتاب][٩] لمكان التحريف والتبديل. *والله أعلم*.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم**، قوله: **أيطمع**، حرف استفهام، وقد ذكرنا أن حرف الاستفهام لمن لا يَفْهم[١٠] إيجابٌ.[١١] ثم اختلف في وجه الإيجاب. فمنهم من يقول: معنى قوله: **أيطمع**، أي لا يطمع كل امرئ منهم[١٢] بعبادتهم الأصنام والأوثان أن يُدْخلوا جنة نعيم إذ هم منكرون للبعث[١٣] والجنة والنار. ثم مع هذا ينصرون الأصنام ويخضعونها[١٤] وإن كان لا طمع لهم في نصرها إلى شيء في العاقبة ولا يرجون منها العواقب.

[١] ر م – وأنه.
[٢] جميع النسخ: من يقتدي. والتصحيح من *الشرح* نسخة مكة، ورقة ٢١٨ظ.
[٣] جميع النسخ: من يعاديه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر: يحبسون.
[٥] ن + متفرقهم؛ ث + يتفرقهم.
[٦] م: والكهان.
[٧] م: فإن كان هذا.
[٨] ن: فالعنان؛ ث م: والعتاب.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٣و.
[١٠] جميع النسخ: ممن لا يفهم.
[١١] انظر: "المصطلحات والأفكار الرئيسة" أواخر المجلدات.
[١٢] ر م – منهم.
[١٣] ن: بالبعث.
[١٤] ر م: ويعبدونها.

فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يطمعون[١] نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاة من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم لله تعالى. كأنه يقول: إنهم لا يطمعون نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة، ثم يقومون[٢] بنصر[٣] الأصنام، فأنتم أحق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تطمعون نيل الجنة والدخول فيها بنصركم إياه. *والله أعلم*.

ومنهم من حمله على إيجاب الطمع، وهو أنهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها[٤] إذا رجعوا إلى ربهم[٥] ظنا منهم أنهم إذا ساوَوْا المسلمين في نعيم الدنيا وسَعَتها فكذلك يساوُونهم في نعيم الآخرة، كما قال الله عز وجل[٦] خبرا عنهم: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[٧] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[٨] الآية، هكذا ظن الكفرة أنهم إن رجعوا إلى ربهم فيجدون عنده خيرَ مُنْقَلَبٍ.

**﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾[٣٩]**

فقال تعالى: **كلا إنا خلقناهم مما يعلمون**. فقوله: **كلا**، على هذا التأويل رد لاعتقادهم[٩] وقطع لأطماعهم، فقال: **كلا**، أي لا يدخلونها قط. ثم استأنف الكلام فقال عز وجل: **إنا خلقناهم مما يعلمون**. وعلى التأويل الأول **كلا**، بمعنى حقا إنهم لا يطمعون، ثم استأنف بقوله: **إنا خلقناهم مما يعلمون**، أي من تلك[١٠] النُّطَف. فيذكّرهم[١١] بهذا عظيم نعمه وإحسانه إليهم بما أخرجهم منها ونقلهم من حال إلى حال حتى صاروا بشرا سويًّا ليعلموا أنه[١٢] لا يتركهم سدى،

---

[١] ر: يطعمون.
[٢] ر م: يقولون.
[٣] ر: ينصر.
[٤] ر م: نعمها.
[٥] ر – إلى ربهم.
[٦] ن: كما قال تعالى.
[٧] سورة فصلت، ٤١/٥٠.
[٨] سورة الجاثية، ٤٥/٢١.
[٩] ر م: الاعتقادهم.
[١٠] ر ت م: أي تلك.
[١١] ر: فتذكرهم.
[١٢] جميع النسخ: أنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

بل ليمتحنهم ويستأديَ منهم شكر ما أنعم عليهم فيوجب[1] ذلك تصديق الرسل. وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا أن من قدر على إنشائهم لقادر على أن يُحييَهم بعد ما أفناهم. *والله أعلم*.

**﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٤٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٤١]**

وقوله عز وجل: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**، الآية. ذِكْرُ المشارق والمغارب ذكر السماوات والأرض وفي ذكرهما ذكر أهل السماوات والأرَضين. فيكون معناه: فلا أقسم برب الخلائق أجمع. ويكون حرف **لا**، زائدة في الكلام تأكيدا للقسم على ما يذكر، فيكون معناه فَلَأُقسم.[2] ثم حق هذا القسم أن يقول مكان قوله: **برب المشارق والمغارب**: فلا أقسم بي إذا كان القسم من الله تعالى، هذا هو ظاهر الكلام في متعارَف اللسان. ولكن يحتمل هذا وجوها. أحدها أن يكون هذا القسم من النبي عليه السلام كأنه[3] علَّمه أن يقسم به فيقولُ[4] له:[5] قل يا محمد: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**. وإن كان هذا قسما من الله تعالى فهو مستقيم / أيضا من وجهين أحدهما على الإضمار كأنه قال: فلا أقسم بي فأنا[6] رب المشارق والمغارب. [٨٤٦و]
والثاني وإن كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر، لأن الخلق كله لله شهود وليس هو بشاهد[7] للخلق، فيخرج الكلام بينهم [مرة][8] على ما يُخاطَب الغائبُ ومرة على الوجه الذي يخاطب به الشاهد، ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة على أن مَلِكَ السماوات والأرضين ومدبرهما واحد، إذ لو لم يكن كذلك[9] لكان لِمَلِكِ[10] السماء أن يمنع الشمس والقمر والكواكب من إيصال النفع إلى أهل الأرض

---

[1] م: فيجب.
[2] ر ن م: فلا أقسم.
[3] ن: كان.
[4] جميع النسخ: ويقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.
[5] ن - له.
[6] ر ث م: بي ويا رب؛ ن: بي رب. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: شاهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ر م - كذلك.
[10] ر ث م: ملك.

ويكون لملك[1] الأرض أن يمنع مَلِكَ السماء عن الإغراب[2] في الأرض. ثم الذي يَشْرُق ويغرُب منذ خلق يجري على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل. فلو كان[3] لله[4] تعالى فيه شريك لكان لا بد[5] من وقوع التغيير فيها، فثبت أن تدبير السماوات والأرضين وتدبير سلطانهما راجع إلى الواحد.

وقوله عز وجل: **إنا لقادرون، على أن نبدل خيرا منهم**، هذا موضع القسم، فجائز أن يكون أريد به أي نبدل[6] الخير منهم، فتجعل[7] مكان ما كانوا من الشر خيرا، كقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا،[8] وقد فعل ذلك لأنهم أسلموا. ويحتمل أن يكون أراد به أن يبدل قوما خيرا منهم.

ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما على تحقيق القدرة، والثاني أن يكون معنى القدرة إرادة الفعل. أما الأول فعلى وجهين. أحدهما على معنى تخويف أهل مكة أنهم إن لم ينتهوا عن ذلك أبدل[9] الله تعالى مكانَهم مَن هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون إلا بعد المُبْدل عنه، وقد فعل الله تعالى ذلك بهم أهلك المعاندين منهم وأبدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولادهم والمهاجرين منهم والأنصارَ الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه.[10] والثاني أي[11] كنا قادرين على أن نجعل[12] المرسَل إليهم خيرا، إذ قد علموا أنه[13] من قدرة الله عز وجل وأنه هو الذي خلقهم وأنشأهم، لكن إنما أُرسل إليهم وأمرهم لحاجات[14] أنفسهم لا لنفع يرجع إليه،

---

[1] م: الملك.

[2] ث: عن الإعراب. غرّب القوم: ذهبوا في المغرب. وَأَغْرَبُوا: أتوا المغرب. والمُغرب: الذي يأخذ في ناحية الغرب (*لسان العرب*، «غرب»).

[3] جميع النسخ: ولو كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

[4] ر ث م: الله.

[5] ن: الأبد.

[6] ث: أن يبدل.

[7] ر ث م: فيجعل.

[8] سورة يونس، ٩٩/١٠.

[9] ر ن م: أنزل.

[10] ر: ونصره.

[11] ر ث م: إنا.

[12] ر ن م: على أن يجعل.

[13] ث م - أنه.

[14] ر: الحاحات؛ ث: لحاجة.

ليس على ما عليه ملوك الدنيا؛ لكنه إنما امتحنهم بالأمر ليسعوا في نجاة أنفسهم ونهاهم لِيَفُكّوا[١] رقابهم عن النار، فيكون فيه تسكينُ قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وَجْده عليهم حيث لم يؤمنوا.

وأما الوجه الثاني أن يكون معنى القدرة إرادةَ الفعل خاصة إذ قد يُكنى بالقدرة عن الفعل[٢] إذ هو سبب الفعل، كالأمر المعتاد بين الخلق بأمر رجل آخرَ بفعل[٣] فيقول: لا أستطيع ولا أقدر أي لا أفعل. وعلى هذا تأويل قوله: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ[٤] أي هل يفعل ذلك؟ فعلى هذا تأويل[٥] قوله عز وجل: **إنا لقادرون**، أي لفاعلون[٦] من هو خير لرسول الله بدلا عن هؤلاء. فإن كان على هذا فيكون فيه بِشَارةٌ[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجعل له أصحابا يرضاهم، ويكون فيه إخبار[٨] له بالنصر والغلبة على المكذبين منهم، ويكون فيه إنباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يَنْفُذ[٩] فيه مكرهم وإن اجتهدوا، ويكون فيه إعلام له[١٠] أنه ينتقم منهم له ويعذبهم. وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل -والله المستعان- حيث بدَّل عن[١١] أهل مكة أهل[١٢] المدينة وكانوا خيرا منهم، لأن أهل مكة كانوا عليه وأهل المدينة كانوا له فكانوا هم[١٣] خيرا.[١٤] وقوله عز وجل: **وما نحن بمسبوقين**، والمسبوق المغلوب فكأنه قال: لا يسبقنا أحد ولا يُعجزنا أحد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريده.

---

[١] ر م: ليكفوا.
[٢] ر ث م – عن الفعل.
[٣] ر ث م: يفعل.
[٤] سورة المائدة، ١١٢/٥.
[٥] ر ث م – هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء أي هل يفعل ذلك فعلى هذا تأويل.
[٦] ر م: فاعلون.
[٧] ث: يساره.
[٨] ر ث م + الله عز وجل.
[٩] ر م: لا ينفد.
[١٠] ر م – له.
[١١] ر ث م: على.
[١٢] ن – أهل.
[١٣] ر: فكافوهم
[١٤] م: خير.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **فذرهم يخوضوا ويلعبوا**، قال أبو بكر [الأصم]:[١] الخائض المتحير،[٢] واللاعب الخاطئ. فقوله: **فذرهم**، أي دَعْهم فيما هم من خطاياهم وتخيرهم[٣] في دينهم. فكل من اشتغل بما لا يحتاج[٤] له فهو خائض لاعب. وأصله أن كل[٥] أمر لا عاقبة له تحمد[٦] فهو فيه لاعبٌ لاهٍ،[٧] كقوله: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،[٨] أي من يعمل في الحياة الدنيا للدنيا لا للآخرة فهو لاعب لاه.[٩] وكأن هذه الآية صلة قوله: فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ،[١٠] الآية، أمره بأن لا يشتغل[١١] بأولئك ويُقبلَ على[١٢] من يرجو منهم الإيمان؛ أو أمره بان لا يشتغل بمكافأتهم بسوء[١٣] صنيعهم فإن الله[١٤] سينصره عليهم ويكافئه عنهم. وقوله عز وجل: **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**، قد لَاقَوْا ذلك اليوم وهو يوم بدر وسيلاقون[١٥] اليوم الثاني وهو يوم الآخرة.[١٦]

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **يوم يخرجون من الأجداث سراعا**، يخبر أنهم يخرجون من الأحداث وهي القبور سراعا إلى الداعي، والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم[١٧] أبت إجابة الداعي في الدنيا،

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[٢] ر ث م: المتخير.
[٣] ن ث: وتحيرهم؛ م: وتخيرهم.
[٤] ن: لا محمله؛ ث: لا يحتج.
[٥] ر: إلا كل.
[٦] ن ث: يحمد؛ م: نحمد.
[٧] ر ن: لاهي.
[٨] سورة محمد، ٣٦/٤٧؛ وسورة الحديد، ٢٠/٥٧.
[٩] ر ن م: لاهي.
[١٠] الآية ٣٦ من هذه السورة.
[١١] ر + كل أمر لا عاقبة له بحمد هو ولعب.
[١٢] ر م: عن.
[١٣] ن: لسوء.
[١٤] ر ث م: وإن الله.
[١٥] ن م: وسيلاقوك.
[١٦] م: الآخر.
[١٧] ر ث م: نفسهم.

فنزل[١] بهم الهلاك[٢] بتركهم الإجابة، فتسارعوا في ذلك اليوم إلى إجابة الداعي رجاء أن يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الإجابة، وذلك لا ينفعهم وإن وُجدت منهم التوبة،[٣] لأن ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة. وإنما هو يوم تُجْزَى[٤] فيه كل نفس بما كسبت.[٥] وهذا كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.[٦] فأخبر أنهم يفزَعون إلى الإيمان بالله تعالى لما أيقنوا أنهم إنما حل بهم البأس بإعراضهم عن الإيمان، ففزعوا عند إيقانهم العذاب إلى الإيمان رَجاءَ أن يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم من عذاب الله[٧] شيء، / إذ ذلك الوقت ليس بوقت قبول التوبة. فيكون هذا تحريضا بالإسراع [٨٤٦ظ] إلى إجابة الداعي والإيمانِ بما يدعوا إليه قبل أن يؤمنوا إيمانا لا ينفعهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل **كأنهم إلى نصب يوفضون**، قرئ بنصب النون وجزم الصاد[٨] وهو اسم العلامة كالغَرَض[٩] وأشباهه. وقرئ بضم النون والصاد وهو اسم الصنم. فإن كان على العلامة فمعناه إنهم يسارعون في ذلك الوقت إلى إجابة الداعي مُسارعَة[١٠] من يسرع في هذه الدنيا إلى الغرض والعلامة المنصوبة. كذا قال بعض أهل التأويل. ذُكر عن الكلبي إلى **نصب يوفضون**، أي[١١] عَلَمٍ يسعون،[١٢] وقال قتادة: إلى علم يستبقون،[١٣] وعن مجاهد: إلى علم ينطلقون.[١٤]

---

[١] ن: فينزل.

[٢] ر م – وقوله عز وجل يوم يخرجون من الأجداث سراعا يخبر أنهم يخرجون من الأجداث وهي القبور سراعا إلى الداعي والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم أبت إجابة الداعي في الدنيا فتنزل بهم الهلاك.

[٣] جميع النسخ + والرجوع عن تلك الإجابة.

[٤] ث: يجزى.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ (سورة المؤمن، ١٧/٤٠).

[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.

[٧] ن ث: عن عذاب الله.

[٨] قرأ يعقوب: ﴿نَصَب﴾ بفتح النون والصاد، وقرأ الباقون: ﴿نَصْب﴾ بفتح النون وسكون الصاد (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٧؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩٢/٢).

[٩] ر ن: كالعرض.

[١٠] ر م: سارعة.

[١١] جميع النسخ: إلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.

[١٢] قال الكلبي: إلى شيء منصوب، عَلَم أو راية (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩٨/١٨).

[١٣] *النكت والعيون* للماوردي، ٩٧/٦.

[١٤] عن الضحاك قال: ﴿إلى نصب يوفضون﴾ إلى علم ينطلقون (*تفسير الضحاك*، ٨٩٧/٢؛ و*تفسير الطبري*، ١١١/٢٩).

فإن كان على الثاني فمعناه أنهم يُسرعون إلى إجابة الداعي في ذلك كسرعتهم إلى عبادة النُّصُب[1] عند خوفهم فوت عبادتها وعند اجتماع عُبّادِها عندها،[2] أو يبتدرون[3] نُصُبهم حتى يَسْتَلِمُوها.[4] ومنهم من ذكر أن النُّصُب برفع النون والصاد هي الأغراض التي يسبقون[5] إليها. ومن تأول هذا فهو يجعل النصب هاهنا جمعَ النَّصْب. وقوله: **يوفضون**،[6] أي يُسرِعون. وقال الحسن: أي يَرمُلون،[7] وهما واحد لأن الإسراع في الرَّمَل موجود.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **خاشعة أبصارهم**، فيحتمل أن يكون هذا على بصر[8] الوجوه، وصفة خشوعها ما قال في آية أخرى: لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[9] فيخشع خشوعا لا يملك صرف طرفه عن الداعي. ففيه أن الزلة قد أحاطت[10] بهم حتى أثَّرت في الأعين والوجوه[11] وفي كل عضوٍ. وجائز أن يكون هذا على بصر القلوب، وهو أن قلوبهم يشتغل بإجابة الداعي عن أن تُبصر[12] لنفسها حيلة تتخلص[13] من أهوال[14] ذلك اليوم وشدائدها. وقوله عز وجل: **ترهقهم ذلة**، أي تعلوهم، والذلة الحالة في النفس يبدو[15] ظهورها[16] من الأبصار.

---

[1] ر: المنصب.
[2] ر م: عندهما.
[3] ر ن م: لو يبتدرون.
[4] ر: حتى يسلموها.
[5] ن: يسعون.
[6] ن – يوفضون، صح هـ.
[7] ث: يأملون.
[8] ر م: على نصر.
[9] سورة إبراهيم، ١٤/٤٣.
[10] ر م: أخاطت.
[11] ن: والوجود.
[12] ر: عن يبصر؛ ن ث م: عن أن يبصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[13] جميع النسخ: يتخلص. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ن: عن أهوال.
[15] ر ن ث: يبدوا.
[16] جميع النسخ: ظهوره. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**، وحقه أن يقول: هذا اليوم الذي كانوا يوعدون، لأنه أضاف إلى اليوم الذي كانوا يوعدون به[١] في الدنيا، ولكن معناه كانوا يوعدون بذلك[٢] اليوم في الدنيا، وذلك اليومُ في الوقت الذي كانوا[٣] يوعدون غير موجود فيعبَّر به عما يعبر به الغائب.[٤] *والله أعلم بالصواب*.

---

[١] ر ش م – به.
[٢] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[٣] ن: كان.
[٤] ر م: يعبر العالب؛ ت: يعبر العائب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة نوح عليه السلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم.** في ذكر نبأ نوح عليه السلام دلالة رسالته وآية نبوته لما ذكرنا[3] أن هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه، و لم يختلف النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَن عنده علم به فيتعلمه[4] منه، فعُلم أنه بالله تعالى عَلِمه لا بأحد من خلقه فيكون فيه إلزام الحجة عليهم. وفيه إعلام لرسول[5] الله عليه السلام ما لقي نوح عليه السلام من قومه ليصبّره بذلك[6] على أذى قومه إذ السورة مكية. ثم أمره بالإنذار و لم يذكر معه البِشارة فكذلك قال نوح عليه السلام: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ،[7] و لم يقل: "بشير" وقد كان هو[8] بشيرا ونذيرا. فجائز أن يكون اقتصر على ذكر النِّذارة لأن في ذكرها ذكرَ البشارة.

---

[1] ر - سورة نوح عيه السلام؛ ن + وهي مكية؛ ث + وهي ثمانون وعشرون آيات؛ م + مكية.

[2] ن - قوله عز وجل.

[3] ر ث م: إنما ذكرنا؛ ن: كما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.

[4] جميع النسخ: فتعلمه. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: رسول. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: وبذلك.

[7] الآية التالية.

[8] ر م - هو.

وذلك أنهم[1] استوجبوا العذاب إذا داموا[2] على ما هم فيه من الضلالة وعبادة غير الله تعالى، فهم[3] إذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو، واستيجاب العفو وقوع البِشارة. فإذا كان ذكر أحد الوجهين يقتضي ذكر الآخر أُكْتفِيَ بذكر أحدهما عن ذكر الآخر. وجائز أن يكون خَصَّ النذارة بالذكر لأن الحال كانت حال الإنذار، لأنهم كانوا معرضين عن طاعة الله تعالى ومقبلين على عبادة[4] غيره. فكانوا مستوجبين للنذارة ولم يكونوا من أهل البشارة؛ وإنما يصيرون من أهلها إذا انتهوا عما هم عليه؛ فيكون قوله: **أَنْذِر قومك**، إن داموا على ما هم عليه. وفي هذا دلالة على أن المرء[5] إذا أخذ غير طريق الهدى[6] فالسبيل فيه أن يُفْسدَ عليه[7] مذهبه. ثم إذا ظهر فساده عنده أُمر له باتباع سبيل الهدى وبُيِّن له الحجج والدلائل لِيَنْجَع فيه ذلك. ليس[8] أن يُحتجَّ عليه[9] بالحجج التي[10] هي حجج مذهبِ أهل[11] الحق قبل أن يبين له[12] فساد ما هو فيه، فإن ذلك لا ينجع فيه ولا يدعوه إلى قبول الحق والتزامه؛ بل يبين له قبح ما هو فيه وفساد ما اعتقده، فإذا بان له ذلك يحتاج إلى أن يسأله عن سبيل الهدى فيه ليعرفه بالتعليم.

ثم الأصل أن الدنيا هي سبيل الآخرة. والضلال سبيل يفضي بمن سلكه إلى العذاب الدائم، والهدى سبيل يفضي إلى الثواب الدائم. فالنِذارة هي تبيين ما ينتهي إليه عاقبة من يَلزم الضلال، والبشارة هي تبيين ما ينتهي إليه عاقبة من يلزم الهدى. وإن شئت قلتَ: إن النِذارة هي أن تبين[13] عُسْر ما يَحُلّ به في العاقبة، والبشارة هي أن تبينه[14] بما يصير إليه في العاقبة من اليسر.

---

[1] ر ن م: + إذا.
[2] ث: إذ داموا.
[3] ر ث م: بهم.
[4] ر م: عن عبادة.
[5] ر م: عنى أن المراد.
[6] ر م – الهدى.
[7] ر م – عليه.
[8] ر – ليس.
[9] ن ث + ذلك.
[10] ر م – التي.
[11] جميع النسخ – أهل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[12] ر ن م – له.
[13] جميع النسخ: أن يبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ث: أن يبه.

ثم في قوله عز وجل: **أَنْ أَنْذِر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم،** / دلالة أن حجة[١] [٨٤٧و] الإيمان[٢] تلزم[٣] الخلق قبل أن يأتيهم النذير، لأنها لو كانت لا تلزمهم لكانوا في أمن من نزول العذاب بهم قبل أن يأتيهم النذير[٤] فلا يُخَوَّفون[٥] بنزول العذاب بهم قبل أن يُنْذَروا. فلما خُوِّفوا بنزول العذاب بهم[٦] قبل أن يأتيهم النذير دل أن الحجة لازمة عليهم وأن لله[٧] تعالى أن يعذبهم لتركهم التوحيد وإن لم يرسل إليهم الرسل؛ فيكون تأويله قوله عز وجل: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا،[٨] على عذاب الاستئصال في الدنيا ليس على عذاب الآخرة. *والله أعلم.*

﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم إني لكم نذير مبين،** أي مُبيِّن[٩] لما يقع[١٠] به الإنذار والتخويف، فتكون[١١] الإبانة منصرفة إلى النذارة.[١٢] ويحتمل أن يكون هذا الوصف راجعا إلى نفسه خاصة، كأنه قال: نذير لكم مبين، أي إني لم أَقُمْ في دعائي إياكم إلى عبادة الله تعالى وإنذاركم من عند نفسي ولكن بما اختصَّني[١٣] الله تعالى وولّاني ذلك.

ثم الأصل أن في الإنذار نهيا وفي النهي[١٤] أمرا لكن الإنذار يقتضي نهيا وَكِيدا، والنهي الوكيدُ يقتضي الأمر بالخلاف أمرا وكيدا. وأما البشارة فهي[١٥] تقتضي الأمر الوكيد وغير الوكيد،

---

[١] م: أن الحجة.
[٢] م - الإيمان.
[٣] ر ث م: يلزم.
[٤] ر ث م - لأنها لو كانت لا يلزمهم لكانوا في أمن من نزول العذاب بهم قبل أن يأتيهم النذير.
[٥] م: فلا يخافون.
[٦] ر م - قبل أن ينذروا فلما خوفوا بنزول العذاب بهم.
[٧] ر ن م: وأن الله.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[٩] ر م: يبين.
[١٠] جميع النسخ: بما يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[١١] ر م: فيكون.
[١٢] ن: منصرفه إلى النذاره.
[١٣] م: اقتضي.
[١٤] ن: ومن النهي.
[١٥] ن - فهي.

لأنه يستوجب البشارةَ بكل خير[1] يفعله وإن كان للمرء ترك ذلك الخير بخير آخر يأتي به[2] فلا يفهم بنفس البشارة[3] الأمر الوكيد، ويفهم بتصريح النذارة تأكيد الوجهين اللذين ذكرناهما. وإذا كان كذلك فمطلق البشارة[4] لا يدل على تحقيق النذارة. وأما النذارة[5] فهي تدل[6] على البشارة، لأن النذارة على ما هو فيه من الفعل[7] يَلزم النهي، وإذا انتهى عنه فقد حصل العفو وفي حصول العفو ارتفاع ما خُوِّف وذهابُه.[8]

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[٣]

وقوله عز جل: **أن اعبد الله واتقوه**، فكأنه قال: أنذرهم على عبادة غير الله ومُرْهم بعبادة من يستحق العبادة وهو الله تعالى، إذ الأمر بالإنذار يقتضي النهي عما هم عليه ويدعو إلى خلافه ويبين[9] لهم الخلاف الذي دُعوا إليه، لقوله عز وجل: **اعبدوا الله واتقوه**، وقيل: اعبدوا الله أي وحِّدوه. وقال قتادة: كل عبادة جرى بها الأمر في القرآن على الإرسال فهي منصرفة إلى التوحيد.[10] فكأن الذي حملهم على هذا التأويل هو أن الآيات التي فيها أمرٌ بالعبادة نزلت في أهل الكفر، لأنه خاطب بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ،[11] ولم يخاطب بقوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اعبدوا ربكم. وإذا ثبت أنها في أهل الكفر والكافرُ أولَ ما يؤمر يؤمر بالتوحيد، ليس يخاطَب بعبادة أخرى سواه، لأنه ما لم يأت بالتوحيد لم يقبل منه شيء من العبادات، فجعلوا تأويل العبادة التوحيدَ لهذا، لا أن يكون العبادة عبارة عن التوحيد خاصة. بل العبادة يراد بها التوحيد مرة إذا ذكرت[12] عقيب الكفر،

[1] ث م: خير.
[2] ن: نهيه.
[3] ن + إذا كان.
[4] ن – تأكيد الوجهين اللذين ذكرنا هما وإذا كان كذلك فمطلق البشارة.
[5] ر م – وأما النذارة.
[6] ر م: يدل.
[7] جميع النسخ: في الفعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[8] م: خوف ذهابه.
[9] جميع النسخ: وبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥و.
[10] قارن بما ورد في *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٠١/١.
[11] سورة البقرة، ٢١/٢.
[12] ن – إذا ذكرت.

وإذا ذكرت في أهل الإيمان فالعبادة منهم أن يَفُوا بمعاملة ما اعتقدوه بالقول وأن يُنجزوا ما وعدوا من أنفسهم.[١] وهذا كما ذكرنا في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنهما إذا ذكرتا[٢] في أهل الكفر انصرف المراد من ذلك إلى الاعتقاد لا إلى الفعل، لأنهم ليسوا من أهل الفعل، وإذا ذكرتا[٣] في أهل الإسلام أريد بالإقامة والإيتاء إيجاد الفعل. فكذلك الحكم في العبادة بقوله: **اعبدوا الله**، أي وحدوه **واتقوه**، أي اتقوا الإشراك في عبادته **وأطيعونِ**،[٤] فيما أمركم به من توحيد الله تعالى وأن لا تشركوا[٥] به شيئا.

وجائز أن يكون قوله: **واتقوه**، أي اتقوا[٦] المهالك كلها واتقوا النار، كما قال الله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[٧] وقال[٨] تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[٩] فالتقوى[١٠] إذا ذكر على الانفراد مرسلا[١١] اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الأمر بالعبادة والطاعة، وإذا جُمع بين العبادة والتقوى كانت العبادة انصرفت إلى إتيان الأفعال[١٢] والتقوى إلى اتقاء المهالك. وهو كما قلنا في البر والتقوى: إن كل واحد منهما إذا ذكر مفردا اقتضى ما يقتضيه الآخر، وإذا جمعا في الذكر صُرف أحدهما إلى جهة[١٣] والآخر إلى جهة أخرى. وكذلك الإسلام والإيمان إذا أُفرد بذكر أحدهما يكون معنى كل واحد منهما هو معنى الآخر، وإذا جمعا في الذكر صرف كل واحد منهما إلى جهة على حدة. وقال الحسن: في قوله عز وجل: **واتقوه**، أي اتقوا الله في حقه أن تضيّعوه، فهو يجمع ما يؤتى[١٤] وما يُتقى.

---

[١] انظر لذكر العبادة في أهل الإيمان: سورة الأنبياء، ٩٢/٢١؛ وسورة الحج، ٧٢/٢٢؛ وسورة العنكبوت، ٥٦/٢٩.
[٢] ث م: إذا ذكرنا.
[٣] ن ث م: وإذا ذكرنا.
[٤] جميع النسخ: وأطيعوني.
[٥] ر ن م: وأن لا يشركوا.
[٦] ر ث م - أي اتقوا.
[٧] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[٨] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥و.
[٩] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[١٠] ر م: واتقوا؛ ث: والتقوى.
[١١] ر: ومرسلا.
[١٢] ر ث م + انصرف.
[١٣] ث: إلى جهته.
[١٤] ر ن م: ما يؤدى.

ثم الأصل أن الطاعة قد تكون لمن سوى الله والعبادة لا تكون إلا لله تعالى. فلذلك قال عند الأمر بالعبادة: **اعبدوا الله**، فأضافها إلى الله تعالى وأضاف الطاعة إلى نفسه بقوله: **وأطيعونِ**. ففيه دلالة أن ليس في الطاعة لآخر إشراك بالله تعالى،[1] بل الله تعالى جعل الإشراك في الطاعة بقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ،[2] وذَمَّ من يَعدِل بالله تعالى في العبادة بقوله تعالى: وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ.[3] فالعبادة كأنها تقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف، والله تعالى هو الذي يرجي منه ويخاف من نقمته. فأما الطاعة فهي تقتضي[4] فعلا على الأمر لا غيرُ، وعلى ذلك لَمَّا صرفت الكفرة الرجاء والخوف إلى الأصنام بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى،[5] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ،[6] سُموا عُبّاد الأصنام. فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجاء فذلك[7] منه عبادة له.

**﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]**

[٨٤٧ظ] وقوله عز وجل: **يغفر لكم من ذنوبكم**، إن صرفتَ قوله: اِتَّقُوهُ،[8] إلى اتقاء الشرك / يرجع قوله: **يغفر لكم من ذنوبكم**، إلى ما سلف من الذنوب في حالة الشرك، كقوله عز وجل: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[9] وإن صرفته إلى سائر وجوه المهالك رجع إلى السالف وإلى الآنف[10] جميعا، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ؛[11] فيكون قوله: **من**، صلة على ما ذكره أهل التفسير ومعناه يغفر لكم ذنوبكم. وجائز أن يكون قوله: **من**، على التحقيق ليس على حق الصلة، لأنه قد يكون من الذنوب ذنوب يؤاخذ بها بعد الإسلام،

[1] جميع النسخ + في الطاعة.
[2] سورة النساء، ٤/٨٠.
[3] سورة الأنعام، ٦/١٥٠؛ وانظر أيضا نفس السورة، الآية ١.
[4] ث: فأما بطاعة وقوله فهي يقتضي؛ ن: فأما بطاعة فهي تقتضي.
[5] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[6] سورة يونس، ١٠/١٨.
[7] ث: فلذلك.
[8] من الآية السابقة.
[9] سورة الأنفال، ٨/٣٨.
[10] ر م: وإلى الآلف.
[11] سورة هود، ١١/١١٤.

وهي التي تكون[1] بينه وبين الخلق من القصاص وغيره، فالمأثم بالقتل وإن زال عنه بالتوبة فإن القصاص لا يرتفع عنه. وقوله عز وجل: **ويُؤَخِّرْكم إلى أجل مسمى**، فجائز أن يكون أولئك[2] القوم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك[3] من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام فيخرج قوله: **ويؤخركم إلى أجل مسمى**، مخرج[4] الأمان لهم أنهم بإيمانهم يَبْقون[5] إلى الأجل الذي ضُرب لهم لو لم يؤمنوا، إذ يكون[6] معناه أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى انقضاء أجلكم[7] المسمى سالمين آمنين لا يتهيأ[8] لعدوكم[9] أن يمكروا بكم.

وقوله عز وجل: **إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**، وقال في موضع آخر: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[10] وجائز أن يكون قوله: لَا يَسْتَأْخِرُونَ، أي لا يتأخرون[11] عن آجالهم أو لا يؤخَّرون بما يطلبون من التأخير، فيكون في هذا إياس لهم أنهم لا يؤخرون إذا طلبوا التأخير.[12] قال الله تعالى: وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ،[13] فأخبر جل جلاله أن الموت إذا أتاه طلب التأخير ليبدِّل ما طُلب منه البدل[14] قبل ذلك من التصدق والإيمان به، فقطع[15] عنهم طمعَهم[16] بقوله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا،[17]

---

[1] ر م: يكون؛ ث – تكون.
[2] ر – أولئك.
[3] ن: إلا المهالك.
[4] ن: فخرج.
[5] ر ث م: يتقون.
[6] ث: أن يكون.
[7] ر ث م: يقسم إلى انقضاء آجالكم.
[8] ث + لكم.
[9] ر ن: كعدوكم.
[10] سورة النحل، ٦١/١٦.
[11] م – أي لا يتأخرون.
[12] ث: التأخر.
[13] سورة المنافقون، ١٠/٦٣.
[14] ث: ليبذل ما طلب منه البذل.
[15] ن: فتطمع.
[16] ن ث م: طمعم.
[17] سورة المنافقون، ١١/٦٣.

وبقوله: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[1] وبقوله: **إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**. وهذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم،[2] لأنهم يقولون بأن رجلا لو جاء وقتل[3] آخر فإنما قتله قبل انقضاء أجله. والله تعالى يقول:[4] لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[5] والأصل أن الله تعالى إذا علم أنه يُقتل[6] رجل[7] فإنما يجعل انقضاء أجله بالقتل ليس بغيره، لأنه لا يجوز أن يجعل انقضاء أجله بموته حتف أنفه[8] ثم ينقض أجله[9] بغير ذلك، لأنه لو جاز هذا لأدى ذلك إلى الجهل بالعواقب، والجهل بالعواقب يُسقط الربوبية ويثبت[10] الجهل.[11]

وقوله عز وجل: **لو كنتم تعلمون**، أي لو كنتم تعلمون ما يَحُل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم[12] لكنتم تبذلون[13] للحال ما أريد[14] منكم لئلا يحل بكم العذاب. أو أن يكون معنى قوله: **إن أجل الله إذا جاء**، أي أجل العذاب إذا حل وقع لا محالة، فلو علموا بوقوعه لا محالة لارتدعوا عنه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا**، يحتمل أن يكون هذا من نوح عليه السلام بعد أن أُخبر أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[15] فيكون القول منه قول مُعْذِرٍ أنه لم يقصِّر في دعوة قومه إلى الإسلام وأنه قد دعاهم إلى الإسلام في كل وقت وحال

---

[1] سورة النحل، ٦١/١٦.
[2] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ظ.
[3] ر م + ليس بغيره.
[4] م: بقوله.
[5] سورة النحل، ٦١/١٦.
[6] ر م: يقبل.
[7] جميع النسخ – رجل. والزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ن م: نفسه؛ ث: أنفسه. والترجيح مستفاد من المرجع السابق.
[9] ر ث م: أصله.
[10] جميع النسخ: فثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م – بالعواقب والجهل بالعواقب يسقط الربوبية ويثبت الجهل.
[12] ر ث م: آجالكم.
[13] ر م: تبدلون؛ ن: يبدلون.
[14] ر م: ما ارتد.
[15] ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).

وأنه[١] قد أبلى عذره[٢] في ذلك وإنما جاء التفريط والتعدي من جهة قومه. ويحتمل أن يكون هذا منه على الإشفاق والرحمة والتعرض لاستنزال اللِّين والرحمة لعل[٣] الله تعالى بلطفه يُليّن قلوبهم فينقادوا للحق ويرغبوا في الإجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجبوا[٤] المغفرة من ربهم. فهو يُخرَّج على أحد هذين الوجهين: إن كان قبل الإخبار فهو على التعرض منه لاستنزاله اللين والرحمة، وإن كان بعده فهو على إبلاء العذر لا على الدعاء والرجاء بأن يلين قلوبهم بلطفه فينقادوا للحق، إذ لا يجوز أن يخبر اللهُ تعالى أنهم لا يؤمنون وهو يطمع منهم أن يؤمنوا. ثم قوله: **إني دعوت قومي ليلا ونهارا**، أي دعوت في كل وقت وكل ساعة من الليل والنهار أمكنني فيه الدعاء.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلم يزدهم دعائي إلا فرارا**، وأصل هذا أن عداوتهم كانت قد اشتدت[٥] لنوحٍ عليه السلام وكانوا قد استثقلوه وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم[٦] كلامه واستثقالهم إياه معنىً حَمَلَهم على الفرار،[٧] فنسب ذلك إلى الدعاء، لأن حدوث ذلك المعنى كان عند وجود الدعاء، فنسب إلى الدعاء على معنى المجاورة[٨] والقرب لا أن يكون الدعاء في الحقيقة سببا لزيادة الفرار، وهو كقوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٩] والقرآن لم يُجعل سببا لزيادة الرجس ولكنهم لما أحدثوا بغضا عند ما تُلي عليهم القرآن فحدث لهم بذلك معنى حملهم على ذلك الوجه فأضيفت تلك الزيادة إلى القرآن، إذ عند ذلك حدث ذلك السبب الزائد في الرجس، فنسب إليه على معنى المجاورة.[١٠]

---

[١] ر ث م: وآفة.
[٢] أبليتُ فلانا عذرا، أي بينت وجه العذر لأزيل عني اللوم. وأبلاه عذرا: أدّاه إليه فقبله (*لسان العرب*، «بلا»).
[٣] ر: لعلي.
[٤] ر م: ويستوجب.
[٥] ر ث م: استبدت.
[٦] ن: يبغضهم.
[٧] عن قتادة في قوله: ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ قال: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي، وأنا مثلك فحذرني كما حذرتك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٩/٨).
[٨] جميع النسخ: المحاوزة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ط.
[٩] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[١٠] ر ث م: المحاوزة.

وقال الله تعالى: فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي،[1] وهم لم يكونوا مُنْسِين[2] بل كانوا مذكِّرين[3] يذكّرونهم مرة بعد مرة، لكن بغضهم إياهم[4] واتخاذُهم[5] سخريا أوقع[6] لهم النسيان، فنسب إليهم الإنساء.[7] فعلى ذلك لما أبغضوا واستثقلوا كلامه ودعاءه أحدث لهم ذلك البغضُ زيادةَ نِفارٍ[8] وجحود.[9] ثم نُسب[10] النفار إلى الدعاء للوجه[11] الذي / ذكرنا لا[12] أن يكون الدعاء في الحقيقة منفِرا.[13] [٨٤٨و]

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم**، وقال في موضع آخر: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ -إلى قوله- فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ.[14] فيجوز أن يكون هذه الآية فيما كانوا[15] يَدْعُون رؤساءهم وأشرافهم والأَجِلَّة منهم، فإذا دعاهم ردوا[16] أيديهم في أفواه الأنبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر في الأخبار. وأما الأتباع منهم والمقلِّدون لهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم

---

[1] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٠.
[2] ر ث م: منسيين.
[3] ر م: مذكورين.
[4] ث: اتاهم.
[5] م: واتخذهم.
[6] ر: أو وقع.
[7] جميع النسخ: الإنشاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ظ.
[8] ر: نفاد.
[9] ر: وجحور.
[10] جميع النسخ: ثم سبب. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: الوجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر: إلا.
[13] ر ن م: منفر.
[14] ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فَرَدُّوا أيديَهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أُرسِلتُم به وإنا لَفِي شك مما تدعوننا إليه مُريب﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٩).
[15] ر ث م - كانوا.
[16] ن: يردوا.

ويُغَطُّون وجوههم ورُءُوسهم كي لا يسمعوا كلامه فيقع شيء منه[١] في قلوبهم لِما حذَّرهم رؤساؤهم عن ذلك. أو يكون هذا في طائفة منهم وهذا في طائفة إذا كان أيس من قوم وأقبل على آخرين فاختلفت معاملتهم معه على ما كان من أمر نبينا محمد صلى الله. ثم هذا يحتمل وجهين. أحدهما على التحقيق على[٢] ما ذكرنا ليؤيسوه[٣] من الإجابة. والثاني جائز أن يكون على التمثيل؛ فضَرب مَثَلَهم في تركهم الإجابة مثل من جعل أُصْبَعَيْه[٤] في أذنيه واستغشى ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب.[٥] وهو كقوله عز وجل: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[٦] ولم يوجد منهم نَبْذٌ ولكنهم أعرضوا عنه إعراض من يَنْبِذه[٧] وراء ظهره، وكذلك في قوله عز وجل: فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، على التمثيل، وهو أنهم تركوا الإجابة إلى ما دُعوا إليه كترك[٨] الإجابة من الذي يَرُدّ يدّه في فِيهِ لئلا يتكلمه.[٩] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وَأَصَرُّوا**، أي داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم. وقال قتادة: **وأصروا**، أي صاحوا في وجوه الأنبياء عليهم السلام ردا عليهم، أو مغالبة في الدعاء، كقوله: وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.[١٠] وقوله عز وجل: **واستكبروا استكبارا**، أي استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا عن الإجابة لرسوله عليه السلام.

**﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[٩]**

وقوله عز وجل: **ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا**، ففي هذا إخبار أنه دعاهم إلى عبادة الله في كل وقت تهيَّأ له من ليل أو نهار ولم يقصّر فيها

---

١ جميع النسخ: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
٢ ر م – على.
٣ جميع النسخ: ليؤيسوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
٤ جميع النسخ: من أصبعه. والتصحيح من المرجع السابق.
٥ ث: لئلا يجيب ولا يسمع.
٦ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّه للنَّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٨٧).
٧ ر ن م: نبذه.
٨ ر ث م: ترك.
٩ ث: لئلا يكلمه.
١٠ ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦). قال قتادة: قدمًا قدمًا في معاصي الله للتهائهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله (*النكت والعيون* للماوردي، ٦/١٠٠).

ودعاهم في كل وقت رجاء الإجابة منهم. ويحتمل **إني دعوتهم جهارا**، أي إذا بَعُدوا مني وازدحموا وكَثُروا[١] فدعاهم جهارا ليعمّهم الدعوة. وقوله عز وجل: **وأسررت لهم إسرارا**، إذا قربوا منه وقلُّوا، فلما أدخلوا أصابعهم في آذانهم واستغشَوا ثيابهم أعلن في الدعاء. ثم جائز أن يكون الجهر والإسرار منصرفا إلى الدعوة ويكون الإعلان إعلانا بالحجج وإظهارا للبينات، وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم.

**﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**، فالاستغفار طلب المغفرة بما[٢] ذكر من قوله عز وجل: أُعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ،[٣] فيكون هذا منه أمرا لهم بإتيان[٤] الإيمان الذي هو سبب المغفرة لا أمرا[٥] بسؤال المغفرة نفسها[٦] من الله تعالى؛ إذ استغفار كل قوم يرجع إلى أحوالهم، فإن كانوا[٧] كَفَرَةً فهو إيمان بالله تعالى، وإن كانوا أصحاب ذنوب فالتوبة إلى الله تعالى، وإن كانوا مخلصين فمما سلف من ذنوبهم مما لا يعلمونها[٨] ونحو ذلك.

**﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[١١] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**، فيحتمل إنما قال هذا لأنهم كانوا في شدة عَيشٍ وضيقِ حال فوعد[٩] أنهم أن انتهَوا عن الكفر وأجابوا إلى ما يدعوهم إليه غفر الله لهم[١٠] ذنوبهم، وأرسل[١١] السماء عليهم

[١] ر م: وأكثروا.
[٢] م + بما.
[٣] الآية ٣ من هذه السورة.
[٤] ر م: بإتياء.
[٥] ر ث م: لا أمر.
[٦] ر ن ث: نفسه؛ م – نفسها.
[٧] جميع النسخ: إذا كانوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[٨] ر م: يعملوهما؛ ن: يعملوها؛ ث: يعلموها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م: توعد.
[١٠] ن – لهم.
[١١] ن: وليرسل.

مِدْرارا فيتوسعوا به، على ما قال[١] بعض أهل التأويل: إن الله تعالى قد حبس[٢] عنهم المطر وعقُمت أرحام نسائهم وهلكت مواشيهم وجناتهم لتمام أربعين سنة.[٣] ثم أُهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفارا ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح عليه السلام يَعِدُهم[٤] بما ذكرنا. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن يكونوا[٥] خافوا انقطاع النعمة عنهم بالإجابة وزوال السعة عنهم،[٦] ومن الناس من يترك[٧] الإيمان خشية هذا، فأخبر عز وجل أن الذي هم فيه من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالإسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا متتابعا ويمددهم بأموال وبنين مع ما يجعل لهم من الجنات[٨] والأنهار؛ لكن ذووا[٩] الألباب والعقلاء ينظر إلى حسن العاقبة وما إليه مردُّه[١٠] دون الحال، فذلك الذي يُرغِّبه فيه. ولذلك اختلفت دعوة النبي عليه السلام لأمته، فمنهم من بشره[١١] بكثرة أمواله وبنيه،[١٢] ومنهم من رغَّبه في آخرته، [كقوله:][١٣] فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ،[١٤] وقال: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ،[١٥] الآية. ونظير الأول كقوله عز وجل: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.[١٦] والأصل أن الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين ومنذرين[١٧] داعين زاجرين محتجِّين مُدْحضين.

---

[١] ر ث م + به.
[٢] ر: قد حلس.
[٣] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٢/٣.
[٤] ن: بعدهم.
[٥] ن: أن يكون.
[٦] ر م + بالإسلام.
[٧] ث: من ترك.
[٨] ر م: من الجنان.
[٩] ر ث: ذوى؛ ن م: ذو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[١٠] ر ن م: مودة.
[١١] ر ث م: يسره.
[١٢] ث: وبنيته.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (سورة يونس، ٥٨/١٠).
[١٥] ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾ (سورة آل عمران، ١٥/٣).
[١٦] سورة الأعراف، ٩٦/٧.
[١٧] ن ث: مندرين.

فما تلوا[1] عليهم من أنباء الأولين دخل فيهم جميع الأوجه الثلاثة؛ إذا النِّذارة والبِشارة مرة
[٨٤٨ظ] تقع[2] بالابتداء ومرة بذكر[3] ما ينزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين أن كيف كان عواقب / هؤلاء وهؤلاء. وكذلك الدعاء والرحمة يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر، و[مرة][4] بذكر[5] الأمم السالفة، وأن الرسل كيف كانوا يدعونهم ثانيا. *والله أعلم*.

**﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[١٣] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **ما لكم لا ترجون لله وقارا**، قال[6] أبو بكر الأصم: تأويله كيف لا ترجون[7] لله ثوابا فتعبدوه[8] فيثيبكم[9] بها وقد علمتم أن الخير كله في يده وأن الذي تعبدونه[10] من دون الله لا يملك[11] لكم نفعا ولا يدفع[12] عنكم ضرا، فجعل قوله: **وقارا**، مكان عبادة. *والله أعلم*. وقال غيره:[13] **ما لكم لا ترجون لله وقارا**، أي[14] ما لكم لا ترجون لأنفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا. وقال بعضهم: أي ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته[15] عليكم فتنتهُون[16] عما نهاكم[17] وتأتون ما أمركم به. وحملُ الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا أن الرجاء المطلق يقتضي الخوف والرجاء جميعا، وكذلك الخوف المطلق يقتضي الرجاء.[18] *والله أعلم*.

[1] جميع النسخ: فما بلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[2] ن: يقع.
[3] ر م - بذكر.
[4] ر م: ويذكر؛ ن ث: وبذكر. والزيادة من المرجع السابق.
[5] ر م: ويذكر.
[6] ر ث م: وقال.
[7] ر ن م: لا يرجون.
[8] ر م: فيعبدوه.
[9] ر ن م: فينبئكم.
[10] ر ث م: تعبدون؛ ن يعبدونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.
[11] جميع النسخ: ما لا يملكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ولا يدفعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث + وقوله عز وجل.
[14] ر م - ما لكم لا ترجون لله وقارا أي.
[15] ن: وقدرة الله.
[16] ر م: فينتهون.
[17] ث + عنه.
[18] جميع النسخ: رجاء. والتصحيح من المرجع السابق.

والأشبه بالتأويل عندنا أن الرجاء لله[1] تعالى على مثال[2] الغضب لله والحب لله والبغض لله؛ أي ما لكم لا تسعوْن سعيَ من يرجو ما عند الله على الوقار والهيبة بعد أن شاهدتم من نعم الله تعالى وإحسانه إليكم من خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر من مننه في الآيات التي تتلوها.[3] وذلك أن المرء إذا سعى لآخر على غير رجاء أو لم يرج أحدا استخف[4] به. فألزمهم[5] نوح عليه السلام [فَقْرَهم وحاجتهم إلى ربهم ثم عاتبهم على ترك السعي لله][6] سَعْيَ من يرجوه على التوقير والهيبة؛[7] على ما عليه في الشاهد أن الساعي للملوك والكبراء[8] على الرجاء كيف يكون منهم توقيرهم إياهم وهيبتهم عنهم.[9] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وقد خلقكم أطوارا**، فمن حمل قوله: **لا ترجون لله وقارا**، على حقيقة الرجاء فتأويله كيف لا ترجون[10] أن يَعْظُم قدركم عند الله عز وجل إذا أجبتم إلى ما دعاكم إليه. وفيما ذكر من خلقه إياهم أطوارا[11] تذكير[12] لهم حسن صنيعه لهم فيما قلبهم من حال إلى حال من أول ما أنشأهم[13] إلى حالهم التي هم فيها، وكيف لا يرجون[14] إحسانه في حادث الأوقات إذا أقبلوا على طاعته واشتغلوا بعبادته. وإن كان قوله عز وجل: **لا ترجون لله وقارا**، على الخوف ففي ما ذكر من قوله عز وجل: **وقد خلقكم أطوارا**، تذكير العظمة والسلطان والقدرة. وهو أنه دبَّركم في تلك الظلمات الثلاث،[15] ولم يخفَ عليه أحوالكم فيها

---

[1] ر ن م: الله.

[2] ر م: على مال؛ ن ث: على ما له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.

[3] جميع النسخ: يتلوها. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] جميع النسخ: أو لم يرجو أحدا استحقر. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م: ما لزمهم.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ن: والهينة.

[8] ر م: والكبرياء.

[9] ر م: عليهم.

[10] ر ن م: لا يرجون.

[11] ر: طوارا.

[12] جميع النسخ: تذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر: ما أنساهم.

[14] ر ث م: لا ترجون.

[15] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩). انظر لتأويل «الظلمات الثلاث» تفسير الآية من *تأويلات القرآن* (٣٠٢/١٢).

بل قَلَّبَكم من حال إلى حال كيف شاء، فكيف يخفى عليه أفعالكم في حال بروزكم وظهوركم؟ فيكون في ذكر هذا تنبيه أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق، فيدعو ذلك إلى[١] المراقبة ويُلزم[٢] التيقظ والتبصّرَ في كل[٣] حال لئلا يُتعدى حدود الله ولا يضيَّع حقوقُه، فيحُلّ به البوار والهلاك. فإذا حملتَ[٤] التأويل على الرجاء فهو يخرج على غير الوجه الذي حملته على الخوف، لأنك إذا حملته على الرجاء[٥] كان فيه تذكير عظيم نعمه عليهم من أول ما أنشأهم إلى الوقت الذي انتهوا إليه، فيحملهم ذلك على طلب ما يَشْرُف قدرهم عند الله تعالى وتحمد[٦] عاقبتهم. وإن حملته على الخوف كان فيه تذكير القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والاتقاء في حادث الأوقات. ومن حمل قوله عز وجل: **وقارا**، على العبادة فهو يخرج على غير الوجهين اللذين ذكرنا هما في الخوف والرجاء إذا صُرف إليهما التأويل، كأنه يقول:[٧] إن الذي خلقكم أطوارا قد تعلمون أنه حكيم ومن هو حكيم[٨] لا يسفه[٩] وتركُكم سدًى لا يأمركم ولا ينهاكم ولا يستأدى منكم شكر النعم سفه. فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة وإخلاص الطاعة. ويكون في ذكر هذا أيضا تثبيت الربوبية وإلزام القول بالوحدانية، لأنه أنشأهم من أول ما أنشأهم نطفة ثم علقة ثم مُضغةً إلى أن خلقهم بشرا سويا.[١٠] فلو لم يكن المدبر والمنشئ واحدا[١١] لكان يعجز عن تقليبه من حال إلى حال، لأنه إذا أراد أن ينشئ من النطفة[١٢] علقة ومن العلقة مضغة كان للآخر أن يمنعه عن تدبيره فلا يتهيأ له إنشاء علقة ولا مضغة.

---

[١] ر: ما لا.
[٢] ن: ويلتزم.
[٣] ث – كل.
[٤] ر م: حمل.
[٥] ر ث م – فهو يخرج على غير الوجه الذي حملته على الخوف لأنك إذا حملته على الرجاء.
[٦] جميع النسخ: ويحمد.
[٧] ن: يقوله.
[٨] م – ومن هو حكيم.
[٩] ن م: لا بسفه.
[١٠] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عِظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٢/٢٣-١٤).
[١١] ر: واحد.
[١٢] جميع النسخ: من النطف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.

فارتفاع المانع دليل على أن لا مدبر سواه ولا خالق غيره. فإذا ثبت انفراده بما ذكرنا ثبت أنه هو المستحِق للعبادة من الخلائق. وقال بعضهم معنى قوله: **وقد خلقكم أطوارا**، أي مختلف الأخلاق والصور والألوان والألفاظ والأصوات[١] والنغم[٢] حتى لا تَرَى[٣] أحدا يشبه[٤] آخر بجميع خلقته، وهذا من عظيم[٥] ما يستدل به على قدرته وحكمته. ***والله الموفق***.

**﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا**، قد ذكرنا أن قوله: **ألم تروا**، يقتضي تذكير أمر عرفوه فأغفلوا عنه، وقد يقتضي[٦] تذكير أعجوبة لم يَسبِق من الخلائق العلم بها[٧] يقول: قد رأوا أنه خلق سبع سماوات طباقا بغير علائق فوقها ولا أَعْمِدَةٍ[٨] تحتها، ومن قدر على خلق مثله لقادر على خلق كل ما يريد. فيكون فيه إيجاب القول[٩] بالبعث، إذ إعادتهم ليس بأعسر[١٠] من خلق السماوات في تقدير عقولكم، ومن قدر على خلقهن لقادر على البعث. ***والله الموفق***.

**﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **وجعل القمر فيهن نورا**، منهم من يذكر أنه جعله نورا في السماء الدنيا وأضافه إلى جملة السماوات. وقد يجوز أيضا أن يضاف الشيء إلى العدد وإن لم[١١] يوجد ذلك إلا في البعض، يقال: في سبع قبائلَ مسجد واحد، والمسجد إذا كان واحدا فهو لا يكون في سبع قبائل وإنما يكون في قبيلة / واحدة. ويقال فلان توارى[١٢] في دُور قوم، [٨٤٩و]

---

[١] ن – والأصوات.
[٢] ر ث م: والنعم.
[٣] ر ن م: لا يرى.
[٤] ن: تشبيه.
[٥] م: أعظم.
[٦] جميع النسخ: فقد يقتضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.
[٧] ن – بها.
[٨] م: ولا عمد.
[٩] ث م: لقول.
[١٠] ن: بأعور؛ ث: بأعور.
[١١] ر م + يكن.
[١٢] ر ث م: يوارى؛ ن: نوارى. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو لا يكون متواريا في دور[1] جملتهم وإنما يكون متواريا[2] في واحدة[3] منهن، ثم أضيف التواري إلى الجملة. فكذلك أضاف نور القمر إلى السماوات السبع وإن كان القمر في سماء واحدة. ومنهم من ذكر أن نور القمر قد أحاط[4] بجميع السماوات. وزعم أن وجهه إلى السماوات وظهره إلى أهل الأرض، ولهذا ما يعمل عليه السواتر[5] من السحاب وغيره، فأما نور وجهه فإنه لا يستره شيء من السواتر. لكن هذا إنما يعرف بالخبر، فإن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر فذلك هو وإلا فالإمساك عن مثله أحق.

وقوله عز وجل: **وجعل الشمس سراجا**، فذكر السراج هاهنا مكان الضوء في موضع آخر. وهو قوله: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً،[6] فذكر في القمر النور[7] وفي الشمس الضياء، لأن القمر يكون في وقت الحاجة إلى النور، وذلك في ظلمة الليل. ثم الله تعالى أنشأ الليل ليُسْكَن فيه لكن قد يبدو للخلائق[8] بالليل حوائج يحتاجون إلى قضائها،[9] فمنَّ الله تعالى عليهم بنور القمر ليتوصلوا بنوره إلى قضاء حوائجهم،[10] وجعل الشمس ضياء ليَخْتَطِف ضوءها نورَ الليل ويغلب عليه ولا يختطف نور النهار نورَ الشمس. ***والله أعلم***.

﴿وَاللهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والله أنبتكم من الأرض نباتا**، فجائز أن يكون أضاف الإنبات إلى الأرض ويُرَدُّ ذلك إلى الأصل الذي خُلق من التراب وهو آدم عليه السلام، فنسب الفرع إلى الذي خلق [منه][11] الأصل[12] لحدوثه منه، لا أن يكون خلق الجملة من التراب؛ وهو كقوله عز وجل:

[1] م + وهو لا يكون متواريا في دور قوم.
[2] ر م – في دور جملتهم وإنما يكون متواريا.
[3] ن ث: في واحد.
[4] ر ث م: أخلط.
[5] م: السوائر.
[6] ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ (سورة يونس، ٥/١٠).
[7] ر م: نورا.
[8] م: لمحقق.
[9] ث: إلى قضائهن.
[10] ن: ليتوصلوا إلى قضاء حوائجهم بنوره.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.
[12] ر ث م – وهو آدم عليه السلام فنسب الفرع إلى الذي خلق الأصل.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[١] والذي لنا في السماء هو المطر لا الذي نرتزق به ولكن الذي نرتزق[٢] به أصله[٣] المطر، فنسب إلى المطر،[٤] لأنه هو الأصل الذي يتوصل به إلى الأرزاق. فكذلك الخلائق لما كانوا من نسل آدم عليه السلام وكان هو أصلا لهم أضيف النسل إلى الذي حدث منه الأصل. ويحتمل أن يكون يرجع هذا[٥] إلى كل في نفسه، وذلك لأن حياة الأبدان وقوامها بالذي يخرج من الأرض وينبت منها من أنواع الأغذية. فإذا كان قوامها بما ينبت منها فكأنما أَنبَتَنا منها، فاستقام أن يضاف الإنبات إليها كما يستقيم أن يضاف خروج الثمار إلى الأرَضين وإن كان حدوثها من الأشجار، إذ قوام الأشجار[٦] وبقاؤها بها، فنسب ما يخرج منها إلى الأرضين[٧] على التقدير الذي ذكرنا.

ففي قوله: **والله أنبتكم من الأرض نباتا**، على التأويل الأول إثبات القدرة على البعث وإلزام الحجة على من يجحد كونه، لأنه يذكّرهم قدرته أنه أنشأهم من الأرض ولم يكونوا شيئا، فمن قدر على إنشائهم من الأرض بعد أن كانوا ترابا لقادر على أن يعيدهم إلى الحالة التي كانوا عليها من كونهم بشرا سويا وإن صاروا عظاما رفاتا،[٨] لأنهم كانوا يزعمون أن كيف يُعادون[٩] خلقا جديدا بعد أن صاروا ترابا،[١٠] فاحتج عليهم بأمر[١١] الابتداء من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان على التأويل الثاني ففيه تذكير نعمه أن قد أخرج لهم من الأرض ما يتعيشون به ويقيمون[١٢] به أَوَدهم[١٣] ليستأدي[١٤] منهم الشكر. وفيه تذكير قوته وسلطانه ليخوّفهم عقابه فيتقوا سخطه ويطلبوا مرضاته.

---

[١] سورة الذاريات، ٥١/٢٢.
[٢] جميع النسخ: يرزق به ولكن الذي يرزق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.
[٣] ر م: أصل.
[٤] م – فنسب إلى المطر.
[٥] ن – هذا.
[٦] ن + وقوامها.
[٧] ر ث م: إلى الأرض.
[٨] ر ث م: ورفاتا.
[٩] ر ن م: يعادوا.
[١٠] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أإذا كنا عِظاما ورُفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٨-٤٩).
[١١] ر: بالأمر.
[١٢] ن: وتقيمون.
[١٣] يقال: أقام أَوَدَه: قوّم اعوجاجه (*المعجم الوسيط*، «أود»).
[١٤] ر م: يستأدى؛ ن ث، أو ليستأدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**، فجمع بين الإعادة والإخراج بحرف الجمع، وجعل قوله عز وجل: **ويخرجكم**، في موضع ثم، لأن هذا الإخراج يكون بعد الإعادة إلى الأرض، فيكون في هذا دليل أن أحد[١] الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم الأرض بساطا**، أي جعلها كالشيء المبسوط الذي يُنتفع ببسطه،[٢] ولو لم يجعلها كذلك لم يتوصلوا إلى حوائجهم ولا الانتفاعِ بها.[٣] ففي ذكر هذا تذكير ما لله[٤] تعالى عليهم من عظيم المنة.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[٢٠]

وقوله: **لتسلكوا منها سبلا فجاجا**، قيل: الفجاج هي[٥] الطرق الواسعة؛ وقيل: السُّبل في السهل، والفجاج الطرق في الجبال.[٦] وهذا أيضا من عظيم نعم الله تعالى على عباده، لأن الله تعالى قدّر أرزاق الخلق في البلاد فلو لم يجعل[٧] لهم في الأرض سبلا لم يجدوا طريقا يسلكونه فيتوصلون به إلى ما به قوام أبدانهم، فصارت الطرق المتخذَة لما نسلك[٨] فيها فنصل[٩] إلى حوائجنا وإلى معايشنا كالدواب التي سخرت لنا فنتوصل[١٠] بها إلى حوائجنا. وهذا يبين لك أن مُلك أقطار[١١] الأرض وتدبيرها يرجع إلى الواحد القهار، لأنه أحوجَ الخلقَ في الانتشار[١٢] إلى البلاد لإقامة أَوَدِهم، وجعل لهم سببا يتوصلون إلى ذلك، فثبت أن مالك الأقطار واحد.

---

[١] ن ث: إحدى.
[٢] ر م: يبسط.
[٣] م - بها.
[٤] ر م: بالله.
[٥] ر م - هي.
[٦] ر م: في الجبل.
[٧] ر م: فلو جعل.
[٨] ر: لا يسلك به؛ ن ث م: لما يسلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧ظ.
[٩] ن: فيصل.
[١٠] ن: فيتوصل.
[١١] ن: أقصار.
[١٢] ر م: في الأنساب؛ ث: في الانتساب.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قال نوح رب إنهم عصوني**، أي عصوني فيما أمرتهم به أو فيما دعوتهم إليه. وقوله عز وجل: **واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا**، يشبه أن يكون المتبوعون هم الكفرةَ[١] الذين كثرت أموالهم وحواشيهم؛ استتبعوا مَن دونهم فتبعوهم[٢] ولم يتبعوا نوحا عليه السلام؛ وقد كان نوح يدعوهم إلى اتباعه. فأخبر أنهم لم يتبعوه وإنما تبعوا من كثرت أمواله وأولاده وحواشيه. فيكون هذه الآية في الأتباع أنهم / اتبعوا[٣] أجلتهم ورؤساءهم ليس في رؤسائهم وما [٨٤٩ظ] تقدم من الآيات في أجلتهم من دعاء نوح عليه السلام إياهم إلى التوحيد وغيره. ويحتمل أن يكون هذه الآية في الأجلة والضعفة جميعا فيكون قوله تعالى: **واتّبعوا**، أي اتبعوا من تقدمهم من أهل الثروة والغنى[٤] والذين[٥] وُسّعت عليهم الدنيا وبسطت لهم، ظنا منهم أنهم أحق بالله تعالى وأقرب إليه في المنزلة. والذي حملهم على هذا هو أنهم[٦] لا يرون أحدا في الشاهد يترك[٧] صلة وليه ويصل عدوه، فيرون أنه إذا بُسطت على رؤسائهم الدنيا [و]وسّع الله تعالى عليهم وضيّق على هؤلاء أن أولئك أقرب منزلة وأعلى حالا وأنهم هم الأولياء، وهم لا يؤمنون بالآخرة وثوابها. فكانوا يزعمون أنه يوفِّر الجزاءَ على الأولياء والمحسنين في الدنيا، وزعموا أن من وُسّع عليه الدنيا فهو أحق أن يكون وليا لله تعالى حيث وصل إليه الجزاء فيها، فهذا الظن هو الذي حملهم على الاتّباع.[٨]

وقوله عز وجل: **إلا خسارا**، أي بَوارا وهلاكا لذلك المتبوع، فكانت تلك النعم التي ظنوا أنهم أكرموا بها بصنيعهم سببا لخسارهم. ثم قوله عز وجل: **واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا**، كقوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.[٩] ثم قد بينا تأويل شكايته إلى الله تعالى من قومه،[١٠] فهذه الآية وتلك الآيات في معنى تأويل الشكاية إلى الله تعالى واحد.

---

١ جميع النسخ - الكفرة. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٧ظ.
٢ ر ن م: فيتبعوهم؛ ث: فاتبعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
٣ ر م + أنهم اتبعون.
٤ جميع النسخ: والغنا.
٥ ث: والعناء الذين.
٦ جميع النسخ: وهو أنهم.
٧ ر: ترك؛ ث: بترك؛ م: تركك.
٨ ر: على اتباع.
٩ سورة التوبة، ٩/٥٥.
١٠ انظر تأويل الآية ٥ وما بعدها من هذه السورة.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ومكروا مكرا كبارا**، قال بعضهم: إنهم كانوا[١] يمكرون ما يمكرون بألسنتهم، حيث كانوا يدعونهم إلى الكفر والصد عن سبيل الله، فكَنّيَ بالمكر عما قالوه بألسنهم[٢] فكان ذلك مكرا كبارا أي قولا عظيما. وجائز أن يكون على حقيقة المكر، وهو أن رؤساءهم مكروا بأتباعهم حيث قالوا: إن هؤلاء لو كانوا أحق بالله تعالى منا لكانوا هم الذين يوسّع عليهم ويُضيّق علينا، فإذا[٣] وُسّع علينا وضيق عليهم ثبت أنا نحن الأولياء والأصفياء دون[٤] غيرنا. وهذا منهم مكر عظيم لأنه يأخذ قلوب أولئك فيصدهم عن سبيل الله تعالى. وجائز أن يكون مكرهم ما ذُكر أنهم كانوا يأتون بأولادهم الصغار إلى نوح عليه السلام ويقولون لهم: إياك واتباعَ هذا فإنه ضال مضل، فكان هذا مكرهم بصغارهم.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا**، الآية. هذه المقالة منهم كانت بعد أن انقادت[٥] لهم الأتباع واتبعتهم[٦] إلى ما دعوهم إليه من عبادة الأصنام.[٧] فقالوا بعد ذلك: **لا تذرن آلهتكم**، أي لا تذرن عبادتها. وقوله عز وجل: **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**، هي أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها.[٨] ثم يحتمل أن يكون الذي بعثهم على عبادة الأصنام ما ذكره أهل التفسير[٩] أن قوم نوح اتخذوا هذه الأصنام

---

[١] ر ن م – كانوا.

[٢] ر: بسنتهم.

[٣] ث: فإذ.

[٤] م: بدون.

[٥] ث م: انقاده.

[٦] م: واتبعهم.

[٧] ر ث م: من الأصنام.

[٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ. أما وَدٌّ فكانت لكلب بدُومَة الجَندَل، وأما سُواعٌ فكانت لهذيل، وأما يَغُوثُ فكانت لمُرَادٍ ثم لبني غُطَيْفٍ بالجُرُف عند سَبَإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأما نَسْرُ فكانت لِحِمْيَرَ لآل ذي الكَلَاع، أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدَتْ (*صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٧١).

[٩] ر: على التفسير.

أولَ ما اتخذوها على صورة رجال عبّاد كانت هذه الأسماء أسماءهم فسمّوا الأصنام بأسماء العُبّاد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة إذا نظروا إليها. فلما مضى ذلك القرن الذي اتخذوها عِبرْة وتَخلَقَهم[١] قرن بعدهم قال لهم الشيطان: إن الذين[٢] مِن قبلكم كانوا يعبدون هذه الأصنام، فعبدوها. ومنهم من ذكر أن جسد آدم عليه السلام كان عند نوح، يترك كلَّ مؤمن في زمانه أن يدخل فينظر إلى جسد آدم[٣] عليه السلام، ومن لم يكن مؤمنا لم يَدَعْه أن ينظر إليه. فجاء إبليس إلى الكفار فقال: أيفخر نوح ومن آمن به عليكم بجسد آدم وأنتم كلكم ولده، فصنع لكل قوم صنما على صورة آدم فكانوا يعبدون تلك الصورة.[٤] ويحتمل أن يكون الذي بعثهم على ذلك هو أنهم لم يروا أنفسهم تصلح[٥] لعبادة رب العالمين كما يرى هؤلاء الذين يخدمون الأجلة في الشاهد لا يَطمع كل واحد منهم في خدمة الملوك ولا يرى نفسه أهلا لخدمتهم، بل يشتغل بخدمة من دونه أوّلاً على رَجاء أن يقربه إلى المَلِك. فكذلك[٦] هؤلاء حسبوا أنهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين، فكانوا إذا رأوا شيئا حسنا كانوا يظنون أن حُسْنه لمنزلة له عند الله تعالى لا غير. فكانوا يُقبلون على عبادته رَجاءَ أن يقربهم إلى الله تعالى. فجعلوا الأصنام على أحسن ما قدروا عليه، ثم اشتغلوا بخدمتها وعبادتها رجاء أن يقربهم إلى الله تعالى كما[٧] قال عز وجل حكاية عنهم: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٨] وقال:[٩] وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٠] فجائز أن يكون هذا الحِسْبان هو الذي حملهم على عبادتها وتعظيم شأنها. والله أعلم أيّ ذلك كان.

---

[١] ن: وحنفهم.
[٢] ر ن م: إن الذي.
[٣] ن: إلى آدم.
[٤] وذُكر أيضًا عن ابن عباس: أن نوحًا عليه السلام، كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصوّر لكم مثله تطوفون به، فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٠٨/١٩).
[٥] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٦] ث: فلذلك.
[٧] ر ث م – كما.
[٨] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٩] ن – وقال.
[١٠] سورة يونس، ١٨/١٠.

**﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **وقد أضلوا كثيرا**، فجائز أن يكون أريد به الكبراء أنهم أضلوا كثيرا،[١] أي دعوا إلى الضلال وزينوه في قلوبهم فأضلوا[٢] سفهاءهم[٣] بذلك. وجائز أن يكون أريد به الأصنام ولكن حقه إن كان على الأصنام أن يقول: وقد أضللن كثيرا كما قال إبراهيم عليه السلام: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.[٤] ولكن الإضلال من فعل الممتحنين، والأصنام
[٨٥٠و] ليست لها أفعال، فلما نسب إليها نسبةَ من يوجد[٥] منه الفعل / أُخرج الخطاب على الوزن الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل، وهو كقوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[٦] فأضاف إلى القرية فعل أهلها. والفعلُ إذا أضيف إلى الأهل أضيف بلفظ التذكير، ثم أنّث هاهنا لإضافة[٧] فعل الأهل إلى القرية، ولو كانت القرية بحيث[٨] يكون منها الفعل لكان الخطاب يقع[٩] عنها بلفظة[١٠] التأنيث لا بلفظة[١١] التذكير. فحيث أضيف إليها فعل أهلها أُنّث كما يوجب لو كان الفعل متحققا منها. ثم الأصنام لا يتحقق منها الإضلال ولكن معنى[١٢] الإضافة هاهنا هو أنها انشئت على هيئة[١٣] لو كانت تلك الهيئة ممن يُضل لأَضلَّ، وهو[١٤] كما قلنا[١٥] في تأويل[١٦] قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.[١٧]

[١] ن – فجائز أن يكون أريد به الكبراء أنهم أضلوا كثيرا.
[٢] جميع النسخ ما ضلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ث: سفهاهم.
[٤] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[٥] ن ث – يوجد.
[٦] سورة الطلاق، ٨/٦٥.
[٧] ر ن ث: الإضافة.
[٨] ث: يبحث.
[٩] جميع النسخ يرتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: بلفظ.
[١١] ر ث م: لا بلفظ.
[١٢] جميع النسخ: بمعنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر: على هيئته.
[١٤] ر م: هو.
[١٥] ن: قالنا.
[١٦] ر ث م: في تأويله.
[١٧] سورة الأنعام، ٧٠/٦، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.

وقوله عز وجل: **ولا تزد الظالمين إلا ضلالا**، فهذا يشبه أن يكون بعد ما بُيِن له أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[١] فإذ علم أنهم لا يؤمنون لم يَدْعُ[٢] لهم بالهدى ولكن دعا الله تعالى ليزيد في إضلالهم، ويكون الإضلال عبارة عن الهلاك،[٣] والضلال [عبارة عن][٤] الهلاك،[٥] قال الله تعالى: وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ،[٦] أي هلكنا.[٧]

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا**، فحرف[٨] ما هاهنا صلة في الكلام، ومعناه: بخطيئاتهم أو من خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا في الآخرة، أو أغرقت[٩] أبدانهم وأجسادهم ورُدّت أرواحهم[١٠] إلى النار. **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا**، أي لم يجدوا لأنفسهم بعبادتهم مَن عبدوا مِن دون الله أنصارا من المعبودين، لأنهم كانوا يعبدون من يعبدون من دون الله ليقربهم[١١] إلى الله ويكونوا لهم شفعاء وعزًّا،[١٢] فلم يجدوا الأمر على ما قدّروه عند أنفسهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**. قيل: تأويله: لا تذر على الأرض من الكافرين ساكن دارٍ، وإذا لم يبق منهم ساكن دار فقد ماتوا جميعا وهلكوا،[١٣] فكأنه يقول: لا تذر منهم أحدا.

---

[١] ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[٢] ر ث م: لم يدعو؛ ن: لم يدعوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ر م: من اهلاك.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن ث م: والهلاك.
[٦] ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة السجدة، ١٠/٣٢).
[٧] ر: أي أهلكنا.
[٨] ر م: فحذف؛ ن ث: فحذف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: إذا غرقت؛ ن م: إذا مزقت؛ ث: إذا أغرقت. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر م: أزواجهم.
[١١] ر ث م – أنصارا من المعبودين لأنهم كانوا يعبدون من يعبدون من دون الله ليقربهم؛ ث: فقربهم.
[١٢] يقول الله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩)؛ ويقول: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٥)؛ ويقول أيضا: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩).
[١٣] ر ث م: فهلكوا؛ ن: مادوا جميعا وهلكوا.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك**، هذا كلام شنيع في الظاهر من نوح عليه السلام، لأنه خارج مخرج الإنكار على الله تعالى لو تركهم ولم يهلكهم. وهذا يشبه بقول من قال: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،[١] وهذا أيضا خارج مخرج التنكير[٢] لله تعالى أنه لو أبقاهم أدى ذلك إلى إضلال العباد. وفيه تقدم بين يدي الله تعالى، وذلك عظيم. ولأنه ليس في شرط الألوهية إهلاك مَن عملُه الإضلال، ألا ترى أن إبليس اللعين وأتباعه جُلُّ سعيه في إضلال بني آدم، ثم لم يُستأصلوا و لم يُهلكوا بل أُبقوا إلى الوقت المعلوم. ولكنه يجوز أن يكون دعا[٣] عليهم بعد أن أذن له[٤] بالدعاء[٥] عليهم بالهلاك والبوار،[٦] فيكون الدعاء بالهلاك على تقدم الأدب. والأصل أن الرسل عليهم السلام بُعثوا لدعاء[٧] الخلق إلى الإسلام وكانوا في دعائهم راجين للإسلام[٨] منهم خائفين عليهم بدوامهم على الكفر. فلما[٩] قيل لنوح[١٠] عليه السلام: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[١١] وقع له الإياس عن إسلام من تخلف[١٢] عن الإيمان فارتفع معنى الدعاء إلى الإسلام. فجائز أن يرد له[١٣] الإذن بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعو إذ ذاك. ثم يكون قوله: **إن تذرهم يضلوا عبادك**، خارجا[١٤] مخرج الإشفاق والرحمة على من معه من المؤمنين، وهو أن الذين داموا على الكفر لو أبقُوا خيف منهم[١٥]

---

[١] سورة البقرة، ٢/٣٠.
[٢] ر ن ث: التكبر؛ م: التذكير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ر ث: دعاء.
[٤] ث − بعد أن أذن له.
[٥] ث: دعاء.
[٦] ن: والثواب.
[٧] ر: الدعاء.
[٨] ر ث م: الإسلام.
[٩] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[١٠] ر م: نوح.
[١١] سورة هود، ١١/٣٦.
[١٢] ن: يخلف.
[١٣] ر + له.
[١٤] ر ث م: خارج.
[١٥] ر ث م: منهم؛ ن + عنى الكفرة.

أن يُضلوا المؤمنين ويعيدوهم[١] إلى ملتهم.[٢] فيكون شفقته على المسلمين داعية له إلى الدعاء على الإهلاك[٣] على الكفرة[٤] لئلا يتوصلوا إلى الإضلال.

وقوله عز وجل: **ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا**، وقت بلوغهم المحنة والابتلاء، فحينئذ يوجد منهم الفجور لا أن[٥] يلدوا فجارا كفارا، إذ لا صنع[٦] لهم في ذلك الوقت. وهو كقوله تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ،[٧] أي نبتليه لوقت بلوغه[٨] المحنة والابتلاء لا أن يُبتَلَى وقتَ ما يُنشَأُ.[٩] وفي هذه الآية دلالة أن الكفر قد يقع عليه اسم الفجور، لأنه أُخرج[١٠] قوله: **كفارا**، مخرج التفسير لقوله: **فاجرا**، لذلك[١١] استقام أن يحمل تأويل قوله تعالى: وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ،[١٢] على الكفرة.

**﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا**، هكذا الواجب على المرء في الدعاء والاستغفار أن يبدأ بنفسه ثم بوالديه ثم بالمؤمنين. ثم قوله:[١٣] **بيتي**، قال بعضهم:[١٤] سفينتي، وقال بعضهم:[١٥] **بيتي**،[١٦] ديني، فيكون البيت كناية عن الدين والملة.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: ويغيروهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[٢] ث: أصبهم.
[٣] جميع النسخ: على الهلاك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر م: على الكفر.
[٥] ر ث م: لأن.
[٦] ر ن م: أو لا صنع؛ ث: ولا صنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة الإنسان، ٢/٧٦.
[٨] ر م: بلوغ.
[٩] ر: ما ينسأ؛ م: ما يشاء.
[١٠] ر ث م: الفجور لو خرج.
[١١] ر ث م - لذلك.
[١٢] سورة الانفطار، ١٤/٨٢.
[١٣] جميع النسخ: + في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: + أي في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: + في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: + أي في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] الزيادة من المرجع السابق.

وقال بعضهم: إنما هو بيته الذي يسكن فيه لما أطلعه الله تعالى أن من دخل بيته[1] مؤمنا لا يعود إلى الكفر. {قال الشيخ رحمه الله:} ثم إن أرجى[2] الأمور للمؤمنين في الآخرة دعاء الأنبياء والملائكة عليهم السلام في الدنيا، لأنهم إنما يدعون بعد الإذن لهم بالدعاء، ولا يحتمل أن يأذن الله تعالى لهم بالدعاء ثم لا يجيب[3] دعوتَهم.[4] وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن نوحا عليه السلام دعَا بِدَعْوتين. إحداهما للمؤمنين بالاستغفار والتوبة، والثانية على الكفار بالبوار والتبار،[5] وقد أجيبت دعوته فيما دعا على الكفرة فلا يجوز أن يجاب في شر الدعوتين، ثم لا يجاب في خير الدعوتين.[6]

وقوله عز وجل: **ولا تزد الظالمين إلا تبارا**، قيل: كَسْرا وذُلًّا[7] وصغارا؛ فإنه مشتق[8] [٨٥٠ظ] من التَّبْر / وكل مكسور يقال له: تَبْر، فكأنه يقول: إكْسِرْ مَنَعَةَ الظالمين وشوكتهم. فإن كان التأويل هذا فهو يقع على جميع الظَّلَمة من كان في وقته ومَن بعده. وقيل: التبار الهلاك. فإن كان هذا معناه فهو على ظالمي زمانه، إذ لا يجوز للأنبياء عليهم السلام أن يدعوا على قوم إلا أن يؤذن لهم بالدعاء عليهم، وإنما جاءه[9] الإذن في حق قومه فأما في حق غيرهم لم يثبت، فلا يجوز القول فيه إلا بما تواتر الخبر به[10] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.[11]

---

[1] ن: بينه.
[2] ر: رجى.
[3] ر: لا يجب.
[4] ن: دعائهم.
[5] ث: والثبار.
[6] روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا قرأ القرآن في الليل، فمر بآية فيقول لي: يا عكرمة ذكرني عند هذه الآية غدًا. فقرأ ذات ليلة هذه الآية، فقال: يا عكرمة، ذكرني غدًا. فذكرته ذلك، فقال: إن نوحًا دعا بهلاك الكافرين، ودعا للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه في المؤمنين، فيغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات بدعائه، وبهلاك الكافرين فأهلكوا (*بحر العلوم* للسمرقندي، ٤٠٩/٣).
[7] ر: أو ذلا.
[8] م: اشتق.
[9] ر م: جاء.
[10] ن - به.
[11] ر: والله أعلم بالصواب؛ ث - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الجن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآنًا عَجَبًا﴾[١]**

قوله عز وجل: **قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن**، اختلف في السبب الذي كان به مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمنهم من ذكر أن إبليس صعد إلى السماء فوجدها قد[2] ملئت حَرَسا شديدا وشُهُبا، فتيقن[3] أن قد حدث في الأرض حادث؛ ففرق جنوده ليعلم علم ذلك. ومنهم من يقول بأن الأصنام [قد][4] خَرَّت لوجوهها[5] حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم إبليس أنه حدث في الأرض[6] حادث حتى خرّت له الأصنام، ففرق جنوده ليصل إلى علم ذلك. ثم من الناس من يزعم أن قصة هذه السورة وقصة قوله عز وجل:[7] وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ،[8] واحدة. وقال بعضهم بأن هؤلاء النفر الذين ذكروا في هذه السورة كانوا من مشركي الجن، والذين ذكروا في سورة الأحقاف[9] كانوا من يهود الجن،

---

[1] ر - سورة الجن؛ ث + وهي ثمان وعشرون آيات مكية.

[2] م - قد.

[3] م: فتبقن.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.

[5] ث: لوحهها.

[6] ر م + خبر؛ ن ث + خبر. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ن م - عز وجل.

[8] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩.

[9] ر + الأحقاف.

دليله أنه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن: وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَدًا،[١] واليهود يقرّون بالبعث ولا ينكرونه،[٢] فثبت أنهم كانوا من جنس المشركين. وقال في سورة الأحقاف: قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،[٣] فثبت أنه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله موسى[٤] صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين، واليهود هم[٥] الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غير.

ثم فيما حكى الله تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم[٦] ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد. أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس حتى صَرف الجن إلى الاستماع إليه. وفيه أنهم لما أخذوا القرآن من لسانه قاموا[٧] فيما بين القوم بإنذارهم وأعانوه في التبليغ على ما أخبر عز وجل: فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ.[٨] وفيه أن أولئك النفر تسارعوا[٩] إلى الإجابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون فيه تسفيهُ قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نشأ بين أظهرهم، لأنهم عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم بالصيانة والعدالة و لم يقفوا منه على كذب قط. وحق من يُعرف بالصدق إن لم يصدَّق أن لا يُتَسارع إلى تكذيبه فيما يأتي من الأنباء، بل يوقَف في حاله[١٠] إلى أن يتبين[١١] منه ما يُظهر كذبه. وقومه استقبلوه بالتكذيب و لم يعاملوا معه[١٢] معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة. والجن الذين صدَّقوه لم يكونوا عارفين بأحواله فيما قبلُ أنه صدوق أو ممن يُرتاب في خبره، ثم تسارعوا إلى تصديقه بما لاحت لهم الحجة[١٣] وثبت[١٤] عندهم آية الرسالة،

---

[١] الآية ٧ من هذه السورة.
[٢] ر م: ولا ينكرون.
[٣] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.
[٤] ر م – موسى.
[٥] ر م: وهم.
[٦] ن: وأسماعهم.
[٧] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[٨] سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦.
[٩] ن: يتسارعوا.
[١٠] ر: من الأنبياء بل يوقف في حاله؛ ث – في حاله.
[١١] ر ث م: إلى أن تبين؛ ن: إلى أن يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.
[١٢] ر م – معه.
[١٣] ث: الجنة.
[١٤] ر ن م: و يثبت.

وعاملوا معه معاملة من قد عُرف بالصدق، فدل أنهم كانوا في غاية من السفه. وفيه أيضا دلالة رسالته[١] صلى الله عليه وسلم، لأن قوله تعالى: **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا** يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ،[٢] إلى آخر ما يحاورون[٣] فيما بينهم إخبار عن علم الغيب وهذا لا يعرف إلا بمن عنده علم الغيب،[٤] فثبت أنه بالله تعالى عَلِمَ.

ثم يجوز أن يكون الذي حملهم على الإيمان به ما عرفوا أنه أتى بالمعجز الذي يُعجز الخلق عن إتيان مثله، وبما وقفوا على[٥] إحكام معانيه وحسن تأليفه ونظمه. وفيه[٦] أن رسول الله صلى الله لم يَشعر بمجيئهم حتى أوحي إليه أنه قد أتاه نفر من الجن واستمعوا إلى ما أوحي إليه، فيكون فيه دلالةٌ على فساد قول الباطنية حيث يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِلَ الوحي بالجسد الروحاني، لأنه لو كان كما وصفوا لرأى[٧] الجن عند ما حضروا إليه، إذ[٨] الجسد الروحاني مما يُبصر الجنَّ[٩] ولم يكن يوحى إليه فيعرف أن قد حضره نفر من الجن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام أن يراه على صورته، فقال له جبريل: إنك لا تطيقه، لأن الأرض لا يسعني ولكن انظر إلى أفق السماء.[١٠] ولو كان يأخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد رأى جبريل عليه السلام على صورته، فيبطل فائدة هذا[١١] السؤال.

---

[١] م: رسالة رسول الله.

[٢] الآية التالية.

[٣] جميع النسخ: إلى آخر القصة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.

[٤] ر م - وهذا لا يعرف إلا بمن عنده عم الغيب.

[٥] ر: فساد.

[٦] ر ث م - وفيه.

[٧] ر: الرأي.

[٨] م - إذ.

[٩] ر ث: الحق.

[١٠] وحكى الثعلبيّ عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «إني أحبُّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقدر على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيَّل لك؟ قال: «بالأبطح». قال: لا يسعُني. قال: «فبِمِنىً؟» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات؟» قال: ذلك بالحريّ أن يسعني. فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لوقت، فإذا هو قد أقبل بخَشْخَشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عَرَفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب؛ ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشيًا عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى صدره. وقال: يا محمد! لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تُخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٤١؛ وانظر أيضا: *معالم التنزيل* للبغوي، ٨/٣٥٠).

[١١] ر: هذه؛ م - هذا.

فثبت أن الأمر ليس كما زعموا، بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وأنه كما وصفه الله تعالى بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ،[1] الآية. قال القُتَبِي: النفر ما بين الثلاثة إلى التسع.[2]

وقوله عز وجل: **إنا سمعنا قرآنا عجبا**. قال بعضهم: العجب الغريب، وإنما استغربوا ذلك منه لأنهم سمعوا من أمي لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب. ومنهم من قال بأن حسن[3] تأليفه ونظمه ورَصْفه[4] هو الذي حملهم على التعجب. ومنهم من قال: إنما تعجبوا من آياته [٨٥١و] وحججه، / لأنه جاء في تثبيت التوحيد وإثبات الرسالة وإثبات البعث، ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا أهل شرك، ولم يكونوا أهل معرفة بالبعث ولا بالرسالة[5] فكانت الآيات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الأوجه. *والله أعلم*.

ثم في هذه السورة[6] وفي قوله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،[7] إخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَشْعُر بمجيئهم. وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما تلا على[8] أصحابه سورة الرحمن قال لأصحابه: «إن الجن كانوا أحسن إجابةً منكم، إني تلوت عليهم[9] هذه السورة فكانوا يقولون: ما بشيء[10] من آلائك[11] نكذّب ربَّنا فلك الحمد».[12] ففي هذا الخبر دلالة أنه قد رآهم وشعر بمجيئهم، فيكون فيه[13] إثبات الوجهين جميعا أن قد شعر مرة ولم يشعر أخرى. ثم يجوز أن يكون رآهم بما قوّى الله عز وجل بصره

[1] سورة الكهف، ١٨/١١٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٦.
[2] ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ يقال: "النفر" ما بين الثلاثة إلى العشرة (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٨٩).
[3] ث: بأحسن.
[4] ر م: ووصفه.
[5] ر م: والرسالة.
[6] ر ث م – السورة.
[7] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩.
[8] ن – على.
[9] ر: عليكم.
[10] ر ث م: ما شيء.
[11] ن: من الآلائك.
[12] عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عيهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٥٥).
[13] م – فيه.

حتى احتمل إدراك الجن وضعفت أبصار غيره عن رؤيتهم،[١] ألا ترى أن أهل الجنة يرون الملائكة عند ما يأتيهم بالتُّحف من ربهم فيقوّي[٢] الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة بجوهرهم وإن ضعفت أبصارهم عن الرؤية في الدنيا، فعلى ذلك[٣] يجوز أن يكون الله قوّى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم. وجائز أن يكون الله تعالى[٤] صوّر الجن على صورة[٥] الإنس حتى رآهم وشعر بمجيئهم. *والله أعلم*.

ثم ما ذكرنا من السببين[٦] في أمر مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول السورة من قول أهل التأويل لا يُقطَع القول بذلك وإن كان في حد الإمكان والجواز، لأنهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبّر[٧] والاجتهاد، وما كان سبيل معرفته الاجتهادَ لم يجز أن يقطع القول فيه بالشهادة. وقد يجوز أن يكون الذي حملهم على المجيء غيرَ ذَيْنِك الوجهين. وهو أن يكون النفر من منذري الجن، لأنه ذُكر أن من الجن نُذُرًا[٨] وأن الرسل من الإنس دون الجن. فتفرقوا[٩] على[١٠] رجاء أن يظفروا برسول فيتلقّفوا منه ما يقومون[١١] به بالنذارة فيما بين قومهم. أو[١٢] كانوا يصعدون إلى السماء فيسمعون الأخبار وينذرون[١٣] قومهم بها. ثم انقطع علم[١٤] ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا إلى الصعود، لأنها قد مُلئت حرسا[١٥] وعلموا أن الله عز وجل لا يبقيهم[١٦] حيَارى،[١٧]

---

[١] ن: عن رؤسهم.

[٢] ر: فيقري.

[٣] جميع النسخ: ففي ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.

[٤] ن – قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم وجائز أن يكون الله تعالى.

[٥] ث + الإنس.

[٦] جميع النسخ: من السندين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر ن م: بالتدبير.

[٨] جميع النسخ: نذيرا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ن: فيفرقوا.

[١٠] ث – على.

[١١] جميع النسخ: ما يقوموا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر م: إذا؛ ن ث: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ر ن م: وتنذروا؛ ث: ويندروا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] ر: على.

[١٥] انظر: تفسير الآية ٨ من هذه السورة.

[١٦] ر: لا يبقهم؛ ن – لا يبقيهم.

[١٧] م: حبارى.

ويقطع عنهم وجه المعرفة.[١] فتفرقوا في الأرض رَجاءَ أن يظفروا بمن يزيل عنهم الشُّبه ويُوضِح لهم الحجج والبراهين، فوصلوا إلى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أو يجوز[٢] أن يكون عندهم أن لا أحدَ في الأرض من جني أو إنسي يكذب على الله كما حكى الله عنهم بقوله: وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا،[٣] فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على أنفسهم أن يُبتلوا بها وأن يشتبه عليهم الصراط السويّ، فتفرقوا في الأرض على رجاء أن يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المُثلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكونوا لما صعدوا إلى السماء فرأوها مملوءة من الحرس والشهب أيقنوا أن ذلك لحادث[٤] خَبَرٍ[٥] أو خافوا حلول نقمة بأهل الأرض، فتفرقوا في البلاد لعلهم يصلون إلى علم ذلك.

ثم الذي يُحقق[٦] كون هذا الخبر وهو أن السماء قَدْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا[٧] في حق الكفرة انقطاعُ الكهنة بعد ذلك، ولو كان[٨] الأمر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون. لأن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيأتون الكهنة بما يسمعون من الأخبار ويُلقُونها إليهم فيضلوا بها الخلق، فلو لم يُمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون، ومن ادعى الكهانة اليوم فلا يجد عنده خبرا حادثا سوى ما تلقفوه من ألسن الرسل عليهم السلام، وكان أمر الشهاب أمرا ظاهرا عرفتْه الكفرة فيما بينهم. فكانت هذه حجة سماوية برسول الله صلى الله عليه وسلم مقررِةٍ عند الكفرة رسالته، إذ لم يدع أحد منهم بكون[٩] الشهاب قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في مقالته.[١٠] *والله المستعان*.[١١]

---

[١] ن: المعروفة.
[٢] ر م: ويجوز.
[٣] الآية ٥ من هذه السورة.
[٤] ر م: الحادث.
[٥] ن: خبرا.
[٦] ر ث م: تحقق.
[٧] من الآية ٨ من هذه السورة.
[٨] ن – ولو كان.
[٩] ن: يكون.
[١٠] ر: ومقالته.
[١١] ن: والمستعان.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **يهدي إلى الرشد فآمنا به**، أي إلى الحق على ما ذكرنا بيانه في سورة الأحقاف في قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.[١] وقوله عز وجل: **ولن نشرك بربنا أحدا**، قال أبو بكر الأصم: إنهم كانوا من[٢] مشركي العرب فتبرءوا من الشرك بما استمعوا وسمعوا[٣] القرآن بقولهم: **ولن نشرك بربنا أحدا**، وقد يحتمل هذا الذي قاله.[٤] ويحتمل أنه لم يسبق منهم الإشراك بل كانوا من جملة الموحدين ولكنهم أحدثوا إيمانا بما سمعوا من القرآن وأحدثوا تبريا من الشرك. وقد يتبرأ المرء من الشرك عند ما يحدث له زيادة إيقان،[٥] وإن لم يسبق منه الإشراك، كما قال موسى عليه السلام: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.[٦]

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**. اختلف في تأويل الجد، فمنهم من يقول بأن هذه الكلمة يُتكلم[٧] بها فيمن يظفر بكل ما يريده،[٨] فيوصف بأنه ذو جد. فجائز أن يكونوا أرادوا بهذا أن ربنا هو الظافر بكل ما يريده / لا يستقبله خلاف[٩] ولا تمسه[١٠] حاجة. وعلى هذا التأويل قوله [عليه الصلاة والسلام]: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»،[١١] أي من كان له الجد في الدنيا، فإذا كان في تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا. وإن كان هذا هو المراد، فمعناه أن من هذا وصفه يتعالى عن أن يكون له شريك [٨٥١ظ]

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.
[٢] ر م – من.
[٣] ث: واستمعوا.
[٤] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.
[٥] م: الإيقان.
[٦] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[٧] ن: تتكلم.
[٨] ن: ما يريد.
[٩] ر م: خلافه.
[١٠] جميع النسخ: ولا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م + الجد. إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطيَ لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». (*صحيح البخاري*، الأذان ١٥٥؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ١٩٤).

أو يحتاج إلى صاحبة أو إلى اتخاذ ولد، لأن هذه الأشياء كلها أمارات[1] الحاجة،[2] ومن ظفر[3] بكل ما يريده لم يقع له[4] حاجة. وجائز أن يكون الجد صلة ومعناه: تَعَالَى رَبُّنَا. وجائز أن يكون الجد عبارة عن العظمة والرفعة، يقال: فلان جَدَّ في قومه، إذا عظُم وشرُف فيهم. وقال الحسن: **تعالى جدُّ ربنا**، أي غِنَى رَبِّنا.[5] ألا ترى كيف ذكر الله تعالى عند ما نزه نفسه عن اتخاذ الأولاد بقوله: قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ.[6] وقد ذكر اتخاذ الولد هاهنا على إثر قوله عز وجل: **جَدُّ ربنا**. ومنهم من يقول: تأويله مُلْكُ ربِّنا، وجائز أن يكون أُريد به قوة ربنا. فتعالى ربنا عن كل ما لو[7] نسب إليه كان فيه نسبته[8] إلى فعل الرذالة والتسفل. ثم الحق أن لا يتكلم [في][9] تفسير قوله: **جد ربنا**، هاهنا، لأنه حكاية عن مقالة الجن فمراد هذه الكلمة إنما يعرف بإخبار الجن.

ثم الشرك فيما جرى به الكتاب على أوجه أربعة. مرة على العبادة، بقوله عز وجل: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا،[10] وشرك في الخلق، بقوله عز وجل: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[11] وشرك في الحكم،[12] بقوله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا،[13] وشرك في الملك، بقوله: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ.[14] فثبت أن الشرك يقع مرة في العبادة،[15] ومرة في الخلق،[16] ومرة في الملك، ومرة في الحكم؛ فهم بقولهم: وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا،[17] تبرءوا عن الشرك من هذه الأوجه الأربعة.

---

[1] ن: كلها مارات.
[2] ر: لحاجة.
[3] ث: ومن يظفر.
[4] ر ث م – له.
[5] *تفسير الحسن البصري*، ٢/٣٦٧؛ و*تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣٥١؛ و*تفسير الطبري*، ٢٩/١٣٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٢٩٨.
[6] سورة يونس، ١٠/٦٨.
[7] ر ث م – لو.
[8] جميع النسخ – نسبته. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] سورة الكهف، ١٨/١١٠.
[11] سورة الرعد، ١٣/١٦.
[12] ن: في الحكمة.
[13] سورة الكهف، ١٨/٢٦.
[14] ث – بقوله ولم يكن له شريك في الملك. سورة الإسراء، ١٧/١١١؛ وسورة الفرقان، ٢٥/٢.
[15] ث: عبى العبادة.
[16] ر م: في العباد.
[17] الآية السابقة.

ثم إذا كان الجد عبارة عن الذي يَظْفَر بكل ما يريده، ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم، لأنهم يزعمون أن الله تعالى أراد من كل كافر الإيمان، فإذا لم يؤمنوا فهو غير ظافر بما يريد على قولهم. ويدخل عليهم النقض[١] من وجه آخر، وهو أنا قد بينا أن الشرك قد يقع مرة في الخلق، وهم ينفون خلق الأفعال عن الله تعالى، وإذا نفَوا ذلك فقد جعلوا له في الخلق شِرْكا.[٢] وقد أخبر عز وجل أنه هو المتفرد[٣] بخلق الخلائق، فثبت أن الأفعال من حيث الخلق والإنشاء من الله تعالى، ومن جهة الكسب والفعل للخلق. فمن الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يجوز[٤] أن يضاف من ذلك الوجه إلى الخلق عندنا، فلا يقع في الخلق تشابه، لأنه لا يتحقق[٥] من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق[٦] من الله تعالى. ألا ترى أنه يضاف الملك إلى الله تعالى وإلى الخلق. ثم لا يقع في ذلك[٧] إشراك لأنه من الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يتحقق[٨] ذلك الوجه في الخلق، لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى[٩] على جهة التحقيق. فكذلك إضافة الأفعال إلى الله تعالى وإلى الخلق لا توجب[١٠] الشرك لاختلاف الجهتين. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**، لأن اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة وهو منشئ[١١] الشهوات، فلا يجوز أن يغلبه ما هو خَلْقه، فيبعثه ذلك على اتخاذ الصاحبة. وبهذا نرد[١٢] على من زعم أن الملائكة بنات الله، والبنات يحدثن من الصاحبة، وهو تعالى لم يتخذ صاحبة فأنى تكون[١٣] له بنات. وقوله عز وجل: **ولا ولدا**، فالأصل أن الأولاد يرغب فيهم المرء لإحدى خصال: إما لما يناله من الوحشة فيطلب الولد ليستأنس بهم،

---

[١] ر م: انتقض.
[٢] ر ث م: شركاء.
[٣] ن: المنفرد.
[٤] ر ن م: ولا يجوز.
[٥] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.
[٦] جميع النسخ: يحقق.
[٧] ن – في ذلك.
[٨] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م – لا يحقق ذلك الوجه في الخلق لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى.
[١٠] ر م: لا يجب؛ ن ث: لا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر: منسئ.
[١٢] ر: ترد؛ ن: يرد.
[١٣] ر ث م: تحدث من الصحابة وهو متعال لم يتخذ صاحبة فأنى يكون.

أو يرغب فيهم لما حل به[1] من الضعف فيريد أن يستنصر بهم،[2] أو لما يخاف[3] زوال ملكه فيطلب الولد ليأمن من زواله. وجل الله سبحانه[4] وتعالى عن أن يلحقه وحشة أو يصيبه ضعف أو يخافَ زوال الملك. فإذا كانت الطرق التي بها يُرغب في اكتساب الأولاد منقطعةً في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الأولاد. ولهذا ما ذكر عند ما ينسبه[5] الملحدة إلى اتخاذ الأولاد [من] غناه بقوله: سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ،[6] أي غني عن كل الوجوه التي تتوجه[7] إلى اتخاذ الأولاد. **وبالله التوفيق.**

**﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**، فمنهم من ذكر أن سفيههم إبليس، وليس هذا براجع[8] إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو براجع[9] إلى كل من يوجد منه فعل السفه. ألا ترى أنه إذا قيل: كان يقول مُسِيئُنا[10] كذا، أو كان يقول فاسقنا كذا لم يُعْنَ به مسيء ولا فاسق[11] واحد على الإشارة،[12] بل يراد به كل معروف بالإساءة والفسق، فعلى ذلك قوله: **وأنه كان يقول سفيهنا**، ليس بمقتصَر على الواحد بل هو راجع إلى كل من يوجد منه ذلك.

ثم في هذه الآية دلالة أن النَّفَر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من أهل الكفر، لأنهم لو كانوا أهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه إلى غيرهم ويخرجون أنفسهم منه وقد وُجد منهم فعل السفه، ولو كانوا مشركين أيضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة: وإنا كنا نقول على الله شططا، ليكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر،

[1] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.
[2] ر م: أن يستنصرهم.
[3] ن + من.
[4] ن – سبحانه.
[5] جميع النسخ: عند ما يشتبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إنْ عِنْدَكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يونس، ٦٨/١٠).
[7] جميع النسخ: يتوجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: يرجع؛ ن: يراجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو راجع.
[10] م: مسيئا.
[11] جميع النسخ: لم يعن به فاسق ولا مسيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: على الإساءة.

وشكرا بما أنعم الله عليهم من عظيم النعم[١] بأنْ هداهم[٢] للإيمان لا أن يضيفوا ذلك / إلى سفهائهم، [٨٥٢و]
فثبت أنهم كانوا مؤمنين. والشطط الجور،[٣] وقال بعضهم: الكذب، وقال بعضهم: الظلم. والشطط هاهنا الجَور، والجور ما أتوا به من القول الفاحش وهو الشرك بالله تعالى. وهذا يبين[٤] أن الجور قبيح في كل الألسن وفيما بين أهل الأديان. ألا ترى كيف سفَّهوا من يقول على الله تعالى بالجور.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم كانوا اعتقدوا أن لله[٥] تعالى صاحبة وولدا،[٦] بما سمعوا الجن والإنس يقولون ذلك، وكان عندهم أنهم في ذلك صادقون، فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بأن لله تعالى ولدا وصاحبة، فلما ظهر عندهم كَذِب من يدعى اتخاذ الولد والصاحبة تبرءوا عمن يقول ذلك، فثبت بهذا أنهم كانوا أهل شرك إلى ذلك الوقت. فلما استمعوا إلى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولَاحتْ لهم الحجج وارتفعت عنهم الشبه[٧] آمنوا به وتبرءوا من مقالتهم[٨] المتقدمة.[٩] وقد يحتمل غير ما ذكره أبو بكر من التأويل، وهو أن القوم[١٠] كانوا أُنشِئوا على الهدى والإيمان، فكانوا يظنون أن الجن والإنس على الهدى وأنهم لا يَكذبون على الله تعالى حتى ظهر عندهم كذب الإنس والجن[١١] بقولهم: إن لله[١٢] ولدا وصاحبة. وجائز أن يكون معناه أنا كنا نظن أن لا تسخو[١٣] نفس أحد من الممتحنين بالكذب على الله تعالى بما أراهم الله قبح الكذب وقرر عندهم بالحجج والأدلة تنزيهه عن اتخاذ الأولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما أظهروه بألسنتهم.

---

١ ر ث م: النعمة.
٢ ر: بأن عداهم.
٣ ث: لا يجوز.
٤ ر م: تبين.
٥ م: أن الله.
٦ ر م: ولا ولدا.
٧ ر م: الشبهة.
٨ م: عن مقالتهم.
٩ ر م: المقدمة.
١٠ ر م: أن القول.
١١ ن: بكذب الجن والإنس.
١٢ ر: إن الله.
١٣ ر ن م: أن لا يسخوا؛ ث: أن لا يسخو.

ثم الذي يدل على أن التأويل الذي ذكره أبو بكر ليس بمحكم أنه قد كان في الجن والإنس مصدّق يصف الله تعالى[١] بالتنزيه، وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة، ألا ترى إلى قوله حكاية عنهم: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٢] وإلى قوله: وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ،[٣] ولا يحتمل أن يقع عندهم أن الفريقين جميعا على الصواب، ولكن كان في ظنونهم أن القوم[٤] جميعا على الهدى على ما هم عليه، فلما تبين[٥] عندهم الكذب من أولئك قالوا هذا القول. *والله أعلم*.

**﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا،** ذكر[٦] أن الإنس، وهم قوم من العرب، كانت إذا نزلت بواد[٧] استجارت بسيد الوادي، وقالت: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. ثم اختلف بعد هذا، فمنهم من ذكر أنهم كانوا يجيرونهم،[٨] ومنهم من زعم أنهم كانوا لا يجيرونهم[٩] وكان ذلك يزيد[١٠] في رهق الإنس والجن. وقالوا: الرهق الخوف والفَرَق،[١١] كذلك روي عن أبي رَوْق.[١٢] ومنهم من يقول: هو الذلة والضعف، فكانوا يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق[١٣] بامتناعهم عن الإعاذة.[١٤]

---

[١] ث: له تعالى.
[٢] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٣] الآية ١١ من هذه السورة.
[٤] ر م: بأن القوم.
[٥] ر ن ث: فلا تبين.
[٦] ر م: وذكر.
[٧] ر ن م: بوادي.
[٨] ر ث م: يخبرونهم.
[٩] ر م: لا يخبرونهم.
[١٠] ر: تريد.
[١١] ث: والغرق.
[١٢] ر ث م: أبي رؤف. أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزاني. حدث هو وأبوه من قبله. وهو من أهل البصرة. يروي عن ميمون بن مهران الكاتب، وعبد الله بن شبيب المكي. روى عنه جماعة كثيرة منهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الجندي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ وغيرهما. ومات بعد سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة (*الأنساب* لسمعاني، ٣٢٩/١٢).
[١٣] ر ث: الغرق.
[١٤] ر ث م: عن الإعادة.

ومنهم من يقول بأنهم كانوا يجيرون[١] من استجارهم،[٢] ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الأماكن التي لم يستجيروا فيها إليهم وفي غير الأوقات التي وقعت فيها الإجارة. وعلى اختلافهم اتفقوا أن الجن هي التي كانت تزيد[٣] الإنسَ رهقا. وقيل: إن هذا[٤] الفعل من الإنس وهو الاستجارة[٥] بهم شرك، لأن الله تعالى هو[٦] المجير، فكان الحق عليهم أن يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وأن لا يروا لأنفسهم ناصرا غير الله جل جلاله، فإذا فزعوا في الاستجارة إلى الجن فقد رأوا غير الله تعالى يقوم[٧] عنهم بالذب والنصر، فكان ذلك منهم إشراكا. ولأن الجن أضعف من الإنس، ألا ترى أنها تختفي من الإنس[٨] وتتصور[٩] بغير صورتها فَرَقًا لئلا يَشعُر بها الإنس،[١٠] وبلغ في ضعفها أنها لا تقدر على إتلاف أحد من البشر، ولا تقدر[١١] على سلب أموالهم ولا إفساد طعامهم وشرابهم. واستنصار[١٢] القويّ بالضعيف إراءة الذِلة؛ فيخرج[١٣] تأويل من قال بأن الرَّهَق هو الذلة[١٤] والضعف على هذا.

ومنهم من يقول بأن الإنس هي التي كانت تزيد[١٥] الجن رهقا. وقالوا: الرهق التجبر والتكبر، وقيل: هو السفه والجهل، وقيل:[١٦] هو[١٧] المأثم. وقال القُتَبِي: هو العيث[١٨] والظلم،[١٩]

---

[١] ر م: يخبرون.
[٢] ن: من استخارهم.
[٣] ن: تريد.
[٤] ر ن ث: بأن هذا.
[٥] ن: الاستخارة.
[٦] ر م – هو.
[٧] ر م: لقوم.
[٨] ر م: يختفي من الأصل.
[٩] جميع النسخ: ويتصور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[١٠] ر م – الإنس؛ ن: الإنسي.
[١١] ر ث م: ولا يقدر.
[١٢] ن: واستبصار.
[١٣] ر ن ث: الزلة فيخرج؛ م: الذلة فتخرج.
[١٤] ر ث م: هو الزلة.
[١٥] ن: يزيد؛ م: يريد.
[١٦] ر م – وقيل.
[١٧] ر ث م: هي.
[١٨] ر ث م: هو العبث. العيث: الإسراع في الفساد والأخذ بغير رفق (*لسان العرب*، «عيث»).
[١٩] ر م: في الظلم.

يقال: فلان مرهق في دينه إذا كان مفسدا. ووجه زيادة الرهق هو أن الرؤساء من الجن كانوا[1] يرون لأنفسهم الفضل على أتباعهم من الجن وعلى الإنس جميعا بما رأوا من افتقار الإنس إليهم حتى احتاجوا إلى الاستعاذة بهم، فكان يتداخلهم الكبر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظما،[2] فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل. وكذلك أكابر الكفرة من الإنس كانوا يمتنعون عن الإجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لأنفسهم من الفضل على من سواهم. ألا ترى[3] إلى قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا[4] الآية. فمن زعم أن الرهَق هو[5] الإثم أو السفه أو الجور أو الظلم أو العيث[6] يرجع كله إلى هذا المعنى الذي ذكرنا، لأن سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر، لأنه كان لا يستعيذ بهم إلا الجاهل السفيه، وليس في إعاذة الجاهل السفيه[7] مَنقَبَة[8] مما يُتكبَّرَ لأجلها وهم بتكبرهم [٨٥٢ظ] ازدادوا مأثما[9] وبُعدا من رحمة / الله تعالى. **والله أعلم**.

**﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾[٧]**

وقوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**، فجائز أن يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث لما لم يشاهدوا البعث ورأوه أمرا خارجا عن طوقهم وقواهم، فظنوا أن القدرة لا تنتهي إلى هذا، لا أن يكونوا نفوا خروج البعث عن حد الحكمة، لأنهم لو أرادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم: **لن يبعث الله**، فلما وصلوا به الكلام الذي يتكلم به للتأكيد وهو قوله: **أحدا**، دل أنهم نفوا القدرة. وجائز أن يكونوا ظنوا أن لن يبعث[10] الله لأنه أمر خارج عن[11] الحكمة، إذ[12] ليس من الحكمة أن يُهلَك

---

[1] ر م – كانوا.
[2] ن: وتعاظما.
[3] ر م: ألا يرى.
[4] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[5] ر – هو.
[6] ر ث م: أو العبث.
[7] ر ث م – السفيه.
[8] ر: منقية؛ م: منقبة.
[9] ر ث م: إثما.
[10] ر: أن لا نبعث؛ ن ث: أن لا بعث.
[11] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[12] ر: أنه.

ثم يُعاد بل إذا أريد[١] الإبقاء لم يُفْنَ[٢] حتى لا يُحْوِجَ إلى الإعادة. ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى أخبر[٣] أن الجن ظنت أن لا بعث كما ظننتم أنتم. وقوله عز وجل: **ظننتم**، في الظاهر إشارة إلى الإنس جملةً مسلمهم وكافرِهم، ومعلوم بأن المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك، بل قد أيقنوا بالبعث، ولكن معناه أن الكفرة من الجن ظنت أن لا بعث كما ظنت الكفرة منكم أيها الإنس.

ثم[٤] في هذه الآية إبانة أنهم كانوا يقولون: لا بعث، بالظن ليس بالعلم. والذي حملهم على الظن إعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث، وكل يأنف بطبعه[٥] أن يَلزم الظنونَ، وفيه[٦] دعاء وترغيب إلى النظر في حجج[٧] البعث وترك الاعتماد على الظنون. ثم ذكر النحويون أن ما كان[٨] ابتداؤه بالكسر في هذه السورة أعني حرف "إنّ" فهو حكاية عن الجن، نحو قوله تعالى: فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،[٩] وما كان فيه من الحكاية لا عن الجن فحقه أن يقرأ بالنصب، فاختاروا النصب في قوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم**، لما ليس هو بحكاية عن قول الجن. ***والله أعلم***.

**﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون لمسهم السماء ليجدوا أبوابها فيدخلوا فيها للاستماع،[١٠] إذ أخبارها ليست في جملة آفاق السماء ولا أبوابُها محيطة بجملة السماء، فكانوا يلمسونها ليظفَروا بأبوابها فيدخلوا فيها. وجائز أن يكون أريد من لمس السماء لمسَ أبوابها، فكانوا يلمسون أبوابها[١١] ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعوا[١٢] إلى الأخبار.

---

[١] ر م: إذا زيد؛ ث: ثم يعابل إذا أريد.
[٢] ر: لي يغني؛ ن: لمن يفن؛ م: لن يفني.
[٣] ر م – أخبر.
[٤] ر م – ثم.
[٥] ر ث م: بالطبعه.
[٦] جميع النسخ: ففيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[٧] ر ن م: في الحجج.
[٨] ر م: أن كان.
[٩] الآية ١ من هذه السورة.
[١٠] م: للاستمتاع.
[١١] ر م ليظفروا بأبوابها وجائز أن يكون أريد لمن أبوابها.
[١٢] ر ث م: فيستمعون.

وقوله عز وجل: **فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون بعض الأبواب ملئت من الحَرَس وبعضها من الشُّهب، فإن أتوا إلى الأبواب التي ملئت من الحَرَس دفعتهم الحرس وطردتهم، وإن أتوا إلى الأبواب التي فيها الشهب تبعتهم الشهب، كما قال عز وجل: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.[1] وجائز أن يكون الأبواب كلها مملوءة من الحرس والشهب جميعا، لأن الحَرَس لم يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتُحِنوا بها وبغيرها[2] من الأعمال، فجائز أن يكون اشتغالهم بذلك الأعمال يمنعهم عن الحَرَس، فإذا رأوا استراق السمع في وقت شغلهم تبعهم[3] الشهاب الثاقب وقذفهم عن مرادهم. وجائز أن يصعد الجن إلى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم، لأن المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته إلى حيث لا يراه البصر، فيكون الشهب تحت الحرَس فيُقذَفون عنها بالشهب. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**،[4] قيل: الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة. الأصل في ذلك أن الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى انقطع أمر الكهنة،[5] إذ لا يجوز أن يأتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان [لا][6] يختلط أمر الكهنة بأمره صلى الله عليه وسلم، فحُبسوا عن الصعود إلى السماء وإتيان الخبر عنها[7] حتى انقطع أمر الكهنة، فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا أن ذلك ليس بكهانة وإنما هو وحي يأتيه[8] من السماء، إذ لو كانت كهانة كان غيره لا يمنع عن مثله كما في سالف الزمان. فهذه الآية كأنها[9] حكاية عن قول الجن[10] لَمَّا رجعوا إلى قومهم منذرين قالوا هذا كلَّه لقومهم.

---

[1] سورة الصافات، ٨/٣٧.

[2] جميع النسخ: به وبغيره.

[3] جميع النسخ: تبعتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.

[4] ن + قيل حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[5] ر م: أنفع من الكهنة؛ ث: انقطع من الكهنة.

[6] جميع النسخ: كان يختلط. والزيادة من المرجع السابق.

[7] ث – عنها.

[8] جميع النسخ: ثابتة. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] جميع النسخ: كأنه. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ن – الجن.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم[١] رشدا،** فهو يحتمل وجهين. أحدهما لا ندري[٢] بما قُطعت بالحَرَس والشُّهُب أخبارُ السماء عن أهل الأرض وحُبِس الذين يصعدون السماء عن أخبار السماء، ويُقْذفون من كل جانب[٣] أريد[٤] بأهل الأرض الشر، وهو إنزال العذاب عليهم، أم أريد[٥] بهم أن يُرسَل إليهم[٦] رسول يُرشدهم. وجائز أن يكونوا أيقنوا أن أخبار السماء إنما انقطعت عن أهل الأرض بما يرسل إليهم من الرسول، فيكون الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم إليه من حاجة، ولكنهم لم يدروا أنه أريد بهم الرَّشَدُ بإرسال الرسول أو الشر، لأنهم كانوا علموا أن من آمن بالرسول المبعوث ونظر إليه بعين الاستهداء والإرشاد[٧] فقد رشد، ومن نظر إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء أُسْتُؤْصل[٨] فلم يدروا أيكذّبون الرسول فيحِلّ بهم الهلاك في العاقبة، أو يصدقونه فيَرْشَدوا به. وهذا يبين[٩] أن العواقب في الأشياء هي المقصودة، وأن الحكيم[١٠] ما يفعل من الأمر يفعله[١١] للعواقب. وفي هذا / إبانة أن الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة، إذ من قول المعتزلة أن الله تعالى [٨٥٣و]
لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم[١٢] في الدين والدنيا في حقهم، والجن قد أيقنوا أن الله تعالى قد يريد الشر بمن يعلم أنه يؤثر فعل الشر على فعل الخير، ويريد الخير بمن يعلم أنه يؤثر[١٣] [فعل الخير][١٤] على فعل الشر.

---

[١] ن – ربهم.
[٢] ن: لا يدرى.
[٣] جميع النسخ + دحورا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[٤] ر ث م – أريد.
[٥] ر ن: أو أريد.
[٦] ر م – إليهم.
[٧] م: والاسترشاد.
[٨] ر ث م: استوصلوا.
[٩] ر م: تبين.
[١٠] ن: وأن الحكم.
[١١] ن م: بفعله.
[١٢] ن – لهم.
[١٣] جميع النسخ: يؤثره. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك**، قال بعضهم: الصالحون هم المؤمنون، ودون ذلك هم[١] الكافرون. ويشبه أن يكون الصالحون، ودون[٢] ذلك ليس على الإيمان والكفر، لأن هذا قد ذكر فيما تقدم من الآيات بقوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٣] ولو كان التأويل على ما ذكروا لكان يقع موقع التكرار، ولكن تأويله عندنا **وأنا منا الصالحون**، أي منا مَن عُرف بالصلاح والسِّتْرِ[٤] ومنا دون ذلك وهم الفسقة، فيكون فيه إبانة أن كل أهل دين فيهم الصالح المرضيُّ وفيهم الفاسق المفسد في دينه؛ قال الله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ،[٥] ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن لاشتراط[٦] الصالحين معنًى، وكقوله تعالى: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[٧] فلو لم يكن منا أهل فسق لم يقل هذا.

وقوله عز وجل: **كنا طرائق قِدَدا**، أي أهواء متفرقة، ولم يذكروا في الأهواء المتفرقة[٨] الأصلح والأدون وذكروا[٩] ذلك عند ذكر الفاسق والصالح، لأن أهل الأهواء كلٌّ [منهم] في نفسه أنه هو المحق وغيره على الباطل، وأما الفاسق فهو يَعرف أنه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه، وكذلك كل من شاهد فسقه يعرف أنه على الباطل. وإذا كان[١٠] كذلك ظهر الدُّون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح. ثم الطرائق[١١] هي المذاهب والأهواء، والقِدد القِطَعُ، يقال: قدَّه[١٢] أي قطعه، فمعناه أنا كنا على مذاهب متفرقة وأهواء متشتة.[١٣] ففي الآية أن في الجن أهواء متفرقة كما أن[١٤] ذلك في الإنس.

---

[١] ن: هو.
[٢] ر م: دون.
[٣] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٤] السِّتْر: الحياء والحِجْر والعقل (*لسان العرب*، «ستر»).
[٥] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[٦] ر م: الاشتراط.
[٧] سورة الطلاق، ٢/٦٥.
[٨] ر ث م + في.
[٩] ر ث م: ذكروا.
[١٠] ر م: إذا كان.
[١١] ر ن: ثم الطريق.
[١٢] ر ن م: قد.
[١٣] ر ث: متسننة.
[١٤] ن ث - أن.

والأصل فيه أن طريق معرفة المذهب والدين الفكرُ والاجتهاد ليوصَل به[١] إلى الحق، والمجتهد قد يصيب الطريق مرة ويَزيغ عنه أخرى، فلهذا ما أصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيمَ ومنهم من زاغ عنه. ويعلم بهذا أن سبيل الجن في التوحيد وسبيل الإنس واحد وهو الفكر والاجتهاد،[٢] وأن فيهم آيات متشابهةً كما في الإنس إذ عن المتشابه يتولد الزيغ، لذلك تفرقوا على أهواء متفرقة[٣] مختلفة. وأما أسباب الفسق مجتمعة، فيعرف بالمعاينة فيظهر الأدون والأرفع في الدين.

**﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم[٤] على كفرهم ظنوا أن لا يعجزون الله تعالى، ولكن أكثر أهل التأويل ذكروا[٥] أن الظن هاهنا في موضع العلم. ويؤيد تأويلهم قراءة حفصة رضي الله عنها فإنها كانت تقرأ "وأنا[٦] علمنا أن لن نعجز الله في الأرض فَرَرَةً[٧] ولن نَسبقه هَرَبا".[٨] فقوله: **لن نعجز الله في الأرض،** أي لن نفوته[٩] ولا يتهيأ لنا أن نعجز الله بأهل الأرض عن إيصال[١٠] نقمته وعذابه إلينا. ويخرج قوله: **هربا،**[١١] على ذلك أي لو فررنا[١٢] من عذابه لن نعجزه أن لا يعذبنا؛ والفرار قد يكون بدون الطلب، قال الله عز وجل: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ[١٣] ولم يرد به الفرار من الطلب، وأما الهرب فإنه لا يكون إلا عن طلب، فكأنهم قالوا: لا يتهيأ لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة الأعوان والأنصار ولا يعجزه[١٤] هربنا عن طلب.

---

[١] ر: لنتوصل؛ ث: التوصل؛ م: المتوصل.
[٢] ر ث م: وله اجتهاد.
[٣] ن - متفرقة.
[٤] جميع النسخ: أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[٥] ر م: ذكر.
[٦] ر ث م: أنا.
[٧] ر ن ث: قرره.
[٨] قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٦/٣.
[٩] جميع النسخ: لن يفوته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[١٠] ر: شر إيصال.
[١١] ن م: فرره.
[١٢] ر م: لو قررنا.
[١٣] سورة الذاريات، ٥٠/٥١.
[١٤] ن: ولا نعجزه.

أو أن يكون قوله عز وجل: لن نعجز الله في الأرض وإن دخلنا[1] تحت تُخوم الأرضين ولن نعجزه بالهرب على وجه الأرض، فيكون فيه إقرار بأنا لا نقدر[2] بالحيل والأسباب أن نحترز[3] من عذاب الله[4] تعالى، كما يتهيأ الاحتراز عن ملوك الأرض بالحيل والأسباب.

ثم مثل هذا الكلام يصدر عن أهل الإسلام، لأن مثل هذا الكلام إنما يتكلم به من يخاف حلول نقمة الله تعالى عليه والذي أيقن[5] بالبعث ويذكر مُقامه بين يدي ربه. وأما أهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم خوف العاقبة على النظر في مثل هذا، فثبت أن هذه المقالة صدرت عن أهل الإسلام ليس عن أهل الكفر كما[6] ذكره أبو بكر الأصم.[7] ***والله أعلم.***

**﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به**، فالهدى هو الدعاء إلى الحق، فيحتمل أن يكون لما دُعينا[8] إلى الحق وهو القرآن آمنا به، ألا ترى إلى قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ،[9] أي يدعو إليه، وقال الله في أول السورة:[10] يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.[11] ويجوز أن يكون الهدى هو الاهتداء، أي لمّا سمعنا ما به [الهدى][12] اهتدينا. وظن أبو بكر الأصم أنهم كانوا كفرة إلى أن سمعوا الهدى فآمنوا به، لأنه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الإيمان منهم سابقا فلا يكون بقوله: **آمنا به** –وقد آمنوا من قبل– معنى. وليس يثبت كفرهم بما ذكر، لأنه قد يجوز أن يكونوا على الإيمان فلما سمعوا[13] الهدى أحدثوا إيمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة،

[1] ث: وإن دخلنا.
[2] م: لا يقدر.
[3] ن: أن يحترز.
[4] ن: من الله.
[5] ر ث م: أتقن.
[6] ر م – كما.
[7] ر ث م + أن هذه المقالة صدرت.
[8] م: فأدعينا.
[9] ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٠).
[10] ن: قال في أول السورة.
[11] الآية ٢ من هذه السورة.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[13] ر م: فلا سمعوا.

ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[٢] أي زادوا إيمانا بالتفسير[٣] على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة، لا[٤] أنهم لم يكونوا من قبل مؤمنين فأحدثوه للحال. وكذلك / قال: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٥] وقد هُدوا الصراط المستقيم ولكنهم [٨٥٣ظ] يريدون بهذا الدعاء أن اهدنا بالإشارة إليه والتعيين الصراط المستقيمَ على ما هديتنا في الجملة. فكذلك إحداثهم الإيمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي عنهم الإيمان فيما سبق من الأوقات، بل يجوز أن يكونوا مؤمنين من قبل، ثم يحدثون الإيمان[٦] بكل أمر يجيئهم من عند الله عز وجل، ولا يدل إيمانهم به على أنهم لم يكونوا من قبل مسلمين. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **فمن يؤمن بربه فلا يَخاف بَخْسا ولا رَهَقًا،** {قال رحمه الله:} إنه لا أحد من أهل الإيمان من جني ولا إنسي يخاف البخس والرهق من الله تعالى إلا المعتزلة، فإنهم يخافون ذلك لأنهم ليسوا يُخرجون مرتكبي الكبائر من الإيمان،[٧] ثم يطلقون القول فيهم أنهم يخلَّدون في النار، وفي التخليد خوف البخس والرهق، بل فيه ما يزيد على البخس؛ لأن البخس[٨] هو النقصان، وفي التخليد ذهاب منفعة الإيمان ومنفعة الخيرات التي سبقت[٩] منهم. وقال تعالى: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا،[١٠] والمعتزلة يزعم أنه لو أخذهم بالخطأ[١١] والنسيان كان جائرا.[١٢] وقال: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،[١٣] وهم يزعمون أنه لو أزاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه جورا وظلما، فهم أبدا على خوف من جور ربهم.

---

[١] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[٢] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ (سورة الفتح، ٤/٤٨).

[٣] ر م: لتفسير.

[٤] ر م – لا.

[٥] سورة الفاتحة، ٦/١.

[٦] ث – الإيمان.

[٧] ر م – من الإيمان.

[٨] ر م – لأن البخس.

[٩] م + سبقت.

[١٠] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.

[١١] ن. بالخطيا.

[١٢] ر م: جائزا.

[١٣] سورة آل عمران، ٨/٣.

ونحن نقول بأنه لو أخذهم به كان يكون ذلك منه عدلا، وإذا عفا عنهم كان ذلك منه إنعاما وإفضالا؛ فنحن ندعو الله تعالى ونتضرع إليه أن لا يعاملنا بعدله فنَهْلِكَ بل يعاملنا بالإفضال والإنعام. وعلى قول المعتزلة من[1] ارتكب كبيرة رُدَّت عليه حسناته وصار عدوًّا لله تعالى وخلد[2] في النار أبدا الآبدين. والله يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا [وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا].[3] وأولى[4] الحسنات التي تُستوجَب[5] عليها المضاعفة هو الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز أن يُخلَّد في النار ويُذهب عنه منفعة الإيمان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم قوله: **بخسا ولا رهقا**، يحتمل وجهين. أحدهما[6] البخس النقصان أي لا يُنْقص من حسناته، والرهَق الظلم -كقوله تعالى: فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا-[7] بأن[8] يُحمَل عليه من سيئات ارتكبها غيره. والثاني **فلا يَخاف بخسا**، أي لا يقبَل حسناتِه[9] إذا تاب، **ولا رهقا**، أي يظلم فلا يحسِب له من حسناته[10] شيئا.

**﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾**[١٤]

وقوله عز وجل: **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون**، فالقاسط الجائر والمقسط[11] العادل. ثم في العدل ثلاث لغات، يقال: عدل عنه إذا مال وجار، وعدل به إذا جعل شريكا وعديلا، وعدل فيه إذا حكم بالعدل. وقوله عز وجل: **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا**، التحري والتوخي[12] هو القصد، فكأنه يقول: [فقد][13] قَصَدَ قصْد[14] الرشد بالإسلام.

---

[1] ر ث م – من.
[2] ر م – وخلد.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٢و. سورة النساء، ٤/٤٠.
[4] ث م: والو.
[5] جميع النسخ: يستوجب.
[6] م: أحدها.
[7] ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ (سورة طه، ١١٢/٢٠).
[8] ن ث: فإن يحمل.
[9] ر م: حسنا.
[10] ر م: أي فظلم فلا يحسب له حسناته.
[11] ر م – والمقسط.
[12] ث: والترخي.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ر ث م – قصد.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**، قال أبو بكر الأصم: دلت الآية على أن للجن[١] لحما ودما كما للإنس، لأنه قال في الإنس: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[٢] فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.[٣] ولكن هذا لا يدل [على ذلك]، لأن اللحم من شأنه أن يحترق وينضج[٤] ولا يصلح أن يكون[٥] وقودا، ولكن الله تعالى باللطف صير لُحمان الإنس وَقودا ليس أن صار حطبا بما كان لحما. فليس في الآية دلالة[٦] ما ذكر، بل فيه أن الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتُحن بها[٧] الإنس، وأنهم[٨] إذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الإنس.

ثم ذكر عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: ليس للجن ثواب وعليهم العقاب إذا عصوا. ومعنى قوله: ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به أن الله تعالى لا يرضى عنهم إذا عبدوه ولا يَعظُم منزلتهم عنده، ولكنه يريد به أن الذي وعد للإنس من المآكل والمشارب والأزواج الحسان والحور في الجنة على الخلود ليس لهم، لأن الوعد من الله تعالى بها جرى للإنس ولم يَجرْ الوعد للجن ولا ذُكر ذلك في شيء من القرآن. والذي وعد به الإنس طريقه[٩] الإفضالُ والإنعام لا أن يكون ذلك حقا للإنس قِبَلَه، فإذا لم يَجْرِ[١٠] لهم الوعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود. وأما العقاب فإن الحكمة توجب[١١] التعذيب لمن كفر به، فلا يجوز أن يكون الحكمة توجب[١٢] تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن إذا كفروا، ولذلك وجب القول بعقابهم ولم يجب القول بالثواب. *والله الموفق*.

---

[١] ر ن م: أن الجن.

[٢] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[٣] ن – قال أبو بكر الأصم دلت الآية على أن الجن لحما ودما كما للإنس لأنه قال في الإنس وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.

[٤] ر م: وينتضج.

[٥] ر ث م: أن يكونوا.

[٦] أي في قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾.

[٧] م: بالعبادة.

[٨] ن: فإنهم.

[٩] ر ن م: طريقة.

[١٠] ن: فإذا لم يجز.

[١١] ن: يوجب.

[١٢] ن: يوجب.

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**، اختلف فيه. فمنهم من قال: طريقة الهدى، ومنهم من قال: طريقة الكفر.

**١)** فمن قال: المراد هو طريقة الهدى قالوا: إن الطريقة المعروفة المعهودة هي طريق الله تعالى، فعند الإطلاق ينصرف[١] إليه، كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف إلى دين الحق، وكذلك السبيل المطلق. قال الله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٢] وهو الإسلام. ثم يخرج هذا على وجوه. أحدها ينصرف إلى الكفرة[٣] أنهم **لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أجابوا إلى ما يدعون إليه من الهدى **لأسقيناهم ماء غدقا**، أي وسّعنا عليهم العيش[٤] وكثرنا أموالهم. ويكون ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة، لأن سعة الدنيا كلها يتصل بالماء، والماء أصلها، [٨٥٤و] قال الله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٥] فأخبر أن رزق الخلق / من السماء. والذي ينزل من السماء الماء[٦] وهو المطر وجعل ذلك رزقا إذ هو أصل رزق الخلق، فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة من الوجه الذي ذكرنا. فإن كان على هذا فيكون الخطاب راجعا إلى الوقت الذي كانوا ابتُلوا فيه بالقحط والسِّنِينَ، فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحطَ والسنين[٧] ويوسّع عليهم في الرزق؛ وهو كقول[٨] نوح[٩] وهود[١٠] وغيرهما[١١] ووعْدِهم[١٢] قومَهم بإرسال الأمطار وتكثير الأنزال[١٣] والأموال والأولاد ونحوه.

---

[١] ر: يتصرف.
[٢] سورة الفاتحة، ٦/١.
[٣] ن: إلى الكفر.
[٤] ر م – العيش.
[٥] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[٦] ر ث م: ماء.
[٧] ن – فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحط والسنين.
[٨] ر م: قول.
[٩] ﴿فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يُرسِلِ السماءَ عليكم مِدْرارا﴾ (سورة نوح، ١٠/٧١-١١).
[١٠] ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).
[١١] ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٩٦/٧).
[١٢] ر م: ووعد.
[١٣] ر ث م: الأمطار.

ويجوز[١] أن يكون هذا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا في أول الإسلام في ضيق الحال وشدة من العيش، وكانوا يتفرقون في الشعاب والأودية لشدة ما حل بهم من الجوع ليصيبوا من عُشْبها.[٢] وعند اشتداد الحال يخاف[٣] التغيير[٤] من أهلها والتبديلُ؛ فوُعِدوا السعةَ في العيش أن[٥] لو استقاموا على الطريقة التي كانوهم عليها أي داموا عليها و لم يبدلوا الدين الحق والهُدَى بالباطل، كما وعد لهم النصر والظفر على الأعداء مع قلة أنصارهم[٦] إن داموا على الإسلام.[٧] ويحتمل ما قال بعضهم: إن تأويل[٨] قوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أسلم أهل الأرض كلُّهم جميعا[٩] لوسّعنا عليهم الدنيا وكثّرنا أموالهم وأولادهم حتى يُفتنوا فيها ويُمتحنوا[١٠] بمحن شديدة، فيتحمّل البعض منهم فيبقَوا مؤمنين ولا يتحمّل البعض فيبغُوا[١١] ويعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقعَ التخلف في وعدنا. فإن الله تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين،[١٢] ولا يجوز أن يقع في وعيده خلف، وهم لو استقاموا على الطريقة و لم يَبغُوا أدى ذلك إلى خلف الوعيد، لأنها لا تملأ[١٣] إذا داموا على الطريقة و لم يبغوا. ويكون الحكمة في بغيهم أن يعرف الخلقُ أن الله لم يخلقهم لمنافع تحصل له،[١٤] ولكن خلقهم لأنفسهم، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليهم،[١٥] ولو أبقاهم على الطريقة المستقيمة وظهرت الموالاة في الجملة لكان يسبق إلى الأوهام أنه إنما خلقهم لمنافع نفسه.

---

١ ن – ويجوز.
٢ ر ث م: من عيشها.
٣ ن: تخاف.
٤ جميع النسخ: النفس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
٥ ر ث م: وأن.
٦ ث: أبصارهم.
٧ كما في قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٩/٣).
٨ ر: تأويله.
٩ ث م: جميع.
١٠ ر: فيمتحنوا.
١١ ر م: فيبقوا.
١٢ لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنّة والناس أجمعين﴾ (سورة السجدة، ١٣/٣٢).
١٣ ر ن ث: لأنه لا يملأ؛ م: لأنه يملأ.
١٤ جميع النسخ: يحصل له: والتصحيح من المرجع السابق.
١٥ يقول الله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ٧/١٧)؛ ويقول أيضا: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤٦/٤١).

وهذا من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون أن لو كان كيف يكون، إذ الله تعالى علم الإيمانَ من البعض والكفرَ من البعض للحكمة التي ذكرنا وغيرِها مما يقف على بعضها الخلقُ دون البعض وحكم كذلك. ثم أخبر أنه لو حكم بأن يستقيم الكل على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق[1] الأبد في حق الكل،[2] بل حكمُه أن يستقيم عليها البعضُ إلى مدة ثم يترك ويبدّل الحق بالباطل[3] ويدوم البعضُ عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكمة.[4] وهو كقوله تعالى: لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ،[5] أي لو لم يُفرَض[6] عليهم الجهاد والخروج إلى القتال لبرز الذين[7] منتهى آجالهم القتل إلى حوائج أنفسهم فيُقتَلُوا، بيانا منه[8] لحكمه[9] الذي [لم][10] يحكم أنه لو حكم كيف كان، فكذا هذا.

**٢)** وأما من قال: معناه طريقة الكفر فهو أن يكون المراد من الاستقامة[11] هاهنا الإقامة، ولفظة الإقامة يعبر بها عن الإقامة على الكفر والإسلام جميعا؛ ويكون الطريقة هاهنا إشارة إلى الطريقة التي كانوا عرفوها قبل الإسلام وهي الكفر -وإن كانت الطريقة إذا أطلق ذكرها أريد بها طريقة الهدى- لأن طريقة الكفر هي التي كانت معروفة فيما بينهم. وكذلك ذكر أهل التأويل أن الطريقة هاهنا طريقة الكفر.

وقوله:[12] **لأسقيناهم ماءً غدقا**، أي وسّعنا عليهم وكثرنا أموالهم ليعلموا جود ربهم حيث بسط عليهم الرزق مع اختيارهم عداوته كما بسط الرزق على أوليائه، وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذ هم بذنوبهم ولم يَعجل[13] بإنزال النقمة عليهم.[14] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: على ظهر.
[2] ر ث م - الكل.
[3] ر ث: الباطل.
[4] ر: من الحكم.
[5] ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليَبتليَ الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ (سورة آل عمران، ١٥٤/٣).
[6] جميع النسخ: لم نفرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
[7] جميع النسخ + كتب عليهم القتل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: منه بيانا؛ م: منه بيان.
[9] ر ن: لحكمة؛ م: الحكمة.
[10] والزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: بالاستقامة.
[12] ر ث م: فقوله.
[13] ث: ولم يعمل.
[14] ر ث م - عليهم.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لنفتنهم فيه**، فالفتنة المحنة[١] التي فيها الشدة، فإن كان هذا في أهل الكفر ففي بسط الرزق عليهم محنة شديدة، لأن ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يروا من الفضل على مَن دونهم في المال والسعة. ألا ترى إلى قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ،[٢] [وقال:][٣] وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا.[٤] وإن كان التأويل منصرفا إلى أهل الإسلام ففي التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتُحنّا به فيه شدة،[٥] قال الله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[٦] فما من حال يعترض الإنسان إلا وله فيها شدة.

وقوله عز وجل: **ومن يُعرِض عن ذكر ربه**، فجائز أن يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته، أو يعرض عن توحيده، أو يعرضْ عن القرآن إذ هو ذكر. والإعراض هاهنا عبارة عن الإيثار والاختيار، أي من يختار ذكر غير الله تعالى على ذكره، أو طاعةَ غيره على طاعته. وقوله عز وجل: **يَسلُكْه عذابا صَعَدا**، وقال في موضع آخر: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[٧] فجائز أن يكون الصعَد والصعود[٨] على التحقيق، كما ذكره أهل التفسير أنهم يكلفون بالصعود[٩] على جبل من نار لا يقدرون إلا بعد شدة عظيمة، ثم إذا بلغوا أعلاها يَهْوُون فيها، فذلك دأبهم. وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك / لأن الصعود أشد من الهبوط،[١٠] فيكون الصعود عبارة عن المشقة هاهنا أنه[١١] يستقبله ما يَشُقّ عليه. وقيل المشقة التي[١٢] عليه هي[١٣] ما يَحُلّ به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب. [٨٥٤ظ]

---

[١] ر + المحنة.
[٢] سورة السبأ، ٣٤/٣٤.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[٤] سورة الأنعام، ٦/١٢٣.
[٥] ر م – شدة؛ ث – فيه شدة.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[٧] سورة المدثر، ٧٤/١٧.
[٨] ر ث م – وقال في موضع آخر سأرهقه صعودا فجائز أن يكون الصعد والصعود.
[٩] جميع النسخ: الصعود. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: من الهيوط.
[١١] ر م: أن.
[١٢] ن + هي.
[١٣] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

وقال القُتَبِي: الصَّعود المشقة، يقال: تصعّد عليّ هذا الأمرُ أي[1] شقّ[2] علي.[3] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما تصعّدني أمر ما تصعدني خطبة النكاح، أي ما شق عليّ.[4] ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[١٨]

وقوله: **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي ما يُسجد فيه هو البِقاع وما يسجد به هو الجوارح. فكأنه يقول بان البقاع التي يسجد فيها والأعضاءَ التي يُسجد بها لله تعالى، لأنه هو الذي خلقها وأنشأها، والمساجد التي بنيت فإنما تبنى لعبادة الله تعالى وليُدعى[5] فيها، فلا تشركوا[6] غيره في العبادة والدعاء.[7] وقال بعضهم: أراد بالمساجد مسجد الحرام،[8] روي ذلك عن الضحاك وغيره. فكأنه إنما صرف التأويل إلى المسجد[9] الحرام لأن هذه السورة مكية ولم يكن في غيرها من البقاع مساجد. وقال بعضهم: المساجد هاهنا البِيَع والكنائس، لأن البيع والكنائس بنيت ليُعبد الله تعالى فيها[10] فنهاهم أن يعبدوا فيها غير الله. فيخرج هذا مخرج الاحتجاج أنكم قد علمتم أن المساجد بنيت ليعبد الله تعالى فيها فلا تعبدوا فيها غيره، أو إذا[11] كان الله منشئها وخالقها دون غيره، فكيف تشركون[12] معه غيره في العبادة والدعاء وليس هو بمنشئ لها.

وقوله عز وجل: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، فجائز أن يكون [هذا][13] على الدعاء نفسِه فيكون معناه أنْ لا تدعوا[14] مع الله أحدا. لأن الإله اسم المعبود وكان القوم إذا عبدوا شيئا سموه إلها فيقول:

---

[1] ر م – أي.
[2] جميع النسخ: يشق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٩١.
[4] جميع النسخ: يصعّدني أمر ما يصعدني خطبة النكاح، أي ما يشق علي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[5] ث: وليدعها.
[6] جميع النسخ: فلا يشركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: الدعاء.
[8] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٧٠/٨.
[9] ن + إلى المسجد.
[10] ث + غيره.
[11] ر م: وإذا.
[12] ر م: يشركون.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[14] ر ث م: أن لا يدعوا.

لا تدعوا[1] معه أحدا إلها، فإنه هو الإله وهو المستحق للعبادة[2] من كل أحد. وجائز أن يكون أريد بالدعاء العبادة. قال عليه السلام: «الدُّعاء مُخُّ العبادة».[3] وقال تعالى: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[4] فجعل دعاءهم إياه عبادة منهم له، فيكون قوله: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي لا تشركوا غيره[5] معه في العبادة. **والله أعلم**.

**﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**، فمنهم من يقول: إنهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه[6] وموالاتهم له، فقوله: **كادوا يكونون عليه لبدا**، أي كاد[7] يلتصق بعضهم إلى بعض ليَتصِلوا[8] برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو **كادوا يكونون عليه**، أي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقون[9] به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم[10] حرصا على حفظ ما سمعوا أو تعجبا مما سمعوا.[11] فكانوا[12] يحرصون على حفظ ما سمعوا؛ لأنهم كانوا من منذري الجن فحرصوا على حفظه ووعيه لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. وتعجبوا مما سمعوا، لأنهم سمعوه من مكان لم يكن مكان قراءة الكتب، وسمعوا من الأمي الذي لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب، فتعجبوا منه أشد التعجب. والتلبد،[13] التصاق الشيء بالشيء التصاقا لا يُفْصل بعضه من بعض، وسمي اللِّبد لَبَدا من هذا، لأن الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا يُمَيَّز.[14]

---

[1] ر م: لا يدعوا.
[2] ن: للمعبودية.
[3] سنن *الترمذي*، الدعوات ١.
[4] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.
[5] ن – غيره.
[6] ر ث م + لبدا؛ ن + على جهة الرغبة فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[7] ر ث م: كادوا.
[8] جميع النسخ: ليتصلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: يتصقوا.
[10] ن + أو.
[11] ر م – أو تعجبا مما سمعوا.
[12] جميع النسخ: فكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: واللبد.
[14] ر ث م: لاسر.

ومنهم من زعم أنهم فعلوا هذا لشدة[1] معاداتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون على[2] هذا منصرفا إلى الكفرة: الإنس منهم والجن [جميعا]،[3] فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله، فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره. فإن كان منصرفا إلى الكفرة[4] فقوله: **لما قام عبد الله يدعوه**، معناه أي لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق على عبادته وطاعته فهمّ المشركون من الإنس والجن[5] وتلبدوا[6] على هذا الأمر أن يطفئوه فأبى[7] الله تعالى إلا أن ينصره ويُمْضيه. وإن كان هذا من أهل الإسلام من الجن فالدعاء[8] راجع إلى العبادة فكأنه يقول: لما قام بعبادة الله تعالى وهي الصلاة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة حرصهم في تحفظ ما سمعوا وشدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولِمَا سمعوا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا**، ففيه إخبار عن دينه أن دينه التوحيد لا الإشراك بالله تعالى، وإخبار عما يدعو الخلق إليه، وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته. وجائز أن يكون هذا على إثْر سؤال منهم ودعوتهم إلى عبادة الأصنام على ما ذكر في الأخبار أنهم قالوا له: نعبد[9] إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما، وهو كقوله عز وجل: وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ [مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]،[10] الآية. وجائز أن يكون كلاما مبتدأ يؤيسهم ويقنِّطهم[11] ويقطع طمعهم عن[12] عوده إلى ما هم عليه.

[1] ر ن م: هذه الشدة.
[2] ن – على.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.
[4] ر ث م – فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره فإن كان منصرفا إلى الكفرة.
[5] ن: من الجن والإنس.
[6] ر: ويلبد؛ ن: ويلبدوا؛ م: ويلبدن.
[7] م + قال.
[8] جميع النسخ: والدعاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: إنا نعبد؛ ن ث: لو نعبد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] سورة المؤمن، ٤٠/٤١-٤٢.
[11] ن: وتغيظهم.
[12] ر م: على عوده.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا**، أي ضرا في الدين ورشدا في الدين. والأصل في الأسماء المشترِكة أن يُنظَر إلى مقابلها فيَظهر[١] مرادها بما يقابلها، قال الله تعالى: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٢] والقاسط الجائر، وقد يكون غير الكافر جائرا، ثم صرف الجور إلى الكفر فظهر مراده بمقابله[٣] وهو قوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ. والضَّرّ قد يكون في الدين وفي المال والنفس، ولكنه لما ذكر قوله: **رَشَدا**، والرشد[٤] يُتكلم به في الدين عُلم أن[٥] قوله: **ضرا**، راجع إليه أيضا، فكأنه يقول: لا أملك إضلالكم ولا رُشدكم، إنما ذلك / إلى الله، [٨٥٥و] يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[٦] الآية.

والمعتزلة[٧] تزعم[٨] أن الله تعالى لا يملك رُشد أحد ولا غَيّه، بل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر[٩] مِلكا، لأنه يملك أن يدعو الخلق إلى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك إلا برسوله. وقال عز وجل: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[١٠] وقال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[١١] ولو كان المراد من الهداية المضافةِ إلى الله تعالى الدعوة والبيانَ لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم لأنه داع ومبيِّنٌ، فثبت أن في الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**، فكأنهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة إلى قوم أو كتمانَ شيء مما أُمر بإظهاره أو محاباةَ أحد من الأجلّة،

---

١ ر م: فينظر.
٢ الآية ١٤ من هذه السورة.
٣ ن: بمقابلة.
٤ ن: وللرشد.
٥ ث: أننا.
٦ سورة النحل، ١٦/٩٣.
٧ ث + هو.
٨ جميع النسخ: يزعم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٨٣ظ.
٩ ر م: أكبر.
١٠ سورة البقرة، ٢/٢٧٢.
١١ سورة القصص، ٢٨/٥٦.

فأمر أن يخبرهم[1] أنه لا يجيره أحد من الله تعالى ولا يجد لنفسه ملجأ إن فعل ذلك سوى أن يبلّغ[2] رسالات ربه فيجيره من عذابه ويكونَ[3] له عنده ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، فمنهم من جعل قوله: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا،[4] **إلا بلاغا من الله**، أي إني لا أملك لكم هدايتكم ولا إضلالكم إلا ما كُلِّفتُ لأجلكم من تبليغ الرسالة. ومنهم من جعل هذا استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ،[5] إن عدلتُ عن أمره و لم أبلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه إلا أن أبلّغ[6] الرسالة؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ،[7] وقال: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[8] لأنه[9] لا يجوز أن يقع له الحاجة إلى الإجارة من عذاب الله تعالى و لم يقع[10] منه تقصير ولا تضييع يستوجب[11] به العقاب، فلا بد من أن يمكن فيه ما ذكرنا من التقصير في التبليغ والعدول عما كُلّف حتى يستقيم ذكر الإجارة فيه.

وذكر أبو معاذ صاحب التفسير[12] أن الاستثناء راجع إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، ليس إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، واستدل على ذلك بقراءة[13]

---

[1] ر: أن يخبرهم؛ ث م: أن يجيرهم.
[2] ر: أن تبلغ.
[3] ر ث م: فيكون.
[4] الآية ٢١ من هذه السورة.
[5] الآية السابقة.
[6] ن: لن أبلغ.
[7] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[9] م: الآية.
[10] ن: و لم يجئ.
[11] ر: ليستوجب.
[12] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري، ويقال الدّامِغاني (ت ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٤٣٤/١؛ *وطبقات المفسرين* للسيوطي، ٤٢/١.
[13] ر: بقرائته.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: "قل إني لا أملك لكم غيًّا ولا رشدا إلا بلاغا من الله".[١] وليس فيما ذكر ما يوجب قطع[٢] الاستثناء عن قوله:[٣] قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، للوجه الذي ذكرنا؛[٤] ولأن أكثر أهل التأويل[٥] أجمعوا على صرف الاستثناء إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، فلا يجوز أن يحمل قولهم على الخطأ بما[٦] ذكره أبو معاذ، ولما ذهبوا إليه وجه الصحة والسداد.

وجائز أن يكون البلاغ والرسالة واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغا من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار، وهو كقوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[٧] قيل: إنهما واحد. وجائز أن تكون الرسالة نفس ما أُنزل وهو الكتاب، والبلاغ ما أُودع فيه من الحكمة والمعاني. وكذلك قيل في قوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، إن الكتاب هو المنزّل نفسُه، والحكمة ما ضُمّن[٨] فيه من المعاني. وجائز أن يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا إلى حكمه، ورسالاتُه إلى خبره،[٩] أو يكون رسالاته حكمه والبلاغ خبره، وهو كقوله تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا، أخباره وَعَدْلًا،[١٠] أحكامه. أو **بلاغا من الله**، حق الله عليهم، **ورسالاته**، بما به مصالحهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا،[١١] قالوا:[١٢] ملجأ ومُمالاً، أي موضعا[١٣] يمال إليه. والالتحاد الإمالة،[١٤] سمي اللحد لحدا من هذه[١٥] لأنه يمال عن سننه.

---

١ ويدل عليه قراءة أُبي: غيا ولا رشدا. ومعنى الكلام أن النافع والضار، والمرشد والمغوي هو الله وأن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٠/١٦٤).

٢ ر ث م: فيما ذكرنا قطع؛ ن: فيما ذكر بأقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.

٣ جميع النسخ: على قوله. والتصحيح من المرجع السابق.

٤ ر م: ذكر.

٥ ن: أهل التفسير.

٦ ر م: لما.

٧ سورة آل عمران، ٣/٤٧.

٨ جميع النسخ: تضمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

٩ جميع النسخ: إلى غيره. والتصحيح من المرجع السابق.

١٠ ر - وعدلا. سورة الأنعام، ٦/١١٥.

١١ ن: من هذا.

١٢ ر ث م: مالولا؛ ن + لا. والتصحيح من المرجع السابق.

١٣ ر م: وموضعا.

١٤ المُلتَحَد: الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه. قال الفراء: ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ أي ملجأ ولا سَرَبا ألجأ إليه (*لسان العرب*، «لحد»).

١٥ ن. من هذا.

وقوله عز وجل: **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**، وقال في موضع آخر: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[1] وقال: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا،[2] وكل من ارتكب المأثم فقد دخل في[3] حد العصيان وإيذاء الرسول. ولكن المراد هاهنا من يعتقد عصيان الرسول وأذاه، لأن الله تعالى أضاف الأذى والعصيان إلى نفسه ولا أحد يقصد قصد أذى الله[4] تعالى، والله عز وجل لا يؤذَى،[5] ولكن أضاف أذى الرسول وعصيانه إلى نفسه وقد كانوا يعتقدون عصيانه وأذاه، فجعل عصيانهم وأذاهم لرسوله أذًى منهم لله[6] تعالى وعصيانا له، فثبت أن هذا في الاعتقاد. وقال عز وجل:[7] مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ،[8] وقال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[9] فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان[10] رسوله[11] عصيانا له؛ ولأنه ذكر العصيان على إثر[12] تبليغ الرسالة، فثبت أن العصيان هاهنا في ترك القبول بما أُنزل على الرسول وفي اعتقاد العصيان له. وروي عن أبي حنيفة[13] رحمه الله أنه قال: من آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لأن جهله بالله تعالى هو الذي حمله على تكذيب الرسول،[14] لأن الرسول
[٨٥٥ظ] ليس يدعوه إلا إلى ما يقربه / إلى الله تعالى وإلى ما ينجيه من عذابه، فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك إلى حب الرسول وإلى طاعته، فثبت أن المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل.

---

[1] سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣.
[2] سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣.
[3] م – في.
[4] ن: لله.
[5] ن: ولا يؤذى.
[6] ر م: الله.
[7] ن: وقال الله تعالى و.
[8] سورة النساء، ٤/٨٠.
[9] سورة النساء، ٤/ ٦٥.
[10] ن: وعصيانا.
[11] ن: لرسوله.
[12] ر م – اثر.
[13] ث: عن أبيحنيفة.
[14] ن – الرسول.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا،** وقال في موضع آخر: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا.[١] يحتمل[٢] أن يكون هذا في الدنيا والآخرة جميعا، ويكون ذلك راجعا إلى يوم بدر كما ذكره[٣] أهل التأويل إذ قد ظهر في ذلك اليوم أنهم شر مكانا وأضعف جندا وأضعف ناصرا. ويشبه أن يكون هذا في الآخرة، لأنهم[٤] يعلمون أنهم أقل عددا في الآخرة لأن كل واحد منهم تبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا[٥] ويصير عدوا له فيقلُّ عددهم، وأما في يوم بدر فقد كانوا أكثر عددا من المسلمين فلم يتبين[٦] لهم أنهم أقل في العدد. ويجوز أن يكون يوم بدر يكون المسلمون أكثر عددا، لأن الله تعالى أمد[٧] المسلمين بملائكته فصار[٨] عددهم أكثر في التحقيق وإن كانت الكفرة في رأي العين[٩] أكثر منهم عددا.[١٠] ثم يشبه أن يكون هذه الآية نزلت على إثر تخويف الكفرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[١١] بكثرة عددهم وقوتهم في أنفسهم وقلة عدد المسلمين، فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصرة وكثرة العدد عند وقوع الحاجة إليها. *وبالله التوفيق.*

---

[١] ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ (سورة مريم، ٧٥/١٩).

[٢] جميع النسخ: ويحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

[٣] ر م: ذكر. قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٨/٣.

[٤] ر م: فإنهم.

[٥] انظر مثلا: ﴿إذ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كَرَّةً فَنَتَبرأَ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢-١٦٧).

[٦] ر م: فلم تبين.

[٧] ر: أعد.

[٨] ن: فكان.

[٩] ن - صلى الله عليه وسلم.

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ١٢٣-١٢٦)؛ وانظر أيضا: (سورة الأنفال، ٩/٨-١٠).

[١١] ر م - العين.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**، فهذا ذَكَره عند ذكر الوعيد، وهو قوله: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا،[١] فكأنهم سألوه متى وقتُ[٢] هذا الوعيد؟ فأمر أن يقول: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**. قد ذكرنا فيما تقدم من الآيات أن ليس في بيان وقت الوعيد فضلٌ[٣] يقع في الوعيد بل إذا لم يبين وقتَ الوعيد كان فيه فضلُ[٤] تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين، لأنه إذا بين[٥] فإن كان فيه أمدٌ سوَّف الناسُ وأخروا التوبة لما أمنوا حلول النقمة بهم إلى مجيء ذلك اليوم، وإذا لم يُمهَلوا صاروا إلى الإياس، فيرتفع الخوف والرجاء، وفيه ارتفاع المحنة،[٦] لأن المحنة[٧] في الأصل بالعمل على الرجاء والخوف. ولأنه إذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف فيحملهم ذلك على التسارع في الخيرات والانقلاع عن المساوئ، فأُمر أن يقول هذا، وإلا فالذي [أمره][٨] بأن يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٢٦] ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**. الأصل فيما غيّب الله تعالى عن الخلق أنه على منازلَ ثلاثةٍ. أحدها ما قد[٩] أعجز الخلق عن احتمال الوقوف عليه بالخلقة، نحو الكيانات[١٠] التي هي أصول الأشياء لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي به صلح أن يكون كيانا لم يقف عليه، ونحوَ الماء جُعل حياة لكل شيء ولو أراد أحد

[١] الآية السابقة.
[٢] ر ث م: وقعت.
[٣] ن ث: فصل.
[٤] ث: فصل.
[٥] ث + فكا.
[٦] ن + والرجاء.
[٧] ر م - لأن المحة.
[٨] ر ث م: والذي. الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.
[٩] ر: قد؛ م: فقد.
[١٠] ث: الكنايات.

أن يتعرف المعنى الذي به صلح أن يجعل حياة لم يقف عليه، وكذلك هذا في كل ما جعل كيانا موجود.[١] والثاني ما مكنَ الخلقَ[٢] معرفته وبلوغه إليه بالتأمل والنظر بدون معرفة السمع والأثر نحو معرفة[٣] الصانع ومعرفة وحدانيته. والثالث هو الذي لم يعجزهم عن إدراكه ولا مكنتهم من الوقوف عليه دون خبر يَرِد. فقوله: **فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول،** في هذا وهو الذي[٤] مكنوا فيه، لكنهم لا يبلغونه إلا بمعونة الخبر.[٥] وذلك نحو الأشياء التي ترجع[٦] إلى مصالح الخلق والذي يوصل إلى مصالح الأغذية مما ظهر بين الخلق، ولكنها لا تعرف[٧] إلا بالسماع ممن[٨] له علم من الخلق وانتشاره فيهم،[٩] وهو بحيث لا يحتمل إدراكه بالنظر، فبيَّنَ أن ذلك بالرسول، ومتى وجد ذلك من شخص مشار إليه دل ذلك على الاختصاص له بالرسالة.

ثم ذكر بعضهم أن في هذه الآية دلالة تكذيب[١٠] المنجمة، وليس كذلك، لأن فيهم من يَصدق خبره ويعرف المَطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتوالد[١١] الخلق والتي يقع عندها التغير والتبدل، وذلك مما لا يوقف على علمه بالتأمل والتدبر. وكذلك المتطببة[١٢] منهم من يعرف طبائع النبات أنه[١٣] يصلح لكذا وهذا[١٤] يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق. ومعلوم[١٥] أن هذا [كله][١٦] من نوع ما لا يدرك بالتأمل والنظر، فعلم أنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه في الخلق. *والله أعلم.*

---

[١] جميع النسخ: موجودا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.
[٢] ر م – الخلق.
[٣] ن + نحو معرفة.
[٤] ر م: والذي.
[٥] م – الخبر.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: فمن.
[٩] ر: وإشارة فهم؛ م: وإشارة فيهم.
[١٠] ر: يكذب؛ م: بكذب.
[١١] ر: توالد.
[١٢] ر: المتطبة.
[١٣] جميع النسخ: أنها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ث م + لا.
[١٥] ر م: معلوم.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **إلا من ارتضى من رسول**، أي اختاره[1] واصطفاه. والأصل أن الرسالة تُلزم[2] الخلق[3] الشهادة له بالصدق في كل خبر، وبالعدل[4] في كل حكم، بقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[5] وبالإصابة في كل أمر فيما لم يبلغ مبلغا يوجب الأمر، فهؤلاء يختصها[6] للرسالة وفي الاختصاص[7] نعمة عظيمة على الخلق، إذ به وصل الخلق إلى تعرّف ما تبلغهم[8] إليه الحاجة في أمر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم.

وقوله عز وجل: **فإنه يَسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا**، قيل: رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه من الملائكة ليمنع الإنس عن الرسل في منعهم الرسل[9] عن التبليغ حتى [٨٥٦و] يبلّغوا.[10] ذكر هذا / عن الحسن البصري رحمه الله. وكذلك قال في قوله: إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ.[11] إن إحاطته هي أن يعصمه من الناس من أن يصل إليه منعُ الناس إياه عن تبليغ الرسالة. ويحتمل أن يكون الملائكة جُعلوا رصدا عن الجن عن استراق[12] ما يوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقنه[13] حتى يكون الرسول هو الذي يبلغ إلى الخلق؛ ويشتهر ذلك فيما بين الخلق أن الرسول هو الذي قام بتبليغه إلى الخلق، لأنهم إذا لم يُجعلوا رصدا أمكن[14] الجنَّ أن يسترقوه ويبلغوه فيأتوا بلدة لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول، فيعرفوا ذلك من عند الجن قبل أن يبلغهم الرسول، فإذا بلّغ الرسول من بعدُ التبس الأمرُ

---

[1] ن: أي أخباره.

[2] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.

[3] ر م: خلق.

[4] م: بالعدل.

[5] سورة النساء، ٦٥/٤.

[6] ث: يخصصه.

[7] ر م + من.

[8] جميع النسخ: ما يبلغهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م – الرسل.

[10] قال ابن عباس وابن زيد: ﴿رَصَدًا﴾ أي حَفَظة يحفظون النبيّ صلى الله عليه وسلم من أمامه ووارئه من الجنّ والشياطين (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩/١٩).

[11] سورة الإسراء، ٦٠/١٧.

[12] ر م: استغراق.

[13] ن: وعن تلقته.

[14] ر م: لكن.

على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن، فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول، فيرتفع التشبيه.[١] أو يكون الرصد يمنع[٢] الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغوا قومهم من الجن حتى ينتهي الخبر إليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، إن الملائكة كانوا يترصدون النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءه الملك قالوا هذا وحي من الله تعالى، وإذا جاءه الشيطان أخبروه[٣] به. ولكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يخفى عليه وحي الشيطان من وحي جبريل عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، أي بين يدي من يبلّغ[٤] الرسالة إلى الرسول وهو الملك الذي ينزل بالوحي جُعل بين يديه ومن خلفه ملائكة يرصدونه كي لا يستلب[٥] الشيطان عنه أو يُحدث[٦] فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله أنه إنما يبلغ إليه رسالة[٧] ربه. وهذا بعيد أيضا، لأن بالمبلِّغ[٨] من القوة[٩] ما يدفع أذى الجن[١٠] عن نفسه وهو أمين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يُجعل[١١] عليه الرصد فيُؤمَن من تبديله، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[١٢] فوصفه الله تعالى بالقوة والأمانة جميعا. لكنه جائز أن يكون المبلّغ ممتحنا بالتبليغ والذين معه من الرصد امتُحنوا بأمور أُخَرَ لا أن جُعلوا رصدا من الجن. وجائز أن يكونوا أُرسلوا معه[١٣] لمكان تعظيم الوحي وتشريف الرسالة. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: المتشبهة.
[٢] ر ث م: تمنع.
[٣] م: أخبره.
[٤] ن: من تبليغ.
[٥] ث: كي يستلب.
[٦] جميع النسخ: ويحدث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥و.
[٧] ن ث: رسالات.
[٨] جميع النسخ: المبلغ. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: بالقوة.
[١٠] ر: أدى الخير؛ ث م: أدى الخبر.
[١١] ر: يجعله.
[١٢] ﴿إنه لقول رسولٍ كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ (سورة التكوير، ٨١/ ١٩-٢١).
[١٣] ر ث م – معه.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم،** قال قائلون: ليعلم محمد بالرصد أن قد بلّغ[١] سائر الرسل رسالات ربه[٢] على الوجه الذي أمروا كما بلّغ هو. والثاني أن يعلم كل[٣] في نفسه أن قد أبلغ رسالات ربه، أو ليعلم الأعداء أن قد بلغ[٤] محمد صلى الله عليه وسلم رسالات ربه على الوجه الذي أمر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جني ولا عدو. وقوله عز وجل: **وأحاط بما لديهم،** أي بما عند الرسل،[٥] وبما عند الملائكة أو بما عند الخلق.

وقوله عز وجل: **وأحصى كل شيء عددا،** أي أحاط العلم بالذي هو معدود لا بالعدد،[٦] وهو كقوله عز وجل: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ،[٧] أي ما يوزن[٨] عند الخلق. أو أحاط العلم بما لَدَى الكفرة لا بالرصد، وأن في نصب الرصد محنة وتكليفا على الرصد لا أن يقع بهم الحفظ، وهو كقوله عز وجل: هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.[٩] فبين أن النصر من عنده وأن الملائكة إنما أرسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين وتركن إليها طباعهم. **وأحصى كل شيء عددا،** أي كلُّ شيء[١٠] عنده معدود ومُحْصًى[١١] لا يَغْفُل جل جلاله عن معرفة[١٢] عدده ولا يعتريه أحوال يَعزُب عنه[١٣] فيها علم ذلك، خلافا لما عليه أمر[١٤] الخلق.

*والله أعلم.*[١٥]

---

[١] ر ن م: أبلغ.
[٢] ث: ربهم.
[٣] ث + نفس.
[٤] ر م: أبلغ.
[٥] ر م: الرسول.
[٦] ن: لا بالعد.
[٧] سورة الحجر، ١٥/١٩.
[٨] ر: ما يؤزن.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٢٥-١٢٦.
[١٠] ر م - أي كل شيء.
[١١] ث: محصى.
[١٢] ث - معرفة.
[١٣] ر م: عنها.
[١٤] ن: من.
[١٥] ن: والله الموفق؛ ث: والله الموفق الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المزمل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[١]**

قوله عز وجل: **يا أيها المزمل**، فالمزمل والمدثر يقتضيان معنى واحدا على ما يذكر في سورة المدثر.

**﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] ﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾[٣] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**، فجائز أن يكون هذا الأمر كله منصرفا إلى وقت واحد، فإذا صرفت إلى وقت واحد[2] فإما أن يكون قوله عز وجل: **إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**، منصرفا إلى قوله: **قم الليل**، أو إلى قوله: **إلا قليلا**. فإن صرفتَ النقصان إلى قوله: **إلا قليلا**، زدت في الأمر بالقيام، وإن صرفت النقصان إلى قوله: **قم الليل**، فقد زدت في قوله: **نصفه أو انقص منه قليلا**. فإلى[3] أيهما[4] صُرف اقتضى الزيادةَ في أحدها والنقصانَ في الآخر فيتفق معناهما. وهذا نظير قوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ،[5]

---

[1] ث + وهي عشرون آيات وهي مكية.

[2] م – فإذا صرفت.

[3] ن: قال.

[4] م: أيها.

[5] سورة النساء، ١٧٦/٤.

فمنهم من جعل الكلالة اسما للميت الموروث عنه ومنهم من أوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميتَ،[1] وأيُّهما كان فهو يقتضي معنى واحدا، لأن منزلة الحي من مُورِثه ومنزلة المورَث من الحي واحدة لا تختلف.[2]

وجائز أن يكون هذا على اختلاف الأوقات على ما ذكره أهل التفسير، فيكون قوله: **قم الليل إلا قليلا**، أمرا بإحياء أكثر الليالي، ثم يكون في قوله: **أو انقص منه / قليلا**، تخفيفُ [٨٥٦ظ] الأمر عليه، فيكون فيه أن له أن ينقص عن الأكثر. وقوله: **أو زد عليه**، أي[3] على المقدار الذي أبيح له الانتقاص، وإذا ارتفع النقص عاد الأمر إلى ما كان مأمورا به في الابتداء.

ثم القليل ليس[4] باسم لأعين الأشياء ولكنه من الأسماء المضافة، فإذا قيل: قليل، اقتضى ذكره تثبيت ما هو أكثر منه حتى يصير[5] هذا قليلا إذا قوبل بما هو[6] أكثر منه، فلذلك قالوا: بأن قوله: **قم الليل إلا قليلا**، يقتضي أمر القيام أكثر الليل. ولهذا قال أصحابنا فيمن أقرّ أن لفلان[7] عليه ألفَ درهمٍ إلا قليلا:[8] إنه يلزمه أكثر من نصف الألف، لأنه استثنى القليل، فلا بد من أن يكون المستثنى منه أكثر من المستثنى[9] حتى يكونَ المستثنى قليلا كما استثنى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ورتّل القرآن ترتيلا**، فالترتيل[10] هو التبيين في اللغة[11] أي بَيِّنه[12] تبيينا. وقيل: اقرأه حرفا حرفا على التقطيع لما ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة. ولكن جائز أن يكون قراءته[13] على التقطيع لأن التبيين كان في تقطيعه وإنما أمر بالتبيين

---

[1] ن – الموروث عنه ومنهم من أوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميت.
[2] جميع النسخ: لا يختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥و.
[3] ن – أي.
[4] ر – ليس.
[5] ر ن م – يصير.
[6] ر م – هو.
[7] ر م: الفلان.
[8] ث: إلا قليل.
[9] ر ن + منه.
[10] ن – فالترتيل.
[11] ن – في اللغة.
[12] ر: تبينه.
[13] جميع النسخ: قرائة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.

لأن القرآن لم يُنَزَّل ليُجوِّد[١] قراءته فقط،[٢] لكنه لمعان[٣] ثلاثة. أحدها أن يُقرَأ للحفظ والبقاء إلى يوم القيامة لئلا يَذهب ولا يُنسى. والثاني أن يقرأ لتذكر[٤] ما فيه وفهم ما أُودع من الأحكام وما لله عليهم من الحقوق وما لبعضهم على بعض. والثالث يُقرأ ليعمل بما فيه ويتعظ[٥] [المرء] بمواعظه[٦] ويجعلونه إماما يتبعون أمره وينتهُون عما نَهى عنه. فتنفيذ[٧] قراءته في الصلاة يُلزمنا هذا كلَّه، ولا يدرك ذلك[٨] إلا بالتأمل وذلك عند قراءته على الترتيل. وهذا الذي ذكرناه يوجب اختيار [قول][٩] من يرى الوقوف في القرآن، لأن ذلك أدل[١٠] على المعنى وأقرب إلى الأفهام. وفيه دلالة أن المستحب فيه ترك الإدغام وترك الهمز الفاحش لأن ذلك أبلغ في التبيين. والأصل أن السامع للقرآن[١١] مأمور بالاستماع إليه وإذا لزمه الاستماع -وفي الاستماع الوقوف على حسن نظمه وعجيب حكمته والوقوفُ على معانيه- فلزم القارئ[١٢] تبيينه ليصل السامع إلى معرفة معانيه ويقفَ على حسن نظمه وعجيب تأليفه، وذلك يكون أقرب في أفهام السامع والقارئ لما فيه من لطائف المعاني. ثم الترتيل منصرف إلى القراءة وسمي القراءة[١٣] قرآنا على جهة المصدر إذ[١٤] ما هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل. ***والله الموفق.***

**﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**، و لم يقل ثقيلا على من؟ فجائز أن يكون الثِّقل راجعا إلى الكفرة والمنافقين، ويكون الثقيل الأمرَ بالجهاد لأنه اشتد على الفريقين جميعا

[١] ن: ليجرد.
[٢] ر: فقطعه.
[٣] ر: المعان لكنه؛ ن ث م: لمعاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[٤] ن: لتذكير.
[٥] ن: وحفظ؛ م + هو.
[٦] م: بمواعظ.
[٧] جميع النسخ: فنفذ.
[٨] ن – ذلك.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: أداء. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: في القرآن.
[١٢] ن + فلزم القاري.
[١٣] ن + وسمي القراءة.
[١٤] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

وأيس الكفار عن المسلمين أن يعودوا[1] إلى ملتهم، قال الله تعالى: ﴿اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾،[2] وتخلَّف المنافقون عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل ذلك عليهم.[3] فجائز أن يكون قوله: **ثقيلا**، أي على الكفرة والمنافقين وكذا على أهل الكتاب[4] ثقيل أيضا، لأنهم لم يتمنوا أن ينزل عليهم[5] الكتاب. وأما على المسلمين فليس ثقيل بل هو كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[6] وجائز أن يصرف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه أمر بتبليغ الرسالة إلى الفراعنة وإلى[7] الخلق كافة، وفي القيام[8] بالتبليغ إلى الفراعنة مخاطرة بالروح والجسد، والقيام بما فيه مخاطرة بالروح والجسد[9] [أيضا، وهذا] أمر[10] ثقيل صعب[11] جدا. أو يكون ذلك منصرفا إلى قيام الليل، فيكون معناه **قولا ثقيلا**، أي الوفاء بما[12] يوجبه ذلك القول. وجائز أن يكون هذا منصرفا إلى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره، فيكون قوله من الوجه الذي كلِّفوا القيام بفرائضه وحفظ حدوده وتحليل حلاله واجتناب حرامه.

وزعمت الباطنية أن القول[13] الثقيل هو أن كُلِّف الناطق وهو الرسول عليه السلام تفويضَ الأمر إلى الأساس وهو الباب، وكذلك الأساس، والباب هو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عندهم. وهم يسمون[14] الرسل[15] نطَّقا ويقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ التنزيل إلى الخلق، فلما بلغ التنزيل إليهم واستغنوا عنه احتاجوا إلى من يعلمهم التأويل

---

[1] ر م: أن يعود.
[2] سورة المائدة، ٣/٥.
[3] ر ث م – وثقل ذلك عليهم.
[4] ر ث م: الكبائر.
[5] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[6] سورة القمر، ١٧/٥٤.
[7] ر ث م: إلى الفراعنة والخلق.
[8] ن: وفي الأمر.
[9] ر ث م – والقيام بما فيه مخاطرة بالروح والجسد.
[10] ر م: أم.
[11] م – صعب.
[12] ن + بما.
[13] ر م: بأن القول.
[14] ر: يسمعون.
[15] ر ث م: الرسول.

فأُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يسند أمر التأويل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون هو الذي يتولى تعليمَ الخلق تأويلَه فذلك[١] هو القول[٢] الثقيل؛ إذ أُمر[٣] أن يُسند [الأمر][٤] إلى غيره فاشتد عليه إذ صار[٥] غيره وليَّ الأمر وبقي هو ساكتا لا ينطق.

فيقال لهم: إن في الأمر بإسناد الأمر إلى من ذكرتم تخفيفَ[٦] الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمكم، لأن من مذهبكم أنه إذا فُوّض الأمر إلى عليّ رضي الله عنه قبض هو عليه السلام، وصورة القبض عندكم أن يميّز الصورة الروحانية النورانية[٧] من الصورة الجسدانية التي كانت محتَبَسَة في الصورة الجسدانية، ثم تُتْلَف الصورة الجَسَدانية وتبعث الصورة الروحانية النورانية إلى دار الكرامة والحبور. والخلاص[٨] من الحبس لِمَ يشتد ذلك عليه ولم يثقل؟ بل كان فيه ما يرغّبه / إلى التفويض ويدعوه إليه. ثم من مذهب[٩] الباطنية أنهم [٨٥٧و] لا يعلِّمُون أحدا مذهبَهم إلا بعد أن يُحلّفوه بالأيمان المغلَّظة[١٠] بأن لا يخبر به[١١] أحدا إشفاقا على أنفسهم. ولو كان الأمر على ما قدّروا أن التلف يَرِد على الصورة الجسدانية التي هي سبب لحبس الصورة الروحانية، وإذا تَلِفت رُدَّت الروحانية إلى دار فيها كل أنواع السرور، فما الذي يحُوجهم إلى الاستخلاف، وما بالهم يُشفقون على أنفسهم؟ وليس في إتلاف أنفسهم[١٢] إلا الخلاصُ من الحبس والوصولُ إلى الكرامات، ومَن هذا وصفه حُقَّ عليه الموت. لِيُعْلَمْ أنهم[١٣] يعاملون الخلق على خلاف ما يوجبه اعتقادهم، ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجازوا مخالفته. ولكن الذي دعاهم إلى ما ذكرنا تسويل الشيطان وتزيينه في قلوبهم.

---

[١] ر م: كذلك؛ ن: فكذلك؛ ث: فلذلك.
[٢] ر ث م: هو قول.
[٣] ر م: إذا أمر.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[٥] ر م: إذا صار.
[٦] ن: يخفف.
[٧] ر ث م – النورانية.
[٨] ر ث م: والإخلاص.
[٩] جميع النسخ: ومن مذهب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: الغيظة.
[١١] ث – به.
[١٢] ن – أنفسهم
[١٣] أي الباطنية.

وما مثلهم إلا مثَلُ[1] اليهود الذين ادَّعوا أن الدار الآخرة لهم خالصةً من دون الناس فقيل لهم: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ.[2] لأنكم لا تصلون إلى الآخرة إلا بعد الموت،[3] فإن كنتم محقين في دعواكم[4] فتمنوا الموت[5] لتصلوا إليها. فكان في امتناعهم عن التمني ما يظهر كَذِبهم ويبطل مقالتهم ويبين[6] تَمويهَهم. فكذلك في إشفاق هؤلاء على أنفسهم من الهلاك إظهار وأنباء أنهم قصدوا به قصد التمويه على الضعفة ليصلوا إلى المَأْكَلَة ويتوسعوا به[7] في أمر دنياهم من غير حجة لهم في ذلك.

وبهذا الفصل الذي ذكرنا نُحتج[8] على الثنوية، فإن من مذهبهم تحريمَ القتل والذبح. وأحق[9] من يرى القتل والذبح مباحَين هم،[10] لأن من مذهبهم أن العالم إنما هو بامتزاج[11] النور والظلمة. فما من جزء من أجزاء النور إلا هو مشوب بجزء واحد من أجزاء الظلمة. وكانا متباينين، فغلبت الظلمة على النور فامتزجت به،[12] فصارت الظلمة حابسة[13] للنور. ومعلوم بأن في القتل تخليص أجزاء النور[14] من حبس الظلمات، لأن في القتل إزالةَ السمع والبصر والعقل، ومعلوم بأن النور والبصر في هذه الأشياء إذ بها رؤية الأنوار. فإذا امتازت هذه الأشياء من الجسد وبقي[15] الجسد الظلماني لا يبصر شيئا فقد وصل جوهر النور إلى غرضه[16] ومقصوده بالقتل وصار إلى مَقَرّه.[17]

[1] ت: الأمثل.

[2] ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٩٤/٢).

[3] ر ن ت: إلا بالموت.

[4] م: في دعواتكم.

[5] ن – الموت.

[6] ر ن م: وتبين، ت: وتبيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و.

[7] ر: وهم سعوا به؛ م: وهم سعوا.

[8] ر ت م: يحتج.

[9] ر م: وحق.

[10] ر ت م – هم.

[11] ر: بأضواع؛ ت م: بأضواح.

[12] ر – به.

[13] ر: مابسة.

[14] ر ت م: ومعسوم أن في القتل تخليص أجزاء النوراني.

[15] ر م: وأبقي.

[16] ر م: حرصه؛ ت: حرضه.

[17] ن ت: مقرة؛ ر: إلى مفره.

فإذا كان القتل يوصله إلى غرضه[١] ويخلّصه عن وَثاق الظلمة وحبسه فقد أحسن القاتل[٢] إليه بالقتل والذبح، فلا يجيء أن يحرم القتل على مذهبهم بل يجب أن يُمدَح المرء على ذلك الفعل ويُستصوب ذلك منه.

وقال القتبي: القول الثقيل كلام الله تعالى وثقله هو تبجيله وتعظيم حرمته ليس ككلام[٣] السفهاء الذين لا يُكترَث به ولا يُؤْبَهُ به.[٤] وقال الزجاج: الثقيل الوَزِين أي الذي له وزن[٥] وقدر في القلوب الذي يجب أن يعظمَ ويوقَّر ليس بالقول[٦] الذي يستصغر. وجائز أن يكون القول الثقيل هو[٧] الحق، على ما روى في بعض الأخبار أن الحق ثقيل مُرٌّ والباطل خفيف وبيء.[٨] وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: حُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الخير أن يَثقُل، وحق لميزان لا يوزن فيه إلا الباطل أن يَخِفّ فيكون ثقله العملَ بما فيه.[٩] وجائز أن يكون القول الثقيل هو تكليفَ القيام عامةَ[١٠] اللَيل.

**﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا**، قرئ "وِطاءً" و"وَطْأً"،[١١] فمن قرأ وطاء بالمد فتأويله من المواطأة وهي الموافقة، أي موافق للسمع والبصر والفؤاد؛ لأن القلب يكون أفرغ بالليالي عن الاشتغال التي يَحول المرءَ عن[١٢] الوصول إلى حقيقة درك معاني[١٣] الأشياء،

---

[١] ر م: حرصه، ث: حرضه؛ ث + ويصله.
[٢] ر ث م - القاتل.
[٣] جميع النسخ: كلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و.
[٤] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٩٣.
[٥] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٤٠.
[٦] ن: القول.
[٧] ن ث: أي.
[٨] ر: وقي؛ ن - وبي؛ ث م: وفي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و. قال حذيفة بن اليمان: «إن الحق ثقيل، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطل خفيف، وهو مع خفته وبيء، وترك الخطيئة أيسر -أو قال: خير من طلب التوبة- ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (*الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١/٢٩١). الباطل وبيء لا تحمد عاقبته. قال ابن الأعرابي: الوبيء العليل (*لسان العرب*، «وبأ»).
[٩] قارن بما ورد من كلام أبي بكر في *تاريخ دمشق* لابن عساكر، ٣٠/٤١٣.
[١٠] ن: عليه.
[١١] ث: ووطاء. انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥١.
[١٢] ر م: على.
[١٣] ر: تعالى؛ م: مقالي.

وكذلك السمع والبصر يكون أحفظ للقرآن وأشد استدراكا لمعانيه. ومن قرأ وَطْأً فهو من الوطء بالأقدام، فتأويله أنه أشد على البدن وأصعب؛ لأن المرء قد اعتاد التقلب والانتشار في الأرض بالنهار ولم يَعْتَدْ ذلك بالليل بل اعتاد الراحة فيه، فإذا كُلِّف القيام والانتصاب برِجْلَيه في الوقت الذي لم يعتد فيه بالقيام كان ذلك أشد عليه وأصعب على بدنه؛ ولأن المرء بالنهار ليس ينتصب قائما في مكان واحد فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع إلى موضع، ولو كلف الانتصاب في مكان اشتد عليه ولحقه الكَلال والعَناء من ذلك. ثم أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتصب قائما يصلي إلى نصف الليل أو أكثر، فكان في ذلك محنة شديدة[١] وكلفة شاقة. *والله أعلم*.

ثم الأصل أن المرء ينتشر[٢] بالنهار لطلب[٣] ما يعيش به[٤] وليصل[٥] إلى ما يتمتع[٦] في أمر دنياه، وينام الليل طلبا[٧] للراحة وإيثارا[٨] للتخفيف.[٩] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب الأشياء التي يتوصل بها إلى سعة[١٠] الدنيا إلا القدرَ الذي يقيم به مُهْجته.[١١] وكذلك منع عن الراحة بالليالي وأمر بإحياء الليل إلا القدر الذي لا بد منه. *والله أعلم*. وجائز أن يكون في الأمر بقيام الليل نوع[١٢] من الراحة والتخفيف، وذلك أن رسول الله صلى الله
[٨٥٧ظ] عليه وسلم أُلزم بتبليغ الرسالة إلى الناس كافة، / فحُمِّل تبليغها[١٣] إليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة بالليل وأمر بأن يتفرغ لعبادة ربه. وكان الأمر بالتفرغ للعبادة أيسر[١٤] من الأمر بتبليغ[١٥] الرسالة؛

---

١ ث: شدة.
٢ ر: تيسير؛ ث: يتيسر؛ م: تيمر.
٣ ن: أو طلب.
٤ ر ث م - به.
٥ ر م: ويصل.
٦ م: إلى ما يمنع.
٧ ر م: طالبا.
٨ ر م: وأشار.
٩ ر م: التخفيف.
١٠ ن: إلى سعيه.
١١ ر: بهجته.
١٢ ر ث م: بنوع.
١٣ ن: يبلغها.
١٤ ر م: وأيسر.
١٥ ر م: تبليغ.

لأن الأمر[١] بالتبليغ أمر بما فيه المخاطرة بالروح والجسد، وليس في الأمر بالانتصاب قائما أكثرَ الليل ذلك،[٢] وإنما فيه إيصال الوجع إلى بعض أعضائه فيكون فيه بعضُ التخفيف.

فإن قيل على التأويل الأول: كيف خُصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب النكاح حيث أبيح له فضل العدد و لم يُبَحْ لأمته، وفي ذلك زيادة تمتع بشهوات الدنيا؟

وجوابه أن يقال بأن المعنى الذي به حُظر[٣] على غيره الزيادةُ على الأربع وقصر الأمر على[٤] الأربع هو خوف الجور،[٥] ألا ترى إلى قوله تعالى: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.[٦] وإذا كان التحريم للوجه الذي ذكرنا ارتفع الحظر[٧] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله عز وجل عصمه عن الجور[٨] ومكّنه من العدل بين النساء. ثم ليس في إباحة زيادة العدد سوى فضل محنة وكلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه إذا[٩] أمر أن يقوم فيما بينهن بالعدل وأن يبتغي مرضاتَهن بحسن العشرة معهن -وإنما يصل المرء إلى الإرضاء بالأموال و لم يتمتع هو من الدنيا مقدار ما يصل إلى إرضائهن بالأموال- لم يتهيأ له أن يرضيهن[١٠] إلا بسعة الأخلاق وأن يلين[١١] لهن لِتَقَرَّ أعينهن ولا يحزنَّ،[١٢] فثبت أنه ليس في إباحة العدد فضل تمتع بل فيه زيادة محنة وابتلاء.

وفيه أيضا ما يحقق رسالته ويثبت نبوته، لأن المرء إنما يصل إلى توفير الحقوق الواجبة عليه بالنكاح إذا تناول من فضول[١٣] الدنيا وطَعِم من لذاتها[١٤] وأعطى النفس شهواتها.

---

[١] ر ث م: لأن في الأمر.
[٢] ث م + قائما.
[٣] ر م: خطر.
[٤] ث + وقصر الأمر عى.
[٥] ر: الجوهر.
[٦] سورة النساء، ٣/٤.
[٧] ر ن م: الخطر.
[٨] ر: عن الجوهر؛ ن: من الجور.
[٩] ث - إذا.
[١٠] جميع النسخ: أن يصيبهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.
[١١] ر: وأن بين؛ م: وأن بيتن.
[١٢] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿تُرجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تَقَرَّ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلُّهن﴾ (سورة الأحزاب، ٥١/٣٣).
[١٣] ر م + الطعام.
[١٤] ر ث م: وطعم لذاتها

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا من إعطائه[1] النفس شهوتها،[2] ومع ذلك قام بإيفاء حقوق الأزواج، فثبت أنه باللطف من الله تعالى وصل إلى إيفاء حقهن ليس بأسباب البشرية.

وفي هذه الآية دلالة أن الصلاة تشتمل على الذكر والفعل جميعا لأنه قال: **أشد وطأ**، أي[3] أشد على البدن، وشدته يكون بالفعل، وقال: **وأقوم قِيلًا**، وذلك يرجع إلى الذكر.

ثم يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف بتبليغ[4] الرسالة بالليالي؛ لأن أعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم أن يقتلوه ويمكروا به،[5] ولم يكن يتهيأ لهم إيصال الأذى به لمكان أتباعه، والليالي هي أوقات غفلة الأتباع. فلو[6] كُلّف التبليغَ فيها لتمكنوا[7] من إيصال المكر به، فوضع عنه التبليغ وامتُحن بالقيام لعبادة ربه.

وقوله عز وجل: **إن ناشئة الليل**، أي ساعة الليل، وقيل: هو من نشأ ينشأ أي نما، فسميت[8] ناشئة لأن الأوقات تحدث[9] وتترادف. وجائز أن يكون المراد من ناشئة الليل أي ما يوجد من الأحوال في الليل من القيام للصلاة والاشتغال بعبادة الرب جل جلاله.

وقوله عز وجل: **وأقوم قيلا**، أي أصوبُ كلاما. والأقوم هو المبالغة في الوصف مما أريد بالقيام، فإن أريد به الكلام فحقه أن تَصرفه[10] إلى الصدق إذ الأقوم من الأخبار أصدقها؛ وإن أريد به القيام بوفاء[11] ما يقتضيه ذلك الكلام فمعنى قوله: **أقوم**، أي أبلغ في وفاء ما يوجبه القول؛ وإن أريد به القراءة[12] نفسها فهو بالليالي أقوم قراءة.

---

[1] ن: من إعطاء.

[2] يقول الله تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرةَ الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).

[3] م – أشد وطأ أي.

[4] ر م: تبليغ.

[5] ر م – به.

[6] ر م – فلو.

[7] ر م: ليمكنوا.

[8] ن: أي بما قسمت.

[9] ر ن م: يحدث.

[10] م: جميع النسخ: أن يصرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.

[11] ر م: بقاء

[12] ن: القرآن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، قال أبو بكر [الأصم] والزجاج: السبح السعة،[١] كأنه قال: إن لك في النهار سعة طويلة[٢] في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ[٣] بالليالي لعبادة ربك. وقيل: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، أي فراغا وبقية[٤] ومُتقلَّبا، فالسبح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشي والتقلب. وهذا الذي قالوه محتمل ولكن لا يجيء أن يصرف تأويل الآية إلى الفراغ والتقلب[٥] إلى حوائج نفسه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتناول من الدنيا إلا[٦] قدر ما يقيم به مُهجته،[٧] فلا يحتاج إلى فضل تقلب ولا إلى كثير فراغ ليتوسع في أمر دنياه، ولكن حقه أن يصرف تقلبه[٨] إلى تبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى توحيد الله تعالى وإلى ما يَحق عليهم. فيكون في قوله: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، ترخيصٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ينتصب[٩] بالليالي للقيام بين يديه واجتزاءٌ منه[١٠] بتبليغ الرسالة بالنهار.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **واذكر اسم ربك**، أي أذكر[١١] ربك. دليله قوله على إثره: **وتبتل إليه تبتيلا**، والتبتيل[١٢] يقع إليه لا إلى اسمه. ثم ذكْر الرب جل جلاله هو أن ينظر [المرء][١٣] إلى[١٤] أحوال نفسه

---

[١] قوله: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ معناه فراغا طويلا ومتصرفا طويلا (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٤٠).

[٢] جميع النسخ: طويلا.

[٣] جميع النسخ: فيفرغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.

[٤] ر – قال أبو بكر والزجاج السبح السعة كأنه قال إن لك في النهار سعة طويلة في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ بالليالي لعبادة ربك وقيل إن لك في النهار سبحا طويلة أي فراغا وبقية.

[٥] ر م: وتقلب.

[٦] ر م + ما.

[٧] ر ث: مهمه، ن م: مهمة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر: بقليد؛ ن ث م: بقلبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.

[٩] جميع النسخ: في أن ينصب. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[١٠] ر ن ث: واجتراء منه؛ م: وأخبر أمته. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: أي ذكر.

[١٢] ر م: والتتس.

[١٣] الزيادة من المرجع السابق.

[١٤] م – إلى.

ما الذي يلزمه من العبادة[1] في تلك الحال، فيكون ذكر ربه بإقامة تلك العبادة لا بأن يذكر الله تعالى بلسانه فقط، وهو كقوله: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[2] واستغفارهم أن يأتمروا بما أُمروا وينتهُوا عما نُهوا لا أن يقولوا بألسنتهم: نستغفر الله، لأنهم وإن قالوا: نستغفر[3] الله لم يقبل ذلك منهم إذا كانوا كفرة، فثبت أن استغفارهم[4] أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه[5] نوح، فلذلك[6] ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم حالةَ القيام به وذلك / يكون بالأفعال[7] مرة وبالأقوال ثانيا. [٨٥٨و]

ومنهم من صرف الأمر إلى الاسم على ما يؤديه[8] ظاهر اللفظ، فأُمر بذكر[9] اسم الرب لما[10] يحصل له من الفوائد بذكرها، لأن من أسمائه أسماءً ترغِّبه[11] في اكتساب الخيرات والإقبال على عبادة الرب تعالى،[12] ومنها ما يدعوا الذكرَ إلى الخوف والرهبة، ومنها ما يوقف[13] على عجائب حكمته ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته في قلبه، ومنها ما يُحدث له زيادة علم وبصيرة.[14] وهي الأسماء المشتقة من الأفعال، وإذا تأمل فيها عرف الوجه الذي منه اشتق تلك الأسماء، فذكر أسمائه يحدث له ما ذكرنا من الفوائد والعلوم.

وقوله عز وجل: **وتبتل إليه تبتيلا**، فالتبتيل هو الانقطاع إلى الله تعالى، [وحق الكلام أن يقول: وتبتل إليه تبتيلا لكنه أُمر بالانقطاع إلى الله تعالى][15] وأن يقطع[16] نفسه من شهواتها

---

[1] ن: من العادة.
[2] سورة نوح، ١٠/٧١.
[3] ر ث م: يستغفر.
[4] ث + إلى.
[5] ن - إليه.
[6] ث: فكذلك.
[7] ر م: الأفعال.
[8] ر م: يؤذيه.
[9] ر: يذكر.
[10] ر ث م: لها.
[11] جميع النسخ: يرغبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[12] ر ث م - الرب تعالى.
[13] ر م: ما يقف، ن: ما يوفقه.
[14] ر م: بصيرة.
[15] الزيادة من المرجع السابق.
[16] ن: تقطع.

ويصرفها[١] عن لذاتها، فكأنه قال: **وتبتل إليه**، وبَتِّلْ[٢] نفسك **تبتيلا**. من الشهوات واللذات، ولذلك سميت مريم رضي الله عنها[٣] البتول[٤] لأنها قطعت نفسها عن منافع الدنيا وأقبلت إلى الآخرة وانقطعت إليه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **رب المشرق والمغرب**، قال أبو بكر الأصم: تأويله مَلِك المشرق والمغرب، فحقه أن يقال: مالك المشرق والمغرب لأنه هو المالك على التحقيق.[٥] وقال بعضهم:[٦] الرب هو المصلح. ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وإن كان هو مالكهما[٧] ومالك الخلائق أجمع، لأن ذكر المشرق يقتضي ذكر السماوات والأرضين، وفي ذكر السماوات والأرضين ذكر أعلى[٨] العليين وأسفلِ السافلين، لأنه إذا نظر إلى المشرق ورأى ما يَطلُع في المشرق من عين الشمس، ثم تجرى في أقطار السماء وتقطع كل يوم مسيرةَ ألفِ عامٍ، ثم تَغرُب في عين حَمِئَةٍ،[٩] فتصير إلى أسفل السافلين وتجرى كذلك حتى[١٠] تصل إلى مطلعها،[١١] ثم تطلع هنالك. فدل ذلك على أن مدبر السماوات والأرضين ومُنشئهما واحد، وأن سلطانه في الأرض كسلطانه في السماء، ويُعلَم أن من بلغت قدرته هذا المبلغ في أن يسيِّر[١٢] عين الشمس في يوم واحد[١٣] مسيرة ألف عام مّا يشتد على الخلق قطع هذه المسافة في مُدد كثيرة لا يجوز أن يُعجزه شيء. ودل على أن ملكه دائم لا ينقطع، لأن عين الشمس تجري في كل يوم على ما سُخرت

[١] جميع النسخ: وتصرفها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[٢] ر ث م: وتبتل.
[٣] ن: عيه السلام.
[٤] ث: بتولا.
[٥] ر م: على الحقيق.
[٦] ر ث م + هو.
[٧] ر: مالكها.
[٨] ر م: على.
[٩] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما﴾ (سورة الكهف، ٨٦/١٨).
[١٠] ر: بمعنى.
[١١] ر: إلى مطلهما.
[١٢] ر م: في أن سير؛ ث: في أن تسير.
[١٣] ر م: واحدة؛ ث: واحده.

لا تتبدل ولا تتغير[1] باختلاف الأزمنة والأوقات، وجُعل منافع أهل الأرض متصلة بمنافع السماء. ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء عن أهل الأرض. فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالةُ وحدانيته[2] وإظهار قوته وسلطانه والوقوفُ على عجائب حكمته ولطائف تدبيره. ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب دون السماء والأرض هو -والله أعلم- لأن هذا أوصل إلى معرفة التوحيد وأسرع إلى الإدراك من ذكر السماوات والأرض وإن كان في التدبير في أمر السماء والأرض تحقيق ذلك. وفي قوله عز وجل: **رب المشرق والمغرب**، أي الذي أمرتَ بذكره هو **رب المشرق والمغرب**، وفيه تعريف الوجه الذي يصل إلى معرفة ربوبيته.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، أي لا معبود يستحق العبادة إلا هو، لأن الذي يحمل[3] الإنسان على عبادة المعبود الخوف والرجاء، وإذا عرّفهم بذكر المشرق والمغرب أن تدبير الخلائق كلها راجعة إليه وأنه هو القاهر عليهم والقادر،[4] وبيده الخزائن والمنافع أجمعُ علموا أنه هو الإله الحق والرب القاهر، وأن من سواه مربوب مقهور لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة والإلهية؟

وقوله عز وجل: **فاتخذه وكيلا**، فجائز أن يكون أراد أن كِلْ أمورَك كلها إلى الله تعالى حتى يكون هو الذي يدبر ويحكم ولا تَرَ لنفسك فيها تدبيرا.[5] والوكيل في الشاهد هو الذي يدخل في أمرِ آخَرَ على جهة التبرع لينصره فيه ويعينه، فيكون قوله: **فاتخذه وكيلا**، أي اطلب من عنده النصر والمعونة. والمرء في الشاهد إنما يفزع[6] إلى الوكيل ليزيح[7] عنه عِلله ويقضي عنه حوائجه ويقوم عنه في النوائب، فكأنه يقول: افزع[8] إلى الله تعالى في نوائبك فيكون هو الذي يزيح[9] عنك العلل ويقضي عنك الحوائج ويكون معتمدك في النوائب. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: لا يتبدل ولا يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[2] ر: وحدانية.
[3] ر م: يحتمل.
[4] ر م + عليهم.
[5] ث: تدبير.
[6] م: يفرغ.
[7] ر م: إنما ليريح.
[8] ر: افرغ.
[9] ر م: يريح.

**﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **واصبر على ما يقولون**، قال أهل التفسير: تأويله: اصبر على تكذيبهم إياك، ألا ترى إلى قوله في سياق الآية: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ،[١] فثبت أنه دعا إلى الصبر على التكذيب. وجائز أن يكون منصرفا إلى هذا وإلى غيره؛ لأنهم كانوا لا يقتصرون على تكذيبه[٢] بل كانوا ينسبونه إلى الكذب مرة[٣] وإلى السحر ثانيا وإلى الجنون ثالثا وإلى أنه يتيم رابعا، فكانوا يؤذونه[٤] بأنواع الأذى، فجائز أن يكون قوله: **واصبر على ما يقولون**، منصرفا إلى كل ذلك.

ثم الأمر بالصبر[٥] يقع بخصال ثلاث. أحدها أنْ لا تُجازِهم[٦] على تكذيبهم إياك تكذيبَك إياهم، ولا تجزع عليه، وفي الجزع بعض التسلي والتشفي، أو لا تدعُ[٧] عليهم بالهلاك والتَّبار بل اصبر لذلك.

ولقائل أن يقول: كيف كان يشتد عليه[٨] تكذيبهم إياه حتى كاد يتحزّن لذلك[٩] والذين[١٠] نسبوه إلى الكذب كانوا من أعدائه، وليس[١١] / يُستثقل[١٢] التكذيب[١٣] من العدو ولا يستكثر منه، [٨٥٨ظ] لأنه بما يعاديه يعتقد أن يسيء إليه بجميع ما يمكّنه وسعه، وإنما يستثقَل[١٤] الكذب من أهل الصفوة والمودة. فكيف استثقله وكيف بلغ به[١٥] التكذيب مبلغا يحزن به حتى يُدعَى إلى الصبر بقوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ،[١٦] الآية، وبقوله: **واصبر على ما يقولون؟**

[١] الآية التالية.
[٢] ر م: عنى تكذيب.
[٣] ر م – مرة.
[٤] ث: يؤذنه.
[٥] ر: بالتصبر.
[٦] ر: لاتحاذهم.
[٧] ر: والتسفي أو لا يدع؛ ن: والتسفي ولا يدع؛ م: أو لا يدع.
[٨] ر ث م: عيهم.
[٩] ث: لأولئك.
[١٠] ر م: والذي.
[١١] ر: وآيس.
[١٢] ر م: يشتغل.
[١٣] ر م: الكذب.
[١٤] ر: وإنما يشتغل.
[١٥] ن: يده؛ ث: بذا.
[١٦] سورة الأنعام، ٦/٣٣.

والجواب عن هذا أن الكذب والجهل مما يستثقلهما العقل والطبع جميعا؛[1] وكذلك التكذيب والتجهيل أمر ثقيل على الطبع والعقل جميعا حتى إن الكذوب[2] إذا نسبت إلى الكذب اشتد عليه ذلك ولم يتحامل،[3] وكذلك الجهول إذا عُرف بالجهل[4] ثقل ذلك عليه. فإذا كان التكذيب مستقبحا[5] في عقول الخلق وطبائعهم وإن كانت طبائعهم مشوبة بالآفات وفي عقولهم نقص،[6] فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صفاء عقله وسلامة طبعه عن الآفات أحق أن يَثقل عليه فيحزنَ[7] لذلك. ثم ما من إنسان ينسب إلى الكذب فيما يحدّث عن نفسه أو عمن سواه من الخلائق ممن[8] علت رتبتهم أو انحطّت إلا وهو يجد لذلك ثِقلا. فكيف إذا أخبر عن الله تعالى وكُذّب فيه أليس هذا أحق أن يثقُل على القلب ويتحزن له؟ ويجوز أن يكون [الذي][9] حمله على الحزن شدة إشفاقه على المكذبين، لأن تكذيبهم يُفضي بهم إلى العَطَب والهلاك فأشفق عليهم باشتغالهم بما به هلاكهم وحَزِن لذلك. أو يكون حزنه غضبا لله تعالى، إذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى ويشتدّون على أعدائه.

والجواب عن قوله:[10] "إن المكذبين كانوا من أعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك أمر غير مستبدَع من الأعداء".

فنقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعاملهم معاملة الولي مع وليه الصفي ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الأعداء؛ لأنه كان يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وشرفهم في أمر دنياهم وآخرتهم، ومن عامل مع آخر معاملة أقرب الأصفياء منه[11] كان الحق عليهم أن يجازوه[12] بالإحسان، فإذا تركوا ذلك وقابلوه بالتكذيب اشتد عليه وحزِن لذلك.

---

[1] م – جميعا.
[2] ر م: أن الكذب.
[3] ر م: ولم يتجاهل.
[4] ر م: الجهل.
[5] ر م: مستحقا.
[6] ث: بعض.
[7] ن: فيتحزن.
[8] ر ن م: لمن.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٧ظ.
[10] م – قوله.
[11] جميع لسنخ: معه. والترجيح من المرجع السابق.
[12] ن: أن يجازوهم.

ثم في قوله: **واصبر على ما يقولون**، وفي قوله: وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[١] إبطال قول من قال: إن الله تعالى لا يفعل بعبده[٢] إلا ما هو أصلح[٣] له، لأنا نعلم أنه إذا أذن لنبي[٤] من الأنبياء بالدعاء على استعجال الهلاك واستجيب فيما دعا كان فيه ما يحمل القوم على الإيمان ويزدَعهم[٥] عن التكذيب،[٦] لأنهم يخافون حلول النقمة عليهم، فيتركون التكذيب ويُقبلون على الإجابة، فيكون فيه نجاتهم عن الهلاك وشرفُهم في أمر دنياهم وآخرتهم، فإذا لم يؤذنوا[٧] دل أنه ليس من شرط الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو أصلح لهم.

فإن قيل: كيف لم يؤذن لهم[٨] بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الإسلام ويمنعهم عن التكذيب؟

قيل له: لأن فيما ذكرتَه رفعَ المحنة والابتلاء، لأن الحجة إذ ذاك تقع[٩] من جهة الضرورة، لأنهم إذا علموا[١٠] أنهم يُستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه وأجابوا إلى الإسلام كرها، فيصير الحجج اضطرارية لا تمييزية واختيارية، وحجج الرسل عليهم السلام اختيارية لا ضرورية؛ لما ذكرنا أنها لو جعلت اضطرارية لارتفعت المحنة، فجُعلت حججهم من وجه يقع بها الشُّبه ليوصَل إلى معرفتها بالفكر لئلا ترتفع[١١] المحنة.

فإن قال قائل:[١٢] إن أبا حنيفة رحمه الله ذكر في كتاب *العالم والمتعلم* أن إيمان الملائكة وإيمان الرسل وإيماننا واحد،[١٣] ثم قال: فإذا استوينا نحن والرسل في الإيمان فكيف صار الثواب لهم أكمل وخوفهم[١٤] من الله أشد؟ فأجاب عن هذه السؤال بأجوبة، وقال في جملة ما أجاب:

---

[١] ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥).
[٢] ر م: بعبد.
[٣] ن: ما يصلح.
[٤] ر: النبي.
[٥] ن: ويودعهم؛ م: ويرد عنهم.
[٦] ن + لأنهم عن التكذيب.
[٧] ر م: لم يؤذن.
[٨] ر ن م – لهم.
[٩] ر ن م: يقع.
[١٠] ر م: علمهم.
[١١] جميع النسخ: لئلا يرتفع.
[١٢] ر – قائل.
[١٣] *العالم والمتعلم* لأبي حنيفة، ١٤.
[١٤] م: وحربهم.

إنهم لو ارتكبوا الزلات لحلّ بهم العقاب عقيب[1] الزلل، فصار خوفهم بالله تعالى ألزم من هذه الجهة.

ولسائل أن يسأل على هذا فيقول:[2] فإذن[3] إيمانهم بالله تعالى وتركهم المعاصي ضروري لا اختياري؟ فيجاب عنه بأن يقال بأن الأنبياء عليهم السلام لم يتبين لهم العصمة بل كانوا على خوف من وقوعهم في المهالك، ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[4] ولو كانت العصمة له[5] ظاهرة لكان يستغني عن السؤال. وقال في قصة شعيب عليه السلام: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا،[6] فثبت أنه لم يتبين[7] لهم العصمة. ونحن إنما شهدنا لهم بالعصمة بالوجود لا أن الحكمة توجب[8] العصمة، والرسل عليهم السلام أمروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر في أمر من تقدمهم من[9] الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر والتفكر. فثبت أنهم كانوا على الخوف والرجاء في فَكاك أنفسهم وفي وقوعها في المهالك، وأن إيمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا بل وصلوا إلى معرفته بالتميز، لذلك عظمت درجاتهم.

والثاني أن الأنبياء عليهم السلام قد كان تقرر[10] في قلوبهم هيبة الله تعالى وعظمتُه، فكانت المعرفة هي[11] التي دعتهم إلى الإيمان به، لا خوفُ حلول العقوبة بهم[12] لو ارتكبوا الزلات. وأما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله تعالى ولا قدرته ولا سلطانه حتى يحملهم ذلك على الإيمان به، [٨٥٩و] فلو حلت العقوبة / بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذي يحملهم على الإيمان لا غير،

[1] ر م – عقيب.
[2] ن ث: فنقول.
[3] جميع النسخ: فإذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨و.
[4] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[5] ر ث م – له.
[6] ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عُدْنَا في ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧).
[7] جميع النسخ: لم يبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – من.
[10] ن: تعزز.
[11] ث – هي.
[12] ن: لهم.

فيصير إيمانهم ضروريا، فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لئلا يرتفع المحنة وخولف بينهم وبين غيرهم. وهذا كما نقول[١] بأن أنباء من تقدم[٢] من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في إثبات نبوته وإن كانت تلك الأنباء قد عرفها أهل الكتاب وأُخبروا بها، لأن أهل الكتاب عرفوا تلك الأنباء بالتعلم والتلقين، ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده علم تلك الأنباء، فعُلم أنه بالله تعالى عَلم لا بتعليم أحد، فصارت الأنباء حججا لذلك[٣] ولم تصر[٤] لغيره[٥] حجة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **واهجرهم هجرا جميلا**، فجائز أن يكون تأويله اهجرهم وقت سبهم ونسبتهم إياك إلى ما لا يليق بك ولا تَعْبَأْ[٦] بهم ولا تَكترث[٧] إليهم وإلى ما يتقولون عليك، لأن ذلك بعض ما يَزجُر المتقوِّل والسابَّ عما هو فيه، وهو كقوله عز وجل: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا.[٨] ويحتمل أن يكون تأويله أن انقطع عنهم انقطاعا جميلا. والانقطاع الجميل ألا يترك شَفَقته عليهم ولا يدعوَ عليهم بالهلاك ولا يمتنع عن دعائهم إلى ما فيه رشدهم وصلاحهم، ولذلك قال في وقت أذاهم إياه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».[٩] ويحتمل أن يكون هَجْره إياهم[١٠] هجرا جميلا هو ألا يكافئهم بالسيئة السيئةَ،[١١] بل يدفع السيئة بالحسنة، كقوله تعالى: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ،[١٢] إذ ذلك أدعى للخلق إلى إجابة من يفعل ذلك بهم[١٣] عند المعاملة. ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ: كما يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨و.
[٢] ر ث م: ما تقدم.
[٣] ث - لذلك.
[٤] ر ث م: ولم يصر.
[٥] ر ث م - لغيره.
[٦] ث: ولا يعبأ.
[٧] ث: ولا يكترث.
[٨] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٣).
[٩] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١١٧ عن عبد الله بن عبيد قال: لما كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشج في جبهته فجعلت الدماء تسيل على وجهه قيل: يا رسول الله، ادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لم يبعثني طعانا ولا لعانا، ولكن بعثني داعية ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» (شعب الإيمان للبيهقي، ٣/٤٥).
[١٠] ر م ن: إياه.
[١١] ر ث م - السيئة.
[١٢] ﴿...نحن أعلم بما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٦).
[١٣] ث - بهم.

ثم من الناس من يقول بأن هذه الآية نسختها آية السيف.[1] ومنهم من قال بأنها لم تنسخ،[2] وصرفوا تأويل الآية إلى جهة لا يَعمل عليها النسخ. وذلك أن في قوله: **واهجرهم هجرا جميلا**، منعَ المكافأة لأجل ما آذوه ولم يُفرَض عليه القتال ليكافئهم بأذاهم[3] وينتقم منه بذلك، بل رجع قتاله إلى نصرة الدين ولتكون[4] كلمة الله تعالى هي العليا، لذلك لم يكن في آية السيف ما يوجب نسخ هذا، ولا نسخ العمل بقوله: فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ.[5] والثاني[6] أنه ليس في قتالهم انتقامٌ منهم بل فيه ما يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله، وإذا آمنوا بذلك نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب، فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة. ووجه جعله رحمة هو أنهم إذا رأوا غلبة[7] المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعفِ الذي حل بأبدانهم لاشتغالهم بعبادة ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة أبدانهم أيقنوا أنهم[8] لم ينالوا الغلبة بالحيل[9] والأسباب، بل الله تعالى هو الذي قوّاهم عليهم وقام بنصرهم، فيتقرر عندهم كون أهل الإسلام على الحق. وإذا أيقنوا بالحق التزموه[10] فيُحرزون[11] به جزيل الثواب وكريم المآب، فصار القتال رحمة لهم لا أن يكون[12] عقوبة عليهم لسوء صنيعهم. وإذا كان كذلك بقي العمل بقوله عز وجل: **واهجرهم هجرا جميلا**، ثابتا باقيا. وبهذا يجاب من سأل فقال: إن الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[13] وفي القتال ترك الرحمة فكيف فُرض عليه؟ فيقال: أن ليس في القتال تركُ الرحمة بل هو من أبلغ الرحمة وتمامها إذ يحملهم على الإيمان وترك التكذيب فتعلوا[14] منزلتهم ويَشرُف قدرهم في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.

---

[1] أي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾ (سورة التوبة، ٩/٥).
[2] ث: لم ينسخ.
[3] ر م: عيبهم القتال ليكافئهم بما ذاهم.
[4] جميع النسخ: وليكون.
[5] سورة البقرة، ٢/١٠٩.
[6] جميع النسخ: الثاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨ظ.
[7] ر ن: علية.
[8] ن – أيقنوا أنهم.
[9] ر م: بالخيل.
[10] ر م: التزموا.
[11] جميع النسخ: فيحرروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ث + عليهم.
[13] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[14] جميع اسسخ: فيعلوا.

وجواب آخر أن يقال بأن الحجة في القتال ليس في القتل، لأنهم إذا خافوا القتال تركوا التكذيب وأقبلوا على الداعي، ألا ترى أنه ذُكر أن القوم قبل أن يُفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد في هذا الدين، فلما شُرع القتال جعلوا يدخلون فيه فوجا فوجا وقبيلة قبيلة. ثم إباحة القتل يكون بالضرورة لأنهم إذا علموا أنهم[١] لا يُقتَلون[٢] لم يقع لهم الخوف بالقتال وإذا لم يخافوا تركوا الإجابة، فشُرع القتل فيه لتحقيق الخوف فلم يكن فيه[٣] ترك الرحمة. وهو كقوله: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،[٤] وفي إقامة القصاص تلف النفس وليس[٥] فيه إحياء،[٦] ولكن وجه[٧] الإحياء فيه هو أن القاتل إذا فكّر قتلَ نفسه بقتل[٨] صاحبه ردعه[٩] ذلك عن القتل، فيكون فيه إحياءُ النفس جميعا، فيصير إيجاب القصاص سببا للإحياء في الحقيقة وإن كان في الظاهر سببا للإتلاف. فكذلك هؤلاء إذا أيقنوا بالقتل بامتناعهم عن الإجابة تركوا الامتناع وأقبلوا على الإجابة فيكون موضع[١٠] القتل للرحمة في التحقيق،[١١] وإن كان في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة. *والله أعلم*.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وذرني والمكذبين أولي النعمة**، وفيه أن أهل الخِصْب[١٢] والدَّعة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله، كما قال: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[١٣] وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا،[١٤]

١ ر م - أنهم.
٢ جميع النسخ: لا يقبلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨ظ.
٣ ر ن م + فيه.
٤ سورة البقرة، ٢/١٧٩.
٥ ر م: ليس.
٦ ن: واجبا.
٧ ر م: وجد.
٨ ن: يقتل.
٩ ر م: روعه.
١٠ ن: موضوع.
١١ ر م: وفي التحقيق.
١٢ ر م: الحصة
١٣ سورة الأنعام، ٦/١٢٣.
١٤ ﴿...إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤).

فخصّ أولي النعمة بالذكر لهذا. ثم في قوله: **وذرني والمكذبين**، إيهام بأن رسول الله صلى الله
[٨٥٩ط] عليه وسلم سبق منه المنع، و لم يوجد من رسول الله حيلولة ومنعٌ،[١] ولكنْ مثلُ هذا / الخطاب موجود في كتاب الله تعالى في غير آي من كتابه؛ وهو أن يخرج مخرجا يوهِم أن هناك مقدمةً وإن لم يكن فيها مقدمة في التحقيق. قال الله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا،[٢] ولم يكن فيه تحقيقُ الوضع وإن كان الرفع يستعمل في الشيء الموضوع، وكان تأويل الرفع هاهنا بأنها خلقت مرفوعة؛ وقال: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ،[٣] و لم يكن مرفوعة فوضعها، وكان معناه أنها خلقت موضوعة. وقال يوسف عليه السلام، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[٤] ولم يسبق منه دخول في دين أولئك فيكون تاركا له بعد ما دخل فيه؛ وقال: اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[٥] ولم يقتض قوله عز وجل: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كونهم في الظلمة، ولا اقتضى قوله: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، كونهم في النور فيخرجهم منه، وإن كان في الظاهر يؤدى ذلك. فعلى ذلك قوله: **وذرني والمكذبين**، وإن كان في الظاهر يقتضي حيلولة[٦] ومنعا فليس في الحقيقة إثبات منع. ونذكر[٧] غير هذا في سورة المدثر.

ثم قوله: **وذرني والمكذبين**، معناه[٨] لا تجازهم بصنيعهم ولا تستعجل[٩] عليهم بالدعاء بل أمهلهم قليلا، فسيكفيكهم الله. وقيل في الفرق بين النَّعمة والنِّعمة: إن النَّعمة ما يعطَى للعبد إرادة استدراجه فيها وهلاكه، كقوله عز وجل: وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ.[١٠] والنِعمة هو منة الله تعالى على عباده تفضلا عليهم، كقوله: وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.[١١] ***والله أعلم.***

---

[١] ر م: منع.

[٢] سورة الرحمن، ٥٥/٧.

[٣] سورة الرحمن، ٥٥/١٠.

[٤] سورة يوسف، ١٢/٣٧.

[٥] سورة البقرة، ٢/٢٥٧.

[٦] ن: حلوبه.

[٧] جميع النسخ: ويذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٩و.

[٨] ر م: ومعناه.

[٩] ر ث م: لا يستعجل؛ ن: ولا يستعجل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ﴿واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونَعْمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٢٤-٢٨).

[١١] ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن لدينا أنكالا وجَحِيمًا،**[1] قال ابن عباس رضي الله عنه: الأنكال هو السلاسل والقيود.[2] وقال أبو بكر الأصم: الأنكال ما يُنكَّل[3] به ويعتبر به غيره. قال الله تعالى: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً [لِلْمُتَّقِينَ]،[4] تأويله ما بين يديها من القرى[5] وما خلفها من القرى أيضا. فإن كان على ما ذكره أبو بكر الأصم فقد يكون في الدنيا ويكون منصرفا إلى يوم بدر -والله أعلم- وكان الأول أشبه. والجحيم هو معظم النار.

ثم في هذه الآية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية رسالته، لأن قوله: **إن لدينا أنكالا وجحيما**، راجع إلى قوله: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ،[6] فإن لهم لدينا أنكالا وجحيما وإنما يُنكَّلون ويعذبون بالجحيم إذا ماتوا على الكفر،[7] ففيه إبانة أنهم يموتون وهم كفار، وعلى ذلك ماتوا وخُتِم أمرهم ولم يُسلم منهم أحد، فيخرج ما أخبر عن غيب كما أخبر، وذلك لا يعلم إلا بالله تعالى، فثبت أنه لم يخترعه من تلقاء نفسه بل عَلِم بالله تعالى، وعلم الغيب من أعظم آيات رسالته.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وطعاما ذا غصة وعذابا أليما**، فالذي يَغَصّ [المرء به] ولا يقدر على ابتلاعه ليس بطعام في الحقيقة؛ وقال: لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ،[8] فالحميم[9] ليس بشراب في التحقيق. ولكن سُمي الأول طعاما لأنه يُمضَغ مضغَ الطعام، والصديد والحميم يسيلان سيل الشراب، فذكر في الأول طعاما وفي الثاني شرابا لهذا، ولأن الطعام اسم لما يطعم فهو مطعوم وإن كان كريها، والحميم مشروب وإن كان في نفسه كريها.

---

[1] ن ث + وطعاما ذا غصة وعذابا أليما.

[2] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ عندنا لهم في الآخرة ﴿أَنكَالاً﴾ قيودًا تُقيِّد بها أرجلهم وأغلالا تغل بها أيمانهم إلى أعناقهم وسلاسل تُوضَعُ في أعناقهم (*تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٢١).

[3] ر: ما يتكل.

[4] سورة البقرة، ٦٦/٢.

[5] ر م: من قرى.

[6] الآية السابقة.

[7] ر: الكفرة.

[8] سورة الأنعام، ٧٠/٦؛ وسورة يونس، ٤/١٠.

[9] ن: والحميم.

ثم الأصل أن الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله تعالى وذِكْرَه[1] وقابلوها بالكفران[2] فأبدل الله تعالى لهم في الآخرة مكان كل نعمة نقمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[3] فأبدلهم مكان البصر عَمًى ومكان السمع صَمَما لتركهم شكر ما أُنعموا من البصر والسمع واللسان، وأبدلهم مكان اللباس قَطِرانا ومكان المراكب السَّحْب إلى النار على أقدامهم ووجوههم،[4] فكذلك أبدلهم مكان الطعام والشراب زَقّوما وحميما لتركهم شكر نعم الله تعالى.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا**، قد ذكرنا الرجفة في غير موضع.[5] وقوله: **كثيبا مهيلا**، أي رَمْلاً سائلا. ففيه إخبار عن شدة هول[6] ذلك اليوم، لأن الجبال من أصلب الأشياء وأشدها في أنفسها، ثم يبلغ هول ذلك اليوم مبلغا لا يحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها. فالإنسان[7] الضعيف المهين أنى يقوم لشدته وهوله؟ فذكّرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهُوا عما هم عليه في التكذيب والضلال.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا**، قوله: **شاهدا عليكم**، قال أبو بكر الأصم: تأويله مبيِّنا لكم[8] ما لله تعالى عليكم من الحق. وجائز أن يكون **شاهدا عليكم**، أي لكم وعليكم جميعا، فيكون على الكفرة شاهدا، بقوله: وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ،[9] ويكون للمؤمنين شاهدا. وقد يذكر "عليكم" ويراد به "لكم"،

---

[1] ر: ذكره.
[2] ر م: بالكفر.
[3] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[4] يقول الله تعالى:﴿سرابيلهم من قَطِران وتَغشى وجوهَهم النار﴾ (سورة إبراهيم، ٥٠/١٤)؛ ويقول أيضا: ﴿يوم يُسْحَبُون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقَر﴾ (سورة القمر، ٤٨/٥٤).
[5] انظر تفسير الآية ٧٨ و ٩١ من سورة الأعراف.
[6] ر: قول.
[7] ر م: فإن الإنسان.
[8] ر ث م: عليكم.
[9] ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء﴾ (سورة النحل، ٨٩/١٦).

كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[١] أي للنصب،[٢] لأنهم كانوا يذبحون لها لا عليها. وخُصّ ذكر موسى عليه السلام وفرعون من بين الجملة، ففائدة ذكر التخصيص هو -والله أعلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نُشُؤه بين ظَهراني الذين كذبوه ولم يكن وقفوا منه على كَذبه[٣] قط بل كانوا عرفوه / بالصيانة والعدالة، وكان بمحل يرونه أهلا للشهادة، فكيف [٨٦٠و] ينسبونه إلى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه؛ وكذلك موسى عليه السلام كان نشأ بين أظهر[٤] أولئك الذين أُرسل إليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة[٥] وعرفوا أنه يصلح للشهادة.

ومنهم من يقول بأنهم أَزْدَرَوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم واستصغروه اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر إذ[٦] كان نُشُؤه فيهم، فكذلك[٧] ازدرَوا بموسى عليه السلام حين بعث إليهم[٨] واستخفوا به استخفافهم به في حالة الصغر حتى قالوا: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ،[٩] فنزل بهم ما نزل بألئك من الاستئصال بتكذيبهم إياه وازدرائهم به، فذكرهم حال مكذبي موسى عليه السلام وما نزل بهم من مقت الله تعالى بتكذيبهم وازدرائهم به، ليعتبروا به فينقلعوا عن الازدراء لئلا يحل بهم ما حل بأولئك، ولئلا[١٠] يغتروا بقُواهم وكثرة عددهم وأموالهم، فإن مكذبي موسى عليه السلام كانوا أكثر أموالا وأولادا وأعدادا وأشد بطشا فلم يغنهم ذلك من الله تعالى شيئا.

وجائز أن يكون خصّ ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونبأهما لأن خبره كان منتشرا فيما بين أهل مكة، لأنهم كانوا جِيرَة[١١] اليهود والذين عندهم نبأ موسى عليه السلام وفرعون، فكانوا يخبرونهم بما حل بفرعون وقومه بتكذيبهم الرسول، فذكّرهم نبأ موسى عليه السلام

---

[١] ﴿حرمت عليكم الميتة ... وما ذبح على النصب﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).

[٢] ث: أي للمنصب.

[٣] ث: على كذب؛ م: على كذبة.

[٤] جميع النسخ: بين ظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٩ظ.

[٥] م – وكان بمحل يرونه أهلا للشهادة فكيف ينسبونه إلى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه وكذلك موسى عليه السلام كان نشأ بين أظهر أولئك الذين أرسل إليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة.

[٦] ر م: استصغروه اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر إذا.

[٧] ث: وكذلك.

[٨] ر: حيث بعث إليهم؛ م: حيث بعث طلبهم.

[٩] سورة الشعراء، ١٨/٢٦.

[١٠] ن: يحل لهم ما حل بأولئك ولئلا؛ ث: يحل بهم ما حل بأولئك ولا.

[١١] ن: حيرة؛ م: حبرة.

لينتهوا عما هم عليه من التكذيب؛ ولأن لله تعالى[1] أن يحتج عليهم بآحاد الحجج[2] وله أن يحتج عليهم بجُمَلها، إذ في ذلك قطع الشُّبَه وإزاحة العذر؛ أو ذكَّر هم نبأ موسى عيه السلام وقومه لأن العهد به كان أقرب، إذ قومه كانوا آخرَ قوم استُؤْصِلوا في الدنيا.

﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا**، أي شديدا، ومنه المطر الشديد يسمى الوابل. وقال أبو بكر [الأصم : الوابل] اسم لكل مغضِلة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا**، فهو يحتمل أوجها. أحدها أي كيف تتقون[3] النار في الآخرة إذا سَلكتم في الدنيا سبيلها -وهو الكفر- وأنتم تعلمون أن من سلك طريقا لشيء ولا مَنْفَذَ لذلك الطريق إلا إلى ذلك الشيء فإنه يَرِد عليه لا مَحالة؛ أو كيف تتقون[4] النار في الآخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم؛ أو كيف تتقون[5] العذاب في الآخرة وأنتم تُدفَعون إليها وتُضْطَرُّون، بقوله عز وجل: ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ،[6] وبقوله: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[7] وبقوله:[8] خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[9] وقد مُكِّنتم في الدنيا من الإيمان بالله تعالى ومكنتم الانتهاء عن الكفر ثم لم تنقلعوا عنه، فأنَّى يتهيأ لكم المخلص من عذابه وأنتم تُدْفعون إليه؟ أو كيف تنتفعون بإيمانكم في الآخرة و لم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه؟

والأصل أن دار الآخرة ليست بدارٍ لاستحداث الأسباب وإنما هي دار وقوع المسبّبات، فهم إذا لم يستحدثوا الأسباب التي جعلت لدفع العذاب في الدنيا لم يُمكّنوا من استحداثها في الآخرة

[1] ر: ولأن الله تعالى.
[2] ر م: عليهم بالحجج.
[3] ن ث: يتقون.
[4] ن: يتقون.
[5] ن: يتقون.
[6] سورة لقمان، ٢٤/٣١.
[7] سورة القمر، ٤٨/٥٤.
[8] ر م: أو بقوله.
[9] سورة الدخان، ٤٧/٤٤.

فينتفعوا بها ولم يكونوا أهلا لوقوع المسبَّبات لما لم يستحدثوا الأسباب في الدنيا. وإنما قلنا: إنها ليست بدار محنة وابتلاء، لأن المحنة لاستظهار الخفيات، والثواب والعقابُ قد شوهد وعُوين. فإذا قيل: إذا فعلت كذا دخلت النار -وهو يعاين النار ويراها- فهو يمتنع عن الإقدام على ذلك الفعل. وإذا قيل له:[1] إذا آمنت بالله تعالى أُكرمت بالجنة -وهو يشاهد الجنة ويراها- فهو يؤمن لا محالة، فلا وجه للابتلاء في الآخرة، بل هي دار وقوع المسبَّباب[2] يعني الثواب والعقاب.

والذي يدل على هذا[3] قوله: **يوما يجعل الولدان شيبا**، فأخبر[4] أنهم يَشيبون لا بسبب المَشيب، والمشيب في الدنيا لا يوجد إلا بعد وجود سببه وهو الكِبَرُ، ليعلم أن الدار الآخرة ليست بدار استحداث الأسباب، فما يستحدثون[5] من الإيمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا يَقِيهم من عذاب الله تعالى.

وقوله عز وجل: **[يوما] يجعل الولدان شيبا**، فجائز أن يكون هذا على التحقيق، فيشيب[6] الولدان لهول ذلك اليوم ويصير[7] الشيب سكارى لشدة هوله، كما قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.[8] وجائز أن يكون على التمثيل لا على تحقيق الشيب، فمثَّله به لعظم ذلك اليوم وشدة هوله. وقد يجوز أن يُمثَّل الشيء بما يبعد عن الأوهام تحقيقُه على تعظيم ذلك الشيء، كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا،[9] فذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار والانشقاق. وجائز أن يكون معناه أنه لولا أن الله تعالى بعثهم للإبقاء وأن[10] لا يتغيرُوا ولا يتفانَوْا وإلا كان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يُشيِّب[11] الولدان.

---

[1] ث – له.
[2] ر: مسببات؛ ث م: مستثات.
[3] م – على هذا.
[4] ن + بهم.
[5] جميع النسخ: فيما يستحدثون.
[6] جميع النسخ: فشيب. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٢٩٠و.
[7] ر م: يصير.
[8] ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).
[9] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[10] م: أن.
[11] ر ن ث + به.

﴿اَلسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **السماء منفطر به**، أي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدة فزعه، أو منفطر بالغمام، وقيل منفطر بالله أي بقضائه وحكمه. *والله أعلم*. ثم قال:
[٨٦٠ظ] **منفطر به**، ولم يقل: متفطرة والسماء / مؤنث، فذكر الزجاج أن معنى قوله: **منفطر به**، أي ذات انفطار، فعبر بها كما يعبر عن الذكور كما يقال: امرأة مرضع أي ذات إرضاع.[١]

وقوله عز وجل: **كان وعده مفعولا**، أي الذي وقع به الوعد مفعول، لا أن يكون الوعد هو المفعول، فكذا قوله: إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،[٢] والوعد لا يؤتَى بل الموعود هو الذي يؤتَى، ولكن نسب[٣] الموعود إلى الوعد لأنه من آثاره. وهذا كما يقال: المطر رحمة الله، أي برحمة الله ما أُمطروا لا أن يكون المطر رحمة؛[٤] ويقال: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله ما يُقامُ لا أن يكون أمرَه الذي يوصف به، فكذلك الموعود نسب إلى الوعد إذ بالوعد ما استوجبوا لا أن يكون الوعد هو المفعول وهو المأتِيّ.

﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن هذه تذكرة**، فجائز أن يكون قوله: **هذه**، منصرفا إلى الأهوال[٥] التي ذكرها فيكون ذكرها[٦] تذكرة. ويحتمل أن تنصرف[٧] إلى الرسالة، أي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة.[٨] ويحتمل أي هذه السورة أو الآيات كلها تذكرة. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**،[٩] إلى ما دعاه إليه[١٠] ربه، وذلك يكون بالإجابة فيما دعاه إليه، أو من شاء اتخذ إلى ما وعد له ربه في الآخرة سبيلا في أن يُقبل على طاعته ويَشغل نفسه[١١] بعبادته.

---

[١] قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين. أحدهما على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني على قولهم: امرأة مرضع على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انفطار، كما أن المرضع ذات الرضاع (*زاد المسير* لابن الجوزي، ٨/٣٩٤).

[٢] سورة مريم، ١٩/٦١.

[٣] جميع النسخ: بسبب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠و.

[٤] ر ث م: برحمته.

[٥] م: إلى الأهواء.

[٦] ر م – فيكون ذكرها.

[٧] جميع النسخ: أن ينصرف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ن – تذكرة

[٩] ن ث + قال بعضهم من شاء اتخذ عند ربه جاها ومنزلة لنفسه أو من شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.

[١٠] ن – إليه.

[١١] ر: ويشغل نفيه؛ م: ويشتعل نفسه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنَ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه**، قال أبو عبيد:[١] الصواب أن يُقرأ "ونصفِه وثلثِه" بالخفض على معنى إضافة أدنى إليها،[٢] فكأنه يقول: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل أو أدنى من نصفه أو أدنى من ثلثه[٣] "وأدنى" يكون على الزيادة والنقصان جميعا، لأن فضل ما بين الثلث إلى النصف هو السدس، فإذا زاد على الثلث أقلَّ من نصف السدس فهو إلى الثلث أدنى، وكذلك إذا نقّص من الثلث شيئا قليلا فهو إلى الثلث قريب، فيكون إليه أدنى، وكذلك الفضل[٤] فيما بين النصف إلى الثلثين[٥] هو السدس، فإذا زاد على النصف أكثرَ من نصف السدس فهو إلى الثلثين[٦] أدنى، وإذا نقص من نصف السدس فهو إلى النصف أدنى وأقرب. ومنهم من اختار النصب فيهما والوجهان جميعا محتملان، لأن قوله: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنَ من ثلثي الليل ونصفه**، ليس فيه إيجاب حكمٍ مبتدأً وإنما فيه إخبار عن القيام الذي وُجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجائز أن يكون وجد منه ذلك كله، وهو أن يكون قريبا من الثلثين وقريبا من النصف وأدنى من الثلث على ما ذكره أهل المقالة الأولى. ويكون قد قام أدنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه وأدنى من نصفه وأدنى من ثلثه، فذكَر في الثلثين الأدنى لما وُجد منه الأدنى من جهة الزيادة والنقصان و لم يوجد [منه][٧] موافقة الثلثين،

---

[١] ن: أبو عبيدة.

[٢] قال أبو عبيد: الاختيار الخفض في ﴿نصفه وثلثه﴾. حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٣٢. هو أبو عُبيد القاسم بن سلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/ ٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[٣] جميع النسخ: وأدنى من نصفه وأدنى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠و.

[٤] ر: الفصل.

[٥] ر ن: إلى الثلاثين.

[٦] جميع النسخ: إلى الاثنين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] الزيادة من المرجع السابق.

وأخبر بالنصف والثلث بالأمرين جميعا لوجود الموافقة، وهو أن يكون قام نصفَ الليل وقام ثلثه وقام أدنى من النصف وأدنى من الثلث. وإذا كان هذا كلُّه محتملا لم يجز[1] أن يدفع أحد الوجهين ويُتمسك بالوجه الآخر. وهذا كقوله تعالى: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزلَ هٰؤُلَاءِ،[2] فقرئ برفع التاء ونصبه جميعا[3] لما وجد الأمران جميعا، وهو أن يكون موسى عليه السلام وفرعون علما بها[4] أي بالآيات جميعا. وكذلك قال في سورة سبأ، رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[5] وقرئ ربُّنا بَاعَدَ بين أسفارنا،[6] لوجود الأمرين جميعا وهو الدعاء والإجابة، فقوله عز وجل: رَبَّنَا بَاعِدْ، دعاء، وقوله: ربُّنا بَاعَدَ، على الإجابة، ففُرِّق بينهما بالإعراب. فكذلك هاهنا لما استقام وجود الوجهين من رسول الله صلى الله عليه وسلم استقام أن يقرأ بالنصب والخفض جميعا ويُفرَّق بينهما بالإعراب.[7] *والله أعلم.*

ثم يجوز أن يكون المفروض من القيام قَدْرَ ثلث الليل ويكونَ الزيادة بحكم النافلة، ويجوز أن يكون كله مفروضا وإن طال وزاد على الثلث والنصف والثلثين[8] وإن كان[9] يجوز له الاقتصار على ثلث الليل، ألا ترى أن فَرْض الركوع والسجود يُقضَى بإدراك جزء منه وكذلك فرض القيام بالجزء منه. ثم إن الركوع وإن طال فهو من أوله إلى آخره فرض حتى إن داخلا لو شاركه[10] في أول الركوع ثم رفع رأسه، [وآخرُ شاركه في وسط الركوع ثم رفع رأسه،][11] وشاركه ثالث في آخر ركوعه ثم رفع رأسه مع الإمام صار كل واحد منهم مدركا لفرض الركوع، وإن كان الإمام لو اقتصر على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه. فكذلك الفرض لما انصرف إلى قيام الليل فصار جميع ما يؤتى من القيام في الليل –وإن طال– فرضا وإن كان قد يجوز الاجتزاء ببعضه.[12]

---

[1] ر: لم يخبر.
[2] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[3] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٧٢؛ وحجة *القراءات* لابن زنجلة، ٤١١.
[4] ر م – بها.
[5] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[6] ر م – بين أسفارنا. قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.
[7] أي «مِن ثلثي الليل ونصفِه وثلثِه»، و«من ثلثي الليل ونصفُه وثلثُه».
[8] ر م: الثلثين.
[9] جميع النسخ: فإن كان. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠ظ.
[10] جميع النسخ: حتى لو أن داخلا شاركه. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] ر ث م: بنقصه.

وقوله عز وجل: **وطائفةٌ من الذين معك،** في هذه الآية وفي قوله عز جل: **فتاب عليكم،** دليل على أن فرض القيام كان على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المؤمنين وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخصوصَ بالخطاب بقوله: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ،[١] لأنه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله: **فتاب عليكم،** معنى؛ ألا ترى أنه إذا لم يُفرَض علينا قيام الليل في يومنا هذا لم نحتج[٢] في ترك القيام إلى أن يتوب الله علينا. ثم إن الله ذكر في التوبة وفيما فيه النسخ[٣] خطابا لجمع[٤] الجميع، بقوله: **فتاب عليكم،**[٥] وبقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة،** وذكر[٦] فيما فيه الأمر خطابا يقتضي / الآحاد وهو قوله: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً.[٧] ففي هذا أنه قد يجوز أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على إدخال غيره فيه تبعا له ولا يجوز أن يخاطَب غير النبي صلى الله عليه وسلم ويرادَ به إشراك النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الخطاب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتبوع، فجائز إلحاق غيره به، وغيرُه لا يكون متبوعا حتى يُلحقَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم. [٨٦١و]

وقوله عز وجل: **والله يقدر الليل والنهار،** ففيه أن الليل والنهار ليسا يمضيان على الْجُزاف ولكن بتقدير سبَق من الله عز وجل. وآية ذلك ظاهر لأنهما يجريان مذ خُلقا على تقديرٍ واحد لم يتقدما ولم يتأخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا،[٨] فيكون فيه إبانة أن مدبرهما واحد وأن الذي قدرهما هكذا ممن لا يبيد[٩] ملكه ولا يَنفُذُ سلطانه.

وقوله عز وجل: **علم أن لن تُحصوه،** قال بعضهم: علم أن لن تطيقوه. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يستقيم، لأنه لا جائز[١٠] أن يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه، ألا ترى إلى قوله: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.[١١] وليس فيما ذكره أبو بكر ما يدفع هذا التأويل، لأنه يقال:

[١] الآية الأولى من هذه السورة.
[٢] ر ث م: لم يحتج.
[٣] ر م: الشح.
[٤] ر م: بجمع.
[٥] جميع النسخ: تاب الله عليكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٠ظ.
[٦] ر ث م - وذكر.
[٧] الآيتان ١ و ٢ من هذه السورة.
[٨] ر ن م: ولم يردا.
[٩] ر ث م: ممن لا تبيد.
[١٠] ر م: لأنه جائز.
[١١] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.

للأمر[1] إذا اشتد وتعسر:[2] لا يطاق[3] هذا الأمر، وإن لم يكن ذلك خارجا من الوسع، ألا ترى إلى قوله: رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ،[4] وتأويله لا تحمننا أمرا يشتد علينا عمله، ليس أنهم خافوا أن يحمّلهم أمرا لا يحتمله وسعهم. فيكون قوله: **علم أن لن تُحصوه**، إن كان تأويله أن لن تطيقوه، على ذلك. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون قوله: مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، أي لا تحمّلنا أمرا تَهلك فيه[5] طاقتنا لا أن يُحَمِّلوا[6] أمرا لا يطيقونه، ألا ترى [أن][7] الإنسان يحتمل القتل ولكن قتله يُهلك طاقته. وجائز أن يكون قوله: لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، أي اعصمنا من الشهوات واللذات، لئلا نُؤْثرها،[8] فنكونَ[9] مضيّعين بارتكابها قوة الفعل الذي تُعبّدنَا به فلا نصل[10] إلى فعله، وهذه هي القوة التي لا تزايل[11] الفعل بل تطابقه.[12] وأما[13] الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف.

وجائز أن يكون تأويل قوله تعالى: **علم أن لن تحصوه**، أي لن تحصوا حدّ[14] ما أمركم به لو حُدّ[15] عليكم في الأمر[16] بتقدير[17] الثلث والنصف لم يمكنكم ذلك إلا بعد جهد، ففَرضَ عليكم قيام الثلث من الليل وجعل لكم الإمكان في أن تزيدوا عليه، فَيُحْبَطَ[18] عملكم بقيام الثلث[19]

---

[1] ر م: الأمر.
[2] ث: أو تعسر.
[3] م: لا بطان.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[5] ر م – فيه.
[6] ن: لا أن تحملنا.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.
[8] ر م: لئلا يؤثرها.
[9] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: فلا تصل.
[11] جميع النسخ: لا يزال. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: بل بطابقة. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] م: وأن.
[14] ر م: أحد.
[15] جميع النسخ: لو أخذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] جميع النسخ: في أمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] يتقدر.
[18] ث: فيحيط.
[19] ن – من الليل وجعل لكم الإمكان في أن تريدوا عليه فيحبط عملكم بقيام الثلث.

ولو كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه إلا بعد شدة وجهد، وفي ذلك كلفة عسيرة. ويؤيد هذا تأويل من قال: **علم أن لن تحصوه**، أي لن تطيقوه، ويكون الطاقة[١] عبارة[٢] عن التعسير واشتداد الأمر.

ثم في هذه الآية دلالة على إباحة تعليق الحكم بالاستحسان، لأنه قد فَرَض عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الإحاطة وإنما يمكنهم بالتقدير الذي يغلب على القلب، فثبت أنه قد يجوز أن يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون، والاستحسان ليس إلا تعليقَ الحكم بما يغلب على القلوب. والذي يدل على أن الحكم لازم[٣] بما ذكرنا أن الله تعالى ألزم الحد على القاذف وعلى الزاني،[٤] ولم يبين[٥] مبلغ وقوع الضرب فيه ولا ما يُضرب به، فَقُدّر ذلك بما يقع في القلوب أن مثل هذا الضرب[٦] يصلح لمثل هذه الجناية. وكذلك قِيم الأشياء والأروش[٧] والنفقات وتسويةُ المكاييل[٨] والموازين، يعتبر ذلك كله بغلبة الظنون من غير أن كان لشيء من ذلك أصل يقدَّر النوازل به ويُنتزَع منه. فثبت أنه يجوز أن يُحكَم بالذي يَغلب على القلوب وأن المجتهد[٩] يرجع إلى وجهين، مرة ينظر في غيره[١٠] فيتمثل بهذا فيسمى ذلك قياسا، ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظنون فيسمى ذلك استحسانا.

وفي هذه الآية دلالة أن سؤال من يسأل أبا حنيفة رحمه الله "أن الوتر لو كان له مُشابِه في الفرض لكان لا يُختَلف في عدده"[١١] سؤال غير مستقيم؛ لأنه قد فَرَض على القوم أن يقوموا ثلث الليل،

---

[١] ر م: الطاعة.

[٢] ر: عبادة.

[٣] جميع النسخ: بلازم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.

[٤] عى الزاني.

[٥] ن: لم يبين.

[٦] ر م + فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب أن مثل هذا الضرب.

[٧] ر: والأرؤس؛ م: والأروس. الأرش من الجراحات ما ليس له قدر معلوم، وقيل هو دِيَةُ الجراحات. وقد تكرر في الحديث ذكر الأَرْشِ المشروع في الحُكومات وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطَّلع على عيب في المَبيع. وأُرُوش الجنايات والجراحات جائرة لها عما حصل فيها من النَّقْص. وسُمِّي أَرْشًا لأَنه من أَسباب النزاع يقال: أَرَّشْتَ بين القوم إذا أَوقعت بينهم (*لسان العرب*، «أرش»).

[٨] م: والميكاييل.

[٩] ن: وأن المجتهدين.

[١٠] ر م: ينظر غيره.

[١١] ر: لعدده.

وقد أخبر عز وجل أنهم لا يُحصون[1] حدّ ما أمرهم به، وإذا لم يحصوا فلا بد من أن يقع[2] هناك زيادة أو نقصان، فكذلك الوتر وإن كان حد عدده غير معروف وهو لا يخرجه عن حكم الفرائض. *والله أعلم*.

ثم في قوله عز وجل: **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم**، هو أن الله تعالى وقّت ما فرض عليهم علم أنهم لا يحصونه، ولكن بيّن هذا ليعلموا أن لله تعالى[3] أن يكلفهم[4] إقامة العبادة إلى وقت لا يتهيأ لهم إحاطة مبلغ ذلك الوقت إلا بعد جَهد ليعرفوا منة الله عليهم إذا أسقط عنهم ذلك التكليف، وهو كقوله عز وجل: ﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾،[5] ولكن ذكر هذا ليعلموا أنهم يكلَّفون القيام للعشرة[6] وإن كان بهم ضعف، لكن إذا خفّف

[٨٦١ظ] / عنهم عرفوا ما لله عليهم من عظيم المنة.

وقوله عز وجل: **فتاب عليكم**، يحتمل[7] أن تكون[8] طائفة منهم امتنعوا عن القيام، فيكون التوبة راجعة إليهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىَ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك**، فهذا يبين أنهم جميعا لم يقوموا معه وإنما قامت معه طائفة فيكون التوبة راجعة إلى الطائفة التي امتنعت عن القيام. وجائز أن يكون راجعة إليهم وإلى الذين قاموا معه، فيكون الذين قاموا معه[9] قصروا القيام عن الحد الذي شُرط عليهم، فافتقروا إلى التوبة أيضا كما افتقر إليهم مَن تخلّف عن القيام، فتاب الله عليهم جميعا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاقرءوا ما تيسر من القرآن**، فمنهم من ذكر أن قيام الليل صار منسوخا بهذه الآية. ومنهم من يقول بأن النسخ وقع بقوله تعالى: **وأقيموا الصلاة**، وهي الصلاة المفروضة، وليس بينهما فرق عندنا وإنما نسخ بهما جميعا. ووجه النسخ به[10] هو أن فرض القيام[11]

---

[1] ن: لا تحصون.
[2] ر م: فلا بد أن يقع.
[3] ر م: أن الله تعالى.
[4] ن: أن كلفهم.
[5] سورة الأنفال، ٨/٦٦.
[6] ن: للعسرة؛ م: للعشرة اليسيرة.
[7] جميع النسخ: فيحتمل.
[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.
[9] م + فيكون الذين قاموا معه.
[10] ر ث م – به.
[11] ن: للقيام.

فلو كان باقيا لكان لا يجوز لهم أن يكتفُوا من القراءة بما تيسر عليهم، لأنهم إذا قاموا إلى ثلث الليل لزمهم تبليغ القراءة إلى حد يتعسر عليهم ويشتد، فإذا أُذن بالاقتصار على القدر الذي تيسر علم أنه قد سقط عنهم أن يقوموا[١] ثلث الليل. ثم هو إذا قام صلاة المغرب والعشاء فقد قرأ[٢] من القرآن ما تيسر عليه فصار قاضيا لما اقتضاه قوله: **فاقرءوا ما تيسر من القرآن**، فمن هذا الوجه[٣] استدلوا بهذه الآية على نسخ حكم القيام بالليل. ثم هذه القراءة يقيمها في الصلاة فيكون النسخ واقعا بهما جميعا.[٤]

ثم من الناس من يزعم أن فرض القيام سقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أمته واستدلوا بقوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ،[٥] ولو كان[٦] الفرض عليه قائما لم يكن التهجد به نافلة. ومنهم من زعم أنه لم يَسقط عنه فرض[٧] القيام بل دام عليه إلى أن قُبض عليه السلام، واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كُتب عليّ قيام الليل ولم يُكتب عليكم»،[٨] ومعناه بقي عليّ مكتوبا ورفع عنكم، إذ قد دللنا أن القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا. وقد قال بعض الناس: إن صلاة الليل لم تكن[٩] فرضا على أمته بهذا الحديث، وما ذكرناه حجة عليهم. ثم الجواب عن التعلق بقوله:[١٠] فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ، معناه غنيمةً لك، لا أن يكون القيام منه تطوعا. ووجه صرفه إلى الغنيمة وهو أن العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مخرج الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا[١١] للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير[١٢] للسيئات، لأنه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج إلى إتيان الحسنات ليكفِّر عنه السيئات. فثبت أن الفعل منه يقع موقع اكتسابه الفضيلة

---

[١] ن: إذ يقوموا.
[٢] ر ث م: قد قرأ.
[٣] ر ث م + الذي.
[٤] ر ث م – جميعا.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/٧٩.
[٦] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.
[٧] ث + الليل.
[٨] قال عليه السلام: «فُرض عليّ قيام الليل ولم يُفرض عليكم» (*روح البيان* لإسماعيل حقي)، ٨/٤٧٢.
[٩] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.
[١٠] ر ث م – بقوله.
[١١] ر: مكتبا.
[١٢] ن: التكفر.

فتدوم[1] له تلك[2] الفضيلة[3] ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من أعظم الغنائم. والذي يدل على أن فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أنه صلى[5] حتى تورّمت قدماه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه السلام: «أفلا أكون عبدا شكورا».[6] وأما غيره فإن الحسنات منهم مكفرة لسيئاتهم ومطهرة لزلاتهم، قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[7] فهم بحسناتهم لم يصيروا مكتسبين الفضيلة في مستأنف الأوقات فيصيروا بها مغتنمين، بل رفعوا بها زلاتهم وطهّروا أنفسهم من المآثم فلم يصر القربة منهم نافلة.[8] والله أعلم. فلهذا ما سُمِّي تهجده[9] نافلة لا أن يكون قيامه نفلا.

وقوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، فمنهم من زعم أن هذه السورة كلها مكية، ومنهم من زعم أن أولها مكية وآخرها مدنية ويحتج هؤلاء بقوله تعالى: **وآخرون يضربون في الأرض**، وبقوله: **وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، وذلك أن الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة و لم يوجد منهم الضرب في الأرض في حال كونهم بمكة، وفي هذا إخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب بعض في الأرض، فثبت أن نزول هذه الآيات كانت بالمدينة. واحتجوا أيضا بقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، وقالوا:[10] إن الزكاة إنما فرضت عليهم بعد ما هاجروا إلى المدينة، وفي هذا أمر بإيتاء الزكاة، فثبت أن نزولها كانت بالمدينة. وأما أول السورة فهو[11] في موضع المحاجّة على أهل الشرك و لم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا أهل الكتاب.

---

[1] جميع النسخ: فيدوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.

[2] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] م – الفضيلة.

[4] ن – صلى الله عليه وسلم.

[5] ر م – أنه صلى.

[6] عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا» *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٥/٦؛ *وصحيح البخاري*، التهجد ٦؛ *وصحيح مسلم*، صفات المنافقين ١٨.

[7] سورة هود، ١١٤/١١.

[8] ر م – نافلة.

[9] م: التهجد.

[10] ر ث م: قالوا.

[11] ر ث م: فهي.

ومن ذكر أنها كلها مكية فهو يحمل قوله: **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، على الوعد والبِشارة ليس على الإيجاب والوجوب، ألا ترى إلى قوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى**، فأخبر أنه / "سيكون منكم مرضى" لا [٨٦٢و] أن كانوا مرضى في ذلك الوقت، فلم يكن فيما ذكر دلالةُ كونها مدنية. ثم الآية إن كانت على الوعد ففيه أنهم كانوا في ضيق من العيش وكانوا من القوم في خوف، فيكون فيه بشارة أنه يَرفع عنهم الضيق بما يضربون في الأرض ويوسّع عليهم العيش وأنه يفتح لهم الفتوح ويكثر أنصارهم حتى يَقهروا العدو ويقع لهم من ناحيتهم الأمن،[١] وقد آل الأمر إلى ما بُشروا به. ففيه آية رسالته عليه السلام إذ أخبرهم عن علم الغيب وكان الأمر على ما أخبر.

ثم قوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى**، في موضع الاعتلال أنه إنما تخفّف عليهم الأمر بما ذكر من الأعذار[٢] من المرض والضرب في الأرض والمجاهدة في سبيل الله. والتخفيف إذا وجب[٣] لعذر[٤] فما لم يلاق العذرُ حالةَ الفعل[٥] لم يُخفَّف، فكيف خُفّف عنهم قبل وقوع الأعذار. ولكن هذه الأعذارَ[٦] وإن تحققت وهي[٧] لا يلاقي الفعل بل يتقدمه. لأن المجاهدة تكون بالنهار لا بالليل، وكذلك الضرب في الأرض وقته النهار لا الليل[٨] والقيام كان بالليل ليس بالنهار، ثم قد وُضع عنهم قيام الليل وإن لم يكن العذر ملاقيا للقيام،[٩] فعلى ذلك جائز أن يُرفع عنهم القيام بالليل وإن لم يأت بعدُ وقتُ المجاهدة ولا كان الضرب موجودا، إذ ليس في ذلك كله إلا عدم[١٠] ملاقات العذر حالة القيام. ثم[١١] وجه رفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الأرض وإن كانا يحصلان في النهار[١٢] لا بالليل

---

[١] ن: الأمر.
[٢] ر ن م: من الاعتذار.
[٣] م: وجد.
[٤] ر م: العذر.
[٥] ث – فما لم يلاق العذر حالة الفعل.
[٦] ث – ولكن هذه الأعذار.
[٧] ر ث م: هي.
[٨] ث: لا بالليل.
[٩] ن – للقيام.
[١٠] ر م: عدام.
[١١] ر م – ثم.
[١٢] ر ث م: بالنهار.

هو أن المجاهدة بالنهار تُضعفهم[1] وتوهن[2] قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل، وكذلك الضرب في الأرض. فمنّ الله تعالى عليهم بأن رفع عنهم قيام الليل وإن لم يوجد منهم الاشتغال بالجهاد بالليالي. *والله أعلم*. ثم الضرب في الأرض يكون للتجارة ولغيرها من الوجوه لطلب العلم وغيره من الأسباب فلا يحصل أمر الضرب على التجارة خاصة.

وقوله عز وجل: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، قال أبو بكر [الأصم] في قوله: **وآتوا الزكاة**: [فيه] دلالة أن هذه الآية مدنية، لأن الزكاة إنما فرضت عليهم بالمدينة. فإن كان الأمر على ما ذكر أن فرضيتها[3] نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف إلى زكاة المواشي خاصة، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوائمُ، لأنهم كانوا يخافون العدو، فلم يتهيأ لهم إسامة المواشي، وأما ما رجع من الزكاة إلى غيرها من الأموال فيشبه أن يكون واجبة عليهم في حال كونهم بمكة وبعد مفارقتهم منها، ولا يكون في الأمر بإيتاء الزكاة دلالة نزولها بالمدينة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأقرضوا الله قرضا حسنا**، فالقرض في لغة العرب القطع، يقال: قرض الفأر[4] الجراب، أي قطعه، فسمي القرض قرضا لهذا، لأنه يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه[5] إلى غيره، وكذلك هو بالتصدق يقطع ذلك القدر فيجعله لله تعالى خالصا فسمى إقراضا لهذا. ويجوز أن يكون أضافه[6] إلى نفسه لئلا يَمُنَّ على الفقير فيما يتصدق عليه، إذ الإقراض حصل فيما بينه وبين ربه فيصير الفقير معاونا له[7] في تلك القربة. ولأن المرء في الشاهد إنما يُقرِض[8] ما يَفضُل[9] من حاجته فيدفعه إلى من يثق[10] به ليستردَّ منه عند حاجته إليه. فكذلك الصدقة أُوجبت في المال الذي يفضل[11] عن حاجات فيقرضها لله تعالى فيجدها مهيأة عند ما تمسه الحاجة.

[1] جميع النسخ: يضعفهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٢و.
[2] ن: ويوهن.
[3] ث: فرضيها؛ م: أن فرضيتهما.
[4] ر م: القار.
[5] ن: حاله ورفعه.
[6] ر ث م: أضاف.
[7] ر م – له.
[8] جميع النسخ + في الشاهد. والتنقيص من المرجع السابق.
[9] ن ث: ما يفصل.
[10] ن: يتق.
[11] ر ن: يفصل.

ثم المال الذي يدفعه إلى الفقير على جهة التصدق هو مال لله تعالى،[١] ثم جعل الله تعالى ذلك منه إقراضا له جل جلاله وأضافه إلى نفسه، فيكون الفائدة في الإضافة إلى نفسه هي[٢] تفضيل عمله[٣] ليرغّبه في مثل ذلك الفعل على جهة التكرم منه. وهو كما سمى الثواب الذي يتفضل على عباده أجرا، بقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[٤] ومن عمل لنفسه لم يستوجب الأجر على غيره. وسمى الذي يُقتل شهيدا بائعا نفسه لله تعالى على تفضيل وترغيب العباد[٥] في مثله لقوله: إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.[٦]

وقوله عز وجل: **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**، معناه تجدوه حاصلا لكم، وإلا فكل شيء يقدمونه[٧] من خير أو شر يجدونه[٨] حاضرا في ذلك اليوم ولكن الشر يكون عليهم. قال الله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا،[٩] وقال عز وجل: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[١٠] وقوله عز وجل: **هو خيرا وأعظم أجرا**، ومن حق[١١] الكلام أن يقول: هو خير، لأن **هو**، يرفع ما بعده، ولكنّ **هو** كالفصل[١٢] هاهنا، وحقه الحذف وإذا حذف انتصب الكلام، لأنه معناه: إن الذي تجدونه عند الله خيرا لكم مما خلّفتم، فيكون خيرا مفعولا.

[٨٦٢ظ] ثم قوله عز وجل: **هو خيرا وأعظم أجرا**، يحتمل أوجها. أحدها أنه خير لكم / وأعظم أجرا مما خلّفتم لورثتكم، فيكون فيه[١٣] أن الذي يخلّفه لورثته له فيه خير ولكن ما يقدم لآخرته خير له.[١٤]

---

[١] ر ث: مال الله تعالى.
[٢] ر ث م: هو.
[٣] ن + له.
[٤] سورة فصلت، ٤٦/٤١؛ وسورة الجاثية، ١٥/٤٥.
[٥] ر ث م: لمعباد.
[٦] سورة التوبة، ١١١/٩.
[٧] ر ث م: تقدمونه.
[٨] ر ث م: تجدونه.
[٩] سورة آل عمران، ٣٠/٣.
[١٠] ﴿ووُضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مَالِهٰذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (سورة الكهف، ٤٩/١٨).
[١١] جميع النسخ: وفي حق الكلام. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٩٢ظ.
[١٢] ن: كالفضل.
[١٣] ن – فيه.
[١٤] ن: ما تقدم لأجرته خير له؛ م: ما يقدم لا خير له.

والذي يدل على أن له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله عليه الصلاة والسلام: «إنك أن تَدَعَ ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكفّفُون الناس».[1] والثاني أن المرء في الشاهد قد تسحو[2] نفسه ببذل المال للأجلّة[3] لما يأمل منهم من الثواب العاجل، فيكون في قوله: **هو خيرا وأعظم أجرا**، ترغيب للعباد في تقديم الأموال لوجه الله تعالى، لأنهم[4] إذا رَغِبت أنفسُهم في بذل الأموال للأجلة طمعا لمنافع التي تحصل[5] لهم، فكان بذل المال لوجه الله تعالى أعظم في الأجر فهو [أحق][6] أن يقع فيه الرغبة.[7] ولأن النفس قد تتحمل[8] المكروه في الشاهد لمنافعَ يأملُها في ثاني الحال، فإذا طمعت لما يبذل لوجه الله تعالى الثواب الجزيل والأجر الجميل[9] العظيم تخفّ عليها تحمل المكروه الذي يناله[10] بالبذل. ويجوز أن يكون قوله عز وجل: **وأعظمَ**، بمعنى عَظُم إذ قد يستعمل حرف أفعل في موضع فعل، كما يقال: أكبرُ بمعنى كبير.[11] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **واستغفروا الله**، فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون باللسان مرة وبالأفعال ثانيا. فطلب المغفرة من جهة الفعل أن ينتهي[12] عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب[13] ويجيب إلى ما دُعي إليه، قال الله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[14]

---

[1] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها قال: «يرحم الله ابن عفراء». قلت يا رسول الله أُوصِي بمالي كله. قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا»، قلت: الثلثُ؟ قال: «فالثلثُ والثلث كثير، إنك أن تَدَعَ ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفّفون الناس في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمةُ التي ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يَرفعك فينتفعَ بك ناس ويَضُرَّ بك آخرون». ولم يكن له يومئذ إلا ابنة (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٧٣/١؛ وصحيح *البخاري*، الوصايا ٢؛ وسنن *النسائي*، الوصايا ٣).

[2] جميع النسخ: قد يسخو.

[3] جميع النسخ: ببذل الأجنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٢ظ.

[4] ر ث م: لأنه.

[5] جميع النسخ: يحصل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ن: للرغبة.

[8] جميع النسخ: قد يتحمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر ن م – الجميل.

[10] ر م: الذي ويناله؛ ن: الذي الذي يناله.

[11] ن: أكثر بمعنى كثير.

[12] جميع النسخ: أن ينوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ن – العقاب.

[14] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

فجعل انتهاءهم عن الكفر ودخولهم في الإسلام سبب مغفرتهم. وقال الله عز وجل: إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[١] وليس استغفارهم أن يقولوا باللسان: اللهم اغفر لنا، ولكن معناه أن انتهُوا عما أنتم فيه[٢] من الكفر وأجيبوا[٣] ربكم فيما دعاكم إليه، فهذا هو الاستغفار من جهة الأفعال. وأما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة، [فهو] يكون على وجهين. أحدهما أن تسأل[٤] ربك التجاوز عن سيئاتك.[٥] والثاني أن يسأل[٦] حتى يوفقه[٧] السبب الذي إذا جاء به[٨] استوجب المغفرة.[٩] وعلى هذا التأويل يخرج استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو أنه طلب من ربه أن يوفقه لما فيه نجاته وهو الإسلام لا أن يسأل ربه أن يغفر له مع دوامه على الكفر، ألا ترى أنه امتنع عن الاستغفار له حيث تقررت عنده عداوته لله تعالى، وعلم أنه لم يوفَّق السببَ الذي يستوجب به المغفرة، قال الله تعالى: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.[١٠] فثبت أنه لم يطلب منه المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن للوجه[١١] الذي ذكرنا. *والله أعلم*.[١٢]

---

[١] سورة نوح، ١٠/٧١.
[٢] ر ث م: عليه.
[٣] ن: وأجيبوا.
[٤] ر ن م: أن يسأل.
[٥] ن + وعلى هذا التأويل.
[٦] ر ث م: أن تسأل.
[٧] ن + لما فيه نجاته وهو الإسلام أن يسأل ربه.
[٨] ر + المغفرة.
[٩] ن ث + المغفرة.
[١٠] ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عَدُوٌّ لله تبرَّأ منه﴾ (سورة التوبة، ١١٤/٩).
[١١] ر ث م: الوجه.
[١٢] م - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المدثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[١] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[٢]

قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، قيل: إن الذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر أنه كان في بعض طرق مكة إذ سمع صوتا من السماء والأرض، فنظر عن يمينه وعن شماله[2] وأمامه وخلفه فلم ير شيئا، فرفع رأسه فرأى شيئا[3] ففرِق منه فأتى بيته وقال: زَمّلوني، فدثّروه. فإن صح ما قالوا وإلا لم يسعهم أن يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفَرَق، ولأن التدثر ليس مما يَسكن به الرَّوع الذي يَحُلّ بصاحبه من الصياح. وذكروا أن أول ما نزل من الوحي قوله: **يا أيها المدثر**، فإن صح ما ذكروا فأول ما أوحى إليه هو الصياح الذي سمعه إذ كان ذلك[4] متقدما على قوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وقيل: إن كفار مكة قذفوه بالسحر وأجمعوا آراءهم[5] على أن ينسبوه إليه وفشا هذا القول فيهم له، أحزنه ذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فأمره[6] الله تعالى أن يقوم فينذرهم، بقوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وعلى هذا التأويل يكون الوحي[7] نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا لما يرون[8] منه من الآيات. ***والله أعلم***.

---

[1] ر – سورة المدثر؛ ث + وهي ست وخمسون آيات؛ م + وهي مكية.
[2] ر ث م: وعن يساره.
[3] ر م – فرفع رأسه فرأى شيئا.
[4] ر م: إذا كان ذلك؛ ن: إن كان ذلك؛ ث: إذ كان لك؛ م: إذا كان لك.
[5] جميع النسخ: رأيهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.
[6] ر: فأمر.
[7] ر م – الوحي.
[8] ر م: لما تروا؛ ن ث: لما يروا. والتصحيح من المرجع السابق.

وذكر أن موسى -صلوات الله على نبينا وعليه- قال: أتاني ربي من طُورِ سِيناءَ، وسيأتي من طُورِ ساعُورا وسيطْلُع من جبل فَاران. فإن صح هذا الخبر فمعنى قوله: أتاني ربي أي[١] أوحى إلي، وقوله: وسيأتي من طور ساعورا[٢] هو الوحي إلى عيسى عليه السلام، وقوله: وسيطلع من جبل فاران هو[٣] القرآن الذي أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وفي هذا الخبر دلالة أن الأخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة إلى سماء الدنيا هو[٤] على نزول أمره إلى ملائكته أن قولوا: هل من داع فيجاب، هل من مستغفر فيغفر له؟[٥] فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي إليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة أو كان ذلك الجبل منسوبا إلى ذلك المكان.

ثم في قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية[٦]

[٨٦٣و] رسالته. وذلك أن تعريف المرء بما عليه من الثياب[٧] ونسبته إليه / لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل، وإنما التبجيل فيما يُدعَى باسمه أو بكنيته. فلو كانت[٨] الأمر على ما زعمت الكفرة أن هذا القرآن ليس من عند الله وأن رسول الله هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرّف نفسه بثيابه بل يعرفها بما فيه تبجيلها وتعظيمها. فإذ لم يفعل ثبت أنه كان رسولا حقا بلّغ الرسالة على ما أوحي إليه وأدى كما أمر. على ما ذكرنا في الآيات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيها تثبيتَ رسالته نحو قوله: عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ،[٩] وغير ذلك من الآيات. وجائز أن يكون نسبته[١٠] إلى ثيابه ليعلم الخلق أن لا بأس للمرء أن يعرّف أخاه بثيابه.

---

[١] ر م - أي.

[٢] م: ساعوراء.

[٣] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.

[٤] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وتغشتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وقال: «إن الله يُمهل حتى إذا كان ثلثُ الليل الآخِرُ نزل الله عز وجل إلى هذه السماء فنادى: "هل من مذنب يتوب، هل من مستغفر هل من داع، هل من سائل" إلى الفجر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣/٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦١-١٧٢).

[٦] ن: وتأييد.

[٧] ر م: من الثبات.

[٨] ث: فلو كان.

[٩] سورة عبس، ١/٨٠.

[١٠] ر: نسبة.

وجائز أن يكون نسبته إلى الثوب الذي تدثر[١] به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي. وهذا لما ذكرنا[٢] أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى نحو الجزئيات تخرج[٣] مخرج تعظيم[٤] ذلك الأشياء، كقوله: نَاقَةُ اللهِ،[٥] ومَسَاجِدَ اللهِ،[٦] ورَبُّ الْعَرْشِ،[٧] على تعظيم العرش وتعظيم أمر الناقة وتشريف المسجد. وإضافة الأشياء إليه نحو الكليات تخرج[٨] مخرج تعظيم الله تعالى، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ،[٩] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.[١٠] ثم أُذن للمرء أن يسبح في ركوعه فيقول: سبحان رَبِّيَ العظيم فيَخُصّ نفسه بقوله: "ربي". والحق في مثله أن يقول: "سبحان ربنا" لئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ، ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، إذ الإضافة من الجانبين على السواء[١١] فيما ذكرنا، لكنّ ذلك الذكر[١٢] إذا وافق الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفُه بالعلو وهي الركوع والسجود أُذن له بأن يأتي بهذا الذكر وإن خرج ذلك مخرج تعظيم النفس. فكذلك ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم إذا وافق حال نزول الوحي عظم شأنه من ذلك الوجه[١٣] فنُسب إلى ذلك الثوب. ثم المرء إنما يتدثر عند ما يريد أن ينام أو عند طلب الراحة، وليست تلك الحالة حالة يستحب[١٤] المرءُ مصاحَبة[١٥] الكبراء العظام في مثل تلك الحالة[١٦] فضلا من أن يصحب الملَكَ في مثل تلك الحالة.[١٧]

---

[١] ر ن م: يدثر.
[٢] ن: كما ذكرنا.
[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.
[٤] م: التعظيم.
[٥] سورة الأعراف، ٧٣/٧.
[٦] سورة البقرة، ١١٤/٢.
[٧] سورة التوبة، ١٢٩/٩.
[٨] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة الفاتحة، ٢/١.
[١٠] سورة مريم، ٦٥/١٩.
[١١] ر: على السؤال.
[١٢] ر ث م – الذكر.
[١٣] ن: للوجه.
[١٤] م: يستصحب.
[١٥] ر م: صاحبة.
[١٦] ر ن م: الحال.
[١٧] جميع النسخ: الحال. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون في هذا دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَطّلع على الأوقات التي كان يأتي فيها الوحي، وإذا لم يعلم كان الأمر عليه أصعب وأشد منه إذا بُيّن له، لأنه إذا لم يبين له لزمه أن يصون نفسه في الحالات كلها عن أشياء يُستحيى[1] مع مثلها الخلوةُ بالملائكة. ولهذا لم يبين[2] لأحد منتهى عمره ليكون أبدا مستعدّا[3] للموت فَرِقًا أن يَحُلّ به ساعة بعد ساعة ويكون أبدا على خوف ووجل من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قم فأنذر**، خص النذارةَ دون البِشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا، ففي ذكر النذارة ذكر البشارة وإن أمسك عنها لأن النذارة ليست يرجع إلى نفس الخلائق، وإنما النذارة هي تبيين[4] عواقب ما ينتهي إليه حال من التزم الفعل[5] المذموم، فإذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة في تركه؛ فثبت أن في النذارة بشارة وفي البشارة نذارةً أيضا، فاقتصر بذكر إحداهما عن ذكر الأخرى. وليس في قوله: **قم**، إلزام قيام ولكن معناه: قم في إنذار الخلق وبشارتهم على ما ينتهي إليه وسعك.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وربك فكبر**، أي عظّم. وتعظيمه أن يجيبه فيما دعاه[6] إليه ويطيعه فيما أمره وأن يتحمل[7] ما لزمه[8] عمله، فذلك هو[9] تعظيمه لا أن يقول بلسانه: يا عظيمُ فقط. وجائز أن يكون تأويله أن عظّمه[10] عن المعاني التي قالت فيه[11] الملحدة[12] من أن[13] لله[14] تعالى ولدا

---

[1] ث ن: يستحي.
[2] ن: ما لم يبين.
[3] ث - مستعدا.
[4] ن: حتى يتبين.
[5] ن - الفعل.
[6] م: فيما دعا.
[7] ر: وأن يتحل.
[8] ن ث: ما ألزمه.
[9] ر ث م - هو.
[10] جميع النسخ: أي عظمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[11] ن - فيه.
[12] م: ملاحدة
[13] ن - أن.
[14] ر ن م: الله.

وأن له شريكا[١] ونزِّهه عنها، أو عظم حقه وأدِّ[٢] شكر نعمه. وهذا كما نقول:[٣] إن محبة الله تعالى طاعته وائتمار أوامره لا أن يكون هي[٤] شيئا يعتري في القلب فيصْعقَ منه المرء ويُغْشَى عليه، فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا أن يكون بالقول خاصة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وثيابك فطهر**، جائز أن يكون أريد بالثياب نفسه ويُجعلَ الثياب كناية عنها، كما ذكر أن العرب كانت تقول[٥] إذا كان الرجل ينكث العهد وليس بذي وفاء: إنه لَدَنِس الثياب، وإذا كان له وفاء قالوا: إنه لطاهر الثياب. فإن كان الخطاب متوجها إلى النفس فتأويله -والله أعلم- أن طهّر خُلقك وأفعالك وأقوالَك عما تُذَمّ[٦] عليه. وجائز أن يكون أريد بها الثياب فيكون قوله: **وثيابَك فطهّر**، متوجها إلى التطهير من النجاسة[٧] وإلى التطهير من الأدناس. فأما التطهير من الأجناس فقد امتُحنّا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما التطهير من الأدناس فجائز أن يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لأنه كان مأمورا[٨] بتبليغ الرسالة إلى الخلق فنُدب إلى تطهير ثيابه من الدنس لئلا يُستقذر[٩] / بل يُنظر إليه بعين التبجيل والعظمة. [٨٦٣ظ]
وليس هذا على تطهير الثياب خاصة بل أُمر أن يطهّر[١٠] جميع ما يقع له به التمتع من المآكل والمشرب والملبس وغيرها. *والله أعلم*. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أي[١١] لا تلبس الثوب على فخر ولا غدر.[١٢] قيل: وكان الرجل إذا كان غادرا في الجاهلية يقال: إنه دَنِس الثياب.

---

[١] ر ن م: شريك.
[٢] ر م: أو؛ ن: وأن أد.
[٣] جميع النسخ: يقول. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[٤] ر: هو.
[٥] ن: يقول.
[٦] جميع النسخ: يذم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث ن: من النجاسات.
[٨] ث + بها.
[٩] ن: لئلا يستقدر.
[١٠] ن: أن يظهر.
[١١] ر م - أي.
[١٢] ر ث م: ولا عذر. عن عكرمة أن ابن عباس سئل عن قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: لا تلبسها على غدرة ولا فجرة (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٢٦/٨).

وقال الحسن: خُلُقَك فحسّنه.[١] وقال بعضهم: أي قصّر ثيابك ولا تُطوّلها، فيقعَ أطرافها[٢] على الأرض، فيصيبها النجاسات.[٣] *والله أعلم.*

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والرجز فاهجر**، فالرجز اسم للمأثم واسم لما يعذَّب به،[٤] فيكون منصرفا إلى ما يتأذى به النفس ويتألم به النفس كالسيئة[٥] في أنها اسم لما يتأذّى به ولما[٦] يتألم عليه النفس، قال الله تعالى: لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ.[٧] فالمأثم اسم لما يتأذى به والعذاب مما يتألم به النفس فهو اسم للأمرين جميعا.[٨] وصرف أهل التأويل الرجز إلى المأثم هاهنا. وذكر قتادة أنه كان بمكة صنمان إسافٌ ونائلةُ، فكان من أتى عليهما من المشركين مسح وجوههما. فأمر الله عز وجل نبيه[٩] صلى الله عليه وسلم أن يعتزلهما[١٠] بقوله: **والرجز فاهجر.** وقيل أيضا بأن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لو مسحت وجوههما لكان [أحرى][١١] أن نؤمن لك ونتبعك فأنزل الله تعالى **والرجز فاهجر**، أي فاهجر عبادة الأوثان. وقيل: **الرجز**، العذاب. فجملته ترجع إلى ما ذكرنا أنه اسم للعذاب ولما يعذب عليه. *والله أعلم.*

---

[١] ر م: محسنة. *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٦٤؛ وانظر أيضا، *روح المعاني* للآلوسي، ١٥/١٤٧.

[٢] ر: أطراقها.

[٣] ر ث م: فيصيبه النجاسة.

[٤] جميع النسخ: عيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

[٥] ر م: كالسب؛ ن ث: كالشبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر م: ولا.

[٧] سورة سبأ، ٣٤/٥.

[٨] ر: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذب في ما يتألم به جميعا؛ ن: فالمأثم اسم لما يتأذى بها النفس فهو اسم للأمرين والعذاب مما يتألم به جميعا؛ ث: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين جميعا والعذاب مما لم يتألم به جميعا؛ م: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذاب وما يتألم به جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ث: بنبيه.

[١٠] ر: أن يعيرهما؛ ن ث م: أن يعبرهما. والتصحيح من المرجع السابق. عن قتادة: ﴿والرجز فاهجر﴾ إساف ونائلة، وهما صَنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما مَن أتى عليهما. فأمر الله نبيه صلى الله عيه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٤).

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ولا تمنن تستكثر**، قال مجاهد والحسن: تأويله أن لا تستكثر عملك فتمنّ به على ربك، على التقديم والتأخير.[١] فإن كان التأويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان هو المذكورَ في الخطاب، إذ لا[٢] يتوهم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنّ على ربه ولا أن يستكثر عمله لله تعالى، لأن هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوامّ الذي خُصّ بأدنى خير،[٣] فكيف يتوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين، قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ.[٤] ويجوز أن يكون الخطاب له وإن كان هو معصوما من ذلك، بقوله:[٥] وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ،[٦] ونحوه. وهذا كما ذكرن أن العصمة لا تمنع[٧] وقوع النهي إذ العصمة يُنتفع[٨] بها مع ثبات النهي، فإذا لم يكن فلا فائدة في العصمة. وقال بعضهم: **ولا تمنن تستكثر**، أي لا تعط[٩] عطية تلتمس بها أفضل منها في الدنيا من الثواب. نُهي عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها إلا القدرَ الذي لا بد له منه[١٠] ويقع إليه الحاجة. ألا ترى إلى قوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[١١] فإذا نهي عن مدّ عينيه إلى ما مُتِّعوا فمن[١٢] اكتساب أسباب[١٣] المال أحقّ. ثبت أن الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجمعه،[١٤] وجعل رزقه عليه السلام من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر وهو الفيء والغنيمة.

---

[١] قال الحسن البصري: لا تمنن عملك تستكثره على ربك (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٦).
[٢] ر ن م: ألا.
[٣] ن: خير.
[٤] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.
[٥] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[٦] سورة القصص، ٢٨/٨٨.
[٧] ر ث م: لا يمنع.
[٨] ر ث م: لا ينتفع.
[٩] ر ن م: لا تعطيه؛ ث: لا تعطه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[١٠] ر ث م – منه.
[١١] سورة طه، ٢٠/١٣١.
[١٢] جميع النسخ: ففي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م – أسباب.
[١٤] ر + ذلك.

ثم نهى عن إمساكه وادّخاره لنفسه بل أمر أن يصرفه في أمته بقوله عليه السلام: «مالي من هذا المال إلا الخُمُس والخمس مردود فيكم».[1] وقال الله عز وجل: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى،[2] الآية. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدّخر لغد، وقال الله تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ،[3] فثبت أنه كان منهيا عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى اكتساب الأموال وإلى الجمع، فنُهي عن العطايا التي يُلتمس بها أفضلُ منها في الدنيا. *والله أعلم*.

**﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾** [٧]

وقوله عز وجل: **ولربك فاصبر**، ففي هذا دعاء إلى إخلاص الصبر لله تعالى وإلى[4] الصدق فيه. وفي قوله عز وجل: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[5] دعاء إلى نفس الصبر. وجائز أن يكون هذا أيضا على الأمر بالصبر، فيكون على التقديم والتأخير، كأنه يقول: فاصبر لربك أي اصبر على ما تؤذَى[6] ولا تجازهم بصنيعهم فإن الله تعالى يكفيهم. فيكون في هذا إبانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بالأمور التي يكرهها نفسه ويشتد عليها فدعاه الله تعالى إلى الصبر على تحمل المكاره. *والله أعلم*.

**﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾** [٨]

وقوله عز وجل: **فإذا نقر في الناقور**، نُقر أي نفخ، والناقور الصور وهي كلمة [من][7] كتب[8] الأولين. ذكَر هاهنا **فإذا نقر في الناقور**، وقال في موضع آخر: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ،[9] وقال في موضع آخر: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[10] فجائز أن يحمل هذا كله على التحقيق،

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي من هذا إلا مثلَ ما لأحدكم إلّا الخُمُسَ وهو مَرْدُودٌ فيكُمْ فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ فما فوقهما وإياكم وَالْغُلُولَ فإنه عَارٌ وَشَنَارٌ على صاحبه يومَ القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٢٧).
[2] ﴿...والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ (سورة الحشر، ٧/٥٩).
[3] ﴿لا يغُرّنّك تقلُّب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٩٦-١٩٧).
[4] ر م + أن.
[5] ر + أي. سورة الإنسان، ٧٦/٢٤؛ وانظر أيضا: سورة الطور، ٥٢/٤٨.
[6] جميع النسخ: على ما يؤذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر: كما كتب.
[9] سورة الحاقة، ٦٩/١٣.
[10] سورة يس، ٣٦/٢٩.

فيتحقق الصيحة والزَّجرة[١] والنَّقْرة، ثم يَعقُبها الساعة. وجائز أن يكون هذا على التمثيل، فيكون فيه إخبار عن سهولة ذلك الأمر وهَونه على الله تعالى، لأن اللمحة والزجرة والنفخة والنقرة أمر سهل لا يشتد على أحد. أو يكون[٢] على تقصير الوقت على الذين ينفخ فيهم الروح، أي الأرواح ترد[٣] عليهم في قدر النفخة والزجرة والصيحة؛ خلافا لأمر النشأة الأولى لأنه في النشأة الأولى إنما نفخ فيه الروح بعد كونه نطفة في بطن أمه أربعين يوما ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر / من المدة، ثم نفخ فيه الروح بعد مُدَد وأوقات،[٤] وفي النشأة الأخرى ينفخ الروح[٥] [٨٦٤و] بالقصير[٦] من المدة وذلك قَدْرُ النفخة والزجرة[٧] والصيحة واللمحة. *والله أعلم*.

وإنما قلنا بأن التأويل قد يتوجه إلى التمثيل دون التحقيق -وإن ذكر في بعض الأحاديث تثبيت الصّورِ[٨] والناقور- لأنها من أخبار الآحاد، وخبر الواحد[٩] يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة، وفي تحقيق الصور والناقور ليس إلا الشهادة، لذلك لم يحصل الأمر على التحقيق والقطع لئلا يُقطعَ الحكم على الشهادة.

ثم قد ذكرنا أن قوله: **إذا**، جواب سؤال واقع عن تبيين وقت كأنه قيل له: فاصبر إلى أن يُنقَر في الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله: **قم فأنذر**، أي أنذرهم عما[١٠] يَحُلّ بأهل الشر من العذاب بنقر الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله:[١١] سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[١٢] إذا نقر في الناقور؛ أو كان السؤال[١٣] واقعا عن أمر لم يُشَرْ إلى ذلك الأمر. *والله أعلم*.

---

[١] ر: والرجزة.
[٢] م: ويكون.
[٣] جميع النسخ: يرد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[٤] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلَّقة وغير مخلقة لنُبيّن لكم ونقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).
[٥] ن م – الروح.
[٦] جميع النسخ: بالقصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث م – والزجرة.
[٨] ر ن م: الصورة.
[٩] ر: وجب الوحد؛ ث: وخبر الآحاد.
[١٠] ن: عملا.
[١١] ر ث م – لقوله.
[١٢] الآية ١٧ من هذه السورة.
[١٣] ر ث م: بالسؤال.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**، ذلك اليوم يومُ رحمة للمؤمنين إذ في ذلك اليوم يُكرمون ويُنالون عظيم الدرجات من ربهم. ولكن الله عز وجل ذكر ذلك اليومَ في غير آي[١] من كتابه والأحوالَ التي تكون[٢] فيها وإن كانت تلك الأحوال تنزل[٣] على غير المؤمنين. فمرة سماه واقعة، ومرة قارعة، ومرة حاقة.[٤] وإنما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم، فلذلك سماه عسيرا وإن كان هو عسيرا[٥] على فريق يسيرا على غيرهم. وجائز أن يكون عسيرا على الخلائق أجمعَ بعضُ هول[٦] ذلك اليوم يشمل الفرق كلها، كما قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى.[٧] ثم إن المؤمنين تُفَرّج[٨] عنهم الأهوال بما يأتيهم من البِشارات والكرامات عن الله تعالى ويبقى عُسْره على أصحاب النار.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ذرني ومن خلقت وحيدا**. ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة. والأصل أن الأنباء التي ذكرت عن الأنبياء المتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة فيها إبانةُ أنها جرت بينهم وبين الآحاد منهم؛ وذلك أن فرعون كل نبي كان[٩] واحدا وكان مَن سواه يصدر عن رأيه وينتهي إلى تدبيره، فكان يَستغني عن مخاطبة مَن سواه. وقد كثرت فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعي الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره والصدور عن رأيه والانقيادِ له. منهم أبو جهل ومنهم الوليد بن مغيرة ومنهم أبو لهب وغيرهم.

---

[١] م: أي.

[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[٣] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/١-٢)؛ وإلى قوله:﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة﴾ (سورة القارعة، ١٠١/١-٣)؛ وإلى قوله: ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ (٦٩/١-٣).

[٥] ث - وإن كان هو عسيرا.

[٦] ن: هو.

[٧] ﴿يوم ترونها تَذهَلُ كل مُرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَمْل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[٨] م: يفرح.

[٩] م - كان.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أن[١] يخاطب كلا في نفسه. ومن احتاج إلى مخاطبة أقوام وإجابة كل واحد بحِيَالِه كان الأمر عليه أصعبَ من الذي احتاج إلى مخاطبة واحد. ففي هذا[٢] أن المحنة على رسولنا[٣] عليه السلام كانت أكثر مما امتُحن بها[٤] من تقدمه من الرسل عليهم السلام.

ثم قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، ليس[٥] فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له: **ذرني**، ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة إظهار القوة؛ يقول الرجل[٦] لآخر: "خَلِّ بيني وبين فلان" و"دَعْني وإياه" من غير أن يكون سبق منه المنع، فيريد به إظهار القوة من نفسه أنه كافيه وقادر على دفع شره عن نفسه. فيكون في قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، دعاءٌ[٧] من الله تعالى إياه إلى أن لا يتعرض[٨] له ولا يجازيَه بصنيعه، فإن الله تعالى يكفيكه ويدفع عنك شره؛ أو يكون فيه نهي عن أن يدعوَ عليه بالهلاك والثبور ويصبِّره إلى أن يأتيه أمر الله تعالى، فيكون في هذا مَسْلاةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن المتنازعَين[٩] إذا تنازعا في شيء وحدث بينهما شر فانتصب ثالث في نصر أحدهما خف الأمر على المنصور ويفرح[١٠] لذلك ويسلو[١١] به. فإذا كان الله تعالى هو الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلاة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك أكثر في التسلي والتفرح،[١٢] فيكون في هذا تمكين من الصبر[١٣] الذي دُعي إليه بقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[١٤] وبقوله: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[١٥] الآية.

---

[١] م – أن.
[٢] ر ث م: و هذا.
[٣] ن: على رسوله.
[٤] ر ن م – بها.
[٥] ر م – ليس.
[٦] ن – الرجل.
[٧] ن: دعا.
[٨] ر: لتعرض.
[٩] ن: أن المسارعين.
[١٠] ر ن: ويفرح.
[١١] م: ويسلوا.
[١٢] ر ن: والتفرج.
[١٣] ر: من المصير.
[١٤] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[١٥] سورة الإنسان، ٢٤/٧٦.

ثم قوله[1] عز وجل: **خلقت وحيدا**، يحتمل وجهين. أحدهما[2] أي خلقته وحدي ولم يكن لي في الخلق ناصر ومعين ولا مشير. وجائز أن يكون معناه أي خلقته وحيدا لا مالَ له ولا ولد. فيكون في هذا وعيد وتخويف لذلك اللعين، أي كيف لا يخاف أن يعاد إلى الحالة التي كانت عليها يوم خُلق بلا مال ولا ناصر، كقوله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.[3]

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجعلت له مالا ممدودا**، قيل: **مالا ممدودا**، أي مالا لا ينقطع بل يكون له مَدد. وذكر عن مجاهد أنه قال: كان ذلك ألف دينار.[4] وقال السُّدّي: **مالا ممدودا**، ثلاثة عشر ألفا.[5] وقيل: أراد به ما جعل له من الضياع بالطائف تثمر[6] في السنة مرتين. ولكن عندنا المال الممدود هو[7] المتتابع لا ينقطع مدده، والذي لا ينقطع مدده لا يقع تحت الإحصاء.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[١٣]

[٨٦٤ظ] وقوله عز وجل: **وبنين شهودا**، / أي حضورا لا يغيبون.[8] ويكون فيه وجهان من الحكمة. أحدهما أن ماله قد كثر حتى لم يحتج إلى تفريق أولاده في الجمع والاكتساب بل كان يأتيه[9] سمحا لا يحتاج إلى تكلف أسباب الجمع. والثاني أن غاية ما يراد ويتمنى ويُلتَمس من البنين هو أن يُستأنس بالنظر إليهم ويستعان[10] بهم ويستنصر إذا احتاجوا إلى ذلك. ففيه أنه قد نال مُناه[11] ووصل إلى ما يرغب إليه النفوس من كثرة الأموال والأولاد.

---

[1] ن ث: ثم في قوله؛ ر م: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[2] م – أحدهما.
[3] سورة الأنعام، ٩٤/٦.
[4] عن مجاهد ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ قال: كان ماله ألف دينار (*تفسير عبد الرزاق*، ٣٦٤/٣؛ *وتفسير الطبري*، ١٩١/٢٩).
[5] ر م – ثلاثة عشر ألفا. قارن بما ورد في *معالم التنزيل* للبغوي، ٢٦٦/٨-٢٦٧.
[6] ر ث م: ثم؛ ن: يثمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[7] ر م: هو.
[8] ر ث: لا يعيبون.
[9] ر م: تأتيه.
[10] جميع النسخ: ويستعين. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: متناه.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ومهدت له تمهيدا**، أي بسطت له في الدنيا بسطا، وقيل: التمهيد هو التمكين.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾[١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا**، فجائز أن يكون طمعه منصرفا إلى الزيادة في الآخرة، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١] فحسبوا أنهم إذا ساوَوا[٢] أهل الإيمان في الدنيا أن يُساوُوهم[٣] في الآخرة لو كان الآخرة حقا، فكذلك هذا اللعين حسب أنه يبسَط عليهم نعيم الآخرة كما بسط[٤] عليه نعيم الدنيا فكان قوله: **كلا**، ردا عليهم. فإن كان على هذا ففيه أعظم الدلالة على إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أن ليس له نصيب في الآخرة، وإنما يُحرَم النصيب إذا خُتم على الكفر وقد ختم[٥] على الكفر[٦] كما قال، فكان في هذا[٧] إخبار منه عن أمر الغيب، فصدق خبره وخرج الأمر حقا كما قال، فثبت أنه بالله تعالى عَلِمه. وجائز أن يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله: **كلا**. وذُكر أن ماله بعد نزول هذه الآية أخذ في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا، فيكون في هذا أيضا ما في الأول[٨] من إثبات الرسالة.

وقوله عز وجل: **إنه كان لآياتنا عنيدا**، في هذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى أكثر نعمه[٩] عليه، ثم ذلك الملعون مع كثرة نعم الله عليه وإحسانه إليه عاند [آياته][١٠] ولم يطعه في أوامره، فكيف ترجوا أنت منه أن يعاملك بخلاف ما يعامل ربه،[١١]

---

[١] ﴿...سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢١).

[٢] ث: ساؤوا.

[٣] ر م: أن يساوونهم؛ ن ث: أن يساونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.

[٤] م: كما يبسط.

[٥] جميع النسخ: وأختم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥و.

[٦] ر ث م - وقد ختم عى الكفر.

[٧] ن: وفي هذا.

[٨] ر م: أيضا في الأول.

[٩] ث: نعمة.

[١٠] الزيادة من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: في معاملته إياك مع معاملتك إياه بما يخالف مراده وهواه. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون فيه ما يدعوه إلى الصبر. والعناد هو مخالفة الحق عن علم بظهور الحق، فيكون قوله: **إنه كان لآياتنا عنيدا،** إنباء[1] أنه بعد علم وإحاطة ويقينٍ عاند آيات الله وخالف أمر رسول الله واستكبر. والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يثبته عقله بالأقوال أو بالأفعال.

ثم في قوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا،** إبطال قول من قال: إن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم، لأن قوله: **أن أزيد،** لا يخلو إما أن تكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى عندهم أن يزيده وفي قوله: **كلا،** قطع طمعه للزيادة، فيصير بحرمان الزيادة عنه[2] جائرا،[3] فكيف جعَل آيةَ رسالته من الوجه الذي هو جور عندكم؟ وإن كان حرمان الزيادة خيرا له[4] وأصلحَ فكيف جعل الحرمان أيضا علما لنبوته وكان عليه أن يُحرمه على زعمكم. وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم يطمع أن يزيد.[5]

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **سأرهقه صعودا،** فجائز أن يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد الصُّعود عليها كما ذكره بعض[6] أهل التأويل، فيُكلَّف الصُّعودَ عليها.[7] وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك أن الصَّعود في الشاهد[8] مما يشق على المرء الصعود [عليها]، والهبوطَ مما يسهل على المرء الانحدار[9] عنه.[10] فإن كان على هذا ففيه أنه يصيبه في الآخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمُّل ذلك.

---

[1] ر ث م – إنباء.
[2] ث – عنه.
[3] ر م – جائرا.
[4] ن – له.
[5] ر م: أن أزيد.
[6] ن – بعض.
[7] ن: عليه.
[8] ر م: في التشاهد.
[9] ر ن: للانحدار.
[10] الصَّعود: الطريق صاعدا، مؤنثة. وفي التنزيل ﴿سأرهقه صعودا﴾ أي على مشقة من العذاب. قال الليث وغيره: الصَّعُودُ ضد الهَبُوط والجمع صعائدُ وصُعُدٌ مثل عجوز وعجائز وعُجُز والصَّعُودُ العقبة الكئود وجمعها الأَصْعِدَةُ. ويقال: لأُرْهِقَنَّكَ صَعُودًا أي لأُجَشِّمَنَّكَ مَشَقَّةً من الأمر وإنما اشتقوا ذلك لأن الارتفاع في صَعُود أَشَقُّ من الانحدار في هَبُوط. وقيل: فيه يعني مشقة من العذاب. ويقال: بل جَبَلٌ في النار من جمرة واحدة يكلف الكافرُ ارتقاءَه ويُضرب بالمقامع فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل وَرِكِهِ ثم تعود مكانها صحيحة (*لسان العرب*، «صعد»).

ثم يقال للمعتزلة في هذه الآية وفي قوله: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ:[١] إن في هذا وعيدا من الله تعالى بأن يصليه سقر وسيُرهقه صعودا، فأراد الله تعالى أن يَصدُق خبرهُ ويُنجز وعدَه أو أراد أن يُكذب خبرَه ويخالف وعده؟ فإن قلتم بالثاني فقد نسبتموه إلى الكذب وإلى خلف الوعد، ومَن هذا وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح أن يكون إلها. وإن قلتم: بلى، أراد أن يصدق خبره وينجز[٢] وعده قلنا لكم: أراد[٣] أن ينجز وعده مع دوامهم على الكفر أو عند انقلاعهم عنه؟ فإن زعمتم أنه إنما أراد أن يصليهم سقر على الخروج من الكفر فهذا منه جور، لأنه يصليه سقر بشيء لا إرادة له فيه،[٤] وإن سلّمتم أنه أراد إصلاءهم سقر إذا داموا على الكفر واستقروا عليه فقد لزمكم أن تقولوا: إن الله تعالى أراد من كل أحد ما علم أنه يختاره ويكون منه. ويقال لهم: إن الله تعالى يقول: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ،[٥] ولو كان الأمر على ما زعمتم أنه يريد من كل كافر أن يُسلم ويؤمن به ويريد الكافرُ أن يكفر به ويعاديه، فإذًا قد أراد أن يكون له ولي من الذل، لأنه يريد أن يواليه مع اختيار[٦] الكافر في معاداته. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

## ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنه فكر وقدر.** {قال الفقيه رحمه الله:} إن فراعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وأن يطفئوا[٧] نوره، فأرادوا أن يُجمعوا على أمر ينسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن أنفسهم سِمَة الجهل وتُهمة الكذِب في ذلك؛ على ما / ذكروا أن الوليد جمع أصحابه فقال: إن هذا [٨٦٥و] أيام الموسم وإن الناس سائلوكم عن هذا الرجل فماذا تقولون؟ فقال بعضهم: نقول:[٨] هو[٩] شاعر، قال: إنهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر. وقال بعضهم: نقول: هو كاهن،

[١] الآية ٢٦ من هذه السورة.
[٢] م: وينجزه.
[٣] ث – أن يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم أراد.
[٤] ن – فيه.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/١١١.
[٦] ر م: اختياره.
[٧] ر م: أن يطفئوا.
[٨] ث – نقول.
[٩] ن: انه.

فقال: إن الكهانة معروفة عند العرب وإذا سمعوا قوله عرفوا أنه ليس بكاهن فيكذبونكم. وقال بعضهم: نقول: هو كذاب، فقال: إنا قد احتبرناه[1] فما أخذنا[2] عليه كَذْبَةً قطّ. فقال بعضهم: نقول: هو[3] مجنون، فقال: إذا نظروا إليه علموا أنه ليس بمجنون. فأعيا عليهم [الأمر]. ففكّر[4] في نفسه وقدّر، فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ،[5] ما هذا الذي أتى به إلا سحر يأثُره عن غيره أي يرويه.[6] فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا، وقالوا: الساحر يفرق بين اثنين وقد وُجد منه التفريق بين الآباء والأولاد وبين ذوي الأرحام؛ رَجاءَ أن يَصِلوا إلى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى وإطفاء نوره مكرا منهم، وهو كقوله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ.[7] ووجه رجوع المكر إلى أنفسهم ذكروا فيه أوجها. أحدها رجوع المكر إلى أنفسهم أن الله تعالى أظهر سوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله آية تتلى[8] إلى يوم القيامة، فيكون فيه ظهور كذبهم وإلحاق العار[9] بهم إلى يوم التنادي[10] [مع] تواتر[11] اللعن. والثاني أن الكبراء إذا اجتمعوا في مكان للتدبير اتصل بهم[12] أوساطهم واختلط[13] بهم صغارهم، فيقع لجمتهم[14] العلم بالذي[15] وقع[16] عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة، وإذا وقفوا على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الآفاق، فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم، فيتحقق عند ذلك جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ث: قد اخترناه.
[2] ر م: فما أخذناه.
[3] ث - هو.
[4] م + ففكر.
[5] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[6] ر: أي يروي؛ م: أي يزود.
[7] ﴿... وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة الأنعام، ١٢٣/٦).
[8] ن: يتلى.
[9] ر: الغار.
[10] جميع النسخ: التناد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[11] ر م: وتوارد؛ ن ث: وتواتر. والزيادة مع التصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: لهم.
[13] ر: والختلط.
[14] ر م: لحيلتهم.
[15] ر ث م: الذي.
[16] ر ث م - وقع.

ويصير كذبهم شائعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي أرادوا نفي[١] سِمَة الجهل عن أنفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم. فلا يركنون[٢] إلى قولهم ولا يلتفتون إلى أخبارهم عن حاله، إذ قد تبين جهلهم بحاله. فيكون ذلك سببا لترغيب الناس إلى الإسلام ودعائهم[٣] إليه لا أن يكون سببا للصد عن سبيل الله، فصار المكر راجعا إليهم.

ثم قوله: **إنه فكّر**، أي فكر في الأمر الذي أراد إحكامه، أو فكر في الكلمات التي ألقوها فيما بينهم أيها أليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتنسب[٤] إليه. وقوله عز وجل: **وقَدّر**، يخرج على هذا أيضا.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[١٩]

وقوله: **فقتل كيف قدر**، قيل:[٥] لُعن، واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى. وقد ظهر الإبعاد لأن مادة ماله قد انقطعت في الدنيا وأخذ ما كان اجتمع عنده في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ثم ساقه إلى النار خالدا فيها. وقوله عز وجل: **كيف قدر**، أي كيف لم يَسْتَحْيِ[٦] عن تقديره الذي قدّر من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا وقد علم أنه في إنشاء[٧] ذلك الاسم كاذب، أو كيف اجترى على الله وتجاسر وهو يعلم أنه رسول حق، فعاند آياته[٨] واجترى على ذلك و لم يَخَفْ نقمة الله تعالى.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ثم قتل كيف قدر**، فلعنه مرتين وقد ظهر[٩] أثر اللعن فيه في الدنيا والآخرة جميعا، لأن الله تعالى فضحه بما أظهر كذبه للخلائق فبقي ذلك العار إلى آخر الأبد،[١٠]

---

[١] م – نفي.
[٢] ر ن م: فلا يركنوا.
[٣] م: في دعائهم.
[٤] جميع النسخ: فينسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٥] ر م – قيل.
[٦] ث: لم يستح.
[٧] م: في إنشاد.
[٨] ر ث: إبانة.
[٩] م – ظهر.
[١٠] ر: العاد إلى آخر أبد.

وأبعده من رحمته حيث أخذ مالُه في الانتقاص وانقطعت مادة ماله، فهذا أثر اللعنة في الدنيا، ووعد أن يصليه سقر وأنْ سَيُرْهقه صعودا، وذلك خزيه ولعنه في الآخرة، فظهر إحدى اللعنتين في الدنيا ويلحقه الثانية في الآخرة.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾[٢١]

**ثم نظر،** فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.[١]

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم عبس وبسر،** فجائز أن يكون الذي[٢] حمله على العبوس والبُسُور هو ما ألقوا إليه[٣] المختلَفَ من الكلمات فعبس وجهَه عليهم لما في اختلافهم ظهور كذبهم، أو يكونَ الذي دخل عليه من شدة الغيظ في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمَّه وأحزنه حتى أثّر ذلك في وجهه فعبس لذلك[٤] وجهه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ثم أدبر واستكبر،** يحتمل أن يكون أدبر عن أولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير[٥] واستكبر[٦] عليهم، أو أدبر[٧] عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث أعرض عنه ولم يجبه إلى ما دعاه إليه.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقال إن هذا إلا سحر يؤثر،** أي هذا الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم مما يؤثر من أفعال السحر، أو هذا الذي يخبرنا[٨] أنه أتى به من عند الله هو سحر يؤثر عمن تقدمه، ولكنْ قال هذا على علم منه أنه ليس بسحر.

---

[١] ر م – ثم نظر فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.
[٢] ر ث م – الذي.
[٣] ث: إليها؛ م – إليه.
[٤] ر م: كذلك.
[٥] ر: المتدبرين؛ ن: التدبير.
[٦] جميع النسخ: واستكبروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٧] ر م: و أدبر.
[٨] ر م: يخبر.

{قال الفقيه رحمه الله:} ولو كان الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما قرفوه[١] به فهو لا يخرج من أن يكون حجة له في صدق مقالته وإثبات رسالته؛ لأنه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الرأي والتدبير وإنما سبيل الوصول إليه التلقن[٢] والتلقف عن الغير، وقد علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلقن[٣] [من] أحد[٤] ولا وجد منه الاختلاف [٨٦٥ظ] إلى مَن عنده علم ذلك، فوقع لهم الإيقان أنه بالله تعالى علم لا بأحد من الخلائق، فيصير الذي قرفوه به من أعظم الحجة. ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزهه عن ذلك وأمره بمعاداة السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»، وقال: «توبة الساحر ضربة بالسيف».[٥]

ثم الأصل أن الساحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقَف على سبب التفريق. وكان سبب تفريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا، لأنه كان[٦] يأتيهم بالحجج فيعلم مَن أمعن النظر فيها صدقَه فيما يدّعي من الرسالة فيؤمن[٧] به ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النَّصَفة ترك الإيمان به،[٨] فبطل أن يكون تفريقه كتفريق السحر. ولأن كلا منهم لو تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأمعن النظر فيه حمله ذلك على الإيمان به والتصديق لرسالته، فيصير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم سبب الاجتماع والألفة لا أن يكون سبب التفريق بين الأحبة. ثم الأصل أن الساحر بُغْيته[٩]

---

[١] ر م: كما فرقوه.

[٢] جميع النسخ: الالتقان.

[٣] ن ث: لم يلتقنه.

[٤] جميع النسخ: أحدا.

[٥] عن جُندَب قال: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: «حدّ الساحر ضربة بالسيف» (*سنن الترمذي*، الحدود ٢٧). حدثنا سفيان عن عمرو سمع بَجَالة يقول: كنت كاتبا لِجَزْءِ بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأتانا كتاب عمر قبل موته بسَنَةٍ أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال سفيان: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانْهَوْهم عن الزمزمة. فقتلنا ثلاثة سواحر... (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٩٠/١). وعن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عيه وسلم قتلت جارية لها سحرَتْها وقد كانت دَبَّرَتْها فأمرت بها فقتلت (*الموطأ* للإمام مالك، العقول ١٩).

[٦] ر م – كان.

[٧] ر ث م: فيؤمر.

[٨] ن م – به.

[٩] ث: بغية.

وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة[1] السعة في الدنيا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما أتى به الجاة عند الرؤساء بل عاداهم وأظهر الخلاف لهم،[2] فدعا الخلق إلى الزَّهادة في الدنيا لا إلى الاستكبار هاهنا. فكيف يجوز أن يُنسب إلى السحر وقد أتى بما يُضادّ فعل السحرة.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا إلا قول البشر**، قد عَلم أنه ليس بقول البشر لما عجز البشر عن إتيان مثله وقال: إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا،[3] فثبت أنه على العلم منه بأنها آيات عانَد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سأصليه سقر**، فالسقر لون من العذاب. وقيل: السقر هي الدركة الخامسة.[4] وقيل: السقر من أبواب جهنم،[5] ومعناه سأدخله جهنم من باب السقر. ***والله أعلم***.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾[٢٧] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **لا تبقي ولا تذر**، يحتمل أي لا تبقى [له][6] حياة يتلذذ بها ولا تذره[7] يَهلِك فيستريح، بل يبقى أبدا في الهلاك، كما قال تعالى: فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا.[8] ويحتمل[9] لا تُبقي[10] له جلدا ولا لحما ولا عظما بل تُنضج[11] جلده وتأكل[12] لحمه

---

[1] ن: واستنقاذه.
[2] ر ث م – لهم.
[3] الآية ١٦ من هذه السورة.
[4] عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله: ﴿لها سبعة أبواب﴾ قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨١/٥). قال مقاتل: يعني: الباب الخامس (*بحر العلوم* للسمرقندي، ٤٢٢/٣).
[5] ر م – جهنم. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر (*تفسير الطبري*، ١٩٧/٢٩).
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.
[7] ر ث م: ولا يذره.
[8] سورة طه، ٧٤/٢٠.
[9] ر م – ويحتمل.
[10] ن: لا يبقى.
[11] جميع النسخ: بل يصح. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ويأكل: والتصحيح من المرجع السابق.

وتكسر[1] عَظْمه ولا تذره[2] على تلك الحال: كسيرَ[3] العظم مأكول اللحم نضيج[4] الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فتحرقها[5] كذلك أبدا ولا تُبقي له رَوْحا[6] ولا تذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها.

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **لوّاحة للبشر**، قيل فيه بوجوه. قيل: **لوّاحة للبشر**، أي محرقة[7] للجلد، فالبَشَر الجلد، فجائز أنه[8] خص الجلد بالتلوّح[9] لأن الجلد من الإنسان هو الظاهر، فيكون ظاهر الإحراق مؤثرًا فيه فخصه بالذكر لهذا، كما سُمّي الإنسان إنسانا لظهوره لكل من هو من أهل الرؤية وسُمّي الجن جنا لاستتاره عمن ليس بجنسه، وهو كقوله عز وجل: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ.[10] وقيل: **لواحة**، أي[11] ظاهرة للبَشر، كقوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[12] وقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى،[13] أي يظهر لهم ويلوح فينظرون إليها ويتيقنون بالعذاب. ويحتمل أن يكون قوله: **لواحةٌ**، لأن النار تأكل جلودهم ولحومهم فتظهر[14] منهم[15] عظامهم[16] وتلوح، [لأن الله تعالى خلق العظام وكساها باللحم ثم كسا اللحم بالجلد، فتحرق النار جلدَه وتأكل لحمه فيظهر عظمه ويلوح][17] عن ذلك، ثم تبدَّل جلودا ولحوما أبدا، على هذا مَدارُ أمرهم.

---

[1] جميع النسخ: ويكسر: والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.
[2] ر ث م: ولا يذره.
[3] ر م: كسر.
[4] جميع النسخ: نضج: والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: فيحرقها: والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: ولا يبقي له روحا؛ ن: ولا يبقي روحا.
[7] ن: محرقة.
[8] ر ن م: أن.
[9] جميع النسخ: بالتلويح. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿كلما نَضِجت جلودهم بَدَّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٤/٥٦).
[11] ث – أي.
[12] سورة الشعراء، ٢٦/٩١.
[13] سورة النازعات، ٧٩/٣٦.
[14] جميع النسخ: فيظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ن – منهم.
[16] م – عظامهم.
[17] الزيادة من المرجع السابق.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **عليها تسعة عشر**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم خزنة جهنم مع كل واحد من الأعوان ما لا يحصى.[١] وذكر أن ستة منهم يقودون[٢] الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم وستة يضربون[٣]وجوههم[٤] بمقامع الحديد والنيران، والآخر هو الخازن الأكبر وهو مالك يأمرهم بما أُمر هو به.[٥] ويحتمل أن يكون في السقر تسعة عشَر دَرْكا وقد سُلّط على كل درك ملك. وذلك أن جهنم ذات حد في نفسها لأن الله تعالى وعد أن يملأها من الجنة والناس أجمعين.[٦] ولو لم يرجع إلى حد لكان لا يتحقق امتلاؤها بالقدر الذي ذكروا. ويحتمل أن يعذَّب فيها بتسعةَ عشرَ لونا من العذاب وقد[٧] وُكّل كل واحد منهم أن يعذب بنوع من ذلك. والأصل أن الله تعالى حكيم يُعلِم أن في كل فعل من أفعاله حكمة عجيبةً ولكن لا كلُّ حكمة يوصَل إليها بالعقل ويُنتهَى إلى معرفتها بالتدبير. ألا ترى أن الله تعالى جعل في الماء[٨] معنى يحيا به[٩] كلُّ شيء، ولو أراد أحد[١٠] أن يتكلف استخراج المعنى الذي به صح أن يكون طبعه[١١] موافقا لإحياء كل شيء لا يمكنه ذلك، وجعل في الطعام ما يُغذّي وينمّي. ولو أراد أحد أن يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والإنماء لم يتدارك. وكذلك جعل في العدد الذين سماهم[١٢] حكمة ولكنا[١٣] لا نصل إلى تعرفها بعقولنا وتدبيرنا.

---

[١] قارن بما ورد في *تفسير الطبري*، ١٩٩/٢٩.

[٢] ن: يعودون.

[٣] ر: يعتبرونهم؛ ن: يضربونهم.

[٤] ر ن - وجوههم.

[٥] قارن بما ورد في *تفسير النسفي*، ٤٥٥/٤.

[٦] يقول الله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١٩/١١)؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ١٣/٣٢.

[٧] ر ن م: قد.

[٨] ث: في المائية.

[٩] ر - به.

[١٠] ن: أخذ.

[١١] ر ث م: طبيعة؛ ن: طبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.

[١٢] أي عدد ملائكة العذاب.

[١٣] ر: ولكنه.

وزعمت الباطنية أن في ذكر الأعداد التي عليها تركيب العالم تعريفَ الأعداد المجعولة في الروحانيات. فيقال لهم: من جعل الأعداد التي عليها[١] تركيب العالم أولى بأن يُتعرّف بها الأعداد المجعولة[٢] في الروحانيات من أن يُجعل / الأعداد التي في الروحانيات عَلَما لاستدراك[٣] [٨٦٦و] المجعولة في الجسدانيات؟ ثم يسألون عن الأعداد المجعولة في الرحانيات لأي معنى جعلت وأية[٤] حكمة فيها؟ فليست جوابهم بعد هذا إلا العجز والاعترافَ بالجهل، فَلْيُقِرُّوا بالجهل من الابتداء من غير أن يتكلفوا استخراج ما يوجب عن حقيقة كان فيها[٥] ظهور عجزهم. **والله أعلم**.

والأصل عندنا ما ذكرنا أن أهل التوحيد اعتقدوا أن الله تعالى حكيم وأنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة في الشاهد،[٦] لأن الذي يحمل[٧] الإنسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد أحد معانٍ[٨] ثلاثة: إما الجهل وإما العجز وإما الحاجة. والله تعالى عالم لا يجهل وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغنيٌ لا تمسه[٩] حاجة. فانتفت عنه الأسباب التي لديها يقع الخروج عن حد الحكمة. فثبت أنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة. وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة،[١٠] لكنهم إذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم و لم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا أنه لا حكمة فيه وأنكروا أن يضاف ذلك[١١] إلى الله تعالى. فأهل الدهر أنكروا البعث وأنكروا الصانع لما رأوا أشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة[١٢] مخرج العبث،[١٣] وفعل الحكمة لا يخرج مخرج العبث[١٤] فنفوا بهذا أن يكون للأشياء[١٥] صانع.

---

[١] ر م - عليها.
[٢] جميع النسخ: المجعول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] ر: بطلحا لاستدراك؛ م: عبى الاستدراك.
[٤] ر ن م: وأي.
[٥] جميع النسخ: فيه.
[٦] ر ن م - في الشاهد.
[٧] ر م: يحل.
[٨] جميع النسخ: معاني. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: لا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م - وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة.
[١١] ن - ذلك.
[١٢] ر: فإنها.
[١٣] م: التعست.
[١٤] م: التعبث.
[١٥] ر م: الأشياء.

ومن بنى [بناءً][1] ثم نقضه ثم أعاده إلى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيما بل كان جاهلا سفيها؛ فقاسوا أمر البعث على ذلك وظنوا أنه خارج مخرج العبث، إذ[2] ليس فيه إلا الإعادة إلى الحال التي كان عليها قبل الموت. وما ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول بإلهين اثنين، لأنهم[3] رأوا في الشاهد خيرا وشرا، وصلاحا وفسادا، وظلمة ونورا. ولا يجوز أن يكون جوهر الظلمة والنور واحدا، ولا يجوز أيضا أن يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض، فتبينوا[4] بهذا أن خالق الشر والخير مختلف. فبهذا أنكرت المعتزلة خلق أفعال العباد، لأن الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا، ومرة صلاحا ومرة فسادا؛ ولا يجوز أن يكون الشر مضافا إلى الله تعالى ولا أن يكون الفساد منسوبا إليه، فأنكروا أن يكون لله تعالى في أفعال العباد صنع.[5]

وأهل التوحيد سلّموا الأمر إلى الله تعالى وفوضوا العلم إليه في كل ما جاء عنه جل وعز[6] وإن لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم، لوجودهم أشياء هي خارجة عن[7] أن يتداركوها[8] بعقولهم ويقفوا عليها بعلومهم. كما ذكرنا من أمر الماء أنه[9] قد جعل فيه معنى بذلك[10] المعنى يحيي الأشياء، ولو أرادوا أن يعرفوا ذلك المعنى بالعقول والآراء لم يمكنهم ذلك. وكذلك[11] هذا في الطعام وفي الأشياء المشروبة موجود، ثم لم يجب بهذا إنكار المياه وسائر الأطعمة والأشربة. ولذلك لا يجب إنكار العدد الذين سماهم الله تعالى من الملائكة ولا إنكار[12] البعث ولا إنكار كل شيء لا يقفون[13] على حكمته بعقولهم. **والله أعلم**.

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[2] ر: مخرج العبث أن؛ م: مخرج التعبث أن.
[3] ر م: أنهم.
[4] ر ث م: فقد بنوا؛ ن: فقد نفوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: صنعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن: جل وعلا.
[7] ر ن م – عن.
[8] ن – لوجودهم أشياء هي خارجة عن أن يتداركوها.
[9] ن – أنه.
[10] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ن م: ولذلك.
[12] ن: ولا إنكارهم.
[13] ر م: لا يقفوا؛ ن: لا نقفوا.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**. فلقائل أن يقول في هذا: إذا لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة لم يوجد فيها إنسي ولا جني، فكيف قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ؟[١] وجوابه أن معنى قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**،[٢] أي ما جعلنا على أصحاب النار إلا ملائكة يعذبون أهلها بها لا أن يكون الملائكة تمسهم النار ويتأذَّون بها. وفي هذا دلالة على أن من قرأ مكان قوله تعالى: "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[٣] "[أُولَٰئِكَ] أَصْحَابُ النَّارِ"[٤] في صلاته لا تفسد[٥] صلاته،[٦] لأنه ليس في تسمية[٧] أصحاب الجنة أصحابَ النار إيجابُ عذاب عليهم،[٨] كما لم يكن في قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**، إيجابُ عذاب على الملائكة واستحقاقهم. ***والله أعلم***.

وإنما خصهم[٩] لذلك -والله أعلم- لأنهم خُلقوا يَسخطون ويَغضِبون لله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،[١٠] لم يميلوا إلى أحد ولم يرحموا بما رأوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه، ليسوا على طباع الإنس والجن[١١] أن قلوبهم ربما يميل ويرحم من لا يستحق[١٢] الرحمة.

وذكر أهل التأويل أن قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**، رد على أولئك الكفرة الذين قالوا: إنا لنكفِي هؤلاء العِدّةَ -حين سمعوا عليها تِسْعَةَ عَشَرَ-[١٣] فنغلب عليهم ونخرج من النار.

---

[١] سورة هود، ١١٩/١١.
[٢] جميع النسخ: وهو لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة. والمضبوط من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] انظر مثلا: سورة البقرة، ٨٢/٢.
[٤] انظر مثلا: سورة البقرة، ٣٩/٢.
[٥] جميع النسخ: لا يفسد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م - صلاته.
[٧] ر م: نسبة؛ ن ث: في نسبته. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: أليم.
[٩] أي ملائكة العذاب.
[١٠] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وقُودُها الناسُ والحجارة عليها ملائكة غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[١١] ن ث: على طباع الجن والإنس.
[١٢] م: من يستحق.
[١٣] الآية السابقة.

فأخبر أنهم ليسوا برجالٍ أمثالِكم إنما هم ملائكة؛ ووصف الملائكة قد روي[1] في الأخبار من هَول خِلقتهم وعظمتهم[2] وشدة بأسهم وبطشهم وأن لهب النيران يخرج من أفواههم وأن بِنْيتهم[3] لا تحتمل[4] الحرق والآلام ليس على ما عليه بنية البشر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**، الفتنة قد يتكلم بها على وجهين؛ فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة، ويذكر ويراد بها العذاب. فإن كان يراد بها العذاب[5] فمعناه أنه جعل العدد الذين / ذكرهم فتنة عليهم أي عذابا عليهم، إذ هم قد سُلِّطوا على تعذيب[6] الكفرة،[7] وهو[8] كقوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[9] أي يعذبون. وإن كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه. أحدها أي ما جعلنا ذكر عددهم إلا لافتنان الذين كفروا، أي مَن عَلِم الله تعالى منهم أنه يكفر بآيات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنته، إذ[10] كان في علم الله تعالى أنه ممن يبتغي[11] الفتنة. فأما[12] من علم أنه ينظر في آيات الله مسترشدا فلم يزده[13] ذلك إلا إيمانا وتصديقا، إذ علموا أن لله تعالى أن يمتحنهم بأنواع المحن فآمنوا به وسلَّموا ذلك لله تعالى، فيكون في جعل عدتهم تسعةَ عشرَ شدةً على الكفرة، إذ[14] كان سببَ كفرهم، فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه فتنة.[15] [٨٦٦ظ]

وقوله عز وجل: **فتنة للذين كفروا**، بمعنى على الذين كفروا. ثم جاز أن يكون ذلك على حدوث الكفر وهو في قوم قد آمنوا به، فلما سمعوا هذا زعموا أن لا حكمة في هذا العدد

---

[1] جميع النسخ: وقد روي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[2] ر ث م: وعظمهم.
[3] ر: وأن بنتيهم.
[4] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ن – ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فإن كان يراد بها العذاب.
[6] ن + فتنة عليهم أي عذابا عليهم إذ هم قد سلطوا على تعذيب.
[7] ر م: للكفرة.
[8] ر ن + وهو.
[9] سورة الذاريات، ١٣/٥١.
[10] ر ن م: إذا.
[11] ن ث م: ممن ينبغي.
[12] ن: وأما.
[13] ن: فلم يرده.
[14] ر م: إذا.
[15] ن: فتنه.

وليس هذا العدد[١] بأولى[٢] أن يُجعَلوا أصحابَ النار من العشرين[٣] أو من ثمانيةَ[٤] عشرَ فكفروا به. وهو كقول موسى عليه السلام: إنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ،[٥] وذلك على حدوث إضلال لم يكن من السامريّ موجودًا[٦] لا أن الإضلال متقدما بغيرها. وجائز أن يكون فتنتهم هي[٧] أنهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا إلى كفرهم، لأنهم نظروا إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا إليه بعين التبجيل والتعظيم، فازدادوا بذلك[٨] كفرا. *والله أعلم*.[٩]

وقوله عز وجل: **ليستيقنَ الذين أوتوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا**، فالاستيقان[١٠] والزيادة واحد، لأن في الاستيقان زيادةَ إيمان وفي الزيادة استيقان، فمعناه ليستيقن الذين أوتوا الكتاب الذين آمنوا. ووجه استيقانهم أنهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي في كتابهم ويحملهم ذلك على الاستيقان أنه من عند الله تعالى. ويحتمل أن يراد[١١] به أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا إذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم، فيستيقنوا أنه إنما يخبر عن الله عز وجل؛ وليرتفع عنهم الارتياب ليكون أدعَى لهم إلى الإيمان به إن أراد منهم الإيمان وأقربَ إلى إلزام الحجة عليهم إن لم يرد[١٢] منهم الإيمان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويزداد الذين آمنوا إيمانا**، وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة. وكذلك روى عن أبي حنيفة رحمه الله في قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١٣] وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الإيمان أن معنى الزيادة فيه أنهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة، لأنهم إذا وحدوا الله تعالى وآمنوا به فقد أقروا بأن له الخلق[١٤] والأمر كلَّه،

---

[١] ر م – وليس هذا العدد.
[٢] م: أول.
[٣] جميع النسخ: في العشرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[٤] جميع النسخ: من الثمانية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿... وتهدي من تشاء﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٥٥).
[٦] جميع النسخ: موجود. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: هو.
[٨] ر – بذلك.
[٩] ر م – والله أعلم.
[١٠] جميع النسخ: والاستيقان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: أن يريد.
[١٢] ن: إن لم يرو.
[١٣] سورة التوبة، ٩/١٢٤.
[١٤] ر: وإذا وجدوا لله تعالى وآمنا به فقد أقروا بأن الخلق.

وفي الإقرار بأن له الخلق إيمانٌ بالرسل وتصديق منه إياهم بجميع ما أنزل عليهم من الكتب عن الله تعالى، فصار بإيمانه[1] معتقدا للتصديق بكل رسول على الإشارة[2] إليه. فإذا آمن بالرسول والكتاب المنزل إليه فقد أتى بزيادة تصديق على ما وُجد[3] منه من التصديق بالجملة.

وجائز أن يكون[4] الزيادة منصرفة إلى الثبات والاستقامة، لأن الإيمان له حكم التجدد في كل وقت،[5] إذ المؤمن في كل وقت[6] مأمور[7] باجتناب الكفر وإذا اجتنب الكفر فقد أتى بضده وهو الإيمان. فثبت أن الإيمان له حكم التجدد[8] في كل وقت، وإذا كان كذلك استقام صرف الزيادة إلى الثبات والقرار عليه. فإن شئت فَسَمِّ الدوام على الإيمان زيادة، وإن شئت فسمه إيمانا، وإن شئت فسَمِّه ثباتا. وفي الكتاب ما يُطلِق جوازَ هذا كله؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،[9] فندبهم إلى الإيمان بعد ما آمنوا، وما ذلك إلا الثبات على ما هم عليه؛ وقال: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[10] وهو الإيمان؛ وقال في آية أخرى: لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا،[11] فجعل دوامهم على الإيمان واستقامتهم عليه إيمانا؛ وقال تعالى: زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[12] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ؛[13] وأطلق فيهم[14] اسم الزيادة واسم الثبات واسم[15] الإيمان. وإن كانت الزيادة[16] منصرفة إلى الأعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا إلى الزيادة في عينه؛ لأن الشيء إذا استحق الزيادة بغيره فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال،

---

[1] م: إيمانه.
[2] ر: عى الإسادة.
[3] ن: وحدت.
[4] ث: أن تكون.
[5] ن: التجدد وكل وقت.
[6] ر م - إذ المؤمن في كل وقت.
[7] ر م: بأمور.
[8] ر م: فقد أتى بضده وهو الإيمان له حكم التجدد.
[9] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[10] سورة إبراهيم، ١٤/٢٧.
[11] سورة النحل، ١٦/١٠٢.
[12] سورة الأنفال، ٨/٢.
[13] سورة الفتح، ٤٨/٤.
[14] ر ث م - وقال تعالى زادتهم إيمانا وقال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وأطلق فيهم.
[15] ن. والاسم.
[16] م - الزيادة.

ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرامَ».[١] ومعلوم أنه لم يرد به التفاضل من جهة العدد إذ هو يأتي بأعين الأفعال التي يلزمه إتيانها في غير ذلك، فكانت الزيادة منصرفة إلى الكمال والفضل لا إلى الزيادة من جهة العدد. وكذلك قال: «صلاة في جماعة تفضل على صلاة المرء وحده بخمس وعشرين درجة»،[٢] ولم يرد به الزيادة من جهة العدد وإنما أريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال. وكذلك الزيادة التي[٣] تقع[٤] للإيمان من الأعمال الصالحة إنما هي من جهة الفضيلة والشرف، إذ الأعمال[٥] ليست من جنس الإيمان إذ الإيمان هو التصديق، وذلك[٦] غير موجود في الأفعال. ثبت أن زيادته من الوجه الذي ذكرنا دون غيره.

وقوله عز وجل: **ولا يرتابَ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا.** في هذا الفصل[٧] كلام[٨] / بيننا وبين المعتزلة. [٨٦٧ر] فهم يزعمون أن ذلك العِدّة وهي عدة الملائكة جعلت محنة لأهل الإسلام وأهل الكتاب وأهل الكفر وللذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويستسلموا لها،[٩] لا ليكفر بها من كفر ويقول: **ماذا أراد الله بهذا مثلا.** ولكن لما وُجد منهم ذلك القول نسب الجعل[١٠] إليه لا أن خُلقوا لذلك الوجه، وهو كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١١] نسب إليهما الالتقاط وإن كان الالتقاط لغير ذلك الوجه، وكذلك قال: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[١٢] ومعلوم أن الإملاء لم يكن لازدياد الإثم ولكنهم لما ازدادوا إثما نسب الإملاء إليه وإن لم يكن الإملاء لذلك الوجه.

---

[١] صحيح *البخاري*، التهجد ١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٩٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٢٦.
[٢] صحيح *البخاري*، الأذان ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٤٢؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٤٧.
[٣] ن – التي.
[٤] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧ظ.
[٥] ر: إن الأعمال.
[٦] ر: إن الأعمال هو التصديق وفي ذلك.
[٧] ر م: الفضل.
[٨] ن – كلام.
[٩] ن ث م: بها.
[١٠] م: الجمل.
[١١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[١٢] سورة آل عمران، ٣/١٧٨.

وكذلك يقال في الكلام السائر:

[له ملَكٌ ينادي كلّ يوم] لِدُوا للموت وَابْنُوا للخراب[1]

ولا أحد[2] يبني[3] البناء للخراب، ولكن مصيره لما كان إلى الخراب نسب البناء إليه وإن لم يكن البناء[4] لذلك الوجه؛ ويقال: سرق السارق ليُقطع يده، ومعلوم بأنه ليس يسرق للقطع ولكن بسرقته إذا لزمه القطع ولأجلها ما قُطع نسب الفعل إليه وإن كانت السرقة لغير ذلك الوجه. فكذلك العِدّة التي ذكرت في الآية جعلت فيه بجهة واحدة وهي التي ذكرناها[5] هنالك، لكنه[6] لما وُجد من الكفرة ما ذكرنا نُسب الخلق إلى ذلك الوجه لا أن كان الجعل لذلك.

ولكنا نقول: لو كان الأمر على ما زعموا أدى ذلك إلى إسقاط الربوبية، إذ في الحكمة من عمل عملا يريد غير الذي يكون أوجب ذلك جهلا بالعواقب أو جُعل عابثا في فعله، ومن هذا وصفه لم يصلح أن يكون إلها بل يكون جاهلا سفيها؛ ألا ترى أن من بنى لشيء[7] يعلم[8] أنه لا يكون [له] كان ذلك منه عبثا، وإذا كان[9] غير الذي يريده كان جاهلا به. فإذا ثبت هذا فنقول: لو أراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطإ أو العبث.[10] فثبت أن الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم أن يكون منهم، فإذا علم من عنده أنه يؤثر الضلال على الهدى فقد شاء له الضلال، وإذا علم أنه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه[11] له وهداه إليه.

---

[1] «له ملك ينادي كل يوم / لدوا للموت وابنوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا من طرق ضعيفة. انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/١٤٠-١٤١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَلَكٌ بباب من أبواب السماء يقول: من يُقرض اليوم يجدْ غدا، وملك بباب آخرَ يقول: اللهم أَعْطِ مُنفقا خلَفا، وأعط ممسكا تلفا، وملك ببابٍ آخر يقول: يا أيها الناس هَلُمُّوا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وملك بباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب، وابنوا للخراب». وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من صباح يُصبحه العباد إلا وصارخٌ يَصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب» (*شعب الإيمان* للبيهقي، ١٣/٢٣٢-٢٣٣).

[2] ر ث ن - أحد.

[3] ن: بنى.

[4] ن: بنى.

[5] ر م: ذكرنا.

[6] ر م - لكنه.

[7] ر ث م: بشيء.

[8] ث: لا يعلم؛ م - يعلم.

[9] ث: وإن كان.

[10] ر م: و العبث.

[11] ر: وفقه.

والجواب عن قوله عز وجل: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١] فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا أن كان الالتقاط منه لذلك الوجه، بل لو علموا أنه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي إليه العاقبة فالتقطوه رجاء أن ينتفعوا به. ولا يجوز أن يخفى على الله تعالى عواقب الأشياء فيكونَ فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه.

وقولهم: «لِدُوا للموت وابنُوا للخراب»، فهذا يُتكلم به في موضع التذكير والدعاء، لئلا يحرص المرء في بناء الأبنية بل يَزهد عنه[٢] ولا يجوز[٣] أن يخفى على الله أمر فيخرج الأمر فيه[٤] مخرج التذكير، فثبت أنه على التحقيق. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا**، والمثل يذكر بمعنى البيان، كقول القائل: أُمَثِّل لك صورةَ كذا، يريد أُبَيِّن لك.

وقوله عز وجل: **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**، فهذا كله[٥] تفسير قوله تعالى: **وما جعلنا عِدَّتهم إلا فتنةً**، الآية، أي يُضل به من كان في علمه أنه يختار الضلال، واختياره الضلال هو أن ينظر في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف، ومن كان نظره في آيات الله[٦] ما ذكرنا أضله الله تعالى وزاده غَوَايةً. ومن نظر في آيات الله[٧] بعين الاستهداء والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم[٨] لها وفقه الله تعالى ومنّ عليه بالهداية، وهو كقوله تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى،[٩] وغير ذلك. ***والله الموفق***.

وقالت[١٠] المعتزلة: قوله: **كذلك يضل الله من يشاء**، أي يسميه ضالا أو يحكم عليه بالضلال إذا ضل لا أن يكون الله تعالى يضله[١١] ويشاء ضلالته. فيقال لهم: إذا كان الله يريد

---

[١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[٢] ن – عنه.
[٣] ر م: ويجوز.
[٤] ر م: أمر فيه.
[٥] ن – كله.
[٦] ث: آته.
[٧] ن: في آياته.
[٨] ر: والعظيم.
[٩] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[١٠] ر ث: وقال.
[١١] ث م: يضل.

أن يؤمن به -وذلك إرادته في كل أحد عندكم- فتسميته إياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد أن يهتدي جور منه، وفيه تحقيق كذبه. جلّ الله تعالى عن أن يَلحق وصف الجور في فعله أو يُنسب إلى الكَذب.

وقال أبو بكر الأصم: تأويله أن الله نصب[1] طريقا من سلكه أفضى به إلى الهداية ومن زاغ عنه صار إلى الضلال، ولا يتهيأ لأحد من الخلائق أن يَنصِب مثله.

فنقول:[2] لو كان التأويل[3] على ما زعم لكان حقه أن يقال: **كذلك يضل الله ما يشاء** ويهدي ما يشاء، فلما قال: **من يشاء**، و"من" يعبّر به عن الأشخاص العقلاء لا[4] عن الطرق[5] التي لا تعقل[6] ثبت أن الذي قاله ليس بشيء يعتمد عليه.

ثم الأصل أن قوله: **يضل من يشاء ويهدي من يشاء**، من صفات الربوبية وفيه[7] امتداح الرب تعالى بالفعل لما يريد، فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان ولم يرد كون ما علم أنه يكون [٨٦٧ظ] سقط الامتداح وخرج عن أن يكون من صفات الربوبية. فثبت أن الله تعالى / شاء لكل فريق ما علم أن يكون منهم.

وقوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، فالجند[8] هو اسم للجماعة التي يُنتقَم بها[9] وينتصر بها. وجائز أن يكون قوله تعالى: **وما يعلم جنود ربك**، منصرفا إلى الملائكة التي هم أصحاب النار ليس ما جعله من خزنة النار عددا[10] قليلا لقلة[11] جنودها.[12] **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، أي مقاديرَ قِوامهم وأحوالهم إلا الله، فمعناه **لا يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم قوة هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم، **إلا هو**. ثم يجوز أن يكونوا سُلّطوا على تعذيب أهل النار

[1] جميع النسخ: ينصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨و.
[2] ن: فيقول.
[3] ن – التأويل.
[4] ر م – لا.
[5] جميع النسخ: عن الطريق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لا يعقل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن ث م: وفي.
[8] ر م: فالجنود.
[9] ن – بها.
[10] ث: عدوا.
[11] ر ث م: لعله.
[12] جميع النسخ: جنوده.

على جهة الامتحان للملائكة كما امتحن بعضهم بإيصال التحف[1] والكرامات إلى أهل الجنة، وكما امتُحن بعضهم في الدنيا لقبض الأرواح وبعضهم باستنزال الأمطار وغير ذلك. وجائز أن يكون تسليطهم على أهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم، لأنهم يتلذذون بما يعذِّبون أهل النار وينتقمون من أعداء الله، لأن المرء في الشاهد إذا وصل إلى الانتقام من عدوه تلذذ[2] به وتنعم. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي وما يعلم كثرة جنود ربك، **إلا هو**. ويحتمل **وما يعلم**، السبب الذي به يجعل[3] الجنود ويُصلَحون[4] للانتقام **إلا هو**، إذ هو القادر على[5] أن يجعل أضعف شيء من خلقه جندا ينتقم به من أعدائه؛ كما في قصة البعوض في زمن نُمْرُوذَ[6] وغير ذلك من إرسال الطير إلى أصحاب الفيل وإمطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم ما الذي يتخذ الله تعالى جندا للانتقام من الأعداء إلا هو، ألا ترى أن الله عز وجل انتقم من بعض الأعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح،

---

[1] ر: التخف.

[2] ر م: وتلذذ.

[3] ر ث م: يجعل به.

[4] ن: ويصحوا.

[5] ث – على.

[6] ر ث م: نمرود. عن زيد بن أسلم، أن أول جبار كان في الأرض نمروذ، قال: وكان الناس يخرجون يمتارون من عنده الطعام، قال: فخرج إبراهيم عليه السلام يمتاره مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت. حتى مر به إبراهيم قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت. قال: أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر [انظر: سورة البقرة ٢٥٨/٢]. قال: فرده بغير طعام، قال: فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب من رمل أعْفَرَ فقال: ألا آخُذُ مِن هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم. قال: فأخذ منه فأتى أهله فوضع متاعه، ثم نام، قال: فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو بأجودِ طعامٍ رآه أحد، فصنعت له منه فقرّبته إليه، وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام فقال: من أين هذا؟ فقالت: من الطعام الذي جئت به. فعرف أن الله رزقه فحمد الله. ثم بعث الله إلى الجبار ملكًا أن آمِنْ بي وأتركك على ملكك، قال: فهل رَبٌّ غيري؟ قال: فجاءه الثانية فقال له ذلك: فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه فقال له الملك: فاجمع جموعك إلى ثلاثة أيام. قال: فجمع الجبار جموعه قال: فأمر الله المَلَكَ ففتح عليه بابًا من البعوض قال: فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها. قال: فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم. فلم يَبْقَ إلا العظام، والمَلِكُ كما هو لم يصبه من ذلك شيء. فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربعَمِائَةِ سَنَةٍ يضرب رأسه [بالمطارق] وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بها رأسه، وكان جبارًا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته الله وهو الذي كان بنى صَرْحًا إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (*تفسير عبد الرزاق*، ٣٦٦/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٤/٢).

وأهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم، وأهلك بعضهم منهم[1] بالخسف، فيكون في هذا إيجابُ المراقبة من حلول النقمة والسَّخْطة. وقوله عز وجل: **وما هي إلا ذكرى للبشر**، فجائز[2] أن يكون منصرفا إلى السقر إنها **ذكرى للبشر**، أي موعظة وتذكير[3] لهم ما إليه مرجع أمورهم. وجائز أن يكون منصرفا إلى عِدّة الملائكة.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[٣٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٣٣] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **كلا**، قيل: حقا، وقيل: هو على الردع والتنبيه. وقوله عز وجل: **والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**، فهذا في موضع القسم، وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما قُصد[4] إليه بالذكر. وإدبار الليل بمجيء النهار. فجائز أن يكون ذكرُ آخر الليل يقتضي ذكر أوله[5] وذكرُ أول النهار يقتضي ذكر[6] النهار كله، فيكون القسم بها قسما بالليل كله وبالنهار[7] كله. ثم الليل إذا أقبل عملت[8] ظلمته في ستر الأشياء كلها بساعة لطيفة، وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملةً بساعة لطيفة[9] ما لو اجتهد المرء في جميع عمره وإن طال على عدِّ تلك الأشياء ليحيط علما بجملتها لم يتمكن منه. وإذا كان لليل من السلطان ما ذكرنا ولإقبال النهار من الأمر ما ذكرنا كان[10] الذي ذكرنا أمرا مشاهدا معاينا. ولو أريد معرفة ما فيهما[11] من الحكمة أنه لأي معنى ما صلح أن يكون الليل ساترا[12] عن درك أعين الأشياء واستقام أن يكون النهار مزيلا للستر لم يُقدَر عليه. فيكون فيه إبانة أنه لا يجب إنكار كل ما لا يوصل إلى درك الحكمة فيه بالعقول والآراء، فيكون فيه إيجاب التصديق بالأنباء التي يأتي بها الرسل

---

[1] م – منهم.
[2] ر ث م: وجائز.
[3] ر ن م: وتذكيرا.
[4] ن – قصد.
[5] ر م: أول.
[6] ر م – وذكر أول النهار يقتضي ذكر.
[7] جميع النسخ: النهار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[8] م: علمت.
[9] ن – وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملة بساعة لطيفة.
[10] ر ث: وكان؛ ن: وهذا.
[11] ر م: ما فيها.
[12] ر ن ث: سائرا.

وإن كان فيها ما لا يوقف عن الحكمة المجعولة فيها بالآراء. وفيه أن منشئ الليل والنهار واحد وأن الخلائق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل[١] ما يريد. وجائز أن يكون القسم منصرفا إلى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما إدبار الليل وإسفار الصبح، فيكون فيهما[٢] ما في الأول.

وقوله عز وجل: **أسْفَرَ**، أي أضاء[٣] وانتشر. وقوله: **إذ أدبر**، أي ذهب. وحكي عن الكيساني[٤] أنه قال: إن "دَبَرَ" لغة قرشية، يقولون: ذهب كالأمس الدابر أي الذاهب[٥] ويقولون:[٦] "دبر" في الأيام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك، لا يقولون: دبر الرجل ودبر الأمر، ولكن يقال أدبر.[٧] وفي حرف ابن مسعود "إذَا أدبر"، وفي [بعض][٨] الحروف: إذْ أدبر، والمعروف إذا دَبَرَ كما قلنا.[٩]

## ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنها لإحدى الكبر**، قيل: يعني السقرَ. ثم عذاب أهل النار ألوان وفي جهنم دركات، والسقر إحدى دركاتها إذ هي لون من ألوان العذاب، فصارت هي من إحدى الكُبر.

---

[١] ن: ويحكم.

[٢] ر ن م: فيها.

[٣] ث: أي أضار.

[٤] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و«مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: (*لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣).

[٥] ن ث: الذاهب.

[٦] جميع النسخ: فيقولون. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.

[٧] م – يقال أدبر.

[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٩] ودَبَرَ الرجلُ ولّى وشَيَّخَ، ومنه قوله تعالى: "والليل إذا دَبَرَ" أي تبع النهارَ قَبْلَه. وقرأ ابن عباس ومجاهد ﴿والليل إذ أدْبَرَ﴾. وقرأها كثير من الناس "والليل إذا دَبَرَ". وقال الفراء: هما لغتان دَبَرَ النهار وأَدْبَرَ ودَبَرَ الصَّيْفُ وأَدْبَرَ. وكذلك قَبَلَ وأَقْبَلَ، فإذا قالوا: أَقبل الراكب أو أَدبر لم يقولوا إلا بالأَلِف. قال: وإنهما عندي في المعنى لَواحدٌ لا أُبْعِدُ أين يأتي في الرجال ما أتى في الأزمنة. وقيل: معنى قوله والليل إذا دَبَرَ جاء بعد النهار كما تقول: خَلَفَ. يقال: دَبَرَني فلان وخَلَفَني أي جاء بعدي. ومن قرأ "والليل إذا أَدْبَرَ" فمعناه ولّى ليذهب ودَابِرُ العَيْشِ آخره (*لسان العرب*، «دبر»).

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **نذيرا للبشر**، فمنهم من صرف النِّذارة إلى السقر ومنهم من صرفها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كقوله تعالى: وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا،[1] فمنهم من قرأ: لتنذر، بالتاء وصرف النذارة إلى النبي،[2] فمنهم من قرأ بالياء وصرفها إلى القرآن.

ثم الأصل أن ما خرج مخرج الأفعال مضافا إلى الأشياء التي[3] ليست لها[4] أفعال فهو[5] يقتضي أمرين. أحدهما ذكرُ الأحوال التي تقع[6] لديها مما لو لم تكن تلك[7] الأشياء لم تحدث[8] تلك الأحوال[9] من غير أن تكون[10] علة[11] لها، فنسبت إليها إذ[12] صارت سببا[13] لحدوث

[٨٦٨و] تلك الأحوال، وهو كقوله عز وجل: / وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[14] وحياة الدنيا لا تَغُرّ أحدا ولكنهم اغتروا بزينتها، فنسب إليها الغرور لما كانت سببا لتغريرهم. والثاني أنها أنشئت على هيئة لو كان من أهل التغرير لكان تَغُرّ فنسب إليه الغرور لذلك. وقال في قصة إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[15] والأصنام ليست ممن ينسب إليها الإضلال لأنه لا فعل لها، ولكنْ عُبَّادُها لما ضَلّوا بها نسب الإضلال إليها؛ وهي أيضا على صورة لو كانت لها أفعال لكان يقع منها الإضلال فنسب إليها الإضلال للوجهين اللذين ذكرناهما.[16]

[1] سورة الأحقاف، ١٢/٤٦.
[2] ر ث م – فمنهم من قرأ لتنذر بالتاء وصرف النذارة إلى النبي.
[3] ن: اللاي.
[4] جميع النسخ: لهن. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[5] ر ث م – فهو.
[6] جميع النسخ: يقع. والترجيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: لم يكن ذلك. والترجيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: لم يحدث. والترجيح من المرجع السابق.
[9] ن – يقتضي أمرين أحدهما ذكر الأحوال التي تقع لديها مما لو لم تكن تلك الأشياء لم تحدث تلك الأحوال.
[10] جميع النسخ: أن يكون. والترجيح من المرجع السابق.
[11] ر م: علته.
[12] ر ث م: إذا.
[13] ر ث م: شيئا.
[14] سورة الأنعام، ٧٠/٦؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.
[15] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[16] ر م: ذكرناها.

فكذلك النذارة أضيفت إلى النار[١] هاهنا لأنه عند ذكرها يقع النذارة، فأضيفت إليها لذلك؛[٢] أو خلقت[٣] على هيئة لو كانت من أهل النذارة لكانت نذيرة.[٤] *والله أعلم*.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: هو على التهديد، كقوله: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ،[٥] وذلك إنما يكون على أثر المبالغة في العظات[٦] وتذكير عواقب الأمور، وقد بالغ ذلك في هذه السورة وبيّن عواقب أمور العباد. ثم قوله عز وجل: **أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: أن يتقدم إلى طاعة الله أو يتأخر عنه[٧] إلى معصية الله تعالى. والأصل أن المرء جُبل على حب المنافع لنفسه والخيرات[٨] وعلى بغض[٩] الشر والمضار. ومن أحب شيئا طلبه ومن أبغض[١٠] شيئا اجتنبه وهرب منه، وإذا طلب تقدم إليه وإذا هرب من شيء تأخر عنه. فكنّى عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتأخر. فقيل في تأويل قوله عز وجل: **يتقدم**، أي إلى طاعة الله،[١١] لأن طاعته[١٢] تُجْدي[١٣] إليه المنافع في الآخرة وتجلب[١٤] إليه المحاسن. أو يتأخر[١٥] عن طاعته،[١٦] إذ في الإعراض عن طاعته إيقاع النفس في المهالك وأنواع الشرور.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: إلى النذر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[٢] جميع النسخ: كذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: وخلقهن؛ ن ث: أو خلقن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن – نذيرة.
[٥] سورة الكهف، ٢٩/١٨.
[٦] ن: في الغظات؛ م: في العطات.
[٧] ر م – عنه.
[٨] ر: الخيرات.
[٩] ر: وعلى بعض.
[١٠] ر: ومن البعض.
[١١] ر م: أي طاعة الله.
[١٢] ر ث م – لأن طاعته.
[١٣] ر ث م: يحدي.
[١٤] ر ث م: ويجلب.
[١٥] ن: إذ يتأخر.
[١٦] ر م: إلى طاعته.
[١٧] ر م: الشر.

وجائز أن يكون قوله: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، معناه يتقدم ويتأخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتأخر منه، فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حيز قدرته وخـقا لله تعالى، فيكون مثل قولنا: لا حجة علينا في إضافة التقدم والتأخر إلينا. ***والله الموفق.***

**﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣٨]**

[وقوله تعالى: **كل نفس بما كسبت رهينة**، تأويله -والله أعلم- كل نفس في الآخرة رهينة بما كسبت في الدنيا، ورهينة أي غَلِقَةٌ. وفي هذا دليل على أن الرهن يُحبَس عند المرتهن على الدوام وينغلق ولا يكون لصاحبه أن ينتفع به ويُزيل عنه الحبس إلا بعد قضاء الدَّين. وفيه دلالة أن الرهن إذا هلك هلك بما فيه، لأن الأنفس صارت رُهونا بالعذاب لحق المجازاة، فصار العذاب جزاء لها. ومعلوم بأن الأنفس تَهلِك فيما حل بها من العذاب، وكذلك الرهن حُبس لأجل الدَّين وأقيم مقامه، فيكون هلاكه بالدين. ***والله أعلم.***][1]

**﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **إلا أصحاب اليمين** فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ.[2] أصحاب اليمين هم الذين وصفهم الله تعالى في موضع آخر في كتابه وهو قوله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[3] فاستثنى أصحاب اليمين من جملة المرتهنين، لأنه ذكر الرُّهون بلفظة[4] يُعبَّر بها عن الجميع[5] وهو قوله: كُلُّ نَفْسٍ،[6] فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة. أي أصحاب اليمين قد سبقت منهم الأعمال التي يستوجبون بها الإطلاق عن الحبس، لأن المجرمين صاروا مرهونين بأجرامهم، وأصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات، والأعمال الصالحة جعلها الله[7] تعالى مكفرة للمساوئ والأجرام، كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[8]

---

[1] تفسير هذه الآية من أوله إلى آخره لا يوجد في جميع النسخ. وما نقلناه من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.

[2] الآية التالية.

[3] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.

[4] ر ث م: بلفظ.

[5] ر ث م: عن الجمع.

[6] الآية السابقة.

[7] ر ث م: فعلها الله.

[8] سورة لعكبوت، ٧/٢٩.

**﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤٠] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤١] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٤٢] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٤٣] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٤٤] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٤٥] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٤٦]**

وقوله عز وجل: **في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سَلَكَكُمْ في سقر**، فظاهر هذا يؤدى إلى أن التساؤل[١] كان من أهل الجنة بعضِهم بعضا، وإذا صدر السؤال عن بعضهم بعضا[٢] فحقه أن يقال: ما سلكهم[٣] في سقر، لأن أهل السقر لم يَسألوا، بل سأل[٤] عنهم غيرهم، ألا ترى أنه قال: **عن المجرمين**، ولم يقل: يتساءل[٥] المجرمون، فثبت أن الظاهر يقتضي[٦] أن يكون المخاطبون غير المجرمين، لذلك قلنا: إن حق مثله أن يقال: ما سلكهم في سقر. لكنه يحتمل أن يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والإسقاط، وإذا حذف ارتفع الريب والإشكال، كأنه قال: في جنات يتساءلون المجرمين، فيكون فيه تثبيت أن أهل السقر هم الذين خوطبوا بالسؤال.

وجائز أن يكون أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن مكان المجرمين: أين مكانهم وأين هم؟ فيطَّلعون عليهم، فيسألونهم: **ما سلككم في سقر**، فيقولون إذ ذاك: **لم نك من المصلين**، إلى آخر الآية. ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ.[٧] فثبت أنهم يطّلعون على أماكنهم، فإذا رأوا سألوهم عن ذلك بقوله: **ما سلككم في سقر**، فأجابوا بما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **لم نك من المصلين ولم نك نُطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين.**

والأصل[٨] أن الأفعال التي يتعلق جوازها بالإيمان إذا أضيف إلى من ليس من أهل الإيمان أريد بها القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان أريد بها أعين تلك الأفعال. والذي يدل على هذا

---

[١] ر م: إلى التساؤل.
[٢] ر ث م - بعضا.
[٣] جميع النسخ: ما سلككم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.
[٤] ر ث + سئل؛ ن + يسئل.
[٥] جميع النسخ: يتساءلون.
[٦] ث: تقتضي.
[٧] ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدّقين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنّا لمدينون قال هل أنتم مطّلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥٠-٥٥)
[٨] ث: الأصل.

هو أن الكافر يُسلك به إلى سقر إذا كان مكذّبا بيوم الدين وإن أقام الصلاة وأطعم المسكين وآتى الزكاة، ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين[١] لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الإيمان. فثبت أنه لم يَرد بذكر هذه الأفعال إتيان أعينها وإنما أريد بها القبول والإقرار بها. والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]،[٢] فثبت أنهم جحدوا أن يكون
[٨٦٨ظ] عليهم إطعام؛ فدل أنه أريد بذكر الإقامة / قبولها لا وجود عينها، وعليهم أن يقبلوا إقامة الصلاة ويُقِرّوا بإيتاء الزكاة. وقد يجوز أن يذكر[٣] إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويراد بهما[٤] القبول، قال الله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[٥] ولم يكن إيجاد الإقامة وإيجاد الإيتاء من شرائط[٦] التخلية بل كان معناه على القبول فإذا أقروا بالصلاة وقبلوا إقامتها وأقروا بالزكاة لزم[٧] تخلية سبيلهم وإن لم يوجد منهم الفعل بعد. فلذلك صلح حمل التأويل على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة[٨] الفعل لما ذكرنا. هذا إذا ثبت أن تأويل قوله: **لم نك من المصلين**، منصرف إلى الصلاة المعروفة، فكيف وقد يجوز أن يكون أريد بالمصلين الموحدين هاهنا، لأن أهل الصلاة هم المسلمون يقال: أجمع أهل[٩] الصلاة على هذا ويُعنَى به المسلمون.

ثم الله عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلاة وترك الإطعام، وهذا –والله أعلم– يحتمل وجهين. أحدهما[١٠] أن الذي يقر بالصلاة والإطعام وإيتاء الزكاة هو الذي يقر بيوم الدين، لأن المرء إنما يرغب[١١] في فعل هذه الأشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي بتركها مخافة التَّبِعة في العواقب. فإذا لم يقر بيوم الدين لم يَرْجُ[١٢] المنافع ولا خاف المضارّ،

[١] ر ث م – وآتى الزكاة ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين.
[٢] سورة يس، ٤٧/٣٦. تمام الآية من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[٣] ر: أي يذكر.
[٤] جميع النسخ: ويراد به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] سورة التوبة، ٥/٩.
[٦] ر ث م: من شراط.
[٧] ر + بالزكاة.
[٨] ر: وحقيقة.
[٩] ن – أهل
[١٠] ر م: إحداهما.
[١١] ن: إنما رغب.
[١٢] جميع لنسخ: لم يرجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

فيحمله ذلك على ترك الإطعام وتضييع الصلاة وعلى ترك إيتاء الزكاة وعلى جحدها كلها وعدم قبولها، وهو كقوله عز وجل: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[١] لعدم رجاء العواقب. فإذا لم ير لفعله عاقبة لم يَقُم بالانتصار لليتيم ولا قام بإحسان المسكين، بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الإحسان إلى المسكين؛ فلذلك[٢] جَمَعَ في الذكر بين تكذيب[٣] يوم الدين وبين ترك الصلاة وإيتاء الزكاة وترك الإطعام. وجائز أن يكون الذي حملهم على التكذيب بيوم الدين هذه الوظائفَ التي وضعت عليهم بالإسلام، لأنهم إذا آمنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه الأفعال[٤] من إقامة الصلاة[٥] وإيتاء الزكاة وإطعام المساكين وصيام شهر رمضان وغير ذلك من العبادات، فاشتد عليهم فتركوا الإيمان بها لأن لا يلزمهم تحمل هذه الأفعال التي تحمِلّها أهل الإيمان.

وقوله عز وجل: **وكنا نخوض مع الخائضين**، فالخائض هو الذي يخوض في الباطل.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **حتى أتانا اليقين**، أي حتى أيقنا[٦] أنا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**، معناه أن لا شفيع لهم. والأصل أن الشفاعة إذا أضيفت إلى أهل الكفر فقيل: "ليس لهم شفعاء" أو "لا تنفعهم[٧] شفاعة الشافعين" اقتضت[٨] نفي الشفاعة أي لا شفيع لهم، وإذا أضيفت[٩] إلى أهل الإيمان اقتضت[١٠] نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء

---

[١] سورة الماعون، ١٠٧/١-٣.
[٢] ر م: فكذلك.
[٣] ن - تكذيب.
[٤] ر ن م: الأحمال.
[٥] جميع النسخ: من إقامة الأفعال والصلاة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٩٩ظ.
[٦] ر م: أتقنا.
[٧] ر م: أو لا ينفعهم.
[٨] جميع النسخ: اقتضى.
[٩] جميع النسخ: وإذا أضيف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: اقتضى. والتصحيح من المرجع السابق.

ولم تقتض[1] نفي الشفاعة، كما ذكرنا أن الأفعال التي يكون قوامها بالإيمان إذا أضيفت إلى الكفار فهي[2] تقتضي نفي القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان فهي تقتضي[3] نفي الفعل.

وقولنا بأنه إذا قيل: لا شفيع له وأريد به أهل الإسلام فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي[4] نفي الشفاعة، فذلك ينصرف عندنا إلى أهل الاعتزال والخوارج؛ لأنا نرى أصحاب الكبائر من أهل الإسلام مستوجبين للشفاعة، وهم يقولون: لا يجوز في حكم الله تعالى أن يعفو عن أصحاب الكبائر بل يُخلدهم في النار، لأن الله تعالى أوعد النار لمن ارتكب الكبائر وأخبر أنهم يُخلّدون فيها، فلا يجوز أن يقع في وعده خلف أو يتحقق[5] في خبره كذب. ولو استوجبوا[6] الشفاعة ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد مخلفا وفيما أخبر كذوبا. فمثل هؤلاء إذا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة أبدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما يُثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف وعد. ولأنهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب أن يكون نفيهم الشفاعة بزعمهم على ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ،[7] فلا يجوز أن يَحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب إذا بعثوا. ثم احتج فريق منهم بنفي الشفاعة في الآخرة بقوله: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[8] وبقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[9] وبقوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[10] وزعموا أن شفيع كل امرئ[11] منهم عمله يومئذ؛ فمن حسن عمله نجا به ومن ساء[12] عمله حق عليه العذاب ولم يكن له شافع.

---

[1] جميع النسخ: ولم يقتض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[2] ن: فهو.
[3] جميع النسخ: يقتضي نفي القبول وإذا أضيف إلى أهل الإيمان فهي يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م - نفي الانتفاع ولا يقتضي.
[5] ر م: و يتحقق.
[6] ر م: ولو استوجب.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٩-٣٠.
[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٠٠.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٥٤.
[10] سورة البقرة، ٢/١٢٣.
[11] ر م: أمر.
[12] ن: ومس شاء.

ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ،[١] وبقوله: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا،[٢] إذ في هاتين الآيتين أن الله تعالى قد يأذن بالشفاعة يومئذ للبعض. فثبت / أن ما ذكرتم من نفي الشفاعة لم يقتض نفيا على الإطلاق بل النفي انصرف إلى بعض [٨٦٩و] الخلائق ووجب القول بثبوتها[٣] لبعضهم،[٤] ثم جاءت الأخبار مفسّرة[٥] على إيجاب القول بالشفاعة لأهل الكبائر. فثبت أن ما ذكر من قوله عز وجل: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[٦] وقوله: وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[٧] منصرف إلى أهل الكفر وبه نقول.

ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ،[٨] فأما أصحاب الكبائر فإنهم[٩] لا ينالهم شفاعة[١٠] أحد بل يُخلَّدون في النار.

فيقال لهم: فأية منفعة تحصل[١١] للذين تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد.[١٢] فإن قالوا: منفعتهم بها أنه[١٣] يعظم[١٤] قدرهم عند الله تعالى ويستوجبون[١٥] بها فضل الدرجات، كما ترى[١٦] المرء في الشاهد يذكر أخاه عند الملوك بحسن السيرة

---

[١] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[٢] سورة طه، ١٠٩/٢٠.
[٣] ر: ثبوتها.
[٤] ر: لبعض.
[٥] ن: مضطرة.
[٦] ﴿وما أضلّنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ (سورة الشعراء، ٩٩/٢٦-١٠١).
[٧] سورة البقرة، ٢٥٤/٢.
[٨] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون...﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).
[٩] ن: فإنه.
[١٠] م + شفاعة.
[١١] ن: حصل.
[١٢] ن + وهم قد استوجبوا.
[١٣] ن: أية.
[١٤] جميع النسخ: لعظم. والتصحيح من *التسرح*، ورقة ٣٠٠و.
[١٥] د: وتستوجبون.
[١٦] ن ث: كما يرى.

ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي[1] بذلك إعلاء منزلته وإعظام قدره عندهم ليعظموه ويبجلوه، فكذلك الشفعاء في الآخرة يُثْنُون عند الله تعالى من أوليائه خيرا ليزيد في درجاتهم ويُعْظِمَ منزلتهم عند الله تعالى.

والجواب أن هذه الزيادة في الدرجات ليست إلا إلى الوصول إلى فضول الشهوات، وفضول الشهوات[2] والزيادة في اللذات لا تذكر[3] في المنافع إذ لا حاجة لهم إلى ما هو في حق الفضول من الشهوات، فيكون في مثلها[4] دفع الحاجة والوصول إلى المنفعة. ومعلوم بأنهم إنما أُطمعوا في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة[5] وإنما[6] يحصل لهم بها[7] المنفعة إذا وقعت إليها[8] الحاجة، وأهل الكبائر هم الذين يمسهم الحاجة إليها، فأما الذين تابوا وأنابوا فقد استغنوا عن[9] الشفاعة. لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة في أهل الكبائر. وأما استدلالهم بما ذكروا من أمر الشهود فليس بمحكم من القول، لأن المرء إنما يذكر أخاه بالجميل ويُظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير لجهل[10] الملوك بحاله في ما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال، ألا ترى أن الملك إذا كان عالما[11] بحاله لم يقدم الإنسان على نشر[12] الجميل منه. فثبت أن الذي يحوجه[13] إلى الثناء عليه عند الملوك جهل الملوك بحاله، ولا يجوز أن يكون الله تعالى يخفى عليه حال أحد وما هو عليه من ظواهر[14] أموره وبواطنها حتى يحتاج إلى معرّف يُعرفه. فبطل أن يكون الشفاعة للوجه الذي ذكروها، وثبت[15] أنها للوجه الذي ذكرناها.

---

[1] ر ن م: وينبغي.
[2] ث – وفضول الشهوات.
[3] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[4] ر ن م: في مثالها.
[5] ر م – لما يحصل لهم بها من المنفعة.
[6] ث: ولما.
[7] ث + من وإنما يحصل لهم بها.
[8] ر م: عليها.
[9] ر: من.
[10] ر: بجهل.
[11] ن – عالما.
[12] ر م: على البشر؛ ن: على نشير؛ ث: على نشر.
[13] ر ث م: يحرجه.
[14] ر م. الظواهر.
[15] ر: وأثبت.

ثم العفو والصفح عن إحلال العقوبة بمن همّوا أن يعاقبوه بجريمة سبقت منه.[١] ثم الشفاعة فيما بين الخلق أمر معهود أنها تكون[٢] عند زلات يستوجب بها العقوبة والمقت، فيعفى عن مرتكبيها[٣] بشفاعة الأخيار[٤] وأهل الرضاء، فلا ينكر أن يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الأخيار وأهل الرضاء والأبرار. *والله الموفق*.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **فما لهم عن التذكرة معرضين**، فجائز أن يكون تأويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما إليه مآبهم ومُنقَلَبُهم؟[٥] وذلك يكون في الرسول وفي القرآن، لأن كل واحد منهما يذكر للمرء ماله و[ما][٦] عليه. *والله أعلم*. وجائز أن يكون تأويله: فما لهم عما به يَشْرُف قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملإ الأعلى معرضين؟ وذلك يكون في طاعته والإقبال على عبادته، وهو كقوله تعالى: لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[٧] معناه أنكم تصيرون[٨] به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تُضيّعوا حرمته.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾[٥٠] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **كأنهم حمر مستنفرة**، بنصب الفاء وخفضه،[٩] فمن قرأ بخفض الفاء صرف الفعل إليها كأنه يقول: حمر نافرة، ونَفَر[١٠] واستَنفر واحد كما يقال: استرقد القوم، أي رقدوا. ومن قرأ بنصب الفاء فتأويله أنه فُعل بها ما يحملها على النفار، وذلك يكون بالرمي وبالقانص ومن الأسد[١١] كما ذكره أهل التفسير في تأويل القسورة هي الأسد أو الرماة أو الصيادون،[١٢]

---

[١] جميع النسخ: منهم.
[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[٣] م: عن مرتكبها.
[٤] ن: الأخبار.
[٥] ر: عليه مآبهم ومتقلبهم؛ ث م: ومتقلبهم.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[٨] ن: يصيرون؛ ث: يقرون.
[٩] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٢؛ وحجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٣٤.
[١٠] ر م – ونفر.
[١١] جميع النسخ: من الأسد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[١٢] ر ث: أو الصدون، م: والصدون.

ويقال: هي النَّفِرَة، وكان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار. ووجه التقريب هو أن هؤلاء أعرضوا عما في الإقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب ونفروا كنفار الحُمُر المستنفِرة من العطب والهلاك. وفي هذه الآية تبيين[1] شدة سفههم وغاية جهلهم، لأن الحمير[2] ينفر عن القانص والرامي والأسد ليسلم من الهلاك والعطب. وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم إلى ما فيه هلاكهم وعطبهم،[3] فهم أشرّ[4] من الحمير وأضل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾[٥٢]

وقوله عز جل: **بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة**، قال بعض أهل التأويل: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل في بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنبا فأصبح[5] فوجد صحيفة معلقة على باب داره أو[6] مكتوبا عند رأسه "إنك أذنبت كذا"، وزاد بعضهم / "إنك أذنبت كذا[7] وتوبتك كذا"، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم كذلك، [٨٦٩ظ]
فأخبر الله تعالى ذلك[8] عنهم ثم آيسهم عن ذلك وقال: كَلَّا،[9] أي لا ينالون ما يأملون.[10] وقال قتادة: قالوا يا محمد إن سَرَّك أن نتبعك فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة إلى فلان بن فلان يأمرنا فيها باتباعك. وقيل: سألوا أن يُؤْتَوا ببراءة بغير عمل.[11] ولكن لا يجب قطع الأمر على واحد من هذه التأويلات، بل يقال بها على جهة الإمكان والاحتمال؛ لأن هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا أولئك القوم الذين صدرت منهم هذه الإرادة ليخبروهم[12] ماذا أرادوا به

---

[1] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[2] ر م: الحمر.
[3] ر: وعطيهم.
[4] ث: أشد.
[5] جميع النسخ: فيصبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م – أو.
[7] م – كذا.
[8] ر ث م: كذلك.
[9] من الآية التالية.
[10] ر ث م: لا تنالون ما تأمون.
[11] عن قتادة، قوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ قال: قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سَرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يُؤْتَوْا براءةً بغير عمل (*تفسير الطبري*، ٢١٣/٢٩).
[12] ن + هذا.

حتى يثبت ما ذكروا من القصة والأخبار، ولا تواترت الأخبار من عند ذي الحُجة النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنهم سألوه ذلك، لذلك لم يستقم قطع الأمر على ما ذكروا.

وجائز أن يكون هذه الإرادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والأكابر لا أن أراد[1] كل في ذات نفسه أن يؤتى صحفا منشرة، والإرادة هاهنا عبارة عن الطلب. ثم طلبهم ما ذكر يتوجه إلى أوجه ثلاثة. أحدها أن يكون كل واحد من عظمائهم ودَّ أن يكون هو المخصوصَ بإنزال الكتاب عليه، كما قال في آية أخرى: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ.[2] فيكون في هذا[3] إظهارُ[4] استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل حكاية عنهم: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، إلى قوله: أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ.[5] ففي هذا الآية إبانة أنهم كانوا يطلبون إنزال الكتاب عليهم ليتقرر لديهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك على جهة التعنت والعناد؛ وإلا لو تفكروا في حاله أدّاهم ذلك إلى العلم برسالته من غير أن يحتاجوا إلى تثبيت رسالته بكتاب ينزل عليهم. **والله أعلم**. و[الثاني] جائز أن يكونوا رأوا أكابرهم أحق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى بإنزال الكتاب عليهم لما رأوهم[6] أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا ترى إلى قوله: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[7] وقال في آية أخرى: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[8] فأرادوا أن يُؤْتَوا صحفا منشرة لهذا المعنى إذ هم أولى أن يُخَصُّوا بهذه الفضيلة. وإنما ذكرنا هذه التأويلات في هذه الآية لأن هذه المعاني التي ذكرناها قد ظهرت منهم بمتلو القرآن، والتأويلات التي ذكرها أهل التفسير لا يتهيأ تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت هذه التأويلات أمكن وأملك بالآية من غيرها. **والله أعلم**.

---

[1] ث: لا أن إرادة.
[2] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[3] ر ث م: في هذه.
[4] ر: إظهارا.
[5] سورة الإسراء، ٩٠/١٧-٩٣.
[6] م – هم.
[7] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[8] سورة ص، ٨/٣٨.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **كلا بل لا يخافون الآخرة**، إن الذي حملهم على الطلب بأن يؤتَى كل منهم صحفا منشرة إعراضهم عن الإيمان[١] بالآخرة، وإلا لو آمنوا[٢] بها لكان إيمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت وعلى[٣] ترك التجبر[٤] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم إلى الإذعان للحق.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[٥٤] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[٥٥] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٥٦]

وقوله تعالى: **كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره**، سنذكر معنى هذه الآية في سورة "عبس[٥] وتولى"، وسنذكر معنى قوله: **وما يذكرون إلا أن يشاء الله**، في سورة "إذا الشمس كورت"، إن شاء الله تعالى.[٦]

وقوله عز وجل: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، فأهل التأويل صرفوا قوله: **هو أهل التقوى**، إلى الله تعالى، وجائز أن يصرف إلى البشر. فإن كان المراد من قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، البشر، فيكون معنى قوله: **هو أهل التقوى**، أي الذي يقوم بالذكر، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا،[٧] فجعل الذين ألزمهم كلمة التقوى من أهل التقوى. وإن كان المراد من قوله: **هو أهل التقوى**، أي الله سبحانه وتعالى، فتأويله أنه[٨] أهل أن يُتَّقَى الزلة والعثرةُ في حقوقه تعالى. والوجه فيه أن المرء في الشاهد إنما يتقي الزلة والعثرةَ إلى آخر لإحدى خصال ثلاث. إحداها لما يرى من افتقاره وحاجته إليه فيتقي العثرة[٩] إليه تبجيلا وتعظيما؛ أو يتقي[١٠] ذلك لما يرى من قدرته وسلطانه على الانتقام منه؛

---

[١] ر: من الإيمان.
[٢] ن: وإلا لا آمنوا.
[٣] ر م: على.
[٤] ر م: الجسر، ث: التحسر.
[٥] ر ث م – وقوله كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره الآية سنذكر معنى هذه الآية في سورة عبس.
[٦] ر ث م – إن شاء الله تعالى.
[٧] سورة الفتح، ٤٨/٢٦.
[٨] ر م – أنه.
[٩] ر: العشرة.
[١٠] ر ث م + زلته.

أو يتقي زلته لكثرة نعمه وأياديه استحياء منه. فإذًا كانت هذه الأشياء هي الداعيةَ إلى الاتقاء. ثم الخلائق بأجمعهم مفتقرون ومحتاجون إلى الله تعالى، وله القدرة والسلطان عليهم، وهو المنعم المُفضِل على كل أحد، فهو أهلٌ أن يُعظّم ويوقَّر وأن يُخاف نقمته ويستحيا منه، ومن اتقى صار أهلا لأن يغفر.

وجائز أن يكون معنى قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، أي هو أهل بأن يُسأل عنه ما يقي[١] من النار، بقوله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[٢] وبقوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[٣] ثم علّمنا وجه الاتقاء بقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[٤] فبيّن أن الاتقاء أن يُفزع إلى الله تعالى ويُتضرع إليه ليقيَ بفضله ورحمته. وقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[٥] فأمرنا جل جلاله بالمناصبة مع الشيطان للمحاربة، / وأخبر أن محاربته [٨٧٠و]
أن يُفزَع إلى الله بالاستعاذة، بقوله عز وجل: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[٦] وقال في آية أخرى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[٧] الآية، فهو أهل أن يطلب منه ما يَقِي به وأهل أن يُستعاذ به لدفع كيد العدو. [وقوله:] **وأهل المغفرة**، أي أهل أن يطلب منه المغفرة. جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والذين منّ عليهم بالمغفرة. وقال بعضهم: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، أي هو أهل أن يُتّقَى عنه وأهل أن يَغفر لمن اتقاه. ***والله المستعان***.[٨]

---

[١] جميع النسخ: أن يتقي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.
[٢] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[٣] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[٤] سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[٥] سورة فاطر، ٦/٣٥.
[٦] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[٧] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[٨] ر + والحمد لله رب العالمين؛ ن + وعليه الاعتماد؛ ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ م – والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القيامة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[١] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة**، اختلف في تأويله. فمنهم من ذكر أنه[2] أقسم الله تعالى بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، ذكر ذلك عن الحسن،[3] ويكون معناه لَأُقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. لكن ذكر عنه أنه يقول في قوله تعالى: لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ:[4] إن القسم يقع على البلد[5] والوالِدِ، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وما ولد جملة أولاده.[6] فإذا كان القسم جائزا بالوالد والمولود جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود، فقد أقسم بالنفس اللوامة عنده، فلا معنى بالرد هاهنا. ثم موقع القسم[7] في قوله: **لا أقسم**، [و]تأويله [كما][8] يذكر في قوله: لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ، في سورة يذكر فيها الكَبَدَ.[9] ومنهم من ذكر أن القسم وقع بهما جميعا،[10] ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

---

1 ر – سورة القيامة؛ ن م؛ سورة يذكر فيها القيامة؛ ث: وهي أربعون آيات مكية.
2 ر م – أنه.
3 *تفسير الطبري*، ٢١٦/٢٩.
4 سورة البلد، ٩٠/١-٣.
5 ر ث م + ووالد وما ولد إن القسم يقع على البلد.
6 قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن وأبو صالح: ﴿وَوَالِدٍ﴾ آدم عليه السلام. ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي وما تَنسل من ولده (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦١/٢٠).
7 جميع النسخ: لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.
8 الزيادتان من المرجع السابق.
9 ث م: الكيد. الآية ٤ من سورة البلد.
10 أي بيوم القيامة وبالنفس اللوامة.

ثم صرف بعض أهل التأويل معنى القسم إلى قوله تعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ،[1] وجعله موضع القسم. فإن كان على هذا، فالإشكال عليه أن يقول قائل: كيف أكّد أمر[2] البعث وجَمْعَ العظام بالقسم بيوم القيامة وقد جرى من القوم[3] الذين احتج عليهم بهذه الآية الإنكارُ بيوم القيامة، فكأنه أكد القسم بشيء جرى به الإنكار؟

والجواب عن هذا من وجهين. أحدهما أن يكون القسم منصرفا إلى الحكمة التي توجب القول بالبعث، إذ قد بينا في غير موضع أنه بالبعث ما تخرج تَخلْقُ هذا العالم مخرجَ الحكمة، ولولا البعث لكان خلقه عبثا باطلا، كقوله عز وجل: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[4] كأنه قال: لا أقسم بحكمتي الداعية إلى كون القيامة[5] أن يكون كذا. و[الثاني] جائز أن يكون القسم في الحقيقة بالدلائل والبراهين التي من تفكر وأمعن النظر فيها حمله[6] ذلك على القول بالبعث. وإذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة[7] وبالنفس اللوامة، لأن التفكر في النفس اللوامة والاعتبارَ بها يدعو إلى القول بالبعث. ثم العادة[8] جرت على القسم بالأشياء التي عظم خَطَرُها وجلّ قدرها في القلوب، وجلالة خطرها يكون بأحد وجهين: إما بما كثرت منافعها فيكون خطرها مشاهدا معروفا، أو يَعظُم خطرها بالدلائل والأخبار. فالسماوات والأرضون قد عرف الخلقُ جلالةَ أقدارهما بالعِيان بما كثرت منافع الخلق بهما،[9] وعظم يوم القيامة بما جل خطره في القلوب وثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين. ثم قد وصفنا أن الله تعالى أقسم بأشياءَ لتأكيد ما يُعرَف ثباتُه[10] ويجب القول به لولا القسم لو أُمعن النظر فيه وأعملت[11] فيه الرّوِيّة، لذلك استقام القسم بهما.[12] **والله أعلم.**

---

[1] الآية التالية.
[2] ن: من.
[3] ر م: القول.
[4] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[5] ر ث م + كذا؛ ن: كون يوم القيامة كذا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.
[6] ر: جملة.
[7] ن – فيها حمله ذلك على القول بالبعث وإذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة.
[8] ن: ثم إبعاده.
[9] ن م: بها.
[10] ر ث م: بيانه؛ ن: ما به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[11] ر: فأعملت؛ ن: فيه قد فأعلمت؛ ث م: فأعلمت. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م – بها.

واختلف في النفس اللوامة. قال بعضهم: النفس اللوامة هي النفس الكافرة تلوم ربها في الدنيا[١] أبدا في تضييق العيش عليها وتشكو ربها من الفقر والإقتار عليها مع كثرة نعم[٢] الله عليها وإحسانه إليها. ومنهم من صرف التأويل إلى كل نفس مؤمنة كانت أو كافرةً فهي تلوم غيرها لتعاطيها أشياء قد تعاطت نفسُه مثلَها وامتُحنت بها. والحق على كل أحد أن لا يلوم[٣] أخاه بما تعاطي فعلا قد أتى هو ذلك الفعل بعينه أو مثلِه، ولكن أنشئت[٤] [النفس] كذلك لوامة،[٥] كما قال: إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا.[٦] ومنهم من ذكر أن هذا يكون في الآخرة، فالكافر[٧] إذا أيقن بالعذاب وما حل به من نقمة الله تعالى يذم على ما فرّط في جنب الله وأدركته الحسرة، فعند ذلك يلوم نفسه. والمؤمن إذا عاين الثواب يلوم نفسه لو أمسك[٨] عن المعصية وتاب وأطال المُقام في المحراب، و[كذا إذا] أبصر العاملين[٩] بالطاعة حَسَنَ المآب[١٠] [يلوم] نفسه بما شذ منه وغاب عند كمال القوة وعُنفُوَان الشباب، وقال: كيف لم أَزْدَدْ في العمل لأزداد في الثواب. ومنهم من خص الكافر[١١] في الآخرة باللوم على نفسه، وهذا أظهر؛ لأن المسلم إذا أُكرم بالثواب فشُكْرُه بذلك[١٢] يَشغله عن اللوم على نفسه[١٣] فلا يتفرع[١٤] له؛ ولأن الله تعالى يضاعف له من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا منه[١٥] وإنعاما، فكيف يلوم نفسه بتقصيرها / في العمل وهو يعلم [٨٧٠ظ] أن ما وصل إليه من الكرامات لم ينل جملتها بعمله بل بفضل الله تعالى وبكرمه. **والله أعلم**.

---

[١] م: بالدنيا.
[٢] ر ث م: نعمة.
[٣] ر ث م + على.
[٤] ر ث م: أو مثلها ولكن أنشئت.
[٥] ر م: لبوامة.
[٦] ﴿إن الإنسان خُلق هلوعا إذا مسه الشر جزُوعا وإذا مسه الخير منُوعا﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢١).
[٧] جميع النسخ: والكافر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[٨] جميع النسخ: لما أمسك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: للعاملين.
[١٠] جميع النسخ + والعاصين.
[١١] ر ث م: لكافر.
[١٢] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن - على نفسه.
[١٤] ر: فلا يفرع؛ م: فلا يفزع.
[١٥] ر ث م - منه.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[٣] ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٤]

وقوله تعالى: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**، فقوله: **أيحسب الإنسان**، وإن خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فليس هو باستفهام، ولكنه تحقيق حُسبان من الإنسان. فجائز أن يكون [الذي][1] حمله على الحسبان هو أن القدرة لا تنتهي[2] إلى هذا في أن تجمع[3] العظام وتُؤلَّف[4] بعد تفتتها وتلاشيها، فيدفع حسبانه هذا بقوله: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.[5] فمن تفكر في النشأة الأولى علم أن القدرة تنتهي[6] إلى جمع العظام بعد أن صارت رميما وأن الذي قدر على إنشائها لقادر على جمعها بعد تفريقها. وجائز أن يكون يحسب[7] أن العظام لا تجمع[8] بعد تفريقها، لأنها لو جمعت بعد التفريق لم تكن[9] تُفَرَّق[10] بعد أن وُجدت مجموعة، ألا ترى[11] أن المرء في الشاهد لا يقصد إلى نقض ما بني ليعيده[12] مرة أخرى إلى الجهة المتقدمة، ومن فعل ذلك كان[13] عابثا في هدمه ولم يكن حكيما. فإن كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحُسبان فجوابه أن يقال بأن الجمع الأول وقع لمكان المحنة[14] والابتلاء، والجمعَ بعد التفريق لمكان الجزاء. فإذا[15] كان الجمع الثاني لغير الوجه الذي وقع الجمعُ في الابتداء كان صحيحا مستقيما. وإنما يخرج عن حد الحكمة إذا لم يكن الإعادة إلا للوجه الذي وقع الابتداء، ألا ترى أن الذي نقض بناءه إذا أعاده لا للوجه الذي كان بني أول مرة لم يُنكَر عليه.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[2] جميع النسخ: لا ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: أن يجمع؛ ن: لن نجمع.
[4] جميع النسخ: ويؤلف. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة يس، ٧٩/٣٦.
[6] ن: ينتهي.
[7] ر م: حسبان.
[8] جميع النسخ: لا يجمع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م: يعرف.
[11] ن: ألا يرى.
[12] ر م: لبعيده.
[13] ر م – كان.
[14] ن: المحبة.
[15] ن: وإذا.

وفيما ذكرنا رد قول الباطنية؛ لأنهم زعموا أن هذه الأنفس تتلاشى[١] وتَتلَف فلا يُبعَث وأن البعث يقع على الأنفس الروحانية. ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**، معنى، لأن العظام لا يجمع على قولهم بعد ما صارت رميمة، فيكون الأمر إذن على ما وقع في حسبان هذا[٢] الإنسان، فلا معنى للرد عليه بقوله: **بلى قادرين على أن نسوي بنانه**، ألا ترى أن الذي حمله على الإنكار لجمع[٣] العظام بعد تفريقها هو أنه لم ير هذا موجودا في الشاهد. ولو كان الأمر على ما زعمت الباطنية لكان الإنكار مدفوعا إذا وجدت[٤] النفس الروحانية مبعوثة في الشاهد بعد توفيها،[٥] وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾،[٦] فأخبر أن الأنفس التي أنشئت أول مرة هي التي تحيى لا غير.

وقوله عز وجل: **بلى قادرين على أن نسوي بنانه**. فمنهم من حمل[٧] هذه الآية على الابتداء وزعم أنه ليس فيه جواب لما يقتضيه قوله عز وجل: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**، ومنهم من ذكر أن قوله: **بلى**، جواب لقوله: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع**، فاكتفى بقوله: **بلى**، بما سبق منه من الدلالات والحجج على القول بالبعث، فاقتصر[٨] على قوله: **بلى**، على الوصل بما تقدم من الدلالات. ومنهم من جعل جوابه في قوله: **قادرين على أن نسوي بنانه**، معنى تسوية البنان هو الجعل من عَظْم واحد مجموعا غير متفرق مثل خف البعير وحافر الدواب. ووجه الاستدلال أنهم أقروا بأن الله تعالى قادر على أن تسوية[٩] البنان لما رأوا التسوية موجودة في الدواب، ثم الجمع بعد التفريق أظهر وجودا وأيسر فعلا من تسوية البنان. ألا ترى أن المرء في الشاهد قد يقدر على التأليف والجمع بين أشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان. فإذا كانت التسوية أعسر وجودا من الجمع بعد التفريق، ثم وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية البنان، فكيف أنكروا قدرته على جمع العظام بعد تفريقها؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

[١] جميع النسخ: يتلاشى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[٢] ر م: هذه.
[٣] ر: ويجمع؛ ث: يجمع.
[٤] جميع النسخ: إذا وجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢و.
[٥] ر: توقيتها؛ م: توفيتها.
[٦] سورة يس، ٧٩/٣٦.
[٧] ن: جعل.
[٨] ر ث م: اقتصر.
[٩] ر ث م: نسوي.

ومنهم من يقول بأن الله تعالى لما لم يُسوّ بين بنان الإنسان، وسوّى بين بنان الدواب ليصل إلى الأخذ والإعطاء وإلى التقديم والتأخير والقبض والبسط وأنواع المنافع التي خُصّ بها من نحو ما يملكون بالبنان تسخير الدواب والأنعام، فعُلم بالتفريق بين الدواب وبينهم على أن البشر هم المقصودون بالمحنة وألا يتركهم سدى: لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يستأديهم شكر ما أنعم عليهم، وقد ائتمر البعض وعصى البعض، [ف]لا بد من دار أخرى للمجازاة. فالنظر في هذا يحمله على القول بالبعث والجزاء. ولأن الاستواء يقع في الابتداء والجمعُ بعد التفريق يكون عند الإعادة. والعقول يشهد على أن أمر الإعادة أيسر من أمر الابتداء فإذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فأنى يعسر عليه إعادة الجمع مع قدرته على الجمع في الابتداء. ولأنهم لما لم يُخلَقوا مستوية البنان فليعلموا أن في ترك الاستواء حكمةً، ولو كان الأمر على ما قدّروا أن لا[1] بعثَ لكان ذلك يخرج على حد الحكمة، فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقولُ بالقدرة على جمع[2] العظام بعد تفرقها وتفتتها.[3] *والله أعلم*.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**، قال أهل التفسير: يؤخر التوبة ويقدّم المعصية، ويقول: سوف أتوب، فيأتيه الموت على شرّ حاله. وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون ذكرُ الإرادة لا على تحقيقها، ولكن من فعل شيئا فعله على الإرادة والاختيار فكني / بالإرادة عن الفعل، لأنها تقترن بالفعل، فيكون في ذكرها ذكر[4] الفعل، وهو كقوله [٨٧١و]
عز وجل: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[5] ولم يظن أحد من الكفرة أن السماء والأرض خلقا باطلا[6] ولكن تخلُقهما خرج على الحكمة بالبعث والجزاء، ففي ترك القول بالبعث وصف بأن خلْقهما للعبث[7] والباطل ويؤدي إلى هذا، فيصير كأنهم قالوا ذلك وظنوا كذلك. فعلى هذا يحمل الأمر على الظن لا أن وجد منهم الظن في الحقيقة.

---

[1] ر – لا.
[2] ر م: على جميع.
[3] ر: وتفقتها؛ م: تفتنها.
[4] ر ث م: وذكر.
[5] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[6] ر ث م – ولم يظن أحد من الكفرة أن السماء والأرض خلقا باطلا.
[7] ر ن: للعب.

فكذلك إذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم على الإرادة والاختيار، فكأنهم[1] أرادوا أن يفجروا أمامهم لا أن كانت الإرادة منهم متحققة لذلك مقصودا. وجائز أن يكون ذلك على تحقيق الإرادة، وذلك أن للشر والفجور سبلا من سلكها أفضت به[2] إلى أن يستحق اسم الفجور، وللخير والهدى سبلا من سلكها أفضى به[3] الأمر إلى أن يستحق اسم البِرّ والتقوى؛ فإنما صار إلى الفجور وإلى أنواع الشرور بسلوكه ذلك السبيل وصار مريدا من هذه الجهة.

ثم قوله: **أمامه**، يحتمل وجهين. أحدهما فيما بقي من عمره، لأنه يترك الاستهداء والاسترشاد ويمضي على العادة التي عوّد نفسه على ذلك من الشرور والضلال. ويحتمل أن يكون الأمام هو يومَ القيامة. ثم قال في موضع: وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا،[4] فعدّ[5] ذكر ذلك اليوم بالأمام والوراء جميعا، فيكون قوله: وَرَاءَهُمْ، أي وراء الأوقات التي خلت ومضت. فعلى اعتبار الإضافة إلى الأوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها، وعلى اعتبار الإضافة[6] إلى ذلك الفاجر يكون أماما، لأنه يكون أمامَ هذا الفاجر، فلذلك استقام الوصف بالأمام والوراء جميعا. ثم ذَكَر الفجور ولم يذكر الكفر -وإن كان الإنسان الذي يريد أن يفجر أمامه كافرا- لأن في ذكر الفجور تعييرا وتشيينا،[7] إذ هو اسم للتعيير خاصة وليس في نفس الكفر تعيير إذ كل أحد مؤمنا كان أو كافرا مؤمن بشيء كافر بشيء، فالكفر[8] من حيث اسمُه لم يصر قبيحا بل معناه ما قَبُح فكان الفجور أبلغ في التعيير من الكفر فسمي به. ***والله أعلم***.

وقال أبو بكر [الأصم]: معنى قوله: **[بل] يريد [الإنسان] ليفجر أمامه**، أي يريد أن يعاين يوم القيامة ويعلم به أنه متى هو، تفسيره على إثره قوله[9] عز وجل: يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،[10] أي يريد أن يعلمه بسؤاله: متى هو؟ فأخبر أنها تقوم إذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ.[11] ***والله أعلم***.

---

[1] م: كانهم.

[2] ر ث م - به.

[3] ر م: بها.

[4] سورة الإنسان، ٢٧/٧٦.

[5] جميع النسخ: بعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢و.

[6] ث - إلى الأوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها وعلى اعتبار الإضافة.

[7] جميع النسخ: تعيير وتشبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.

[8] جميع النسخ: فالكافر. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] الآية التالية.

[11] من الآيتين ٧ و ٨ من هذه السورة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يسأل أيان يوم القيامة**، سؤاله هذا سؤال تعنت واستهزاء لما ذكرنا أنه ليس في تعرف[١] وقت كونه مزجر ولا مَرْغَبٌ،[٢] وإنما يقع الزجر والرغبة بتذكير الأحوال التي تكون[٣] في ذلك اليوم، فلذلك ذكر الأحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يُوقِفهم[٤] على ذلك الوقت متى يكون، إذ ليس في معرفة وقته كثيرُ حكمة،[٥] فيجيبُهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا أن يجيبهم بجواب مثلهم.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **فإذا بَرِق البصر**، قيل دُهش[٦] وتحير. ثم اختُلف بعد هذا. فمنهم من صرف هذا إلى حالة الموت، ومنهم من ذكر أن هذه الأحوال تكون[٧] يوم القيامة. وإلى أي الحالين صرف التأويل فهو مستقيم، لأن المنكر بالبعث إذا جاءه[٨] بأس الله تعالى ورأى ما حل به من الأهوال[٩] أيقن[١٠] بالبعث وعلم به. ثم إن كان المراد به حالة الموت فقوله عز وجل: **فإذا برق البصر** وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[١١] يخرج على التمثيل ليس على التحقيق، لأن بصره إذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر[١٢] وجهه ولا ببصر[١٣] قلبه، لا يرى ضوء القمر، فيصير القمر كالمنخسف وتصير[١٤] الشمس والقمر كالمجموعَين، ولا يرى ضوء الشمس ولا نور القمر، فيصير النهار عليه ليلا والليل نهارا شُغْلا بما حل به من البلايا والأهوال.

---

[١] ر: تعرفة.
[٢] جميع النسخ: مزجرا ولا مرغبا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: يكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: حكمه.
[٦] ر: وهش.
[٧] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن: إذا حده.
[٩] ر ن م: من الأحوال.
[١٠] ر: أتقن.
[١١] الآيتان التاليتان.
[١٢] ر: يبصر.
[١٣] ن ث م: ولا يبصر.
[١٤] جميع النسخ: ويصير.

وهو[١] كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[٢] قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»،[٣] والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».[٤] فصرفوا تأويل هذين الخبرين إلى حالة الموت. وذلك أن الكافر يعاين في ذلك الوقت ما أُوعِد من الأهوال والشدائد، فكره مفارقة روحه من جسده لئلا يقع في تلك الأهوال والشدائد وتصير[٥] الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها. والمؤمن إذا عاين ما وعد له من البشارات وأنواع الكرامات وذ الخروج من الدنيا ليصل إلى ما أُعِدّ له، فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت، فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان ذلك على يوم القيامة فهو[٦] على تحقيق الخَسْفِ وجمع الشمس والقمر.*

ثم قوله عز وجل: **فإذا برق البصر**، / قال بعضهم: إذا شَخَص البصر نحو الداعي يوم [٨٧١ظ]
القيامة، وهو كقوله عز وجل: لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[٨] فيشخص[٩] ببصره إلى الداعي، لأنه قد علم أن الذي حل به من بأس الله تعالى هو لامتناعه عن الإجابة للداعي[١٠] في هذه الدنيا، فيتسارع يوم القيامة في إشخاص بصره إلى الداعي ابتدارا منه إلى إجابة الداعي.

## ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وخسَفَ القمر**، أي ذهب ضوءه ونوره. ففيه أن العالم في ذلك اليوم يغير ويبدّل، كقوله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ،[١١] وقال: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً،[١٢] وقال: يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا.[١٣]

---

[١] ر م: وهي.
[٢] ر ث م - أنه.
[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٢؛ وصحيح *مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣.
[٤] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٢٠/٢؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤-١٨.
[٥] ر ن: ويصير.
[٦] ر م - فهو.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ١٥ متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٧١و/سطر ٣٨-٣٩.
[٨] ﴿ولا تحسبَنَّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[٩] ر ث م: فتشخص.
[١٠] ن + علم أن الذي حل به من بأس الله تعالى هو لامتناعه عن الإجابة.
[١١] سورة إبراهيم، ٤٨/١٤.
[١٢] سورة الكهف، ٤٧/١٨.
[١٣] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا﴾ (سورة طه، ١٠٥/٢٠-١٠٦).

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وجمع الشمس والقمر**، ففيه أن سلطانهما يذهب فلا يعملان[١] عملهما بعد ذلك. ثم من الناس من زعم أنهما يُجمعان يوم القيامة كالبعيرين القريبين أو كالثورين القريبين، فيُلْقَيان[٢] في النار ويعذبان بها. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣] أنه أنكر هذا وقال: إنهما خلْقان لله تعالى طائعان له عز وجل،[٤] ألا ترى إلى قوله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ،[٥] يدأبان في طاعة الله تعالى، ومن كان هذا[٦] وصفه فلا يجوز أن يعذب. وعندنا أن إلقائهما إن ثبت فهما[٧] يلقيان في النار ليعذَّب بهما غيرهما، وهم الذين عبدوهما من دون الله تعالى، وذلك كقوله عز وجل: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.[٨] الآية، ومعلوم بأن الأصنام التي عبدت من دون الله لا تعذب[٩] بالنار ولكنها تجعل[١٠] حصبا ونارا يعذب بها من عبدها.[١١] وقال الله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[١٢] ولا يجوز أن يكون الملائكة يمسهم أذى النار بل هم الذين يعذِّبون. فعلى ذلك الشمس والقمر إن ثبت أنهما يلقيان[١٣] في النار فهما يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا أن يعذبا بأنفسهما. ***والله أعلم***.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يقول الإنسان يومئذ أين المفر**، فجائز أن يكون قوله **أين المفر**، على طلب الحيلة أن كيف أَحتالُ إلى أن أَفِرَّ وإلى من ألتجئ لِأُخَلَّص[١٤] من بأس الله وعذابه.

---

[١] ن: ولا يعملان.
[٢] ر: فيلقان، م: فيلقاك.
[٣] ر ن م: عنه.
[٤] قارن بما ورد في *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٩٧.
[٥] سورة إبراهيم، ٣٣/١٤.
[٦] ن – هذا.
[٧] ن: فيهما.
[٨] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٩] جميع النسخ: لا يعذب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ط.
[١٠] جميع النسخ: يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث: من عبدها.
[١٢] سورة المدثر، ٣١/٧٤.
[١٣] م: تلقيان.
[١٤] ن ت: لا يخلص.

ويحتمل أن يكون قوله: **أين المفر**، أي ليس لي[1] موضع فرارٍ عما حل بي، لإيقانه أن ليس له مفر. وجائز أن يكون هذا كله عند الموت على ما ذكرنا.

[٨٧١و س٣٨ *وقوله عز وجل: **يقول الإنسان يومئذ أين المفر**، يحتمل أن يكون قوله عز وجل: **أين المفر**، أي ليس لي[2] موضع فرار عما حل بي، أو يقول: إلى أين أفر[3] وإلى من ألتجئ لأتخلّص من العذاب. *والله أعلم*.* ٨٧١و س٣٩]

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **كلا لا وزر**، ذكر أهل التأويل أن الوزر هو الجبل[5] بلغة حمير.[6] وذكر عن الحسن قال: كانت العرب يُخيف[7] بعضها بعضا[8] ويُغِير[9] بعضها على بعض،[10] فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يَشعُران حتى يَرَيا نواصيَ الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه: الوزَرَ الوزَرَ يعني الجبل.[11] فكأنه يقول: ليس لهما إذ ذاك[12] تفرُّح ولا تَسَلٍّ[13] من الأحزان[14] كما يتسلى من يأوي إلى الجبل[15] في الدنيا عن بعض ما يحل به من الإفزاع. وقيل: الوزر[16] الملجأ.

---

[1] جميع النسخ: أي ليس في. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[2] ن م – لي.

[3] ر م: المرفر.

* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٧١و/ سطر ٣٨-٣٩.

[5] جميع النسخ: الخيل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الوَزَر: الجبل المنيع. وفي التنزيل العزيز ﴿كلا لا وزر﴾، قال أبو إسحاق: الوزر في كلام العرب الجبل الذي يلتجأ إليه، هذا أصله (*لسان العرب*، «وزر»). عن الضحاك في قوله: ﴿لا وزر﴾ قال: لا وزر يعني الجبل بلغة حمير (*الدر المنثور* لسيوطي، ٣٤٦/٨).

[7] ر: فإن كانت العرب يخيف.

[8] ث ن م + فكان.

[9] ر م: ويفر، ث: ويغتر.

[10] ر ث م: بعضها بعضا.

[11] عن الحسن في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: كانت العرب يخيف بعضها بعضا، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان! الوَزَرَ الوَزَرَ، الجَبَلَ الجَبَلَ (*تفسير الطبري*، ٢٢٦/٢٩).

[12] ر: إدراك.

[13] ر ث م: يفرح ولا يسلي؛ ن: تفرح ولا تسلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[14] ر ث: من الأخزان.

[15] ر ث م: إلى الخيل.

[16] ر: المورر.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[١٢]

[وقوله تعالى: **إلى ربك يومئذ المستقر**، أي مستقرهم إلى ما كانوا يوعدون في الدنيا، كقوله: مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ،[١] أو إلى ما شاء ربك يومئذ مستقرهم. *والله أعلم*].[٢]

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**، فتأويله أنه يُنبّأ[٣] مِن أول ما عمل إلى آخر ما انتهى إليه عمله، كقوله: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٤] وقال بعض أهل التأويل: بما قدم من أنواع الطاعة وما أخر من حق الله تعالى من اللوازم التي كانت عليه. وقال بعضهم: بما أعلن وأسرّ،[٥] وقال بعضهم: بما قدم في حياته من أعمال وما أخر، أي[٦] ما سَنّ من سنة فاستُنّ بعد موته. وقد ذكرنا أنه باللطف[٧] من الله تعالى ما يَعلم بالذي قدم من الأعمال وأخرها، فيتذكر بذلك حتى يصيرَ ما كُتب في الكتاب حجة عليه، وإلا فالمرء في هذه الدنيا إذا كتب كتابا ثم أتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتَب فيه[٨] ولا وقف على علم ذلك.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[١٤] ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون أراد بهذا في الدنيا أن الإنسان بصير بعمل نفسه وإن جادل عنها أنه لم يفعل ذلك وأَسرّ[٩] ذلك عن الناس وإن ألقى معاذيره،[١٠] أي أرخى الستور بما كسبت نفسه، والمعذار هو السِتْر. والوجه الثاني أن يكون في الآخرة وهو يحتمل وجهين.

---

[١] ﴿قال لا تختصموا لديَّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٨-٢٩).

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[٣] ر: ينبؤا.

[٤] سورة الكهف، ١٨/٤٩.

[٥] ر: واستر.

[٦] ر ن م – أي.

[٧] ن: للطف.

[٨] ر: عليه.

[٩] ر: واستر.

[١٠] م + هذا يخرج على.

أحدهما أن الإنسان وإن كان يعتذر يوم القيامة، بقوله تعالى: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١] وقال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[٢] فيُقدمون على الحِلف اعتذارا منهم، على العلم منهم[٣] أنهم مبطلون في جدالهم. والثاني أن يكون معنى البصيرة الشاهدَ، أي إن الإنسان على نفسه شاهد يوم القيامة بسوء أفعاله وإن ألقى معاذيره أي وإن ستر على نفسه[٤] شهدتْ عليه جوارحه. وذلك نحو قوله تعالى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ،[٥] وقوله عز وجل: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ،[٦] الآية.

فإن قيل:[٧] إن "الإنسان" مذكر كيف وصف بالبصيرة[٨] بلفظة التأنيث بقوله: **بل الإنسان على نفسه بصيرة**، ولم يقل: بصير.

فجوابه من أوجه. أحدها ما قيل: إن الإنسان تسمية جنس فيه الجماعة لا أن تكون[٩] تسمية للشخص الواحد فقط، ألا ترى إلى قوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١٠] استثنى الذين آمنوا من قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، ولا يستثنى الجماعة من الواحد؛ وكذلك قوله عز وجل: / لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ [٨٧٢و] رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا،[١١] فاستثنى الذين آمنوا من الإنسان. فثبت أن الإنسان تسمية[١٢] جنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مضمرةً فيه، كأنه قال: إن جماعة الناس على أنفسهم بصيرة، فيكون قوله: **بصيرة**، راجعا إلى الجماعة. ***والله أعلم***. وجواب ثانٍ[١٣] قوله: **بصيرة**، وصفٌ للإنسان بالغاية من البصر بكل ما عمل حتى لا يَعزُبَ عنه شيء،

[١] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣).
[٢] سورة المجادلة، ٥٨/١٨.
[٣] ر م – على العلم منهم.
[٤] ر ث م – شاهد يوم القيامة بسوء أفعاله وإن ألقى معاذيره أي وأن ستر على نفسه.
[٥] سورة يس، ٣٦/٦٥.
[٦] سورة فصلت، ٤١/٢٠.
[٧] ر: فإن قال.
[٨] ن: بالبصير.
[٩] ر ث م: لا أن يكون.
[١٠] سورة العصر، ١٠٣/١-٣.
[١١] سورة التين، ٩٥/٤-٦.
[١٢] ث: يسميه.
[١٣] ن: ثاني.

والهاء قد تدخل[1] في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك: فلان علّامة ونسابة وراوية للشعر وبالغة في النحو. والثالث أن الإنسان تسمية ما تراه[2] بجوارحه[3] كلها من الأيدي والأرجل والسمع والبصر والرأس وغير ذلك و[فيها][4] نفس أمارة بالسوء، فتصير[5] جوارحه كلها بصيرة أي شاهدة عليه بما قدم وأخر. وجائز أن يكون هذا على الإضمار فيكون قوله: **بل الإنسان على نفسه بصيرة**، أي نفس الإنسان بصيرة بما عملت.

ثم من الناس من يثبت للجوارح العلم بما كسبت نفسه حتى تصير[6] شاهدةً عليه يوم القيامة، بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[7] ولو لم يكن لها العلم بما قدمت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم. وليس الأمر عندنا على ما زعموا، لأنها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل إلى العلم من جهتها، ألا ترى أن القلب لما ثبت له المعرفة وقع لصاحبه العلم من جهته،[8] وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه علم المسموع به، ولما كان بعينه يُبصر الأشياء كان علم البصر واقعا من جهتها. فلما لم يقع له العلم بيديه ولا برجليه ولا بشيء من جوارحه سوى القلب عُلم أنه لا حظ لها في المعرفة. ولكن جعلت هي شاهدة وحجة يوم القيامة تشهد[9] على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علما ضروريا بذلك لا أن كان لها علم بالذي شهدت قبل ذلك، كما جعلت نَطوقةً[10] في ذلك الوقت لا أن كان النطق فيها موجودا من قبل. *والله أعلم*.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **لا تحرك به لسانك لتعجل به**، هذا كلام مبتدأ منفصل عن الأول. وذكر أهل التأويل أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم بالوحي

---

[1] جميع النسخ: قد يدخل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.
[2] جميع النسخ: ما يراه.
[3] ر ن: بخوارجه.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: فيصير.
[6] ن: يصير.
[7] سورة النور، ٢٤/٢٤.
[8] ث م: من جهة.
[9] ن: يشهد.
[10] ر م: نطقه.

فكان لا يفرغ[1] من آخر الآية حتى يعود[2] نبي الله عليه الصلاة والسلام في أولها مخافة النسيان؛ على ما عليه عرف الخلق أنهم إذا أرادوا وعي[3] الكلام وحفظه كرروه[4] بألسنتهم كي يضبطوه[5] ولا يَنْسَوْه.[6] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل كذلك[7] خشية النسيان، فنهي عن ذلك بقوله: **لا تحرك به لسانك لتعجل به**، وهو كقوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ.[8] وهذا عندنا مما[9] لا يجوز أن نشهد[10] على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الآية ويستذكره[11] مخافة النسيان إلا بأخبار متواترة، لأن هذا في حق الشهادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليس في حق العمل، ولا يسوغ لأحد الشهادة على رسول الله][12] أنه كان يفعل كذلك إلا بتواتر الأخبار، فأما إن ثبت بخبر واحد فلا. ولا يقال بأنه لو لم يتقدم منه التحريك لكان لا معنى للنهي، فإنه ليس فيه ما يُثبت مقالتهم ويصحّح تأويلهم ويُسوّغ لهم الشهادة؛ لأنه يستقيم في الابتداء أن ينهى فيقالَ: لا تحرك به لسانك ولا تفعل كذا، وإن لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل ولا تَقدم[13] منه تحريك لسان. فثبت أنه ليس في ضمن هذه الآية بيان ما ادَّعَوا. هذا إذا ثبت أن قوله: **لا تحرك به لسانك**، وقوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ،[14] على النهي. فكيف وهو يحتمل معنى آخر غير النهي وهو أن يكون هذا على البشارة له بالكفاية، أن[15] قد كُفيتَ مئونة[16] الاستذكار للتحفظ.

---

[1] ر: لا يفزع؛ ن: ما يفرغ.
[2] جميع النسخ: حتى يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣ظ.
[3] ر: دعي.
[4] جميع النسخ: كرروها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يضبطوها. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: ولا ينسوها. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: ذلك.
[8] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[9] ن – مما.
[10] ر ث ن: أن يشهد.
[11] ر ث م: ويتذكره؛ ن: وسنذكره. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ن: ولا يتقدم.
[14] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[15] ن م: إذ.
[16] ن: معونة.

وهذا من عظيم آيات الرسالة أن السورة تلقّى عليه فيحفظها كما هي مما يشتد على الناس حفظه وقراءته إلا أن يتكلفوا ويجتهدوا في ذلك. فيعلم بهذا أن الله عز وجل هو الذي أقدره على ذلك وجعله آية من آياته. *والله أعلم*.

ثم الأصل أن من ألقى إلى آخر كلاما متتابعا نظر في ذلك الكلام، فإن كان القصد منه تحفظ عين الكلام فإن المخاطب به[1] لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يشتغل بالْتِقَانِه في أول ما يسمع[2] وتحفّظه[3] ساعةَ ما يُلقَى إليه، كما يُنشَد بين يدي آخر شعر وأراد الآخر أن يحفظ ذلك الشعر ويَعِيَه،[4] فهو لا ينتظر فراغ المنشد[5] عن شعره بل هو يأخذ بالتقانه في أول ما يسمع منه، إذ الغرض من الأشعار حفظ أعينها دون معانيها، ألا ترى أن الألفاظ إذا حذفت منها [حرف][6] خرجت عن أن تكون[7] شعرا. وأما إذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وإنما أريد به تفهم[8] ما أودع فيه من المعنى فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام[9] ليفهم معناه وما يراد به. ألا ترى أن من كتب إلى آخر كتابا فإن المكتوب إليه يقرأ الكتاب من أوله إلى آخره ليعرف مراد الكاتب[10] لا أن يشتغل[11] بضبط ما أودع فيه من الألفاظ، إذ ليس يُقصَد بالكتابة إلى حفظ الألفاظ، فإذًا كان المراد يتوجه من الكلام إلى ما ذكرنا. ثم القرآن قصد به الوجهان جميعا: [٨٧٢ظ] ضبط حروفه ونظمه / وتعرف[12] ما أُودع فيه من المعاني، إذ صار حجة بنظمه ولفظه وبالمعاني المودعة فيه. فقيل: لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد الْتِقان الكلام الذي يلقى إليه، فإنك[13] وإن أحوجت إلى حفظ نظمه وحروفه فقد كُفِيتَ[14] حفظه بدون تحريك اللسان.

---

[1] م – به.
[2] ر ث م – في أول ما يسمع.
[3] ن: ويحفظه.
[4] ر م: وبعثه.
[5] ث: المفسد.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٣ظ.
[7] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: يفهم؛ ن: تفهيم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث – ضبط عينه وإنما أريد به تفهم ما أودع فيه من المعنى فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام.
[10] جميع النسخ: الكتاب. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن + لا أن يشتغل.
[12] جميع النسخ: ويعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: التي يلقى إليه وإنك.
[14] ن + نظمه.

وجائز أن يكون نُهي عن تحريك اللسان والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضَى إليه بالوحي لما فيه من ترك التعظيم لمن[١] يأتيه بالوحي، فأمر[٢] أن يصغي إليه سَمْعه ويستمع إلى آخره تعظيما للذي أتاه[٣] بالوحي[٤] وتوقيرًا له.

ثم هذه الآية تنقص[٥] على الباطنية قولهم، لأن من قولهم أن القرآن لم يُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلّفا منظوما بل أنزل على قلبه كالخيال، فصوره بقلبه وألفه بلسانه فأتى بتأليف عجز الآخرون عن أن يألفوا مثله.

ونحن نقول: بل أنزل هذا القرآن مؤلفا منظوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن التأليف من فعله. والذي يدل على صحة مقالتنا قوله تعالى: **لا تحرك به لسانك**، لأن التأليف لو كان من فعله عليه السلام لكان لا يوجد منه تحريك اللسان وقت ما نزل عليه، لأنه إذا كان كالخيال فهو يحتاج إلى أن يصوره في قلبه ثم يصل إلى التأليف بعد التصوير ويتأتّى[٦] له العبارة باللسان، وإنما يقع التحريك من مؤلف منظوم. ثبت أنه أُنزل[٧] هكذا[٨] مؤلفا منظوما. والثاني أنه قال: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[٩] فهذه الآية نفت طعن[١٠] أولئك الكفرة الذين زعموا[١١] أن هذا ليس[١٢] بقرآن بل إنما علّمه فلان. وكان لسان ذلك البشر أعجميا وهذا القرآن عربي، فكيف يستقيم أن يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان؟ ولو كان هذا القرآن وقت ما أنزل كالخيال لكان ذلك الطعن قائما، لأنه كان يؤلفه ويجمعه باللسان العربي وإن عَلِم بالأعجمية لما قدر أن يؤلفه وينظمه بعد أن كان خيالا باللسان العربي.

---

[١] ر: العظيم بمن؛ ث م: بمن.
[٢] ث + إليه.
[٣] ر ث م: أتاها.
[٤] ر ث م: لوحي.
[٥] ر: تنقض.
[٦] ث م: ويأتي.
[٧] ر ن م: نزل.
[٨] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤و.
[٩] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[١٠] ن: يعتطعن.
[١١] ر ث م: يزعمون.
[١٢] ث – ليس.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن علينا جمعه وقرآنه**، فقوله: **علينا**، يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها: إن علينا في حق الوعد جَمْعَه وقرآنَه،[١] لأنه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بإنزال هذا القرآن وإرسال هذا الرسول، فعلينا إنجاز ذلك الوعد ووفاؤه؛ أو علينا في حق الحكمة جمعه،[٢] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتبليغ الرسالة ولا يتهيأ له ذلك إلا بعد أن يُجمع له فيؤديه إلى[٣] الخلق. ولأن الله تعالى حكيم في فعله، وفعله موصوف بالحكمة وإن لم نعرف نحن وجه الحكمة في فعله.[٤] وجائز أن يكون قوله: **إن علينا جمعه**، في حق الرحمة والرأفة على الخلق لا أن يكون ذلك حقا لهم قِبَله تعالى، وهو كقوله تعالى: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ -إلى قوله- إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ،[٥] فأخبر أنه أبقى القرآن ولم يَذهب به رحمة منه على عباده وفضلا. وقوله عز وجل: **وقرآنه**، أي قراءته[٦] وتسميته قرآنا، كما قيل: في تأويل قوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ،[٧] أي جعلناه فرقانا.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**، أي جمعناه في قلبك، أو جمعنا حدوده وما أودع فيه من المعاني، أو جمعناه بعد أن فرقناه في التنزيل. وقوله تعالى: **فاتبع قرآنه**، اتباعه يكون بأوجه في أن يبلّغه إلى الخلق ويعلّم أمته ويتبع حلاله ويجتنب حرامه وغير ذلك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١٩]

وقوله: **ثم إن علينا بيانه**، جائز أن يكون قوله: **علينا بيانَه**، أي بيانَ ما أنزلناه[٨] إليك مجملا. فيكون بيانه في تعريف ما هو بحق الإتمام وما هو في حق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين،

---

[١] ر ث م – فقوله علينا يخرج على أوجه ثلاثة أحدها أن عينا في حق الوعد جمعه وقرآنه.
[٢] ر ث م – جمعه.
[٣] ر ث م – إلى.
[٤] ن – وفعله موصوف بالحكمة وإن لم نعرف نحن وجه الحكمة في فعله.
[٥] ﴿ولئن شِئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمةً من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٦-٨٧).
[٦] ر: أي قرانة.
[٧] ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث ونزلناه تنزيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٠٦/١٨).
[٨] ر م: ما أنزلنا.

لأن الفرائض لها شعب وأركان وحواشٍ،[1] أو نقول: فيها فرائض ولوازم وآداب وأركان. [فإن كان][2] على هذا ففيه منع تعليق الحكم بظاهر المخرج، لأنه لو كان متعلقا به لكان البيان منقضيا[3] بنفس المُنْزَل، فلا يُحتاج إلى أن يبيِّن، وفيه دلالة تأخير البيان عن وقت قرع[4] الخطاب السمعَ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **علينا بيانه**، أي بيان ما هو بحق الكِيانات[5] والنتائج[6] منها، وما هو بحق الأصول والفروع، وما هو بحق المقصود. فيبيّن[7] لرسوله عليه السلام معنى الأصول والكِيانات[8] لِيَتَعرَّف به فروعها ونتائجها ويبين[9] لمن بعده ممن جاهد في الله حق جهاده ويهديه، لذلك قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[10] أو يكون قوله: **ثم إن علينا بيانه**، في أن نحفظك ونعصمك[11] من الناس لتتمكن[12] من تبليغ ما أنزل إليك إلى الخلق وتبين لهم. ***والله أعلم.***

ووجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل من كان شاهدا من الخلائق [ومن كان منهم غائبا من الإنس والجن إلى كل من يَحْدُث من الخلائق][13] إلى يوم التَّنادي[14] ثم لم يمكن من تبليغ الرسالة إلى كل أحد مما ذكرنا بنفسه، فكأنه ضَمِن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ إلى الخلائق كافةً بما شاء جل جلاله: إما بتسخير[15] الرواة والحفاظ والعلماء ليبلِّغوا[16] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أُدِّي إليهم، أو يكون قوله:

[1] ن: وحواسي.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٤و.
[3] ن: مقتضيا.
[4] جميع النسخ: وقوع. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: الكنايات.
[6] ن: والتبالح.
[7] جميع النسخ: فتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: والكنايات.
[9] ن: وتبين.
[10] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[11] جميع النسخ: في أن يحفظك ويعصمك. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: ليمكن؛ ن: لتمكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: التناد. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: إما تسخير. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر م: لتبلغوا.

**ثم إن علينا بيانه**، أي بيانَ المحق من المبطل والولي من العدو، وذلك يكون يوم القيامة، فيعرف الأولياء بما يُحَيَّوْنَ من الكرامات ويَتبيَّن[1] الأعداء والمبطلون بما يحل[2] بهم من الحساب وأنواع العذاب.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[٢٠] ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾[٢١]

[٨٧٣و] وقوله عز وجل: **كلا / بل تحبون العاجلة**، فقوله: **كلا**، ردع ومنع عما سبق منهم. وفي قوله: **بل تحبون العاجلة**، إبانة أن الذي حملهم على ما هم فيه من الحُسبان أن العِظام لا يُجمع وأن البعث ليس بشيء [إزاء] حبِّهم العاجلةَ. وذلك أنهم أُولعوا بالعاجلة وأحبوها حبا أنساهم عن الإيمان بالآخرة أو عن النظر في الحجج والبراهين التي لو أمعنوا النظر فيها أدّتهم إلى القول بالبعث، وحتى صاروا إلى أن لا يرجوا الآخرة، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا.[3] الآية.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[٢٢] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢٣] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[٢٤] ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة**. ففيه بيان ما ينتهي إليه عواقب من التزم طاعة الله تعالى وآمن بالبعث والحساب وبيانُ ما ينتهي إليه عواقب من تولى عن طاعته. فقوله: **وجوه يومئذ ناضرة**، جائز أن يكون أريد بها نفس الوجوه، وجائز أن يكون أريد بها الأنفس وتكون[4] الوجوه كناية عنها. والذي يدل على أنه أريد بها الأنفس لا أعينها قوله: **ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة**. والوجوه لا تظن ذلك ولا تعلم[5] به، فثبت أن ذكر الوجوه على الكناية لا أن أريد بها أعينها. فهذا التأويل [أملك، والتأويل الأول][6] أوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ. وإنما صلح أن تكون[7] الوجوه كناية عن الأنفس وذلك أن النفس إذا تلذذت بأمر ونالت شهوتها ظهر سرور ذلك في وجهه.

[1] ر م: ويبين؛ ن: وتبيين.
[2] جميع النسخ: ما يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[3] ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧-٨).
[4] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: لا يظن ذلك ولا يعلم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا تألمت بأمر واعتراها الحزن ظهر أثر الحزن في وجهه. فيكون في قوله: **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**، وصف لهم[1] بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي أُكرموا بها حتى نَضِرت وجوههم بذلك. وإذا ثبت أنهم قد نالوا الكرامات ووصلوا[2] إلى أنواع اللذات لم يبق لقوله: **إلى ربها ناظرة**، موضع إلا أن يصرف إلى حقيقة النظر، فيكون في هذا إثبات القول بالرؤية. والثاني أن الملوك الذين من عادتهم الاحتجابُ عن الخلق إذا قرّبوا إنسانا لم يحتجبوا عنه، ويكون تركه[3] الاحتجاب آثَرَ إلى ذلك الذي أكرمه[4] بالتقريب من سائر ما يكرمه به. فجائز أن يكون الله تعالى يكرم أولياءه بالنظر إليه ويتفضل عليهم بذلك.

وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، منصرفا إلى انتظار الثواب كما قال بعض أهل التأويل: فينتظر ما يأتيها من التحف والكرامات [من عند ربها لأنهم وإن أُعطُوا الكرامات][5] حين وُصفوا[6] بنضارة الوجوه فجائز أن تكون بعد تلك الكرامات كرامات[7] وتُحَفٌ أُخَرُ لم تأتهم[8] بعد. ألا ترى إلى قوله: **ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة**، والبُسور من أدنى أحوال التغير، وغاية التغير أن تَسوّد[9] الوجوه وتَكْلَح،[10] فإذا لم يَحُلّ بهؤلاء بَعْدُ غايةُ ما أُوعدوا من العذاب فجائز أن يكون الذين وعد لهم الكرامات بعدُ لم ينتهوا إلى أقصاها ولم ينالوا بعدُ أرفعَها، وإنما أُكرموا ببعضها وهم منتظرون لما يأتيهم من بعد. وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، أي يُجعل[11] نظرها -فيما أكرمت- إلى الله تعالى ولا يُرَى ذلك الفضل مستوجَبا من جهتها، كما[12] قد يرى المرء في الشاهد بعضَ ما خُوّل[13] من المال بِحِيَله وسعيه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: وصفهم.
[2] ن: وقد وصلوا.
[3] ر: بركة.
[4] جميع النسخ: أكرم.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[6] جميع النسخ: حين وصفوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن – حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجائز أن تكون بعد تلك الكرامات كرامات.
[8] جميع النسخ: لم يأتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: أن يسود.
[10] جميع النسخ: ويكلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: يجعلها.
[12] ن: أنها.
[13] ث: حول.

وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، إنباء[1] أن ليس كل الكرامات في نفسه خاصة وإلى ما ينتهي إليه نظره،[2] بل يكون[3] وراءَ[4] ذلك كراماتٌ[5] أخرُ، فينصرف قوله: **إلى ربها ناظرة**، إلى ذلك. ويحتمل أي إلى أمر ربها ناظرة. وإذا كان قوله: **إلى ربها ناظرة**، محتملا أن يصرف إلى حقيقة النظر ويصرفَ إلى الكرامات من الوجوه التي بيناها[6] لم يكن لأحد أن يجعل الأمر على الكرامات وينفيَ عنه حقيقة الرؤية إلا بدلائل ظاهرةٍ[7] يُحيل القول بالرؤية فيدفع هذا التأويل بتلك الدلائل. فأما إذا لم يمكنه إقامة الدلائل على إحالة الرؤية فليس له قطع هذا التأويل وصرف التأويل إلى انتظار الكرامات، فتكون[8] الآية حجة في جواز الرؤية إن لم تكن[9] حجة في الوجوب[10] والخلاف فيهما واحد.

واحتج من نفى[11] صرف التأويل إلى حقيقة الرؤية أن قوله: **وجوه يومئذ باسرة**، هو مقابل قوله: **وجوه يومئذ ناضرة**، وقوله: **تظن أن يفعل بها فاقرة**، مقابل قوله: **إلى ربها ناظرة**؛ ثم لم يكن قوله: **تظن أن يفعل بها فاقرة**،[12] على فقد الرؤية ولكن على العقاب نفسِه، فكذلك قوله: **إلى ربها ناظرة**، ليس هو على حقيقة الرؤية ووجودها ولكن واقع على الثواب نفسه.

وجواب هذا الفصل[13] من وجهين. أحدهما أن أهل العقاب بعدُ لم يَنزِل بهم جميع ما أُوعدوا في هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا أن نهاية العذاب في تَسوّد الوجوه وتكلّحها[14] ليس في بُسورها، فلذلك استقام أن يكون قوله: **تَظن أن يُفعل بها فاقرة**، على نفس العذاب.

[1] ر: أنا؛ ن – إنباء.
[2] ر: نظرة.
[3] ر + قد.
[4] ر م – وراء.
[5] ر م + بل.
[6] ث م: بينها.
[7] جميع النسخ: فينفي عنه حقيقة الرؤية للابد لا بل ضاهره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] ر ن م: وإن لم يكن؛ ث: إن لم يكن.
[10] ر ث م: في الوجوه.
[11] ر م – نفى.
[12] ر ث م – مقابل قوله إلى ربها ناظرة ثم لم يكن قوله تظن أن يفعل بها فاقرة.
[13] ر: الفصل.
[14] ن: ويكلحها.

وأهل الجنة قد وصلوا إلى رفيع الدرجات وعظيم الكرامات بما وُصفوا بنضارة الوجوه، فاستقام أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، منصرفا إلى حقيقة النظر لا إلى غيره من الكرامات. و[الثاني] لأن الرؤية من أعلى الكرامات / وأرفعها، وأهل العقاب لم ينالوا أدنى الكرامات [٨٧٣ظ] فكيف يتوقعون أرفعها؛ [و]أما أهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى، فجائز أن يُكرَموا بالرؤية[١] أيضا.

والأصل أن القول بالرؤية عندنا واجب والنظر إليه ثابت، كما قال عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ، في غير خبر النظر إلى الله تعالى.[٢] وقد قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضَامُون[٣] في رؤيته».[٤] وأهل التوحيد لم يختلفوا[٥] في صحة الأخبار التي جاءت في إثبات الرؤية. ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الأخبار إلى العلم، وذلك غير مستقيم لوجهين. أحدهما أن البِشارة بالرؤية خُصّ بها أهل الجنة ولو كان المراد من الرؤية العلمَ لارتفع الاختصاص؛ لأن العلم به[٦] مما يقع به الاشتراك بين الفريقين؛ ولأن كلا يُجمع على العلم بالله تعالى في الآخرة العلمِ الذي لا يعتريه[٧] الوسواس ولا الرِيَب. والعلم[٨] الذي لا يعتريه[٩] الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة لا علم الاستدلال، لأن الآيات لا تضطر[١٠] أهلَها إلى العلم[١١] الحقيقي،[١٢] ألا ترى إلى قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[١٣]

[١] ر - من أعلى الكرامات وأرفعها وأهل العقاب لم ينالوا أدنى الكرامات فكيف يتوقعون أرفعها وأما أهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجائز أن يكرموا بالرؤية.

[٢] أي كما أخبر الله تعالى في غير آي من القرآن مجيء بعض الأمور في المستقبل، وقد تحققت هذه الأمور كلها. وستتحقق رؤية الله في يوم القيامة. انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، لمحمد فؤاد عبد الباقي، «لما جاء».

[٣] ر: لا يضادون، ن: لا يصارون، ث: لا يضارون؛ م: لا يصادون.

[٤] *مسند أحمد* بن حنبل، ١٦/٣؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٢٤؛ وسنن *الترمذي*، صفة الجنة ١٧.

[٥] ث م: لم يتخلفوا.

[٦] ر ث م - به.

[٧] ر ن م: لا يعتر به.

[٨] ث: ولا العلم.

[٩] ر: لا يعتر به.

[١٠] جميع النسخ: لا يضطر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.

[١١] ر م - العلم.

[١٢] ر: الحقيق.

[١٣] ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلَّ شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).

وقال: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[1] وقال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ [أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ].[2] فإذا ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين للرؤية من الوجه الذي أرادوا نفيها.[3] فنثبت[4] الرؤية على نفي جميع معاني الشبه عن الله تعالى، ولا نصف الرؤية بالكيفية إذ الكيفية يكون لِذِي[5] صورة وهو يُرَى بلا كيف. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **تظن أن يفعل بها فاقرة**، فجائز أن يكون الظن في موضع العلم هاهنا. وجائز أن يكون على حقيقة الظن. وذلك أن الظن يتولد من ظواهر الأشياء، فالأسباب إذا كثرت وازدحمت وقع بها العلم وإذا قلت[6] وخَفيت لم يقع بها علم. فجائز أن يكون أسباب الشر أحاطت به من كل جانب حتى وقع له[7] اليأس[8] من النجاة وأيقن أنه يُفعَل به الشر. وجائز أن يكون الأمر[9] بعدُ لم يبلغ مبلغ الإياس فيتوقع النجاة ولا يتيقن أن يُفعل بها فاقرة بل يكون منه على ظن. *والله أعلم*. والفاقرة، قيل: الشر والمنكر والداهية. وقيل: الفقير هي كسير الظهر، والفقر الكسر، والفَقَار عَظْم في الظهر يُكْسَر. فكان عظم الظهر يكسر في الآخرة ويُسحب في النار على وجهه.

{قال رحمه الله:} كان هذه السورة من أولها إلى آخرها إلا آياتٍ منها -وهي[10] قوله: [كَلَّا] بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ-[11] نزلت[12] في تبيين معاملةِ واحد[13] من الكفرة على الإشارة إليه مع رسول الله صلى الله عيه وسلم

[1] ﴿...انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣-٢٤).
[2] سورة المجادلة، ١٨/٥٨.
[3] ر: ففيها.
[4] ر م: فيثبت؛ ن: فثبت.
[5] م: الذي.
[6] ن: وإن أقلت.
[7] ر م - له.
[8] م: الباس.
[9] ر ث م: الأمن.
[10] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
[11] الآيات ٢٠-٢٤ من هذه السورة.
[12] ث - نزلت.
[13] ر ث م: أحد.

لِيُشْرَكَ في حكمه من شاركه في معاملته.[١] فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يعامله ويستقبله بالذي يَحِقّ على الحكماء معاملةَ السفهاء ولم يأمره أن يعامله معاملة[٢] مثله من السفهاء.[٣] وبين معاملته في هذه السورة ليُعْلِمِ أمته ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد والبلاء في إظهار دين الله تعالى فيعلموا قدره ومنزلته ويعظّموا دين الله تعالى بما نالوه سمحا سَهْلا، وأمره أن يعامله[٤] معاملة من يرجع إلى الْمَنَعة والشوكة[٥] بقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[٦] *والله أعلم.*

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **كلا إذا بلغت التراقي**، فقوله: **كلا**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أريد به "حقا"، ويحتمل أن يكون على الردع والرد، أي لا تفعل[٧] مثل هذا فإنك ستندم[٨] في الوقت الذي قال:[٩] **إذا بلغت التراقي**. كأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت ندمه فبين لهم ذلك بقوله تعالى: **إذا بلغت التراقي**. التراقي[١٠] هي عروق العنق، كأنه يقول: حين نزول[١١] النفس أي[١٢] الروحِ عن مكانها[١٣] وينتهي إلى التراقي.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **وقيل من راق**، فجائز أن يكون الملائكة هم الذين يقولون هذا. فيقول[١٤] بعضهم: من يَرْقَى بروحه: أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ مِن رَقِيَ[١٥] يَرْقَى أي صعد؛

---

١ جميع النسخ: يشترك في حكم (ن: في حكمة) من يشاركه في معامته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
٢ ر ث م – معاملة.
٣ ث + و لم يأمره أن يعامله مثله من السفهاء.
٤ جميع النسخ: أن يعامل معه. والتصحيح من المرجع السابق.
٥ ر ن م: والشركة.
٦ الآيتان ٣٤ و ٣٥ من هذه السورة.
٧ ن: لا يفعل.
٨ م: سيندم.
٩ ن – قال.
١٠ ر – التراقي.
١١ ن: يزول.
١٢ ر – أي.
١٣ ر: عن حكايتها.
١٤ ن: فيقول.
١٥ م: من راق.

أو مَن يقبض روحه؟ ويحتمل أن يكون يقول[1] أهله:[2] من الذي يَرْقيه رقية[3] فَيُشْفَى. فيكون فيه أخبار عما حل به من الضعف والشدة، إنه يمتنع عن أن يقول: اُدعوا لي راقيا[4] لعلي أُشْفَى، فيكون أهله هم الذين يقولون هذا فيما بينهم.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وظن أنه الفراق**، فجائز أن يكون الظن على الإيقان هاهنا لما وقع له اليأس[5] من الحياة -وكذا[6] روي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه- وأيقن أنه الفراق.[7] وجائز أن يكون على حقيقة الظن لما لم يقع له الإياس من حياته بعد فهو يأملها بعدُ.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **والتفت الساق بالساق**، اختلفوا في تأويله. قيل: لُفَّت ساقاه أحدهما على الأخرى فلا تفترقان[8] كالتفاف[9] الأشجار حتى لا يجدَ نفاذا[10] فيها ولا هربا. وقيل: إن
ساقيه في القيامة[11] لَتَضْعُف عن حمل [نفسه][12] من شدة الفزع. / وقيل: أريد بالساق الشدة، [٨٧٤و]
يقال: قامت الحرب على ساق، أي على شدة؛ أي وصلت شدة الموت بشدة الآخرة واجتمعت شدة الدنيا مع شدة الآخرة عليه، لأنه قد حل به سَكَرات الموت ونزلت به شدائد الآخرة، وذلك آخر يومه من الدنيا وأولُ يومه من الآخرة. وقيل: ما من ميت يموت إلا التفَّت ساقاه من شدة ما يقاسي من الموت. وقال بعضهم: **والتفت الساق بالساق**، معناه أن الملائكة يجهّزون روحه وبني آدم يجهزون بدنه، فذلك التفاف الساق بالساق.

---

[1] ن - يقول.
[2] ث + مكة.
[3] ر م - رقية.
[4] ر: دافيا.
[5] م: البأس.
[6] ر م: وكذلك.
[7] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٦٢.
[8] جميع النسخ: فلا يفترقان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.
[9] ر: كالتفاق؛ م: كلتفان.
[10] ث + في الآخر.
[11] ر: إن ساقيه القيامة.
[12] ر: عن حمل؛ ن ث م: عن حمله. والزيادة من المرجع السابق.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إلى ربك يومئذ المساق**، أي إلى ما وعد[1] ربك يومئذ يساق:[2] إما إلى خير وإما إلى شر.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فلا صدق**، أي فلا صدق بما جاء من عند الله تعالى من الأخبار ولا صدق رسوله صلى الله عليه وسلم. **ولا صلى**، يحتمل أن يكون أريد به نفس الصلاة، وذلك أن الصلاة حُبِبَت إلى الأنفس كلها حتى لا ترى أهل دين إلا وقد حُببت الصلاة إليهم، فيكون في قوله: **فلا صدق ولا صلى**، إبانة سفهه وجهله. أو يكون قوله: **ولا صلى**، أي ولا أتى بالمعنى الذي له الصلاة وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى.

﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولكن كذب وتولى**، أي ولكن كذب بالأخبار التي جاء بها،[3] **وتولى**، أي أعرض عن طاعة الله تعالى.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **ثم ذهب إلى أهله يتمطى**، أي يتبختر ويتكبر.[4] وذلك أن الاختيال[5] والتكبر إنما يليق بمن أتى بفعل عظيم يعجز غيره عن إتيان مثله نحوَ أن يَهزِم جندا عظيما أو يفتح كُورة حصينة، وهذا الذي تمطّى لم يفعل سوى أن كذّب بآيات الله تعالى وأعرض عن طاعته، وما هذا إلا فعل السفهاء الحَمْقَى فأنى يليق بمثله التمطّي.

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٣٤] ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى**، فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: قل: أولى لك فأولى، أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:

---

[1] ن + بك.

[2] ن – يساق.

[3] جميع النسخ: جاء به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[4] ر: تتخبر وتتكبر؛ م: وتجبر وتكبر.

[5] ر: الاحتيال.

أولى لك فأولى، وبين الله تعالى ذلك[1] في كتابه. وقال أهل التأويل: هذا وعيد على وعيد كأنه قال: ويل لك فويل ثم ويل لك فويلٌ. وذكر[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بجميع ثيابه وقال له هذا فلم يتهيأ لذلك[3] المسكينِ أن يدفع رسول الله عن نفسه؛ وكان يفتخر بكثرة أنصاره[4] وأنه أعز من يمشي بين الجبلين[5] فالله تعالى بلطفه أذلّه وأهانه حتى لم يتهيأ له الحِرَاك عما نزل به[6] ولا نفعه قُواه وكثرة أتباعه.[7] وجائز أن يكون قوله: **أولى لك فأولى**، أي الأجدر لك وأحرى، لا أن يكون محمولا على الإبعاد، فيكون قوله: **أولى لك فأولى**، أي الأجدر لك[8] أن تنظر[9] فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذي كان عليه آباؤك ليظهر لك الصواب من الخطأ[10] والحق من الباطل، فتتبع[11] الصواب من ذلك، فتحرز[12] به شرف الدنيا والآخرة -إذ[13] كان يفتخر بشرفه وعزه- فإن أردت أن يدوم لك الشرف فالأولى لك[14] أن تنظر[15] إلى ما ذكرنا،

---

[1] ن - ذلك.

[2] ر م: ذكر.

[3] ر ث م: لك.

[4] ر: نصاده.

[5] ر: من الجبلين؛ ث م: من الجيبين.

[6] ر ث م: نزل به؛ ن: يذل به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[7] قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فهزه مرّةً أو مرتين ثم قال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى»، فقال له أبو جهل: أتهدّدُني؟ فوالله إني لأَعَزُّ أهل الوادي وأكرمُه. ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لأبي جهل. وهي كلمة وعيد. قال الشاعر:

فَأَوْلَى ثم أَوْلَى ثم أَوْلَى وهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدِّ

قال قتادة: أقبل أبو جهل بنُ هشام يتبختر، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده فقال: ﴿أولى لَكَ فأولى ثُمَّ أولى لَكَ فأولى﴾. فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئًا، إني لأعزُّ مَنْ بين جبليها. فلما كان يوم بَدْر أشرف على المسلمين فقال: لا يُعْبَد اللهُ بعد هذا اليوم أبدًا. فضرب الله عنقه، وقتله شر قِتْلة (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١١٤-١١٥).

[8] ر ث م - وأحرى لا أن يكون محمولا على الإبعاد فيكون قوله أولى لك فأولى أي الأجدر لك.

[9] ر ن م: أن ينظر.

[10] ن - من الخطأ.

[11] ر ن م: فيتبع.

[12] جميع النسخ: فتجهز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[13] ر ن م: إدا.

[14] م - لك.

[15] ر م: أن ينظر.

فتتبع[١] الصواب من ذلك. والثاني أن العرب كانت عادتها أن تقوم[٢] بنصر[٣] قبيلتها والذب عنها، كانت ظالمة في ذلك أو لم تكن ظالمة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قبيلة أبي جهل، فلو كان على غير حق عنده كان الأَولى به أن ينصره و يعينه على ما عليه عادة العرب وإن كان محقا فهو أولى، فترك[٤] ما هو أولى به[٥] من النصر والحماية.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**، فجائز أن يكون هذا الإنسان دَهري المذهب، فيكون قوله: **أيحسب الإنسان**، على حقيقة الحُسبان لأنه يحسب أن لا بعث ولا حساب، وقد كان في أهل مكة من هو دهري المذهب. وإن كان الخطاب في غيره[٦] فقوله:[٧] **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**، ليس على تحقيق الحسبان ولكن معناه: أيفعل[٨] فعل من يُؤذِن عن أمر[٩] كان فعلُه موافقا لفعل[١٠] من يحسب أنه يُترك سدى كما ذكرنا في قوله تعالى: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ؛[١١] وهو لا يريد أن يكون فاجرا في الحقيقة ولكن يفعل فعل من يُعقب[١٢] فعله الفجورَ،[١٣] وهو كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٤] وليس على حقيقة الظن ولكن إذا لم يقل بالبعث و لم يؤمن به فقد وَصف أن خلقهما إذًا على باطل. وذلك الفعل الذي ذكرنا يكون في ترك الإيمان بالبعث وفي جحد[١٥] الرسالة،

---

[١] ر ث م: فيتبع.
[٢] ن: أن يقوم.
[٣] ر ث م: بيصر؛ ن: ببصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.
[٤] ن: فنزل.
[٥] ر م - به.
[٦] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[٧] ر ث م - فقوله.
[٨] ر ث م: أتفعل.
[٩] جميع النسخ: عن أمره.
[١٠] ر: الفعل.
[١١] الآية ٥ من هذه السورة.
[١٢] ن: يعضب.
[١٣] ن - الفجور.
[١٤] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[١٥] ن: وفي حجة.

لأن المحاسن لا بد من[1] أن يكون لها عواقب وكذلك المساوئ. ثم تمر هذه الدار على المسيء والمحسن مرارا[2] واحدا فلا بد من أن يكون بعده دار أخرى، فبها[3] يتبين[4] مرتبة المحسن[5] ومذلّة[6] المسيء. فمن[7] لم يؤمن بالبعث فهو لا يجعل للمحاسن والمساوئ عواقبَ[8] وسوىّ بين مرتبة المسيء ومرتبة المحسن، وذلك عبث. والثاني أن من عرف أنه لم يخلَق عبثا ولا يُتركُ سدى فلا بد لمثله من أن يُرغَّب ويرهَّب ويؤمَر ويُنْهَى ولا يعرف ذلك إلا بالرسول. فالضرورة[9] أحوجت إلى رسول يبين[10] لهم ما يأتون وما يتقون وما يرغبون في مثله وعما يحذرون. فمن أنكر الرسالة فقد أهمل نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الأمر والنهي، [٨٧٤ظ] وذلك حال من / خُلق سدى.

**﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾[٣٧] ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾[٣٨] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **ألم يك نطفة من مني يمنى**، فالوجه[11] فيه أن كل أحد[12] يعلم أن نشوءه كان من نطفة، وتلك النطفة لو رئيت موضوعةً على طبق ثم اجتمع حكماء الأرض على أن يقدّروا منها بشرا سويا كما قدره الله تعالى[13] في تلك الظلمات لم يَصلوا إليه أبدا وإن استفرغوا مجهودهم[14] وأنفدوا حيلهم[15] وقواهم. ولو أرادوا أن يتعرفوا المعنى الذي لذلك المعنى

[1] ن ث - من.
[2] جميع النسخ: مرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[3] ر ث م: فيها.
[4] ر ث م: تبيين.
[5] ث: للمحسن.
[6] ر ث م: ومدار.
[7] ن: فما.
[8] ن: عوقب.
[9] ر ث م: والضرورة.
[10] ن: تبين.
[11] ر ث م: والوجه.
[12] ث + يمنع.
[13] ن + على طبق ثم اجتمع.
[14] ر: بجحودهم؛ ن ث: فجحودهم؛ م: في مجهودهم.
[15] ن: جيلهم.

صلحت النطفة من[1] أن يُنْشَأَ[2] منها العلقة والمضغة إلى أن أنشئ[3] منها[4] بشر سَوِيّ لم يقفوا[5] عليه، فيعلمون[6] أن من بلغت قدرته هذا هو أحكم الحاكمين. ولو كان الأمر على ما زعموا[7] أن لا بعث لم يكن هو أحكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاعبين. وتبين بما ذكرنا أن الذي بلغت[8] قدرته [هذا][9] لا يوصف بالعجز. ومن زعم أن قدرته لا تنتهي[10] إلى البعث فقد وصف الربَّ بالعجز. تعالى الله عما يشركون.

**﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[٤٠]**

وقوله عز وجل: **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**، فقوله **أليس**، في موضع التحقيق والتقرير وإن كان خارجا مخرج الاستفهام، على ما ذكرنا أن ما يخرج مخرج الاستفهام[11] من الله تعالى، فحقه أن نصرفه[12] إلى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب أن لو كان من مستفهم. فمن قال لآخر في الشاهد: أليس الله تعالى بقادر على إحياء الموتى؟ فحقه أن يقول: بلى هو قادر على ذلك. وكذلك ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين تلا هذه الآية: «سبحانك فبلى».[13] فقوله: **أليس ذلك بقادر**، أي هو قادر على إحياء الموتى. ***والله الموفق.***[14]

[1] ر م: عنى.
[2] جميع النسخ: أن ينشئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[3] ث: الشيء.
[4] ر ث م – منها.
[5] ر ث م – لم يقفوا.
[6] جميع النسخ: فيعلموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن – عنى ما زعموا + فيعلموا.
[8] ر م – بلغت.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: لا ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن – الاستفهام.
[12] جميع النسخ: أن يصرفه. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] *سنن أبي داود*، الصلاة ١٤٨-١٤٩.
[14] ر + وإليه المستعان وصلى الله عنى سيدنا محمد وعنى آله وصحبه أجمعين؛ ن – والله الموفق؛ ث + والله سبحانه وتعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الدهر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[١]**

قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فـ"هل"، و"مَن"، و"لعل" من الله تعالى واجب، وحقه[2] أن يُنظَر أن لو كان مثلُ هذا الكلام من مستفهم ما الذي كان يقتضي من الجواب؟ فإذا قال الإنسان لآخر: من أظلم ممن افترى على الله كذبا؟ فجوابه أن يقول: لا أحدَ أظلمُ منه؛ وإذا قال لآخر: هل أتاك حديث فلان؟ فحق المجيب أن يقول: إن كان قد أتاه حديث فلانٍ: قد أتاني، وإن كان لم يأته فحقه أن يسأله كيف كان حديثه ليعرفه. فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتاه خبر الإنسان فمعنى قوله: **هل أتى على الإنسان**، أي قد أتى على الإنسان، وإن لم يكن أتاه فحقه أن يسأل حتى يُبَيَّن[3] له. وقيل: الإنسان آدم عليه السلام.

ثم لقائل[4] أن يقول: كيف[5] قال: **قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فهو إن لم يكن شيئا مذكورا[6] في ذلك الوقت لم يكن إنسانا، وإذا لم يكن إنسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو إنسان، وإن كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا، وإذا صار مذكورا فقد أتى عليه حين من الدهر وهو مذكور، فما معناه؟

---

[1] ر - سورة الدهر؛ ث + وهي إحدى وثلاثون.
[2] ن + وحقه.
[3] ر م: أن يسأله حتى تبين؛ ن: حين يتبين.
[4] ر م: تم القائل.
[5] جميع النسخ: أن كيف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[6] ر ث م - مذكورا.

قيل فيه من أوجه. أحدها أن يكون قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان**، أي على ما منه الإنسان وهو الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب. فقال: **لم يكن شيئا مذكورا**، على الاستصغار لذلك الأصل إذ التراب لا يذكر في الأشياء المذكورة.[1] وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم. والوجه الثاني قيل: قد أتى على الخلق حين من الدهر[2] لم يكن الإنسان فيه شيئا مذكورا[3] في تلك الخلائق. والوجه الثالث قد أتى عليه حين من الدهر و لم يكن مذكورا في الممتحنين؛ وهذا في كل إنسان لأنه ما لم يبلغ لم يجز عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين، فالله تعالى[4] خلق الخلائق ليعبدوه[5] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[6] فقوله: لِيَعْبُدُونِ، إذا صاروا من أهل المحنة، فإلى أن يَبْلغ قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة مَن خُلقوا للعبادة. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة**، والإنسان[7] لم يكن إنسانا في النطفة ولا في العَلَقة ولا في المُضْغَة ولكن المقصود من إنشاء النطفة والعلقة هذا الإنسان. والعواقب في الأفعال هي الأوائل في القصد والمراد، فاستقام إضافته إلى ما ذكرنا كما رجع إليه القصد من إنشائها. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[8] أنه قال: «إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأَمْضِه وإن كان غيا فانْتَهِ»،[9] فألزم النظر في العواقب. فثبت أن المقصود من فعل أهل التمييز العاقبةُ، وإذا كانت العاقبة مقصودا إليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجود[10] في الابتداء، لذلك استقام إضافة الإنسان إلى النطفة والعلقة والمضغة.

---

[1] ث - المذكورة.
[2] ن: من الد.
[3] م: مذكرا.
[4] ر: قال الله تعالى.
[5] ن: ليعتذره.
[6] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[7] ن + والإنسان.
[8] ن: عليه السلام.
[9] *الزهد والرقائق* لابن المبارك، ٤١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٦٥/١١.
[10] ر ث: كالموجودة.

ثم قوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة**، منصرف إلى أولاد آدم، فيكون المعنى من الإنسان أولادَه. ثم ذكر لهم[١] ابتداء أحوالهم وما ينتهي إليه[٢] عاقبتهم وهو الموت ليتّعظوا به[٣] ويتذكروا. ووجه الاتعاظ هو أنهم إذا علموا ابتداء أحوالهم وعلموا ما ينتهي إليه عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها أن أنفسهم في أبدانهم ليست لهم بل عارية في أبدانهم -إذ[٤] لم يكن منهم صنع[٥] في الابتداء- وأمانة.[٦] والحق على الأمين أن يقوم بحفظ الأمانة ورعايتها وألا يخون[٧] صاحبها فيها. فإنْ هو خانها[٨] ولم يتولَّ / حفظها لحقته[٩] المَسبّة[١٠] والمذمة،[١١] [٨٧٥و]
وإن حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها. والحق على المستعير أن يتمتع بالعارية وينتفع بها إلى الوقت الذي أُذن له وأن لا يُضيعَها، فإن ضيعها[١٢] لحقته الغرامة والضّمان بتضييعه إياها. وكذلك إذا علموا أنها في أبدانهم[١٣] عارية وأمانة علموا[١٤] أن عليهم رعايتها واستعمالَها في الوجه الذي أُذن لهم فيها لئلا يلحقهم[١٥] التَّبِعة في العاقبة ولا يلزمَهم المسبّة[١٦] والمذمة في ذلك في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.

والثاني أن النظر في ابتداء الخلقة وإلى[١٧] ما يصير عند انقضاء الأمر يدعو إلى إيجاب القول بالبعث وإلى التصديق بكل ما يأتي به الرسل من الأخبار. وذلك أن التأمل في ابتداء الخِلقة

---

[١] ث م: ذكرهم.
[٢] ر ن م: إليهم.
[٣] م – به.
[٤] ر ث م: إذا.
[٥] ن: صنيع.
[٦] ن: أو أمانة.
[٧] ن: وأن لا يجوز.
[٨] م: خانهم.
[٩] ر م: لحقه.
[١٠] ر ث م: مسبتة.
[١١] م: والذمة.
[١٢] ن – فإن ضيعها.
[١٣] ن: في أيديهم.
[١٤] م: عملوا.
[١٥] ر م: لا يلحقهم؛ ن: لئلا يخلفهم.
[١٦] ث م: المستة.
[١٧] ر م: إلى

يُظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويُعلِم أن الذي بلغت حكمتُه[1] هذا المبلغ لا يجوز أن يقع قصده من إنشاء الخلق للإفناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة، فيحملهم ذلك[2] على القول بالبعث. ولأن النظر في ابتداء الخلقة والنظر إلى ما يرجع إليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر، لأن إنشاءه كان من نطفة يستقذرها الخلائق ومن علقة ومضغة يستخبثهما[3] كل أحد وبعد الممات يصير جيفة قذِرة. ومن كان هذا شأنه لم يحسُن التكبر في مثله، فكان في تذكير أوائل الأحوال وأواخرها موعظةٌ لهم ليتّعظوا ويتبصروا وتعريفٌ لهم أن التكبر لا يحسن من أمثالهم، فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أمشاجٍ نبتليه**، والأمشاج الأخلاط. ثم الأخلاط تقع[4] بوجهين. أحدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، والثاني تقع[5] في الأحوال؛ وهو أن النطفة إذا حوّلت علقةً لم تحول[6] بدفعة واحدة بل هي تَغلُظ شيئا فشيئا حتى إذا تم غِلظها صارت علقة، وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا فشيئا حتى إذا تم التغير فيها حالت مضغة فهذا هو الاختلاط في الأحوال. فمنهم من قال: الأخلاط الطبائع الأربع[7] التي عليها جُبل الإنسان. ومنهم من صرف الخلط إلى[8] الألوان، فذكر أن ماء الرجل أبيض يخالطه حُمْرةٌ وماء المرأة أحمر يخالطه صُفْرةٌ.[9] وقوله عز وجل: **نبتليه**، أي[10] بالخير والشر والأمر والنهي. ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من الأمور، والله تعالى لا يخفى عليه أمر فيحتاج إلى استظهاره. ولكنه يبتليه[11] ليَظهر للمبتلَى[12] ما كان خفيا عليه بفعله وتركِه. وأما الخلق فهم يمتحنون ويُبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم،

---

[1] ن – ويعلم أن الذي بلغت حكمته.
[2] ر م – ذلك.
[3] ر ث: يستحيشهما؛ ن م: يستخبثها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦ظ.
[4] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لم يحول. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر م: الأربعة.
[8] ر ث م – إلى.
[9] ن: أصفر.
[10] ر م – أي.
[11] جميع النسخ: نبتليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[12] ر ث م: للمبتلا.

فيكون الابتلاء منصرفا إليهم لا إلى المبتلي[١] والممتحِن. والثاني أن الابتلاء لما كان لاستظهار ما خفي من الأمور وذلك يكون بالأمر والنهي، فسمى الأمر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاءً لمكان الأمر والنهي لا على تحقيق معنى الابتلاء منه. وقال[٢] الحسن: لما صلح أن يضاف الاستخبار[٣] إلى الله تعالى وإن كان هو خبيرا عما استخبر، فجائز أن يضاف إليه الابتلاء أيضا وإن كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا. ولأن الذي يظهر[٤] من العبد بعد الابتلاء من الفعل كان غائبا فالله تعالى يعرفه شاهدا بفعله[٥] فقبل ذلك كان يعرفه غائبا، لأن معرفة ما يكون أن يُعرف فقبلُ[٦] كونه غائب وبعد كونه شاهدٌ.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فجعلناه سميعا بصيرا**، أي جعلنا له سمْعا يميز بين ما يؤدي إليه سمعُه وجعلنا له بَصَرًا[٨] يُبصر به ما أدى [إليه][٩] بصر الوجه ليضع كل شيء موضعه. وذلك هو بصر القلب وسمع القلب؛[١٠] لأنه قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن، ألا ترى أن البهائم لها البصر[١١] الظاهر وكذلك السمع [الظاهر].[١٢] ويحتمل أي جعلناه سميعا بصيرا يبصر به[١٣] ما له وما عليه وما ينفعه وما يضره. ثم أنشأ فيه السمعَ والبصرَ ولا يَعرف[١٤] كيفية السمع والبصر الذي جعَل فيه ولا مائيته[١٥] ولا مِمَّ[١٦] هو لطفا منه ليُعلم أنه منشئ الكيفيات والمائيات وأنه يتعالى عن الوصف له بالكيفية والمائية.

---

[١] جميع النسخ: المبتلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٢] م: قال.
[٣] ن: الاستحسان.
[٤] ر م – ولأن الذي يظهر.
[٥] ر ث: يفعله.
[٦] جميع النسخ: مثل. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: كونه غائب وبعد كونه شاهد.
[٨] ن – أي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدى إليه سمعه وجعلنا له بصرا؛ م: بصيرا.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ث – وسمع القلب.
[١١] جميع النسخ: بصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر ث – به؛ ن – يبصر به.
[١٤] أي لا يعرف الإنسان.
[١٥] ن: ولا ما يته.
[١٦] ر ن: ولا ممر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣]

ثم قال تعالى: **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.** يحتمل قوله تعالى: **إنا هديناه السبيل**، أوجها ثلاثةً. أحدها هديناه السبيل لإصلاح بدنه ومعاشه؛ أو هديناه السبيل الذي يصلون[١] به إلى استبقاء النسل والتوالد إلى يوم التَّناد؛ أو هديناه[٢] السبيل الذي يرجع إلى إصلاح[٣] دينهم وأمر آخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن. ثم قوله: **إما شاكرا وإما كفورا،** أخبر أنه قد بين لهم السبيل وهداهم إليه. ثم منهم من يختار الشكر له[٤] ومنهم من يختار الكُفران له. ثم بين ما أعد للكفور منهم وما أعد للشكور وهو ما قال: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا.[٥] ثم قوله: **إنا هديناه السبيل،** إن كان المراد منه[٦] الطريق فكأنه قال: إنا بينا كلا الطريقين[٧] فإن سَلك طريقَ كذا واختاره يكون شاكرا، وإن سلك طريق[٨] كذا واختاره يكون كفورا. ثم بين لكل طريق الذي سلكه جزاءً وثوابا.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[٤]

[٨٧٥ظ] ثم قوله عز وجل: **إنا أعتدنا للكافرين / سلاسل وأغلالا وسعيرا،** ففيه إنباء أن أيديهم تغلّ ويُشدّون بالسلاسل، فلا يتهيأ لهم أن يَقُوا العذاب عن أوجههم.[٩] ثم قرئ سَلَاسِلَ لأنها غير منصرفة، وقرئ سلاسلا[١٠] وصَرَفوه بناء على أن الأسماء كلها منصرفة إلا نوعا واحدا. وقال الزجاج: السلاسل، لا تنصرف لأنه لا فعل لها لكن صَرَفها هاهنا لأنها من رءوس الآيات.[١١] وقيل: لأنه جعله رأس الآية.[١٢]

---

[١] ث + إليه.
[٢] ر ن م: وهديناه.
[٣] ر ن م: يرجع إصلاح.
[٤] ث + ومنهم من يختار كفر له.
[٥] الآية التالية.
[٦] ن – منه.
[٧] جميع النسخ: الطريق. والتصحيح من حاشية *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٨] ر – كذا واختاره يكون شاكرا وإن سلك طريق.
[٩] ر م: عن وجوههم.
[١٠] م: سلاسل. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤.
[١١] قوله: ﴿سلاسل وأغلالا وسعيرا﴾ الأجود في العربية أن لا يصرف سلاسل. ولكن لما جعلت رأس آية صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/ ٢٥٨).
[١٢] أي أول كلمة القسم الثاني من الآية، وهو «سلاسلاً وأغلالاً وسعيرًا».

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**، فمنهم من ذكر أن الكافور شيء أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يُطلع عباده على ذلك في الدنيا. ومنهم من ذكر أن الكافور شيء[١] جرى ذكره في الكتب المتقدمة فذُكر ذلك في القرآن. ومنهم من قال: إنه عين من عيون الجنة، ومنهم من صرفه إلى الكافور المعروف لكن قيل إنه كناية عن طِيب الشراب. وقيل: إنه كناية عن برودة الشراب، لأنه ذُكر أن ذلك الشراب في طبعه كالكافور، لأن ألذّ الشراب عند الناس البارد منه لا أن يكون في نفسه باردا. وذكروا أن الكأس لا يسمى كأسا حتى يكون فيها خمر.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **عينا يشرب بها عباد الله**، ومعناه [يشرب] منها لا أن يقع شربهم بها، وسميت العين عينا لوقوع العين عليها.[٢] وقوله عز وجل: **يفجرونها تفجيرا**، ففيه إخبار أن ماء العيون جارية يفجرونها من حيث شاءوا. ثم المراد من ذكر العباد هاهنا هم الذين أطاعوا الله وقاموا بوفاء ما عليهم، وهم الذين قال الله تعالى [فيهم]: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.[٣]

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يوفون بالنذر**، والنذر هو العهد. فجائز أن يكون أراد[٤] به الوفاء بكل ما أوجب الله تعالى من الفرائض والحقوق، فيكون فرائضه عهده، كقوله عز وجل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي.[٥] وجائز أن يكون أراد بالنذر ما أوجبوا على أنفسهم من القُرَب سوى ما أوجبه[٦] الله تعالى عليهم. فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى[٧] مع ذلك بِقُرَبٍ[٨] أُخَرَ،

---

[١] ث – أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر أن الكافور شيء.
[٢] ر م – عيها.
[٣] سورة الحجر، ١٥/٤٢.
[٤] ر: المراد.
[٥] سورة البقرة، ٢/٤٠.
[٦] جميع النسخ: ما أوجبها.
[٧] ن – عليهم فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى.
[٨] ر م: يقرب.

فاستوجبوا المدح بوفائهم بما أوجبوا على أنفسهم. وقال: [وَرَهْبَانِيَّةً] ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا،[1] فلحقهم الذم لما لم يقوموا برعاية حقه، ليس بإيجابهم على أنفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم.

وقوله عز وجل: **ويخافون يوما كان شره مستطيرا**، قيل:[2] استطار شر ذلك اليوم فملأ السماوات والأرضين وكلَّ[3] شيء، حتى انشقت السماوات[4] وتناثرت النجوم[5] وبُسّت الجبال.[6] ومعناه أن هول ذلك اليوم قد عم وفشا في أهل السماوات والأرض حتى خافوا على أنفسهم. وقيل: سمي **مستطيرا**، أي طويلا، ويقال: استطار الرجل[7] إذا اشتد غضبه، واستطار الأمر، أي اشتدّ، فسمى **مستطيرا** أي شديدا.

**﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٨]**

وقوله: **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**، فالحب يتوجه إلى معانٍ[8] يتوجه إلى الإيثار مرة، وإلى ميل النفس وركون القلب أخرى، ومرة يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب هاهنا الشهوة، فيكون قوله عز وجل: **على حبه**، أي على شهوتهم وحاجتهم إليه. وقيل: ويطعمون في حال عزة الطعام، وقيل: أي يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها، ليس أن يطعموا عند الإياس من الحياة على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الصدقة أن تتصدق[9] وأنت صحيح شحيح تَأْمُل العيش وتخشى الفقر».[10]

---

[1] سورة الحديد، ٢٧/٥٧.

[2] ن: قبل.

[3] ر م: والأرضين كل.

[4] يقول الله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (سورة الحاقة، ١٦/٦٩).

[5] ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت﴾ (سورة التكوير، ١/٨١-٢).

[6] ﴿إذا رُجّت الأرض رَجًّا وبُسّت الجبال بَسًّا﴾ (سورة الواقعة، ٣/٥٦-٤).

[7] ن: للرجل استطار.

[8] جميع النسخ: إلى معاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.

[9] ر ن م: أن يتصدق.

[10] روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تَصَدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغِنى، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣١/٢؛ و*صحيح البخاري*، الزكاة ١١؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ٩٢).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[٩]

وقوله: **إنما نطعمكم لوجه الله**، قيل: إنهم لم يتكلموا بهذا اللفظ أعني **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**، الآية، ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم بذلك ليرغب في ذلك الراغبون، ألا ترى أنهم كانوا يطعمون الأسارى ولا يُطمَع من الأسارى المجازاة والشكر ليُعلَم أنهم لم يقصدوا به إلا[1] وجه الله تعالى والتقرب إليه. والمجازاة هي المكافأة لما أُسدي إليه، والشكر هو الثناء عليه والنشر منه.[2]

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**، فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم، فيكون معناه أن هذا اليوم وهو يوم القيامة من بين سائر الأيام كالإنسان العبوس من بين[3] غيره. ومنهم من صرفه إلى الخلائق، فيكون معنى قوله تعالى: **يوما عبوسا**، أي يوما يَعبِس فيه وجوه الخلائق لا أن يكون اليوم بنفسه عبوسا، وهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[4] أي يُبصَر فيه. وتقول[5] العرب: ما زال الطريق يَمُرّ منذ اليوم، على معنى يمر الناس فيه. فيرجع هذا إلى وصف ما يكون عليه ذلك اليوم؛ على ما ذكرنا أن الله تعالى ذكر اليوم بالأحوال التي يكون عليها حال ذلك اليوم، فمرة قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[6] ومرة قال: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ،[7] وغير ذلك من الآيات. وقوله عز وجل: **قمطريرا**، قيل: شديدا، وقيل: القمطرير الذي يَقْبِض الوجه بالبسور والعبوسة، ويروي ما بين العينين.[8] وقيل: القمطرير المشوه[9] على أهل النار. وقيل: القمطرير هي كلمة من كتب الأولين.

---

[1] ر م - إلا.

[2] ر: واليسر عنه؛ ن: والبشر عنه؛ ت: والبر عنه؛ م: والبسر عنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ. الشكر عرفان الإحسان والنشر منه. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل (*لسان العرب*، «شكر»). ومعنى «النشر» هنا هو تحديث نعمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (سورة الضحى، ١١/٩٣).

[3] ر م - بين.

[4] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[5] ن: ويقول.

[6] سورة الحج، ٢/٢٢.

[7] سورة القارعة، ٤/١٠١.

[8] وفي التنزيل العزيز: ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾، جاء في التفسير أنه يُقَبِّض الوجه فيجمع ما بين العينين، وهذا شائع في اللغة (*لسان العرب*، «قمطر»).

[9] ر م: المشوة؛ ت: المقمطرير المشوة.

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[١١]

[٨٧٦و] وقوله عز وجل: **فوقاهم الله / شر ذلك اليوم**، فجائز أن يكون الوقاية منصرفة إلى الموعود في ذلك اليوم[١] من العقوبة والنكال، لا أن يكونوا وُقُوا من هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا أهوالَها. وجائز أن يكون وقاهم عما كانوا يخافون من المشقة[٢] لدى[٣] الحساب، كقوله: إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ؛[٤] فكأنهم يخافون على أنفسهم المناقشة في الحساب، فإذا رأوا سيئاتهم مغفورة وحسناتِهم متقبّلة[٥] سُرُّوا بذلك ووُقُوا شره. وجائز أن يكونوا أُومنوا من أهوال القيامة وأفزاعها حين نُشروا من القبور وتلقتهم[٦] الملائكة بالبِشارة، كما قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[٧] وقوله عز وجل: **ولقَّاهم نضرة وسرورا**، فالسرور عبارة عن انتفاء الحزن عنهم، والنضْرة[٨] أثر[٩] كل نعيم. وقيل: نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجزاهم بما صبروا**، أي على الطاعات وصبروا عن معاصي الله، **جنة وحريرا**، أي جزاهم جنة وجزاهم حريرا. فذكر الحرير لأن الجِنان إنما يذكر في موضع التطرب والتنعم بالمآكل والمشارب[١٠] دون التنعم باللباس، فوعد لهم اللباس من[١١] الحرير مع ما جزاهم الجنة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها على الأرائك**، نذكر[١٢] تفسيرها بعد هذا إن شاء الله تعالى. وقوله عز وجل: **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**، لأنه لا شمس فيه ولا زمهرير

---

[١] ر ث م – اليوم.
[٢] جميع النسخ: من التبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.
[٣] ن: لذي.
[٤] سورة الحاقة، ٦٩/٢٠.
[٥] ر: مثقيبة؛ ن: متضاعفة.
[٦] ر ن: وتلقنهم.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] ر: والنضر.
[٩] ر: ذا أثر.
[١٠] م: والمشرب.
[١١] ر + اللباس؛ م – من.
[١٢] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.

بل يكون ظلها دائما ممدودا. فجائز أن يكون المراد منه أن ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة، لأن الشمس في الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس. وذكر أنهم لا يرون فيها الزمهرير ليُعلم أن لذاذة شراب الجنة وبرودتَه بالخِلقة لا أن تكون[١] برودتها بتغير[٢] يقع في الأحوال على ما يكون عليه شراب أهل الدنيا، أو يكون ذَكَر هذا ليعلموا أنهم لا يُؤْذَون بحرّ ولا برد.

**﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **ودانية عليهم ظلالها**، فجائز أن يراد به أنها دانية من هؤلاء الذين سبق نعتهم وهم الأبرار، كقوله عز وجل: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[٣] أو ذكر[٤] أن ظلالها دانية لأنها لو لم تكن[٥] دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع. وقيل: هي ظلال غصون الأشجار قريب منهم لأن للجنة[٦] نورا[٧] يتلألأ فيقع بالأشجار ظلالٌ، على ما جاء في الخبر أنه لو أُلقي سوار[٨] من الجنة في الدنيا لأضاءت الدنيا ولغلب[٩] ضوءها ضوءَ الشمس[١٠] ونحو[١١] ذلك، فيقع للأشجار[١٢] فيها ظلال، كما يشتهونه في الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر.[١٣]

وقوله عز وجل: **وذُلِّلَت قطوفها تذليلا**، فجائز أن يكون أريد بالتذليل التليين، أي لُيِّنت فلا يَردّ أيديَهم عنها شوك. وقيل إن أشجارها ليست بطوال لا يُنال ثمارُها إلا بعد عَناءٍ وكَدٍّ بل قريبة من أربابها، يقال: حائط ذليل، إذا لم يكن عاليا في السماء. وقيل: **ذللت**، أي سويت الأشجار لا يتفاوت بعضها بعضا، يقول أهل المدينة: إذا استوت عُذوق النخلة تذَلَّلت النخلة.

---

[١] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[٢] ن ث: يتغير.
[٣] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[٤] م: وذكر.
[٥] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق. ن + لأنها لو لم يكن.
[٦] ر ن ث: لأن الجنة.
[٧] ث: نور.
[٨] ر: مسوار.
[٩] جميع النسخ: ويغلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٩/١، ١٧١؛ و*سنن الترمذي*، الجنة ٧.
[١١] جميع النسخ: ويجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[١٢] جميع النسخ: الأشجار. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: ليس ذلك على شمس أو قمر.

وقيل: **ذللت**، أي سخرت، والتذليل التسخير، فيتناولون[1] منها كيف شاءوا، إن شاءوا تناولوها وهم قيام وإن شاءوا تناولوها وهم جلوس أو نيام على الفُرُش. وجائز أن يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين أن شجر[2] الجنة عروقها من فوقٍ وفروعها من أسفلَ والثمار بين ذلك.

**﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[١٥] ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[١٦]**

وقوله تعالى: **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب**، فتأويل الأكواب يذكر في سورة "هل أتاك حديث الغاشية".[3] ثم أخبر أن تلك الأكواب قوارير من فضة. قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب من خارجها لصفائها. ثم الآنية من الفضة في أعين أهلها أرفع وأشرف من الإناء المتّخذ من التراب، فكذلك الصفاء الذي يكون بالفضة أبلغ وأرفعُ في أعين أهلها من الصفاء الذي يقع بالقوارير، [فيخبر أن صفاءها صفاء القوارير وإن كانت من فضة. وقرئ][4] "قواريرَ قوارير من فضة" على الأصل المعهود أنه لا ينصرف. وقرئ قوله: **قواريرا**، على الوقف عليه موافقا لآخِرِ سائرِ الآيات.[5] وقرئ "قواريرا" بالتنوين عند الوصل أيضا،[6] لأنه رأس الآية. وقوله: **قدروها تقديرا**، أي جعلت على قدر رَيِّهم.[7] وقيل: يُسْقَون على القدر الذي قدروه في أنفسهم وحدّثت به أنفسهم فلا يقدِّرون في قلوبهم مقدارا إلا أُتُوا بها على ذلك.

**﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾[١٧] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[١٨]**

وقوله: **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا**، فمنهم من زعم أن العرب كانوا إذا أعجبهم شراب نعتوه وقالوا كالزنجبيل، فخرجت البِشارة من الوجه الذي تَرغب[8] في مثله الأنفس.

---

[1] ن ث: فيتناولوا.
[2] م: شجرة.
[3] انظر الآية ١٤ من سورة الغاشية.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[5] ن: موافقا لسائر.
[6] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.
[7] ر: على قدريتهم.
[8] جميع النسخ: يرغب.

ومنهم من ذكر أن الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين. ومنهم من ذكر في السلسبيل أي سَلْ سبيلا إلى ذلك العين. وقال قتادة: أي سَلِسَلة السبيل مستعذب ماؤها.[١] وقيل: سلسبيلا شديد الجِرْية.[٢]

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[١٩]

وقوله: **ويطوف عليهم ولدان مخلدون**، ذُكر الولدان لا أن يكون[٣] فيها وِلَادٌ ولكنهم أُنشئوا ولدانا، فيخلَّدون كذلك [لا][٤] يَكبُرون ولا يَهْرَمون. وجائز أن يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا في الدنيا صغارا / فلا يكون لهم في الجنة آباء ليُرْفَعوا إلى درجة الآباء [٨٧٦ظ]
فيجعلهم الله تعالى خَدَما[٥] لأهل الجنة.

وقوله عز وجل: **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**، فمنهم من يقول: إن الله تعالى شبّه[٦] حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور إذ أحسن ما يكون اللؤلؤ إذا كان منثورا. فجائز أن يكون هؤلاء الولدان فضِّلوا في الحسْن[٧] على سائر الجواهر التي تكون[٨] في الجنة كما فضل الدرُّ في الدنيا على سائر الجواهر. ومنهم من يقول: إنهم ما لم يَطُوفوا فمن رآهم يَحسِبهم[٩] لؤلؤا منثورا وإذا طافوا وتحركوا فحينئذ يُعْلَمون أنهم ولدان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[٢٠]

وقوله: **وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا**، قيل: هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف. وقيل: المُلْك استئذان الملائكة عليهم، وملوك الدنيا وإن علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب

---

[١] عن قتادة قوله: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ عينا سَلِسَة مستقيدا ماؤها (*تفسير الطبري*، ٢٩/٢٧١).

[٢] قال ابن عباس: سَلْسَبيلاً يَنسَلُّ في حُلوقهم انْسِلالاً. وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناها لَيّنة فيما بين الحَنْجَرة والحلق. وأما من فسره "سَلْ رَبَّكَ سَبيلاً إلى هذه العين" فهو خطأٌ غير جائز. ويقال: عين سَلْسَلٌ وسَلْسالٌ وسَلْسَبيلٌ، معناه أنه عَذْب سَهْل الدخول في الحلق. قيل: جمع السَّلْسَبيل سَلاسِبُ وسَلاسِيبُ، وجمع لسَلْسَبيلة سَلْسَبيلات. وتَسَلْسَل الماءُ جرى في حَدُور أو صَبَب (*لسان العرب*، «سلسل»).

[٣] ر ث م: لا يكون.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

[٥] ث: خدها.

[٦] ن م: يشبه.

[٧] ن – في الحسن.

[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ن ث: حسبهم.

من دخول الملائكة عليهم بغير استئذان، والمَلِك هو الذي له[1] نفاذ الأمور. وجائز أن يكون ذَكَرَ النعيمَ والملكَ الكبيرَ على معنى أنه لا ينقطع عنهم بل إذا رأيتهم أبدا رأيتهم في نعيم وملك كبير.

**﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾**[٢١]

وقوله تعالى: **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق**، فجائز أن يكون أراد بالعالي ما عَلَا من المكان الذي هم فيه. فيخبر أن في أعلى أماكنهم ثيابٌ خضرٌ من سندس كما هو في المكان الذي سَفَل[2] موضعَ جلوسهم، لأنهم يكونون على الأرائك والأحجال، فيكون ما تحت الأحجال والأرائك من الأماكن زرابيُّ مبثوثة ونمارقُ مصفوفة ويكون عاليها كذلك.[3] فإن كان على هذا فلا فرق بين أن يكون فُرُش ذلك المكان من حرير وديباج غليظ -إن أريد بالإستبرق[4] الديباج الغليظ- وبين أن يكون من ديباج رقيق إذ كل ذلك مما يُرغب في مثله. ***والله أعلم***. وقيل: **عاليهم**، أي أعلى ثيابهم سندسٌ خضر وإستبرق، وقال بعضهم: عالِيَ أنفسهم ثيابُ سندسٍ. ومنهم من صرف السندسَ إلى اللباس والإستبرقَ[5] إلى ما بُسط، لأن الديباج الغليظ مما لا يرغب الأنفس إلى لبس مثله؛ فجمع بين ما يُلبس وبين ما يُفرش وبَيَّن الفعل في أحدهما ولم يذكر في الآخر. ومنهم من قال: **عاليهم**، هم الولدان يطوفون من أعاليهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وحُلُّوا أساوِرَ من فضة**، فبشرهم بالأساور من فضة،[6] لأن الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهبَ استحسانه لقدره[7] وعزته ليس لنفسه، لأنه أصفر والأعين لا تستحسن[8] هذا اللون، فجرت البِشارة بالفضة لا بالذهب.[9] وقال بعضهم: يُحلَّى الرجال

---

[1] ر م - له.
[2] ر م: أسفل.
[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية فيها سُرُر مرفوعة وأكواب موضوعة ونَمارق مصفوفة وزرابيُّ مبثوثة﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/١٢-١٦).
[4] ر م: بالإستبرق.
[5] ر ن م: والإستبرق.
[6] ر ن ث: من الفضة.
[7] ر: لقدرته.
[8] جميع النسخ: لا يستحسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
[9] ر م + وقال بعضهم يحلى الرجال بأسورة بالفضة لا بالذهب؛ ث + وقال بعضهم يحلى بالرجال بالفضة لا بالذهب.

بأسورة من فضة على ما أبيح لهم التحلي بخاتم الفضة[١] في الدنيا وتُحَلَّى النساء بأساور[٢] الذهب على ما أبيح لهن التحلي بها في الدنيا.

وقوله تعالى: **وسقاهم ربهم شرابا طهورا**. قيل: هو الخمر تُطَهِّر[٣] من الآفات ومن كل مكروه وتُطهِّر[٤] قلوبهم من الغِلّ فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن، وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطنُ البدن ينجسـ[ـه] الشراب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الرجل من أهل الجنة لَيعطَى قوةَ مائةِ رجل في الأكل والشرب[٥] والجماع» فقال يهودي: إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجة أحدهم[٦] عرق يَفيض[٧] من جسده فيَضْمُر لذلك بطنُه».[٨] والأصل أنك قد ترى الطعام الذي يَطعمه الإنسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه، وكذلك شهوته تبقى[٩] فيها. ثم يخرج الثُّفْل منها والفضل. فجائز أن يرفع الله تعالى عن ذلك الطعامِ الفضلَ الذي يزايل البدن فيكون[١٠] طعامهم ذلك اللطيفَ الذي يبقى في النفس.

**﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **إن هذا كان لكم جزاء**، فجائز أن يكون هذه البشارة خرجت لأهلها في الدنيا. وجائز أن يكون لهم في الآخرة أن هذا الذي أُكْرِمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا.

---

[١] ر م – الفضة.

[٢] جميع النسخ: بأساوير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

[٣] جميع النسخ: يطهر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] جميع النسخ: ويطهر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر: والشراب.

[٦] ن – حاجة أحدهم.

[٧] ر ث: يغيض.

[٨] عن ابن أبي حاتم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن الرجل منهم لَيُؤْتَى قوّة مائةِ رجلٍ منكم في الأكل والشرب والجماع والشهوة». قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، والجنة طاهرة ليس فيها قَذَرٌ ولا أذًى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجتهم عرق يفيض مثل ريح مسك، فإذا كان ذلك ضَمُر له بطنُه». (*الدر المنثور* للسيوطي، ١/١٠٠؛ وانظر أيضا: *بحر العلوم* للسمرقندي، ٣/١٠٣).

[٩] جميع النسخ: يبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

[١٠] ن: ويكون.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾[٢٣]

وقوله: **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**، قيل: فرّقنا عليك القرآن تفريقا. والحكمة في التفريق ما ذكر في آية أخرى[١] وهي[٢] قوله: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ[وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً]،[٣] فأخبر أن في التفريق تثبيتا،[٤] فيكون الناس له أوعى وأعرف بمواقع النوازل منه من أن ينزل جملةً واحدة. ثم أضاف التنزيل إلى نفسه هاهنا وأضاف إلى جبريل عليه السلام في قوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[٥] وقوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،[٦] وقال في آية أخرى:[٧] حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٨] فأضافه[٩] إلى نفسه. وقال: فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.[١٠] فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة، فحق كل من ذلك أن يصرف إلى ما إليه أَوْجَهُ وإلى ما يستجيزه[١١] الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام. فإذا قيل: هذا في اللوح [المحفوظ][١٢] فُهِمَ به و أريد منه أنه مكتوب فيه. وقوله عز وجل: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[١٣] معناه:[١٤] حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى، لا[١٥] أن يكون ذلك كلامه. وأضافه إلى جبريل عليه السلام، لأنه من قِبَله تلقّاه[١٦] لا أن يكون ذلك كلام جبريل عليه السلام.

[٨٧٧و] / ثم قد ذكرنا[١٧] الحكمة في إنزال القرآن مفرّقا قبل هذا الفصل الكافي منه.[١٨]

---

[١] ر ث م + في القرآن.
[٢] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[٣] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[٤] ر ن م: تثبيت.
[٥] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.
[٦] سورة الواقعة، ٤٠/٦٩.
[٧] ر ن م – أخرى.
[٨] ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمعَ كلام الله﴾ (سورة التوبة، ٦/٩).
[٩] ر م: فأضاف.
[١٠] ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥-٢٢).
[١١] ر م: وإلى يستجيز؛ ث: وإلى يستخير.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] سورة التوبة، ٦/٩.
[١٤] ر ث م + أنه.
[١٥] م – لا.
[١٦] ر ث م: يلقاه.
[١٧] ر ث م: قد ذكر.
[١٨] انظر: تأويلات القرآن، ٣٧٤/٨، ٢٤٨/١٠-٢٤٩.

ثم جائز أن يكون التفريق لمكان أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لمكانه، لأن الله تعالى يَسّر[١] على نبيه حفظه[٢] حتى كان يَعِي[٣] جميع ما يُنزل إليه جبريل عليه الصلاة والسلام بما يقرأ عليه مرة واحدة، وقيل له: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[٤] الآية، فَضَمِن له الحفظ فأمن النسيان. فأما غيره فإنه يشتد عليه أن لو كلفه حفظه بدفعة واحدة فأُنزل مفرّقا ليكونوا أقدَرَ على حفظه. ولهذا ما كثر حفّاظ القرآن في هذه الأمة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الأمة؛ لأن القرآن أُنزل مفرّقا على إثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل فوقفوا على معرفة ما أُودع في الآيات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ، ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ من المنسوخ[٥] فأنزل الله تعالى مفرقا ليكونوا بعلم[٦] الناسخ والمنسوخ[٧] أعلم. ولأنه إذا أنزل مفرقا كانوا إليه أشوق[٨] وأرغب منه إذا نزل جملة واحدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ،[٩] الآية، فأخبر أنهم يرغبون إلى أن يُنزل عليهم سورة وإن كانوا قد أنزلت إليهم سورة من قبل. وفيه أيضا تخويف للمنافقين كما قال الله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.[١٠] فكان في إنزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوائد والمنافع للمؤمنين. **والله أعلم.**

**﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٢٤]**

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، ففيه أنه ابتلاه بما تكرهه[١١] نفسه ويشتد عليها حتى دعاه إلى الصبر، لأن المرء لا يدعى إلى الصبر على النعم واللذات وإنما يدعى إليه إذا ابتلي بالمكاره[١٢] والبليات.

---

١ ر: يستر؛ ن: بشر؛ ث: تيسر.
٢ ن: حفظ.
٣ ر ث م: بقي.
٤ ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٩).
٥ ر ث م: والمنسوخ.
٦ جميع النسخ: يعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
٧ ر م + والله.
٨ ر ث: أسوق.
٩ سورة محمد، ٢٠/٤٧.
١٠ سورة التوبة، ٦٤/٩.
١١ ر ث م: بما يكرهه.
١٢ ث: بالمكان.

وقد صبر عليه السلام على المكاره لأنه أمر بمضادّة الجن والإنس فانتصب لهم حتى آذَوه كلَّ الأذى وهموا بقتله. وقوله: **ولا تطع منهم آثما أو كفورا**، كأنه قال: ولا تطع من دعاك[1] إلى ما تَأْثَم فيه أو تكون[2] كفورا، أو لا تُجِبْ الآثم،[3] أو الكفور إلى ما يدعوك[4] إليه.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **واذكر اسم ربك**، يحتمل واذكر[5] باسم ربك، أو صلِّ باسم ربك، كقوله: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى،[6] أو يقول: **واذكر اسم ربك**، أي كن ذاكرا له في كل وقت. وقوله عز وجل: **بكرة وأصيلا**، البُكرة تحتمل[7] صلاة الصبح، والأصيلُ يحتمل صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**، يحتمل صلاةَ الليل: النوافلَ إن كان قوله: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً،[8] في صلاة الفرائض، وإن لم يكن في ذلك فيكون كأنه قال: واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار؛ أو يقول: فليكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعة إلا وهو[9] مذكور فيها. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**. حب العاجلة مما طبع به[10] الخلائق؛ لأن كلًّا[11] طُبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء، فلا يلحقهم الذم بحب ما طُبعوا عليه وأُنشئوا. ولكن الذم إنما يلحق[12] من أحب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذي

---

[1] ر ث م + إلى ما دعاك.
[2] ر م: أو يكون.
[3] ن: الأثيم.
[4] ر ث م: إلى ما يدعون.
[5] ر ث م – واذكر.
[6] سورة الأعلى، ١٥/٨٧.
[7] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[8] الآية السابقة.
[9] ر م: إلا هو.
[10] ر ث م – به.
[11] جميع النسخ: لأن كل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ولكن إنما يلحق الذم. والترجيح من المرجع السابق.

جعلت له[١] الدنيا وأنشئت، فالدنيا إنما أنشئت[٢] وجعلت[٣] ليكتسب بها نعيم الآخرة والحياة الدائمة اللذيذة، فمن أحبها[٤] لهذا فهو لا يلحقه بذلك ذم ولا تعيير،[٥] ومن أحبها وآثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم. وأولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على فن واحد. منهم من حمل حبه الدنيا على إنكار وحدانية الله تعالى وألوهيته. ومنهم من حمل حبه إياها على تكذيب الرسل والتعادي لهم ومكابرة الحق. ومنهم من حمل حبه إياها على إنكار البعث والجزاء لما عملوا.[٦] ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل أنكروا بعضا وصدقوا بعضا. وتولد[٧] من حبهم إياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك، ولذلك ما ذَكَر من الإنفاق في الدنيا حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ﴾،[٨] الآية. فمن أنفق في هذه الدنيا[٩] لها فتكون[١٠] نفقته ما ذكر، لأنه أنفق لغير ما[١١] جعلت له النفقة، فكان ما ذكر. فعلى ذلك من أحب الدنيا واختارها للدنيا لا لاكتساب ما ذكرنا من النِّعم[١٢] اللذيذة الدائمة والحياة الباقية التي لا انقطاع لها كان على ما ذَكَر.

ثم إذا ذكرت[١٣] الدنيا [في القرآن] ذكرت الآخرة وراءها؛ وإذا ذكرت الآخرة على إثر ذكر الإنسان قيل: "أمامَه"، لأن الإنسان يُقبل إليها، فيكون ذلك أمامَه وقُدَّامَه. وأما عند ذكر الدنيا قيل: "وراءها"، لأنها تَخلُفها،[١٤] وكلُّ من خَلَفَ آخر يكون بعده ووراءه، لأنه يكون عند فوت الآخر، لذلك كان ما ذكر.

---

[١] ر ث م – له.

[٢] جميع النسخ: واستست فالدنيا إنما أسست. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.

[٣] ن – فالدنيا إنما أنشئت وجعلت.

[٤] ر ث م: فمن أحب.

[٥] ن: ولا يعتبر.

[٦] ر م: لما عملوا.

[٧] ن ث: تولد.

[٨] ﴿مَثَل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حَرْثَ قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ١١٧/٣).

[٩] ث – حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت الآية فمن أنفق في هذه الدنيا.

[١٠] جميع النسخ: فيكون.

[١١] ر ث م: لغيرها.

[١٢] ن: من النعيم.

[١٣] جميع النسخ: إذا ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.

[١٤] ر ن م: يخلفها؛ ث: يحققها. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم،** رجع إلى الاحتجاج عليهم لما أنكروا؛ يقول: يعلمون أنا خلقناهم بدءا ونحن شددنا أسرهم أي قوتهم، أو نحن شددنا خلقتهم، أو نحن[1] وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المتشتّتة[2] بعضَها إلى بعض،[3] ونحن نبدل[4] أمثالهم [٨٧٧ظ] / إن شئنا، فما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والإعادة بعد الموت؟ يقول: من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث أقدر. وقوله عز وجل: **وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا،** يُذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **إن هذه تذكرة،** يحتمل[5] **هذه،** أي هذه السورةَ، لأنه ذكر[6] في أولها ابتداء إنشائهم وخلْقِهم و[في][7] آخرها أعادتَهم وفي خلالها[8] جزاءَ صنيعهم الذي صنعوا، فيكون في ذلك تذكرةٌ لهم. ويحتمل قوله: **إن هذه تذكرة،** أي الأنباءَ التي ذكرت في القرآن، أو هذه المواعظُ تذكرة لما لهم وما عليهم، أو تذكرة[9] لما لله عليهم وما لبعضهم[10] على بعض. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: قد مكّن كلًّا أن يتخذ سبيلا إلى ربه، أي لا شيءَ يمنعه عن اتخاذ السبيل إلى ربه إذا شاء، لكن مَن لم يتخذ إنما لم يتخذ لأنه لم يشأ أن يتخذ سبيلا وإلا قد مُكّن له ذلك. والثاني يقول: من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل إلى ربه، على ما نذكر[11] على الاستقصاء بعد هذا إن شاء الله تعالى.

---

[1] جميع النسخ: ونحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
[2] ن: المنشئة.
[3] ن – إلى بعض.
[4] ن: نبدل.
[5] ر م: ويحتمل.
[6] ن – ذكر.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ن م: وفي خلال.
[9] ر ن م: وتذكرة
[10] ن: وأما لبعضهم
[11] ر ن ث: عىى ما يذكر؛ م: عىى ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣٠]

ثم قوله تعالى: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله**، يقول:[١] -والله أعلم- من شاء اتخاذ السبيل إلى ربه لا يتخذ إلا أن يشاء الله أن يتخذ السبيل إلى ربه فعند[٢] ذلك يتخذ. وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الله تعالى قد شاء لجميع[٣] الخلائق أن يتخذوا إلى ربهم سبيلا لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا[٤] فلم يتخذوا. وقد أخبر أنهم لا يشاءون اتخاذ السبيل إليه ولا يتخذون إلا أن يشاء الله لهم اتخاذَ السبيل، فعند ذلك يتخذون ما ذكر ويشاءون.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليما حكيما**، إن الله تعالى لم يزل **عليما**، بصنع خلْقِه من التكذيب له والتصديق ومن[٥] الطاعة له والمعصية، أي على علم منه بصنيعهم أنشأهم وخلقهم، **حكيما**، في فعله ذلك وخلْقِه إياهم على ما علم منهم أن لا يكون،[٦] لأنه[٧] إنما خلقهم وأنشأهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم لا لمنافع ترجع[٨] إليه أو لِمَضارَّ يَدفع عن نفسه. فخلقه إياهم وبعْثُه[٩] الرسلَ إليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعْلَه عن الحكمة والحق، بل يكون حكيما في ذلك. وأما من يبعث الرسول في الشاهد إلى من يعلم أنه يكذِّبه ويردُّ رسالته وهديته ويستخفّ به [ففعله هذا] سفه ليس بحكمة، لأنه إنما يُرسل الرسول ويبعث هديته لمنافع تكون[١٠] له،[١١] فعِلْمُه بما يكون منه سفه ليس بحكمة، لذلك افترقا.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يدخل من يشاء في رحمته**، هذا على المعتزلة أيضا، لأنه ذكر أنه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون: قد شاء أن يدخل كلًّا في رحمته لأنه شاء إيمان كلِّ منهم،

---

[١] ن – يقول.
[٢] جميع النسخ: وعند. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
[٣] ر: بجميع.
[٤] ر م + إلى ربهم سبيلا؛ ر م – لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا.
[٥] جميع النسخ: من. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: أن يكون. والزيادة من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: الآية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: وبعثة.
[١٠] جميع النسخ: يكون.
[١١] جميع النسخ: لمرسل.

والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على أنه لم يشأ أن يُدخل في رحمته مَن علم منه أنه يختار الضلال، ولكن إنما شاء أن يدخل في رحمته من[1] علم منه أنه يختار الهدى، فأما من علم منه اختيار غيره فلا يحتمل أن يشاء ذلك له. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **والظالمين أعد لهم عذابا أليما**، أي وشاء أيضا من علم منه الضلال أن يعذبه[3] عذابا أليما. وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصةَ رضي الله عنهم: يختص برحمته من يشاء، وهذا الحرف تفسير تأويل الآية. و[يحتمل] أن يكون[4] رحمته هاهنا هو الهدى وسبيلَ الله. ويحتمل أن يكون رحمته[5] جنتَه[6] سميت رحمةً، لأنه برحمته ما يَدخلها[7] أهل الإيمان. والله أعلم بحقيقة ما أراد. *والله الموفق*.[8]

---

[1] ن: حين.
[2] ن ث: والله الموفق.
[3] جميع النسخ: أن يعد له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[4] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ + هو.
[6] ر م: هو حة.
[7] ن + إلا.
[8] ر ن – بحقيقة ما أراد والله الموفق؛ ث – والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المرسلات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾[١] ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾[٢] ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾[٣] ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾[٤] ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٥]**

قوله عز وجل:[2] **والمرسلات عُرْفا فالعاصفات عَصْفا والناشرات نَشْرا فالفارقات فَرْقا فالملقيات ذِكْرا**، اختلف الناس[3] في تأويلها. فمنهم من حمل تأويل هذا كله على الملائكة، ومنهم من صرفها إلى الرياح، ومنهم من صرف البعض إلى الرياح والبعض إلى الملائكة. وجائز أن يجعل هذا كله في الرياح، ويستقيم أن يصرف كله إلى الملائكة، ويستقيم أن يجعل البعض في الملائكة والبعض في الرياح. فإن كان في الرياح استقام القسم بها، لأن من الرياح رياحا هُنّ[4] مبشرات برحمته سابقات للنعم[5] إلى عباده، كقوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.[6] ومن الرياح رياح هي مُنْجيات، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا؛[7]

---

[1] ر – سورة المرسلات؛ ن: سورة والمرسلات؛ ث + وهي خمسون آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ر ث م: اختلفوا.

[4] ن: بين.

[5] ر ث م: المنعم.

[6] سورة الروم، ٣٠/٤٦.

[7] ﴿...جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٢-٢٣).

فجعل الله تعالى الريح[1] سببا لتسيير السفن في البحار كما جعل الماء سببا لذلك. وجعل منها مهلكات مذكِّرات لقوته[2] وسلطانه، كما[3] قال عز وجل: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ،[4] الآية، فهي تميتهم وتهلكهم من غير أن يدركوها[5] بأبصارهم وإن كانت الأبصار هي أول ما يقع بها درك الأشياء. ولو أراد أحد أن يعرف الوجه الذي له صارت المنجيات
[٨٧٨و] منجياتٍ أو يعرف الوجه الذي له صارت الرياح[6] مهلكات / أو[7] مبشرات لم يقف عليه، فصارت الرياح مذكرات للنعم.[8] وفي تذكير النعم إيجاب القول [بالرسالة لما ذكرنا، وفي تذكير القدرة والسلطان إيجاب القول][9] بالبعث وبكل ما يخبرهم به الرسل؛[10] لأنهم كانوا ينكرون البعث [لخروجه عن قواهم وحكمتهم، فهم إذا تدبروا في أمر الرياح][11] ورأوا [ما][12] فيها من لطائف الحكمة وعجائب التدبير ما لا يبلغه[13] تدبيرهم[14] وحكمتهم علموا أن الأمر غير مقدر بقواهم[15] ولا بحكمتهم. فيكون في ذكر ما ذكرنا إزاحةُ ما اعترض لهم[16] من الشكوك[17] والشبه في أمر[18] البعث، فأقسم بها جل جلاله على ما ذكرنا أن القسم جُعل لتأكيد ما يقصد إليه باليمين.[19]

---

[1] ر ث م – الريح.
[2] م: بقوته.
[3] ر – كما.
[4] ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ (سورة الإسراء، ٦٩/١٧).
[5] ر ث م: أن يدركوه.
[6] ث – الرياح.
[7] ن: أي.
[8] م – للنعم؛ ن + مهلكات أو مبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكرات للنعم.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[10] ر: بالرسل.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: لا يبلغها. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ث: بتدبيرهم.
[15] جميع النسخ: بعقولهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر ث م: له.
[17] جميع النسخ: من الشك. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] ن – في أمر.
[19] ن – باليمين.

فرجعنا إلى قوله: **والمرسلاتِ عرفا**، قيل: هي الرياح المبشرات سميت عرفا لأنه ما تأتي[١] به من النعم معروف.[٢] وقيل: العرف المتتابع، وسمي عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض، فجائز أن يكون منصرفا إلى الرياح المبشِّرة. وكذلك قوله تعالى: **والناشراتِ نشرا**، جائز أن يكون[٣] يُحمل على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهي الرياح السهلة الخفيفة، لأن النشر مذكور في رياح الرحمة[٤] بقوله: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نَشْرًا[٥] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ،[٦] في بعض القراءات.[٧]

وقوله عز وجل: **فالعاصفاتِ عَصْفا**، هي الرياح الشديدة التي تكسر الأشياء وتقصمها[٨] وهي التي تُرسَل[٩] للإهلاك كقوله تعالى: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ.[١٠] وجائز أن يكون قوله: **والمرسلات عرفا**، هي اسم الرياح التي لم يظهر أنها أُرسلت للهلاك أو للتبشير، لأن الرياح التي ترسل[١١] للرحمة يظهر أثر رحمتها من ساعاتها من إرسال السحاب وغير ذلك قبل أن تتتابع.[١٢] وكذلك الرياح التي هي رياح إهلاك يظهر عَلَم الإهلاك من ساعتها وهو أن تكون[١٣] قاصفة شديدة قبل أن تتتابع.[١٤] وقوله تعالى: **فالفارقات فَرْقا**، فيحتمل[١٥] الرياح أيضا وإنما سميت فارقات لأنها تفرق[١٦] السحاب فيصير البعض في أفق والبعض في أفق آخر.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: ما يأتي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[٢] جميع النسخ: معروفة.
[٣] ن – أن يكون.
[٤] جميع النسخ: لرحمة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: بشرا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] سورة الأعراف، ٥٧/٧.
[٧] قرأ حمزة والكسائي وخلَف "الرِّيح نَشْرا" بفتح النون وسكون الشين (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٠٩).
[٨] ر م: ويقصمها؛ ن: وبعضها.
[٩] ن: يرسل.
[١٠] ﴿أم أَمِنتُم أن يُعيدكم فيه تارةً أُخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيُغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ (سورة الإسراء، ٦٩/١٧).
[١١] ن ث: يرسل.
[١٢] ر ن م: أن يتتابع.
[١٣] ر ن م: أن يكون.
[١٤] ر ن م: أن يتتابع.
[١٥] ر م: يحتمل.
[١٦] ن: يفرق.
[١٧] جميع النسخ: أخرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.

وقوله عز وجل: **فالمُلْقيات ذِكرا**، فجائز أن يصرف إلى الرياح، وإلقاء ذكرها ما ذكرنا أنه تَظهر[1] بها[2] النعم[3] ويُتذكر ويُتبيَّن[4] بها النجاة ويقع ببعضها الإهلاك،[5] فذلك إلقاء ذكرها. *والله أعلم*.

وإن صُرف الكل إلى الملائكة فيحتمل أيضا. فقوله عز وجل: **والمرسلاتِ عرفا**، أي الملائكةِ الذين أرسلوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقوله عز وجل: **والعاصفات عصفا**، أي الملائكة الذين يَعصِفون أرواح الكفار أي يأخذونها على شدة وغضب. وقوله: **والناشراتِ نشرا**، جائز أن يكون أريد بها السَّفَرة[6] من الملائكة[7] سُمّوا ناشرات لأنهم ينشرون الصحف ويقرءونها. وجائز أن[8] يراد بها الملائكة الذين يأخذون أرواح المؤمنين على لِين ورفق. وقوله: **فالفارقات فرقا**، جائز أن يراد بها الملائكة، وسميت فارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل. وقوله: **فالملقيات ذكرا**، هم الملائكة الذين يلقون الذكر على ألسن الرسل عليهم السلام.

وإن صرف البعض إلى الملائكة والبعض إلى الرياح فمستقيم أيضا، فيكون **المرسلات**، الذين أرسلوا بالمعروف والخير، **والعاصفات**، الريح الشديدة، **والناشرات**، الرياح الخفيفة السهلة، **والفارقاتِ فَرقا فالمُلْقيات ذكرا**، هم الملائكة.

ويحتمل وجها آخر أن يراد بقوله: **والمرسلات عرفا**، هم الرسل من البشر الذين بعثوا إلى الخلق، فما من رسول بعث إلا وهو مرسل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك جائز أن يراد بقوله تعالى: **فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا**، هم الرسل، لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ويُلْقُون الذكر في مَسامع الخلق. وجائز أن يكون قوله: **والمرسلاتِ عرفا**، هي الكتب المنزلة[9] من السماء لأنها أرسلت بالمعروف وكل أنواع الخير. وكذا قوله:

---

[1] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠ظ.
[2] م – بها.
[3] م: بالنعم.
[4] جميع النسخ: ويبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: الهلاك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: السفر.
[7] ث: في الملائكة.
[8] ن + يكون.
[9] ن – المنزلة.

**والناشرات نشرا**، أي ناشرات الحق[١] والهدى. وكذا قوله عز وجل: **فالفارقات فرقا**، لأنها يفرق بين الحق والباطل أيضا. وكذلك **فالملقيات ذكرا**، فإنها سبب لذلك. ***والله أعلم***.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **عذرا أو نذرا**، أي عذرا من الله تعالى، وهو أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب وبيّن الحجج حتى لم يبق لأحد على الله حجة بعد ذلك، فهذا هو الإعذار. وقوله: **أو نُذْرا**، أي أنذرهم ولم يَعجّل في إهلاكهم بل بين لهم ما يُتقى ويجتنب وما يُندَب إليه ويؤتَى، فهذا هو الإنذار. وعلى[٢] تأويل الرياح ما ذكرنا أنها مذكرات نعم الله تعالى ونقمته فيكون في ذلك إيجابُ ذكر المنعم والمنتقم، فيكون في ذلك إعذار[٣] وإنذار. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنما توعدون لواقع**، فهذا موضع القسم بما ذكر من المرسَلات إلى آخرها. ثم إن كان الموعود هو يومَ البعث فمعناه إن الذي توعدون[٤] به من البعث لكائن، وإن كان على الجزاء والعقاب فتأويله إن ما توعدون[٥] به من العذاب لنازل بكم. فيكون الآية في قوم عَلِمَ الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فإذا النجوم طمست**، فكأنه -والله أعلم- لما نزل قوله تعالى: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ،[٦] سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن[٧] وقت وقوعه متى يكون، فنزل **فإذا النجوم طمست**، فأشار إلى الأحوال التي [تكون][٨] يومئذ لا إلى نفس الوقت. **فقوله: طمست**،[٩] / أي ذهب ضوءها ونورها ثم تناثرت. [٨٧٨ظ]

---

[١] جميع النسخ: لحق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠ظ.
[٢] جميع النسخ: على. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ن: اعتذار.
[٤] جميع النسخ: يوعدون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: إن ما يدعون؛ ن ث م: إن ما يوعدون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] الآية السابقة.
[٧] ر: عما.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] ن - فأشار إلى الأحوال التي تكون يومئذ لا إلى نفس الوقت فقوله طمست.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾[٩] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وإذا السماء فرجت**، أي انشقت. **وإذا الجبال نسفت**، أي قُلعت من أصلها فسوِّيت بالأرض. وقال الزجاج: نسفتُ الشيء إذا أخذْتَه على سرعة.[١]

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإذا الرسل أقتت**، وقرئ "وُقِّتت"[٢] وكذلك أصله، لكن الهمزة أبدلت مكان الواو طلبا للتخفيف، وهو من التوقيت أي جمعت لوقت. وقيل: أحضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بُعث إليهم، كما قال الله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هٰؤُلَاءِ.[٣] وقيل: **أقتت**، أي وُعِد لهم بيان حقيقة ما إليه دُعُوا من وقوع ما أُوعدوا قومهم الذين تركوا إجابتهم من العذاب ووُعد لهم الوصول إلى من آمن بالله تعالى وأجاب الرسل فيما دعوهم إليه من الثواب.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[١٢] ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل:[٤] **لأي يوم أجلت**، فأجلت وأُقتت واحد، لأن في التأجيل توقيتا وفي التوقيت تأجيلا. ثم بين وقت[٥] حلول الأجل أجلِ العذاب بقوله عز وجل: **ليوم الفصل**، أي ليوم الحكم والقضاء، قال الله تعالى: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى.[٦] وقال: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ،[٧] فجائز أن تكون[٨] الكلمة[٩] التي سبقت منه هي[١٠] تأخيرَ الجزاء إلى يوم البعث، فجعل ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة،

---

[١] ﴿وإذا الجبال نُسِفَتْ﴾ قال الزجاج: أي ذُهِبَ بها كلِّها بسرعة. يقال: انتسفتُ الشيء، إذا أخذتَه كله بسرعة (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٦٦/٥؛ *وزاد المسير* لابن الجوزي، ١٠٨/٦).

[٢] قرأ أبو عمرو ويعقوب: "وُقِّتَتْ" بالواو وتشديد القاف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٦).

[٣] سورة النحل، ٨٩/١٦.

[٤] ن – وأجاب الرسل فيما دعوهم إليه من الثواب وقوله عز وجل.

[٥] ن – وقت.

[٦] سورة طه، ١٢٩/٢٠.

[٧] سورة يونس، ١٩/١٠؛ وسورة هود، ١١٠/١١؛ وسورة فصلت، ٤٥/٤١.

[٨] جميع النسخ: أن يكون.

[٩] ر م: الكل.

[١٠] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.

وجعل هذه الدار دار[١] محنةٍ وابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات، فكأنه قال: لولا ما سبق من كلمة الله تعالى من تأخير الجزاء والعذاب وإلا كان العذاب واقعا بهم في هذه الدنيا بالتكذيب. ويحتمل وجها آخر وهو أن الله تعالى أخر الجزاء والعقاب إلى اليوم[٢] الذي يجمع فيه الأولين والآخرين، وقدّر في هذه الدنيا خلْق هذا البشر[٣] على التتابع [بعضِها على أثر بعض ولم يقدّر خلقهم جملةً. فأُخر العذابُ][٤] إلى ذلك اليوم، إذ ذلك اليوم هو الذي يوجد[٥] فيه الجمع.[٦] ***والله أعلم***. وسُمي يومُ الفصل لهذا أنه يوم القضاء والحكم،[٧] ولأنه اليوم الذي يظهر فيه مثوى أهل الشقاء[٨] وأهل السعادة، ويُفصل بين الأولياء والأعداء أو يُفصل[٩] بين الخصماء. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[١٤]**

وقوله: **وما أدراك ما يوم الفصل**، أي لم تكن تدري[١٠] فأدراك[١١] الله تعالى ذكر هذا، إما على التعظيم والتهويل لذلك اليوم أو على الامتنان على رسوله صلى الله عليه وسلم بإطْلاعه عليه. ***والله أعلم***.

**﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٥]**

وقوله عز وجل: **ويل يومئذ للمكذبين**، وفي هذا دليل على أن الوعيد[١٢] المذكور على الإطلاق منصرف إلى أهل التكذيب. ثم لم يذكر ما للمصدّقين وحقه أن يقال: طوبى للمصدقين، لأن حرف الويل يُتكلم به عند الوقوع في المهلكة وحرفَ[١٣] طوبى يتكلم به في موضع السرور والعطية.

---

[١] م - دار.
[٢] ر م - إلى اليوم.
[٣] ر ث م: للنشر؛ ن: النشر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] م: توجد.
[٦] ن: لا يجمع.
[٧] ث: + والله أعلم.
[٨] ث: الشقاوة.
[٩] ر م: ويعصل.
[١٠] ن: لم يكن يدري.
[١١] ن: قدر لك؛ ر ث م: فدراك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن م - الوعيد.
[١٣] ن + وحرف.

فإذا ذكر في أهل التكذيب حرف الهلاك كان من كان بخلاف حالهم مستوجبا للسرور؛ ولكنه إن لم يُذكر هاهنا، فقد ذكرها في موضع آخر بقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا،[1] وقال عز وجل: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.[2]

**﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٦] ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾[١٧] ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[١٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٩]**

[٨٧٩و س ٢٩ * وقوله عز وجل: **ألم نهلك الأولين**، وهم قوم نوحٍ وقوم عادٍ وثمودَ. **ثم نتبعهم الآخرين**، قوم فرعونَ وقوم لوطٍ وغيرُهم. **كذلك نفعل بالمجرمين**، قيل: مجرمي هذه الأمة. ثم اختلف في وقت فِعله. فمنهم من يقول بان هذا الإهلاك في الآخرة، لقوله تعالى: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[3] ومنهم من ذكر أنه فُعل بهم يومَ بَدْرٍ. ومنهم من ذكر أن فِعْله بمجرمي أمة[4] محمد عليه الصلاة والسلام، كما روي[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهرين».[6] ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى تركوا الانتياب[7] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمحاربة مع كثرة شوكتهم وقلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا فعله بالمجرمين. وفي إلقاء الرعب ألطف[8] آيات رسالته وأبين حجة[9] عليها، إذ[10] كان فيه ما ينبّههم[11] أن الذي أقعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم الرعب أمر سماوي لا غير. *والله أعلم*.* ٨٧٩و س ٣٦]

---

[1] ت + ألم نخلقكم من ماء مهين. ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثُبورا ويصلى سعيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/ ٧-١٢).

[2] جميع النسخ + تقديم وتأخير [أي في سورة العبارة تقديم وتأخير، كما سترى]. ﴿فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨-٩).

[3] سورة القمر، ٥٤/٤٦.

[4] ر: أمته.

[5] جميع النسخ: ما روي.

[6] *المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٦١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٦٠٨. وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٠١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[7] ر ن م: الأسباب.

[8] ر ن م: لطف.

[9] ن: حجحه.

[10] ر م: إذا.

[11] ر م: ماستهم؛ ن: ما يبسهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٧٩و/سطر ٢٩ - ٣٦.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ألم نخلقكم من ماء مهين**، فجائز أن يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الإشكال والريب الذي اعترض لهم في أمر البعث،[١] لأن الأعجوبة في الإعادة ليست بأكثر من الأعجوبة في الإنشاء والابتداء، فذكر ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الإعادة. وجائز أن يكون ذكر خلقهم من الماء المهين وهو الماء المستعاف[٢] المستقذر[٣] ليدَعوا تكبرهم وتجبرهم[٤] على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقادوا له[٥] ويجيبوا إلى ما دعاهم إليه وأخبر أنه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي إليها تدبير البشر ليعلموا أنه قادر على ما يشاء ويعرفوا أنه لا يخفى عليه شيء، فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ والتبصر.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٢١] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **فجعلناه في قرار مكين**، فالقرار المكين هو الرَّحِم، جعله الله تعالى قرار مكينا يتمكن فيه الماء المهين فيتخلق منه علقة ومضغةً ويَقِرّ فيه إلى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج منه.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[٢٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقدرنا**، قرئ فَقَدَرْنَا وقدَّرنا،[٦] "فقدَرنا"[٧] أي[٨] خلقنا كل شيء منه بقدر. و"فَقَدَّرْنَا"، أي سويناه على ما توجبه[٩] الحكمة على الوجوه التي تذكر[١٠] في قوله عز وجل: وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.[١١] وقوله عز وجل: **فنعم القادرون**، أي أَنْعِمْ به مِن قادر، فيخرج مخرج ذكر الآلاء والنعم، أي إن الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى لم يقدر أحد أن يفعل بكم هذا الفعل.

---

[١] ن + البعث.
[٢] م: المستعان؛ ن: المستعار.
[٣] ر م: المسقذر.
[٤] ر م: وتحيرهم؛ ث: وتحبرهم.
[٥] ر م – له.
[٦] *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٢٤٤-٢٤٥.
[٧] ر م – وقدرنا فقدرنا.
[٨] م + أنعم.
[٩] ر ث م: على ما يوجب؛ ن: على ما يوجبه.
[١٠] ر ث – يذكر؛ ن م: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
[١١] سورة الأعلى، ٣/٨٧.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾[٢٥] ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا**، فجائز أن يكون هذا صلة قوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ،[١] فيكون في ذكر هذا كله تذكير الآلاء والنعم وتذكيرُ القدرة والسلطان والحكمة. فوجه تذكير[٢] النعم أن الله تعالى في أول[٣] ما أنشأه أنشأه[٤] نطفة قَذِرَةً[٥] وجعل لها مكانا يغيب عن أبصار الخلق و لم يفوّض تدبيرها إلى البشر؛ وكذلك في الوقت[٦] الذي أنشأه علقة ومضغة لم يفوض تدبيره إلى أحد من خلائقه، لأنه في ذلك الوقت بحيث يستعاف ويستقذر ولا يُدفَع عنه المعنى الذي وقعت الاستعافة والاستقذار
[٨٧٩و] بالتطهير، فجعل له قرار مكينا يستتر[٧] به عن أبصار / الخلائق. ثم لما أنشأه نَسَمةً وسوّى خلقه أخرجه[٨] من بطن أمه وألقى في قلب أبويه الرقة والعطف ليقوموا بتربيته وإمساكه إلى أن يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه ومصالحه.[٩] ثم جعل له بعد مماته أرضا تَكْفِتُه[١٠] وتَضُمّه[١١] إلى نفسها فيستتر[١٢] بها عن أبصار الناظرين إذ رجع بعد موته إلى حالة يستعاف ويستقذر ولا يقبل التطهير. فكان في ذكره أولَ أحواله وإلى ما ينتهي إليه تذكير النعم لِيُقبل[١٣] على أداء شكره. أو جعل الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يعرف الخلائقُ أنه بما [ذا][١٤] يغذّى حتى ينمو ويزيد[١٥] فرفع عنهم مؤنة التربية في ذلك الوقت. ثم إذا صار بحيث يعرف وجه غذائه وعرف الخلق المعنى الذي يعمل في دفع حاجته أخرجه من بطن الأم وفوض تدبيره إلى أبويه،

[١] جميع النسخ + وألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا. الآية ٢٠ والآية ٢١ من هذه السورة.
[٢] ر م: التذكير.
[٣] ن: في أقل.
[٤] ر م - أنشأه.
[٥] ر م: قدرة.
[٦] ن: وكذلك الوقت.
[٧] ر م: ليستتر.
[٨] ن + أخرجه.
[٩] ن: ومصالحها.
[١٠] ر ن ث: يكفته؛ م: يكفنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.
[١١] جميع النسخ: ويضمه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: فيستر.
[١٣] جميع النسخ: ليصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] ن: ويريد.

فهذا وجه تذكير النعم. وفي ذكره ذكر القوة والسلطان والحكمة. وهو أن الله تعالى جعل النطفة التي أنشأ منها النَّسَمَة بحيث تصلح[١] أن يُنْشأ منها علقة ومضغة ولو أراد الخلق أن يعرفوا[٢] المعنى الذي له صلحت النطفة بأن يُنشأ منها العلقة والمضغة والعظام واللحم ثم يكون منها نَسَمة سوية لم يصلوا إلى معرفته. وإذا تفكروا في هذا علموا أن حكمته ليست على ما ينتهي إليه علم البشر ولا قوته تقصر[٣] على الحد الذي ينتهي إليه قوى البشر. والذي كان يحملهم على إنكار البعث [والإحياء][٤] بعد الإماتة تقديرهم الأمور على قوي أنفسهم وتسويتها بعقولهم.[٥] فإذا تدبروا في ابتداء أحوالهم ورأوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا أن الأمر ليس كما قالوا وقدّروا فيدعوهم ذلك إلى[٦] التصديق بكل ما يأتي به الرسل ويخبرهم من أمر البعث وغيره.

وجائز أن يكون ذكَّرهم ابتداء أحوالهم ونشوءهم وإلى ما يصيرون[٧] إليه لِيَدَعوا التكبر على دين الله تعالى وينقادوا له بالإجابة ولا يستكبروا[٨] على أحد من خلائقه؛ لأنهم في ابتداء أحوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلائق ثم علقة ومضغةً ويصيرون في منتهى الأمر جيفة قَذِرةً، ومن كان هذا وصفه فأنى يليق به التكبر على أحد.

ثم قوله عز وجل: **ألم نجعل الأرض كفاتا**، تكفتهم[٩] أي تضمهم[١٠] وتجمعهم[١١] في حياتهم[١٢] وبعد مماتهم، فالانضمام إليها في حال حياتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل[١٣] لهم بعد مماتهم مقابرَ يُدفَنون فيها، أو جعل متقلَّبَهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم

---

[١] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.
[٢] ن + الخلق.
[٣] جميع النسخ: لقصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن: لعقولهم.
[٦] ن ث + إلى.
[٧] ر ث م: وإلى ما يصيروا.
[٨] ث: ويستكبروا.
[٩] جميع النسخ: يكفتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: يضمهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ويجمعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن م: في حسابهم.
[١٣] م: جعل.

وجعل بطنها مأوًى لهم بعد وفاتهم، وجعل ظهرها[1] بساطا لهم لتسلكوا فيها سبلا فِجاجا وقدر لهم فيها أقواتهم، فذكّرهم وجوه النعم في خلقه[2] الأرض ليستأدي منهم الشكر.[3] *والله أعلم.*

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[٢٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وجعلنا فيها رواسي شامخات**، فالرواسي هي الجبال الثابتات في الأرض أثبتها في الأرض لِيَقِرّ بها ولا تَميد بأهلها، إذ لو مادت لم يصل أهلها إلى ما قُدّر لهم بها[4] من المنافع، فذكّرهم بذكره الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم ليستأدي منهم الشكر؛ والشامخات هي الطِّوال. وقوله عز وجل: **وأسقيناكم ماء فراتا**، [أي أنزلنا إليكم من السماء ماء فراتا][5] ولولا إنزاله عليكم[6] لم تكونوا تصلون إليه بقُواكم وحِيَلكم. ثم أنزله من السماء إلى الأرض ولم يَخرج من حد العُذوبة ولا حَلّ به التغير[7] بما مسته[8] الأرض واختلطت به وهذا منصرف إلى الشرب خاصة. ثم لغير العذب من المنافع ما[9] للعذب إلا الشرب[10] خاصة.*

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون**، معناه -والله أعلم- إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى، وهم كانوا يكذبون بالبعث وبالعذاب؛ لكن يقال لهم هذا بعد البعث، فهو منصرف إلى ما ذكرنا من العذاب.

---

[1] ر م - ظهرها.

[2] ن: في خلقة.

[3] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطًا لتسلكوا منها سبلا فِجاجا﴾ (سورة نوح، ٧١/١٧-٢٠).

[4] ر ن م - بها.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.

[6] ر ث م: عليهم.

[7] ر م: التغيير.

[8] ر م: بماسته.

[9] ن: ماء.

[10] ر م: الشراب.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات ١٦-١٩ متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٧٩و/ سطر ٢٩-٣٦.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب**، ذُكر أن ذلك الظل دخان يخرج من جهنم[١] فيظنون أنه ظل فينطلقون إليه رَجاءَ أن ينتفعوا[٢] به.[٣] وقوله: **ذي ثلاث شُعَبٍ**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أصله واحدا[٤] ثم يتشعَّب منه / شعب ثلاث. وجائز أن يكون [٨٧٩ظ]
في الأصل ذا شعب ثلاث يأتيهم[٥] كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا.

﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **لا ظليل ولا يغني من اللهب**، أي لا ينتفعون به [كـ]ما ينتفعون[٦] بالظل في الدنيا، لأن ظل الدنيا يُهرب إليه لدفع الحر أو ليُسكَن فيه لأن ظل البيت مما يسكن فيه وظل الشجر والحيطان يُؤْوَى[٧] إليه لِيُتَرَوَّح. وذلك الظل لا يُغنى عنهم في الآخرة في دفع الحرارة ولا في غيرها. وقوله عز جل: **ولا يغني من اللهب**، فجائز أن يكونوا هربوا إلى ذلك الظل من اللهب، فيخبر أن ذلك الظل لا يدفع عنهم أذى اللهب. وجائز أن يكون اللهب في ذلك الظل وتكون[٨] كثافة الظل ساترة[٩] عما فيها من اللهب، فيخبر أن سترها لا يمنع اللهب عن أن يمسهم إذا انضمّوا إلى الظل.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **إنها ترمي بشرر كالقصر**، [وقرئ كالقَصَر][١٠] مفتوحة الصاد، فالقراءة المفتوحة[١١] [هي] المعروفة.[١٢] قيل: يراد بالقَصْر المعروف المبني باللَّبِن والخشب، وقيل: يراد بها

---

[١] عن مجاهد قوله: ﴿إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ قال: دخان جهنم (*تفسير الطبري*، ٢٩/٢٩٦).
[٢] ر: أن ينتفعون.
[٣] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٣٧.
[٤] ن: واحد.
[٥] جميع النسخ: باسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٦] جميع النسخ: ما ينتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: ليؤوا؛ ن: يؤوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: سايرة.
[١٠] الزيادة من المرجع السابق.
[١١] ر ن م – المفتوحة.
[١٢] *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٢٤٨.

قصور أهل البادية وهي الخيام. ومن قرأ بالنصب اختلفوا في تأويله. عن ابن عباس رضي الله عنه كالقَصَر قَصَرِ النخل،[١] الواحدة قَصَرة.[٢] وذلك أن النخلة تُقطَع[٣] قدرَ ثلاثةِ أَذْرُعٍ وأَقصر وأَطولَ[٤] يستوقدون[٥] بها[٦] في الشتاء. وقال بعضهم: هو أصل النخل المقطوع المنقعر في الأرض.[٧] وقيل: هو أعناق النخل.[٨] وقيل القَصَرة اسم الخشبة التي يقطع عليها اللحوم[٩] وتكسر[١٠] العظام، تكون[١١] للقصابين. وعن الحسن أنه قرأ مخففة:[١٢] كالقَصْر، غير أنه فسرها أي الجِذْل[١٣] من الخشب الواحد قَصْرَة،[١٤] كقولك: تمرة وتمر. **والله أعلم**. وفيه إخبار عن عِظَم شررها وقدرها خلافا لما عليه الشرر في الدنيا، لأن شرر الدنيا[١٥] لا يأخذ مكانا بل يتبين ثم ينطفئ. ثم جائز أن يكون بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كأصول[١٦] الأشجار.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾[٣٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٤]

وقوله: **كأنه جمالة صفر**، قرئ جِمالةٌ صفرٌ جماعة الجمل، وقرئ جمالات جمع جمالة.[١٧] والصفر قيل: السود، وإنما[١٨] سميت السود صفرا لأن السود يعلوها الصفرة في الإبل، فتسمى بهما،[١٩]

---

[١] ر: النحل.
[٢] ر ن م: قصره.
[٣] ر ن م: يقطع.
[٤] ن: واقتصر.
[٥] م: ليستوقدون.
[٦] ن – بها.
[٧] جميع النسخ: من الأرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٨] جميع النسخ: النخيل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: اللحم.
[١٠] ر ث م: ويكسر.
[١١] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر: فخففه.
[١٣] ر: أي الحول؛ ن ث: أي الحرل؛ م: أي الحزل. والتصحيح من المرجع السابق. الجِذْلُ، أصل الشجرة الباقي من شجرة وغيرها بعد ذَهابِ الفَرْعِ (*لسان العرب*، «جذل»).
[١٤] قرأ الحسن كالقَصْر مخففًا وفسره بالجِذْل من الخشب، الواحدة قَصْرة (*لسان العرب*، «قصر»).
[١٥] ر م – لأن شرر الدنيا.
[١٦] ر م: كالأصول.
[١٧] *تفسير الطبري*، ٢٩/٣٠٠.
[١٨] ن: إنما.
[١٩] ث: بها.

يدلك قول القائل:

تلك[١] خيلي منه وتلك[٢] رِكابي[٣] هن صُفْرٌ أولادها كالزبيب[٤]

شبه الشرر بالقَصْر والقَصْر بالجِمالة وهي الإبل الأسود. وقرئ جُمالات برفع الجيم[٥] وهي حبال السفن تُمدّ ثم إذا ضمت تكون[٦] كأوساط الرجال. فشبه[٧] الشرر بالحبال الممدودة الصفْر عند الامتداد وعند الانتظام كأوساط الرجال، فيكون كالقصر.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **هذا يوم لا ينطقون**، فجائز أن يكون معناه أنهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا ينطقون في الدنيا كلاما يقربهم إلى الله تعالى، فعاملهم في الآخرة حَسَبَ معاملتهم الله تعالى في الدنيا.[٨] وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ،[٩] وقوله تعالى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا،[١٠] الآية. ومنهم من يقول: لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها. ويحتمل أي لا ينطقون بحجة بل يَكذِبون، كقوله: إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[١١]

---

١ م - تلك.

٢ ر م ث: ويلك.

٣ والركاب: الإبل التي يُسار عليها، واحدتها «راحلة» ولا واحد لها من لفظها وجمعها رُكُب (*لسان العرب*، «ركب»).

٤ قال الفراء في قوله تعالى: "كأنه جِمَالاتٌ صُفْرٌ" قال: الصُفر سُود الإبل لا يُرَى أسود من الإبل إلا وهو مُشْرَب صُفْرة ولذلك سَمّت العرب سُود الإبل صُفرًا كما سَمّوا الظِّباءَ أُدمًا لِما يَعْلُوها من الظلمة في بَياضِها [وقال] أبو عبيد: الأصفر الأسود. وقال الأعشى:

تلك خَيْلي منه وتلك رِكابي هُنّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيب.

فرس أصفر وهو الذي يسمى بالفارسية زَرْدَة. قال الأصمعي: لا يسمَّى أصفر حتى يصفرَّ ذَنَبُه. والأصفر من الإبل الذي تضفَرُّ أَرْضُهُ وتَنفُذُه شَعْرة صَفْراء (*لسان العرب*، «صفر»).

٥ معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٢٥٠/١٠.

٦ جميع النسخ: يمد ثم إذا ضمت يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.

٧ ر: فيتشبه.

٨ ر م - في الدنيا.

٩ ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ (سورة الحشر، ١٩/٥٩).

١٠ ﴿قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ (سورة طه، ١٢٥/٢٠-١٢٦).

١١ ﴿ثم لم تكن فِتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦-٢٤).

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٣٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولا يؤذن لهم فيعتذرون**، ليس أنه لا يُقبل العذر منهم إذا أتوا به ولكن معناه أنه لا عذر لهم ليقبل منهم، وهو كقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١] معناه أنه لا شفيع لهم لا أنهم[٢] إذا أتوا بشفعاء لا تُشَفَّع[٣] لهم، وإذا لم يكن لهم[٤] عذر فهم لا يعتذرون[٥] بعذر.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين**، ففيه إخبار أنه لا يَخص بالبعث فريقا دون فريق بل يجمع الخلائق كلهم، ثم يَفصل[٦] بينهم، فينزل كُلٌّ منزلته التي استوجبها: فريق في الجنة وفريق في السعير.[٧] وقيل: هو يوم الحكم، فجائز أن يكون سُمي به لما يختصم فيه أهل المذاهب فيُحكم فيه بين المحق وبين الذي كان على الباطل. ***والله أعلم***.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[٣٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فإن كان لكم كيد فكيدون**، فجائز أن يكون يقال لهم هذا في الآخرة: أن كيدوا حتى تُنجوا أنفسكم مما نزل بكم،[٨] أي إن كانت لكم[٩] حيلة[١٠] تحتالون بها فافعلوا.[١١] وهو حرف التقريع والتوبيخ على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس على ما عليه أمر الدنيا أنهم يحتالون ويمكرون بأنواع الخِداع والتمويهات. ويحتمل أن قيل لهم[١٢] هذا في الدنيا، أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعارضهم بهذا فيقولَ لهم: **فإن كان لكم كيد فكيدونِ**،

---

[١] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[٢] ث: لما أنهم.
[٣] جميع النسخ: لم يشفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٤] ر ث م – لهم.
[٥] ر م: لا يعذرون.
[٦] م: يفعل.
[٧] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعلى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتُنذر أُمَّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (سورة الشورى، ٧/٤٢).
[٨] ن ث + أي.
[٩] ن – لكم.
[١٠] ر: ميلا؛ ن ث م: حيلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[١١] ر ث م: ما فعلوا.
[١٢] جميع النسخ: لكم. والتصحيح من المرجع السابق.

[في][1] قتلي أو إخراجي من بين أظهركم، كما قال هود عليه السلام لقومه: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[2] فعجزهم عن ذلك يُظهر لهم آية رسالته وحجة نبوته، إذ هو[3] حرف الإغراء من غير أعوان كانوا له ولا جنودٍ مجنَّدةٍ، بل كان وحيدا فريدا بين ظهرانَيْ قومٍ مشركين[4] ليست همتهم إلا إطفاءَ هذا النور.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في ظلال وعيون**، فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله. قال الله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[5] وقال في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] وقال: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[7] فهذا هو التقوى. ثم إن أهل[8] التوحيد أقروا[9] / بالعذاب فاجتهدوا في اتقائه فقيل لهم: انطلقوا إلى ظلال [٨٨٠و] وعيون، وأهل النار كانوا مكذبين بالعذاب فقيل لهم: اِنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ،[10] من العذاب.

ثم أخبَرَنا بالوجه الذي يقع به الاتقاء فقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا؛[11] وأمرنا بالانتصاب[12] لمحاربته ثم علَّمنا وجه المحاربة بقوله: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[13] وقال الله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[14] وقال: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، فألزمنا الفزع إليه وبيَّن أنّا لا نَقْوى على محاربته إلا بالابتهال إليه والفزع.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[2] سورة هود، ٥٥/١١.
[3] ر ث م - هو.
[4] ر ث م: مشركون.
[5] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[6] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[7] سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[8] ن: ثم أهل.
[9] ر: قرؤا.
[10] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[11] سورة فاطر، ٦/٣٥.
[12] ن: بالانتصار.
[13] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[14] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.

ثم يحتمل أن يكون الاتقاء هاهنا منصرفا إلى التصديق خاصة، لأنه ذكر الاتقاء هاهنا مقابل التكذيب في الأولين. وجائز أن يكون منصرفا إلى المصدقين بالأقوال والموقنين بالأعمال؛ فالمتقى هو الذي اتقى إساءة صحبة نعم الله تعالى فوقاه الله تعالى شر يوم القيامة مجازاة له،[1] والمحسن هو الذي أحسن صحبة نعمه فأحسن الله مُتَقَلَّبه[2] وأحلّه[3] بدار كرامته في ظلال وعيون وفواكه. أو المتقى هو الذي وقى نفسه عن المهالك[4] فوقاه الله تعالى يوم القيامة، والمحسن هو الذي أحسن[5] إلى نفسه وهو الذي استعملها في طاعة الله تعالى فأحسن الله[6] إليه بما أنعم عليه من الظلال والعيون.

ثم أخبر أنهم في ظلال، لأن الظلال مما يرغب إليه الأنفس في الدنيا لأنها[7] تدفع[8] عنهم أذى الحر والبرد[9] وأذي المطر والرياح وغير ذلك، وظلال الأشجار والحيطان تدفع[10] أذى الحر، وظلال البنيان تدفع[11] أذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول أيضا بين المرء والأشياء عن أن يدرك حقائقها. فعظمت النعمة في الظلال ووقعت إليها[12] الرغبة في الدنيا فقال: **إن المتقين في ظلال وعيون**، وقال تعالى: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ.[13] ثم الأنفس إذا أوت[14] إلى الظلال اشتهت[15] ما يتمتع به الأبصار، وأعظمُ ما يتلذذ به الأبصار أن يكون نظرها إلى المياه الجارية، فأخبر أنهم في ظلال وعيون.

---

[1] ن – له.
[2] ر: منقلبه.
[3] ر ث م: وأجله.
[4] ر م: عن الهلاك.
[5] ث: حسن.
[6] ر م – فأحسن الله؛ ن: مما أحسن الله.
[7] ث: لأنه.
[8] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[9] ر م + والمطر وهي لا تحول أيضا.
[10] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م – إليها.
[13] سورة الواقعة، ٥٦/٣٠-٣١.
[14] ر م: إذا أوت أوت؛ ن إدا أرادت أوت؛ ث: إذا أدت أدت. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ن: اشتهيت.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وفواكه مما يشتهون**، أي [في][١] فواكه أيضا. فأخبر أن[٢] لهم فيها ما يتلذذ به الأبصار ويتمتع به وفيها ما تشتهي[٣] أنفسهم وفيها ما يدفع عن أنفسهم[٤] الأذى.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا**، لا تَبِعَةَ لكم من جهة السؤال ولا تنغيص،[٥] أي لا يؤذيهم ما يأكلون ويشربون. فالهنيء[٦] الذي لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٤٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنا كذلك نجزي المحسنين**، فسَمَّى المتقي محسنا، لأنه بدأ بذكر المتقين وذكر ما أعد لهم ثم أخبر أنهم جُزُوا ذلك بإحسانهم. فيكون فيه دلالة على أن الاتقاء متى ذكر[٧] على الانفراد يقتضي إتيان المحاسن والاتقاء عن المهالك. ثم رجع المكذبين فقال:

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[٤٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٧]

**كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون**، فهذا في الظاهر أمر[٨] بالأكل والشرب وهو في الحقيقة وعيد،[٩] وهو أن تمتعكم[١٠] بالأكل وغيره الذي يمنعكم عن النظر في الآيات قليلٌ عن سريع تفارقونه[١١] وتصيرون إلى عذاب الله تعالى. وقوله: **إنكم مجرمون**، قد ذكرنا أن المجرم هو الوَثّاب في المعاصي.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[٢] ن: فما حيران.
[٣] ر م: ما يشتهي.
[٤] ر ث م: عن بعضهم.
[٥] ر: ولا يتغيص.
[٦] ر ث م: فالمعنى.
[٧] ن - عمى أن الاتقاء متى ذكر.
[٨] ر م - أمر.
[٩] ن: وعد.
[١٠] ن: أن يمعكم؛ م: أن تمتعكم.
[١١] ن: يفارقونه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾[٤٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**، أي إذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: اركعوا أي اخضَعوا واستسلِموا لله تعالى امتَنَعوا عن ذلك استكبارا منهم على الرسل وإعراضا عن النظر في حجج الله تعالى.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، أي فبأي حديث يصدقون[١] بعد حديث الله تعالى الذي لا حديثَ أصدق منه وأقوى في الدلالة؟ وجائز أن يكون هذا على تسفيه عقولهم وأحلامهم، وهو أنهم يمتنعون عن التصديق لحديث الله تعالى إذ لا حديث أصدقَ منه ثم يصدّقون الأحاديث الكاذبة والأباطيل المزخرفة. ***والله أعلم بالصواب***.[٢]

[١] جميع النسخ: تصدقون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.
[٢] ر - والله أعلم بالصواب؛ ن - بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[٢] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٣]**

قوله عز وجل: **عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم.** اختلف في التساؤل. فمنهم من ذكر أن التساؤل كان عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم، سألوا عن حاله[2] أهو نبي أو ليس بنبي؟ ومنهم من ذكر أن التساؤل كان عن القرآن أنه من الله تعالى أو ليس من الله تعالى؟[3] أو يتساءلون فيما بينهم هل يقدرون[4] على إتيان مثله أم لا؟ وجائز أن يكون التساؤل عن أمر البعث أو عن التوحيد، كما قال الله تعالى خبرا عنهم: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا.[5] ثم جائز أن يكون هذا السؤال من أهل الكفر؛ سأل بعضهم بعضا فاختلفوا فيه ولم يَخْصُوا من اختلافهم على إصابة الحق، ألا ترى إلى قوله تعالى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ [ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ]،[6] ولو كان فيهم مصدِّق لكان وقع له العسم في ذلك الوقت فلا يَحتاج إلى أن يعلَّم وينبَّه[7] عليه.

---

[1] ر – سورة لنبأ؛ ث + وهي أربعون آيات مكية.

[2] جميع لنسخ: من حله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.

[3] ر ث م – أو ليس من الله تعالى.

[4] ر ث م: هل تقدرون.

[5] ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٤-٥).

[6] لآيتان التاليتان.

[7] ر ث م: وينبه.

فإن كان السؤال عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اختلافهم أن بعضهم زعم[1] أنه شاعر، وقال بعضهم: إنه[2] ساحر، وقال بعضهم: / مفترٍ[3] كذاب، وادعى بعضهم أنه مجنون. [٨٨٠ظ] وجائز[4] أن يكون السؤال من الكفرة للمؤمنين، وإن كان على هذا فما ذكره أهل التفسير: فهُم بين مصدق ومكذِّب، يراد بالمكذّب الذين صَدَر عنهم السؤال، ويراد بالمصدّق أهلُ الإسلام الذين سُئلوا. ثم لا يجوز لأحد تحصيل السؤال على جهة واحدة والقطع عليه [إلا][5] بالتوقيف[6] الموجب للعلم.*

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون.** فمنهم من ذكر [أن][8] هذا وعيد على وعيد. وقد ذكرنا أن حرف الوعيد مما يكرّره[9] العرب فيما بينهم للتأكيد، كما يقال: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،[10] وأَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[11] وجائز أن يكون قوله: **كلا سيعلمون**، على عِلْمِ دلالة، وقوله تعالى: **ثم كلا سيعلمون**، على علم المشاهدة والعِيان.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[٦] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٧]

ثم قوله تعالى: **ألم نجعل الأرض مهادا**، أي بساطا، **والجبال أوتادا.** ذكر أن الأرض لمّا خلقت مادَتْ[12] بأهلها[13] فأرساها الله تعالى بالجبال لطفا منه لا أن جعلها سببا للإرساء،[14]

---

[1] ر م: يزعم.
[2] ر م: هو.
[3] ر ث م: مفترى.
[4] ر م: وحال.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.
[6] ر م: التوفيق؛ ن ث: بالتوقف. والتصحيح من المرجع السابق.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٦ من هذه السورة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٨٠ظ/ سطر ٤-١٦.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ن: مما تكرره.
[10] ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ (سورة المؤمنون، ٣٦/٢٣).
[11] سورة القيامة، ٣٤/٧٥.
[12] ماد الشيء يميد ميْدا: تحرك ومال. وفي الحديث: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها الله بالجبال (*لسان العرب*، «ميد»).
[13] ر ث م: ما بدت لأهلها.
[14] ر: للإرسى؛ م: للأصال.

ألا ترى إلى قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا،[1] فقد جعلها[2] في ذلك الوقت مُستمسكة ثابتة مستقرّة بدون الجبال، فثبت أنها ليست بسبب للإرساء في التحقيق. ويكون فيه[3] تعريف الخلق وجوهَ الحيل في الأمور إذا تعذّر عليهم الوصول إليها.

[٨٨٠ظ س٤ *ثم في قوله تعالى: **ألم نجعل الأرض مهادا**، جواب عما سبق من التساؤل، فإن كان التساؤل عن أمر الرسالة فحقه أن يحمل على جهة غير الجهة التي يُحمل عليها إذا صُرف التساؤل إلى أمر البعث أو إلى أمر التوحيد أو القرآن. والأصل فيه أن الله تعالى بما ذكر من مهاد الأرض وخلق الأزواج ذكّر عبادَه عظيم نعمه وكثرةَ إحسانه إليهم ليستأدي منهم الشكر. فإذا[4] وقعت لهم الحاجة إلى الشكر احتاجوا إلى من يُعرِّفهم[5] بما به يُشكَر الله تعالى، وكيف يُؤدَّى شكرُه، إذ لا يُعْرَف في كل نعمة وجه شكرها إلا بالتوفيق، فيضطرّهم ذلك إلى من يبين لهم واحتاجوا إلى من يعرّفهم[6] محل الشكور ومحل الكَفور ومحل الْمُوالي ومحل المعادي؛ إذ[7] وجدوا هذه الدنيا تَمُرّ على الأولياء وعلى الأعداء على حالة واحدة، فاحتاجوا إلى من يعرّفهم الوعد والوعيد، وأوجب ما ذكرنا القولَ بالبعث ليَظهر به منزلةُ الشكور والكفور.

وفي ذكر هذه النعم أيضا دلالة الوحدانية، لأن الله تعالى مهّد الأرض فجعلها متمتَّعا للخلق ومتقلّبا لهم، وأخرج منها ما يتعيشون به، وجعل سبب الإخراج ما ينزل من السماء من القَطْر، فجعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء، فلو لم يكن مدبّرُهما واحدا لانقطع الاتصال.

ثم لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي له يقع إحياء الأشياء بالماء لم يصل إليه، ولو أرادوا أن يتداركوا الوجه الذي صلَح هذا الطعام أن يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات لم يقفوا عليه؛ فيكون فيما ذكرنا إزالة الشُّبه والشكوك التي تعترض لهم في الأمور الخارجة عن تدبيرهم وقواهم.* ٨٨٠ظ س١٦]

---

[1] سورة طه، ٢٠/ ١٠٥-١٠٧.

[2] ر م: فقد جعلنا.

[3] م - فيه.

[4] ر ث م: وإذا.

[5] ن + محل الشكور ومحل الكفور.

[6] ر ث م + الوعد والوعيد.

[7] ر: ومحل الهادي إذا.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤ و ٥، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٨٠ظ/ سطر ٤-١٦.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾[٨]

وقوله: **وخلقناكم أزواجا**. قيل: ألوانا، فيكون في هذا إبطال الحكم بقول القائف لأنهم يستدلون بالتشابه في الألوان ويحكمون بها، ولو كان الأمر على ما قدّروا لارتفع الاختلاف في الألوان فيكون الخلق كلهم على لون واحد. وقيل: **أزواجا**، [أي] فِرَقا شتى ليعرف كلٌّ منهم عنصره ومنتهى أصله. وقيل: **أزواجا**، أي جعل لكل أحد شكلا من جنسه فجعل للذكر أنثى زوجا من جنسه.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[٩]

وقوله: **وجعلنا نومكم سباتا**. قيل: السبات التمدّد، وقيل: السبات النوم الذي لا حركة فيه، ولهذا قيل للذي شبيه بالميت: مسبوت. وقيل: السبات الراحة، ولذلك سمي السبت لأنه يوم راحة وترك العمل في بني إسرائيل.

ثم في إنشاء النوم دليلُ سلطانه ودخول[1] الخلق بأجمعهم تحت تدبيره؛ إذ لا يتهيأ لأحد الاحتراز من النوم حتى لا يعتريه، بل يقهر الجبابرةَ فيُذلّهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والأسباب. ثم النوم كأنه من أثقل الأحمال وأشدها، ثم إذا زايل الإنسانَ[2] وعاد المرء إلى حال اليقظة وجد في نفسه خفة وراحة. ومن شأن هذا الإنسان أنه إذا حمل الحِمْلَ الثقيل مسّه من ذلك فُتور وكَلال لا يزول عنه ساعةَ ما يضع الحِمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه إلى مدة. فمن تدبر في أمر النوم دلّه على عِظَم شأنه وعجائب تدبيره.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وجعلنا الليل لباسا**، فهذا اللباس لباسُ الأعين لا غيرُ. ألا ترى أنه لا يَستغني بلباس الليل عما أُخذ عليه من اللباس للصلاة، ولا يعمل لباسُ الليل عَمَلَ اللباس المعروف في دفع أذى البرد والحر. وقال بعضهم: اللباس السكن كما قال في آية أخرى: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا.[3] فكأنَ الذي حملهم على هذا التأويل هو أن تمام السكنِ والراحة يقع بالنوم فصرفوه إليه.

---

[1] ر م: ودخلو.
[2] ن – الإنسان.
[3] سورة الأنعام، ٩٦/٦.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وجعلنا النهار معاشا.** أي يُتَعَيَّش فيه لا أن يكون نفسه معاشا كما سماه مُبْصِرا[١] لما يُبصَر به لا أنه في نفسه مبصرا.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وبنينا فوقكم سبعا شدادا،** أي السماوات؛ فذَكَّرهم هذا ليُنبِّههم على قدرته وسلطانه فيعرفوا[٢] أنه فعَّالٌ لما يريد قادرٌ على ما يشاء.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[١٣]

وقوله / عز وجل: **وجعلنا سراجا وهاجا،** فكأن السراج هو الشمس هاهنا جعلها تَتوهَّج [٨٨١و] وتَتَلألأ[٣] ما بين السماء ولأرض.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا.** فمنهم من ذكر أن المعصرات هي السحاب التي أنشئ فيها القطر. يقال للجارية التي قد دنا[٤] حيضُها معصرة؛ فشبّه السحاب بمَعاصِر الجواري. وقيل: سمي السحاب مُعصِرا لأنه يَعصِر المطرَ. وقيل: هي ذوات الأعاصير،[٥] يعني الرياح، كقوله: فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ،[٦] أي ريح.[٧] وعن الحسن: هي السماوات.[٨] وقال الزجاج: المعصر هو الذي قد أتى وقتُ إرسال القطر منه، كما يقال: مُجْزِر لما أتى وقت جِزاره.[٩]

---

[١] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[٢] جميع النسخ: فعرفوا.

[٣] جميع النسخ: يتوهج ويتلألأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.

[٤] جميع النسخ: قد دنت. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: أعاصر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبَرُ وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ (سورة البقرة، ٢٦٦/٢).

[٧] لإعصار: ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق. وجمعه أعاصير (*لسان العرب*، «عصر»).

[٨] *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١٤، ٢٢٨.

[٩] ر ن م: جواره. يقال: أجزر الرجلُ: إذا أَسنَّ ودنا فناؤه كما يُجْزِر النخلُ (*لسان العرب*، «جزر»). المعصرات السحائب لأنها تعصر الماء. وقيل: المعصرات كما يقال: قد أَجَزَّ الزرعُ فهو مُجَزٌّ إذا صار إلى أن يمطر (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٧٢/٥).

ثم في إنزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة، وكلّ وجه من هذه الأوجه الثلاثة يوجب القول بالبعث. فأما وجه تذكير النعم فهو[1] أن القطر ينزل من السماء متتابعا، ثم الله تعالى بلطفه يمنع إتصال[2] بعض ببعض والتصاقَه ويرسلُ كل قطرة إلى الأرض بحِيالها[3] ويُنزل بعضها على إثر بعض ليُنْتَفع بها، ولو التصق بعضها واتصل لم يقم لها شيء وكانت يصير سببا للتعذيب والإهلاك؛ فبفضله ورحمته أنزلها متتابعة لينتفع بها الخلق ويتمتعوا بها.

وفيه تذكير القوة والحكمة لأنه أنشأ السحاب الثقال وساقة إلى الموضع الذي قدّر أن يُرسل القطرَ هنالك. ومعلوم أن ذلك الإرسال ليس من فعل السحاب لأن السحاب يمتنع عن إرسال القطر حتى ينتهي إلى الموضع الذي أُمر بإرسال القطر فيه. ولو كان ذلك [مِن فعل] السحاب نفسه لكان أينما مرّ يعمل في الإرسال. ولو كان ذا ثُقْب لكانت الريح متى دخلت في الثقب أرسل السحابُ ما أنشئ فيه من القطر. فإذا لم يوجد ذلك بانَ أنّ[4] الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذي أنشأ فيه ذلك ودبّر إرسالَه، لا أن يكون ذلك عمل السحاب. ولو أراد أحد من حكماء الأرض أن يعرف المعنى الذي له صَلَح ذلك السحاب أن يستمسك فيه القطر ولا يستمسك في مكان آخر لم يقف عليه. فذَكَّرَهم ليعلموا أن حكمته ليست على الوجه الذي ينتهي إليه حكمُ البشر ولا قدرته مقدّرة بقوى[5] البشر بل هو قادر على ما يشاء فعّال لما يريد. وفيه أن تدبير السماء والأرض والهواء يرجع إلى الواحد القهار، إذ لا يتهيأ لأحد أن يمنع القطر المرسَل من السماء عن الوصول إلى الموضع الذي أمر أن ينتهي إليه. والثجّاج: القطر المتتابع بعضُه على إثر بعض. والثجّ: الصب والإراقة.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **لنخرج به حبا ونباتا**، فجائز أن يكون ذَكَر الحبّ لأنه المقصود من زراعة ما يكون له الحب فذكره لما إليه ينتهي القصد. ويكون ذكر النبات منصرفا إلى مالا حب له لأن القصد من زراعته النبات لا غيرُ. وجائز أن يكون منصرفا إلى شيء واحد لأن الذي فيه الحب[6] فيه البنات أيضا.

---

[1] جميع النسخ: وهو.
[2] جميع النسخ: إيصال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.
[3] ر م: بجبالها. بحيالها: أي بانفرادها
[4] ر ث م - أن.
[5] ر ث م: تقوى.
[6] ر م - فيه الحب.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وجنات ألفافا**. قد ذكرنا أن الجنة هي اسم المكان الملتَفّ بالأشجار، وهي التي اجتمعت فيها[1] الأشجار.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن يوم الفصل كان ميقاتا**، فالميقات الميعاد، أي وَعَد فيه[2] جمعَ[3] الأولين والآخرين صالحهم وطالحهم صغيرهم وكبيرِهم. وسُمِّي يومَ الفصل لما يُفْصَل فيه بين الأولياء وبين الأعداء ويتبين فيه مثوى الفريقين جميعا. واليوم ليس بيومِ فصلٍ في الظاهر لأن الدنيا تمر[4] على الفريقين على حالة واحدة وإن كان قد فُصِل بينهما بالتوفيق والخذلان. وقيل: يوم الفصل يومُ الحكم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **يوم ينفخ في الصور**، قد ذكرناه فيما تقدم.[5] وقوله عز وجل: **فتأتون أفواجا**. قيل: أمة فأمة يأتي أمةُ كلِّ رسول بحِيالها.[6] وقيل: يُقْرَن كلّ أحد بشيعته على ما يذكره في قوله تعالى: وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ.[7]

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[١٩]

وقوله: **وفتحت السماء فكانت أبوابا**، فمنهم من ذكر أنها تُفتَح لإنزال من شاء الله تعالى من الملائكة وتنشقّ وتَنفطر لشدة هول القيامة. ومنهم من قال: إن الشقّ والفتح والانفطار كلّه واحد، فذَكَرَ الفتح لشدة هول ذلك اليوم. وجائز أن يكون الكل يقتضي معنى واحدا لأنه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذَكر فيه نزول الملائكة بقوله: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا.[8]

---

[1] ر ث م: فيه.
[2] جميع النسخ: فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.
[3] ر ث م: جميع.
[4] جميع النسخ: يمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] انظر عند تأويل قوله تعالى الآية ٧٣ من سورة الأنعام؛ والآية ٨٧ من سورة النمل؛ والآية ٦٨ من سورة الزمر.
[6] ر ث م: لحياها.
[7] سورة التكوير، ٧/٨١.
[8] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وسيّرت الجبال فكانت سرابًا**، فجائز أن يكون شبّهها بالسراب لما أنها إذا سيّرت لم توجد[١] في المكان الذي رآها فيه الناظر كالسرب[٢] الذي يُرى من بُعد إذا رآه الناظر فأتاه لم يجده شيئا، لا[٣] أن تكون[٤] الجبال في الحقيقة سرابا لأن السراب هو الذي يَتراءى[٥] من البعد أنه شيء ولا شيء في الحقيقة، وأما الجبال وإن سيّرت فهي في نفسها شيء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **إن جهنم كانت مرصادا**، منهم من ذكر أنها كانت في علم الله تعالى
[٨٨١ظ] أنها ترصُد على من حقّت عليه كلمة العذاب فتعذّبه[٦] ولا يمكنه الفرار / عنها.[٧] وقيل: ترصد[٨] بشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب فتعذبه[٩] وتتقرب[١٠] به[١١] إلى ربها[١٢] بطَوَاعِيَّتِها[١٣] له وسخطِها على من سَخَط الله عليه. وقيل: معنى المرصاد أن يكون مَمَرّ كلّ كافر ومؤمن عليها، لكنّ الكافر يقع فيها والمؤمن ينجو عنها.

﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **للطاغين مآبا**، أي مرجعا. والطاغي هو الذي تعدى حدّ الله تعالى وضيّع حقوقه وكفر بأنعمه.

---

[١] ر م: لم يوجد.
[٢] ن – بالسراب لما أنها إذا سيّرت لم توجد في المكان الذي رآها فيه الناظر كالسراب.
[٣] ر ن م: إلا.
[٤] جميع النسخ: أيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.
[٥] ر: سرابا؛ ن: يتريا.
[٦] جميع النسخ: فيعذبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤و.
[٧] ر + وقيل ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذبه ولا يمكنه الفرار عنها.
[٨] ن: يرصد.
[٩] جميع النسخ: فيعذبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: ومقرب؛ ن: ويتقرب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: بها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م - إلى ربها.
[١٣] ر ث م: بطواعيتها.

**﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **لابثين فيها أحقابا**، ذَكَر الأحقاب ولم يبيّن منتهى العدد، ولو كان اللبث فيها يرجع إلى أمد في حق الكفرة لكان يأتي عليه البيان كما أتى البيان[١] على منتهى يوم القيامة بقوله: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[٢] وقال: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[٣] فلمّا لم يبيّن ثَبَتَ أنه لا يرجع إلى حدّ، وإلى هذا يذهب الحسن.[٤]

ومنهم من ذكر أن معناه أنهم يلبثون ثلاثة أحقاب، والحُقُب ثمانون سنة. يعذّبون بلون من العذاب ثم يعذبون بلون آخر من العذاب بعد ذلك، لا أن ينقطع عنهم العذاب بعد مضيّ الأحقاب، والأحقاب[٥] هي النهاية في الأوقات. فذكر النهاية في الأوقات وما يَكبُر منها[٦] ليعلم أنهم أبدا فيها،[٧] كما قال: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[٨] فذكر السماوات والأرض[٩] لأنهما[١٠] هما اللتان عرفتا[١١] بالدوام فاقتضى ذلك معنى الدوام. فكذلك ذَكَر ما هو النهاية من الأوقات ليُعرَف[١٢] أنهم أبدا فيها مقيمون.

**﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[٢٤] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[٢٥]**

وقوله عز وجل: **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا**، فذكر بعضهم أن البرد هو النوم، ومنهم من ذكر أن معناه الرَّوْح والراحة. وقال بعضهم: **لا يذوقون فيها بردا**، يقطع عنهم الحرّ، **ولا شرابا**، يقطع عَطَشهم. **إلا حميما وغسّاقا**. فالحميم هو الماء الذي قد انتهى في الحر نهايته،

---

[١] ر - كما أتى البيان.

[٢] ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعْرُج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

[٣] سورة المعارج، ٤/٧٠.

[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥/٢٤-٢٦.

[٥] ر - والأحقاب.

[٦] جميع النسخ: فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.

[٧] ر م - ليعلم أنهم أبدا فيها.

[٨] سورة هود، ١٠٧/١١.

[٩] جميع النسخ - فذكر السماوات والأرض. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر م: لأنها.

[١١] جميع النسخ: هما اللذان عرفا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.

والغساق: الزمهرير. وقال بعضهم هو ما ينفصل عن أبدانهم من الصديد والزُّهومة، وهو الوَدَك.[1] فمعناه والله أعلم أنّ الذي يُتطعَّم به[2] أهلُ النار لا يُغذِّيهم[3] ولا يجدون به مُستمتَعًا بل يصير ذلك سبب إهلاكهم. [وإذا اشتدت عليهم الحرارة فاشتهَوْا ما يقطع عنهم حرارتَهم من البرد عُذِّبوا بالزمهرير فيصير البرد أيضا سبب إهلاكهم]،[4] لا أن يقع لهم بذلك البرد راحة وشفاء؛ هم كما وصفهم الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾،[5] فيبقَوْن أبدا في الهلاك لا يُقضَى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيتلذَّذوا[6] بالحياة. وقيل: الغَسّاق لون من العذاب لم يُطلِع الله تعالى عبادَه.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **جزاء وفاقا**، أي وافقَ جزاؤُهم أعمالَهم لا يُنقصَون ولا يُزدادون على قدْر ما استوجبوا بل يُجزَوْن مثل أعمالهم. وجائز أن يكون معناه أن جزاءهم وافقَ أعمالهم في الخبث.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إنهم كانوا لا يرجون حسابا**، فمنهم من ذكر أنهم لا يخافونه. ومنهم من حمله على حقيقة الرَّجاء، أي لم يكونوا يرجون الثواب. والوجه فيه[7] أنهم كانوا قوما لا يؤمنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا الثواب. فإن حملتَه على الخوف فهم لم يخافوه لِما لم يؤمنوا به، وكذلك إن حملتَه على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجونه[8] لِما كذَّبوا به.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وكذّبوا بآياتنا كذابا**، فالكِذّاب والتكذيب في لغة العرب واحد. والآيات جائز أن يُراد بها[9] آياتُ البعث ويرادَ بها آياتُ الواحدانية وآياتُ الرسالة ونحوُها.

---

[1] الوَدَك: الدَّسَم (*لسان العرب*، «ودك»).
[2] ن – به.
[3] ر: لا يعذبهم؛ م: لا يعذبهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.
[5] ﴿إنه من يأت ربه مجرما ...﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٤).
[6] ر م: فيتلذذون.
[7] ر ن م – فيه.
[8] جميع النسخ: يرجون.
[9] جميع النسخ: بالآيات. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وكل شيء أحصيناه كتابا**، فجائز أن يكون الإحصاء والكتاب واحدا.[١] وجائز أن يكون أريد بالإحصاء ما أُثبت في الكتاب، كقوله تعالى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[٢]

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا**، فالزيادة في العذاب هي[٣] دوامه وبقاؤه، لا أن يُزادوا على القدر الذي كان أُعدّ لهم من العذاب؛ لأنه أخبر أنهم لا يُجزَون إلا مثلَها،[٤] فإذا كان الذي عُذِّبوا قِبَلَه جزاءً لهم[٥] لم يجز أن يزدادوا عليه، فثبت أن الزيادة انصرفت على الدوام والبقاء. ولهذا[٦] قال أصحابنا في تأويل قوله: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[٧] وفي كل ما ذكرت فيه[٨] من الزيادة أنه على الثبات والدوام عليه، لا أنه يزيد وينقص.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **إن للمتقين مفازا**، أي مفازا عن أنواع العذاب التي ذكرت في الطاغين.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **حدائق وأعنابا**، فالحدائق هي الأماكن التي أحاطت الأشجارُ بأطرافها. وقوله عز وجل: **وأعنابا** ظاهر. وقد ذكر أنهم وعدوا في الآخرة بكلّ[٩] ما يقع لهم الرغبة في الدنيا.

---

[١] ر ن م: واحد.
[٢] سورة الكهف، ١٨/٤٩.
[٣] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.
[٤] من دلك قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشرُ أمثالِها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مِثلَها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[٥] ر م – لهم.
[٦] ر ث م: بهذا.
[٧] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).
[٨] ر ث – فيه.
[٩] ر ت م: كل.

ثم الأصل أن هذه السورة نزلت على إثر التساؤل بقوله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ،[1] فجائز أن يكون الذي حَمَلهم على السؤال ما اعتَرَض لهم من الشبه أو خَطَر بىالهم فسألوا ليبيَّن لهم وتزول[2] عنهم الشبه؛[3] فذَكَّرهم عِظَم نعمه وعجائب تدبيره وقوته وسلطانه ووعد أنّ من أمعن[4] النظر فيها دلّهم ذلك على بعثهم وإزاحة الإشكال عنهم بقوله: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ،[5] وبَيَّن مآبَ من استقام على الصراط المستقيم وسلك سبيلَه، وأخبر أنّ مَنْ لم يمعن[6] النظر فيها ولم يعط النَّصَفَة من نفسه وضَيَّعَها فمصيره إلى ما ذكر من قوله: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا،[7] وسيعلم[8] ذلك بقوله: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، إن حُمل هذا على الوعيد.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[٣٣]

[٨٨٢و] وقوله عز وجل: / **وكواعب أترابا**، قيل: الكاعب هي التي تكعّبت ثدياها. وذلك حين تبلغ[9] أن تحيض وهي ناهد، وهي أشهى ما يكون إلى الرجال. والأتراب المستويات في السِّنّ. ففي هذا إنباء أنهنّ يكنّ أبدا على سنّ واحد لا يتغيرن عن تلك الحال ولا يَهْرَمنَ.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وكأسا دهاقا**. قيل: مَلْآنَ،[10] وقيل: صافيا، وقيل: متتابعا. فوَصَفه بالملآن ليُعلَم أنّ ذلك الشراب لا ينتقص[11] ما داموا يشربون خلافا لما عليه شراب أهل الدنيا. ومَنْ حمله على الصفاء فمعناه أنه صافٍ عن الآفات والمكروهات[12] التي تكون[13] في شراب

[1] الآيتان ١ و ٢ من هذه السورة.
[2] جميع النسخ: ويزول.
[3] ن ث: الشبهة.
[4] ن: أنعم.
[5] الآيتان ٤ و٥ من هذه السورة.
[6] ر: ينعم؛ ن – يمعن.
[7] الآية ٢١ و٢٢ من هذه السورة.
[8] ر ث: وستعلم.
[9] ن: يبلغ.
[10] جميع النسخ: ملآنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.
[11] ث: لا ينقص.
[12] جميع النسخ: والمكروه.
[13] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

أهل الدنيا من التصديع وإذهاب العقل وغير ذلك. ومن حمله على التتابع فمعناه أن ذلك الشراب لا ينقطع ولا يَنفَد ماداموا في شربه بل يتتابع عليهم ولا يحدث فيهم حالُ تمنعهم[١] عن الشرب من السكر وغيره فيمتنعوا عن شربه خلافا لشراب أهل الدنيا. وروي عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: كنّا إذا استحببنا[٢] الساقيَ في الجاهلية قلنا: ادهَقْ[٣] لنا، أي تابِعْ لنا.[٤]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا**، أي لا يسمعون فيها ما يَحِقّ أن يُلْغَى بل يسمعون فيها كلَّ خير، والذي يحقّ أن يلغى ما ذُكِر[٥] من الخلْف[٦] والباطل والكَذِب، فلا يسمعون شيئا من ذلك كما يُسمَع من أهلها في الدنيا إذا شربوها. وقوله: **كذابا**، إن قرئ بالتخفيف فهو من الكذب، أي لا يكْذِبون. وإن قرئ بالتشديد فهو من التكذيب أي لا يكذّب[٧] بعضهم بعضا، فكأن معناه: أن ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل حتى يحملهم على الكذب والتكذيب[٨] كما يوجد في شراب أهل الدنيا. وقوله عز وجل: **فيها** في الجنة. ثم قوله: **كذابا**. قرأ بعضهم بالتخفيف في الموضعين: هاهنا وفي قوله: وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا.[٩] وقرأ بعضهم بالتشديد في الموضعين. وقرأ بعض القراء بالتشديد في الأول وبالتخفيف في الثاني. وعن الكسائي[١٠] أنه قال: بالتخفيف لغةُ مضر، وبالتشديد لغة يمانيّة. يقولون: كَذَّبَه تكذيبا وكِذَّابا وخَرَّبَه تخريبا وخِرّابا، ونحو ذلك. **والله أعلم**.

---

[١] جميع النسخ: يمنعهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.

[٢] ر ث: استحثثنا.

[٣] جميع النسخ: داهق. والتصحيح من *تفسير روح المعاني* للآلوسي، ٢٢/٣٠.

[٤] عن مسلم بن يسار قال: قال ابن عباس لغلامه: اسقني دهاقا. قال: فجاء بها الغلام ملآن، فقال ابن عباس: هذا الدهاق (*تفسير الطبري*، ٤٠/٢٤).

[٥] جميع النسخ: ما ذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.

[٦] ر م: من الخلف.

[٧] ر ث م: لا يكذبون.

[٨] ر ث م - فكأن معناه أن ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل حتى يحملهم على الكذب والتكذيب.

[٩] الآية ٢٨ من هذه السورة.

[١٠] قرأ الكسائيّ وحده: "ولا كِذَابًا" خفيفة الدال، وقرأ الباقون: ﴿ولا كِذَّابًا﴾ مشددة الذال (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٨).

**﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[٣٦]**

وقوله عز وجل: **جزاء من ربك عطاء حسابا**. وقوله: **جزاء**، أي جزاءً جَزَاهم وعطاءً أعطاهم وحسابا[١] حاسبهم. وقال الحسن: جزاهم[٢] بأعمالهم،[٣] أي زادهم على القدر الذي استوجبوا. وقال بعضهم: أعطاهم عطاء كثيرا حتى قال كل واحد منهم: حَسْبِي حسبي. والذي يؤيد هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: جزاء من ربك عطاء حسنا.[٤] وقال بعضهم: جزاءً بأعمالهم التي كتب[٥] الحفظة وأحصاها عليهم، وأعطى عطاء حسابا[٦] أي كثيرا جزاءً لما أخفَوْا من أعمالهم التي لم يُطلِع عليها ملائكته[٧] فأعطاهم عطاء بينا ظاهرا يعرفه الناس.

وجائز أن يكون الجزاء عطاءً من ربه لا أنه يستوجب الجزاءَ لما ذكرنا أنه لا أحدَ من هذا البشر إلا وقد سبقت له من الله تعالى نِعَمٌ لو أنفد[٨] جميع عمره في أداء شكره منها لم يصل إلى كنه ما عليه من الشكر؛ إذ من قام بالشكر ووُفِّق عليه زيد له أيضا في النعم لمكان الشكر، فإذا وصل إلى جزاء عمله في الدنيا لم يستوجب به المزيدَ. فثبت أن الجزاء في الآخرة بحق الإفضال من الله تعالى والإنعام لا بحق الاستيجاب، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ،[٩] الآية، فسمّى الكرامة إنعاما. وقال في آية أخرى: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ،[١٠] فجعل ما آتاهم من النعم[١١] فضلا منه. فثبت أن الذي جزاهم[١٢] به عطاءٌ من ربه، **حسابا**، أي كثيرا.

---

[١] ر م: جزاهم وعطاهم حسابا.
[٢] ر ث م: جزاء.
[٣] تفسير *الطبري*، ٢٧/٣٠.
[٤] جميع النسخ: حسابا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٣/٣٠.
[٥] ث: كتبت.
[٦] ن – وقال بعضهم جزاء بأعمالهم التي كتب الحفظة وأحصاها عليهم وأعطى عطاء حسابا.
[٧] م: ملائكة.
[٨] ر ن: لو أنفذ.
[٩] سورة النساء، ٦٩/٤.
[١٠] سورة الحديد، ٢١/٥٧.
[١١] جميع النسخ: من النعيم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.
[١٢] ر م: جزاءهم.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[٣٧]

وقوله: **رب السماوات والأرض وما بينهما**، فالربّ المالك، فذَكّر أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما ليَعلموا أنه لم يمتحن أحدا بعبادته لحاجة تقع[1] له أو لمنفعة تصل[2] إليه؛ بل هو الغني وله ما في السماوات وما في الأرض، وإن منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة إلى أنفسهم إذا وَفّوْا بها وإذا لم يقوموا بأدائها كان الضرر راجعا إليهم. وقوله تعالى: **الرحمن**. بيّن أنه رحمن ليرغبوا في رحمته ويتسارعوا إلى معرفته. وقوله تعالى: **لا يملكون منه خطابا**، هيبة من الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته الخطاب[3] بالشفاعة أو بالخصومة أو بأي شيء كان.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٣٨]

وقوله تعالى: **يوم يقوم الروح والملائكة صفا**. اختلفوا في الروح. فمنهم من قال: هو جبريل عليه السلام، ومنهم من صرفه إلى أرواح المسلمين، ومنهم من ذكر أنهم الحفظة على الملائكة، يرون الملائكة ولا يراهم الملائكة. وجائز أن يكون الروح الكتب المنزلةَ من السماء كما قال [تعالى]: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ،[4] فتكون[5] الكتب مخاصِمةً مع من ضيّع حقّها أو نبذها وراء ظهره وشافعةً[6] لمن أدّى حقّها وعمل بما فيها. ومنهم من ذكر أن هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر، قال الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي.[7]

وقوله عز وجل: **لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**. جائز أن يكون هذا منصرفا إلى الشافع، أي الشافع لا يقول فيما يشفع غيرَ الصواب، وما حلّ به من الرهبة والخوف من هيبة / الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق، بل الله تعالى يُثبّته على الحق ويُجري على لسانه الصواب. وقال بعضهم: معناه لا يشفع إلا من قال في الدنيا صوابا، وهو الحق. [٨٨٢ظ]

[1] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٣١٥و.
[2] جميع النسخ: يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر م - الخطاب.
[4] سورة النحل، ٢/١٦.
[5] جميع النسخ: فيكون.
[6] جميع النسخ: وشافعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الإسراء، ٨٥/١٧.

وقيل: معناه أنه لا ينال من الشفاعة حظ إلا من قال في الدنيا الصواب. والصواب هو[١] أن يكون مقيما فيما دان به من التوحيد. وذكر [عن][٢] علي بن أبي طالب أنه مرّ[٣] بعجوز وهي تدعو فتقول: اللهم اجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لها: قولي: اللهم اجعلني من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة، فإن شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

{قال رضي الله عنه:} وبهذا الفصل يعارضنا[٤] المعتزلة فتقول: إذا قلتم: اللهم اجعل لنا[٥] من[٦] شفاعة محمد نصيبا، فقد قلتم: اللهم اجعلنا ممن يرتكب لكبائر، إذ شفاعته في زعمكم لأهل الكبائر.

فالجواب عن هذا أن الذي ابتُلي بارتكاب الكبائر دون الشرك إنما ينال الشفاعة بما سبق منه من الخيرات من التوحيد وتعظيمه ربَّه عز وجل، فمحاسنه التي سبقت منه هي التي تجعله[٧] محلا للشفاعة، ولولاها[٨] ما نالها. فإذا قال: اللهم اجعل لي من شفاعة نبيك نصيبا، فهو يقول: اللهم[٩] وفِّقني على فعل الخيرات واجعلني ممن يعظِّمك ويتقرب إليك بالطاعة حتى أنال بها الشفاعة، لا أن يقصد بدعائه جَعْلَه من أهل الكبائر. والذي يدلّ على صحة ما ذكرنا قولُه [تعالى]: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[١٠] فأخبر الله تعالى أن تسبيحه[١١] ما أنقذه من بطن الحوت ولو لم يكن مسبِّحا لم يستوجب الخلاص. وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة[١٢] ويرجى له الخلاصُ بما سبق منه من الحسنات دون أن يستوجبها لارتكاب الكبيرة.

---

[١] ر ث م – هو.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ.
[٣] ر: أمر.
[٤] ن: بعارضنا.
[٥] ر: اجعلني؛ ن ث م: اجعلنا.
[٦] ن + أهل.
[٧] ر ن م: يجعله.
[٨] ن: ولولا لما.
[٩] ن – اللهم.
[١٠] سورة الصافات، ٣٧/ ١٤٣-١٤٤.
[١١] وعبارة *الشرح*، أنه تسبيحه (ورقة ٣١٥ظ).
[١٢] ن: الكبيرة.

ثم من قول المعتزلة أنهم يرون الصغائر مغفورة لأربابها إذا اجتنبوا الكبائر. فيقال لهم[١] بأن من دعا الله تعالى وسأله المغفرة فكأنه يدعو[٢] فيقول: اللهم ابتَلِني بالصغائر[٣] حتى تغفرها[٤] لي. فإن قلتم ـأنّ دعاءه بالمغفرة لا يقتضي ما عارضناكم به. فنقول:[٥] كذلك فيمن يقول: اللهم اجعل لي من شفاعة محمد نصيبا، إنه لا يقتضي أن يجعله من أهل الكبائر.

**﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾[٣٩]**

وقوله عز وجل: **ذلك اليوم الحق**. قيل: معناه أنْ لا يقالُ في ذلك اليوم غيرُ الحق. وجائز أن يكون منصرفا إلى اليوم نفسه، فيكون معناه[٦] أنّ كونه حقا[٧] يكون لا محالة. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا**، أي مرجعا. تأويله أنّ الله تعالى بيّن لىخلق سبيل الضلال والهدى، ولم يَصُدّ[٨] أحدا عن سبيل[٩] الهدى، وبيّن أن من سلك سبيل الضلال فمآبه إلى[١٠] النار، ومن سلك سبيل الرشد والهدى فمآبه إلى الجنة، وذلك مآبه إلى الله تعالى واتخاذ السبيل إليه تعالى.

**﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[٤٠]**

وقوله: **إنا أنذرناكم عذبا قريبا**، أي العذاب الذي أُوعِدتم به قريبٌ مأتاه وإن استبعدتموه[١١] في أوهامكم، قال الله تعالى: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ.

[٢] ر م: من دعى لله تعالى وسأله المغفرة فكأنه يدعوا؛ ن: تدعو.

[٣] ر: بالصفا.

[٤] ن: يغفرها.

[٥] جميع النسخ: فقولوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ن + أن لا يقل في ذلك اليوم غير لحق.

[٧] ر: متى؛ ن ث: حق.

[٨] ر م: ولم يصدوا.

[٩] ر ث م + الضلال و.

[١٠] ن – إلى.

[١١] ر ث م: م أتاه وإن استعدتموه.

[١٢] سورة لنحل، ١/١٦. قال الإمام الماتريدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: في قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ وجهان. أحدهما أن يعرف قوله أمر الله، ما أراد به، [والثاني] ما الذي استعجلوه؟ وإنما [الذي] استعجلوه لساعة والقيامة. بقوله: [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ] يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، الآية. [سورة الشورى، ١٧/٤٢-١٨] (*تأويلات القرآن*، ٦٩/٨).

وقوله: **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**، فجائز أن يكون هذا منصرف إلى الخلائق أجمعَ مؤمنهم وكافرِهم. ثم تخصيص الأيدي بالذكر هو أن التقديم والتأخير في الشاهد يقع بالأيدي، فأُضيف إليها وإن احتمل أن لا يكون للأيدي صنع فيما ارتكب من الآثام أو فيما فعل من الخيرات، وهو كالمطر يسمّى رحمةَ الله وإن لم يكن ذلك من أوصافه لأنه برحمة الله ما ينزل من السماء. وسُمّي الكلام لسانا وإن لم يكن هو لسانا لأنه باللسان ما يُتكلَّم.

فكذلك التقديم أضيف إلى الأيدي لما بها يقع التقديم في الشاهد وإن لم يكن للأيدي صنع.

وقوله عز وجل: **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**. ذَكَر هذا التمني في الكافر دون المؤمن لأن المؤمن يرى حسناته متقبّلة وسيئاتِه مغفورةً فيأمن من[1] عقاب[2] الله تعالى، والكافرَ يرى نفسه مؤاخذة بالسيئات ولا يرى لها حسناتٍ متقبَّلةً فيتمنى أن يكون ترابا ليتخلص من عذاب[3] الله تعالى. وقال بعضهم: إن الوحوش تحشر[4] والطيورَ كلّها، ثم يقول الله تعالى [لها]:[5] كوني ترابا، فيتمنى الكافر في ذلك الوقت أن يكون ترابا. *والله أعلم*.

[1] ن – من.
[2] ر: فيأمن عقاب.
[3] جميع النسخ: عن عذاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.
[4] جميع النسخ: يحشر. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] الزيادة من المرجع السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النازعات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[١] ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[٢] ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾[٣] ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾[٤] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[٥]

قوله عز وجل:[2] **والنازعات غرقا والناشطات نشطا**، اختلف في تأويله. فمنهم من حمل ذلك كلّه على الملائكة فقال: **والنازعات غرقا**، هم الملائكة الذين يَنزِعون أرواح الكفرة ويُغرِقون إغراقا، أي يُشدِّدون في النزع كما يُغرِق النازعُ في القوس؛[3] أو يشتد [النزعُ] عليه شدةَ الأمر على الغريق؛ أو تَنزع أرواح الكفرة فتَغرق[4] في النار.

وقوله عز وجل:[5] **والناشطات نشطا**، قيل: أي تَنشِط[6] أرواح الكفرة نشطا عنيفا؛ أي تنزع ملائكة العذاب أرواح الكفرة من أجوافهم نزعا شديدا. وقيل: هذا في حق المؤمنين،

---

[1] ر – سورة النازعات؛ ن م: سورة والنازعات؛ ث + وهي ست وأربعون آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] أغرق النازع في القوس: أي استوفى مدّها. وأغرق في الشيء: جاوز الحد. وأصله من نزع السهم. وفي التنزيل: والنازعات غرقا؛ قال الفراء: ذكر أنها الملائكة وأن النزع نزع الأنفس من صدور الكفار، وهو قولك: والنازعات إغراقا كما يغرق النازع في القوس (*لسان العرب*، «غرق»).

[4] جميع النسخ: ينزع أورواح الكفرة ويغرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[5] ن: قوله.

[6] جميع النسخ: ينشط. والتصحيح من المرجع السابق.

إن الملائكة تَنشِط أرواح المؤمنين، أي تَحُلّها[1] حلّا رفيقا كما يُنشَط من العقال؛[2] فيخبر بهذا خفة ذلك على المؤمن[3] ويخبر بالأول شدّته على الكافر.

[٨٨٣و] وقوله: **والسابحاتِ سبحا**، قيل: إن الملائكة يَسُلّون أرواح المسلمين[4] سلّا رفيقا. وقيل: الملائكة تسبح[5] بين السماء والأرض.

وقوله عز وجل: **فالسابقات سبقا**، أي تسبق[6] الملائكة إلى أرواح المؤمنين. وقيل: **فالسابقات سبقا**،[7] الملائكة الذين يسبقون[8] بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام. وقيل: هم الكَرُوبِيّون[9] الذين لا يَفتُرون عن تسبيح رب العالمين.

وقوله عز وجل: **فالمدبّراتِ أمرا**، هم الملائكة الموكّلون بأمور الخلائق[10] وأرزاقهم. ومنهم من صرف تأويل الآيات إلى النجوم أنهن النجوم اللاتي يَطْلُعْن من مطالعهن[11] لحوائج الخلق ولأمور جُعِلت لها، ويَغرُبن في مغاربهن ثم يَنشِطن إلى مطالعهن فيطلعن منها؛ أي لا يطلعن كَرها بل ناشطات لأمر الله تعالى إلى ما سُخّرن له.

**والسابحات سَبْحا**، النجوم أيضا، وسَبْحُهُنّ دورانهن[12] في الأفق لأمور خفي ذلك على الخلق، كقوله:[13] كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.[14]

---

[1] ر ث م: ينشط أرواح المؤمنين أي يحبها؛ ن: ينشط أرواح المسلمين أي يحبها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[2] قال أبو عبيدة: ﴿والناشطاتِ نشطا﴾، قال: هي النجوم تَطْلُع ثم تغيب، وقيل: يعني تَنشِط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد. وقال ابن مسعود وابن عباس: إنها الملائكة. وقال الفراء: هي الملائكة تنشط نفس المؤمن بقبضها. وقال الزجاج: هي الملائكة تنشِط الأرواح نشطا، أي تنزعها نزعا كما تنزع الدلوَ من البئر (*لسان العرب*، «نشط»).

[3] ر م: عبى المؤمنين.

[4] ن: المؤمنين؛ وفي *الشرح* (٣١٦و): الصالحين.

[5] ر م: يسبحون؛ ن ث: يسبح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[6] جميع النسخ: يسبق. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ + أي يسبق.

[8] ن – الذين يسبقون.

[9] ر: الكروبين. الكرب: القُرْب. والملائكة الكروبيون: أقرب الملائكة إلى حملة العرش. وروى أبو الربيع عن أبي العالية أنه قال: الكروبيون سادة الملائكة، منهم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ، هم المقربون (*لسان العرب*، «كرب»).

[10] ن: الخلق.

[11] ن + فيطلعن منها أي لا يطلعن كرها.

[12] ن: دوراتهن.

[13] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[14] سورة الأنبياء، ٣٣/٢١؛ وانظر أيضا: سورة يس، ٤٠/٣٦.

وقوله عز وجل: **فالسابقاتِ سَبْقا**، أي [الملائكة] يسبق بعضها بعضا أو يسبِقْن الشياطين بالرجم والطرد لا تَدَعُهنّ يَقْرُبن إلى السماء،[١] وبه قال الحسن. *والله أعلم*.

ومنهم من صرف تأويل الآيات إلى مختلف الأشياء فقال: **والنازعاتِ غرقا**، هي القِسِيّ[٢] ينزعها الإنسان[٣] فيُغرِق[٤] في نزعها. **والناشطات نشطا**، هي الأوهاق[٥] تُنْشَط بها الدابة تكون[٦] منه في جهة. **والسابحات سبحا**، هن السفن. **فالسابقات سبقا**، هن الخيل. **فالمدبراتِ أمرا**، هي الملائكة، وبه قال عطاء.[٧]

ومنهم من صرفها إلى أنفس المؤمنين وأرواحهم[٨] فقال: **والنازعات**، هي الأنفس التي تُغرَق في الصدور.[٩] **والناشطات نشطا**، حين تُنشط[١٠] من القدمين. وقيل: إن أنفس المؤمنين يَنشِطن إلى الخروج عن الأبدان إذا عاينوا ما أعدّ لهم في الجنة. **والسابحات سبحا**، هي أرواح المؤمنين سميت سابحات لسهولة الأمر عليها كما يسهل الخروج من الماء لمن[١١] يعلم السِّباحة. وقوله: **فالسابقات**، هي أرواح المؤمنين أيضا[١٢] سميت سابقات لما تكاد تسبق فتخرج[١٣] قبل وقتها لِما تعاين[١٤] من كرامات الله تعالى وما تبشَّر[١٥] من الخير. يؤيد هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».[١٦]

---

[١] جميع لنسخ: لا يدعهن يقربون إلى السماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.

[٢] هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر (*النهاية* لابن الأثير، «قسس»).

[٣] ن – الإنسان.

[٤] ث: فيغرقها.

[٥] جمع وَهَق –بالتحريك– وقد يسكّن، وهو حبل كالطِّوَل تشدّ به الإبل والخيل لئلا تَنِدّ (*النهاية* لابن الأثير، «وهق»).

[٦] جميع النسخ: يشط بها الدابة يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[٧] انظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١٩٤.

[٨] ث: وأزواجهم.

[٩] جميع لنسخ: يغرق في الصدر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و. ر + وقوله.

[١٠] ر ث م: يشط؛ ن: يسط. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ن: لم؛ م: من.

[١٢] ن – أيضا.

[١٣] جميع النسخ: لما يكاد يسبق فيخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] جميع النسخ: لم يعاين. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] ر ث م: وما ينشر؛ ن: وما يشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٢٣؛ و*صحيح مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣؛ و*سنن الترمذي*، الزهد ١٦.

وقيل: ذلك[1] عند موت المؤمن؛ إذا حضره الموت صر في ذلك لوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه،[2] لأنه يرى[3] ما أُعدّ له من الثواب فتتهزع[4] نفسُه يودّ لو خرجت حتى تصل[5] إلى[6] ما أعد لها من الكرامة. والكافر إذا رأى [ما أُعد له من العذاب] عند ما حضر[ه الموت] جعل يتلع[7] نفسه كراهة أن تخرج؛[8] فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى. وعلى هذا قيل في تأويل قوله عليه السلام: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»:[9] إن ذلك عند الموت؛ إنّ المؤمن إذا حضره[10] الموت وأُرِي ثوابه من الجنة ودّ أن تخرج[11] نفسه فيحبّ لقاء الله تعالى ويحبّ الله لقاءه؛ والكافر يكره في ذلك الوقت أن تخرج[12] نفسه فذلك حين كره لقاء[13] الله وكره الله لقاءه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فالمدبرات أمرا**، قالوا جميعا: المراد منها الملائكة الموكلون بأمور الخلق وأرزاقهم ونحو ذلك. *والله أعلم*.

ثم اختلف في الذي قُصد إليه باليمين والقسم. فمنهم من ذكر أن الذي وقع عليه القسم قوله تعالى: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ،[14] على معنى أنكم مبعوثون وأن القيامة[15] حق فكأنه أقسم بهذه الأشياء إنهم لمبعوثون، وأضمر الجواب هاهنا لما دلّ عليه المعنى فاكتفى به. ومنهم من ذكر أن القصد من اليمين قوبه:

---

[1] ن: وذلك.
[2] ن: الخلاص منه والراحة.
[3] ر ث م – يرى.
[4] جميع النسخ: فيتهوع. أي تعجل.
[5] جميع النسخ: حتى يصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[6] ث – إلى.
[7] ر ث م: بتبليع.
[8] جميع النسخ: أن يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٠/٢؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ٥.
[10] جميع النسخ: إذا حضر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[11] جميع النسخ: أن يخرج.
[12] جميع النسخ: أن يخرج.
[13] ن – لقاء.
[14] الآية ١٠ من هذه السورة.
[15] ر ث م: وأن القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[٦] ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[٧]

**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**، فأقسم بما ذكر أن النفختين كائنتان. فالنفخة الأولى[١] يموت بها الخلق والنفخة الثانية لإحياء الأموات، والراجفة[٢] هي النفخة. فجائز أن تكون على حقيقة النفخة فتكون[٣] النفخة علامة[٤] الموت والحياة لا أن تكون[٥] علة[٦] الإماتة والإحياء.[٧]

ثم اختلفوا بعد هذا؛ فمنهم من يحمله على التحقيق، فيزعم أن النفخة الأولى يَهلك بها الخلقُ، والنفخة الثانيةَ يحيا بها الخلقُ. ومنهم من ذكر أن النفَخات ثلاث. فالنفخة الأولى للتفزيع والتهويل، قال الله تعالى: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ،[٨] الآية. والنفخة الثانية يهلك بها الخلق، بقوله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٩] الآية. والنفخة الثالثة يحيا[١٠] بها الخلق بقوله: ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.[١١] ومنهم من ذكر أن هذا ليس على تحقيق النفخ بل على التمثيل؛ فمُثّل به إما لخفة البعث والإحياء[١٢] على الله تعالى وسهولة خفة[١٣] النفخ على النافخ، أو مثل به لسرعته[١٤] كما قال الله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[١٥] وقالوا: الرجفة هي الزلزلة والتحرك، **تتبعها الرادفة**، وهي الزلزلة الأخرى.

---

[١] ن: المولى.
[٢] ن: والرجفة.
[٣] جميع النسخ: فجائز أن يكون على حقيقة النفخة فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[٤] ر: علامت.
[٥] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن: عيبه.
[٧] ر ث م - والإحياء.
[٨] سورة الحج، ٢٢/١-٢.
[٩] سورة الزمر، ٣٩/٦٨.
[١٠] ن: يحيا.
[١١] سورة الزمر، ٣٩/٦٨.
[١٢] م: ولإحياء.
[١٣] جميع النسخ: وسهولته بخفة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر م: بسرعته.
[١٥] سورة النحل، ١٦/٧٧.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[٨]

ثم إن كان القسم على إثبات البعث ففيها[١] ذكر إشارة إلى أحوال البعث وأفعالها. وإن كان موقعه[٢] على قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ[٣] **قلوب يومئذ واجفة**، فكأنهم سألوا: كيف تكون[٤] القلوب في ذلك اليوم؟ فقال: تكون[٥] واجفة. والواجفة: / الخائفة الوَجِلة. [٨٨٣ظ]

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **أبصارها خاشعة، أي ذليلة**. ووجه[٦] تخصيص الأبصار والقلوب -والله أعلم- هو أنه لا يتهيأ لأحد استعمال قلبه وبصره، بل يحدث للقلوب فِكَر وبَدَوات،[٧] لا يمكنه أن يدفع عنها الفِكَر، وكذلك هذا[٨] في البصر. فيخبر أن ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والأبصار عن عملها، فلا ينظر إلا إلى الداعي،[٩] ولا يحدث لقلوب فِكَر، بل تكون الأفئدة هواءً لا تَقِرّ[١٠] لشدة ما حل بها[١١] من الخوف. والثاني[١٢] أن المرء إذا حزبه أمر فهو يعمل أنواعا من الحيل ويوقع[١٣] بصرَه على شيء فشيء رجاءَ أن يستدرك ما فيه خلاصه وسلامته من ذلك الأمر. ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فتكون[١٤] القلوب هواءً لا تقر في موضع، ولا تقف على تدبير لشدة ما حل بهم، وتكون[١٥] الأبصار خاشعة ذليلة إلى ما يدعو[١٦] الداعي.

---

[١] م: ففيما.
[٢] جميع النسخ: مرجفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[٣] الآيتان السابقتان.
[٤] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: لا يقر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ث م: ووجهه.
[٧] ر م: وبدرات. البَدَاة: الرأي يَنشَنح. وجمعه بَدًا وبَدَوات. يقال: فلان ذو بَدَوات، وأبو البَدَوات، إذا كانت تظهر له آراء فيَختار أحزمها (*المعجم الوسيط*، «بدو»).
[٨] ر: وهذلك هذا.
[٩] ر ث: فلا ينظر إلى الداعي.
[١٠] جميع النسخ: بل يكون الأفئدة هواء لا يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[١١] ر ث م: به.
[١٢] ر ث م – والثاني.
[١٣] ر ث م: وتوقع.
[١٤] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] لا يقر في موضع ولا يقف على تدبير لشدة ما حل بهم ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر م: إلى ما يدعو.

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يقولون أإنا لمردودن في الحافرة،**[١] أي يقولون: أإنا لَنُرَدُّ[٢] إلى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الأمر خلقا جديدا. يقال: أتى فلان فلانا فرجع على حافرته، أي[٣] على مجيئه الأول. ويقال [في المثل]: النقد[٤] عند الحافرة، أي عند أول البيع والكلام.[٥] فقالوا هذا على جهة الإنكار[٦] بالبعث والاستهزاء به. قال أبو بكر [الأصم]:[٧] هذا مأخوذ من حافر الدابة، وهو أن الفارس يمكنه أن يصرفها بحافرتها إلى الموضع الذي ابتدأ السير منه من وراءٍ وراءُ.[٨]

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾[١١]

وقوله عز وجل: **أإذا كنا عظاما نخرة،** وناخرة.[٩] فالناخرة هي البالية التي لم تُفَتَّت[١٠] بعد. والنَّخِرَة هي التي صارت رُفاتا ودرسَتْ حتى تنسفها[١١] الريح.[١٢]

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **قالوا تلك إذا كرة خاسرة،** قال الحسن وأبو بكر: هذا منهم تكذيب للبعث أي لا يكون أبدا.[١٣] وقال غيرهما: معناه أن لو كانت كَرَّةٌ كما يزعمها المسلمون

---

[١] ن - في الحافرة.
[٢] م: نرد.
[٣] جميع النسخ: يقول.
[٤] ر م: أنقد.
[٥] قيل: معنى قوله: ﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾ أي في الخلق الأول بعدما نموت. وقالوا في المثل: النَّقْدُ عند الحافِرَةِ والحافِرِ، أي عند أول كلمة. وفي التهذيب معناه: إذا قال قد بعتُك رجعتَ عليه بالثمن. وهما في المعنى واحد (*لسان العرب*، «حفر»).
[٦] ر م: الإبكار.
[٧] هو أبو بكر بن كَيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات في الأصول*، و*مناظرات* مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم (*لسان الميزان* لابن حجر، ٥١٥/٣).
[٨] ر م - وراء.
[٩] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٧٤٨.
[١٠] ر ث م: تفت؛ ن: لم يفتت. والتصحيح من *الشرح*، ٣١٦ظ.
[١١] ر ث م: ينسفها؛ ن: ينشقها.
[١٢] ر - وقوله عز وجل أإذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة هي البالية التي لم تفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا ودرست حتى تنسفها الريح.
[١٣] وعن الحسن قال: خاسرة أي كاذبة يعني: ليست بكائنة. (*تفسير السمعاني*، ١٤٨/٦). وانظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩٨/٢٠؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٤٢١/٨.

فهي كرة خاسرة على المسلمين لأنهم ظنوا أنهم إذا كانوا في الدنيا أنعم حالا وأرغد عيشًا، وكان المسلمون في ضيق من العيش وشدة من الحال، أن يكونوا كذلك في الآخرة؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.[1] فكانوا يظنون أنهم بما أنعم الله تعالى عليهم إنما أنعم لأنهم أقرب منزلة وأعظم درجةً من المؤمنين؛ إذ لا يجوز أن يُضيّق[2] على أوليائه، ويوسّع على أعدائه. فإذا[3] وسّع عليهم ظنوا أنهم هم المفضَّلون في الدنيا والآخرة وأن من خالفهم هم الأخسرون. ومنهم من[4] قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم أن هذا الوصف راجع إلى الكفرة. فقيل: **خاسرة**، لما خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم، و**خاسرة**، أي مُخسِرة.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فإنما هي زجرة واحدة**، ففيه إخبار عن سرعة كون ذلك الوقت وسهولته على الله تعالى.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فإذا هم بالساهرة**، قيل: الساهرة هي وجه الأرض. وجائز أن يكون أريد بهذا أن العيون تسهر في ذلك اليوم ولا يَعْتَريها النوم بل تكون[5] مُهْطِعَة إلى الداعي ذليلة.[6]

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[١٥]

وقوله تعالى: **هل أتاك حديث موسى**، فمنهم من يقول: قد أتاك فخوِّفهم به.[7] وقال الحسن: لم يكن أتاه، فأتاه بهذا، كما يقول الرجل لآخر: هل أتاك ما فعل فلان؟ وهو يريد

[1] سورة الكهف، ٣٦/١٨.
[2] ر م: أن تضيق.
[3] ن: وإذا.
[4] ث – من.
[5] ر ن م: بل يكون.
[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم يَدْعُ الدّاعِ إلى شيء نُكُرٍ خُشَّعًا أبصارُهم يَخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٦-٨). وانظر أيضا: سورة إبراهيم، ١٤/٤٢-٤٣.
[7] ر ث م – به.

أن يذكّره بهذا[١] فيُعمه مع علمه أنه لم يكن عَلِمه من قبلُ. وقد ذكرنا ما في ذكر الأنباء من الفوائد من تثبيت الرسالة والتخويف لمن أساء صحبة الرسل عليهم السلام لئلا[٢] ينزل بهم ما نزل بفرعون وأتباعه حين أساءوا صحبة الرسول[٣] موسى عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى**. قيل: **طوى**، اسم ذلك الوادي. وقيل: سمّي طوى لأنه بورك مرتين، مرة حين أتاه إبراهيم عليه السلام، ومرة بإتيان موسى عليه السلام. وذكر عن الزجاج: أن طِوى -بكسر الطاء- الذي بورك مرتين.[٤]

ثم أضاف ذلك الحديثَ مرةً إلى موسى ومرةً إلى نفسه [فقال:] **إذ ناداه**، فظاهره أن الله تعالى هو الذي كلّمه، فأضيف إلى الله تعالى لأن أصله من الله تعالى كما ذكرنا[٥] في قوله تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٦] وفي قوله:[٧] إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ.[٨]

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **اذهب إلى فرعون إنه طغى**، أي عتا وطغى في نعمه[٩] فاستعملها في كفران نعمه فلم يشكر الله تعالى بها.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾[١٨]

وقوله تعالى: **فقل هل لك إلى أن تزكى**، أي هل لك في إجابة مَنْ إذا أجبتَ[١٠] تزكّيتَ؟ أو هل لك رغبة إلى ما تزكو به نفسُك وتنمو؟[١١] ثم في هذه الآية دلالة أنْ مَن أراد أن يدعو آخر

---

[١] ر ث م - كما يقول الرجل لآخر هل أتاك ما فعل فلان وهو يريد أن يذكره بهذا.
[٢] ر م: لأن لا.
[٣] ن - الرسول.
[٤] *الجامع لأحكام القرآن* لقرطبي، ٢٠١/١٩.
[٥] ن: كما ذكرناه.
[٦] سورة التوبة، ٦/٩.
[٧] ر م: في قوله.
[٨] سورة الحاقة، ٤٠/٦٩؛ وسورة التكوير، ١٩/٨١.
[٩] ن: في نعمة.
[١٠] ر ث م: إذا أجيبت.
[١١] ر: إلى ما تزكوا به نفسُك ويتموا؛ ن: إلى ما تركوا به نفسُك ويتموا؛ م: إلى ما تزكوا به نفسُك ويتمو.

إلى ما فيه رشده وصلاحُه فالواجب عليه أن يدعوه[1] أولا بالرفق واللِّين كما أُمر به موسى وهارون عليهما السلام بقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا.[2] وبقوله: **هل لك إلى أن تزكى**. ثم إذا ترك الإجابة ختم كلامَه بالتعنيف كما فعل موسى عليه السلام بقوله: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا،[3] بعدَ قوله: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [بَصَائِرَ].[3]

**﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[١٩]**

وقوله: **وأهديك إلى ربك فتخشى**، أي أهديك إلى ربك فتهتدي ثم تخشاه إذا اهتديتَ، أي عرفت عظمته وجلاله فتخشى عقوبتَه فيكون العلمُ مثمرا للخشية؛[4] ألا ترى إلى قوله: إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.[5] أو أهديك إلى طاعة[6] ربك وأُنذرك عقابَه[7] إذا عصيتَه، **فتخشى**، فلا تعصيه.

**﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[٢٠]**

وقوله: **فأراه الآية الكبرى**، فمنهم من ذكر أن الآية الكبرى هي اليد سميت كبرى لأن سحرهم عُمِل في الحبال والعِصِيّ ولم يُعمَل في اليد، فكانت هذه الآية خارجة من نوع سحرهم فسمِّيت كبرى لهذا المعنى. ومنهم من ذكر أن الآية الكبرى هي العصا[8] لأن غلبة موسى / عليه السلام على السحرة كانت بالعصا حيث تَلْقَفُ[9] ما أتوا به من السحر. [٨٨٤و]
ولكن كلّ آياته كانت كبرى كما قال في آية أخرى: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[10] فكانت إحداهما أكبر من الأخرى عند ذوي الأحلام والنُّهى لمن تأمّل فيها وتدبّر. *والله الموفق*.[11]

---

[1] ث: فالواجب أن يدعو.
[2] سورة طه، ٤٤/٢٠.
[3] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[4] ر م: للخبيثة.
[5] سورة فاطر، ٢٨/٣٥.
[6] ر: إلى طاعته؛ ن – إلى طاعة، صح هـ.
[7] ر: عباده
[8] ر: وهي العصاء.
[9] جميع النسخ: تنقفت والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٧و.
[10] سورة الزخرف، ٤٨/٤٣.
[11] ر: والله أعلم.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾[٢١]

وقوله: **فكذّب وعصى**، أي كذب بآيات الله وعصى نبيه موسى فلم يطعه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾[٢٢]

وقوله: **ثم أدبر يسعى**، قال الحسن: كان خفيفا طَيَّاشًا[١] وإلّا فالملوك إذا دُعُوا إلى أمر تدبّروا فيه وتفكّروا؛ إما ليجيبوا[٢] الداعي إلى ما دعاهم أو ليردّوا عليه. فأما الإدبار والسعي فليس إلا من الخفة والطَّيْش. وقال غيره: أدبر عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى في جمع السحرة، أو سعى في جمع من قال لموسى عليه السلام: فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ.[٣]

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾[٢٣] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٢٤]

وقوله: **فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى**، وذلك اللعين قد علِم أنه ليس برب[٤] السماء والأرض ولكن قد اتخذ لقومه أصناما فأمر العوامَّ منهم أن يعبدوها ليقربّهم ذلك إليه. لكن إذا صاروا من خاصّتِه[٥] أذن لهم بأن يعبدوه وأمر الخواص منهم بعبادته فسمّى نفسَه أعلى الأرباب لهذا.

﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[٢٥]

وقوله: **فأخذه الله نكال الآخرة والأولى**، فمنهم من يقول: أخذه بعقوبة الكلمتين جميعا، الكلمة الأولى قوله: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي،[٦] والكلمة الثانية قوله: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٧] ومنهم من يقول: أخذه بعقوبة ما تقدم من الأجرام وما تأخر إلى أن غَرِق. ومنهم من يقول: أخذه بالعقوبة في الدنيا والآخرة فغرّقه في الدنيا وعذّب روحه بعد مماته، بقوله: اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، ويدخل في النار مع أتباعه بقوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ،[٨] فاتصلت عقوبة الدنيا بعقوبة الآخرة.

---

[١] انظر: *الكشاف* للزمخشري، ٣٠٧/٦؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٤٢/٣١.

[٢] ر: وتفكر وإما يجيبوا؛ ث: يجيبوا.

[٣] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى﴾ (سورة طه، ٥٨/٢٠).

[٤] ر م: رب.

[٥] ر ن: من خاصية؛ م: من خاصيته.

[٦] سورة القصص، ٣٨/٢٨.

[٧] الآية السابقة.

[٨] سورة المؤمن، ٤٦/٤٠.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[٢٦]

وقوله: **إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**، وفي ذلك كله عبرة لكل الذي[1] يعتبر بها مَنْ يخشى العواقبَ ويخاف عقوبة الله تعالى.

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[٢٧] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[٢٨]

وقوله: **أأنتم أشد خلقا أم السماء**، فجائز أن يكون هذا[2] صلة قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. فيكون [في][3] قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ،[4] [إثبات البعث]،[5] وفي قوله: **أأنتم أشد خلقا**، تقرير له[6] أيضا.

ثم قوله تعالى: **أأنتم أشد خلقا أم السماء**، يحتمل أوجهًا. أحدها أن إعادتهم خلقا جديدا وبعثَهم أيسرُ في عقول منكري البعث من خلق السماوات وقد أقرُّوا أنه خالق السماء. فإذا لم يتعذر عليه خلق السماء –وإن كان خلقه أشد في عقولهم من خلق أمثالهم– فما بالهم ينكرون بعثهم وإعادتهم إلى ما كانوا عليه وذلك أهون في عقولهم؟

ويحتمل وجها آخر وهو أن السماء مع شدة خلقها أشفقت على نفسها فأبتْ قبولَ ما عُرِض عليها من الأمانة وخافت نقمة الله تعالى.[7] فما بال هذا الإنسان مع ضعفه يمتنع عن الإجابة إلى ما دعي إليه، أفلا يُشفق على نفسه، ولا يخاف نقمة الله تعالى، وما خُلقت النار والجنة إلا لأجل[8] الإنس؟[9] فيُذكِّرهم بهذا ليخوّفهم فيرتدعوا[10] عما هم فيه[11] من الطغيان ويجيبوا إلى ما دعاهم إليه الرسول.

---

[1] ر: الذين.
[2] ر ث م - هذا.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٧ظ.
[4] ر م - فيكون قوله يوم ترجف الراجفة. الآية ٦ من هذه السورة.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] ن - له.
[7] يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يحملنها وَأَشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣).
[8] ر: الأجل.
[9] ن - الإنس.
[10] جميع النسخ: ويرتدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: فيهم.

وجائز أن يكون هذا[1] صلة قوله: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[2] وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[3] فيخبر أن السماء مع شدتها وطواعِيَتِها لا تقوم لذلك[4] اليوم فكيف يقوم[5] [الإنسان][6] لِهَوْل ذلك اليوم مع ضعفه؟ فيرجع هذا أيضا إلى التخويف.

وقوله عز وجل: **بناها رفع سمكها فسواها**. **بناها**، أي خلقها، **رفع سمكها**، سقفها، **فسواها**، بالأرض، أو سواها على ما يوجبه الحكمة ويدل على الوحدانية.

قال {إمام الهدى أبو منصور رضي الله عنه}: ثم لم يفهم أحد من قوله: **بناها**، ما يُفهم من البناء المضاف إلى الخلق، ولا فَهِم من الرفع ما يفهم من الرفع المضاف إليهم، ولا فَهِم من قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا،[7] ما يفهم من البسط المعروف المنسوب إلى الخلق،[8] فما بال بعض الناس فهموا من المجيء الذي أضيف إلى[9] الله تعالى[10] ما فهموا من المجيء الذي يضاف إلى الخلق؟ فلولا آفة حلّت بهم حَمَلَتْهم[11] على أن يفهموا منه المعنى المكروه وإلا لم تنصرف[12] أوهامهم إلى مثل ذلك.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وأغطش ليلها**، قيل: أظلم ليلَها،[13] **وأخرج ضحاها**. ففي[14] إظلام الليل وإخراج الضحى ما ينفي عن منكري البعث الشُّبَة التي تعترض[15] لهم. وذلك أنه يَغْطِش[16]

---

[1] ر ث م – هذا.
[2] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[3] سورة الانشقاق، ١/٨٤.
[4] ر ث م: بذلك.
[5] ن: تقوم.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٧ظ.
[7] الآية ٣٠ من هذه السورة.
[8] ن – إلى الخلق.
[9] ث + خلق.
[10] مثل قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[11] ر ث م: فلولا أنه حلت بهم جملتهم.
[12] جميع النسخ: لم ينصرف.
[13] ر ث م – ليلها.
[14] ر م: نفي.
[15] جميع النسخ: يعترض. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر م: نطش.

في ساعة لطيفة ويَغشَى ظلمتُها كلَّ شيء ثم يُتبِعها في أدنى وهلة ويُفنيها كأنها لم يكن، ثمّ يُعيدها بعد ما أتلفها[1] حتى لو أراد أحدٌ أن يميّز بين الأولى والثانية لم يقدر عليه، بل وقع عنده أن الأُولى في الثانية،[2] والثانية في الأولى. وهذا بعد ما تلفت الظلمةُ الأولى وذهبت كلّها حتى[3] لم يبق منها[4] أثر. فَلَأَنْ يكون قادرا على إعادتهم[5] خلقا جديدا بعد ما أفناهم[6] -وقد بقي من آثار الخلق الأول بعضُه- أولى. ثم أضاف ذلك إلى السماء لأن بُدُوَّها[7] يظهر من عندها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **والأرض بعد ذلك دحاها،** قالوا: بسطها. فمنهم من يقول: خلقها مجتمعة ثم بسطها بعدَ ما خلق السماوات، ألا ترى أنه قال:[8] **دحاها،** ولم يقل:[9] خلقها؟ ومنهم من ذكر أنه خلق سماء الدنيا أوّلا، ثم خلق الأرضين بعد ذلك، ثم خلق السماوات
[٨٨٤ظ] الست من بعدُ. / ومنهم من ذكر أنها كانت قبل أن تُبْسَط[10] تحت البيت الْمَقْدِس ثمَّ بَسَطَها[11] بعد ذلك. قال أبو بكر [الأصم]: هذا لا يحتمل، لأنه لا يجوز أن يكون بجمتها وسعتها تحت بيت المقدس. *والله أعلم*. ولكنّ معناه عندنا إن كان على ما قالوا مُنْصَرِفٌ إلى الجوهر، أي الجوهر الذي خلق منه الأرض كان هنالك، لا أن كانت بجمتها تحته، كما خُلِق هذا الإنسان من النطفة وإن لم يكن بكليته في النطفة، وخُلِق من التراب وإن لم يكن بكليته[12] على ما هو عليه في التراب، وكان معناه أنه خلق من ذلك الجوهر، فعلى ذلك الحكم في ما ذكره.

---

[1] ر م: بمفها؛ ث: أبلغها.
[2] ر م: في الثاني.
[3] ث - حتى.
[4] ر م: منهما.
[5] ر: عبى عادتهم.
[6] ر: بعد أفناهم؛ م: بعد إفنائهم.
[7] ن: بدونها.
[8] ر: قوله.
[9] ث - يقل.
[10] جميع النسخ: أن يبسط. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣١٨و.
[11] ن: بسطه.
[12] ر ث م: بكلية.

ومنهم من زعم أنّ خلقهما كان[1] معًا. وذكر عن الحسن أن الأرضين خلقت قبلَ السماء بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ [سَبْعَ سَمَاوَاتٍ].[2] وقال في موضع آخر: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ،[3] وقال: اسم السماء ما ارتفع من الشيء كما يقال للسقف: سماء لارتفاعه[4] عن[5] الإنسان.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **أخرج منها ماءها ومرعاها**، فذكر[6] ما أنشأه لنا لنحمده وما أخرج منها للأنعام لتذكير النِّعَم أيضا لنشكره[7] ونحمده[8] عليه؛ إذ الدواب خُلِقت لنا، فما رجع إلى منافعها فهي راجعة إلينا، إذ بها ما نصل[9] إلى الانتفاع بالدواب.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **والجبال أرساها**، أثبتها لئلا تَمِيد[10] بأهلها.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **متاعا لكم ولأنعامكم**، ففيه أنّ ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من ذلك للدواب[11] أيضا، والذي جعله[12] للأنعام لم يجعل لنا فيه شِرْكًا؛ وذلك لأن الذي أنشأه لمتاع البشر منه ما يُستخبَث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويُدَّخر. فجعل ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع الدواب، والذي أنشأه لمنافع الدواب مما تستخبثه الطباع وتستقذره[13]

---

[1] ن: كانا.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[3] سورة فصلت، ٤١/١١.
[4] م: لارتفاعها.
[5] ث + لسماء.
[6] ث: فذكره.
[7] ر: يشكره؛ ن ث م: ليشكره. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣١٨و.
[8] جميع النسخ: ويحمده. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: ما يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: لئلا تميد.
[11] ر م: الدواب.
[12] م: جعل.
[13] جميع النسخ: يستخبثه الطباع ويستقذره.

ففضّل أغذية[1] مَن فضّل منازهم. ففي ما ذكرنا[2] دلالة إباحة التناول من الطيبات؛ إذ الله[3] تعالى منّ على عباده أن[4] جعل[5] أغذيتهم بما طاب من الأشياء وفضّلهم على الأنعام بذلك.[6] فمن كره ذلك[7] فقد كره الانتفاع بما أنشئ للانتفاع. **والله أعلم.**

**﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٣٤]**

وقوله عز وجل: **فإذا جاءت الطامة الكبرى،** قال: **الطامة،** هي الصيحة، سميت طامة لأنها تَطِمّ الأشياء وتعمّها. وسمّيت كبرى لأنها إنْ طمّت بالعذاب فهو يدوم ولا ينقطع، وإن أحاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا ينقطع، فسمّيت كبرى لدوامها.

**﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾[٣٥]**

وقوله: **يوم يتذكر الإنسان ما سعى،** ما عمل. وتذكّره يكون بوجهين. أحدهما بقراءته كتابه، قال الله تعالى:[8] اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[9] والتذكّر الثاني يكون بالجزاء. فالتذكّر الأول يكون باللطف من الله تعالى، وإلّا فالمرء قد يكتبُ أشياء ثم ينساه إذا طالت المدة فلا يتذكر[10] بالقراءة. ففي ما لم يتولّ[11] كتابته[12] أحقّ أن لا يتذكر. لكن الله تعالى بلطفه يذكّره بالقراءة فيعرف به صدقَ ما كتبته الملائكةُ ويعرف أنه إذا عوقب عوقب[13] جزاءَ ما كسبت يداه، ويكون الجزاء أبلغ في التذكير[14] فيتذكر في ذلك الوقت.[15]

---

[1] ر م: أغذيته.
[2] ث: ففيما ذكر.
[3] ر ث م: أن الله.
[4] ر م - أن.
[5] ن: أن يجعل.
[6] ر ث م: ذلك.
[7] ن: بذلك.
[8] ر ث م: كقوله تعالى.
[9] سورة الإسراء، ١٧/١٤.
[10] ر ث م: ولا يتذكر.
[11] ر م: لم يتولى.
[12] ر م: كتابه.
[13] ر - عوقب.
[14] ر م: في التذكر.
[15] ن ث + أيضا.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وبرزت الجحيم لمن يرى**، وقرئ "لمن تَرَى"[١] فأُضيفت[٢] الرؤيةُ إلى الجحيم، كقوله: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا.[٣] وقوله: **لمن يرى**، جائز أن تكون[٤] الرؤية كناية عن الحضور والدخول؛ فيكون قوله: **لمن يرى**، أي لمن يدخلها ويحضرها، وهو كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[٥] ومعناه أن رحمة الله للمحسنين؛ وقال تعالى: وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ،[٦] وأريد بالقرب التناول فكنّي عنه بالقرب. فجائز أن يكون الرؤية هاهنا كنايةً عن الدخول والحضور فيكون فيه إخبار عن إحاطة العذاب بجميع[٧] أبدانهم. وجائز أن يكون أهل الرؤية هم أهل الجنة فيرونها مشاهَدةً فيتلذذون بذلك لما نَجوا وفازُوا بالنِّعم[٨] كما تألموا[٩] بذكرها عند ما كانت غائبة لا يرونها، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ،[١٠] وقَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا،[١١] الآية.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾[٣٧] ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٣٨] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **فأما من طغى**،[١٢] أي عصى وتمرد، أو طغى[١٣] بأنعم الله تعالى فاستعملها في معاصيه، أو جاوزَ[١٤] حدود الله.

---

[١] قرأ عكرمة: "وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ تَرَى" بالتاء مفتوحة (*المحتسب* لابن جني، ٤١٤/٢؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠٧/٢٠).

[٢] ر م: فتضيف؛ ن ث: فيضيف.

[٣] سورة الفرقان، ١٢/٢٥.

[٤] ر م: أن يكون.

[٥] سورة الأعراف، ٥٦/٧.

[٦] سورة البقرة، ٣٥/٢؛ وسورة الأعراف، ١٩/٧.

[٧] ن: لجميع

[٨] م: بالنعيم.

[٩] ث: كما تأملوا.

[١٠] سورة المؤمنون، ٦٠/٢٣.

[١١] سورة الطور، ٢٦/٥٢-٢٧.

[١٢] ر ث م + وآثر الحياة الدنيا.

[١٣] ر م: و طغى.

[١٤] ن + في.

وقوله: **وآثار الحياة الدنيا**، فجائز أن يكون إيثاره[1] أن يبتغي بمحاسنه الحياةَ الدنيا حتى أنساه ذلك عن الآخرة. وإذا ابتغي بها الحياة الدنيا لم يبقَ له في الآخرة نصيب لأنه قد وُفِّيَ له عملُه. ألا ترى[2] إلى قوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا.[3]

وقوله عز وجل: **فإن الجحيم هي المأوى**، أي يأوِي إليها.

**﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٤١]**

وقوله: **وأما من خاف مقام ربه**، فجائز أن يكون أريد بالمقام حسابُ ربّه أو مقامُه عند ربه، فأضيف إلى الله تعالى لأن البعث مضاف إليه فكلّ أحواله أضيف إليه أيضا.[4] وجائز أن يكون الخوف راجعا إلى الحالة التي هو فيها، فيخاف أن يكون مَقامه في موضعٍ نهي الله تعالى عن المُقام فيه. وقوله: **ونهى النفس عن الهوى**، فليس هذا نهيَ قولٍ وإنما نهيه إياها أن يكفَّها[5] عن شهواتها ولذّاتها، وكفُّها أن يُشعرها عذابَ الآخرة ويخوّفها آلامها وعقابها، فإذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات الحاضرة وسهل عليها العملُ / للآخرة. [٨٨٥و]

والناس في نهي النفس عن هواها على ضربين. فمنهم من يقهرها فلا يعطيها شهواتها فهو أبدا في جَهد وعَناء.[6] ومنهم من يُذكّرها العواقبَ ويُريها ما أُعدّ لأهل الطاعة ويُعلمها[7] ما يَحُلّ بالظَّلَمة فيصير ذلك لها كالعِيان فيختار لذّاتِ الآخرة على لذات الدنيا، إذ ذلك أدوم وألذّ ويسهل[8] عليه العمل لآخرته.[9] والهوى هو ميل النفس إلى شهوتها[10] ولذتها. ففيه أن الأنفس جُبِلت على حبّ الشهوات والميل إليها ولا تنتهي[11] عن ذلك إلا بما ذكرنا.

[1] ن: إشارة.
[2] ن: يرى.
[3] سورة هود، ١٥/١١.
[4] ن - أيضا.
[5] ر: عن يكفها.
[6] ر: وعناد.
[7] ر م: ويعمها.
[8] ر م: وسهل.
[9] ر ث م: للآخرة.
[10] ر م: شهواتها.
[11] جميع النسخ: ولا ينتهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨ط.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الساعة**، وهي القيامة سَمِّيت ساعةً إما لما يَخِف[1] أمرُها على من إليه تدبيرُها، أو سمِّيت ساعة لسرعة كونها إذا أتى وقتها، أو سمِّيت لقربها إلى الحالة التي كانوا عليها، كقوله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللهِ.[2]

ثم إن كان هذا السؤال من المؤمنين فهو سؤال استهداء،[3] كأنه لما قيل لهم: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[4] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[5] قالوا: متى يكون الساعة؟ فنزلت هذه الآية. وجائز أن يكون[6] السؤل من الكفرة -لما ذكرنا أنه ليس في تبيين وقتها كثيرُ منفعة حتى تقع[7] الحاجة للمسلمين إلى تبيينه بالسؤل- فيسألونه سؤالَ استهزاءٍ واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه[8] استعجالها، بقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا.[9] فكانوا يسألونه عن شيء يعلمون أنهم مُتعنّتون في السؤال قصدا منهم للتمويه[10] والتلبيس على الضَّعَفَة والأتباع لأنهم كانوا يعلمون أن ذلك الوقت ليس هو وقتَ مجيء الساعة؛ فإذا طلبوا الاستعجال علموا أنه لا يتهيأ له أن يريهم في ذلك الوقت، إذ ذلك يخرج مخرج خلاف الوعد؛ فيحتجّون على الضعفة أنه لو كان صادقا في مقالته "إن الساعة تكون" لكان[11] -متى طلبوا مجيئها- يأتيهم بها.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾[٤٣]

وقوله: **فيم أنت من ذكراها**، أي لستَ أنت مِن علمها في شيء، هذا إنْ ثبتَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطَّلِع عليها؛ أو لستَ أنت مِن إخبارها في شيء إذا لم يثبت ولم يُعلَم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطَّلِع عليها.[12]

---

[1] ر ث م: ليخف.
[2] سورة النحل، ١/١٦.
[3] ن: استهزاء.
[4] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[5] سورة الانشقاق، ١/٨٤.
[6] ن + هذا.
[7] ر م: في تبين وقتها كثير منفعة حتى يقع؛ ث: حتى يقع.
[8] ث: ويسألون. أي يسألون رسولَ الله.
[9] ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (سورة الشورى، ١٨/٤٢).
[10] ر ث م - للتمويه.
[11] جميع النسخ: لكانوا.
[12] ر ث م - أو لست أنت من إخبارها في شيء إذا لم يثبت و لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **إلى ربك منتهاها**، أي ينتهي إليه[1] علمها فيكون [في][2] هذا نهيٌ للسائلين عن العود إلى السؤال.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنما أنت منذر من يخشاها**، فهو صلى الله عليه وسلم كان منذرا للعالمين جملة، بقوله: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[3] لكنه ينتفع بإنذاره من يخشى الإنذار.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٤٦]

وقوله عز وجل **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**، قال أهل التأويل في هذه الآية: إنهم إذا رأوا الساعة استقصروا هذه لأيام وقَلَّتِ الدنيا في قلوبهم حين[4] عاينوا الآخرة. وجائز أن يكون تأويله أنهم لو رأوا[5] الساعة للحالة التي هم فيها لم يلبثوا فيها إلا[6] عشية أو ضحاها؛ فلا يقع ذلك موقعَ التهويل والتخويف. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: إليه.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٨ظ.

[3] سورة الفرقان، ١/٢٥.

[4] جميع النسخ: حتى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٩١٠ص.

[5] ر م: لو أرادوا؛ د ث. أنهم لو أرادوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨ظ.

[6] ر: وإلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة عبس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾[١] ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[٢]

قوله عز وجل: **عبس وتولى أن جاءه الأعمى**، ذكر الحسن أن تعبّس الوجه والتولي كانا بنفس المجيء على ظاهر الآية، فإنه ذُكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين يَعِظُهم ويدعوهم إلى الإسلام. فلما جاءه ابنُ أمِّ مكتوم يسأله أعرض عنه لمكان أولئك القوم وعَبَس وجهَه رجاءَ إسلامهم. وذكر غيره من أهل التفسير أنه عبس وتولى لمّا سأله ابن أم مكتوم عما فيه رشدُه وهُداه فعبس وجهه بقَطْعه الحديثَ عليه.[2]

ثم هذا التعبيس[3] منه[4] عليه الصلاة والسلام كان في أمر لو الْتَأَم ثم وُزن ذلك[5] بخيرات أهل الأرض لَرَجَح[6] على خيراتهم[7] ومحاسنهم؛ لأنه ذُكِر أنه كان مقبلا على رؤساء الكفرة يعظهم ويحرِّضهم على الإسلام رجاء أن يُسلموا؛ فيكون في إسلامهم رجاءُ إسلام كثير من القوم

---

[1] ر - سورة عبس؛ ث + وهي اثنتان وأربعون آيات.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٠/٦٤-٦٦.

[3] ر ث م: التعبس.

[4] ر ث م: من.

[5] ن - ذلك.

[6] ن: ليرجح.

[7] ث + وحسناتهم.

لأنهم كانوا من عِلْيَة القوم وعظمائهم، فكان في إسلامهم رَجاءُ إسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب بإسلامهم من جزيل الثواب وعظيم[1] المنزلة مالا ينفعه آخر بجميع محاسنه. فكان في سؤاله إياه منعُ ما قصد إليه من إحراز جزيل الثواب وكريم الخصال. وإذا كان هكذا فتعبس الوجه في[2] مثل هذا الحال أمر سهل لا يُستبعد ولا يستنكر. والثاني أن تعبيس[3] الوجه على الأعمى والإعراض عنه لا يظهر للأعمى، لأنه لا يراه فلا يعدّه جفاء، وكان في إقباله على أولئك القوم وحسن صحبته إياهم رجاءُ الإسلام منهم؛ إذ إقباله وحسن صحبته يظهر لهم، وفي الإعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وإبداء الجفاء منه إياهم.

ومن آثر الوجه الذي فيه اتقاء الجفاء والدعاءُ من الردى إلى الهدى وصلاحُ[4] الدين والدنيا[5] [على الوجه الذي ليس فيه إبداء الجفاء][6] فهو محمود عند ذوي الأحلام والنُّهى.
[٨٨٥ظ] ولأن إقباله على القوم إذ[7] كان لمكان دعائهم إلى / الإسلام -وقد أُمرنا بدعاء الكفرة إلى الإسلام وإن كان في دعائهم إتلاف أنفسنا وأموالنا- فلَأَنْ يَسُوغَ الدعاءُ من وجه ليس فيه إلا تعبيس الوجه على واحد من المسلمين أولى.

ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم وُجد منه هذا النوع من الإيثار اجتهادا ورأيا. والأنبياء عليهم السلام قد جاءهم العتاب من الله تعالى بتعاطيهم أمورا[8] لم يَسبِق من الله تعالى[9] لهم الإذن في ذلك، وإن كان الذي تعاطوه من الأمور أمورا محمودة في تدبير الخلق، نحو ما عوتب يونسُ عليه السلام وعوقب بمفارقة قومه بغير إذن،[10] وإن كان مثلُ ذلك المفارقة لو وُجد من واحد من أهل الأرض استوجب بها الحمدَ وحسنَ الثناء، لأن تلك المفارقة لا تخلو من أحد[11] أمور[12] ثلاثة.

---

[1] ر م: وعظما؛ ت: من إسلامهم من جزيل الثواب وعظيم.
[2] ر م - في.
[3] ر ث م: أن تعبس.
[4] ن: والدعاء إلى الهدى وإصلاح.
[5] ر م - والدنيا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.
[7] ر ث م: إذا.
[8] ن + لمن.
[9] ر + تعاطيهم أمورا لم يسبق من الله تعالى.
[10] انظر: سورة الأنبياء، ٢١/٨٧-٨٨؛ وسورة الصافات، ٣٧/١٣٩-١٤٨.
[11] ر: لا يخلو من إحدى؛ ن ت م: لا يخلو من إحدى. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: الأمور.

أحدها أن قومه كانوا أهل كفر وكانوا له أعداء في الدين ففارقهم لينجو[1] منهم ويَسلَم له دينه، ومثل هذا لو وجد من غير الأنبياء عليهم السلام عُدّ ذلك من أفضل شمائله.

والثاني أن في مفارقته[2] من بين أظهرهم تخويفا لهم وتهويلا،[3] لأن القوم من قبلُ[4] كان[5] لا يفارقهم نبيُّهم من بين أظهرهم[6] إلا وقتَما يريد أن يَنزل بهم العذابُ. فكان في مفارقته إياهم تخويفهم وتهويلُهم، فيدعوهم ذلك إلى الانقلاع عما هم عليه من الضلال والفزعِ إلى الله تعالى، ومَن خوَّف آخر بأمر يكون فيه دعاؤه إلى الهدى ورَدْعُه عن الضلال فقد أبلغ في النصيحة[7] واستقام عى الطريقة.

والثالث أنه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصرونه[8] عليهم ويتقوَّى بهم ليكون عى دعائهم إلى الإسلام أمكن وأقدر. ومن كانت مفرقته من قومه على هذه النية فَلَنِعْمَ المفارِقُ[9] هو! ثم عوتب مع هذا كله، وذَكَر الله تعالى في الكتاب قصته[10] للوجه الذي ذكرنا. فكذلك الوجه في معاتبة نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات.[11]

ومنهم من ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد إلى تعبيس[12] الوجه عى ابن أم مكتوم ولا تولّى عنه عمدا لذلك، لكن لمّا قطع عليه حديثه وكان فيه قطع رجاء إسلام[13] أولئك[14] القوم شقّ ذلك عليه واعتراه من ذلك همٌّ شديد أثَّر ذلك في وجهه لا أن كان منه ذلك على القصد.

---

[1] ن: لينجوا.

[2] ر م: أن من مفارقته.

[3] جميع النسخ: تخويف لهم وتهويل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.

[4] ر م: من قبيل.

[5] م: كانوا.

[6] م: أظهر.

[7] ر م: في الصحبة.

[8] ن: فينصرونهم.

[9] ن: فليعم المفارقة.

[10] ت: قضية.

[11] ن: محمد صلى الله عليه وسلم.

[12] ر ت م: إلى تعبس.

[13] ر م: الإسلام.

[14] ن - أولئك.

ووجه آخر[1] أن يقال: إن الله تعالى جعل في قلبه صلى الله عليه وسلم من الشفقة والرحمة على العالمين حتى بلغ من شفقته أن كادت نفسه تذهب على مَنْ أعرض عن دين الله تعالى والإيمان به حسراتٍ عليه، وحتى قيل له: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[2] وقال: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[3] وقال: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[4] وتأويله أنْ لا تحزن بمكانهم كلَّ هذا الحزن؛ فيكون فيه تخفيف الأمر عليه لا أن يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة، وكذلك[5] قال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ،[6] ومعناه -والله أعلم- أن لا تُحَمِّلَ نفسَك كلَّ هذا التحميل حتى تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله لك الانتفاعَ به طلبا لمرضاتهن، لا أن ينهاه عن ابتغاء مرضاتهن بل قد نُدب[7] إلى ابتغاء مرضاتهن، بقوله: ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ،[8] الآية.

فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتدّ عليه إعراض أولئك القوم عن الإيمان وكَبُر ذلك عليه حتى تغيَّرَ لونُ وجهه فظهرت عبوسة وجهه،[9] فنزل قوله تعالى: **عبس وتولى**، يبين[10] شدةَ ما[11] اعتراه من الهمِّ حتى أثَّر ذلك في وجهه[12] لا أن يكون فيه مَذمَّة ومَنْقَصة[13] له.

ثم في هذه الآية فوائدُ أُخر. إحداها جواز العمل بالاجتهاد؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعَل هذا النوع من العمل اجتهادا لا نصا، إذ لو كان الإذن بالتولي والتعبيس سابقا[14] لم يكن يعاتب بفعلٍ ما قد أُمِر به.

---

[1] ن: ووجه أخرى.
[2] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[3] سورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وانظر أيضا: سورة النمل، ٧٠/٢٧.
[4] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[5] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.
[6] سورة التحريم، ١/٦٦.
[7] ن: بدت.
[8] سورة الأحزاب، ٥١/٣٣.
[9] ر م – فظهرت عبوسة وجهه.
[10] ر م: تبين.
[11] ث + نزل.
[12] ث + المنور.
[13] ن: منقصة.
[14] ر ث م: سائغا

فإن قيل: كيف لا يدلّ المعاتبة على النهي على إقدامه مثلَه فيَحْرِمَ عليه الاجتهاد؟ قيل[١] له: لو كان هذا[٢] نهيا لم يكن يعود إلى العمل بالاجتهاد بعدَ ذلك، وقد وُجد منه -عليه السلام- العَوْدُ بقوله:[٣] عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ،[٤] وبقوله:[٥] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ،[٦] فثبت أنه ليس فيه نهي.

وفيها[٧] أنّ الكافر، وإن كان مبجّلا معظّما في قومه، فليس على المؤمنين أن يعظِّموه ويُبَجِّلوه بل يُسْترذَل ويُسْتخَفُّ به، وأنّ المسلم ينبغي أن يُعظَّم ويُكرَّم وإن كان حقيرا في أعين الخلق.

وفيها[٨] آيةُ رسالة نبينا[٩] محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته وأنّه[١٠] لم يختلق هذا الكتاب من عند نفسه؛ لأنّ[١١] من تعاطى[١٢] فعلا حقُّه الستر فهو يستره على نفسه، ولا يَهتك عليها السِّتْر لئلا يُذَمّ[١٣] عيبه. فلو لم يكن مأمورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في السَّتر[١٤] على نفسه ولا يُبدِيه[١٥] للخلائق. ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه إلى الخلق بُدًّا فبلّغه كما أُمِر.

**﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وما يدريك لعله يزكى**، و"لعلّ" من الله تعالى واجب. وقوله: **يَزَّكَّى**، أي يتزكى بعمله[١٦] ونيته.

---

[١] ر م: وقيل.
[٢] ر ث م - هذا.
[٣] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩ظ.
[٤] سورة التوبة، ٩/٤٣.
[٥] ر م: بقوله.
[٦] سورة التحريم، ٦٦/١.
[٧] جميع النسخ: وفيه.
[٨] جميع النسخ: وفيه.
[٩] ر ث م - نبينا.
[١٠] ن: وأن.
[١١] ن + لأن.
[١٢] ر م: يتعاطى.
[١٣] ر م: لئلا يبرم.
[١٤] م: الستر.
[١٥] ر ث م: ولا يبديه.
[١٦] ر م: بعمله.

وفي هذه الآية قضاء بإبطال قول مَن زعم أن جميع ما في القرآن **وما يدريك**، فهو مما لم يُدْرِه. يُروى ذلك عن سفيان بن عُيَيْنَة[1] رضي الله عنه وغيره؛[2] لأنه قد أدراه[3] هاهنا بقوله:
[٨٨٦و] **لعله يزكى**، و"لعلّ" من الله واجب، وإذا جعلته واجبا فقد زكّاه وإذا زكّاه فقد علمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **أو يذكر فتنفعه الذكرى**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون يتذكر بتذكيرك إياه فينتفع[4] بتذكيرك.[5] والثاني أن يتذكر فيما ذكرتَه من العواقب وما يحقّ[6] عليه في حاله[7] فينتفع به؛ فتكون[8] المنفعة في التأويل الأول بالتذكر[9] بنفس تذكير[10] الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي التأويل[11] الثاني بتذكره فيما[12] ذكّره النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **أما من استغنى**، أي بما اختاره[13] عما جئت به من الدين، أو استغنى بالذي زين[14] له الشيطان عما جئت به، أو يكون على الغَناء المعروف؛ لأن الذين أقبل عليهم بوجهه

---

[1] سفيان بن عُيَيْنَة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، توفي سنة ١٩٨هـ/٨١٤م (الأعلام للزركلي، ١٠٥/٣).
[2] قال يحيى بن سلام: بلغني أنّ كل شيء في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه إياه وعلّمه. وكل شيء قال: «وَمَا يُدْرِيكَ» فهو مما لم يعلمه. وقال سفيان بن عُيينة: كل شيء قال فيه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: «وَمَا يُدْرِيكَ» فإنه لم يخبرّ به (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٥٧/١٨).
[3] ن ث: قد دراه.
[4] ن – فينتفع.
[5] ر م: بتذكرك إياه فينتفع بتذكرك.
[6] ر ث م: وما نحو.
[7] جميع النسخ: في حالة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩ظ.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] ن: بالتذكير.
[10] ر ث م: تذكر.
[11] ر م: تأويل.
[12] ن: فما.
[13] جميع النسخ: بما حتار هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ن: رين.

كانوا أهل ثروة وغَناء فأقبل عليهم رجاءَ أن يسلموا فَيَتْبَعَهم[1] أتباعُهم في الإسلام، إذ كانوا من رؤسائهم وأجِلَّتِهم.

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[٦]

وقوله: **فأنت له تصدى**، أي تُقبل[2] عليه بوجهك.[3]

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾[٧]

وقوله: **وما عليك ألا يزكى**، أي ليس عليك غير التذكير [فإن ترك التذكر لم يضرك وليس عليك إلا البلاغ، و][4] إذا أعرض عنك وعاداك لم يمكن من إلحاق ضرر بك، بل الله يعصمك ويدفع عنك شرّه.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾[٨] ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وأما من جاءك يسعى وهو يخشى**، أي يعمل لله تعالى ويخشاه. فجائز أن يكون الخشية علة لسعي، فيكون معناه: أن خشيته هي التي حملته إلى السعي. وقد يجوز أن يخرج الكلام مخرج العطف على جعل أحدِهما علةً للآخر ودليلا له،[5] قال الله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[6] فكان الإحياء الأول دليلا للإحياء الثاني في موضع العطف والترتيب على الكلام الأول. أو أن يكون ابتداءً. فقوله:[7] **جاءك يسعى وهو يخشى**، اللهَ تعالى ويخاف التَّبِعة وحلولَ النقمة.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[١٠]

[وقوله تعالى: **فأنت عنه تلهى**، أي تعرض عنه وتتغافل. وقد أمر أن يقول لمن يأتيه من المؤمنين: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ].[8]

---

[1] ن: وشيعهم.
[2] جميع النسخ: مقبل. والتصحيح من شرح، ورقة ٣١٩ظ.
[3] جميع النسخ: بوجهه
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] ب: له
[6] سورة البقرة، ٢/٢٨.
[7] ن: أو يكون ابتداء فقوله.
[8] الزيادة من المرجع السابق. قول الله تعالى: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٤)

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[١١]

وقوله: **كلا**. قال الحسن: معناه أن الذي فعلتَه من التولي عن المؤمنين والإقبالِ على الكفرة ليس[١] من حكمي. وذكر أبو بكر الأصم: لما نزل قوله: عَبَسَ وَتَوَلَّى -إلى قوله- فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى،[٢] تغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وأن يُمْحى اسمه منه،[٣] فلما نزل قوله: **كلا**، عَلِم أنه لم يُودِّعه ربه حيث نهاه عن[٤] العوَد إلى مثله. وقال المفسرون: **كلا**، أي لا تَعدْ إلى مثل هذا.

وقوله عز وجل: **إنها تذكرة**، فجائز أن يكون هذا منصرفا إلى السور كلها. وجائز أن يكون منصرفا إلى هذه السورة لأن فيها إثبات التوحيد وإثبات الرسالة من الوجه الذي ذكرنا ودلالة[٥] البعث وإبانة[٦] أنّ خلق البشر ليس على العبث،[٧] فهي تذكرة لمن تذكّر[٨] بها.[٩] وجائز[١٠] أن يكون منصرفا إلى الآيات التي قبل هذا في هذه السورة، وهو أن فيما تقدم في هذه السورة من الآيات تثبيتَ رسالته بما تقدّم ذكرُنا له. وجائز أن يقال: **إنها تذكرة**،[١١] أي هذه المعاتبة تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع المؤمنين ليعرفوا من يستوجب التعظيم والتبجيل ومن يستوجب إهانته والاستخفاف.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فمن شاء ذكره**، جائز أن يكون معناه من شاء الله أن يُذكِّره ذَكَره.[١٢] أو ما شاء ذَكَره، أي قد مُكِّن كلٌ من التذكُّر،[١٣] وأنّه ليس أحد بممنوع ولا مجبور على الفعل؛

---

[١] ن + ليس.
[٢] الآيات ١-١٠ من هذه السورة.
[٣] ر ت م: عنها.
[٤] ن: إلى.
[٥] ر ت م: دلالة.
[٦] ر ن ت: وإباته.
[٧] ر ت م: على البعث.
[٨] ر ت م: لمن يذكر.
[٩] م: ربها.
[١٠] ث م: أو جائز.
[١١] جميع النسخ: إن هذه تذكرة، والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠و.
[١٢] ر م - ذكره.
[١٣] ر م: من التذكير؛ ت: من التذكرة.

فمن ترك التذكر فهو الذي ضيّع ذلك حيث آثر واختار ضدّه واشتغل بغيره وأعرض عن ذكره. وحذر أن يكون على تحقيق الفعل، أي من تذكر به فهو ذكرٌ له، فكنّى بالمشيئة عن الفعل لما ذكرنا أنها تقترن بالفعل ولا تزايله.[1] فيكون في ذكره ذكرُ الفعل. أو يكون[2] على إرادة الفعل قبل وجوده.

**﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **في صحف مكرمة**، قيل: هي[3] الصحف المتقدمة، كقوله: إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.[4] وقوله: **في صحف**، أي في أيدي الملائكة، وقوله: **مكرمة**، أي مكرّمة بما يكرمها[5] أهل الكرامة، وهم السَفَرَة البَرَرَة. أو مكرمة على الله تعالى.

**﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[١٤]**

وقوله: **مرفوعة**، أي مرفوعة القدر. **مطهرة**، من التناقض والاختلاف، أو مطهرة من أن تناله[6] أيدي[7] العصاة، أو مطهرة من الأقذار والأدناس.

**﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[١٥]**

وقوله: **بأيدي سفرة**، فالسَفَرَة الكَتَبَة.

**﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **كرام بررة**، أي كرام على الله تعالى، **بررة**، في أعمالهم، كما وصفهم الله تعالى بقوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[8]

---

[1] جميع النسخ: يقترن الفعل ولا تزايله. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠و.
[2] ث: أو أن تكون
[3] جميع النسخ: هو.
[4] سورة الأعلى، ١٨/٨٧-١٩
[5] ز: بما تكرم بها؛ ه: بما يكرم بها.
[6] جميع النسخ: من أن تناله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ز: أي.
[8] سورة التحريم، ٦/٦٦.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **قتل الإنسان**، قالوا: تأويله لُعن الإنسان.[١] وذكر الحسن والمعتزلة أن هذا من الله تعالى على الشتم والتسميةِ له بذلك، واستجازوا الشتم منه. والأصل أنّ ليس في الشتم إلا ظهورُ سفه الشاتم وعَبَثِه، إذ لا ضررَ يلحق بالمشتوم[٢] من جهة الشتم، وإنما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصةً. وأما[٣] المشتوم فإنما يصير مشتوما[٤] بفعله لا بشتم الشاتم، وجلّ[٥] الله تعالى من أن ينسب[٦] إليه فعل السفه. فلذلك[٧] قلنا: إنه لا يتحقق معنى الشتم في الكلمة التي عرفت شتما فيما بين الخلق إذا جاءت[٨] من الله تعالى، كما لا يتحقق[٩] من الكلمة التي عرفت اغتيابا فيما بين الخلق إذا جاءت[١٠] من الله تعالى معنى الاغتياب، بل يُحمل[١١] ذلك على الردع والتنبيه فيكون في ذكرها تخويفُ من خوطب بها وتذكيرُ لمحق سفهِه وجهلِه. ألا ترى أن المرء في الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك السِّتْر على المخاطب

[٨٨٦ظ] ثم لا يُعَدّ ذلك منه اغتياب إذا قصد به وعظه وزجره / عما هو [فيه][١٢] ورُشْدَه إلى ما فيه صلاح آخرته وأُولاهُ. فكذلك الله تعالى إذا جاء منه ما يعدّ شتما من غيره واغتيابا لم يلحقه وصفُ الشتم والغيبة إذ ذلك منه على التذكير والتنبيه للخلق وعلى التخويف والتهويل لمن نسب إليه ذلك.

وقوله عز وجل: **ما أكفره**، أي ما أقبحَ كفره وأوحشه وأَشْنَعَه؛ لأنه عَلِم أن جميع ما أُنعم به من النعم[١٣] فمن الله تعالى، ثم هو لم يشكر نعمه ولا أطاعه فيما دعاه إليه،

---

[١] ب: قُتر الإنسان ما أكفره.
[٢] ر ن م: بالمشئوم.
[٣] ث: وإنما.
[٤] ن: مشتوم.
[٥] ر: وجعل.
[٦] ن: تنسب.
[٧] ن: فكذلك.
[٨] جميع النسخ: إذ جاءت.
[٩] ن: لا تحقق. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠و.
[١٠] جميع النسخ: إذ جاءت.
[١١] ر م: يحتمل.
[١٢] الزيادة من مرجع السابق.
[١٣] ن ث: من نعيم.

بل وَجّه شكر نعمه إلى من لا ينفعه ولا يضره، وعبد من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني[1] عنه[2] شيئا، ما هذا إلا غاية الفحش ونهاية القبح. أو ما أوحشَ كُفْرَه وأقبحه بما سَوَّى بين الشكور والكفور وبين المفسد والمصلح وبين الولي والعدو، والعقلُ يوجب التفرقة بينهما. فهو بإنكاره البعث كابر عقلَه وعانده. فما أشدّ كفرَ مَن هذا وصفُه! ثم قوله تعالى: **ما أكفره**، أي أيَّ شيء أكفره! فيكون في ذكره تعجيبٌ لمن آمن من الخلائق وتذكيرٌ لهم عن سوء مَن هذا فعلُه وسوءِ معاملته مع ربّه.

**﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[١٨] ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[١٩]**

وقوله عز وجل: **من أَيّ شيء خَلَقَه من نُطْفَةٍ خلقه**، فكأنه قال: إنّ الذي كفر قد علم أنه خُلِق من نطفة، وتلك النطفة موات، لا سمع فيها ولا عقل ولا شيءَ من الجوارح. ثم الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته دبّر فيها بصرا، يرى بفَتْحةٍ واحدة وفي أدنى وهلة مسيرةَ خمْسَمِائَةِ عامٍ، وقدّر فيها عقلا يرى به[3] ملكوت السماوات والأرض، وقدّر فيها السمع والبصر وغيرهما من الجوارح. أفترى أنّ من بلغت قدرتُه هذا يَعجَز[4] عن إحياء مَن أماته وعن بعثه بأقلَّ من لحظة؟[5] أو يكون قوله:[6] **مِن نطفةٍ خَلَقَه**، تعريفا[7] منه أنه خلقه من نطفة، ويكون في ذكره ما ذكرنا من الفوائد.

وقوله عز وجل: **فقدَّره**، أي سوّاه على وجه يكون فيه دلالة ربوبيته وشهادةُ وحدانيته، أو قدّره على ما فيه صلاحه ومنفعته، أو قدّره على ما[8] يشاء[9] من القِصر والطُّول والدَّمَامَة[10] والملاحة وغير ذلك.

---

[1] ن + ولا يغني.
[2] م + من الله. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ (سورة مريم، ٤١/١٩-٤٢).
[3] ن: بها.
[4] م: يعجزه.
[5] ر ن م: من لحظه.
[6] ن + بأقل من لحظه أو يكون قوله.
[7] جميع النسخ: تعريف. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠ظ.
[8] ر م: ما.
[9] جميع النسخ: شاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الدَّمامة: بالفتح القصر والقُبح (لسان العرب، «دمم»).

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [٢٠]

وقوله عز وجل: **ثم السبيل يسره**. يحتمل[1] أن يكون المراد من السبيل الدين، فكأنه يقول: يسّر له سبيل درك سبيل الله،[2] على ما ذكرنا أن الدين إذا أُطلق أريد به دين الله تعالى، وكذلك الكتاب المطلق يراد به كتاب الله تعالى؛ فعلى ذلك السبيلُ إذا ذكر مطلقا كان منصرفا إلى سبيل الله تعالى. أو يسّر له السبيلَ: سبيلَ الهدى وسبيل الضلال والسبيل الذي لو سلكه نفعه[3] والسبيلَ الذي يضره. أو يسّر له السبيل الذي علم الله أنه يختاره، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى[4] وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى[5] فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى.[6] أو[7] يسّر عليه سبيلَ الخروج من بطن أمه على ضيق ذلك الموضع وكِبَرَ جثته ليعلموا أن من بلغت قوته[8] هذا فهو قادر على ما أراد، لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **ثم أماته فأقبره**، ففي ذكر هذا ذكرُ النِّعم، وهو أن الله تعالى جعل لمّا يَخبُث ويتغير كِنًّا يُكَنّ فيه فيستره عن الخلق لئلا يَعَافُوه[9] ويستقذروه، لم يجعل ذلك لغيرهم، وجعل لأنفسهم إذا هي[10] تغيرت[11] بالموت وصارت بحيث تستخبث وتُستقذر كِنا[12] تُسْتَر فيه لتغيب[13] عن الخلق فلا يتأذَّوا بها، فذكّرهم هذا ليشكروه.[14]

---

[1] ن: ويحتمل.
[2] جميع النسخ: يسر له سبيل درك ذلك السبيل إلى الله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.
[3] ث + والسبيل الذي لو سلكه نفعه.
[4] ن + إلى قوله.
[5] ن – وكذب بالحسنى.
[6] سورة الليل، ٩٢/٥-١٠.
[7] ر: أي؛ ن ث م: أن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث: قدرته.
[9] عاف الرجل الطعام والشراب يعافه عيافة: كرهه فلم يشربه فهو عائف (*مختار الصحاح* للرازي، «عيف»).
[10] جميع النسخ: إذا هم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.
[11] م: تغير.
[12] ن – كنا.
[13] جميع النسخ: حيث يستخبث ويستقذر كنا (ن – كنا) يستر فيها ليغيب. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: ليشكروا.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم إذا شاء أنشره**، معناه -والله أعلم- كذلك إذا شاء أنشره، لأن هذا كلّه يخبر في موضع الاحتجاج؛ فكأنه قال: إنّ الذي خلقه من نطفة، وقدّره ثم أماته[١] فأقبره فهو كذلك يُنشره إذا شاء. وكذلك هذا في قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٢] أي إن الذي أحياكم ثم أمتكم فكذلك هو الذي يحييكم.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **كلا لما يقض ما أمره**، فمنهم من ذكر أن هذا الخطب في كل أحد، لا ترى إنسان قَضَى جميع ما عليه من الأمر على حدّ ما أُمر حتى لا يَغفُلَ عنه ولا يقصّر[٣] فيه، بل من لله تعالى على كل أحد في كل طرفة عين نعمةٌ، لا يتهيأ لأحد أن يقوم بكنه شكرها حتى لا يقع منه في ذلك جفاء ولا تقصير.[٤] ومنهم من يقول: هذا في الكفر خاصة لا يقضون ما أمروا به من التوحيد؛ فإن كان على هذا فهو منصرف إلى ابتداء[٥] الأمر، وإن كان على الوجه الأول[٦] فهو منصرف إلى كنه الأمر. ويستقيم توجيهه إلى الكافر على ما ذكروا؛ لأن لإيمان[٧] المؤمن[٨] حكمَ التجدد في كل وقت، إذ هو في كل وقت مأمور[٩] باجتناب الكفر فهو يجتنبه فذلك يكون [بالإيمان].[١٠] وإذا كان كذلك ثبت أنه في كل وقت موفٍ[١١] لما أمر به[١٢] مجتنب عما نهي عنه، فهو[١٣] بإيمانه راجع عن الزلّات في كل حال، معتقد للوفاء بما أمر به، لذلك كان صرفه إلى الكافر أوجهَ.

---

[١] ر + فأماته.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٨.
[٣] ر م: ولا يقتصر.
[٤] ن: ولا يقصر.
[٥] م: تغاء.
[٦] ر ث م: لدي.
[٧] ر ث م: لأن إيمان.
[٨] ر ث م + ه.
[٩] ن: بأمور.
[١٠] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٢٠ظ.
[١١] جميع النسخ: مؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: فهم.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [٢٤]

وقوله عز وجل: **فلينظر الإنسان إلى طعامه**، كيف قَدّر له حيث استعمل فيه السماوات والأرضين والهواء والشمس والقمر والليل والنهار. فاستعمال السماء في إنزال المطر منها، [٨٨٧و] واستعمال الهواء في جعلها مسلكًا للمطر، واستعمال الأرض في جعلها قرارا للمطر، وأخرج منها ما فيه قوامهم ومنافعهم. فيكون في ذكر هذا فوائد. إحداها[1] في موضع التعريف للخلائق أن منشئ السماوات والأرضين ومنشئ الخلق والشمس[2] والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض؛ إذ لو لم يكن كذلك لكان[3] لمنشئ السماء أن يمنع منافع السماء[4] عن خلق منشئ الأرض.

و[الثانية] فيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلموا أنه قادر على كل ما يريد فعلَه لا يضعُف عن ذلك ولا يُعجزه شيءٌ؛ لأنه جمع بين منافع ما ذكرنا مع تناقضها واختلافها في نفسها فجَعَلها من حيث المنافعُ متسقة متفقةً وجَعَل كلًّ واحدة منهن كالمتصلة بالأخرى المقترنة بها مع بُعْدِ ما بينهما. فمن قدر على الاتساق بين الأشياء المختلفة وقَدَر على الوصل بين الأشياء المتباعدة بعضُها عن بعض لَقادرٌ على إحياء الأموات والبعث.

و[الثالثة] ذَكّرهم هذا ليتبين[5] لهم حكمته[6] وعلمه فيعلموا[7] أنه لا يخلق الخلق[8] عبثا ولا يتركهم سدى: لا يستأدي منهم الشكر ولا يبعثهم بل ينشئهم ويميتهم فقط فيخرج خلقُه[9] على ما فيه خروجُ عن الحكمة.

و[الرابعة] لأنه خَلَق البشر على وجه تَمَسُّه الحاجات وتمسّه[10] الشهوات، وقدّر الطعام على وجه إذا تناول منه دفع حاجتَه وسكّن شهوته. ولو أراد أحد أن يتدارك المعنى الذي يعمل في دفع الحاجة وتسكين الشهوة ما هو لم يصل إلى تعرفه، فيؤدي تفكُّره إلى دفع[11] لشبه

---

[1] ر م: أحدها.
[2] ن: في الشمس.
[3] ن: لمكان.
[4] ب – السماء.
[5] ر ث م: ليتبين.
[6] ث – حكمته.
[7] جميع النسخ: ليعلموا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢١و.
[8] ر م – الخلق.
[9] ن: حلقه.
[10] جميع النسخ: يمسهم الحاجات ويمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: بل رفع. والتصحيح من المرجع السابق.

والاعتراضات التي يعتريه في أمر البعث. وغيره إذ كانوا[1] يقدرون الأمور على قواهم ويسوونها[2] على ما ينتهي إليه تدبيرهم، فإذا وجدوا في الطعام معاني هي خارجة من تدبيرهم وقواهم علموا أن ليس الأمر على ما قدّروا، فيرتفع عنهم الرّيب والإشكال. وكذلك لو أرادوا أن يستخرجوا من الماء المعنى الذي به صلُح أن يكون به حياةُ الأشياء كلِّها مع اختلاف الأشياء وتفاوتها واختلافِ طعومها وألوانها لم يمكنهم ذلك، فيعلموا أن الذي بلغت حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء، فعّال لِما يريد. ويكون في النظر فيما ذكر [بيانُ][3] حاجته وافتقاره إلى غيره، ويتبيّن[4] أن الله تعالى لم ينشئ الخلق لحاجة نفسه وإنما خلق لحاجة البشر إليه.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾[٢٥] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا**، ليَقِرَّ الماء في شقوقها فيصل الخلقُ إلى الانتفاع به. أو شققناها للنبات.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[٢٧] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾[٢٨]

[وقوله عز وجل:] **فأنبتنا فيها حبا وعنبا**، فذكر الحبّ والعنب وأخبر أنه أنبتهما في الأرض، وهما في الحقيقة غير نابتَين في الأرض، ولكن أخرجهما من أصل هو نابت في الأرض فأضافهما إليها[5] لما يرجع الابتداء إليها، وهو كقوله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[6] ورِزْقُنا من السماء المطر لكن الذي هو رزْقُنا من الطعام وغيره إنما نبت[7] في الأرض وخرج منها بالقطر من السماء فأضيف إليها؛[8] [إذ يرجع ابتداؤه إليها، وكذلك قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[9] ولكنا لم نخلق من التراب، ولكن الأصل يرجع إلى ذلك].[10]

---

[1] ر م: إذ كانوا.
[2] ر م: ويشوونها.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٢١و.
[4] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: إليهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[7] ر م: ينبت؛ ن ت: يبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: إليه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] سورة المؤمن، ٦٧/٤٠.
[10] الزيادة من المرجع السابق.

فعلى ذلك أضيف الحبّ والعنب إلى ما ذكرنا للمعنى الذي وصفنا. وقوله عز وجل: **وقَضْبًا**، والقضب هي الرَّطْبة، سميت قضبا لأنها تُقْضَب،[1] وتقطع[2] مرة بعد مرة.

**﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾** [٢٩]

**وزيتونا**، ففي ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفائدة، وهو أن الزيتون ألين الأشياء أنبت[3] أصلَه في الجبال التي هي أصلب الأرض. فمن قدر على إخراج ألين الأشياء عن أصلب الأشياء لقادر على الإنشاء والبعث؛ أو من قدر[4] على أن يخرج[5] ألين الأشياء من أصلب الأشياء لقادر على أن يُلَيِّن القلوب القاسية حتى تَلين[6] لذكر[7] الله تعالى.

**﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾** [٣٠]

وقوله عز وجل: **وحدائق غلبا**، فالحدائق هي البساتين التي أُحدقت بالأشجار وأُحيطت بها.[8] والغُلْب الغلاظ؛ يقال: رجل أغلب، إذا كان غليظ الرقبة، وقوم غُلْب الرقابِ أي غلاظ. وقالوا أيضا: الغُلْب الأشجار الكثيفة الطويلة.

**﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾** [٣١] **﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾** [٣٢]

وقوله عز وجل: **وفاكهة وأبا**، والأبّ الكلأ، فيخبر أنه أنشأ هذه الأشياء ليكون متاعا للخلق والأنعام لا لمنافع نفسه.

**﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾** [٣٣]

وقوله عز وجل: **فإذا جاءت الصاخة**، قال الحسن: هي اسم القيامة؛ يَصُخّ لها كل شيء،[9] وبه يقول أبو بكر [الأصم] أنه يصخ لمجيئها كل شيء، أي يخشع لها ويُطَأْطِئُ رأسه للداعي.

---

[1] ث: يقضب.

[2] جميع النسخ: ويقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١و.

[3] ر م: ينبت.

[4] جميع النسخ: إذ من قدر. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ث: على إخراج.

[6] ن ث: يلين.

[7] ر ث م: بذكر.

[8] جميع النسخ: وأحيطت به.

[9] انظر: النكت والعيون للماوردي، ٢٠٩/٦.

كما قال الله تعالى: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.[١] وقال القُتَبي: **الصاخة**، هي الداهية.[٢] فذكر القيامة بالأحوال[٣] التي تكون[٤] فيها أو بالأفعال التي توجد[٥] فيها على ما ذكرنا. وقال الزجاج: **الصاخَة**، المصِمَّة، تَصَمّ[٦] لها[٧] الأسماع عن كل شيء إلا إلى ما يدعى إليها.[٨]

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[٣٤] ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[٣٥] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **يوم يفر المرء من أخيه**، فجائز أن يكون هذا على تحقيق الفرار. وجائز أن لا يكون على التحقيق ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذي يوجد من الفارّ، قال الله تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٩] والوجه فيه أن الأقرباء من شأنهم أنهم[١٠] إذا[١١] اجتمعوا[١٢] استبشر بعضهم ببعض وأَنِسوا[١٣] بالاجتماع، وإذا غابوا سألوا عن أحوالهم واهتمّوا لذلك. ثم هم في ذلك اليوم يَدَعون السؤال[١٤] عند لغيبة والاستبشارَ عند الحضرة حتى كأنه لا أنساب بينهم، لا أن [لا] يكون بينهم[١٥] في الحقيقة نسب ولكن ما يَحُلّ بكل واحد من الاهتمام يَشغله عن السؤال بحاله والاستبشارِ برؤيته حتى يصيرَ كالفرار / لوقوع المعنى الذي يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار، لأنه قال: لِكُلِّ [٨٨٧ظ]
امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ،[١٦] فما[١٧] يحل من الشأن يمنعه عن الفرار عن نفسه وعن أقربائه.

---

١ سورة القمر، ٥٤/٨.
٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٥١٥.
٣ ر ث م: بالأحوال.
٤ جميع النسخ: يكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢١و.
٥ جميع النسخ: توجد. والتصحيح من المرجع السابق.
٦ جميع النسخ: يصم.
٧ م – ها.
٨ ث – إليها. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/٢٨٦-٢٨٧.
٩ سورة المؤمنون، ٢٣/١٠١.
١٠ ر ث م – أنهم.
١١ ث: إذ.
١٢ ر ث م: اجمعوا.
١٣ ث: وأسروا.
١٤ ن – السؤال.
١٥ ن – بينهم.
١٦ الآية التالية
١٧ ن: مما.

أو يكون على حقيقة الفرار. وذلك أن الأقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من الحقوق حتى لا يوجدَ منهم التقصير، فيخافون في ذلك اليوم أن يؤاخذوا بذلك فيحملهم على الفرار. أو يفر[1] كل منهم عن تحمل ثقل الأقرباء، كما قال: وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ،[2] وقد كانوا يتعاونون في الدنيا في تحمل الأثقال، فيخبر أنهم لا يتعاونون[3] في ذلك اليوم بل يفرون.

ثم جائز أن يكون هذا في الكفرة. وأما أهل الإسلام فإنه يجوز أن يبقى بينهم حقوق القرابة كما أُبقيت المودة فيما بين الأخِلاّءِ بقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ.[4] وإن كان في المسلمين والكفرة جميعا فجائز[5] أن يكون الفرار في بعض الأحوال وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن شغل نفسه، فأما إذا أمِن وجاءته البِشارة فهو يقوم بشفاعته ويسأل عن أحواله ولا يفر منه.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**، قالوا: أُفضي[6] إلى كل إنسان ما يَشغله عن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ مسفرة**، أي مضيئة أو ناضرة ناعمة مشرقة. فيكون فيه إخبار عما هم[7] فيه من النعيم حتى يظهر ذلك في وجوههم.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ضاحكة مستبشرة**، أي مسرورة بنعيم الله تعالى الذي أنعم عليهم، **مستبشرة**، برضاء الله تعالى عنها.[8]

---

[1] ر ه: ويفر.
[2] سورة فاطر، ١٨/٣٥.
[3] ت + في الدنيا في تحمل الأثقال.
[4] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[5] ن: فجائز.
[6] ر ه: أُفضي.
[7] ت: هم.
[8] ر - عنها.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **ووجوه يومئذ عليها غبرة**، قالوا هذا أول تغير يظهر في وجوههم كأنما علاها الغبار ثم تَسْوَدَّ ثم تُطْمَس وتُرَدّ[1] على أدبارها، كما قال: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا.[2]

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ترهقها قترة**، قال أبو بكر [الأصمّ]: **ترهقها قترة**،[3] أي تغشاها الذلة، أو تعلوها ثم تتلون[4] بعد ذلك فيكون كأنما علاها الغبار، ثم تَسْوَدّ[5] على ما ذكرنا.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **أولئك هم الكفرة الفجرة**، أي الكفرة بأنعم الله تعالى الفجرة المائلة عن الحقوق. *والله الموفق*.[6]

---

[1] جميع النسخ: يسود ثم يطمس ويرد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.

[2] ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ (سورة النساء، ٤٧/٤).

[3] ث – قال أبو بكر ترهقها قترة.

[4] جميع النسخ: أي يغشاها الذلة أو يعلوها ثم يتلون. والتصحيح من المرجع السابق؛ ن + الذلة.

[5] جميع النسخ: ثم يسود. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ث: والله سبحانه وتعالى الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة إذا الشمس كورت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

### ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إذا الشمس كورت**، هذا ليس بابتداء خطاب، ولكنه[3] جواب عن سؤال تقدّم؛ فيُشبه أن يكون السؤال عن وقت لقاء الأنفس الأعمالَ فنزل قوله: **إذا الشمس كورت**، [يدلّ عليه قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ.[4]

ثم في قوله: **إذا الشمس كورت**][5] إشارة إلى أحوال ذلك الوقت وآثارها على ما نذكر المعنى الذي له وَقَعَ تبيينُ[6] الأحوال دون[7] تبيين الوقت في سورة 'إذا السماء انفطرت'.[8]

واختلف في قوله تعالى: **كوّرت**، قال بعضهم: هي فارسية معربة وهي بالعربية غُوِّرت. وقال بعضهم: **كوّرت**، أي ذهب ضوءها، يقال: كَوّر الليلَ على النهار، أي أذهب[9] نوره وضياءه،[10]

---

[1] ر – سورة إذا الشمس كورت؛ ن – كورت؛ ث: سورة كورت وهي تسع وعشرون آيات.
[2] ن – قوله عز وجل.
[3] ن: ولكن.
[4] الآية ١٤ من هذه السورة.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.
[6] جميع النسخ: على ما يذكر المعنى الذي له وقع التبيين. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م – دون.
[8] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[9] ن: ذهب.
[10] يقول الله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يُكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر﴾ (سورة الزمر، ٥/٣٩). تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، ويقال: زيادته في هذا من ذلك. وفي التنزيل العزيز: ﴿يكور الليلَ على النهار ويكور النهارَ على الليل﴾، أي يُدْخِلُ هذا على هذا. وأصله من تَكْوِيرِ العمامة وهو لفها وجمعها. وكُوِّرَت الشمسُ جُمِعَ ضوءها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة. وقيل: معنى كُوِّرَتْ غُوِّرَتْ (*لسان العرب*، «كور»).

فالتكوير يغطي لونَ الشيء عن الأبصار. فقيل: كُوِّرت الشمسُ، أي حُبس ضوءها عن الأبصار بالطمس، فيكون فيه إنباء أنه يُطمس ظاهرها، ثم يَرد التغير في نفسها فتَتْلَف وتتلاشى.[1] ومنه يقال: كَوَّر العمامةَ إذا لَفَّها[2] على رأسه[3] فتغطِّيه.[4]

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾[٢]

وقوله تعالى: **وإذا النجوم انكدرت**، تناثرت وتساقطت، وهو كقوله: وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ.[5] وقيل: ذهب ضوءها فكأنّ[6] ضوءها يذهب[7] أولا ثم تتناثر[8] بعد ذلك.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجبال سيرت**، أي[9] قلعت عن أماكنها وسيّرت كما قال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[10] وهي إذا قُلعت تكثرت حتى لا يتبين للناظر سيرُها لكثرتها فيحسبها[11] جامدة وهي تسير. فهذا أول تغير يظهر فيها، ثم تصير[12] كَثِيبًا مَهِيلًا،[13] ثم كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[14] ثم هَبَاءً مُنْبَثًّا،[15] إلى أن تتلاشى وتتلف.[16]

---

[1] جميع النسخ: فيتلف ويتلاشى (د: وتلاشى). والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢١ظ.
[2] ر ث م: إذا ألفها.
[3] ث: على نفسه.
[4] جميع النسخ: فيغطيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الانفطار، ٨٢/٢.
[6] ر ن ث: فكأنه.
[7] ر ث م: يذهب ضوءها.
[8] ر م: تناثر؛ ن: يتدثر.
[9] ر: إذ.
[10] سورة النمل، ٢٧/٨٨.
[11] جميع النسخ: فتحسبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).
[14] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٥).
[15] جميع النسخ: منثورا. بدلنا كلمة «منثورا» بـ«منبثا» لأن كلمة «منثور» في القرآن تأتي صفة للعمل ولؤلؤ لا للجبال. ولكن كلمة «منبثا» تأتي صفة للجبال كما في قوله تعالى: ﴿وبُسَّتِ الجبال بسا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[16] جميع النسخ: يتلاشى ويتلف. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا العشار عطلت**، فالعشار هي النُّوق الحوامل التي أتى على حملها عشرةُ أشهر، وهي من أنفَس الأموال عند أهلها. فيخبر أن أربابها يعطّلونها[١] في ذلك اليوم ولا يلتفتون إليها لشغلهم بأنفسهم في ذلك، وهو كما قال: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ -إلى قوله- وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٢] الآية.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وإذا الوحوش حشرت**، قيل: جمعت. وهو يحتمل وجهين. أحدهما أن تجمع كلّها فتتلف وتُهْلَكَ.[٣] والثاني أن تحشر[٤] في أن تُحْيَا[٥] بعد موتها، فيصنع الله تعالى فيها ما شاء. فيكون في هذا إخبارٌ عن عظم هول[٦] ذلك[٧] اليوم حتى يؤثّر الهولُ[٨] في الوحوش والشمس والقمر والسماوات.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٦]

وقوله: **وإذا البحار سجرت**، قيل: فُجّرت، وسنذكر تأويل التفجير[٩] فيما بعد إن شاء الله تعالى.[١٠]

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[٧]

وقوله: **وإذا النفوس زوّجت**، قيل: قُرِنت. ثم اختلف في معنى القِران. فقال بعضهم: قُرِن زوجُها إليها. وقال بعضهم: يُقرَن كلٌّ بأهل شيعته فيُقرَن الكفرةُ بالشياطين، وأهلُ الشراب

---

[١] ث: يعطلون.

[٢] ﴿يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت وتضع كلّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[٣] جميع النسخ: أن يجمع كلها فيتلف ويهلك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٢و.

[٤] جميع النسخ: أن يحشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: أن يحييها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م – هول.

[٧] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث – حتى يؤثر الهول.

[٩] ر م: الفجر

[١٠] ب – إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآية ٣ من سورة الانفطار.

[٨٨٨و] بأهل الشراب، وأهلُ الزنى بأهل الزنى. وقال الله تعالى:[1] ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ -إلى قوله- يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.[2] ففي هذا إخبار أن المعذَّب منهم إذا رأى عدوه يعذَّب عذابَه، ويكون في العذاب الذي[3] هو فيه لم يتسلَّ بذلك شيئا ولم ينل به راحةً، وإن كان المرءُ في الدنيا إذا رأى[4] عدوَّه يعذَّب عذابَه يتسلَّى بذلك.[5]

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[٨] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٩]

وقوله: **وإذا الموءودة سئلت**، وقرأ بعضهم: وإذا[6] الموءودة سَألت.[7] وهذا هو الظاهر أن تكون[8] هي السائلةَ،[9] أي تسأل[10] إياهم بأي ذنب قتلت، وتقول: بأيّ ذنب قتلتموني؟ وكانت العرب تُدفِن[11] بناتِها. يقال: وَأَدْتُه أي دَفنتُه.

ثم القراءة المعروفة **سئلت**، وهي تحتمل[12] أوجهًا ثلاثةً.[13] أحدها ذَكَر أبو عبيد[14] وقال: إنّ قَتَلَتَها تُسْأل:[15] بأي ذنب قُتلت الموءودة؟

---

[1] ن - الله تعالى.
[2] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦-٣٨.
[3] م - الذي.
[4] ث: إذا كان.
[5] ن - بذلك.
[6] ر م: إذ.
[7] قرأ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وابن عباس وعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "وإذ الموءودة سَأَلت بأي ذنب قتلت" (*شواذ القرآن* لابن خالويه، ١٦٩)؛ وانظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٨/٤٣٣.
[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[9] ن + في الحدث.
[10] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: يدفن.
[12] ر ث م: يحتمل.
[13] م - ثلاثة.
[14] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ وتقريب التهذيب لابن حجر، ٤٥٠.
[15] ن: سئل.

و[الثاني] يحتمل أن تسأل[1] الموءودةُ عند حضرة الذين وأدُوها: بأي ذنب قُتلَت. يراد بالسؤال تخويفٌ وتهويل[2] للذين وأدوها لا سؤالُ استخبار واستفهام، وهو كقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ،[3] وليس[4] يُسأل عن هذا سؤالَ استخبار واستفهامٍ ولكن يُسأل[5] سؤالَ تخويف وتهويل[6] لمن ادّعى أن عيسى عليه السلام[7] هو الذي أَمَرهم أن يتخذوه وأمّه إلهين من دون الله.

و[الثالث] جائز أن تسأل[8] الموءودة: أتدّعي[9] أم لا تدّعي؟[10] وما الذي تدعي[11] عليهم؟ فيُبْدَأ بها بالسؤال كما تَرَى[12] لمدَّعِي في الشاهد هو الذي يُبدَأ بالسؤال[13] فيقال له: ما تدّعي[14] على هذا؟

فقوله: **بأي ذنب قتلت**، كأنها إذا سئلت عن الذي ادّعت وقالت: بأي ذنب قُتِلْتُ؟ **والله أعلم.**

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وإذا الصحف نشرت**، أي الكتب نشرت للحساب، وهي التي فيها أعمال بني[15] آدم وقتَ ما تُدفع إليهم[16] بأيمانهم وشمائلهم.

---

[1] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٢و.
[2] ث: وتهويل.
[3] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[4] ث: فليس يذهب.
[5] ث: يسألون.
[6] ن - وتهويل.
[7] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث: أن تدعي.
[10] جميع النسخ: أو لا تدعي.
[11] ن: يدعي.
[12] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من مرجع السابق.
[13] ث - كما يرى المدعي في الشاهد هو الذي يبدأ بالسؤال.
[14] ن: ما يدعي.
[15] ر ث ه: بني.
[16] جميع النسخ: يدفع إليها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإذا السماء كشطت**، قيل: قشرت،[١] وذلك أن تتناثر[٢] النجوم وتُطمَس الشمس فتُطوَى[٣] كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ.[٤] وقيل: كشفت،[٥] تكشف[٦] السماء كما يكشف[٧] الغطاء عن الشيء، ويقال: **كشطت**، أي قلعت كما يقلع السقف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وإذا الجحيم سعرت**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يُحدَث تسعيرُها فيكون فيه عَلَمُ الحدثية، وكذلك في قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.[٨] يحتمل أن يُبتدأ تسجيرها ولمّا تُسجَّر[٩] من قبل. وجائز أن يزاد[١٠] في التسجير[١١] والتسعير على ما كان من قبلُ، كقوله:[١٢] وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[١٣] وقد كان وقودها بغير هذين، ثم يزاد[١٤] في وقودها بالناس والحجارة.[١٥]

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجنة أزلفت**، قيل: قُرِّبت، فأضيف إليها التقريب لأن أهلها إذا قَرُبوا إليها فقد قُرِبت هي إليهم.

---

[١] ر ن م: فشرت.
[٢] ر م: أن تنثر؛ ن: أن يتناثر.
[٣] جميع النسخ: فيطوى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).
[٥] ر: كسفت؛ ن: كشفت؛ ث م: كسفت. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر: بكسفة؛ ن: يكشف؛ ث م: يكسف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: كما يكسف.
[٨] الآية ٦ من هذه السورة.
[٩] ر ث م: ولما سجر؛ ن: وما يسجر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: أن يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن ث: من التسجير.
[١٢] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] سورة البقرة، ٢٤/٢؛ وسورة التحريم، ٦/٦٦.
[١٤] جميع النسخ: ثم يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ث + وقوله عز وجل علمت نفس ما أحضرت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **علمت نفس ما أحضرت**، أي ما أحضرت[١] من خير أو شر، كقوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا،[٢] الآية. أو تعلم ما أحضرتها[٣] الملائكة الذين كتبوا عليها.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[١٥] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس**. الأشياء التي وقع بها القسم[٤] تقتضي[٥] أحكامًا ثلاثةً. أحدها ما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه دليل[٦] وحدانيته وآية ربوبيته إذا أُنعم[٧] النظر فيه. و[الثاني] يُثبت علمَه وحكمته. و[الثالث] يدلّ على قدرته وسلطانه. وفي تثبيت القدرة والسلطان إيجاب القول بالبعث، [وفي تثبيت الحكمة والعلم إيجاب التصديق بكل ما يخبر الرسول عن الله، وفي تثبيت الحكمة تثبيت البعث أيضا][٨] وإيجاب القول بالرسل ونهي عن عبدة غير الله. فلو أنعموا النظر فيها وتفكروا في أمرها لأدّاهُم[٩] ذلك إلى القول بالبعث ودعاهم إلى وحدانية الرب والإقرارِ بالرسل؛ فلا يدّعون أن[١٠] معه آلهة أخرى، ولا كانوا ينكرون البعث ولا يكذّبون الرسول.

فأقسم بهذه الأشياء على التأكيد لحججه[١١] ليعلموا أنه رسول من عنده، أو أنّ القرآن من عنده، أو أنّ الأوامر من عنده، أو الرسول من عنده، أو يكون القسم تلقينا من الله تعالى لرسوله بأن يُقسِم لهم بهذه الأشياء ليزيل عنهم الشبه[١٢] والشكوك التي اعترضت للكفرة في أمره صلى الله عليه وسلم ويدعوَهم إلى النظر في حججه وآياته.

---

[١] م - أي ما أحضرت.
[٢] سورة آل عمران، ٣/٣٠.
[٣] جميع النسخ: أو يعلم ما أحضر بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] ن: القسمة.
[٥] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ث: دلائل.
[٧] يقال: أنعم النظر في الأمر: أطال الفكرة فيه (*لسان العرب*، «نعم»).
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٩] ر م: أداهم.
[١٠] ر: أنه.
[١١] م: لحجج.
[١٢] ر ن م: الشبهة.

ثم القسم بما لطُف من الأشياء[1] ودَقّ وبما كَثُف[2] وغَلُظ وبما كَبُر وصَغُر وبما ظَهَر وخَفِي يتفق[3] كلها في إزالة الشبهة وإثبات التوحيد والرسالة والبعث، بل الأعجوبة فيما لطف من الأشياء أعظم منها بما كثف[4] وغلظ. فأقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وبالضحى[5] وبما شاء من خلقه؛ إذ[6] الخلائق كلها في الشهادة على وحدانيته وإثبات ربوبيته وإثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة؛ ولأن ما لطف من الأشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها، فيتضمن ذكرُ ما خفي منها واستتر ذكرَ ما ظهر منها، وفي ذكر ما ظهر منها ذكر منشئها[7] فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى.

ثم اختلف في الْخُنَّس والكُنَّس.[8] قال أبو بكر [الأصم]: إن الخنس والكنس هي النجوم تَخْنُس بالنهار وتظهر[9] بالليل. وقال الحسن: الخنس[10] هي النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يَكْنِسن[11] و يَغِبْن[12] في مغاربها.[13] والكنس هي[14] النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يكنسن ويختفين إلى أن يَعُدْن إلى مطالعهن فيطلعن. وقيل: الخنس الجواري الكنس هي خمس كواكب لهن مَجارٍ[15] في السماء يظهرن / بالليل ويَسْتَتِرْن[16] بالنهار، وسائر الكواكب ثوابت. [٨٨٨ظ]
ثم قيل: الخُنوس والكُنوس واحد، وهو الاختفاء[17] والغروب في مغاربها والدخول فيها.

---

[1] ن – من الأشياء.
[2] ر م: وبما كشف.
[3] ن: ينفق.
[4] ر م: بما كشف.
[5] جميع النسخ: وما يضحى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ
[6] ر م: إذ.
[7] م: منشئهم.
[8] ن: الكنس.
[9] جميع النسخ: يخنس بالنهار ويظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م – والكنس هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال الحسن الخنس.
[11] ر ث م – ثم يكنسن.
[12] ر م: وتغير.
[13] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٣٦-٢٣٧.
[14] ر: هو.
[15] جميع النسخ: مجاري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ص.
[16] جميع النسخ: ويسترن. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] ر: الاحتفار.

وقيل: الكُنوس الاختفاء،[1] والخُنوس التأخر. وكذا قال الفراء: هي النجوم الخمسة تَخنُس في مجراها وترجع.[2] وفي حديث كعب فتخنس[3] بهم النار[4] كما تخنس النجوم الْخُنَّس، أي تحيد بهم وتتأخر.[5] *والله أعلم*. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هي[6] الوحوش اللاتي تخنس من الإنس، وتكنس[7] في مكانهن.[8] وأيًّا ما[9] كان فهي كلها دالّة على الوجوه التي ذكرنا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والليل إذا عسعس**، قيل: إذا أقبل، وقيل:[10] إذا أدبر.[11]

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[١٨]

وقوله:[12] **والصبح إذا تنفس**، إذا انفجر وإذا ارتفع. وفي إقبال الليل وإقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان؛ وذلك أن ظلمة الليل إذا غشيت سترت وجوه[13] الأشياء [حتى لا يجد أحد عن الستر ملجأ، وذلك يكون بأدنى وهلة. ثم النهار إذا أقبل نَزَع [الغطاء] عن الأشياء][14] وكَشَفَ[15] عنها السِتر. ولو أراد أحد أن يغطّي[16] الأشياء كلّها بالحيل والأسباب لم يتمكن منها، ولو أراد نزع الغطاء عنهم لم يملك. فذكّرهم هذا ليعلموا أنَّ من بلغت قدرتُه هذا لا يعجزه أمر ولا يتعذر عليه البعث، بل هو قادر على إحيائهم وبعثهم.

---

[1] ن + والكنوس.
[2] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للفراء، ٣/٢٤٢.
[3] جميع النسخ: فيحنس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[4] *النهاية في غريب الحديث والأثر* لابن الأثير، ٢/٨٣.
[5] جميع النسخ: يحيد بهم ويتأخر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[6] ر م – هي.
[7] جميع النسخ: يخنس من الإنس ويكنس. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٣٧.
[9] جميع النسخ: وإثم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[10] ر ث م + إذا أقبل و.
[11] ن + وإذا أدبر.
[12] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: عن وجوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] الزيادة من المرجع السابق.
[15] ن: وكيف.
[16] ث: أن تعطي.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١٩]

وقوله: **إنه لقول رسول كريم**، فموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى: وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ.[١] ثم تأويل قوله: **إنه لقول رسول كريم**، أي هذا الذي أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن رسول كريم على ربه، وهو جبريل عليه السلام. ثم نسب [القول] هاهنا إلى الرسول لِما سُمع[٢] منه ولم يكن من قِبَله، وقال[٣] في آية أخرى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٤] فسمّاه كلامَ الله على الموافقة؛ أو لِما أنّ ابتداءه يرجع إليه لا أن يكون المسموعُ كلامَه، كما يقال:[٥] هذا قول أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان الشاعر، وليس الذي سمعتَه قولَ من نُسب إليه، ولكن تُسب إليه لأن ابتداءه يرجع إليه؛ فكذلك سُمّي كلامَ الله لأنه يدلُّ على كلامه، ولِما يرجع إليه ابتداؤه لا أن يكون هو[٦] نفسَ كلامه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ذي قوة عند ذي العرش مكين**. وفي وصفه[٧] بالقوة فائدتان. إحداهما ما ذكرنا أن فيه بيانَ الأمن عن تغيير يقع فيه من الأعداء من الجن[٨] والشياطين والإنس يحتجز عنهم بقوته فلا يتمكنون منه حتى يُغيِّروه ويبدِّلوه، ووَصَفه بالأمانة في نفسه ليُؤمن الخلقَ ناحيتَه. أو وَصَفه بالقوة على التخويف والتحذير للذين عادَوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيُخبرهم أنّ معه من يدفع عنه شرَّهم وكيدهم إنْ همّوا ذلك به. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: «إن الله تعالى وَصَفَك بالقوة فما أثر قوتك»؟ فقال: «لَمّا أمرني الله تعالى بإهلاك قوم لوط فقلعت قُرَيَاتِهم ورفعتها بجناح واحد إلى السماء ثم قَلَبْتُها».[٩] وليس بنا إلى تعرّف قوّته حاجةٌ وإنما بنا الحاجة إلى أن نعرف[١٠] ما المعنى والحكمة في ذكر قوته؟

---

[١] الآية ٢٢ من هذه السورة.
[٢] ر ث م: ما سمع.
[٣] ن: قال.
[٤] سورة التوبة، ٦/٩.
[٥] ن: كما قيل.
[٦] ن ث + هو.
[٧] أي وصف جبريل عليه السلام.
[٨] ر م + والإنس.
[٩] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٤٠/١٩؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢٧٤/١٥.
[١٠] ر ث م: أن يعرف.

وقوله عز وجل: **عند ذي العرش مكين**. فإن كان المراد من العرش المُلك فمعناه: عند ذي المُلك مكين، أي ذي قدرة[١] ومنزلة. وقيل: العرش السرير، فإن كان كذلك فتأويله أنه مكين عند من له سرير لمُلك.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **مطاع ثَمَّ أمين**، قيل: إن جبريل عليه السلام رسول إلى الملائكة كما هو رسول إلى الإنس.[٢] فإن كان كذلك ففيه إخبارُ أنّ الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبريل عليه السلام فيما يأمرهم وينهاهم، فما بالهم يتركون طاعته والائتمار بأمره؟ وقوله عز وجل: **ثَمَّ أمين**، أي هم يأتمنونه،[٣] ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف يتهمه هؤلاء فيما يأتي إلى الرسول من الوحي؟

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[٢٢]

وقوله: **وما صاحبكم بمجنون**، فمنهم من يقول: إنّ[٤] الكفرة نسبوه إلى الجنون حين رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٥] جبريلَ[٦] على صورته فغُشِي عليه، وكان يتغير في كل مرة يأتي به جبريلُ عليه السلام الوحيَ لونُ وجهه[٧] فينسبونه إلى الجنون لهذا. ومنهم من يقول: إنما نسبوه إلى الجنون لأنه أظهر المخالفة لأهل الأرض، وكان في أهل الأرض الجبابرةُ والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيبُ لمن أظهر المخالفةَ لهم؛ فكان ذلك منه مخاطَرةً بنفسه وروحِه حيث انتصب لمعاداةِ مَن لا طاقة له بهم، ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له به وانتصب لمعاداته فذلك منه حُمق وجنون في الشاهد، فنسبوه[٨] إلى الجنون لهذا. ومنهم من ذكر أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لما ذكرنا، ولكن شدة سفههم هو الذي حملهم على هذا فنسبوه إلى الجنون مرةً،

[١] جميع النسخ: ذو قدر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٣و.
[٢] ر هـ: إلى الناس.
[٣] ر هـ: يأتمنون.
[٤] جميع النسخ: بأن. والترجيح من المرجع السابق.
[٥] ن - صلى الله عليه وسلم.
[٦] ث - جبريل.
[٧] ن + فمه.
[٨] ر هـ: نسبوه.

وإلى أنه ساحر أخرى، ومرةً قالوا: يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] ومرة قالوا: إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ.[2] فكانوا ينسبونه إلى كل ما ذكرنا؛ لا عن بحث منهم في حاله[3] ولكن على السفه والعناد. ألا ترى أنهم نسبوه[4] إلى الجنون مرة وإلى[5] السحر ثانيا، وهما أمران متناقضان؛ لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم غايته، والجنون هو النهاية في الجهل. ولو كانوا يقولونه عن بحث وتدبر لكانوا
[٨٨٩و] لا يأتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن يريدون صدَّه عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيُصدرون[6] عنها حتى يقعَ التلبيس منهم موقعَه[7] فيصلون إلى مرادهم من صدّ الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فيما زعموا أنه يعلِّمه[8] بشر، وأنه إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[9] أتوا بالمختلِف من القول لأن اختلاقه[10] وافتراءه يُثبت[11] أنَّه عالمٌ بنفسه مستغنٍ[12] عن[13] تعليم غيره؛ وحاجتُه إلى أن يتعلم من غيره يُثبت[14] عجزه وجهله عن الاختلاق بنفسه. فهذا كلُّه يدلّ على أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لأعلامٍ ظهرت لهم منه[15] ولكنهم قذفوه بكل ما حَضَرهم سفها منهم وعِنادًا.

ثم إن كانوا نسبوه إلى الجنون بما غُشِي عليه عند ما رأى جبريل عليه السلام على صورته فقد أتاهم بما لو تفكّروا فيه لَعلموا أنه ليس بصاحبهم جِنة، كما قال الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ.[16]

---

[1] انظر: سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[2] سورة ص، ٧/٣٨.
[3] ن: في حالة.
[4] ر ث م: ينسبونه.
[5] ر م: إلى.
[6] جميع النسخ: فيصدرو. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٢ظ.
[7] ر ث م: موقعة.
[8] م: علمه.
[9] سورة الفرقان، ٤/٢٥.
[10] جميع النسخ: لأن اختلافه.
[11] ر ث م: تثبيت.
[12] جميع النسخ: مستغنى.
[13] ر م: عنه.
[14] ر ث م: تثبت.
[15] ر ث م: منه.
[16] سورة سبأ، ٤٦/٣٤.

وذلك أنه[١] أتاهم بحكمة أعجزَ حكماء الإنس والجن إتيانَ مثلها[٢] وأتاهم بكتاب عَجَز أهلُ الكتاب عن إتيان مثله. فلو تفكروا فيه لَعلموا أنه ليس من فعل المجانين ولا من علومهم، ولكنّه من عند الله أكرمه به. وإن كانوا إنما[٣] نسبوه إلى الجنون لِما خاطر بروحه، فهم -بحمد الله تعالى- لم يتهيأ لهم أن يمكروا به ولا أن يقتلوه. بل أظفره الله عليهم وأظهره على الدين كلّه، فصار ذلك الوجه الذي به نسبوه إلى الجنون آيةَ رسالته وعَلَمَ نبوّته.

**﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **ولقد رآه بالأفق المبين**، قال الحسن: إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه، أي عظمته وسلطانَه من وجه لا يقع به تشابه.[٤] وخص "بالأفق" لأنه من الأفق تنزل[٥] البركات وتنزل الملائكة وأنواع الخير كلها، والمراد من ذلك الأماكن كلها. وغيره من أهل التفسير صَرَف الرؤيةَ إلى جبريل عليه السلام. ذُكِرَ[٦] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريلَ عليه السلام أن يُرِيه[٧] [ربه] على صورته، فقال له جبريل عليه السلام: «إن الأرض لا يَسَعُني ولكن إذا صليت الفجر فانظر إلى أُفق السماء فهنالك تراني»،[٨] ففعل فرآه على صورته ثم دنى منه فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.[٩] فذكر الأفق لأن الشيء من البُعد لا يتهيأ أن يُرى من أقطار الأرض لذلك خصّ[١٠] الأفق؛[١١] إذ كذلك يقع رؤية ما بَعُد. *والله أعلم*.

---

[١] ر ن م: أنهم.

[٢] جميع النسخ: مثه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.

[٣] جميع النسخ: أكرم به وإن كانوا بما. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] نظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣١٩/١٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٢٥/٧.

[٥] جميع النسخ: ينزل.

[٦] ر ث م: وذكر.

[٧] م: أن يرى

[٨] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسدّ الأفق. وأمّا الأخرى فإنه صعد معه حين صَعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠٧/١). وانظر: تفسير الآية ٧ من سورة النجم.

[٩] سورة النجم، ٩،٥٣.

[١٠] جميع النسخ: خصت.

[١١] ر ن م + لأن الشيء

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وما هو على الغيب بضنين**، وقرئ بظنين.[١] قال أبو عبيدة:[٢] والظنين أولى، لأن الظنين[٣] هو الْمُتَّهَم، والضنين لبخيل.[٤] ولم ينسب أحدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى البخل حتى يُنفَي عنه البخل[٥] بهذه الآية، وقد كانوا يتهمونه عى الغيب وهو القرآن فكانوا يقولون: [إِنَّمَا] يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٦] وليس من عند الله؛ ويقولون أيضا: إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[٧] فبرّأه الله تعالى مما قالوا بقوله:[٨] وما هو عى الغيب بظنين.

ومن قرأ بالضاد فهو يحتمل أوجها. أحدها[٩] ما ذكره أبو بكر الأصم وهو أن رسول الله صلى الله عيه وسلم لم يكن يَضِنّ[١٠] بشيء علّمه الله تعالى عن أحد من أصحابه كما يفعله غيره من العلماء، لأن العلماء لا يريدون أن يُعلِّموا من اختلف إليهم كلَّ ما عندهم من العلوم حتى يستغنِيَ عنهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يودّ أن يُعلِّم[١١] جميع ما علم من العلوم أصحابَه فكان يقوم عى تعليم كلٍّ منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بُخلا منه[١٢] وضِنًا.

وجائز أن يكون برّأه الله تعالى من هذا لِما علم أنه يكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يزعم أن رسول الله صلى الله عيه وسلم خصّ بعضَ أصحابه بتعليم أشياءَ لم يُطلِع عليها غيرَهم، وتخصيصُ بعض دون بعض بتعليم ما عنده بُخلٌ[١٣] في الشاهد؛ فكأنّ في قوله:

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: "وما هو عى لغيب بِظَنِين" بالظاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٦٤).

[٢] جميع لنسخ: أبو عبيد.

[٣] ر م – الظنين.

[٤] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٩٢.

[٥] ر ث م – حتى ينفى عنه البخل.

[٦] سورة لنحل، ١٦/١٠٣.

[٧] سورة الفرقان، ٢٥/٤.

[٨] ن – بقوله.

[٩] ر م – أحدها.

[١٠] ر م: بضنين.

[١١] ر ث م أن يعلمهم.

[١٢] ن: منه.

[١٣] ر ث م: بخل.

**وما هو على الغيب بضنين**، تكذيب أولئك الذين يدّعون هذا. وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صوموا لرؤيته[١] وأفطروا لرؤيته»،[٢] فكأنه قال هذا لِما علم أنه يكون في أمته من يتقدم الشهر بالصيام، فقال هذا ليعرّف[٣] خطأ من يتقدم[٤] الشهر بالصيام على الخطأ والجهالة، ليس على إصابة الحق؛ فعلى ذلك الحكم فيما ذكرنا.

ثم صرفوا تأويل الغيب إلى القرآن، وهو عندنا في القرآن وفي غيره من الأشياء التي أطلع الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم عليها.[٥]

وجائز أن يكون الظنّ منصرفا إلى الشفاعة التي أكرم الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بها.[٦] فهو لا يَخُصّ بعض أمته دون بعض بالشفاعة بل يعمّهم جميعا فيكون في هذا[٧] تحريضٌ[٨] على الاتباع له والانقياد لطاعته.

ويحتمل وجها آخر، وهو أنه ليس بضنينٍ في أداء شكر ما أنعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، بل اجتهد في أداء شكره حتى ذُكِر أنه تورّمت قدماه من طول القيام[٩] فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال:[١٠] «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا».[١١]

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وما هو بقول شيطان رجيم**، يحتمل وجهين. أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الإنس ولا بمجنون كما[١٢] ذكرتم بل هو رسول كريم.

---

١ ر م: لرؤيه.
٢ ر م: لرؤية. صحيح البخاري، الصوم ١١؛ وصحيح مسلم، الصيام ٤.
٣ ر م: ليتعرف؛ ن: لتعرف.
٤ ر ث م + من.
٥ ر م – عليها.
٦ ر م – بها.
٧ ن: فيكون هذا.
٨ جميع النسخ: تحريضا. والتصحيح من الشرح، ٣٢٣ظ.
٩ ر: القيامة.
١٠ ن: يقال.
١١ مسند أحمد بن حنبل، ٢٥٥/٤، ١١٥/٦؛ وصحيح البخاري، التفسير ٢/٤٨؛ وسنن ابن ماجة، الصلاة، ٢٠٠؛ وسنن الترمذي، الصلاة ١٨٧؛ وسنن النسائي، قيام الليل ١٧.
١٢ ث + قلتم.

أو الذي أتاكم به من القرآن لم يَتنقَّه[1] من الشياطين ولا هو من قِبَلِهم كما تنقّته الكهنة
[٨٨٩ظ] والسحرة من أقوالهم، بل هو ذكر من الله تعالى للعالمين أنزل[ه] إليه الروح الأمين القويّ الذي لا يصل إليه الشيطان فيغيّره ويبدّله.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **فأين تذهبون**، أي فأين تذهبون عن طاعته واتباعه والانقياد له وقد أتاكم بما[2] يَلزمكم طاعته واتباعُه.

[٨٨٩ظ س ٥] * ثم قوله عز وجل: **فأين تذهبون**، يحتمل أوجها غيرَ ما ذكرنا. أحدها أن هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تلقّاه من رسول كريم على الله تعالى. فإذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه[3] فما ذهبتم إلا إلى قول شيطان رجيم.

ويحتمل **فأين تذهبون**،[4] وإلى من تفزعون[5] إذا أتاكم بأس الله تعالى ونقمته، إذا لم تؤمنوا[6] بالله تعالى وأنكرتم البعث و لم تصدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبركم به فإذا حلّ بكم ما أنذركم به فإلى من تلجئون، وهو كقوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.[7] أو إذا لم تؤمنوا[8] بالله تعالى و لم تتبعوا[9] ما أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم -وقد تقرر عندكم صدقه بما أتاكم[10] من الآيات المعجزة- فبأي حديث
[٨٨٩ظ س ١٢] تصدقون[11] بعد ذلك وتذهبون إليه؟ وهو كقوله تعالى: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.[12]*

---

[1] ر: لم يتنقى؛ ن ث: لم يتلقا؛ م: لم يتنق. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٣ظ.
[2] ر: لما؛ ن ث م: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: ولم يقبلوه.
[4] ر - تذهبون؛ ر ث م + وإلى من تذهبون.
[5] ن: يفزعون.
[6] ن: إذا لم يؤمنوا.
[7] سورة الملك، ٢٨/٦٧.
[8] ر م: لم يؤمنوا.
[9] ر م: ولم يتبعوا.
[10] جميع النسخ: إنما أتاكم.
[11] جميع النسخ: تصدقونه.
[12] سورة الأعراف، ١٨٥/٧؛ وسورة المرسلات، ٧٧/ ٥٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/ سطر ٥-١٢.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي عظة للعالمين. يُذكّرهم بما يَحِق عليهم في حالهم ويُبيّن[1] لهم ما يؤتى وما يُتقى وما تصير[2] إليه عواقبهم. أو أن يكون قوله: **ذكر للعالمين**. أي شرف لهم، يُشرّف[3] قدرُهم به ويصيرون[4] أئمة يُقتدى بهم ويُختلَف إليهم ليُتعلَّم منهم. *والله أعلم*.*

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل:[6] **لمن شاء منكم أن يستقيم**، معناه -والله أعلم- أن هذا[7] القرآن ذكرٌ لمن شاء أن يستقيم من العالمين. فهو في نفسه ذكر وآيات وهدى، ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة ويهتدي به من طلب الهداية. قال تعالى: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[8] وهو في نفسه هدى، ولكن يهتدي بهداه المتقون، ومن ليس بمُتّقٍ فهو عَمًى عليه ورَجْسٌ،[9] وقال: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[10] وهو كان ينذر[11] من اتبع ومن لم يتبع، ولكن معناه أنه ينتفع بالذي ينذر به من اتبع الذكر. وقال:[12] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ،[13] وهي في[14] أنفسها[15] آيات ولكن ينتفع بآياته أولوا الأبصار.

---

[1] جميع النسخ: ويتبين.
[2] ن: وما يصير.
[3] ر م - لهم يشرف.
[4] ر م - ويصيرون؛ ث: وتصيرون.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى محلّها. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/سطر ٥-١٢.
[6] جميع النسخ + إن هو إلا ذكر للعالمين.
[7] ر: أن هذه.
[8] سورة البقرة، ٢/٢.
[9] الرَّجس: الصوت الشديد، صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد (*لسان العرب*، «رجس»). قارن هذا التشبيه بما ورد في سورة البقرة، الآيات ٢/١٧-٢٠.
[10] ن + وقل آيات لأولي الأبصار. سورة يس، ٣٦/١١.
[11] ر م: تنذر.
[12] ر م: قال.
[13] سورة آل عمران، ٣/١٣؛ وسورة النور، ٢٤/٤٤.
[14] ث - في.
[15] جميع النسخ: أنفسهم.

وقوله[1] عز وجل: **لمن شاء منكم أن يستقيم**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يحمل على تحقيق المشيئة،[2] ويكون تأويله أن من أراد الاستقامة على أمر الله تعالى أو على الحق فهذا الذكر، وهو القرآن، يقيمه[3] على الحق وعلى الأمر ويهديه إلى ذلك. أو أن يكون[4] هذا[5] على تحقيق الفعل، فيكون معناه من استقام منكم على الحق والأمر فهو ذكر له.

والأصل أن المشيئة وصفُ فعلِ كلِّ مختار. وإذا كان هكذا صارت المشيئة مقترنة [به][6] فإذا فَعَل فقد شاء، فكان في إثبات الفعل إثباتُ المشيئة. لذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو أن يُجعل أحدهما كنايةً عن الآخر.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**، فإن كان قوله: لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ،[7] على تحقيق المشيئة فمعناه أنكم لا تشاءون[8] الاستقامة على ما ذكرنا إلا أن يشاء الله. وإن كان على تحقيق الفعل فتأويله أنكم ما استقمتم على الطريقة إلا بمشيئة الله تعالى. وقال بعضهم تأويل قوله: **وما تشاءون**، أي لم تكونوا تشاءون إنزالَ هذا الكتاب فأنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيئتكم. وهذا غير محتمل عندنا لأنه قد سبق من القوم الإرادةُ والسؤال[9] بإرسال الرسول إليهم بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[10] فثبت أنه قد سبق منهم السؤال بإرسال الرسول وإنزال[11] الكتاب عليه، ولكن[12] تأويله ما ذكرنا.

[1] ر: قوله.
[2] ن: المشية.
[3] ن: يقسمه.
[4] ر م - يكون.
[5] ن: بهذا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.
[7] الآية السابقة.
[8] ن: لا يشاءون.
[9] م - والسؤال.
[10] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[11] ت: وانزل.
[12] جميع النسخ: ولكنه. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في هذه الآية دلالة أنّ كلّ من[1] شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة، ولا يجوز أن يشاء من أحد استقامته ولا يستقيم كما قالت المعتزلة؛ لأن الله تعالى مَنَّ على مَن استقام بمشيئته استقامتَه، فلو لم توجد[2] الاستقامة من كلّ من شاء منه الاستقامةَ لم يكن للامتنان معنى، لأن الاستقامة وغير الاستقامة تكون[3] به[4] لا بالله تعالى. ***والله أعلم بالصواب.***[5]

---

[1] ن: كل ما.
[2] جميع النسخ: فلو لم يوجد.
[3] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٤و.
[4] أي تكون عند المعتزلة بالعبد لا بالله تعالى.
[5] ر ل: والله المستعان؛ ث: لا بالله سبحانه وتعالى والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الانفطار[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[١]**

قوله عز وجل:[2] **إذا السماء انفطرت**، قد ذكرنا[3] أن هذا جوابُ[4] سؤال تقدّم، لم يُبيَّن السؤال عند ذكر الجواب، لأن "إذا" جواب عن سؤال "متى". فجائز أن يكون سؤالهم ما ذكر في تمام الجواب، وهو قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[5] فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: متى تعلم النفس ما قدّمت وأخرت؟[6] فنزل قوله: **إذا السماء انفطرت**، الآية، إلى آخرها.[7]

ثم ذَكَر الانفطار هاهنا وهو الشق، وذكر الفتح في موضع آخر وهو قوله تعالى: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا،[8] وقال في موضع آخر: وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ،[9] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ.[10]

---

[1] ر – سورة الانفصار؛ ن م: سورة إذ السماء انفطرت؛ ث + وهي سبع وعشر آيات مكية.
[2] ن – قوله عز وجل.
[3] انظر عند تأويل الآية ١ من سورة التكوير.
[4] ر م + عن.
[5] الآية ٥ من هذه السورة.
[6] ر ث م – فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل متى تعلم النفس ما قدمت وأخرت.
[7] ن: ح
[8] سورة النبأ، ١٩/٧٨.
[9] سورة المرسلات، ٩/٧٧.
[10] سورة الانشقاق، ١/٨٤.

فمنهم من ذكر أن شقها وانفطارها أن تُفتح[2] أبوابها. ومنهم من حمله على الشق الذي يعرف من شق الأشياء، وهذا أقرب لأن الآية في موضع التخويف والتهويل، وليس في فتح أبوابها
[٨٩٠و] تخويف وإنما التخويف في انشقاقها بنفسها.

ثم السؤال عن ملاقاة الأعمال وعن علم الأنفس بها[3] فسؤال عن الساعة. وفي ذكر انفطار السماء وانتثار[4] الكواكب[5] وتفجير البحار وتسيير الجبال[6] وجعل الأرض قاعا صَفْصَفا[7] وَصفُ أحوال الساعة وآثارها، وليس فيه إشارة إلى وقت كونها لأنه ليس في التوقف على حقيقة وقتها تخويفٌ وتهويل، وفي ذكر[8] آثارها تخويف، وهو أنه عَظُمَ[9] هولُ ذلك اليوم واشتدّ حتى لا تقومَ[10] له الأشياء القوية الصَّلْبة[11] في أنفسها وهي الجبال والسماوات والأرضون، بل يؤثّر فيها هذا التأثيرَ حتى تصير[12] ﴿الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾،[13] وتصير[14] ﴿كَثِيبًا مَهِيلًا﴾،[15] وينشق السماء، وتصير[16] الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾،[17] فكيف يقوم لها الإنسان الضعيف الْمَهين؟ وإذا كانت[18] السماوات والأرضون والجبال مع طَوَاعِيَتها لربها لا تقوم[19]

---

[1] ر - وذكر الفتح في موضع آخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا وقال في موضع آخر وإذا السماء فرجت وإذا السماء انشقت فمنهم من ذكر أن شقها وانفطارها.
[2] جميع النسخ: أن يفتح.
[3] ن - بها.
[4] ر م: وانتشار؛ ث: انتثار.
[5] انظر: الآية التالية وما تليها.
[6] انظر: الآية ٣ من سورة التكوير.
[7] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦).
[8] ر: في ذكر.
[9] ر م: أعظم.
[10] جميع النسخ: لا يقوم.
[11] جميع النسخ: العبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.
[12] ن: يصير.
[13] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[14] ن: ويصير.
[15] سورة المزمل، ٧٣/١٤.
[16] ن: ويصير.
[17] سورة طه، ٢٠/١٠٦.
[18] ن ث: أو إذا كانت.
[19] ن: لا يقوم.

لهولها[1] وأفراعها بل تنقطع،[2] فكيف[3] يقوم لها الآدمي الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه مع ربه؟ فيذكّرهم هذه الأحوالَ ليخافوه ويَهابوه فيستعدوا له. فلهذا –والله أعلم– ذُكرت الأحوال التي عليها حالُ ذلك اليوم ولم يبيَّن متى وقته؟ ولهذا لم يبين[4] منتهى عمر الإنسان ليكون أبدا على خوف ووَجَلٍ من حلول الموت به فيأخذَ أُهْبَتَه[5] ويتشمَّر له. ولو بيّن له لكان يقع له الأمن[6] بذلك فيتركُ التزود إلى دنوّ ذلك الوقت ثم يتأهّب له إذا دنا انقضاءُ عمره.

ثم إن الله تعالى ذكر أحوال القيامة في غير[7] موضع وجعَل ذلك مترادفا متتابعا في القرآن فيكون في ذلك معنيان. أحدهما أن للقلوب تغيرا وتقلبا في أوقات، فربَّ قلب لا يلين لحادثة أولَ مرة حتى يُعاد عليه ذكرُه مرة[8] بعد مرة وحالا بعد حال ثم يلين،[9] فيكون في تتابع ذكر البعث والقيامة مرة بعد مرة إبلاغٌ في النِّذارة وقطعُ عذر المعتذرين[10] يوم القيامة.

والثاني أن القوم كانوا حديثَ العهد بالإسلام، وقد وقع الإسلام[11] في قلوبهم موقعا، فيكون في تكرار المواعظ تنقيح لعقولهم وتليينٌ لقلوبهم على ما أكرمهم الله تعالى من الإيمان ونصرة رسول رب العالمين، كقوله: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[12]

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٢]

وقوله: **وإذا الكواكب انتثرت**، فإما أن يكون انتثارها لأنها مجعولة لمنافع الخلق، فإذا استغنى عنها أهلُها فلا معنى لبقائها. أو لِما جعلت زينةً للسماء، فإذا انفطرت السماء لم يُحتج إلى زينة بعدَها.

---

[1] جميع النسخ: لها. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٤و.
[2] جميع النسخ: بل ينقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن + لا.
[4] جميع النسخ: ما لم يبين.
[5] ر م: هيبته.
[6] جميع النسخ: كان يقع به الأمر. والتصحيح من المرجع السابق
[7] ر م: في موضع.
[8] ن + حتى يعاد عليه ذكره مرة.
[9] ر ث م: تلين.
[10] ر م: المعذورين؛ ث: معذرين.
[11] م – وقد وقع الإسلام
[12] سورة الأنفال، ٢/٨.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا البحار فجّرت**، قال قائلون: أي يُفجَّر ماؤه في بحر واحد ثم يَغور ماء ذلك البحر الذي اجتمع فيه المياه إما بما تُنشِّفها[١] الأرض أو يجعل في بطن الحوت الذي[٢] ذكر أن الأرضين قرارُها على ظهره،[٣] أو في بطن الثَّور. ثم يسوّي الله تعالى الأرض كلَّها حتى لا يبقى فيها عِوَج ولا قَعرٌ؛ فتُكبَس[٤] البحار بما شاء إما بالجبل أو بغيرها.[٥] وقال بعضهم: بل يغور ماء كلّ بحر في مكانه لا أن تُجمع[٦] المياه كلُّها في مكان واحد وبحرٍ واحد. وقال بعضهم: بل يمتزج بعضها[٧] ببعض فيصير نارا يعذب[٨] بها أهلها. فكذلك[٩] قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ،[١٠] وقوله:[١١] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ.[١٢] والله أعلم أيَّ ذلك يكون.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا القبور بعثرت**، أي بُعث[١٣] مَن فيها، وتَقذف[١٤] القبور من فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **علِمتْ نفسٌ ما قدمت وأخّرت**، أي تعلم الأنفس [من أوّل][١٥] ما عملت إلى آخر ما انتهى إليه[١٦] عملُها فلا يخفى عليها شيء من أمرها. ومنهم من يقول: ما قدّمت من خير

[١] جميع النسخ: ينشفها.
[٢] جميع النسخ: التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ظ.
[٣] ن: على ظهره.
[٤] ر ث م: فيبس؛ ن: فيكنس. كَبَس الحفرةَ يكبِسها كَبسا: طواها بالتراب (*لسان العرب*، «كبس»).
[٥] ر م: بغير.
[٦] ر ث م: يجمع.
[٧] ن: بعضهم.
[٨] ر م: معذب.
[٩] ر ث م: وكذلك.
[١٠] سورة التكوير، ٨١/٦.
[١١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ظ.
[١٢] سورة الطور، ٥٢/٦.
[١٣] ث: بعثت.
[١٤] ن: ويقذف.
[١٥] الزيادة من المرجع السابق.
[١٦] ر م: إليه.

وأخرت من شرّ فستعرفه في ذلك اليوم. ومنهم من يقول: **علمت نفس ما قدمت**، من العمل أي بما عملت بنفسها **وأخرت**،[1] أي ما سنّت[2] من السنة فعُمِل بها بعدها.[3] وهذا الذي ذكروه داخل في تفسير الجملة التي ذكرنا أنها تعمّ من أول ما عملت إلى آخر ما انتهى إليه[4] عملها.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم**، يحتمل "عن ربك"، فيكون تأويله أيُّ شيء غرّك عن[5] ربك الكريم حتى اغتررت به؟ واغتراره عن ربه الإعراضُ عن طاعته وعبادته. وقد يستعمل "الباء" في موضع "عن"، قال الله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ،[6] ومعناه[7] يشربون عنها لا أن يشربوا[8] فيها كَرْعا،[9] أو تُجعل[10] العينُ آنية لهم.

ثم وجه الجواب لمغترّ بالله تعالى في قوله تعالى: **ما غرك بربك الكريم**، وهو أنّ كرمه دعا الإنسان إلى ركوب[11] المعاصي لأنه لم يأخذه بالعقوبة وقت جريمته،[12] فتجاوزُه عنه أو تأخيرُه العقوبةَ حَمَله على الاغترار؛ إذ ظَنَّ أنه يعفَى عنه أبدا كذلك فأقدمَ عليها، وإلّا لو حلت به العقوبةُ وقتَ ارتكابه المعصيةَ لكان لا يتعاطى المعاصي ولا يرتكبها. فعذره أن يقول: إنّ[13] الذي حَمَلني على الإغفال والاغترار كرمُكَ أو حمقي، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تلا هذه الآية: الحُمْقُ يا ربّ.[14]

---

[1] جميع النسخ: وما أخرت.
[2] ن: شيت.
[3] ن – بعدها.
[4] جميع النسخ: إليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ط.
[5] ر – عن؛ ن ث م: من.
[6] سورة الإنسان، ٦/٧٦.
[7] ر ث م: ومعناها.
[8] ن: يشرب.
[9] كَرَع الماءَ يكرَع كَرْعا إذ تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفّه ولا بإناء كما تشرب البهائم؛ لأنها تُدخِل فيها أكارعها (*النهاية* لابن الأثير، ١٤٢/٤).
[10] جميع النسخ: يجعل.
[11] ر ث م: ركون.
[12] ن ث: حريرته.
[13] ر ث م – أن.
[14] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/ ٢٤٥.

أو يكون قوله: **ما غرك بربك الكريم**، أي أيُّ شيء غرّك حتى ادّعيتَ على الله تعالى أنه أَمَرك باتباع آبائك أو تشهد[1] عليه إذا ارتكبتَ الفحشاءَ أن الله تعالى أَمَرك به؟ على ما قال: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] ألم أَبعث إليك لرسول ألم أُنزل إليك الكتب[3] ليُبيِّن لك ما أُمرت به عما نُهيتَ عنه؟

[٨٩٠ظ] وقيل: نزلت الآية في شأن[4] كَلَدَةَ [بن أسيد] حيث ضرب النبيَّ صلى الله / عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فأسلم حمزةُ [عندما بلغه ذلك][5] حميةً لقومه، فهَمّ كلدة أن يضربه ثانيا فنزلت الآية: **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**، حيث لم يُهلكك عند تناولك[6] رسولَ الله. لكن لو كانت الآية فيه فكلّ الناس في معنى الخطاب على السواء. ***والله أعلم***.

﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾[٧]

وقوله عز وجل: **الذي خلقك فسواك**،[7] ففي ذكر هذا تعريف[8] المنة ليستأدي منه الشكرَ، وفيه ذكر قوّته وسلطانه حيث قدَر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث[9] الذي لا ينتهي إليها تدبير البشر ولا يجري عليها سلطانهم ليهابوه ويحذروا[10] مخالفته. وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا أنهم لم يُخلقوا عبثا ولا سُدى؛ لأن الذي بلغت حكمتُه وعلمُه[11] ما ذُكر من إنشائه في تلك الظلمات الثلاث من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز أن يخرج خلقُه عبثا باطلا، بل خلَقهم ليأمرهم وينهاهم ويُرسل إليهم الرسل وينزل عليهم الكتب فيَلْزَمَهم اتباعها ويعاقبهم إذا[12] أعرضوا عنها وتركوا اتباعها.

---

[1] ن: أو يشهد.
[2] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[3] ر ث م: الكتاب.
[4] ن: بيان.
[5] الزيادة من تفسير بحر العلوم للسمرقندي، ٣٧٩/٤.
[6] ر م: لم يهلك عند تناول؛ ث: تناول.
[7] ر ث م + فعدلك.
[8] ر م: لتعريف.
[9] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[10] ر م: ويحذرون.
[11] ن + ليعلموا أنهم لم يخلقوا عبثا.
[12] ن: إذ.

وسنذكر وجه التسوية به في قوله:[1] ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى،[2] أنه سوّ ه على ما توجبه[3] الحكمةُ. أو سوّاه بما به مصالحه، أو سوّاه من وجه الدلالة على معرفة الصانع، أو سوّاه فيما تخلق له من اليدين والرجلين والسمع والبصر.

وقوله عز وجل: **فعدلك**، أي سوّاك. ووجهُ التسوية أنْ جَعَل يديه[4] مستويتين[5] لم يجعل إحداهما أطول من الأخرى، وكذلك سوّى بين رجليه. وقرئ بالتخفيف والتشديد.[6] قال أبو عبيدٍ: معنى قوله: **فعدلك**، بالتخفيف أي أمالك، وليس في ذكره كثيرُ حكمة. واختار التشديد فيه. وليس كما ذكر بل في ذكر هذا من الأعجوبة ما في ذكر الآخر، فقوله: عَدَلَك، أي صَرَفك من حالٍ إلى حال؛ ووجه صرفه -والله أعلم- أنه كان في الأصل ماء مَهينا في صب الأب فصرَف[7] ذلك الماء إلى رَحِم الأم، ثم أنشأه نطفة، ثم صرفها إلى العَلَقة وإلى المُضْغَة إلى أن[8] أنشأه خلْقا سويّا. أو صَرَفه على ما عليه من الحال من الصحة إلى السُّقم ومن السُّقم إلى البُرْء؛[9] فيكون في ذكر هذا تعريفُ[10] المنة والقدرة والحكمة كما في الأول، ففيه أعظم الفوائد.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **في أي صورة ما شاء ركبك**، منهم[11] من جعل "ما"[12] هاهنا صلة زائدة، ومعناه: في أيِّ صورة شاءَ[13] ركّبك. ومنهم من جعل "ما" هاهنا[14] بمعنى الذي.

---

[1] ر: بقوله.
[2] سورة الأعلى، ٢/٨٧.
[3] جميع النسخ: على م يوجبه.
[4] جميع النسخ: أن جعله يدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[5] ر ث م: مستويين.
[6] واختلفوا في قوله: ﴿فعدلك﴾ فقرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديد الدال (*النشر في القراءات العشر* لابن جزري، ٢/٣٩٩).
[7] ر م: فصرب.
[8] ر م - أن.
[9] ن: إلى لشر.
ر ل م: التعريف.
[11] ن: ومنهم.
[12] جميع النسخ: ماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[13] ن: ما شاء. والتصحيح من لمرجع السابق.
[14] ر ث م - صلة زائدة ومعناه في أي صورة ما شاء ركبك ومنهم من جعل الماء هاهنا

ثم قوله: **شاء ركبك**. يحتمل أن يكون هذا عبارة عما تقدم من الأوقات، وهو أنه قد شاء تركيبك على الصورة التي أنت عليها لا على صورة البهائم وغيرها؛ فيكون في ذكره تذكيرُ المنن والنعم ليستأدي منه الشكرَ. ووجه التذكير أنه أنشأه على صورة يرضاها[1] ولا يتمنى[2] أن يكون بغير هذه الصورة من الجواهر؛ وأنشأه على صورة يعرف المحاسن والمساوئ، ويعرف الحكمة والسفه، ويميز بينهما ويميز بين المضارّ والمنافع؛ وأنشأه على صورة سخر له السماوات والأرضين والأنعام كما قال الله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [جَمِيعًا مِنْهُ]،[3] الآية، وقال عز وجل: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[4] الآية، ولم يسخره لغيره؛ فثبت أن فيه تذكيرَ النعم ليشكروه ويقوموا بحمده.

وجائز أن يكون هذا على الاستئناف في أن يركّبه على ما هو عليه على أيّ صورة شاء من الصور التي يستقدرها، ويمسخه قِرَدا أو خنازير[5] لمكانِ ما يتعاطى من المعاصي، فيكون في ذكره تذكيرُ[6] القدرة والقوة، ليراقب الله تعالى ويَهَابَه فيتركَ معاصيَه ويتسارع إلى طاعته.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كلا بل تكذبون بالدين**، فإن حملت قوله:[7] **كلا**، على التنبيه والردع فممكن أن يُعطَف على ما قبله وعلى ما بعدَه، وكذلك إذا حملتَه على القَسَم بمعنى "حقا"، فإنه يستقيم عطفه على الأمرين جميعا. وقوله عز وجل: **بالدين**، يحتمل أن يكون أريد به دين الإسلام. والأصل أن الدين إذا أُطلق أريد به الدين الحق وهو دين[8] الإسلام. وكذلك الكتاب المطلق كتاب الله تعالى. ويجوز أن يكون أريد به البعث والجزاء، وسُمّي يومَ الدين لما ذكرنا أن الناس يُدانون بأعمالهم. والحكمة فيه -والله أعلم- أنهم قد أقرّوا بأن الله تعالى أحكمُ الحاكمين؛ وتكذيبُهم بيوم الدين يوجب أن يكون أسفهَ السفهاء لا أن يكون أحكمَ الحاكمين،

---

[1] ر ث م: ترضاها.
[2] ر ث م: ولا تتمنى.
[3] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[4] سورة الإسراء، ٧٠/١٧.
[5] جميع النسخ: أو خنزيرا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٥و.
[6] ن: تذكر.
[7] ث: قوله.
[8] ر ث م - دين؛ ن: الدين.

لأن الدنيا عواقبها الفناء[1] والهلاك فهم إذا كذّبوا بالبعث فقد زعموا أنهم ما أنشئوا إلا[2] لمهلاك والفناء، ومَن بنى بناء ولم يقصد[3] ببنائه سوى أن ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث في الفعل؛ فلم يَحْصُلوا من تكذيبهم إلا على نفي الحكمة[4] من الصانع وتثبيت السفه له.[5] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وهو كقوله:[6] وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[7] وهم لم يكونوا يدّعون أنهما خلقتا باطلا ولا كانوا يظنون ذلك، ولكن الإنكار الذي وُجد منهم بالبعث والجزاء يقتضي خلقهما باطلا. فعلى ذلك إنكارهم / بالبعث يُزيل عنه [٨٩١و] القولَ بأنه أحكم الحاكمين ويُثبت ما ذكرنا من السفه. سبحانه وتعالى عما يصفون.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[١٠] ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإن عليكم لحافظين**، [وهم لم يكونوا يعرفون أنَّ عليهم حُفّاظا لأنهم لا يشاهدونهم، وإنما يقع له المعرفة بالخبر،] وهم لم يكونوا يَقبلون الأخبار ولا كانوا يؤمنون بها. ثم أخبرهم أنَّ عليهم حُفّاظا لأن الذي حملهم على الجهل تَرْكُهم [التدبرَ والنظر في الأمر. ففيه دليل أن حجة الله تُلزِم الكفرة، وجهلهم بها لا يُعذرهم لأن الذي حملهم على الجهل تركهم][8] الإنصاف من أنفسهم وإلا لو أنصفوا من أنفسهم لكان إعطاؤهم النَّصَفة يوصلهم إلى تدارك الحق ومعرفة[9] ما عليهم من الواجب.

ثم قد ذكرنا أن المرء إذا كان عليه حافظ[10] أدّاه ذلك إلى المراقبة فيرتدع عن تعاطي ما يؤخذ عليه؛ فَنَبَّهَنا أن علينا حفّاظا لنحتشم[11] عنهم ولا نأتيَ[12] من الأمور ما يسوءهم.[13]

---

[1] ر ث م: لفساد.
[2] ر: لا.
[3] ث: لم يقصد.
[4] ن: الحكم.
[5] جميع النسخ: لله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[6] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[8] هذه الزيادة وما قبلها نقلت من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.
[9] ر م: ومعرفته.
[10] جميع النسخ: حافظا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: ما يوجد عنه فنبهنا أن علينا حفاظا لنحتشم.
[12] جميع النسخ: ولا نأتي. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: يسوئهم.

ووَصَف أنهم كرام[1] لِيَتَصْحَبَهم[2] صحبةَ الكرام، ومن صحبة الكرام أن نحترم لهم ونتقيَ مخالفتهم ولا نَتعاطَى ما يسوءهم،[3] وذلك قوله: **كرامًا كاتبين**.

وفي ذكر الكرام فائدة أخرى، وذلك أن قوله: **كرامًا كاتبين**، أي كرام على الله تعالى، والكريم على الله تعالى هو المتقي، قال الله[4] تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ،[5] فيكون فيه إيماءٌ لهم أنهم[6] لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وإنما يكتبون قدرَ عملهم، كما ذكرنا من الفائدة في وصف جبريل عليه السلام بالقوة والأمانة.[7]

## ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يعلمون ما تفعلون**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يعلمون ما نفعل[8] قبل أن نفعل بما عرّفهم الله تعالى، فيكون في تعريفه إياهم إلزامُ الحجة عليهم، ويكون الذي يكتبون امتحانا[9] امتُحِنوا به؛[10] إذ قد فَوّض إلى بعضهم أمر كتابة الأعمال وإلى البعض[11] إرسالَ الأمطار ونحو ذلك. أو **يعلمون ما تفعلون** وقتَ فعلكم جهةَ الفعل من خير أو شر، فيكون لفعل الخير آثارٌ[12] بها يعرفون أن الفاعل[13] قصد به جهة الخير، ويكون لفعل[14] الشر آثارٌ[15] بها يعرفون ذلك أيضا.

---

[1] ر م: إكرام.

[2] جميع النسخ: ليصحبهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.

[3] جميع النسخ: أن يحترم لهم ويتقي (ر: ويبقي) مخالفتهم ولا يتعاطى ما سوءهم (ر م: يسوهم). والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ن – لله.

[5] سورة الحجرات، ١٣/٤٩.

[6] ن – أنهم.

[7] انظر عند تأويل قوله تعالى الآيتين ٢٠ و ٢١ من سورة التكوير.

[8] ر ث م: ما تفعل؛ ن: ما يفعل. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ن: امتحان.

[10] ث: امتحان امتحن به.

[11] ر م: بعض.

[12] جميع النسخ: آثار. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر م + به.

[14] ر م: الفعل.

[15] جميع النسخ: آثار. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم عُذْر المسلمين في ترك المراقبة أقلّ من عذر المكذبين بالدين؛ لأن المسلمين علموا أنّ عليهم حُفّاظا يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها عليهم، ثم هم مع ذلك يفعلون ولا يَصحَبونهم صحبة[1] الكرام، ويتركون التيقظ والتبصر؛ والكفرة ينكرون أن يكون عليهم حفاظ،[2] ومن كان هذا حالُه فالإغفال[3] عن مثله غيرُ مستبعد.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[١٣] ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**، فقد ذكرنا[4] أنّ البَرّ هو الذي[5] أعطى ما طُلِب منه، والذي طُلِب منه ما ذُكِر في قوله: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ -إلى قوله- وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.[6] وفي هذه الآية دلالة على ما ذكرنا أن البِرّ إذا ذُكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي يراد بالتقوى؛ لأنه أخبر أن البر هو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، ثم ذَكَر أنّ الذي جَمَع بين هذه الأشياء فهو المتقي.

ثم احتجت المعتزلة لقولهم[7] بالتخليد في النار لمن ارتكب الكبيرة بقوله تعالى: **وإن الفجار لفي جحيم** -إلى قوله- وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ،[8] لأن[9] مرتكب الكبيرة فاجر، وقد وصف الله تعالى **إن الفجار لفي جحيم**، ولا يغيب عنها، وزعموا أنه ما لم يأت بالشرائط الذي ذكر في قوله: وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[10] فهو غير داخل في قوله: **إن الأبرار لفي نعيم**.

والأصل عندنا ما ذكرنا أنّ كل وعيد مذكور مقابلَ الوعد فهو في أهل التكذيب لما ذكر من التكذيب عند التفسير بقوله: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ -إلى قوله- وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ،[11]

---

[1] ث: صحة.

[2] ر ث م: حفاظا.

[3] ر ث م: والإغفال.

[4] ر م: قد ذكر.

[5] ر ث م - هو الذي.

[6] سورة البقرة، ١٧٧/٢.

[7] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.

[8] الآية ١٦ من هذه السورة.

[9] م + من.

[10] سورة البقرة، ١٧٧/٢.

[11] ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين﴾ (سورة المطففين، ٧/٨٣-١٠).

وقال: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ -إلى قوله- فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.[1] وإذا كان كذلك لم يجب قطع القول بالتخليد لمن ارتكب الكبيرة، بل وجب القول بالوقف فيهم.

ثم[2] الله تعالى جَعَل لأهل النار يومَ البعث أعلاما ثلاثة بها يعرفون، ويتبيّن[3] أنهم من أهل النار، [و]لم يجعل شيئا من تلك الأعلام في أهل السعادة. أحدها اسوداد الوجوه بقوله: وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.[4] والثاني بما يُدفع إليهم كتبُهم[5] بشمالهم ومن وراء ظهورهم، ويُدفع إلى أهل الجنة كتبهم بأيمانهم.[6] والثالث في أن تَخِفَّ موازينهم وتَثقُل[7] موازين أهل الحق؛ فهذه أعلام أهل الشقاء. وفيما ذُكّر اسوداد الوجوه قَرَن به التكذيب بقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.[8] وفيما ذكر دفعَ الكتاب بالشمال ومن وراء الظهر[9] قال فيه: فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ،[10] وقال: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ -إلى قوله تعالى- إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى،[11] الآية،[12] وقال تعالى عند[13] ما ذكر خِفّةَ الميزان: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.[14] ولم يَذكر عند ذكر[15] شيء من هذه الإعلام غيرَ المكذبين؛ فثبت أن الوعيد [المطلق][16] في المكذّبين لا في غيرهم، لذلك لم يَسَع لنا أن نُشرك أهلَ الكبائر مع أهل التكذيب في استيجاب العقاب وقطعِ القول بالتخليد، بل وجب الوقف في حالهم والإرجاءُ في أمرهم.

---

[1] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٤/٢٣-١٠٥).

[2] ر ث م + إن.

[3] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.

[4] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.

[5] جميع النسخ: كتابهم.

[6] ن: إلى أيمانهم. انظر: سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٣٣.

[7] جميع النسخ: في أن يخف موازينهم ويثقل.

[8] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.

[9] ر ن ث: الظهور.

[10] سورة الحاقة، ٣٢/٦٩-٣٣.

[11] سورة الانشقاق، ١٠/٨٤-١٥.

[12] ر: إلا.

[13] ر: عنه؛ م – عنه.

[14] سورة المؤمنون، ١٠٥/٢٣.

[15] ر م – عند ذكر.

[16] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٦و.

والثاني ذَكَر في مواضع الإيمان بالله تعالى أدنى مراتب أهل الإيمان ووَعَد عليه الجنة
فقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ،[1] وقال في موضع آخر:[2] [سَابِقُوا إِلَى [٨٩١ط]
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ،[3]
وقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ،[4] الآية.[5] فذكر في هذه الآيات التي تلوناها أدنى منازل أهل الإيمان. وذكر في موضع آخر أعلى[6] مراتب أهل الإيمان ووَعَد عليها الجنة بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ،[7] الآية، وقال: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[8] الآية.

فجائز أن يكون ذَكَر الجميع على المبالغة لا على جعله شرطا فيجب القول باستيجاب الوعد بأدنى مراتبه على ما ذكر في الآيات الأخر. وجائز أن يكون الجميعُ فيما ذَكر فيه[9] الإيمان بالله ورسله مضمرا و يكونَ ذكرُ طرف منه على الإيجاز. ألا ترى أنه ذَكَر الكفرَ في بعض المواضع وأوعد عليه النار، وذَكَر في بعض المواضع الكفر مع أسبابٍ أُخَرَ وأوعد عليه النار بعد ذلك بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ،[10] الآية، وقال في موضع آخر:[11] قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ،[12] الآية.

ثم لم يصر جميعُ ما ذُكر من السيئات مع الكفر شرطا بل وَجَب القولُ بالتخليد لمن اقتصر على الكفر خاصةً؛ فثبت أنْ ليس في ذكر المبالغة دلالةُ جعل المبالغة شرطا بل جائز أن يستوجب الوعيد بدونه؛ فلذلك لم يُقطَع القول في أصحاب الكبائر بالتخليد في النار ولا بأنهم مستوجِبون للوعد بل قيل فيهم بالإرجاء.

---

[1] سورة الحديد، ١٩/٥٧.
[2] ن – آخر.
[3] سورة الحديد، ٢١/٥٧.
[4] سورة النساء، ١٥٢/٤.
[5] ن – الآية.
[6] ر م: على؛ ن: في موضع أعلى.
[7] سورة العصر، ٣/١٠٣.
[8] سورة البقرة، ١٧٧/٢.
[9] ر م + ورسله.
[10] سورة آل عمران، ٢١/٣.
[11] ن – الآية وقال في موضع آخر.
[12] سورة المدثر، ٧٤/٤٣-٤٤.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾[١٥] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين**، قال بعضهم: تأويله منصرف إلى أهل النار وأهل الجنة؛ فأهل الجنة لا يغيبون عن الجنة ولا أهل النار عن النار. وقال بعضهم: أريد بها أهل النار خاصةً أنهم لا يغيبون عنها.

وأنكر بعض الناس الخلود لأهل النار في النار ولأهل[1] الجنة في الجنة، وقالوا: لو لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب[2] الآخرة انتهاء لكان يرتفع عن الله تعالى الوصفُ بأنه أول وآخرٌ لأنهما تبقيان[3] أبدا فلا يكون هو آخرًا،[4] وقد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ،[5] فلا بد من أن يكون لهما انتهاء حتى يستقيم الوصفُ بأنه آخر؛ ولأنهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علمُ الله تعالى غيرَ محيط بنهايتهما فتكون[6] النهاية مجاوزة لعلمه، والله سبحانه وتعالى محيط بالأشياء وعالم بمبادئها[7] وتناهيها؛ فلا بد من القول بفنائهما حتى يكون علمه[8] محيطا بهما؛ ولأنهم إنما استوجبوا الجزاء بأعمالهم وأهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم، فإذا[9] كانت لسيئاتهم نهاية ولخيرات أولئك نهايةٌ فكذلك يجب أن يكون للجزاء نهاية أيضا.

والأصل عندنا أنّ كلّ من أعتقد مذهبا فهو يعتقده لِيَدِينَ[10] به أبدا ما بقي لا ليتركه. ثم العقاب جُعل جزاء للكفر، والثوابُ جعل جزاء للاتقاء عن المهالك بقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[11] وقال: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.[12] فإذا[13] ثبت أن كل واحد منهما جزاء للمذهب، وكان الاعتقاد للأبد

[1] ث: وأهل.
[2] م + النار.
[3] جميع النسخ: يبقيان. والتصحيح من *الشرح*، ٣٢٦و.
[4] جميع النسخ: هو آخر.
[5] سورة الحديد، ٣/٥٧.
[6] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق
[7] ر ث م: مبادئها.
[8] ر: عمله.
[9] ن: وإذا.
[10] جميع النسخ: يعتقد لتدين (ن + ابيدين). والتصحيح من المرجع السابق.
[11] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[12] سورة آل عمران، ١٣٣/٣.
[13] جميع النسخ: وإذا. والتصحيح من المرجع السابق.

فكذلك جزاؤه يقع للأبد و لدوام لا للزوال والانقطاع. والثاني أن نعلم بزوال النعم مما ينغص النِعَم[1] على أربابها ويُمرِّرُ عليهم لَذَّاتِها ويُكدِّر عليهم ما صفا[2] منه. فإذا كان كذلك لم يتم لهم النِعم.[3] وأهل النار إذا تذكروا الخلاص من العذاب تلذذوا بها وهان عليهم العذاب، فوجب القول بالخلود ليتم النعيم على أهله والعذاب على أهله.

والجواب عن قوله: إنه يرتفع عنه[4] الوصفُ أنه آخرٌ أنّ الله تعالى استوجب الوصف[5] بأنه أول وآخر بذاته لا بغيره، وغيرُه يصير أولا وآخرا بغيره؛ ثم ما من شيء إلا وله أولٌ وآخرٌ، ثم لا يوجب ذلك إسقاط الأولية والآخرية عنه.[6] وقوله بأن الله عز وجل[7] لا يوصف بالإحاطة بالأشياء لو وجب القول بالخلود. فنقول بأنّ[8] العلم بما لا نهاية له هو أن يعلمه غير متناهٍ، والعلم بالتناهي لما[9] لا نهاية له يوجب الجهل لا العلم. والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا أنه يعتقد[10] المذهب للأبد فكذلك الجزاء يتأبد ولا ينقطع.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٧] ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**، قال بعضهم: إنك لم تكن تدري فأدراك[11] الله تعالى. وقال بعضهم: هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا**. [والإشكال إن قال قائل: كيف قال: **لا تملك نفس لنفس شيئا**][12] وذلك اليوم يومٌ تُجرَى[13] فيه الشفاعاتُ فيَشفع الأنبياءُ

---

[1] جميع النسخ: النعيم، والترجيح من الشرح، ورقة ٣٢٦و.
[2] ن: ويكثر عليهم ما وصفنا.
[3] جميع النسخ: النعيم، والترجيح من المرجع السابق.
[4] ر ه: عند.
[5] ر ث م – أنه آخر أن الله تعالى استوجب الوصف.
[6] ر ه - عنه.
[7] ن: أنه تعالى.
[8] ن: أن.
[9] ر ث م: بما.
[10] ن: نعتقد.
[11] جميع النسخ: فداك، والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٦ظ.
[12] زيادة من المرجع السابق.
[13] ر ه: يجري.

لكثير من الخلق فيُشفّع لهم، وإذا كان كذلك فقد ملكت نفسٌ لنفس شيئا؟ ولكن تأويله[1] يخرّج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الكفرة كانوا يتوادّون فيما بينهم ليتناصر بعضُهم بعضا في النوائب فقال: **لا تملك نفس لنفس شيئا**. قال الله[2] تعالى: إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.[3] أو لا تملك نفس لنفس شيئا إلا بعد أن يؤذن لها، كما قال [٨٩٢و] عز وجل: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا،[4] وقد يجرى التشفع في الدنيا لا بالاستئذان من أحد. أو يكون معناه أنّ كلّ نفس سيتبين لها في ذلك اليوم أنها لم تكن تملك شيئا إلا بالتمليك.

وقوله عز وجل: **والأمر يومئذ لله**، أي لا يُنازَع فيه وهو في كلّ وقت لله تعالى، لكنّ الظلمة ينازعون في هذه الدنيا. أو **الأمر يومئذ لله**، أي يتبين لكلّ أحد في ذلك اليوم بأنّ الأمر لله تعالى في ذلك اليوم وقبلَ ذلك اليوم. ***والله المستعان***.[5]

---

[1] ن: تأويل.
[2] ن - لله.
[3] سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩.
[4] سورة النبأ، ٣٨/٧٨.
[5] ر + الحمد لله رب العالمين؛ ب + والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المطففين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[١]**

قوله عز وجل: **ويل للمطففين**، فوجه تعييرهم بالتطفيف وإلحاقِ[2] الوعيد بهم[3] لمكانه -وإن كانوا مستوجبين للوعيد وإن أوفَوْا المكيال ولم يطففوا فيه، إذ[4] كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذِّبين بالبعث- هو أن الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله تعالى[5] لتلذُّذٍ[6] يقع لهم بنفس الكفر ولا التزموه على التحسين لهم إياه، وإنما أعرضوا[7] عن الإيمان لحبّهم الرياسة ولِمَأْكَلَةٍ كانت لهم خافوا زوالها عنهم بالإسلام؛[8] أو زهدوا عنه[9] لما يلزمهم بالإيمان مُؤَن فاختاروا[10] الكفر لئلا يلزمهم[11] تحمّلُها،[12] فكأنّ الذي يحملهم[13] على الصدّ عن الإيمان

---

[1] ر – سورة المطففين؛ ن م: سورة ويل للمطففين؛ ث + وهي ست وثلاثون آيات مدنية.

[2] ن: و لإلحاق.

[3] ر ن م – بهم.

[4] ر ث م: إذا.

[5] ن + ومكذبين بالبعث.

[6] ر: ليتلذ؛ ث: ليتلذذ.

[7] ر: وربما عرضوا.

[8] ن + أو زهدوا عنه بالإسلام.

[9] ر: عند

[10] جميع النسخ: واختاروا. والتصحيح من الشرح، ٣٢٦ظ

[11] ر ث م + بالإيمان.

[12] م + فكأنهم.

[13] ن: تحملهم

وترك النظر في آيات الله تعالى وحججه ما ذكرنا. فعُيّروا بالأفعال الدنية التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف والهمز واللمز وتركهم إيتاءَ الزكاة، بقوله عز وجل: [وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ] اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.[1] ليقلعوا عنها فيحملهم ذلك على النظر في القرآن والتدبر فيه. وهو كما ذكرنا في القتال أنّ فيه ما يحملهم على الإيمان؛ لأنهم كانوا يتزهدون عنه لحبّهم الدنيا فإذا قوتلوا ضاقت عليهم الدنيا فبعثهم ذلك على الإيمان بالله تعالى وعلى النظر في آياته. وذُكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا تلا هذه الآية على أهل مكة تركوا التطفيف فلم يطفّفوا بعد ذلك.[2] قال أهل اللغة: التطفيف النقصان. يقال: إناء طَفّان إذا كان غير مملوء. وقال الزجاج: يقال شيء طفيف أي يسير. فسمي مُطفِفا لما يَسرِق منه شيئا فشيئا في كل مِكيال.[3]

وفي هذه الآية دلالة أنّ حرمة الربا عامّة على أهل الأديان، وفيها[4] دلالة أنّ حرمة الربا ليست لمكان العاقدينِ[5] وإنما هي حق على العاقدَينِ لله تعالى. وذلك أن الذي يكال له كان يأخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف البائع ثم كان يرضى به ويتجاوز عن ذلك ومع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف، فدلّ أن حرمته ليست لمكان العاقدَينِ ولكنها من حق الله تعالى.

**﴿اَلَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون،** فمنهم من ذكر أن هذا على التقديم والتأخير،[6] ومعناه: ويل لمطففين على الناس إذا كالوا[7] أو وزنوا، وإذا اكتالوا استوفَوْا.[8] ومنهم من قال: بأن "على" هاهنا بمعنى "عن". فكأنه يقول: ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا عن[9] الناس يستوفون.

---

[1] سورة فصلت، ٤١/٦-٧.

[2] عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك (*سنن ابن ماجة*، التجارات ٣٥). قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه (*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥/٣٤٣).

[3] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٩٧.

[4] جميع النسخ: وفيه.

[5] ر: العاقلين.

[6] ر م: والتأخر.

[7] ر ث م: اكتالوا.

[8] ر: استوفون؛ م: يستوفون.

[9] ث: على.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**؛ فمنهم من حمل قوله: "هم" بعد ذكر الكيل والوزن على التأكيد والمبالغة، فإن كان[1] على هذا فحقه الوقف على قوله: "كالوا" وعلى قوله: "وزنو". ومنهم من قال: معناه: وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، لأن الألف بينهما ليست بمثبتة في المصاحف وهو مستعمَل: كِلْتُه وكِلْتُ له، كقوله:[2] وعدتُه ووعدتُ له. فإن كان[3] هذا معناه، لم يستقم الوقف على قوله: "كالوا" و"وزنوا"؛[4] لأن قوله "لهم" تفسير لقوله: "كالوا" و"وزنوا"،[5] ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**،[6] قال أكثر أهل التفسير: **ألا يظن**: ألا يعلم، وألا يتيقن. وقال أبو بكر الأصم: **ألا يظن**، بمعنى[7] ألا يشكّ أولئك في البعث، وهو محتمل لما ذكرنا أنّ الشك[8] يوجب الرهبة وارتفاعَه يوجب الأمن، ألا ترى أن المرء إذا أراد أن يسافر إلى مكان فأخبره إنسان أنّ في الطريق الذي يريد أن يسلك[9] سُرّاقا وقُطّاع الطريق فإنه يترهّب لذلك فيستعدّ له ما يدفع عن نفسه ضررَ قطّاع الطريق وضرر السراق[10] وإن لم يتيقن أن المخبر صادق[11] في مقالته ولا تيقّن[12] أن السرّاق يتمكّنون من الإضرار به.[13] فكيف لا يشكّ هؤلاء بكون البعث بما يخبرهم النبي عليه السلام ويقيم عليه الحجج؟ وهذا أقلّ منازل الأخبار أن تورث[14] شكا.

---

[1] جميع السخ + هذا. ولتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[2] ر م: لقوله.
[3] ث + على.
[4] ر ن ث: أو وزنوا.
[5] جميع السخ: أو وزنو. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م + الآية.
[7] جميع لنسخ: معنى. ولتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع لنسخ: لأن الشكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: تريد أن تسلك.
[10] ر م: سسرق.
[11] ر م: لصادق.
[12] ر م: ولا ينقى.
[13] ر م - به.
[14] جميع السخ: أن يورث. والصحيح من المرجع السابق.

ثم الأصل أن حرف الشك يستعمل[1] عند استواء طرفي الداعيين، والظن يستعمل عند اختلاف طرفي الداعيين، وهو أن تغلب[2] إحدى الدلالتين على الأخرى، لذلك يستقيم الحكم والقول بأكثر الظن ولا يستقيم بأكثر الشك.

ثم الظن يتولد من البحث عن الأمر والنظر فيه، فإذا تدبّر فيه فهو لا يزال يرتقي في الظنّ درجة فدرجةً حتى ينتهيَ نهايتَه ببلوغ اليقين ودَرْكَ الصواب.[3] فلذلك حمل أهل التفسير **تأويل الظنّ** هاهنا على اليقين والعلم، / إذ ذلك نهاية الظن.[4] وحمل أبو بكر [الأصم] على الشكّ [٨٩٢ظ]
لما لا ترتفع[5] الشبهة كلُّها فيما كان طريق معرفته الاجتهادَ. ومثال الظنّ مثال[6] الخوف الذي ذكرنا أنه قد يستعمل في موضع العلم؛ لأنّ الخوف إذا بلغ غايته صار علما كالذي يُهدَّد بالقتل أو بقطع[7] عضو ليشرب[8] الخمر أنه يباح له الشرب، وجُعل[9] كالمتيقِّن أنه يُفعَل[10] به لا محالةَ لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايتَه، وإن لم يكن في الحقيقة متيقّنا لما يجوز أن يحصل به ما يمنعه عن القتل، فعلى ذلك الحكمُ في الظنّ. وقوله عز وجل: **[ألا يظن] أولئك أنهم مبعوثون**، للحساب الذي يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلّصون من العذاب، ليس على ما يحصل عليه الحسابُ في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجهَ المخرج عنه.[11]

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥]

وقوله عز وجل: **ليوم عظيم**، سمّاه عظيما لما ذكرنا من دوام عذابه ودوام ثوابه.[12]

[1] ر م – يستعمل.
[2] جميع النسخ: أن يغلب.
[3] ن: الثواب.
[4] ر م: الظن.
[5] جميع النسخ: لا يرتفع.
[6] جميع النسخ: مثل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[7] ر م: لا يقطع.
[8] ر م: بشرب.
[9] جميع النسخ: ويجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر – يفعل.
[11] م – للحساب الذي يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ليس على ما يحصل عليه الحساب في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجه المخرج عنه.
[12] ر ث م: عقابه؛ ن: لقائه. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يوم يقوم الناس لرب العالمين**، أي لحكمه أو لحسابه أو لوعده ووعيده، أو يقومون له مستسلمين خاضعين بجملتهم، وإن كان البعض منهم وُجِد منه الامتناع عن الاستسلام في الدنيا؛ فإن الظَّلَمة ينازعونه ويدّعون لأنفسهم أشياء وينكرون[1] له، فأما يوم القيامة فإنهم جميعا يقرون له[2] وينقدون لحكمه وقضائه، لذلك خصه بقيام الناس له.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **كلا**، قال الحسن وأبو بكر [الأصم]: حقا،[3] أي بعثُهم حق فيُبْعَثون. وقال الزجاج: **كلا**، حرف ردع وتنبيه،[4] أي ليس الأمر على ما ظنوا أنهم لا يبعثون بل يُبعثون ويجازون بأعمالهم؛ فيكون في هذا إيجاب القول بالبعث من[5] طريق الاستدلال، [وفيما ذكره الحسن وأبو بكر إيجابُ القول به نصا لا استدلالا].[6]

وقوله عز وجل: **إن كتاب الفجار لفي سجين**، اختلف في السجين، فمنهم من جعله اسم موضع وأشار إليه فقال: هو صخرة تحت الأرض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته إلى يوم القيامة. ولكن ليس بنا إلى معرفة ذلك الموضع حاجة لأن الذين امتُحنوا بجعله في ذلك الموضع قد عرفوه، وهم الملائكة. ومنهم من زعم أنه حرف مذكور في كتب الأولين فذُكر ذلك في القرآن. فجائز أن يكون [مبيَّنا في تلك الكتب فترك تبيينه في هذا الكتاب لما كان][7] المقصود يتحقق[8] بدون الإشارة إليه. وجائز أن يكون السجّين الموضعَ الذي أعد[9] للكافرين[10] في الآخرة للعذاب، لكن أولُ ما يُرَدّ إليه عملُه الذي أُثبت في كتابه ثم يُلحق به الروح ثم يَتْبَعُهما جسده في الآخرة،[11]

---

[1] ر م: فينكرون.
[2] ن: به.
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٥٦/١٩.
[4] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢٩٨/٥.
[5] ن – من.
[6] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٢٧و.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ث م: بتحقيق.
[9] ن: أعيد.
[10] جميع النسخ: للكافر. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ت – للعذاب لكن أول ما يرد إليه عمله الذي أثبت في كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعه جسده في الآخرة

على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والآخرة سجن الكافر وجنة المؤمن»،[1] فَيُرَدُّ كتابه إلى ذلك[2] السجن ويُرَدّ كتاب الأبرار إلى الجنة التي أعدت له، ثم يتبعه روحه ثم جسده، فذلك قوله: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ.[3]

ومنهم من قال [بأن هذا][4] على التمثيل ليس على تحقيق المكان [في السجن ولا على تحقيق المكان][5] في العليين. وذلك أن السجن هو مكان أهل الخبث في الدنيا فمُثِّلت أعمالهم بذلك لخبثها[6] وقبحها، ومثلت أعمال الأبرار بما ذكر من العليين، إذ ذلك[7] مكان أهل الشرف وأُولي القدر فيكون[8] ذلك كناية عن طِيب أعمالهم. وقال الكسائي:[9] السِجين[10] مشتق من السَّجن كقولك: رجل فِسِّيقٌ وشِرِّيبٌ وسِكِّيرٌ.[11]

ثم ذَكَر كتاب الفجار، والفجورُ يكون بالكفر وبغيره فهذا اسم يقع به الاشتراك بين أهل الكفر وأهل الإسلام، لكنه أُلحق عند التفسير بما يوجب[12] صرف الوعيد إلى الكفار بقوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.[13] وكذلك نجد هذا الشرط ملحقا بالتفسير في جميع ما جرى به الوعيد بالاسم الذي يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلاة، بقوله تعالى: قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ،[14] وفيما جرى من الوعيد في الذي لا يؤتي الزكاة. فكان في ذكر التفسير

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (*صحيح مسلم*، الزهد ١؛ و*سنن الترمذي*، الزهد ١٦).

[2] م – ذلك.

[3] الآية ١٨ من هذه السورة.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

[6] ر م: بخبثها.

[7] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م: فيكن.

[9] انظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٥٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/٢٧٠.

[10] ر م: السجن.

[11] ر ت ن: وسكيت؛ م: وشريت وسكيت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.

[12] ر ت م: يجوز؛ ن – يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] الآية ١٠ من هذه السورة.

[14] ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٣٨-٤٦)

على تقييده بالتكذيب قطعُ الشهادة وإيجاب العذاب على المكذبين، وفي ذكر الاسم الذي يقع به الاشتراك إيجابُ الخوف على المسلمين الذين شَرِكُوا في ذلك الاسم، فتُرِك قطع الشهادة عليهم بالوعيد لما[1] لم يُذكَرو عند التفسير.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما سجين**، فهو [على][2] تعظيم ذلك اليوم ووصفِه بنهاية الشدة، أو على الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لم يعمِ ذلك حتى[3] أطلعه الله عليه. وهكذا تأويل قوله: وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ.[4]

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كتاب مرقوم**، أي الكتاب الذي في السجين[5] مرقوم. والمرقوم، قالوا: مكتوب ومُثبَت. والرقْم عندنا هو الإعلام.[6] يقال: رَقَم الثوبَ، إذا أعلمه. فجائز أن يكون عَلْمُه هو أن يُختَم فيكونَ فيه إخبار أنه لا يزاد على قدر ما عُمِل ولا يُنقَص منه.[7] وهو كما ذكرنا من الفائدة فيما وُصف جبريلُ عليه السلام بالقوة والأمانة، بقوله: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[8] فوُصف بالأمانة لِيُؤمَنَ الخلقُ عن خيانته في الكتاب وتغييره. ووصَفه بالقوة ليُعلَم أن غيره لا يتهيأ له أن ينتزع منه ما أُرسل على يده فيغيّرَه. وكذلك وَصَفه بالختم والإعلام ليؤمَن من الزيادة فيه والنقصان.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ويل يومئذ للمكذبين**، أي للمكذبين بجميع ما يَحِق عليهم تصديقُه، وذلك يكون بالإيمان بالله تعالى وبآياته ورسله وبالبعث.

---

[1] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.
[2] الزيادة من المرجع السابق.
[3] جميع النسخ: حين. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] الآية ١٩ من هذه السورة.
[5] ر ن ث: في السجن.
[6] عَلَمه يَعْلُمه ويَعلِمه عَلْمًا: وَسَمه بعلامة يُعْرَف بها. أعْلَم نفسه وفرسه: جعل له علامة في الحرب (*لسان العرب*، «علم»؛ و*المعجم الوسيط*، «علم»).
[7] جميع النسخ: منه.
[8] سورة التكوير، ٢٠:٨١-٢١.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **الذين يكذبون بيوم الدين،** فالدين اسم لشيئين:[١] اسم للجزاء واسم للاستسلام[٢] والخضوع. فسمِّي[٣] يومَ الدين لما يُدانون بأعمالهم، أو لما يَستسلمون لله تعالى في ذلك اليوم ويخضعون له. وفي تكذيبهم بيوم الدين تكذيبهم قدرةَ[٤] الله تعالى وتكذيبُ رسله،
[٨٩٣و] لأن الرسل كانوا يدعونهم إلى الإيمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم بذلك اليوم؛ فيكون تأويله منصرفا إلى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يَحِقُّ عليهم[٥] التصديقُ به.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وما يكذب به إلا كلُّ معتدٍ أثيم،** فالمعتدي هو الذي يتعدّى حدودَ الله تعالى، والأثيم الذي يأثم[٦] بربه، فتكون[٧] مجاوزته عن الحدود وإثمه[٨] بربه هو الذي يحمله على التكذيب، وإلّا لو قم بحفظ حدوده ولم يأثم[٩] بربه لكان لا يكذّب بيوم الدين. أو يكون فيه إخبارُ أنّ المكذِّب[١٠] به معتدٍ أثيمٌ.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين،** قالوا: **أساطير الأولين،**[١١] أباطيل الأولين. وقال أبو عبيدة: الأساطير هي التي لا أصل لها.[١٢] ومعناه عندنا ما سَطَره الأولون، أي كَتَبه، فالسطر الكتابة. فيخبرون أنها ليست من عند الله تعالى بل مما كتبها

---

[١] ر م: الشيئين.
[٢] جميع النسخ: الاستسلام. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٧ظ.
[٣] ر م: فيسمى.
[٤] جميع النسخ: تكذيب لقدرة الله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م – عليهم.
[٦] جميع النسخ: يتأثم. يقال: تأثم فلان إذا فعل فعلا خرج به من الإثم (لسان العرب، «أثم»).
[٧] جميع النسخ: فيكون.
[٨] جميع النسخ: ولمأثم.
[٩] ر: لم يأثم.
[١٠] م – بربه فيكون مجاوزته عن الحدود وإثمه بربه هو الذي يحمله على التكذيب وإلا لو قام بحفظ حدوده ولم يأثم لكان لا يكذب بيوم الدين أو يكون فيه إخبار أن المكذب.
[١١] ر ث م – قالوا أساطير الأولين.
[١٢] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/١٨٩.

الأوّلون التي[1] لا نظام لها، ولم يكونوا[2] يقولون هذا في كل ما يتلو عليهم ولكنهم كانوا يعارضونه بهذا عندما كان يتلو عليهم[3] من نبأ[4] الأولين وكانوا ينسبونه إلى السحر إذا أتاهم بالآيات المعجزات.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **كلّا بل رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون**، قيل: الرَّيْن الستر والغِطاء، وقيل: الرَين الصَدَأ. فالله تعالى سمّى الإيمان الذي هو في النهاية من الخيرات نورا، وسمّى الكفرَ الذي هو في النهاية من الشرور[5] ظلمةً. فإذن كان[6] الإيمان منوّرا للقلب والكفر مظلما. فإذا اشتغل بالأسباب الداعية إلى الكفر شيئا بعد شيء من الآثام، فكلّ سبب من ذلك يعمل من إظلام القلب حتى تتم[7] الظلمة، على ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال: «هو العبد[8] يُذنب الذنبَ فتُنكَت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب منها صفا قلبه، وإن لم يتب وعاد[9] فأذنب نُكِتت[10] في قلبه نكتة سوداء وإن عاد نُكِتت[11] في قلبه حتى يسودّ القلب أجمع، فذلك الرَّين».[12] ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره شيئا فشيئا بأسباب تتقدم[13] الإيمان حتى يحمله ذلك على الإيمان، فذلك تمام الانشراح.

---

[1] جميع النسخ: لذين.
[2] جميع النسخ: ولم يكن.
[3] ر ث م - ولكنهم كانوا يعارضونه بهذا عندما كان يتلو عليهم.
[4] ن: بنبأ.
[5] ث: الشر.
[6] جميع النسخ: فإذا كان.
[7] جميع النسخ: يتم.
[8] ر م: العبيد.
[9] ر م: فأعاد.
[10] ن ث: نكت.
[11] ن ث: نكت.
[12] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه. ذاك الرين الذي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (مسند أحمد بن حنبل، ٢٩٧/٣؛ وسنن ابن ماجه، الزهد ٢٩)
[13] جميع النسخ: يتقدم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٨و.

وعلى ذلك يخرّج تأويل ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ الإيمان يبدو لُمْظَةً[1] بيضاءَ في القلب كلما ازداد عِظَمًا ازداد ذلك البيض فإذا استكمل[2] الإيمانَ ابيضّ القلب كله.[3] ومعنى قوله: "يبدو لمظة[4] في القلب بيضاء" إلى قوله: "حتى يستكمل[5] الإيمان"، عندنا بالأسباب الداعية إلى الإيمان فلا يزال ينشرح منه شيء فشيء حتى يؤمنَ، لا أن يكون الإيمان ذا أجزاء، ولكن للإيمان مقدمات فينشرح شيء فشيء بكل مقدمة منه حتى يفضي به إلى الإيمان.

ثم إنّ الله تعالى سمّى السواتر عن الإيمان بأسامي، مرة قال: طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ،[6] ومرة قال: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[7] الآية، ومرة قال:[8] أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.[9] فكأنّ الذين وُصفوا بالقُفْل على قلوبهم هم الذين انتهَوْا في الكفر غايتَه حتى لا يُطمع منهم الإيمانُ وهم المتمردون المعتقدون للتكذيب، وهم الرؤساء منهم والأئمة. ومنهم من هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد ولكن لِما لم تُتِحْ[10] لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان. وذكر الزجاج أنّ أوّل منازل الستر الغَيْن[11] وهو السِتْر الرقيق كالسحاب الرقيق في السماء يعمل في غشاء القلب غشاءَ السحاب الرقيق للون[12] السماء، ثم إذا[13] ازداد سُمّي رَيْنا، ثم يرتقي إلى الطبع إلى أن يصير كالقُفْل على القلب.

---

[1] ت: اللمظة.

[2] ر م: فاستكمل؛ فإذا استعمل.

[3] قال علي رضي الله عنه: «إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عِظَما ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضّ القلب كلّه، وإن النفاق يبدو لمظة في القلب، فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك سوادا، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كلّه، وَايْمُ الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود». قال: واللمظة هي الذوقة، وهو أن يَلمُظ الإنسان بلسانه شيئا يسيرا، أي يتذوقه فكذلك القلب يدخل فيه من الإيمان شيء يسير، ثم يتسع فيه فيكثر (شعب *الإيمان* للبيهقي، ١/١٤٤).

[4] ت - بيضاء في القلب كلما ازداد عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة.

[5] ن: يستعمل.

[6] ﴿ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٧-١٠٨).

[7] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥).

[8] جميع النسخ - قال. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٨و.

[9] ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٤).

[10] ر ن م: لم يتح.

[11] ت م: الغين. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/٢٩٩.

[12] ن: لكون؛ م: للون.

[13] ر ت م: إذا.

وفي هذا دليل على أن لله[1] تعالى تدبيرا وصنعا في أفعال العباد، لأنه أنشأ الكفر ظلمة في القلب حتى تمنعه[2] تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الإيمان؛ إذ كلّ مَن اعتقد الكفر فهو ليس يعتقده ليمنعه عن درك الأنوار، وإذا لم يوجد منه هذا ثبت أنه صار كذلك بتدبير الله تعالى وصنعه؛ إذ لا يجوز أن تحدث[3] الظلمة في القلب إلا بمحدِث لها، وإذا انتفى الصنع من الكافر[4] ثبت أنه بتدبير الله تعالى ما صار كذلك، وأنه أنشأه مظلما. **والله الموفق.**

**﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾**[١٥]

وقوله عز وجل: **كلّا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.** اختلف في قوله: **يومئذ.** فذكر أبو بكر الأصم أنّ هذا في الدنيا، يقول: إنهم حُجبوا عن عبادة ربهم بما عَبَدوا غيرَ الله تعالى فصارت عبادتُهم غير الله حجابا من عبادته. وذكر أهل التفسير أنّ هذا في الآخرة. ثم منهم من يقول: إنهم حُجبوا عن لقاء ربهم. وأوجبوا بهذا القول الرؤية[5] للمؤمنين. ومنهم من يقول: هم محجوبون، أي عن كرامته[6] التي أعدّها لأوليائه وعن رحمته، فعوقبوا بالحَجب عن ذلك جزاءً لصنيعهم؛ لأنهم في الدنيا ضَيّعوا نِعَم الله فلم يقبلوها بالشكر، ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين، فأُبلِسوا من رحمته وكرامته في الآخرة عقوبةً لهم ومجازاةً، وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ،[7] أي جعلهم كالشيء المنسيّ الذي لا يُعبأ به؛ فعلى ما وُجِد[8] منهم[9] من المعاملة لآياته وحججه بتركهم الالتفات إليها عوملوا بمثله في الآخرة. وقال في آية أخرى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[10]

---

[1] ر: أن الله.
[2] جميع النسخ: يمنعه.
[3] ر ث م: يحدث.
[4] ر ث م: الكلام.
[5] جميع النسخ: بالرؤية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨و.
[6] ر م: أي عن ذكر الله تعالى.
[7] ﴿نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (سورة التوبة، ٦٧/٩).
[8] جميع النسخ: وجدت.
[9] ر ث م - منهم.
[10] سورة طه، ١٢٥/٢٠.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [١٦]

وقوله عز وجل: **ثم إنهم لصالو الجحيم**، فمن صَرف الحَجْب إلى الدنيا فهو يقول: ثم إنهم يَصلَون الجحيمَ بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحُجبوا عن عبادته. ومن صَرف التأويل إلى أمر الآخرة فهو يقول: إنهم يَصلَون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من أثر الحجاب من سواد الوجوه وإعطاءِ الكتاب بشمالهم ومن وراء ظهورهم.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[١٧]

[٨٩٣ظ] وقوله عز وجل: **ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**، تأويله أنهم / يُعرَّفون أنهم صَلَوها بتكذيبهم بها وحُجبوا عن الله تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم، وإلا لو آمنوا وأقرّوا أن النار حق والبعث حق لم يكونوا يَصلَونها؛ فيُعرَّفون حتى يُقِرُّوا بذلك، بقوله:[١] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ.[٢]

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[١٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[١٩] ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي عليين**، فذَكَر الأبرار هاهنا مقابل الفجار في الأول. ثم بيّن الفجار أنهم المكذبون بيوم الدين. وذلك أول منازل الكفرة،[٣] فإذا أريد بالفجار[٤] الكفارُ أريد بالأبرار الذين آمنوا، فلذلك قيل بأن الأبرار هم المؤمنون. والبَرُّ هو الذي يَكثُرُ[٥] منه تعاطي فعل البِرّ، فيسمّى[٦] بارّا إذا كَثُر منه البِرّ.[٧] والفاجر هو الذي يَكثُرُ[٨] منه فعلُ الفجور. فجائز أن يكون الوعيدُ في الذين بلغوا في الفجور غايتَه ويكون حكمُ من دونهم متروكا ذكرُه فيوصَل إلى معرفة حكمه بالاستدلال. ويكونُ الوعد في الذين أكثروا أفعال البِرّ ويكون حكمُ من دونهم معروفا بغيره من الأدلة.

---

[١] ن: لقوله.
[٢] سورة الملك، ١١/٦٧.
[٣] ن ث: الكفر.
[٤] ر ث م: الفجار.
[٥] ن: يكبر.
[٦] ر ن م: يسمى.
[٧] ن - البر.
[٨] ن: يكبر.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **يشهده المقرّبون**، فذَكَر شُهودَ المقرَّبين[١] في ذكر كتاب الأبرار، ولم يذكر شهودهم عند ذكر كتاب الفجّار، فجائز أن يكون شهودُهم عى التعظيم لعمه[٢] والدعاء له وغير ذلك. وقيل: المقرّبون هم مقرّبو[٣] أهلِ كلّ سماءٍ.[٤]

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار لفي نعيم**، فالبَرّ هو الذي يبذُل ما سئل عنه ويجيب إلى ما دعي إليه، فإذا أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه من التوحيد وَوَفّى بأوامره وانتهى عن مناهيه فهو من الأبرار. ثم ما ذكرنا يكون بوجهين. أحدهما[٥] بالاعتقاد وبتحقيقه بالفعل والمعاملة؛ فهذا قد وَفى بما طُلب منه قولا وفعلا فيكون هذا ممن يُقطَع فيه القولُ باستيجاب الوعد المذكور للأبرار. والثاني أن[٦] يقوم بوفاء ما طُيب منه اعتقادا ولم يَفِ ما اعتقده بفعه، فالحكم في مثله الوقفُ ولا يُقطَع فيه القولُ باستيجاب الموعود، بل لله تعالى أن يجازيه بما ضَيّع من حفظ حدوده بقدر ما وُجد من التضييع ثم يُلحِقه[٧] بأهل كرامته، وله أن يعفو عنه بفضله وسعة رحمته.

والفجور هو الميل. والميل يكون بوجهين. أحدها بترك الاعتقاد والفعل جميعا، و[الثاني] ميلٌ في المعاملة، وهو أن يخالف فعلُه عَقْدَه. فالذي وُجد منه الميل عن الوجهين جميعا يَحُلّ[٨] به ما أُوعِد لا محالة. وأما الذي خالف فعلُه عقده فإنه يُوقف[٩] فيه ولا يُشهَد أنه من جملة من يَلحقهم الوعيد لا محالة.

ثم قد[١٠] ذكرنا أنّ البِرّ إذا ذُكر عى الانفراد أُريد به ما يراد بالتقوى أو البِرُّ جميعا، وكذلك التقوى إذا أُفرِد اقتضى معنى البر. فإذا قُرنا جميعا أُريد بالتقوى جهةٌ وبالبِرّ جهةٌ.

---

١ ر م: المقربون.

٢ ر م: بعمه.

٣ جميع لنسخ: مقربوا.

٤ جميع لنسخ: لسماء. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٢١٢/٢٤.

٥ ر م: حداهما.

٦ ن + يكون.

٧ ر ن م: يحق.

٨ ر م: تحمل

٩ جميع النسخ: توقف. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٨ط.

١٠ ر – قد

وذلك أن التقوى هو أن يُتَّقَى المهالكُ، وذلك يكون بالإجابة إلى ما دعي[1] إليه قولا وفعلا، والانتهاءِ عما نُهِي عنه قولا وفعلا. وهذا هو معنى البِرّ أيضا. فإذا ذُكِرا[2] معا أريد بالتقوى الاجتناب عن المحارم، وأريد بالبِرّ إتيان المحاسن. وكذلك الإيمان إذا ذكر بالانفراد[3] أريد به ما يقتضي الإسلامُ من المعنى والإيمانُ جميعا. وكذلك الإسلام يقتضي معنى الإيمان إذا ذكر بالانفراد؛ لأن الإسلام هو أن ترى[4] الأشياء كلَّها سالمة لله تعالى، ولا تَجعلَ[5] لأحد فيها شركا؛ والإيمان أن تصدّق[6] الله تعالى بأنه ربّ كلّ شيء، وإذا صدقتَ أنه ربّ كلّ شيء فقد جعلتَ الأشياء كلَّها سالمة له. فهذا معنى قولنا:[7] إنه يراد بالإيمان إذا ذُكِر بالانفراد ما يراد بالإسلام، فإذا ذُكرا[8] معا أريد بالإسلام ما يقتضيه ظاهرُه من جَعْل الأشياء كلِّها سالمةً له، وأريد بالإيمان ما يقتضيه ظاهرُه، كقوله: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[9] الآية. وكذلك هذا[10] الحكم في الخوف والرجاء إذا ذُكِر كل واحد[11] من الحرفين مفردا اقتضى كلُّ واحد منهما معنى الآخر، وإذا ذُكِرا معا أريد بكل[12] واحد منهما ما يقتضيه ظاهرُه ولم يُصرَف إلى ما يراد بالآخر.

وقوله عز وجل: **لفي نعيم**، فجائز أن يكون هذا في الآخرة، يصفهم أنهم أبدا في نعيم. وجائز أن يكونوا في نعيم في الدنيا[13] والآخرة معًا،[14] فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الأبدان؛ وذلك أنهم يُطيعون العقلَ فيما يدعوهم إليه فيتنعّمون بعقولهم،

---

[1] ر م: دعى.
[2] ر م: فإذا ذكر.
[3] جميع النسخ: إذ بالانفراد. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٨ظ.
[4] ر ث م: أن يرى.
[5] ر ث م: ولا يجعل.
[6] جميع النسخ: أن يصدق. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر م: فإذا ذكر.
[9] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٥.
[10] ر م - هذ.
[11] ر م: أحد.
[12] م: كل.
[13] ن م: في نعيم الدنيا.
[14] ر م - معا.

لكنّ الذي يدعوهم إليه عقولهم ما تأبى[1] أنفسهم الإجابة له ويشتدّ عليها ذلك، فهم في نعيم العقول لا في نعيم الأبدان. ونعيم الآخرة نعيم البدن والعقل جميعا؛ فيتنعّم أنفسهم وعقولُهم ولا يُحمَلون ما تأبى[2] أنفسُهم احتمالَها. قال الله تعالى: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[3] وقال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ] فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً،[4] الآية؛ فثبتَ أنهم في الدنيا والآخرة[5] لفي نعيم.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[٢٣]

وقوله: **على الأرائك ينظرون**، قد ذكرنا أنّ كلّ ما تتشوّق[6] إليه[7] الأنفس وتشتهيه[8] في الدنيا فعلى مثله جرت البِشارة لأهل الجنة في الدنيا. وذُكِر أنّ أهل اليمن كان إذا شرُف قدرُ أحدهم وعلتْ[9] رتبته في الدنيا اتخذ لنفسه أريكة نسبت إليه فيقال: هذه أريكة فلان. فجرت البشارة لأهلها بالأرائك لِما يُرغَب إلى مثلها في الدنيا، لا أنّ[10] أرائكها / شبيهة [٨٩٤و]
بالأرائك التي تتخذ[11] في الدنيا؛ لأنّ أرائك الجنة مطهّرة من الآفات التي[12] هي آثار الفناء، لكنّها ذكرت بهذا الاسم لما لا وجهَ بالوصول إلى تعرفها بغير اسم المعتاد فيما بين الخلق. والأريكة هي السُرُر[13] في الحِجال.

وقوله عز وجل: **ينظرون**، يحتمل وجهين.[14] أحدهما أن يقع النظر في الحَجَل، وذلك عن تلاقي الإخوان واجتماعهم على الشراب. والنظر الثاني يكون إلى مملكته، فيكون ذلك خارجا من الحِجال،

---

[1] ر ث م: تأتي.
[2] ر ث م: تأتي.
[3] سورة النحل، ٤١/١٦.
[4] سورة النحل، ٩٧/١٦.
[5] ر: وفي الآخرة.
[6] ن: يتوق.
[7] ر ث م - إليه؛ ن: إليها.
[8] ر م: وتشتهي؛ ن ث: ويشتهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩و.
[9] ن - وعلت.
[10] ن ث: لأن.
[11] ر ث م: يتخذ.
[12] ن ث: اللاتي.
[13] ر ن م: سرير.
[14] ر م: يحتمل أن يكون.

على ما روي عن النبي[1] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ الرجل من أهل الجنة ليَرى جميعَ ما لَه بنَظْرة واحدة، وأقلُّ ما يُعطَى الرجلَ مثلُ سَعَة الدنيا وعرضِها»،[2] فذلك النظر[3] يجاوز عما في الحِجال فيقع خارجا منها.

﴿تعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **تعرف في وجوههم نضرة النعيم**، أي تعرف -لو نظرت في وجوههم- نضرةَ النعيم. فجائز أن تكون[4] النضرة منصرفة إلى نفس الخلقة، وهو أنهم أُنشئوا على خلقة لا تتغير[5] ولا تفنى بل بَهِجَة نَضِرَة. أو تكون[6] نضارتهم بما أُنعِموا من النعيم. ثم خُصّت الوجوه لأن النظر[7] من بعض إلى بعض يكون إلى الوجوه،[8] لا إلى غيرها من الأعضاء؛ فخُصّت الوجوه بالذكر لهذا، لا أن تكون[9] النضرة لها خاصة، بل النضرة تشتمل[10] سائرَ البدن. والثاني أنّ السرور إذا اشتدّ في القلب أثّر في الوجه،[11] وكذلك الحزن يُؤثّر[12] في الوجه إذا اعترى في القلب؛ فيكون في ذكر[13] نضرة الوجه إخبارٌ عن غاية ما هم عليه من السرور.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾[٢٥] ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **يسقون من رحيق مختوم**، قال بعضهم: الرحيق هو الخمر الذي لا غِشّ فيه، وهو أن يكون مطهَّرا من الآفات. وقال بعضهم: هو شيء أعده[14] الله لأوليائه لم يُطلعهم

---

[1] ن: من النبي.

[2] قال عليه السلام: «يلحظ المؤمن فيحيط بكل ما آتاه الله وإن أدناهم يتراءى له مثل سعة الدنيا» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣١/٩٨).

[3] م - النظر.

[4] جميع النسخ: أن يكون.

[5] جميع النسخ: لا يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩و.

[6] جميع النسخ: أو يكون.

[7] م: لأن النظرة.

[8] ن + لا إلى الوجود.

[9] جميع النسخ: لا أن يكون.

[10] جميع النسخ: يشتمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ن م: في الوجوه.

[12] جميع النسخ: يتأثر. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر م: ذكره.

[14] جميع النسخ: أعد. والتصحيح من المرجع السابق.

عمى ماهينه في الدنيا على ما قال: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ،[2] فهو شراب تَقَرّ به[3] أعينُهم مما أُخفِي لهم إلى الوقت الذي يشربونه.

وقوله عز وجل: **مختوم ختامه مسك**، فجائز أن يكون راجعا إلى حال الإناء الذي فيه الرحيق، وهو أنه مختوم لم تتناوله[4] الأيدي. وكذلك ترى المرءَ في الدنيا يختم نفيس شرابه الذي في الإناء بالفِدام في الدنيا. فيخبر أنّ ذلك الشراب في الإناء على الوجه الذي كانوا يُؤثِرونه في الدنيا. وأخبر أنّ ختامه بأنفَسِ شيء عرفوه في الدنيا، وهو المسك، ليس كالختام في الدنيا لأنهم يختمون أوانيهم في الدنيا بالشيء الرَّذْل وبما لا قدر[5] له عندهم. وجائز أن يكون منصرفا إلى الشاربين أنهم لا يشربون أبدا، بل يكون لهم[6] ختمٌ، ولكن لا تنقطع[7] لذةُ الشراب عنهم بل أبدا يجدون من ذلك ريح المسك.

*وقيل: **ختامه مسك**، ما بقي في الكأس من البقية يكون ذلك مسكا.* [٨٩٤و س٢٥]

وقوله: **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**، فجائز أن يكون أراد به الشرابَ الذي وَصَفَه في قوله: [**يُسْقَوْنَ مِن**][9] **رحيق مختوم**.[10] والتنافس حرف يستعمل في الخيرات، كأنه يقول: فيرغبوا في الشراب الذي هذا وصفه الذي لا غَوْلَ فيه ولا هم [عنه] يُنزَفون،[11] لا في الشراب الذي يذهب[12] العقول[13] ويُضعِف الأبدان ويُتلف الأموالَ. أو فيتنافسوا في النعيم الذي وُصِف هاهنا، لا في النعيم الذي ينقطع ولا يدوم. فكأنه يقول: فيرغبوا فيما يُعقِب[14] لهم

[1] ر: ماتهيا؛ ن: ماتيتها؛ ث: ميئتها؛ م: مآيتها.
[2] سورة السجدة، ١٧/٣٢.
[3] ر م: بهم.
[4] جميع النسخ: لم يتناوله.
[5] جميع النسخ: وبه قدرة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٩و.
[6] جميع النسخ: له. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: لا ينقطع.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٩٤و/سطر ٢٥.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ + لآية. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزَفون﴾ (سورة الصافات، ٤٧/٣٧).
[12] ر: يذهب.
[13] جميع النسخ: بالعقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: يعقب.

النعيم لدائم والشراب الذي لا تنقطع[1] لذّته.* و[ذلك][3] التنافس[4] إنما يكون بالمسارعة[5] في الخيرات وترك الاتباع لشهوات والانتهاءِ عن المعاصي. وهو كقوله: لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ،[6] أي فليكن عملهم بما يُثمِر لهم ما ذُكِر من النعم،[7] لا في الذي ينقطع ويكون عُقْباه النار.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ومزاجه من تسنيم**، قيل: التسنيم شيء أعدّه الله تعالى لأوليائه لم يُطعمهم عليه في الدنيا، وهو من قرة الأعين التي لا تعلمها[8] الأنفس. فوُصف مرة المزاجُ[9] بالمسك، ومرة بالكافور بقوله: كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا،[10] ومرة أُخبر أنه ممزوج بالتسنيم، ولم يُبيّن ما التسنيم؟ والسَّنام [اسم][11] ما ارتفع من الشيء. فيجوز أن يكون سُمِّي تسنيما لأنه ينحدر إليهم من الأعلى. وأُخبر أنه ممزوج بما[12] إلى مثله ترغب الأنفس في الدنيا وتشتاق[13] إليه. ألا ترى أن الشراب في الدنيا إذا كان ممزوجا فهو في القلوب أوقعُ منه، وتكون[14] الأنفس إليه[15] أرغبَ منه إذا كان غيرَ ممزوج، فرُغِّبوا بمثله في الآخرة. وذَكَر بعض أهل التفسير أنّ المقربين يُسقَون من ذلك الشراب صِرفا، ويُمزَج لغيرهم. وقال الحسن: المِزاج يكون للمقرّبين وغيرهم، وجعل الممزوج منه أشرفَ على ما ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: لا ينقطع.

* وقعت هنا قطعة متأخرة عن موضعها فقدمناها إلى محلها. انظر: ورقة ٨٩٤و/ سطر ٢٥.

[3] الزيادة من *الشرح*، ٣٢٩و.

[4] ر م: لذته التنفس.

[5] جميع النسخ: في المسارعة. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة الصفت، ٦١/٣٧.

[7] ر ن م: من النعيم.

[8] جميع النسخ: لا يعلمها.

[9] جميع النسخ: بالمزج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩ظ.

[10] سورة الإنسان، ٥/٧٦.

[11] الزيادة من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: لما.

[13] ن ت: ويشتاق.

[14] جميع النسخ: ويكون.

[15] ر م: إليها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **عينا يشرب بها المقرّبون**، والمقرّبون[١] هم الذين يسارعون في الخيرات في الدنيا، فتركوا مُنَى الأنفس واتقَوا المهالك والزلاتِ فهم المقرّبون. وأضاف التقريب إلى العين لأنهم بغيرهم ما وُفِّقوا لاكتساب الخيرات وعُصِموا عن ارتكاب المهالك والزلات، لا بأنفسهم؛ فنالوا فضلَ التقريب[٢] بما أجهدوا أنفسَهم في الدنيا للأمور التي ذكرنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[٢٩] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون**، فوجه ذكْر صنيع[٣] الكفرة بالمؤمنين في القرآن وجعلِه آيةً تتلى،[٤] / وإن كان المؤمنون بذلك عارفين، يُخرّج [٨٩٤ظ] على ثلاثة أوجه. أحدها في تبيين[٥] موقع الحجج في قلوب المؤمنين وعملها بهم، وذلك أن المؤمنين لما سَخَتْ أنفسُهم باحتمال الأذى والمكروه من الكافرين انتصبوا لمعاداة[٦] آبائهم وأجدادهم وأهاليهم، ورَفَضوا شهواتِهم وتركوا أموالهم واختاروا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينِه. ومعلوم أنهم لم يُحمِّلوا أنفسَهم كلَّ هذه المُؤَن طمعا ورغبة في الدنيا لِما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُرغَب في مثله من نعيم الدنيا؛ فثبت أنَّ الحجج هي التي حملتهم ودعتهم إلى متابعته لا غير. فيكون فيما ذكرنا تثبيتُ رسالته وإن لم يكن في الآية إشارة إلى الحجج التي اضطرّتْهم إلى تصديقه والانقيادِ له؛ فيكون في ذكره تقريرٌ لمن تأخر عنهم من المؤمنين لرسالته عليه السلام.

والثاني أنّ أولئك المؤمنين صبروا على ما نالهم من المكاره، واستقبلهم من أنواع الأذى في قيامهم بأمر الله تعالى ليكونَ في ذكره تذكيرٌ لمن تأخرهم من المؤمنين أنّ عليهم الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر، وأنه لا عذرَ لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا وإن نالهم من ذلك أذًى ومكروهٌ. بل الواجب عليهم الصبر على ما يصيبهم، والقيامُ بما يَحِق عليهم.

[١] ن ت: فالمقربون.
[٢] ن ت: لتقرب.
[٣] ن: صبع.
[٤] ر ث م: يتلى.
[٥] م: في تبين.
[٦] ر: لمعدات.

أو ذَكَر ما لقي الأوائلُ من السفه من المعاداة والشدائد من الكفرة بإظهارهم دينَ الإسلام، ثم نِلنا نحن هذه الرتبة وأُكرِمْنا بالهدى بلا مشقة وعناء، لنشكر[1] الله تعالى بذلك ونحمده عليه لعظيم[2] آلائه[3] لدينا وجزيل مننه علينا.

وقوله عز وجل: **من الذين آمنوا يضحكون**. فضحكهم يكون لأحد وجهين. إما على التعجب منهم أن كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله عليه وسلم، وحمّلوا أنفسهم في الشدائد، ورَضُوا بزوال النِعَم[4] عنهم من غير منفعة لهم في ذلك؛ وهم قوم كانوا لا يؤمنون بالبعث فكانوا يكذّبون بما وُعِد المؤمنون من النعيم في الآخرة؛ فكان يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم. أو كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين، يقولون: إن هؤلاء آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدّقوه فيما يُخبرهم من نِعم[5] الآخرة، ولا يعرفون أنه كذلك، فكانوا يُجهِّلون المؤمنين على ما جَهِلوا بأنفسهم، وظنّوا أن لا بعث ولا جنة ولا نار.

قال أبو بكر [الأصم]: المجرم هو الوثّاب في المعاصي. وذكر أبو بكر أن في ذكر صنيع الكفار بالمؤمنين دلالةَ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنهم كانوا يضحكون عن المؤمنين ويتغامزونهم وينسبونهم إلى الضلال سرًا من المسلمين، فأطلع اللهُ تعالى نبيّه[6] عليه الصلاة والسلام على ما أسرّوا من الأفعال ليجعل لهم من أفعالهم حجةً عليهم لنبوته ورسالته عليه السلام. [وقوله تعالى: **وإذا مروا بهم يتغامزون**، يَغمِز بعضهم بعضا].[7]

## ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين**، قال بعضهم: لاهين أو مُعجَبين بحال المؤمنين أو مسرورين،[8] كما قال تعالى: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا.[9]

---

[1] ر ث م: نشكر؛ ن: ليشكر.
[2] ر م: بعظمة.
[3] ر م: ثنائه؛ ن: علائه.
[4] ر ث م: النعيم.
[5] جميع النسخ: من نعيم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٩ظ.
[6] م: بنبيه.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر م: ومسرورين.
[9] ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا﴾ (سورة الانشقاق، ١٠/٨٤-١٣).

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون**. فيجوز أن يكونوا نسبوهم إلى الضلال لتركهم دينَ آبائهم، ورأوا ما اختاروه من تحمّل الشدائد ورضُوا بضِيقٍ[١] من العيش ضلالا منهم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وما أرسلوا عليهم حافظين**، أي لم يُرسَلوا بحفظ أعمال المسلمين. فيكون في ذكر هذا تسفيهُ أحلامهم، وهو أنهم تركوا النظرَ[٢] في أحوال أنفسهم وجعلوا يَعدّون على المسلمين عيوبهم كأنهم[٣] أُرسِلوا عليهم حُفَّاظا، وما أرسلوا. أو يكون هذا إخبارا عن الكفار أنهم يقولون: ما أُرسِل على أحد حافظٌ يحفظ عليه أعمالَه، فيكون هذا على الإنكار منهم بالكرام[٤] الكاتبين.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون**، ويكون ضِحكهم على المجازاة[٥] للكفرة بما كانوا يَضحكون منهم في الدنيا.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[٣٥] ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **على الأرائك ينظرون**، فمنهم من وقف على قوله: **على الأرائك**، ومنهم من رأى موضع الوقف على قوله: **ينظرون**. فإذا وُقِف على قوله: **على الأرائك**، كان معناه أنهم ينظرون هل جوزي الكفار ما أوعدهم الرسل في الدنيا أو لا بعدُ؟ وإذا وُقِف[٦] على قوله: **ينظرون**، كان قوله تعالى: **هل ثوب الكفار**، أي قد جوزي الكفار **ما كانوا يفعلون**، فهم ينظرون كيف يعاقَبون؟

---

[١] ر م - بضيق.
[٢] ن + وهو أنهم تركوا النظر.
[٣] ر م - كأنهم.
[٤] جميع النسخ: بكرام. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٠و.
[٥] ر م: على المجازات
[٦] جميع النسخ: وإذا وقفت. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم القولُ أن كيف احتملت أنفسهم النظرَ إلى الكفار بما هم فيه من التعذيب؟ والمرء إذا رأى أحدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك ويُنغِّص[1] عليه العيشُ. فجائز أن يكون الله تعالى أنشأهم على خلقة لا تقبل المكاره ولا تجدها بل تنال[2] اللذاتِ كلَّها والمَسرَّ. أو ارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين أهل النار غايتها. وكذلك نرى[3] المرء في الشاهد إذا عادى إنسانا واشتدت[4] العداوة فيما بينهما، ثم رآه يُعذَّب بألوان العذاب لم يَثْقُل عليه ذلك، بل أحبّ أن يُزاد منه. ثم جائز أن يُرفَع إليهم أهل النار إذا اشتاقوا النظر إليهم فيرونهم، أو يُجعَل في بصرهم من القوة ما ينتهي إلى ذلك المكان.

[٨٩٥و] / ثم ذكر بعضهم أن هذه السورة مكية، ومنهم من ذكر أنها نزلت بين مكة والمدينة وهي مكية، ومنهم من ذكر أن أولها مدنية وآخرها مكية. **والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.**[5]

---

[1] ر ث م: وينغص. نَغَّصَ فلان: كَدَّر عيشه. يقال: تَنَغَّصَ عليه عيشه (*المعجم الوسيط*، «نغص»).

[2] جميع النسخ: لا يقبل المكاره ولا يجده بل ينال.

[3] جميع النسخ: يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.

[4] م: واشتد.

[5] ر ث - وإليه المرجع والمآب؛ ن - بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ ث + الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الانشقاق[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[١] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٢]**

قوله عز وجل:[٢] **إذا السماء انشقت**، هو جوابُ سؤال تقدّمَ، لِما ذكرنا أنّ حرف "إذا" حرف جوابٍ، وليس بحرف ابتداء؛[٣] فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ملاقات[٤] الأعمال: متى وقتها؟ فقال تعالى: **إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت**، فذلك[٥] وقتُ ملاقات[٦] الأعمال. وقيل: ذُكر في الخبر أنّ أخوينِ أحدهما مسلم والآخر كافر، قال للمسلم: أَتُرانا[٧] بعد الموت مبعوثين؟[٨] فقال له: بلى، والذي خلقك والجِبِلَّةَ الأوّلين، فنزلت هذه السورة تبين[٩] هم وقتَ بعثهم أنّه عند انشقاق السماء ومدّ[١٠] الأرض ونحوه.

---

١ ر – سورة الانشقاق؛ ن م: سورة إذا السماء انشقت؛ ث + وهي خمس وعشرون آيات مكية.
٢ ن – قوله عز وجل.
٣ انظر مثلا عند تأويل قوله تعالى الآية ١ من سورة التكوير.
٤ ن: عن ملاقاة.
٥ ر م: فكذلك.
٦ ن: ملاقاة.
٧ جميع النسخ: أترابا، والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٠و.
٨ ن ث: مبعوثون.
٩ ن: يبين.
١٠ ن: ومده.

تم ذَكَر اجواب في ابتداء السورة ليكون المرء أذْكَرَ[1] له، لأنه[2] يكون أدعى[3] لها، وإذا ذُكر في وسط السورة لم يُتحفَّظ إلا بالتلاوة. ولهذا المعنى -والله أعلم- جُعلت ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ رءوسَ السور؛ لأن الكفرة[4] كانت من عادتهم الإعراضُ عن القرآن وتركُ الاستماع إليه ليفهموه؛ فابتُدئت السورة بما ذُكر[5] من الرموز والإشارات ليحملهم ذلك على الفكر[6] فيه والنظر؛ إذ[7] لم يكن سبق منهم[8] العلم بمعرفة ما يراد من قوله: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾. ثم ذَكَر انشقاقَ السماء ومدّ الأرض وإلقاءها[9] لما جُعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدّوا له.

وقوله عز وجل: **وأذنت لربها وحُقّت**، قيل: سمعت لربها وأطاعت وأجابت إلى ما دعيت إليه. ثم المراد من الإذن مختلِف، فحقّه أن يُصرَف كل شيء إلى ما هو الأولى به.[10] ألا ترى أنك إذا قلت: أَذِن الرجل لعبده في التجارة، فلستَ[11] تريد بقولك[12] "أذن" ما تريد[13] به إذا أذنتَ لغيرك أن يتناول[14] من طعامك، بل تريد بالإذن للعبد الأمرَ بأن يتّجر[15] حتى لو لم يفعل تلومه على ذلك، وتريد بالآخر إباحة التناول. قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا،[16] وقال في موضع آخر: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[17]

---

[1] ر م: ليكون المراد ذكر؛ ن: ليكون المراد ذكر؛ ث: ليكون المرء ذاكرا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٠و.
[2] ر: لأن.
[3] ن ث: أوعى.
[4] ر: لأن الكفر.
[5] جميع النسخ: بما ذكرت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: على الكفر.
[7] جميع النسخ: إذا.
[8] م: منه.
[9] جميع النسخ: وألقها. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: فيه.
[11] ن: فليست.
[12] ر م: لقولك.
[13] ن ث: ما يريد.
[14] م: أن يتناولوا.
[15] ر: أن يتحى.
[16] سورة آل عمران، ٣/١٤٥.
[17] ث + وقال في موضع آخر. سورة يونس، ١٠/١٠٠.

فكان المراد من الإذنين مختلفا؛ فثبت أن حقه أن نحمده[1] إلى ما[2] إليه أَوْجَهُ. وهو إلى الطاعة والإجابة هاهنا أوجه، لذلك حملوه عليه.

وقوله عز وجل: **وحُقَّت**، أي حُقّ لها أن تَسمع[3] وتطيع. وجائز أن يكون الإجابة[4] منصرفةً إلى أهلها، ثم نسب إليها ذلك وإن كان المراد منه الأهلَ، كقوله تعالى: وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[5] ولا يوجد من القرية عُتُو وإنما يوجد من أهلها. فإن كان كذلك ففيه أنه لا يتخلّف أحدٌ عن الإجابة[6] إلى ما دعاه إليه الربُّ تعالى خلافا لما كانوا[7] عليه في الدنيا، فإن كثيرا من أهل الدنيا أعرضوا عن طاعته واشتغلوا بمعصيته.

ثم الإجابة والطاعة والطوع والكره ومثل هذه الأوصاف إذا أضيفت إلى من هو من أهل الاختيار فهو على الطوع المعروف والإجابة المعروفة؛ وإذا أضيفت[8] إلى من ليس هو من أهل الاختيار فهو على تغيّر[9] الهيئة على ما عليه الخلقة، نحو الأرض توصف[10] بالحياة[11] إذا أنبتت، وتوصف[12] بالموت إذا يبس ما عليها[13] وصارت مُتهشِّمة، ويراد[14] بها[15] أنها[16] صارت بهيئة لو وجدت تلك الهيئة في الروحانيين لصار أحدهما عَلَمًا لحياته والآخرُ علما لوفاته. وقال تعالى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ[17] فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،[18]

---

[1] جميع النسخ: أن يحمله.
[2] ر ث م + دعاه.
[3] ن: يسمع.
[4] جميع النسخ: للإجابة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.
[5] سورة لطلاق، ٨/٦٥.
[6] جميع النسخ: من الإجابة.
[7] جميع النسخ: على ما كانوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: وإذ أضيف.
[9] ر ث م: على تعيين؛ ن: على تعيير. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: يوصف. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: الحياة.
[12] جميع النسخ: ويوصف. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م: إذا يبس عليها.
[14] ر: فر د؛ م: فراد.
[15] جميع النسخ: بهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر ث م: أنهما
[17] جميع النسخ. ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وقوله (ر: قوله) تعالى.
[18] سورة فصلت، ٤١/١١.

وهما لا توصفان[1] بطوع ولا بكراهة،[2] ولكن[3] خلقتا على هيئة لو وُجدت تلك الهيئة فيمن وُصف بالطوع والإكراه كان ذلك منه طوعا. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾،[4] وهي[5] في الحقيقة لا تُضلّ ولكنها أنشئت على هيئة لو كانت تملك[6] الإضلال لَعُدّ[7] ذلك منها إضلالا.

**﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **وإذا الأرض مدّت**، قيل بُسطت وسوّيت بكَبْس[8] الشِعاب والأودية بالجبال أو بما شاء[9] فصارت[10] ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.[11]

**﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٤] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **وألقت ما فيها وتخلّت**، أي ألقت ما وضع فيها من الموتى والكنوز فتخلت عنها. فنسب التخلي إليها وإن كان مَن فيها هو الذي خلا عنها فكانت[12] هي الحابسة لأنه إذا خلا عنها[13] خَلَتْ هي عنه.

**﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا**، الكادح هو الساعي وهو الذي اعتاد ذلك. وهذا في كل إنسان[14] تراه أبدا ساعيا إما في عمل الخير أو في عمل الشر،[15]

---

[1] جميع النسخ: لا يوصفان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[2] ر ث م: ولا كره؛ ن: وإكره. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر م - ولكن.
[4] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[5] ر م - وهي. أي الأصنام.
[6] ن: يملك.
[7] ر ث م: يعد.
[8] ر: بكسر. كبس الحفرة يكبسها كبسا: طواها بالتراب وغيره (*لسان العرب*، «كبس»).
[9] ر ث م: أو تمسا؛ ث: والجبل أو تمسا.
[10] جميع النسخ: فصار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[11] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (سورة طه، ١٠٦/٢٠-١٠٧).
[12] جميع النسخ: وكانت. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: إذ عنها خلا عنها؛ م + ما فيها وتخلت أي ألقت ما وضع فيها.
[14] جميع النسخ: كل الإنسان. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر ث م: أو عمل الشر.

أو فيما ينفعه أو فيما يضره حتى لو همّ بترك السعي لم يقدر؛ لأنّ تركه السعيَ نوع من السعي. [٨٩٥ط]
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال، حين تلا هذه الآية: «أنا ذلك الإنسان»؛ فهذا ليس أنه هو المخصوص بالخطاب لأنه بيّن الإنسان فقال: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[1] الآية. [وقال:][2] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[3] ولا يجوز أن يكون هو المرادَ بهذا كله. فكل أحد على الإشارة إليه[4] مرادٌ بقوله تعالى: **يا أيها الإنسان**، فلذلك[5] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا ذلك الإنسان».

وقوله عز وجل: **إلى ربك كدحا**، فجائز أن يكون معناه أنِ اجعلْ كدحَك إلى ربك في أن تسعى[6] في طاعته وطلب مرضاته، فإنك ملاقيه لا محالة، أي تلاقي جزاء عملك إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وجائز أن يكون الملاقات كناية عن البعث؛ إذ البعث قد يُكنَّى عنه بلقاء الرب، قال الله تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ.[7]

وسُمِّي ذلك اليوم يوم المصير إلى الله تعالى ويومَ البروز بقوله تعالى: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا.[8] ووجه التسمية بهذه الأسامي ما ذكرنا أنّ المقصود من خلق العالم العاقبةُ؛ فسمي بروزا لما للبروز أنشئ؛ وسمّى مصيرا إلى الله تعالى لمصيرهم إلى ما له خُلقوا، وإن كان الخلق كلهم بارزين له قبل ذلك ولم يكونوا عنه غائبين، فيصيروا إليه خصوصا لذلك اليوم.

## ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[٧] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا**، فسمّاه حسابا يسيرا لوجوه. أحدها أنّ المؤمن اعتقد تصديقَ الرب في كل ما دعاه إليه، وإذا كان [اعتقاده][9] على التصديق سَهُل عليه تذكّر ما قد عمله بتذكّر[10] الجملة. ووجه آخر أنه إذا نظر في كتابه

---

[1] الآية التالية.
[2] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٠ط.
[3] الآية ١٠ من هذه السورة.
[4] ر م – إليه.
[5] ن: فكذلك.
[6] ر ث م: في أن يسعى.
[7] ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يُشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١١٠).
[8] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] ر ن: تذكير ما قد عمله يتفكر؛ ث م: تذكير ما قد عمله بتفكر. والتصحيح من المرجع السابق.

رأى حسناته مقبولة، وسيئاته مغفورةً له؛[1] فسُمِّي ذلك اليومُ يسيرا له لما أُثبت فيه من الخيرت ومُحي عنه من السيئات، كما سمّيت الخيرات يُسرَى وسُمِّي ما يجزى[2] عيها يُسرى أيضا،[3] فكذلك الذي أوتي كتابه بيميه يُجْزَى عليه الخيرَ؛ فسمى[4] حسابا يسيرا. وجائز أن يكون المسم يحاسب في أن يُذكَّر ما[5] أُنعم عليه في الدنيا، ولا يحاسب حسابَ توبيخ وتهوين بأن يقال له: لم فعلتَ كذا؟ والكافر يسأل سؤالَ توبيخ، فيقال له: لم فعلت كذا؟ عى الإنكار منه[6] بما فعل، وفي ذلك تعسير عليه.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:[7] سمعت رسول الله صلى الله عيه وسلم يقول: «من نُوقِشَ في الحساب فهو معذَّب» وفي بعضها: «من حوسب عُذِّب» قالت: قلت يا رسول الله! ألم يقل الله تعالى: **فسوف يحاسَب حِسابا يسيرا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا**،[8] قال: «يا عائشُ! ذلك العَرْضُ، ولكن من نوقش الحسابَ هَلَكَ».[9]

{قال الفقيه رحمه الله:} [ليس] في ظاهر قوله عليه لسلام: «من نوقش الحسابَ عُذِّب» دفعٌ لما قالته عائشة رضي الله عنها، لأن الفهم من قوله عيه السلام: «من نوقش الحساب»[10] غير الفهم من قوله تعالى: **فسوف يحاسب حسابا يسيرا**، فليس ظاهر[11] قوله[12] جواب لها، وكان الظاهر من الكلام الأول عى ما فهمته عائشة رضي الله عنها. ولكن وجه الجواب فيه أنّ قوله عليه السلام «من حوسب عُذِّب». وقوله عز وجل: **فسوف يحاسب حسابا**، ليس على كل حساب[13] وإنما هو على الحساب الذي لا يناقش فيه؛

[1] ر ث م - له.
[2] ر ن م: يجرى.
[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-٧).
[4] ر ث م: يجرى عيه الخير يسمى.
[5] ر م: في أن يذكرنا.
[6] ر م: فيقال له فعلت كذا على الإنجاز؛ ث - منه.
[7] ر ث م: قال.
[8] الآية التالية.
[9] *صحيح البخاري*، العلم ٣٥، التفسير ٤٧، ٨٤؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ٨٠.
[10] ن - عذب دفع ما قالته عائشة رضي الله عنها لأن الفهم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب.
[11] جميع النسخ: ففي ظاهر.
[12] ر م: حسابا يسيرا فيس في قوله صاهر؛ ن ث: حسابا يسيرا فيس في ظاهر قوله.
[13] ر م: لحساب.

وأما [الحساب][1] الذي هو عرض فليس مما يعذَّب عليه.[2] فيكون فيه إبانةُ أنّه لا يُفهَم بالخطاب العامّ عمومُ المراد كما فهمته عائشةُ رضي الله عنها بل يجوز أن يكون[3] الخطاب عامّا والمراد منه خاصا.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[٩] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[١٠] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾[١١] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾[١٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وينقلب إلى أهله مسرورا،** [فهو في شأن الذي أوتي كتابه بيمينه]، وقال في شأن الذي أوتي كتابه وراء ظهره: **ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا،** فهذا لأن المسلم إنما تأهّل[4] على قصد تحصيل[5] النفع لنفسه في العاقبة، وتكون[6] معينةً[7] له على أمور الآخرة؛ فحصل له ذلك النفعُ بإحرازه السرورَ الدائم بذلك، والكافرَ تأهّل[8] لمنافع الحاضرة وسُرّ بها[9] سرورا أنساه[10] السرورُ أمرَ العاقبة فحقّ عليه العذاب لتركه السعي للآخرة لا لسروره بأهله، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[11] الآية. والكلُّ منا يريد العاجلة ولا بدّ له منها، لكن الذي يصلى جهنمَ هو الذي ابتغى العاجلة ابتغاءً أنساه[12] ذلك عن الآخرة؛[13] فكذلك المسرور بأهله إنما حلّت به النقمة لِما منعه السرور عن النظر للعاقبة لا لنفس السرور؛ إذ كل متأهّلٍ لا يخلو عن السرور بأهله. *والله أعلم.*

[1] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٠ظ.
[2] ن: عليهم.
[3] ن - أن يكون.
[4] ن: إنما يأهل.
[5] ث: تحصل.
[6] جميع النسخ: ويكون.
[7] ر: معينه.
[8] ن + بذلك.
[9] جميع النسخ: وسر بهم.
[10] ر ن م: أنشأه.
[11] ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٨/١٧).
[12] ر ن م: أنشأه
[13] ر م: على الآخرة

وقوله عز وجل: **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره،**[1] فالإيتاء من وراء الظهر يحتمل وجهين. أحدهما أن استُقّدر منه تَخبُث منظره فأُوتي من وراء ظهره.[2] [أو أوتي من وراء ظهره] مجازاة له بما سبق من صنعه، وصنعُه [هو] أنّه نَبَذ كتاب الله وراء ظهره وترك أوامره ونواهيَه وراء ظهره كذلك؛[3] فجوزي أيضا بدفع كتابه وراءَ ظهره. ودُفِع إلى المؤمن كتابُه بيمينه لِما في كتابه[4] من المحاسن والبركات. واليمين أنشئت لتستعمل[5] في البركات وأنواع الخير وسميت أيضا باسم مشتق من اليمن[6] والبركة. والشمال جعلت لتُستعمل[7] في الأقذار والأنجاس، فدُفِع[8] كتابُ مَن تَخبُث عمُله إليه بشماله أيضا أو من وراء ظهره. ولأنّ[9] أهل الإيمان قبلوا أوامر[10] الله تعالى ونواهيه
[٨٩٦و] واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل، / ومن أراد تعظيم الآخر في الشاهد وتبجيلَه[11] أخذه بيمينه؛ فجوزوا في الآخرة بالتعظيم لهم بأن أُوتوا[12] كتبَهم بأيمانهم. وأما الكافر فإنّه استخف بأمر الله تعالى وطاعته فجوزي في الآخرة بأن أوتي كتابه بشماله التي تستعمل في الأقذار إهانةً وتحقيرا.

وقوله عز وجل: **فسوف يدعو ثبورا،** الثبور والويل حرفان يُتكلّم بهما عند الوقوع في المهالك، فيكون في ذكر الثبور ذكرُ وقوعه في المهلكة التي يَحِق له دعاءُ الثبور والويلُ على نفسه، دعا به أو لم يَدْعُ،[13] على سبيل الكناية عن الوقوع في الهلاك.[14] وهو كقوله تعالى: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا،[15] فالضحك كناية عن السرور، والبكاءُ كناية عن الحزن، فمعناه أنه يستقبله ما يَحزَن له طويلا، كان هناك بكاءٌ أو لم يكن.

---

[1] م + وترك أوامره ونواهيه.
[2] م: من وراء الظهر.
[3] ر ث ن: وراء ظهره؛ م + من وراء الظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١و.
[4] ن – ودفع إلى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه.
[5] جميع النسخ: ليستعمل.
[6] ر م: من اليمين.
[7] جميع النسخ: ليستعمل.
[8] ن: قد وقع.
[9] ر ث م: لأن.
[10] جميع النسخ: أمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: تبجيله.
[12] جميع النسخ: بأن أوتي.
[13] ر ث م: لم يدعو؛ ن: لم يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: في المهلك.
[15] سورة التوبة، ٨٢/٩.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾[١٤]

وقوله عز ووجل: **إنه ظن أن لن يحور**، فيه دلالةُ أنّه إنما حلّ به ما ذُكر من العذاب لأنه كان لبعث ظنّا ولم يكن به متيقنا، وكذلك الله سبحانه حيث قسم الوعد والوعيد بين الفريقين ذَكَر في آخره ما يُبيّن أن الذي أوعد بالعذاب هو المكذِّب، وذَكَر الوعيد هاهنا وبيّن أن الذي يَحُل به هذا الوعيد هو الذي كان ظانًّا بالميعاد و لم يكن متحققا. وقال الله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ -إلى قوله- وَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ،[١] فبيّن[٢] أنّ الوعيد في المكذبين. وقال تعالى: تَنْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ -إلى قوله- فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ،[٣] ليُعلَم أن الوعيد الدائم في المكذِّبين خاصةً، فيكون فيه دفع قول المعتزلة: إنّ أهل الكبائر يخلّدون في النار.

﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **بلى إنّ ربّه كان به بصيرا**، أي كان بصيرا بما سبق من أعماله الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما كسبت يداه، ويعذّبه على علم منه باكتساب ما استوجب من العذاب، خلافا لأمر ملوك الدنيا أنهم يُحاسِبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب، ويعذِّبون على تعريف الغير لهم ما استوجب به التعذيب، لا على علم منهم بذلك. أو يكون معناه أنه كان به بصيرا في الأزل أنه ماذا يعمل إذا أنشأه وإلى ماذا ينقلب أمره: إلى النار أو إلى الجنة؟[٤] فَخَلَقَه[٥] على علم منه[٦] أنه يعادي أولياءه ويعمل بمعاصيه.

ولقائل أن يقول بأن المرء في الشاهد لا يَشرع في الأمر الذي يعلم أنه في العاقبة يضرّه ولا ينفعه، ولو شرع فيه وأتمّه[٧] كان مذموما عند الناس ولم يكن محمودا، فأيّ حكمة في إنشاء عدوّه وهو عالم أنه يسعى في معاداته؟

---

[١] ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ (سورة السجدة، ٣٢/٢٠).

[٢] ز ث م: فتبين.

[٣] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تُتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/ ١٠٤-١٠٥).

[٤] ث: أو إلى الجنة.

[٥] ن: فخالقه.

[٦] ز م: منه.

[٧] ن: ولو أتمه.

فجوابه –والله أعلم– أن الذي شرع في الأمر الذي علم[1] أن إتمامه يضرّه ولا ينفعه إنما لحقته[2] المذمة لما سعى في إضرار نفسه، وأما الذي أعرض عن طاعة الله تعالى وكَفَر به فإنما اكتسب الضررَ على نفسه خاصةً بأن أوقعها في المهالك ولم يضرّ غيرَه؛ لذلك لم تلحقه[3] المذمّة في خلقه وإنشائه. وفي هذا دلالة أنّ الله تعالى حيث خلق الخلق لم يخلقهم لمنفعة له ولا لمضرة تلحقه[4] من جهتهم، بل منافعهم ومضرّتهم راجعة إلى أنفسهم.

**﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بالشفق**، فمنهم من حمل قوله **فلا**، على دفع منازعة وقعت فيما بين القوم على ما نذكر[5] في سورة "لا أقسم بهذا البلد"،[6] إن شاء الله تعالى، وإنما القسم قوله تعالى: **أقسم**؛ ومنهم من جعل "لا" بحق[7] الصلة. فإن كان على الوجه الأول لم يجز حذف "لا" من الكلام،[8] بل حقه أن يقرأ: **فلا، أقسم**. وإن كان بحق الصلة استقام حذفُه[9] كما قرأ بعض القراء:[10] فَلَأُقسِم بالشفق.[11]

ثم الشفق هو أثر النهار؛ فجائز أن يكون القسم واقعا على النهار كلّه وإن كان ذَكَر طرفا منه. والثاني أن الشفق يجتمع فيه أثر النهار وهو النور الذي فيه، وأثر الشمس وهي الحمرة التي تكون[12] فيه؛ فيكون القسم واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه لقوله: وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ؛[13] فيكون فيه حجةٌ لقول أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ وقت العشاء[14]

---

[1] م – علم.
[2] م: إنما لحقه.
[3] جميع النسخ: لم يلحقه.
[4] جميع النسخ: يلحقه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣١ظ.
[5] ن: على ما يذكر.
[6] ر ث م – بهذا البلد.
[7] ن: بحق.
[8] ث: في الكلام.
[9] ر ث م: من حذفه.
[10] م + ن.
[11] نسبه الزمخشري والقرطبي إلى الحسن. الكشاف، ٤/٤٥٦؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٧/٢٢٣.
[12] ر ث م: يكون.
[13] الآية التالية
[14] ن – العشاء؛ م: وقتا لعشاء.

لا يدخل حتى يغيب[1] البياض[2] لأن وقته يدخل بغيبوبة الشفق. والشفق وجدناه مشتملا على البياض والحمرة فما لم تتم[3] الغيبوبة لم يَهْجُمْ وقتُها، ألا ترى أنّ الصلاة التي تلي[4] الغروبَ لا يدخل وقتُها حتى يتمّ غروبُ الشمس؛ فعلى ذلك الصلاة التي تلي[5] غروبَ[6] الشفق لا يدخل وقتها حتى تتم[7] الغيبوبة.

**﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[١٧]**

وقوله عز وجل: **والليل وما وسق**، قال بعضهم: **وسق**، أي وما ساق[8] وحمل معه من[9] الظلمة والنجم[10] والدابة وغير ذلك. والوَسْق الحِمْل، يقال: وَسْقُ بعيرٍ، أي حِمل بعير. وقال بعضهم: **وَسَق**، أي جَمَع وساقَ كلَّ شيء إلى مأواه من الطير والسباع. فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع.

**﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **والقمر إذا اتسق**، فالاتساق الاجتماع. ومعناه: استوى وكمل إذ ذاك[11] اجتماعُه، وذلك[12] في الليالي[13] البِيضِ. وقال أبو بكر الأصم: معناه أنه جمع وسوّى بعد أن كان كالعُرْجُون القديم؛[14] فيذكّرهم[15] قوّتَه ليعلموا أنه قادر على بعثهم.

---

[1] ر م: تغيب.
[2] ر م: الشفق.
[3] جميع النسخ: لم يتم.
[4] ر ن ث: يلي.
[5] جميع النسخ: يلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١ط.
[6] م: الغروب.
[7] جميع النسخ: حتى يتم.
[8] ر: وما وسق؛ م – أي وما ساق.
[9] ر م – من.
[10] م: والحمد.
ر ن ث: ذلك.
[12] م – إلى مأواه من الطير والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع وقوله عز وجل والقمر إذا اتسق فالاتساق الاجتماع ومعناه استوى وكمل إذ ذاك اجتماعه وذلك.
[13] ر ن ث: في ليالي.
[14] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (سورة يس، ٣٦/٣٩)
[15] ر: فتذكرهم.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **لتركبُنّ طبقا عن طبق**، قرئ بنصب الباء ورفعها،[١] وكلا القرائتين في المعنى واحد، وإن كان[٢] في الظاهر إحداهما للجمع والأخرى للوُحْدان[٣] [ولكن المراد منه [٨٩٦ط] الجملة].[٤] فإن قوله: لتركبَنَّ منصرف إلى كل إنسان في نفسه خاصة، لا على الاقتصار على شخص واحد؛ لِما ليس في قوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ،[٥] إشارةٌ إلى شخص بعينه ولكن المراد منه الجملة؛ وإحدى القرائتين بحرف الجمع: لتركبُنَّ بالرفع؛[٦] فثبت أنّ الخطاب منصرف إلى الجملة.

ثم قوله: **لتركبُنّ طبقا عن طبق**، قيل: حالا بعد حال. ثم جائز أن يصرف إلى دار الآخرة فكأنّه قال: لتركبنّ حالَ الآخرة بعدَ حال الدنيا، فيكون فيه تصريح القول على إيجاب[٧] البعث. ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا؛ فينتقل إلى حال لمضغة بعد كونه نطفة،[٨] وإلى حال العلقة وإلى حال الطفولة إلى أن يبلغ أَشُدَّه، فلا يزال يركب[٩] حالةً بعد حالة. فيكون في تنقّله[١٠] من حال إلى حال إبانةُ أنّه لم يُرَدْ من إنشائه أن يتغير عليه الأحوال فقط، بل أريد به العاقبة التي بها صار إنشاءُ الخلق حكمةً لا عبثا؛ فيكون قوله: **لتركبنّ**، منصرفا إلى كل إنسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ذكرنا.

ومنهم من قال: إنما أراد بهذا الخطاب رسول[١١] الله صلى الله عليه وسلم. ذُكر ذلك[١٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما. لكن قال ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[١] ﴿لتركَبَنّ﴾ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلَف، وافقهم ابن محيصن والأعمش. ﴿لتركبُنّ﴾ الباقون (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* محمد فهد خاروف، ٥٨٩).

[٢] ر ث م: إن كان.

[٣] جميع النسخ + وإحدى القراءتين بحرف الجمع يذكر بالرفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١ط.

[٤] الزيادة من المرجع السابق.

[٥] الآية ٦ من هذه السورة.

[٦] ر ل ث – وإحدى لقراءتين بحرف الجمع لتركبن بالرفع.

[٧] ن: على الإيجاب.

[٨] ر ث م: مضغة.

[٩] ث: تركب.

[١٠] جميع النسخ: في نقله. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ن: برسول.

[١٢] جميع النسخ – ذلك. والتصحيح من مرجع سابق.

لتركبَنَّ يا محمد،[١] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لتركبَنّ السّماءَ حالا بعد حال.[٢] فإن كانت التأويل على ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بِشارةٌ له[٣] بإسلام قومه وإجابتهم له، فيقول: إنهم سيطيعونك ويصيرون لك[٤] أنصارا بعد صدّهم الناسَ عن الإيمان وجَفْوتِهم إياك.[٥] ومن قال: لتركبَنّ سماءً بعد سماء فيقول ذلك ليلةَ أُسرِي به. والتأويل الأول أقرب لأن موقع القسم في قوله: لتركبَنّ، والإسراءُ لم يكن يعرفه قومُه حتى يكونَ في ذكره رفع الاشتباه عن أولئك القوم. فأما ظهور الإسلام وعلوّ النبي على أعدائه فمما يشاهده الناس، فيتحقق في الآخرة[٦] ما أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الغيب فيكون تأكيدا لرسالته؛ فلذلك قلنا: إنّ الحمل على المعنى الأول أحقّ. *والله أعلم*.

**﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **فما لهم لا يؤمنون**، الأصل أن كل من اعتقد مذهبا فإنما يعتقده لحجة تقرّرت عنده أو شبهة اعترضت له ظنَّها حجةً، فأما أنْ يعتقده جُزافا[٧] فليس يفعله. فقال الله تعالى في هؤلاء: **فما لهم لا يؤمنون**، أي[٨] أيُّ حجة لهم تمنعهم[٩] عن الإيمان بالله تعالى وبرسوله وتدعوهم[١٠] إلى الشرك والتدين[١١] به؟ ثم قد ذكرنا أن ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقّه أن يُنظَر ما يقتضي ذلك الكلام من الجواب أنْ لو كان من مستفهِمٍ فيُحمَل الأمرُ عليه،[١٢] وحقُّ جواب هذا الكلام أن يقول: لا شيءَ يمنعه عن ذلك.

---

[١] روي عن ابن مسعود ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبقا عن طبق﴾ يا محمد حالا بعد حال (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤٥٩).

[٢] روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَتَرْكَبَنَّ طبقا عن طبق﴾ يعني بفتح الباء قال: يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال. وروي عنه أيضا ﴿لَتَرْكَبَنَّ طبقا عن طبق﴾ قال: يا محمد السماء طبقا بعد طبق (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤٥٩).

[٣] م - له.

[٤] ر: ويبصرون ذلك.

[٥] ن - إياك.

[٦] في الآخرة، أي في آخر الأمر وفي مستقبل حياة النبي عليه السلام.

[٧] جميع النسخ: حراما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢و.

[٨] ر - أي.

[٩] جميع النسخ: يمنعهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: ويدعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: والتربين؛ ن ت: والتربن. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر - عليه.

فقوله: **فمالهم لا يؤمنون**، أي لا حجة لهم فيما اختاروا من الشرك وإنما يتديّنون به تشهّيا وتمنّيا؛ فيكون هذا على النفي في أن لا حجة لهم. أو كأنه يخاطب رسوله عليه الصلاة والسلام فيقول: سَلْهم لماذا لا يؤمنون؟ وإذا سألهم لم يجدوا لأنفسهم حجة في الإعراض عن الإيمان، فيرجع الأمرُ إلى انتفاء[1] الحجة أيضا.

ثم المعتزلة احتجت[2] علينا بهذه الآية في تثبيتهم القدرة قبل الفعل، وزعمت أنه لو لم يكن أُعطِي قوةَ الإيمان لم يكن يعاتَب على تركه؛ لأنه لا عذر للعبد أعظم من أن يقول إذا قيل له: لم لا تؤمن؟[3] فيقول: إني[4] لم أقدر عليه؛ ولأنّ[5] قوله تعالى: **فما لهم لا يؤمنون** حرفُ تعجيب، ولو كانت[6] القوة ممنوعة قبل الفعل لكان له أن يقول: إنما لم أُؤمِنْ لأَني مُنِعتُ عنه، فيرتفع عنه التعجيب؛ فدلّ أنه أُعطِي القوةَ فلم يبق له في التخلّف[7] عن الإيمان عذر.

والجواب عن الفصل الأول أنّ الكافر إنما[8] لحقته كلفة الإيمان لأنه هو الذي ضيّع القوة باختياره فعلَ الكفر، وإنما ترتفع[9] الكلفة إذا مُنعت عنه الطاقة، فأما إذا كان هو الذي ضيّعها[10] فالكلفة عليه قائمة. والأصل أن القدرة في الصحيح السليم تَحْدُثُ[11] تِباعا على قدر حرصه على العبادة وميلِه[12] إليها. ثم العبد متى اشتغل بفعل صار مُضيِّعا لضدّه من الأفعال، لا أن كان ممنوعا عن الفعل الذي هو ضد هذا؛ فكذلك[13] إذا آثر الكفر وأتى به فقد صار باختياره الكفرَ مضيِّعا لقوة الإيمان، لا أن صار ممنوعا عنها؛ لذلك لحقته كلفةُ الإيمان.

---

[1] جميع النسخ: إلى ابتغاء. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٢و.
[2] ر: احتجب.
[3] ر م: لا يؤمنون؛ ث: لا يؤمن.
[4] ر: لأنا؛ ن ث: لأني؛ م - إني. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] م: ولأنه.
[6] ن: كان.
[7] ر م: الحلف.
[8] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: وإنما يرتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: ضيعه.
[11] جميع النسخ: يحدث. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: ومثله.
[13] جميع النسخ: فعلك. والتصحيح من المرجع السابق.

وأما ما ذكر من أمر التعجيب فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك. وهو أنهم لم يلتزموا الكفر[1] بحجة دعتهم إلى القول به، والمرء إذا قلد مذهبا قلّده لا عن حجة وبرهان، فعجّب الخلق باختيارهم الكفرَ لا عن حجة.

ثم لو كان الأمر على ما ظنّتِ المعتزلة أنّ الله تعالى قد أعطاهم جميع أسباب الهداية ولم يُبق في خزانته شيئا منعَه عنهم لكان التعجيب راجعا إليه لا إلى الذين لم يؤمنوا، فيقول: ما لي لا أَصِل[2] إلى هدايتهم ولم يَبق عندي شيء به هدايتهم إلا وقد أعطيتهم، لا أن يُعَجِّب الخلقَ عن صنيعهم.[3] فليس الذي اختاروه في القول سوى وصفِهم ربَّ العالمين بالعجز، والعاجز لا يصلح أن يكون ربّا. **والله الموفق**.

**﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون**، فمنهم من صرف التأويل إلى سجود الصلاة، والمراد منه عندنا سجود التلاوة، وهو سجود الاستسلام / والخضوع على [٨٩٧و]
الشكر لما أُكرِم المرءُ من الإيمان وهُدِي إليه،[4] لأن سجود الصلاة يكون عند فعل الصلاة لا عند ذكر التلاوة.

ثم في الآية دلالة وجوب السجدة على السامع؛ لأنهم عوتبوا بتركهم السجود عند ما يتلى عليهم وقُرِّعوا به، والتقريع يجري في ترك اللازم لا في ترك ما ليس عليه؛ ولأن المعنى الذي به[5] وجب السجود على التالي قائم في السامع؛ إذ التالي[6] إنما لزمه السجود بما ذكر[7] من آيات الله تعالى وقامت عليه من الحجج؛ فلزمه[8] أن ينقاد لها ويخضع.[9] [والسامع قد قامت عليه الحجج فيلزمه أن يخضع لها. **والله تعالى أعلم**].[10]

---

[1] ر م: لم يلزموا الكفر؛ ث: الكفرة.
[2] ر م: لي الأصل.
[3] ر ث م: عن صنعهم.
[4] جميع النسخ: وهدي لله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢و.
[5] ث م: به.
[6] ر ث م: أن التالي.
[7] ر: لما ذكرنا؛ ث م: لما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: فيلزمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢ظ.
[9] ر ث م: فيلزمه أن يخضع.
[10] الزيادة من المرجع السابق.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا يكذبون**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يكذّبون بنبوّة[١] محمد صلى الله عليه وسلم فيحملهم ذلك على التكذيب بالقرآن؛ لأنهم إذا[٢] كذبوا رسالته لم يصدّقوه فيما يأتي من الأخبار، لا أن يكون في الأخبار معنى يحملهم على التكذيب، بل القرآن يحملهم على التصديق والإيمان لو أمعنوا[٣] النظر فيه وبذلوا من أنفسهم الإنصاف. أو يكون معناه أنّ الذين كفروا هم المكذّبون؛ فيكون الكفرُ منهم تكذيبا والتكذيبُ منهم كفرا.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **والله أعلم بما يوعون**، يحتمل أوجها. أحدها ما يضمرون من الكيد والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالله أعلم بكيدهم لا يتهيأ لهم أن يُنفذوا كيدهم فيه إلا ما كتب الله عليه، فيكون فيه بشارة له بالنصر والتأييد. والثاني **والله أعلم بما يوعون**، في قلوبهم من التصديق ويُظهرون من التكذيب بألسنتهم؛ أو بما يوعون[٤] من التكذيب بألسنتهم وقلوبهم معا. وذلك[٥] أن البعض منهم كان قد أيقن برسالته فكان يصدقه بقلبه ويكذّبه بلسانه على العناد منه والتمرد؛ ومنهم من لم يكن عرف صدقَه بقلبه لِما تَرَكَ الإنصاف من نفسه بإعراضه عن النظر في حجج الله تعالى، فكان يكذّبه بقلبه[٦] ولسانه جميعا.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فبشرهم بعذاب أليم**، فالبِشارة إذا فُسّرت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا، وأما البشارة المطلقة إنما تستعمل[٧] في موضع إدخال الفرح والسرور في القلب.

---

[١] جميع النسخ: رسوله؛ ن + سيدنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢ظ.
[٢] ث: إنما.
[٣] جميع النسخ: لو أنعموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ث م: أو مما يجحدون.
[٥] ر: ذلك.
[٦] ن: في نفسه.
[٧] جميع النسخ: إنما يستعمل. والتصحيح من المرجع السابق

﴿إِلَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، فجائز أن يكون منصرفا إلى كلّ من آمن. وجائز أن يصرف إلى من[١] آمن من الذين كانوا يوعون[٢] ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **لهم أجر غير ممنون**، نذكره[٣] في سورة "والتين والزيتون" إن شاء الله تعالى.[٤]

---

[١] ن + يصرف.

[٢] ر: يوعدون.

[٣] ن ت: يذكره.

[٤] ت + وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة البروج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[١]

قوله عز وجل: **والسماء ذات البروج**، فقوله: **والسماء ذات البروج** على القَسَم، وكذلك ما ذكر عقيبه. ثم اختلف[2] في موضع القسم في هذه السورة، فمنهم من ذكر أنّ القسم لمكان قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ،[3] ومنهم من يقول: القسم موقعُه على قوله: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ؛[4] وهو أشبه لأنه في موضع الاحتجاج على الكفرة، ولو حُمِل القسم على قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، كان ذلك منصرفا إلى المؤمنين، والمسلمون[5] قد تيقّنوا بصدق ما يأتي به الرسول من الأنباء، والقسم يُذكَر على تأكيد ما يقصد إليه ليُزال عنه الريبُ، فإذا كان[6] المسلمون غير مرتابين في أنبائه استغنوا عن تأكيده بالقسم؛ فلذلك قلنا: إن صرفه إلى قوله تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ، أليق. فيكون فيه تحذير لمن كذّب رسولَه صلى الله عليه وسلم أنّ بطشه لمن كذّب رسوله لشديدٌ، وقد علموا ذلك بما وصل إليهم من نبأ عادٍ وثمودَ وفرعونَ وغيرهم. وجائز أن يكون موضع القسم على قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ،

---

[1] ر – سورة البروج؛ ث + وهي عشرون آيات مكية.

[2] ن + في قوله.

[3] الآية ٤ من هذه السورة.

[4] الآية ١٢ من هذه السورة.

[5] ن: والمسلمين.

[6] ن: وإذ كان.

وذلك أنّ أهل مكة كانوا أهل تعذيب لمن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكان في ذكر[1] ما نزل بالمتقدمين من الفراعنة[2] من العذاب وصبرِ أولئك المعذَّبين على دينهم وصَبْرِهم به وحسنِ ثناء الله تعالى عليهم تصبيرٌ لهم وتهوين على ما يَلقَون من العذاب لينالوا من حسن ثناء الله تعالى ما ناله مَن صَبَر ممن[3] تقدّمهم من السلف. وكذلك ذَكَرَ[4] سحرة فرعون وأحسنَ الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾،[5] ليكون ذلك عونا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب.

ثم أكّد الأمر بالقسم لأنه لا كلُّ مسلم يُبتلَى بتعذيبهم[6] يبلغ يقينُه مبلغا لا يعتريه شك ولا تتخالجه[7] شبهة في ذلك، فأكّد الأمرَ بالقسم لرفع الريب والإشكال، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ -وفي بعض القراءات: قُتل معه ربيون كثير-[8] فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾،[9] فذكّر المؤمنين ما لقي السلفُ[10] من الكفرة وابتُلُوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين، ليستعينوا به على ما يصيبهم في سبيل الله ولا ينقلبوا[11] على أعقابهم إذا أُخبروا[12] بقتل الرسول.

وفي ذكر هذه الأنباء دلالة أنّ قول الرسول عليه الصلاة والسلام لعمارٍ رضي الله عنه: «إن عادوا فعُدْ»،[13] حين أكره على إجراء كلمة الكفر على لسانه فأجرى وقلبُه مطمئن
[٨٩٧ظ] بالإيمان، ليس على الأمر به / والإيجاب عليه والتحصيل بطريق العزم، بل معناه: إن عادوا فلك العود على سبيل الرخصة؛ لأنه لو كان على الأمر لم يكن في ذكر نبإ أصحاب الأخدود

[1] ن: في موضع ذكر.
[2] ث: عن الفراعنة.
[3] جميع النسخ: من.
[4] ث - ذكر.
[5] سورة طه، ٧٢/٢٠.
[6] ن: تعذيبهم.
[7] جميع النسخ: ولا يتخالجه.
[8] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: "قُتِلَ مَعَهُ" بضم القاف وكسر التاء (المبسوط في القراءات العشر لابن مهران، ١٦٩).
[9] ﴿... والله يحب الصابرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٦/٣).
[10] ن: من السلف.
[11] جميع النسخ: ولا ينقلبون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٢ظ.
[12] ن: إذا اخبروا.
[13] المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣٨٩/٢؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٣٦٢/٨.

وسحرة فرعون فائدة سوى أن يُترك لُعمل بهما. ومعلوم بأن تلك الأنباء إنما ذكرت ليُعمَل بها لا ليُترَك بها العملُ؛ لذلك حمل قوله: «فعد» على الرخصة لا على الأمر به؛ وبكون المراد من قوله عليه الصلاة والسلام أيضا: «من لم يقبل رُخَصَنا كما يقبل عزائمنا فليس منا»،[١] أي لم ير العمل به موسّعا بل استكره وأبى قبوله، لا أن يكون فيه[٢] أمر بترك العزيمة وإيجاب العمل بالرخصة. *والله أعلم*.

ثم نرجع[٣] إلى قوله تعالى: **والسماء ذات البروج**، فقال بعضهم: هي البروج المعروفة وهي أطراف البناء، وإذا بنى بناءً اتخذ على طرفه برجا ليشدّد بنائه به. ومنهم من قال: البروج القصور. ومنهم من قال: البروج النجوم، لقوله: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ،[٤] وزينة السماء هي الكواكب، بقوله: بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ.[٥] ومنهم من قال: هي مجاري الشمس والقمر والكواكب فمنازلها هي البروج.

ثم ذَكَر السماء بالبروج ليُعرَف [بها][٦] حدثُها ودخولها تحت تدبير الغير؛ إذ ذَكَرها بالمنافع المجعولة[٧] فيها ليعلم الخلقُ أنها سخّرت للمنافع فيعرفوا بها حدثَها؛ إذ المسخر لمنافع الغير داخل تحت قدرة من سخّره،[٨] والمقدور محدَث، وهم لم يشهدوا بدءَها[٩] ليعرفوا به حدثها، ولا كلّ أحد يعرف حدثيّة الشيء لكونه محدودا في نفسه إذا لم يشهدوا[١٠] بدءه،[١١] فذَكَرها حيث ذَكَرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق؛ إذ ذلك أظهر وجوه الدلالة[١٢] على الحدثيّة ليعلموا بها حدثيتها.[١٣]

---

[١] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢)؛ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب أن تؤتى فريضته» (مصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٣٤/٦).
[٢] ر ث م – فيه.
[٣] ر ن م: ثم يرجع.
[٤] سورة الحجر، ١٦/١٥.
[٥] ﴿إنا زيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد﴾ (سورة الصفات، ٣٧/٦-٧).
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٣و.
[٧] جميع النسخ: المجعول.
[٨] ن: قدرة و سخره.
[٩] جميع النسخ: بدوها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر م: لم يشاهدوا.
[١١] جميع النسخ: بدوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ت: لوجوه لدلالة.
[١٣] ر م: حدثتها.

ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه احتجّ على قومه بنفي الإلهيّة عن الكواكب بأفُولها؛ إذ ذلك أظهر وجوه الحدثية ولم يحتج عليهم بانتقالها من موضع إلى موضع، ولا بكونها محدودة في نفسها،[1] بل احتجّ عليهم بما ذكرنا ليتحقق عندهم حدوثها ودخولُها تحت سلطان الغير.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **واليوم الموعود**، قيل: هو[2] يوم القيامة، فسمي[3] موعودا لما وُعد من جمع[4] الأولين والآخرين في ذلك اليوم.[5] ثم أقسم بذلك اليوم وإن كانوا منكرين له لِما قرّره عليهم بالحجج وألزمهم القول به. وقيل: **اليوم الموعود** هو كلّ يوم يأتي فيأتي بما وُعِد فيه من الرزق وغيره. ***والله أعلم.***

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وشاهد ومشهود**، اختلف في تأويله. فمنهم من قال: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود هو الخلق، واستدل[6] على ذلك بقوله: كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.[7] وقيل: الشاهد لرسول صلى الله عليه وسلم، والمشهود أمته، قال الله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هٰؤُلَاءِ.[8] ومنهم من يقول: الشاهد هو الكاتبان اللذان يكتبان على بني آدم أعمالهم، والمشهود هو الإنسان الذي يُكتب عليه. ومنهم من يقول: الشاهد والمشهود هو الإنسان نفسُه، أي جعَل عليه من نفسه شُهودا بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[9]

---

[1] ن - إذا لم يشهدوا بدءه فذكرها حيث ذكرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق إذ ذلك أظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثتها ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه احتج على قومه بنفي الإلهية عن الكواكب بأفولها إذ ذلك أظهر وجوه الحدثية و لم يحتج عليهم بانتقالها من موضع إلى موضع ولا بكونها محدودة في نفسها.

[2] جميع النسخ: هي. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٣و.

[3] ر ث م: يسمى.

[4] ر م: من جميع.

[5] ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ (سورة الواقعة، ٤٩/٥٦-٥٠).

[6] ن + بذلك.

[7] ﴿وكنتُ عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ (سورة المائدة، ١١٧/٥).

[8] سورة النحل، ٨٩/١٦.

[9] سورة النور، ٢٤/٢٤.

ومنهم من يقول: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم[1] عرفة؛ سمي يوم الجمعة شاهدا لأنه هو الذي يشهدهم ويأتيهم، وسمي عرفة مشهودا لأنّ عرفة اسم مكان والناس يأتونها ويشهدونها ولا يأتيهم؛ فعظَّم شأنَ عرفة لما يعظِّمها أهل الأديان كلُّهم،[2] وعظَّم يومَ الجمعة لأنه يوم عيد المسلمين، ولكن أهل دين يومٌ يعظِّمونه فأكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم يُعظِّمونه مكانَ[3] اليوم الذي يعظِّمه[4] غيرُهم من أهل الأديان، فأقسم بهما.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قتل أصحاب الأخدود**،[5] اختلف في تأويله. فمنهم من صرفه إلى المعذِّبين، ومنهم من صرفه إلى المعذَّبين. فمن صرف إلى المعذِّبين[6] حمَل قوله: **قتل**، على اللعن أي لُعنوا، كقوله[7] تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾،[8] أي لعنوا. ومن صرفه إلى[9] الذين عذِّبوا حمله على القتل المعروف.

ثم اختلف في قصة أولئك الذين عذِّبوا، فإن كان القَسَم في الكفرة فما ينبغي[10] أن يفسر على وجه من ذلك ما لم يتواتر فيه الخبرُ عن المصطفى عليه الصلاة والسلام، بل حقه أن يُقتصر على ما جاء به الكتاب؛ لأن هذه الأنباء حجة لرسالة نبيّنا عليه السلام[11] لأنهم وجدوها موافقة للأنباء[12] المذكورة في كتبهم وقد علموا أنه لم يَصل إلى تعرّفها إلا بالله[13] تعالى؛ إذ لم يروه يختلف إلى من عنده علم الأنباء ليصل إلى معرفتها بهم. فإذا فسرت على وجهٍ أمكن أن يقع فيها زيادة أو نقصان على ما ذكر في الكتاب[14] فيجدوا به[15] موضع الطعن والقدح،

---

[1] ن – يوم.
[2] جميع النسخ: كلها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣و.
[3] ث م: فكان.
[4] ر: ويعظموه فكان اليوم الذي يعظموه.
[5] ر ث م + قيل أصحاب الأخدود.
[6] م: إلى الذين عذبوا.
[7] ر: أي لعنه وقوله.
[8] سورة الذاريات، ١٠/٥١.
[9] ر – إلى.
[10] م + فيما ينبغي.
[11] ر ث م – بل حقه أن يقتصر على ما جاء به الكتاب لان هذه الأنباء حجة لرسالة نبينا عليه السلام.
[12] ر: الأنباء.
[13] ر م: إلى الله
[14] ن + إلا من الوجه الذي ذكرنا.
[15] ر: ما ذكروا في الكتاب فيجدوا بهم.

لذلك لم يسع أن يزاد عى القدر الذي جرى ذكره في الكتاب إلا من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان القَسَم في المؤمنين وَسِع لقول نحمل التأويلات التي ذكرها[1] أصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذي ذكرنا في الكفرة. *والله أعلم*.

ثم في ذكر[2] هذه النبأ تقرير رسالته ونبوته عيه الصلاة والسلام عند الكفرة[3] لما ذكرنا أنه لم يختلف إلى من عنده علم هذه الأنباء[4] ليعلم به، فإذا أنبأهم عى وجهها تيقنوا أنه بالله

[٨٩٨و] تعالى عَلِمَ. وفيه تصبير لرسول الله / صلى الله عليه وسلم وتخفيفُ الأمر عيه، لأنه يخبره أن قومك ليسوا بأول من آذوك وعاندوك بل لم يزل سلفهم تلك عادتُهم بأهل الإسلام. وفائدة أخرى ما ذكرنا أن في ذكره بعض ما يستعين به من ابتُلي بأذى الكفرة. وفيه أن أولئك الكفرة بلغ مِن ضَنِّهم بدينهم ما يقاتلون عيه مَن أظهر مخالفتهم في الدين ليعلموا أن القتال لمكان الدين[5] ليس بأمر شاقٍ خارج عن الطباع[6] بل الطباع جبلت على القتال مع من عاداهم في الدين؛ فيكون فيه ترغيب المسلمين عى القتال مع الكفرة إذا امتُحنوا به.[7] *والله أعلم*.

**﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **النار ذات الوقود**، فمنهم من جعل الوَقود مَنْ أُلقِي فيها من المؤمنين، ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي عُذِّبوا بها.

**﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **إذ هم عليها قعود**، أي عظماؤهم وكبراؤهم جُلوس عند الأخدود. ففيه[8] أنّ أتباعهم هم الذين كانوا يَتولَّون إلقاء[9] المؤمنين في النار، وكبراؤهم جلوسٌ هنالك.

---

[1] ر – موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع أن يزاد على القدر الذي جرى ذكره في الكتاب إلا من الوجه الذي ذكرنا وإن كان القسم في المؤمنين وسع القول بحمل التأويلات التي ذكرها.

[2] ر م: ثم ذكر.

[3] ر م – عند الكفرة.

[4] جميع النسخ: النبأ.

[5] ن: لدين.

[6] جميع النسخ: من الطباع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣ط.

[7] ر ن م – به.

[8] ر: وفيه.

[9] ر م: لقاء.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون الشهود هم العظماء والفراعنة. أو يكون منصرفا إلى الأتباع، وهو أن الأتباع كانوا يُلقُون المؤمنين في النار ويشهدون أنهم على الضلال وأنهم ورؤساؤهم على الهدى والحق، وهو كما قال في موضع آخر: وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا.[1]

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**، فذَكر **العزيز الحميد**[2] ليُعلَم أنه لا يلحقه ذُلّ[3] بما يَحُل من الذل بأوليائه وأهل طاعته، ولا في حمده قصور[4] بقهر أوليائه، خلافا لما عليه أمر[5] ملوك الدنيا. وذلك أن ملوك الدنيا إذا حل بأولياء واحد منهم ذُلٌّ كان الذل حالًّا فيه أيضا، وإذا قُهر بعض أتباعه فترك نصرَهم وهو قادر على نصرهم واستنقاذِهم لم يُحمد[6] ذلك منه ولحقته المذمة. وذلك لأن الملِك إنما استفاد[7] العز بأتباعه وأنصاره فإذا استذلّ أتباعُه زال ما به نال[8] العزَّ فلحقه الذلُّ؛ ونال الحمد أيضا بالإحسان إلى مملكته فإذا ترك نصرهم وهو مُمَكَّن من ذلك فقد ترك إحسانه إليهم فصار به غير ممدوح ومحمود. والله تعالى استحق العز والحمد بذاته لا بأحد من خلائقه فلم يكن في إذلال أوليائه ما يوجب النقص في وصف الحمد ولا ما يوجب قصورا في العز.

والثاني أنّ الدنيا وما فيها أنشئت للإهلاك، ولعل الإهلاك بما[9] ذكر أيسر عليهم من هلاكهم حتفَ أنفهم،[10] وكان في ذلك النوع من الهلاك نيلُ درجة الشهداء وهي التي ذكرها الله تعالى

---

[1] ﴿ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ (سورة النساء، ٥١/٤).

[2] ن ث - فذكر العزيز الحميد.

[3] ن: ذل.

[4] ر: ولا بحمده تصور.

[5] ن - أمر.

[6] ر: واستعذتهم لم يحمدوا.

[7] ن: بما استفاد.

[8] م - نال.

[9] ر ث م: بما.

[10] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٣ط.

في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [يُرْزَقُونَ].[1] الآية. ولا تُنال[2] تلك الدرجة بموتهم حتف أنفسهم فهذا أبلغ نصرا منه إياهم.

ثم الجزاء والعقاب دار أخرى فيها يظهر تعزيز[3] الأولياء وقمع الأعداء[4] فلم يكن في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وَهْنا ولا ذُلًّا. وأما ملوك الدنيا إذا تركوا نصرهم وقت مُلكهم لأوليائهم لم يُتوقع منهم النصر بعد ذلك، إذ ليست في أيديهم إلا المنافع الحاضرة، لذلك لحقتهم المذمة بترك النصر. ***والله أعلم.***

ثم ليس في إهلاك أولئك القوم الذين آمنوا واقتدارِهم عليهم إيهامُ أنهم كانوا على الحق والصواب وأن المؤمنين كانوا على الخطإ؛ لأن الإهلاك إنما يصير آية إذا كان على خلاف المعتاد، وإهلاكُهم لم يكن كذلك لأن عددهم كان كثيرا وكان في المؤمنين قلةٌ، وإهلاكُ الكثير للقليل غير مستبعد بل هو أمر معتاد، وغلبةُ الفئةِ القليلة الفئة الكثيرةَ هي التي تخرج[5] من حد الاعتياد فيكون فيها آية أنّ الفئة القليلة على الحق والآخر على الباطل، وذلك نحو غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر بمن معه من المسلمين مع قلة أعدادهم وضعفهم في أنفسهم وكثرةِ أتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في أنفسهم. ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **وما نقموا منهم**، أي لم يكن من المؤمنين بمكانهم جُرْمٌ[6] يُنتقَم منهم بالإحراق سوى أن آمنوا بالله تعالى. وقيل: ما عابوا عليهم وما أنكروا منهم سوى أن آمنوا بالله تعالى.[7] وفي هذا تبيينُ سفههم وعتوِّهم، لأنهم علموا أن ما هم من النعم كيّها من الله تعالى، فكان[8] الذي يحق عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى ويشكروه بما خوّلهم من النعم، ويدعوا غيرهم[9] إلى الإيمان به، لا أن يقتلوا أو يعذِّبوا من آمن به.[10] ثم قوله عز وجل: **العزيز الحميد،**

---

[1] سورة آل عمران، ١٦٩/٣.

[2] جميع النسخ: ولا ينال.

[3] ر م: بعزيز.

[4] جميع النسخ: لأولياء. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٣ص.

[5] ل ث ه: يخرج.

[6] ر ت م + من.

[7] ث – وما أنكروا منهم سوى أن آمنوا بالله تعالى.

[8] ر م + الله

[9] ر – غيرهم؛ م: غير.

[10] ر: من آمنه أبه؛ ه: من امن أبه.

فالعزيز هو الذي لا وجود له،[1] أو هو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العز مقابل الذل.[2] وقال أهل التفسير: العزيز المنيع،[3] و عزيز هو الذي لا يُعجزه شيء. والحميد[4] المستوجب للحمد من كل أحد بذاته.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **الذي له ملك السماوات والأرض،**[5] فذكر هذا ليُعلَم أنه لا يدخل في ملكه قصورٌ بقتل أوليائه وأنصارِ دينه. لأن الخلق كلهم عبيد الله تعالى وإماؤه. والسيد إذا قتل بعضُ مماليكه بعضا لم يلحق السيدَ بذلك ذل ولا نقصٌ، وإنما يدخل عليه الذلّ إذا قتلهم / غيرُ [٨٩٨ظ]
مماليكه؛ فإذا كان الخلق بأجمعهم عبيد الله[6] لم يكن في قتل بعضٍ بعضا نقصٌ يدخل في ملكه. وقوله: **والله على كل شيء شهيد،** أي يحفظ عليهم أعمالهم فيجازيهم بها لا يَعزُب[7] عنه شيءٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات،** فالفتنة المحنة، وهي مأخوذة مِن فَتَن الذهبَ إذا أذابه؛ لأنه يُذيبه ليُميّز[8] به بين ما خَبُث منه وبين ما صفا، وبين الذهب وبين ما ليس بذهب؛ فاستعملت في موضع المحنة[9] لأن المحنة هي الابتلاء ليتبين بها الصادق من الكاذب والمحقُّ من المُبطِل، وذلك يكون بالأمر والنهي فسُمّي الأمر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا، وإن كان الله تعالى لا يخفى عليه شيء. ثم وجه فتنتهم أنهم اتخذوا الأخاديد وأوقدوا فيها النيران ليُلقوا[10] فيها من ثبت على الإيمان ودام عليه، ويتركوا إلقاء من رجع عن دينه، فقيل "فَتَنُوا" هذا.

---

[1] عَزّ الشيء يَعِزُّ عِزًّا وعِزّة وعَزازة، إذ قلّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز (*الصحاح* للجوهري، «عزز»).
[2] ر م - للذل.
[3] ر م: المعز المنيع.
[4] جميع النسخ: وهو الحميد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٤و.
[5] ر ث م + الآية.
[6] ن - وإماؤه والسيد إذا قتل بعض مماليكه بعضا لم يلحق السيد بذلك ذل ولا نقص وإنما يدخل عليه الذل إذا قتلهم غير مماليكه فإذا كان الخلق بأجمعهم عبيد الله.
[7] ر: لا يعذب.
[8] ن: ليتميز
[9] ر ث م: المحنة.
[10] ن: ليلقو.

وقوله عز وجل: **ثم لم يتوبوا**، ففيه أنهم لو تابوا لكان يُعفَى عنهم ولا يعاقبون مع عِظَم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى؛ فيكون فيه إظهارُ كرمه وعطفه على خلقه. وقوله: **فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**. فمنهم من صرف قوله: **ولهم عذاب الحريق**، إلى الدنيا فقال: تلك النار التي عَذَّبوا بها المؤمنين سُلِّطت عليهم حتى أحرقتهم؛ وجائز أن يكون ذلك في جهنم أيضا، فيكون فيه إخبارُ أنّ[2] نار جهنم تدوم عليهم بالإحراق ولا تَفتُر عنهم.[3]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾**[١١]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، فمنهم من صرف هذا الخطاب إلى الذين عُذِّبوا[4] من المؤمنين، ومنهم من صرفه إلى المعذِّبين، وهو أنهم لو آمنوا مع عِظَم جرمهم وإساءتهم بأولياء الله تعالى لكان يعفو عنهم وتَسِعهم[5] رحمته. [وجائز أن يكون هذا منصرفا إلى كلّ مَن آمن بالله تعالى].[6]

وقوله عز وجل: **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**، فقوله: **من تحتها الأنهار** يحتمل وجهين. أحدهما من تحت أهلها، والثاني من تحت أشجارها. والجنة اسم للمكان الذي فيه الأشجار الملتفّة، فيخبر أن الماء يجرى من تحت ما به صار جنةً، وهي الأشجار. وليس يراد بقوله: تحتها[7] أي تحت تُرْبَتها؛[8] لأن تحتها تكون قناة أو بئر،[9] و ليس بهما كثير نزهة.

وقوله: **ذلك الفوز الكبير**، فالفائز[10] هو الذي يَظفَر بما يأمُل[11] وينجو عما يخاف ويحذر. ووصف أنه كبير،[12] لأنه ليس لما أنعم زوال ولا انقطاع.

---

[1] جميع النسخ + بأن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٤و.
[2] ر ث م: بأن.
[3] جميع النسخ: يدوم عليهم بالإحراق ولا يفتر عنهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن – عذبوا.
[5] جميع النسخ: ويسعهم.
[6] الزيادة من مرجع السابق.
[7] ر ن ث: تحت الجنة.
[8] ر م: تربها.
[9] جميع النسخ: يكون قناة وبئرا.
[10] جميع النسخ: والفائز. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن ث: بما تأمل.
[12] ر م: كثير.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن بَطْشَ ربك لشديد**، أي أخذُه للانتقام شديد يشتدّ على الذي يعذَّب، كقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ.[١]

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **إنه هو يبدئ ويعيد**، قال بعضهم: يبدئ العذاب ثم يعيده، وقال بعضهم: يبدئ الخلق ثم يعيده بعدَ ما أماته.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وهو الغفور الودود**، **الغفور** هو السّتور يستر على المذنب ذنبَه إذا تاب حتى لا يُذكّر به، ولولا ذلك لم يكن يصفو له نعيم الآخرة عن التنغيص. وقوله: **الودود**، الذي يتودّد إلى خلقه فيما ينعم عليهم ويُحسن إليهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جُبلت القلوب على حُبّ مَن أحسن إليها وبغضِ من أساء إليها»،[٢] فجعل الإحسانَ سبب التودد. والثاني أن كل من وادّ آخرَ فالحق عليه أن يَوده في الله تعالى لأنه به نال ما به يتودد. قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا،[٣] فكأنه يقول: هو المستوجب للمودّة من الخلق.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ذو العرش المجيد**، فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش، ومنهم من جعله[٤] نعتا لله تعالى.[٥] فمن جعله نعتا للعرش فهو مستقيم لأنه وصفَه في مكان آخر بالكريم بقوله: لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ.[٦] والمجيد يَقرُب معناه معنى الكريم لأن الكريم هو الذي عَظُم قدره وشَرُف، والمجيد كذلك هو الشريف المعظَّم. وعظم قدر العرش في قلوب الخلق وعَلا

---

[١] سورة هود، ١٠٢/١١.

[٢] روي هذا لكلام حديثا مرفوعا وموقوفا. انظر: *الكامل* لابن عدي، ٢٨٦/٢؛ وشعب *الإيمان* لبيهقي، ١٢١/٤.

[٣] سورة مريم، ٩٦/١٩.

[٤] ن: من جعل.

[٥] قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ بالخفض، وقرأ الباقون وشُعبة: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ بالرفع (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٦٦).

[٦] سورة المؤمنون، ١١٦/٢٣.

حتى[1] زعم بعض الناس أنه مكان للرب تعالى. والكريم في الشاهد هو الذي يُطمَع عنده وجودُ ما يرجى ويُؤمَن ويُؤمَن منه ما يُتقى ويُحذَر. وسمَّى الله تعالى النبات كريما بقوله: فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ،[2] لما فيه من عِظَم المنافع. والكريم[3] هو النافع للخلق.

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فعّال لما يريد**، أي ما يريد تكوينه يُكوِّنُه؛ فيكون فيه إيجابُ القول بخلق أفعال[4] العباد وأنّه شاء لكلِّ أحد ما عَلِم أنه يكون منه؛ لأنه امتدح جلّ وعلا بالفعل لما يريد، ولو لم يثبت له صنعٌ في أفعال العباد لكان لا يختصّ بهذا الامتداح، بل يكون كل واحد مستوجبا لهذا المدح؛ فثبت أن كون حقائق الأشياء بما لله تعالى فيه صنع. والثاني أن إحداث شيء في سلطانِ آخرَ وفي مملكته من حيث لا يشاؤه ولا يريده آية الضعف والقهر، ومَن ذلك وصفُه لم يجز أن يكون ربا، لذلك لزمَ وصف الله تعالى بذلك. وجائز أن يكون قوله تعالى: **فعال لما يريد**، أي البعثِ، وهو أنه [٨٩٩و] أنشأ هذا الخلق للعاقبة. وهكذا فعل كلِّ مختار أنه يقصد بفعله العاقبة / إلا أن يكون جاهلا بها.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾[١٧] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود**،[5] فقد وصفنا ما في ذكر الأنباء[6] من الفوائد، وقد ذكرنا أن فيها إثباتَ رسالته على ما تقدم ذكره غير مرّة.[7]

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا في تكذيب**، أي كفروا أنعم الله تعالى فهم في تكذيب بأنعم الله تعالى، أو لَمَّا جحدوا أنعم[8] الله تعالى لم يوفقهم للإيمان[9] به، فحصلوا[10] على التكذيب.

---

[1] ر م + من.
[2] سورة لقمان، ٣١/١٠.
[3] ن – والكريم.
[4] ر م – بخلق أفعال؛ ث: القول بحق.
[5] ر ث م + الآية.
[6] ر م: فقد وصفناها في ذكر الأنباء.
[7] انظر مثلا عند تأويل الآية ٤ من هذه السورة.
[8] ر: نعم.
[9] ن: في الإيمان.
[10] م: فجعلوا.

﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والله من ورائهم محيط**، أي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العذاب؛ ليس يوعدهم عن غفلة وخيال كما يفعله ملوك الدنيا: قد يوعِدون بالعذاب ولا يَدرون أنهم يتمكّنون من ذلك أم لا. والله تعالى يُنزل عليهم عذابه كما أوعد. أو يكون قوله: **من ورائهم محيط**، أي عالمٌ بما يُسِرّون ويُخفُون عن الخلق، لا يَعزُب عنه شيء.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **بل هو قرآن مجيد**، فسمّاه مجيدا وكريما[1] وحكيما.[2] وهذه أوصافُ مَن وصِف بها في الشاهد فإنما استحق الوصف بفعل وُجِد منه، ولا يوجد من القرآن فعل يستحقّ به الوصفَ؛ فالوصفُ به يحتمل أوجها. أحدها **مجيد**، أي يصير من تبعه و عمِل بما فيه مجيدا حكيما كريما، كقوله تعالى: وَالنَّهارَ مُبْصِرًا،[3] أي يُبصَر[4] فيه.[5] أو يكون قوله: **مجيد**، كريما،[6] أي [كريم] على الله تعالى. أو سمّاه كريما مجيدا حكيما لعظم قدره. أو سمّاه كريما حكيما مجيدا، لِما يوجد منه ما يوجد من الكرماء والحكماء والأمجاد.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **في لوح محفوظ**، فمنهم من حقّق اللوح والقلم، وقد وصفه أهل التفسير. ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح، أي يظهر للمَلَك من الأمر لا على تحقيق اللوح. وسمّت[7] الباطنية القدمَ[8] المبدَعَ الأولَ واللوحَ المبدَع الثاني، وجعلوا المبدَع الأول علة[9] للمبدَع[10] الثاني. وزعموا أن المبدَع الأول يدلّ له إنشاء المبدَع الثاني، فهو المنشئ له.

---

[1] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦).

[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿آلر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة يونس، ١٠/١-٢).

[3] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).

[4] ر م: أي تبصر.

[5] جميع النسخ: به.

[6] جميع النسخ: كريم.

[7] ر م: وسميت.

[8] ر: لقلم.

[9] ر ت م: + كون؛ ن: + يكون.

[10] جميع النسخ: المدخ. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٥و.

وسمّت المبدَع الأول بارئا والمبدع الثاني خالقا ورحمانا.[1] وسمّت الفلاسفة المبدَعَ الأول عقلاً والثاني نفسا، ثم حدث التوالد من الأنفس. فأما جَعْلهم الأول أصلا وعلة لنشوء[2] ما ذكروا فذلك يحتمل أن يُجعل الأولُ أصلا للثاني وعلةً، كما استقام أن تجعل[3] النطفة أصلا لخلق البشر. ولكنه لا يجوز أن يسمى بواحد من [هذين][4] الاسمين اللذين ذكرتهما الباطنية والفلاسفة؛ لأنه لا يجوز إنشاء الأسماء لهذه[5] الأشياء اختراعا بل نسميهما[6] بما جاءت به التسمية[7] من عند الحجة، وإنما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم، فلا نسميهما بغيرهما.

وقوله عز وجل: **محفوظٍ**، أي عن أعدائه. فلا يتمكنون من تغييره وتبديله. وأخبر أنه أنزله إليه على يدي رسول قوي، فلا يقدر أحد أن يغلبه فيحرّفَ ما فيه. ووصفه بالأمانة في نفسه بقوله: [إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[8] ليؤمَنَ من[9] تغيّره[10] بنفسه. *والله الهادي*.[11]

---

[1] ن ث م: خالقا رحمانا.
[2] ر ث م: ليسوا.
[3] ر ث م: أن يجعل.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.
[5] جميع النسخ: بهذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: تسميته. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: بل نسميتهما ما جاءت بهما التسمية. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة التكوير، ١٩/٨١-٢١.
[9] ر ن ث - من.
[10] ر ث م: تغييره؛ ن: يعيره. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر + نعمه والموفق للرشاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الطارق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾[٢] ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٣]**

قوله عز وجل: **والسماء والطارق**، إن الله جل وعلا عظَّم قدر السماء في أعين الخلق لِما جعلها مَعْدِنَ رزقهم ومسكنَ أولي القَدْر من خلقه وهم الملائكة. وفيها خلق الجنةَ وخلقها بغير عمد تُرَى.[2] فأقسم بها لِما عظَّم من شأنها وجعل مصالح الأغذية بزينتها[3] وهي الشمس والقمر.

وأقسم بالنجم الثاقب وهو المتلألئ من النجوم المضيء، أو الذي[4] يَثقُب الشيطانَ أو يُحرقه؛[5] ولما فيها أيضا من عظم البركات. فمن بركاتها[6] أنها جُعلت بحيث يُهتدى بها في البر والبحر، ويوصل بها إلى لطائف[7] التدبير إلى أنْ ظنّ بعض الناس أن الأنجم السبعة هي المدبِّرات. وبها ما مُنع الشياطين عن الصعود إلى السماء لِيُتَّقَّى[8] بها التلبيس عن الوحي؛ لأنهم لو لم يُحَفَظوا عنها لكانوا إذا وقفوا على أخبارها أسرعوا بحملها[9] إلى الكهنة فيؤدي ذلك إلى التلبيس. ومِن عِظَم قدرها أنها تقطع[10] في الليلة الواحدة ميسرةَ ألف شهر فأقسم بها أيضا.

---

[1] ر - سورة الطارق؛ ن م: سورة والسماء والطارق؛ ث + وهي سبع وعشرة آيت مكية.

[2] جميع النسخ: يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.

[3] ن: تزينه.

[4] جميع النسخ: والذي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: أو يخرقه. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: وبركاتها؛ ن ث: وبركتها. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: الطائف.

[8] ر م: يسعى؛ ث: ليبقى.

[9] ر م: تحملها.

[10] م: يقطع.

ويجوز أن يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلاة والسلام بأن يُقسم به دون أن يكون ذلك قسما منه تعالى؛ لأنهم[1] لم يكونوا يرتابون في ألوهيته وربوبيته[2] وصدق إخباره فيُزالَ[3] عنهم الريب بالقسم، وإنما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فَعَلَّمَه القسم بما ذكر ليؤكّد أمره فيحملَهم ذلك على النظر في أمره. ويجوز أن يكون القسم بعين هذه الأشياء لكونها معظّمة عند الكفرة، وليس للمسلمين أن يُقسموا لها فيما بينهم. أو يكون القسم بهذه الأشياء هو القسم بخالقها، فكأنه أمره بالقسم بخالق هذه الأشياء على الإضمار. *والله أعلم.*

[٨٩٩ظ] واختلف في تأويل **الطارق**. / فقال بعضهم: ما يجيء به الليل، يقال: طرقتُه بالليل، إذا أتيتَه. وقال الزجاج: **الطارق** هو الساكن، يقال: أطرق في الكلام مَلِيّا، إذا وقف وسكن.[4] وقال بعضهم: هو النجم يطرُق بالليل ويخفَى بالنهار، وهو النجم الثاقب ذَكَرَه تفسيرا للطارق.

## ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن كل نفس لما عليها حافظ**، اختلف في قوله: "**إن**"، قال بعضهم: أريد به هاهنا "ما"، وقوله: **لَمَا**، صلة في الكلام؛ فمعناه: ما من نفس عليها حافظ وإنما الحافظ على بعض دون بعض. والثاني أن يكون الحافظ على بعضٍ ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يُظهره، فأما الذي يُخفيه فإنه لا يشهده كاتباه. ومنهم من حمل قوله تعالى: **لمّا**، على الاستثناء، فقال معناه: ما من نفس إلا عليها حفظ. قال الزجاج: حرف "لمّا" استعمل في موضع[5] الاستثناء، يقال في اللغة: أقسمتُ عليك لمّا فعلتَ كذا، أي إلا فعلتَ كذا؛[6] فإن كان معناه ما ذكروا ففيها إلزام التيقّظ والتبصّر. والنفس من طبعها إذا سُلّط عليها من يراقبها ويحفظها احتشمت [من][7] مراقبها[8] وخافته وتكون[9] متيقظة

---

[1] ر ث م - لأنهم.
[2] ر: ألوهية وربوبية.
[3] ر م: فزال.
[4] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣١١.
[5] ث + إلا.
[6] المرجع السابق، ٥/٣١١.
[7] الزيادة من الشرح، ٣٣٥و.
[8] ر م احتشمت عليه المكان أيضا مراقبها؛ ث: احتشمت مراقبتها.
[9] ر ث م: ويكون.

فلا ترتكب[١] من الأمور إلا ما تعلم أنه لا تلحقها[٢] فيه[٣] التبعة من الحفاظ. فسلّط عليها الملكان أيضا لتكون متيقظة في كل قول وفعل فلا تُقبِل إلا على ما فيه نفعُ العاجل والآجل.[٤] وسمى الله تعالى الملكين ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾،[٥] ومن صحِب المكرَّم من الخلائق احتشم منه وتوقّى عن إتيان ما يُستحيى من مثله؛ ومن أراد أن يكتب إلى أحد كتابا لم يُثبت في كتابه شيئا يؤخذ عليه ويُذمّ به، بل يُحكِم الأمرَ ويُصلحه غايةَ ما يحتمله الوسعُ؛ فكان في ذكر الحافظ على الأنفس إلزامُ التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا.

وقوله عز وجل: **حافظ**، قال بعضهم: يحفظ عليها رزقها حتى تستوفيَ[٦] به؛ فإن كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها. وقال بعضهم: يحفظ عليها عملَها خيرَها وشرّها.

**﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٥] ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ من ماء دافق**، فالأصل أن إمعان النظر فيما خلق منه الإنسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة إلى القول بهما. وذلك أن النطفة التي خُلق منها الإنسان لو رُئِيَتْ موضوعة على طَبَقٍ ثم رام أحد أن يعرف وأن ينتزع منها المعنى الذي به صلح أن ينشأ منها العلقة والمضغة وخُلق منها الإنسانُ لم يُدرك. ولو اجتمعت[٧] الإنس والجن على أن يركّبوا عليها جارحة من جوارح الإنسان لم يتهيأ لهم تركيبها، أو يعرفوا المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السمع والبصر لم يقفوا[٨] عليه. فتبين أن الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه أمرٌ ولا يُعجزه شيءٌ، وتبين لهم حكمته. وإذا عرفوا حكمته أدّاهم ذلك إلى القول بالبعث؛ لأنه لولا البعث لكان[٩] يخرج إنشاء الخلق عبثا باطلا، فيخرج عن أن يكون حكيما، ولَزِمَهم أن يصدّقوا الرسل بجميع ما أخبروهم[١٠] به.

---

[١] جميع النسخ: ولا يرتكب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[٢] جميع النسخ: ما يعلم أنه لا يلحقه.
[٣] ر ث م – فيه.
[٤] جميع النسخ: فسلط عليه الملكان أيضا ليكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل إلا ما فيه نفع العاجل والآجل.
[٥] سورة الانفطار، ١١/٨٢.
[٦] جميع النسخ: يستوفي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولو اجتمع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: لم يوقفوا.
[٩] جميع النسخ: وإلا كان.
[١٠] ر ن: ما أخبرهم؛ ث م: ما أخبرتهم.

وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء، إذ لا يجوز أن يكون الإنسان بكليته من النطفة مُستحِيًا؛[1] فظهر أنه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من الأضعاف؛ ولا يجوز أن يكون ذلك عمل النطفة أيضا لأنها[2] موات لا يحتمل[3] أن تصير[4] كذلك إلا بتدبير مدبِّرٍ عليم، فيكون فيما ذكرنا إيجابُ القول بحدوث[5] العالم. ولأنها لو صارت مضغة وعلقة وخَلْقًا سويا بطبعها لكانت لا تخلو[6] نطفةٌ إلا وهي تنتقل[7] إلى ما ذكرنا؛ ألا ترى أن النار لِما كان من طبعها الإحراقُ، والثلج إذ كان من طبعه التبريدُ لم يجز أن ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي أنشئ عليه. ثم قد وجدنا نُطَفًا تخلو[8] عن هذه[9] المعاني التي ذكرنا، فثبت أنها نقلت إلى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبِّرٍ، لا بطبعها.

ثم الأُعجوبة فيما فيه خُلق الإنسان ليست بأقلّ من الأعجوبة مما منه خلق. وذلك أن الإنسان خلق في الظلمات على ما أراد الله تعالى وصوّره كيف شاء، ولو أراد أحد أن يعلم علمَ ذلك أو يصوّر مثله في حالة العِيان لم يملك. وجُعِل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويغذو فيه خصوصا من بين سائر الأماكن. ولو أراد حكماء الإنس والجن أن يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء والغذاء وأُعلِموا فيه فنونَ العلم لم يعرفوا. فمن تفكّر فيما ذكرنا عَلِم أنّ قدرته ذاتية لا يلحقها فناء ولا عجز، وعلم أنّ علمه ذاتي ليس بمكتسب فيُتوهَّمَ خفاء الأمور عليه.

وقوله عز وجل: **من ماء دافق**، يعني النطفة التي يَدفُقها الرجلُ في الرحم. والدافق [معناه][10] مدفوق، أي يُدفق به، كقوله: ليل نائم، أي يُنام فيه وهَمٌّ[11] ناصب، أي يُنصَب به. وقال الزجاج: **ماءٍ دافق**، أي ذي اندفاق.[12]

---

[1] ر م: مستحسا؛ ن ث: مستحيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[2] ر م: وأنها.
[3] ر م: لا يحتمله.
[4] جميع النسخ: أن يصير. والتصحيح من المرجع لسابق.
[5] ر: بحدث.
[6] جميع النسخ: لا يخو.
[7] جميع النسخ: ينتقل. ولتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يخلو.
[9] جميع النسخ: من هذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: وهو.
[12] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣١١.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يخرج من بين الصلب والترائب**، اختلف في تأويله. فمنهم من يقول: [من][١] بين صلب الرجل[٢] وترائب المرأة، وهي الأضلاع الثمانية: أربع عن يمينها وأربع عن يسارها. وقال بعضهم: الترائب هي الأطراف، وقال بعضهم: الترئب موضع القلادة منها، وقال بعضهم: الترائب ما دون / التراقي وفوق الصدر. ثم من الناس من صَرَف تأويلها إلى الرجل [٩٠٠و] خاصةً فقال: قوله: **من بين الصلب والترائب**، أريد به صلبُ الرجل وترائبُه، وزعم أن الماء الذي يكون الولد منه[٣] ليس تَغذِيُه الصلب خاصة بل يجتمع من أطرافه كلها.[٤] ومن حمله على المعاني الأُخر[٥] صرف الأمر إليهما جميعا، وهو أن الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا. و ذكر[٦] أبو بكر الأصم أن الصلب كناية عن الرجل، والترائب كناية عن المرأة؛ فيكون هذا اسما لهما مأخوذا عن أصل ماء يكون منهما، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ،[٧] الآية، فأضاف الأبناء إلى الأصلاب.

وفي إخراج الماء من بين الصلب والترائب لطفٌ من الله تعالى؛ لأنه لو اجتهد الخلائق باستخراجه من بين ما ذُكر بحِيَلِهم وقُواهم ووضعِه في الرحم لم يقدروا عليه. ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق، واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب، لا أن يكون أحد[٨] يملك إخراجها[٩] بالأسباب والحيل؛ كما وضع فيهم شهوة الأكل والشرب في كل جارحة من جوارح الأكل باللطف، لا أن يكون ذلك العملُ بالأكل والشرب خاصةً. وكذلك يرى الإنسانُ إذا سقى أصلَ شجرة ظهرت منفعة السقي في أغصانها وأوراقها وأثمارها. ولو أراد أحد أن يعرف أنه لأيّ معنى صح أن يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا،

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٥ظ.
[٢] ر ن م: الرجال.
[٣] م – منه.
[٤] جميع النسخ: كله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن: الآخر.
[٦] ر ث م + وذلك.
[٧] سورة النساء، ٤/٢٣.
[٨] ن – أحد.
[٩] م – من بين ما ذكر حيلهم وقواهم ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوه فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب لا أن يكون أحد يملك إخراجها.

وأراد أن يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا لم يتدارك ذلك. فيكون فيما ذكرنا أبلغُ حجة على الثنويّة؛ لأنهم ينكرون خلق الأشياء لا عن أشياء،[1] وزعموا أنا لم نشاهد[2] كون الشيء لا من شيء، والشاهد دليل الغائب، فلزم ذلك في الذي غاب عنا. فمن قَدَر على تصوير الولد في تلك الظلمات وفي الأماكن الضيقة. وقَدَر أن يجعل في الماء والطعام المعانيَ[3] التي يعجز الخلق عن استدراكها لَقادرٌ على إنشاء الخلق لا من شيء، إذ الأعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الأعجوبة عن إنشاء شيء لا من شيء.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إنه على رجعه لقادر**، قال بعضهم: إنه على ردّه إلى صلب[4] أبيه لَقادر، وقال بعضهم: إنه على بعثه لقادر. وهذا[5] أشبه التأويلين؛ لأن الآية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يُذكَر عن أحد التنازع في نفي الردّ إلى الصلب وإنكاره حتى يدفع المُنازعةَ بهذا، وكانوا أهل إنكار بالبعث فاحتجّ عليهم بابتداء الخلقة. وكذلك أكثر ما جرى به الاحتجاج في إثبات البعث في القرآن إنما احتجّ عليهم بالابتداء. وإن كان التأويل على ردّه إلى صلب أبيه فوجه الرد هو أن يرد من حالة الشيب إلى حالة الشباب،[6] ثم من حالة الكبر إلى حالة الصغر،[7] ثم إلى حالة الطفولة،[8] ثم يُردّ مضغةً ثم يردّ علقة ثم نطفة ثم تردّ[9] النطفة إلى صلب أبيه. لا أن يوصف الله تعالى بالقدرة على رده -وهو على حاله[10] نسمةٌ عظيمة- إلى صلب أبيه مع ضيق ذلك المكان، لأن هذا[11] محال، والله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال؛ وليس فيما لا يوصف بالقدرة على محال نفيُ القدرة عنه في الأزل.

---

[1] ر ث م: لا من شيء.
[2] ن: لم يشاهد.
[3] ث + الذي.
[4] ن: على صلب.
[5] ر م: هذا.
[6] ن: من حاله السبب إلى حاله الشباب.
[7] ن + ثم إلى حاله.
[8] ر م: لطفولية.
[9] جميع النسخ: يرد.
[10] ر م: على حالة.
[11] جميع النسخ: ولأن هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.

وبهذا يجاب من سأل فقال: أيقدر الله تعالى على إدخال الدنيا في بَيْضَة؟ فيقال له:[1] إن أردت إدخالها في البيضة في أن يصغّر[2] الدنيا ويضيقها حتى يجعلها[3] أضيق من البيضة، أو يوسّع[4] البيضة حتى تسع[5] فيها[6] الدنيا فهو على ذلك قادر. وإن أردت أنه قادر على إدخالها فيها على إبقاء البيضة بحالها وإبقاء[7] الدنيا بحالها فهذ محال، لما فيه من انقلاب البعض كُلًا والكل بعضا. فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة إلى الصلب بالوجه الذي ذكرنا، لا أن يردّها على ما هي عليها إلى الصلب لما في ذلك من الإحالة.

وكذلك إذا سئلنا عن حركات أهل الجنة والسكون، هل لهما غاية؟ فنقول: لا. فإن قالوا: هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها؟ فنقول له: يعلمها غير منقطعة لا أن يعلمها منقطعة. ولم يكن في قولنا: إنه لم يعلمه منقطعا إثباتُ جهل ولا نفيُ العلم عنه، بل الجهل إنما يتحقق إذا وصف العلم بالانقطاع فيما لا ينقطع، فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال إثباتُ عجزه. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يوم تبلى السرائر**، أي يُظهَر ما كان أخفِي منها. فجائز أن يكون الإظهار منصرفا إلى التي لم يطّلع عليها الملائكةُ فتكتبها[8] عليه، فيذكّره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء فيقرّرها عليه. أو يُنطق جوارحه بها، كقوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ،[9] الآية. أو يكون إظهار القراءة ما عليه فيظهر ذلك للخلق وإن كان قد أسرّها عنهم في الدنيا. ثم سمّى ذلك ابتلاء، لأن الابتلاء هو الاختبار، وإنما يكون الابتلاء بالسؤال أو بالأمر والنهي، فسمّى ما يسأل عنه في الآخرة ابتلاء.

---

[1] ن - له.
[2] ر ث م: في أن تصغر.
[3] ر م: تجعلها.
[4] م: توسع.
[5] ن: يسع.
[6] جميع النسخ: فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.
[7] ر ث م: بقاء.
[8] جميع النسخ: فيكتبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فماله من قوة ولا ناصر**، يحتمل وجهين. أحدهما أن ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه، ولا له[١] قوة نفي العذاب عن نفسه أَنْ لو كَتم؛[٢] أو ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصر يمنعه عن نزول العذاب به. ووجهه[٣] أنّ الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة أنصارهم في الدنيا،[٤] فكانوا يظنّون أنهم لو أريدوا بالتعذيب[٥] دفعوا ذلك بأنصارهم وبما لهم
[٩٠٠ظ] من القُوَى. فيخبر الله تعالى / أنّ قواهم وكثرة أنصارهم لا تنفعهم[٦] في الآخرة ولا تدفع[٧] عنهم بأس الله تعالى، وكانوا يعبدون الأصنام لتُقرِّبهم[٨] إلى الله تعالى وتنصرهم[٩] من العذاب كما قال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[١٠] فتبيّن[١١] أنها لا تغني[١٢] عنهم من الله تعالى شيئا.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **والسماء ذات الرجع**، قال أبو عبيدة: الرجع هو الماء،[١٣] أي السماءِ ذات المطر. وقال غيره: **ذاتِ الرجع**، أي تعود[١٤] في كل عام إلى ما كانت عليه في العام الذي قبله بالمطر. والرجع هو العود. ويحتمل: **ذاتِ الرجع**، أي تتكرر[١٥] إلى[١٦] إدرار بركتها على الخلق ليستوفوا[١٧] منها.

---

[١] ر م: دلالة.
[٢] ر ث م: أو لو كنتم.
[٣] ر: ووجد.
[٤] ث م + لا ينفعهم في الآخرة.
[٥] جميع النسخ: التعذيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[٦] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: ليقربهم.
[٩] ر: وينصرهم.
[١٠] سورة يس، ٧٤/٣٦.
[١١] ن: فيبين.
[١٢] جميع النسخ: لا يغني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٩٤/٢.
[١٤] جميع النسخ: أي يعود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[١٥] جميع النسخ: يتكرر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ن ث - إلى.
[١٧] جميع النسخ: استوفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **والأرض ذات الصدع**، قيل:[1] **ذات الصدع** بالنبات. أو **ذات**[2] **الصدع**. أي ذات أودية وأنهار يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي أرضيهم ودوابّهم. فعظَّم أمرَ السماء والأرض فأقسم بهما:[3] إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، يعني القرآن، وليس بِالْهَزْلِ.[4] وفي إخراج النبات من الأرض حكمة عجيبة ولطفُ تدبير. وذلك أن النبات شيء ليّن يَنثني[5] بأدنى مَسّ، ثم إنّ الله تعالى بلطفه صدع له الأرض اليابسة الصَّلْبة وأخرجه[6] منها غير مُنْثَنٍ[7] ولا متكسّر[8] ليعلموا أن مدبّره حكيم فيلزمَهم به التوحيد. وجَعَل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء،[9] إذ الأرض إنما يتصدع للنبات إذا أصابه المطر من السماء، فيكون في ذلك إنباءٌ أيضا أن مدبّرهما واحد، ولولا ذلك وإلا لم يتصل منفعة إحداهما بالأخرى.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١٣] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إنه لقول فصل**، أي بيّن، بَيَّن فيه الحلال والحرام وما يُتقى عنه وما يؤتَى، وبيّن فيه الصوابَ من الخطأ، وبيّن فيه الوعدَ والوعيد. أو يكون معنى الفصل التفريق، وهو أنْ فرّق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل، فوضع كلَّ شيء موضعه ولم يَخلُط أحدهما بالآخر. وقوله: **وما هو بالهزل**، أي باللَّعِب والباطل.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[١٥] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا**، وقوله: **وأكيد كيدا**،[10] يحتمل وجهين. أحدهما أي أُجزيهم جزاءَ كيدهم؛ فسَمّى الجزاءَ باسم ما له الجزاء وإن لم يكن ذلك كيدا،

---

[1] م ث + قوله.
[2] ن: و ذات.
[3] ر + وقوله عز وجل؛ ن ث + وقوله.
[4] الآيتان التاليتان من هذه السورة.
[5] ر م ث - ينثني.
[6] ن: وأخرج.
[7] م ث: وأخرج غير منثني؛ ن: غير مثني.
[8] ت: ولا مكسر
[9] ر ن: منافع السماء متصلة.
[10] ر - وقوله وأكيد كيدا.

كما سمّى الجزاء سيئة سيئة مثلَها[1] وإن لم يكن الجزاء سيئة. وكما سمّى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء اعتداء، بقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[2] وقال: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ،[3] أي[4] جزاهم جزاء النسيان، أو[5] جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يُعبأ به، لا أن يكون منه في الحقيقة نسيان؛ فكذا سمّى جزاء الكيد كيدا لا أن يكون الجزاء كيدا.

ووجه آخر أن الكيد في الحقيقة والمكر هو أن يأخذه من وجه أَمْنِه، فيستحقَ الكائد اسمَ الذمّ لأنه أخذه من وجه لم يَشْعُر به. وهذا المعنى في الكيد الذي أضيف إلى الله تعالى غير موجود، لأن الله تعالى قد بين له الطريق الذي إذ سلكه وقع له به[6] الأمنُ من الطريق الذي إذا سلكه حلّ به البوار والهلاكُ؛ فإذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عِناد منه أو عن ترك الإنصاف من نفسه فوجد ما يكره من الكيد، لا من الكائد؛ فلم يلحقه بذلك الوصفِ المعنى المكروهُ.

ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر[7] في آية أخرى وهو قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ.[8]

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فمهل الكافرين**، فمَهِّل أو أَمهِل لغتان، فكأنه يقول: **أمهلهم رويدا**، ولا تجازهم بصنيعهم، فإن الله تعالى يجازيهم بصنيعهم عن قريب، وقد فعل ذلك بما سلَّط رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسَبْيِهم؛ فيكون في هذا بشارة منه لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبة إياهم. وفي ذلك [أيضا] آية رسالته، لأنه قال لهم هذا عند قلة أعوانه وضعفه. ثم إن الله تعالى كثر أنصاره وأظهره[9] عليهم كما قال لهم، ليعلموا أنه علِم ذلك بالوحي. *والله الموفق بالصواب.*[10]

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾ (سورة الشورى، ٤٠/١٢).
[2] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[3] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[4] ر: أو.
[5] م: أي.
[6] ر ن ث: وقع أريد.
[7] ث – ما ذكر
[8] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[9] ر ن ت: وأظهر.
[10] ر ن ت: بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأعلى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **سبح اسم ربك**، قيل فيه من أوجه. أحدها أن سبح ربك، وقيل: سبح اسمه،[3] وقيل: سبِّح ربَّك بأسمائه. فمن قال: سبّح ربك فمعناه أن نزّهه[4] عن جميع المعاني التي يحتملها غيرُه من الآفات والحاجات والأضداد والأنداد، فيكون القول به توحيدا. وروي عن مقاتل بن سليمان أنه قال: تأويله وحِّد ربك.[5] وتوحيده ما ذكرنا. وقال بعض المفسرين: تأويله أنْ صلِّ لربك. وهذا محتمل؛ لأن الصلاة بنفسها تسبيح،[6] [لأنه][7] بالافتتاح يَقطع وجوهَ المعاملات [التي] بينه وبين الخلق، ويمنع نفسه عن حوائجها فيجعلها لله[8] تعالى. وهذا هو التوحيد والإيمان؛ لأنه بالإيمان يجعل الأشياء كلها لله تعالى سالمة؛ فصارت الصلاة تسبيحا لعينها لا لتسبيح المجعول فيها. ومن حمل التسبيح على الاسم فقال: نزه اسمَه،

---

[1] ز – سورة الأعلى؛ ن: سورة سبح اسم ربك الأعلى؛ ت + وهي عشرة آيات مكية؛ م: سورة سبح اسم ربك.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن: أحدها أن سبح اسم ربك وقيل أن سبح ربك.

[4] جميع النسخ: أن نزه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٧و.

[5] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٣/٤٧٦.

[6] م: التسبيح.

[7] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٧و.

[8] ز: الله.

فذلك يرجع إلى الأسماء الذاتية [وإلى الأسماء الصفاتية. فتنزيهه الأسماء الذاتيةَ][1] هو أن لا يشرك غيره[2] فيُسمّيه بها، والأسماء الذاتية قوله: الله الذي لا إله غيره، والرحمن[3] وما أشبهه من الأسماء.
[٩٠١و] وتنزيهه[4] الأسماء الصفاتيةَ، أن ينزّهها عن المعاني التي استوجب الخلقُ الوصفَ به كقولك: عالم، حكيم، رحيم، مجيد. فمن وُصِف بالعلم من الخلائق فإنما استوجب الوصف به بأغيار[5] دخلن فيه، واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالأغيار. والله تعالى استحق الوصف به بذاته[6] لا بالأغيار[7] فينصرف التنزيه إلى الأغيار؛ إذ صفاته ليست بأغيار[8] للذات[9] وهي لا تفارق[10] الذات، فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها. ***والله الموفق.***
وقال بعضهم: معناه سَبِّحه[11] بالحمد والثناء، وهو يرجع إلى ما ذكرنا من التأويل الأول؛ وهو أن يحمده بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق. ومن قال: سبح ربك بأسمائه فهذا ظاهر، وهو أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأسماؤه معروفة لا يُحتاج إلى إظهارها.

وقوله عز وجل: **الأعلى**، فظاهره[12] يقتضي أن يكون هناك أدون وأسفلُ، وكذلك قوله: "الله أكبر" فظاهره[13] يقتضي الأصغر. ولكن معنى قوله: **الأعلى**، أي هو أعلى من أن تمسّه[14] حاجةٌ أو تلحقه[15] آفة، وكذلك هذا في الأكبر؛ ويكون الأكبر والأعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا؛ وهو كقوله هو أحسن وأجمل، فإذا قلت أحسن وأجمل أردت به النهاية في الحسن والجمال. أو يكون **الأعلى** بمعنى العليّ، والأكبر بمعنى الكبير، وذلك جائز في اللغة.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.
[2] ر م – غيره.
[3] جميع النسخ: الرحمن.
[4] ر م – وتنزيهه.
[5] ر ث م: بأعياد.
[6] م – بذاته.
[7] ن: لا بأغير.
[8] ث – والله تعالى استحق الوصف به بذاته لا بالأغيار فينصرف التنزيه إلى الأغير إذ صفاته ليست بأغيار.
[9] ث: بالذات.
[10] جميع النسخ: لا يفارق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: سبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: فظاهر.
[13] ن: فظاهر.
[14] جميع النسخ: أن يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: أو يلحقه.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذي خلق فسوى**، يحتمل[1] أوجها. أحدها أن يكون سوّاه على ما قدّره خلافا لأفعال الخلق؛ لأن الفعل من الخلق يخرج مرةً سويا على ما قدّره، ومرة بخلافه. أو يكون سوّى الخلق كلَّه في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته؛ فما من خلق خَلَقَه إلا إذا[2] تفكّر فيه العاقل دلت[3] خلقتُه على معرفة الصانع ووحدانية الرب. أو سوّاه على ما فيه مصلحته ومنفعته. أو سواه على ما له خُلِق؛ ألا ترى أن الإنسان إذا أُمر بالركوع والسجود خَلَقَه من وجه يتمكن من الركوع والسجود؛ فهذا معنى قولنا أنّه سوّاه على ما له خُلق. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **والذي قدّر فهدى**، [فالتقدير يتوجه إلى المعاني التي ذكرناها في قوله: فَسَوَّى. وقوله: **فهدى**]،[4] يحتمل أوجها. أحدها هداه إلى ما أحوجه إليه؛ فهدى العبدَ معيشتَه من أين يأخذها، وهدى كلَّ دابة إلى رزقها وعَيْشها فعرفتْ كلُّ دابة رزقها. أو يكون قوله: **فهدى**، أي هدى به.[5] أو تكون[6] الهداية منصرفة إلى أمر الدين، وذلك يرجع إلى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة؛ فيكون معناه هدى فيمن هدى.[7] وطعنت المعتزلة علينا بهذه الآية فقالت: إنّ الله تعالى يقول: **قدّر فهدى**، وأنتم تقولون[8] قدَّر فأضلَّ؛ ولكن هذا [الطعن في][9] التحقيق راجع إليهم لأنهم يحملون تأويل الهداية على البيان، وإذا كان كذلك وقد بيَّن الله تعالى سبيل الهدى وسبيل الضلال جميعا فإذًا قد أضلّه حيث بيّن لهم سبيلَ الضلال على قولهم.

---

[1] ن: ويحتمل.
[2] ر: أدنى.
[3] ن: دل.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بقوله هذا: أي اهتدى العبد بهداية الله وتبيينه إلى ما اختار لنفسه.
[6] جميع النسخ: أو يكون.
[7] ث - فيمن هدى؛ م: فمن هدى.
[8] ن: يقولون.
[9] الزيادة من المرجع السابق.

ثم ليس في قوله: **قدر فهدى**، نفيُ الإضلال، إذ التخصيص بالذكر لا يدلّ على نفي ذلك عما عداه، فلم يجب قطع الحكم على ما ذكر. وقد ذكر في موضع آخر المكرَمين بالهدى فقال: الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[1] الآية. فثبت أن الهدى راجع إلى الخصوص. فقوله: **قدّر**، أي قدّر لخلقه معايشهم وهداهم وجهَ أخذ المعيشة.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾[٤] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى**، ففي هذه الآيات[2] تعريف الرب الأعلى، كأنه يقول: الرب الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى والذي أخرج المرعى. ثم ذكر هذه الأشياء التي يُعْرَف[3] انقضاؤها وبدوّها وإنشاؤها وإهلاكها من المرعى وغيره؛ لأن وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالأشياء التي يُعرَف بدوُّها وانقضاؤها وحدوثها وفناؤها أقربُ منه بالأشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها، وهي السماوات والأرضون؛ إذ المرء يصل إلى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالأشياء التي تَحدُث وتتغيّر[4] بأدنى نظر وتأمل، ولا يصل[5] إلى ذلك فيما تدوم[6] إلا بلطائف فكرٍ وفضل بصر وزيادة تأملٍ. وجائز أن يكون خصّ المرعى بالذكر لِما بالمرعى قوام هذا الخلق؛ لأنه لا بدّ للبشر من الدوابّ والأنعام لتعيش، والدواب حياتها بالمراعي، فكان قِوام الخلق في التحصيل بإخراج المراعي، فذكّرهم هذا ليستأدي منهم الشكرَ. وإذا[7] كانت الدواب لم تُنشَأ[8] لأنفسها وإنما أنشئت للخلق ليتمتعوا بها، ثم الله تعالى بفضله أنشأ للدواب مراعيَ وقدّر لها أقواتها ولم يضيعها، فكيف يُضيّع هذا الخلقَ -وهم الذين قصد[9] إليهم من خلق هذا العالم- فلا يَرزقهم ويُخرجُهم من تدبيره؟

---

[1] سورة البقرة، ٢/١-٢.
[2] جميع النسخ: هذه الآية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٧ظ.
[3] م: تعرف.
[4] جميع النسخ: يحدث ويتغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: ولا نصل.
[6] ر ث م: يدوم.
[7] جميع النسخ: أو إذا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: لم ينشأ. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] م: قصدو.

وقوله عز وجل: **فجعله غثاءً أحوى.** قيل: الغُثاء اليابس الذي تحمله[1] السيول والأمطار. **أحوى،** أي أسودَ من قدَمه. وقيل: الأحوى هو[2] الأخضر الذي يَضرب إلى السواد. وهو على التقديم والتأخير، أي جعله غثاء بعد ما كان أحوى.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[٦] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[٧]

وقوله عز وجل: / **سنقرئك فلا تنسى،** أي سنحفظ[3] عليك ما أوحينا إليك من القرآن [٩٠١ظ]
فلا تنسى. وفي حفظه عليه السلام ما يوحى إليه دلالةُ رسالته لأنه لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب، ثم كان يقرأ جميع ما يُلقى إليه بمرة واحدة مع ما كان مأمورا أن لا يحرّك لسانه بشيء مما يوحى إليه إلى أن يُقضَى إليه الوحيُ،[4] ومن كانت حالته ما ذكرنا تَعذَّر عليه حفظُ ما يلقى إليه بمرات وإن كان ذلك لسانَه، فكيف يضبطه بمرة واحدة؟ فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من آيات نبوّته.

وقوله عز وجل: **إلا ما شاء الله،** قال بعضهم: تأويله إلا ما شاء الله من ذلك. فإنه يُنسيك ما أراد أن يُنسيَكه. ولكن ما أُرَى هذا التأويل صحيحا؛ وذلك أن الذي أوحَى إليه آيةُ نبوته، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ثم أُنسِيَ فَلِمَنْ طَعَن في رسالته أن يستقرئه تلك الآية، فلا يتهيأ له أن يقرأها إذا كان قد أُنسي، فيجد في ذلك موضعَ الطعن عليه. وقد روي في بعض الأخبار أنه أنسي، ولكنه من أخبار الآحاد ولا يجوز قطع[5] الحكم به؛ لأن خبر الآحاد يُوجب علم العمل ولا يوجب علمَ الشهادة، وهي في موضع الشهادة هنا.[6] ولكن تأويله عندنا -والله أعلم- يخرّج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا آمنين على أنفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يُخاف زوالُ ما أُنعِموا به وإن ظهرت عصمته اليوم عندنا. ألا ترى إلى قصة إبراهيم عليه السلام عند مُحاجّة قومه

---

[1] جميع النسخ: يحمله.

[2] م: هي.

[3] ث: أي سيحفظ.

[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩)؛ وقوله: ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٤)

[5] م: قطع.

[6] جميع النسخ: هاهنا. والتصحيح من شرح، ورقة ٣٣٧ظ.

قال: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا.[1] وقال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[2] فخاف زوالَ ما أُكرِم به، وخشي أن يُبتلى بما ابتلي[3] به أهلُ المعاصي حتى فزع إلى الدعاء. وقال في قصة شعيب عليه السلام: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا،[4] وقال في قصة يوسف عليه السلام: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[5] فثبت أنه لم يتبيّن لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النِعَم، فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُؤمَن عما يُعقِب[6] الإنساءَ، بل قيل له: **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله،** ألا ترى إلى قوله: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ،[7] فثبت أنهم كانوا على خوف ووَجَلٍ عن ارتكاب ما يُسلَب به الوحيُ ويُنسى.

أو يكون الاستثناء راجعا إلى إنساء حكمه،[8] وهو أن يُنسخ حكمه حتى يترك وينسى فيصيرَ[9] كالمنسي كقوله: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[10] أي جعلهم كالشيء المنسيّ بما أيسهم[11] من رحمته، لا أن يكون هناك حقيقة نسيان؛ فكذلك إذا نسخ حكمُه وتُرك صار كالمنسي وإن لم تكن[12] فيه حقيقة نسيان؛ فيكون نسيانه[13] منصرفا إلى حكم التلاوة لا إلى عينها.[14]

أو يكون عليه السلام يذهب خاطرُه عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغلت[15] فكرتُه في أشياءَ أُخَرَ، فيصير الذي ذهب[16] عن وهمه كأنه نسيه وإن كان يعود ذلك إليه عند إحضاره ذهنه،

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٨٠.
[2] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٥).
[3] م - بما ابتلي.
[4] ﴿قد افترينا على الله كذبًا إن عُدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٩).
[5] سورة يوسف، ١٢/٧٦.
[6] جميع النسخ: عما تعقب.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٦٥.
[8] ث: حكمته.
[9] ر م: ويصير.
[10] سورة التوبة، ٩/٦٧.
[11] ر ث م: بما أنسيهم.
[12] جميع النسخ: وإن لم يكن.
[13] ث: النسيان.
[14] ر ث م: أعينها.
[15] ث: إذ اشتغل.
[16] ر ث م - عن بعض ما يوحى إليه إذا استغلت فكرته في أشياء أخر فيصير الذي ذهب.

كما نرى[1] المرء في الشاهد يذهب عن وهمه جميعُ ما في فاتحة الكتاب من الحروف إذا أعمل رَوِيّتَه في أشياء أخر حتى يصير كالناسي لها وإن كان يعود إلى تذكرها إذا رام أن يقرأها. فعلى هذه التأويلات يستقيم أن يوجّه إليها الاستثناء. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **إنه يعلم الجهر وما يخفى**، أي ما يَجهر بعض لبعض من الخلائق، وما يُسِرّ بعض عن بعض. أو يعلم ما يطّلع[3] عليه الملائكة من أعمالهم، ويعلم ما يَعْزُب عنهم، فعلمُه فيما أسرّ العبدُ كعلمه فيما أظهر وجَهر به، فذكّرهم هذا ليكونوا متيقظين، فلا يُخفون[4] ولا يجهرون إلا الذي يحق علمهم، إذ الله تعالى حفيظ عليهم [لا يَغفُل عنهم].[5]

## ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ونيسرك لليسرى**، قالوا: أي نيسّرك[6] للخير ولعمل أهل الجنة، فسمّيت أعمال الخير [يُسْرَى لأن ثمرتها اليسرى، وهي الجنة؛ وسميت المعاصي عُسْرَى][7] لأنها تُعقِب ذلك. *والله أعلم*.

## ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فذكر إن نفعت الذكرى**، فظاهر هذا يقتضي أن لا يُذكِّر إلا من نفعته الذكرى، ولكنّ تخصيص الحكم في حال بوصف لا يوجب قطع الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف، بل يلزمه أن يُذكِّر من نفعته ومن لا تنفعه؛ قال الله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ،[8]

---

[1] ر ث م: كما ترى؛ ن: كم يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.

[2] في نسخة *الشرح* (مكتبة ولي الدين أفندي تحت رقم ٤٢٦، ورقة ٣٣٨و/سطر ١٢-١٧) زيادة: «والإشكال على رد الشيخ رحمه الله أن الله تعالى يُنسي على من كان عده تلك الآية التي أنساها الله تعالى على نبيه حتى لا يعارضه بها. ولكن الجواب قد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن مما يتلى في كتاب الله تعالى "الشيخ والشيخة إذا زنيا..." فيجوز أن يكون محفوظة عندهم وعلى موجب ما رده نسخ التلاوة وينبغي أن لا يجوز فإن تفسيرها أن يُنْسَى عن القلوب. قلنا: ليس كذلك فإن عمر كان يحفظها والتلاوة منسوخة ولكن الله تعالى يجوز أن يأمر بتلاوة عامة القرآن ولم يأمر بالبعض ابتداء كما أمر بالعبادة في بعض الأوقات دون بعض وأمر بتفسير بعض القرآن ونهي عن تفسير المتشابه ابتلاء، كذا هذا».

[3] ن: تطمع.

[4] ر م: فلا يخافون.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: قالوا ونيسرك. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر ن ت + الآية. سورة الغاشية، ٢١/٨٨.

أمر بالتذكير على الإطلاق. ثم قوله تعالى: **إن نفعت الذكرى،** يحتمل وجهين. أحدهما أنْ ذَكِّر فقد نفعت الذكرى، وهو كقوله تعالى: وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا.[1] ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا. وقد نفعت[2] الذكرى لأنه بتذكيره أسلم مَن أسلم منهم، وبه فازوا وبه نالوا الدرجاتِ[3] العُلى. وقال تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[4] أو يكون قوله تعالى: **فذكر،** ما نفعت الذكرى، فسيأتي على أقوام حال[5] لا تنفعهم الذكرى لديها، وتلك حالة المعاينة لبأس الله تعالى وعذابه.

**﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[١٠]**

وقوله عز وجل: **سيذكر من يخشى،** أي يتّعظ بها من يخشى الله تعالى أو الميعادَ، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[6] أي بالقرآن. وذلك أن الذي يحملهم على
[٩٠٢و] الإيمان بالآخرة إيمانُهم بهذا الكتاب؛ لأن في القرآن تذكيرا للآخرة وأمرا بالاستعداد لها، فكذلك[7] خشيته[8] تحمله[9] على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها. والخشية هي الخوف اللازم في القلب.

**﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾[١١] ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى،** فأضاف[10] التجنب هاهنا إلى الأشقى، وهو[11] الشقي،[12] وفيما ذَكَر الأتقى أضافَ التجنب إلى نفسه، بقوله: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى،[13] فيكون في هذا دلالةُ الإذن بإضافة الخيرات إلى الله تعالى،

---

[1] سورة الإسراء، ١٧/١٠٨.
[2] جميع النسخ: وقد تعقب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.
[3] ر: للدرجات.
[4] سورة الذريات، ٥١/٥٥.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] سورة الأنعام، ٦/٩٢.
[7] ر س م: وذلك.
[8] م: خشية.
[9] ر س: يحمله.
[10] ر م: فأضافت.
[11] ر س م: وهي.
[12] ر م: الأشقى.
[13] سورة الليل، ٩٢/١٧-١٨.

وفي الأول دلالةُ منع إضافة الشرور إليه. وهذا لأن إضافة الخيرات إلى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له وهو حقيق بأن يُشكَر نعمُه، وليس في إضافة الشرور إلى آخر شكر، فلم يصلح أن يضاف إليه. *والله أعلم*.

**﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[١٣]**

وقوله عز وجل: **ثم لا يموت فيها ولا يحيى**، أي لا تنقضي[١] عنه أفعال الموت، وهي آلامها وأوجاعها، بل يبقى في آلامها أبدا، قال الله تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[٢] أي لا يُقضَى عليه حتى يتخلص من أوجاعها. **ولا يحيى**، فالحياة التي يُنتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.[٣] فقوله: **ولا يحيى**، أي لا يرتفع عنه ألم الموت. أو يكون قوله: **لا يموت فيها** فيستريحَ، **ولا يحيى** حياةً يتلذذ بها.

**﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[١٤]**

وقوله عز وجل: **قد أفلح من تزكى**، أي أتى بما يُزكِّي[٤] به نفسَه، أو أتى بما يُطهِّر نفسَه به. وسنذكر[ها][٥] في سورة "والشمس وضحاها" مع تأويل الفلاح،[٦] إن شاء الله تعالى.[٧]

**﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[١٥]**

وقوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، يحتمل أن يكون أريد به أنواع العبادات لا الصلاة المعروفةُ وحدها؛ لأن الصلاة اسم للدعاء والثناء ولأنواع من المكرُمات[٨] فإنه يذكر ما يصل[٩] [به] إلى العبادات، ومن أعرض عن ذكره حُرِم من العبادات.[١٠] أو يكون منصرفا إلى الصلاة المعروفة فيكون قوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، أي يصلي[١١] بتقديمه اسم الرب،

---

[١] جميع النسخ: لا يقتضي.
[٢] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.
[٣] ر ث م – فالحياة التي ينتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.
[٤] ر م: بما تزكو؛ ن ث: بما تزكوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨ظ.
[٥] أي تزكية النفس.
[٦] ن: الفلاع.
[٧] ن – إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآيتين ٩ و ١٠ من سورة الشمس.
[٨] ر م: من المكرامات؛ ث: من مكارم.
[٩] جميع النسخ: فإنه يقول يذكر لوس ما يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: بالعبادات.
[١١] ن: يصلي.

ويكون[1] [ذلك][2] منصرفا إلى الافتتاح؛ فيكون فيه[3] حجةُ لأبي[4] حنيفة رحمه الله أنّ المصلي له أن يفتتح صلاته بأي أسماء الله تعالى أحبّ. ثم ذِكر اسم الرب يقتضي المعاني التي ذكرنا في قوله تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.[5]

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[١٦] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**، أي تؤثرون[6] حياتها على حياة الآخرة. ويكون الخطاب منصرفا إلى المنافقين والكفرة، لا إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ثم كانوا في الإيثار مختلفين، فمنهم من آثرها في أن ينظر[7] في الدنيا وأعرض عن النظر في الآخرة وجحدَها، ومنهم من كان أغلبُ سعيه لأمر[8] الدنيا، ومنهم من كان يؤثر بعضَ أحوالها على الآخرة. وقوله عز وجل: **والآخرة خير وأبقى**، أي إيثار الحياة الآخرة خيرٌ وأبقى من إيثار الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[١٨] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**، قال بعضهم: الآيات الأربع في صحف إبراهيم وموسى[9] أولهنّ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى -إلى قوله- خَيْرٌ وَأَبْقَى،[10] وقال بعضهم: السورة[11] كلّها أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام. فإن كانت السورة كلّها في الصحف الأولى فجميع ما في هذه[12] السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم إلى تعرفها،

---

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٨ظ.
[2] الزيادة من المرجع السابق.
[3] ر - فيه.
[4] ر: أبي حنيفة.
[5] الآية ١ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ: أي يؤثرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: من آثارها في أن نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ن ث: لا من.
[9] جميع النسخ: موسى وإبراهيم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ (سورة الأعلى، ١٤/٨٧-١٧).
[11] ر ن: السور.
[12] ر ث م - هذه.

ويكون قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى،[1] مذكورا بحق الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووجه الثناء ما ذكر في قوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ،[2] إلى آخر الآية. وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما في حفظه عليه السلام جميعَ ما يوحى إليه بمرة واحدة إكرام له وتفضيلٌ، فصلح أن يثنى عليه بهذا.

وفي قوله تعالى: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحفِ إبراهيم وموسى**، دلالةُ أنّ اختلاف الألسن لا يغيّر الأشياء عن حقائقها؛ لأن الله تعالى شهد بكون هذا في الصحف الأولى، فليس في الصحف الأولى بهذا اللسان؛ فيكون فيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية.

***والله أعلم.***[3]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[3] ر ن ث – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الغاشية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[١] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[٢] ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[٣]

قوله عز وجل: **هل أتاك حديث الغاشية**، قيل: معناه قد أتاك حديث الغاشية، فإما أن يكون الإتيان سابقا، أو أتاه حديث الغاشية بنفس هذه الآيات.[2] ثم في هذه الآيات ترغيب فيما تُحمَد[3] عاقبته، وتحذيرٌ عما يُذَمّ في العاقبة، وتبيين أنّ العاقبة المحمودة متصلة باكتسابه وكَدْحِه، وكذلك العاقبة المذمومة ينالها بعمله ونَصَبه. ثم اختلف في تأويل **الغاشية**. فقيل: الغاشية هي[4] النار تَغْشاهم،[5] كما قال تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ.[6] وقال في آية أخرى: وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ.[7] ومنهم من يقول: **الغاشية** هي الساعة، سميت غاشية لأنها تغشى الصغير والكبير، والمحمود والمذموم، / والسعيد والشقيّ[8] فتعمّهم[9] جميعا. [٩٠٢ظ]

---

[1] ر – سورة الغاشية؛ ث + وهي ست وعشر آيات مكية.

[2] ر م: هذه السورة.

[3] جميع النسخ: فيما يحمد. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٨ظ.

[4] ث – هي.

[5] ر ن م: يغشاهم.

[6] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[7] سورة إبراهيم، ٥٠/١٤.

[8] م: والشقي والسعيد.

[9] جميع النسخ: فيعمهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وهذا التأويل أقرب؛ لأنه ذكر الغاشية أوّلا ثم ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله: **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة**. وقولِه عز وجل: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ.[1] ثم قوله: **وجوه يومئذ خاشعة**، أي ذليلة. وإنما خصّ الوجهَ بالذكر لأن الحزن والسرور إذا استحكما في القلب أثّرا[2] في الوجه، فيكون في ذكر الوجه وصفٌ للغاية التي هم عليها من الذُلّ.

وقوله عز وجل: **عاملة ناصبة**، قال بعضهم: [هذا منصرف][3] إلى عُبّاد الكفرة، وهو أنهم بَقُوا أبدا في النصَب والعمل في الدنيا والآخرة. وجائز أن يكون نَصَبها وعملُها في النار، وهو أنها لم تعمل في الدنيا بل تكبّرت[4] عن طاعة الله تعالى، فأعملَها وأنصبها في الآخرة بمعالجة الأغلال والسلاسل في النار الحامية. أو عملت في الدنيا بالمعاصي ونَصَبت في الآخرة، فيكون فيه تبيين العمل والجزاء.

﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾[٤] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [٥]

وقوله عز وجل: **تصلى نارا حامية**، أي حارّة قد أحماها الله تعالى من[5] يومِ خُلِقت إلى الوقت الذي تُسقى[6] منها. وقوله عز وجل: **تسقى من عين آنية**، قيل: الآني الذي قد[7] انتهى في الحرّ غايتَه حتى لا حرَّ أحرُّ[8] منه.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾[٦] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ليس لهم طعام إلا من ضريع**، اختلف في الضريع. فمنهم من يقول: سُمّي ضريعا لأنهم يتضرعون عنه ويجزّعون إذا أُطعموا. ومنهم من جعل الضريع لونا من ألوان العذاب لم يبيّنه الله تعالى للخلق. ومنهم من قال: الضريع اسم لِنَبْت قد عرفتْه العربُ فيما بينهم يأكله الإبل والدوابّ ما دام رَطْبا، فإذا هاج ويبس تركت الدواب أكلَه وعافته[9] لخبثه

[1] الآية ٨ من هذه السورة.
[2] م: أثر.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.
[4] ث: بل تكبر.
[5] ر - من.
[6] جميع النسخ: يسقى. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث - قد.
[8] ر: أحر.
[9] ر ث: وعاقته؛ م: وعاقه.

وكثرة ما عليه من الشوك. ويسمّونه شِبْرِقا في الربيع، وإذا هاج وحفّ سمّوه ضريعا.[١] فذلك النبت في الدنيا يعمل في إسمان الدابة ويغنيها[٢] من الجوع. فنفى الله تعالى وجه الإسمان والإغناء وحصّل أمره على الحبث، بقوله: **لا يُسمن ولا يُغني من جوع**، وهو كقوله:[٣] فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ،[٤] فالسدر اسم شجرة ذات شوك في الدنيا، فأنشئت في الآخرة بلا شوك. ووَصَف خمرَ الجنة، فقال: لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ،[٥] والخمر في الدنيا تعمل[٦] في التصديع وهي تُنزف، فنفى [عنها][٧] هذه الآفات وجعلها شرابا سائغا لَذَّةً للشاربين؛ فكذلك الضريع نفى عنه ما يقع به الإسمان والإغناء وحصّل أمره على الحبث. ***والله أعلم***.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [٨] ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [٩]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية**، أي نَعِمتْ[٨] بما عاينت من عاقبة عملها الصالح في الدنيا، ورضيت بما أُوتِيَتْ جزاءً عن سعيها في الدنيا. جعل الله تعالى في وجوه الخلق يوم القيامة آثارَ صنائعهم في الدنيا؛ فمن أطاعه جعل عَلَم طاعته في وجهه يومَ القيامة،[٩] ومن عصاه جعل أثرَه في وجهه يُعرَف به.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [١٠]

وقوله عز وجل: **في جنة عالية**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قد علا قدرها وعظُم شأنها؛ فتكون **عالية**، نعتا للجنة، فوصفها بالعلو من هذا الوجه. والثاني يحتمل العلو من حيث الدرجات والمكانُ. ***والله أعلم***.

---

[١] الضريع: نبات أخضر مُنتِنٌ خفيف يَرمي به البحر وله جَوْفٌ، وقيل: هو يَبِيس العَرْفَج والخُلَّة، وقيل: ما دام رطْبًا فهو ضريع، فإذا يبس فهو الشِّبْرِقُ، وهو مَرْعَى سَوْءٍ لا تَعقِدُ عليه السائمةُ شَحْمًا ولا لحمًا، وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها. وفي التنزيل: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع﴾؛ قال الفراء: الضريع نبت يقال له الشِّبْرِق، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس. وقيل: الضريع طعام أهل النار، وهذا لا يعرفه العرب (*لسان العرب*، «ضرع»).

[٢] ر: وتغنيها؛ ن: ونغها.

[٣] ن: في قوله.

[٤] سورة الواقعة، ٥٦/٢٨-٢٩.

[٥] سورة الواقعة، ٥٦/١٩.

[٦] ر ث م: يعمل؛ ن: في الديا في لدنيا يعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.

[٧] الزيادة من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: ناعمة. والتصحيح من المرجع السابق

[٩] ن - القيمه.

**﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [١١]**

وقوله عز وجل: **لا تسمع فيها لاغية**، [أي][١] ما يَحِق أن يُلغَى[٢] من الشتم ومن كلّ ما يُؤَثِّم صاحبَه، بل هم كما وصفهم الله تعالى: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[٣] ثم الذي يحمل المرء على شتم المرء إما ضِغن أضمره في صدره، أو خصومة حدثت بينهما، أو آفةٌ تدخل[٤] في عقله لسكر[٥] أو ما أشبهه.[٦] والله تعالى نفى عن الشراب الآفاتِ[٧] بقوله: لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ،[٨] ونزَع الغلَّ عن صدورهم فارتفعت دواعي[٩] السفه كلُّها فلا تَسمع فيها ما يحق أن يُلغَى.[١٠]

**﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **فيها عين جارية**، أي عيونها جارية تأخذها العين وتجري[١١] على وجهها، ليست كمياه الدنيا في أن بعضها يجري[١٢] على وجه الأرض وبعضها تحته، نحو ماء القناة وماء البئر.

**﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾[١٣] ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[١٤] ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾[١٥] ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[١٦]**

وقوله عز وجل: **فيها سرر مرفوعة**، قال بعضهم: مرفوعة بعضها فوق بعض، ترتفع[١٣] ما شاء الله، فإذا جاء وليّ الله تعالى ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء الله تعالى. وقال بعضهم: معنى المرفوعة هاهنا أنها أنشئت مرفوعة القدر عند أهلها،

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٩و.
[٢] ر ن م: أن يلقى.
[٣] سورة الحجر، ٤٧/١٥.
[٤] جميع النسخ: يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: بسكر؛ ث: بفكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م: وما أشبهه.
[٧] م: والآفات.
[٨] سورة الواقعة، ١٩/٥٦.
[٩] ر م: وداعي.
[١٠] ر ن: أن يلقى به؛ ث + به؛ م: أن يلقى فيه.
[١١] جميع النسخ: يأخذها العين ويجري. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ث: تجري.
[١٣] ر ث م: يرتفع؛ ن: ثم يقع. والتصحيح من مرجع السابق.

فوعِدوا في الآخرة على ما هي عليه رغبتهم في الدنيا ويتازُهم لها. والمرء يرغب في الوجهين اللذين ذكرناهما في الدنيا، فعلى مثلها جرى الوعد في الآخرة.

وكذلك يرغب في الأكواب والنمارق المصفوفة والزرابيّ المبثوثة فوعد لهم مثها في الآخرة. وقال في موضع آخر:[1] وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ.[2] ورفعها يكون من الوجهين اللذين ذكرناهما في السرر؛ فوعدوا بها أيضا في الآخرة لرغبتهم[3] بها في الدنيا.[4]

وقوله عز وجل: **وأكواب موضوعة**،[5] فالأكواب[6] هي الكِيزان التي لا عرى لها، فإما أن يكون وصفا لكِبر تلك الأكواب في أنفسها حيث لا عُرَى لها كالحِباب[7] في الدنيا. أو يكون فيه أن لهم خَدَما ووِلدانا يتولّون نقَبها[8] إلى أين أحبّوا وليست لها عرى يمدّون أيديهم إليها فيرفعونها.[9]

[٩٠٣و] وقوله عز وجل: **ونمارق مصفوفة**، قيل هي الوسائد وضعت على البُسُط. وكذلك تبسط[10] الوسائد في الدنيا، فرغِّبوا كذلك في الآخرة.

**﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[١٧] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[١٨] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[١٩] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٢٠]**

وقوله عز وجل: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**[11] **[وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت]**[12] **وإلى الأرض كيف سطحت**، فخصّ الإبل بالذكر من بين جملة الدواب، وخُص السماء والجبال والأرض بالذكر، وتخصيصُها يكون لأحد وجهين. أحدهما أن الإبل كانت من أخص دواب أهل مكة، عليها كانوا يسافرون، وعليها كانوا يَنقلون ما احتاجوا إليه؛

[1] جميع النسخ - آخر. والزيادة من الشرح، ورقة ٣٣٩و.
[2] سورة الواقعة، ٣٤/٥٦.
[3] ر ث: لترغيبهم؛ م: لترغيبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن - فوعدو بها أيضا في الآخرة لترغيبهم بها في الدنيا.
[5] ن - وقوله عز وجل وأكواب موضوعة.
[6] ر ث م: والأكواب.
[7] الحباب جمع حُبّ، وهو وعاء الماء كالزير والجرّة (المعجم الوسيط، «حب»).
[8] ن: نقلها.
[9] ث: فيرفعونها.
[10] جميع النسخ: يبسط.
[11] جميع النسخ + إلى قوله. والترجيح من الشرح، ورقة ٣٣٩ظ.
[12] الزيادة من المرجع السابق.

وهي أيضا -أعني مكة- مُنشأة[1] بين الجبال، فكانت لا تفارقهم[2] الجبال، وكانت السماء من فوقهم والأرض من تحتهم، فخُصّت هذه الأشياء بالذكر ليعتبروا بها ويتدبروا.

و[الثاني] يحتمل وجها آخر، وهو أن المنافع المجعولة في الدواب كلها تجتمع في الإبل؛ لأن منافع الدواب أن يُنتفع بظهرها وبضَرعها وبصُوفها وبلحمها وبنسلها.[3] فكلّ ذلك يوجد في الإبل، فصارت الإبل[4] كالأم[5] للمنافع المتخذة في الدواب والبركات المعقودة فيها. وكذلك عِظَم المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة بالسماء، ففيها جعلت أرزاقهم، وفيها عين[6] الشمس التي بها[7] مصالح الأغذية، وتراها[8] مُزيَّنة بزينة الكواكب فهي أيضا كالأم في المنافع. وكذلك الأرض كالأم في المنافع؛ إذ[9] فيها مأوى الخلق، وقُدّر[10] فيها أقوات الخلق وأرزاقهم، ومنها يخرج ما يتخذون منه اللباس. ثم بالجبال قوامُ الأرض ولولاها لكانت الأرض تَميد بأهلها؛ فخصّت هذه الأشياء بالذكر لما ذكرنا.

ثم قوله: **أفلا ينظرون**، يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر، أي فلينظروا. والثاني أن يكون على سؤال تقدَّم منهم لأمر اشتبه عليهم فنزلت هذه الآية: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**، إلى آخر الآيات، أي لو نظروا في هذه الأشياء لكان نظرهم فيها وتفكّرهم بها[11] يُزيح[12] عنهم الإشكال، ويوضح لهم ما اشتبه عليهم. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمّا ذكّر الله تعالى ما ذكر من نعيم الجنة عَجِبت قريش وقالت:[13] يا محمد ائتنا بآيةٍ أنّ ما تقوله حقّ، فأنزل الله تعالى: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**.[14]

---

[1] م: منشوه.
[2] جميع النسخ: لا يفارقهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩ظ.
[3] جميع النسخ: ونسلها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: في الإبل.
[5] جميع النسخ: كالأنعام. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: عن.
[7] ر: فيه؛ م: به.
[8] ر: ويريها.
[9] ن: إن.
[10] ر - قدر.
[11] ر: منه.
[12] جميع النسخ: نزع. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: وقال.
[14] ن + لخ أي لو نظروا في هذه الأشياء. تنوير *المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٤٦.

تم النظر في رفع السماوات والتفكر[١] في خلقها بغير عمد يرونها،[٢] والنظرُ والاعتبار في خلق الإبل ونَصب الجبال، وسطح الأرض -وهو البسط- ممّا يوجب القول بالبعث ويدعو إلى وحدانية الرب تعالى، وإلى القول بإثبات الرسالة. وذلك أن الذي كان يحملهم[٣] على إنكار البعث هو أنهم كانوا يُقدرّون الأشياء بقُوى أنفسهم فكانوا يظنون أن القوة لا تبلغ[٤] هذا، إذ إحياء الموتى خارج عن وُسعهم. فلو نظروا وتفكروا في خلق السماوات والأرض لَعلموا أن قوة الله غير مقدّرة بقُوى الخلق، وذلك أن السماوات خلقت ورفعت في الهواء بغير عمد وأُقرت، كذلك لا تنحدر عن موضعها ولا تتصعد.[٥] ولو أراد أحد أن يُقرّ في الهواء ريشةً حتى لا تسقط ولا تتصعّدَ[٦] لم يقدر عليه؛ فيكون في ذلك تنبيهٌ أنّ قدرتَه قدرة ذاتية ليست بمستفادة. وكذلك الجبال يرونها[٧] مع شموخها وارتفاعها وصلابتها زيّنت بالمياه والأشجار الملتفّة من وجه لو تفكّر[٨] فيه الخلائقُ[٩] فاستفرغوا مجهودَهم لِيعلموا مِنْ أي موضع يجتمع الماء، وكيف يَنبُع وكيف ينبت الأشجار من بين الأحجار لم يصلوا إلى معرفته،[١٠] فيعلمون[١١] أنّ علمه ليس بالذي يحاط[١٢] به. فيكون في ذكر هذا[١٣] إنباءٌ أنّه لا يخفى عليه أمرٌ ولا يُعجزه شيءٌ، بل العالم كلّه تحت تدبيره، يفعل بهم ما يشاء ويحكم ما يريد؛ وأن الذي قدر على خلق هذا لقادرٌ على إحيائهم وبعثِهم للجزاء.

وفي خلق هذه الأشياء ما يدعوهم إلى الوحدانية لأن الله تعالى جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء. فالقَطْر ينزل من السماء إلى الأرض الغَبراء المتهشّمة فيُنبت لهم من ألوان النبات رزقا لهم ولأنعامهم، فلو كان مدبّر السماء غيرَ مدبّر الأرض لكان يمنع[١٤] منافع السماء

---

[١] ر: وتفكر؛ ث: والفكر.
[٢] جميع النسخ: ترونها.
[٣] ر م: يحمل.
[٤] جميع النسخ: لا يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩ظ.
[٥] جميع النسخ: لا يتحدر عن موضعها ولا يتصعد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: لا يسقط ولا يتصعد.
[٧] جميع النسخ: ترونها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: لو تفكروا.
[٩] ن: الخلق.
[١٠] م: إلى معرفة.
[١١] جميع النسخ: فيعلموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: تحط.
[١٣] ر م - هذا.
[١٤] ن - يمنع؛ ث م: منع

عن خلق مدبّر الأرض. فلو تفكّروا فيها لكان يزول عنهم الإشكالُ، فلا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقولون: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا.[1]

وقولنا: إنّ فيه إثباتَ الرسالة، وذلك أنّهم بما أُنعِموا من النِّعم التي ذكرناها لا بد من أن يستأدي منهم الشكرَ، ولا يُعرَف شكرُ كل شيء على الإشارة إليه بم[2] يكون؟ فلا بدّ من رسالة يُطلِعهم على ذلك.

فإن قيل: كيف أمروا بالنظر في كيفية خلق هذه الأشياء، وهم لو نظروا آخرَ الأبد لِيعرفوا كيف خلقت هذه الأشياء لم يهتدوا[3] ذلك الوجه.

فجوابه أنهم لو تداركوا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرفع عنهم الإشكالَ، إذ يقدّرونه بأفعال الخلق التي يُهتدَى إليها، فارتفاع التدارك وخروجه عن أوهامهم هو الذي يوضِح هم المشكل ويُزيل عنهم الشبهةَ، إذ به عرفوا أنه حاصل بقدرةِ من لا تُقدَّر[4] قدرته بقدرتهم وأنّه خلافهم من جميع الوجوه. **والله الموفق**.

**﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢١] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٢٢] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾[٢٣] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾[٢٤]**

[٩٠٣ظ] وقوله عز وجل: **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم / بمصيطر**، ففي هذه الآية -والله أعلم-[5] أمرٌ من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام أن لا يجازيَهم بصنيعهم إذا استقبلوه[6] بما يكره من أذًى يوجَد منهم واستخفافٍ يجيء منهم، فيقول:[7] ذكِّرْ بالله[8] تعالى وذكرهم عظمَ نعمه، وذكرهم كيف هلك مكذّبو الرسلِ، وكيف نجا من صدّقهم، وعظّم أمرَهم؟ ولا تَقهَرْهم[9] ولا تُجازِهم بصنيعهم، وكِلْ ذلك إلى الله تعالى.

---

[1] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عُجاب﴾ (سورة ص، ٥/٣٨).
[2] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٠و.
[3] ر + في.
[4] جميع النسخ: لا يقدر.
[5] ن - والله أعلم.
[6] ر م: استقبلوها.
[7] ر ن م: فيقول.
[8] ن: من الله.
[9] ر م - ولا تقهرهم.

وقوله عز وجل: **لست عليهم بمصيطر.** قال بعضهم: بمسلَّط، وقال بعضهم: لست[1] بجبار. فإن أريد به الوجه الأول فهو مما يحتمل [النسخ]،[2] ويجوز أن يسلَّط عليهم في أن تؤذَن بقتالهم وأسرهم وقهرهم ببذل الجزية؛ ولهذا قيل: إنّ هذا كان قبل نزول سورة براءة. وإن كان تأويله:[3] لستَ بجبار عليهم على ما روي عن مجاهد،[4] فهذا الوجه مما لا يَرِد[5] عليه النسخُ، ولا يجوز أن يصير جبارا عليهم، ولا يكون قوله: **إلا من تولى وكفر** استثناءً. ويكون معناه: لكن **مَن تولّى وكفر فيعذبه الله العذابَ الأكبر**، أي من أعرض عن طاعة الله وكفر بوحدانيته وبكتبه ورسله فيعذّبه العذاب الأكبر. وعلى التأويل الذي قيل: إن المسيطر هو المسلَّط بالسيف والأسر والقهر وأخذ الجزية[6] التي هي صَغار عليهم يكون قوله تعالى: **إلا من تولى وكفر** على الاستثناء، أي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانيته فستُسلَّط[7] عليهم بالسيف والأسر وأخذ الجزية. وقيل: **إلا من تولى وكفر**، أي أعرض ولزم الإعراض فتكون[8] مسيطرا عليهم. أو تولّى[9] وقتَ التذكير فستُنْصَر[10] عليه. ***وبالله النجاة.***

وفي هذه الآية بِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالظفر على الذين تولّوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به. وفيه[11] آية رسالته؛ لأنه قال هذا في وقت ضَعفه وقلّةِ أنصاره، وكان الأمر كما قال الله؛ إذ نصره[12] الله تعالى بالرُّعْب مَسيرة شهرين،[13] وفُتحت له الفتوحُ ليُعلَم أنه بالله تعالى عَلِمَ.

---

[1] ر م – لست.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[3] ر: التأويل.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٠٧/٣٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤١٠/٨.
[5] ر م: مما يرد.
[6] ن: والقهر بالجزية.
[7] ر م: فسلط؛ ن: فسيسلط.
[8] ر ن: فيكون.
[9] وفي الشرح: أي تولى (ورقة ٣٤٠و).
[10] ر ن ث: فستبصر.
[11] أي وفي قوله هذ.
[12] ر: ن نصره.
[13] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢. وفي الرواية المشهورة: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهرٍ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [٢٦]

وقوله عز وجل: **إن إلينا إيابهم**، أي مرجعهم. وقوله: **ثم إن علينا حسابهم**، أي في الحكمة[1] أن نحاسبهم؛[2] وإذا كانت الحكمة توجب[3] حسابهم وتعذيبهم كان عليه أن يحاسبهم؛[4] لما في تركه ترك الحكمة، وفي تركها[5] سفه. تعالى الله عن ذلك. *وبالله النجاة ومنه التوفيق*.[6]

---

[1] جميع النسخ: من الحكمة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[2] ن: أن يحاسبهم.
[3] ر ن م: يوجب.
[4] ر م + في تركه.
[5] ر ث م: وفي تركه.
[6] ر + والصلاة والسلام على رسوله محمد الطيبين الطاهرين؛ ث + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الفجر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالْفَجْرِ﴾[١] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[٢] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[٣]**

قوله عز وجل: **والفجر وليال عشر**، كان[٢] العرب من عادتهم أنهم إذا استحسنوا شيئا عظّموه، وإذا عظموه أقسموا[٣] به. ثم إن الله تعالى جعل في الحج وأوقاته لطائف من الحكمة وعجائبَ من التدبير. فمن لطيف حكمته وعجائب تدبيره أنه جعل المكان الذي يُحَجّ فيه مأمنا للخلق من وجه لا يعرف الخلائق المعنى الذي به وقع الأمنُ، وألّف[٤] بين الخلق حتى رغبوا[٥] جميعا في الاجتماع هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وجه لا يدرك معناه، وجَعَل أهلها يتقلّبون[٦] في البلاد آمنين حتى قال تعالى لنبيه: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ.[٧] وسَخَّر[٨] أهل الآفاق في حمل ما يقع لأهل مكة إليه حاجةٌ من المِيرَة[٩] وغيرها،

---

[١] ر – سورة الفجر؛ ن م: سورة والفجر؛ ث + وهي ثلاثون آيت مكية.

[٢] ر ث م: كانت.

[٣] ر: قسموا.

[٤] ر م: والألف.

[٥] ر م: يرغبوا.

[٦] جميع النسخ: يقلبون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٠ظ.

[٧] ر ث م – حتى قال تعالى لنبيه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. سورة آل عمران، ١٩٦/٣.

[٨] جميع النسخ: سخر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه (المعجم الوسيط، «مار»).

وجعلَهم بحيث يرغبون في الإتيان إليها مع عظم ما يلزمهم من المؤن، [ثم لم يمنعهم ذلك عن الإتيان][1] إلى مكة للحج. فثبت أنّ فيها معاني ولطائفَ هي خارجة عن قواهم وتدبيرهم. فكان في ذكرها ما يوجب القول بالقدرة على البعث، ويزيل عنهم الشبهة في أمرهم. فاقسم بما عَظُم من شأنها بهذه الأوقات والأيام لمكانِ أنها أوقات الحج، فعامّة[2] أركان الحج تؤدّى فيها. وعادة العرب أنهم[3] يقسمون بآبائهم وأجدادهم وأصنامهم لما هي معظمة عندهم، وهذه الأشياء معظّمة عندهم فجرى[4] القسم بها جريا على عادتهم.

ويدخل في أوقاتها الشفع والوَتْر والفجر. فقالوا: الشفع يوم النحر لأنه اليوم العاشر من الشهر، والوتر يوم عرفة لأنه اليوم التاسع. وجائز أن يكون أريد بالشفع والوتر والليل إذا يسر العباداتُ جملةً، إذ ما من عبدة إلا وفيها شفع ووتر.

|٩٠٣ظ س٣٦ *وجائز أن يكون أريد بالوتر هو الله تعالى وأريد بالشفع الخلائقُ؛ إذ خلقهم أزواجا، والله تعالى هو الواحد بذاته، فيكون القسم بذاته وبجميع الخلق. ويحتمل أنه أريد بالشفع والوتر
٩٠٣ظ س٣٧] الخلائقُ جملة؛ إذ فيهم المعنيان جميعا: الشفع والوتر، فيكون قسما بجميع الخلائق.[5]*

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **ولليل إذا يسرِ**، أي يُسرَى بها. وفي ذلك كناية عن الجهاد والإغارة بالليل كما يذكر في قوله: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا،[7] فيكون هذا كله إشارة إلى جملة العبادات. ووجه القسم بالعبادات أن الله تعالى عظّم أمرَ العبادات في قلوب الخلائق حتى تراهم جميعا يستحسنونها ويعظِمون أمرها، وإنما يقع الاختلاف بينهم في ماهيتها، لا أن يقع[8] التمانع بينهم في أنفسها، فأقسم بها.*

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ؛ ر م + إلى أسباب؛ ن + عن الانتساب؛ ث + إلى انتساب.
[2] ث م: فغاية.
[3] ن: يؤدي فيه وعدة أنهم.
[4] ر – أنها أوقات الحج فعامة أركان الحج تؤدى فيها وعادة العرب أنهم يقسمون بآبائهم وأجدادهم وأصنامهم لما هي معظمة عندهم وهذه الأشياء معظمة عندهم فجرى.
[5] ر ث م – الخلائق جملة إذ فيهم المعنيين جميعا الشفع والوتر فيكون القسم بجميع الخلائق.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة، ٩٠٣ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[7] سورة العاديات، ١٠٠/١-٣
[8] ر م: ولا أن يقع؛ ث: وأن يقع.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة، ٩٠٣ظ/سطر ٣٦-٣٧.

**﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[٥]**

وقوله عز وحل: **هل في ذلك قسم لذي حجر**، يحتمل أن يكون تأويله أنّ وجه القسم بهذه الأشياء يعرفه ذوو[1] الحجر، وهم ذَوُو[2] الألباب والحِجا، لا أن يعرفه الجهلة. قالوا: وموقع القسم على قوله: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.[3]

[٩٠٤و] وجائز أن يكون وقع التنازع فيما بينهم، وكانوا يزعمون أنّ أوقات الحج -وهي[4] الليالي العشر- والشفع والوتر ليس يُقسَم بها، فقال: **هل في ذلك قسم لذي حجر**، أي لنعاقل إذا تدبر فيها عَرَف أنّ هذه الأوقات بالتي[5] يحتمل أن يقسم بها أو هذه الأوقات بالتي[6] تدلّهم عنى القول بالبعث. وقيل:[7] إنما أقسم بهذه الأيام لعظم قدرها[8] وخطرها عندهم، لما فيها من صلاح معايشهم، ويكون لهم فيها سَعة العَيش. أما الفقراء فبالهدايا والبُدْنِ، وأما غيرهم فبأنواع[9] المكاسب والتجارات؛ فإنهم كانوا يستعدون الأشياء ويهيّئون[10] من السنة إلى لسنة لتجارة في هذه الأيام، فأقسم الله تعالى بهذه الأيام لكونها معظّمة عندهم. وقيل: إن موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لأنه كان على إثر حادثة عندهم معروفة استُغني عن ذكرها لشهرتها عندهم، فأقسم أنها حق.[11] *والله أعلم*.

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٦] ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[٧] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد**. في ذكر نبأ عادٍ وثمودَ وفرعونَ فوائد ثلاثٌ. أحدها في موضع التخويف لأهل مكة[12]

---

[1] ث م: دوا.
[2] جميع لسخ: ذوا. والنصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٠ظ.
[3] الآية ١٤ من هذه السورة.
[4] ر م: هي.
[5] جميع النسخ: بالذي. ولتصحيح من المرجع المسبق.
[6] ر ث م - يحتمل أن يقسم بها أو هذه الأوقات بالتي.
[7] ر ث م. قس.
[8] ر م – لعظم قدرها؛ ن ث: قدر هذه الأيام.
[9] جميع لسخ: باهدايا ولبدن وأما غيرهم بأنواع. والتصحيح من المرجع لسابق.
[10] ث: ويهيئونه.
[11] ر: لحق؛ ت: حق؛ م: بشهرتها عندهم فأقسم أنها لحق.
[12] ر م – مكة

الذين كذّبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو أنّ أولئك القوم كانوا أكثرَ أموالا وأولادا وأعدادا، وأكثرَ في القوة من هؤلاء الذين كذّبوا محمدا -عليه أفضل الصلوات- فلم يُغْنِهم ذلك كلُّه من الله تعالى شيئا. بل الله تعالى انتقم منهم لرسله -عليهم السلام- بما كذّبوهم. فما بال هؤلاء الذين كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافون[1] مقته وحلولَ النقمة بهم[2] بتكذيبهم رسولَه، وليسوا بأكثر من أولئك في العدد والمال والقوة؟

وفائدة أخرى أن أولئك كانوا يزعمون أنهم بالله تعالى أولى من محمد عليه الصلاة والسلام وأتباعِه، بما[3] بَسَط لهم من النِّعم[4] وضيّق على الرسول وأتباعه. فبَيّن[5] أنّ الذين تقدّمهم من مكذبي الرسل كانوا أرفعَ منهم في القُوى والأموال والأولاد والأعداد، وكانت رسلهم في ضِيق من العَيش؛ ثم كانوا هم أولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة الأعداد والقوى. فبيّن هم هذا ليعلموا[6] أنْ ليس الأمرُ على ما ظنُّوا وحسبوا.

والثالث أنهم كانوا يمتنعون عن الإيمان بالله تعالى وبرسله، وكانوا يقولون: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.[7] فيكون في ذكر هذا نفيُ التقليد لأولئك؛ لأنه كان[8] في آبائهم من أُهلك بتكذيبهم الرسلَ، وهم الفراعنة وأتباعهم، وفيهم من نجا وهم الرسل وأتباعهم المصدّقون لهم؛[9] فما باهم قلّدوا المُهلَكين منهم دون الذي نَجَوْا. ثم الآية لم تُسَق[10] ليُعرَف نسبُ عاد وثمود وفرعون حتى تشتغل[11] بتعرّفه، وإنما سيقت للأوجه[12] التي ذكرنا، فالاشتغال بتعرّف أنسابهم وأحوالهم نوع من التكلّف.

---

[1] ر ث م: لا يخافوهم.

[2] ر ث م - بهم.

[3] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.

[4] ر م: من النعيم.

[5] ر ث م: فتبين.

[6] ر ث م: لعلموا.

[7] ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُترَفُوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (سورة الزخرف، ٢٣/٤٣).

[8] ن + كان.

[9] جميع النسخ: لها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.

[10] ر ث م: لم يسق.

[11] ن: يشتغل.

[12] ر ث: لأوجه.

وقوله: **ألم تر كيف فعل ربك**. فقوله: **ألم تر**، يحتمل وجهين. أحدهما[١] قد رأيت، أي علمت، كما يقال في الشاهد: ألم[٢] تر إلى ما فعل فلان؟ أي قد رأيت وعلمت، فيخبره بصنيعه على جهة التشكي منه. ويحتمل أن يكون[٣] هذا ابتداء إعلام منه، فيقول له: اعلم[٤] أنّ ربك فعل بعاد كذا.

واختلفوا في قوله: **إرم**، فقال بعضهم: الإرم[٥] هو أبو عاد، وقال بعضهم: أبو القبيلة، فنسب إليه عاد، كما يقال: هو من بكر بن وائل وإن لم يكن ابنه. وقال بعضهم: **إرم**، مساكن عاد، وقيل: هو اسم الذي بنى تلك الأماكن.

وقوله عز وجل: **ذاتِ العماد**، قال بعضهم: ذات الأجساد الطوال، أي عادٌ ذات الأجساد الطوال كما ذكر في القصة. وقال بعضهم: ذات البناء[٦] المشيّد المرفوع في السماء كالعُمُد الطوال؛ فيرجع إلى الإرم على تأويل من جعَله عبارة عن المساكن. وقال بعضهم: **ذات العماد**، هي الخيام لها إطناب وعُمُد. وكانوا[٧] أصحابَ خيام وقِباب، وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد.

وقوله عز وجل: **لم يخلق مثلها في البلاد**، قال بعضهم: هذا وصف القوم بالشدة والقوة وعِظَم الخلقة وفضل البصر في الأمور، كقوله تعالى: وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً،[٨] وقال حكاية عنهم: وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً،[٩] وقال تعالى: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ،[١٠] فوصفهم بفضل البصر. وجائز أن يكون أريد بها المساكن[١١] التي[١٢] بنوها أنْ ليس مثلها في البلاد.

---

[١] ر ث م + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.

[٢] ن - يحتمل وجهين أحدهما قد رأيت أي علمت كما يقال في الشاهد ألم تر.

[٣] جميع النسخ: أنه يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ن: فيقول اعلم.

[٥] ر م - الإرم.

[٦] ر: بنات؛ م: بنان.

[٧] ر م: كانوا.

[٨] ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾ (سورة الأعراف، ٦٩/٧).

[٩] ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ (سورة فصلت، ١٥/٤١).

[١٠] ﴿وعادا وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٣٨/٢٩).

[١١] م: بالمساكن.

[١٢] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**. وقال بعضهم: اتخذوا من الصخور جَوابيَ، أي قِصاعا، كما قال تعالى: وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ.[١] وقال بعضهم: قطعوا[٢] في الصخور بيوتا، كقوله: وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ.[٣] فيكون في هذا إخبارٌ عن قُواهم وشدّتهم.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وفرعون ذي الأوتاد**، قال بعضهم: سمّاه ذا الأوتاد [لأنه كان اتخذ في الجبال مساكن فسمي ذا الأوتاد].[٤] والوَتِد الجبل.[٥] وقال بعضهم: سمي ذا الأوتاد لأنه كانت له أوتاد نَصَبَها لتعذيب مَن غَضِب عليه. وقال بعضهم: إنّه كان نَصَب على الطرُق أناسا، على كل طريق إنسانا راصدا وحافظا. وقيل: أي ذي[٦] قصور وبنيان مشيّدة مرفوعة تشبه[٧] الجبال؛ إذ هي أوتاد الأرض.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾[١١] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد**، وطغيانهم في البلاد تمرّدهم[٨] وعُتوّهم فيها.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[١٣]

[٩٠٤ظ] وقوله عز وجل: **فصب عليهم ربك سوط عذاب**، قال / بعضهم: عذّبهم بسوطهم الذي كانوا به[٩] يعذِّبون الخلق ويضربونهم. وقال أبو بكر الأصم: إن السوط لونٌ من العذاب، فعذَّب عادا بلونٍ منه، وعذَّب ثمودَ بلون منه، وفرعونَ وأتباعَه بلون منه.

---

[١] ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقُدُور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سورة سبأ، ١٣/٣٤).

[٢] ر ث م – قطعوا.

[٣] سورة الحجر، ٨٢/١٥.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.

[٥] ر ن ث: الحبل.

[٦] جميع النسخ: ذو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] جميع النسخ: يشبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: وتمردهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م – به

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إن ربك لبالمرصاد**، قال[1] أبو بكر الأصم: يَرصُد عذابَه بأعدائه، يتظر به آجالَهم ثم يُوقع بهم العذابَ إذا أتى الأجل. وعندنا أنه يرصُد عليهم ما عملوا، فلا يشتد عليه ولا يَعْزُب عنه شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما استتر منها وما ظهر. وقيل: أي لا يجاوزه ظلمُ ظالم ولا يفوته هارب.

ثم لم ينصرف فهم أحد في قوله تعالى: **إن ربك لبالمرصاد**، إلى إثبات[2] مكان، فما بال بعض[3] الناس انصرف وهمهم في قوله: الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[4] على جعل العرش مكانا له.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[١٥] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[١٦] ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلّا**. والإشكال أن يقول قائل: قول ذلك[5] الإنسان **ربي أكرمنِ وربي أهاننِ**، خَرَج موافقا لما قاله الرب تعالى؛ لأنه قال: **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه**، فخرج قوله: **ربي أكرمن** على الموافقة لما قال. وكذا قول هذا الإنسان حيث ابتُلي بنقيضه: **ربي أهاننِ**، خَرَج موافقا لما قال: **وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه**. فإذا كان الأول إكراما كان الذي[6] يضادّه إهانةً. ألا ترى أن الله تعالى سمّى المال خيرا والفقرَ شرّا، وسمّى المطيع محسنا والعاصي مسيئا. فكذا إذا استقام القول بالإكرام عندما ينعم عليه ويُكْرَم استقام القول بالإهانة إذا ضُيّق عليه الرزقُ ولم يكرم. وإذا كان هكذا فكيف ردّ عليه مقالته بقوله: **كلّا**، وهو في ذلك صادق؟

ولكن نحن نقول: إن الرد بقوله: **كلّا**، لم يقع على نفس القول ولا انصرف إليه؛ وإنما انصرف إلى ما أراده بقوله؛ لأن القائل بهذا كافر بالله تعالى وباليوم الآخر، فكان يقول: لا بعث ولا جزاء، وإنما يجازون بأعمالهم في هذه الدنيا، فمن أحسن أُحسِن إليه ومن أساء أُهين به.

---

[1] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤١و.
[2] جميع النسخ: إلى يثار. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن: بعض.
[4] سورة طه، ٥/٢٠.
[5] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: الله. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤١ظ.

فيكون قوله: **كلا**، أي ليس الأمر كما صوّره في نفسه بل الدنيا دار عمل، وللجزاء بالكفر والإيمان دار أخرى.[1] وهذا كقوله: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[2] وهم لم يكونوا كاذبين في شهادتهم ومقالتهم[3] بل كانوا صادقين أنه رسول الله،[4] وأنّ الله تعالى يعلم أنه رسوله.[5] ولكنهم كانوا اعتقدوا تكذيبه في قلوبهم فكانوا يُظهرون خلافَ ما أضمروا في أنفسهم؛ فإلى[6] ما أضمروا انصرفَ التكذيبُ لا إلى نفس القول، كذا هذا. ولأن أهل الكفر كانوا أصنافا. فمنهم من كان يرى إذا بسط عليه النِّعَم[7] في الدنيا وأُكرم فإنما بسط عليه لِما استوجبه بفضله،[8] وإذا ضيق عليه وابتلي بالشدة فإنما ضُيِّق عليه بإساءته[9] وبما كسبت يداه. ومنهم من كان يظنّ أنّه من الله تعالى بمنزلة وأنه مستوجب[10] للإنعام، وأنه إذا بُلي بضيق العيش وأصابته شدةٌ أصابته ذلك من عند محمد عليه الصلاة والسلام فيتشاءمون به. ألا ترى[11] إلى قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.[12] وعلى هذا كان ظنّ[13] [قومِ][14] فرعون؛ قال الله تعالى: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ.[15]

فقوله:[16] **فأكرمه ونعّمه**، أي أكرمه في نفسه بأن أصحّ جسمَه أو جعله رئيسَ قومه، **ونعّمه**، أي بَسَط الدنيا عليه. فيقول: ربي أكرمني، فكان يَبْطَرُ[17] بذلك.

---

[1] ر م: آخرة.
[2] سورة المنافقون، ٦٣/١.
[3] ر م + كاذبين.
[4] ن – الله.
[5] ن: رسوله.
[6] ر ث م: قال.
[7] ر ث م: النعيم.
[8] جميع النسخ: بفعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١ظ.
[9] ر: باسدته.
[10] ر م: استوجب.
[11] ر: ألا يرى.
[12] سورة النساء، ٤/٧٨.
[13] ر: يظن.
[14] الزيادة من المرجع السابق.
[15] سورة الأعراف، ٧/١٣١.
[16] جميع النسخ + ربه. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] جميع النسخ: يبطر. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله: **وأما إذا ما ابتلاه**، أي إذا اختبره فضَيّق عليه رزقَه فيقول: ربي أهانني. فكان يُظهر بذلك الجزعَ. والله تعالى اختبره بالنعم ليستأديَ منه الشكر[1] بما أنعم، وابتلاه بضيق العيش ليصبرَ لا ليجزع. فلا شَكَرَ هذا بالنعم[2] بل[3] بَطِرَ، ولا صَبَرَ هذا على الشدائد بل جَزِعَ. فجائز أن يكون المراد بقوله: **كلا**، منصرف إلى هذا ردا لاعتقادهم وصنيعهم وهو أنه لم يُكرم ولم يُنعم ليبطر به، ولا ضَيّق عليه رزقَه ليجزع، بل إنما أنعم ليشكر، وقدّر عليه رزقَه ليصبر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **بل لا تكرمون اليتيم**، فجائز أنهم كانوا لا يكرمونه ويُهينونه[4] مع ذلك، لأن إكرام اليتيم ليس بواجب، أما إهانته فحرام.[5] وجائز أن لا يَثبت الإهانة منهم مع نفي الإكرام؛ لأن الإيجاب إذا ذكر في مضادة الإيجاب اقتضى ذلك إثبات المقابلة، وإذا ذكر الإيجاب في مضادّة النفي أمكن أن يثبت فيه المقابلة وأمكن أن لا يثبت. ألا ترى أنه إذا قيل: "فلان جائر" كان فيه إثبات المقابلة، وهو نفي العدل؛ لأنّ قوله "جائر" إثبات الجور، فكان في ذكره نفيُ العدالة، وفيه إثبات المقابلة. وإذا قلت: "ليس بعدل" / لم يكن فيه تحقيق لإثبات المقابلة [٩٠٥و]
وهو الجور، بل يجوز أن يكون جائرا ويجوز أن لا يكون. وقد يراد بالنفي إثبات المقابلة[6] أيضا، قال الله تعالى: فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ،[7] فكان في نفي الربح إثباتُ المقابلة[8] في أنها خسرت.

ثم إكرام اليتيم هاهنا يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها أن يكرمه في أن يحفظ عليه مالَه حتى لا يُضيعه ويكرمَه في نفسه، وهو أن يتعاهد أحوالَه عن أن يدخل فيها خللٌ.[9] والوجه الثاني أن يكرمه فيعلِّمه آدابَ الشريعة ويرشدَه إليها. والوجه الثالث أن يكرمه فيَبذُل له من ماله[10] قدرَ حاجته[11] إليه، ويصطنع إليه المعروف. فيكون التعبير هاهنا في إهانة اليتيم أن يترك الإكرام الذي هو من باب حفظ ماله فيكون تضييعا. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م – منه لشكر.
[2] ر م ث: لنعم.
[3] ن ث م: وبل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤١ظ.
[4] ر م: لا يكرمون و يهينوه؛ ن ث: لا يكرموه ويهينوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: حرام.
[6] ر ث م – وهو الجور بل يجوز أن يكون جائرا ويجوز أن لا يكون وقد يراد بالنفي إثبات المقابلة.
[7] سورة البقرة، ١٦/٢.
[8] ن – أيضا قال الله تعالى: فما ربحت تجارتهم فكان في نفي الربح إثبات المقابلة.
[9] ث: الخلل.
[10] ر م: من له.
[11] م: حاجة.

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل **ولا تحاضون على طعام المسكين**، أي لا تَحُثّون[1] غيرَهم على إطعام المسكين.[2] وجائز أن لا يحضّوا[3] ولا يتولّوا[4] بأنفسهم الإطعام. ويحتمل أن لا يَنُوا ذلك بأنفسهم ويحضّون غيرَهم. ففي هذه الآية ترغيبُ للمسلمين بإكرام اليتيم وتعاهدِ ماله، وتبيينٌ[5] أنّ عليهم أن يُطعموا بأنفسهم وأن يحثُّوا الأغنياء بإطعام المساكين. ***والله أعلم***.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وتأكلون التراث أكلا لما**، فاللمّ الجمع، يقال: لَمَّ المال، إذا جمعَ. فكأنه يقول: يجمعون ما لم يرِثوه بأنفسهم -وذلك نصيب الأيتام- إلى ما يرثون[6] من أنصبائهم فيأكلون جميعا، فيكون في هذا تثبيت الإهانة منهم للأيتام. وقال بعضهم: **تأكلون التراث أكلا لَمّا**، أي شديدا.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وتحبّون المال حبّا جمّا**، قال أبو بكر: أي تحبونه[7] حبّا وَفيّا وافرا ليس فيه قصور. فيكون فيه إخبار عن غاية حبّهم الدنيا وشدة حرصهم عليها. وجائز أن يكون على التقديم والتأخير، وهو أنهم يحبّون المال الجمّ حبّا، أي المالَ الكثير.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٢١]

وقوله: **كلا**، ردع وتنبيه. فمنهم من ردّ هذا الردع إلى قوله: رَبِّي أَكْرَمَنِ، ورَبِّي أَهَانَنِ،[8] فكأنه يقول: كلّا ليست هذه الدار دارَ جزاء فيكونَ الإكرام والإهانة بحق الجزاء، وإنما دار محنة وابتلاء. ومنهم من حمله على الابتداء، فقال: **كلا إذا دكت الأرض دكا دكا**، بمعنى حقا.

---

[1] جميع النسخ: لا يحثون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٢و.
[2] ن: المساكين.
[3] جميع النسخ: أن يحضوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: ولا يلو؛ ث: ولا سوا.
[5] ر م: وبيين.
[6] جميع النسخ: يرثوا
[7] ن: يحبونه.
[8] الآية ١٥ و ١٦ من هذه السورة.

يخبر عن ندمه في تركه[1] إكرام اليتيم وترك إطعام المسكين والحض عليه. **إذا دكت الأرض،** أي دُقّت وكسرت، وذلك يومُ الحساب والبعث.

**﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢٢]**

وقوله عز وجل: **وجاء ربك والملك صفا صفا،** يحتمل أوجها. أحدها أن يكون معناه: وجاء ربك بالملك؛ إذ يجوز أن يستعمل الواو مكان الباء. ألا ترى إلى قوله تعالى: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ،[2] ومعناه: بربك. وإذا حمل على هذا ارتفعت الشبهة واتضح الأمر؛ لأنه لو كان قال: وجاء ربك بالملك لكان لا ينصرف وهمُ أحد إلى الانتقال من مكان إلى مكان. وقال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[3] ومعناه -والله أعلم- بظلل من الغمام؛ لأنه قال في موضع آخر: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ؛[4] فثبت أن معناه ما ذكرنا، وإذا ثبت هذا ارتفع الريب والإشكال.

ومنهم من ذكر أن معنى قوله: **وجاء ربك،** وقوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ، أي أمرُ الله، دليله ما ذكر في سورة النحل، قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ،[5] فذكر مكان قوله: "وجاء ربك"، "أمر ربك".[6]

ويحتمل أن يكون قوله: **وجاء ربك،** أي جاء وعدُه ووعيدُه، فنسب المجيء إلى الله تعالى وإن لم يكن ذلك وصفا له؛ لأنه يجوز[7] أن تنسب[8] آثار الأفعال إلى الله تعالى نسبةَ حقيقة الفعل وإن لم يوصف به، كما قال الله تعالى: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[9] فأضيف النفخ إليه وإن لم يوصف بأنه نافخ. وقال: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،[10] فأضيفت[11] الكتابة إليه

---

[1] ر م: عن مذمة في تركه.
[2] سورة المائدة، ٢٤/٥.
[3] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[4] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.
[5] سورة النحل، ٣٣/١٦.
[6] ث: قوله وجاء أمر ربك.
[7] جميع النسخ: لا يجوز. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٢و.
[8] جميع النسخ: أن ينسب.
[9] سورة التحريم، ١٢/٦٦.
[10] سورة المائدة، ٤٥/٥.
[11] ر: فإضافة.

وإن لم يوصف بأنه كاتب[1] لِما أنّ ما ظهر من آثار فعله. ويقال: المطر رحمة الله، أي من[2] آثار رحمته، لا أن يكون المطر صفة له. ويقال: الصلاة أمر الله، والزكاة أمر الله، أي بأمر الله يُصلّى وبأمره يزكّى، لا أن تكونا[3] وصفين له.

ووجه آخر أن يكون معنى قوله تعالى: **وجاء ربك**، أي جاء الوقت الذي به صار إنشاءُ هذا العالم حكمةً؛ إذ لولا البعث للجزاء لكان إنشاءُ هذا العالم ثم الإهلاكُ خارجا مخرج العبث لِما وصفناه من قبلُ بقوله:[4] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[5] فثبتَ أنّ خلقه إنما صار حكمةً بالبعث. وقال الله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[6] وقد كان المُلك له قبلَ ذلك اليوم ولكن مُلكُه لكل أحد يتبيّن في ذلك الوقت. وقال: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[7] وقد كان كلُّ شيء له بارزا، ولكن معناه أنه أتى الوقت الذي له برزَ الخلائقُ.

ثم الأصل في كل ما أضيف إلى الله تعالى أن تنظر[8] إلى ما يليق أن يوصل بالمضاف إليه فتصِلَه به وتجعلَه مضمرا فيه. قال الله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[9] ولم يفهم إثباتُ الحضور، وكان معناه أنّ علمه محيط / بهم، وهو مطّلع عليهم. وقال: [٩٠٥ظ] فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا،[10] لم يفهم به الانتقال بل كان معناه أنه جاءهم بأسُه، وجاء لأوليائه نصرُه. وقال:[11] قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ،[12] ولم يفهم بهذا الإتيان ما فهم من الإتيان الذي يضاف إلى الخلق.

---

[1] ث: كانت.
[2] ر م – من.
[3] جميع النسخ: لا أن يكونا.
[4] ث: لقوله.
[5] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[6] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[7] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[8] جميع النسخ: أن ينظر.
[9] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ (سورة المجادلة، ٧/٥٨).
[10] ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (سورة الحشر، ٢/٥٩).
[11] ر م: قال.
[12] سورة النحل، ٢٦/١٦.

وقال الله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ،[١] وكان معناه إن تنصروا دينَ الله، لا أن الله تعالى يَلحقه ضعفٌ يحتاج إلى من يُقوّيه. وقال الله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ،[٢] وكان معناه أنّه يُحذِّركم عذابَه، لا أن أريد به تحقيقُ النفس. ومثل هذا في القرآن أكثر[٣] من أن يحصى. فثبت أنّ محل الإضافات ما ذكرنا، فلذلك حُمِل على الوعد والوعيد أو على الوقت الذي صار خلق العالَم حكمة أو على ما صَلَح فيه من الإضمار.

ومما يدلّ على أنه لا يُفهَم بالمجيء معنى واحدٌ[٤] بل يقتضي معانيَ أنّ المجيء إذا أضيف إلى الأعراض[٥] فُهِم به غيرُ الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام؛ فإنه إذا أضيف إلى الأعراض[٦] أريد به الظهور. قال الله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ،[٧] ومعناه إذا ظهر نصره، ولم يُرَد به الانتقال. ولو كان مضافا إلى الجسم فُهِم منه الانتقال من موضع إلى موضع، وقال الله تعالى:[٨] وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[٩] ومعناه ظهر الحقّ واضمحلّ الباطل، لا أن كان[١٠] الحق في مكان فنقل عنه إلى غيره فثبت أن المجيء إذا أضيف إلى شيء وجب أن يوصل به ما يليق به لا أن يفهم به كلِّه معنى واحدٌ.[١١]

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حكاية عن الله تعالى: «من تقرّب إليّ شبرا تقرّبتُ إليه ذراعا، ومن تقرّبَ إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، ومن أتاني ساعيا أتيتُه هَرْوَلَةً»،[١٢] لم يفهم من هذا التقرّب[١٣] ما يفهم به إذا أضيف إلى الخلق، وكان معناه: من تقرّب إليّ بالطاعة والعبادة تقرّبت إليه بالتوفيق والنصر أو بالإحسان والإنعام. وقال موسى على نبينا

---

١ سورة محمد، ٧/٤٧.
٢ سورة آل عمران، ٢٨/٣.
٣ جميع النسخ: كثير. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٢ظ.
٤ ن ث: واحدا.
٥ ث: على الأعراض.
٦ ث – فهم به غير الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام فإنه إذا أضيف إلى الأعراض.
٧ سورة النصر، ١/١١٠.
٨ ن – الله تعالى.
٩ سورة الإسراء، ٨١/١٧.
١٠ جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
١١ جميع النسخ: واحدا. والتصحيح من المرجع السابق.
١٢ مسند أحمد بن حنبل، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ وصحيح مسلم، التوبة ١.
١٣ ر ث: التقريب.

وعليه الصلاة والسلام: «يا ربّ[1] أقريب أنتَ فأُناجيك أو بعيد فأناديك؟»[2] ولم يرد به المكان؛ وإنما أراد بقوله: أراضٍ أنتَ مني فأناجيك أو ساخط عليّ فأناديك في أنْ أُعينَ بالبكاء والتضرع.

ثم الأصل في المجيء المضافِ إلى الله تعالى أن يُتوقَّف فيه ولا يُقطَع الحكمُ على شيء؛ لما ذكرنا أن المجيء ليس يراد به وجه واحد؛[3] لأنه إذا أضيف إلى الأعراض أريد به غير الذي يراد به إذا أضيف إلى الأجسام والأشخاص. والله تعالى لا يوصف بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم من مجيء الأجسام، ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجيء الأعراض، فحقه الوقفُ في تفسيره مع اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه.[4] **والله أعلم**.

**﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[٢٣]**

وقوله عز وجل: **وجيء يومئذ بجهنم**، قيل فيه من أوجه. أحدهما أنها أُظهرت وبُرِّزت لأهلها، على ما قال في آية أخرى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[5] لا أنها كانت في مكان فنقلت عنه. وقد يراد بالمجيء الظهورُ، قال الله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[6] ومعناه: ظهر لكم، لا أن كان في مكان آخر فجيء[7] به إليهم. وقال بعضهم: جيء بأهلها إليها، أي إلى جهنم؛ فتكون[8] حقيقة المجيء من الأهل ثم نسب إليها؛ لأنهم إذا أتوها فقد أتتهم هي، وهو كقوله: إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،[9] فنسب الإتيان إلى الذي يأتيه الوعد، فيكون الوعد هو الذي يأتي أهله. وقال بعضهم: **وجيء يومئذ بجهنم**، أي تجيء زَفْرَتُها وشهيقها وتغيظها على أهلها، لا أن يُغَيَّرَ[10] عن مكانها. ومنهم من حمله على حقيقة المجيء فذكر أنه يؤتى بها، ولها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، على كل زمام سبعون ألف ملك.[11] **والله أعلم بذلك**.

---

[1] ن - يا رب.
[2] شعب الإيمان للبيهقي، ١٧١/٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٤٧٠/١.
[3] جميع النسخ: وجها واحدا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٢ظ.
[4] ر ث م: نسبة.
[5] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[6] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[7] جميع النسخ: يجيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] ﴿جنات عدنٍ التي وعد الرحمنُ عبادَه بالغيب إنه كان وعده مأتيا﴾ (سورة مريم، ٦١/١٩).
[10] ر: لا أن يعتبر؛ ن ث م: لا أن يغيّر. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» (صحيح مسلم، الجنة ٢٩؛ وسنن الترمذي، صفة جهنم ١).

وقوله عز وجل: **يومئذ يتذكر الإنسان**، يحتمل أن يتذكر إشفاقَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونصيحتهم[١] لهم، فيعلم أنه كان فيما توهّم بهم من الظنون الفاسدة مبطلا، فيكون تذكّره[٢] ذلك تصديقًا منه للرسل عليهم الصلاة والسلام. **وأنى له الذكرى**، أي لا ينفعه تصديقُه إيّاهم، إذ[٣] لم يصدّقهم في الدنيا. أو يتذكّر في أن يتلهّف على ما فرّط في جنب الله من التقصير في حقوقه والتضييع الذي سبق منه حيث لم يشكر نعمَه ولم يوجّه إليه العبادة، فيكون تلهفُه[٤] ذلك إيمانا، ولكن لا ينفعه تلهفُه في ذلك الوقت؛ لأن تلك الدار ليست بدار امتحان بل [هي][٥] دار جزاء. والذي يحمله على التصديق مشاهدته الجزاء والحِساب، وعند المشاهدة ترتفع[٦] المحنة، ويكون إيمانه ذلك ضروريا، لا حقيقة؛ فلذلك لا ينفعه، وإنما ينفعه الطاعة وقتَ تَمكُّنِه نفسه. فأما إذا خرج مِلْكُ نفسه من يده لم يقع له بالإيمان جدوى. وقال بعضهم: **يتذكر الإنسان**، أي يتعظ، **وأنى له الذكرى**، أي أنّى له الانتفاع بالموعظة.

ثم في هذا التذكّر[٧] بيان لطف من الله تعالى يُعطيه حتى يتذكّر، وإلا فالإنسان يذهب عنه ما قد كتبه في وقت إذا أتى عليه حينٌ، حتى لو أراد أن يتذكّر وقتَ كتابته لم يقدِر / عليه. [٩٠٦و]

**﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٢٤]**

ثم الله تعالى يذكّره في الآخرة جميعَ ما سبق منه في الدنيا فيتذكر ذلك فيقول: **يا ليتني قدّمت لحياتي**، أي يا ليتني قدمت لنفسي حياةً تَسْلَمُ[٨] لي، أو حياة تَبْقَى[٩] لي لذتها، فهذا هو تلهفُه[١٠] وتذكُّره[١١] في ذلك اليوم، يتلهف على ما فاته من الخيرات، ويندم على ارتكابه المعاصي وكفرانِه نعمَ الله تعالى.

---

[١] ر م: وليصحبهم.
[٢] ر م: يذكره.
[٣] د: إذ.
[٤] ن: يلهفه.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٢ظ.
[٦] د: يرتفع.
[٧] ر م: التذكير؛ ن: في هذه التذكير.
[٨] جميع النسخ: يسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[٩] جميع النسخ: يبقى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: يلهفه.
[١١] ر ن م: ويذكره.

ومعنى قولنا: "حياةً تسمم[1] لي أو أتبذذ[2] بها" هو أنَّ الكافر وإن كانت[3] له حياة في الظاهر فإنما حياته للتعذيب، فتلك له في الحقيقة ليست بحياة بل هي إهلاك. ألا ترى أنّ الإنسان إذا أخذ في النزع فهو في ذلك الوقت حيٌ بعدُ، لكن حياتُه للإهلاك فليست هي في الحقيقة حياة لكنها[4] إهلاك؛ فعلى ذلك حياة المخلَّد في النار.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾[٢٥] ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**، قرئت هذه الآية على نصب الذال والثاء، وعلى الخفض منهما.[5] فمن قرأها على الخفض فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن العذاب في الدنيا[6] وإن اشتدّ من الملوك على الإنسان فهو لا يبلغ عذابَ الله تعالى لأعدائه في الآخرة وإن خفّ. أو **لا يعذِّب عذابه أحد**، أي لا ينبغي لأحد في الدنيا أن يُعذِّبَ أحدا بعذاب الله تعالى وهو النار، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يعذِّب أحد بعذاب الله».[7] فإن كان على النصب فهو يحتمل وجهين أيضا. أحدهما أن يكون التأويل منصرفا إلى صنف من الكفرة، وهم الذين بلغوا في الكفر أعلى مراتبه، فلا يعذَّب مَن دونهم بعذابهم. والثاني لا يعذَّب أحدٌ مكان أحدٍ كما يفعله ملوكُ الدنيا في أنهم يعذِّبون الوالدَ مكانَ الولد، ويعذِّبون متّصلي الذين استوجبوا العذاب.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[٢٧] ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢٨] ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾[٢٩] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **يا أيتها النفس المطمئنة**، فالمطمئنة هي الساكنة التي لا ترتاب ولا تضطرب،[8] فتكون[9] طُمَأْنِينَتُها بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه وتوحيده. ثم يجوز أن يكون هذا في أمر الدنيا

---

[1] جميع النسخ: يسمم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ر م: فلتبذذ؛ ن ث: فأتبذذ. والتصحيح من مرجع السابق.
[3] ر: فإن كانت.
[4] ن: كنها.
[5] قرأ الكسائي ويعقوب: "لَا يُعَذَّبُ" "وَلَا يُوثَقُ" بفتح الدال والثاء، وقرأ الباقون: ﴿لَا يُعَذِّبُ﴾ ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بكسر الدال والثاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧١).
[6] ث + في الدنيا.
[7] مسند أحمد بن حنبل، ٢٨٢/١؛ وصحيح *البخاري*، الجهاد ١٤٩؛ وسنن النسائي، تحريم الدم ١٤.
[8] جميع النسخ: لا يرتاب ولا يضطرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[9] ر ث م: فتكون؛ ن: فيكون.

فيكون قوله عز وجل: **ارجعي إلى ربك**، أي ارجعي إلى ما أمرك ربك، **راضية**، بوعد الله ووعيده، فتكون[1] راضية بالذي وُعد ها[2] في الآخرة جزاء لِكَدْحها وسعيها في الدنيا، **مرضية**، عند الله تعالى. **فادخلي في عبادي**، أي مع[3] عبادي الصالحين. **وادخلي جنتي**، أي دخلي بما[4] تستوجب به الجنةَ. وجائز أن يكون هذا في الآخرة، وهو أن[5] يقال للنفس التي اطمأنت[6] في الدنيا بوعد الله تعالى ووعيده وعملت بطاعته: **ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**. وقيل: **يا أيتها النفس المطمئنة** بالدنيا **ارجعي** إلى طلب الآخرة وما أعدّ الله لأوليائه فيها. وقيل: **المطمئنة**، على عبادة[7] [غير الله][8] **ارجعي** إلى طاعة الله تعالى، فإنكِ إذا فعلت ذلك رضي الله عنك ورضيتِ بعطاء الله وثوابه إياكِ في الآخرة. ***والله تعالى أعلم بالصواب***.[9]

---

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ر ث م: وعدها.
[3] ر م – مع
[4] جميع النسخ: فيما.
[5] ر م – أن.
[6] جميع النسخ: اطمئن. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: على عباده. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ر ن ث: والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة البلد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[١]**

قوله عز وجل: **لا أقسم بهذا البلد**، اختلف في قوله: **لا**.[2] قال بعضهم: **لا** هاهنا في موضع الدفع والردّ[3] لمنازعة كانت بين قوم، فدفعَ الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله: **لا**. وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فَتَرك ذكرَها لذلك، كما ذَكَر الجوابَ في بعض السور ولم يذكر السؤال لِما كان السؤال عندهم معروفا فترك ذكره، وهو كقوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[4] وغير ذلك. ومنهم من يقول بأن حرف **لا** مرة تستعمل[5] في حق الصلة والتأكيد، ومرة في موضع النفي، فيظهر مرادُه بما يُعقِبه من الكلام؛ فإن[6] كان الذي يعقبه إثباتا فهو بحق التأكيد، وإن كان الذي يعقبه من الكلام نفيا فهو في موضع النفي. ثم الذي عَقَبه [هنا] من الكلام إثبات وليس بنفي، فدلّ أنه في موضع التأكيد، فكأنه قال: لَأُقسم[7] بهذا البلد.

---

[1] ر – سورة البلد؛ ن م: سورة لا أقسم بهذ البلد؛ ث + وهي عشرون آيات مكية.

[2] ر – لا.

[3] م: في موضع الرد.

[4] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[5] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٣و.

[6] ث: وإن.

[7] ر م: لا أقسم.

ثم كان حقه أن يُقرَأ: "لأقسمنّ بهذا البلد" بإثبات النون، كما يقال: "لأفعلنّ" في اليمين، لكن نون التأكيد قد تذكر[1] في موضع وقد لا تذكر، قال تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.[2] والله أعلم.

وقوله عز وجل: **بهذا البلد**، قالوا: أريد **بهذا البلد** مكةُ، فاقسم بها بما عظّم شأنها بما سبق ذكرنا له،[3] وبخاصة[4] هي معظّمة في أعين أهلها. ثم كان من عادة الكفرة القسَمُ بكل ما يعظّمونه، فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرَت به العادة فيما بينهم ليؤكِّد ما قصد إليه بالقسم فيُزيلَ عنهم الشبهة[5] التي اعترضت لهم.[6]

## ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد**، قال بعضهم: وأنت نازلها، من الحُلول، وقال بعضهم: وأنت حَلال بهذا البلد. والحِلّ والحَلال لغتان. فإن كان على هذا فالحِلّ غير منصرف إلى نفسه وإنما انصرف إلى ما أُحلّ له؛ لأنه لا يجوز أن يكون هو بنفسه حلالا أو حراما. فالحِلّ والحرمة إذا أضيفا[7] إلى من له الحلّ والحرمة فإنما يراد بالحل والحرمة[8] الشيءُ الذي أُحلّ له والشيء الذي حُرِم عليه، لا أن يكون الوصف راجعا إلى المضاف إليه. فإذا قيل: هذا محرَم، أريد به أنّ الأشياء / محرّمة عليه؛ وإذا قيل: هذا حلال ليس بمحرم، أريد به أن الأشياء له حلال. وإذا [٩٠٦ظ]
أضيفا[9] إلى من لا يُخاطَب بالحلّ والحرمة أريد بهما عين ذلك الشيء، كقوله: هذا لحم حلال أو صيد حلال، وهذا لحم[10] حرام، فيريد به[11] أن ذلك اللحم حلال وذلك الصيد حرام أو حلال.

---

[1] جميع النسخ: قد يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ﴿إنما جُعل السَّبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٤).
[3] انظر: تأويل الآية ٧ من سورة الشورى.
[4] جميع النسخ: وبخصة. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: الشبه.
[6] ر م - لهم.
[7] ر ت: إذا أضيف.
[8] ت - فإنما يراد بالحل والحرمة.
[9] ر ت م: وإذ أضيفا.
[10] ت: الخمر.
[11] جميع النسخ: به. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٣ظ.

ثم حتلفوا في الذي أُحلّ له. فمنهم من صرفه إلى القتال فقال بأنه أحلّ له القتال فيها، وذلك يوم فتح مكة. ومنهم من قال بأنه أحلّ له الدخولُ فيها إذا جاء من الآفاق بغير إحرام، ولا يَحِلّ ذلك لغيره. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إنّ مكة حرام حرّمها الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض والشمس والقمرَ ووضع هذين الجبلين. لم تحلّ[1] لأحد قبلي ولا تحل[2] لأحد بعدي، ولم تحل[3] لي إلا ساعة من نهار وهي ساعتي هذه. هي[4] حرام بحرام الله تعالى إلى يوم القيامة: لا يُختَلَى خلاها[5] ولا يُعضَد شَوْكُها ولا يُنفَّر صيدُها ولا يُرفع لُقَطَتُها إلا مَن نَشَدها».[6] فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإِذْخِرَ، يا رسول الله، فإنه لا غنا لأهل مكة عنه للقبر والبنيان.[7] فقال عليه السلام: «إلا الإذخر».[8] فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أحلت له ساعةً من نهار. والحِلّ يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. وذكر أبو بكر الأصمّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه أهلُ مكة فيتأذّى[9] بهم فيخرج من بين أظهرهم فيحلّ له الصيد في ذلك الوقت. ولكن لا يسع صرفُ التأويل إلى هذا إذ لا يعرف مثل هذا إلا بالخبر والنقل. ثم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه "إلا الإِذْخر" دلالة أنّ التحريم لم يكن منصرفا إليه، ولا يحتمل أن يكون التحريم شاملا له. ثم استثناه مما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة أهل مكة إليه لِما لم يكن بين ما ذُكر من التحريم والتحليل كثيرُ مدة يجرى في مثلها النسخ، ولكن تُرِك بيانُ الحِلّ إلى أن سأله العباس رضي الله عنه ثم بيّن. وهو دليل قول أصحابنا –رحمهم الله– أنّ تأخير البيان جائز.

---

[1] جميع النسخ: لم يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[2] جميع النسخ: ولا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] جميع النسخ: ولم يحل. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م – هي.
[5] في حديث تحريم مكة: «لا يختلى خلاها»، الخلا، مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا، واختلاؤه: قطعه (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «خلا»).
[6] ر ث م: إلا من سدها.
[7] ن ث: لسغير والشان.
[8] الإذخر بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسقَّف بها البيوت فوق الخشب (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «إذخر»). مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٩، ٣١٥؛ وصحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٩، الجزية ٢٢، المغازي ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.
[9] ن: ويتأذى.

ثم قوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد،** يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون القسم منصرفا إلى نفسه، فأقسم به لِما عظّم من أمره وشأنه كأنه قال عز وجل: لا، أقسم بهذا البلد وبالذي هو حِلٌّ بهذا البلد. أو يكون منصرفا إلى مكة ويكون قوله: **وأنت حل بهذا البلد،** خَرَج مَخرج التعريف لمكة لكونه فيها، أي البلد الذي أنت نازل[1] به وحالّ به أو حلال فيه.

## ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [٣]

وقوله عز وجل: **ووالد وما ولد،** قال بعضهم: الوالد هو آدم عليه السلام، **وما ولد،** هم[2] أولاده وذريته، ولكن آدم وأولاده ليسوا بمخصوصين[3] بالدخول تحت اسم الوالد والولد، بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين؛ فيكون القسم بالخلائق أجمع، ويكون **ما** على هذا التأويل بمعنى "الذي".[4] ومنهم[5] من جعل **ما**[6] "ما" جحدٍ فقال: **وما ولد،** أي الذي لا يلد، وهو العاقر؛ فاقسم بالبشر جملةً: من يلد منهم ومن لا يلد.[7] وأقسم بهم أيضا لِما جعلهم مفضَّلين على كثير من الخلائق.

## ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **لقد خلنا الإنسان في كبد.** فعلى هذا [القول] موقع القسم.[8] ثم اختلفوا **في كبد.**[9] فقال بعضهم: الكبد الانتصاب، أخبر أنه[10] خلق الإنسان مُنتصِبا، وخلَق كلَّ دابة مُنكَبًّا. وقال بعضهم: الكَبَد الشدة والمعاناة. وقال بعضهم: خلقه منتصِبا في بطن أمه، ثم يُقلَب وقتَ الانفصال.

---

[1] ن: تارك.
[2] ر م – هم.
[3] ر ث م: مخصوصين.
[4] ن: والدي؛ ث: والذي ولد.
[5] ن – ومنهم.
[6] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[7] ن: ومن يلد.
[8] أي فعلى التأويل الأخير من كون القسم بالبشر جملة: من يلد منهم ومن لا يلد يكون موضع القسم قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.
[9] ث م – فعلى هذا موقع القسم ثم اختلفوا في كبد.
[10] م – أنه.

ولقائل أن يقول: أيُّ حكمة في ذكر هذا وفي تأكيده[1] بالقسم، وكلٌّ يعلم أنه خُلق كذلك؟

فجوابه أنّ في ذكر هذا [وفي تأكيده بالقسم][2] إبانةَ أنهم لم يُخلَقوا عبثا باطلا، بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويأمرهم بالعبادة. كما قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[3] فإن كان التأويل منصرفا إلى الشدة والمعاناه فتأويله أنه خلقهم لِيُكابِدُوا للمعاش والمعاد جميعا، وخلقهم للشدة ليعتبروا ويتذكروا. وإن كان منصرفا إلى الانتصاب ففيه تعريفٌ لِعِظَم نِعَم الله تعالى عليهم من غير أن كانوا مستوجبين لذلك ليستأدي منهم الشكرَ بذلك. وإن كان التأويل على ما ذُكر أنه خلقه منتصبا في بطن أمه ثم يُقلَّب وقتَ الانفصال ففيه أنّ الله تعالى قادرٌ على ما يشاء وأنّه لا يُعجزه شيء، لأنه[4] لا يتهيأ[5] لأحد أن يُقلِب[6] أحدا فيجعلَ أعلاه أسفله إلا أن يجد مثله في المكان سعة، ثم إن الله تعالى قَلَبه فجعل[7] أعلاه أسفلَه في ذلك المكان الضيق ليتبيّن[8] لهم أنه لا يُعجزه شيءٌ فيحملَهم ذلك على الإيمان بالبعث والنشور. *والله أعلم*.

ومعنى قوله: **لقد خلقنا الإنسان في كبد**، عندنا: لقد خلقنا الإنسان لما له يُكابِد، فإن كانت مكابدته في طاعة الله تعالى وكان مؤثِرا لها فقد خلق للجنة،[9] وإن كانت مكابدته في أمر الشيطان فهو للنار خُلق. وعلى هذا يخرج قوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[10] أي ذرأ مَن يعلم أنه يؤثِر طاعة الشيطان وعصيان[11] الرحمن لجهنم، وذرأ مَن يعلم أنه يعبد الله ويوحده للعبادة [للجنة] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[12]

---

[1] ر م: هذا أو في تأكيده.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[3] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[4] ن: أنه.
[5] م: تهيأ.
[6] ر م: أن القلب.
[7] جميع النسخ: فجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[8] جميع النسخ: فيتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: الجنة. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[11] ن: وعصان.
[12] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

[٩٠٧و] والأصل أن الحكيم[1] يقصد بفعله العاقبة إلا الذي ليست له معرفة بالعاقبة، فأما مَن عرف العاقبة فابتداءُ فعله يقع لتلك العاقبة، فإن كانت عاقبته[2] النارَ فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه، وإن كانت عاقبته الجنة فهو لذلك الوجه ما خُلق. فعلى ذلك يُخرَّج تأويل[3] قوله عليه السلام: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه».[4] وهو لا يوصف[5] بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت، ولكن معناه أنه إذا آثر الشقاوة في حالة الامتحان خلق لذلك،[6] وإذا آثر السعادة فكذلك[7] أيضا. وقال نوح عليه السلام: وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا،[8] وهم في وقتٍ ما وُلدوا غيرُ موصوفين بواحد من الوصفين بل يصيرون[9] كذلك، فتبين أنهم خلقوا لذلك. فموقع القسم على ما له يُكابِد ليس على المكابدة نفسها، لأن المكابدة[10] من الإنسان ظاهرة لا يحتاج إلى تأكيدها بالقسم. وقولنا: إن المقصود من ابتداء الفعل العاقبةُ[11] قولُ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أردت أمرا فدَبِّر عاقبته فإن كانت رشدا فأَمضِه وإن كانت غيًا فانته».[12]

وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لم يخلق أحدا من البشر إلا ليعبده، ولو كان الأمر على ما زعموا وظنوا لأدى ذلك إلى الجهل بالعواقب، أو أوجب[13] أن يكون الفعل خارجا مخرج الخطأ؛ لأن كلّ من صنع أمرا يريد غير الذي يكون يكون[14] جاهلا بالعواقب أو عابثا بالفعل، لأن من بنى[15] لشيء يعلم أنه لا يكون عُدّ ذلك منه عبثا، ولو كان غيرَ الذي يريده

[1] جميع النسخ والشرح: أن الحكم أبدا.
[2] م: كان عاقبة.
[3] ر م: تأويله.
[4] *كشف الأستار عن زوائد البزار* لهيثمي، ٢٣/٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٥٤٨/١.
[5] ر ث م: وهؤلاء يوصف.
[6] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[7] ر ن ث: فبذلك.
[8] ﴿إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (سورة نوح، ٢٧/٧١).
[9] ر ن م: بل يصيروا.
[10] ر + نفسها.
[11] ر ث م – العاقبة.
[12] *كتاب الزهد* لابن المبارك، ١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٦٥/١١.
[13] جميع النسخ: أو وجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[14] جميع النسخ – يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر م: من أنشأ؛ ث: من نشأ.

وهو أن يبني ليسكن فيه[1] ثم ينتقض قبل أن يسكن كان الذي حمله على البناء جهله بالعواقب. وجلّ الله تعالى من أن يلحقه خطأٌ في التدبير أو جهلٌ بالعواقب. فثبت بما ذكرنا أن الله تعالى شاء لكل فريق ما علم الذي يكون منهم، وخلقهم لذلك الوجه دون أن يكون تحقّق الحكمة لعبادة. والله أعلم.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[٥] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾[٦] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت ما لا لبدا أيحسب أن لم يره أحد**، فالآية تحتمل[2] وجهين. أحدهما أن يكون يحسب أنّ الله تعالى لا يقدر على بعثه، فيكون قوله: **أحد**، هو الله تعالى. **يقول أهلكت ما لا لبدا** -أي جمًّا- **أيحسب أن لم يره أحد**، أي أنفقتُ منه مقدارَ ما يخرج عن حد[3] الإحصاء. وقوله:[4] **لم يره أحد**، أي لم يعلم أحد مبلغ ما أنفق من ذلك. أو يكون قوله: **أيحسب أن لم يره أحد**، أي لم يعلم[5] [أحد من][6] أتباعه الذين أنفق عليهم مقدارَ ما أنفق عليهم؛ فيكون في قوله تعالى: **أهلكت مالا لبدا** إظهارٌ منه لسخاوته[7] وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانٌ[8] منه على أتباعه. فإن كان على هذا فهو في أمر الدنيا. وقد علِم الله[9] القدرَ الذي أنفق عليهم[10] وعَلِمَ الخلق سخاوته لا بقوله. فليس اشتغاله في إظهار الجود والامتنان إلا نوع من السفه، وكان الذي يحق عليه الاشتغالَ بالشكر لله تعالى أو توجيهَ الحمد إليه، لِما علم أن الذي أُنعِم به من المال الكثير من الله تعالى وأن تلك المَنْقَبة -وهي السخاوة- نالها بالله تعالى. وهذا كقوله تعالى: فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ،[11]

---

[1] ت - فيه.

[2] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.

[3] ر م - حد.

[4] ت: قوله.

[5] ن: لم تعلم.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: لسخاوة.

[8] جميع النسخ: و متنانا

[9] ن: وقد علم أتباعه.

[10] ن + فإن كان على هذا.

[11] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.

أي آباؤكم[١] لم ينالوا ما تذكرون[٢] من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.[٣] وهذا النوع من الافتخار راجع إلى الخصائص من القوم[٤] لا إلى الجملة، إذ كلُّ أحد يقول مثل ذلك أنه أهلك مالا لبدا أو فعل كذا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾[٨] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين،** فإن كان قوله: أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ،[٥] على نفي القدرة على البعث ففي ذكر العين نفيُ تلك الشبهة، وهو أن الله تعالى أنشأ له بصرا[٦] يرى بِفَتْحة واحدة ما بين السماء والأرض، فمن بلغت قدرتُه هذا لا يجوز أن يُعجزه[٧] شيءٌ أو يخفى عليه أمرٌ. فقوله: **ألم نجعل له عينين،** أي ألم نخلق له عينين يُدرك بهما المحسوسات بالنظر، وجعلنا لهما جُفُونا[٨] وأشفارا يدفع بهن[٩] القَذى عن عينيه ويُغمّضهما[١٠] بهن[١١] عن النظر إلى مالا يعينه.

وقوله عز وجل: **ولسانا،** أي خلقنا له لسانا يُحضِر به ما غاب واستتر. وقوله عز وجل: **وشفتين،** ففي خلق الشفتين وجهان من الحكمة. أحدهما أنه جعلهما طَبَقا يستران قُبحَ ما في فمه، ولولا هما لكان الناظر إليه وقتَ مَضْغِه الطعامَ أو شيئا من الأشياء استقذر ذلك منه. أو جعلهما[١٢] طَبَقا للسانه لئلا يمدّه ويستعمله فيما لا يعينه. فذَكّرهم عِظَم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستأدي منهم الشكر، وليعلموا أن الذي بلغت قدرته هذا ليس بالذي[١٣] يعجزه شيء.

---

[١] م – أي آباؤكم.
[٢] ن ث م: ما يذكرون.
[٣] ر – أي آباؤكم لم ينالوا ما تذكرون من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.
[٤] جميع النسخ: من القوة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٤ظ.
[٥] الآية ٥ من هذه السورة.
[٦] ر: بصيرا.
[٧] جميع النسخ: لا يعجزه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: حقوقا؛ ن ث: حفوفا.
[٩] ن: بهن.
[١٠] ث: ويعضهما.
[١١] ر ن م: ويعصهما بهن.
[١٢] جميع النسخ: وجعلهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] جميع النسخ: من الذي. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١٠]

وقوله: **وهديناه النجدين**، أي بيّنّا له[1] ما له وما عليه[2] وما يُحمَد[3] عيه وما يُذَمّ وما يَقبُح وما يَحسُن. والنجد الطريق، فبيّن لنخلق الطريقين جميعا طريقَ الخير والشر، ومكّنهم من الفعلين جميعا. وقال بعضهم: النجدان الثديان، أي هديناه الثديين في حالة الارتضاع.[4] ولكن التبيين[5] والهداية لم ينصرف إلى هذا / خصوصا، بل هذا من بعض ما هداه وبيّنه، فقد بيّن له غيره [٩٠٧ظ] من الأمور، ولا قيد في اللفظ فيُحمَل على الإطلاق والعموم.[6]

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[١١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾[١٢] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١٣] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[١٤] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[١٥] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا اقتحم العقبة**، قيل فيه من وجهين. أحدهما فهلّا اقتحم العقبة، والثاني أنه لم يقتحم. فإن كان على الأول فمعناه أن الذي قال: أنفقتُ مالا لُبَدا، كيف لا كان إنفاقه في فك الرقبة وفي الإنفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ به الجَهْدُ إلى أن لَصِق[7] بالتراب ويكونُ من جملة من آمن بالله تعالى وتواصَى[8] بالصبر والمرحمة، ليكون من أصحاب الميمنة ويكتسبَ[9] بذلك الحياة الطيبةَ في الآخرة. دون أن يكون إنفاقُه[10] في الملاهي وشهوات النفس فلم يُحصِّل لنفسه حمدا ولا أجرا في العقبى، بل صار من أصحاب المشأمة. فيكون ما بعد قوله: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا،[11] صلةً له وتفسيرا. وإن كان التأويل على النفي ففيه تكذيب [له][12] فيما زعم[13] أنه أنفق مالا لبدا.

---

[1] جميع النسخ: سأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.
[2] جميع النسخ: ما عيبه وما له. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ت: وما يحمل.
[4] جميع النسخ: الارضاع. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: التمن؛ ن: السين؛ م: السن.
[6] ن: والعموم.
[7] ر م: لصق.
[8] ر ت م: ويوصو.
[9] ت: ويكسب.
[10] ر ن ت: انفاقه.
[11] الآية ٦ من هذه السورة.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ر م: فيما يزعم.

فيقول: لو كان على ما يظنّ لظهر ذلك بفكّ[2] الرقاب والمؤاساة على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة. فيكون هذا كلُّه صلة قوله عز وجل: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا، أيضا.

ثم الكلام في العقبة من وجهين.[3] أحدهما على تحقيق العقبة، وهو أن يكون في النار عقبةٌ لا تُجاوَز ولا تقطع[4] إلا بما[5] ذُكِر من فكّ الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة، كقوله تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.[6] وقوله عز وجل: **وما أدراك ما العقبة**، على تحقيق العقبة. معناه وما أدراك[7] بما تقطع[8] تلك العقبة. ثم بيّن أنها تُقطَع[9] بما ذكر من فكّ الرقبة ونحوه. و[الثاني] جائز أن يكون على التمثيل لا على التحقيق. ووجهه أنه يشتدّ عليه تحمّل الْمُؤَنِ التي ذُكِر من فكّ الرقبة وإطعام المساكين ومواساة اليتيم، فتكون[10] العقبة كناية عن تحمل المؤن لا عن[11] العقبة نفسها، وهو كقوله: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ،[12] أن يصير الإيمان عليه في الشدة والثقل كأنه كُلِّف الصُّعودَ إلى السماء. ويشتدّ على الأول تحمّلُ المؤن كما يشتد عليه قَطْع العقبة والصعودُ عليها.

والاقتحام هو رمي النفس في المهالك، وقيل: الاقتحام هو تحمل المؤن. فإن كان على تحمل المؤن فوجهه ما ذكرنا أنْ كيف لم يحتمل هذه المؤنَ ليصير من أهل لميمنة؟ وإن كان على الرمي في المهالك[13] فكأنه يقول: قد أهلك نفسه بترك الإنفاق في الوجوه التي ذَكَرَ والإعراضِ عن الإيمان بالله وتركِه[14] فِكاكَ الرقبة.

---

[1] جميع النسخ: فنقول. والترجيح من الشرح، ورقة ٣٤٤ظ.
[2] ر ث م: يظهر على ذلك ففك.
[3] جميع النسخ: ثم قيل في لعقبة في وجهين. والترجيح من المرجع السابق.
[4] ر م: لا يتجاوز ولا يقصع؛ ن: ولا يقطع.
[5] ر م: الإيمان.
[6] ﴿ذَرْنِي ومن خلقتُ وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شُهودا ومهدتُ له تمهيدا ثم يطمع أن أزيدَ كلّا إنه كان لِآياتنا عنيد سأُرهقه صَعودا﴾ (سورة المدثر، ١١/٧٤-١٧).
[7] جميع النسخ: وما يدريك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: بما يقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ن م: يقطع.
[10] ر: فيكون.
[11] ث: لا على.
[12] سورة الأنعام، ١٢٥/٦.
[13] ر ث م + لم يحتمل هذه المؤن ليصير من أهل الميمنة
[14] جميع النسخ: فتركه. والتصحيح من المرجع السابق.

وروى أبو بكر الأصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: يا رسول الله دُلَّني على عمل أدخل به الجنة. فأمره بعتق النسمة وفكّ الرقبة. فقال السائل: أليسا هما واحدا؟[1] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، عتق النسمة أن تُعتقها،[2] وفكّ الرقبة أن تُعين على فِكاكها».[3] ففكاك الرقبة أن تُخلِّصها[4] من وجوه المهالك، وذلك يكون بالتخليص عن ذُلّ الرقّ، وأن ترى إنسانا هَمّ بقتلِ[5] آخَرَ بغير حق فتدفع[6] عن المظلوم شرَّ الظالم، وتراه يَغْرَق فتخلِّصه[7] عن ذلك فيكون في ذلك كلِّه فِكاكُ الرقبة عن المهالك لتكتسب بها الحياة الطيبة في الآخرة.

واختلف[8] القراء في هذا الحرف. فمنهم من قرأ: فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ[9] في يومٍ ذي مسغبة، على النصب.[10] ومنهم من قرأ: **فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ**، على الرفع. فإذا قرأته بالنصب فمعناه: هلّا فكَّ رقبةً أو أطعمَ، فيكون راجعا إلى تفسير الاقتحام. وإذا قرأته بالرفع انصرف التأويل إلى تفسير العقبة؛ فكأنه قال: قطعُ العقبةِ يكون بالفكّ وبما ذكرنا.

وذكر عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه أنه قال: كل ما في القرآن "وما أدراك" فقد أعلمه ودرّاه، وكلّ ما فيه "وما يدريك" فهو لم يُعلمه.[11] ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م: وحد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.

[2] ن - فقال السائل أليسا هما واحدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عتق النسبة أن تعتقها.

[3] عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علّمني عملا يُدخلني الجنة. فقال: «لئن كنتَ أقصرتَ الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفُكِّ الرقبة»، فقال: يا رسول الله أو ليست بواحدة، قال: «لا، إن عتق النسمة أن تَفرّد بعتقها، وفكّ الرقبة أن تعين في عتقها، والمِنْحة الوَكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع وَاسْقِ الظمآن وامر بالمعروف وَانْهَ عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فَكُفَّ لسانك إلا من الخير» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٩/٤). والمنحة الوَكوف: أي غزيرة اللبن. والفيء: أي الرجوع إليه بالإحسان.

[4] جميع النسخ: أن يخلصها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

[5] ن ث: يقتل.

[6] جميع النسخ: فيدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ث: فيخلصه.

[8] جميع النسخ: فاختلف. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر ث م: أو إطعام.

[10] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "فَكَّ" بفتح الكاف، "رَقَبَةً" بالنصب، "أَوْ أَطْعَمَ" بالنصب أيضا وفتح الألف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٣).

[11] ر م: لم يعلم. *زاد المسير* لأبي الفرج الجوزي، ١٣٤/٩؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦٦/٢٠.

**والمسغبة**: المجاعة.[1] وقوله عز وجل: **ذا مقربة**، أي قرابة منه. وقوله عز وجل: **أو مسكينا ذا متربة**، أي ألصق بطنَه بالتراب. وقيل: ليس له شيء يَحجُبه عن التراب.

ثم في قوله: **يتيما ذا مقربة**، دلالة وجوب حق اليتيم على القريب إذا كان محتاجا. فيكون فيه حجة لقول أصحابنا: إنّ اليتيم إذا كان محتاجا فُرضت نفقتُه على أقربائه. وفي قوله: **أو مسكينا ذا متربة**، دلالة أن المسكين الذي هذا[2] وصفه: وهو أن لا يكون بينه وبين التراب حائل، فكفايته تَلزم الخلقَ جملةً.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ثم كان من الذين آمنوا**، فتأويله أنه لا ينفعه فكُّ الرقبة ولا الإطعامُ حتى يكونَ مؤمنا، [ويكون] مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة، فإذا كان كذلك فحينئذ يُجعَل[3] قاطعا للعقبة. وجائز أن يكون الصبرُ أريد به الإيمانُ كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[4] أي آمنوا. والتواصي بالصبر وبالمرحمة هو الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر؛ إذ التواصي مأخوذ من الوصيّة، وهذا يوجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهيُ / عن المنكر في اعتقاد الإيمان. [٩٠٨و]

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أولئك أصحاب الميمنة**، أي أصحاب الميامن، وهم أهل اليُمن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[١٩] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة**، أي أصحاب الشُؤْم على أنفسهم، حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به نارا مؤصدة وهي[5] المُطْبَقة المبهمة. وَصْفُه الإطباقَ ما ذكر في آية أخرى، وذلك قوله عز وجل: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] وقوله تعالى:[7] أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا،[8] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: مجحة.
[2] جميع النسخ - هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[3] جميع النسخ: يحصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] سورة هود، ١١/١١.
[5] جميع النسخ + اسمؤصدة. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] سورة الزمر، ٣٩/١٦.
[7] ر م: وقال الله؛ ن ث: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ (سورة الكهف، ١٨/٢٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الشمس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **والشمس وضحاها**، قالوا: تأويله: والشمسِ[3] وَضَوْئِهِ، وقيل: وحرّها،[4] وقيل: ونهارِها. وهذا في موضع[5] القسم، وذلك لأن الله تعالى جعل في الشمس معانيَ تدلّ[6] على لطائف حكمته وعجائب[7] تدبيره، وجعلَها[8] في النهاية[9] من البركات وفي النهاية[10] من الآيات.

فمن عجيب تدبيره أنه جعل نورها بحيث يُهلِك نور الظلّ حتى إذا بدت[11] في مكان أذهبت[12] نورَ الظل ونور السراج ونور القمر، وسَتَرَ نورُها الكواكب عن أن تُرى،[13]

---

[1] ر – سورة الشمس؛ ن م: سورة والشمس وضحاها؛ ث + وهي خمس وعشر آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل؛ م: وقوله عز وجل.

[3] ن: لشمس.

[4] ر م: وجرها.

[5] م: وهذا موضع.

[6] ر ث: يدل.

[7] ن: وعجيب.

[8] ث: وجعل.

[9] ر: تدبيره في جعل النهاية؛ م: وجعل في النهار.

[10] ر م: وفي النهارية.

[11] ر م: حتى إذ بدأت.

[12] ن: أذهب.

[13] جميع النسخ: عن أن يرى. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٥و.

وجعلها بحيث يظهر بها هباءُ الهواء؛ فتبين[1] أن الهواء ذو هباء.[2] ألا ترى أنك إذا نظرت في المشكاة[3] حين سقوط[4] الشمس فيها تبيّن لك بها هباء الهواء.[5] ولو أراد أحد من الخلائق أن يتدارك المعنى الذي به استنارت هذه الشمس[6] كلَّ هذا[7] لم يقف عليه؟

ثم من بركتها[8] أنَّ بحرارتها مصالحَ الأغذية وبها مصالح النبات وبها يُكَوِّث[9] الحَبُّ وبها تَنضَج الفواكه. ومن عجيب تدبيره أنه جعلها بالنَّأْي عن كل شيء له بها صلاح، إذ لو دنت منها لكانت تُحرق الأشياء كلّها.

ومن آياتها أن جُعلت بحيث تسير وتقطع كلّ يوم مسيرة ألف عام ما يتعذر على الذي خُلق لسير والمشي قطعُ تلك المسافة بِمُدَدٍ[10] كثيرة. وهي أيضا تُظهر جودَ الربّ -جلّ جلاله- لأن منافعها تعم[11] الخلق كلّهم: بَرَّهم وفاجرَهم والوليَّ منهم والعدوَّ. فأقسم الله بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التي تعترض لهم في أمر[12] الدين: إما في التوحيد أو في الرسالة أو في البعث. **والله أعلم**.

**﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **والقمر إذا تلاها**، فجائز أن يَتلُوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني؛ فيكون ثانيها[13] في العمل فإنه يقع به صلاح الأغذية أيضا، وهو ينير[14] أيضا[15] إلا أنه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ[16] مبلغها. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: فبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[2] ر م: إذا هباء؛ ن ث: ذا هباء. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر: في المشكات.
[4] ر م: سقط.
[5] ن: الهوى.
[6] جميع النسخ: استنار هذا الشمس.
[7] ر م - هذا.
[8] ر: ثم من يرتكبها؛ ث: ثم من تركه.
[9] جميع النسخ: يكبس. كوَّث الزرعُ تكويثا: إذا صار أربع ورقات وخمس ورقات (*لسان العرب*، «كوث»).
[10] ر م: بمدة.
[11] ن: يعم.
[12] جميع النسخ: من أمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[13] ن: تانها.
[14] ر م: وهو يدسر.
[15] ث: وهو يسير أيض.
[16] ن: ولا مبلغ.

وقال بعضهم: **إذا تلاها**، أي يتلوها في أول ما يَهُلّ، فإنه إذا وجبت الشمس[١] في آخر اليوم من الشهر تلا غروبَها طلوعُ الهلال. وقال[٢] بعضهم: معناه[٣] أنه يتلوها إذا صار بدرا. وفي هذا دلالة أن منشئهما واحد، لأن منافعهما تعمّ[٤] الخلق جميعا، ولو لم يكن مدبرهما[٥] واحدا لكان لا تعمّ،[٦] بل يمنع كلُّ واحد منهما مُنشئه عن إيصال النفع إلى قوم عدوه.

**﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **والنهار إذا جلاها**، يحتمل أوجها.[٧] يحتمل أن يكون النهار جَلّى الدنيا، ويحتمل أن يكون جلى الأرض.[٨] ويحتمل أن يكون جلّى الشمس، ويحتمل أن يكون[٩] جلّى[١٠] الأبصارَ بنورها عن ظلمة الليل التي تغشاها.[١١]

**﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **والليل إذا يغشاها**، ينصرف إلى الأوجه التي ذكرنا أيضا، أي يغشى[١٢] الدنيا أو الأرض أو الشمس أو يغشى الأبصار بظلمتها[١٣] عن الخلائق. ***والله أعلم.***

ثم لليل[١٤] والنهار زيادةُ سلطان ليست للشمس ولا للقمر؛[١٥] لأن من سلطان الليل والنهار أنهما[١٦] يُفنيان الآجال ويقطعان الأعمار،[١٧] ولا يتهيأ لأحد الامتناع والتحرز من سلطانهما،

[١] وجبت الشمس: أي غابت.
[٢] ر ث م: بلا غروبها طلوع الهلال قال.
[٣] ر ث م - معناه.
[٤] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٥] ر: مدبرها.
[٦] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن - يحتمل أوجها.
[٨] ن ث: بالأرض.
[٩] جميع النسخ - يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: أن يجلي؛ ن: أن تجلي، بغير منقوطة.
[١١] جميع النسخ: يغشاها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر: د يعشى.
[١٣] ن: بظلمها.
[١٤] م: ثم الليل.
[١٥] ن: ولقمر.
[١٦] ث: بما.
[١٧] جميع النسخ: الأعمال. والتصحيح من المرجع لسابق

ويتهيأ للخلق دفعُ أذى الشمس والقمر عن أنفسهم بالحيل والأسباب؛ فكان في[1] ذكر الليل والنهار زيادةُ معنى ليس ذلك في ذكر[2] الشمس والقمر.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [٥]

وقوله عز وجل: **والسماء وما بناها**، قال الزجاج: **ما**، بمعنى "الذي"،[3] وقد يستعمل في مثله، كقول العرب: سبحان[4] ما سبّحت له السماوات والأرض، أي سبحان[5] الذي سبّحت له [السماوات والأرض].[6] وقال بعضهم: **ما**، هاهنا بمعنى مَنْ[7] كأنه يقول: والسماء ومَنْ بناها. وقال بعضهم: **ما**، هاهنا يجعل الفعل الماضي بمعنى المصدر؛ تقول:[8] أعجبني ما صنعت، أي أعجبني صنعتك،[9] فيكون معناه والسماءِ وبنائِها. فإن كان التأويل على الوجهين الأوّلين رجع[10] القسم إلى الله تعالى: **والسماء**، وإلى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل. وإن كان على التأويل الآخر رجع القسم إلى ما خَلَق وهو السماء، فإن بناء السماء عينها.

وقال أبو بكر الأصم: إن هذه المآت في قوله: **والسماء وما بناها**، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا،[11] تخرج[12] على التعجيب على شرط التقديم وإن كانت مؤخرة في اللفظ؛ [٩٠٨ظ] كأنه يقول:[13] / وما السماء؟ ثم أجاب: **بناها** بأن رفع سمكها وسواها[14] ورفعها بغير عمد ترونها.[15] ***والله أعلم***.

---

[1] ث + ذلك.
[2] ث: ليس في ذلك ذكر.
[3] ن - قال الزجاج ما بمعنى الذي.
[4] ر ث م: سبحن.
[5] ر ث م: سبحن.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣٣٢/٥.
[7] ر: مال.
[8] ن: يقول.
[9] ر: صعتك.
[10] ر م: يرجع.
[11] الآيتان التاليتان.
[12] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[13] ر ث م + الله تعالى.
[14] لقول الله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها﴾ (سورة النازعات، ٢٧/٧٩-٢٨).
[15] ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢).

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والأرض وما طحاها**، أي بسطها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ونفس وما سواها**، قالوا: تسويتها في أن خلقها باليدين والرجلين والعينين ونحوها. فإن كان على هذا فالتسوية يرجع إلى الأغلب لا إلى الجملة؛ إذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملةً، فيكون معناه: أنه سوّى أكثر النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين. وذلك جائز في الكلام، وهو كقوله تعالى: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،[١] وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا،[٢] ومعناه: أنه جعلها سكنا ومقرا لأكثر الخلائق لا للجملة، وجعلَ النهار لأكثر الخلائق معاشا لا للجملة. *والله أعلم*. وقيل: سوّى جوارحها وأطرفها ما لو لم تكن[٣] له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان، وهذا أعم[٤] من الأول. ويحتمل **سَوّاها**، على[٥] ما عليه مصلحتها فتملك[٦] التقلّبَ والتعيش ليس على ما عليه سائر الحيوان. ويحتمل وجها آخر، وهو أن يكون قوله: **سواها**، أي جعلها بحيث تحتمل[٧] الكلفة والمحنة، كقوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[٨] وتُميِّز[٩] بين القبيح والحسن، وتَعرف[١٠] عواقبَ الأمور من الخير والشر.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فألهمها فجورها وتقواها**، هذا[١١] يحتمل أوجها. أحدها أي بيّن لها فجورّها وتقواها وعلّمها. فمن زعم أن المعارف ضرورية خِلقةٍ يحتج بهذه الآية، فيقول: أخبر تعالى أنه علّمها فجورّها وتقواها، وأنه وضع في نفسه ما يعرف به قبحَ كلّ قبيح وحُسنَ كل حَسن.

---

[١] سورة الأنعام، ٦/٩٦.
[٢] سورة النبأ، ٧٨/١١.
[٣] جميع النسخ: ما لو لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٤] ر م: أعمر.
[٥] ر ث م + غير.
[٦] جميع النسخ: ويمسث. و*الشرح*: وتملك، ورقة ٣٤٥ظ.
[٧] جميع النسخ: احتمال
[٨] سورة القصص، ٢٨/١٤.
[٩] جميع النسخ: ويمر.
[١٠] جميع النسخ: ويعرف.
[١١] ر ث م: وهذ.

والأصل فيه عندنا أنه يُعرف حسن الأشياء وقبحُها جملةً ببداية العقول، ولكن العقول لا تعرف حسن كلِّ شيء على الإشارة إليه ولا قبحَ كلِّ قبيح على الإشارة إليه، وإنما يُعرَف ذلك إما بخبر يَرِد على ألسُن الرسل عليهم السلام أو باستعمال الفكر. ألا ترى أنك تجد النفس من طبعها أنها تألَف الملاذَّ والمنافع وتَنفِر[1] عن المكاره والآلام، ولكنها لا تعرف[2] معرفة كلِّ مُنتَفَعٍ على الإشارة إليه ولا مَضرةً[3] أعين الأشياء، وإنما تعرف[4] ذلك بالذوق. وكذلك العين تُدرك[5] الألوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه، بل العقل هو الذي يَفصل بينهما. فعلى ذلك قد جُعل في طبع العقل قبحُ القبائح جملةً وحسن الحسن ولكن لا يَفصل بينهما على الإشارة إلى كل في نفسه إلا بما ذكرنا.[6] فيكون قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**، أي جعل في نفسها ما يبيّن القبيح من الحسَن والخبيث من الطيّب ويبيّن قبح الفجور وحسن التقوى؛ فتلزمه[7] المحنة والكلفة بذلك. ثم يصل إلى معرفة ذلك إما بالرسل وإما باستعمال الفكر.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن يُلهِمَها تقواها إذ وَفّق بما لله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[8] فوعد الهداية بالجهاد، وقال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[9] ثم كانت الإجابة مضمّنة بشريطة[10] وهي أن يستجيب له الداعي فيما[11] دعاه إليه. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي،[12] وقال تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[13]

---

[1] ر ث م: وتنفي.
[2] ر ث م: لا يعرف؛ ن: لا يعم. والصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[3] جميع النسخ: ولا ضرارة. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: وإنما يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ث - إلا بما ذكرنا.
[7] جميع النسخ: ويلزمه؛ و*الشرح*: فيلزمه، ورقة ٣٤٦و.
[8] سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩.
[9] ن + فيما دعاه إليه. سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[10] جميع النسخ: شريطة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: إذ.
[12] سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[13] سورة البقرة، ٤٠/٢.

وقال: إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ،[1] الآية.[2] فثبت أن الذي يُلهَم التقوى هو الذي يقوم بوفاء ما عيه، فإذا قام به ألهمه التقوى وبيّن له سبيلَ الفجور.

وقال أبو بكر الأصمّ في قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**. أي ألزمها فجورها وتقواها، فيكون تقواها لها وفجورُها عليها. لا يؤخذ أحد بفجور أحد. وفي هذا دليل على أن التقوى إذا ذكر مفردا انصرف إلى الخيرات أجمعَ، وإذا قُرن به البِرّ والإعطاء انصرف إلى الاتقاء عن المحارم، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،[3] وإذا قيل: بَرّ واتقى[4] أريد به أنه بَرّ بكل ما يُحمَد عليه واتقى عن كلِّ ما يُذَمّ عيه فاعلُه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٩] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**، فموقعُ ما تقدّم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا. فقوله: **قد أفلح من زكاها**، في الآخرة، **وقد خاب من دساها**، في الآخرة؛ فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة[5] على ما يذكر في قوله: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى،[6] فيكون في هذا إيجابُ القول بالبعث من الوجه الذي نذكره[7] إن شاء الله تعالى.

ثم اختلفوا في تأويل الفلاح. قال بعضهم: **أفلح**، أي سَعِد، ومنهم من يقول: أي بقي في الخيرات، والفلاح البقاءُ. ومنهم من يقول: **أفلح**، أي فاز، والمُفلِح في الجملة هو الذي يَظفَر بما يَأْمُل وينجو عما يحذر، فيدخل في ذلك السعادة والبقاء والفوزُ.

وقوله: **من زَكّاها**، فجائز أن يكون منصرفا إلى الله تعالى، وجائز أن ينصرف إلى العبد. قال الله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ،[8] وقال الله تعالى:[9] قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ [فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا]،[10] فبين الله تعالى

[1] سورة المائدة، ١٢/٥.
[2] ث – الآية.
[3] سورة الليل، ٥/٩٢.
[4] ث – وإذا قيل بر واتقى.
[5] ر ث م – وقد خاب من دساها في الآخرة فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة.
[6] سورة الليل، ٤/٩٢.
[7] ن: يذكره.
[8] سورة النور، ٢١/٢٤.
[9] ر ن ث: وقال تعالى.
[10] سورة يونس، ٥٨/١٠.

أنه هو الذي تَفضّل[1] بتزكية من زَكّا. وجائز أن[2] يصرف إلى العبد فيكون[3] قوله: **زكّاها**، أي صاحبُها. وكذلك قوله: **وقد خاب من دَسّاها**، يحتمل هذين الوجهين. فيكون الله تعالى هو الذي [أنشأ فعلَ التزكّي و][4] أنشأ فعلَ الضلال؛ فيكون الفعل من حيث الإنشاء عن [٩٠٩و]
الله تعالى، ومن حيث الفعلُ من العبد.

ثم قوله: **من دسّاها**، أي أخفاها، وإخفاؤها أنه صيّرها بحيث لا تذكر[5] في المحافل إلا بالذم، وزكّى الآخرَ، أي[6] أظهرها حتى ينظر إليها الناس بعين التبجيل والتعظيم. وهكذا شأن المتقي أن يكون مبجّلا معظّما[7] فيما بين الخلق، والفاجر يعيش مذموما مُهانا فيما بين الخلق. أو يرجع الإظهار والإخفاء إلى الآخرة، فيُجَلّ[8] قدرُ المتقي المزكّى، ويُخمَل ذكرُ الفاجر.

وقوله عز وجل: **دَسّاها**، مِنْ دَسَّسْتُ، فأسقط السين وأبدل مكانها الياءَ.[9] ثم الإضافة في قوله: **دَسّاها**، إلى الله تعالى على خلق ذلك الفعل منه، وفي قوله: **من زكّاها**، على التوفيق.

## ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بطغواها**، ولم يبيّن لمن كذّبوا، وقد بيّنه في آية أخرى، فقال: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ.[10] وقوله عز وجل: **بطغواها**، يحتمل وجهين. أي لأجل معصيتها وطغيانها؛ إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركُهم التفكرَ في أمره، وإلا لو تفكروا

---

[1] ر ث م: يفضل.
[2] ر م + يكون.
[3] ر م - فيكون.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[5] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م - أي.
[7] ن: ومعظما.
[8] ن: فيحل.
[9] وفي التنزيل العزيز: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾؛ يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وخاب من دَسّسها في أهل الخير وليس منهم، وقيل دَسّاها جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث. قال ثعلب: سألت ابن الأعرابي عن تفسير قوله تعالى. ﴿وقد خاب من دَسّاها﴾ فقال: معناه من دسّ نفسه مع الصالحين وليس هو منهم. وقال الفراء: خابت نفس دَسّاها الله عز وجل. ويقال: قد خاب من دَسّى نفسه فأخْمَلَها بترك الصدقة والطاعة قال: ودَسّاها من دَسَّسْتُ، بُدِّلَتْ بعض سيناتها ياء كما يقال: تَظَنَّيْتُ من الظَّنّ. قال: ويُرَى أن دَسّاها دَسَّسها لأن البخيل يُخفي مَنزِله وماله. والسَّخيُّ يُبْرِزُ منزله فينزل على الشَّرَف من الأَرض لئلا يستتر عن الضيفان ومن أراده وكلٌّ وجه (*لسان العرب*، «دسّ»).
[10] ﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ (سورة الشعراء، ١٤١/٢٦-١٤٢).

فيما جاءهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يجحدون[١] موضع التكذيب. والثاني بأهل طغواها، أي كذّبت ثمود بسبب أهل الطغيان. فيكون في هذه الآية إنباءُ أنهم لم يكذبوا رسولهم بشبهة اعترضت لهم أو بحجة كانت لهم، بل كذّبوه[٢] عن عنادٍ منهم وتيقنٍ منهم برسالته. وذلك أن حجة[٣] نبيهم صالحٍ عليه السلام جاوزت [حق][٤] الحجج لأنهم أُوتوا الناقةَ على سؤال سَبَق منهم وعلى تَعَدٍّ منهم في السؤال؛ إذ كان لهم أن يطالبوه بالحجج[٥] على دعوى الرسالة ولم يكن لهم أن يَنُصُّوا السؤال على شيء يشيرون[٦] إليه، فهم بإشارتهم إلى سؤال الناقة كانوا معتدين فيه.

ثم من حُكم[٧] الله أن الحجة إذا كانت على أثَر السؤال ثم ظهر التكذيب من السائلين[٨] الاستئصالُ في الدنيا، وقد وُجد من أولئك القوم السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستئصال. قال الله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَـٰتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [فَظَلَمُوا بِهَا]،[٩] فبيّن الله تعالى المعنى الذي لم يُرسل الآياتِ التي سألت الكفرةُ[١٠] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو أنهم لو أوتوا[١١] ثم عاندوا[١٢] استُؤصِلوا؛ فقد أراد الله تعالى[١٣] إبقاء أمته إلى أن تقوم[١٤] الساعة، وأرسله رحمةً للعالمين وجعلَ حجته من وجه فيها رحمةٌ للعالمين، وهي القتال. ووجه الرحمة فيه[١٥] أنهم كانوا يمتنعون عن [الإيمان][١٦]

---

[١] ر ن م: وسلم لم يجحدوا.
[٢] ر م: كانت لهم يكذبوه.
[٣] ر ث م – حجة.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[٥] جميع النسخ: بالحجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن: يشيروه؛ ث: يشيرو.
[٧] جميع النسخ: من حكمة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة الإسراء، ٥٩/١٧.
[١٠] م: سأل الكفرة.
[١١] ر م: لم أوتوا.
[١٢] ن: ثم عندوا.
[١٣] ر: فقد أراد والله تعالى؛ م: فقد أراد والله أعلم.
[١٤] ن: أن يقوم.
[١٥] ر م – فيه.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

لحبّ الدنيا[1] وشهواتها فكاد يمنعهم ذلك عن النظر في حججه وآيات رسالته، وكان في الجهاد ما يُضيِّق[2] عليهم المعاشَ ويضطرّهم إلى النظر في الحجج فيحملهم ذلك على تصديقه والإيمان به؛ فثبت أنّ في القتال رحمةً عليهم.[3]

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إذ انبعث أشقاها**، أي قام أشقاها وصار أشقاها بما أحدث من الكفر بعَقْر الناقة. وروي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «ألا أُخبرك بأشقى الناس رجلين»؟ قال: بلى، يا رسول الله. فقال: «أُحَيْمِرُ[4] ثمودَ عاقرُ الناقة، والذي يضرب على هذه -وأشار إلى هامته- حتى يبتلّ منها هذه -وأشار إلى لحيته-».[5] فصار عاقرُ الناقة أشقى الناس بما ذكرنا. وجائز أن يكون قاتلُ علي صار أشقى الناس لأنه استحل قتله.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أي احذروا ناقة الله، وهو كقوله: [هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[6] والثاني أي قال لهم: ذَرُوا ناقةَ الله تأكلْ في أرض الله، وذروا بين الناقة وسقياها أي شِرْبِها.[7]

ثم أضيفت الناقة إلى الله تعالى لوجهين.[8] أحدهما أن الله تعالى لم يأذن لأحد بالتملك عليها حتى ينسب إليه المِلك بل بقيت غيرَ مملوكة لأحد، فأضيف إلى الله تعالى كما أضيفت إليه المساجد لما لا مِلك لأحد عليها. و[الثاني] أضيفت إلى الله تعالى على معنى التفضيل.

---

[1] ر م – لحب الدنيا؛ ث: بحب الدنيا.

[2] ر م: وما يضيق.

[3] ر: رحمة الله.

[4] ر م: أحتمر؛ ن: احيمس؛ ث: احتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.

[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٦٣/٤؛ *وتفسير ابن كثير*، ٤٣٧/٨.

[6] سورة الأعراف، ٧٣/٧.

[7] م: أو شربه.

[8] م: الوجهين.

والأصل أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى بحق الجزئيات[1] على تفضيل تلك الأجزاء من بين غيرها. وإضافة[2] الأشياء إلى الله تعالى بحق الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى. فإذا قيل: "رب المساجد" أريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع، وإذا قيل: "رب العرش" أريد به تعظيم العرش، وكذلك إذا قيل: "رب الناقة" أريد به[3] تعظيم أمرها. وإذا قيل: "رب العالمين" و"رب كل شيء" أريد به تعظيم الرب جل جلاله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فكذبوه فعقروها**،[4] يحتمل أن يكونوا كذبوا صالحا عليه السلام في رسالته، أو كذّبوه فيما أخبرهم من حلول[5] العذاب بهم إذا عقروا الناقة، فعقروها مع ذلك.

وقوله عز وجل: **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**، قال بعضهم: أي أطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير، ومنه يقال: بعير مُدَمْدَمٌ[6] إذا كان سمينا[7] أُطبِق شحمُه على لحمه.[8] وقال بعضهم: **دمدم عليهم**، أي دمّر[9] عليهم **بذنبهم**، وذنبُهم[10] ما تَعَدَّوْا من تكذيبهم الرسولَ وعقرِهم الناقةَ. [٩٠٩ظ]

وقوله عز وجل: **فسواها**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه سوّاهم بالأرض، كقوله عز وجل: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ.[11] أو سوّى[12] بين الصغير والكبير في الإهلاك؛ فالصغار منهم يومئذ ماتوا بآجالهم والكبار منهم استؤصلوا بذنوبهم.

---

[1] ر م: الحرمات؛ ث: الخبرويات.
[2] جميع النسخ: فإضافة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٦ظ.
[3] ن: أريد بها.
[4] ر م + فدمدم.
[5] ر: من طول.
[6] جميع النسخ: مدموم. والتصحيح من المرجع السابق. قال القرطبي: وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده. ويقال: دممت على الشيء: أي أطبقت عليه، ودمم عليه القبر: أطبقه. وناقة مدمومة: ألبسها الشحمُ. فإذا كررت الإطباق قلت: دَمْدَمْت. والدمدمة: إهلاك باستئصال (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٧٩/٢٠).
[7] ر: شمسا.
[8] ث: لحمه على شحمه.
[9] ن: دم.
[10] ن: لذنبهم وذنبهم.
[11] سورة النساء، ٤٢/٤.
[12] ن: أي سوى

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولا يخاف عقباها**، فجائز أن تكون[١] الإضافة منصرفة إلى الله تعالى، وهو أن يكون الله لمّا أهلكهم لم يَخَفْ تَبِعَة الإهلاك. ووجه الخوف هو[٢] أنه فيما أهلكهم أهلكهم بما أوجبت الحكمة إهلاكهم، ولم يلحقه تقصير في الحكمة، ولا وجد العائبُ في ذلك مقالا. وهكذا قال الحسن: ذاك ربنا لم يَخَفْ مما أنزل عليهم لعذاب.[٣] أو يكون منصرفا إلى العاقر، فيكون معناه أنه عقرها ولم يَخَف العاقبة التي حذّرهم بها صالحُ عليه السلام، من قوله: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[٤] وقال بعضهم: **ولا يخاف عقباها**، أي لم يعلم ما يحُلّ به مِن عَقْر تلك الناقة ولو علم لم يفعل. ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لأن الخوف إذا بلغ غايتَه صار علما.

ثم الحكمة في ذكر قصة ثمود وجهان. أحدهما أن في ذكرها[٥] تثبيتَ[٦] رسالة محمد صلوات الله عليه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلافُ إلى مَن عنده علمُ الأنباء والأخبار، ولا كان[٧] يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بهما، فثبت أنه بالوحي عَلِمَ. والثاني أن في ذكره تحذيرا[٨] لمكذبي الرسل، فحُذِّروا به ليمتنعوا عن تكذيبه فلا يحُلَّ بهم كما حلّ بمكذبي صالح عليه الصلاة والسلام من بأسه وعذابه. *والله الهادي وعليه اعتمادي*.[٩]

---

[١] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧و.
[٢] ن - هو.
[٣] تفسير *الطبري*، ٢٧١/٣٠.
[٤] سورة الأعراف، ٧٣/٧.
[٥] ن: في ذكرها.
[٦] ر ث م: يثبت.
[٧] ر م: وكان.
[٨] ن س: تحذير.
[٩] ن - وعليه اعتمادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الليل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[١] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[٢]**

قوله عز وجل:[2] **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى**، جعل الله تعالى الليل والنهار آيتين[3] عظيمتين ظاهرتين مكرَّرتين على الخلائق ما يعرف[ه] كلّ كافر ومؤمن وجميعُ أهل التنازع الذين تنازعوا أهلَ الإيمان والتوحيد من الجبابرة والفراعنة. والقسم بالليل والنهار،[4] والقسمُ بقوله: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى،[5] واحدٌ. وقد ذكرنا أن القسم إنما يذكر في تأكيد ما يقع به القسمُ ما لولا القسم كان ذلك[6] يوجب دون القسم؛ وذلك لِعظم ما فيهما حتى قهرا جميعَ الفراعنة والجبابرة وغلبا عليهم[7] في إتيانهما وذهابهما، حتى إن من أراد[8] منهم دفْعَ هذا ومجيء هذا ما قدروا عليه.

---

[1] ر – سورة الليل؛ ن: ذكر سورة والليل إذا يغشى مكية؛ ث + وهي إحدى وعشرون آيات مكية؛ م: سورة والليل إذا يغشى.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن – آيتين.

[4] ر م – والقسم بالليل والنهار.

[5] سورة الضحى، ٩٣/١-٢.

[6] ر ث م – ذلك.

[7] ت – وغلبا عليهم.

[8] ن: حتى من أراد.

وفيهما دلالة وحدانية الله تعالى وألوهيته وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته. أما دلالة وحدانيته وألوهيته فاتّساقهما[1] وجريانهما على حدّ واحد وسَنَن واحد مذ كانا، وأُنشئا من الظلمة والنور والزيادة والنقصان. فدلّ جريانهما على ما ذكرنا أنّ منشئهما واحد؛ إذ لو كان فعل عدد لكان إذا جاء هذا وغلب الآخرَ دامت غلبتُه عليه، وكذلك الآخر يكون[2] مغلوبا أبدا والآخر غالبا. فإذا لم يكن ذلك دلّ أنه فعلُ واحدٍ. ويدلّ أيضا على أنْ ليس ذلك عملَ النور والظلمة على ما تقوله الثنوية، ودلّ إتصال[3] منافع أحدهما بمنافع الآخر على أن ذلك عملُ واحد لا عدد. ودلّ اتساق ما ذكرنا ودوامُها على حدّ واحد على الاستواء أنّ منشئهما مدبّر عليمٌ، عن تدبيرٍ وعلمٍ خَرَجَ ذلك لا على الجُزاف بلا تدبير. ودلّ مجيء كلّ واحد منهما بطرفة عين على أن منشئهما قادرٌ لا يعجزه شيء من بعث ولا غيره. ودلّ ما ذكرنا أن فاعل ذلك حكيمٌ، على حكمةٍ خَرَجَ فعلُه: لا يحتمل أن يتركهم سُدًى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بأمور. وكذلك جعَل فيما ذكر من الذكر والأنثى[4] من الدلالات والآيات من الازدواج والتوالد والتناسل وغير ذلك.

[٩١١و س٤] [وقال بعض أهل الأدب]: * **إذا تجلى**: إذا بدا.*

## ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وما خلق الذكر والأنثى**، قال بعضهم:[6] إن حرف "**ما**" متى قرن بالفعل الماضي صار بمعنى المصدر،[7] كأنه قال: وخَلْقِ الذكر والأنثى، فيكون قَسَما بجميع الخلائق؛ إذ لا يخلو[8] شيء من أن يكون ذكرا أو أنثى.[9] وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: والذكرِ والأنثى.[10] وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] قرأ كذلك.[12]

---

[1] ر: وحدانية وألوهية اتساقهما؛ ن ث م: اتساقهما.
[2] ن + الآخر.
[3] ر ث م: أيضا؛ ن: إيصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧و.
[4] ن: من الذكر من الأنثى.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدماه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٤.
[6] ر م: وقال بعضهم.
[7] ر ث م: بمعنى المصور.
[8] ر: لجميع الخلائق أن لا يخلو؛ ن: أنه لا يخلو؛ م: أن لا يخلو.
[9] جميع النسخ: وأنثى. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م − والأنثى. *تفسير الطبري*، ٣٠/٢٧٤.
[11] ن − أنه.
[12] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٨١.

وقال بعضهم: "**ما**" هاهنا بمعنى الذي، كأنه قال: والذي خلق الذكر والأنثى؛ فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى، وعلى التأويل الأول[1] بالذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن سعيكم لشتى**، قالوا: على هذا وقع القسم. فإن قيل: إن كلًّا يعلم -من كافرٍ ومؤمن- أن سعيهم لَمختلف، فما الحكمة والفائدة من ذكر القسم على ما يعلم كلٌّ ذلك؟

فالوجه فيه -والله أعلم-[2] أن ما يقع لهم بالسعي وما يستوجبون به لَمختلفٌ في الآخرة،[3] وهو جزاء السعي، كأنه قال: إن جزاء سعيكم وثوابه لمختلف. وذلك أنهم كانوا يقولون: إن كانت دار أخرى على ما يقوله[4] محمد عليه الصلاة والسلام فنحن[5] أحق بها من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله: / ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.[6] أو يكون [٩٩١٠و] قوله: **إن سعيكم لشتى**، لأن المعطي في الشاهد ينفع غيرَه ويضرّ نفسَه في الظاهر، والممسك ينفع نفسَه، ثم المعطي محمود عند الناس. فلو لم تكن[7] عاقبة ينتفع المعطي بما أعطى ويضرّ البخيلَ المنعُ لكان الناس بما حمدوا هذا وذمُّوا الآخر سفهاء. فدلّ أن العاقبة هي التي تصيّر[8] هذا محمودا. ولأن الخلق جميعا من مسلم وكافر ومحسن ومسيء قد استوَوْا في نِعَم هذه الدنيا ولذاتها وما ذُكر[9] من مَمَرِّ الليل والنهار مما يخلق فيهما[10] من النبات والثمار والعيون والأشجار. فإذا وقع الاستواء في هذه الدار -وبه وردت الأخبار عن النبي المختار أن الناس شركاء في الماء والكلإ والنار-[11] لا بد من دار أخرى للأشقياء والأبرار ليقع بها

---

[1] ن - الأول.
[2] ر ث م: الله أعلم.
[3] ن: لمختلف والآخرة.
[4] ر: تقوله.
[5] جميع النسخ: نحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[6] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[7] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر م: يصير؛ ث: هي الذي يصير.
[9] ر ث م: بما ذكرنا؛ ن: مما ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ن ث: فيها.
[11] إشارة إلى حديث أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة وأبو داود بلفظ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلإ والنار» (*مسند الإمام أحمد*، ٣٦٤/٥؛ و*سنن ابن ماجة*، الرهون ١٦؛ و*سنن أبي داود*، البيوع ٦٠).

التفاوت بين الأبرار[1] والأشرار والنافع منهم نفسه والضارّ. فإذا[2] ثبت أنهما ستويا في منافع الليل والنهار وجميع ما في الدنيا من الأنزال وغيرها[3] لا بد من دار أخرى فيها يقع لتفاوت والتفاضل[4] بينهم، وفيها يُمَيَّز[5] بين ما[6] ذكرنا.

**﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[٥] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[٦] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾[٨] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾[٩] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[١٠] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[١١]**

ثم بيّن أن السعي الذي يقع الجزاء له[7] مختلفًا[8] [هو] ما ذَكَر بقوله: **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**، وهو يخرج على وجوه. يحتمل: **فأما من أعطى واتقى**،[9] أي أعطى ما أُمر به واتقى عصيانَه وكفرانَ نعمه، أو اتقى المنع. أو من أعطى التوحيد لله تعالى من نفسه، واتقى الشرك والكفران لنعمه، **وصدق** بموعود الله تعالى. **فسنيسره لليسرى**، للأعمال والشرائع، أو نشرح[10] صدره للتوحيد والإسلام ونيسره[11] عليه. **وأما من بخل** ولم يأت بالتوحيد، **واستغنى** عن الله تعالى بما عنده، **وكذب** بموعود الله **فسنيسره للعسرى**، لما يُعِدّه[12] من الأعمال. *والله أعلم*.

والثاني في حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله: **فأما من أعطى**، أي قَبِل الإعطاء وعَزَم على وفاء ذلك،[13] **واتقى**، أي عَزَمَ اتقاءَ معاصي الله تعالى ومحارمه، **وصدق بالحسنى**، أي بموعوده،

[1] ن - بين الأبرار؛ ث: بين الأخيار.
[2] جميع النسخ: وإذا.
[3] جميع النسخ + فإذا وقع الاستواء بينهم في الدنيا.
[4] ن: في التفاضل.
[5] ر م: تمييز؛ ن ث: تميز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[6] جميع النسخ: من ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث: الجزالة.
[8] جميع النسخ: مختلف. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن - وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فأما من أعطى واتقى.
[10] ن ث: يشرح.
[11] ن ث: وييسر.
[12] ن ث: كما يعده.
[13] ن - بقوله فأما من أعطى أي قبل الإعطاء وعزم على وفاء ذلك.

**فسنيسره لليسرى**، أي سنيسره لوفاء ما عزم. **وأما من بخل**، أي عزم[1] على البخل والمنع بذلك،[2] **واستغنى**، بالذي له وعنده، **وكذب** بموعود الله تعالى. **فسنيسره**، لوفاء ما عَزَم من خلاف لله تعالى والمعصية له. وعلى ذلك يُخرَّج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال: «كلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له»،[3] أو قال:[4] «كل ميسر لما عمل».

والثالث يخرج على حقيقة إعطاء ما وجب من الحق[5] في المال و[على] حقيقة المنع. يقول: **فأما من أعطى**، ما أوجب من حق الله تعالى في ماله، **واتقى**، نقمة الله ومقته وعذابه، **وصدق بالحسنى**، أي بموعود الله تعالى، **فسنيسره لليسرى**، في الخيرات والطاعات. **وأما من بخل**، أي منع حق[6] الله تعالى الذي في ماله، **وكذّب** بالذي وُعد على ذلك، **فسنيسره للعسرى**،[7] في الإفضاء إلى ما وُعد.

وقوله عز وجل: **وما يغني عنه مالُه إذا تردَّى**، قيل: إذا هلك ومات، أو تردى في النار. وفي ظاهر قوله تعالى: **وما يغني عنه ماله**، دلالةٌ على أنّ الآية في حقيقة الإعطاء من المال و[في] المنع.

[٩١١و س٣ *وقال بعض أهل الأدب: **تردّى**، في النار، أي سقط، ويقال: تردّى تفعّل من الرَّدَى، وهو الهلاك. **واليسرى**،[8] من التيسير،[9] **والعسرى**، من التعسير.* ٩١١و س٤]

وقوله عز وجل: **وصدق بالحسنى**، قال بعضهم: بالجنة، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: بالخَلَف[10] على ما أنفق.[11] وجائز أن يكون اليسرى[12] اسما[13] للجنة، وكذلك الحسنى،

---

[1] ر ث م – عزم.
[2] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[3] صحيح *البخاري*، التفسير ٩٢، التوحيد ٥٤؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٧، ٩.
[4] ث – كل ميسر لما خلق له أو قال.
[5] ن: ما أوجب من الحق الله.
[6] ن – حق.
[7] ر ث م: لليسرى.
[8] ر: والبشرى.
[9] ث: والبشرى من التبشير.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٣-٤.
[10] ن: بالحلف.
[11] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من خير فهو يخلفه﴾ (سورة سبأ، ٣٩/٣٤).
[12] ر ن ث: البشرى.
[13] جميع النسخ: اسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.

والعسرى و نشوءى النار. ويحتمل أن يكون اليسرى[1] اسما لكل ما طاب وحسُن من العمل، والعسرى ما خَبُث وقَبُح من العمل.

ومنهم من قال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ إنّه اشترى بلالا رضي الله عنه من أُمَيّة بنِ خَلَف وأُبَيّ[2] بن خلف[3] بِبُرْدَة وعَشْرِ أَواقٍ[4] فأعتقه لله تعالى. فأنزل الله تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى -إلى قوله- إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى،[5] يعني سعيَ أبي بكر وأمية وأبي، وذكر إلى آخر السورة. **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** [فهو] أبو بكر رضي الله عنه، **وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى،** [فهما] أمَيّة بن خلف وأبيّ بن خلف، يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.[6]

## ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن علينا للهدى،** هذا يخرّج على وجوه. أحدها جائز أن يكون قوله:[7] **علينا،** أي لنا، وذلك جائز، في اللغة جارٍ، كقوله تعالى: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[8] أي لِلنُّصب، وكقوله تعالى: وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ،[9] عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ،[10] أي لنا محاسبتهم،[11] وقوله تعالى: وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[12] أي لله قصد السبيل،[13] وكقوله[14] تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[15] أي لربهم، كما قال: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[16] ونحو ذلك، كثير أن يكون "علينا" بمعنى "لنا"؛

---

[1] ن: لبشرى.
[2] م - بن خلف وأبي.
[3] ر: وأمية وأبي بن خلف.
[4] جميع النسخ: أوقى. والتصحيح من *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٤٧٠.
[5] الآيات ١-٤ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ + هذا. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٤٧٠.
[7] ر ث م - قوله.
[8] سورة المائدة، ٥/٣.
[9] ﴿وإمّا نُرِيَنَّكَ بعض الذي نَعِدهم أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (سورة الرعد، ١٣/٤٠).
[10] ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٢٥-٢٦).
[11] ث: وعلينا الحساب أي لنا حسابهم أي محاسبتهم.
[12] سورة النحل، ١٦/٩.
[13] م - أي لله قصد السبيل.
[14] ر ث م: كقوله.
[15] سورة الأنعام، ٦/٣٠.
[16] ر + لرب الناس. سورة المطففين، ٨٣/٦.

فيصير كأنه قال: إن لنا للهدى،[١] كقوله: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ،[٢] وكقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[٣] يكون فيه إخبارٌ أن الهدى له والدين[٤] الخالص له. وأما سائر الأديان فإنما[٥] هي سبل الشيطان ليست لله تعالى. على هذا جائز أن يخرج تأويل الآية.

والوجهان الآخران يخرجان على حقيقة "على". لكن [في] أحدهما يخرج ذكرُ الهدى على إرادة البيان وتبيين[٦] الطريق، و[في] الآخر على إرادة[٧] حقيقة الهدى الذي[٨] هو ضد الكفر ومقابله. فأما / على إرادة البيان فكأنه قال: إن علينا غايةَ البيان في حق الحكمة والعدل فيما [٩١٠ظ] يُمتحنون حتى إن كان[٩] التقصير والتفريط فإنما يكون من قِبَلِ أنفسهم لا من قِبَل الله تعالى، أي يبين[١٠] لهم كلَّ شيء غاية البيانِ ونهايتَه ليزول الشبهة عنهم. ***والله أعلم***.

ويحتمل وجه آخر وهو أن يقول: إن علينا هداية من استهدانا[١١] واجتهد في طلبها، كقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[١٢] ووجه آخر إن علينا إنجازَ ما وعدنا على الهدى لمن اهتدى واختاره.

يخرج تأويل الآية على إرادة البيان من الوجوه التي ذكرنا. وأما على إرادة حقيقة الهدى الذي هو مقابل الكفر فكأنه قال: إن علينا التوفيق والمعونة والعصمةَ في حق الإحسان والإفضال، لا على أن ذلك [حق][١٣] عليه لهم.[١٤]

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إن علينا بيانَ ما للآخرة والأولى كي لا يزولَ عن قصد الطريق فتَهلِك نفسُه في كل مَضيق.

---

[١] ن: إن لنا الهدى.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[٣] سورة النحل، ١٦/٥٢.
[٤] ر م: أن الهدى والدين.
[٥] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[٦] ر ث م: في تبيين.
[٧] ن - إرادة.
[٨] ر ث م - الذي.
[٩] ث + كان.
[١٠] ر م: أو يبين؛ ن: تبين.
[١١] ر م: استمر؛ ث: من استهدى.
[١٢] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٨و.
[١٤] ن: عليهم لهم.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإن لنا لَلآخِرة والأُولَى**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إنكم تعلمون أن لنا للآخرة والأولى، وليس لما تعبدون من الأصنام والأوثان الآخرةُ و لأولى، فكيف صرفتم عبادتَكم عن من له الآخرة والأولى إلى من ليس له الآخرة والأولى على علم[١] منكم بذلك؟ يُسفِّههم في اختيارهم عبادةَ الأصنام على عبادة الله تعالى.

والثاني يقول -والله أعلم-: **إن لنا للآخرة والأولى**، فما بالكم[٢] تبخلون[٣] بالإنفاق على أنفسكم وما ترجع[٤] منفعته إليكم بما ليس لكم في الحقيقة وإنما هو لله تعالى.[٥] وهذا التأويل صلة قوله تعالى: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى،[٦] الآية، والأول يكون صلةَ قوله: إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى.[٧]

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فأنذرتكم نارا تلظى**،[٨] أي نارا تتوقد وتتلهب[٩] أو تتشعب على ما ذكر من صفتها. ثم ذلك الإنذار يكون للفريقين لأهل التوحيد ولأهل الشرك جميعا. ***والله أعلم***.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[١٥] ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى**، قالت المعتزلة: هذا ليس على حقيقة[١٠] التكذيب، ولكن على التقصير والتفريط في أمر الله تعالى والوقوع في مناهيه. فيصرفون الآية إلى أصحاب الكبائر [ويقولون: إن هذا الوعيد لهم. والخوارج يقولون: إن أصحاب الكبائر][١١] بارتكابهم الكبيرة يصيرون مكذِّبين ومتولِّين، لأنهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والإيمانَ

---

[١] ن + إلى من ليس له ذلك على علم
[٢] ر: فما لكم.
[٣] ر ن م: يبخلون.
[٤] جميع النسخ: وما يرجع.
[٥] ر م: وإنما هو الله تعالى.
[٦] الآية ٨ من هذه السورة.
[٧] الآية ١٢ من هذه السورة.
[٨] ن + لا يصلاها إلا الأشقى الذي يصلى النار.
[٩] ن: يتوقد ويتلهب؛ م: ويتلهب.
[١٠] ر: هذا على ليس حقيقه.
[١١] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٤٨و

اعتقدوا وفاءَ كلِّ ما وقع به الأمرُ ووفاءَ كلِّ ما[1] يليق به والانتهاءَ عن جميع ما لا يليق به. فإذا ترك ذلك صار مكذبا لما اعتقدوا[2] في الأصل وفاءَ ذلك. لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذِّبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد. واستدلت المرجئة الذين لا يرون العذب إلا لأهل الشرك والكفر بهذه الآية؛ يقولون: إنه لا يصلاها إلا الذي كذَّب وتولّى، والمسلم وإن ارتكب الكبيرة أو الصغيرة فهو ليس بمكذِّب ولا متولٍّ.[3] ولكن تأويل الآية عندنا في الكَفَرة، ليست[4] في أهل التوحيد[5] والإيمان.

ثم يحتمل قوله: **لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى**، في باب ودَرْكٍ دون باب ودرك؛[6] فإن لكل فريق دركا، قال الله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.[7] وهذا كما قال: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ،[8] وقال في آية أخرى: إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ،[9] فيكون الضريع الذي ذُكر في باب ودرك منها، والغِسلين في باب آخر. فجائز على هذا أن لا يَصلى ذلك الدركَ إلا الأشقى، ويجوز[10] أن يكون لصاحب الكبيرة دركٌ خاصٌ. وأما ما ذكروا أنّ أصحاب الكبائر قد أُوعِدوا[11] وخُوِّفوا بمواعيدَ[12] شديدةٍ فلسنا ننكر المواعيد لهم وأنهم يعذبون، ولكن نقول: لا يكونون في الدركات التي فيها الكفار إن أُدخلوا في النار. وجائز أيضا أن يعذبوا بعذاب سوى العذاب الذي ذكر بالنار والتلظِّي. وعندنا هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذَّبهم، وإن شاء تجاوز عنهم وخلّى[13] سبيلَهم. وأما النار التي ذكرت[14] بصفة التلظِّي فهي للكفار. *والله الموفق*.

---

[1] ر – وقع به الأمر ووفاء كل ما.
[2] ن: لما اعتقد.
[3] ن: ولا متولى.
[4] ن + ليست.
[5] ر م – التوحيد.
[6] جميع النسخ: دون درك وباب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨و.
[7] سورة النساء، ١٤٥/٤.
[8] سورة الغاشية، ٦/٨٨.
[9] ﴿فليس له اليومَ هاهنا حميم ولا طعامٌ إلا من غِسْلِينٍ﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٣٥-٣٦).
[10] جميع النسخ: فأما يجوز.
[11] ن: وقد أوعدوا.
[12] ن: موعد.
[13] ر ث م + عنها؛ ن + عنهم.
[14] جميع النسخ: ذكر.

**﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[١٧] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى**، أخبر أنه يُجنّب النارَ عن الأتقى ويَقيه عنها. ثم فيه دلالة أنه إنما يجنبها[1] ويقيه عنها[2] بالأعمال التي يعملها. فدل أن لله تعالى[3] في أفعالهم صنعا حيث أضاف الوقاية إليه والتجنب عنها، وهو كقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[4]

**﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾[١٩] ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[٢٠] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[٢١]**

وقوله عز وجل: **وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**،[5] أي ما لأحد عند الله تعالى من نعمة يُجزَى بها ولا يَدٌ يستحق الثواب بها، لكن إذا أدّى نعمة من نعم الله تعالى التي أعطاها[6] إياه لغيره ابتغاء[7] وجهه وطلب رضاه يَجزيه بفضله كأنه كانت له عنده نعمة يُجزَى بها.

والثاني يحتمل أن [يكون] هذا صلة قوله: يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى،[8] أي يتصدق ويتزكّى لابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده نعمة ويد يجازيه بها وينفق عليه جزاء لصنيع[9] قد سبق منه في حقه. كأنه يقول: لا يعطي الزكاة[10] أحدا بحق مجازاة[11] سبق منه إليه من نعمة، إنما أعطاه له لا مجازاةً، ولكن لله تعالى[12] خالصا. وفيه دليل أن لا يعطي الرجلُ زكاةَ ماله مَن عنده له نعمة أو منة، لأنه يخرج ذلك مخرج الإعطاء ببدل.

---

[1] ر: إنما يجنبيها.
[2] ر ن ث: ويقيها؛ م: ويقتيها.
[3] ر: أن الله تعالى.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٠١.
[5] ن – إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.
[6] م: أعطاه.
[7] ث: بغير ابتغاء.
[8] الآية ١٨ من هذه السورة.
[9] ث: جزاء الصنيع.
[10] ث + أحد
[11] جميع النسخ: أحدا عن مجازاة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٨ظ.
[12] ر: ولكن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **ولسوف يرضى**، أي يرضى بالذي يُجزى له ويساق إليه من الثواب. وحرف "سوف" و["لعل" و]"عسى" من الله تعالى / واجب، كأنه يقول: يعطيه حتى يرضى. [٩١١و]

وقال بعضهم نزلت هذه الآية، وهو قوله عز وجل: **وما لأحد عنده من نعمة تجزى**، في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال بعضهم هذه الآية نزلت في أبي الدَّحْداح رضي الله عنه، طلب النبيُّ صلى الله عليه وسلم منه نخلة إلى آخر القصة.[١]* ***والله أعلم***.[٢]

---

[١] عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لفلانٍ نَخْلَةً، وأنا أقيم حائطي بها، فَأْمُرْه أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطِها إيّاه بنخلةٍ في الجنة»، فأبى، فأتاه أبو الدَّحْدَاح، فقال: بِعْنِي نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد ابْتَعْتُ النخلةَ بحائطي، قال: فاجْعَلْها له، فقد أعطيتُكها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم من عَذْقٍ رَدَاحٍ لأبي الدَّحْدَاح في الجنة». قالها مرارًا، قال: فأتى امرأتَه فقال. يا أمَّ الدَّحْدَاح، اخرُجي من الحائط، فإني قد بِعتُه بنخلةٍ في الجنة. فقالت: رَبِحَ البَيْعُ، أو كلمةً تشبهها (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١٤٦، ٥/٣٦٤).

* وقعت هنا قطع تفسيرية من تفسير آيات ٢، ٧، ١٠، ١١ متأخرة عن مواضعها فنقلناها إلى محالّها. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٣ ٤

[٢] ر ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين؛ ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الضحى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالضُّحَى﴾[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٢]**

قوله عز وجل:[2] **والضحى والليل إذا سجى،** قال بعضهم: الضحى هو ضوء النهار، كقوله: وَضُحَاهَا،[3] أي وضوئها،[4] وقال بعضهم: هو ساعة من النهار وهي من أول النهار. ويقال: صلاةُ الضحى، وهي عند ضَحْوَة النهار. ومنهم من يقول: هو كناية عن الحرّ، كقوله: أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى -إلى قوله- وَلَا تَضْحَى،[5] أي لا يصيبك الحر. **والله أعلم.** ومنهم من قال:[6] هو كناية عن النهار كلِّه أقسم به وبالليل الذي ذكر. فإن كان المراد من "الضحى" هو ضوء[7] النهار ومن "الليل إذا سجى" ظلمتَه فيخرج القسم به[8] على أن ظلمة الليل تستر[9] الخلائق كلهم في طرفة عين، وكذلك ضوء النهار يكشف السِّتر،

---

[1] ر – سورة الضحى؛ ن: ذكر أن سورة والضحى مكية؛ ث + إحدى عشرة آية مكية؛ م + مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ﴿والشمس وضحاها﴾ (سورة الشمس، ١/٩١).

[4] جميع النسخ: ضوئها. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٨ظ.

[5] ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تَظْمَأُ فيها ولا تضحى﴾ (سورة طه، ١١٨/٢٠-١١٩).

[6] ر ث م: يقول.

[7] ن – ضوء.

[8] ث – به.

[9] ن: يستر.

ويجلّي[1] بطَرْفة عين جميعَ الخلائق من غير أن يعلم أحد بِقَلِّ ذلك التستر أو خفة ذلك الضوء. فأقسم بذلك لعظم[2] ما فيهما من الآية. وإن كان المراد منه نفس الليل والنهار فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة.

وقوله عز وجل: **إذا سَجَى**، اختلف فيه. قال بعضهم: إذا استوى، وقال بعضهم: إذا سكن وركَد؛ وقال بعضهم: **إذا سجى**، إذا غَشِي[3] وأظلم وغطّى كل شيء وستر. وهو من التسجية[4] والستر؛[5] يقال: يُسَجَّى قبر المرأة أي يُسترَ ويُغطّى.[6]

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ما ودعك ربك وما قلى**، على هذا وقع القسم. ثم اختلف في السبب الذي نزل هذا. قال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان سئل عن شيء أو طلبوا[7] منه شيئا، فقال: أفعل ذلك غدا، أو أُجيبكم[8] عنه غدا، ولم يستثنِ،[9] فاحتبس عنه الوحي أياما لذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، أي تركه وأبغضه. ومنهم[10] من قال: إنه أبطأ عليه الوحي فجزع جزعا شديدا، فقالت له خديجة رضي الله عنها: إني لأرى قد قلاك ربك[11] وودّعك، مما ترى من جزعه، فنزل قوله: **ما ودعك ربك وما قلى**.

ولسنا ندري كيف كان الأمر. فإن كان نزل ذلك لقول[12] قريش فالقسم يحتمل لذلك[13] ردا لقولهم. والقول الثاني أنه نزل لقول خديجة رضي الله عنها فهو غير محتمل،

---

[1] ر ث م: وتجلي.
[2] ر ث م: لعظيم.
[3] ن: إذا عسى.
[4] جميع النسخ: من التسجي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨ظ.
[5] ر م: والتستر.
[6] جميع النسخ: تسجى قبر المرأة إذا تستر وتغطى. والتصحيح من المرجع السابق. انظر معنى "أسجيته": آخر تفسير السورة.
[7] ر م: إذا طلبوا؛ ن ث: إذ طلبوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: أو أخبركم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: ولم يستثني.
[10] م: وومنهم.
[11] ث + مما ترى.
[12] ن: تقول.
[13] ر ن ك: كذلك

لأن خديجة تعلم أن الله تعالى لم يوَدّعه ولا قلاه، وكذا كل مؤمن معتقد أن الله تعالى لا يودع أحدا من رسله، ولأنها تُصدّق الرسول عليه الصلاة والسلام أنه لم يودّعه ولا قلاه إذا أخبرها بغير قسم، فلا معنى للقسم. دل أن هذا[١] الوجه غير محتمل.

ثم صَرْف[٢] تأويل الآية إلى غير ما قالوا أشبه عندنا وأقرب مما قالوا. وهو أنه عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم[٣] القتلَ وعادتهم إهلاكَ من خالفهم بلا أنصار ولا أعوان من الملائكة ولا [كان معه فضل][٤] مال وسعة يستميل به القلوب والأنفس؛ لأن من سلّم إنسانا إلى أعدائه الذين[٥] يعلم أنهم أعداؤه ويخلّي بينه وبين أعدائه[٦] بلا أنصار وأعوان ولا مال وسعة من الدنيا، يقال:[٧] إنه قد خذله وتركه وقلاه إذ لا يُفعل[٨] ذلك في الأصل إلا لذلك، فعند ذلك قالوا: إنه ودعه وقلاه. وهو ما قالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[٩] وقولهم:[١٠] لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[١١] ونحو ذلك مما قالوا. فلولا صرف أهل التأويل تأويل الآية إلى ما ذكروا، وإلا صرفه إلى ما ذكرنا أشبه.

وفي قولهم: قد ودّعه ربه دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقروا بذلك حتى[١٢] نزل قوله: **ما ودعك ربك**. والثاني أنه لو كان يخترع على ما كان يقول[١٣] أولئك لكان لا يحتبس عن الاختراع، ويكون يخترع أبدا حتى لا يقولوا: إنه ودعه.

---

[١] ر م: دل هذا.
[٢] ر: ثم صرفه.
[٣] جميع النسخ + قتل من خالفهم وإهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقول أولئك الكفرة إن ربه قد خذله (ر: قد أخذ له) وتركه وقلاه حيث بعثه إلى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٨ظ.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن: إلى علاء الدين.
[٦] ر م: الأعداء؛ ث – أعدائه.
[٧] ر ث م: فيقال.
[٨] ث: وقلاه لا يفعل.
[٩] سورة الفرقان، ٢٥/٧-٨.
[١٠] ن – وقولهم
[١١] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[١٢] جميع النسخ + قالوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٩و.
[١٣] جميع النسخ: على ما كانوا يقولون. والتصحيح من المرجع السابق.

فدل ظهور احتباس الوحي أنه عن أمر يخبر وأنه مأمور بذلك. ثم أخبر أنه لم يُبعث إلى هؤلاء القراعنة والجبابرة لما ذكر أولئك الكفرة أنه خذله وتركه وقلاه، ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه على تبليغ ما أمر بتبليغه إلى من أمر بتبليغه، ولم يَقْلِه ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلوَ
[٩١١ظ] أمره ويكثر ذكره. / وفي ذلك آية[١] عظيمة على إثبات الرسالة، وهو ما ذكرنا أنه بُعث إلى من همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فقهرهم جميعا وغلب على الكل حتى[٢] أظهر الإسلام فيمن قرب منه ومن بَعُدَ.[٣]

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وللآخرة خير لك من الأولى**، يقول: مع ما أُعطيتَ في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فإن الآخرة[٤] خير لك من الأولى، يرغبه في الآخرة ويزهده في الدنيا. أو يقول: إنّ أَوْلَى لك أن يكون سعيُك للآخرة، فهو خير لك من الأولى، وهو كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ.[٥]

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولسوف يعطيك ربك فترضى**، أي لَتعطَى في الآخرة[٦] ما ترضى[٧] من الكرامة والشرف.[٨] وقال بعضهم:[٩] أي ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الأعداء. ويحتمل: يعطيك في أمتك ما ترجو[١٠] وتَأمُل من الشفاعة لهم فترضى.[١١] ويقول بعض الناس: إن أرجى الآية هذه حيث وعد له أنه يعطيه ما يرضى،

---

[١] جميع النسخ: لآية. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٩و.
[٢] ر: حرج.
[٣] ر م: من ومن بعده.
[٤] جميع النسخ: فالآخرة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] سورة الانشقاق، ٦/٨٤.
[٦] ن + في الآخرة.
[٧] ر م: ما يرضى.
[٨] ن: ولسوف.
[٩] ن ث: وقال بعض الناس.
[١٠] ر م: ما ترجو.
[١١] ر ث م: وترضى.

ولا يرضى أن تكون[1] أمته في النار. ومنهم من قال: أرجى الآية قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا،[2] وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.[3] وعندنا أرجى الآيات هي التي[4] أمر الله تعالى رسله بالاستغفار للمؤمنين، وكذلك ما أمر[5] الملائكة بالاستغفار لهم فاستغفروا لهم.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ألم يجدك يتيما فآوى**، الآية [من] ما ذَكَر من الأحوال التي ذَكَر فيه: من قوله: **ألم يجدك يتيما فآوى** [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى] وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى،[6] الآية، وقوله تعالى:[7] وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[8] ونحو ذلك من الأحوال التي ذُكر فيه في الظاهر أحوال يُذكر للشَّين فيمن[9] يقال فيه. لكن في ذكر[10] ما ذُكر فيه من الأحوال ذكرُ بشارة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر له والعون وآيةٌ له على رسالته ونبوته، لأن نفاذ القول وغلبة الأمر مع الأحوال التي ذكر أعظم في الأعجوبة من نفاذه في حال[11] السعة وحال قوة الأسباب وتأكيدها. أو أن يكون قوله: **ألم يجدك يتيما**[12] **فآوى** [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى][13] وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، ونحوه لأن أولئك الكفرة كانوا ينسبونه إلى الافتراء والاختراع من ذات نفسه، فأخبر أن اليتيم والفقير ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغَ الذي يقدر على الاختراع وإنشاء الشيء من نفسه على وجه يَعجز[14] عن مثله جميعُ الخلق،

[1] جميع النسخ: أن يكون.
[2] سورة النساء، ١١٠/٤.
[3] انظر تأويل الآية ١١٠ من سورة النساء.
[4] ن: الآيات التي هي.
[5] م: وكذلك أمر.
[6] الآيتان ٧-٨ من هذه السورة.
[7] ر ث + ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك عائلا فأغنى الآية وقوله تعالى.
[8] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.
[9] ر: للشين فيمن؛ ث: للشيئين فما؛ م: للشش فيمن.
[10] ن: في ذكره.
[11] ر م: في أحوال.
[12] ث + قوله ألم تجدك يتيما.
[13] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٤٩و.
[14] ر ث م + مسع الاختراع.

لم لا يجد ما ينفق في ذلك ويحتمل من الْمُؤَن[1] حتى يبلغ مبلغ الاختراع. وكذلك ما ذكر حيث قال: مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ. لأنهم قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[2] والبشر[3] إنما يتعلمون بالكتابة والخط. فإذا لم يكن[4] لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيء[5] من ذلك دل أنه بالله تعالى عرف وحده.

وقوله عز وجل: **ألم يجدك يتيما فآوى**، أي وجدك يتيما فآواك. ثم يحتمل قوله: **فآوى**،[6] وجوها. أحدها وجدك يتيما فآواك إلى عمك[7] حتى رباك، ودفع عنك كل أذى وآفة وساق إليك كل خير وبر إلى أن بلغت المبلغ الذي بلغت.

والثاني يقول قد وجدك يتيما فاواك إلى عدو من أعدائك حتى تولى تربيتك وبِرَّك وعطف عليك وتولى عنك دفع المكروه والأذى. يذكر مننه وعظيم[8] نعمه عليه أنه كان ما ذكر، ثم صير عدوا[9] من أعدائه أشفق الناس عليه وأعطف. ***والله أعلم***.

والثالث قد وجدك يتيما[10] فآواك إلى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك لرسالة والنبوة، حتى صرت مذكورا في الدنيا والآخرة وحتى أحوج جميعَ الناس إليك. وليس[11] ذلك من أمر اليتيم أنه يبلغ شأنه وأمره إلى ما بلغ من أمرك وشأنك، حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا[12] من اختصاصه إياك بالرسالة، وإحواجِ[13] جميع الناس إليك. يذكر عظيم مننه[14] ونعمه عليه.

---

[1] ر م: ويحتمل المؤن.
[2] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[3] ر م: فالبشر.
[4] ت: فإذ لم يكن.
[5] ر م - شيء.
[6] ر ن م: فآواك.
[7] ن ت: إلى ملك.
[8] ن: وعظم.
[9] ر ت م + دفع المكروه.
[10] ر ت م - يتيما.
[11] ر م: ليس.
[12] ت: فيما ذكر.
[13] ر م: وأحوج.
[14] ر م: منه.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ووجدك ضالا فهدى**، هذا يخرج على[١] وجوه. أحدها يقول -والله أعلم-: لولا أن الله تعالى هداك لدينه ووفقك له وإلا وجدك ضالا -إذ كان[٢] نَشْؤه بين قوم ضُلَّال لم يكن أحد يهديه ويدعوه إلى الله تعالى- ولكنه هداك وأرشدك فلم يجدك ضالا، وهو كقوله تعالى: وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا،[٣] أي لولا أنه أنقذكم منها وإلا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها؛ وكقوله: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا،[٤] لأن البشر أنشئ وطبع على الركون والميل إلى النعم العاجلة واختيار الأيسر والألذّ، ولكنه بفضله ولطفه ثبّتك وعصمك ولم يَكِلْكَ على ما طبعت وأُنشئتَ في أصل الخلقة. فعلى ذلك يقول في قوله: **ووجدك ضالا فهدى**، أي لولا أنه هداك وإلا وجدك ضالا لو لم يهدك. ففيه أنه هداه ولم يجده ضالا.

والثاني يقول: **ووجدك ضالا**،[٥] لا ضلالَ كسب واختيارٍ ولكن ضلالَ / الخلقة التي أنشئ [٩١٢و] عليها الخلق. والضلال بمعنى الجهل[٦] لأن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالا لا جَهْلَ كسب يُذَمّون عليه أو يكون لهم علم يحمدون عليه، ولكن جَهْل خلقةٍ وضلال خلقة لما ليس معهم آلةُ دَرْك العلم فلا صنع له في كسب الجهل. فأما بعد الظفر بآلة العلم يكون الجهل مكتسبا فيُذم عليه، وكذا العلم فيترتب عليه الحمد والذم. فعلى هذا يكون قوله تعالى: **ووجدك ضالا فهدى**، أي وجدك[٧] جاهلا على ما يكون في أصل الخلقة وحالة[٨] الصغر فهداك أي علّمك؛ وهو كقوله تعالى: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا،[٩] وقوله تعالى: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ،[١٠] يذكر أنه لم يكن يدري[١١] شيئا حتى أدراه وعلّمه.

---

[١] ن + تخريج.
[٢] ر م: إذا كان.
[٣] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.
[٤] سورة الإسراء، ١٧/٧٤.
[٥] ن – ضالا.
[٦] ن + في ابتداء.
[٧] ن ث: أو وجدك.
[٨] ث: وحال.
[٩] سورة الشورى، ٤٢/٥٢.
[١٠] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨.
[١١] ن: تدري.

والثالث يقول: **ووجدك ضالا**، أي عافلا عن الأنباء المتقدمة وأخبارهم حتى أطلعك الله تعالى على ذلك، كقوله:[1] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.[2]

أو يقول ووجدك في أمر القرآن أو ما فيه جاهلا غافلا عن علم ذلك[3] فأعلمك.

وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، أي وجدك بين قوم ضُلّال **فهدى**،[4] أي أخرجك من بينهم ما لو لم يخرجك من بين أظهرهم لدعوك إلى ما هم عليه، ولَجَبَرُوكَ[5] على ذلك ولم يرضوا منك إلا ذلك. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، من طريق مكة فهداك الطريق. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، حقيقة الضلال فهداك لتوحيد. لكن هذا وحش من القول إذ لا يليق به أن ينسب إلى ذلك. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، عن النبوة، أي جاهلا فهداك للنبوة، وهو قريب مما ذكرناه.[6]

## ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ووجدك عائلا فأغنى**، أي فقيرا فأغناك،[7] أي أغناك[8] بما أراك من أمر الآخرة وما يسوق إليك من نعيمها؛ أي بما أعدّ له في الآخرة وما وعد له من النعيم والكرامات فهانت عليه الدنيا حتى ذكر أن الدنيا لم تكن تعدل[9] عنده صلى الله عليه وسلم[10] جناح بعوضة،[11] ولذلك روي أن «الغنى غنى[12] القلب».[13] ويحتمل أنه جعل فيه حالا بلطفه أغناه،

---

[1] ر: كقولك.

[2] سورة يوسف، ٣/١٢.

[3] ر ث م - ذلك.

[4] جميع النسخ: فهداك.

[5] جميع النسخ: ويجبروك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٩ظ.

[6] ن ث: مما ذكرناه.

[7] انظر لمعنى "عال" و"أعال": آخر تفسير السورة.

[8] ر م - أي أغناك.

[9] جميع النسخ: لم يكن يعدل. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ن - صلى الله عليه وسلم.

[11] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى حديث روي عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سَقَى كافرا منها شَرْبة ماءٍ» (*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٣).

[12] ن: الغناء غناء.

[13] عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى»؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: «أفترى قلة المال هو الفقر»؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٦/٢؛ وانظر: شعب *الإيمان* للبيهقي، ١٢/٥٤٥-٥٤٦).

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الوصال.[1] فقيل: أنت تواصل يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «أنا لست كأحدكم إن ربي يطعمني ويسقيني».[2] فجائز أن يكون لله عز وجل فيه لطفا أغناه به وإن لم يطلعنا عليه. **والله أعلم**. وقال بعضهم: أغناك بمال خديجة رضي الله عنها. وقال بعضهم: فأغناك، أي فأرضاك[3] بما أعطاك من الرزق وأقنعك.

**﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾**[٩]

وقوله عز وجل: **فأما اليتيم فلا تقهر**، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه، فأما اليتيم[4] فلا تكهر،[5] فالكَهْر الزجر، كأنه قال: فلا تَزْجُر. جائز أن يكون قوله: **فلا تقهر**، أي لا تمنع[6] حقه وادفع إليه حقه وماله. أو يكون ذكر هذا يقول: كنت يتيما ورأيت حال اليتيم فلا تقهر اليتيم، فيكون على الصلة[7] لقوله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى،[8] فلا تقهر اليتيم بعد ذلك.

[٩١٢و س٢٩ *وقال قوم: تزويج اليتيم قهره لما فيه من الاستذلال والإضرار، فلم يجوزوا من غير الأب والجد، وأجازوا بيع ماله من وصيه[9] إن كان وصيَّ الأب أو الجد أو وصيَّ[10] أمه في تَرِكَتِها. فدل أن تزويج اليتيم[11] ليس من قهره في شيء. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زوج بنت حمزة سَلَمَة بنَ أبي سلمة وهو صغير يتيم،[12] وزوج ابن عمر بنت أخيه وهي صغيرة، وزوج عروةُ ابنته من مصعب وهي صغيرة.[13] وقهر اليتيم في ظلمه[14] والاعتداء عليه، وليس في التزويج ذلك.* ٩١٢و س٣٣]

[1] أي عن صوم الوصال، وهو ألا يُفطر يومين أو أياما (*النهاية* لابن الأثير، «وصل»).
[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٧٠/٣؛ وسنن *الترمذي*، الصوم ٦٢.
[3] ر م: فأرضيك.
[4] ن: وأما اليتيم.
[5] تفسير *الطبري*، ٢٩٤/٣٠؛ وتفسير *ابن أبي حاتم* للرازي، ٣٤٤٤/١٠.
[6] ن: لا يمنع.
[7] ن: فيكون الصلة.
[8] الآية ٦ من هذه السورة.
[9] جميع النسخ: من وصيته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[10] جميع النسخ: أو الجد وصي. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ت: قهره لما فيه من الاستدلال والإضرار فلم يجوزوا من غير الأب والجد وأجازوا بيع ماله من وصيه إن كان وصي الأب أو الجد أو وصي أمه في تركتها فدل أن تزويج اليتيم.
[12] ر م: وهو صغيرهم يتيم.
[13] ر م + وأما بنعمة ربك فحدث.
[14] جميع النسخ: في ظلمة. والتصحيح من المرجع السابق.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه. فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١٢و/سطر ٢٩-٣٣

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[١٠]

**وأما السائل فلا تنهر**، أي كنت محتاجا فقيرا فعرفت محل الفقر و الحاجة وشدة حاله، ولا تنهر السائل، أي لا تزجره ولكن أعطه.[1] وجائز أن يكون الأمر لا على[2] النهي ولكن على الأمر بالبر لهؤلاء والإعطاء هم. وجائز أن يراد في نفي شيء إثبات ضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[3] أي خسرت. وعلى هذا الحديثُ[4] وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم[5] أنه قال: «إذا أتاكم السائل فلا تقطعوا[6] عليه مسألته حتى يَفْرَغَ منها، ثم رُدُّوا عليه برفق ولِينٍ: إما ببذل يسير أو بردٍّ جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جن يرى كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالى».[7]*

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وأما بنعمة ربك فحدث**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: حدِّثْهم بنعم الله تعالى التي أنعم عليهم ليعرفوا وَيفُوا بما فيه شكرها. أو يقول:[9] حدِّثْهم بما أنعم الله عليك وهو هذا القرآن، إذ القرآن من أعظم[10] ما أنعم الله عليه. فأمر بتحديث[11] ما عليه من النعم ليعرفوا عظيم[12] ما أنعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من أمته ومن قومه. أو أمر بأن يقرأه ويحدث بما فيه.

وقد روي عن أبي رجاء العُطارِدي قال: خرج علينا عِمران بن حُصَيْن، وعليه مِطْرَفُ خَزٍ لم نره عليه قبل ولا بعدُ. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى

---

[1] انظر معنى "الانتهار": آخرة تفسير السورة.
[2] ر م: الأمر على.
[3] سورة البقرة، ١٦/٢.
[4] ر: هذا التأويل.
[5] ن: عن النبي عليه السلام.
[6] ن: فلا يقطعوا.
[7] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣١٠/٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٩١٢و/سطر ٢٩-٣٣.
[9] ر ث م: أو تقول.
[10] ن: إذ القرآن أعظم.
[11] جميع النسخ: بتحدث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[12] ن: عظم.

إذا أنعم على عبد نعمة[1] يحب[2] أن يرى[3] أثر نعمته عليه».[4] وعن عَطِيَّة عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده،[5] ويبغض البؤس والتّبأُّس».[6] وعن أبي الأحوص عن ابن مسعود [٩١٢ط] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطاه الله تعالى خيرا فَلْيُرَ[7] عليه، وَابْدَأْ بِمن تَعولُ وَارْضَخْ[8] من الفضل، ولا تُلامُ[9] على كَفاف، ولا تَعجزْ[10] عن نفسك».[11] وعن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[12] «إذا بسط الله تعالى على عبد نعمة فلتُرَ عليه»[13] يعني به الصدقة والمعروف. وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «وابدأ بمن تعول» دليل عليه. قال أهل الأدب: عال: افتقر، وأعال أي كثر[14] عياله. ويقال: أسجيته أسكنته، وقال: الانتهار الكلام الخشن.[15] *والله أعلم بالصواب.*[16]

---

[1] ث – نعمة.
[2] ر: يجب.
[3] ر ن م: أن ترى.
[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٤٣٨؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٢٨٣.
[5] ر ث م: على عبيده.
[6] شعب *الإيمان* للبيهقي، ٨/٢٦٢-٢٦٣.
[7] ن: ظهر.
[8] جميع النسخ: وارضح. رضخ له من ماله يرضخ رَضْخًا: أعطاه (*لسان العرب*، «رضخ»).
[9] ن ث: ولا يلام.
[10] ث: ولا يعجر.
[11] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤/٣٣٢-٣٣٣.
[12] ر ث م – أنه قال.
[13] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وهو يحب أن يرى أثرها عليه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٠٣).
[14] ر م: أكثر.
[15] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله؛ ث + وصلى الله على محمد وآله أجمعين.
[16] ر ث – والله أعلم بالصواب؛ م: بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الانشراح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[١]**

قوله تعالى: **ألم نشرح لك صدرك**، المخاطبة[2] في هذه السورة من الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم خاطبه إياه حيث قال: **ألم نشرح لك صدرك**،[3] إلى ما ذكر. والمخاطبة في سورة "والضحى"[4] إنما كانت[5] من غير الله تعالى إياه، كان جبريل عليه السلام خاطبه في ذكر منن الله تعالى[6] إياه وذكر نعمه،[7]* ألا ترى أنه قال:[9] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى،[10] ولم يقل: ما ودَّعْناك. ويجوز أن يكون الخطاب في سورة والضحى من الله على المغايبة، يقال: إن أمير المؤمنين يقول: كذا، أراد نفسه.

---

[1] ر – سورة الانشراح؛ ن م: ذكر أن سورة ألم نشرح مكية؛ ث + وهي ثمان آيات مكية.
[2] جميع النسخ: المخاطب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[3] م – صدرك.
[4] ر م: نضحى.
[5] ر ث م: إذا كانت.
[6] ث: سبحانه وتعالى.
[7] ن + سبحانه وتعالى.
* من هنا إلى وسط تفسير سورة القدر نقص في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤).
[9] ر م: إلا أنه قال.
[10] سورة الضحى، ٩٣/٣.

ثم اختلف في قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، قال بعضهم: شَرَح صدره للإسلام، كقوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ،[1] أخبر أن من شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه. والشرح قيل: هو التليين والتوسيع والفتح، أي ألم نوسّع لك صدرك ونفتحْ ونُليّنْ للإسلام.

وقد روي في الخبر أنه لما نزل هذا قيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ فقال: «بلى التجافي من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».[2] لكن يعرف ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الحقيقة ويظهر ذلك منه باليقين. فأما من غيره فإنما يعرف التجافي من دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود بالتقارب وغالب الظن؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له الآخرة وأمورها كالمشاهدة والمعاينة وكذلك جميع الأنبياء والرسل، فأما لغيرهم[3] فلا يبلغ ذلك، وهو كما ذُكر أن رؤيا الأنبياء كالعيان، أي يُعرَف بطريق اليقين بخلاف رؤيا غيرهم.[4] وقال بعضهم: شَرَح صدره لأنه لما كُلّف بتبليغ الرسالة إلى الجن والإنس وإلى الفراعنة والجبابرة الذين همتهم إهلاك من يخالفهم والإقلاعُ عن عبادة من يعبد الله ضاق صدره لذلك وثَقُل على قلبه، فوسّع الله صدره وشرحه حتى هان ذلك عليه وخَفّ، وهو قول أبي بكر الأصم. إلا أنه يقول: فعل ذلك به وحقّق[ه] بالآيات والحجج. ونحن نقول باللطف منه حتى قام بوفاء ما كلف وأمر. أما هو لا يقول باللطف والاختصاص للبعض دون البعض لقوله بالأصلح.

ويحتمل أن يكون ما ذكر من شرح صدره وتوسيعه، هو ما ذكر في قوله: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[5] وخلقه كان يجاوز وسعه وطاقته حتى كادت نفسه تَهْلِك لمكانِ كُفرِ أولئك وما يَعلم أنه يَنزِل بهم[6] إشفاقا عليهم ورحمة، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[7]

---

[1] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.

[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فمن يُرِدِ اللهُ أن يهديه يَشرحْ صدره للإسلام﴾ [سورة الأنعام، ١٢٥/٦] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك من عَلَمٍ يُعرف؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» (*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٣٤٦/٤؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ١٣٣/١٣-١٣٤).

[3] ث: وأما بغيرهم.

[4] انظر: تفسير الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

[5] سورة القلم، ٤/٦٨.

[6] أي بترك الكافرين من العذاب في الدنيا والآخرة

[7] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

وقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ،[١] وغير ذلك من أمثال هذا. وذلك -والله أعلم- ما وصف من خُلُقه أنه عظيم.[٢] فوسّع صدره وشرحه حتى يَخِفَّ ذلك عليه حيث قال:[٣] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٤] وقال: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[٥] الآية. وقال الحسن في قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، بلى قد شرح له صدره وملأه علما وحكمة.[٦] ثم قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، إلى ما ذكر، إن كان المخاطب به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو المعنى والمراد به. فتأويل السورة يخرج على ما ذكرنا من تيسير[٧] الأمر عليه وتخفيف ما حمّله[٨] عليه وأمر به.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[٢] ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[٣]

وقوله تعالى: **ووضعنا عنك وزرك**، على ابتداء وضع الوزر والإثم على ما نذكر وإن كان المخاطب به غيرَه وهم أمته، وإن كان الخطاب أضيف إليه فالأمر فيه سهل. وإن كان الخطاب على الاشتراك فيحتاج إلى التأويل أيضا.

وقوله تعال: **ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك**، قال عامة أهل التأويل: على تحقيق الوزر له والإثم، كقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[٩] وقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[١٠] يقولون: أثبت له الذنب والوزر فوضع ذلك عنه،[١١] ولكن هذا وحش من القول. لكنا نقول: إن قوله: **ووضعنا عنك وزرك**، والوزر هو الحِمْل والثِّقَل؛ كأنه يقول: قد خفّفنا عليك ما حُمّل عليك من أمر النبوة والرسالة والأحمال التي حُملت عليك. كأنه يقول:[١٢] قد خفّف ذلك عليك ما لو لم يكن تخفيفا إياها / عليك لأنقض ظهرَك، أي أثقل. *والله أعلم*. [٩١٣و]

[١] ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ (سورة هود، ١٢/١١).
[٢] ث: أنه عظم.
[٣] ر م: قاله.
[٤] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٥] سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وسورة النمل، ٧٠/٢٧.
[٦] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٠٤/٢٠.
[٧] ر م: من تبيين.
[٨] ث: ما حمل.
[٩] سورة الفتح، ٢/٤٨.
[١٠] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[١١] ث: عنه ذلك.
[١٢] ث: كأنه قيل.

والثاني جائز أن يكون قوله: **ووضعنا عنك وزرك**، ابتداءَ وضعِ الوزر، أي عصمتُ وحفظك ما لو لم تكن عصمته إياك لكانت لك أوزار وآثام.[1] كقوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى؛[2] أي لو لم يهدك لوجدك ضالًّا، لأنه كان بين قوم ضُلّال، ولكن هداه فلم يجده ضالا. فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره[3] ابتداء. وهو كقوله: لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[4] أي عصمهم عن أن يدخلوا فيها، لا أن كانوا فيها ثم أخرجهم ولكن ابتداء إخراج، فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره. وقوله: **أنقض ظهرك**، أي أثقل ظهرك.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ورفعنا لك ذكرك**، جائز أن يكون رفع ذكره لِمَا ألزم الخلق الإيمان به حتى[5] لا يُقبلَ من أحد الإيمانُ بالله والتوحيد له والطاعة والعبادةُ إلا بالإيمان به والطاعة له، قال الله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،[6] وقال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ.[7]

وجائز أن يكون ما ذكر من رفع ذكره هو أنه يُذكر حيث ذُكر الله، قَرَنَ ذكره بذكره في الأذان والإقامة وفي الصلاة في التشهد وفي غيره من الخطب. *والله أعلم*. والأول عندنا أرفع وأعظم من الثاني.

وجائز أن يكون رفعُ ذكره ما أضاف اسمه إلى اسمه بما قال: رسول الله، ونبي الله،[8] ولم يسمه باسمه على غير إضافة إلى الرسالة والنبوة فقال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ،[9] وقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ،[10] وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ،[11] ونحو ذلك، وهو المخصوص بهذا دون غيره من إخوانه؛

---

[1] جميع النسخ: ما لو لم يكن عصمته إياه لكانت لك أوزارا وآثاما.
[2] سورة الضحى، ٧/٩٣.
[3] ر م: وزر.
[4] سورة الأحزاب، ٤٣/٣٣؛ وسورة الحديد، ٩/٥٧.
[5] ث - حتى.
[6] سورة النساء، ٨٠/٤.
[7] سورة النساء، ٦٥/٤.
[8] ث - ونبي الله.
[9] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[10] ر ث - ما أنزل. سورة المائدة، ٦٧/٥.
[11] سورة التحريم، ١/٦٦.

لأنه قلما أضاف اسمهم إلى اسمه، وقلما قرن أسماءهم باسمه، بل ذكرهم بأسمائهم، كقوله: وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ،[1] وقوله: وَيُونُسَ وَلُوطًا،[2] ونحو ذلك.

أو رفع ذكره بما عظمه وشرفه عند الخلق كله حتى إن من استخف به خسر الدنيا والآخرة.

## ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٦]

وقوله تعالى: **فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**، روي في الخبر أنه قال: «لن يغلب عسر يسرين».[3] قال بعضهم: إنما كان عسرا واحدا وإن ذكره مرتين لأن العسر[4] الثاني ذكره بحرف التعريف، فهو والأول واحد، واليسر ذكره بحرف النَّكِرَة فهو غير الأول. وقال أبو معاذ:[5] كلما كُرِّرت المعرفة كانت واحدة،[6] والنكرة على العدد. يقال في الكلام: إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما،[7] فالأمير واحد ومعه غلامان. وإذا قيل: إن مع الأمير الغلام إن مع الأمير الغلامَ فالأمير واحد والغلام واحد. وإذا قيل: إن مع أمير غلاما إن مع أمير غلاما، فهما أميران وغلامان،[8] فعلى ذلك ما ذكر هاهنا.

ثم قوله: «يسرين» هو يسر الإسلام والهدى، ويجوز أن يطلق اسم اليسر على الإسلام والدين قال الله تعالى: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،[9] ويسر آخر ما وعدهم من السعة في الدنيا. ويحتمل أن يكون «يُسْرَين» أحدهما رجاء اليسر، والآخر وجوده، فهما يسران: الرجاء والوجود. ويحتمل أن يكون يسر في الدنيا ويسر في الآخرة، أو أن يكون توسيع يوسَّع[10] عليهم الدنيا،

---

[1] سورة ص، ٤٨/٣٨.

[2] سورة الأنعام، ٨٦/٦.

[3] عن الحسن في قول الله عز و جل: ﴿إن مع العسر يسرا﴾ قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾» (*المستدرك* للحاكم، ٥٧٥/٢).

[4] ث: فإن العسر.

[5] اشتهر بكنية أبي معاذ عالمان، أحدهما أبو معاذ بُكَيْر بن معروف الدامغاني المفسر، قاضي نيسابور (ت. ١٦٣هـ/ ٧٧٩م. انظر: *الوافي بالوفيات* للصفدي، ١٧١/١٠)؛ والآخر أبو معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي (ت. ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م.)، وله كتاب في القراءات. انظر: معجم *المؤلفين* لكحالة، ٦٢٢/٢).

[6] جميع النسخ: كان واحدا.

[7] ث - إن مع الأمير غلاما.

[8] ث: غلامان وأميران.

[9] سورة الليل، ٧/٩٢

[10] ر: توسيع؛ م: توسع

ويسرٌ ثانٍ[1] ما يفتح لهم الفتوح في الدنيا ويسوق إليهم المغانم والسبايا. *والله أعلم*. ثم قالوا في قوله: **فإن مع العسر يسرا**، أي بعد العسر يسرا.[2]

وأصله أن حرف "مع" إذا أضيف إلى الأوقات والأحوال يقع على اختلاف الأوقات في المكان الواحد، وإذا أضيف إلى المكان يقع على اختلاف المكان في وقت واحد. وهاهنا أضيف إلى الوقت فهو على اختلاف الأوقات واحدا بعد واحد. فإذا قيل: فلان مع فلان في مكان، فالوقت واحد والمكان مختلف متفرق.

**﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[٧] ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[٨]**

وقوله تعالى: **فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب**، قال بعضهم: **إذا فرغت**، عن دنياك[3] **فانصب**، لآخرتك، وهو[4] من النَّصَب، أي التَّعَب. وقال الحسن: أَمَرَه إذا فرغ من غزوه أن يجتهد في العبادة له.[5] لكن هذا بعيد لأنه نزل ذلك بمكة، ولم يكن[6] أُمر بالغزو والجهاد بمكة،[7] إلا أن يكون أمر بالجهاد بمكة في أوقات تأتيه في المستقبل، فيكون الحكم لازما عليه في تلك الأوقات لا في حال ورود الأمر. وقال بعضهم: **فإذا فرغت**، من الصلاة، **فانصب**، في الدعاء. وقال قتادة: إذا فرغ من الصلاة أن يبالغ في دعائه وسؤاله إياه.[8] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **فإذا فرغت**، من الفرائض، **فانصب**، في قيام الليل.[9]

ويحتمل عندنا إذا فرغت من تبليغ الرسالة إليهم فانصب لعبادة ربك والأمور التي بينك وبين ربك على ما ذكرنا في أحد التأويلين في قوله: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا، في أمر الرسالة والتبليغ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ،[10] في ما بينك وبين ربك.

---

[1] ر م: ويسرتان.
[2] ث م – أي بعد العسر يسرا.
[3] ث: دينك.
[4] ث: هو.
[5] *تفسير الطبري*، ٢٩٩/٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥٢/٨.
[6] م + بمكة.
[7] م – بمكة.
[8] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٣٩/٣؛ *وتفسير الطبري*، ٢٩٩/٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥٢/٨.
[9] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٤٤٦/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥١/٨.
[10] سورة المزمل، ٧/٧٣–٨.

ويجب أن لا يُتَكَلَّف[1] تفسير ما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها لأنه أمر بينه وبين ربه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما أراد به، فيما خاطبه من الجميع [٩١٣ظ]
وأنه فيم كان. وقد كان خصوصا له وليس شيء مما يجب علينا العمل به حتى يَلْزَمنا التكلفُ[2] لاستخراج ذلك سوى الشهادة على الله تعالى، فكان الإمساك عنه أولى، وترك التكلف فيه والاشتغال به أرفق وأسلم. **والله الموفق.**[3]

[1] ر ث م: أن لا نكلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥١و.
[2] ث: لتكليف.
[3] م - والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة التين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[١] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[٢] ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[٣]

قوله تعالى: **والتين والزيتون**، {قال:} هذه السور[2] كلها نزلت في محاجة أهل مكة، سوى سورة "وَالضُّحَى"،[3] و"أَلَمْ نَشْرَحْ"،[4] فإنهما جاءتا في تذكير منن الله[5] لرسوله. إحداهما خاطبه جبريل في تذكير ما منّ عليه، والأخرى خاطبه ربه بذلك، وأما غيرهما من السور فإنما جاءت في محاجة أهل مكة.

ثم قوله: **والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين**، قَسمٌ أقسم [الله به] تأكيدا للحجج التي أقامها ما لولا القسم لكان ما ذكر يوجب ذلك، لكنّ[6] في القسم تأكيدَ ما ذُكّر من الحجة.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله: **والتين والزيتون**، قال بعضهم: هو التين الذي يأكله الناس، والزيتون الذي يستخرجون منه الزيت، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن التين والزيتون، فقال: تينكم وزيتونُكم هذا.[7] وقال بعضهم: هما جبلان بالشام.

---

[1] ر – سورة التين؛ ث – ثمان آيات وهي مكية؛ م: ذكر أن سورة والتين مكية. لا يوجد في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) تفسير سورة التين.

[2] ر ث م: هذه السورة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٥١و.

[3] سورة الضحى، ١/٩٣.

[4] سورة الانشراح، ١/٩٤.

[5] ث – الله.

[6] ث – لكن.

[7] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٥٢؛ و*بحر العلوم* للسمرقندي، ٤٩١/٣؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٢/٨.

وقال بعضهم: هما مسجدان في الشام، أحدهما مسجد دِمَشْقَ والآخر مسجد بيت الْمَقْدِس. وقيل: التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد نبينا. وعن قتادة أنه قال: التين الجبل الذي عليه دمشق. والزيتون الجبل الذي عليه مسجد بيت المقدس.[1] وقال القتبي: التين والزيتون: جبلان بالشام يقال لهما: طُورُ تَيْنَاء وطُورُ زَيْتَاء بالسُّرْيَانِيَّة سُمِّيا بالتين والزيتون لأنهما يَنْبُتَان فيهما.[2]

وقوله عز وجل: **وطور سينين**، قال بعضهم: هو جبل بِسِينِينَ،[3] والسينين اسم موضع والطور الجبل، وكذا قال أبو عَوْسَجة. وقال بعضهم: جبلُ حَسَنٍ، والسينين هو الحَسَن بالحبشية. وقال بعضهم:[4] كل جبل مُشَجَّر له الثمر فهو سينين. وقال بعضهم: هو الجبل الذي أُوحي عليه إلى موسى عليه السلام وهو طُور سِيناءَ، وقيل: هو الجبل المبارك.

ثم تخرج[5] جهة القسم بالجبال[6] وبما ذُكر على وجوه. أحدها بما عظّم شأن الجبال في قلوب الخلق حيث وصل إليهم أخبارُ السماء من جهة تلك الجبال وجميعُ ما يرجع إلى منافع أنفسهم ودينهم؛ على ما ذكر أنه أُوحي إلى موسى عليه السلام على جبل طُورِ سِيناءَ، وأوحي على عيسي عليه السلام على جبل ساعورا، وأوحي[7] إلى محمد عليه السلام على جبل فاران. على ما ذكر في الخبر أن موسى عليه السلام قال: أتاني ربي من جبل طور سيناء، وسيأتي وحي عيسي عليه السلام من جبل ساعورا، ويأتي الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم من فاران.

والثاني أقسم بالجبال لما أرساها في الأرض وجعلها أوتادا لها لئلا تميد بأهلها ولا تميل، على ما ذكر في غير آي من القرآن عظم شأن الجبال من هذه الجهة في قلوب الخلق.[8] والثالث لِمَا أخرج منها مع شدتها وصلابتها وغِلَظِها وارتفاعها المياه الجاريةَ وغير الجارية الصافية الباردةَ، وهي من ألين الأشياء؛ وأخرج منها الأشجار الكثيرة المثمرة[9] وغير المثمرة من غير إنبات أحد

---

[1] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٤٠؛ و*تفسير الطبري*، ٣٠/٣٠٢.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٢.
[3] م: السينين.
[4] ث + هو.
[5] ر ث م: ثم يخرج.
[6] ر م: بالجبل.
[7] ت – إلى موسى عليه السلام على جبل طور سيناء وأوحى على عيسي عليه السلام على جبل ساعور وأوحى
[8] انظر مثلا: سورة النحل، ١٦/١٥؛ وسورة الأنبياء، ٢١/٣١؛ وسورة النازعات، ٧٩/٣٢؛ وسورة الغاشية، ٨٨/١٩.
[9] ر م: مثمرة الكثيرة.

ولا غَرْسِها وغير ذلك من المنافع التي جعل في الجبال مما لا يمكن للخلق استخراج ذلك منها بحِيَلهم وتكلّفهم. فأقسم بها لعظم ما جعل في الجبال من المنافع والبركات.

وكذلك إن كان القسم بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يُخرج منه الزيت لما جعل لهم في ذلك من المنافع العظام، كقوله تعالى: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ.[1] فمن هذه[2] الوجوه التي ذكرنا يحتمل القسم بالجبال والتين والزيتون. أو ذُكر التين والزيتون والمراد بهما[3] الجبل، لما في الجبل يكونان عندهم على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهذا البلدِ الأمين**، وهو مكة، سماه أمينا لما يَأمن من دخله، أو يُؤمِن من دخله ويحفظه لأن الأمين عند الناس هو الذي يحفظ من أُؤْتُمِن عليه وفيه، وهو المأمون به. ثم جائز أن يكون القسم بالبلد لأهل مكة ولأهل الشرك لما عظم شأنه وأمره عندهم وفي قلوبهم. وأقسم بالجبال لعظم قدرها ومنزلتها ومحلها في قلوب أهل الكتاب لما كانوا يؤمنون ببعض الوحي، وأهل مكة لا يؤمنون بالرسل وبالوحي، ولكن يعظمون ذلك البلد. وجائز أن يكون القسم بما ذكر كلِّه لهم جميعا. *والله أعلم*.

**﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤]**

وقوله عز وجل: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**، قال أهل التأويل: على هذا وقع القسم. لكن القسم[4] بغيره أولى وأقرب، لأنهم قد شاهدوا وعرفوا أنه خلَق الإنسان على أحسن تقويم، إذ لم يَتَمَنَّ[5] أحد / أن يكون على غير هذا التقويم وعلى غير هذه الصورة [٩١٤و]
التي أنشأها عليه. والأشبه أن يكون القسم واقعا على قوله: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ،[6] لما فيه وقع الإنكار والتكذيب وهو نار جهنم، فأكد ذلك بالقسم، كأنه قال: مع أنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم نَرُدّهم إلى أسفل السافلين لكفرهم وعنادهم سوى المؤمنين.

ثم قوله: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**، يخرج على وجوه. أحدها أحسن صورة يشاهدون ويعاينون. لأن الملائكة جعلهم أحسن صورة وأحكم تقويما من البشر

---

[1] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٠.
[2] ث: هذا.
[3] ث: والزيتون المراد منها.
[4] ث - لكن القسم.
[5] ر م: يرد لم يتمن.
[6] الآية التالية.

ولكن يرجع إلى سائر الخلائق دونهم، وذلك لأن خلق البشر على صورة لا يتمنى أحد منهم أن يكون على غير صورة البشر، دل أنه خلقهم[1] على أحسن صورة. والثاني على أحسن تقويم، أي على أحكم تقويم وأتقنه، لأنه جبلهم وأنشأهم على هيأة يتهيأ لهم استعمال الأشياء كلها في منافعهم والانتفاع بها بحِيَلٍ وأسباب علّمهم وجعل فيهم ومكّن لهم ذلك. ويحتمل **أحسن تقويم**، أي أحكم وأتقنِ [تقويم] على الدلالة على وحدانية الله وألوهيته. أو جعلهم أهلَ تمييز ومعرفة، وبحيث يكون منهم الخيرات في أنواع[2] الطاعات التي يثابون عليها وينالون بها الثواب الجزيل والكرامة العظيمة ما لا يكون لغيرهم.

**﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **ثم رددناه أسفل سافلين**، هو يحتمل وجوها. أحدها رددناه إلى أسفل السافلين، وهو جهنم يُرَدّ الكافر[3] إلى جهنم، وهو أسفل السافلين، والمؤمنَ رددناه إلى الجنة وهو أعلى عليين، وهو ما استثنى بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ،[4] في الجنة. والثاني رددناه[5] إلى أسفل ما اختار من الأعمال والأفعال، وهو ما اختار من فعل الشرك والكفر، ورددنا[6] المؤمن إلى أعلى ما اختار من الأعمال العالية الرفيعة. ***والله أعلم***. والثالث ما قاله أهل التأويل: ثم رددناه إلى أرذل العمر وأسفله.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٦]**

ثم استثنى: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون**، أي يُجري[7] عليهم ثواب أعمالهم التي عملوا بها في حال صحتهم وشبابهم. فأما أولئك فإنهم إذا رُدُّوا إلى ما ذُكر[8] لم يُجر لهم ذلك. وهذا التأويل إنما يصح أن لو استثنى المحسنين من المؤمنين منهم. فأما إذا استثنى أهل الإيمان من أهل الكفر فإنه لا يحتمل، والأول أشبه.

---

[1] ث: دل أن خلقهم.
[2] ث: وأنواع.
[3] م: بردا لكافر.
[4] الآية التالية.
[5] م: رددنا.
[6] ر م: رددنا.
[7] ر م: إلا الذين إلى آخره أي تجزي؛ ث: تجري.
[8] ث + هم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾[٧] ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فما يكذبك بعد بالدين**، إن كان الخطاب به لكل إنسان كذّب بالدين يقول:[١] ما[٢] الذي دعاك إلى تكذيبك بالدين، وقد عرفت أن الله أحكم الحاكمين لا يفعل إلا ما هو حكمة. ولو لم يكن يوم الدين كان فعله عبثا باطلا، لأنه أنشأكم ثم رباكم[٣] إلى أن بلغتم إلى الحال التي بلغتم. فلو لم يكن بعثٌ لكان يخرج فعله عبثا باطلا. أو نقول: لما سوّى بين ما اختار وِلايته وبين ما اختار العداوة[٤] في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما، فلا بد من مكان يفرق بينهما هنالك.[٥] وإن كان الخطاب في قوله: **فما يكذّبك بعد بالدين**، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أيّ حجّة[٦] له في تكذيبك بما تخبره[٧] من الدين؟ أي لا حجة له في ذلك، أو يقول:[٨] ما الذي دعاه إلى تكذيبه بالدين بعد ما عرف أني أحكم الحاكمين؟

ثم اختلف في قوله: **بأحكم الحاكمين**، قال بعضهم: أحكم القاضين، أي أعدلهم. وقال بعضهم: أحكم الحكماء، والإفناءُ بلا بعث[٩] فعل السفهاء لا فعل الحكماء، وهو أحكم الحاكمين، أي أعدل[١٠] القاضين في التفريق بين الأولياء والأعداء، وقد اجتمعوا في الدنيا فلا بد من دار يفرَّق بينهما فيها. ***والله الموفق***.[١١]

---

[١] ر م: بقوله.
[٢] ر – ما.
[٣] ر م: أنشاكم ربكم؛ ث: أنشاكم رباكم ثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٢و.
[٤] ر ث م: الولاية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: هناك.
[٦] ر م: وحجة.
[٧] ر ث م: بما يخبره. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: أو نقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: علا بعت
[١٠] م: أي أعد.
[١١] ث: والله أعلم.

﷽

## سورة العلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[١]

قوله تعالى: **اقرأ باسم ربك الذي خلق**، ذكر أهل التأويل أن هذه أول سورةٍ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول وحيٍ أوحي إليه، وقيل: غير هذه هي الأول.

ثم الإشكال أنه أمره[2] بأن يقرأ **باسم ربك الذي خلق**، وحق هذا ونحوه إذا قيل له: "اقرأ" أو "افعل" أن لا يقول مثل ما قيل له: "اقرأ" أو "افعل"، لأنه أمر في الظاهر، إنما يكون عليه الائتمار بذلك. وكذلك قوله: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[3] و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[4] و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ،[5] و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،[6] وكذلك على هذا قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ،[7] وأمثالُ ذلك يجب أن لا يقول هو[8] مثل ما قيل له: "قُلْ" أو اقرأ، ولكن يقول: "يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"، ويقول: "هُوَ اللهُ أَحَدٌ"، "أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، "أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، هذا هو وجه الكلام.

---

[1] ر – سورة العلق؛ ث + تسع عشر آيات وهي مكية؛ م: سورة اقرأ مكية.     لا يوجد في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) تفسير سورة العلق.

[2] ر م: أمر.

[3] سورة الكافرون، ١/١٠٩.

[4] سورة الإخلاص، ١/١١٢.

[5] سورة الفلق، ١/١١٣.

[6] سورة الناس، ١/١١٤.

[7] سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

[8] جميع النسخ: له. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٢و

ومعناه وجوابه أنه يحتمل[١] وجوها. أحدها أنه أريد بهذا أن يكون قرآنا يقرأ هكذا في حق القراءة، يتلى ويثبت في المصاحف إلى آخر الدهر ليُعلَم كيف قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف أوحي إليه، وأنه لم يترك مما قيل له حرفا واحدا، ليكون حجة[٢] لرسالته وآيةً لنبوته. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون كذلك على خلاف المفهوم من كلام الناس
[٩١٤ظ] لئلا يكون المفهوم / من وحي السماء والمنزل منها كخطاب بعض بعضا ولكن خلافٌ منه. والثاني أن يكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد لآخر. خاطب[٣] جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] به[٥] وأمره[٦] أن يقرأ، ثم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره بذلك، وذلك الغير يقول[٧] لآخر كذلك، فيكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد لآخر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **باسم ربك الذي خلق**، يحتمل أن يريد به أي افْتَتِحْ القراءة باسم ربك، على ما جعل افتتاح كل شيء باسم الرب ليُنال بركةَ ذلك فيه. والثاني أن يكون ما ذكر على أثر اسم ربه هو تفسيرَ اسم ربه حيث قال: **الذي خلق** خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ،[٨] فيكون هذا تفسيرا لما ذكر من اسم ربه. أو يكون قوله: **باسم ربك**، كما يقال: «أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به أجبتَ، وإذا سئلتَ به أعطيتَ»،[٩] وذلك الاسم مكتوم[١٠] بين أسمائه.

ثم قوله: **باسم ربك**، يَخرج إضافته إليه مَخرج التعظيم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخصوصيَّتِه له، على ما ذكرنا أن إضافة[١١] خاصِيَّة الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج

---

[١] ر م: أنه يحمى.
[٢] ث: ليكون له حجة.
[٣] ر م: خطاب.
[٤] ر ث – صلى الله عليه وسلم.
[٥] م + به.
[٦] ث: أمره.
[٧] م: تقول.
[٨] الآية التالية.
[٩] عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استُرحمت به رحمت، وإذا استُفرجت به فرّجت» (سنن ابن ماجة، الدعاء ٧).
[١٠] ث: مكتوب
[١١] م: إذ إضافة.

تعظيم ذلك الخاص؛ من ذلك قوله: أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ،[١] ونَاقَةُ اللهِ،[٢] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ،[٣] ونحو ذلك من إضافة خاصية الأشياء إليه. وإضافة كلية الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب والمَحْمَدَة له، نحو قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٤] ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٥] ورَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.[٦] ثم لا يجوز إضافة الخاص الذي لا خصوصية ظهرت له إلى الله تعالى. لا يجوز أن يقال: يا ربَّ زيد، ويا رب عمرو، ونحو ذلك، إنما يجوز ذلك فيمن ظهرت له خصوصية وفضل من الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام والبقاع والأمكنة التي ظهرت لها خصوصية وفضل ليكون ذلك تعظيما لها. ***والله أعلم.***

## ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من علق**، العلق الدم الجامد. ثم قوله: **خلق الإنسان من علق**، أراد به كل إنسان، وعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[٧] كذلك، ليعلم أن اسم الفرد إذا دخله لام التعريف أريد به العموم، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.[٨] وفي الآية دلالة على إبطال قول من يدعي طهارة النطفة بعلةٍ[٩] أن الإنسان خلق منها، فإنه أخبر أنه **خلق الإنسان من علق**، نسب خلق الإنسان إليه، ولا شك أن العلق نجس، ثم أخبر أنه خلق الإنسان منه، فعلى ذلك جائز أن يكون النطفة التي منها يُخلَق الإنسان نجسة وذلك غير مستحيل.

ثم أضاف خلقه مرة إلى الأحوال التي قُلب منها حيث قال: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ،[١٠] إلى آخر ما ذكر. وأضاف هاهنا إلى حال واحدة وهي العلقة التي ذَكر وإن لم يكن الإنسان في الحقيقة مخلوقا من العلقة والنطفة والتراب[١١] الذي ذكر،

---

[١] سورة البقرة، ١٢٥/٢.
[٢] سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وانظر: سورة الشمس، ١٣/٩١.
[٣] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[٤] سورة البقرة، ١٠٧/٢.
[٥] سورة الرعد، ١٦/١٣.
[٦] سورة الأنعام، ١٦٤/٦. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية، «إضافة كلية الأشياء... وخصوصيتها...»
[٧] الآية ٥ من هذه السورة.
[٨] سورة العصر، ٢/١٠٣.
[٩] ت: بعد.
[١٠] ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ (سورة المؤمن، ٦٧/٤٠).
[١١] ث: والتراكيب.

لأن هذه الأسماء أسامي هذه الأشياء باعتبارِ خاصِيّاتٍ فيها. وتلك الخاصيات[1] تنعدم[2] باعتراض حال أخرى عليها. وإنما يحتق الإنسان من المضغة، وإنما ذُكر تخلُّق الإنسان منه ونسبه إلى ما ذكر لما أن[3] الإنسان هو المقصود من خلق ذلك، وهو النهاية التي ينتهي إليها، فذكر بالذي[4] ينتهي إليه من الغاية. *والله أعلم*.

**﴿اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[٣] ﴿اَلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[٤] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥]**

وقوله عز وجل: **اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم**، ذكر **الأكرم**، ليعلم أن اختياره واصطفاءه لرسالته ونبوته وتعليمَه[5] القرآنَ ابتداءُ إحسان منه إليه وتفضل عليه، لا لحق له عليه،[6] إذ ذَكَر في موضع المنة والفضل والكرم، إذ الأكرم[7] هو الوصف بغاية الكرم، كالأعلم وصفٌ بإحاطة العلم وكماله.

وقوله عز وجل: **علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم**، جعل الله تعالى القلم سببا به يُحفَظ وبه يثبت وبه يوصل إلى حفظ ما يُخاف فوته ونسيانُه من أمر دينهم ودنياهم ما لو لم يكن القلم لم يستقم أمر دينهم ولا دنياهم. ثم قوله: **علم بالقلم**، أي علّم الخط والكتابةَ بالقلم، وكذا ذُكر في حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصةَ رضي الله عنهم:[8] "علم الخط بالقلم". ثم أضاف التعليم بالقلم إلى نفسه، وكذلك قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون أضاف ذلك إلى نفسه لما يخلق منهم[9] فعل تعلّمهم. ويحتمل إضافته إليه للأسباب التي جعلها لهم في التعليم. *والله أعلم*. ثم ذلك التعليم بالقلم[10] لأمته لا[11] لرسول[12] الله صلى الله عليه وسلم،

---

[1] ت - وتلك الخاصيات.
[2] ر: تتعدم.
[3] ت: ما ذكر لأن.
[4] ر م: بالذكر.
[5] جميع النسخ: وتعليم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٢ظ.
[6] ت + بإحاطة العلم وكماله.
[7] ر: إذا الأكرم.
[8] ر: عنه؛ م: عنهما.
[9] أي من الناس.
[10] ت - بالقلم.
[11] ر - لا.
[12] ت: لرسول.

لأنه علمه إياه بلا كتابة ولا خط حيث قال: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[١] ثم في تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا قلم ولا كتابة آية عظيمة لرسالته حيث جعله بحال يحفظ بقلبه بلا إثبات ولا كتابة ولا خطٍّ خطَّه. ثم قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم،** يحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا،[٢] وكقوله: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا،[٣] وقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.[٤] ويحتمل قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم،** كل إنسان كقوله: وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ / أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا.[٥] [٩١٥و]

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾[٦] ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى،** طغى بالغنى، أي تكبر وافتخر بما رأى نفسه غنية. وعلى هذا ما روي في الخبر من التعوذ من غِنًى يُطغي وفقرٍ يُنسي،[٦] لأن الغنى يحمل على التكبر والافتخار والطغيان. والطغيان[٧] هو المجاوزة عن الحد والتعدي فيه؛ والفقر المنسي هو الْمُجْهِد الذي يُنسي غيره من النعم، أعني ينسي غير المال من صحة البدن والعقل والعلم، ونحو ذلك.

وقوله عز وجل: **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى،** ليس هذا وصف ذلك الكافر بعينه على ما ذكره[٨] أهل التأويل: أبي جهل لعنه الله،[٩] ولكنْ كلُّ كافر يطغى أن رأى نفسه غنيّة.

---

[١] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨.

[٢] ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/١١٣).

[٣] سورة هود، ١١/٤٩.

[٤] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥٢).

[٥] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٨).

[٦] عن أنس قال: ما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة مكتوبة قط إلا قال حين أقبل علينا بوجهه: «اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يُخزيني، وأعوذ بك من صاحب يؤذيني، وأعوذ بك من كل أمل يلهيني، وأعوذ بك من كل فقر ينسيني، وأعوذ بك من كل غنى يُطغيني» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/١٤٥). وانظر: *المبسوط* للسرخسي، ٣٠/٢٨٢.

[٧] ث - والطغيان.

[٨] ث: على ما ذكر.

[٩] انظر مثلا: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٠١.

[٩١٥و س٩ *ثم قوله تعالى: **إن الإنسان ليطغى**، أريد به إنسان دون إنسان؛ إذ لم يطغ كل إنسان ولا نُحنُف يقع[1] في حبر الله تعالى، فكان المراد منه البعض، ليعلم أن الفهم بظاهر الخطاب والعموم ليس بواجب، ولكن على حسب قيام الدليل على المراد منه. وفيه أن المراد منه
٩١٥و س١٢] قد يكون منبّها مقرونا به، وقد يكون مطلوبا غير مقرون به.*

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إن إلى ربك الرجعى**، أي[3] المرجع،[4] كذا قال أبو عبيدة،[5] وقال غيره: الرجوع. ثم يحتمل قوله: **إلى ربك الرجعى**، أي المرجعُ للكل إلى ما أعد لهم، أعد للكافر النار وللمؤمن الجنة على ما ذكر في الآية. وجائز أن يكون إخبارا عن رجوع الكل إليه.*

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾[٩] ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾[١٠] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾[١١] ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾[١٢] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[١٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، ذكر أهل التأويل أن الذي ينهى أبو جهل لعنه الله، **عبدا إذا صلى**، رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنه كان يصلي في الحِجْر فكان ينهاه أبو جهل، فنزل[7] **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى**.[8] جائز أن يُجمع هذا كلُّه في الوعيد الذي ذكره على إثر ذلك وهو قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، كأنه قال: أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى: أرأيت الذي ينهى من كان على الهدى أو أمر بالتقوى. وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ينهاه ذلك الكافر إذا صلى، وينهاه عن الهدى وعن الأمر بالتقوى،[9]

---

[1] ث + على الله.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٥و/سطر ٩-١٢.

[3] ر م - أي.

[4] م ث: الرجع.

[5] ر ث: أبو عبيد. مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٠٤/٢.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٥و/سطر ٩-١٢.

[7] ث: فنزلت.

[8] مسند أحمد بن حنبل، ٣٢٩/١.

[9] ث - وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهاه ذلك الكافر إذا صلى وينهاه عن الهدى وعن الأمر بالتقوى.

أرأيت إن كذّب[1] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتولى عن طاعة الله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى. يدخل جميعُ ما ذكر في هذا الوعيد فيكون ذلك جوابا لما تقدم من قوله: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، إلى آخر ما ذكر. وجائز أن يكون جواب قوله: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، مسكوتا عنه تُرِك للفهم.

ثم قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، أي ألم يعلم بأن الله يرى فينتقم منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ألم يعلم بأن الله يرى فيدفعه عما همَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو وعيد. ثم قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، يحتمل وجهين. أحدهما قد علم بأن الله يرى جميع ما يقوله ويفعله ويَهُمّ به، لكنه فعل ذلك على المكابرة والعناد. والثاني لم يعلم بأن الله يرى على نفي العلم له بذلك، إذ لو علم بأن الله يرى ويعلمُ ما يفعله من النهي عن الصلاة والمكر به لكان لا يفعل ذلك به.

﴿كَلَّا لَئِن لَمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾[١٥] ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة**، أي حقا لئن لم ينته عن صنيعه الذي يصنع برسول الله[2] لنسفعن **بالناصية ناصية**، أي لنأخذنَّ بالناصية[3] كأنه عبارة عن الأخذ الشديد والجر الشديد[4] على الناصية. ثم يحتمل أن يكون ذلك الوعيد له في الدنيا أنه لو لم ينته عما ذكر. فإن كان في الدنيا فيكون السفع كناية عن العذاب،[5] أي لَنعذبنّ، وقيل: قد[6] أخذ بنصيته يوم بدر، فأُلقي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا. وإن كان في الآخرة فهو على حقيقة[7] أخذ الناصية، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[8] وقوله: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.[9]

---

[1] ر + وتولى.
[2] ث + صلى الله عليه وسلم.
[3] ث - بالناصية.
[4] ث - والجر الشديد.
[5] ر: عن العراب.
[6] ث: وقد قيل.
[7] ر م: عن حقيقة.
[8] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[9] سورة القمر، ٤٨/٥٤.

وقال أهل العربية: **لنسفعن بالناصية**، أي نقبض.[1] وسَفَعْتُ ناصيته، أي قبضت، ويقال: سفعه بالعصا، أي ضربه بها؛ ويقال: إسْفَعْ بيده، أي خذ[2] بيده.[3]

وقوله عز وجل: **كاذبةٍ خاطئة**، يحتمل ما ذكر من قوله: **كاذبة خاطئة**، كناية عن النفس، ويحتمل أن يكون كناية عن الناصية التي تقدم ذكرها.

## ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[١٧] ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فليدع ناديه**، أي أهل مجلسه في الإعانة له بما يَهُمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، **سندع الزبانية**، نحن في الدفع عنه ليرى[4] هل يقدر أن يفعل ما هم به.

ويحتمل ذلك في الدنيا وقد ذكر أنه قتل يوم بدر. وجائز أن يكون ذلك الدفع من الزبانية في الآخرة، وسموا زبانية للدفع، أي يدفعون أهل النار في النار. وقيل: **الزبانية**، الشُّرَطُ والواحد زِبْنِيَةٌ،[5] والنادي المجلس، يريد به قومه.

## ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **كلا لا تطعه**، أي لا تطع ذلك الكافر، وكان ما ذكر لم يطعه[6] حتى مات. وقوله عز وجل: **واسجد واقترب**، يحتمل قوله:[7] **واسجد واقترب**، أن يكون هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، أي صَلِّ واقترب إلى الله تعالى. ويحتمل أن يكون قوله: **واسجد**، خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، / أي صل، وقوله: **واقترب**، خطابا لأبي جهل لعنه الله،[8] [٩١٥ظ]

---

[1] ر: أي تقبض.
[2] ث: أخذ.
[3] وفي التنزيل: ﴿لَنَسْفَعَنْ ...﴾، ناصيته مقدم رأسه، أي لَنَصْهَرَنَّها ولنأخذنّ بها، أي لنُقْمِئَنَّه ولَنُذِلَّنّه. ويقال: لنأخذن بالناصية إلى النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخَذ بالنواصي والأقدام﴾ [سورة الرحمن، ٥٥/٤١]. ويقال: معنى لنسفعن لنُسَوِّدَنْ وجهه، فكَفَتِ الناصيةُ لأنها في مقدم الوجه (*لسان العرب*، «سفع»).
[4] ر م: لنرى؛ ث: لترى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٣و.
[5] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نادِيَه ..﴾ قال قتادة: فيدع ناديه حَيَّه وقومه فسندعو الزبانية، قال: الزَّبانية في قول العرب الشُّرَط. قال الفراء: يقول الله عز وجل: ﴿سندعو الزبانيه﴾ وهم يعملون بالأيدي والأرجل فهم أقوى. قال الكسائي: واحد الزَّبانية زِبْنِيٌّ. وقال الزجاج: الزَّبانية الغلاظ الشداد واحدهم زِبْنية وهم هؤلاء الملائكة الذين قال الله تعالى: ﴿عليها ملائكة غلاظ شِدادٌ﴾ [سورة التحريم، ٦٦/٦] وهم الزَّبانية (*لسان العرب*، «زبن»).
[6] ر م: لم تطعه.
[7] م - قوله.
[8] ر ت - لعنه الله.

أي اقترب إلى محمد حتى ترى، على سبيل الوعيد، لما كان يقصد المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في حال الصلاة.

ثم[١] على التأويل الظاهر الآيةُ حجة لنا على أهل التشبيه، فإنه لم يفهم من قوله: **واقترب.** القرب من حيث المكان وقربُ الذات، ولكنْ قربُ المنزلة والقدر. وكذلك ما ذكر في بعض الأخبار: «ومن تقرب[٢] إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا»[٣] ونحو ذلك لا يفهم منه قرب الذات ولكن قرب المنزلة والقَدْر بالإجابة، وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من القرب قرب المنزلة والقدر.

ثم في هذه السورة السجدةُ لِما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عيه وسلم سجد فيها.[٤] وروي عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سَجَد في إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[٥] واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ،[٦] أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن هو خير منهما.[٧] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: في اِقْرَأْ من عزائم السجود.[٨] و[روي] أبو عبيدة[٩] عن عبد الله أنه سجد فيها. ***والله أعلم بالصواب.***[١٠]

---

١ ر م – ثم.

٢ ر: ومن يقرب.

٣ مسند *أحمد بن حنبل*، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٥٠؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١.

٤ عن أبي هريرة قال: سجدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في "إذا السماء انشقت" و"اقرأ باسم ربك" (صحيح *مسلم*، المساجد ومواضع الصلاة ١٠٨؛ وسنن *الترمذي*، الجمعة ٥٠).

٥ سورة الانشقاق، ١/٨٤.

٦ الآية ١ من هذه السورة.

٧ سنن *النسائي*، الافتتاح ٥٢.

٨ *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٤٦/٢؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٢٨/٢٠.

٩ ر: أبو عبيده؛ ث: أبو عبيد.

١٠ ث م – والله أعلم بالصواب؛ م + إنهي صل على النبي المكي والمدني.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القدر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]**

قوله عز وجل: **إنا أنزلناه في ليلة القدر**، قال أهل التأويل: إن قوله: **إنا أنزلناه**، يعني القرآن، ويحتمل أن يكون قوله: **إنا أنزلناه**، يعني السلام الذي ذكره[٢] في آخر السورة حيث قال: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ.[٣] فمن قال: أنزل القرآن في ليلة القدر فهم مختلفون فيه. قال بعضهم: أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في تلك الليلة، وهي في شهر رمضان، كقوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ،[٤] أي أنزل من اللوح المحفوظ، ثم أنزل[٥] من السماء الدنيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفاريق على قدر الحاجة من الأمر والنهي والحلال والحرام والمواعظ وكل ما يُحتاج إليه. وقال بعضهم: إنما أُنزل من اللوح المحفوظ في تلك الليلة المقدارُ الذي يحتاج إليه إلى العام القابل جملة، ثم يَتنزِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نُجوما بالتفاريق. ***والله أعلم.***

---

[١] ر – سورة القدر؛ ث + خمس آيات وهي مكية؛ م + مكية. نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) ناقصة قدر ثلاث صفحات. وستأتي الإشارة إليها.

[٢] ر م: ذكر.

[٣] الآيتان ٤ و ٥ من هذه السورة.

[٤] سورة البقرة، ١٨٥/٢.

[٥] ث: ثم نزل.

ثم لا ندري أن تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة: لِمضيِ عبادة جعلت فيها [التي] امتُحِن الخلق بأدائها على الترغيب والأدب، أو فُضِّلت لمكان ما امتحن الملائكة وكلَّفهم بالنزول فيها والعبادة لله في الأرض وأنزل القرآن ونحو ذلك. أو لحكمة ومعنى فضِلت لم يُطلع على ذلك المعنى أحدا. وقد جعلت لبعض الأمكنة الفضيلة لعبادات جعلت فيها، نحو ما ذُكر: «صلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مِائَةَ ألفِ صلاةٍ في غيره، وصلاة واحدة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره سوى المسجد الحرام».[1] وقال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[2] خصت هذه البقاع بالفضيلة على غيرها لعبادات جعلت فيها. فعلى ذلك جائز أن يُخَصَّ بعض الأوقات[3] دون بعض بالفضيلة لمكان عبادات جعلت فيها. لكن بيَّن تلك الأماكن ولم يُبيِّن تلك الأوقاتَ المفضلة وجعلها مطلوبةً من بين غيرها من الأوقات، فهو -والله أعلم- أن لو بُيِّن وأشير إليها لكان لا مئونة تلزم[4] في ذلك لأنه يحفظ ذلك الوقت وتلك الليلة خاصة، وأما المكان فتلزم[5] المئونة في إتيان ذلك المكان. وعلى ذلك يخرج ما لم يبين وقتَ خروج روح الإنسان من بدنه، لأنه لو بين وأعلم نهاية عمره لتعاطي الفسق وارتكب المعاصي آمنا إلى آخر[6] أجزاء حياته ثم يتوب، فلم يبين ليكون أبدا على خوف وحذر ورجاء، فعلى ذلك لم يبين تلك الليلة لتُطلب[7] من بين الليالي جميعا لِيُحْيُوا لياليَ غيرها. ***والله أعلم***.[8]

ثم إن كان السؤال عن القرآن -وهو المنزَل[9] في[10] تلك الليلة- يكون دليله قولَه: حٰمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ،[11] وإن كان السؤال عن ليلة القدر فيكون البيان عنها:

---

[1] سنن ابن ماجة، الإقامة ١٩٥؛ وانظر: السنن الكبرى للبيهقي، ٥/٤٠٤.

[2] سورة الجن، ١٨/٧٢.

[3] ث + المفضلة وجعلها مطلوبة.

[4] ر ث م: يلزم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٣ظ.

[5] ر ث م: تلزم.

[6] م: آمنا آخر.

[7] ر ث م: ليطلب. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ث: والله سبحانه أعلم.

[9] ر م: هو المنزل.

[10] م + ليلة العد.

[11] سورة الدخان، ٤٤/١-٣.

**﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[٢]**

ثم قوله: **وما أدراك ما ليلة القدر**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يقول: ما كنت تدري حتى أدرك، كقوله: مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا.[١] ويحتمل قوله: **وما أدراك**، على التعظيم لها والتعجيب. **والله أعلم**.[٢] وقيل: نزول هذه الآية يكون على معنى التسلي، أعطاه فضل هذه الليلة والعملَ فيها.

**﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]**

ثم بين فضلها حيث قال: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أُرِيَ بني أُميّةَ على منبره، فساءه ذلك فنزل: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.[٣] **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد.[٤] وقال بعضهم: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها. وقيل أيضا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لأصحابه[٥] أن رجلا من بني إسرائيل جاهد ألف شهر في سبيل الله فَعَظُم ذلك عليهم فنزل قوله: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها / خير من جهاد[٦] ذلك الرجل في ألف شهر.[٧] ويحتمل أن يكون [٩١٦و] ذكر ألف شهر على سبيل التمثيل لا على التوقيت، أي خير من ألف شهر وأكثرَ، إذ التقدير قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان شرف ذلك الشيء وعظمته، فلا يكون الغرض هو القصرَ على العدد، وهو كقوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ،[٨] ونحو ذلك.

ثم اختلف في تسمية ليلة القدر، قال بعضهم: هي ليلة الحكم والقضاء، فيها يحكم ويقضي ما يريد أن يكون في ذلك العام المقبل، كقوله:[٩] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.[١٠]

---

[١] سورة هود، ٤٩/١١.
[٢] ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.
[٣] الآيتان سابقتان.
[٤] *تفسير الطبري*، ٣٢٩/٣٠-٣٣٠.
[٥] ث: لصحابة.
[٦] ث: من عمل.
[٧] *تفسير الطبري*، ٣٢٩/٣٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٦٤/٨.
[٨] سورة التوبة، ٨٠/٩.
[٩] ث + سبحانه وتعالى
[١٠] ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (سورة الدخان، ٣/٤٤-٤)

* أو سميت ليةَ القدر لأنها ليلة ها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء[2] العظيم بالقدر والمنزلة، وسميت لية مباركة[3] لأنه تنزل[4] فبها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه، أو سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٤] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام**، قال بعضهم: الروح هاهنا جبريل عليه السلام،[5] كقوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،[6] وقال بعضهم:[7] الروح[8] خلق مُوَكَّلون بالملائكة كما أن الملائكة موكلون ببني آدم. وجائز أن يكون الروح هاهنا هو الرحمةَ، أي تنزل[9] الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت مباركة بما تنزل[10] فيها من البركات. ثم اختلفوا في قوله: **فيها**، قال بعضهم: أي في تلك الليلة تنزل الملائكة والروح، وقيل: الروح[11] **فيها**، أي في الملائكة.

وقوله عز وجل: **بإذن ربهم**، أي ينزلون بأمر ربهم.[12] وقوله عز وجل: **من كل أمر**، قال بعضهم: أي بكل أمر يقدّر في تلك السنة على الأرض. وكذا قال القُتَبي: **من كل أمر سلام**، أي بكل أمر سلام.[13] وقيل: **من كل أمر**، يدبره الله تعالى، أي الملائكة لا علم لهم في ما يقدر الله تعالى إلا أن يُطلعهم عليه، فكأنهم يَطّلعون على ما يقدِّر في تلك السنة من الأمور، فينزلون بها بأمر الله تعالى.

---

* ابتدأت متن نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) من هنا.
[2] ر + أو سميت ليلة القدر لأنها بية لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في بية مباركة إنا كنا مندرين﴾ (سورة الدخان، ٣/٤٤).
[4] جميع النسخ: لأنه ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[5] ر م – عليه السلام؛ ث: هاهنا عليه الصلاة والسلام.
[6] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦.
[7] ن ث – بعضهم.
[8] ر م – الروح.
[9] ر ث م: هنا هو الرحمة أي ينزل.
[10] جميع النسخ: بما ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م – الروح.
[12] ر م: بإذن ربهم.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٤.

وقوله عز وجل: **سلام،**[١] قيل: تنزل الملائكة تَخْفُق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة. وقيل:[٢] أي هي ليلة سالمة لا يَحْدُث فيها شر ولا يُرسَل فيها شيطان إلى مطلع الفجر. وقال بعضهم: هو سلام الملائكة، أي تسلّم الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة. وقال بعضهم: **من كل أمر سلام**، أي من كل آفة وبلاء سلام؛ وكذلك[٣] ذُكر في قوله: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؛[٤] قال بعضهم: يحفظونه من عذاب الله، وقال بعضهم: يحفظونه بأمر الله تعالى، فلذلك يحتمل قوله: **من كل أمر سلام**، هذين الوجهين.

وقوله عز وجل: **هي**[٥] **حتى مطلع الفجر**، يحتمل أي تلك البركات التي ذكرت إلى مطلع الفجر، ويحتمل ذلك السلامُ الذي ذكر إلى مطلع الفجر، ويحتمل الملائكة يكونون في الأرض إلى مطلع الفجر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: من كل امْرِئٍ سلام، وقال: يعني الملائكة.[٦]

ثم[٧] قال بعضهم: اختلفت[٨] الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر متى يكون؟ واختلفت[٩] الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فيها. روى[١٠] عبد الله بن أُنَيْس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر، واطلبوها[١١] في كل وتر».[١٢] وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلةُ تسعة عشرَ من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلةُ ثلاثة وعشرين».[١٣] وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَحرَّوا[١٤] ليلة القدر في السبع الأواخر».[١٥]

---

[١] ر م + هي.
[٢] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[٣] ن: وكذا.
[٤] سورة الرعد، ١١/١٣.
[٥] ر ث م - هي.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢٣٠/٣٠؛ وانظر: *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥١٨/١٠.
[٧] ر م - ثم.
[٨] ر م: اختلف.
[٩] ر م: وختلف.
[١٠] ر ث م: يروى.
[١١] ر م: واطلبوا.
[١٢] *سنن الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٣] *سنن الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٤] ر م: تخيروا؛ ن: الحروا.
[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٣/٢؛ *وصحيح مسلم*، الصيام ٢٠٦؛ *وسنن أبي داود*، شهر رمضان ٥.

وروي أنها في سبع وعشرين. وعن[1] عبد الله بن عمر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع، قال: «هي في كل رمضان».[2] وعن زرّ[3] قال: قلت لأبيّ بن كعب: أخبرني عن ليلة القدر يا أبا[4] المنذر، فإن صاحبنا[5] عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال:[6] "من يقيم الحول يصيبها". فقال: نعم رحم الله أبا[7] عبد الرحمن، والله لقد علم أنها في رمضان، كره أن يَتَّكِلوا، والله إنها في رمضان ليلة سبع وعشرين.[8]

ثم ليس لنا ولا لأحد أن يشير إلى تلك الليلة فيقولَ:[9] هي ليلة كذا، ليلةُ سبعٍ وعشرين[10] أو تسع وعشرين إلا أن يثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالإشارة إليها، فعند ذلك يسع[11] وإلا كانت مطلوبة في الليالي. وعلى هذا الوجه يخرج الأخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون كلها صحيحة، فيكون في سنة [في][12] بعض الليالي وفي سنة أخرى في غيرها، وفي سنة[13] في العشر الأواخر من رمضان، وفي سنة في العشر[14] الأوسط من رمضان، وفي سنة في العشر الأول، وفي سنة في غير رمضان. والله أعلم بذلك.[15]

---

[1] ر م - عن.

[2] سنن أبي داود، رمضان ٤؛ والدر المنثور للسيوطي، ٥٧١/٨.

[3] ر م: وعن زبير؛ ن ث: وعن أبي زر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٤و.

[4] ر ث: القدر بأنا.

[5] ر ث م: فإن صاحبه.

[6] ن: قال.

[7] ث: أنا.

[8] حدثنا محمد بن حاتم وابن أبي عمر كلاهما عن ابن عيينة. قال ابن حاتم: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يقول: سألت أُبَيَّ بنَ كعبٍ رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يَقُمِ الحولَ يصب ليلة القدر. فقال: رحمه الله! أراد أن لا يَتَّكِلَ الناسُ. أمَا إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين. (صحيح مسلم، الصيام ٢٢٠).

[9] ن: فنقول.

[10] ن: عشرين.

[11] جميع النسخ: تسع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٤ظ.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ر ث م: وفي سبع.

[14] ر م: وفي سنة العشر.

[15] ر: والله تعالى أعلم بالصواب الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين؛ ث + وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م: والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة البينة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[١]

قوله تعالى: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**، ذَكَر في حقّ أهل الكتاب: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**، بحرف "**مِن**" وهو للتبعيض، ولم يقل: "أهل الكتاب"، وذَكَر في حقّ أهل الشرك[2] **والمشركين**، لأن أهل الكتاب كانوا فِرَقا: منهم من كان آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل / أن يُبعَث،[3] فلما بُعث كفروا به. [٩١٦ظ] ومنهم من كان[4] كافرا به فلما بعث[5] آمن به ولزم[6] الإيمانَ به. ومنهم من كان كافرا به، فلما بعث[7] وأرسل لزم الكفرَ به ولم يؤمن؛ فلمّا كانوا[8] أصنافا وفرقا[9] قال: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**، بحرف "**مِن**". وأما المشركون فإنهم كانوا صنفا واحدا.

---

[1] ر – سورة البينة؛ ن: ذكر أن سورة لم يكن مدنية؛ ث + وهي ثمان آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة البينة مدنية.
[2] ر م: أهل الكتاب.
[3] جميع النسخ + ومنهم من كان كافرا به.
[4] ن + كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤ظ.
[5] ن + وأرسل لزم الكفر به. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن: فلزم. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م – كفروا به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث آمن به ولزم الإيمان به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث.
[8] م + كانوا.
[9] جميع النسخ + لذلك.

ثم لم يبين بأنهم إذا أتاهم البينة ينفكون أوْ لا؟ وجائز أن يكون قوله عز وجل: **لم يكن** إلى[1] قوله **حتى تأتيهم البينة**. أي لم يكن بعض أهل الكتاب وبعض المشركين منفكين من الكفر؛ لأنه عَطَف المشركين على أهل الكتاب، كأنه قال: من أهل الكتاب ومن المشركين. ولذلك خفض المشركين ولم يقل: والمشركون، بل كانوا أهل كفر وشرك إلى آخر عمرهم وإن أتتهم[2] البينة. والبينة هي ما في خلقة[3] كل أحد مما يدلّ على ألوهيته[4] ووحدانيته. ويحتمل أن بعضا من الفريقين على الشرك حتى تأتيهم البينة وهي معاينة العذاب عند الموت، كقوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[5] ونحو ذلك. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: لم[6] يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين،[7] وفي حرف أبيّ: ما كان الذين أشركوا من أهل الكتاب والمشركين [منفكين].[8]

ثم اختلف في قوله عز وجل: **منفكّين**، قال بعضهم: لم يكن الذين كفروا[9] من أهل الكتاب والمشركين منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة. وقال بعضهم: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين[10] خارجين من الدنيا حتى تأتيهم البينة.

ثم اختلفوا في البينة التي ذُكر أنها تأتيهم. قال بعضهم: البينة رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيث قال على أثره: رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً.[11] وقال بعضهم: ما جاء به[12] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن، وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم[13] من الحُجج.

[1] ر: أي.
[2] ر: وإن أتيتهم.
[3] ث: في خلقه.
[4] ر: على ألوهية.
[5] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).
[6] ث ن: لمن.
[7] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٤٢/٢٠؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥٢٣/١٠.
[8] قرأ أبي بن كعب: ﴿فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين﴾ (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٤٢/٢٠؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥٢٣/١٠).
[9] ر ث م – كفروا.
[10] ث – منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين.
[11] الآية التالية.
[12] ر م + محمد.
[13] ر ث م – وهو القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن جعل قوله: **منفكّين**، منتهين زائلين يجعل البينةَ رسولَ الله[١] صلى الله عليه وسلم، سُمّي بينةً لأنه به يعرف كل خير وكلُّ إحسان، وبه يتبيّن الحق من الباطل[٢] وكلُّ شيء من أمر المعاد والمعاش، وكذلك القرآن جاء به. ومن قال: **منفكّين**، خارجين من الدنيا يجعل البينةَ التي ذكر أنها تأتيهم العذابَ معاينةً جهارا، كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ،[٣] أي خارجين من الدنيا حتى يعلموا العذاب، فعند ذلك يؤمنون.

[٩١٧ظ س٢٠ * قال أبو عَوْسَجة: **منفكين**، أي لا يزالون على هذه الحال، يقول الرجل: ما انْفَكَكْتُ أفعلُ كذا وكذا، أي ما زلت[٤] أفعل كذا وكذا. وقال القُتَبِي وأبو عبيد[ة] وغيرهما: **منفكين**، زائلين.[٥]* ٩١٧ظ س٢٢]

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[٢]

وقوله عز وجل: **رسول من الله يتلو صحفا مطهرة**، على التأويل الأول في البينة يكون ما ذكر من قوله: **رسول من الله**،[٧] تفسيرا للبينة. وعلى الثاني يخرّج على الابتداء، يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو صحفا مطهرة. ثم جائز أن يكون سمّى القرآنَ وحده صحفا على المبالغة؛ إذ قد يسمّى الواحد باسم الجميع[٨] على المبالغة. وجائز أن يكون قوله: **يتلو صحفا**، القرآنَ وسائرَ الصحف، لأن سائر الصحف فيه. وكذلك فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ،[٩] جائز أن يكون سُمّي كتابه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبا على الإبلاغ والتأكيد على ما ذكرنا. وجائز أن يكون **يتلو صحفا**، وكُتُبًا عليهم وهي التوراة والإنجيل والزبور، كان هذا القرآن في تلك الكتب وتلك الكتب في هذا، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ،[١٠]

---

[١] ن + ورسول الله.
[٢] ر ث م: الحق والباطل.
[٣] سورة النساء، ١٥٩/٤.
[٤] ر م – ما رت؛ ث – رلت.
[٥] ر م: زيلين. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٤٥٦/٢؛ *وتفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٤.
* وقع ما بين النجمتين أثناء تفسير الآية ٨ من هذه السورة متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١٧ظ/ سطر ٢٠-٢٢.
[٧] م + يتلو صحفا.
[٨] م: باسم الجمع.
[٩] الآية التالية.
[١٠] سورة الشعراء: ١٩٦/٢٦.

وقوله تعالى: إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.[1] أخبر أنه في تلك الكتب وأن الكتب الأولى فيه، فيصير بتلاوة هذا عليهم كأنه تلا[2] تلك الكتب عيهم. وعلى هذا قوله تعالى: هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي،[3] وقوله[4] تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،[5] وقوله عز وجل: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ.[6] ففي هذا ما في تلك الكتب. وقال بعضهم: **صحفا مطهرة**، التي كانت في أيدي السفرة البررة.

وقوله تعالى: **مطهّرةً**، يحتمل **مطهّرة**،[7] من أن يكون للباطل فيه حجة أو مدخل، أو **مطهّرة** من الافتعال والافتراء، أو **مطهّرةً** من أن يحتمل ما ذكره أولئك الكفرة. وقال قتادة: سمّى كتابه بأحسن الأسماء وأثنى عليه بأحسن الثناء،[8] سمّاه نورا[9] وهدى ورحمة[10] وبركة[11] وأنه شفاء[12] ونحوه.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **قيمة**، اختلف فيه. قال بعضهم: **فيها كتب** صادقة، وقال بعضهم: عادلة، وقال[13] غيرهم: مستقيمة على ما يوجبه الحكمة. وجائز أن يكون قوله تعالى: **فيها كتب قيمة**، أي أحكام كثيرة مستقيمة على ما توجبه الشريعة والحكمة.

---

[1] سورة الأعلى، ٨٧/١٨-١٩.
[2] ن – تلا.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/٢٤.
[4] ر م: قوله.
[5] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٩٧؛ وسورة آل عمران، ٣/٣.
[6] سورة لبقرة، ٢/٩١.
[7] ث – يحتمل مطهرة.
[8] *تفسير الطبري*، ٣٠/٣٣٣.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فآمِنوا بالله ورسوله والنُّور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (سورة التغابن، ٦٤/٨)، ونحو ذلك من الآيات.
[10] ﴿ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناه على عِلْمٍ هُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٢)، ونحو ذلك من الآيات.
[11] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٥)، ونحو ذلك من الآيات.
[12] ﴿ونُنَزِّلُ مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ لِلمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٢)، ونحو ذلك من الآيات.
[13] ر م: قال.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[٤]

وقوله تعالى: **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**، بقول أهل التأويل: إنما تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينة، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر [الأصم]: هذا التأويل خطأ، لأنهم كانوا متفرقين قبل ذلك، فلا معنى لهذا.[1] وعندنا ليس كما توهم هو، وهو يخرج على وجهين. أحدهما، وما تفرقوا في محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءهم العلم به، عند ذلك تفرّقوا فيه، فأما قبل ذلك كانوا مجتمعين فيه[2] كلُّهم. أو ما تفرّقوا[3] في الدين والمذهب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، أي عن بيان وعلم تفرقوا في الدين. وفيما تفرقوا فيه[4] وهو / ما جُعل في خلقة[5] كلِّ أحد دلالةُ التوحيد والربوبية له ما لو تفكّروا لعرفوا بأن الله تعالى واحد. والبينة يحتمل من هذا الموضع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والقرآنَ ونفسَ الخلقة على ما ذكرنا. [٩١٧و]

* وفي قوله: **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**، وجهان. أحدهما تحذير لهذه الأمة لِأن لا يتفرقوا كما تفرق أولئك في رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] وفيما جاء به. والثاني يكونون أبدا فزعين إلى الله تعالى في كل وقت خائفين منه وأن لا يَكِلُوا إلى البيان الذي جاءهم، فيتفرقوا كما تفرق أولئك.* [٩١٧و س٢٠ ... ٩١٧و س٢٣]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وما أمروا إلا ليعبد الله مخلصين له الدين**، أي ما أُمِر أوائلهم وأواخرهم في تلك الكتب إلا ليعبدوا الله تعالى ولا يعبدوا من دونه. أو ما أمروا إلا ليجعلوا الألوهية[8] لله والوحدانية له.

---

[1] ر م: لذلك؛ ث: كذلك.
[2] ر ث م: مجتمعين به فيه.
[3] ر ث م + فيه.
[4] ن – وفيما تفرقوا فيه.
[5] ث: في خلقه.
[6] ن – صلى الله عليه وسلم.
[7] وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٧و /سطر ٢٠-٢٣.
[8] م: ألوهية.

ودل قوله: **وما أمروا إلا ليعبدوا الله**، على أن تأويل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[1] على إضمار الأمر، أي إلا ليأمرهم بالعبادة على كل حال، لأنه لو خلقهم للعبادة ما قدروا غيرها.[2] أو أن يكون قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، على الخصوص، خلق مَنْ عَلِم أنه يعبده للعبادة.

وقوله عز وجل: **مخلصين له الدين**، إخلاص الدين له يخرج على وجهين. أحدهما أن يُخلِص[3] له الدين ويُصفِّي لا يشرك فيه غيرَه، ويكون من خلوص وصفاء.[4] والثاني الدين الخالص هو الدائم، كقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[5] أي دائما.[6] وكذلك يحتمل قوله: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ.[7]

وقوله عز وجل: **حنفاء**، قال أهل التأويل: [هم] المسلمون، وقال بعضهم: **حنفاء**، متبعين. والحَنَف[8] الميل، كأنه قال: مائلين إلى الإسلام. وقيل: **حنفاء**، الحُجّاج، وقيل: الحنيف[9] المستقيم.

وقوله عز وجل: **ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**، يحتمل القبول، أي قَبِلوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ،[10] أي تابوا وقبلوا ذلك، ليس على حقيقة الإقامة. ويحتمل[11] حقيقةَ الإقامة والإيتاء. وأيهما كان ففيه أن أوائلهم كانوا مأمورين بالصلاة والزكاة. ثم المعنى الذي في الصلاة والزكاة لا يحتمل النسخ في وقت من الأوقات، لأن الصلاة معناها هو الاستسلام والخضوع له، والزكاة هي تزكية النفس وطهارتها، وذلك لا يحتمل النسخ أصلا.

---

[1] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[2] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٥و.
[3] ر: أن يخلق.
[4] جميع النسخ: وصفائه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة النحل، ١٦/٥٢.
[6] ر م - أي دائما.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[8] ن: والحيف.
[9] ر م: الحنف.
[10] ر ث م - كقوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة. سورة التوبة، ٩/٥، ١١.
[11] ر ت م + أن يكون.

ثم قال:[1] **وذلك دين القيمة**، والدين مذكر والقيمة مؤنث. فجائز أن يكون الذي ذَكَر هو الملة[2] القيمةَ، ويحتمل دينَ الأمة القيمة، وهو قول الزجاج.[3] أو يكون[4] ذلك الدينَ الذي[5] قوّمته الحجج والبراهين، أضيف إلى الحجج. وجائز أن يكون ذكر القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من أواخر الآي من قوله عز وجل: حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ،[6] ومُطَهَّرَةً،[7] وكُتُبٌ قَيِّمَةٌ،[8] ثم قال على ذلك: **وذلك دين القيمة**،[9] تسوية بين ما تقدم وما تأخر من قوله: خَيْرُ الْبَرِيَّةِ،[10] وشَرُّ الْبَرِيَّةِ.[11] وفي حرف أبي: ذلك الدين القيم، بغير هاء.*

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[٦]**

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم**، ظاهر هذا أن يكون تأويلَ قوله: **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين**، أي بعضُ المشركين[13] في النار لا كلَّ المشركين، ولكن من كفر من المشركين كان كمن كفر من أهل الكتاب في نار جهنم، لكن الكفر هو الشرك والشركَ هو الكفر، كقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[14] فدلّ أن الكفر والشرك واحد، وكل كافر مشرك، فكأنه قال عز وجل: إن الذين أشركوا من أهل الكتاب[15] والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية.

---

[1] ر م: لا يحتمل النسخ وقال؛ ث - وذلك لا يحتمل النسخ أصلا ثم قال.
[2] ث: هي الملة.
[3] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣٥٠.
[4] ر ن م: أو أن يقول.
[5] ر م - لذي.
[6] الآية ١ من هذه السورة.
[7] الآية ٢ من هذه السورة.
[8] الآية ٣ من هذه السورة.
[9] ر م - ثم قال على ذلك وذلك دين القيمة.
[10] الآية ٧ من هذه السورة.
[11] الآية التالية.
* وقع هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٧و/ سطر ٢٠-٢٣.
[13] ث + أي بعض المشركين.
[14] سورة النساء، ٤/٤٨.
[15] ن + من أهل الكتاب.

ثم جاء كلّ هذا التشديد هؤلاء لأن أهل الكتاب ادّعوا أنهم من نسل الأنبياء ثم تركوا اتباعهم؛ والمشركون قد[1] أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[2] ثم نقضوا ذلك العهد. وأهل الكتاب[3] قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[4] فتركوا اتباع الصالحين من آبائهم. والعرب أيضا كانوا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم فحقّه عليهم ألزم وأوجب، فشدّد على هؤلاء لهذا المعنى.

ثم إن كان **البريّة**، مأخوذا مقدّر من الْبَرَى -وهو التراب- فيرجع[5] تأويل لآية إلى البشر كأنه قال: أولئك هم شرّ ما أُنشئوا من الأرض؛ وإن كان مأخوذا مقدرا من البَرْء -وهو الخلق- فيصير كأنه قال:[6] أولئك هم شر ما خُلقوا، فيدخل[7] في ذلك الملائكة والجن والبشر، وفي الأول لا يدخل إلا البشر خاصة. وكذلك ما ذكر من أهل الإيمان حيث قال:

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٧]**

**إن الذين آمنوا وعمل الصالحات أولئك هم الخير البرية**، فإن كان البرية مأخوذا من البَرْء فهو يرجع إلى الأصناف جميعا، وإن كان من البَرَى -وهو التراب- فهو يرجع إلى البشر خاصة، فيصير كأنه قال: شر أهل البشر من جنسهم، وخير أهل الخير من جنسهم، لأنهم صاروا قادة في الهدى والخير.

**﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٨]**

وقوله عز وجل: **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن**، فإن كان العدن هو المُقم فجميع الجنان عدن

[٩١٧ظ] وجميع الجنان نعيم. ثم قد قَسّم الخلق صنفين: صنفا[8] جعله شرّ البرية، وصنفا[9] جعله / خير البرية.

---

[1] ن + أشركوا و.
[2] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[3] ث + وأهل الكتاب.
[4] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[5] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٥ظ.
[6] ن - قال.
[7] ن. فدخل.
[8] ر م: صنفا.
[9] ر م - وصنفا.

ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير من خير. وسوى بين مَن نشأ عسى الكفر وداوم عليه في التأبيد والتخليد وبين من أحدث الكفر في آخر عمره،[١] وكذلك من دام على الإيمان ومن أحدث: سوى بينهما ولم يجعل لما مضى من الكفر والإيمان[٢] جزاءً ولا عقابًا، وذلك -والله أعلم- هو أن من اعتقد إيمانا إنما يعتقده[٣] للأبد، وكذلك من يعتقد الكفر إنما يعتقده[٤] لِلأبد. فإذا أحدث الإيمان بعد الكفر اعتقد قبحَ ما عمل في حل كفره وشرِّه، وحُسنَ ما أحدث من الإيمان والتوحيد، وكذلك[٥] من أحدث الكفر بعد الإيمان اعتقد فساد ما عمل في حال إيمانه. لذلك سوّى[٦] بين مَن أحدث وبين من دام عليه، وليس [هذا] لمن[٧] يُذنب في وقت ويتوب في وقت، لأنه ليس[٨] يعتقد حسنَ ذلك ولا قبحَه في الأبد. **والله الموفق.**

وقوله عز وجل: **رضي الله عنهم ورضوا عنه**، يحتمل وجهين.[٩] أحدهما يقول: رضي الله بعملهم الذي عموا لأنفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا عنهم. **رضي**[١٠] بسعيهم له.[١١] **ورضوا عنه**، أي رضوا هم عنه بما أكرمهم ووفقهم للأعمال[١٢] التي عموا لأنفسهم في الدنيا، وهو كقوله تعالى: وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ،[١٣] أي إن قبلوا ما أحسن[١٤] إليهم وأحسنوا صحبة إحسانه إليهم يرضَ[١٥] ذلك لهم.[١٦] وهذا يدلّ أن ما يعملون من خير أو شر

---

[١] ن: الكفر إلى آخره.
[٢] ر ث م - والإيمان.
[٣] جميع النسخ: إنما يعتقد. والتصحيح من *الشرح*، ٣٥٥ظ.
[٤] ر ث م: إنما يعتقد.
[٥] ن ث: وبذلك.
[٦] ر م - سوى.
[٧] ر ث م: كمن.
[٨] ر ث م - ليس.
[٩] ر ث م - يحتمل وجهين.
[١٠] ر م + لله.
[١١] جميع النسخ: لهم.
[١٢] جميع النسخ: الأعمال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٧.
[١٤] ن: لما أحسن.
[١٥] جميع النسخ: يرضى.
[١٦] ر ث م + وقال.

إنما يعملون لأنفسهم ولمنفعة ترجع[1] إليهم أو مضرة تندفع[2] عنهم. والثاني **رضي الله عنهم**، بما أكرمهم من الثواب لأعمالهم التي عملوا لأنفسهم. **ورضوا عنه**. بكرامته التي أكرمهم.

وقوله عز وجل: **رضي الله عنهم**، هذا منه إفضال وإنعام حيث ذكر رضاه عنهم. وإن ذكر العفو والتجاوز كان حقا.[3] ولكن هذا كما ذكر من لطيف معاملته عبادَه،[4] حيث سمّى ما ادخروا في وقت حاجتهم إليه قرضا، حيث قال: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[5] وسمّى بذلَهم أنفسهم وأموالهم شراءً، وما يعملون لأنفسهم جزاء وشكرا،[6] وأموالُهم[7] وأنفسهم في الحقيقة له، ولكن سمى بالذي ذكرنا لطفا منه وفضلا. فعلى ذلك[8] ما ذكر من رضاه عنهم به. وكذلك قوله: **ورضوا عنه**، ذكر رضاهم عنه بفضله[9] ولطفه وإلّا مَنْ هُمْ[10] حتى يَذكرَ منهم[11] الرضا عن الله تعالى.

ثم هو يخرج على وجهين سوى ما ذكرنا. أحدهما **ورضوا عنه**، بما امتحنهم في الدنيا بالمحن الشديدة العظيمة وإن اشتدت ذلك وثقلت على أنفسهم إذا رأوا إحسانَ الله تعالى وفضلَه في الآخرة. والثاني **رضوا عنه**، بالنعم التي أكرمهم في الجنة، لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[12] ولا يريدون غيرها، ولا يَمَلّون على ما يَمَنّون[13] في الدنيا.*

---

[1] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[2] جميع النسخ: يندفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] أي ولو ذكر العفو والتجاوز لكان حقا.
[4] ن: عبادة.
[5] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[6] ن + وسمى بذهم أنفسهم وأموالهم شرا وما يعملون لأنفسهم جزاء ولا شكورا. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[7] ث - شرا وما يعملون لأنفسهم جزاء وشكرا وأموالهم.
[8] ن - ذلك.
[9] ن: رضاهم بفضله.
[10] ر م: والآمنهم؛ ث: والآمن هم.
[11] ث - منهم.
[12] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلًا خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلا﴾ (سورة الكهف، ١٠٧/١٨-١٠٨).
[13] م - على ما يمنون.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ١ متأخرة عن موضعها. فنقلناها إلى هنالك. انظر. ورقة ٩١٨ظ / سطر ٢٠-٢١.

وقوله عز وجل: **ذلك لمن خشي ربه**، أي الذي[1] ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته، أو خشي سوء صحبة نعمه.[2] وأصله أن من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات فإنما يفعل ذلك لخشية ربه سبحانه وتعالى؛ فذُكر:[3] "من أَعْلَمُ بربه فهو أخشى لربه تعالى، ومن أجهل به فهو أجرأ". قال الله تعالى:[4] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.[5] وقال الحسن: الخشية هي الخوف[6] اللازم في القلب الدائم فيه. أو خشي خلاقه وكفرانَ نعمه. ***والله أعلم بالصواب.***[7]

---

[1] ر م: الذكرى.

[2] ث: نعمته.

[3] جميع النسخ: فكل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[4] ث: قال لله سبحانه وتعالى.

[5] سورة فاطر، ٢٨/٣٥.

[6] ر م: هو الخوف.

[7] ر م: والله أعلم بالصواب؛ ث: والله أعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الزلزال[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١]

قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**. قد ذكرنا أن حرف **إذا** إنما يذكر عن سؤال سبق منهم، كأنهم سألوا عن الوقت الذي كانوا يوعدون فيه وإن لم يذكر السؤال، لأنه قد يكون في الجواب بيان السؤال وفي السؤال بيانُ الجواب وإن لم يذكر. فعند ذلك قال: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أخبرهم عن أحوال يوم القيامة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها، وقد ذكرنا[2] في غير موضع.

ثم قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أي حُرِّكت الأرض تحريكا[3] شديدا لهول ذلك اليوم. وهو يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تُلقي[4] ما ارتفع منها من الجبال الرواسي في الأودية حتى تستوي[5] الأرض، لا يبقى فيها هبوطٌ ولا صعود، كقوله تعالى: لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[6] وجائز أن يكون قوله: **زلزلت الأرض**،

---

[1] ر – سورة الزلزل؛ ن: ذكر أن سورة إذا زلزلت مكية؛ ث + وهي ثمان آيات مدنية؛ م: سورة إذا زلزلت مكية.

[2] ر ث م: وقد ذكر.

[3] جميع النسخ: تحرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[4] جميع النسخ: أن يكون يتزلزل ويتحرك حتى يبقي.

[5] جميع النسخ: حتى يستوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة طه، ١٠٧/٢٠.

أي تتزلزل[1] وتتحرك لتغير الجبال الرواسي حتى تصيرَ كما ذكر: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[2] وقوله عز وجل: فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا،[3] فإذا فَنِيَت وتلاشت بقيت الأرض مستوية على ما ذكره. ويحتمل أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تصير غير تلك. كقوله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[4] الآية. ويحتمل أن يكون تبديلها وتحريكها ومدها هو تغيُّرَ صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الأولين. [وقد قرئ: زَلْزَالَها، بنصب الزاي الأولى].[5] قال الزجاج: لا يصح هذه القراءة[6] لأن الزلزال من المضاعف والمضاعف إنما[7] يكون

[٩١٨و] / بالخفض مصادرها. أما مِن الأسماء قد يكون نصبا، كقوله تعالى: مِنْ صَلْصَالٍ،[8] ونحوه. والزِلْزال مصدر، فيكون الأصل[9] المطّرد فيه هو الكسرَ، والنصب يكون نادرا.[10] **والله أعلم.**

**﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **وأخرجت الأرض أثقالها**، أي أحمالها لهول ذلك اليوم،[11] فقال في آية أخرى: وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ.[12] ثم يحتمل **أخرجت**، **وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا**، من الموتى من أول ما دُفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها إلى آخر ما يُجعَل فيها من الكنوز وغيرها[13] مما يحتمل الحساب ومما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحَنين وغيرهم. ويحتمل **وأخرجت [الأرض] أثقالها**، الممتحَنين خاصة ممن يحاسبون ويثابون ويُجزَوْن.

---

[1] ر: يتزلزلت.
[2] سورة القارعة، ١٠١/٤-٥.
[3] ﴿وَقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٣).
[4] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[6] م + كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض ويحتمل أن يكون.
[7] ث + يصير.
[8] سورة الحجر، ١٥/٢٦، ٢٨، ٣٣؛ وسورة الرحمن، ٥٥/١٤.
[9] ر ث م: في الأصل.
[10] قوله عز وجل: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ إذا حركت حركة شديدة، والقراءة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بكسر الزاي، ويجوز في الكلام زَلْزَالَهَا، وقرئت زَلْزَالَهَا، وليس في الكلام فَعْلَال بفتح الفاء إلا في المضاعف نحو الزلزال والصَّلْصَال. والاختيار كسر الزاي، والفتح جائز (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣٥١).
[11] ن - اليوم.
[12] سورة الانشقاق، ٨٤/٤.
[13] ن ث: وغيرهما

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾[٣] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وقال الإنسان مالها**، أي[١] قال الكافر: **مالها**، تتحرك.[٢] فقال بعضهم: أحمق في الدنيا وأحمق في الآخرة حيث يسأل الأرض: مالها تتزلزل وتتحرك، يظن أنها بنفسها تفعل ذلك، لا يُفزعه ما يرى[٣] من أهوال ذلك اليوم وتغيّرِ[٤] أحوالها عمى ما لم ينظر في الدنيا في الآيات والحجج حتى يَقبلها ويخضعَ لها. وقال بعضهم: هو عمى التقديم والتأخير كأنه يقول: يومئذ تحدث أخبارها وقال الإنسان مالها، تشهد وتخبر بما عُمل على ظهرها.

ثم **أخبارَها**، يخرج على وجوه. أحدها ما قاله أهل التأويل: إنها تخبر وتحدّث بما عُمل على ظهرها من خير أو شر أو طاعة أو معصية، لكن لا يحتمل **أخبارَها** الخير، لأنها إنما تشهد عليهم لإنكار أهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والمعصية. وأما أهل الجنة فإنهم[٥] يكونون مقرين[٦] بالخيرات، والله تعالى يصدّقهم على ذلك. *والله أعلم*. وكذلك ما ذكر من شهادة الجوارح[٧] إنما تشهد عليهم على ما ينكرون من الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي. فعلى ذلك التأويل يكون **أخبارَها**، على حقيقة النطق والكلام. وقال بعضهم: **أخبارَها**، ما ذكر من تزلزلها وتحركها، والأحوال التي تكون فيها هو تحديثها وإخبارها التي تكون[٨] منها. وقال بعضهم: يومئذ تتبين[٩] وتقع أخبارُها التي أُخبروا في الدنيا فكذّبوها يومئذ، يتبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة وعِيانا[١٠] من الحساب والثواب والعقاب. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها».[١١]

---

[١] ر م – أي.
[٢] ر ن م: يتحرك.
[٣] ر ن م: ما ترى.
[٤] ر ث م: وتغيير؛ ن: وتبيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٥] ن: فنهم.
[٦] ر م: مقرنين.
[٧] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتُكلِّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦). وانظر أيضا: سورة فصّلت، ٤١/٢٠-٢٢.
[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: تبين؛ ن: يبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: عيان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٤/٢؛ وسنن *الترمذي*، صفة القيامة ٧؛ وتفسير القرآن ٩٩.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بأن ربك أوحى لها**، من قال بأن أخبارها[١] هي شهادتها[٢] بما عملوا على ظهرها يكون تأويل[٣] قوله تعالى: **أوحى لها**، من شهادتها بما عملوا على ظهرها. [أو يكون تأويل قوله]:[٤] **أوحى لها**،[٥] أي أذن لها ربها بالشهادة فتشهد. ومن قال: أخبارها هو تزلزلها وتحركها والأحوال التي تكون منها يقول على إسقاط **لها**، يقول: **بأن ربك أوحى لها**،[٦] أي فعل ذلك بها، والوحي قد يكون بالإذن[٧] والإلهام[٨] والأمر ويستعمل فيما يليق به.[٩]

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم**، يحتمل صدور الناس من وجهين. أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب لِيُرَوْا كتابة أعمالهم،[١٠] أي ليُرَوا ما كُتب من أعمالهم التي عملوا في الدنيا. ويحتمل صدورَهم على ما أُعد لهم في الآخرة من الثواب[١١] والعقاب، فعلى هذا التأويل لِيُرَوْا جزاء أعمالهم التي عملوا في الدنيا، كقوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١٢] وقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[١٣] هذا تفسير قوله: **أشتاتا**.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**، قال بعضهم: يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا، وأما في الآخرة فلا يرى لأنه لا يؤمن بها ولا يعمل لها،

---

[١] م: بأن أخبار.
[٢] جميع النسخ: من شهادتها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٣] ر م: تأويله.
[٤] ر ث م: قوله تعالى. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٥] ن – من شهادتها بما عملوا على ظهرها أو يكون تأويل قوله أوحى لها.
[٦] ر ث م – لها.
[٧] جميع النسخ: لوحي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: وإلهام.
[٩] ر ث م – به.
[١٠] ث – يحتمل صدور الناس من وجهين أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب ليروا كتابة أعمالهم.
[١١] ن: في الآخرة والثواب.
[١٢] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[١٣] سورة الزمر، ٧١/٣٩.

كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ.[١] والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل من خير[٢] في الآخرة. وعلى ذلك روي في الخبر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر الصديق[٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كل من عمل منا[٤] من شر يراه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يرون في الدنيا مما يكرهون فهو[٥] من ذاك ويؤخّر الخير لأهله في الآخرة».[٦]

وجائز أن يكون قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و[من يعمل مثقال ذرة]**[٧] **شرا يره**، على الإحصاء والحفظ، كقوله تعالى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٨] أي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى الذرةُ. ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**، أي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا يره في الآخرة، ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره في الآخرة، لأن الله تعالى قد أخبر في غير آي من القرآن أنه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ،[٩] ونحو ذلك من الآيات.

وقوله عز وجل: **مثقال ذرة**، ليس على إرادة[١٠] / حقيقة الذرة ولكن على التمثيل. [٩١٨ظ]

ثم قيل في إخبار[١١] الأرض وما ذكر من شهادة[١٢] الجوارح أن كيف احتمل ذلك وهي أموات[١٣] والأموات[١٤] لا علم لها؟

---

١ ﴿...ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٨).
٢ ر م – من خير.
٣ ن – الصديق.
٤ ر م – منا.
٥ ر: فهن.
٦ *المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٢/٥٨٠-٥٨١.
٧ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
٨ سورة الكهف، ١٨/٤٩.
٩ سورة العنكبوت، ٢٩/٧.
١٠ ر م: ليس إرادة.
١١ جميع النسخ: من إخبار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
١٢ م + الأرض
١٣ ت: موات.
١٤ جميع النسخ: و لموات.

فجائز أن يكون الله تعالى يجعل لها علما ويُنطقها بذلك، وأن لها بذلك علما على جمْعِه آية.

ثم في قوله تعالى: لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ،[1] دلالة أن قوله تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[2] وقولَه [صلى الله عليه وسلم]: «لا تسافروا بالقرآن [إلى][3] أرض العدو»،[4] وقولَ الناس: "نقرأ[5] كلام رب العالمين"، وفي المصاحف "قرآن" أنْ لا يرادُ به حقيقة كون كلام الله تعالى في المصاحف، ولا حقيقة كون القرآن فيها والسفرِ به ولا حقيقة سماع كلامه. ولكن على إرادة سماع ما يفهم به كلامه أو ما به يُعبَّر[6] عن كلامه، وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه[7] أو ما يعبر[8] عن كلامه على ما روي[9] من رؤية الأعمال، وأعيُن الأعمال لا تُرى ولكن ترى ما يدل[10] عليها، وهو المكتوب من أعمالهم في الكتب التي فيها أعمالهم. فعلى ذلك هذا. **والله أعلم.**[11]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] سورة التوبة، ٩/٦.

[3] الزيادة من مصدر الرواية.

[4] شعب *الإيمان* للبيهقي ٤/٢١٣؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٦، ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٢.

[5] ر ن ث: يقرأ.

[6] جميع النسخ: ويكون على ما أراد من سماع ما به يفهم كلامه ويسمع (ن ث: أو يسمع) ما يعبر (ث: ما يغيره) به.

[7] ن: به من كلامه.

[8] ث + به.

[9] ر م: على ما ذكرنا؛ ث ن: على ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.

[10] ن - يدل.

[11] ر + بالصواب وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن: والله الموفق والمسدد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة العاديات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[١]

قوله تعالى:[2] **والعاديات ضبحا**، إلى آخره. قال علي كرم الله وجهه[3] وعبد الله رضي الله عنهما: هي الإبل، وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره من أهل التأويل: هي الخيل؛ غير أن عليا رضي الله عنه قال: ذلك يومَ بَدْرٍ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ذلك في الحج.[4] ومن قال: هي الخيل، قال ذلك في سَرِيّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبطأ عليه خبرها، فاغتمَّ[5] لذلك[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل صلوات الله عليه بخبرها على ما ذكر ووُصف فَسُرّ بذلك المؤمنون.

فإن كان في أمر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه[7] فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها. أحدها أنه من علم الغيب إذ لا يَعلم بحالهم، وما وُصف من أمر الخيل لا يكون إلا بالوحي من السماء أو بمن شهد ذلك. فإذا لم يحضرهم أحد ممن شهدها

[1] ر – سورة العاديت؛ ن م: ذكر أن سورة والعاديات مكية؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.
[2] ر: وقوله تعالى؛ ن – قوله تعالى.
[3] ر – وجهه؛ ن ث – كرم الله وجهه.
[4] *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٠١.
[5] ن: فاغتمر.
[6] ر م – لذلك
[7] ث: عنهما.

ثم أخبر بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك أنه رسول الله وأنه إنما عرف بالوحي من الله تعالى إليه،[1] وذلك من أعظم آيات الرسالة.

أو أن يكون القسم[2] بما ذُكر من شدة الخيل وقوتها وحِدَّة بَصَرها حيث عَدَت في ليل مظلم لا قمر فيه ولا نورَ عَدْوًا تَخرج[3] النارُ من شدة عَدْوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها، ما لا يقدر الإنسان العَدْوَ في مكان مُستوٍ[4] فضلا أن يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من إثارة النقع من شدة عدوها وتوسطها[5] في العدو.

أو يذكر موافقة مرادهم وحصول غرضهم[6] في الإغارة على عدوّهم في أغفلِ ما يكون العدو وهو وقتُ الصبح.

ثم القسم بقول:[7] **والعاديات**، وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتُها، وفيه بِشارات ثلاث.[8] أحدها أنه لم يَحدُث لهم حادثة.[9] والثاني الإغارة على العدو. والثالث أنهم قد توسطوا العدو.

ومن قال: هي الإبل وذلك في أمر الحج، يذكر سرعة سيرها وشدة عَدْوها في الليلة[10] المظلمة التي فيها الأودية والهبوط والصعود.

**﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾**[٢]

ثم قوله: **فالموريات قدحا**، على هذا التأويل أي تضرب الحجر بالحجر فتخرج[11] منه النار من شدة سيرها وعَدْوها، وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا.

---

[1] ر م – إليه.
[2] ر ث م – لقسم.
[3] ر ن م: يخرج؛ ث: عدوا فيها يخرج.
[4] ر ن: مستوي.
[5] ن: وبوسطها.
[6] ن: عرضهم.
[7] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
[8] جميع النسخ: بشارة ثلاثة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: لم يحدث بهم حادثة.
[10] ر م: في ليل.
[11] جميع النسخ: أي يضرب الحجر بالحجر فيخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[٣]

وقوله تعالى: **فالمغيرات صبحا**، على هذا التأويل يقول بعضهم: نزولهم في تلك الغارات والأودية في وقت الصبح. والأشبه أن يكون خروجهم من تلك الغارات والأودية في ذلك الوقت، لأن ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقتُ الْمُقام، أو يكون قد استقبلهم العدوّ هنالك ومن أراد بهم الشر، فيكون المغيرات على الإغارة عليهم إن كان ثمةَ[١] عدو.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾[٤] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[٥]

**فوسطن به جمعا**، على هذا التأويل الجمع في الحج، وهو الجمع المعروف. ومن قال: ذلك في الخيل، يكون توسّطهن[٢] في جمع العدوّ.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٦]

ثم الذي وقع به القسم قوله[٣] تعالى: **إن الإنسان لربه لكنود**، أي الإنسان لنعم ربه[٤] لكفور لا يشكرها. وهو أن الإنسان[٥] يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره أبدا، وينسى جميع ما أنعم الله عليه، و[يظن] أن لا يفارقه طَرْفَةَ عينٍ. ولذلك قال الحسن: الكنود هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم.[٦] وقيل: الكنود القتور البخيل[٧] الشحيح في الإنفاق. ويجب أن يكون وصف كل إنسان ما ذكر، لكن المؤمن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك، ويصبر على المصائب، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا،[٨] [وقوله: خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ]،[٩] وهو كل إنسان، ثم استثنى الْمُصَلِّينَ،[١٠] منهم وهم المؤمنون؛ أي كذلك خلق وطُبع كل إنسان، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه من ذلك الطبع الذي[١١] أنشئ عليه

[١] ر ث م: ثم.
[٢] ن: بوسطهن.
[٣] ن: وقوله.
[٤] ن: أي لإنسان لربه.
[٥] م: وهو الإنسان.
[٦] تفسير *الطبري*، ٣٥٣/٣٠.
[٧] ن: والحيل.
[٨] سورة المعارج، ١٩/٧٠.
[٩] جميع النسخ: وخلق عجولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ط. سورة الأنبياء، ٣٧/٢١.
[١٠] سورة المعارج، ٢٢/٧٠.
[١١] ر ث م – الذي.

[٩١٩و] وطبع إلى غيرها من الطائع / كالبهائم والسباع التي طَبْعُها النفور من الناس بالاستيحاش عنهم، ثم تصير[1] بالرياضة ما يستقر عندهم ويجيبهم عند دعوتهم.

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[٧]

وقوله تعالى: **وإنه على ذلك لشهيد**، قال بعضهم: إن ذلك الإنسان على ما فعله في الدنيا لشهيد في الآخرة على جميعه،[2] أي يشهد ذلك ويعلمه، كقوله: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.[3] وقال بعضهم: **وإنه**، أي ذلك الإنسان لبخله وامتناعه عن الإنفاق، **لشهيد**، أي يتولى حفظ ماله وإحصاءه بنفسه، لا يثق بغيره. وقال بعضهم: **وإنه**، يعني الله تعالى **على ذلك لشهيد**، أي عالم يحصيه ويحفظه، كقوله: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[4]

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وإنه لحب الخير لشديد**، أي ذلك الإنسان لشديد الحب للمال، فذكر بخله وشحه في المال في ترك الإنفاق والبذل. وعلى ذلك طُبع كل إنسان على ما ذكرنا، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد في الإنفاق.[5] والحب هاهنا حب إيثار، أي يؤثر لنفسه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[٩] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور**، يقول -والله أعلم-: فهلا يعلم قدرة[6] ربه وسلطانه وحكمته في إنشائه أنه[7] يستخرج ما في القبور ويحييهم. أو يكون قوله:[8] **أفلا يعلم**، أي فيعلم إذا بعثر ما في القبور وحُصِّل ما في الصدور.

---

[1] جميع النسخ: ثم يصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[2] ر م: على ما جمعه؛ ث: على ما جميعه.
[3] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[4] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[5] ر ث م: بالإنفاق.
[6] م: قدره.
[7] ر م: آية.
[8] ر ث م - قوله.

*وحصل ما في الصدور، يقول: فهلا يعم أيضا أنه يميز ما في الصدر ويبين ويُظهر [٩١٩و س١٣
ما فيها، لا يُترك كذلك[1] غيرَ مميَّز ولا مبين، بل يُظهر ويميَّز، كقوله: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.[2]* ٩١٩و س١٤]

*وفي قوله تعالى: **وحصل ما في الصدور**، دلالة أن حصول الأعمال وخصوصها وما [٩١٩و س١٥
يثاب عليها ويعاقَب بالقلوب وبالنيات، لا بنفس الأعمال، حيث قال: **وحصل ما في الصدور**.[4]* ٩١٩و س١٦]

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي إن ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا.* ثم قوله:[7] **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي عن علم[8] له بذلك يأخذهم ويجزيهم بما يجزيهم.[9]*

قال أهل اللغة[11] وأبو عوسجة: ضَبْحًا،[12] الضبح صوت في الصدر، ضَبَحَ يَضْبَحُ ضَبْحًا فهو ضَابِحٌ. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا،[13] أي هيّجن الغبار بحوافرهن، والنقع الغبار، والنقوع جماعة. فَوَسَطْنَ،[14] من التوسط، أي صِرن في الوسط. وكَنُود[15] كفور. وحُصِّلَ،[16] أي اختُبِر، يقال: حصّلت: أي اختبرتُ.

---

[1] ث: لذلك.

[2] سورة الطارق، ٨٦/٩.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.

[4] ر ث م - وبالنيات لا بنفس الأعمال حيث قال وحصل ما في الصدور.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.

[7] ر ث م - ثم قوله.

[8] ر م: عن عممه.

[9] ر م: بأخذهم ويجزيهم مما يجزيهم؛ ن - بما يجزيهم

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.

[11] ن: اللغه.

[12] ث - الضبح. الآية ١ من هذه السورة.

[13] الآية ٤ من هذه السورة.

[14] الآية ٥ من هذه السورة.

[15] الآية ٦ من هذه السورة.

[16] الآية ١٠ من هذه السورة.

وقال بعضهم والقتبي: وَالْعَادِيَاتِ،[1] الخيل، والضبح، صوت حُلوقها[2] إذا عَدَتْ. وقيل: الضبح والضبع واحد في السير؛ يقال: ضَبَحتِ الناقة، وضبعت. فَالْمُورِيَاتِ،[3] أي أَوْرتِ[4] النارَ بحوافرها. والأرض الكنود[5] التي لا تُنبت[6] شيئا. وقال: بُعْثِرَ،[7] أي قُلب[8] فجعل أسفلها أعلاها. وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ،[9] أي مُيّز[10] ما فيها من الخير والشر والشك[11] واليقين.[12] *والله أعلم.*

[1] الآية ١ من هذه السورة.
[2] ث: خلوقها.
[3] الآية ٢ من هذه السورة.
[4] ر م: أوريت.
[5] الآية ٦ من هذه اسورة.
[6] ر ن م: لا ينبت.
[7] الآية ٩ من هذه السورة.
[8] جميع النسخ: بعثرت أي قلبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[9] الآية ١٠ من هذه السورة.
[10] ر م: احتير.
[11] ر م – والشك.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القارعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الْقَارِعَةُ﴾[١] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[٣]

قوله تعالى: **القارعة**، {قال:} **القارعة**،[2] عندهم هي الداهية الشديدة من الأمور، وهي في هذا الموضع وصفٌ[3] لشدة هول[4] يوم القيامة. وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتعجيب لهم عما يكون في ذلك اليوم من الأهوال في أحوال وأفعال.[5] وسمى الله تعالى[6] في كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الأحوال، نحو قوله: ٱلْحَاقَّةُ،[7] و الْوَاقِعَةُ،[8] وما أشبه ذلك. فكذلك قوله عز وجل: **القارعة**، تذكير لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته، ليتفكروا في العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم في الأواخر من العذاب فيمتنعوا بذلك عما نهاهم الله تعالى عنه.

---

[1] ر – سورة القارعة؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.

[2] م: قوله تعالى لقارعة فالقارعة.

[3] ر: وصفا.

[4] ث + ذلك.

[5] ر م: في ذلك اليوم من الأحوال و لأفعال.

[6] ث: وسمى الله سبحانه وتعالى.

[7] سورة الحاقة، ١/٦٩.

[8] سورة الواقعة، ١/٥٦.

ثم إن الله تعالى خلق في بني آدم نفسا يُدرك بها الشهوات واللذات في الدنيا، وعقلا يتذكر به[1] عواقب الأمور وأواخرها، فيزيده[2] ذلك تيقظا[3] وتبصرا. ثم العقل مرةً يدعوها إلى نفسه حتى يميل إلى ما يدعوه في جزاء[4] ما أُطْمِعَ في العاقبة.[5] والنفس مرة تدعو[6] إليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ من الشهوات في دنياه. وعلى ذلك تأويل قوله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[7] أي رحمه[8] فعصمه[9] عن اختيار السوء، أو رحمه حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقبُ من الجزاء والثواب. فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الأهوال[10] في ذلك اليوم ليُعملوا[11] عقولهم في أفكاره والتذكرِ عنه، فيزدجروا عما زجرهم عنه، أو يتذكروا عما وعدهم من الجزاء في ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا في الخيرات.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[٤]

وقوله تعالى: **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**، اختلفوا في تأويله من وجوه، ولكنه في الحاصل يرجع إلى معنى واحد. فمنهم من قال: أي كالجراد المنتشر حين أرادت الطيران، ومنهم من قال: كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض، ومنهم من قال: **كالفراش المبثوث**، الذي يتهافت في النار فيحترق. وكل ذلك يؤدي معنى الحيرة / والاضطراب من هول ذلك اليوم. [٩١٩ظ]
وأصل ذلك قوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ،[12] فكأن الله تعالى قال: إنهم يصيرون في الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذي لا يدري أين يطير وأين يبيت وأين ينزل؟[13]

---

[1] ن: يتذكر بها.
[2] جميع النسخ: ويزيده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[3] ث: سقط.
[4] م: في آخر.
[5] ث: في الآخرة.
[6] ر: ومرة يدعوا؛ ن ث م: يدعو.
[7] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[8] جميع النسخ: أي يرحمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[9] ر ث م: ويعصمه.
[10] ر م: من الأحوال.
[11] م: ليعملون.
[12] سورة الحج، ٢/٢٢.
[13] ن: لا تدري أين يطير وأين تبيت وأين تنزل.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وتكون الجبال كالعهن المنفوش**، قال[١] بعضهم: كالصوف المصبوغ.[٢] وقال بعضهم: كالمندوف من الصوف. فإن كان على التأويل الأول فمعناه -والله أعلم- أن الجبال في ذلك اليوم تتمون[٣] ألوانا من شدة ذلك اليوم تَموّنَ[٤] العهن. ألا تراه يقول: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[٥] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[٦] فكذلك هذا على ذلك المعنى. وإن كان على التأويل الآخر فمعناه أن الجبال مع شدتها وصلابتها تصير في الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف إذ ذلك أضعف أحواله. وقال قتادة: شبّههم بغنم لا راعي لها، ذَكر العهن كناية عن الغنم.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾[٨]

وقوله تعالى: **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية**، اختلفوا في تأويل الميزان من وجوه.[٧] ولكن أقربها عندنا وجهان. أحدهما أن يكون المراد من قوله: **ثقلت موازينه**،[٨] جملةَ المؤمنين، وقولِه تعالى: **وأما**[٩] **من خفت موازينه**، جملةَ الكفار. ويكون الوجه في ذلك أن المؤمن لما عظّم حق الله تعالى وأقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر[١٠] عند الله تعالى في ذلك اليوم، والكافرَ لما ترك ذلك خَفّ وزنه وقيمته وخطره. وقد يُطلَق -والله أعلم-[١١] هذا الكلام على معنى الجاه والمنزلة، يقال: لفلان عند فلان وزن وقيمة، وليس [لفلان][١٢] عنده ذلك الوزن، فكذلك هذا.

---

[١] ن: كان.

[٢] ر م: المصنوع.

[٣] جميع النسخ: يتمون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.

[٤] جميع النسخ: تموّن. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تَمُرّ مَرّ السّحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).

[٦] سورة طه، ٢٠/١٠٥.

[٧] ث + أحدها.

[٨] ر م + من.

[٩] ن – وأما.

[١٠] ن: وحظره.

[١١] ن – والله أعلم.

[١٢] الزيادة من المرجع السابق.

والوجه الثاني من وزن السرائر التي لم يُطلع الله تعالى ملائكته[1] الذين يكتبون أعمال بني آدم ذلك. ومعلوم أن ذلك إنما يحصل من المؤمنين دون الكفرة. وقد وصفنا مسألة الميزان وبيناها،[2] فلذلك اختصرنا الكلام في ذا الموضع. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فهو في عيشة راضية**، منهم من قال: مَرْضِيَّة يرضى أهل الجنة بتلك[3] العيشة فهي مرضية.[4] ومنهم من قال: ذات رضا، كقوله: مَاءٍ دَافِقٍ،[5] أي ذات الدِفَاقِ. ومنهم من قال:[6] إنه أضاف الرضاء إلى العيش لأنه به يُرضَى.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأمه هاوية**، منهم من قال: سَمّى النار أُمًّا للكافر لأنه إليها يأوي، ومنهم من قال: المراد من الأم أم رأسه أي يُلقَى في جهنم على أم رأسه منكوسا. وقوله تعالى: **هاوية**، أي يهوي به بحيث لا يكون له ثبات ولا قرار.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **نار حامية**، أي تُحميه[7] وتُنضجه.[8] ومنهم من قال: **نار حامية**، أي شديدة الحر. *والله أعلم*.[9]

[1] ر ث م: ملائكة.
[2] ر: ويثبت أهل. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية، «الميزان».
[3] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[4] جميع النسخ: فهو مرضية. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الطارق، ٦/٨٦.
[6] ن + سمى النار أما للكافر.
[7] ر م: يحميه.
[8] جميع النسخ: وينضجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة التكاثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[١] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢]**

قوله تعالى: **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**، أي شغلكم التفاخر بالتكاثر. ثم لم يقل عما ذا شغلهم.[2] فيجوز أن يكون **ألهاكم**، أي شغلكم **التكاثر**، عن توحيد الله تعالى، أو عن التفكر في حُجج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن ذكر البعث. ثم قوله تعالى: **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**، يحتمل تأويلين. أحدهما أن يكون الغرض بالخطاب بهذه الآية آباءهم وسلفَهم الذين تقدموا بالإخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم بالسفه. فيكون هذا صلة آياتٍ أُخرَ مِن نحو قوله تعالى: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[3] وغيرِ ذلك؛ فكأن الله تعالى عيّرهم[4] بآبائهم ونهاهم عن الاقتداء بآبائهم لأنهم تعاطوا أفعالا تخرج[5] عن الحكمة حتى ماتوا. وذلك يقع من وجهين. أحدهما أن [كل][6] من أنعم عليه نعمة[7]

---

1 ر - سورة التكاثر؛ ن م: سورة ألهاكم التكاثر؛ ث + وهي ثمان آيات مكية.
2 جميع النسخ: شغلتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
3 سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
4 جميع النسخ: يخبرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.
5 جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
6 الزيادة من المرجع السابق.
7 ر م: نعمه.

فجحدها ولم يؤدِّ شكرها استوجب المقت[1] والعقوبة. يقول: كيف تقتدون بآبائكم، وإنهم كفروا بنعمة الله وجحدوا بها،[2] بل الواجب عليكم أن تتبعوا[3] النبي لذي جاء بأهدى[4] مما وجدتم[5] عليه آباءكم. والثاني أن يكون فيه علامة ودلالةٌ للبعث أن آباءهم لما فعلوا ما يُستوجَب به المَقت والعقوبةُ وماتوا من غير أن يصيبهم ذلك في دنياهم أن هم دارا أخرى يعاقَبون فيها بما فعلوا.

و[الثاني] إن كان الخطاب إنما انصرف إليهم[6] ففيه إخبارهم[7] عن سفههم أنه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا آيات رسوله عليه السلام. أو أن يكون فيه إخبار عن سفههم من وجه آخر، وهو أن الافتخار كيف وقع بالأموات والتفاخرُ بالأموات غير مستقيم.[8] أو يكون فيه وجه ثالث: إنما تفاخروا بما لا صنع لهم فيه لأنهم[9] إنما افتخروا بالأموال والأولاد وذلك من لطف الله تعالى وجميل صنعه. فيكون في هذا كله ذكرهم بما فيهم[10] من السفه والخَرَق.

ثم التعيير[11] بذكر هذه الأسباب إنما وقع -والله أعلم- دون ما هم فيه من الكفر، لأن هذه الأسباب[12] مما يبتلى به المؤمن في بعض الأحوال، فعيرهم[13] الله تعالى بذلك ليكون
[٩٢٠و] فيه تذكير[14] وموعظة للمؤمنين. ولو خرج[15] / ذكر الكفار في هذا لكان لا يجتنب المؤمنُ عسى من هذه الأفعال. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ **ألهاكم التكاثر** فقال:[16]

---

[1] ر ت م: العفو.
[2] ن - بها.
[3] ر ث م: أن يتبعوا.
[4] ر م: جاء هدى؛ ث: جاءنا هدى.
[5] ر ث م: فما وجدتم.
[6] ر ث م - إليهم.
[7] ن: إخبار.
[8] ر ث م: مستقيمة.
[9] ر ث م - لأنهم.
[10] ر ث م: فيه.
[11] ث: ثم التعبير.
[12] ن + إنما وقع.
[13] م: فغيرهم.
[14] ر ث م: تذكر.
[15] أي ولو انحصر.
[16] ر م: فكأن قال؛ ث: فكأن.

«يقول ابن آدم مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت»[١] الخبر. فهذا يدل على أن الوعيد على الإطلاق من غير التصريح[٢] بأهل الكفر لموعظة المسلمين. **والله أعلم**.

وقوله تعالى: **حتى زرتم المقابر.** يحتمل حقيقة زيارة الموتى، وذلك مما يذكرهم أن التكاثر مما لا ينفعهم إذا كان عاقبتهم هذا. ويحتمل أي صرتم إلى المقابر بعد الموت، فحينئذ تذكرون[٣] حق الله تعالى ثم لا ينفعكم. **والله أعلم**.

**﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]**

وقوله تعالى: **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون**، قال بعضهم: **كلا**، بمعنى النفي والتعطيل، وقال بعضهم:[٤] معنى قوله: **كلا**، أي حقا. فإن كان على الوجه[٥] الأول فكأنه قال: ليس كما حسبتم[٦] وتوهمتم وقدرتم عند أنفسكم وتعلمون ذلك إذا نزل بكم العذاب، وهو على الابتداء.[٧] وإن كان على معنى حقا[٨] فكأنه قال: حقا[٩] ستعلمون أنه ليس كما قدرتم عند أنفسكم. وكل ذلك يرجع إلى الوجوه التي وصفنا أنكم ستعلمون غدا حقا يقينا أن الذي أهاكم وشغلكم عن توحيد الله تعالى أو التفكر في حجج رسول الله صلى الله وسلم أو الإيمان بالبعث كان عبثا[١٠] باطلا؛ وأنه كان من الواجب عليكم أن تؤمنوا[١١] بالله ورسوله وتنظروا[١٢] في حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا[١٣] بالبعث.

---

[١] حدثنا قتادة عن مُطَرِّف عن أبيه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، (قال): وهل لك، يا ابن آدم! من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لَبِست فأبلَيْت، أو تصدقت فأمضيت؟!» (صحيح مسلم، الزهد والرقائق ٣؛ وسنن الترمذي، الزهد ٣١، وتفسير القرآن ١٠٢).

[٢] ر م: من غير تصريح.

[٣] جميع النسخ: يذكرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.

[٤] ن + كلا بمعنى النفي والتعصيل وقال بعضهم.

[٥] ر ث م – الوجه.

[٦] ر م: كما حسبتهم.

[٧] ر: وهو الابتداء.

[٨] ر: وإن على حقا معنى.

[٩] ر م – حقا.

[١٠] م: عاىثا.

[١١] ن ث: أن يؤمنوا.

[١٢] ن ت: ويبطروا

[١٣] ث: ويؤمنوا.

وفائدة التكرار بما جرى من العادة في تكرار الكلام عند الوعيد أو عند الإياس أو الرجاء نحو قولهم: الويلُ الويلُ، وقولهم: بَخْ بَخْ وغير ذلك، فكذلك هذا. ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على تأويلٍ على حِدَةٍ أنّ قوله[1] عز وجل: **كلا سوف تعلمون**، عند الموت، عند ما ترون[2] العذاب أن الأمر ليس كما حسِبتم، وتعلمون في يوم البعث أنه حق يقين.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **كلا لو تعلمون علم اليقين**، يعني بهذا[3] -والله أعلم- إبطال ما كانوا عليه من الظنون والحِسبان في هذه الدنيا. ألا ترى[4] إلى قوله تعالى: مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا،[5] فإذا نزل بهم العذاب تحقق عندهم وعلموا علما يقينا. وقال[6] بعضهم: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ،[7] حين نزل بكم الموت، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ،[8] في القبر. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة.[9] وفيه وجهٌ ثانٍ[10] وهو أنهم كانوا عند أنفسهم علماء[11] وأنهم على حق، ولكن الله تعالى بين لهم أن علمهم كان حِسبانا. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،[12] فيظهر لهم عند ذلك أن اليقين ما نزل بهم وأن الذي علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا[13] وحِسبانا.

---

[1] ث + أن قوله

[2] جميع النسخ: ما يرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.

[3] ن: هذا.

[4] ر - ألا ترى.

[5] ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٣٢/٤٥).

[6] جميع النسخ: فقال. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] الآية ٣ من هذه السورة.

[8] الآية ٤ من هذه السورة.

[9] *تفسير الطبري*، ٣٦٣/٣٠؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧٢/٢٠.

[10] ن: ثاني.

[11] ث: علما.

[12] ﴿قل هل نُنبِّئُكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (سورة الكهف، ١٠٣/١٨-١٠٤).

[13] ن: شقا.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٦]

وقوله تعالى: **لترون الجحيم**، يحتمل وجهين. أحدهما ترونها[١] عند الموت. والثاني أي ترونها بالتفكر والنظر في آيات الله وحججه[٢] في الدنيا.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[٧]

وقوله تعالى: **ثم لترونها عين اليقين**، له معنيان. أحدهما عِيانا ومشاهدة. والثاني أن يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس على ما كان عندهم أنهم لو فُتح لهم باب من السماء وعرجوا إليها، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.[٣] يقول الله تعالى: يرتفع عنهم السحر عن أبصارهم فيرونها عين اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**، ظاهر هذا يقتضي أن يكون سؤالهم بعد ما دخلوا النار، لأنه قال: **ثم لتسألن**، بعد ما وصف أنهم يدخلون النار، فبان أنه في ذلك الوقت. فإن[٤] كان على ذلك فهو في موضع التقرير عندهم أنهم استوجبوا المقت والعقوبة؛ لأنه كان عندهم أن من أُنعم عليه بنعمة فلم يشكرها استوجب المقت والعقوبة. فإن الله تعالى[٥] يسألهم في ذلك الوقت عن شكر ما أنعم عليهم ليقرر عندهم استيجاب العقوبة. ويجوز أن يكون[٦] هذا عند الحساب لأنه قال: **يومئذ**، ولم يقل: قبل ذلك أو بعده بل قال على الإطلاق فيُعمل به.

وإذا احتمل ذلك الوجه إلى المؤمنين والكافرين كان[٧] الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرَهم أن أعماهم لم يبلغ[٨] ما يُستوفَى بها شكر النعمة التي أنعمها عليهم؛ وليعلموا أن الله تعالى

---

[١] ن: يرونها.

[٢] في آيات وفي حججه.

[٣] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥).

[٤] ر ث م: فإن قال.

[٥] ن: والعقوبة والله تعالى.

[٦] ر ث م - أن يكون.

[٧] جميع النسخ: وكان.

[٨] ر م: أن أعمالهم يبلغ.

تفضل[1] عليهم وتجاوز عنهم، لا أن [يكون][2] بلغت إليه حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله. وإن كان في الكافرين فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه.

وقوله[3] تعالى: **ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذ عن النعيم**، إن كان[4] السؤال عن الكفرة[5] فإنهم يُسألون عما تركوا من الإيمان بالله تعالى وعما أتى[6] إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعن غير[7] ذلك من النعيم. وإن كان في المؤمنين فهو في سائر النعم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها. ***والله أعلم بالصواب.***[8]

---

[1] ن: بفضل.
[2] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٥٩و.
[3] ر ث م: ثم قوله.
[4] ر ث م: وإن كان.
[5] ر ث م: من الكفرة.
[6] جميع النسخ: وبما أتى.
[7] ر ن م: وغيرا؛ ث: وبغير
[8] ر م - والله أعلم بالصواب؛ ث. والله أعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة العصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْعَصْرِ﴾[١] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢]

قوله تعالى:[2] **والعصر إن الإنسان لفي خسر**، خرج قوله: **والعصر**، مخرج القسم. والقسم موضوع في الشاهد لتأكيد ما ظهر / من الحق الخفي، أو لنفي شبهة اعترضت، [٩٢٠ظ] أو دعوى ادُّعِيت، فكذلك في الغائب. ثم الأصل بعد هذا أنه ليس في جميع القرآن شيء مما وقع عليه القسم إلا إذا تأمله المرء واستقصى فيه وجد فيه[3] المعنى الذي أوجبه القسم لولا القسمُ. ثم اختلفوا في تأويل[4] قوله: **والعصر**، فمنهم من قال: هو الدهر والزمان، ومنهم من قال: هو آخر النهار، فذلك وقت يشتمل على طرفي [الليل و][5] النهار وهو آخر النهار وأول الليل، فكأنه أراد به الليل والنهار. وقال أبو معاذ: تقول[6] العرب: لا أكلمك العصران، يريدون الليل والنهار.[7] وفي مرور الليل والنهار مرور الدهور والأزمنة، لأنهما يأتيان على الدهور والأزمنة وما فيهما؛

---

[1] ر – سورة العصر؛ ث + وهي ثلاث آيات مكية؛ ن م: سورة والعصر.

[2] ن – قوله تعالى.

[3] ر م – وجد فيه.

[4] ر م: في تاويله.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٩و.

[6] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] قال الفراء: العصر الدهر، أقسم الله تعالى به. وقال ابن عباس: العصر ما يلي المغرب من النهار. وقال قتادة: هي ساعة من ساعات النهار. والعصران الليل والنهار (*لسان العرب*، «عصر»).

فكان في ذكر الليل والنهار ذكر كل شيء. والقسم بكل شيء قسم بمنشئه، لأن كل شيء من ذلك[1] نظرت فيه دلّك[2] على صانعه ومُنشئه.

وقوله تعالى: **إن الإنسان لفي خسر**، إن الدنيا وما فيها كأنها خلقت وأنشئت مَتْجَرًا[3] للخلق والناس؛ فيها تُتجار كما ذكره في غير آي من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾،[4] وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[5] أي إن الإنسان لفي خسار[6] من تجارته ومبايعته.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣]**

**إلا الذين آمنوا وعمل الصالحات**، الآية. ولقائل أن يقول: كيف استثنى أهل الربح من أهل الخسر[7] ولم يستثن أهل الخُسْر من أهل الربح فيقولَ: إن الإنسان لفي ربح إلا الذين كفروا؟ واستثناء هذه الفرقة من تلك أَولَى في العقول من تلك.

والجواب عن هذا أن هذه الآيات[8] إنما نزلت بقرب[9] من مبعث رسول الله صلى عليه وسلم والقومُ بأجمعهم كانوا أهل كفر وخسار، فلذلك وقع الاستثناء على ما ذكر، إذ استثناء[10] القليل من الكثير هو المستحسن عند أهل اللغة وإن كان القسم الثاني في حد الجواز، والقرآن في أعلى طبقات الكلام في الفصاحة.

ثم قوله تعالى: **إن الإنسان**، **[الإنسان]** اسم جنس، فكأنه أراد جميع الناس، ألا ترى أنه قال: **إلا الذين آمنوا**، ولا يُستثنَى الجماعة من الفرد، فكأنه يقول على هذا: إن الناس في أحوالهم واختياراتهم في خُسر إلا من كانت تجارته في تلك الحال[11] ما ذُكر.

---

[1] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩و.
[2] م: ذلك.
[3] ر ث م: متحركا.
[4] ث + بأن لهم الجنة. سورة التوبة، ١١١/٩.
[5] سورة الصف، ١٠/٦١.
[6] ر م: خسر.
[7] جميع النسخ: الخسران. والترجيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: الآية.
[9] ن: بقرب.
[10] ث: ما ذكر استثناء.
[11] جميع النسخ: في تلك الحالة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ

وقوله عز وجل: **وعملوا الصالحات**، يُحتمل أن يكون تأويله الصالحات التي كانت معروفة في الكفر والإسلام من حسن الأخلاق وغيره. ألا ترى أنه قال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،[١] يقول:[٢] المعروف هو المعروف الذي[٣] هو معروف في الطبع والعقل، والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع. وإن كان المراد منه الكفرَ فكأنه قال: إن الكافرين في هلاك وخسار إلا من آمن بالله تعالى ورسه[٤] وعمل صالحا.

ثم في هذه السورة ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكذلك ذكر الصالحات في سورة التين،[٥] وتَرَك ذكر الصالحات في سورة الكَبَدِ؛[٦] فكأن الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ،[٧] وغير ذلك.

وقوله تعالى: **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**. الحق في الأصل كل ما يحمد عليه فاعله، والصبر هو الكفُ عن كل ما يُذمّ عليه[٨] فاعله، فكأن التواصيَ بالحق تواصٍ[٩] بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواص[١٠] عن كل ما يذم عليه.[١١]

ثم[١٢] ظاهر قوله تعالى: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ[١٣] **إلا الذين آمنوا**، الآية، ما يوجب أن من لم يجمع بين هذه الأشياء التي ذكرها لفي خُسْرٍ، فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة.

---

[١] سورة آل عمران، ٣/١١٠.
[٢] ر م: تقول؛ ث: نقول.
[٣] ر: التي.
[٤] ن ث: ورسوله.
[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (سورة التين، ٩٥/٦).
[٦] وقد سمّى المؤلف رحمه الله هذه السورة بسورة الكبد إشارة إلى الآية ٤ منها. يقول الله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ (سورة البلد، ٩٠/١٧).
[٧] سورة البلد، ٩٠/١٤.
[٨] ث عليه.
[٩] جميع النسخ: تو صي.
[١٠] جميع النسخ: تو صي.
[١١] ث + فاعله فكان التواصي بكل ما يحمد عليه.
[١٢] ر ث م – ثم.
[١٣] الآيتان ساقطتان.

إلا أن الانفصال عن هذا -والله أعلم- أن الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الأشياء التي ذكَر في هذه الآية، وذكر الإيمان مفردا في آية أخرى ووعد عليه الجنة.[1] فلا يخلو وعده الجنةَ على الإيمان[2] المفرد في تلك الآية من أحد وجهين.[3] إما أن يكون ذكر الإيمان مفردا وأراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة، فيكون في ذكر طرف منه ذكرٌ[4] لجملته.[5] أو يكون في إيجاب الجنة له على مفرد الإيمان، فالحال فيه موقوفة لأن الله تعالى[6] أوجب الجنة ولم ينف إيمانه عمن ينقص عن ذلك، فالحال فيه موقوفة على دليله. وإذا كان كذلك لم يُقطع[7] القول على إيجاب الجنة لمن أتى بالإيمان مفردا وعلى إيجاب النار، فيكون السبيل فيه على الرجاء لأنه لو لم يُذكر كان يقع به اليأس.[8]

وأصل كل عبادة في الدنيا إنما بنيت على الرجاء والخوف، فلذلك[9] كان الأمر على ما وصفنا. أو نقول بأن الله عز وجل أوجب النار على من أتى بجميع السيئات، ولم يكن فيه دليل على من أتى بالكفر وحده لا يستوجب به[10] نارا. فكذلك الله سبحانه وتعالى وإن أوجب الجنة لمن جمع بين هذه الأعمال فلا يدل على أن من أتى بالإيمان وحده لا يستوجب به[11] الجنة.[12]

وعلى أنه يجوز أن يكون استثناءُ كلِّ من أتى بشيء من هذه الأفعال[13] بالانفراد، فيكون فيه استثناء كلِّ طائفة من ذلك على حِدَةٍ، كأنه قال: إلا الذين آمنوا، وإلا الذين[14] عملوا الصالحات،

---

[1] ث - لمن جمع هذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية وذكر الإيمان مفردا في آية أخرى ووعد عليه الجنة. انظر مثلا: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢١).

[2] ر ث م: عن الإيمان.

[3] ر: الوجهين.

[4] جميع النسخ: ذكرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ.

[5] م: بجملته.

[6] جميع النسخ: ولأن الله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ث: لم يقع.

[8] وعبارة الشرح هكذا (ورقة ٣٥٩ظ): لأنه لو لم يذكر كان يقع الإياس به.

[9] ر م: فكذلك.

[10] ن - به.

[11] ر م - به.

[12] انظر للمناسبة أو الاتصال بين الإيمان والعمل الصالح: *كتاب التوحيد* للإمام الماتريدي، ٥٧٩-٥٨٤

[13] ر م: الأعمال.

[14] ر م - آمنوا وإلا الذين.

وإلا الذين تواصوا بالحق. وإذا كان كذلك لا يكون حجة لهم وإذا أريد به الجمع يكون حجة،
فجاء التعارض / والاحتمال فوجب التوقف. [٩٢١و]

ويحتمل أن يراد به الاعتقاد، أي إن الإنسان لفي خسر إلا[1] من آمن واعتقد هذه الأعمال الصالحة. كقوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[2] الآية.
والله أعلم.[3]

---

[1] ر م + الذين آمنوا.
[2] سورة التوبة، ٥/٩.
[3] ث + وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الهمزة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[١]**

قوله تعالى: **ويل لكل همزة لمزة،** اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة. فقال بعضهم: معناهما واحد وهو الدفع والطعن. وقال بعضهم: الْهُمَزَة، هو الذي يؤذي جيسه بلسانه، واللمزة الذي يؤذي[2] بعينه وغير ذلك. وقال بعضهم: الهمزة، الذي يطعنه عند حضرته، واللمزة الذي يطعنه عند غَيبته. وهذا إنما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل، وأهل اللغة وضعوا[3] هذا المثال، وهو فعل لمن يعتاد ذلك الفعل ويحترفه. قال أهل التأويل: إن الآية في الكفار، لكنّ بعضهم قالوا: نزلت في الأخنس[4] بن شَرِيق.[5] وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

---

[1] ر – سورة الهمزة؛ ث + وهي تسع آيات مكية.

[2] ن ت: يؤذيه.

[3] ر ث م: وصفوا.

[4] ن: في أخنس.

[5] جميع النسخ: بن سريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ. الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زُهرة. اسمه أُبَيّ. وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل: خَنَس الأخنس ببني زهرة، فسمي بذلك. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حُنينًا؛ ومات في أول خلافة عمر (*أسد الغابة في معرفة الصحابة* لابن الجوزي، ١/١٦٦؛ و*الإصابة في تمييز الصحابة* لابن الحجر، ١/١٩٢).

ولقائل أن يقول: إن الآية نزلت في الكفار، وكذلك كثير من الآي من قوله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ،[١] ونحوها. ومعلوم أنه [إذا][٢] وجد منهم هذا الفعل أو عُدم[٣] استوجبوا ما ذكر من العقوبات وأشد، مع أن الذي فيه من الكفر أقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك؟

والجواب عن هذا وأمثاله من نحو قوله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. وقوله: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ [وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ][٤] وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ،[٥] فهم وإن أقاموا الصلاة وأعطوا الزكاة، لم يزل عنهم عقوبة النار. والجواب عنه أن الإيمان لم يَحْسُن لاسمه ولا قَبُحَ الكفر لنفس اسم الكفر، لأنه ليس أحد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا إلا وهو يكفر بشيء ويؤمن بشيء، لأن المسلم مؤمن بالله تعالى كافر[٦] بالطاغوت، والكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت ويعبده. فثبت أن الإيمان ليس يحسن لنفس اسم الإيمان، ولا قبح الكفر لعين اسم الكفر. ولكن الإيمان بالله تعالى إنما حَسُن بحُسْنٍ[٧] من حيث أوجبت الحكمة الإيمان به وقبح الكفر لأن الحكمة أوجبت ترك الكفر بالله تعالى، فالإيمان حَسَن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من[٨] معنى الكفر. وهذان الفعلان[٩] قبيحان في أنفسهما لا بغيرهما، فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين أكثر وأبلغ منه في تعييرهم بالكفر، لذلك عيرهم الله تعالى بهذين الفعلين.

ووجه آخر أن هذا يخرج مخرج الموعظة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُهْمَز به ويُسخر عنه لما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولا يَحْمله[١٠] ما كانوا يتعاطَونه على ترك أمرهم بالمعروف ونهيهم[١١] عن المنكر لئلا يمتنع أحد من أمته عن الأمر بالمعروف[١٢] والنهي عن المنكر لِما يخشى أن يُسخر به أو يُستهزأ.

---

[١] سورة المطففين، ٨٣/١.
[٢] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٦٠و.
[٣] ر ث م: أو عدمه.
[٤] الزيادة من مرجع السابق.
[٥] سورة المدثر، ٧٤/٤٣-٤٦.
[٦] ر م: كافرا.
[٧] ن ث: لحسن.
[٨] م + المعنى والكفر قبيح لما فيه من.
[٩] أي الهَمْز واللمز.
[١٠] ر ث م: ولا يحمية.
[١١] ن: وينهاهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م – ونهيهم عن المنكر لئلا يمتنع أحد من أمته عن الأمر بالمعروف.

والثالث أن يكون هذا على وجه المكافأة[1] والانتقام لما كانوا يفعلون بمحمد[2] صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن ذلك، إذ العقلاء يمتنعون عن الأفعال القبيحة. فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعييرهم.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[٢]

وقوله تعالى: **الذي جمع مالا وعدده**، قرئ على التخفيف: جَمَعَ، من الجمع، أي جمع ماله عنده ولم يُفرقه، **وعدّده**،[3] أي حفظ عدده وذكره على الدوام لئلا يَنقُصه وَصْفُه بالبخل والشُّح. ومن قرأه بالتشديد[4] فمعناه أنه جَمَّعَه وَادَّخَره بِمَمَرّ الزمان، لم يجمع ذلك في أيام قصيرة.[5] والأصل جَمَعَه بالتخفيف لكن شَدَّد[6] لما فيه من زيادة الجمع.

*وقيل: **عَدَّده**، أي أكثر عدده. وقال الحسن: **عدده**، أي صنفه[7] فجعل ماله أصنافا، [٩٢١و س٣١ وأنواعا[8] من الإبل والغنم والبقر والدُّور والعقار والمنقول وغيرها.[9] وقيل: **عدده**، أي استعده وأعده وهيأه.* ٩٢١و س٣٣]

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٣] ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾[٥]

وقوله تعالى: **يحسب أن ماله أخلده**، يتوجه وجهين. أحدهما أن يكون[10] على الحقيقة أنه قدّر عند نفسه[11] أنه يبقى لبقاء الأموال له[12] لما يرى بقاءه من حيث الظاهر بها،

---

[1] ر م: لمكافات.
[2] ر ث م: يفعلون نبينا محمد.
[3] ر م + وذكره.
[4] قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف "الَّذِي جَمَّعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ" مشددة الميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٨).
[5] م: قصيره.
[6] ر م: لكن شددها.
[7] ر م: صنعه.
[8] ر ث م: أصنافا وجعل أنواعا.
[9] م: وغيرهما.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩٢١و/سطر ٣١-٣٣.
[10] ث - أن يكون.
[11] جميع النسخ: عنده نفسه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٠و.
[12] ن - له.

فتقرر عنده أن ما آتاه الله تعالى من الأموال هو رزقه، فيعيش[1] إلى أن يستوفي جميع رزقه، فيجمعه ويدخره[2] لكي يزيد في عمره. والوجه الثاني أن يكون على الظن والحِسْبن، كأنه يقول: جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ،[3] جمع من يظن أن ماله يريد في عمره. فإن كان على التأويل الأول فقوله: **كَلَّا**. رد عليه، أي ليس كما قدّره عند نفسه. وإن كان على التأويل الثاني فمعنى إيجاب عقوبة مبتدأة.[4]*

وقوله تعالى: **لينبذن في الحطمة**، قيل: باب من أبواب النار، وقيل: هي صفة النار، والْحَطْمُ، هو الكسر[6] فكأنه قال: النار التي يعذب بها الكفرة تَكْسر عظامهم وتَحْطِمهم.[7]

**﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾[٦] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٧]**

وقوله تعالى: **نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة**، قيل: إن[8] النار تأتي[9] على جلودهم ولحومهم وعروقهم[10] وعضامهم[11] حتى تأكلها،[12] وتكسر العظام،[13] فتطّلع على أفئدتهم، فحينئذ يتبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب.[14] وقيل: إنما تُحرق[15] النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لأن الفؤاد إذا احترق لم يتألّم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب. والمراد من / الإحراق [٩٢١ظ] إلحاق الألم والضرر بهم.

---

[1] ر ث م: فتعيش.

[2] ن: وتدخره.

[3] الآية السابقة.

[4] ن ث: مبتدأه.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٢، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩٢١و/سطر ٣١-٣٣.

[6] ن: هو بالكسر.

[7] جميع النسخ: يكسر عظامهم ويحطمهم.

[8] ر م - إن.

[9] ر ث م: يأتي.

[10] ر م: وعروقهم ولحومهم.

[11] ن - وعظامهم.

[12] ر: حتى تأكلهم.

[13] ن: حتى يأكلها ويكسر العظام.

[14] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نضجتْ جلودهم بَدَّلْنَاهم جلودًا غيرَها ليَذُوقُوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).

[15] ن: إنما يحرق.

**﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾[٨] ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[٩]**

وقوله: **إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدّدة**، قرئ[١] عُمُدٍ برفع العين والميم،[٢] وقرئ بالنصب فيهما. وذكر عن الفراء أنه قال: العُمُدُ وَالْعَمَدُ جماعات للعَمُودِ وَالْعِمَادِ.[٣] وقال بعضهم: العَمَد جمع العَمَدَةِ[٤] نحو بقرة وبقر. وقال الكبي: **إنها عليهم مؤصدة في عمد**، أي النارُ عليهم مُطْبَقَة، يقول:[٥] طَبَقُها مُمَدَّد[٦] في عُمُد من نار ممددة عليهم من فوقهم، والعُمد كعمد أهل الدنيا غير أنها من نار تُمدّ[٧] عليهم. ***والله أعلم***.[٨]

---

[١] ن: فهي.

[٢] قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف "فِي عُمُدٍ مُمَدَّدَةٍ" بضم لعين والميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٨).

[٣] قال الفراء: والعُمُد، والعَمَد جمعان لعمود، مثل: الأديم والأُدُم والأَدَم، والإهَاب والأُهُب والأَهَب، والقضيم والقَضَم والقُضُم، ويقرأ: إنها عُمُد من نار (*معاني القرآن* للفراء، ٣/٢٩١).

[٤] ر: العمده.

[٥] ر م: تقول.

[٦] ر ث ن: ممددة؛ م: ممدودة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ط.

[٧] جميع النسخ: يمد. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الفيل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[١]**

قوله تعالى:[2] **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.** اختلفوا في السبب الذي به وقع القصد من أصحاب الفيل إلى تهديم البيت وتخريبه. فمنهم من قال: إنهم اتخذوا بيتا في بلادهم وسمّوه كعبة لكي ينتاب الناس إليه كما ينتابون[3] إلى الكعبة، فأبى الناس[4] إتيان ذلك البيت، فغاظهم ذلك حتى قصدوا تهديم[5] هذا البيت. ومنهم من قال: إن العرب حرّقوا بيعةً كانت لهم أو خرّبوها،[6] فغاظهم ذلك حتى أرادوا تهديم هذا البيت جزاء بما فعلت العرب بهم. ومنهم من قال: إنهم كانوا ملوكا وفراعنة، ومن عادتهم أنهم يعادون من ضادّهم في ملكهم وسلطانهم. وأيّ ذلك كان فلا حاجة إلى معرفته وإنما حاجتنا إلى تعرّف[7] المعنى الذي به نزلت السورة وثبت.[8]

---

[1] ر – سورة لفيل؛ ن م: ذكر أن سورة الفيل مكية؛ ث + وهي خمس آيات مكية.
[2] ن – قوله تعالى.
[3] ر: لكي ينسب لناس إليه كما ينسابون.
[4] ر ث م + إلى.
[5] ن ث: بهدم.
[6] جميع لنسخ: وحربوه.
[7] جميع النسخ: إلى تعريف والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٠ص.
[8] جميع النسخ: ويثبت. أي تمت معناها وفحواه.

وتأويل ذلك يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الله تعالى ذكّرهم تلك النعم التي أنعمها عليهم في صرف من أراد إهلاكهم، فإنهم قصدوا قتل أهل مكة، وسَبْيَ نسائهم وذراريهم، وأخذَ أموالهم، فذكرهم الله تعالى جميل صنيعه[1] بهم ليشكروا له ويعبدوه حق عبادته، وينزجروا[2] عن عبادة غيره.

والوجه الثاني أن الله تعالى خوّف أهل مكة. ووجه ذلك أن الله تعالى لما أهلك أصحاب الفيل بما ضيّعوا حرمة بيته فلا يأمن أهل مكة من إهلاكه إياهم وتعذيبهم بما ضيعوا حرمة رسول الله[3] صلى الله عليه وسلم، مع أن حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من حرمة البيت. فلما نزل بأولئك ما نزل لِما جاء منهم من تضييع حرمة بيته فَلَأَنْ يُخشى [نزول][4] عذابه ونقمته من تضييع حرمة رسوله أولى.

والوجه[5] الثالث أن الله تعالى لمّا أهلك أولئك لِما أراهم من آياته فلم ينصرفوا، لأنه ذُكر أنهم كانوا إذا وجّهوا الفيل نحو البيت امتنع ووقف، وإذا وجهوه[6] نحو أرضهم هَرول وتسارع، فلما رأوا[7] ذلك ولم ينصرفوا أهلكهم الله تعالى. فلا يؤمَن على أهل مكة أيضا أنهم لما رأوا الآيات والمعجزة[8] من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا أن يهلكهم الله سبحانه وتعالى وينتقمَ منهم بعقوبته. فعلى ما ذكرنا يخرج معنى نزول السورة.

وقيل: إنه على البِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على[9] الإشارة أنه لم يكن للبيت ناصر في ذلك الوقت ولا مُعينٌ، بل كان وحده، فنصره الله تعالى حتى لم يتمكّن[10] أعداؤه من هدمه. فعلى ذلك ينصرك ويعينك ويهلك عدوك وإن كنت أنت وحدك، إذ كان[11] وقتَ نزول هذه السورة لم يكن له كثير أعوان، وقد فَعل ذلك يومَ بدر.

---

[1] جميع النسخ: صنعه.
[2] ر م: ويزجروا.
[3] ر: رسوله.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[5] ر م: الوجه.
[6] ر م: وجهوا.
[7] ث: فلما رأو.
[8] جميع النسخ: المعجزة.
[9] ر + البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
[10] ر م: لم يمكن.
[11] ر م: إذا كان.

ثم قوله: **ألم تر**، حرف استعمل في تذاكر أعجوبة قد كانت وعرفوها ثم أُغفلوا[1] عنها أو فيما لم يكن؛ فيُعَجِّبهم[2] بما فعل بأعدائه ليحمِلهم على الزجر والانتهاء عما حرم الله تعالى. فكأنه قال: رأيتَ ربك كيف فعل[3] بأصحاب الفيل؟ ويجوز أن يكون الخطاب منه للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد غيره، ويجوز أن يكون هذا خطابا لكل واحد منهم.

ثم تسميتهم أصحاب الفيل ونسبة الفيل إليهم يحتمل وجهين. أحدهما أي الذين[4] صحبوا الفيل. والثاني أصحاب الفيل، أي أرباب الفيل، كما يقال: رب الدار وصاحب الدار.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[٢]

وقوله تعالى: **ألم يجعل كيدهم في تضليل**، أي أبطل ما قدَّروه عند أنفسهم من تخريب البيت وتهديمه. والكيد ما ذكرنا بَدْءًا.[5]

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[٣]

وقوله تعالى: **وأرسل عليهم طيرا أبابيل**، جماعاتٍ متفرقةً جماعة جماعة. [يقول لم يرسلهم جملة واحدة ولا واحدا بعد واحد، بل جماعة بعد جماعة].[6] وهكذا السنة في الخروج لمحاربة[7] أعداء الله تعالى أن يخرجوا جماعة جماعة. وقيل: هي طير لم يُرَ قبلها ولا بعدَها مثلُها لها رءوس كالسباع. وقيل: شبيهة برجال الهند.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ترميهم بحجارة من سجيل**، اختلفوا في السجيل. قال بعضهم: هو اسم موضع خلقت حجارته لتعذيب الفراعنة وإهلاكهم. وقال بعضهم: فارسية معرَّبة وهي "سَنْك كِلْ"،[8] وهو الآجُرُّ في التقدير. وقال بعضهم: هذه عبارة عن [غاية][9] شدة الحجارة وقوته.

---

[1] جميع النسخ: ثم غفلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[2] أي قول الله تعالى.
[3] ث + ربك.
[4] ر ث م: أي الذي.
[5] أي في ابتداء السورة.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر م: المحاربة.
[8] جميع النسخ: وكل.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [٥]

وقوله تعالى: **فجعلهم كعصف مأكول**. قالوا: العصف هو ورق الزرع أو ورق كل نابت. وقوله: **مأكول**، ينحو[١] نحوين ويتوجه وجهين: إلى ما[٢] قد أُكل وإلى ما لم يؤكل. إذ ما لم يؤكل إذا كان مُعَدًّا للأكل يسمى[٣] مأكولا. فإن كان غير المأكول فكأنه قال: جعلهم في الضعف والرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب، حتى لا يُخاف منهم بعد ذلك أبدا. [٩٢٢و] / وإن كان على المأكول فهو أنه تعالى جعلهم كالمأكول [حتى لا يُعْبَأ به ولا يذكر آخِرَ الدهر. وقيل: يصير كالمأكول][٤] الذي أكله[٥] الدود فيكون فيها ثقب. *والله أعلم*.[٦]

---

[١] ر: ينحو.

[٢] ن + إلى؛ ث + إلى أن.

[٣] ر ث ه: سمي.

[٤] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٦١و.

[٥] جميع النسخ: التي أكلتها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة قريش[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[١] ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[٢] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾[٣] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٤]**

قوله تعالى: **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**؛ هذا يخرج على وجوه. أحدها ما قال الفراء: إن اللام لام الاعتلال، لأن [هذه][2] السورة صلة لسورة[3] أَلَمْ تَرَ،[4] قال:[5] فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ،[6] **لإيلاف قريش**؛ كأنه يقول: أهلكت أصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتألُفِ[7] قريش بذلك المكان، كما أَلِفوا به الرحلتين اللتين جُعلتا[8] لهم في الشتاء والصيف.

والثاني يحتمل أن يقول: ألزمت الخلق عبادة رب هذا[9] البيت حتى أَلِفُوا ذلك البيت، وحملوا ما يحتاج إليه قريش وأهل ذلك المكان من الطعام وما يتعيّشون به، لتآلف قريش بعبادة رب ذلك البيت ما لولا ذلك لم يتهيأ لهم المُقام بذلك المكان؛ لأنه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يُتعيّش به.

---

[1] ر – سورة قريش؛ ن: سورة لإيلاف؛ ث: سورة القريش وهي أربع آيات مكية؛ م: سورة لإيلاف قريش.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[3] ر ث م – لسورة.

[4] انظر: *معاني القرآن* للفراء، ٣/٢٩٣.

[5] أي قال الله تعالى.

[6] سورة الفيل، ١٠٥/٥.

[7] ر م: تأليف.

[8] جميع النسخ: جعلنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[9] ن ث: هده.

وهو كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾.[1] وإنما تعيشهم في ذلك المكان بما يُحمَل إليهم من الآفاق والأمكنة النائية، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾[2] الآية. وقال بعضهم: أمرت[3] قريش أن يؤالفوا عبادة رب هذا البيت كإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. يقول: كما آلفتم هاتين الرحلتين فَأْلَفوا عبادة رب هذا البيت.

وقال بعضهم: إن أهل مكة كانوا يرتحلون تجارا آمنين في البلدان، لا يخافون شيئا لحرمتهم؛ لأن الناس يحترمون لهم لمكان الحرم، حتى لا يُتعرَّض لهم بشيء ولا يؤذيهم أحد. حتى إن كان الرجل منهم لَيصابُ في حي من الأحياء يقال: "هذا حَرَمِيٌّ" فيخلَّى[4] عنه وعن ماله تعظيما لذلك المكان، وهو ما قال: **وآمَنَهم من خوف**.

وقيل: إن العرب كانت يُغِير[5] بعضهم على بعض ويَسبي بعضهم بعضا، وأهل مكة كانوا آمنين في حرم الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.[6] فذكر عظم[7] نعمه عليهم ومننه ليعلموا [ب]ذلك أنه منه.

وأصله أن الله تعالى لما كان من حكمته وإرادته جعل الرسالة في قريش وإبقاؤها إلى الوقت الذي أراد أن يبقى جعل لهم من الأمن[8] في ذلك المكان والأرزاقِ التي تُجْبَى[9] إليهم وما يتعيشون به[10] في ذلك ليبقَوا إلى الوقت الذي أراد بقاءهم إليه فيكون ما أراد على ما أراد. فكما أُنشأ هذا العالم للبقاء إلى الوقت الذي أراد أن يبقَوا فيها جعل لهم من الأرزاق ما يبقون إلى الوقت الذي أراد، ليكون ما أراد. فعلى ذلك الأول.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (سورة إبراهيم، ٣٧/١٤).

[2] سورة القصص، ٥٧/٢٨.

[3] جميع النسخ: أقرت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[4] ر م: فتخلى.

[5] جميع النسخ: تغير.

[6] سورة العنكبوت، ٦٧/٢٩.

[7] ر ث م: عظيم.

[8] ر ث م: من الأمر.

[9] ر ث: تجبا؛ ن: تحيا

[10] ر ث م - به.

قال القُتَبِي: الإيلاف مصدر آلفتُ فلانا كذا إيلافا، كما تقول:[١] ألزمته إلزاما.[٢] وقال الكسائي: أَلِفت المكان وآلفتُه لغتان.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **لإيلاف قريش**، أي كصنيع قريش.[٣] **إيلافِهم**، أي صنيعهم، **رحلةَ الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع** التينين[٤] الذي أصابهم، **وآمَنَهم من خوف**، العدو. **والله أعلم**.[٥]

---

[١] ن: كما يقول.

[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٩.

[٣] ث – أي كصنيع قريش.

[٤] أي القحط والجدب.

[٥] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ث + وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الماعون[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[١]**

قوله تعالى: **أرأيت الذي يكذب بالدين**، اختلف في نزوله.[٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي مدنية، وقال مقاتل ومجاهد وجماعة: هي مكية. وجائز أن يكون أولها نزل بمكة،[٣] لأن الذي ذكر أنها نزلت في شأنه كان مكيا وهو العاص بن وائل السهمي،[٤] مع ما أنهم هم الذين يكذبون بيوم الدين. وآخرها نزلت بمدينة،[٥] لأن في آخرها وصفَ المنافقين، وهو ما ذكر من المراءاة[٦] في الصلاة ومنع ما ذُكر.[٧] ثم إن كان نزولها في الكفرة فالجهة فيه والمعنى غير الجهة والسبب لو كانت نزلت في المنافقين.

ثم قوله عز وجل: **أرأيت**، حرف يستعمل[٨] في موضع السؤال والاستفهام. ويجوز أن يكون استعماله على وجه التقرير عند السائل لما يراد به إعلامه، على سبيل ما روي في الخبر:

---

[١] ر – سورة الماعون؛ ث + وهي سبع آيات مكية.

[٢] ر: اختلف نزوله.

[٣] ث: مكة.

[٤] العاص بن وائل السهمي، من قريش، أحد الحكام في الجاهلية، وأدرك الإسلام وظل على الشرك. يعدّ من المستهزئين ومن الذين ماتوا كفارا وثنيين. مات نحو سنة ٦٢٠ م. (الأعلام للزركلي، ٣/٢٤٧).

[٥] ث: بالمدينة.

[٦] م: من المرائيات.

[٧] ن – لأن في آخرها وصف المنافقين وهو ما ذكر من المراءاة في الصلاة ومنع ما ذكر.

[٨] ن ث: مستعمل.

«أرأيت لو كان على أبيك دَين فقضيته، أمَا قُبل منك؟!»[1] وكان ذلك في موضع التقرير. فكذلك قوله: **أرأيت**، معناه[2] -والله أعلم- أن اعلم أن الذي[3] يَدُعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين.

قال أهل التأويل جميعا: **يكذب بالدين**، أي بالحساب والبعث. وجائز أن يكون **يكذب بالدين**، الذي[4] يظهر، أي يكذب بالدين الذي أظهر[ه] لك ولا يحقق[ه]، إن كان في المنافقين، لأن أهل النفاق كانوا يكذّبون ما يظهرون[5] من الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. وإن كان في أهل الكفر فهو على الرؤساء منهم، فتكذيبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون لأتباعهم

[٩٢٢ظ] من الجهد والشدة، يُموِّهون بذلك / على أتباعهم، ليقع عندهم أن الذي هم عليه حق، وأن الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل. فيكذبون بالدين الذي يُرُون من أنفسهم ويُظهرون بالتمويهات التي يموّهون بها عليهم. فكيف ما كان -أنْ كانت نزلت[6] في المنافقين أو في أهل الكفر أو في الذي كذّب بالحساب والبعث أو بالذي ذكرنا- [ف]إنه يُظهر خلاف ما يُضمر.

وفيه[7] عظة وتنبيه للمؤمنين وزجر لهم عن مثل صنيعهم، لأنه نعت لذي كذب بالدين إن كان المراد به الحساب أو الدين نفسه حيث قال.[8]

## ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٢] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٣]

كأنه قال: الذي يكذب بالدين هو الذي يدعُّ اليتيم،[9] أي يظلم اليتيم ويمنع حقه،[10] ولا يحض على طعام المسكين. يقول -والله أعلم-[11] للمؤمنين: لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه،

---

[1] رواه أحمد عن سودة بنت زعمة قالت: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عيه وسلم فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحُج. قال: «أرأيتك لو كان على أبيك دين فقضيته عنه، قبل منك؟» قال: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: «فالله أرحم، حُجّ عن أبيك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٤٢٩؛ و*سنن النسائي*، المناسك ١١).

[2] ث + التقرير.

[3] ر: أن اعلم من الذي.

[4] ر ث م - الذي.

[5] ر م: يظهر.

[6] م - نزلت.

[7] ن: ففيه.

[8] ر ن م + فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين؛ ث + فذلك الذي يدع اليتيم؛ ن - حيث قال.

[9] ث - كأنه قال الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم.

[10] ر: وحقه يمنع.

[11] م - أعلم.

ولا تسيئوا صحبة اليتيم كما فعل من كذّب بالدين، وحُضّوا على طعام المسكين. يصف بخلهم واستهانتهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي عاملوهم، يعظ المؤمنين ويزجرهم عن ذلك.

وجائز أن يكون قوله: **ولا يحض على طعام المسكين،** لما عندهم بأن من أُعطي المال ووُسّع عليه الدنيا إنما أعطي[١] ذلك لكرامة له عند الله تعالى، ومن ضُيّق عليه ومُنع ذلك عنه لهوانٍ له عنده وحقارة؛ كقوله تعالى: فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ،[٢] وقوله تعالى: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ،[٣] الآية،[٤] يظنون أن الله تعالى منع ممن منع ذلك لهوان له عنده، ومن وسّع عليه وسع لكرامة[٥] له عنده، فيقول: كيف أُكرم من أهانه الله تعالى؟ فيحتمل أن يكون ما ذكر أنه لا يحض عىى طعام المسكين [بهذا المعنى]،[٦] ويحتمل أن يكون الذي حمله على ظلمه اليتيم وتركِه إطعامَه[٧] تكذيبَه بالبعث، لأنه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع[٨] من يقصد ظلمه ويمنع حقه، وكان لا يخاف عقوبة البعث إذ لا يؤمن به.

ثم يحتمل قوله: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ[٩] **فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين،**[١٠] أن يكون في[١١] الاعتقاد والرَّوِيَّة؛[١٢] ويحتمل أن يكون في حق الفعل نفسه. فإن كان في الاعتقاد والروية[١٣] فأهل الإسلام لا يعتقدون[ه]. وإن كان في حق الفعل فإنهم ربما يفعلون ذلك. وحمله عندنا على الاعتقاد أوجب وأقرب لما وصفنا أن اليتيم لا ناصر له،

---

[١] ن – إنما أعطي.

[٢] سورة لفجر، ٨٩/١٥-١٦.

[٣] ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ (سورة يس، ٣٦/٤٧).

[٤] ن – الآية.

[٥] ر: لكرامته.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.

[٧] ن: إطعام.

[٨] م: يدفع.

[٩] الآية السابقة.

[١٠] ر ث م + الآية؛ ن – عىى طعام المسكين.

[١١] ن – في.

[١٢] جميع النسخ: والرؤية. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] جميع النسخ: والرؤية. والتصحيح من المرجع السابق.

وليس للكافر خوف العاقبة[1] لما لا يؤمن بذلك. وإنما يمتنع المرء في الغالب من سوء الصحبة لهذين: إما [ل]رغبة في جزاء لآخرة أو خوف المكافأة[2] في الدنيا. والمساكين ليس لهم في الدنيا من[3] يكافئهم ويجازيهم،[4] وليس لليتيم ناصر ليُخاف منه، ولم يكن للكافر رغبة في ثواب[5] الآخرة ولا خوفٌ عن العقاب لعدم تصديقه بذلك.

ثم قوله عز وجل: **ولا يحض على طعام المسكين**، هو النهاية في وصفه بالبخل؛ لأن الحَثَّ على الصدقة أن يرجّيه ويُطمعه في ثوابه؛ فإذا لم يرجُ هو بنفسه فكيف يُرجّي غيره. مع ما أن الحكمة عند هؤلاء الكفرة أنّ[6] من جرّ إلى نفسه نفعا فهو الحكيم، ومن ضر نفسه فهو جائر غير حكيم. وهو إذا منع الصدقة نفع نفسه، وإذا أوفى اليتيم حقه ضرّها؛ فلذلك لا يرغب فيها. فهذا المعنى الذي وصفناه دعانا إلى توجيه التأويل إلى الاعتقاد.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[٤] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**، إن كان هذا في أهل النفاق فأهل النفاق كذلك، كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات إلا وكانوا عنها لاهين ساهين، وإذا فعلوا شيئا منها فعلوه[7] مراءاة، كقوله تعالى: يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً،[8] وقوله: وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[9] فذكر كَسَلهم وبخلهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **فويل للمصلين**، إلى آخر[10] ما ذكر في المنافقين على ما ذكرنا من نعتهم. وجائز أن يكون في أهل الكفر؛ وأهل الكفر كانوا يصلون، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً،[11] أخبر أن صلاتهم في الحقيقة ليست بصلاة.

---

[1] ن: للعاقبة.
[2] ر: لمكافات.
[3] جميع النسخ: ما
[4] أي يجازي من يطعمهم ويمنع حقهم.
[5] ر م + الدنيا و.
[6] ر م - أن.
[7] ر ن م: فعلو.
[8] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[9] سورة التوبة، ٥٤/٩.
[10] ن - آخر
[11] سورة الأنفال، ٣٥/٨.

فجائز أن يكون على صورة الصلاة[1] الحقيقية،[2] وقد ذُكر أنهم كانوا يصلون مستقبلين نحو أصنامهم يُرُونَ الناس كثرة[3] احتهادهم في طاعة الأصنام،[4] حتى إذا رآهم[5] من نأى عنهم ظن أن ذلك[6] حق. فيكون في ذلك صدّ عن إجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه، فذلك[7] قوله: إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.[8] ويحتمل أن يكون كناية عن الخضوع والتذلل، فيكون معناه: ويل للذين لا يخضعون ولا يخشعون.

وقوله عز وجل: **الذين هم عن صلاتهم ساهون**، يحتمل وجهين. أحدهما أي سَهَوْا عن صلاتهم لأنفسهم، وصلاتهم التي هي لأنفسهم هي أن تكون[9] الصلاة لله تعالى و[أن] يجعلوها له[10] ولا يصلون لغير الله من الأصنام وغيرها، لأن من صلى لله تعالى يرجع منفعتها[11] في الحقيقة إليه لما تعلق بها من الجزاء الجميل. فهم بالسهو عن تلك الصلاة وتركها مُلحقون الضرر بأنفسهم، وجعلوها للأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

[٩٢٣و] والثاني سَهَوا[12] الصلاة / حين أضاعوها. وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود في قوله عز وجل: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.[13] فيقول: سَهَوا[14] الصلاة فلم تمنعهم[15] عما ذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: هم الذين يؤخرونها[16] عن وقتها.[17]

---

[1] ر ث م – الصلاة.
[2] جميع النسخ: الحقيقة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٢و.
[3] م: كثيرة.
[4] ر: للأصنام.
[5] ر م: إذ رأوا هم؛ ن ث: إذا رأوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م: ظن أنه.
[7] ن: فكذلك.
[8] سورة الأنفال، ٨/٣٥.
[9] جميع النسخ: أن يكون.
[10] ر م: يجعلونها له؛ ث: ويجعلون له.
[11] ر ث م: منفعته.
[12] ر م: سهوتهم؛ ث: سهوهم.
[13] سورة العنكبوت، ٢٩/ ٤٥.
[14] ر ن م: سهتهم؛ ث: سهتهم.
[15] جميع النسخ: فلم يمنعهم.
[16] جميع النسخ: يؤخرون.
[17] تفسير الطبري، ٣٠/٤٠٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٨/٦٤٣.

وقال مجاهد: الساهي الذي لا يبالي[1] صلى أم لا. ألا ترى أنه قال: **الذين هم يراءون**. وقال الحسن: هم المنافقون يؤخرونها[2] عن وقتها ويراءون إذا صلّوا. وقال سعد:[3] الترك عن الوقت.[4] وقال أبو العالية:[5] الساهي هو[6] الذي لا يدري عن شفع انصرف أو عن وتر.[7] وروي عن سليمان أنه قال: الحمد لله حيث لم يقل: "في صلاتهم ساهون"، ولكنه قال: **عن صلاتهم ساهون**.[8]

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٧]

وقوله تعالى: **ويمنعون الماعون**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الزكاة؛[9] رواه ابن الزبير وعكرمة ومجاهد عنه. وروي عن علي رضي الله عنه: هو الزكاة.[10] وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية أخرى: هو العارية.[11] وعن ابن عمر قال: هو الذي لا يُعطَى حقه،[12] وهو الزكاة. وروي عن علي رضي الله عنه في رواية: **الماعون**، منع القِدْر والدلو والفأس.[13] وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله،[14] وكذا عن ابن عباس في رواية.[15] وقال أبو عبيدة: كل ما فيه نفعه فهو الماعون.[16] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما جاء أجلها[17] بِغَد.[18]

---

[1] ر م: يبلي.
[2] ر م: يؤخرون.
[3] هو سعد بن أبي وقاص. انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥/٥٢٧.
[4] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٥؛ و*تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٢.
[5] أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي، تابعي. كان إماما في القراءة والتفسير والعمل، وأخذ القراءة عرضا عن أبي وزيد بن ثابت وابن عباس. توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٩م (*شذرات الذهب*، لابن العماد، ١/٣٦٧-٣٦٨).
[6] ن - هو.
[7] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٣.
[8] قال عمرو بن أبي سلمة: سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل "في صلاتهم" (*تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٣).
[9] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤/٣٠٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٥.
[10] *تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٦.
[11] *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١.
[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٥.
[13] ن: والفأس والدلو. *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١-٤١٢.
[14] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٤.
[15] ر م + أخرى. *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١.
[16] ن: نفعه من الماعون. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٣١٣.
[17] جميع النسخ: أهلها.
[18] ر ث م: بعد. أي كل شيء أعير للغد أو لزمان مستقبل.

فإن كان ذلك على العواري فالمعنى منها ذم البخل، وأشده[١] منع القرض. وجائز أن يكون **الماعون** كل معروف وكل ما يعان [به]،[٢] يدخل[٣] في ذلك الزكاة وغيرها. ففيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع الحق من المستحق.

قال أبو عَوْسَجَة: **يَدعّ اليتيم**، أي يضرب ويدفع في قفاه، يقال: دَعَّ يَدُعُّ دَعًّا فهو داعٌّ و[ذاك][٤] مَدْعُوعٌ. وقال القُتَبِي: **يَدعّ اليتيم**، أي يدفعه؛[٥] وكذلك في قوله: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[٦] أي يُدفعون.[٧]

وقال أبو عَوْسَجَة: **لا يحض**، لا يُحرِّض، ولا يَحُثّ. **ساهون**: غافلون.

وفي حرف[٨] ابن مسعود رضي الله عنه: "لَاهُونَ"، و"أَرَأَيْتَكَ"[٩] بالكاف،[١٠] وكذلك في حرف أُبَيّ رضي الله تعالى عنه. ***والله أعلم.***[١١]

---

[١] ن: أشدة.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٢و.

[٣] ن – يدخل.

[٤] الزيادة من المرجع السابق.

[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٤٠.

[٦] سورة الطور، ٥٢/ ١٣.

[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٤.

[٨] الأحرف: الوجوه والأنحاء التي ينحوها القراء. يقال: في حرف ابن مسعود كذا؛ أي في وَجْهه الذي يَنحرِفُ إليه من وُجوه القراءة انظر: *الفائق في غريب الحديث* للزمخشري، ١/٤٢.

[٩] ر ن: وأريتك.

[١٠] معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٦٠٦، ٦٠٨.

[١١] ر + تحقيقة ما أراد الحمد لله رب العالمين وبه نستعين؛ ن م – والله أعلم؛ ث + تحقيقة ما أراد وصلى الله عليه محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الكوثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾**[١]

قوله تعالى: **إنا أعطيناك الكوثر،** هذا خرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنعام عليه والإفضال ليستأدي بذلك شكره والخضوع له.[2]

ثم اختلفوا[3] في الكوثر. [قال بعضهم: **الكوثر**]،[4] هو الخير الكثير. والخير الكثير ما أعطي من النبوة والرسالة، وما لا ينجو أحد من سخط الله تعالى إلا به، وهو الإيمان به والتصديق له، وما صيّره معروفا مذكورا في الملائكة، وما قرَن ذكره بذكره[5] ورفَع قدره ومنزلته في جميع الخلائق، وغيرُ ذلك مما لا يحصى، وهو ما قال: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ.[6]

وقال بعضهم: **الكوثر**،[7] نهر في الجنة. وعلى ذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الكوثر فقال: «نهر في الجنة»،[8] أو قال ذلك من غير سؤال.

---

[1] ر – سورة الكوثر؛ ن: ذكر أن سورة إنا أعطيناك الكوثر مكية؛ ث + وهي ثلاث آيات مكية؛ م + ذكر أن سورة الكوثر مكية.

[2] ن – له.

[3] ن: اختلف.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[5] أي في كلمتي الشهادة و الأذان والإقامة ونحوها.

[6] سورة الانشراح، ٩٤/ ٤.

[7] ر م – الكوثر.

[8] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦٧/٢، ١٠٢/٣؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٠٨.

فإن ثبت الأخبار فهو داك، كُفينا عن ذكره؛[1] وإن لم يثبت الأخبار فالوجه الأول أقرب عندنا، لأنه ليس في إعصائه[2] النهر تخصيص في التشريف والعطية؛ لأن الله تعالى وعد لأمته ما هو أكثر من هذا، لما روي في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[3] «إن لأهل الجنة في الجنة ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر».[4] ونحن نعلم أن هذا في الإنعام أكثر من النهر الذي وصف.

وقال بعضهم: **الكوثر**، شيء أعطاه الله تعالى رسوله لا يعرف. وأصله أنه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه، فلا يجب أن يَتكلف معرفته وتفسيره لأنه إن أخطأ لحقه الضرر، وإن أصابه لم ينفع كثيرَ نفع.

وقيل: **الكوثر**، هو حرف أخذ من الكتب المتقدمة.

**﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٢]**

وقوله تعالى: **فصل لربك وانحر**، اختلف فيه. قال بعضهم: حقيقة الصلاة هي الخضوع والخشوع[5] والدعاء. أمره بجميع ما يَعبده في نفسه، وأمره أن يأتي بما يعبده[6] من القرابين والذبائح والضحايا التي فيها نفار الطباع، حتى إن من[7] الكفرة من يحرّم الذبائح والنحر للآلام التي فيها، والطباع ينفر عن ذلك. فتعبّده بالذي[8] فيه مناقضة[9] طبعه ونفاره عنه.

وجائز أن يكون لا على[10] الأمر بالصلاة والنحر، ولكن معناه إذا فعلت ذلك فافعل لله، لأن أولئك الكفرة كانوا يصلون للأصنام ويذبحون لها، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[11] أي للنصب؛ فأمره أن يجعل ذلك لله تعالى.

---

[1] أي نكتفي بالحديث الصحيح ولا نقول شيئا غيره.
[2] م: إعطاء.
[3] ن - أنه قال.
[4] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣١٣/٢؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٣٥.
[5] ر: والخضوع.
[6] ن: مما تعبده.
[7] ن - من.
[8] ن + فتعبده بالذي
[9] ن: مناقصة.
[10] ر ث م + رأى.
[11] سورة المائدة، ٣/٥.

وقال الحسن: صل لربك صلاة العيد وانحر البُدْنَ بعدها. وقال مجاهد وعطاء: صل[1] الصبح بجَمْع وانحر بمِنى.[2] وقال بعضهم: صل لربك حقيقة الصلاة، وهي الصلاة المعروفة المفروضة. وهي[3] مُخُّ العبادة على ما ذكر في الخبر.[4]

وكذلك ما ذكر أن المصلي مناجي الرب تعالى وهو[5] -والله أعلم-[6] لأنه ما من عبادة إلا وفيها شيء من اللذة وقضاء شهوة[7] النفس وأمانيها من السير والركوب والأكل والشرب والكلام والانتقال من موضع إلى موضع، وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاءِ شهوتها وإن قل من الحج والزكاة والجهاد وغير ذلك إلا[8] الصلاةَ نفسَها، / فإن فيها قطعَ النفس عن جميع شهواتها وأمانيها وعن جميع ما تتنذذ[9] به من أنواع اللذات. [٩٢٣ظ]
وعلى ذلك ما سُمي موسى عليه السلام كليمَ الله ونَجِيّه؛ لأنه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه لذة وراحة، وأتى جبلا ليس فيه أحد، وكلمه ربه في ذلك، فسُمّي نَجِيَّ الله. وعلى ذلك سمي المصلي مناجيا ربه وخُصَّ بذلك الاسم لما ذكرنا.

وقوله تعالى: **وانحر**، هو ما ذكرنا من نحر البُدْن الذي تعبّده بذلك[10] لما فيه من نفار النفس بالتألم الذي يحصل لغيره بفعله؛ فالتألم[11] بفعل[12] نفسه أكثر من التألم بفعل[13] غيره، وهو مجاهدة النفس وتَعَبُها.[14]

امتحنه عليه الصلاة والسلام بتحمل المشقة لوجهه تعالى، مرةً بالتبليغ إلى الكفرة مع الخطر على نفسه، ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل، ومرةً بإتيان خلاف الطبع وهو ذبح البُدْن،

---

[1] ر: صي.
[2] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٧.
[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.
[4] انظر: *سنن الترمذي*، الدعوات ١.
[5] ن: وهي.
[6] ر م: الله أعلم.
[7] ر م: الشهوة.
[8] م: لا.
[9] جميع النسخ: يتلذذ.
[10] جميع النسخ: يعبده لنكل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.
[11] جميع النسخ: لغيره بفعل غيره عالتألم به.
[12] جميع النسخ: يفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن ث م: يفعل.
[14] جميع النسخ: وتعير ما. والتصحيح من المرجع السابق.

إذ الطبائع[1] تنفر عن إراقة الدماء، مع أنه من أشفق الناس وأرحمهم على خلقه.[2] فبلغ من حسن إجابته له وطاعته له[3] أن ساق مائة بَدَنةٍ، فنحر ستين منها بيده ووَلَّى عليا رضي الله عنه نحر أربعين على ما ذكر في الخبر.[4]

وروى أبو الجوزاء[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **فصل لربك وانحر**، وضْع اليمين على الشمال في الصلاة، وكذا روي عن علي رضي الله عنه. وعن عاصم الجَحْدَري[6] قال: هو وضْع اليمين على الشمال في الصلاة.[7]

ومن قول الثنوية أنهم لا يرون ذبح شيء من الأشياء لما فيه من الألم والأذى. وقولهم[8] هذا ليس بصحيح، لأنا نعلم أن إفاتة[9] الروح بالذبح أهون على المذبوح من موته حتف أنفه،[10] فإذا جاز في الحكمة أن يَزْهق روحه بغير الذبح فلأن يجوز الذبح[11] أحق. وأصله ما ذكرنا أن هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود به من بين الناس. وهو يعلم بالذي خاطبه به من الصلاة والنحر والكوثر، وغير ذلك. فلا نتكلف[12] نحن تفسيره مخافة الكذب على الله تعالى سوى أن نذكر[13] أقاويل أهل التأويل.

---

[1] م: الطبع.
[2] أي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم من أشفق الناس وأرحمهم على خلق الله تعالى.
[3] ث – وطاعته له.
[4] انظر: *البداية والنهاية* لابن كثير، ١٧٨/٥.
[5] أبو الجوزاء، هو أوس بن عبد الله الربعي البصري، من كبار العلماء والتابعين، حدث عن عائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص. وروى عنه أبو الأشهب العطاري وعمرو بن مالك النكري وبديل بن ميسرة وجماعة. كان أحد العباد الذين قاموا على الحجّاج. قيل إنه قتل يوم الجماجم. انظر: *صفة الصفوة* لابن الجوزي، ٢٥٨/٣؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٧١/٤؛ *والعبر في خبر من غبر* للذهبي، ٩٦/١؛ *والنجوم الزاهرة* لابن تغري بردي، ٢٦٤/١.
[6] عاصم الجحدري، هو ابن العجاج ويكنى أبا المجشر البصري. ويقال له: عاصم بن أبي الصباح. قرأ القرآن على نصر بن عاصم وعلى يحيى بن يعمور وعلى الحسن البصري وسليمان بن قتّة. وتصدر للإقراء. توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م. وقال غيره: مات قبل الثلاثين ومائة. انظر: *ميزان الاعتدال* للذهبي، ٣٥٤/٢؛ *ومعرفة القراء الكبار* للذهبي، ٢١٠/١–٢١١؛ *والوافي بالوفيات* للصفدي، ٥٦٨/١٦؛ *ولسان الميزان* لابن حجر، ٢٧٨/٣.
[7] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٦٧/٣؛ *وتفسير الطبري*، ٤٢٢/٣٠.
[8] م: وقوله.
[9] ن: إقامة.
[10] ر: أنفسه.
[11] جميع النسخ: في الذبح
[12] ن: فلا يتكلف.
[13] ن: أن يذكر.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٣]

وكذلك قوله[1] تعالى: **إن شانئك هو الأبتر**. يذكر أهل التأويل أن فلانا[2] سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبتر، فنزل: إن الذي سماك أبتر[3] هو الأبتر.[4] لا نعرفه[5] حقيقة،[6] لأنه لم يذكر أن أحدا من أولاد الفراعنة وأعداء الرسل[7] افتخر بأبيه أو أحدًا من أوليائهم والمنتمين بهم افتخروا بهم،[8] وافتخر أولاد أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس[9] حتى يتعيشوا بذلك فيما بينهم.

يقول: **إن شانئك هو الأبتر**، أي معاديك ومبغضك هو الأبتر دونك، أو يقول: أعداؤك هم الذين يَبْتُرُ ذكرهم، وأولياؤك[10] مذكورون أبدا على ما قلنا. وأصله ما ذكرنا أنه خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عرف ذلك، ونحن لا نعلم في أي شيء كانت القصة، وفيم نزلت الآية. والله ورسوله أعلم.

قال أبو عَوْسَجَة: الشانئ المبغض، يقال: شنأته[11] أبغضتُه. والأبتر هو الذي لا ولد له ذَكَرًا[12] ولا عَقِب له.

وفي قوله تعالى: **إن شانئك هو الأبتر**، بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم[13] والقهر لهم والنصرة عليهم، وإظهار دين الله تعالى في البلاد والآفاق، إذ أخبر أن الذي عاداه وباغضه هو المنقطع والأبتر، لا هو. ***والله المستعان***.[14]

---

[1] ر م: وكذلك وقوله؛ ن - قوله.

[2] هو على ما ذكر أهل التأويل العاص بن وائل أو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط أو أبو جهل. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢٦/٣٠؛ و*بحر العلوم* للسمرقندي، ٥١٩/٣؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٢٩/٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٢٢/٢٠.

[3] م - أبتر.

[4] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣٠/٥.

[5] ر ن م: لا يعرفه.

[6] أي إن الذي سماك أبتر صار هو نفسه أبتر، وكان نسيا منسيا، فلم يُعرف من هو، و لم ينتم إليه أحد و لم يفتخر به.

[7] ث + عليهم السلام.

[8] ر م - افتخروا بهم.

[9] ث - على الناس.

[10] ر م: وأولئك.

[11] جميع النسخ: شنيته. والكلمة من: شَنَأَ أو شَنِئ يَشْنَأُ، مهموزة

[12] جميع النسخ: ذكر.

[13] م - عليهم

[14] ر + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الكافرون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[١]**

قوله تعالى: **قل يا أيها الكافرون**، إلى آخرها؛ ذكر أنها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين منهم،[2] الذين علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون أبدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الأوثان إلى التوحيد والإسلام، لأنه لا كل كافر يكون على وصف أنه لا يعبد الله تعالى في وقت من الأوقات، إذ قد يجوز أن يكون كافرا[3] في وقت ثم يُسلم في وقت آخر. فدل ما ذكرنا أنها نزلت في المتمردين المعاندين[4] الذين علم الله تعالى أنهم يثبتون على الكفر ولا يؤمنون أبدا، وكان كما أخبر. ففيه دلالة إثبات الرسالة، إذ أُخبر[5] أنهم لا يؤمنون، فلم يؤمنوا[6] وماتوا على الكفر.

---

[1] ر – سورة الكافرون؛ ن: ذكر أن سورة الكافرون مكية؛ ث + ست آيات وهي مكية؛ م + مكية.

[2] ر ث م – منهم.

[3] ر م – كافرا.

[4] ر: والمعاندين.

[5] ر: إذا أخبر.

[6] ن – فلم يؤمنوا.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[٢] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[٣]

وقوله تعالى: **لا أعبد ما تعبدون**. [قال بعض أهل التأويل: لا أعبد الآن ما تعبدون][١] أنتم الآن، **ولا أنتم عابدون** اليوم، **ما أعبد** وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ،[٢] فيما بعد اليوم. وقال بعضهم: الأول فيما مضى من الوقت، والثاني إخبار عن الحال، والآخر فيما بقي من الوقت. ولكن لا يجيء أن يكون هكذا، بل يجيء[٣] أن يكون قوله: **لا أعبد ما تعبدون**، في حادث الوقت، لأن حرف "لا"[٤] إنما يستعمل في حادث الأوقات؛ يقول الرجل: لا أفعل كذا، يريد به حادث الوقت.

وقوله: **ولا أنتم عابدون ما أعبد**، كذلك أيضا في حادث الأوقات، أو إخبار عن الحال.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ولا أنا عابد ما عبدتم**، إنما هو إخبار عن الماضي من الأوقات، كأنه يقول: لم أكن أنا عابدا قط في وقت من الأوقات. وهذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قَطُّ.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[٥]

وفي هذه السورة وجهان من الدلالة. أحدهما ما ذكرنا من إثبات الرسالة، والثاني إخبار عن الإياس لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يرجع إلى دينهم أبدا وقطع رجائهم وطمعهم في ذلك. وفيه[٥] أيضا أن من أشرك غيره في عبادة الله سبحانه وتعالى أو عبد غيره دونه على رجاء القربة إلى الله تعالى فهو ليس بعابد لله تعالى ولا موحدٍ له، لأن أولئك إنما عبدوا [٩٢٤و] الأصنام رجاء أن تشفع / لهم، ورجاءَ أن تُقَرِّبهم[٦] إلى الله تعالى زلفى. أخبر أنها لا تقربهم[٧] [إلى الله][٨] زلفى وأنهم ليسوا بموحدين ولا عابدين لله تعالى.

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣و.
[٢] الآية ٤ من هذه السورة.
[٣] ر م + به.
[٤] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن – وفيه
[٦] جميع النسخ: أن يشفع لهم ورجاء أن يقربهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لا تقرب لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٦]

وقوله تعالى: **لكم دينكم ولي دين**، يحتمل وجهين.[١] أحدهما: لكم جزاء دينكم الذي دِنْتم ولي جزاء ديني الذي دنت. والثاني على المنابذة والإياس: لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت، لا يعود واحد منا إلى دين الآخر. وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عود الفريق الآخر إلى دينهم الذي هم عليه.

وقوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[٢] ليس على الأمر على ما نذكره[٣] في سورة الإخلاص والمعوذتين، إذ لو كان على الأمر فهو يلزم أن يقول كل واحد منا لكل كافر ذلك، فإذا لم يلزم دل أنه ليس على الأمر.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: قل للذين كفروا[٤] لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين. وعنه أنه قال: من قرأ هذه السورة فقد أكثر وأطنب.[٥]

وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل: «إذا قَرِبت إلى فراشك فاقرأ: "قل يا أيها الكافرون" فإنه براءة من الشرك».[٦]

وأهل التأويل يقولون: إن سبب نزول هذه [السورة][٧] ومنابذته إياهم أن رهطا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلُمَّ، فلنعبد ما تعبد[٨] واعبد أنت ما نعبد نحن فيكون أمرنا أمرا واحدا"، فنزلت هذه السورة.[٩]

قال أبو عَوْسَجَة: الدين العادة، تقول: هذا ديني، أي عادتي.

---

[١] ر م: وجهان.

[٢] الآية ١ من هذه السورة.

[٣] ر م: على ما ذكرنا؛ ن ث: عى ما يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٤] قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود "قل للذين كفروا" (*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٦١٧).

[٥] إن صحت هذه الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه فلعله قصد بقوله هذا: إن مضمون السورة قد يتلخص بما قرأته، فمن أراد العمل بمضمون السورة فله أن يكتفي به.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٤٥٦؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ٢٢؛ وسنن *الدارمي*، فضائل القرآن ٢٣.

[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٨] ر: فلتعبد ما نعبد.

[٩] انظر: تفسير *الطبري*، ٣٠/٤٣٠؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥/٥٣١؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٢٢٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٥٤.

تم المعنى الذي وقع عليه التكرار هذه الأحرف عندنا أن التكرار[1] حرف جرى الاستعمال به في موضع المبالغة والتأكيد لما قُصد به من الكلام في أي كلام كان، رجاءً كان أو وعيدا أو غيره كقولهم:[2] "بَخْ بَخْ"، و"الويل [الويل]"،[3] و"هيهات هيهات" وغير ذلك. فكذلك[4] في هذا[5] الموضع لما وقع الإياس عن إيمانهم بالله تعالى بما علم النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي أنهم لا يؤمنون، كرر هذا الكلام تأكيدا للإياس وإبلاغا فيه. **والله أعلم.**

---

[1] ن: أن التكرير.

[2] ن م: لقولهم.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[4] ن – فكذلك.

[5] ر م: في هذه.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النصر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[١]**

قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح.** قال عامة أهل التأويل: إن قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح،** هو [فتح][٢] مكة، والنصر هو[٣] الذي نصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على[٤] أهل مكة. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يحتمل، لأن فتح مكة كان بعد الهجرة بثماني[٥] سنين، ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين. ولا يقال للذي مضى: **إذا جاء نصر الله والفتح،** ولكن أراد سائر الفتوح التي فتحها له؛ أو كلام نحوَ هذا.[٦] ولكن يحتمل أن يكون قوله: **إذا جاء نصر الله،** بمعنى إذ جاء،[٧] وجائز ذلك في اللغة، وفي القرآن كثير "إذا" مكان "إذ". فإن[٨] كان على هذا فيستقيم حمله على فتح مكة على ما قاله[٩] أولئك.

---

[١] ر – سورة النصر؛ ن: ذكر أن سورة النصر مدنية؛ ث + وهي ثلاث آيات مدنية؛ م: ذكر أن سورة النصر وهي مدنية.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٣] ر ث م – هو.

[٤] ر – على.

[٥] جميع النسخ: بثمان. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] أي أو ما قاله الأصم كلام يشبه هذا.

[٧] لأن إذ ظرف للزمان الماضي، وإذا ظرف للمستقبل.

[٨] ر – فإن.

[٩] ن: قال.

أو يكون قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله**، أي قد جاء نصر الله. أو أن يكون أراد بما ذكر من النصر والفتح الفتوح التي كانت له من بعدُ حين دخل الناس في دين الله أفواجا على ما ذكر.[1] وقوله تعالى: **نصر الله**، أي عون الله وخذلانه لأعدائه. أو أن يكون قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح**،[2] هي فتوح الأمور التي فتحها الله تعالى عليه من تبليغ الرسالة إلى من أمر بتبليغها إليهم، والقيامِ بالأمور التي أمره أن يقوم بها، فتح تلك الأمور عليه وأتمها. فإن كان على هذا يصير فتوح تلك الأمور له نَعْيًا له بالدلالة، على ما قاله أهل التأويل: إنه نَعَى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نَعْيه، وجهة الاستدلال [هي] الوجوه التي ذكرنا.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾[٢]

وقوله تعالى: **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**؛ ذكر أهل التأويل أنه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد، فلما كان[3] فتح مكة جعلوا يدخلون دينه أفواجا أفواجا وقبيلة قبيلة. ويحتمل ما ذكرنا من سائر الفتوح أي فتوح الأمور التي ذكرنا؛ على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْب مسيرةَ شهرين، شهرا أمامي وشهرا ورائي».[4]

ثم في قوله:[5] إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ[6] **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**، الآية، نَعْيٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه، وقد ذكر في الأخبار أنه نَعَى إليه نفسُه بهذه السورة.[7] أحدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال عرف أنه قد دَنَا أجله، حيث أتم ما أُمِر به وفرغ منه من التبليغ والدعاء. والثاني عَرَف ذلك إطْلاعا من الله تعالى أَطلعه[8] عليه بعلامات جعلها له، ففهم[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يدرك أفهامنا ذلك.

---

[1] ر م: ذكرنا.

[2] ن ش: والفتوح.

[3] م + يوم.

[4] عن السائب بن يزيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة، وَادَّخرتُ شفاعتي لأمتي، ونصرت بالرعب شهرا أمامي وشهرا خلفي، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطَهورا، وأُحلّت لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي». *المعجم الكبير* للطبراني، ٧/ ١٥٥؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٨/٢٦٥.

[5] ت: ثم قوله.

[6] الآية السابقة.

[7] أي أخبر نفس النبي عليه السلام بمناسبة نزول هذه السورة بأنه يموت عن قريب.

[8] م: اطلعه.

[9] ن: نفهم

و لثالث لمّا كُفِي مؤنةَ القيام بالتبليغ بنفسه[1] بدخول الناس في الدين جماعة جماعة، وكان قبل ذلك يقوم بنفسه[2] عرف بذلك حضور أجله، وهو نوع من الدلالة. ووجه الدلالة أن القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الإسلام وكثرة أهله. فكانت الغلبة والنصرة[3] دليلَ الأمن من الزوال عما هم عليه من الدين إذا زال الرسول.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٣]

وقوله تعالى: **فسبح بحمد ربك،** قال بعض أهل التأويل: أي صلِّ بأمر ربك. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم أن التسبيح هو التنزيه والتبرئة[4] عن جميع معاني الخَلق والوصفُ بما يليق به. [كأنه][5] قال: نزِّهْه وبرِّئْه بالثناء عليه وصِفْه[6] بالصفات العُلَى ، وسَمِّه بالأسماء الحسنى التي علَّمكَ ربُّكَ. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **فسبح بحمد ربك،**[7] أي قل: «سبحان الله وبحمده»، على ما جاء في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكثر في دعائه «سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه».[8] وهذا لأن «سبحان الله» حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه، والوصف له بالعلو والعظمة والجلال، والتنزيه عن جميع العيوب والآفات وعن جميع معاني الخلق. جعل لهم هذا الحرف الجامع لِما عرف عجزهم عن القيام بالوصف بجميع ما يستحق من الثناء عليه. [٩٢٤ظ]

وكذلك حرف «الحمد لله»، هو حرف جامع يجمع[9] شكر جميع ما أنعم عليهم؛ جعل لهم ذلك لما عرف من عجزهم وقلة وسعهم بالقيام بشكر[10] ما أنعم عليهم واحدا بعد واحد.

---

[1] ن: لنفسه.

[2] ر ث م - بدخول الناس في الدين جماعة جماعة وكان قبل ذلك يقوم بنفسه.

[3] ر ث م: والنصر.

[4] ر م: والتنزيه.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[6] ر: بالثناء وصنفه؛ م: بالثناء وصفه.

[7] ث - فسبح بحمد ربك.

[8] عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»؛ فقال «خبّرني ربي أني سأرى علامة في أمتي؛ فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٥/٦؛ *وصحيح مسلم*، الصلاة ٢٢٠.

[9] جميع النسخ: بجمع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.

[10] ر م: عن عجزهم وقلة شكر؛ ت: وقلة شكر.

وعلى ذلك يخرج قوله: «اللهم صل على محمد [وعلى آل محمد]».[1] أمرهم أن يجعلوا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،[2] وَلَمَّا لم يجعل في وسعهم القيام بما يستحقه أُمروا[3] أن يقولوا: «اللهم صل على محمد» ليكون هو المتوليَ ذلك بنفسه. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **واستغفره**؛ قال أبو بكر الأصم: دلَّ قوله عز وجل **واستغفره**، على أنه كان[4] منه تقصير وتفريط في أمره حتى أمره بالاستغفار عن ذلك. لكن هذا كلام وَحْش لا يوصف[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في شيء ولا بالتفريط في أمر قط. ولكن قد جعل الله تعالى على كل أحد من نعمه وفضله وإحسانه في طَرفة عين ولَحْظَةٍ بَصَرٍ ما ليس في وسعه وطاقته القيام بشكر واحد منها، وإن لَطُف وإن طال عمره، فأمره بالاستغفار لما يتوهم منه التقصير في أداء شكر نعمه عن القيام بذلك؛ أو أن يكون [الاستغفار][6] لأمته لا لنفسه.

فإن قال قائل: ما معنى أمره بالاستغفار وقد ذَكر أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟[7] فالجواب عنه من وجهين.[8] أحدهما أنه يجوز أن يكون أمر[9] بالاستغفار لأمته، نحوَ قوله تعالى: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛[10] أو أن يكون الله تعالى وعد له المغفرة إذا لزم الاستغفار ودام عليه.

وقوله: **إنه كان توابا**، أي كان لم يزل توابا، ليس أن صار توابا بأمر اكتسبه وأحدثه، على ما تقوله[11] المعتزلة: إنه صار توابا [إذا أَثِم[12] الخلق فتابوا قَبِلَ توبتهم، فأما قبل ذلك لم يكن توابا].[13]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.
[2] سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣.
[3] ر م: أمروها.
[4] جميع النسخ: على أن كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: يصف؛ ن: نصف.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾ (سورة الفتح، ١/٤٨-٢).
[8] ن: بوجهين.
[9] ث + له المغفرة.
[10] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[11] ن: تقول.
[12] *الشرح*: إذا أثنا. ورقة ٣٦٤و.
[13] الزيادة من المرجع السابق.

ثم قوله: **توابا**، على التكثير، أي يقبل توبة[1] بعد توبة، أي إذا تاب مرة ثم ارتكب الجرم وعصاه، ثم تاب ثانيا وثالثا وإن كثر[2] فإنه يقبل توبته. والثاني: **توابا**، أي رجاعا يُرجعهم ويَردهم[3] عن المعاصي إلى أن يتوبوا، أي هو الذي يوفقهم على لتوبة.

ثم قال: **توابا**، ولم يقل غفارا، وحق مثله من الكلام أن يقال: إنه كان غفارا، كما قال في آية أخرى: [فَقُلْتُ] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[4] ولكن المعنى فيه عندنا أن المراد من الاستغفار ليس قوله: "أستغفر الله"، ولكن أن يتوب إليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة [بقوله:][5] **إنه كان توابا**. ويجوز أن يكون فيه إضمار كأنه قال: **واستغفره**، وتب إليه **إنه كان توابا**. فاجتزأ[6] بذكر[7] الاستغفار في السؤال[8] عن ذكره في الجواب،[9] [كما] اجتزأ[10] بذكر التوبة في الجواب عن ذكرها في السؤال. ويجوز مثل هذا في الكلام.

ثم الدين اسم يقع على ما يدين به الإنسان حقا كان أو باطلا. وعلى ذلك أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به إلى نفسه وما دان به الكفرة إليهم حيث قال: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[11] وأما إضافته إلى الله تعالى –حيث قال: يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا–[12] لأنه[13] الدين الذي أمرهم به ودعاهم إليه، لذلك خرجت الإضافة والنسبة إليه. ***والله أعلم بالصواب***.[14]

---

[1] م: توبته.
[2] ر: فإن كثر.
[3] ر ث م: وردهم.
[4] سورة نوح، ١٠/٧١.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.
[6] جميع النسخ: ويجوز. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: أن يكون.
[8] ث: الاستغفار السؤال.
[9] أي يمكن أن يكتفي بذكر الاستغفار في الجملة الإنشائية –وهي قوله: ﴿واستغفره﴾– عن ذكرها في الجواب، وهي ﴿إنه كان توابا﴾.
[10] ر م: كما أجرى؛ ن: واجترى؛ ث: وأجزى.
[11] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[12] الآية ٢ من هذه السورة.
[13] ن: الآية.
[14] ر + والحمد لله رب العالمين؛ ث م – بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة تبت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١]

قوله تعالى: **تبت يدا أبي لهب وتب**، أي خسرت وخابت، كذلك قال أبو عَوْسَجة. يقال: تَبَّ يَتِبُّ[2] تَبًّا وتَبَابًا. ثم ما ذَكر من قوله: **يدا أبي لهب**، يحتمل حقيقة اليد، ويحتمل أن يكون ذكْر اليد على الصلة. فإن كان[3] على إرادة حقيقة اليد فهو يخرج على وجوه. أحدها ما ذكر أنه [كان][4] كثير الإحسان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنفاق[5] عليه والصنائِع[6] إليه. وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد، وإن كان لقريش في عندها يد. فأخبر -والله أعلم- أنه خسر فيما طمع ورجا من اليد التي[7] له عنده[8] والإحسانِ الذي أحسن إليه، إذ لم يصدِّقه ولم يؤمن به، وخسر أيضا ما ادعى من اليد له عند قريش.

---

[1] ر - سورة تبت؛ ث + وهي خمس آيات مكية؛ م + وهي مكية.

[2] ث: تبت.

[3] ر م: كانت.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.

[5] ر: والاتفاق.

[6] ن م: والصائع.

[7] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.

[8] ث + يد وإن كان لقريش.

والثاني يحتمل أن يكون من أبي لهب تخويف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن[1] الله تعالى رسوله عما خوَّفه به. حيث قال: **تبت يدا أبي لهب**، أي خسرت يداه ولا يقدر على البطش.

والثالث يحتمل أن يكون اليد كناية عن القوة في نفسه وماله في دفع[2] العذاب عن نفسه. وكذلك كانوا يدَّعون دفع العذاب عن أنفسهم، لقولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[3]

[٩٢٥و] وذكر بعض أهل التأويل أنه لما نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[4] / جمع عشائره الأقرب فالأقرب منهم وقال: «إني لا أملك لكم من الله نفعا في الدنيا والآخرة إلا بعد أن تقولوا[5] شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». فقال أبو لهب عند ذلك: تبًّا لك يا محمد، ألهذا دعوتنا؟ فنزل عند ذلك: **تبت يدا أبي لهب وتب**، مجازاة له.[6] فهذا وإن لم يذكر مِنْ[7] فعله في القصة استعمالُ اليدين فيجوز أنه كان يصرِف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، أو حين دُعي إلى الإيمان بالله تعالى مدّ يديه على التعجب عن ذلك وقال: ألهذا دعوتنا؟ فرد الله تعالى [عليه][8] ذلك وعيَّره به. وقد يجوز أن يَظهر[9] في الجواب مقدمة السؤال، وإن لم يَذكر[10] ذلك في السؤال. ألا ترى إلى قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ،[11] فعلم بذلك أن السؤال إنما كان عن قِربانهن في المحيض. فكذلك الأول.[12]

---

[1] ن: فأمر.
[2] ث: وماله دفع.
[3] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[4] سورة الشعراء، ٢١٤/٢٦.
[5] جميع النسخ: أن يقولوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٣٨/٣٠-٤٣٩؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣٤/٥.
[7] جميع النسخ: وإن لم يكن في. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] م: وأن يطهر.
[10] ن: وإن لم يكن.
[11] سورة البقرة، ٢٢٢/٢.
[12] أي يمكن أن يكون قوله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ جوابا وردا لقول سبق من أبي لهب مثل: تبت لك يا محمد، وهي جملة إنشائية تقع موقع السؤال والطلب.

وإن كان[1] ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين. أحدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل، إلا أنه ذكر اليد[2] لما باليد يقوم ويعمل، كقوله تعالى: بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[3] وقوله:[4] بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[5] وذلك على الكناية عما كان منه من الصنيع، أي[6] خسرت أعماله وبطلت. والثاني يذكر اليد على إرادة قُدَّام وأَمام، كقوله تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[7] أي أمامه وخلفه. فيكون معناه: [خسر][8] ما قدم من الأعمال. *والله أعلم*.

ثم تخصيص أبي لهب بالذكر من بين سائر الكفرة يحتمل وجوها. أحدها خصّه بالاسم لأنه كان من الفراعنة والأكابر، وهو المقصود به. والفراعنة قد يذكرون بأسمائهم لما هم المقصودون به وإن كان مَن دونهم يشاركونهم في ذلك، كذكر فرعونَ وعادٍ وثمودَ وغيرِهم.

والثاني كان شديد الهيبة والخوف، فذكره باسمه وخصّه به ليُعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه.[9] *والله أعلم*.

والثالث أنه [كان][10] كثير الأيادي والصنائع بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو كان[11] الخطاب بهذا[12] يعم الكفرة لكان يَظن بما سبق منه من الأيادي أنه غير داخل تحت الخطاب، فخصه بالذكر ليعلم أنه لا يغنيه من الله شيء.

ثم ذِكره[13] بالكنية يخرج على وجوه. أحدها يحتمل أن يكون بالكنية عرف عند الناس وبها كان معروفا دون اسمه، فذَكره بالذي كان معروفا به. والثاني ما ذُكر أن اسمه كان عبد العُزّى

---

[1] ر ث م + ذلك.
[2] م – ليد.
[3] ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الأنفال، ٥١/٨).
[4] ث – وقوله.
[5] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[6] ر م: أو.
[7] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.
[9] ن: لا يخافه ولا يهابه.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ن: ولو كان.
[12] أي بقول ﴿تبت﴾.
[13] ر: ثم ذكر

فلم يُرد أن ينسبه إلى غيره[1] وهو العزى، فذكره بالكنية لهذا. والثالث أنه عيّره بأشياء وخوّفه بمواعيد. فلو ذكره باسمه فلعله يَصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له إلى غيره، لما يُشرك[2] غيرُه في الاسم، إذ كانوا[3] يسمون أولادهم وينسبونهم إلى أصنامهم، ولم يكن أحد شركه في كنيته[4] فلا يمكنه التحويل إلى غيره. وقيل: ذِكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له،[5] أي تصير[6] النار له كالابن وهو كالأب[7] لها. وذلك لأن هذه الكنى إنما يذكر في المتعارف على وجه التفاؤل، كما يقال: أبو منصور على رجاء أن يولَد له ابن يسمى منصورا.[8]

ثم إن الله تعالى سمى النار في بعض الآيات أُمًّا للكافر، كقوله: فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ،[9] وفي بعضها مَوْلًى، حيث قال: مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.[10] فجائز أيضا أن يكون النار إذا قربت منه وانضمت إلى حُجْره أن[11] تصير[12] في التمثيل كالولد، ويصير هو أبًا لها. فقال: **أبي لهب**، على هذا الوجه من التأويل. ووجه آخر، وهو أن ذكر الكنية وإن كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والإهانة. وهو على ما ذكرنا[13] في البِشرة أنها وإن كانت تذكر[14] عند ما يُسَرّ[15] ويُبْهَج[16] في الأغلب، فعند ذكر العقوبة نذارة، كقوله تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[17] فعلى ذلك الكنية. ***والله أعلم.***

---

[1] أي غير الله.
[2] جميع النسخ: لم شرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.
[3] ر ث م: إذا كانوا.
[4] ر: في كنية.
[5] ن - له.
[6] جميع النسخ: يصير.
[7] ر م: كالابن.
[8] جميع النسخ: منصور. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ﴿وأما من خفّت موازينه فأمه هاوية﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٩).
[10] ﴿مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ (سورة الحديد، ٥٧/١٥).
[11] ن - أن.
[12] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] م: ذكر.
[14] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.
[15] جميع النسخ: يسر. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ن: وتبهج.
[17] سورة الانشقاق، ٨٤/٢٤.

**﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **ما أغنى عنه ماله وما كسب**؛ هذا يخرج عى وجهين. أحدهما أي لم يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيئا، عى ما يقولون: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[١] والثاني أيَّ شيء أغنى عنه مالُه وما كسب؟

ثم قوله تعالى: **وما كسب**، يحتمل الولد، أي ما أغنى عنه ما جمع من ماله وما كسب من الولد، على ما ذكر في الخبر؛ روى ابن الأسود[٢] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عيه وسم: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».[٣] وسئل عن ابن عباس رضي الله عنهما: أيأخذ الرجل من مال ولده؟ فتلا [قوله]:[٤] يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا،[٥] الآية، فهو مما وهب الله لنا فهم وأموالهم لنا. *والله أعلم*.

ويحتمل[٦] **ما أغنى عنه**، ما جمع من المال، **وما كسب**، من العمل والإنفاق الذي أنفق على الطمع الذي فيه،[٧] أي لم يغنه شيئا. أو ما كسب من صد[٨] الناس عن رسول الله صلى الله عيه وسلم والدخولِ في دينه والإتباع له وسوء المقال الذي قال فيه.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "تبت يدا أبي لهب وقد تب. ما أغنى عنه ماله[٩] وما اكتسب".[١٠]

**﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣]**

وقوله عز وجل: **سيصلى نارا ذات لهب**، أي ذات التهاب. وفيه دلالة إثبات رسالته حيث أخبر أنه سيصلى نارا ولا يصلى النار / إلا بعد ما يُختَم بالكفر، ثم كان كما أُخبر؛ [٩٢٥ظ] دل أنه عم ذلك بالله تعالى.

---

[١] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.

[٢] ر م: أبو الأسد؛ ن ت: أبو الأسود. وما أثبتناه يتفق مع ما جاء في كتب احديث.

[٣] مسند أحمد بن حنبل، ٣١/٦؛ وسنن ابن ماجة، التجارات ١.

[٤] لزيادة من الشرح، ورقة ٣٦٥و.

[٥] ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء لذكور﴾ (سورة الشورى، ٤٩/٤٢).

[٦] ر ت م: ويحتمل.

[٧] جميع النسخ: فعل.

[٨] ر ن م: عن صد.

[٩] ر ت م: ماله.

[١٠] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ٥٣٤/٥؛ والبحر المحيط لأبي حيان، ٥٢٥/٨.

وفي هذه السورة دلالتان أخريان[1] يدلان[2] على نبوته. أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرأ هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدين، وكانت المَنَعَة والقوة للكفرة، وكانوا جميع أولياء أبي لهب وأنصارا له عن آخرهم،[3] ولا يحتمل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه السورة عليه [بمكة] وفيه سَبٌّ له وتعيير إلى يوم القيامة مع قلة أوليائه وكثرة أعدائه، إذ فيه خوف هلاكه إلا برب العالمين.

ومعنى آخر أنه عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بحسن العشرة وجمال[4] الصحبة مع الأجانب. فما ظنك بالعشيرة والأقارب، مع ما أنه كان متنزها عن الفحش في جميع أوقاته؟ فما جاز له هذا إلا بأمر[5] من الله تعالى، فدل ذلك على نبوته ورسالته.

**﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٤] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[٥]**

وقوله تعالى: **وامرأته حمّالة الحطب**، [يحتمل تخصيصَ ذكر امرأته بالذي ذكرنا في أبي لهب. ثم اختلف في قوله تعالى: **حمّالة الحطب**]،[6] قال بعضهم: أي كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس، فأوعدها الله تعالى بذلك[7] في الآخرة ما ذكر **في جيدها حبل من مسد**، وهي السلسلة. ومنه يقال: فلان يَحطِب، إذا أَغرَى.[8] وقال بعضهم: كانت[9] حمالة الحطب حقيقة، كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتطرح في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين،[10] فأوعدها الله تعالى بما ذكر من حبل من مسد في الآخرة. ومنهم من قال: إنها كانت كذلك في الدنيا، كانت تحمل الحطب إلى منزلها، وكان في جيدها حبل من ليف فعيَّرها بذلك، لأنها كانت تعيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة.

---

[1] ر ن م: أخراوان.
[2] ث: تدلا.
[3] ر م: عن إخراجهم.
[4] جميع النسخ: وجمال. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٥٦٢ظ.
[5] ن ث: بالأمر.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.
[7] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ن ث: أعرى؛ م: عرى. والتصحيح من المرجع السابق. والإغراء إلقاء العداوة بين الناس. وحطب يحطب به وعليه: أي سعى به وافترى عليه (*لسان العرب*، «حطب»).
[9] ن: كان.
[10] ث - والمسلمين.

وذكر أنها كانت تمسك في عنقها حبلا من ليف سترا من زوجها، وذلك مما لا يتحلى به[١] النساء وليس هو من أسباب الزينة. فأخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سَبًّا [لها][٢] وتعييرا، مجازاة لما كانت تقوله[٣] في رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك قالت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: أما رضي محمد أن يهجو عمه حتى هجاني، أو قالت: حتى هجاني رب محمد. *والله أعلم بالصواب*.[٤]

---

[١] جميع النسخ: يتحلى بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.
[٢] الزيادة من المرجع السابق.
[٣] ر م: تقول؛ ن: يقوله؛ ث: تعوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ت + وصلى الله على محمد والحمد لله رب العالمين؛ ن م - بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الإخلاص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[١]

قوله تعالى: **قل هو الله أحد**؛ ذكر أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى -وقيل: عن صفته، وقيل: عن الله تعالى- "ما هو؟" فنزلت هذه السورة مُعْلِمةً لجميع[2] من يُسأل عنه جوابه، ولذلك أُثبت **قل**، ليكون مخاطبةُ كلِّ مسئول عن ذلك أَنْ **قل**،[3] لا على تخصيص الرسول عليه السلام بهذا الأمر، إذ ليس في حق الائتمار بالأمر إعادةُ حرف الأمر في الائتمار.[4] فتبين بذلك أنه ليس على تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعليم، بل هو أحق من سبق له الغِناء عن تعميم الإجابة لهذا عند حضرة هذا السؤال، لما سبقت[5] منه الدعوة إلى الله تعالى [والعلم][6] بحقيقة[7] ما يقتضي[8] ما جرى به السؤال،

---

[1] ر - سورة الإخلاص؛ ث + وهي أربع آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة الإخلاص مكية.

[2] جميع النسخ: بجميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[3] أي ليكون خطاب الله كل من يُسأل عنه تعالى بأن ﴿قل﴾.

[4] أي لا يشترط لامتثال أمر من أوامر الله تعالى أن يعاد الأمر لكل من يجب عليه الائتمار.

[5] جميع النسخ: كما سبقت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: تحقيقه.

[8] ث - ما يقتضي.

ولما أُثبتَ[1] كذلك لِيُقْرأ أبدا. وحق المخصوص بالأمر أن يأتمر ولا يجعل ذلك متلوا كذلك في الوقت الذي يحتمل المأمورَ الأمرُ به ولوقتٍ الذي لا يحتمل. ثبت أن ذلك على ما بيّنا.[2]

ودل قوله: **قل** أنه على أمر سبق عنه السؤال فيكون في ذلك إجابةٌ لما سبق عنه السؤال.[3] وكذلك جميع ما في القرآن [من] "قل"، ففيه[4] أحد أمرين: إما إجابةٌ عن أمر [قد][5] سبق عنه السؤال فينزل بحق تعريف كل مسئول عن مثله، أو يكون الله تعالى إذ علم أنه عليه السلام أو من يتبعه يُسأل عما يقتضي ذلك الجوابَ فأَنزل ما به يبقى في أهل التوحيد مَنًّا منه وفضلا.

ثم لم يجب تحقيق الحرف الذي وقع عنه السؤال إلا لمن شهد وسمع، وقد يتوجه ذلك الحرف الذي وقع عنه[6] إلى ما ذكروا من الأسباب وغيرها، وفيما نزل يصلح جوابَ ذلك كله ويليق به،[7] وإن كنا لا نشهد على حقيقة ما كان أنه ذا دون ذا. ونجيب[8] بذلك لو سئلنا عما ذكرنا وعن كل حرف يصح في العقل والحكمة الجوابُ بمثل ما اقتضته هذه السورة.

وقوله تعالى: **هو**، اختلف في تأويله. من الناس من قال: **هو**، إضافة إلى الذي عنه كان أو يكون السؤال المقتضي ما جرى به البيان[9] من الجواب. أي[10] الذي تسألون[11] عنه: **الله أحد اَللّهُ الصَّمَدُ**،[12] إلى آخر السورة. ومنهم من قال: **هو**، اسم الله الأكبرُ،[13] يروى ذلك عن بعض أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[14] أنه كان يقول في دعائه: "يا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من به كانت هُوية كلِّ هو". وذلك يخرج على وجهين. أحدهما أنه هو لذاته،

---

[1] جميع النسخ: وكما أثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.
[2] جميع النسخ: على ما شاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر - فيكون في ذلك إجابة لما سبق عنه السؤال.
[4] ر: قل ما ففيه.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] ن - الحرف الذي وقع عنه.
[7] ث - ويليق به.
[8] ر: وتجيب.
[9] ر م: إنسان.
[10] ر ث م - أي.
[11] ر ث م: يسألون.
[12] الآية ٢ من هذه السورة.
[13] جميع النسخ: أكبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: عنهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وهوية كل من سواه -بما[1] هو- يكون محتملا للتلاشي والوجودِ إلا هو سبحانَه، لم يزل ولا يزال هو، ليس كمثله شيء على ما اقتضى بيان وحدانيته[2] في هذه السورة. وعلى ذلك قيل: هو الأحد بذاته، المنشئ أحديّة كل الآحاد، المتعالي عن كل معاني أحدية من سواه.

والثاني أن يكون إضافة[3] إلى اسمه الذي لا يحتمله[4] اللسان، وهو الذي لم يُطلِع عليه الخلائق، وهو الذي يراد في الدعاء «[اللهم إني أسألك] باسمك الذي مَن سألك به أعطيته ومن دعاك به أجبته»،[5] فيكون السؤال به[6] مما[7] يكنى عنه من الوجه الذي ذكرتُ، لا أن يسعه اللسان أو يحتمل الطوق التفوهَ به تعالى. والتأويل الأول هو أقرب إلى الأفهام وأحق أن يكون على ذكر من يقتضي عنه السؤال ثم التفسيرُ على ما جرى.

وقوله تعالى: **الله**، اختُلف في المعنى الذي جرى [عليه] هذا في حق أهل هذا اللسان أنه مما اشتق: من أمر[8] عرفوه أو لا عن أمر عرفوه؛[9] إذ في كل لسان[10] -لمّا أريد[11] به عند الذكر / بلسان[12] العرب-[13] اسم يدعى به ويُسمّى وإن اختلف وزن كل من ذلك على [٩٢٦و] اختلاف الألسن؛ ليُعلَم أن الأحرف والتقطيع في التكلم إنما هو ليفهم المقصود لا[14] على توهم حقيقة الاسم بتلك الحروف والتقطيع. وذلك كما يعبر عن[15] تكوينه الخلائق بـ"كُنْ"،[16]

---

[1] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[2] ر ث م: وحدانية.

[3] ن: أضافه.

[4] ر ث م: لا يحتمل.

[5] عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سُئلت به أعطيت وإذا استُرحمت به رحمت وإذا استُفرجت به فرّجت» (*سنن ابن ماجة*، الدعاء ٧).

[6] ر ث م - به.

[7] ن: بينهما.

[8] ر: الأمر. أي أصل.

[9] ن + أو لا عن أمر عرفوه.

[10] ن ث: للسان.

[11] ن: أن ير.

[12] ر ث م: لبيان؛ ن: لسان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[13] ن - العرب.

[14] ث - لا.

[15] ث: عند.

[16] يعني الإمام رحمه الله بشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٨٢/٣٦).

لا على تحقيق كاف أو نون في التكوين. فعلى ذلك جميع ما يسمى الله تعالى لا على تحقيق الحرف الذي يجري بها التسمية ممن[1] لا يحتمل طَوْقُه إلا بها لكن على ما يقرب إلى الإفهام المرادَ في التفوه به.

وقال قوم: الله هو المعبود في لسان العرب لا على الاشتقاق،[2] لكن على وضع ذلك كذلك. دليله تسميتهم كل من عبدوه وكل شيء عبدوه إلها وإن كان جميع ما سوى الإله[3] الحق ممن عُبد لا يحتمل شيئا من تلك المعاني التي زعمه[4] من ادعى الاشتقاق عنها: مِن الاحتجاب[5] أو الالتجاء إليه ونحو ذلك. فثبت أنه اسم موضوع للمعبود. وعلى ذلك قوله تعالى: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ،[6] أي معبودَه ما يَهويه، لا أن للهوى شيئا من ذلك. فيكون المعبود الحق هو اللهَ تعالى، لما له في كل شيء أثر عبودة ذلك الشيء ودلالةُ الربوبية له عليه سبحانه. فهو[7] المعبود بذاته بمعنى[8] المستحق بذاته[9] العبادةَ من جميع خلقه والاستسلام له والخضوعَ بما ذكرت من الموضوع في كل آية ذلك. ***ولا قوة إلا بالله***.

وهذا تحقيق ما ذهبنا إليه[10] أنه خالق بذاته، رحمن رحيم بذاته، موصوف به في الأزل وإن كان الذي وصل إليه أثرُ رحمته وفيه ظهور دلالة تدبيره حَدَث بعد أن لم يكن؛ على ما كانت العبادة والاستسلام[11] كان ممن حدَث، وفي من كان[12] بعد أن لم يكن، وهو إله لم يزل ولا يزال. وعلى ذلك قوله عز وجل: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[13] وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ،[14] وإن كان من الأشياء ما سيكون، لا أنها كانت كائنة وكذلك يوم الدين، فعلى ذلك أمر "خالق" ونحو ذلك.

---

[1] ر ث م: ثم؛ ن: مم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ط.
[2] جميع النسخ: لا على الاستحقاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: إله؛ ن: الله.
[4] ن: زعم.
[5] م – الاحتجاب.
[6] سورة الفرقان ٤٣/٢٥.
[7] ر م: هو.
[8] ر م: لمعنى.
[9] ث – بمعنى المستحق بذاته.
[10] ن – إليه.
[11] جميع النسخ: والاستحقاق.
[12] ث: وعما كان.
[13] سورة الفاتحة، ٤/١.
[14] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

ومن هذا الوجه أنكر قوم أن يكون الإله[1] اسمَ معبود في الحقيقة أو اسما مشتقا[2] عن لسان، إذ هو لم يزل إلها، ومَن مِنه[3] العبادة أو عنه الاشتقاق حادثٌ. والأصل عندنا ما ذكرنا أنه بجميع ما وُصف به وُصف بذاته، إذ لا يحتمل التغير[4] والاستحالة ولا نيلَ مدح بغيرٍ يَحْدث[5] وإنما تَمدّح به لذاته، لا أنه[6] استحق من كلِّ ذلك لوقت كون ذلك. وعلى ذلك القولُ بالعالِم والقادر أنه كذلك وإن كان الذي علمه ممن سواه[7] وكلِّ مقدور عليه حادثا[8] بعد أن لم يكن. *ولا قوة إلا بالله*. وقال الضحاك: **الله**، اسمه الأكبر، لأنه يُبتدأ به في كل موضع.

ثم اختلف في معنى الاشتقاق. فمنهم من يقول: أصله إله، من أَلِهَ[9] الرجل إلى آخر، أي التجأ إليه واستجاره، فَأَلَهه بمعنى أجاره وآمنه. فسمي إلها على وزن الفعال[10] كما يسمى[11] إماما لما يؤتم به، وفُخِم[12] بإدخال الألف واللام، ثم لُيّن وحذفت[13] الهمزة كما هو لغة قريش، ثم ادغم إحدى[14] اللامين في الآخر فشُدِّد[15] فصار "الله".

وعلى ذلك تأويل الصمد: أن يُصْمَد إليه في الحوائج،[16] ويستغاث به ويلتجأ إليه.

وقيل: إن اشتقاقه من وَلَهَ يَلِهُ وَلَهًا إذا فزِع إليه، فسمي به لأنه المفزوع[17] إليه، وهو قريب من الأول؛ ولكن حقُّ ذلك في الاسم أن يكون وِلَاه، فأبدل الواو ألفا، كما يقال في وِكاف إكاف.[18]

---

[1] ر م: الالاه.
[2] جميع النسخ: سم مشتق.
[3] جميع النسخ: ومن به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.
[4] ن: التغيير.
[5] ر ن م: ممدح؛ ث: ممدوح. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لأنه.
[7] ث: وأنه كان لذي علمه ممن سعاه.
[8] جميع النسخ: حدث. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – أله.
[10] م: لفعل.
[11] جميع لنسخ: تسمى.
[12] ن: وفحمها.
[13] جميع لنسخ: وحذف. والتصحيح من مرجع السابق.
[14] ر ن م: حد.
[15] ن: وشدد.
[16] ر ث م: والحوئج؛ ن: من الحوائج. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] جميع النسخ: المفرح.
[18] انظر: *لسان العرب* «أله»؛ وانظر أيضا: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٦٣/١؛ *والبحر المحيط*، ١٥/١.

وكذلك أهل الحجاز يجعلون[1] الواو ألفا؛ قال الشاعر:

فأَقْبَلَتْ آلها[2] تُكْلَى[3] على عِجَلٍ.[4]

وقيل: سمي به لأنه أَلَّه كل شيء، أي ذَلَّلَهُ وعبّده فتألَّه[5] له أي عَبَده.[6] قال قائلهم:

وأَلَّه إلٰهَك واحدا متفرِّدا ساد الملوكَ بعزِّه وتمجَّدا.

وقال آخرون: سمي به لاستتاره، ومنه يقال: لِهتَ فلا تُرَى.[7] وقال الشاعر:

لاه ربي عن الخلائق طُرًّا خالق الخلق لا يُرى ويرانا.

وقيل: سمي به لتحير القلوب عن التفكر في عظمته، كقولك:[8] أَلَّهَني الشيء حتى أَلِهتُ.[9] ومنه مفازة مؤلهة،[10] يعني يَحار العقل[11] عند النظر إلى عظمته. ومنه أَلِهَ يَأْلَه فهو آله. وقال الشاعر:

وبهماءُ تِيهٍ[12] تَأْلَهُ العينُ وَسْطَها مُخفِقَةُ[13] الأعلام[14] ضِرِّ[15] ما سَمْلَق.[16]

---

[1] ن: تجعلون.

[2] ث: إلهي.

[3] جميع النسخ: بكلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[4] أي متحير أو مفزعا. وأصله: والها. ذكره ابن منظور في «وله» قائلا: قال الأعشى: يذكر بقرة أكل السباع ولدها:

فأقبلت وَالِهًا ثُكْلَى على عِجَلٍ كلٌّ دهاها وكل عندها اجتمعا.

والعِجَل: جمع العِجْلَة، وهي المزدة أو قربة الماء (*لسان العرب* «عجل»).

[5] ر م: يأله؛ ن ث: فيأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و. أي تعبد وتنسك.

[6] ث: عنده.

[7] ر ث م: فلا يرى. وهي من لاه يليه: أي تسترت. (انظر: *لسان العرب* «ليه»).

[8] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[9] أي اشتد حيرتي وجزعي.

[10] ر م: ملهة؛ ن: منتهة؛ ث: منهه.

[11] جميع النسخ: العقل يحار. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: وبهما تيه.

[13] ر م: مخفة. ومخفقة: أي متحركة ومضطربة.

[14] ر ث م + بيد.

[15] ن – ضر.

[16] وضَرة المرأة: امرأة روجها. وهي الضِرّ. والسَّمْلَق: القاع المستوي الأملس والأجرد، لا سجر فيه. وامرأة سَمْلَق: لا تلد. شبهت بالأرض التي لا تنبت أي كأنها شبيهة ونظيرة لنقفر الذي لا نبت فيه. (انظر: *لسان العرب*، «سملق»).

{قال[1] رضي الله عنه:} والأصل عندنا الإغضاء عن هذا، لما أن الحاجة إلى تعرف الاشتقاق والوضع يُعْرف[2] محل الأمر وموقع الحكم. ومن جميع ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسمية الغير بكل ذلك وتحقيق الإضافة إلى ذلك وتسميته إلها؛ وإضافة[3] ما به عُرِف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه وتعالى، ولا يجوز التسمية به. ثبت الغِناء في معرفته عن جميع الوجوه التي أريد الاستخراج [بها]، إذ هي طرق يوصَل بهن[4] إلى العلم بالمقصود والوقوفِ على المراد، وقد عُرِف دون الذي ذَكروا. *والله أعلم*.

والأصل عندنا في ذلك[5] أن الله سبحانه وتعالى بلطفه يمنع الخلق عن تسمية أحد إلها إلا من جهة أحوال تعترض.[6] فسَمَّوْا به على معنى جَعْل الاسم الذي جرت التسمية به حقيقةً له، فسمَّوْا ، ظنا منهم أن بذلك التوسل والتقرب، لا أن يروا الشيء من ذلك[٩٢٦ظ] حقيقةَ ذلك، بل قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[7] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[8] وقالوا: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[9] لِيُعْلَمَ أنهم عرفوا الله بما ادَّعوا[10] لأنفسهم في ذلك معاني تردهم[11] إلى الله سبحانه وتعالى، فذكروا مجازا [على أخذ ذلك][12] من أحد لسانين. *والله أعلم*. أما لسان الرسل في ذكر الله في[13] أمور تقرّبهم إلى الله تعالى، لقوله: فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[14] وقال: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[15] وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ،[16]

---

[1] م + علي.
[2] ر ث م: لتعرف.
[3] جميع النسخ: أو أضافه.
[4] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.
[5] ر ث م - في ذلك.
[6] جميع النسخ: يعترض. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[8] سورة يونس، ١٨/١٠.
[9] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[10] جميع النسخ: بما دعو . والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: يردهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ث + ذكر.
[14] ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ (سورة النساء، ٤/ ٥٩).
[15] سورة محمد، ٧/٤٧.
[16] سورة الفتح، ١٠/٤٨.

وصَف مبايعةَ العبد ونصره أو نصرَ دينه نصر الله ومبايعته، بما يقرب ذلك إليه. فعنى ذلك تسميتهم من عبدوها، لا أنهم رأوها[1] آلهة في الحقيقة. أو [سمعوا] عن ألسن الفلاسفة أن ليس لله اسم ذاتي، وإنما سُمي هو[2] بذكر كل ذي شرف ومنزلة[3] عنده. فعلى ذلك -إذ محل من يعبدون عندهم ما ذكرنا من القول عنهم[4] فسمّوا به، لا أن حققوا[5] كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم إلى من عرفوه أنه إله- ردوا أمرهم في ذلك [إليه]. وذلك من لطف الله تعالى فيما سخرهم عليه -كتسمية الخالق والرحمن، إنهم لا يسمون أحدا بهما وإن كثرت[6] أفعاله وعظمت رحمته في الخلق- ليُعلَم أنها أسماء الله تعالى منع الخلق عن التسمي بها باللطف من حيث لا يُعْرَف سببه.[7]

ثم قوله عز وجل: **قل هو الله أحد**، أي الأمر هو الله أحد؛ كما تقول: إنه زيد قائم، أي الأمر زيد قائم [في] جواب من يسألك: ما الأمر والشأن في أن قمت[8] هاهنا؟ فتقول:[9] الأمر زيد قائم، أي قمت لأجله. إلى هذا يذهب الزجاج، كأنه يذهب إلى أنه لما قال: **قل هو الله أحد**، فقيل له: ما الأمر والشأن؟ فقال: الأمر الله أحد، أي ليعرفوا أنه كذلك.[10]

وقوله عز وجل: **أحد**، يتوجه إلى واحد. ثم واحد اسم ينفي المثل في الإضافة، كما يقال: هو واحد الزمان، وواحد الخلق، على نفي التشبيه له عما أضيف إليه. ويكون واحد من حيث العددُ بما عن مثله يبتدأ الحسب ولا يُبْتَدَأُ من أحد. فيصير أحد من ذا الوجه [أبلغَ في اقتضاء معنى التوحيد ونفي الأشباه من واحد]،[11] وإن كان الله تعالى بأي حرفين ذُكر ففيه ذلك. وهو الواحد الذي يستحيل أن يكون وحدانيته من وجه يحتمل ثانيا أو من وجه يُعدّ،

---

[1] جميع النسخ: رأوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[2] ر م: هو سمي.

[3] جميع النسخ: أو منزلة. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] أي محل الآلهة التي تعبدها المشركون وفق عقيدتهم هو كما ذكرنا ونقلنا عنهم.

[5] أي لم يسبوا الصفات إلى آلهتهم كما نسبوها إلى الإله الذي عرفوه أنه إلخ.

[6] ن: وإن كبرت.

[7] أي سبيله.

[8] ر م: فإن قامت.

[9] ر م: فقول.

[10] انظر: *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٣٧٧.

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

بل[١] هو لواحد الإله الحقُّ[٢] المتعالي عن[٣] معنى الأعداد والأنداد. وهو على ما ذكر الحكيم في الآحاد أنه أربع: واحدٌ هو كلٌّ لا يحتمل التضعيف لإحالة كونه[٤] وراء الكل؛ وواحد هو الأقل وهو الذي لا يحتمل التنصيف والتجزئ لأنه أقل الأشياء، وإذا تنصّف[٥] يكون ذلك النصف أقل منه؛ وواحد هو واسط وهو الذي يحتمل التنصيف والتضعيف جميعا؛ والرابع هو الذي قام به[٦] الآحاد؛ هو ولا هو أخفى مِن هو، [هو][٧] الذي انخرس عنه اللسان وانقطع دونه البيان وانحسرت عنه الأوهام وحارت فيه الأفهام، فذلك الله[٨] رب العالمين.[٩]

والأصل في ذلك أنه لا سبيل إلى العبارة[١٠] عنه[١١] بغير هذا اللسان، ولا وجه للتقريب إلى الأفهام بهذا اللسان إلا بما جرى به الاعتياد وظهرت به المعارف. فلِما ذكرنا من الضرورة جُعل التوحيد في الحقيقة بالأدلة والبراهين في ضمن التسمية في عبارة اللسان، وحقُّه بما[١٢] أخبرتُ من ضرورات الأحوال في إرادة التقريب إلى الأفهام [و]إلى عبارات اللسان المؤسَّس على الاعتياد في إظهار المعارف. فعلى ذلك القولُ بواحد وبأحد لا على أحدية غيره من جهة التوسط أو من جهة القلة أو من جهة الكثرة. مع ما كل من هو في معنى واحد فهو واحد الآحاد المجتمعةِ إلا الواحدَ [الوهمي][١٣] الذي يقال [له][١٤] جزء لا يتجزأ وهو من غيرٍ في الجملة،

---

[١] ر ث م: تعديل. أي يستحيل أن يستحق وحدانيته بعديل.

[٢] ر م: الخلق؛ ث: الخالق.

[٣] ث + معاني.

[٤] ر ث م: كون.

[٥] ر ث: وإذا يتصف.

[٦] م – به.

[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

[٨] ث: فذلك هو الله.

[٩] يقول الإمام أبو منصور رحمه الله في نفس المسألة: «وسئل واحد عن معنى الواحد فقال: ينصرف على أربعة: كلٌّ لا يحتمل التضعيف، وجزء لا يحتمل التنصيف، والذي بينهما يحتمل الوجهين، لارتفاعه عما لا يتنصف وانحطاطه عما لا يتضعف، إذ لا شيء وراء لكل؛ والرابع هو الذي قام به الثلاثة؛ هو ولا هو أخفى مِن هو؛ وهو الذي انخرس عنه اللسان، وانقطع دونه البيان، وانخرست عنه الأوهام، وحارت فيه الأفهام، فذلك الله رب العالمين». (*كتاب التوحيد*، ٦٩).

[١٠] ر م: العبادة.

[١١] أي عن الله أو عن أساس التوحيد.

[١٢] ر ث م: مما.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

[١٤] الزيادة من المرجع السابق.

متجزّئُ عن توهم ذلك الجزء[1] وغير[2] متجزّئ في الوهم إذ[3] هو الأقل منه وهو جزء في الحقيقة. والله يتعالى عن الوصف بالكل والبعض والقليل والكثير والواحد مما له حق الأبعاض أو الكل أو رتبةِ القليل والكثير، جل ثناؤه، بل هو الذي [له][4] جميع ما وصفتُ. بل هو الذي خلق جميع ما وصفتُ، وجعل لكل من ذلك مقابلا بما ذُكر، ليصير كل من ذلك زوجا فيكونَ الوحدانية الحق[5] له. **ولا قوة إلا بالله**.

**﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٢]**

وقوله تعالى: **الله الصمد**، فذكر أنه أحد وذَكَر أنه الصمد في تحقيق ما وُصف من الأحدية، وهو -والله أعلم- أنْ أحوجَ جميعَ من سواه حتى تحقّقَ[6] قصدُ جميع من سواه بالحاجات إليه: بالكون في الخلقة، وفي الصلاح بعد الكون، وفي الذي به الدوام بعد الوجود. والوجودُ بعد العدم ما احتمل الوجود دونه ولا البقاءَ إلا به.[7] أحاطت الحاجات بكلٍّ ليكون له الغَناء عَن الكل في الوجود والبقاءِ، ليتحقق أنه الموجود بذاته، والباقي بذاته،[8] والمتعالي عن معنى وجود غيره سبحانه وتعالى.[9] وهو على ما ذكرنا من عجز الألسن عن البيان عنه بالعبارة إلا على التقريب إلى الأفهام بالمجعول من آثار هويته[10] في جميع الأنام.[11]

[٩٢٧و] ثم قيل في **الصمد** بوجوه يرجع جميع ذلك إلى ما بينا. / أحدها السيد الذي قد انتهى[12] سُودَدُه. ومعنى ذلك في المفهوم من السودد[13] صرف الحوائج إليه ورجاء كل المَحاويج به.[14]

---

[1] أي هذا الواحد الوهمي يتوهم في الجملة أنه قد تجزأ من جوهر آخر.
[2] ر ث م: غير.
[3] جميع النسخ: أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] م - الحق.
[6] ر + جمع.
[7] ر: لآية.
[8] ر م - والباقي بذاته.
[9] ر ن ث - وتعالى.
[10] أي لصفات الإلهية.
[11] ن: الأيام.
[12] أي بلغ النهاية، بمعنى لانهاية له.
[13] جميع النسخ + في.
[14] ر: محارج له؛ ن: محارج به؛ ث: المحوج به؛ م: المحاوج به. والمحاويج: المحتاجون.

و لثاني في أن لا جوف[١] له. وذلك في وصف الوحدانية والتعالي عن معنى أحدية غيره من اجتماع أجزاءٍ ممكنٍ فيها الفُرَجُ[٢] والثَّقْب التي هي[٣] كالأجواف.

أو على ما فسر قوم بالذي هو في ظاهر العبارة محرَجُ[٤] الكتاب،[٥] وهو الذي دُكر على أثره، وهو قوله تعالى: لَمْ يَلِدْ،[٦] لأن كل ذي ولد يكون ذا[٧] جوف[٨] عنه يتولد الأولاد. ويكون في ذلك إحالة[٩] قول من نسب إليه الولد ونفى عنه الجوف.[١٠] فيقول: كيف يكون له ولد وقد تعلمون أنه ليس بذي جوف؟[١١] كما قال: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ،[١٢] في قوم نزهوه عن الصاحبة وهم لم يشهدوا[١٣] الولادة إلا بها، كما[١٤] لم يشهدوا الولادة إلا عن ذي جوف.[١٥] فيكون في هذا نقض قول هذا الفريق فيه بالولادة[١٦] بما نزهوه عن الجوف،[١٧] كما في الأول بما برّءوه عن الصاحبة. وقيل: بما لذي الأجواف من الحاجات، فيرجع إلى التأويل الأول أنه[١٨] المصمود إليه بالحوائج. وظن قوم أنه إذا نُفي عنه[١٩] الجوف[٢٠] يثبت أنه مُصْمَت،[٢١]

---

[١] ر ن م: لا حوف.
[٢] جميع النسخ: القرح. و لتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.
[٣] ر م – هي.
[٤] ن: بمخرج.
[٥] أي تأويل آي كثيرة من القرآن، وآيات سورة الإخلاص منها.
[٦] الآية اتالية.
[٧] جميع السخ: لأن كر ذي الكون دو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن: خوف.
[٩] ن: احاله.
[١٠] ر ن ث – ونفى عنه جوف.
[١١] ر ن: بذي خوف.
[١٢] سورة الأنعام، ١٠١/٦.
[١٣] ث + الخلافة.
[١٤] م + لو.
[١٥] ر ن: عن ذي خوف.
[١٦] ر: بالولا؛ ن ث م: بالولاد. والتصحيح من المرجع لسابق.
[١٧] ر ن م: الخوف.
[١٨] ر م: أن.
[١٩] أي عن الله تعالى.
[٢٠] ر ن م: لخوف.
[٢١] المصمت الدي لا حوف له ولا فرجة فيه.

فذلك[1] معنى اجتماع أجزاء تتداخل فتتكاثر[2] كذي الجوف[3] هو اجتماع أجزاء[4] تَنْفَتِق.[5] فإذا تحقق التنزيه عن أحد الوجهين تحقق التنزيه عن الوجه الآخر [إذ][6] في الوجهين نفي الوحدانية وتحقيق ازدواج الآحاد. مع ما قد يُنفى عن أشياءَ أمورٌ لا تُحقَّق لها المقابلة، كما ينفى عن الأعراض السمع والبصر والعلم لا على إثبات مقابتها، بما علموا أن لأعراض لا تحتمل الاعتراضات.[7] فعلى ذلك العلمُ بوحدانية الله تعالى والتنزيه عن احتمال الأزواج يحقق[8] القول الذي ذكرت.

وقد قيل في الصمد: إنه الدائم. وذلك أيضا يرجع إلى ما ذكرت أنه لا يحتمل التغير والاستحالة وإصابة أثر الحاجة، وهو المصمود إليه بالحوائج.

وقد قال قائل في التأويل الأول:

لقد بَكَّرَ[9] النَّاعي بخَيْرَيْ[10] بني[11] أسدْ    بعمرِو[12] بن مسعودٍ وبالسيّد[13] الصَّمَدْ.[14]

ويقال: صمدتُ إلى فلان، أي قصدت إليه. وهذا يُوضِح معنى الصمد أنه يُصمَد إليه في الحوائج.

**﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]**

وقيل في ذلك: إن الصمد تأويه **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.**

---

[1] جميع لنسخ: وذلك.
[2] ر ث م: يتداحل فيتكاثر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.
[3] ر م: الحوف.
[4] ن - تتداحل فتتكاثر كذي الجوف هو اجتماع أجزاء.
[5] ر م: تتفق. وتنفتق: أي تتشقق.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: لا يحتمل الاعراضات. والتصحيح من المرجع السابق. لعل الاعتراضات هي ما يعرض على شيء من الأوصاف.
[8] جميع النسخ: تحقق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: نكر.
[10] ويروى «بخير بني أسد». انظر: *لسان العرب* «صمد».
[11] ن: هي.
[12] ر م: عمر.
[13] ر م: بالسيد.
[14] البيت لسبرة بن عمرو الأسدي. وقيل: هند بنت معبد. وفي الأغاني أنها لنادبة الأسديين. انظر: *الأغاني* لأبي الفرج، ٩٢/٢٢؛ و*خزانة الأدب* للبغدادي، ٢٦٩/١١.

{قال الشيخ أبو منصور رضي الله عنه:} الأصل أنه تعالى أعظم[١] القول بالوِلاد ما عَظم بجعل الشركاء. وذلك أن معنى الولاد أن يكون بجوهر من له ولد، فيكون بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد. فعلى ذلك القولُ بالولاد، لذلك[٢] عظّم[٣] القول به وألزم على من عرفه[٤] بالأدلة القولَ ببراءته عن الوِلاد لما[٥] يثبت الاشتراك من الوجه الذي بينا. وقد شهد العالم بكليته[٦] بحق الخلقة على[٧] تعالي مُنشئه عن الشركاء والأشباه جميعا، فيبطل القول بالذي ذكرنا. مع ما كان جميع الخلائق على الإشارة إلى كل منه يحتمل الازدواج، ومنه يكون التوالد، والله متعال عن ذلك.

وبعد فإن كلا من[٨] العالم على الإشارة إلى آحاد متولدٌ عن غير أو يتولد منه غير. وهما أمران راجعان إلى ما عليه حق هذا العالم، وعليه موضوعهم. وقد ثبت تعاليه عن جميع معاني غيره، إذ كلّ غير له[٩] بجميع معانيه حَدَثَ بعد أن لم يكن، أتى عليه تدبير غيره، وجرى عليه تقدير سلطان[١٠] غيره. والله تعالى لو كان يُتوهم شيء من ذلك فيه يُسقط له الألوهية ويحقق[١١] له الحاجة إلى غيره، ويوجب جَرْيَ[١٢] سلطان غيره عليه. وذلك يوجب غيرا خارجا عن[١٣] هذه المعاني حتى تَسْتَم[١٤] له الأدلة[١٥] على حد الموضوع، وتصفو[١٦] له الشهادة على ما قامت وأنطقت[١٧] بالخلقة، وبما فيها[١٨] من الحكمة. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[١] ث: عظم.

[٢] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.

[٣] ر ن م: أعظم.

[٤] أي عرف الله تعالى.

[٥] جميع النسخ: كما. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر م: بكية.

[٧] ر م + لله.

[٨] جمع النسخ: كلام. ولتصحيح من لمرجع السابق.

[٩] جميع النسخ: أي كل غير الله تعالى.

[١٠] ر م: سلطنه.

[١١] جميع النسخ: وتحقق.

[١٢] ر ث م + بعد؛ ن: تقدير. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ر م - عن.

[١٤] ن: يسمم.

[١٥] جميع النسخ: الأدلة له.

[١٦] ر م: وصمو؛ ن ث: وبصمو. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٧] ث: ونصقب.

[١٨] جميع النسخ: فيه. وفيها: أي في الخلقة

وعلى ذلك خَتْمُ السورة أن ليس له أحد كفوا، لأنه من ذلك يوجب المماثلة، وفي المماثلة اشتراك؛ وقد ثبت[1] فساد العالم بتوهم الاشتراك في تدبيره،[2] وقد لزم التعلي عن المعاني التي للازدواج. [فـ]ـبها يقوم التدبير ويجري سلطان التقدير.

وجائز أن يكون مخرج السورة[3] في تحقيق نعت من قد عرفوه بإحدى خصال ثلاث.[4] **١**) إما بالتلقين لكل عن كل إلى أن ينتهي ذلك إلى علام الغيوب. فسخرهم بذلك وأنشأهم على ذلك. حتى أيقن من جحد ذلك أنه بعد تلقين متوارَثٍ ظاهرٍ لا يحتمل مثلُه الخطأَ، [لأنه] في حق توارث الأمور بما يُبطل المعارف كلَّها، بأسرها أنشئوا وبها[5] تعامَلوا. وذلك كأولية[6] علوم الخلق. **٢**) وكالشيء المطبوع الذي لا يستطاع جحده إلا بما به[7] نقل[8] الطباع المخلوقة [عن مجراها] على جهة الرياضة وأنواع الحيل. **٣**) وإما بالتأمل فيها في كل جزء من أجزاء العالم من الأدلة عليه والشهادة له [بالإلهية].[9]

[٩٢٧ظ] فبيّن[10] بالآية أن الذين / عرفوه بإحدى[11] الوجوه التي ذكرنا نعتَه كذا لِيُقْطَعَ به توهم المثل له أو العدلِ في أمر؛ ولِيعرفوا[12] أن القول بغير [ذلك][13] خارج عن الوجوه التي ذكرنا، وأنه يرجع إلى ضرب من[14] التلقين، ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذي له صفته[15] الكافية والكلية في التلقين، ولا [هو] في حق شهادة الكل بالخلقة [بأن] يُدرَك بالتأمل والتفكر.

---

[1] ن – ثبت.

[2] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٢).

[3] أي آخر آيات سورة الإخلاص.

[4] يبدو أن الإمام رحمه الله قد تنقى الخصال الثلاث هكذا: الأولى التلقين؛ والثانية الطبع والفطرة؛ والثالثة التأمل في العالم. ولعله قد قصد بالنعت (بصيغة المفرد، لأن صفات الله ونعوته كثيرة) الصفة الجامعة وهي التوحيد.

[5] ن: به.

[6] ر ث م: كأول.

[7] ن – به.

[8] جميع النسخ: لعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

[9] الزيادة من المرجع السابق.

[10] أي بيّن الله تعالى.

[11] جميع النسخ: بأحد.

[12] ر م: ليعرفوا.

[13] الزيادة من المرجع السابق.

[14] ر م – من.

[15] جميع النسخ: صفة. والتصحيح من المرجع السابق.

فيمتنع عن ذلك ويرجعُ إلى حقيقة ما جرى به[١] النعت، دون غيره مما القول[٢] به[٣] يرجع إلى تلقين مَن ذُكر و[إلى] تلبيس بلا حجة، لذلك لا يضاهي شيئا مما ذكرت. مع ما في كل ذلك[٤] جميع ما في غير ذلك من شهادة الخلقة والحاجة فيها إلى غيره من الإيجاد والإبقاء، وهو الأحد[٥] بما لا دليل لغيره. بل في ذلك إحالة[٦] الألوهية من كل الوجوه الثلاثة: وهو الصَّمَدُ،[٧] بمعنى المصمود إليه في الحوائج المالك لقضائها، وهو الذي **لم يلد ولم يولد**، وهو المتعالي عن احتمال وِلاد فيه ومنه، لما ذكرت من فساد الألوهية الثابتة له بما ذكرت[٨] من الوجوه.

وقوله عز وجل: **ولم يكن له كفوا أحد**، لما في كل أحد سواه [جميع][٩] الوجوه التي منها يُعرف سلطانُ غيره عليه، وأنه دليل لمن ذل له كل شيء على السواء. ***ولا قوة إلا بالله ومنه الاستهداء.***

ولِما ذكرتُ سميت هذه السورة سورةَ الإخلاص أنها في إخلاص[١٠] التوحيد لله ونفي الأشباه والشركاء في الألوهية[١١] والربوبية، وأن كل شيء سواه مربوبه[١٢] ومملوك له. ***ولا قوة إلا بالله.***[١٣]

---

[١] ر م – به.

[٢] ر ث م: القوا.

[٣] ر م: فيه. والقول به: أي بغير وجه من الوجوه الثلاثة التي ذكرت آنفا.

[٤] أي في النعت الحقيقي.

[٥] جميع النسخ: الأحد.

[٦] ر ث: الإحالة. الإحالة هنا: الإنفاذ والإجراء.

[٧] الآية ٢ من هذه السورة.

[٨] ر م: الثابت بما ذكر؛ ن: الثانية له بما ذكر؛ ث: بما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

[٩] الزيادة من المرجع السابق.

[١٠] ن – أنها في إخلاص.

[١١] ر ث ن: الإلهية.

[١٢] ر م: مربوبة.

[١٣] ر + والحمد لله رب العالمين وبه نستعين؛ ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الفلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[١]**

قوله عز وجل: **قل أعوذ برب الفلق.** {قال الفقيه رحمه الله:}[2] الأمر بالتعوذ به يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على التعليم لا لنازلة كانت في ذلك الوقت. لكنْ لِما علم الله تعالى من عظم[3] شر مَن ذُكر -بما يُظن بالأغلب أن شر ما ذُكر يتصل بالذي ذكر[4] في علم الله تعالى- أمرهم[5] بالتعوذ به؛ كما أُخبر في أمر الشيطان[6] أنه عدو لهم وأنه يراهم من حيث لا يرونه،[7] ليكونوا أبدا مُعِدِّين[8] متيقِظين، أو فَزِعين إلى الله تعالى معتصمين [به].[9]

---

[1] ر - سورة الفلق؛ ث + وهي خمس آيات مكية؛ م + وهي مدنية.

[2] ر: رحمة الله.

[3] ر ث م. من عظيم.

[4] أي شر النفاثات والحاسدين الذي يتصل بالناس بواسطة النفث والحسد ونحوهما كما ذكر في هذه السورة.

[5] جميع النسخ: فأمرهم.

[6] م - كانت في ذلك الوقت لكن ما علم الله تعالى من عظم شر من ذكر بما يظن بالأغلب أن شر ما ذكر يتصل بالذي ذكر في علم الله تعالى أمرهم بالتعوذ به كما أخبر في أمر الشيطان. صح هـ.

[7] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أَبَوَيْكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليُرِيَهما سوآتهما إنه يَرَاكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧).

[8] أي مهيئين أنفسهم لعدته

[9] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٦٧ظ.

وهذا أحق في التعميم من الذي ذُكر في سورة الناس؛ لأنه أضرُّ من ذلك العدو. لأن ضرره إنما يتصل به بإتيانه[1] ما دعا[2] إليه[3] الشيطان وما يوسوس في صدره[4] الوسواس، وذلك فعله يمكنه[5] الامتناع عنه. وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا يعلم مأتاه، أعني شر النفاثات ونحو ذلك، فهو أحق في تعليم العباد فيه والأمرِ بالفزع إلى مَن[6] بلطفه جُعِل ذلك الفعل ممن ذكرنا معمولا فيه[7] مؤثِّرًا.

والثاني ما قيل: نزل جبريل[8] عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال]: «إن عفريتا من الجن يَكيدك. فتعوَّذْ بأعوذ برب الفلق وبرب الناس من شره إذا أويت إلى الفراش».[9]

والثالث [ما] قيل: إن واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا.[10]

قال أبو بكر الأصم: ذكروا في هذا[11] حديثا فيه[12] ما لا يجوز فتركته.

---

[1] ث: باتبعه.

[2] جميع النسخ: ما دعاه.

[3] ر م – إليه.

[4] ر م: في صدوره.

[5] ر ن م: تمكنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

[6] أي إلى رب هذه الفاعلين ومصرفهم. لعل المؤلف يشير بقوله هذا إلى اسم 'الرب'.

[7] ر ث م – فيه.

[8] ر م: جبرائيل.

[9] وفي *تفسير السمرقندي*: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له جبريل عليه السلام: «ألا أخبرك يا محمد صلى الله عليه وسلم بأفضل ما يُتعوذ به؟ قلت: وما هو؟ قال: المعوِّذتان». انظر: *بحر العلوم للسمرقندي*، ٥٢٨/٣؛ وانظر: *تفسير ابن كثير*، ٥٥٢/٨.

[10] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زُرَيْق يقال له: لَبِيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشَعَرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلَيّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة وجُفِّ طِلع نخلةٍ ذَكَرٍ. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوَانَ». فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة، كأنّ ماءها نُقاعة الحِنّاء، وكأنّ رءوس نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أُثير على الناس فيه شرا». فأمر بها فدُفنت (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٧/٤؛ وصحيح *البخاري*، الطب ٤٧).

[11] ر م: في هذه.

[12] ر ث م – فيه.

{قال الفقيه رحمه الله:}[1] ويكن عندنا فيما قيل: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحر" وجهان في إثبات نبوته ورسالته.[2] أحدهما بما عَلِمه بالوحي أنه سُحر، وذلك فعل فعلوه سرا منه، ولا وقوف لأحد على الغيب إلا بالوحي. والثاني بما أُبطل عمل السحر بتلاوة القرآن؛ فيصير لتلاوته في إبطال عمل السحر ما لعصا موسى عليه السلام؛ وأن هذا في كونه آيةً أعظمُ مما فعل موسى عليه السلام، لأن ذلك[3] بنوعِ ما له الفعل والعمل من حيث الجوهر والطبعُ ومن حيث[4] مرأى العين، فإنه صار[5] ثعبانا تَلْقف ما صنعوا. فأما إبطال السحر وعمله بتلاوة القرآن لا يكون إلا باللطف من الله تعالى. ***والله أعلم.***

ثم الأصل في هذا عندنا أنه[6] قد ثبت الأمر بالتعوذ بقوله: **قل أعوذ برب الفلق**. وقد بينا حق الاشتراك[7] فيما[8] يتضمن هذا الأمرُ أنْ كان على نازلة في واحد أو على ابتداء التعميم. فهو أمر فيه رجاء الفَرَج[9] والمَخرَج من الأمور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى بما عنده[10] من اللطائف. فجائز تمكينه[11] من أمور ضارة باللطف من حيث لا يعلم البشر مأتاه. ولعل الذي يعمل به[12] لا يعلم حقيقة ذلك العمل الذي جعل[ها] الله تعالى لذلك العمل إلا بما يَسبق من وقوع ذلك.[13]

وقد يجوز الأمر والنهي بأشياءَ وعنها من الأفعال لمكان[14] ما يتولد عنها من المنافع والمضار باللطف، من حيث لا فِعلَ في حقيقة ذلك للخلق، وإنما ذلك لطف من الله تعالى؛

[1] ر + عليه؛ ن ث: رضي الله عنه.
[2] ر ث م: في رسالته ونبوته.
[3] ر م + بنوع.
[4] جميع النسخ: والطبع من حيث.
[5] ث - صار.
[6] ر م - أنه.
[7] لعله يقصد اشتراك معاني هذا الأمر واتساع مضمونه.
[8] ر م: فيمن.
[9] ر ن: الفرج.
[10] ن: بما عنده.
[11] أي خلق الله للإنسان قدرة وسلطان على أمور ضارة وعلى دفعها وإزالة ضررها.
[12] أي يعلم العمل لإزالة الضرر.
[13] أي وقوع زوال الضرر.
[14] ر م: المكان؛ ن: بمكان. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨و.

نحو ما نهى عن أكل أشياء وأمر بها مما بها الاغتذاء[1] أو القتل،[2] من غير أن نعلم حقيقة وصول ذلك إلى ما يغدو[3] أو يقتل وأي حكمة [توجد] في ذلك ومعنًى له. وكذلك الموضوع من المناكح لطلب[4] الولد وسقي الأشجار والزرع[5] لما[6] يُحدث الله فيها -وإن كان [لا يُعلم]-[7] وجة العمل بالمأمور به والمنهي عنه وحقيقة[8] معنى[9] الذي له ذلك [العمل].[10] وعلى ذلك الأمر

[٩٢٨و] بالاستماع والنظر لما يُلقَى إليه ويراه وإن لم يكن حقيقةَ الإدراك فعله.

وعلى ذلك التقديرِ جائزٌ أن يكون الله تعالى يجعل النَّفْث بالعزائم أو بأنواع السحر أو بأنواع الرُّقَى [سببا][11] لأعمال[12] في المقصود بها من النفع والضر، لا يَعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضوع[13] فيه له [و]مَن مِنه ذلك الفعل، وهو به مأمور وعنه منهي بما له من حقيقة الفعل، وإن لم يكن الوقع[14] به في الحقيقة[15] فعلَه.[16]

ثم قوله عز وجل: **الفلق**، اختلفوا فيه. قال بعضهم: الصبح. وقيل: كل شيء ينفلق[17] من جميع ما خلق نحو الأرحامِ - ليُتَعَرَّف ما فيها- والحَبِّ، والنَّوَى، والهوامّ وكلّ شيء. فمن ذهب إلى تخصيص الصبح فهو لأنه آخر الليل وأول النهار. وقد جرى تدبير الله تعالى في إنشاء هذين الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك أحد الامتناع عن حكمهم فيما جعل لهما.

---

[1] ر ن م: الاعتداء.
[2] جميع النسخ: والقتل.
[3] ر ن: إلى ما تعدو؛ م: إلى ما تغذو.
[4] ر م: يطلب.
[5] ث: والزروع.
[6] جميع النسخ: بما. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨و.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ث م: وحقيقته.
[9] ر ث: لغير؛ ن م: بغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: أعمالا. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: الموضع.
[14] جميع النسخ: النافع. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: في حقيقة. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ن: فعله.
[17] ن: تعلق.

وهما النهاية في العلم. يعلم[1] الله تعالى الغيب، إذ جرى من تدبيره في أمر[2] الأوقات في الليل والنهار على حد وحد كلّ عام بما فيهم من الرحمة للخلق وأنواع المحنة ومن جمعهما آية[3] بما يأتيان الخلق ويذهبان. فكأنما ذكر جميع الخلق على ما نذكره[4] في تأويل قوله[5] تعالى: بِرَبِّ النَّاسِ.[6] فيكون فيه كأنه قصد[7] بالذكر ما في الكل [بخلقه] ذلك [ومن الكل].[8] **ولا قوة إلا بالله.**

**﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **من شر ما خلق**، له وجهان. أحدهما من شرّ يخلقه[9] لما أضاف إلى فعله، كما يقال: من شرّ فَعَل فلانٌ، أي من شرّ يفعله. ويحتمل من شر يكون مِن خلقه.[10] لكن الإضافة إليه بما هو خالق كلّ شيء: مِن فعلِ خَلْقه ومن خلقٍ ما له الفعل[11] أو لا[12] فعل [له]. والأول كأنه أقرب، لما ذُكر في بقية السورة [من] الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم[13] وأضيف إليه لما بينا، ولأن كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب إلى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسِب وكَسْبُه.

فمتى كان المراد من قوله تعالى: **من شر ما خلق**، هذا النوعَ، فكأن ذكر ما بعده يكون تكريرا. وإذا حمل الأول على محض التخليق فيما لا صنع[14] للخلق فيه من الشرور كان ذكر ما لهم صنع فيه -وإن كان بخلق الله تعالى عز وجل- لا يكون تكريرا، فيكون هذا التأويل أحق.

---

[1] ن: يعلم.
[2] جميع النسخ: في آخر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨و.
[3] جميع النسخ: ومن عليهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: على ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن - قوله.
[6] سورة الناس، ١١٤/١.
[7] جميع النسخ: لو قصد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادات من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: خلقه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] أي من مخلوقه.
[11] أي هو فاعل.
[12] جميع النسخ: ولا.
[13] ب: من جهتهم.
[14] ن: للخلق ولا صنع

مع ما قد بينا أنه يمسع في فعل غيره بلطف أو إعجاز؛ وفي الإعجاز لا يُحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل به الشر. لكن في ذلك[1] إثبات التمكين لما يقع به الشر فيجوز التعوذ من الذي منه، إذ به يكون من غيره؛[2] على ما بينا من جواز الأمر والنهي عن أفعال لمكانِ ما يقع بها[3] وإن لم يكن الواقع في الحقيقة هو، فعلى ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين. **والله الموفق والمعين.**[4]

وفي هذا تعلّق بعض من يقول بالقوة تَسبِق[5] الفعل أنه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يَقوَى عليه؟ والجواب من وجهين. أحدهما أن التعوذ يكون لما سيفعل[6] بما يملك، [و]هو ما يقع لديه الفعل،[7] وهو الآلات السليمة. والقدرة تحدُث[8] تِباعا على حدوث الأفعال، وتحدث[9] لما يختار هو؛ فصارت القدرة في كونها لما يختار ككون ما يَختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالةَ الفعل، فيَتعوذ منه لعلمه أن الذي به كأنه[10] في يده.

والثاني أن قد جرت العادة [بفعل الظلم ممن خلق وما جرت به العادة][11] بالعلم بما يقع في المتعارف كالعلم بما هو واقع في الرغبة والرهبة. ألا تَرى أنه يَتعوذ من ظلم الجبابرة والظَّلَمة على ما بينهم[12] من بُعد الأمكنة وطول المُدد لإمكان الوصول بما اعْتِيدَ[13] منهم بلوغُ أمثال ذلك وإن كانت القدرة على الظلم في حقه للحال معدومة لا تبقى[14] في مثل هذه المدة، فعلى ذلك الأمر الأول.

---

[1] جميع النسخ: به الشر وفي ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و.
[2] أي بالتمكين يقع الشر من غير الله تعالى.
[3] أي من المنافع والمضار.
[4] ر م ث: والله الموفق والمستعان.
[5] ر ن م: يسبق؛ ث: بسبق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: بما سيفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث: ما يقع به الفعل.
[8] جميع النسخ: والقدر يحدث. والتصحيح من المرجع السابق. أي القدرة المؤثرة وهي قدرة التكوين.
[9] جميع النسخ: ويحدث. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ث: كان.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و-٣٦٨ظ.
[12] ر: على بينهم
[13] ن: بما اعتد؛ م: بما اعتقد.
[14] جميع النسخ: لا يبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ص.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[٣]

وقوله[١] عز وجل: **ومن شر غاسق إذا وقب.** اختلف فيه. قيل: العاسق هو الليل المظلم، والغَسَق الظلمة. وقيل: سمي الليل غاسقا لأن الغاسق الباردُ. قال[٢] الله تعالى:[٣] لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا،[٤] والليل أبرد من النهار لذلك سمي غاسقا.

والأصل في هذا أن الذي ذُكِّر لا يكون منه ضرر يتعوذ منه، لكنه يرجع إلى من كان في ظُلَم الليل أو في نور القمر مِن الذي يأتي منه المضار. ومعلوم أن من الشرور ما لا يُمكَّن منها إلا في ظلم الليل، ومنها في الليالي لا يمكن إلا بنور القمر، فأَمَرَ بالتعوذ مما يكون فيها لا أن يكون منها. وهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٥] بما يقع فيه[٦] الإبصار لا أنه يقع منه ذلك. وهذا -والله أعلم- ليس على تخصيص الليل بذلك لأنه ليس له فعل الضر، لكن قد يَعرِض[٧] به الإمكان من الشر، لِما المعلوم أن من الشرور ما لا يمكن منها إلا في ظُلَم الليل، ومنها في الليل لا يمكن إلا بنور القمر. فأمر بالتعوذ منه[٨] عما يتحقق فيه. فعلى ذلك يجوز التعوذ من شر النهار على تأويل ما يقع به من التمكن من الشر ويوجد فيه. *والله أعلم.*

وقوله تعالى: **إذا وقب،** اختلفوا في معنى **وقب.** قيل:[٩] إذا جاء ودخل،[١٠] وقيل: ذهب. وقيل: معناه القمر إذا خسف. أمر / بالاستعاذة من ذلك، إذ هو عَلَم من أعلام الساعة، هذا [٩٢٨ظ] قال: **إذا وقب،** إذ القمر[١١] لا يَخسِف إلا في الليل.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر م: وقال.

[٣] ن - لله تعالى.

[٤] ن - جزاء وفقا. سورة سبأ، ٧٨/٢٤-٢٥.

[٥] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[٦] جميع النسخ: يقع به. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨ظ.

[٧] ن. قد تعرض.

[٨] ر: منه.

[٩] ن: اختلف فيه قيل.

[١٠] ر ت م ودخل.

[١١] ر: إذا لقمر.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[٤]

وقوله **ومن شر النفاثات في العقد**، فهذا تعوذ من شرهن[١] بحسب سببه، لكنه في الحقيقة[٢] فعلُ لهن.[٣] وفي الأول[٤] يقع [فيه][٥] بسببه[٦] بلا صنع لهم. فكأنه في الجملة أُمِرَ بالتعوذ من كل أسباب خيفَ تولّد الشر منه فعلاً،[٧] كان ذلك له أو لم يكن. ألا ترى إلى قوله: فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.[٨] وقد يكون للشيطان فعل في الحقيقة ولا يكون للحياة[٩] الدنيا،[١٠] فوقع النهي عن الاغترار بهما. فعلى ذلك التعوذ من شر الأمرين،[١١] وإن لم يكن لأحدهما فعل بما يقع فيه.[١٢]

وجائز أن يكون من هذا الوجه في الملائكة محنة[١٣] في الدفع والحفظ، لقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ،[١٤] قيل فيه:[١٥] بأمر الله يقع حفظه. فجائز أن يكون في هذه الأمور الخفية وأنواع المضار -من حيث لا يُعلم إلا بعد جَهد [شديد]-[١٦] يقع الحفظ بالله تعالى على استعمال الملائكة. وعلى ذلك يجوز أن يكون أمرُ سلامة المطاعم والمشارب والمنافع التي للبشر عن إفساد الجن لحفظ[١٧] من ذكر، ليكون فيها محنةٌ للملائكة على ما كان مكانَ وسواس الشيطان إيقاظ الملائكة ومعونتُهم. ويحتمل أن يكون الله لم يُمكّنهم إفسادَ ما ذكرنا

---

[١] جميع النسخ: من شرهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨ظ.
[٢] أي في الواقع.
[٣] جميع النسخ: هم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] أي في قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] ر ث ن: سببه؛ م: سبب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] أي في الواقع ومشاهدة الناس.
[٨] سورة لقمان، ٣١/٣٣.
[٩] ن: الحياة.
[١٠] جميع النسخ + فعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] أي من شر ما هو سبب للشر في الحقيقة ومن شر ما لم يكن سببا له، لأن الإنسان لا يعلم حقيقة الأمور.
[١٢] أي بما يقع الشر في الليل.
[١٣] ر ث م – محنة.
[١٤] سورة الرعد، ١٣/١١.
[١٥] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.
[١٧] ر ن ث: يحفظ؛ م: حفظ. والتصحيح من المرجع السابق.

وإن مكّنهم الوسواس، إذ باللطف يمنع من حيث لا يُعلم. وقيل أيضا: من أمر[١] الله عذابه وأنواع البلايا إلى وقت إرادة الله تعالى الوقوعَ. [*والله أعلم*].[٢]

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٥]

وقوله: **ومن شر حاسد إذا حسد**، يخرج على وجهين. أحدهما إذا كان الحاسد دون المحسود لا يقوى[٣] على الشر ليفعل به، فالشر[٤] المتوهم منه يكون من شر عينه. وعمل الحسد إرادة زوال نعم المحسود وذهابِ دولته؛ وإنه جائزٌ أن يكون الله تعالى بلطفه[٥] يجعل في بعض الأعين[٦] عملا يتأدى بالنظر إلى ما يستحسنه من النِعم إلى الزوال ويؤثر في ذهاب[٧] الدولة عنه، فأمر بالتعوذ لهذا. وقد بينا لك المتولدات[٨] عن الأفعال[٩] بما جعل الله تعالى باللطف[١٠] فيها من المضار والمنافع ما لا يبلغها علوم الخلق؛ بل لو أراد الخلق أن يعرفوا ما في البصر من الحكمة يُدرك[١١] بفتح البصر ما بين السماء والأرض من غير كثيرِ مهلةٍ لم يقدروا عليه.

وروى عمران بن حُصَين أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[١٢] قال: «لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ»،[١٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه: «العين حق فإن كان شيء يَسبق القَدَر لسبقته العين»،[١٤]

---

[١] ر ث م: من أمر.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ

[٣] ر م: ولا يقوى.

[٤] جميع النسخ: والشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ن: باللطف. أي بقدرته اللطيفة التي لا يدركها البشر.

[٦] جميع النسخ: الأعيان. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر م: ويؤثرون وذهب؛ ن: ويؤثرون ذهب. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث: التولدات.

[٩] جميع النسخ: من الأفعال. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر ث م - باللطف.

[١١] جميع النسخ: من الحكمة التي تدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ.

[١٢] ر ث م + أنه.

[١٣] ر ث م: حمر؛ ن ث: حمه. انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٣٦/٤؛ وصحيح *البخاري*، الطب ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٩٤. الحُمَة بالتخفيف: السَمُّ، وقد يُشدَّد (انظر: *النهاية* لابن الأثير، «حمه»).

[١٤] جميع النسخ: يسبقه العين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ. روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة. أخرجه مسلم بلفظ: «العين حق ولو كان شيء سابَقَ القدرَ سبقته العينُ...»، والإمام مالك بلفظ: «...فإنه لو سبق شيء القدر، سبقته العين». انظر: *الموطأ* للإمام مالك، العين ٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٤/١، ٣٤٧، ٣٦٠؛ ٤٣٨/٦؛ وانظر أيضا: صحيح *مسلم*، السلام ٤٢؛ وسنن *ابن ماجة*، الطب ٣٣؛ وسنن *الترمذي*، الطب ١٧.

وفي خبر آخر: «لا شر في الهَامِ،[1] والعين حق».[2] ويدل عليه [ما] في قصة إخوة يوسف عليه السلام، قال: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.[3] وقد فسر قوم وجه عمل العين وكيفيته، لكنه [هو] أمر كعمل الشمس في العين نفسها فيما يُبصر الشمس وينظر إليها، فإنها تضره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين، بما جعل الله تعالى في ذلك[4] من اللطف والحكمة، وكذلك عمل العين في المعيون. *والله أعلم*.[5]

والثاني أن يكون بما حسد أن يبعث حسده على البخل[6] وأنواع ما فيه الفتن[7] من السعي في الأمور التي بها الفساد على ضَعْفه في نفسه؛ قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾؛[8] فمع ما بيّن من فشلهم وضعفهم أمرهم بالحذر عنهم؛ وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾،[9] ثم أمر بالتعوذ من شره، فكذلك الحاسد. **والله أعلم بالصواب وإليه المآب**.[10]

---

[1] والهام: جمع هَامَة، وهي الرأس واسم طائر. إن العرب كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل. وقيل: هي البومة. انظر: *النهاية* لابن الأثير، «هوم».

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٦٧؛ ٥/٧٠، ٣٧٩؛ و*سنن الترمذي*، الطب، ١٩.

[3] سورة يوسف، ١٢/٦٧.

[4] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و.

[5] ث - والله أعلم.

[6] ر ث: على الحيل؛ ن م: على الجبل.

[7] جميع النسخ: ما به العين. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] سورة المنافقون، ٦٣/٤.

[9] سورة النساء، ٤/٧٦.

[10] ر ن - بالصواب وإليه المآب؛ ث: والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الناس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٢] ﴿إِلٰهِ النَّاسِ﴾[٣]**

قوله تعالى: **قل أعوذ برب الناس**، فظاهره[2] أمرٌ لرسول الله بشيء[3] مشار إليه وهو التعوذ. وحق الإجابة في مثله أن يقول: أعوذ، لا[4] أن يقول: قل أعوذ؛ لكنه –والله أعلم– يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون ذلك أُنزل بحق أن يصير ذلك أمرًا لكل من بلغه، وتعليما بالذي عليه من الاعتصام[5] بالله تعالى، والالتجاء إليه من شر الذي ذكره ليعيذه. ويكون الإعاذة بوجهين. أحدهما في تذكير ما قد[6] عرّفه من الحجج في دفع ما يخطر بباله من المكروه. والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا تدركه[7] عقولهم مما لديه يقع الأمن من الزيغ مما حقه الإفضال.[8] والذي ذلك حقه فللّه تعالى أن يُكرم به العبد مبتَدَءًا،

---

[1] ر – سورة الناس؛ ن + مدنية؛ ث + وهي ست آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.
[2] م: فظاهر.
[3] ر ن م: وشيء.
[4] ر م – أعوذ لا؛ ن – لا.
[5] ر م: بالاعتصام.
[6] ر ت م – قد
[7] جميع النسخ: ولا يدركه.
[8] ر ث م: الإفعال.

وله أن يُقدم فيه محنة السؤال والاعتصام به على الإكرام أيضا. ويلزم على من عصم به[1] عن الزلة أو هُدِيَ إلى حسنة الشكرِ لله تعالى فيما ابتدأه أو أكرمه[2] عند[3] السؤال.

والوجه الثاني من وجهي الخطاب أن يكون الخطاب لغيره، وإن كان راجعا إلى مشار إليه
٩٢٧و فهو مما يشترك في معناه غيره، فأبقى وأثبت ما به يصير مخاطِبا من بلغ ذلك، وهو قوله: **قل**، حتى يدوم هذا إلى آخر الدهر. وعلى هذا[4] جميع ما فيه حرف الكلفة والمحنة، أعني صيغة الأمر. **والله الموفق.**

ثم في قوله: **قل أعوذ برب الناس**، إلى آخر السورة وجهان من الحكمة، فيهما نقض قول أهل الاعتزال. أحدهما أن المحنة قد تثبت[5] بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له. فإما أن كان الله تعالى عز وجل أعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيد، أو لا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده شيء منه. فإن كان قد أعطاه، فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى، [فكأنه] كاتمٌ[6] لما أعطاه طالبٌ ما ليس عند الله تعالى، فيكون الأمر بالتعوذ محنة وأمرا بما به كتمان ذلك. وذلك [إما] حق[7] استوفاه[8] يكون إنكاره [من الفحشاء، أو نعمة آتاه يكون كتمانه كفرانا للنعمة، إذ الكفر حقيقته][9] ستر نعم الله تعالى. وقد تبرأ عن الأمر[10] بالفحشاء والمنكر، وبيّن أن ذلك عمل الشيطان.[11] ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى، لأنه يطلب منه ما يعلم أنه لا يملكه ولا يجده عند نفسه، وذلك من عمل الهُزْءِ عند ذوي[12] العقول. فمن ظن أن الله تعالى يمتحن عباده ويأمرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل بالله تعالى وبحكمته.

---

[1] أي حفظه بالتعوذ.
[2] جميع النسخ + به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و.
[3] م – عند.
[4] ر ن م – هذا.
[5] ن: قد يثبت.
[6] ن: كأنه.
[7] جميع النسخ: حتى. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] أي أخذه العبد تاما وافيا.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] م – عن الأمر.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧-٢٨)
[12] جميع النسخ: من عمل جزء وعند ذي. والتصحيح من المرجع السابق.

و[الثاني] أنْ لم يكن الله تعالى أعطاه[1] وعنده [شيء] بعد ذلك. ثم كان من مذهبهم[2] أنه ليس لله تعالى أن يمتحنهم بفعل إلا بعد إيتاء جميع ما عنده مما به قوامه ووجوده. ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجه التكليف قبل إيتاء جميع ما عنده مما به الوصول إلى ما أمر به، وذلك ترك مذهبهم. مع ما كان عندهم أنه لو كان عند الله أمر ومعنى لا يقع فعل المختار لأجل أنه[3] لا يعطيه ذلك لم يكن له أن يمتحنه، وهو بالامتحان جائر.[4] فأما أنْ سألوه بفعل قد أَمر به وإن لم يكن أعطاهم[5] ذلك[6] -وهم ما وصفوا الله[7] تعالى بمثل ذلك- أو بفعل[8] يتلو وقت الأمر[9] ذلك ويكون[10] إعطاء ذلك وقتَ الأمر،[11] فكأنه ظن أن يأمر[12] ولا يعطي حتى يُسأل، وذلك حرف الجور.

ثم الأصل الذي اطمأن به قلوب الذين يعرفون الله أنه متى هُدِي الهداية التي يَسأل،[13] أو عُصِم العصمة التي يطلب، أو وُفِّق لما يرجو من الفضل،[14] أو أعانه عند ما يخاف[15] كان ذلك لا محالة وتَحقّق[16] بلا شبهة، ويأمن لديه من الزيغ والضلال. وعلى ذلك جُبلوا مما لا يجد[17] غير معتزلي إلا وقد اطمأن قلبه به، حتى يعلم أن هذا منه ووقع[18] المجبول عليه، بالتقليد. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] أي أعطى العبد ما يقع به الامتناع من طاعة الشيطان.
[2] ث + أن يمتحنهم بفعل لم يكن الله تعالى أعطاه.
[3] ر م: لأنه.
[4] ر ن م: جائز.
[5] جميع النسخ: أعطاه.
[6] أي وإن لم يكن أعطى الله العباد قدرة ذلك الفعل ووسائل إيقاعه.
[7] ن: لله.
[8] ث م: يفعل.
[9] أي يجب إيقاع ذلك الفعل فورا ويكون إعطاء الله تعالى قدرة ذلك الفعل ووسائله وقت الأمر به.
[10] ن م: فيكون.
[11] أي يكون إعطاء الله قدرة ذلك الفعل وقت أمره به.
[12] ر م: أن يأمروا.
[13] جميع النسخ: سئل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩و. أي متى يسأل العبد أن يُهدَى إلى الرشاد أو يعصم من الخطأ والمنكرات.
[14] جميع النسخ: من الفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ + أنه.
[16] ر م: ويحقق؛ ث: وحقق.
[17] ر ث: لا يجد.
[18] جميع النسخ: وقع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩ظ.

وقوله عز وجل: **برب الناس ملك الناس إله الناس**، ولم يقل: أعوذ برب الخلق، وهذا أعم من الأول. وإضافة كلية الأشياء إليه أو إضافته إلى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى، فما كان أعمّ فهو أقرب في التعظيم. فهذا -والله أعلم- يخرج على أوجه. أحدها أراد التعريف، وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يُفزع إليه ممن يملك ذلك ليتعوذ[1] به.[2] لكنه ذكر "برب الفلق" في موضع، "وبالله" في موضع، "وبك" في موضع، كقوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[3] وقوله:[4] فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[5] ليعلم به من سعة الأمر وتحقيق الفزع والرجوع إلى الله تعالى عند نزول ما ينزل بالمرء[6] مما يخاف على نفسه ويَشغَل قلبَه أنَّ له ذكرَ ما يحضره من أسماء الله تعالى أيِّ اسم كان، إذ ما من اسم[7] إلا وفيه دلالة على نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه المُلك إليه وإخلاصُ الحمد له بإضافة النعم. فيكون ذلك من بعض ما به التشفع[8] إلى الله تعالى من ذكر قدرته وإحسانه، و[يكون] أرفع ذلك في ذكر الناس بالإضافة إليه.

والثاني أن الذين عُرف فيهم الأرباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الإنس دون غيرهم، فأَمَر أهلَ الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعترافِ بالمُلْك والربوبية له أن يفزعوا إليه عما ذُكر، ذاكرين لذلك، واصفين بأنه الرب لهم والمَلِك عليهم والمستحق لعبادة لا غيرُه. أو لِما كان للوجوه التي ذكرنا ضل القوم مِن اتخاذهم أربابا دونَ الله تعالى، أو نزولِهم على رأي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض، أو عبادتِهم غير الله تعالى وفَزَعِهم إليه، فأمر الله تعالى أهل الكرامة بما ذكر من الفزع[9] إلى الذي يُذكَر بهذه الأوصاف على الحقيقة، على نحو فزع الضالين إلى أربابهم وملوكهم؛ و[أمر] الذين عبدوه دونهم، إذ إليه مفزع الكفرة أيضا عند الإياس عمن اتخذوهم دون الله لنصرتهم ومعونتهم. والله أعلم.

---

[1] جميع النسخ: ليعود. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩ظ.
[2] جميع النسخ: منه.
[3] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٢٠٠/٧).
[6] ل: المرء.
[7] و: إلا ما من اسم؛ م + كان.
[8] ر م: التشفع.
[9] جميع النسخ: بما ذكرت الفزع. والتصحيح من المرجع السابق.

والثالث أن المقصود من خلق هذا العالم هم الذين[1] نزلت فيهم هذه السورة، وغيرُهم كالمجعول المسخر لهم. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾،[2] وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ﴾[3] الآية، وقال الله تعالى: / ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾،[4] الآية. [٩٢٧ظ]

فإذا قيل: **برب الناس، ملك الناس [إله الناس]**،[5] فكأنه قيل: رب كل شيء، لأن ما سواهم جُعل لهم. وذكرُ الخلق[6] والتوجيهُ إليه في الاستعاذة والاستغاثة[7] هو اعتراف بأن لا يملك غيرُه ذلك، فاستوى الأمران.[8] ***والله أعلم.***

وقيل[9] في [قوله:][10] **برب الناس**: مصلح الناس، وذلك يرجع إلى أن به صلاحهم في الدين وفي النفس.[11]

وقيل: **مَلِكِ الناس**، على الإخبار بأن الْمِلْك [والْمُلْك] له فيهم جميعا، وفي الخلق [جهة الملك][12] مما لم يُذكر فيه جهة[13] المُلك، فبيّن أن ذلك كله في التحقيق لله تعالى ومُلكِه، ولغيره يكون من جهته على ما أعطى لهم بقدر ما احتاجوا إليه. وقيل:[14] سيدهم، لكن لفظة "السيد" لا يذكر لمالكِ غيرِ الناس، ويوصف[15] بالرب والمِلك، والمالك على الإضافة لا مطلقا. يقال: "رب الدار"، و"مالك الجارية"، و"مِلك مصر".[16] ونحو ذلك، فكأنه[17] أقرب.

---

[1] ر: هو الذين.
[2] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[3] ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة الجاثية، ١٢/٤٥).
[4] ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢٢/٢).
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٩ظ.
[6] أي الناس.
[7] جميع النسخ: والاستعانة. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] أي استوى ذكر "الناس" وذكر "كل شيء".
[9] ت: قيل.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ت – والله أعلم وقيل في قوله برب الناس مصلح الناس وذلك يرجع إلى أن به صلاحهم في الدين وفي النفس.
[12] الزيادتان من المرجع السابق.
[13] ر م + فيه جهة.
[14] أي في تأويل ﴿ملك الناس﴾.
[15] أي الإنسان.
[16] ر م: المصر.
[17] أي التأويل الأول لكلمة ﴿ملك﴾.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٤] ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٥] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **من شر الوسواس الخناس،** فسمي الذي يوسوس بأنه وسواس وخناس. وقيل في تأويله من وجهين. أحدهما أنه يوسوس لذي الغفلة. ويَخْنِس عند ذكر الله تعالى أي يخرج ويذهب. وقيل: يخنس: لا يُرَى ولا يَظهر، كقوله تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[1] وهذا قيل: في "الْجَوَارِ"[2] "الْخُنَّسِ":[3] إنهن يَطْلُعْن من مَطالعهن ويَخْنِسن بالنهار أي يختفين.[4] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس،**[5] صيَّر الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس. وقيل أيضا على التقديم والتأخير، معناه: قل أعوذ برب الناس... من الجنة والناس من الذي[6] يوسوس في صدور الناس.

أما الوسوسة فهي أمر معروف، وذلك بما[7] يُلْقَى من الكلمات التي تَشغَل[8] القلب وتُحيِّر[9] في أمر الدين، بما لا يَعرف الذي يُلقَّى إليه المخرج[10] من ذلك. وعلى ذلك أمر أهل الأهواء وأصناف الكفرة، كقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[11] وقوله عز وجل: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ.[12]

وأما شياطين الجن فهو أمر ظاهر عند جميع أهل الأديان ومن آمن بالرسل عليهم الصلاة والسلام. لكن الدهرية ومنكري الرسل[13] يقولون: ليس من الجن[14] شياطين،

---

[1] سورة الأعراف، ٢٧/٧.
[2] ث: في الجواري.
[3] ر: كنس. لعله يشير إلى الآيتين من سورة التكوير: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ (١٥/٨١-١٦).
[4] ر م + وقيل.
[5] ر ث م + الآية.
[6] ر م: من الذين.
[7] ر ث م: مما.
[8] جميع النسخ: يشغل
[9] ر م + لما.
[10] أي الخلاص.
[11] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).
[12] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[13] ر - الرسل؛ م: البعث.
[14] جميع النسخ: في الجن والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٧٠و.

وإنما هو أمر يخوّف به مُدَّعو[1] الرسالة ليُلزموا الخلق الاستماع إليهم في تعرّف الجَهْل وما عندهم في دعواهم من العلوم والمعارف.

وهذا لسفههم قالوه،[2] ولو أنهم تأملوا في ذلك لعرفوا أنهم على غير بحث عما ألزمتهم[3] ضرورة العقل الطبّ، ودعتهم إلى البحث عنه ما مسهم من الحاجة،[4] وهي الخواطر التي تقع في القلوب والخيالاتُ التي تَعرِض[5] في الصدور. منها [ما][6] إذا صُورت وُجدت قِباحا، ومنها[7] ما إذا صُورت وُجدت حِسانا. ولا يجوز وقوع أمر أو كون شيء بعد أن لم يكن مِن قِبل نفسه للإحالة في أن يصير لا شيءَ بنفسه شيئا قبيحا أو حسنا بلا مدبّر. وقد عَمّ جميع الإنسان بالذي ذكرت من الابتلاء به مما يُعلَم أنه لم يكن من نفسه معنى يَحدُث له ذلك. فثبت أن قد كانت الضرورة تُلزم[8] البحث عن ذلك.

ثم لا يُعنّم من حيث طلبُ الأبدان الموجبةُ لها ولا في العقول أيضا[9] دركُها. فيحجب بها أمران منعهم عن العلم بهما: القُنُوع[10] بالجهل وحب الراحة. أحدهما القول[11] بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير، والآخر القول بالرسالة تأتيهم[12] من[13] عند علام الغيوب. وإذا[14] كان[15] ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيَعرِفَ حقيقة ذلك، فيعمّ عند النظر والبحث أمرين عظيمين. أحدهما الرسل بما معهم من المعجزات، فيقولون بهم وبالتوحيد بما رأوا من الآيات الصدق،

---

[1] ر ت: مدعو.

[2] جميع النسخ: قالوا.

[3] ر ث ن: ألزمهم.

[4] أي إن الذين ينكرون شياطين الجن لم يبحثوا عما ألزمتهم عقولهم طلبه ودعتهم الحاجة إلى التأمل فيه والكشف عن حقيقته. وهي الخواطر إلخ.

[5] ن: يعرض.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.

[7] ر: ومنهم.

[8] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر ث م: أيضا.

[10] ر ن م: الصوغ.

[11] ر: العقول.

[12] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ن: من.

[14] جميع النسخ: إذا.

[15] ر م: كانت.

إذ قد علموا أن في الأخبار صدقا لولا ذلك لكانوا لا يدّعون شيئا، إذ هو خبر.[1] والثاني يلزمهم بما يعاينون[2] من خروج الأمور[3] عن غير الحكماء أنها تقع متفاوتة مضطربة، والعالم بما خرج مُتَّسقا على الحكمة والمصلحة، فعلموا أنه كان بمدبر حكيم يعلم[4] ما به مصالح؛ فيلزمهم به أمران أيضا: التوحيد والرسالة. **ولا قوة إلا بالله تعالى.**

والأصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا[5] من الوسوسة أن الشيطان والملَك خلقان لله تعالى، عرفناهما بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وبما بينا من ضرورة الحاجة إلى العلم بمن بإلقائه يصير عند التصوير قبيحا أو حسنا، فيأتيان جميعا بما مكّنهما الله تعالى من الأمرين جميعا. أمرُ الملائكة الخير والحكمة، فيَسهُل عليه[6] سبيله بتيسير الله تعالى وفضله. وأمرُ الشيطان الضلال والشر فيُيَسَّر عليه، حتى صار الخَير للأول كالطبع والشر للثاني كذلك. فإذا كان كل واحد ممكنا

[٩٢٨و]من الأمرين / قال الله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ إلى قوله عز وجل لِلْعُسْرَى،[7] وقال الله عز وجل: فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إلى قوله تعالى كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ.[8]

ثم الأصل في الإنس أنهم امتُحنوا بحقوق بينهم وبين الله تعالى وبحقوق فيما بينهم، وكُلفوا أن [يقبلوا][9] بتثبيت[10] الملائكة إياهم، بقوله[11] عز وجل: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[12] وأمروا برد ما يوسوس إليهم الشيطان، بقوله تعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[13] وغير ذلك.

---

[1] ر ن م + له.
[2] جميع النسخ: بما يعاينوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[3] جميع النسخ: الأمر.
[4] ر ث م: بعلم.
[5] ث: ما ذكر.
[6] أي على كل من الملائكة.
[7] ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-١٠).
[8] ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعّد في السماء﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٥).
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: تثبيت. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م - بقوله.
[12] سورة الأنفال، ٨/١٢.
[13] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٦).

وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحنين بالكتابة[1] على البشر، بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ؛[2] فتكون[3] الحكمة في تكليف الْمُمَكَّنِين[4] ما وُصف من محنة الله تعالى إياهم طاعتَهم في أنفسهم وفيما مُكّنوا من غيرهم على ما ذكرت من أمر[5] الإنس. وحكمة ذلك للإنس إلزام التيقظ والنظرِ فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له مِن[6] الذي عليه. وكذلك [الأمر] في تكليف الملائكة [من] كتابة[7] قوله[8] وفعله، ليكون متيقظا ومتنبها في كل أفعاله وأحواله،[9] كتيقظه فيما كان الأولياء والأعداء من الكاتِبِين الظاهرين عليه أنه يَحْذَر كل الحذر[10] عما يؤذى وليّه، ويُقبل على كل أمر فيه نفع مما أَمِن،[11] ويَحذر عدوّه أشد الحذر لئلا يؤذيه من حيث لا يعلم فيتهمّه كلَّ تهمة. ثم معلوم أن لا يُمضيَ الكتبة إلا بعد إحكامه وإصلاحه غاية ما يحتمل الوسع، فعلى ذلك فيما خفي؛ إذ هم في العقول في درك ما هم[12] وما عليهم كالذين ظهر لهم[13] ممن ظهروا لأبصارهم.[14] *والله الموفق*. ولذلك[15] صَلحَت[16] المحنة والأمر في صحبة الأولياء والأعداء[17] بحق الولاية والعداوة فيما لا يَرون صلاحها وفيما يرون، إذ [النيات] من الجهة التي فيها[18] الولاية والعداوة مرئية[19] لأبصار القلوب والعقول، فيمكن الحذر والمعاملة جميعا.

---

[1] ر م: بالكناية.
[2] سورة الانفطار، ٨٢/١١.
[3] جميع النسخ: فيكون.
[4] جميع النسخ: التمكين. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٧٠و.
[5] م: الأمر.
[6] ن: ومن.
[7] م: من كناية.
[8] ث + وحكمته.
[9] ن: أحواله وأفعاله.
[10] ن - كل الحذر.
[11] جميع النسخ: يقع بما أمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ما منهم.
[13] ن: ذكر لهم.
[14] أي الكتبة من الملائكة -في تعقلنا وفهمنا- في درك ما للممتحنين وما عليهم من الأفعال كالذين ظهر لهم الأفعال عيانا.
[15] ر: وكذلك.
[16] ن - صلحت. وصلحت: أي أمكنت وصارت موافقة للحكمة.
[17] ن: الأولياء.
[18] جميع النسخ: من الوجه الذي فيه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٧٠ظ.
[19] جميع النسخ: والعداوة من مرئية. والتصحيح من المرجع السابق.

وعلى هذا التقدير لم يمكّن الله أعداءه[1] الذين[2] لا يُرَون[3] من معاداتهم بأفعال في[4] أبدانهم[5] وأموالهم بالسلب والتنجيس والإفساد، وقد مكّن أعداءه[6] من الإنس ذلك، لتمكّنهم [من] الدفع عن ذلك والحذر عنه بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرفُ عن ذلك، وما هذا إلا كدرك الحواس بأفعالها وأسبابها بالحس. وكذلك أمر الملائكة. لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيدَ مع شهادة العقل وكلِّ شيء فجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر. *والله أعلم.*

{قال رضي الله تعالى عنه:} ثم اختلف في وجه تمكن[7] الشيطان من الإنس فيما يوسوس إليه. قد روي في بعض الأخبار أنه يجري فيه مجرى الدم،[8] فأنكر ذلك قوم. وليس ذلك مما يُنكَر بعد العلم باحتمال جري الدم فيه وجري قوة الطعام والشراب وما به حياة الأبدان والحواس مما لطف مجراه[9] في جميع العروق والأعصاب وكل شيء بلطافة ذلك، فعلى ذلك[10] الشيطان. وعلى ما روي في أمر الْمَلَك مما يكتب ما لا يُعلَم موضع قعوده ولا يُسمع[11] صرير[12] قلمه ولا ما يكتب علينا من ذلك. فعلى ذلك الأمر[13] الذي ذكرت.

ثم قد ثبت القول بأمر الله تعالى نبيه أن يتعوذ به عن همزه ونَزْغِه وحضوره، بقوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[14] الآية، وقوله عز وجل: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[15]

---

[1] ن: أعداه.
[2] ر م - الذين.
[3] ر م: ولايرون.
[4] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[5] أي أبدان الممتحنين.
[6] ر م: أعدؤهم؛ ن: أعدهم؛ ث: أعداءهم.
[7] ن م: يمكن.
[8] لعله يشير إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (صحيح *البخاري*، الأحكام، ٢١، بدء الخلق ١١؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٢٣-٢٥).
[9] م: مجراء.
[10] ر م: بلطافة ذلك؛ ن: بلطافة معنى ذلك.
[11] ن: ولا سمع.
[12] ن م: صرير.
[13] جميع النسخ: أمر.
[14] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٢٠٠/٧).
[15] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك أن يحضرون﴾ (سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣-٩٨).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[1] وقال: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[2] الآية، فثبت أن أمره على ما يشاء.[3]

ثم القول في أي موضع [يكون][4] [أو ا]لوقت ما له من الوحي والمس والنزغ أمر لا نحتاج إليه نحن،[5] لأن الله تعالى أخبرنا أنا لا نراه بقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.[6] ولكن الذي[7] رجعت إليه[8] المحنة أفعالُه التي تقع[9] لها آثار في الصدور، وقد مُكِّنَّ بحمد الله تعالى ومنّه لندرك [ما جاء] منه.[10] وإنما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من أفعاله ووسوسه لندفع[ها][11] بما مكّننا الله تعالى من الأسباب وعرّفنا من الحجج بغض الباطل والتمسكَ بالحق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾،[12] أو رجعوا[13] إلى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي جعله الله[14] تعالى للدفاع، كقول[15] يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾[16] الآية، على العلم فيه بضواهر الأسباب المجعولة[17] لدفع كيدهن. وكذلك قول الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾[18] الآية. [٩٢٨ظ]

---

[1] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[2] ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٥).
[3] ث – فثبت أن أمره على ما يشاء.
[4] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٧٠ظ.
[5] جميع النسخ: لا يحتاج إليه بحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] سورة الأعراف، ٧/٢٧.
[7] م: الذين.
[8] ر ث م – إليه.
[9] جميع النسخ: إلى أفعاله التي يقع.
[10] ر ث م: ومنة ليذكرك منة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] م: ليدفع.
[12] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[13] ر ث م: ويرجعوا؛ ن: ويرجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ن – الله.
[15] م: كقوله.
[16] ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (سورة يوسف، ١٢/٣٣).
[17] ر ث م: بضوائف الأشياء من المجعول؛ ن: بضوائف الأسباب المجعول. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] سورة آل عمران، ٣/٨.

لكن من الناس من يقول: هو يَعْمَم النفس فيما تهوى[1] فيُزيّن لها ذلك. والعقلَ فيما يدعو[2] فيمنعه عن ذلك. ومنهم من يقول: لا، لكنْ في ذلك آثار من الظلمة والنور والطِّيب والخُبث[3] فيعرف[ها] بالآثار،[4] وفيها موقع وسواسه حتى يصل إلى الفعل.[5] وقد يكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد[6] وخارجا[7] منه وبخاصة آثار الأعمال. ومنهم من يقول: ليس له بشيء[8] من ذلك عمل، لكن [يتمسك] بكل ما يرجو[9] العمل من التغرير أو[10] التمويه والتلبيس، كالأعمى فيما يَمَسُّ ويطلب المَضارّ من المنافع ونحو ذلك.

لكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق إمكانه وحيله. وذلك أمر لم نؤمر[11] بمعرفته، وإنما علينا مجاهدته في منع ذلك بالتيقظ أو بدفعه[12] بما نتذكر[13] -هكذا ذكرت في الآيات- أو بالفزع إلى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه إن حضر، بما عنده من اللطائف التي لديها يقع الأمن عن الزيغ والظفرُ بالرشد.

وتأوّل[14] كثير منهم أنه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، وذلك ممكن لما قد يكون في كل[15] جنس ضُلّال وغُواة[16] وأخيار وأبرار. فأما حق تأويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والإنس [والله أعلم].[17]

---

[1] ن: فيما يهوى.
[2] ر ن م: فيما يدعوا عن ذلك؛ ث + عن ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[3] ر ث م: والخبث.
[4] ن: بالآيات.
[5] ن ث: إلى العقل.
[6] ث: في الحسد.
[7] جميع النسخ: وخارج.
[8] م: شيء.
[9] ر م: يرجوا.
[10] جميع النسخ + في.
[11] جميع النسخ: لم نومن. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: أو يدفعه.
[13] جميع النسخ: بما يتذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: ويأول.
[15] جميع النسخ: من كل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[16] ث: وعياه.
[17] الزيادة من المرجع السابق

ثم القول في المعوذتين أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن. {قال الفقيه رحمه الله:} لنا من أمرهما أنهما انتهتا[١] بما انتهت[٢] إلى أهل هذا العصر معرفةُ القرآن في الجمع[٣] بين اللوحين بتوارث الأمة. ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسَّبْر[٤] بما به[٥] نعلم أنهما[٦] معجزتان أو لا. وإنما حق ذلك الأخذ عن أهل ذلك والشهادةُ له[٧] بعد الثبات أنه من القرآن وأنه معجز؛ حق أمثالنا فيه الاتباع.[٨]

وقد اتضح بما به جرى التعارف في جميع الشرائع التي به[٩] نشهد[١٠] أنها عن الله تعالى وأنها حق، فعلى ذلك هذا. لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لم يكتبهما في مصحفه. وذلك عندنا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لم يكن سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فيهما شيئا أنهما من القرآن أم لا؛ ولم يكن أيضا رأى على نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا، لأن القرآن وما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يُلزم علمَ الشهادة والعملَ به واحد، إذ المقصود من كل ذلك القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسميةُ. ولم يكن النجباء يمتحنون أنفسهم بالسبر[١١] في الوجوه التي بها يعرفون المعجز من غير ذلك أنه قرآن أو غيره، وإنما ذلك من عمل المرتابين الشاكّين في خبر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليعرفوا أنه مبعوث مرسل. فأما من تقرر[١٢] عنده واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج فيما أتاهم فقد كَفُّوا [عن][١٣] ذلك. وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما ذكرت، لا أن عنده أنهما ليستا من القرآن.

---

[١] ر: انهما؛ ن: انتهيا؛ ث – انتهتا؛ م: أنبهنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[٢] ر ث: بما انبهت.
[٣] ر م: في الجميع.
[٤] ر ث م: والسر. السبر: استخراج كنه الأمر بالقياس والتجربة (*لسان العرب*، «سبر»).
[٥] م – به.
[٦] ر م: أنها.
[٧] ر م – له.
[٨] ر ث م: الإيقاع.
[٩] جميع النسخ: بها.
[١٠] ر ث م: يشهد.
[١١] ر ث م: بالسر.
[١٢] ر ن م: من يقرر.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

وفي خبر عقبة الجهني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه:[1] «نزل اليومَ آيات لم يُرَ مثلهن قط». قيل: ما هن يا رسول الله؟ فقال: «المعوذتان»،[2] دل أنهما من القرآن.

وأيد أيضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا: «فقولوا».[3] فنحن نقول: لم نشهد في ذلك[4] بأنهما منه ولا ليستا[5] منه، بما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بهما، فعلى ذلك أمْرُ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

ويؤيد ذلك أيضا أمر استعاذة القرآن،[6] أنها[7] متقدمة[8] على القراءة. وحق هاتين السورتين لو كانتا منه بيقين أن تكونا[9] في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقرآن. فهذا أيضا بعض[10] الذي يمنع العلم[11] بحقيقة[12] ذلك عنه. وقد بينا جواز[13] وجه الإشكال. مع ما كان الإنزال لحاجة[14] العباد، وعلى ذلك جرى العمل بهما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره، فهو أمر لا يضر الجهلُ بالوجه[15] الذي ذكرت. وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: "لو علمت أن أحدا أعلم بالقرآن مني وحملتني مطيتي لأتيته".[16]

---

[1] ن + رضي الله عنهم.

[2] انظر: صحيح مسلم، صلاة المسافرين ٢٦٤-٢٦٥؛ وسنن الدارمي، فضائل القرآن، ٢٦.

[3] عن زِرِ بن حُبَيْشٍ قال: سألت أُبَيَّ بْنَ كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قيل لي فقلتُ». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح *البخاري*، التفسير ١١٣)، وانظر أيضا: ١١٤.

[4] جميع النسخ: في تلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[5] ر ث م: ولا لسنا.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، ٩٨/١٦).

[7] ن: أنهما.

[8] ر م: مقدمة.

[9] ر م: أن يكون؛ ن ث: أن يكونا.

[10] م: بعد.

[11] ر ث م - العلم.

[12] ن: يحتقر.

[13] م - جواز.

[14] ر ن م: بحاجة.

[15] ر ن م + بهما؛ ث - بالوجه.

[16] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٠٥/١.

وقد / روي عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يَعرض على جبرائيل عليه الصلاة والسلام كل عام مرة إلا في العام الذي قُبض عرض عليه مرتين، وقد شهدهما جميعا عبد[1] الله.[2] فلعله[3] لم يَعرض بما[4] شاء الله.[5] وإذا كان كذلك لم يكن هو ممن يَسأل في هذا الباب غيره ليثبُت عنده السماع بأنهما أُثبتا في المصحف [أم لم تثبتا]؛ فبقي قوله بحيث لا نعرف حقيقته. [٩٢٩و]

ووجه آخر، [احتمل][6] أن يكون رآهما منه لكن لم يكتب لوجهين. أحدهما لِما لم يكن موضعَ الكتاب، والتدبيرُ على ما ذكرنا أن يكون في أول المصاحف، فكره أن يكتب بتدبيره ويتخير له موضعا للكتابة، فلم يكتب لذلك.[7] والثاني أنه يكتب ليَحفظ ولا ينسى،[8] وقد أمن عليهما النسيان، لأنهما بحيث يجب تلاوتهما في أوائل النهار ومبادئ الليل، وعند النوازل [التي] تقع[9] يُتعوذ[10] بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وأنواع الدعوات المدعوة، فلما أمن خفاءهما[11] لم يكتب. [وكذلك لو توهم ذلك في الكل]،[12] وعلى ذلك تَرك كتابة فاتحة الكتاب.[13]

***والله أعلم.***[14]

---

[1] ر ث ن: عند.

[2] عن بن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، فكانت قراءة عبد الله آخر القراءة (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٥).

[3] جميع النسخ: فعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[4] ر ث م: ما.

[5] أي لعل النبي عليه السلام لم يعرض ولم يقرأ ما شاء الله عدمَ قراءته.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: كذلك.

[8] ن: ولا ينشي.

[9] ر م: ينفع؛ ن ث: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر م: التعوذ؛ ث: نتعوذ.

[11] ر م: خفاهما.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ن: القرآن. انظر: *الإتقان في علوم القرآن* للسيوطي، ١/٢٢٦.

[14] ن + بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين؛ ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م - والله أعلم.

# تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

تحقيق
احمد وانلى اوغلى

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلى

دار الميزان